النَّهرُ المادّ

مِنَ البَحْرِ المُحِيط

تصنيف

الإمام أبي حيّان الأندلسي

٦٥٤-٧٤٥هـ

تحقيق

الدكتور عمر الأسعد

المجلّد الأول

الفاتحة - آل عمران

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

مقدمة المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ البيانَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِه المُؤَيَّدِ بالمُعْجِزَةِ الخالدةِ: كتابِ اللهِ الذي لا يأتيه البَاطِلُ من بين يديهِ ولا من خَلْفِهِ، الباقي أبداً مَعِيناً ثَرّاً يَرِدُهُ الواردونَ ويَنْهَلُ من حوضِهِ الظَّامِئونَ.

أما بعد، فهذا تفسيرٌ للكتابِ العزيزِ صَنَّفَهُ عالمٌ من أَجِلَّةِ العُلماءِ. وَلَئِن تعددتْ أغراضُ التَّفاسيرِ وَمَقاصِدُها على كَثْرتها، فإنَّ هذا السِّفْرَ الثمينَ يُعْنَى عنايةً خاصةً بذكرِ القِراءاتِ المُختلفةِ والمَسائل النَّحويةِ والصَّرفيةِ، مع الاهتمام بالتَّفسيرِ والتَّأويلِ المُسْتَنِدِ إلى الأثرِ والرأي معاً.

وفي هذه المقدمة القصيرةِ أُعرِّفُ بالمصنِّف صاحبِ التَّفْسيرِ، وبالمصنَّف والمَنْهجِ المُرْتَضَى له، وبالنُّسخةِ الخَطِّيَّةِ التي كانت العُمْدَةَ في التَّحقيق، وبالأسلوبِ المُتَّخَذِ في التَّحقيقِ والإخراجِ.

(١)

أبو حيَّان الأندلسي عالمٌ جليلٌ من عُلَماءِ القرنِ الثامنِ الهجري، ذائعُ الشُّهْرَةِ طائرُ الصِّيتِ، لذا فإنَّ ترجمتَنا له مختصرة، مقتصرة على الخطوطِ الرئيسةِ والملامحِ العريضة[١].

---

(١) أبرز مصادر ترجمته:

- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) ٤: ٧١.
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ٥: ٢٦٧.

هو محمد بن يوسف بن عليّ بن يُوسُف بن حَيَّان الإمامُ، أثيرُ الدين. مولده في إحدى جهات غرناطة سنة (٦٥٤هـ)، ووفاته في القاهرة سنة (٧٤٥هـ). وبين المولدِ في الأندلسِ والوفاةِ في أفريقية طَوَّفَ في بلادٍ كثيرة، يَحْمِلُه على التَّنَقُّلِ تَصدِّيه لبعضِ أساتذته، أو خوفه أنْ يُكره على تَعَلُّمِ ما لا يهوى من العلومِ كالمنطقِ والفلسفةِ[١].

أقرأ في حياةِ شيوخهِ في المغربِ، وأخذَ عنه أكابرُ عَصْرِهِ وصاروا أئمةً وأشياخاً في حياته. وقد سمعَ من أكثر من أربعِ مئةِ رجلٍ وخمسين[٢]، وأجازه خَلْقٌ كثير. أمّا شيوخه وتلاميذه فكثيرون[٣].

= - نكت الهميان في نكت العميان للصفدي أيضاً ص٢٨٠.
- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) ٦: ٣١.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ٤: ٣٠٢.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) ١٠: ١١١.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ص١٢١.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقّري (ت ١٠٤١هـ) ٢: ٥٣٥.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) ٦: ١٤٥.

وانظر أيضاً:

Brock. 2: 133 (109), S. 2: 135

والأعلام للزركلي ٧: ١٥٢.

(١) انظر البغية ص١٢١.

(٢) انظر النفح ٢: ٥٥٢.

(٣) انظر في أسمائهم النفح ٢: ٥٥٠، والوافي ٥: ٢٤٩، والبغية ص١٢١.

نَعَتَهُ صاحبُ الفَوَات[1] بالشيخِ الإمامِ الحافظِ العلاَّمة فريد العصر، وشيخ الزمان وإمام النحو. ووصفه السيوطي[2] بأنه «نحويُّ عصرِهِ ولغويّه ومفسّره ومحدّثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه». وعنه قال تلميذه الصلاح الصفدي[3]: «وأما النحو والتصريفُ فهو إمامُ الدنيا فيهما لم يذكر معه من أقطارِ الأرضِ غيره في العربية، ولَهُ اليدُ الطُّولَى في التفسيرِ والحديث». إذاً فقد بَرَعَ في التفسيرِ والحديثِ والقراءات وعلومِ العربيةِ والأدبِ والتاريخِ والتراجمِ، وقائمة مُصَنَّفَاته الطويلة تُومِىءُ بإحاطتهِ بهذه العلومِ حقاً[4].

كان أبو حيان سالم العقيدةِ من البِدَعِ الفلسفيةِ والاعتزالِ والتجسيم، ومالَ إلى مذهبِ أهلِ الظاهر، وتمذهب للشافعيِّ، وقيل إنه لم يزل ظاهرياً، وينقل عنه ابن حجر أنه كان يقول: محالٌ أنْ يرجععن مذهب الظاهر مَنْ

---

(١) انظر ٤ : ٧١.

(٢) البغية ص١٢١.

(٣) الوافي بالوفيات ٥ : ٢٦٧.

(٤) من مصنفاته ما هو مطبوع ومخطوط ومفقود. والمطبوع منها:
- الإدراك للسان الأتراك، طبع بالقسطنطينية سنة ١٣٠٩هـ.
- التذييل والتكميل في شرح التسهيل، طبع جزء منه بمصر سنة ١٣٢٨هـ.
- البحر المحيط، طبع في ثماني مجلدات بمصر سنة١٣٢٨هـ.
- النهر المَادّ، طبع على حاشية البحر.
- الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، طبع ببغداد سنة ١٩٦١م.
- من شعر أبي حيان الأندلسي، طبع ببغداد سنة ١٩٦٦، وأعيد نشر ديوانه سنة ١٩٦٩م.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، طبع في بغداد سنة ١٩٧٧م. وانظر ثبتاً بمصنفاته في نكت الهميان ص٢٨٤، والبغية ص١٢٢، والفوات ٤ : ٧٨، والوافي بالوفيات ٥: ٢٨١.

علق بذهنه[1].

(٢)

الكتاب الذي أُقَدِّمُ له تلخيصٌ للبحر المحيط واختصارٌ له. وقد ساق أبو حيان الأسبابَ التي دَعَتْهُ إلى وضعه بقوله[2]: «لما صنفتُ كتابي الكبير المُسَمَّى بالبحر المحيط في علم التفسير، عجزَ عن قَطْعِهِ لطوله السابحُ، وَتَفَلَّتَ له عن اقتناصهِ البارحُ منه والسانح، فأجريتُ منه نهراً تجري عُيونُه، وتلتقي فيه بأبكارِه عُونُه»، وقد وسم مُلَخَّصَهُ هذا بـ«النهر المادِّ من البحر». وطَوَاهُ أحياناً على ما لَمْ يَنْطَوِ عليه البحرُ فقال[3]: «وربما نَشَأَ في هذا النهرِ ما لم يَكُنْ في البحرِ، وذلك لِتَجَدُّدِ نَظَرِ المُسْتَخْرِجِ لِلآلِيهِ، المبتهج بالفكرةِ في معانيهِ ومَعَاليه». غير أنه كثيراً ما استعارَ عباراتِ البحرِ نفسها ونقلها في النهر مُنَبِّهاً إلى النقل أو مُغْفِلاً الإشارةَ إليه.

وضعَ أبو حيان كتابَهُ أواخرَ سني حياته، وضعه في سن الثمانين - وهو قد عاشَ إحدى وتسعينَ سنةً (٦٥٤ - ٧٤٥هـ) - صَرَّحَ بذلك في سياقِ تفسير الآية ٢٧ من سورة الجن في قوله: «وأما مشاهدته أصحاب الإلهاماتِ الصادقةِ، فلي من العمر نَحْوٌ من ثمانينَ سنة أصحبُ العلماءَ وأترَدَّدُ إلى مَنْ ينتمي إلى الصَّلاحِ، فلم أرَ أحداً منهم صاحبَ إلهامٍ صادق»[4].

---

(١) الدرر الكامنة ٤: ٣٠٤، وانظر الوافي بالوفيات ٥: ٢٦٨. وانعكس القول بمذهب أهل الظاهر في مواطن عدة من تفسيره.

(٢) مقدمة النهر الماد ص٢٣.

(٣) المقدمة ص٢٣.

(٤) انظر ج٥/ ٤٤٤.

لم يصرح المصنِّفُ بمنهاجه الذي ارتضاهُ لكتابِه، ولكنه رَسَمَ معالمَ هذا المنهاجِ في مقدمة البحر، وخلاصتهُ أنه التزمَ بتفسيرِ الآياتِ آيةً آية، إلا إذا ألجأتهُ طبيعةُ الآياتِ إلى غير ذلك، فَيَصِلُ الكلام بينها بما يقتضيه مَضْمُونها. وكان يبدأُ بالكلامِ على مُفْرَداتِ الآية التي يُفَسِّرها لفظةً لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغةِ والأحكامِ النحويةِ التي لتلكَ اللّفظةِ، ثم يذكرُ سببَ نزولِ الآيةِ إذا كان لنزولها سببٌ، ومناسبتها لما قَبْلَها وارتباطها به، حاشداً فيها القراءات شَاذَّها ومُسْتَعْمَلها، ناقلاً أقاويلَ السَّلَفِ والخَلَفِ في فهمِ معانيها، بحيثُ لا يغادرُ منها كلمةً حتى يُبْدي ما فيها من غوامضِ الإعرابِ ودقائقِ الآدابِ، مُورِداً أقاويلَ الفقهاءِ في الأحكام الشرعية مِمَّا فيه تعلُّقٌ باللفظِ القرآني، مُنَوِّهاً بالدلائلِ التي في كُتُبِ الفقه، ومُحِيلاً على كُتبِ النحو فيما يذكره من القواعدِ النحويةِ، ومُنَكِّباً عن الوجوهِ التي تَنَزَّهَ القرآنُ عنها، مُبَيِّناً أنها مما يجبُ أنْ يُعدلَ عنه، مُخْتَتِماً الكلامَ في الآية (أو الآيات) بما ذكروا فيها من عِلْمِ البيانِ والبديعِ ملخصاً، ومُتْبِعاً ذلك بكلامٍ منثورٍ يشرحُ به مضمونَ تلك الآيات على ما يختارُه من تلك المعاني[1].

وهذا المنهجُ الذي ارتضاهُ المصنِّفُ للبحر التزمَ به في النهرِ جُمْلَةً؛ فقد التزم بذكرِ سببِ النزولِ إنْ وُجِدَ، وارتباط الآية (أو الآيات) بما قَبْلَها، وذِكْرِ بعضِ وجوه القراءاتِ ووجوهِ الإعرابِ وما يتناسبُ منها وكلام الله عزّ وجلّ، وذكر معاني الآية وما تنطوي عليه من بيانٍ وبديعٍ. على أنَّ ذلك كُلَّهُ لم يَحُلْ بينه وبين أنْ يسترسلَ في شرحِ آيةٍ واحدةٍ ويُسْهِبَ في ذلك[2]، ثم يمرَّ

---

(١) انظر البحر ١: ٤ – ٥.

(٢) انظر مثلاً تفسير الآية (١) والآية (١٨) من سورة آل عمران، وتفسير الآية (١٤٨) من سورة النساء.

مروراً بآياتٍ أُخر فيتجاوزَها أو يَمَسَّها مَسًّا خفيفاً بألفاظٍ قليلةٍ وعبارات محدودة[١].

أما مصادرهُ في كُلِّ ذلكَ فأكثرها سماعات وإجازات ومناولات أوردها في البحرِ مُفَصَّلة[٢]. غير أنه خَصَّ من المصادرِ المكتوبةِ كتابَ سيبويه وصَرَّحَ بضرورتهِ لكل مُفَسِّرٍ بقوله[٣]: «فجديرٌ لمن تَاقَتْ نَفْسُه إلى علمِ التفسير، وتَرَقَّتْ إلى التحقيق فيه والتحرير، أنْ يعتكفَ على كتابِ سيبويه، فهو في هذا الفن المعوَّلُ عليه، والمستندُ في حَلِّ المشكلاتِ إليه».

وَذَكَرَ الزَّمَخْشَرِيَّ وابنَ عطيةَ وتفسيريهما فقال[٤]: ولَمَّا كان كتاباهما في التفسيرِ قد أَنْجَدَا وأغارا، وأشْرَقَا في سماءِ هذا العلم بَدْرَيْنِ وأنارَا، وتَنَزَّلا من الكتبِ التفسيريةِ منزلةَ الإنسانِ من العين، والذهبِ الإبريز من العين،

---

(١) انظر مثلاً الآيتين (٨٨، ٨٩) من سورة آل عمران، والآية (١٤٩) من النساء.

(٢) انظر البحر ١: ١١.

(٣) البحر ١: ٣.

(٤) البحر ١: ١٠. والزمخشري هو أبو القاسم محمود بن عمر، ولد في زمخشر من قرى خوارزم سنة ٤٦٧هـ، وتوفي في الجرجانية من قرى خوارزم أيضاً سنة ٥٣٨هـ. له مصنفات كثيرة أشهرها تفسيره: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.
وابن عطية هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. ولد سنة ٤٨١هـ وتوفي بلورقة سنة ٥٤١هـ على اختلاف. وتفسيره هو: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، في عشر مجلدات. لكن طبع منه جزءان في مصر وتسعة أجزاء في المغرب (انظر ديباجة فهرس النقول عن ابن عطية في فهارس الكتاب). ووُصف كتاب ابن عطية بأنه أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري بأنه ألخص وأغوص. انظر الأعلام ٧: ١٧٨، ٣: ٢٨٢.

ويتيمةِ الدُّرِّ من اللآلي، وليلةِ القَدْرِ من الليالي، فعكف الناسُ شرقاً وغرباً عليهما، وثَنَوْا أَعِنَّةَ الاعتناءِ إليهما، وكان فيهما - على جلالتهما - مجالٌ لانتقادِ ذوي التبريزِ، ومسرحٌ للتخييلِ فيهما والتمييز، ثَنَيْتُ إليهما عِنان الانتقاد، وحَلَلْتُ ما تخيَّلَ الناسُ فيهما من الاعتقاد، أنهما في التفسيرِ الغايةُ التي لا تُدركُ، والمسلكُ الوَعِرُ الذي لا يكاد يُسلكُ، وعرضتُهما على مَحَكِّ النَّظَرِ، وأوريتُ فيهما نارَ الفكرِ، حتى خَلَصَ دَسِيسُهُمَا، وبَرَزَ نَفِيسهُما، وسيرى ذلك مَنْ هو للنَّظَرِ أهلٌ، واجتمع فيه إنصافٌ وعَدْلٌ، فإنه يتعجب من التولُّجِ على الضَّراغمِ، والتحرّز لأشبالها والأنف راغم، إذْ هذانِ الرجلانِ هما فارسا عِلْمِ التفسير، ومُمَارِسَا تحريرِهِ والتَّحبير، نشراه نَشْراً، وطار لهما به ذِكْراً، وكانا متعاصِرَيْنِ في الحياةِ، متقاربَيْن في الممات».

وهذا النص يُفَسِّرُ تفسيراً واضحاً كَثْرَةَ النُّقولِ عن الزمخشري وابن عطية حتى غدت تلك النقولُ ومناقشتها والردُّ عليها محورَ تفسيرِ أبي حيّان ومجرى نهرِهِ المادّ. وهو بَعْدُ يذكرُ بين حينٍ وآخرَ بعضَ الكتب الأخرى التي ينقلُ عنها وأسماءَ مؤلِّفيها.

فالزمخشريُّ وابنُ عطيةَ أبرزُ مَنْ نقل عنهما أبو حيان. واتَّصَلتِ النُّقولُ عنهما والردودُ عليهما في الجملةِ بقضايا لُغُويةٍ ونحويةٍ وإعرابية. وقَلَّما تناولت هذه الردودُ في النهر اعتزالياتِ الزمخشريِّ، وتصدِّيه له في هذه المسائل ظاهرٌ في «البحر المحيط». وقَد جَانَبَ في الرَّدِّ عليهما أسلوبَ المُجَامَلَةِ والتَّقْديرِ. وتَفاوتَتْ عباراتُه في ردودهِ تَفَاوتاً واضحاً؛ يقول مثلاً في الردِّ على الزمخشريِّ[1]: «وهو كلامُ شيخٍ لا تحقيقَ فيه». ويقول[2]:

---

(١) ج١/ ٥٨١.

(٢) ج١/ ٥٦٤.

«وهذا الذي قاله في لَمَّا.. لا أعلمُ أحداً من النَّحويينَ ذَكَرهُ». ويقول[1]: «وانظرْ إلى جَعْجَعَةِ هذه الألفاظِ وكَثْرَتِها وتحميلِ القرآنِ ما لا يدلُّ عليه، وتفسير الواضح الجَلِيِّ باللفظِ المُعَقَّدِ..». فإذا اشْتَدَّ عليه قال[2]: «وهذا من ظواهرِ علمِ النَّحْوِ التي لا تكادُ تَخْفَى على المُبْتدئينَ فضلاً عَمَّن يَدَّعي العجمُ أنه في العربيـةِ شيخُ العربِ والعجـم، وليس كذلك». وقال في التعليق علـى رَدِّ الزمخشريِّ قـراءةَ مَنْ قرأ «قَتْلُ أولادَهم شركائِهم» [الأنعام:١٣٧] وعدم جواز الفَصْلِ عنده بين المضافِ والمضافِ إليه[3]: «اعْجَبْ من عَجَمِيٍّ ضعيفٍ في النحو يردُّ على عربيٍّ صريحٍ مَحْضٍ قراءةً متواترةً موجوداً نَظِيرُها في لسانِ العرب في غيرِ ما بَيْتٍ. واعجبْ لسوءِ ظَنِّ هذا الرجلِ بالقُرَّاء الأئمة الذين تَخَيَّرَتْهُم هذه الأُمَّةُ لنقلِ كتابِ الله شرقاً وغرباً». وفي إحدى المرات القلائل التي حَظِيَ فيها الزمخشريُّ برضا الشيخ قال مُعَقِّباً على كلامٍ له[4] «وهو كلامٌ حَسَنٌ».

أما ابنُ عطيةَ فكان أرفقَ به منه بالزمخشريِّ؛ فحين يُوردُ له رأياً يردُّه عليه بقوله[5]: «هذا وَهْمٌ وصوابُه..»، أو بقوله[6]: «هذا الكلامُ عجيب، تخيَّلَ هذا الرجلُ..». وإذا قَسَا عليه قال[7]: «وهذا قولُ مَنْ لم يُمْعِنِ النظرَ في صناعةِ النحو»!. وهو أحياناً يعتذرُ له بما لم يفعله للزمخشريِّ؛ يقول

---

(١) ج٢/ ٥١.

(٢) ج٥/ ٦١.

(٣) ج٢/ ٤٨١.

(٤) ج٥/ ٣٧٦.

(٥) ج١/ ٥٦٧.

(٦) ج١/ ٥٧٤.

(٧) ج١/ ٥٧٤.

مثلاً[1]: «والعُذْرُ لابن عطيةَ أنه قَدَّرَهُ على الأصل..».

ولم يَكُن أبو حيان يلتزمُ بالنصِّ المنقول التزاماً دقيقاً. وكثيراً ما كان يتصرفُ بالنص زيادةً وحَذْفاً دونَ أنْ يُؤَثِّرَ ذلك في جوهرِ الاستشهاد. ومن أمثلةِ ذلك ما نقله عن ابن عطيَّةَ في تفسير الآية ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة] والنصُّ في تفسير ابن عطيَّةَ: «مذهب سيبويه أنهما جملتان حُذِفت الأولى لدلالةِ الثانيةِ عليها، والتقديرُ عنده: واللهُ أحقُّ أنْ يُرْضُوه ورسوله أحقُّ أنْ يُرضوه. وهذا كقولِ الشاعر:

نحـن بمـا عنـدنـا وأنـتَ بمـا عنـدكَ راضٍ والـرأيُ مختلـفُ

ومذهب المُبَرِّدِ أنَّ في الكلامِ تقديماً وتأخيراً، وتقديرهُ: والله أحقُّ أنْ يُرضوه ورسوله». نقل أبو حيان النصَّ المُتقدمَ وأسقطَ منه قولَ الشاعر[2].

لم يَكْتفِ أبو حيان بالتَّصَرُّفِ بالنصوصِ دونَ الإشارةِ إلى ذلك؛ بَلْ كان يذكر أحياناً كلامَ غيره ويسكتُ عن نِسْبَتِهِ إلى صاحبِهِ فكأنه يَدَّعِيه لنفسه. مثال ذلك ما جاء في تفسير الآية ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الجن] من قوله[3]: و«مَن أسلم» مخاطبةٌ من الله تعالى للرسولِ عليه السلام، ويُؤَيِّدُه ما بَعْدَهُ من الآيات». وقد صَرَّح في «البحر» بنسبةِ هذا القولِ إلى ابنِ عطيَّةِ قال[4]: «وقال ابن عطيَّةَ: الوجهُ أنْ يكون «فمن أسلم» مخاطبةٌ من الله تعالى لمحمد ﷺ ويُؤيدهُ ما بَعْدَهُ من الآيات».

---

(١) ج٢/ ٥٩٧.

(٢) انظر المحرر الوجيز ٨: ٢٢١ وقارن مع ج٣/ ١٠١.

(٣) انظر ج٥/ ٤٣٩.

(٤) البحر المحيط ٨: ٣٥٠.

ومثاله أيضاً أنه أورد في شرح الآية ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل] كلاماً للزمخشري بحَرْفِه، غير أنّه قدَّم آخِرَهُ وأخّر أوَّلَهُ، فَقَلَبَهُ مع المحافظةِ عليه، دون أن ينسبه لصاحبه(١).

وفي الكلام على الآيات ٣١ -٣٣ من سورة النور قال: «أَمَرَ أولاً بما يَعْصِمُ عن الفتنةِ ويبعد عن مُواقَعَةِ العِصْيان وهو غَضُّ البصر، ثم بالنكاحِ الذي يُحْصَنُ به الدِّينُ ويقع به الاستغناءُ بالحلالِ عن الحرامِ، ثم بالحملِ على النفسِ الأمّارةِ بالسوءِ وعزفها عن الطموحِ إلى الشهواتِ عند العَجْزِ عن النكاحِ إلى أنْ يُرْزَقَ القُدرةَ عليه». وهي عبارةُ الزمخشريِّ نفسها(٢).

وأحياناً يأتي بالنَّصِّ فَيُعَرِّفُ بَعْضَهُ ويُعْرِضُ عن بعضٍ؛ يقول في شرح الآية ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف]: «والظاهر أنه قميصٌ من مَلْبُوسِ يوسفَ عليه السلام بمنزلةِ قميص كُلِّ أَحدٍ» وهي عبارةُ ابن عطية(٣).

ثم يقول بعد ذلك مباشرة: «قال ابن عطية: هكذا تَبِينُ الغَرابةُ في أنْ وَجَدَ يعقوبُ رِيحَهُ من بُعْدٍ». وهو بَقِيَّةُ كلامِ ابن عطية. وأمثال هذه النقول كثيرة، ونَبَّهْتُ في الحواشي إلى ما استطعتُ الوُقوفَ عليه وردّه إلى أصحابه.

وأخيراً لم يَخْتر أبو حيان الاستشهادَ بالأحاديثِ الصحيحةِ، تَابعَ في ذلك مَنْ سبقه من المُفَسِّرينَ، وتبعه فيه مَنْ خَلَفه منهم بأكثريةِ الفريقين. وهكذا

---

(١) انظر ج٣/ ٥٠٨ وقارن بالكشاف ٢: ٤٢١.

(٢) انظر ج٤/ ٢٦٢ وقارن بالكشاف ٣: ٦٥.

(٣) انظر ج٣/ ٣٣٩ وقارن بالمحرر الوجيز ٩: ٣٧١.

أورد أحياناً أحاديثَ ضعيفة وموضوعة؛ فمن ذلك قوله: «وفي الحديث: الصِّدِّيقُونَ ثلاثةٌ: حبيب النجار مؤمنُ آلِ ياسين، ومؤمنُ آلِ فرعون، وعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه» وهو حديث موضوع[1]. ومنه قوله: «وفي الحديث: ما خَلَا يهوديانِ بمسلم إلَّا هَمَّا بقَتْلِه» وهو حديث ضعيف[2]. ومنه أيضا قوله: «وبقوله عليه السلام: أنا ابنُ الذَّبيحَيْن» والحديثُ غريب جدًّا[3].

(٣)

للنهر المادِّ نسخ مخطوطةٌ معدودةٌ ذَكَرها بروكلمن[4] هي: مخطوطة الإسكوريال (2,1261) ومخطوطة الجزائر (347) ومخطوطة كوبرولي (67) ومخطوطة القاهرة (220 ,1-1) و(65 ,1-2). وليس من بينها المخطوطةُ التي كانت العُمْدَةَ في التحقيق، وهي إحدى مخطوطات الأوقافِ الموجودة في الخزانةِ العامة بالرباط. ويُقَوِّي موقفَ الاعتماد على نسخةٍ واحدة في التحقيق مقارنتها بالكتابِ المطبوع الذي اتَّخَذَ نُسَخاً أُخَر أصلاً في نَشْرِ الكتاب.

تقع المخطوطة في ٥٩٩ ورقة. وهي نسخةٌ كاملة إلا من سَقْطٍ كبيرٍ وقع في الورقة (١٠٠/أ) مقداره صفحة واحدة؛ ومِنْ سقطٍ لا يعدو سطراً حيناً أو لفظة أحياناً. وهذا النقصُ الذي استُدركَ من النسخة المطبوعة كان أكثر ما يكون سطراً تسبقُ العينُ فيه بكلمةٍ مُشَابهة[5].

---

(١) انظر ج٥/ ٦٦.
(٢) انظر ج٢/ ٢٩٥.
(٣) انظر ج٤/ ٦٣٧.
(٤) Brock. 2: 133 (109).
(٥) مثاله من (٧٩/ب): لأنه قد وُصف [واسم الفاعل وما جرى مجراه إذا وُصف] قبل =

في كل صفحة من صفحات المخطوطة واحد وثلاثون سطراً في المتوسط. وهي مكتوبةٌ بخطٍّ نسخي دقيقٍ مَقْروءٍ في الغالب، ومَنْقُوطةٌ، ومُفْتقرة إلى الضبط بالشكلِ في كثيرٍ من المواطنِ التي يَلْزَمُ فيها الشكلُ لضبطِ القراءاتِ والأوزانِ الصَّرْفية بخاصَّة. وهي قليلةُ الأخطاءِ إلا ما وقع من تصحيفٍ ناشىءٍ عن النقط، أو ألفاظ قليلة رسمها الناسخ رَسْماً إذْ لم يقف على وَجْهِ قراءتها أو معناها. ولجأ الناسخُ إلى الرَّمْزِ للألفاظِ المتكررة بما يَدُلُّ عليها فاستخدمَ الحرفَ (س) لسيبويه وهو الرمزُ الذي استعمله القدماء. وفيما يَتَّصِلُ بأسلوبِ الكتابة عمد إلى قَصْرِ المَمْدُودِ وتَسْهيلِ المهموز. أما الأخطاءُ الكتابية فهي مما لا تكاد تَبْرَأُ منها مخطوطةٌ أو مطبوعةٌ عربية. وليس للمخطوطةِ حواشٍ، ولا يعدو ما أُثْبِتَ في الحواشي كونه استدراكَ سَقْطٍ من عبارةٍ أو لفظةٍ سَهَا الناسخُ عن إثباتها في موضعها من النص فأثبتَهَا في الحاشية.

المخطوطةُ غير مُؤرَّخَةٍ، ولم يذكر الناسخُ اسمه أو مكانَ النَّسْخِ أو زمانه. ولكن يغلبُ على خَطِّها قُرْب عَهْده بحياةِ المؤلف، فهو بما ألفناه من خُطوطِ القرن الثامن أشبه. أولُ المخطوطةِ وهي صفحةُ العنوان: «الجزءُ الأولُ من تفسير القرآن العظيم المُسَمَّى بالنهر، تأليف العالم العَلَّامة الحَبْرِ البحر الفهّامة، علاّمة زمانه وفريد عصره وأوانه، الإمام أبي حَيَّان رحمه الله تعالى ونَفَعنا به وبعلومه في الدِّينِ والدنيا والآخرة والمُسْلمينَ أجمعينَ آمين». وبعده عبارةُ تَمَلُّكٍ غير واضحة قرأتُ منها: «مُلْكٌ لله سبحانه بيد سَعْدِ السُّعُود، وغَيْثِ البُروق اليمانية والرعود... وذلك سنة ١١٣٣...» ثم خاتم

= أخذ معموله لا يجوز له..

الخزانة العامة بالرباط. وآخرها: «تمت، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

نَاشَدْتُكَ الله إنْ عَاينتَ لي خطأً فاسْتُرْ فإنَّ خيارَ الناسِ مَنْ سترا»

ويليه خاتم المكتبة.

(٤)

هذه هي المَعَالِمُ البارزةُ لتحقيق النهر وإخراجه:

- رَمَزْتُ للنسخة المخطوطة التي اعتمدتُ عليها في التحقيق بالرمز (ق) أقرب ما يدلُّ على كَوْنِهَا من مخطوطاتِ الأوقاف، وللطبعةِ القديمةِ من النهر التي أشرتُ إليها قَبْلُ بالرمز (ط).

- أَثْبَتُّ الآيَةَ أو الآيات التي دَرَجَ المُصَنِّفُ على ذِكْرِ مَطَالِعها ثم الشروع في تفسيرها، لتسهيلِ الرَّبْطِ بين نَصِّ الآيةِ وتفسيرها. وكان اختيارُ الآياتِ مجتمعةً مَنُوطاً بما يَنْظِمُهَا من رابطٍ معنويٍّ تؤدي فيه فكرةً متكاملة.

- أقمتُ مِنْآدَ العبارةِ وقَوَّمْتُ مَيْلَها محافظاً عليها محافظةً مطلقة إلا إذا لَزِمَ تَبْرِئَتها من خطإٍ أو نقصٍ، مُسْتعيناً بالنسخةِ المطبوعةِ أحياناً، ضابطاً الألفاظَ والعباراتِ التي تفتقرُ إلى الضبط: ما اتَّصَلَ منها بالقراءاتِ بخاصة، واضعاً ما استدركتُه من المطبوعةِ أو ما اقتضى السياقُ زِيَادَتَهُ بين أقواسٍ كبيرة، مُغْفِلاً زياداتِ المطبوعةِ التي لا تُغْني المعنى ولا تخلُّ بالسياق، مُهْملاً الأخطاءَ النسخيةَ الناتجةَ عن سَهْوِ الناسخِ أو اختلافِ قواعدِ الكتابة، تخفيفاً لحواشي النصِّ المُحَقَّقِ.

- خَرَّجْتُ النصوصَ التي نقلها المصنِّفُ وكان يناقشها ويردُّ عليها، وهي

في الغالب نصوصٌ لغوية ونحوية استُلَّتْ من تفسير ابن عطيّة[1] وتفسير الزمخشريّ وكتابِ سيبويه، وكَوَّنَتْ مع مناقشاتها وردودها مجرى النهرِ المادَّ وأمواهَهُ المُتَدفِّقَة. وساعدَ تخريجُ هذه النصوص في مصادرها الأصليةِ على استدراكِ النَّقْصِ فيها في مواضعَ قليلة. وما سوى ذلك من النقولِ القصيرة التي وَرَدَتْ في مَعْرِضِ جلاءِ معنى أو تَبْيينه فلم أُعْنَ بتخريجهِ لكثْرَتِه.

- خَرَّجْتُ الآياتِ القرآنية وأعدتُ الأحاديثَ النبويةَ إلى مَظَانِّها مُكْتَفياً بتسميةِ مصدرٍ للحديثِ مع احتمال وجوده في غيرِ مَصْدرٍ، ونَبَّهتُ إلى الضعيفِ من الأحاديثِ وهو قليلٌ. أما الأحاديثُ المُتَّصِلَةُ بأسبابِ النزول فلم أتتبَّعها تتبُّعَ إحاطةٍ لِشُهْرَتها وورودها في جَمْهرةِ كُتُب التفسير.

- خرّجتُ الشواهدَ الشعرية تخريجَ اكتفاء لا تخريج استقصاءٍ، وأَحَلْتُ إلى ديوانِ الشاعرِ إنْ وُجِدَ مُكتفياً به، مُغْضِياً عن اختلافِ الرواية. وأكملتُ من الشعر ما أورده المُصَنِّفُ صَدْراً أو عَجُزاً[2]. واجتهدتُ في نِسْبة الأشعارِ إلى أصحابها، وهي في الجملة غير منسوبة. وبقيت أبياتٌ مُفْرداتٌ لم أتوصَّلْ إلى معرفتها.

---

(١) خرّجت من النصوص المنقولة من تفسير ابن عطية ما ورد منها في الجزأين المطبوعين من التفسير. وتقف نهاية الجزء الثاني المطبوع عند الآية (٩٣) من سورة آل عمران. واستأنفتُ التخريجَ من سائر أجزاء الطبعة المغربية التسعة.

(٢) أثبتُ ذلك في الحواشي مقترناً بتخريج البيت، ذلك في الجزء الأول. ثم بدا لي أن كتابة شطري البيت معاً في النص – مع وضع الشطر المضاف بين معقوفتين يدلاَّن على إضافته – أيسر للقارىء والمراجع.

- مَيَّزْتُ النصوصَ المنقولةَ بأقواسٍ صغيرة إذا لم يكن ما يدلُّ على بداية النصِّ المنقولِ ونهايته. أما إن حُصِرَ النصُّ بـ«قال فلان» في أوَّله، وبـ«انتهى» في آخره، فلم تَقُمْ ضرورةٌ لحصرهِ وتمييزهِ بالأقواس.

- شرحتُ بعض العبارات والمسائل اللغوية، وأحلتُ إلى «البحر المحيط» في بعض المسائل التي كان المصنِّفُ يذكرها مختصرةً في «النهر» ومفصَّلةً في «البحر».

- أثبتُّ في الحواشي روايةَ المطبوع إذا كان فيها وجاهةٌ أو إغناءٌ للنصِّ والمعنى، أو كانتْ تُساعدُ على فَهْمِ رواية الأصل.

- الزياداتُ التي أَضَفْتُها إلى مادَّةِ الكتاب لتقويمها أو استكمالها، وحَصَرْتُها بمعقَّفات، زِيْدَتْ من الأصلِ المطبوع للنهر، أو من «البحر المحيط»، أو زيدت اجتهاداً. وإذا كانت المادةُ نُصوصاً منقولةً فالزياداتُ الواقعةُ فيها مأخوذةٌ من مَظَانِّها الأصلية، بالمقارنة بين ما وَرَدَ في الأصلِ المخطوط وما جاء في تلك المَظان. ولم أَرَ ضرورةً في كُلِّ ذلك للإشارة في الحواشي إلى تلك الزيادات، لتخفيف الحواشي والتقليلِ منها ما أمكنَ.

- اكتفيتُ في إحالة المصنِّف إلى شيءٍ سبقَ ذكرُه - بِذِكْرِ السُّورةِ والآية المُحَالِ إليها، دونَ ذكر الجزءِ والصفحة وذلك لأسبابٍ فنية تَتَعلَّقُ بالطباعةِ وتدويرِ أرقامِ الصفحات والحواشي، متيقناً من سهولة وقوف القارىء عليها بِيُسْرٍ، لوجودِ أسماء السوروأرقام آياتها في أعلى صفحات الكتاب.

- صنعتُ للكتاب فهارسَ ملائمة توافقُ طبيعته وتُسَهِّلُ العودةَ إليه والإفادةَ من مضامينه. وآثرتُ أنْ تكونَ في آخرِ الكتاب شاملةً كُلَّ أجزائه، خشيةَ

التَّكْرارِ، وتوفيراً للجهد في البحث عن المطلوب في مكان واحد من الكتاب لا في فهارس منتشرة في أجزاءِ الكتاب المُتَعَدِّدة. على أنِّي أفردتُ لكلِّ جزء فهرساً يدلُّ على مواضع السُّورِ.

ولم أكن فيما فعلتُه مُقْتَصِداً في جُهْدٍ أو وَقْتٍ، والشَّوْقُ لا يعلمه إلا مَنْ يُكَابِدُه!

ولا بُدَّ لي أنْ أُنَوِّهَ بالجهد الذي بذله الأستاذان الفاضلان الدكتور بشار عَوَّاد معروف والسيد عصام فارس الحَرَسْتاني في ضبط النص وتصحيح تجارب الطبع مما كان له الأثر الطيِّب في ظهوره بهذه الهيئة الرائقة والصفة الفائقة والثوب الأنيق، فجزاهما الله خيرَ الجزاءِ وأجزلَ عنده لهما المثوبة.

وأسألُ الله تعالى أن يُجَنِّبنا الزَّللَ والخَطَلَ، وأنْ يرزقنا الإخلاصَ في القولِ والعملِ، وهو حَسْبُنَا ونِعْم الوكيلُ.

الدكتور عمر الأسعد

غرة رمضان ١٤١٤هـ
شباط ١٩٩٤م

الجزو الاول من تفسير القران العظيم المسمى بالنهر

تاليف العالم العلامة الحبر البحر الفهامة علامة زمانه

ووحيد عصره واوانه الامام ابي حيان رحمه

في الدين والدنيا والاخرة

اجمعين امين



صفحة عنوان المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نقتي

[illegible] الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ سيبويه الزمان أبو حيان محمد
ابن يوسف بن علي رحمه الله ورضي عنه: حمدك اللهم أستفتح، وبمبرورك أستوضح
ومن فضلك أستمنح، وبنبوتك أستنجح، وعلى رسولك محمد صلى الله عليه وسلم
والدامسي مصليًا ومسلمًا وأمدح [illegible] فإني لما صنفت كتابي الكبير المسمى بالبحر
المحيط في علم التفسير، عجز عن قطعه لطول الشاطئ، وكلت لعزّ تناصيه البارح منه
والسارح، فأجريت منه نهرًا تجري عيونه، وتتلقى فيه أبكاره وعونه، لينشط الكسلان
في اجتلاء جماله، ويروى الظمآن بارتشاف زلاله، وربما نشأ في هذا النهر ما لم يكن في البحر
وذلك لتجدد نظر المستخرج للآليه، المتبجح بالفكر في معانيه ومعاليه، وما أخليته من
الدرر التي تضمنها البحر من نقوده، بل انتثرت على لبات عقوده، ونكبت فيه عن ذكر ما في البحر
من أقوال اضطربت بها لججه، وإعراب متكلف تقاصرت عنه حججه، وتفكيك أجزاء خرج
منه الكلام عن براعته، ويتجرد من فاخر بلاغته ونصاعته، وهذا النهر مورد من عرا ليس
له حُجز [illegible] فنعم ورده على من حظه في النحو نزر، لأن إدراك خفي المعاني مرتب على
تقدمه في علم البيان، ولما أثرت [illegible] هذا النهر من بحره، ونثرته حلية على معرفة الزمان وحيد [illegible]

[illegible] الكتاب

الباحرف معنى وذكر لها النحاة معاني كثيرة ولم يذكر
[illegible] معنى الإلزاق والاختلاط ثم قال فمن اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله وذكروا
[illegible] الكوفيون بذات وجعلها البصريون
[illegible] الزمخشري
[illegible]

وجه الورقة الأولى من المخطوط

عن الحق الى الباطل كرهوا ان يكون المومنين مختصين باتباع الحق فارادوا ان يضلوا كما ضلوا هم
كما قال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سوا وقرئ ان يضلوا بضم اليا وكسر الضاد من
اضل وقراة الجمهور بفتح اليا وكسر الضاد من ضل • ومن الذين هادوا لما ذكر تعالى انهم اوتوا
التوراة واثروا واشتروا الضلالة ذكر ايضا مما يذم به وهو تحريفهم الكلم عن مواضعه وقوله يحرفون
صفة لمبتدأ محذوف وخبره الجار والمجرور قبله وحذفه فصيح كقول العرب منا ظعن ومنا اقام
والجار الفراء ان يكون المحذوف موصولا تقديره من يحرفون فيحرفون صلة لمن المحذوفة • ويقولون
سمعنا وعصينا الظاهر انهم شافهوا النبي صلى الله عليه وسلم بهاتين الجملتين وخاطبوه
بقولهم • واسمع غير مسمع وهذا الامر موجه والظاهر انهم ارادوا بها الوجه المكروه لسياقه
ما قبله من قوله سمعنا وعصينا وانتصب غير مسمع على الحال اي اسمع حال كونك لا تسمع فيكون
ذلك على سبيل الدعا كانهم قالوا واسمع لا سمعت ويجوز ان يكون غير مسمع صفة لمصدر محذوف
اي واسمع غير مسمع • وراعنا ليا بالسنتهم تقدم تفسير وراعنا في البقرة وليا اي فتلا وتحريفا
من الحق الى الباطل انتصاب ليا وطعنا على المفعول من اجلها وعلى انهما مصدران في موضع الحال
وطعنهم في الدين انكار نبوته وتغيير نعته • ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان
خيرا لهم اي لو تبدلوا بالعصيان الطاعة ومن راعنا بانظرنا وقال الزمخشري ولو ثبت
قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم • واقوم اي اعدل واشد انتهى سبك الزمخشري
من انهم قالوا مصدرا مرتفعا بثبت على الفاعلية وهذا مذهب المبرد خلافا لسيبويه اذ زعم
سيبويه ان ان بعد لو مع ما عملت فيه تتقدر باسم مبتدأ وهل الخبر محذوف او لا يحتاج الى
تقدير الخبر لجريان المسند والمسند اليه في صلة ان قولان اصحهما هذا فالزمخشري وافق مذهب
المبرد وهو مذهب مرجوح في علم النحو • الا قليلا استثناء من ضمير المفعول في لعنهم اي الا قليلا
لم يلعنهم فامنوا او استثناء من الفاعل في فلا يومنون كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما
او راجع الى المصدر المفهوم من قوله فلا يومنون اي الا ايمانا قليلا مثله اذا امنوا بالتوحيد
وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبشرايعه وقال الزمخشري الا ايمانا قليلا اي ضعيفا
ركيكا لا يعبا به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله •
• قليل التشكي للمهم يصيبه • اي عديم التشكي وقال ابن عطية من عبر بالقلة
عن الايمان قال هي عبارة عن عدمه على ما حكى سيبويه من قولهم ارض قلما تنبت كذا وهي
لا تنبت جملة وهذا الذي ذكره الزمخشري وابن عطية من ان القليل يراد به العدم هو صحيح
في نفسه لكن ليس هذا التركيب الاستثنائي من تركيبه فاذا قلت لا اقوم الا قليلا لم يوضع
هذا لانتفاء القيام البتة بل هذا يدل على انتفاء القيام منك الا قليلا فيوجد منك ولو قلت
قلما يقوم احد الا زيد واقل رجل يقول ذلك احتمل هذا ان يراد بها التقليل المقابل للتكثير واحتمل
ان يراد بها النفي المحض وكانك قلت ما يقوم احد الا زيد وما رجل يقول ذلك اما ان تنفي ثم
توجب وتصير الايجاب بعد النفي يدل على النفي فلا اذ تكون الا وما بعدها على التقدير

الورقة ١١٨/ب من المخطوط

والغاسق الليل وقب اظلم وهذا في الناس قال ابن عباس والنفاثات النسا السواحر ينفثن في عقد في خيوط وينفثن عليها ويرقين عليها والاستعاذة من شرهن هو ما يصيبه الله به من الشر عند فعلهن ذلك وقيد الغاسق والحاسد بالظرف لانه اذا لم يدخل الليل لا يكون شر لمنسوب اليه والحاسد لا يوثر حسده الا اذا اظهره بان يحتال للمحسود فيما يوذ به اما اذا لم يظهر الحسد فما يتاذى به الا الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم. قل اعوذ برب الناس ملك الناس الاية تقدم انها نزلت مع ما قبلها واضيف الرب الى الناس لان الاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم فهم استعاذوا بربهم مالكهم والههم كما يستغيث العبد بمولاه اذا دهمه امر والظاهر ان ملك الناس اله الناس صفتان والخناس الراجع في اعقبه المستتر احيانا او لميل الشيطان متمكن اذا ذكر العبد الله تاخر ومن في من الجنة والناس للتبعيض اي كائنا من الجنة والناس فهو في موضع الحال اي ذلك الموسوس هو بعض الجنة وبعض الناس وكان عليه السلام اذا اوى الى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرا قل هو الله احد والمعوذتين ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدا برأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثا تمت

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين والحمد لله

امين

يا ناشد الله اسالك ان يعلى علينا في خطاه سرا فاستر فان خيار الناس من سترا



آخر المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

قال الشيخ الإمام العالم العلاّمة الحافظ سيبويه الزمان أبو حيان محمد بن يوسف بن علي رحمه الله ورضي عنه:

بحمدكَ اللّهُمَّ أَسْتَفْتِحُ، وبنورِكَ أستوضِحُ، ومن فضلِكَ أستمْنِحُ، وبقوَّتِكَ أستَنْجِحُ، وعلى رسولِكَ محمدٍ ﷺ وآله أُمْسِي مُصَلِّياً ومُسَلِّماً وأُصْبِحُ.

وبعد: فإني لما صَنَّفْتُ كتابي الكبير المسمَّى بالبحرِ المحيطِ في عِلْمِ التَّفسير، عجزَ عن قَطْعه لطوله[1] السَّابِحُ، وتَفَلَّتَ[2] له عن اقتناصهِ البارِحُ منه والسَّانحُ[3]، فأجريتُ منه نهراً تجري عيونُهُ، وتلتقي فيه بأبكـارِه[4] عُونُـه، لينشطَ الكسلانُ في اجتلاءِ جماله، ويرتوي الظمآنُ بارتشافِ زُلاله. وربما نشأ في هذا النَّهرِ ما لم يكن في البَحْر، وذلك لتجدُّدِ نَظَرِ المُسْتَخْرِجِ لِلآلِيهِ، المُبْتهج بالفكرة في معانيهِ ومَعَاليه. وما أَخْلَيْتُه من أكثر ما تضمَّنَهُ البحرُ من نقوده، بل اقتصرت على يواقيتِ عُقوده. ونكبتُ[5] عن ذكر ما في البحر من أقوالٍ اضطربت بها لُجَجُه، وإعرابِ مُتكَلِّفٍ تَقَاصرتْ عنه حُجَجُه،

---

(١) ق: لطول.

(٢) ق: وثكلت.

(٣) ق: والسارح.

(٤) ق: بأبكار.

(٥) ق: ونكتّ.

وتفكيكِ أجزاءٍ يخرجُ منهُ الكلامُ عنْ بَرَاعَتِهِ، ويَتَجرَّدُ من فاخرِ بَلَاغتِهِ ونصاعَتِهِ. وهذا النهر مَدُّه من بحرٍ ليس له جَزْرٌ[1]، فتعسَّرَ وِرْده عَلَى مَنْ حَظُّهُ في النَحَوِ نَزْرٌ، لأنَّ إدراكَ عويصِ المعاني مرتبٌ على تقدُّمِ مَعْرِفةِ المَبَاني. ولما أَثَرْتُ دُرَّ هذا النَهرِ من بَحْرِهِ، ونثرتُ حُلِيَّهُ على مَفْرِقِ الزَمَان[2] وجيدهِ ونَحْرِهِ، [سَمَّيْتُه بالنَهْرِ المادِّ من البَحْرِ. واللهَ أسألُ أنْ يُعيننا على ذَلِكَ، ويَلْطُفَ بنا في الدَّارين هنا وهنالك].

---

(١) ق: حرز.

(٢) ق: حلية على معرفة الزمان.

سورة الفاتحة

سورة فاتحة الكتاب[1]

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾.

الباء حرف معنى. وذكر لها النُّحَاةُ معانيَ[2] كثيرة ولم يذكر لها سيبويه إلاَّ معنى الإلزاق والاختلاط، ثم قال[3]: فما اتَّسَعَ من هذا في الكلام فهذا أَصْلُه. وذكروا أنها هنا للاستعانة. وما يتعلقُ به محذوفٌ فَقَدَّرهُ الكوفيون: بدأتُ، وجعلَ البصريون ذلك في موضعِ خبر مبتدأ محذوفٍ تقديره: ابتدائي باسمِ الله، أي كائنٌ[4] باسمِ الله. وخالف الزمخشريُّ الفريقين فقدره متأخراً عن التسمية فقال[5]: تقديره: باسم الله أقرأُ أو أتلو، لأن الذي يجيء بعد [٢/أ] التسمية مقروءٌ، والتقديم[6] على العامل عنده يُوجِبُ الاختصاصَ. وليس كما زعم، قال سيبويه وقد تكلم على: ضربت زيداً، مانَصُّهُ[7]: وإذا قدمت الاسمَ فهو عربيٌّ جيدٌ، كما كان ذلك - يعني تأخيره - عربياً جيداً فذلك قولك: زيداً[8] ضربت. والاهتمامُ والعنايةُ ها هنا في التقديم والتأخير

---

(١) مكية وآياتها سبع.

(٢) ق: معان.

(٣) الكتاب ٤: ٢١٧. وفي ق: فمن اتسع.

(٤) ق: ابتدا باسم الله أو كائن.

(٥) الكشاف ١: ٢٦.

(٦) ق: والتقدير.

(٧) الكتاب ١: ٣٤.

(٨) ق: زيد.

سواء مثله في: ضرب زيد عمراً، وضرب عمراً زيد انتهى.

والاسمُ هنا هو اللفظُ الدَّالُّ بالوضعِ على موجودٍ في العيان إذا كان محسوساً، وفي الأذهان إنْ كان معقولاً من غير تعرضٍ بِبُنْيَتِهِ للزمان. وهو ثلاثي حُذفت منه واوٌ فقال البصريون: هي لامُ الكلمة، لأنه عندهم مُشْتَقٌّ من السُّمُوِّ. وقال الكوفيون: هي فاءُ الكلمة لأنه عندهم مشتق من الوَسْمِ. وبعض العرب لم يُعَوِّضْ من المحذوف فقال: سِمْ وسُمْ بكسر السين وضمها، والمشهور [التعويض][1] بهمزةِ وصلٍ مكسورةٍ وبعضهم يضمها، ولا نعلمُ اسماً أوله همزةُ وصلٍ مضمومة غيرَهُ. وزعم بعض النحويين أنه رُدَّتْ لامُه وبُنِيَ على فُعَل فقالوا: سُمَى كَهُدًى: فإنْ صَحَّ هذا ففيه خمسُ لغاتٍ. وحُذف ما يتعلقُ به الباء لأنه موطنٌ لا ينبغي أن يُقَدَّمَ فيه سوى ذكر الله، فلو ذُكِرَ ما يتعلق به لم يكن ذِكْرُ الله مقدماً، ففي حَذْفِهِ مشاكلة اللفظ للمعنى، فطَابقَ ذِكْرُ اللسان ذِكْرَ القلبِ. وحُذفت الألفُ من بسم الله تخفيفاً لكثرة الاستعمال.

و﴿ٱللَّهِ﴾ لفظٌ عربيٌّ لا سريانيٌّ مُعَرَّبٌ، وهو عَلَمٌ لِمُوجِدِ العالَمِ وليس بِمُشْتَقٍّ عند الأكثر. وألفُه منقلبةٌ عن أصلٍ عند مَنْ يرى أنه مشتق، فعن ياء إنْ كان من لاَهَ يَلِيه: ارتفع، أو عن واوٍ إنْ كان من لاه يَلُوه لَوْهاً: احتجب، أو زيادة عند من يرى أنه مشتق من أَلِهَ أو من وَلِه، فأصله إلاه أو ولاه، فأُبدلت واوُه همزةً كإعاءٍ في: وعاء، ثم حذفت الهمزة اعتباطاً فقالوا: لاه كما قال بعضهم في: ناس إن أصله أُناس. ودخلت عليه أل فقيل: الله. أو كان أصله: إلاه فَنُقِلت[2] حركةُ الهمزة إلى اللام بعد حذفها فأُدغمت اللامُ

---

(١) سقطت من ق.

(٢) ق: فثقلت.

في اللامِ ولزم النقلُ والإدغامُ فقيل: الله، وصار لا يُطلق(١) إلا على المعبود بحق. وعلى هذا يكون فِعَالٌ بمعنى مفعول كالكتابِ بمعنى المكتوب. وأل هذه لازمةٌ وشَذَّ حَذْفُها مع حذفِ حرفِ الجر في قولهم: لاه أبوكَ، يريدون: للهِ أبوكَ.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لفظٌ عربي خلافاً لمن زعم أنه ليس بعربي؛ بل أصله رخمان بالخاء المعجمة، فَعُرِّبَ بالحاء، وهو بناءٌ على فَعْلان من الرحمة. والظاهر أنه وَصْفٌ على فعلان وإنْ كان شَذَّ بناؤه من المتعدي. وذهب الأعلمُ وابنُ طاهر وغيرهما إلى أنه عَلَمٌ مشتقٌّ من المتعدي كما اشتقوا الدبران من دبر، صيغ للعَلَمِيَّة، ويدلُّ على عَلَميتِه ورودُه غيرَ تابعٍ لاسمٍ قَبْلَهُ في أكثرِ الكلام. فعلى قولِ هؤلاء يكون الرحمنُ بدلاً من اسم الله. وقال السُّهيليُّ: البدل فيه عندي ممتنعٌ وكذلك عطفُ البيانِ لأنَّ الاسمَ الأول لا يفتقرُ إلى تَبيينٍ لأنه أعرفُ الأعلامِ كُلِّها وأَبْيَنُهَا، أَلَا تراهم قالوا: وما الرحمن، ولم يقولوا: وما الله. فهو وصفٌ يرادُ به الثناءُ وإنْ كان يجري مَجْرى الأعلام.

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ صيغةُ مبالغةٍ، فعلى القول بأنَّ الرحمن صفة قيل: دلالتهما واحدة كَندمان ونديم، وقيل: معناهما مختلفٌ، فالرحمنُ أكثرُ مبالغةً وأردف بالرحيم كالتتمة لتناول ما دَقَّ منها ولَطُفَ، وقيل: الرحيمُ أكثرُ مبالغة. والذي يظهرُ أنَّ جِهةَ المبالغةِ مختلفةٌ(٢) فلا يكونُ [٢/ب] من بابِ التوكيد، فمبالغةُ فَعلان من حيث الامتلاء والغلبة، ومبالغة فَعِيل من حيث التكرار والوقوع بمجالِ(٣) الرحمةِ، ولذلك لا يَتعدَّى فَعْلان ويتعدى فَعِيل. ومن

---

(١) ق: ينطلق.

(٢) ق: مختلف.

(٣) ق: لمحال.

ذهبَ إلى أنهما بمعنىً واحد وليس توكيداً احتاج أنْ يَخُصَّ كُلَّ واحدٍ منهما بشيء فقيل: رحمانُ الدنيا ورحيمُ الآخرة وقيل العكس، وقيل لأهل السماء والأرض، وقيل غير هذا. وسمعت إضافة الرحمنِ في قولهم: رحمان الدنيا والآخرة، وسُمِعَ أيضاً استعمالُه بغير أل وبغير إضافة في قولهم: لا زلت رحماناً. ووَصْفُه تعالى بذلك مَجَازٌ عن إنعامِه على عباده؛ ألا ترى أن الملك إذا عَطفَ على رعيته ورَقَّ لهم أصابهم إحسانُه. فعلى هذا هو في حَقِّ الله صِفةُ فعلٍ، وقيل صفةُ ذاتٍ، وهي إرادةُ الخيرِ لمن أراد اللهُ له ذلك.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ﴾ مصدر حَمِدَ يَحْمَدُ، والأصل في المصدر أنْ لا يُجمع، وحكى ابن الأعرابي جمعه على أحمد قال: [من الطويل]

وأبلَجَ محمودِ الثناء خَصَصْتُه بأفضلِ أقوالي وأفضلِ أَحْمُدي[1]

وأل في «الحمد» الظاهرُ أنها لتعريفِ الجنس فتدل على استغراقِ الأَحْمُدِ كُلِّها بالمطابقة. وقراءة الجمهور: الحمد بالرفع، ويدلُّ على ثبوتِ الحمدِ واستقراره لله تعالى، فيكون قد أخبر بأنَّ الحمدَ مستقرٌّ لله تعالى حمده وحمد الحامدين. وقُرِىءَ بالنصب على إضمارِ فِعْلٍ قيل من لفظه تقديرُه: حمدتُ الحمدَ لله، فيتخصَّصُ الحمدُ بتخصيصِ فاعلِه وأشعر بالتَّجَدُّدِ والحُدوثِ، ويكون من المصادر التي حُذِفَ فِعْلُها وأُقيمت مقامها، وذلك في الإخبار نحو قولهم: شُكراً لا كفراً. وقيل التقدير: اقْرَؤُوا الحمد لله والْزَمُوا الحمد لله. واللامُ في قراءة الرفع تكونُ للاستحقاق، وفي قراءة النصب تكون للتبيينِ فتتعلقُ بمحذوفٍ تقديره لله، أعني نحو قولهم: سقيا لزيد. وقُرِىءَ بكسر

(١). لم أجد قائله، وانظر القرطبي ١: ١٣٣.

الدال إتباعاً لحركة اللام، فاحتمل أن يكون الإتباع في مرفوع أو منصوب. وقرىء بضم لام الجَرِّ إتباعاً لحركة الدال.

الرب: السَّيِّدُ والمالكُ والمعبودُ والمُصْلِحُ. وهو اسمُ فاعلٍ حُذفت أَلِفُه كما قيل: بَارٌّ وبَرٌّ، وقيل مصدر وُصِفَ به. ويُطلق الربُّ على الله وحده، وبقيدِ الإضافةِ على غيرِه نحو: رَبُّ الدَّار. وقُرِىءَ: رَبَّ بالنصبِ على المدحِ، ويضعف لخفضِ الصفاتِ بعدها إلا إنْ فُرِّعَ على أنَّ الرحمنَ عَلَمٌ.

العالَمُ لا مُفْرَدَ له كالأنام، واشتقاقُه من العَلَم والعَلَامة. والمختارُ أنه كُلُّ مَصنوعٍ، وجمع لاختلاف أنواع المصنوعات بالواو والياء على جهة الشذوذ.

ورب والرحمن والرحيم: صفاتُ مَدْحٍ لأنَّ ما قبله عَلَمٌ لم يَعْرِضْ بالتسميةِ فيه اشتراكٌ فَيتخَصَّص. وبُدِىء بالرب لأنَّ له التصريف في المُسوَّدِ والمملوكِ والعابدِ بما أرادَ من خيرٍ أو شر، وأُتْبِعَ بالرَّحمانيةِ والرَّحيميةِ لينبسطَ أملُ العبدِ في العفوِ إنْ زَلَّ. وإنْ كان الربُّ بمعنى المصلح كان الوصفُ بالرحمةِ مُشْعِراً بعلَّةِ الإصلاح، لأنَّ الحاملَ للشخصِ على إصلاح العبدِ رحمته له. ومعنى سياق هذه الأوصاف أنَّ المُتَّصِفَ بها مُستحقٌّ للحمد. وقرىء بنصب «الرحمن الرحيم» ورفعهما. وإذا قلنا بأنَّ التَّسميةَ من الفاتحة كان تكرار هاتين الصفتين تنبيهاً على قَدْرِ عِظَمِهِمَا[1].

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

قُرِىء في السبعة: مالك وملك. وقرىء: مَلْك على وزن سَهْل، [ومَلْكي] بإشباعِ كَسْرةِ الكاف، ومَلِك على وزن عَجِل، وبرفع الكاف، ومالكَ بنصب

(١) كذا في ق، ط. ولعل الأصح: على عظم قدرهما.

الكاف، ومالكاً بالألف بنصب الكاف، ومالكاً بالألف والنصب والتنوين، وبالرفع والتنوين، ومليك وملاك ومالك بالإمالةِ المحضة، ومَلَكَ فعلاً ماضياً فينتصب بعده وبعد المُنَوَّنِ [٣/أ]. «يومَ».

وهذه القراءات بعضُها راجعٌ لمعنى المُلك وبعضها بمعنى المِلك، وكلاهما قَهْرٌ وتسليطٌ، فالملك على مَنْ تَأَتَّتْ(١) منه الطاعةُ باستحقاقٍ وبغيره، والملك على مَنْ تأتت منه ومَنْ لا تتأتى(٢) وذلك باستحقاق، فبينهما عمومٌ وخُصوص.

«اليوم» هو المدةُ من طلوعِ الفجر إلى غروبِ الشمس، ويُطلق أيضاً على مُطْلَقِ الوقتِ.

و﴿ٱلدِّينِ﴾ الجزاءُ: دِنَّاهُم [كما] دانوا. والقضاءُ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]. والطاعةُ: في دِينِ عَمْرٍو. والعادةُ: [من الطويل]

كدينك من أم الحويرث(٣)

والمِلَّةُ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. والإضافةُ إلى يوم الدين اتساعٌ إذ مُتَعَلَّقُ الملك به. والملك غير اليوم، والإضافة على معنى اللام. والظاهرُ تَغَايرُ ملك ومالك، وقيل: هما بمعنى واحد كالفَرِهِ والفَارِه. واليوم هنا زمانٌ يمتد إلى أنْ ينقضي الحساب فيستقر كُلٌّ فيما قُدِّرَ له من جنةٍ أو نار. ومُتَعلَّقُ المُلْك والمِلك هو الأمرُ: أي ملكُ أو مالكُ الأمر في يوم

---

(١) ق: تتأت.

(٢) ق: تتأت.

(٣) ق: في أم. والبيت لامرىء القيس في ديوانه ص٩، وكماله:

كدينك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل

الدين. وفائدةُ الاختصاص بهذا اليوم وإنْ كان ملكاً أو مالكاً الأزمنة كُلِّها، التنبيهُ على عِظَمِ هذا اليوم بما يقعُ فيه. ولما اتَّصَفَ تعالى بالرحمةِ انبسطَ أملُ العبدِ فنبَّهَ بالصفةِ بعدَها ليكون من عَملِه على وَجَلٍ، وإنَّ لعمله يوماً تَظهرُ له فيه ثَمرتُه من خيرٍ أو شر.

﴿ إِيَّاكَ ﴾ ضميرُ نصبٍ منفصلٌ وفيه خلاف مذكور في النحو. وقُرىءِ بفتح الهمزة وشد الياء، وبكسرِها وتخفيفِ الياء، وبإبدالِ الهمزةِ المفتوحةِ هاءً. والقولُ باشتقاق إيا ضعيفٌ والكلامُ على وزنها فُضولٌ.

العبادةُ: التَّذَلُّلَ، عَبَدْتُ اللهَ: ذَلَلْتُ له. وقُرىءَ: نِعبد بكسر النون، ويُعْبَدُ مبنياً للمفعول وهي قراءة مشكلة، وتَوجِيهُها أنَّ فيها استعارةً والتفاتاً، فالاستعارةُ إحلالُ المنصوبِ مَوْضِعَ المرفوعِ فكأنه قال: أنتَ ثم التفتَ فأخبَر عنه إخبارَ الغائبِ فقال: يُعبد. وغرابةُ هذا الالتفاتِ كونُه في جملةٍ واحدة.

والاستعانةُ: طَلَبُ العَوْنِ، والطلبُ أحدُ معاني استفعل وهي اثنا عشر معنى. وقُرىءَ: نِستعين بكسر النون. و«إياك» مفعولٌ مُقَدَّمٌ، والتقدمُ للاعتناءِ والتَّهَمُّمِ، والزمخشريُّ يقول[1]: التقدمُ للتخصيص، وَتَقَدَّمَ الردُّ عليه في: بسم الله. و«إياك» التفاتٌ من غَيبةٍ إلى خطاب، وَمَنْ أعربَ: ملك مُنَادى فلا التفاتَ، لأنه خِطابٌ بعد خطاب. ودعوى الزمخشري ثلاثة التفاتات في:

---

(١) الكشاف ١ : ٦١.

تطاول ليلك وما بعدها[١]، خَطَأٌ بل هما التفاتان. وفائدةُ الالتفات أنه لَمَّا ذَكَرَ الحمدَ لله المُتَّصِفِ بالرُّبوبيةِ والرحمةِ، والمالكِ لليومِ المذكور، أقبلَ على المحمودِ وأخبرَ أنه وغيره يعبده ويخضع له، ولذلك أتى بالنونِ لأنها[٢] تكونُ لَهُ ولغيرِه. فكما أنَّ الحمدَ يستغرقُ الحامدينَ، كذلك العبادةُ تستغرقُ المُتَكَلِّمَ وغيرَهُ. وقُرِنت العبادةُ[٣] بالاستعانةِ للجمعِ بين ما يتقربُ به العبدُ إلى الله، وبين ما يطلُبه من جهته، وليكون ذلك توطئةً للدُّعاءِ في قوله: اهدنا. وقُدِّمَت العبادةُ على الاستعانةِ لتقديمِ الوسيلةِ قبلَ طَلَبِ الحاجةِ لِتَحصُلَ الإجابةُ إليها. وأطلقَ العبادةَ والاستعانةَ لتتناولَ كُلَّ معبودٍ به ومُستعانٍ عليه. وكَرَّرَ «إياك» ليكون كُلٌّ من العبادةِ والاستعانةِ سِيقًا في جملتين، وكل جملة منهما مقصودة، وللتنصيصِ على أنَّ الذي يُطْلَبُ العونُ منه هو اللهُ تعالى.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

[٣/ب] الهدايةُ هنا: الإرشادُ والدلالةُ، وتتعدى إلى الثاني بإلى وباللام، وهنا تَعَدَّى بنفسه.

---

(١) الأبيات المقصودة لامرىء القيس في ديوانه ص١٨٥:

تطاولَ ليلك بالإثمدِ ... ونام الخَلِيُّ ولم تَرْقُدِ
وبات وباتت له ليلة ... كليلةِ ذي العائرِ الأرمدِ
وذلك من نبأٍ جاءني ... وخُبِّرْتُه عن أبي الأسودِ

وانظر الكشاف ١: ٦٣.

(٢) ق: أنها.

(٣) ق: بالعبادة.

و﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق، وأصله السين وقُرِىءَ به، وبين الزاي والصاد، وبالزاي خالصة وهي لغةٌ لِعُذْرَةَ وكعب وبَنِي القَيْن. والصَّادُ لغةُ قريش، وعامةُ العرب على إشمامِ الصادِ الزَّايَ. وتذكيرُ الصراط أكثر من تأنيثه، ويُجْمَعُ في الكَثْرةِ على صُرُط، وقياسه في القِلَّةِ أَصْرِطةٌ إنْ كان مذكراً، وأصرط[1] إنْ كان مؤنثاً [نحو ذراع وأذرع].

و﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ اسم فاعل من استقام وهو استفعل بمعنى الفعل المجرد وهو قام. والقِيامُ هو الانتصابُ والاستواء من غيرِ اعْوِجَاجٍ.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول. والخلاف في لغته وفيما يُعرفُ به الموصول مَذكورٌ في [كتب] النحو. و«الذين» يَخصُّ العُقلاءَ وما أُجْرِيَ مَجْراهم.

والنعمةُ: لِيْنُ العَيشِ. ونَعِمَ الرجلُ: إذا كان في نعمةٍ. والهمزةُ في ﴿أَنْعَمْتَ﴾ لجعل الشيء صاحب نعمة، هو أحدُ المعاني التي لأفعل. وضُمِّنَ معنى التفضيل فَعُدِّيَ[2] بعلى، وأصلهُ التعديةُ بنفسه؛ أنعمته: جعلتُه صاحبَ نعمة. والتاء في أنعمت ضمير المخاطب المفرد المذكر.

وعلى: حرفُ جَرٍّ عند الأكثرينَ، ظَرْفٌ عند سيبويه وجماعة. ومعنى على: الاستعلاء[3] حقيقةً أو مجازاً. وقُرِىءَ: عَلَيْهُمْ بضم الهاء وسكون الميم، وبكسر الهاء وسكون الميم، وبكسر الهاء والميم بغير ياء بعدها، وكذا بياء بعدها، وبكسر الهاء وضم الميم بواو بعدها، وبضمهما وواو بعدها، وبضمهما بغير واو، وبكسر الهاء وضم الميم بغير واو، وبضم الهاء

(١) ق: صرط.

(٢) ق: معدى.

(٣) ق: للاستعلاء.

وبكسر الميم بياء بعدها، وكذلك بغير ياء.

﴿ٱهۡدِنَا﴾ صورتُه صورةُ الأمر ومعناه الطَّلَبُ والرَّغبةُ. ولَمّا أخبر المُتكلِّمُ أنه ومَنْ معه يَعبدونَ اللهَ ويطلبونَ منه العونَ، سألَ له ولهم الهدايةَ إلى الطريقِ الواضحِ لأنهم بالهدايةِ إليه تَصِحُّ منهم العبادةُ.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾: بدل عين المبدل منه إذ فيه بعضُ إبهامٍ ليكون المسؤولُ الهدايةَ إليه قد جرى ذِكْرُه مرتين وصار بِذِكْرِ البَدَلِ فيه حوالة على طريق مَنْ أنعمَ اللهُ عليهم، فكان ذلك أثبتَ وأوكدَ. والبدلُ على الصحيح على نية تكرارِ العاملِ فكأنهم كَرَّرُوا طَلَبَ الهداية.

وفُسِّرَ المُنْعَمُ عليهم بأقوالٍ أولها[1] الأنبياء ومَنْ ذُكِرَ معهم في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴿٦٩﴾﴾ [النساء] الآية. ولم يقيد الإنعام لِيَعُمَّ جميعَ المُنْعَم به على سبيلِ البدل. وبناء أفعل للفاعل استعطافٌ لقبولِ التوسُّلِ بالدعاء في الهداية، أي: طَلَبْنا منكَ الهدايةَ إذْ سَبَقَ إنعامُكَ فَمِنْ إنعامِكَ إجابةُ سؤالنا. ومضمونُ الجملة طَلَبُ استمرارِ الهدايةِ إلى طريقِ مَنْ أنعم عليهم، لأنَّ مَنْ صدر منهم حمد الله وأخبر بأنه يعبدهُ ويستعينُه فقد حصلت الهدايةُ له لكنه يسألُ استمرَارَها.

﴿غَيۡرِ﴾ مُفْرَدٌ مُذَكَّرٌ دائماً، ومفهومهُ المخالفةُ بوجهٍ ما، وأصلُه للوصفِ ويُستثنى به، ويلزم الإضافة لفظاً أو معنى، وإدخالُ أل عليه خطأٌ، ولا يُعَرَّفُ وإنْ أُضيفَ إلى معرفة.

والغَضَبُ: تَغَيُّرُ الطَّبْعِ المكروه. و﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ الأولى في موضع نَصبٍ،

(١) ق: أولاها. ولو قرئت أَوْلاها، كانت صحيحة.

والثانية في موضع رفعٍ. و«غير» بَدَلٌ من الضمير في «عليهم» وهو ضعيف، أو من «الذين» وهو ضعيف وإنْ قاله أبو علي، أو نعت على مذهب سيبويه، إذ قد تَتَعرَّفُ غير إذا أُضيفتْ إلى معرفة، أو على مذهبِ ابنِ السَّرَّاج في أنها تتعرفُ إذا وقعت على مَخصوصٍ لا شائع. وقُرىء: غير وهو حالٌ من الضمير في: عليهم. وقال المهدوي: من الذين. والحالُ من المُضافِ إليه الذي لا موضعَ له من [٤/أ] رفعٍ أو نصبِ المشهورُ أنه لا يجوزُ. وقال الأخفشُ والزجَّاجُ: نصب على الاستثناء [المنقطع].

و«المغضوب عليهم» اليهود لأنهم كفروا عن عِلْمٍ وعَانَدُوا. والنصارى ضَالُّونَ أي كفروا جهلاً، فلهذا خُصَّ كُلٌّ بوصفٍ.

و«لا» في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ حَرْفٌ خِلافاً للكوفيين ودخلت لتأكيد معنى النفي الذي تَدلُّ عليه غير كأنه قيل: لا المغضوب عليهم ولا الضالين، ولِيُشْعِرَ أنَّ الضالينَ هم غيرُ المَغضوبِ عليهم وإنْ كان كُلُّهم قد اشتركَ في الغضبِ والضلال. ولتقارُبِ معنى غير ولا أجاز الزمخشري: أنا زيداً غيرضاربٍ، قال[1]: كما جاز: أنا زيداً لا ضاربٌ، فأورَدَهُمَا مَوردَ الوفاقِ، وفي المسألتين خِلافٌ.

والضلالُ: سلوكُ سبيلِ غيرِ القَصْدِ، ضَلَّ عن الطريق: سَلَكَ غير جَادَّتِهَا. والضلالُ: الهلاكُ، والضلال: الحَيْرة أو الغَفْلة. وكانت صلة الذين فعلاً ماضياً وصلة أل اسماً لأنَّ المقصودَ طَلَبُ الهدايةِ إلى صراطِ مَنْ ثبت إنعامُ الله عليهم، وصلة أل بالاسم ليشملَ سائرَ الأزمانِ. وبَنَاهُ للمفعولِ لأنَّ مَنْ طلب منه الهداية ونسب الإنعام إليه لا يناسب أنْ يُواجَهَ بوصفِ الانتقام،

(١) الكشاف ١: ٧٣.

وليكون المغضوب توطئة للخَتْمِ بالضالين فَيُعْطَفُ موصولٌ بأل على موصولٍ بأل مثله. والمرادُ بالإنعام الإنعامُ الديني.

وروى عَدِيٌّ بن حاتم عن النبيِّ ﷺ[1] أنَّ المغضوبَ عليهم هم اليهود وأن الضالين هم النصارى. والغضب من الله تعالى إنْ كان إرادةَ الانتقامِ [من العاصي فهو من صفاتِ الذَّاتِ، وإنْ كان إحلالَ العقوبةِ به كان من صفاتِ الفِعْل. ومناسبةُ ذِكْرِ الغَضبِ إثْرَ النعمة أنَّ الغضبَ يقابلُ الانتقامَ] لا الضلالَ، فبينهما تطابقٌ معنوي وأيضاً تَسجيعٌ.

وقد جَمعت هذه السورةُ حُسْنَ الافتتاح وبَراعةَ المَطْلعِ إذ كان مُفْتَتَحاً باسمِ الله والمبالغة في الثناءِ بعموم أل في «الحمد لله» والاختصاص باللام في «لله»[2] وبالإضافة في «مالك يوم الدين» وحسن التقديم والتأخير في «نعبد» و«نستعين» و«المغضوب عليهم ولا الضالين» والتفسير بعد الإبهام في «صراط الذين» والالتفات في «إياك نعبد» وما بعده. وطلب الشيء والمقصود استدامته وسرد الصفات لبيان خصوصية في الموصوف أو مدح أو ذم، والتسجيع في «الرحيم» و«المستقيم» وفي «نستعين» و«ولا الضالين».

(١) انظر فتح الباري ٨: ١٥٩.

(٢) ق: الله.

سورة البقرة

سورة البقرة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ هذه حروفُ التَّهَجِّي التي في أوائلِ السور اختلف الناسُ في المُرادِ بها اختلافاً كثيراً، ولم يَقُمْ دليلٌ على تعيينِ شيءٍ مما ذكروه. والذي أختارهُ هو ما ذهب إليه الشعبيُّ والثوريُّ وجماعةٌ من المُحَدِّثين قالوا: هي سِرُّ الله تعالى في القرآن وهي من المُتَشَابِهِ الذي انفردَ اللهُ تعالى بعلمه نُؤمنُ بها ونَمرُّ بها كما جاءت. وإلى هذا ذهب الحافظُ الوزيرُ أبو محمد عليُّ بن أحمدَ بن سعيدِ بن حَزْمِ بن غالب الظاهري قال: هذه الحروفُ التي في فواتحِ السور هو المتشابهُ الذي استأثرَ اللهُ بعلمه، وسائرُ كلامِهِ تعالى مُحْكَمٌ انتهى. وهذه الحروفُ أُورِدَتْ مُفردةً من غيرِ عاملٍ ولا عطفٍ فاقتضتْ أنْ تكون مسكنةً كأسماءِ الأعدادِ إذا أُوردت من غير عاملٍ ولا عطف فلا محلَّ لها من الإعراب. وقال الكوفيون: آلم ونظائرها آية، في خلافٍ لهم في بعضها. وقال البصريون وغيرهم: ليس شيءٌ من ذلك آية. [٤/ب] ولم يَنضبطْ لي ما سَمَّى العَادُّونَ في القرآن آية وما عرفتُ مِقدارَ ما لَحظُوا في ذلك. ووقف أبو جعفر على كُلِّ حرف من حروفِ التهجي وقفةً وقفة[2] وأظهرَ النُّونَ من طسم ويس وعسق ون إلاَّ مِن طس تلك فلم يظهر.

---

(١) مدنية وآياتها ست وثمانون ومئتان.

(٢) ق: ووفق.. وفقة وفقة.

وذا: اسم إشارة واللام مُشْعِرةٌ بِبُعْدِ المُشَارِ إليه والكافُ للخطاب. وإذا كان على موضوعه من البُعْدِ فأقوال كثيرة مضطربة: الأول[1] أنْ تكونَ إشارةً إلى ما نزلَ بمكةَ من القرآنِ، أو بالبُعْدِ بالنسبةِ إلى الغايةِ التي بين المُنْزِل والمُنْزَلِ إليه. وسمعتُ شيخنا الأستاذ أبا جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي يقول: «ذلك» إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة] كأنَّهم لما سألوا الهِدايةَ إلى الصراطِ المستقيمِ قِيلَ لهم: ذلك الصراطُ الذي سألتم الهدايةَ إليه هو الكتابُ. وبهذا الذي ذكره الأستاذُ يَتبيَّنُ وجهُ ارتباطِ سورة البقرة بسورة الحمد. وهذا القولُ أولى لأنه إشارةٌ إلى شيءٍ سبق ذِكْرُه لا إلى شيءٍ لم يَجْرِ له ذِكْرٌ.

وقد رَكَّبُوا وجوهاً من الإعراب في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. والذي أختارهُ أن يكون «ذلك الكتاب» جملةً مستقلة، لأنه متى أمْكَنَ حَمْلُ الكلامِ على الاستقلالِ دونَ إضمارٍ ولا افتقارٍ كان [أوْلى].

و﴿لَا رَيْبَ﴾ جملة مستأنفة لا موضع لها من الإعراب، أو في موضع نصب أي مُبَرَّأً من الرَّيْبِ. وقُرِىءَ: لا ريب بالرفع، وسياقُ الكلام يدلُّ على أنَّ المُرادَ نفي كُلِّ ريبٍ في هذه القراءة، والفتحُ نَصٌّ في العموم. والذي نَختارُه أنَّ الخبرَ محذوفٌ للعلم به إذ لغةُ تميم إذا عُلِمَ لا يُلْفَظُ به، ولغةُ الحجاز كثرةُ حَذْفِه إذ ذاك. و«لا ريب»: يدل على نَفْيِ الماهية إذ ليس مما يَحُلُّهُ الريب ولا يدلُّ على نفيِ الارتيابِ لأنه قد وقع ارتيابٌ من ناسٍ ضُلَّال. وعلى هذا لا يُحتاجُ إلى حَمْلِه على نفيِ التعلُّقِ والمظنَّةِ كما حَمَلَهُ الزمخشريُّ. ولا يرد علينا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة] لاختلافِ الحالِ والمحل، فالحالُ في: كنتم، المُخَاطَبُونَ، والريب هو المحل.

---

(١) ق: الأولى.

والحالُ هنا الريبُ منفياً، والمحلُّ الكتابُ فلا تَعارُضَ بين كونهم في ريبٍ من القرآن وكون الريب منفياً عن القرآن. واختار الزمخشري أن ﴿فِيهِ﴾ خَبَرٌ، ولذلك بنى عليه سؤالاً وهو أنْ قال: هَلاَّ قُدِّمَ الظَّرْفُ على الريب كما قدم الغَوْل في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ ۝٤٧﴾ [الصافات] وأجابَ بأنَّ التقديمَ يُشْعِرُ بما يُبْعِدُ عن المُرادِ وهو أنَّ كتاباً غيرَهُ فيه الرَّيْبُ كما قصد في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ ۝٤٧﴾ [الصافات] تفضيلَ خَمْرِ الجنة على خُمورِ الدنيا بأنها لا تَغتالُ العقولَ كما تغتالها هي، كأنه قيل: ليس فيها ما في غيرِها من هذا العَيْبِ والنقيصةِ. وقد انتقل الزمخشريُّ من دعوى الاختصاصِ بتقديمِ المفعول إلى دعواه بتقديم الخبر، ولا نعلمُ أحداً يُفَرِّقُ بين: ليس في الدارِ رجلٌ، وليسَ رجلٌ في الدار. والأولى جعل كل جملة مستقلة من قوله تعالى: «ذلك الكتاب» و«لا ريب فيه» و«فيه هدى». ولم يُحْتج إلى حرفِ عطفٍ لأنَّ بعضَها آخذٌ بِعُنُقِ بعضٍ، فالأولى أخبرتْ أنَّ المُشَارَ إليه هو الكتابُ الكاملُ كما نقول: زيدٌ الرجلُ، أي: الكاملُ في الأوصاف، والثانية نَفَتْ أنْ يكونَ فيه شيءٌ من الريب، والثالثة أخبرتْ أنَّ فيه الهُدى للمتقين. والمجاز في «فيه هدى» أي استمرارُ هُدًى لأنَّ المتقين مُهْتدونَ. والمتقي في الشريعةِ هو الذي يَقِي نَفْسَهُ أنْ تَتعاطى ما تُوعِّدَ عليه بعقوبةٍ من فِعْلٍ أو تَرْكٍ. وعلى ما اخترناهُ من الإعراب تكونُ الجملة الأولى كاملةَ الأجزاء حقيقةً، والثانية فيها مجازُ الحَذْفِ إذا [٥/أ] اخترنا أنَّ خبرَ «لا» محذوفٌ. والثالثة فيها تنزيلُ المعاني منزلةَ الأجسامِ إذْ جعلَ الكتاب ظرفاً والهدى مَظْروفاً أو أتى بلفظةِ «في» التي للوعاء، فهو مشتملٌ على الهدى كاشتمال البيتِ على زيدٍ في قولك: زيدٌ في البيت.

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.

الإيمان: التصديق، وأصلُه من الأمَانِ أو الأمانة ومعناهما الطمأنينةُ، والهمزةُ فيه للصيرورة. وضُمِّنَ معنى الاعترافِ أو الوثوق فَعُدِّيَ بالباء أو اللام. والغيب مصدر غابَ يَغيبُ إذا تَوارى. والأجود أنْ يكون أُطْلِقَ على الغائب لأنه فَيْعِل من: غاب[1]، فَخُفِّفَ كَلَيْنٍ. والباء متعلقة بيؤمنون. والصلاةُ وزنها فَعْلة وأَلِفُه منقلبةٌ من واوٍ، وهي مشتقةٌ من الصَّلاَ وهو عِرْقٌ مُتَّصِلٌ بالظهر أو من صَلَّى بمعنى دعا. والرزقُ: العطاءُ وبفتح الراء المصدر. والإنفاقُ: الإنفاذ. وللمتقين: في موضعِ الصِّفةِ فلا يتعلق بِهُدى. و«الذين» يجوزُ في إعرابه الأوجهُ الثلاثة لأنه صِفَةُ مَدْحٍ. والغيبُ المُؤْمَنُ به هو ما غابَ عن المؤمِنِ ممّا كُلِّفَ الإيمانَ به وتَضَمَّنَ الاعتقادَ القلبيَّ والفِعْلَ البدنيَّ وإخراجَ المال. وهذه الثلاثةُ عُمْدَةُ الإسلامِ وأفعال المتقي. ومِنْ للتبعيض. والأوْلى حَمْلُ الإنفاقِ على الزكاةِ لكثرةِ ورودها مُقترنةً مع الصلاة في القرآنِ والسنة. وأضافَ الرزقَ إليه لا إلى كَسْبِ العبد لِيُعْلِمَهم أنَّ الذي يُنفقه العبدُ هو بعض مما رزقه اللهُ تعالى. وجعلت صِلاَتُ[2] «الذين» أفعالاً مُضارعةً لا صِلاَتٍ لأل، لأنَّ المضارعَ على ما ذَكَرَ البيانيون مُشْعِرٌ بالتَّجَدُّدِ والحُدوثِ، والتجددُ في صفة المتقين أمدحُ. وأل: قالوا تدل على الثبوت، وكان هذا الموصولُ بصِلاتِه شرحاً للمتقين فدل: «المتقين» على الثبوت، والمضارعات[3] على الحدوث فتعددت[4]، وأُخِّرَت الصِلةُ الثالثة لأجل

---

(١) ق: لا أنه فعيل من غاب.

(٢) ق: صلاة.

(٣) ق: والمضارعان.

(٤) ق: فيعتدلا.

الفواصلِ وحذف العائدِ على «ما» وتقديره: رَزَقْنَاهُمُوهُ. وترتيبُ هذه الصِلات من بابِ ترتيبِ الأَهَمِّ فالأهم والألْزَمِ فالألزم؛ فالإيمانُ لازمٌ للمُكَلَّفِ دائماً، والصلاةُ في كثيرٍ من الأوقات، والنفقةُ في بعض الأوقات.

والإنزالُ: الإيصالُ والإبلاغُ، ولا يُشْتَرَطُ أنْ يكونَ من عُلُوٍّ. وقُرِىءَ: «بما أَنْزل إليك وما أَنْزل» مَبْنِيَّيْنِ للفاعل وهو التفاتٌ إذ هو خُروجٌ من ضمير متكلم في «رزقناهم» إلى ضميرِ غائب. وقُرِىء: «بما أنزلّ ليك» ووجْهُهُ أنه سَكَّنَ لامَ أنزل ونقلَ إليها حركةَ همزةِ إليك بعد حذفها ثم أدغم. و«الذين» معطوف على «الذين»، ويظهرُ أنه تفسيرٌ للإيمانِ بالغيبِ وهو أن يـؤمن بما أُنزل إلى الرسولِ وبما أُنـزل على الـرُّسُلِ قبلـه. «وبالآخرة» وهي صفةٌ غالبة وهي في الأصلِ تأنيثُ آخِر، وحَمْلُها على الدارِ الآخرةِ أولى[1] من حَمْلِها على النشأة الآخرة. والمُضِيُّ في: «وما أُنـزل من قبلك» مُتَحَقِّقٌ، وفي «بما أنزل إليك» لأنَّ أكثرَهُ نزلَ بمكةَ والمدينـة فقام الأكثرُ مقامَ الجميعِ، أو غُلِّبَ الموجود لأن الإيمان بالمتقدم الماضي يقتضي الإيمان بالمتأخر.

والإيقانُ: التحقُّقُ للشيءِ لسكونِه ووضوحِه، يَقِنَ الماءُ: سَكَنَ وظهرَ ما تحتَهُ. ولم تُعدْ باءُ الجَرِّ في ما الثانية ليدل أنه إيمانٌ واحد إذْ إعادتُه[2] تُشعر بأنهما إيمانان. وأكّدَ أمرَ الآخرةِ بتعلق الإيقانِ الذي هو أجلى وآكد مراتبِ العِلْمِ والتصديقِ وإنْ كان لا تَفاوتَ في الحقيقةِ بينهما دفعاً لمجازِ إطلاقِ العِلم على الظَّنِّ، فذكر أنَّ الإيمانَ والعِلْمَ بالآخرة لا يكونُ إلا إيقاناً. وغايَرَ بين الإيمانِ بالمُنْزَلِ والإيمانِ بالآخرة في اللفظِ لزوالِ كُلْفَةِ التكرارِ، وكأنَّ الإيقانَ هو الذي خُصَّ بالآخرةِ لكثرةِ غرائبِ [٥/ب] مُتَعلَّقاتِها ولكون

---

(١) ق: أول.

(٢) ق: عادته.

المُنْزَلِ مُشَاهداً أو كالمُشَاهَدِ، والآخرة غيبٌ صرفٌ فناسب الإيقان. قالوا: والإيقانُ هو العِلمُ الحادثُ سواء كان ضرورياً أم استدلالياً فلذلك لا يُوصَفُ به الباريءُ تعالى. وقدم المجرور اعتناء به. وإبرازُ هذه الجملة اسميةً وإنْ كانت[1] معطوفةً على فِعْليةٍ آكدُ في الإخبارِ عن هؤلاء بالإيقانِ، والتصديرُ بالمبتدأ يُشْعِرُ بالاهتمام بالمحكوم عليه، كما أنَّ التصديرَ بالفعل يُشعرُ بالاهتمامِ بالمحكوم به. ولم يذكرهم في «ومما رزقناهم» لأنَّ الوصفَ بالإيقانِ أعلى من الوصفِ بالإنفاقِ، ولكونه يكون فيه قَلَقٌ لفظيٌّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ اسم إشارة للجمع وهو للرُّتْبةِ الوسطى، وهو مبتدأ خَبَرُهُ الذي بعده وهي جملةٌ استئنافيةٌ. ولا نختارُ[2] ما اختارَهُ الزمخشريُّ من كونِ هذه الجملة في موضع خبر عن «الذين يؤمنون»[3] وإعراب «الذين» مبتدأً، والذهاب بالذين مذهبَ الاستئنافِ لأنَّ تَعَلُّقَهُ واتصالَهُ بما قَبْلَهُ في غاية الوضوح. لما وصف المتقين بصفات مدح فصلت جهات التقوى، أشار إليهم بأنَّ مَنْ حاز[4] هذه الأوصافَ الشريفةَ هو على هُدى، جعلَ رُسوخَهم في الهِداية كأنهم استعلوه. ووَصْفُ الهُدى بأنه من رَبِّهم تعظيمٌ للهدى الذين هُمْ عليه. و«مِن» لابتداءِ الغايةِ أو للتبعيضِ أي: مِنْ هُدى رَبِّهم. وذِكْرُ الرب هنا في غاية المناسبة. والفلاحُ: الفوزُ والظَّفَرُ بإدراكِ البغية والبقاء. وقُرِىء: من ربهم، بضم الهاء أكان ضمير جمع لمذكر أو مؤنث ولا يراعى سبق كسر

(١) ق: كان.

(٢) ق: تختار. وانظر الكشاف ١: ١٣٨.

(٣) ق: لا يؤمنون.

(٤) ق: جاز.

أو ياء. وهذان خبران مختلفان[١] لذلك كرر «أولئك» ليقع[٢] كُلٌّ منهما في جملةٍ مستقلة، أخبر عنهم بالتمكن[٣] من الهُدى في الدنيا وبالفوز في الدنيا والآخرة و«هم» فصل أو بدل أو مبتدأ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾.

الكفر: الستر. و«سواء» اسم بمعنى استواء مصدر لاستوى[٤]، وقد يُوصَفُ به بمعنى مستوٍ. والإنذارُ: الإعلامُ مع التخويف. والهمزة في «أأنذرتهم» للتسوية.

والخَتمُ: الوسم بطابع[٥] أو غيره. والقلب: اللحمة الصنوبرية سُمِّيت بالمصدر. والسمعُ: مَصدرُ سمع وكني به عن الأذن. والبصر: العين. والغشاوة: الغطاء. والعذاب: أصله الاستمرار في الألم. ولما ذَكَرَ أوصافَ المتقين المؤدية بهم إلى الفوزِ ذكرَ أوصافَ الكافرينَ المؤدية بهم إلى العذاب، وافتتحَ قصتهم بحرفِ التأكيد ليدلَّ على استئنافِ الكلام فيهم. والظاهر أن «الذين كفروا» للجنس ملحوظٌ فيه قيدٌ وهو أن يُقضَى عليه بالكفرِ والوفاةِ[٦] عليه، ويحتمل [أن يكون] لمعنيين ممن

---

(١) ق: وهذا خبر إن مختلفا.
(٢) ق: لتقع.
(٣) ق: بالمتمكج.
(٤) ق: اسم استوى.
(٥) ق: بطباع.
(٦) ق: والموافاة.

توفي[١] على الكفر كأبي جهل وأبي لهب وغيرهما. و«سواءٌ» وما تعلّق [به] جملة اعتراض فلا موضع لها من الإعراب. و«سواء» مبتدأ والجملة الداخلة عليها الهمزة خبر عن «سواء» وجَوَّزُوا العكسَ. و«لا يؤمنون» خبر إنَّ، وجملةُ الاعتراضِ لتأكيدِ مضمونِ جملة إنَّ وخبرها، لأنَّ مَنْ أخبرَ اللهُ عنه أنه لا يؤمن استوى إنذارُه وعَدَمُ إنذارِه. أو يكون خبر إنَّ «سواء» والجملة التي فيها الهمزةُ في موضعِ الفاعلِ عند مَنْ يُجيزُ أنْ تكونَ الجملةُ فاعلة. أو «سواء» مبتدأ وما بعده خبره أو العكس. و«لا يؤمنون»، خبرٌ بعد خبرٍ، أو على إضمار مبتدأ تقديرهُ: هم لا يؤمنون، أو لا موضعَ لها من الإعراب فتكون تفسيرية لأنَّ في عدم الإيمانِ استواء الإنذار وعدمه. وقُرىء: «أأنذرتهم» بتحقيق الهمزتين وهي لغةُ تميم، وتسهيل الثانية وهي لغة الحجاز، وبإدخالِ الألفِ بينهما حُقِّقت[٢] الثانيةُ أو سُهِّلت، وبإبدال الثانية ألفاً وقد أنكره الزمخشري وزعم أنه لحنٌ[٣]. وقُرىء بحذفِ الهمزة الأولى، وبحذفِها ونقلِ حركتها إلى الميمِ [٦/أ] الساكنةِ قبلها. ومفعول «أأنذرتهم» الثاني محذوف تقديره: العذاب على كفرهم. والظاهر أن «لا يؤمنون» و«ختم» خبرٌ لا دُعاءٌ.

والختمُ على القلبِ كنًّى به عن كونه لا يقبلُ شيئاً من الحق، استعارَ المحسوسَ للمعقولِ أو مَثَّلَ القلبَ بالوعاءِ الذي ختم عليه صوناً لما فيه ومنعاً لغيرِه من الدخولِ إليه. وقيل: الختمُ حقيقة وهو انضمامُ القلبِ

---

(١) ق: وافى.

(٢) ق: خففت.

(٣) انظر الكشاف ١: ١٥٤.

وانكماشه[١]. وإسنادُ الخَتْمِ إلى الله حقيقةٌ لا مجاز[٢] كما تأوّلَهُ الزمخشريُّ. و«وعلى سمعهم» معطوف «على قلوبهم» لا أنه[٣] مشارك السمع للأبصار في الغشاوةِ وإنْ جَوَّزُوه. وأفرد السمع لكونه لمح فيه الأصل وهو المصدر، أو للاستغناء بالمُفْرَدِ عن الجمعِ لدلالةِ ما قَبْلَهُ وما بعده عليه، أو على حذفِ مضافٍ أي: وعلى حَواسِّ سمعهم، وقُرِىء: على أسماعهم. والمشهور في قراءة «غشاوة» بكسر الغين ورفع التاء فَتضمَّنَ الكلامُ إسنادين فعلية واسمية لِيَدُلاَّ على التجدُّدِ والثُّبوتِ. وقُدِّمت الفِعليةُ لأَنَّ ذلك قد فُرِغَ منه ووقعَ، وقُدِّمَ خبرُ الاسمية لِيُطابق الفِعليَّةَ في تقديمِ المحكومِ به على المحكوم عليه. وقُرِىء: غشاوةً بالنَّصْب أي: وجَعَلَ. وقُرِىء: غُشاوة بضم الغين ورفع التاء، وبفتحهما[٤]، والنصبِ وسكونِ الشين، وعُشوة وعَشيّة وعِشاوة بالعين المهملة من العَشَا[٥] وهو شِبْهُ العَمَى في العين. وتقديمُ القلوبِ من باب التقديم بالشرف وهو أحدُ التقديمات الست[٦]. ولما ذَكَرَ تعالى حالَ هؤلاء الكُفَّارِ في الدنيا ذَكَرَ ما يَؤُولُونَ إليه في الآخرةِ من العَذابِ، ولما كان أعدَّ لهم ذلك صيّروا كأنَّ العذابَ مِلكٌ لهم لازمٌ، والعظمُ أصلُهُ للجثةِ.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ

(١) ق: وانكشافه.

(٢) ق: مجازا. وانظر الكشاف ١: ١٥٤.

(٣) ق: لأنه.

(٤) ط: وبفتحها.

(٥) ق: وغشوة وغشاوة بالغين المهملة أي من الغشى.

(٦) كذا في الأصل. وفي القرطبي ١: ١٨٩ أن هذه الآية «استدل بها من فضّل السمع على البصر لتقدمه عليه.. قال: والسمع يُدرَك به من الجهات الست».

ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ .

«الناس» اسمُ جنس لبني آدم، وقالوا: ناسٌ من الجن وهو مجازٌ، وأصلهُ عند سيبويه والفراء أناسٌ حُذفت هَمزتُه فَوَزْنُه: عال، وعند الكِسائي نَوَسَ مِن ناسَ: تَحَرَّكَ. وعند غيرهما: نَسِيَ من النِّسيان قُلِبَ، ويدلُّ عليه قولُهم في تصغير إنسان: أُنَيْسان[1].

«ومن» هنا موصولة وجَوَّزُوا أنْ تكونَ موصوفة وهي مبتدأ والخبرُ في الجارِّ والمجرورِ قَبْلَها، ولا بُدَّ من قَيدٍ في النَّاسِ وإلاَّ كان إخباراً لا تستقلُّ به فائدةٌ، فالتقدير: ومن الناسِ السابقِ ذِكْرِهُم الَذين اندرجُوا في قوله: «إن الذين كفروا» فليس هؤلاء إلا بعضاً من أولئكَ شَاركوهُم في جميعِ ما أخبر به عن أولئكَ وزَادُوا أَنَّهم ادَّعَوا الإيمانَ وأكْذَبَهُم اللهُ تعالى، ولَيسوا غير مختومٍ على قُلوبهم كما زَعَمَ الزمخشريُّ[2]. وجَعْلُ «مَنْ» موصولة في لسانِ العرب أكثرُ من كونها موصوفة؛ ويدلُّ على أنها موصولةٌ أنها نزلتْ في ناسٍ بأعيانهم معروفينَ وما صَدَرَ[3] منهم من أقوالِهم وأفعالِهم كعبد اللهِ بن أبيّ بنِ سَلُول[4] وأصحابه [ومَنْ وافَقَهُ من غيرِ أصحابه] مِمَّنْ أظهرَ الإسلام مقالاً وأبطنَ الكُفْرَ اعتقاداً، واقتصروا على قولهم ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ حَيْدَةً منهم[5] أن يعترفوا بالإيمان برسولِ الله ﷺ وبما أُنزلَ إليه وإيهاماً أَنَّهم من طائفةِ المؤمنين. وحمل في قوله «يقول» على لفظ مَن، وفي «وما هم

---

(١) ق: أنيسيان.

(٢) انظر الكشاف ١: ١٦٨.

(٣) ط: لما صدر.

(٤) ق: أبي سلول.

(٥) كتبت في الحاشية.

بمؤمنين» على المعنى. وقولُ ابن عطيّة أنّه لا يجوزُ أن يُرْجَعَ من لفظِ الجمعِ إلى لفظِ الواحدِ مخالفٌ لقولِ النحويين من أنه يجوز أن تبدأ بالحمل على المعنى ثُمَّ على اللفظ، وإن كان الحملُ أولاً على اللفظِ ثم على المعنى [أولى]، وقد ثبت ما أنكرهُ في كتابِ الله تعالى وفي لسانِ العرب.

و﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ في موضع نصبٍ، وأكثرُ لغة الحجاز جَرُّ الخَبرِ بالباء[1]، وعليه أكثرُ ما جاء في القرآن. وزِيدت الباءُ في الخبرِ، ولأجلِ التأكيد بُولِغَ في نفي إيمانهم بأنْ [٦/ب] جاءت الجملةُ اسميةً، وسُلِّطَ النفيُ على اسم الفاعل الذي ليس مُقَيَّداً بزمانٍ ليشملَ جميعَ الأزمانِ، ولم يجىء التركيبُ مَبْنياً على قولهم فيكون: وما آمنوا.

الخداعُ: قِيل إظهارُ غير ما في النفس، وقرىء: يَخْدَعُونَ الله، مُضارِعُ خَدَعَ. وجاز في «يخادعون» أنْ يكون مُسْتأنفاً كأنَّ قائلاً يقول: لِمَ يتظاهرونَ بالإيمانِ وليسوا بمؤمنين؟ فقيل: يُخَادِعون. قيل: وأنْ يكون بدلاً من «يقول» أو حالاً من ضميرِ يقول. ولا يجوز أنْ يكونَ حالاً من الضمير في «بمؤمنين» والعاملُ فيها اسمُ الفاعل كما ذهب إليه أبو البقاء. وهذا إعرابٌ خطأ وذلك أنّ «ما» دخلتْ على الجملة فنَفَتْ نِسبةَ الإيمانِ إليهم، فإذا قُيِّدت تلك النِّسبةُ بحال تَسلّط النفيُ على تلك الحال وهو القيد فَنَفَتْهُ. ولذلك طريقانِ في لسانِ العرب أحدهُمُا وهو الأكثرُ: أنْ ينتفي ذلك فقط ويكون إذْ ذاكَ قد ثبت العاملُ في ذلك القيد، فإذا قُلتَ: ما زيدٌ أقبلَ ضاحكاً، فمفهومهُ نَفْيُ الضَّحكِ ويكون قد أقبلَ غير ضاحكٍ. وليس معنى الآية على هذا؛ إذْ لا ينفي عنهم الخِداعَ فقط فيثبت لهم الإيمان بغير خداعٍ بل المعنى نفي الإيمانِ عنهم مُطلقاً. والطريقُ الثاني وهو الأقل: أنْ يَنتفي القيدُ وينتفي

(١) ق: بالفاء.

العاملُ فيه فكأنَّهُ قال في المثال السابق: لم يُقْبِلْ زيدٌ ولم يَضحكْ، أي لم يكن منه إقبالٌ ولا ضحكٌ. وليس معنى الآية على هذا؛ إذْ ليس المرادُ نفيَ الإيمان عنهم ونفيَ الخِداعِ. والعجبُ من أبي البقاء كيف تنبَّه لشيءٍ من هذا فَمَنَعَ أنْ يكونَ «يخادعون» في موضعِ الصفة فقال[1]: ولا يجوزُ في موضعِ جَرٍّ على الصفة لمؤمنين، لأنَّ ذلك يُوجِبُ نفيَ خِداعهم والمعنى على إثباتِ الخداع انتهى كلامُه. فأجاز ذلك في الحال ولم يُجِزْ ذلك في الصفةِ وهما سواءٌ ولا فرق بين الحالِ والصفةِ في ذلك بل كُلٌّ منهما قيد يَتَسَلَّطُ النفيُ عليه.

ومخادعةُ المنافقين اللهَ هو من حيثُ الصورة لا من حيث المَعْنى من حيث تظاهروا بالإيمانِ وأبطنوا الكُفْرَ، ومن حيث عدم عرفانِهم بالله وبصفاتِه، أو يكون ذلك على حَذْفِ مُضافٍ، أي: يُخادعون رسولَ الله. وليس اسمُ الجلالة مُقْحَماً كما ذهبَ إليه الزمخشريُّ وذكر مثلاً نَازعناهُ في الاستدلالِ[2] به. ومُخَادعتُهُم المؤمنينَ كونهم امْتَثَلُوا إجراءَ أحكامِ المسلمينَ عليهم مع مخالفتهم لهم في الاعتقادِ.

وقُرِىء: وما يخْدَعُونَ، مضارع خَدَعَ بفتح الياء وضَمِّها مبني للمفعول، ويُخَدِّعُونَ بفتح الخاء وشَدِّ الدالِ المكسورةِ مِن خَدَّع مشدداً، أو بفتح الياء والخاء وكسر الدال مشدَّدة، ويخادعون بكسرِ الدالِ وفتحها مبنياً للمفعول، فَمَنْ بَناهُ للمفعولِ نَصَبَ «أنفسهم» تمييزاً على مذهبِ الكوفيين في غُبِنَ زيد رأيَه، وإما على التشبيه بالمفعول به، وإما على إسقاطِ حرف الجرِّ، أي: في أنفسهم. ويَخْدَعُونَ مضارعُ اخْتَدَعَ بمعنى خدع كاقتدر وقدر. والمعنى أنَّ

(١) إملاء ما منّ به الرحمن ١: ١٧.

(٢) ق: الاستلال. وانظر الكشاف ١: ١٧٢.

وبالَ ذلك ليس راجعاً للمخدوعِ بل للخادعِ فكأنَّهُ ما كاد إلاَّ نَفْسَهُ بإيرادِها مواردَ الهَلَكَةِ وهو لا يَشْعُر بذلك جهلاً بقبيحِ أفعاله.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ معطوفٌ على «يخادعون الله» أي: وما يَشْعُرُون إطلاعَ اللهِ نَبِيَّهُ على خِداعهم، أو: وما يشعرون من إيقاع أنفُسِهم في الشَّقاءِ بكُفْرِهِم ونِفاقِهم. أو جملة حالية أي: وما يخادعون إلاَّ أنفسَهم غيرَ شاعرين بذلك، إذْ لو شَعرُوا بذلك ما خَدَعُوا اللهَ تعالى والمؤمنين. وجاء «يخادعون» بصيغة المضارع إشعاراً[1] بالدَّيْمُومَةِ [٧/أ] إذْ هو في معرضِ الذَّمِّ.

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

وقُرِىء: مَرْضٌ، بسكونِ الرَّاء وهي لغةٌ كالحَلب والحَلْب. وكينونةُ المرضِ في قلوبهم مجازٌ عما حَلَّ فيها[2] من الشَّكِّ والحَسَدِ والغِلِّ، وقيل حقيقة وهو الفسادُ والظلمةُ التي حدثت فيها بظهور الرَّسُولِ ﷺ وإعلاءِ كلمته. ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ هذا خبرٌ. وإسنادُ الزيادةِ إلى اللهِ حقيقةٌ، وقيل: دعاء حقيقة بوقوعِ زيادةِ المرض، وقيل: مجاز فلا يُقْصَدُ به الإجابةُ لكون المَدْعُوّ به واقعاً، بل المرادُ به السَّبُّ[3] واللعنُ والتَّنَقُّصُ نحو: ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة]. و«مرض» نكرة تَعمُّ على طريقِ البَدَلِ، وتَعْدَادُ المحال يدلُّ على تعدادِ الحال فاكتفى بالمفرد عن الجمع. و«فزادهم» أي قلوبهم أو ذواتهم لأنّ مرضَ القلب مرضٌ لسائرِ الجسد. ﴿ أَلِيمٌ ﴾: إما

(١) ق: إشعار.

(٢) ق: فيه. وكذا في العبارة بعدُ: حدثت فيه.

(٣) ق: السلب.

للمبالغة، ووصفُ العذاب به مجاز، وهو من مجاز التركيب، أو معناه مؤلِمٌ، جاء فعيل من أفعل وهو من مجاز الإفراد. وجمع وصف العذاب بالعِظَمِ والألمِ للمنافقين إذ هم أشدُّ عذاباً من غيرهم من الكفار. و«ما» في «بما كانوا» مصدرية. وقال أبو البقاء: الأظهرُ أنْ تكونَ موصولة. وقُرىء: يكذبون، مُخَفَّفاً ومشدداً[1] مضارع كذَب وكذّب.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ ﴾.

﴿ وَإِذَا قِيلَ ﴾ لغةُ أهل الحجاز إخلاص الكسر في نحو قِيل وبِيع، والإشمامُ لغةُ كثيرٍ من قَيْس وبني أسد وعَقِيل، وقُرىء بهما. والفسادُ: التغيرُ عن حالةِ الاعتدالِ، والصلاحُ نَقِيضُه. وهذه الجملةُ الشرطية هي من بابِ عطفِ الجملِ استئنافاً. يَنْعَى عليهم قبائحَ أفعالِهم وأقوالِهم. قيل: ويحتمل أنْ تكونَ معطوفةً على «يقول» صلة «مَن» فلا موضعَ لها من الإعرابِ وهي جزءُ كلام لأنَّها من تَمامِ الصِلَة. وأجاز الزمخشريُّ[2] وأبو البقاء أنْ تكون معطوفة على «يكذبون» فلها موضعٌ من الإعراب وهو النصبُ ويكون جزءاً من السببِ الذي استحقُّوا به العذابَ الأليم. وهذا الإعرابُ خطأٌ على جَعْلِ «ما» في «بما» موصولة لعرو[3] جملة الشرط من ضميرٍ يعودُ على «ما». والجملةُ بعدَ إذا هذه في موضعِ [خَفْضٍ] على مذهبِ الجمهور، والعاملُ في إذا الجواب. والذي نَخْتَارُه أنَّها لا موضع لها من الإعراب. والفعلُ الذي يَلِي إذا هو العاملُ فيها كسائر حروفِ الشرط. وحذف فاعل القولِ للعلم به إذ هو اللهُ

(١) ق: مشدوداً.

(٢) انظر الكشاف ١: ١٧٩.

(٣) لعروها: أي خلوّها.

تعالى. ويظهر أنَّ المفعولَ الذي لم يُسمَّ فاعلُه هو الجملةُ من قوله تعالى: «لا تفسدوا في الأرض». ولا يجوز ذلك عند جمهور البصريين [ويجوز عند الكوفيين، فتخريجه على مذهب جمهور البصريين] أنْ يكونَ في «قيل» مُضْمَرٌ أي: وإذا قيل هو، أي: قولٌ سديدٌ[١]. فأُضمرَ هذا القولُ الموصوفُ وجاءت الجملة بَعْدَهُ مُفَسِّرةً فلا موضعَ لها من الإعراب. وزعم الزَّمخشريُّ[٢] أن الجملة هي المفعول الذي لم يُسمَّ فاعلُه وجعله من باب الإسنادِ اللفظي، ونظره بقوله: أَلِفَ ضَرَبَ من ثلاثةِ أحرفٍ، وإذا أمكن أن يكون إسناداً معنوياً لم يُعْدَل إلى الإسناد اللَّفظي.

و﴿لَا تُفْسِدُوا۟﴾ نهيٌ عن إيقاعِ الفساد بأيِّ طريقٍ كان من كفرٍ أو غيرِهِ من جهاتِ الفساد. وهو من بابِ النهي عن المُسَبَّب والمرادُ النهي عن السَّبَبِ، فَمُتَعَلَّقُ النهي حقيقةً هو إبطانُ الكُفْرِ ومُمَالأَةُ الكفارِ وإفشاءُ سِرِّ المؤمنينَ وذلك هو المُفْضِي إلى الهَيْجِ للفِتَنِ المؤديةِ إلى الإفساد. وذُكِرَ محل الإفسادِ وهي الأرض التي نَشأتُم فيها وانتفعتم بها أحياءً وأمواتاً، فما كان محلَّ إصلاحكم لا يناسب أن يُجْعَل محلَّ إفساد. ومعمولُ جواب الشرط أبرزوه جملةً اسميةً لتدلَّ على ثُبوت الوَصْفِ لهم، وأكَّدوها بإنَّمَا دلالةً على قوةِ اتِّصافِهم بقوةِ الإصلاح، كُلُّ ذلك بَهْت وكَذِبٌ على [٧/ب] عادتهم في الكذب فأكْذَبهم اللهُ في قولهم فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ فأتى بـ«ألا» الدالّة على التَّنبيه على كذبهم، وبإنَّ المُقْتضية للتأكيد، وبـهُم وبأل. واستُفْتِحتْ بألاَ لتكونَ الأسماعُ مُصْغِيةً[٣] لما جاء في حَقِّهم. و﴿هُمُ﴾ تأكيدٌ

---

(١) عبارة ط: وإذا قيل أي قول شديد.

(٢) انظر الكشاف ١: ١٨١ - ١٨٢.

(٣) ق: الاستماع مصيغة.

للضميرِ أو فصل أو مبتدأ. ونختار في «ألا» التي للتنبيه أنّها حرفٌ بسيطٌ، وزعموا أنّها مركبةٌ من حرفِ الاستفهام ولا النافية للدلالة على تَحَقُّقِ ما بعدها. والاستفهامُ إذا دخلَ على النفيِ أفادَ تَحقيقاً كقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ ۝٤٠﴾ [القيامة] ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكادُ تقعُ الجملةُ بعدَها إلا مُصدَّرةً بنحو ما يُتَلَقَّى به القسمُ وقاله الزمخشري[1]. ودعوى التركيبِ على خِلافِ الأصلِ ولأنّ ما زعموا خطأ؛ لأنَّ مواقعَ «ألا» تدلُّ على أنَّ «لا» ليست للنفي فيتمّ ما ادَّعوه. ألا ترى أنك تقول: ألا إنَّ زيداً منطلقٌ، ليس أصله: لا أنَّ زيداً منطلقٌ، إذْ ليس من تراكيبِ العرب بخلافِ ما نَظَرَ به من قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ ۝٤٠﴾ [القيامة] لصحة تركيب: ليس زيدٌ بقادر، لوجودها قَبلَ رُبَّ وَلَيْتَ وحَرْفِ النداء وغيرها مما لا يتعقل فيه أنّ «لا» نافية، فتكون الهمزة للاستفهام دخلت على «لا» النافية فأفادت التحقيقَ. وقوله: لا تكاد تقع إلى آخره، غير صحيح. ألا ترى أنَّ الجملةَ بعدها تُسْتَفتَحُ بربَّ وبِلَيْتَ وبفعلِ الأمر وبحَبَّذا وبالنداء ولا يتلقّى بشيء من هذا القَسَم؟ وعلامةُ «ألا» هذه التي هي حرفُ تنبيه واستفهام[2] صحةُ الكلام دُونها. وكون إنّما مُرَكَّبة من ما النافية دخل عليها إنّ التي للإثباتِ فأفادتِ الحَصْرِ قولٌ ركيكٌ فاسدٌ صادرٌ عن غيرِ عارفٍ بالنحو.

والذي نذهبُ إليه أنّها لا تدل على الحَصْر بالوضع كما أن الحصْر لا يُفْهَمُ من أخواتها التي كُفَّت بما، فلا فرقَ بين: لعلَّ زيداً قائمٌ وَلَعَلَّما زيدٌ قائمٌ، فكذلك: إنَّ زيداً قائمٌ وإنّما زيدٌ قائم. وإذا فُهم الحَصْر فإنما يُفهمُ من سياقِ الكلام لا إنّما دلّت عليه. وبهذا الذي قَرَّرناهُ يزولُ الإشكالُ الذي

(١) الكشاف ١: ١٨٠. وفي ق: ولكونها من النصب في هذه، والتصويب منه.

(٢) ط: واستفتاح.

أوْرَدُوه(١) في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۝٧﴾ [الرعد]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ ۝١١٠﴾ [الكهف]، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ [مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ۝١١﴾ [يس]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ] مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥﴾ [النازعات] انتهى.

﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ لكن: تقع بين مُتَنَافِيَيْنِ وظهور ذلك هنا أنّه تعالى أخبرَ أنّهم هم المفسدُون وقد عَلِمَ ذلك منهم ولكنْ هُم لا يعلمونَ ذلكَ فاستدرك هذا المعنى الذي فاتهم من عدمِ الشُعور بأنّهم هم المفسدون. ومفعول «يشعرون» محذوفٌ تقديره: ولكن لا يَشعرونَ بإفْسَادِهِم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟﴾ هذه الجملةُ الكلامُ عليها أهيَ معطوفةٌ على صلة «من» أو على «يكذبون» أو مستأنفةٌ، وما العامل في «إذا»، وما المقامُ مقامَ الفاعل كالجملة الشرطيةِ السابقةِ. ولما نُهوا عن الإفسادِ أُمِرُوا بالإيمانِ وبحصولِه يَزُولُ إفسادُهم، وبُدِىءَ بالمنهيِّ(٢) عنه لأنّه الأهَمُّ وهو تركٌ، والتركُ أهونُ من امتثالِ المأمور فكان في ذلك تدريجٌ لهم. وأكثرُ المعربين يجعلُ الكافَ في «كما آمن» ونظيره نعتاً لمصدرٍ محذوفٍ أي: إيماناً مثل إيمانِ النَّاسِ. ومذهبُ سيبويه أنَّ الكاف في موضع الحال وذو الحال ضميرُ مصدرٍ محذوفٍ دَلَّ عليه الفعل. و«ما» مصدرية يَنْسَبِكُ منها ومن صلتها مصدرٌ هو في موضع جَرٍّ بالكاف. وأجاز الزمخشريُّ(٣) وأبو البقاء أنْ تكونَ

---

(١) ق: أورده.

(٢) ق : بالمنتهي.

(٣) انظر الكشاف ١ : ١٨٢.

«ما» كافَّةٌ للكافِ عن العمل كهي في: رُبَّمَا قَامَ زَيدٌ. والظاهر أن أل في «الناس» للعهدِ وهُمُ المؤمنونَ الذين سَبقُوا بالإيمان فأُحِيلُوا عليهم.

السَّفَهُ: خِفةُ الحِلم والجهل، ويقال: سَفِهَ بكسر الفاء [٨/أ] وضمِّها وهو القياس لمجيء سَفِيه،وجمعه على فُعلاء قياسٌ مُطَّرِدٌ فيفَعِيل الصحيح الوصف لمذكر عاقل.

﴿أَنُؤْمِنُ﴾ استفهامُ إنكارٍ واستهزاءٍ، ولَمَّا كان المأمورُ به مُشَبّهاً أَتَوا بإنكارهم مُشبّهاً. وأل في «السفهاء» للعهد ويَعْنُون بهم المؤمِنينَ الخُلَّص في الإيمان اعتقدوا أنّهم سُفَهاءُ.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ وهذا كما ردَّ عليهم في قوله: «ألا إنهم هم المفسدون» أي: الله تعالى هو العَالِمُ بأنَّهم السفهاءُ ولكنْ لا يعلمون أنَّهم سُفَهاءُ لِغَبَاوَتِهِم. وجاء هناك «لا يشعرون» لأنّ الإفسادَ يُدرك بأدنى تأمُّلٍ لأنّه من المحسوساتِ التي لا تحتاجُ إلى فكرٍ كبيرٍ، فنَفَى عنهم ما يُدْرَكُ بالمشاعرِ وهي مبالغـةٌ في تَجْهيلهـم إذ الشعـورُ الثابـتُ للبهائـم مَنفـيٌّ عنهم والأمرُ بالإيمان يحتاج إلى إمعانِ فكرٍ واستدلالٍ ونَظَرٍ تام يُفْضِي [إلى الإيمانِ والتصديقِ] ولم يَقَعْ منهم المأمورُ فَنَاسبَ ذلك نفيَ العلم عنهم، ولأنّ السَّفَهَ هو خِفَّةُ العقلِ والجهل بالأمور، والعلمُ نقيضُ الجهل فقابله بقوله: «لا يعلمون». ويجـوز في نحـو «السفهاء ألا» تحقيق الثانية مع تحقيق الأُولَى، أو جعلهـا بين الهمـزة والواو وإبـدالها واواً مع تحقيـق الأُولَى، أو جعلها بين الهمزة والواو، وأجاز بعضهم جعلَ كُلٍّ منهما بين الهمزة والواو[1].

---

(١) أي الأولى. انظر القرطبي ١: ٢٠٦.

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿ وَإِذَا لَقُوا ﴾: وقُرِىء: وإذا لاَقوا الذين، وهي فاعلَ بمعنى الفعل المجرد. و﴿ ءَامَنَّا ﴾ فعلٌ مطلقٌ غير مؤكد بشيء توريةً منهم وإيهاماً، سَمّوا النُّطْقَ باللسان إيماناً وقلوبهم مُعْرِضةٌ. و«خلا» يتعدى بالباء وبإلى و«إلى» على معناها من انتهاء الغاية، وليست هنا بمعنى مع خِلافاً للنضرِ بنِ شُمَيل. و﴿ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ اليهودُ ورؤساؤُهم. وشيطان عند البصريين فَيْعال من شَطَن، وقالوا في معناه شاطن وفي التصريف منه[1] مُشَيْطن. وعند الكوفيين فَعْلان من شاط، ويشهد لهم قولهم شيطان مسمّىً [به] ممنوع من الصرف. وقُرِىء: معكم، بسكون العين وهي لغةُ ربيعةَ وغنم. وانظر الفرق بين قولهم للمؤمنين «آمنا» وبين قولهم لشياطينهم، فهناك[2] اكتفَوْا بالمُطْلَقِ وهُنَا أكَّدُوا المعيَّةَ والموافقةَ بقولهم «إنا». ثم لم يكتفوا حتى ذَكَرُوا سببَ قولهم آمنّا وهو الاستخفافُ بالمؤمنين، وأبرزوا ذلك في جملةٍ مؤكَّدة بـ«إنما» وبـ«نحن» و«مستهزئون» باسم الفاعل. وكأنّهم لما قالوا «إنا معكم» أُنْكِرَ عليهم الاقتصارُ على هذا وأنّكُم كيف تكونونَ معنا وأنتم مُسالمونَ أولئك بإظهارِ تَصْدِيقكم وتكثيركم سَوَادَهم والتزامِ أحكامِهِم من الصلاة وأكلِ ذبائِحهم، فأجابوا بذلك وأنّما نَسْتخفُّ بهم في ذلك القولِ لصونِ دِمائنا وأموالنا وذُرِّيتِنَا. وقُرِىء: مستهزئون، بهمزةٍ وبإبْدَالِهَا ياءً وبحذفها وضَمِّ ما قبلَها. وقَلْبُها[3] ياءً هو قولُ الأخفش، وأما سيبويه فيخففها ويجعلها

---

(١) ط: وفي التصغير.

(٢) ق: هناك.

(٣) ق: وقبلها.

بين بين.

والاستهزاءُ هو الاستخفافُ واللّهوُ واللعبُ، والله تعالى مُنزَّهٌ عن ذلك فجاء [قولُهُ]: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ على سبيل المقابلةِ، والمعنى أنَّهُ يجازيهم على استهزائهم. وفي افتتاح الجملة باسم الله التفخيمُ والتعظيمُ، والإخبارُ عنه بالمضارع وهو يدل على التجدد. ولم يذكروا هم مُتَعَلَّقَ الاستهزاء لتحرُّجِهم من إبلاغِ المؤمنين فينقمون ذلك عليهم فأبقوا اللفظَ مُحتملاً وليَذَبُّوا عن أنفسِهم لو حُوقِقُوا وإنْ كانوا عَنَوا المؤمنين. وقال: «يستهزىء بهم» فذكَرَ مُتَعَلَّقَ الاستهزاءِ فهو أبلغُ من قولهم. وقُرىء: «ويمدهم» من مَدَّ ومن أَمَدَّ. وإسنادُ المدِّ أو الإمدادِ لله تعالى حقيقة، إذ هو المُنفردُ بإيجادِ ذلك وهو المُمَكِّنُ من المعاصي والزيادة [٨/ب] منها. وقُرِىءَ «طغيانهم» بكسر الظاء وضَمِّها. وأُضيف الطغيانُ إليهم لأنَّهم فاعِلُوه كَسْباً وإنْ [كان] الله هو مخترعه. والعَمَهُ: التحيُّرُ عن الرشد وركوب الرأس عن اتِّباعِ الحَقِّ. و«في طغيانهم» متعلق بيمدُّهُمْ وقيل: بيَعْمَهُون. و«يعمهون» حالٌ من مفعول «يَمُدُّهُم» أو من ضمير«طغيانهم». ومَنَعَ أبو البقاء أن يكون «في طغيانهم» و«يعمهون» حالين قال: لأنَّ العاملَ لا يعملُ في حالين، وهذا فيه خلاف وتفصيل.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارةٌ إلى الذين تَقَدَّمَ ذِكْرُهم الجامعينَ للأوصافِ الذَّميمةِ، كما تقدم في المتقين حيثُ ذكِرَتْ أوصافُهم أُشِيرَ إليهم بأولئك. وقرىء اشتروا، بضم الواو وكسرها وفتحها. والاشتراءُ هنا مَجازٌ كُني به عن

الاختيار لأنَّ المشتري للشيءِ مختارٌ له مُؤْثِرٌ. و«الضلالة»[١] الكفر، و«الهدى» الإيمان. جعل تَمَكُّنهم من اتباع الهدى كالثمنِ المبذُولِ في المُشْتَرَى. ﴿فَمَا رَبِحَت﴾ عطفٌ بالفاء الدالَّةِ على تَعقُّبِ نفي الربح، وبنفس ما وقع الاشتراءُ تحقَّقَ عدمُ الربح. وإسنادُ الربح إلى التجارة مجازٌ لأنَّ الرابحَ هو التاجرُ. ولما صَوَّر الضلالةَ والهدَى مُشْترىً وثمناً وكان ذلك مجازاً رَشَّحَهُ ببعض أوصافِ الحقيقة بقوله: «فما ربحت تجارتهم» فانضاف مجازٌ إلىمجاز. وقرىء: تِجَاراتهم على الجمعِ والإفراد. ونفيُ الربح لا يدلُّ على انتقاصِ رأس المال، لكن عَبَّرَ بنفيهِ عن ذهابِ المالِ لِمَا في الكلامِ من الدلالةِ على ذلك، لأنَّ الضلالَ والهدى نقيضان فاستبدالُهُم الضلالة دَلَّ على ذهابِ الهُدَى بالكلية، ويَتَخَرَّجُ عندي على أنْ يكونَ من باب: [من الطويل]

على لاَحبٍ لا يُهْتَدى بمنارِه[٢]

لما ذكر اشتراءَ شيءٍ بشيء توهمَ أنّ ذلك تجارةٌ فنفى الربحَ والمقصودُ نفيُ التجارة أي لا تجارة فلا ربح نحو: لا منارَ فلا هداية.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ تَمَّمَ المعنى المقصود بهذه الجملة[٣]، ويقال لهذا في عِلْمِ البيان: التَّتميمُ. ويقول: هذه الجملة إخبارٌ بأنّ هؤلاء ما سبقتْ لهم هِدايةٌ بالفعل لئلا يتوهم من قوله «بالهدى» أنّهم كانوا على هُدىً فيما مضى فَبَيَّنَ «وما كانوا مهتدين» مجازَ قوله «بالهدى» ودَلَّ على أن الذي اعْتَاضُوا الضلالةَ به إنما هو التمكنُ من إدراك الهدى، فالمثبتُ في الاعتياضِ غيرُ

---

(١) ق: والضلال.

(٢) صدر بيت لامرىء القيس في ديوانه ص٦٦، وعجزه:

إذا سافه العَوْد النّباطي جرجرا

(٣) «بهذه الجملة» مكررة في ق.

المنفي أخيراً لأنَّ ذلك بالقول وهذا بالفعل.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾.

المِثْل والمَثَل كالشِّبْه والشَّبَه وأصله الوصفُ. والمَثَلُ: القولُ السائرُ الذي فيه غَرابةٌ. وضَرْبُ المَثَلِ يُؤثِّرُ في القلبِ ما لا يؤثرُ وصفُ الشيءِ نفسِهِ إذْ فيه تشبيهُ الخَفيِّ بالجَلِيِّ والغائبِ بالشاهد. وكما ذَكَرَ تعالى أوصافاً لهم سابقة ضربَ المثل زيادةً في كشفِ أحوالهم فقال: «مثلهم كمثل الذي استوقد» أي: قِصتُهُم ووصفُهُم مثلُ وصفِ الذي استوقد، أي الجمع الذي استوقد، ويدلُّ على ذلك قولُه «ذهب الله بنورهم» فالذي: وصفٌ لِمُفْرِدٍ في معنى الجمع، وليس الذي مثل مَن، له لفظٌ ومعنى كما نُقِلَ عن أبي عليٍّ والأخفش. وقُرِىء: الذين جمعاً، وتخريجُهُ إمَّا على أنّها كَمَنْ على ما قَالاَهُ، وإمَّا أنّه أُفْرِدَ على تَوَهُّمِ أنَّهُ نَطَقَ بمن.

و﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ بمعنى أوقد وقد حَكاهُ أبو زيد، وقيل هي للطلب. ونكَّرَ ﴿نَارًا﴾ نَّ مُقَابِلَها من وصفِ المنافق نزر يسير منِ اليقين بالإسلام، وجوانحُهُ منطويةٌ على الكُفْرِ والنفاق فاكتفى بالمُطْلَقِ. ويقال: ضَاءَ المكان وأضاء النُّور، ويُستعمَلُ أضاء أيضاً لازماً. والأظهرُ أنّ «ما» مفعول، أي: أضاءت النارُ المكانَ الذي حوله. وجَوَّزُوا أن تكون «ما» نكرة موصوفة، وأن تكون «ما» هي الفاعلة[1]، وأضاء [٩/أ] لازم، أي: الجهة التي حوله، أنَّثَ [الفعل] على معنى ما. وجوابُ لَمَّا هو «ذهب الله بنورهم». وأجاز الزَمخشريُّ أن

(١) ط: الغاية.

يكونَ جوابُ لَمَّا محذوفاً تقديره: خَمَدَتْ. قال[1]: هو أَوْلَى.

و﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ قال الزمخشريُّ[2]: الضمير في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ عائدٌ على المنافقين، والجملةُ جوابُ سؤالٍ مُقَدَّرٍ كأنّه قِيلَ: ما بالهم قد أَشْبَهت حَالُهم حالَ هذا المستوقد؟ فقد قيل: ذهب الله بنورهم، أو هي بدلٌ من جملةِ التمثيلِ على سبيل البيان. ولم يَكْتَفِ الزمخشريُّ بأن جَوَّزَ حذفَ هذا الجواب حتى [ادَّعى] أنَّ الحذفَ أَوْلَى، قال[3]: وكان الحذفُ أولى من الإثباتِ لما فيه من الوجازةِ مع الإعرابِ عن الصفة التي حصل عليها المستوقدُ بما هو أبلغ [من] اللفظِ في أداء المعنى كأنّه قيل: ولما أضاءتْ ما حوله خَمَدتْ فبقوا خَابِطينَ في ظلامٍ مُتَحيِّرينَ مُتَحسِّرينَ على فواتِ الضَوْءِ خائبينَ بعد الكدحِ في إحياء النار، انتهى.

وهذا الذي ذكره نوعٌ من الخطابة لا طائلَ تحتها لأنَّهُ كان يمكن لهُ ذلك لو لم يَكُنْ [تلا] قولَهُ[4] «فلما أضاءت ما حوله» قولُهُ «ذهب الله بنورهم». وأمَّا باقي كلامه بعد تقدير: خمدَت، إلى آخره، فهو مما يُحَمِّلُ اللفظَ ما لا يحتَمِلُهُ ويُقَدِّرُ تَقاديرَ وجُمَلاً محذوفةً لم يَدُلَّ عليها الكلامُ، وذلك عادتُهُ في غير ما كلام في معظم تفسيره. ولا ينبغي أن يُفَسَّرَ كلامُ [اللهِ] بغير ما يحتمل ولا أن يُزَادَ فيه؛ بل يكون الشرحُ طِبْقَ المَشْروح من غيرِ زيادةٍ عليه ولا نقضٍ منه.

ولما جَوَّزُوا حذفَ الجواب تكلموا في قوله تعالى: «ذهب الله بنورهم»

---

(١) الكشاف: ١: ١٩٩.

(٢) الكشاف: ١: ١٩٩.

(٣) الكشاف: ١: ١٩٩.

(٤) ق: لو لم يمكن قوله، والتصحيح من ط.

فخَرَّجُوا ذلك على وجهين: أَحَدُهُما: أنْ يكونَ مُستأنفاً جوابَ سؤالٍ مُقَدَّرٍ كأنَّهُ قيل: ما بالهم قد أَشْبَهَت حالُهُم حالَ هذا المستوقد؟ فقيل «ذهب الله بنورهم». والثاني: أن يكون بدلاً من جملةِ التمثيل على سبيل البيان، قالهما الزَمخشريُّ[1]. وكِلاَ الوجهين[2] مبنيّان على أنَّ جوابَ لَمَّا محذوفٌ، وقد اخترنا غيره وأنَّهُ قوله تعالى: «ذهب الله بنورهم» والوجه الثاني من التخريجين اللَّذين تقدم ذِكْرُهما وهو أن يكون قولُه: «ذهب الله بنورهم» بدلاً من جُملةِ التمثيلِ على سبيلِ البيان، لا يظهرُ لي صحته لأنَّ جملةَ التمثيل هي قوله[3]: «مثلهم كمثل الذي استوقد نارا» فجَعْلُه «ذهب الله بنورهم» بدلاً من هذه الجملة على سبيل البيان لا يَصِحُّ، لأنَّ البدلَ لا يكون في الجمل إلاَّ إنْ كانت الجملةُ فعليةً تُبدلُ من جُملةٍ فعليةٍ فقد ذكروا جوازَ ذلك. وأمَّا أن تُبدَلَ جملةٌ فعليةٌ من جملةٍ اسمية فلا أعلمُ أحداً أجازَ ذلك، والبدلُ على نية تكرار العامل، والجملةُ الأولى لا موضعَ لها من الإعرابِ لأنَّها لم تَقَعْ موقعَ المفرد فلا يمكن أنْ تكونَ الثانيةُ على نية تكرارِ العاملِ إذْ لا عاملَ في الأولى فيتكرر في الثانية فبطلت جهةُ البَدَلِ فيها، انتهى. والظاهرُ أنَّ «نارا» حقيقةٌ في النار التي اسْتُوقِدَتْ، وإذهاب اللهِ نُورَهُم بأمرٍ سماوي. والباءُ في «بنورهم» للتعديةِ مرادفةٌ للهمزة واللهُ تعالى لا يُوصَفُ بالذهاب.

﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾: «في ظلمات» متعلق بِتَرَكَهُمْ، و«لا يبصرون» في موضع الحال. [أو «في ظلمات» في موضع الحال] فيتعلق

---

(١) الكشاف ١ : ١٩٩.

(٢) ق: الوصفين.

(٣) ق: قولهم. لا

بمحذوف، و«لا يبصرون» حالٌ أيضاً إمّا من الضمير في «تركهم»، وإمَّا من الضمير المُسْتكنّ في المجرور. فإنْ كان «ترك» يتعدى إلى اثنين كان «في ظلمات» الثاني و«لا يبصرون» حالٌ، ولا يجوز العكسُ لأنَّ الخبرَ لا يكون مؤكداً.

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

وقرىء: «صم بكم عمي» بالرفع أي: هم. وهي أخبارٌ متباينةُ الوضعِ لكنَّها في معنى خبرٍ واحد وهو عَدَمُ قَبُولهم الحَقّ. وقُرىء بنصب الثلاثة. وجُوِّزَ وجوهٌ أَحْسَنُها النصبُ على الذَّم. والظاهرُ أنَّ هذا كُلَّهُ من أوصافِ مَنْ شَبَّهَ وصفَ المنافقين بوصفِهم [و]بالغ في ذلك. ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: جواباً، لأنّ من اشتدت عليه تلك المشاعرُ [٩/ب] لا يمكن أنْ يرجعَ جواباً لمن يُخَاطِبُهُ.

وجهةُ[١] المُمَاثلةِ بين المنافقينَ والمستوقد إنْ قلنا إنَّه من تمثيلِ المفردات: أنَّ اسْتِيقَادَ النارِ مقابلٌ لِمَا أظهروا من إسلام إذ حَقَنُوا به دماءهم وعَصَمُوا به ذرياتهم وأموالهم. وإضاءةُ النار كونهم جَرَت عليهم أحكامُ المسلمين. وذهابُ النور مقابل لما فضحهم اللهُ به أنّهم ليسوا بمؤمنين «وتركهم في ظلمات» مقابلٌ لتماديهم على كفرهم ونفاقهم. و﴿ صُمٌّ ﴾ وما بعده مقابلٌ لكونهم لا يقبلون الحقَّ والإيمان أبداً. ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ مقابلٌ لكونهم لا كلمةَ لهم ولا مراعاة فهم كَمَنْ حُرِمَ مراجعةَ مَنْ يقهره.

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

---

(١) ق: وجه.

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ معطوفٌ على «كمثل» و«أو» هنا للتفضيل. وكان مَنْ نظر في حالِهم منهم مَنْ شُبِّه بحالِ المُسْتوقِد، ومنهم من يُشَبَّهُ بحالِ ذوي صيِّب[1] فهو على حذفِ مضافٍ[2] يدلُّ عليه الضميرُ في «يجعلون». والصَيِّبُ: المطرُ النازلُ والسحابُ أيضاً، ووزنه عند البصريين فَيْعِل بكسرِ العَيْن، وعند البغداديين بفتحها، وعند الفراء فعيْل فقلب.

والسَّماء: المظلَّةُ، والسماءُ ما عَلاَكَ من سَقْفٍ ونحوه وجُمعت على سماواتٍ وأَسْمِيَةٍ وسِميَ وهي جموعٌ لا تَنْقَاسُ. وقُرِىءَ: أو كصائبٍ، اسمُ فاعلٍ من صَابَ يَصُوبُ، وصَيِّب أبلغ. والرعدُ: الصوتُ المُزعِجُ المسموعُ من جهة السماء. والبرقُ: الجِرْمُ النُّورانيُّ الذي يُشَاهَدُ ولا يَثْبُت. جَعَلَ الصَّيِّبَ مَقَرّاً لهذه الأشياء على سبيلِ المجازِ مَجازِ المُصَاحَبَةِ.

﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾ إنْ كان بمعنى يُلْقُون تَعَدَّى إلى واحد. و«في آذانهم» متعلق بـ«يجعلون». وإنْ كان بمعنى يَصِيرونَ كان «في آذانهم» في موضعِ المفعول الثاني. والصاعقةُ: الوقعةُ الشديدةُ من صوتِ الرَّعد معها قِطَعٌ من نارٍ تَسقطُ مع صوتِ الرعد لا تَمُرُّ بشيءٍ إلا أَتَتْ عليه، وهي سريعةُ الخُمود. والصاقعةُ[3] لغةُ تميم، والتعريف جاء على التركيبَيْنِ فلا تكون صاقعة[4] مقلوبة من صاعقة خِلافاً لِمَنْ ذهبَ إلى ذلك. وقال ابنُ عرفة: والصاعقةُ أيضاً العذابُ. و«من» في «من السماء» متعلقٌ بصيِّبٍ أو في موضعِ الصفةِ أي كائنٌ من أمطارِ السَّمَاءِ. وظلماتُ الصيِّبِ تكَاثُفُه وانْتِسَاجُه وتتابُعُ

(١) ط: منهم من شبّهه بحال المستوقد ومنهم من شبّهه بحال ذي صيّب.

(٢) ق: حذف مصدر.

(٣) ق: والصاعقة.

(٤) ق: صاعقة.

قطرِه وظُلْمَةُ ظلالِ غمامِه وظلمةُ الليل.

وأفرد «رعد وبرق» وإنْ كانوا قد قالوا رُعُودٌ وبُرُوقٌ، إمّا لأنَّهم أرادوا المصدرَ فكأنَّهُ إرعادٌ وإبراقٌ، وإمّا إنْ أُريدَ بهما[١] المعنيان فإنَّ كُلّاً منهما يُسمَّى بالمصدر فَرُوعِيَ حكمُ أصْلِهما وإنْ كان المعنى على الجمع. ونُكِّرَت الثلاثةُ لأنَّه ليس المقصود العموم. والظاهر أنَّ «يجعلون» جواب سؤالٍ مُقَدَّرٍ أي: فكيفَ حالُهم؟ لا في موضع جرٍّ صفة «الذوي» المحذوفة، ولا في موضعِ حالٍ من الضمير في «فيه». والعائدُ محذوفٌ نابَتْ عنه أل في «الصواعق» أي: من صواعقِه. و«من» سَبَبِيَةٌ متعلقةٌ بـ«يجعلون». وقرىء: من الصواقع[٢]. و﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ أعربوه مفعولاً من أجله. ولا يكونُ للفِعْلِ إلا مفعولٌ له واحد إلَّا بالعطفِ فقد يَتعدَّد، أو بالبدل. وقيل: «حذر» مصدر، أي: يَحْذَرونَ حَذَرَ الموت. وقُرىء: حذار مصدر حاذر. وإحاطتُه تعالى بهم كنايةٌ عن كونه لا يَفُوتُونَهُ كما لا يفوتُ المُحَاط به المُحِيط، وإحاطتُه بالعلمِ والقدرةِ على إهلاكِهم.

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿يَكَادُ﴾ مضارعُ كاد وفيها لغات: فَعِل وفَعُل، وكذلك تقول: كُدت وكَدت وهي من أفعال المقاربة. والخَطْفُ: أخذُ الشيءِ بسرعةٍ. وجوَّزُوا في «يكاد» أنْ يكون جواباً لسؤالٍ مُقَدَّرٍ كأنَّهُ قيل: كيف حالُهم في ذلك البرق؟ وأنْ يكون في موضع جَرٍّ صفة «الذوي» المقدّر حذفه في «صَيِّب». وأل في

(١) ق: بهم.

(٢) ق: الصواعق.

«البرق» نائبُ منابٌ الضمير وهي للعهدِ إذْ قد تقدم ذكره. وقرىء: ويخطِفُ بكسر الطاء مضارع خَطِف [١٠/أ] بفتحها وكسرها في الماضي لغة قريش، ويتخطف ويَخطّف ويُخطِّف ويَخطف. وما: مصدرية ظرفية، وانتصاب «كلّ» على الظرف سَرَتْ إليه الظرفيةُ من إضافته[1] «لما» المصدرية الظرفية. و«ما» مثل هذه يرادُ به العمومُ تقول: أصحبكَ ما ذرَّ شارق، يريدُ العموم. «فكلّ» في مثل هذه أكّدت العمومَ الذي أفادَتهُ «ما» الظرفية ولا يرادُ مطلقُ الفعل والتقدير: كل وقتٍ أضاءت.

و﴿أَضَآءَ﴾ إنْ كان متعدياً فالمفعولُ محذوفٌ، أي: أضاء لهم الطريقَ، وعاد الضميرُ في «فيه» على الطريق، أو يكون التقدير: مَشَوْا في نُورِه فيعودُ على البرق. وإنْ كان لازماً أي كُلَّما لمعَ البرقُ مشوا في نورِه. وهذه الجملةُ استئنافٌ كأنّه قيل: فما حالهم في حَالَتيْ وميضِ البرقِ وخَفائِه؟ فقيل كذا. وقُرىء: أُظلم مبنياً للمفعول وتخريجه على أنَّ التقدير: وإذا أظلم الليل [عليهم، حذف الفاعل وأقيم المجرور مقامَهُ. والمحفوظُ أنّ أظلم لا يتعدى وجعله الزمخشري متعدياً] بنفسه وقال: قد جاء في شعرِ حبيب متعدياً قال[2]: [من الطويل]

هما أظلما حاليّ ثُمّتَ أجليا ظلامَيْهما عن وجهِ أمردَ أشيبِ

﴿قَامُواْ﴾ ثَبَتُوا لا يَبْرَحُونَ لشدةِ الظُّلمةِ. وفاعلُ «أظلم» ضميرٌ يعود على اللّيل المفهومِ من سياقِ الكلام. وصُدِّرَت الجملةُ بكُلَّمَا والثانيةُ بإذا، قال

(١) ق: إضافة.

(٢) ديوان أبي تمام ١: ١٥٠. وكتب في الحاشية: الطويل. وانظر الكشاف ١: ٢٢٠.

الزمخشري[١]: لأنهم حِرَاصٌ على وجود ما هِمَمُهُم به معقودةٌ من إمكانِ المشيِ وتَأَتِّيه، فكلما صَادَفُوا منه فرصةً انتهزوها، وليس كذلك التوقف والتَّحَبُّس[٢] انتهى. ولا فرقَ هنا بينَ «كلما» و«إذا» لأنَّهُ متى فُهِمَ التكرارُ من «كلما» لَزِمَ منه التكرار في «إذا» لأن الأمرَ دائرٌ بين إضاءةِ البرقِ والإظلامِ، فمتى وُجِدَ هذا فُقِدَ هذا، فيلزمُ من تكرارِ وجود هذا [تكرار] عَدَمِ هذا. ومفعولُ «شاء» محذوفٌ، وكثيراً ما يُحذفُ لدلالةِ المعنى عليه خصوصاً بعد [لو و] أدوات الشرط. وتقدم ذِكْرُ الآذان والأبصار فقال «لذهب بسمعهم وأبصارهم» وقُرىء: بأسماعهم. وأعقبَ تعالى على ما علَّقه على المشيئةِ بالقُدرةِ لأنَّ بالمشيئةِ[٣] والقدرةِ تمامَ الأفعال. وكان بصيغةِ المبالغةِ إذْ لا أحَقَّ بها منه.

ولما بالغَ في حالِ المُستوقِدِ وما عَرَضَ له بالغَ في حالِ هؤلاءِ النَّفَـرِ وما عَرَضَ لهم من الحَيْرةِ. والمبالغةُ في حال المُشَبَّه به[٤] تقتضي شِدَّةَ المبالغة في حال المشبّه. ونحنُ نختارُ أن هذين التشبيهين هما من التمثيلاتِ المُرَكَّبة، ومن المفسِّرين مَنْ جعلَ ذلك من قبيل التمثيلات المفردة فقابلَ شيئاً من أوصافِ المُشَبَّه به بشيءٍ من أوصاف المُشَبَّه. وقد تقدم شيءٌ من ذلك في تمثيل المستوقد، وأما هنا فقال: قابل [الله] القرآنَ بالصيِّب لنزولِه من عُلُوٍّ، وعَمَاهُم عن تَعَقُّلِه بالظلماتِ، والوعيد والزجر بالرعدِ، والنور

(١) الكشاف ١ : ٢٢٠.

(٢) ق: والتجسس.

(٣) ق: المشيئة.

(٤) ق: بما.

والحجج الباهرة بالبرقِ، وتخويفهم[١] بجعل أصابعهم في آذانهم، وتكاليف الشرع بالصواعق.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

ولما ذكر تعالى المُكلَّفين من المؤمنينَ والكفار المختوم عليهم بالموافاةِ على الكفر، والمنافقين وصفاتهم وأحوالهم، وما يَؤُولُ [إليه] حالُ كُلٍّ منهم وأبرزَ حالَ المنافقينَ في أسوأ صُوَرِ الأمثال، خاطبَ جميع النَّاس مُقْبِلاً عليهم بالنِّداء لأنَّ فيه هدًى لما يُلْقيه إليهم من أمرِ العبادةِ له. و«يا» حرف نداء، ومع كثرة النِّداء في القرآن لم يُنادَ إلا «بيا» دونَ سائرِ حُروفِ النداء، و«أيّ» لها محامل وهي هنا المنادى يُوصل بها إلى نداء ما فيه أل. و«ها» حرفُ تنبيهٍ لازم لا يجوزُ حذفُهُ. والنَّاسُ صِفةٌ «لأيّ» واجبٌ رفعها. ولفظ «ربكم» مناسب إذ هُو السيِّدُ والمُصْلِحُ. ومَنْ كان مالكاً أو مصلحاً أحوالَ العبد فجديرٌ أن يُعبدَ ولا يُشركَ به. ونبَّه بوصف الخلق على استحقاقِه للعبادةِ دونَ غيره ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل] [١٠/ب] والخَلْقُ الاختراعُ والإيجادُ على تقديرٍ وترتيب.

﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ قَدَّمَ خَلْقَ المُخَاطَبينَ وإنْ كان [مَنْ] قَبْلَهم تقدمَ زمانُ خَلْقِهم، لأنَّ عِلْمَ الإنسانِ بحالِ نفسه أظهرُ من عِلْمِه بأحوالِ غيرِه ولأنَّهم المُواجَهونَ بالأمرِ بالعبادة فتَنْبيهُهم أولاً على أحوالِ أنفُسِهم أهمُّ وآكدُ. وبدأ أولاً بصفةِ الخَلْقِ إذ كانت العربُ مُقِرَّةً بأنَّ الله خالقُها وهم المخاطبون والنَّاسُ تَبَعٌ لهم إذْ أُنزلَ القرآنُ بلسانهم. ودخلت «من» هنا على الزمان إذ

---

(١) ق: ويخوفهم.

التقديرُ: من زمن قبلَ زمانِ خَلْقِكم. وقُرِىء: مَن بفتح الميم قيل منصوباً. وخَرَّجَ الزمخشريُّ[١] ذلك على إقحام الموصول الثاني كما أقحم في:

يا تيمُ تيمَ عدي [من البسيط]

والأحسنُ في تخريجِ هذه القراءة الشّاذّة أنْ يكونَ على إضمارِ مبتدأ محذوفٍ تقديرُه: والَّذينَ هُمْ من قبلكم. وذكرَ خلْق من قبلهم لأنّهم أُصولُهُم، فخلْقُ أُصولِهم إنعامٌ على الفروع.

ولَعَلَّ: فيها لغاتٌ ولم يجىءْ في القرآن إلاّ أفصحُها، وهي للترجّي والإطماع وذلك بالنِّسبة إلى المخاطَبينَ. والمعنى: إذا عبدتم ربَّكُم رَجَوْتُم حصولَ التقوى وهي التي يحصلُ بها الوقايةُ من النّارِ والفوزُ بالجنّة، وتعلقت جملةُ الرجاء «باعبدوا»، وذكر الزمخشريُّ[٢] وابنُ عطية تَعَلُّقَها «بخلقكم». والذي نودوا لأجله هو الأمرُ بالعبادةِ فالموصولُ وصِلَتُه على سبيلِ المَدْحِ الذي تَعلَّقتْ به العبادةُ فلم يجىء الموصولُ لِيُحَدَّثَ عنه بل في ضمن المقصودِ بالعبادة. وأما صلته فلم تجىء لإسنادِ مقصودٍ إنَّما جيء بها[٣] لتتميمِ ما قبلها فلا يتعلقُ بها تَرَجٍّ بخلافِ «اعبدوا» فإنّها الجملةُ المُفْتَتَحُ بها أولاً والمطلوبةُ[٤] من المخاطبين، وإذا تعلقت «باعبدوا» ناسب خطاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

---

(١) انظر الكشاف ١: ٢٢٨. والبيت لجرير في ديوانه ١: ٢١٢ وكماله:

يا تيم تيم عدي لا أبالكم — لا يوقعنكم في سوأةٍ عمر

(٢) انظر الكشاف ١: ٢٣٠.

(٣) ق: فلم يجىء.. جيء به.

(٤) ق: والمطلق به.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ ﴾ يجوز رفعه خبرَ مبتدإٍ محذوف، ونصبه صفة لما قبله أو على القطع، وأُجيزَ رفعُهُ على الابتداء والخبر «فلا تجعلوا لله أنداداً» وهو في نهاية الضَّعفِ لِمُضِيِّ الصِلةِ فلا يناسبُ دخول الفاء في الخبر وللربط بالاسم الظاهر وهو «الله» [أي]: فلا تجعلوا له. وأجاز مَكّيٌّ رحمه الله أن ينتصب على: أعني. وليس بالتفسير فيحتاج إلى إضمار أعني، وأن ينتصب «بتتقون»، وهو إعرابٌ تَنَزَّهَ القرآنُ عنهُ. والأحسنُ جَعْل «جعل» بمعنى صَيَّر فينتصب «فراشاً» و«بناءً» على المفعول لا بمعنى خلق فينتصبان على الحال.

ومعنى ﴿ فِرَٰشًا ﴾ تستقرون عليها، والفراشُ والمِهادُ والبساطُ والقرار والوِطاءِ نظائر. والبناءُ مصدرٌ يُرَادُ به المبنى وهو تشبيهٌ بما يفهم كقوله ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات] شُبِّهت بالقبةِ المبنية على الأرض. و﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ متعلقٌ بأنزل، أو في موضع الحالِ فتتعلق بمحذوف إذ لو تأخر لكان صفة لـ«ماءً» فيكون التقدير: من مياهِ السماء. ونكَّر ماءً لأنَّ المنزَل لم يكن عاماً فتدخل فيه أل. ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ ﴾ أي: بالماءِ، والباء للسببية، وهذه السببيةُ مجازٌ وهو تعالى قادر على أن يُنْشِىَء الأجناسَ وقد أنشأها من غير مادةٍ ولا سببٍ، ولكنْ لما وجد خلقه بعض الأشياء عند أمرٍ ما أَجْرى ذلك الأمرَ مجرى السببِ لا أنّه سببُهُ حقيقةً. و«مِن» للتبعيض، و«أل» في الثمرات لتعريف الجنس، وجُمِعَ لاختلاف أنواعه. ولا حاجة إلى ارتكاب[1] أنّ

(١) كذا في ق، ط ولعلها: إلى أن يقال.

الثّمرات من باب الجموع التي يَتَعاوَرُ بعضُها موضعَ بعضٍ لاكتفائهما في الجمعية نحو ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الدخان] و﴿ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة] فقامت الثّمراتُ مقامَ الثّمر أو الثّمار كما ذهب إليه الزمخشريُّ[١]. وأَبْعَدَ مَن جعل «مِن» زائدة وأل في ﴿ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ للاستغراقِ لأنّ زيادةَ «مِن» في الواجب وقيل معرفة انفرد بجوازه الأخفشُ. ولأنّ من الثّمراتِ ما لا يكونُ رزقاً لنا فلا يصحُّ الاستغراقُ [١١/أ] واحتمل ﴿ رِزْقًا ﴾ أن يكون كالطحن فينتصب على الحال، وأن يكون مصدراً فيكون مفعولاً من أجله، وقُرِىء: من الثمرة على التوحيد. و«لكم» في موضع الصفة إنْ كان «رزقاً» بمعنى المَرْزُوقِ، وفي موضع المفعول إنْ كان مصدراً، وجوّز أن يتعلق «بأخرج».

وقَدَّمَ خلقَ الإنسانِ لأنّه أقرب إلى معرفته[٢]، ثم خَلْقَ الأرض لأنّها أقرب إليه من السماء، وقدّم السماءَ على نزولِ المطرِ وخروجِ الثمراتِ لأنّه كالمتولِّد بين السماء والأرض، والأثرُ متأخرٌ عن المؤثِّر. قال أبو عبيدة: النِدُّ الضدّ وقيل الكفء والمِثْل. ولما كانوا اتَّخذُوا أنداداً جاء النهيُ عن جعل أنداد الله تعالى على حسب الواقع. وهذه الجملة متعلقةٌ بقوله ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ﴾ أي: فَوحِّدُوه وأخلِصُوا له العبادةَ لأنّ أصلَها هو التوحيد. وقال الزمخشريُّ[٣]: تتعلق بلعلَّ على أن ينتصبَ «تجعلوا» انتصاب «فأطلع» في قوله ﴿ لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [غافر] في رواية حفص عن عاصم، أي: خلقكم لكي تَتَّقُوا[٤] وتخافوا عِقابَهُ ولا تُشَبِّهُوهُ

---

(١) انظر الكشاف ١ : ٢٣٥.

(٢) ق: أقرب إلى خلق معرفة.

(٣) الكشاف ١ : ٢٣٦.

(٤) ق: تتقون.

بخلقه، انتهى. فعلى هذا لا تكون «لا» ناهية بل نافية، و«تجعلوا» منصوب على جوابِ الترجِّي ولا يجوز على مذهب البصريين. وفي كلامه تعليق ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ «بخلقكم» على ما مَرَّ من مذهبه الاعتزالي. ويجوزُ أن يكونَ متعلقاً بالموصول وصلاته إذا جعلت «الذي» خبرَ مبتدأ محذوف أي: هو الذي جعل لكم هذه الآيات العظيمة والدلائل النَيِّرَةِ على توحيده.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جملة حالية فيها هزءٌ لتركِ الأنداد، أي: أنتم من أهل العلم والتمييز بين الحقائق فلا تفعلوا فِعْلَ أجهلِ العالم وأبْعَدهم عن الفطنة. وقدَّروا مفعولِ «تعلمون» أنواعاً من التقادير، والأَوْلَى أن يكون متروكاً إذ المقصودُ إثبات أنّهم من أولي العلم. قال ابنُ عطية[1]: هذه الآية تعطي أنّ الله تعالى أغنى الإنسان إلى آخر كلامه. وهذا خطأ في التركيب لأنّه لا ينوبُ إن ومعمولاها مناب مفعولي أعطى بخلاف باب ظن.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية: ليست «إن» بمعنى «إذ»، ولا «كان» هنا ماضية المعنى واللفظ، ولم تُخلصْه «إن» للاستقبال، وإن كان الريبُ وقعوا فيه حقيقة كما زعموا، بل أخرجَ هذا الشرطَ في صورةِ المستقبل أي: هو مما يَعرضُ وقوعُه وإنْ كان لا يمكن وجودُه، إذ وضوحُ انتفاء أن يكون في ريبٍ من جهته غير خافٍ. و«في ريب» هو من تنزيلِ المعاني منزلةَ الأجرام. و«من» تحتمل ابتداء الغاية والسببية. «ما» موصولة أي: من الذي نَزَّلنا

---

(١) المحرر الوجيز ١ : ١٩٣.

والعائد محذوف أي أنزلناه، وأُجِيزَ أن يكونَ نكرةً موصوفةً. و«نزلنا» تضعيفه مرادف للهمزة التي للنقل، وقرىء: أنزلنا.

وليس التضعيفُ هنا دالاً على نزولِهِ مُنَجَّماً في أوقاتٍ مختلفة خلافاً للزمخشريّ[١]، قال: فإن قلت: لم قيل «مما نزلنا» على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ قلتُ: لأنَّ المرادَ النزول على سبيل التدريج والتنجيم[٢]، وهو من مَحازِّه[٣] لمكان التحدي، انتهى. وهذا الذي قاله الزَّمخشريُّ في تضعيفِ عينِ الكلمة هو الذي يُعَبَّرُ عنه بالتكثيرِ أي: يفعلُ ذلك مرة بعد مرة فيدل على هذا المعنى بالتضعيف، وذهل الزّمخشريُّ عن كونِ ذلك إنَّما يكونُ في الأفعالِ التي تكون قبل التضعيف متعديةً نحو: جَرَّحتُ زيداً وفتَّحتُ البابَ وقطَّعتُ وذبَّحتُ، فلا يقال: جَلَّسَ زيدٌ ولا قَعَّدَ [عمرو] ولا صوّم. و«نزّلنا» لم يكن متعدياً قبلَ التضعيفِ إنما تَعَدَّى بالتضعيفِ أو الهمزة، فإنْ جاء التكثير في لازم فهو قليلٌ ويبقى على حالِه لازماً قالوا: ماتَ المال ومَوَّتَ إذا كَثُر ذلك فيه[٤]. وأيضاً فالتضعيفُ الذي يُرادُ به التكثير إنّما [١١/ب] يدلُّ على كثرة الفعل، أما أن يصير اللازم متعدياً فلا. و«نزّلنا» كان قبل التضعيف لازماً تقول: نَزَلَ القرآن، ويدلُّ على بُطلانِ ما ذهب إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ ﴿٣٢﴾﴾[الفرقان][٥].

وفي قوله: ﴿نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ التفاتٌ إذ هو خروجٌ من غائبٍ إلى متكلم

---

(١) الكشاف ١ : ٢٣٨.

(٢) ق: والتفخيم.

(٣) جمع محزّ، من الحزّ بمعنى القطع.

(٤) ق: مات الأول موتاً إذا كثر ذلك منه.

(٥) ق: وقالوا.

ويُفيد التفخيمَ للمُنْزَلِ والمُنْزَلِ عليه. وفي إضافةِ العبد إليه تعالى تنبيهٌ على عِظَمِ قَدْرِه واختصاصه بخالِص العبودية. ولفظ العبد عام وخاص وهذا من الخاص: [من السريع]

لا تَدْعُني إلا بِيَا عَبْدها لأنـه أشـرفُ أسمـائي[1]

وقُرِىء: على عبادنا، يعني الرسولَ وأمتَهُ، قيل: ويحتمل أن يُرَادَ بالعباد النبيُّون الذين أنزل عليهم الكتب. والرسولُ صلى الله عليه وسلم أولُ مقصودٍ بذلك.

والسورةُ: المنزلةُ الرفيعةُ، وسميت سورة القرآن بذلك لأنّه يَشْرُف بها قارِئُها. وقيل: قطعة من القرآن من: أَسْأَرت من السُؤْر، والهمزةُ في سؤرة لغة. وطَلَبَ منهم الإتيانَ بِمُطْلَقِ سورةٍ وهي التي أَقَلُّها ثلاث آياتٍ. وتقدم «وإن كنتم في ريب مما نزلنا» ولم يكن التركيب: في ريب من عبدنا، فناسب أن يكونَ الضميرُ في «من مثله» عائداً على المُنْزَلِ لا على المنزل عليه. والمطلوب في غير هذا أنْ يأتوا بسورةٍ مِثْلِه وبعشر سورٍ مثله وقال ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]. و«من» في موضع الصفة أي: من كلام مثله، وقولُ مَنْ قال إنها لبيانِ الجنس أو زائدة مَرْغوبٌ عنه. والمِثْلِيَّةُ في حُسْنِ النَّظْمِ وبديعِ الوصف وغرابةِ الأسلوب والإخبارِ بالغيب مما كان وما يكونُ وما احتوى عليه من الأمر والنَّهي والوعد والوعيد والقَصص والحكم والمواعظ والأمثال والصدق والأمن من التحريف والتبديل. وقيل: الضمير في «مثله» عائدٌ على المُنْزَلِ عليه «فمن» متعلقةٌ بقوله «فأتوا» أي: فائتوا من مثل الرسول بسورة، أو في موضع الصفة أي

(١) ق: من أشرف، وبه ينكسر الوزن، وهو في القرطبي ١: ٢٣٢ غير منسوب.

بسورةٍ كائنةٍ وصادرة من رجلٍ مثله. وفي كلا التقديرين «من» لابتداء الغاية. والمثليةُ تتجه على كونه على الفطرة الأصلية أُمّياً لا يُحْسِنُ الكتابةَ ولا دَارَسَ العلماءَ ولا جالسَ الحكماءَ ولا فارقَ وطنه الذي نشأ فيه. وإذا كان الضمير في «من مثله» عائداً على المُنْزَل فذكر المثل على سبيل الفرض.

والشهداء: جَمْعُ شهيدٍ للمبالغة كعليم وعلماء، وكونُهُ جمع شاهد كشاعر وشعراء ليس [من] باب فاعل. وقال الزَّمخشريُّ: ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك ولكنّه مثلُ قول القبعثري للحجّاج و[قد] قال له: لأَحْمِلَنَّكَ على الأدهم - مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب. أراد مَنْ كان على صفة الأمير من السلطان والقوة وبَسْطَةِ اليد ولم يقصد أحداً يجعله مثلَ الحجاج، انتهى كلامه[١]. وقد فسّر هو المثلية في كونه بشراً عربياً أمّياً لم يقرأ الكتب، فقوله: لا مثل ولا نظير ليس بظاهر لأنَّ التماثل في هذا الشيء الخاص موجود.

و﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يتعلقَ بشهدائكم أي: ادعوا من اتخذتم آلهة من دون الله وزعمتم أنّهم يشهدون لكم أنَّكُم على الحقِّ، أو ادعوا أعوانكم[٢] من دون الله، أي من دون أولياء الله ومَنْ تَستعينونَ بهم دون الله، ويتعلق «بادعوا» أي: وادْعُوا من دون الله أي لا تستشهدوا بالله تعالى فتقولوا[٣]: الله يشهد أنّ ما نَدَّعِيهِ حق. ولم يكتفِ في تعجيزهم بأنْ يعارضوه حتى أمرهم أن يدعوا بشهدائهم فيستعينوا[٤] بهم على ذلك، وهو

---

(١) الكشاف ١: ٢٤٢.

(٢) ق: أو ادعوا أنكم.

(٣) ق: فيقولون.

(٤) ق: فيستعينون.

أمرُ تعجيزٍ. والظاهر أنّ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في كونكم في ريبٍ من المُنْزَلِ على عبدنا، وجواب الشرط محذوفٌ أي: فائتوا.

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ولما كان الأمرُ أمرَ تَهكُّمٍ وتعجيزٍ أخبر أنّهم ليسوا قادرينَ على المعارضة بقوله ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ وجاء بِلَنْ[1] وإنْ كان الغالب [١٢/أ] أنّها تدخل على الممكن تهكماً بهم على أنّها ربما تدخل على الممتنع. وعَبَّر بالفعل عن الإتيان لأنَّهُ ما من شيء من الأحداث إلا[2] يصحّ أن يعبّر عنه بالفعل. وفي كتاب ابنِ عطية تعليلٌ غريبٌ لعمل «لم» الجزم قال[3]: وجَزَمتْ «لم» لأنَّها أشبهت «لا» في التبرئة في أنَّهما ينفيان، وكما تحذف «لا» تنوين الاسم كذلك «لم» تحذفُ الحركةَ. ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ إثارة[4] لِهِمَمِهم ليكونَ عجزُهم بعد ذلك أبلغَ، وفيه دليلٌ على إثباتِ النبوَّةِ إذْ هو إخبارٌ بالغيبِ ولم يقع من أحدٍ معارضةٌ أصلاً. ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ جملة اعتراض لا موضعَ لها من الإعراب. وقال الزّمخشريُّ[5]: واقترانُ الفعل بلن في هذه الجملة دون لا وإنْ كانتا أُختين في نفيِ المستقبلِ، لأنَّ في «لن» توكيداً وتشديداً؛ تقول لصاحبك: لا أقيمُ غداً، فإن أنكر عليك قلت: لن أُقيمَ غداً، كما تفعل في: أنا مقيم وإنّي مقيم انتهى. وهذا مخالف لما ذكر عنه أنَّ «لن» تقتضي التأبيدَ

(١) ق: بأن.

(٢) ق: إلا لن يصح.

(٣) المحرر الوجيز ١: ١٩٥.

(٤) ق: إشارة.

(٥) الكشاف ١: ٢٤٨.

فيما نفي. وقال ابنُ خطيب زَمَلكي: «لن» تنفي ما قَرُب و«لا» يَمتدُّ النفيُ فيها. وهذا يكادُ يكونُ عكس قول الزّمخشريّ. وكون «لن» تقتضي التأكيدَ أو التأبيدَ ونفي ما قرب أقوال متأخرين، والرجوعُ في ذلك لمستقرىء اللسان سيبويه ومَنْ في طبقتِه؛ قال سيبويه[1]: «لن» نفيٌ لقولِه سيفعل، و«لا» نفيٌ لقولِه يفعل انتهى. وهو نصٌّ على أنّهما ينفيان المستقبل.

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ جواب الشرط الذي هو «فإن لم تفعلوا» وكنّى به عن تركِ العنادِ لأنَّ مَنْ عاند في وضوح[2] الحقِّ له استوجب العقابَ بالنّارِ، واتقاء النّار من نتائج ترك العناد. قيل: وعُرِّفت النّارُ ووصلت «التي» بما وصلت[3] لتقدم ذكرها في سورة التحريم[4] إذْ تلك الآيةُ نزلت بمكة وهذه بالمدينة. وقُرىء: وقودها، على أن يراد به الذي تُوقَدُ به، ووُقُودها بضم الواو وهو مصدر أي زُوِّد وقودُها، أو جعلوا المصدرية مبالغة، وحُكيَ المصدرُ بالفتح أيضاً. وقُرىء: وَقِيدُهَا: أي مَوْقُودُها. ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ يناسب أن تُفَسَّرَ بالأصنام لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء].

﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ الكثير في لسان العرب أنَّ الإعدادَ لا يكونُ إلا للموجود وهو التهيئةُ والإرصادُ قال الشاعر[5]: [من م. الكامل]

---

(١) انظر الكتاب ١ : ١٣٥.

(٢) ط: بعد وضوح.

(٣) ط: ووصفت بالتي وصلتها.

(٤) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

(٥) هو عمرو بن معد يكرب، والبيت في ديوانه ص٦٩.

أعـددتُ للحـدثـانِ سـا بغـــةً وعـــدَّاء علنـــدا

وقد يكون لما هو في معنى الموجود كقوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب] قال ابنُ عطية[1]: وفي قوله ﴿أُعِدَّتْ﴾ ردٌّ على مَنْ قال بأنَّ النَّارَ لم تُخلَقْ حتى الآن وهو القول الذي سقط فيه منذرُ بنُ سَعِيدٍ[2] انتهى. ولفظة ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ لا تدلُّ على اختصاصهم بدخولِ النار وإنّما نصّ عليهم لانتظامِ المُخَاطَبين فيهم والجملة استئنافُ إخبار. وقال أبو البقاء[3]: في موضع الحال من النار والعامل «فاتقوا» انتهى. وجعلها حالاً [لا] يظهر إذ يصير المعنى: فاتقوا النَّارَ في حالِ إعدادِها للكافرينَ وهي معدةٌ للكافرين اتَّقَى هؤلاء النَّارَ أو لم يَتَّقُوهَا فيكون إذ ذاك حالاً لازمة.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

والبشارةُ أولُ خبرٍ يردُ على الإنسانِ وأكثر ما يُستعمل في الخيرِ. ولَمَّا ذكرَ الكفارَ ومآلَهم ذكر مُقَابِلَهم المؤمنينَ ومآلَهم لتكون الموعظةُ جامعةً بين الوعيدِ والوعدِ، والمأمورُ بالتبشيرِ الرسولُ صلى الله عليه وسلم أو كُلُّ مَنْ تصح البشارةُ منه من غير تعيينٍ ولا نية. قال الزمخشري[4]: وهذا أحسنُ وأجزلُ فإنّه يُؤْذِنُ بأنَّ الأمرَ لعظمه وفخامةِ شأنهِ محقوقٌ بأن يُبَشَّر به كُلُّ مَنْ

---

(١) المحرر الوجيز ١: ١٩٧.

(٢) ق: وهذا. ومنذر هو ابن سعيد البلوطي القرطبي المتوفى سنة ٣٥٥هـ. انظر الأعلام ٧: ٢٩٤.

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن ١: ٢٥.

(٤) الكشاف ١: ٢٥٣.

قدر على البشارة انتهى. والوجهُ الأولُ عندي أوْلى لأنَّ أمره عليه السلام بالبشارة مخصوصاً بها أَفْخَمُ وأجزلُ وكأنَّه ما اتكل على أنْ يُبَشِّرَ المؤمنينَ كلُّ سامعٍ بل نصَّ على أعظمهم وأصدقِهم ليكونَ ذلك أوثقَ عندهم [١٢/ب] وأقطع في الإخبار بهذه البشارة العظيمة إذ تبشيرُه تبشيرٌ من اللهِ تعالى.

والجملةُ من «وبشر» معطوفة على ما قَبْلَها وليس الذي اعتمدت بالعطفِ عليه هو الأمر حتى يُطْلَبَ مُشَاكلٌ من أمرٍ أو نهيٍ يعطفُ عليه، إنّما المعتمدُ بالعطفِ هو جملةُ وصفِ ثوابِ المؤمنين فهي معطوفةٌ على جملةِ وصفِ عقابِ الكافرينَ كما نقول: زيدٌ يعاقبُ بالقيدِ والإزهاقِ وَبشِّرْ عَمْراً بالعفوِ والإطلاق، قالهُ الزّمخشريُّ[١] وتبعه أبو البقاء. وأجاز الزمخشري وأبو البقاء أن يكون قوله «وبشر» معطوفاً على قوله «فاتقوا النار» ليكون عطفَ أمرٍ على أمر، قال الزّمخشريُّ[٢]: كما تقول: يا بني تميم احذرُوا عقوبةَ ما جَنَيْتُم وبشِّر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم انتهى. وهذا خطأ لأنَّ قوله «فاتقوا» جواب للشرط وموضعه جزم والمعطوفُ على الجوابِ جواب ولا يمكن في قوله «وبَشِّر» أنْ يكون جواباً لأنّه أمرٌ بالبشارة مطلقاً لا على تقدير «إن لم تفعلوا» بل أمر أن يُبَشِّرَ الذين آمنوا أمراً ليس مُرَتَّباً على شيءٍ قبله، وليس قوله «وبَشِّر» على إعرابه مثْلَ ما مَثَّلَ به من قوله: يا بني تميم إلى آخره، لأنَّ قوله: احْذَرُوا لا موضعَ له من الإعرابِ بخلافِ قوله: فاتقوا، فلذلك[٣] أمكن فيما مثَّل به العطف، ولم يمكن في «وبَشِّر».

---

(١) ق: وأتبعه. انظر الكشاف ١: ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) الكشاف ١: ٢٥٤.

(٣) ق: وكذلك.

وقُرِىءَ: وبُشِّرَ ماضياً مبنياً للمفعول قال الزَّمخشريُّ[1]: عطفاً على «أُعدّت» انتهى. وهذا الإعرابُ لا يتأتى على قول مَنْ جعل «أُعدت» جملة في موضع الحال لأنَّ المعطوفَ على الحالِ حالٌ، «وبشر» لا يكون حالاً. «وبشر» يتعدى إلى مفعولٍ بنفسِه وإلى آخرَ بحرف الجَرِّ وهو قوله «لهم جنات» وحذف منه الحرف وهو في موضع نصب[2] لا في موضع جَرٍّ خلافاً لمذهب الخليل أنَّهُ في موضع جرٍّ قالهُ ابن مالك في «التسهيل»، وكان قليلَ الإلمامِ بكتابِ سيبويه. وجاءت صلةُ الموصول بالماضي لا باسم فاعل دلالةً على [أنَّ] المستحقَّ للتبشير بفضلِ الله مَنْ وقع منه الإيمانُ وتَحقَّقَ به وبالعمل الصالح. و«الصالحات» صفة جَرَتْ مجرى الأسماءِ فوليت العواملَ فانتصبتْ على أنَّها مفعولٌ به، فأل فيها للجنس لا للعموم، والظاهر أنَّ من اقتصر على الإيمانِ فقط دونَ العملِ الصالح لَا يكون مُبَشَّراً بالجنَّة من هذه الآية.

والجنَّةُ: البستان الذي[3] سَتَرَتْ أشجارُه أرضَه. والنهرُ: دونَ البحرِ وفوقَ الجَدْولِ، وفتح الهاء اللغة العالية. وقال الزّمخشريُّ[4]: الجنَّةُ اسمٌ لدارِ الثوابِ كلِّها وهي مشتملةٌ على جِنانٍ كثيرة ومرتبةٌ مراتبَ على حَسْبِ استحقاقِ العاملينَ لكلِّ طبقةٍ منهم جنَّات من تلك الجِنان انتهى. وقوله: على حسب استحقاق العاملين، فيه دسيسةُ الاعتزالِ. واللام في ﴿لَهُمْ﴾

---

(١) الكشاف ١: ٢٥٤.

(٢) عبارة الأصل مضطربة «وهو في موضع نصب على مذهب الخليل لا في موضع جرّ خلافاً لمن قال مذهب الخليل إنه في موضع جر وهو ابن مالك قاله في «التسهيل». وانظر التسهيل ص٨٣.

(٣) ق: التي.

(٤) الكشاف ١: ٢٥٧.

للاختصاص وتقديمُ الخبر هنا آكَدُ من تقديمِ المُخْبَرِ عنه لقربِ عَوْدِ الضمير[١] على «الذين آمنوا» فهو أسَرُّ للسامع. وليست «مِن» زائدة ولا بمعنى في، فإنْ كانت الجنّةُ الأشجار الملتفَّةُ ذوات الظِّل فلا حَذْفَ، أو الأرض فعلى حذف أي من تحت أشجارها أو غرفها ومنازلها. و«مِن» لابتداء الغاية. وأحسن أوصاف الجنَّةِ جريانُ الماءِ الذي هو كالروحِ لها، لذلك لا يكادُ ذِكْرُها يأتي إلا مشفوعاً[٢] بِجَرْيِ الأنهارِ، قال ابنُ عطية: نُسِبَ الجريُ إلى النهرِ وإنما يَجْري الماءُ وحده تَوسُّعاً وتَجَوُّزاً كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف] وكما قال الشاعر[٣]: [من الكامل]

واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ

ثم ناقض فقال قبل ذلك[٤] بنحو من خمسةِ أسطار: والأنهارُ المياهُ في مجاريها المتطاولة الواسعة. وأل في الأنهار للجنس. وقال الزَّمَخْشَرِيُّ[٥]: أو يرادُ أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴿٤﴾﴾ [مريم] انتهى. وهذا شيءٌ قاله الكوفيون. ولا تكون[٦] «أل» عند البصريين تنوبُ مَنابَ الإضافةِ قيل: أو تكون «أل» للعهد

---

(١) ق: عوده للضمير.

(٢) ق: مشعوفاً.

(٣) هو مهلهل أخو كليب بن وائل، والبيت في شرح ديوان الحماسة ٢: ٩٢٨، وصدره:

نُبِّئت أن النار بعدك أُوقدت

(٤) ق: بعد ذلك. وانظر في هذا القول وسابقه المحرر الوجيز ١: ١٩٩.

(٥) الكشاف ١: ٢٥٩.

(٦) ق: تكن.

الثابت في الذهن من الأربعة المذكورة في [١٣/أ] سورةِ القتال[١].

والجملةُ من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟﴾ مستأنفةٌ، لما ذكر تبشير المؤمنين بالجَنَّةِ ووُصِفَتْ بجريِ أنهارِهَا تَشَوَّقتِ النُّفُوسُ إليها وإلى ذِكْرِ حالِ المؤمنِ فيها فَبُدِىءَ بذكْرِ مَلاذِّهَا والأهم[٢] منها فقيل: كُلَّما. وجَعْلُ الجملةِ صفةً للجنَّاتِ، أو في موضعِ رفعٍ على الابتداء مضمراً: فهي كُلَّما أوهم كُلَّما، مرجوحٌ لافتقارها في هذين الوجهين إلى موصوفٍ أو إلى محذوفٍ واستقلالها إذا كانت استئنافاً. وأجاز أبو البقاء[٣] أن يكون حالاً من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: مرزوقينَ على الدوام، ولا يَتِمُّ إلاَّ إذا كانت حالاً مقدَّرةً لأنَّهم وقتَ التبشير لم يكونوا مَرزُوقينَ ولا قائلين ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾. والضمير في «منها» عائدٌ على الجنّات.

﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ بَدَلُ اشتمالٍ أُعيدَ معه الجار و«من» لابتداءِ الغاية فيهما[٤] ويتعلقان «برزقوا» على جهةِ البدلِ. وأجاز الزّمخشريُّ أن يكون «من ثمرة» بياناً، قال[٥]: على منهاج قولك: رأيت منك أسداً انتهى. وكون «مِن» للبيان ليس بمذهبٍ للمحققينَ وقد تَأَوَّلُوا ما استدلَ به القائلونَ بأنَّ «مِن» تكونُ للبيان، وعلى تقدير أنْ تكون «مِن» تأتي للبيان لا يتمشى ها هنا لأنَّ

---

(١) ق: من الأوجه المذكورة، والتصويب من ط. والمقصود الأنهار الأربعة الواردة في سورة القتال ٤٧: ١٥.

(٢) ق: ولاءهم.

(٣) انظر الإملاء ١ : ٢٥.

(٤) ق: فيها.

(٥) الكشاف ١ : ٢٦٠.

البيانيةَ إنْ كان قبلَها معرفةٌ قُدِّرَ مكانها مضمرٌ[١] صدراً لموصول يكون[٢] صفة لتلك المعرفة، وإنْ كان قبلها نكرة قُدِّرَ ضميرٌ مكان «مِن» ويكـون ما دخلـتْ عليه خبراً لذلك الضمير. وهذان التقديران تفسيرُ[٣] معنى لا تفسيرُ إعرابِ ولايجيء[٤] هذان التقديران هنا. وأمّا[٥]: رأيتُ منك أسداً «فمِن» لابتداءِ الغايةِ أو للغايةِ ابتداءً وانتهاءً نحو: أخذته منك. ولا يُرادُ بالواحدِ الشخص الواحد من التفاح مثلاً بل المُرادُ والله أعلم النوعُ من أنواعِ الثمارِ والجناة الواحدة انتهى، وهذا تفريع على أنّ «مِن» تكون بياناً.

و﴿رِّزۡقًاۙ﴾ أي: مرزوقاً فتبعد فيه المصدريةُ لقوله «هذا» و«أُتوا». و«هذا الذي» مبتدأ وخبر أي: مِثْلُ الذي، وحذف مِثْلُ لاستحكامِ الشَّبه حتى كأنَّ هذه العين تلك. و«من قبل» متعلقٌ بـ«رُزقنا» وهو مقطوعٌ عن الإضافة والتقدير: من قبل المرزوق هذا. وقال ابنُ عطية[٦]: «هذا» إشارةٌ إلى الجنس، أي: هذا من الجنس الذي رُزِقْنَاهُ من قَبْلُ انتهى. فيصيرُ التركيب: هذا الَجنس من الجنس، ولعلَّ الناسخَ صَحّفَ مثل بمن، أي: هذا [الجنس] مثل الجنس. ومعنى ﴿قَالُواْ﴾ أي: قال بعضُهُم لبعض وذلك على سبيلِ التذكُّرِ لنعمِ الله، وقيل: ذلك على سبيلِ التعجُّبِ يُرزقُونَ الثمرةَ ثم مثلها صورةً والطعمُ مختلفٌ فيتعجبون.

(١) ق: بمضمر.

(٢) ق: تكون.

(٣) ق: تفسيراً.

(٤) ق: يجيئان.

(٥) ق: وما.

(٦) المحرر الوجيز ١: ٢٠٠.

[﴿وَأُتُوا۟﴾ مبنيٌ للمفعولِ والآتي بتلكَ الخَدَمُ والوِلْدَانُ، وقرىء:] «وأَتَوْا» مبنياً للفاعلِ وهو إضمارُ الآتِينَ دَلَّ عليه المعنى، ألا تَرى إلى قوله: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ⑲﴾ [الإنسان] الآية. والضمير في «به» عائدٌ على الرزق الذي هو [من] الثمار كما أنَّ «هذا» إشارة إليه. وقال الزّمخشريُّ(١): فإنْ قلت: إلامَ يرجعُ الضميرُ في قوله ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ﴾ قلت: [إلى] المرزوقِ في الدنيا والآخرة لأنَّ قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ انطوى تحته ذِكْرُ ما رُزِقُوه في الدَّارَين انتهى. وهذا غيرُ ظاهرٍ؛ بل الظاهرُ أنْ يعود «به» على المرزوق في الآخرة لأنَّه هو المُحَدَّثُ عنه والمشبَّهُ بالذي رُزِقُوه من قَبْلُ [مع] أنه إذا فُسِّرَتْ القَبْلِيةُ بما في الجنَّةِ تَعَيَّنَ عَوْدُ الضمير إلى المرزوق في الجنَّةِ ولا سيما إذا أُعربت الجملةُ من قوله «وأُتوا» حالاً، أي: قالوا كذا(٢) وقد أتوا به، أو كانت معطوفة على «قالوا» لأنّها في حَيِّزِ «كلّما» والعامل فيها مستقبل المعنى لأنّها لا تخلو من معنى الشرط، أو كانت مستأنفة لأنَّ هذه الجملَ إنَّما جِيءَ بها مُحَدَّثاً بها عن الجنَّةِ وأحوالها، وكونه يُخْبِرُ عن المرزوقِ في الدنيا والآخرةِ أنّه متشابهٌ ليس من حديث الجنَّة إلا بتكلفٍ.

و﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ حالٌ من الضمير في «به» أي بالمرزوق في حال [١٣/ب] تَشَابُهِه، وأطلقَ التشابه ولم يُقَيِّدهُ وقَيَّدهُ(٣) المفسرون بتمثيلاتٍ. وقال الزّمخشريُّ(٤): إنَّ ثمرَ الجنَّةِ متشابهٌ بثمرِ الدنيا، وأطالَ القولَ في ذلك.

---

(١) الكشاف ١ : ٢٦١.

(٢) عبارة ق: كذا المعنى لأنها لا تخلو من معنى وقد أتوا به.

(٣) ق: وقيّد.

(٤) الكشاف ١ : ٢٦١.

والذي يظهر أنَّ التشابُهَ فيه كونه يشابه بعضه بعضاً في أعلى غايةِ الجودةِ، ليس فيه تنافرٌ كما في ثمرِ الدنيا إذْ تَجِدُ النوعَ الواحدَ يختلفُ في الجودةِ والرداءةِ اختلافاً كثيراً ويتباينُ حتى يساوي بعض النوع أضعافَ ما يساوي بعضه.

ولمَّا كانت مجامعُ اللَّذةِ في المسكنِ البَهِيِّ والمَشْربِ الرَّوِيِّ والمَطْعَمِ الشَّهِيِّ والمنكح الرَّضِيِّ ذكرها تعالى فيما بَشَّرَ به المؤمن وبدأ بالمسكنِ لأنَّ[1] به الاستقرار، ثم بالمشربِ والمطعمِ لأنَّ بهما قوَامَ الجسم ثم بالأزواج لأن بها[2] تمام اللَّذَّةِ والأُنسِ فقال: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾. والأَوْلَى أنْ تكونَ جملةً مستأنفةً كما اخترنا في «كلما» لأنَّ في جعلها استئنافاً اعتناء بالجملة إذا سيقت كلاماً تاماً لا يحتاج إلى ارتباطٍ صناعيٍ.

و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ مبتدأ ورفعُه يدلُّ على الاستئنافِ إذ لم يُشْرَكْ مع «جنات» في العامل. والمرادُ بالأزواجِ القُرَناءُ من النساءِ اللاتي تَختصُّ بالرجلِ لا يشاركُهُ فيها غيرُه. وفي الحديثِ الصحيحِ ما يدلُّ على كثرةِ الأزواجِ للرجلِ الواحدِ، وجاء «أزواج» جمع قلة لأن استعماله هو الكثير وهو المَقِيسُ في فعل المُعْتَلِّ العينِ، وقد جمع زوج على زوجة جمع الكثرة لكنّ استعمالَهُ قليلٌ وليس بالقياس.

و﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ صفةٌ للأزواج مبنية على طَهُرت كالواحدةِ المؤنَّثة[3]. وقُرِىء: مطهرات على طَهُرن وبناؤُه للمفعولِ أفخمُ إذا فُهم أنَّ لها مطهراً[4]

---

(١) ق: لأنه.

(٢) ق: بهما.

(٣) ق: كالواحد المؤنث.

(٤) ق: أن لنا مطهر.

وليس إلاَّ الله تعالى، وتَطهيرهُنَّ من الأوصافِ القبيحةِ في الخَلْق والخُلق. وقُرىء: مُطَّهرة وأصله مُتَطَهِّرة فأُدغم. ولما ذكر مجامعَ اللَّذةِ أعقب بما يزيلُ تنغيصَ النعيمِ بذكرِ الخُلودِ، وظاهر اللُّغة أنَّ الخلودَ هو البقاءُ الدائمُ الذي لا ينقطعُ، قال زهير: [من الطويل]

فلو كان حَمْدٌ يخلدُ الناسَ لم تَمُتْ ولكنَّ حَمْدَ الناس ليس بِمُخلدِ[1]

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

الحياءُ تَغَيُّرٌ في الوجهِ يَعتري من خوفِ لومٍ أو ذمٍّ وضده القِحَةُ. قيل: لما ضَرَبَ تعالى المثَلَ بالعنكبوتِ والذُّبابِ وغيرهما وسبق في هذه السورة ضَرْبُ المثلِ بالمستوقدِ والصَّيِّبِ أنكر بعضُ الكفارِ أنْ يكون اللهُ تعالى يَضربُ الأمثالَ بهذه فنزلَ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾. واستحيى موافقٌ للمجرد وهو حَيِيَ بمعنى استحيى. واسْتَحَى يَسْتَحِي لغةٌ تميميةٌ، واستحيى لغةٌ حجازيةٌ. وأكثرُ نصوص أئمةُ النَّحْوِ أنَّ المحذوفَ في استحى [في] لغة تميم عين الكلمة ووزنه استفل. ومعنى «لا يستحيي» لا يترك لأنَّ الاستحياءَ حقيقةٌ محال على اللهِ تعالى، والتركُ من ثمرةِ الحياءِ لأنَّ مَنِ استحيى[2] من شيءٍ تَركَهُ. وضَرْبُ الشيء مَثَلاً: تَصْيِيرُه. وقد عَدَّ بعضُ النُّحاة في باب ظننت ضرب مع المثل وغيره قال: المعنى: وضع وبيّن.

(١) ق: ولكن حمد الله. وما أثبتناه في الديوان ص٢٣٦.

(٢) ق: لأنه استحيى.

والبعوضةُ حيوانٌ معروف، والمشهور نصب بعوضة، وقُرِىء بالرفع، والنصبُ على أن يكون صفة «لِمَا» وصفت باسم الجنس، و«ما» بدلٌ من «مثلاً». و«مثلاً» مفعولٌ بيَضْرِب أو عطف بيان من «مَثَل» أو بدل منه، أو مفعولاً بيَضْرِب و«مثلاً» حال من نكرة تَقدَّمت عليها أو مفعولاً ثانياً ليضرب، أو أول ليضرب و«مثلا» ثانياً، أو منصوباً على إسقاطِ الجار، التقدير: ما بين بعوضةٍ فما فوقَها. والذي نختارُهُ أن «مثلاً» مفعولٌ بيضرب و«ما» صفةٌ «لمثل» زادت النكرة شياعاً و«بعوضة» بدل. فأما الرفعُ فخبر مبتدأ على أنَّ «ما» موصولة بمعنى الذي وهو بدل من «مثلاً» أو على أن يكونَ استفهاماً. و«بعوضة» خبر «ما» أو خبر هو محذوفة و«ما» زائدة أو صفةٌ وهو بعوضة كالتفسير لما انطوى عليه [١٤/أ] الكلامُ السابقُ.

﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ أي: في العِظَم كالذباب والعنكبوت المضروب المَثَل بهما، وقيل: فما فوقها في الصِّغَرِ، أي: يَزيدُ عليها في قلة الحجم. ولو أُريدَ هذا المعنى لكان التركيبُ: فما دُونَها.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ جاءت الجملة بأمّا لا بقوله: «فالّذين» لأنَّ ما في حَيِّزِ أمّا من الخبر كان واقعاً لا محالة ومفيدةٌ أنّه مترتبٌ[١] على ما تَضمَّنَتْهُ «أمّا» من الشرط. والضمير في «أنَّهُ» عائدٌ على المصدر المفهوم من «يضرب» أو على المصدر المفهومِ من انتفاءِ الاستحياءِ أو على المثل وهو الظاهرُ لقولهِ ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ﴾. وأخبرَ تعالى عن المؤمنينَ بالعِلْمِ وهو الجزمُ المُطابقُ بدليلٍ، وعن الكافرينَ بالنُّطْقِ باللسانِ المُتضمِّنِ للاستغرابِ والاستهزاء. و«ماذا» إمّا استفهام كُلُّه ركب «ذا» مع «ما» فيكون منصوباً

(١) ق: مرتب.

بأرادَ، أي: أيُّ[1] شيءٍ أراد اللهُ بهذا. أو «ما» استفهام وهو مبتدأ و«ذا» موصولٌ بمعنى الذي خبر عن «ما» والعائدُ محذوف. وجعلَ ابنُ عطيةَ هذين القولينِ مسألة اختلاف بين النَّحويين وليست كذلك، بل كلٌّ من شَدَا شيئاً من عِلْمِ العربيةِ أجازَ هذين الوجهين، وعلى تجويزهما المعربون والمفسرون. وانتصب «مثلاً» على التمييزِ المؤكدِ أو الحالِ من اسم الإشارةِ أي مُمَثَّلاً به، أو من الفاعل أي مُمَثِّلاً، وغيرُ الكوفيين نَصَبهُ على القطع.

﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ جملتان[2] مستأنفتان جاريتانِ مَجْرَى البيانِ والتفسيرِ للجملتين السابقتين. وجَعْلُ ذلك صفةً لِمَثَلٍ بعيدٌ جداً إذ يكونُ من كلامِ الكفار. وإسنادُ[3] الإضلالِ إلى الله حقيقةٌ والزَّمخشريُّ في مثل هذا على مذهبِ الاعتزال. وتجويزُ ابن عطية أنْ يكون «يضل به كثيراً» من كلام الكفار [«ويهدي به كثيراً» من كلام الله] تفكيكٌ للكلامِ وهو غيرُ ظاهرٍ. وقُرىء: يُضَلُّ به كثيرٌ [ويُهْدَى به كثير] وما يُضَلُّ به إلا الفاسقُونَ، مبنياً للمفعول[4]، وقُرىء مبنياً للفاعل وياء المضارعة مفتوح ورفع الثلاثة. وقرىء: [يُضل] بضم الياء، وما يَضل: بفتح [الياء] ورفع «الفاسقين». والضمير في «به» عائدٌ على المَثَلِ أي بِضَرْبِه. والفاسقُ: الخارجُ عن طاعة الله تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

(١) ق: أتى.

(٢) ق: علتان.

(٣) ق: والإسناد.

(٤) ق: للفاعل.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ صفةُ ذمٍّ للفاسقين لازمةٌ، أو نصب على الذمِّ أو رفع على: هم الذين. وإعرابها مبتدأ والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ استئنافٌ لا تَعَلُّقَ له بما قَبْلَهُ [والظاهرُ تعلُّقه بما قبله]. وكلُّ فاسق ناقضٌ لعهدِ الله قاطعٌ ما أمره بوصْلِه، ثم لَمَّا وَصَفَهُ بهذا أخبرَ بخسرانِه. و«عهد الله» هو ما ضَمَّنَهُ اللهُ تعالى في الكتبِ المُنْزَلَةِ[1] وعلى ألسنةِ أنبيائِه من أمرِه بطاعتِه ونهيِه عن معصيتِه وإفرادِه بالعبادةِ. والميثاقُ: مِفْعَالٌ من الوَثَاقَة، والأصلُ في مِفْعال أنْ يكونَ صفةً كمِطْعان أو آلةٍ كمِحْراث. وظاهرُ كلام الزَّمخشريِّ [وابن عطية أنّه اسمٌ بمعنى المصدر أو أنّه مصدر. قال الزمخشري[2]]: [الميثاقُ] بمعنى التوثقة كما أنَّ الميعادَ بمعنى الوعد والميلاد بمعنى الولادة. وقال ابنُ عطية: اسمٌ في موضعِ المصدر كما يقال: وبعد عَطَائِك أي: إعْطائك. ولا نعلمُ مِفعالاً جاء مَصْدراً ولا عَدُّوه في أَبْنِيتِه. والضمير في «ميثاقه» عائدٌ على «العهد» وقيل على «الله». وقال أبو البقاء[3]: إنْ أَعَدْتَهُ إلى «الله» كان المصدرُ مُضافاً إلى الفاعل، وإنْ أعدته إلى «العهد» كان مضافاً إلى المفعول.

و«ما» بمعنى الذي [عامةٌ في كُلِّ ما أَمَرَ اللهُ بوصلِه. و«أمر» حذف مفعوله الذي] يتعدى إليه بنفسه أي: ما أمرهم. و«به» عائد [على «ما»]. و«أن يوصل» بدلٌ منه أي: بوصلِه[4]. وإعرابه بدلاً من «ما» أو مفعولاً من أجله تقديره: كراهيةَ أنْ يُوصَلَ، أو تقديره: لئلا يوصل، أو خبر مبتدأ تقديره هو

(١) ق: في كتابه الكتب المنزلة.

(٢) انظر الكشاف ١: ٢٦٨.

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن ١: ٢٧.

(٤) ق: أي به وصله.

أنْ يُوصل، أعاريبُ ضعيفةٌ وإنْ كانت منسوبةً لمشهورين. والفسادُ في الأرض ناشىءٌ عمّا تَقَدَّمَ من الأوصافِ الذميمة. وبدأ في ترتيب هذه الصلاتِ(١) أولاً بنقضِ العهدِ وهو أخصُّ، ثم بقطعِ ما أمرَ اللهُ بوصلِه [١٤/ب] وهو أعمُّ من نقضِ العهد، [ثم] بالإفسادِ في الأرضِ وهو أعمُّ من القطعِ وكُلُّها ثمراتُ الفسقِ. وجاء بالفسق في صلة «أل» مُشعِراً بالثُبُوت، وهذه الصِّلاَت بالمضارع مُشعِرةٌ بالتَّجَدُّدِ. ثم أشارَ إلى مَنْ جمعَ هذه الأوصاف وأخبرَ عنه بالخُسرانِ بفواتِ المَثُوبةِ ولزومِ العقوبة.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿كَيْفَ﴾ استفهام عن حال وهو استفهامُ توبيخٍ وإنكارٍ وتعجُّبٍ. وإنكارُ حالٍ وقعَ فيها الفِعْلُ إنكارٌ للفعلِ نفسه، تقول: كيف تُؤْذِي زيداً وقد أحسنَ إليكَ؟ فالمعنى على إنكارِ إيذائِه في هذه الحال.

و﴿تَكْفُرُونَ﴾ التفاتٌ إذ هو خطابٌ بعد غيبةٍ، وناسبَ الإنكارَ لأنَّ الإنكارَ على المخاطَبِ أبلغُ من الإنكارِ على الغائبِ ولعلَّ الإنكارَ لا يصلُ إليه. ﴿وَكُنتُمْ﴾ جملةٌ حالية، ومجيءُ الماضي حالاً بالواو دون «قد» في القرآنِ وكلامِ العربِ [كثيرٌ]، وقال الزَّمخشريُّ(٢): فإنْ قلت: كيف صَحَّ أنْ يكونَ حالاً وهو ماضٍ ولا يُقال: جِئتُ وقامَ القومُ ولكن: [جئتُ] وقد قامَ القومُ إلاّ أن تُضمَرَ «قدْ»؟ قلتُ: لم تدخل الواو على «كنتم أمواتاً» وَحْدَهُ ولكن على جملة قوله: «كنتم أمواتاً» إلى «ترجعون»، كأنَّهُ قيل: كيفَ

(١) ق: الصلاة، وكذا في الموضع التالي.
(٢) الكشاف ١ : ٢٦٩.

تكفرونَ بالله وقِصَّتُكم هذه وحالُكم أنكم كنتم أمواتاً نُطفاً في أصلابِ آبائِكم فجعلكم أحياء ثم يُمِيتُكم بعد هذه الحياةِ ثم يُحْيِيكُمْ بعد الموتِ ثم يُحاسبكم انتهى. وهذا[1] الذي قَدَّرَهُ حالاً من تصديره بجملة اسمية وإضمار «أنكم» خبراً لمبتدأ تلك الجملة تركيبٌ غير مُحتاجٍ إليه، وقد ذكرنا وقوعَ الماضي حالاً بالواو دون قَدْ وأنَّهُ كثير. وإنَّ ما أَحْوَجَهُ إلى تقديرِ الحالِ جملة اسمية اعتقاد أنَّ جميعَ الجملِ مندرجةٌ في الحالِ ولذلك قال[2]: [فإنْ قلت] بعضُ القصة ماضٍ وبعضها مستقبلٌ، والماضي والمستقبلُ كِلاهُمَا لا يصحُّ أنْ يكون حالاً حتى يكون فِعلاً حاضراً وقتَ وجودِ ما هوَ حال عنه، فما الحاضرُ الذي وقع حالاً؟ قلت: هو العِلْمُ بالقصةِ كأنَّهُ قِيل: كيف تكفرون وأنتم عالمونَ بهذه القصة بأوَّلِهَا وآخِرِها انتهى. ولا يتعيَّنُ أنْ يكون جميعُ الجملِ مُنْدرِجاً في الحالِ ولا سيما قوله: ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فإنّهم مُنكِرونَ البعثَ والحسابَ وهو عندهم في حَيِّزِ المُستحيلِ عقلاً أو عادةً، والتصريحُ بذلك موجودٌ عنهم في آيِ من القرآنِ بل الحالُ قوله: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ويكونُ المعنى: كيف تكفرون بالله وقد خَلَقكم، فعبَّر عن الخَلْقِ بذلك لقوله عليه السلام: «أنْ تجعلَ لله نِدّاً وهو خَلَقَك»[3] أي أنَّ مَنْ أوجدكَ بعد العَدمِ الصرفِ حَرٍ ألاّ تكْفُرَ به.

ولَمَّا كان مركوزاً في الطِّباعِ وفي العقولِ أنْ لا خالقَ إلاّ اللهُ كانت حاله تقتضي أنْ لا يجامعَ الكفرَ فلا يحتاج إلى تكلُّف أنّ الحالَ هو العِلْمُ بهذه الجملة، وعلى هذا الذي شرحناهُ يكون قولُه تعالى: «ثم يحييكم» إلى

---

(١) ق: وهذه.

(٢) الكشاف ١ : ٢٦٩.

(٣) صحيح مسلم ١ : ٩٠، والبخاري ٤ : ١٦٢٦، ٤ : ١٧٨٤.

اخره جملاً أخبرَ تعالى بها مستأنفةً لا داخلةً تحتَ الحالِ ولذلك غَايرَ فيها بحرفِ العطفِ وبصيغةِ الفِعل ما قبلها من الحرف والصيغة. والتعبيرُ عن العَدمِ الصرف بالموتِ مجازٌ. وللمفسّرين والمنسوبين إلى عِلْمِ الحقائق أقوالٌ اخترنا منها هذا القولَ وهو اختيار ابن عطية[١]. واختار الزَّمخشريُّ[٢] أنَّ الموتَ الأوَّل كَوْنهم نطفاً في أصلابِ آبائِهم. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى جَزَائِه. وقُرىء: ترجعون مَبْنياً للفاعلِ ومبنياً للمفعول لازماً ومُتَعدِّياً.

ولما ذكر تعالى هذه الأطوارَ التي جعلها لهم ذَكَرَ امتِنَانَهُ عليهم فقال:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾ أي: لأجْلِكُمْ. ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ عامٌّ، فمنه للاعتبارِ، ومنه للانتفاعِ الدُّنيوي. ثم ذَكَرَ عظيمَ قُدْرتِهِ في العالم العُلويّ وأنّه والعالم السفلي بالنسبةِ إلى قُدْرتِه على السواء، وأنَّ عِلْمَهُ مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ.

و﴿ثُمَّ﴾ تقتضي التَّراخِي في الزمانِ ولا زمان. ولَمَّا كانَ بين خَلْقِ الأرض والسماءِ أعمالٌ مِنْ جَعْلِ الرواسي والسمك وتقدير الأقوات عطف بثُمَّ، إذْ بين خَلْقِ الأرض وما فيها [١٥/أ] وبين الاستواء تراخٍ وإنْ لم يَقَعْ ذلك في زمانٍ. والاستواءُ مجازٌ عن تَعلُّقِ قُدْرتِه بما يفعلُ بالسَّمَاء وضُمِّنَ معنى عَمَدَ فلذلك عُدِّيَ بإلى. والسَّماءُ جمع سَمَاوَة أو اسم جنس، والتسوية جعلهنَّ سواءً بالنِّسبة إلى سُطوحِها وإمْلاسِها. والضميرُ في «سواهن» عائدٌ على السَّماء، وانتصب ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ على الحال أو على البدل من الضمير.

---

(١) انظر المحرر الوجيز ١: ٢١١.

(٢) انظر الكشاف ١: ٢٦٩.

وقال الزمخشريُّ[1]: والضميرُ في «سواهن» ضميرٌ مُبْهم و«سبع سماوات» تفسيره كقولهم: رَبَّه رَجُلاً انتهى. فمفهومُ كلامه أنَّ هذا الضميرَ يعودُ على ما بعده وهو مُفَسَّرٌ به فهو عائدٌ على غيرِ متقدمِ الذِّكْرِ. والمواضعُ التي يُفَسَّرُ فيها الضميرُ بما[2] بَعْدَهُ ليس هذا منها، وكونه يعودُ على ما بعدَهُ يكون الكلام مفلتاً مما قبله ويصير إخباراً بجملتين إحداهما[3] أنَّهُ استوى إلى السَّماءِ، والأخرى سَوَّى سبعَ سماوات، ويعدم الرَّبْطُ بين الجملتين. والظاهر أنّ الّذي استوى إليه هو المُسَوَّى سبعَ سماوات. وجَعْلُ «سَوَّى» بمعنى صَيَّرَ فينصب «سبع» على أنَّهُ مفعول ثانٍ غير معروف في اللُّغَة. وإعراب «سبع» على أنّه مفعولُ سَوَّى والتقدير: فَسَوَّى مِنْها، غير مستقيم لا لفظاً ولا معنىً. وناسب مَقْطع هذه الآية بالوصف بمبالغة العلم لما تقدم من الأفعالِ التي فعلها تعالى في العَالَمِ السُّفْليِّ والعالَم العلوي. ثم ذكر تعالى مبدأ عَالَمِ الإنسانِ وحاله فقال:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ والخطابُ لرسولِ الله ﷺ والناصبُ لإذْ «قالوا أتجعل» [أي وقت قولِ الله للملائكةِ ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾] كما تقول: إذْ جِئْتني أكرمتكَ، أي وقت مجيئك أكرمتك. وللمعربين والمفسِّرين في العامل في «إذْ» ثمانيةُ أقوالٍ تَنَزَّه القرآن عنها. والمَلَكُ: مِيمُه

(١) الكشاف ١: ٢٧٠.

(٢) ق: ما بعده.

(٣) ق: يصير إخبار الجملتين أحدهما.

أصلية وجَمْعُه على ملائكة أو ملائِك شاذ، واشتقاقُه من الملك وهو القُوَّةُ وكأنَّهم تَوَهَّمُوا أنَّه فَعال. وقيل: الميمُ زائدة من لأَكَ إذا أرسلَ. وقالوا مَلَاك مُخَفَّفٌ بحذفِ الهمزة ونقل حركتها إلى اللام. وقيل من الأُلوكَةِ وهي الرسالةُ، فأصله مَأْلَكٌ ثم قلب فصار مَلأَكًا ثم نقل وحذفت الهمزة فوزنه فَعَلٌ. وقيل: من لاَكَ الشيءَ: أدارَهُ في فِيهِ وهو مفعل كمعاد ثم حذفت العين فوزنه فعل، وهمزُها في ملائكة شاذٌ كهمز مصائب. والتاء في «الملائكة» لتأنيثِ الجمع، وإسنادُ القول إلى الربِّ في غايةٍ من المناسبة[1]. وفيه خروجٌ من الخطاب العام في قوله: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض» إلى الخطاب الخاص في قوله «ربك». وفي الخطاب رمزٌ لاستماعِ ما يذكر بعده من غريبِ افتتاحِ هذا العالم الإنساني وشيءٍ من أحواله ومآله، وإشارةٌ إلى الخطابِ[2] الأعظم من الجملة المُخْبَرِ بِها إذْ هو عليه السلام أعظَمُ خُلفائِه.

والخليفة: فَعِيلَةٌ بمعنى الفاعل، والهاء للمبالغة، وقيل بمعنى المفعول كالنَّطِيحة، والهاء للمبالغة، واللام في «الملائكة» للتبليغ. والجَعْلُ: الظاهرُ أنه الخَلْقُ وقيل التَّصْيِيرُ. ويقال: سَفَكَ وسَفَّكَ مضعفاً وأَسْفَكَ، ومضارع سَفَكَ يَسْفِك ويَسْفُك بكسرِ الفاء وضَمِّها. والسفكُ الصَّبُّ. و«الدماء» جمع دم محذوف اللام ووزنه فَعَل وقيل فَعْل وقَصْرُه وتضعيفُه مسموعٌ. والتَّقديسُ: التطهير. والتَّسبيحُ: التنزيهُ والبراءةُ من السوء. وقُرِىءَ: خَلِيقَة بالقاف. والظاهرُ عموم الملائكة، وقيل: الذين كانوا يسكنونَ الأرضَ وعموم الأرض، وقيل: أرض مكة. وذكروا في قول الله للملائكةِ ما قالَ أموراً لا

(١) ق: وإسناد القول إلى ما في غاية من البيانية.

(٢) ق: الخطب.

تعالى أنْ يُخاطِبَ مَنْ[1] شاءَ بما شاءَ وإنْ خَفِيَتِ
الملائكةُ لا تعلمُ الغيبَ ولا تسبقُ بالقول لم يكن قولهم
إلا عن نبأٍ سابقٍ [ومقدمة] لم تُذْكَرْ في القرآنِ فنعلَمَها.
وهو استفهامٌ على معنى التَعَجُّبِ [١٥/ب] من استخلافِ الله مَنْ يَعصِيه، وقيل على طريق الإكبارِ للاستخلافِ والعصيان. ولَمَّا كان قولُ الملائكة مع عِصْمَتِهم ظاهرُه الاعتراضُ تأَوَّلُ[2] العلماءُ جوابَهم على وجوهٍ أحسَنُهَا عندي أنَّهم كانوا حِينَ القول لهم مُجملينَ وإبليسُ مُندرِجٌ في جملتهم فوردَ منهم الجوابُ مُجْملاً، فلمّا انفصلَ إبليسُ عن جملتهم بإبائهِ واستكبارِه انفصلَ الجوابُ إلى نوعين: فنوعُ الاعتراضُ كان عن إبليسَ، ونوعُ التقديسُ والتسبيحُ كان عن الملائكة، فانقسم الجوابُ إلى قسمين كانقسامِ الجنس إلى جنسين وناسب كل جواب مَنْ ظهرَ عنه.

وقُرىء: ويُسفك بضم الياء، ويُسفِّكُ بشدِّ الفاء، وقُرىء: يسفكَ بنصب الكاف على جواب الاستفهام. وقال ابنُ عطية: النصبُ بواو الصرف انتهى. وليس ذلك من مذاهبِ البصريين. ولما كانت صلة مَن «يفسد» وهو مضارعٌ مثبتٌ فلا تدلُّ على التعميمِ في الفسادِ - نَصُّوا على أعظمِ الفسادِ وهو سفكُ الدِّماءِ إذْ هو إفسادُ الهياكلِ الجسمانيةِ التي خلقها اللهُ تعالى، وتكرَّر «فيها» تنبيهاً على أنَّ ما كان محلاً للعبادةِ لا يكون محلاً للفسادِ.

والباءُ في ﴿ بِحَمْدِكَ ﴾ للحالِ أي مُتَلَبِّسينَ[3] بحمدكَ. ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قيل

---

(١) ق: ما.

(٢) ق: تأوله.

(٣) ق: ملتبسين.

أي: نُطَهِّرُ أنفسَنَا[١] لكَ من الأَدْنَاسِ. وقيل: اللام زائدة وقيل: مُقَوٍ للفعل. و﴿ أَعْلَمُ ﴾ مضارع و﴿ مَا ﴾ موصولة. وكون «ما» نكرة موصوفة وكون «أَعْلَمُ» أفعل تفضيل أي: أعلمُ منكم، و«ما» منصوب بفعل محذوف، و«أعلم» بمعنى عَالِم و«ما» مجرور بالإضافة أو منصوب بأَعْلَم وهو لا يتصرف - أقوالٌ لا يناسب أنْ يُحملَ عليها القرآنُ.

وفي قوله ﴿ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢] إبهامٌ تَعَرَّضَ المفسِّرُونَ لتعيينِهِ بأقوالٍ مضطربة. والأحسنُ أن يُفَسَّر بما أَخْبَرَ به تعالى: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة] الآية.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ قيل: هنا[٣] جملةٌ محذوفةٌ يتم بها المعنى وتصحّح العطفَ وتقديرُها: فجعلَ في الأرضِ خليفةً وسَمَّاه آدمَ. ولما كان محذوفاً مع الجملةِ أبرزه في قوله: «وعلم آدم» ونصَّ عليه مُنَوِّهاً باسمه ومُبيِّناً من فَضْلِهِ ما لم يكن معلوماً عند الملائكة. و«علَّم» منقول من علم التي تَتعدَّى إلى [واحد بالتضعيفِ فتعدَّتْ إلى اثنين، والمنقولة بالهمزة من علم التي تتعدى إلى] اثنين فتَعَدتْ إلى ثلاثة فَرَّقُوا بينهما، قاله الأستاذ أبو علي الشلوبين. و«آدم» فَاعَل إنْ[٤] كنّا نَزِنُ الأعجمية كآزر وعَابر، مُنِعَ الصَّرْفَ

(١) ق: أنفاسنا.

(٢) ق: يعلمون.

(٣) ق: هذا.

(٤) ق: إنا.

للعَلَمِيةِ والعُجْمَةِ. ودعوى الاشتقاق في ألفاظِ العجم من ألفاظِ العرب غير صوابٍ، والظاهرُ أنّ اللهَ تعالى عَلَّمَهُ لا بواسطةِ مَلَكٍ ولا إلهامٍ.

وقُرِىء: وعُلِّمَ آدمُ مبنياً للمفعول، والتأكيد «بكلّها» يدلُّ على العمومِ في الأسماء ولا يدلُّ على التعميم بجميع اللُّغَات ولا على عرض المسميات عليه. وقَدَّروا: أسماء المسميات فحذفت المُسَمَّياتُ، قال الزَّمخشريُّ[١]: وعوّض منه اللام كقوله: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ۝٤﴾ [مريم] انتهى. وتقدَّمَ أنَّ اللام عوضٌ من الإضافةِ وليس بمذهب البصريين، وعلى تقديرِ ذلك لا يصحُّ هنا لأنَّ اللامَ عند مَنْ جعلها عِوَضاً إنّما يكون المُعَوَّضُ عنه المضاف إليه ضميراً وهنا لم يُقَدِّرُوهُ[٢] إلاّ اسماً ظاهراً فلا يجوزُ لا على رأيِ بصريٍّ ولا كُوفيٍّ. وقَدَّروا أيضاً: مُسمّياتِ الأسماء، ولا يظهر لقوله: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ الضمير عائد على غير مُصَرّح بذكرِه بل دَلَّ عليه ما قَبْلَهُ إذْ معلومٌ أنَّ الأسماء لها مُسمَّيات، ودلَّت [«ثُمَّ»] على تراخٍ بين التعليم والعَرْضِ ليستقرَّ التعليمُ في قلبهِ ويتحقَّقَ، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُه عما تَحقَّق كما قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ [القيامة]. ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى﴾ أعقبَ العرضَ بهذا القولِ للملائكة ولَمَّا [لم] يتقدمهم تعليمٌ لم يُخبروا، ولَمَّا تَقَدَّمَ لآدمَ أخبرَ[٣] إظهاراً لعنايتِه [١٦/أ] السابقةِ له منه تعالى. و«هُمْ» في «عرضهم» يَدُلُّ على العُقلاءِ أو يكون فيهم غير العقلاء فَغَلَّبَ العُقلاءَ. وقُرِىء: فَعرَّضَها وفَعرَّضهنّ، والجيّدُ أن يكونَ ضمير المسمّيات فتتفق

---

(١) الكشاف ١ : ٢٧٣.

(٢) ق: إنما يكون العوض عنه المضاف إليه ضمير وهنا لم يقدّره.

(٣) ق: إخبار.

القراءات. وظاهر على ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ العمومُ، وقيل: الملائكةُ الذين كانوا في الأرض مع إبليسَ.

﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يدلُّ على حضورِ أشخاصٍ حالةَ العَرْضِ على الملائكة.

و﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ أمرُ تعجيزٍ لا تكليف، وقُرِىء: أَنْبُونِي بضم الباء بلا همزة.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: مُصيبين، عَبَّرَ عن الإصابةِ بالصدقِ كما يُعَبَّرُ عن الخطأ بالكذبِ. ومُتَعَلَّقُ الإصابةِ كونهم قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة] الآية. وفيها ظهورُ شُفُوْفِ[1] على مَنْ جعله خليفةً فأراهم مما أَوْدَعَ في خليفتهِ شيئاً لم يُودِعْهُ فيهم [وهو العِلْمُ]. وجوابُ الشرط محذوف تقديره: فأنبئوني دَلَّ عليه «أنبئوني» هذا مذهب جمهورِ البصريين. وَوَهِمَ المَهْدَوِيُّ وتَبِعَهُ ابنُ عطية فَنَسبَ إلى المُبرِّد أَنَّ جواب الشرط محذوفٌ كما قلنا. والنقلُ المحققُ عن المبرِّد أَنَّ جوابَ الشرط في مثل هذا هو «أنبئوني» السابق. وكذلك وَهِمَ ابنُ عطية وغيره فَزَعما أَنَّ مذهبَ سيبويه جواز تقديمِ الجواب على الشرط وأنَّ قوله: «أنبئوني» المتقدم هو الجواب. وعن الفَرَّاء في نحو «هؤلاء» أَنَّ مما التقتْ فيه الهمزتان مكسورتين تحقيقهما، وتليين الأُولى وتحقيق الثانية، وتحقيق الأُولى وإبدال الثانية ياء، وإسقاط الأولى وتحقيق الثانية.

و﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ انتصب على معنى المصدر والعاملُ فيه واجبُ الحذف. وكونه مثنى ومنادى مضافاً قولان مرغوبٌ عنهما. والكاف في «سبحانك» مفعول أُضيف إليه[2] سبحانك أي: تنزيهك، وقيل فاعل أي: تنزهت. وقَدَّمُوا بين يدي الجواب تنزيهَ اللهِ تعالى اعتذاراً وأدباً منهم في الجوابِ،

---

(١) الشفوف: الفضل والزيادة.

(٢) ق: إليك.

وإشعاراً بأنَّ ما صَدَرَ منهم قبلُ يَمْحُوهُ هذا التنزيهُ لله تعالى. ثم أجابوا بنفي العِلْمِ بِلفظ «لا» والنَّكِرَةُ الَّتِي تستغرق كُلَّ فردٍ[1] من أنواعِ العلومِ ثم اسْتَثْنَوْا [مِنْ ذلك][2] ما عَلَّمهم هو تعالى وهذا غايةٌ في تَرْكِ الدَّعْوى والاستسلام التام للمعلِّمِ الأول الله تعالى.

وانظر إلى حُسْنِ هذا الجوابِ: قَدَّمُوا بين يديهِ تنزيهَ اللهِ تعالى ثم اعترفوا بالجهلِ ثم نَسَبُوا العِلْمَ للهِ تعالى وأَرْدَفُوا صِفَةَ العلم بصفةِ الحِكْمةِ إذْ بَانَ لهم وصف الحكمة في قوله «إني جاعل في الأرض خليفة». وقُدِّم وصفُ العلم لأنّ الذي ظهرت به المزيَّةُ لآدمَ هو العلم ولأنَّ الحِكْمَةَ من آثارِ العلم.

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ ﴾ ناداه باسمه العَلَم وكذا نادى أنبياءَهُ: يا نوحُ، يا موسى، يا داود. ونادى محمداً صلى الله عليه وعليهم أجمعين [يا أيها الرَّسُولُ] يا أيها النَّبيُّ، فانظر تفاوتَ ما بين النِداءَيْن. وحين خاطبَ الملائكةَ قال: «أنبئوني» و«قال يا آدم أنبئهم» فجعل مَن اعترضُوا به مُعَلِّماً لهم ومُنَبِّئَهُم بما تَقَاصَرَتْ عنهم عُلُومه ليظهر بذلك شُفُوفه عليهم. ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ بَيْنَ هذه الجملةِ والتي قَبْلَها جملةٌ محذوفةٌ والتقديرُ: فأنبأهم. وقُرِىء: أنبئهم بالهمز وضم الهاء، وبالهمز وكسر الهاء، وأَنْبِيهِم بإسقاط الهمزة. و«غيب السماوات والأرض» هو ما تقاصرت عنه علومُ الخَلْقِ. والهمزةُ في «ألم أقل»

(١) ق: فرد فرد.

(٢) ق: مما.

للتقرير. «وأعلم ما تبدون» أي: من الطاعاتِ. «وأعلم» مضارع و«ما» مفعول، والخلافُ فيه كالخلاف في «وأعلم ما لا تعلمون»[١] ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ مِنْ شفُوفِهم على مَنْ يَجْعَلُه خليفةً. وفي قوله: «وما كنتم تكتمون» دلالةٌ على أنّ الكتْمَ وقعَ فيما مَضى وليس المعنى كَتْمهُ عن الله تعالى لأنّهم أعرفُ باللهِ وأعلم فلا يكتمونَ اللهَ شيئاً، وإنّما المعنى أنّهم هَجَسَ في أنفسِهم شيءٌ كتَمهُ بعضُهم عن بعضٍ، والإبداءُ والكتمُ طِبَاقٌ[٢] من علم البديع.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [قيل]: إذْ زائدة أو معطوفة على إذْ في «وإذ قال»[٣]، وقيل منصوبة باذكُروا وقيل بِأَبَى. وأختارُ أنْ يكونَ العاملُ محذوفاً تقديره: انقادوا فَسَجَدُوا لأنَّ السجودَ كان ناشئاً عن الانقيادِ. وفي «قلنا» [١٦/ب] خروجٌ من ضمير المتكلم المفرد إلى ضميرِ الجمعِ أو المُعَظِّم نفسه، وناسب النون الأمر لأنّه في غايةِ التعظيم. والتعظيمُ أدعى لامتثالِ الأمرِ من غير بطءٍ ولا تأوُّلٍ ولذلك نظائر: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة]، ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ ﴿٤٨﴾﴾ [هود][٤]، ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ [لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ] ٱسْكُنُوا۟ ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء]، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء]. والخلافُ في الملائكة أهُوَ عام أو الذين في الأرض كهو في ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]. وقُرِىء: للملائكةُ اسجدوا بضم التاء، وغُلِّطت هذه القراءةُ

---

(١) ق: وأعلم. الآية ٣٠ السابقة.

(٢) طباق: مكررة في ق.

(٣) الآية ٣٠ السابقة.

(٤) ق: قلنا.

وخُطِّئتْ ونقل أنّها لغةُ أَزْدِ شَنُوءَة، وهذا الضمُّ إتباع لضمة جيم «اسجُدوا».

و«اسجدوا» أمرٌ بالسجود أمر[1] تكليفٍ وفهموا منه أنّه على الفور. وظاهرُ السجودِ وضع الجبهةِ وأنّه[2] كان لآدمَ تكرمةً له، وقيل لله ونصبه قِبْلَةً[3] فالمعنى: إلى آدم. واللام في آدم للتبيين. ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ أي: له. ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناء من موجب[4] فيرجح النصب وهو متصلٌ عند الجمهورِ وامتنع «إبليس» من الصرف للعَلَمِيةِ والعُجْمَةِ، ومَنْ جعله مشتقاً قال: وشُبِّه العُجَمة لكونِه لم يُسَمَّ به أحدٌ من العربِ فصار خاصّاً بِمَنْ أطلقه اللهُ تعالى عليه وكأنّه دخيلٌ في لسانهم. وهو عَلَمٌ مرتجل والظاهرُ أنّه مندرجٌ في الملائكةِ فهو منهم ولذلك ترتب الذَّمُّ له والطَّرْدُ. وقيل: هو استثناء منقطع وأنّه أبو الجنِّ كما أنَّ آدمَ أبو البشرِ.

﴿أَبَىٰ﴾ امتنعَ وأَنِفَ من السجودِ.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ تَعاظَمَ في نفسه واحتقر من أُمِرَ بالسجودِ له. والاستكبارُ من أفعالِ القلوبِ، وقدم الإباء عليه وإنْ كان أول لأنَّ الإباءَ هو الظاهر و[هو] ناشيءٌ عن الاستكبار. ولما كان الاستثناء دالاً على أنَّ إبليسَ تركَ السجودَ ذكر سببَ امتناعهِ [من السجود] فكأنَّهُ قِيل: وما لَهُ[5] لم يَسْجُدْ؟ فقيل: أبى، ومفعولُه محذوفٌ أي: أبى السجودَ. و«أبى» فعل واجب ومعناه النفي، وأبى كَذَا أبلغُ من: لم يفعلْ كذا، لأنَّ النفيَ بلم قد يكون لعَجْزٍ أو غيره،

---

(١) ق: وأمر.

(٢) ق: وإن.

(٣) ق: قلبه.

(٤) ق: من واجب.

(٥) ق: وما لم لم.

وأبى: يدلُّ على الامتناعِ والأَنَفَةِ وإِنْ كان متمكناً من فِعْلِ الشيء. ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي كانَ في عِلْمِ الله مِمَّنْ سيكفرُ أو وصارَ من الكافرينَ، ولا تدلُّ صِلةُ أل على أنَّهُ سبقه كُفَّارٌ في الأرض.

ولما شَرَّفَ اللهُ تعالى آدم برتبة[١] العِلْمِ وإِسجادِ الملائكة امْتَنَّ عليه[٢] بإسكانِ الجنة التي هي دار النعيم:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

و«اسكن» من السكون. «وقلنا» معطوفٌ على «وإذ قلنا» لا على ما بعدَ إذ. وفائدةُ النداء تنبيهُ المأمور لما يُلقى إليه من الأمر، و«اسكن» وما بعده مشتملٌ على إباحةٍ: وهو الأمرُ بالسُّكْنَى والإذنُ في الأكل، وتكليفٍ: وهو النَّهْيُ الوارد. ويدلُّ «وزوجك» على وجودها زوجةً له قبلَ الأمرِ بالسكنى. واللُّغةُ الفصيحة زوج وقالوا زوجة. «وزوجك» معطوفٌ على الضمير المُتَّصلِ المُسْتَكِنِّ في «اسكن» المؤكد «بأنتَ»، ودعوى أنَّهُ من عطفِ الجمل والتقدير: وليسكن زوجك ليست بصحيحة.

و«الجنَّةُ» دارُ الثوابِ، وقيل: كانت في الأرض.

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ أي: واسعاً كثيراً لاَ عَنَاءَ فيه، وتَمِيم تُسكِّنُ غَيْنَ «رغداً» وقُـرِىءَ به. ﴿حَيْثُ﴾ ظـرف مكان، أذن لهما في الأكلِ في أيِّ ناحيـةٍ منها أرادَا[٣]. وقول ابن عطية: إنَّ النُّونَ حُذفت من «كُلا» للأمرِ

---

(١) ق: برويته.

(٢) ق: عليهم.

(٣) ق: أراد.

لا[1] يجوزُ إلاّ على مذهبِ الكوفيين إذْ يعتقدون أنّه مجزومٌ بلامِ الأمرِ إذْ أصلُه عندهم: لتأكلا.

﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ مبالغةٌ في النّهي عن الأكلِ لأنَّ النّهيَ عن قربانِ الشيءِ آكدُ من النّهي عن الشيءِ وإنْ كان المعنى: لا تقربا هذه الشجرةَ بالأكلِ لأنَّ المأذونَ فيه هو الأكلُ. وقُرِىءَ: ولا تِقربا بكسر التاء.

و«هذه» إشارةٌ للحاضرِ القريبِ من المخاطب، وقُرىء: هذي. «الشجرة» نعتٌ أو عطفُ بيانٍ، ويظهر أنّها شجرةٌ مُعَيَّنَةٌ من الجنس المعلوم وقيل: الإشارةُ إلى جنسٍ من الشجرِ[2] معلوم، ولهم في تعيين أيّ شجرة أقوالٌ[3]. وقرىء: الشِيَرة بكسر الشين وإبدال الجيم ياءً[4]، وتُصَغّرُ على هذه اللغة شُيَيْرَة.

﴿فَتَكُونَا﴾ منصوب على جواب النّهي، وأجازوا أنْ يكونَ مجزوماً [١٧/أ] عطفاً على المجزوم، ولا يدلُّ العطفُ على السببيّةِ بخلافِ النصب. ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهما بمخالفة النّهي ودلَّ ذلك على أنَّ النّهيَ نهيُ تحريم.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾.

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أزَلَّ من الزلل وهو عثورُ القَدمِ، يقال منه: زَلَّتْ قَدَمُهُ. وأزال

(١) ق: ولا.

(٢) ق: الشجرة.

(٣) ق: هي أقوال.

(٤) ق: بعده: وكسر الشين.

من الزوال وهو التَّنحية[1]. وقُرِىء: فأزالهما. والشيطانُ هنا إبليس بلا خلاف، وذكروا في كيفيةِ محادثةِ إبليسَ وأينَ كان منه اضطراباً. وقد قَصَّ اللهُ تعالى ذلك مستوفىً في سورة الأعراف وغيرها[2] فَيُعْتَمَدُ ذلك. والضمير في «عنها» عائدٌ على الجنَّةِ، قيل: أو الشجرة، أي: أصدر زلّتهما عن الشجرة. و«عَنْ» للتسبيب كقوله: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة] والأولُ أظهرُ لقراءة: فأزالهما، إذ يبعد: فأزالهما عن الشجرة. ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من نعيمِ الجنَّةِ إلى شَقاءِ الدنيا. والهبوطُ: الخروجُ والدخولُ، من الأضداد والمضارع: يهبط بكسر الباء وضمّها. وقرىء: اهبُطوا بضم الباء. وقبل قوله «فأزلّهما» جملةٌ محذوفةٌ أي: فأكلا من الشجرة. ولما كان الأمرُ بالهبوطِ من الجنّةِ فيه انحطاطُ المنزلةِ لم يُنَادِهِ بخلافِ ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ اسْكُنْ﴾ [الأعراف].

و﴿اهْبِطُوا﴾ أمرٌ لجماعة آدم وحواء قيل: وإبليس، وقيل: هما والحية، أو هما فقط لأنّ التثنية جمع في المعنى ولقوله: ﴿قَالَ اهْبِطَا﴾ [طه]، وقيل: هما وذُرِّيَّتُهما واندرجوا في الخطاب وإنْ لم يكونوا موجودين تغليباً للموجود. والظاهرُ أنَّهُ هبوطٌ واحدٌ إلى الأرضِ لا هبوط إلى سماء الدنيا ثم هبوطٌ إلى الأرض. وقالوا: [هَبَطَت] حَوَّاءُ بِجُدَّة وآدمُ عليه السلام بِسَرَنْدِيب بوادٍ يقالُ له وَاسِمٌ[3]، والحَيَّةُ بسِجِسْتَان وهي أكثرُ بلادِ الله حَيَّات. و«اهبطوا» أمرُ تكليف وإزعاجٍ. والعداوةُ: تفسّر بتفسيرِ الضمير في «اهبطوا» والجملة حال أي: متعادين، وليس خُلوها من الواو شاذاً خِلافاً للفَرّاء وتبعهُ الزَّمخشريُّ، وليست حالاً منتقلةً بل لازمة إذ لا يَنْفَكُّ وقوعُ الفعلِ إلا ملتبساً

---

(١) ق: النتيجة.

(٢) انظر الأعراف ٧: ١٩-٢٣، وانظر مثلاً طه ٢٠: ١١٧-١٢٣.

(٣) ق: واشم. والصواب ما أثبتناه، انظر معجم البلدان (واسم).

بها. وقال مَكّي: جملة مستأنفة إخبار من الله تعالى بأنَّ بعضَهم لبعض عَدُوٌّ، ويتخيَّل أنّ الحال بعد الأمر يقتضي أنْ يكون مأموراً بها. و﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ مكان استقرار. واستقرار هو من القرار وهو اللَّبْثُ والإقامة. ﴿وَلَكُمْ﴾ هو الخبر. و﴿فِي الْأَرْضِ﴾ متعلقٌ بما تَعَلَّقَ به الخبر، وتقديمه مُسَوِّغٌ لجوازِ الابتداءِ بالنكرة. ولا يتعلق «لكم» «بمستقر» سواء أكان مكاناً أو مصدراً. ولا يجوز أن يكون [«في الأرض»] حالاً والعامل فيه العامل في الخبر، ولا أن يكونَ خبراً و«لكم» حالٌ لامتناع: في الدارِ قائماً زيدٌ، على الصحيح، وامتناع: قائماً في الدار زيدٌ بإجماع. و﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى أجلٍ أو إلى قيامِ الساعة، وفيه دليلٌ على عدم البقاء في الأرض، ويتعلق «بمَتَاع» أو بمحذوف صفة لمتاع، أو له ولمستقر. وأُفرِدَ «عدو» على لفظ بعض، أو لكونه يَصْلُحُ للجمع[1].

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿فَتَلَقَّىٰ﴾ تَفَعَّلَ من اللِّقَاءِ، وافق تفعّل في المعنى المجرد وهو لقي نحو: تَعَدَّاكَ الأمرُ: عداك. وقول من قال: أصله تَلَقَّنَ فأبدل من النون ألفاً لا يصحُّ. وقُرِىءَ برفع «آدم» ونصب «كلمات» وبالعكس. والتلقي: الوصول، ومَنْ تلقّاك فقد تلقَّيته. واختلفوا في تعيينِ الكلماتِ وقد أَبهمها اللهُ تعالى وقال سبحانه في سورة الأعراف ﴿قَالَا [رَبَّنَا] ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف] فلا يبعد أنْ تكونَ هذه الكلمات.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبلها جملةٌ محذوفةٌ أي: فقالها فتابَ عليه، أي: فَتَفضَّلَ عليه بقبولِ توبتِه. وأخبر عنه وحده لأنّه هو المُوَاجَهُ بالأمرِ والنّهي [وهي]

(١) ق: على لفظ بعد أو لكونه يصطلح.

تابعةٌ له أو طَوَى ذِكْرَهَا [كما طوى ذكرها] في قوله: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه] وطَيُّ ذِكْرِ النِّساءِ في القرآن والسنّة كثيرٌ. وقُرِىءَ: أنّه بفتح الهمزة على التعليل، وفي المكسورة أيضاً ربط معنوي كقوله: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف]. وبالغ بقوله: «هو» وبالصفتين اللتين للمبالغة، وتأخر «الرحيم» لأجل الفاصلة.

﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ ﴾ [١٧/ب] تأكيد للأول أو لاختلاف ما جاء بعدهما، فالأولُ معلقٌ بالعداوةِ والثاني بإتيانِ[1] الهُدى، أو هما هُبوطانِ كما تَقَدَّمَ.

﴿ جَمِيعٗاۖ ﴾ حال، قال ابنُ عطية[2]: كأنّه قال: هبوطاً جميعاً أو هابطينَ جميعاً [جعله نعتاً لمصدرٍ محذوفٍ أو لاسم فاعلٍ محذوف كل منهما يدلُّ عليه الفعل. قال: لأنّ «جميعاً»] ليس بمصدرٍ ولا اسم فاعل. وهذا التقديرُ مُنافٍ للحُكْمِ الذي صَدَّرَهُ لأنه قال أولاً: و«جميعاً» حال من الضمير في «اهبطوا»، فإذا كان حالاً على ما قدّر أولاً فكيف يُقَدِّر ثانياً ذلك التقدير؟.

﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم ﴾ كَثُر مَجيءُ مثل هذا التركيب في القرآنِ: ﴿ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ ﴿٤١﴾ ﴾ [الزخرف][3] ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف]. وقال المَهْدَويُّ وتبعه ابنُ عطية[4]: «إمّا» هي إن التي للشرط زِيدَتْ عليها «ما» للتوكيد في الفعل،

(١) ق: بإثبات.

(٢) المحرر الوجيز ١: ٢٤٦.

(٣) ق: نذهبنك.

(٤) المحرر الوجيز ١: ٢٤٧.

ولو سقطت يعني ما، لم تدخل النُّون «فما» تؤكد أول الكلام والنون تُؤكِّدُ آخِرَهُ. وقال ابنُ عطية[1]: دخلت «ما» مؤكدة ليصحَّ دخولُ النُّون المشدّدة فهي بمثابة لامِ القسم التي تجيءُ لمجيءِ النونِ انتهى. وكونُ النون لازمة لفعلِ الشرطِ إذا وُصِلَتْ «إن» بـ«ما» قولٌ للمبرّد والزّجاج، وأما سيبويه والفارسي وجماعةٌ فجوَّزُوا حذفَ النُّون في الكلام إذا وصلت إن بما وإنْ كان الأحسن إثباتها، ولم يَخُصُّوا ذلك بضرورةِ الشعر كما ذَهَبَ إليه المبرّد والزّجَاجُ. و«مني» متعلقٌ بـ«يأتينكم»، وانتقل من ضمير المُعَظِّم نَفْسَهُ أو ضمير أكثر من الواحد إلى ضميرِ المتكلم الخاص به، إشعاراً بأنَّ الهُدى لا يكون إلا منه تعالى والخيرَ كله منه. ودخلت «إن» وإن كانت للمُحْتَمَلِ وقوعُهُ - وهُداهُ واقعٌ لا محالة - لأنَّه أبهمَ وقتَ الإتيان. وهذا الخطابُ يدلُّ على اندراج الذُّرِّيَةِ فيه وإنْ كانوا وقتَ خطابِ أصلهم غير موجودين، والتقسيم إلى متبع الهدى والكافر يدل عليه. والهُدَى هو الكتبُ الإلهيةُ على أيدي الرسل عليهم السلام.

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ جعلَ الهدى بمنزلةِ الإمام المُتَّبَعِ المُهْتَدى به. وفي إضافتهِ إليه تعالى من التعظيمِ ما لا يكونُ فيه لو أتى مُعَرَّفاً باللام وإن كان ذلك سبيل ما يكون نكرة ثم يعاد. وجواب «فإما يأتينكم»: «فمن تبع هداي». وقال السجاوندي: جوابُه محذوفٌ تقديره: فاتَّبعُوه انتهى. وذهل عن أنَّه لا يحذفُ الجواب إلاّ ويكون فِعْل الشرط ماضي اللفظ أو منفياً بلم. وعن الكسائي: جواب الشرطين معاً «فلا خوف». ونصوص المعربين والمفسِّرينَ على أنَّ «من» في ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ شرطيةٌ. ويجوز عندي أنْ تكونَ

---

(١) المحرر الوجيز ١: ٢٤٧.

موصولة بل يترجَّحُ لقوله في قسيمه[1] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ﴾ [البقرة] فأتى به موصولاً. ودخولُ الفاء على الجملةِ الخبرية جائزٌ هنا.

وقُرِىء «هداي» بسكون الياء، وهُدَيّ وهي لغةٌ هذلية. وقرىء: فلا خوفَ بالفتح في جميع القرآن، وبالرفع من غير تنوين «خوف» لكثرةِ الاستعمال، أو على نية أل، وبالرفع والتنوين عادل بين دخولها على مبتدأ أولاً وآخراً. قال ابنُ عطية[2]: والرفعُ على إعمالها إعمال ليس. ولا يتعين ما قاله لأنَّ إعمالَها إعمالٌ ليس قليل جداً وينبغي ألاَّ ينقاسَ ولأنّه يزولُ التعادل[3] ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ نزّل المعنى منزلةَ الجزم وقدم انتفاء الخوفِ على انتفاءِ الحزن، لأنَّ انتفاء الخوفِ فيما [هو] آتٍ آكدُ من انتفاءِ الحزنِ على ما فاتَ، ولذلك أُبرزت جملته [مُصَدَّرةً بالنكرة التي هي أوغلُ في باب النفي، وأبرزت الثانية] مصدرة بالمعرفة. وفي قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إشارة إلى اختصاصهم بانتفاء الحزن وأنَّ غيرهم يحزن. والظاهرُ عُموم نفيِ الخوفِ والحزنِ عنهم لكن يختص ذلك بما بعدَ الدنيا لأنَّهُ قد يَلْحقُ المؤمنَ الخوف والحزن في الدنيا فلا يمكن الحمل على العموم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قَسِيمٌ لقوله: «فمن تبع هداي» وهو أبلغُ من قوله: ومَنْ لم يتبع هُدايَ، وإنْ كان التقسيمُ اللَّفظي يقتضيه، لأنَّ نفي الشيء يكون بوجوه: عدم [القابلية] بخلقة أو غفلة[4]، أو تعمد تركه، فأبرز القسيم في

(١) ق: قسميه.

(٢) المحرر الوجيز ١ : ٢٤٨.

(٣) ق: المتعادل.

(٤) ق: عقله أو تخلفه.

صورةٍ ثبوتية(١) مزيلة للاحتمالِ الذي يقتضيه النفيُ. ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ معيّن(٢) أنَّهُ يُرَادُ بالكفر هنا الشِّرْك لا كفر النعمة ولا كفر المعصية. والتكذيبُ بالآيات [١٨/أ] يدلُّ على أنَّه بالكتبِ(٣) الإلهية والأخبارِ الرَّبانية لأنَّ محلَّ التصديقِ والتكذيب هو الخبر. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ مبتدأ وجوّزَ أن يكون عَطْفَ بيانٍ وبدلاً فيكون «أصحاب» خبراً عن «والذين». و﴿هُمْ فِيهَا﴾ خبر ثانٍ لـ«أولئك» وتفسيرٌ وتبيينٌ أنَّ الصحبةَ أُريدَ بها الملازمة لا مجرد الاقتران بل الخلود الدائم. وحذف من القسيم(٤) الأول ذكر كونه في الجنَّة وعبّر بانتفاء الخوف والحزن، وحذف من الثاني لحاقَ الخوفِ والحزن وعبّر بخلودِه في النّار.

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾.

«إسرائيل» اسمٌ أعْجَمي ممنوعُ الصرف وهو مركَّبٌ - قيل - من إسرا وهوالعبدُ وإيل اسم الله تعالى. وعَمَّنْ قال باشتقاقِه أقوالٌ، وفي كيفية النُّطْقِ به لغاتٌ: إسرائيل وإسراييل وإسرائل(٥) وإسرأل. وتقول في جمعه أساريل وحُكِيَ أسارل وأسارلة. وأقبل عليهم بالنِّداءِ هُزْءاً لهم لسماع ما يلقى إليهم وهم اليهود والنَّصارى وهذا أول افتتاح الكلام معهم. والذكرُ باللِّسان وبضم الذال: ما كان بالقلب. وإضافتهم إلى إسرائيلَ وهو يعقوب على نَبِيِّنَا

---

(١) ق: ثبوته.

(٢) ق: معنى.

(٣) ق: الكتب.

(٤) ق: القسم.

(٥) ط: وإسرئل.

وعليه السلامُ، تنبيهٌ لهم على اتباعه في الخير. والنعمةُ: اسمٌ للشيءِ المنعم به. فالنِّداءُ والأمرُ لبني إسرائيل الذين هم بحضرته عليه السلام بالمدينةِ وما والاها، ويتنزَّلُ غيرهم في ذلك منزلتهم، والوصفُ بـ«التي أنعمت عليكم» يُشعِرُ بِسَبْقِ عِلْمِهم إياها وتعظيم لها إذْ أسندها إلى ذاته في قوله «نعمتي» و«أنعمت» ونِعَمهُ تعالى عليهم كثيرة وأعظمها الكتاب الإلهي من التوراةِ والإنجيلِ المُبَشِّرة بنبوةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾ يقال: أَوْفَى وَوَفَّى وَوَفَى. والعهدُ هو ما كانوا يذكرونَ من إيمانِهم بالرسولِ المبعوثِ في زمانهم إذْ كانوا يستفتحون [به] كما أخبر تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۝٨٩﴾ [البقرة].

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وهو ترتيبُ إنجازِ ما وَعَدَهُم على ذلك الإيفاء، سَمَّاه عهداً على سبيل المقابلة أبرزه في صورةِ المشروطِ المُلْتَزم به، والمَصْدران مُضَافان للمفعول. وقُرِىء: أوفِّ من وفَّى مشدداً، وانجزام «أوف» على جوابِ الأمر. وهل ضمّن الأمرُ معنى الشرط فانجزم، أو نابت عن الشرط إذ حذفت جملته، قولان.

والرَّهبُ: الخوفُ. وانتصب «إياي» بفعل محذوف تقديره: وإياي ارهبوا، وقدره السَجَاوَنْدِيُّ قبله قال: وارهبوا إياي. وهو وَهْمٌ منه لانفصال الضمير وناسب النصب لأنَّ قبله أمر ولأنّه آكدُ إذا أُبرزَ في قالب جملتين. قال الزّمخشريُّ: وهو أوكدُ في إفادةِ الاختصاص من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ۝٥﴾ [الفاتحة]. وتقدم كَلامُنَا معه في دعوى الاختصاص إذا تقدم المعمولُ[1] على العامل. والفاء في ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾ دخلت في جواب أمرٍ مُقَدَّر، التقدير:

---

(١) ق: المفعول. وانظر تفسير قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ۝٥﴾ في فاتحة الكتاب.

تنبَّهُوا [فارهبون] وقُرِىء: فارهبوني بإثباتِ الياء وهو الأصل.

﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾.

﴿ وَءَامِنُواْ ﴾ أمرٌ لبني إسرائيل إذ هم المأمورون، قيل: ولا يخصُّ كعب بن الأشرفِ وأصحابَهُ علماء اليهود. ﴿ بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ هو القرآن. ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ أي من التوراة، واللامُ في «لِمَا» مقويةٌ للتعديةِ و«مصدقا» حال مؤكدة وذو الحال الضمير المحذوف العائد وقيل ما. ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ لا مفهوم هنا لقوله «أول» فيكون قد أُبيح لهم ثانياً أو آخراً فمفهوم الصفة غير مرادٍ وإنَّما ذكرت الأوَّلية لأنَّها أفحش لما فيها من الابتداء بالكفر، ونظيره قول الشاعر[1]: [من الرمل]

من أناسٍ ليس في أخلاقهم عاجل الفُحْشِ ولا سُوء جزع

فعاجل لا مفهومَ له، وأضيف «أول» إلى مفرد وإنْ كان قبله جمع لأنَّ المفردَ إذا كان صفةً جاز أنْ يطابق وأن يفرد وقد جاء ذلك في قول الشاعر[2]: [من الكامل]

وإذا هُمُ طَعِمُوا فَألأمُ طاعمٍ وإذا هُمُ جاعوا فَشَرُّ جياعِ

[١٨/ب] أفرد في «طاعم» وطابق في «جياع». وتأوله النُّحاةُ فقدَّره الفرَّاء: ألأمُ مَنْ طعم، وقدَّره غيره: ألأمُ فريقٍ طاعم. وهنا يتقدر على قول

---

(١) هو سويد بن أبي كاهل اليشكري، والبيت في المفضليات ص١٩٤.

(٢) البيت في النوادر ص١٥٢ منسوب لرجل جاهلي. وهو في الطبري ١: ١٩٩ والبحر ١: ١٧٧.

الفراء: أول من كفر، وعلى قول غيره: أولُ حزبٍ[1] كافر. و«به» عائد على المنزل.

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ الشراءُ هنا مجازٌ يُرادُ به الاستبدالُ ولذلك دخلت الباء على الآيات وإنْ كان القياسُ أن تَدْخُلَ على الثمن. والمعنى: بتغييرِ آياتي ووضعكم مكانَها غيرَها كما قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ۝٧٩﴾ [البقرة]. وآياته: ما أنزلَ تعالى من الكُتبِ الإلهيةِ المحتويةِ على التكليفِ، والمعنى والله أعلم: ولا تستبدلوا [بآياتي العظيمة] أشياءَ حقيرة خسيسة. ولا مفهومَ لقوله «قليلا» بل في ذلك التنبيه على خَسَاسةِ أنفسهم إذْ يبدلون الشيءَ العظيم في تحصيلِ الشيءِ الحقير من مَطْعم أو مشرب أو غير ذلك، أو لأنَّ ما حصل من[2] آياتِ الله كائناً ما كان هو قَليل حقير. ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ الكلام على هذا إعراباً كالكلام على ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾. والفرقُ بين الفاصلتين أنَّ تركَ ذِكْرِ النعمةِ والإيفاء بالعهد ظاهرُه أنَّهُ من المعاصي التي تجوِّزُ العقابَ، إذْ يجوز أن يقعَ العفوُ عن ذلك. وتركُ الإيمان بما أنزل اللهُ تعالى والاشتراء بآيات الله الثمنَ اليسير، من المعاصي التي تُحَتِّمُ العِقابَ وتُعَيِّنُه إذْ لا يجوز أنْ يقعَ العفو عن ذلك، فلذلك ختم تلك بالرهبة وهي الخوف، وهذه باتخاذ الوقاية من النَّار.

﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢﴾.

﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ أي: لا تخلطوا الصِّدْقَ بالكذبِ، وكذبهم أنواع قد قَصَّ الله منها. والباء في «بالباطل» للإلصاق نحو: خلطتُ الماءَ

(١) ق: ضرب.

(٢) ق: عن.

باللَّبن، نُهوا عن ذلك فلا يتميَّزُ الحق من الباطل. وأجاز الزَّمخشريُّ أنْ تكون الباء للاستعانة كهي في: كتبت بالقلم، قال[١]: كأنَّ المعنى: ولا تجعلوا الحَقَّ ملتبساً مشتبهاً بباطلكم انتهى. وفيه بُعْدٌ عن هذا التركيبِ وصَرْفٌ عن الظاهر بغيرِ ضرورةٍ تدعو إلى ذلك. ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ مجزوم عطفاً على «تلبسوا» نهى عن كُلِّ واحد من الفعلين كما في قولكَ: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، نهى عن كُلِّ واحدٍ منهما. وجَوَّزُوا فيه أنْ يكون منصوباً وليس بجيِّدٍ لأنّ النَّهْيَ إذْ ذاكَ يكون منسحباً على الجمعِ بين الفعلين كما في: لا تأكل السمك وتشربَ اللبن، إذا نصبت: وتشرب. ويكون المفهوم يدلُّ على جوازِ الالتباسِ بواحدٍ منهما وذلك منهيٌّ عنه فلذلك رَجَحَ الجزم. وقُرىء: «وتكتمون» ويُخَرَّجُ على الحالِ ولا يكون ذلك إلاّ على إضمارِ مبتدأ أي: وأنتم تكتمون، ويكون إذ ذاك حالاً لازمة لأنّه لا يقعُ لبس الحقِّ بالباطل إلاّ ويكون الحقُّ مكتوماً. وقدّره الزَّمخشريُّ: كاتمين، وهو تقديرُ معنى لا تقدير إعراب. ويجوز أنْ تكون جُملةً خبرية نعى[٢] الله عليهم كتمهم الحق، وعطفت على جملة النَّهي، ولم يراعَ التناسبُ في عطف الجمل وهو مذهب سيبويه. ولُوحظ المعنى لأنَّهم لم يُنهوا إلا عن شيء فعلوه، فتضمن معنى: أنتم تلبسون الحقَّ بالباطل، والحقُّ المكتومُ هو أمرُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم والقرآن وما جاء به وهو مذكورٌ في كتبهم، كانوا يعلمون ذلك ويُظهرون خِلافَهُ. ومعمول «تعلمون» الأولى أن يكون حُذفَ اقتصاراً أي: وأنتم من ذوي العلم فلا يناسب مَنْ كان عالماً أن يكتم الحقَّ ويلبسَهُ بالباطل. وقدَّرُوا حذفه اختصاراً أي: الحقّ من الباطل. وقال

(١) الكشاف ١: ٢٧٧.

(٢) ق: نفى.

الزَّمخشريُّ[١]: «وأنتم تعلمون» في حال علمكم أنَّكم لابسون كاتمون. قال: وهو أقبح لأنَّ الجهلَ بالقبيح رُبَّما عُذِرَ راكبُه انتهى. جعل مفعول العلم اللَّبس والكتم، وكان ما قدَّره على حذفِ مضافٍ أي: وأنتم تعلمون قُبْحَ أو تحريمَ اللَّبس والكتم. وقال ابن عطية[٢]: جملة في [١٩/أ] موضع الحال، ولم يشهدْ لهم تعالى بعلمٍ وإنَّما نهاهم عن كتمانِ ما علموا انتهى. فمفعول «تعلمون» هو الحق، وقال أيضاً: ويحتمل أن يكون شهادة عليهم بعلم حقّ مخصوص في أمرِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ولم يشهد لهم بالعلم على الإطلاق، قال: ولا تكونُ الجملة على هذا في موضعِ الحالِ انتهى. فتكون جملةً ثبوتية معطوفةً على جملة النهي من غير مراعاةِ مناسبةٍ في عطف الجمل.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: التي في شريعة الإسلام. ﴿وَٱرْكَعُوا۟﴾ لَمَّا كان الخطابُ مع بني إسرائيل ولا ركوعَ في صلاتِهم نُبِّهُوا بالأمرِ به على أنَّه مطلوبٌ في هذه الشريعة. وفي قوله: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ دلالةٌ على إيقاعِ ذلك في جماعة. افتتح [سبحانه وتعالى] هذه الآيات بِذِكرِ النِّعمِ واختتمها بذكرِ الانقيادِ للمُنعِمِ، وما بينهما تكاليف اعتقادية وأفعال بدنية ومالية. وهذه الأوامرُ والنواهي وإنْ كانت خاصة في السورة ببني إسرائيل إذ هُم المُخَاطَبُونَ بها، هي عامةٌ في المعنى.

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا

(١) الكشاف ١: ٢٧٧.

(٢) المحرر الوجيز ١: ٢٥٦. والقولان التاليان في الموضع نفسه.

تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ .

الأمر: طلبُ وجودِ الفعل. والنسيان: السهوُ الحادثُ بعد حصولِ العلم ويُطلق أيضاً على التَّرْكِ. والتلاوةُ: القراءة. والعقلُ: الإدراكُ المانع من الخطأ. ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ﴾ استفهامُ توبيخٍ وتقريع. والبِرُّ: فِعْلُ الخير من صِلَةِ رَحِمٍ وإحسانٍ وطاعة لله تعالى. نَعَى عليهم أمرَ الناس بالبِرِّ الذي في فِعْلِه النجاةُ الأبدية وتَرْكهم فعله حتى صار نَسْياً مَنْسِياً. و«أنفسكم» هي ذواتهم. ﴿وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ أي: وأنتم قارئون وعالمون بما انطوى عليه فكيف امتثلتموه بالنّسبة إلى غيرِكم وخالفتموه أنتم؟ وفي «أنتم [تتلون]» تَبكيتٌ عظيم، وهي جملةٌ حالية أبلغُ من المفرد. و«الكتاب» التوراة والإنجيل وفيهما النَّهيُ عن هذا الوصفِ الذميم. ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ تَنبيهٌ[1] على أنَّ ما صدرَ منهم خارجٌ عن أفعالِ العُقلاء. ومركوزٌ في العقل أنَّ الإنسانَ إنْ لم يُحَصِّلْ مصلحةً لنفسه فكيف يحصلها لغيرِه ولا سيما مصلحة تكون فيها نجاته؟ والفاءُ للعطفِ كان الأصل تقديمها لكنَّ الهمزةَ لها صدر الكلام فَقُدِّمَتْ على الفاء، هذا مذهب سيبويه والنُّحاة. وذهب الزَّمخشريُّ إلى أنَّ الفاءَ واقعةٌ موقعها ويقدر بين الهمزة والفاء فعلاً محذوفاً يصحُّ العطفُ بالفاء عليه. وحكم الواو وثم حكم الفاء في نحو: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ ﴿٩﴾﴾ [الروم] ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴿٥١﴾﴾ [يونس]. وقد رجع الزَّمخشريُّ في بعض تصانيفه إلى قول الجماعة.

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ .

(١) كتبت في الحاشية.

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ﴾ اطلبوا[1] المَعُونَةَ. ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ وهو حَبْسُ النفس على ما تكره، وقدمت الاستعانةُ بالصبر لتقدم تكاليف عظيمة يشقُّ التزامها على مَنْ لم يألفها، وثنّى بالصلاةِ إذْ هي عمودُ الإسلام وبها يتميَّزُ المسلمُ من غيره ويحصل بها الاشتغالُ عن الدنيا، ويطلعُ بالتلاوةِ على الوعدِ والوعيدِ، وناهيك من عبادةٍ يناجي فيها ربَّهُ خمسَ مراتٍ في اليوم واللَّيلة يناجي ربَّهُ ويستغفرُ ذنبَهُ. ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي الصلاة، وقيل: الاستعانة. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ شاقة ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى] أي: شَقَّ. ﴿إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ استثناء مفرغ، أي: لكبيرةٌ على كُلِّ شخصٍ لانطوائها على أوصافِهم[2] يتحلَّوْنَ بها لخشوعِهم من القيامِ لله والركوع والسجود له والرجاء لِمَا[3] عنده إذْ مآلُهم إلى السعادةِ فسهل عليهم ما صعب على غيرهم من المنافقين والمرائين.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي: يوقنون، والظنُّ بمعنى اليقين أو الترجيح مشهورٌ عن العرب، ويَتعدَّى في الدلالتين إلى مفعولين وتسدُّ أنّ وإنّ مسدّهما، ولا نحتاج إلى تقدير ثانٍ محذوف كما ذهب إليه الأخفش والمبرّد و﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ فاعل [١٩/ب] بمعنى المجرّد من حيث الوضعُ يقتضي المشاركةَ لأنّ مَنْ لقيك فقد لقيته. والمعنى واللهّ أعلم: مُلاقُو جزاء ربِّهم. وقيل: كنّى بالملاقاةِ عن رؤيةِ الله تعالى، وقيل عن انقضاءِ آجالِهم [لأنّ] مَنْ مات فقد لَقِيَ الله. غداً ملقى الأحبة [محمداً وصحبه]. وقيل: ملاقُو ثواب ربّهم [وعقابه] فعلى هذا يكون الظنّ بمعنى الترجيح. ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ﴾ أي: إلى

(١) ق: طلبوا.

(٢) ق: أوصافهم.

(٣) ق: لمن.

ربِّهم. ﴿رَٰجِعُونَ﴾ أي: إلى أمره.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ نُودوا ثانياً على طريقِ التوكيدِ لينبهوا إلى سماعِ ما يرد عليهم من شكر المُنْعِمِ. والفضل: الزيادةُ في الخير. وعطفُ التفضيلِ على النِّعمةِ من عطفِ الخاص على العام وهو مما انفردت به الواو ويُسمى التجريد كأنَّهُ جرّد من الجملة على سبيل التفضيل. ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي عالَمِ زمانِهم أو على كلهم بما[١] أُوتُوا من الخصائصِ ككثرةِ[٢] الأنبياء وجعلهم ملوكاً وإيتائِهم ما لم يُؤْتِ أحداً.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ أي: العذاب يوماً، أو جعلَ اليومَ مُتَّقى تَوَسُّعاً، أو على حذفِ [مضافٍ] أي: عذاب يوم. ﴿لَّا تَجۡزِي﴾ أي: لا تَقْضِي[٣]، وقُرىء: لا يجزىء أي: لا يغني وقيل: جَزَى وأَجْزَأَ بمعنى واحد. و﴿لَّا تَجۡزِي﴾[٤] جملة صفةٍ فلا بُدَّ من تقدير حذفٍ وأصله: فيه، فهل الحذفُ بتدريجٍ أو حُذف بِرُمَّتِه ابتداء؟ قولان. و﴿نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ﴾ [نكرتان] في سياقِ النَّفي فيعمان. و﴿شَيۡـٔٗا﴾ في سياقه فيعم. وقيل: عن نفس كافرة و«شيئاً» مفعول، وقيل: مصدر أي: شيئاً من الجزاء والإجزاء نحو: ضربت

---

(١) ق: مما.

(٢) ق: كثرة.

(٣) ق: لا يجزي أي لا يقضي.

(٤) ق: ولا يجزي.

شيئاً[(١)] من الضرب. وقُرِىء: ولا يُقبل بالتاء وبالياء مبنياً للمفعول، ويَقبل بفتح الياء[(٢)]، ونصب «شفاعة» وهو التفاتٌ من ضمير المتكلِّم إلى ضمير الخطاب. والضمير في «منها» عائدٌ على النَّفس المتأخرة لِقُرْبِها، ويجوزُ على المتقدمة لأنَّها المحدّث عنها. وظاهرُ هذا التركيب أنَّهُ قد توجد الشفاعةُ ويَنتفي قبولها، ويجوز أنْ يكون من باب:

على لاحبٍ[(٣)]

وأجمع أهلُ السنَّةِ على أنَّ شفاعةَ الأنبياءِ والصالحين تُقْبَلُ في العُصاةِ من المؤمنين لثبوتِ الأحاديثِ الصحيحةِ في ذلك، وخَصُّوا ما وردَ من عدم القبول بالكفار.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي: فداءٌ من مالٍ أو أخذ بدله. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ والنَّصر هو العون، وأتى الضمير مجموعاً وإنْ تقدمَ مُفْرَداً[(٤)] لأنّه في سياقِ النَّفي فيعمُّ كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]، وحَسَّنَ ذلك الفاصلة. وذكر الضمير لأنّه أريدَ بالنُّفوس الأشخاص كقولهم[(٥)]: ثلاثة أنفس. وانسحب حرفُ النَّفي على جملةٍ اسميةٍ ليتكرر الضميرُ فيتأكَّد نفيُ النَّصر بذكر مَنْ نُفي عنه مرتين، وارتفع «هم» على الابتداء أو على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعلُه وهو أرجحُ، لأنَّ «لا» من الأدواتِ المرجّحة للحملِ على

(١) ق: أشياء.

(٢) ط: وتقبل بفتح التاء.

(٣) أول بيت لامرىء القيس في ديوانه ص٦٦، وكماله: [من الطويل]

على لاحبٍ لا يُهتدى بمنارِه إذا سافه العَوْد النَّباطيّ جرجرا

(٤) ق: مفرد.

(٥) ق: كقوله.

الفعل ولأنَّ ما قبلَ هذه [الجملة] جملة فعلية فيحصلُ التَّشَاكلُ. والضميرُ في «وهم» عائدٌ على النفس الأولى أو الثانية أو كِلْتيهما، أقوال. وكان النفيُ بلا التي [تكونُ] للمستقبل غالباً لاستقبالِ الأربعة التي دخلت عليها «لا».

وجاءت الجملُ مرتبةً في الذِّكرِ على حسب الواقع في الدنيا لأنَّ المأخوذَ بحقٍّ إمَّا أنْ يُؤَدَّى عنه وإلا شفع فيه وإلا فُدِيَ وإلاّ تُعْوِنَ على تَخْلِيصِه، وهنا جاءت الشفاعةُ مقدمةً على الفِدْية، وفي غير هذا جاءت الفديةُ مقدمةً على الشفاعةِ[1] لاختلافِ النَّاسِ، فَمَنْ أحبَّ الرئاسة قدَّمَ الشفاعةَ على الفِدية، ومَنْ أحبَّ المالَ قدم الفديةَ على الشفاعةِ. وبُدِىء هنا [بالشفاعة لأنّها أَلْيَقُ بعلُوِّ النَّفْسِ، وجاء هنا] بلفظِ القبولِ وهناك بلفظِ النَّفع إشارة إلى انتفاءِ أصل الشيء وانتفاء ما ترتَّبَ عليه أُعطي المتقدمُ وجوداً تَقَدُّمَهُ ذِكراً هنا، وهنالك[2] أُعطي المتأخر وجوداً تأخره ذكراً.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

وفي العامل في «وإذ» تقديرات اخترنا أنْ يكونَ فِعلاً محذوفاً يدلُّ عليه ما قبله أي: وأنعمنا عليكم إذْ [٢٠/أ] أنجيناكم. وجاءَ بِنُونِ العَظَمَةِ لأنَّ الإنجاءَ من عدوهم من أعظمِ النِّعم فناسب الأعظم نسبته للمعظم. وقُرِىء: أنجيناكم[3]، والهمزة والتضعيفُ للتعدية. وقُرِىء: نَجَّيْتُكُم فوافق الضميرُ ضميرَ «نعمتي» والمعنى خَلَّصناكم من آلِ فرعونَ وهم الذين كانوا يباشرونهم

---

(١) سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

(٢) ق: هناك وهنا.

(٣) ق: نجيناكم.

بأمرِ[١] فرعون. و«فرعون» عَلَمٌ لمن مَلَكَ العمالقةَ، وآلُه: أتباعهُ على دِينه، وامتنعَ من الصَّرْفِ للعَلَمِيَّةِ والعُجْمةِ، واشتقوا منه قالوا: تَفَرْعَنَ الرجلُ: تَجَبَّرَ وَعَتَا. والمشهور في اسمه الوليد بن مصعب وهو من بني عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. ولا يضافُ آل إلاّ إلى الرئيسِ الأعظمِ، قاله الأخفشُ.

سَامَهُ: كَلَّفَهُ العملَ الشاق «فيسومونكم» حالٌ من «آل فرعون» أي: سائميكم أو استئناف حكاية حال، ويقال: سَامَهُ خُطَّةَ خَسْفٍ، أي: كلَّفه، فيكون «سوء العذاب» منصوباً مفعولاً ثانياً ليسوم. و«سوء العذاب» الأعمال الشاقة من البناءِ والتخريبِ ونَحْتِ السواري من الجبال ونقلِ الحجارةِ وضَرْبِ اللَّبِن وطبخ الآجُرِّ والنجارةِ والحدادةِ وضرب الخراجِ على ضَعَفَتِهم إلى غيرِ ذلك مما يُناسبُ هذه التكاليف وكان قومه جُنْداً وملوكاً.

وقُرِىء: يُذَبِّحُونَ مُشَدَّداً دالاًّ على التكثير، ويذبحون من ذَبَح اكتفاء بالمطلق. والجملةُ مستأنفةٌ أو حالٌ من ضمير الرفع في «يسومونكم» أو بدل من «يسومونكم» أو معطوفة عليه حُذف منها حرفُ العطف لثبوته في سورةِ إبراهيم[٢]. ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ أي: الأطفال. ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ أي: يُبْقُونَهُنَّ أحياء. ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ سُمِّينَ بما يؤولُ إليه أمْرُهُنَّ للخِدمة ولمن يَفْترشهن من أعدائهن. وقَدَّمَ ذبحَ الأبناء على استحياءِ البناتِ لأنّه أصعبُ وأشَقُّ إذْ فيه فساد الصورةِ بالكلية. ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ إشارةٌ إلى السَّوْمِ والذبح والاستحياء. ﴿بَلَآءٌ﴾ شِدَّةٌ ومكروه. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ دليلٌ على أنَّ الخيرَ والشَّرَّ من الله تعالى.

---

(١) ق: بأسر.

(٢) في قوله: ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ﴿٦﴾﴾.

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

فَرَقَ بين كذا وكذا: فَصَلَ. ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا ﴾ قُرِىء مخففاً اكتفاء بالمطلق إذ معلوم التكثير بعددِ الأسباط[١]، ومُشَدَّداً دلالة على التكثير. والباء في «بكم» للسبب أو للمصاحبة أي: ملتبساً بكم، والمعنى: جعلناهُ فِرَقاً بكم. وهذا البحرُ يكون قريباً من مصر من بحارها يقال له أساف، ويسمى اليوم بحر القلزم، وفَرْقُه يقال عَرْضاً من ضفةٍ إلى ضفة، وقيل طُولاً خرجوا إلى بريَّةِ[٢] فلسطين. وكان انفراقُ البحرِ بعددِ الأسباط اثني عشر مسلكاً.

﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ ﴾ أي: من الغرق ومن إدراكِ آلِ فرعونَ لكم. وثَمّ محذوفٌ أي: وتبعكم فرعونُ وجنودُه في تَقَحُّمِه فأنجيناكم. ﴿ وَأَغْرَقْنَآ ﴾ الهمزة للتعديةِ ويُعَدَّى أيضاً بالتضعيف. ﴿ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ لم يذكَرْ فرعونَ فيمن غرقَ لأنَّ وجودَهُ معهم مستقرٌّ ولأنَّهم هم الذين سبق ذِكْرُهُم في السومِ والتذبيح والاستحياء. وقد نَصَّ تعالى في غيرِ هذه على غرقه[٣]. وناسبَ نجاتهم من فرعون بإلقائهم في البحر وخروجهم منه سالمينَ نجاة موسى على نبيِّنا وعليه السلامُ، من الذبحِ بإلقائهِ في البحرِ وخروجِه منه سالماً، ولكلٍّ أمَّةٍ نصيبٌ من نَبيِّها. وناسب دعوى الربوبيةِ والاعتلاءِ انحطاط المُدَّعي وتَغْييبه في قعرِ الماء. ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ الجملة حال، والنَّظر هنا من الإبصارِ أي: وأنتم تُبصرون هذه الخوارقَ من فَرْق البحرِ وإنجائِكم وإغراقِ عَدُوِّكم.

---

(١) ق: الأشياء.

(٢) ق: البرية.

(٣) في قوله: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

وقُرِىءَ: واعدنا ووعدنا، فاحتمل «واعد» أن يكون بمعنى «وعد» واحتمل أن يكون من اثنين: وعد اللهُ موسى البحرَ[1]، ووعد موسى المجيءَ للميقات. وموسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث[2] بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم، وامتنع من الصرف للعَلَمِيَّةِ والعُجْمةِ.

﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ ذو الحجة وعشر من المُحرَّم أو ذو القعدة وعشر من ذي الحجة [٢٠/ب] وقُرِىءَ: أربعين بكسر الباء شذوذاً، وانتصب على المفعول به إذْ هي الموعودة، أو على حذف أي: تمام أو انقضاء أربعينَ. ولا يجوزُ نصبه على الظرف لأنَّه معدودٌ فيلزم أنْ يكونَ وقوع العاملِ في كُلِّ فردٍ منها وليس كذلك. وفُسِّرَ بليلة لأنَّ أولَ الشهر ليلةُ الهلال وهذه المواعدةُ بعد خروجهم من البحرِ أو بعد دخولِهم مصرَ بعد هلاكِ فرعون قولان. ونُقل أنَّهم سألوه أنْ يُنزِّلَ اللهُ عليه كتاباً، والمعنى: فخرج إلى ميقاتِ ربه.

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ وإدغام الذال في التاء وإظهارها فصيحان وقُرِىءَ بهما. و«العجل» أل فيه لتعريفِ الماهيةِ أو للعهدِ السابق إذْ كانوا قد صنعوه. ونُسِبَ الاتِّخاذُ إلى جميعهم وإن كان بعضُهم لم يتخذ لأنَّ القبيلة قد تُذَمُّ وقد تُمْدَحُ بما وقعَ من بعضِها. واتخذ: إن كان بمعنى عمل تعدَّى إلى واحدٍ وكان بعد ذلك محذوفٌ مُقَدَّرٌ أي: وعَبَدْتُمُوهُ إلهاً. وإنْ كان بمعنى ما

(١) ط: الوحي.

(٢) ق: بن أجهر بن فاهت. والتصحيح من ط، وانظر القرطبي ١: ٣٩٥.

تعدى إلى اثنين كان الثاني محذوفاً لدلالةِ المعنى أي: اتخذتم العجلَ إلهاً. وظاهرُ العجل أنَّه عِجْلٌ حقيقةً وقيل: شكلُ عجلٍ. ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: من بعد مواعدته أو من بعد ذهابِه إلى الطورِ. ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ أي: باتخاذكم العجلَ إلهاً، وإخبار بأنَّ سَجِيَّتَهُم الظلمُ. وعبادتُهم العجلَ يدلُّ على أنهم مُجَسِّمةٌ أو حُلُولية.

﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٥٢﴾.

﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ أي: لم نُؤاخذكم باتِّخاذكم العجلَ. ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي: بالثناء على المُنْعِمِ المطابق لما يعتقده المُنْعَمُ عليه من حَقِّ المنعم.

﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝٥٣﴾.

﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هو التوراة. ﴿وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ أي: يفرق بين الحق والباطل. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ أي: باتباع الكتابِ المُنزَلِ والعملِ بما فيه إذِ اتِّباعُ الكتبِ الإلهية سببٌ للهداية ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ۝٤٤﴾ [المائدة] ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة] ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ ۝٤٦﴾ [المائدة][1].

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٤﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾ القومُ: اسمُ جمعٍ لا واحدَ له من لفظِه ويختصُّ

(١) ق: آتيناه.

بالرجال. والبارىء: الخالقُ وقيل: المُبْدِعُ للشيء والخالق: المُقَدِّرُ الناقلُ من حالٍ إلى حال. ونداؤه لهم مُضافينَ إليه مُشْعِرٌ بالتَحنُّنِ عليهم وهزٌّ لهم لما يُلْقيه إليهم من أمرِ التوبة وتنبيههم[1] على أنّ عبادةَ غير اللهِ من الظلم، وظلم الإنسان نفسه أفحش من ظلم غيرها. والباء سببية في ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: وعبادته أو إلهاً. وقُرىء: بارئكم بكسر الهمزة واختلاس حركتها وبإسكانها إجراء للمنفصل مجرى المتصل كإبْل في إبِلٍ، ولا التفاتَ لقولِ المبرِّد: إنَّ التسكينَ لَحْنٌ. وقُرىء بالياء مكسورة، فإما إبدال الهمزةِ ياءً على غير قياس، وإمّا أن يكونَ من: برا غير مهموز[2] وحرك الياء نحو قوله:

ويوماً يُوافين[3] الهوى غير ماضيٍ [من الطويل]

﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أمر بإزهاق الروح بالقتلِ لمن اتَّخذ العجلَ ولا يكون إلاّ بوحيٍ من اللهِ تعالى. والظاهرُ أنَّهم أُمروا بقتلِ أنفسِهم فيباشر الواحدُ قتلَ نفسِه وإنْ كانت التوبةُ هي القتل فيكون: فاقتتلوا بدلاً من: فتوبوا وإنْ كان القتلُ من تمامِ التوبة، فالفاء للتعقيب، والمعنى: فأتْبِعُوا التوبةَ القتل تتمّةً لتوبتكم.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الإشارة إلى القتل. وجهةُ الخيرية أنّه مُفْضٍ إلى الخلاصِ من دخولِ النار، و«خير» أحد الخيور أو أفعل التفضيل [أي الهلاك العاجلُ خيرٌ من الهلاكِ الدائم على حد: العسلُ أحلى من الخَلِّ. «ولكم» في موضعِ

---

(١) ق: ونبّههم.

(٢) ق: مهموز.

(٣) ق: توافينا. وهو صدر بيت في التسهيل ص١١ وعجزه:

ويوماً ترى فيهن غولاً تغوّل

والبيت لجرير في ديوانه ١: ١٤٠ وروايته: غير ماصِباً، ولا شاهد فيه.

الصفةِ إنْ كان خيراً من الخيور ومتعلق بخير إنْ كان أفعل التفضيل]. وتكرَّرَ لفظ «بارئكم» لكونه في جملتين. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [إخبارٌ بالتوبةِ عليهم، وثَمّ محذوف أي: فامتثلتم ذلك] فتابَ عليكم. وهاتان الجملتان مُندرجتان تحتَ [الإضافةِ إلى الظرف الذي هو إذ في قوله «وإذ قال». وأجاز الزَّمخشريُّ أنْ يكون مندرجاً] تحتَ قولِ موسى على تقديرِ شرطٍ محذوف كأنَّهُ قال: فإنْ فعلتم فقد تاب عليكم، فتكون الفاء إذْ ذاكَ رابطةً لجملةِ الجزاءِ بجملةِ الشرطِ المحذوف[1]. وما ذهبَ إليه الزَّمخشريُّ لا يجوز وذلك أنَّ الجوابَ يجوز حذفه[2] كثيراً للدلالةِ عليه، وأما فعلُ الشرطِ وحده دون الأداةِ فيجوزُ حذفه إذا كان منفياً [٢١/أ] بلا في الكلام الفصيح نحو[3]:

وإن لا يَعْلُ

فإنْ كان غيرَ منفيٍ بلا فلا يجوزُ إلّا في ضرورة، وكذلك حذفه وإبقاء إن. أما حذفهما معاً وإبقاء الجواب فلا يجوز إذْ لم يثبت في كلامهم، وجَزْمُ الفعل بعدَ الأمرِ والنَّهي ليس من هذا الباب.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

---

(١) انظر الكشاف ١: ٢٨١.

(٢) ق: يجوز صفة.

(٣) البيت للأحوص في ديوانه ص١٩٠. وكماله: [من الوافر]

فطلّقها فلست لها بكفءٍ ... وإلّا يعلُ مفرقك الحسام

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ﴾ يَعُدُّ عليهم ما صَدَرَ منهم من سُوءِ الاقتراح. وفي نداائهم موسى عليه السلام باسمه دليلٌ على سُوءِ أدبهم [معه] وقد تكرَّرَ ذلك منهم في ندائه. ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي: لن نُصدِّقكَ فيما جِئتَ به من التوراةِ وكانوا مؤمنين به ولذلك قالوا: «لك». ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: ينتفي إيمانهم إلى هذه الغاية فإذا رَأَوْنا آمنوا [له]. والرؤيةُ بصريةٌ وأُكِّدَتْ «بجهرة» مبالغة في الإبصار، وانتصب على أنَّه مصدرُ نوعٍ من الرؤية، أو على أنَّه في موضعِ الحالِ، أي: ذوي جهرة أو جاهرين بالرؤية. وقُرِىء بفتح الهاء مصدراً كالغَلَبَة أو جمع جاهر. ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أمرٌ حَدَثَ عنه الموتُ ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ما حَلَّ بكم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ الظاهرُ أنَّهم ماتوا، أو عبر بالموت عن الغشي، وبالبعثِ عن الإفاقةِ. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعْمَتَهُ ببعثِكم بعدَ الموت.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ أي: ستَرناكم من حَرِّ الشمسِ بالسحاب. والغمام مفعول على إسقاط الباء أي بالغمام، أو مفعول به أي: جعلناه عليكم ظُلَّةً.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾ وهو صمغةٌ حلوةٌ تسقطُ على الشجر ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ طائر قيل هو السماني أو شبهه. ﴿كُلُوا۟﴾ أمرُ إباحةٍ أي: وقلنا كُلُوا. ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾ أي: مُسْتَلَذَّات إذْ لا أشرفَ في المأكولِ من اللَّحم والحلو.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ نفى أنْ يقعَ منهم ظلمٌ لله تعالى، وفيه دليلٌ على أنَّهُ ليس من شرطِ نفيِ الشيءِ إمكان وقوعه، وكانت صدرتْ منهم قبائحُ كثيرة، والمعنى: لم يصلْ إلينا من ذلك ضررٌ؛ بل وبالُ ذلك مختصٌّ بأنفسهم. ولما كان قد وقع منهم ظلمٌ ونفى أنْ يصل إلى الله تَشَوَّفَتِ النَّفسُ إلى ذِكْرِ مَنْ وقع به الظلمُ، فاستدرك أنَّ ذلك الظلمَ الحاصلَ منهم إنما كان واقعاً وَبَالُه

بهم. و﴿ يَظْلِمُونَ ﴾ مضارع ماضٍ من حيث المعنى.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ هي بيت المقدس، ويقال: قرية بكسر القاف لغة يمانية. ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾ إباحة في أيِّ مكانٍ شاؤوا. وتأخَّر ﴿ رَغَدًا ﴾ وإنْ كان تقدمَ في قصة آدم لمناسبةِ الفاصلةِ بعده في قوله ﴿ سُجَّدًا ﴾ وتقدم هناك إذ لاصق الأكل. وهذا البابُ يسمى الآن باب حطّة، أُمِرُوا بأنْ يدخلوا البابَ واضعي جباههم بالأرض. قال الزَّمخشريُّ[1]: أُمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكراً لله وتواضعاً انتهى. ولم يُؤمروا بالسجود بل هو قيد في وقوع المأمور به وهو الدخول، والأحوالُ نِسَبٌ تقييدية والأوامرُ نسب إسنادية فتناقضَتا. وذُكِرَتْ[2] هيئاتٌ في الدُّخولِ وفي الصحيح: «دخلوا البابَ يزحفون على أستاههم[3]». ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ أي مسألتنا حطّة وهو مصدر كِنشْدة أو هيئة كقِعْدة. وقُرىء بالنَّصب كقوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يوسف] و﴿ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المعارج]. لما سألوا حَطَّ ذنوبهم رَتَّبَ على ذلك غفرانَ الخطيئة. وقال الزَّمخشريُّ[4]: فإنْ قلتَ: هل يجوز أن ينصب «حطّة» في قراءة مَنْ نصبها «بقولوا» على معنى: قولوا[5] هذه الكلمةَ؟ قلتُ: لا يبعدُ انتهى.

---

(١) الكشاف ١ : ٢٨٣.

(٢) ق: وذكرتا.

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢٣١٢.

(٤) الكشاف ١ : ٢٨٣.

(٥) ق: قوله. والتصويب من ط والكشاف.

وما جَوَّزه ليس بجائزٍ لأنَّ القولَ لا يعملُ في المفردات إلا إنْ كان المفرد مصدراً أو صفةً له أو معبراً به عن جملة نحو: قلت شعراً أو خطبة، و«حطّة» ليس واحداً من هذه ويكون على قوله من الإسناد اللفظي، فلا يَتَرتَّبُ على قوله إلا مجرَّدُ الامتثالِ بالنُّطق باللَّفظ، فلا فرق بينه وبين اللَّفظ الغفل، ويبعدُ أنْ يرتبَ الغفران للخطايا على [٢١/ ب] النطق بمجردِ لفظٍ لم يَدُلَّ على معنى كلام.

وقُرِىء: يغفر بالياء وبالتاء مبنياً للمفعول، وبهما مبنياً للفاعل[١]، ونغفر بالنون. وقرىء: خطاياكم وخطيئتكم وخطأياكم بهمزِ الألفِ الأولى دونَ الثانية، وخطايأكم بهمز الثانية دون الأولى. وتقدم الأمرُ بالدخولِ والأكل ودخول الباب وقوله «حطّة». والجواب مترتِّبٌ على دخولِ البابِ بقيدِ السجود. وقوله «حطة» لقوّة المناسبة والمجاورة ويدلُّ على ذلك قصة الأعراف[٢]. وأدغم قومٌ راءَ «نغفر» في اللام. ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ وفي الأعراف: سنزيد. والذي فيها مختصرٌ من هذه، ألا ترى إلى سقوطِ الواو من «سنزيد» وحذف «رغداً» و«فأرسلنا عليهم»[٣] بالضمير. ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي على غفرانِ الخطايا ثواباً ودرجات مَن أحسن منهم.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

---

(١) ق: للمفعول.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأعراف].

(٣) في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف].

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ انقسموا إلى ظالمٍ وغير ظالم، فإنْ كانوا كُلُّهم ظالمينَ كان من وضع الظاهر موضع الضمير أي: فَبَدَّلُوا. ونبَّه على عِلَّةِ التبديلِ وهو الظلم والمبدلُ به محذوفٌ تقديرهُ: فبدَّل الذين ظلموا بقولهم حطَّة قولاً غيرَ الذي قِيلَ لهم. ولما حذف ناسب إضافة «غير» إلى الاسم الظاهر، ولو لم يحذف لكان التركيب: بقولهم حطّة قولاً غيره، وأبهم الذي قالوه، وفي الصحيح[1]: هو مُفَسَّرٌ «قالوا: حبّةٌ في شَعَرة» أُمِرُوا بأنْ يسألوا حِطَّةَ ذنوبهم فقالوا ذلك استهزاءً وعدمَ مبالاةٍ فاستحقوا النَّكَالَ.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ إشعاراً بعليّة نُزولِ الرجز وهو العذاب، ولم يُعيّنْ في القرآنِ نوعهُ. وقُرِىء: رُجزاً بضم الراء. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [إشارة] إلى الجهة التي نزلَ منها العذابُ. وقرىء: يَفْسُقون بضم السين وكسرِها.

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ طَلَبَ السُّقيا، وهذا هو الإنعامُ التاسع ومفعول «استسقى» محذوفٌ أي: ربَّهُ كما قال: إذ اسْتَسْقَاهُ قومُه أي: طلبوا منه السُّقيا [فعدّاه إلى المستسقى منه] وجاء معدّى إلى المستسقى قال الشاعر[2]:

[من الطويل]

(١) انظر صحيح مسلم ٤: ٢٣١٢.

(٢) من شعر أبي طالب يمدحُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو في السيرة النبوية ١: ٣٠٠، وفي النهاية ١: ٢٢٢. وعجزه:

ثمال اليتامى عصمةٌ للأراملِ

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه

فاحتمل أن يكون المحذوف ماءً. والاستسقاءُ يدلُّ على فقدهم الماءَ أو قلّته بحيثُ لا يكفيهم. وثَمَّ محذوفٌ أي: إذا عطشوا. ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ أي: فامتثل الأمر فضرب. وفي هذا دليلٌ على قدرةِ الصانعِ وإثبات نبوّة موسى عليه السلام إذْ هو خارقٌ عظيم. والإضافة في ﴿بِّعَصَاكَ﴾ إشعارٌ بأنَّها العصا التي كان يُلازمها ولعلَّها التي سأله تعالى عنها في قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴿١٧﴾﴾ [طه]. والظاهر أنّ أل في «الحجر» [للعهد] قيل: كان حجراً مُعَيَّناً حمله معه من الطور، وقيل أل للجنس فأيّ حجرٍ ضربَ [انفجر]، وفي وصفه ومن أيِّ شيءٍ كان أقوالٌ مضطربة. ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ معطوفٌ على ذلك المحذوفِ أي: فضَرَبَ فانفجرت. ودعوى أنَّ فاء «فانفجرت» هي فاء فضرب فحذف «فضرب» لدلالة فَائِهِ عليه، وحذفت [فاء] «فانفجرت» لدلالة «انفجرت» عليها - تَخَرُّصٌ على العربِ بغيرِ دليلٍ.

وزعم الزَّمخشريُّ[1] أنَّ الفاء ليست للعطف بل هي جواب شرطٍ محذوف كأنَّه قال: فإن ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة] وهي على هذا فاءٌ فصيحةٌ لا تقع إلا في كلامٍ بليغٍ. انتهى كلامه. وتقدم ردّنا عليه ذلك في قوله: «فتاب عليكم» ورَدَدْنَا عليه هنا في الكتاب الكبير[2] في تقديره بعد الفاء قَدْ، أي: فتاب[3] عليكم فقد انفجرت.

والظاهر أنَّ معنى انفجرت وانبَجَسَتْ واحدٌ إذْ هي قصةٌ واحدة، وقيل:

---

(١) الكشاف ١: ٢٨٤.

(٢) انظر البحر ١: ٢٢٨.

(٣) ط: فقد تاب.

الانفجارُ اتِّساعُ الماء وكثرته، وانبجاسُه رَشْحُه وأقلُّ خروجِه. ومِن في ﴿مِنْهُ﴾ لابتداء الغاية والضمير عائدٌ على الحَجَرِ، وفيه من الإعجازِ ظهور الماء من حجرٍ لا اتصالَ له بالأرض فتكون مادته منها وخروجه كثيراً من حجرٍ صغير وبقدر حاجتهم وعند الضربِ بالعصا وانقطاعه عند الاستغناء عنه وعدد عيونه على [٢٢/أ] عدد الأسباط.

وقُرِىء: عشرة بسكون الشين وكسرها وفتحها. و«اثنتا» معرَّب و«عشرة» مبنيٌّ في موضعِ خفضٍ بالإضافة. و﴿عَيْنًا﴾ تمييزٌ لازم الإفراد. وأجاز الفَرَّاءُ في مثل هذا جمعه. ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ أي: قد عرف. ﴿كُلُّ أُنَاسٍ﴾ أي: من قومِه [الذين] استسقى لهم. ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ أي: العين الذي هو مشرب لهم أي: مكان شربه[1] فلا يتعدَّاه إلى عينٍ غيرها. والإضافة في ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ تدلُّ على التخصيص، وأعاد الضميرَ على معنى كلّ لا على لفظه فلا يجوز: مشربه، والمعنى مشربهم من تلك الأَعْيُن. وذكر المشرب تنبيهٌ على المنفعةِ العظيمةِ التي هي سبب الحياة.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أمرُ إباحةٍ. ﴿مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ مِنْ للابتداء أو للتبعيض. ولَمَّا كان من غيرِ تعبٍ أُضيفَ إلى الله تعالى. ويتعلق «مِن» بقوله ﴿وَاشْرَبُوا﴾ على إعمالِ الثاني. والرزق: المرزوق وهو المَنُّ والسلوى، والمشروب من ماء العيون. ولما كان قد تهيَّأ لهم المأكولُ والمشروبُ من غير تعبٍ نُهوا عن الفسادِ إذْ كان ذلك مما قد يدعو إلى الفساد كما قال الشاعر[2]:

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجده ... مَفْسَدةٌ للمرءِ أيّ مَفْسده

[من الرجز]

(١) ق: شرب.

(٢) هو أبو العتاهية، والبيت في ديوانه ص٤٤٨.

والعَثْيُ: أشدُّ الفسادِ، ويقال: عَثَا يَعْثُو وعثى يَعْثَى عثياً فهو [مِمَّا] لامُه ياءٌ وواو. و﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

ولما سَئِمُوا من أكلِ طعامٍ واحد [مالوا إلى أكلِ ما كانوا أَلِفُوه من اختلافِ المأكلِ قالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾] وسألوه أنْ يدعوَ الله لهم إذ كان سؤال النبيِّ أقرب للإجابة. ولَمَّا كان ما يأكلونه لا يتبدَّلُ وصفوه بأنَّهُ طعامٌ واحد. ومتعلقُ الدعاء محذوفٌ أي: بأنْ يُخْرِجَ لنا كذا. ولفظة «ربك» تدلُّ على الاختصاص به لما كان فيه من المناجاةِ وإنزالِ التوراةِ عليه. ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ مِنْ تَبْعِيضية. ﴿مِنۢ بَقْلِهَا﴾ بَدَلٌ أُعيدَ معه الجار. وأُسندَ الإنباتُ إلى الأرض مجازاً لما كان الله تعالى جعلَ فيها قابليةَ الإنبات. والبدل من التبعيض تبعيضٌ. وفي «البحر»[1] أنْ المَهْدَوِيَّ وابنَ عطية وأبا[2] البقاء قالوا: مِن في: [«من] بقلها» لبيان الجنس. والبقلُ: النعناعُ والكرفس والكراث وأشباهها[3]. والقِثاءُ معروفٌ، وقُرِىء بكسر القاف وضمِّها. والفوم: الثوم وقراءة عبدالله: وثومها [بالثاء] واحتمل أن يكون مما أُبدلت ثاؤُه فاءً، واحتمل أن يكون مادةً أخرى.

(١) انظر ١: ٢٣٢.

(٢) ق: وأبو.

(٣) ق: وأشباههما.

والهمزة في ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾ للإنكار أي: أتعتاضون، واستفعل هنا للطلب أي: أتطلبونَ تبديلَ الذي هو أدنى، والمنصوب هو الحاصل والذي تدخل[١] عليه الباء هو الزائل. و﴿أَدْنَىٰ﴾ أفعل تفضيل من الدُّنُوِّ أي: أقرب. قيل: أو من الدُّونِ وهو الرديءُ فَقُلِبَ[٢]. أو أصله أدنأ فسهلت همزته بإبدالها ألفاً من الدَّنَاءةِ وقد قُرِىء بالهمز. ولم يُقَيِّد الأدنويةَ والخيريةَ إذْ معلومٌ ثبوتُ الخيرية لما كانوا فيه وثبوت الأدنوية لما سألوه. والضمير في «قال» لموسى أي فَدَعَا فأجابه اللهُ لما دَعَاهُ فقال أي موسى بإذن الله، أو الله تعالى ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ وقُرِىء بالتنوين أي: من الأمصار [بدليل أنهم][٣] سكنوا الشامَ بعد التِّيه، وبغير تنوينٍ على أنَّها مصر المعروفة دار فرعون. ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ أي: فيها ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ وقُرِىء: سألتم بكسر السين وهو من تداخل اللُّغتين، أي: من البقولِ[٤] والحبوب.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أي: أُلْزِمُوا ذلك، من [قولهم] ضربَ الأميرُ البعثَ على الجيشِ. فالذِّلَّةُ بما أُلزموا من الجزيةِ وإظهار الزيِّ المُخَالِف لزيِّ المسلمينَ، والمسكنةُ: الخشوعُ والتطامنُ والفقر والشُّحُّ. ولم تكن الجزيةُ [٢٢/ب] مضروبةً عليهم من أوَّلِ أمرهم فيكون من الإخبارِ بالغيبِ إذْ كان ذلك في ملَّةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم، ضُربت عليهم الجزيةُ وقيل الذلّة كونهم ذليلينَ في أنفسهم ليس فيهم من الشَّهامةِ ما يقاتلون بها مَنْ عَادَاهم، ألا ترى إلى قولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ

---

(١) ق: تدل.

(٢) ق: فقلت.

(٣) عبارة ق: أي من الأمصار وبغير تنوين سكنوا الشام. والتصحيح من ط.

(٤) ق: القبول.

فَقَـٰتِلَآ ﴿٢٤﴾ [المائدة][1] وقوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ[تَوَلَّوۡاْ] إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ ﴿٢٤٦﴾ [البقرة].

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ﴾ أي: رجعوا فالباء للحال، أو استحقوا فالباء صلة زائدة، أو [نزلوا] وتمكنوا فالباء ظرفية. والغضبُ هنا ما حَلَّ بهم من البلاء والنقم. ﴿مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ متعلق بباؤُوا أو بمحذوفٍ في موضعِ الصِّفةِ، وبكونهِ من الله فيه تَعظيمٌ للغضب. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الضرب والمباءة، وهو مبتدأٌ خبرهُ ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ [أي]: كائن بكفرهم، والباء للسبب. ﴿كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ أي: في حالهم السابقة.

و﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [أي: التي] أظهرها على يدي أنبيائه موسى وغيره ممن سبق كالمعجزاتِ التِّسع والتوراة. ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يحيى وشعيا[2] وزكريا. وقرىء بتاء الخطاب فيكون التفاتاً، وبالتَّشديد مع الياء دلالةً على التكثير فقيل: قتلوا ثلاثَ مئةٍ وقيل: سبعين[3] . ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ ليس احترازاً بل لا يقع قتل نبي إلاّ بغير حَقٍّ فهو قيدٌ لازم نحو: دعوت الله سميعاً. وجاء تشنيعاً عليهم أي لم يَدعوا وجهاً في القتل. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ تأكيداً للجملة قبله، أو الحامل على الكفر والقتل هو سوء عصيانهم واعتدائهم إذِ المعاصي تَزيدُ[4] الكفرَ. قابلَ الضربَ والمباءة بالكفر والقتل، وقابلَ الكفرَ والقتلَ بالعصيان والاعتداء. وأل في «النبيِّين» للعهد فيمن قتلوا، أو للجنس. وفي «بغير الحق» كذلك أي الحق الذي منشأنِه أنْ يقعَ القتلُ، أو لتعريف

---

(١) ق: اذهب.

(٢) ق: وشعيب، والتصويب من ط والكشاف ١: ٢٨٥.

(٣) ق: سبعون.

(٤) ط: بريد.

الماهية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿هَادُواْ﴾ هم اليهود، هَادَ يَهُودُ: تابَ. وقُرىء: هادَوا بفتح الدال من: هادى فاعل، من الهدايةِ بمعنى فعل كجاوز وجاز[1] أي: هدوا أنفسهم وهم اليهود.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ جمع نَصْران كندمان وندامى، والألف للتأنيث يدل عليه منع الصرف في قوله ﴿إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة] وقيل: [جمع] نَصْري كمهري ومهارى[2].

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ قيل: عُبَّاد الكواكبِ القائلونَ بتدبيرها، وقُرىء مهموزاً، صَبأَتِ النجوم: طلعت، وثَنِيَّةُ الغلام: خَرجَتْ، وبغير همزٍ صَبَا: مالَ. و﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل من المعاطيف الثلاثة التي بعد اسم إنَّ أي: إنَّ الذين آمنوا من غير الأصناف الثلاثة. و«من» موصولة. ودخلت الفاءُ في خبر إنَّ لأنَّ «الذين» ضُمِّنَ معنى اسمِ الشرط وهو جائزٌ في كلام العرب ولا مبالاةَ بمن خالفَ في ذلك. والأجرُ: الثوابُ المرتَّبُ على العملِ من الإيمانِ والعملِ الصالح. أفرد الضميرَ في «آمن» «وعمل» حَمْلاً على لفظ «مَنْ»، وجمع في ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ حملاً على المعنى. ودعوى ابنِ عطية أنّه إذا حُمِلَ على اللّفظ ثُمَّ على المعنى فلا يجوز أنْ يعود إلى اللّفظ - باطلةٌ. وقرىء: ولا خوف

(١) ق: وجازى.

(٢) ق: كمهدي ومهادى.

بنصب الفاء.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

الخطاب في ﴿ مِيثَٰقَكُمْ ﴾ لبني إسرائيل وهو الإنعامُ العاشرُ، وهو العهدُ عليهم بالإعلام بما تَضَمَّنَتْهُ التوراةُ وتبيينه وعدم كتمه ولما فيه من إظهارِ نبوة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

«الطور» الجبلُ الذي ناجى عليه الله تعالى موسى عليه السلام. امتنعوا من أخذِ التوراةِ والتزامها فرفعَ فوقهم[1] الطورَ قيل: مقدار العسكر وصارَ كالظُّلَةِ.

﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم ﴾ أي: وقلنا خُذوا ما آتيناكم، والذي أُوتوهُ الكتاب.
﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أي: بجدٍّ واجتهادٍ. وقُرِىء: ما آتيتكم بقوّةٍ، وهو التفاتٌ.
﴿ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ ﴾ أمرٌ بحفظِه وعدمِ تناسِيه قولاً وعملاً. وقُرِىء: وادَّكِرُوا ما فيه، من الادِّكارِ. ويُفهم من سياقِ الكلام أنَّهم امتثلوا الأمرَ وعملوا بمقتضاه.

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: أعرضتم عن الميثاقِ والعملِ به [من بعد أخذهم الميثاقَ والعمل به] ورفع الجبل، وهذا كلُّه تذكيرٌ لليهود. ﴿ فَلَوْلَا

(١) ق: فوقكم.

[٢٣/أ] ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بقبولِ التوبة ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالعفوِ عن الزَّلةِ. وارتفاع «فضل» على الابتداء، هذا مذهب البصريين. و﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق «بفضل» والخبر محذوفٌ واجبُ الحذفِ على المختار. ﴿لَكُنتُم﴾ جواب لولا، ويكثرُ دخولُ اللام عليه إذا كان موجباً، وزعم بعضُ النَّحويين أنّها لا تحذف منه إلاّ في الشعر. ﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: من الهالكين في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ عَلِم هنا تَعدَّتْ إلى واحد، أي: عرفتم أعيانهم. واعتداؤهم فيه أنَّهُ حَرَّم عليهم العملَ فيه وصيدَ الحيتانِ فيه فكان يكثر ظهورُها فيه وتذهبُ بعد ذهابه فتحيَّلُوا في صيده بنوعٍ من الحيل كحفرِ حَفيرةٍ أو ربط الحوت بخزمة[١] فإذا مضى السبتُ أخذوه، ثم كثُرَ ذلك حتى صادوه يومَ السبت علانيةً وباعوه في الأسواق. و«منكم» في موضع الحال أي: كائنين منكم. «في السبت» يتعلق «باعتدوا» أي: في العملِ يومَ السبتِ بالاصطيادِ فيه ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾ أمرٌ يدلُّ على سرعةِ الكونِ بهذا الوصفِ وكأنّهم ممتثلونَ ذلك وإلاّ فليسوا بقادرينَ على ذلك، والظاهر صَيْرُورَتهُم قردةً حقيقةً. وقد جاء في الحديث أن أُمَّةً مُسِخت[٢]، ولا ينكر ذلك من قدرة الله تعالى، ألا ترىٰ إلى انقلابِ عَصَا موسى عليه السلام حيَّةً ثم عَوْدها عصا؟. والقرد معروف، وفِعْلٌ الاسم القياس فيه فُعول نحو قرود، وجمعه على فِعَلة لا ينقاس نحو قِرَدة وحِسَلة في جمع [قرد و]حسل. والخسء: الصَّغَارُ والطَّرْدُ وفعله خَسأَ يَخْسأُ خَسأً متعدياً ولازماً.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي: الكينونة قردة. ﴿نَكَٰلًا﴾ عبرةً، وأصلُ النَّكالِ المنعُ، والنكل: القَيْدُ. ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ أي: لمن قرب منها. ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: من

---

(١) ق: بحزمه. والخزمة: رباط يقيّده.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٥٤٦ ونص الحديث «ذُكر لي أن أمة من بني إسرائيل مسخت».

جاء بعدهم. ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: إذكاراً. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لأنَّ الذين ينتفعون بالموعظة إنما هم المتقون.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ وُجِدَ قتيلٌ في بني إسرائيل فجهلوا قاتِلَهُ فاختلفوا فيه فأمرهم اللهُ تعالى بذبحِ بقرةٍ فتعنّتوا فيها مرّةً بعد مرّةٍ. وقُرِىء: يأمركم بإخلاص ضَمَّةِ الراء وباختلاسِها وبإسكانها. والبقرة: الأنثى من البقر وقد تُطْلَقُ على الذكر. وكان المأمور بذبحه بقرة إذْ كانوا مِمَّنْ يعظِّمُ البقرَ حتى عملوا عجلاً وعبدوه. وقرىء: أتتخذنا بتاء الخطاب أي: يا موسى، وبالياء أي: الله تعالى. ﴿هُزُوًا﴾ أي ذوي هزء. استغربوا لما سألوا موسى عن تعيينِ القاتلِ فأجابهم بهذا، هذا على ما هم عليه من سوءِ عقيدتهم في أنبيائهم وتكذيبهم لهم، ولو وُفِّقُوا[1] لكان الجوابُ منهم امتثالَ الأمر. ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي ممّن يخبر عن اللهِ تعالى بأمر لم يأمر به.

ولما استعاذ موسى عليه السلام بالله علموا أنَّ ما أخبرهم به هو عزيمةٌ من الله بما أمرهم به من ذبحِ البقرة فـ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ وفي الحديث[2]: لو اعترضوا [أدنى] بقرة فذبحوها لأَجْزَأَتْ عنهم[3] ولكن

(١) ق: وقفوا.

(٢) قاله ابن عباس وأبو العالية وغيرهما، انظر القرطبي ١: ٤٤٨.

(٣) ق: وفيها لأجزت عنهم.

شدَّدُوا فشدِّدَ عليهم. و«ما هي» مبتدأ وخبر في موضع مفعول به وهي معلقة لأنَّ التبيينَ إعلامٌ في المعنى. و«ما هي» ليس سؤالاً عن الماهيةِ إنما هو سؤالٌ عن الوصفِ ولذلك جاء الجوابُ بالوصف فكأنَّهم قالوا: ما صِفَتُها، ولما عَلِمُوا ما لموسى عند الله تعالى من الخصوصيةِ قالوا: رَبَّكَ.

﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ صفةٌ للبقرة. وإذا وصفت النكرةُ بما دخلت عليه [لا] كُرِّرَتْ وكذا الخبر والحال إلا ما ندر. والفارضُ: المسنُّ التي انقطعت ولادتها من الكبر يقال: فَرَضت [وفَرُضت] بفتح الراء وضمّها تفرض [٢٣/ب] فروضاً. والبِكْرُ: الصغيرةُ التي لم تلد من الصِّغَرِ، قيل: أو ولدتْ وَلَداً واحداً. والعَوَانُ: النَّصَف وهي التي ولدت مرةً بعد مرة يقال: عانت[1] المرأة، و«عوان» تفسير لما تَضَمَّنَهُ الوصفان. ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين الفروض والبكارة، وأفرد ذلك إذْ قد يشار به للمفرد والمثنى والمجموع بصيغةٍ واحدة فيقال: كيف ذلك الرجال يا رجال، وكذا كافُ الخطابِ قد تكون مفردةً للمفرد والمثنّى والمجموع من المذكّر والمؤنَّث، أو حذف معطوف كما حذف في قوله[2]:

فما كان بين الخير

إذْ «بين» تقتضي شيئين أو أشياء.

﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ أمرٌ بامتثال ما أُمِرُوا به فلم يفعلوا وتَعَنَّتُوا في السؤالِ فسألوا عن لونها.

---

(١) ق: عونت. وعانت المرأة: صارت عواناً أي في منتصف عمرها.

(٢) أول بيت للنابغة في ديوانه ص١١٩ وتمامه: [من الطويل]

.... لـو جـاء سـالمـاً أبو حُجُرٍ إلا ليالٍ قلائلُ

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)﴾.

والصُّفْرَةُ ها هنا المعهودةُ لا السوادُ، تقول العرب: أصفر فاقع وأبيض [ناصع و]يقق وأسود حالك وأحمر قانٍ وأخضر [ناضر]، فهذه التوابعُ تدلُّ على شِدَّةِ الوصف كأنَّه قيل: أصفر شديد الصفرة. ومن غريب ما وقع في لغة التُرْكِ أنّهم إذا أرادوا المبالغةَ في وصف اللَّون ركَّبوا من الحرف الأول مع الباء الساكنة ما يدل على الوصف بشدة ذلك اللون، يقولون في أسود: قرا، فإذا[1] أرادوا شِدَّة السواد قالوا: قب قرا، وكذا صرى الأصفر يقولون: صب صرا[2]، وقزل الأحمر يقولون: قبقزل، وكذا باقي الألوان. والوصف بفاقعٍ ونحوه مما يدلُّ على شدَّةِ اللَّون يطابقُ ما قبله فتقول: سوداء حالكة وصفراء فاقعة. وهنا رفع الظاهر المذكّر[3] فلذلك لم تلحق [التاء].و«تسر» صفة أيضاً أي: تبهج[4] الناظرينَ بِحُسْنِهَا شكلاً ولوناً وسِناً، فالوصفُ بالسرور ناشىءٌ عن تَقَدُّمِ الأوصافِ التي نشأ عنها السرور.

ثم لم يكتفوا بهذا البيان وتَعَنَّتُوا على عادتهم في السؤال وعَلَّلوا الحاملَ لهم على تكرار السؤال بقولهم: «إن البقر تشابه علينا» إذ موجود كثير ما

---

(١) ق: إذا.

(٢) ط: قبقرا، صبصرا. ق: صرصرا.

(٣) ق: المذكور.

(٤) ق: تهيج.

يشابه ما تقدم ذكره في الوصف واللّون. وقُرىء: تَشَابَهَ على تذكير البقر وتَشَابَهُ مضارعاً على تأنيثه وحذف التاء، وتَشَّابَهُ على التأنيث وإدغام التاء في الشّين. والأصل تتشابه[1]، وتشبّه مضارع تشبّه حذفت منه التاء، وَتَشَبَّهَ[2] ماضياً ويَتَشَابَهُ مضارعاً، وتشابهت[3] وشابهت ومشتبهة ومتشابهة. ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى نفس البقرةِ المأمور بذبحها، وجوابُ الشرط محذوفٌ أي: إنْ شاء اللهُ اهتدينا، دلَّ عليه «لمهتدون». وقياس الشرط الذي حذف جوابه للدليل أنْ يتأخر ويتقدم الدليل كقولك[4]: أنتَ ظالمٌ إنْ فعلتَ، لكنَّ الشرطَ توسَّطَ بين اسم إنَّ وخبرها ليحصل توافق رؤوس الآي. وجاؤوا بالشرط على سبيل الأدب مع الله تعالى إذْ أخبروا بثبوتِ الهداية.

﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ صفة للبقرة. و«تثير» صفة «للذلول» داخلة[5] تحت النّفي والمقصود نفي إثارتها الأرض. ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ نفيٌ مُعادلٌ لقولهِ «لا ذلول» والمعنى أنَّها لم تُذَلَّلْ بالعملِ في حرثٍ ولا سقي. وما ذهب إليه الزَّمخشريُّ[6] من جَعْل لا في قوله «ولا تسقي الحرث» زائدة للتوكيد وأنَّ المعنى: تثير الأرض وتسقي الحرث على أنَّ الفعلين صفتان لذلول كأنّه قال: لا ذلول مثيرة وساقية - ليس بشيء، لأنَّهُ يلزم منه الوصف بلا غير مكررة والتقابل منفي، وقلنا إنَّهُ لا يكون إلاّ في الشعر.

---

(١) ق: تشابه.

(٢) ق: ويتشبّه.

(٣) ط: وتشابهت ومتشبّه ومتشابه ومتشابهة.

(٤) ق: كقوله.

(٥) ق: داخل.

(٦) انظر الكشاف ١ : ٢٨٨.

وقال ابنُ عطية[1]: لا يجوز أنْ تكون هذه الجملة يعني «تثير» في موضع [الحال] لأنَّها من نكرة. انتهى. والنكرة إن عَنَى «بقرة» فقد وصفت، والحال من النكرة الموصوفة جائزٌ جوازاً حسناً، وإنْ عنى من «لا ذلول» فالحال من النكرة غير الموصوفة فيبعد على قول الجمهور ممن لم يحصل مذهب سيبويه. [وقد نص سيبويه] على جوازِ ذلك وقاسَهُ. وقيل: «تثير»[2] [٢٤/أ] حالٌ من الضمير المُسْتكِنِّ في «ذلول» أي لا تُذَلُّ في حالِ إثارتها. وقرىء: لا ذلولَ بفتح اللام أي لا ذلول هناك. و«تثير» قيل: صفةٌ لاسم لا منفية من حيث المعنى ولذلك عطف عليه جملة منفية وهي «ولا تسقي الحرث». والذي نختاره في هذه القراءة أن يكون «تثير» و«تسقي» خبراً لـ«لا ذلول» اعترض[3] بين «بقرة» وصِفَتِهَا التي هي «مُسْلَّمةٌ»، وانتفاءُ الإثارةِ والسقي من حيث المعنى لا من حيث الوصف. ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: من العيوب. ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ أي: لا لونَ فيها يخالف الصُّفرةَ لا بياض ولا سواد ولا غير ذلك لأنَّ الشيءَ قد يُوصف بلونٍ لكونه غالباً فيه ويكون في بعضِه لون يخالفه[4] لكنَّه لقلَّتِه لا يُعبأ به، وقالوا: ثورٌ أشيه لِلَّذي فيه بلقةٌ[5] وليس مأخوذاً من الوَشْي لاختلافِ المادتين.

﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ أي: بالحق الواضح لنا أي: نطقتَ به لا أنَّه كان غائباً فجاء. وقرىء: قالوا الان بسكون اللام وبنقل حركة الهمزة للاّم

---

(١) المحرر الوجيز ١: ٣١٦. وليس من قول ابن عطية بل نسبه إلى قوم.

(٢) ق: وقيل حال أعني تثير حال من الضمير.

(٣) ق: اعتراض.

(٤) ق: يخالف.

(٥) البلقة: سواد وبياض.

وحذفها مع حذف واو [قالوا و]مع إثباتها. ﴿ٱلْـَٔـٰنَ﴾ ظرفٌ للوقت الحاضر وناصبه «جئت» و«بالحق» متعلق «بجئت» أي: نطقتَ بالحقِّ، أو للتعدية أي: أجأت الحقّ الذي لم يبقَ معه إشكالٌ. ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ قبله محذوف أي: فطلبوها وحَصَّلُوها. وفي كيفيةِ تحصيلها أقوالٌ [تضافرت أقوال] المفسِّرين على اشترائها من الشاب البارِّ بأبويه. ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ كنّى عن الذَّبحِ بالفعلِ لقلقِ تكرارِ: يذبحون. واختلف زمان نفي الكيدودة وزمان الذبح أي: وما قاربوا ذبحها قبل ذلك، أي: وقع الذبحُ بعد أن انتفتْ مقاربته أي: تَعسَّرُوا في ذَبْحِهَا ثمَّ ذبحوها بعد ذلك.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ معطوفٌ على قوله: «وإذ قال موسى» والظاهر ترتيبُ وجود القِصَّتين ونزولهما على ترتيبِ وجودهما فيكون اللهُ تعالى قد أمرهم بذبح البقرة فذبحوها وهم لا يَعلمون بما لَهُ تعالى فيها من السِّرِّ، ثم وقع بعد ذلك أمرُ القتل فأظهر لهم ما كان أخفاهُ عنهم من الحِكمةِ بقوله: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾. ولا ضرورةَ تدعو إلى اختلافِ في الوجودِ والنزول والتلاوة اعتباراً بما رووا من القصصِ إذ لم يصح لا في كتابٍ ولا سنَّة. والحملُ على الظاهرِ أوْلى إذِ العُدولُ إلى غير الظاهر إنَّما يكونُ لِمُرَجِّحٍ ولا مُرَجِّحَ هنا؛ بل تظهر الحكمة البالغة في تكليفهم أولاً ذبحَ بقرة هل يمتثلون ذلك أم لا. وامتثالُ التكاليفِ التي لا يظهر فيها ببادىء الرأي حكمةٌ أعظم من امتثالِ ما يظهر فيه حكمة لأنّها طواعيةٌ صِرْفٌ وعبوديةٌ مَحْضٌ واستسلامٌ

خالصٌ بخلافِ ما يظهر له حكمة فإنَّ في العقل داعيةً إلى امتثاله وحضًّا[1] على العمل به. والخطابُ في «قتلتم» إما لورثةِ المقتولِ وقد رُوي أنَّهم اجتمعوا على قتله، أو خطاب للجماعةِ بما يقعُ من بعضهم. وكنَّى بقوله «نفساً» عن الشخص كما قال: ثلاثةُ أنفُسٍ وثلاثُ ذود[2]، إطلاقاً لبعضِ الشيءِ على الشيءِ، أو على حذفٍ أي: ذا نفسٍ. وجَعْل «نسمة» مكان «نفساً» تفسيرٌ لا قرآن.

وقُرىء: فادّارأتم [وتدارأتم]. والتدارؤُ والادّراءُ[3]: التَّدَافُعُ. ﴿فِيهَا﴾ أي: في تعيين قاتلها. ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمرِ القتيلِ وقاتِله. وهي جملةُ اعتراضٍ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه، مشعرةٌ بأنَّ التدارؤَ لا يجدي إذِ اللهُ مُظْهِرٌ ما كَتَموه.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ الهاء عائدةٌ على النَّفس على لغة من ذكر النَّفس أو مراعاة الشخص، أو على «ذا»[4] في تقدير مَنْ قَدَّرَ: ذا نفس. والبعضُ غير مُعَيَّنٍ وفيه أقوالٌ مضطربة، والهاءُ عائدةٌ على البقرةِ المذبوحة [٢٤/ب] وثَمَّ محذوفان: فضربوه، يدلُّ عليه «اضربوه» و: فَحَيِيَ القتيل، يدلُّ عليه ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي مثل هذا[5] الإحياء للقتيل يحيي اللهُ الموتى، والمِثْليةُ في مُطْلَقِ الإحياء لا في الكيفية. ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ في إحياءِ ميتٍ [بضربه] بقطعةٍ من ميت. وجازَ أنْ يكون «ويريكم» معطوفاً على «يحيي»

---

(١) ق: وحظاً.

(٢) الذود: جماعة الإبل لا تكون إلا من الإناث.

(٣) ق: أو الادّراء.

(٤) ق: ذي.

(٥) ق: هذه.

وأن يكون استئنافَ إخبارٍ وجمع آيات إذْ أراهم تعالى هذا الإحياءَ والعصا والحجرَ والغمامَ والمنَّ والسلوى والسحر والبحر والطور وغير ذلك.

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: من بعدِ ذلك الخارقِ العظيمِ الخارجِ عن مقدور البشرِ الموجب للاعتبار ولِينِ القلوبِ. والضمير في «قلوبكم» ضمير «وإذ قتلتم» حتى نقل أنّه لما حَيِيَ القتيلُ وأخبرَ بِمَنْ قتله قالوا كذبتَ. والقسوةُ نُبُوُّ القلبِ عن الاعتبارِ وعدم تحركه وتأثُّرِه للمواعظ.

﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ أي: في عدم تأثرها صلبة لا تَخَلْخَلُ مع ظهورِ المعجزات. ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ فَصَّلَ ونَوَّعَ قلوبهم إلى شبه الحجارةِ في الصلابةِ وإلى أشدّ قسوة من الحجارة. وانتصب «قسوة» على التمييز ويقتضيه «أشدّ» وكاف التشبيه. وهذا التمييزُ الذي بعد[1] أفعل التفضيل منقولٌ من المبتدأ وهو نقلٌ غريب. «أو أشد» معطوف على قوله[2] «كالحجارة» من قَبيلِ عطفِ المفرد على المفرد كما تقول: زيدٌ على سفرٍ أو مقيم. ولا حاجة إلى تقدير الزَّمخشريّ[3]: أو هي أشدّ، فيكون من عطف الجملِ ولا إلى إضمار مثل [أي: أو مثل أشد، حذف مثل] وأقيم «أشدّ» مقامه، فيكون الضمير في «أشدّ» [غير] عائدٍ على القلوبِ إذْ كان الأصل: أو مثل شيءٍ أشدّ قسوة من الحجارة. وقرىء: أشدَّ بنصب الدال ويتخرجُ على هذا التخريج الثاني. وقُرىء: قساوة.

ثم قال: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ ﴾ تبيين أنَّ قلوبَهم لا تتأثرُ وأنَّ الحجارةَ قد

(١) ق: التمييز أي بعد.

(٢) كتبت في الحاشية.

(٣) انظر الكشاف ١ : ٢٩٠.

يوجد فيها ما يتأثر وأنّها متفاوتةٌ في التأثُرِ. [وقرىء: وإنَّ مشدّدة] في ثلاثتها، «فما» اسم إنَّ ودخلت اللام عليه. وقُرىء مُخفَّفَة في ثلاثتها فاحتمل أن [تكون] معملة وما اسمها، واحتمل أن تكون ملغاة نحو: إنْ في الدار لزيد. «فما» مبتدأ خبرهُ المجرور قبله واللامُ هي لامُ الابتداء لزمت[1] للفرق، أو لام غيرها اجتلبت للفرق قولانِ للنُّحاةِ، وقول الكوفيين إنَّ إنْ نافية واللام بمعنى إلاّ. وقرىء: لما مخفّفة الميم وما موصولة بمعنى الذي وهي اسم إنّ. وقرىء: لمّا مشددة الميم، قال ابنُ عطية: وهي قراءة غيرُ متّجهة.

وما قاله ابنُ عطية لا يستوي إلاّ إنْ نقل عمّن قرأ بالتشديد تشديد إنَّ فيعسر إذ ذاك توجيهُها. أمّا إن قرأ بتخفيف إن وهو المظنون به فيظهر توجيهها بأنْ تكون إنْ نافية ولما بمعنى [إلا] كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ [الطارق] في قراءة من شدّد لمّا، ويكون حذف منه المبتدأ تقديره: وما من الحجارةِ حجرٌ إلاّ يتفجّرُ منه الأنهار وكذلك «ما» بعد هذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ ۝١٦٤﴾ [الصافات] أي: وما منا أحد، ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ ۝١٥٩﴾ [النساء] أي: [وإن] من أهل الكتاب أحد. وحذفُ هذا المبتدأ أحسنُ لدلالة المعنى عليه، إلاّ أنَّهُ يشكل معنى الحصر إذ يظهر بهذا التفصيلِ أنَّ الأحجارَ متعددةٌ فمنها كذا ومنها كذا، وإذا حُصرتْ أفهم العموم أنّ كُلَّ فردٍ من الحجارةِ فيه هذه الأوصاف كلّها أي يتفجرُ منه الأنهارُ ويَشَّقَّقُ فيخرجُ منه الماء ويهبطُ من خشيةِ اللهِ. ولا يَبْعُدُ ذلك إذا حُمِلَ على القابلية إذْ كُلُّ حجرٍ يقبل ذلك [ولا يمتنع إذا أراد الله ذلك]. فإنْ كان الذي قرأ «لمّا» بالتشديد [وإنّ بالتشديد] فيعسرُ تَوجيهه. ومَنْ زعم أنَّ

---

(١) ق: الزمت.

«إنَّ» المشددّة بمعنى ما النافية فقوله لا يصحُّ ولا يَثبتُ في لسانِ [٢٥/أ] العربِ، ويمكن توجيه ذلك على أن يكون اسم إنّ محذوفاً أي: وإن منها منقاداً كما حذف [في قوله](١): [من الطويل]

ولكنّ زنجي عظيم المشافر

أي ولكنّك. ولما بمعنى حين على مذهب الفارسي، أو حرف وجوبٍ لوجوبٍ على مذهب سيبويهِ والمضارع بمعنى الماضي. وقُرىء: يتفجَّرُ مضارع تَفَجَّرَ، وينفجر مضارع انفجر مطاوع فجر بتخفيف الجيم(٢). والتَفَجُّرُ: التفتُّح بالسَّعَةِ والكَثْرةِ. وقرىء: منه الأنهار، ومنها الأنهار حملاً على المعنى. والتشقُّقُ: التصدُّعُ بطولٍ أو عرض فينبعُ منه الماءُ بقلّة. وقرىء: يشّقق بشدِّ الشين ويتشقَّقُ(٣) ويَنْشَقِقُ بالنون وقافين والفكُّ شاذ. والهبوط: التردِّي من عُلُوٍّ إلى سفل. وقرىء: يهبط بكسر الباء وضمّها. والخشيةُ: الخوفُ، وهو من مجازِ الاستعارة كناية عن الانقيادِ لأمرِ الله وأنّها لا تمتنعُ عما يريد. بيَّنَ أنَّ الحجارة إلى التأثير فيها أقرب من قلوبهم ثمَّ [ذكرَ] تفاوتَ الحجارةِ في التأثير فمنها ما هو متخلخلٌ(٤) يتفجَّرُ منه الأنهارُ بسرعةٍ، ومنها ما فيه صلابةٌ لكنّه يتشقّقُ، ومنها ما هو سريعُ الانقيادِ فينهارُ

(١) البيت للفرزدق وليس في ديوانه بهذه القافية، وانظر الكتاب ٢: ١٣٥، وخزانة الأدب ٤: ٣٧٨. وصدره:

فلو كنت ضبيّاً عرفت قرابتي

(٢) عبارة ق مضطربة نصّها: تتفجر مضارع تفجّر مضارع فجر ويتفجر مضارع انفجر بتخفيف الجيم. والتصويب من ط.

(٣) ق: ويشقق.

(٤) ق: يتخلخل.

بخلافِ قلوبِ هؤلاء فإنّها أشدُّ قسوةً من الحجارة.

ولما كانت قساوةُ القلوبِ تنشأُ عنها الأعمالُ القبيحة قال تعالى على سبيلِ التهديد لهم: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قال ابنُ عطية[1]: «بغافل» في موضع نصب خبر ما لأنّها الحجازية، يُقَوِّي ذلك دخولُ الباء في الخبر وإنْ كانت الباء قد تجيء[2] في التميمية شاذةً انتهى. ولم يذهب نحويٌّ إلى أنّ دخولَ الباء في التميمية شاذ فيما علمناه، بل النُّحاة قائلانِ: قائلٌ: لا تدخل الباء وهو قول أبي علي في أحد قوليه وتبعه الزَّمخشريُّ، وقائل[3]: تدخل وهو الصحيح وهو كثيرٌ في أشعارِ بني تميم. وقُرِىء: تعملون بتاء الخطاب على نسق «ثم قست قلوبكم» وبالياء التفاتاً. وكان المؤمنون من الأنصار بينهم وبين اليهودِ حِلفٌ وجِوارٌ فكانوا يَوَدُّونَ إسلامَهم.

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

والطمع تَعَلُّقُ النَّفسِ بإدراك مطلوب تعلقاً قوياً. ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ أي:

---

(١) المحرر الوجيز ١: ٣٢٥.

(٢) «قد تجيء» كتبت في الحاشية.

(٣) ق: وقول.

من اليهودِ لِبُعْدِهم عن الإيمان. ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: من كتابهم التوراة أو من الوحي المُنزلِ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي: يَميلونَ به إلى غير جهته ومدلوله. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه، ومع عَقْلِهم له على وضعه [يُحرِّفُونَه عن وضعه]. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ما في تحريفِه من الإثمِ واستحقاقِ غضبِ الله، فَمَنْ كانت حالُه هذه[1] لا يُطمعُ في إيمانه، وأبناؤهم تابعوا أسلافهم في البُعْدِ عن الخيرِ والإيمان.

ثم ذكر من نفاقهم موافقة المؤمنين بقولهم ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾. ومن خُبْثِهم كونهم لا ينطقون بمتعلق «آمنا»[2]. والجملة من قوله «وقد كان فريق» في موضع الحال أي: طماعيتكم في إيمان هؤلاء مع أنّ حال أسلافهم أو حال فريق من الحاضرين منهم هذه الحال مستبعدة لا تجامع هذه الحالة.

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: انفرد بعضُهم ببعض. «قالوا» أي: المنفرد على سبيلِ العتاب. ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جَرَى لأسلافِكم[3] من المخازي وما حَلَّ بهم من النِّقَمِ. والفتح: الإعلامُ أي: بما أعلمكم، أو الحكمُ أي: بما حكم اللهُ عليكم وعلى أسلافكم. وحَدَّث هنا تعدَّت إلى واحد بنفسها وإلى الآخر بحرف الجرّ. واللامُ في ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ تتعلق بـ«أتحدثونهم» وهي لام كي على تجوّز لأنَّ الناشىءَ عن شيء وإن لم يقصد كالعلّة، وكونها للصيرورة قولٌ مشهور. والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على ما الموصولة الاسمية. ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ أي: في الآخرة. وقولُ ابن أبي الفضل إنَّ الصحيحَ أنْ يكون «عند

---

(١) ق: هذا.

(٢) عبارة ق: ومن جبنتهم.. يتعلق آمنا.

(٣) ق: لإسلامكم.

ربكم» متعلقاً بقوله «بما فتح الله عليكم» أي: من عند ربكم ليحاجوكم، قال: لأنَّ [٢٥/ب] الاحتجاجَ عليهم بما كان في الدنيا ليس بصحيح للفصلِ بين «عند» والعامل فيها الذي هو «فتح» بقوله «ليحاجوكم» وهو أجنبي منهما إذ هو متعلّق بـ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ على الأظهر.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ داخلٌ تحتَ قوله ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي: بما يكونُ حُجَّةً لهم عليكم، أفلا تعقلون ما في ذلك من التسليط عليكم وإظهار الحجّة. وذهب الزَّمخشريُّ[١] إلى أنّ بين الهمزة والفاء في نحو «أفلا تعقلون» وبين الواو والهمزة في «أولا» وكذا ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد] فعلاً محذوفاً عطف عليه ما بعده كأن يقدّر: أجهلتم فلا تعقلون، أمكثوا فلم يسيروا. ومذهبُ النُّحاةِ أنَّ الواو والفاء و«ثُمَّ» تعطفُ[٢] ما بعدها على الجملة التي قبل الهمزة، والهمزة متأخرة في التقدير وقدّمت[٣] لأنَّ الاستفهامَ له صدرُ الكلام. وقد رجع الزَّمخشريُّ إلى قولِ النُّحاة في ذلك إذ لم يطّرد له الحذفُ في مواضع.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ قرىء بالياء والضمير للكفار، وبالتاء خطاب للمؤمنين يُنبههم على جهلِ الكفار بعالمِ السرِّ والعلانية، أو خطاب للكفار على سبيلِ الالتفات، ثم أعرضَ عن خطابهم وأعادَ الضميرَ إلى الغيبة إهمالاً لهم. ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ عام، وسَدَّت «أنّ» مَسَدَّ المفعولِ إن قدّر أن «يعلمون» متعدٍّ إلى واحد، ومسدَّ مفعولين إنْ قدّر تعدِّيه إلى اثنين.

---

(١) لم أجد ما ذهب إليه في هذا الموضع وفي تفسير الآيتين التاليتين المستشهد بهما.

(٢) ق: لعطف.

(٣) ق: فلزمت.

﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ أي: اليهود المذكورين. ﴿ أُمِّيُّونَ ﴾ أي: عوامٌ وأتباعٌ لا يحسنون الكتابةَ ولا القراءةَ فيطالعوا التوراةَ ويَتحقَّقُوا ما فيها. ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ أي: التوراة ﴿ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ استثناء منقطع إذْ ليس من جنسِ الكتابِ إلا ما هُمْ عليه من أمانيهم أنّ اللهَ يعفو عنهم وتشفع أنبياؤُهم لهم، أو ما يُمَنِّيهم أحبارهم أنَّ النّار لا تَمَسُّهم إلاَّ أياماً معدودة، أو إلاّ أكاذيبَ مختلقة[1] تَلَقَّفُوها من أحبارهم تقليداً. وقُرِىء: أماني بتشديد الياء وبتخفيفها. ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ الظنُّ هنا على بابه من ترجيحِ أحدِ الأمرين، ولا يلزمُ من الترجيحِ عندهم أنْ يكونَ ترجيحاً في نفسِ الأمر.

﴿ فَوَيْلٌ ﴾ أي: هلكةٌ وخَسَارٌ. ﴿ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ ﴾ هم اليهود. ﴿ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ تأكيد يرفع المجاز، أي: يُباشرون بأنفسهم لا يأمرونَ بالكتابة، كانوا يكتبونه مُحرَّفاً عما في كتابهم، كما ذكر أنّهم[2] غيَّرُوا صِفَةَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم التي في التوراة فجعلوه[3] آدم سبطاً طويلاً على خلافِ[4] ما في التوراة. والمعنى: يكتبونه مختلفاً. ﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ ﴾ لأتباعهم الأُمّيين. ﴿ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ مع علمهم بالتبديل والتحريف. ﴿ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من وضائعَ ومآكلَ ورُشا. ووصفهُ بالقِلَّة لفنائه وحقارته. ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ هذه مقدّمة. ﴿ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ هذه نتيجة تلك المُقدّمة. وكرَّر الويلَ حتى يتحقَّقَ أنّ الخسارَ والهلكةَ يترتَّبُ على كُلِّ واحدٍ من المكتوبِ والمكسوب.

---

(١) ق: مختلفة.

(٢) ق: وأنهم.

(٣) ق: فجعلوا.

(٤) ق: خلا.

ورُوي أنّه صلى اللهُ عليه وسلم قال ليهود: من أهل النار؟ قالوا: نحن ثُمَّ تخلفون أنتم. فقال: كَذَبتم، لقد علمتم أنّا لا نخلفكم فنزلت:

﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ أي: قلائل يحصرها(١) العَدُّ فَرُوي أنهم قالوا سبعة أيام وعنهم أربعون يوماً عَدَدَ عبادَتِهم العجلَ. ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾ [هذا ردٌّ لدعواهم الكاذبة، أي مثل هذا الإخبار الجازم لا يكونُ إلا ممّن اتَّخَذَ عند الله عهداً] بذلك وأنتم لم تتَّخِذُوه(٢) فقولكم كَذِبٌ وافتراء. واتخذ: تَعَدَّتْ إلى واحدٍ أو إلى اثنين فيكون الظرف هو الثاني، وهمزة «أتخذتم» همزة استفهام، وقُرِىء بنقل حركتها إلى «قل» وحذفها، والمعنى عهداً [٢٦/أ] بما قلتم إنَّ النَّار لا تَمَسُّكم إلا أياماً معدودة. ﴿ فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ قيل: جواب الاستفهام الذي ضُمِّنَ معنى الشرط. وفي هذا القولِ نظرٌ لأنَّ الاستفهام عن ماضٍ لفظاً ومعنى. وقال ابنُ عطية(٣): «فلن يخلف الله عهده» اعتراض أثناء الكلام. كأنَّهُ يريد أنَّ «أم تقولون» معادلٌ لقوله: «قل أتخذتم» فصارت [هذه الجملةُ] اعتراضاً بين المتعادلين فلا موضعَ لها من الإعرابِ وكان التقدير: أي هذين واقع:

---

(١) ق: يحصوها.

(٢) ق: تتخذوا.

(٣) المحرر الوجيز ١: ٣٣٤.

اتخاذكم العهدَ عند الله أم قولكم على الله ما لا تعلمون. أخرج مخرج التردُّد في تعيينه على سبيلِ التقدير وإن كان قد علم وقوع أحدهما وهو قولهم على الله ما لا يعلمون. وقيل: أم بمعنى بل والهمزة أي: أتقولون استفهام إنكار، إذ قد عُلم أنَّهم يقولون على الله ما لا يعلمون.

«بلى» نَقضٌ لقولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ أي: تمسّكم النار. ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ مَن شرطية أو موصولة ويترجَّحُ بقسيميها و«الذين آمنوا» والسيئة: الكفر. ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بأن يوافي على الكفر. والإحاطةُ احتفافها به من كُلِّ جانب. وقُرىء: خطيئته وخطيئاته[1] وخطاياه. وذِكْرُ الخلود دالٌّ على الوفاة[2] على الكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لما ذكر حال الكفار ذكر حالَ مَنْ يقابلهم وهم المؤمنون. وهناك رَتَّبَ الخلودَ في النار على شيئين. وهنا رتَّبَ الخلود في الجنة على شيئين.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣﴾.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا﴾ وإذْ معطوف على الظروف السابقة، وهذه الآيات من الواردة في توبيخِ بني إسرائيل. ﴿مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[3] على لسان موسى والأنبياء عليهم السلام، أو ما أُخذَ عليهم في الكتابِ المنزل على نبيّهم. وقُرىء: لا

---

(١) ق: وخطاياته.

(٢) ط: الموافاة.

(٣) ميثاق بني إسرائيل: كتبت في الحاشية.

يعبدون بياء الغيبة وبتاء الخطاب، ولا تعبدوا نهياً. و﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَ﴾ في معنى القسم و﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ جوابه ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ استثناء مفرغ وفيه التفات إذْ لو جرى على «أخذنا» لكان: إلاّ إيانا، لكن في هذا الالتفات من الفخامةِ والدلالةِ على سائر الصفات والتفرد بالتسمية ما ليس في المضمر.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الوالدان أي الأب والأم ويقال للأمّ وَالِدٌ وَوَالِدَةٌ. والإحسانُ بِرُّهما وإكرامهما. وإحساناً: مصدرٌ في معنى الأمر أي: وأحسنوا بِرَّ الوالدين. وتقدم معمولُ المصدر[1] على سبيل الاعتناء والاهتمام بأمرهما. ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: وصاحب القرابة، وفي ذلك صلة الرحم إذْ هو مشارك للوالدين في القرابة. ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ وهم الذين مات آباؤهم ولا قُدرةَ لهم تامة على الاكتساب. وجاء عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم[2]: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنَّة». ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ وتأخروا إذ يمكن أن يتعهد نفسه باستخدام وإصلاح معيشة[3]. وأراد بذي القربى الجِنْسَ ولذلك أفرد «ذو» وإضافته إلى المصدر تدرج الجميع. ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ لما أتبع عبادة الله بالإحسان لمن ذكر وهو فعل، أتبع ذلك بالقول ليكون الإحسانُ بالفِعْلِ والقول. ولما كان القولُ إنما هو مجرّد لفظ لا بذلَ مالٍ كان متعلَّقه النّاس عموماً.

وقرىء: حُسْناً وبضم السين وحَسَناً بفتحتين وحُسنى فُعلى وإحساناً. وقال ابنُ عطية[4]: وفي قراءة من قرأ حُسنى على فُعلى قال: رَدَّه سيبويه لأنّ

---

(١) ق: المضمر.

(٢) الموطأ ص٨١٤.

(٣) ق: معيشته.

(٤) المحرر الوجيز ١ : ٣٣٧.

أفعل وفُعلى لا يجيء إلا معرفة [إلاّ أنّ يزال عنها معنى التفضيل وتبقى مصدراً كالعُقْبى فذلك جائزٌ وهو وجه القراءة بها انتهى. وفي كلامه ارتباكٌ لأنّه قال: لأنّ أفعل وفعلى لا يجيء إلا معرفة] وليس على ما ذكر، أمّا أفعل فله استعمالاتٌ أحدها⁽¹⁾: أن يكون بمِن ظاهرة أو مقدّرة، أو مضافاً إلى نكرة فهذا لا يتعرفُ بحالٍ بل يبقى نكرة. والاستعمال الثاني: أن يكون بالألف واللام فإذْ ذاك يكون معرفة بهما.

والاستعمال الثالث: أن يضاف إلى معرفة وفي التعريف بتلك الإضافة خلافٌ وذلك نحو: أفضل القوم. وأما فُعلى فلها استعمالان أحدهما بالألف واللام وتكون معرفة بهما، والثاني بالإضافة إلى معرفة [٢٦/ب] نحو: فضلى النّساء. وفي التعريف بهذه الإضافة الخلاف الذي في أفعل، فقولُ ابنِ عطية: لأنّ أفعل وفُعلى لا يجيء إلاّ معرفة ليس بصحيحٍ، وقوله: إلا أن يزال عنها معنى التفضيل وتبقى مصدراً [كالعقبى فذلك جائز - ظاهر كلامه أنَّ المعنى: إلاّ أن يزال عن فُعلى معنى التفضيل ويبقى مصدراً] فيكون فُعلى الذي هو مؤنّث أفعل إذا أَزَلْتَ منه معنى التفضيل يبقى مصدراً، وليس كذلك بل لا ينقاسُ مجيءُ فُعلى مصدراً إنّما جاءت منه أُلَيْفَاظٌ يسيرةٌ فلا يجوز أن يعتقد في فُعلى التي مذكرها أفعل أنّها تصير مصدراً إذا زال منها معنى التفضيل.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أمر بهاتين العبادتين البدنية والمالية اهتماماً بهما وتوكيداً لأمرهما. ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عمّا طلب منكم من العبادة والإحسان بالفِعل والقولِ والصلاة والزكاة. ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ أي: أشخاصاً قليلين وهم مَنْ آمن حقيقةَ الإيمان من أسلافهم وإنْ كان خطاباً لمن

---

(١) ق: أحدهما.

بحضرته عليه السلام، كان من القليل عبد الله بن سلام وأصحابه، واحتمال القلّة في الإيمان لا في الأشخاص - كما قال ابنُ عطية - بعيد.

وقُرىء: إلاَّ قليلاً بالنَّصب وهو الأفصح وقُرىء بالرفع وجعله بدلاً من ضمير «توليتم» لأنَّ في التولّي معنى النَّفي كأنه قال: لم يَفُوا بالميثاق إلاّ قليل، قاله ابنُ عطية[1]. ولا تُجيز النُّحاةُ البدلَ من الموجب. ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ حال مؤكدة إلاّ إن اختلف متعلق التولّي والإعراض[2] كما قال بعضهم: تَولَّيتم عن عهدِ ميثاقِكم وأنتم معرضون عن هذا النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [و«لا تسفكون»] كقوله: «لا تعبدون» إعراباً. وقُرىء بكسرِ الفاء وضمّها، وتسفكون مُشدّداً ومخفَّفاً، أي لا تتعاطَوْا ما يؤدي إلى سفكِ دمائكم ولا يسفك بعضُكم دمَ بعض. ﴿وَلَا

(١) المحرر الوجيز ١: ٣٣٩.

(٢) ق: الإعراض.

﴿تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ أي: لا يخرج بعضكم بعضاً من داره أي بالإساءة فيضطر إلى الإخراج. ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بالتزام الميثاق وقبوله ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أنَّ الله أخذه عليكم.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ هذا استبعادٌ لما أخبرَ به عنهم من القتل والإجلاءِ والعدوانِ بعد أخذِ الميثاقِ منهم وإقرارهم وشهادتهم. و«أنتم» مبتدأ وخبره اسم الإشارة و«تقتلون» حالٌ، ومن كلامهم: ها أنتَ ذا قائماً وها أنا ذا قائماً. والمقصودُ من حيث المعنى الإخبارُ بالحال. وقُرىء: تقتلون(١) مخففاً ومُشَدَّداً.

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ﴾ كان بَنُو قينقاع حلفاءَ(٢) الأوس وأعداء قريظة، وكان بنو قريظة، والنَّضير حلفاءَ الخزرَج [وقريظة والنضير أخوان كما أنّ الأوس والخزرج أخوان ثُمَّ افترقوا فصارت النَّضيرُ حلفاءَ الخزرج] وقريظة حلفاء الأوس فكان كُلُّ فريقٍ يقاتلُ مع حُلفائه فإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم، وإذا أُسِرَ رجلٌ من الفريقين جمعوا له حتى يَفْدُوه فَعَيَّرتهم العربُ بذلك وقالوا: كيف تقاتلونهم ثم تَفْدُونهم؟ فيقولون: أمرنا أنْ نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنَّا نستحي أن نذلَّ حلفاءنا.

وقُرىء: تظّاهرون بإدغام التاء في الظاء، وتَظاهرون بحذف التاء، وتتظاهرون بتاءين، وتظهّرون بشدّ الظاء والهاء. وتُظاهرون مضارع ظاهر، والتظاهرُ: التعاونُ والتناصر. والإثم: ما يستحق مُتَعَاطِيه(٣) الذمَّ أو ما تنفر

---

(١) ق: يقتلون.

(٢) ق: خلفاء. وهي كذلك حيث وردت في الأسطر التالية.

(٣) ق: بتعاطيه.

منه النَّفسُ ولا يطمئنُّ إليه القلبُ. ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الاعتداء وهو مجاوزةُ الحَدِّ في الظلم. وقرىء: أسارى وأسرى، وتفادوهم وتفدوهم، أي لا يناسب من أسأتم إليهم بالإخراجِ أنْ تُحْسِنُوا إليهم بالفداء. «وهو محرم عليكم إخراجهم» تقدم قتل النَّفس والإخراج من الديار والتظاهر والمفاداة[1]، وأكَّد الإخراج [٢٧/أ] بالنَّصِّ على تحريمِه وإنْ كان ما سبق محرماً لما فيه من الجلاءِ والنَّفي الذي لا ينقطعُ شَرُّه إلّا بالموتِ، بخلافِ القتل وإنْ كان فيه إفساد الصُّورة لكن فيه انقطاع الشرّ. و«هو» ضمير الشأن و«محرّم» خبر مقدم و«إخراجهم» مبتدأ والجملةُ خبرٌ عن ضمير الشأن. ووقع لابنِ عطية في إعراب «وهو محرم عليكم إخراجهم» أقوالٌ تُنتقدُ ذكرناها في «البحر المحيط»[2].

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ [بِبَعْضٍ]﴾ استفهام توبيخ أي: ببعضِ الكتابِ الإلهي من التوراةِ وما أُنزلَ على أنبيائكم، وتكفرون ببعض من الكتابِ الإلهي كالإنجيلِ والقرآن المُنَزَّلِ على محمدٍ صلى الله عليه وسلم وذلك كلُّه حقٌّ منزل من عند الله تعالى فالتفريقُ بينهما كُفْرٌ وضلال.

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ الجزاءُ يُطْلَقُ في الخير: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً ﴿١٢﴾﴾ [الدهر] وفي الشَّرِّ: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴿٩٣﴾﴾ [النساء]. والخزي: الفضيحةُ والقصاصُ فيمن قتل، فإنْ كان الخطابُ في «أتؤمنون» لمعاصِرِي رسولِ الله ﷺ جازَ أنْ يُرادَ بالخزي في الحياة الدنيا ضرب الجزية عليهم وقتل قريظة وإجلاء النَّضير إلى أريحا وأذرعات. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ﴾ أي: يصيرون ﴿إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ وهو الخلودُ في النَّار دائماً. وقُرِىء: يردّون

(١) ق: والمعاداة.

(٢) انظر ١: ٢٩٢-٢٩٣.

بالياء اعتباراً بقوله «من يفعل»، وبالتاء اعتباراً بقوله «أفتؤمنون» أو التفات بالنسبة إلى «من يفعل». وقرىء: عما تعملون بالتاء وبالياء.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى الذين تقدم ذِكْرُهم من اليهودِ الجامعينَ لتلك الأوصافِ القبيحة. ﴿ ٱشْتَرَوُاْ ﴾ مَجازٌ عن إيثارِ العاجلِ الفاني على الآجلِ الباقي، والمشتري للشيء هو المؤثر لتحصيله والثمن المبذول فيه مرغوب عنه. و«أولئك» مبتدأ «الذين» خبره. ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ ﴾ معطوف على الصلة من عطف الجمل فلا يشترطُ اتحادُ الزمان كما تقول: جاءني الذي قتلَ زيداً أمس وسيقتل أخاه غداً. ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ ﴾ أي: يبقى على شدّته. ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي لا يجدون من يدفع عنهم ما حلَّ بهم من عذابِ الله. وهي جملةٌ اسمية معطوفةٌ على فعل، أو يرتفع «هم» على أنّه مفعول لم يُسَمَّ فاعلُه فيكون من باب الاشتغال.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هو التوراة. ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ ضُمِّنَ معنى: وجئنا. ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ يَقْفُو بعضُهم بعضاً. ومِن: لابتداء الغاية. يحكى أنّ موسى عليه السلام لم يمت حتى نُبِّيءَ يوشع وشمويل وشمعون[1] وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزريل[2] وحزقيل وإلياس ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وآخرهم وخاتمهم رسول الله ﷺ أجمعين. و﴿ بِٱلرُّسُلِ ﴾ متعلق

---

(١) عبارة ق: حتى نبىء يوشع بالرسل ويوشع وشمويل وسمعون.

(٢) ط: وعزير.

بـ«قفّينا». وقرىء: بالرسل بضم السين وبإسكانها. ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ أضافه[1] إلى أمّه ردّاً على اليهود [والنصارى] فيما أضافوه إليه.

«البيّنات» الحِججُ الواضحةُ الدالةُ على نبوّته من إنزالِ الإنجيل عليه وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإخبارِ عن المُغَيَّبات وخَلْقِه من الطين صورةَ طائرٍ فينفخُ اللهُ فيه الروحَ إلى غيرِ ذلك مما دلَّ على نبوّته. وأجمل ذِكْرِ الرسل لأنّهم كانوا مُتَّبِعي شريعة موسى، ونصَّ على عيسى لأنَّ شرعه نسخَ كثيراً من شرعِ موسى عليه السلام. وعيسى وزنه عند سيبويهِ فعلى والألف فيه للإلحاق كألف معزى، وقال أبو عمرو الداني: وزنه فعلل. ومريم باللّسان السرياني معناه: الخادم، وباللّسان العربي: المرأة الكثيرة خلطة الرجال. ومريم مفعل لا فعيل لعدم ثبوته في أبنية كلام العرب وصحة حرف العلة [٢٧/ب] على غير قياس كمزيد.

وقرىء: وأيدناه، وآيدناه. أيّد فعّل وآيد أفعل وكلاهما من الأيد وهو القوّة أي: قوّيناه. ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل عليه السلام. والقدس: الطهارة. وقرىء: القدس: بضمتين وبإسكان الدال وبواوٍ بعد ضمة الدال. وفي الحديث[2]: «اهجُ وروحُ القدسِ معكَ» ومرة قال: «وجبريل معك». قيل: وخصّ عيسى بذكر جبريل معه إذ كان هو الذي بشّر مريمَ بولادته، وتولّد عيسى بنفخه[3] ورباه في جميع أحواله وكان يسيرُ معه حيثُ سارَ وكان معه حين[4] صعد إلى السماء.

---

(١) ق: إضافة.

(٢) انظر صحيح مسلم ٤: ١٩٣٣.

(٣) ق: بنخفه.

(٤) ق: حيث.

﴿أَفَكُلَّمَا﴾ الاستفهام للتوبيخ، وكلّما تقتضي التكرار. ﴿جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ والخطابُ لبني إسرائيل إذْ كانوا على طبعِ رجلٍ واحد من سوء الأخلاقِ وتكذيب الرُّسُلِ وكثرةِ سؤالهم والشَّك فيما أتوهم به. واجتمع في الخطابِ الأسلافُ[١] والأخلافُ الذين هم معاصرون لرسولِ الله ﷺ [إذْ هم] راضون بأفعالِ أسلافهم، وقد كَذَّبُوا رسولَ الله ﷺ وأطعموه السُّمَّ وسحروه. وأسندَ الهوى إلى الأنفس لا إلى ضميرِ الخطابِ إشعاراً بأنّها تُسْنَدُ إليها السّيئاتُ غالباً. ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي: تكبرتم عن قبول ما أتى به. ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ والعطفُ بالفاء فيه تعقيب التكذيب أي لم تنظروا فيما أتى به بل استكبرتم عن قبولِ ما أتى به وأعقبتموهُ بالتكذيبِ إذْ لم تقدروا[٢] على قتله. ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ واستغنى بذكرِ قَتْلِه عن ذِكْرِ تكذيبه وذكر أقبح فعلهم. وثَمَّ محذوفٌ أي: ففريقاً منهم كذبتم وآخر تقتلون، مضارعاً محكياً به الحال الماضية، وصوّرت[٣] كأنّها ملتبس بها مشروع فيها ولمناسبة رؤوس الآي.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ الضمير لأبناء اليهود الذين بحضرةِ رسولِ الله ﷺ. ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [جمع أغلف] وهو الذي لا يفقه كأحمر وحُمْر، أو غلاف وهو الغشاء وأصله الثقيل كخِمار وخُمْر، قالوا ذلك بهتاً[٤]. ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي:

---

(١) ق: الاسفلاف.

(٢) ق: يقدروا.

(٣) ق: وتصورت.

(٤) غير مقروءة في ق، والتصويب من ط.

طردهم الله وأبعدهم. وقُرِىء: غلف بسكون اللام وبضمها. ﴿فَقَلِيلًا[١] مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ما زائدة، وانتصب «قليلاً» على أنّه حال على رأي سيبويهِ، أو نعت[٢] لمصدر محذوف على المشهور. وتقليل إيمانهم بحسب متعلقه. وقال الزَّمخشريُّ[٣]: ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم. تبع ابن الأنباري إذ قال: المعنى: لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً. وهذا لا يصحُّ، لأنّ «قليلاً» انتصب بالفعل المثبت فصار نظير: قمت قليلاً. وللقليل الذي يُرادُ به النفي المحضُ مواضع ذكرها النَّحويون وهو قولهم: أقلُّ رجل يقول ذلك، وقلَّ رجلٌ يقول ذلك، وقلّ ما يقوم زيد، وقليل من الرجال يقول ذلك، وقليلة من النِّساء تقول ذلك. وإذا تقرر هذا فحملُ القِلَّة هنا على النفي المحض ليس بصحيح.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ الضميرُ عائد على اليهود نزلت فيهم حين كانت غطفان تقاتلهم وتهزمهم وكانوا يلقون من العربِ أذىً كثيراً حتى أنّ الأوسَ والخزرج حاربوهم فغلبوهم. ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن، ووصفهُ بكونه من عند الله جديرٌ أنْ يقبل ويتبع ما فيه ويعمل بمضمونه إذْ هو واردٌ من عند خالقهم. وفي مصحف أبي: «مصدقاً» بالنصب أي[٤]: ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراةِ والإنجيل، ونصبه على الحال من «كتاب» تخصّص بالوصف. ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾ [أي من قبل] مجيء الكتاب. «يستفتحون» أي: يستنصرون. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم المشركون الذين [٢٨/أ] يقاتلونهم أو يفتحون عليهم بأنه

(١) ق: قليلا.

(٢) ق: نعتاً.

(٣) الكشاف ١: ٢٩٥.

(٤) ق: أي بالنصب.

قد أظَلَّ زمانُ نبيٍّ يُبعث. ومجيء الكتاب يستدعي مَنْ ينزل عليه الكتاب وهو النبيُّ. وجواب «لما» تقديره كذبوه. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ أي: ما سبق لهم تعريفه للمشركين ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ جحدوه، وهذا أبلغُ في ذمّهم إذ كفروا بما علموا كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴿١٤﴾﴾ [النمل]. و«ما» كناية عن الكتاب إذ هو المقدّم في الذكر. لما كفروا بما جاءهم من عند الله وتضمَّن كُفْرهم بالكتابِ كفرهم بما جاء به استهانةً بالمُرْسَلِ[1] والمُرْسِلِ فعاملهم تعالى بالاستهانةِ والطردِ وجعل اللَّعنةَ مستعليةً عليهم جَلَّلهم بها. وأل في «الكافرين» للعموم واندرج فيهم اليهود، أو أُقيم الظاهر مقام المُضْمر إشعاراً بالوصف الذي استحقوا به اللَّعنةَ. وقال الزَّمخشريُّ[2]: ويجوز أنْ تكونَ للجنس ويدخلوا فيه دخولاً أولياً، ويعني بالجنس العموم ودلالته على كل فرد دلالة[3] متساوية فليس بعض الأفراد أوْلى من بعض.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ اختلف في إعراب تركيب بئسما اختلافاً كثيراً. والذي نختارُه من مذهب سيبويه أن «ما» معرفة تامة كأنّه قال: بئس الشيء، والمخصوص بالذمّ محذوفٌ تقديرُه: شيء اشتروا به أنفسهم. و«أن يكفروا» بدل من ذلك المحذوف. ومذهب[4]

(١) ق: بالرسل.

(٢) الكشاف ١ : ٢٩٦. وفي ق: ويدخلون.

(٣) ق: دلالية.

(٤) ق: أو مذهب.

الكسائي [والفراء] أن «ما» موصولة اسمية و«أن يكفروا» المخصوص بالذمّ. وقد عزا ابنُ عطية هذا القولَ إلى سيبويه، وهو وهمٌ على سيبويه. و«اشتروا» باعوا. والذي أنزل الله: القرآن والتوراة والإنجيل، وفيهما التبشير بمحمدٍ ﷺ والتنبيه على اسمه وصفته. ﴿بَغْيًا﴾ حَسَداً وظُلماً. وانتصاب «بغياً» على أنَّهُ مفعول من أجله، والعامل «أن يكفروا»[1].

﴿أَن يُنَزِّلَ[2] ٱللَّهُ﴾ أن مع الفعل بتأويل المصدر أي: بَغَوا بإنزال الله. وتخفيف «ينزل» وجمع المضارع وتشديده قراءتان إلاّ ما وقع الإجماعُ من السبعةِ على تشديدِه وهو ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر]. ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ مِن: لابتداء الغاية. ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ هو محمد ﷺ حَسَدُوه لما لم يَكُنْ منهم وكان من العربِ. وعزّ النبوة من يعقوب كان في إسحاق فختم بعيسى[3] عليه السلام، ولم يكن من ولد إسماعيل نبيٌّ سوى نبيّنا محمد ﷺ فختمت النُّبوة على غيرهم. ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أي: مترادف متكاثر. «وللكافرين» أل للعهد أو للجنس.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن

(١) عبارة ق: والعامل من أجله «أن يكفروا».

(٢) ق: نزل.

(٣) عبارة ق: كائن في إسحاق مختم بعيسى.

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ هُمْ مَنْ بحضرته عليه السلام من اليهودِ ذُمُّوا بما صدر من آبائهم وأسلافهم من قتلِ الأنبياء إذْ كانوا راضينَ بأفعالِهم. ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هو القرآن والكتب الإلهية التي منها القرآن. ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ وهي التوراة وما جاءهم على لسان أنبيائهم. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ جملة مستأنفة الإخبار عنهم، «بما وراءه» أي: بما جاء بعد كتابهم وهو القرآن. ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ حال مؤكدة لأنَّ كتب الله تعالى يصدقُ بعضها بعضاً فالتصديقُ لازمٌ لا ينتقل.

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ الفاء جوابُ شرطٍ مقدر دلَّ عليه المعنى أي: قل لهم إنْ كنتم آمنتم بما أنزل عليكم فَلِمَ تقتلونَ أنبياءَ الله؟ لأنَّ الإيمانَ بالتوراة واستحلال قتل الأنبياء لا يجتمعان. وجاء «تقتلون»[1] وإن كان قتلُ أسلافهم الأنبياء قد مضى، تنبيهاً على أنّ حاضري الرسول لهم حَظٌّ في ذلك بالرضىٰ. وفي إضافة «أنبياء» إلى «الله» تشريفٌ عظيم لهم[2] فإنَّ مَنْ جاء من عند الله جديرٌ أن يُعَظَّمَ وأن يُنصر. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرطٌ جوابه محذوفٌ أي: فلمَ فعلتم ذلك، وهي [٢٨/ب] جملة مؤكدة. حذف الشرط أولاً وجوابه فلِمَ، وحذف الجواب ثانياً وشرطه مذكور.

﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي الآيات الواضحة. ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد مجيئهِ لكم بالبيِّنات.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ كرَّر هذا لدعواهم أنَّهم مؤمنون بما أنزلَ عليهم وهم

---

(١) ق: يقتلون.

(٢) ق: لم.

كاذبون، إذْ في التوراة إفراد الله تعالى بالعبادةِ لا عبادة العجل. وهناك أعقبَ عبادةَ العجلِ بذكرِ العفوِ عنهم وتَعْدادِ النِّعم عليهم[١]، وهنا أعقب ذلك بالتقريعِ لهم والتوبيخ. ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ أي: مُتَدبِّرين لما سمعتم أو وأطيعوا. ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال ابنُ عباس: كانوا إذا نظروا العذابَ قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا: سمعنا وعصينا.

﴿وَأُشْرِبُوا۟﴾ معطوفٌ على «قالوا» أو حالٌ أي: وقد أُشْرِبُوا والعاملُ «قالوا». ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: حُبُّ العجل، والإشرابُ: المخالطة. ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ الباء للسبب أي: الحاملُ لهم على عبادتهم العجلَ كُفْرهم السابق. ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ تقدم اختيارنا في إعراب ما[٢]. والمخصوص بالذمِّ محذوفٌ أي: عصيانكم وعبادتكم العجل وإيمانكم على سبيل التهكّم، أو إيمانكم الذي زعموا في قولهم «نؤمن بما أنزل علينا».

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قد يخرج الشرط على جهة الإمكان، ومعلوم من خارجٍ أنَّهُ ليس على جهة الإمكان بل يتعيّنُ امتناعه كقوله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۝١١٦﴾ [المائدة] ومعلوم أنَّهُ لم يقله. وكذلك هذا معلوم أنَّهم غير مؤمنين. وجواب الشرط محذوف لدلالةِ ما قبله أي: فبئسما يأمركم به إيمانكم. وقال ابنُ عطية: الجوابُ متقدِّم. ولا يتمشى قولُه هذا إلا على مذهب مَنْ يُجيزُ تَقَدُّمَ جوابِ الشرط وليس بمذهب جمهور البصريين، ولو فرضناه جواباً للزم دخول الفاء لأنَّ الفعلَ الجامد أو الدعاء إذا وقع جواباً لَزِمَتْهُ الفاء. وقيل «إن» نافية.

---

(١) الآية ٥٤ السابقة.

(٢) انظر شرح الآية ٩٠ المتقدمة.

قالت اليهود: إن الله لم يخلق الجنّة إلاّ لإسرائيل وبنيه فنزل:

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ والدارُ الآخرة الجنّة، وذلك معهودٌ في إطلاقها، أو على حذف مضاف أي: نعيم الآخرة وحظوتها. ومعنى «عند الله» في حكم اللهِ كقوله: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور][1]. و﴿خَالِصَةً﴾: مختصة بكم لاحَظَّ لغيركم فيها. وخبر كانت: لكم و«خالصة» حال. ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ متعلق «بخالصة». وقال المَهْدَوِيُّ وتبعه ابنُ عطية[2]: يجوز أن يكون «عند الله» خبر كان و«خالصة» حال. ولا يجوز أنْ يكون الظرفُ إذْ ذاك الخبر لأنّه لا يستقل معنى الكلام به وحده ودون لفظة تستعمل للاختصاص وقطع الشركة تقول: هذا لي دونَك أو مِنْ دونك أي: لا حَقَّ لك [فيه] ولا نصيب. وفي غير هذا الاستعمال تأتي بمعنى الانتقاص في المنزلة أو المكان أو المقدار، والمراد بالنّاس غير اليهود.

﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: بقلوبكم وسلوه بالقول. ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في دَعْواكم خُلوصَ الجنّةِ لكم وحدكم. وقُرىء: فتمنّوا الموتَ بكسر الواو

(١) عبارة ق: بقوله.. هم الفاسقون.

(٢) المحرر الوجيز ١ : ٣٥٦.

وبالفتح والضم. وجوابُ الشرط محذوفٌ أي فتمنّوه، لأنّ مَنْ أيقن أنّه من أهل الجنّة اختار أنْ يتخلّصَ من دارِ الأكدارِ وينتقل إلى دار [القرار].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ هذا من المعجزات لأنّه إخبارٌ بالمغيب كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة]. وفي الحديث[١]: «لو تمنّوا الموت لغصَّ كُلُّ إنسان بريقه فماتَ مكانه وما بقيَ على وجه الأرض يهودي [إلا ماتَ]». ولما[٢] علم اليهودُ صِدْقَهُ أحجموا عن تَمنِّيه فرقاً من الله تعالى أنْ يُميتهم. و﴿أَبَدًا﴾ تقتضي استغراقَ أعمارِهم خلافاً لمن زعم أنَّ ذلك مختصٌّ بعهدِ الرسولِ ﷺ ثم ارتفع بوفاتِه، أو كانَ ذلكَ في أيام كثيرة عند نزوله.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من تكذيبِ الأنبياءِ وقَتْلِهم إياهم وعبادةِ العجل [٢٩/أ] وغير ذلك من مخازيهم. وأسند التقديم لليد إذْ هي أعظم الأعضاء في التصرف. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديدٌ.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ الخطابُ للرسول ﷺ. ووجد بمعنى علم يتعدى إلى اثنين وهو قول مَنْ وقفنا على كلامه في المفسِّرين في «تجد» هنا. ويحتمل أن تكون بمعنى لقي وأصاب. و«أحرص» حالٌ إنْ قلنا إنّ إضافته غير مخصوصة[٣]، وقد أضيفت إلى اسم معرفة فيجوز الإفرادُ كهذا والمطابقة كقوله تعالى: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام]. وتَعَيُّنُ الإفرادِ ليس بصحيحٍ خلافاً لمن قاله. والضمير عائدعلى اليهود، و«النّاس» أل فيه

---

(١) لم أجده وانظر القرطبي ٢: ٣٣. ولم ينصّ ابن كثير على أنه حديث، انظر ١: ٢٢٢.

(٢) ق: ولم.

(٣) ط: غير محضة. وهما سواء لأن الإضافة المحضة هي التي يكتسب فيها المضاف من المضاف إليه التعريف أو التخصيص.

للجنس.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ هم المجوس أو مشركو العرب لأنَّ مَنْ لا يُوقن ببعثٍ فليس عنده إلا نعيم الدنيا أو بؤسها. ونكَّرَ «حياة» أي: أدنى حياةٍ، وهو أقلُّ ما ينطلقُ عليه اللَّفظ، وقرىء: على الحياة. و«من» يحتمل أن يكون مندرجاً تحت ما قبله مراعاة للمعنى إذْ معناه: أحرص من النّاس، أو يكون التقدير: وأحرص من الذين أشركوا، وحذف «أحرص» لدلالةِ السابقِ عليه، وهو تخصيصٌ بعد تعميم. وفيه أعظمُ توبيخٍ لليهود إذْ هم أهلُ كتابٍ يرجون ثواباً ويخافون عقاباً. ويحتمل ألاّ[1] يكون مندرجاً بل أخبر أن يكون من الذين أشركوا قوم ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾، وحذف المبتدأ كما حذف في قولهم: مِنّا ظَعَنَ ومنا أقام. وعلى القول الأول يكون «يود»[2] استئناف إخبار. «أحدهم» أي[3]: واحد منهم وهو عام عُمومَ البدل. و«لو» عند بعض الكوفيين مصدرية بمعنى أن التقدير: أنْ يُعَمَّر. وعلى قواعدِ البصريين «لو»[4] على بابها، ومفعول «يودّ» محذوف أي التعمير لدلالة «لو يعمر»؛ وجواب لو محذوف أي: لَسُرَّ[5] بذلك وَوَدَّهُ. وقال الزَّمخشريُّ[6]: فإن قلت: كيف اتصل «لو يعمر» بـ«يود أحدهم»؟ قلت: هو حكاية لودادتهم [ولو في معنى التمني، وكان القياسُ: لو أُعمَّر، إلا أنّه جرى على لفظِ الغيبة لقوله «يود أحدهم» كقولك: حلف بالله ليفعلنّ انتهى كلامه. وفيه بعض إبهام وذلك

---

(١) ق: أن يكون، والتصويب من ط.

(٢) ق: يكون «يوم».

(٣) ق: أهم أني.

(٤) ق: أو.

(٥) ق: أمر بذلك.

(٦) الكشاف ١ : ٢٩٨.

أن «يودّ» فعل قلبي وليس فعلاً قولياً ولا معناه معنى القول، وإذا كان كذلك فكيف يقول: هو حكاية لودادتهم] إلا أن ذلك لا يسوغ إلا على تجوز وذلك أن يجري «يود» معنى يقول، لأن القول ينشأ عن الأمور القلبية فكأنه قال: يقول أحدهم عن ودادة من نفسه: لو أعمّر ألف سنة.

«وما هو» أي: أحدهم وهو اسم «ما» إن كانت حجازية، ومبتدأ إن كانت تميمية. «بمزحزحه» في موضع الخبر. و«أن يعمّر» فاعل «بمزحزحه» أي: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميرُه. وقالت فرقة: هو عماد، وذلك أن العماد في مذهب بعض الكوفيين يجوز أن يتقدم مع الخبر على المبتدأ. فإذا قلت: ما زيد[1] هو القائم، جوزوا أن تقول: ما هو القائم زيد. فيقدّر الكلام عندهم: وما تعميره هو بمزحزحه، ثم قدم الخبر مع العماد فجاء «وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر» أي: تعميره. ولا يجوز ذلك عند البصريين لأن شرط الفصل عندهم أن يكون متوسطاً. وأجاز أبو علي الفارسي في الحلبيات أن يكون «هو» ضمير الشأن، وهذا مَيْلٌ منه إلى مذهب الكوفيين وهو أن مفسّر ضمير الشأن وهو[2] المسمى عندهم بالمجهول يجوز أن يكونَ غير جملة إذا انتظم إسناداً سويّاً نحو: ظننته قائماً زيد، وما هو بقائم زيد. فهو: مبتدأ ضمير عندهم مجهول، وبقائم: في موضع الخبر، وزيد: فاعل بقائم، فكان المعنى عندهم: ما هو يقومُ زيدٌ. ولا يجوزُ في مذهب البصريين أنْ يفسّر إلّا بجملةٍ مصرَّحٍ بجزأيها سالمة من حرفِ جرٍّ. وقرىء: بما يعملون بالياء جرياً على الغيبة، وبالتاء على سبيل

(١) ق: زيداً.

(٢) ق: هو.

الالتفات، ويتضمن التهديدَ والوعيدَ. وكنّى بـ«بصير» عن «عليم» مبالغةً في إدراك الخفيات.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ جبريل اسم مَلَكٍ عَلَم ممنوع من الصرف للعَلَمِيَّةِ والعُجْمة، وليس مشتقاً ولا مُركَّباً تركيب [حضرموت. وأجمع أهلُ التفسير أنَّ اليهود قالوا: جبريل عَدوُّنا لكونه يأتي بالهلاكِ] والخَسْفِ والجَدْبِ، ولدفاعه عن بُخْتنصَّر حين أردنا قَتْلَهُ[1] حتى خَرَّبَ بيت المقدس وأهلكنا، ولكونه يُطْلِعُ محمداً على سرِّنا. والخطابُ للرسول صلى الله [٢٩/ب] عليه[2] وسلم بقل. و«مَن» شرطية. «فإنّه» أي جبريل «نزله» أي: القرآن. وصرّح الزَّمخشريُّ[3] بأنّ الجوابَ «فإنَّهُ نزّله» وهو خطأ لِعَرْوِ[4] الجملة من ضميرٍ يعود على اسم الشرط، بل الجواب محذوف لدلالةِ ما بعدَهُ عليه أي: فعداوتُه لا وجهَ لها ولا يُبَالَى بها.

و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من مفعول «نزله». ومناسبة دليل الجزاء للشرط هو أنَّ مَنْ كان عدواً لجبريلَ فعداوته لا وجه لها لأنَّهُ هو الذي نَزَل بالقرآن المصدق للكتبِ والهادي والمُبشِّر لمن آمن. ومَنْ كان بهذه المثابة فينبغي أن يُحَبَّ ويُشكرَ إذْ كان به سببُ الهداية والتنويه بما في أيديهم من كُتُبِ الله.

---

(١) ق: أردنا حتى قتله حتى ضرب.

(٢) ق: صلى الله عليه الصلاة والسلام.

(٣) انظر الكشاف ١: ٣٠٠.

(٤) ق: لعزو. ولعرو الجملة: خلوّها.

وأتى بلفظ «على» التي تقتضي الاستعلاء إذْ هو عليه السلام متابعٌ لما يُلْقَى إليه مُطيعٌ بالعملِ بما يقتضيه، والقلبُ محل العقلِ والعلم وتلقي الواردات. وجاء «قلبك» بكاف الخطاب تشريفاً له صلى اللهُ عليه وسلم. ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بأمره وتمكينه إياه من هذه المنزلة.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ عداوةُ العبدِ لله تعالى مَجَازٌ، ومعناه مخالفة الأمر. ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ اندرج فيهم جبريل ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: من بني آدم وممن أرسله اللهُ من الملائكة. ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ قرنه تعالى باسمه واندرجَ تحتَ عُمومِ الملائكةِ والرسل ثُمَّ أفرده بالذكر تخصيصاً له وتشريفاً، ونصَّ على ميكالَ وهو الذي قالت اليهودُ: لو كان ميكالُ صاحبَ مُحمّد لاتبعناه لأنّه يأتي بالخِصْبِ والسلم. وقرنهما معاً تنويهاً بهما وأنّ مَنْ أبغضَ جبريلَ يُبْغِضُ ميكال.

وقُرىء: جبريل وجَبريل وجَبْرئيل وجَبَرئل وجَبَرئيل وجبرائل وجبرال وجِبرين وجَبرين وجبرائين[1]. وقال أبو جعفر النَّحاس: جمع جبريل جمع التكسير على جباريل على اللُّغة العالية «وميكال» عَلَم اسم مَلَكٍ، وقرىء: وميكال وميكائيل وميكاييل وميكايل وميكئيل. وجوابُ الشرط محذوفٌ أي: فهو كافرٌ، لدلالةِ ما بعدَهُ عليه أو ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾. وأقام الظاهرَ مقامَ المُضْمَرِ أي: عدوٌّ له، وفيه نصٌّ على علّةَ العداوة. وعداوة الله تعالى للعبد مُجازاته على مُخالَفته.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا

(١) ط: وجبرائن.

جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ﴾ هو التفات. ﴿إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: واضحة الدلالة لا إلباسَ فيها، فعدم الإيمان بها ليس لشبهة. ﴿وَمَا يَكْفُرُ[1] بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ أي: الكافرون. وأل للجنس أو للعهد في اليهود لأنّ سياقَ ما قبله وما بعده يدلُّ عليهم.

﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ نزلت في مالك بن الصيف ويقال ابن الصَّيب، قال: والله ما أُخِذَ علينا عهد في كتابنا أن نؤمن بمحمّد. وتدلُّ «كلّما» على تكرار العهد فيدخل فيه العهد الذي أُخِذَ عليهم أنَّ محمّداً إن بُعث ليؤمنُنّ به وليكونُنّ معه، وعهد قريظة والنَّضير. وقرىء بفتح الواو ويُقدِّره الزَّمخشريُّ[2]: أكفروا بالآيات البيّنات وكلّما. وتقدم أنّ مذهب النُّحاة في هذا ونظائره: وأكلّما، وقدمت الهمزة لأنّ لها صدر الكلام.

---

(١) ق: يجحد.

(٢) انظر الكشاف ١: ٣٠٠.

وقرىء: أو بسكون الواو، وخرّجه الزَّمخشريُّ على العطف على «الفاسقين» وقدّره: وما يكفرُ بها إلا الذين فَسَقُوا أو نقضوا عهدَ الله مراراً كثيرة[١] انتهى. وينبو هذا التركيبُ على إفادة هذا المعنى، وخرّج على أن «أو» بمعنى بَلْ وهو رأيٌّ كوفيٌّ، والأَوْلَى عندي تخريج ذلك على أنّ «أو» بمعنى الواو إذْ قد ثبت وجود ذلك في لسانِ العرب. وانتصب «عهداً» على أنّه مصدر على غير الصدر أي: معاهدة، أو على أنه مفعول به لتضمّن «عاهدوا» معنى أعطوا. «نبذه»[٢] أي: طرحه كنايةً عن نقضِه كأنَّ العهدَ شيءٌ مُجَسَّدٌ ورُميَ به. «فريق منهم» الفريق: اسمُ جمعٍ لا واحدَ له يطلق على القليلِ والكثيرِ وهنا استعمل [٣٠/أ] في القليل لدلالة قوله «بل أكثرهم لا يؤمنون». و«بل» للانتقال من خبرٍ إلى خبر، والضمير في «أكثرهم» عائد على من عاد عليه ضمير «عاهدوا» أو عائد على الفريق. و﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هو محمّد ﷺ. وفيه التفات إذْ خرجَ من خطاب «إليك» إلى اسم الغائب، ووصف بأنّه من عند الله تفخيماً لشأنِه إذِ الرسولُ على قَدْرِ المُرْسِلِ. ووصفه بأنّه ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ وتصديقه كونه على الوصف الذي ذُكِرَ في التوراة وعلى ما جاء في الكتب الإلهية [وكونه مصدقاً لما معهم من الكتب الإلهية]. وقُرىء: مصدّقاً على الحال من «فريق من الذين أوتوا الكتاب» وهو التوراة. ﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾ وهو القرآن. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ هو مَثَلٌ يُضربُ لمن أعرضَ عن الشيء جملةً،

(١) الكشاف ١: ٣٠٠.

(٢) ق: أنبذه.

تقول العرب: جعلَ هذا الأمرَ وَرَاء ظهرِه ودَبر أُذنه[١]. و﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ جملة حالية أي: لا يعلمون أنَّه كتاب الله لا يُدَاخِلُهُم فيه شكٌّ لثبوته عندهم، وإنَّما نبذوه على سبيلِ المكابرةِ والعناد. أو لا يعلمون بما أُمروا به من اتباعِ الرسولِ ﷺ.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي: تتبع أو تقرىء. وهو مضارع في معنى الماضي أي: ما تَلَت. والظاهر أنّ الشياطين هم الجنّ، وقرىء: الشياطون. وقالت العرب: بستان فلان حوله بساتون. ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أي: على شرعه ونبوّته وحاله. كتبت الشياطين السِّحْر واختلقته[٢] ونَسَبَتْهُ إلى سليمانَ وآصف.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ تنزيهٌ له عليه السلام من الكفرِ أي: ليس ما اختلقتْهُ الجِنُّ تَعَاطاهُ سليمان لأنّه كفرٌ، وفيه نفيُ الشيء عمّن لا يمكن وقوعه منه. وفي الحديث لما ذكر رسول الله ﷺ سليمان في الأنبياء قال بعضُ اليهود: انظروا إلى محمّدٍ يذكرُ سليمانَ في الأنبياء وما كانَ إلا ساحراً. ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ وقرىء: ولكنَّ بالتشديد وَنَصْب الشياطين، وبالتخفيف والرفع. ووقعت «لكنّ» بين نفيٍ وإثباتٍ وهي بسيطة. وجهةُ الاستدراك أنّه لمّا نَفَى الكفرَ عن سليمان عليه السلام وكان الشياطين قد سُخِّرتْ لسليمانَ بحيثُ يستعملهم فيما يشاء، فقد يُتَوَهَّمُ أنّهم[٣] لا يكفرون إذْ هم في خدمة نبيٍّ فاستدرك أنّهم كفروا.

---

(١) مجمع الأمثال ١ : ١٧١.

(٢) ق: وأخلقته.

(٣) ق: أنه.

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ أي: الشياطين وهو الظاهرُ والأقربُ، أو اليهود، والعائد عليهم ضمير «واتبعوا» وهي استئنافُ إخبارٍ.

واختلفوا في حقيقةِ السحر على أقوال، ونصّ القرآنُ والحديث أنَّهُ تخييلٌ، ولا شكَّ في وجوده في زمانِ رسولِ الله ﷺ. وأما في زماننا الآن فكلُّ ما وقفنا عليه من كتبه فهو كذب وافتراء لا يترتّب عليه شيء ولا يصح منه شيء ألبتَّة.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ وما: معطوف على «السحر»، قيل: أو على «ما تتلو» أو «على ملك سليمان»، وهما ضعيفان للفصل بينهما بثلاثِ جمل. والذي قال: (ما) نافية ينافي قوله[1] «وما يعلمان». وقرىء: الملكين بفتح اللام وكسرها. وقال ابنُ عباس: هما رجلان ساحران كانا ببابل لأنّ الملائكة لا تُعلم الناسَ السِّحر انتهى. وعلى فتح اللام إطلاق الملكين عليهما مجاز، وجهة المجاز أنَّهما يعلِّمان ما قذف في قلوبهما، وعبّر عنه بالإنزال فكأنَّهما مَلَكان يلقيان للنَّاسِ ما ليس معهوداً لهم[2]. ﴿بِبَابِلَ﴾ قال ابنُ مسعود: هي في سواد الكوفة. ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ عطف بيان أو بدل وهما أعجميتان، وقول مَنْ قال مشتقان من الهَرْتِ والمَرْت خطأ. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ وقرىء بالتشديد [٣٠/ب] والتخفيف. و«أحد» هنا المستعمل في النفي لا بمعنى واحد. ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ غاية أي: إلى أنْ يقولا. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [أي: ابتلاء]. ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ قال عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهه: كانا يعلّمان تعليم إنذار لا تعليمَ دعاء إليه كأنَّهما يقولان: لا تفعل كذا فيكون منه كذا. ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ أي: فهم يتعلمون، أو هو معطوف على «يعلمان» المنفية

---

(١) «ينافي قوله» كررت مرتين.

(٢) عبارة ق: يلقيان الناس ما ليس معهود لهم.

لكونها موجبة في المعنى. ﴿مِنْهُمَا﴾ أي: من هاروت وماروت. ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي: تفريق الألفة والمحبّة بحيث تقعُ البغضاء أو تفريق الدين بحيث إذا تعلم فقد كفر. وقُرِىء: المرء مثلّث الميم وبالهمز، والمرِّ بكسر الراء وبشدّها من غير همز فيهما. ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ أي: بما يفرقون «من أحد». وقرىء: بضاري وخُرِّجَ على حذفِ النُّون من اسم الفاعل وإنْ لم يكن فيه أل، وله نظيرٌ في نثرِ العربِ ونظمها، وقيل حُذفت لأجل الإضافةِ إلى «أحد» وفصل به بين المتضايفين كقوله[1]:

هما أخوا في الحرب من لا أخا له [من الطويل]

وهذا اختيار الزَّمخشريّ[2]. ثم استشكل ذلك لأنَّ «أحداً» مجرور بمن وكيف يمكن أن يعتقد فيه أنه مجرور بالإضافة؟ فقال: فإنْ قلت: كيف يُضافُ إلى «أحد» وهو مجرور بمن؟ قلت: جعل الجار جزءاً من المجرور انتهى. وهذا التخريجُ ليس بجيِّدٍ لأنَّ الفصلَ بين المتضايفين بالظرف والجار والمجرور من ضرائرِ الشعر. وأقبح من ذلك ألّا يكون ثَمّ مضافٌ إليه لأنّه مشغول بعامل آخر فهو المؤثّر فيه لا الإضافة. وأما جَعْلُ حرف الجرّ جزءاً من المجرور [فهذا ليس بشيء] لأنّه مؤثر فيه وجزء الشيء لا يؤثر في الشيء. ومِن في ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ زائدة وقياسها أنْ تُزادَ في المفعولِ المعمول للفعل الذي يباشره حرفُ النفي نحو: ما ضربتُ من أحدٍ، وهنا حملت الجملة من غير الفعل والفاعل على الجملة منهما لأنّ المعنى: وما يَضُرُّونَ

(١) سقطت «لا» من ق. والبيت لعَمْرة الخثعمية ترثي ابنيها وتمامه في شرح ديوان الحماسة ٣: ١٠٨٣:

إذا خاف يوماً نبوةً فدعاهما

(٢) انظر الكشاف ١: ٣٠٢، في هذا الموضع وتاليه.

من أحدٍ. ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ استثناء مفرغ من الأحوال فهو حالٌ من فاعل «بضارين».

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ لم يقتصر على ضَررِ مَنْ يُفعلُ له ذلك بل يحصلُ الضررُ لمن يُفَرِّقُ بينهما. ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾ معطوف على جملة [«ما يضرّهم»]. والضمير في «علموا» عائدٌ على مَنْ عادت عليه الضمائر. قيل: و﴿عَلِمُوا﴾ معلقة فإن كانت متعدّية لواحد كانت الجملة في موضعه، أو لاثنين كانت في موضعهما. ويظهر الفرق في العطف. واللام في ﴿وَلَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف. و«مَن» موصولة واللام فيها معلقة. ويبعد أن يكون «من» شرطاً و«لمن» جواب قسم مضمن فعل الشرط لفظاً ومعنى. والضميرُ المنصوب في ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾ عائد على السحر. و﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾ الجملة خبر «مَن» إن كانت موصولة، وجواب القسم إن كانت [شرطاً] والخَلاقُ: النصيبُ. ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا﴾ تقدّم الكلام في بئسما[1]. ﴿شَرَوْا﴾ باعوا. ﴿بِهِۦٓ﴾ أي: بالسحر.

﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ [في موضع مبتدأ، وعلى مذهب المبرّد في موضع الفاعل بفعل محذوف أي: ولو ثبت إيمانهم]. و«لو» هنا هي لما كان سَيَقعُ لوقوعِ غيره. وتجويز الزّمخشريّ[2] فيها التمنّي بعيدٌ جداً. وجواب «لو» محذوف تقديره: لأُثِيبُوا. وحذف جواب «لو» لدلالة المعنى عليه كثير. واللام في ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ لام قسم، وقيل: اللام في ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ هي الداخلة في جواب لو، والجواب هو الجملة الاسمية وهو اختيار الزّمخشريّ[3]. ولم يُعْهَدْ في

---

(١) انظر شرح الآية ٩٠ المتقدمة.

(٢) الكشاف ١: ٣٠٢.

(٣) الكشاف ١: ٣٠٢.

لسانِ العرب مجيء جواب لو جملة اسمية إلاّ هذا المختلف في تخريجه، ولا تثبتُ القواعدُ الكلية بمثل هذا المحتمل الخارج عن النظائر. والمثوبةُ: الثوابُ، وقرىء: لمثوبة بفتح الميم كمشورة والتصحيح شاذ وكان القياس: لَمَثابة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هذا أولُ خطاب خُوطب به المؤمنون في هذه السورة بالنداء الدالّ على الإقبال عليهم. ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ هو أمرٌ من المراعاة يقتضي المشاركةَ مع مَنْ يُعظّم [غالباً أي: ليكن منك رعيٌ لنا ومنّا رعيٌ لك. نُهوا أن ينطقوا بلفظ يقتضي المشاركة مع مَنْ يعظّم] وتضمن هذا النّهيُ النّهيَ عن كُلِّ ما يكون فيه استواء مع النّبيِّ ﷺ [ولا سيما إنْ صَحّ أنّ اليهودَ لعنهم الله كانوا يخاطبون النّبيَّ ﷺ] بلفظٍ يقصدون به الغَضَّ منه عليه السلام. [٣١/ أ] قال محمد بن جرير[1]: هي كلمةٌ كره الله تعالى أن يُخَاطبَ بها نبيُّه عليه السلام. وقرىء: راعناً بالتنوين وخُرِّجَ على أنّه نعتٌ لمصدرٍ محذوف أي: قولاً راعناً [أي] مُتَّصفاً بالرعن. ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾ قراءة الجمهور موصول الهمزة مضموم الظاء. والأصل في نَظَرَ البَصَرية أنْ تُعَدَّى بإلى ثـمّ يُتسع فيه فَيُعَدَّى بنفسه كقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد] وقال الشاعر[2]: [من الخفيف]

---

(١) انظر تفسير الطبري ١: ٣٧٤.

(٢) البيت في معاني القرآن للأخفش ١: ٢٤٠.

ظاهرات الجمال والحسن ينظر   نَ كمـا ينظـرُ الأراكَ الظِّبـاءُ

أي: إلى الأراك. فيكون «انظرنا» من نَظَرِ العين الذي يصحبه التدبُّرُ في حالِ المنظور إليه. وقرىء: أَنظِرنا[1] بقطع الهمزة وكسر الظاء أي: أخِّرْنَا وأمْهِلْنا حتى نتلقى عنك. ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ أي: سماعَ قبولٍ وطاعة لما نُهيتم عنه وما أُمرتم به. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ عام في اليهود وغيرهم. ذكر أنَّ المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا برسولِ الله ﷺ فقالوا: وددنا لو كان خيراً ممّا نحنُ عليه فنتبعه، فأكْذَبَهم الله تعالى بقوله:

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود والنَّصارى [الذين] بحضرته عليه السلام. ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مشركو العرب وغيرهم. و«مِن» للتبعيض. ومن أثبتَ أنَّ «مِن» لبيانِ الجنس قال ذلك هنا، وبه قال الزَّمخشريُّ[2]. «ولا المشركين» معطوف على أهل الكتاب، وكونه معطوفاً على الجوار كلامٌ لغير نحوي. ودخلت «لا» للتوكيد. ومِنْ في «من خير» زائدة تدل على استغراق الجنس، وحسن زيادتها وإن كان «ينزل» لم يباشر حرف النفي - لانسحابِ النفي عليه من حيث المعنى، لأنّه إذا نفيت الوَدَادة للإنزال كان [كأنه] نفي لمُتَعَلَّقِهَا وهو الإنزال. ومِنْ في «من ربكم» لابتداء الغاية فتتعلّق «بخير» أو للتبعيض فتتعلّق بمحذوفٍ أي: من خيور ربكم. و«يختص» إن كان لازماً «فمن» فاعل، أو متعدياً فمفعول. وفي «يختص» ضميرٌ يعود على «الله». والرحمة: النبوّة. والقرآن هو الخير الذي لا يَوَدُّه الكُفَّارُ. و«ذو» بمعنى صاحب، قيل: والوصفُ به أشرفُ من الوصف

---

(١) ق: انظرونا.

(٢) عبارة الكشاف ١: ٣٠٢: «مِنْ» الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون.

بصاحب. والفضلُ عام في جميع أنواع التفضلات.

ولما تَقَدَّمَ إنزالُ الخير وكان من المنزل ما ينسخ وحُوِّلت القبلةُ إلى الكعبةِ طَعَنَ في ذلك اليهود وقالوا: يأمرُ أصحابَهُ اليومَ بأمرٍ وينهى عنه غداً فنزلت:

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ و«ما» شرطية مفعول بننسخ. وقرىء: نَنْسخ من نسخ ونُنْسخ من أنسخ والهمزة عند الفارسيِّ للوجود كهي في: أحمدت الرجل وجدته محموداً قال: وليس تَجِده منسوخاً إلاّ بأن [ينسخه فتتفق القراءتان. وعند الزَّمخشريِّ وابنِ عطية: الهمزة للتعدية، قال الزَّمخشريُّ[1]: وإنساخها: الأمر بنسخها بأن] يأمر جبريل أنْ يجعلها منسوخة. وقال ابنُ عطية[2]: ما ننسخك من آية أي: ما نبيحُ لك نَسْخَهُ[3]. جعل الإباحةَ إنساخاً. ومِن في «من آية» للتبعيض. و«آية» مفرد وقع موقع الجمع أي: من الآيات وليس تمييزاً ولا «مِن» زائدة فتكون «آية» حالاً، أي: أيّ[4] شيء ننسخ قليلاً أو كثيراً، ولا مفعولاً. و«ما» شرط مصدر أي: أيّ نسخ ننسخ آية. وقرىء: أو نُنْسِها مضارع أَنْسىٰ من النسيان أي: أو

---

(١) الكشاف ١: ٣٠٣.

(٢) المحرر الوجيز ١: ٣٨١.

(٣) عبارة ق: أي ما ننسخ لك نسخة.

(٤) ق: أتى.

ننسِك من آيةٍ. وقرىء: أو ننسأها. وفُسِّرَ النسخُ بالرفع لفظاً وحكماً أو حكماً دون اللَّفظ، وقراءة الهمزة من التأخير. ﴿نَأْتِ﴾ هو جواب الشرط. ﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ الظاهر أنّ خيراً أفعل(١) التفضيل، والخيريةُ ظاهرةٌ لأنَّ المأتيَّ به إنْ كان أخفّ من المنسوخ أو المنسوء فخيريَّتُهُ بالنّسبة إلى سقوطِ أعباءِ التكليف، وإنْ كان أثقل فخيريَّتُهُ بالنسبة إلى زائدة الثواب. ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ أي مساوٍ لها في التكليف والثواب. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ تقريرٌ أي: قد علمتَ أيّها السامعُ، وجعله استفهاماً محضاً، ومعادلة: أم علمتم أو أم تريدون قولُ مَنْ لم يعرف فصاحةَ [٣١/ب] كلامِ العربِ وبلاغته. ووصفه تعالى بالقدرة فلا يعجزه شيءٌ فلا ينكر النسخ لأنّه تعالى يفعلُ ما يشاء ويحكم ما يريد لا رادَّ لأمره.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ تقريرٌ ثانٍ. لما ذكرَ صفةَ القُدْرةِ ذكرَ صفةَ الاستيلاء والملك. [ولما] ذكر هاتين(٢) الصفتين أعلم تعالى أنّه لا يحجزه عمّا يريدُ شيءٌ ولا مُغَالِبَ له فيما يريد. اقترحوا على النّبيِّ ﷺ أنواعاً من الاقتراحات كجعلِ الصفا ذهباً وتوسيع أرضِ مكة وغير ذلك.

و«أم» منقطعة تتقدر بـ: بل والهمزة، وهو استفهام على معنى الإنكار، وأبرزَ ذلك في صورة الإنكار بصيغة المستقبل وإنْ كان قد وقع ذلك منهم استبعاداً لوقوعه ولإرادته. ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ من نحو قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف] و﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة]. وما مصدرية في «كما». وقرىء: سئل بإخلاص الضمّ وبالإشمام [وبالياء]

(١) ق: فعل.

(٢) ق: هذين.

وبتسهيل[١] الهمزة بَيْنَ بَيْنَ وضَمِّ السين [وبكسرها] وبالياء. و﴿مِن قَبْلُ﴾ تأكيدٌ لأنّ سؤالَ اليهود موسى متقدِّمٌ. ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ هذه كناية عن الإعراضِ عن الإيمان والإقبالِ على الكفر إذْ لم يكن لهم إيمانٌ سابقٌ تَبَدَّلُوا به الكفرَ. ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: وَسَطه واعتداله، وأبرزَ ذلك في صورةِ الشرط وكأنّه لم يقع تنفيذاً[٢] لهم وتبعيداً عن ذلك.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم اليهود، والكتاب التوراة. وتقدم الكلام في «لو» عند قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة]. ومن جعل لِلَوْ جواباً قدَّره: لَسُرُّوا بذلك أو لفرحوا، وقول مَنْ قدَّره: لودُّوا ذلك، مناقضٌ لقوله «ودَّ». ويَرُدُّ بمعنى يصيِّر[٣]. و﴿حَسَدًا﴾ مفعول من أجله وانتصابه على أنّه مصدر لفعله المحذوف أو مصدر في موضع الحال ليس بجيِّد. ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي: كائناً من عند أنفسهم [أي: الحامل لهم على الحسد هو أنفسُهم] الخبيثةُ النجسة الأمَّارةُ بالسوء. ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: كفرهم عناد، والحقُّ: وضوحُ رسالةِ رسولِ الله ﷺ ومعجزاته. ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾ هذه موادعة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ من قتالِهم وتمكينِه منهم ونصرِه عليهم.

---

(١) عبارة ق: وبالإشمام وتسهيل. والتصحيح من ط.

(٢) ق: تغييراً.

(٣) عبارة ق: ويود بمعنى تصير.

ثم أنَّسَ المؤمنين بذكرِ قُدْرتهِ على كل شيءٍ وبمخاطبتهم بإقامةِ الصلاة وإيتاء الزكاة وهما قوامُ[1] الدين. ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ يندرجُ في عمومِ هذا الخيرِ الصلاةُ والزكاة. ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه عند الله. وكنى بقوله «بصير» عن علمه بحيثُ إنَّه لا يخفى عليه شيءٌ. و﴿بَصِيرٌ﴾ من بَصُر أو فعيل من أفعل.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

اختصم يهودُ المدينة ونصارى نجران وتناظروا بين يدي الرسولِ عليه السلام فحكى اللهُ عنهم ما قالوه ولُفُّوا في الضمير في «وقالوا» لأنّ القولَ صدر من الجميع. ثم جيء «بأو» التي للتفصيل فعاد «هوداً» لمن قالَ: كونوا هوداً، و«نصارى» لمن قال: كونوا نصارى، وهذه كقوله: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة] ومعلومٌ أنَّ اليهوديَّ لا يأمرُ بالنصرانيةِ ولا النصرانيُّ[2] يأمر باليهودية. وهود: جمع هائدٍ كعائدٍ وعود وهو جمع لا يَنْقَاسُ في فاعل. وحمل الضمير في ﴿مَن كَانَ﴾ على لفظ[3] مَن فأفرد، وحمل الخبر على معنى من فجمع. وفي هذا قول الشاعر: [من المتقارب]

(١) ق: قيام.

(٢) ق: النصارى.

(٣) ق: لفظة.

فأيقظ مَنْ كان منكم نياماً[١]

ردٌ على مَنْ زعم أنَّه لا يجوز [الجمع] بين الجملتين في مثل هذه الصورة. و«لن»[٢] في النفي أبلغ من «لا».

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ جملة معترضة بين قولهم وبين طلب الدليل على صحة دعواهم، أي تلك المقالة أمانيهم فإنْ حُمِلَ على ظاهرِه فذلك [من] الأماني التي لا تقعُ بَلْ يستحيلُ وقوعها وإلاّ فأمانيُّهم أكاذِيبُهم. و«تلك» يُشَارُ بها إلى الواحدةِ المفردة وإلى الجمع [٣٢/أ] غيرِ المُسْلِمِ من المذكَّرِ والمؤنَّثِ، فحمله الزَّمخشريُّ على الجمع قال[٣]: أُشيرَ بها إلى الأماني المذكورة وهي أمنيتهم الاَّ ينزلَ على المؤمنينَ خيرٌ من رَبِّهم، وأمنيتهم أنْ [يردُّوهم كفاراً، وأمنيتهم أن] لا يدخل الجنَّةَ غيرهم، أي: تلك الأماني الباطلة أمانيهم.

وما ذهب إليه في الوجه الأول ليس بظاهرٍ لأنّ كُلَّ جملة ذكر فيها ودّهم لشيءٍ قد انقطعت وكملت واستقلت في النزول فيبعد أنْ يشارَ إليها. وما ذهب إليه في الوجه الثاني ففيه مجازُ الحذفِ وفيه قلبُ الوضعِ إذ الأصلُ أنْ يكون «تلك» مبتدأ و«أمانيهم» خبر، فقلبَ هو الوضعَ إذْ قالَ: أمانيهم في البطلان مثل أمنيتهم هذه. وفيه أنَّه متى كان الخبرُ مشبهاً به المبتدأ فلا يجوز تقديمه مثل: زيد زهير شعراً. نَصَّ على ذلك النَّحويون. وإنْ تقدَّمَ ما هو أصل في أن يشبّه به كان من عكس التشبيه ومن بابِ المبالغةِ إذْ جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً كقولك: الأسد زيد شجاعة.

---

(١) انظر البحر ١ : ٣٥٠.

(٢) ق: وأن.

(٣) الكشاف ١ : ٣٠٥.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ إذا[١] ادُّعِيَ شيءٌ طُولبَ المُدَّعي بالدليلِ على صِدْقِ دعواه. وهاتِ: فعل متصرف يقال: هَاتَى[٢] يُهاتي مُهاتاةً، ويتصل بها الضمير يقال: هاتي وهاتيا وهاتوا وهاتين، يتصرَّفُ تصرّف راعى. والبرهان: مشتق من البره وهو القطعُ أو من البرهنةِ وهي البيانُ. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دَعْواكم فهاتوا البرهان.

﴿بَلَىٰ﴾ ردٌّ لقولهم «لن يدخل الجنة»، والمعنى: يدخلها غيركم مِمَّن اتصفَ بالوصفِ الذي[٣] يأتي بَعْدُ. والظاهر أنّ «من» مبتدأة موصولة أو شرطية، وجوّز أنْ تكون[٤] فاعلاً بمضمر أي: يدخلها مَنْ أسلم. وعبّر بالوجه عن الجملة إذْ هو أشرفُ الأعضاء وفيه الحواس. والإسلامُ: الانقيادُ إلى الله تعالى فيما كلّف. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: بالعمل ومراقب من يعمل له. ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ حمل على معنى «من» من بعد تقدم الحمل[٥] على اللّفظ.

واليهودُ ملّةٌ معروفة وهو جمع يهوديّ كالروم ورومي يُعَرَّفُ الجمعُ[٦] بأل. ويهود: اسم عَلَمٍ للقبيلة يمتنع من الصرف للعَلَمِيَّةِ والتأنيث، والياء أصل يقال: يهّده، وليس من مادة هود يقال في هذا هَوَّدَهُ. وجازَ أنْ يكون اليهود والنّصارى الّذين تخاصموا بحضرةِ الرسول عليه السلام، وجاز أن

(١) ق: إذ.

(٢) ق: هاتي.

(٣) ق: التي.

(٤) ق: يكون.

(٥) ق: الجمل.

(٦) ق: الجميع.

تكون[1] أل للجنس إذ كل منهم يعتقد في مقابلة ذلك، ألا ترى أنَّ اليهودَ أنكرت نبوَّةَ عيسى عليه السلام والإنجيلَ وقالوا في عيسى ما قالوا، وأنكرت النَّصارى ما عليه اليهودُ. و﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ مبالغة في عدم الاعتداد[2] بما هم عليه ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ جملةٌ حاليةٌ تُزري عليهم ما هُمْ فيه إذ هو ناطقٌ بخلاف ما يقولونه، شاهدة توراتهم ببشارة عيسى ومحمد عليهما[3] السلام، وإنجيلهم بنبوّة موسىٰ ومحمّد عليهما السلام، والكتاب هنا التوراة والإنجيل. ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهُمْ مشركو العرب قالوا مثلَ قولِ اليهودِ والنّصارى قالوا: لكلِّ دِينٍ: ليسوا على شيء. و﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ توضيح وتوكيد لمدلول «كذلك» لأنَّ معناه: مثل ذلك القول قال الذين لا يعلمون. ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ أي: يفصل.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ الآية، لَمَّا جرى ذِكْرُ اليهود والنصارى وأنَّ مشركي العرب تقولُ مِثْلَ مقالتهم وكانوا ساعين في خرابِ المواضع التي أُعِدَّتْ لذكر الله تعالى أنزل «ومن أظلم». وكان قد تقدم لبعضِ ملوكِ الروم خرابُ بيت المقدس وبقيَ خراباً إلى زمنِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان المشركون أيضاً صَدُّوا رسولَ الله ﷺ عن المسجد الحرام. وكثر في

---

(١) ق: يكون.

(٢) ق: الاعتقاد.

(٣) ق: عليهم.

القرآن مجيءُ «ومن أظلم» قيل: والمعنى لا أحدَ أظلمُ فهو استفهامٌ معناه النفيُ فكان خبراً [٣٢/ب] وهو نفيُ الأظلمية، ونفيُ الأظلمية لا يستدعي نفي الظالمية، وإذا لم يدلَّ على نفي الظالمية لم يكن في تكرير «ومن أظلم» تناقض، لأنَّ فيها إثباتَ التسويةِ في الأظْلَمِية، وإذا ثبتت التسويةُ فيها لم يكن أحدٌ مِمَّنْ وُصِفَ بذلك يزيدُ على الآخر، وصار المعنى: لا أحدَ أظلمُ مِمَّن منع وممن افترى وممن ذكر، ولا يدلُّ على أنَّ أحد هؤلاء أظلم من الآخر كما أنّك إذا قلت: لا أحدَ أفقه من زيد وعمرو وبكـر لا يدلُّ على أنَّ أحدهم أفقه من الآخر بل نفى أنْ يكون أحدٌ أفقه منهم. لا يقال إنَّ مَنْ منعَ مساجد الله أن يُذْكَرَ فيها اسمُه وسعى في خرابها ولم يَفْتَرِ على الله الكذبَ أقل ظلماً مِمَّنْ جمعَ بينهما فلا يكون مساوياً في الأظلمية لأنَّ هذه الآيات كلّها في الكفارِ فهم متساوونَ في الأظلمية، وإن اختلفتْ طُرُقُ الأظلمية فكُلُّها صائرةٌ إلى الكفر وهو شيءٌ واحدٌ فلا يمكن فيه الزيادة لأفرادِ مَن اتَّصَفَ به، وإنّما يمكن الزيادةُ في الظلم بالنسبة لهم ولعصاةِ المؤمنين بجامعِ ما اشتركا فيه من المخالفةِ فنقول: الكافرُ أظلمُ من العاصي ونقول: لا أحدَ أظلم من الكافر. ومَن في «ممن» موصولة. ﴿أَن يُذْكَرَ﴾ مفعول ثانٍ لمنع، أو على إسقاطِ حرف الجرِّ، أو بدل اشتمال، أو مفعول له على حذف [مضاف] أي: دخول مساجد الله، وكنى بذكر اسمه عما يوقع فيها من الصلوات.

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ إما حقيقةً كتخريبِ بيت المقدس أو مجازاً بانقطاع الذكر فيها ومنع قاصديها إذْ تؤولُ بذلك إلى الخراب. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ﴾ أي: ما ينبغي لهم ﴿أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ أي: وَجِلينَ من عِقابهِ فكيف لهم أنْ يمنعوا من ذِكْرِ اسم الله فيها ويسعوا في خرابها إذْ هي بيوتٌ ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴿٣٦﴾﴾ [النور].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ حُمِلَ على معنى «مَن»، ومَن إذا كانت موصولةً أو استفهاماً

أو شرطاً يجوز مراعاة المعنى فيها، أمّا إذا كانت موصوفةً كما أجازه أبو البقاء في: «ممّن[١] منع» وفي: مررت بمن يحسن لك، فليس في مَحْفُوظِي من كلامِ العرب مراعاة المعنى فيها. ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ وهو الهوانُ والإذلالُ وهو مناسبٌ لإخماد[٢] المساجدِ بمنع ذِكْرِ الله فيها. ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو مناسب لتخريبِ المساجد بتخريبِ هياكلهم وصورهم بالعذابِ مِراراً ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء].

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أذن لهم ابتداءً أنْ يُصَلُّوا حيث تَوَجَّهُوا فنسخ ذلك. ويظهر انتظامها بما قبلها أنّه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله والسعي في تخريبها نبّه على أنَّ ذلك لا يمنعُ من أداءِ الصلواتِ ولا من ذِكْرِ الله إذِ المشرقُ والمغربُ له، فأي جهةٍ أدَّيتم فيها العبادةَ فهي لله يُثيبُ على ذلك ولا يَختصُّ مكانُ التأدية بالمسجد. ومعنى «تولوا» تَسْتقبلوا بوجوهكم. «فثم وجه الله» أي: جلاله وعظمته، ويستحيل أنْ يُحْمَلَ على العضوِ أو على الذَّاتِ. ﴿وَٰسِعٌ﴾ [أي:] واسع المغفرة واسع القدرة.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قالت اليهودُ: عزيرٌ ابن الله، وقالت النّصارى: المسيحُ ابن الله، وقال المشركون: الملائكةُ بنات الله. والضمير في ﴿وَقَالُوا۟﴾ شامل للجميع. ومتى ذُكِرَ اتخاذُ الولد في القرآن فلا يأتي إلا

---

(١) ق: كمن.

(٢) ط: لإخمال.

متعدِّياً إلى واحد. ولما كان اتخاذُ الولد في غايةِ الاستحالةِ قال ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ أي: تنزيهاً له عما نَسَبَهُ إليه الكفار. ثم بَيَّنَ[1] أنَّ جميع ما في السماوات والأرض ملكٌ له، والولادةُ تُنافي الملكيةَ وأنَّ الجميعَ قانتون له مطيعون خاضعون. و﴿مَا﴾ شاملٌ لمن يَعْقِلُ وما لا يعقل وجمع بالواو والنون التي هي حقيقة فيما يعقل فاندرجَ فيه ما لا يعقلُ على حكم تغليبِ مَنْ يعقل، فحين ذكر [٣٣/أ] الملك أتىٰ بلفظ «ما» وحين ذكر القنوت أتىٰ بجمع مَنْ يعقل. وجنح الزَّمخشريُّ إلى أنْ «ما» وقعت على مَنْ يعلم قال[2]: تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم. و﴿قَٰنِتُونَ﴾ خبر ﴿كُلٌّ﴾ مراعى فيه معنى كلّ لأنّه حذف ما يضاف إليه كلّ، والحملُ على المعنى إذْ ذاك أكثر وأفصح ولمراعاةِ الفاصلة.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لما ذكر المظروف ذكر الظرفين وخَصَّهما بالبداعة لأنّها أَعْظَمُ ما نشاهده[3] من المخلوقات. والإضافة من باب الصفة المشبّهة أصله: بديع سماواته، والإضافة من نصبٍ. وقال الزَّمخشريُّ[4]: من رفعٍ وهو قول: قيل. وقيل: بديع بمعنى مبدع، ولم يذكر ابنُ عطية غير هذا الوجه. وقرىء: بديع بالرفع والنصب والجرّ. [والجرُّ] بدل من ضمير «له». ولما ذكر ما دَلَّ على الاختراعِ ذكرَ سرعةَ تكوينِ ما يُريد تكوينه. ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي: أنشأ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ كناية عن سرعة تكوين ما

---

(١) ق: تبين.

(٢) الكشاف ١: ٣٠٧.

(٣) ق: يشاهده.

(٤) انظر الكشاف ١: ٣٠٧.

أراد. ولا خطاب هناك لأنّ المعدومَ لا يُؤمَرُ والموجود[١] لا يؤمر بإيجاده، وهو من مجاز التمثيلِ. وقرىء برفع «فيكون» أي: فهو يكون، وبالنصب على جواب الأمر، شبّه الأمر المجازي بالأمر الحقيقي إذِ الأمر الحقيقي ينتظم منه[٢] شرط وجزاء فلا بُدَّ من التغاير إذ لا يَصِحُّ [تقدير]: إن يكن يكن. ومَنْ قال إنَّ النصب لحن فهو مخطىءٌ، والقراءةُ في السبعةِ فهي من المتواتر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم كفار العرب وبعض اليهود اقترحوا ذلك. ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ هَلاَّ يُكَلِّمنا كما كلَّم موسى عليه السلام. ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ أي: مقترحة لهم. ﴿مِن قَبْلِهِم﴾ وهم أسلافهم. ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في القسوة والتَعَنُّتِ والاقتراح. وقرىء: تَشَّابهت بشدِّ الشين، وتخريجها مشكل.

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: أوضحناها [واقترحناها] فاقتراحُ آيةٍ مع تقدم الآياتِ تعنُّتٌ. ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: لمن ليس في شك ولا ارتياب ولا تغافل[٣] ولا جهل.

---

(١) ق: ولا هناك خطاب.. والمأمور.

(٢) ق: شطر منه.

(٣) ق: بغافل.

﴿بَشِيرًا﴾ لمن آمنَ ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن كفر، وفي ذلك تسليةٌ له صلى الله عليه وسلم. و«بالحق» [أي] مصحوباً بالحقِّ لا يفارقك. وهما صفتا مبالغة فبشيراً[1]: من بَشَر مخففاً، ونذيراً: من أنذر، ومُحَسِّنُه العطف فيما لا ينقاس على ما ينقاس. ﴿وَلَا تُسْئَلُ﴾ عن الكفارِ مَالَهُمْ لا يؤمنون لأنّ هذا إليه تعالى. وقرىء: ولا تسأل، خبراً محضاً منفياً مستأنفاً سُلِّي عليه السلام بذلك ويَبْعُدُ فيه الحال.

رُوي أنّ اليهود والنَّصارى طلبوا منه عليه السلام الهدنةَ ووعدوه أنْ يَتَّبعوه بعد مُدَّة خداعاً منهم وترجئةً من وقتٍ إلى وقت فأَطْلَعَهُ الله على سِرِّهم فنزلت:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ﴾ عَلَّقَ رِضاهم بغايةٍ يستحيلُ صدورها منه عليه السلام والمعلَّقُ على المستحيل مستحيل. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أتى به مضافاً إلى الله ومؤكداً بـ«هو» ومحصوراً بأل، وذكر أنَّ ما هُمْ عليه أهواءٌ وضلالات. واللام في «لئن» تُسمَّى الموطئة والمؤذنة بقَسَم مُقدَّر قبلَها ولذلك جاء الجواب «مَالَكَ» وكان فعل الشرط ماضياً في اللَّفظ لأنَّ جوابه

(١) ق: وبشير.

محذوفٌ يدلُّ عليه جوابُ القَسَم. وجَمَعَ الأهواءَ دلالةً على كثرةِ الاختلاف، وأُضيفتْ إليهم لأنّها بِدَعُهم. ﴿ بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ وهو الدِّينُ والشرع الذي جاء به وجعله علماً لأنّه معلومٌ بالبراهين الصحيحة. «مالك» جواب القسم المحذوف المقدّر قبلَ لامِ التَّوطئة.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ قال ابنُ عباس: نزلت في أهلِ السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا اثنين وثلاثين وعلى هذا السبب فالكتاب التوراة والإنجيل. ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ من حُسْنِ التَّلَفُّظِ به وتتبُّعِ معانيه. و«يتلونه» حالٌ والخبر الجملة بعد ذلك [٣٣/ب] و«حق» مصدر لإضافته إلى المصدر. والضميرُ في ﴿ بِهِۦٓ ﴾ عائدٌ على الكتاب. ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ ﴾ أي: بالكتاب حُمِلَ أولاً على لفظ «من» وثانياً «بأولئك» على المعنى. ودلَّ الحكم بالخسرانِ على الكافرِ على حصولِ الربحِ والفوزِ[١] للمؤمنين.

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ كَرَّرَ نداءهم تذكيراً بنعمته، وكان النِّداءُ الأول عقيبَ ذِكْرِ مُتَّبِعِ الهدى والكافرِ المُكَذِّب[٢]، وهذا الثاني عقيب ذكر المؤمنين والكافرين. وتخلَّلتْ بين النّداءين أخبارٌ لبني إسرائيل كثيرة تشتملُ على مخالفاتهم[٣] وتَعَنُّتهم فوُعِظُوا وخُوِّفُوا، وتقدم الكلامُ على هذه الآيات، والفرق بين النفيين في قوله «ولا يقبل» «ولا تنفعها»[٤] ومقابلهما.

---

(١) ق: والقدر، والتصويب من ط.

(٢) الآية ٤٠.

(٣) ق: مخالفتهم. وما أثبتّه من ط.

(٤) ق: ولا تقبل ولا ينفعها.

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ لما كانوا من نسل إبراهيم عليه السلام وعَيَّرت اليهودُ المؤمنينَ بتوجيههم إلى الكعبة ذكر ما ابْتُلِيَ به إبراهيمُ، واسْتَطْردَ منه إلى ذِكْرِ البيتِ وبنائه على يَدِ إبراهيمَ وإسماعيل. والابتلاءُ: الاختبار. وإبراهيم اسم أعجمي ويقال أبراهام وأبراهِم وأبراهُم وأبراهَم[١] وأبرهم، وهو الجدُّ[٢] الحادي والثلاثون لنبيِّنا محمد ﷺ وهو خليل الله ابن مارح بن ناحور[٣] بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر وهو هود عليه السلام. وقرأ[٤] الجمهور بنصب «إبراهيم» ورفع «ربه».

ومعنى «بكلمات» أي: كَلَّفَهُ بأوامرَ ونواهٍ، وهذا التركيبُ يُوجِبُ تقديمَ المفعولِ على الفاعل عند الجمهور، وقد سمع: ضرب غلامُه زيداً، وهو مَقيسٌ عند بعض النَّحويين. ومَنْ قرأ بالرفع في «إبراهيم» والنَّصب فيما بعده فكنَّى عن الدعاء بابتلائه ربَّه[٥] أي: يطلب منه في تلك الكلمات التي دعا بها الإجابة، وللمفسرين في تعيين الكلمات أقوالٌ كثيرةٌ مضطربة.

﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ إنْ كان الضمير عائداً على الله فالمعنى: أكملهنَّ اللهُ له من غير نقصٍ، أو على إبراهيم فالمعنى: قامَ بهنَّ وبأعبائهنَّ من غير نقصٍ. ﴿ قَالَ ﴾ استئناف فالعامل في «إذا» محذوف، أو ليس باستئناف وهو العامل في إذ.

---

(١) ق: وأبرهم، والتصويب من ط.

(٢) ق: والجد الجد.

(٣) ط: ابن تارح بن ناجور. وفي القرطبي ٢: ٩٦ - ابن تارخ بن ناخور.

(٤) ق: وقرىء.

(٥) ق: بالابتلائية ربه.

وجاعلٌ هنا بمعنى مُصَيِّرٌ فيتعدى إلى اثنين. و﴿لِلنَّاسِ﴾ إما متعلقةٌ بجاعلك أي: لأجلِ الناس، وإما في موضع الحال لأنّه نعت نكرة تَقَدَّمتْ أي: إماماً كائناً للنّاس. و﴿إِمَامًا﴾ أي: صاحب شرع يُقْتَدى بكَ فيه.

﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال الزّمخشريُّ[١]: عطف على الكاف كأنّه قال: وجاعل بعض ذريتي، كما يقال لك: سأكرمك، فتقول: وزيداً، انتهى كلامه. ولا يصحُّ العطفُ على الكافِ ولو صرّح بالمعطوف لأنّها ضمير مجرور فالعطفُ عليها لا يكون إلاّ بالعائد ولم يعد، ولأنّ «مِن» لا يمكن تقدير الجار مضافاً إليها لأنّها حرف، فتقديرها بأنّها مرادفة «البعض» حتّى يقدّر «جاعلاً» مضافاً إليها لا يصحُّ. والذي يقتضيه المعنى وسياق الكلام أن يكون التقدير: قال: واجعلْ من ذريتي إماماً، لأنّه فَهِمَ من قوله: ﴿جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ الاختصاص، فسأل الله تعالى أن يَجْعَلَ من ذريته إماماً. وقرىء بضم الذال وبكسرها وبفتحها. والذريةُ: النسل، وفي وزنها وفيما اشتقت منه اختلاف، والظاهر أنّ وزنها فعليّة مشتقة من الذرّ. ﴿قَالَ لَا يَنَالُ﴾ أي: قال الله.

وفي العهدِ أقوالٌ أظهرُهَا [الإمامةُ] لأنّه المصدّر به[٢] والمطلوب من إبراهيم لذريّته. وهذا الجوابُ يربى على السؤال لأنَّ إبراهيم طلب من الله أن يجعل من ذريته إماماً فأجابه أنّه لا ينال عهدَهُ الظالمُ، ودلَّ مفهومُ الصّفة أنّه يناله مَنْ ليس بظالم. ودلَّ الجوابُ على انقسام ذريته إلى ظالمٍ وغير ظالم، وفيه دليلٌ على أنَّ الفاسقَ لا يصلحُ للإمامة.

---

(١) الكشاف ١: ٣٠٩.

(٢) ق: منه.

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ ﴾ الظاهر أنَّه الكعبة، وقيل: جميع الحرم. ﴿ مَثَابَةً ﴾ [٣٤/أ] أي: مرجعاً [ومكاناً] يَثُوبونَ إليه، والهاء في «مثابة» قال الأخفشُ: للمبالغة لكثرة مَنْ يثوبُ إليه. ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ ظاهرهُ العمومُ. ﴿ وَأَمْنًا ﴾ أصله مصدر، وجعل البيت أمناً [مبالغة] لكثرةِ ما يقعُ فيه من الأمن. والظاهر أنَّ جَعْله أمناً هو في الدنيا إذْ كان العربُ يقتتلون ويغيرُ بعضهُم على بعض ومكَّة آمنةٌ من ذلك فيلقى الرجلُ قاتلَ أبيه فيه فلا يهيجه فأَمِنَ النَّاسُ فيه والطير والوحش إلا الخمس الفواسق. ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ ﴾ قرىء بكسر الخاء أي: وقال الله اتخذوا وهو أمرٌ والمواجَهُ به إبراهيم وذريته. وقرىء بفتح الخاء خبراً معطوفاً على «جعلنا»[1] أي اتخذه النَّاسُ لاهتمامِ إبراهيمَ به وإسكانه ذريته فيه. والمقامُ مكانُ القيام. ﴿ مُصَلًّى ﴾ مكان صلاة.

﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا ﴾ يجوز أن تكون «أن» تفسيرية فسّر بها العهد. وإثبات كون «أن» مفسّرة يقوله البصريون، وأنكر الكوفيون أنْ تكون «أن» تفسيرية، ويجوزُ أن تكونَ مصدرية وصلت بفعل الأمر. نصَّ سيبويه وغيره على أنَّ «أن» المصدرية توصل بفعل الأمر وفي هذا نظر لأنَّه إذا سُبك من ذلك مصدر[2] فاتَ معنى الأمرِ، وجميع ما ذكروا من ذلك محتملٌ ولا أحفظ من كلامهم: عجبت من أن أضربْ زيداً، ولا يعجبني أن أضرب زيداً[3]. والتطهيرُ المأمورُ به هو التنظيفُ عن كلِّ ما لا يليقُ به من طرحِ

(١) ق: جعلناه.

(٢) ق: مصدراً.

(٣) ق: زيد.

القاذوراتِ والأنجاسِ وما لا يناسب كالأوثانِ والحيض، إذْ هو بيتٌ عظيم من بيوتِ الله مُعَدٌّ للعبادات.

ولفظ ﴿بَيۡتِيَ﴾ يَدُلُّ على سَبْقِ وجوده. ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ ممّن يطوفُ به[١] من حاضرٍ أو بادٍ. ﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ المقيمين به. ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ هم المصلُّون إذِ الداخلونَ إلى الحرم إمّا طائفٌ أو مقيمٌ غير طائفٍ أو مُصَلٍّ. وجمعا جمعَ تكسيرٍ مقابلةً لما قبلهما من جمعَي التصحيح تنويعاً في الفصاحة [وخولف بين وَزْنَيْ تكسيرهما تنويعاً في الفصاحة] أيضاً، وأخّر «السجود» لأنّه أنسبُ بالفواصل. وعطفت تانك الصفتان[٢] لفرط التباينِ بينهما، ولم يكن عطف في المتأخرتين[٣] لأنّ المقصود المصلّون وإن اختلفت الهيئاتُ لأنّهما يجمعهما[٤] شيءٌ واحد وهي الصلاةُ، وفي ذلك دلالةٌ على جوازِ الصلاة فرضاً ونفلاً فيه.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾.

---

(١) ط: عام فيمن يطوف به.

(٢) ق: تلك الصفتان. وهما الطائفون والعاكفون.

(٣) وهما الركع السجود.

(٤) ق: مجمعان.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ ذكر «بلداً» توطئة للصفة كما تقول: كان هذا اليوم يوماً حاراً، تريد: كان هذا اليوم حاراً، إذ لم يشر إليه إلا وهو بلد. و«آمناً» ذَا أمنٍ أو على الاتساعِ نحو: نهارك صائم. ولما بُنِيَ في أرضٍ مُقْفِرةٍ لا ماء يجري ولا مزرعة للقُطّانِ بها دعا الله تعالى بالأمن وبجباية الأرزاق إليها، وآنس من الله بقبول الإمامة [في ذريته] سأل الله تعالى فقال: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

و﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل من «أهله» ولم يكن ليدعو لمن كان كافراً بل يدعو عليه كما في الحديث[1] «اللّهم اشدد وطأتك على مُضر». ولما كانت مكّة قفراً لا ماءَ بها ولا نباتَ بارك الله تعالى فيما حولها كالطائفِ وغيره وأنبت فيه أنواعاً من الخير.

﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ قرىء: فأمتعه مشدداً ومخففاً. و«اضطره» بفتح الهمزة وكسرها، وبإدغام الضاد [في الطاء] وبضم الطاء، وبالنُّون في: فنمتّعه ثم نَضْطَرُّه. و«مَن» في موضع رفع إما موصولة وإما شرطية، ولا يجوز أن تكون في موضع نصبٍ على الاشتغال، والضمير في «قال»: الله تعالى، وجَوَّزُوا أنْ يكونَ في موضع نصبٍ بفعلٍ محذوفٍ تقديره: قال وارزقْ مَنْ كفر. قال الزَّمخشريُّ[2]: «ومن كفر» عطفٌ على «من آمن» كما عطف «ومن ذريتي» على الكاف في ﴿جَاعِلُكَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقـرة] انتهى. ولا يصح لأنَّ عطفه عليه يقتضي التشريكَ في العامل فيصير التقدير: قال إبراهيـمُ: وارزقْ مَـنْ كفر. وينافي هـذا التركيب قوله «فأمتعه [٣٤/ب] قليلاً ثم أضطره». ثم قد ناقضَ الزَّمخشريُّ قوله هذا وأساء الأدبَ على

(١) صحيح مسلم ١: ٤٦٧.

(٢) الكشاف ١: ٣١٠.

إبراهيمَ عليه السلام بما يوقف عليه في كتابه، وفي تفسيرِنَا هذا الموضعَ من كتابنا الكبير[١]. ولأبي البقاء هنا منع أن يكون «مَن» مبتدأ موصولاً ورَدَدْنَاهُ عليه هناك[٢]. وقُرِىء: فأَمْتِعْه قليلاً ثم اضطرّه، أمراً فيهما، فالضمير في «قال» لإبراهيم و«مَن» شرطية أو موصولة ويجوز النصبُ على الاشتغال. وانتصب «قليلاً» على تقدير: زماناً قليلاً أو تمتعاً قليلاً. وقول ابن عطية[٣] في قراءة من قرأ: اضطره بكسر الهمزة إنّه على لغة قريش في قولهم: لا إخال، بكسر الهمزة - مخالف لما نقله النُّحاة من أنّ الحجازيين يفتحون حرف المضارعة مما أوّلُه همزةُ وصلٍ ومما كان ماضيه على فعَل يفعَل، أو ياء[٤] مزيدة في أوّله نحو: يعلم وينطلق ويتعلم. وقال الزّمخشريُّ[٥] في قراءة إدغام الضاد في الطاء: هي لغةٌ مَرْذُولة. وظاهرُ كلامِ سيبويه أنّها ليست لغةً مرذولة، ألا ترى إلى نقله عن بعض العرب في مضطجع: مطّجع، قال: ومضّجع أكثر، فدلّ على أن مطّجعاً[٦] كثير. والاضطرار الإلجاءُ واللزُّ إلى العذاب. و«المصير» مصدر أو مكان، والمخصوص بالذمّ محذوفٌ أي صيرورته إلى العذاب أو النّار.

﴿وَإِذْ[٧] يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ﴾ ذكروا قصصاً كثيرة في حالِ البيت من ماهيّته

---

(١) انظر الكشاف ١ : ٣١٠، والبحر المحيط ١ : ٣٨٥.

(٢) انظر البحر ١ : ٣٨٥ وما بعدها.

(٣) في المحرر الوجيز ١ : ٤١٩ «وقرئت بالكسر» حسب.

(٤) ق: أو من ياء.

(٥) الكشاف ١ : ٣١١.

(٦) عبارة ق: في مضّجع.. فدل على أن مضّجعاً.

(٧) ق: وإذا.

وقِدَمِه وحُدُوثِه ومن أيِّ شيءٍ كان باباه[١] ومن أيِّ شيءٍ بناهُ إبراهيمُ ومَنْ ساعده على البناء، واستطردوا إلى أشياء يُناقضُ بعضُها بعضاً على قاعدتهم وعادتهم في ذلك. و«القواعد» الجُدُرُ وقيل الأُسُسُ. ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ متعلق بـ«يرفع» أو في موضع الحال من القواعد. ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عطف على إبراهيم فهما مشتركان في الرفع. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ أي: يقولان ربنا تقبل منا، أي هذا العملَ الذي قَصَدْنَا به رِضاكَ. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لسؤالنا وضراعتنا في التقبُّلِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنيَّاتِنَا في إخلاصِ عملنا.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ أي: مُنقادين لكَ، وهو سؤالٌ بالديمومة. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ أي: منقادةً مطيعةً. ولما تقدم ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة] أتى هنا بالتبعيض في «ومن ذريتنا». ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: معالـمَ الحج، وهي من رؤيـةِ العين أي: بَصِّرْنَا. ويقال: منسَك ومنسِـك والكسرُ شاذ، والناسكُ: المُتَعَبِّدُ. وقرىء: وأرنا بإشباع حركة الراء وباختلاسهـا وبإسكانهـا. وقد جعل الزَّمخشريُّ[٢] «أرنا» من رؤية القلب وشرحها بقولـه عرّف، فهي عنده تأتي رأى بمعنى عرف أي تكون قلبيّة وتتعدى إلى واحدٍ ثم أدخلت همزة النقل فتعدَّتْ إلى اثنين. ويحتاجُ ذلك إلى سمـاعٍ من كلامِ العـرب. وقال ابـنُ عطيـة حاكياً عن طائفة أنها من رؤيـة [البصر، وعن طائفة أنّها من رؤية] القلب، قال: وهو الأصـح. ويلـزم قائلها أن يتعدى الفعل منه إلى ثلاثة مفعولين وينفصل بأنّه يوجد معدى بالهمزة من رؤيةِ القلبِ كغير المعدّى[٣]، قال حُطائط بن يعفر أخو

(١) ق: يا باه.

(٢) انظر الكشاف ١: ٣١١.

(٣) ق: بمعنى التعدي.

الأسود[1]: [من الطويل]

أريني جواداً ماتَ هزلاً لأنني ... أرى ما ترينَ أو بخيلاً مخلدا

انتهى كلامه. وقوله: ويلزم قائله أن يتعدى إلى ثلاثة مفعولين إنَّما يلزم لما ذكرناه من أنَّ المحفوظَ أنَّ «رأى» إذا كانت قلبية تَعدَّتْ إلى اثنين، وبهمزة النقل تصير تَتَعدَّى إلى ثلاثة. وقوله: وينفصل بأنَّهُ يوجد معدى بالهمزة من رؤية القلب كغير المُعَدَّى، يعني أنَّه قد استعمل في اللِّسان متعدياً إلى اثنين ومعه همزة النَّقل كما استعمل متعدّياً إلى اثنين [٣٥/أ] بغير الهمزة. وإذا كان كذلك ثبت أنَّ «لرأى» إذا كانت قلبيةً استعمالين أحدهما أنْ تكونَ بمعنى علم المتعدية لواحد بمعنى عرف، والثاني أن تكون بمعنى علم المتعدية إلى اثنين. واستدلال ابْنِ عطية ببيت ابنِ يعفر على أنَّ «أرى» قلبية لا دليلَ فيه بل الظاهر أنَّها بَصَرية والمعنى على: أبصريني جواداً، ألا ترى إلى قوله: مات هزلاً، فإنَّ هذا من مُتعلِّقاتِ البصر فيحتاج في إثباتِ رأى القلبية متعديةً لواحدٍ إلى سماع. وقد قال ابنُ مالك وهو حاشدُ لغةٍ وحافظُ نوادر حين عَدَّ ما يتعدى إلى اثنين فقال في «التسهيل»[2]: ورأى لا لإبصارِ ولا رأيٍ ولا ضربٍ. فلو كانت رأى بمعنى عرف لنفى ذلك كما نفى عن رأى المتعدية إلى اثنين كونها لا تكون لإبصارٍ ولا رأيٍ ولا ضرب. ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ أي: أدم توبتنا. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ هي صفة مبالغة. و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ كذلك.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ﴾ أي: أرسل في أهل البيت. ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: من أنفسهم

---

(١) شرح ديوان الحماسة ٤: ١٧٣٣.

(٢) انظر ص٧١.

يعرفون وَجْهَهُ ونَسَبَهُ ونَشْأَتَهُ كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة]. وقبل الله دعاءه بأنْ كان المبعوث في الأميّين هو محمّداً[1] ﷺ، ووصفَهُ إبراهيمُ عليه السلام بقوله: ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ أي: يقرأ آياتِ الله وهو القرآن الذي هو [أعظمُ] المعجزات الباقي إلى آخر الدَّهر. ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: يلقيه إليهم مفهماً لهم ومتلطِّفاً في إيصالِ معانيه إلى أفهامهم. ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ وهي السُّنَّة التي لم تكن في الكتابِ لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب]. ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أي يُطهِّرهم باطناً وظاهراً. والذي جاء بهذه الأوصافِ هو محمَّدٌ رسولُ [الله] ﷺ. ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ أي: الغالبُ الذي لا مثلَ له.

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ رُوي أنَّ عبد الله بن سلام دعا ابني أخيهِ سلمة[2] ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أنَّ الله قال في التوراة: إني باعثٌ من ولد إسماعيل نبيّاً اسمه أحمد مَنْ آمن به فقد اهتدى ورشد، ومَنْ لم يؤمن به فهو ملعون. فأسلم سَلَمةُ وأبى مهاجر فأنزل الله هذه الآية. و«من» استفهام فيه معنى الإنكار ولذلك دخلت «إلاّ» بعده

(١) ق: محمد.

(٢) ق: مسلمة.

والمعنى: لا أحد يرغب، فمعناه[١] النفي العام. و«من» بدل من الضمير الذي في «يرغب» وهو أجودُ من النَّصب على الاستثناء. وانتصب «نفسه» على أنَّهُ مفعول به. حكى المبرّد وثعلب أنّ[٢] «سفه» بكسر الفاء يتعدى كسفّه المشدد، وحكى أبو الخطاب أنها لغة، والمعنى: استخفَّ بها وامْتهنها.

﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: جعلناه صافياً من الأدناس، واصطفاؤه بالرسالةِ والخلّةِ والكلمات التي وفى بها وبناء[٣] البيت والإمامة واتخاذ مقامه مُصَلًّى وتطهير البيت والنَّجاة من نار نمرود والنَّظر في النُّجوم وما ترتَّبَ عليه وغير ذلك مما ذكره الله في كتابه. ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ذكر حاله في الآخرة، فمن كان مُصْطفىً في الدنيا صالحاً في الآخرة فكيف يرغب عن اتباعه؟. و﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ متعلق بمحذوفٍ يدل عليه: «من الصالحين» تقديره: وإنه لصالح في الآخرة.

والعامل في «إذ»: «قال أسلمت»، أي: حين أمره[٤] الله بالإسلام قال أسلمتُ. و«أسلم» أمرٌ بالديمومة، والإسلامُ الانقياد.

وقرىء: ووصَّى وأوصى أي: عهد. والضمير في «بها» عائد على الملّة في قوله ﴿عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾. وبنو إبراهيم: إسماعيل وأمّه هاجر [٣٥/ب] القبطية، وإسحاق وأمّه سارة، ومدن ومديان ونفشان ورمزان وبشناق

---

(١) ق: فمنعاه.

(٢) ق: أنه.

(٣) ق: ربنا.

(٤) ق: أمر.

وشواح[١] وأمّ هؤلاء الستة قطورا[٢] بنت يقطن الكنعانية والعقب الباقي منهم لإسماعيل وإسحاق فقط. و«يعقوب» هو اسم أعجميٌّ مُنِعَ الصرف للعَلَميَّةِ والعُجْمَة. ويعقوب عربي وهو ذكر القَبَج[٣] فلو سُمّي به انصرف. وارتفع عطفاً على «إبراهيم» أي: ويعقوب بنيه، أو على الابتداء أي ويعقوب وصَّى بنيه. وقرىء: ويعقوب بالنَّصب عطفاً على «بنيه» أي: ويعقوبَ ابن ابنه إسحاق. «يا بني» أي: قال.

وفي ندائه بلفظ «بنيَّ» تَلَطُّفٌ غريبٌ وترجيةٌ للقبولِ وهزٌّ[٤] لما يلقى إليهم من الموافاة على الإسلام ولذلك صدَّر كلامه بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ وما اصطفاه الله لا يعدل عنه العاقل. و«إن» عند البصريين كسرت على إضمار القول، وعند الكوفيين لإجراء الوصية مجرى القول. و﴿ٱصۡطَفَىٰ﴾ استخلصه وتَخَيَّره لكم. ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾ نهى عن الموتِ إلاّ على هذه الحالة من الإسلام.

والنّهي في الحقيقة إنما هو عن كونهم على خلافِ الإسلام لا أنَّ ذلك نهي عن الموت ونظيره في الأمر: مت وأنت شهيد، ليس أمراً بالموتِ بل أمر بالشهادة. نُهُوا عن تعاطي الأشياء التي تكون سبباً للموافاةِ على غيرِ الإسلام.

لما دخل يعقوب مصر وجدهم يعبدون الأوثانَ والنَّيِّرين فجمع

---

(١) في هذه الأسماء اضطراب عظيم، فهي في ط: ومدين ومديان ونقشان وزمزان ونقش وسورج. وقارن بالقرطبي ٢: ١٣٥ وبحواشي الصفحة بخاصة.

(٢) كذا في ق، ط. وفي القرطبي ٢: ١٣٥ قنطورا.

(٣) هو طائر يشبه الحجل.

(٤) ق: وهي.

بنيه[١] وسألهم ما ذكر تعالى، وقالت اليهود: ألستَ تعلم أنَّ يعقوب أوصى باليهودية؟ فأنزل الله تعالى:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي: بل كنتم شهداء وهو استفهام إنكار أي: لم تشهدوا وقتَ حضورِ أجلِ يعقوب فكيف تنسبون[٢] إليه ما لا يَليقُ به؟. ودعوى الطبريّ أنَّ «أم» يُستفهم بها في وسط كلام تقدم صدره وهذا منه قول غريب. وقول ابن عطية إنَّها بمعنى همزة الاستفهام وأنّها لغةٌ يمانية، يحتاج إلى نقل صحيح. والظاهرُ أنَّ الخطاب لأهلِ الكتاب ولذلك جاء بَعْدُ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة] و«إذ» بدل من «إذ». وقال الزَّمخشريُّ[٣]: «أم» متصلة قبلها محذوفٌ كأنَّهُ قال: أتدَّعُون على الأنبياء اليهوديةَ أم كنتم شهداء؟ يعني أنَّ أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدينَ له إذْ أراد بنيه على التوحيدِ ومِلَّةِ الإسلام، فما لكم تَدَّعُونَ على الأنبياء ما هُمْ منه براء؟ انتهى. ولا نعلم أنَّ أحداً أجاز حذف هذه الجملة ولا يحفظ ذلك في شعرٍ ولا غيره. لكن جاء في شعرٍ حذفُ «أم» مع المعطوف المعادل للهمزة نحو

---

(١) ق: نبيّه.

(٢) ق: ينسبون.

(٣) انظر الكشاف ١: ٣١٤.

قوله[1]: [من الطويل]

فما أدري أرشدٌ طِلاَبُها

يريد: أم غيٌّ.

﴿ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ استفهام بما، وهي مبهمة تقع على ذوي العلم وغيرهم. ﴿ مِنۢ بَعۡدِي ﴾ أي: من بعد موتي، خاف أن يتغيَّرُوا من بعد موتِه وكانوا حَالَ حياتِه لا يعبدون إلاّ الله. وشمل قوله «آبائك» الجدَّ والعمَّ والأبَ؛ فالجدُّ إبراهيم والعمُّ إسماعيل والأبُ إسحاق والثلاثة بدل تفصيلي من «آبائك». وقدّم إبراهيمَ لأنّه الأصلُ [ثم العمّ لأنه أسَنُّ] ومن ذريته خير العالم محمد رسول الله ﷺ. وانتصب «إلهاً واحداً» على أنّه بدل من «إلٰهك» أو على الحال و«إلهاً» توطئة. وجوّز الزَّمخشريُّ[2] أنْ ينتصب على الاختصاص أي[3]: يريد بإلٰهك إلٰهاً واحداً. ونصّ النُّحاة على أنَّ المنصوب على الاختصاص لا يكون نكرة ولا شبهها. وفائدة هذه الحال أو البدل هو التنصيص على أن مَعْبُودَهُم واحدٌ فرد [٣٦/أ] إذْ توهّم إضافة الشيء إلى معدودين تعداد ذلك المضاف. ﴿ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ أحد جملتي الجواب أجابوه عن الذي سألهم عنه، والثاني مؤكدة لما أجابوا به. وأجاز الزَّمخشريُّ[4] أن تكون جملة اعتراض مؤكدة أي: ومن حالنا أنَّا له مسلمون مخلصون التوحيد ومذعنون. والذي ذكره النُّحاة أنَّ جملة

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ص٧١، وتمامه

دعاني إليها القلب إني لأمره   سميع فما أدري أرشدٌ طِلاَبُها

(٢) انظر الكشاف ١ : ٣١٤.

(٣) ق: إذ.

(٤) انظر الكشاف ١: ٣١٤.

الاعتراض[١] تأتي تقويةً بين شيئين وقد بيّنَ ذلك في كتابنا الكبير[٢] وفي كتب النحو. ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ليست من هذا الباب وعطفها على جملة الجواب منتظمة تحت «قالوا» أولى ممّا جوزه ابنُ عطية أن تكون[٣] في موضع الحال.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: انقضت وصارت إلى الخلاء وهي الأرض التي لا أنيسَ بها. و«تلك» إشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [أي: تختص بجزائه. ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ خطاب لليهود والنَّصارى. والجملة من قوله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾] استئناف أو حال من ضمير «خلت». ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ عطف على «لها ما كسبت» على تقدير الاستئناف لا الحال. ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ جملة تأكيدية لما قبلها.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: رؤساء اليهود ونصارى نجران لَفَّهم معاً في الضمير. والمأمورون مَنْ آمن برسولِ الله ﷺ. و«أو» للتفصيل فاليهود قالوا كونوا

---

(١) ق: اعتراض.

(٢) انظر البحر ١: ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٣) عبارة ق: مما جوّز ابن عطية أن يكون.

هوداً، والنَّصارى قالوا كونوا نصارى، فالمجموع قالوا للمجموع[١] وقال كل من الفريقين ما ناسبه. ﴿ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ قُرِىء بالنصب أي: نتبع لأنّ الأمر بكينونةِ اليهوديةِ والنصرانيةِ معناه اتَّبِعُوا. وقُرِىء بالرفع أي: الهدى، أو أَمْرُنا ملّةُ. وانتصب «حنيفا» على الحال من «ملة إبراهيم» لأنّ معناه دين إبراهيم، وهي حال لازمة. وأجازوا فيه الحال من إبراهيم، والنّصب على القطع. والحنيفُ: المائلُ عن الأديانِ كُلِّها إلى دينِ الحق. ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أي: من اليهود القائلين ببنوَّةِ عُزَيْر ولا من النَّصارى القائلين بِبُنُوَّة[٢] المسيح، ولا من الذين اتخذوا الأوثانَ والملائكةَ وقالوا هم بنات الله تعالى.

﴿ قُولُوٓاْ ﴾ أمرٌ للمؤمنين. ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ لما ألزموا تكاليف القرآن قيل فيه: أنزل إليهم. ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ هي عشر الصحف. ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ عطفوا على «إبراهيم»، لما كُلِّفُوا العملَ بشريعتهِ صارت الصحفُ كأنَّها مُنزلةٌ إليهم. والأسباط أولاد يعقوب وأكبرهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ورفالون. وقال الشريف الجواني النسَّابة فيه: وريولون ونساما[٣]، وقال ابنُ عطية[٤]: ويشحر ودينة بنته وأُمُّهم ليا. ثمَّ خلف يعقوب على أختها راحيل فولدت له يوسف عليه السلام وبنيامين وولد من سريتين زان وتفتالي وياشير، وقال ابنُ عطية فيه: آشر. وكاد، وقال فيه ابنُ عطية: جاد. ﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ من التوراة والآيات. «وعيسى» من الإنجيل والآيات. وكرر الموصول في «وما أنزل» لأن القرآن غير صحف إبراهيم،

---

(١) ق: المجموع.
(٢) ق: بنبوة، في الموضعين.
(٣) في الأسماء اضطراب واختلاف، انظر تفسير الطبري ١: ٤٤٣، والبحر ١: ٤٠٧.
(٤) المحرر الوجيز ١: ٤٣٠.

ولم يكرر «ما أوتي» لأنّ شريعة عيسى هي شريعة موسى إلاّ في النزر[١]. ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ تعميم بعد تخصيص. ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾ أي من الجميع. و«أحد» هو المستعمل في النفي للعموم، أو «أحد» بمعنى واحد فحذف ما عطف عليه أي: بين أحدٍ منهم والآخر ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ داخل في القول.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ أي: القائلون كونوا هوداً أو نصارى. ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ أي: مثلَ إيمانكم. و«ما» مصدرية و«به» بدل من «بمثل» يفيد التوكيد. ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان. ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ صار الشقاق ظرفاً لهم و«هم» مظروفون. [٣٦/ب] فيه مبالغة وإن كانت «إنّما» للحصر فذلك أبلغ. والشِّقاق: الخلافُ والعداوة والمنازعة، وهذا وعيدٌ لهم. ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يَقيكَ من شِقاقِهم وعداوتهم بما حلَّ بهم من القتل والسبي والنَّفي والخزي وتفريق كلمتهم. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالِهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنيَّاتِهم.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: دين الله، وكنى عن الدين بالصبغة لظهورِ أثرِه على صاحبِه ولزومِه كظهورِ أثرِ الصبغِ[٢] في الثوبِ ولزومه. وانتصب انتصاب المصدر المؤكد لمضمون الجملة من قوله «قولوا آمنا» أي: صبغنا الله بالإيمان صبغة[٣]. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ [مِنَ] ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ استفهام معناه النّفي أي: لا أحدَ أحسن من الله صبغة. والتفضيل هنا باعتبار مَنْ يظنُّ أنَّ[٤] في صبغة غير الله حسناً. و«صبغة» تمييز منقول من المبتدأ نحو: زيد أحسن من

---

(١) ق: النذر.

(٢) عبارة ق: وكنّى بالدين عن الصبغة. . ولزوم أثر الصبغ. والتصويب من ط.

(٣) ق: صبغته.

(٤) ق: أنه.

عمروٍ وجهاً، والتقدير: ومَنْ صبغتُه أحسنُ من صبغةِ الله، كما تقدر: وجه زيد أحسن من وجه عمرو. وقلّما ذكر النُّحاة هذا التمييزَ المنقولَ من المبتدأ.

روي أن اليهود والنصارى حَاجُّوا المسلمينَ فقالوا: كان الأنبياءُ مِنَّا وعلى ديننا ونحنُ أبناءُ الله وأحباؤه وأهلُ الكتاب الأول وقِبْلَتُنا أقدمُ ولم تكن الأنبياءُ من العرب ولو كان نبيٌّ[1] لكان منا فنزلت:

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾.

وقرىء: أتحاجوننا بنونين، وبإدغام نون الرفع في نون الضمير. والهمزة للاستفهام ومعناه الإنكار. ﴿ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ جملة حالية أي: كلّنا[2] مَرْبُوبونَ له تعالى فلا محاجَّة فيما شاء من أفعالِه واختصاص بعض المربوبين بما خصَّه من الشرف والزّلفى، وهو المجازي على الأعمال. ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ أي: العمل لا نبتغي به غيرَ وجهِهِ تعالى، وفيه تعريضٌ لليهود والنّصارى بالشِّرْكِ الذي[3] هُمْ عليه.

وقرىء: أم تقولون بتاء الخطاب وبياء الغيبة، والأحسن أن تكون «أم»

---

(١) ق: نبياً.

(٢) ق: لكنا.

(٣) ق: الذين.

منقطعة، وتجويزُ[١] الاتصال فيها وكونها معادلة لقوله: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ كما قال بعضهم - ليس بجيِّدٍ، لأنَّ الاتصالَ يقتضي وقوع إحدى[٢] الجملتين، وصار السؤال عن تعيين إحداهما. وليس الأمر كذلك بل وقعتا معاً أي: المحاجّة والمقالة، «فأم» منقطعة أنكر عليهم هذا القول كما أنكرت المحاجّة. ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ حيث نفى عن إبراهيم ومن ذكر معه ما نَسبتم[٣] [له] من اليهوديةِ والنصرانية. وتوسّط هنا المسؤول عنه وهو أحسن من تَقَدُّمه وتأخُّرِه وإنْ كانا جائزين فتقول في الكلام: أأعلمُ أنتَ أم زيدٌ؟ وأأنتَ أمْ زيدٌ أعلمُ؟. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [أي: لا أحد أظلم ممن كتم شهادةً استقرت عنده من الله] أي: استرعاهُ اللهُ لأنْ يشهدها وكتَمها. ودلَّ هذا على أنَّ أحبارهم[٤] كانوا عالمين بأنَّ إبراهيمَ ومَنْ معه كانوا مُباينِينَ لليهوديةِ والنصرانية وأنّ الله تعالى كان ذَكَرَ في كتبهم ما يباينُ قولَهم ولكنهم كتموا[٥].

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) ق: ويجوز.

(٢) ق: أحد.

(٣) ق: ما نسيتم.

(٤) ق: اختيارهم.

(٥) انظر في الآية ١٤١ ما شرحت به الآية ١٣٤.

﴿بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾.

﴿۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ هم اليهود، وجاء بالمستقبل الصريح إخباراً بالشيءِ قبلَ وقوعِه فهو معجزٌ إذْ هو إخبارٌ بالغيب. وسَفَهُهم هو باعتراضِهم على الله تعالى في فِعْلِه ما يشاء. ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي: أيّ شيء ولّى المؤمنين. ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ وهي قبلةُ بيتِ المقدس، وكان صلى الله عليه وسلم قد صلّى إليها ستّةَ عشر شهراً أو سبعةَ عشرَ. وأضاف القبلة إليهم إذْ كانوا قد استقبلوها طويلاً. ومعنى ﴿عَلَيْهَا﴾ أي: على استقبالها. ﴿قُل﴾ أمرٌ لنبيّه عليه السلام وتعليمٌ لإبطالِ مقالتهم. ﴿لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ كنّى بهما عن الجهات كلِّها فله أنْ يُكلِّفَ عباده بما شاء [٣٧/أ] من استقبالِ أيِّ جهةٍ شاء.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ لما كان معنى ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: يجعل من يشاء شبه به أي: مثل ذلك الجعل [يجعل] مَنْ يشاء على صراطٍ مستقيم وهو طريق الإسلام. ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: والوسطُ: الخيارُ، وأصله ما بين الطرفين، لما كانت الأطرافُ محلَّ التغييرِ والوسط محلَّ السلامة استُعيرَ للخيارِ فوصف به.

﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يشملُ الشهادةَ في الدنيا والآخرة. ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ. ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه قد أبلغكم ما أرسل به إليكم من شرائعِ الإسلام فيشهد على مَن اتبع الحقَّ وعلى مَنْ أباه. وفي الحديث[١] أنَّ الأمم إذا تناكرت رُسُلَها شهدتْ أُمّةُ محمدٍ عليها بالتبليغِ ويؤتى بمحمدٍ عليه

---

(١) انظر فتح الباري ٨: ١٧١. وانظر أيضاً القرطبي ٢: ١٥٤.

السلام فيُسأل عن حالِ[١] أُمَّته فيزكِّيهم ويشهد بصدقهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ [أي: ما صَيَّرنا الجهةَ التي كنتَ عليها] أولاً ثُمَّ صرفت عنها إلى بيت المقدس قبلتك الآن، «فالتي» مفعول أول و«القبلة» المفعول الثاني. والتصييرُ الانتقالُ من حالٍ إلى حال فالملتبسُ بالحالة الأولى هو المفعول الأول والملتبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني. وقال الزَّمخشريُّ: «القبلة» مفعول أول و«التي» مفعول ثانٍ فيقال[٢]: وما جعلنا القبلةَ التي يجب استقبالها الجهة التي كنتَ عليها أولاً بمكة انتهى.

﴿مَن يَتَّبِعُ﴾ مَن للفصل[٣]، وهو معنى غريب لمن كقولهِ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۝٢٢٠﴾ [البقرة]. و﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ استثناء مفرغ من المفعول له، فيه حصر السبب. و﴿لِنَعْلَمَ﴾ يستحيل تَجدُّد عِلْمِ الله تعالى فهو مجازٌ حُذِفَ أي: ليعلمَ رسولُنا والمؤمنونَ، أو أُطْلِقَ العلمُ على التمييز أي لنميزَ التابعَ من الناكصِ، و«لنعلم» متعدية إلى واحد. والانقلابُ على العقب كناية عن الرجوعِ عمّا كان فيه وهو أسوأُ أحوالِ الراجع في مشيه. وقرىء: ليُعلم بالياء مبنياً للمفعول، وعقبيه: بإسكان القاف. ﴿وَإِن[٤] كَانَتْ﴾ أي الجعلة المفهومة من قوله «وما جعلنا».

﴿لَكَبِيرَةً﴾ شاقّة لأن من أَلِفَ شيئاً ثم فارقه شَقَّ عليه. والقولُ في إنْ

(١) ق: أحال.

(٢) الكلام السابق مستفاد من قول الزمخشري في الكشاف ١: ٣١٨ والكلام التالي بنصّه فيه.

(٣) ط: للتفصيل.

(٤) ق: واي.

واللام في نحو هذا التركيب: مذهب البصريين أنّ «إنْ» هي المخففّة من الثقيلة واللام للفرق بينها وبين «إن» النافية. ومذهب الكوفيين أنّ «إنْ» نافية واللام بمعنى إلا. وقرىء: لكبيرة بالرفع شاذاً وتخريجه على إضمار مبتدأ أي: لَهِيَ كبيرةٌ، وهو توجيه شذوذ. ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ استثناء من محذوف أي: لكبيرةٌ على الناس إلا [على] الذين، [وليس] استثناء مفرغاً لأنّه لم يتقدمه نفيٌ [ولا شبه نفي] إنما سبقه إيجاب سواء أفرغت في إنْ واللام على مذهب بصريٍّ أم كوفيّ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ أي: تصديقكم بما جاء من عند الله من نسخٍ وغيره، وقد فُسِّرَ الإيمانُ هنا بالصلاةِ لبيت المقدس. وروي أنّ أسعدَ بنَ زُرارَةَ والبراءَ بن معرور ماتا قبلَ تحويلِ القبلة فسئل رسولُ الله ﷺ عنهما فنزلت. وقرىء: ليضيِّع مشدّداً. واللام [في] «ليضيع» هي لام الجحود [وما كان زيد ليقوم، أبلغ من: ما كان زيد يقوم، وأنْ يجب إضمارُهَا بعدَ لامِ الجحود] ومذهب الكوفيين أنّ اللام هي الناصبة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ فيه معنى التعليل. وقرىء: لرؤوف بواوٍ بعد الهمزة، وبغير واو، وبواو مضمومة بعدها واو.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ أي: قد رأينا، كقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴿٦٤﴾﴾ [النور]

أي: قد علم[١]، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ ﴿٩٧﴾﴾ [الحجر] أي: علمنا، وقد قيل: «قد» تصرفُ المضارعَ إلى الماضي. وقال الزَّمخشريُّ في ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾[٢]: ربما نرى، ومعناه كثرة الرؤية كقوله: [من البسيط]

قد أترك القِرْنَ مصفرّاً أناملُه

انتهى. و«ربّ» على مذهب الجمهور لتقليل الشيء في نظيره أو في نفسه، وتركيب «قد» مع المضارع لا يدلُّ على الكثرةِ بَلْ [٣٧/ب] إن فهمت الكثرة فمن خارج، والكثرةُ هنا إنما فُهمت من متعلَّق الرُّؤية لأنّ مَن رفع بصره إلى السماء مرّةً واحدة لا يقال فيه: قلّب بصره في السماء، وإنما يقال قلّب إذا ردّد، والكثرةُ فهمت من التَقلُّبِ الذي هو مطاوع[٣] التقليب. والوجه قد يُرادُ به ظاهرُه كأنْ يقلّبَ وجهه في الدعاء إلى الله تعالى أن يحوّله إلى قبلة مكة، أو كنّى بالوجه عن البصر. و﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ متعلق بتقلّب كقوله: ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ [آل عمران]. و«في» على حقيقتها أي: في نواحي السماء. وفي الكلامِ حالٌ محذوفة والتقدير: في السماء طالبَ قبلةٍ غير التي كنت مستقبلها. ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ جواب قسم يؤكدُ مضمونَ الجملةِ المُقْسَمِ عليه. وجاء الوعدُ قبلَ الأمرِ لتَفرَحَ النَّفسُ بالإجابة ثم بإنجاز الوعد فيتوالى السُّرُورُ مرتين. ونكَّرَ القبلةَ لأنّه لم يتقدم ما يقتضي العهد، ووصفت بمرضَية لتقرب من التعيين، ومتعلق الرضى القلب وهو كان يؤثر أنْ

---

(١) ق: علمتم.

(٢) الكشاف ١ : ٣١٩. والشعر لعبيد بن الأبرص في ديوانه ص٧١، وعجزه:

كأنّ أثوابه مُجّتْ بفرصاد

(٣) ق: مضارع. والتصويب من ط.

تكونَ[1] الكعبة وإنْ كان لم يُصرّح بذلك.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ أي: في استقبال الصلاة. ﴿شَطْرَ﴾ نحو المسجد الحرام، وفيه دليلٌ على مراعاة جهة القبلة لا عينها. وأُفردَ أولاً بالأمر لأنه كان المتشوف إلى ذلك ثم أُمرتْ أُمَّتُه بذلك فكان حكمهم حكمه. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هم أحبار اليهود ورؤساؤهم. ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ أي: التوجُّه إلى المسجدِ الحرام هو الذي فَرَضَهُ الله على إبراهيمَ وذريته. وقُرِىء: تعملون بالتاء والياء.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾ تسليةٌ له عليه السلام عن متابعةِ أهلِ الكتاب له. ﴿مَا تَبِعُوا﴾ جواب القسم المؤذنة به اللام وهو ماضي اللَّفظ مستقبل المعنى كقوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر] أي: ما يمسكهما، وقوله ﴿لَظَلُّوا﴾[2] أي: ليظلُّن من بعده. وقال سيبويه[3]: وقالوا: إن فعلتَ ما فعلَ، يريد: ما هو فاعل وما يفعل. وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه. ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ استئناف إخبار ببراءتِه صلى الله عليه وسلم عن اتباع قبلتهم. [وأفرد قبلتهم] وإنْ كانت تختلف قبلتاهم لاشتراكهما في البطلان معاً. ﴿وَمَا بَعْضُهُم﴾ أي: اليهودُ لا تتبعُ النصارى ولا النصارى تتبعُ اليهود. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التعليق على المستحيل مستحيل كقوله: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء] أو يكون المخاطب غيره من أمته أي: ولئن اتبعت أيها السامع. ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: من الدلالاتِ والآياتِ التي تُفيدُ العلمَ إطلاقاً لاسم الأثر على المؤثر. ﴿إِنَّكَ﴾ جوابٌ

---

(١) ق: يكون.

(٢) ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الروم].

(٣) لم أجده في كتابه.

للقسم الذي تدلُّ عليه لام ﴿وَلَئِنْ﴾. ﴿إِذًا﴾ هنا مؤكدة لجواب ارتبط بمتقدم ولا عمل لها إذا كانت مؤكدة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ هم علماءُ اليهود والنَّصارى وهو مبتدأ خبره: «يعرفونه». والضمير المنصوب في «يعرفونه» عائد على محمّد ﷺ وليس كما قال الزَّمخشريُّ[1] من أنّه إضمارٌ لم يسبق له ذكر في قوله «ولئن أتيت» إلى سائر المضمرات التي جاء بها خطابه، لكن الضمير في «يعرفونه» جاء على سبيل الالتفات، وحكمته أنه لما فرغ من الإقبالِ عليه عليه السلام أقبلَ على الناس فقال: الذين آتيناهم الكتاب واخترناهم لتحملِ العلمِ والوحي يعرفونَ هذا الذي خاطبناه في الآي السابقة وأمرناه ونهيناه لا يشكُّون في معرفتِهِ ولا في صِدْقِ أخباره بما كَلَّفناه من التكاليفِ التي منها نسخ بيت المقدس بالكعبة لما في كتابهم [٣٨/أ] من ذكرهِ ونعته، والنصّ عليه يجدونَهُ مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

وقال عبد الله بن سلام: لقد عرفته حين رأيتُه كما أعرفُ ابني، ومعرفتي محمداً صلى الله عليه وسلم أشدُّ من معرفتي بابني، وإخباره منتزع من قوله تعالى: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾. وظاهر هذا التشبيه يقتضي أنَّ المعرفة معرفة الوجه والصورة، ودلَّ هذا على أن الضمير في «يعرفونه» للرسول ﷺ.

(١) انظر الكشاف ١ : ٣٢١.

﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ هم المُصِرُّونَ على الكفر والعناد كتموا نعت النَّبيِّ ﷺ.
﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال مؤكدة إن كان متعلق العلم «الحق»، وإن كان «وهم يعلمون» ما على كاتم الحق من العقاب فهي حال مبيّنة.

﴿ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ خبره، أو خبر مبتدأ محذوف أي: هو الحَقُّ كائناً من ربك. وقرىء: الحق بالنَّصب بدلاً من «الحق» أو معمولاً «ليعلمون». والامتراءُ الشكُّ، امترى في كذا: شَكَّ فيه. والنَّهيُ عن الكون على صفة أبلغ من النَّهي [عن تلك الصفة]، ولذلك كثر النَّهي عن الكون على الصفة التي يطلب اجتنابها في القرآن.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وقرىء: ولكلِّ وجهةٍ بالإضافة، وموَلّاها. «وجهة» اسم للمكان المُتَوجَّهِ إليه عند بعضِهم، فثبوتُ الواو ليس بشاذ، وكلام سيبويه يقتضي أنَّه مصدر فثبوت الواو فيه شاذ. والمحذوف من «كلّ» إمّا طائفة من أهل الأديان، أو أهل صقعٍ من المسلمين، أي جهة من الكعبة وراءً وأماماً ويميناً وشمالاً ليست جهة من جهاتها(١) أولى من الأخرى. و﴿هُوَ﴾ مبتدأ عائد على «كل» على لفظه أي: مستقبلها وموجهٌ(٢) إليها صلاتَهُ. ومفعول «مولّيها» الثاني محذوف أي: مولّيها نفسه. وفي قراءة «مولّاها» الأول المستكنّ في مولّاها، والثاني «ها» وهو عائد(٣) على الله أي: الله. [موليه] إياها(٤). وأما قراءة الإضافة فقال الطبريُّ: هي خطأ، وقال

---

(١) ق: من جملتها، والتصويب من ط.

(٢) ق: ومتوجه.

(٣) ق: أو عائد.

(٤) ق: أي الله إياه، والتصويب من ط.

الزَّمخشريُّ[1]: المعنى: وكل وجهةٍ اللهُ مُولِّيها، فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك: لزيدٍ ضربت، ولزيدٍ أبوه ضاربه. وهذا فاسدٌ لأنَّ العاملَ إذا تعدى لضميرِ الاسم لم يتعدَّ إلى ظاهره المجرور باللام، لا تقول: لزيد ضربته ولا لزيد أنا ضاربه، ألا تراهم تأوَّلوا[2]:

هذا سراقة للقرآن يدرسه [من البسيط]

وقال ابنُ عطية[3]: المعنى: فاستبقوا الخيراتِ لكلٍّ وجهةٍ ولَّاكُمُوها، وهو توجيهٌ لا بأس به. و«استبقوا» أي: بادروا. «الخيرات» أي: الأعمال الصالحة. ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ تَضَمَّنَ وعظاً وتحذيراً وإظهارَ القدرةِ. ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يحشركم للثواب والعقاب.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لما أُمِرَ باستقبالِ الكعبة وهو عليه السلام مقيمٌ بالمدينة بيّن تساوي الحالين في الإقامة والسفر، وبيّن بقوله ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ تساوي جهاتهم وحاله عليه السلام في ذلك. وختم هذه الآية بما ختم به

---

(١) الكشاف ١ : ٣٢٢.

(٢) البيت في اللسان «سرق» وفي أمالي ابن الشجري غير منسوب ١ : ٣٣٩، وعجزه:
والمرء عند الرّشا إن يَلْقها ذيب

(٣) المحرر الوجيز ١ : ٤٥٠.

تلك الآية السابقة[١] مبالغة في امتثالِ هذا التكليفِ العظيمِ الذي هو تحويلٌ من جهةٍ إلى جهة وهو تَعَبُّدٌ مَحْضٌ.

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ﴾ توكيدٌ لما قبله وتقريرٌ لهذا النَّسخ. ﴿ لِئَلَّا ﴾ هي لام كي و«أن» في هذا التركيب واجبةُ الإظهار. ﴿ يَكُونَ لِلنَّاسِ ﴾ اليهود أو مشركو العرب، ونفى الله تعالى أنْ يكونَ لأحدٍ على المؤمنين حُجَّةٌ، وخبر كان: «للناس». و﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ متعلق بما تعلق به «للناس» وهو كائن، وقد أُجيز أن يتعلق «بحجة» بمعنى الاحتجاج، وليس بجائز. والحجَّة إنْ أُريدَ بها[٢] البرهان الصحيح فهو استثناءٌ منقطع أي: لكن الذين ظلموا فإنَّهم [٣٨/ب] يتعلقون بالشُّبهة ويضعونها موضعَ الحُجَّة، وإنْ أُريدَ بها[٣] الاحتجاج بالخصومةِ واللَّددِ فهو استثناءٌ متصل أي: إلا[٤] خصومة مَنْ ظلم، أو: إلا من ظلم بخصومته فيما قد وضح له كقولك: ماله حجةٌ إلا الظلم. وقرأ قطري: إلاّ على الذين ظلموا، جعله بدلاً من الضمير في ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾، ولا يجوز إلا على مذهب الكوفيين والأخفش. وقال أبو عبيدة: إلا بمعنى الواو، وكان أبو عبيدة يضعَّف في النَّحو. وقرىء: «ألا» حرف استفتاح و﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ مبتدأ خبره «فلا تخشوهم». والضمير في «فلا تخشوهم» يعود على «الناس» أو على «الذين ظلموا» وهو أقرب مذكور[٥]. ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي ﴾ معطوف على «لئلا يكون» والمعنى: عَرَّفناكم وجهَ الصوابِ

---

(١) الآية ١٤٤.

(٢) ق: أراد.

(٣) ق: به.

(٤) ق: لا.

(٥) ق: المذكور.

في قِبلتكم لانتفاءِ حُجج النَّاسِ عليكم ولإتمام النِّعْمة، فالتعريفُ مُعَلَّلٌ بعلَّتين والفصل بالاستثناء كلا فصل إذْ هو من متعلق العلّة الأولى.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ تشبيهٌ متعلّقهُ «ولأتم» أي: إتماماً مثل إتمامَ إرسالِ الرسولِ إليكم، أو تهتدون اهتداءً مثل إرسالنا. وتشبيهُ الهداية بالإرسالِ في التحقُّقِ والثبوتِ، أي: اهتداء ثابتاً متحقّقاً كتَحَقُّقِ إرسالِ الرُّسل. ولو قيل: الكاف للتعليل لا للتشبيه لكان سائغاً أي: لإرسالنا رسولاً.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ كما قيل في قوله ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة] أي: لأجل هدايته إياكم، وقول الشاعر: [من الرجز]

لا تَشْتُمِ الناسَ كما لا تُشْتَمُ[1]

أي: امتنعْ من شتمِ النَّاسِ لامتناعِ النَّاس من شتمك. لكنْ يخدش في هذا القول وجود الفاء في «فاذكروني»، والأجودُ التعلُّق بقوله «ولأتم» فيكون إتمام هذه النِّعمة الحادثة من الهداية لاستقبال[2] قبلة الصلاة التي هي

(١) البيت لرؤبة بن العجاج في ديوانه (مجموع أشعار العرب) ص١٨٣، وصدره:
وشخصت أبصارهم وأجذموا

(٢) ق: لا استقبال.

عمودُ[١] الإسلامِ وأفضل الأعمال وأدلُّ الدلائل[٢] على الاستمساكِ بشريعةِ الإسلام، بإتمام النّعمة السابقة بإرسال الرَّسول المُتَّصِفِ بكونه منهم إلى سائرِ الأوصافِ التي وصفه تعالى بها. والذِّكْرُ يكونُ باللّسان من التحميدِ والتسبيح والتمجيدِ وقراءة كتاب[٣] اللهِ تعالى، ويكونُ بالقلب كالفكرِ في الدلائلِ الدالَّة على التكاليف والفكر في صفاتِ الإله وفي سائر مخلوقاته. وذِكْرُه تعالى إياهم هو مجازاته على ذكرهم. ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ جاء تَعَدِّيه بغير اللام، قال الشاعر[٤]: [من الطويل]

فهلَّا شكرتَ القومَ إذْ لم تقاتل

﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ أي: لا تكفروا نعمتي.

والصبرُ: قَصْرُ النفسِ على المكاره والتكاليفِ الشَّاقةِ وهو أمرٌ قلبي، والصلاة من ثمرته وهي من أشقِّ التكاليفِ لتكررها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالمعونةِ والتأييد. واندرجَ المصلُّون في الصابرينَ اندراجَ الفرعِ تحتَ الأصل.

قالوا لمن قُتل في سبيل الله: ماتَ فلانٌ وذهبَ عنه نعيمُ الدنيا فنزل: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ﴾. والتعرُّضُ للقتلِ في سبيلِ الله من أعظمِ نتائجِ الإيمان

(١) ق: عموم.

(٢) ق: للدلائل.

(٣) ق: كتب.

(٤) نسبه أبو حيان في البحر ١: ٤٤٧ لعمرو بن لجأ التميمي، وليس في ديوانه. وصدره فيه:

همُ جمعوا بؤسى ونعمى عليكمُ

والصبر. و﴿أَمْوَٰتٌۢ﴾ خبر مبتدأ محذوف، و﴿أَحْيَآءٌ﴾ كذلك، والتقدير: هم أمواتٌ بل هم أحياء، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ بأنَّهم أحياء. والمرادُ بالحياةِ بقاءُ أرواحِهم وليست فانيةً كما فنيت أجسادُهم فنفى شعورَ المخاطَبين بكيفيةِ حياةِ المقتولين في سبيل الله. وفي هذه الآيةِ ترغيبٌ في الشهادة وتسلية لأقرباء الشهداء وإخوانهم المؤمنين.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ أصلُ الابتلاء الاختبار[(١)] والمعنى هنا: ولأُصِيبنَّكُم بشيءٍ، وأفرده ليدلَّ على التقليل. و﴿بِشَىْءٍ﴾ مُقدَّرٌ في المعاطيف أي: وبشيءٍ من الجوع وبشيءٍ من نَقْص. والظاهر أنَّ الخوفَ هنا هو من العدوّ. وعبَّرَ بالجوعِ عن القحطِ إذ هو مِنْ أثره. ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بالهلاك [٣٩/أ] والخُسْران. ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بالقتل والموت. ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بالجوائحِ[(٢)] وقلة النبات وانقطاع البركات.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ منصوب نعتاً أو مقطوعاً، أو مرفوع قطعاً أو استئنافاً على تقدير سؤال: من الصابرون؟ قيل: هم الَّذين. و﴿مُّصِيبَةٌ﴾ اسم فاعل من أصابَ وصَارَ لَهَا اختصاصٌ بالشيءِ المكروه. و«أصابتهم مصيبة» من التجنيس المغاير. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرارٌ بالملكِ والعبوديةِ للهِ فهو المتصرِّفُ فينا[(٣)] بما

---

(١) ق: الاختيار.

(٢) ق: بالحوائج.

(٣) ق: فيما.

يريد. ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ إقرارٌ بالبعثِ وتنبيهٌ على مصيبةِ الموتِ التي هي أعظمُ المصائب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ﴾ أي: ثناء كثير. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ العطفُ يُشعر بالمغايرة، وارتفع ﴿صَلَوَٰتٌ﴾ بالفاعلية لأنَّ الجارَّ قد اعتمد[1]. و﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ﴾ تَجلَّلتهم.

كانوا يَتحرَّجُون أنْ يطوفوا بين الصَّفَا والمروة فلما جاءَ الإسلامُ سألوا فنزل:

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ والصفا والمروة عَلَمان لهذين الجبلين، وألف «الصفا» منقلبة عن واو، والصفا: الحجرُ، والمَرْوَةُ: الحجارةُ الصِّغارُ التي فيها لِينٌ والواحدة مروة، ولزمت أل فيها كلزومها في «البيت» للكعبة و«النّجم» للثريا. والشعائرُ: العلائمُ التي نَدَبَ اللهُ إليها، واحدها شعيرة أو شُعاره وهو على حذفٍ أي: إنَّ طوافَ الصفا والمروة من شعائرِ الله. ولما تقدم الأمرُ بالصلاة والزكاة في غيرِ ما آيةٍ وذكر الصبر والقتل في سبيل الله وهو الجهاد لإقامة الدين، وكان الحجُّ من الأعمالِ الشاقة المُنْهِكَةِ للمالِ والبدنِ وهو أحدُ أركانِ الإسلام - ناسب ذكره بعدما تقدم.

وقُرىء: أنْ يطَّوفَ، وقرىء: أن لا يطوف، فقيل: لا زائدة. ولا نختاره بل إسقاطها يدلُّ على رفع الجناح في فِعْلِ الشيءِ وهو رفع في تركه إذ هو

(١) أي ارتفعت «صلوات» على الفاعل بالجار والمجرور أي: أولئك مستقرة عليهم صلوات.

تخْيِيرٌ بين الفعل والترك نحو ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة]، وإثباتها يدلُّ على رفع الجناح في الترك، وكلتا القراءتين تدلُّ[1] على التخييرِ بين الفِعْلِ والترك. والجُنَاح يُرادُ به الإثم، والظاهر أنْ يكون الطوافُ بالسعي والمرور، فمن سعى بينهما من غير صعودٍ عليهما لم يكن طائفاً. ودلَّت الآيةُ على مُطْلَقِ الطوافِ لا على هيئةٍ مخصوصةٍ ولا عدد. وسؤال عروة لعائشة رضي الله عنها أنّه لا يرى على أحدٍ شيئاً أنْ لا يطوف بهما وقولها له: يا عريّة لو كان كذلك لقال: فلا جُناحَ عليه أنْ لا يطوف بهما - كلامٌ لا يُخرِجُ اللَّفظ عَمَّا دلَّ عليه من رفعِ الإثمِ عَمَّنْ طافَ بهما، ولا يدلُّ ذلك على وجوب الطواف لأنّ مدلول اللفظ إباحة الفعل، وإذا كان مباحاً كنت مُخَيَّراً بين فِعْلِه وتركه. ومذهب ابنِ عباس وابنِ الزُبير وأنس وعطاء ومجاهد وأحمد بن حنبل أنّه لا شيءَ على مَنْ تركه عَمْداً كان أو سَهْواً.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ التطوُّع ما تبرعتَ به مما لا يجبُ عليكَ. وقُرِىء: تَطَوَّعَ ماضياً، ويَطّوعْ[2] مضارعاً مجزوماً، ويَتَطَوّعْ مضارع تطوع مجزوماً. و«خيراً» منصوب على إسقاط حرف الجرّ أي بخير [وقد قرىء: بخير] أو يكون التقدير: تطوّعاً خيراً. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ أي: مثيب أو مُغْنٍ. ﴿عَلِيمٌ﴾ بما انطوت عليه نية المتطوّع.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ

(١) ق: يدل.

(٢) ق: وتطوع.

﴿ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ هم اليهودُ. و﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ أي: في التوراة، كتموا نعتَ رسول الله ﷺ وكتموا الرَجْمَ. وقُرِىء: من بعد ما بيَّنَّاهُ، ومن بعد ما بيَّنه، وهو التفاتٌ خرجَ من ضميرِ المتكلِّم إلى ضمير الغائب كما خرج من الغيبِ إلى التكلّم في قوله(١) «فإن الله»(٢) وقوله «ما أنزلنا». ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة أو القرآن أو كتب الله. وكتمهُ بعد تَبْيينِه أعظمُ في الإثم، وقد يكتم الإنسانُ الشيءَ ولا يكون مبيّناً للنّاس. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [أولئك](٣) إشارةٌ لمن اتَّصفَ بهذه الصفة القبيحة [٣٩/ ب] وأبرز خبره في جملتين تعظيماً لهذا [الوصف](٤) الذي حلَّ بهم. و«اللاعنون» الملائكة ومَنْ يتأتّى منه اللَّعنة كمؤمني الثقلين أو كلّ شيء، وغلَّبَ العاقل في الجميع.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ عن الكفر والكتمان. ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ قلوبهم بالنيّة الصالحة والأعمالِ الطَّاهرةِ(٥). ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ الحقَّ الذي كتموه. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أعطفُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ذكَرَ حالَ مَنْ كتمَ ثم حالَ مَنْ تاب ثم ذكر حالَ من وافى مُصِرّاً على الكفرِ، وجعل اللَّعنةَ قد تَجلَّلتهم وغشيتهم. ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ جملة حالية ومجيئها بالواو في مثل هذا التركيب أكثر. و﴿لَعْنَةُ﴾ مرفوع على

---

(١) عبارة ق: كما خرج فيما أنزلنا من الغيب إلى المتكلم وقوله.

(٢) في الآية السابقة.

(٣) زيادة من ط.

(٤) زيادة من ط.

(٥) ط: الظاهرة.

الفاعلية إذِ الجارُّ والمجرورُ قد اعتمد بكونِه خبراً. وقرىء: والملائكةِ والنّاسِ أجمعين، وقرىء برفع الثلاثة. وكُلُّ مَنْ وقفنا على كلامِهِ من معرب ومفسّر جعله عطفاً على الموضع وقَدَّروهُ: أن يلعنهم الله أو أن لعنهم الله. وهذا لا يصحُّ على قول المحققِّين من النّحويين لأنَّ مِنْ شرطِ العطفِ وجود المحرز الذي لا يتغيّر وأيضاً فلا يظهر أنّ «لعنة» هنا مصدر ينحلُّ لحرف[1] مصدري والفعل، إذْ لا يُرادُ به العلاج وكان المعنى أنَّ عليهم لعنةَ الله كما جاء ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود]. وأُضيفَ هذا المصدر على سبيلِ التخصيص لا على سبيلِ الحدوث. وتُخَرَّجُ هذه القراءة على إضمار فعلٍ يدلُّ عليه ما قبله أي: وتلعنهم الملائكةُ، أو على حذفِ مضافٍ أُقيمَ[2] المضاف إليه مقامَهُ أي: ولعنة الملائكة، أو على أن «الملائكة» مبتدأ خبره محذوف تقديره: أخيرا[3] يلعنونهم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في اللّعنة أو في النّار لدلالة اللّعنة عليها ودلالة قوله ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ و«لا يخفف» حال من ضمير «خالدين»، و«خالدين» حال من ضمير «عليهم» أو هما حالان من ضمير «عليهم» على مذهب من يجيز حالين[4] من ذي حال واحدة وهو الصحيح.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ

---

(١) ق: ظرف.

(٢) ق: أي المضاف إليه.

(٣) غير مقروءة في ق، وما أثبتّه في ط.

(٤) ق: يجيز خالدين.

وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

قالوا: يا محمّد صِفْ لنا ربَّك فنزلت ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية وسورة الإخلاص. وقوله «إلهكم إله واحد» أي: لا يتجزأ ولا نظيرَ له ولم يكن في الأزلِ معه شيءٌ.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ توكيدٌ لمعنى الوحدانية، ودلّت على حصرِ الألوهية فيه تعالى. ولا يجوز أن يكون «إلاّ هو» خبراً عن «لا» على مذهب الأخفش، ولا خبراً عن مجموع «لا إله» إذْ هو في موضع مبتدأ على مذهب سيبويهِ لأنّ «هو» معرفة. وقالوا: بدل من اسم لا على الموضع وهو مشكل لأنَّهُ لا يمكنُ تقدير تكرار العامل، لا نقول: لا رجلَ إلاّ زيد. والذي ظهر لي فيه أنه[1] ليس بدلاً من «لا إله»، ولا: إلاّ زيد بدلاً من: لا رجل، بل هو بدل من الضمير المُسْتكِنِّ في الخبرِ المحذوفِ، والتقدير: لا رجلَ كائنٌ أو موجود إلاّ زيد كما تقول: ما أحد يقوم إلاّ زيد. وإلاَّ زيد: بدل من الضمير في: يقوم، فهو بدلٌ مرفوع من ضمير مرفوع، وقول مَنْ قال لا يحتاج إلى حذفِ سهوٌ. و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر مبتدأ محذوف [و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ كذلك أي: خبر مبتدأ محذوف] أو خبر بعد خبر، أو خبران[2]، أو صفة لقوله «وإلهكم» وفصل بالخبر، و«لا إله» خبر ثان أو اعتراض.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لما تقدم اختصاصه تعالى بالألوهية استدلّ تعالى بهذا الخُلُقِ الغريب استدلالاً بالأثرِ على المُؤَثِّرِ وبدأ بالعالم العلوي

(١) ق: أن.

(٢) ق: خبرين.

وآياتها ارتفاعها من غير عمدٍ تحتها ولا علائق فوقها وما فيها من النيِّرين الشمس والقمر والنُّجوم السَّيَّارة والكواكب الظاهرة[١] شارقة وغاربة نيِّرة ومَمْحوَّة وعظم أجرامها وارتفاعها حتى قال أربابُ الهيئة إنَّ الشمسَ قَدْرُ الأرض مئة [و]أربعة وستين [مرة] وإنَّ أصغر نجمٍ في السماء قَدْرُ الأرضِ سبع مرات. وآيةُ الأرض بسطها لا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها وأنهارها وجبالها [٤٠/أ] ونباتها ومعادنها واختصاص كُلِّ موضعٍ بما فيه ومنافع نباتها ومضارها. وذكرَ أربابُ الهيئة أنَّ الأرضَ نقطةٌ في وسطِ الدائرةِ ليس لها جهة وأنَّ البحارَ محيطةٌ بها والهواء محيط بالماء والنَّار محيطةٌ بالهواء والأفلاك وراء ذلك. ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بإقبالِ هذا وإدبارِ هذا وبالنُّورِ والظُّلمةِ والطولِ والقِصَرِ والتساوي وقِدَمِ اللَّيل لسبقهِ[٢] في الخلق.

﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ الفُلْك واحِدُهُ قيل فَلَك كأُسْد وأَسَد، ويكون مفرداً وجمعاً فهو حركاته في الجمع غير حركاته في المفرد، وإذا كان مفرداً ثُنِّيَ قالوا: فلكان، وقيل: إذا أُريدَ به الجمع فهو اسم جمع. والذي أذهبُ إليه أنه لفظٌ مشترك حركاته في الجمع حركاته في المفرد ولا يقدر تغييرها[٣]، وإذا كان مفرداً كان مذكراً، وقيل قد يكون مؤنثاً وآيتها تسخير[٤] الله إياها حتى تَجري على وجهِ الماء ووقوفها فوقه مع ثقلها. ولو رُميت حصاةٌ لغرقت، وتبليغها المقاصد. والباء في «بما» للسبب، وما موصولة. ونفعهم بما يتأتّى به من المتجر والبضائع

(١) ط: الزاهرة.

(٢) ق: لسبعة.

(٣) ق: بغيرها.

(٤) ق: تستخير.

والنقل[1] من بلدٍ إلى بلد والحجّ والغزو. وذكر النفع وإنْ كانت[2] قد تجري بما يضرُّ لأنّه في معرضِ الامتنان.

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ ﴾ أي: من جهة السماء، و«مِن ماءٍ» بدل اشتمال. ﴿ فَأَحْيَا ﴾ عطفه على صلة «ما» بالفاء المقتضية للتعقيب وسرعة النبات، وكنى بالإحياءِ عن ظهورِ ما أودع فيها من النَّبات، وبالموتِ عن استقرارِ ذلك فيها وعدمِ ظهوره. ﴿ وَبَثَّ فِيهَا ﴾ معطوف على ما قبلها من الصلة أي: نَشَرَ وفرَّقَ. والرابط[3] «به» أي: وبثَّ به أي: بالماء، وحذف لدلالة قوله «به» في قوله: ﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ لأنَّ الدواب يَنْمُونَ بالخِصْبِ ويعيشون بالحيا. أو يقدر موصول محذوف لفهم المعنى معطوف على قوله «وما أنزل الله» أي: وما بثّ فيها. وكلا هذين التخريجين مسموع من كلام العرب وإن لم يَقِسْهُ بعضُ النَّحويين. وآيةُ الدواب اختلاف أشكالها وصفاتها وانتقالاتها ومنافعها ومضارها وما أودع في كُلِّ شكلٍ[4] من الأسرار العجيبة. ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ﴾ هبوبها قبولاً ودبوراً وجنوباً وشمالاً حارَّةً وباردةً عاصفةً ورخاء لواقح ونكباً. وقُرِىء بالجمع والإفراد، والياء منقلبة عن واو لكسر[5] ما قبلها.

﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ السحابُ اسم جنسٍ واحدُهُ سحابة، ويذكَّرُ السحابُ ولذلك وصفه بالمُسَخَّرِ، ويجوز تأنيثه وقد يوصف

---

(١) ق: والثقل.

(٢) ق: كان.

(٣) ق: والرابطة.

(٤) مكررة في ق.

(٥) ق: لكسرة.

بالجمع رعياً لإفرادِه إذْ هو اسم جنس كقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا ۝٥٧﴾ [الأعراف]. وتسخيرهُ: بَعْثُه من مكانٍ إلى مكان وثبوته بين السماء والأرض بلا علاقة. وانتصب «بين» «بالمسخّر». ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ﴾ أي: كائنة لقوم يعقلون، لأنّه لا يتفكّر في هذه الآيات إلّا العُقلاء. وهذه الآياتُ منها مُدْرَكٌ بالبصيرة وهو خَلْقُ السماوات والأرض، ومُدْرَكٌ بالبصر وهو ما بعدَ ذلك. وقيل ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ ولم يقل: لقومٍ يبصرون، تغليباً لحكم العقل إذْ[1] مآل ما يشاهد بالبصر راجع بالعقل نسبته إلى الله تعالى.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ۝١٦٥ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾ لما قَرَّرَ التوحيد بالدلائل الباهرة ذكر مَنْ لم يُوفق فاتَّخذ أنداداً ليظهر تفاوت ما بين العقلاء وغيرهم. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: من أهلِ الكتابِ وعبدةِ الأوثان. ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من غير الله. ﴿أَندَادٗا﴾ رؤوساً[2] وأصناماً. ﴿يُحِبُّونَهُمۡ﴾ أي: يعظِّمونَهُم. وغلّب العقلاء فلذلك جاء بضميرهم. ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ أي: كَحُبِّكم أو كحبِّهم أي: كتعظيم[3] الله.

---

(١) ق: إذا.

(٢) ط: رؤساء.

(٣) ق: تعظيم.

وقدّره[١] الزَّمخشريُّ: كما يحب اللهُ على أنَّهُ مصدر [٤٠/ ب] مبنيٌّ للمفعول، وفي ذلك خلافٌ والأصحُّ المنع. وقرىء: يَحبّونهم من [حَبَّ] يحِبّ ومجيئه على: يفعِل شاذ. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ منهم أي من المتَّخذِينَ الأنداد لأندادهم[٢] أي أطوع وأكثر امتثالاً لما أمر ونهى.

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ قرىء: ترى بالتاء خطاباً للسامع، وبالياء رَدّاً على «يرى» [ففاعلُ «يرى»] مضمر أي السامع، والمفعول «الذين ظلموا». أو يكون الفاعل «الذين ظلموا» والمفعولُ محذوفٌ أي: ما حَلَّ بهم. وفي قراءة التاء: لاستعظمت ما حلَّ بهم. وقرىء: أن أي لأن، وبكسر الهمزة وفيها معنى التعليل. وقُرىء: يرون بفتح الياء[٣] وضمّها. والذين ظلموا هم مُتَّخِذُو الأنداد، أو عامٌّ [اندرجوا] فيه. و«يرى» في «ولو يرى»[٤] بصرية كهي في «يرون». ودخلت «إذْ» وهي ظرفٌ ماضٍ، تقريباً للأمرِ وتصحيحاً لوقوعه كما وقع الماضي مكان المستقبل في قوله ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف]. و﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير [المستكنّ في الجارّ والمجرورِ والعامل فيها هو العامل في الضمير] .

﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدل من «إذ يرون» و﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم رؤساؤهم. وقرىء: اتّبعوا الأول مبنياً للمفعول والثاني مبنياً[٥] للفاعل، وقرىء

---

(١) ق: مقدّره. وفي الكشاف ١: ٣٢٦: على أنه مصدر من المبني للمفعول.

(٢) ق: لإنذارهم.

(٣) ق: الراء.

(٤) ق: وترىٰ في: ولو ترى.

(٥) ق: مبني.

بالعكس. وتَبرؤُ المتبوعينَ بالقول إنَّهم لم يُضِلُّوا تابعيهم[١] كقولهم ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص]، وتَبرؤُ التابعينَ انفصالهم عن مَتْبُوعِيهم[٢] والنَّدم على عبادتهم. ﴿وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ﴾ معطوف على «تبرأ»[٣] أو الواو واو الحال. ويسمى الكلامُ المسجوعُ ترصيعاً وهو في هاتين الجملتين[٤].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ تَمَنَّوا الرجوعَ إلى الدنيا حتى يُطيعوا اللهَ ويتبرؤوا[٥] منهم في الآخرة إذا حُشِرُوا جميعاً مثلما تَبرَّأَ المتبوعون[٦] منهم أولاً. و﴿لَوْ﴾ هي التي لما كان سيقع لوقوعِ غيره، أُشْرِبَتْ معنى التمنِّي. وجاء النَّصْبُ بعد الفاء بإضمار أن فقيل: إذا استعملت للتمنّي فجوابها هو الفعلُ المقرونُ بالفاء المنصوب. وقد جاء في كلامهم التصريح بجواب لو المُشْرَبَةِ معنى التمنِّي مُصرَّحاً به بعد الفعلِ المنصوب بعد الفاء. ويظهر لي أن ﴿فَنَتَبَرَّأَ﴾ المقدّر نصبه «بأن» مضمرة هو معطوفٌ على ﴿كَرَّةً﴾ أي: لو أنّ لنا كَرَّة فنتبَّرأ منهم لخلصنا وسلمنا من عذابِ الله. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إراءتهم تلك الأهوال. ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السَيِّئة حسراتٍ عليهم. ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ فيه دلالةٌ على دخولهم النَّارَ وهذا في الكفار، وليس فيه دلالةٌ على أنَّ مَنْ دخل النَّار من عُصاةِ المؤمنين لا يخرج منها لأنَّ الضميرَ في «هم» عائد على الكفار.

---

(١) ق: لم يضلوا بأنفسهم.

(٢) عبارة ق: وتبرؤ المتبوعين انفصالهم عن متبوعهم.

(٣) ق: تبرؤوا.

(٤) يقصد قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ وقوله: ﴿وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

(٥) ق: ويتبرؤون.

(٦) ق: المبتدعون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾.

وانتصب «حلالاً» على أنّه حالٌ من الضمير المستقر في الصلة، ووصف بالطيّب. وقال ابنُ عطية[1]: ويصحُّ أنْ يكون [طَيِّباً] حالاً من الضمير في «كلوا» تقديره: مُسْتطيبينَ. وهذا فاسدٌ في اللفظ والمعنى [أما اللّفظ] فلأنّ «طيبا» اسم فاعل وليس بمطابق للضمير لأنّ الضمير جمعٌ و«طيباً» مفرد، وليس «طيّباً» بمصدر فيقال لا تلزم المطابقة. وأما [المعنى] فلأنّ «طيّباً»[2] مغاير لمعنى مُستطيبينَ لأنَّ الطيِّبَ من صفاتِ المأكولِ والمستطيب من صفاتِ الآكلِ، تقول: طابَ لزيدٍ الطعامُ، ولا تقول: طاب زيد الطعام في معنى استطابه. والأصل في الطيّب المستلَذ ووُصِفَ به الطاهرُ والحلالُ على جهةِ التشبيه لأنَّ النَّجِسَ تكرهُهُ النفسُ والحرام لا يُسْتَلَذُّ لأنَّ الشرعَ منعَ منه. والثابتُ في اللُّغة أنَّ الطيِّبَ هو الطاهرُ من الدَّنَسِ.

﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ ﴾ كناية عن تركِ الاقتداءِ به فيما[3] سنَّ من المعاصي. وقرىء: خطْوات وبسكون الطاء وبفتحها. والخطوة المكان الذي يخطو فيه، وبفتح الخاء والطاء. والخطوةُ المرةُ الواحدة من الخطو. وقرىء: خطؤات بضم الخاء والطاء والهمز وهو جمع خطأة من الخطأ إنْ كان سُمعَ وإلا فتقديراً. ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ تعليلٌ لسببِ هذا التحذير.

(١) المحرر الوجيز ١: ٤٧٧.

(٢) في المواضع الثلاثة في ق: طيب.

(٣) ق: به من سنّ.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ أي: بوسوستِه وإغوائِه وما يُلْقِيه على ألسنةِ الكهنة [١/٤١أ] ﴿بِالسُّوٓءِ﴾ بما يَسُوؤُكم في العقبى ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ بما يفحش قوله[1] وفعله ومنعت منه الشريعة. ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وذلك نحو السائبةِ والبحيرةِ وقولهم هذا حلالٌ وهذا حرامٌ من غيرِ استنادٍ إلى علم. قيل: وظاهرُ هذا تحريم القول في دين الله تعالى بما لا يعلمه القائل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

والضمير في «لهم» عائدٌ على من اتَّصَفَ بقوله «بل نتبع» من كفار العربِ ومُتَّخِذِي الأنداد واليهود. و«بل نتبع» عطفٌ على جملةٍ محذوفة تقديرها: لا نتبعُ ما تَدْعُونَا إليه ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ أي: ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي: مما يُخالفُ ما تطلبونَ منا. وفيه دليلٌ على إبطالِ التقليد. والذي وجدوا عليه آباءهم هو مخالفٌ لما أنزل الله فاقتدوا في ذلك بآبائِهم رؤوس الضلالة.

﴿أَوَلَوْ﴾ الهمزة فيه للإنكارِ عليهم والتوبيخِ والتعجُّبِ. و«لو» في مثل هذا التركيب تجيء تنبيهاً على أنَّ ما بعدها غير [شامل لـ]ما قبلها نحو: أعطوا السائلَ ولو جاء على فرسٍ [والمعنى: على كُلِّ حالٍ ولو في هذه الحالة التي لا يناسب مَنْ جاء على فرس] أنْ يُعطى إذا سألَ. وتجيء لاستقصاء الأحوال التي يقع عليها الفعل ويدلُّ على أنَّ المراد بذلك وجود الفعل في كُلِّ حالٍ حتى في هذه الحال التي لا تُناسبُ[2] الفعل، فالمعنى إنكار اتِّباع آبائهم في

---

(١) ق: بقوله.

(٢) ق: يناسب.

كل حالٍ حتى في الحالةِ التي لا يناسب أنْ يتبعوا[١] فيها وهي تَلَبُّسهم بعدمِ العقلِ[٢] وعدمِ الهداية.

ولما أعرضوا عن اتِّباع ما أنزل الله واتَّبعوا ما نَشَؤُوا عليه من تقليدِ آبائهم ذكرَ هذا التشبيه العجيبَ إذْ صار في رتبة البهيمة أو في رتبة داعيها. وقَدَّرَ: ومَثَلُ داعي الذين كفروا لآلهتهم التي لا تَفقهُ دعاءَهُ كمثل[٣] الناعقِ بغنمِه لا ينتفعُ من نعيقِه بشيءٍ غير أنَّهُ في عَنَاءٍ ونداءٍ، كذلك الكافرُ في دعائِه الآلهة وعبادته الأوثانَ ليس له إلا العَناء. وقدّر أيضاً: ومَثَلُ الذين كفروا وداعيهم إلى الهُدَى كمثلِ الذي ينعقُ والمنعوق[٤] به، شبّه داعي الكفار براعي الغنم في مخاطبتِه مَنْ لا يفهمُ عنه، وشبَّه الكفارَ بالغنمِ في كونِهم لا ينتفعونَ بما[٥] دُعُوا إليه غير أصوات. حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني [وهو الذي ينعق] ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾.

وتقدم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة] وهنا أقبلَ على المؤمنينَ بندائِهم وأباحَ لهم أكلَ ما رزقهم من الطيِّباتِ وأمرهم بالشُّكْرِ على ذلك.

(١) ق: تتبعوا.

(٢) ق: الفعل.

(٣) ق: لمثل.

(٤) ق: والمنعوت.

(٥) ق: مما.

و[لما] كانت وجوهُ الطيّبات كثيرةً استطردَ إلى ذِكْرِ المُحَرَّمات. وقُرِىء: حَرَّمَ وحُرِّمَ وحَرُم. والميتة بالتخفيف والتشديد، والظاهر أنَّ المحذوفَ هو الأكل أي: أكل الميتة لقوله: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾. والميتة عام خصّ منه الحوت والجراد.

وقال ابنُ عطية[1]: الحوت والجراد لم يدخل قَطُّ في هذا العموم انتهى. فإنْ عنى: لم يدخل في دلالةَ اللَّفظِ فلا نسلِّمُ له ذلك، وإنْ عنى: لم يدخل في الإرادة فهو كما قال لأنَّ التخصيصَ يدلُّ على أنّه لم يُرد به الدخول في اللّفظ العام الذي خُصَّ به.

وقال الزَّمخشريُّ[2]: فإنْ قلت: في الميتات ما يحلُّ وهو السَّمكُ والجراد قلت: قصد ما يتفاهمه النَّاسُ ويتعارفونه في العادة. ألا ترى أنَّ القائلَ إذا قال: أكلَ فلانٌ ميتةً لم يسبق الوهمُ إلى السمكِ والجراد، كما [لو] قال: أكل دماً لم يسبق إلى الكبد والطحال، ولاعتبارِ العادةِ والتعارفِ قالوا: مَنْ حلف لا يأكل لحماً فأكل سمكاً لم يحنثْ وإن أكل لحماً في الحقيقة، قال تعالى: ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [النحل]. وشَبَّهوه بِمَنْ حلفَ لا يركبُ دابةً فركب كافراً لم يحنثْ وإنْ سماه الله تعالى دابةً في قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال] انتهى كلامه. وملخّص ما يقوله أنّ السمك والجراد لم يندرج في عمومِ الميتةِ من حيث الدلالة. وليس كما قال[3]، [٤١/ب] وكيف يكون ذلك وقد رُوي عنه صلى الله عليه وسلم

---

(١) المحرر الوجيز ١ : ٤٨٤.

(٢) الكشاف ١ : ٣٢٩.

(٣) عبارة ق: وليس كما قال أحلت لنا ميتتان.

أنّه قال[١]: «أُحلَّتْ لنا ميتتان [ودمان]» فلو لم يندرج في الدلالة لما احتيجَ إلى تقريرٍ شرعيٍّ في حِلِّه إذْ كان يبقى مدلولاً على حلّه بقوله ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة] «كلوا من طيبات ما رزقناكم». وليس من شرط العموم ما يتفاهمُه النّاسُ ويتعارفونه في العادة كما قال الزّمخشريُّ، بل لو لم يكن للمخاطب شعورٌ البتّةَ ولا علم ببعض أفراد العام وعلّق الحكم على العام لاندرجَ فيه ذلك الفرد الذي لا شعورَ للمخاطَبِ به، مثال ذلك ما جاء في الحديث[٢]: نهى رسول الله ﷺ عن أكلِ ذي ناب من السباع، فهذا علّق الحكم فيه بكل ذي ناب، والمخاطب الذين هم العرب لا عِلْمَ لهم ببعضِ أفرادِ ذي الناب، وذلك الفرد مُندرجٌ في العموم يُقضى عليه بالنّهي، كما في بلادنا بلاد الأندلس حيوان مفترس يسمى عندهم بالدُّبّ[٣] وبالسبع. وفي جوازِ أكلِ السمكِ الطافي والجراد الذي مات بغير سبب خلاف. «والدم» عام؛ فإذا كان مسفوحاً فلا خِلافَ في نجاسته وتحريمه، وفي دَم السمك المزايل له خلاف، ويجوز أكلُ الدَّم المتخلّل بالعروق واللّحمِ الشاقِّ إخراجُه والكبد والطُّحال.

«ولحم الخنزير» ظاهره أنّ المُحرَّمَ منه هو لحمه فقط وبه قال داود، وقال سائرُ العلماء: لحمُه وسائرُ أجزائهِ حرام، وفي جواز أكل الخنزير البحري خلافٌ. وقال الزّمخشريُّ[٤]: فإن قلت: فمالَهُ ذكر لحمَ الخنزيرِ دون

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١: ١١٩.

(٢) نصّه في المؤطأ ص٤٠٤ «أكل كلّ ذي ناب من السباع حرام».

(٣) ق: باللب.

(٤) الكشاف ١: ٣٢٩.

شحمهِ؟ قلت: لأنَّ الشحم داخلٌ في ذِكْرِ(١) اللَّحم [لكونه تابعاً له وصِفةً فيه] بدليل قولهم: لحمٌ سمين يريدون أنّه شحيم انتهى. وقولهم هذا ليس بدليل على أنَّ الشحمَ داخلٌ في ذكر اللَّحم لأنَّ وصفَ الشيء بأنه يمازجه شيءٌ آخر لا يدلُّ على أنّه مندرجٌ تحت مدلولِ ذلك الشيء(٢)، ألا ترى أنّك تقول مثلا: رجلٌ لابنٌ ورجل عالم، لا يدلُّ ذلك على(٣) أنّ اللَّبن والعلم داخل في ذِكْرِ الرجل [ولا أنَّ ذكر الرجل] مجرّداً عن الوصفين يدلُّ عليهما.

وقال ابنُ عطية(٤): وخُصَّ ذِكْرُ اللَّحم من الخنزير ليدلَّ على تحريمِ عينه ذُكِّيَ أو لم يُذَكَّ وليعمَّ الشحومَ وما هناكَ من الغضاريفِ(٥) [وغيرها، وأجمعت الأمةُ على تحريمِ شحمه انتهى كلامه. وليس كما ذكر، لأنَّ ذِكْرَ اللَّحم لا يَعمُّ الشحمَ وما هنالك من الغضاريف] لأنّ كلًّا من الشّحم واللّحم وما هناك من غضروف وغيره له اسم يَخُصُّه إذا أُطْلِقَ ذلك الاسمُ لم يدخل فيه الآخرُ ولا يدلُّ عليه ولا بمطابقةٍ ولا تضمنٍ، فإذاً تخصيصه بالذكر يدلُّ على تخصيصِه بالحكمِ إذْ لو أُريدَ المجموعُ لدلَّ بلفظٍ يدلُّ على المجموع. وقوله: اجتمعت الأئمةُ على تحريمِ شحمه ليس كما ذكر، ألا ترى أنَّ داودَ لا يحرِّمُ إلاَّ ما ذكره الله تعالى وهو اللَّحم دونَ الشحم إلاّ أن يذهب ابنُ عطية إلى ما يذكر عن أبي المعالي عبد الملك الجُوينيِّ من أنه لا يعتدُّ في الإجماع بخلاف داود فيكون ذلك عنده إجماعاً. وقد اعتدَّ أهلُ العلم الذين

---

(١) ط: في حكم. والزيادة بعده من الكشاف.
(٢) عبارة ق: على أنه مدلول تحت ذلك الشيء، والتصويب من ط.
(٣) ق: على ذلك.
(٤) المحرر الوجيز ١: ٤٨٥.
(٥) ق: الغظاريف.

لهم الفهمُ التام والاجتهادُ قبل أن يُخلَقَ الجُوينيُّ بأزمانٍ بخلافِ داود ونقلوا أقاويلَهُ في كتبهم كما نقلوا أقاويل الأئمة كالأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والثوري والشافعي وأحمد، ودانَ[1] بمذهبِهِ وقولِه ناسٌ وبلادٌ وقُضاةٌ وملوكُ الأزمانِ الطويلة ولكنّه في عصرنا هذا خَمُلَ هذا المذهبُ كغيرِه من المذاهب.

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ الإهلالُ رفعُ الصوتِ أي: ذُبح ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنامِ والطواغيتِ ومعبودٍ غير الله ومقصود به التباهي والتفاخر. ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ في مَخمصةٍ. ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ عليهم كقُطّاع السبيلِ والخارجِ على السلطان والمسافر في قطعِ الرحم ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تناولِ شيءٍ من هذه المُحَرَّمات. ولا يرتفعُ الإثمُ إلّا إذا كان المضطرُّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ. وجاء في الآية الأخرى ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۝٣﴾ [المائدة] فيقيد به مطلق قوله ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۝١١٩﴾ [الأنعام]. وقرىء بكسر نون «فمن» وضمّها، وبكسر الطاء، وبإدغام الضاد في الطاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ۝١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝١٧٦﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ هم [٤٢/أ] علماءُ اليهود. و﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: التوراة وهو ما تضمّنتهُ من بعثةِ رسولِ الله ﷺ ونعته،

(١) ق: وبان.

وكانوا يرجونَ أنْ يكونَ منهم فلمَّا بُعِثَ من غيرهم غَيَّرُوا صِفته. ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالكَتْم من سفلتهم ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وهي الهدايا التي كانوا يأخذونها على الكَتْمِ إذْ كان ملوكهم لما بُعِثَ رسولُ الله ﷺ سألوهم: أهذا الذي بَشَّرَتْ به التوراةُ؟ فقالوا: ليس هذا هو النَّبيُّ المنتظر. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المُتَّصفون بالكتم والاشتراء. ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [كناية عن تَحَمُّلِ آثامهم المؤديةِ إلى النّار في الآخرة وكأنَّهم أكلوا النَّارَ] أو يأكلونَ النّارَ في الآخرةِ، وهي كقوله تعالى في أكلِ مالِ اليتيم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء]. و﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ لرفع المجاز في «يأكلون». ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ ظاهرٌ في نفيِ تكليمِه تعالى إيَّاهم. وفيه دلالةٌ على غضبهِ عليهم لأنَّ التكليم تأنيسٌ للمتكلَّم، أو لا يكلِّمهم كلاماً فيه خيرٌ لهم بل ما يشقّ عليهم. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: لا يقبل أعمالهم فيثني عليهم.

﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ تعجُّبٌ من كثرةِ صبرهم كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس] و﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴿٣٨﴾﴾ [مريم] أي هم في حالِ عذابٍ يقولُ مَنْ يراهم: ما أصبرهم. وفي[1] ما التعجبية وأفعل خلافٌ مذكورٌ في النَّحو.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الوعيد السابق من أكلِ النارِ وانتفاءِ التكليم [والتزكية]. وهو مبتدأٌ خبرُه ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ [أي] حاصل بأنَّ الله. ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ ولم يتبعوه وكتموا واشتروا به ثمناً قليلاً. أقام السبب وهو تنزيل الكتاب بالحقِّ مقام المسبَّب عنه وهو الكتمانُ والاشتراءُ كأنّه قيل: مستقر وثابتٌ بالكتمانِ والاشتراء. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود آمنوا ببعضِ التوراةِ وكفروا ببعضها. أو الكتاب: القرآن، والذين اختلفوا:

---

(١) ق: في.

مشركو العرب من قولهم: سِحْرٌ، أساطيرُ الأولين، كذب على الله [وغير ذلك]. ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾ تباينٌ وتباغضٌ ﴿بَعِيدٍ﴾ أي: عن الحقِّ والصواب.

كانت اليهود تصلي إلى المغرب والنَّصارى إلى المشرق فنزل:

﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ وقِبَل: ظرف مكان تقول: زيد قبلك، أي: في المكان الذي يقابلكَ فيه. ولما تقدم ذِكْرُهم بأقبحِ الذِّكْرِ وما يؤولونَ إليه في الآخرةِ ولم يبق لهم مما يتعلقون به إلا صلاتهم وزعمهم أنَّ ذلك هو البِرُّ - نفى عنهم ذلك وأثبتَ ما يكونُ به [البِرُّ] وهي الأوصافُ التي ذكرها. وقُرِىء: البِرّ بالنَّصب على أنّه خبر ليس، وبالرفع على أنَّهُ اسمها و«أن تولوا» الخبر. والبرُّ اسمٌ جامعٌ لأنواعِ الخير. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ [قرىء بتشديد نون لكنَّ ونصب البرّ، وبالتخفيف والرفع. «والبرّ» ليس نفس «من آمن»] فهو على حذف من الأول أي: ولكن ذو البرّ، أو من الثاني أي: برّ من آمن، أو جعل «البرّ» نفس «من آمن» مبالغة.

﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ وهذه أركانُ الإيمان كما جاء في الحديث(١): «أن تؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكُتبِه ورسلِه واليومِ الآخر». فاليهود أخلُّوا بالإيمان بالله تعالى لتجسيمهم وقولهم عُزير ابنُ الله، والنَّصارى

(١) صحيح مسلم ١: ٣٧.

بقولهم المسيح ابن الله، والنَّصارى أنكروا المَعادَ الجسماني واليهود قالوا لن تَمَسَّنا النَّارُ وعادَوْا جبريلَ عليه السلام، والنَّصارى واليهود أنكروا القرآنَ ونبوَّةَ رسولنا محمّدٍ ﷺ.

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ واليهود أبخلُ العالم وأخصُّ[1] بإلقاء الشُّبَه لأخذِ الأموال. ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: على حُبِّ المُؤتِي المالَ وهذا من أعظم المدحِ أنْ تتعلق نفسٌ بشيءٍ فتَبْذُلَهُ[2] طاعةً لله. ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بدأ بالأهمِّ لأنّها صدقةٌ وصِلةٌ، ثم باليتامى إذْ ليس لهم مَنْ يقوم بأَوْدِهِم، وفي الحديث[3]: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنَّةِ»، ثُمَّ بالمساكين لأنَّ الحاجةَ قد تَشْتَدُّ بهم، ثُمَّ بابن السبيل لأنّه منقطعٌ به عن أهله، [٤٢/ب] ثم بالسائلين لأنَّ حاجتهم دونَ حاجةِ مَنْ تقدّم لأنّه عَرَّضَ نفسه للسؤال[4]. ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ وهم الذين يعانون في فَكِّ رقابهم من مُكاتَبٍ وأسير. ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ معطوف على «من آمن» أو على القطع أي: وهم الموفون. والعامل في «إذا»[5] الموفون، أي: لا يتأخّر إيفاؤُهم بالعهدِ عن وقتِ إيقاعه. وقُرِىء: والموفين نصباً على المدح. ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قُرِىء رفعاً ونصباً. والبأساء: الشدّة كالفقر والقتال، والضرَّاء [ما يضرُّ] من زَمانةٍ وغيرها. ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ أي: [وقت] شدّةِ القتال واضطرام الحرب. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الذين جمعوا هذه الأوصافَ. ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في أقوالهم وأحوالهم.

---

(١) ط: وأحرصهم.

(٢) ق: يتعلق.. فيبذله.

(٣) صحيح مسلم ٤: ٢٢٨٧ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٤٥١.

(٤) ق: في السؤال.

(٥) ق: إذ.

كان قوم من العرب أقوياء أعزّاء لا يقتلونَ بالعبدِ منهم إلا سَيِّداً ولا بالمرأةِ إلا رجلاً، وكان في بني إسرائيل القصاص دون الدِّية فأنزل الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ وأصلُ الكتابة الخطُ وكنى به عن الإلزام. و﴿في القتلى﴾ يظهر أنَّها للسبب كهي في «دخلت امرأة النّار في هرَّة[1]» أي: بسبب القتلى وبسبب هِرَّةٍ، والقتلى جمع قتيل. ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾ ظاهرُ هذا التفصيل اعتبارُ المماثلةِ بالحريَّةِ والعبوديةِ والأُنوثة، وظاهرُ عموم ﴿الحر بالحر﴾ أنَّ الوالدَ يُقتلُ إذا قَتَلَ ابنَهُ وهو قول عثمان البتِّي. وقال مالك: إذا أضجعه وذَبَحه[2] قُتِلَ به. وقد أجمعوا على قتل الحرّ بالمرأة والمرأة بالرجل. والظاهرُ من الآية مشروعيةُ القصاصِ في القتل بأيِّ شيء حصل به القتلُ.

﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ الواجبُ من ظاهر الآية إمَّا القصاص وإمّا الدية، ومَنْ عُفيَ له: هو القاتل. والضمير في «له» و«من أخيه» عائد عليه. و«عفي» لا يتعدى لكن ضُمِّنَ ما يتعدى أي: فمن تُرِكَ له شيءٌ من أخيه أي: من دية دم أخيه [أو كنى بأخيه] عن وليِّ الدّم،

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٠٢٣.

(٢) كتبت في الحاشية.

أو أبقى «عفي» على أصل وضعه. و«شيء» عبارة عن المصدر أي: شيء من العفو، والعفوُ لا يتأتى إلا من الولي. والمعنى: فإذا عفا الوليُّ عن شيءٍ يتعلَّقُ بالقاتلِ فليتبع ذلك القاتل بالمعروف ولا يعنِّفه ولا يطالبه إلا مطالبةً جميلة. ﴿وَأَدَآءٌ﴾ من القاتل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الوليِّ ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ أي: لا يمطله ولا يبخسه شيئاً، وإنْ كان المعنى: بأخيه المقتول فالضمير في «إليه» عائدٌ على العافي وهو الوليّ ويدلُّ عليه قوله «فمن عفي» لأنَّهُ يستدعي عافياً. والظاهر أنَّهُ لا يتحتم للوليِّ أنْ يَقْتَصَّ إذا عُفيَ للقاتلِ شيء إذْ يكون التقدير: فالواجب اتباع. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: العفو والديّة ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ حيث يسلم القاتل من أن يُقتل إذْ كان أهلُ التوراة مشروعيةُ القتل عندهم تُحَتّمُ القصاصَ، ومشروعيةُ أهلِ الإنجيل تحتُّمُ العفو. ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد العفو والديّة فقتل من قتله ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إمّا في الدنيا وهو قتله قصاصاً، وإما في الآخرة حيث تَعَدَّى ما حَدَّ له اللهُ.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ﴾ أي: في شرع القصاص حياةٌ، وذلك أنَّه إذا علم أنّه إنْ قَتلَ قُتِلَ كان في ذلك ارتداعٌ عن القتلِ وإمساكٌ، فكان ذلك حياة له ولمن يريد قتله. وكانت العرب إذا قتل رجل رجلاً من قبيلة، راموا أنْ يَقْتَصُّوا منه فيقتتلون فَيُفْضِي ذلك إلى فناءِ عددٍ كثيرٍ من الفريقين، فلمّا شُرِعَ القَصاصُ رَضُوا به وسلَّموا القاتلَ للقَوَد أو صالحوا على الدِّية وتركوا القتالَ فكان لهم في ذلك حياة، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل. ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ هم الذين ينتفعون بمشروعية[1] القَصاص وما فيها من المصلحةِ العامة. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القصاص فتكفُّونَ[2] عن القتلِ.

---

(١) ق: بمشرعية.

(٢) ق: فتلفون.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

ولما ذكرَ القصاصَ أتبعَ ذلك بالتنبيه [٤٣/أ] على الوصية لتنبيه كُلِّ أحدٍ على مفاجأةِ الموتِ فيوصي لئلا يموتَ على غيرِ وصيةٍ وهو تعالى قد كتبها على المؤمنين. والخطاب في ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ للمؤمنين[1]، مقيّداً بالإمكانِ على تقدير التجوُّزِ في حضورِ الموت. ولو جرى الكلامُ على خطابهم لكان التركيب: إذا حَضَرَكُم الموتُ، لكن رُوعيَ العمومُ من حيث المعنى إذِ المعنى: كتب على كلِّ واحدٍ منكم، ثم أظهر ذلك المضمر إذ كان يكون: إذا حضره[2] الموتُ، فقيل: إذا حضر أحدَكم الموتُ. ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ أي: مالاً والظاهرُ مُطْلَقُ المالِ وأنّ الوصية تكونُ واجبةً ويجمع للوارث بين الوصية والميراث بحكم الاثنين[3]، وقال به قومٌ. وعن ابن عباس وغيره أنّه تَقَرَّرَ الحكمُ بهذا برهة ثم نُسخَ منها كلّ مَنْ يرث بآيةِ الفرائض. وجواب كلٍّ من الشرطين «إذا» و«إن» محذوفٌ تقديره: فليوصِ ودَلَّ عليه سياقُ المعنى، والمقدر للأول.

﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ أي: بالذي حَدَّهُ الشارعُ من كونهُ لا يزيدُ على الثُّلُثِ ولا يوصى لغنيٍّ دونَ فقيرٍ. وقال ابنُ عطية[4]: ويتّجه في إعراب هذه الآية أنْ

(١) ق: للموصين.

(٢) ق: حضر.

(٣) ق: الآيتين.

(٤) المحرر الوجيز ١: ٥٠١.

يكون «كتب» هو العامل في «إذا»[1] والمعنى: توجّه إيجاب الله عليكم ومقتضى كتابه إذا حضر، فعبَّر عن توجُّه الإيجاب بـ«كتب» لينتظم إلى هذا المعنى أنّه مكتوب في الأزل. و«الوصية» مفعول ما لم يسمَّ فاعله بـ«كتب»، وجواب الشرطين «إذا» و«إن» مقدَّرٌ يدلُّ عليه ما تقدم من قوله «كتب عليكم» كما تقول: شكرتُ فِعْلكَ إنْ جئتني إذا كان كذا انتهى كلامه.

وفيه تناقضٌ لأنّه قال: العامل في إذا: كتب، وإذا كان العامل فيها «كتب» تَمحَّضَتْ للظرفية ولم تكن شرطاً. ثم قال: وجوابُ الشرطين إذا وإنْ مقدَّرٌ يدلُّ عليه ما تقدّم إلى آخر كلامه. وإذا كانت «إذا» شرطاً فالعاملُ فيها إمّا الجواب وإمّا الفعل بعدها على الخلافِ الذي في العاملِ فيها، ولا يجوزُ أنْ يكون العاملُ فيها ما قبلَها إلا على مذهبِ مَنْ يُجيزُ تقديمَ جوابِ الشرط عليه، ويفرع على أنّ الجواب هو العامل في إذا، ولا يجوز [أنْ يكون العامل فيها ما قبلها، ولا يجوز] تأويل ابنُ عطية على هذا المذهب لأنّه قال: وجواب الشرطين إذا وإن مقدَّرٌ يدلُّ عليه ما تقدّم. وما كان مُقَدَّراً يدلُّ عليه ما تقدّم يستحيل أنْ يكونَ هو الملفوظ به المتقدم، [وهذا الإعراب] هو على ما يقتضيه الظاهر من أنَّ «الوصية» مفعول لم يُسَمَّ فاعله مرفوع «بكتب».

وأجاز بعضُ المعربين أن ترفع «الوصية» على الابتداء على تقدير الفاء، والخبر إمّا محذوفٌ أي: فعليه الوصيةُ، وإما منطوقٌ به وهو قوله ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي: فالوصيةُ للوالدين، فتكون هذه الجملة الابتدائية جواباً لما تقدّم والمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله «بكتب» مضمراً أي: الإيصاء يُفَسِّرُه ما

(١) ق: إذ.

بعده. قال ابنُ عطية[١] في هذا الوجه: ويكون هذا الإيصاءُ المقدّر الذي يدلُّ عليه ذِكْرُ الوصية بعد، هو العامل في «إذا» وترتفع «الوصية» بالابتداء وفيه جواب الشرطين على نحو ما أنشد سيبويه[٢]:

مَنْ يفعل الصالحات الله يحفظه

ويكونُ رفعها بالابتداء بتقدير: فعليه الوصيةُ، أو بتقدير الفاء فقط كأنّه قال: فالوصيةُ للوالدين انتهى كلامُه.

وفيه أنّ «إذا» معمولة للإيصاء المقدّر ثُمَّ قال إنّ «الوصية» فيه جواب الشرطين. وقد تقدم ما يناقض ذلك، لأنّ «إذا» من حيث [إنّها] معمولةٌ للإيصاء لا تكونُ شرطاً، ومن حيث إنّ «الوصية» فيه جواب «إذا» تكون شرطاً فتناقضا لأنَّ الشيءَ الواحدَ لا يكونُ شرطاً وغيرَ[٣] شرطٍ في حالةٍ واحدة. ولا يجوز أنْ يكون الإيصاءُ المقدّر عاملاً في «إذا» أيضاً لأنّك إما أن تُقَدِّرَ هذا العاملَ في «إذا» لفظة الإيصاء فحذف، أو ضمير الإيصاء لا جائز أن تقدّره لفظة الإيصاء وحذف، لأنّ المفعول الذي لم يُسمّ فاعله لا يجوز حذفه. وابنُ عطية قَدَّر لفظ الإيصاء ولا جائز أن تقدره ضمير الإيصاء لأنَّهُ لو صرّح [٤٣/ب] بضمير المصدر لم يَجُزْ له أنْ يعمل لأنّ المصدرَ من شرطِ عمله عند البصريين أنْ يكون مُظهراً، وإذا كان لا يجوز إعمالُ لفظِ مُضْمَرِ المصدرِ فمنويّه أحرى أنْ لا يعمل. وأمّا قوله: وفيه جوابُ الشرطين فليس بصحيحٍ، فإنّا قد قررنا أنَّ كلَّ شرطٍ يقتضي جواباً على حدته والشيءُ الواحدُ

---

(١) المحرر الوجيز ١: ٥٠١.

(٢) انظر تعليق المصنف عليه وحاشيتنا على كلامه في الهوامش التالية، وانظر أيضا البحر ٢: ٢٠.

(٣) ق: غير.

لا يكونُ جواباً لشرطين. وأما قوله: على نحو ما أنشد سيبويه:

من يفعل الصالحات اللهُ يحفظه

فهو تحريفٌ على سيبويهِ وإنّما أنشده سيبويه في كتابه: [من البسيط]

مَنْ يفعل الحسناتِ الله يشكرها[1] والشرُّ بالشرِّ عند الله مثلان

وأما قوله: فعليه الوصيةُ أو بتقدير الفاء فقط كأنّه قال: فالوصيةُ للوالدين، فكلامُ مَنْ لم يتصفَّح كلام[2] سيبويه، فإنَّ سيبويه نَصَّ على أنَّ مثل هذا لا يكون إلاّ في ضرورة الشعرِ فينبغي أن يُنَزَّه كتابُ الله عنه.

قال سيبويه[3] وسألته - يعني الخليل - عن قوله: إنْ تأتني أنا كريم، قال: لا يكونُ هذا إلاّ أنْ يضطرَّ الشاعرُ من قِبَلِ أنّ [أنا] كريم يكون كلاماً مبتدأ، والفاء وإذا[4] لا يكونان إلا مُعَلَّقين بما قَبْلَهما فكرهوا أنْ يكون هذا جواباً حيث لم يشبه الفاء وقاله الشاعر مضطراً وأنشد البيت السابق: من يفعل الحسنات. وذُكِرَ عن الأخفشِ أنَّ ذلك على إضمارِ الفاء، وهو محجوجٌ بنقل سيبويه أنَّ ذلك لا يكون إلاّ في الاضطرار.

وأجاز بعضُهُم أنْ يقام مقامَ المفعولِ الذي لم يُسَمَّ فاعلُه الجار والمجرور الذي هو «عليكم» وهو قولٌ لا بأس به على ما نقرّره[5] فنقول: لما أخبر أنَّه كتب على أحدهم إذا حضره الموتُ إنْ ترك خيراً، يتشوّفُ السامع لذكرِ

---

(١) ق: يشكره. والبيت في الكتاب ٣: ٦٥، وهو منسوب فيه لحسّان وليس في ديوانه.

(٢) ق: فكلام.

(٣) الكتاب ٣: ٦٤.

(٤) ق: فإذا.

(٥) ق: تقرره.

المكتوبِ ما هو فتكون «الوصية» مبتدأ أو خبراً لمبتدأ على هذا التقرير، وتكون[١] جواباً لسؤال مُقَدَّر كأنَّه قيل: ما المكتوبُ على أحدنا إذا حضره الموتُ وترك خيراً؟ فقيل: الوصيةُ للوالدين والأقربين هي المكتوبة، أو المكتوب الوصية للوالدين والأقربين. ونظيره: ضرب بسوط يوم الجمعة زيد المضروب أو[٢] المضروب زيد، فيكون هذا جواباً لسؤالٍ مُقَدَّرٍ كأنَّه قيل: مَنِ المضروبُ؟. وهذا الوجهُ أحسن وأقلُّ تكلُّفاً من الوجه الذي قبله وهو أنْ يكون المفعولُ الذي لم يُسَمَّ فاعلُه الإيصاء أو ضمير الإيصاء، ويجوز أنْ يكونَ على حذفِ مضافٍ تقديرُه: كُتِبَ على أحدكم، ثُمَّ أبرزه في قوله «إذا حضر أحدكم الموت» دلالةً على المحذوفِ والمعنى: كُتبَ على أحدكم إذا حضره الموتُ، فتكون الوصيةُ مكتوبةً على ذلك الأحد لا على الذين آمنوا، ويجوز أن يكون ثَمَّ معطوفٌ محذوف تقديرُه: إذا حضر أحدَكُم الموتُ وترك خيراً ووصى، وتكون «الوصية» معمولة «الكتب» على حذفِ مضافٍ تقديره: كُتِبَ عليكم إنفاذُ الوصية. ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فيه وفي «كتب» دلالةٌ على الوجوبِ، وانتصاب «حقاً» على أنّه مصدرٌ مؤكّد لمضمونِ الجملة، قاله الزَّمخشريُّ وابنُ عطية[٣]. وكون [«على»] متعلقاً به أو في موضع الصفة يُخْرجه عن التوكيد. والأَوْلى عندي أن يكون مصدراً على غير الصدر لأن معنى كتب: وجبَ وحقَّ.

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ أي: الإيصاء. ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ كنَّى بالسماعِ عن العلمِ لأنَّه

---

(١) ق: ويكون.

(٢) ق: إذ.

(٣) انظر الكشاف ١: ٣٣٤، والمحرر الوجيز ١: ٥٠٤.

طريقٌ لحصولِه وتبديلِه في تغييرِ بعضِ ألفاظه[١] ووضعِه غير مواضعه وقسمته ووصوله إلى مستحقِّه. ﴿فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ﴾ أي: إثمُ تبديلِه. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ أقام الظاهرَ مقامَ المُضْمَرِ وأتى بالجمعِ على معنى مَن لا على اللفظ. ودلّ بقوله «على الذين يبدلونه» على العلّيةِ الحاصلةِ بالتبديل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٞ﴾ بفعل الموصي[٢]، وفيه تهديدٌ ووعيد.

﴿فَمَنۡ خَافَ﴾ أي: خَشيَ. ﴿مِن مُّوصٖ جَنَفًا﴾ أي: قطعاً لميراث [٤٤/أ] مَنْ يَرِثُه وإنْ لم يتعمَّدْ ذلك ﴿أَوۡ إِثۡمٗا﴾ إذا تعمَّدَ ذلك. ﴿فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: بينه وبين وارثه بردِّه عن ذلك، أو بين الورثةِ والموصى لهم. ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ أي: على الساعي في الإصلاح. ولما كان الإصلاحُ يحتاج إلى الإكثارِ من القولِ وقد يتخلَّله بعضُ ما[٣] لا ينبغي من قولٍ أو فعلٍ بيَّنَ أنَّ ذلك لا إثمَ فيه إذا كان لقصدِ الإصلاح. ودلَّت الآيةُ على جوازِ الصُّلْحِ بين المتنازعين إذا كان مَنْ يريد الصلح عالماً لإفضاء تلك المنازعةِ إلى أمرٍ محذورٍ في الشرع. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾[٤] للموصي إذا وافقَ على الإصلاحِ ﴿رَّحِيمٞ﴾ به أو بين الورثة والموصى له.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾.

---

(١) عبارة ق: وتغييره في تبديله بعض ألفاظه.

(٢) ط: الوصي.

(٣) ق: بعض من.

(٤) ق: غفور رحيم.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ إنْ كان قد سبقَ التعبُّدُ به فألْ للعهد وإلاّ فللجنس. ﴿كَمَا﴾ أي: كَتْباً كما، فهو نعتٌ لمصدرٍ محذوف، أو في موضع الحال على مذهب سيبويه. والتشبيه في مطلق الكَتْب وإنْ كان المتعلّق مختلفاً بالعدد أو بغيره[١]. و«ما» مصدرية. ﴿عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ هم الأنبياء وأممهم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ظاهرُه التعلق «بكتب»، والمعنى أنّ فيه رَدْعَ النَّفس عن الشهوات فتحصل التقوى.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي: صوموا أياماً يحصرها العَدُّ أي: هي قلائل. وانتصاب «أياماً» «بالصيام» كما قال الزَّمخشريُّ[٢] وتمثيله إياه بنويتُ الخروجَ يوم الجمعة خطأٌ واضح، لأنَّ معمول المصدر من صلته وقد فصل بينهما بأجنبيٍّ وهو قوله «كما كتب». فـ«كما كتب» ليس بمعمولٍ للمصدر وإنَّما هو معمولٌ لغيرِه على أي تقديرٍ قدَّرته من كونِه نعتاً لمصدرٍ محذوفٍ أو في موضعِ الحال. ولو فرعت على أنّه صفةٌ للصيام على تقدير أنَّ تعريفَ الصيام تعريف جنس فيوصف بالنكرة لم يَجُزْ أيضاً، لأنَّ المصدرَ إذا وُصِفَ قبل ذِكْرِ مَعْمولِه لم يجز إعمالُه، فإن قدّرت الكاف نعتاً لمصدر من الصيام كما قد قال به بعضُهم وضَعَّفناه قبلُ فيكون التقدير: صوماً كما كتب - جاز أنْ يعمل في «أياماً» «الصيام» لأنَّهُ إذْ ذاك العامل في «صوماً» هو المصدر فلا يقع الفصلُ بينهما بما ليس بمعمولٍ[٣] للمصدر. وأجازوا أيضاً انتصاب «أياماً» على الظرف والعامل فيه «كتب» وأن يكون مفعولاً على السَّعة ثانياً والعامل

---

(١) ق: بغير.

(٢) انظر الكشاف ١ : ٣٣٥.

(٣) ق: معمول.

فيه «كتب» وإلى هذا ذهب الفَرَّاء والجعفي[١].

وكلا القولين خطأ. أما النَّصب على الظرف بأنَّهُ[٢] محل للفعل والكتابة ليست واقعة في الأيام لكن متعلّقها هو الواقع في الأيام - فلو قال الإنسانُ لولده وكان ولد في يوم الجمعة: سَرَّني ولادتكَ يوم الجمعة، لم يمكن أن يكون يوم الجمعة معمولاً لسرَّني، لأنَّ السرور يستحيل أنْ يكون يوم الجمعة إذْ ليس بمحلٍّ للسرور[٣] الذي أسنده إلى نفسه. وأمّا النَّصب على المفعولِ اتساعاً فإنَّ ذلك مَبْنيٌّ على جوازِ وقوعِه ظرفاً لكتب، وقد بيّنا أنْ ذلك خطأ.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ ظاهرُه مُطْلَقُ المرضِ بحيث يصدقُ عليه الاسمُ، وبه قال ابن سيرين وعطاء والبخاريُّ. ولمعظم الفقهاء تقييداتٌ مضطربة لا يدلُّ عليها كتابٌ ولا سُنَّة.

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ظاهرُه اعتبارُ مطلق السفر زماناً وقصداً، ولا يكونُ إلا بعد الخروج للسفر لا لمؤمّل السفر.

﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ الجمهورُ على أنْ في الكلام محذوفاً تقديرُه: فأفطرَ فَعِدَّةٌ أي: فالواجبُ عدّة. والظاهر أنْ لا حذفَ وأن فرض المريض والمسافر هو العدّة وأنّه لو صام لم يجزئه فيجب القضاء، ورُوي ذلك عن قومٍ من الصحابة وعن طائفةٍ من أهلِ الظاهر. وقُرِىء: فعدة بالرفع أي: فالواجبُ عدة، وبالنصب أي فليصم عدّة. والعدّة بمعنى المعدود، ومعلوم[٤] أنّها عدة

(١) ط: والحوفي.

(٢) عبارة ق: أما الظرف على الظرف فإنه.

(٣) ق: السرور.

(٤) ق: ومعنى أنها.

الأيام التي فاتته. و﴿أُخَرَ﴾ صفة «الأيام» وهي جمع أُخرى [مقابلة آخرَ]، وآخرَ مقابل آخَرين لا جمع أخرى مقابلة [٤٤/ب] الآخِر المقابل للأول.

وظاهرُ الآية يقتضي عددَ ما فاتَهُ، فلو فاته الشهرُ وكان تاماً أو ناقصاً قضاه كما فاته، وإنَّه لا يتعيَّنُ التتابع، وإنَّهُ لو أخرَ حتَّى دخل رمضان آخر لا يجبُ عليه إلا قضاء ما فاته. وقُرِىء: يطيقونه مضارع أطاق، ويَطُوقونه مضارع أطوق وهذا شاذٌّ كأغيلت[1] وأطولت، ويُطوَّقونه مضارع [طوّق] مبنياً للمفعول، ويطوِّقونه مضارع طوّق[2]. وقُرِىء: يطيّقونه مضارع تطيّق على وزن تَفَيْعَلَ[3] من الطوق كقولهم: تديّر، اجتمعت ياء وواو، وسُبقت إحداهما بالسكون فأُبدلت الواوُ ياءً وأُدغمت فيها الياء فقيل: تطيّق. ومعانيها كُلُها راجعةٌ إلى معنى الاستطاعةِ والقُدْرةِ. وعلى قراءة تشديد الواو والياء يكون بمعنى التكليف أي يتكلَّفُونَه أو يكلفونه.

والضميرُ في «يطيقونه» عائدٌ على الصوم فقيل: كان الصومُ مخيّراً فيه للمقيم والحاضر[4]، ثم نُسخ بقوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة]. وقُرِىء: فدية منوناً، طعامٌ مرفوعاً بدلاً من «فدية». «مسكين» [مفرداً وجمعاً، وقُرِىء بالإضافة والجمع. وتبيّن بقراءة الإفراد أنَّ الحكم لكلِّ يومٍ يُفْطِرُ فيه طعام مسكين] ولا يُفهم ذلك من الجمع. وثَمَّ محذوفٌ تقديره: يطيقون الصومَ ويفطرون.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ في الطعام للمسكين، أو في عدد مَنْ يلزمه إطعامه.

---

(١) ق: كما عللت. والتصويب من ط.

(٢) ق: أطوق.

(٣) ق: يفيعل.

(٤) ق: الحاضر.

و«من» في قراءة من جعله ماضياً تحتملُ الموصوليةَ[١] والشرطيةَ. وفي قراءة: يَطَّوعْ[٢] مضارعاً مجزوماً شرطية. وانتصب «خيراً» على إسقاط الحرف أي: بخير، أو صفةً لمصدرٍ محذوفٍ أي: تطوعاً خيراً، فهو عائدٌ على المصدر المفهوم من «تطوّع» أي: فالتطوّعُ. ﴿وَأَن تَصُومُوا﴾ أي: أيُّها المطيقون ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفِطرِ والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كنتم من أهل العلم والتمييز.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

الشهر: مصدر شهرَ الشيءَ أظهره، وبه سُمِّيَ الشهر وهو المُدَّةُ الزمانيةُ التي يكون مبتدأُ الهلالِ فيها إلى أنْ يستنير ثُمَّ يطلع خافياً. و﴿رَمَضَانَ﴾ عَلَمٌ ممنوعٌ من الصَّرْفِ ويُجمع بالألف والتاء وعلى أرمضة، وعلقه هذا الاسم من مدّة كان فيها في الرَّمَضِ وهو شِدَّةُ الحَرِّ. وقُرِىء: شهر بالرفع [مبتدأ] خبره الموصول، ويكون ذِكْرُ هذه الجملةِ تقدمةً لفرضيةِ صومِه بذكرِ فضيلته[٣]. والتنبيه على [أنَّ] هذا الشهرَ هو الذي أُنزلَ فيه القرآنُ هو الذي يفرض عليكم صومه. هذا إنْ كان قوله «أياماً معدودات» لا يُرادُ بها أيام رمضان، وإنْ

---

(١) ق: الموصولة.

(٢) ق: تطوع.

(٣) عبارة ق: تقدمت.. لذكر فضيلته.

أريدتْ بها فكان رفعُه على تقديرِ مبتدأ أي: تلك الأيام شهر رمضان. وقرئ: شهر بالنصب أي: صوموا. وجَوَّزَ الزَّمخشريُّ[١] أنْ يكون مفعولاً لقوله «وأن تصوموا». وهذا لا يجوزُ لأنَّ تصوموا صلة «لأن»[٢]، وقد فصلت بين معمول الصلة وبينها بالخبر الذي هو خبر لـ«أن تصوموا»[٣]. لو قلت: أن تَضْرِبَ زيداً شديد، ضَرْبُ زيدٍ شديدٌ جاز. ولو قلت: أن تضرب شديد زيداً لم يجز. وأدغمت فرقةٌ: شهْر رَمضان، وقال ابنُ عطية[٤]: لا تقتضيه الأصولُ. وعلَّل ذلك، ويعني بالأصولِ أصولَ البصريين. ولم تقصر لغة العرب على ما نقله أكثرُ البصريين ولا على ما اختاروه، بل إذا صَحَّ النقلُ وجبَ المصيرُ إليه. والضميرُ في «فيه» للقرآن أي: بُدِىءَ بإنزالِه فيه وذلك في الرابع والعشرين منه. وقُرِىء: القُرآن بنقل حركة الهمزة إلى الراء وحذفها معرَّفاً ومنكَّراً. و«هدى» حال لازمة. وأل في «الهدى والفرقان» للعموم فيكون «هدى» و«بيّنات» بعضاً منهما.

وقال ابنُ عطية[٥]: اللام في «الهدى» للعهد والمراد الأول [وهو هدى] انتهى كلامه. يعني أنَّهُ أتى به منكَّراً أولاً[٦] ثمّ أنزله معرَّفاً ثانياً يدلُّ على أنه الأول كقوله تعالى ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المزمل] فمعلومٌ أنّ الرسولَ الذي عصاه فرعونُ هو [٤٥/أ] الرسولُ الذي أُرسلَ إليه، ومن ذلك قولهم: لقيتُ رجلاً فضربتُ الرجلَ، فالمضروبُ هو

(١) انظر الكشاف ١: ٣٣٦.

(٢) ق: لأل.

(٣) بعدها في ق: من صلة لأل وقد فصلت بين الصلة.

(٤) المحرر الوجيز ١: ٥١٥.

(٥) المحرر الوجيز ١: ٥١٦.

(٦) ق: أول.

الملقيّ. ويعتبر ذلك بجعل ضمير النكرة مكان هذا الثاني فيصحُّ المعنى، لأنَّهُ لو أتى بـ: عصاه[١] فرعون أو: لقيت رجلاً فضربته لكان كلاماً صحيحاً.

ولا يتأتى هذا الذي قاله ابنُ عطية [هنا] لأنّه ذكر هو والمعربون أنَّ «هدى» منصوبٌ على الحال، والحال وصف في ذي الحال، وعطف عليه «وبيّنات» ولا يخلو قوله «من الهدى» المراد به الهُدَى الأول من أن يكونَ صفةً لقولِه «هدى» أو لقوله «وبيّنات» أو لهما أو متعلقاً بلفظة[٢] «بيّنات» لا جائز أنْ يكونَ صفة «لهدى» لأنَّهُ من حيث هو وصف[٣] لزم أنْ يكون بعضاً، ومن حيثُ هو الأول لزم أن يكون هو إيَّاهُ. والشيءُ الواحدُ لا يكونُ بعضاً وكلاً لماهِيَّتِه، ولا جائز أنْ يكونَ صفة «لبيّنات» فقط لأنّ «بينات» معطوفٌ على «هدى» و«هدى» حال، فالمعطوفُ على الحالِ حالٌ، والحال وصف[٤] في ذي الحال. فمن حيث كونهما حالين [وصف] بهما ذو الحال إذ هما وصفان[٥]، ومن حيث وصفت «بيّنات» بقوله «من الهدى» خصّصتهما به فتوقف تخصيص القرآن على قوله «هدى وبيّنات» معاً. ومن حيثُ جعلتَ من «الهدى» صفةً «لبيّنات» تَوقَّف تخصيصُ «بيّنات» على «هدى» ولزم من ذلك تخصيص الشيء بنفسه وهو محال. ولا جائز أنْ يكون صفةً لهما لأنه يَفْسد[٦] من الوجهين المذكورين في كونه وصفاً «لهدى» فقط أو «لبيّنات»

(١) ق: بعصاة.

(٢) مشوشة في ق رسمها: بافطر.

(٣) ق: وصفه.

(٤) ق: والحال إن وصف.

(٥) عبارة ق: فمن حيث كونهما حالين لهما ذو الحال إذ هما وصفا.

(٦) ق: تقييد.

فقط. ولا جائز أنْ يتعلقَ بلفظة[١] «وبيّنات» لأنَّ المتعلق تقييدٌ للمتعلقِ به فهو كالوصفِ فيمتنعُ من حيثُ يمتنعُ الوصفُ. وأيضاً فلو جعلت هنا مكان الهدى ضميراً فقلت: وبيّنات منه أي: من ذلك الهدى لم يصحّ، فلذلك اخترنا أن يكون «الهدى والفرقان» عامَّين حتى يكون «هدى وبيّنات» بعضاً منهما[٢].

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ أي: مَنْ كان حاضراً مقيماً بصفة التكليف. وانتصب «الشهر» على الظرف، ومفعول «شهد» محذوفٌ أي: المِصْر أو البلد، و«منكم» في موضع الحال أي: كائناً منكم. وقال أبو البقاء: «منكم» حال من الفاعل وهي متعلّقة بـ«شهد». وقوله متناقض. وقُرىء بكسر لام «فليصمه» وبسكونها، وقول ابن مالك إنَّ فتحها لغةٌ، وعزاها ابنُه إلى سُليم وقال: حكاه الفرَّاء، وقَيَّده[٣] ابنُ عذرة بفتح حرف المضارعة بعدها، وإنْ ضُمَّتْ أو كسرت نحو ليكرم[٤] ولينبذن فالكسر.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ أي: يطلب، عَبَّر بالإرادة عن الطلب. وأراد: يتعدى بالباء وبنفسه للأجرام وللمصادر. و«اليسر» عام فيندرجُ فيه ما تَضَمَّنَتْهُ هذه الآياتُ من التيسير. وقرىء بإسكان السينين[٥] وبضمهما. ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ وقرىء بالتخفيف والتشديد. «ولتكملوا»[٦] خطابٌ لمن أفطر في

---

(١) ق: لفظة.

(٢) ق: منها.

(٣) ق: قيّده.

(٤) ق: ليلزم.

(٥) يريد سين «اليسر والعسر».

(٦) ق في الموضعين: وليكملوا.

مرض أو سفر. «العدّة» أي: عدّة الأيام التي أفطرَ فيها بأنْ يصومَ مثلها. واللام لام كي متعلق بمحذوف متأخر تقديره: سَاوَى في الثواب بين صومها في رمضان وبين قضائِها في غيره. ﴿وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ﴾ أي: تعظموه وتُثْنُوا[١] عليه. ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: هدايتكم، طلبَ منكم التيسيرَ في التكاليف. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ شرع ذلك للترخيص والتيسير.

رُوي أنَّ قوماً قالوا لرسولِ الله ﷺ: أقريبٌ ربُّنا فنناجيه أم بعيدٌ فنناديه؟ فنزل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ والخطابُ له صلى الله عليه وسلم. وجواب إذا ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ على إضمار: فقل: إنّي قريبٌ. والقُرْبُ هنا عبارةٌ عن سماعهِ لدعائِهم. ﴿أُجِيبُ﴾ راعى ضمير التكلّم في «إنّي» وهو أكثرُ في كلامِ العربِ من مراعاةِ الخبر، تقول: أنا رجل آمرٌ بالمعروفِ، ويجوز: يأمر بالياء على [٤٥/ب] مراعاة الغيبة. ﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ أي: دعاءه. والهاء في «دعوة» هنا ليست دالّة على الوحدة بل مصدر بُنِيَ على فَعلة كرحمة. والظاهرُ عمومُ الداعي، وقد ثبتَ بصريحِ العقلِ وصحيح النقل أنَّ بعض الداعين لا يُجيبه اللهُ تعالى إلى ما سأل، فهو مقيد بمن شاء اللهُ أنْ يُجيبَهُ. ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى﴾ أي: فليجيبوني إذا دعوتهم إلى الإيمان. «واستجاب» أكثر تعدية باللام، واستفعل بمعنى أفعل كاستنار وأنار. ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِى﴾ أي: ليدوموا على الإيمان. وقُرىء: يرشدون بضم الشين وفتحها وكسرها، ومبنياً للمفعول.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ

---

(١) ق: وليكبروا.. يعظموه ويثنوا.

﴿فَالْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِي الْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَـٰتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

لما نزل صومُ رمضان كانوا لا يقربونَ النّساء رمضانَ كُلَّه، وكان رجالٌ يخونون أنفسهم فنزلت. وقُرِىء: أُحِلَّ وأَحَلَّ [لكم] ليلة الصيام. ولا يُراد بـ«ليلة» الواحدة بل الجنس، والنّاصب لليلة «الرَّفث» مقدّر لا الرَّفثُ المذكور لأنّه مصدر. وأُضيفت اللّيلةُ إلى الصّيام وذلك بأدنى ملابسة إذ الصّيام يُنْوى باللّيل. و﴿الرَّفَثُ﴾ كناية عن الجماع، وعُدِّيَ بإلى لتضمُّنه معنى الإفضاء وهي من الكنايات الحسنة كقوله ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف] وكقوله ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة]. والنّساء جمع نِسْوة فهو جمع جمع، أو جمع امرأة على غير اللّفظ. ولما كان يشتملُ كُلٌّ من الزوجين على صاحبه في العناق كَنَّى عن ذلك بقوله ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ وقَدَّمَ «هن لباس لكم» لظهورِ احتياجِ الرجل وقلّة صبرِه عنها فإنّه البادىءُ بالطَّلَبِ، وهي استعارةٌ بديعة. وأفرد اللّباس لأنّه كالمصدر.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ افتعل بمعنى فعل كاقتدر وقدر، وعَبَّرَ به عمّا وقعوا فيه من المعصيةِ بالجماعِ وبالأكلِ بعد النوم أي تنقصون[1] أنفسكم من الخير. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: قبل توبتكم وخَفَّفَ عنكم بالرخصة[2]. ﴿فَالْـَٔـٰنَ﴾ أي: ليلة الصيام ﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ أمرُ إباحةٍ عن الجماعِ مشتقٌ من تلاصقِ البشرتين. ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: ما أباحه بعد الحظر، وهي

---

(١) غير ظاهرة في ق.

(٢) ق: الرخصة.

جملةٌ يؤكّد بها ما قبلها.

و«الخيط» الظاهرُ أنّه الخيطُ المعهود، وكان جماعةٌ من الصحابة يأكلون ويشربون إلى أنْ يتبيَّنَ البياضُ والسّوادُ في الخيط إلى أنْ نزل قوله تعالى «من الفجر» فعلموا أنّه عنى بذلك اللَّيل والنَّهار. وليس هذا من بابِ تأخيرِ البيان إلى وقتِ الحاجة بل هو من باب النَّسخ، ألَا تَرى أنَّ الصحابةَ عملت بظاهر ما دلَّ عليه ظاهرُ اللّفظين الخيط الأبيض والخيط الأسود وصارا مجازين؛ شبّه بالخيط الأبيض ما يبدو من الفجرِ المعترض بالأفق، وبالأسود[1] ما يَمْتَدُّ معه من غَبَشِ الليل. و«مِن» الأولى لابتداءِ الغايةِ ومتعلق بـ«يتبيّن»، و«من» الثانية للتبعيض لأنَّ الخيطَ الأبيضَ بعض الفجر وأوله ويتعلق أيضا بـ«يتبيّن»، وجاز تعلُّقهما بفعلٍ واحد لما اختلفَ معناهما.

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أمرٌ بالإتمامِ لا بالصَّوم لأنَّه تَقَدَّمَ وُجُوبُه، ولو ظَنَّها غربتْ فأفطرَ ثم طلعت لزمه القضاءُ عند الجمهورِ لأنّه لم يتم الصيامَ إلى اللّيل.

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ[2] وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ وهذا النهيُ نهيُ تحريمٍ ويبطلُ الاعتكافُ بالجماع، والمباشرةُ كنايةٌ عن الجماعِ، والعكوفُ الإقامةُ، [عكفَ] بالمكان[3]: أقامَ به، وهو في الشرع عكوفٌ مخصوصٌ بُيِّنَ في كتب الفقه. وظاهرُ قوله «في المساجد» جواز الاعتكافِ في كُلِّ مسجد فلا يختصُّ بأحدِ المساجدِ الثلاثةِ، ولا بالمسجدِ الذي يجمع فيه، ولا بالمسجدِ

---

(١) ق: والأسود.

(٢) ق: تباشرون.

(٣) غير ظاهرة في ق، والتصويب من ط.

الحرام ومسجدِ الرسول ﷺ خلافاً لقائلي ذلك، وأنَّ المسجدَ ليس شرطاً لِصِحَّةِ الاعتكافِ، فذكر المساجد(١) إنَّما هو لأنَّ الاعتكافَ لا يكونُ غالباً إلا فيها. ودلَّت الآيةُ على جوازِ الاعتكافِ للرجالِ وأمَّا النِّساء فمسكوتٌ عنهنَّ. وقُرِىء: [٤٦/أ] في المسجد على الإفراد والمراد به الجنس. وحَدُّ الشي: مُنتهاهُ ومُنقَطَعُه وحدودُ الله تعالى مقدَّراته بتقادير مخصوصة وصفات مخصوصة. ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ نَهى عن القربانِ وهو أبلغُ من الالتباسِ بها.
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: مثلَ ذلك البيان السابق(٢) في ذِكرِ الصوم وما يتعلقُ به، يبيّن آياتِه الدالَّة على بقيةِ مشروعاتِه ﴿لِلنَّاسِ﴾ عام، ولا يلزمُ من تبيينها تَبَيُّن النَّاس لها. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ حيث ذكر التقوى فإنّما يكون عقيبَ ما فيه مَشقَّةٌ.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

اختصم رجلان إلى رسولِ الله ﷺ في أرضٍ فحكَّم الطالبُ المطلوبَ في أرضه ولم يخاصمه فنزل ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾ أي: في معاملاتكم وأماناتكم. ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: بالجهة التي ليست مشروعة. و﴿بَيْنَكُم﴾ تقبيحٌ بليغ لما كانوا يتعاطونه من المنكر في ذلك واطلاع بعضِهم على بعضٍ.
﴿وَتُدْلُوا۟﴾ مجزوم داخل في النّهي. ﴿بِهَآ﴾ أي: بالأموال، نهى عن الأكل والأدلاء. وتجويز الأخفش واتبعه الزَّمخشريُّ(٣) أنْ يكون منصوباً على جوازِ النهي لا يصحُّ، لأنَّها مسألة: لا تأكل السمك وتشرب اللبن. ولا يصحُّ هذا

(١) ق: المسجد.

(٢) عبارة ق: البيان السابق البيان السّا.

(٣) انظر الكشاف ١: ٣٤٠.

المعنى على تخريجهما لأنّه يكون نهياً عن الجمع بينهما، ولا يسلتزم النّهي عن [كُلّ واحدٍ منهما على انفراده. والنّهيُ عن كُلّ واحد منهما يستلزمُ النّهي عن] الجمع بينهما [لأنَّ في الجمع بينهما] حصول واحد منهما، وكُلُّ واحد منهما منهيٌّ عنه ضرورة، ألَا ترى أنَّ أكلَ المالِ بالباطلِ حرامٌ سواء أُفردَ أم جُمعَ مع غيرِه من المُحرَّمات.

وأيضا قوله ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ علة لما قبلها، فلو كان النهيُ عن الجمع لم تصحَّ[١] العلَّةُ لأنَّه مركَّبٌ من شيئين لا تصحُّ العلَّةُ أنْ تترتَّبَ على وجودهما بل إنَّما تترتَّب[٢] على وجودِ أحدهما وهو الإدلاءُ بالأموالِ إلى الحكام. والإدلاءُ هو الرشوةُ ليقضي[٣] للمدلي مقصودَهُ، مأخوذة من الرشاء. ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الباء للسبب أو في موضع الحال أي: متلبسين[٤] بالإثم. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إثمكم في أخذِ ما لا تستحقون ومع[٥] ذلك تقدمون عليه، وفي ذلك تقبيحٌ بليغ لفعلهم.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾.

«الأهلة» جمع هلال، وأفعلة مقيس في فِعال المضعّف نحو عنان

(١) ق: يصح.

(٢) ق: ترتب، في الموضعين.

(٣) ق: ليفضي.

(٤) ق: ملتبسين.

(٥) ق: ومنع.

وأعِنَّة[١]، وشذَّ فيه فُعُل قالوا: عنان وعُنُن[٢]. وذكر صاحبُ شجر[٣] الدرّ أنَّ الهلال مشترك بين معانٍ كثيرة، ويسمّى الذي في السماء هلالاً لليلتين وقيل لثلاث. والمواقيت: جمع ميقات وهو منتهى الوقت.

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ نزلت [ردّاً] على سؤالِ قومٍ من المسلمين النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الهلالِ وما فائدةُ محاقِه وكمالِه ومخالفته لحالِ[٤] الشمس. و«سأل» يتعدى بـ«عن» و«بالباء» بمعنى واحد، وهو على حذف أي: عن حكمةِ اختلافِ[٥] الأهلَّة، والهلالُ واحدٌ وجُمع لاختلافِ أزمانه. و«مواقيت» أي: في الآجالِ والمعاملاتِ والأيمانِ والعِدَد والصومِ والفطر ومُدَّةِ الحمل والرضاع وغير ذلك من المعلَّق بالأوقات. «والحج» هو معطوف على «للنّاس» أي: ومواقيت للحجِّ ليعرفوا بها أَشْهُرَهُ ومواقِيتَهُ. ولما كان الحجُّ من أعظمِ ما يطلب ميقاته وأشهره بالأهلَّةِ أُفرِدَ بالذِّكْرِ وكأنّه تخصيصٌ بعد تعميم إذ المعنى: مواقيت لمقاصدِ النَّاس المحتاج فيها للتأقيتِ ديناً ودنيا. وقرىء: والحجّ بفتح الحاء وكسرها. وكان الأنصارُ إذا حَجُّوا واعتمروا يلتزمون شرعاً أنْ لا يحول بينهم وبين السماء حائلٌ، وكانوا يتسنَّمونَ ظُهورَ بيوتهم على الجدرانِ فنزل: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ ﴾ ردا[٦] على مَنْ جعل إتيانَ البيوتِ برّاً وأمر بإتيانِ البيوت من أبوابها. وأسبابُ النزول

(١) ق: عيان واعية.

(٢) ق: عيان وعين.

(٣) ق: فعل الدر.

(٤) ق: لمحال.

(٥) ق: واختلاف.

(٦) ق: راداً.

تدلُّ[١] على أنَّ المرادَ بالبيوت وظهورها وأبوابها الحقيقة، وحملُها على المجاز مع إمكان الحقيقةِ وترجيحها باطنيةٌ نعوذُ بالله منها. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فيه الاحتمالات التي في: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة]. وقُرِىء بكسر الباء من: البيوت [٤٦/ب] كيفما وقع وضمّها. وتَقدمتْ جملتان خبريتان فَعُطِفَ عليهما جملتان أمريَّتان[٢] الأولى راجعة للأولى والثانية للثانية[٣].

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾.

ولما صدّ المشركون رسولَ الله ﷺ عامَ الحديبية وصالحوه على أنْ يرجعَ مِن قابلٍ فَيُخلُوا له مكة ثلاثة أيام فرجعَ بعمرةِ القضاء، وخاف المسلمون أنْ لا تفي[٤] لهم قريش ويَصُدُّوهم ويقاتلوهم في الحرم [وفي الشهر الحرام] وكرهوا ذلك نزلت «وقاتلوا» فأطلقَ لهم فقال: «الذين يقاتلونكم»، وبذكر هذا السببِ ظهرتْ مناسبةُ هذه الآيةِ لما قَبْلَها. والمقاتلةُ هي الجهادُ للكفار

---

(١) ق: يدل.

(٢) ق: أمر بيان.

(٣) الأولى الخبرية ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ والأولى الأمرية ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ والثانية الخبرية ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ والثانية الأمرية ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(٤) ق: يفي.

لإظهار دين الله. وأكثرُ علماء التفسير على أنّها أولُ آيةٍ نزلت في الأمرِ بالقتال. ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استعير السبيلُ وهو الطريقُ لدين الله لأنّه به يتوصلُ المؤمنُ إلى مَرضاةِ رَبِّه، وهو على حذف أي: في نُصرةِ دين الله. و«في سبيل» ظرف مجازي. «ولا تعتدوا» أي: لا تتجاوزوا ما حَدَّ اللهُ تعالى في القتالِ وغيره.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ أي[1]: واقتلوا الذين يقاتلونكم. ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي: حيث ظفرتم بهم، وهو عام في كل مكان حِلٍّ أو حرم. ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: من المكانِ الذي أخرجوكم منه وهو[2] مكّة. وهو أمرُ تمكينٍ وكأنّه وعدٌ من الله بفتحِ مكّة وقد أنجز اللهُ ما وَعَدَ وفعل ذلك رسول الله ﷺ بمن لم يسلم منهم. ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ عن دينِ الله ﴿أَشَدُّ﴾من أن يُقتلَ المؤمن، وكانوا قد عَذَّبُوا نفراً من المؤمنين ليرجعوا إلى الكفر فعَصَمَهُم الله. ثم نهى تعالى المؤمنين أنْ يَبدؤوا بالقتالِ في هذا الموطن الشريف حتى يكونوا هم الذين يبدؤون. والضمير في «فيه» عائد على «عند».

﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ هذا تصريحٌ بمفهوم الغاية. وفي قوله ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ﴾[3] بشارةٌ بالغلَبة عليهم أي هم من الخذلان وعدم النصرة بحيث أمرتم بقتلهم. وقرىء: ولا تقتلوهم، وكذلك: حتى يقتلوكم فإن قتلوكم، أي: حين همّوا بقتلكم فاقتلوهم. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء وهو القتل جزاء الكافرين. و﴿جَزَآءُ﴾ مبتدأ و«كذلك» الخبر.

---

(١) ق: وأي.

(٢) ق: وهي.

(٣) ق: واقتلوهم.

﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ أي: عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وتعليق الغفران والرحمة لا يكون مع الكفر[١]. وانتهى: معناه: كفَّ وهو افتعل، من النّهي ومعناه فعل الفاعل بنفسه وهو نحو قولهم اضطرب، وهو أحدُ المعاني التي جاءت لها افتعل.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ أي: كفار مكّة. ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك وما تابعه من الأذى للمسلمين، وقيل: الضمير لجميع الكفار. ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ أي: الانقياد والطاعة ﴿لِلَّهِ﴾ خالصاً. ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ أي: عن الكفر. والعدوان: مصدر عدا، وهو نفيٌ عام أي: على من ظلم. وسمّى الاعتداء على الظالم عدواناً وهو جزاء الظلم سُمّي بذلك من حيث هو جزاء عدوان كقوله تعالى ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[٢] ﴿٤٠﴾ [الشورى]. ورابط الجزاء بالشرط بتقدير حذف[٣] أي: على الظالمينَ منهم، أو بالاندراج في عموم الظالمين فكان الربطُ بالعموم. وقال الزّمخشريُّ[٤] فلا تعتدوا على المنتهين [لأنَّ مقاتلةَ المنتهين عدوان وظلم، فوضع قوله ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ موضع: على المنتهين] انتهى. وهذا الذي قاله لا يصحُّ إلا على تفسير المعنى، وأما على تفسير الإعراب فلا يصحّ لأنَّ: على المنتهين ليس مرادفاً لقوله «إلاّ على الظالمين» لأنَّ نفيَ العدوان عن المنتهين لا يدلُّ على إثباته على الظالمين إلا بمفهوم الصفة. وفي التركيب القرآني يدلّ على إثباته على الظالمين بالمنطوقِ المحصور بالنفي وإلاّ، وفرق بين الدلالتين. ويظهر من كلامه أنّه

---

(١) أي علّق الغفران والرحمة على إسلامهم، وهما لا يكونان مع الكفر.

(٢) بمثلها.

(٣) ق: حرف.

(٤) الكشاف ١ : ٣٤٢.

أراد[1] تفسير الإعراب، ألاّ ترى قوله: فوضع قوله: إلاّ على الظالمين موضع: على المنتهين. وهذا الوضعُ إنَّما يكون في تفسير الإعراب وليس كذلك لما بيَّناهُ من الفرق بين الدلالتين [٤٧/أ] ألا ترى فرق ما بين قولك: ما أُكرم الجاهل، وما أُكرم إلا العالم.

﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾.

﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ الآية، نزلت في عُمرةِ القضاء عامَ الحُديبية وكان المشركون قاتلوهم ذلك العام في الشهرِ الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجِهم لعمرة القضاء وكراهيتهم القتال وذلك في ذي القعدة «الشهر الحرام بالشهر الحرام» أي: انتهاك حرمة الشهر الحرام كائن بانتهاك حرمة الشهر الحرام، وأل فيهما للعهد.

﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ ﴾ أي: حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة المحرمين حيث صُددتم بحرمةِ الشهر والبلد والقُطّان حين دخلتم. وقُرِىءَ: والحرمات بضم الراء وإسكانها.

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ هو من التدريج في أمرِ القتال.

﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عام كالإنفاقِ في آلة الحرب والمقلّين من المجاهدين وغير ذلك من سبيل الله.

---

(١) ق: أنه يظهر أراد.

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ فُسِّرَ بتركِ الجهاد والإخلادِ[1] إلى الراحة وإصلاحِ الأموال. والظاهر أَنَّهم نُهوا عن كُلِّ ما يؤدي بهم إلى الهلاكِ في غير طاعةِ الله تعالى. ويقال[2]: ألقى بيده إلى كذا [استسلم]. و«ألقى» يتعدى بنفسه وجاء بالباء فقيل: الباء زائدة وقيل: المفعولُ محذوفٌ أي: ولا تُلْقُوا أنفسَكم بأيديكم، أو ضُمِّنَ معنى: ولا تُفضوا فَعُدِّيَ بالباء. و«التهلكة» مصدر هلك على وزن تَفْعُلة وهو قليلٌ ذكر سيبويه منه التنفرة[3] والتيسُرة.

ودعوى الزَّمخشريِّ[4] [أنَّ أَصْلَها] تهلِكة بكسر اللام فضمَّت، وأنّه مصدر هلّك بشدِّ اللام - لا تصحّ، وذلك لأنَّ فيها حملاً على شاذ ودعوى إبدال لا دليل عليه. أمَّا الحملُ على الشاذ فحمَلَه على أنَّ أصله تفعُلة ذات الضمِّ على تفعِلة ذات الكسر، وجعل تهلكة مصدراً لهلّك المشدّد اللام. وفعّل الصحيح اللام [غير] المهموز قياس مصدره أن يأتي على تفعيل نحو كسّر تكسيراً، ولا يأتي على تفعلة إلاّ شاذاً. والأَوْلَى جعل تهلُكة مصدراً إذ قد جاء [من] ذلك التنفرة [والتيسرة[5]]. وأما تهلِكة فالأحسن أنْ يكون مصدراً لهلك المخفّف اللام لأنَّهُ بمعنى تهلُكة بضمِّ اللام، وقد جاء في مصادر فَعَل تفعِلة قالوا: جلّ تجلّةً أي جلالاً[6]، فلا يكون «تهلكة» إذْ ذاكَ مصدراً لهلك المشدّد اللام. وأما إبدالُ الضمة من الكسرة لغير علّة ففي غاية الشذوذ، وأما تمثيلُه

---

(١) ق: والإحلال.

(٢) ق: وقال.

(٣) ق: النفرة. وفي الكشاف ١ : ٣٤٣: التضرّة والتسرّة.

(٤) انظر الكشاف ١ : ٣٤٣.

(٥) ق: النفرة، وأكمل من ط.

(٦) عبارة ق: حلّ يحلّه أي حلالاً.

بالجُوار والجِوار[١] فلا يُدَّعى فيه الإبدالُ بل بني المصدر فيه على فُعال بضم الفاء شذوذاً. وزَعم ثَعْلَب أنّه مصدرٌ لا نظيرَ له، غير صحيح إذ نقل سيبويهِ له نظيراً. ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ أمر بالإحسان ولم يقيد بمفعول فيندرج فيه كل محسن.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي: افعلوهما كاملين من شروطهما وأفعالهما التي يتوقفان عليها[٢]. وقُرِىء: والعمرة بالنصب عطفاً على الحجِّ فتدخل[٣] في الأمر بالإتمام، وبالرفع مبتدأ وخبره فلا تدخل[٤] تحتَ الأمر. وفروضُ[٥] الحجِّ النيَّةُ والإحرامُ والطوافُ المُتَّصلُ بالسعي، والسَّعيُ بين الصفا والمروة خلافاً لأبي حنيفة، والوقوف بعرفة، والجمرة على قول ابن الماجشون، والوقوفُ بمُزْدَلِفَة على قول الأوزاعي. وأعمالُ العمرة النيَّة والإحرام والطواف والسعي. والأمرُ بالإتمامِ لا يدلُّ على فرضيةِ العمرة لصحةِ صوم

(١) عبارة الزمخشري: أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجُوار في الجِوار. الكشاف ١: ٣٤٣.

(٢) ق: عليهما.

(٣) ق: فيدخل.

(٤) ق: يدخل.

(٥) ق: وفرض.

رمضان وست[١] من شوال بجامعٍ ما اشتركا فيه من المطلوبية وإن اختلفتْ جهةُ الطلب. والإحصارُ والحصر بمعنى واحد وهو المنعُ بالعدو أو المرض أو بغير ذلك من الموانع.

و﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ مطلق لا تقييدَ فيه وظاهرُه ثبوتُ هذا الحكم وأنه يتحلل بالإحصارِ[٢] [بالعدو وبالمرض، وبغير ذلك من الموانع]. ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ أي: والواجب ما استيسر من الهدي وهو شاةٌ أو ما سهل من جمل أو بقرة. والمعنى: فإنْ أُحْصِرتم عن إتمام الحجِّ والعمرة. و«الهدي» مطلق [٤٧/ب] فلا يشترط فيه سِنٌّ. و«استيسر» بمعنى الفعل المجرد وهو يسر نحو استصعب وصعب. وقرىء: الهديّ على وزن الوليّ. وغَيّا[٣] حلقَ الرأس ببلوغِ الهدي محلّه أي: إذا بلغ الهدي محلَّهُ فاحلقوا. والخطابُ[٤] للمأمورين المخاطبين بالإتمام كانوا مُحصَرين أو غير محصورين.

والخطابُ في ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟﴾ للذكور ولا تحلق المرأة بل تقصِّر. وظاهر النَّهي التحريم. ومحلُّ الهدي إنْ كان الخطابُ للمحصورين فحيث أحصر من حلّ أو حرم.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ الآية، سبب نزولها حديث كعب بن عجرة. و«مَن» عامٌّ في المُحْصَرِ وغيره. ولمّا غَيّا الحلق ببلوغِ الهدي وكان الخطابُ بالنَّهي عاماً خصّ بمن ليس مريضاً ولا به[٥] أذى من رأسه. وفي الكلامِ حذفٌ أي:

---

(١) ق: صم رمضان وستاً.

(٢) ق: الإحصار.

(٣) من الغاية.

(٤) ق: والخطا.

(٥) ق: ولأنه.

مريضاً ففعل ما ينافي المحرم من حلقٍ أو غيره ﴿أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾ فحلق. و«منكم» متعلق بمحذوفٍ وهو في موضعِ الحال لأنّه قبل تقدمه كان صفة لـ«مريضاً». وأجاز أبو البقاء أن يكون متعلقاً بـ«مريضاً» وهو لا يكاد يعقل[١].

﴿أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى﴾ يجوز أنْ يكونَ من عطفِ المفردات فيرتفع «أذى» على الفاعلية، ومن بابِ عطفِ الجمل فيرتفع على الابتداء. وأُجيزَ أنْ يكونَ على إضمارِ كان أي: أو كان به. ففي كان ضمير هو اسمها و«به» الخبر و«أذى» فاعل بالمجرور، أو هو جملة خبر لكان المحذوفة، أو يرتفع «أذى» على أنَّهُ اسم كان المحذوفة و«به» الخبر.. وأجاز أبو البقاء أن يكون ﴿أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾ معطوفاً على «كان» و«أذى» مبتدأ و«به» خبره. والضمير في «به» عائد على «من». وكان قد قَدّم أنّ «مَن» شرطية، وعلى هذا التقدير يكون ما قاله خطأ لأنَّ العطفَ على جملةِ الشرطِ يجب فيه أن يكون جملةً فعلية إذِ المعطوفُ على الشرطِ شرطٌ فيجب فيه ما يجب في الشرط. والباءُ في «به» للإلصاق أو ظرفية.

﴿فَفِدۡيَةٞ﴾ إما مبتدأ أي: فعليه فديةٌ، أو خبر أي: فالواجبُ فديةٌ. ومن قرأ بالنَّصب فعلى إضمار فعل أي: فَلْيَفْدِ فديةً. «أو» للتخيير فالظاهر إطلاق الثلاثة وقيّدت ذلك السُّنةُ الثابتةُ في حديث كعب[٢] أنَّ الصيامَ ثلاثة أيام والصَّدقة إطعام ستة مساكين والنُّسك شاة. ولم تتعرض الآيةُ ولا السنّةُ[٣] لمقدارِ ما يُطعَمُ المسكينُ ولا الآية لزمان فِعْل ذلك ولا لمحل النُّسك.

---

(١) ق: يفعل.
(٢) انظر صحيح مسلم ٢: ٨٦١ وما بعدها.
(٣) ق: السكنة.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ أي: كنتم في حالِ أمنٍ وسعة، أو فإذا أمنتم من الإحصار.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ فسّر التمتع هنا بإسقاطِ أحد السَّفَرين لأنَّ حقَّ العمرة أنْ تُفْرَدَ بسفرٍ غير سفرِ الحج. وعن علي: هو تأخير العمرة حتى يجمعها مع الحجّ فعليه الهدي. والفاء في «فإذا» للعطف، وفي «فَمَن» جواب «إذا»، وفي «فما» جواب «فمن تمتّع».

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ ما استيسرَ إما لعدمِه أو لعدمِ ثمنه ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ أي: في أشهر الحجِّ. ﴿وَسَبْعَةٍ﴾ أي: وسبعة أيام. والعامل في «إذا» هو «صيام» تعلّق به «في الحج» و«إذا»، وجاز ذلك للعطف. و«إذا» ظرف محض لا شرطَ فيها. وفي «رجعتم» التفات وحمل على معنى مَنْ بعد الحمل على لفظه في إفراده وغيبته. ولفظ الرجوع مُبْهَمٌ وثَبَتَ في السنّة تفسيره بالرجوعِ إلى أهله فاحتمل أنْ يكون بعد أنْ وصلَ إلى أهلِه وهو الظاهر، واحتمل أن يكون: إذا رجع أي: شرع في الرجوع إلى أهله، واحتمل: إذا نفرتم ورجعتم من أعمال الحجّ، وبكلٍّ من الاحتمالاتِ قال قومٌ.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ تلك مبتدأ، وعشرة: توطئة للخبر و«كاملة» هو الخبر حقيقة، أي: كاملة في الثواب والأجر، لا يتوهم أنَّ صوم السبعة ليس كصوم الثلاثة في الأجر لاختلاف زمانِ إيقاعِ صومها[1]. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التمتّع وما ترتَّبَ[2] عليه. ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [٤٨/أ] وهم سكانُ مكّة لأنّهم هم الذين يشاهدون المسجد الحرام. وحضورُ الأهلِ يقتضي مراد

---

(١) ق: صومهما، وهو وجه.

(٢) ق: تترتب.

حضور[١] المتمتّع لأنَّ الغالب سكناه حيث يسكن أهله. ولما تقدَّم أمرٌ ونهي وواجب ناسبَ أنْ يُختم ذلك بالأمرِ بالتقوى في أنْ لا يتعدى ما حَدَّهُ تعالى، ثم أعلم بشدَّة عقابِه على المخالفة.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾ لما أمرَ بإتمامِ الحجِّ والعمرةِ وكانت العمرةُ لا وقتَ لها معلوم، بيَّنَ أنَّ الحجَّ له وقتٌ معلوم فظهر بهذا مناسبة هذه الآية لما قبلها. و«الحج» مبتدأ و«أشهر» خبر. وليس «أشهر» وهو الزمـان «الحجّ» وهو المصدر فالتقدير: أشهرُ الحجِّ أو وقتُ الحجِّ، أو التقدير: حجّ أشهر، إذ لمّا كان يقع فيها اتَّسَعَ فجُعل إياها على سبيل المجاز. قال ابنُ عطية[٢]: ومَنْ قدّر الكلام: في أشهر[٣]، فيلزمه مع سقوطِ حرف الجرِّ نصب الأشهر ولم يقرأ بنصبها أحدٌ انتهى. ولا يلزم نصبُ الأشهر مع سقوطِ حرفِ الجرّ كما ذكر ابنُ عطية، لأنَّا قد ذكرنا أنَّه يرفع على الاتساع وهذا لا خلافَ فيه عند البصريين، أعني أنه إذا كان ظرفُ الزمان نكرةً خبراً عن المصادر إنّه[٤] يجوز فيه عندهم الرفعُ والنَّصبُ، وسواء أكان الحدثُ مستغرقاً للزمانِ أو غيرَ مُستغرقٍ. وأما الكوفيون فعندهم في ذلك تفصيلٌ وهو أنّ الحدث إما أنْ يكون مستغرقاً للزمان فيرفع ولا يجوز فيه النَّصب، أو غير مستغرقٍ فذهب

---

(١) ق: حصول.

(٢) المحرر الوجيز ١: ٥٥٢.

(٣) ق: الشهر.

(٤) ق: وأنه.

هشام إلى أنّه يجبُ فيه الرفعُ، تقول ميعادك يوم وثلاثة أيام. وذهب الفرّاء إلى جوازِ النَّصب والرفعِ كالبصريين، ونُقِل عن الفرّاء في هذا الموضع أنّه لا يجوز نصب الأشهر لأنَّ «أشهر» نكرة غير محصورة.

وهذا النَّقلُ مخالفٌ لما نقلنا نحن عنه فيمكن أنْ يكون له القولان قول البصريين وقول هشام. و«أشهر» جمع قلّة وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة كلّه على ظاهرِ الجمعِ وهو قولُ جماعةٍ من الصحابة والتابعين وتابعيهم كابن مسعود وعطاء ومالك. وقال الزَّمخشريُّ[1]: فإنْ قلتَ كيف كان الشهران وبعض الشهر أشهراً؟ قلت: اسمُ الجمع يشتركُ فيه ما وراء الواحدِ بدليلِ قوله تعالى ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۝٤﴾ [التحريم] فلا سؤال فيه إذاً، وإنَّما كان يكون موضعاً للسؤال لو قيل: ثلاثة أشهر معلومات انتهى. وما ذكره الدعوى فيه عامةٌ وهو أنَّ اسمَ الجمعِ يشترك فيه ما وراء الواحد، وهذا فيه النزاعُ والدليلُ الذي ذكره خاص وهو «فقد صغت قلوبكما» وهذا لا خلافَ فيه، ولإطلاقِ الجمع في مثل هذا على التثنية[2] شروطٌ ذكرت في النَّحو. و«أشهر» ليس من باب «فقد صغت قلوبكما» فلا يمكن أن يُستدلَّ به عليه، وقوله: فلا سؤال فيه إذاً، ليس بجيّد لأنَّهُ قد فُرِضَ السؤال بقوله: فإن قلت، وقوله: وإنَّما كان يكون موضعاً للسؤال[3] لو قيل: ثلاثة أشهر معلومات. ولا فرقَ عندنا بين «أشهر» وبين قوله: ثلاثة أشهر، لأنّه كما يدخل المجاز في لفظ «أشهر» كذلك قد يدخل المجاز في العدد[4]، ألا ترى إلى ما حكاه

---

(١) الكشاف ١ : ٣٤٦.

(٢) ق: الستة.

(٣) ق: لسؤال.

(٤) ق: العدّ.

الفرّاء: له اليومَ يومان لم أرَهُ، قال: وإنَّما هو يومٌ وبعضُ يومٍ آخر، وإلى قول امرىء القيس: [من الطويل]

ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال[١]

على ما قدمنا ذكره، وإلى ما حكي عن العرب: ما رأيتُه مُذْ خمسة أيام، وإنْ كنت قد رأيته في اليوم الأول واليوم الخامس، فلم يشمل الانتفاء خمسة الأيام[٢] جميعها بل يجعل ما رأيته في بعضه، وانتفت الرُّؤية في بعضه كأنَّه يوم كامل لم تره[٣] فيه. فإذا كان هذا موجوداً في كلامهم فلا فرقَ بين «أشهر» وبين ثلاثة أشهر، لكن مجازَ الجمعِ أقرب من مجازِ العدد. ومعنى ﴿مَّعْلُومَٰتٌ﴾ معروفات عند النَّاس وأنَّ مشروعيةَ الحجِّ فيها [٤٨/ب] إنَّما جاءت على ما عرفوه وكان مقرّرا[٤] عندهم.

﴿فَمَن فَرَضَ﴾ أي: ألزم نفسَهُ الحجَّ. وأصلُ الفرض الحزّ[٥] الذي في السهم. والمرادُ بالفرض هنا ما يكون به المحرم محرماً وهو الإهلالُ بالحجِّ على خلاف فيما يدخل به المحرم في الحجِّ مذكور في الفقه. وجاء ﴿فِيهِنَّ﴾ وهو عائد على «أشهر» على الفصيح.

﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أي: لا جماعَ ولا ما لا يليقُ ممن كان متلبّساً بالحجِّ[٦].

---

(١) ديوانه ص٢٧، وصدره فيه:

وهل يَعِمَن من كان أحدثُ عهده

(٢) ق: أيام.

(٣) ق: يره.

(٤) ق: مقدراً.

(٥) ق: الحدّ.

(٦) عبارة ق: بين من كان ملتبساً بالحج.

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ فُسِّرَ هنا بفعلِ ما نُهِيَ عنه في الإحرام مِن قَتْل صيدٍ وحَلْقِ شعرٍ والمعاصي كلِّها. ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ أي: مما رآه المسلمُ حتى يغضبه ويسابّه، وما يسمى جدالاً للتغالبِ وحظِّ النّفس.

وقرىء برفع الثلاثة على الابتداء والخبر «في الحجّ». وجَزْم ابنِ عطية بأنّها أُعملتْ عملَ ليس ضعيفٌ. وقُرىء بنصب الثلاثة على المصدر تنصبها[١] أفعال من لفظها. و«في الحجّ» متعلّقٌ بما شئتَ من الأفعالِ على طريقةِ الإعمال. وقُرىء بالفتح في الثلاثة من غير تنوينٍ وهو بناء على قولِ الجمهور، و«لا» والمبني معاً في موضع مبتدأ والخبر خبرٌ عنه في موضع رفع، و«لا» عاملة في المبني فهو في موضع نصب. ومذهبُ الأخفش أنَّ «لا» عاملةٌ عملَ إنَّ والمبنيّ اسمها والخبر خبرها في موضع نصب. وقرىء برفع الأوَّلَيْن وبالتنوين وفتح الثالث من غير تنوين. فعلى مذهب سيبويه أنَّ «في الحج» خبر عن الثلاثة عطف مبتدأ على مبتدأ. ومذهب الأخفش أنَّهُ لا يجوز أن يكون «في الحج» [إلّا] خبراً عن الأوَّلَيْن أو خبراً لـ«لا» لاختلاف المعرب[٢]. ولابن عطية والزّمخشريّ في هذا كلامٌ تَعقَّبناه عليهما وذكرناه في «البحر المحيط»[٣]. وهذه الجملةُ صورتها صورةُ الخبر والمعنى على النَّهي.

و«من» في ﴿فَمَن﴾ شرطية أو موصولة والرابط محذوفٌ لفهمِ المعنى أي: فلا جدالَ له في الحجّ أو فلا جدال في الحجّ له أو منه. وعلى رأي الكوفيين تنوب «أل» عن الضمير أي في حجّه. وكرر «في الحج» للتفخيم والتعظيم،

---

(١) ق: بنصبها.

(٢) أي لاختلاف المعرب «في الحج» يطلبه المبتدأ أو تطلبه «لا» فقد اختلف المعرب فلا يجوز أن يكون خبراً عنهما.

(٣) انظر ٢: ٨٩ وما بعدها.

ولم يأتِ التركيبُ: فلا جدال فيه.

﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ نصَّ على الخيرِ حثًّا على فعله وهو تعالى عالم بما يفعلونه من خيرٍ أو شرٍّ. وفي قوله: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ﴾ التفات. و﴿يَعۡلَمۡهُ﴾ إمّا على ظاهره أي: فيثيب عليه، أو عبّر عن المجازاةِ بالعلم.

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ عن ابن عباس: نزلت في ناسٍ من اليمن يحجُّونَ بغير زاد ويقولون: نحن متوكِلُون بحجّ بيتِ الله أفلا يطعمنا؟ فيتَوَصَّلُونَ بالنّاس[1] وربّما طلبوا وغصبوا، فأُمروا بالتزوُّدِ وأنْ لا يطلبوا[2] ويكونوا كلًّا على النّاس. والذي يدلُّ عليه سياقُ ما قبل الأمر وما بعده أنْ يكون الأمر بالتزوُّدِ بالنِّسبة[3] إلى تحصيلِ الأعمالِ الصالحة التي تكون له كالزَّادِ إلى سفرِ الآخرة. والتقوى في عرف الشرع والقرآن عبارة عما يُتَّقَى به النّارُ. ومفعول «وتزودوا» محذوفٌ أي: وتزوّدوا التقوى، يدل عليه الإظهار في خبر إن. ﴿وَٱتَّقُونِ﴾ تحذيرٌ من ارتكابِ ما تحلُّ به العقوبةُ.

﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٩﴾﴾.

﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ ولما جاء الإسلامُ

(١) ق: بالبأس.

(٢) ط: وربما ظلموا.. وأن لا يظلموا.

(٣) بالسيئة.

تحرجت العربُ أن يحضروا [أسواقَ الجاهلية] كعكاظ وذي المجاز ومجنة فأباح اللهُ لهم ذلك. والفضل: الأرباح التي تكون بسبب التجارة.

﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ عرفات علم اسم جبل وهو مؤنث، حكى سيبويه[١]: هذه عرفاتٌ مباركاً فيها. وهو مرادفٌ لعرفة، وتنوينه تنوينُ [مقابلة وقيل تنوينُ] صرفٍ . ولا يدلُّ هذا الشرط على وجوبِ الوقوفِ بعرفات إنّما يعلم منه الحصول في عرفة والوقوف بها، لكنَّ السُّنَّةَ والإجماعَ يدلّان على ذلك. وكان رسولُ الله ﷺ إذا دفع من عرفات أعنقَ[٢] فإذا وجد فُرجةً نصّ. والعَنَق سيرٌ سريع مع رِفْقٍ، والنَّصُ سيرٌ شديدٌ فوق العَنَق[٣].

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ [٤٩/أ] ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ أي: اذكروه بالثناء والتضرع أو كنّى به عن الصلاة بالمزدلفة [المغرب] والعشاء. والمَشْعَرُ المَعْلَم، ووصِفَ بالحرامِ لأنَّه ممنوعٌ أنْ يفعل فيه ما نُهِيَ عنه من محظوراتِ الإحرام. وهذا المشعرُ يسمى جَمْعاً وهو ما بين جبلي المزدلفة من حد مُفضى عرفة إلى بطن مُحَسِّر. وليس المأزمان[٤] ولا وادي محسر من المشعر الحرام، والمأزمُ المضيق وهو مضيقٌ واحدٌ بين جبلين ثنّوه لمكانِ الجبلين. ولم تتعرّض الآيةُ لتعيين الذكر بالمزدلفة. وعنه صلى الله عليه وسلم أنّه لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغَلَسٍ رَكِبَ ناقته حتى أتى المشعرَ الحرامَ فدعا وكبَّر وهلَّل ولم يزل واقفاً حتى أسفرَ. وعلى هذا يكون في الكلام جملةٌ محذوفةٌ أي: فإذا أفضتم من عرفات وبِتُّمْ بالمزدلفة فاذكروا الله عند المشعرِ الحرام.

---

(١) انظر الكتاب ٣: ٢٣٣.

(٢) ق: أعتق.

(٣) ق: العتق.

(٤) ق: المأزمين.

﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ الظاهر أنه تكرارٌ قُصِدَ به التوكيد. والكاف في «كما» للتشبيه إما نعت لمصدرٍ محذوفٍ أو نصب على الحال، أو تكون الكاف للتعليل أي: اذكروه وعَظِّمُوه لهدايته السابقة لكم. وقد ذكر سيبويه حاكياً: كما أنّه لا يعلم فتجاوز اللهُ عنه أي لأنّه لا يعلم، وأثبت كون الكاف للتعليل الأخفش وابن برهان ومن المتأخرين ابن مالك. وما في «كما» مصدرية. وجوّز الزّمخشريّ وابنُ عطية أن تكون «ما» كافة للكاف عن العمل. وقد منع أن تكون الكاف مكفوفة «بما» عن العمل أبو سعد وعلي بن مسعود بن الفرُّخال[1] صاحب المستوفى. والهداية هنا خاصة أي: في مناسك حَجِّكم إلى[2] سنّة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، أو عامة تتناول أنواع الهدايات. ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبل الهدى ضالِّينَ ويدلُّ عليه «كما هداكم».

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ ثم: للترتيب في الذكر لا للترتيبِ في الزمان الواقع فيه الأفعال، وحَسَّنَ هذا أنَّ الإفاضةَ السابقةَ لم تكن مأموراً بها إنّما كان المأمور به ذكر الله تعالى إذا فُعِلَتْ. والأمر بالذكر عند[3] الفعل لا يَدُلُّ على الأمرِ بالفعل، ألا ترى أنّك تقول: إذا ضربكَ زيدٌ فاضربه، فلا يكون زيدٌ مأموراً بالضرب فكأنّه قيل: ثم لتكن الإفاضة من عرفات. وفي الحديث: كان الحُمس[4] يقفون بالمزدلفةِ وكان مَنْ سواهم يقفون بعرفة فأنزل الله هذه الآية. وقد وقف رسولُ الله ﷺ قبل المبعثِ بعرفة وهو من

(١) ق: علي.. الفرحان.

(٢) ق: أي.

(٣) ق: غير.

(٤) ق: الخمس.

الحُمس إلهاماً من الله تعالى وتوفيقاً إلى ما شرع.

وللزّمخشريّ كلام في «ثمّ» وأنّها تكون للتفاوت والبعد[١]: فإنْ قلت: فكيف موقع ثم؟ قلت: نحو موقعها من قولك: أحسن إلى النّاس ثم لا تحسن إلى غيرِ كريمٍ، تأتي بثم[٢] لتفاوتِ ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبُعْد ما بينهما، فلذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال «ثم أفيضوا» لتفاوتِ[٣] ما بين الإفاضتين وأنَّ إحداهما صوابٌ والثانية خطأ انتهى كلامه.

وليست الآيةُ كالمثال الذي مثّله، وحاصل ما ذكر أن «ثمّ» تسلب الترتيب وأنّها لها معنى غيره سَمّاه بالتفاوت والبعد لما بعدها مِمّا قبلها[٤]. ولم يجر[٥] في الآية أيضاً ذِكْرُ الإفاضة الخطأ فتكون «ثمّ» في قوله «ثم أفيضوا» جاءت لِبُعْد ما بين الإفاضتين وتفاوتهما. ولا نعلم أحداً سبقه إلى إثباتِ هذا المعنى «لثمّ». و«النّاس» ظاهرُه العمومُ في المفيضين. وقُرىء: الناسي بياء وبتركها وفُسِّرَ بآدم لقوله ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ [مِن قَبْلُ] فَنَسِىَ ﴿١١٥﴾﴾ [طه].

قال ابنُ عطية[٦]: ويجوزُ عند بعضهم حذف الياء فتقول النّاس كالقاض والهاد، قال: أما جوازهُ في العربيةِ فذكره سيبويه، وأما جوازه مقروءاً به فلا أحفظه انتهى. فقوله: أما جوازه في العربيه فذكره سيبويه، ظاهر كلام

(١) الكشاف ١ : ٣٤٩.
(٢) ق: لثم.
(٣) ق: التفاوت.
(٤) ق: لما بعدهما مما قبلهما.
(٥) ق: يجز.
(٦) المحرر الوجيز ١ : ٥٦٢.

[٤٩/ب] ابن عطية أنَّ ذلك جائز مطلقاً، ولم يُجِزْهُ سيبويه إلاّ في الشعر وأجازهُ الفرَّاء في الكلام. وأما قوله: وأما جوازه مقروءاً به فلا أحفظه[١]، فكونه لا يحفظه قد حفظه غيره؛ قال أبو العباس المَهْدَوِيُّ: قرأ «أفاض النَّاسِي»[٢] سعيد بن جبير وعنه أيضاً: أفاض الناسِ بالكسر من غير ياء انتهى قول أبي العباس المَهْدَوِيّ. وفي هذه القراءة دليلٌ على أنَّ الإفاضةَ من عرفات شرعٌ قديم.

ولما حجّ أبو بكر توجَّه إلى عرفات فمرَّ بالحُمس وهم وقوفٌ بجمعٍ، فلما ذهب ليجاوزهم قالت له الحُمس[٣]: يا أبا بكر أين تجاوزنا إلى غيرنا؟ هذا موقفُ آبائك. فمضى أبو بكر كما أمره رسولُ الله ﷺ حتى أتى عرفات وبها أهلُ اليمن وربيعة فوقف بها حتى غربت الشمس ثم أفاض بالنَّاسِ إلى المشعر الحرام فوقف به[٤] فلمّا كان عند طلوعِ الشمس أفاض منه. ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أمرٌ بطلبِ غفرانِ الذنوب.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ

(١) ق: أحفظ.

(٢) تأويله آدم عليه السلام، انظر القرطبي ٢: ٤٢٨، والمحرر الوجيز ١: ٥٦٢.

(٣) ق: الخمس.

(٤) ق: بها.

﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٠٣﴾.

كانوا إذا قضوا مناسكهم اجتمعوا في الموسم يتفاخرونَ ويذكرون مآثرَ آبائِهم من قِرى الضيفِ والشجاعةِ ونحرِ الجُزُرِ وفكِّ[1] العاني وجَزِّ النواصي وغير ذلك مما يفخرون به فنزل ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ الآية. ومعنى «قضيتم» أدَّيتم. وقُرِىء: مناسككم بالتفكيك وبالإدغام. والمعنى: ابْتَهِلُوا بذكرِ اللهَ تعالى والثناء عليه والْهَجُوا بذكرِه كما يَلْهَجُ المرءُ بذكرِ أبيه[2].

وأعربوا «ذكراً» تمييزاً بعد أفعلِ التفضيل فجعلوا الذكر[3] ذكراً إذِ التقديرُ: أو ذكراً أشدّ ذكراً، وذلك على سبيلِ المجاز كما قالوا: شعر شاعر. وجَوَّزوا أنْ يكون «أو أشد» معطوفاً على موضع الكاف فيكون منصوباً، أو على «ذكر» المجرور فيكون مجروراً أي: أو كذكرِ أشدّ ذكراً، أو وصفاً في المعنى للذاكر فتنصبه بفعلٍ مضمر تقديرُه: أو كونوا أَشَدَّ ذكراً، أو للذاكر المذكور فتنصبه عطفاً على «آباءكم» والتقدير: أو قوماً أشدّ ذكراً من آبائكم، ومعنى: من آبائكم أي: من ذِكْرِكم لآبائِكم، أو بجرِّه عطفاً على الضمير المجرور بالمصدر أي: أو قومٍ أشدّ ذكراً، فهذه خمسةُ وجوهٍ ضعيفة.

وقد ساغ لنا حَمْلُ الآية على معنى يتبادر[4] إليه الذهنُ بتوجيهٍ صحيح ذهلوا عنه وهو أن يكونَ «أو أشد ذكراً» منصوباً على الحال وهو كأنْ يكون نعتاً لـ«ذكراً» لو تأخر، فَلَمَّا تقدم انتصب على الحال، ألا ترى أنّه لو تأخر

---

(١) ق: وفكر.

(٢) ق: ابنه.

(٣) ق: فجعلوا الله.

(٤) غيى واضحة في ق.

لكان التركيبُ: أو ذكراً أشدّ، أي: من ذكركم لآبائكم. فصلت الحال بين حرف العطف والمعطوف، وجاز ذلك لأنّ حرف العطف على أزيد من حرف، ولأنّ الحال مفعول فيها فهي شبيهة بالظرف، وحسن تأخر «ذكراً» لأنّه كالفاصلة ولزوال قلق التكرار إذ لو تقدَّمَ لكان التركيبُ: فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو ذكراً أشد[1].

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ هذا تقسيم للمأمورين بالذكر بعد الفراغِ من المناسكِ وأنّهم ينقسمون في سؤال الله إلى من يَغْلب عليه حبُّ الدنيا فلا يدعو إلاّ بها، ومنهم مَنْ يدعو بصلاحِ حالِه في الدنيا والآخرة، وهذا من الالتفاتِ ولو جاء على الخطابِ لكان التركيبُ: فمنكم مَنْ يقول. وحكمةُ هذا الالتفاتِ أنّهم لما واجهوا بهذا الذي لا ينبغي أن يسلكه عاقلٌ وهو الاقتصار على الدُّنيا أبرزوا في صورة غير المخاطبين بذكر الله بأن جُعلوا في صورة [الغائبين]. ومفعول «اتِنا»[2] محذوفٌ أي: ما نريد[3] ومطلوبنا. وجَعْل «في» زائدة فتكون «الدُّنيا» المفعول الثاني، أو جعل «في» بمعنى مِن فتكون في موضع المفعول الثاني - قولان ساقطان[4].

﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: نصيب، وهو إخبارٌ بحاله في الآخرة حيث اقتصر في طلبه على الدُّنيا. وأفرد الضمير في [٥٠/أ] «يقول» حملاً على اللَّفظ، وأتى بنون الجمع في «آتنا»[5] حملاً على المعنى. والحسنةُ

(١) ق: أو أشد ذكراً.

(٢) ومفعول التاء.

(٣) ق: يزيد.

(٤) ق: يتساقطا.

(٥) ق: أتنا.

مطلقة، وقد مَثَّلوا الحسنتين بأنواع من حسنات الدُّنيا ومن حسنات الآخرة. وقال ابنُ عطية: حسنة الآخرة الجنَّة بإجماع.

﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ من عطف شيئين على شيئين لا من بابِ الفصلِ بين حرفِ العطفِ والمعطوفِ بَلْ هو من باب: أعطيتُ زيداً درهماً وعمراً ديناراً، ورأيتُ من زيدٍ وداً ومن بكرٍ جَفْوةً.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ سؤالٌ بالوقاية من النّارِ وهو أنْ لا يدخلوها إذ كان من يدخل النّار ثُمَّ يدخل الجنّة صدق عليه أنَّهُ أُوتِي في الآخرة حَسَنَةً فسألوا الوقاية من النّار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ إشارة إلى الفريقين إذ لفظ «نصيب» و«ممّا كسبوا» مشترك بينهما. ومِن للتبعيض أي: من جنس ما كسبوا أو للسبب. ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يعمُّ محاسبةَ العالم كلهم.

﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خطابٌ للحُجّاج وهو مطلقٌ والمرادُ التكبيرُ كالتكبيرِ عند رمي الجمرات. ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ لم تُعَيَّن[1] فاختلفوا هل هي ثلاثة أيام بعد يومِ النَّحر قاله ابن عباس، أو يوم النَّحر ويومان بعده قاله علي.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل النفر أو بالنفر لأنّ «تعجَّل» يكون متعدياً وغير متعدٍّ. ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ ليس على ظاهره بَلْ على حذف أي: في أحدِ يومين، ويتعين أنْ يكونَ ذلك بعد يومِ النفر وهو ثاني يوم النَّحر لإجماعِ

(١) ق: يعين.

النَّاس على أنّه لا ينفرُ أحدٌ قبل النَّحر[١]، أو يكون التقدير: في تمام يومين.

وظاهر «فمن تعجل» العمومُ سواء كان مكياً أو آفاقياً، وأنَّ التعجيلَ يكون بالنّهار. «فلا إثم عليه» في التعجيل أي: لا حرجَ لمّا كان الأمرُ بالذكرِ في «أيام» وهي جمع ولم يستغرقها بالمقام. و«تعجّل» نفى عنه الحرجَ في الأخذِ بالرُّخصة ثم نفى الحرجَ عَمَّنْ تأخر في تركِه الأخذ بالرخصة.

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ متعلق بنفي الإثم إذْ من لم يكن مُتَّقياً لم يرتفع الإثم عنه. وقد كملت أحكامُ الحجِّ من ذكر وقته إلى آخرِ فعله وهو النفر، وبدئت بالأمرِ بالتقوى وختمت به وتخلَّل الأمرُ بها في غضون الآي.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ نزلت في الأخنس بن شُريق[٢] واسمه أبيّ، كان حُلوَ اللِّسانِ والمنظر يُظهرُ الإسلامَ وحبَّ الرسول ويحلفُ على ذلك وهو عليه السلام يُدنِيه ولا يعلمُ ما أضمرَ، وكان من ثقيفٍ حليفاً لبني زهرة.

ومناسبةُ هذه الآية لما قبلها أنّه تعالى [لمّا] ذكر قبلُ نوعي السائلين أتى

---

(١) ق: القر.

(٢) ق: شريف، والتصويب من ط.

بذكر نوعين: من هو حلو المنطق[1] يظهر الوُدَّ، مخالف باطنه لظاهره، والآخر يبتغي رضى الله. وقدم الأول هنا لأنّه هناك مقدّمٌ وأحال على إعجاب قوله دون غيره من أوصافه لأنَّ القولَ هو الظاهر منه أولاً وهو المذكور في قوله «فمن الناس من يقول». والخطابُ للرَّسولِ إذا كان التعجُّب معيّناً، أو لمن كان مؤمناً إنْ كان غير معيَّن. والإعجابُ: استحسانُ منطِقه لحلاوتِه وموافقته [لمن يخاطبه]. و«في الحياة» متعلق بـ«يعجبك» أي يستحسن مقالته دائماً في مُدَّة حياته إذْ لا يصدر منه من القولِ إلاّ ما هو معجبٌ رائقٌ لطيف ومع ذلك أفعالُه منافيةٌ لأقواله.

﴿ وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ ﴾ قرىء مضارع أَشْهَدَ ونصب الجلالة[2] أي: يحلفُ بالله أنّه صادقٌ وقائلٌ حقاً ومحبٌّ في الرسولِ والإسلام، وقرىء: يَشْهَد مضارع شَهِدَ ورفع الجلالة أي: يطلع الله على ما في قلبه من الخُبْثِ والمكرِ ولا يعلم به أحدٌ لشدةِ تكتُّمه ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ واللَّدَدُ: شِدَّةُ الخصومة، يقال: لَدَدْتَ تلدّ[3] لدداً ولدادة، ورجل ألدُّ وامرأة لدَّاء. و«الخصام» مصدر أو جمع خصم، فالجمع يكون فيه «ألدّ» خبراً عن «هو» بلا تقدير، والمصدر يحتاج إلى تقدير أي: وخصامُه أشَدُّ، أو هو أشَدُّ ذوي الخُصومةِ.

وقال الزَّمخشريُّ[4]: والخصام: المخاصمة، وإضافة [٥٠/ب] الألدّ بمعنى «في» كقولهم: ثبت الغدر انتهى. يعني أن «أفعل» ليس من باب ما

---

(١) ق: المنظر.

(٢) ق: ونصب على الحال.

(٣) ق: يلدّ.

(٤) الكشاف ١ : ٣٥٢.

أضيف إلى ما هو بعضه بل هي إضافة على معنى «في». وهذا مخالفٌ لما يزعمه النُّحاة من [أنَّ] أفعل التفضيل لا يضاف إلاّ لما هو بعض له[١]، وفيه إثباتُ الإضافة بمعنى [في] وهو قولٌ مرجوح في النَّحو. والجملتان الفعلية والاسمية[٢] معطوفتان على صلة «مَن» فهما داخلان في الصفة.

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ أي: ببدنه عن الذي يُلينُ له القولَ ويلطفُ به. والتولي حقيقة في الانصرافِ بالبدن. ﴿ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: مشى فيها [والساعي]: المتردّد من جهةٍ إلى جهة. ﴿ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ علّة لسعيه أي: مقصوده في سعيه إنَّما هو الفساد. ﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ عطف خاص على عام، وجُرِّدا من العام لأنّهما أعظمُ ما يُحتاج إليهما في عمارة الدُّنيا. و«الحرث» الزرع. و«النَّسل» ما يتوالد من الأولاد من النّاس والحيوان. وقُرِىء: ويُهلك مضارع أهلك ونصب «الحرث والنسل»، ويهلك بضم[٣] الكاف على الاستئناف، ويَهلك مضارع هلك برفع[٤] الكاف ورفع ما بعده، وكذا مع فتح اللام وهي لغة شاذة نحو رَكَنَ يَرْكَنُ. والجملةُ الشرطيةُ إما مستأنفة وإما داخلة في الصلة.

ولما تقدمتْ عِلَّتان[٥] الثانية مندرجة في الأولى قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ

---

(١) عبارة ق: وهذا مخالف لما ترجمه النحاة من أفعل التفضيل لا تضاف إلا لما هي بعض له.

(٢) هما «ويشهد الله» و«وهو ألدّ».

(٣) ق: وبضم.

(٤) ق: فرفع.

(٥) هما «ليفسد فيها ويهلك».

﴿ٱلْفَسَادَ﴾ فاكتفى بذكر الأولى لانطوائها على الثانية. والفسادُ عام في أرضٍ ومالٍ ودين وغير ذلك حتّى أنَّ بعضَ أهلِ العلم استدلَّ به على منع الإنسان شقَّ ثوبه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ مستأنفة أو داخلة في الصلة. ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾ احتوتْ عليه وأحاطت به وصار كالمأخوذ لها. «بالإثم» أي: مصحوباً أو مصحوبة بالإثم أو للسبب أي: إثمه السابق كان سبباً لأخذ العزَّةِ له. ووقف يهودي لهارون الرشيد وقال له: اتَّقِ الله يا أميرَ المؤمنين، فنزل عن دابته وخَرَّ ساجداً وقضى حاجته، فقيل له في ذلك فقال: ذكرت قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ الآية.

﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ أي: كافيهِ جزاءُ جهنمَ وهو استعظامٌ لما حَلَّ به. وجهنّمُ اسم عَلَم للنارِ وهي مشتقةٌ من قولهم: بئر جِهنّام[1] إذا كانت بعيدةَ القعرِ، وسمّي الرجل بجنهام، وكلاهما من الجهم وهي الكراهةُ والغِلْظةُ. ووزنها فَعَيَّل ولا يلتفت لمن قال: وزنها فَعلّل كعَدَيّس[2]، وإن فعلّلاً مفقودٌ لوجود فعنَّل نحو دويّك وصفيّك وغيرهما. وامتنعت [من] الصرفِ للتأنيثِ والعَلَميّةِ. ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ المخصوصُ بالذّم محذوفٌ تقديرُه هي أي جهنّم.

ولما تقدم قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ وكان عاماً في المنافقِ الذي يُظهرُ خلافَ ما يُبطن، ناسبَ ذكر قسيمه عاماً وهو مَنْ يبذل نفسَهُ في طاعة

---

(١) بئر جهنّام: غير واضحة في ق. وانظر اللسان «جهم».

(٢) ق: كقدّس.

الله، وينبغي أن يكون من عين الصنفين[١] إنّما ذكر على سبيل المثال وكون «مَن» يدخل في عمومها.

و﴿ يَشْرِي ﴾ معناه يبيع[٢]، عَبَّر عن بذلِ النّفس بالشراء. وانتصب ﴿ ٱبْتِغَآءَ ﴾ على أنّه مفعول له. و«مرضات» مصدر بُنِيَ على التاء كمدعاة[٣]، والقياس تجريده عن التاء، وكتبت في المصحف بالتاء ووقف عليها بالتاء وبالهاء. ومعنى ذلك أنّهُ يَبْتَغِي رضاءَ الله عنه وهو كنايةٌ عن فعله به ما يفعل الراضي بمن يرضى عنه وهو إيصال الخيرِ إليه.

﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ حيث كلّفهم ما يقتضي الحضّ على امتثالِ ما وقع به المَدْحُ من شراءِ نفسه في جهادٍ وغيرِه مما يشقُّ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ إنْ كان المنادى أهل الكتابِ فالمعنى: [يا أيّها الذين] آمنوا بالتوراةِ والإنجيلِ ادخلوا في شرائع الإسلام، [وفُسِّرَ السِّلمُ بالإسلامِ]. وإن كان المنادى المسلمين فالمعنى: يا مَنْ آمن بقلبه وصدَّقَ ادخلوا في شرائعِ [الإسلام] والإيمانِ، واجمعوا إلى الإيمان الإسلام وهو ما فَسَّره رسولُ الله ﷺ في حديثِ جبريل عليه السلام

---

(١) ق: وسعى أن يكون من عين الصفين.

(٢) ق: يتبع.

(٣) ق: كمرعاة.

بين الحقيقتين[١]. وقُرِىء بفتح السين وكسرها، وانتصب «كافة» على الحال وذو الحال ضمير «ادخلوا». و«كافة» ممّا [٥١/أ] التزم نصبه على الحال نحو قاطبةً، ومعناه جميعاً.

قال الزَّمخشريُّ[٢]: يجوز أن يكون حالاً من السّلم أي: في شرائع الإسلام كلِّها، أُمروا بأنْ لا يدخلوا في طاعةٍ دون طاعة، وقال ما نصه: ويجوز أن يكون «كافة» حالاً من «السلم» لأنّها تؤنث كما تؤنث الحرب قال[٣]:

[من البسيط]

السلمُ تأخذ منها ما رضيتَ به والحربُ يَكفيكَ من أنفاسها جرعُ

على أنَّ المؤمنين أُمروا بأنْ يدخلوا في الطاعاتِ كُلِّها وأنْ لا يدخلوا في طاعةٍ دون طاعة، أو في شُعَب الإسلامِ وشرائعه كُلِّها وأن لا يخلُّوا بشيءٍ منها. وعن عبد الله بن سلّام أنّه استأذنَ رسولَ الله ﷺ أن يُقِيمَ على السبت وأنْ يقرأ من التوراةِ في صلاته من اللّيل فلم يأذنْ له[٤]. و«كافة» من الكفِّ كأنّهم كفّوا أنْ يخرج منهم أحد باجتماعهم انتهى كلامه.

تعليلُه جوازُ أنْ يكون «كافة» حالاً من «السِّلم» بقوله: لأنّها تؤنَّثُ كما يؤنث الحربُ - ليس بشيءٍ، لأنّ التاء في «كافة» وإن كان أصلها للتأنيث، ليست فيها إذا كانت حالاً للتأنيث بل صار هذا نقلاً محضاً إلى معنى: جميع وكلّ، كما صار: قاطبة وعامة إذا كان حالاً، نقلا محضاً إلى معنى كلّ وجميع. فإذا قلت: قام النَّاسُ كافة أو قاطبة أو عامة فلا يدلُّ شيءٌ من هذه

---

(١) أي حقيقة الإسلام والإيمان.

(٢) الكشاف ١ : ٣٥٣.

(٣) انظر حاشية يس على التصريح ٢: ٢٨٦.

(٤) «فلم يأذن له» ساقطة في الكشاف.

الألفاظ على التأنيث، كما لا يدلُّ عليه: كلّ ولا جميع. وتوكيده بقوله: أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها، هو الوجه الأول من قوله: بأن يدخلوا في الطاعات كلّها، فلا حاجةَ إلى الترديد(١).

وقال ابنُ عطية(٢): وقالت فرقة: جميع المؤمنين بمحمّد صلى الله عليه وسلم، والمعنى أمرهم بالثبوت فيه والزيادة من التزام حدوده فيَسْتَغْرِق «كافة» حينئذٍ(٣) المؤمنينَ وجميع أجزاء الشرع فيكون الحال من شيئين، وذلك جائز نحو قوله تعالى ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۝٢٧﴾ [مريم] إلى غير ذلك من الأمثلة. ثم قال بعد كلام ذكرَه(٤): وكافة معناها جميعاً والمرادُ بالكافةِ الجماعةُ التي تكفُّ مخالفيها(٥) انتهى كلامه.

وقوله: فيكون الحال من شيئين يعني من الفاعل في «ادخلوا» ومن «السلم»، وهذا الذي ذكره محتملٌ ولكنَّ الأظهرَ أنَّهُ حالٌ من ضمير الفاعل. وذلك جائز، يعني مجيء الحال الواحد من شيئين وفي ذلك تفصيلٌ ذكر في النَّحو. وقوله: نحو قوله تعالى ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ يعني أن «تحمله» حال من الفاعل المستكنّ في «أتت» ومن الضمير المجرور بالباء. وهذا المثال ليس بمطابق الحال من شيئين، لأنَّ لفظة «تحمله» لا تحتمل شيئين، ولا يقع الحال من شيئين إلاّ إذا كانت اللّفظة تحتملهما(٦) واعتبار ذلك بجعل

---

(١) «إلى» مكررة في ق. وعبارة ط: فلا حاجة إلى هذا الترديد بأو.

(٢) المحرر الوجيز ٢: ٢٤.

(٣) ق: جسد.

(٤) المحرر الوجيز ٢: ٢٥.

(٥) ق: يكفّ مخالفتها.

(٦) ق: تحتملها.

ذوي الحال مبتدأين والإخبار بتلك الحال عنهما، فمتى صَحَّ ذلك صَحَّت الحالُ ومتى امتنع امتنعت مثال ذلك قوله: [من الطويل]

وعُلِّقتُ سلمى وهي ذاتُ موصَّد ولم يَبْدُ للأترابِ من ثديها[1] حجمُ
صغيرين نَرْعَى البَهْمَ يا ليتَ أننا إلى اليوم لم نَكْبَر ولم تَكْبَر البَهْم[2]

فصغيرين: حال من الضمير في «علّقت» ومن «سلمى» لأنّه يصلح أن تقول: أنا وسلمى صغيران نرعى البهم. ومثله قوله[3]: [من الطويل]

خرجت بها نمشي تجر وراءنا

فنمشي: حال من التاء في «خرجت» ومن الضمير المجرور في «بها» ويصلح أن تقول: أنا وهي نمشي. وهنا لا يصلح أن يكون «تحمله» خبراً عنهما لو قلت: هي وهو تحمله، لم يصح أن يكون «تحمله» خبراً نحو قوله: هند وزيد يكرمه، لأنّ تحمله ويكرمه لا يصحُّ أن يقدّر إلاّ بمفرد فيمتنع أنْ يكون حالاً من ذوي حال ولذلك أعرب المعربون في:

خرجت بها نمشي تجر وراءنا

نمشي: حالاً [منهما، وتجرّ: حالاً] من ضمير المؤنّث خاصة، لأنَّهُ لو قيل: أنا وهي تَجُرُّ وراءنا لم يجز أن يكون: تجرُّ خبراً عنهما، لأن تجرّ وتحمل [٥١/ب] إنّما يتقدران بمفردٍ أي: حاملة وجارّة، وإذا صَرَّحت بهذا

---

(١) ق: يديها.

(٢) ق: يرعى إليهم.. يكبر التهم. والبيتان لمجنون ليلى في ديوانه ص٢٣٨، وفيه:
تعلّقت ليلى وهي غرّ صغيرة

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٤، وتمامه:
خرجت بها تمشي تجر وراءنا على أَثَرَيْنَا ذيل مرطٍ مُرَحَّلِ

المفرد لم يمكن أن يكون حالاً منهما.

و«كافة» لدلالته على معنى جميع، يصلح أنْ يكون حالاً من الفاعل في «ادخلوا» ومن «السّلم» بمعنى شرائع الإسلام، لأنَّك لو قلت: الرجالُ والنساء جميع في كذا، صحَّ أنْ يكون خبراً، لا يقال: كافة لا يصحُّ أن يكون خبراً، لا تقول: الزَّيْدون والعمرون كافة في كذا، ولا يجوز أن يقع حالاً على ما قررت، لأنَّ امتناعَ ذلك إنَّما هو بسببِ مادةِ «كافة» إذ لم يتصرّف بل التزم نصبها على الحال، لكن مرادفها يصحُّ فيه[١] ذلك. وقوله: والمراد بالكافة الجماعة التي تكفُّ مخالفيها، يعني أنَّ هذا في أصلِ الوضع ثم صار الاستعمال لها بمعنى جميعاً كما قال هو وغيره. و«كافة» معناه جميعاً. وضَمُّ عين فُعْلة الاسم في الجمع بالألف والتاء لغة الحجاز فتقول: خُطُوات.

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ «فإن زللتم»، (أي: بإيقاع الشيطانِ في كفرٍ أو معصية. وقُرىء: زللتم بفتح اللام وبكسرها)[٢] ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ وهي حُجج الله ودلائله التي أوضحها في كتابهِ وعلى لسانِ رسوله ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾[٣]﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [لا يُغالَبُ] ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يُرتِّبُه من الزَّوَاجرِ لمن خالف، وفي ذلك وعيدٌ شديد. وأَمْرُهم بأنْ يعلموا تنبيهٌ[٤] لهم على ما قد يغفلُ[٥] العاصي عن وصفه تعالى بهاتين الصفتين.

---

(١) ق: منه.

(٢) ما بين قوسين كتب في الحاشية.

(٣) ق: واعلموا.

(٤) غير ظاهرة في ق.

(٥) ق: يغسل.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: هل ينتظرون[1] والمعنى على النَّفي، ولذلك دخلت «إلاّ» في قوله ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾. والإتيان حقيقة في الانتقالِ من حَيِّزٍ إلى حيّز وذلك يستحيلُ بالنسبة إلى الله تعالى، وهو إتيانُ ما يليقُ به سبحانه وتعالى من غير انتقالٍ إذ هو تعالى ليس في مكان، أو يكون على حذفِ مضافٍ وهو الذي صرّح به في قوله: ﴿ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النحل] وهو عبارةٌ عن بأسهِ وعذابه، ويدلُّ على هذا المحذوف قوله ﴿ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ يستحيل أن يَحُلَّ تعالى في ظلل.

وقد قيل: الضمير في «ينظرون» لليهود وهم مُشَبِّهةٌ، ويدلُّ عليه قوله بعدُ ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢١١﴾ ﴾ [البقرة]: والمعنى أنَّهم لا يقبلونَ ما دُعُوا إليه من الإسلامِ واتباعِ الرسلِ إلاّ أنْ يأتيهم الله تعالى. وقرىء: في ظلل وفي ظلال، الأول جَمْعٌ منقاسٌ والثاني لا ينقاس. وقرىء: والملائكة بالرفع عطفاً على الجلالة، والجر عطفاً على «في ظلال» أو على «من الغمام».

﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ قد يستروح[2] من هذا ذلك المحذوف المقدّر وهو أمر ربك. وقضاءُ الأمرِ عبارةٌ عن الجزاء والفراغ من الحساب. وقرىء: وقضاء ممدوداً بضم الهمزة وجَرِّها، وقضي الأمور جمعاً. وقرىء: يرجع بالياء مبنياً للفاعل، وبالتاء وبالياء مبنياً للمفعول.

﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾.

---

(١) ق: ينظرون.

(٢) غير ظاهرة في ق.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الخطاب للرسول عليه السلام أو لكلِّ أحد، وقرىء: اسأل، وإِسَل لم يعتدَّ بنقلِ الحركة فتحذف همزة الوصل[١]. وقرأ الجمهور: سل واحتمل النقل وحذف همزة الوصل، واحتمل أن يكون على لغة سأل يسأل حكاها سيبويه.

﴿كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم﴾ سؤالُ تقريعٍ وتقريرٍ[٢] لِمَا آتاهم من البيّنات ومع ذلك ما أَجْدَتْ عندهم. و«كم» في موضع نصب على المفعول الثاني لـ«آتيناهم». و﴿مِّنۡ ءَايَةِۭ﴾ تمييز لـ«كم». وعلى هذا لا يجوز ما أجاز ابنُ عطية من أن «كم» منصوبة بفعل مضمر يفسِّرُه الظاهر، التقدير: كم آتينا آتيناهم. لأنّ الضمير في «آتيناهم» ليس عائداً[٣] على «كم» ولا هو سببيٌّ، ونظير[٤] ما أجاز أنْ تقول: الدرهمَ أعطيت زيداً، فتنصب الدرهم بفعل مضمر، و«أعطيت» ليس فيه ضمير يعود على الدرهم، ولا سببي ويترك نصبه بأعطيت المفرغ له[٥]، وكذلك: زيداً ضربت، بنصب زيداً بفعلٍ محذوفٍ، وضربت مهيأ للعمل فيه. وأجاز أيضاً أن تكون «كم» مبتدأة وحذف الضمير العائد عليها والتقدير: آتيناهموها، وهذا عند البصريين لا يجوز إلا في الشعر أو شاذ من القراءات، و«كم آتيناهم» في موضع المفعول الثاني لـ«سَل» وسل

(١) أصله: إسأل فنقلت حركة الهمزة إلى السين، وحذفت الهمزة التي هي عين، ولم تحذف همزة الوصل لأنه لم يعتدّ بحركة السين لعروضها.

(٢) ق: وتكرير.

(٣) ق: عائد.

(٤) ق: ونظيره.

(٥) ق: للفرع له.

معلّقة كما قال[١]: [من البسيط]

سائل بني أسدٍ ما هذه الصوت

وأجاز الزَّمخشريُّ[٢] أن تكون «كم» خبرية، [وفي جعلها خبرية] اقتطاعٌ للجملة التي هي فيها من جملة السؤال ويصير الكلامُ مفلتاً[٣] عما قبله [٥٢/أ] وأنت ترى مَصَبَّ السؤال على هذه الجملة ولا يكون ذلك إلاّ مع الاستفهام. و«من آية» تمييز لـ«كم». وأجاز ابنُ عطية[٤] أن يكون «من آية» مفعولاً و«من» زائدة والتمييز محذوف. وفي جواز مثل هذا التركيب نحو: كم درهم أعطيت من رجلٍ، نظرٌ. والآيات البيّنات: ما تضمّنته التوراةُ والإنجيلُ من صفةِ رسولِ الله ﷺ وتحقيق نُبُوَّتِه[٥] وتضمن ما جاء به ومعجزاته.

﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ هي الآيات، وأي نعمة أجلّ منها وهي سببُ الهداية؟. و«مَن» عام فيدخل فيه كفار قريش، وحذف حرف الجرّ من «نعمة» والمفعول الثاني لدلالة المعنى عليه، والتقدير: ومن يبدّل بنعمة الله كفراً. ودلَّ على ذلك ترتيبُ جوابِ الشرطِ عليه، وجواب الشرط لدلالةِ ما بعده عليه تقديره: يعاقبه[٦]، أو يقدّر ضمير أي: شديد العقابِ له، أو تنوب أل

---

(١) رويشد بن كثير الطائي، والبيت في شرح ديوان الحماسة ١: ١٦٦، وصدره:

يا أيها الراكب المزجي مطيّته

(٢) انظر الكشاف ١: ٣٥٤.

(٣) ق: معلناً.

(٤) المحرر الوجيز ٢: ٢٩.

(٥) ق: ثبوته.

(٦) ق: لعاقبة.

عن الضمير على مذهب مَنْ يرى ذلك أي: شديد عقابه.

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، نزلت في أبي جهل وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بسطَ اللهُ لهم. وقرىء: زُيِّن وزُينت على البناء للمفعول، وزَيّن مبنياً للفاعل، والتزيينُ: التحسينُ. ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي برسولِ الله حيث اتبعوه وأعرضوا عن حُطامِ الدنيا. وصُدِّرَت الجملةُ بالماضي لأنّه أمرٌ مفروغ منه وهو تركيبُ طباعِهم على محبّةِ الدنيا وإيثارها[1] على الآخرة، والثانية جاءت بالمضارع لأنه يتجدَّدُ كُلَّ وقت. [و]عطف المضارع ومتعلقه على الماضي ومتعلقه. أو يقدّر: وهم يسخرون، فيكون من عطفِ الاسميةِ على الفعلية. ولما كانت السخريةُ تقتضي العُلُوَّ والتطاولَ للساخرِ أخبر تعالى بعلوِّ المؤمنينَ عليهم في الآخرة. وجاء بلفظ[2] «اتقوا» بعثاً للمؤمن على التقوى.

﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: في الآخرة ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: بغير نهاية، أو في الدنيا بأن يُمَلِّكَ[3] المؤمنين المسخور منهم رِقابَ الكافرين وأرضَهم وأموالَهم ولا يحاسبهم على ذلك ولا يُحْصِي عليهم.

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾.

(١) ق: وإيثاره.

(٢) ق: لفظ.

(٣) ق: يهلك.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: في الإيمان. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ في الكلامِ حذفٌ أي: فاختلفوا فبعثَ. وقرأ عبد الله: فاختلفوا، وذلك عندنا على سبيلِ التفسيرِ لا القرآن، وقد صرّح بهذا المحذوف في ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴿١٩﴾﴾ [يونس].

﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بثوابِ مَنْ أطاع. ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بعقاب من عصى. وقدم البشارة لأنّها أبهجُ للنَّفس وأقبلُ لما يُلْقي النَّبيُّ، وفيها اطمئنان المكلّف.

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ معهم: حالٌ مقدرة من «الكتاب» فيتعلق بمحذوف وليس منصوباً بـ«أنزل». وأل في «الكتاب» للجنس. و﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلقٌ[1] بـ«أنزل» أو في موضع الحال من «الكتاب» وهي حال مؤكدة. ﴿لِيَحْكُمَ﴾ متعلقٌ «بأنزل»، والفاعل ضميرٌ يعود على الله وهو المضمر في «أنزل» أي: ليفصلَ[2] به بين النّاس، والفصلُ لا يكونُ إلا بعد الاختلافِ، ويؤيده قراءة الجحدري: لنحكم بالنون وهو التفات. وعنه أيضاً: لِيُحكَم[3] مبنياً للمفعول. ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ وهو الإسلام أي: في الدّين الذي اختلفوا فيه.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ الآية، الضميران عائدان على «ما» الموصولة[4]. والهاء في ﴿أُوتُوهُ﴾ عائدةٌ على الكتاب. والذين أوتوه هم أربابُ العلم به والدراسة له. وخَصَّهم بالذكر تشنيعاً وتقبيحاً للذي فعلوه من الاختلاف.

---

(١) ق: متعلقاً.

(٢) ق: لتفصل.

(٣) ق: لنحكم.

(٤) المقصود بالضميرين الهاء في «فيه» وفي «أوتوه»، وما الموصولة التي في قوله «فيما اختلفوا فيه».

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ أي: في الكتاب الذي أنزل إذِ الحقُّ مُوَضَّحٌ فيها يوجبُ الاتفاقَ(١) وعدمَ الاختلاف.

﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي سبب(٢) الاختلاف هو البغي والظلم والتعدّي. وهما اختلافان: أوّلٌ يعقبه بعثُ الأنبياء والثاني بعد إنزالِ الكتاب. وانتصب «بغياً» بمحذوفٍ تقديرُه: اختلفوا فيه من بعد ذلك [٥٢/ب] بغياً.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي بمحمّد ﷺ. ﴿لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ أي: للدين الذي اختلف فيه النّاس. ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ تَبيينٌ للمختلَفِ فيه في موضعِ الحال من «ما»، والهدايةُ تقتضي إصابةَ الحقِّ. ﴿بِإِذۡنِهِۦۗ﴾ أي: بتمكينه وتوفيقه. ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايته. ودلَّ ذلك على أنَّ هدايته مَنْ شاء منشؤُها الإرادةُ، وفي ذلك ردٌّ على المعتزلة في زعمهم أنه يستقل بهدايته نفسه.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ نزلت في شدائدَ أصابت المسلمينَ كحالهم في الخندقِ وفي غزوةِ أحد. و«أم» منقطعة والتقدير(٣): بل أحسبتم.

---

(١) ق: الإتقان.

(٢) ق: بسبب.

(٣) ق: التقدير

وحَسِبَ كظنَّ يُستعملُ في الترجيح. وسدّت «أن» مسدَّ مفعولي حسب.

﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم ﴾ جملةٌ حالية. و«لمّا» أبلغ في النّفي من لم. والمثل الشبه، إلّا أنّه مستعار لحالٍ غريبةٍ أو قضيةٍ عجيبة[١]. وثَمّ محذوفٌ أي: مثل محنة[٢] المؤمنين الذين من قبلكم. ثم فسّر ذلك المثل فقال ﴿ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ ﴾. وليس لهذه الجملةِ موضعٌ من الإعراب على المشهور.

و﴿ مَّسَّتْهُمُ ﴾ أصابتهم. ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾ أي: أُزعجوا إزعاجاً شديداً. ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ﴾ قُرىء بالنَّصب فـ«حتى» غاية إلى أن يقول، وقرىء برفع[٣] «يقول» وهي حالٌ مَحْكية، والمعنى: وزُلزلوا[٤] حتى قالَ الرسولُ وقعَ الزلزالُ. والقولُ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ معمولٌ[٥] لـ«آمنوا».

﴿ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ سؤالٌ عن الوقت، والجملتان داخلتان تحت القول، جُمع الرسولُ والمؤمنون في القول: قال المؤمنون ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ وقال الرسول: ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾. لما استبطأ[٦] المؤمنون النَّصر أجابهم الرسولُ بأنّه قريب، عادت كل جملةٍ لما يناسبها. وقدّم الرسول في إسنادِ القولِ لمكانته، وقول المؤمنين لِتَقَدُّمِه في الزمان. و«الرسول» هنا اسم جنس.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

(١) عبارة ق: مستعار الحال غريبة أو قصته عجيبة.

(٢) ق: محبة.

(٣) ق: بيرفع.

(٤) ق: فزلزلوا.

(٥) ق: محمول.

(٦) ق: استنبط.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ عن ابن عباس: نزلت في عمرو بن الجموح وكان ذا مالٍ، سأل بماذا أتصدَّقُ وعلى مَنْ أُنفقُ. والضميرُ للمؤمنين والخطابُ للرسول عليه السلام. و«ماذا» مفعول «ينفقون» أو «ما» مبتدأ خبره «ذا» وهو موصول والعائد عليه محذوفٌ والتقديرُ: أي شيءٍ الذي ينفقونه. والظاهر السؤال عما ينفق لكن تَضَمَّن الجوابُ ما ينفق ومصرفه بقوله ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ .

و﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ تبيينٌ للمنفَقِ ويتناولُ القليلَ والكثير. و«ما» موصولة أو شرطية. وبدأ بالصرف بالأقربِ فالأقربِ ثم بالأحوجِ فالأحوج. وخبر «ما» «للوالدين» إن قلنا بوصلها على إضمارٍ أي: فهو أو مصرفه للوالدين. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟﴾ ما: شرطية مفعول بها أي: أي شيء تفعلوا. والفعل أعمُّ من الإنفاقِ وغيره. سألوا عن خاص وأجيب بخاص ثم أتى بالعموم في أفعال الخير.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ .

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ أي: فُرِضَ. وظاهرُ كَتْبِ الفرضية إمَّا على الأعيان وإمّا على الكفاية. ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ أي: مكروه لكم كالنقص بمعنى المنقوص[1]. وقرىء: كتب مبنياً للمفعول، ومبنياً للفاعل ونصب «القتال». والقتال يعني الجهاد. والجملة حالٌ والضميرُ عائدٌ على القتال.

---

(١) ط: كالنقض بمعنى المنقوض.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا﴾ الآية، «عسى» للإشفاقِ ومجيئها لها قليلٌ وأكثرُ مجيئها للترجِّي. وكراهتهم للقتال لما فيه من التعرُّضِ للقتلِ والأسرِ وإنضاءِ الأبدانِ وإتلافِ الأموال. والخير الذي فيه الظفر والغنيمة والاستيلاء على النُّفوس والأموال، وأعظمُ الخيرِ الشهادةُ[1] وهي الحالةُ التي تمنَّاها رسولُ الله ﷺ. والجملةُ حالٌ من النكرة وهو قليلٌ ومع[2] ذلك نَصَّ على جوازه سيبويه.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا﴾ عسى هنا للترجِّي واندرجَ في قوله «شيئاً» الخلودُ إلى الراحة وترك القتال لأنَّهُ محبوبٌ بالطبع. والشرّ الذي فيه هو ذلُّهم وضَعْفُ أمرهم واستئصالهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ أي: ما فيه المصلحةُ حيث كلَّفكم القتالَ ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ما علمه الله تعالى [٥٣/أ] لغيبةِ عواقبِ الأمور عنكم.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾﴾.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ نزلت في أول سرية في الإسلام، كان

(١) ق: والشهادة.

(٢) ق: مع.

أميرهم عبد الله بن جحش، أغاروا على عِيرٍ لقريش قافلة من الطائفِ وقتلوا عمرو[١] بن الحضرمي آخر يومٍ من جمادى الآخرة فاشتبه بأول يومٍ من رجب فعيَّرهم أهلُ مكّة باستحلاله. وقرىء: قتال بالجرِّ بدل اشتمال، وقيل بالجرِّ والرفع، ووجه الرفع على تقدير همزة الاستفهام «فقتال» مبتدأ، وقيل: التقدير أجائزٌ قتالٌ فيه.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ قتال: مبتدأ موصوف بالجار والمجرور و«كبير» خبره. فظاهرُ الآية تحريمُ القتال في الشهر الحرام. قيل: هي منسوخةٌ وقيل محكمة. قال [عطاء]: لم تنسخ وحلف: تالله ما يحلُّ للنَّاس أن يَغْزُوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أنْ يُقاتَلوا.

﴿وَصَدٌّ﴾ وما بعده من المعاطيف جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على «قتال فيه كبير»، وخبر المبتدأ: أكبر من القتال[٢]، والمعنى: وصدّكم المسلمين عن سبيل الله. ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ أي: بسبيل الله وهو دِينُ الله وشريعته.

وقد خبط المعربون في عطف ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾. والذي نختاره أنَّه عطف على الضمير المجرور ولم يُعَدْ جارّه. وقد ثبتَ ذلك في لسانِ العرب نثراً ونظماً باختلاف حروف العطف وإنْ كان ليس مذهب جمهور البصريين، بل أجاز ذلك الكوفيون ويونس والأخفش والأستاذ أبو علي الشلوبين، ولسنا متعبدين باتباع مذهبِ جمهورِ البصريين بل نتبع الدليل.

---

(١) ق: عمر. والتصويب من ط وغيره.

(٢) ق: القتل. وتمام الجملة: وصدّكم المسلمين عن سبيل الله أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام.

﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ﴾ والضمير للمسجد. وجعل المؤمنين أهله لأنّهم القائمون بحقوقه أو لأنّ مآلهم إليه في العاقبة. ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ﴾ أي: التي تفتن المسلمين عن دينهم فيكفروا ﴿أَكۡبَرُ﴾ اجتراماً من قتلهم إياكم.

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار. ودلَّ هذا على أنَّ الضميرَ في «يسألونك» هو للكفار، والضمير المنصوب للمؤمنين، انتقل من خطاب الرسول إلى خطابِ المؤمنين. و﴿حَتَّىٰ﴾ تحتمل الغاية والتعليل، وجعلها للغاية ابنُ عطية، وللتعليل الزّمخشريُّ. وهو أمكن إذْ يكون الفعل الصادر منهم المنافي للمؤمنين وهو المقاتلة ذكر لها علّة توجيهاً، فالزمان مستغرق للفعل ما دامت علّة الفعل، وذلك بخلاف الغاية فإنها تقييد في الفعل [دون] ذكر الحامل عليه، فزمانُ وجودِه مقيدٌ بغايته، وزمان وجود الفعل [المعلل] مقيدٌ بوجودِ علّته، وفرقٌ في القوة بين التقييد بالغاية والتقييد بالعلّةِ لما في التقييدِ بالعلةِ من ذكرِ الحاملِ وعدم ذلك في التقييد بالغاية. والدين هنا الإسلام. وجواب «إن»[1] محذوفٌ أي: إن استطاعوا فلا يزالون يقاتلونكم.

﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ﴾ بنى «افتعل» من الردِّ وهي بمعنى التعمّل والتكسُّبِ لأنّه متكلّف إذ من باشر دِينَ الحقِّ يبعد أنْ يرجعَ عنه فلذلك جاء افتعل هنا!. ولم يختلف هنا في فكّ المثلين وهي لغة الحجاز. ﴿وَهُوَ كَافِرٌ﴾ رتّب الكفر على الموت بعد الردّة ورتب على ذلك حبوط العمل في الدنيا، وحبوطه في الدنيا لاستحقاقِ قتله[2] وإلحاقه في الأحكام بالكفار، وفي

(١) ق: أم.

(٢) ق: قبله. وعبارة ط: وهو بطلانه في الدنيا باستحقاق قتله.

الآخرة بما يؤولُ إليه من العقابِ السرمدي. وقد جاء حبوطُ العملِ مرتباً على الشركِ دونَ الموافاةِ على الكفر، فلو كان قد حجَّ ثم ارتدَّ فقال مالكٌ وأبو حنيفة وغيرهما: يلزمه الحجُّ إذا رجع إلى الإسلام وقال الشافعي لا يلزمه.
﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى مَن اتصف بالأوصاف السابقة وهو حمل على معنى من بعد الحمل على اللَّفظ. «وأولئك» يحتمل أن تكون معطوفاً على الجزاء[١]، أو يحتمل أن تكون ابتداء إخبار عطفاً على جملة الشرط.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ روي أنّ عبد الله بن جحش وصحبته حين قتل الحضرمي ظنَّ قوم أنَّهم إنْ سَلِمُوا[٢] من الإثم فليس لهم أجرٌ فنزلت. [٥٣/ب] ولما كان الإيمان هو الأصل أفرده بموصول، ولما كانت الهجرةُ والجهادُ فرعين أُفردا بموصول لأنّهما من حيث الفرعية واحد. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المُتَّصفين بالأوصافِ الثلاثة من الإيمان والهجرة والجهاد. وليس تكرير الموصول مُشْعِراً بالمغايرة في الذوات.

﴿يَرْجُونَ﴾ لأنّه ما دام المرءُ في قيد الحياة، لا نقْطعُ أنّه صائرٌ إلى الجنّة إذ لا يعلم ما يختم له به. وكتبت «رحمة» بالتاء لتمتاز بحالةِ الوصل مذهباً لمن يقف عليها بالتاء لا بالهاء[٣].

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ

---

(١) ق: على الجر.
(٢) ق: أنهم أسلموا.
(٣) عبارة ط: اعتباراً بحالة الوصل ورعياً لمن يقف..

إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ الخمر هو المُعْتَصَرُ من العنب إذا غلا واشتدَّ وقذف بالزبد[1]. والميسر القِمار مَفْعِل من يَسَرَ يَيْسِرُ[2]، وهو عشرة أقداح وهي الأزلام لسبعة[3] منها حظوظ وفيها فروض على عدة الحظوظ: الفذّ[4] وله سهم واحد والتوأم[5] وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحِلْس وله أربعة والنافس وله خمسة والمُسبل وله ستة والمعلّى وله سبعة، وثلاثة أغفال[6] لا حظوظَ لها وهي المنيح والسفيح والوغد[7] تزاد[8] هذه لتكثر السهام وتختلط على الحُرْضَة[9] وهو الضاربُ[10] بالقِداح فلا يجد إلى الميل مع أحد سبيلاً، وهو رجل عَدْل عندهم، ثم يجثو الضاربُ على ركبتيه ويلتحف بثوبٍ ويخرج رأسه ويجعل تلك القداح في الرِّبابة[11] وهي خريطة

---

(١) ق: وقذف ما ارتد.

(٢) ق: مفعل من تيسر.

(٣) ق: لتسعة.

(٤) ق: للعدّ.

(٥) ق: والثوّام.

(٦) ق: أعمال.

(٧) ق: المنح والسبخ والرعد. والتصويب من ط. وانظر أيضاً القرطبي ٣: ٥٨.

(٨) ق: يراد.

(٩) ق: الحرصة.

(١٠) ق: للضارب.

(١١) غير واضحة في ق. والربابة شبيهة بالكنانة تجمع فيها سهام الميسر.

ثم يُجِيلها[١] ويدخل يده ويخرج باسم رجل رجل قدحاً منها، فَمَنْ خرج له قدح من ذواتِ الأنصباء أخذ النصيبَ الموسوم به ذلك القدح، ومن خرج له قدح من تلك الثلاثة لم يأخذ شيئاً وغُرِّمَ ثمن الجزور كله. وكانت عادةُ العرب أن تضرب بهذه القداح في الشدَّة وضيقِ العيش وكَلِب البَرْد[٢] على الفقراء فيشترون الجزور ويضمن الأيسار[٣] ثمنه ثم ينحر ويقسم على عشرة أقسام. وأيُّهم خرجَ له نصيبٌ واسى به الفقراءَ ولا يأكل منه شيئاً ويفخرون[٤] بذلك ويسمُّون مَنْ لم يدخل فيه البَرَم[٥] ويذمُّونه بذلك.

سأل عُمر ومعاذ رسولَ الله ﷺ قالا: يا رسول الله أفتنا في الخمرِ والميسر فإنَّهما مذهبةٌ للعقل مَسْلبةٌ للمال فنزلت. ولما كان الخمرُ والميسرُ من مصارفِ المال ومع مداومتهما قَلَّ أنْ يبقى مال فيتصدق به أو يجاهد به سألوا عن ذلك.

﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وهذا يدلُّ على أن تعاطيهما من الكبائر وذلك بعد التحريم.

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ قبل التحريم. والإثمُ هو الذنبُ الذي يترتب عليه العقاب مع ما جاء في الخمر من ذهابِ العقلِ والسباب[٦] والافتراء والتعدّي.

---

(١) ق: يحلحلها.

(٢) غير ظاهرة في ق، وكلب البرد: اشتد.

(٣) ق: الإنسان.

(٤) ق: ويسخرون.

(٥) غير ظاهرة في ق.

(٦) ق: والشباب.

والمنفعةُ التي فيهما[1] ما يحصلُ من الأرباحِ والاكتسابِ وذهاب الهمِّ وحصول الفرح. وقد ذكر الأطباء منافعها ومضارها. والمنفعة التي في الميسر التوسعةُ على المحاويجِ وبُعد الصِّيتِ[2] بذلك. وقرىء: كبير بالثاء والباء.

﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ وهو ما يقترفون[3] فيهما من الإثم.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ تقدّم هذا السؤال وأُجيبوا بالمصرف، وأُجيبوا هنا بذكر المقدار. والعفوُ: ما فضل عما يحتاج إليه من يمونه ويسهل عليه. وقرىء: قل العفو بالنَّصب على تقدير ماذا مفعولاً، وبالرفع على تقديره مبتدأً وخبراً، فطابق الجواب السؤال في القراءتين وإنْ كان يجوز عدم التطابق والرفع على إضمار مبتدأ أي: المُنْفَق العفو. وتقدير ابن عطية[4]: قل العفو إنفاقكم، ليس بجيّد، لأنّه أتى بالمصدر وليس السؤال على[5] المصدر. قال ابنُ عطية[6]: ورفع «العفو» مع نصب «ماذا» جائز ضعيف، وكذلك نصبه مع رفعها انتهى. وقوله: جائز ضعيف ليس كما ذكر، بل هو جائز وليس بضعيف. والإشارة في «كذلك» إلى الأقرب[7] من تبيينه حكم

(١) ق: فيهما.

(٢) ق: الضرر.

(٣) ق: يفترون.

(٤) المحرر الوجيز ٢: ٦٥.

(٥) مكررة في ق.

(٦) المحرر الوجيز ٢: ٦٥. وعبارة ق: مع نصب «ما» جائز ضعيف ولذلك نصبه مع رفعهما.

(٧) ق: أقرب.

الخمر والميسر والإنفاق القريب ذكره. و«الآيات» العلامات والدلائل. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ترجية للتفكر [٥٤/أ] تحصل عند تبيين الآيات.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ متعلق بـ«تتفكّرون» أي: في أمر الدنيا والآخرة. وكانوا في الجاهلية يَتَحَرَّجُونَ من مخالطةِ اليتامى في مأكلٍ ومشرب ويتجنَّبُونَ أموالهم فنزلت: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ والإصلاح بتعليمه وتأديبه والنظر في تنمية ماله وحفظه. و«إصلاح» مبتدأ وهو نكرة لوجود المسوّغ من كون «لهم» متعلقاً به أو في موضع الصفة، وهو مصدر حُذف فاعلُه و«خير» خبر. و«خير» شامل للإصلاح المتعلق بالفاعل والمفعول والخيرية للجانبين[1] وإن إصلاحهم لليتامى خير للمصلِح والمصلَح فيتناول حال اليتيم والكفيل.

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب أي: فإخوانكم في الدين، فينبغي أن تنظروا[2] لهم كما تنظرون لإخوانكم من النَّسب من الشفقة والتلطُّف والإصلاحِ لذواتهم وأموالهم. والمخالطةُ من الخلط وهو الامتزاج. والمعنى: في المأكل فيجعل نفقة اليتيم مع نفقة عياله بالتحرّي[3] إذ يَعْسُر إفراد نفقته بطعامه فلا يجد بدًّا[4] من خلطه بماله لعياله فرخّص لهم في ذلك، وكذا أيّ مخالطة يكونُ لليتيم فيها إصلاحٌ من مطعمٍ أو مسكن أو متاجرة أو مشاركة أو مضاربة أو مصاهرة أو غير ذلك. وجواب الشرط «فإخوانكم» أي: فهم إخوانكم. وقرىء فإخوانكم بالنصب

(١) غير ظاهرة في ق.

(٢) ق: تنظرون.

(٣) غير ظاهرة في ق.

(٤) ق: تجديداً.

أي فتخالطون[١] إخوانكم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ جملة تحذير. والمعنى أنّه يجازي كلاًّ[٢] منهما على الوصفِ الذي قام به. وأل فيهما للاستغراق و«مِن» معناها هنا الفصل وضمّن «يعلم» معنى يمّيز فعدِّي بمِن.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لأحرجكم وشدَّدَ عليكم في كفالة اليتامى. وقرىء بتخفيف الهمزة وتليينها وطرحها بإلقاء[٣] حركتها على اللام بعد تقدير خلوّ اللام من الحركة. وجَعَل قراءة طرح الهمزة وهماً أبو عبد الله نصر بن علي بن مريم. وفي هذه الجملة تذكير بإحسان الله[٤] وإنعامه على أوصياء اليتامى إذْ أزال إعناتهم في مخالطتهم والنّظر في أحوالهم وأموالهم.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)﴾.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ نزلت في عبد الله بن رواحة أعتق أَمَةً مُسْلِمَةً وتزوّجها فطعن عليه ناسٌ من المسلمين فقالوا: نكح أمة. وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين رغبة في أحسابهم[٥] - وفي أبي مِرثد

(١) ق: فيخالطون.

(٢) ق: كلّ.

(٣) ق: بإلغاء.

(٤) مكررة في ق.

(٥) ق: إحسانهم.

الغَنَوي[1]، أراد أنْ يتزوج امرأة قرشية مشركة ذات جمال. وقرىء: تنكحوا بفتح التاء، ويطلق بمعنى العقدِ وبمعنى الوطء. وقُرىء بضمِّها أي: ولا تُنكحوا أنفسَكم المشركاتِ. والمشركات هنا الكفار وهو عمومٌ خصَّ بجواز نكاح الكتابيات. وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو على عمومه فيحرم[2] نكاح الوثنيات والمجوسيات والكتابيات وكلّ مَنْ على غير دين الإسلام، والآيةُ على هذا محكمةٌ ناسخة لآيةِ المائدة[3] متقدمة في النزول وإنْ تأخرت في التلاوة. وبجواز نكاح الكتابيات قال الجمهور.

﴿ وَلَأَمَةٌ ﴾ أي: رقيقة. ﴿ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ ﴾ أي: من حُرَّةٍ مُشركة. وعموم المشركات يقتضي منع نكاح الأَمَةِ الكافرة. ﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ الخطاب للأولياء أي: المؤمنات. وأجمعت الأمةُ على أنَّ الكافر لا يطأُ المؤمنةَ بوجهٍ ما. والنَّهي نهيُ تحريم[4]. و«لو» في الموضعين بمعنى إنْ الشرطية. والواو في «ولو» للعطف على حال محذوفة أي: على كُلِّ حالٍ ولو في هذه الحال المقتضية للرغبة في النِّكاح.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ إشارة [إلى] الصنفين المشركات والمشركين. والدعاء قد يكونُ بالقول أو بسبب المحبّة والمخالطة فيسري إلى الطباع ما يحمل على الموافقة حتى في تركِ قتالِ قومها الكفار فيؤدي ذلك إلى النّار.

---

(١) في القرطبي ٣: ٦٧: نزلت هذه الآية في أبي مرثد الغنوي وقيل في مرثد بن أبي مرثد واسمه كنّاز بن حصين الغنوي.

(٢) ق: فيخرج.

(٣) الآية ٥.

(٤) عبارة ق: والنهي والنهي على تحريم.

وهذه العلّة مانعةٌ من نكاحِ الكفار. وعُدي «يدعو» بإلى ويتعدى باللام. ومفعول [٥٤/ب] «يدعو» محذوف أي: يدعونكم، والله يدعوكم. وتباين القسمين يؤكد منع مناكحة الكفار إذْ يحرم إجابة الكافر ويجب إجابة دعاء الله. ولا يُحتاج إلى تقديرِ حذفِ مضافٍ أي: وأولياء الله يدعون كما قال الزّمخشريُّ[1] بل حَمْله على الظاهر أوكد في التباعدِ من المشركين. وقرىء: والمغفرة بالجرّ، أي: يدعو إلى سبب المغفرة وهو التزام الطاعة والتوبة، وبالرفع أي: والمغفرة حاصلة بإذنه وتيسيره.

﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أي: يُظهرها جليةً لكلِّ أحدٍ رجاء أن يَحْصُلَ بظهورها تَذكُّرٌ واتّعاظٌ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾.

وفي صحيح مسلم[2] عن أنس أنَّ اليهودَ كانت إذا حاضت المرأةُ منهم أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها، فسُئِل رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ . ولما تضمن ما قبل هذه الآية إيثار مناكحة أهل الإيمان بيَّن حكماً عظيماً من أحكام النّكاح[3] وهو النّكاح زمان الحيض. و«المحيض» مفعِل ويراد به المصدر أي الحيض.

(١) انظر الكشاف ١: ٣٦١.

(٢) انظر ١: ٢٤٦.

(٣) ق: من الأحكام.

وعن ابن عباس: هو مكانُ الدم وهو الفرج. ﴿ قُلْ هُوَ ﴾ أي: الحيض ﴿أَذًى﴾. وإنْ قلنا إنه موضع الحيض فيكون على حذف أي: موضع اذى. ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ ﴾ أي: نكاح النساء في زمان الحيض أو في موضع الحيض. ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ كناية عن مباشرة النكاح.

وقرىء: يَطْهرن مضارع طَهُر أي ينقين من دم الحيض. ويطّهرن مضارع اطّهر وهو ظاهر في الاغتسال بالماء. ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ أي: بالماء. قال الجمهور: تغتسل[1] اغتسال الجنابة، وقال الأوزاعي: يُغْسَلُ مكان الدم بالماء فيبيح الوطء، وبه قال أبو محمد بن حزم. ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ أي: من الجهة التي أمر الله وهي[2] القُبُل لأنه المنهيّ عنه في الحيض. ولما كانتْ لهم حالة يرتكبونها حالة حيض النّساء من مجامعة النّساء وأخبر تعالى بالمنعِ من ذلك حالة الحيض، أثنى على مَن امتثل أمره تعالى ورجع إلى ما شرع فقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ الآية، وأبرز ذلك في صورتين عامتين ليندرج [الأزواج] والزوجات في ذلك. وكرّر الفعل ليدلّ على اختلاف الجهتين من التوبة والتطهّر.

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ في البخاري ومسلم أنّ اليهود كانت تقول في الذي يأتي امرأته من جهة دبرها في قُبُلِهَا إنّ الولد يكون أحول فنزلت. وكان في قوله «فأتوهن من حيث أمركم الله» تسويغ للإتيان على سائر أحواله فأكد بقوله ﴿ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ أي: كيف شئتم أي: مُقبلةً ومُدبرةً وعلى [أي] شِقٍّ مضطجعة ونائمة وغير ذلك من الأحوال. شبّه الجماع بالحرث إذ النطفة كالبذر

---

(١) ق: يغتسل.

(٢) ق: وهو.

والرحم كالأرض والولد كالنبات. و«أنى» تأتي بمعنى كيف وبمعنى متى وبمعنى أين. و«أنى» تكون[1] استفهاماً كقوله تعالى ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۝٣٧﴾ [آل عمران] وشرطاً، لا جائز هنا أن تكون[2] استفهاماً لأنّ جملتها لا تستقل بل هي محتاجة إلى ضميم. وإذا كانت شرطاً فقد عدّوها من ظروفِ المكان وهي من الجوازم. وكلاهما أعني إذا كانت استفهاماً أو شرطاً لا يعمل فيها ما قبلها. والذي يظهر أنّها[3] تكون شرطاً لافتقارها إلى جملة غير الجملة التي بعدها، وتكونُ قد جُعلَت فيها الأحوال كجعل[4] الظروف المكانية وأُجريت مجراها تشبيهاً[5] للحال بالظرف المكاني. وقد جاء نظير ذلك في لفظ «كيف» خُرج به عن الاستفهام إلى معنى الشرط في قولهم: كيف يكون أكون. وجواب الجملة محذوفٌ ويدلُّ عليه ما قبله تقديره: أنّى شئتم فأتوهم.

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: الأعمال الصالحة وامتثال ما أمركم به. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ أي: ملاقو جزائه على أعمالكم. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بحسن العاقبة في الآخرة. وفيه تأنيس عظيم للمؤمنين.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٢٤ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝٢٢٥﴾.

---

(١) ق: يكون.

(٢) ق: يكون.

(٣) ق: أن.

(٤) ق: بجعل.

(٥) ق: مستفهما للحال.

والعرضة [٥٥/أ] فُعلة من العرض بمعنى المفعول كالقُبضة، والمرأة عرضة للنكاح أي معرضة وفلان عرضة لكذا أي معرض له. واليمين: العضو واستعمل للحلف لما جرت العادةُ في تصافحِ المتعاقدين. ولمّا أمرهم بتقوى الله وحذرهم يومَ المعاد نهاهم عن ابتذالِ اسمِه تعالى وجَعْلِه معرضاً لما يحلفونَ عليه دائماً، لأنّ من يُتقى ويُحذر يجب[1] صيانة اسمه وتنزيهه عما لا يليقُ به من كونه يذكر في كلّ ما يحلفُ عليه من قليلٍ أو كثير عظيم أو حقير، والحنثِ مع الإكثار.

واللام في ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ متعلق «بعرضة» أي معدًّا ومرصداً، أو بـ«تجعلوا»[2] فتكون للتعليل لـ«أن تبرُّوا» أي إرادة أنْ تبرُّوا، علَّل الامتناع من ابتذال اسم الله في الحلف بإرادةِ وجود البرِّ. والمعنى إنّما نهيتكم عن هذا لما في تَوقِّي ذلك من البرِّ والتقوى والإصلاح. ويعقد من ذلك شرط وجزاء أي: إن امتنعت من ابتذال اسمه تعالى بَرَرْتَ واتقيت وأصلحت.

وقد كثر كلامُ المفسّرين في موضع «أن تبرُّوا» فقال الزَّمخشريُّ[3]: يتعلّق «أن تبروا» بالفعل أو بالعرضة [أي] ولا تجعلوا الله لأجلِ أيمانكم به عرضة لأن تبّروا انتهى. ولا يصحُّ هذا التقدير لأنّ فيه فصلاً بين العامل والمعمول بأجنبيّ، لأنّه علّق «لأيمانكم» بـ«تجعلوا» وعلّق «لأن تبرّوا» بـ«عرضة» فقد فصل بين «عرضة» وبين «لأن تبروا» بقوله «لأيمانكم» وهو أجنبيٌّ منهما لأنّه معمول عنده لـ«تجعلوا» وذلك لا يجوز. ونظيرُ ما أجَازَوهُ أن تقول: امرر واضرب بزيد هنداً، فهذا لا يجوز ونصُّوا على أنَّه لا يجوز: جاءني رجلٌ ذو

---

(١) ق: يحب.

(٢) ق: بيجعلوا.

(٣) الكشاف ١: ٣٦٣.

فرسٍ راكبٌ أبلق[1]، لما فيه من الفصل بالأجنبيِّ. والذي يظهر لي أنّ «أنْ تبرُّوا» في موضع نصب على إسقاط الخافض والعامل فيه قوله «لأيمانكم» التقدير: لأقسامكم على أن تبرُّوا، فنُهوا عن ابتذال اسمه تعالى وجعله معرضاً لأقسامهم على البرّ والتقوى والإصلاح اللاتي هي أوصاف حسنة لما يخاف في ذلك من الحنث فكيف إذا كانت أقساماً على ما ينافي البرَّ والتقوى والإصلاح. وعلى هذا يكون الكلامُ منتظماً واقعاً كل لفظ منه مكانه[2] الذي يليقُ به. وقال الزَّمخشريُّ[3]: «أن تبرّوا وتتقوا وتصلحوا» عطف بيان «لأيمانكم» أي للأمورِ المحلوفِ عليها التي هي البرُّ والتقوى والإصلاح بين النَّاس انتهى. وهو ضعيف لأنّ فيه مخالفة للظاهر، لأنّ الظاهر من الإيمان هي الأقسام، والبرّ والتقوى والصلاح هي[4] المُقْسَم عليها فهما متباينان فلا يجوز أن يكون عطف بيان على الإيمان، لكنّه لمّا تأوّل الأيمان على أنّها المحلوف عليها [ساغ ذلك. وقد بيّنا أنَّهُ لا حاجةَ تدعونا إلى تأويلِ الأيمان بالمحلوف عليها] وعلى مذهبه يكون «أنْ تبرُّوا» في موضع جرٍّ، ولو ادعى أن يكون «أن تبرُّوا» وما بعده بدلاً[5] من «أيمانكم» لكان أولى، لأنّ عطف البيان أكثر ما يكون في الأعلام.

---

(١) عبارة ق: ذو فرس أبلق راكب أبلق.

(٢) ق: مكان.

(٣) الكشاف ١ : ٣٦٢.

(٤) ق: بين.

(٥) ق: بدل.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو قول الرجل: لا والله وبلى والله من غير قصدٍ لليمين. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وهو قصد القلب لعقد اليمين. نفى المؤاخذةَ في لغو اليمين وأثبتها في كسب القلب وهي الكفارة في الدنيا إن حنث وكانت ممّا يُكفَّر[1]، والعقوبة في الآخرة إنْ كانت ممّا لا يُكَفَّر[2]. وفي هذه الجملة حذفٌ دلَّ عليه ما قبله، التقدير: لكن يؤاخذكم في أيمانكم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فيه توسعة حيث لم يؤاخذ باللّغو، وإشعار بالغفران والحلم عمَّنْ توعَّده.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾.

قال ابنُ عباس رضي الله عنه: كان إيلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر، فوقَّت الله ذلك وهو الحلف ألاّ يطأها ويمتنع[3] من الوطء. و﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ [عام] في الحُرّ والعبد والسكران والسفيه والمولّى عليه غير المجنون ومَنْ لا يرجى منه وطء. وفي الكلام تضمينٌ وحذف أي: يمتنعون بالإيلاء [٥٥/ب] من وطء نسائهم.

و﴿مِن نِّسَائِهِمْ﴾ عام في الزوجات حرّة أو أمة أو كتابية أو صغيرة لم تبلغ مدخولاً بها وغير مدخولٍ بها. و«يؤلون» لا يعيّن حلفاً بشيءٍ مخصوص بل كل يمينٍ يمنعُ جماعاً سواء أَقُيِّدَ الامتناع بمكانٍ أم أطلق.

---

(١) ق: ممن تكفر.

(٢) ق: تكفر.

(٣) ق: أو يمتنع.

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ هذا من إضافة المصدر إلى ظرف زمان اتسع فيه. وابتداء أمر[١] الإيلاء من وقت الحلف.

﴿فَإِن فَآءُو﴾ أي: رجعوا للوطء. والظاهر أنْ الفيء[٢] يكونُ في الأشهر وبعد انقضائها. ولم يأتِ في الآية أنّه إذا فاء[٣] ووطىء لا كفارةَ [عليه] بل ظاهر قوله ﴿فَإِنَّ[٤] ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أنّه لا كفّارة عليه.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ أي: على الطلاق، أو ضمّن «عزم» معنى نوى وعدّاه بنفسه. و[العزم] التصميم على الطلاق. وجواب الشرط محذوف أي: فليوقعوه[٥]. وهذا التقسيمُ الشَّرْطي يدلُّ على أنَّهُ لا تقع الفرقة بمضيِّ الأشهر من غير قول بل لا بُدَّ من القول، لأنَّ العزم على الشيءِ ليس فِعلاً للشيء، ويؤكده قوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ جاء «سميع» باعتبار إيقاع الطلاق لأنّه من المسموعات، وهو جواب الشرط. و«عليم» باعتبار العزم على الطلاق لأنّه من باب النيّات وهو الشرط، ولا تدرك النيّات إلا بالعلم، وتأخر هذا الوصف لمؤاخاة رؤوس الآي ولأنّ العلم أعمُّ من السمع. وفي قوله ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ دلالة على مطلق الطلاق فلا يدلُّ على خصوصية طلاق يكون رجعياً أو بائناً.

---

(١) ق: وابتداء أول الإيلاء.

(٢) ق: النفي.

(٣) ق: أفاء.

(٤) ق: وإن.

(٥) ق: فليرفعوه.

وقال الزَّمخشريُّ[١]: فإن قلت: ما تقول في قوله ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وعزمهم الطلاق مما يُعلم ولا يُسمع؟ قلت: الغالب أنّ العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار[٢] لا يخلو من مقاولة ودَمْدَمَةٍ، ولا بدّ من أنْ يحدّث نفسه ويناجيها بذلك، وذلك حديث لا يسمعه إلاّ الله كما يسمع وسوسةَ الشيطان انتهى. وقد قدَّمنا أنَّ صفة السمع جاءت هنا لأنّ المعنى ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ ﴾ أوقعوه أي: الطلاق[٣]. والإيقاع لا يكون إلا باللّفظ فهو من المسموعات. والصفة تتعلّق بالجوابِ لا بالشرط فلا يُحتاج إلى تأويل الزَّمخشريِّ.

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾.

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ «والمطلقات» عام مخصوص بالمدخول بهن ذوات الأقراء لأنَّ حكم هاتين[٤] والآيسة والحامل منصوص عليه مخالف لحكم هؤلاء. و«يتربصن» صورة خبر ومعناه الأمر ومعناه يَنْتظرنَ ولا يقدمن[٥] على تزوج. «وتربص» متعدّ لقوله ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ﴿٥٢﴾ ﴾ [التوبة] ومفعوله هنا محذوف أي: يتربصن التزويج أو الأزواج. والباء للسبب أي: من أجل أنفسهن. وانتصب «ثلاثة» على أنه

---

(١) الكشاف ١ : ٣٦٤.

(٢) ق: وترك النية والفرار، والتصويب من الكشاف.

(٣) ق: الإطلاق.

(٤) أي غير المدخول بها وغير ذات الأقراء.

(٥) ق: ينتظرون ولا يعدمن.

ظرف أي: مدّة ثلاثة قروء، وقيل: مفعول «يتربصنّ» أي: مضيّ ثلاثة قروء. والمشهور في القرء قولان أحدهما أنهُ الحيض والثاني الطُّهْرُ. وظاهر عموم «المطلقات» دخول الزوجة الأمة في الاعتداد بثلاثة قروء. وقرىء: قُرُوْ بالهمز، وقُرُوّ بالإبدال والإدغام، وقَرْو بفتح القاف وسكون الراء وواو هي حرف الإعراب. وفُعول من بناء جمع الكثرة، وهو هنا من باب التوسّع إذ قد ينوب أحد الجمعين القلّة والكثرة عن الآخر.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من ادعاء الحيض وما حاضت، أو انتفائه وقد حاضت، أو من الأجنَّة فلا يعترفن به وهُنَّ مؤتمنات على ذلك. وقرىء: في أرحامِهُنَّ، وبِرَدِّهُنَّ بضم الهاء فيهما. ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ﴾ شرط جوابه محذوفٌ أي: فيحرمُ عليهنَّ ذلك، أو فلا يكتمن.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أي: وأزواجهنّ، وجمع على فُعولة وهو جمع لا ينقاس. وقُرىء بضم التاء وسكونها، وسماهم بعولة باعتبار ما كانوا عليه. والضميرُ في «وبعولتهن» عائد على المطلّقات والحكم خاص بالرجعيات، أو على حذف مضاف أي: وبعولة رجعياتهنّ. و﴿أَحَقُّ﴾ ليست على بابها من التفضيل لأنَّ غير الزوج لا حَقَّ لَهُ ولا تسليط على الزوجة في مُدَّة العدّة. وفي ذلك إشارة إلى مدة التَربُّض وكأنّه قال: وبعولتهن حقيقون[1] بردّهن، وأخبر أنَّ حقَّ الردِّ [٥٦/أ] للزوج حتى لو أَبَتْهُ[2] فليس لها ذلك وله ردّها إذ ذاك. وفي كيفيةِ الردِّ خلافٌ ولا خلاف في صحته بالقول.

﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ ظاهره أنّه شرط في الرجعة، ويظهر أنّه أراد به إصلاح

---

(١) ق: حقيقيون.

(٢) ق: أتته.

ما حصل من الفساد بالطلاق قالوا: ويستغني الزوج في المراجعة عن الوليّ وعن رضاها وعن تسمية مهر وعن الإشهاد على الرجعة على الصحيح، ويسقط بالرجعة بقية العدّة ويحلُّ جماعها في الحال. ويُحتاج في إثبات هذا كلّه إلى دليلٍ واضح من الشرع. والذي يظهر أنَّ المرأة بالطلاق تنفصلُ من الرجل فلا يجوز أنْ تعودَ إليه إلا بنكاح ثانٍ، ثم إذا طَلَّقها وأراد أنْ ينكحها فإمّا أن يبقى شيءٌ من عدَّتها أو لا يبقى. إن بقي فله أن يتزوّجها دون انقضاء عدّتها منه إن أراد[1] الإصلاح، ومفهوم الشرط أنّه إن أراد غير الإصلاح لا يكون [له] ذلك. وإن انقضت عدّتها استوى هو وغيره في جواز تزوّجها. وأمّا أن تكون قد طلّقت وهي باقية في العدّة فيردّها من غير اعتبار شروط النّكاح، فيحتاج إثباتُ هذا الحكم إلى دليلٍ واضح كما قلناه، فإن كان ثَمّ دليلٌ واضح من نصٍّ أو إجماع قلنا[2] به ولا يُعترض علينا بأنّ له الرجعة على ما وصفوا وأنّ ذلك من أوّليات الفقه التي لا يسوغُ النّزاع فيها، فإنّ [كُل] حكم يحتاج إلى دليل.

﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: على أزواجهنّ ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى﴾ لأزواجهنَّ ﴿عَلَيْهِنَّ﴾. وهـذا من بديع الكلام إذ حُذف شيء من الأول أثبت نظيره في الآخر، وحذف شيئاً من الآخر أثبت نظيره في الأول[3]. والمِثْلية في الموافقة والطواعية وحسن العشرة. و«مثل» مبتدأ وخبره «لهن» و«بالمعروف» متعلّق بما تعَلَّقَ به «لهنّ». ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ الذي لا ينكر في الشرع وعادات النّاس، ولا

---

(١) ق: أرادوا.

(٢) ق: فليأته.

(٣) أصل التركيب: ولهن على أزواجهن مثل الذي لأزواجهن عليهن. فحذفت «على أزواجهن» لإثبات «عليهن» وحذف «لأزواجهن» لإثبات «لهن».

يكلّف أحدهما الآخر من الأشغال ما ليس معروفاً به، بل ما يَلِيقُ به. ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي: مزيّة وفضيلة في الحقِّ. نوّه بذكر الرجولية، والمزية فَضْلُه[1] عليها في الميراثِ والجهاد ووجوب طاعتها إياه والصَّدَاق والإنفاق وكون الطلاق بيده ووفور العقل وغير ذلك مما يمتاز به الرجل على المرأة. و«درجة» مبتدأ و«للرجال» خبره، و«عليهنّ» متعلّق بما يتعلّقُ به «للرجال».

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٢٣٠﴾.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ إن كانت [أل] للعهد في الطلاق السابق، فالمعنى أنَّ الطلاقَ الذي يملك فيه الرجعة هو مَرّتان والثالث لا يملك فيه الرَّجعة. وقال ابنُ عباس: بيَّن أنَّ طلاقَ السُّنَّة المندوب هو مرَّتان، قيل: والمعنى بذلك تفريق[2] الطلاق إذا أراد أن يطلق ثلاثاً، وهو يقتضيه اللَّفظ لأنَّهُ لو طلَّق مرتين معاً في لفظ واحدٍ ما جاز أن يقال طلقها مرتين. وكذلك لو دفعَ إلى رجلٍ درهمين لم يجز أنْ يقالَ أعطاه مرتين حتى يفرق الدفع فحينئذٍ يصدق عليه، وهو مبحث صحيح.

(١) ق: فضيلة.

(٢) ق: في تفريق.

وما زال يختلجُ في خاطري أنّه لو قال: أنتِ طالقٌ مرتين أو ثلاثاً أنه لا يقع إلاَّ واحدة لأنّه مصدر للطلاق ويقتضي العدد، فلا بدَّ أنْ يكون الفعل الذي هو عامل فيه يتكرر وجوداً كما تقول: ضربت ضربتين أو ثلاث ضربات، لأنَّ المصدر هو مبيّنٌ لعدد الفعل فمتى لم يتكرر وجوداً استحال أن يتكرر مصدره وإن تبيّن رتب العدد. فإذا قال: أنت طالق ثلاثاً أو اثنين فهذا اللّفظ واحد ومدلوله واحد والواحد يستحيل أنْ يكونَ ثلاثاً أو اثنين. ونظير هذا أن يُنْشِىءَ الإنسانُ بيعاً بينه وبين رجل فيقول [له] عند التخاطب: بعتك هذا ثلاثاً. فقوله «ثلاثاً» لَغْوٌ وغير مطابقٍ لما قبله. والإنشاءات أيضاً يستحيل التكرارُ فيها حتى يصير المحلُّ[1] قابلاً لذلك الإنشاء، وهذا يَعْسُرُ إدراكُه على مَن اعتاد أنّه يفهم من قول من قال: طلّقتك مرتين أو ثلاثاً، أنّه يقع الطلاق مرتين أو ثلاثاً.

وظاهر الآية العموم فيدخل في الطلاق الحرّ والعبد فيكون حكمهما سواء. ونقل أبو بكر الرازي اتفاق السلف وفقهاء الأمصار على أنّ الزوجين المملوكين ينفصلان بالثنتين فلا تحلُّ له بعدهما إلا بزوج[2]. و«الطلاق» مصدر طلّقت المرأة ويكون بمعنى التطليق كالسلام [٥٦/ب] بمعنى التسليم، وهو مبتدأ و«مرتان» الخبر على حذف مضاف أي: عدد الطلاق المسموح[3] فيه الرجعة أو الطلاق السُنّي المشروع. واحتيج إلى الحذف ليطابق الخبر المبتدأ، والمعنى في المسنون بقوله «مرتان» أي: مَرَّةً بعد مرّة، ولا يراد به ما يزيد على الثّنتين لقوله بعدُ «فإمساك بمعروف أو تسريح

---

(١) ق: المحمل.

(٢) عبارة ق: فلا يحلّ له بعدهما التزوج.

(٣) ق: المسموع. ط: المشروع.

بإحسان». «فإمساك» هو الرجعة من الثانية «أو تسريح بإحسان» هي الطلقة الثالثة ولذلك جاء بعدها «فإن طلقها» أي: فإنْ سرَّحها الثالثة.

وقال الزَّمخشريُّ[1]: ولم يرد بالمرتين التّثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴿٤﴾﴾ [الملك] أي: كرّة بعد كرّة لا كرتين اثنتين، ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لَبَّيك وسَعْدَيْك وحنانَيْك وهذاذَيْك ودوالَيْك انتهى.

وهو في الظاهر مناقضٌ لما قال قبل ذلك ومخالفٌ لما في نفس الأمر. أما مناقضته فإنّه قال في تفسير «الطلاق مرتان»[2]: أي الطلاق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريقِ دونَ الجمع والإرسال دفعة واحدة. فقوله: تطليقة بعد تطليقة، مناقض في الظاهر لقوله: ولم يرد بالمرتين التثنية[3]. لأنّك إذا قلت: ضربتك ضربة بعد ضربة، إنّما يفهم من ذلك الاقتصار على ضربتين، وهو مساوٍ في الدلالة لقولك: ضربتك ضربتين، ولأنّ قولك: ضربتين لا يمكن وقوعهما إلاّ ضربة واحدة بعد ضربة.

وأما مخالفته لما في نفس الأمر فليس هذا من التثنية التي تكون للتكرير[4]، لأنّ التثنية التي يُراد بها التكرير لا يقتصر بتكريرها على ثنتين ولا ثلاث، بل يُدلّ على التكرير مراراً، فقولهم: لبيك معناه إجابة بعد إجابة فما زاد، وكذلك أخواتها، وكذلك قوله «كرتين» معناه: ثم ارجع البصرَ مراراً

---

(١) الكشاف ١: ٣٦٦. وفي ق تصحيف في النص: بالمرتين الثنتين.. ونحو ذلك من الثنائي.

(٢) الكشاف ١: ٣٦٦.

(٣) هنا وحيث وردت بعد في ق: الثنتينيّة.

(٤) هنا وحيث وردت في السياق في ق: للتكثير.

كثيرة. والتثنية في قوله «الطلاق مرتان» إنّما يُراد بها[1] شفع الواحد وهو الأصل في التثنية. ألا ترى أنّه لا يراد هنا بقوله «مرتان» ما يزيد على الثنتين لقوله بعدُ «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»؛ فـ«إمساك» هو الرجعة من الثانية «أو تسريح بإحسان» هي الطلقة الثالثة، ولذلك جاء بعدُ «فإن طلّقها» أي فإن سرَّحها الثالثة.

وإذا تقرر هذا فليس قوله «مرتان» دالاً على التكرار الذي لا يشفع الواحد بل هو مراد به شفع الواحد. وإنّما غرَّ الزَّمخشريَّ في ذلك صَلاحيةُ التقدير[2] بقوله: الطلاق الشرعي تطليقة بعد تطليقة، فجعل ذلك من باب التثنية التي لا تشفع الواحد ويراد بها التكرار [إلاّ أنّه يعكّر عليه أنَّ الأصلَ في التثنية شفع الواحد، وأنّ التثنية التي لا تشفع الواحد ويراد بها التكرار] لا يُقتصر بها على الثلاث، ألا ترى أن قوله «كرتين» و«لبيك» وبابه ليس المعنى فيه الاقتصار على الثلاث في التكرار. ولمّا حمل الزَّمخشريُّ قوله تعالى «مرتان»[3] على أنّه من باب التثنية التي يُراد بها التكرير احتاج أنْ يتأوّل قوله «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» على أنّه تخييرٌ لهم بعد أن علّمهم كيف يطلّقون، بيّن[4] أن يمسكوا النّساء بحسن العشرة والقيام بواجبهن، وبيّن أن يسرّحوهنَّ السراح الجميل الذي علّمهم.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ سبب نزولها حديث جميلة بنت عبد الله بن أبيّ وزوجها ثابت بن قيس بن شماس حين خَالَعَها على

(١) ق: بهما.

(٢) ق: التقرير.

(٣) ق: مرتين.

(٤) ق: بعد.

حديقته التي كان أعطاها، وهو أول خلع في الإسلام. والخطاب في «الكم» للأزواج لأنَّ الأخذَ والإيتاء منهم، قيل: أو للأئمة والحكام ليلتئم مع قوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ لأنه خطابٌ لهم لا للأزواج. ونسب الأخذ والإيتاء لهم عند الترافع لأنّهم الذين يُمْضون ذلك. و«مما آتيتموهنَّ» عام فيما آتوهن من صداق وهبة وغيرهما، و«شيئاً» عام في سياق النَّهي.

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ هذا استثناء من المفعول له أي: لا يحلّ بسبب من الأسباب إلّا بسبب الخوف. والضمير [٥٧/أ] في «يخافا» عائدٌ على صنفي الزوجين. ولما كان الاستثناء بعد مضي جملةِ الخطاب جاز الالتفات، وله حكمة وهو أن لا يخاطب مَنْ كان مؤمناً بالخوفِ من انتفاء إقامة حدود الله فناسب فيه الالتفات وكذلك فيما بعده، ولو جاء على ما مضى من الحكاية لكان التركيب: إلّا أن يخافوا ألا يقيموا.

و«أن يخافا» في موضع نصب على إسقاط الحرف. و«ألّا يقيما» مفعولٌ «بأن يخافا». وقرىء بضمّ الياء و«ألّا يقيما» في موضعِ رفعٍ على البدل بدل اشتمال. وقال ابنُ عطية[1] في قراءة [البدل] يُخافا بالضم: إنّها تعدّت «خاف» إلى مفعولين أحدهما أسند الفعل إليه والآخر بتقدير حرف جر محذوف، فموضع «أن» خَفْض بالجار المقدر عند سيبويه والكسائي، ونصب عند غيرهما لأنّه لما حذف الجار وصل الفعل إلى المفعول الثاني مثل: استغفر الله ذنباً وأمرتك الخير انتهى.

وهو نص كلام أبي عليّ الفارسي نقله في كتابه إلّا التنظير باستغفر. وليس بصحيح تنظير ابنِ عطية «خاف» «باستغفر» لأنّ خاف لا يتعدّى إلى اثنين

(١) المحرر الوجيز ٢: ١٠١.

كاستغفر الله. ولم يذكر ذلك النَّحويون حين عَدُّوا ما يتعدى إلى اثنين وأصل أحدهما بحرف الجر بل إذا جاء: خفت زيداً ضَرْبَه عمراً، كان ذلك بدلاً أو: مِنْ ضَرْبِه عمراً كان مفعولاً من أجله ولا يُفهم ذلك على أنّه مفعول ثانٍ[١].

وقد وهم ابنُ عطية في نسبة «أن» لموضع[٢] خفض في مذهب سيبويهِ، والذي نقله أبو علي وغيره أنَّ مذهبَ سيبويه أنّ الموضع بعد الحذف نصب وبه قال الفرّاء، وأنّ مذهب الخليل أنه جرّ، وبه قال الكسائي. وقدّر غير ابن عطية ذلك الحرف المحذوف «على» فقال: والتقدير: إلاّ أن يخافا على ألاّ يقيما. فعلى هذا يمكن أن يصحَّ قول أبي علي وفيه بُعد. وقرىء: إلاّ أن يخافوا[٣]، أي: إلا أن يخاف الأزواج والزوجات.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ قالوا: الضمير للأولياء أو السلطان، وأقول: الضمير للأزواج والزوجات مغلّباً[٤] فيه خطاب الذكور، والزوجات مندرجات فيه. و﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ التفات وقد بيّنّا حكمته. وترك إقامة الحدود بالنشوز وسوءِ الخُلُقِ وكراهة كُلٍّ منهما لصاحبه وترك ما وجب لكلٍّ منهما على صاحبه.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوجين فيما أخذ منهما[٥] وفيما افتدت به. و﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ عام من صداقها ومن مالها غير الصداق حتى بكلِّ مالها كما قال عمر رضي الله عنه: اخلعها ولو من قرطها، اخلعها بما دونَ عقاصِ رأسها. والظاهر تشريكهما في تركِ إقامةِ الحدود

(١) ق: بأن.
(٢) ق: الموضع.
(٣) ق: أن لا يخافوا.
(٤) ق: معلناً.
(٥) ق: منهما.

لأنَّ[١] جوازَ الأخذِ منوطٌ بوجود ذلك منهما معاً، وحرّم على الزوج أن يأخذ إلّا بعد الخوف من أن لا يقيما حدود الله وأكّد التحريم بقوله ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾ ثم تَوعَّد على الاعتداء. وشذَّ بكر بن عبد الله المزني فقال: لا يجوز للرجل أن يأخذ من زوجته شيئاً خلعاً لا قليلاً ولا كثيراً قال: وهذه الآية منسوخة بقوله ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔاۚ ﴿٢٠﴾﴾ [النساء]. والخلع هل هو فسخ أو طلاق، قولان للصحابة والتابعين وأئمة المذاهب[٢]، وليس في الآية ما يدلُّ على تعيين واحد منهما.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ﴾ يعني الزوج الذي طلّق مرّةً بعد مرّة، وهو راجع إلى قوله «أو تسريح بإحسان» أي: فإن سرّحها التسريحة الثالثة التي هي باقية من عدد الطلاق. والنّكاح يطلق على العقد وعلى الوطء، فحمله السعيدان ابنُ المسيب وابنُ جبير على العقد وقالا: إذا عقد عليها الثاني حلّت للأول وإنْ لم يدخل بها ولم يصبها، وخالفهما[٣] الجمهور لحديث امرأة رفاعة، وقول الجمهور: ومغيب الحَشَفَةِ يُحلّ.

و[في] لفظ «زوجاً غيره» [دلالة على] جواز نكاح المحلل سواء أشرط[٤] ذلك أم لم يشرط. ولا يندرجُ في ذلك وطء السيِّد أَمَته المطلّقة ثلاثاً. وفي الكلام جمل [٥٧/ب] محذوفة يدلُّ عليها مشروعية النّكاح أي: فإنْ طلّقها وانقضت عدّتها [منه] فلا تحلُّ له حتّى يعقد عليها زوج آخر ويدخل بها

---

(١) ق: وأن.

(٢) ق: المذهب.

(٣) ق: وخالفه. وقال صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة القرظي «حتى تذوقي عُسيلته ويذوق عُسيلتك»، انظر النهاية ٣: ٢٣٧.

(٤) عبارة ق: ولفظة زوجاً غيره جواز نكاح المحلل فيحلل وسواء أشرط..

ويصيبها ويطلّقها وتنقضي عِدَّتُها منه، فحينئذٍ يحلُّ للزوج المطلّق ثلاثاً والزوجة أن يتراجعا.

[﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي: الثاني وانقضت عدّتها منه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي: على الزوج المطلّق ثلاثاً والزوجة ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾] أي بنكاح جديد. ويجوز أنْ يعود الضمير على الزوج الثاني وزوجته أي: فإن طلّقها الثاني فلا جناح عليهما أن يتراجعا. وتكون الآية قد أفادت حكمين أحدهما أنّ المَبْتُوتَةَ ثلاثاً تحلُّ للأول بعد نكاح زوج غيره وذلك بالشروط التي تقدمت وهذا مفهوم من صدر الآية. والحكم الثاني أنّ الزوج[1] الثاني الذي طلّقها يجوز له أن يراجعها[2] لأنّه ينزّل منزلة الأول فيجوز لهما أن يتراجعا، ويكون ذلك دفعاً لما يتبادر إليه الذهن من أنّه إذا طلّقها الثاني حلّت للأول، فلكونها حلّت له اختصت به فلا يجوز للثاني أن يَرُدَّهَا، فيكون قوله «فلا جناح عليهما أن يتراجعا» مبيّناً أن حكم الثاني حكم الأول، وأنّه لا يتحتّم أنَّ الأول يراجعها.

وقوله: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ الضمير عائد على ما فسّروه من كونه للزوج الأول ومبتوتته، ويكون جواز التراجع موقوفاً على نكاح زوج غيره وعلى ظنّهما أن يقيما حدود اللهِ. ومفهوم الشرط [الثاني] أنَّهُ لا يجوز التراجع إنْ لم يظنّا[3].

قال الزَّمخشريُّ[4]: ومن فسّر الظنَّ هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللَّفظ

(١) ق: للزوج.

(٢) ق: يراجعا.

(٣) ق: يطآ.

(٤) الكشاف ١: ٣٦٨.

والمعنى[١] لأنّك لا تقول: علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنّه يقوم، ولأنّ الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنَّما يظنّ ظنًّا انتهى.

وما ذكره من أنّك لا تقول: علمت[٢] أن يقوم زيد، قد قاله غيره قالوا: إنّ «أن» الناصبة للمضارع لا يعمل فيها فعل تحقيق نحو العلم واليقين والتحقيق وإنما يعمل في أنّ المشدّدة. قال أبو علي الفارسي في «الإيضاح»[٣]: ولو قلت: علمت أنْ يقومَ زيد فتنصب الفعل بأنْ لم يَجُزْ، لأنّ هذا من مواضع أنّ لأنّهُ[٤] مما قد ثبت واستقر، كما أنّه لا يحسن: أرجو أنَّك تقوم.

وظاهر كلام أبي علي مخالف لما ذكر سيبويه من أنّه يجوز أن تقول: ما علمت إلاّ أن يقوم زيد، فأعمل «علمت» في «أن». قال بعض أصحابنا: وَوَجْهُ الجمع بينهما أنّ «علمت» قد تستعمل ويُراد بها العلم القطعي فلا يجوز وقوعُ «أنْ» بعدها كما ذكرهُ الفارسي، وقد تستعمل ويرادُ بها الظنُّ القوي فيجوز أن تعمل في «أن»، ويدلُّ على استعمالها ولا يراد بها العلم القطعي قوله تعالى ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة] فالعلم هنا إنما يُراد به الظن القوي لأنَّ القطع بإيمانهنَّ غير متوصل إليه، وقول الشاعر[٥]:

وأَعْلَمُ عِلْمَ حَقٍّ غيرَ ظَنٍّ   وتقوى الله من خيرِ العَتادِ

فقوله «علم حق» يدلُّ على أنَّ العلم قد يكون غير علم حق، وكذلك قوله

---

(١) ق: والمعاني.

(٢) ق: من علمت.

(٣) ١: ١٣٢.

(٤) عبارة ق: لم يجزم لأن هذا من موضع أنّ لأنها.

(٥) البيت للمتلمس في ديوانه ص١٧٢. وهو من الوافر.

«غير ظنّ» يدلُّ على أنَّهُ يقال: علمتُ وهو ظان. ومما يدلُّ على صِحَّة ما ذكره سيبويه من أنّ«علمت»قد تعمل في أن إذا أريد بها غير العلم القطعي قول جرير[١]:

نرضى عن الناس إن الناس قد عَلِموا   أَنْ لا يُـدانِيَنـا مـن خَلْقِـه أَحَـدُ

فأتى بأنْ الناصبة للفعل بعد «علمت» انتهى كلامه. وثبت بقول جرير وتجويز سيبويه أنّ «علم» تدخل على [أن] الناصبة للمضارع فليس بوهم[٢] كما ذكر الزَّمخشريُّ من طريق اللَّفظ. وأما قوله: ولأنَّ الإنسان لا يعلم ما في غدٍ وإنّما يظن ظنًّا، ليس كما ذكر بل الإنسان يعلم أشياء كثيرة مما يكون في الغد ويجزم بها ولا يظنّها.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾.

طلّق ثابتُ بن يسار[٣] زوجته حتى إذا بقيت من عدّتها يومان أو ثلاثة

(١) ديوانه ١: ١٥٧ وروايته: [من البسيط]

نرضى عن الله إن الناس قد علموا   أن لا يفـاخـرنـا مـن خلقـه بشـر

(٢) عبارة ق: أنّ علم يدخل على الناصبة.. توهم. والتصويب والزيادة من ط.

(٣) ق: ثابت بن قيس. وما أثبتّه من ط. وفي البحر المحيط ٢: ٢٠٧: نزلت في ثابت ابن يسار، ويقال أسنان الأنصاري.

راجعها ثم طلَّقها ثم راجعها ثم طلَّقها ثم راجعها حتى مضت سبعة أشهر، مضارّة لها، ولم يكن الطلاق يومئذ محصوراً فنزل ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾. ولما كان الجمعُ مشاركاً للواحد في الحكم جاء الخطاب بالجمع.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: راجعوهن في العدّة ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: خلّوهن حتى تنقضي العدّة. ونهى أن يكون[1] الإمساك ضراراً.

و﴿ضِرَارًا﴾ مصدر لـضارَّ، وانتصابه على أنّه مفعول من أجله، وقيل مصدر [٥٨/أ] في موضع الحال أي: مضارّين [لهن]. ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ أي: لتظلموهنَّ بإلجائهنَّ إلى أخذ أموالهن بالافتداء[2]. وهو متعلّق بـ«ضراراً» فهو علّة للعلّة كما تقول: ضربت ابني تأديباً لينتفع. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: الإمساك على سبيل الضرر ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها للعذاب.

ولما تقدمت آيات تضمّنت الأمر والنّهي في النّكاح وأمر الحيض والإيلاء والطلاق والعدّة والرّجعة والخلع، وحَدَّ تعالى حدوداً لا تتعدّى، أكّد ذلك بالنّهي عن اتخاذ آيات الله التي منها هذه الآيات النازلة في شأن النّساء هزواً، بل تؤخذ وتتقبل[3] بجدّ واجتهاد، إذ هي والآيات النازلة في سائر التكاليف بين العبد وربه وبين العبد والنّاس لا فرق بينها[4]. ويقال: هزىء به هزؤاً استخف. ﴿وَمَا أَنزَلَ﴾ معطوف[5] على «نعمة» وهي خصوص بعد عموم إذ «ما أنزل» هو من النّعمة. وفي خطابه تعالى بقوله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ تشريفٌ وتعظيم

---

(١) ق: لا يكون.

(٢) ق: ليظلموهن.. بالاقتداء.

(٣) شأن النساء، تؤخذ وتتقبل: غير ظاهرة في ق، وأثبتّها من ط.

(٤) ق: بينهما.

(٥) ق: وما أترك معطوفاً.

لهم، وهو في الحقيقة نزل على رسول الله ﷺ. و«الكتاب» القرآن و«الحكمة» السُّنَّة. والضمير في «به» عائد على «ما».

والخطاب في «طلقتم» وفي «فلا تعضلوهنَّ» للأزواج. نُهي الأزواج المطلِّقون عن[1] العَضل إذ كانوا يفعلون ذلك ظلماً وقهراً وحميَّة الجاهلية، لا يتركون مطلّقاتهم يتزوجن بمن شئن[2] من الأزواج. والمعنى في [﴿أَن يَنكِحْنَ] أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ : مَنْ يُرِدْنَ [أنْ] يتزوجنَّه، سُمّوا أزواجاً باعتبار ما يؤولون إليه. والعضل المنع، عضل أيّمه: منعها من النّكاح، والمضارع بضمِّ الضاد وكسرها. ﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟﴾ أي: الخُطّاب والنِّساء. و«إذا» معمول لـ«ينكحن» و«بالمعروف» متعلق بـ«تراضوا» أو بـ«ينكحن». ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخطاب للرسول عليه السلام [أو لكلِّ سامع]. و﴿مِنكُمْ﴾ خطاب للمَنْهيين عن العضل ويتعلق «بكان» أو بمحذوف فيكون في موضع الحال من الضمير المستكن في «يؤمن». وخصَّ المؤمنين لأنّه لا ينتفع بالوعظِ إلاّ هم.

﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ﴾ أي: ترك العضل والتمكين من التزويج أزكى لما فيه من امتثال أمر اللهِ ﴿وَأَطْهَرُ﴾ للزوجين لما يخشى عليهما من الريبة بسببِ العلاقة التي بين الزوجات [والرجال]. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ بواطنَ الأمورِ ومآلها.

﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ

(١) ق: على.

(٢) ق: مطلّقاتهن.. بمن سبق.

ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾.

والولادة من خصائص النِّساء كالحيض، لكنّه لما كان يطلق والد على الأب، دخلته التاء للمؤنّث فقيل وَالِدَةٌ فجمع بالألف والتاء. وباب ما يخصّ النِّساء كحائض لا يجوز جمعه بالألف والتاء [إلا] شاذاً.

ولفظ ﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾ شامل للزوجات والمطلّقات. و﴿يُرْضِعْنَ﴾ خبر أي في حكم الله الذي شرعه، أو خبر صورة ومعناه أَمْرُ ندبٍ لا إيجابٍ لاستحقاق الأجرة.

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وصفهما بالكمال دفعاً لمجاز ترك الاستغراق. وجعل تعالى ذلك حدًّا لمدة الرضاع، لكنّه ليس من الحدِّ الذي لا يتجاوز إذ قال ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ فمن لم يُرد الإتمامَ فله فَطْمُهُ دونَ ذلك لمن لا ضررَ عليه في فطمه. و«لمن» متعلّق بـ«يرضعن»، واللام للتعليل و«مَن» هو الأب. أو للتبيين كهي في: سقيا لك[1]، و«مَن» للوالدة أو[2] لها وللأب. وقرىء: أن يتم برفع الميم، فالكوفي يقول: هي مخففّة من الثقيلة، والبصري يقول: هي الناصبة أُلغيت حملاً على ما المصدرية أختها. وقرىء: الرضاعة بفتح الراء وكسرها كالحَضارة والحِضارة.

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أل كمن موصول، رُوعي اللَّفظ فأفرد الضمير في «له» ويجوز في العربية مراعاة المعنى فيقال: لهم، ولم يُقرأ به. وحُذف الفاعل ثم المفعول به[3] وأقيم الجار والمجرور مقام الفاعل وذلك على مذهب

---

(١) عبارة ق: أو للثنتين كهي بعد سقيا لك.

(٢) ق: ولها.

(٣) عبارة ق: ثم المفعول به لا يجيز وأقيم.

البصريين. والكوفي لا يجيز ذلك إلّا إن كان حرف الجرّ زائداً نحو: ما ضرب من أحد، على تفصيل[1] لهم في ذلك. وجاء بلفظ «المولود له» لا بلفظ الأب ولا بلفظ الوالد إشعاراً بالمنحةِ وشبه التمليك، وحيث لم يرد هذا المعنى جاء التصريح بلفظ الوالد كقوله[2] تعالى ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان]. وإنْ أُريد بالرزق والكسوة المصدرين فلا حذف، أو[3] المرزوق والثياب فعلى حذفٍ أي: إيصال أو دفع، و«بالمعروف» ملحوظ فيهما. وقرىء بضم الكاف وكسرها[4].

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ ظاهرهُ العمومُ ويندرجُ فيه المرضعة والوالد. والوُسْع: ما احتملته الطاقة. وقُرِىء: لا تكلّف بضم التاء مبنياً [للمفعول وبفتحها مبنياً] للفاعل أي: لا تتكلّف، وحذفت التاء[5] الواحدة. وقرىء: لا نكلّف بالنون، نفساً بالنّصب. وقرىء: [٥٨/ب] لا تضار برفع الرّاء[6] وبفتحها، فالرفع نفيٌ في معنى النهي، والفتح نهي وكذا كسر الراء وقرىء به وبسكونها مشدّدة إجراءً للوصل مجرى الوقف، وبسكون الراء مخففة وهو مضارع من ضارَ مرفوع أُجريَ في الوصل مجرى الوقف. ومن قرأ بتشديد الراء جاز أن يكون مبنياً [للفاعل ومبنياً] للمفعول. وقرىء بالفكّ بكسر الراء الأولى وبفتحها وسكون الثانية فيهما. والباء في «بولدها» وفي «بولده» للسبب.

---

(١) ق: تفضيل.

(٢) ق: جاء للتصريح ... لقوله.

(٣) ق: إذ.

(٤) أي في «وكسوتهن».

(٥) ق: الياء.

(٦) ق: التاء.

﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾ هو معطوف [على] «وعلى المولود له» أي: وعلى وارث المولود له. وفي تعيينه عشرة أقوال أظهرها أنّه إذا كان وارثاً للمولود له ومات وفَنِيَ ما ورث الولد إن كان غير حائز ما تركه أبوه، فإنه يجب [عليه] رزق أمّ الصغير وكسوتها بالمعروف مدّة الإرضاع. ومثل ذلك هو الرزق والكسوة اللّذان كانا على المولود له ينتقلان على الوارث.

﴿ فَإِنْ أَرَادَا[١] ﴾ أي: الوالدة والمولود له. ﴿ فِصَالًا ﴾ أي: فطاماً للولد وذلك قبل تمام الحولين فلا بدَّ من تراضيهما، فلو رضيَ أحدهما وأبى الآخر لم يجبر[٢]. وأُخِّر التشاورُ لأنّه به يظهرُ صلاحُ الأمور والآراء وفسادها. ويحتمل أنْ يكون التشاور منهما أي يشاور أحدهما [الآخر أو يشاور أحدهما] أو كلاهما غيرهما.

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ ﴾ خطابٌ للآباء والأمهات، وفيه خروج من غيبة إلى خطاب. ﴿ أَن تَسْتَرْضِعُوا ﴾ تتّخِذوا لأولادكم مراضع. واسترضع متعدٌّ إلى اثنين بنفسه يقال: أرضعتُ المرأةَ الصبيَّ، واسترضعتُ المرأةَ الصبيَّ. أو متعدٌّ إلى واحد بنفسه وإلى الآخر بحرف الجرّ أي: تسترضعوا المرضعات لأولادكم[٣].

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: في الاسترضاع. ﴿ إِذَا سَلَّمْتُم ﴾ خطاب للآباء ﴿ مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وهو أجور المراضع، إذْ في إيتاء المراضع الأجرة معجلاً هنيًّا توطين لأنفسهن[٤] واستعطاف منهن على الأولاد وقرىء: ما أتيتم بالقصر،

(١) ق: أراد.

(٢) ق: لم يجز.

(٣) المعنى: أن تسترضعوا المراضع أولادكم. فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه.

(٤) ق: إيثار المراضع. . هيّناً توطين لنفسهن.

وقرىء: ما أُوتيتم مبنياً للمفعول أي: ما أعطاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أي: بالجميل الذي يطيب النفس ويُعينُ على تحسينِ نشأةِ الصبي.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ لما تقدّم ذكر عدّة الحيض واتّصل الكلامُ إلى ذِكرِ الرضاع وكان فيه «وعلى الوارث مثل ذلك» ذكر عدّة الوفاة. وقرىء: يَتوفّون مبنياً للفاعل ومبنياً للمفعول أي: يتوفاهم الله أو يستوفون آجالهم. و«الذين» مبتدأ وخبره مختلف في تقديره وأختار أن يكون «يتربصن» وحذف ما يحصل به الربط وهو مجرور أي: يتربصن لوفاتهم، ودلّ عليه «يتوفون». و﴿ أَزْوَاجًا ﴾ ظاهرٌ في كل زوجة توفي عنها بعلها من أَمَةٍ وكتابية وغيرهما، والتَرَبُّص هنا الصبر عن التزويج. وإذا كان المعدود مذكّراً[١] وحذف فالأكثر إثبات التاء، ويجوز حذفها ومنه قول العرب: صمنا من الشهر خمساً، وما ورد في الحديث[٢]: «ثُمَّ أتبعه بستٍّ من شوال» يريد خمسة وستة، وحسن ذلك في قوله «وعشراً» لأنّه كالفاصلة ومقطع الجملة. وقال الزَّمخشريُّ[٣]: وقيل عشراً ذهاباً إلى اللّيالي والأيام داخلة معها، ولا تراهم قطّ يستعملون التذكيرَ فيه ذاهبين إلى الأيام، تقول: صمت عشراً، ولو ذكّرت خرجت من كلامهم، ومن البيّن فيه ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) ﴾[طه] انتهى. ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا

---

(١) ق: منكراً.

(٢) في صحيح مسلم ٢ : ٨٢٢ «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال».

(٣) الكشاف ١ : ٣٧٢.

يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ [طه] انتهى.

ولا يحتاج إلى تأويل «عشراً» بأنّها ليال لأجل حذف التاء، ولا إلى تأويلها بمُدَد كما ذهب إليه المبرّد، بل الذي نقل أصحابنا أنّه إذا كان المعدود مذكراً وحذفته فلكَ فيه وجهان أَحَدُهُما وهو الأصل، أنْ يبقى العدد على ما كان عليه [لو] لم يحذف المعدود فتقول: صمت خمسةً تُريد خمسة أيام، قالوا: وهو الفصيح. قالوا: ويجوز أن يحذف منه كلّه تاء التأنيث. وحكى الكسائي عن ابن الجرّاح: صمنا من الشهر خمساً. ومعلوم أنّ الذي يُصامُ من الشهر إنّما هي الأيام واليوم مذكر، وكذلك قوله[1]: [من الطويل]

وإلاّ فَسِيري مِثْلما سار راكبٌ   تَجَشَّمَ خمساً ليس في سيره أَمَمْ

يريد: خمسة أيام، وعلى ذلك ما جاء في الحديث[2] «ثمّ أتبعه بستّ من شوال». وإذا تقرر هذا فجاء قوله[3] «وعشراً» على أحد [٥٩/أ] الجائزين، وحسّنه هنا أنه مقطع كلام فهو مشبه بالفواصل كما حسّن قوله ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه] كونه فاصلة، فلذلك اختير مجيء هذا على أحد الجائزين. فقوله: ولو ذكّرت لخرجت من كلامهم ليس كما ذكر، بل لو ذكّر لكان أتى على الكثير الذي نصُّوا على أنّه الفصيح إذ حاله عندهم محذوفاً كحاله مثبتاً[4] في الفصيح. وجوّزوا الذي ذكره الزّمخشريّ على أنّ غيره أكثر منه. وقوله: ولا تراهم قطّ يستعلمون التذكيرَ فيه، ليس كما ذكر بل استعمالُ

---

(١) ق: تيمّم خمساً. والبيت لعمرو بن شأس الأسدي في شرح ديوان الحماسة ١: ٢٨١.

(٢) صحيح الجامع الصغير ٥: ٣٠٩.

(٣) ق: هذا في قوله.

(٤) ق: إدخاله.. لحاله مبينا.

التذكيرِ هو الكثير الفصيح كما ذكرنا. وقوله: ومن البيّن فيه ﴿إن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه] قد بيّنا مجيءَ هذا على الجائز فيه، وأنَّ محسّن ذلك إنّما هو كونه فاصلة فلذلك اختير مجيء هذا على أحد الجائزين.

وقوله: ﴿إن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه] فائدة ذكر الزَّمخشري هذا أنَّهُ على زعمه أراد اللَّيالي والأيام داخلة معها، فأتى بقوله «إلا يوماً» للدلالة على ذلك. وهذا يدلُّ عندنا على أنَّ قوله «عشراً» إنّما يريد بها الأيام لأنّهم اختلفوا في مُدَّة اللبث فقال قوم عشر وقال أمثلهم طريقة يوم. فقوله «إلا يوماً» مقابل لقولهم[1] «إلاّ عشرا» ومبيّن أنّه أريد بالعشر الأيام إذ ليس من التقابل أن يقول بعضهم: عشر ليالٍ ويقول بعض: يوماً. والأشهر بالأهلّة. وهذه الآية ناسخة للاعتداد بالحول، وعمومها معارض لعموم ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿٤﴾﴾ [الطلاق] والسنّةُ الثابتةُ بيّنت أنَّ[2] عِدَّةَ الحامل بوضع حملها سواء أكانت متوفّى عنها زوجها أم غير ذلك.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضاء هذه المُدّة المضروبة في التربّص. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ خطابٌ للأولياء ومَنْ يقوم مقامهم من الحكام ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ أي: من التزويج والتهيّؤ[3] له ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالوجه الذي لا ينكره الشرع.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا

(١) ق: لقوله.

(٢) ق: بأن.

(٣) غير ظاهرة في ق.

مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ .

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ نحو: إنك لجميلة وإنك لصالحة، وإنّ عزمي لأتزوج، وإني فيك لراغبٌ ونحو ذلك مما ليس فيه تصريح[1]، ومن ذلك وصفُ الرجلِ نفسه وفخره ونسبه كما فعل الباقرُ مع سكينة بنت حنظلة ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من أمر النّكاح فلم تُعرِّضُوا به. والإجماع على أنّه لا يجوز التصريح بالتزويج.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ هذا عذر في التعريض لأنَّ الميلَ متى حصل في القلب عَسُر دَفْعُهُ فأسقَطَ الله الحَرَجَ في ذلك. وفيه مع ذلك طرف من التوبيخ. وأتى بالسين دلالة على تفاوت[2] الزمان بحيث وقع ذلك إثر انفصال حبالهن من الزوج بالوفاة.

﴿وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ هذا استدراك من الجملة قبله وهي قوله «ستذكرونهن» والذِّكْرُ يقع على أنحاء، فاستُدرك فيه وجه نهي [فيه] عن ذكر مخصوص، ولو لم يستدرك لكان مأذوناً فيه لاندراجه تحت مطلق الذكر الذي أخبر الله بوقوعه. قال الزّمخشريُّ[3]: فإن قلت: أين المستدرك بقوله «ولكن لا تواعدوهن سرّاً» قلت: هو محذوف لدلالة «ستذكرونهن» عليه تقديره: علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهنّ[4] سرّاً،

---

(١) ق: بصريح.

(٢) ط: تقارب.

(٣) الكشاف ١ : ٣٧٣.

(٤) ق: فاذكرونهن ولكن لا تواعدونهن.

انتهى كلامه.

وقد ذكرنا أنه لا يحتاج إلى تقدير محذوف قبل «لكن» بل الاستدراك جاءه من قوله «ستذكرونهن». ولم يأمر الله تعالى بذكر النساء لا عن طريق الوجوب ولا الندب فيحتاج إلى تقدير «فاذكروهن» على ما قررناه قبلُ كقولك: سألقاك ولكن لا تخف منّي، لمّا كان اللّقاء من بعض أحواله أن يُخاف من المَلْقيّ استدرك فقال: ولا تخف منّي. والسرّ ضد الجهر ويُكنى به عن الجماع حلاله وحرامه لأنّه يكون في سرٍّ، وبعضهم فَسَّره هنا بالزنى وهو بعيد. وانتصب «سرًّا» على أنّه مفعول به أو على أنّه مصدر في موضع الحال. ومفعول «تواعدوهنّ» محذوف أي النّكاح.

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْـرُوفًا﴾ استثناء منقطع وهو ما أبيح من التعريض. قال الزّمخشريّ[1]: إلا أن يقولوا قولاً معروفاً، وهو أنْ يُعرِّضوا ولا يصرِّحوا. فإن قلت: فبم يتعلق حرفُ الاستثناء؟ قلت: بـ«لا تواعدوهن» أي[2]: لا تواعدوهنَّ مواعدة قطّ [إلا مواعدة] معروفةً غير مُنْكَرة، أو لا تواعدوهن إلا بأنّ تقولوا [٥٩/ب] أي لا تواعدوهن إلّا بالتعريض[3]. ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من «سرًّا» لأدائه إلى قولك: لا تواعدوهن إلا بالتعريض انتهى كلامُ الزّمخشريّ.

ويحتاج إلى توضيح وذلك أنّه جعله استثناء متصلاً باعتبار أنه استثناء مفرغ، وجعل ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون استثناء من المصدر

(١) الكشاف ١: ٣٧٣.

(٢) ق: ألا لا.

(٣) ق: التعريض.

المحذوف وهو الوجه الأول الذي ذكره وقَدَّرَهُ: لا تواعدوهنَّ مواعدة قطّ إلاَّ مواعدةً معروفةً غير منكرة. فكان المعنى: لا تقولوا لهنّ قولاً تَعِدُونهنّ به إلاَّ قولاً معروفاً، وصار هذا نظير: لا تضرب زيداً إلا ضرباً شديداً، فهذا استثناء مفرغ من المصدر، التقدير: لا تضرب زيداً ضرباً إلا ضرباً شديداً.

والثاني: أن يكون استثناء مفرغاً من مجرورٍ محذوفٍ وهو[1] الوجه الثاني الذي قدّره: إلاّ بأن تقولوا، ثم أوضحه بقوله: إلاّ بالتعريض، فكان المعنى: لا تواعدوهن سرًّا أي نكاحاً بقولٍ من الأقوال إلاّ بقولٍ معروف وهو التعريض، فحذف[2] من «أنْ» حرف الجرّ فيبقى منصوباً أو مجروراً على الخلاف الذي تقدم في نظائره. والفرق بين هذا الوجه والذي قبله أنّ الذي قبله انتصب نصب المصدر، وهذا انتصب على إسقاطِ حرفِ الجرِّ وهو الباء التي للتعدي[3].

وقوله: ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من «سرًّا» لأدائه إلى قولك: لا تواعدوهن إلاّ التعريض. والتعريضُ ليس مواعداً فلا يصحُّ عنده أنْ ينصب عليه العامل، وهذا عنده على أن يكون منقطعاً نظير: ما رأيت أحداً إلا حماراً، لكن هذا يصحّ فيه: ما رأيت إلاّ حماراً، وذلك لا يَصِحُّ فيه: لا تواعدوهن إلاّ التعريض، لأنَّ التعريضَ لا يكون مواعداً بل مواعداً به النّكاح، فانتصب «سِرّاً» على أنّه مفعول فكذلك [ينبغي أن يكون] «أن تقولوا» مفعولاً، ولا يصحّ ذلك فيه فلا يصحُّ أن يكون استثناءً منقطعاً. هذا

---

(١) ق: وهذا الوجه.

(٢) ق: فحذفه.

(٣) ط: للسبب.

توجيه (منع الزَّمخشري أن يكون استثناء منقطعاً)[١].

وما ذهب إليه ليس بصحيح[٢] لأنّه لا ينحصر الاستثناء [المنقطع] فيما ذكر وهو أن يمكن تسليط [العامل] السابق عليه، وذلك أنَّ الاستثناء المنقطع على قسمين: أحدهما: ما ذكره الزَّمخشريُّ وهو أن يتسلط العامل على ما بعد إلاّ كما مثلّنا به في قولك: ما رأيت أحداً إلا حماراً، وما في الدار أحدٌ إلا حماراً. وهذا النوع فيه الخلاف عن العرب: فمذهب الحجازيين نصب هذا النوع من المستثنى ومذهب بني تميم إتْباعه لما قبله في الإعراب. ويصلح في هذا النوع أن يحذف الأول ويسلّط ما قبله على ما بعد إلا فتقول: ما رأيت إلاّ حماراً وما في الدار إلا حمار[٣]، ويصحُّ في الكلام: ما لهم به إلاَّ اتباعُ الظنّ[٤].

والقسم الثاني من قسمي الاستثناء المنقطع هو أن لا يمكن تَسَلُّطُ العامل على ما بعد إلاّ، وهذا حكمه النَّصب عند العرب قاطبة، ومن ذلك: ما زاد إلاّ ما نقص، وما نفع إلاَّ ما ضرّ. فما بعد إلاّ لا يمكن أنْ يتسلطَ عليه «زاد» ولا «نفع»[٥] بل يقدر المعنى: ما زاد لكنَّ النقصَ[٦] حصل له، وما نفع لكنَّ الضر حصل له. فاشترك هذا القسم مع الأول في تقدير إلاّ بلكن[٧]، لكن الأول يمكن تسلّط ما قبله عليه وهذا لا يمكن.

---

(١) ما بين قوسين كتب في الحاشية.

(٢) عبارة ق: وما ذهب إليه فصحيح.

(٣) ق: حماراً.

(٤) أصل الآية ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء].

(٥) ق: نقص.

(٦) ق: لنقص.

(٧) ق: ولكن.

وإذا تقرّر هذا فيكون[١] قوله ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا﴾ استثناء منقطعاً من هذا القسم الثاني وهو ما لا يمكن أن يتوجَّه عليه العامل والتقدير: ولكن التعريض سائغ لكم. وكأنَّ الزَّمخشريَّ ما علم أنَّ الاستثناء المنقطع يأتي على ما في هذا النوع من عدم تَوَجُّهِ العامل على ما بعد إلّا فلذلك منعه والله أعلم. وظاهر «لا تواعدوهنَّ» التحريم.

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ ضمّن تعزموا معنى تنووا، فـ«عقدة» مفعول به أو انتصب على إسقاط الحرف أي على عقدة، أو على المصدر إذ[٢] معنى تعزموا: تعقدوا. و«عقدة النّكاح» ما يتوقف عليه صحة النّكاح. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ أي: المكتوب أجله من انقضاء العِدة، وهو نهي تحريم فلو عقد في العدّة فسخ. ﴿مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من هواهنَّ. ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ أي: فاحذروا عقابه.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾.

تزوج أنصاري حنيفية[٣] ولم يُسَمِّ مهراً ثم طلّقها قبل أنْ يمسَّها فقال النبيُّ ﷺ: متّعها ولو بقلنسوتك فنزلت. وقرىء [٦٠/أ] تمسّوهن مضارع

(١) ق: فتقول قوله.

(٢) ق: إن.

(٣) ق: حنفية.

مسست، وتماسوهن مضارع ماسَسْت[١]، وهو كناية عن الجماع. و«ما» مصدرية ظرفية أي زمان عدم المسيس.

﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الفريضةُ الصَّداقُ، وفرضه[٢] تسميته، و«تفرضوا» معطوف على «تمسّوهن» مجزوم على مجزوم فهو داخل تحت نفي «لم». والمعنى انتفاء الجناح عن المطلّق عند انتفاء أحدِ أمرين: إما الجماع وإما تسمية المهر. والآية تدلُّ على جوازِ الطلاقِ قبل البناء، وعلى جوازِ طلاق الحائض غير المدخولِ بها لاندراجها في عموم النساء.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: ملّكوهن ما يتمتعن به، وسمّى ذلك متعة. وظاهر الأمر الوجوب. وضمير النصب عائد على المطلقات قبل المسيس وقبل الفرض.

﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ هذا مما يؤكد الوجوب في المتعة لمن[٣] ذكر. والموسع الموسر، والمقتر الضيق الحال. والضمير في «قدره» عائد على المطلّق فالمعتبر حاله وليس محدوداً ما يمتّع به. وقرىء: الموسِع اسم فاعل من أوسع، والموَسَّع اسم مفعول من وُسّع. وقرىء: قدره بفتح الدال وسكونها وهما بمعنى واحد عند أكثر أئمة اللغة، وقرىء بفتح الراء فيهما أي: أوجبوا[٤] على الموسع قدره، أو ليؤدّ كل منكم قدره. واحتملت الجملة أن تكون حالاً وذو الحال الواو في «ومتعوهن» وأن تكون استئنافاً بيّنت حال المطلّق في المتعة حال إيساره وإقتاره.

(١) ق: ما مسست.

(٢) ق: وفروضه.

(٣) ق: لهن.

(٤) ق: أي في أوجبوا.

﴿مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ المتاعُ اسمٌ لما يُتمتع به فأُطلقَ على المصدر مجازاً وناصبه.

«ومتعوهن» أي: تمتيعاً، أو[1] انتصب على الحال وذو الحال الضمير المستكنّ في العامل في الجار والمجرور والتقدير[2]: يستقر على الموسع قدره في حال كونه متاعاً. و«بالمعروف» في موضع الصفة لـ«متاعاً» وهو المألوف شرعاً ومروءة.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ تأكيد للوجوب. و«حقاً» صفة لـ«متاعاً» أي متاعاً واجباً، أو مصدر لفعل محذوف أي حقَّ[3] ذلك حقاً.

ولما بيّن حال المطلّقة قبل المسيس وقبل[4] الفرض، بيَّنَ حالَ المطلّقة قبل المسيس وبعد الفرض.

﴿وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ﴾ جملة حالية، ويشملُ الفرضَ المُقارِنَ للعقد والفرضَ بعد العقد وقبل الطلاق. وقرىء: «فنصفُ ما فرضتم» بضم الفاء على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: فالواجبُ نصف ما فرضتم[5]، أو مبتدأ محذوف الخبر مقدماً أي: فعليكم نصف ما فرضتم، أو متأخراً أي: فنصف ما فرضتم عليكم، أي[6]: فلهن نصف ما فرضتم. [وقرىء]: فنصف بفتح الفاء أي

---

(١) ق: وانتصب.

(٢) ق: التقدير.

(٣) ق: من ذلك.

(٤) ق: أو قبل.

(٥) عبارة ق: محذوف الخبر مقدماً أي.. أفرضتم.

(٦) ق: أو.

فأدّوا نصف. وقرىء بكسر النون وضمّها.

﴿ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ ﴾ استثناء متصل وهو من الأحوال لأنَّ المعنى: فعليكم أو فلهنَّ نصف ما فرضتم في كُلِّ حالٍ إلا في حال عفوهنَّ عنكم فلا يجب.

ونصَّ ابن عطيّة وغيره على أن هذا استثناء منقطع قال ابن عطية[1]: لأن عفوهنَّ عن النصف ليس من جنس أخذهن والمعنى: إلا أن يتركن النصف الذي وجب لهن عند الزوج انتهى. قيل: وليس على ما ذهبوا إليه بَلْ هو استثناء متصل لكنه من الأحوال لأن قوله «فنصف ما فرضتم» معناه فالواجبُ عليكم نصف ما فرضتم في كل حالة إلا في حال عفوهنّ عنكم فلا يجب. وإن كان التقدير: فلهن نصف ما فرضتم فكذلك أيضاً. وكونه استثناء من الأحوال ظاهر ونظيره ﴿ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يوسف][2]. وقرىء بالتاء وهو التفات. وجَعْلُ ذلك عفواً دليل على النَّدْب. وظاهر قوله «يعفون» العموم في كل مُطَلَّقةٍ قبلَ المسيس وقد فرض لها، وخَصُّوا ذلك بأنْ تكون مالكةَ أمرَ نفسها، أما مَنْ كانت في حجر أبٍ أو وصيٍّ فلا يجوز لها العفو. وإنْ كانت بكراً لا وليَّ لها فهي داخلة في العموم.

﴿ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ ﴾ وهو الزوج وعفوه أنْ يُعطيها المهرَ كُلَّه، قاله علي وجماعة، أو[3] الولي الذي المرأة في حجره وهو أبوها، أو سيّد الأَمَة قاله ابن عباس وجماعة. وفي كون العافي أخاً أو عمًّا أو أباً وإن كَرِهَتْ[4] خلافٌ. وقرأ الحسن: أو يعفوْ الذي بتسكين الواو فتسقط في

(١) المحرر الوجيز ٢: ١٣٧.

(٢) وفي ق: لتأتيني.

(٣) ق: إذ.

(٤) أي كرهت المرأة.

الوصل لالتقائها ساكنة مع الساكن الذي بعدها، فإذا وقف أثبتها، وفعل [٦٠/ب] ذلك استثقالاً للفتحة في حرف العلة فقدّر الفتحة فيها كما تقدر في الألف في نحو: لن يخشى. وأكثرُ العربِ على استخفافِ الفتحة في الواو والياء في نحو: لن يرميَ ولن يغزوَ حتى أنَّ أصحابنا نَصُّوا على أنَّ إسكان ذلك ضرورة قال[1]: [من الطويل]

أبى الله أنْ أسمو بأمٍّ ولا أبِ

قال ابن عطية[2]: والذي عندي أنه استثقل الفتحة على واو متطرفة قبلها متحرك[3] لقلَّةِ مجيئها في كلامِ العرب، وقد قال الخليلُ رحمه الله: لم يجيء في الكلام واو مفتوحة متطرفة قبلها فتحة إلا في قولهم: عَفَوَة وهو جمع عِفْو[4] وهو ولد الحمار، وكذلك الحركة ما كانت قبل الواو المفتوحة فإنها ثقيلة انتهى كلامه.

فقوله: لقلَّةِ مجيئها في كلامِ العرب يعني مفتوحاً ما قبلها وهو الذي ذكره، فيه تفصيل وذلك أن الحركة قبلها إما أنْ تكون ضمةً أو فتحة أو كسرة. إن كانت ضمّة فإما أن يكون ذلك في فعل أو اسم. إنْ كان في فعل فليس ذلك بقليل بل جميع المضارع إذا دخل عليه الناصب أو لحقته نون التوكيد على ما أحكم في بابه ظهرت الفتحة فيه نحو: لن يغزوَ وهل يغزوَنّ، والأمر نحو: اغزوَنّ، وكذلك الماضي على فَعُلَ نحو: يَسُرَ

(١) الشعر لعامر بن الطفيل، ديوانه ص١٣ وصدره فيه:

فما سوّدتني عامر عن قرابة

(٢) المحرر الوجيز ٢: ١٤٠.

(٣) ق: متحركة.

(٤) تتناوب العين الحركات الثلاث.

وشَرُفَ[1] الرجل، وما يأتي من ذوات الياء[2] على فَعُلَ تقول فيه: لَقَضُوَ الرجل ولَرَمُوَت اليد، وهو قياس مطّرد على ما أحكم في بابه. وإن كان في اسم فإما أنْ يكون مبنياً على هاء التأنيث أو لا. إنْ كان مبنياً على هاء التأنيث فجاء كثيراً [قالوا][3] عَرْقُوَة وقَمَحْدُوَة وعُنْصُوَة، وينبني عليه المسائل في علم التصريف. وإنْ كانت الحركة فتحة فهو قليل كما ذكر الخليل. وإن كانت كسرة انقلبت الواو فيه ياء نحو: الغازي والغازية والعريقية[4]، وشذّ من ذلك: أقروة جمع قَرْو وهي مِيْلَغة الكلب، وسواسوَة وهم المستوون في الشرِّ، ومقاتوه جمع مقتو وهو السايس الخادم.

﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ الظاهر أنه خطابٌ للأزواج إذ هم المخاطَبون في صدر الآية. وقرىء: وأن يعفوا بياء الغيبة.

﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾ أي: أن تفضل المطلّقة بالعفو عمّا وجبَ لها إذ لم يستمتع بها الزوج أو المطلّق ببذلِ جميعِ المهر إذ في طلاقها كسر خاطرها والرَّغبة عنها فيكون إعطاؤه[5] لها جميع المهر جبراً لها وإحساناً إليها . وقرىء بضم الواو وبكسرها، وقرىء: ولا تناسوا أي: تتناسوا.

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ

---

(١) كذا في الأصل وما ينطبق على القاعدة نحو: سَرُوَ.

(٢) ق: التاء.

(٣) زيادة من ط. وما بعدها غير ظاهر في ق. وعَرقوة الدلو بفتح العين، وعُنصوة بالضم لأن ثانيه نون، والقَمَحْدُوة بزيادة الميم. انظر اللسان: عرق، قحد.

(٤) غير ظاهرة في ق.

(٥) ق: في إعطائه.

تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ تكلم المفسرون في مجيء هذه الآية هنا ثم رجع بعدها إلى شيء من أحوال المطلقات بما ذكرناه في «البحر»[١]، ثم ذكرنا أن المناسبة في ذلك هو أنه لما ذكر تعالى جملةً كبيرة من أحوالِ الأزواج والزوجات وأحكامهم المتقدمة، وكانت تكاليف عظيمة يشغل من كُلِّفها بحيث لا تكاد تسع معها شيئاً[٢] من الأعمال، وكان كُلٌّ من الزوجين قد وجَبَ عليه ما يستغرق فيه الوقت فكان في ذلك مدعاة إلى التكاسلِ عن العبادةِ إلا لمن وَفَّقه الله تعالى - أمر بالمحافظةِ على الصلوات التي هي وسيلةٌ بين الله تعالى وبين عباده. وإذا كان قد أمر بالمحافظة على [أداء] حقوق الآدميين فلأن يؤمر بالمحافظة على أداء حقوق الله تعالى أولى، ولذلك جاء: فدينُ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُقضى. و«حافظوا» من باب طارقتُ النعل[٣]. ولما ضمّن معنى المواظبة عُدِّي بعلى. وأل في «الصلوات» للعهد وهي الخمس.

«والصلاة الوسطى» هي فُعلى تأنيث الأوسط بمعنى الفضلى ومنه قول أعرابي يمدحُ رسولَ الله ﷺ[٤]: [من البسيط]

يا أوسطَ الناسِ طرًّا في مفاخرهم   وأَكْـرَمَ النـاس أمّـا بَـرَّةً وأبـا

وأفعل التفضيل لا ينبني إلا مما يقبل الزيادة والنقص وكذا فعل التعجب فلا يجوز: زيد أموت الناس، ولا: ما أموت زيداً، لأنه لا يقبل ذلك.

---

(١) انظر ٢: ٢٣٩.

(٢) ق: لا يكاد يسع معها شيء.

(٣) غير واضح في ق. وطارقت النعل: خصفته.

(٤) لم أجده في غير القرطبي ٣: ٢٠٩. وفي ق: أمّاً برة وآباء.

وكونُ الشيء وسطاً بين شيئين لا يقبلُ الزيادةَ والنقص فلا يجوز أن يبنى منه أفعل التفضيل فتعيَّنَ أنْ يكون «الوسطى» بمعنى الخيرى والفُضْلى. وثبت تفسير رسول الله ﷺ [٦١/أ] أنَّ الصلاةَ الوسطى هي صلاة العصر من حديث جماعة من الصحابة عنه عليه السلام فوجب المصير إليه(١). وذكرها خاص بعد عام نحو ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ(٢)﴾ [البقرة]. وقرىء: والصلاةَ بالنصب. وقرىء: الوصطى بالصاد.

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ أي: مطيعين ساكتين عمّا يتكلم به غير ما شرع من القراءة والذكر. وفي قوله «وقوموا» دلالةٌ على مطلوبيةِ القيام، والقيامُ فرضٌ في صلاة الفرض على كُلِّ صحيحٍ قادر عليه.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: من عدوٍّ أو سبع أو سيل أو(٣) غير ذلك مما يُخافُ منه ولم يتمكن المصلي من القيام. ﴿فَرِجَالًا﴾ أي: فصلُّوا رجالاً جمع راجل أي: على الأقدام ماشين. ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب. ويقال: رَجِل يرجَل فهو راجل ورجُل ورَجْل. قيل: لا يقال راكب إلا لراكب الإبل، وقرىء: فرُجَّالاً بضم الراء وشد الجيم، وبالضم وتخفيفها. والظاهر أنهم يوقعون الصلاة وهم ماشون فيصلون على كُلِّ حالٍ والراكبُ يُومِىءُ. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ أي: من الخوف. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالشكر والعبادة ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ أي: ذكراً يوازي ويعادل نعمة ما علّمكم. ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي: لتعليمِهِ إيَّاكم ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ «ما» مفعول «يعلّمكم».

---

(١) في صحيح مسلم ١: ٤٣٧ عن علي قال قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً».

(٢) ق: وميكائيل.

(٣) ق: وغير.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ حكى ابن عطية وعياض الإجماع على نسخ الحول بالآيةِ السابقة. وقرىء: وصيةٌ بالرفع على الابتداء وهي موصوفة تقديراً أي: وصية منهم، وقرىء بالنصب على المصدر أي: يوصون وصية. وانتصب «متاعاً» بفعلٍ مُضمر من لفظه أي: متعوهن متاعاً، أو من غير لفظه فيكون مفعولاً أي: جعل الله لهن متاعاً إلى الحول. وانتصب «غير إخراج» على الصفة «لمتاعاً». ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ ﴾ أي: مختاراتٍ للخروج ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ على مَنْ له الولاية عليهن. وجاء هنا «من معروف» نكرة لأنَّ هذه الآية متقدمة في النزول وإنْ تأخرت في الترتيب. وفي الآية السابقة[1] «المعروف» معرفاً بأل لأنه متأخر في النزول وإن تقدم في الترتيب كما جاء ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المزمل].

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ظاهرُه العمومُ كما ذهب إليه أبو ثور، ونزلتْ توكيداً لأمرِ المتعة. ولما نزل ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ [البقرة] قال رجل: فإنْ لم أُرِدْ أنْ أُحسن لم أمتع فنزل ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن

(١) الآية ٢٣٦.

﴿ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾.

لما ذكر تعالى أشياء من التكاليف ومن أحكام الموتى ومَنْ خلّفوا(١) أعقب بهذه القصة الغريبة وكيف أماتَ الله تعالى هؤلاء ثم أحياهم في الدنيا ليدلَّ على قدرته وأنَّ أولئك المتوفّين(٢) يبعثهم اللهُ في الآخرة كما بعثَ هؤلاء في الدنيا فقال تعالى ﴿ ۞أَلَمْ تَرَ﴾ وهذه همزة الاستفهام دخلت على النفي فصار الكلام تقريراً ومعناهُ التنبيه والتعجُبُ من حال هؤلاء. والرؤية هنا علمية، وضُمِّنت معنى ما يتعدى بإلى كأنه قيل: أَلَمْ ينته علمكَ إلى كذا. ولما كان «رأى» مرادفاً في المعنى لنظر عُدِّي بإلى تعدية نظر. وقد جرى هذا التركيب مجرى التعجب(٣) في لسانهم، كما جاء في الحديث(٤): «ألم تر إلى مُجَزِّز». وكثر مجيء ذلك في القرآن، وقال امرؤ القيس(٥): [من الطويل]

ألم ترياني كلما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تَطَيَّب

وقرىء: ألم تَرْ بسكون الراء. وهؤلاء قوم أُمروا بالجهاد فخافوا القتل فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك فأماتهم الله ليعرِّفهم أنهم لا يُنجيهم من الموتِ شيءٌ، ثم أحياهم وأُمروا بالجهاد. ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جملة حالية. وألوف جمع ألف وهو عدد معروف، والظاهر أنهم ألوفٌ من غيرِ تعيينٍ،

---

(١) ق: كلّفوا.

(٢) ق: المتوفون.

(٣) ق: التعجيب.

(٤) نصّه في صحيح مسلم ٢: ١٠٨٢ «ألم تري أن مجززاً المدلجي دخل عليّ» يخاطب عائشة. ومجزز هو من بني مدلج وكانت القيافة فيهم.

(٥) ديوانه ص٤١.

ويجوز أنْ يراد به التكثير أي: وهم عالم كثير لا يكاد يُحصيهم عادٌّ كما تقول: جئتك ألف مرة، تريد التكثيرَ لا حقيقةَ العدد. و﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ مفعول من أجله. ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: على لسان نبيٍّ فيهم أو على لسان ملك، أو يكون كناية عن سرعة موتهم كأنهم مأمورون بذلك لسرعة القابلية. وفي الكلامِ حذفٌ أي: فماتوا. والموتُ عبارة عن فراقِ أرواحهم [٦١/ب] لأجسادهم. ﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ يدلُّ على تراخي إحيائهم وليس بموتِ الآجالِ بل هو حادثٌ مما يحدث للبشر[١] كموتِ الذي مَرَّ على قرية[٢]. وأتَتْ بين يدي الأمر بالقتالِ تشجيعاً للمؤمنين وحثًّا على الجهاد وإعلاماً أن لا مفرَّ من القضاء وتنبيهاً على النشأة الآخرة.

﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ظاهره أنه خطاب لأمة محمد ﷺ بالجهاد في سبيل الله. وعن ابن عباس أنه أمرٌ لأولئك الذين أحياهم الله بالجهاد.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ الآية، هذا على سبيل التمثيل والتقريب والله هو الغني. شبّه عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبَّه بذلَ النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء. و«من» مبتدأ و«ذا» اسم إشارة باقٍ على إشارته و«الذي» صفة له. أو «من وذا» مركّبتين بمعنى الاستفهام و«الذي» خبره. و﴿قَرْضًا﴾ مصدر على غير المصدر أي: إقراضاً، أو بمعنى المفعول أي: مقروضاً حسناً. وحُسْنُه إنْ كان مصدراً بِطِيبِ النية فيه وكونِه بلا أذى ولا منٍّ، وإنْ كان مفعولاً فجودته وكثرته وطِيبِ أصله. وقرىء: فيضعّفه بالتشديد، وفيضاعفه بالألف. وقرىء بالرفع على الاستئناف أي: فهو يضاعفه، أو عطفاً على صلة «الذي»، وبالنصب جواباً

(١) ق: على البشر.

(٢) انظر البقرة ٢: ٢٥٩.

للاستفهام، وإن كان الاستفهام هو عن المسند إليه الحكم لا عن الحكم خلافاً لمن منع النصب في ذلك، وهو نظير: من يدعوني فأستجيب له. ﴿أَضْعَافًا﴾ حال، أو ضمّن «فيضاعفه» معنى فيصيّره، فيكون مفعولاً. ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ أي: يقترّ ويوسع.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾ هم الأشراف ومَنْ له الحلُّ والعقد، وهو اسم جمع ويجمع على أملاء. و﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في موضع الحال أي: كائنين من بني إسرائيل. ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ متعلق بما تعلق به «من بني إسرائيل». وتعدّى إلى حرفَيْ جرّ من لفظ واحد لاختلاف المعنى، فالأولى للتبعيض والثانية لابتداء الغاية. ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ العامل في «إذ قالوا»: «تر». وقيل[1] بدل «من

(١) ق: وقالوا.

بعد» وقد رددنا ذلك في «البحر»[١]. والعامل مضاف محذوف أي: إلى قصة الملأ أو إلى حديث الملأ وما جرى لهم إذ قالوا، لأنَّ الذواتَ لا يتعجبُ منها إنما يتعجب مما جرى لهم. ﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ «النبي» متعلق بـ«قالوا» واللام للتبليغ. ولم يعيّن في القرآن اسم هذا النبي.

وقصة هؤلاء أنه لما توفي موسى عليه السلام خلفه يوشع يقيمُ فيهم التوراةَ فَقُبِضَ فخلفه حزقيل فقبض، ففشت فيهم الأحداثُ حتى عبدوا الأوثانَ، فبعث إلياس ثم من بعده اليسع ثم قبض فظهرت فيهم الأحداث وظهر لهم عدوٌّ وهم العمالقة قوم جالوت وكانوا[٢] سكان بحر الروم بين مصر وفلسطين فغلبوا على كثير من بلادهم وأسروا من أبناء ملوكهم وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم، ولم يكن نبيٌّ يُدبِّرُ أمرهم فسألوا اللهَ أنْ يبعثَ لهم نبياً يقاتلون معه.

وكان سبط النبوة [قد] هلكوا إلا امرأة حبلى دعت الله أنْ يرزقها غلاماً فرزقها شمويل فتعلم التوراةَ، وكفله شيخ[٣] من علمائهم وتبنَّاهُ. فأتاه جبريل وهو نائمٌ إلى جنب الشيخ وكان لا يأمنُ عليه، فدعاه بلحن الشيخ: يا شمويل، فقام فزعاً فقال: يا أبتِ دَعَوْتني؟ فكره أن يقول لا فيفزع، فقال: يا بُنيَّ نم، فجرى له ذلك مرّتين، فقال له: إنْ دعوتك الثالثة فلا تُجِبْني. فظهر له جبريل وقال له: اذهب فبلِّغْ قومكَ رسالةَ ربك فقد بعثك نبياً. فأتاهم فكذَّبوه وقالوا: إنْ كنت صادقاً فابعثْ لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله آية من نبوَّتك. وكان قوام بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك، وكان الملكُ

---

(١) انظر ٢: ٢٥٤.

(٢) ق: كانوا.

(٣) ق: وكفل شيخاً.

يسيرُ بالجموع والنبيُّ يسدِّدُه[١] ويرشده.

ومعنى «ابعث لنا ملكاً»: أَنْهِضْ لنا من نصدر عنه في أمر الحروب وننتهي إلى تدبيره. وقرىء: نقاتل بالنون والجزم على جواب الأمر، وبالياء ورفع اللام على الصفة، وبالنون ورفع اللام على الحال من المجرور، وبالياء والجزم على الجواب. ولما ذكروا القتال استثبتهم بقوله ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ ليعلمَ ما انطوتْ عليه بواطنهم فاستفهم عن مقاربتهم [٦٢/أ] ترك القتال إنْ كُتبَ عليهم، فأنكروا أنْ يكونَ لهم داعٍ إلى ترك القتال بقولهم ﴿وَمَا لَنَآ﴾ إلى آخر كلامهم، أي: هذه حال من يبادر إلى القتال. ودخول «هل» [على] «عسيتم» دليل على أنَّ عسى فعل خبري لا إنشائي والمشهور أنَّ عسى إنشاء.

وقرىء: عسيتم بكسر السين وفتحها. وجواب «إن كتب» محذوف و«أن لا تقاتلوا» خبر عسى أو مفعول[٢] على الخلاف المنقول في النحو. والواو في «وما لنا ألاّ نقاتل» لربط هذا الكلام بما قبله والتقدير: في ترك القتال. والواو في «وقد» للحال. وقرىء: أُخرجنا مبنياً للمفعول، وأخرجَنا ماضياً مبنياً للفاعل أي: أخرجَنا العدو أو أخرجَنا اللهُ بعصياننا فنحن نتوبُ ونقاتل في سبيله ليردَّنا إلى أوطاننا ويجمع بيننا وبين أبنائنا.

﴿تَوَلَّوْا﴾ أي: صرفوا عزائمهم عن القتال. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء متصل، وصحّ وإنْ كان لا يجوز: قام القوم إلا رجالاً، لأنه صفة لموصوف محذوف ولتقيّده بقوله «منهم». ولم يبين عدة هذا القليل، وفي الحديث: ثلاث مئة

---

(١) ق: يشدّده.

(٢) ق: خبر على ومفعول.

وثلاثة عشر[١]، وهذا القليل ثبتوا على نِيَّاتهم في قتالِ أعدائهم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وعيدٌ لمن تقاعدَ عن القتالِ بعد أنْ فرض عليه بسؤاله.

ولما سألوا أن يبعث لهم ملكاً قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾ وكان طالوت صاحبَ صنعة فيها مهنة. ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ﴾ الجملة، وهو كلامُ مَنْ تَعَنَّتَ في حكم الله ولم يسلم لما فعله الله تعالى. وأبدوا عذرهم في إنكارِ تمليكه عليهم وأنهم أحق بالمُلْكِ منه إذِ الملكُ في سبط يهوذا والنبوة في سبط لاوي وليس هو من هذا السبط ولا هذا السبط، والمُلْكُ لا يتم إلا بالفاضلِ لا المفضول، والموسّع عليه في الدنيا إذ يحتاج إلى استخدام الرجال بالمال ومعونتهم به على القتال، اعتبروا في ذلك الأصالةَ والغِنى ولم يعتبروا السببَ الأقوى وهو ما قضاه الله تعالى وقدّره. و«أنّى» بمعنى كيف نصب على الحال و«يكون» ناقصة و«له» الخبر. و«علينا» متعلق «بالملك» على معنى الاستعلاء[٢]، أو تامة أي: كيف يقع أو يحدث.

﴿وَنَحۡنُ أَحَقُّ﴾ جملة حالية. ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ﴾ معطوف على الحال فهو [حال]. و«بالملك» و«منه» متعلقان «بأحق».

﴿ٱصۡطَفَىٰهُ﴾ اختاره صفوة إذْ هو أعلم بالصالح. ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ بالحروب وعلم الشرائع، وقيل إنه أُوحيَ إليه ونبّىء. ﴿وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ وهو امتدادُ القامة وحُسْنُ الصورة. قال ابن عباس: كان طالوت يومئذٍ أعلم بني إسرائيل وأتمّهم وأجملهم. وتمامُ الجسم وحُسْنُه أعظمُ في النفوس وأشد هيبة. وكان رسول الله ﷺ إذا ماشى الطوال طالهم.

(١) انظر تفسير الطبري ٢: ٣٩٣.

(٢) ق: الاستثناء.

وقرىء: بسطة بالسين والصاد. ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ لما تعنَّتُوا وجادلوا قَطَعهم بذلك.

ثم أعلمهم بآيةٍ تدلُّ على ملك طالوت فقال ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ وكانوا قد فقدوه وكان مشتملاً على ما ذكره تعالى. والتابوت معروف ووزنه فاعول ولا يعرف الاشتقاق ويقرأ[1] بالتاء أخيراً وبالهاء وقد قرىء بهما. ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: فيه اطمئنانٌ لكم. ولما كانت السكينةُ تحصلُ بإتيانِه جعلت فيه مجازاً. قيل: والتابوت صندوق التوراة كان موسى عليه السلام إذا قَدَّمه في القتالِ سكنت نفوسُ بني إسرائيل ولا يفرّون. ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ لم يعيّن ما البقية فقيل: رضاض ألواح التوراة التي تكسَّرتْ حين ألقاها موسى عليه السلام، وقيل: عصاه وقيل غير ذلك. وآل موسى وهارون هم الأنبياء كانوا يتوارثون ذلك. ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال ابن عباس: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت وهم ينظرون إليه، وكان حمل[2] الملائكة له استعظاماً لهذه الآية. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في إتيان التابوت والملائكة تحمله.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا

(١) ق: ويقال.

(٢) ق: حميل.

بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ [٦٢/ ب] بِالْجُنُودِ﴾ قيل: هنا جملٌ محذوفة أي: فجاءهم التابوت وأقرُّوا له بالمُلْكِ وتأهَّبُوا للخروج. والباء في «بالجنود» للحال أي: متلبّساً بالجنود. قال ابن عباس: كانوا سبعين ألفاً[1]، ولما خرجوا معه شَكَوْا قِلَّةَ الماء وخوف العطش وكان الوقتُ قيظاً وسلكوا مفازة فسألوا الله أن يجريَ لهم نهراً. ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ قال ابن عباس: هو نهر بين الأردن وفلسطين. وقرىء: بنهر بفتح الهاء وسكونها. والابتلاء الاختبار، وإخبار طالوت بهذا الابتلاء وما يترتب[2] عليه لا يكون من قبله بل بوحيٍ من الله تعالى إما إليه إنْ كان نبياً كما قيل، أو للنبي الذي أخبر عن الله بتمليكه. ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي وأشياعي في هذه[3] الحرب.

﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ أي: مَنْ لم يذقه، وطَعْم كل شيء ذوقه، وتقول العرب: أطعمتك الماء أي: أذقتك، وطعمت الماء ذقته.

---

(١) ق: ألف.

(٢) ق: يترب.

(٣) ق: هذا.

﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ﴾ استثناء من الجملة الأولى وهي «فمن شرب منه فليس مني» . ﴿غُرْفَةً﴾ قرىء بفتح الغين وضمّها والمعنى يشربها أو للشرب، والظاهر أنها غرفةُ الكفِّ أُبيح لهم ذلك لا الكروع والتَّملّي من الماء.

﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ أي: شرب الأكثر ولم يشرب القليل. وقرىء: إلا قليلاً بالنصب على الاستثناء وبالرفع على أنه تابع للمرفوع قبله، لأن الكلام إذا كان موجباً جاز فيما بعد إلاّ النصب وهو الأفصح، والإتباع لما قبله إن رفعاً فرفع أو نصباً فنصب أو جرًّا فجرّ، وهي مسألةٌ بيّن وجه الإعراب فيها في علم النحو.

قال الزمخشري[١]: وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانباً، وهو بابٌ جليلٌ من علم العربية فلما كان معنى «فشربوا منه» [في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل:] فلم يطيعوه إلا قليل منهم. ونحوه قول الفرزدق[٢]: **[من الطويل]**

.... لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف

كأنه قال: لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف انتهى كلامه. ويعني أن هذا الموجب الذي هو «فشربوا منه» هو في معنى المنفي كأنه قيل: فلم يطيعوه، فارتفع «قليل» على هذا المعنى. ولو لم يلحظ فيه معنى النفي لم يكن ليرتفع ما بعد إلا، فيظهر أن ارتفاعه على أنه بدلٌ من جهة المعنى،

---

(١) الكشاف ١ : ٣٨١.

(٢) ق: مسحتاً. ديوان الفرزدق ٢ : ٢٦. وانظر شرح شواهد الكشاف ٤ : ٤٥٦.
وصدره:

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع

فالموجب فيه كالمنفي.

وما ذهب إليه الزمخشري من أنه ارتفع ما بعد إلا على التأويل هنا دليلٌ على أنه لم يحفظ الإتباع بعد الموجب، فلذلك تأوّله. ونقول[١]: إذا تقدم موجب جاز في الذي بعد إلا وجهان أحدهما النصب على الاستثناء وهو الأفصح، والثاني أن يكون ما بعد إلا تابعاً لإعرابِ المستثنى منه إن رفعاً فرفع أو نصباً فنصب أو جراً فجر فتقول: قام القوم إلا زيد ورأيت القوم إلا زيداً ومررت بالقوم إلا زيدٍ سواء كان ما قبل إلا مظهراً أو مضمراً. واختلفوا في إعرابه فقيل هو تابع على أنه نعتٌ لما قبله، فمنهم مَنْ حملَ هذا على ظاهر العبارة وقال: ينعت بما بعد إلاّ الظاهر والمضمر، ومنهم من قال: لا ينعت به إلا النكرة أو المعرفة بلام الجنس، فإن كان معرفة بالإضافة نحو: قام إخوتك، أو بالألف واللام للعهد أو بغير ذلك من وجوه التعاريف غير لام الجنس فلا يجوز الإتباع [ويلزم النصب على الاستثناء، ومنهم من قال إنَّ النحويين يعنون بالنعت هنا عطف البيان. ومن الإتباع] بعد الموجب قول الشاعر[٢]: [من الوافر]

وكل أخٍ مفارقُه أخوه   لعمر أبيكَ إلا الفرقدانِ

وهذه المسألةُ مستوفاةٌ في علم النحو، وإنما أردنا أنْ ننبه على أنَّ تأويل الزمخشري هذا الموجب بمعنى النفي لا يضطر إليه وأنه كان غير ذاكر لما قرره النحويون في الموجب.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ أي: النهر ﴿هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ وهم الذين لم

---

(١) ق: وتقول.

(٢) هو عمرو بن معد يكرب على اختلاف، انظر كتاب سيبويه ٢: ٣٣٤.

يشربوا وهو توكيدٌ للضميرِ المستكنِّ في «جاوزه» أي: وعاينوا جالوت وعسكره ﴿قَالُوا۟﴾ ظاهرُه عَوْدُ الضميرِ على الذين آمنوا والمعنى: قال مَنْ ضَعفتْ بصيرتُه من المؤمنين وقد شاهدوا عسكرَ جالوت وكثرته. وقال ابن عباس: قائل ذلك الكفرة الذين انخزلوا وهو الفاعل في [٦٣/أ] «فشربوا».

﴿لَا طَاقَةَ﴾ هو من الطوق وهو القوة، تقول: أطاق إطاقة وطاقة كأطاع طاعة ﴿لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾ أي: بقتال جالوت وجنوده. و«لنا» هو الخبر. ويتعلق «بجالوت» بما يتعلق به «لنا».

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ الظن على بابه، ومعنى «ملاقو الله» أنهم يستشهدون في ذلك اليوم لعزمهم على صِدْقِ القتال، أو بمعنى الإيقان أي: يُوقنون بالبعث.

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً [كَثِيرَةًۢ] بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وهذا تحريض على القتال واستشعار بالصبر وأن الكثرة ليست سبباً للنصر، إذْ قد سبق في الأزمان الماضية غلبة القليل للكثير. و«كم» خبرية و«من فئة» تمييزها ولم يأتِ في القرآن إلا مجروراً بمن. والفئة الجماعة و«كم» مبتدأ خبره «غلبت». و«من» قيل زائدة وقيل في موضع الصفة لـ«كم». و«فئة» مفرد في موضع الجمع. وقرىء: فئة بالهمز وبإبدال الهمز ياءً وهو إبدال مقيس. ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ من تمامِ قولِهم تحريضاً على الصبر والقتال.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟﴾ أي: صاروا بالبرازِ من الأرضِ وهو ما ظهرَ واستوى. والمبارزةُ في الحرب أنْ يظهرَ كل قِرْنٍ لصاحبه بحيث يراه. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ سالوا أنْ يصب عليهم الصبر حتى يكون مستعلياً عليهم. ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي: أرسخها حتى لا نفرَّ. ﴿وَٱنصُرْنَا﴾ أي: أعِنَّا وأظفرنا ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أتوا بالوصفِ المقتضي لخذلان أعدائهم.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بتمكينه. والهزيمة قد تكون بعد التحام القتال، وقد تكون عن غلبة خوف المنهزم دون التحام. ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ لم يبين كيفية القتل. وداود هو ابن إيشا[1]. ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ أي: ملك طالوت ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وهي وضع [الامور] مواضعها من الصواب. ولما مات شمويل وطالوت جمع الله لداود المُلْكَ والنبوة قيل[2]: وهي الحكمة. ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [أي: مما يشاء] أن يعلّمه تعالى، و«ما» مبهم. وقد علّمه صنعةَ الدروع وفهم منطق الطير وأنزل عليه الزَّبُور.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ[3] ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ المدفوع بهم المؤمنون والمدفوعون الكفار وفساد الأرض بقتلِ المؤمنين وتخريب المساجد وتطبيق الأرض بالكفر. ولكنه تعالى لا يُخْلي الأرضَ من قائم بالحق. وقرىء: دَفَع الله مصدر دَفَع، ودفاع مصدر دَفع نحو: كتب كتاباً، أو مصدر دافع بمعنى المجرد، وهو مضاف إلى الفاعل. و«بعضهم» بدل من «الناس» بدل بعض من كل. والباء في «ببعض» تتعلق بالمصدر وهي للتعدية. وأصل التعدية بالباء إنما هو في الفعل اللازم نحو: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ۝٢٠﴾ [البقرة]. فأما ما يتعدى فالأصل إذا عُدّي إلى ثانٍ أنْ يعدّى بالهمزة نحو: طعم زيد اللحم، وأطعمت زيداً[4] اللحم. ولا تنقاس التعدية

---

(١) ق: إنشاء، والتصويب من ط.

(٢) ق: وقيل.

(٣) ق: دفاع.

(٤) ق: زيد.

بالباء[1] فيما يتعدى إلى واحد فتعدّيه بها، ومما جاء من ذلك قولهم: صكَّ الحجر الحجر، ثم إذا عدّيته إلى ثانٍ قلت: صككت الحجر بالحجر أي: جعلته يصكّه، وقالوا صككت الحجرين أحدهما بالآخر. وإسناد الفساد إلى الأرض بالخراب وتعطيل المنافع، أو المراد أهل الأرض فيكون على حذف المضاف.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جاء بلفظ «العالمين» ليشمل المدفوع بهم والمدفوع، [إذ المدفوع] لم يبلغ ما كان يؤملُ من مقاصده التي تؤولُ إلى فساد الأرض، فاستدرك تعالى أنه ذو فضلٍ عليه محسن إليه، واندرج في عموم «العالمين» وكأنه لما لم يبلغ مقاصده أنكر فضل الله عليه فجاء الاستدراك لهذا المعنى. و«على» تتعلق بـ«فضل». وربما حذفت «على» تقول: فضلت فلاناً، أي: على فلان، فإذا ضعّف الفعل لزمت «على».

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ تلك إشارة إلى الآيات التي تقدمت في القصص السابق من خروج أولئك الفارّين من الموت إلى ما تلاه تعالى مما ذكر بعدهم. ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أكد بأنَّ وباللام حيث أخبر بهذه الآيات من غير قراءةِ كتابٍ ولا مدارسةِ [٦٣/ب] أحبارٍ ولا سماع[2] [أخبار].

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ

---

(١) ق: بالهاء.

(٢) عبارة ق: ولا مدارسة أخبار ولا سماع.

ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾.

لما ذكر اصطفاء طالوت على بني إسرائيل وتفضيل داود عليهم، وخاطب(١) رسوله ﷺ بأنه من المرسلين، بَيَّنَ أنَّ المرسلين يتفاضلون أيضاً فقال تعالى ﴿ تِلْكَ [ٱلرُّسُلُ ﴾ أي:] الذين تقدموا. و«تلك الرسل» مبتدأ وخبر و«فضّلنا» جملة حالية، أو «الرسل» صفة لـ«تلك» و«فضلنا» الخبر. وأشار بـ«تلك» للبعد(٢) الذي بينه عليه السلام وبينهم في الأزمان. وعامل جمع التكسير معاملة الواحدة المؤنثة. وفي «فضلنا» التفات.

﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ قرىء بالرفع، ففي «كلّم» ضمير نصب حُذف [عائد على الموصول أي: من كلّمه الله]، وبالنصب، ففي «كلّم» ضمير مرفوع يعود على «من». وقرىء: كالم، وبالنصب أي: كالم هو اللهَ. وبدأ في التفضيل بالكلام إذ هو أشرف(٣) تفضيل إذْ جعله محلاً لخطابه ودخل تحت «مِن» آدم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ وهو محمد عليه السلام لأنه بعث إلى الناس كافة وأمته أعظم الأمم وختم به باب النبوة إلى ما آتاه الله تعالى. ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ الآية، تقدم تفسير هذا الكلام. ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ قيل: [هنا] محذوفٌ تقديره: فاختلف أممهم واقتتلوا. أي: ولو شاء الله أن لا يقتتلوا [ما اقتتل. ومعنى «من بعدهم» من بعدِ كُلِّ نبي. «ولو شاء الله] ما اقتتلوا» توكيد للجملة السابقة. ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ أي: إرادته هي المؤثرة لا إرادة غيره.

(١) ق: ما خاطب.

(٢) ق: للعبد.

(٣) ق: من أشرف.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤ ﴾.

﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ عامة في كل صدقة واجبة أو تطوع في جهاد وغيره. ولما[1] قسّم في قوله «فمنهم من آمن ومنهم من كفر» أقبل على المؤمنين بندائهم وخاطَبهم تشريفاً لهم. ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾ هذا تحذيرٌ من الإمساكِ قبل أنْ يأتي يوم القيامة. ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ﴾ يُستفاد بتحصيله الفِداء من النار. ﴿وَلَا خُلَّةٞ﴾ ولا صداقة تقتضي المساهمة. ﴿وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ تُنجي الكافرَ من عذاب الله تعالى. وقرىء بفتح الثلاثة من غير تنوين، وبرفعها والتنوين. ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ هم: فصل[2] أو مبتدأ.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ هذه تسمى آية الكرسي لذكره فيها. وقد ورد في فضل قراءتها ثوابٌ كثير، وتضمنت صفاته تعالى من الانفرادِ بالألوهيةِ والحياةِ والقيام على كل شيء واستحالة كونه محلاً للحوادث وغير ذلك مما وصف به تعالى نفسه. وفيه إثبات [صفة] الحياة له تعالى. و«القيوم» وزنه فيعول أصله قيووم قلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء. وقرىء: القيّام والقيّم. وجوّزوا أن يكون «الحي» صفة أو خبراً بعد خبر، أو

(١) ق: لما.

(٢) غير ظاهرة في ق.

بدلاً من «هو» [أو من «الله»]، أو خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره «لا تأخذه». وأجودها الوصف ويدل عليه قراءة من قرأ: الحيَّ القيومَ، بنصبهما على المدح.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾ يقال: وَسِنَ سِنَةً وَوَسَناً. والمعنى: لا يغفلُ عن دقيقٍ ولا جليل، عبَّر بذلك عن الغفلة لأنه[1] سببها، أو لا تحلُّه الآفاتُ ولا العاهات المذهلة عن حفظ المخلوقات. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾: «ما» تشملُ كُلَّ موجودٍ واللامُ للملك. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ الآية، تقدم إعراب «من ذا الذي» في قوله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة]. وهو استفهامٌ في معنى النفي ولذلك دخلته «إلا» ودلّت هذه الجملة على وجود الشفاعة.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ﴾ ضمير الجمع عائد على «ما» وهم الخلق، غلَّب مَنْ يعقل فجمع الضمير جمع من يعقل، أو هو عائد على من يعقل من الأنبياء والملائكة مراعاة لقوله «من ذا الذي». قال ابن عباس: «ما بين أيديهم» أمر الآخرة، «وما خلفهم» أمر الدنيا. والذي يظهر أن هذا كناية عن إحاطة علمه بسائر المخلوقات من جميع الجهات، وكنَّى بهاتين الجهتين عن سائرِ الجهات لأحوال المعلومات. والإحاطةُ تقتضي الحفوف بالشيء من جميع جهاته. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: من معلومه لأنَّ علمه تعالى لا يتبعَّض إلا بما شاء الله أن يعلّمهم به من المعلومات.

وقرىء: وسع فعلاً ماضياً بكسر السين وسكونها تخفيفاً. وقرىء: وسع

---

(١) ق: لأن.

كرسيه السماواتُ والأرضُ برفعهما[١]. والكرسي [٦٤/أ] جسم عظيم يسع السماوات والأرض. واختار القَفَّال أنَّ المقصود تصوير عظمة الله وتعزيره[٢]، خاطب الخَلْقَ في تعريفِ ذاتِه بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم انتهى. وفي الحديث: «ما السماواتُ السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في ترس» وفي الحديث أيضاً[٣]: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقةٍ من حديد أُلقيت في فَلاةٍ من الأرض». وقرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرنا وهو بخطّه سمّاه كتاب العرش أنَّ الله تعالى يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكاناً يقعد فيه معه رسول الله ﷺ. تحيّل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق البارنباري وكان أظهر أنه داعية له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله حفظهما أي: السماوات والأرض، وهو كناية عن انتفاء شغله بحفظهما. ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ تنزيه له تعالى أي: العليّ قدره العظيم شأنه.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

---

(١) ق: برفعها.

(٢) ق: وتقريره، وكتبت مكررة.

(٣) في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١: ١٣ حديث ملفق من الحديثين نصّه «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة».

خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

كان بعض أولاد الأنصار قد تنصّر وبعضهم قد تهوّد وأراد آباؤهم أن يكرهوهم على الإسلام فنزل ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ أي: هو من وضوحِ الدلائل والحجج بحيث لا يكونُ فيه إكراهٌ بَلْ يجب الدخول فيه بانشراحِ صدرٍ واختيار. ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ أي: الإيمان من الكفر، والدين هنا معتقد الإسلام. وقرىء بسكون الشين وبضمّها، وبفتح الراء والشين، وقرىء كذلك بألف[1] بعد الشين، وقرىء بإدغام دال «قد» في تاء «تبيّن»، وقرىء بإظهارها شاذاً. وهذه الجملة كالعلّة لانتفاء الإكراه في الدين لأن استنارة[2] الدلائل تحمل على الدخول في الدين طوعاً من غير إكراه. ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّـٰغُوتِ﴾ وفُسِّرَ بالشيطان وهو مقلوب أصله طغووت من طغى فقلب، جعلت اللام مكان العين فصار طَوغوت فقلبت الواو [ألفاً] لانفتاح ما قبلها وتحركها هي فصارت طاغوت. ومذهب سيبويه أنه اسمٌ مفرد لأنه اسم[3] جنس يقع للواحد لقوله تعالى ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴿٦٠﴾﴾ [النساء] وللجمع لقوله ﴿ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة]. وزعم أبو العباس أنه جمع وأبو علي أنه مصدر كرهبوت.

وقدم ذِكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوبِ الكفرِ بالطاغوت ولتقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله. والكفر بها رفضها ورفض عبادتها، ولا تصالها[4] بلفظ الغيّ. ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ أبرز الجواب

(١) ق: وبألف.

(٢) ق: استثناء.

(٣) ق: كان اسم. وانظر الكتاب ٣: ٢٤٠.

(٤) ق: ولا تصاله.

في صورة الماضي المقرون بقد الدالّ في الماضي على تحقيقه وإن كان مستقبلاً في المعنى إشعاراً بأنه مما وقع استمساكه وثبت، وذلك للمبالغة في ترتيب[1] الجواب على الشرط وأنه كائنٌ لا محالة. وجعل ما يمسك به عروة وهي في الأجرام موضع الإمساك وشد الأيدي والتعلق، ومثّل الإيمان بالعروة ورشّح ذلك بقوله ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ أي: لا انكسارَ ولا انقطاع. وجملة النفي حال أو مستأنفة.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الوليُّ المحبُّ المتولّي أمرَ مَنْ يحب. والإخراج هنا إنْ كان حقيقة فاختص بمن كان كافراً ثم أسلم، وإن كان مجازاً فهو منع الله إياهم من دخولهم في الظلمات. والظلمات والنور كناية عن الكفر والإيمان. ﴿مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ من الإيمان، وذلك فيمن آمن ثم كفر. وقرىء: الطواغيت بالجمع. وجوّزوا أن يكون «يخرجهم» و«يخرجونهم» حالاً أو خبراً[2] ثانياً. ويظهر أن يكون تفسيراً للولاية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

ولما ذكر تعالى أنه وليُّ الذين آمنوا وأنَّ الطاغوتَ وليُّ الكفار، أعقب بهذه القصة مثلاً للمؤمن والكافر[3]. والذي حاجَّ إبراهيمَ عليه السلام هو

---

(١) ط: ترتّب.

(٢) ق: وخبراً.

(٣) ق: والكفار.

نمروذ بن كنعان بن كوش[١] بن سام بن نوح عليه السلام ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة. قال مجاهد: مَلَكَ الدنيا مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمروذ[٢] وبختنصّر، وفي نسب النمروذ اختلاف. ومعنى «حاجَّ» عارضَ حجّته بمثلها.

﴿فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ أي: الحامل له على المحاجّة إحسان الله إليه فبطرَ وتكبَّر حتى انتهى من عُتُوِّهِ إلى هذه المحاجّة ووضعها مكان الشكر على هذه النعمة. فـ«أن آتاه» [٦٤/ب] مفعول من أجله. وأجاز الزمخشري[٣] أن يكون التقدير: حاجّ وقتَ [أنْ] آتاهُ اللهُ الملك. فإن عنى أن ذلك على حذف مضاف فيمكن ذلك، [على] أنَّ فيه بُعداً من جهة أنَّ المحاجّة لم تقع وقتَ أنْ آتاه الملك إلا أن يجوز في الوقت فلا يحمل على ما يقتضيه الظاهر من أنه وقت ابتداء إيتاء الله الملك له. ألا ترى أنَّ إيتاء الملك إياه سابق على المحاجّة؟ وإن عنى أنّ أنْ والفعل وقعت[٤] موقع ظرف الزمان كقولك: جئت خفوقَ النجم ومقدمَ الحاج وصياحَ الديك فلا يجوز ذلك، لأنَّ النحويين نصّوا على أنه لا يقوم مقام ظرف الزمان إلا المصدر المصرّح بلفظه، فلا يجوز: أجيء أن يصيح الديك، ولا: جئت أنْ صاح الديك.

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ سبق سؤال من الكافر وهو قوله:

---

(١) ق: نمرود.. كوس. والتصويب من ط. وفي القرطبي ٣: ٢٨٣: النمروذ بن كوش ابن كنعان.

(٢) ق: نمرود. وكذا في العبارة التالية.

(٣) الكشاف ١: ٣٨٨.

(٤) ق: وقت.

من ربك؟ أي: [الذي] يتصرف فيك وفي أشباهك بما لا تقدر عليه. وفي قوله «ربي الذي» اختصاصٌ، فعارضه[1] الكافرُ بأنْ أحضر رجلين قَتلَ أحدهما وأرسلَ الآخر. ولما رأى إبراهيمُ مغالطةَ الكافر وادّعاءه ما يوهم أنّه إله[2]، ذكر له ما لا يمكن أنْ يغالط فيه ولا أن يدّعيه. وقد كان لإبراهيم أنْ ينازعه فيما ادّعاه ولكنه أراد قَطْعَ تشغيبه عن قرب، وأنْ لا يطيلَ معه الكلام إذ شاهد منه ما لا يدّعيه عاقل.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ وعدل إلى الاسم الشائع عند العالم كلهم وهو الله وقرّر بذلك أن ربّه الذي يحيي ويميت هو الله الفاعل لهذا الأمر العظيم الذي لا يمكنك أن تُموّه بدعواكَ كما مَوَّهْتَ بالإحياءِ والإماتة.

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ أي: دهش وشغل وتحيّر، ونبّه على الوصف الموجب لبهته وهو كفره. وقرىء مبنياً للمفعول والفاعل المحذوف «إبراهيم» [أي: بهت إبراهيم الكافر بالحجة الدامغة له، أو مبنياً للفاعل أي: فبهته إبراهيم]. وبَهُت بضم الهاء وفتح الباء، وبفتح الباء وكسر الهاء أي الكافر. وقد منع الله تعالى هذا الكافر أن يدّعي أنه هو الذي يأتي بالشمس من المشرق، إذْ مَنْ كابرَ في ادّعاء الإحياء والإماتة قد يكابر في ذلك ويدّعيه إذ المسألتان سواء في دعوى ما لا يمكن لبشر ولكن جعله مبهوتاً دهشاً متحيّراً إكراماً لنبيّه إبراهيم وإظهاراً لدينه.

﴿أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ

(١) ق: معارضة.

(٢) ق: له.

مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ قرىء: أو حرف عطف، وأَوَ بهمزة استفهام والواو العاطفة. والجمهور على أن «أو كالذي» معطوف على «ألم تر» من حيث المعنى إذ التقدير: أرأيتَ الذي حاجَّ. ونختار أن تكون الكاف اسماً إذ قد ثبت اسميتها في كلام العرب على ما تقرر في النحو وإنْ كان لا يرى ذلك جمهور البصريين فتكون الكاف في موضع الجر معطوفة على «الذي» من قوله «ألم تر إلى الذي»، التقدير: أو إلى مثل الذي مرّ. ولم يعيّنْ تعالى هذا المارَّ ولا القريةَ إذِ المقصودُ إنما هو في هذه [القصة] العجيبة ولا حاجة إلى تعيين المارِّ ولا القرية. والخاوي: الخالي، يقال: خوت الدار تخوي، والمعنى: خاوية من أهلها ثابتة.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: سقوفها، وكل ما يُظِلُّ ويُكِنُّ فهو عريش فالبيوت قائمة. والجملة حال من الفاعل في «مرّ» أو من «قرية» وإن كانت نكرة تأخرت الحال عنها، وقد أجاز ذلك سيبويه في مواضع من كتابه. «قال أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها» ليس هذا شكًّا بل هو اعترافٌ بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام[1] لقدرة الله تعالى. والإحياءُ والإماتة مجازان عن الخراب والعمارة، أو يكون على حذفٍ أي: رأى أهلها وقد تمزقت جثثهم

---

(١) ق: واستعظاماً.

وتفرقت أوصالهم فَتعجَّبَ من قُدرةِ الله تعالى على إحيائهم إذْ كان مقراً بالبعث.

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أي: أحياه بردِّ روحه إلى جسده لم يتغير منه شيءٌ على مَرِّ هذه السنين الكثيرة. ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ سؤال تقرير أي: كم مدة لبثت ميتاً. ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قيل: أماته الله غدوة ثم بعثه قبل الغروب بعد[1] مئة سنة، فقال قبل النظر إلى الشمس: يوماً، ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال: أو بعض يوم. وفي قوله «أو بعض يوم» إطلاق للبعض على الأكثر. ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ [أي: بَلْ لبثتَ ميتاً مئة عام]. وقرىء بإدغام الثاء في التاء وبالإظهار.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [وأبهم الطعامَ والشراب. و«لم يتسنّه»] قيل: الهاء أصلية من قولهم: سانهت، وقيل هاء السكت فهو من قولهم سانيت، والمعنى لم يتغير. ولما كان طعامه وشرابه متلازمين أخبر عنهما إخبارَ الواحد فلم يأت التركيب: لم يتسنَّها أو لم يتسنّيا. والجملة [٦٥/أ] حال، وكونها إذا وقعت حالاً منفية بلم دون الواو أكثر منها بالواو. ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قيل: نظر إلى حماره وهو واقفٌ كهيئة يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب أحياه اللهُ له وهو يرى ذلك. ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: فعلنا ذلك والناس ناسُ قومه. وأل[2] فيه للجنس أي: لمن عاصره ولمن أتى بعدهم. ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ أي: عظامكَ أو عظام الحمار أو عظامهما، قيل: أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت، ثم أحيا جسده وهو ينظر، ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة تلوح بيضاء.

---

(١) ق: قبل.

(٢) ق: أو أل.

﴿كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ وقرىء: ننشرها بالراء من أنشر ونشر بمعنى أحيا، وبالزاي من أنشز، أي: نحركها ونرفع بعضها إلى بعض[1] للتركيب. والجملة من قوله «كيف ننشزها» في موضع البدل من «العظام» على الموضع لأن موضعه نصب، وهو على حذف مضاف أي: وانظر إلى حالِ العظام كيف ننشزها، كقولهم[2]: عرفت زيداً أبو من هو، أي عرفت قصة زيد أبو من هو. وعلى هذا يتخرج ما جاء منه نحو قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧﴾ [الغاشية]. والاستفهام في باب التعليق لا يراد به حقيقته. والكسوة هنا استعارة في غاية الحسن استعارها هنا لما أنشأ تعالى من اللحم الذي غطّى به العظام وهي استعارة عين لعين. وظاهر اللفظ [أن] أمره إياه بالنظر كان بعد تمام بعثه لأنَّ الأمر كان بعد إحياء بعضه. وتكرر الأمر بالنظر في ثلاث الخوارق، ولم ينسّق متعلّقه[3] نسق المفردات لأنَّ كُلَّ واحد منها خارقٌ عظيم ومعجز بالغ.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ تبين: فعل لازم فاعله مضمر يعود على كيفية الإحياء التي استغربها بعد الموت، وقدّره الزمخشري[4]: فلما تبيّن له ما أشكلَ عليه، يعني أمر إحياء الموتى. وينبغي أن يحمل على أنه تفسير معنى، وتفسير الإعراب ما ذكرناه أولاً. وقرىء: تُبيّن[5] مبنياً للمفعول و«له» هو المُقام مقام الفاعل، وقرىء: أعلم مضارعاً فيه ضمير المارّ، قال ذلك على

---

(١) إلى بعض: مكررة.

(٢) ق: لقولهم.

(٣) ق: تتسق متعلقة.

(٤) الكشاف ١ : ٣٩١.

(٥) ق: تبيين.

سبيل الاعتبار. وقرىء: إعْلَمْ أمراً من الله أو منه لنفسه نَزَّلها منزلة الأجنبي المخاطب. وقرىء: أَعْلِمْ أمراً من أَعْلَمَ أي: قال الله له: أعلِمْ غيرك بما شاهدت من قدرة الله.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾.

﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ استعطاف بين يدي السؤال و«أرني» سؤال رغبة. ﴿كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ جملة في موضع المفعول الثاني لـ«أرني» إذ هي تتعدى إلى اثنين بهمزة النقل، ورأى البَصَرية تعلّق ومن كلامهم: أما ترى أيّ برق ضاء[1]، كما تعلق نظر البَصَرية. ولما قال لنمروذ ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ سأل ربّه أنْ يُريه عياناً كيفية إحياء الموتى. والسؤال عن الكيفية يقتضي تيَقُّن ما سأل عنه وهو الإحياء.

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ هو استفهامٌ معناه التقرير أي: قد آمنت، قال ابن عطية[2]: إيماناً مطلقاً دخل فيه فعل إحياء الموتى، فالواو واو الحال دخلت عليها ألف التقرير انتهى كلامه. وكون الواو هنا للحال غير واضح لأنها إذا كانت للحال فلا بد أن تكون في موضع نصب، وإذْ ذاك فلا بُدَّ لها من عاملٍ فلا تكون الهمزة التي للتقرير دخلت على هذه الجملة الحالية، إنما دخلت على الجملة التي اشتملت على العامل فيها وعلى ذي الحال، ويصير التقدير: أسألت ولم تؤمن، أي: أسألت في هذه الحال. والذي [يظهر] أن

(١) ق: هنا.

(٢) المحرر الوجيز ٢: ٢٢٣.

التقدير إنما هو منسحبٌ على الجملة المنفية وأن الواو للعطف[1] كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت] ونحوه. واعتنى بهمزة الاستفهام فقدّمت، وقد تقدم لنا الكلام في هذا[2] ولذلك كان الجواب [ببلى] في قوله «قال بلى».

وقد تقرر في علم النحو أنَّ جوابَ التقرير المثبت وإنْ كان بصورة النفي تُجريه العربُ مجرى جواب النفي المحض فتجيبه[3] على صورة النفي ولا يلتفت إلى معنى الإثبات. وهذا مما قررناه أنَّ في كلامِ العربِ ما يلحظ فيه اللفظ دون المعنى، ولذلك علّة ذكرت في علم النحو، وعلى ما قاله ابن عطية من أن الواو للحال لا يتأتّى أن يجاب العامل في الحال بقوله بلى، لأن ذلك الفعل مثبت مستفهم عنه، والجواب إنما يكون في التصديق بنعم وفي غير التصديق[4] بلا، أما أن يجاب ببلى فلا يجوز، وهذا على ما تقرر في علم النحو.

قال الزمخشري[5]: فإن قلت: كيف قال [له] أَوَلَمْ تؤمنْ وقد عَلِمَ أنه أثبتُ الناسِ إيماناً؟ قلتُ: ليجيبَ بما أجابَ به لما فيه من الفائدةِ الجليلة للسامعين، و«بلى» إيجاب لما بعد النفي معناه: بلى آمنت [٦٥/ ب] ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ ليزيدَ سكوناً وطمأنينة بمضامّة علم الضرورة إلى علم الاستدلال وتظاهر الأدلّة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين، ولأنَّ علم

---

(١) ق: المعطف.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٦.

(٣) ق: فتحييه.

(٤) ق: التصدق.

(٥) الكشاف ١: ٣٩١.

الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف علم الضرورة، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجالَ فيه للتشكيك انتهى كلامه. وليس علم الاستدلال يجوز معه التشكيك كما قال، بل منه ما يجوز معه التشكيك، أما إذا كان عن مقدماتٍ صحيحة فلا يجوزُ معه التشكيكُ كَعِلْمِنَا بحدوثِ العالَم وبوحدانيةِ المُوجِدِ فمثل هذا لا يجوزُ معه التشكيك. «قال بلى» تقرر في علم النحو أنَّ التقرير يجاب بما يجاب به النفي المحض وهذا مما يلحظ فيه اللفظ دون المعنى. «ولكن ليطمئن قلبي» أي ليزيد سكوناً بانضمام علم الضرورة إلى علم الاستدلال.

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ ﴾ لم يعين من أيِّ جنسٍ هي، واضطربوا في التعيين قال ابن عباس: أخذ طاووساً ونسراً وديكاً وغراباً، وأمْرُه بأخذها[1] بيده. وفِعْله ما فعل بها أثبتُ في المعرفةِ بكيفية الإحياء إذْ فيه اجتماع حاسةِ الرؤيةِ وحاسةِ اللمس. والطير اسم جمع، وفَصْله بـ«مِن» أفصح وإنْ كان قد جاءت الإضافة فيه كقوله ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ ۝٤٨ ﴾ [النمل]. ويقال: صار يصور وصار يصير بمعنى قطع وأمال. ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ قال ابن عباس: قَطِّعْهن، وقال غيره: اضممهن. وقال ابن عباس أيضاً: أَوْثِقْهُنَّ[2]. وقرىء بضم الصاد وكسرها. وقُرِىء: فَصِرَّهُنَّ من صَرَّ الشيء يَصِرُّه: جَمَعه. فإن كان بمعنى التقطيع فلا حذف، أو بمعنى الإمالة فالحذف أي وقطعهن أجزاء. ﴿ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ ﴾ أي: مما يليك يشاهد بصرك فيه الأجزاء إذا دعوت الطير. «واجعل» صَيِّر أو أَلْقِ. وقرىء: جزءاً وجُزُءاً وجزّاً. ﴿ ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ ﴾ وهن موات أجزاء متفرقة. ﴿ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ أي: وهن يسعين تشاهد ذلك،

---

(١) ق: يأخذها.

(٢) ق: أوبقهن.

وترتب مجيئهن عن دعائه، وكان مجيئهن سعياً لأنه أبلغ من المعهود[1] لهنّ وهو الطيران، إذِ الطيران عادتهن. والسعي المجيء باجتهاد.

روي في قصص هذه الآية أنَّ إبراهيمَ عليه السلام ذَكّى هذه الطيور وقَطَّعها قطعاً صغاراً وجمع ذلك مع الدم والريش، وجعل من ذلك على كل جبل جزءاً، ووقف من حيث يرى الأجزاء، وأمسك رؤوسَ الطيرِ في يده ثم قال: تعالينَ بإذنِ الله، فتطايرتْ تلك الأجزاءُ والتأم الدَّمُ إلى الدم والريشُ إلى الريش وبقيت بلا رؤوس، ثم كرر النداء فجاءته سعياً حتى وضعت أجسادها في رؤوسها وطارت بإذن الله. وأجمع أهل التفسير - ولا اعتبار بخلاف أبي مسلم - على أنَّ إبراهيمَ عليه السلام قَطَّعَ أعضاءها ولحومها وريشها وخلط بعضها ببعض مع دمائها.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) ق: العهود.

بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ الآية، لما كانت قصة المارّ على قرية وقصة إبراهيم عليه السلام من أدلّ دليلٍ على البعث، ذكر ما ينتفع به يوم البعث وما يدلُّ على البعثِ من إنشاء من حبةٍ واحدة سبع مئة حبة، ودلّ ذلك على قدرةٍ عظيمة بالغة؛ فكما يخرج هذا الحب الكثير من الحبةِ الواحدة كذلك يُخرجُ اللهُ الموتى. وهذا العدد يوجد في الدخن والذرة أو ذكر ذلك على سبيل التصوير وإنْ لم يُعاين. وأضيف عدد القلة وهو سبع إلى جمع هو للكثرة تكسيراً ولم يضف إلى التصحيح وهو سنبلات لما تقرر في علم النحو أنه الأكثر قال تعالى ﴿ ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القصص] ﴿ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون] ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الحاقة] ﴿ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المائدة] مما وازن مفاعل[1]. وهذا[2] أكثر وأفصح من جمع القلّة المصحّح. فأما ﴿ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [يوسف] فلمقابلة ﴿ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [يوسف]. وقال الزمخشري[3]: فإن قلت: هلا يقع «سبع سنبلات» على حقه من التمييز بجمع القلّة كما قال «وسبع سنبلات خضر» قلت: هذا لما قدمت عند قوله ﴿ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة] من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها انتهى كلامه. فجعل هذا من باب الاتساع ووقوع[4] أحد الجمعين موقعَ الآخرِ على سبيلِ المجاز إذْ كان حقه أنْ يميز بأقلِّ الجمع لأنَّ السبعَ من أقلِّ العدد، وتقدم لنا أن هذا ليس من باب الاكتفاء [٦٦/أ] وأشبعنا الكلامَ في ذلك «في

---

(١) أي إذا عرّي عن المجاور جاء على مفاعل على الأكثر.

(٢) ق: نحو هذا.

(٣) الكشاف ١ : ٣٩٣.

(٤) ق: ووجود.

البحر»[١].

﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ﴾ في موضع الصفة لسبع أو لسنابل. وقرىء: مئةَ حبة بالنصب أي: أخرجت الحبةُ مئةَ حبة. والظاهر في المئة العدد المعروف، أو ذُكرت كنايةً عن الكثيرِ إذ المئة مما يعبّر بها عن الكثير.

والمنَّةُ النعمة، مَنَّ عليه أنعم، والمَنُّ المذموم ذِكْرُ النعمة للمنعَم عليه على سبيلِ الفخرِ عليه والاعتداد بإحسانه. والمَنُّ من الكبائر ثبت في صحيح مسلم[٢] وغيره أنَّ المنَّان أحد الثلاثة الذين لا ينظرُ اللهُ إليهم ولا يُزكيهم ولهم عذاب أليم.

﴿ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ﴾ دليل على أن النفقة تمضي في سبيل الله ثم يتبعها ما يبطلها وهو المَنُّ والأذى، فقبولها موقوفٌ على هذه الشرائط. والأذى يشمل المنَّ وغيره، وذكْر الأذى عموم بعد خصوص. وقدّم المنّ لكثرة وقوعه، ومن المنِّ أن يقول: قد أحسنتُ إليك ونعشتك وشبهه أو يتحدث بما أعطى فيبلغ ذلك المُعْطَى فيؤذيه. ومن الأذى أنْ يسبَّ المعطَى أو يتشكَّى منه أو يقول: ما أشد إلحافكَ وخَلَّصَنَا اللهُ منك، أو: أنتَ أبداً تجيئني، أو يُكَلِّفُه الاعترافَ بما أسدى إليه. و«الذين» مبتدأ خبره «لهم أجرهم». ولم يضمن الذي معنى الشرط فتدخل الفاء في الخبر لأن هذه الجملة [مفسّرة للجملةِ قبلها المخرجة مخرج الشيء الثابت المفروغ منه وهو تشبيه إنفاقهم بالحبة الموصوفة وهي كناية عن حصولِ الأجرِ الكثير فجاءت هذه الجملة] كذلك أخرجت مخرج الشيء الثابت المستقر الذي لا يكاد خبره يحتاج إلى تعليق

---

(١) انظر البحر المحيط ٢: ٣٠٤ وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم ١: ١٠٢، ورياض الصالحين ٢: ٨٧٣. وفي ق: أنه أحد الثلاث.

استحقاق بوقوع ما قبله.

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ هو الدعاءُ والتأنيسُ والترجية بما عند الله. ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ دعاءٌ بالغفران إمّا له وإما للسائل. و«قول» مبتدأ ومسوّغ الابتداء وصفه.

ولما تَقَدَّمَ ذِكْرُ قوله «مناً ولا أذى» وهما نكرتان جاء في هذه الجملة بالمنّ والأذى معرّفين كقوله ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ بعد قوله ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [المزمل]. والكاف من قوله ﴿ كَٱلَّذِى ﴾ في موضع نعت لمصدر محذوف أي: إبطالاً كإبطال صدقة الذي، أو في موضع الحال أي: مشبهين الذي ينفق. والظاهر أنَّ هذا المنفق الموصوف في الآية هو المنافق. والرئاء مصدر رأى[1] من الرؤية وهو أنْ يرى الناس ما يفعله من البرّ حتى يُثْنُوا عليه ويُعظِّموه ويظنوا أنه من أهلِ الخيرِ[2] وممن ينفقُ لوجهِ اللهِ. وانتصب «رئاء» على أنه مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال.

﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾ الضمير عائد على «الذي ينفق». والصفوان: الحجرُ الكبيرُ الأملسُ، وتحريك فائه بالفتح لغة، وقرىء به وهو شاذ في الأسماء بل فعلان بابه في المصادر والصفات. والصَّلْدُ: الأملسُ النقي من التراب. والوابلُ: المطر الشديد. ضرب الله لهذا المنافق المثل بصفوانٍ عليه ترابٌ يظنه الظَّان أرضاً منبتة طيبة، فإذا أصابه وابلٌ من المطر أذهبَ عنه الترابَ فيبقى صلداً منكشفاً وأخلف ما ظنه الظانّ، كذلك هذا المنافق يرى الناسُ له أعمالاً كما يُرى الترابُ على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة اضمحلَّتْ وبَطلتْ كما أذهبَ الوابلُ ما كان على الصفوانِ من الترابِ. والضمير في

(١) ط: راء، وهي لغة في رأى.

(٢) ق: الغير.

قوله ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ عائد على المخاطَبين بقوله «لا تبطلوا» وفيه التفاتٌ، أو على الذي من قوله «كالذي» مراعاة لمعنى الجمع إذ لا يراد به واحد فهو نظير ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ بعد قوله ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة]. ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: على انتفاعٍ بشيءٍ مما أنفقوا وهو كَسْبُهم عند حاجتهم إليه.

ولما ضرب المثل للمبطل صدقاته وشَبَّهه بالمنافق ذكرَ مَثَلَ مَنْ يقصدُ بنفقته وجهَ الله تعالى فقال «ومثل الذين». وانتصب «ابتغاء» على أنه مفعول من أجله، وقابل وصف المنافق بالرياء بقوله ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾، وقابل انتفاء[1] إيمانه بقوله ﴿وَتَثْبِيتًا﴾، والمراد توطين النفس على المحافظة على طاعة من يؤمن به. وكان التمثيل في قوله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ[2]﴾ بمحسوس متصوّر حتى يظهر للسامع تفاوت ما بين الضدين. وقراءة الجمهور: جنة، وقرىء: حبّة. والربوةُ أرضٌ مرتفعة طيبة[3]، وتُثَلَّثُ راؤها. ومن نظم الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى[4] [٦٦/ب]: [من البسيط]

ترفَّعَتْ عن ندى الأعماق وانخفضت عـن المعـاطـش واستَغْنَـتْ بسُقْيـاهـا
فمـال بـالخـوخ والـرّمـانِ أسفلُهـا واعتـمَّ بـالنخـلِ والـزيتـونِ أعـلاهـا

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وصفها بما تعلمه العربُ وتشاهده كثيراً من انتفاعِ الرُّبا بالوابل إذْ يقلُّ الماءُ الجاري في بلادهم. وقرىء بفتح الراء في «ربوة» وبضمّها، وقرىء: برباوة على وزن كراهة، وبكسر الراء على وزن رسالة.

---

(١) ق: ابتغاء.

(٢) ق: حبّة.

(٣) ق: مرتفعة طيبة مرتفعة.

(٤) البيتان في وصف أرض وهما في ديوان المعاني ٢: ٣١، مع اختلاف.

﴿فَـَٔاتَتْ﴾ أي: صاحبها أو أهلها أكلها. وحذف كما حذف في قوله ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ [البقرة] أي: صاحب جنة لدلالة المعنى، ولأنَّ المقصودَ ذِكْرُ ما تُثمر لا لمن تثمر. وانتصب «ضعفين» على الحال، ونسبة الإيتاء إليها مجاز. والأُكل هنا الثمرة، وقرىء بضم الكاف وإسكانها. وضِعْفُ الشيء مثله وقيل مثلاه، فيكون أربعة أمثاله، قيل في حمل واحد أو في السنة مرتين. ويحتمل أن يكون يراد بالتثنية التكثير لا شفع الواحد أي: ضِعفاً بعد ضعفٍ أي: أضعافاً كثيرة، وهو أبلغُ في التشبيه لأنَّ الحسنةَ لا يكون لها ثواب حسنتين.
﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي: إنْ لم يكن يصيبها وابلٌ فيصيبها طلٌ، أو فطلٌ يُصيبها وهو مع ذلك كافٍ لها في إيتاء ضعفين لكرم الأرض وطيبها[1] فلا تنقص ثمرتها بنقصان المطر. وقرىء: بما تعملون بالتاء والياء.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الآية، هذا مثلٌ لمن[2] عملَ أنواعَ الطاعات، شبّهت بجنّةٍ فيها من كل الثمرات فختمها بإساءة كإعصار، فشبّه تحسّره حين لا عودَ بتحسّر كبيرِ السن هلكت جنّته أحوج ما كانَ إليها وأعجزه عنها. والهمزة في «أيود» للاستفهام والمعنى على التبعيد والنفي أي ما يود أحد ذلك. و«أحد» هنا ليس المختص بالنفي بل هو بمعنى واحد على طريق البدلية[3]. وقرىء:

---

(١) ق: بطيبها.
(٢) ق: لمثل من.
(٣) ق: البلدية.

جنات بالجمع وبالإفراد. ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ خُصَّا بالذِّكْرِ لكثرةِ منافعهما وذكرت الثمرة وهي الأعناب وذلك لأنَّ العنب أعظم منافع الكرم، وخص النخيل بذكره دون ذكر ثمرته لأنَّ منافعه كثيرة لا تختص بثمرته وهو التمر فقط. وجُعلت الجنةُ منهما وإنْ كان فيها[1] غيرهما كأنهما أغلب ما فيها. ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ دليل على أن فيها غير النخل والأعناب. وهذه الجملةُ مركبة من مبتدأ وخبر حذف فيها المبتدأ أي «له» و«فيها» التقدير: له فيها رزق أو ثمرات كقوله: [من الوافر]

كأنك من جِمال[2] بني أقيش

أي: كأنكَ جملٌ من جمال بني أقيش. وكقوله ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات] أي: وما أحدٌ مِنَّا. «فمن» في موضع الصفة.

﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ جملة حالية أي: وقد أصابه.

﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ أي: صغار أو محاويج. والجملة حال أيضاً. وقال الزمخشري[3]: وقيل: يقال وددت لو كان كذا، فحمل العطف على المعنى كأنه قيل: أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر انتهى. وظاهر كلامه أن يكون «وأصابه» معطوفاً على متعلق «أيود» وهو «أن تكون[4]» لأنه في معنى

---

(١) ق: فبهما.

(٢) ق: من جبال، وكذا في العبارة التالية للشعر. والبيت للنابغة في ديوانه ص١٩٨، وعجزه:

يُقَعْقَعُ خلف رِجْلَيْه بِشَنّ

(٣) الكشاف ١: ٣٩٦.

(٤) ق: أن يكون.

لو كانت، إذ يقال: أيود أحدكم لو كانت. وهذا ليس بشيءٍ لأنه يمتنع من حيث المعنى أنْ يكونَ معطوفاً على كانت التي قبلها لو، لأنه متعلق الود. وأما «وأصابه الكبر» فلا يمكن أن يكون متعلّق الود لأنَّ إصابة الكبر لا يودّه أحدٌ ولا يتمنّاهُ، لكن يحمل قول الزمخشري على أنه لما كان «أيود» استفهاماً معناه [الإنكار] جعل متعلق الودادة الجمع بين الشيئين وهما كون جنة له وإصابة الكبر إياه لا أن كُلَّ واحدٍ منهما يكون مودوداً على انفراده وإنما أنكر ودادة الجمع بينهما.

﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ والإعصار ريح شديدة يرتفع معها غبار إلى الجو. «فيه نار» أي: كائن فيه، وذكّر الضمير لأنَّ الإعصارَ مذكر دون أسماء الرياح. ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ يدل على اعتقاب إحراقها إصابته. و«احترقت» مطاوع أحرقها فاحترقت كقولهم أنصفته فانتصف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾.

لما أُمروا بالصدقةِ [٦٧/أ] جاء بعضُ الصحابة بحشف يرى أن ذلك جائز فنزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [أي: من حلالِ ما

كسبتم] وما يقع به التذاذٌ. و«من» للتبعيض، و«ما» عمومٌ في المكسوبِ لا في مقدارِ ما يُنفق. «ومما أخرجنا» معطوفٌ على «من طيبات» أي: ومن طيبات ما أخرجنا. و«ما» عامة في المُخرج. وللعلماء خلافٌ في مسائل كثيرة مما أخرج تعالى من الأرضِ ذُكرتْ في كتب الفقه.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ هذا تأكيد للجملة قبله. وقرىء: تيمَّموا بتخفيف التاء[1] على حذف التاء إذ الأصل: تتيمّموا، وبإدغام تاء المضارعة في التاء بعدها وهي قراءة البزّي في مواضع ذكرت في كتب القراءات. والطيبُ والخبيثُ صفتان استُعملتا استعمالَ الأسماء فوليت[2] العوامل. والضمير في «منه» عائد [على] ما دلَّ عليه الكلام أي: الخبيث من المال المنفق. و«تنفقون» حال من فاعل «تيمّموا» أي: مُنْفِقيه. ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ جملة حالية [أي:] بآخذيه في ديونكم وحقوقكم وإهدائه إليكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ أي: تتساهلوا في أخذه. وقرىء: تغمضوا من أغمض [متعدياً أي: أبصاركم، ولازماً بمعنى أغمض عن كذا، وبالتشديد من غمّض] وتغمضوا مضارع تغمّض، وتَغمضوا بفتح التاء وبضم الميم وبكسرها من غمض ثلاثياً بمعنى أغمض، وتُغْمَضوا مبنياً للمفعول أي: إلا أن توجدوا[3] قد أغمضتم فيه كما تقول: أحمد الرجل إذا أصيب محموداً. و﴿ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ أي: عن صدقاتكم. ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: على كل حال إذْ يستحقُّ الحمدَ.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ أي: يخوفكم به إذا تصدقتم يقول: أَمْسِكْ لئلا

---

(١) ق: الياء.

(٢) ق: فوليتها.

(٣) ق: تؤخذوا.

تفتقر. وقرىء: الفقْر والفَقَر بفتحتين، والفُقر بضم الفاء[١]. ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: بالمعاصي التي منها البخل في الحقوق الواجبة. والمعنى يُغريكم بالفحشاء إغراء الآمر[٢]. ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً﴾ أي: ستراً لما اجترحتُموه من السيئاتِ ﴿وَفَضْلًا﴾ أي: زيادة في الرزقِ وتوسعةً وإخلافاً لما تَصدَّقتم به ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي: بالجود والفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتِ مَنْ أنفق.

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ قُرىء بالياء وبتاء الخطاب. والحكمة: القرآن والفهم فيه. ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قرىء مبنياً للفاعل ومبنياً للمفعول. وقال الزمخشري[٣] في قراءة من قرأ: ومن يؤتِ: معناه ومَنْ يؤتِه اللهُ. فإنْ أراد تفسير المعنى فصحيح، وإنْ أراد تفسيرَ الإعرابِ فليس كذلك بل «مَن» مفعول لفعل مقدم الشرط كما تقول: أيّاً تعط درهماً أعطه درهماً. وقرىء: ومن يؤته. وحسن تكرار الحكمة لكونها في جملتين وللاعتناء بها والتنبيه على شرفها وفضلها. قال الزمخشري[٤]: و«خيراً كثيراً» تنكيرُ تعظيمٍ كأنه قال: فقد أوتيَ أيَّ خيرٍ كثير انتهى. وهذا الذي ذكره [يستدعي] أنَّ في لسانِ العرب تنكير تعظيم ويحتاج إلى الدليل على ثبوته، وتقديره: أي خير كثير إنما هو على أن يجعل «أي خير» صفة لخير محذوف أي: فقد أوتيَ خيراً أيّ خيرٍ كثير. ويحتاج إلى إثبات مثل هذا التركيب من لسان العرب؛ وذلك أن المحفوظ أنه إذا وصف بأي فإنما يضاف للفظ مثل لفظِ الموصوفِ في

---

(١) ط: القاف.

(٢) ق: إغراء بالأمر. وعبارة ط: يغويكم.. إغواء الآمر.

(٣) انظر الكشاف ١ : ٣٩٦.

(٤) الكشاف ١ : ٣٩٦.

الفصيح تقول: مررتُ برجل أيّ رجلٍ كما قال[١]: [من الطويل]

دعوت امرأً أيّ امرىءٍ فأجابني وكنت وإياهُ ملاذاً وموئلا

وإذا تقرَّرَ هذا فهل يجوز وصف ما تُضاف إليه أيّ إذا كانت صفة فتقول: مررت برجل أيّ رجلٍ كريم، أم لا يجوز؟ يحتاج جوازُ ذلك إلى دليلٍ سمعي. وأيضاً ففي تقديره «أي خير كثير» حذف الموصوفِ وإقامة الصفةِ مقامه، ولا يجوز ذلك إلا في ندور، لا تقول: رأيت أي رجل تريد: رجلاً أي رجل، إلا في ندور نحو قول الشاعر[٢]: [من الطويل]

إذا حارب الحجاجُ أيّ منافقٍ علاه بسيفٍ كلما هزَّ يقطعُ

يريد: منافقاً أي منافق. وأيضاً ففي تقديره: خيراً كثيراً أي خير كثير حذفُ أي الصفة وإقامة المضافِ [٦٧/ب] إليه مقامَها، وقد حذف الموصوف به أي، فاجتمع حذفُ الموصوفِ وحذفُ الصفة، وهذا يحتاج إثباته إلى دليل.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فيه حَضٌّ على العملِ بطاعة الله. ولما كان قد يعرض للعاقل في بعض الأحيان الغفلة قيل «وما يذكّر».

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ ما عامّةٌ في نفقةِ البرّ وغيره وفي نَذْرِ الطاعة وغيرها. و«من نفقة» و«من نذر» تأكيد لفهم ذلك من قوله «وما أنفقتم، أو نذرتم» فأكّدَ اندراجَ القليلِ والكثير في ذلك بقوله ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة]. وحذف «ما» من قوله «أو نذرتم» إذ التقدير: أو

---

(١) البيت في همع الهوامع ١: ٩٢ غير منسوب.

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ١: ٤١٧.

ما نذرتم، لدلالة «ما» عليه فيما قبله. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ أي: يُجازي عليه. ولما كان العطفُ بأوْ جاز إفراد الضمير، وأعاده على أقربِ مذكورٍ وهو النَّذْرُ، وإن كان يجوز انْ يعودَ على النفقةِ. والمعطوف بأو حكمُه في الضمير هذا، فتارة يعود على الأول وتارة يعود على ما بعد أوْ. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ عامٌّ في كُلِّ ظالمٍ، والأنصار: الأعوانُ في الشدة.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: إنْ تُظهروها فتكون علانية قصد به وجه الله. والصدقات عامٌّ في المفروضةِ والمتطوَّع بها. ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ الفاء في جواب الشرط، وتقدم الكلام على «ما» هذه في قوله ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة] وهي ضميرٌ يعودُ على الصدقاتِ بقيدِ الوصف أي: فنعما الصدقات المُبْداة، أو على حذفِ مضافٍ أي: فنعما إبداؤُها. وقرىء بكسر النون والعين، وبفتح النون وسكون العين، وبكسرها وبإخفاء حركة العين.

﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ أي: الصدقات، فالضمير عائد على الصدقات لفظاً لا معنى كقوله: عندي درهم ونصفه. ﴿فَهُوَ﴾ أي: فإخفاؤها خير لكم. وفي قوله ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ ذكر مظنَّة الصدقات، و«خير» أفعل التفضيل، أي: من إبدائها، أو معناه(١): خيرٌ من جملةِ الخيور. وإنما كان خيراً لِبُعْدِ المتصدق بها من الرِّياء والمَنِّ والأذى، ولو لم يُعلم الفقير بنفسه وأخفى عنه الصدقة أن يُعرف كان أحسن. وجاء أنَّ مُخفيها من السبعة الذين يظلُّهم الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه(٢). وقرىء: ونكفِّر بالواو وبإسقاطها، وبالياء وبالتاء والنون، وبكسر الفاء وفتحها(٣)، وبرفع الراء وجزمها ونصبها.

---

(١) ق: ومعناه..

(٢) صحيح مسلم ٢: ٧١٥.

(٣) ق: وضمّها. والتصويب من ط والبحر ٢: ٣٢٥.

وتقديرُ هذه القراءات وتوجيهها مفهومٌ من علم النحو.

وقال ابن عطية[١]: الجزم في الراء أفصح هذه القراءات لأنها تُؤذِنُ بدخولِ التكفير في الجزاء وكونه مشروطاً إنْ وقع الإخفاء، وأما رفع الراء فليس [فيه] هذا المعنى انتهى. ونقول إنَّ الرفع أبلغ وأعم لأنَّ الجزمَ يكون معطوفاً على جواب الشرط الثاني، والرفع يدل على أنَّ التكفيرَ مترتبٌ من جهة المعنى على بذلِ الصدقاتِ أُبديت أو أُخفيت، لأنَّا نعلمُ أنَّ هذا التكفيرَ متعلق بما قبله ولا يختص التكفيرُ بالإخفاء فقط والجزم يخصصه به، ولا يمكن أن يقال إنَّ الذي يُبدي الصدقات لا يكفر من سيئاته، فقد صار التكفيرُ شاملاً للنوعين من إبداءِ الصدقات وإخفائها، وإنْ كان الإخفاء خيراً من الإبداء[٢].

﴿مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ﴾ مِن للتبعيض لأن الصدقة لا تكفّر جميع السيئات.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أتى بهذه الصفةِ لأنها تدلُّ على العلم بألطفِ الأشياء وأخفاها، فناسبَ إخفاء الصدقة ختمها بالصفةِ المتعلقة بما خَفِيَ.

﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ

(١) المحرر الوجيز ٢: ٢٥٨.

(٢) ق: الابتداء.

﴿وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾.

كان مَنْ أسلمَ يكره أنْ يتصدقَ على قريبهِ المشرك وعلى المشركين فنزل ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ أي: ليس عليك أنْ تَهديهم أي: تخلقَ الهُدى في قلوبهم. وظاهرُ الخطابِ أنه لرسولِ الله ﷺ وفيه تسليةٌ له. ولما كان قوله ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة] دلَّ على انقسامِ الناسِ إلى مَنْ آتاه اللهُ الحكمةَ فعمل بها ومَنْ لم يؤته إياها فهو يخبطُ خبط عشواء في الضلال - نبّه بأنَّ هذا القسم ليس عليكَ هُدَاهم، بل الهدايةُ وإيتاءُ الحكمةِ إنما ذلك إليه تعالى.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: لا يعود نفعهُ إلى أحدٍ غيركم بل تَخْتَصُّون بجدواه فلا تُبالوا بمن تَصدقتم عليه من مسلمٍ أو كافر فإنما [٦٨/أ] ثوابُ ذلك لكم. ﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾ أي: النفقة المعتدّ بها. ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ فهو الذي يتقبّلُها. وقيل: هو نفيٌ معناه النهيُ أي: ولا تُنفقوا إلا ابتغاءَ وجهِ الله، والأولى إبقاؤه على النفي لأنهم لما نُهوا عن وقوعِ الإنفاقِ إلا لوجهِ [الله] حصل الامتثالُ فأخبر أنهم لا ينفقون إلا لابتغاءِ وجهِ الله. وانتصب «ابتغاء» على أنه مفعول من أجلِه. ومعنى «وجه [الله]» رِضَاه كما قال ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة].

﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: يُؤَخر جزاؤُه لكم[1]. ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ جملة حالية أي: لا تنقصون شيئاً من ثوابِ أعمالكم.

(١) ق: عليكم.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف وكأنه [جواب] سؤال[١] مُقَدَّر كأنه قيل: لمن الصدقاتُ المحثوثُ على فِعْلها؟ فقيل: هيَ للفقراء فبيَّن مَصْرفَ الصدقات. ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: حبسوا أنفسهم على طاعةِ الله، أو أُحصروا لكونهم زَمْنى أو حَبَسهم العَدُوُّ. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سفراً لكسبٍ وتجارة وذلك لزمانةٍ أو خوفِ عدوٍّ. والجملة حالية أي: أحصروا عاجزين عن التصرف، أو مستأنفة.

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ قرىء بفتح السين وهي لغةُ تميم، وبكسرها وهي لغة الحجاز. والمعنى أنهم لفرطِ انقباضِهم وترك المسألةِ واعتماد التوكُّلِ عليه يحسبهم مَنْ جهلَ أحوالَهم أغنياء. و«من» سببيّة أي: الحامل على حسبانهم أغنياء هو تَعَفُّفهم، لأنَّ عادةَ مَنْ كان غنيَّ مالٍ أنْ يَتعفَّفَ ولا يسأل. ويتعلق «من التعفف» بـ«يحسبهم» وهو مفعولٌ من أجله فاتَ شرطُ نصبه وهو اتحاد الفاعل، لأن فاعل «يحسبهم» هو الجاهل وفاعل «التعفف» هو الفقراء فاختلف الفاعل. وعُرّف المفعولُ له هنا[٢] لأنه سبق منهم التعففُ مراراً فصار مَعْهُوداً منهم.

وأجاز ابن عطية أن تكون «مِن» لبيان الجنس قال[٣]: يكون التعفف داخلاً في المسألة أي: أنهم لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل وبإجمال. والجاهلُ بهم مع علمهِ بفقرهم يحسبهم أغنياء عفّة، «فمِن» لبيانِ الجنسِ على هذا التأويل انتهى. وليس ما قاله من أن[٤] «مِن» هذه في هذا المعنى لبيانِ

---

(١) عبارة ق: وكانوا سؤال. والتصويب والتكملة من ط.

(٢) ق: وعرّف الفاعل هنا.

(٣) المحرر الوجيز ٢: ٢٦٥. وفي ق: داخلاً في المحسبة.

(٤) ق: بل أن.

الجنسِ المصطلحِ عليه في بيانِ الجنس، لأنَّ لها اعتباراً عند مَنْ قال بهذا المعنى لِمِن، إذ تُقدَّر بموصولٍ وما دخلتْ عليه يجعل خبرَ مبتدأ محذوفٍ نحو ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج] التقدير: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان. ولو قلت هنا: يحسبهم الجاهل أغنياء الذي هو التعفف، لم يصحَّ هذا التقدير، وكأنه سمّى الجهةَ التي هم أغنياء بها بيان الجنس أي: بيّنت بأي جنس وقع غناهم به أي: غِناهم بالتعفُّفِ لا غِنىً بالمال، فسمّى «مِن» الداخلة على ما يبيّن جهة المعنى لبيان الجنس وليس المصطلح [عليه] كما قدّمناه. وهذا يؤولُ إلى أن «مِن» سببية لكنها تتعلق بـ «أغنياء» لا بـ «يحسبهم». والجملة من «يحسبهم» حالية أو مستأنفة.

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ الخطاب للرسول عليه السلام أي: تعرفهم أعيانهم أو تعرفهم بعلامةِ رثة أطمارِهم وشحوبِ الوانِهم لأجلِ الفقر. والباء في «بسيماهم» للسبب، والجملة أيضاً حالية أو مستأنفة. والتعفُّف تفعُّل من العِفَّة، عَفَّ عن الشيء أمسكَ عنه وتنزَّه عن طلبه. والسيما: العلامةُ تُقصَرُ وتُمَدُّ، وإذا مُدَّتْ فالهمزة للإلحاق نحوها في حرباء، ويقال سيمياء ككيمياء والهمزة[1] للتأنيث، وهو مشتق من الوسمِ ففيه قلب بجعل فائِه مكان عينه وعينه مكان فائه.

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ الإلحافُ: الإلحاح، ألحَّ وألحفَ بمعنى. وإذا نُفي حكمٌ عن محكومٍ عليه بقيدٍ فالأكثرُ في لسان العرب انصرافُ النفي لذلك القيد، فيكون المعنى على هذا ثبوت سؤالهم ونفي

---

(١) ق: إذ الهمزة.

الإلحاح أي: إنْ وقع منهم سؤالٌ فإنما يكون بتلطفٍ وتسترٍ[1] لا بإلحاح. ويجوز أنْ يُنفى ذلك الحكمُ فينتفي ذلك القيد فيكون على هذا نفي السؤال ونفي الإلحاح، فلا يكون النفيُ على هذا منصبًا على القيد فقط، وهذا فهمُ ابن عباس قال: لا يسألون إلحافاً ولا غيرَ إلحافٍ. وهذه الجملةُ حالية [أو مستأنفة، وفي تعدُّدِ الحالِ خلافٌ وتفصيل. وانتصب «إلحافاً» قالوا على المفعول، أو مصدراً بفعل محذوف أي: لا يلحفون إلحافاً] أو مصدراً في موضع الحال.

﴿بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أي: مُجازٍ[2] ومُثيب.

كان لعليٍّ كرم الله وجهه أربعة دراهم فقط فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم [٦٨/ب] سرًّا وبدرهم علانية فنزل ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم﴾ وقدَّم الليلَ والسرَّ لأنَّ الصدقةَ تخفى فيهما، [وتقدم أنَّ] الإخفاء[3] أفضل. ودخلت الفاء في «فلهم» لتضمّن الموصولِ معنى اسمِ الشرط لعمومه.

قال ابن عطية[4]: وإنما يوجد الشبه - يعني بين الموصول واسم الشرط - إذا كان «الذي» موصولاً بفعل، وإذا لم يدخل على «الذي» عامل يغيّر معناه انتهى. فخصّ الشّبه إذا كان «الذي» موصولاً بفعل، وهذا كلامٌ غير محرر إذْ ما ذكر له قيود أوّلها أن ذلك لا يختص بالذي، بل كُلُّ موصولٍ غير الألف واللام حكمهُ في ذلك حكم «الذي» بلا خلاف، وفي الألف واللام

---

(١) ق: وتيسير.

(٢) ق: مجازي.

(٣) ق: أي الإخفاء. والتصويب والإضافة من ط..

(٤) المحرر الوجيز ٢: ٢٦٩.

خلاف. ومذهب سيبويه المنع من دخول الفاء. الثاني قوله: موصولاً بفعل، فأطلق في الفعلِ واقتصر عليه وليس كذلك بل شرطُ الفِعل أنْ يكون قابلاً لأداةِ الشرطِ، فلو قلت: الذي سيأتيني أو لما يأتيني أو ما يأتيني أو ليس يأتيني فله درهمٌ، لم يَجُزْ لأنَّ أداةَ الشرط لا تصلحُ أنْ تدخل على شيءٍ من ذلك. وأما الاقتصارُ على الفعل فليس كذلك، بل الظرفُ والجار والمجرور كالفِعلِ في ذلك، فمتى كانت الصلةُ واحداً منهما جاز دخول الفاء.

وقوله: وإذا لم يدخل على «الذي» عامل يُغَيِّرُ معناه، عبارة غير مُخْلصة لأنَّ العاملَ الداخل عليه كائناً ما كان لا يغيّر معنى الموصول، إنما ينبغي أن يقول[1]: معنى جملة الابتداء في الموصول وخبره. فيخرجه إلى تغيير المعنى الابتدائي من تَمَنٍّ أو تشبيهٍ أو ظنٍّ أو غيرِ ذلك، لو قلت: ليت الذي يزورنا فيحسن إلينا لم يَجُزْ. وكان ينبغي أيضاً لابن عطية أن يذكر أنَّ من شرط دخول الفاء في الخبر أنْ يكون مستحقاً بالصلة نحو ما جاء في الآية، لأنَّ تَرتُّبَ الأجرِ إنما هو على الإنفاق. ومسألةُ دخول الفاء في خبر المبتدأ تَستدعي كلاماً طويلاً وفي بعض مسائلها خلافٌ وتفصيلٌ، وقد ذكرنا ذلك في كتاب «التذكرة» من تأليفنا.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) ق: تقول.

وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ لما أَمَر بالإنفاقِ من طَيِّبِ ما كَسَبُوا وحَضَّ على الصدقة وقال ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة] ذكر نوعاً من الخبيثِ كان غلبَ عليهم في الجاهليةِ وهو الربا حتى يمنعَ من الصدقةِ ما كان ربا. والرِّبا: الزيادةُ، وهو مخصوصٌ بزيادةٍ مبنيّة في الشرعِ بيّن حكمها في كتب الفقه. وقرأ العدوي: الربو بالواو وهي لغة الحِيرة، ولذلك كتبها أهلُ الحجاز بالواو لأنهم[1] تعلموا الخطَّ من أهلِ الحيرة، وذلك على لغةِ مَنْ وقف على «أفعى» بالواو وأجرى [الوصل] مجرى الوقف. «لا يقومون» خبر عن «الذين»[2]. قيل: وقبله حال محذوفة أي: مُسْتحلِّين ذلك. وقال ابن عباس: لا يقومون يومَ القيامة من قبورهم، أي: يُبعثُ كالمجنونِ عُقوبةً له. أولا يقومون إلى تجارةِ الربا إلا بحرصٍ وجشعٍ كقيام المتخبّط بالجنّ تستفزُّه الرغبةُ حتى يضطربَ. والظاهر أنَّ الشيطانَ يتخبَّطُ الإنسانَ حقيقةً، وقيل هو مَجَاز عن إغوائه الذي يصرعُه به، أو على ما كانت العرب تزعمه أنه يخبطُ الإنسان. وتخبَّط تفعَّلَ موافق للمجرد وهو خبط. و«المس» الجنون، ويتعلق

(١) ق: ولأنهم.

(٢) ق: الذي.

«من المس» بـ«يقوم» أو بـ«يتخبطه».

وقال الزمخشري[١]: فإن قلت: بم يتعلق قوله «من المسّ»؟ قلت: بـ«لا يقومون» أي: لا يقومون من المسِّ الذي بهم إلا كما يقومُ المصروعُ انتهى. وكان قد قدّم في شرح المسِّ أنه الجنون. وهذا الذي ذهب إليه في تعلق «من المس» بقوله «لا يقومون» ضعيفٌ لوجهين:

أحدهما: أنه قد شرحَ المسَّ بالجنون، وكان قد شرحَ أنَّ قيامَهم لا يكونُ إلا في الآخرة، وهناك ليس بهم جنونٌ ولا مَسٌّ. ويبعد أنْ يكنى بالمسِّ الذي هو الجنون عن أكلِ الربا في الدنيا فيكون المعنى: لا يقومون يومَ القيامة أو من قبورهم من [أجل] أكل الربا إلا كما يقومُ الذي يتخبطه [الشيطان] إذْ لو أُريدَ هذا[٢] المعنى لكان التصريحُ به أوْلى من الكنايةِ عنه بلفظِ المسِّ، إذ التصريحُ به أبلغُ في الردعِ والزَّجْرِ.

والوجه الثاني: أنَّ ما بعد «إلا» لا يتعلق بما قبلها إلا إن كان في حَيِّزِ الاستثناء، وهذا ليس في حيّز الاستثناء ولذلك منعوا أنْ يتعلق ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾ [النحل] بقوله ﴿وَمَآ[٦٩/ أ]أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [النحل] وأن التقدير[٣]: وما أرسلنا بالبيناتِ والزبر إلا [رجالاً] يُوحى إليهم.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ ﴾ إشارة إلى القيام، وهو مبتدأ خبره «بأنهم» أي: كائن بسبب أنهم. وشَبَّهُوا البيعَ المُجْمَع على جوازِه بالربا وهو محرمٌ ولم يعكسوا، تنزيلاً لهذا الذي يفعلونه من الربا بمنزلة الأصل المماثل له في

---

(١) الكشاف ١: ٣٩٩.

(٢) كتبت في الحاشية.

(٣) ق: وأن التقدير ليس.

البيع. وهو من عكس التشبيه، وهو موجود في كلام العرب كثير في أشعار المولدين.

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [هذا] من كلامه تعالى ردًّا عليهم إذْ سَاوَوْا بينهما. والحكمُ في الأشياء لله تعالى لا يُخالَفُ في أمرِه ولا يُعارض[١]. والبيعُ والربا عامَّان إلا ما حَرَّمَ اللهُ تعالى من بعضِ البيوع وذلك مذكورٌ في كتب الفقه.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ[مَوْعِظَةٌ]﴾ ذكّر الفعل لكون[٢] تأنيث الموعظة مجازياً. وقرىء: جاءته بالتاء على الأصل. والموعظةُ: الوعيد على فعله. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: الناظر في مصلحته. ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ أي: رجع عن المعاملة بالربا. ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي: قبل التحريم. ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى رجاءِ اللهِ وإحسانِه وفيه تأنيسٌ. ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى فِعْلِ الربا مستحلاً له مُشَبِّهاً له بالبيعِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ الآية.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يُذهبُ بركتَهُ والمال الذي يكون [فيه]. قال ابن مسعود: الربا وإنْ كثر فعاقبتُه إلى قلٍّ. ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: يَزيدُهَا ويُنَمِّيها في الدنيا أو يضاعف حسناتها[٣]. وقرىء: يُمَحِّقُ ويربِّي من محّق وربّى. وفي ذكر «يمحق» و«يربي» طباق، وفي «الربا» و«يربي» بديع التجنيس المغاير.

﴿كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ صفتا مبالغة لتغليظِ أمرِ الربا.

---

(١) ق: تخالف.. تعارض.

(٢) عبارة ق: ذكّر للفصل وكون.

(٣) ق: حسانتها.

ولما ذكر حال آكل الربا ووصفه بأنه كَفَّارٌ أثيم ذَكَرَ ضِدَّهُ من المؤمنين الطائعينَ المتمسكين بشرائعِ الإسلام ثم قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ الآية، نزلت في بني عمرو بن عمير بن ثقيف كانت لهم ديونٌ رِبا على بني المُغيرةِ من بني مخزوم، أرادوا أنْ يتقاضوا رِبَاهم. وقرىء: ما بقي بفتح الياء وتسكينها وهي لغة، وبقلب الياء ألفاً وهي لغة طيّء. ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: إنْ صَحَّ إيمانكم، أو تكون شرطاً مؤكداً على جهة المبالغة. وقرىء: من الرّبُو بضم الباء بعدها واو ساكنة، وفيه شذوذ من خروج من كسرٍ إلى ضمّ ومن مجيء واو ساكنة بعد ضمّة في اسم تام.

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ أي: إنْ لم تَترُكوا ما بقيَ من الربا. وقرىء: فأْذَنوا من أَذِنَ، وفآذِنُوا من آذَنَ أي: اعلموا [أو] فأعلموا. والخطابُ في «فإن لم تفعلوا» لمن خُوطبَ أولاً وهم المؤمنون. والأمرُ بالعلم أو الإعلام[1] جاء على سبيلِ المبالغةِ في التهديد دونَ حقيقة الحربِ كما جاء في «مَنْ أهانَ لي ولياً فقد آذنني بالمحاربة»[2]. وروي أنه لما نزلت قالت ثقيف: لا يدَ[3] لنا بحربِ الله ورسوله. و«من» لابتداء الغاية، وفيه تهويلٌ عظيم إذِ الحربُ منه تعالى.

﴿ وَإِن تُبْتُمْ ﴾ أي: من الربا. ورؤوسُ الأموال: أصولُها، وأما الأرباح فطوارىء عليها. ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ قرىء الأول مبنياً للفاعل والثاني مبنياً للمفعول وقرىء بالعكس، فالمبني للفاعل لا يظلم بطلب زيادة على رأس المال، والمبني للمفعول لا يُظلم بنقصانِ رأسِ المال ولا بالمطْلِ.

(١) ق: والإعلام.

(٢) في فتح الباري ١١: ٣٤٠ «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب».

(٣) ق: يدي.

شكا بنو المغيرة العُسْرةَ وقالوا: أخِّرُونَا إلى أنْ تدرك الغلّات فنزل ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ الآية. وقرىء: ذو عسرة فـ«كان» تامة أي: وإنِ وقع أو وجد. وقرىء: ذا عسرة على خبر كان، واسمها مُضْمر أي: وإنْ كان هو أي الغريم. وقرىء: فنظرة بكسر الظاء وإسكانها وهي لغة تميمية. والنظرة: التأخيرُ أي: فالواجبُ تأخيره إلى مَيْسرةٍ. وقرىء: فناظرة، وخُرِّجَ على أنه مصدر كالعاقبة، وفناظره، اسم فاعل مضاف للضمير أي: فصاحبُ الحَقِّ ناظره. وقرىء: فناظروه أي: فأنتم ناظروه. وقرىء ميسرة بضم السين وهو قليلٌ كمشرقة وبفتحها وهو كثير. وقرىء: ميسوره، مضافاً إلى ضمير المعسر[1] وهو مصدر عند الأخفش كالمجلود. وقرىء بفتح السين مضافاً إلى ضمير الغريم [٦٩/ب] وبضمّها كذلك. ومَفْعُل مفقود في الأسماء المفردة قاله سيبويه[2] وقيل: جاء قليلاً ومنه مهلُك بضم اللام.

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟﴾ أي: على المُعْسر، أي: برأسِ المال أو بنقصٍ بعضِه. ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: من الإنظار. وقرىء: تتصدقوا بتاءين، وبإدغام الثانية في الصاد، وبحذفها. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فضل التصدق على الإنظار والقبض.

﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ نزلت قبل موته صلى الله عليه وسلم بزمانٍ يسير فقال عليه السلام: اجعلوها بين آيةِ الربا وآيةِ الدَّيْن. وقرىء: ترجعون مبنياً للفاعل ومبنياً للمفعول. وقرىء: يرجعون بياء الغيبة وهو التفات. والرجوع إلى الله أي[3]: إلى جزائه وهو يوم القيامة. ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ

---

(١) ق: العسر.

(٢) انظر الكتاب ٤: ٩٠.

(٣) كتبت في الحاشية.

﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاءَ ما كسبتْ من خيرٍ وشر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ الآية. لما أمرَ بالصدقةِ وترْكِ الربا وكلاهما يحصلُ به تنقيصُ المال نبّه على طريقِ حلالٍ في تنميةِ المال، وأكّدَ في كيفية حفظه وأمر فيه بعدة أوامر. وفي [قوله] «تداينتم بدين» تجنيس مُغاير، وذكر «بدين» وإنْ كان مفهوماً من «تداينتم» ليعودَ الضميرُ على منطوقٍ به. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليس قيداً يتحرّز به بل لا يقع الدَّيْنُ إلا كذلك. ومعنى «مسمى» موقت معلوم.

﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ أمر بالكتابة وظاهرهُ الوجوبُ وقال به الطبريُّ وأهلُ الظاهر، وقال الجمهور هو أمر نَدْبٍ.

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ قيل هو فرضٌ على الكفايةِ كالجهاد. ومعنى البينية أي: بينَ صاحبِ الدَّيْن والمَدِين. و«بالعدل» بالحقِّ أي:

متَّصفٍ بالأمانةِ على ما يكتب. وقرئ بكسر لام: وليكتب وإسكانها.

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ نهى عن الامتناع من الكتابة أي: مثل ما علّمه من كتابةِ الوثائقِ لا يبدل ولا يغير. وأكّدَ النهيَ بقوله ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الذي وَجَبَ عليه الحق لأنه هو المشهود عليه بأنَّ الدَّين في ذمته والمستوثق منه بالكتابة. ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ فيما يُمليه[1] ويقرّ به. وجمع بين اسم الذات والوصف لكونه يذكره كونه مرّ بباله[2] مصلحاً لحاله. ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينقص بالمُخَادعةِ والمدافعة. والمأمورُ بالإملالِ هو المالكُ لنفسه.

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ أي: جاهلاً بالأمور والإملال، أو صبياً أو امرأةً لا يضبطُ ما يقرّ به. ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ أي: مريضاً يعجزُ عن الإقرارِ لضعفه مع ثبوت حسّه. ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لِخَرَسه أو عيِّه، و«هو» توكيد للضمير المستكن في «أن يملّ». ولما كان العطف بـ«أو» كان الضمير مفرداً أي: فإن كان أحد هؤلاء ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ أي: الناظرُ في أمرِه من وصيٍّ أو وكيلٍ أو غيرهما ممن له نظرٌ وولايةٌ في حَقِّ هؤلاء. ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ حث على تحرِّيه لصاحب الحق والمولى عليه.

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا﴾ أي: أَشْهِدُوا، وهو مما فيه استفعل بمعنى أفعل كاستيقن وأيقن. وجاء بصيغة المبالغة في ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ وهو مَنْ كثرت منه الشهادةُ فهو عالمٌ بمواقعها وما يشهد فيه. ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ أضاف إلى المؤمنين فلا يُستشهد الكافر. و«من رجالكم» فيه دلالةٌ على أنه لا يجوزُ شهادةُ الصبيِّ

---

(١) ق: عليه.

(٢) غير مقروءة في ق.

وفيه جوازُ شهادة العبدِ وهو مذهبُ شريح وجماعة.

﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا ﴾ أي: الشاهدان[١] رجلين. والضمير في «يكونا» ليس عائداً على قوله «شهيدين» بقيد الرجولية. ﴿ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾ [فرجل: فاعل، أي: فليشهدْ رجلٌ، أو خبر مبتدأ أي: فالذي يشهد رجل. وقرىء: وامرأْتان] بسكون الهمزة وهو على غير قياس. ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ وهو متعلقٌ بقوله قبلُ «واستشهدوا» والظاهر تعلّقه بقوله «فرجل وامرأتان». والخطاب في «ترضون» للمؤمنينَ أي: من أهلِ الدِّينِ والفضلِ والعدالة. والظاهر اقتصار شهادة الرجل والمرأتين في سائر عقود المداينات، وأنه لا يجوزُ في الديون إلا رجلانِ أو رجلٌ وامرأتان، فلا يُقضى فيها بشاهدٍ واحد ويمين، وهو مذهب جماعة. ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ قرىء: [٧٠/أ] أن بفتح الهمزة وهو مفعول من أجله أي: لأن تضلَّ، نزّل السبب وهو الإضلال منزلة المسبب عنه وهو الإذكار كما ينزّل المسبّب منزلة السبب لاتصالهما، فهو كلامٌ محمولٌ على المعنى أي: [لأن] تذكّر إحداهما الأخرى إنْ ضَلّتْ كقولك[٢]: أعددتُ الخشبةَ أنْ يميلَ الحائطُ فأدعمه. وقرىء: إنْ بكسر الهمزة شرطاً، فتذكّر رفعاً جواب الشرط. وقرىء: تُضَلّ مبنياً للمفعول، وتُضِلّ[٣] مبنياً للفاعل من أَضَلّ. وقرىء: فتذكر مخففاً ومشدداً ومرفوعاً ومنصوباً، وفتذاكر من المذاكرة. ومعنى الإضلال هنا عدم الاهتداء إلى الشهادةِ لنسيانٍ أو غفلة.

ومعنى «فتذكر» من التذكُّر أو الإذْكار على حسب القراءتين من التشديد

---

(١) ق: الشاهدين.

(٢) ق: كقوله.

(٣) ق: ويضلّ.

والتخفيف. وأبهم الفاعل في «تضل» وأبهمه في «فتذكر» فلم يُرِدْ[1] بـ«إحداهما» معيَّنة إذ كل منهما يجوزُ عليه الوصفان، فالمعنى إنْ ضلّت هذه ذكَّرتها هذه، وإنْ ضلّت هذه ذكَّرتها هذه، والمعنى فتذكِّرها الشهادةَ. وفيه دليلٌ على أنَّ شرطَ الشهادة التذكر فلا تجوزُ الشهادةُ على الخَطِّ.

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ عام في التحمل والأداء وإن اختلفتْ جهتا النهي لأنها في التحمُّلِ ندبٌ وفي الأداء واجبةٌ. ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ نهيٌ عن الضجر والملل في الكتابة، كل ذلك ضبطٌ لأموال الناس وتحريضٌ على أن لا يقع نزاعٌ أو إنكار في مقدار أو أجل أو وصف. وقدم الصغير اهتماماً به وانتقالاً من الأدنى إلى الأعلى. ونصّ على الأجلِ دلالة على وجوبِ ذِكْرِه فيكتب كما يكتب أصل الدين. و«سئم» جاء متعديا بنفسه كقوله[2]:

[من الطويل]

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ

وبحرف جر كقوله[3]: [من الكامل]

ولقد سئمتُ من الحياةِ

فيجوز تخريج «أن تكتبوه» على هذين الوجهين. والضمير في «أن تكتبوه» ضمير الدَّيْن. و﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ حال. و﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ أي: مستقرّاً في الذمَّةِ إلى أجلِ حلولِه. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى الإشهادِ

---

(١) ق: يُرَ.

(٢) مطلع بيت لزهير في ديوانه ص٢٩، وتمامه:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش . ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

(٣) أول بيت للبيد في ديوانه ص٣٥، وتمامه:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

والكتابة. ﴿أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعدلُ في حكمِ الله. وجاء بناء أفعل من الرباعي وهو أقسط الرجل إذا عدل. وقال الزمخشري: فإن قلت: مِمَّ بني[١] أفعلا التفضيل أعني «أقسط وأقوم»؟ قلت: يجوزُ على مذهب سيبويه أنْ يكونا مَبْنِيَّين من أقسط وأقام انتهى. لم ينصَّ سيبويه على أنَّ أفعل التفضيل يُبنى من أفعلَ، إنما يكون ذلك بالاستدلال لأنه نص في أول كتابه[٢] على أنَّ بناء أفعل للتعجب يكون من فَعُل وفَعِل وأفعل. وظاهرُ هذا أنَّ أفعل الذي للتعجب يُبنى من أفعلَ. ونصَّ النحويون على [أن] ما [بني منه أفعل للتعجب] يبنى منه أفعل للتفضيل، فما انقاسَ في التعجب انقاس[٣] في التفضيل وما شذَّ فيه شذّ فيه.

وقد اختلف النحويون في بناء أفعل للتعجب [من أفعلَ] على ثلاثة مذاهب: الجواز والمنع والتفصيل بين أنْ تكون الهمزةُ للنقل فلا يبنى منه أفعل[٤] للتعجب، أو لا تكون للنقل فيبنى منه، وزعم أن هذا مذهب سيبويه وتأول قوله: وأفعلَ على أنه أفعلَ الذي همزته لغير النقل. والذي ينبغي أنْ يحملَ عليه «أقسط» هو أن يكون مبنياً من قَسَطَ الثلاثي بمعنى عَدَلَ، قال ابن السيد في «الاقتضاب» ما نصّه[٥]: حكى ابن السكّيت في كتاب «الأضداد» عن أبي عبيدة: قَسَطَ: جار، وقَسَطَ: عدل، وأقسط بالألف عَدَلَ لا غير. وقال ابن القطّاع في كتابه: قسط قسوطاً وقسطاً: جاروعدل، ضد. فعلى هذا

(١) ق: يبنى.

(٢) انظر الكتاب ٤: ١٠٠.

(٣) ق: في الموضعين: اقتاس.

(٤) عبارة ق: فلا يبنى منه شيء أفعل.

(٥) ص١٨٤.

لا يكون شاذاً.

﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ إنْ كان بني أقوم من أقامَ فهو كأقسطَ وكلاهما شاذ، وإنْ بني من قام بمعنى اعتدل فلا شذوذَ فيه. و«للشهادة» متعلق بـ«أقوم». وهو من حيث المعنى مفعول كما تقول: زيد أضرب لعمروٍ من خالد.

﴿ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ﴾ أي: أقربُ لانتفاءِ الريبة، والمفضل عليه محذوف وحسّن حذفه كون أفعل وقع خبراً لمبتدأ.

﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ وهو ما يعجل ولا يكون فيه أجلٌ من مبيعٍ وثمن. ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ نفى الجناح في انتفاءِ الكتابةِ إذ ما [٧٠/ب] كان يداً بيدٍ قَلَّ أنْ يقع [فيه] نزاعٌ. ودلَّ ذلك على[1] أنه لو كتب لجاز وفي ذلك فوائد. وهذا الاستثناءُ منقطع لأنَّ ما بعد إلَّا لم يدخل تحت الديون المؤجّلة. وقرىء: حاضرة بالنصب على خبر كان أي: إلا أنْ تكون هي أي التجارة تجارةً حاضرة، وبالرفع على أنَّ كان تامة.

﴿ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ أمرٌ بالإشهادِ على التبايع مطلقاً ناجزاً [أو كالئاً][2]. وظاهرُ الأمرِ الوجوبُ، قال الطبري[3]: لا يحلُّ لمسلم إذا باع وإذا اشترى إلا أنْ يُشهدَ، وإلاّ كان مخالفاً لكتابِ الله عزّ وجلّ. ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ هذا نهي. وجاز أنْ [يكون] مبنيّاً للفاعل ومبنياً للمفعول، ورجّح جماعةٌ كونه مبنياً للفاعل أي: لا يضارِر الكاتب بأن يحرّف والشاهد بأن يكتم أو يغيّر أو يمتنع عن الأداء. ورجّح جماعة كونه مبنياً للمفعول أي

---

(١) ق: ودلّ على ذلك.

(٢) أي: متأخراً.

(٣) انظر تفسيره ٣: ٨٨.

لا يُضارَر الكاتب والشهيد في أن يُشَقَّ عليهما ويُطلبَ منهما ما لا يليقُ في الكتابة والشهادة. وقد قرىء بكسر راء: يضارر مفكوكاً.

﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ أي: المضارة ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ أي: لاصقٌ بكم ومستقر. والضمير في «تفعلوا» عائدٌ على المنهي عنه على التقديرين. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمرٌ بالتقوى في هذه المواطنِ وغيرها. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مستأنف بذكر نعمة الله على تعليم العلم منه عز وجلّ.

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)﴾.

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية، مفهومُ الشرطِ يقتضي أخذَ الرهن في السفرِ وعدم الكاتب، أقام تعالى التوثُّقَ بالرهنِ مقامَ الكتابةِ والشهادة. وقرىء: فرهان جمع رَهْن، ورُهُن بضمتين كسَقْف وسُقُف، وبسكون الهاء. والفاء جواب الشرط أي: فالمستوثق به رهن. وثَمّ محذوف أي: وإن كنتم على سفرٍ وتبايعتم أو تداينتم.

وفي قوله: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ اشتراط القبض، ولا يدلُّ على أنه يتولى القبضَ بل لو قبض بنفسه أو بوكيله ويكون متقوماً يصحُّ بيعه وشراؤه ويتهيأ فيه القبض ولو بالتخلية فيما التخلية قبض مثله.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: إن وثق ربّ الدّين بأمانة الغريم فدفع إليه ماله بغير كتابٍ ولا إشهاد ولا رهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ والضمير في

«أمانته» عائد[١] على «الذي أوتمن». والأمانة مصدر أُطلق على الشيءِ الذي في الذمة، أو بقيَ[٢] على مصدريته على حذفِ مضافٍ أي دينِ أمانته. والأمرُ في «فليؤدِّ» للوجوب. وقرىء: أوتمن بهمزة ساكنة، وبإبدالها ياء كهمزة بئر للكسرة [قبلها]. وقرىء: ٱلَّذِتُّمِنَ بإدغام التاء المبدلة من الياء في تاء افتعل، وهي لغة رديئة. قال الزمخشري[٣]: [وليس] بصحيحٍ لأنَّ الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة، واتّزر عامي وكذلك رُيّا في رؤيا انتهى كلامه. وما ذكر الزمخشري فيه أنه ليس بصحيح وأن اتّزر عامي يعني أنه من أحداثِ العامةِ ولا أصلَ له في اللغة، قد قدَّمنا أن ذلك لغة رديئة. وأما قوله: وكذلك رُيّا في رؤيا، فهذا التشبيهُ إما أن يعود إلى قوله: واتّزر عامي فيكون إدغام رُيّا عامياً[٤]، وإما أنْ يعود إلى قوله: فليس بصحيح، أي: وكذلك إدغام رُيّا ليس بصحيح. وقد ذكر الإدغام في رُيّا الكسائي.

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ أي: في أداء ما ائتمنه رَبُّ المال. وجمع بين الذات والوصف.

﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ هذا نهي تحريم. ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ والكتمُ من معاصي القلب والشهادة علم بالقلب فلذلك علّق الإثم به وعنه يترجم اللسان. و«قلبه» فاعل بـ«آثم» وقال ابن عطية[٥]: ويجوز أن يكون، يعني «آثم» ابتداء و«قلبه» فاعل سَدَّ مسدَّ الخبر والجملة خبر إنَّ انتهى. وهذا

(١) ق: والضمير عائد في أمانته.

(٢) ق: الذي في اليد وبقي.

(٣) الكشاف ١ : ٤٠٦.

(٤) ق: عاماً.

(٥) المحرر الوجيز ٢ : ٣٠٨.

لا يصحُّ على مذهب سيبويه وجمهور البصريين لأنَّ اسمَ الفاعلِ لم يعتمد على أداةِ نفيٍ ولا أداة استفهام نحو: أقائم الزيدان وأقائم الزيدون وما قائم الزيدان وما قائم الزيدون. ولكنه يجوز على مذهب أبي الحسن إذ يجيز: قائم الزيدان[1]، فيرفع «الزيدان» باسم الفاعل دون اعتماد [٧١/أ] على أداةِ نفيٍ ولا استفهام.

قال ابن عطية[2]: «ويجوز أن يكون «قلبه» بدلاً، على بدل البعض من الكلّ». يعني أنه يكون بدلاً من الضمير المرفوع المستكن في «آثم». والإعراب الأول هو الوجه، وجوّز الزمخشري[3] أن يكون «آثم» خبراً مقدماً و«قلبه» مبتدأ والجملة في خبر إنّ. وهذا الوجهُ لا يُجيزه الكوفيون. وقرىء: قلبَه بالنصب ونسبها ابن عطية إلى ابن أبي عبلة بدلاً من اسم إنَّ، قال ابن عطية[4] «قال مكي: هو على التفسير - يعني التمييز - ثم ضعّفه من أجل أنه معرفة». والكوفيون [يجيزون] مجيء التمييز معرفة. وقد خرّجه بعضهم على أنه منصوب على التشبيه بالمفعول به نحو قولهم: مررت برجل حسن وجهه، ومثله ما أنشد الكسائي[5]: [من الرجز]

أنْعَتُهـا إنّـيَ مـن نُعّـاتهـا ... مدارة الأخفاف مجمراتها
غُلْبُ الذفارى وَعَفَرٌ نيّاتها ... كوم الذّرا وادقةٌ سُرّاتها

---

(١) بعدها في ق: وما قائم الزيدون.
(٢) المحرر الوجيز ٢: ٣٠٨.
(٣) الكشاف ١: ٤٠٦.
(٤) المحرر الوجيز ٢: ٣٠٨.
(٥) البيتان لعمرو بن لجأ التيمي كما في شرح المفصّل ٦: ٨٨. وقلب صدر البيت الثاني عجزاً في ق. وانظر أيضاً البحر ٢: ٣٥٧.

وهذا التخريجُ هو على مذهب الكوفيين جائز، وعلى مذهب سيبويه جائز في الشعر لا في الكلام. ويجوز أنْ ينتصبَ على البدل من اسم إنَّ وقد تقدّم، ويكون بدل بعض من كل. ولا مبالاةَ بالفصلِ بين البدل والمبدَل منه بالخبر لأن ذلك جائز، فقد فصلوا بالخبر بين الصفة والموصوف نحو: زيد منطلق العاقل، نصَّ عليه سيبويه، مع أنَّ العاملَ في النعت والمنعوت واحدٌ فأحرى في البدل، لأنَّ الأصحَّ أن العاملَ فيه هو غير العامل في المبدل منه. وقرىء: أثِمَ فعلاً ماضياً [و«قلبَه»] نصباً على المفعولية.

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرٗا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الآية، ناسب ختم هذه السورة بهذا لأنها اشتملت على تكاليف كثيرة، فذكر تعالى أنَّ له ملك السماوات والأرض فهو يكلّف مَنْ يشاء بما يشاء[1]. ولما كانت التكاليف محلّ اعتقادها الأنفس قال ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾ فصفةُ الملك تقتضي القدرةَ الباهرة، والمحاسبةُ تقتضي العلمَ المحيطَ بالأشياءِ جليلها وحقيرها. وكنّى

(١) ق: شاء.

بالمحاسبة عن الجزاء. ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ بدأ بأمر الرحمة وهي المغفرة. وقرىء: فيغفرُ برفع الراء على القطع أي: فهو يغفر، وبالجزم عطفاً على «يحاسبكم»، وبالنصب على إضمار أن، فينسبكُ من ذلك مصدرٌ مرفوع معطوف على مصدر متوهّم أي: يكن محاسبة فغفران. وقرىء: يغفر بغير فاء مجزوماً وخرّج على البدل من «يحاسبكم» وفيه نظر. وقال الزمخشري[1]: ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لأنّ التفصيلَ أوضح من المفصل[2] فهو جارٍ مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال كقولك: ضربت زيداً رأسه وأحب زيداً عقله. وهذا البدلُ واقع في الأفعالِ وقوعه في الأسماءِ لحاجةِ القبيلين إلى البيان انتهى كلامه. وفيه بعضُ مناقشة: أما أولاً فلقوله: ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب. ليس الغفران والعذاب تفصيلاً لجملة الحساب إنما هو تعداد حسناته وسيّئاته وحصرها بحيث لا يشذُّ شيءٌ منها. والغفرانُ والعذابُ مترتبان على المحاسبةِ فليست المحاسبة تفصيل الغفرانِ والعذاب. وأما ثانياً فلقوله بعد أنْ ذكر بدل البعض من الكلّ[3] وبدل الاشتمال: هذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان. أما بدل الاشتمال فهو يمكن وقد جاء لأن الفعل بما هو يدل على الجنس يكون تحته أنواع يشتمل عليها، ولذلك إذا وقع عليه[4] النفي انتفت جميع أنواع ذلك الجنس. وأما بدل البعض من الكلِّ فلا يمكن في الفعل إذ الفعل لا يقبلُ التجزيءُ فلا يقال في الفعل له كلٌّ وبعضٌ إلا بمجازٍ بعيد فليس كالاسم في ذلك، ولذلك يستحيل وجود

---

(١) الكشاف ١ : ٤٠٧.

(٢) ق: الفصل.

(٣) ق: والكلّ.

(٤) ق: عليها.

بدل البعض من الكل بالنسبة لله تعالى إذ الباري تعالى واحدٌ فلا ينقسم ولا يتبعَّض.

قال الزمخشري وقد ذكر قراءة الجزم(١): فإن قلت: كيف يقرأ(٢) الجازم؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الباء(٣)، ومُدْغِمُ الرَّاء في اللام لاحنٌ مخطىءٌ خطأً فاحشاً، وراويه عن أبي عمروٍ مخطىء مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس [٧١/ب] بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم. والسببُ في نحو هذه الروايات قِلَّةُ ضبطِ الرواة، والسبب في قلة الضبط قلَّةُ الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو انتهى كلامه. وذلك على عادته في الطعن على القراء.

وأما ما ذكره من أنَّ مُدْغِمَ الراء في اللام لاحنٌ مخطىء خطأً فاحشاً إلى آخره، فهذه مسألةٌ اختلف فيها النحاة: فمذهبُ الخليل وسيبويه وأصحابه أنه لا يجوزُ إدغامُ الراء في اللام من أجل التكريرِ الذي فيها، ولا في النون، قال أبو سعيد، ولا نعلم أحداً خالفه إلا يعقوب الحضرمي وإلا(٤) ما روي عن أبي عمروٍ أنه كان يدغم الراء في اللام متحركة متحركاً ما قبلها نحو ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴿١٤﴾﴾ [الفتح] ﴿ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا ﴿٥﴾﴾ [الحج](٥) ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴿٦٤﴾﴾ [النساء] فإن سكن ما قبل الراء أدغمها في اللام في موضع الضم والكسر نحو ﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُمْ ﴿٣١﴾﴾ [النحل]

---

(١) الكشاف ١ : ٤٠٧.

(٢) ق: يقر.

(٣) أي في قوله تعالى: يغفر لمن، ويعذب من.

(٤) ق: وأمّا ما.

(٥) ق: من العمر.

و﴿ٱلنَّارُ ۝٥٠ لِيَجْزِيَ ۝٥١﴾ [إبراهيم] فإن انفتحت وكان[1] ما قبلها حرف مدٍّ ولينٍ أو غيره لم يدغم نحو ﴿مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ ۝٢١﴾ [يوسف] و﴿ٱلْأَبْرَارَ لَفِى ۝١٣﴾ [الانفطار] و﴿لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ ۝٣٠﴾ [فاطر] و﴿وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ۝٨﴾ [النحل]. فإن سكنت الراء أدغمها في اللام بلا خلافٍ عنه إلا ما روى أحمدبن جبير بلا خلافٍ عنه وعن اليزيدي عنه أنه أظهرها، وذلك إذا قرأ بإظهار المِثْلين والمتقاربين المتحركين لا غير. على أنَّ المعمولَ به في مذهبه في الوجهين جميعاً على الإدغام نحو ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ۝٤﴾ [نوح] انتهى.

وأجاز ذلك الكسائي والفراء وحكياه سماعاً، ووافقهما على سماعه روايةً وإجازةً أبو جعفر الرواسي وهو إمامٌ من أئمة[2] اللغة والعربية من الكوفيين. وقد وافقهم أبو عمرو على الإدغام روايةً وإجازة كما ذكرنا، وذلك من رواية الوليدبن حسان. وللإدغام وجهٌ من القياس ذكرناه في كتاب «التكميل لشرح التسهيل» من تأليفنا[3]. وقد اعتمد بعضُ أصحابنا على أنَّ ما روي عن القراء من الإدغامِ الذي منعه البصريون بكون[4] ذلك إخفاءً لا إدغاماً، وهذا لا يجوزُ أنْ يعتقد في القراء أنهم غلطوا وما فَرَّقُوا بين الإخفاء والإدغام. وعقد هذا الرجل باباً قال فيه[5]: هذا بابٌ يذكر فيه ما أدغمته القراء مما ذكر أنه لا يجوز إدغامه. وهذا لا ينبغي فإنَّ لسان العرب ليس محصوراً[6] فيما نقله

(١) ق: وسكن.

(٢) ق: الدواسي.. من الأئمة.

(٣) طبع جزء منه بمصر ١٣٢٨هـ، ولم أجده.

(٤) ق: يكون.

(٥) ق: قال فيه قال.

(٦) ق: محصور.

البصريون فقط، والقراءات لا تجيءُ على ما علّمه البصريون ونقلوه، بل القراء من الكوفيين يكادون يكونون مثل قراء البصرة. وقد اتفق على نقلِ إدغامِ الراء في اللام كبيرُ البصريين ورأسُهم أبو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي وكبراء أهل الكوفة الرواسي والكسائي والفراء، وأجازوه ورووه عن العربِ فوجب قبولُه والرجوعُ فيه إلى علمهم[١] ونقلهم إذْ مَنْ عَلِمَ حجةٌ على مَنْ لم يعلم. وأما قول الزمخشري إنَّ راوي ذلك عن أبي عمروٍ مخطىء مرتين فقد تبين أنَّ ذلك صواب، والذي روى ذلك عنه الرواة ومنهم أبومحمد اليزيدي وهو إمامٌ في النحو إمامٌ في القراءات إمامٌ في اللغة[٢].

ولما كان ابتداءُ هذه السورة بذِكْرِ الكتابِ [المُنْزَلِ وأنه هُدى للمتقين كانت مختتمةً بذكرِ الكتابِ] ومَنْ آمن به فقال تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ ليتوافق الابتداءُ والاختتامُ. والرسولُ هو نبينا محمد ﷺ، فأل فيه للعهد. والذي أُنزل إليه من رَبِّه هو القرآن. والمؤمنونَ هم أُمَّتُه وهم المذكورونَ في أول السورةِ الموصوفون[٣] بالتقوى والإيمانِ بالغيب. وقدم الرسول لأن إيمانه هو المتقدم وهو المتبوع صلى الله عليه وسلم.

﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ كلٌّ للعموم يشملِ الرسولَ والمؤمنين. وأفرد الضمير كقوله ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء] وإنْ كان جائزاً جمعه كقوله ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) ق: والرجوع إليه وإلى علمهم.

(٢) ق: اللغات.

(٣) ق: الموصون. وكررت «بالتقوى».

وقُرىء: وكُتُبه على الجمع، وكتابه[1] على الإفراد، والمرادُ به جنس الكتبِ الإلهية. وقال الزمخشري[2]: وقرأ ابن عباس: وكتابه، يُريد القرآنَ أو الجنسَ. وعنه: الكتاب أكثر من الكتب. فإنْ قلت: كيف يكون الواحد أكثر من الجمع؟ قلت: لأنه إذا أُريدَ بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وجدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء، وأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع انتهى كلامه.

وليس كما ذُكر لأنَّ الجمعَ إذا أُضيفَ أو دخلتهُ الألفُ واللامُ الجنسية صار عاماً، ودلالةُ العام دلالة على كل فرد فرد، فلو قال: أعتقتُ عبيدي لشمل ذلك كل عبد عبد. ودلالةُ الجمع أظهرُ في [٧٢/أ] العموم من الواحد سواء كانت فيه الألف واللام أم الإضافة، بل لا يذهب إلى العموم في الواحد إلا بقرينةٍ لفظية كأنْ يُستثنى منه أو يوصف بالجمع نحو ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۝٣﴾ [العصر] وأهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض، أو قرينة معنوية نحو: نيةُ المؤمنِ أبلغُ من عمله. وأقصى حاله أن يكون مثل الجمع العام إذا أُريدَ به العموم.

وقرىء: لا نفرق أي: يقولون لا نفرق. وقرىء بالياء على لفظ «كل». ﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ أحد: هو [المختص] بالنفي وما أشبهه فهو[3] للعموم ولذلك دخلت «مِن» عليه في قوله ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]. والمعنى بين آحادهم، وإنْ كان «أحد» بمعنى واحد ففي الكلام معطوف محذوف دَلَّ عليه «بين»واحد من رسله

(١) ق: وكتاب.

(٢) الكشاف ١ : ٤٠٧.

(٣) ق: فهي.

وواحد منهم.

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ أي: قولكَ فيما كلَّفتنا. ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أي: أمركَ في ذلك. ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ أي: في التقصير في حَقِّكَ وفي عبادتكَ التي لا نوفِّي حَقَّها. ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ إقرارٌ بالمَعاد أي: وإلى جزائك المرجع. وانتصب «غفرانك» على أنه مصدر، وهو[1] من المصادر التي يعمل فيها الفعل مضمراً تقديره عند سيبويه: اغفرْ لنا غفرانك، قاله السجاوندي. وقيل معناه: أستغفرك[2] فهو مصدر موضوع موضع الخبر.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ استئناف خبر من الله تعالى أنه لا يكلفُ العبادَ من أفعال القلوب وأفعالِ الجوارح إلا ما هو في وُسْعِ المُكَلَّفِ مقتضى إدراكه وبنيته. وقرىء: وَسِعَها فعلاً ماضياً. وانتصاب «وُسْعَها» على أنه مفعول. وقال ابن عطية[3]: «يكلّف» يتعدى إلى مفعولين أحدهما محذوف تقديرهُ عبادةً أو شيئاً انتهى. فإنْ عنى أنَّ أصله كذا فهو صحيح لأن قوله «إلا وسعها» استثناء مفرغ من المفعول الثاني، وإن عنى أنه محذوف في الصناعة فليس كذلك بل الثاني هو «وسعها» نحو: [ما] أعطيت زيداً إلا درهماً ونحو: ما ضربت إلا زيداً. هذا في الصناعة هو المفعول وإن كان أصله: ما أعطيت زيداً شيئاً إلا درهماً، وما ضربت أحداً إلا زيداً. وأما «وَسِعَها» فعلاً ماضياً، فالمفعول الثاني «ليكلّف» محذوف و«وَسِعها» في موضع الحال. ويدلُّ ظاهرُ الآيةِ على أنَّ تكليفَ ما لا يطاق غير واقع.

---

(١) ق: وهي.

(٢) ق: استعزّك.

(٣) المحرر الوجيز ٢: ٣١٨.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من الحسنات ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ أي: من السَّيِّئاتِ، والخواطرُ ليست من كَسْبِ الإنسان.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ أي: قولوا في دعائكم.

﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ أي: ميثاقاً غليظاً يأصر صاحبه أي: يَحْبسُه مكانه لا يستقلُّ به، استُعيرَ للتكليفِ الشاقِّ من نحو قتلِ النفس وقطعِ موضعِ النجاسةِ من الجلد والثوب. ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ هم اليهود.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ أي: لا تشدِّدْ علينا. وهو دعاء ناشىء عن قوله تعالى «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها». وهذا أعمُّ من قوله «ربنا ولا تحمل علينا إصراً» إذ الإصرُ السابقُ مشبه حملهُ بحملِ مثله على قبلهم فتخصص بالتشبيه. والطاقةُ: القدرةُ على الشيء، وهو مصدر جاء على غير قياس الفعل وهو أطاق، نحو جابة من أجاب.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ والعفو: الصفح[1] عن الذنب: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ وهو السترُ للذنبِ كي نصان من عذاب التخجيل لأن العفوَ لا يقتضي السترَ فقد[2] يعفو بعد وَقْفِه على الذنبِ ثم يسقط[3] عنه عقوبته. ﴿وَٱرْحَمْنَآۚ﴾ طلبوا الثوابَ وإفاضةَ الإحسانِ عليهم. ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ أي: سَيِّدَنا وناصرنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ دخلت الفاء «فانصرنا» إيذاناً بالسببية لأن كونه تعالى

(١) ق: الصحف.

(٢) ق: قد.

(٣) ق: تسقط.

مولاهم ومالك تدبيرهم وأمرهم ينشأ عن ذلك النصرة على أعدائهم كما تقول: أنتَ الشجاعُ فقاتل، وأنتَ الكريمُ فَجُدْ عليَّ.

سورة آل عمران

سورة آل عمران(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ ﴾.

﴿ الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ وَفَدَ ناسٌ من نصارى نجران يناظرون في عيسى بن مريم عليه السلام، تارةً يقولون هو الله وتارة يقولون ابن الله [٧٢/ ب] وتارة ثالث ثلاثة، فنزلَ صدرُ هذه السورةِ إلى نيف وثمانين آية فيهم، قصَّ فيها أحوالهم وأحوال عيسى عليه السلام.

وقرأ الجمهور: آلم الله، بفتح الميم وإسقاط ألف الوصل، وقرىء بسكونها وقطع الألف، وقرىء بكسر الميم، قال الأخفش: لالتقاء الساكنين. ومن قرأ بفتح الميم فالفتحة(٢) لالتقائهما وكانت أَوْلى لأجل الياء كأين(٣). وقيل هي فتحة همزة «الله» نقلت إلى الميم وحذفت الهمزة. واختار الزمخشريُّ مذهبَ الفراء في أن الفتحة في الميم من «آلم الله» هي حركة

---

(١) مدنية وآياتها مئتان.

(٢) ق: والفتحة.

(٣) أي كان الفتح أولى من الكسر لأجل الياء كما قالوا: أين وكيف، ولزيادة الكسرة قبل الياء فزال الثقل. انظر البحر ٢: ٣٧٤.

الهمزة ألقيت حين[1] أسقطت للتخفيف وأوردَ أسئلةً وأجابَ عنها.

قال[2]: فإن قلت: كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درجِ الكلامِ فلا تثبت حركتها لأنَّ إثباتَ حركتها كثباتها؟ قلت: ليس بدرج لأنَّ «ميم» في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت، وإنما حُذفت تخفيفاً وأُلقيت حركتها على الساكن قبلها لتدلَّ عليها. ونظيره قولهم: واحد اثنان بإلقاء حركة الهمزة على الدال انتهى.

ليس هذا الجواب بشيءٍ لأنه ادَّعى أنَّ الميمَ حين حرّكت موقوف عليها وأن ذلك ليس بدرج بل هو وقفٌ. وهذا خلافٌ لما أجمعتْ [عليه] العربُ والنحاة من أنه لا يُوقَفُ على متحركٍ ألبتة، سواء أكانت حركته إعرابية أم بنائيّة أم نقلية، أو لالتقاء الساكنين أو للحكاية أو للإتباع. فلا يجوز في ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ۝١﴾ [المؤمنون] إذا حذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى دال قد، أن تقف على دال قد بالفتحة[3] بل تسكنها قولاً واحداً. وأما قوله: ونظير ذلك قولهم: واحد اثنان بإلقاء حركة الهمزة على الدال، فإنَّ سيبويه ذكر أنهم يشمون آخر «واحد» لتمكّنه، ولم يَحْكِ الكسر لغة [فإذا صحَّ الكسر] فليس واحد[4] موقوفاً عليه كما زعم الزمخشري، ولا حركته حركة نقل من همزة الوصل، ولكنه موصول بقولهم «اثنان» فالتقى ساكنان دال «واحد» وثاء «اثنين» فكسرت الدال لالتقائهما[5]، وحُذفت الهمزة لأنها لا تثبتُ وصلاً.

---

(١) ق: حتى.

(٢) الكشاف ١ : ٤١٠.

(٣) ق: بل لفتحة.

(٤) ق: أحد.

(٥) ق: لالتقائها.

وأما الذي استدل به الفراء من قولهم: ثلاثة أربعة بإلقاء حركة[1] الهمزة على الهاء، فلا دلالةَ فيه، لأنَّ همزة «أربعة» همزة قطعٍ في حال الوصل بما قبلها وابتدائها. وليس كذلك همزة الوصل نحو ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۝١٥﴾ [آل عمران]. وأيضاً فقولهم «ثلاثة أربعة» بالنقل ليس فيه وقف على ثلاثة، إذْ لو وقف عليها لم تكن تقبل الحركة، ولكن أقرّت في الوصل اعتباراً بما آلتْ إليه في حالٍ ما لا أنها موقوف عليها.

قال الزمخشري[2]: فإنْ قلت: هَلاَّ زعمت أنها حُرِّكت لالتقاء الساكنين؟ [قلت: لأنَّ التقاء الساكنين] لا يُبالى به في باب الوقف، وذلك قولك: هذا إبراهيم وداود وإسحاق، ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريكَ لحُرِّكَ الميمان في «ألَم» لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر انتهى. هذا السؤال وجوابه صحيحان. لكن الذي قال إن الحركة هي لالتقاء الساكنين لا يتوهم أنه أراد التقاء الياء والميم من «ألَم» في الوقف، وإنما عنى التقاء الساكنين اللذين هما ميم الأخيرة ولام التعريف، كالتقاء نون «مَنْ» ولام «الرجل» إذا قلت: مَن الرجل.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في «ميم» لأنهم أرادوا الوقفَ وأمكنهم النطق بساكنين فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا - قلت: الدليلُ على أنَّ الحركةَ ليست لملاقاة الساكنِ[4] أنهم كان يمكنهم أن يقولوا: واحد اثنان بسكون الدال مع طرح

(١) مكررة في ق.

(٢) الكشاف ١ : ٤١٠.

(٣) الكشاف ١ : ٤١٠.

(٤) ق: الساكنين.

الهمزة فجمعوا بين ساكنين كما قالوا: أصيم[١] ومديق، فلما حرّكوا الدّال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين انتهى.

في سؤاله تعمية في قوله: فإن قلت إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين، ويعني بالساكنين الياء والميم [في «ميم»] وحينئذ يجيء التعليل بقوله: لأنهم أرادوا الوقفَ وأمكنهم النطق بساكنين، يعني الياء والميم، ثم قال: فإذا جاء ساكن ثالث، يعني لام التعريف، لم يمكن إلا التحريك، يعني في الميم، فحرّكوا، يعني الميم لالتقائها[٢] ساكنة مع لام التعريف، إذْ لو لم يحركوا لاجتمع ثلاث سواكن وهو لا يمكن. هذا شرح سؤاله.

وأما الجواب عن سؤاله فلا يطابق لأنه استدل على أن الحركة ليست [٧٣/أ] لملاقاة ساكن بإمكانية الجمع بين ساكنين في قولهم: واحد اثنان بأن يسكنوا الدال والثاء ساكنة وتسقط الهمزة، فَعَدَلُوا عن هذا الإمكانِ إلى نقلِ حركة الهمزة إلى الدال، وهذه مكابرةٌ في المحسوس [إذ] لا يمكن ذلك أصلاً ولا هو في قدرة البشرِ أنْ يجمعوا في النطق بين سكونِ الدال وسكونِ الثاء وطرح الهمزة. وأما قوله: فجمعوا بين ساكنين، فلا يمكن الجمع لما قلناه. وأما قوله: كما قالوا أصيم[٣] ومديق فهذا ممكنٌ كما هو في راد ومياد لأنه في ذلك التقاء ساكنين[٤] على حدِّهما المشروط في النحو فأمكن النطق

---

(١) ق: صميم.

(٢) ق: لالتقاء.

(٣) ق: صميم.

(٤) ق: ساكنان.

به، وليس مثل واحد اثنان لأنَّ الساكنَ الأول ليس[1] حرف علة، ولا الثاني مدغم فلا يمكن الجمع بينهما. وأما قوله: فلما حركوا الدالَ علم أنَّ حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين لما بني على انَّ الجمع بين الساكنين في: واحد اثنان ممكن، وحركة التقاء الساكنين إنما هي في باب ما لا يمكن أن يجتمعا فيه في اللفظ. ادعى أن حركة الدال الهمزة الساقطة لالتقاء الساكنين، وقد ذكرنا عدمَ إمكان ذلك فإنْ صحَّ كسر الدال كما نقل هذا الرجل فتكون حركتها لالتقاء الساكنين لا للنقل. وقد ردَّ قول الفراء واختيار الزمخشري إياه بأن قيل: لا يجوز أنْ تكونَ حركة الميم حركة الهمزة أُلقيتْ عليها لما في ذلك من الفساد والتدافع، وذلك أنَّ سكون آخر الميم إنما هو على نِيَّةِ الوقف عليها، وإلقاء حركة الهمزة عليها إنما هو على نية الوصل، ونية الوصل توجب حذف الهمزة، ونية الوقف على ما قبلها توجب ثباتها، وثباتها وقطعها متناقض وهو ردٌّ صحيح.

والذي تَحرَّرَ في هذه الكلمات أنَّ العربَ متى سردت أسماء[2] من غير تركيبٍ ما، كانت تلك الأسماء مسكنة الآخر وصلاً[3] ووقفاً، فلو التقى آخر مسكن منها بساكن[4] آخر حرّك لالتقاء الساكنين، فهذه الحركة التي في «آلم» هي حركة التقاء الساكنين.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ كلام مبتدأ جملة رادّة على نصارى نجران. فالجلالة مبتدأ خبره ما بعده. وقرىء: القيَّام والقيّم.

---

(١) مكررة في ق.

(٢) ق: متى سودت اسماً.

(٣) ق: ووصلاً.

(٤) ق: لساكن.

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ خاطبَ المُنَزَّلَ عليه تشريفاً له[١]، ولم يذكر المنزل عليه التوراة والإنجيل. والباء في ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ للسبب أو للحال. ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من الكتب الإلهية. و«نزّل» استئناف إخبار، ومَنْ أجاز تَعداد الأخبار أجازَ أنْ يكون خبراً بعد خبر. و«مصدقاً» حال مؤكدة لازمة. و«ما بين يديه» المتقدم في الزمان، يقال: هو بين يديه إذا كان قدَّامه غير بعيد.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ قال الزمخشري[٢]: التوراةُ والإنجيلُ اسمان أعجميان، وتكلُّفُ اشتقاقهما من الورى والنّجل ووزنهما[٣] بتفعلة وإفعيل إنما يصحُّ بعد كونهما عربيين انتهى. ونقول[٤] إنهما اسمان عبرانيّان فلا يدخلهما اشتقاقٌ عربيٌّ بنصِّ النحاة. ثم تكلَّمُوا فيهما على تقدير أنهما عربيان؛ فالتوراةُ فوعلة والتاء بدل من واو، أو تفعِلة بكسرِ عين الكلمةِ قلبت الياء ألفاً وانفتح ما قبلها كالناصاة في الناصية، أو تفعَلة بفتح العين أقوال. واشتقاقها من مصدر: وري الزند أو مصدر وريت. والإنجيلُ إفعيل من النجل وهو الماء الذي ينزُّ من الأرض، أو من النجل وهو الولد، أو من النجل وهو الأصل أقوال. ونزَّلَ وأنزلَ بمعنى.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إنزال الكتاب عليك. و﴿ هُدًى ﴾ مصدر في موضع الحال، أو مفعول من أجله. ولا يلزم وقوعُ الهداية بالفعلِ لجميعِ الناس.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ جنس الكتب السماوية لأنها تفرق بين الحق والباطل، أو

---

(١) ق: بشيء بدا له.

(٢) الكشاف ١: ٤١٠.

(٣) ق: وزنهما.

(٤) ق: وتقول.

القرآن. وكرر بما فيه من الوصف تعظيماً[١] لشأنه، وهو مصدر في الأصل، فالظاهر أنه أُريدَ به الفارق، ويجوز أنْ يراد به المفروق كما قال ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ ۝١٠٦﴾ [الإسراء]. ولما ذكر إنزالَ الكتبِ الإلهية توعَّد مَنْ كفر بها [بقوله] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الدنيا بالقتلِ والأسرِ والغلبة، وفي الآخرةِ بالنارِ. و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عام يدخلُ فيه مَنْ نزلت الآيات بسببه وغيره. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالبٌ ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ أي: ذو عقوبة وسطوة على الكافر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾.

ولما ذكر تعالى انفرادَهُ بالألوهية [٧٣/ب] وذكر الحياة والقيّومية وإنزالَ[٢] الكتب وإعدادَ العذابِ للكافر، ذكرَ صِفةَ العلم فقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ وشيء: نكرة يعمُّ ويشملُ الجزئيات والكليات. وذكر مقرَّ الشيء وهو: في الأرض والسماء، إذْ هُما أعظم ما نشاهده.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ أي: على ما يشاء من الهيئات. ودلَّ على كمالِ العلم [والقدرة]، ودلَّ على كينونةِ[٣] عيسى عليه السلام من الذين صوّرهم في الأرحام، فانتفت عنه الإلهيّة. وفيه ردٌّ على الطبيعيين إذْ يجعلون الطبيعةَ فاعلةً مستبدة. ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مفعول «يشاء» محذوف. و«كيف» جزاء وفِعْلُ الشرطِ محذوفٌ والتقدير: على أيِّ هيئةٍ شاء أنْ يُصوِّركم صَوَّركم. و«كيف» منصوب على الحال. وحذف «صوّركم» هنا

(١) ق: وتعظيماً.

(٢) ق: وأنزل.

(٣) عبارة ق: ودلّ ذلك على كينون.

كحذف الجزاء في نحو: أنتَ ظالمٌ إنْ فعلتَ، أي: إن فعلت فأنت ظالم. ولا محلّ للجملة في مثل هذا وإنْ كان لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى. وتفكيكُ مثل هذا التركيب لا يُهتدى إليه إلا بعد تَمرُّنٍ في الإعراب واستحضارٍ للطائفِ النحو. وقد خبطوا في إعرابِ هذه الجملة بما ذكرناه في «البحر»[1].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تأكيدٌ لما قبلها من الانفرادِ بالإلهيةِ والغلبة والحكمة. وفي ذكر «الحكيم» إشارةٌ إلى التصوير ووضع الأشياء على ما اقتضت الحكمة.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾.

ولما كان أولئك الوفد قد ذكروا لرسولِ[2] الله ﷺ أن في كتابه ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴿١٧١﴾﴾ [النساء] أي: في حَقِّ عيسى عليه السلام، أخبر تعالى أنَّ آياتِ الكتاب محكمةٌ ومتشابهة. والمُحْكَمُ ما لم يتشابه كآياتِ الحلالِ والحرام ولا يحتملُ إلا وجهاً واحداً. والمتشابهُ ما احتملَ من التأويلِ وجوهاً. ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: الأصل الذي يُرجع إليه. ﴿وَأُخَرُ﴾ أي: وآيات أخر غير تلك

---

(١) انظر ٢: ٣٨٠.

(٢) ق: الرسول.

متشابهات. وقد اختلف المفسرون في المحكم والمتشابه اختلافاً كثيراً. وارتفع «آيات» على الفاعلية إذ المجرور معتمد، أو على الابتداء.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي: ميلٌ عن الحقِّ كالنصارى واليهود ومَنْ حَرَّفَ كلامَ اللهِ ممّن ينتمي إلى ملّةِ الإسلام كالإباحيةِ والقائلينَ بالتناسخِ وعلمِ الحروفِ والمُجسِّمة وغُلاة الباطنية والقائلينَ بالحلول[1] والوحدة من المتظاهرين بذلك في كتبهم، وكلّ من زاغ عن الحق بالتعلق بشيءٍ من المتشابهات. وعلّل ابتغاء أهلِ الزّيغ المتشابه بعلّتين إحداهما: ابتغاء الفتنة أي فتنة أهل الإسلام بالاضطراب والثانية: ابتغاء التأويل وكلاهما مذموم. ثم ذكر أنَّ تأويلَ المتشابه لا يعلَمُه إلا الله، وهذا هو الظاهرُ من قوله.

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ ابتداء كلام وخبره قوله ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾. ومن عطف «والراسخون» على الجلالة فجعلهم يعلمون التأويلَ فليس بظاهرٍ، وعلى قولهم يكون «يقولون» جملة في موضع الحال من الراسخين، والضمير في قوله «به» عائد في الظاهرِ على التأويل، ويجوز أنْ يعود على الكتابِ مُحْكَمِه ومُتَشَابِهِه، لأنَّ الإيمان بهما حاصل.

وقوله ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ أي: كُلٌّ من المحكم والمتشابه. ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ أي: ما يتّعظ بالمحكم والمتشابه إلا ذَوُو العقولِ الناظرون في وجوه التأويلات والاحتمالات، والحاملون[2] ذلك على ما اقتضاه لسانُ العرب من الحقيقةِ والمجازِ والنظر فيما يجوزُ وما يجبُ وما يستحيل. وانتصاب «ربنا» على النداء، فجاز أنْ يكونَ من قولِ الراسخين، وجازَ أنْ يكون من إضمار

(١) ق: بالحول.

(٢) ق: الناظرين. . والحاملين.

[قولوا] ربنا.

وقوله: ﴿لَا تُزِغْ [قُلُوبَنَا]﴾ أي: لا تجعلنا من الذين في قلوبهم زيغٌ[١] بعد إذْ هديتنا. وأضاف «بعد» إلى إذ وإذ إلى الجملة بعدها، والمعنى: بعدَ وقتِ هدايتكَ إيَّانا. وختم بقوله ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ إشعاراً[٢] بأنَّ جميعَ ما يحصلُ من الخيرات هو هبةٌ من الله لهم. وجاء بصيغة[٣] المبالغة ليدلَّ على كثرةِ هباته، وناسب الفواصل [في قوله] قبلُ «الألباب». وقرىء: لا تَزِغ قلوبنا مبنياً للفاعل بتاء المضارعة ويائها.

لما سألوه تعالى أنْ لا يزيغَ [٧٤/أ] قلوبَهم بعد الهدايةِ وكانت ثمرة [انتفاء] الزيغ والهداية إنما تظهرُ في يوم القيامة، أخبروا أنهم موقنون بيوم القيامة والبعث فيه للمجازاة، وأنَّ اعتقادَ صحة الوعدِ به هو الذي حملهم على سؤالِ أنْ لا تزيغَ قلوبُهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ عَدَلَ عن ضميرِ الخطابِ إلى الاسم الظاهر وهو الله، ولم يأتِ بالتركيب: إنك لا تُخلف، دلالة على الاستئناف وأنه من كلامِ الله تعالى لا من كلامِ الراسخين. وقد يكون قوله «إن الله» من بابِ الالتفاتِ عَدَلُوا من الخطاب إلى الغيبة لما في ذِكْرِه باسمِه الأعظم من التفخيمِ والتعظيمِ والهيبة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ

(١) ق: في قلوبهم مرض زيغ.

(٢) ق: إشعار.

(٣) ق: بصفة.

وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عام في الكفار من وفد نجران وغيرهم. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذاب الله، وكانوا يَتكثَّرُونَ بأموالِهم وأولادهم. ثم ذكر مآلَهم في قوله ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ جعلهم كالوقودِ الذي تُضرمُ به النارُ. قال الزمخشري[١]: «من الله شيئاً» مثله في قوله ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم] والمعنى: لن تغنيَ عنهم من رحمةِ الله أو من طاعةِ الله شيئاً، أي بدل رحمة الله وطاعته وبدل الحق، ومنه: «ولا ينفع ذا الجَدّ منك الجَدُّ»[٢] أي: لا ينفعه جدُّه وحَظُّه[٣] من الدنيا بدلك أي: بدلَ طاعتكَ وعبادتكَ وما عندكَ. وفي معناه قوله تعالى ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ] انتهى. إثبات البدلية «بمِن» فيه خلاف: أصحابُنا[٤] يُنكِرُونَهُ وغيرهم قد أثبته وزعم أنها تأتي بمعنى البدل واستدل بقوله تعالى ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة] ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً ﴿٦٠﴾﴾ [الزخرف] أي: بدل الآخرة وبدلكم، وقال الشاعر[٥]: [من الكامل]

أخذ المخاض من الفصيل غُلُبَّةً ظُلماً ويُكتب للأمير أفيلا

(١) الكشاف ١: ٤١٤.

(٢) صحيح مسلم ١: ٣٤٣.

(٣) ق: وحفظه.

(٤) ق: لأصحابنا.

(٥) البيت للراعي في ديوانه ص١٤٢. والأفيل من الإبل: الصغير، والجمع إفال. والبيت في وصف عامل الزكاة بالجور.

أي: بدل الفصيل. وانتصاب «شيئاً» على المصدر أي شيئاً من الإغناء. وقرىء: لن تغني بسكون الياء وهي لغة[١] كثيرة في الشعر. وقرىء: لن يغني[٢]. وانتقل من الأموالِ إلى الأولاد لأنَّ الأولادَ بهم التناصرُ والكثرةُ والعزة. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ معطوفٌ على خبر «إنَّ» وهو «لن تغني»، أو مستأنف. وقرىء: وُقود بضم الواو مصدر[٣] وقد يقد، وقد نقل أن الوَقود بفتح الواو مصدر كالوُقود بضمِّها.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: كدأبِ الكفارِ المتقدم ذكرهم في مآلهم إلى النار مثل مآلِ آلِ فرعون إلى النار، فهو خبر مبتدأ محذوف أي: دأبُهم كدأبِ آل فرعون والمكذبين. ونصَّ على آلِ فرعونَ لعظم مرتكبه في دعوى الإلهيّة ولمعرفةِ بني إسرائيلَ بما جَرى له. ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ كأمةِ شُعيب وصالح وهود ونوح. ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ تفسيرٌ لدأبهم كتكذيبِ[٤] كُفَّارِ معاصري رسولِ الله ﷺ. ويقال دأب ودأب ومعناه العادة.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم مُعَاصِرُو رسولِ الله ﷺ. وفي سببِ نزولها اختلافٌ؛ قيل إنَّ يهودَ بني قينقاع قالوا بعد وقعةِ بدر إنَّ قريشاً كانوا أغماراً، ولو حاربتنا لرأتْ رجالاً!. وناسب ما سبق من الوعدِ الصادقِ في قوله تعالى فيما آلَ إليه الكفارُ السابق ذِكْرُهم[٥] في أخذِ الله إياهم ومآلهم إلى النار، هذا

(١) ق: لغية.

(٢) ق: تغني.

(٣) ق: ومصدر.

(٤) ق: تكذيب.

(٥) ق: ذكر.

الوعد الصادق[١] في قوله ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾. وقرىء بالتاء والياء فيهما. والمخصوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ أي: وبئس المِهادُ جهنم.

والخطابُ في قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ للمؤمنين. والآيةُ: العلامةُ التي قد ظهرت في وقعة بدر وهي غَلَبَةُ المؤمنين الكافرين حَسْبَ الوعدِ السابقِ[٢] في قوله «ستغلبون». والفئةُ: الجماعة من فاءَ يَفيءُ أي: رجع. و﴿ٱلْتَقَتَا﴾ جملة في موضع الصفة للفئتين. ثم فصل الفئتين في قوله ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. وصحَّ الابتداءُ [بالنكرة] لأنه في موضع تفصيل. وثَمّ صفة محذوفة تقديرها[٣]: [فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله. ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ معطوف على «فئة» وثَمَّ صفة محذوفة تقديرها]: وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت، كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ [٧٤/ ب] وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴿٧٦﴾﴾ [النساء] فحذف من الجملة الأولى ما أثبت مقابله في الجملة الثانية، ومن الثانية ما أثبت مقابله في الأولى.

وقرىء: فئةٍ بالجرِّ على البدل من «فئتين» وهو بدل تفصيل. وقرىء: فئةً بالنصب على المدح أي: أمدح فئة، وأخرى كافرةً بالنصب على الذم أي: وأذمُّ أخرى[٤]. وزعم الزمخشريُّ[٥] أنَّ نصب «فئة» على الاختصاص [وليس بجيد لأنَّ المنصوبَ على الاختصاص] لا يكونُ نكرةً ولا مبهماً. وأجاز هو وغيره قبله كالزجاج أن ينتصب «فئة» على الحال من الضمير،

---

(١) ق: السابق.

(٢) ط: الصادق.

(٣) ق: تقديره.

(٤) ق: وأذم أي أخرى.

(٥) الكشاف ١: ٤١٥.

وهي(1) حال موطّئة. وقرىء: يقاتل بالياء على تذكير الفئة لأنه معناها(2).

وقرىء: يرونهم بالتاء وبالياء مفتوحتين ومضمومتين، وضمير الواو للمؤمنين وضمير النصب للكافرين، وكذلك ضمير الجر في «مثليهم» أي: يرى المؤمنون الكافرين(3) مثلي الكافرين، فالمؤمنون أقل من الكافرين ومع ذلك وقع النصر كما قال تعالى ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة] ويدل على هذا قوله «والله يؤيد بنصره من يشاء». والرؤيةُ هنا من رؤية البصر يدل عليه قوله «رأي العين». والتأييدُ: التقوية، وكان المسلمون في وقعة بدر ثلاث مئة وثلاثة عشر والكفار(4) نحو الألف. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في تلك الآية من غلبةِ المؤمنينَ على قِلَّتهم الكافرينَ على كثرتهم. ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي: لاتّعاظاً. و«الأبصار» قد يكونُ من بَصَرِ العين أو من بصيرةِ القلب. ومفعول «يشاء» محذوف أي: من يشاء نصره.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) ق: وهو.

(٢) ط: لأن معناها القوم.

(٣) ق: للكافرين.

(٤) ق: الكفار.

وقُرىء: زَيَّنَ مبنياً للفاعل وهو عائد على الله تعالى. ذكر تعالى ما جبل عليه طباع الناس من حُبِّ الدنيا وما فيها من متاعها. وأضاف «حب» وهو مصدر إلى المفعول وهو «الشهوات»، والفاعلُ محذوفٌ أي: حبّهم للشهوات. والشهوةُ مُسترذلةٌ يُذَمُّ مُتَّبِعُهَا، و«الشهوات» عامةٌ بُيِّنَتْ بما بعدها فَبُدِىءَ بالنساء ولا شيء أعظم منهن في الشهوة ثم بما يتولَّد منهن وهم البنون ثم بما يتم به حال المشتهى من الذهب والفضة ثم بالخيل لأنَّ فيها عزّة وقدرة على الامتناع، ثم بالأنعام لأنها كانت أكثر مراكِبهم وأكثر مشروبهم منها، ثم بالحرثِ إذ فيه تحصيلُ أقواتهم. والقِنطارُ مُختلَفٌ في عدده والظاهر المبالغة فيما يملكهُ الإنسانُ من العينين. و«المقنطرة» صفة للقناطير ويُرادُ به الكثرة. وجاء هذا الترتيب في أحسن أسلوب من تعلّق النفس بما ذكر. والإشارة بقوله «ذلك» إلى ما تقدم ذِكْرُه من المحبوبات. و«متاع» أي: ما يتمتع به ثم يزول[١]. و«المآب»: المرجعُ وهو الجنةُ للمؤمنين.

﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ أي: بخيرٍ مما تقدمَ ذِكْرُه من متاعِ الدنيا لأنَّ ذلك فانٍ وهذا باقٍ. لَمَّا أَبْهَمَ في قوله «بخير من ذلكم» عَيَّنَ جهةَ الخيرية بقوله ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ ﴾. وقرىء بخفض: جنات فجاز أنْ يكونَ بدلاً من قوله «بخير» ويكون قوله [«للذين»] متعلقاً بقوله «بخير» فلا يكون استئناف كلام بخلاف رفع «جنات» فإنه مبتدأ و«للذين» خبره، والكلام مستأنف جواب كلام مقدر كأنه قيل: ما الخير؟ فقيل: لِلَّذين اتَّقَوْا عند ربّهم[٢] جنات. ونبّأ هنا تَعدَّتْ إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بحرف

(١) عبارة ق: أي يمتع بها ثم تزول.

(٢) «عند ربهم» كتبت في الحاشية.

الجر، وبدأ بمقرٍّ المتقين وهي الجنات، وذكر من صِفاتها أنها تجري من تحتها الأنهار، ثم بدأ بالأزواجِ اللاتي هُنَّ من أعظم الشهوات، إذ ذكرَ في الآية قبلها حُبَّ الشهوات من النساء، ووصفهن بالتطهير من دمِ الحيضِ وغيره، وأتبع ذلك بأعظمِ الأشياء وهو رضى الله تعالى عنهم، فانتقل من عالٍ إلى أعلى منه[1]. و«بصير بالعباد» أي: مُطَّلع على أعمالهم فيجازي كلاًّ بعمله.

ولما ذكر المتقين ذكرَ شيئاً من صفاتهم فبدأ بالإيمانِ الذي هو رأس التقوى ورَتَّبَ سؤالَ المغفرةِ عليه والوقاية من النار. ولمّا ذكر الإيمان بالقول أخبر بالوصف الدَّال على حبسِ النفس على ما هو شاقٌّ عليها من التكاليف وهو الصبر[2]. ثم ذكر صِدْقهم فيما أخبروا به من قولهم «ربنا إننا آمنا». وتقدم ذكر القنوت. وقوله «والمنفقين» أموالَهم في الطاعات «والمستغفرين» اللهَ لذنوبِهم في الأسحار، وهي أوقاتُ الإجابة. ألا ترى إلى قوله تعالى[3]: مَنْ يدعوني [٧٥/أ] فأستجيب له في حديث النزول. وقال الزمخشري[4] والواو المتوسطة بين الصفات للدلالةِ على كمالهم في كُلِّ واحدة منها انتهى. ولا نعلم العطف في الصفة بالواو يدل على الكمال!.

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ

---

(١) بعده في ق: وهو رضى الله تعالى.

(٢) ق: البصر.

(٣) لم أجده بنصّه وانظر في معناه رياض الصالحين ص٣٠٧، ٣١٩.

(٤) الكشاف ١: ٤١٧.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ الآية. سبب نزولها أنَّ حَبْرين من الشام قَدِمَا المدينةَ فقال أحدهما للآخر: ما أشبه هذه بمدينة النبيِّ الخارج في آخرِ الزمان، ثم عرفا رسولَ الله ﷺ بالنعت فقالا: أنتَ محمد؟ قال: نعم. قالا: أنت أحمد؟ فقال: نعم. فقالا: نسألكَ عن شهادةٍ إنْ أخبرتنا بها آمَنَّا. فقال: سَلَاني. فقال أحدهما: أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتابِ الله فنزلت فأسلما. و«شهد» هنا بمعنى أَعْلَمَ بانفرادهِ بالوحدانية وعطف عليه الملائكة وهم من العالم العلوي ثم أُولي العلم ويشمل الملائكة وغيرهم من الثقلين. وانتصبَ «قائماً» على الحالِ من الله وحده. قال الزمخشري[1]: وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه، أي: من الله، كقوله ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴿٩١﴾﴾ [البقرة] انتهى. ليس هذا من الحال المؤكدة لأنه ليس من باب ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم] ولا من باب: أنا عبد الله شجاعاً، فليس «قائماً بالقسط» بمعنى «شهد» وليس مؤكداً مضمونَ الجملة السابقة في نحو: أنا عبد الله شجاعاً وهو زيد شجاعاً، وفي كونه حالاً من اسم الله قلق في التركيب إذْ يصير كقولك: أكل زيد طعاماً وعائشة وفاطمة جائعاً[2]، فتفصل بين المعطوف عليه والمعطوف بالمفعول، وبين الحال وذي الحال بالمفعول والمعطوف، لكن بمشيئة[3] كونها كلها معمولة لعاملٍ واحد.

(١) الكشاف ١ : ٤١٧.

(٢) ق: جاء معاً.

(٣) ق: يمشيه.

وقال الزمخشري: فإنْ قلت: قد جعلته حالاً من فاعل «شهد» فهل يصح أنْ ينتصبَ حالاً عن «هو» في «لا إله إلا هو»؟ قلت: نعم لأنها حالٌ مؤكدة، والحالُ المؤكدة لا تستدعي أنْ يكونَ في الجملة التي [هي] زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك: أنا عبد الله شجاعاً انتهى. يعني أنَّ الحالَ المؤكدة لا يكون العامل فيها النصب شيئاً من الجملة السابقة، وإنما تنتصب بعامل مُضْمَر تقديره: أحق أو نحوه مُضمراً بعد الجملة، وهذا قولُ الجمهور. والحال المؤكدة لمضمون الجملة هي الدالةُ على معنى ملازم للمسند إليه الحكم أو شبيه بالملازم، فإنْ كان المتكلمُ بالجملة مُخْبِراً عن نفسه فيقدر الفعل «أحق» مبنياً للمفعول نحو: أنا عبدالله شجاعاً أي: أحق شجاعاً، وإنْ كان مُخْبِراً عن غيره نحو: هو زيد شجاعاً فتقديره: أحقه شجاعاً.

وذهب الزجاج إلى أنَّ العاملَ في هذه الحال هو الخبر بما ضُمِّنَ من معنى المسمّى. وذهب ابن خروف إلى أنه المبتدأ بما ضُمِّنَ من معنى التنبيه. وجعله بعضهم حالاً من الجميع على اعتبار كل واحد واحد. ورُدَّ بأنه لو جاز ذلك لجاز: جاء القوم راكباً أي: كُلُّ واحدٍ منهم، وهذا لا تقولهُ العربُ.

ومعنى «بالقسط» بالعدل، و«أنه لا إله إلا هو» مفعول «شهد» وفصل به بين المعطوف عليه والمعطوف ليدل على الاعتناء بذكر المفعول وليدل على [تفاوتِ] درجةِ المتعاطفين بحيث لا ينسقان متجاورين[١]. وقرىء: شُهد مبنياً للمفعول، والمصدر المنسبك من «أنَّ» وما بعدها بدلٌ من لفظِ الجلالة أي: شُهد انفرادُه بالألوهية. وارتفع «والملائكة» على إضمار فِعْل أي: وشهد الملائكة، أو على الابتداء والخبر محذوف تقديره: والملائكة وأولو

---

(١) ق: متجاوزين.

العلم يشهدون.

وقرىء: شهداءَ[١] الله جمعاً منصوباً مُضافاً إلى الله تعالى، وجوّز أنْ يكون حالاً من «المستغفرين»[٢] أو على المدح وهو جمع شهيد أو شاهد. وقرىء: شهداءُ الله بالرفع على إضمار مبتدأ [محذوف] أي: هم شهداء[٣]. [وقرىء: شُهُداً] اللهَ بضم الشين والهاء ونصب الدال منوناً ونصب «الله». وقرىء: شُهد بضم الدال وبفتحها مضافاً لاسمِ الله، فالرفع على خبر مبتدأ أي: هم شُهُدُ الله، والنصب على الحال، وهو جمع شهيد كنذير[٤] ونذر. وقرىء: شُهُدٌ لله[٥] بضم الدال ونصبها وبلام الجر، ووجه رفع «الملائكة» في هاتين القراءتين بالعطف على الضمير المستكن في «شهداء».

وتقدم[٦] توجيه رفع «الملائكة» على إضمار الفعل أو على إضمار [٧٥/ب] الخبر. وقرىء: إنه بكسر الهمزة. وقرىء: أنْ لا إله بحذف الضمير، وخُرِّجَ نَصْب «قائماً» على أنه حال من «هو» أو صفة للمنفي[٧]، وهو بعيدٌ جداً، أو من الجميع على اعتبار كل واحد واحد، وهو أبعدُ مما قبله. وأجاز الزمخشري انتصاب «قائماً» على المدح وقال[٨]: فإن قلت:

---

(١) ق: شهد.

(٢) الآية السابقة.

(٣) ق: شهد.

(٤) ق: أي كنذير.

(٥) ق: الله.

(٦) ق: أو تقدم.

(٧) ق: من المنفي.

(٨) الكشاف ١: ٤١٧.

أليس من حق المنتصب على المدح أنْ يكون معرفةً كقولك: الحمد لله الحميد، «إنَّا معشرَ الأنبياء لا نورث»[1]،

إنا بني نهشل لا ندّعي لأب[2] [من البسيط]

قلت: قد جاء نكرة في قول الهذلي[3]: [من المتقارب]

ونـاوي إلـى نسـوةٍ عُطَّـلٍ وشعثاً مراضيعَ مِثْلَ السّعالي

انتهى سؤاله وجوابه. وفي ذلك تخليطٌ وذلك أنه لم يفرق بين المنصوبِ على المدح أو الذم أو الترحُّم، وبين المنصوبِ على الاختصاص وجعل حكمها واحداً وأورد مثالاً من المنصوب على المدح وهو: الحمد لله الحميد، ومثالين من المنصوب على الاختصاص وهما: إنا معشر الأنبياء لا نورث،

إنّا بني نهشل لا ندّعي لأب

والذي ذكره النحويون أنَّ المنصوبَ على المدح أو الذم أو الترحُّم قد يكونُ معرفةً وقبله معرفة يصلح أنْ يكون تابعاً لها وقد لا يصلح، وقد يكون نكرةً كذلك، وقد يكون نكرة وقبلها معرفة فلا يصلح أنْ يكونَ نعتاً لها نحو

---

(١) في صحيح الجامع الصغير ٦: ٣٧ «النبي لا يورث».

(٢) البيت لبشامة بن حزن النهشلي في شرح حماسة المرزوقي ١: ١٠٢، وعجزه:

عنه ولا هو بالآباء يشرينا

(٣) أصل عبارة الكشاف ١: ٤١٧: قد جاء نكرة كما جاء معرفة وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي. والبيت لأمية بن أبي عائذ، شرح ديوان الهذليين ٢: ٥٠٧، وانظر الكتاب ١: ٣٩٩.

قول النابغة[١]: [من الطويل]

أقارِعُ عوفٍ لا أُحاول غيرها وجوهُ قرودٍ تبتغي مَنْ تُجادع

فانتصب «وجوه قرود» على الذم وقبله معرفة وهو قوله «أقارع عوف».

وأما المنصوب على الاختصاص فَنَصُّوا على أنه لا يكون نكرةً ولا مُبْهَماً ولا يكون إلا مُعَرَّفاً بالألفِ واللام أو بالإضافة أو بالعلمية أو بأي، ولا يكون إلا بعد ضمير متكلم مختصّ به أو مشارك فيه، وربما أتى بعد ضمير مخاطب. وأما انتصابه على أنه صفة للمنفي فقال الزمخشري[٢]: فإن قلت: هل يجوز أن يكون صفة للمنفي كأنه قيل: لا إله قائماً بالقسطِ إلا هو؟ قلت: لا يبعدُ، فقد رأيناهم يتَّسعون في الفصلِ بين الصفةِ والموصوف. ثم قال: وهو أوجه من انتصابه عن فاعل «شهد» وكذلك انتصابه على المدح انتهى.

وكان قد مثّل في الفصل بين الصفة والموصوف بقوله: لا رجل إلا عبدالله شجاعاً. ويعني أن انتصاب[٣] «قائماً» على أنه صفة لقوله «إله»، وكونه[٤] انتصب على المدح أوجه من انتصابه على الحال من فاعل «شهد» وهو «الله». وهذا الذي ذكره لا يجوز لأنه فصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهو المعطوفان اللذان هما «والملائكة وأولو العلم» وليسا معمولين لشيءٍ من جملة «لا إله إلا هو» بل هما معمولان لـ«شهد» وهو نظير: عرف

(١) ديوانه ص٥٠. وفي ق: تخادع.

(٢) الكشاف ١ : ٤١٧.

(٣) ق: انتصابه.

(٤) ق: أو لكونه.

زيد أن هنداً خارجة وعمرو وجعفر التميمية، فتفصل بين هند والتميمية بأجنبي ليس داخلاً في حَيِّز ما عمل فيها وفي خبره وهما عمرو[1] وجعفر المرفوعان «يعرف» المعطوفان على «زيد». وأما المثال الذي مثّل به وهو: لا رجل إلا عبدالله شجاعاً فليس نظير تخريجه في الآية، لأن قولك: إلا عبدالله بدل على الموضع من «لا رجل» فهو تابع على الموضع فليس بأجنبي. على أنَّ في جواز هذا التركيب نظراً لأنه بدل «وشجاعا»[2] وصف.

والقاعدةُ أنه إذا اجتمع البدلُ والوصفُ قُدِّمَ الوصفُ على البدل، وسبب ذلك أنه على نية تكرار العامل على المذهب الصحيح فصار من جملة أخرى على هذا المذهب. وأما انتصابه على القطع فلا يجيء إلا على مذهبِ الكوفيين وقد أبطله البصريون. والأوْلى من هذه الأقوالِ كُلِّها أن يكون منصوباً على الحال من اسم الله والعامل فيه «شهد» وهو قول الجمهور. وأما قراءة عبدالله: القائم بالقسط فَرَفْعُه على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو القائم بالقسط. وقال الزمخشري[3] وغيره إنه بدل من «هو». ولا يجوز ذلك لأن فيه فصلاً بين البدل والمبدل منه بأجنبيٍ وهو المعطوفان لأنهما معمولان لغيرِ العاملِ في المبدل منه. ولو كان العامل في المعطوف هو [٧٦/أ] العامل في المبدل منه لم يجز ذلك أيضاً لأنه إذا اجتمع العطف والبدل قدّم البدل على العطف لو قلت: جاء زيد وعائشة أخوك لم يجز، إنما الكلام: جاء زيد أخوك وعائشة.

---

(١) ق: وعمرو.

(٢) ق: وشجاع.

(٣) الكشاف ١ : ٤١٧.

وقال الزمخشري[1]: فإن قلت: [لِمَ] جازَ إفرادُه بنصبِ الحال دون المعطوفين عليه، ولو قلت: جاءني زيد وعمرو راكباً لم يجز؟ قلت: إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء] إن انتصب «نافلة» حالاً عن «يعقوب»، ولو قلت: جاءني زيد وهند راكباً، جاز لتمييزه بالذكورة انتهى كلامه. وما ذكر من قوله في: جاءني زيد وعمرو راكباً أنه لا يجوز ليس كما ذكر، بل هذا جائزٌ لأنَّ الحالَ قَيْدٌ فيمن وقع منه أو به الفعل أو ما أشبهه، وإذا كان قيداً فإنه يُحملُ على أقربِ مذكورٍ ويكون «راكباً» حالاً مما يليه، ولا فرقَ في ذلك بين الحال والصفة. لو قلت: جاءني زيد وعمرو الطويل، لكان «الطويل» صفة لعمرو، ولا تقول: لا تجوز هذه المسألة لأنه يلبس، بل لا لبس في هذا وهو جائز فكذلك الحال.

وأما قوله في «نافلة» إنه انتصب حالاً عن «يعقوب» فلا يتعين أنْ يكون حالاً عن «يعقوب» إذ يحتمل أن يكون «نافلة» مصدراً كالعافية والعاقبة ومعناه زيادة فيكون ذلك شاملاً لإسحاق ويعقوب لأنهما زِيْدَا لإبراهيمَ بعد ابنِهِ إسماعيل وغيره، إذْ كان إنما جاء له إسحاق على الكبر وبعد أن عجزت سارة فأيست من الولادة. ولما ذكر شهادة الله والملائكة وأولي[2] العلم بانحصار الألوهية فيه تعالى، أخبر بتقرير ذلك بقوله «لا إلا إلا هو» وفيه ضربٌ من التأكيد لما سبق. ثم ذكر «العزيز» وهو الذي لا يُغَالَبُ أو الذي [هو] عديم النظير. و«الحكيم» هو الذي يضع الأشياء بحكمته مواضعها. وارتفع «العزيز» على إضمار: هو.

---

(١) الكشاف ١: ٤١٧.

(٢) ق: وأولو.

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ أي: إنَّ الشرعَ المقبولَ عند الله هو الإسلام أي: الانقياد لأمرِ الله تعالى ونهيه واعتقاد ما جاءتْ به الرُّسُلُ من صفاتِ الله تعالى والبعث والجزاء. وقرىء: أن الدين، ولهم في إعرابه اضطرابات، وقد اخترنا أنه متعلق بـ«الحكيم» وهي صفة مبالغة، ويكون على إضمارِ حرفِ الجر أي: الحاكم بأن الدين عند الله الإسلام. وأشبه ما قالوه أن يكون «أن الدين» بدل من قوله «أنه لا إله إلا هو»، وفيه بُعْدٌ لطولِ الفصلِ بين البدل والمبدل منه.

ولما شهد تعالى لنفسِه بالوحدانية وشهد له الملائكة وأولو العلم، حكم أنَّ الدين المقبول عنده هو الإسلام، فلا ينبغي لأحدٍ أنْ يعدل عنه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران]. وعدل عن صيغة الحاكم إلى[1] «الحكيم» لأجلِ المبالغةِ ولمناسبة «العزيز». ومعنى المبالغة تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع أنَّ الدين عنده هو الإسلام إذْ حكم في كل شريعة بذلك. وفي «البحر» الذي هذا «النهر» مُلَخَّصٌ منه ما نصُّه[2] «وأما قراءة الكسائي ومَنْ وافقه في نصب «أنه» «وأنّ»[3] فقال أبو علي الفارسي: إنْ شئت جعلته من بدل الشيء من الشيء وهو هو، ألا ترى أنَّ الدينَ الذي هو الإسلام يتضمنُ التوحيدَ والعدلَ وهو هو في المعنى، وإنْ شئت جعلته من بدل الاشتمال لأنَّ الإسلامَ يشتملُ على التوحيد والعدل، وإنْ شئت جعلته بدلاً من القسط لأن الدين الذي هو الإسلام قِسْطٌ وعدل فيكون أيضاً من بدل الشيء من الشيء وهما لعينٍ واحدة». انتهت تخريجاتُ الفارسي وهو معتزليٌّ

(١) ق: أي.

(٢) البحر المحيط ٢: ٤٠٧ وما بعدها.

(٣) في قوله «شهد الله أنه» وقوله «إنّ الدين عند الله الإسلام».

فلذلك يشتمل[١] كلامه على ألفاظِ المعتزلةِ من التوحيدِ والعدلِ، وعلى البدل من «أنه لا إله إلا هو» خرّجه غيره أيضاً. وليس بجيدٍ لأنه يؤدي إلى تركيبٍ بعيد أنْ يأتي مثله في كلام[٢] العرب وهو: عرف زيد أنه لا شجاع إلا هو وبنو تميم وبنو دارم ملاقياً للحروب لا شجاع إلا هو البطل المحامي، وأنَّ الخصلةَ الحميدة هي البسالة. وتقريب[٣] [٧٦/ب] هذا المثال: ضرب زيد عائشة والعمران حنقاً أختك. «فحنقاً»[٤] حالٌ من «زيد» و«أختك» بدل من «عائشة» ففصل بين البدل والمبدل منه بالعطفِ وهو لا يجوزُ، وبالحال لغير المبدل منه وهو لا يجوز لأنه فصلٌ بأجنبي بين المبدل منه والبدل. وخرّجه الطبريُّ على حذف حرف العطف والتقدير: وأنَّ الدين.

قال ابن عطية: وهذا ضعيف انتهى. ولم يبين وجه ضعفه. ووجه ضعفه أنه متنافرُ التركيبِ مع إضمار حرف العطف فيفصل بين المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب المفعول، وبين المتعاطفين المنصوبين بالمرفوع المشارك الفاعل في الفاعلية، وبجملتي الاعتراض، وصار في التركيب دون مراعاة الفصل نحو: أكل زيد خبزاً وعمروٌ سمكاً، وأصل التركيب: أكل زيد وعمرو خبزاً وسمكاً، فإنْ فصلنا[٥] بين قولك «وعمرو» وبين قولك «وسمكاً» شنع التركيب، وإضمار حرف العطف لا يجوز على الأصح. وقرأ ابن عباس: إنه بالكسر، أن الدين بالفتح، وخرّج على أن الدين عند الله هو

---

(١) ق: يشمل.

(٢) ق: الكلام.

(٣) مكررة في ق.

(٤) ق في الموضعين: خنقاً.

(٥) ق: فصلها.

معمول[1] «شهد». ويكونُ في الكلامِ اعتراضانِ أحدهما بين المعطوف عليه والمعطوف وهو «أنه[2] لا إله إلا هو» والثاني بين المعطوف والحال وبين المفعول لـ«شهد» وهو «لا إله هو العزيز الحكيم». وإذا أعربنا «العزيز» خبر مبتدأ محذوف كان ذلك ثلاثة[3] اعتراضات انتهى ما خرّجت عليه قراءة ابن عباس أيضاً. فانظر إلى هذه التوجيهاتِ البعيدة التي لا يقدر أحدٌ أنْ يأتي لها بنظيرٍ من كلامِ العرب وإنما حَملَ على ذلك العجمةُ وعدمُ الإمعانِ في تراكيبِ كلامِ العربِ وحفظ أشعارها.

وقد أشرنا في خطبة هذا الكتاب إلى أنه لن يكفي النحو وحده في علم الفصيح من كلام العرب بل لا بُدَّ من الاطلاع على كلامِ العربِ والتَّطَبُّع بطباعِها والاستكثار من ذلك. والذي خرّجت عليه قراءة: أن الدين بالفتح هو أنْ يكون الكلام في موضع المعمول «للحكيم» على إسقاطِ حرفِ الجر أي: بأنَّ، لأن «الحكيم» فعيل للمبالغة كالعليم والسميع والخبير كما قال تعالى ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود] وقال ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل]. والتقدير: لا إله إلا هو العزيز الحاكم أن الدين عند الله الإسلام.

ولما شهدَ تعالى لنفسِه بالوحدانية وشهدَ له بذلك الملائكةُ وأولو العلم، حكم أنَّ الدين المقبول عنده هو الإسلام فلا ينبغي لأحدٍ أنْ يعدل عنه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ۝٨٥﴾ [آل عمران]. فإن قلت: لِمَ حملت «الحكيم» على أنه محوّل من فاعل إلى فعيل للمبالغة، وهَلاَّ جعلته فعيلاً

---

(١) ق: محمول.

(٢) مكررة في ق.

(٣) ق: ثلاث.

بمعنى مُفْعِل فيكون معناه المُحكِم[١] كما قالوا في أليم إنه بمعنى مؤلم، وفي سميع من قول الشاعر[٢]: [من الوافر]

أمِن ريحانةَ الداعي السميعُ

أي: المسمع؟. فالجوابُ أنه لا نُسَلِّمُ أنَّ فعيلاً يأتي بمعنى مُفعِل، وقد يُؤوّل سميع وأليم على غير مُفعِل، ولئن سلَّمنا ذلك فهو من الندور والشذوذ بحيث لا ينقاس. وأما فعيل المحوّل من فاعل للمبالغة فهو منقاس كثير جداً خارج عن الحصر كعليم وسميع وقدير وخبير وحفيظ في ألفاظ لا تحصر.

وأيضاً فإن العربيَّ القحَّ الباقي على سليقته لم يفهم من حكيم إلا أنه محوّل للمبالغةِ من حاكم، ألا ترى أنه لما سمع قارئاً يقرأ: والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالاً من الله واللهُ غفورٌ رحيم، أنكرَ أنْ تكونَ فاصلةُ هذا التركيب السابقة «والله غفور رحيم» فقيل له: التلاوة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾ [المائدة] فقال: هكذا[٣] يكونُ، عَزَّ فَحَكَمَ. ففهم من «حكيم» أنه محوّل للمبالغة من حاكم، وفَهْم هذا العربي حجة قاطعة بما قلناه. وكذا نقول على قراءة ابن عباس ولا نجعل «أن الدين» معمولاً «لشهد» كما زعموا [وأنَّ] «أنه لا إله إلا هو» اعتراض، وأنه بين المعطوف والحال وبين «أن الدين» اعتراض آخر أو اعتراضان، بل نقول: معمول «شهد» هو «إنه» بالكسر على تخريج من خرّج أن «شهد» لما كان بمعنى القول كسر ما بعدها إجراءً لها [٧٧/أ] مجرى القول، أو نقول: «إنه»

---

(١) ق: الحكم.

(٢) هو عمرو بن معد يكرب، والبيت في اللسان (سمع) وتمامه:

يؤرّقني وأصحابي هجوعُ

(٣) ق: هذا.

معمول لها وعلّقت، ولم تدخل اللام في الخبر لأنه منفي بخلافِ أنْ لو كان مثبتاً فإنك تقول: شهدت إنَّ زيداً لمنطلق، فتعلق بإنَّ مع وجود اللام، لأنه لو لم تكن اللام لفتحت أنّ فقلت: شهدت أن زيداً منطلق. فمن قرأ بفتح «أنه» فإنه لم يَنْوِ التعليق، ومن كسر فإنه نوى التعليق، ولم تدخل اللام في الخبر لأنه منفي كما ذكرنا.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ عام في أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأن المختلف فيه هو الإسلام وقد تنكّبوا إلى غيرِهِ من الأديان فانقسمت اليهودُ إلى قرائي وربّاني [وسمرة] وانقسمت النصارى إلى ملكي ويعقوبي ونسطوري، وكل طائفةٍ تكفِّرُ مَنْ خالفها بعد أن كانت اليهودُ أمةً واحدة والنصارى كذلك. والعِلْمُ الذي جاءهم هو كتب الله المنزلة من التوراةِ والزبورِ والإنجيل، والحامل على اختلافهم هو البغي وهو الظلم الواقع من بعضهم لبعض. وتقدم إعراب «بغياً» بعد الاستثناء في سورة البقرة[1].

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ عام في كُلِّ كافرٍ فلا يخصُّ المختلفين ولا غيرهم. و﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ كناية عن المجازاة في الآخرة. والجملة جواب الشرط، والضمير العائد على اسم الشرط محذوف تقديره: سريع الحساب له.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ الظاهرُ عَوْدُ الضمير على أهلِ الكتاب ويحتمل العموم. ومعنى ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ انقدتُ وأطعتُ وخضعتُ لله تعالى. وعبّر بالوجه عن جميع ذاته لأنه أشرف الأعضاء. ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ معطوف على الضمير في

---

(١) انظر تفسير الآية ٢١٣ من البقرة.

«أسلمت» قاله الزمخشري وابن عطية[١]، وبدأ به ولا يجوز لأنه يلزم منه المشاركة في المفعول الذي هو «وجهي» وهو لا يجوز بل المعنى: وأَسْلَمَ مَن اتَّبعني وجهَهُ لله. فالأحسن أن يكون «من» في موضع رفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالةِ ما قبله عليه، التقدير: ومَن اتبعني أسلم وجهه لله. فيكون إخباراً[٢] منه عليه السلام لأنه وإياهم أسلموا وجوههم لله. وأجاز الزمخشري[٣] أن تكون الواو واو مع، وهو لا يجوز لأنه يلزم منه المشاركة في المفعول، ألا ترى أنك إذا قلت: أكلتُ رغيفاً وعَمْراً، أي: مع عمرو، ودلَّ ذلك على أنه مشارك لكَ في أكلِ الرغيف. والمراد بالأميين مَنْ ليس من أهلِ الكتاب من مشركي العرب وغيرهم.

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ تقريرٌ في ضمنه الأمرُ أي: أسلموا فقد أتاكم من البيِّناتِ ما يُوجبُ الإسلامَ. ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا﴾ أي: دخلوا في شريعة الإسلام ﴿فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ أي: حصلت لهم الهداية. ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: لا يضرونك بتولِّيهم عن الإسلام ولا يلزمك[٤] إلا تنبيههم للهدايةِ بما تبلِّغ عن ربك.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيه وعيدٌ وتهديدٌ شديد لمن تولَّى عن الإسلام، ووعدٌ[٥] بالخير لمن أسلم إذْ معناه أنَّ الله مُطَّلعٌ على أحوالِ عبيدهِ فيجازيهم بما تقتضي حكمته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ

---

(١) الكشاف ١: ٤١٩، والمحرر الوجيز ٢: ٣٦٨.

(٢) ق: إخبار.

(٣) انظر الكشاف ١: ٤١٩.

(٤) ق: يلزم.

(٥) ق: ووعيد.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٢﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ ذكر أولاً أعظم الأوصاف المذكورة في هذه الآية وهو الكفر بآياتِ الله ثم قَتْل الأنبياء الذين أظهروا آيات الله وهي المعجزات الدالّة على صدقهم، ثم قَتْل من أمر بالقسط وهو العدل. وهذه أوصافُ أسلافهم وهم عالمون بها، فنعى على أهل الكتاب المعاصرين لرسول الله ﷺ فعل أسلافهم ذلك، وجعلوا كمن باشر ذلك. وجاء هنا «بغير حق» بالتنكير، وفي البقرة بالتعريف[1] لأن الجملة هنا أُخرجت مخرجَ الشرطِ وهو عام لا يتخصص، فناسبَ أنْ يكون المنفي بصيغة التنكير حتى يكون عاماً، وهناك جاء في صورةِ الخبرِ عن ناسٍ معهودين وذلك قوله «ذلك بأنهم كانوا يكفرون» الآية. و«بغير حق» حال مؤكدة كالتي في البقرة لأنَّ قتلَ نبيٍّ لا يكونُ بحقٍّ.

﴿فَبَشِّرْهُم﴾ الخطابُ للنبيِّ ﷺ. وضمير المفعول عائد على أسلافهم وهو في المعنى لهم لأنهم راضون بفعل أسلافهم. ودخول الفاء دليلٌ على أنه أُريد بـ«الذين» العموم.

وقُرىء: [حبطت] بفتح الباء. و﴿نَّٰصِرِينَ﴾ جمع ناصر، وهو أوْلى من الإفراد لأنه رأس آية وبإزاء [٧٧/ب] شفعاء المؤمنين[2]. وإذا انتفى النفع من جمع فانتفاؤه من واحدٍ أوْلى.

---

(١) في قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۝٦١﴾ [البقرة].

(٢) أي بإزاء من للمؤمنين من الشفعاء الذين هم الملائكة والأنبياء وصالحو المؤمنين.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

﴿أُوتُوا﴾ الضميرُ لليهود. والنصيبُ: الحظُّ. و«مِن» للتبعيض. و«الكتاب»: التوراة. و«يدعون» حال. و﴿إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾ التوراة أو القرآن. والضمير في «ليحكم» عائدٌ على كتاب الله. وقرىء: ليُحكم مبنياً للمفعول. ونسب[1] التولِّي إلى فريقٍ منهم لأنَّ منهم مَنْ أسلم كعبد الله بن سلام. ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ جملة حالية مؤكدة، ولأن[2] التولّي كان بالأبدان والإعراض بالقلوبِ فثبت التغاير بينهما.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الإشارةُ إلى التولّي والإعراض بسبب هذه الأقوال الباطلة وتسهيلهم على أنفسهم العذاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل. وجاء هنا «معدودات» بالجمع وهناك «معدودة»[3] بالصفة التي لا تصلح للواحدة من المؤنث، وهما فصيحان.

﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: ما كانوا يختلقون من الكذب كقولهم هذا وقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة] وغير ذلك.

﴿فَكَيْفَ﴾ يجوز أنْ يكونَ في موضعِ نصبٍ والتقدير: فكيف يصنعون، وفي موضع رفع خبراً لمبتدأ محذوفٍ والتقديرُ: فكيف حالهم. و«إذا»

---

(١) ق: والنسب.

(٢) ق: أو لأن.

(٣) في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة].

معمول لذلك المحذوف. ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو يوم القيامة، أي: لجزاءِ يومٍ.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ سبب نزولها ما أخبر عليه السلام من ظهورِ مُلْكِ أمته على قصورِ العجمِ وعلى قصورِ الروم وقصورِ اليمن من الضرباتِ التي ضربها على الصخرةِ يومَ الخندقِ فبرقت ثلاث مرات. رأى عليه السلام تلكَ القصور فَعَيَّرَهُ المنافقون بأنه يحفرُ الخندق ويضربُ بالمعول[1] ويخبر أنَّ مُلْكَ أمته يكونُ بالمواضع المذكورة. و«اللهم» منادى و«ما» زائدة، ولا يجمع بينها وبين حرف النداء في مذهب البصريين. قال ابن عطية[2]: اجتمعوا على أنها - يعني «اللهم» - مضمومة الهاء مشددّة الميم المفتوحة وأنها منادى انتهى. ما ذكره من الإجماع على تشديد ميمها قد نقل الفراء تخفيف ميمها في بعض اللغات، قال[3]: وأنشدني بعضهم:

[من المخلّع البسيط]

كحلفــةٍ مــن أبــي ريــاح   يسمعهــا اللهــمَ الكبــار

---

(١) ق: بالمعمول.

(٢) المحرر الوجيز ٢: ٣٧٤.

(٣) معاني القرآن ١: ٢٠٤. والبيت للأعشى في ديوانه ص٣١٩، وروايته:

يسمعها لاهُه الكُبار

كما سيأتي بعد.

قال الرادّ عليه: تخفيفُ الميم خطأٌ فاحش خصوصاً عند الفراء لأن عنده أن الميم هي التي في أمّنا[١] إذ لا يحتمل التخفيف أن الميم فيه بقية أمّنا قال: والرواية الصحيحة:

يسمعها لاهُه الكُبارُ

انتهى. وإنْ صحَّ هذا البيت الذي أنشده الفراء عن العرب فإن فيه شذوذاً[٢] آخر من حيث استعماله في غير النداء، ألا ترى أن جعله في هذا البيت فاعلاً بالفعل الذي قبله. و«مالك» منصوب على أنه منادى ثانٍ فلا يجوز عند سيبويه نصبه على أن يكون صفة لقوله «اللهم».

ومعنى «مالك الملك» أي: يتصرفُ كما يريد ولذلك جاء تبيين التصرف بعد قوله ﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ الآية، وجاء فيها مقابلة الإيتاءِ بالنَّزْعِ[٣] والإذلال بالإعزاز، ثم ختم بقدرته العامة الناشىء عنها ما ذكر.

وقوله: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ اقتصر عليه لأنَّ الآيةَ في معنى المدح وإنْ كان عزّ وجلّ بيده الخيرُ والشرُّ على مذهبِ أهل السنّة. قال الزمخشري[٤]: فإن قلت: كيف قال «بيدك الخير» [فذكر الخير] دون الشر؟ قلت: لأنَّ الكلامَ إنما وقع في الخير الذي يسوقُه إلى المؤمنينَ وهو الذي أنكرته الكَفَرةُ وقال: بيدك الخير تؤتيه أولياءكَ على رغم من أعدائك، ولأنَّ أفعالَ الله تعالى كلها

---

(١) الميم في «اللهم» عند الفراء هي من قوله: يا الله أمّنا بخير، وانظر خزانة الأدب ١ : ٣٤٥.

(٢) ق: شذوذ.

(٣) ق: لنزع.

(٤) الكشاف ١ : ٤٢٢.

من نافعٍ وضارّ صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله انتهى كلامه. وهذا يدافع آخره أوله لأنه ذكر السؤال ثم اقتصر على ذِكْرِ الخيرِ دون الشر وأجاب بالجوابِ الأول وذلك يدل على أنَّ بيده تعالى الخير والشر وإنما كان اقتصاره على الخير لأنَّ [٧٨/أ] الكلام إنما وقع فيما يسوقُه تعالى من الخير للمؤمنين فناسبَ الاقتصار على ذِكْرِ الخير فقط، وأجاب بالجواب الثاني وذلك يدل على أنه تعالى جميع أفعاله خير ليس فيها شرّ، وهذا الجواب ينافي الأول.

﴿ تُولِجُ﴾ الولوجُ: الدخولُ، وهو هنا كناية عن أنَّ ما نقصَ من الليل زِيْدَ في النهار، وما نقص من النهار زيد في الليل. وذكروا اختلافاً كثيراً في الحي والميت، والذي نختاره أنه أُريدَ به التوالد فيخرج الذي قامت به حياة من الميت وهو الذي يأتي عليه الموتُ ويؤولُ إليه، فيكون هذا مجازاً باعتبار المآل، ويخرج الميت الذي هو سيموت - وهذا مجاز - من الحَيِّ الذي قامت به حياة. وظاهره التوالدُ الإنسانيُّ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ﴾ فأتى بـ«من» التي تطلق على العقلاء؟.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: بالمعاملة الحسنة في الأفعال لقرابةٍ أو صداقة، وأما بالقلب فمنهيٌّ عنه ولا يصدرُ ذلك عن مؤمنٍ؛ بل المؤمنُ يوالي المؤمنَ بالمودَّةِ في الأفعالِ وبالقلب. ثم توعّد تعالى بقوله ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: موالاة الكفار ﴿ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أي: هو بريء من الله

تعالى. قال ابن عطية[١]: «فليس من الله في شيء» معناه في شيء مرضيٍّ على الكمالِ والصواب، وهذا كما قال النبي ﷺ: «من غشنا فليس منّا»[٢]. وفي الكلامِ حذفُ مضافٍ تقديرهُ: فليس من القرب إلى الله والتزلُّف ونحو هذا. وقوله «في شيء» هو في موضعِ نصبٍ على الحال من الضمير الذي في قوله «ليس من الله» انتهى.

هذا الكلام مضطرب لأن تقديره: فليس من التقرب إلى الله، يقتضي أنْ لا يكون [«في شيء»] خبراً فيبقى «ليس» على قوله لا يكون لها خبر وذلك لا يجوز. وتشبيهه بقوله صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منّا» ليس بجيّدٍ لأن «منا» خبر «ليس» وتستدل به الفائدة، وفي الآية ليس كذلك بل الخبر «في شيء» فليس الحديث كالآية، وكذلك قوله[٣]: [من الوافر]

إذا حـاولـتَ فـي أَسَـدٍ فجـوراً فإني لستُ منك ولستَ منّي

وقرىء: لا يتخذ بالرفع في الذال على النفي والمراد به النهي. وفي قوله: «فليس من الله» محذوف تقديره: مِنْ ولايةِ اللهِ في شيء.

و﴿ مِن دُونِ ﴾ متعلق بقوله «لا يتخذ» والمعنى: من مكان دون مكان المؤمنين.

﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ﴾ استثناء مفرغ من المفعول [له] والمعنى: لا يتخذ مؤمنٌ كافراً لشيءٍ من الأشياء إلا لسبب التقيّة فيجوز إظهار الموالاةِ باللفظِ والفِعل دونَ ما ينعقد عليه القلب. وقال ابن عباس: التقيةُ هنا المداراةُ ظاهراً،

(١) المحرر الوجيز ٢: ٣٨٠.
(٢) صحيح الجامع الصغير ٥: ٣٢٥.
(٣) البيت للنابغة في ديوانه ص١٩٩.

وقال: يكون مع الكفار أو بين أظهرهم فيتَّقيهم بلسانِه ولا مودَّة لهم في قلبِه. و«تتقوا» خطابٌ وهو التفات لأنه خرج من الغيبة إلى الخطاب ولو جاء على نظم الأول لكان: إلا أنْ يتقوا، بالياء المعجمة من أسفل. وهذا النوعُ في غايةِ الفصاحة لأنه لما كان المؤمنون نُهوا عن فِعْلِ ما لا يجوز جعل ذلك في اسم غائب فلم يواجهوا بالنهي، ولما وقعت المسامحةُ والإذنُ في بعضِ ذلك وُوجِهُوا بذلك إيذاناً بِلُطْفِ الله بهم وتشريفاً بخطابه إياهم.

وقرىء: تقاة وتقية. وأصل «تقاة» وقية أبدلت الواو فيها تاءً. وهما مصدران جاءا على غيرِ المصدرِ، لأنه لو جاء على «تتقوا» لكان اتّقاءً. وتجويز أبي علي أن يكون «تقاة» جمعاً لتقيّ فيكون نصبه على الحال المؤكدة بعيدٌ لأنه يكون مثل كميّ وكماة وهو شاذ، وقياس تقيّ أن يقال أتقياء كغني وأغنياء. وقال الزمخشري[1]: إلاَّ أنْ تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتّقاؤه. فنصب «تقاة» على أنه مفعول به ويدل على المصدرية قوله تعالى ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ[٧٨/ ب] ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ قال ابن عباس: بَطْشَهُ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: الصيرورة والمرجع فيجازيكم إن ارتكبتم موالاتهم بعد النهي.

﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ

(١) الكشاف ١: ٤٢٢.

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا﴾ الآية، تقدم تفسيرُ نظيرها في البقرة[1]. والمعنى أنه تعالى مُطَّلع على خفايا الأمور وجلاياها ومرتب عليها الثواب والعقاب. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ ذكر عموماً بعد خصوص وختمها بسعةِ قدرته تعالى.

«يوم تجد» يضعف نصبه بقوله «ويحذركم» لطول الفصل، هذا من جهة اللفظ وأما من جهة المعنى فلأنَّ التحذيرَ موجود واليوم فلا يصحّ له العمل فيه. ويضعف انتصابه بـ«المصير» للفصل بين المصدر ومعموله. ويضعف نصبه بـ«قدير» لأن قدرته على كل شيء لا تختص[2] بيوم [دون يوم] بل هو تعالى متصف بالقدرة دائماً. وأما نصبه بإضمارِ فعلٍ فالإضمار على خلاف الأصل، وهذه أقوال للمعربين.

وقال الزمخشري[3]: «يوم تجد» منصوب بـ«تود» والضمير في «بينه» [لليوم] أي: يوم القيامة حين تجدُ كُلُّ نفسٍ خيرها وشرّها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهو له أمداً بعيداً انتهى هذا التخريج. والظاهر في بادىء النظر حسنه وترجيحه إذْ يظهر أنه ليس فيه شيء من مضعفات الأقوال السابقة لكن في جواز هذه المسألة ونظائرها خلاف مذكور في النحو.

وأجاز الزمخشري وابن عطية أن تكون «ما» موصولة مبتدأة وخبرها «تود» وبدأ بذلك [أبو البقاء] واتفقا على أنه لا يجوز أن يكون «وما عملت من

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٨٤ من البقرة.

(٢) ق: تخص.

(٣) الكشاف ١ : ٤٢٣.

سوء» شرطاً، قال الزمخشري[١]: لارتفاع [«تود»]، وقال ابن عطية[٢]: لأن الفعل مستقبل مرفوع [والشرط] يقتضي جزمه اللهم إلا أن يقدر في الكلام محذوف أي: فهي تودّ وفي ذلك ضعف انتهى كلامه.

وظهر من كلامهما امتناع الشرط لأجل رفع «تود» وهو في الكلام جائز مسموع من العرب، لكن امتناعه هنا لغير ذلك وهو أن ارتفاعه على مذهب سيبويه من أن النية بالمرفوع التقديم، ويكون إذ ذاك دليلاً على الجواب لا نفس الجواب فنقول: إذا كان «تود» منوياً به التقديم أدّى إلى تقديم المضمر على ظاهره في غير الأبواب المستثناة في العربية، ألا ترى أنَّ الضمير في قوله «وبينه» عائد على اسم الشرط الذي هو «ما» فيصير التقدير: تود كل نفس لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ما عملت من سوء، فيلزم من هذا التقدير[٣] تقدم المضمر على الظاهر وذلك لا يجوز. فإن قلت: لِمَ لا يجوز ذلك والضمير قد تأخّر عن اسم الشرط وإن كانت نيته[٤] التقديم فقد حصل عود الضمير على الاسم الظاهر قبله، وذلك نظير: ضرب زيداً غلامه، فالفاعل رتبته التقديم ووجب تأخيره لصحة عود الضمير؟.

فالجواب أن اشتمال الدليل على ضمير اسم الشرط يوجب تأخره عنه لعود الضمير، فيلزم من ذلك اقتضاء جملة الشرط لجملة الدليل، وجملة الشرط إنما تقتضي جملة الجزاء لا جملة دليله، ألا ترى أنها ليست بعاملة في جملة الدليل بل إنما تعمل في جملة الجزاء، وجملة الدليل لا موضع لها من

(١) انظر الكشاف ١: ٤٢٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢: ٣٨٤.

(٣) ق: التقديم.

(٤) ق: بنيّة.

الإعراب. وإذا كان هذا تدافع الأمر لأنها من حيث هي جملة دليل لا يقتضيها فعل الشرط، ومن حيث عود الضمير على اسم الشرط اقتضتها فتدافعا، وهذا بخلاف: ضرب زيداً غلامُه وهي[1] جملة واحدة والفعل عامل في الفاعل والمفعول معاً فكل واحد منهما يقتضي صاحبه ولذلك جاز عند بعضهم: ضرب غلامها هنداً لاشتراك[2] الفاعل المضاف للضمير والمفعول الذي عاد عليه الضمير في العامل، وامتنع: ضرب غلامها جار هند لعدم الاشتراك في العامل، فهذا فرق ما بين المسألتين ولا يحفظ من لسان العرب: أود لو أني أكرمه أياً ضربتْ [٧٩/أ] هندٌ، لأنه يلزم منه تقديم الضمير على مفسّره في غير المواضع التي ذكرها النحويون فلذلك لا يجوز تأخيره.

وقرىء: من سوء ودّت، فعلى هذا يجوز أن تكون «ما» شرطية مفعولة بـ«عملت» ومبتدأ على مذهب الفراء والضمير العائد محذوف أي عملَتْه لأنه يجيز ذلك في فصيح الكلام. وفي الكلام حذف تقديره: محضراً تسرّ به ومن سوء محضراً، حذف «تسرّ به» من الأول و«محضراً» من الثاني والمعنى: من سوء محضراً تكرهه.

وعبّر عن فرط الكراهة بقوله: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾. و«لو» على قول الجمهور حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وجوابها محذوف تقديره: لسرّت به. ومفعول «تود» محذوف تقديره: تودّ تباعد ما بينهما. ومن ذهب إلى أن «لو» مصدرية بمعنى أنّ فيبعد لأن «أنّ» ومعموليها[3] في

(١) ق: هي.

(٢) ق: لاشتراكها.

(٣) ق: ومعمولها.

تقدير مصدر فيكون حرف مصدري دخل على حرف مصدري. وقوله «أمداً بعيداً» أي: غاية طويلة «ويحذركم الله نفسه»[1] كرر التحذير للتوكيد والتحريض على الخوف من الله بحيث يكونون ممتثلي أمره ونهيه. «والله رؤوف بالعباد» لما ذكر صفة التخويف وكررها كان ذلك مزعجاً للقلوب ومنبّهاً على إيقاع المحذور مع ما قرن بذلك من اطلاعه على خفايا الأعمال وإحضاره لها يوم الحساب، وهذا هو الاتصاف بالعلم والقدرة اللذين يجب أن يحذر لأجلهما[2]. وذكر صفة الرحمة ليطمع في إحسانه وليبسط الرجاء في إفضاله فيكون ذلك من باب ما إذا ما ذكر يدل على شدة الأمر ذكر ما يدل على سعة الرحمة كقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف] وتكون هذا الجملة أبلغ في الوصف من جملة التخويف لأن جملة التخويف جاءت بالفعل الذي يقتضي المطلق ولم يتكرر فيها اسم الله تعالى إذ الوصف متحمل ضميره تعالى، وجاء المحكوم به على وزن فعول المقتضي للمبالغة والتكثير، وجاء بأخص ألفاظ الرحمة وهو «رؤوف» وجاء متعلّقه عاماً ليشمل المخاطب وغيره، وبلفظ «العباد» ليدل على الإحسان التام لأن المالك محسن لعبده وناظر له أحسن نظر إذ هو ملكه.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ خطاب لمن ادعى محبة الله تعالى، ومحبتهم له تعالى هو بامتثال [أمره] واجتناب نهيه. ومعنى «فاتبعوني» أي: اتبعوا ما جئتُ به من عنده تعالى. ومعنى «يحببكم» أي: يعاملكم بالإحسانِ على طاعته، ويغفر لكم ما سلف من ذنوبكم. وقرىء: تحبون ويحببكم بفتح التاء

(١) سبقت العبارة في الآية ٢٨.

(٢) ق: لأجلها.

والياء وهما من حبّ. وقرىء: يحبكم[1] الله بفتح الياء والإدغام. وقرىء: فاتبعونّي بشدّ النون، ألحق فعل الأمر نون التوكيد وأدغمها في نون الوقاية ولم يحذف الواو وشبّهها «بأتحاجّونّي»[2] وهذا توجيه شذوذ.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ جعل طاعةَ الرسول طاعةَ لله[3] كما قال ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴿٨٠﴾﴾ [النساء]. و«تولّوا» يجوز أن يكون مضارعاً حذفت منه التاء أي فإن تتولوا، وهو خطاب مناسب لقوله «أطيعوا». ويجوز أن يكون ماضياً والمراد به الاستقبال فيكون انتقالاً من خطاب في «أطيعوا» إلى غيبة في «تولّوا» إهانة لهم. ونفى محبته تعالى للكافرين وهو إشعار بالعليّة فلا يندرج فيه المؤمنُ العاصي.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ الآية. مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر أنه لا يحب الكافرين ذكر من اصطفاه تعالى فبدأ بآدم وهو أبو البشر وأولهم وأتبعَهُ بنوحٍ

(١) ق: يحبيكم.

(٢) ق: بأتحاجّون.

(٣) ق: الله.

عليه السلام [وهو اسم أعجمي] وهو آدم الثاني إذ البشر كلهم من ولده[١] سام وحام ويافث، ثم ذكر آل إبراهيم فاندرج فيهم مَنْ كان منهم من الأنبياء وخصوصاً محمد ﷺ، ثم آل عمران، وعمران اسم أعجمي. واستطرد إلى قصة مريم وعيسى ابنها عليهما السلام. وعمران هذا هو ابن ماثان من ذرية سليمان وهو[٢] أبو مريم ويدل عليه تكراره في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ [٧٩/ ب] ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ وصار نظير تكرار الاسم في جملتين فيسبق الذهن إلى أن الثاني هو الأول نحو: أكرم زيداً إن زيداً رجل صالح.

وانتصب «ذرية» على أنه بدل مما قبله، وقيل على الحال. ومعنى «من بعض» منشعبة ترجع إلى أصل واحد. وقرىء: ذرية بكسر الذال. والظاهر أن الختم بقوله «سميع عليم» مناسب لآل إبراهيم وآل عمران، لأن إبراهيم دعا بدعوات كثيرة تقبلها الله منه وكذلك امرأة عمران في قصة مريم.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ اسمها حنّة بالحاء المهملة وشدّ النون، وهي بنت فاقود وقبرها بظاهر دمشق. قيل: ولم يُسمّ بحنة في العرب. وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد: حنة أم عمرو يروي حديثها ابن جريج ﴿لَكَ﴾ أي: لعبادتك ولخدمتك ﴿مَا فِى بَطْنِى﴾ ما: مبهمة يحتمل أن يكون ذكراً أو أنثى[٣]، وإن كان الغالب أن يكون المنذور ذكراً ولذلك قالت «محرراً» بصيغة الذكر ومعناه مخلصاً للعبادة والخدمة.

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ والتقبُّل أخذُ الشيء على الرضى به، إنك أنتَ السميع آل

---

(١) ق: ولد.

(٢) كتبت في الحاشية.

(٣) ق: وأنثى.

لدعائي العليمُ بنيّتي. و«إذ» منصوبة باذكر، وقيل بقوله «وآل عمران» على تقدير: واصطفى آل عمران، فيكون من عطف الجمل لا من عطف المفردات. وقال الزمخشري تابعاً للطبري[1]: «سميع عليم» لقول امرأة عمران ونيّتها، و«إذ» منصوب [به] انتهى. ولا يصح ذلك لأن قوله «عليم» إما أن يكون خبراً بعد خبر أو وصفاً لقوله «سميع»، فإن كان خبراً فلا يجوز الفصل به بين العامل والمعمول لأنه أجنبي منهما، وإن كان وصفاً فلا يجوز أن يعمل «سميع» في الظرف لأنه قد وصف [واسم الفاعل وما جرى مجراه إذا وصف] قبل أخذ معموله لا يجوز له إذ ذاك أن يعمل على خلاف لبعض الكوفيين في ذلك، ولأن اتصافه تعالى بـ«سميع عليم» لا يختص ولا يتقيد بذلك الوقت. وانتصب «محرراً» على أنه حال من «ما» والعامل فيه «نذرت» ويكون حالاً تقديرية، ويبعد نصبه على الحال ويكون العامل فيه العامل في «بطني»[2] وهو الاستقرار، وكذلك يبعد انتصابه [انتصاب المصدر] على أن معنى «نذرتُ» حررّتُ.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ أي: النسمة، وأنَّث على معنى «ما». «قالت رب» على معنى التحسُّر على ما فاتها من أن يكون المولود ذكراً يصلح للخدمة. «وضعتها» أي: وضعت النسمة. «أنثى» نصب على الحال. وقال الزمخشري[3]: فإن قلت: كيف جاز انتصاب «أنثى» حالاً من الضمير في «وضعتها» وهو كقولك: وضعت الأنثى أنثى؟ قلت: الأصل: وضعتُه أنثى،

---

(١) الكشاف ١: ٤٢٤.

(٢) ق: بطنها.

(٣) الكشاف ١: ٤٢٥.

وإنما أنّث لتأنيث الحال لأن الحال وذا[١] الحال لشيء واحد، كما أنَّث الاسم في ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ ۝٢٨﴾ [مريم] لتأنيث الخبر. ونظيره قوله تعالى ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ ۝١٧٦﴾ [النساء] انتهى. وآل قوله إلى أن «أنثى» تكون حالاً مؤكدة ولا يخرجه تأنيثه لتأنيث الحال عن أن تكون الحال مؤكدة. وأما تشبيهه ذلك بقوله: من كانت [أمك]، حيث عاد الضمير على معنى «من» فليس ذلك نظير «وضعتها أنثى» لأن ذلك حمل على معنى «من» إذ المعنى: أية امرأة كانت أمك أي كانت هي أي المرأة أمك، فالتأنيث ليس لتأنيث الخبر[٢] وإنما هو من باب الحمل على معنى «من». ولو فرضنا أنه تأنيث للاسم لتأنيث الخبر لم يكن نظير «وضعتها أنثى» لأن الخبر تخصص بالإضافة إلى الضمير، وقد استفيد من الخبر ما لا يستفاد من الاسم بخلاف «أنثى» فإنه لمجرد التأكيد. وأما تنظيره بقوله «فإن كانتا اثنتين» فيعني أنه ثنّى الاسمَ لتثنيةِ الخبر وتخريجه مشكل وسيأتي الكلام عليه في موضعه.

وقرىء: وضعتُ بضم التاء وهو من كلامها وكأنها خاطبت نفسها. وقرىء بإسكان التاء. وليس الذكر الذي طلبته ورجوته مثل الأنثى التي علمها وأرادها وقضى بها. ولعل هذه الأنثى تكون خيراً من الذكر إذ أرادها الله تعالى، سَلَّتْ نفسَها بذلك. قال ابن عطية[٣]: كالأنثى في امتناع نذره [٨٠/أ] إذ الأنثى تحيضُ ولا تصلح لصحبةِ الرهبان وقاله بعض التابعين[٤]. وبدأت بذكر الأهم في نفسها وإلاّ فسياقُ الكلام أن تقول: وليست الأنثى

(١) ق: وذو.

(٢) ق: لتأنيث أهلها الخبر.

(٣) المحرر الوجيز ٢: ٣٩٣.

(٤) مثل قتادة والربيع والسدي وعكرمة، انظر المرجع السابق.

كالذكر، فتضع[١] حرف النفي مع الشيء الذي عندها وانتفت عنه صفات الكمال للغرض المراد انتهى. وعلى هذا الاحتمال تكون الألف واللام في «الذكر» للجنس.

وقرىء: وضعتِ بكسر التاء خاطبها الله تعالى بذلك أي: أنك لا تعلمين قدر هذه الموهوبة وما علمه الله تعالى من عِظَمِ شأنها وعُلُوِّ قَدْرها. ومعنى «مريم» في كلامهم: العابدة، تفاءلت بذلك لتكون عابدة لله تعالى مطيعة له، وخاطبت الله تعالى لترتب الاستعاذة بالله لها ولذرّيتها.

وقال الزمخشري[٢]: وهي - يعني[٣] «وإني سميتها مريم» [على قراءة من قرأ: وضعت بسكون التاء أو بكسرها] - معطوفة على «إني وضعتها أنثى» وما بينهما جملتان معترضتان كقوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة] انتهى كلامه. ولا يتعين ما ذكر من أنهما جملتان معترضتان[٤] لأنه لا يحتمل أن يكون «وليس الذكر كالأنثى» في هذه القراءة من كلامها ويكون المعترض جملة واحدة، كما كان من كلامها في قراءة من قرأ: وضعتُ بضم التاء. وتشبيه الزمخشري هاتين الجملتين اللتين اعترض بهما بين المعطوف والمعطوف عليه على زعمه بقوله[٥] «وإنه لقسم لو تعلمون عظيم» [ليس] تشبيهاً مطابقاً للآية لأنه لم يعترض جملتان بين طالب ومطلوب، بل اعترض بين القَسَم الذي هو ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة] وجوابه

---

(١) ق: فيضع.

(٢) الكشاف ١: ٤٢٥.

(٣) ق: تعني.

(٤) ق: معترضان.

(٥) ق: لقوله.

الذي هو ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ [الواقعة] بجملة واحدة وهي قوله «وإنه لقسم لو تعلمون عظيم» لكنه جاء في جملة الاعتراض بين بعض أجزائه وبعض اعتراض بجملة وهو قوله «لو تعلمون» اعترض به بين المنعوت الذي هو «القسم»[1] وبين نعته الذي هو «عظيم» فهذا اعتراض في اعتراض وليس فصلاً بجملتي اعتراض كقوله «والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى».

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ القبول مصدر بفتح القاف وهو مصدر قبل. جعل تقبّل بمعنى قبل كعجب وتعجّب. والباء الظاهر أنها زائدة أي فقبلها قبولاً حسناً، وقيل: الباء ليست بزائدة فالقبول اسم لما يقبل به الشيء كالسعوط. «وأنبتها نباتاً حسناً» عبارة عن حسن النشأة والجودة في خَلْق وخُلُق وإنشائها[2] على الطاعة والعبادة. قال ابن عباس: لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل حتى أربت على الأحبار[3]. وقيل: لم تجر عليها خطيئة. وانتصب «نباتاً» على أنه مصدر على غير المصدر أو مصدر لفعل محذوف أي فنبتت نباتاً حسناً.

وقرىء: وكفِلها زكريا أي ضمّها إليه حالة التربية. وقرىء: وكفّلها زكريا أي كفّلها الله تعالى. ويقال كفِل يكفَل كعلم يعلم، وكفَل يكفُل كقتل يقتل. وقرىء: فتقبّلْها وأنبِتْها وكفِّلْها على الأمر، وربَّها على النصب نداء منها فتكون الجمل إذ ذاك من كلام أم مريم، دعت ربها بهذه الدعوات. وقرىء: زكريا بالمد والقصر. وسيأتي الكلام في سبب تكفيل زكريا مريم.

---

(١) ق: أقسم.

(٢) ق: وأنشأها.

(٣) ق: الأخيار.

قال ابن إسحاق: كان زكريا تزوج خالتها لأنه وعمران كانا سلفين على اختين فولدت امرأة زكريا يحيى، وولدت امرأة عمران مريم. وزكريا نبي معصوم وهو ابن أذن بن مسلم من ولد سليمان عليهما السلام. قال ابن إسحاق: ضمّها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبّت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد وجعل بابه في وسطه لا يُرقى إليه إلا بسلّم مثل باب الكعبة ولا يصعد إليها غيره. «كلما» تدل على التكرار، وتقدم الكلام عليها في البقرة[١]، والعامل فيها فعل ماضٍ وقد جاء مضارعاً قليلاً في قول الشاعر[٢]: [من الطويل]

علاه بسيفٍ كلما هزّ يقطع

أي قطع. وقبل هذا الكلام محذوف تقديره: فلما صلحت للعبادة احتجبت عن أهلها في مكان بعيد منفردة للعبادة، وكان زكريا ينتابها[٣] [٨٠/ب] إذ كان هو كافلها. والرزق هنا قيل: هو فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ولم يعين في القرآن ولا صحَّ تعيينه في السنّة. ولما استغرب زكريا ذلك قال ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي: من أين لك هذا فأجابته بقولها: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: هو مسبّب الأشياء ومُوجدها. وجوابُها سؤالَه ظاهره أنه لم يأتِ به آدميٌّ ألبتّة بل هو رزقٌ يتعهَّدُني به الله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ ظاهره أنه من كلام مريم عليها السلام.

---

(١) انظر تفسير الآية ٨٧ من البقرة.

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ١: ٤١٧، وصدره:

إذا حارب الحجاج أي منافقٍ

(٣) غير مقروءة في ق.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾ اسم إشارة للمكان البعيد وقيل: وقد يستعمل للزمان. ولما كان المحرابُ مكان عبادة وكرامة دعا زكريا فيه بأنْ يهبَ اللهُ له ذريةً طيبة، ولما كان دعاؤه على سبيل ما لا تسبّب فيه لكبر سنّه وعقر امرأته فكان وجوده كالوجود بغير سبب أي هبة محضة منسوبة إلى الله تعالى بقوله ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ أي: من جهتك بمحض[1] قدرتك من غير توسُّط سبب. وختم بقوله ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ﴾ أي: مُجيبُه كما ختمتْ أمُّ مريم دعاءها في قولها «فتقبل[2] مني إنك أنت السميع العليم». وطيب الذرية كونها صالحة خالصة لعبادة الله كما جاءت مريم كذلك.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ظاهره[3] أنها باشرته بالنداء ليلقي سمعه إلى ما تكلّمه الملائكة وتخبره من تبشير الله تعالى له بالهبة، وأنه تعالى قبل دعاءه في ذلك. ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ﴾ جملة حالية، نادته حالة التباسه بهذه العبادة العظيمة وهي الصلاة في المكان المخصوص بالعبادة «بيحيى» أي: بولادة يحيى

(١) ق: لمحض.

(٢) ق: في قوله فقبل. الآية ٣٥ السابقة.

(٣) ق: ظاهر.

منك[١]. و«يحيى» علم والظاهر أنه أعجمي لأنه ليس من لسانهم. وقرىء: فناداه ونادته. وقرىء: إن الله بكسر الهمزة على تقدير قولٍ محذوف في مذهب أهل البصرة، وفي[٢] إجراء النداء مجرى القول في مذهب الكوفيين، وبفتحها على تقدير الباء أي بأن الله.

وقرىء: يَبْشُرك [مخفف الشين، ويبشّرك] مضارع بشّر بتشديد الشين، ويُبْشر مضارع أبشر بالهمزة. ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ هي عيسى عليه السلام. وأطلق عليه كلمة لأنه ناشىء عن لفظ كن المستعار لسرعة التكوين. وقرىء: [بكِلْمة] بكسر الكاف وسكون اللام في جميع القرآن. «وسيداً» السيد المطاع الفائق أقرانه. والحَصُور: الذي لا يأتي النساء مع القدرة على ذلك.

وترتّبت هذه الأوصاف أحسنَ ترتيبٍ فذكر التصديقَ أولاً وهو الإيمان [ثم السيادة] وهو كونه فاق الناس في الخصال الحميدة، ثم الحصر عن النساء اللاتي هنّ ملاذ الرجال، ثم النبوة التي هي أشرف الأوصاف. وتقدم الكلام في الصلاح ما هو في البقرة في قوله ﴿لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة]. وصفات يحيى هذه مقابلة لصفات مريم: اشتركا في التصديق وفي السيادة [إذ] كان سيد بني إسرائيل وكانت سيدة نساء العالمين، وكان لا يأتي النساء وكانت هي عذراء، وقيل إنها كانت نبيّة لقوله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴿١٧﴾﴾ [مريم].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ﴾ تقدم أنّ الملائكة بشّرته بيحيى فسأل عن كيفية ذلك أي: أيكون ذلك مع كوننا في سنّ مَنْ لا يولد له [لكبر] عمره، أم ذلك

(١) ق: منكر.

(٢) ق: وهي.

على رجوعنا إلى الشبيبة، فأخبره تعالى أنه يولد لهما على علوّ سنّهما من الكبر حتى قيل إن عمره كان مئة سنة وعشرين سنة وعمرها ثماني وتسعين[١] سنة. وقال الزمخشري[٢]: استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم انتهى[٣]. وعلى ما قاله لو كان استبعاداً لما سأله بقوله ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ لأنه لا يسأل إلا ما كان ممكناً لا سيّما الأنبياء عليهم السلام لأن خرق العادة في حقّهم كثير الوقوع.

﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ جملتان حاليتان صُدِّرت الأولى بالفعل الماضي والثانية [اسمية] لأن بلوغ الكبر مما يتجدد والعقر لا يتجدد. وبلوغه تأثيره فيه، وهو على سبيل المجاز، وفي سورة مريم ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: مثل ذلك الفعل وهو تكوّن الولد من الفاني والعاقر، يفعل الله ما يشاء من الأفعال الغريبة فيكون إخباراً عن الله أنه يفعل الأشياء التي تتعلق بها مشيئته فعلاً مثل ذلك الفعل لا [٨١/أ] يعجزه شيء، بل سبب إيجاده هو تعلق الإرادة سواء كان من الأفعال الجارية على العادة أم من التي لا تجري على العادة، فتكون الكاف في موضع نصب والعامل «يفعل»، وقيل «كذلك الله» مبتدأ وخبر فتكون في موضع رفع، وعلى حذف [مضاف] أي: كذلك صنع الله أو فعله. و«يفعل ما يشاء» جملة مفسّرة للإبهام الذي في اسم الإشارة.

---

(١) ق: ثمان ماية وتسعين.

(٢) الكشاف ١ : ٤٢٨.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم].

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ سؤال عن الجهة التي بها يكون الولد وتتم البشارة. فلما قيل له «كذلك الله يفعل ما يشاء» سألَ علامةً على وقتِ الحمل ليعرف متى يكون العلوق بيحيى.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ الظاهر أنه سأل آية تدلُّ على أنه يُولَدُ له، فأجابه بأنَّ آيته انتفاء الكلام منه مع الناس ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾. وانتفاء الكلام قد يكون لتكليف به أو بملزومه في شريعتهم وهو الصوم، أو لمنع قهري مدة معينة لآفةٍ تعرضُ في الجارحة أو لغيرِ آفةٍ، قالوا: مع قدرته على الكلام بذكر الله تعالى. قال الزمخشري[1]: ولذلك قال «واذكر ربك» إلى آخره، يعني في أيامِ عجزكَ عن تكليمِ الناسِ وهي من الآياتِ الباهرة انتهى. ولا يتعين ما قاله، لما ذكرناه من احتمالات وجوه الانتفاء، ولأنَّ الأمرَ بالذكر والتسبيح ليس مقيداً بالزمان الذي لا يكلم الناس [فيه] وعلى تقدير تقييد ذلك لا يتعين أن يكون الذكر والتسبيح بالنطق والكلام. وانتصب «ثلاثة أيام» على الظرف لا على المفعول به خلافاً للكوفيين لانتفاء الفعل في جميعها. ودخل في الأيام الليالي، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ⁽١٠⁾﴾ [مريم].

﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ ظاهره أنه استثناء منقطع وقيل متصل. والرمز[2] الإشارة بالشفتين أو العين أو الحاجب أو اليد. وقرىء: رُمُزاً[3] بضمتين وهو مصدر جاء على فُعُل. وقرىء: رَمَزاً بفتحتين وهو مصدر كقوله: غلب غَلَباً.

---

(١) الكشاف ١ : ٤٢٩.

(٢) ق: وألزموا.

(٣) ق: زمر.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ الظاهر أنه باللسان. ﴿وَسَبِّحْ﴾ مفعوله محذوف أي: وسبِّحه. والظاهر أنه أريد بالعشيّ آخر النهار والإبكار أوّله، إذ العشي وقت ارتفاع الأعمال والإبكار وقت ابتدائها. وقرىء: والأبكار بفتح الهمزة جمع [بكر، تقول: آتيك] بكراً أي: بكرة.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ لما فرغ من قصة زكريا وكان قد استطرد من قصة مريم إليها، رجع إلى قصة مريم. والمقصود تبرئة مريم عليها السلام مما[1] رمتها بها اليهودُ. وفي نداء الملائكة لها باسمها تأنيسٌ لها وتوطئة لما تلقيه إليها. قال الزمخشري[2]: روي أنهم[3] كلّموها شفاهاً معجزة لزكريا عليه السلام وإرهاصاً لنبوة عيسى [عليه] السلام انتهى. [يعني بالإرهاص التقدم والدلالة على نبوته] وهذا مذهبُ المعتزلة لأنَّ الخارقَ للعادةِ عندهم لا يكون على يدِ غير نبيٍّ إلا إن كان في وقت نبي أو انتظار[4] بَعْثِ نبي، فيكون ذلك الخارق مقدمة بين يدي بعثةِ ذلك النبيِّ.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ قال ابن عباس: طهّرك من دم الحيض. وقال

(١) ق: عمّا.

(٢) الكشاف ١: ٤٢٩.

(٣) ق: أنها.

(٤) ق: انتظر.

الزمخشري[١]: اصطفاكِ أولاً حين تقبَّلك من أمّك وربَّاكِ واختصك بالكرامة السنيَّةِ وطَهَّرك مما يستقذر من الأفعال ومما قرفك به اليهود. واصطفاك آخراً على نساءِ العالمين بأنْ وهبَ لك عيسى من غيرِ أبٍ ولم يكن ذلك لأحد من النساء انتهى. وهو كلام حسن.

﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى ﴾ أُمرت بالصلاة فذكر من أركانها القنوت وهو القيام، والسجود وهو وضعُ الجبين على الأرض، والركوع وهو انحناء الظهر. وقدم السجود على الركوع لأنه أقرب ما يكون العبدُ من رَبِّه وهو ساجد، والعطفُ بالواو لا يدلُّ على الترتيب الزماني. وقد يكون الركوع في مِلَّتهم متأخراً عن السجود.

وقال ابن عطية[٢]: هذه الآيةُ أشَدُّ إشكالاً من قولنا: قام زيد وعمرو، لأن قيام زيد وعمرو ليس له رتبة معلومة، وهذه الآية قد علم أن السجود بعد الركوع فكيف جاءت الواو بعكس ذلك انتهى.

وهذا [٨١/ب] كلام مَنْ لم يمعن النظر في كلام سيبويه! فإنَّ سيبويه [ذكر] أنَّ الواو تكون معها في العطف المعيّة، وتقديم السابق وتقديم اللاحق يحتمل ذلك احتمالات سواء، ولا يترجّح أحد الاحتمالات على الآخر. و«مع» في قوله تعالى «مع الراكعين» تقتضي الصحبة والاجتماع في إيقاع الركوع مع مَنْ يركع. والظاهر التجوز في لفظة «مع» فتكون للموافقة في الفعل فقط لأنها كانت في عبادتها تنفرد من أهلها كما قال تعالى ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ۝١٧ ﴾ [مريم]. وجاء «الراكعين» جمع سلامةويعمُّ المذكرين

---

(١) الكشاف ١ : ٤٢٩.

(٢) المحرر الوجيز ٢: ٤١٧.

والمؤنثات بالتغليب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الإشارة إلى إخبار الله تعالى باصطفائه آدم وما بعد ذلك من القصص. «ذلك» مبتدأ و«من أنباء» الخبر. و«نوحيه إليك» الضمير المنصوب عائد على الغيب، أي: من شأننا أنْ نُوحيَ إليك بالمغيبات. ولو كان الضمير عائداً على «ذلك» لكان بصيغة الماضي فكان التركيب: أوحيناه إليك لأنَّ الإيحاءَ به قد وقع.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ[1] يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ وروي أن حنّة لما ولدت مريم كفّتها في خرقةٍ وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحَجَبة في الكعبة فقالت لهم: دونكم هذه النذيرةُ فتنافسوا فيها لأنها كانت بنتَ إمامهم وصاحبَ قربانهم. وكان[2] بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم. فقال لهم زكريا: [أنا] أحقُّ بها عندي خالتها، فقالوا: لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة[3] وعشرين إلى نهر قيل هو نهر الأردن وهو قول الجمهور، وقيل في عين ماء كانت هناك فألقوا فيها أقلامهم فارتفع قلم زكريا ورسبت أقلامهم فكفلها[4] زكريا.

والخطابُ في قوله: «وما كنت» لرسولِ الله ﷺ وهو تقريرٌ وتثبيتٌ أن ما علم من ذلك إنما هو بوحي من الله تعالى. والمعلم[5] به قصتان قصة مريم وقصة زكريا فنبّه على قصة مريم إذ هي المقصودة بالإخبار أولاً، وإنما

---

(١) ق: إن.

(٢) ق: وكانت.

(٣) ق: سبع.

(٤) ق: فتكفَّلها.

(٥) ق: والعلم.

جاءت قصة زكريا على سبيل الاستطراد. ولاندراج [بعض] قصة زكريا في ذكر من يكفل فما[1] خلت من تنبيه على قصته.

ومعنى ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: ما كنت معهم بحضرتهم إذْ يُلقون أقلامهم. ونفى المشاهدة وإنْ كانت منتفية بالعلم ولم يَنْفِ القراءة والتلقّي من حفّاظ الأنباء على سبيل التهكّم بالمنكرين للوحي وقد علموا أنه ليس ممّن يقرأ ولا ممّن[2] ينقل عن الحفّاظ للأخبار، فتعيّن أن يكون علمه بذلك بوحي من الله تعالى إليه. ونظيره في قصة موسى ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ[3] ﴿٤٦﴾﴾ [القصص] وفي قصة يوسف ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف] والضمير في «لديهم» عائد على غير مذكور بل على ما دلّ عليه المعنى أي: وما كنت لدى المتنازعين كقوله ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ [العاديات] أي: بالمكان - والعامل في «إذ» العامل في «لديهم». وقال أبو علي الفارسي: العامل في «إذ»: «كنت» انتهى. ولا يناسب ذلك[4] مذهبه في كان الناقصة لأنه يزعم أنها سلبت الدلالة على الحدث وتجردت للزمان، وما سبيله هذا فكيف يعمل في الظرف لأن الظرف وعاء للحدث، ولا حدث فلا تعمل فيه. والمضارع بعد «إذ» في معنى الماضي أي: إذْ ألقوا أقلامَهم للاستهامِ على مريم.

والظاهر أنها الأقلام التي للكتابة، قيل: كانوا يكتبون بها التوراة فاختاروها للقرعة تبركاً بها. ومعنى الإلقاء الرمي والطرح، ولم يذكر في

---

(١) ق: فلما.

(٢) ق في الموضعين: مما.

(٣) ق: الطهور.

(٤) كتبت في الحاشية.

الآية ما الذي ألقوها فيه ولا كيفيةَ حالِ الإلقاء وكيف خرج قلمُ زكريا.
و«أيهم» مبتدأ وما بعده خبره والجملة في موضع نصب إما على الحكاية بقولٍ محذوف أي: يقولون أيهم يكفل مريم، وإما بعلّةٍ محذوفة أي: ليعلموا أيهم يكفل مريم، وإما بحالٍ محذوفة أي: ينظرون أيهم يكفل مريم، ودلَّ على المحذوف «يلقون أقلامهم».

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ العامل في «إذ» اذكُرْ، ويبعد أن يكون بدلاً من «إذ» ويكون العامل فيه «يختصمون».

﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ هو عيسى، وتقدم المراد بكلمة في قصة زكريا[1].

﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [٨٢/أ] الضمير في «اسمه» عائد على الكلمة

(١) انظر تفسير الآية ٣٩ من آل عمران.

على معنى: يبشرك بمكوّن منه أو بموجود من الله. وسمّي[١] المسيح لأنه مسح بالبركة، وأل في «المسيح» للغلبة كهي في الدبران. و«اسمه المسيح» مبتدأ وخبر، وذكر الضمير في «اسمه» على معنى الكلمة ولم يؤنث على اللفظ. و«عيسى» اسم أعجمي بدل من «المسيح» و«ابن مريم» صفة لعيسى. وفي كلام الزمخشري ما[٢] يدل على أن اسمه المجموع من قوله «المسيح عيسى ابن مريم» وفيه بُعْدُ. والمسيح لقب بدىء به لأنه أشهر من عيسى إذْ لا ينطلق على غيره، و«عيسى» قد يقع على غيره. وامتنع «عيسى» من الصرف للعجمة والعلمية وليست ألفه للتأنيث خلافاً لمن قال ذلك. قالوا: وأصله في لسانهم أيسوع.

﴿وَجِيهًا﴾ فعيل من وَجَهَ أي عظم قدره وجاهه في الدنيا بنبوته وفي الآخرة بعلو درجته.

﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ قال الماوردي: معناه المبالغ في تقريبهم لأن فعّل من صيغ المبالغة يقال: قرّبه يقرّبه إذا بالغ في تقريبه انتهى. وليس «فعّل» هنا من صيغ المبالغة لأن التضعيف هنا للتعدية، إنما يكون للمبالغة في نحو: خرّجت زيداً وموّت الناس. و«من المقربين» معطوف[٣] على قوله «وجيها» تقديره: ومقرباً من جملة المقربين، والتقريب بالمكانة والشرف لا بالمكان.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ وعطف «ويكلم» وهو حال أيضاً على «وجيها»، ونظيره ﴿صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ ﴿١٩﴾﴾ [الملك] أي: وقابضات. وجاء

(١) ق: ويسمى.

(٢) ق: بما. وانظر الكشاف ١: ٤٣٠.

(٣) ق: معطوفاً.

بالمضارع الذي يقتضي التجدد و«وجيها» بالاسم الذي يقتضي الثبوت. و«كهلاً» معطوف على «في المهد» أي كائناً في المهد وكهلاً، يشير [إلى] أنّ تكليمه في المهد يكون كتكليمه كهلاً، وفيه إشارةٌ إلى أنه يعيش إلى حدّ الكهولة.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ استفهام معناه التعجب لأن وجود ولد من غير ذكر لم يعهد وهو أغرب من قصة زكريا. ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ جملة في موضع الحال. وقد فهمت في نسبته لها من قوله «ابن مريم» أنه لا والد[1] له فاستغربت ذلك وتعجبت منه. ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ تقدم إعرابه في قصة زكريا[2]، وهناك «يفعل» لأنه ممكن إذ هو بين ذكر وأنثى مسنّين، وهنا «يخلق» لأنه لم يعهد مولود من غير ذكر فجاء بلفظ «يخلق» الدال على الاختراع الصرف من غير مادة ذكر.

﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ تقدم الكلام عليه في سورة البقرة[3].

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ الكتاب هنا مصدر [كتب] قال ابن عباس: الخطّ باليد. و«التوراة» هي المنزلة على موسى. و«الإنجيل» على عيسى. وقرىء: ونعلّمه بالنون والياء.

﴿وَرَسُولًا﴾ منصوب بإضمار فعل أي ونجعله رسولاً. وأجاز الزمخشريُّ وابنُ عطية أن يكون معطوفاً على «وجيهاً» و«يعلّمه» فيكون حالاً، التقدير: ومعلماً الكتاب، فهذا كله عطف بالمعنى على قوله: «وجيهاً» وهو ضعيف

---

(١) ق: ولد.

(٢) في قوله ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران].

(٣) انظر تفسير الآية ١١٧ من البقرة.

لطول الفصل بين المتعاطفين. وأجاز ابن عطية أن يكون منصوباً على الحال من الضمير المستكن في «ويكلّم» فيكون معطوفا على قوله «وكهلاً» أي: ويكلم الناس طفلاً وكهلاً ورسولاً إلى بني إسرائيل. وهو بعيدٌ جداً لطولِ الفصل بين المتعاطفين. وقوله وقول الزمخشري عُجمةٌ قبيحةٌ لا تصدر من متمكِّنٍ في الفصاحة.

وأجاز الزمخشري أن يكون منصوباً على إضمار فعل من لفظ رسول ويكون ذلك الفعل معمولاً لقول عيسى، التقدير: ويقول أرسلت رسولاً إلى بني إسرائيل. واحتاج إلى هذا التقدير كله لقوله[1]: «أني قد جئتكم بآية» وقوله: «ومصدقاً لما بين يدي» إذ لا يصحّ في الظاهر حَمْلُه على ما قبله من المنصوباتِ لاختلاف الضمائر، لأنَّ ما قبله من ضمير غائب وهذان ضميرا متكلم فاحتاج إلى هذا الإضمار لتصحيح المعنى. قال[2]: وهو من المضائق التي فيها إشكال.

وهذا [٨٢/ب] الوجهُ ضعيفٌ إذْ فيه إضمارُ شيئين: القول ومعموله الذي هو: أرسلت، والاستغناء عنهما باسم منصوب على الحال المؤكدة. إذ يفهم من قوله: وأرسلت، أنه رسول، فهي على هذا التقدير حال مؤكدة.

وقرأ اليزيدي: ورسولٍ بالجرِّ، وخرّجه الزمخشري على أنه معطوف على «بكلمة منه». وهي قراءة شاذة في القياس لطول البُعْدِ بين المعطوف والمعطوف عليه.

وقرىء: أني بفتح الهمزة معمولاً لقوله «ورسولا» أي: ناطقاً بأني قد

---

(١) ق: كقوله.

(٢) الكشاف ١: ٤٣١.

جئتكم، وبكسر الهمزة أي قائلاً إني قد جئتكم بآية من ربكم وهي العلامة. ثم أخذ في تفسيرها فقال «أني أخلق لكم من الطين» أي: أُصَوِّرُ «كهيئة الطير» أي: مثل صورته. وقرىء: أني أخلق بفتح الهمزة وكسرها. وقوله: «من الطين» تقييد بأنه لا يوجد من العدم الصرف بل ذكر المادة التي تشكل[1] منها صورة الطير. وقرىء: كهيّة بكسر الهاء وياء مشددة. وتواطأ النقل عن المفسرين أنَّ الطائر الذي خلقه عيسى كان يطيرُ ما دام الناسُ ينظرون إليه فإذا غابَ عنهم سقط ميتاً ليتميز فِعْلُ المخلوقِ عن فعل الخالق.

والظاهر أن هذه الخوارق كلها تفسير للآية التي جاء بها دالّة على صحة رسالته وأن ذلك ليس باقتراح منهم. و«الطير» قيل: هو الخفاش وهو غريب الشكل والوصف. و«الأكمه» المولود أعمى يقال منه: كمه يكمه. والبرص داء معروف وهو بياض يعتري الجلد يقال منه: برص فهو أبرص.

﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لم يذكر تعيين مَنْ أحياه وذكر المفسرون ناساً الله أعلم بصحة ذلك.

﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ كان عليه السلام ينبئهم بتعيينِ ما أكلوا وتعيين ما ادَّخَرُوا. وأتى بهذه الخوارق الأربعة مصدَّرةً بالمضارع الدَّال على التجدد والحالة الدائمة، وبدأ بالخلق إذْ هو أعظم في الإعجاز وثنّى بإبراء الأكمه والأبرص وأتى ثالثاً بإحياء الموتى وهو خارق شاركه فيه غيره. وكَرَّرَ «بإذن الله» دَفْعاً لمن توهَّم فيه الإلهية، وكان «بإذن الله» عقب قوله «أني أخلق» وعطف عليه «وأبرىء الأكمه والأبرص»، ولم يذكر «بإذن الله» اكتفاء به في الخارقِ الأعظم. وعقب قوله «وأحيي الموتى» بقوله «بإذن الله» وعطف عليه

(١) ق: يشكل.

«وأنبئكم» ولم يذكر فيه «بإذن الله» لأنَّ إحياءَ الأمواتِ أعظم من الإخبار بالمغيبات فاكتفى به في الخارق الأعظم أيضاً. فكلُّ واحدٍ من الخارقين الأعظمين قُيِّد بقوله «بإذن الله» ولم يحتج إلى ذلك فيما عطف عليهما اكتفاء بالأول إذْ كل هذه الخوارق لا تكونُ إلا بإذنِ الله. وقرىء: وما تذدخرون[1] بفك الذال عن الدال. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من هذه الخوارق.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ انتصب على أنه معطوف على قوله «بآية» على أن «بآية» في موضع الحال تقديره: جِئتُكم مصحوباً بآيةٍ ومصدقاً.

﴿وَلِأُحِلَّ﴾ اللام لام كي وهو معطوف على علة محذوفة [والتقدير] لأُخَفِّفَ عنكم ولأحلَّ، أو على فعل متأخر التقدير: ولأحل لكم جئت. وقال الزمخشري[2]: «ولأحل» ردّ على قوله «بآية من ربكم» أي: جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم انتهى كلامه. ولا يستقيم أن يكون «ولأحل» رداً على «بآية» لأن «بآية» في موضع حال «ولأحلّ» تعليل، ولا يصح عطف التعليل على الحال لأن العطف بالحرف المشرك في الحكم يوجب التشريك في جنس المعطوف عليه. والذي أحلّه لحوم الإبل والشحوم وأشياء من السمك وما لا ضئضئة[3] له من الطير. وقرىء: حُرّم مبنياً للمفعول الذي لم يُسمّ فاعله، وحَرّم مبنياً للفاعل.

﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الظاهر أنها للتوكيد في قوله «قد جئتكم بآية

---

(١) ق: تدخرون.

(٢) الكشاف ١: ٤٣١.

(٣) ق: خصيصية. والضئضئة: النسل.

من ربكم﴾[1] لَمَّا طالَ ما بينهما أكَّدَ[2]. وإن كانت للتأنيس فيختلف مدلول الآيتين وتكون الثانية مخصوصة بالكتاب الذي جاء به وهو الإنجيل، فاتفق ظهور تلك الخوارق وظهور هذا الكتاب الإلهي.

﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ الإحساس الإدراك بالحاسة. ولما كان كفرهم واضحاً مصرّحاً به جعل كأنه مُبْصَر مسموع. ويقال: أحسّ متعدياً لمفعول به، وحسست [٨٣/أ] متعدياً بالباء، وقد أبدلت سين حسست الثانية ياء[3] إذا اتصل بها بعض الضمائر وقد حذفت فقالوا حَسْتُ[4]، وكذلك سين أحسّ مع بعض الضمائر تقول: أَحَسْتُ.

والكفرُ كفرهم بنبوته وطلب قتله ولذلك قال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أنصاري مضافين إلى نصر الله إياي. والحواريون أصفياء عيسى عليه السلام قاله ابن عباس. وقال مصعب: الحواريون كانوا اثني عشر رجلاً يسيحون[5] معه يُخرجُ لهم ما احتاجوا إليه من الأرض.

---

(١) في الآية السابقة.

(٢) ق: أحد.

(٣) ق: تاء.

(٤) ق: أحست.

(٥) ق: يسبّحون.

﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: أنصار نبي الله ودينه، ثم أخبروا بما حملهم على النصرة وهو الإيمان بالله وأكَّدُوا ذلك بقولهم ﴿وَٱشْهَدْ﴾ فجاز أن يكون الضمير عائداً على عيسى أو عائداً على الله أي واشهدْ يا ربَّنا. وأكَّدوا ذلك بقولهم ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ إلى آخر الآية.

﴿وَمَكَرُوا۟﴾ الضمير عائد على الذين أحسّ منهم الكفر. ومكرهم احتيالهم على قتله وقتل أصحابه. ومكر الله مجازاتهم على مكرهم، سمّى ذلك مكراً لأن المجازاة لهم ناشئة عن المكر كقوله ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۝٤٠﴾ [الشورى].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨﴾.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ﴾ القولُ بوساطة ملكٍ لأنه عليه السلام لم يكن مُكَلَّماً كموسى عليه السلام.

﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ الظاهر أنَّ معناه مميتك ورافعك إليّ. والواو لا تقتضي ترتيباً، أي: مُميتُكَ بعد رفعكَ إليَّ. وبدأ بقوله «متوفيك» إخباراً بأنه مخلوقٌ من مخلوقاته ليس بإله. وقيل: معنى «متوفيك» أي: بالنومِ أو قابضك من الأرض. وأجمعت الأمةُ على أنَّ عيسى عليه السلام حَيٌّ في السماء وسينزلُ إلى الأرض، إلى آخرِ الحديثِ الذي صَحَّ عن رسولِ الله ﷺ

في أمره[١].

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ الرفع النقل من سفل إلى علوّ. ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ أي: مُخلِّصك، جعلهم نجساً.

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ [ٱتَّبَعُوكَ﴾ أي:] اتّبعوا دينك وما جئت به عن الله من الدين والتبشير بمحمد ﷺ وإلزام الناس شريعته.

﴿فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ هم اليهود، وشردهم الله أي تشريد بأنه ليس لهم ملك ولا مدينة يتحصنون بها بل هم مفرقون في أقطار الأرض تحت قهر المسلمين وتحت[٢] قهر النصارى وتحت قهر المجوس.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ هذا إخبار بالحشر والبعث. والمعنى: ثم إلى حكمي. وهذا من الالتفاتِ لأنه سبق ذكر مكذبيه وهم اليهود وذكر مَنْ آمنَ به وهم الحواريون، وأعقب ذلك قوله «وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا» فذكر مُتَّبعيه والكافرين، فلو جاء على نمط هذا السياق[٣] لكان التركيب: ثم إليَّ مرجعهم، ولكنه التفت على سبيلِ الخطاب للجميع ليكون الإخبارُ أبلغ في التهديدِ وأشد زجراً لمن يزدجر. ثم ذكر لفظة «إلي» ولفظة «فأحكم» بضمير التكلم ليُعْلَم أن الحاكم هناك من لا تخفى عليه خافية. وذكر أنه يحكم فيما اختلفوا فيه من أمر الأنبياء واتباع شرائعهم، وأتى

(١) في سنن الترمذي ٤: ٥٠٦ «والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد».

(٢) مكررة في ق.

(٣) ق: السابق.

بالحكم مبهماً ثم فصّل المحكوم بينهم إلى كافر ومؤمن وذكر جزاء كل واحد منهم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بدأ في التفصيل بالكفار، لأن ما قبله من ذكر حكمه تعالى بينهم هو على سبيل التهديد والوعيد للكفار والإخبار بجزائهم، فناسب البداءة بهم ولأنهم أقرب في الذكر بقوله «فوق الذين كفروا»، ولكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعيسى وراموا قتله. ثم أتى ثانياً بذكر المؤمنين، وعلَّقَ هناك العذابَ على مجرد الكفر، وهنا عَلَّقَ توفيةَ الأجرِ على الإيمان وعمل الصالحات تنبيهاً على درجةِ الكمال في الإيمان ودعاءً إليها.

﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ أسند الفعل إلى ضمير المتكلم وحده وذلك ليطابق قوله «فأحكم بينكم»، وفي هذه الآية قال «فيوفيهم» بالياء على قراءة حفص ورويس، وذلك على سبيل الالتفات والخروج من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة للتنوع في الفصاحة. وقرأ الجمهور: فنوفيهم بالنون الدالّة على المتكلم المعظم شأنه. ولم يأت بالهمزة كما في تلك [٨٣/ب] الآية ليخالف في الإخبار بين النسبة الإسنادية فيما يفعله بالكافر وبالمؤمن كما خالف في الفعل، ولأن المؤمن العامل للصالحات عظيم عند الله تعالى فناسب الإخبار[1] عن المجازى بنون العظمة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من خبر عيسى وزكريا وغيرهما. و﴿نَتْلُوهُ﴾ نسرده ونذكره شيئاً بعد شيء. وأضاف التلاوة إلى نفسه وإن كان المَلَك هو التالي تشريفاً له، وجعل تلاوة المأمور تلاوة الآمر. وفي «نتلوه» التفات لأن قبله ضمير غائب في قوله: «لا يحب». و«نتلوه» معناه: تَلَوْنَاهُ كقوله

(١) «الإخبار» مكررة في ق، و«المجازى» غير ظاهرة فيها.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة]. ويجوز أن يراد به ظاهره من الحال لأن قصة عيسى لم يفرغ منها ويكون «ذلك» بمعنى هذا.

قال الزمخشري[1]: يجوز أن يكون «ذلك» - من [قوله] «ذلك نتلوه عليك» - بمعنى الذي و«نتلوه» صلته و«من الآيات» الخبر انتهى. هذه نزعة كوفية يُجيزون في أسماء الإشارة أنْ تكون موصولة ولا يجوز ذلك عند البصريين إلا في ذا وحدها إذا سبقها ما الاستفهامية[2] باتفاق أو مَن الاستفهامية باختلاف. وقد قال بقول الزمخشري الزجاج قبله وتبعه هو وتقريره في النحو.

و«الآيات» هنا الظاهر أنه يُراد بها آيات القرآن، ويحتمل أنْ يُراد بها المعجزات والمستغربات، أي: يأتيهم بهذه الغيوب من قبلنا وبسبب تلاوتنا وأنت أميٌّ لا تقرأُ ولا تصحبُ أهلَ الكتاب فهي آياتٌ لنبوتك، قاله ابن عباس والجمهور.

«والذكر الحكيم» أي: الحاكم أتى بصيغة المبالغة فيه ووصف بصفة من هو سببه وهو الله تعالى، أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ

---

(١) الكشاف ١ : ٤٣٣.

(٢) ق: إذا استفهاماً الاستفهامية.

بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ قال ابن عباس وغيره: جادل وفد نجران النبي ﷺ في أمر عيسى وقالوا: بلغنا أنك تشتم صاحبنا وتقول هو عبد، فقال النبي ﷺ: وما يضر ذلك عيسى؟ أجل هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. فقالوا: فهل رأيت بشراً قط جاء من غير فحل أو سمعت به؟ وخرجوا فنزلت. والمَثَل ها هنا بمعنى الصفة أي صفة عيسى في ولادته من غير أب على خلاف المعهود مثل صفة آدم في الغرابة والإنشاء من غير أب وأم. ولا يلزم التشبيه بالشيء أن يكون من جميع وجوهه، وأنكر بعض الناس أن يكون المَثَل بمعنى الصفة، وتقدم نوع من هذا التركيب والكلام عليه في قوله ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا ﴿١٧﴾﴾ [البقرة] فأغنى عن إعادته.

ومعنى ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [أي] عند من يعلم حقيقة الأمر وكيف هو.

﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾ ذكر أصل نشئه[1] أي: صوّره شكلاً من تراب ﴿ثُمَّ قَالَ [لَهُۥ] كُن﴾ أي: كن بشراً سوياً ذا روح وعقل. ﴿فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون. وهذه كنايةٌ عن سرعة الإيجاد، نزّل قابلية الشيء لما أراده الله منزلة الموجود المأمور القابل لامتثال الأمر. والجملة من قوله «خلقه» تفسيرية لـ«مثل آدم» فلا موضع لها من الإعراب، وقد أجيز أن تكون حالاً ومنعه بعضهم.

﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي: جادلك فيه، أي: في أمر عيسى لأنه المحدَّث عنه أولاً في قوله «إن مثل عيسى عند الله». والمحاجّةُ مفاعلةٌ وهي من اثنين وقعت بين رسول الله ﷺ وبين وفد نجران.

---

(١) ق: تشبيه.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ وهو إخباره عليه السلام بولادة عيسى من غير أب وقصته إلى أن ذكر رفع الله تعالى إياه.

﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾ قرىء بفتح اللام وهو الأصل، وبضمّها شاذاً، ووجهه أنه كان أصله: تعاليوا فنقلت الضمة إلى اللام فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. «ندع» أي يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة. وفي صحيح مسلم(١) لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ فاطمة وحسيناً وحسناً [٨٤/أ] فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾ نتضرع قاله ابن عباس.

﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي: يقول كل منا: لعن الله الكاذب منا في أمر عيسى. وقد طول المفسرون في قصة المباهلة، ومضمّنها أنه لما دعاهم إلى المباهلة وخرج بالحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهما السلام إلى الميعاد كفّوا(٢) عن ذلك. ومعلوم أن الكاذب هم النصارى وهو نظير قوله ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ [سبأ] ومعلوم أنَّ الذي على الهدى هو محمدٌ ﷺ وأنَّ الذين في ضلالٍ مبين هم الكفارُ المخاطَبُونَ بقوله «أو إياكم» وأبرز ذلك إبراز الاحتمال كما قال الشاعر(٣):

آأنتِ أَمْ أُمُّ سالمِ

وخصَّ الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم

---

(١) ٤: ١٨٧١.

(٢) ق: وأنهم كفّوا.

(٣) البيت لذي الرمّة في ديوانه ص٦٢٢ وتمامه: [من الطويل]

أيا ظبية الوعساء بين جلاجلٍ وبين النقا آأنت أم أمّ سالم

الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثم كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون المدافع عنها[١] بأرواحهم حماة الحقائق. وقدّمهم في الذكر على الأنفسِ لينبّه على لُطْفِ مكانِهم وقربِ منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدّمون على الأنفس مفدون بها. وفيه دليلٌ لا شيء أقوى منه على صحة نبوة محمد ﷺ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ الإشارة بـ«هذا» إلى قصة عيسى عليه السلام وكونه مخلوقاً من غير أب، إلى سائر ما قصّ الله تعالى في أمرِهِ فليس بإلٰهٍ ولا ابن إلٰه بل هو عبدٌ مَن عبيد الله كما قال تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف] ولذلك جاء بعده «وما من إله إلا الله» فحصر الإلهية له تعالى.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ إشارة إلى وصفي الألوهية وهما القدرةُ الناشئة عن الغَلَبة فلا يمتنع عليه شيء، والعلمُ المعبَّرُ عنه بالحكمةِ فيما صنع والإتقان لما اخترع فلا يَخْفى عليه شيء. وهاتان الصفتان منفيتان[٢] عن عيسى عليه السلام.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ يجوز أن يكون مضارعاً حذفت منه التاء أصله تتولّوا، ويجوز أن يكون ماضياً. وتولّيهم عن ما جئت به في أمر عيسى وفي صحة نبوتّك. ومعنى علمه تعالى اطلاعه على أحوالهم فيعاقبهم على تولّيهم. و«بالمفسدين» جاء باسم الفاعل الدالّ على الثبوت، وجاء جمعاً ليعمّهم وغيرهم من أهل الإفساد.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ

---

(١) ق: ليمنعهم.. الدافع عنهما.

(٢) غير مقروءة في ق.

وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في القِسِّيسينَ والرهبان، بعث بها النبي ﷺ [إلى جعفر] وأصحابه بالحبشة فقرأها جعفر والنجاشي جالس وأشراف الحبشة. وقيل: نزلت في وفد نجران واللفظُ عام فيهم وفي غيرهم. «سواء» صفة لـ«كلمة» وهو مصدر وصف به أي: مستوية[1] بيننا وبينكم، وهذا دعاء إنصاف. وقرىء: سواءً بالنصب وخرّج على أنه منصوب على المصدر بفعل محذوف تقديره: استوتْ استواءً، ويجوز انتصابه على الحال من النكرة وإنْ لم توصف، نصَّ على ذلك سيبويه.

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ في موضع جر على البدل من «كلمة».

﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ توكيد للجملة التي قبلها لأنَّ مَنْ أفردَ العبادةَ لله تعالى وحصرها فيه لا يشرك بالله شيئاً. وانتصب «شيئاً» على أنه مفعول به أو مصدر.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا﴾ أي: لا نتخذهم[2] أرباباً فنعتقد فيهم الإلهيةَ ونعبدهم على ذلك كعزير وعيسى.

---

(١) ق: متسوية.

(٢) ق: تتخذوهم.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإقرار بالكلمة. ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا﴾ أي: اعلموا أنّا مُبايِنُونَ لكم منقادون لها. وهذه الآية في الكتاب الذي وجّهه رسول الله ﷺ مع دِحْيَةَ إلى عظيمِ بصرى فدفعه إلى هرقل.

﴿لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ ادّعت اليهودُ أنَّ إبراهيمَ عليه السلام كان يهودياً والنصارى كان نصرانياً وحاجّوا في ذلك. و«ما» في «لِمَ» استفهامية حذفت ألفها. أنكر عليهم دعواهم وبيّن أنَّ اليهوديةَ إنما هي منتسبة [٨٤/ب] لمن أنزل عليهم التوراة، والنصرانية لمن أنزل عليهم الإنجيل، وهما إنما أنزلا بعد إبراهيمَ عليه السلام وهذا إلزام واضح.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ تنبيه على عدم عقلهم إذْ نسبوا شيئاً متأخراً لمن كان متقدماً[(١)].

﴿فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: على دعواكم في قضية عيسى عليه السلام إذ كانوا قد شاهدوه وإن كانوا قد نسبوه إلى ما لا يليق بما لا يكون له من ادّعاء الإلهية فيه كما ادّعت النصارى، أو قرفه بما هو باطل كادّعاء اليهود فيه.

﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ هي دعواهم في إبراهيم. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أي: يعلم دين إبراهيم الذي حاججتم فيه.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ أعلم تعالى ببراءةِ إبراهيمَ من هذه الأديان وبدأ[(٢)] بانتفاء اليهودية لأنَّ شريعةَ اليهود أقدم من شريعة النصارى. وكرر «لا» لتأكيد النفي عن كل واحد من الدينين، ثم استدرك ما كان عليه بقوله

(١) ق: متقدماً.. متأخراً.

(٢) ق: وابدأ.

﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾. ووقعت «لكن» هنا أحسن مواقعها[1] إذْ هي واقعة بين النقيضين بالنسبة إلى اعتقاد الحق والباطل.

ولما كان الكلام مع اليهود والنصارى كان الاستدراك بعد ذكر الانتفاء عن شريعتيهما، ثم نفى على سبيل التكميل للتبرؤ من سائرِ الأديان كونه من المشركين وهم عَبَدَةُ الأصنامِ كالعربِ الذين كانوا يدَّعُونَ أنهم على دينِ إبراهيم، وكالمجوسِ عَبَدَةِ النار، وكالصابئةِ عَبَدَةِ الكواكبِ، ولم ينصّ[2] على تفصيلهم لأن الإشراك يجمعهم.

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ ﴾ قال ابن عباس: قالت رؤساء اليهود: يا محمد لقد علمت أنَّا أوْلى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك وأنه كان يهودياً وما بك إلا الحسد فنزلت. أوْلى [الناس] أخصّهم به وأقربهم منه، من الوَلْي وهو القُرْب. و«أولى» أفعل تفضيل والمفضل عليه محذوف وتقديره: منكم أهل الكتاب.

﴿ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ أي: اتبعوا شريعته في زمانه وفي الفترات بعده.

﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ يعني به محمداً ﷺ. وخُصَّ بالذكر من سائر مَن اتبعه لتخصيصهِ بالشرفِ والفضيلة كقوله تعالى ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَٱلَّذِينَ[3] ءَامَنُوا۟ ﴾ قيل: آمنوا بمحمد ﷺ. وقرىء: وهذا النبيَّ عطفاً على الضمير المنصوب في «اتبعوه» أي اتبعوا إبراهيم وهذا النبي. وقرىء: وهذا النبيِّ بالجر عطفاً على «إبراهيم».

---

(١) ق: موقعها.

(٢) ق: ينقص.

(٣) ق: الذين.

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾.

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ ﴾ أجمع المفسرون أنها نزلت في يهودِ بني النضير وقريظة وقينقاع، قالوا لمعاذ وعمار وحذيفة: تركتم دينكم واتَّبعتم دِينَ محمد فنزلت.

﴿ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ يردُّونكم إلى كفرهم. ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: بجحد نبوة محمد ﷺ. ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ مبالغة في ذمّهم حيث فقدوا المنفعة بحواسّهم.

﴿ يَـٰٓأَهْلَ[1] ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ قال ابن عباس: هي التوراةُ والإنجيل وكفرهم بها من جهة تغيير الأحكام وتحريف الكلام أو الآيات التي في التوراة والإنجيل من وصف النبي ﷺ والإيمان به كما بيّن بقوله ﴿ يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ﴾ تقدم الكلام على النهي عن لبسهم وكتمهم في البقرة[2]،

(١) ق: قل يا أهل.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٢ من البقرة.

وهنا الإنكار عليهم في قوله «لِمَ». وفي «البحر»[١] أجاز الزجاج والفراء في «ويكتمـون» من قوله تعالى «لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق» النصب فتسقط النون من حيث العربية على قولك: لم تجمعون ذا وذا فيكون نصباً على الصرف في قول الكوفيين وبإضمار [أن] في قول البصريين. وأنكر ذلك أبو علي وقال: الاستفهام وقع على اللبس فحسب وأما «تكتمون» فخبرٌ حتم لا يجوزُ فيه إلا الرفع، يعني أنه ليس معطوفاً على «تلبسون» بل هو استئنافُ خبرٍ عنهـم أنهم يكتمـونَ الحقَّ مع علمهم أنه حق. قال ابن عطية[٢]: قال أبو علي: الصرف ها هنا يقبح وكذلك إضمار أنْ، لأنّ «تكتمون» معطوف على موجب مقرر [٨٥/أ] وليس بمستفهم عنه وإنما استفهم عن السبب في اللبس واللبس موجب، فليست الآية بمنزلة قولهم: أتأكل السمك وتشرب اللبن، وبمنزلة قولك: أتقوم فأقوم. والعطف على الموجب المقرر قبيحٌ متى نصب إلا في ضرورةِ شعرٍ كما رُوي[٣]:

والحقُ بالحجاز فأستريحا ـ [من الوافر]

وقد قال سيبويه في قولك: أَسِرْتَ حتى تدخلها[٤]، لا يجوز إلا النصب في تدخل، لأن السير مستفهم عنه غير موجب. وإذا قلنا: أيهم سار حتى يدخلها، رفعت لأن السير موجب والاستفهام إنما وقع عن غيره انتهى ما نقله ابن عطية عن أبي علي. وظاهرهُ تعارُض ما نقلَ مع ما قبله لأنَّ ما قبله فيه

---

(١) ٢: ٤٩١.

(٢) المحرر الوجيز ٢: ٤٦٣.

(٣) البيت للمغيرة بن حبناء، وهو في الكتاب ٣: ٣٩، وصدره:

سأترك منزلي لبني تميم

(٤) في ابن عطية: تدخل المدينة.

أن الاستفهام وقع على اللبس فحسب وأما «تكتمون» فخبر حتم لا يجوز فيه إلا الرفع.

وفي ما نقله ابن عطية أن «تكتمون» معطوف على موجبٍ مقرر وليس بمستفهم عنه، فيدل العطف على اشتراكهما في الاستفهامِ عن سببِ اللبسِ وسببِ الكتم الموجبين. وفرق بين هذا المعنى وبين أن يكون «وتكتمونَ» إخباراً محضاً لم يشترك مع اللبس في السؤال عن السبب.

وهذا الذي ذكره أبو علي من أنَّ الاستفهام إذا تضمَّنَ وقوعَ الفعل لا ينتصب الفعل بإضمار أن في جوابه، تبعه في ذلك ابن مالك في «التسهيل»[1] حين عدَّ ما يضمر أن لزوماً في الجواب فقال: أو لاستفهام[2] لا يتضمن وقوع الفعل، وإنْ تضمن وقوع الفعل لم يجز النصب عنده نحو: لِمَ ضربت زيداً فيجازيك، لأنَّ الضرب[3] قد وقع.

ولم نر أحداً من أصحابنا يشترط هذا الشرط الذي ذكره أبو علي وتبعه فيه ابن مالك في الاستفهام، بل إذا تعذّر سبك مصدر مما قبله إما لكونه ليس ثم فعل ولا ما في معناه ينسبك منه، وإما لاستحالة سبك مصدر مراد استقباله [لأجل مضي الفعل فإنما يقدر فيه مصدر مقدّر استقباله] مما يدل عليه المعنى، فإذا قال: لم ضربت زيداً فأضربك أي: ليكن منك تعريف بضرب زيد فضربٌ منّا. وما ردَّ به أبو علي على أبي إسحاق ليس بمتَّجهٍ لأنَّ قوله «لم تلبسون» ليس نصّاً على أنَّ المضارع أُريدَ به الماضي حقيقة، إذ قد ينكر

---

(١) انظر ص٢٣١.

(٢) ق: كاستفهام. وأصل العبارة في التسهيل «جواباً.. لاستفهام».

(٣) ق: النصب.

المستقبل لتحقق صدوره[١] لا سيّما على الشخص الذي تقدَّمَ منه وجود أمثاله. ولو فرضنا أنّه ماضٍ حقيقةً فلا ردّ فيه على أبي إسحاق لأنَّه كما قرّرنا قبلُ أنّه إذا لم يمكن سبك مصدر مستقبل من الجملةِ سبكناهُ من لازم الجملة. وقد حكى أبو الحسن بن كيسان نصب الفعل في جواب الاستفهام حيث الفعلُ المستفهمُ عنه محقَّقُ الوقوع نحو: أين ذهب زيد فنتبعه وكذلك في: [كم] مالُك فنعرفه، ومَنْ أبوك فنكرمه. لكنه يتخرّج على ما سبق ذكره من أن التقدير: ليكن منك إعلام بذهاب زيد فاتّباع منا، وليكن منك إعلام بقدر مالِك فمعرفة منا، وليكن منك إعلام بأبيك فإكرام منّا له، انتهى.

وقرأ[٢] عبيد بن عمير: لمَ تلبسوا وتكتموا بحذف النون فيهما. قالوا: وذلك جزم لا وجه له سوى ما ذهب إليه شذوذ من النحاة في إلحاق لِمَ بلَمْ في عمل الجزم.

قال السجاوندي: ولا وجه له إلاّ أنّ لِمَ تجزم الفعل عند قوم كلَمْ انتهى.

والثابتُ في لسان العرب أنّ لِمَ لا ينجزم ما بعدها، ولم أر أحداً من النحويين ذكر أنّ لِمَ تجري مجرى لَمْ في الجزم إلا ما ذكره أهل التفسير هنا. وإنّما هذا عندي من باب حذف النون حالة الرفع، وقد جاء ذلك في النثر قليلاً جداً وذلك في قراءة أبي عمرو من بعض طرقه «قالوا ساحران تَظّاهرا» [القصص: ٤٨] بتشديد الظاء أي: أنتما ساحران تتظاهران فأدغم التاء في الظاء

---

(١) ق: ضرورة.

(٢) ق: قرأ.

وحذف النون. وأمّا في النظم فنحو قول الراجز(١):

أَبِيتُ أَسْرِي وتَبِيتِي تَدْلكي

يريد: تبيتين تدلكين. وقال آخر(٢): [من الطويل]

فإنْ يك قومٌ سَرَّهم ما صنعتُمُ سيحتلبوها لاقحاً غير ناهلِ

[٨٥/ب] ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ جملة حالية، نعى عليهم اللبس والكتمة مع علمهم بما يترتبُ على ذلك من عقاب الله تعالى إياهم.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ﴾ الآية، قال الحسن والسُدّي: تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دينِ محمدٍ أولَ النهار باللسانِ دونَ الاعتقاد واكفروا به في آخرِ النهار وقولوا إنَّا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا(٣) محمداً ليس كذلك فظهر لنا كَذبُه وبطلانُ دينه، فإذا فعلتم ذلك شَكَّ أصحابُه في دينهم وقالوا: هم أهلُ الكتاب وهم أعلمُ منّا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم فنزلت. وقال ابن عباس ومجاهد: صلَّوْا مع النبيِّ ﷺ صلاةَ الصبح ثم رجعوا آخر النهار فصلَّوْا صلاتَهم ليرى الناسُ أنّه بَدَتْ لهم منه ضلالةٌ بعد أنْ كانوا اتبعوه فنزلت.

﴿ءَامِنُواْ﴾ أظهروا الإيمانَ باللسان. ﴿بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لم يصدقوا بأنه أنزل على المؤمنين وإنما معناه: أنزل على زعمهم. ﴿وَجۡهَ

(١) اللسان (دلك)، وتمامه:

وجهك بالعنبر والمسك الذكي

والبيت من شواهد الهمع ١: ١٧٦.

(٢) انظر البحر ٢: ٤٩٢.

(٣) ق: وجدنا.

﴿ٱلنَّهَارِ﴾ أوّله، وانتصب على الظرف الزماني. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: لعلَّ الذين آمنوا يرجعون عن دينهم إذ رأونا مضطربينَ في دينهم بفعلنا ذلك.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ أي: لا تُخلِصُوا الإيمانَ باللسانِ والاعتقاد.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ ظاهره أنها جملة مستقلة، أمرَ اللهُ تعالى نبيه ﷺ أنْ يقولَ هذا. و«هدى الله» خبر إنّ، وقيل بدل من «الهدى». و«أن يؤتى» على قراءة من قرأ: أن يؤتى بهمزة واحدة، خبر إنّ أي: إنَّ هدى الله إيتاء واحد منكم مثلما أُوتيتم من العلم. والخطاب بـ«أوتيتم» للكفّار ويكون «أو يحاجّوكم» منصوباً بإضمار أنْ بعد «أو» بمعنى حتى أي: حتى يحاجّوكم عند ربكم فيغلبوكم ويدحضوا حجتكم عند الله. ولا يكون «أو يحاجّوكم» معطوفاً على «أن يؤتى»، وعلى أن يكون «هدى الله» خبر إنَّ يكون المعنى: مخافةَ أنْ يُؤتى تعليلاً لقوله «ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم» وتكون الجملة من قوله «قل إن الهدى هدى الله» اعتراضاً بين العلّة والمعلول.

وقرأ ابن كثير: أن يؤتى على الاستفهام الذي معناه الإنكار عليهم والتقرير والتوبيخ، وهو مثبت من حيث المعنى قلتم ذلك وفعلتموه، ويكون «أو يحاجّوكم» معطوفاً على «يؤتى» و«أو» للتنويع.

قال ابن عطية[١]: ويحتمل أن يكون قوله «أن يؤتى» بدلاً من قوله «هدى الله» ويكون المعنى: قل إنَّ الهدى هدى الله وهو أنْ يؤتى أحدٌ كالذي جاءنا نحن، ويكون قوله «أو يحاجّوكم» بمعنى أو فليحاجُوكم لأنهم يغلبونكم[٢] انتهى هذا القول. وفيه الجزم بلام الأمر وهي محذوفة ولا يجوز ذلك على

(١) المحرر الوجيز ٢: ٤٧١.

(٢) «لأنهم يغلبونكم» زيادة في ق.

مذهب البصريين إلا في الضرورة.

وقال الزمخشري[١]: ويجوز أن ينتصب «أن يؤتى» بفعل مضمر يدل عليه قوله «ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم» [كأنه قيل:] قُلْ إنَّ الهدى هدى الله فلا تُنكروا أنْ يؤتى أحدٌ مثلما أوتيتم، لأن قولهم «ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم» إنكارٌ لأنْ يُؤتى أحدٌ مثلما أُوتُوا انتهى كلامه. وهو بعيد لأن فيه حذف حرف النهي[٢] ومعموله، ولم يحفظ ذلك من لسانهم، وكون أن نافية بمعنى لا قولٌ مرغوب عنه.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ وهذه كناية عن قدرة التصرف والتمكن فيها، والباريءُ تعالى مُنَزَّهٌ عن الجارحة.

﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ ﴾ الآية، ظاهره أنَّ أهلَ الكتاب منهم أمينٌ ومنهم خائن. قال ابن عباس: «من إن تأمنه بقنطار» هو عبد الله بن سلاّم استودعه رجلٌ من قريش ألفاً ومئتي أوقيّة ذهباً فأدّاهُ إليه و«من إن تأمنه بدينار» [هو] فنحاص بن عازوراء استودعه رجلٌ من قريش ديناراً فجحده

(١) الكشاف ١: ٤٣٧.

(٢) ق: النفي.

وخانه انتهى. ولا ينحصر الشرط في ذَيْنِكَ المُعَيَّنين بل كلٌّ منهما[١] فردٌ ممّن يندرج تحت «من» ألا ترى كيف جمع في قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ [٨٦/أ] الآية.

وفي قصّة السموأل بن عادياء اليهودي ووديعة امرىء القيس عنده وطلب الحارث بن [أبي] شَمِر الغسّاني ذلك منه دليلٌ على الوفاء التامّ منه وإن كان يهودياً حتى ضرب به المثل فقيل: أوفى من السّموأل[٢]. والخطاب في «تأمنه» ظاهره أنه خطاب للنبيّ ﷺ. و«بقنطار» كناية عن المال الكثير و«بدينار» كناية عن المال القليل. وقرأ أُبيّ: تِيْمَنْه في الحرفين بتاءٍ مكسورة وياء ساكنة، قال ابن عطية[٣]: وما أراها إلّا لغة قرشيّة وهي كسر النون التي للجماعة كـ«نِستَعين»، وألف المتكلم كقول ابن عمر: لا إخالُه، وتاء المخاطب كهٰذه الآية، ولا يكسرون الياء في الغائب انتهى. لم يبيّن ما تكسر فيه حروف المضارعة بقانون كلّي، وما ظَنَّهُ من أنها لغةٌ قرشيّة فليس كما ظنَّ وقد بيّنا ذلك في «نستعين» في كتابنا «البحر»[٤]. وقرىء: يؤدّه بالواو وبالهمزة ووصل الهاء بياءٍ وباختلاس الحركة وبسكون الهاء. و﴿قَآئِمًا﴾ ظاهره القيام وكنّى به عن قيامِ الإنسانِ على أشغاله واجتهاده والحزم فيها بأن لا تضيع فكأنّه قائم على رأس المؤتمن على الدينار.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ﴾ الآية، روي أن بني إسرائيل كانوا يعتقدون استحلالَ أموالِ العرب لكونهم أهل أوثان فلما جاء الإسلامُ وأسلم مَنْ أسلم من

---

(١) ق: منها.

(٢) مجمع الأمثال ٢: ٣٣٦.

(٣) المحرر الوجيز ٢: ٤٧٣.

(٤) انظر ١: ٢٣.

العرب بقي اليهود فيهم على ذلك المعتقد فنزلت. وذلك إشارةٌ إلى عدم أداء ما أؤتمن عليه والخيانة فيه. ﴿فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ في أخذِ أموالِ الأميّين وخيانتهم. ﴿سَبِيلٌ﴾ أي: اعتراض. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي: القول الكذب يفترونه على الله بادعائهم أن ذلك في كتابهم.

قال السُدّي وابن جريج وغيرهما: ادّعت طائفة من أهل الكتاب أن في التوراة إحلال الله لهم أموال الأميّين كذباً منهم وهي عالمة بكذبها، فيكون الكذبُ المقولُ هنا هو هذا الكذب المخصوص في هذا الفصل. والظاهر أنه أعمُّ من هذا فيندرج هذا فيه أي: هم يكذبون على الله في غيرِ ما شيءٍ وهم علماءُ بموضع الصدق.

﴿بَلَىٰ﴾ جوابٌ لقولهم «ليس علينا في الأميين سبيل» والمعنى بلى عليهم في الأميين سبيل. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ جواب ﴿مَنْ أَوْفَىٰ﴾ فيحتمل أن يكون «المتقين» عامّاً فيندرج فيه «من أوفى» أو كنّى بالمتقين عمّن أوفى فكأنه قال: يحبهم، ونبّه على الصفة التي يحبّهم لأجلها وهي التقوى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ نزلت في اليهود ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ أضاف المصدر إلى الفاعل أي: بعهدِ الله إيّاهم وهو ما أخذه عليهم من الإيمان بالرسول ﷺ، أو مضافاً إلى المفعول أي: بعهده اللهَ، وتقدّم تفسيرُ شبيهِ بهذه الآية في سورة البقرة[1].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾.

---

(١) وهو قوله ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ [البقرة].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي: من أهل الكتاب. ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ [أَلْسِنَتَهُم]﴾ أي: يفتلونها بقراءته عن الصّحيح إلى المُحرَّفِ قاله الزمخشري[١]. وعن ابن عباس أيضاً: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف، غَيَّروا التوراةَ وكتبوا كتاباً بَدَّلوا فيه صفةَ رسولِ الله ﷺ ثم أخذت قريظةُ ما كتبوه فخلطوه بالكتابِ الذي عندهم.

وقال ابن عطيّة[٢]: يُحرِّفون ويتحيَّلون لتبديلِ المعاني من جهة اشتباهِ الألفاظ واشتراكها وتشعُّبِ التأويلات فيهـا ومثال ذلك قولهم ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء][٣] ونحو ذلك وليس التبديل المحض [بليّ] انتهى.

والذي يظهر أن اللَّيَّ وقع بالكتابِ أي: بألفاظهِ لا بمعانيه وحدها كما يزعمُ بعضُ الناس، بل التحريفُ والتبديل وقع في الألفاظِ والمعاني تبعٌ للألفاظ، ومَنْ طالع التوراة علم يقيناً أنَّ التبديل في الألفاظ والمعاني لأنها تضمنت أشياء يجزم العاقلُ أنها ليست من عند الله، ولا أنَّ ذلك يقع في كتابٍ إلٰهي من كثرة التناقض في الأخبار والأعداد ونِسْبة أشياء إلى الله تعالى من الأكلِ والمصارعةِ وغير ذلك، ونسبة أشياء إلى الأنبياء من الكذب والسكر من الخمر [٨٦/ب] والزّنى ببناتهم وغير ذلك من القبائحِ التي ينزّه العاقل نفسه عن أنْ يَتَّصف بشيءٍ منها فضلاً عن منصب النبوّة.

وقد صنّف الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن خطّاب الباجي[٤] كتاباً في السؤالات على ألفاظِ التوراة، ومَنْ طالع ذلك رأى فيه عجائب وغرائب

---

(١) الكشاف ١: ٤٣٩.

(٢) المحرر الوجيز ٢: ٤٧٩.

(٣) وهو كذلك في ابن عطية، وفي ق: راعنا واسمع غير مسمع.

(٤) لعله كتابه الموسوم بـ«غاية السول في علم الأصول»، وانظر الأعلام ٤: ٣٣٤.

وجزم بالتبديلِ في ألفاظِ التوراة ومعانيها، هذا مع خلوّها من ذكر الآخرة والبعث والحشر والنشر والعذاب والنّعيم الأخرويّين[١] والتبشير برسولِ الله ﷺ، وأين هذا من قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف] وقوله تعالى وقد ذكر رسوله ﷺ وصحابته ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وقد نَصَّ القرآنُ على ما يقتضي إخفاءهم لكثيرٍ من التوراة قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام][٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة] فدلّت هاتان الآيتان على أنَّ الذي أخفوه من الكتابِ كثيرٌ ودلَّ بمفهوم الصفة أنَّ الذي أبدوه من الكتاب قليل.

وقد صَنَّفَ الشيخُ العالم أبو النصر السموأل بن يحيى بن عبّاس المغربي وكان من الذين هداهم الله إلى الإسلام كتاباً جليلاً في الردِّ على شيعته سمّاه «إفحام اليهود» وفرغ من تصنيفه في يوم عرفة سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، وأمعن في الردِّ على اليهود وذكر مخازيهم وألزمهم اتّباع شريعةِ الإسلامِ حسب ما تضمنته التوراة وبين وجود النص في التوراة، ويسرد فيه ألفاظ التوراة باللسان العبراني ثم يفسره بالعربيّ. وكان الباجي طالع كلامَ هذا الرجل وقد كتبنا كتابَ هذا الرجل وكتاب الباجي بخطِّنا نفعَ اللهُ بذلك.

---

(١) ق: الأخراوين.

(٢) ق: يجعلونه.. يبدونها ويخفون.

وقرىء: تلوون مضارع لوى وتلوّون مضارع لوّى مشدداً، ويلُون بضم اللاّم. وقرىء: لتحسبوه بالتاء خطاباً للمسلمين، وقرىء بياء الغيبة، والضمير المنصوب عائد على ما دلّ عليه ما قبله من المحرّف. ويحتمل أن يكون قوله «بالكتاب» على حذف مضاف أي: يلوون ألسنتهم بشبيه الكتاب فيعود الضمير على ذلك المضاف المحذوف.

﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ لم يكتفوا بالحسبان حتى صرحوا أنَّ المحرف هو من عند الله جرأة منهم على الله. ثم أخبر أن شأنهم وعادتهم قول الكذب على الله وهم يعلمون ما في ذلك من الذنب العظيم.

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ الآية، روي أن أبا رافع القُرَظي قال للنبيِّ ﷺ[(١)] حين اجتمعت الأحبار من يهود والوفد من نصارى نجران: [يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك رباً] أو ذاك تريد يا محمد وإليه تدعون؟. فقال النبيُّ ﷺ: معاذ الله ما بذلك أُمِرتُ ولا إليه دَعَوْتُ فنزلت. ومعنى «ما[(٢)] كان لبشر» وما أشبه هذا التركيب النفي للكون والمراد نفي الخبر، وذلك على قسمين أحدهما أن يكون الانتفاء من حيث الفعل[(٣)] ويعبر عنه بالنفي التام

---

(١) بعده في ق: معاذ الله ما بذلك أمرت. وشطبت.

(٢) ق: وما.

(٣) ق: العقل.

كقوله تعالى ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل]. والثاني أن يكون الانتفاء فيه على سبيل الابتغاء ويعبّر عنه بالنفي غير التام كقول الصدّيق رضي الله عنه: ما كان لابن أبي قحافة أنْ يتقدم ليصلّي بين يدي رسولِ الله ﷺ. ومُدرَك القسمين إنما يُعرف بسياق الكلام الذي النَّفيُ فيه. ونفي الكون هنا من القسم الأول. والبشر هنا قال ابن عباس: هو محمد ﷺ. وهذا [٨٧/أ] الترتيبُ في غاية الفصاحة ذكر أوّلاً الكتابَ وهو جنس، وترقّى منه إلى الحكم وهو الفصل بين الناس بالكتاب ثمّ إلى النبوّة وهي المرتبة العليا.

﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾ أتى بِثُمّ التي للمهلة تعظيماً لهذا القول، وإذا انتفى هذا القولُ بعد المهلةِ كان انتفاؤه بدونها أوْلى وأحرى أي: أنَّ هذا الإيتاءَ العظيمَ لا يجامع هذا القولُ وإنْ كان بعد مهلة من هذا الإنعام العظيم. وعباد: جمع عبد، وقال ابن عطيّة[1]: «عِبِدَّى وعبيد من جموع عبد». أمّا عبّدى فهو اسم جمع وألفه للتأنيث. وأمّا عبيد فقيل اسم جمع وقيل جمع تكسير. قال ابن عطية[2]: والذي استقرأت أنّ «عباداً» جمع عبد يجيءُ في موضعِ الترفيع كقوله ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة] و﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء] و﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]. والعبيد يستعمل في معنى التحقير كقول حمزة: وهل أنتم إلا عبيدٌ لأبي، وقول امرىء القيس[3]: [من السريع]

---

(١) المحرر الوجيز ٢: ٤٨١.

(٢) المصدر نفسه، والنص فيه بمعناه.

(٣) ديوانه ص١١٩، وعجزه فيه:

ما غرّكم بالأسد الباسل

قولا لدودانَ عبيد العصا

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت] لأنّه مكان تشفيق وإعلام بقلة انتصارهم ومقدرتهم وأنّه تعالى ليس بظلّام لهم مع ذلك، انتهى ملخصاً. وإنما كثر استعمالُ عباد دون عبيد لأن فِعالاً في جمع فَعْل قياس مطّرد، وجمع فَعْل على فعيل لا يطّرد فكثر لفظُ عباد وقَلَّ لفظُ عبيد. وأما الآية التي فيها لفظ العبيد فجاء[1] ذلك لتآخي الفواصل لا للتحقير. وأما بيتُ امرىء القيس فالتحقيرُ إنما فُهِمَ من إضافة عبيد إلى العصا، وكذلك قول حمزة فهم التحقير من الحالة التي كان عليها. وعبيد وعباد بمعنى واحد لكن الفرق بين مجيء عباد كثيراً وعبيدٍ قليلاً هو[2] القياس وعدم القياس. وقرىء: ثم يقول بالرفع للّام أي: ثم هو يقول.

﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ أي: ولكن يقول كونوا. والربانيُّ قال ابن عباس: الفقيه. ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية: اليوم مات رَبَّانِيُّ هذه الأمة. وقرىء: تُعَلِّمون وتَعْلَمون.

﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ﴾ قُرِىء برفع الراء على القطع وبالنصب عطفاً على «أن يؤتيه» والتقدير: ولا أن يأمركم. وهذه الجملةُ على سبيلِ التوكيد لأنه نفى أنْ يتخذ لنفسه عباداً من دون الله فنهى أنْ يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً من دون الله يعني من كان معظماً من العالم العلوي وهم الملائكة ومن العالم الأرضي وهم النبيّون.

ويجوز أنْ يكون «ولا يأمركم» بالنصب عطفاً على «ثم يقول» ويكون

---

(١) ق: في ذلك.

(٢) ق: وهو.

التقدير: ولا له أنْ يقول. ودخلت لا لتأكيد معنى النفي السابق كما تقول: ما كان لزيد قيام ولا قعود على انتفاء كل منهما. وقال ابن عطية في قراءة نصب الراء: هذا خطأ لا يَلتئم به المعنى انتهى. لأنه قدّر «أنْ» قبل «لا» فصار: وأن لا يأمركم. ونحن قدّرناه بعد لا فَصَحَّ المعنى. ﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ استفهام إنكار وكونه بعد كونهم مسلمين أفحش وأقبح وهو لا يأمركم بالكفر لا بعد الإسلام ولا قبله. وجعل قول ذلك البشر وأمره كفراً فسوّى بين عبادته وبين عبادة الملائكة وهم الذين عبدتهم الصابئة، وبين عبادة النبيّين وهم من عَبَدةِ اليهود والنصارى.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ هو على حذفِ مضافٍ تقديرُه: ميثاق أتباع النبيين لقوله تعالى ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ وهو محمد ﷺ ولم يكن في زمانه نبيُّون فتعيَّن أنْ يكون التقدير: ميثاق أتباع النبيين. وجاء بالخطاب على سبيلِ الالتفات. وقرىء: لَما بفتح اللام، ووجهه أنَّ اللام هي اللام الموطّئة. و«ما» شرطية مفعولة بآتيناكم[1]. و﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾ تفسيرٌ لِما. و«آتيناكم» ماض أُريد به المستقبل. ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ[2]﴾ معطوف عليه، وجواب القسم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ وما بعده. وجواب الشرط محذوف. والآيةُ مما اجتمع فيه القَسَمُ والشرطُ فجاء الجوابُ للسابق منهما وهو القسم.

---

(١) كذا في ق في هذا الموضع والمواضع التالية.

(٢) ق: جاء.

وفي «البحر»[١]: قال ابن عطية [والزمخشري]: «ما» من «لما آتيناكم» شرطية إلى آخر كلامهما انتهى. قال مثل ذلك المازنيُّ والزجَّاجُ والفارسيُّ، وفيه خدش لطيف [٨٧/ب] جداً وذلك أنه إذا كانت شرطية كان الجواب محذوفاً لدلالةِ جوابِ القسم عليه، وإذا كان كذلك فالمحذوف من جنس المثبت ومتعلقاته متعلقاته. فإذا قلت: والله لَمَن جاءني لأُكْرِمَنَّهُ، فجواب «من» محذوف التقدير: من جاءني أكرمه، وفي الآية اسم الشرط «ما» وجوابه محذوف من جنس جواب القسم وهو الفعل المقسم عليه، ومتعلق الفعل هو ضمير الرسول بوساطة حرف الجر لا ضمير «ما» فجواب «ما» المقدّر[٢] إن كان من جنسِ جواب القسم فلا يجوز ذلك لأنه تعرو[٣] الجملةَ الجوابية إذ ذاك من ضميرٍ يعودُ على اسم الشرط، وإنْ كان من غير جنس جواب القسم فكيف يدل عليه جواب القسم وهو من غير جنسه وهو [لا يحذف إلا إذا كان من] جنس جواب القسم؟ ألا ترى أنك لو قلت: والله لئن ضربني زيد لأضربنّه، كيف تقدّره: إنْ ضربني زيد أضربْه، ولا يجوز أنْ يكون التقدير: والله إن ضربني زيد أشكُه لأضربنه، لأن «لأضربنّه» لا يدلّ على «أشكه»، فهذا ما يرد على قولِ مَنْ خرَّجَ «ما» على أنها شرطية.

قال الزمخشري[٤]: و«لتؤمننّ» سادٌّ مَسدَّ جواب القسم والشرط جميعاً انتهى. هذا قولٌ ظاهرهُ مخالفٌ لقولِ من جعل «ما» شرطية لأنهم نصوا على أنَّ جوابَ الشرطِ محذوفٌ لدلالةِ جواب القَسَمِ عليه، إلا إنْ عنى أنه من

---

(١) انظر ٢: ٥١٠ وما بعدها.

(٢) ق: المقدّرة.

(٣) أي تخلو.

(٤) الكشاف ١: ٤٤١.

حيث تفسير المعنى لا تفسير الإعراب يسدُّ مَسدَّهما فيمكن أن يقال: وأما من حيث تفسير الإعراب فلا يصح لأنَّ كلاًّ[1] منهما أعني الشرط والقسم يطلب جواباً على حدة، ولا يمكن أن يكون هذا محمولاً عليهما لأنَّ الشرط يقتضيه على جهة العمل فيه فيكون في موضع جزم، والقَسَمُ يطلبه على جهة التعلُّق المعنوي به بغير عمل فيه فلا موضعَ له من الإعراب، ومُحالٌ أنْ يكون الشيءُ الواحد له موضع من الإعراب ولا موضع له من الإعراب.

وقرىء: لِما بكسر اللام، ووجهه أن اللام للتعليل و«ما» موصولة بمعنى الذي والعائد عليها محذوف من صلتها، أي: أتيناكموه، وعطف على الصلة «ثم جاءكم» والعائد فيه محذوف تقديره: ثم جاءكم به أي: بنظيره.

وأجاز الزمخشري أن تكون «ما» مصدرية قال[2]: «ما» في قراءة حمزة «لما آتيتكم» مصدرية ومعناه: لأجلِ إيتائي إياكم بعضَ الكتابِ والحكمة ثم لمجيءِ[3] رسولٍ مصدقٍ لما معكم لتؤمنن به، على أن «ما» مصدرية، والفعلان معها أعني «آتيتكم» و«جاءكم» في معنى المصدرين، واللام داخلةٌ للتعليل على معنى: أخذَ اللهُ ميثاقهم ليؤمنن بالرسولِ ولينصرنّه لأجل [أني] آتيتُكم الحكمةَ، وأنَّ الرسول الذي أمرتُكم بالإيمانِ به ونصرته موافقٌ لكم غير مخالفٍ انتهى.

هذا التعليل والتقدير الذي قدَّره ظاهِرُهُ أنه تعليلٌ للفعل المُقْسَمِ عليه، فإنْ

---

(١) ق: كل.

(٢) في العبارة تكرار واضطراب في الأصل. والنص في الكشاف ١: ٤٤١.

(٣) ق: بمجيء.

عنى هذا الظاهر فهو مخالفٌ لظاهر الآية لأنَّ ظاهر الآية يقتضي أنْ يكون تعليلاً لأخذِ الميثاق لا لمتعلّقه وهو الإيمان، فاللام متعلقة بأخذ، وعلى ظاهر تقدير الزمخشري تكون متعلقة بقوله «لتؤمنن به» ويمتنع ذلك من حيث إنَّ اللامَ المتلقّى بها القَسَم لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، تقول: والله لأضربن زيداً، ولا يجوز: والله زيداً لأضربنّ. فعلى هذا لا يجوز أن تتعلق اللام في «لما» بقوله «لتؤمنن به».

وقد أجاز بعض النحويين في معمول الجواب إذا كان ظرفاً أو مجروراً تقدُّمه، وجعل من ذلك: عوض لا نتفرق، وقوله تعالى ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾ [المؤمنون]، فعلى هذا يجوز أن تتعلق بقوله «لتؤمنن به» وفي هذه المسألة تفصيل يذكر في علم النحو.

وقرىء: لَمّا بفتح اللام وتشديد الميم وخرّج على أن [٨٨/أ] «لما» هي الطالبة للجواب وتقديره: أخذ عليكم الميثاق. و«لما» المقتضية للجواب حرفٌ عند سيبويه، وظرف بمعنى حين عند المبرد وتبعه الزمخشري وابن عطية في «لما» هذه، وهو مذهب فاسد. ومن ادّعى أن أصلها لمن ما، فحذفت منه [ميم] واحدة فصار لمّا فقوله في غاية التمحُّلِ ويُنَزَّهُ كلامُ الله عنه ويلزم انْ تكون اللام الموطئة دخلت على حرف الجر نحو: أقسم بالله لمن أجلك لأضربن عمراً، لم يجز[1] لأن الموطئة لا تدخل إلا على أداة شرط.

وقرىء: آتيناكم بنون العظمة وبالتاء، ويناسب قوله «إصري». وقدم الإيمان بالله لأنه الأصل ثم النصر لأنه من ثمرة الإيمان.

﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ الضمير عائد على الله في «قال». و«أأقررتم»استفهام معناه

---

(١) ق: لمن يجسر.

الإثبات بعد أخذ الميثاق.

﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ﴾ أي: على الإيمان والنصرة.

﴿ إِصْرِي ﴾ عهدي. وقرىء: أصري بضم الهمزة وكسرها.

﴿ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ﴾ [معناه أقررنا] بالإيمان به وبنصرته وقبلنا ذلك والتزمناه. وثَمّ جملة محذوفة اي: أقررنا وأخذنا على ذلك الإصر.

﴿ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ ﴾ أي: يشهد بعضكم على بعض والتقدير: أقررتم فاشهدوا، أتى بالفاء رابطة بين الجملتين. ونظير ذلك قوله: أَلَقِيْتَ[1] زيداً؟ قال: لَقِيْتُه. قال: فَأَحْسِنْ إليه. التقدير: لقيت زيداً فأحسنْ إليه. ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ استئناف معناه التوكيد.

﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ الإشارةُ إلى الإقرارِ وأخذِ الإصرِ المذكورين بعد الإيمانِ والنصرة.

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ الهمزة للإنكار والتنبيه على الخطأ في التولي والإعراض. وأُضيفَ الدينُ إلى الله لأنه تعالى هو الذي شرعه وتعبَّد به خَلْقَهُ. وقرىء: يبغون بالتاء وبالياء.

---

(١) ق: لقيت.

﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾ أي: انقاد. وانتصب «طوعاً» على المصدرية أو على الحال. وقسم الإسلام إلى[1] نوعين أحدهما طوعٌ كانقيادِ الملائكةِ والأنبياء ومَنْ أجاب إلى الدين بغيرِ تَلَبُّثٍ ولا فكر كانقيادِ[2] أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والآخر: كرهٌ وهو مَن انقاد لأجلِ السيف، وكثير من هؤلاء مَنْ حَسُنَ حالُه في الإسلامِ فانقاد إليه طوعاً. ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾[3] أي: إلى جزائه، وفي ذلك تهديد.

﴿قُلۡ ءَامَنَّا﴾ الآية، تقدم الكلام على نظيرها في سورة البقرة[4]. وهنا «قل» خطابٌ للنبيِّ ﷺ. وإذا أُمر هو بالقول فأُمَّتُه مأمورون به من حيث المعنى، ولذلك قال في البقرة «قولوا» خطاباً للجمع، ولذلك جاء الكلام بلفظ الجمع في «آمنا» وفي «علينا» وفي «نحن له»، وهنا جاء بلفظ «على» وفي البقرة بلفظ[5] «إلى» فعبَّر مرةً بالنزولِ من علوٍّ ومرة بالانتهاء. وقال الراغب[6]: إنما قال هنا «على» لأنَّ ذلك لما كان خطاباً للنبيِّ ﷺ وكان واصلاً إليه من الملأ الأعلى بلا واسطةٍ بشرية كان لفظ «على» المختص بالعلوّ أَوْلى به، وهناك لما كان خطاباً للأمة وقد وصل إليهم بوساطةِ النبيِّ ﷺ كان لفظ «إلى» المختص بالاتصال أَوْلى انتهى.

---

(١) ق: على.

(٢) ق: كانقياد الرسل أبي بكر.

(٣) ق: ترجعون.

(٤) الآية ١٣٦.

(٥) ق: لفظ.

(٦) لعل أبا حيان ينقل عن «جامع التفاسير» للراغب الأصفهاني، وهو تفسير كبير طبعت مقدمته كما يقول صاحب الأعلام، انظر ٢: ٢٥٥.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ قرىء بإدغام الغين في الغين، وبالفك. والإسلامُ هنا شريعةُ محمدٍ ﷺ. وانتصب «ديناً» على التمييز لأنه يأتي بعد «غير» كقول العرب: إنَّ لنا غيرها إبلاً، كما ينتصب بعد «مثل» في قوله: يكفيكه مِثْلَهُ صبراً، ولذلك يجوز دخول «من» عليه. ويتعلق «في الآخرة» بمحذوف يدل عليه «الخاسرين» أي: خاسر في الآخرة وهذا أحسن التخريج.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿كَيْفَ﴾ سؤال معناه التعجب والتعظيم[1] وهي منصوبة بـ«يهدي»[2]، وجاء «قوماً» غير معيّنين، ونقل أهل التفسير تعيينهم واختلافاً فيهم، ولفظ «قوم» [يدل] على أنهم أكثر من اثنين لأنه اسم جمع، فعدَّ منهم طعمة بن أبيرق والحارث بن سويد بن الصامت ورجوح[3] بن الأسلت وأبو عامر الراهب. وبعض هؤلاء رجع إلى الإسلام وحسن حاله. «وشهدوا» معطوف على «كفروا» والواو لا ترتب، أو معطوف على «إيمانهم» مراعى فيه الانسباك لِأَنْ [٨٨/ب] والفعل أي [بعد] أنْ آمنوا وشهدوا. وأجيز أن يكون حالاً تقديره: وقد شهدوا. والرسولُ هنا هو محمدٌ ﷺ. [و«البينات» ما أُوتيَ عليه

(١) كتبت في الحاشية.

(٢) ق: بأهدي.

(٣) في تفسير الطبري ٣: ٢٤٢: وحوح.

السلام] من الكتابِ المعجز والمعجزاتِ الخارقة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾ تقدَّمَ تفسيرُ نظيرها في البقرة[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ قيل: نزلت في اليهود كفروا بعيسى وبالإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم. ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بكفرهم بمحمدٍ ﷺ بعد أنْ آمنوا بِنَعْتِهِ في التوراة.

﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ المعنى: لا توبةَ لهم فتقبل، فنفى القبول والمراد نفي التوبة، ويكون ذلك في قومٍ بأعيانِهم ختم الله عليهم بالكفر فيموتون عليه، ولذلك لم تدخل الفاء في قوله «لن تقبل» إذ قوله «الذين» لا عموم فيه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ﴾ لفظ «الذين» هنا عام فيمَنْ كفرَ وماتَ على الكفر، فلذلك دخلت الفاء في قوله «فلن يقبل» تشبيهاً للموصول باسم الشرط. وقرىء: نقبل بالنون ونصب «ملء». وقرىء: مِلَ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام. وانتصب «ذهباً» على التمييز ولذلك يجوز دخول «مِن» عليه في غير القرآن.

﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ قال الزمخشري[2]: فإن قلت: كيف موقع قوله «ولو

---

(١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة].

(٢) الكشاف ١ : ٤٤٣.

افتدى به»؟ قلت: هو كلامٌ محمولٌ على المعنى كأنه قيل: فلن تُقبلَ من أحدهم فديةٌ ولو افتدى بملءِ الأرضِ ذهباً انتهى.

وهذا المعنى ينبو عنه هذا التركيب ولا يحتمله. والذي يقتضيه هذا التركيب وينبغي أنْ يُحملَ عليه أنَّ الله أخبر أنَّ مَنْ مات كافراً لا يقبل منه ما يملأ الأرض من ذهب على كل حال يقصدها ولو في حال افتدائه من العذاب، لأن حالة الافتداء هي حالة لا يمتن فيها المفتدي على المفتدى منه إذْ هي حالة قهر من المفتدى منه للمفتدي. وقد قررنا في نحو هذا التركيب أن «لو» تأتي منبّهة على أنَّ ما قبلَها جاء على سبيلِ الاستقصاء، وما بعدَها جاء تنصيصاً على الحالة التي يظن أنها لا تندرج فيما قبلها، كقوله: أعطوا السائل ولو جاء على فرس، [فكونه جاء على فرس] مُشْعِرٌ بغناه فلا يناسب أنْ يُعطى. و«لو» في قوله «ولو افتدى به» وفيما قبله على سبيل الفرض لأنه لا يمكنه أن يأتي بملء الأرض ذهباً.

قال الزمخشري[1]: ويجوز أنْ يُراد: ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزمر] والمِثْل يحذف كثيراً في كلامهم كقولك: ضربت ضرب زيد، تريد: مثل ضربه، وأبو يوسف أبو حنيفة، تريد: مِثْله، ولا هيثم الليلة للمطي، وقضية ولا أبو حَسَنٍ لها[2]، تريد: ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن، كما أنه يُراد في نحو قولهم: مثلك لا يفعل كذا، تريد: أنت. وذلك أن المِثْلين يسدُّ أحدهما مكانَ الآخر فكانا في حُكْمِ شيءٍ واحد انتهى.

(١) الكشاف ١ : ٤٤٤.

(٢) المقصود الإمام علي بن أبي طالب.

لا حاجة إلى تقدير «مِثْل» في قوله «ولو افتدى به» وكان الزمخشري تخيّل أن ما نَفَى أن يقبل لا يمكن أن يفتدي به فاحتاج إلى إضمار «مِثْل» حتى يغايرَ بين ما نفى قبوله وبين ما يفتدي به. وليس كذلك لأنَّ ذلك كما ذكرناه على سبيلِ الفرض والتقدير، إذْ لا يمكن عادةً أن أحداً يملكُ مِلْءَ الأرضِ ذهباً بحيث لو بذله لم يقبل منه، بل لو كان ذلك ممكنا لم يُحْتَجْ إلى تقدير «مِثْل» لأنه نفى قبوله حتى في حالة الافتداء. وليس[1] ما قدّر في الآية نظير ما مثّل به لأن هذا التقدير لا يحتاج إليه ولا معنى له، ولا في اللفظ ولا المعنى ما يدلُّ [عليه] فلا يقدّر.

وأما فيما مثّل به من: ضربت ضرب زيد وأبو يوسف أبو حنيفة، فبضرورة العقل يعلم أنه لا بدّ من تقدير «مثل» إذ ضربك يستحيل أن يكون ضرب زيد، وذات أبي يوسف يستحيل أن تكون ذات أبي حنيفة.

وأما: لا هيثم الليلة للمطي، فدلَّ على حذف «مثل» ما تقرر في اللغة العربية أن لا التي لنفي الجنس لا تدخل على الأعلام فتؤثر فيها واحتيج إلى إضمار «مثل» لتبقى على ما تقرر [٨٩/أ] فيها، إذ تقرر أنها لا تعمل إلا في الجنس لأن العلمية تنافي عموم الجنس.

وأما قوله: كما أنه يزاد في: مثلك لا يفعل كذا، تريد أنت، فهذا قول مقول ولكن المختار عند حُذّاقِ النحويين أنَّ الأسماء لا تزاد. ولتقرير أن: مثلك لا يفعل كذا، ليست فيه «مثل» زائدة مكانٌ غير هذا.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾.

(١) ق: أوليس.

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما أخبر تعالى عَمَّنْ ماتَ كافراً أنه لا يُقبلُ منه ملء الأرض ذهباً على سبيل الفرض لو أتى به، حَضَّ المؤمنَ على الصدقة التي تنفعه في الآخرة. و«البر» ما تقرب به إلى الله تعالى من أعمالِ الخير، وغيّا[1] ذلك بلفظة «حتى»، والإنفاق مما يحبه المؤمن. ولما سمع الصحابة هذه الآية تصدقوا مما كانوا يحبون، فتصدق أبو طلحة ببَيْرُحَاء، وزيد بن حارثة بفرسٍ له كان يحبها وأبو ذرٍّ بفحل خير إبله. ﴿بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ مُجَازٍ عليه.

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه تعالى أخبر أنه لا يُنال البر إلا بالإنفاق من المحبوب، فروي أنَّ إسرائيل مرض مرضاً شديداً فنذر لله أنه إنْ شفاهُ أن يحرّم أحب الطعام والشراب إليه، فحرّم لحوم الإبل وألبانها وكان ذلك أحبَّ المأكولِ والمشروب إليه تقرباً إلى الله تعالى. وروي أن هذه الآية نزلت حين قال النبيُّ ﷺ: أنا على ملّة إبراهيم. فقالت اليهود: كيف وأنتَ تأكلُ لحومَ الإبل وألبانها؟ فقال النبيُّ ﷺ: كان ذلك حلالاً لأبي إبراهيم ونحن نُحِلُّه. فقالت اليهود: بل كان حراماً على نوح وإبراهيم عليهما السلام حتى انتهى إلينا. فأنزل اللهُ ذلك تكذيباً لهم وأنَّ إسرائيل حرّم ذلك على نفسه قبل نزول التوراة.

---

(١) غيّا الغاية: نَصَبها وأقامها.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ﴾ «قل» خطاب للنبيِّ ﷺ. وقبلَ «فائتوا» محذوفٌ تقديره: هذا الحق لا زعمكم معشر اليهود «فائتوا». وهذه محاجَّةٌ أنْ يؤمروا بإحضارِ كتابهم الذي فيه[1] شريعتهم فإنه ليس فيه ما ادَّعوه بل هو مُصَدِّقٌ لما أخبر صلى الله عليه وسلّم من أن[2] تلك المطاعم كانت حلالاً لهم من قديم وأنَّ التحريم حادث. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ خرّج مخرج الممكن وهو معلوم كذبهم وذلك على سبيل الهزء بهم.

﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الإشارة بـ«ذلك» إلى التلاوة إذ مضمّنها بيان مذهبهم وقيام الحجّة القاطعة عليهم. ويكون افتراء الكذب أنْ ينسبَ إلى كُتبِ الله ما ليس فيها.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ فيما أخبر به تعالى في كتبه المنزلة حتى في قصة إسرائيل وأنّ ما قالوه كذب. وانتصب «حنيفاً» على الحال وتقدّم تبيينُ ذلك في البقرة في قوله ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ الآية، مناسبتها لما قَبْلَها أنّه لما أمر باتباع ملة إبراهيم وهو الذي كان من ملّته حج هذا البيت أخذ في ابتداء أمره من بنائه إلى منتهاه. وظاهر قوله «أول بيت وضع للناس» هو في بنائِه لعبادةِ الله تعالى، فذكرَ

(١) ق: في.
(٢) ق: أنت.

الشريفُ أبو البركات النسَّابة أنّ[١] شيث بن آدم عليهما السلام هو الذي بنى الكعبة بالطين والحجارة على موضع الخيمة التي كان الله تعالى وضعها لآدم من الجنّة. و«أول» نكرة تخصصت بالإضافة وبالصفة فحسن الإخبار عنها بالموصول وهو معرفة وتقديره: للبيت الذي ببكة، وأُكدت النسبةُ بإنّ وباللام. وبكة: قيل مكة والباء والميم قد يتعاقبان، وقيل اسم لبطن مكة، والباء ظرفية. و«مباركاً» حالٌ من الضمير الذي هو في الحقيقة صلة للموصول تقديره: للذي استقرّ في بكّة مباركاً.

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ أي: علاماتٌ واضحات منها مقامُ إبراهيمَ والحجر الذي قام عليه والحجر الأسود والحطيم وزمزم، وأمنُ الخائف وهيبته وتعظيمه في قلوب الناس، وأمر الفيل ورمي طير الله [٨٩/ب] بحجارة السجيل، وكفُّ الجبابرة عنه على وجه الدهر، وإذعانُ نفوس العرب لتوقير[٢] هذه البقعة دون ناهٍ ولا زاجرٍ، وجبايةُ الأرزاق إليه وهو بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ، وحمايتهُ من السيول ودلالة عموم المطر إياه من جميع جوانبه على خصب آفاق الأرض، فإن كان المطر من جانب أخصب الذي يليه.

وارتفع «آيات» على الفاعلية بالجارّ والمجرور، التقدير: [كائنا] فيه آيات. والضمير في «فيه» عائد على البيت وذلك على سبيل الاتساع إذِ الآياتُ التي تَقَدَّمَ ذِكْرُها كائنةٌ في البيت وفي الحرم الذي فيه البيت.

قال الزمخشري[٣]: فإن قلت: كيف أجزت أن يكون «مقام إبراهيم»

---

(١) ق: فإن.

(٢) ق: لتوقيره.

(٣) الكشاف ١ : ٤٤٧.

والأمن عطف بيان لـ«آيات» وقوله «ومن دخله كان آمنا» جملة مستأنفة إما ابتدائية وإما شرطية؟ قلت: أجزت ذلك من حيث المعنى لأنَّ قوله «ومَنْ دخله كان آمنا» دلَّ على أمنِ داخلِه فكأنه قيل: فيه آياتٌ بيناتٌ مقام إبراهيم وأمن داخله، ألا ترى أنك لو قلت: فيه آية بيّنة من دخله كان آمناً، صَحَّ لأنه في معنى: فيه آية بيّنة: أمن من دخله انتهى.

ليس ما ذكره بواضح لأنَّ تقديره: وأمن الداخل هو مرفوع عطفاً على «مقام إبراهيم» وفسّر بهما الآيات، والجملة من قوله «ومن دخله كان آمناً» لا موضع لها من الإعراب فتدافعا إلاّ إن اعتقد أن ذلك معطوف على محذوف يدلُّ عليه ما بعده فيمكن التوجيه فلا يجعل قوله «ومن دخله كان آمنا» في معنى: وأمن داخله إلا من حيث تفسير المعنى لا تفسير اللفظ والإعراب.

ولم يذكر الزمخشري في إعراب «مقام إبراهيم» إلا أنه عطف بيان لقوله «آيات بينات». وردّ عليه ذلك لأن «آيات» نكرة و«مقام إبراهيم» معرفة ولا يجوز التخالفُ في عطف البيان، وقولُه مخالفٌ لإجماعِ الكوفيين والبصريين فلا يلتفت إليه.

وحكم عطف البيان عند الكوفيين حكم النعت فتتبع النكرة النكرة والمعرفة المعرفة. وقد تبعهم في ذلك أبو علي الفارسيّ. وأما عند البصريين فلا يجوز إلا أنْ يكونا معرفتين ولا يجوز أن يكونا نكرتين، وما أعربه الكوفيون ومَنْ وافقهم عطف بيان وهو نكرة على النكرة قبله أعربه البصريون بدلاً ولم يقم لهم دليل على تعيين عطف البيان في النكرة، وكلُّ مَنْ وقفنا على كلامه جعل «مقام إبراهيم» تابعاً «للآيات» على توضيح

كثرتها[1] في المقام منها تأثير قدميه في حجر صلد وغوصه فيه إلى الكعبين، وإلانة بعض الحجر دون بعض، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياءعليهم السلام، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين ألوفَ سنين، والذي اخترناه في إعرابه في الكتاب الذي اختصرنا هذا منه[2] أنْ يكون ارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: إحداها مقام إبراهيم، أو يكون ارتفاعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره: منها مقام إبراهيم.

والذي أختاره الآن أنه ليس متعلقاً بقوله «آيات بينات» ولا تفسير لها لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى، بل هو عندي بدل أو عطف بيان من الموصول الذي هو خبر إنّ فكأنه قيل: إنَّ أوّلَ بيتٍ وضع للناس لمقام إبراهيم. «ومن دخله كان آمنا» مَن شرطية أو موصولة، وتكلفوا عطف هذه الجملة على قوله «مقام إبراهيم» تكلفاً بعيداً.

والذي أذهبُ إليه أنه إخبارٌ من الله تعالى بفضل هذا البيت والحرم وأمن من دخله كما قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت] فذكر تعالى امتنانه عليهم بأنَّ مَنْ دخل هذا الحرم آمن. وظاهر الآية أنها مذكرة[3] للعرب بما كانوا عليه في الجاهلية من احترامِ [٩٠/أ] هذا البيت وأمنِ مَنْ دخله من ذوي الجرائم. وكانت العرب يُغيرُ بعضَها على بعض ويتخطف الناس بالقتل وأخذ الأموال وأنواع الظلم إلاّ في الحرمِ.

(١) ق: على توضيح آية كثيرة.

(٢) انظر البحر ٣: ٩.

(٣) ق: كره.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ هذه الآية دليلٌ على فرض الحج وجاء بـ«على» الدالة على الاستعلاء وجاء متعلقاً بـ«الناس» بلفظ العموم ثم جاء بلفظ الخصوص بقوله «من استطاع». وقرىء: حج بكسر الحاء وفتحها. و«مَن» بدل مِن «الناس» وقيل: شرطية والجواب محذوف تقديره: فعليه الحج. وإعرابُ «مَن» فاعلة بالمصدر تقديره: أن يحج البيت المستطيع إعرابٌ فاسد. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ عام في كُلِّ كافرٍ باعتقاد عدم فرض الحج وغيره. و«من» شرطية وجوابه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فاندرج هو في لفظ «العالمين» كأنه قيل: غنيٌّ عنه وعن سائر العالم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، لما فرغ من ذِكرِ البيتِ وحجه وكان أهلُ الكتاب لا يحجون عادَ إلى الكلام مع أهل الكتاب الذين تقدّم ذكرهم، فنعى عليهم أولاً أعظم مساوئهم وهي الكفر بآيات الله مع شهادتهم إياها، ثم ثانياً صدّهم مَنْ آمن عن سبيل الله. وسبب نزول هذه الآية وما بعدها أنَّ رجلاً من اليهود حاول الإغراء بين الأوس والخزرج واسمه شاس بن قيس وكان أعمى شديد الضغن والحسد للمسلمين، فرأى ائتلاف الأوس والخزرج فقال: ما لنا من قرار بهذه البلاد مع اجتماع ملأ بني قيلة، فأمر شاباً من اليهود أنْ يُذَكّرهم يومَ بُعاث وما جرى فيه من الحرب وما قالوه من الشعر، ففعل فتكلّموا حتى ثاروا إلى السلاح بالحرّة، فقال رسولُ الله ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» ووعظهم فرجعوا وعانق بعضهم بعضاً. هذا

ملخصه وذكروه مطوّلاً[١].

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي في التوراة دالّة على نبوّةِ محمدٍ ﷺ ورسالته للناس جميعا.

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ جملة في موضع الحال دالّة على تأبّيهم وكفرهم بآيات الله مع شهادة الله على أعمالهم. وأتى بلفظ[٢] «شهيد» الدالّ على المبالغة.

و﴿تَصُدُّونَ﴾ هنا متعدٍّ ومفعوله «من آمن» والسبيل يذكر ويؤنث. والضمير في «تبغونها»[٣] عائدٌ على السبيل وأصله: تَبغون لها عِوَجاً فاتسع في الفعل وحذف اللام، والجملة حالية أي: باغِينَ لها عِوجاً، وذو الحال الضميرُ في «تصدون» وقيل: حال من «سبيل الله». وقرىء: تُصِدّون مضارع أَصَدّ والهمزة فيه من: صدّ عن كذا اللازم. قال ذو الرمة[٤]: [من الطويل]

أُناسٌ أَصَدُّوا الناسَ بالسَّيفِ عنهمُ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا

---

(١) انظر مثلاً تفسير الطبري ٤: ١٦.

(٢) ق: بلفظة.

(٣) ق: يبغونها.

(٤) ديوانه ص٦٢٣، وعجزه فيه:

صدود السواقي من أنوف المخارم

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآية، لما أنكر تعالى على أهلِ الكتاب صدّهم المؤمنينَ عن الإسلام حذَّرَ المؤمنين من إغواءِ الكافرين وإضلالهم وناداهم بوصف الإيمان تنبيهاً على تباين ما بينهم وبين الكفّار. ولم يأتِ بلفظ «قل» ليكون ذلك خطاباً منه تعالى لهم وتأنيساً لهم. وأبرز نهيه عن موافقتهم وطواعيتهم في صورة شرطية لأنه لم تقع طاعتهم له. والإشارة بـ«يا أيها الذين آمنوا» إلى الأوس والخزرج بسبب نائرة[١] شاس بن قيس. وأطلق الطواعية ليدلَّ على عموم البدل أي أنْ يصدر منكم طواعية ما في أي شيء يحاولونه من إضلالكم. ولم يقيّد الطاعة بقصة الأوس والخزرج على ما ذكر في سبب النزول. والردّ هنا التصيير أي: يصيّرونكم، فتعدّت إلى اثنين والثاني «كافرين»، قال الشاعر: [من الوافر]

فَـردَّ شعـورهـن السُّـودَ بِيْضًـا[٢]   وردَّ وجـوهـهـنَّ البِيْـضَ سُـودا

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهامُ استبعادٍ. ووقوع الجملتين بعده حالاً[٣] يقتضي انتفاء الكفر عمّن يتلى عليه[٤] كتاب [٩٠/ب] الله، وفيهم رسول الله وهو محمد ﷺ الآتي بالآيات[٥] المعجزات على يديه. ﴿وَمَن يَعْتَصِم﴾ يستمسك ﴿بِٱللَّهِ﴾ أي: بآياتِ الله ورسوله.

---

(١) أي: فتنته.

(٢) ق: البيضاء. والبيت لفضالة بن شريك في عيون الأخبار ٣: ٦٧.

(٣) ق: حال.

(٤) كتبت في الحاشية.

(٥) عبارة ق: الآتي ذكره بالآيات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية، لما حذّرهم تعالى من إضلال من يريد إضلالهم أمرهم بمجامع الطاعات فرهَّبهم أولاً بقوله «اتقوا الله» إذِ التقوى إشارة إلى التخويفِ من عذاب الله، ثم جعلها سبباً للأمر بالاعتصام بدين الله، ثم أردف الرهبة بالرغبة وهي قوله «واذكروا نعمة الله عليكم» وأعقبَ الأمرَ بالتقوى بنهيٍ هو من تمام التقوى، والأمرَ بالاعتصام بنهيٍ آخر وهو من تمام الاعتصام. وانتصب «حقَّ» على أنه مصدر لإضافته إلى المصدر والمعنى: حقّ اتّقائه.

وقال ابن عطيّة: ويصحّ أنْ يكون التّقاة في هذه الآية جمعَ فاعل وإن كان لم يتصرف منه فيكون كرماةٍ ورامٍ، أو يكون جمع تقيّ إذ فعيل وفاعل بمنزلة. والمعنى على هذا: اتقوا الله كما يحق أن يكون متّقوه المختصُّون به، ولذلك أُضيفوا إلى ضمير الله تعالى انتهى كلامه.

وهذا المعنى ينبو عنه هذا اللفظ إذ الظاهر أن قوله «حق تقاته» من بابِ إضافة الصفة إلى موصوفها كما تقول: ضربت زيداً شديدَ الضرب، تريد: الضرب الشديد، فكذلك هذا أي: اتقوا الله الاتقاء الحق أي: الواجب الثابت. أما إذا جعلت التقاة جمعاً فإنَّ التركيبَ يصير مثل: اضرب زيداً حق ضرابه، فلا يدل هذا التركيب على معنى: اضرب زيداً كما يحق أن يكون ضرابه، بل لو صرّح بهذا التركيب لاحتيج في فهم معناه إلى تقدير أشياء يصحّ بها المعنى والتقدير: اضرب زيداً ضرباً حقاً كما يحقّ أن يكون ضرب ضرابه، ولا حاجة تدعو إلى تحميل اللفظ غير ظاهره وتكلّف تقادير يصح بها معنى لا يدلّ عليه ظاهر اللفظ. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ تَقدَّمَ الكلامُ على هذه الجملة في سورة البقرة[1]. ﴿وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ جملة حاليّة.

---

(١) انظر تفسير الآية ١٣٢.

﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ هو كتاب الله. رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «القرآن حبل الله المتين»[١].

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ نهى عن التفرق في الدين كتفرق اليهود والنّصارى.

﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ أي: صرتم. ولا يراد اتصاف الموصوف بالأخوّة[٢] وقت الصباح، وقال ابن عطية: «فأصبحتم» عبارة عن الاستمرار وإن كانت اللفظة مخصوصة بوقت، وإنما خصّت هذه اللفظة بهذا المعنى من حيث هي مبدأ النهار وفيها مبدأ الأعمال، والحال التي يحسُّ بها المؤمنُ في نفسه هي الحال[٣] التي يستمر عليها يومه في الأغلب، ومنه قول الربيع بن ضبع[٤]:

أصبحتُ لا أحمل السلاح ولا   أملـكُ رأسَ البعيـر إنْ نفـرا

انتهى. وهذا الذي ذكره من أن «أصبح» للاستمرار وعَلَّله بما ذكره لا أعلمُ أحداً من النحويين ذهب إليه، إنما ذكروا أن «أصبح» المقتضية للخبر تكون بمعنى الصيرورة وبمعنى تقييد الخبر بوقت الصباح.

والباء في «بنعمته» للسبب أي: بسببِ نعمةِ الله التي أنعم بها عليكم من التآلف بعد التفرق والمودّة بعد العداوة.

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ﴾ جملة مستأنفة أخبر تعالى بما كانوا عليه من

---

(١) انظر مختار الأحاديث النبوية ص١٠٩، رواية البيهقي بألفاظ أخر.

(٢) ق: به لأخوّة.

(٣) عبارة ق: والحال التي يحسبها المؤمن نفسه فيها هي الحال.

(٤) ق: ابن الأصبع. والبيت في النوادر ص١٥٩. وهو من المنسرح.

الإشرافِ على الهلاكِ، ويجوز أن تكون حالاً أي: وقد كنتم. والشفا: الطرف. والضمير في «منها» عائد على النار ويجوز أن يعود على الشفا لإضافته إلى المؤنّث لأنَّ طرفَ الشيء من الشيء كما أنّث في قوله[1]:

كما شَرِقَتْ صدرُ القناة من الدّم [من الطويل]

وقال ابن عطية رادًا على من أجاز عود الضمير على الشفا: لأنّه ليس لنا لفظ مؤنث يعود الضمير عليه، انتهى. وأقول: لا يحسن إلاّ على الشفا لأنَّ كينونتهم على الشفا هو أحد جزأي الإسناد فالضمير لا يعود إلا عليه.

وأما ذكر الحفرة [٩١/أ] فإنما جاءت على سبيل الإضافة إليها، ألا ترى أنك إذا قلت: كان زيدٌ غلامَ جعفر، لم يكن جعفر محدَّثاً عنه وليس أحد جزأي الإسناد، وكذلك لو قلت: ضرب زيدٌ غلامَ هند، لم تحدّث عن هند بشيء، وإنما ذكرت جعفراً وهنداً مخصّصاً للمحدَّث عنه. وأمّا ذكر النار فإنما جيء بها لتخصيص الحفرة [وليست أيضاً أحد جزأي الإسناد ولا محدَّثاً عنها، وأيضاً فالإنقاذُ من الشفا أبلغُ من الإنقاذ من الحفرة] ومن النار لأن الإنقاذ منه يستلزم الإنقاذ من الحفرة ومن النار، والإنقاذ منهما لا يستلزم الإنقاذَ من الشفا فَعَوْدُه على الشفا هو الظاهر من حيث اللفظ ومن حيث المعنى. ومثّلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعودِ على جرفها مُشْفينَ على الوقوعِ فيها.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه ص١٥٩، وصدره:

وتشرقَ بالقول الذي قد أذعْتَه

ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ الظاهر أنه خطاب للمخاطبين قبل. و«منكم» يقتضي التبعيض ويندرج في الخطاب جميع المؤمنين. والمرادُ بالأمّةِ الآمرةِ والناهية مَنْ يتعيّن لصلاحيةِ ذلك، إذ الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلّا لمن علم المعروف والمنكر، وكيف يترتب الأمر في إقامته وكيف يباشره فإنَّ الجاهلَ ربما أمر بمنكرٍ ونهى عن معروف.

وقد رأينا مَنْ ينتمي للصلاح يأمرُ أصحابه بالاجتماع لمغنٍّ شابٍّ يغنّي بالتغزّلات والمجون، وينافخ في قصبة يخرج منها أصوات فيتلذذون بذلك ويرقصون ويدور أحدهم مئة دورة وأكثر من ذلك، ويجعل أذنه عند القصبة والمغني ويتفتل[١] في رقصهِ ويمشي على جنبه ملاصقاً إلى الأرض من أول الإيوان إلى آخره ويشهد ذلك الجمّاء الغفير ممّن ينتمي إلى الإسلام فلا ينكر شيئاً[٢] من ذلك وهو من أعظم المنكرات.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ قال ابن عباس: هم الأمم السالفة التي تفرقت في الدين. و«البيّنات» قال ابن عبّاس: آيات الله التي أنزلت على أهل كل ملّة. و«أولئك» إشارة إلى الذين تفرقوا.

---

(١) ق: وينتقل.

(٢) ق: شيء.

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ البياض عبارة عن إشراقها ونورها وبشرها برحمة الله. والسّواد عبارة عن ظلمتها وكمدها. وخصّ الوجه لأنه أشرف ما في الإنسان وإنْ كان البياض والسواد يعمّان جميع البدن. ويجوز أن يراد بالبياض والسواد حقيقتهما. و«يوم» ظرف والعامل فيه العامل في «لهم» أي: كائن لهم عذاب عظيم يوم تبيضّ.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ هذا تفصيل لأحكام من تبيض وجوههم وتسودّ. وابتدأ بالذين اسودّت للاهتمام بالتحذير من حالهم ولمجاورة قوله «وتسودّ وجوه»، والابتداء بالمؤمنين والاختتام بحكمهم. وللعرب في مثل هذا طريقان أحدهما أنه إذا فُصّلَ شيءٌ أو حُكم بحكم وإنْ لم يكن تفصيلياً يجعل الآخر للأول كهذا، والآخر أن يجعل الأول من السابقَيْن للأول والثاني للثاني كقوله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [هود] ثم قال ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [هود] وقال بعده ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود][١].

﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ تقديره: فيقال لهم أكفرتم. وفي «البحر»[٢] «فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم» الخبر محذوف للعلم به والتقدير: فيقال لهم أكفرتم، كما حذف القول في مواضع كثيرة كقوله تعالى ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد]. ولما حذف الخبر حُذفت الفاء وإن كان حذفها في غير هذا لا يكون إلا في الشعر.

وقال الشيخ كمال الدين عبد الواحد بن عبد الله بن خلف الأنصاري في كتابه الموسوم بـ«نهاية التأميل في أسرار التنزيل»: قد اعتُرض على النحاة في

---

(١) سقطت «الذين» في ق.

(٢) ٣: ٢٢.

قولهم لما حذف «يقال»: حذفت الفاء بقوله[1] تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [الجاثية] تقديره: فيقال لهم: أفلم تكن آياتي [٩١/ ب] تتلى عليكم، فحذف «فيقال» ولم تحذف الفاء. فلما بطل هذا تعيّن أنْ يكون الجواب «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» فوقع ذلك جواباً [له] ولقوله «أكفرتم». ومن نظم العرب إذا ذكروا حرفاً يقتضي جواباً [له أن يكتفوا عن جوابه حتى يذكروا حرفاً آخر يقتضي جواباً] ثم يجعلون لهما[2] جواباً واحداً كما في قوله تعالى ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة] فقوله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جواب الشرطين. وليس «أفلم» جواب أمّا بل الفاء عاطفة على مقدّر والتقدير: أهملتكم فلم أتل عليكم آياتي. انتهى ما نقل عن هذا الرجل وهو كلام أديب [لا كلام نحوي].

أما قوله: قد اعتُرض على النحاة، فيكفي في بطلان هذا الاعتراض أنه اعتراض على جميع النحاة، لأنه ما من نحوي إلا خرّج الآية على إضمار: فيقال لهم أكفرتم، وقالوا: هذا هو فحوى الخطاب، وهو أن يكون شيء في الكلام مقدّر لا يستغني المعنى عنه، والقول بخلافه مخالف للإجماع فلا التفات إليه.

فأمّا ما اعترض به من قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [الجاثية] وأنَّ تقديره[3]: فيقال لهم: أفلم تكن آياتي، فحذف «فيقال لهم» ولم تحذف الفاء، فدلّ على بطلان هذا التقدير - فليس بصحيح، بل هذه

---

(١) ق: لقوله.

(٢) ق: له.

(٣) ق: وأن قدره.

الفاء التي بعد الهمزة في «أفلم» ليست فاء «فيقال» التي هي جواب أمّا [حتى يقال: حذف «فيقال» وبقيت الفاء، بل الفاء هي جواب أما] و«يقال» بعدها محذوف. وفاء «أفلم» تحتمل وجهين: أحدهما أن تكون زائدة، وأنشد النحويون على زيادة الفاء قول الشاعر[١]: **[من الطويل]**

يموتُ أناسٌ أو يشيبُ فتاهمُ ويحدثُ نـاسٌ والصغيرُ فيكبرُ

وقول الآخر[٢]: **[من الكامل]**

لمـا اتّقى بيـدٍ عظيـمٍ جُـرمُهـا فتركتُ ضاحي جلدها يتذبذب

يريد: تركت. وقال زهير[٣]: **[من الطويل]**

أراني إذا ما بتُّ بتُّ على هوى فثَمّ إذا أصبحتُ أصبحتُ غاديا

يريد: ثم.

وقال الأخفش: وزعموا أنهم يقولون: أخوك فوجد، يريدون: أخوك وجد. والثاني أن تكون الفاء تفسيرية، وتقدير الكلام: فيقال لهم ما يسوؤهم فألم[٤] تكن آياتي، ثم اعتنى بهمزة الاستفهام فقدمت على الفاء التفسيرية كما تقدم على الفاء التي للتعقيب في نحو قوله ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف] وهذا على مذهب مَنْ يثبت أن الفاء تكون تفسيرية نحو: توضأ زيد فغسل وجهه ويديه إلى آخر أفعال الوضوء. فالفاء هنا ليست مرتبة وإنما هي

---

(١) في الهمع ٢: ١٣١ غير منسوب.

(٢) من شواهد مغني اللبيب ١: ١٦٦.

(٣) ديوانه ص٢٨٥.

(٤) ق: وألم.

مفسّرة للوضوء، كذلك تكون في «أفلم تكن آياتي تتلى عليكم» مفسرة للقول الذي يسوؤهم وقول هذا الرجل، فلما بطل هذا تعيّن[١] أن يكون الجواب: فذوقوا، أي تعيّن بطلان ما قدّره النحويون من قوله: فيقال لهم، لوجود هذه الفاء في «أفلم تكن».

وقد بيّنّا أن ذلك التقدير لم يبطل وأنه سواء في الآيتين، وإذا كان كذلك فجواب أمّا هو[٢] «فيقال»، ومعنى الكلام [عليه]. وأما تقديره: أهملتكم فلم تكن آياتي، فهذه نزعة زمخشرية وذلك أن الزمخشري يقدر بين همزة الاستفهام وبين الفاء فعلاً يصحّ عطف ما بعده عليه، ولا يعتقد أن الفاء والواو وثمّ إذا دخلت عليها الهمزة أصلهن التقديم على الهمزة، لكن اعتنى بالاستفهام فقدّم على حروف العطف كما ذهب إليه سيبويه وغيره من النحويين. وقد رجع الزمخشري أخيراً إلى مذهب الجماعة في ذلك.

وعلى تقدير قول هذا الرجل: أأهملتكم فلا بد من إضمار القول وتقديره: فيقال أأهملتكم، لأن هذا المقدّر هو خبر المبتدأ والفاء جواب أما وهو الذي يدل عليه الكلام ويقتضيه ضرورة. وقول هذا الرجل: فوقع ذلك جواباً له ولقوله «أكفرتم» يعني أن «فذوقوا العذاب» [٩٢/أ] جواب[٣] لأمّا ولقوله «أكفرتم»، والاستفهام هنا لا جواب له إنما هو استفهام على طريق التوبيخ والإرذال بهم.

وأما قول هذا الرجل: ومن نظم العرب إلخ، فليس كلام العرب على ما

---

(١) ق: يعني. وهي كذلك في العبارة التالية.

(٢) كتبت في الحاشية.

(٣) ق: جواباً.

زعم بل يُجعل لكلٍّ جواب إن لا يكن ظاهراً فمقدّر، ولا يجعلون لهما جواباً واحداً، وأما دعواه ذلك في قوله تعالى «فإما يأتينكم مني هدى» الآية وزعمه أن قوله تعالى «فلا خوف عليهم» جواب للشرطين - فقولٌ رُوِيَ عن الكسائي، وذهب بعض الناس إلى أن جواب الشرط الاول محذوف تقديره: فاتبعوه. والصحيح أن الشرط الثاني وجوابه هو جواب الشرط الأول. وتقدمت هذه الأقوال الثلاثة عند الكلام على قوله تعالى ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة]، وهو سؤال توبيخ وتعنيف بعد إيمانكم ظاهره أن كفرهم كان بعد حصول إيمانهم وليس كل كافر كذلك[1]. والمراد والله أعلم: بعد أن ولدتم على الفطرة المتهيئة لقبول الإيمان، أو [الإيمان] المراد به في قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ انظر تفاوت ما بين القسمين: هناك جمع لمن اسودّت وجوههم بين التعنيف بالقول والعذاب، وهنا جعلهم مستقرين في الرحمة، فالرحمة ظرف لهم وهي شاملتهم. ولما أخبر تعالى أنهم مستقرون[2] في رحمة الله بيّن أن ذلك الاستقرار هو على سبيل الخلود لا زوال منه ولا انتقال. وأشار بلفظ الرحمة إلى سابق عنايته بهم وأنَّ العبدَ وإنْ كثرت طاعته لا يدخل الجنةَ إلا برحمةِ الله تعالى. وقال ابن عباس: المراد بالرحمة هنا الجنة، وذكر[3] الخلود للمؤمن ولم يذكر ذلك للكافر إشعاراً بأنَّ جانبَ الرحمة أغلب. وأضاف الرحمةَ هنا إليه ولم يضف العذاب إلى نفسه بل قال «فذوقوا العذاب». ولما ذكر العذاب علّله بفعلهم، ولم ينصّ

---

(١) ق: لذلك.

(٢) ق: مستقرين.

(٣) ق: وذلك.

هنا على سبب كونهم في الرحمة وهو[١] توكيد لقوله «الذين» وفيها توكيد لقوله «ففي رحمة الله». وقرىء: اسوادَّتْ وابياضَّتْ بألف.

﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى الآية التي نزلت في أمر الأوس والخزرج وما قبلها. و﴿ نَتْلُوهَا ﴾ خبر ثانٍ أو جملة في موضع الحال. وقرىء: يتلوها بالياء.

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ[٢] ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ فما وقع منه تعالى من تنعيم قوم وتعذيب آخرين ليس من باب الظلم، والظلم وضع الشيء في غير موضعه. ونكّر «ظلماً» وهو في سياق النفي يعمّ، وهو مصدر حذف فاعله تقديره: ظلمه للعالمين. و«للعالمين» في موضع المفعول.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ هي من تمام الخطاب الأول في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران]، وتوالت بعد هذا مخاطبات المؤمنين من أوامر ونواهٍ وكان قد استطرد من ذلك لذكر من يبيض وجهه ويسودّ، وشيء من أحوالهم في الآخرة. ثم عاد إلى الخطاب الأول فقال تعالى «كنتم خير أمة»

---

(١) ق: وهم.

(٢) ق: لا يريد.

تحريضاً بهذا الإخبار على الانقياد والطواعية. والظاهر أن الخطاب هو لمن وقع الخطاب له أولاً وهم أصحاب رسول الله ﷺ ويتناول مَنْ يجيء بعدهم ممّن يتصف بأوصافهم. واللام في «للناس» متعلقة بـ«أخرجت» وقيل بـ«خير» وهو الأحسن. و«تأمرون» وما بعده تفسير للخيرية التي في قوله «خير أمة».

قال الزمخشري[١]: «كان» عبارة عن وجود الشيء في زمن ماض على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارىء ومنه قوله [تعالى] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ۝٩٦﴾ [النساء] ومنه قوله «كنتم خير أمة» كأنه قال: وجدتم خير أمة انتهى كلامه.

فقوله: إنها لا تدل على عدم سابق، هذا إذا لم تكن بمعنى صار، فإذا كانت بمعنى صار، دلّت على عدمٍ سابق، فإذا قلت: كان زيد عالماً بمعنى صار، دلّت على أنه انتقل من حالة الجهل إلى حالة العلم. وقوله[٢]: ولا على انقطاع طارىء، الصحيح [٩٢/ ب] أنها كسائر الأفعال ثم قد تستعمل حيث لا يرادُ [الانقطاع، وفرق بين الدلالة والاستعمال، ألا ترى أنك تقول: هذا اللفظ يدل على العموم ثم يستعمل حيث لا يراد] العموم بل المراد الخصوص. وقول الزمخشري: كأنه قال: وجدتم خير أمة، هذا يعارض أنها مثل قوله «وكان الله غفوراً» لأن تقديره: وجدتم خير أمة يدل على أنها تامة وأن «خير أمة» حال، وقوله «وكان الله غفوراً» لا شك أنها هنا الناقصة فتعارضا. و«خير» مضاف للنكرة وهي أفعل تفضيل فيجب إفرادها وتذكيرها وإن كانت جارية على جمع.

---

(١) الكشاف ١ : ٤٥٤.

(٢) ق: قوله.

والمعنى أنَّ الأمم إذا فضّلوا أمةً أمة كانت هذه الأمة خيرها. وحكم عليهم بأنهم خير أمة ولم يبيّن[١] جهة الخيرية في اللفظ وهي سَبْقُهم إلى الإيمان برسول الله ﷺ وبِدَارُهُم إلى نصرته ونقلهم عنه علم الشريعة وافتتاحهم البلاد، وهذه فضائل اختصوا بها مع مالَهُم من الفضائل. وكُلُّ مَنْ عمل بعدهم حسنة فلهم مثل أجرها لأنهم[٢] سبب في إيجادها إذ هم الذين سنوها وأوضحوا طريقها «من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً»[٣].

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ أي: ولو آمن عامتهم وسائرهم. ويعني الإيمان التام النافع. واسم كان ضمير يعود على المصدر المفهوم من «آمن» كما تقول: من صدق كان خيراً له أي لكان هو أي الإيمان. وعلّق كينونةَ الإيمان خيراً لهم على تقدير حصوله توبيخاً لهم مقروناً بنُصْحِه تعالى لهم، إذْ لو آمنوا لَنَجَّوْا أنفسهم من عذاب الله. و«خيراً»[٤] هنا أفعل التفضيل، والمعنى: لكان خيراً لهم مما هم عليه لأنهم آثروا دينهم على دين الإسلام حبّاً في الرئاسة واستتباع العوام فلهم في هذا حظ دنيويّ[٥]. وإيمانهم يحصل به الحظ الدنيوي من كونهم يصيرون رؤساء في الإسلام. والحظ الأخروي الجزيل بما وُعِدوه على الإيمان من إيتائهم[٦] أجرهم مرّتين.

---

(١) ق: يتبيّن.

(٢) ق: لأنه.

(٣) الحديث في صحيح مسلم ٢: ٧٠٥، ٤: ٢٠٥٩ بألفاظ مقاربة.

(٤) ق: وخير.

(٥) ق: دنياوي، وكذا في العبارة التالية.

(٦) ق: إتيانهم.

﴿ مِنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ كعبد الله بن سلام وأخيه وثعلبة بن سعيد[١] ومَنْ أسلم من اليهود، وكالنجاشي وبحيرا ومَنْ أسلم من النصارى إذ كانوا مصدّقين برسول الله ﷺ قبل أن بُعِثَ وبعده. وعلى هذا يكون «أهل الكتاب» ليس عاماً إذ قد وجد الإيمان من بعضهم.

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ هاتان الجملتان تضمنتا الإخبار بغيبين مستقبلين وهو أن ضررهم إياكم لا يكون إلا أذى أي: شيئاً تتأذون منه لا ضرراً يكون فيه غلبة واستئصال[٢]، وكذلك إن تقاتلوهم خُذِلوا ونُصِرْتُم. وكلا هذين الأمرين وقع[٣] لأصحاب رسول الله ﷺ، ما ضرهم أحد من أهل الكتاب ضرراً يبالون به، ولا قصدوا جهة كافر إلاّ كان[٤] النصر لهم والغلبة عليهم.

﴿ إِلَّآ أَذًى ﴾ استثناء متصل وهو استثناء مفرّغ من المصدر المحذوف، والتقدير: لن يضروكم ضرراً إلا ضرراً يسيراً لا نكاية فيه ولا إجحاف.

﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ هذا استئناف إخبار أنهم لا ينصرون أبداً. ولم يشرك في الجزاء فيجزم لأنه [ليس] مترتباً على الشرط بل التولية مترتبة على المقاتلة، والنصر منفي عنهم أبداً سواءٌ قاتلوا أم لم يقاتلوا إذ مَنْعُ النصر سببه[٥] الكفر، فهي جملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء، كما أن جملة الشرط والجزاء معطوفة على «لن يضروكم إلا أذى». وليس امتناع الجزم لأجل «ثم» كما

---

(١) ق: بن شعبة، وما أثبتّه في ط، والبحر ٣: ٣٠، والطبري ٤: ٣١.

(٢) ق: والاستئصال.

(٣) ق: وقعا.

(٤) ق: أن كان.

(٥) ق: سبب.

زعم بعضهم، زعم أن جواب الشرط يقع عقيب المشروط قال: و«ثم» للتراخي فلذلك لم تصلح لجواب الشرط والمعطوف على الجواب. وما ذهب إليه هذا الذاهب خطأ لأن ما زعم أنه لا يجوز قد جاء في أفصح كلام قال تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد] فجزم المعطوف بثمّ على جواب الشرط. و«ثم» هنا ليست للمهلة[1] في الزمان وإنما هي للتراخي في الإخبار، فالإخبار بتوليهم في القتال وخذلانهم والظفر بهم أبهج وأسرّ للنفس، ثم أخبر تعالى بعد ذلك بانتفاء النصر عنهم مطلقا.

﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا﴾ عام في الأمكنة [٩٣/أ] وهو شرط وجوابه محذوف يدل [عليه] ما قبله. ومَنْ أجاز تقديم جواب الشرط قال: «ضربت» جواب الشرط. ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ظاهرهُ أنه استثناءٌ منقطع قاله الفرّاء والزجاج واختاره ابن عطية وقال: لأن بادي الرأي أنَّ الحبلَ من الله ومن الناس يزيل ضرب الذلة. وليس الأمر كذلك وإنما في الكلامِ محذوفٌ يدركه فَهْمُ السامعِ الناظِرِ في الأمور وتقديره في آيتنا: فلا نجاة من الموت إلا بحبل انتهى كلامه. وعلى ما ذكره لا يكون استثناءً منقطعاً لأنه مستثنى من جملةٍ مُقدَّرة وهي قوله: فلا نجاةَ من الموت، وهو متصل على هذا التقدير فلا يكون استثناءً منقطعاً من الأول ضرورة أن الاستثناء الواحد لا يكون منقطعاً متصلاً.

وذهب الزمخشري وغيره إلى أنه استثناء متصل قال[2]: وهو استثناء من أعمّ عامّ الأحوال، والمعنى: ضربت عليهم الذلّة في عامّة الأحوال إلا في

---

(١) ق: للمهملة.

(٢) الكشاف ١: ٤٥٥.

حالِ اعتصامهم بحبلٍ من الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين، يعني لا عزَّ لهم قط إلا بهذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية انتهى كلامه. وهو متجه، وشُبِّه العهدُ بالحبلِ، لأنه يصل قوماً بقومٍ كما يفعل الحبل في الأجرام.

والظاهر في تكرار الحبل أنه أُريد حبلان، وفسّر حبل الله بالإسلام وحبل الناس بالعهد والذمة، وقيل: حبل الله هو الذي نص الله عليه من أخذ الجزية والثاني هو الذي فوّض إلى رأي الإمام فيزيد فيه وينقص بحسب الاجتهاد.

وفي هذه الآية توكيد بعموم الظرف في قوله «أينما ثقفوا» وبتكرار «ضربت». «وباؤوا» تقدم تفسير نظيرها في البقرة[1]. وهنا «الأنبياء» جمع تكسير وهناك جمع سلامة، وهنا «بغير حق» نكرة وهناك «بغير الحق» معرفة وذلك من التفنّن في الكلام.

﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً ﴾ سبب نزولها إسلام عبد الله بن سلام وغيره من اليهود

(١) انظر تفسير الآية ٦١ من البقرة.

وقول الكفار من أحبارهم: ما آمنَ بمحمدٍ إلا أشرارنا ولو كانوا أخياراً ما تركوا دِينَ آبائهم قاله ابن عباس. والضمير في «ليسوا» عائد على أهل الكتاب، و«سواء» خبر ليس يُخْبَر به عن اثنين وعن الجمع وقد سُمع تثنيته قالوا: هما سواءان. ثم بيّن تعالى عدم التسوية بقوله تعالى «من أهل الكتاب» إلى ما وصفهم به. و«قائمة» أي مستقيمة.

و﴿ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾ ساعاتُه واحدها إِنَى كمِعًى وأنىً كفتىً وأَنْي كظبي وأنو كجروٍ. ووصف «أمة» بقوله «قائمة» وهو اسم فاعل يدل على الثبوت، ثم بالمضارعات من قوله «يتلون ويؤمنون ويأمرون وينهون ويسارعون»، وهي تدل على التجدد والتكرر والمسارعة والمبادرة. و«الخيرات» عامة تشمل هذه الأوصاف السابقة وغيرها.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى مَن اتَّصفَ بهذه الأوصاف السابقة. فانظر إلى حُسْن مساق هذه الصفات حيث توسط الإيمان وتقدمت عليه الصفة المختصّة بالإنسان في ذاته وهي الصلاة بالليل، وتأخرت عنه الصفتان المتعدّيتان والصفة المشتركة وكلها نتائج عن الإيمان.

﴿ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ ﴾ قرىء بالياء فيهما جرياً على نسق الغيبة، وبالتاء فيهما الظاهر أنه التفات إلى قوله «أمة قائمة». لما وصفهم بأوصاف جليلة أقبل عليهم تأنيساً لهم واستعطافاً عليهم فخاطبهم بأن ما يفعلونه من الخير فلا يمنعون ثوابه ولذلك اقتصر على قوله «من خير» لأنه موضع عطف عليهم وترحّم، ولم يتعرض لذكر الشر. ومعلوم أن كل ما يفعل من خير وشر يترتب عليه موعوده. ويؤيد هذا الالتفات أنه راجع إلى

«أمة قائمة» قراءة الياء[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية، لما ذكر شيئاً من أحوال المؤمنين ذكر شيئاً من أحوال الكافرين ليتّضح الفرق بين القبيلين.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال [٩٣/ب] الزمخشري[2]: شبّه ما كانوا ينفقونه من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس، لا يبتغون به وجه الله تعالى - بالزرع الذي حسّه البرد[3] فذهب حطاماً. وقيل: هو ما يتقربون به إلى الله تعالى مع كفرهم. وقيل: ما أنفقوا في عداوة رسول الله ﷺ [فضاع عنهم][4] لأنهم لم يبلغوا في إنفاقه ما أنفقوه لأجله انتهى.

وقال ابن عطية: معناه المثال القائم في النفس من إنفاقهم الذي يعدّونه قربة وحسبة وتحنثاً ومن حَبْطه يوم القيامة وكونه هباءً منثوراً وذهابه كالمثال القائم في النفس من زرع قومٍ نَبَتَ واخضَرَّ وقوي الأمل فيه فهبّت عليه ريح فيها صرّ محرق فأهلكته [انتهى].

والظاهر أن «ما» في قوله «مثل ما ينفقون» موصولة والعائد محذوف أي: ينفقونه. والظاهر تشبيه ما ينفقونه بالريح والمعنى على تشبيهه بالحرث فقيل هو من التشبيه المركب وهو اختيار الزمخشري، وقيل[5]: وقع التشبيه بين

---

(١) ق: وأنه راجع. . قراءة التاء.

(٢) الكشاف ١ : ٤٥٧.

(٣) أي أحرقه.

(٤) زيادة من الكشاف.

(٥) هذا قول ابن عطية، انظر المحرر الوجيز ٣: ٢٠٤.

شيئين وشيئين، ذكر أحد المشبّهين وترك ذكر الآخر ثم ذكر [أحد] الشيئين المشبّه بهما وليس الذي يوازن المذكور الأول وترك الآخر، ودلّ المذكوران[١] على المتروكَيْن وهذا اختيار ابن عطية قال: وهذه غاية البلاغة والإعجاز انتهى.

ويجوز أن يكون على حذف مضاف من الأول تقديره: مثل مهلك ما ينفقون، أو من الثاني تقديره: كمثل[٢] مهلك [ريح]. وقيل: يجوز أن تكون «ما» مصدرية أي: مثل إنفاقهم فيكون قد شبّه المعقول بالمحسوس إذ شبّه الريح بالإنفاق. وظاهر قوله «ينفقون» أنه من نفقة المال.

وأفردَ الريح لأنه أكثر ما يأتي في العذاب، والجمع في الرحمة كقوله ﴿رِيحًا صَرْصَرًا ﴿١٦﴾﴾ [فصلت] وقوله ﴿الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم]. والصرّ: البردُ الشديد المحرقُ وقيل البارد بمعنى الصرصر، وقد استعملته العرب صفة كقول الشاعر[٣]: [من البسيط]

نكباءُ صِرٌّ بأصحاب المُحِلَّاتِ

وقوله: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ هو على حذف مضاف، التقدير: زرع حرث قوم، أو أطلق الحرث على الزرع مجازاً. والضمير في «ظلموا» عائد على «قوم» وأبعد الزمخشري[٤] في تجويز جعله عائداً على الذين ينفقون.

(١) ق: المذكور.

(٢) ق: لمثل.

(٣) البيت في البيان والتبيين غير منسوب ٣: ٤٣، وصدره:

لا تعدلنّ أتاويّين تضربهم

(٤) انظر الكشاف ١: ٤٥٧.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآية، نزلت في رجال من المؤمنين يواصلون رجالاً من يهود للجوارِ والحلفِ والرضاع قاله ابن عباس. وقال أيضاً هو وقتادة والسدّي والربيع: نزلت في المنافقين نهى الله المؤمنين عنهم. البطانة في الثوب بإزاء الظهارة ويستعار لمن يختصه الإنسان كالشعار والدثار. ألوت في الأمر قصّرت فيه. الخبال والخبل الفساد، والعَنَت[1] المشقّة.

وقوله ﴿ مِّن دُونِكُمْ ﴾ في موضع الصفة «البطانة» أو متعلقاً بـ«لا تتخذوا». ودون: أصله ظرف مكان ثم اتسع فيه حتى صار بمعنى غير فكأنه قيل: من غيركم. ودلّ هذا النهي على المنع من استكتاب أهل الذمة وتصريفهم في البيع والشراء والاستنامة إليهم. وقد عتب عمر بن الخطاب أبا موسى على استكتابه ذمياً وتلا عليه هذه الآية. وقد قيل لعمر في كاتبٍ مُجيدٍ من نصارى الحيرة: ألا يكتب عنك؟ فقال: إذاً أتّخذُ بطانة. والجملة من قوله «لا يألونكم خبالاً» لا موضعَ لها من الإعراب إذْ جاءت بياناً لحال البطانة الكافرة هي والجمل[2] التي بعدها لينفّر المؤمنين عن اتخاذهم بطانة. ومَنْ ذهب إلى

---

(١) ق: والعند.

(٢) ق: والجملة.

أنها صفة للبطانة أو حال مما تعلقت به فبعيد عن فهم الكلام الفصيح، لأنهم نُهوا عن اتخاذِ بطانةٍ[١] كافرة. ثم نبّه على أشياء مما هم عليه من ابتغاء الغوائل للمؤمنين وودادة مشقتهم وظهور بغضهم. والتقييد بالوصف أو بالحال يؤذن بجواز الاتخاذ عند انتفائهما.

ويألو: فعل لازم، وهنا جاء بعده[٢] منصوبان فخرج على أن «خبالا» حال منقول من[٣] المفعول أي: لا يألونَ خبالكم، أو على أنه مصدر في موضع الحال، أو على أنه تعدّى [٩٤/أ] للضمير على إسقاط اللام والخبال على إسقاط في. والأحسن تخريجه على التضمين أي لا يمنعونكم فساداً كقولك: ما آلوكَ نُصحاً [أي ما أمنعك نصحاً].

و«ما» في قوله ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ مصدرية تقديره: وَدُّوا عَنَتَكُم أي: مَشَقَّتكم.

﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: لا يكتفون ببغضكم بقلوبهم حتى يصرحوا بذلك بأفواههم. وذكر الأفواه دون الألسنة إشعاراً بأن ما يلفظون به يملأ أفواههم كما يقال: قال كلمة تملأ الفم[٤] إذا تَشدَّقَ بها.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾ تقدمَ الكلامُ على نظيرها في قوله ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ ٦٦﴾ [آل عمران] قال الزمخشري[٥]: «وتؤمنون بالكتاب كله» والواو في «وتؤمنون» للحال وانتصابها مِنْ «لا يحبونكم» [أي لا يحبونكم] والحال

(١) ق: البطانة.

(٢) ق: بعد.

(٣) ق: في.

(٤) ق: الفهم.

(٥) الكشاف ١: ٤٥٩.

أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيءٍ من كتابكم؟. وفيه توبيخٌ شديد بأنهم في باطلهم أصلبُ[١] منكم في حقكم، ونحوه ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء] انتهى كلامه.

وهو حسن إلا أنَّ في صناعة النحو ما يخدشه وهو أنه جعل الواو في «وتؤمنون» للحال وأنها منتصبة من «لا يحبونكم». والمضارع المثبت إذا وقع حالاً لا تدخل عليه واو الحال تقول: جاء زيد يضحك، ولا يجوز: ويضحك، وأما قولهم: قمت وأصكّ عينه ففي غاية الشذوذ، وقد أوّل[٢] على إضمار مبتدأ أي: قمت وأنا أصك عينه فتصير الجملة اسمية. ويحتمل هذا التأويل هنا أي: ولا يحبونكم وأنتم تؤمنون بالكتاب كله، لكن الأَوْلى ما ذكرناه من كونها للعطف.

قال ابن عطية: «وتؤمنون بالكتاب كله» يقتضي أنَّ الآيةَ في منافقي اليهود لا منافقي العرب ويعترضها أنَّ منافقي اليهود لم يُحفَظْ أنهم كانوا يؤمنون في الظاهر إيماناً مطلقاً ويكفرونَ في الباطن كما كان المنافقون من العرب إلا ما رُوي عن زيد بن الصيف القينقاعي، فلم يبق إلا أن قولهم «آمنا» معناه صدّقنا أنه نبيٌّ مبعوثٌ إليكم أي: فكونوا على دِينكم ونحن أولياؤكم وإخوانكم لا نُضمر لكم إلا المودَّةَ، ولهذا كان بعض المؤمنين يتخذهم بطانة. وهذا منزع قد حفظ أن كثيراً من اليهود كان يذهب إليه، ويدل على هذا التأويل أن المعادل لقولهم «آمنا» عضّ الأنامل من الغيظ وليس فيه ما يقتضي الارتداد كما في قوله ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة] بل هو ما

---

(١) ق: أطلب.

(٢) ق: الأول.

يقتضي البغض وعدم المودة. وكان أبو الجوزاء إذ تلا هذه الآية قال: هم الإباضية. وهذه الصفة قد ترتبت[١] في أهل البدع من الناس إلى يوم القيامة انتهى.

وما ذكر من أن منافقي اليهود لم يُحفَظْ عنهم أنهم كانوا يؤمنون في الظاهر إيماناً مطلقاً ويكفرون في الباطن إلا ما روي من أمر زيد فيه نَظَرٌ: فإنه قد رُوي أنَّ جماعة منهم كانوا يعتمدون ذلك، ذكره البيهقي وغيره، ولو لم يُرْوَ ذلك إلا عن زيد القينقاعي لكان في ذلك مَذَمَّةٌ لهم بذلك إذ وجد ذلك في جنسهم، وكثيراً ما تُمدح العربُ أو تُذَمُّ بفعلِ الواحدِ من القبيلة، ويؤيد صدور ذلك من اليهود قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ الظاهر فِعْلُ ذلك وأنه يقعُ منهم عَضُّ الأناملِ لشدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذ ما يريدون. ويحتمل أن لا يكون ثَمّ عض الأنامل ويكون ذلك من مجاز التمثيل، عبّر بذلك عن شدة الغيظ والتأسف على ما يفوتهم من إذايتكم.

﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ إنه صلى الله عليه وسلم أُمِرَ أنْ يواجههم بهذا الأمر على سبيل الدعاء والمباينة لهم. والباء في «بغيظكم» للحال أي [٩٤/ب] ملتبسين بغيظكم.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ ذكر تعالى المَسَّ في الحسنة ليبيِّنَ أنَّ بأدنى مَسِّ الحسنة تحصلُ المساءةُ لهؤلاء المبغضين، ثم عادل ذلك في السيئة بلفظِ الإصابة وهي عبارة عن التمكن لأن الشيء المصيب شيئاً[٢] هو متمكنٌ منه أو

(١) ق: ترتب.
(٢) ق: بسيء.

فيه، فدلَّ هذا النوع البليغ على شدة العداوة إذ هو حقدٌ لا يذهبُ عند الشدائدِ بل يفرحون بنزولِ الشدائد بالمؤمنين. وقابل الحسنة بالسيئة والمساءة بالفرح وهي مقابلة بديعة. وقرىء: لا يَضِرْكم مِن ضار يضير، وقرىء بضم الضاد والراء مرفوعة ومشددة من ضرّ يضرّ، وخُرّج على أن حركة الراء إتباع لحركة الضاد، وقيل هي حركة إعراب وذلك على أن النيّة به التقديم لا على أنه جواب الشرط وهذا ضعيف.

والذي نختاره أنه أجرى حركة الكاف مجرى حركة الهاء فضم ما قبل الكاف كما قالت العرب: يردُه. وهذا توجيه شذوذ في هذه القراءة، وقرأ[1] الضحاك «لا يضرِكم كيدهم» بضم الضاد وكسر الراء المشددة على أصل التقاء الساكنين. قال ابن عطية: فأما الكسر - يعني في الراء - فلا أعرفها قراءة، وعبارة الزجاج في ذلك متجوِّز فيها إذ يظهر من درج كلامه أنها قراءة [انتهى. وهي قراءة] كما ذكرنا عن الضحاك.

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾

(١) ق: قال.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه لما نهاهم عن اتخاذ بطانة من الكفار ووعَدَهُم أنهم إنْ صبروا واتقوا فلا يضرهم كيدهم ذكَّرهم بحالة اتفق فيها بعض طواعية وأتباع لبعض المنافقين وهو ما جرى يوم أُحد لعبد الله بن أبي بن سلول حين انخذلَ عن رسولِ الله ﷺ واتبعه في الانخذال ثلاث مئة رجل من منافق وغيرهم من المؤمنين، وأن ذلك كله كان في غزوة أحد وفيها نزلت هذه الآيات كلها. ومعنى غدوّه خروجه من عند أهله وفسّر ذلك بخروجِه من حجرةِ عائشة يوم الجمعة غدوة.

﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ﴾ أي: مواطن للقتال. وعبر بالقعود لأنه عبارة عن الثبوت للشيء.

قال الزمخشري[1]: وقد اتُّسِعَ في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار انتهى. أما إجراء قعد مجرى صار فقال أصحابنا إنها جاءت في لفظةٍ واحدة وهي شاذةٌ لا تتعدى وهي في قولهم: شحذ شفرته حتى قَعَدَتْ كأنها حربة أي: صارت. وقد نقد على الزمخشري تخريج قوله تعالى ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء] على أنَّ معناه فتصير، لأن ذلك عند النحويين لا يطّرد. وفي اليواقيت لأبي عمر الزاهد: قال ابن الأعرابي: القعد الصيرورة، والعرب تقول: قعد فلان أميراً بعدما كان مأموراً أي: صار.

وأما إجراء قام مجرى صار فلا أعلمُ أحداً عَدَّها في أخوات كان ولا ذكر أنها تأتي بمعنى صار ولا ذكـر لها خبراً إلا أبا عبد الله بن هشام الخضراوي

---

(١) الكشاف ١: ٤٦٠.

فإنه قال في قول الشاعر[١]: [من الوافر]

على ما قام يَشْتُمُني لئيمٌ

أنها من أفعال المقاربة. قال الزمخشري[٢]: أو عمل فيه معنى «سميع عليم» انتهى، يعني في «إذ همّت» وهذا غير محرر لأنَّ العامل لا يكون مركباً من وصفين فتحريره أن يقول: أو عمل فيه معنى سميع أو عليم، وتكون المسألة من باب التنازع، وجوّز أن يكون معمولاً لِتبوِّىء ولِغَدَوْتَ.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآيِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ الطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان قاله ابن عباس. وكان خروجه صلى الله عليه وسلم في ألف، والمشركون في ثلاثةِ آلافٍ فانخذل عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس.

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ فيه ثناء عليهما إذ لم ينفذا الهمّ بل حضرا القتال. وقرىء: وليّهم على الجمع.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ لما أمرهم بالتوكل [٩٥/أ] عليه ذكّرهم بما يوجب التوكل عليه وهو ما يسّر من الفتح والنصر يوم بدر وهم في حالةِ ذِلَّةٍ وقلّة إذْ كان ذاك النصر ثمرة التوكل عليه والثقة به، وأنتم أذلّةٌ في أعينِ أعدائكم من القلة، وإنْ كانوا أعزاء في نفوسهم. والنصر ببدر هو المشهور الذي قُتلَ فيه صناديدُ قريش، وعلى يوم بدر ابْتُنِيَ الإسلامُ وكان يوم الجمعة السابع عشر من رمضان لثمانية عشر شهراً من الهجرة.

---

(١) لم أجده في غير البحر ٣: ٤٥، وعجزه فيه ٨: ٤١٠:

كخنزير تمرّغ في رماد

(٢) الكشاف ١: ٤٦٠.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، ظاهرها اتصالها بما قبلها وأنها من قصة بدر وهو قول الجمهور فتكون «إذ» معمولاً لـ«نصركم». وقيل هذا من تمام قصة أحد فيكون قوله «ولقد نصركم الله ببدر» معترضاً بين الكلامين لما فيه من التحريضِ على التوكـل والثبات للقتال. وحجة هذا القول أنَّ يومَ بدرٍ كان المدد فيه من الملائكة بألفٍ وهنا بثلاثةِ آلاف، وكان الكفار يوم بدر ألفاً والمسلمون على الثلث، فكان عدد الكفار مقابلاً لعدد الملائكة. ويوم أحد كان المسلمون ألفاً والكفار ثلاثة آلاف فَوُعِدُوا بثلاثةِ آلافٍ من الملائكة. وقال «ويأتوكم من فورهم» أي: الأعداء، ويوم بدر ذهب المسلمون إليهم.

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: كيف يصح أن يقوله لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكةُ؟ قلتُ: قاله لهم مع اشتراطِ الصبرِ والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيثُ خالفوا أمرَ رسولِ الله ﷺ فلم تنزل الملائكة، ولو تمّوا على ما شرط عليهم لنزلت. وإنما قدّم الوعد بنزول الملائكة ليقوي قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله انتهى كلامه.

وقوله: لم تنزل فيه الملائكةُ، ليس مُجْمَعاً عليه بل قال مجاهد: حضرت فيه الملائكةُ ولم تقاتل. فعلى قول مجاهد يسقط السؤال.

وقوله: قاله لهم مع اشتراطِ الصبرِ والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا إلى آخره، المشروط بالصبر والتقوى هو الإمداد بخمسة آلاف، أما الإمداد الأول وهو بثلاثة آلاف فليس بمشروط. ولا يلزم من عدم إنزال[٢] خمسة آلاف لفوات شرطه أنْ لا تنزل ثلاثة آلاف ولا شيء منها.

(١) الكشاف ١: ٤٦١.

(٢) ق: من أنزل عدم خمسة آلاف.

قال ابن عطية: وقرأ الحسن: بثلاثه آلاف، يقف على الهاء، وكذلك: بخمسه آلاف. ووجه هذه القراءة ضعيف لأنَّ المضافَ والمضافَ إليه يقتضيان الاتصالَ [إذ هما] كالاسم الواحد وإنما الثاني كمال الأول، والهاء إنما هي أمارة وقف فيقلَق[١] الوقف في موضع إنما هو للاتصال. لكن قد جاء نحو هذا للعرب في مواضع فمن ذلك ما حكاه الفراء أنهم يقولون: أكلت لحماشاة، يريدون لحم شاة، فمطلوا الفتحة حتى نشأت عنها ألف كما قالوا في الوقف: قالا، يريدون قال. ثم مطلوا الفتحة في القوافي ونحوها من مواضع الروية والتثبت ومن ذلك في الشعر قوله[٢]: [من الكامل]

لولا تسلّي الهمّ عنك بجسرةٍ عيـرانـةٍ مثـلِ الفنيـق المُكْـدَمِ

يريد: ينبع فمطل. [ومنه قول الآخر[٣]: [من الرجز]

أقول إذ خرّت على الكلكالِ يا ناقتا ما جُلْتِ من مجالِ

يريد: الكلكل]. ومنه قول الآخر: [من الوافر]

فأنت من الغوائل حين تُرمى ومن ذم الرجال بمنتزاح[٤]

يريد: بمنتزح.

---

(١) ق: فتعلق.. هو الاتصال.

(٢) البيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه ص١٧٩. ووقع فيه اضطراب في ق وروايته: ينباع من دفري غضوب حسرة بانة مثل العقيق. وما أثبتّه رواية الديوان، ولا شاهد فيه، وانظر أيضاً المفضليات ص٣٤٦.

(٣) البيت في اللسان (كلل) غير منسوب، والمحتسب ١: ١٦٦.

(٤) ق: بمستراح، يريد: بمستريح. والبيت لابن هرمة في ديوانه ص٩٢.

قال أبو الفتح[١]: فإذا جاز أن يعترض هذا التمادي بين أثناء الكلمة الواحدة، جاز التمادي والتأني[٢] بين المضاف والمضاف إليه إذ هما في الحقيقة اثنان انتهى كلامه. هذا تكثير وتنظير بغير ما يناسب، والذي يناسب توجيه هذه القراءة الشاذة أنها من إجراء الوصل [٩٥/ب] مجرى الوقف أبدلها هاءً في الوصل كما أبدلوها في الوقف [وموجود في كلامهم إجراء الوصل مجرى الوقف وإجراء الوقف] مجرى الوصل.

وأما قوله: لكن قد جاء نحو هذا للعرب في مواضع، وجميع ما ذكر إنما هو من إشباع الحركة [وإشباع الحركة] ليس نحو إبدال التاء هاءً في الوصل، وإنما هذا نظير قولهم: ثلاثه أربعه، أبدل التاءَ هاءً ثم نقل حركة [همزة] أربعة إليها وحذف الهمزة وأجرى الوصل مجرى الوقف في الإبدال، ولأجل الوصل نقل إذ لا يكون هذا النقل إلا في الوصل.

قال أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي: «ألن يكفيكم» جواب الصحابة حين قالوا: هلاّ أَعْلَمْتَنا بالقتال لنتأهب؟ فقال لهم النبي ﷺ: ألن يكفيكم. قال ابن عيسى: والكفايةُ مقدار سَدِّ الخلّة، والإمداد إعطاء الشيء حالاً بعد حال انتهى.

ومعنى ﴿مِّن فَوۡرِهِمۡ﴾ من سفرهم هذا قاله ابن عباس، أو مِنْ وَجْهِهِم هذا قاله الحسن وقتادة والسدّي، قيل: وهي لغةُ هذيل وقيس عيلان وكنانة، أو منْ غَضَبِهم[٣] هذا قاله مجاهد وعكرمة والضحاك وأبو صالح مولى أم هانىء،

---

(١) انظر المحتسب ١: ١٦٦.

(٢) ق: والثاني.

(٣) ق: عصيهم. ومن غضبهم: فقد كانوا غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا. انظر القرطبي ٤: ١٩٦.

أو معناه في نهضتهم هذه قاله ابن عطية، أو مِنْ ساعتهم هذه قاله الزمخشري. ولفظةُ الفَوْرِ تدل على السرعةِ والعجلة تقول: افعل هذا على الفور لا على التراخي، ومنه الفور في الحج والوضوء. وفي إسناد الإمداد إلى لفظة «ربكم» دون غيره من أسماء الله تعالى إشعار بحسن النظر لهم واللطف بهم. وقرىء: مسومين بفتح الواو وكسرها، واشتقاقه من السومة وهي العلامة، وفي تعيين الأعلام خلافٌ الله أعلم بالصحيح من ذلك.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ الضمير عائد على المصدر المفهوم من «يمددكم» وهو الإمداد. و«بشرى» مصدر، وهو مفعول من أجله، ولما وجدت فيه الشروط من اتحاد[1] الفاعل والزمان لم تدخل عليه اللام، ولما اختلّ فيما بعده شرط[2] وهو عدم اتحاد الفاعل أتى باللام في قوله «ولتطمئن».

ولام ﴿ لِيَقْطَعَ ﴾ هي لام كي متعلقة بمحذوف تقديره: نصركم ليقطع، يدل عليه ما قبله من قوله تعالى «وما النصر إلا من عند الله».

﴿ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟[3] ﴾ أي: جانباً بقتلٍ أو أسرٍ أو فرار.

﴿ أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ أي: يهزمهم قاله ابن عباس، وقرىء بالدال مكان التاء أي يصيب كبدهم بالحزن وعدم الظفر يقال: كبده [أي] أصاب كبده.

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ جملة اعتراض بين المعطوفين منبهة على [أن] الأمر لله وحده لا يشركه في ذلك أحد.

---

(١) ق: اتخاذ.

(٢) اشترط.

(٣) ق: طرفاً من الكفار.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ مناسبتها لما قبلها ومجيئها بين أثناء القصة أنه لما نهى[1] المؤمنين عن اتخاذِ بطانةٍ من غيرهم واستطرد لذكر قصة أحد وكان الكفار أكثر معاملتهم بالربا مع أمثالهم ومع المؤمنين وهذه المعاملةُ مؤدية إلى مخالطة الكفار - نُهوا عن هذه المعاملةِ التي هي الربا قطعاً لمخالطةِ الكفار وموادتهم واتخاذ أخلاء منهم، لا سيما والمؤمنون في أولِ حالِ الإسلام ذَوُو إعسارٍ والكفار من اليهود وغيرهم ذوو[2] إيسار. وكان أيضاً أكل الحرام له مدخل عظيم في عدم قبول الأعمال الصالحة والأدعية كما جاء في الحديث[3]: «أن الله لا يستجيب لمن مَطْعمُه حرامٌ ومَشْرَبُه حرام إذا دعا، وأنَّ آكل الحرام يقول إذ حج لبيك وسعديك فيقول [اللهُ] له: لا لَبَّيْكَ ولا سَعْديكَ وحَجُّك مردودٌ عليك» فناسب ذكر هذه الآية

(١) «القصة أنه لما نهى» كتبت في الحاشية.

(٢) ق في الموضعين: ذوا.

(٣) بعضه في مختار الأحاديث النبوية ص١٧.

هنا. وقيل: ناسب اعتراض هذه الجملة هنا أنه تعالى وعد المؤمنين بالنصر والإمداد مقروناً بالصبر والتقوى [فبدأ بالأهم منها وهو ما كانوا يتعاطونه من أكل الأموال بالباطل وأمر بالتقوى] ثم بالطاعة.

وقيل: لما قال «ولله ما في السماوات وما في الأرض» وبيّنَ أنَّ ما فيهما من الموجودات مُلكٌ له ولا يجوز أن يُتصرف في شيءٍ منها إلا بإذنه على الوجه [٩٦/أ] الذي شرعه، وآكل الربا متصرفٌ في مالِه بغير الوجه الذي أمر، نبّه تعالى على ذلك[١] ونهى عما كانوا في الإسلام مستمرين عليه من حكم الجاهلية: التضعيف عاماً بعد عام.

والربا مُحَرَّمٌ جميع أنواعه فهذه الحال لا مفهوم لها وليست قيداً في النهي إذْ ما لا يقعُ أضعافاً مضاعفة مساوٍ في التحريم لما كان أضعافاً مضاعفة، وقد تقدم الكلام في نسبةِ الأكلِ إلى الربا في البقرة[٢].

وقيل: المضاعفة منصرفة إلى الأموال، فإنْ كان الربا في السن يرفعونها ابنة مخاض بابنة لبون ثم حقّة ثم جذعة ثم رباع وهكذا إلى فوق، وإنْ كان في النقود فمئة إلى قابل بمئتين فإنْ لم يوفّها فأربع مئة. والأضعاف جمع ضعف وهو من جموع القلّة فلذلك أردفه بالمضاعفة.

وقرىء: «سارعوا» بغير واو، وسارعوا بالواو. و﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه حذفان: كاف التشبيه ومضاف تقديره: كعرض السماوات، يدل على ذلك قوله [تعالى في الحديد ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد]. والسماء يراد به الجنس لا الإفراد، يدل على ذلك قوله] «عرضها السماوات»

---

(١) ق: به تعالى عن ذلك.

(٢) في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة].

جمعاً. والعرض يستعمل في السّعة وبالمعنى الذي يقابل الطول. وقد فسّر العرض هنا بهذين الوجهين.

﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قال ابن عباس: السرّاء اليسر والضراء العسر.

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ أي: الممسكين ما في أنفسهم من الغيظ بالصبر فلا يظهر له تأثير في الخارج.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ الآية، نزلت بسبب نبهان التمّار أتته امرأةٌ تشتري منه تمراً فقبّلها وضمّها ثم ندم، وقيل: ضرب على عجزها. قال ابن عباس: الفاحشةُ الزنى وظلم النفس ما دونه من النظر واللمسة.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾ معطوف على «فاستغفروا لذنوبهم» والإصرار على الذنب المداومة عليه.

﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ جملة اعتراض بين المتعاطفين، وتقدم إعراب نظيرها في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة]. وهذه الجملة الاعتراضية فيها ترقيق للنفس وداعية إلى رجاء الله وسعة عفوه واختصاصه بغفران الذنب.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ لما انهزمَ مَن انهزم من المؤمنين أقبل خالد يريد أنْ يعلو الجبل فقال رسول الله ﷺ: لا يعلُنَّ علينا، اللهم لا قوةَ لنا إلا بك، فنزلت، قاله ابن عباس. ولا تَهِنُوا: أي: لا تضعفوا عن الحرب ولا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر بالكفار.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآية، المعنى: إنْ نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم يوم بدر ثم لم يضعفوا أن قاتلوكم بعد ذلك فلا تضعفوا أنتم، أو فقد مسَّ القومَ في غزوة أحد قبل مخالفة أمر رسول الله ﷺ ونحوه. وهذه تسليةٌ منه تعالى للمؤمنين، والتأسي فيه أعظم مسلاة. وقرىء: إن يمسسكم بالتاء وبالياء، فبالتاء على تأنيث القرح بمعنى الجراحة. وقرىء: قرح بفتح القاف وضمّها مع سكون الراء، وقرىء: قرح بفتح القاف والراء وهما لغتان كالطّرْد والطّرَد.

﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ التمحيص: التطهير من الذنوب، وقيل: الابتلاء والاختبار.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ هذه الآية وما بعدها عتب شديد لمن وقعت منهم الهفوات يوم أحد. واستفهم على سبيل الإنكار أن يظن أحد [أنه] يدخل الجنة وهو مخلّ بما افترض عليه من الجهاد والصبر عليه.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ جملة حالية والمعنى: ولما يكن جهاد يعلمه الله.

وقال الزمخشري[1]: «ولما» بمعنى لم، إلا أن فيها ضرباً من التوقع فدلّ على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقّعه فيما يُستقبل، وتقول: وعدني أن يفعل كذا ولمّا، تريد: ولم يفعل وأنا أتوقع فعله انتهى كلامه.

(١) الكشاف ١ : ٤٦٧.

وهذا الذي قاله في لمّا أنها تدل على توقع الفعل المنفيّ[1] بها فيما يُستقبلُ، لا أعلم أحداً من النحويين ذكره بل ذكروا أنك إذا قلت: لما يخرج زيد، دلَّ ذلك على انتفاء الخروج فيما مضى متصلاً نفيهُ إلى وقتِ الإخبار، أما أنها تدل على توقُّعِه في المستقبل [٩٦/ب] فلا.

[وقرىء]: ولما يعلم الله بفتح الميم وخرّج على أنه إتباع لفتحة اللام، أو على أنه دخلته النون الخفيفة وحذفت كما حذفت في قوله: لا تهين الفقير، وأصله يعلمنّ وتهيننّ، أو على أنه نصب بالجازم وهي لغيّة كما جزموا بالناصب في قوله[2]: [من المنسرح]

لن يَخِبِ الآن من رجائك مَن حَرَّكَ [مِن] دونِ بابك الحَلَقَهْ

وقرأ الجمهور: ويعلم بفتح الميم[3] فقيل هو مجزوم وأتبع الميم اللام في الفتح كقراءة من قرأ: ولما يعلم بفتح الميم على أحد التخاريج. وقيل هو منصوب فعلى مذهب البصريين بإضمار أنْ بعد واو مع نحو: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، وعلى مذهب الكوفيين بواو الصرف. وقرىء: ويعلم بكسر الميم عطفاً على «ولما يعلم». وقرىء: ويعلم برفع الميم قال الزمخشري[4]: على أن الواو للحال كأنه قيل: ولما تجاهدوا وأنتم صابرون انتهى.

ولا يصحُّ ما قالَ لأنَّ واو الحال لا تدخلُ على المضارع [المثبت] فلا[5]

(١) ق: توقع النفي بها.
(٢) من شواهد مغني اللبيب ١: ٢٨٥.
(٣) ق: اللام.
(٤) الكشاف ١: ٤٦٧.
(٥) ق: لا.

يجوز: جاء زيد ويضحك، وأنت تريد: جاء زيد يضحك، لأنَّ المضارعَ واقعٌ موقعَ اسم الفاعل، فكما لا يجوز: جاء زيد وضاحكاً، كذلك لا يجوز: جاء زيد ويضحك. فإن أُوِّل على أن المضارع خبر مبتدأ محذوف أمكن ذلك، التقدير: وهو يعلم الصابرين.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ الآية، الخطابُ للمؤمنين وظاهره العموم والمراد الخصوص، وذلك أنَّ جماعة من المؤمنين لم يحضروا غزوة بدر إذْ كان رسولُ الله ﷺ إنما خرج مبادراً يريد [عِيراً] لقريش[1] فلم يظنوا حرباً وفاز أهلُ بدر بما فازوا به من الكرامة في الدنيا والآخرة فتمنّوا لقاء العدو ليكون لهم يوم كيوم بدر وهم الذين حرَّضوا على الخروج لأحد، فلما كان في يوم أحد ما كان من قَتْلِ عبد الله بن قمية مصعبَ بن عمير الذابّ عن رسول الله ﷺ [ظانّاً أنه رسول الله] وقال: قتلتُ محمداً وصرخ بذلك صارخٌ وفَشَا ذلك في الناس، انكفؤوا فارِّينَ فدعاهُمْ رسولُ الله ﷺ: إليَّ عبادَ الله، حتى انحازتْ إليه طائفة واستعذروا في انكفائهم بأنه أتى خبرُ قَتْلِكَ فرعبتْ قُلوبُنَا فولَّينا مُدْبرينَ، فنزلت هذه الآية يلومهم على ما صَدَرَ منهم مع ما كانوا قرّروا مع أنفسهم من تمنّي الموت. وقرأ البزّي: كنتم تمنّون بشد التّاء في حروف محصورة ذكرها القراء في كتبهم.

﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ هو على حذفِ مضافٍ تقديرُه: أنْ تلقوا[2] أسبابَهُ.

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: رأيتم أسبابه.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ

---

(١) ق: يريد القريش، والتصويب من ط.

(٢) ق: يلقون.

عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾.

وقرأ الجمهور: الرُّسُل، وقرىء: رُسُلٌ بالتنكير.

﴿أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ﴾ لما صرخ بأن محمداً قد قتل تزلزلت أقدامُ المؤمنين ورعبت قلوبهم وأمعنوا في الفرار، وكانوا ثلاث فرق: فرقة قالوا: ما نصنع بالحياة بعد رسولِ الله ﷺ، قاتلوا على ما قاتل عليه، فقاتلوا حتى قتلوا منهم أنس بن النضر. وفرقة قالوا: نلقي إليهم بأيدينا فإنهم قومنا وبنو عمّنا. وفرقة أظهرت النفاق وقالوا: ارجعوا إلى دينكم الأول فلو كان محمد نبياً ما قُتل. وقد اجتمع الاستفهام والشرط ومذهب سيبويه أن «انقلبتم» جواب للشرط، ومذهب يونس أن الاستفهام داخل على «انقلبتم» وجواب الشرط محذوف، وهذه مسألة ذكرت في النحو.

و﴿عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ﴾ معناه الارتداد وقيل الفرار، وتقدم في البقرة تفسير نظيره[1].

قال ابن عطية: «كتاباً مؤجلاً» كتاباً: نصب على التمييز انتهى. هذا لا

---

(١) في قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة].

يظهر فإن التمييزَ كما قسمه النحاة ينقسم إلى منقول وغير منقول وأقسامه في النوعين محصورة وليس هذا واحداً منها. قرأ الأعمش: ومَنْ يُرِدْ ثوابَ الدنيا يُؤْتِه منها ومن يرد ثواب الآخرة يؤته منها، بالياء فيهما. قال ابن عطية: وذلك على [٩٧/أ] حذف الفاعل لدلالة الكلام عليه انتهى. هذا وهم وصوابه: وذلك على إضمار الفاعل والضمير عائد على الله تعالى.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ ﴾ الآية، لمّا كان من المؤمنين ما كان يوم أحد وعتب الله عليهم ما صدر منهم في الآيات التي تقدّمت أخبرهم بأنَّ الأمم السالفة قتلت أنبياء كثيرين[١] أو قُتِلَ رِبيُّون كثيرون معهم[٢] فلم يَلْحقهم ما لحقكم من الوهنِ والضعفِ ولا ثَنَاهم عن القتالِ فجعهم بقتلِ أنبيائهم أو قتل رِبيّيهم، بل مضوا قُدُماً في نُصرةِ دينهم صابرينَ على ما حلَّ بهم إذ قَتْل نبي أو أتباعه من أعظم المصاب، فكذلك[٣] كان ينبغي لكم التأسّي بمن مضى من صالحي الأمم السابقة، هذا وأنتم خيرُ الأمم ونبيكم خير الأنبياء. وفي هذه الآية من العتب لمن فرّ عن رسول الله ﷺ ما لا يخفى.

و﴿ وَكَأَيِّن ﴾ بمعنى كم للتكثير وهي مركبة من كاف التشبيه ومن أي. وبعض القرّاء وقف على الياء وبعضهم على التنوين لثبوتها في رسم المصحف، وفيها لغات منها: وكائن. وقرىء وَكَإِنْ وكأْيِنْ[٤] وقرىء بهذه الثلاث في الشواذ. و«كأيِّن» مبتدأ خبره «قُتِلَ» و«من نبي» تمييز وتكثر زيادة

---

(١) ق: كثيرون.

(٢) ق: معه.

(٣) ق: فلذلك.

(٤) انظر القرطبي ٤: ٢٢٨.

«مِن» فيه، وزعم ابن عصفور أنها لازمة فيه والصحيح أنه يجوز حذف مِن ونصب التمييز نص على ذلك سيبويه وغيره. والضمير في «قُتِل» عائد على «كأيِّن» والجملة من قوله «معه ربيون» في موضع الحال، وجوّزوا أن يكون المرفوع بـ«قُتِل» «ربّيّون». والرِّبيّ منسوبٌ إلى الرَّبّ وكسر الراء فيه شذوذ كما نسبوا إلى أمس إمْسيّ، وهو عابدُ الرب.

﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ﴾ من قتل نبيهم إن كان الضمير في «قُتِل» يراد به النبيّ، وإن كان المقتول الربّيين فالضمير في «وهنوا» لا يعود على الربّيين بل يعود على من بقي.

وقرىء: وهنوا بفتح الهاء وبكسرها وبسكونها، قال ابن عطية: قراءة من قرأ «قاتل» أعَمُّ في المدحِ لأنه يدخلُ فيها مَنْ قُتلَ ومَنْ بقي، ويحسن عندي على هذه القراءة استناد الفعل [إلى] الربّيين، وعلى قراءة «قُتِلَ» استناده[١] إلى نبيّ انتهى.

ويظهر أن قُتِل أمدح وهي أبلغ في مقصود الخطاب لأنها نص في وقوع القتل ويستلزم المقاتلة، و«قاتل» لا يدل على القتل إذ لا يلزم من المقاتلة وجود القتل إذ قد تكون مقاتلة ولا يقع قتل. وما ذكر من أنه يَحْسُنُ عنده ما ذكر لا يَظهرُ حُسْنُه بل القراءتان تحتملان الوجهين، قرأ قتادة «وكأيّن من نبي قُتِّل معه ربّيون كثير» قال أبو الفتح ابن جني[٢]: لا يحسن في هذه القراءة أن يستند الفعل إلاّ إلى الربّيين لما فيه من معنى التكثير الذي لا يجوز أن يستعمل في قتلِ شخص واحد. فإن قيل: يستند إلى «نبي» مراعاة لمعنى

(١) ق: استناد، في الموضعين.

(٢) انظر المحتسب ١ : ١٧٣.

كم فالجواب أن اللفظ قد مشى على جهة الإفراد «من نبيّ» ودلّ الضمير المفرد في «معه» على أنَّ المراد إنما هو التمثيل بواحد واحد فخرج الكلام عن معنى كم.

قال أبو الفتح[1]: وهذه القراءة تُقَوِّي قولَ مَنْ قال لمن قُتل وقاتل إنما يستند إلى الربّيين انتهى كلامه. وليس بظاهر لأنّ كأيّن هي مثل كم، وأنت إذا قلت: كم من عانٍ فَكَكْتُه، فأفردتَ راعيتَ لفظ كم ومعناها الجمع. فإذا قلت [كم] من عانٍ فككتهم، راعيت[2] معنى كم لا لفظَها. وليس معنى مراعاة اللفظ إلاّ أنك أفردت الضمير والمراد به الجمع فلا فرق من حيث المعنى بين فككته وفككتهم، كذلك لا فرق بين: قتلوا معهم ربّيون وقُتل معه ربّيون. وإنما جاز مراعاة اللفظ تارة ومراعاة المعنى تارة لأن مدلول كم وكأيّن كثير والمعنى جمعٌ كثير، وإذا أخبرت عن جمع كثير فتارة تفرد مراعاة للّفظ وتارة تجمع مراعاة للمعنى كما قال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر] فقال: منتصر وقال: ويولّون.

وقول أبي الفتح في جواب السؤال الّذي فرضه أن اللفظ قد جرى على جهة الإفراد في قوله «من نبي» أي رُوعيَ لفظ كأيّن لكون تمييزها [٩٧/ب] جاء مفرداً فناسب لما ميّزت بمفرد أن يراعى لفظها والمعنى على الجمع.

وقوله: ودَلَّ الضمير المفرد في «معه» على أنَّ المراد إنما هو التمثيل بواحد واحد، هذا المراد مشترك بين أن يفرد الضمير أو يجمع، لأن الضمير المفرد ليس معناه هنا إفراد مدلوله بَلْ لا فرق بينه مفرداً أو مجموعاً من حيث

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ق: رأيت.

المعنى فإذ لا فرق، فدلالته عامة وهي[١] دلالته على كل فرد فرد.

وقوله: فخرج الكلام عن معنى كم. [لم يخرج الكلام عن معنى كم] إنما خرجَ عن جمع الضمير على معنىٰ كم دونَ لفظها لأنه إذا أفرد لفظاً لم يكن مدلوله مفرداً إنما يكون جمعاً كما قالوا: هو أحسن الفتيان وأجمله، معناه: وأجملهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ظاهره العموم، وقال علي وابن عباس: هم المنافقون قالوا للمؤمنين لما رجعوا من أحد: لو كان نبياً ما أصابه الذي أصابه فارجعوا إلى إخوانكم.

﴿سَنُلْقِى﴾ أتى بالسين التي هي أقرب في الاستقبال من سوف. وقرىء: الرعب بسكون العين وضمّها. والباء في «بما» للسبب. و«ما» مصدريّة أي بإشراكهم بالله. وقرىء: سيلقي بالياء وهو ضمير الله تعالى.

---

(١) ق: فدلالته عليه هي.

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [يريد إلهاً أو معبوداً لم ينزّل به سلطاناً. وليس المعنى أن ثم سلطاناً] لم ينزّله الله، وإنما المعنى على نفي السلطان فينتفي الإنزال كما قال[1]: [من الطويل]

على لا حِبٍ لا يُهتدى بمناره

أي: لا منارَ له فيهتدى به، فانتفى السلطان والإنزال كما انتفى المنار والهداية.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ هذا جوابٌ لمن رجع إلى المدينة من المؤمنين، قالوا: وعدنا اللهُ بالنصر والإمداد بالملائكة فمن أي وجه أُتِينا؟ فنزلت إعلاماً أنه تعالى صَدَقهم الوعدَ ونصرهم على أعدائهم أولاً، وكان الإمداد مشروطاً بالصبر والتقوى فاتفق من بعضهم من المخالفة ما نص الله تعالى في كتابه، وجاءت المخاطبةُ بجمع ضمير المؤمنين في هذه الآيات وإنْ كانوا لم يصدر ما يعاتب عليه من جميعهم وذلك على طريقة العرب في نسبةِ ما يقعُ من بعضِهم للجميع على سبيل التجوُّزِ، وفي ذلك إبقاءٌ على مَنْ فعل وسترٌ إذْ لم يُعيَّن، وزجرٌ لمن لم يفعل [أن يفعل]. وصِدْق الوعد هو أنهم هزموا المشركين أولا وكان لعلي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب والزبير وأبي[2] دجانة وعاصم بن أبي الأفلح بلاءٌ عظيمٌ في ذلك اليوم رضي الله عنهم وهو مذكور في السير. وكان المشركون في ثلاثة آلاف ومعهم مئتا فرس والمسلمون في سبع مئة رجل. وتعدّت «صدق» هنا إلى اثنين ويجوز أن

---

(١) صدر بيت لامرىء القيس في ديوانه ص٦٦، وعجزه:
إذا سافه العَود النباطيّ جرجرا

(٢) ق: وابن.

تتعدى إلى الثاني بحرف جر تقول: صدقت زيداً[١] الحديث وصدقت زيداً في الحديث، وذكرها بعض النحويين في باب ما يتعدى إلى اثنين وأصلها أن يكون الثاني بحرف الجر [فيكون] من باب استغفر واختار. والعامل في «إذ» «صدقكم».

ومعنى ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم، وكانوا قتلوا من المشركين اثنين وعشرين رجلاً. وقرأ أبو عبيد بن عمير: تُحِسُّونهم رباعياً من الإحساس أي: تذهبون بحسّهم بالقتل. وغيّا القتل بوقت الفشل[٢] وهو الجبن والضعف. والتنازع هو التجاذب [في الأمر] والتنازع صدر من الرماة، كان رسول الله ﷺ قد رَتَّبَ الرُّماةَ على فم الوادي وقال: اثبتوا مكانكم وإنْ رأيتمونا هُزمنا فإنا لا نزالُ غالبين ما ثَبَتُّمْ مكانكم، ووعدهم بالنصر إن انتهوا إلى أمره. فلما انهزم المشركون قال بعض الرماة: انهزموا فما موقفنا هنا؟ الغنيمةَ الغنيمةَ، الحقوا بنا بالمسلمين. وقال بعضهم: بل نَثْبُتُ مكانَنا كما أمرنا. وقيل: التنازعُ هو ما صدر من المسلمين من الاختلافِ حين صِيْحَ إنَّ محمداً قد قُتلَ، والعصيانُ هو ذهابُ مَنْ ذهب من الرماة عن مكانه طلباً للنهب والغنيمة. وكان خالد حين رأى قلة الرماة صاح في خيله وحمل[٣] على مَنْ بقيَ من الرماة فقتلهم وحمل على عسكر المسلمين فتراجع المشركون فأصيب من المسلمين يؤمئذ سبعون رجلاً.

و﴿إِذَا﴾ بعد «حتى» في موضع [٩٨/أ] جر بحتّى مُزالاً عنها معنى الشرط، قاله الأخفش وغيره. وقيل: تدخل حتى على إذا الشرطية، وجواب

---

(١) ق: بزيد.

(٢) أي ربطه به.

(٣) ق: وعمل.

إذا المختار أنه محذوف لا «عصيتم» على زيادة الواو ولا على زيادة ثم، وقدّره ابن عطية: انهزمتم، والزمخشري: مَنَعكم نَصْرَهُ، وغيرهما: امتُحِنْتُمْ. ويظهر لي أنَّ الجواب المحذوف غير ما قدّروه وهو: انقسمتم إلى قسمين، ويدل عليه ما بعده. وهو نظير ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان] التقدير: انقسموا قسمين فمنهم مقتصد. لا يقال: كيف يقال انقسموا فيمن فشل[1] وتنازع وعصى، لأنَّ هذه الأفعال لم تصدر من كلّهم بل من بعضهم كما ذكرناه في أول الكلام على هذه الآية.

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: هي الغنيمة كالرماة الذين خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم في الثبات في مكانهم.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ﴾ أي: ثواب الآخرة كالرماة الذين ثبتوا وقاتلوا حتى قُتلوا في نفر دون العشرة منهم أنس بن النضر.

﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ

---

(١) ق: قتل.

ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾.

﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ ﴾ قرىء رباعياً من أصعد، والإصعادُ ابتداءُ السفر. وقرىء: تَصْعدون مضارع صعد، مِنْ صَعِد الجبل: ارتقى فيه[1]. وقرىء: تَصَّعَّدون بشد الصاد وأصله تتصعدون وماضيه تصعّد أي ارتقى في السلّم.

وقرأ الحسن: ولا تَلُون على أحد، وخرّجوها على قراءة همزة الواو ونقل الحركة إلى اللام وحذف الهمزة، ويحتمل أن يكون مضارع وَلِيَ، وعدّي بعلى على التضمين أي ولا تعطفون على أحد.

قال ابن عطية: وحذفت إحدى الواوين الساكنتين، وكان قد قال في هذه القراءة: هي قراءة متركبة على لغة من همز الواو المضمومة ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام انتهى.

هذا الكلام عجيب، تخيّل هذا الرجل أنه نقلت[2] الحركة إلى اللام فاجتمع واوان ساكنتان[3] إحداهما الواو التي هي عين الكلمة والأخرى واو الضمير، فحذفت إحدى الواوين لأنهما ساكنتان. وهذا قول من لم يمعن [النظر] في صناعة النحو؛ لأنها إذا كانت متركبة على لغة مَنْ همز الواو ثم نقل حركتها إلى اللام، فإن الهمزة إذ ذاك تحذف ولا يلتقي واوان ساكنتان. ولو قال: استثقلت الضمة على الواو لأن الضمة كأنها واو فصار ذلك كأنه جمع بين ثلاث واوات فنقلت الضمة إلى اللام[4]، فالتقى ساكنان فحذفت

---

(١) ق: من صعد: ارتقى في الجبل.

(٢) ق: تقلب.

(٣) ق: ساكنان.

(٤) ق: إلى الواو.

الأولى منهما ولم يبهم في قوله: إحدى الواوين - لأمكن ذلك في توجيه هذه القراءة الشاذة. أما أن يبيّن ذلك على لغة مَن هَمَز على زعمه فلا يُتصور ذلك.

﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ أي: يقول: إليَّ عبادَ الله.

﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ كنّى به عن المعاقبة على فرارهم عن الرسول ﷺ كما قال[(١)]: [من الوافر]

تحيةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ

قال الزمخشري[(٢)]: ويجوز أن يكون الضمير في «فأثابكم» للرسول أي: فآساكم في الاغتمام[(٣)]، وكما غَمَّكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجّة وغيرها، غَمَّه ما نزلَ بكم فأثابكم غمّاً اغتمّه لأجلكم بسبب غمٍّ اغتَمَمْتُموه لأجله ولم يُثِبْكُمْ على عصيانِكم ومخالفتكم، وإنما فعل ذلك ليسلِّيكم وينفس عنكم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصرِ الله ولا على ما أصابكم من غَلَبةِ العدو. انتهى كلامه.

هذا خلاف الظاهر لأن المسند إليه الأفعال السابقة هو الله تعالى وذلك في قوله: «ولقد صَدَقكم الله وَعْدَهُ» وقوله: «ثم صَرَفَكُمْ عنهم ليبتَلِيَكُمْ ولقد عفا عنكم» فيكون قوله: «فأثابكم» مسنداً إلى الله تعالى، وذكر الرسول إنما جاء في جملة حالية. نعى عليهم فرارهم مع كون من اهتدوا على يده يدعوهم

---

(١) البيت في شرح ديوان الحماسة ٣: ١٤٨١ لعمرو بن معد يكرب وصدره:

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ

(٢) الكشاف ١: ٤٧١.

(٣) ق: الاغتنام.

فلم يجيء مقصوداً لأن يحدث عنه، إنما الجملة التي ذكر فيها في تقدير المفرد إنما[١] هي حال.

قال الزمخشري[٢]: «فأثابكم»[٣] عطف على «صرفكم» انتهى. وفيه بُعْدٌ لطولِ الفصل بين المتعاطفين. والذي يظهر أنه معطوف على «تصعدون ولا تلوون» لأنه مضارع في معنى الماضي [لأن «إذ» تصرف المضارع إلى الماضي] إذ هي ظرف [٩٨/ب] لما مضى. والمعنى: إذ صعدتم وما لويتم على أحد فأثابكم.

﴿غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾ أي: ملتبساً بغم، ويُريدُ بذلك كثرةَ الغم الذي حصلَ لهم. وقال ابن عباس: هما غمّان الأول: هو ما أصابهم من الهزيمةِ والقتل، والثاني: هو إشرافُ خالد بخيل المشركين عليهم.

﴿لِّكَيْلَا[٤] تَحْزَنُوا۟﴾ ليست «لا» زائدة وتقديره: لكي تحزنوا كما ذهب إليه أبو البقاء[٥].

وقيل: «لا» باقية على النفي فقال الزمخشري[٦]: «لكيلا تحزنوا» لتتمرنوا على تَجَرُّعِ الغُمومِ وتَضْرَوْا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بَعْدُ على فائتٍ من المنافعِ ولا على مصيبٍ من المضار انتهى. فجعل العلّة في الحقيقة

(١) ق: إذ.
(٢) الكشاف ١ : ٤٧١.
(٣) ق: فأصابكم.
(٤) ق: كيلا.
(٥) انظر إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ١٥٤.
(٦) الكشاف ١ : ٤٧١.

والواو للحال وهي من مسوغات الابتداء بالنكرة. «قد أهّمتهم» يقال قد أهَمَّني الشيءُ أي: كان من همّي وقصدي أي: مما أهمُّ به وأقصده، وأهمَّني الأمرُ أقلقني وأدخلني في الهم. و«يظنون» لم يتعدّ إلى اثنين. والباء في «بالله» ظرفية بمعنى في كما قال[١]: [من الطويل]

فقلت لهم ظُنّوا بألفَيْ مدججٍ

والمعنى: يُوقِعُونَ ظنَّهم في الله أي: في حُكْمِ الله وما قدّره ظناً غير الحق[٢]، فـ«غير» صفة لمصدر محذوف و«ظن الجاهلية» بدل منه. ومعنى الجاهلية الملّة التي كانت قبل ملّة الإسلام كما قال ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح].

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ معناه النفي. ومعنى «من الأمر» أي: من الخروجِ إلى القتال.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: إنَّ تصاريف الوجود وما يجري فيه لله لا لغيره. وقرىء: كلَّه توكيداً[٣] لقوله «الأمر»، و«لله» خبر إنّ. وقرىء: كلُّه بالرفع مبتدأ وخبره «لله» والجملة في موضع خبر إنّ.

﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ قال الزبير رضي الله عنه: والله لكأني أسمعُ قولَ معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحلم حين قال: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلْنَا ها هنا. ومعتب هذاشهد بدراً وكان مغموصاً

---

(١) البيت في شرح المفصل ٧: ٨١ غير منسوب، وعجزه:

سراتُهمُ في الفارسيّ المُسَرَّدِ

(٢) ق: الله.

(٣) ق: توكيد.

ثبوتية وهي التمرّن على تجرّع الغموم والاعتياد لاحتمال الشدائد، ورتّب على ذلك انتفاء الحزن، وجعل ظرف الحزن هو مستقبل لا تعلّق له بقصة أحد بل لينتفي الحزن عنكم بعد هذه القصة.

وقال ابن عطية: المعنى: لتعلموا أنَّ ما وقع بكم إنما هو بجنايتكم فأنتم آذيتم أنفسكم، وعادةُ البشر أنَّ جاني الذنب يصبرُ للعقوبة، وأكثرُ قَلَقِ المعاقَبِ وحزنه إنما هو مع ظنّه البراءة بنفسه انتهى. والذي يظهر أن الغَمَّ الكثير الذي عاقبهم الله به غَلَبَ على قلوبهم حتى لم يقع منهم حزن على ما فاتهم ولا ما أصابهم فشغلهم الغم عن ذلك.

الأمنة: الأمن، وقرىء بسكون الميم. والظاهر أن «أمنة» مفعول «أنزل» و«نعاساً» بدل منه. ويجوز أن يكون «أمنة» مفعولاً[1] من أجله و«نعاساً» مفعول «أنزل»[2] أي: أنزل النعاس لأجل أمنكم لأنَّ النعاس لا يكون مع خوف، ولهذا قال في الأنفال ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال][3] أي: ليؤمنكم به.

﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ هم المؤمنون. و﴿عَلَيْكُم﴾ عام مخصوص، والنعاسُ الذي غَشِيهم كان حين ارتحلَ أبو سفيان وتركوا ركوب الخيل وجنبوها وركبوا الإبلَ تاركينَ للقتال.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون، لم يُلْق الله تعالى عليهم النعاس. «وطائفة» [مبتدأ] وجاز الابتداء به لأنه نكرة والمكان مكان تفصيل.

---

(١) ق: مفعول.

(٢) ق: مفعول من أجله أنزل.

(٣) وفي ق: يغشاكم.

عليه بالنفاق.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ قارِّينَ وأراد الله قَتْل مَنْ قُتلَ منكم لبرز. والمضجع مكان قتله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ قرأها عمر على المنبر فقال: لما كان يوم أحد وهُزمنا فررتُ حتى صعدت الجبل فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى[1] والناسُ يقولون: قُتل محمد فقلت: لا أجدُ أحداً يقول قُتِلَ محمدٌ إلا قتلتُه، حتى اجتمعنا على الجبل فنزلت هذه الآية كلها.

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ﴾ أي: طلب [٩٩/أ] منهم الزّلل ودعاهم إليه لأنَّ ذلك هو مقتضى وسوسته وتخويفه، هكذا قالوه. ولا يلزم من طلب الشيء واستدعائه حصوله، فالأولى أن يكون استفعل هنا بمعنى أفعل فيكون المعنى أزّلهم الشيطان، فيدل على حصول الزلل، ويكون استزلّ وأزلّ بمعنى واحد كاستبان وأبان واستبلّ وأبلّ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض. ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: لأجل إخوانهم إذا ضربوا في الأرض. والإخوانُ هنا إخوانُ النسب أو إخوان التآلف. و﴿إِذَا﴾

(١) الأروى: ضأن الجبل.

ظرف مستقبل لا يمكن أن يعمل فيه، قالوا: لمضيّه.

وقال الزمخشري[1]: فإن قلت: كيف قيل «إذا ضربوا» مع «قالوا»؟ قلتُ: هو حكاية الحال الماضية كقولك: حين يضربون في الأرض انتهى.

وقال ابن عطية: دخلت إذا وهي حرف استقبال من حيث «الذين»[2] اسم فيه إبهام يعمّ من قال في الماضي ومن يقول في المستقبل، ومن حيث هذه النازلة تُتصور[3] في مستقبل الزمان.

وهذان القولان ضعيفان والذي يظهر أن العامل في «إذا» مضاف محذوف يدل عليه المعنى تقديره: لأجل فراق إخوانهم إذا ضربوا في الأرض لتجارة وغيرها فماتوا أو كانوا[4] غُزّاً فقُتلوا، ويدل على المحذوف قوله «لو كانوا عندنا» أي لو كانوا مقيمين عندنا ولم يضربوا في الأرض ولم يغزوا. جعلوا الضرب في الأرض سبباً للموت، والغزو سبباً للقتل. و﴿غُزًّى﴾ جمع غازٍ جمع على فُعّل شذوذاً وأصله غُزو كما قالوا عافٍ وعُفًّا والقياس غُزاة وعفاة. وقرىء: غُزاً بتخفيف الزاي ووجّه على حذف أحد المضعفين تخفيفاً. وقيل: حذفت التاء وأصلهُ: غُزاة.

وقال ابن عطية: هذا الحذف كثير في كلامهم وأورد من ذلك الأبوّ والبنوّ جمع أبٍ وابن كما قالوا عم وعمومة ثم حذفوا التاء فقالوا عموم انتهى ملخصاً. وليس أبوّ وبنوّ مما حذف منه التاء لأنهما مصدران لا جمعان،

---

(١) الكشاف ١ : ٤٧٣.

(٢) ق: الذي.

(٣) ق: فتصور.

(٤) ق: وكانوا.

وأبوّ وبنوّ جمعان على وزن فُعول كما قالوا: بَهو وبُهوّ وكان القياس الاعتلال فيقال: أبيّ وبنيّ وبهيّ كما قالوا: عصا وعِصيّ. وأما الحذف الذي ادعاه في «عموم» من أن أصله عمومة فقول لم يذهب إليه نحوي، وكذا ما ادّعاه في غُزا وأن أصله غُزاة، فلا يجوز أن يقال في رُماة رُمى ولا في قُضاة قُضى ولا في مشاة[١] مُشى.

﴿لِيَجْعَلَ﴾ لا يصح أن يكون ذلك تعليلاً لقولهم وإنما قالوا ذلك تثبيطاً[٢] للمؤمنين عن الجهاد. ولا يصح أن يتعلق بالنهي وهو «لا تكونوا كالذين كفروا» لأنّ جَعْل الله ذلك حسرةً في قلوبهم لا يكون سبباً لنهي الله المؤمنين عن مماثلة الكفار، قاله الزمخشري[٣]، وقد أورد سؤالاً عما تتعلق به «ليجعل» قال[٤]: «لا تكونوا» بمعنى: ولا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم، انتهى كلامه.

وهو كلام شيخ لا تحقيقَ فيه لأنَّ جَعْلَ الحسرة لا يكون سبباً للنهي كما قلنا، إنما يكون سبباً لحصول امتثال النهي وهو انتفاء المماثلة، فحصول ذلك الانتفاء والمخالفة فيما يقولون ويعتقدون يحصل عنه[٥] ما يغيظهم ويغمّهم إذ لم يوافقوهم فيما قالوا واعتقدوه فلا يضربوا في الأرض ولا يغزوا. فالتبس على الزمخشري استدعاء انتفاء المماثلة بحصول الانتفاء،

---

(١) ق: ماشٍ.

(٢) ق: تنشيطاً.

(٣) انظر الكشاف ١ : ٤٧٤.

(٤) الكشاف ١ : ٤٧٤.

(٥) ق: عنهم.

وفَهْمُ هذا فيه خفاء ودقّة.

وقال ابن عيسى وغيره: اللام متعلقة بالكون أي لا تكونوا كهؤلاء ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم انتهى. ومنه أخذ الزمخشري قوله، لكن ابن عيسى نصّ على ما تتعلق به اللام وذلك لم ينصّ، وقد بيّنّا فساد هذا القول، وإذا كانت لام الصيرورة [٩٩/ب] والعاقبة تعلقت بـ«قالوا» والمعنى أنهم لم يقولوا لجَعْل حسرةٍ إنما قالوا ذلك لعلّةٍ فصار مآل ذلك إلى الحسرة والندامة. ونُظِر بقوله ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ ۝٨﴾ [القصص] ولم يلتقطوه لذلك إنما آلَ أمرُه إلى ذلك. والإشارة بـ«ذلك» فيه اختلاف كثير مذكور في «البحر»[1]. والذي يقتضيه ظاهر الآية أن الإشارة إلى المصدر المفهوم من «قالوا» وأن اللام للصيرورة.

والمعنى أنهم قالوا هذه المقالةَ قاصدين التثبيط عن الجهاد والإبعاد في الأرض سواء كانوا معتقدين صحتها أم لم يكونوا معتقديها إذ كثير من الكفار قائل بأجل واحد فخاب هذا القصد، وجعلَ اللهُ ذلك القولَ حسرةً في قلوبهم أي غمّاً على ما فاتهم إذ لم يبلغوا مقصدهم من التثبيط عن الجهاد. والحسرة: الغَمُّ الذي يلحق على ما فات من بلوغ المقصد. وقرىء: بما تعملون بالتاء والياء.

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ﴾ قَدَّمَ القتلَ على الموت لقرب قوله «وما قتلوا». وقرىء: مِتّم بكسر الميم مِن مات يَمات كخاف يخاف، وبضمّها من مات يموت. ووزن الأول فَعِل والثاني فَعَل. واللام في قوله «المغفرة» جواب القسم المحذوف قبل لام التوطئة أي: والله لئن قتلتم. و«مغفرة» نكرة وصفت بقوله

(١) انظر ٣: ٩٥.

«من الله» و«خير» خبر، والمعنى: خير لكم[١] مما تجمعون من حطام الدنيا، والخطاب للمؤمنين.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ قدم الموت لمقاربة قوله «أو متّم». والخطاب عام للمؤمن والكافر. واللام في «لإلى الله» جواب القسم المحذوف. و«إلى الله» متعلق بقوله «تحشرون». ولا تدخل نون التوكيد فيه للفصل بينه وبين اللام، ولو لم يفصل لكان الكلام: لتحشرُنّ[٢] إلى الله. وقيل: هو خطاب للمؤمنين كالخطاب السابق، ولذلك قدّره الزمخشري: لإلى الرحيمِ الواسعِ الرحمةِ المثيب العظيم الثوابِ تُحشرون، قال[٣]: ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي انتهى. يشير بذلك إلى مذهبه من أنَّ التقديم يُؤذن بالاختصاص فكان المعنى عنده: فإلى الله لا غيره تحشرون. وهو عندنا لا يدل بالوضع على ذلك، وإنما يدل التقديم على الاعتناء بالشيء والاهتمام بذكره كما قال سيبويه. وزاده حسناً هنا أن تأخير الفعل هنا فاصلة، فلو تأخر المجرور لفات هذا الغرض.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

---

(١) عبارة ق: وخير خير ومعنى لكم.

(٢) عبارة ق: لكان في اللام لتحشرون.

(٣) الكشاف ١: ٤٧٤.

ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ ما زائدة والمجرور متعلق بـ«لِنتَ». قال الرازي[١]: قال المحققون: دخول اللفظ المهمل الضائع[٢] في كلام أحكم الحاكمين غير جائز، وهنا يجوز أن تكون «ما» استفهاماً للتعجب تقديره: فبأي رحمة من الله لِنتَ لهم؟. وذلك بأنَّ جناياتهم لما كانت عظيمة ثم إنه ما أظهر ألبتة تغليظاً في القول ولا خشونة في الكلام، علموا أن هذا لا يتأتّى إلا بتأييد ربّاني قبل ذلك انتهى كلامه. وما قال المحققون صحيح، لكن زيادة «ما» للتوكيد لا ينكره في أماكنه مَنْ له أدنى تعلق بالعربية، فضلاً عمّن[٣] يتعاطى تفسير كلام الله. وليس «ما» في هذا المكان مما يتوهمه أحدٌ مُهمَلاً فلا يحتاج ذلك إلى تأويلها بأنْ تكون استفهاماً للتعجب. ثم إن تقديره ذلك: فبأي رحمة، دليل على أنه جعل «ما» مضافة للرحمة.

وما ذهب إليه خطأ من وجهين: أحدهما: أنه لا تضاف ما الاستفهامية ولا أسماء الاستفهام غير «أي» بلا خلاف، و«كم» على مذهب أبي إسحاق. والثاني: أنه إذا لم تصحّ الإضافة فيكون إعرابه بدلاً، وإذا كان بدلاً من اسم الاستفهام فلا بد من إعادة همزة الاستفهام في البدل. وهذا الرجل لحظ المعنى ولم يلتفت إلى ما [تقَرَّرَ في علم النحو من أحكامِ الألفاظ، وكان يُغنيه عن هذا الارتباكِ والتسلق إلى ما] لا يُحْسِنُه والتسوّر عليه

---

(١) انظر تفسيره ٣: ٨٠.

(٢) ق: الوضع، والتصويب في الرازي.

(٣) ق: عمّا.

قـول[1] الزجـاج في «ما» هذه إنهـا صلة فيها معنى التوكيد بإجماع النحويين.

والرحمة هي لين القلب ودماثته وتحننه على المرحوم. والفظاظةُ: الجفوة [١٠٠/أ] قولاً وفعلاً. وغلظ القلب: صلابتهُ وشدته بحيث لا يلين. والانفضاض التفرق.

﴿مِنْ حَوْلِكَ﴾ من جهتك. ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: عمّا اجترحوه من العصيان لـك حيـث فـرّوا. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: اطلـب الغفـران لهـم مـن الله. ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ تنبيه على رضاه صلى الله عليه وسلم عنهم وجعلهم أهلاً للمشاورة.

وهذا الترتيب في غاية الحسن: أمره تعالى بعفوه عنهم[2] [وذلك فيما كان خاصاً به من تبعة له عليهم فيما هو مختص بحق الله تعالى ثم بالمشاورة وفيها فوائد تطييب نفوسهم والرفع من مقدارهم بصفاء قلبه لهم حيث أهّلهم للمشاورةِ واختار عقولهم واجتهادهم فيما فيه وجه الصلاح، وجرى على مناهج العرب وعادتها في الاستشارة في الأمور، وإذا لم يشاور أحداً منهم حصل في نفسه شيء، ولذلك عزَّ على عليٍّ وأهل البيت كونهم استبدّ عليهم في المشورة في خلافة أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن عطية: أمر بتدريج بليغ: أمر بالعفو عنهم فيما يخصّه، وإذا صاروا في هذه الدرجة أمر بالاستغفار فيما لله تعالى، فإذا صاروا في هذه

---

(١) ق: قال.

(٢) عبـارة ق: بعفـوه عنهم ثم باستغفاره لهم ثم بالمشاورة. وبعده سقط طويل أكمل من ط.

الدرجة أمر بالاستشارة في الأمور إذ صاروا أهلاً لها انتهى. وفيه بعض تلخيص ولا يظهر هذا التدريج من اللفظ ولكن هذه حكمة تقديم هذه الأوامر بعضها على بعض: أمر أولاً بالعفو عنهم إذ عَفوهُ عنهم مُسْقِطٌ لحقّه ودليل على رضاه عليه السلام. ولما سقط حقّه بعفوه استغفر لهم الله ليكمل لهم صَفْحه وصفح الله عنهم ويحصل لهم رضاه عليه السلام ورضى الله تعالى عنهم. فلما زالت عنهم التبعات من الجانبين شاورهم إيذاناً بأنّهم أهلٌ للمحبة الصادقة والخلة الناصحة إذْ لا يستشير الإنسان إلا مَنْ كان معتقداً فيه المودة والعقل والتجربة.

ومن غريبِ النُّقُولِ والمَقُولِ وضعيفه الذي يُنَزَّهُ عنه القرآنُ قول بعضهم إن قوله تعالى «وشاورهم في الأمر» من المقلوب أي: وَلْيُشاوروك في الأمر.

وذكر ابن عطية أنَّ الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومَنْ لا يستشير أهل العلم والدين فعزلُه واجب، هذا مما لا خلافَ فيه، والمستشار في الدين عالم دين وقلّما يكون إلا في عاقل.انتهى ملخصاً.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾ أي: فإذا عقدتَ قلبكَ على أمرٍ بعد الاستشارة فاجعلْ تفويضكَ فيه إلى الله فإنه العالم بالأصلحِ لكَ والأرشد لأمرك لا يعلمه من أشار عليك. وفي هذه الآية دليل على المشاورة وتخمير الرأي وتنقيحه والفكر فيه وأن ذلك مطلوب شرعاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ حث على التوكل على الله إذ أخبر أنه يحب مَنْ يتوكل عليه، والمرء ساعٍ فيما يحصل له محبة الله تعالى.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ هذا التفات إذ هو خروج من غيبة إلى خطاب. ولما أمره تعالى بمشاورتهم وبالتوكل عليه أوضح أنَّ ما صدر من

النصر أو الخذلان إنما هو راجع إلى ما يشاء وأنه متى نصركم لا يمكن أن يغلبكم أحد، ومتى خذلكم فلا ناصرَ لكم. فما وقع لكم من النصر كيوم بدر أو من الخذلان كيومِ أحدٍ بمشيئته سبحانه وتعالى. ثم أمرهم بالتوكل وناطَ الأمرَ بالمؤمنين فنبّه على الوصف الذي يناسب معه التوكل وهو الإيمان، لأنَّ المؤمنَ مصدقٌ بأنَّ الله هو الفاعل المختار بيده النصر والخذلان. والتوكلُ على الله من فروض الإيمان ولكنه يقترنُ بالتشميرِ في الطاعة والحزامة بغاية الجهد ومعاطاة أسباب التحرز، وليس الإلقاء باليد والإهمال لما تجب مراعاته بتوكل، وإنما هو كما قال عليه السلام(1) «قيدها وتوكّل».

والضمير في ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ عائد على الله تعالى إما على حذف مضاف أي: من بعد خذلانه، وإما أن لا يُحتاج إلى تقدير هذا المحذوف بل يكون المعنى: إذا جاوزته إلى غيره وقد خذلك فمن ذا الذي تجاوزه إليه فينصرك؟. وجاء(2) جواب «إن ينصركم الله» بصريح النفي العام، وجواب «إن يخذلكم» يتضمن(3) النفي وهو الاستفهام. وهو من تنويع الكلام في الفصاحة والتلطف بالمؤمنين حتى لا يصرّح لهم بأنه لا ناصر لهم، بل أبرز ذلك في صورة الاستفهام الذي يقتضي السؤال عن الناصر وإن كان المعنى على نفي الناصر، لكن فرّق بين الصريح والمتضمن فلم يُجْرِ المؤمنين في ذلك مجرى الكفار الذين نصّ عليهم أنه لا ناصرَ لهم كقوله تعالى ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣﴾ [محمد].

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾ قال ابن عباس: فُقدت قطيفةٌ حمراء من الغنائم يوم

---

(1) صحيح الجامع الصغير ١: ٣٥٢.

(2) ط: وما.

(3) ط: بمتضمن.

بدر، فقال[١] بعض مَنْ كان مع النبي ﷺ: لعل رسول الله أخذها فنزلت. وقائلُ[٢] ذلك مؤمنٌ لم يظن في ذلك حرجاً وقيل منافق. والغلول أخذ المال من الغنيمة في خفاء. وقرىء: أن يغل مبنياً للفاعل، ويكون على حذف مضاف تقديره: وما كان لتابع نبيٍّ أن يغل. وقرىء: أن يُغَلَّ مبنياً للمفعول من غلّ أو من أغلّ.

﴿ يَأْتِ بِمَا غَلَّ ﴾ ظاهره أنه يأتي بعين الشيء الذي غلّه كما جاء في ظاهر الحديث[٣] أنه إن كان بعيراً جاء له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر. وقيل: يأتي حاملاً إثم ما غلّ.

﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ الآية، هذه استعارةٌ بديعة جعل ما شرعه الله تعالى كالدليل الذي يتبعه من يهتدي به، وجعل العاصي كالشخص الذي أمر أن يتبع شيئاً فنكصَ عن اتباعه ورجع مصحوباً بما يخالف الاتباع. وفي الآيةِ من حيث المعنى حذفٌ والتقدير: أفمن اتَّبعَ ما يؤولُ به إلى رضى الله عنه فباء برضاه كمن لم يتبع[٤] ذلك فباء بسخطه.

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ ﴾ الضمير في «هم» عائد على «من اتبع» على المعنى لأنه المحدّث عنه والتقدير: هم ذَوُو درجاتٍ. والدرجة ما يتوصل به إلى مكان علو، وأكثر ما يستعمل في الشيء الذي يتوصل منه إلى العلو الحسّي ولذلك جاء ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام] وقوله: ﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة] لا يكاد يكون هذا إلا عند التشريف كقوله تعالى ﴿ فَأُولَٰئِكَ عِندَ

---

(١) ق: فكان.

(٢) ق: وقال.

(٣) انظر صحيح مسلم ٣: ١٤٦١.

(٤) عبارة ق: لمن يتبع.

ٱللَّهِ ﴿١٣﴾ [النور].

ولما ذكر مآلَ مَنْ باء بسخطٍ من الله ذكر مآل من اتبع رضوان الله. ويبعد قول مَنْ قال إن لفظ «هم» عائد على «من اتبع» و«من باء» وإن الدرجات مشتركة بينهما ويبعد أن يقال إن للكافر درجة عند الله. وقرىء: درجة، بالتوحيد.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر مَن اتبع رضوان الله ومَنْ باء بسخطه، فصّل في هذه الآية وما بعدها. وقوله «على المؤمنين» لم يكونوا حالة البعث مؤمنين، فاحتمل أنْ سُمّوا مؤمنين باعتبار مآلِ أمرهم إليه من الإيمان، أو سمّاهم مؤمنين بالنسبة إلى علم الله تعالى.

و﴿إِذْ﴾ ظرفٌ العامل فيه «منّ». والمنّةُ هنا[1] الإنعام. ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ. ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ قالوا: أي: من جنس بني آدم لأن تلقّي الوحي منه[2] إليهم يسهل، ولم يكن من الملائكة لتفاوت ما بين الجنسين وصعوبة التلقي عنهم، ولأن إعجاز القرآن إنما يظهر عند بني آدم حجّة عليهم وإلاّ ظهر أنه أراد بقوله «من أنفسهم» من العرب كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة] وقال تعالى حكاية عن إبراهيم[3] عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة] ولذلك قال عليه السلام: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[4].

---

(١) ق: هو.

(٢) ق: منهم.

(٣) «حكاية عن إبراهيم» كتبت في الحاشية.

(٤) صحيح الجامع الصغير ٢: ١٧.

وشرف العرب تمّ بظهوره عليه السلام، وليس في العرب قبيلة إلا وله نَسَبٌ فيها من جهة الأمهات إلا نصارى بني تغلب.

وقرىء شاذاً: لَمِنْ مَنِّ الله، بمِن الجارّة ومَنّ مجرور بها بدل: قد منّ.

قال الزمخشري(١): وفيه وجهان: أن يراد: لَمِن مَنُّ الله على المؤمنين منه أو بعثه إذ بعث فيهم، فحذف لقيام الدلالة، أو تكون «إذ» في محل الرفع [١٠٠/ب] كإذا في قولك: أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً، بمعنى لَمِنْ مَنّ الله على المؤمنين وقت بعثه انتهى.

أما الوجه الأول فهو سائغ وقد حذف المبتدأ مع مِنْ في مواضع منها ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء] ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات] ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴿١١﴾﴾ [الجن] على قول.

وأما الوجه الثاني فهو فاسد لأنه جعل «إذ» مبتدأة، ولم تستعملها العرب متصرفة البتّة إنما تكون ظرفاً أو مضافاً إليها اسم زمان، ومفعولة بـ«اذكر»(٢) على قول. أما أن تستعمل مبتدأة فلم يثبت ذلك في لسان العرب، ليس في كلامهم نحو: إذا قام زيد طويل، وأنت تريد: وقت قيام زيد طويل.

وقد قال أبو علي الفارسي: لم ترد إذ وإذا في كلام العرب إلا ظرفين، ولا يكونان فاعلين ولا مفعولين ولا مبتدأين انتهى كلامه.

وأما قوله: في محل الرفع كإذا، فهذا التشبيه فاسد لأن المشبه مرفوع بالابتداء والمشبّه به ليس مبتدأ إنما هو ظرف في موضع الخبر على زعم من

---

(١) الكشاف ١: ٤٧٧.

(٢) ق: وما مفعوله ما ذكر.

يرى ذلك. وليس في الحقيقة في موضع رفع بل هو في موضع نصب بالعامل المحذوف وذلك العامل هو مرفوع. فإذا قال النحاة: هذا الظرف الواقع خبراً في محل الرفع، فيعنون أنه لما قام مقام المرفوع صار في محلّه [وهو في التحقيق] في موضع نصب كما ذكرنا.

وأما قوله: في قولك: أخطب ما يكون الأميرُ إذا كان قائماً، فهذا في غاية الفساد لأنَّ هذا الظرف على مذهب مَنْ يجعله في موضع خبر المبتدأ الذي هو «أخطب» لا يجيز أن ينطق به إنما هو أمر تقديري. ونصّ أرباب هذا المذهب وهم القائلون بإعراب «أخطب» مبتدأ، أنَّ هذه[1] الحال سَدَّتْ مَسَدَّ الخبر وأنه مما يجب حذف الخبر فيه لسدِّ هذه الحال مَسَدَّهُ. وفي تقدير هذا الخبر أربعة[2] مذاهب ذُكرت في مبسوطات النحو.

وقرىء: من أَنْفَسهم، بفتح الفاء من النفاسة. وعن عليٍّ كَرَّم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم[3] «أنا أنفسكم نسباً وحسباً وصهراً ولا في آبائي مذ آدم إلى يوم ولدت سفاح كلها نكاح والحمد لله».

﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل بعثه ﴿ لَفِى ضَلَـٰلٍ ﴾ جعل الضلال ظرفاً لهم وهم فيه، لأنَّ العرب لم يكونوا أهل كتاب وهم عبّاد أصنام مشركون. وتقدم الكلام على إنْ وهذه اللام في قوله ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة].

---

(١) ق: هذا.

(٢) ق: أربع.

(٣) حديث حسن. صحيح الجامع الصغير ٣: ١٠٩، ومشكاة المصابيح ٣: ١٦٠٤ بمعنى وألفاظ مقاربة.

وقال الزمخشري[(١)]: إنْ هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره: وإن الشأن والحديث انتهى.

وقال مكي: قال سيبويه: إنْ مخففة من الثقيلة واسمها مضمر والتقدير على قوله: وإنّهم كانوا.

فظهر من كلام الزمخشري أنه حين خففت حذف اسمها وهو ضميرُ الشأن والحديث، ومن كلام مكي أنه حين خففت حذف اسمها وهو ضميرٌ عائد على المؤمنين. وكلا هذين الوجهين لا نعرف نحوياً ذهب إليه.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم﴾ الآية، الهمزة للاستفهام الذي معناه الإنكار، قال الزمخشري[(٢)]: «ولما» نصب بـ«قلتم» و«أصابتكم» في محل الجر بإضافة «لما» إليه وتقديره: أقلتم حين أصابتكم. و«أنى هذا» نصب لأنه مقول والهمزة للتقرير والتقريع. فإن قلت: علام عطفت الواو هذه الجملة؟ قلت: على ما مضى من قصة أحد من قوله ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ

(١) الكشاف ١: ٤٧٧.

(٢) الكشاف ١: ٤٧٧.

وَعۡدَهُۥٓ﴿١٥٢﴾ [آل عمران]. ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف كأنه قال: أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انتهى.

أما العطف على ما مضى من قصة أحد من قوله «ولقد صدقكم الله وعده» ففيه بُعْدٌ، وبعيد أن يقع مثله في القرآن. وأما العطف على محذوفٍ فهو جارٍ على ما تقرر في غير موضعٍ من مذهبه وقد رددناه عليه. وأما على مذهب الجمهور سيبويه وغيره قالوا: وأصلها التقديم وعطف الجملة الاستفهامية على ما قبلها. وأما [١٠١/أ] قوله: ولما نصب إلى آخره، وتقدير: وقلتم حينئذ كذا، فجعل لَمّا بمعنى حين فهذا ليس مذهب سيبويه وإنما هو مذهب أبي علي. وأما مذهب سيبويه فلما حرف لا ظرف، وهو حرفُ وجوبٍ لوجوب، ومذهبُ سيبويه هو الصحيح، وقد بيّنا فساد مذهب أبي علي من وجوهٍ في كتابنا المسمّى بالتكميل.

والمصيبة هنا هي ما نزل بالمؤمنين يوم أحد من قتل سبعين منهم. والمِثْلان: قال ابن عباس: قتلهم يوم بدر سبعين وأسرهم سبعين. والمِثْليّة وقعت [في العدد] من إصابة الرجال.

﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ هو استفهام على جهة الإنكار والتعجب. والمعنى: كيف أصابنا هذا ونحنُ نقاتلُ أعداءَ الله وقد وعدنا بالنصر وإمداد الملائكة. و«أنىٰ» سؤال عن الحال ولا يناسب أن تكون هنا بمعنى أين أو متى، لأن الاستفهام لم يقع عن المكان[1] ولا عن الزمان هنا، إنما الاستفهامُ وقع عن الحالةِ التي اقتضت لهم ذلك، سألوا عنها على سبيل التعجب.

---

(١) عبارة ق: والمناسب أن تكون.. لم يقع عن الكافر.

وقال الزمخشري[1]: «أنى هذا» من أين هذا، كقوله ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۝٣٧﴾ [آل عمران] لقوله «من عند أنفسكم» وقوله ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۝٣٧﴾ [آل عمران] انتهى كلامه. والظرف إذا وقع خبراً للمبتدأ لا يقدر داخلاً عليه حرف جر غير في، أما أن يقدّر داخلاً عليه مِن فلا، لأنه إنما انتصب على إسقاط في، ولذلك إذا أضمر الظرف تعدّى إليه الفعل بوساطة في، إلا أن يُتّسع في الفعل فينصبه نصب التشبيه بالمفعول به.

فتقدير الزمخشري «أنى هذا»: من أين هذا تقدير غير سائغ، واستدلاله على هذا التقدير بقوله «من عند أنفسكم» وقوله «من عند الله» وقوف على مطابقة الجواب للسؤال في اللفظ وذهول[2] عن هذه القاعدة التي ذكرناها. وأما على ما قررناه فإن الجواب جاء على مراعاة المعنى لا على مطابقة الجواب للسؤال في اللفظ.

وقد تقرر في علم العربية أن الجواب يأتي على حسب السؤال مطابقاً له في اللفظ ومُراعى فيه المعنى لا اللفظ.

والسؤال «بأنى» سؤال عن تعيين كيفية حصول هذا الأمر، والجواب بقوله «من عند أنفسكم» يتضمن تعيين الكيفية، لأنه بتعيين السبب تتعين الكيفية من حيث المعنى، لو قيل على سبيل التعجب والإنكار: كيف لا يحجّ زيد الصالح؟ وأجيب [عن] ذلك بأن يقال: لعدم استطاعته، حصل الجواب وانتظم من المعنى أنه لا يحجّ وهو غير مستطيع.

---

(١) الكشاف ١ : ٤٧٧.

(٢) ق: وذهل.

﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ قال الزمخشري[١]: المعنى أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة أو لتخليتكم المركز، وعن عليّ: لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يُؤْذَنَ لكم انتهى. وهو كلامٌ مُلَفَّقٌ من أقوالِ المفسرين.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ ما شرطية أو موصولة، وجواب الشرط أو خبر المبتدأ قوله «فبإذن الله» وهو على إضمارٍ أي: فهو بإذن الله. ونصُّوا على أنَّ فعل الشرطِ وصلة الموصول لا تكون ماضية هنا[٢] وفي قوله تعالى ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ ۞﴾[٣] [الحشر] معلوم أن هذه الإصابةَ وتلك الإفاءة معلوم مُضِيُّهما، فتأويلهما[٤] على معنى التبيين أي: [أن] تتبين إصابتكم أو أن تتبين الإفاءة.

﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ قالوا: متعلق بمحذوف أي: وفعل ذلك ليعلم. والمختار أن يكون معطوفاً على «بإذن الله»، والباء واللام كلاهما للسبب. تقدم الكلام في تفسير علم الله المسند إليه في هذا التركيب في قوله ﴿لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ۞﴾[٥] [البقرة]. و﴿ٱلَّذِينَ[٦] نَافَقُواْ﴾ هنا هم عبد الله بن أبيّ وأصحابُه.

﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ القائلُ هو رسول الله ﷺ وقيل عبد الله أبو جابر بن عبد الله،

---

(١) الكشاف ١: ٤٧٧.

(٢) ق: وهنا.

(٣) ق: ما.

(٤) ق: فتأويلها.

(٥) ق: ليعلم.

(٦) ق: فالذين.

تبعهم لما انخذلوا عن المسلمين ووعظهم وذكَّرهم فلمّا لم يجيبوه لِمَا سألهم[1] قال: اذهبوا أعداء الله ثم رجع عنهم وقاتل حتى قُتِلَ شهيداً [١٠١/ب] رضي الله عنه.

﴿أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ وجه الأقربية التي هي الزيادة في القرب أنهم كانوا يظهرون [الإيمان] ولم يكن لهم أمارة تدل على الكفر، فلما انخذلوا عن المؤمنين وقالوا ما قالوا ازدادوا قرباً للكفر وتباعدوا عن الإيمان. واللامان يتعلقان بـ«أقرب». و«يومئذ» منصوب بأقرب. والتنوين في إذ للعوض من الجملة المحذوفة تقديره: يومَ إذْ قالوا ذلك لإخوانهم كما تقدم في قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران] قال ابن عطية: «بأفواههم» توكيد مثل ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام] انتهى. لا يظهر أنه توكيد إذ القول ينطلق على اللساني والنفساني فهو مخصص لأحد الانطلاقين إلا إنْ قلنا إنَّ إطلاقه على النفساني مجاز فيكون إذْ ذاك توكيداً لحقيقة القول.

﴿وَقَعَدُواْ﴾ جملة حالية. ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ يعني في القعود. وقرىء: ما قتلوا، بتشديد التاء وتخفيفها. ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ﴾ أي: ادفعوا، ومنه ﴿فَٱدَّٰرَٰءْتُمْ ﴿٧٢﴾﴾ [البقرة] ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴿٨﴾﴾ [النور].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ

---

(١) ق: سأل منهم.

جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء خطاباً للسامع، وبالياء أي: ولا يحسبن هو أيْ حاسبٌ. قال الزمخشري[1]: ويجوز أن يكون «الذين قتلوا» فاعلاً ويكون التقدير: ولا يحسبنّهم[2] الذين قتلوا أمواتاً، أي: لا يحسبنَّ الذين قُتلوا أنفسهم أمواتاً. فإن قلت: كيف جاز حذف المفعول الأول؟ قلت: هو في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله «أحياء»، والمعنى هم أحياء، لدلالة الكلام عليهما انتهى كلامه. أما تقديره: فلا يحسبنهم الذين قتلوا، ففيه تفسير الضمير بالفاعل على الظاهر وهو لا يجوز فلا تقول: حسبه زيد منطلقاً، تريد: حسب نفسه، ولا: ضربه زيد، تريد: ضرب نفسه زيد.

وقد ذكرنا في «البحر»[3] المواضعَ التي يفسّر الضمير الاسم المتأخر أو الجملة اتفاقاً واختلافاً، وليس منها الضمير الذي يفسّره الظاهر الفاعل. وأما تجويزه حذف المفعول الأول في باب حسب فقال الفارسي: حَذْفه اختصاراً عزيز جداً. وقال بعض أصحابنا: لا يجوز حذفه ألبتة. وما كان هكذا فلا ينبغي أن يحمل كلام الله عليه. وأما من حيث المعنى فيبعد ما قاله جداً، لأن من كان حيّاً عند ربه مرزوقاً مستبشراً لا يُنهى أنْ يحسب نفسه ميتة، فيجب أن تحمل قراءة الياء على أن الحاسب مضمر كما قررناه لتتفق

---

(١) الكشاف ١: ٤٧٩.

(٢) ق: تحسبنهم.

(٣) انظر ٣: ١١٢.

القراءتان في كون «الذين» مفعولاً وإن اختلفتا من جهة الخطاب والغيبة.

و﴿أَحْيَآءٌ﴾ بالرفع على تقدير: بل هم أحياء. وقرىء: أحياءً بالنصب على تقدير: بل تحسبهم[1] أحياء. والظاهر أن «فرحين» حال من الضمير في «يرزقون».

﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾ هم الشهداء الذين يأتون[2] بعدُ من إخوانهم المؤمنين الذين تركوهم يجاهدون فيستشهدون. فرحوا لأنفسهم ولمن[3] يلحق بهم من الشهداء إذْ يصيرون إلى ما صاروا إليه من كرامةِ الله تعالى. وجعل ابن عطية «استبشر» بمعنى الفعل المجرد لأنه يقال بشر كما يقال: استمجد المَرخ والعَفار[4] بمعنى مجد. والأحسن أن يكون استبشر مطاوع أبشر كقولهم: أكانه فاستكان، ومطاوعة استفعل لأفعل كثير، لأنه من حيث المطاوعة يكون منفعلاً عن غيره فحصلت له البشرى بإبشار الله له بذلك. و«أنْ» هي المخففة من الثقيلة واسمها محذوف ضمير الشأن وخبرها الجملة المنفية بلا، وأنْ وما بعدها في تأويل مصدر مجرور على أنه بدل اشتمال من «الذين» فيكون هو المستبشَر به على الحقيقة، أو منصوب على أنه مفعول لأجله فيكون علة للاستبشار والمبشّر به غيره[5]، التقدير: لأنه لا خوف عليهم. والذوات لا يُستبشر بها فلا بد من تقدير مضاف مناسب.

والظاهر أن قوله «يستبشرون» [١٠٢/أ] استئناف إخبار وليس بتوكيد

---

(١) ق: يحسبهم.

(٢) ق: يأتوا.

(٣) ق: ولما.

(٤) مجمع الأمثال ٢: ٢١.

(٥) ق: غير.

للأول لاختلاف متعلق الفعلين، الأول بانتفاء الخوف والحزن عن الذين لم يلحقوا بهم، والثاني قوله «بنعمة من الله وفضل». وذهب الزمخشري وابن عطية إلى أنه توكيد للأول، قال الزمخشري[١]: وكرر «يستبشرون» ليعلق به ما هو بيان لقوله «أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» من ذكر النعمة والفضل وأنَّ ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدلِ الله وحكمته أنْ يحصلَ لهم ولا يضيع انتهى.

وهو على طريقةِ الاعتزالِ في ذِكْرِه وجوب الأجر وتحصيله على إيمانهم.

وسلك ابنُ عطية طريقَ أهل السنة فقال: أكَّدَ استبشارهم بقوله «يستبشرون» ثم بيّن بقوله: وفضل إدخالهم الجنةَ الذي هو فضل منه لا بعمل أحد. وأما النعمة في الجنة والدرجات فقد أخبر أنها على قدر الأعمالِ انتهى. وقرىء: وإنّ بكسر الهمزة وفتحها.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الاستجابة كانت إثر الانصراف من أحد، استنفر الرسول ﷺ لطلب الكفار فاستجاب له تسعون. وقيل: لما كان الثاني من أحد [وهو] يوم الأحد نادى رسول الله ﷺ في الناس باتباع المشركين وقال: لا يخرجنَّ معنا إلا من شاهدنا بالأمس، وكانت بالناس جراحةٌ[٢] وقَرْحٌ عظيم ولكن تَجلَّدُوا ونهض معه مئتا رجلٍ من المؤمنين حتى بلغ حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة وأقام بها ثلاثة أيام.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ الظاهر أن القائل هم ناس وليس بواحد كما قال بعضهم إنه نعيم بن مسعود الأشجعي. وقيل: «الناس» رَكْب من عبد القيس

---

(١) الكشاف ١: ٤٨٠.

(٢) ق: حراجة.

مرّوا على أبي سفيان يريدون المدينة للميرة فجعل لهم جُعلاً وهو حمل إبلهم زبيباً على أنْ يخبروا أنه جمع ليستأصل بقية المؤمنين، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه وهم بحمراء الأسد «حسبنا الله ونعم الوكيل». و«الناس» الثاني قريش.

﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية، أي: فرجعوا من بدر مصحوبين بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو إياهم. ﴿وَفَضْلٍ﴾ وهو الربح في التجارة كقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة] هذا الذي اختاره الزمخشري[(١)] في تفسير هذا الانقلاب ولم يذكر غيره وهو قول مجاهد. قال ابن عطية: والجمهور على أن معنى[(٢)] هذه الآية «فانقلبوا بنعمة» يريد: في السلامة والظهور وفي اتباع العدوّ وحمايةِ الحَوْزةِ، وبفضلٍ في الأجرِ الذي حازوه[(٣)] والفخر الذي تجلّلوه، وأنها في غزوة أحد في الخرجة إلى حمراء الأسد. والجملة من قوله «لم يمسسهم سوء» في موضع الحال. و«بنعمة» في موضع الحال.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ظاهره الإشارة إلى مفرد ويكون على حذف مضاف أي: فعل الشيطان. وإنما نُسبَ إليه وأُضيفَ لأنه ناشئٌ عن وسوسته وإغوائه وإلقائه. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ فيه محذوفان مفعول وحرف جر والتقدير: يخوفكم بأوليائه كما جاء ذانك المحذوفان مصرحاً بهما في قوله تعالى ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر].

---

(١) انظر الكشاف ١: ٤٨١.

(٢) ق: على أنه بمعنى.

(٣) ق: جاوزه.

قال الزمخشري[1]: «الشيطان» خبر «ذلكم» بمعنى: إنما ذلكم المثبط[2] هو الشيطان، و«يخوف أولياءه» جملة مستأنفة بيان لشيطنته، أو «الشيطان» صفة لاسم الإشارة و«يخوف» الخبر، والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان انتهى. فعلى تقدير القول تكون الجملة لا موضع لها من الإعراب. وإنما قال: والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان لأنه لا يكون صفة، والمراد به إبليس لأنه إذا أُريد به إبليس كان إذ ذاك علماً بالغلبة إذ أصله صفة كالعيوق ثم غلب على إبليس كما غلب العيوق على النجم [١٠٢/ب] الذي ينطلق عليه. قال ابن عطية: و«ذلكم» في الإعراب ابتداء و«الشيطان» مبتدأ آخر و«يخوّف أولياءه» خبر عن «الشيطان»، والجملة خبر الابتداء الأول، وهذا الإعراب خير في تناسق المعنى من أن يكون «الشيطان» خبر «ذلكم» لأنه يجيء في المعنى استعارة بعيدة انتهى.

وهذا الذي اختاره إعرابٌ لا يجوز إن كان الضمير من «أولياءَه» عائداً على الشيطان، لأن الجملة الواقعة خبراً[3] عن «ذلكم» ليس فيها رابطة تربطها بقوله «ذلكم» وليست[4] نفس المبتدأ في المعنى نحو قولهم: هِجّيرى[5] أبي بكر لا إله إلا الله. وإن كان عائداً على «ذلكم» ويكون «ذلكم» خبراً عن «الشيطان» جاز وصار نظير: إنما هند زيد يضرب غلامها، والمعنى إذ ذاك: إنما ذلكم الركب أو أبو سفيان الشيطان، يخوفكم أولياءه أي: أولياءَ الركبِ

---

(١) الكشاف ١: ٤٨١.

(٢) ق: أن ذلكم التثبيط.

(٣) ق: خبر.

(٤) ق: وليس.

(٥) أي دأبه وشأنه.

أو أبي سفيان.

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾.

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ﴾ قرىء: يَحْزنك مضارع حزن، ويُحْزنك مضارع أحزن. والذين كفروا عامٌّ في كُلِّ مَنْ يسارع في الكفر. وقرىء: يُسرعون مضارع أسرع.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ الآية، احتملت [«ما»] أن تكون موصولة اسم «أن» والخبر [«خير»]. واحتمل أن تكون «ما» مصدرية فيكون ذلك المصدر اسم أن، وخبر أن «خير». فعلى التقدير الأول يكون معناه أن الذي نمليه خير، وحذف الضمير من نمليه وهو عائد على الذي. وعلى التقدير الثاني يكون: أن إملاءنا خير، وسدّت أنّ مسدّ مفعولي «يحسبنّ».

ومعنى «نملي» نمهل ونمدُّ في العمر، والملاوة: المدة من الدهر، والملوان الليل والنهار.

وقرأ الجمهور: ولا يحسبنّ بالياء، فيكون «الذين كفروا» فاعلاً، وعلى

هذه القراءة يخرّج ذانك الإعرابان. وقرأ حمزة: ولا تحسبنّ[1] بالتاء، و«الذين كفروا» مفعول أول ولا يكون ما بعده مفعولاً ثانياً، لأن المعنى لا يكون الذات[2] فخرّج على أن يكون «الذين» على حذف مضاف تقديره: ولا تحسبن شأن الذين كفروا، إن كان الحذف في الأول، وعلى حذفٍ بعد «الذين كفروا» تقديره: أصحابُ أنما نملي لهم. وخرّج ابن الباذش هذه القراءة على «أنما نملي» بدل من «الذين» ويكون المفعول الثاني محذوفاً وتقديره: ولا تحسبن الذين كفروا خيريّة إملائنا لهم كائنة أو واقعة. وعلى البدل خرّجه الزمخشري وتقدّمهما[3] إلى ذلك الكسائي والفراء. وقرىء: خيراً بالنصب، فيكون «أنما نملي لهم» بدلاً من «الذين» والتقدير: ولا تحسبن إملاءنا للكفار خيراً لأنفسهم.

وقرأ يحيى بن وثاب: ولا يحسبن بالياء، وإنما نملي بالكسر. فإن كان الفعل مسنداً للنبي ﷺ فيكون المفعول الأول «الذين كفروا» ويكون «إنما نملي لهم» جملة في موضع المفعول الثاني. وإن كان مسنداً للذين كفروا فيحتاج «يحسبن» إلى مفعولين، فلو كانت «إنما» مفتوحة سدت مسدّ المفعولين، ولكن يحيى قرأ بالكسر فخرّج ذلك على التعليق فكسرت إنّ وإن لم تكن اللام في خبرها، والجملة المعلق عنها الفعل في موضع مفعولي «يحسبن» وهو بعيد لحذف اللام. ونظير تعليق الفعل عن العمل مع حذف

---

(١) ق: ولا يحسبن بالياء.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: لأن المصدر لا يكون الذات. وانظر البحر: ٣:١٢٢.

(٣) ق: وتقدمها.

اللام من المبتدأ قول الشاعر[١]: [من البسيط]

أنّي وَجَدْتُ مِلاكَ الشّيمةِ الأدبا

أي: لملاك.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ليس عاماً بل خاص فيمن علم الله أنه لا يؤمن، ألا ترى إلى قوله ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ اللام في «ليذر» لام الجحود وهي تأتي بعد كونٍ ماضٍ لفظاً أو معنى بحرف نفي وهو ما أو لم، وخبر كان محذوف عند البصريين تتعلق به اللام، وأنْ مضمرة بعد اللام والتقدير عندهم: ما كان الله مريداً لأن يذر. ومذهب الكوفيين أن اللام زائدة ناصبة [١٠٣/أ] للفعل والخبر هو نفس «يذر»، ولولا اللام لكان الفعل «يذر» والخطاب في قوله «على ما أنتم عليه» للمؤمنين وغيرهم من الكفار، أي: لا يترك الله تعالى أمر الجميع مشتبهاً حتى يَميزَ الخبيثَ من الطيب بامتثالِ تكاليفه تعالى فيمتثله الطيب وهو المؤمن ويجتنبه الخبيث وهو الكافر، وهو العليم بالأحوال وما ينتهي [إليه] كل واحد منهما، ولذلك قال «وما كان الله ليطلعكم على الغيب». والغيب هنا ما غاب عن البشر مما هو في علم الله تعالى من الحوادث التي تحدث، ومن الأسرار التي في قلوب المنافقين، ومن الأقوال التي يقولونها[٢] إذا غابوا عن الناس. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي﴾ أي: يصطفي من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه.

---

(١) هو بعض الفزاريين كما في شرح ديوان الحماسة ٣: ١١٤٦، وصدر البيت:

كذاك أُدّبت حتى صار من خُلقي

(٢) ق: التي قال يقولونها.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ[1] ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما بالغ في التحريضِ على بذلِ الأرواحِ في الجهاد في الآيات السابقة، شرع في التحريض هنا على بذلِ الأموالِ في الجهاد وغيره، وبيَّنَ الوعيدَ الشديد لمن يبخل. والبخلُ الشرعي عبارةٌ عن مَنْعِ بَذْلِ الواجب.

وقرىء: ولا تحسبنّ بالتاء فيكون «الذين» أول مفعولين لتحسبنّ، وهو على حذف مضاف أي: بخل الذين. وقرىء بالياء، والفعل مسند إلى ضمير أحد، فيكون «الذين» هو المفعول الأول على ذلك التقدير، وإن كان «الذين» هو الفاعل فيكون المفعول الأول محذوفاً تقديره: بخلهم، وحذف لدلالة «يبخلون» عليه، وحذفه عزيز جداً عند الجمهور، فلذلك [كان] الأولى تخريج هذه القراءة على قراءة التاء من كون «الذين» هو المفعول الأول على حذف مضاف و«هو» فصل، و«خيراً» المفعول الثاني لتحسبن.

ويظهر لي تخريج غريب في الآية تقتضيه قواعد العربية، وهو أن تكون المسألة من باب الإعمال إذا جعلنا الفعل مسنداً للذين. وذلك أن «يحسبن» يطلب مفعولين و«يبخلون» يطلب مفعولاً بحرف جر. فقوله «ما آتاهم» يطلبه «يحسبن» على أن يكون المفعول الأول ويكون «هو» فصلاً، و«خيراً» المفعول الثاني، ويطلبه «يبخلون» بتوسط حرف الجر، فأعمل الثاني على الأفصح في لسان العرب وعلى ما جاء في القرآن وهو «يبخلون» فعدّي بحرف الجر وأخذ معموله، وحذف معمول «يحسبن» الأول وبقي معموله الثاني لأنه لم يتنازع فيه إنما جاء التنازع بالنسبة إلى المفعول الأول وساغ حذفه وحده كما ساغ حذف المفعولين في مسألة سيبويه: متى رأيت أو قلت زيد منطلق، لأن «رأيت وقلت» في هذه المسألة تنازعا «زيد منطلق»، وفي

(١) ق: تحسبن.

الآية لم يتنازعا إلا في المفعول الواحد، وتقدير المعنى: ولا يحسبن ما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم الناس الذين يبخلون به. فعلى هذا التقدير والتخريج يكون «هو» فصلاً لـ«ما آتاهم» المحذوف لا لتقديرهم بخلهم. ونظير هذا التركيب: ظن الذي مرّ بهند هي المنطلقة، المعنى: ظن هذا الشخص الذي مرّ بها هي المنطلقة. والذي تنازعه الفعلان هو الاسم الأول، فأعمل الثاني وبقي الأول يطلبه محذوفاً، ويطلب المفعول الثاني مثبتاً إذ لم يقع فيه التنازع. ولما تضمّن النّهي انتفاء كون البخل أو المبخول به خيراً لهم، وكان تحت الانتفاء قسمان أحدهما أن لا خير ولا شر، والآخر إثبات الشر - أتى بالجملة التي تعيّن أحد القسمين وهو إثبات كونه شراً لهم.

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ﴾ هذا تفسير لقوله «بل هو شر لهم». والظاهر حَمْلُه على المجاز أي: سَيُلْزمون عقابه إلزامَ الطوق.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَـٰتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِالْبَيِّنَـٰتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَـٰبِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآية، نزلت في [١٠٣/ب] فنحاص بن عازوراء حاوره أبو بكر في الإسلام وأنْ يقرض الله قرضاً حسناً فقال هذه المقالة فضربه أبو بكر رضي الله عنه ومنعه من قِبَله[1] العهد، فشكاهُ إلى رسولِ الله ﷺ فأنكر ما

(١) ق: قتله.

قال، فنزلت تكذيباً لفنحاص وتصديقاً للصدِّيق قاله ابن عباس. وشمل قوله «الذين قالوا» فنحاصاً ومَنْ قال بمقالته كحيّي بن أخطب وإلياس بن عمرو[١].

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ الظاهر إجراء الكتابة على أنها حقيقة فتكتب الأعمال في صحف وأنّ تلك الصحف هي التي تُوزن ويحدث الله فيها الخفة والثقل. وقيل: الكتابة مجاز ومعناها الإحصاء للشيء وضبطه وعدم إهماله وكينونته في علم الله مثبتاً محفوظاً لا ينسى كما يثبت[٢] المكتوب. وقرىء: سنكتب بالنون، وقتلَهم نصباً، ونقول بالنون. وقرىء: سيُكتب مبنياً للمفعول، وقتلُهم رفعاً، ويقول بالياء.

ولما كان الصادر منهم قولاً وفعلاً ناسب أن يكون الجزاء قولاً وفعلاً، فتضمّن القول والفعل قوله «ونقول ذوقوا عذاب الحريق». وفي الجمع لهم بين القول والفعل أعظم انتقام، ويقال للمنتقم منه: أَحِسَّ[٣] وَذُقْ.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من عقابهم. ونسب ما قدّموه من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية إلى الأيدي على سبيل التغليب، لأن الأيدي تزاول[٤] أكثرَ الأعمالِ فكان كل عمل واقع بها. وهذه الجملة داخلة في القول وُبِّخوا بذلك وذكر لهم السبب الذي أوجب لهم العقاب.

---

(١) ق: عزو. والتصويب من ط والبحر ٣: ١٣٠.

(٢) ق: ثبت.

(٣) ق: أحسن.

(٤) ق: تناول.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ هذا معطوف على قوله «بما قدمت أيديكم» أي: ذلك العقاب حاصل بسبب معاصيكم وعدل الله فيكم. وجاء لفظ «ظلّام» الموضوع للتكثير، وهذا تكثير بسبب المتعلّق.

﴿ٱلَّذِينَ(١) قَالُوٓاْ﴾ أنزلت في جماعة من اليهود منهم كعب [بن] الأشرف. و«عهد» بمعنى أوصى. والظاهر أن القربان هو ما يُتقرّب به إلى الله تعالى. قال ابن عطية: وقرأ عيسى بن عمر: بقربان بضم الراء إتباعاً لضم القاف. وليس بلغة، لأنه ليس في الكلام فُعُلان بضم الفاء والعين، وحكى سيبويه: السلطان بضم اللام وقال إن ذلك على الإتباع انتهى. لم يقل سيبويه إن ذلك على الإتباع بل قال: ولا نعلم في الكلام فَعَلان ولا فُعُلان ولا شيئاً من [هذا] النحو لم نذكره، ولكنه جاء فُعُلان وهو قليل قالوا: السّلُطان وهو اسم انتهى. وقال الشارح: صاحب هذه اللغة لا يسكّن ولا يُتبع انتهى. وزعموا أن هذا العهد في التوراة، وقيل هو من كذبهم على الله تعالى.

والظاهر من هذه الآية والتي قبلها أنَّ ذلك من فِعْلِ أسلافهم، ألا ترى إلى قوله «وقتلهم الأنبياء» وقوله «قل قد جاءكم رسل» إلى آخر الآية. والمعاصرون لرسولِ الله ﷺ من اليهود لم يقتلوا الأنبياء ولا جاءتهم رسلٌ غير محمدٍ ﷺ. ويظهر ما قلناه في قوله تعالى «لم قتلتموهم». وإنما هذا كله من فعل أسلافهم فَوُبِّخُوا بذلك لرضاهم بما صدر من أسلافهم.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ(٢)﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، وجواب الشرط محذوف

(١) ق: الذي.
(٢) ق: يكذبوك.

تقديره: فتسلَّ بما صدر للرسل من مكذّبيهم[1] قبلك. وما وجد من كلام المعربين أن جواب الشرط قوله «فقد كُذّب» إنما هو على سبيل المجاز، لأن الماضي حقيقة لا يكون جواباً للشرط المستقبل. ومعنى «بالبيّنات» بالمعجزات الواضحة.

﴿وَالزُّبُرِ﴾ جمع زبور وهو الكتاب، يقال: زبره أي: كتبه. وقد يكون مشتقاً من الزَّبْر وهو الزجر. والجمع يدل على الكثرة ويعني به الكتب الإلهية.

﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ الظاهر أنه التوراة إذ هو أكبر الكتب المنزلة على بني إسرائيل وفيه تبيين شريعتهم. وقرىء: بالزبر وبالكتاب[١٠٤/أ] بالباء فيهما، وقرىء بتركهما.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ تضمنت هذه الجملة وما بعدها الوعظ والتسلية

---

(١) ق: صدر للرسول صلى مكذبيهم.

لرسول الله ﷺ عن الدنيا وأهلها والوعد بالنجاة في الآخرة، إذ بذكر[١] الموت والفكرة فيه يهونُ ما يصدرُ من الكفار من تكذيبٍ وغيره[٢]. ولما تقدم ذِكْرُ المكذبين الكاذبين على الله تعالى من اليهود والمنافقين وذِكْرُ المؤمنين - نُبِّهوا كلهم على أنهم ميتون ومآلهم إلى الآخرة ففيها يظهر الناجي والهالك وأن ما تعلقوا به في الدنيا من مالٍ وأهل وعشيرة إنما هو على سبيل التمتع المغرور به[٣]، كلها يضمحلّ ويزول ولا يبقى إلا ما عمله الإنسان فهو يُوفّاه في الآخرة، يوفى على طاعته ومعصيته.

وقال محمد بن عمر الفخر الرازي[٤]: في هذه الآية دلالةٌ على أنَّ النفسَ لا تموت بموت البدن [وعلى أن النفس غير البدن] انتهى.

وهذه مكابرة في الدلالة فإن ظاهر الآية يدل على أن النفس تموت. وقال أيضاً[٥]: لفظ النفس مختصّ بالأجسام انتهى. وقرىء: ذائقةٌ[٦] منوناً، الموتَ نصباً. وقرىء بغير تنوين والموتَ نصباً، ونظيره قول الشاعر[٧]:

ولا ذاكرَ اللهَ إلا قليلا [من المتقارب]

حذف التنوين لالتقاء الساكنين. وقراءة الجمهور على الإضافة. و«كل» إذا

---

(١) ق: بكر.

(٢) ق: غيره.

(٣) ق: المغروبة.

(٤) انظر تفسيره ٣: ١١٣، وتصرف أبو حيان في النص.

(٥) الموضع نفسه.

(٦) ق: ذائق.

(٧) البيت لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص١٢٣، وصدره:

فألفيتُه غير مستعتبٍ

اضيفت إلى نكرةٍ كان الحكم في الخبر والإضمار لتلك النكرة كقوله «ذائقة الموت» وقوله ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ۝٢١﴾ [الطور] وكل رجلين قاما، وكل امرأتين قامتا، وقوله تعالى ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ ۝٧١﴾ [الإسراء] وقول الشاعر[1]: [من الطويل]

وكل أناسٍ سوف تدخلُ بينهم   دويهيـة تصفـرُّ منهـا الأنـامـلُ

فالتذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع بحسب النكرة التي أضيف إليها كلّ.

﴿فَمَن زُحۡزِحَ﴾ الزحزحة التنحية والإبعاد.

﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ ﴾ قيل: نزلت في قصة عبد الله بن أبيّ حين قال لرسولِ الله ﷺ وقد قرأ عليهم الرسولُ القرآنَ: إنْ كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا. وردّ عليه ابن رواحة فقال: اغْشَنَا به في مجالسنا يا رسول الله. والابتلاء الاختبار، والضمير في «لتبلونّ» للمؤمنين خاطبهم بذلك ليستعدّوا لما يرد عليهم من الابتلاء فيصبروا، بخلاف مَنْ يأتيه الأمر فجأة فيشقّ عليه ما يرد، بخلاف من استعدّ للشيء فإنه يوطن نفسه على وقوعه. وقدّم الأموال على الأنفس على سبيل الترقي إلى الأشرف أو على سبيل الكثرة، لأنَّ الرزايا في الأموال أكثر من الرزايا في الأنفس. والأذى اسم جامع في معنى الضرر يشمل أقوالهم في الرسول وأصحابه وفي الله تعالى وأنبيائه والمطاعن في الدين وتخطئة مَنْ آمنَ وهجاء كعب وتشبيبه[2] بنساء المؤمنين.

﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الإشارة إلى الصبر والتقوى الدالّ عليهما فعلهما. وعبر

---

(١) البيت للبيد في ديوانه ص٢٥٦.

(٢) ق: لعب وتشبيه.

بالمفرد عن المثنى كما قال الشاعر[1]: [من الرمل]

إنَّ للخيـر وللشّـرِّ مـدًى وكـلا ذلـك وجـهٌ وقِبَـلْ

يريد: وكلا ذينك. ﴿مِنْ[2] عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ العزم الإمضاء للأمر المروَّى المنقح.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ الآية، هم اليهود أخذ عليهم الميثاق في أمر رسول الله ﷺ فكتموه ونبذوه، قاله ابن عباس وغيره.

﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ﴾ الضمير عائد على الميثاق، وكذا في قوله «فنبذوه». والثمن القليل هو ما أخذوه من الرُّشا على تبيين الميثاق [وكتمه].

﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ تقدم الكلام فيما بعد بئس [١٠٤/ب] في قوله تعالى في البقرة ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآية، نزلت في المنافقين كانوا يتخلفون عن رسول الله ﷺ في الغزو، فإذا جاء استعذروا له فيظهر القبولَ ويستغفر لهم، ففضحهم اللهُ بهذه الآية، قاله أبو سعيد الخدري وغيره. وقرىء: لا يحسبن بياء الغيبة، فلا يحسبُنّهم بالياء وضم الباء، و«الذين» فاعل، ومفعولا «يحسبن» محذوفان لدلالة مفعولي «يحسبنّهم» عليهما والتقدير: أنفسهم ناجين، و«فلا يحسبنهم» توكيد لما سبق ولا يصح أن يكون بدلاً كما قال ابن عطية لوجود الفاء فإنها تمنع من البدل.

وقول الفارسي في أن «لا يحسبن» لغو لم يقع على شيء، قولٌ ضعيف

---

(١) البيت لابن الزبعرى، وهو في شرح المفصل ٣: ٣.

(٢) ق: لمن.

جداً. وتقدير الزمخشري: لا يحسبنهم الذين، فيفسّر الضمير الفاعل قد رددناه عليه في تقديره: لا يحسبنهم الذين كفروا أنما نملي لهم فيطالع هناك[1]. وتعدى «يحسبُنّهم» المضموم الباء إلى الضمير المنصوب، والفعل مسند إلى الضمير المرفوع وهو الواو المحذوفة، وذلك مختص بباب ظن وفقه وعلم، و«بمفازة» هو المفعول الثاني. وقرىء: لا تحسبن وفلا[2] تحسبنهم، والخطاب للرسول ﷺ و«الذين»[3] المفعول الأول، والثاني محذوف تقديره: ناجين. وقرىء: لا يحسبن بياء الغيبة و«الذين» فاعل، والمفعولان ليحسبنّ محذوفان، وفلا تحسبنّهم بتاء الخطاب وفتح الباء.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ روي عن ابن عباس أنّ قريشاً قالوا

(١) انظر تفسير الآية ١٧٨، والبحر ٣: ١٢٣.

(٢) ق: ولا.

(٣) ق: والذي.

لرسول الله ﷺ: ادعُ ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، حين ذكرت اليهود والنصارى لهم بعض ما جاء به من المعجزات موسى وعيسى عليهما السلام، فنزلت هذه الآية.

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ [هَٰذَا بَٰطِلًا﴾] منصوب بحال محذوفة تقديره: يقولون ربنا. والإشارة بقوله «هذا» إلى الخلق بمعنى المخلوق، أو إلى السماوات والأرض بما فيهما من عجائب الصنعة. وانتصب «باطلاً» على أنه نعت لمصدر محذوف أي خلقاً باطلاً، قال بعضهم: هو منصوب على أنه مفعول ثانٍ لخَلَق وهي بمعنى جعل التي تتعدى إلى مفعولين انتهى. وهذا عكس المنقول في النحو وهو أنّ جَعَل تكون بمعنى خَلَق فتُعدّى لواحد، أما أن خلق تكون بمعنى جعل فتتعدى لاثنين فلا أعلم أحداً ممّن له معرفة ذهب إلى ذلك.

﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أي: فضحته، من خَزِيَ الرجلُ يَخْزَى خزياً إذا افتضح وخزاية إذا استحى. الفعل واحد واختلف في المصدر فمن الافتضاح خزي ومن الاستحياء خزاية، ومن ذلك ﴿وَلَا تُخْزُونِ[1] فِى ضَيْفِىٓ ۝٧٨﴾ [هود] أي: لا تفتضحوني.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا﴾ سمع هنا تَعَدَّتْ إلى واحد، و﴿يُنَادِى﴾ صفة له و﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾ تفسير، التقدير: أي آمنوا. وقيل مصدرية على تقدير إسقاط حرف الجر تقديره: بأن آمنوا. وعَطْف «فآمنا» بالفاء مُؤْذِنٌ بتعجيل القبول وتسبيب الإيمان عن السماع من غير تراخٍ والمعنى فآمنا بك أو بربنا. و«الأبرار» جمع برّ أو جمع بارّ.

---

(١) ق: تخزوني.

﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ على ألسنةِ رُسُلِكَ.

وانظر إلى حسن محاورة هؤلاء الذاكرين المتفكرين، فإنهم خاطبوا الله تعالى بلفظة «ربنا» وهي إشارة إلى أنه ربّهم أصلحهم[1] وهيّأهم للعبادة، فأخبروا أولاً بنتيجة الفكر وهو قولهم «ربنا ما خلقت هذا باطلا»، ثم سألوه أنْ يقيهم النارَ بعد تنزيهه عن النقائص، وأخبروا عن حال مَن يدخل النار وهم الظالمون الذين لا يذكرون الله تعالى ولا يتفكرون في مصنوعاته. ثم ذكروا أيضاً [أنَّ] ما أنتج لهم الفكر من إجابة الداعي إلى الإيمان إذْ ذاك مترتب على أنه تعالى ما خلقَ هذا الخَلْقَ العجيب [١٠٥/أ] باطلاً، ثم سألوا غفران ذنوبهم ووفاتهم على الإيمان الذي أخبروا به في قولهم «فآمنا»، ثم سألوا الله تعالى الجنة وأنْ لا يفضحهم يوم القيامة وذلك هو غاية ما سألوه.

وتكرر لفظ «ربنا» خمس مرات كل ذلك على سبيل الاستعطاف وتطلّب رحمة الله بندائه بهذا الاسمِ الشريفِ الدالِّ على التربية والملك والإصلاح، ولذلك تكرر هذا الاسم في قصة آدم ونوح وغيرهما. وفي تكرار «ربنا» دلالةٌ على جواز الإلحاح في المسألة واعتماد كثرة الطلب من الله سبحانه وتعالى. وفي الحديث[2]: «ألِظّوا بياذا الجلال [والإكرام]». وقال الحسن: ما زالوا يقولون ربّنا حتى استجاب لهم.

و﴿فَٱسْتَجَابَ﴾ بمعنى أجاب، تقدم الكلام عليه في البقرة عند قوله ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة]. ولما كان تقدم قولهم «ربنا» جاء هنا «ربهم»

---

(١) ق: وأصلحهم.

(٢) صحيح الجامع الصغير ١: ٣٩٥. وألظّوا به: ألزموه وأثبتوا عليه وأكثروا من قوله. وأخرجه أحمد ٤: ١٧٧، والترمذي ٩: ١٨٦.

ولم يأت اسم غيره ليكون المدعوّ هو المستجيب لهم.

﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ﴾ أي: بأني لا أضيع. وقرىء: بأني بالباء. وقرىء: إني بكسر الهمزة على إضمار القول: قائلاً[1] إني على مذهب البصريين، أو على تضمين «استجاب» معنى قال على مذهب الكوفيين. وقرىء: أُضيّع مضارع ضيّع. و«منكم» في موضع الصفة لعامل.

و﴿مِّن ذَكَرٍ﴾ بدل من الضمير بدل بعضٍ من كُلٍّ. وقوله: ﴿أَوْ أُنثَىٰ﴾ معطوف عليه، ولا يجوز أن يكون بدلاً تفصيلياً لوجود «أو» لأنه لا يعطف فيه إلا بالواو كقوله[2]: [من الطويل]

وكنت كذي رِجْلين رِجْلٍ صحيحةٍ ورجلٍ [رمى فيها الزمان فَشَلّتِ]

فإن جعلت (أو) بمعنى الواو جاز.

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ معناه تبيّن شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله به عباده العاملين.

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ رُوي أنَّ أم سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، قد ذكر الله الرجال في الهجرة ولم يذكر النساء في شيء من ذلك فنزلت هذه الآية[3]. و«الذين» مبتدأ خبره جملة القسم المحذوفة التي جوابها «لأكفرنّ». وفي هذا حجة على إبطال مذهب ثعلب، في زعمه أنَّ جملة القسم لا تكون خبراً للمبتدأ.

---

(١) ق: كان قائلاً.

(٢) البيت لكثير عزة في ديوانه ص٩٩.

(٣) ق: الآيات.

وبدأ أولاً بالخاص وهي الهجرة وهي أشق شيء على النفس، إذ فيها مفارقة الوطن الذي نشأ فيه حيث لم يمكنه إقامة دين الله، فهاجر إلى المكان الذي يمكن فيه ذلك وهو المدينة. وثنّى بما ينشأ عنه ما هو أعمّ من الهجرة وهو الإخراج من الديار، فقد يخرج إلى الهجرة إلى المدينة أو إلى غيرها كخروج من خرج إلى الحبشة، وكخروج أبي جندل إذ لم يُترك يقيم بالمدينة. وأتى ثالثاً بذكر الإذاية وهي[1] أعمّ من أنْ يكون بإخراج من الديار أو غير ذلك من أنواع الأذى. وارتقى بعد هذه الأوصاف السنيّة إلى رتبة جهاد من أخرجه ومقاومته واستشهاده في دين الله، فجمع بين رتب هذه الأعمال من تنغيص أحواله في الحياة لأجل دين الله تعالى بالمهاجرة وإخراجه من داره وإذايته في الله تعالى ومآله أخيراً إلى إفنائه بالقتل في سبيل الله.

والظاهر الإخبار عمّن جمع هذه الأوصاف كلها بالخبر الذي بعد، ويجوز أن يكون ذلك من باب عطف الصلات والمعنى اختلاف الموصول لا اتّحاده فكأنه قيل: فالذين هاجروا [والذين أخرجوا] والذين أوذوا والذين قاتلوا والذين قُتلوا، ويكون الخبر عن كل من هؤلاء. وقرىء: وقاتلوا مبنياً للفاعل، وقُتلوا مبنياً للمفعول. وقرىء بالعكس.

﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ انتصب «ثواباً» على المصدر المؤكد، وإنْ كان الثواب هو المثاب به كما كان العطاء هو المُعطَى. واستعمل في بعض المواضع بمعنى المصدر الذي هو الإعطاء، فوضع «ثواباً» موضع إثابة أو موضع تثويباً، لأن ما قبله في معنى لأثيبنّهم. ونظيره ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل] و﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء]. وفي قوله: «من عند [١٠٥/ب] الله» التفاتٌ وهو

(١) ق: وهو.

خروج من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ الخطاب للسامع. و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عام. وتَقَلُّبهم في البلاد سَعْيُهم فيها لكسبِ الأموال والجاه والرتب. وقرىء بتشديد النون وتخفيفها.

﴿مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف أي: ذلك متاعٌ قليل، أو مبتدأ محذوف [الخبر] تقديره: متاع قليل تقلّبهم وتصرّفهم. والمأوى مَفْعَل يراد به المكان الذي يُؤوَى إليه ويُرْجَع يعني في الآخرة. والمخصوص بالذم محذوف تقديره: وبئس المهاد جهنم. قيل: ونزلت هذه الآية في اليهود كانوا يضربون في الأرض فيصيبون الأموال، قاله ابن عباس.

﴿لَهُمْ جَنَّـٰتٌ﴾ قابل جهنم بالجنات، وقابل قلة متاعهم بالخلود[1] الذي هو الديمومة في النعيم، فوقعت «لكن» أحسنَ مواقعها لأنه آلَ معنى الجملتين الى تعذيب الكفار وإلى تنعيم المتّقين فهي واقعة بين الضدين.

النّزل: ما يُعدُّ للنازل من الضيافة والقِرى. ويجوز تسكين زائه وقرىء به.

---

(١) ق: للخلود.

وانتصب «نزلاً» على أنه حال من «جنات» وهي موصوفة بقوله «تجري». و«خير» أفعل تفضيل أي: خيرٌ لهم مما كانوا فيه في الدنيا. وفي قوله ﴿وَمَا[١] عِندَ ٱللَّهِ﴾ حوالة على ما أعدّ لهم في الآخرة.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، لما مات أصحمة النجاشي ملك الحبشة صلَّى عليه رسولُ الله ﷺ، فقال قائل: يصلّي على هذا العلج النصراني وهو في أرضه فنزلت، قاله جابر وابن عباس. و«من أهل الكتاب» عام فيمن آمن منهم كعبد الله بن سلام، ومن آمن من نصارى نجران ونصارى الحبشة. ﴿لَمَن﴾ موصولة وهي اسم إنّ دخلت عليها اللام كما دخلت في قوله ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا ۝٣﴾ [القلم] وحمل على لفظ مَن فأفرد الضمير في قوله «يؤمن» ثم حمل على المعنى فجمع في قوله «وما أنزل إليهم» وفي «خاشعين» وما بعده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾ أمر أولاً بمطلق الصبر ثم بخاصٍّ من الصبر وهو المصابرةُ على الجهادِ في سبيلِ الله وقتال أعدائه، ثم بالرباطِ وهو الإقامةُ في الثغور رابطينَ الخيلَ مستعدّين للغزو. وفي البخاري[٢] قال رسول الله ﷺ «رِباطُ يومٍ في سبيلِ الله خيرٌ من الدنيا وما فيها». وفي مسلم[٣] «رِباط يومٍ وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه وإنْ مات جرى عليه رزقه وأمن الفتّان» وفي سنن أبي داود[٤] «كل ميت يُختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتّاني القبر» والله الموفق.

---

(١) ق: ومن.

(٢) انظر ٤: ٤٣.

(٣) ٣: ١٥٢٠ بألفاظ مقاربة.

(٤) انظر ٣: ٩.

فهرس المجلد الأول

اسم السورة	الرقم
الفاتحة	٢٧
البقرة	٤١
آل عمران	٤٢٧

النَّهرُ المادّ

مِنَ البَحْرِ المُحِيط

تصنيف

الإمام أبي حيّان الأندلسي

٦٥٤-٧٤٥هـ

تحقيق

الدكتور عمر الأسعد

المجلّد الثاني

النِّساء - الأعراف

دار الجيل

بيروت

سورة النساء

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

سورة النساء[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ الجمهور على أنها مدنية. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أحوال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب والمؤمنين أولي الألباب، ونبّه تعالى بقوله «أني لا أضيع عمل عامل منكم» [آل عمران: ١٩٥] على المجازاة، وأخبر أنَّ بعضَهم من بعضٍ في أصلِ التوالد - نبّه تعالى في أول هذه السورة على اتحادِ الأصلِ وتفرّع العالم الإنساني منه ليحثّ على التوافق والتوادّ والتعاطف وعدم الاختلاف، ولينبّه بذلك على أنَّ أصلَ الجنس الإنساني كان عابداً لله تعالى مُفْرِدَه بالتوحيدِ والتقوى، طائعاً له، فكذلك[2] ينبغي أن تكون فروعُه التي نشأت منه، فنادى تعالى نداءً عامًّا للناس وأمرهم بالتقوى التي هي ملاكُ [١٠٦/أ] الأمر، وجعل سبباً للتقوى تذكاره تعالى إياهم بأنه أوجدهم وأنشأهم من نفسٍ واحدة. ومَنْ كان قادراً على مثل هذا الإيجادِ الغريب الصنع وإعدام هذه الأشكال

---

(١) مدنية وآياتها مئة وست وسبعون.

(٢) ق: فلذلك.

والنفعِ والضرِّ[١] فهو جدير بأنْ يُتّقى[٢].

ونبّه بقوله ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ على ما هو مركوزٌ في الطبائع من ميلِ بعضِ الأجناس إلى بعضٍ وإلْفه له دون غيره ليتألّف [بذلك عباده على تقواه. والظاهر في «الناس» العموم لأن الألف واللام فيه] تفيده[٣]، وللأمر بالتقوى وللعلة إذ ليسا مخصوصين بل هما عامّان. «من نفس واحدة» المراد به آدم[٤] عليه السلام. وقرىء: واحدة، على تأنيث النفس، وواحد على التذكير. والنفس تذكر وتؤنث والغالب عليها التأنيث. ومعنى الخَلْق هنا الاختراع بطريق التفريع والرجوع إلى أصلٍ واحد كما قال الشاعر[٥]:

[من الوافر]

إلى عِرْقِ الثرى وشجتْ عروقي ... وهـذا المـوتُ يسلبنـي شبـابـي

وفي قوله «من نفس واحدة» إشارة إلى ترك المفاخرة والكِبْر لتعريفه إياهم بأنهم من أصلٍ واحد، ودلالة على المَعَاد لأنَّ القادر على إخراج أشخاص مختلفين من شخص واحد فقدرته على إحيائهم بطريق الأَولى.

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ الظاهر أنها منشأة من آدم نفسه. ويحتمل أن يكون المعنى في قوله «منها» من جنسهِ لا من نفسهِ حقيقةً بل اشتركا في الإنسانية.

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: من تلك النفس وزوجها، أي: نشر وفرق في الوجود. ويقال: أبثّ الله الخلق رباعياً وبثّ ثلاثياً.

---

(١) ق: والصرف.

(٢) ق: تبقى.

(٣) ق: تقييده.

(٤) «به آدم» كتبت في الحاشية.

(٥) هو امرؤ القيس والبيت في ديوانه ص٩٨.

﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ أي: كثيرة، وحذف الوصف لدلالة ما قبله عليه. وقرىء: وخالق وباثّ باسم الفاعل على إضمار وهو.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ كرر الأمر بالتقوى تأكيداً للأول، وقيل لاختلاف التعليل. وذكر أولاً الرَّب الذي يدل على الإحسان والتربية، وثانياً «الله» الذي يدل على القهر والهيبة، بنى أولاً على الترغيب وثانياً على الترهيب كقوله ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

وقرىء: تَسَّاءلون بتشديد السين، أصله تتساءلون فأدغم التاء في السين. وقرىء: تساءلون بتخفيف السين على حذف[1] التاء الثانية. قال ابن عطية: وذلك لأنهم حذفوا التاء الثانية تخفيفاً، وهذه تاء تتفاعلون تدغم في لغة وتحذف في أخرى[2] لاجتماع حروف متقاربة. قال أبو علي: فإذا اجتمعت المتقاربة خففت بالحذف والإدغام والإبدال، كما قالوا في [طسّ] طست، فأبدلوا من السين الواحدة تاء إذ الأصل طس قال[3]: [من الرجز]

حنّ إليها كحنين الطسّ

انتهى. أما قول ابن عطية: حذفوا التاء الثانية، فهذا مذهب أهل البصرة، وذهب هشام بن معاوية الضرير إلى أنَّ المحذوفةَ هي الأولى وهي تاءُ

(١) كتبت في الحاشية.

(٢) ق: الآخر.

(٣) الرجز لأعرابي في اللسان (طسس) وقبله:

لو عرضتْ لأيليٍّ قَسّ

أشعث في هيكله مندسّ

وهو في البحر ٣: ١٥٦ منسوب للعجاج.

المضارعة وهي مسألة خلاف ذكرت دلائلها في علم النحو.

وأما قوله: وهذه تاء تتفاعلون تدغم في لغة وتحذف في أخرى، كان ينبغي أنْ يُنبّه على الإثبات، إذ يجوز الإثبات وهو الأصل، والإدغام وهو قريب من الأصل إذ لم يذهب الحرف إلا بأن أبدل منه مماثل ما بعده وأدغم، والحذف لاجتماع المِثْلين.

وظاهر كلامه اختصاص الإدغام والحذف بتتفاعلون، وليس كذلك[1]. أما الإدغام فلا يختص به بل ذلك في الأمر والمضارع والماضي واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر، وأما الحذف فمختصّ بما دخلت عليه التاء من المضارع.

وقوله: لاجتماع حروف متقاربة، ظاهره تعليل الحذف فقط لقربه أو تعليل الحذفِ والإدغام. وليس كذلك، أما إن كان تعليلاً للحذف فليس كذلك بل الحذف علّته اجتماع متماثلة لا متقاربة. وأما إن [١٠٦/ب] كان تعليلا لهما[2] فيصح في الإدغام [لا] الحذف كما ذكرنا. وأما قول أبي علي إذا اجتمعت المتقاربة[3] خففت بكذا، فلا يعني أن ذلك حكم لازم إنما معناه أنه قد يكون التخفيف فكم وجد من اجتماع متقاربة لم تخفف لا بحذف ولا إدغام ولا بدل.

وأما تمثيله بطست في طس فليس البدل هنا لاجتماع متقاربة من الكلمة، بل هذا من اجتماع المِثْلين كقولهم في لصّ: لصت. وقرىء: تسألون

---

(١) عبارة ق: والحذف بتتفاعلون وليس بتتفاعلون وليس كذلك.

(٢) عبارة ق: كان تعليلاً للحذف فليس كذلك لهما.

(٣) ق: المقاربة.

مضارع سأل، وتَسَلون بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى السين.

وقرىء: والأرحامَ نصباً على الجلالة على حذف مضاف تقديره: وقطع الأرحام، ويجوز أن يكون معطوفاً على موضع «به» لأنه في موضع نصب. وقرىء: والأرحامِ عطفاً على الضمير في «به» ويبيّنه قراءة من قرأ: وبالأرحام[1]، كذا اختيارنا وإن كان مخالفاً لأهل البصرة في أنهم لا يعطفون على الضمير المخفوض إلا بإعادة الخافض، وقد استدللنا على صحة ما اخترناه عند الكلام على قوله ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

ومَنْ ذهب إلى أنَّ الجر هو بواو القسم فبعيد عن الفصاحة قال ابن عطية: الضمير المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف. ويَرِدُ عندي هذه القراءة - يعني قراءة حمزة: والأرحامِ بالجر - وجهان أحدَهما أن ذِكْرَ الأرحام مما يتساءل به لا معنى له في الحض على تقوى الله تعالى، ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يُتساءل بها، وهذا تفريق في معنى الكلام وغض من فصاحته، وإنما الفصاحةُ في أنْ يكون في ذكر الأرحام فائدة مستقلّة. والوجه الثاني أن في ذكرها على ذلك تقريراً للتّساؤل[2] بها والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يردُّ ذلك في قوله عليه السلام: «من كان حالفاً فَلْيحلفْ بالله أو ليصمتْ» انتهى كلامه.

وما ذهب إليه البصريون واتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجارّ[3]، ومن اعتلالهم لذلك غير صحيح،

(١) ق: بالأرحام.

(٢) ق: تقدير التساؤل.

(٣) ق: الجرّ.

بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك وأنه يجوز، وقد أطلنا الاحتجاجَ على ذلك عند قوله ﴿وَكُفْرُۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة] وذكرنا[1] ثبوت ذلك في لسان العرب نثرها ونظمها فأغنى ذلك عن إعادته هنا.

وأما قول ابن عطية: ويردُّ عندي هذه القراءة من المعنى وجهان إلخ، فجاسرةٌ قبيحةٌ منه لا تليقُ بحاله ولا بطهارةِ لسانه، إذ عمد إلى قراءةٍ متواترةٍ عن رسولِ الله ﷺ قرأ بها سَلَفُ الأمةِ واتصلت بأكابرِ الصحابةِ الذين تلقّوا القرآن مِن في رسولِ الله ﷺ بغير واسطة: عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت، وأقرأ الصحابة أبيّ بن كعب رضي الله عنهم، عَمَدَ إلى ردِّها بشيء خطر له في ذهنه. وجَسَارتُه هذه لا تليقُ إلا بالمعتزلةِ كالزمخشريِّ وغيره فإنه كثيراً ما يطعنُ في نقل القراء وقراءاتهم[2].

وحمزةُ رضي الله عنه أخذَ القرآنَ عن سليمان بن مهران الأعمش وحمران بن أعين ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن محمد الصادق، ولم يقرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثرٍ. وكان حمزةُ صالحاً ورعاً ثقة في الحديث، وهو من الطبقة الثالثة ولد سنة ثمانين فأحكم القراءة وله خمس عشرة سنة وأمّ الناس سنة مئة، وعرض عليه القرآنَ من نظرائه جماعةٌ منهم سفيان الثوري والحسن بن صالح، ومن تلاميذه إمام الكوفة في [١٠٧/أ] القراءة والعربية أبو الحسن الكسائي، وقال الثوري وأبو حنيفة ويحيى بن آدم: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض.

وإنما ذكرتُ هذا وأطلتُ فيه لئلا يطّلع غَمْرٌ على كلامِ الزمخشريِّ وابن

(١) ق: وذكر.

(٢) ق: وقراءتهم.

عطية في هذه القراءة فيسيء ظنًّا بها وبقارئها فيقارب أن يقع في الكفر بالطعن في ذلك. ولسنا مُتعبّدينَ بقولِ نُحاةِ البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حُكْمٍ ثبتَ بنقلِ الكوفيينَ من كلامِ العربِ لم ينقله البصريون[١]، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون، وإنما يعرفُ ذلك مَنْ له استبحارٌ في علم العربية لا أصحاب الكنانيش[٢] المشتغلون بضروب من مبادىء العلوم، الآخذون عن الصحف دون الشيوخ. وقرىء: والأرحامُ على أنه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه كأنه قيل: والأرحام أي: وقطعُها مما يُتّقى.

﴿عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ الرقيب فعيل للمبالغة من رَقَبَ يَرْقُبُ رَقْباً وَرُقوباً ورقباناً: أَحَدَّ النظرَ إلى أمرٍ ليتحقّقه على ما هو عليه ويقرن به الحفظ، ومنه قيل للذي يرقب خروج السهم رقيب. والمعنى أنه عزّ وجلّ مُرَاعٍ لكم لا يَخْفَى عليه من أمركم شيء.

﴿وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾.

﴿وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ قيل: نزلت في رجل من غطفان كان عنده مال كثير

(١) ق: الكوفيون.

(٢) جمع كناشة وهي الدفتر تقيد به الفوائد.

لابن أخٍ له يتيم، فلما بلغ طلب المال فَمَنَعه. واليتيم اسم لمن كان قبل البلوغ ويشترك في جمعه الذكور والإناث. والظاهر أن قوله «وآتوا» هو أمر لمن له ولاية على اليتامى، والمعنى والله أعلم أنهم إذا كانوا غير رشداء كان معنى الإيتاء إيصال ما يكفيهم من أموالهم، فمن بلغ منهم رشيداً كان إيتاؤه ماله واجباً.

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيمِ بالشاةِ الهزيلة من ماله، والدرهم الطيب بالدرهم الزّيف من ماله فنهُوا عنه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ هذا من باب التضمين، ضمّن «تأكلوا» معنى تضمّوا بالأكل، فلذلك عَدَّاه بإلى. ودلّ قوله «إلى أموالكم» أنَّ المخاطبين أغنياء ذوو أموال. وقد جاء ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۝٦﴾ [النساء]. والضمير في «إنه» عائد على فعل المنهيّ عنه من التبديل والأكل.

﴿كَانَ حُوبًا﴾ الحوب الإثم، يقال منه: حاب يحوب حُوباً وحَوباً [وحاباً][1] وحؤوباً وحيابة.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية، في صحيح مسلم[2] عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمالُ وليّاتِهم فيريدونَ أنْ يبخسوهنّ[3] في المهر لمكانِ ولايتهم عليهن، فقيل لهم: أقسطوا في مهورهنَّ فمن خاف أن لا يقسط فليتزوج ما طابَ له من الأجنبيات اللاتي يماكس في حقوقهن. ولمّا أُمروا بأنْ يؤتوا اليتامى أموالهم ونُهوا عن

---

(١) انظر لسان العرب «حوب».

(٢) لم أجده فيه، وانظر القرطبي ٥: ١١.

(٣) ق: جمال أوليائهم.. يبخسوهم.

ولا يسوغ دخول «أو» هنا مكان الواو لأنه كان يصير المعنى أنهم لا ينكحون كلّهم إلا على أحد أنواع العدد المذكور وليس لهم أن يجعلوا بعضه على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع لأن «أو» لأحد الشيئين أو الأشياء والواو تدل على مطلق الجمع [فليأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها على طريق الجمع] إن شاؤوا مختلفين في تلك الأعداد وإن شاؤوا متفقين فيها محظوراً عليهم ما زاد. وقرىء: ثُنَى مقصوراً، وثُلَث ورُبَع على وزن فُعَل ممنوع الصرف.

قال الزمخشري[1]: إنما منعت الصرف لما فيها من العدلين: عدلها من صيغتها وعدلها عن تكررها وهي نكرات تعرَّفن بلام التعريف، يقال: فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع انتهى.

وما ذهب إليه من امتناعها الصرف لما فيها من العدلين عدلها من صيغتها وعدلها عن تكررها، لا أعلم أحداً ذهب إلى ذلك بل المذاهب المنقولة في عِلَّةِ منعِ الصرف أربعة، أحدها: قول سيبويه والخليل وأبي عمرو وهو العدل والوصف، والثاني: قول الفرّاء إنها منعت للعدل والتعريف بنيّة الألف واللام فهي ممتنعة الإضافة لنيّة الألف واللام، ومنع ظهور الألف واللام كونها في نيّة الإضافة. الثالث: ما نقل عن الزجّاج أنها معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة، وأنه عدل عن التأنيث. الرابع: ما نقله أبو الحسن عن بعض النحويين أن العلة المانعة من الصرف هي[2] تكرر العدل فيه لأنه عدل عن لفظ اثنين وعدل عن معناه، وذلك أنه لا يستعمل في موضع تستعمل فيه

(١) الكشاف ١: ٤٩٦.

(٢) ق: وهي.

الاستبدال[١] المذكور وعن أكلِ أموال اليتامى - كان في ذلك مزيد اعتناء باليتامى واحتراز[٢] من ظلمهن، فَخُوطِبَ أولياءُ يتامى النساء أو الناس بقوله «وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى». والخوفُ هنا على بابِه[٣] وهو الحَذَر.

ومعنى ﴿فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ في نكاح اليتامى، وظاهره العموم كُنَّ بُلَّغاً أو غير بُلَّغ، فإنْ كان أُريدَ به اليتيم الشرعي فينطلق على الصغيرات اللاتي لم يبلغن، وقد منع من نكاحهنّ ابن شبرمة والأصم. وإذا كان المراد به اليتم[٤] اللغوي فيندرج فيه البالغات، والبالغة يجوز تزويجها بدون مهر المِثْل إذا رضيت، فأي معنى للعدول إلى نكاح غيرها؟. والجواب أن العدول إنما كان لأنَّ الوليَّ يستضعفها ويستولي على مالها وهي لا تقدر على مقاومته.

﴿فَٱنكِحُواْ﴾ أمرُ إباحةٍ، و﴿مَا طَابَ﴾ ما هنا [واقعة على النوع أي: النوع الذي طابَ لكم، ومن قال إن «ما»] تقع على آحاد من يعقل جَوّز ذلك هنا، وكانت «ما» هنا مثل مَن.

ولما كان قوله «ما طاب لكم من النساء» عاماً في الأعداد كلها خصّ ذلك بقوله «مثنى وثلاث [١٠٧/ب] ورباع» فظاهر هذا التخصيص تقسيم المنكوحات إلى أنَّ لنا أنْ نتزوجَ اثنتين اثنتين[٥] وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً، ولا يجوز لنا أن نتزوج خمساً خمساً ولا ما بعد ذلك من الأعداد.

---

(١) ق: الاستبذال.

(٢) ق: لأن في ذلك.. واحترز.

(٣) ق: باب.

(٤) ق: اليتيم.

(٥) ق: اثنين اثنين.

لأعداد غيرالمعدولة[١]، تقول: جاءني اثنان وثلاثة، ولا يجوز: جاءني مثنى وثلاث[٢] حتى يقدّم قبله جمع، لأن هذا الباب جعل بياناً لترتيب الفعل، فإذا قال: جاءني القوم مثنى، أفاد أن ترتيب مجيئهم وقع اثنين اثنين، فأما الأعداد غير المعدولة فإنما الغرض منها الإخبار عن مقدار المعدود دون غيره، فقد بان بما ذكرنا اختلافهما في المعنى فلذلك جاز أن تقوم العلة مقام العلّتين لإيجابهما حكمين مختلفين انتهىٰ ما قرّر به هذا المذهب. والزمخشري لم يسلك شيئاً من هذه العلل المنقولة، فإن كان تقدّمه سلف ممن[٣] قال ذلك فيكون قد تبعه وإلا فيكون مما انفرد بمقالته.

وأما قوله: تعرّفن بلام التعريف، يقال فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع - فهو معترض من وجهين أحدهما: زَعْمُه أنها تعرّف بلام التعريف وهذا لم يذهب إليه أحد بل لم تستعمل في لسان العرب إلا نكرات. والثاني: أنه قد مثّل بها وقد وَلِيَتِ العوامل بقوله فلان[٤] ينكح المثنى والثلاث والرباع، ولا تلي العوامل إنما يتقدمها ما يلي العوامل ولا تقع إلا خبراً كما جاء[٥] «صلاةُ الليل مَثْنى مثنى»، أو حالاً نحو «ما طاب لكم من النساء مثنى» أو صفةً نحو ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ١﴾ [فاطر] وقوله[٦]: [من الطويل]

---

(١) ق: المعمولة.

(٢) بعدها في ق: ورباع، وشطبت.

(٣) ق: مما.

(٤) ق: فلا.

(٥) صحيح الجامع الصغير ٣: ٢٥٧.

(٦) ق: وبات يبغّي. وصدره:

ولكنّما أهلي بوادٍ أنيسُه

والبيت لساعدة بن جؤيّة في ديوان الهذليين ١: ٢٣٧، وهو من شواهد الكتاب =

ذئابٌ تبَغّى النّاسَ مَثْنى ومَوْحَدُ

وقد تجيء مضافة قليلاً نحو قوله[1]: [من الطويل]

بمثنى الزِّقاق المُتْرَعات وبالجُزُرْ

وقد ذكر بعضهم أنها تلي العامل على قلّة وقد يستدلّ له بقول الشاعر[2]:

ضربتُ خُماسَ ضربةَ عبشميٍّ أدار سُـداسَ أن لا يستقيمـا

ومن أحكام هذا المعدول أنه لا يؤنث فلا يقال مثناة ولا ثُلاثة ولا رُباعة بل يجري بغير تاء على [١٠٨/أ] المذكر والمؤنث.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ في نكاح اثنتين أو ثلاث أو أربع فانكحوا واحدة.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ عام غير مقيد بعدد والمعنى: أو طَؤُوا ما مَلكتْ أيمانُكم.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي: أقرب أنْ لا تكثر عيالكم. ونقل ابن الأعرابي أنه يقال: عال الرجل وأعال الرجل: كثر عياله، فلا التفاتَ لمن ردَّ على الشافعيِّ رضي الله عنه قوله «أن تعولوا» معناه تُعيلوا أي: تكثر عيالكم.

﴿صَدُقَاتِهِنَّ﴾ الصدقة المهر على وزن سَمُرة وقد تسكن الدال ويقال صُدْقة على وزن غرفة، وقد تضم الدال. والنُّحْلَةُ العَطِيَّةُ عن طِيبِ نَفْسٍ، والنحلة:

= ٣: ٢٢٦.

(١) عجز بيت لامرىء القيس في ديوانه ص١١٣، وصدره:

يفاكهنا سُعْدٌ ويغدوْ لِجَمْعِنا

(٢) البيت في همع الهوامع غير منسوب ١: ٢٦.

الشرعة. «وآتوا» أمر للأزواج بإعطائهم مهور نسائهم عن طيب قلب. والضمير في «منه» عائد على المهر المفهوم من قوله «صدقاتهن» وانتصب «نفساً» على التمييز وهو مفرد أريد به الجمع، ويجوز جمعه في غير القرآن، تقول: الهندات طِبْنَ نفساً وطِبْنَ أنفساً.

﴿فَكُلُوهُ﴾ أي: استمتعوا به بأكلٍ وغيره.

﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ يقال: هَنُؤَ الطعامُ ومَرُؤَ إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه، ويقال: هنا يهنا بغير همز، وهنأني الطعام ومرأني، فإذا لم تذكر هنأني قلت: أمرأني رباعيا، واستعمل مع هنأني ثلاثياً للإتباع. وانتصاب «هنيئاً» على أنه نعت لمصدر محذوف أي فكلوه هنيئاً، أو على أنه حال من ضمير المفعول هكذا أعربه الزمخشري[١] وغيره، وهو قول مخالف لأئمة العربية لأنه عند سيبويه وغيره منصوب بإضمارِ فعلٍ لا يجوز إظهاره. وقد ذكرنا في «البحر»[٢] في المفردات نصّ سيبويه على ذلك، فعلى ما قاله أئمةُ العربية يكون «هنيئاً مريئاً» من جملة أخرى غير قوله «فكلوه» ولا تعلّق له به من حيث الإعراب بل من حيث المعنى، وقال كثير عزّة[٣]:

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامر لِعَزَّةَ مِنْ أعراضنا ما اسْتَحَلَّتِ

وقد أَفَضْنا الكلام في هذه المسألة في «البحر» فيُوقَفُ عليه هناك[٤].

---

(١) انظر الكشاف ١ : ٤٩٩.

(٢) البحر ٣: ١٥٢. وقوله «في المفردات» ينسجم مع خطة المؤلف في البحر إذ يورد مجموعة من الآيات ثم يفسّر مفرداتها ثم يأتي على شرحها وتفسيرها.

(٣) ديوانه ص١٠٠.

(٤) انظر ٣: ١٦٧ وما بعدها.

وانتصب «مريئاً» على أنه صفة لقوله «هنيئاً» وبه قال الحوفي، أو على أنه منصوب بما انتصب [به] «هنيئاً» فالتقدير: ثبت مريئاً قاله الفارسي.

﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ ﴾ عام في الذكور والإناث. والسَّفَهُ تبذيرُ المال فيما لا ينبغي. وأضاف الأموالَ إلى المخاطبينَ الناظرين في أموال السفهاء تغبيطاً للأموال لما كانوا يتصرفون فيها للسفهاء، والإضافةُ تكونُ بأدنى ملابسة. وقرىء: اللاتي جمعاً. وقرأ الجمهور: التي بالإفراد وإن كان نعتاً لجمع. و«جعل» صلة حذف منها الضمير تقديره: جعلها.

ومعنى ﴿ قِيَٰمًا ﴾ تقومون بها وتنتعشون[1] بها ولو ضيَّعتموها لتلِفَتْ أحوالكم. ويُقَامُ بها الحَجُّ والجهادُ وأعمال البر وفكاك الرقاب من الرق ومن الأسر ومن النار.

وقال ﴿ فِيهَا ﴾ ولم يقل: منها، تنبيهاً[2] على ما قاله عليه السلام: «ابتغوا في أموالِ اليتامى التجارةَ لا تأكلها الزكاةُ»[3] فعلى هذا يكون الرزقُ والكسوةُ من الأرباحِ التي تحصل من أصل الأموال. وقد يكون معنى الآية أمر ذوي الأموال أنْ لا يؤتوا أموالهم السفهاء فيبقون فقراء بتبذيرِ السفهاءِ الأموالَ كمن يُعطي زوجته وولده السَّفيهين مالَهُ فأمر أنْ لا يفعل ذلك وأنْ يمسكَ ماله ويرزقهما ويكسوهما فيها أي في أمواله نفسه، وتكون «في» بمعنى [مِن] فتكون إضافة الأموال إليهم حقيقةً لا مجازاً.

﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ

---

(١) ق: وتنعشون.

(٢) ق: تنبهاً.

(٣) ضعيف. انظر الجامع الصغير ١: ٦٤.

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾.

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ الآية، قيل: توفي أوس بن ثابت عن زوجته [أمّ] كجة وثلاث بنات وابنَيْ عمٍّ سويد وعرفجة، فأخذا ماله، ولم يعطيا المرأةَ ولا البنات شيئاً، وقيل: المانع إرثهن هو ابن عمّ بنيها ثعلبة. وكانوا في الجاهلية لا يُوَرِّثون النساءَ ولا البنات ولا الابنَ الذَّكَرَ [١٠٨/ب] الصغيرَ. فشكتهما أمُّ كجّة إلى رسولِ الله ﷺ فدعاهما فقالا: يا رسولَ الله ولدها لا يركبُ فرساً ولا يحملُ كَلّاً ولا ينكي[1] عدواً. فقال: انصرفوا حتى أنظرَ ماذا يحدث الله تعالى فنزلت.

وابتلاءُ اليتامى اختبارُهم في عقولهم ودينهم وحفظ أموالهم وحُسْنِ تصرّفهم. وكيفيةُ ابتلاء الصغير أنه يُدفَعُ إليه نَزْرٌ من المال يتصرفُ فيه والوصيّ يراعي حاله فيه لئلا يتلفه. واختبارُ الصغيرةِ أنْ يردَّ إليها أمرُ البيتِ والنظر في الاستغزال دفعاً وأجرة واستيفاءً، واختبار كل منهما بحال ما يليقُ به وبما يُعانيه من الأشغالِ والصنائع. ولم تتعرض الآيةُ لسنِّ البلوغ، وقد غَيّا الابتلاء بوقتِ البلوغ[2].

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أي: بعد البلوغ، ودلَّ ذلك على أنه لا يُعطى ماله إلا بشيئين: بلوغه وإيناس رشده، فلو بلغ غير رشيد دام عليه الحَجْر، أو أُوْنِسَ منه رُشْدٌ قبل البلوغ فكذلك[3]. هذا الظاهر وهو عام في جميع اليتامى، ولو

(١) نكى العدو ينكيه نكاية: قهره.

(٢) أي ربطه به.

(٣) ق: أو آنس. . فلذلك.

عاشوا سنين بعد البلوغ من غير رشدٍ فالحجر عليهم. وانتصب «إسرافاً وبداراً» على أنهما مصدران، أو على أنهما في موضعِ الحالِ أي: مسرفين ومبادرين[1]. و«أن يكبروا» معمول لقوله «وبداراً». وجاء «ولا تأكلوها»[2] ولا يُراد خصوصيةُ الأكلِ بل عبّر بذلك عن أخذِ مالِ اليتامى إذ الأكلُ أعظم منافع الأخذ.

«ومن كان غنياً» الجملتين[3]، الظاهر يدل على أنه تقسيمٌ لحالِ الوصيِّ على اليتيم فأمره تعالى بالاستعفافِ عن ماله إنْ كان غنيًّا واقتناعه بما رزقه الله تعالى من الغنى، وأباح له الأكلَ بالمعروفِ من مال اليتيم إنْ كان فقيراً بحيث يأخذ قوتاً محتاطاً في تقديره. وظاهرُ هذه الإباحةِ أنه لا تبعةَ عليه ولا يترتب في ذمته ما أخذ ممّا يسدُّ جوعته ويستر عورته بما لا يكونُ رفيعاً[4] من الثيابِ ولا يقضي إذا أيسر.

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أمر تعالى بالإشهادِ لحسم مادة النزاعِ وسوء الظن بهم والسلامة من الضمان والغرم على تقدير إنكار اليتيم، وطيّب خاطره[5] بفكِّ الحَجْرِ عنه وانتظامه في سلك مَنْ يعامِل ويعامَل. وإذا لم يُشهد فادّعى عليه صُدِّقَ مع اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه، وعند مالك والشافعي لا يُصدّق إلا بالبيّنة فكان في الإشهاد الاحتراز عن توجّه الحلف المفضي إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم تقم البيّنة، وظاهرُ الأمر أنه واجبٌ.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ بالله فاعل كفى، والباء زائدة أي وكفى الله [حسيبا].

---

(١) ق: ومبدرين.

(٢) ق: لتأكلوها.

(٣) ق: الجملتان.

(٤) ق: بما يأكلون رفيعاً.

(٥) ق: خاطر اليتيم.

و﴿حَسِيبًا﴾ تمييز، فقيل مبالغة من حاسب، وقيل معناه محاسب كجليس بمعنى مجالس.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآية، كان اليونان يعطون جميعَ [المالِ] للبنات لأنَّ الرجلَ لا يعجزُ عن الكسبِ والمرأة تعجز، وكانت العربُ لا يعطون البنات فردّ على الفريقين. والمعنيُّ بالرجالِ الذكورِ وبالنساء الإناث لقوله ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾﴾ [النساء]. وأبهمَ في قوله «نصيب» [وكذا] أبهم في الأقربين لم يعيّن مَنْ هم. قال الزمخشري[1]: و«نصيباً مفروضاً» نصب على اختصاص بمعنى أعني نصيباً مفروضاً مقطوعاً واجباً انتهى. إنْ عنى بالاختصاص ما اصطلح عليه النحويون فهو مردودٌ بكونه نكرة، والمنصوب على الاختصاص نَصُّوا على أنه لا يكون نكرة.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ أي: قسمةَ الميراثِ ﴿أُولُوا الْقُرْبَى﴾ ممن لا يرث ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أي: من المالِ المقسوم.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ ظاهر هذه الجملة أنه أَمْرٌ بخشيةِ الله واتّقائه. والقول السديد مَنْ ينظر في حال [١٠٩/أ] ذرية ضعاف لتنبيهه على ذلك بكونه هو

(١) الكشاف ١: ٥٠٣.

يتركُ ذريةً ضِعافاً، فيدخل في ذلك وُلاةُ الأيتام قاله ابن عباس.

[﴿ إِنَّ] ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ الآية، قيل: نزلت في الأوصياء الذين يأكلون من أموال اليتامى ما لم يُبح لهم، وهي تتناولُ كُلَّ أكلٍ بظلم وإنْ لم يكن وصياً. وانتصاب «ظلماً» على أنه مصدر في موضع الحال، أو مفعول من أجله. وخبر إنَّ هي الجملة من قوله «إنما يأكلون». وفي ذلك دليلٌ على جوازِ وقوع الجملة المصدَّرة بإنَّ خبراً لإنَّ، وفي ذلك خلاف. وحسّن [ذلك هنا] تباعدهما بكون اسم إنَّ موصولاً فطال الكلام بذكر صلته.

و﴿ فِى بُطُونِهِمْ ﴾ معناه ملء بطونهم وهو متعلقٌ بـ«يأكلون». وقال أبو البقاء[1]: في موضع الحال من قوله «ناراً» انتهى. والأوْلى تعلّقه بـ«يأكلون» كما قلنا. ونبّه بقوله «في بطونهم» على نَقْصِهم ووصفهم بالشَّرهِ في الأكلِ والتهافتِ في نيل الحرام بسبب البطن. وظاهر قوله «ناراً» أنهم يأكلون ناراً حقيقة. وفي حديث أبي سعيد عن ليلةِ الإسراء قال رسول الله ﷺ[2] «رأيتُ قوماً لهم مشافرُ كمشافرِ الإبلِ، وقد وكّل بهم مَنْ يأخذ بمشافرِهم ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار يخرج من أسافِلهم. فقلتُ: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟ قال: هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً». وقرىء: وسيصلون بفتح الياء وبضمّها.

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ

(١) إملاء ما منّ به الرحمن ١: ١٦٨.

(٢) الترغيب والترهيب ٦: ١٥٢ بألفاظ مقاربة. وهو جزء من حديث الإسراء رواية أبي سعيد الخدري أورده ابن كثير ٤: ٢٥٦.

﴿الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ الآية، لما أبهم في قوله ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴿٧﴾﴾ [النساء][1] في المقدر والأقربين، بيَّنَ في هذه الآية المقاديرَ ومَنْ يرث من الأقربين، وبدأ بالأولادِ[2] وإرثهم من والديهم كما بدأ في قوله «للرجال نصيب مما ترك الوالدان» بهم. وفي قوله «في أولادكم» إجمالٌ أيضاً بيَّنَهُ بَعْدُ. وبدأ بقوله «للذَّكَرِ» وتبيين ما له، دلالة على فضله [وكان تقديم الذكر أدلّ على فضله] من ذكر بيانِ نقص الأنثى عنه، ولأنهم كانوا يورثون الذكورَ دون الإناث فكفاهم أنْ ضُوعفَ لهم نصيب الإناث فلا يُحرمن إذْ هنّ يدلين بمثل ما يدلون من الولديّة. وقد اختلف القول في سبب النزول، ومضمن أكثر تلك الأقوال أنهم كانوا لا يورثون البنات كما تَقَدَّمَ فنزلت تَبْييناً لذلك ولغيره.

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ ظاهر هذا التقسيم أنّ ما زاد على الثنتين من الأولاد يرثن الثلثين مما ترك مورثها، وظاهرُ السياق انحصار الوارث فيهن. ولما كان لفظُ الأولاد يشملُ الذكورَ والإناث وقصد بيان حكم الإناث، أخلص الضمير للتأنيث إذ الإناث أحد قسمي ما ينطلق عليه الأولاد فعاد الضمير على أحد القسمين. والضمير في «كنّ» ضمير الإناث كما قلنا، أي: فإن كان الوارثات نساء، وحسّن[3] كونه خبراً الوصف بقوله «فوق اثنتين».

(١) بعده في ق: في المقدار والأقربون.

(٢) ق: بأولادكم.

(٣) ق: حسن.

وأجاز الزمخشري[١] أن يكون «نساءً» خبراً[٢] و«فوق» خبراً ثانياً لكان. وليس بشيء لأن الخبر لا بد أن تستقل به فائدة الإسناد، ولو سكت على قوله «فإن[٣] كنّ نساءً» لكان نظير: إنْ كان الزيدون رجالاً، وهذا ليس بكلام. وقال بعض البصريين: التقدير: وإن كان المتروكات نساءً فوق اثنتين، وقدّره الزمخشري: البنات أو المولودات.

وقال الزمخشري[٤]: فإن قلت: هل [يصحّ] أن يكون الضميران في «كنّ» و«كانت» مبهمين ويكون «نساء» و«واحدة» تفسيراً[٥] لهما على أنّ كان تامّة؟ قلت: لا أبعد ذلك انتهى. ويعني بالإبهام أنهما لا يعودان على مفسّر متقدم بل يكون مفسّرهما هو المنصوب بعدهما. وهذا الذي لم يبعده الزمخشري هو بعيد أو ممنوع ألبتّة، لأن «كان» ليست من الأفعال التي يكون فاعلها مضمراً يفسّره ما بعده، بل هذا مختص من الأفعال بنعم وبِئْسَ [١٠٩/ب] وما حمل عليهما وفي باب التنازع [على] ما قرر في النحو. ومعنى «فوق اثنتين» أكثر من اثنتين بالغات ما بلغنَ من العددِ فليس [لهن] إلا الثلثان.

ومَنْ زعم أن معنى قوله «نساء فوق اثنتين» [اثنتان] فما فوقهما وأن قوة الكلام تقتضي ذلك كابن عطية، أو أنّ «فوق» زائدة. مُسْتَدِلاً بأن «فوق» قد زِيدت في قوله ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [الأنفال] فلا نحتاجُ في[٦] ردِّ ما

(١) انظر الكشاف ١: ٥٠٦.

(٢) ق: خبر.

(٣) ق: وإن.

(٤) الكشاف ١: ٥٠٦.

(٥) ق: تفسير.

(٦) ق: إلى.

زعمَ إلى حجةٍ لوضوحِ فساده. وذكروا أن سهم الثنتين في الميراث الثلثان كالبنات، قالوا: ولم يخالف في ذلك إلا ابن عباس فإنه يرى لهما النصف إذا انفردا كحالهما إذا اجتمعا مع الذكر. وورد في الحديث في قصة أوس بن ثابت أن رسول الله ﷺ أعطى البنتين الثلثين.

﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ أي: وإن كانت الوارثة واحدة. قرىء بضم التاء على أنّ كان تامة، وبنصبها على الخبر. وقرىء: النصف بضم النون وكسرها.

﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ [مِمَّا تَرَكَ] إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ لما ذكر الفروع ومقدار ما يرثون، أخذ في ذكر الأصول ومقدار ما يرثون فذكر أن الميّتَ يرثُ منه أبواهُ كل واحدٍ السدس إنْ كان للميتِ ولدٌ. وأبواه هما أبوه وأمه، وغلّب لفظ الأب في التثنية كما قيل القمران فغلّب القمر لتذكيره على الشمس وهي تثنية لا تنقاس. وشمل قوله «إن كان له ولد»[1] الذكر والأنثى والواحد والجماعة. وظاهر الآية أنّ فرض الأب السدس إذا كان للميت ولد أيّ ولدٍ كان، وباقي المال للولد ذكراً كان أو أنثى. والحكم عند الجمهور أنه لو كان الولد ابنة أخذ السدس فرضاً والباقي تعصيباً. وتعلّقت الروافضُ بظاهر لفظ «ولد» فقالوا: السدس لكل واحد من أبويه والباقي للبنت أو الابن إذِ الولد يقع على الذكر والأنثى.

والضمير في «لأبويه» عائدٌ على ما عاد عليه الضميرُ في «ترك» وهو ضمير الميت الدالّ عليه معنى الكلام وسياقه. و«لكل واحد منهما» بدل من «أبويه»

---

(١) ق: وله ولد.

ويفيد معنى التفصيل وتبيين[١] أنَّ السدس لكل واحد منهما، إذْ لولا هذا البدل لكان الظاهر اشتراكهما في السدس وهو أبلغ وآكد من قولك: لكل واحد من أبويه السّدس إذ تكرر ذكرهما مرتين بالإظهار ومرة بالضمير العائد عليهما.

قال الزمخشري[٢]: و«السدس» مبتدأ وخبره «لأبويه» والبدل متوسط بينهما انتهى. وفي قوله: و«السدس» مبتدأ وخبره «لأبويه» نظر، لأن البدل هو الذي يكون الخبر له دون المبدل منه كما مثّلناه في قولك: أبواك كل [واحد] منهما يصنع كذا، إذا أعربنا كُلًّا بدلاً وكما تقول: إن زيداً عينه حسنة. فكذلك ينبغي أن يكون إذا وقع البدل خبراً فلا يكون المبدل منه هو الخبر. واستغني عن جعل المبدل منه خبراً بالبدل كما استغني عن الإخبار عن اسم إنّ وهو المبدل منه بالإخبار عن البدل.

ولو كان التركيب: ولأبويه[٣] السدسان لأوهم التنصيف أو الترجيح في المقدار بين[٤] الأبوين، فكان هذا التركيب القرآني في غاية النصّية والفصاحة.

وظاهر قوله «لأبويه» أنهما اللذان ولدا الميتَ قريباً لا جَدَّاه[٥] ولا من علا من الأجداد.

وزعموا أن قوله «في أولادكم» يتناول من سفل من الأبناء قالوا: لأن الأبوين لفظ مثنى لا يحتمل العموم ولا الجمع، بخلاف قوله «في أولادكم».

---

(١) ويتبيّن.
(٢) الكشاف ١: ٥٠٧.
(٣) ق: ولا به.
(٤) ق: من.
(٥) ق: ولد الميت.. لأجداده.

وفيما قالوه نظر وهما عندي سواء في الدلالة إنْ نظر إلى حمل اللفظ على حقيقته فلا يتناول إلا الأبناءَ الذين ولدهم الأبوان قريباً لا من سفل، كالأبوين لا يتناول إلا من ولداه قريباً لا من علا - أو إلى حمل اللفظ على مجازه فيشترك اللفظان في ذلك فينطلق الأبوان على مَنْ ولداه قريباً ومَنْ علا، كما ينطلقُ الأولاد على مَنْ ولداهم ومن سفل. ويبيّن حمله على الحقيقة في الموضعين أنَّ ابن الابن لا يرث مع الابن وأن الجدة [١١٠/أ] لا يفرض لها الثلث بإجماع، فلم يتنزّل ابن الابن منزلة الابن مع وجوده، ولا الجدة منزلة الأم.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾. قوله: «فإن لم يكن له ولد» قسيمٌ لقوله «إن كان له ولد». «وورثه أبواه» دليلٌ على أنهما انفردا بميراثه ليس معهما أحدٌ من أهلِ السهام لا ولد ولا غيره، فيكون قوله «وورثه أبواه» حكماً لهما بجميع المال، فإذا خلص[1] للأم الثلث كان الباقي وهو[2] الثلثان للأب، فذِكْر القسم الواحد يدل على الآخر كما تقول: هذا المال لزيد وعمرو: لزيد منه الثلث، فيعلم قطعاً أن باقيه وهو الثلثان لعمرو. فلو كان معهما زوج كان للأم السدس وهو الثلث بالإضافة إلى الأب.

وقال ابن عباس وشريح: للأم الثلث من جميع المال مع الزوج، والنصف للزوج وما بقي للأب، فيكون معنى «وورثه أبواه» منفردين أو مع غير ولد. وهذا مخالف لظاهر قوله «وورثه أبواه» إذ يدل على أنهما انفردا بالإرث فيتقاسمان للذكر مثل حظ الأنثيين. ولا شك أنَّ الأبَ أقوى من الأم في الإرثِ إذْ يضعف نصيبه على نصيبها إذا انفردا بالإرث، ويرث بالفرض

(١) ق: أخلص.

(٢) ق: هو.

وبالتعصيب وبهما. وفي [قول] ابن عباس وشريح يكون لها[1] مع الزوج والأب مثل حظ الذكرين فتصير أقوى من الأب، وتصير الأنثى لها مِثْلا حَظِّ الذكر. ولا دليل على ذلك من نصٍّ ولا قياس.

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ المعنى إذا كان أب وأم وإخوة كان نصيب الأم السدس، وحطّها الإخوة من الثلث إلى السدس، وصار الأب يأخذ خمسة الأسداس. وذهب ابن عباس إلى أنَّ الإخوةَ يأخذون ما حجبوا الأمَّ عنه وهو السدس ولا يأخذه الأب. وروي عنه أن الأب يأخذه لا الإخوة كقول الجماعة.

وقال الزمخشري[2]: الإخوة تفيد[3] معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية، وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدلّ بالإخوة عليه انتهى. ولا يسلم له دعوى أن الإخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بل تفيد معنى [الجمعية] التي بعد التثنية بغير كمية فيما بعد التثنية، فيحتاج في إثبات دعواه إلى دليل.

وظاهر «إخوة» الإطلاق فيتناول الإخوة من الأم فيحجبون كما قلنا. قيل: وذهبت الروافضُ إلى أنَّ الإخوة من الأم لا يحجبون الأُمَّ لأنهم يدلون بها فلا يجوز أن يحجبوها ويجعلوها كغيرها فيصيرون ضارّين لها نافعين لغيرها. واستُدِلَّ بهذه الآية على أنَّ البنتَ تقلب حق الأم من الثلث إلى السدس بقوله «فإن كان له إخوة» لأنها إذا حُرمت الثلث بالإخوة وانتقلت إلى

(١) ق: لهما.

(٢) الكشاف ١ : ٥٠٨.

(٣) ق: تقيّد.

السّدس فلأن تحرم بالبنت أولى.

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ المعنى أن قسمة المال بين من ذكر إنما يكون بعد خروج ما يجب إخراجه بوصية أو بدَين. وليس تعلّق الوصية والدَّين بالتركة سواء؛ إذ لو هلك من التركة شيء قبل القسمة ذهب من الورثة والموصى له جميعاً ويبقى الباقي بينهم بالشركة ولا يسقط من الدَّين شيءٌ بهلاكِ شيء من التركة. وليس تعلق الوصية والدَّين بالمال الموروث سواء، ألا ترى أنَّ الدَّينَ لا يسقطُ منه شيء بذهابِ بعض المال، بخلافِ الوصيةِ فإنه يسقط منها ما يقابل بعض المال الذاهب. ويتعلق «من بعد» بفعلٍ محذوفٍ تقديره: يستحقون ذلك من بعدِ وصيةٍ. وقرىء: يوصي بكسر الصاد وفتحها، وهو مضارع في موضع الماضي. و«أو» هنا كهي في قولهم: جالِسِ الحسن أو ابن سيرين.

﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ أي: فاقسموا الميراث على ما بيّن لكم من يعلم النفع والمصلحة فإنكم لا تدرون أنتم ذلك. وقال الزّجاج: إنه تعالى قد فرض الفرائض على ما هو حكمة عنده[1] [١١٠/ب] ولو وكّل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتضيعون الأموال على غير حكمة، ولهذا أتبعه بقوله «إن الله كان عليماً» أي: بمصالح خلقه «حكيماً» فيما فرضَ. و«أيهم أقرب» مبتدأ وخبره علّق عنه «تدرون» لأنه من أفعالِ القلوبِ، والجملة في موضع نصب. ويجوز أن يكون «أيهم» موصولاً مفعولاً بـ«تدرون» وهو مبنيٌّ على الضم إذ قد وُجد شرط بنائها وهو إضافتها لما بعدها وحذف صدر صلتها فالمعنى: لا تدرون الذين هم أقربُ لكم نفعاً.

---

(١) ق: عنده حكمة.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ انتصب على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة في قَسْم المواريث، فوقع «فريضة» موقع فرضاً من الله، أو على أنها[1] حال مؤكدة لمضمون الجملة السابقة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [أي: عليماً بمصالح العباد حكيماً] فيما فرضَ وقسمَ من المواريثِ وغيرها.

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾ لما ذكر تعالى ميراثَ الفروعِ من الأصولِ وميراث الأصول من الفروع، أخذ في ذكر ميراث المتصلين بالسبب لا بالنسب وهو الزوجية، ولم يذكر في القرآن التوارثَ بسببِ الولاء. والتوارث المستقر في الشرع هو بالنسب والسبب الشامل للزوجية والولاء. وكان في صدر الإسلام يُتوارثُ بالموالاةِ والحلفِ والهجرة فنسخ ذلك. وقدّم ذكر ميراث سبب الزوجية على ذكر الكلالةِ وإنْ كان بالنسب لتواشجِ ما بين الزوجين واتصالهما واستغناء كُلٍّ واحدٍ منهما بعشرة صاحبه دون عشرة

---

(١) وأنها على.

الكلالة. ويُدىء بخطابِ الرجالِ لما لهم من الدرجاتِ على النساء. ولمّا كان الذكر من الأولاد حظُّه من الأنثى مثل حَظِّ الأُنثيين، جعل في سبب التزوج الذكر له مِثْلا[١] حظِّ الأنثى.

ومعنى ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ أي: منكم أيها الوارثون أو من غيركم. والولدُ هنا ظاهره أنه مَنْ ولدته لبطنها ذكراً كان أو أنثى واحداً أو أكثر. وحُكْم بني[٢] الذكور منها وإنْ سفلوا حُكْم الولدِ للبطن في أنّ فَرْض الزوج منها الربع مع وجوده بإجماع. والكلالةُ خُلُوُّ الميتِ عن الوالدِ والولد، والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لأنها بالإضافة إلى قرابتها كالّة ضعيفة. وقرىء: يورَث مبنياً للمفعول ويورِث مبنياً للفاعل، فعلى قراءة من قرأ: يورَث فانتصابها على الحالِ من الضمير المستكنِّ في «يورث». وإذا وقع على الوارث احتيج إلى تقدير: ذا كلالةٍ لأنَّ الكلالةَ ليست نفس الضمير في «يورث». وإن كان معنى الكلالة القرابة فانتصابها على أنه مفعول من أجله أي يورث لأجل الكلالة، وعلى قراءة من قرأ: يورِث بكسر الراء فإن كانت الكلالةُ هي الميت فانتصابها على الحال والمفعولان محذوفان، التقدير[٣]: يورِث وارثه ماله في حال كونه كلالة، وإنْ كان المعنيّ بها الوارث فانتصاب الكلالة على المفعول به بـ«يورث» ويكون المفعول الثاني محذوفاً تقديره: يورث كلالةً مالَه أو القرابة فعلى المفعول من أجله، والمفعولان محذوفان أيضاً.

---

(١) ق: مثل.

(٢) ق: بين.

(٣) ق: فإن التقدير.

﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ معطوف على قوله «رجل» وحذف منه «كلالة» لدلالة ما قبلها عليه.

[وظاهر] ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ الإطلاق، إذ الأخوَّةُ تكون من الأخيافِ والأعيانِ وأولادِ العلّات[1]، وأجمعوا على أنَّ المراد في هذه الآية الإخوة من الأم ويوضح ذلك قراءة أبيٍّ: وله أخ أو أخت من الأم.

﴿فَإِن كَانُوٓاْ﴾ الضمير عائد على الوارث، ومعنى «أكثر» زائداً على أخ أو أخت. ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ وسيأتي أيضاً حكم الكلالة في آخر هذه السورة. وجاءت الوصيةُ مطلقةً وهي مقيدة في الشرع بالثلث فما دونه إن كان للموصي وارث، فإن لم يكن له وارث فأجاز شريكٌ وأبو حنيفة وأصحابه الوصيةَ [١١١/أ] بجميعِ ماله.

﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ انتصب على الحال من الفاعل في «يوصى». وهذا القيد ليس مخصوصاً بهذه الآية الأخيرة بل هو معتبر في قوله «يوصى» أولاً و«يوصين» و«توصون» وحذف لدلالة ما بعده عليه، والمعنى: غير مضارّ ورثته، ووجوه الضرر كثيرة كأن يوصي بأكثر من الثلث أو يحابي به أو يهبه أو يصرفه إلى وجوه القُرَب من عتق أو غيره فراراً عن وارث محتاج أو يقرّ بدين ليس عليه. وانتصب «وصية من الله» على أنه مصدر مؤكد أي يوصيكم الله بذلك وصية كما انتصب «فريضة من الله»[2]، أو مصدر في موضع الحال والعامل «يوصيكم». وقرىء بإضافة «مضار» لـ«وصية» والمعنى: غير مضارّ

---

(١) الأعيان: الإخوة من الأب والأم، والأخياف: الذين أمهم واحدة وآباؤهم شتى، والعلّات: الذين أبوهم واحد وأمهاتهم شتى.

(٢) في الآية السابقة.

في وصية، حذف «في» وأضاف اسم الفاعل كما قال[1]: [من الرجز]

يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارْ

أصله يا سارقاً في الليلة. وانظر إلى حُسْن هذا التقسيم في الميراث، وسبب الميراث هو الاتصال بالميت فإنْ كان بغير واسطة فهو النسب وبدأ فيه بالفروع والأصول، [أو] بسبب وهو الزوجية. فالأول ذاتي والثاني عَرَضي، ثم ذكر آخراً الكلالة وهو ميراث الحواشي وليست أصولاً ولا فروعاً للميت. والمذكورون في الآيتين قبل آية الكلالة لا يسقط أحد منهم في الميراث بخلاف الكلالة.

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ الأَوْلى أن تكون «تلك» إشارة إلى الأحكام السابقة في أحوالِ اليتامى والزوجات والوصايا والمواريث. وجعل هذه الشرائع حدوداً لأنها مضروبة مؤقتة للمكلَّفين لا يجوزُ لهم أنْ يتعدّوها إلى غيرها.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ ﴾ حمل أولاً على لفظة «مَن» في قوله «يطع» و«يدخله» فأفرد، ثم حمل على المعنى في قوله «خالدين» فجمع. وانتصاب «خالدين» على الحال المقدرّة والعامل فيه «يدخله» وصاحب الحال هو ضمير المفعول في «يدخله».

(١) الكتاب ١ : ١٧٥ وشرح ديوان الحماسة ٢ : ٦٥٥، غير منسوب فيهما.

قال ابن عطية: وجمع «خالدين» على معنى «مَن» بعد أن تقدم الإفراد مراعاةً للفظ «مَن» وعكس هذا لا يجوز انتهى. وما ذكر أنه لا يجوز من تقدم الحمل على المعنى ثم على اللفظ جائز عند النحويين، وفي مراعاة الحملين تفصيل وخلاف مذكور في كتب النحو المطوّلة.

وقال الزمخشري[١]: فإن قلت: هل يجوز أن يكونا صفتين لـ«جناتٍ» و«ناراً»؟ قلتُ: لأنهما جرَتا على غيرِ مَنْ هُمَا له[٢] فلا بد من الضمير وهو قولك: خالدين هم فيها وخالداً هو فيها انتهى. وما ذكره ليس مُجْمعاً عليه بل فرع على مذهب البصريين، وأما عند الكوفيين فيجوز ذلك ولا يحتاج إلى إبراز الضمير إذا لم يلبس، على تفصيل لهم في ذلك ذكر في النحو. وقد جوّز ذلك في الآية الزّجاج والتبريزي أخذاً بمذهب الكوفيين.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ حمل على لفظ «مَن» في جميع الضمائر فأفرد، وزاد ها هنا على العصيان تَعدِّي الحدود، وذكر مقابله الإهانة لأنه لا يتعدّاها إلا من اعتزّ[٣] فناسبته الإهانة. وأفرد هنا «خالداً» وجمع في الآية قبله لأن أهل الطاعة أهل الشفاعة، وإذا شفع في غيره دخلها هو ومن يشفع فيه، والعاصي لا يدخل النار به غيره فبقي وحيداً انتهى.

﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا

---

(١) الكشاف ١: ٥١١.

(٢) ق: لهما.

(٣) ط: اغترّ.

فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَٱلَّٰتِي﴾ جمع التي وهي [أحد] الجموع التي لها. والفاحشةُ هنا الزنى بإجماع من المفسرين إلا ما ذهب إليه مجاهد وتبعه أبو مسلم الأصبهاني من أنَّ الفاحشةَ هنا المساحقة وأن قوله تعالى «واللَّذانِ يأْتيانها منكم» في اللواط، وقول غيرهما من المفسرين أنَّ الآيتين في الزنى. ومناسبة الآيتين لما قبلهما أنه ذكر مَنْ يعصي الله تعالى [١١١/ب] ويتعدَّى[1] حدوده فأَتْبَعَ ذلك بذكرِ بعضِ أحوالِ العُصاة.

﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ السبيل هو ما استقرَّ عليه حكم الزنى من الحدّ وهو البِكْرُ بالبكرِ جلدُ مئةٍ وتغريبُ عام، والثَّيِّبُ بالثّيب رجمٌ بالحجارة. وثبت تفسير السبيل بهذا من حديث عبادة بن الصامت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ فوجبَ المصيرُ إليه[2]. وحديثُ عبادة ليس بناسخٍ لهذه الآية ولا لآية الجلد بل هو مبّين لمجمل في هذه الآية، إذ غيّا إمساكهن في البيوت إلى أنْ يجعل الله لهن سبيلاً، وهو مخصص لعموم آية الجلد. وفي تفسير مجاهد وأبي مسلم في الفاحشة أنها السحاق فالسبيل عندهما أن تتزوج المساحقة. وفي قوله «فاستشهدوا» دلالة على طلب الاستشهاد وجواز نظر

---

(١) عبارة ق: أنه في ذكر من يعص الله تعالى ويعص الله ويتعدى.

(٢) نصّه فيه ٣: ١٣١٦ «خُذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهنَّ سبيلاً: البكر بالبكر جلد مئة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مئة والرجم».

الشاهد إلى فرج المزنيِّ بها لأجل الشهادة.

﴿وَٱلَّذَانِ﴾ تثنية الذي [وغلّب التذكير إذ المراد الزاني والزانية. وقرىء: واللذانّ بالتشديد]. «يأتيانها» الضمير عائد على الفاحشة. ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ يدل على مطلق الإيذاء، وتبيّن في غير [هذه] الآية تعيين الأذى بالجلد والرجم للمحصن، وبالجلد فقط للبكرين واعتبار شهادة أربعة في هذه الآية كما سبق في الآية قبلها. ﴿فَإِن تَابَا﴾ أي: عن المعصية ﴿وَأَصْلَحَا﴾ عملهما في الطاعة ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾ هي متاركة، ودلَّ ذلك على أنَّ الأذى المذكور في الآية ليس ما تقرر آخراً في الشرعِ من الجلد والرجم، بل هو ضربٌ بالأيدي والنعال وتقبيحٌ للفعلِ وما أشبه ذلك.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فيه محذوفان، تقديره: إنما قبول التوبة على فضل الله. وليس ذلك على[1] سبيلِ الوجوب كما ذهب إليه الزمخشري وغيره من المعتزلة. والسوء يعمّ الكفر [والمعاصي].

و﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ في موضع الحال أي: جاهلين بما يترتب على المعصية من العقوبة لأنه لو تيقّن العقوبة لما عصى. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ أي: من زمان قريب من زمان المعصية فلا يصرّون على فعلها[2] كقوله تعالى ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ نفى تعالى أن تكون التوبة للعاصي الصائر في حيّز اليأس من[3] الحياة، ولا للذي وافى على الكفر،

(١) ق: وليس حاكمه على.
(٢) ق: على ما فعلها.
(٣) ق: عن.

فالأول كفرعون إذ لم ينفعه إيمانه وهو في غمرة الماء والغرق، وكالذين قال تعالى فيهم ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر]. وحضور الموت أول أحوال الآخرة، فكما أنَّ مَنْ مات على الكفر لا تُقبلُ منه التوبةُ في الآخرة فكذلك هنا الذي حضره الموت.

قال الزمخشري[1]: فإنْ قلت: مَن المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفُسّاق من أهل القبلة أم الكفار؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أنْ يراد به الكفار لظاهر قوله «وهم كفار»، وأن يراد به الفسّاق لأنَّ الكلامَ إنما وقع في الزانيين والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا، ويكون قوله «وهم كفار» وارداً[2] على سبيل التغليظ كقوله تعالى ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران] وقوله «فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً» «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر[3]» لأنَّ مَنْ كان مصرًّا ومات وهو لا يُحدِّثُ نفسه بالتوبةِ حالُه قريبٌ من حال الكفار لأنه لا يجترىءُ على ذلك إلا قلبٌ مُصْمت انتهى كلامه.

وهو في غاية الاضطراب لأنه قبل ذلك حملَ الآيةَ على أنها دالّة على قسمين أحدهما الذين سَوَّفوا بالتوبةِ إلى حضور الموت، والثاني[4] الذين ماتوا على الكفر. وفي هذا الجواب حملُ الآية على أنها أُريد بها أحد القسمين إما الكفار فقط وهم الذين وصفوا عنده بأنهم يعملون السيئات ويموتون على الكفر، وعلّل هذا الوجه بقوله: لظاهر قوله «وهم كفار»

---

(١) الكشاف ١: ٥١٣.

(٢) ق: وارد.

(٣) في سنن ابن ماجة ١: ٣٤٢ «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر».

(٤) كتبت في الحاشية.

فجعل هذه الحال دالّة على أنه أريد بالذين يعملون السيئات هم الكفار - وإما الفسّاق من المؤمنين فيكون قوله «وهم كفار» لا يراد به الكفر حقيقة [ولا أنهم يوافون على الكفر حقيقة] وإنما جاء ذلك على [١١٢/أ] سبيل التغليظ عنده، فقد خالف تفسيره في هذا الجواب صدر تفسير الآية أولاً، وكل ذلك انتصاراً لمذهبه حتى يرتب العذاب إما للكافر وإما للفاسق، فخرج بذلك عن قوانين النحو والحمل على الظاهر، لأن قوله «وهم كفار» ليس[1] ظاهره إلا أنه قيّد في قوله «ولا الذين يموتون» فظاهره الموافاة على الكفر حقيقة. وكما أنه شرط في انتفاء قبول توبة الذين يعملون السيئات إيقاعها في حال حضور الموت، كذلك شرط في ذلك كفرهم حالة الموت، وظاهر العطف التغاير. والزمخشري [في هذا] كما قيل في المثل: حُبُّكَ الشيء يُعْمِي ويصمّ[2].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ قال ابن عباس وعكرمة والحسن وأبو مَجْلز: كان

---

(١) ق: ليست.

(٢) مجمع الأمثال ١: ٢٠٥.

أولياء الميت أحق بامرأته من أهلها إن شاؤوا زوّجوها غيرهم أو تزوّجها أحدهم أو منعوها، وكان ابنه من غيرها يتزوجها، وكان ذلك في الأنصار لازماً وفي قريش مباحاً. وقال مجاهد: كان الابنُ الأكبر أحق بامرأةِ أبيه من غيره يتزوجها. وقال السدّي: إنْ سبقَ الولي فوضع ثوبه عليها كان أحق بها، أو سبقته[١] إلى أهلها كانت أحق بنفسها، فأذهبَ اللهُ ذلك بهذه الآية. والخطاب للأولياء نُهوا أنْ يرثوا النساءَ المخلفات عن الموتى كما يورث المال[٢].

والمرادُ نفيُ الوراثة في حالِ الطوعِ والكراهةِ لا جوازها في حال الطوع استدلالاً بالآية، فخرج قيد الكره مخرجَ الغالبِ لأنَّ غالبَ أحوالهن أنْ يكن مجبوراتٍ على ذلك إذ كان أولياؤه أحق بها من أولياء نفسها.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أي: لا تحبسوهن وتُضَيِّقُوا عليهن. وظاهر هذا الخطاب أنه للأزواج لقوله «ببعض ما آتيتموهن» لأنَّ الزوج هو الذي أعطاها الصَّداقَ وكان يكره صحبة زوجته ولها عليه مهر فيحبسها ويضربها حتى تفتدي منه قاله ابن عباس. ويحتمل أن يكون الخطاب للأولياء والازواج في قوله «يا أيها الذين آمنوا»، فلَفُّوا في هذا الخطاب ثم أفرد كل [واحد] في النهي بما يناسبه، فخوطب الأولياءُ بقوله «لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها» وخوطب الأزواج بقوله «ولا تعضلوهن» فعادَ كُلُّ خطابٍ إلى ما يناسبه.

والظاهر أن قوله «ولا تعضلوهن» أنّ «لا» نهيٌ فالفعل مجزوم بها، والواو

(١) ق: سبقه.

(٢) ق: عن الولي كما يرث المال.

عاطفة لجملة طلبية على جملة خبرية لتضمُّنِ الخبريةِ معنى النهي، لأنَّ معنى قوله «لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء» لا ترثوا النساء، هذا على قول من ذهب إلى أن العطف في الجمل يُشترط فيها المناسبة. وأما على مذهب سيبويه فلا يشترط فيجوز عطف جملة النهي على جملة الخبر.

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون «تعضلوهن» نصباً عطفاً على «ترثوا» فتكون الواو مشركة عاطفة فعلاً[1] على فعل وقرأ ابن مسعود: ولا أن[2] تعضلوهن، فهذه القراءة تقوّي احتمال النصب فإن العضل مما لا يحلّ[3] بالنص. وعلى تأويل الجزم هو نهي معرض لطلب القرائن في التحريم أو الكراهة، واحتمال النصب أقوى. انتهى ما ذكره من تأويل هذا الوجه، وهو لا يجوز وذلك أنك إذا عطفتَ فعلاً مَنْفياً بلا على مُثْبَتٍ وكانا منصوبين فإنَّ الناصبَ لا يقدّر إلا بعد حرف العطف لا بعد «لا»، فإذا قلت: أريدُ أنْ أتوبَ ولا أدخل النار، فالتقدير: أريد أن أتوب وأن لا أدخل النار، لأن الفعل يطلب الأول على سبيل الثبوت، والثاني على سبيل النفي فالمعنى: أريد التوبة وانتفاء دخول النار، فلو كان الفعل المتسلّط على المتعاطفين منفياً فكذلك، ولو قدّرت هذا التقدير في الآية لم يصحّ. لو قلت: لا يحل لكم أن لا تعضلوهن، لم يصحّ إلا أن تجعل «لا» زائدة لا نافية وهو خلاف الظاهر، وأما أن تقدّر أنْ بعد لا النافية فلا يصح. وإذا قدّرت أنْ بعد لا كان من باب عطف المصدر المقدّر على المصدر المقدّر لا من باب عطف الفعل

---

(١) ق: فعل.

(٢) ق: وأن لا.

(٣) ق: يحمل.

[١١٢/ب] على الفعل، [فالتبسَ على ابنِ عطية العطفان، وظَنَّ أنه بصلاحية تقدير أنْ بعد لا يكون من عطف الفعل على الفعل] وفرق بين قولك: لا أريد أن تقوم وأن لا تخرج، وقولك: لا أريد أن تقوم ولا أن تخرج. ففي الأول نفي إرادة وجود قيامه وإرادة انتفاء خروجه فقد اراد خروجه، وفي الثاني[١] نفي إرادة وجود قيامه ووجود خروجه فلا يريد[٢] لا القيام ولا الخروج، وهذا في فهمه بعض غموض على من لم يتمرن في علم العربية.

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ وهذا استثناءٌ متصل ولا حاجة إلى دعوى الانقطاعِ فيه كما ذهب إليه بعضهم، وهو استثناء من ظرف زمان عام أو من علة كأنه قيل: ولا تعضلوهنّ في وقت من الأوقات إلا وقت أن يأتين، أو لا تعضلوهن لعلَّةٍ من العللِ إلا أنْ يأتين.

والظاهر أن الخطاب بقوله «ولا تعضلوهن» للأزواج إذْ ليس للولي حبسها حتى يذهبَ بمالها[٣] إجماعاً من الأمة وإنما ذلك للزوج على ما تبين. والفاحشة هنا الزنى قاله أبو قلابة والحسن. قال الحسن: إذا زنت البكرُ جُلدت مئة ونُفيت سنة ورَدَّتْ إلى زوجها ما أخذت منه. وقال أبو قلابة: إذا زنت امرأةُ الرجل فلا بأس أنْ يُضارَّها ويشقّ عليها حتى تَفتدي منه. وقال السدّي: إذا فعلن ذلك فَخُذُوا مهورهن. وقال عطاء: كان هذا الحكم ثم نُسخ بالحدود. وقال ابن سيرين وأبو قلابة: لا يحلُّ الخلع حتى يوجدَ رجلٌ على بطنها. وقال قتادة: لا يحلّ له أن يحبسها ضرراً حتى تفتدي منه، يعني وإن زنت. وقال ابن عباس وعائشة والضحّاك وغيرهم: الفاحشةُ هنا النشوزُ

---

(١) ق: الثانية.

(٢) ق: يردّ.

(٣) ق: مالها.

فإذا نَشزت حلّ أنْ يأخذ مالها وهذا مذهب مالك. وقال قوم: الفاحشةُ البَذاءُ باللسان وسوء العشرة قولاً وفعلاً.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ هذا أمرٌ بحسن المعاشرة والظاهر أنه أمرٌ للأزواجِ لأنَّ التَلبس بالمعاشرة غالباً إنما هو للأزواج وكانوا يسيئون معاشرة النساء. وقوله «بالمعروف» أي: بالنَّصفة في المَبيتِ والنفقة والإجمال في القول، ويقال: المرأة تسمن من أذنها[1].

﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ أي: كرهتم معاشرتهن. وعسى: معناها الترجّي ولذلك جاء الجواب للشرط بالفاء في قوله «فعسى». و«شيئاً» أي: شيئاً من أخلاقهن. ولم يعد الضمير عليهن وهو كقوله تعالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ٢١٦﴾ [البقرة]. والضمير في «فيه» عائد على شيء أو على الكراهة وهو المصدر المفهوم من قوله «أن تكرهوا».

﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ﴾ الآية، لما أذن بمضارّتهن إذا أُتينَ بفاحشةٍ ليذهب ببعض ما أعطاه، بيّن تحريم ذلك في غير الفاحشة، وأقام الإرادةَ مقامَ الفعل فكأنه قال: وإن استبدلتم.

وظاهر قوله «وآتيتم» أن الواو للحال أي وقد آتيتم، وقيل هو معطوف على فعل الشرط وليس بظاهر. والاستبدال وضع الشيء مكان الشيء، والمعنى أنه إذا كان الفراقُ من اختياركم فلا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً. واستدل بقوله ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ[2] إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا﴾ على جواز المغالاة في الصدقات. ﴿بُهۡتَٰنٗا﴾ البهتانُ الكذب الذي يتحيرُ منه صاحبه، ثم صار يُطلقُ

---

(١) لم أجده.

(٢) ق: أو آتيتم.

على الباطل. ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ﴾ هذا استفهام على سبيل الإنكار [أي] أتفعلون هذا مع ظهورِ قُبْحِه؟. وسُمِّي بهتاناً لأنهم[١] كانوا إذا أرادوا تطليق امرأة رموها بفاحشة حتى تخاف وتفتدي منه بمهرها فجاءت الآية على الأمر الغالب.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أنكر أولاً الأخذ وأنكر ثانياً حالة الأخذ وأنها ليست مما يمكن أن تجامع حال الإفضاء لأن الإفضاء هو المباشرة [والدنو]، والإفضاء الجماع وهو كناية حسنة. والميثاق الغليظ قوله تعالى ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة].

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ كان قوم من العرب يتزوجون نساء آبائهم إذا ماتوا فنهاهم الله عن ذلك. و«ما» في قوله «ما نكح» واقعة[٢] على النوع كقوله ﴿مَا طَابَ لَكُم ﴿٣﴾﴾ [النساء]. والآباء هنا يشمل [١١٣/أ] الأب ومن قبله من عمود النسب.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ استثناء منقطع والمعنى لكن ما سبق في الجاهلية قبل ورود النهي فلا إثم عليه. والضمير في «إنه» عائد على المصدر المفهوم من قوله «ولا تنكحوا» أي نكاح الأبناء نساء الآباء.

﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أي: زنى ﴿وَمَقْتًا﴾ المقت البغض باستحقار.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ إن كان الضمير في «ساء» عائداً[٣] على ما عاد عليه

(١) ق: لأنه.

(٢) ق: واقع.

(٣) ق: عائد.

الضمير قبل ذلك، كان «سبيلاً» نصباً[١] على التميز، وهو منقول من الفاعل والتقدير: ساء سبيله. وإن كانت «ساء» أجريت مجرى بئس كقوله تعالى ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الأعراف] ففي «ساء» ضمير يفسره ما بعده، وكان «سبيلا» تمييزاً للضمير المستكن في «ساء»، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: وساء سبيله سبيلا أي سبيل ذلك النكاح. وفي الحديث[٢]: قال البراء بن عازب: لقيت خالي ومعه الراية فقلت: أين تريد؟ قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده أن أضرب عنقه.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ وهو على حذف مضاف أي: نكاح أمهاتكم ويدل عليه قوله قبلُ «ولا تنكحوا»[٣]. والأم حقيقة هي الوالدة،

---

(١) ق: نصب.

(٢) مشكاة المصابيح ٢: ٩٤٧ بألفاظ مقاربة.

(٣) الآية السابقة.

وفي معناه كل امرأةٍ رجع نسبكَ إليها بالولادةِ من جهةِ أبيك أو من جهة أمك.

﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ هي كل ابنة ولدتها، وفي معناه كل أنثى رجع نسبها إليك بالولادة بدرجة أو درجات بإناث أو ذكور. وقد كان في العرب مَنْ تزوج ابنته وهو حاجبُ بن زرارة تَمَجَّس.

﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ الأخت المحرّمة كُلُّ مَنْ جمعكَ وإياها صلب أو بطن.

﴿وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ﴾ العمةُ أختُ الأبِ والخالةُ أختُ الأم. وخصَّ تحريم العمّات والخالات دون أولادهن، وتحريم عمة الأب وخالته وعمة الأم وخالتها وعمّة العمّة، وأما خالة العمة فإن كانت أخت أبٍ لأمٍ أو لأب وأمٍ فلا تحلّ خالة العمة لأنها أخت الجدة. وإن كانت العمة إنما هي أخت أبٍ لأبٍ فقط فخالتها أجنبية من بني أخيها تحلّ للرجال ويجمع بينها وبين النساء. وأما عمّة الخالة فإن كانت الخالة أخت أمٍ لأبٍ فلا تحلّ عمة الخالة لأنها أخت جدّ، وإن كانت الخالة أخت أمٍ لأمٍ فقط فعَمتها أجنبية من بني أختها[1].

﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ تحرم بناتهما وإنْ سفلن[2]. وأفرد الأخ والأخت ولم يأتِ جمعاً لأنه أُضيف إليه الجمع فكان لفظ الإفراد أخفّ، وأُريدَ به الجنس المنتظم في الدلالة الواحد وغيره. فهؤلاء سبع من النسب تحريمهنَّ مؤبَّدٌ.

وأما اللواتي صرن محرمات بسببٍ طارىءٍ فذكرهن في القرآن سبعاً وهن في قوله تعالى «وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة» نبّه بهذين المثالين على أنَّ الحال في باب الرضاع كالحال في باب

(١) ق: أخيها.

(٢) ق: تحريم.. سلفن.

النسب. ثم إنه عليه السلام أكَّدَ هذا بصريح قوله «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[1] فصار صريحُ الحديثِ مطابقاً لما أشارت إليه الآيةُ، فزوج المرضعة أبوه، وأبواه جدّاه، وأخته عمّته، وكل ولد وولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه، وأم المرضعة جدّته، وأختها خالته، وكل من ولد [لها] من هذا الرجل فهم[2] إخوته وأخواته لأبيه وأمّه، وأما ولدها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه.

وقالوا: تحريم الرضاع كتحريم النسب إلا في مسألتين: إحداهما: أنه لا يجوز للرجل أنْ يتزوج[3] أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع، لأنَّ المانع في النسب وطؤه أمها، وهذا المعنى غير موجود في الرضاع. والثانية: لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز في الرضاع، لأن المانع في النسب وطء [الأب] إياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع.

وظاهرُ الكلام إطلاقُ الرضاعِ، ولم تتعرض الآية إلى [١١٣/ب] سِنّ الرضاع ولا عددِ الرضعاتِ ولا للبن الفحل ولا لإرضاع الرجل لبن نفسه للصبي أو إيجاره به أو تسعيطه بحيث يصل إلى الجوف، وفي هذا كُلِّه خلافٌ مذكور في كتب الفقه. وقرىء: التي واللاتي، ومن الرضاعة بكسر الراء.

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ الجمهور على أنها على العموم فسواء عقد عليها ولم يدخل [بها] أو دخل بها. وروي عن علي ومجاهد وغيرهما أنه إذا

(١) صحيح مسلم ٢: ١٠٦٨، وصحيح الجامع الصغير ٦: ٣٢٧.

(٢) ق: فهو.

(٣) بعدها في ق: أم أخيه من النسب ويجوز في الرضاع لأن المانع.

طلّقها قبل الدخول فله أن يتزوج أمها وأنها في ذلك بمنزلة الربيبة.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ ظاهره أنه يشترط في تحريمها أن تكون في حجره، وإلى هذا ذهب علي وبه أخذ داود وأهل الظاهر، فلو لم تكن في حجره وفارق أُمَّها بعد الدخولِ جازَ له أنْ يتزوجها. وقالوا: حَرَّمَ اللهُ الربيبةَ بشرطين أحدهما: أنْ تكون في حجر الزوج، الثاني: الدخول بالأم، فإذا فقد أحد الشرطين لم يوجد التحريم.

و﴿ٱلَّٰتِي﴾ صفة «لنسائكم» المجرور بمن. ولا جائز أن يكون «اللاتي» وصفاً لنسائكم من قوله «وأمهات نسائكم» و«نسائكم» المجرور بمن، لأن العامل في المنعوتين قد اختلف: هذا مجرور بمن وذلك مجرور بالإضافة. ولا جائز أن يكون «من نسائكم» متعلقاً بمحذوف ينتظم [به مع] «أمهات نسائكم وربائبكم» لاختلاف مدلول حرف الجر إذ ذاك، لأنه بالنسبة إلى قوله «وأمهات نسائكم» يكون «من نسائكم» لبيانِ النساء وتمييز المدخولِ بها من غير المدخولِ بها، وبالنسبة إلى قوله «وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن» يكون «من نسائكم» لبيانِ ابتداءِ الغاية كما تقول: هذا ابني من فلانة. قال الزمخشري[1]: إلا أن [تقول]: أعلقه بالنساء والربائب وأجعل «مِن» للاتصال كقوله تعالى ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة]،

فإنّي لَسْتُ منكَ ولَسْتَ منّي[2] [من الوافر]

---

(١) الكشاف ١: ٥١٦.

(٢) البيت للنابغة في ديوانه ص١٩٩، وصدره:

إذا حاولت في أسدٍ فجوراً

«ما أنا من ددٍ ولا الدّد منّي[1]». وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن، كما أن الربائب متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن انتهى.

ولا نعلمُ أحداً ذهب إلى أنّ من معاني «مِن» الاتصال وأما ما شبّه به من الآية والشعر والحديث فمتأول. وإذا جعلنا «من نسائكم» متعلقاً بالنساء والربائب كما زعم الزمخشريُّ فلا بد من صلاحيته لكل من النساء والربائب؛ فأما تركيبه مع الربائب ففي غاية الفصاحة والحسن وهو نظم الآية، وأما تركيبه مع قوله «وأمهات نسائكم[2]» فإنه يصير: وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، فهذا تركيبٌ لا يمكن أنْ يقعَ في القرآنِ ولا في كلام فصيحٍ لعدم الاحتياجِ في إفادة هذا المعنى إلى قوله: من نسائكم.

والدخول هنا كناية عن الجماع كقولهم[3]: بَنَى عليها وضربَ عليها الحجاب، والباء للتعدية، والمعنى: اللاتي أدخلتموهن الستر قاله ابن عباس وغيره.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: في نكاح الربائب اللاتي[4] لم تدخلوا بأمهاتهن وفارقتموهن. فلو [طلّقها] بعد البناء وقبل الجماع جاز أن يتزوج ابنتها. وفي تحريمِ الربيبةِ بالنظرِ إلى أُمِّها بشهوةٍ أو مَسِّها بشهوةٍ أو النظرِ إلى شعرها وصدرها بلذةٍ أو مَسِّ فرجها وإنْ لم يدخل بالأم خلاف.

وظاهر قوله ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ اختصاص ذلك بالزوجات كما ذكرناه، واتفقوا على أنَّ مُطْلَقَ عقدِ الشراء للجارية لا يُحَرِّمُهَا على أبيهِ ولا

---

(١) النهاية ٢: ١٠٩، والدّد: اللهو واللعب، محذوفة اللام كندى.

(٢) بعده في ق: من نسائكم فإنه يصير: وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن.

(٣) ق: كقوله.

(٤) ق: التي.

ابنه، فلو لمسها أو قبّلها حرمت على أبيه وابنه لا يختلف في تحريم ذلك، واختلفوا في مجرد النظر بشهوة.

﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ احتراز مما كانت العرب تتبنّى الشخص وليس ابنه حقيقة، وهم الذين قال الله فيهم ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب].

﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ﴾ في موضع رفع، و«بين الأختين» ظاهره العموم بنكاح أو ملك يمين، وفي بعض الصور خلاف.

﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾ استثناء منقطع يتعلق بالأخير وهو «أن تجمعوا بين الأختين» والمعنى: لكن ما سلف من ذلك ووقع وأزالت شريعة [١١٤/أ] الإسلام حكمه فإن الله يغفره والإسلام يجبّه. ويدل على عدم المؤاخذة به قوله تعالى «إن الله كان غفوراً رحيماً».

﴿۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾ قرىء بكسر الصاد وفتحها. والمعني بها هنا المزوّجات واستثنيَ منهن ما مُلِكَتْ ملك يمين فإنه بالملك ينفسخُ نكاحها من زوجها وتحلّ لمن ملكها.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ انتصب بإضمار فعل، وهو مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة من قوله «حرمت عليكم» وكأنه قيل: كتب الله عليكم تحريم ذلك كتاباً. ولا حُجَّةَ للكسائي في دعواه أنَّ هذا من بابِ الإغراءِ وأنَّ التقدير: عليكم كتاب الله، وقدّم المفعول. ولا يجوز ذلك عند البصريين في باب الإغراء.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ لما نصّ على المحرمات في النكاح أخبر تعالى أنه أحلّ من سوى ما ذكر. وظاهر ذلك العموم، وبهذا الظاهر استدلّت الخوارجُ ومَنْ وافقهم من الشيعة على جوازِ نكاحِ المرأةِ على عمتها وعلى

خالتها والجمع بينهما، وقد أطالَ الاستدلالَ في ذلك أبو جعفر الطوسي أحد علماء الشيعة الاثني عشرية في كتابه في التفسير.

قال الزمخشري(١): فإن قلت: علام عطف قوله «وأحل لكم»؟ قلت: على الفعل المضمر الذي نصب «كتاب الله» أي: كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحلّ لكم ما وراء ذلكم، ويدل عليه قراءة اليماني «كتب الله عليكم وأحلّ لكم». ثم قال: ومن قرأ: وأُحلّ مبنياً للمفعول فقد عطفه على «حُرّمت» انتهى كلامه. ففرق في العطف بين القراءتين، وما اختاره من التفرقة غير مختار، لأن انتصاب «كتاب الله عليكم» إنما هو انتصاب المصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة من قوله «حرّمت»، فالعامل فيه وهو «كتب» إنما هو تأكيد لقوله «حرمت»، فلم يُؤتَ بهذه الجملة على سبيل التأكيد للحكم، إنما التأسيس حاصل بقوله «حرمت» وهذه كلها جيء بها على سبيل التأكيد لتلك الجملة المؤسسة، وما كان سبيلهُ هكذا فلا يناسب أنْ تعطف عليه(٢) الجملة المؤسسة لحكم، إنما يناسب أنْ تعطف على جملة مؤسسة مثلها لا سيما والجملتان متقابلتان إذ إحداهما للتحليل والأخرى للتحريم، فناسب أن تعطف هذه على هذه. وقد أجاز الزمخشري ذلك في قراءة: وأُحل مبنياً للمفعول فكذلك يجوز فيه مبنياً للفاعل.

﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾ نصب على أنه بدل اشتمال من «ما وراء ذلكم». ويشملُ الابتغاءُ بالمالِ النكاح والشراء، وقيل: الابتغاء بالمال هو على وجه النكاح. وقال الزمخشري(٣): «أن تبتغوا» مفعول له بمعنى: بيّن لكم ما يحلّ مما

---

(١) الكشاف ١: ٥١٨.

(٢) ق: يعطف على.

(٣) الكشاف ١: ٥١٨.

يحرم إرادة [أن يكون] ابتغاؤكم بأموالكم التي جعل اللهُ لكم قياماً في حال كونكم مُحْصِنينَ غير مسافحين لئلا تُضيعوا أموالكم وتُفقروا أنفسكم فيما [لا] يحلُّ لكم فتخسروا دنياكم وآخرتكم، ولا مفسدةَ أعظم مما يجمع بين الخسرانين انتهى كلامه.

وانظر إلى جعجعةِ هذه الألفاظِ وكثرتها وتحميلِ لفظِ القرآن ما لا يدلُّ عليه، وتفسير الواضح الجَليِّ باللفظ المعقد، ودسّ مذهب الاعتزال في غضونِ هذه الألفاظ الطويلة دسّاً خفياً إذْ فسّر قوله «وأحلّ لكم» بمعنى بيَّنَ لكم ما يحلّ، وجعل قوله «أنْ تبتغوا» على حذف مضافين أي: إرادة أنْ يكون ابتغاؤكم، أي إرادة كون[1] ابتغائكم بأموالكم. وفسّر الأموال بعدُ بالمهور وما يخرج في المناكح فتضمن تفسيره أنه تعالى بيّن لكم ما يحلّ لإرادته كون ابتغائكم بالمهور، فاختصت إرادته بالحلال الذي هو النكاح دون السفاح.

وظاهر الآية غير هذا الذي فهمه الزمخشري، إذ الظاهر أنه تعالى أحلَّ لنا [ابتغاءَ] ما سوى المُحَرَّمات السابق ذكرها بأموالنا حالة الإحصان لا حالة السفاح. وعلى هذا الظاهر لا يجوز [أن يعرب] «أن تبتغوا» مفعولاً له كما ذهب الزمخشري، لأنه فات شرطٌ [من شروطِ] المفعول له وهو اتحادُ الفاعلِ في [العامل والمفعول له، لأنَّ الفاعلَ بقوله «وأحل» هو الله تعالى، والفاعل في] «أن تبتغوا» هو ضمير المخاطبين. ولما أحسّ [١١٤/ب] الزمخشريُّ إنْ كان أحسَّ بهذا، جعل «أن تبتغوا» على حذفِ إرادة، حتى يتّحد الفاعل في قوله «وأحلّ» وفي المفعول له، ولم يجعل «أن تبتغوا» مفعولاً له إلا على حذف مضاف وإقامته مقامه، وهذا كله خروجٌ عن الظاهرِ لغير داعٍ إلى ذلك.

---

(١) ق: كونكم.

ومفعول «تبتغوا» محذوف اختصاراً إذ هو ضمير يعود على «ما» من قوله «ما وراء ذلكم» وتقديره: أن تبتغوه.

وقال الزمخشري[١]: فإن قلت: أين مفعول «تبتغوا»؟ قلت: يجوز أن يكون مقدّراً وهو النساء، والأجود ألاّ يقدّر وكأنه قيل: أن تخرجوا أموالكم انتهى. فأما تقديره إذا كان مقدّراً بالنساء فإنه لما جعله مفعولاً له غايرَ بين متعلق المفعول له[٢] وبين متعلق المعلول. وأما قوله وأجود ألاّ يقدّر وكأنه قيل: أن تخرجوا[٣] أموالكم، فهو مخالفٌ للظاهرِ لأنَّ مدلول «تبتغوا» ليس مدلول «تخرجوا»، ولأن تعدّي «تبتغوا» إلى الأموالِ بالباء ليس على طريقِ المفعول به الصريح كما هو في «تخرجوا» وهذا كله تَكَلُّفٌ ينبغي أن يُنَزَّه كتابُ الله عنه.

والإحصانُ العفَّةُ وتحصينُ النفس عن الوقوع في الحرام. وانتصب «محصنين» على الحال.

و﴿ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ حال مؤكدة لأن الإحصان لا يجامع السفاح.

﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ أي: ما استمتعتم به من الزوجة وهو الوطء ولو مرةً فقد وجب إعطاء الأجر وهو المهر. ولفظة «ما» تدل على أنّ يسير الوطء يوجب إيتاء الأجر. وقال الزمخشري[٤]: فما استمتعتم به من المنكوحاتِ من جماعٍ أو خلوةٍ صحيحةٍ أو عقدٍ عليهن فآتوهن أجورهن

(١) الكشاف ١: ٥١٩.

(٢) عبارة ق: غير بين يتعلق المفعول وبين.

(٣) ق: أتخرجوا.

(٤) الكشاف ١: ٥١٩.

عليه انتهى. وأدرج في الاستمتاع[١] الخلوةَ الصحيحةَ على مذهب أبي حنيفة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ﴾ لما أُمروا بإيتاء أجور النساء المستمتع بهنّ كان ذلك يقتضي الوجوب فأخبر تعالى أنه لا حرج ولا إثم في نقص ما تراضوا عليه أو ردّه أو تأخيره أعني الرجال والنساء بعد الفريضة، فلها أن تردّ عليه وأن تنقص وأن توخر، هذا ما يدل عليه سياق الكلام وهو نظير قوله تعالى ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء]، الآية.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَمَن لَّمْ[٢] يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ الطول: السّعةُ في المال قاله ابن عباس. و«المحصنات» هن الحرائر، والظاهر أن «المؤمنات» شرط في نكاحهن، وكذلك في قوله «من فتياتكم المؤمنات». وفي نكاح الحرائر غير المؤمنات

(١) ق: في الاستدراج.

(٢) ق: ولم.

وفي نكاح الفتيات غير المؤمنات خلاف. والظاهر أنه لا يجوزُ نكاحُ الإماء لمن يجد الطَّوْل. و«أن ينكح» مفعول بيستطيع. و«ما ملكت» متعلق بفعل محذوف تقديره فلينكح مما ملكت.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ﴾ لما خاطب المؤمنين بالحكم الذي ذكره من تجويزِ نكاحِ عادمِ طَوْلِ الحُرَّةِ المؤمنةِ للأمةِ[1] المؤمنة، نبَّه على أنَّ الإيمانَ هو[2] وصفٌ باطنٌ وأنَّ المطَّلعَ عليه هو الله تعالى. فالمعنى أنه لا يشترط في إيمان الفتيات أن يكونوا عالمين بذلك العلم اليقين، لأنَّ ذلك إنما هو لله فيكفي من الإيمان إظهاره، فمتى كانت مُظْهِرةً للإيمانِ فنكاحها صحيحٌ، وربما كانت خَرْساءَ أو قريبةَ عهدٍ بسباء وأظهرت الإيمانَ فيكتفى بذلك منها.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ وهذا أمر إباحة والمعنى بولاية ملاّكهنّ، والمراد بالنكاح هنا العقد ولذلك ذكر إيتاء الأجر بعده أي المهر. وسَمَّى مُلَّاكَ الإماء أهلاً لهن لأنهم كالأهلِ إذْ رجوعُ الأمَةِ إلى سيدها في كثيرٍ من الأحكام. وقيل: هو على حذف مضاف أي: بإذنِ أهلِ ولايتهنّ، وأهل ولاية نكاحهنّ هم الملاّك. ومقتضى هذا الخطاب أن الإذن شرط في صحة النكاح، فلو تزوجت بغير إذنِ السيد لم يصحّ النكاح.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ الأجور هنا المهور، وفيه دليلٌ على وجوب إيتاء الأمة مهرها وأنها[3] أحَقُّ بمهرها من سَيِّدها وهذا مذهبُ مالك قال: ليس للسيد أنْ يأخذ مهر أمته ويدعها بلا جهاز. وجمهورُالعلماء على أنه يجب

---

(١) ق: الطول الحرة.. لا الأمة.

(٢) ق: وهو.

(٣) ق: وأن.

دفعه للسيد دونها.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ متعلق بقوله [١١٥/أ] «وآتوهن أجورهن» قيل معناه بغير مطلٍ وضِرارٍ وإحواجٍ إلى اقتضاء.

﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عفائف ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ أي: غير مُعْلنات بالزنى وهي التي لا تردُّ يَدَ لامسٍ ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ هن المتسترات بالزنى لخلّ واحد، والخدن الصديق، وعلى هذين النوعين كان زنى الجاهلية. ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ أي: تزوجن. وقرىء مبنياً للفاعل ومبنياً للمفعول. ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ هي الزنى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي: الحرائر، يعني إذا زَنَيْنَ ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ وهو خمسون جلدة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةَ إلى نكاحِ عادمِ الطَّوْلِ للحرةِ المؤمنةِ [أو] للأمة المؤمنة. والعَنَتُ هنا الزنى قاله ابن عباس وغيره، وأصله المشَقَّةُ ومنه قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ [ٱللَّهُ] لَأَعْنَتَكُمْ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة] أي: لشقّ عليكم. ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ظاهرهُ الإخبارُ عن صبرٍ خاص وهو عن نكاح الإماء قاله ابن عباس وغيره. وجهةُ الخيريةِ كونه لا يرق ولده، وأنْ[١] لا يبتذل هو وينقص في العادةِ بنكاحِ الأمة. وفي سنن ابن ماجة[٢] من حديث أنس قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليتزوجِ الحرائرَ».

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ مفعول «يريد» محذوف وتقديره: يريد الله هذا، أي تحليل ما حلّل وتحريم ما حرّم وتشريع ما تقدم ذكره. وقيل «يريد» في معنى

---

(١) ق: ولا أن.

(٢) انظر ١ : ٥٩٨.

المصدر من غير سابك تقديره: إرادة[1] الله ليبين لكم، وهذان القولان عن[2] البصريين. وقال الكوفيون: مفعول «يريد» هو «ليبيّن» واللام زائدة والمعنى يريد الله التبيين لكم واللام ناصبة بنفسها.

وقال الزمخشري[3]: أصله يريد الله أنْ يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زِيدتْ في: لا أبالك لتأكيد إضافة الأب، والمعنى يريد الله أنْ يبينَ لكم ما خفيَ عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم انتهى كلامه.

وهو خارج عن أقوال البصريين والكوفيين؛ أما كونه خارجاً عن أقوال البصريين فلأنه جعل اللام مؤكدة مقويّة لتعدّي «يريد» والمفعول متأخر، وأضمر «أنْ» بعد هذه اللام. وأما كونه خارجاً عن قول الكوفيين فإنهم يجعلون النصب باللام لا بأنْ وهو جعل النصب بأنْ مضمرة بعد اللام، ومفعول «يبين» محذوف تقديره: شرائع دينكم ومصالح أموركم. ويجوز عندي أنْ يكونَ من بابِ الإعمال فيكون مفعول «ليبيّن» ضميراً محذوفاً يفسّره مفعول «ويهديكم» نحو: ضربت وأهنتُ زيداً، التقدير: ليبيّنها لكم ويهديكم.

﴿سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ هي مناهج الأنبياء والصالحين. قال ابن عطية: وتكرار إرادة الله للتوبة على عباده تقوية للإخبار الأول، وليس المقصود في الآيةِ إلا الإخبار عن إرادةِ الذين يتبعون الشهوات فَقُدِّمَتْ إرادةُ الله توطئةً مُظْهِرةً لفسادِ مُتَّبِعي الشهواتِ انتهى كلامه. فاختار مذهب الكوفيين

(١) ق: أراد.

(٢) ق: عند.

(٣) الكشاف ١ : ٥٢١.

في أن جعلوا قوله «ليبيّن» في معنى أن يبيّن، فيكون مفعولاً «ليريد» وعطف عليه «ويتوب» فهو مفعول مثله، ولذلك قال: وتكرار إرادة الله للتوبة على عباده إلخ. وكان قد حكى قول الكوفيين وقال: هذا ضعيف فرجع آخراً إلى ما ضعّفه، وكان قد قدّم أن مذهب سيبويه أن مفعول «يريد» محذوف والتقدير: يريد الله هذا التبيين[1].

والشهوةُ هو ما يغلبُ على القلب مَحَبَّتُه وهواهُ. ولما كانت التكاليفُ الشرعيةُ فيها قمع النفس وردّها عن مشتهياتها كان اتباع شهواتها سبباً لكل مَذمّة. وعبّر عن الكافر والفاسق بمتّبع الشهوة كما قال تعالى ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ ۝٥٩﴾ [مريم]. واتباع الشهوة في كُلِّ حالٍ مذموم لأنَّ ذلك ائتمار لها من حيث ما دعت الشهوة إليه. أما إذا كان الاتباع من حيث العقل والشرع فذلك هو اتباعٌ لهما لا للشهوة. ومُتَّبِعُو الشهواتِ [١١٥/ب] هنا هم الزُّناةُ قاله مجاهد. ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ عن الحَقِّ أو إلى الشهوات. ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ أي: لا يصبرُ عن الشهوات وعلى مشاقِّ الطاعة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۝٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ۝٣١ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ

(١) ق: ليبيّن.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟﴾ تقدم تفسير نظيرها[1]. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما بين كيفية [التصريف في النفوس بالنكاح بيّن كيفية] التصرف في الاموال الموصلةِ إلى النكاح وإلى ملك اليمين، وأنَّ المهورَ والأثمان المبذولة في ذلك لا تكون مما ملكت بالباطل، والباطلُ هو كل طريق لم تُبِحْهُ الشريعةُ. ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾ استثناءٌ منقطع[2] إذْ لم تندرج التجارةُ تحت أكلِ الأموالِ بالباطل. وقرىء: تجارةً بالنصب على خبر «تكون» وبالرفع على أنّ «تكون» تامة. و«عن تراضٍ» أي من البائع والمشتري. والظاهر أنه إذا حصل التراضي جاز بيع التافه اليسير بالنفيس الكثير. ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ ظاهرهُ النهيُ عن قتلِ الإنسان نفسَهُ، ويجوز أنْ يكون المعنى النهي[3] عن قتلِ بعضنا بعضاً.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ الإشارة بـ«ذلك» إلى ما وقع النهيُ عنه في هذه الجملة من أكلِ المالِ بالباطل وقتل النفس.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ مناسبتها [لما قبلها] ظاهرة لأنه تعالى لما ذكر الوعيد على فعل بعض الكبائر، ذكر الوعد على اجتناب الكبائر. والظاهر أنَّ الذنوبَ تنقسمُ إلى كبائر وسيئات، وهي التي عبَّر عنها أكثر

(١) آل عمران ٣: ١٣٠.

(٢) ق: منقطعاً.

(٣) ق: عن النهي.

العلماء بالصغائر. قال ابن عباس: كُلُّ ما وردَ عليه وعيدٌ بنارٍ أو عذاب أو لعنة أو ما أشبه ذلك فهو كبيرة.

وإلى نحوٍ من هذا ذهب الوزير أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي القرطبي قال: قد أطلتُ التفتيشَ عن هذا مُذْ سنين فَصَحَّ لي أنَّ كل ما توعدَّ اللهُ عليه بالنارِ فهو من الكبائر، ووجد أنه صلى الله عليه وسلم قد أدخلَ في الكبائر بنصّ لفظه أشياء غير التي ذكر في الحديث - يعني الذي في البخاري[١] - فمنها قول الزور وشهادة الزور وعقوق الوالدين والكذب عليه صلى الله عليه وسلم، وتعريض المرء أبويه للسبّ بأن يسبّ آباء الناس. وذكر عليه السلام الوعيدَ الشديد بالنار على الكِبْر وعلى كفر نعمة المحسن في الحق، وعلى النياحةِ في المأتم وحلقِ الشعر فيه وخرقِ الجيوب والنميمة، وتركِ التحفّظ من البول وقطيعة الرحم، وعلى الخمر وعلى تعذيب الحيوان بغير الذكاة لأكل ما يحلّ أكله منها[٢]، وعلى إسبالِ الإزار على سبيل التّجوّه[٣]، وعلى المنَّانِ بما يفعل من الخير، وعلى المنفق سلعته بالحلف الكاذب، وعلى مانعِ فَضْلِ مائهِ من الشارب، وعلى الغُلولِ وعلى مبايعةِ الأئمةِ للدنيا فإنْ أُعطِيَ منها وَفَى لهم وإنْ لم يُعطَ منها لم يوف لهم، وعلى المقتطعِ بيمينهِ حَقَّ امرىءٍ مسلم، وعلى الإمامِ الغاشّ لرعيته، وعلى من ادّعى لغير أبيه، وعلى العبد الآبق وعلى من غلّ وعلى من ادّعى ما ليس له،

---

(١) في فتح الباري ١٠: ٤٠٥ «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال ثلاثاً: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور. فما زال يقولها حتى قلتُ لا يسكت».

(٢) عبارة ق: كأكل ما لا يحل أكله منها. وما أثبتّه من ط.

(٣) ق: النخوة. والتجوّه: التعظم وتكلّف الجاه.

وعلى لاعنِ مَنْ لا يستحقُّ اللعنَ، وعلى بَغْضِ الأنصارِ رضي الله عنهم، وعلى تاركِ الصلاة وعلى تاركِ الزكاة، وعلى بغض عليٍّ كرم الله وجهه. ووجدنا الوعيدَ الشديدَ في نص القرآن قد جاء على الزُّناةِ وعلى المفسدين في الأرض بالحرابة، فصحَّ بهذا قول ابن عباس، انتهى كلام أبي محمد رحمه الله.

وقرىء: مُدخلاً بضم الميم، وهو مصدر أو مكان الإدخال، وبفتح الميم وهو مكان الدخول أو مصدر. وهو منصوب بفعل محذوف تقديره: فيدخلون مدخلاً، حذف لدلالة الفعل المطاوع عليه.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ الآية، قال قتادة والسدي: لما نزل ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴿١١﴾﴾ [النساء] قال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء في الحسنات كالميراث، وقال النساء: إنّا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كالميراث فنزلت.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ [١١٦/أ] الآية، المعنى أنَّ اللهَ جعلَ لكلٍّ من الصنفين مكاسب تختص به فلا يتمنى أحدٌ منهما ما جعل للآخر، فجعل للرجالِ الجهاد والإنفاق في المعَيشة وحمل التكاليف الشاقّة كالأحكام والإمارة والحسبة وغير ذلك، وجعل للنساء الحمل ومشقته وحسن التبعّل وحفظ غيب الزوج وخدمة البيوت. وقيل: المعنى مما اكتسبَ من نعيم الدنيا فينبغي أنْ يرضى بما قسم الله تعالى، وهذه الأقوال الثلاثة هي بالنسبة لأحوال الدنيا.

وقال الزمخشري[1]: جعل ما قسم لكلّ من الرجال والنساء على حسب

---

(١) الكشاف ١: ٥٢٣.

ما عرفَ اللهُ من حالِه الموجبة للبسط والقبض كسباً له انتهى.

وفي قوله: عرف الله نظر، فإنه لا يُقالُ في الله عارف، نَصَّ الأئمةُ على ذلك لأنَّ المعرفةَ في اللغة تستدعي قبلَها جهلاً بالمعروف، وذلك بخلافِ العلم فإنه لا يستدعي جهلاً قبله. وتسمية ما قسم الله [له] كسباً له، فيه نظر أيضاً فإنَّ الاكتسابَ يقتضي الاعتمالَ والتطلب كما قلناه، إلا إنْ قلنا إنَّ أكثر ما قسم الله[1] يستدعي اكتساباً من الشخص، فأطلق الاكتساب على جميع ما قسم له تغليباً للأكثر. وفي تعليقِ النصيبِ بالاكتسابِ حَضٌّ على العملِ وتنبيهٌ على كسب الخير.

﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ قرىء بسكون السين وبالهمز إذا كان أمر مخاطب وقبله الفاء أو الواو، وقرىء بفتح السين فاحتمل أن يكون أصله الهمز ونُقلت حركتها إلى السين وحذفت [الهمزة]، واحتمل أن يكون من سال يسال كخاف يخاف فعين الفعل واو فهما مادتان، ولذلك قيل: يتساءلانِ ويتساولان. ووهم ابن عطية في ذكره الإجماع على قوله ﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ ١٠﴾ [الممتحنة] أنه بالهمز لم يُقرأ بغيره، ونصوص المقرئين على خلاف قوله، ونصّ على الخلاف فيه بخصوصه ابن شيطا في كتابه المستنير[2].

﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ الآية، لما نهى عن التمني المذكور وأمر بسؤال الله من فضله، أخبر تعالى بشيء من أحوال الميراث. ولما ذكر تعالى أن «للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن» وهو ما حصل بالتطلب والتكسب، ذكر حالَهم فيما يحصل لهم بغير طلبٍ ولا تعبٍ فقال

(١) ق: قلنا إذا أكثر ما قسم له.

(٢) في البحر ٣: ٢٣٦: ابن شيطا في كتاب التذكار.

«ولكلٍّ» وهي مضافةٌ لمحذوفٍ تقديره: ولكلِّ إنسان. «جعلنا موالي» أي يكون أمره في قسمة ما يرث «مما ترك» أي: من أجل ما ترك، و«مِن» للسبب.

﴿ٱلْوَٰلِدَانِ﴾ أي: والدا ذلك الإنسان وأقربوه. ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ هو في التزوج. والمعنى أن الذين يتولون أمرَ الميراثِ ويُوصلونه لمن يستحقه أُمروا بأنْ يُؤتوا ما يحصل من الميراث لذلك الإنسان، ويكون الأمر في قوله «فآتوهم» للذين يتولَّونَ النظرَ في ذلك، والضمير المنصوب في «فآتوهم» وفي «نصيبهم» عائد على كل إنسان مراعى فيه الجمع، وهذا الذي فهمتُه من الآية. وذكرنا في «البحر» أقوالاً كثيرة يوقف عليها فيه[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ لما ذكر تعالى تشريع التوريث وأمر بإيتاء النصيب، أخبر بأنه مطلع على كل شيء وهو المجازي [به]، وفي ذلك تهديد للعاصي ووعدٌ للمطيع، وتنبيه على أنه شهيد[2] على المعاقدة بينكم والصلة فأوفوا بالعهد.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا

---

(١) انظر البحر ٣: ٣٢٧ وما بعدها.

(٢) ق: شهد.

تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، لما ذكر تعالى أمرَ الرجال والنساء في اكتسابِ النصيب وأمرهم في الميراثِ، أخبر تعالى أنَّ الرجالَ يقومون بمصالح النساء، و«قوامون» صفة مبالغة.

ومعنى «بما فضل الله» أي: بتفضيل الله بعضَ الرجال على بعضٍ في كونِ هذا رُزق أكثرَ من هذا وحال هذا أمشى من حالِ هذا.

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ أي: على النساء. و«ما» مصدرية في الموضعين. ويجوز أن تكون «ما» في قوله «وبما أنفقوا» موصولة وحذف الضمير العائد عليها، التقدير: وبالذي أنفقوه من أموالهم، وتقدير الأولى المصدرية: بتفضيل الله.

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أي: [١١٦/ب] الخيِّراتُ في الدين. ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ عابداتٌ لله تعالى. ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾ أي: لما غاب عن أزواجهن من سرٍّ وغيره كما قال الشاعر(١): [من الطويل]

إذا غاب عنها البَعْلُ لم تُفْشِ سِرَّهُ وترضى إيابَ البعل حينَ يؤُوبُ

و«ما» في قوله «بما حفظ الله» مصدرية، والمعنى أن حفظهن للغيب ليس من قبل أنفسهن بل ذلك بحفظ الله إياهن لذلك.

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النشوز] أنْ تتمنَّع المرأةُ مما يريدُ منها زوجُها

---

(١) هو علقمة بن عبدة، والبيت في المفضليات ص٣٩٠.

من وطءٍ واستمتاعٍ وتصنُّع بتعطُّرٍ وغير ذلك. ويقال [نسور] بالسين[١] والراء، ويقال نشوص بالشين والصاد. والظاهر أنَّ الخوفَ على بابه، وأُمِرَ بوعظها إذا خاف نشوزَها.

ويكون معنى قوله ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ مُقَيَّداً بوقوعِ النشوز والتقدير: إذا نشزت، إذ[٢] الهجرُ في المضجعِ والضرب لا يترتب على الخوف، إنما يترتب عليه الوعظ. ودلّ على تقدير: إذا نشزت، معنى التقسيم. وقوله «واضربوهن» مُطْلَقٌ في الضرب والمعنى والله أعلم، أنه ضربٌ غير مُبَرِّحٍ كالضربِ باللطمةِ والقضيبِ اللين ممّا لا يُحدثُ شيئاً ويؤْذِن بالاحتقار لها. وقد كان بعضُ الصحابة يضرب بالسوط[٣] المؤلم.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ أي: صرن طائعات لما تريدون منهن، ودلَّ ذلك على أنَّ نشوزهن كان معصية ولذلك قابله بقوله «فإن أطعنكم»، وقوله «سبيلا» أي: من وعظ أو هجر أو ضرب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ ولما كان في تأديبهن بما أمرَ به تعالى الزوجَ اعتلاءً للزوجِ على المرأة، ختم تعالى الآيةَ بصفةِ العُلُوِّ والكبر لينبّه العبدَ على أنَّ المُتَّصِفَ بذلك حقيقةً هو الله تعالى، وإنما أَذِنَ لكم فيما أذن على سبيلِ التأديب لهنّ فلا تَسْتَعْلُوا عليهن [ولا تتكبروا] فإنَّ ذلك ليس مشروعاً لكم. وفي هذا وعظٌ عظيمٌ للأزواج وإنذار[٤] أنَّ قدرةَ الله عليكم فوقَ قدرتكم عليهن.

---

(١) في ق: بالشين، والصواب بالسين والراء المهملتين، انظر البحر ٣: ٢٤١.

(٢) ق: إذا.

(٣) ق: بالصوت.

(٤) ق: وإنذاراً.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ﴾ المشاقّة بأنْ يتمادى نُشوزها ولا ينفع فيها وعظٌ ولا هجر ولا ضرب وتصير هي في شقٍّ وهو في شق، والمعنى شقاقاً. ﴿بَيْنِهِمَا﴾ أي: بين الزوجة والزوج. وأضيف «شقاق» إلى «بين» وهو ظرف على جهةِ الاتّساع كما قالوا: هو نقي بين الحاجبين.

والأمر في قوله «فابعثوا» هو لمن يتولى أمرَ النساء والرجال[1] من القُضاةِ والولاة. والظاهر أنهما ليسا وكيلين بل هما ناظران في أمرهما على سبيلِ الصلح أو الفرقة. والضمير في ﴿إِن يُرِيدَآ﴾ عائد على الحَكَمين. ﴿إِصْلَٰحًا﴾ أي: بين الزوجين. والضمير في «بينهما» عائد على الحَكَمين، أي فيما بُعِثَا فيه من تمامِ الإصلاح أو التفرقة على حسب ما يظهر لهما، وقيل: الضمير في بينهما عائدٌ على الزوجين، وفي كتب الفقه تفاريع في الحكمين يُنْظَرُ فيها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ يعلم ما يقصد الحكمان وكيف يوفق بين المختلفين، ويَخْبر خفايا ما يلفظانِ به في أمرِ الزوجين.

﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: صاحب الدار القريبة من دارك ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ هو البعيد الدار من دارك. ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ المتصل المسكن بمسكنك المختال التيّاه الجهول الذي يتكبر عن إكرام أقاربه [وأصحابه] ومماليكه ولا يتحفّى بهم ولا يلتفت إليهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ

---

(١) ق: أمر الناس.

﴿ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ٣٩﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ قيل: هو بدل من «مَنْ»[١]. وقيل: «من [كان] مختالاً فخوراً» حملاً على لفظ مَن، ثم قال «الذين» حملاً على معنى مَن. ويجوز عندي أنْ يكون صفةً لمَنْ ولم يذكروا هذا الوجه. وقيل هو في موضعِ رفعٍ على إضمارِ مبتدأ تقديرهُ: هم الذين يبخلون. وهذه الأقوالُ على تقدير اتصال «الذين» بما قبله، ومن أعرب «الذين مبتدأ» فهو قلق إذ[٢] لم يصرّح في الآية بخبر.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ معطوف [١١٧/أ] على «الذين يبخلون» وتقدم تفسير نظيرها في البقرة[٣].

﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ لما ذكر تعالى مَنِ اتَّصَفَ بالبخلِ والأمر به وكتمان فضل الله تعالى والإنفاق رياءً وانتفاء إيمانه بالله تعالى وباليوم الآخر - ذكر أنَّ هذه من نتائجِ مقارنةِ الشيطان ومخالطتهِ وملازمته للمتَّصفِ بذلك لأنها شرٌّ مَحْضٌ إذْ[٤] جمعت بين سوءِ الاعتقادِ الصادر عنه الإنفاق رياء وسمعة وسائر تلك الأوصاف المذمومة، ولذلك قدّم تلك الأوصاف، وذكر ما صدرت عنه وهو انتفاءُ الإيمانِ بالمُوجِدِ وبِدارِ الجزاء، ثم ذكر أنَّ ذلك من مقارنة الشيطان، والقرين المقارن، و«ساء» هنا بمعنى بئس وهي لا تتصرف ولذلك دخلت الفاء في جواب «مَن» الشرطية.

---

(١) في الآية السابقة.

(٢) ق: إذا.

(٣) انظر تفسير الآيتين ٣، ٤.

(٤) ق: إذا.

وقال ابن عطية: وقرن الطبري هذه الآية بقوله تعالى ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف]، وذلك مردودٌ لأنَّ «بدلًا» حالٌ وفي هذا نظر انتهى. والذي قاله الطبري صحيح، و«بدلًا» تمييز لا حال وهو مفسر للضمير المستكن في «بئس» على مذهب البصريين، والمخصوص بالذم محذوف تقديره هم، أي الشيطان وذريته. وإنما ذهب إلى إعراب المنصوب بعد نعم وبئس حالاً، الكوفيون على اختلاف بينهم مقررٍ في علم النحو، والظاهر أن هذه المقارنة في الدنيا.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الإيمان بالله واليوم الآخر والإنفاق في سبيل الله.

﴿لَوْ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لحصلت لهم السعادة. ويحتمل أن يكون جملة واحدة وذلك على مذهب مَنْ يثبت أنَّ «لو» تكون مصدرية في معنى أنْ كأنه قيل: وماذا عليهم أن آمنوا أي في الإيمان بالله، ولا جواب لها إذ ذاك فيكون كقول الشاعر(١): [من الطويل]

وماذا عليه أن ذَكَرْتُ أوانساً كغِزْلانِ رملٍ في محاريبِ أقيالِ

و«ماذا» استفهام وفيه معنىٰ الإنكار.

قال ابن عطية: وجواب «لو» في قوله «ماذا» فهو جواب مقدم انتهى. إن أراد ظاهر هذا الكلام فليس موافقاً لكلام النحويين، لأنَّ الاستفهامَ لا يقعُ جواب لو، ولأن قولهم: أكرمتك لو قام زيد، إنْ ثبت أنه من كلام العرب حُملَ على أنّ «أكرمتك» دالّ على الجواب لا جواب كما قالوا في قولهم: أنت طالق إن فعلتِ. وإن أراد تفسير المعنى فيمكن ما قاله.

---

(١) هو امرؤ القيس والبيت في ديوانه ص٣٤.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۝٤٢ ﴾.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ ﴾ مناسبةُ هذه الآية لما قبلها واضحةٌ لأنه تعالى لما أمر بعبادةِ الله وبالإحسان للوالدين ومن ذكر معهم، ثم أعقب ذلك بذمِّ البخلِ والأوصاف المذكورة معه، ثم وبَّخ مَنْ لم يؤمن ولم[1] ينفق في طاعة الله، فكان هذا كله توطئةً لذكرِ الجزاء على الحسناتِ والسيئاتِ فأخبر تعالى بصفةِ عدلهِ وأنه تعالى لا يظلمُ أدنى شيءٍ، ثم أخبر بصفةِ الإحسان فقال «وإن تك حسنة يضاعفها». و«يظلم» يتعدى لواحد وهو محذوف وتقديره: لا يظلم أحداً مثقال ذرة. وينتصب «مثقال» على أنه نعت لمصدر محذوف أي ظلماً وزن ذرة، كما تقول: لا أظلم قليلاً ولا كثيراً. وقيل: ضُمِّنتْ معنى ما يتعدى لاثنين فانتصب «مثقال» على أنه مفعولٌ ثانٍ والأول محذوف، التقدير: لا ينقص أو لا يغصب أو لا يبخس أحداً مثقال ذرة من الخير أو الشر. وقرىء: وإن تك حسنة بالنصب فتكون ناقصة واسمها مستتر فيها، عائد على «مثقال»، وأنّث الفعل لعوده على مضاف إلى مؤنث أو على مراعاة المعنى لأن «مثقال» معناه زنة [أي وإن تك زنة] ذرة. وقرىء بالرفع على أن «تك» تامة تكتفي بمرفوع.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ هو نبيهم ليشهد عليهم بما فعلوا كما قال تعالى ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۝١١٧ ﴾ [المائدة]. والأمّةُ هنا مَن

(١) ق: ومن.

[١١٧/ب] بُعثَ إليهم النبيُّ من مؤمنٍ به وكافر. لما أعلم تعالى بعدله وإيتاء فضله أتبع ذلك بأنْ نبَّه على الحالةِ التي يحضر فيها للجزاء ويشهد عليهم فيها. و«كيف» في موضع رفع إن كان المحذوف مبتدأ، التقدير: فكيف حال هؤلاء السابق ذكرهم، أو كيف صنعهم. وهذا المبتدأ العامل في خبره هو العامل في «إذا»، أو في موضع نصب إن كان المحذوف فعلاً أي: فكيف يصنعون أو فكيف يكونون، والفعل أيضاً هو العامل في «إذا».

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ التنوين في «يومئذ» هو تنوين العوض حذفت الجملة السابقة وعوض منها هذا التنوين والتقدير: يومئذٍ جئنا. وقرىء: تسوّى مبنياً للمفعول، وتَسّوى بإدغام التاء في السين[١]، وسوّى بحذف التاء. ومعنى التسوية أنهم يستوون مع الأرض فيكونون تراباً كهي، كما قال تعالى في حق الكافر ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾ [النبأ]. والعامل في «يومئذ» «يودّ»، ومفعول «يود» محذوف تقديره: تسويةَ الأرض بهم، ودلّ عليه قوله «لو تسوّى بهم الأرض». و«لو» حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وجوابه محذوف تقديره: لسرّوا بذلك، وحذف لدلالة «يود» عليه. ومن أجاز في «لو» أن تكون مصدرية مثل أن جوّز ذلك هنا وكانت[٢] إذ ذاك لا جوابَ لها بل تكون في موضع مفعول «يود». ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ معطوف على «يود»، أو تكون الواو للاستئناف، التقدير: وهم لا يكتمون الله تعالى. وفي يوم القيامة مواطن كثيرة يكتمون الله[٣] كقولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ [الأنعام] ومواطن لا يكتمون كقولهم ﴿يَٰلَيْتَنَا

---

(١) وأصله: تتسوى فأدغمت التاء في السين، وهو مضارع تسوّى.

(٢) ق: ولو كانت.

(٣) بعده في ق: في مواطن.

نُرَدُّ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام] الآية[1].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية، روي أن جماعة من الصحابة شربوا قبل تحريم الخمر وحانت صلاة فتقدم أحدهم فقرأ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ [الكافرون] فخلط فيها فنزلت. ومناسبتها لما قبلَها أنه لما أمرَ تعالى بعبادةِ الله والإخلاص فيها وأمر ببرِّ الوالدين ومكارمِ الأخلاق وذم البخل، واستطرد منه إلى شيءٍ من أحوال القيامة. وكان قد وقع من بعض المسلمين تخليطٌ في الصلاة التي [هي] رأس العبادة بسبب شرب الخمر، ناسب أنْ تَخلصَ الصلاةُ من شوائبِ الكدر التي تُوقِعها على غير وجهها [فأمر تعالى بإتيانها على وجهها] دونَ ما يُفسدها ليجمعَ لهم بين إخلاصِ عبادةِ الحق ومكارم الأخلاق التي بينهم وبين الخلق. وبالغ تعالى في النهي عن أنْ يصلي المؤمنُ وهو سكران بقوله «لا تقربوا الصلاة» لأنَّ النهيَ عن قربان الصلاة أبلغ من قوله: لا تُصلُّوا وأنتم سكارى، ومنه ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام] والمعنى: لا تَغْشَوُا الصلاة، وغيَّا ذلك بقوله «حتى تعلموا».

﴿ وَلَا جُنُبًا﴾ حالٌ معطوفة على قوله «وأنتم سكارى» إذ هي جملةٌ حالية،

---

(١) وتمامها «ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين».

والجملةُ الاسمية أبلغ لتكرار الضمير، فالتقييد [بها] أبلغ في الانتفاء منها من التقييد بالمفرد الذي هو «ولا جنباً». ودخول «لا» دالٌّ على مراعاة كُلِّ قيدٍ منهما بانفراده. وإذا كان النهي عن إيقاع الصلاة مصاحبة لكل حال منهما بانفراده، فالنهي(١) عن إيقاعها بهما مجتمعَيْن آكدُ وأدخلُ في الحظر. والجُنُبُ هو غيرُ الطاهرِ من الإنزالِ أو مجاوزةِ ختان، هذا قولُ جمهور الأمة. والجنب من الجنابة وهي البُعْدُ كأنه جَانَبَ الطُّهْرَ، أو من الجَنْب كأنه ضاجع أو مسّ بجنبه، قال الزمخشري(٢): الجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب انتهى. والذي ذكره هو المشهور في اللغة والفصيح، وبه جاء القرآن وقد جمعوه جمع سلامة بالواو والنون قالوا: قوم [١١٨/أ] جنبون، وجمع تكسير قالوا: قوم أجناب، وأما تثنيته فقالوا: جنبان.

﴿ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ العبورُ الخُطُورُ والجواز ومنه: ناقة عبر الهواجر. و«عابري» منصوب على الحال وهو استثناء من الأحوال، ويُلْحَظُ محذوفٌ أي: ولا تقربوا مواطنَ الصلاةِ وأنتم جنب إلا في حالِ عبورِكم في الطريق، وغيًّا ذلك بقوله «حتى تغتسلوا» فإذا اغتسلَ [الجُنُبُ] جازَ له أنْ يصلي وأنْ يمكثَ في المسجد.

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ الآية، نزلت بسبب عدم الصحابة الماء في غزوة المريسيع حين(٣) أقامَ [صلى الله عليه وسلم بالناس] على التماسِ العِقد. ﴿ مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ الظاهر مُطْلَقُ المرضِ ومطلق السفر، فإذا لم يجد ماءً

(١) ق: وإذا كان النهي.

(٢) الكشاف ١ : ٥٢٨.

(٣) ق: حتّى. والعقد الملتمس للسيدة عائشة أو أسماء، انظر القرطبي ٥: ٢١٤.

تيمّم. والغائطُ كناية عن الحَدَثِ وحُمِلَ عليه الريحُ والبولُ والمَنِيُّ والوَدْيُ [والمَذْيُ]، ولا خلاف أنَّ هذه الستة أحداث.

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ﴾ وقرىء: لامستم ماضي يلامس، ولَمَسْتُم ماضي يَلْمَسُ. والظاهر في «لامستم» أنه أُريدَ به الجماعُ، وينبغي أن يحمل عليه «المستم»، ومن العلماء مَنْ حمل ذلك على أنَّ المراد اللمس باليد أو غيرها[1] من الجوارح على تفصيلٍ مذكورٍ في كتب الفقه.

﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ الضمير عائد على من أسند إليهم الحكم في الأخبار الأربعة، وفيه تغليب الخطاب إذ قد اجتمع خطاب وغيبة فالخطاب «كنتم مرضى أو على سفر، أو لامستم» والغيبة قوله «أو جاء أحد» وما أحسنَ ما جاءت هذه الغيبة، لأنه لما كنّى عن الحاجةِ بالغائطِ كره إسنادَ ذلك إلى المخاطَبين فنزع به إلى لفظِ [الغائب] بقوله «أو جاء أحدٌ» وهذا من أحسنِ الملاحظاتِ وأجمل المخاطبات، ولما كان المرضُ والسفرُ ولمسُ النساء لا يفحش الخطاب بها، جاءت على سبيل الخطاب. وظاهر انتفاء الوجدان أن سبق تطلّبه وعدم الوصول إليه، فأما في حَقِّ المريض فجعل الموجود حسّاً في حَقِّه إذا كان لا يستطيعُ استعماله، كالمفقود شرعاً، وأما غيره باقي الأربعة فانتفاء وجدان الماء في حقهم هو على ظاهره.

﴿فَتَيَمَّمُوا۟﴾ اقصدوا ﴿صَعِيدًا﴾ تراباً ﴿طَيِّبًا﴾ طاهراً ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ﴾ المسحُ البَلَلُ بالماء وإمرارُ اليد من غير غسل، والظاهر عموم الوجه تقول: مسحت برأسه ومسحت رأسه بمعنى واحد. «وأيديكم» هو مجمل، وجاء في الحديث أنَّ التيمّم مسح الوجه ومسح الكفين بالتراب وذكر ذلك في صحيح

---

(١) ق: غيره.

مسلم[1]. وفي تحديد اليد في التيمّم خلافٌ مذكورٌ في كتب الفقه. ﴿عَفُوًّا غَفُورًا﴾ كناية عن الترخيص والتيسير.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الآية، نزلت في اليهود، ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر شيئاً من أحوالِ الآخرة وأنَّ الكفار إذْ ذاكَ يَودُّون لو تُسوَّى بهم الأرض ولا يكتمونَ اللهَ حديثاً، وجاءت الآية بعد ذلك كالاعتراضِ بين ذكر أحوالِ الكفار في الآخرة وذكرِ أحوالهم في الدنيا [مع المؤمنين، ذكر أحوالهم في الدنيا] وما هم عليه من معاداةِ المؤمنينَ، وكيف يعاملون رسولَ الله ﷺ الذي يأتي عليهم شهيداً وعلى غيرهم، ولما كان اليهودُ أشدَّ إنكاراً للحق وأبعد من قبول الخير، وكان قد تقدم أيضاً ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النساء] وهم أشد [الناس] تحلّياً بهذين الوصفين.
﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ الظاهر أنَّ «مِنَ الكتابِ» صفة لقوله «نصيباً»، وأُريدَ بالكتابِ الجنس، والنصيب التوراة. ويجوز أن يتعلق «من الكتاب» بقوله «أوتوا».

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ أي: بالهدى، وحذفه لأنَّ الضلالة تدلُّ عليه كما صرّح

(١) نصه فيه ١: ٢٨١ «إنما كان يكفيكَ أنْ تضربَ بيديك الأرضَ ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهكَ وكفَّيك».

به في قوله ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة]. والمعنى: ألا تعجب ممن أنزل عليه من الكتب الإلهية ومع ذلك لم يَتّبِعْ ما أنزل إليه وآثَرَ الضلالةَ على الهدى.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: لـمِ يَكْفِـهـم أنْ ضَلُّـوا فـي أنفسهـم حتى تعلقت آمالهم بضلالكم أنتم أيها المؤمنون عن سبيلِ الحق، لأنهم لما[1] علموا أنهم قد خرجوا [١١٨/ب] من الحق إلى الباطل كرهوا أنْ يكونَ المؤمنون مختصين باتباعِ الحق، فأرادوا أن يضلوا كما ضلّوا هم كما قال عز وجل ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴿٨٩﴾﴾ [النساء]. وقرىء: أن تُضِلوا بضم التاء وكسر الضاد، من أضلّ، وقراءة الجمهور بفتح التاء[2] وكسر الضاد، من ضلّ.

و﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ لما ذكر تعالى أنهم أُوتوا التوراةَ وآثروا اشتراء[3] الضلالة، ذكر أيضاً مما يذمّهم به وهو تحريف الكَلِمِ عن مواضعه.

وقوله ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ صفة لمبتدأ محذوف وخبره الجار والمجرور قبله، وحذفه فصيح كقول العرب: منّا ظعن ومنّا أقام. وأجاز الفراء أن يكون المحذوف الموصول[4] تقديره: مَنْ يحرفون، «فيحرّفون» صلة لمَنْ المحذوفة.

---

(١) ق: لو.

(٢) ق: أن يضلّوا بضم الياء.. بفتح الياء. وما أثبتّه من ط. وفي البحر ٣: ٢٦١ وقرىء: أن يضلوا بالياء وفتح الضاد وكسرها.

(٣) ق: اشتروا.

(٤) ق: الوصل.

﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ الظاهر أنهم شافهوا النبيَّ ﷺ بهاتين الجملتين وخاطبوه بقولهم «واسمع غير مسمع» وهذا كلامٌ موجّه، والظاهر أنهم أرادوا به الوجهَ المكروه لسياق ما قبله من قوله «سمعنا وعصينا». وانتصب «غير مسمع» على الحال أي: واسمع حال كونك لا تسمع، فيكون ذلك على سبيل الدعاء كأنهم قالوا: واسمع لا سمعت. ويجوز أن يكون «غير مسمع» صفة لمصدر محذوف أي واسمع [سمعاً] غير مسمع.

﴿ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ تقدم تفسير «راعنا» في البقرة[1]. و«لياً» أي: فتلاً وتحريفاً عن الحق إلى الباطل. وانتصاب «لياً، وطعناً» على المفعول من أجله، أو على أنهما مصدران في موضع الحال. وطعنهم في الدين إنكار نبوته وتغيير نعته.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ أي: لو تَبَدَّلُوا بالعصيانِ الطاعةَ ومِنْ «رَاعِنَا» بـ«انظرنا».

وقال الزمخشري[2]: ولو ثبت قولهم: سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيراً لهم وأقوم وأعدل وأسدّ[3] انتهى. سبك الزمخشري من «أنهم قالوا» مصدراً مرتفعاً بثبت على الفاعلية، وهذا مذهبُ المبرد خلافاً لسيبويه إذ يرى سيبويه أنّ أنْ بعد لو مع ما عملت فيه تتقدّر[4] باسم مبتدأ، وهل الخبر محذوف أو لا يحتاج إلى تقدير الخبر لجريان المسند والمسند إليه في صلة أن - قولان أصحّهما هذا، فالزمخشري وافق مذهب المبرد، وهو

(١) الآية ١٠٤.

(٢) الكشاف ١ : ٥٣١.

(٣) ق: وأشد.

(٤) ق: تتقدم.

مذهب مرجوح في علم النحو.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من ضمير المفعول في «لعنهم» أي: إلا قليلاً لم يلعنهم فآمنوا، أو استثناء من الفاعل في «فلا يؤمنون» كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما، أو راجع إلى المصدر المفهوم من قوله «فلا يؤمنون» أي: إلا إيماناً قليلاً قلّله أنْ[1] آمنوا بالتوحيد وكفروا بمحمد ﷺ وبشرائعه. وقال الزمخشري[2]: إلا إيماناً قليلاً أي: ضعيفاً ركيكاً لا يُعبأُ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كُفْرِهم بغيره، أو أراد بالقلّة [العَدَم] كقوله[3]:

قليلُ التَّشَكِّي للهمومِ تُصيبه [من الطويل]

أي: عديم التشكّي. وقال ابن عطية: من عبّر بالقلّة عن الإيمان قال هي عبارة عن عدمه، على ما حكى سيبويه من قولهم: أرضٌ قَلَّما تُنبتُ كذا وهي لا تنبت جملة. وهذا الذي ذكره الزمخشري وابن عطية من أنَّ القليلَ يراد به العدم هو صحيحٌ في نفسه لكن ليس هذا التركيب الاستثنائي من تراكيبه[4]، فإذا قلت: لا أقوم إلا قليلاً لم يوضع هذا لانتفاء القيام ألبتّة، بل هذا يدلُّ على انتفاءِ القيامِ منك إلا قليلاً فيوجد منك. وإذا قلت: قلّما يقوم أحد إلا زيد، وأقل رجلٍ يقول ذلك، احتمل هذا أنْ يُرادَ به التقليل المقابل للتكثير، واحتمل أن يراد به النفي المحض وكأنك قلت: ما يقوم أحد إلا زيد، وما رجل يقول ذلك. أما أنْ تنفي ثم توجب ويصير الإيجاب بعد النفي

---

(١) ق: إذا.

(٢) الكشاف ١ : ٥٣١.

(٣) البيت لتأبط شراً في العقد ١ : ٨٥ وعجزه:

كثير النوى شَتُّ الهوى والمسالك

(٤) ق: تركيبه.

يدل على النفي فلا، إذ تكون «إلا» وما بعدها على [هذا] التقدير [١١٩/أ] جِيءَ بها لغواً لا فائدةَ فيه، إذ الانتفاء قد فهم من قولك: لا أقوم، فأيّ فائدةٍ في استثناء مثبت يراد به الانتفاء المفهوم من الجملة السابقة؟ وأيضاً فإنه يؤدي إلى أن يكون ما بعد إلاّ موافقاً لما قبلها في المعنى، وبابُ الاستثناء لا يكونُ فيه ما بعدَ إلاَّ موافقاً لما قبلَها. وظاهر قوله «فلا يؤمنون إلا قليلاً» إذا جعلناه عائداً إلى الإيمان، أنَّ الإيمان يتجزَّأُ بالقِلَّةِ والكثرة فيزيد وينقص، والجواب أن زيادته ونقصه هو بحسب قلة المتعلقات وكثرتها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ ﴾ الآية، دعا رسول الله ﷺ أحبار اليهود منهم عبد الله بن صوريا[1] وكعب إلى الإسلام وقال لهم: إنكم لتعلمون أنَّ الذي جئتُ به حق. فقالوا: ما نعرف ذلك فنزلت، قاله ابن عباس. ومناسبةُ هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما رجاهم بقوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النساء] الآية، خاطبَ مَنْ يُرجى إيمانُه منهم بالأمرِ بالإيمان، وقرن بالوعيد البالغ على تركه ليكون أدعى لهم إلى الإيمانِ والتصديقِ به، ثم أزال خوفهم من سوءِ الكبائر السابقة بقوله «إن الله لا يغفر أن يشرك به» الآية، وتَوَعَّدهم إنْ لم يؤمنوا بأحدِ أمرينِ: الطمس أو اللعن الموصوف.

(١) ق: رصويا، والتصويب من البحر ٣: ٢٦٦ والقرطبي ٥: ٢٤٤. وكعب هو ابن أسد.

والظاهر أنَّ معنى الطمس جعل الحاجبين والعينين والأنف والفم لوحاً واحداً ثم يقلب مشرفاً على الظهر ويصير القفا مشرفاً على الصدر، وهذا تشويهٌ عظيمٌ لمحاسن الإنسان. وقيل: هو على حذفِ مضافٍ أي: نطمسُ أعينَ وجوهٍ ونجعلها في القفا. وقرىء: نطمس[١] بضم الميم وكسرها. واللعنُ هو المتعارف، وتقدم قبلُ ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴿٤٦﴾﴾ [النساء] وهذا لعنٌ مطلق، وفي هذه الآية لعنٌ مُقَيَّدٌ بقوله «كما لعنا أصحاب السبت» قيل: أصحاب السبت هم أهلُ إيلة مُسِخُوا قردةً وخنازير. ولما سمع عبدالله بن سلام الآية جاء إلى النبي ﷺ قبل أن يأتي أهله ويده على وجهه وأسلم وقال: يا رسولَ الله ما كنتُ أرى أنّي[٢] أصلُ إليك حتى يُحوَّلُ وجهي في قَفاي. ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ المعنى: الذي أراد إيجاده[٣] وتعلّق أمره به لا بدّ من وجوده.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ الآية، قيل: نزلت في وحشي وأصحابه وكان جُعِلَ له على قتلِ حمزة أن يُعتقَ فلم يُوف [له] فقدم مكة وندم على الذي صنعه هو وأصحابه، ثم قدموا مسلمين وقصّ كيفية قتله لحمزة، فقال له رسول الله ﷺ: غَيِّبْ وجهكَ عني، فلحق بالشام وبقي[٤] بها حتى مات، وقصتهُ مشهورةٌ في السير.

ومذاهبُ الناس في هذه الآية مختلفة فأجمع المسلمون على تخليدِ مَنْ مات كافراً في النار، وعلى تخليدِ مَنْ مات مؤمناً لم يذنب قطّ في الجنة، فأما تائبٌ مات على توبتهِ ففي الجنة، وأما مذنبٌ مات

---

(١) ق: يطمس.

(٢) ق: أن.

(٣) ق: أراده أوجده.

(٤) ق: ونفي.

قبل[1] توبته فالخوارج تقول: هو مُخَلَّدٌ في النار سواء كان صاحبَ كبيرةٍ أو صاحبَ صغيرة. والمُرْجِئةُ تقول: هو في الجنة بإيمانه ولا تضرّه سيئاته. والمعتزلة تقول: إنْ كان صاحبَ كبيرة خُلِّدَ في النار. وأهلُ السنة يقولون: هو في المشيئة فإن شاء الله تعالى غفر له وأدخله الجنة من أول وهلة، وإن شاء عَذَّبه وأخرجه من النار وأدخله الجنة مخلداً فيها. وحججُ هذه المذاهب مذكورةٌ في علم أصول الدين.

وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ المعنى مَنْ مات مشركاً لا يغفر له وهو أصلٌ مُجْمَعٌ عليه من الطوائفِ الأربع.

وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ رادّ على الخوارج وعلى المعتزلة لأن «ما دون ذلك» عامٌّ يدخلُ فيه الكبائرُ والصغائر.

وقوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ رادّ على المرجئة، إذ مدلوله أنَّ غفران ما دونَ الشرك إنما هو لقومٍ دونَ قومٍ على ما شاءَ [١١٩/ب] تعالى بخلافِ ما زعموه بأنَّ كُلَّ مؤمنٍ مغفورٌ له.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ

(١) ق: ما تقبل.

بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ قيل هم اليهود وقيل النصارى. وتزكيتهم قولهم نحن أبناءُ الله وأحباؤه. وفي ذلك غَضٌّ على مَنْ يُزكِّي نفسه بلسانه ويصفها بزيادة الطاعة والتقوى][١].

قال ابن عطية: «كيف» يصح أن تكون في موضع نصب بـ«يفترون» ويصح[٢] أن تكون في موضع رفع بالابتداء والخبر في قوله «يفترون» انتهى. أما قوله: يصح أن تكون في موضع نصب بـ«يفترون» فصحيح، وأما قوله: ويصح أنْ تكونَ في موضعِ رفعٍ بالابتداء والخبر في قوله «يفترون» فهذا لم يذهبْ إليه أحدٌ لأنَّ «كيف» ليست من الأسماء التي يجوزُ الابتداءُ بها، وإنما قوله «كيف يفترون على الله الكذب» في التركيب نظير قولك: كيف يضرب زيد عمراً. ولو كانت [مما] يجوز الابتداء بها ما جاز أنْ تكونَ مبتدأ في هذا التركيب لأنه ذكر أن الخبر هي الجملة من قوله «يفترون» وليس فيها رابطٌ يربطُ هذه الجملة بالمبتدأ، وليست الجملة نفس المبتدأ في المعنى فلا تحتاج إلى رابط، فهذا الذي قاله فيه هو فاسد على كل تقدير.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أجمعوا على أنَّ المرادَ بأهلِ الكتاب هنا اليهود، والكتاب التوراة. وسبب نزولها أنَّ كعبَ بنَ الأشرفِ

---

(١) ورد هذا المقطع في الأصل بعد شرح الآية التالية.

(٢) ق: ويصلح.

وحييّ بن أخطب وجماعة خرجوا إلى مكة يحالفون قريشاً على محاربةِ رسولِ الله ﷺ فقالوا: أنتم أهلُ كتابٍ وأنتم أقربُ إلى محمدٍ فلا نأمنُ مكراً منكم إلينا[١] فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا، فقال[٢] أبو سفيان: أنحنُ أهدى سبيلاً أم محمد؟ فقال كعب: ماذا يقول محمد؟ قال: يأمرُ بعبادةِ الله وحده وينهى عن الشرك. قال كعب: وما دينكم؟ قالوا: نحن ولاةُ البيتِ نسقي الحاج ونقري الضيف ونَفكُّ العاني، وذكروا[٣] أفعالهم فقال: أنتم أهدى سبيلاً.

و«الجبت والطاغوت» صنمان لقريش وقيل غير ذلك.

﴿أَمْ [لَهُمْ] نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ أم هنا منقطعة، التقدير: بل أَلَهُمْ نصيبٌ من الملك، انتقلَ من كلامٍ إلى كلام بأم واستفهم على سبيلِ الإنكار أنْ يكون لهم نصيبٌ من الملك. قال الأزهري: الفتيل والنّقير والقطمير يُضْرَبُ مثلاً للشيءِ التافهِ الحقير، وخُصَّت الأشياءُ الحقيرة بقوله «فتيلاً» في ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء] وهنا بقوله «نقيراً» لو فاق النظير من الفواصل.

﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ﴾ الآية، هو تصريحٌ ببخلهم. و«إذاً» حرف جزاء وجواب والتقدير من حيث المعنى أنهم إنْ كان لهم نصيبٌ من الملك لا يسمحون بشيء وإن كان تافهاً[٤] لبخلهم.

ثم انتقل من هذه الخصلة الذميمة إلى خصلة أشد منها وهي الحسد،

---

(١) عبارة ق: إلى محمد منكم إلينا فلا تأمن مكركم.

(٢) ق: وقال.

(٣) ق: فقال وذكروا.

(٤) ق: باقيها لهم.

فالبخلُ مَنْعُ فضولِ خيرٍ من الإنسانِ إلى غيرِهِ، والحَسَدُ تَمنِّي زوال ما أعطى الله الإنسان من الخير وإيتاؤه له. وفي ذلك إشارةٌ إلى حسدهم لرسولِ الله ﷺ.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهو النبوة ولذلك جاء بعده ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾. وإبراهيمُ هو جَدُّ رسولِ الله صلى الله عليهما وسلم الأعلى[1]، و«آل إبراهيم» يحتمل أنْ يريد شخص إبراهيم عليه السلام. و«الكتاب» الصحف التي نزلت على إبراهيم، وقد يراد بآله مَنْ كان من ذريته كموسى عليه السلام، ويكون الكتاب التوراة.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ هو ما كان في بني إسرائيل من الملوك كداود وسليمان عليهما السلام، ألا ترى إلى قول موسى عليه السلام ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ۝٢٠﴾ [المائدة]، الآية.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ الضمير عائد على إبراهيم وقيل على الكتاب، أي فمن آل إبراهيم من آمن بالكتاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [١٢٠/أ] لَمَّا ذَكَرَ «ومنهم مَنْ صَدَّ عنه» أتبعه بما لهم من العذاب، ثم ذكرَ ما للمؤمنينَ من النعيم في الآخرة فصار نظير ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ۝١٠٦﴾ [آل عمران] ثم قال تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ۝١٠٧﴾ [آل عمران]. وقرىء: نُصْلِيهم من أصلى، ونَصليهم من صليت، وقرىء بضم الهاء وكسرها.

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ قال أبو مسلم: الظليلُ هو القويُّ المتمكِّن، قال: ونعت الشيء بمثل ما اشتُقَّ من لفظه يكون مبالغة كقولهم: ليلٌ أليلُ وداهيةٌ دَهياء.

---

(١) ق: الأصلي.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ سبب نزولها ما ذكروا في قصة مضمونها أنَّ رسولَ الله ﷺ أخذ مفتاح الكعبة من سادنَيها[1] عثمان بن طلحة وابن عمه شيبة بن عثمان بعد تأبٍّ من عثمان ولم يكن أسلم، فسأل العباسُ رسولَ الله ﷺ أنْ يجمعَ له بين السقاية والسّدانة فنزلت، فردَّ المفتاحَ إليهما وأسلم عثمان وقال رسولُ الله ﷺ: خُذوها يا بني طلحة خالدةً تالدةً لا يأخذها منكم إلا ظالم. وعن ابن عباس وغيره: نزلت في الأمراء أن يؤدوا الأمانةَ فيما ائتمنهم اللهُ من أمرِ رعاياهم.

ومناسبتها لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر ما أعدّ للمؤمنين[2] وذكر عمل الصالحات، نبّه على هذين العملين الشريفين اللذين مَن اتَّصفَ بهما كان أحرى أنْ يتصف بغيرهما من الأعمال الصالحة، فأحدهما ما يختصّ به الإنسان فيما بينه وبين غيره وهو أداء الأمانة التي عُرِضت على السماواتِ والأرض والجبال فأبَيْنَ أنْ يحملنها، والثاني ما يكون بين اثنين من الفصلِ بينهما بالحكمِ العدلِ الخالي عن الهوى، وهو من الأعمالِ العظيمة التي أمرَ اللهُ بها رُسُلَهُ وأنبياءه والمؤمنين.

ولما كان الترتيبُ الصحيح أنْ يبدأ الإنسانُ بنفسه في جلبِ المنافع ودفع

(١) ق: سادنها.

(٢) ق: ذكر وعد المؤمنين.

المضار ثم يشتغل بحال غيره، أمر تعالى بأداء الأمانةِ أولاً، ثم بعده بالأمر بالحكم بالحق.

و﴿أَن تَحْكُمُوا﴾ ظاهره أن يكون معطوفاً على «أن تؤدوا» وفصل بين حرف العطف والمعطوف بإذا، وقد ذهب إلى ذلك بعضُ أصحابنا وجعله كقوله ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة] ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴿٩﴾﴾ [يس] ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق] ففصل في هذه الآيات[1] بين الواو والمعطوف بالمجرور، وأبو علي يخصّ هذا بالشعر وليس بصواب؛ فإن كان المعطوف مجروراً أُعيد الجارّ نحو: امرر[2] بزيدٍ وغداً بعمرو، ولكن قوله «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» ليس من هذه الآيات لأنَّ حرف الجر يتعلق في هذه الآيات بالعامل في المعطوف. والظرف هنا ظاهره أنه منصوب بـ«أنْ تحكموا» ولا يمكن ذلك لأن الفعل في صلة أن ولا يمكن أن ينتصب بالناصب لـ«أن تحكموا» لأنَّ الأمرَ ليس واقعاً وقت الحكم، وقد خرّجه على هذا بعضهم. والذي يظهر أن «إذا» معمولة «لأن تحكموا» مقدّرة، و«أن تحكموا» المذكورة[3] مفسرة لتلك المقدّرة، هذا إذا فرّعنا على قولِ الجمهور. وأما إذا قلنا بمذهب الفراء «فإذا» منصوبة بـ«أن تحكموا» هذه الملفوظ بها لأنه يجيز: يعجبني العسل أن يشرب، فيقدم معمول صلة أنْ عليها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ تقدم الكلامُ عليه في البقرة عند قوله ﴿فَنِعِمَّا هِىَ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة].

---

(١) ق: الآية.

(٢) ق: أمر.

(٣) ق: مذكورة.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لأقوالِكم الصادرة منكم في الأحكام ﴿بَصِيرًا﴾ بردِّ الأماناتِ إلى أهلها.

[١٢٠/ب] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ الآية، قيل نزلت في أمراءِ رسولِ الله ﷺ، وذكروا قصةً طويلة مضمونها أن عمّاراً أجار رجلاً قد أسلم وفرَّ أصحابه حين أُنذروا[١] بالسّرية فهربوا وأقام الرجل، وأنَّ أميرها خالداً أخذ الرجلَ وماله، فأخبره عمار بإسلامه وإجارته فقال خالد: وأنتَ تجيرُ؟ فاستابّا[٢] وارتفعا إلى رسولِ الله ﷺ، فأجاز أمانَ عمّار ونَهاه أنْ يُجيرَ على أميرٍ. ومناسبتها لما قبلها أنه لما أمر الولاة أنْ يحكموا بالعدل أمرَ الرعيةَ بطاعتهم.

﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ هم كُلُّ مَنْ وليَ ولايةً صحيحةً شرعية.

﴿فَرُدُّوهُ﴾ إلى كتاب [الله] وسؤالِ رسولِ الله ﷺ في حياته وإلى سنّته بعد وفاته. ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: الردّ إلى الكتاب والسنّة. و«خير» و«أحسن» لا يُرادُ بهما أفعلُ التفضيل إذْ لا خيرَ ولا حسن في الردِّ إلى غيرِ الكتابِ والسنّة. و«تأويلاً» معناه مآلاً ومَرْجعاً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

(١) ق: ندروا.

(٢) أي: تشاتما.

وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ سببُ نزولها أنَّ خصمين اختصما فدعا أحدهما إلى الكاهن والآخر إلى رسولِ الله ﷺ فنزلت. و«الطاغوت» هو الكاهن، ودلّ على أنَّ أحدَ المُدَّعيين كان منافقاً بدليلِ قوله «رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا» حيث مالوا إلى الكاهن دون الرسول ﷺ.

﴿فَكَيْفَ﴾ في موضع نصب على الحال تقديره: كيف تراهم، أو في موضع رفع أي فكيف صنيعهم. و«إذا» ظرف منصوب بـ«تراهم» أو بصنيعهم «بما قدمت أيديهم» من الكفر.

والمصيبة(١) ما ظهر عليهم من الذلة والمسكنة والاستنقاص من المسلمين الخلّص. ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ﴾ جملة في موضع الحال. وقيل: المصيبة هي هدم مسجد الضرار الذي بنوه. ﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ جملة هي جواب القسم، و«إن»

---

(١) والمعصية.

نافية بمعنى ما، أي: ما أردنا في العدولِ عنكَ عند التحاكمِ إلا إحساناً بالتقريب في الحكم وتوفيقا بين الخصوم دون الحمل على الحق.

﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، وعبَّر عن المجازاةِ بالعلم والقول البليغ هو الزاجر والرادع. ويتعلق قوله «في أنفسهم» بقوله [قل] على أحدِ معنيين أي: قُلْ لهم خالياً بهم لا يكون معهم أحد من غيرهم مسارّاً لأنَّ النُّصْحَ إذا كان[1] في السرِّ كان أنجع وكان بصدد أن يقبل سريعاً. ومعنى «بليغاً» أي مؤثراً فيهم. أو قُلْ لهم في معنى أنفسهم النجسة المنطوية على النفاقِ قولاً بليغاً يبلغ منهم[2] ما يزجرهم عن العَوْدِ إلى ما فعلوا.

وقال الزمخشري[3]: فإن قلت: بم تعلق قوله «في أنفسهم»؟ قلت: بقوله «بليغاً» أي: قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغتمون به اغتماماً ويستشعرونَ منه الخوفَ استشعاراً وهو التوعُّدُ بالقتلِ والاستئصالِ إنْ نجم منهم النفاقُ انتهى إعرابه. وتعليقه «في أنفسهم» بقوله «بليغاً» لا يجوز على مذهب البصريين لأنَّ معمولَ الصفة لا يتقدم عندهم على الموصوفِ، لو قلت: هذا رجلٌ ضارب زيداً، لم يجز أن تقول: هذا زيداً[4] رجل ضارب، لأنَّ حق المعمول أنْ لا يحلَّ إلا في موضع يحلُّ فيه العامل. ومعلوم أنَّ النعت لا يتقدم على المنعوتِ لأنه تابع، والتابعُ لا يتقدم على المتبوع، وأجاز ذلك الكوفيون، أجازوا: هذا طعامَك رجل يأكل. والزمخشري أخذ في ذلك بمذهب الكوفيين.

---

(١) «إذا كان» كتبت في الحاشية.

(٢) ق: قولاً بليغ منهم.

(٣) الكشاف ١ : ٥٣٧.

(٤) ق: زيد.

واللام في «ليطاع» لام كي، وهو استثناء مفرغ من المفعول من أجله، أي: وما أرسلنا من رسولٍ لشيء من الأشياء [١٢١/أ] إلا لأجلِ الطاعة.

وقال ابن عطية: وعلى التعليقين فالكلام عامُّ اللفظِ خاصُّ المعنى لأنَّا نقطعُ أنَّ الله تبارك وتعالى قد أراد من بعض خلقه ألا يطيعوه، ولذلك خرّجت طائفة معنى الإذن إلى العلم، وطائفة خرّجته إلى الإرشاد لقوم دون قوم، وهو تخريج حسن لأن الله تعالى إذا علم من أحد أنه يؤمن وفّقه لذلك فكأنه أذن له انتهى. لا يلزم ما ذكره من أنَّ الكلامَ عام اللفظ خاص المعنى، لأنَّ قوله «ليطاع» مبني للمفعولِ الذي لم يُسمَّ فاعله، ولا يلزمُ من الفاعل المحذوف أن يكون عاماً فيكون التقدير: ليطيعه العالم، بل المحذوف ينبغي أن يكون خاصاً ليوافق الموجود[1] فيكون أصله: إلا ليطيعه من أراد طاعته.

وفي قوله «بإذن الله» التفات وهو الخروج من ضمير المتكلم في «أرسلنا» إلى الاسم الغائب، والعامل في «إذ» خبر أنّ وهو «جاؤوك».

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾: «لا» الأولى أكّدت معنى النفي. و«لا يؤمنون» جواب القسم وهو قوله «وربك» ونظيره في التوكيد قول الشاعر[2]: [من الوافر]

فلا وأبيكَ لا يُلفى لما بي ولا لِلِما بهم أبداً دواء

و«حتى» هنا للغاية أي: لا يصحُّ إيمانُهم إلى أن يحكّموك، وقد تكون حتّى بمعنى إلاّ، وهذا أظهر من الغاية، وشَجَر الأمرُ: التبس، يشجر شجوراً [وشجراً]، وشاجَر الرجلُ غيره في الأمرِ: نازعه فيه، وتشاجروا.

---

(١) ق: الوجود.

(٢) ق: لما بهم. والبيت من شواهد مغني اللبيب ١: ١٨١، ونسب في شرح المفصل ٧: ١٧ إلى مسلم بن معبد الوالبي.

و«أنْ» في قوله «أن اقتلوا» يجوز أن تكون مفسرة بمعنى أي لأنه تقدّمها «كتبنا» وهو في معنى القول، ويجوز أن تكون مصدرية. وقرأ الجمهور: إلا قليل، بالرفع وهو بدل من ضمير الفاعل في «فعلوه»، وقرأ ابن عامر وغيره بالنصب، والرفع أكثر في لسان العرب لأن قبله نفي.

وقال الزمخشري[١]: وقرىء: إلا قليلاً بالنصب على أصل الاستثناء [أو على: إلا فعلاً قليلا انتهى. أما على النصب على أصل الاستثناء] فهو الذي وجّه الناسُ عليه هذه القراءة، وأما قوله: إلا فعلاً قليلاً فهو ضعيف لمخالفة مفهوم التأويل[٢] قراءة الرفع ولقوله «منهم» فإنه تعلّق على هذا [التركيب]، ولو قلت: ما ضربوا زيداً إلا ضرباً قليلا منهم، لم يحسن إذ[٣] يكون «منهم» لا فائدة في ذكره. وضمير النصب في «ما فعلوه» عائد على أحد المصدرين المفهومين من قوله «أن أقتلوا، أو أخرجوا»، وقال أبو عبد الله الفخر الرازي[٤]: الكناية في قوله «ما فعلوه» عائدة على القتل والخروج[٥] معاً وذلك لأنَّ الفعلَ جنس واحد وإن اختلفت ضُروبُه[٦] انتهى. وهو كلام غير نحوي.

﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم﴾ الآية، قال الزمخشري[٧]: وإذاً جواب لسؤالٍ مُقَدَّر كأنه

---

(١) الكشاف ١ : ٥٣٩.

(٢) ق: تأويل.

(٣) ق: أن.

(٤) انظر تفسيره ٣: ٢٥٥.

(٥) ق: أو الخرج.

(٦) ق: صوره، والتصويب من الرازي.

(٧) الكشاف ١ : ٥٣٩.

قيل: وماذا يكون لهم أيضاً بعد التثبيت؟ فقيل: وإذاً لو ثَبَتُوا لآتيناهم، لأن إذاً جواب وجزاء انتهى. ظاهر قول الزمخشري: لأن إذاً جواب وجزاء، يُفهم منه أنها تكونُ لمعنيين في حالٍ واحدة على كل حال وهذه مسألة خلاف، وذهب الفارسي إلى أنها قد تكون جواباً فقط في موضع وجواباً[(١)] وجزاءً في موضع، ففي مثل: إذن أظنك صادقاً لمن قال: أزورك، هي جوابٌ خاصةً. وفي مثل: إذن أكرمك لمن قال: أزورك، هي جواب وجزاء. وذهب الأستاذ أبو علي إلى أنها تقدّر[(٢)] بالجواب والجزاء في [كل] موضع وقوفاً مع ظاهر كلام سيبويه. والصحيح قول الفارسي وهي مسألةٌ يُبحثُ فيها في علمِ النحو.

[﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾] أجاز الراغبُ أن يتعلق «من النبيّين» بقوله «ومن يطع الله والرسول» أي: من النبيين ومَن بعدهم، ويكون قوله «فأولئك» [إشارة] إلى الملأ الأعلى، ثم قال «وحسن أولئك رفيقا». وبيّن ذلك قول النبي ﷺ حين الموت[(٣)]: «اللهم ألحقني بالرفيقِ الأعلى» وهذا ظاهر انتهى. وهذا الوجه الذي [هو] عنده ظاهر فاسد من جهة المعنى ومن جهة [١٢١/ب] النحو.

أما من جهة المعنى فإنَّ الرسولَ هنا هو محمد ﷺ أخبر الله تعالى أنَّ مَنْ يطيعه ويطيع رسوله فهو [مع] من ذكر، ولو كان «من[(٤)] النبيين[(٥)]» معلقاً بقوله «ومن يطع الله والرسول» لكان قوله «من النبيين» تفسيراً لمَنْ في قوله

(١) ق: وجواب.

(٢) ق: تقدير.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٨٩٤.

(٤) ق: مع.

(٥) كتبت في الحاشية.

«ومن يطع» فيلزم أن يكون في زمانِ الرسولِ ومن بعده أنبياء يطيعونه وهذا غير ممكن لأنه قد أخبر تعالى أنَّ محمداً هو خاتم النبيين وقال صلى الله عليه وسلم: «لا نبيَّ بعدي»[1].

وأما من جهة النحو فما قبل فاء الجزاء لا يعمل فيما بعدها، لو قلت: إن تقم هند فعمرو ذاهب ضاحكة، لم يَجُزْ[2].

قال أبو عبد الله الفخر الرازي[3]: هذه الآيةُ تنبيهٌ على أمرين من أحوالِ المَعَاد؛ الأول إشراق الأرواح بنور المعرفة، والثاني كونهم مع النبيين، وليس المراد بهذه المعيّة في الدرجة فإن ذلك ممتنع بل معناه أن الأرواح الناقصة إذا استكملت علائقها مع الأرواح الكاملة في الدنيا بقيت بعد المفارقة تلك العلائق فينعكس الشعاعُ من بعضها على بعض فتصير أنوارها في غايةِ القوة فهذا ما خطرَ لي انتهى كلامه. وهو شبيه بمقال الفلاسفة في الأرواح إذا فارقت الأجساد، وأهلُ الإسلامِ يأبون هذه الألفاظَ ومدلولاتها ولكن مَنْ غلب عليه حُبُّ شيءٍ جرى في كلامه.

والرفيقُ الصاحبُ سُمِّيَ بذلك للارتفاقِ به وعلى هذا يجوز أن ينتصب «رفيقاً» على الحال من «أولئك» أو على التمييز، وإذا انتصب على التمييز فيحتمل أن لا يكون مفعولاً فيجوز دخول مِنْ عليه ويكون هو المميز، وجاء مفرداً إما لأنَّ الرفيقَ مثل الخليط والصديق يكون للمفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد، وإما لإطلاق المفرد في باب التمييز اكتفاء ويراد به

---

(١) في فتح الباري ٦ : ٥٥٨ «وأنا خاتم النبيين».

(٢) بعده في ق: من النبيين.

(٣) انظر تفسيره ٣: ٢٥٧. وقد نقله أبو حيان بتصرف.

الجمع ويحسّن ذلك هنا كونه فاصلة. ويحتمل أنْ يكون منقولاً من الفاعل فلا يكون هو المميز والتقدير: وحسن رفيق أولئك، فلا تدخل عليه مِنْ. ويجوز أن يكون «أولئك» إشارة إلى «من يطع الله والرسول» وجمع على معنى «مَنْ». ويجوز في انتصاب «رفيقاً» الأوجه السابقة. وقرأ الجمهور: وحُسن بضم السين وهي الأصل ولغة الحجاز، وقرأ أبو السمال: وحُسْن بسكون السين وضم الحاء على تقدير نقل حركة السين إليها وهي لغة بعض بني قيس.

قال الزمخشري[1]: «وحسن أولئك رفيقا» فيه معنى التعجب كأنه قيل: وما أحسن أولئك رفيقاً، ولاستقلاله بمعنى التعجب قرىء: وحَسْنَ بسكون السين يقول المتعجب: وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين انتهى كلامه.

وهو تخليطٌ وتركيبُ مذهبٍ على مذهب فنقول: اختلفوا في فعل المراد به المدح والذم فذهب الفارسي وأكثر النحويين إلى جواز[2] إلحاقهِ ببابِ نِعْمَ وبئس فقط فلا يكون فاعله إلا ما يكون فاعلاً لهما.

وذهب الأخفش والمبرد إلى جواز إلحاقه بباب نعم وبئس فيجعل فاعله كفاعلهما وذلك إذا لم يدخله معنى التعجب، وإلى جواز إلحاقه بفعل التعجب فلا يجري مجرى نعم وبئس في الفاعل ولا في بقية أحكامهما بل يكون فاعله ما يكون مفعول فعل التعجب فنقول لضربت يدك ولضربت اليد، والكلام على هذين المذهبين تصحيحاً وإبطالاً مذكور في علم النحو.

---

(١) الكشاف ١: ٥٤٠.

(٢) ق: الجواز. وكتبت «إلى» في الحاشية.

والزمخشري لم يتبع واحداً من هذين المذهبين بل خلط وركّب فأخذ التعجب من مذهب الأخفش، وأخذ التمثيل بقوله: وحسن الوجه وجهك من مذهب الفارسي. وأما قوله: ولاستقلاله بمعنى التعجب قرىء: وحسن بسكون [١٢٢/أ] السين، وذكر أن المتعجب يقول: وحَسَن وحَسُن، وهذا ليس بشيء لأن الفراء ذكر أن تلك لغات للعرب فلا يكون التسكين ولا هو والنقل لأجل التعجب.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ الظاهر أنَّ الإشارةَ إلى كينونة المطيع مع النبيين ومن عطف عليهم لأنه هو المحكوم به في قوله «فأولئك مع الذين» وكأنه على تقدير سؤال أي: وما الموجب لهم استواءهم مع النبيين في الآخرة مع أن الفرق بينهم في الدنيا بيِّنٌ، فذكر أنه أعطى ذلك بفضله لا بوجوبٍ عليه، ومع استوائهم معهم في الجنة فهم متفاوتون في المنازل.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه

تعالى لما ذكر طاعته وطاعةَ رسولِه وكان من أهم الطاعات إحياء دين الله تعالى، أمر بالقيام بإحياء دينه وإعلاء دعوته، وأمرهم أنْ لا يقتحموا على عدوهم على جهالة فقال: «خذوا حذركم» فعلّمهم مباشرة الحروب. ولما تقدم ذِكْرُ المنافقين ذكر في هذه الآية تحذير المؤمنين من قبول مقالاتهم وتثبيطهم عن الجهاد فنادى أولاً باسم الإيمان على عادته تعالى إذا أراد أن يأمر المؤمنين أو ينهاهم. والحِذْر والحَذَر بمعنى واحد. قالوا: ولم يسمع في هذا التركيب إلا: خذ حِذْرك لا خذ حَذَرك. ومعنى خذ حِذْرك أي استعِدَّ بأنواع ما تستعدّ به للقاء من تلقاه فيدخل فيه أخذ السلاح وغيره. يقال: أخذ حِذْره إذا احترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يتقي بها ويعتصم، والمعنى احترزوا من العدوّ. ثم أمر تعالى بالخروجِ إلى الجهادِ جماعةً [بعد] جماعةٍ وسرية بعد سريّةٍ أو كتيبةً واحدة مجتمعة.

وقرأ الجمهور: فانفروا بكسر الفاء فيهما، وقرأ الأعمش بضمّها فيهما. وانتصاب «ثُبات» و«جميعاً» على الحال. ولم يقرأ «ثباتٍ» فيما علمناه إلا بكسر التاء وحكى الفراء فيها الكسر والفتح. والثُّبَةُ الجماعة الاثنان والثلاثة في كلام العرب، وقيل هي فوق العشرة من الرجال وزنها فُعْلة ولامها قيل واو، وقيل ياء مشتقة من ثبيت على الرجل إذا أثنيت[1] عليه كأنك جمعت محاسنه. ومن قال إن لامها واو جعلها من ثبا يثبو مثل حلا يحلو.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ الخطابُ لعسكرِ رسول الله ﷺ.

﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ هم المنافقون وجُعلوا من المؤمنين باعتبارِ الجنس أو النسب أي الانتماء إلى الإيمان ظاهراً. و«مَن» موصولة و«ليبطّئنّ» جواب

---

(١) ق: أثيب.

[قسم محذوف و]القسم المحذوف وجوابه صلة لمن، وقد ذهب أحمد بن يحيى إلى أن القسم وجوابه لا يكون صلة للموصول وهو محجوج بهذه الآية. ومعنى «ليبطئنّ» ليثبطن المجاهدين على الجهاد.

والمصيبة: الهزيمة وما يلحق المؤمنَ من القتلِ أو تولِّي الأدبار. والشهيد الحاضر.

والفضل هنا الظفر بالعدو والغنيمة.

﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ هذه الجملة اعتراض بين قوله «ليقولن» ومعمول القول وهو قوله «يا ليتني كنت معهم».

واختلف المفسرون في معنى هذه الجملة ودخولها بين القول ومعموله. قال الزمخشري[1]: والمعنى كأن لم يتقدم له معكم مودة لأنَّ المنافقين كانوا يوادُّونَ المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وإنْ كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن. والظاهر أنه تَهكُّمٌ بهم لأنهم كانوا أعدى عدوٍّ للمؤمنين وأشدهم حسداً لهم فكيف يوصفون بالمودّة إلا على وجه العكس تهكماً بحالهم.

وقال ابن عطية: المنافقُ يُعاطي المؤمنينَ المودَّةَ ويعاهد على التزام [١٢٢/ب] كلف الإسلام ثم يتخلّف نفاقاً وشكًّا وكفراً بالله ورسوله، ثم يتمنى عندما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين فعلى هذا يجيء قوله تعالى «كأن لم تكن بينكم وبينه مودة» [التفاتة] بليغة واعتراضاً بين القائلِ والمقولِ بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم.

---

(١) الكشاف ١ : ٥٤١.

ولغير هذين الرجلين كلام في الآية مذكور في «البحر المحيط»[1]، وملخص ما قالوا أن هذه الجملة التشبيهية إما أن يكون لها موضعٌ من الإعرابِ نصب على الحال من الضمير المستكنّ في «ليقولن» أو نصب على المفعول بيقولنّ على الحكاية فيكون من جملة المقول، وجملة المقول هو مجموع الجملتين: جملة التشبيه وجملة التمني، وضمير الخطاب للمتخلفين عن الجهاد، وضمير الغيبة في «وبينه» للرسول وعلى الوجه الأول ضمير الخطاب للمؤمنين وضمير الغيبة للقائل.

وإما أن لا يكون لها موضعٌ من الإعرابِ لكونها اعتراضاً في الأصل بين جملة الشرط وجملة القسم وأخّرت، والنيّة بها التوسّط بين الجملتين، أو لكونها اعتراضاً بين «ليقولن» ومعموله الذي هو جملة التمني، وليس اعتراضاً يتعلق بمضمون هذه الجملة المتأخرة بل يتعلق بمضمون الجملتين، والضميرُ الذي للخطاب هو «للمؤمنين» وفي «بينه» للقائلِ، واعترض به بين أثناء الجملة الأخيرة ولم يتأخر بعدها وإنْ كان من حيث المعنى متأخراً إذ معناه متعلق بمضمون الجملتين لأنَّ معمولَ القولِ النية به التقديم لكنه حَسُنَ تأخيره كَوْنَه وقع فاصلة، ولو تأخرتْ جملةُ الاعتراض لم يحسن لكونها ليست فاصلةً والتقديرُ: ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً كأنْ لم يكن بينكم وبينه مودة إذْ صدر منه قوله وقت المصيبة: قد أنعم الله عليَّ إذْ لم أكن معهم شهيداً، وقوله وقت الغنيمة: يا ليتني كنتُ معهم، وهذا قول مَنْ لم تسبق منه مودة لكم. وفي الآيتين تنبيهٌ على أنهم لا يعدون من المنح إلا أغراض الدنيا يفرحون بما ينالون منها، ولا من المحن إلا مصائبها فيتألمون لما يصيبهم منها كقوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ

---

(١) انظر ٣: ٢٩٣ وما بعدها.

﴿رَبُّهُ﴾ [الفجر]، الآية.

قال ابن عطية: و«كأنْ» مضمنة معنى التشبيه ولكنها ليست كالثقيلةِ في الحاجةِ إلى الاسم والخبر وإنما تجيءُ بعدها الجمل انتهى. وهذا الذي ذكره غير محرر ولا على إطلاقه، أما إذا خففت ووليها ما كان يَلِيها وهي ثقيلة فالأكثر والأفصح أن ترفع تلك الجملة على الابتداء والخبر، ويكون اسم كأنْ ضمير شأن محذوفاً وتلك الجملة في موضع خبر كأن، وإذا لم يُنْوَ ضمير الشأن جاز لها أن تنصب الاسم إذا كان مظهراً وترفع الخبر، هذا كلام سيبويه. ولا يخص ذلك بالشعر فتقول: كأنْ زيداً قائم. قال سيبويه[1]: وحدثنا مَنْ يُوثَقُ به أنه سمع من العرب مَنْ يقول: إنْ عمراً لمنطلق، وأهل المدينة يقرؤون، «وإنْ كلاًّ لما» [هود: ١١١] يخففون وينصبون كما قالوا:

كأنْ ثَدْيَيْهِ حُقّانِ [من الهزج]

وذلك لأن الحرف بمنزلة الفعل فلما حذف من نفسه شيء لم يغير عمله كما لم يغيّر عمل: لم يكُ ولم أُبَلْ حين حذف انتهى. فظاهر تشبيه سيبويه إنْ عَمْراً لمنطلق بقوله:

كأنْ ثدييه حقّان

جواز ذلك في الكلام وأنه لا يختص بالشعر.

وقد نقل صاحبُ رؤوسِ المسائل أنَّ كأنَّ إذا خففت لا يجوزُ إعمالها عند الكوفيين وأنَّ البصريين أجازوا ذلك. فعلى مذهب الكوفيين قد يتمشى قول ابن

---

(١) الكتاب ٢: ١٤٠، وعجز البيت فيه، وصدره ٢: ١٣٥:
وَوَجْهٍ مُشْرِقِ النَّحْرِ

عطية في أنّ كأنْ المخففة ليست [١٢٣/أ] كالثقيلة في الحاجة إلى الاسم والخبر. وأما على مذهب البصريين فلا[١] لأنها لا بدّ لها عندهم من اسمٍ وخبر.

﴿يَشْرُونَ﴾ يبيعون عَرَضَ الحياة الدنيا وهو الفاني بنعيم الآخرة وهو الباقي. ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ عطف على فعل الشرط، وبدأ بالأكثر ثواباً وهو القتل. وجواب الشرط ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾. والأجرُ العظيم هنا زيادةُ الثوابِ وقيل الجنة.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ الآية، هذا استفهامُ حَثٍّ وتحريضٍ على الجهاد في سبيل الله وعلى تخليص المستضعفين. «لا تقاتلون» في موضع الحال ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ معطوف على الجلالة تقديره: وفي سبيلِ المستضعفين. ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ ومنهم عبد الله بن عباس ﴿وَٱلنِّسَآءِ﴾ منهن أم عبد الله ومن جرى مجراهما. ﴿وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ هم الصبيان واحدهم وليد، ويجوز أن يكون واحدهم ولداً كقول العرب وَرَلَ ووِرْلان[٢]. ثم ذكر تعالى حالةَ استضعافِهم بقوله في دعائهم «ربنا أخرجنا من هذه القرية» وهي مكة.

﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هم مَنْ كان بها من صناديد قريش المانعين لهم من الهجرة ومن ظهور الإسلام.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، لما أمر تعالى المؤمنين أولاً بالنفر إلى الجهاد ثم ثانياً بقوله «فليقاتل في سبيل الله» ثم ثالثاً على طريق الحَثِّ والحضِّ بقوله «وما لكم لا تقاتلون» - أخبر في هذه الآية بالتقسيم أنَّ المؤمنَ هو الذي يقاتل في سبيل الله، وأنَّ الكافر هو الذي يقاتل في سبيل

---

(١) ق: فلأنها.

(٢) الوَرَل: دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه، والجمع وِرلان.

وجواب «فلما كتب» إذا الفجائية وما بعدها، ودلَّ ذلك على أنَّ لمّا حرف وجوبٍ لوجوبٍ لا ظرف بمعنى حين، إذْ لو كانت ظرفاً لكان لها عامل وإذا الفجائية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها.

﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ انتصب «أشد» على أنه حال من قوله «خشية» لأنه صفة لنكرة وتقدمت عليها فانتصب على الحال، والمعنى: يخشون الناسَ خشيةً مثلَ خشيةِ الله أو [خشية] أشدّ من خشيةِ الله، فأشدّ أفعل تفضيل والمفضل عليه محذوف وتقديره: من خشية الله.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ الآية، الظاهر أنَّ القائلينَ هم المنافقون لأنَّ الله تعالى إذا أمر بشيء لا يَسأل عن عِلَّته مَنْ هو خالصُ الإيمان.

﴿لَوْلَا﴾ يكون حرف امتناع لوجود كقولك: لولا زيد لأكرمتك، ويكون حرف تحضيض كقوله هنا «لولا أخرتنا إلى أجل قريب». والأجل القريب استزادة في كفهم عن القتال.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا[١]﴾ أين ظرف مكان وتكون شرطاً فيزاد بعدها ما، وقد تخلو مِن ما كقول الشاعر[٢]: [من الخفيف]

أين تضرب بنا العداة تَجِدْنا

وتكون استفهاماً كقولك: أين زيد؟. ولا يحفظ زيادة ما بعد أين إذا كانت استفهاماً. والبروج القصور العالية.

---

(١) ق: تكون.

(٢) صدر بيت لابن همام السّلولي كما في شرح المفصل ٧: ٤٥، وهو فيه:

أين تَصرفْ بها العداةُ تجدنا نصرف العيس نحوها للتلاقي

الطاغوت ليتبيّن للمؤمن فرق ما بينهم وبين الكفار ويقوّيهم بذلك ويشجّعهم ويحرّضهم وأنّ مَنْ قاتل في سبيل الله هو الذي يغلب لأنَّ الله تعالى هو وليّه وناصره، ومن قاتل في سبيل الطاغوت فهو المخذول المغلوب.

والطاغوت هنا الشيطان لقوله «فقاتلوا أولياء الشيطان» [وهنا محذوف، التقدير]: فإنكم تغلبونهم لقوّتكم بالله تعالى، ثم علّل هذا المحذوف وهو غلبتكم إياهم بأن كيد الشيطان ضعيف فلا يقاوم نصر الله وتأييده.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ ﴾ الآية، خرّج النسائيُّ في سننه[1] عن ابن عباس أن عبدالرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبيَّ ﷺ بمكة فقالوا: يا نبيَّ الله كنا في عزٍّ ونحن مشركون فلما آمنّا صرنا أذلّةً فقال: إني أُمرتُ بالعفو فلا تقاتلوا القومَ، فلما حوّله الله تعالى إلى المدينة أمره بالقتالِ فكفُّوا فأنزلَ الله تعالى هذه الآية.

ومعنى ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ[2] ﴾: عن القتال، وكانوا مُتشوقين إلى قتال الكفار.

---

(١) لم أجده فيه، والحديث في لباب النقول ص٧٤.

(٢) ق: أيديهم.

﴿مُشَيَّدَةٍ﴾ مَبنيّة بالشيد وهو الجصّ.

قال [١٢٣/ب] الزمخشري[١]: ويجوز أن يتصل بقوله «ولا تُظلمونَ فتيلاً» أي: لا تنقصون شيئاً ممّا كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروبٍ أو غيرها، ثم ابتدأ بقوله «يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة»، والوقف على هذا الوجه [على] «أينما تكونوا» انتهى.

هذا تخريجٌ ليس بمستقيم لا من حيث المعنى ولا من حيث الصناعة النحوية؛ أما من حيث المعنى[٢] فإنه لا يناسب أنْ يكون متصلاً [بقوله] «ولا تُظلمون فتيلاً» لأنَّ ظاهرَ انتفاء الظلم إنما هو في الآخرةِ لقوله «قُلْ متاعُ الدنيا قليل والآخرة خيرٌ لمن اتَّقى». وأما من جهة النحو فإنه على ظاهر كلامه يدل[٣] على [أن] «أينما» متعلق بقوله «ولا تظلمون» بمعنى ما فسّرد من قوله، أي: لا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها.

وهذا لا يجوز لأن «أينما» اسم شرط فالعاملُ فيه إنما هو فعل الشرط بعده، ولأنَّ اسم الشرط لا يتقدم عليه عامله فلا يمكن أن يعمل فيه «ولا تظلمون»، بل إذا جاء نحو: اضرب زيداً متى جاء [لا] يجوز أن يكون الناصب لمتى «اضرب»، فإن قال: يقدّر له جواب محذوف يدل عليه ما قبله وهو قوله «ولا تظلمون» كما يقدّر في: اضرب زيداً، فالتقدير: أينما تكونوا[٤] فلا تُظلمون فتيلاً أي: فلا ينقص شيءٌ من آجالكم وحذف لدلالة

---

(١) الكشاف ١: ٥٤٥.

(٢) بعده في ق: ولا من حيث الصناعة النحوية أما من حيث المعنى.

(٣) ق: يد على.

(٤) ق: تكون.

ما قبله عليه - قيل له: لا يحذف الجواب إلا إذا كان فعل الشرط بصيغة الماضي، وفعلُ الشرط هنا مضارع، تقول العرب: أنتَ ظالمٌ إنْ فعلت ولا تقول: أنت ظالم إن تفعل. و«يدرككم» مجزوم جواب «أينما». وجواب «لو» محذوف تقديره: لأدرككم الموت.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ الظاهر أنَّ هذا من كلام المنافقين. والحسنةُ ما يحصلُ لهم من الخير، والسيئةُ ما يصيبهم من السوء. ومَنْ قال إنهم اليهود فليس بظاهرٍ لأنهم لم يكونوا في طاعةِ الإسلام ولم يكتب عليهم القتال. والمعنى أن هؤلاء المنافقين إذا أصابتهم حسنةٌ نسبوها إلى اللهِ تعالى وأنها ليست بسبب اتباعِ الرسولِ ولا الإيمان به، وإنْ تُصبهم سيئةٌ أضافوها إلى الرسولِ وقالوا هي بسببهِ كما جاء في قوم موسى ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف] وفي قوم صالح ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴿٤٧﴾﴾ [النمل]. وروى جماعةٌ من المفسرين أنَّ النبيَّ ﷺ لما قدم المدينةَ قال اليهود والمنافقون: ما زلنا نعرف النقصَ في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه.

﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ خَلْقاً وتقديراً ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ استفهامُ إنكارٍ حيثُ نسبوا إليه السيئة. و﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ فيه نفي المقاربة وهو أبلغ من نفي الفعل. والحديث: قيل هو القرآن.

﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ الظاهر أنه خطاب لكل سامع. وقوله[1]: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: بسبب ما اكتسبه الإنسانُ من الذَّنْبِ والله هو المُقَدِّرُ لذلك. وانتصب قوله «رسولاً» على الحال المؤكدة للجملة التي هي «وأرسلناك».

---

(١) ق: قوله.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ .

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ ارتفع «طاعة» على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره أمْرُنا طاعة، أي لك. وقرىء بإدغام التاء من «بيّت» في الطاء وبإظهارها. ﴿غَيۡرَ[1] ٱلَّذِي تَقُولُ﴾ من قولهم: أمرنا طاعة، وهم في حال تبييتهم[2] يبغون لك الغوائل ويتكلمون بغير الطاعة. ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ كناية عن مجازاتهم على ما بيّتُوا للرسول ﷺ من السوء.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ قرىء: يتدبرون، ويدّبرون بإدغام التاء في الدال. والمعنى أفلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعرضون عنه، فإنه في تدبّره يظهر برهانه. والضمير في «فيه» عائد على القرآن. ووجه هذا الدليل

---

(١) ق: على.

(٢) ق: تثبيتهم.

أنه ليس من متكلم كلاماً طويلاً إلا وُجد في كلامه اختلافٌ كثير إما في الوصف واللفظ [١٢٤/أ] وإما في المعنى بتناقض أخبار، أو الوقوع على خلاف المخبَر [به]، أو اشتماله على ما لا يلائم ولا يلتئم، أو كونه تمكن معارضته. والقرآن العظيم ليس فيه شيء من ذلك. وقد ردَّ محمد بن المستنير الملقّب بقطرب على الملاحدة الذين طعنوا في القرآن وزعموا أنَّ فيه تناقضاً، ردَّ عليهم في كتاب كبير صنّفه[1]، بيَّنَ فيه جهلَ الملاحدةِ بلسانِ العرب وبُعْدَ أفهامِهم عن فصاحة الكلام وبلاغته وصحة معناه، أثابه الله تعالى ورحمه.

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ روي عن ابن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا بعث سرية من السّرايا فغُلبت أو غَلبت تحدثوا بذلك وأفشوه ولم يصبروا حتى يكون هو المحدّث به فنزلت.

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ ﴾ أي الأمر إلى إعلام الله والرسول ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ ﴾ يستخرجونه ويكشفون عن حقيقته بإعلامِ الرسول عليه السلام لهم.

ثم انتقل الكلامُ عن المنافقين إلى خطاب عام وهو قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ الآية، ودلَّتْ على كثرةِ أتباعِ الشيطانِ وقلّة مَنْ لا يتبعه ولذلك جاء الاستثناء بقوله «إلا قليلاً». قال ابن عطية: لاتبعتم الشيطان كلكم إلا قليلا من الأمور كنتم لا تتبعونه فيها انتهى. فسّره في الاستثناء بالمتّبع فيه فيكون استثناء من المتبع فيه المحذوف لا من الاتباع ويكون استثناء مفرغاً، والتقدير: لاتبعتمُ الشيطانَ في كُلِّ شيءٍ إلا قليلاً من الأشياء فلا تتبعونه فيه. فإن كان ابن عطية شرح من حيث المعنى فهو صحيح لأنه

(١) سمّاه «الردّ على الملحدين في تشابه القرآن» انظر وفيات الأعيان ٤: ٣١٢

يلزم من استثناء الاتباع القليل أنْ يكون المتبع فيه قليلاً. وإن كان شرح من حيث الصناعة النحوية فليس بجيد لأنَّ قوله: إلا اتباعاً قليلاً، لا يرادف إلا قليلاً[١] من الأمور كنتم لا تتبعونه فيها انتهى.

وقال قوم «إلا قليلاً» عبارة عن العدم يريدون: لاتّبعتم الشيطان كلّكم، قال ابن عطية: هذا قولٌ قَلِقٌ وليس يشبه ما حكى سيبويه من قولهم: أرض قلّما تنبت كذا، بمعنى لا تنبته لأنَّ اقترانَ القلة بالاستثناء يقتضي حصولها ولكن ذكره الطبري[٢] انتهى. هذا الذي ذكره ابن عطية صحيح ولكن قد جوّزه هو في قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء] ولم يقلق عنده هناك ولا ردّه، وقد رددناه عليه هناك فليطالع ثمّة.

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قيل: نزلت في بدر الصغرى، دعا الناسَ إلى الخروجِ وكان أبو سفيان واعدَ رسولَ الله ﷺ اللقاء فيها فكره بعضُ الناس أن يخرجوا فنزلت، فخرج عليه السلام وما معه إلا سبعون لم يَلْوِ على أحدٍ، ولو لم يتبعه أحدٌ لخرجَ وحده. ومناسبةُ هذه الآية هي أنه لما ذكر في الآيات قبلها تثبيطَهم[٣] عن القتال واستطرد من ذلك إلى أنَّ الموتَ يدركُ كُلَّ أحدٍ ولو اعتصم بأعظم معتصم فلا فائدة في الهروبِ من القتال، وأتبع ذلك بما أتبع من سوء خطاب المنافقين لرسولِ الله ﷺ وفعلهم معه من إظهار الطاعة بالقول وخلافها بالفعل، وبكّتهم في عدم تأمّلهم ما جاء به الرسول من القرآن الذي فيه كتب القتال عليهم - عاد إلى أمر القتال، وهكذا عادةُ كلامِ العرب تكونُ في شيءٍ ثم تستطردُ من ذلك إلى شيء آخر له [به] مناسبة

---

(١) ق: لا يرادف القليل.

(٢) انظر تفسيره ٥: ١١٦.

(٣) ق: يثبّطهم.

وتعلّق ومعنى.

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: لا تُكلَّفُ في القتالِ إلا نفسكَ فقاتلْ ولو وحدكَ. وقيل: المعنى إلا طاقتكَ ووُسْعَكَ. والنَّفْسُ يُعَبَّر بها عن القوة يقال: سقطت نفسه أي قوته. [١٢٤/ب] وقرأ الجمهور: لا تُكلَّف خبراً مبنياً للمفعول، قالوا: والجملة في موضع الحال. ويجوز أن يكون إخباراً من الله تعالى لنبيّه لا حالاً شرع له فيها أنه لا يُكلَّف أمر غيره من المؤمنين إنما يكلف أمر نفسه فقط. وقرىء: لا نُكلِّف بالنون وكسر اللام ويحتمل وجهي الإعراب الحال والاستئناف. وقرأ عبد الله بن عمر: لا تُكلَّفْ بالتاء وفتح اللام والجزم على جواب الأمر، فأمره تعالى بحثّ المؤمنين على القتال وتحريك هممهم إلى قتال عدوهم وترغيبهم بما أعد[1] الله لهم من حسن الجزاء وفضيلة الشهادة.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ قال الزمخشري[2]: الشفاعة الحسنة هي التي رُوعِيَ فيها حقُّ مسلمٍ ودُفع بها عنه شَرٌّ أو جلب إليه خير وابتُغي بها وجه الله تعالى ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حدّ من حدود الله ولا حقٍّ من الحقوق. والسيئة ما كان بخلاف ذلك انتهى، وهذا بسط ما قاله الحسن قال: الشفاعةُ الحسنة هي [في] البرِّ والطاعةِ، والسيئة في المعاصي.

والكِفْلُ النصيبُ كقوله تعالى ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد] أي نصيبين. والظاهر أن «مِن» للسبب أي: نصيب من الخير بسببها وكفل من الشر بسببها. وغاير في النصيب فذكره بلفظِ الكِفْلِ في الشفاعةِ السيئة لأنه

(١) ق: وعد.

(٢) الكشاف ١ : ٥٤٩.

أكثر ما يستعمل في الشر وإنْ كان قد استُعمل في الخير كما تقدم قبلُ. قالوا: وهو مستعارٌ من كفل البعير وهو كساء يُدار على سنامه ليُرْكَبَ عليه، وسمّي كفلاً لأنه لم يَعُمَّ الظهر بل نصيباً منه.

﴿مُّقِيتًا﴾ مقتدراً، والمقيت الحافظ والشاهد، قيل: هو مشتق من القوت، والقوت ما يحفظ به الإنسان نفسه من التلف.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ الظاهر أنَّ التحيةَ هنا السلام ووزنها تَحْيِيَة تَفْعِلَة لأنها مصدر حَيَّا، نقلت حركة الياء إلى الحاء وأدغمت الياء في الياء. والظاهر أن قوله «حيّيتم» خطابٌ للمسلمين يسلّم عليهم من هو مسلم. وظاهر الأمر في قوله ﴿فَحَيُّوا۟﴾ الوجوب، فإذا قال: سلام عليكم ردّ بقوله: عليكم السلام ورحمة الله، أو يكتفي بقوله: عليك السلام. وإذا زاد «وبركاته» فالأحسن أن يُردّ بمثل ذلك، ولو اقتصر على قوله: وعليكم السلام كان جائزاً. وقوله ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ على حذف مضاف تقديره: أو رُدُّوا[1] مِثْلَها.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه لما فرض القتال وقال المنافقون ما قالوا وأمر رسول الله ﷺ بالقتال وبتحريض المؤمنين عليه وذكر حديث الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة وتعليم ردّ السلام وأنه تعالى حسيب على ذلك - أخبر بجمعه تعالى العالم في يوم القيامة للمجازاة وثواب الجهاد في سبيل الله تعالى. ولما ذكر الجمع مقسماً عليه أردفه بقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ أي: لا أحد أصدق من الله. وقرىء بإخلاص الصاد وبإشمامها الزاي. وانتصب «حديثاً» على التمييز.

﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟

(١) ق: فردوها.. فردّوا.

مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾.

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ رجع في الأخبار إلى حال المنافقين الذين قالوا ربنا لِمَ كَتَبْتَ علينا القتال[1]. والخطاب في «لكم» هو للمؤمنين، قال ناسٌ منهم: نقتل المنافقين، وقال ناس: لا نقتلهم لأنهم نطقوا بكلمة الإسلام، فعاتبهم الله تعالى على كونهم انقسموا فرقتين. وانتصب «فئتين» على الحال. و«ما» استفهام [إنكار وهو] مبتدأ و«لكم» خبره.

﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ قال ابن عباس: ردَّهم في كفرهم ولذلك قال تعالى «ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء».

قال الزمخشري[2]: «فتكونون» [عطف على «تكفرون»] ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى [١٢٥/أ] وَدُّوا كفركم وكونكم معهم شرعاً واحداً فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء انتهى. كون التمني بلفظ

---

(١) الآية ٧٧ السابقة.

(٢) الكشاف ١ : ٥٥١.

الفعل [ويكون له جواب فيه نظر، وإنما المنقول أن الفعل] ينتصب في جواب التمنّي إذا كان بالحرف نحو ليت ولو، وإلا إذا أُشْرِبَتا معنى التمني. أما إذا كان بالفعل فيحتاج إلى سماع من العرب، بل لو جاء لم تتحقق فيه الجوابية لأن «ودّ» التي تدل على التمني إنما متعلّقها المصادر لا الذوات، فإذا نصب الفعل بعد الفاء لم يتعين أن تكون فاء الجواب لاحتمال أن يكون من باب عطف المصدر المقدر على المصدر الملفوظ به فيكون [من باب][1]:

لَلُبْسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عيني [من الوافر]

﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما نصّ على كفرهم وأنهم تمنّوا أنْ يكونوا مثلهم بانت عداوتهم لاختلافِ الدينين، فنهى تعالى أنْ يُوالى أحدٌ منهم وإنْ آمنوا حتى يظاهروا بالهجرة الصحيحة لأجل الإيمان لا لأجل حظ الدنيا، وإنما غيّا بالهجرةِ فقط لأنها تتضمن الإيمان. وفي هذه الآية دليلٌ على وجوبِ الهجرة إلى المدينة إلى النبيِّ ﷺ ولم يزلْ حكمها كذلك حتى فتحت مكة فنسخ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم[2]: «لا هجرةَ بعد الفتحِ ولكن جهادٌ ونيةٌ وإذا اسْتُنفرتُم فانفروا».

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ هذا استثناء من قوله «فخذوهم واقتلوهم» والوصولُ هنا البلوغ. قال ابن عطية: كان هذا الحكم في أول الإسلام قبل أنْ يستحكم أمر الطاعة من الناس، فكان رسولُ الله ﷺ قد هادنَ من العربِ قبائلَ كرهط هلال بن عويمر الأسلمي وسراقة بن مالك بن جعشم وخزيمة بن عامر بن

---

(١) الشعر لميسون بنت بحدل زوج معاوية وهو من شواهد الكتاب ٣: ٤٥، وانظر أمالي ابن الشجري ١: ٢٨٠. وعجزه:

أحبّ إليّ من لبس الشفوف

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٤٨٨. وفي ق: وإن استنفرتم.

عبد مناف، فقضت هذه الآيةُ أنه مَنْ وصل من المشركين الذين لا عهدَ بينهم وبين النبيِّ ﷺ إلى أهل العهد ودخل في عِدَادِهم وفَعَلَ فِعْلَهم من الموادعةِ فلا سبيلَ عليه. قال عكرمة: لما تَقوَّى الإسلامُ وكثر ناصره نسخت هذه الآية والتي بعدها بما في سورة براءة[1] انتهى.

﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين وهو معطوف على صلة «الذين» فاستثنى تعالى من الذين يُقتلون[2] صنفين أحدهما: مَنْ يصل إلى قومٍ بين المؤمنين وبينهم ميثاقٌ، والصنفُ الثاني: مَنْ جاء المؤمنينَ من الكفارِ وقد امتنع من قتالِ المؤمنين وعن قتالِ قومهم.

و﴿حَصِرَتْ﴾ جملة في موضع الحال ويبيّن ذلك قراءة من قرأ: حَصِرَةً صدورهم، وقراءة من قرأ: حاصرات صدورهم بالجمع. ومعنى «حصرت» أي: ضاقت، وأصلُ الحصر في المكان ثم تُوسّع فيه.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ هذا تقريرٌ للمؤمنين على مقدار نعمته تعالى عليهم، أي: لو شاء لقوّاهم وجرَّأهم عليكم وإذْ قد أنعم عليكم بالهدنةِ فاقبلوها. قال ابن عطية: واللام في قوله «لسلّطهم» جواب «لو»، وفي «فلقاتلوكم» لام المحاذاة[3] والازدواج لأنها بمثابة الأولى، لو لم تكن الأولى كنت تقول [لو شاء الله] لقاتلوكم انتهى.

تسميةُ هذه اللام [لام] المحاذاة والازدواج تسميةٌ غريبة لم أرها[4] إلا في

---

(١) بقوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [براءة]، الآية.

(٢) ق: لا يقتلون.

(٣) ق: المجازاة، وكذا في الموضع التالي.

(٤) ق: لم أر ذلك.

عبارة هذا الرجل وعبارة مكّي.

﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ﴾ الضمير عائد على الذين جاؤوكم، أي: لم يخالطوكم.

قال الزمخشري(١): الوجه العطف على الصلة لقوله «فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم» الآية، بعد قوله «فخذوهم واقتلوهم» فقرر أنَّ كفَّهم عن القتالِ أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وترك الإيقاع بهم. فإن قلت: كل واحد من الاتصالين(٢) له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق ترك التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالمكافين [لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم] فهلاّ جوّزت أن يكون العطف على صفة «قوم» ويكون قوله «فإن اعتزلوكم» تقريراً لحكم [١٢٥/ب] اتصالهم بالمكافين(٣) واختلاطهم فيهم وجريهم على سننهم؟ قلت: هو جائز ولكن الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام انتهى.

إنما كان أظهر وأجرى على أسلوبِ الكلامِ لأنَّ المستثنى محدّث عنه محكوم [له] بخلاف حكم المستثنى منه، وإذا عطفت على الصلة كان محدّثاً عنه [وإذا عطفت على الصفة لم يكن محدّثاً عنه] وإنما يكون ذلك تقييداً في «قوم» الذين هم قيد في الصلة المحدّث عن صاحبها. وإذا دار الأمرُ بين أن تكونَ النسبةُ إسناديةً في المعنى وبين أنْ تكون تقييديةً كان حملها على الإسنادية أوْلى للاستقلال الحاصل بها دون التقييدية.

هذا من جهة الصناعة النحوية، وأما من حيث ما يترتب على كل واحد

---

(١) الكشاف ١: ٥٥١.

(٢) ق: الاتصال.

(٣) ق: بالكافين، في الموضعين.

من العطفين [من المعنى] فإنه يكون تركهم القتال سبباً لتركِ التعرض لهم وهو سببٌ قريب، وذلك على العطفِ على الصلة، ووصولهم إلى مَنْ يترك القتال سبب لترك التعرض لهم وهو سبب بعيد وذلك على العطف على الصفة. ومراعاةُ السبب القريب أَوْلى من مراعاة السبب البعيد.

﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ أي: الانقياد فلا قتلَ لكم عليهم ولا قتال.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ الآية، لما ذكر صفة المحقّين في المتاركةِ المجدّين في إلقاء السّلم نبّه على طائفةٍ مُخادعة يريدون الإقامةَ في مواضعهم مع أهليهم يقولون نحن معكم على دينكم، ويقولون للمسلمين كذلك إذا وَفَدُوا. قيل: كانت أسد وغطفان بهذه الصفةِ فنزلت فيهم، قاله مقاتل.

﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي: ظفرتم بهم لقوله تعالى ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ۝٢﴾ [الممتحنة]. وما دلَّتْ عليه هذه الآيةُ من موادعةِ الكفار وترك قتلهم منسوخٌ بآيةِ السيف التي في براءة[1].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٩٢ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا

(١) وهي قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۝٥﴾ [براءة]. وانظر تفسير ابن كثير ٣: ٣٦٥

عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآية، كان عياش بن أبي ربيعة قد أسلم وهاجر فتحيّل أبو جهل - وكان عياش أخاه لأمه - والحارث بن زيد بن أنيسة حتى أخرجاه من المدينة فجلده كُلُّ واحدٍ منهما مئة جلدة وأتيا به إلى أمه بمكّة فحلف عياش أنه إنْ ظفر بالحارث ليقتلنَّهُ، فأسلم الحارثُ ولقيه عياش بظهرِ قباء فقتله ولم يشعر بإسلامهِ فنزلت.

﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ استثناءٌ ظاهرهُ الانقطاعُ لأنَّ قتل المؤمن على قسمين: العَمْدُ وهو لا يجوزُ ألبتّة ومُتوعَّدٌ عليه بالخلودِ في النار، والخطأُ وهو مُتجاوزٌ عنه في الآخرةِ لكن يجب على القاتل ما ذكره الله تعالى في هذه الآية من الأحكام. قيل: وانتصب «خطأ» على أنه مفعول من أجله، أو نصباً على الحال، أو نعتاً لمصدر محذوف تقديره: إلا قتلاً خطأ.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ التحريرُ الإعتاقُ، والعتيقُ الكريمُ لأنَّ الكرمَ في الأحرارِ كما أنَّ اللُّؤمَ في العبيد، ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها. وحرّ[1] الوجه أكرم موضع فيه: والرقبة عُبِّرَ بها عن النسمة كما عُبِّرَ عنها بالرأس في قولهم: فلانٌ يملكُ كذا رأساً من الرقيق. والظاهر أنَّ كلَّ رقبة اتصفت بأن يُحكم لها بالإيمانِ منتظمٌ تحت قوله «رقبة مؤمنة» انتظامَ عمومِ البدلِ فيندرجُ فيها مَنْ وُلد بين مسلمين، ومَنْ أَحَدُ أبويه مسلم صغيراً كان أو كبيراً، ومَنْ سباه مسلمٌ من دارِ الحرب قبل البلوغ. وإطلاقُ الرقبة المؤمنة لا يدل إلا على من تَسمَّتْ مؤمنة[2] من غيرِ اعتبارِ شرطٍ آخر. والظاهر أنَّ

---

(١) ق: وخدّ.

(٢) ق: مسلمة.

وجوبَ التحرير والدية على القاتلِ لأنه مستقر[1] في الكتابِ والسنة أنَّ مَنْ فعل شيئاً يلزم فيه أمرٌ من الغرامات بمثل الكفارات إنما يجب ذلك على فاعله.

قوله: ﴿وَدِيَةٌ﴾ أصله مصدر يقال وَدَاهُ يَدِيهِ دِيَةً، وذلك عبارة عما يغرم في قتل الخطأ. ولم يأتِ في كتابِ الله مقدارُ الدية ولا من أيِّ شيءٍ تكون [١٢٦/أ] وللفقهاء في ذلك اختلاف كثير. وينبغي أنْ يُرجعَ في تفسيرِ الدية إلى[2] ما ثبتَ في الحديثِ الصحيح عن رسول الله ﷺ.

ومعنى ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾ أي: مؤدّاةٌ مدفوعةٌ إلى أهلِ المقتول أي: إلى أوليائه الذين يرثونه يقتسمونها كالميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء، يُقضى منها الدَّين وتنفذ الوصية. وإذا لم يكن له وارثٌ فهي لبيتِ المال. وقال شريك: لا يُقضى من الدية دَيْنٌ ولا ينفذ منها وصية. وقال ابن مسعود: يرث كل وارث منها غير القاتل.

ومعنى قوله ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ﴾ أي: إلا أنْ يعفو وارثُه عن الديةِ فلا دية. وجاء بلفظ التصدق تنبيهاً على فضيلةِ العفو وحضًا عليه وأنه جارٍ مجرى الصدقة في استحقاق الثواب الآجل دون طلب العوض العاجل. وهذا حكمُ مَنْ قُتلَ في دارِ[3] الإسلام خطأ. وفي قوله «إلا أن يصدّقوا» دليلٌ على جواز البراءة من الدّين بلفظ الصدقة، ودليلٌ على أنه لا يشترطُ القبولُ في الإبراء خلافاً لزُفر فإنه قال: لا يبرأ الغريمُ من الدَّيْنِ إلا أنْ يقبل البراءة.

(١) ط: مستقراً.

(٢) ق: أي.

(٣) ق: ولد.

والظاهر أن الجماعة[١] إذا اشتركوا في قتلِ رجلٍ خطأً ليس عليهم كلهم إلا كفارة واحدة لعموم قوله «ومن قتل»، وترتيب: وتحرير رقبة واحدة ودية على ذلك، وبه قال أبو ثور وحكي عن الأوزاعي.

وقال الحسن وعكرمة والنخعي ومالك والثوري والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأصحاب الرأي: على كُلِّ واحدٍ منهم الكفارة. وهذا الاستثناء قيل منقطع وقيل إنه متصل.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: بم تعلّق «أن يصّدقوا» وما محلّه؟ قلت: تعلق بعليه أو بمسلّمة كأنه قيل: ويجب عليه الدية أو يسلّمها إلا[٣] حين يتصدقون عليه، ومحلّها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالساً، ويجوز أن يكون حالاً من «أهله» بمعنى إلا متصدقين انتهى.

وكلا التخريجين خطأ؛ أمّا جَعْلُ أنْ مع ما بعدها ظرفاً فلا يجوز، نصّ النحويون على ذلك، وإنه مما انفردت به ما المصدرية ومنعوا أنْ تقول: أجيئك أنْ يصيح الديك، تريد: وقت صياح الديك. وأما أنْ ينسبكَ منها مصدرٌ فيكون في موضعِ الحال فَنَصُّوا أيضاً على أن ذلك لا يجوز؛ قال سيبويه[٤] [في] قول العرب: أنت الرجل أن تنازل أو أن تخاصم، في معنى أنت الرجل نزالاً وخصومة، إن انتصاب هذا انتصاب المفعول من أجله لأن المستقبل لا يكون حالاً. فعلى هذا الذي قررناه يكون كونه استثناء منقطعاً هو الصواب.

---

(١) ق: الجملة.

(٢) الكشاف ١ : ٥٥٣.

(٣) ق: إلى.

(٤) انظر الكتاب ١ : ٣٩٠.

﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ قال ابن عباس وجماعة: المعنى إن كان هذا المقتول خطأ، رجلاً مؤمناً قد آمن وبقي في قومه وهم كفرة عدوّكم فلا دية فيه وإنما كفارته تحرير رقبه. والسبب عندهم في نزولها أنَّ جيوشَ المسلمين كانت تمرُّ بقبائلِ الكفر، فربما قُتلَ مَنْ آمن ولم يهاجر، أو مَنْ هاجر ثم رجع إلى قومهِ فيقتل في حملاتِ الحربِ على أنه من الكفار فنزلت الآية.

﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ الآية، قال الحسن وجماعة: إنْ كان المقتولُ خطأ مؤمناً من قومِ مُعاهدينَ لكم، فعهدهم يُوجِبُ أنهم أحقّ بديةِ صاحبهم، فكفارتهُ التحريرُ وأداءُ الدّيةِ إليهم. وقال النخعي: ميراثه[1] للمسلمين. وقال ابن عباس وجماعة: المقتول من أهل العهد خطأ كان مؤمناً أو كافراً على عهد قومه، فيه الدية كدية المسلم والتحرير. واختلف على هذا في دية المعاهد فقال أبو حنيفة وغيره: ديته كدية المسلم، وروي ذلك عن أبي بكر وعمر [١٢٦/ب] وقال مالك وأصحابه: نصف دية المسلم. وقال الشافعي وأبو ثور: ثلث دية المسلم. والظاهر أن قتل المؤمن خطأ تارة في دار الإسلام وتارة يكون في دار الحرب وتارة في دار المعاهدين. وأطلق في قوله «وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق» المراد تقييد المقتولِ بالإيمانِ كما قيّد فيما قبله، فَحُمِلَ المطلقُ هنا على المُقَيَّدِ فيما قبل.

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ يعني رقبةً ولا ما يتوصل به إلى تملّكها وأعوزت الدية فالواجبُ عليه صوم شهرين متتابعين لا يتخلّلهما[2] فطر، فلو عَرَضَ حيضٌ لم

(١) ق: ميراث.

(٢) ق: يتخلّلها.

يعَدّ قطعاً بإجماع، والمرضُ المانع[1] من الصوم كالحيض.

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ الآية، نزلت في مِقْيَس[2] بن صُبابة حين قَتل أخاه هشام بن صبابة رجلٌ من الأنصار، فأخذ له رسولُ الله ﷺ الدية ثم بعثه مع رجلٍ من فهر بعد ذلك في أمرٍ ما فقتله مقيس ورجع إلى مكة مرتدّاً وجعل ينشد: [من الطويل]

قتلتُ[3] به فهراً وحمّلت عَقْله ... سراة بني النجار أرباب فارعِ
حللتُ به وِتري وأدركتُ ثُؤرتي ... وكنت إلى الأوثانِ أوّلَ راجعِ

فقال رسول الله ﷺ: لا أؤمّنه في حلٍّ ولا حرم، وأمرَ بقتلهِ يومَ فتحِ مكة وهو متعلقٌ بالكعبة. والظاهر تخليد هذا القاتلِ في النار، وتأوّلَ أهلُ السنّة على أنْ يكون القاتل استحلَّ قتلَ المؤمنِ فيكون بذلك كافراً، أو على أن معنى «فجزاؤه جهنم» أي: فجزاؤه إنْ جازاه. وقالت المعتزلة بظاهر هذه الآية وهو تخليد مَنْ قتل مؤمناً متعمداً في النار دائماً. قالوا: وهذه الآيةُ نزلت بعد قوله ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء] فخصصت[4] العموم كأنه قال: ويغفر لمن يشاء إلا مَنْ قتل مؤمناً متعمداً فلا يغفر له.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ

---

(١) ق: المتابع.
(٢) ق: نفيس، والتصويب من ط والبحر ٣: ٣٢٦، وانظر بقية الخبر ثمّة.
(٣) ق: فقلت. والبيتان في السيرة النبوية ٣: ٣٠٦. والثّؤرة: الثأر.
(٤) ق: فخصّت.

مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، ذكروا أسباباً في نزول هذه الآية مُضَمَّنها أنه[1] ظهرَ لهم رجلٌ اعتقدوه كافراً فتلفَّظَ بما يدل على الإسلامِ من كلمةِ الشهادة أو غيرها فقتلوه فنزلت. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا توعَّدَ مَنْ قتل مؤمناً متعمداً بما وعد، أمر بالتَّثَبُّتِ في قتلِ مَنْ يُظَنُّ به أنه كافر وقد أعلم بظهور الإسلام. وقرىء: فتثبّتوا وفتبيّنوا في الموضعين وفي الحجرات[2].

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ هذه عِدَةٌ بما يسنُّ الله تعالى لهم من الغنائم على وجهها من حلٍّ دون ارتكابِ محظورٍ بشبهة[3] وغير تثبّت. وفي الكلام حذف تقديره: لست مؤمناً فتقتلوه تريدون عرض الدنيا. والكاف في «كذلك» للتشبيه أي كنتم مثل ذلك الذي ألقى إليكم السلام فمنّ الله عليكم بالإسلام.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ الآية، نزلت من أجل قوم كانوا إذا حضرت غزاة

---

(١) ق: أنهم.

(٢) في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات].

(٣) ق: يشبهه.

يستأذنون في القعود والتخلف عن رسول الله ﷺ.

وأما ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ فسببها قول ابن أم مكتوم: كيف بمن[1] لا يستطيعُ الجهادَ؟. ومناسبة هذه الآية لما قبلَها هو أنه تعالى لما رغَّبَ المؤمنينَ في القتالِ في سبيل الله أعداء الله الكفار قسمهم إلى قاعدٍ ومجاهدٍ وذكر عدم التساوي بينهما. وقرىء: غير بالرفع لصفةٍ لقوله «القاعدون» أو بدل منه، وبالجر صفة لقوله «من المؤمنين» وبالنصب على الاستثناء كأنه قال: إلا أولي الضرر فهو استثناء من «القاعدون»، وقيل استثناء من قوله «من المؤمنين»، وقيل انتصب على الحال.

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ الآية، الظاهر أن المفضل عليهم هم القاعدون غير أولي الضرر، لأنهم هم الذين [١٢٧/أ] نفى التسوية بينهم فذكر ما امتازوا به عليهم وهو تفضيلهم[2] عليهم بدرجة. فهذه الجملة بيانٌ للجملةِ الأولى جواب سؤال مقدر كأن قائلاً قال: ما لهم لا يستوون؟ فقيل: فضّل الله المجاهدين. والمفضّل عليهم هنا درجة هم المفضل عليهم أخيراً درجات وما بعدها وهم القاعدون غير أولي الضرر. وتكرارُ التفضيلين[3] باعتبار متعلّقهما؛ فالتفضيلُ الأول بالدرجة هو ما يأتي في الدنيا من الغنيمةِ، والتفضيل الثاني هو ما يخولهم في الآخرة. فنبّه بإفراد الأول وجمع الثاني على أنَّ ثوابَ الدنيا في جنبِ ثواب الآخرة يسير. وقيل: المجاهدون تتساوى رتبهم في الدنيا بالنسبةِ إلى أحوالهم كتساوي القاتلينَ بالنسبة إلى أخذِ سَلَب مَنْ قتلوه وتساوي نصيب كُلِّ واحدٍ من الفرسان ونصيب كل واحد

---

(١) ق: من.

(٢) ق: تفضيله.

(٣) ق: التفضيلان.

من الرجال. وهم في الآخرةِ متفاوتون بحسب إيمانهم فلهم درجاتٌ بحسب استحقاقهم فمنهم مَنْ يكون له الغفرانُ ومنهم من تكونُ له الرحمة فقط، فكأن الرحمة أدنى المنازل والمغفرة فوق الرحمة ثم بعد الدرجات على الطبقات وعلى هذا نبّه بقوله ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران] ومنازلُ الآخرة تتفاوت.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الآية، روى البخاري عن ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم على عهدِ رسول الله ﷺ، يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم أو يضرب فيقتل فنزلت. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر ثوابَ مَنْ أقدم على الجهادِ أتبعه بعقابٍ[1] مَنْ قعد عن الجهاد وسكن في بلاد الكفر. وقال ابن عباس: التوفّي هنا قبض الأرواح. وقرىء: تَوَفَّاهم، احتمل أن يكون ماضياً واحتمل أن يكون مضارعاً[2]. وقرىء: توفّتهم وتُوفّاهم[3]. والملائكة هنا ظاهره الجمع فيكون المتوفى

---

(١) ق: بعتاب.

(٢) هو ماضٍ لفعل توفّتهم لم تلحقه تاء التأنيث للفصل ولكون تأنيث الملائكة مجازاً. ومضارع أصله: تتوفاهم.

(٣) مضارع وُفّيت. والمعنى أن الله يوفّي الملائكة أنفسهم فيتوفّونها أي يمكّنهم من =

ملك الموت وأعوانه كما قال تعالى ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام]. ولذلك[١] جاء الضمير مجموعاً في قوله «قالوا فيم كنتم». وهذا الاستفهامُ معناه التوبيخ والتقريع والمعنى: في أيِّ شيءٍ كنتم من أمر دينكم، وقيل: من أحوال الدنيا. وجوابهم للملائكة اعتذارٌ عن تَخلُّفهم عن الهجرة وإقامتهم بدار الكفر وهو اعتذار غير صحيح.

والذي يظهر أن قولهم «كنا مستضعفين في الأرض» جوابٌ لقوله «فيم كنتم» على المعنى لا على اللفظ، لأن معنى «فيم كنتم»: في أيِّ حالٍ مانعةٍ عن الهجرة [كنتم]. ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: في حالةِ استضعاف في الأرض بحيث لا نقدرُ على الهجرة، وهو جواب كذب. والأرض هنا أرض مكة.

وظاهر قوله ﴿فَتُهَاجِرُوا﴾ أنه منصوبٌ على جواب قوله «ألم تكن»، أو مجزوماً معطوفاً على «تكن».

﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ جماعة كعياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد، ومن النساء جماعة كأم الفضل لبابة بنت الحارث أم عبد الله بن عباس، ومن الولدان عبد الله بن عباس وغيره.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾[٢] قال الزمخشري[٣]: صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان، قال: وإنما جاز ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف وإن

= استيفائها فيستوفونها.

(١) ق: وكذلك.

(٢) بدل هذه الجملة في ق: إلا المستضعفين.

(٣) الكشاف ١ : ٥٥٧.

كان فيه [حرف] التعريف فليس بشيء بعينه كقوله[١]: [من الكامل]

ولقد أمرُّ على اللئيمِ يَسُبُّني

انتهى كلامه. وهو تخريجٌ ذهبَ إلى مثلهِ بعضُ النحويين في قوله ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ۝٣٧﴾ [يس] وهو هَدْمٌ للقاعدة المشهورة أنَّ النكرةَ لا تنعت إلا بالنكرة والمعرفة لا تنعت إلا بالمعرفة. والذي يظهر أنها جملة مفسرة لقوله «المستضعفين» لأنه في معنى: إلا الذين استضعفوا فجاءت بياناً وتفسيراً لذلك لأنَّ [١٢٧/ب] الاستضعافَ يكون بوجوهٍ فبيّن [جهة] الاستضعاف النافع في التخلُّفِ عن الهجرةِ وهي عدمُ استطاعةِ الحيلةِ وعدم اهتداءِ السبيل. والثاني مندرج تحت الأول لأنه[٢] يلزم من انتفاء القدرة على الحيلة التي يتخلص بها انتفاء اهتداء السبيل.

وروي أن رسول الله ﷺ بعث إلى مسلمي مكة بهذه الآية فقال جندب بن ضمرة الليثي، ويقال جندع بالعين، أو ضمرة بن جندب لبنيه: احملوني فإنّي لستُ من المستضعفين وإني لأهتدي الطريقَ، والله لا أبيتُ الليلةَ بمكّة، فحملوه متوجهاً إلى المدينة وكان حمله على سرير وهو شيخ كبير فمات بالتنعيمِ رضي الله عنه.

﴿مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ﴾ قيل: نزلت في أكثم بن صيفي. ولما رغَّب تعالى في الهجرة ذكرَ ما يترتبُ عليها من وجودِ السَّعَةِ والمذاهبِ الكثيرة ليذهب عنه ما يتوهم وجودُه في الغربةِ ومفارقةِ الوطن من الشدّة. وهذا مقرر ما قالته

---

(١) من شواهد مغني اللبيب ١: ١٠٢، وعجزه:

فمضيت ثمّة قلت لا يعنيني

(٢) ق: كأنه.

الملائكة «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها». ومعنى «مراغماً» متحولاً ومذهباً قاله ابن عباس[١]. وقرأ الجراح ونبيح والحسن بن عمران: مَرْغَماً على وزن مفعل كمذهب، قال ابن جني: هو على حذف الزوائد من راغم. والسّعة هنا في الرزق قاله ابن عباس.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ روى مجاهد عن ابن عباس قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد، وقال المشركون: لقد أصبنا غرةً لو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت آيةُ القَصْرِ فيما بين الظهر والعصر. والضربُ في الأرض السفر، والظاهر مطلق القصر في السفر وبه قال أهل الظاهر، واختلف فقهاءُ الأمصارِ في حدِّ المسافة بما هو مذكور في كتبهم. وقرىء: تَقْصُروا من قَصَر، وتُقصِروا من أقصر، وتقصّروا من قصّر.

---

(١) ق: العباس.

وقوله ﴿مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مُجْمَلٌ إذ يحتمل القصر من عدد الركعات والقصر من هيئة الصلاة، ويرجع في ذلك إلى ما صح في الحديث.

وقوله ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ ظاهره اشتراطُ الخوفِ في القصر من الصلاة وإلى ذلك ذهب جماعة، والحديثُ الصحيح يدل على أنَّ هذا الشرطَ لا مفهومَ له فلا فرقَ بين الأمنِ والخوفِ. ﴿أَن يَفۡتِنَكُمُ﴾ لغة الحجاز فتن، ولغة تميم وربيعة وقيس أفتن.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية، استدل بظاهر الخطابِ للرسول ﷺ مَنْ لا يرى صلاةَ الخوف بعد الرسولِ عليه السلام حيث شرط كونه فيهم وكونه هو المقيم لهم الصلاة وهو مذهب ابن علية وأبي يوسف. والظاهرُ أنَّ صلاةَ الخوف لا تكونُ إلا في السفر ولا تكونُ في الحضر وإنْ كان خوف وذهب إليه قومٌ، وذهب الجمهور إلى أنَّ الحضرَ إذا كان خوفٌ كالسفرِ.

ومعنى ﴿فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال الطبري: أقمتَ حدودَها وهيئاتها، والذي يظهر أنَّ المعنى: فأقمت بهم، وعبّر عن ذلك بالإقامة إذ هي فرض على المصلي في قول.

ومعنى ﴿فَلۡتَقُمۡ﴾ هو من القيام وهو الوقوف وقيل: فلتهتمّ بأمر صلاتها حتى تقع على وفق صلاتك، مِنْ قام بالأمرِ اهتم به وجعله شغله. والظاهر أنَّ الضميرَ في ﴿وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ﴾ عائد على «طائفة» لقربها من الضمير ولكونه[1] لها فيما بعد في قوله «فإذا سجدوا» معناه صلّوا، وفيه دليلٌ على أنَّ السجودَ قد يُعَبَّرُ به عن الصلاةِ ومنه «إذا جاء أحدكم المسجد فليسجد

(١) ق: ولكونها.

سجدتين[١]» أي: فليصلِّ ركعتين.

﴿ فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ ﴾ ظاهره [١٢٨/أ] أنَّ الضميرَ في «فليكونوا» عائدٌ على الساجدين، والمعنى أنهم إذا فرغوا من السجود انتقلوا[٢] إلى الحراسة. والسلاحُ هو ما يتحصن به الإنسانُ من سيفٍ ورمح وخنجر ودبوس ونحو ذلك، وهو مفرد مذكر لجمعه على أسلحة كحمار وأحمرة، وقد يؤنث قال الطرمّاح[٣]: [من الطويل]

يهزّ سلاحاً لم يَرِثْها كلالةً يَشُكّ بها منها غُموضَ المَغابن

وقال الزمخشري[٤]: «فليكونوا» يعني غير المصلّين، من ورائكم يحرسونكم، وجوّز الوجهين ابن عطية.

﴿ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ ﴾ غير المصلّية أولاً. ﴿ وَلْيَأْخُذُوا ﴾ ظاهرهُ وجوبُ أخذِ الأسلحةِ لاطمئنان المصلي، ودلّت هذه الكيفيةُ التي ذكرت في هذه الآيةِ على أنَّ كُلَّ طائفةٍ صلّت مع رسولِ الله ﷺ بعض صلاة، ولا دلالة فيها على مقدار ما صَلَّتْ معه ولا كيفية إتمامهم وإنما جاء ذلك في السنّة وذكر في صلاة الخوف عشر كيفيات بيّناها في «البحر»[٥].

﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ ﴾ تقدم الكلام في نحوها في قوله ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴿٩٦﴾ ﴾ [البقرة]. وإنما قال ﴿ مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ أي: شَدَّةً واحدة لأنها أبلغ

---

(١) في صحيح الجامع الصغير ١ : ١٨٥ «فليصلّ سجدتين من قبل أن يجلس».

(٢) ق: وانتقلوا.

(٣) ديوانه ص٥٠٩. ورواية الديوان: لم يرثه.

(٤) الكشاف ١ : ٥٥٩.

(٥) انظر ٣: ٣٤٠.

في الاستئصال من الشّدات.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، لما كانت هاتان الحالان وهما الأذى من المطر والمرض مما يشقّ حمل السلاح فيهما رخّص في ذلك مع الأمر بأخذ الحذر والتحفظ من العدو لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو، ورخص في ذلك للمريض لأن حمله السلاح مما يكربه [ويزيد] في مرضه، ورخص في ذلك إن كان مطر لأن المطر مما يثقل العدو ويمنع من خفة الحركة للقتال.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ أي: فإذا أتممتم صلاةَ الخوفِ. وأُمروا بالذكر في سائرِ الأحوالِ من قيامٍ وقعود وعلى جنب.

﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ أي: من جهة العدو ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ وهي الصلاة المفروضة، نبّه بذلك على أشرف(١) العبادات. ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أي: واجبة في أوقاتٍ معلومة في الشرع.

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أي: الذين يقاتلونكم. وقرأ الحسن: تهنوا بفتح الهاء لكونها حرف حلق. وهذه الآية تشير إلى أنها في الجهاد مطلقاً، وقيل نزلت في انصراف الصحابة من أحد وكان صلى الله عليه وسلم أمرهم باتباع [أبي سفيان] وأصحابه. والمعنى أنهم مشتركون معكم في الآلام وأنتم ترجون من الله المغفرة والجنة وهم لا يرجون ذلك لكفرهم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بنيّاتكم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ

(١) ق: شرف.

عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية، اختُلِفَ في سبب نزولها فعن قتادة وغيره أنها نزلت في طعمة بن أبيرق سرق درعاً في جراب فيه دقيق لقتادة بن النعمان، وخبأها عند يهودي فحلف طعمة: ما لي بها علم، فاتبعوا أثر الدقيق إلى دار اليهودي، فقال اليهودي: دفعها إليَّ طعمة. ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: بما أعلمك من الوحي. ﴿وَلَا تَكُن﴾ ظاهره أنه خطابٌ للرسول ﷺ، والمراد به من كان خصيماً للخائنين من أمته.

وكذلك النهي في قوله ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ﴾. وقد يجيءُ النهيُ لمن لا يقع منه المنهيّ بحال من الأحوال كالرسول شهد الله له بالعصمة.

وقوله: ﴿خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ صفتان للمبالغة إذ اسم الفاعل خائن وآثم.

والضمير في ﴿يَسۡتَخۡفُونَ﴾ الظاهر أنه يعود على «الذين يختانون» وفي ذلك توبيخٌ عظيم وتقريع حيث يرتكبون المعاصي مستترين بها عن الناس مباهين لهم إن اطّلعوا عليها، ودخل معهم في ذلك من فعل [١٢٨/ب] مثل فعلهم.

﴿وَهُوَ مَعَهُمۡ﴾ جملة حالية. ومعنى «معهم» بالعلم والاطّلاع على أحوالهم.

و﴿إِذۡ﴾ ظرف لما مضى، العامل فيه العامل في مع، أي وهو كائن معهم

بالعلم في وقت تبييتهم. ولما كانت أعمالهم منتشرة كثيرة المجادلة عن طعمة[١] وأضرابه وصف نفسه بالمحيط، والإحاطة الاحتفاف بالشيء من جميع جهاته.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾ الآية، تقدم الكلام على «ها أنتم هؤلاء» وعلى الجملة بعدها قراءة وإعراباً في سورة آل عمران[٢].

﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ﴾ معنى هذا الاستفهام النفي أي: لا أحد يجادل الله عنهم يوم القيامة إذا حلّ بهم عذابه.

والوكيل الحافظ المحامي وهو الذي يكل الإنسان إليه أموره. وهذا الاستفهام معناه النفي أيضاً كأنه قيل: لا أحد يكون وكيلاً عليهم فيدافع عنهم ويحفظهم. وهاتان الجملتان انتفى في الأولى منهما المجادلة وهي المدافعة بالقول، وفي الثانية الوكالة عليهم أي الحفظ وهو المدافعة بالفعل والنصرة بالقوة.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ

(١) ق: طعنه.

(٢) ٣: ٦٦.

ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾.

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ﴾ الظاهر أنهما غيران عمل السوء وظلم النفس وخصوصاً للعطف بأو فإنها تقتضي أحد الشيئين. والسوء القبيح الذي يسوء به غيره، وظلم النفس ما يختص به كالحلف الكاذب.

﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ ﴾ مبالغة في الغفران كأنَّ المغفرة والرحمة معدّان لطالبهما مهيّآن له متى طلبهما وجدهما. وجاء جواب الشرط مصرّحاً فيه باسم الله ولم يأت بالضمير فكان يكون: يجده، لأنَّ في لفظ الله من الجلالة والتعظيم[1] ما ليس في الضمير. ولما تقدم شيئان عمل السوء وظلم النفس قابلهما بوصفين وهما الغفران لعامل السوء والرحمة لمن ظلم نفسه.

﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا ﴾ الإثم جامع للسوء وظلم النفس السابقَيْن. والمعنى أن وبال ذلك لاحق له لا يتعدّاه إلى غيره، وهو إشارة إلى الجزاء اللاحق له في الآخرة. وختمها بصفة العلم لعلمهِ بجميعِ ما يكسب لا يغيبُ عنه شيءٌ من ذلك، ثم بصفةِ الحكمة لأنه واضعُ الأشياء مواضعها فيجازي على ذلك الإثم بما تقتضيه حكمته. فالصفتان إشارة[2] إلى علمه بذلك الإثم وإلى ما يستحقّ عليه فاعله. وفي لفظة «على» دلالة على استعلاء الإثم عليه واستيلائه وقهره له.

﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً ﴾ ظاهر العطف بأو المغايرة، فالخطيئةُ ما كان من

---

(١) ق: من التعظيم.

(٢) ق: أشارتا.

غيرِ عمدٍ والإثمُ ما كان عن عمدٍ. وعن ابن عباس أنها نزلت في عبدالله بن أبيّ بن سلول حيث رمى بالإفك مَنْ حفظه الله عنه. والبهتان مصدر بهته.

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ أي ظاهراً لكسبه الخطيئة أو الإثم. والمعنى أنه يستحق عقابين عقاب الكسب وعقاب البهت. وقدّم البهت لقربه من قوله «ثم يرم به بريئاً» ولأنه ذنب أفظع من كسب الخطيئة أو الإثم. ولفظ ﴿ٱحْتَمَلَ﴾ أبلغ من حمل، لأن افتعل فيه للتسبب كاعتمل.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ عن ابن عباس أنها نزلت في وفد ثقيف قدموا على رسولِ الله ﷺ فقالوا: جئناكَ نبايعكَ على أن لا نحشر ولا نعشر وعلى أنْ تمتعنا بالعُزّى سنةً فلم يجبهم فنزلت. والهَمُّ العزمُ على الشيء والاهتمام به ويتعدّى بالباء كما في قوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

و﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ محذوف منه الباء أي: بأن يضلوك، وأن مع الفعل بتأويل المصدر.

﴿مِن شَىْءٍ﴾ مِن زائدة دخلت على نكرة عامة في سياق [١٢٩/أ] النفي أي: لا يضرونك لا قليلا ولا كثيراً.

﴿مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ قال ابن عباس: هو الشرع.

النجوى مصدر نجوت أنجو وهي المسارّة بين اثنين فصاعداً، وقيل جمع نجى. فإن كان مصدراً فلا بد في الكلام من حذف إما من الأول تقديره: من ذوي نجوى أي أصحاب تناجيهم، أو حذف من الآخر تقديره: إلا نجوى من أمر. وإن كان النجوى جمع نجى فالمعنى: لا خيرَ في كثيرٍ من القوم الذين يتناجون إلا مَنْ أمر، فيكون استثناء متصلاً ولا يحتاج إلى حذف.

﴿بِصَدَقَةٍ﴾ يشمل الفرض والتطوع. والمعروف عام في كل بر.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ الإشارة بـ«ذلك» إلى الأمر بما ذكر من الصدقة أو المعروف أو الإصلاح. وقرىء: فسوف يؤتيه بالياء ففيه ضمير غيبة يعود على الله تعالى. وقرىء: نؤتيه بالنون وهو التفات خرج من الغيبة إلى التكلم. و«ابتغاء» مفعول من أجله. و«مرضاة» مصدر بمعنى الرضى.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية، نزلت في طعمة بن أبيرق لما فضحه الله تعالى بسرقته وبرّأ اليهودي [ارتدّ] وذهب إلى مكة. وقيل في أهله قدموا فأسلموا ثم ارتدّوا. «ومن يشاقق» عام فيندرجُ فيه طعمة وغيره من المشاقين. وفي سورة الحشر ﴿يُشَآقِّ ﴿٤﴾﴾ بالإدغام وهي لغة تميم، والفكّ[1] لغة الحجاز وقد قرىء بهما في قوله ﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة]. والرسولُ هنا محمدٌ ﷺ.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: اتضح له الحق الذي هو سبب الهداية وهذا تقبيحٌ عظيم لمن اتضح له الحق وسلك غيره.

و﴿سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هو الدينُ الحنيفي الذي هم عليه. وهذه الجملة المعطوفة هي على سبيلِ التوكيدِ والتشنيع، وإلا فمن يشاقق الرسول هو متبعٌ غيرَ سبيلِ المؤمنين ضرورةً، ولكنه بدأ بالأعظمِ في الإثم وأتبع بلازمِه توكيداً. واستدل الشافعيُّ وغيره بهذه الآية والزمخشري في تفسيره على أنَّ الإجماعَ حجةٌ لا يجوز مخالفتها كما لا يجوزُ مخالفةُ الكتابِ والسنّة. وما ذكروه ليس بظاهرٍ لأنَّ المرتَّبَ على وصفين اثنين لا يلزمُ منه أنْ يترتبَ على كُلِّ واحدٍ منهما، فالوعيدُ إنما يترتب على مَن اتصف بمشاقّةِ الرسولِ واتباع غير سبيل المؤمنين، ولذلك كان الفعل معطوفاً على الفعل ولم يُعَد معه اسم الشرط،

---

(١) ق: والفكر.

فلو أُعيد اسم الشرط فكان يكون: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ومَنْ يتبع غير سبيل المؤمنين، لكان فيه ظهور على ما ادّعوه. وهذا كله على تسليم أن يكون قوله «ويتبع غير سبيل المؤمنين» مغايراً لقوله «ومن يشاقق الرسول»، وليس بمغايرٍ بل هو أمرٌ لازم لمشاقّةِ الرسول وذُكرَ على سبيلِ المبالغة والتوكيد وتفظيع الأمر وتشنيعه.

والآية بعد هذا كله هي في وعيد الكفار فلا دلالةَ فيها على جزئيات فروع مسائل الفقه.

وقرىء: نولِّه ونُصله بالياء والنون فيهما، وفي الهاءين اختلاس الحركة وسكونها وإشباعها[1]. وقرىء: نَصْلِهِ بفتح النون من صَلَى، وبضمها من أصلى. و﴿مَصِيرًا﴾ تمييز والمخصوص بالذم محذوف مضمر يعود على جهنم أي وساءت مصيراً هي.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾.

(١) العبارة غير واضحة في ق، والتصويب من ط.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ تقدم تفسير مثلها إلا أن آخرَ ما تَقدَّمَ ﴿ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء] وآخر هذه ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ وخُتمت كُلُّ آيةٍ بما يناسبها، فتلك كانت في أهلِ الكتاب وهم مطلعون في كتبهم على ما لا [١٢٩/ب] يَشكُّون في صحته من أمرِ الرسولِ ﷺ ووجوبِ اتباع شريعته ونسخها لجميع الشرائع، ومع ذلك فقد أشركوا بالله مع أنَّ عندهم ما يدلُّ على توحيدِ الله تعالى والإيمان بما نزل فصار ذلك افتراءً واختلاقاً مبالغاً في الجرأة على الله تعالى.

وهذه الآية في ناسٍ مشركينَ ليسوا بأهلِ كتبٍ ولا علوم، ومع ذلك فقد جاءهم الهدى من الله وبان [لهم] طريق الرشد فأشركوا بالله فضلّوا بذلك [ضلالاً] يستبعد وقوعه أو يبعد عن الصواب، ولذلك جاء بعده ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ وجاء بعد تلك ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴿٤٩﴾ ﴾ [النساء] وقوله ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النساء]، ولم يختلف أحدٌ من المتأولين في أنَّ المرادَ بهم اليهود وإن كان اللفظ عامًّا.

ولما [كان] الشرك أعظم الكبائر كان الضلال الناشىء عنه بعيداً عن الصواب لأنَّ غيره من المعاصي وإنْ كان ضلالاً لكنه قريب من أن يراجع صاحبه الحق لأن له رأس مال يرجع إليه وهو الإيمان بخلاف المشرك. ولذلك قال تعالى ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحج]، وناسب هنا أيضاً ذكر الضلال لتقدُّمِ الهدى قَبْلَهُ.

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ المعنى ما يعبدون من دون الله تعالى ويتخذونه إلهاً إلا مُسمّيات تسمية الإناث. وكنّى بالدعاء عن العبادة لأنَّ مَنْ عبد شيئاً دعاه عند حوائجه ومصالحه. وكانوا يُحلّون الأصنام بأنواع الحُليّ ويسمّونها أنثى. [و«إناثاً» جمع أنثى كرباب ورُبّى. و«إن» نافية. و«يدعون»

يحتاج إلى مفعول وهو محذوف تقديره: ما يدعون من دونه أي من دون الله أحداً إلا إناثاً] فإناثاً مفعول بـ«يدعون» وهو استثناء مفرّغ.

ونكّر ﴿شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ تحقيراً لشأنه. و«مريداً» فعيل للمبالغة في اسم الفاعل الذي هو مارد من مَرَد أي: عتا وعلا في الحذاقة وتجرد للشرّ والغواية والمراد به إبليس، يدل عليه ما قاله بعد.

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ أي: نصيباً واجباً اقتطعه لنفسه، من قولهم: فرض له في العطاء. والمعنى لأستخلصنّهم بغوايتي ولأخصّنّهم بإضلالي وهم الكفرة والعصاة. هذه خمسة أقسم إبليس عليها أحدها اتخاذ نصيب من عباد الله وهو اختياره إياهم، والثاني إضلالهم وهو صرفهم عن الهداية وأسبابها، والثالث تمنيته لهم وهو التسويل ولا ينحصر في نوع واحد لأنه يمنّي كل إنسان بما يناسب حاله من طول عمر وبلوغ وطر وغير ذلك، وهي كلها أمانيّ كواذب باطلة.

﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ البتك الشَّقُّ والقَطْعُ، بتك يبتك وبتّك للتكثير والبتك القطع واحدها بتكة قال الشاعر(١): [من البسيط]

حتى إذا ما هَوَتْ كَفُّ الوليد لها ... طارَتْ وفي كفّه من ريشها بِتَكُ

ومفعول «لآمرنهم» الثاني محذوف تقديره: ولآمرنّهم بالتّبتيك. وكذلك الثاني أي: ولآمرنّهم بتغيير خلق الله، وحذف لدلالة المعنى عليه. «فليغيّرن» عن ابن عباس وغيره: أراد تغيير دين الله تعالى.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ أخبر تعالى بصدور ما وعدهم به إبليس. واحتمل

---

(١) البيت لزهير في ديوانه ص١٧٥.

النصب في قوله «غروراً» أن يكون مفعولاً ثانياً ليعدهم، أو مفعولاً من أجله أي لأجل الغرور، أو مصدراً على غير المصدر لتضمين «يعدهم» معنى يغرّهم، ويكون ثمّ وصف محذوف أي إلا غروراً واضحاً أو نحوه، أو نعتاً لمصدر محذوف على حذف مضاف أي وعداً ذا غرور. والمحيص مفعل من حاص يحيص إذا راغ بنفور.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ﴾ لَمّا ذكر أنَّ وعدَ الشيطانِ هو غرور باطل ذكر [١٣٠/أ] أنَّ هذا الوعدَ منه هو الحق الذي لا ارتيابَ فيه ولا شك في إنجازه. و«الذين» مبتدأ و«سندخلهم» الخبر، ويجوز أن يكون من باب الاشتغال أي وسندخل الذين آمنوا سندخلهم. وانتصب «وعد الله» على أنه مصدر مؤكد لنفسه، وانتصب «حقاً» على أنه مصدر مؤكد لغيره. فـ«وعد الله» مؤكد لقوله «سندخلهم»، و«حقاً» مؤكد لوعد الله، و«قيلاً» منصوب على التمييز. والقيل والقول بمعنى واحد، والاستفهام معناه النفي أي: لا أحد أصدق قولاً من الله، وهي جملة مؤكدة أيضاً لما قبلها. وفائدة هذه التواكيد المبالغة فيما أخبر به تعالى عباده المؤمنين بخلاف مواعيد الشيطان وأمانيّه الكاذبة.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ ضمير الخطاب قيل للكفار مطلقاً وقيل لأهل الكتاب وللمشركين. واسمُ ليس فيما نختاره ضمير يعود على المصدر المفهوم من

قوله «سندخلهم»[١] أي: ليس دخول الجنة بأمانيكم. وقيل اسم ليس ضمير يعود على وعد الله المؤمنين بدخول الجنة. وقرىء: بأمانيكم بتخفيف الياء فيهما.

﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ قال الجمهور: اللفظ عام والكافر والمؤمن مُجازَيان بالسوء يعملانه فمجازاة الكافر النار ومجازاة المؤمن نكبات الدنيا. وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: لما نزلت قلت: يا رسول الله ما أشدّ هذه الآية جاءت قاصمة الظّهر فقال عليه السلام: إنما هي المصيبات في الدنيا. وقرىء: ولا يجد بالرفع وهو استئناف إخبار ليس داخلاً في جزاء الشرط.

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ ﴾ الآية، «مِن» الأولى للتبعيض، و«مِن» الثانية في قوله «من ذكر» لتبيين العامل[٢] في قوله «ومن يعمل».

و﴿ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ﴾ تفصيل للعامل. ﴿ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾ جملة حالية، قيد في عمل الصالحات إذْ لا ينفع عملٌ صالح إلا بالإيمان. ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ جوابٌ للشرط وروعيَ معنى «مَن» فلذلك جاء جمعاً. وقرىء: يدخلون مبنياً للفاعل ومبنياً للمفعول، وكذلك في مريم[٣]. ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا[٤] ﴾ ظاهره أنه يعود إلى أقرب مذكور وهم المؤمنون[٥]. ويكون حكم الكفار كذلك إذ ذِكْر أحد الفريقين يدل على الآخر إذ كلاهما مجزيّ بعمله.

---

(١) في الآية السابقة.

(٢) ق: للتبيين الحاصل.

(٣) في قوله تعالى ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ ﴾.

(٤) ق: فتيلا.

(٥) ق: المؤمنين.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ استفهامٌ معناه النفي أي: لا أحد أحسن. و﴿دِينًا﴾ منصوب على التمييز. ﴿وَجْهَهُۥ﴾ كنّى به عن الإنسان إذ كان أشرف الأعضاء. ومعنى أسلمَ لله أي: انقادَ لأمرِ الله وشرعه. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ جملة حالية. وانتصب «حنيفاً» قيل على أنه حال من «إبراهيم» وقيل حال من «ملّة» لأنه بمعنى الدين. والذي نختاره أنه حال من الضمير المستكن في «اتّبع» أي: واتبع ملّةَ إبراهيمَ في حال كونه حنيفاً أي مائلاً عن العقائدِ الفاسدةِ والشرائع الباطلة. ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ هذا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة[1] الخليل عند خليله. و«اتخذ» هنا تَعدَّتْ لمفعولين.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لما تَقَدَّمَ ذكرُ عاملِ السوء وعامل الصالحات، أخبر تعالى بعظيمِ ملكه وملكه لجميع ما في السماوات وما في الأرض] والعالم مملوك له وعلى المملوك طاعة مالكه.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، سببُ نزولها أنَّ قوماً من الصحابة سألوا عن أمرِ النساء وأحكامهن في المواريث وغير ذلك. ولما كانت النساء مُطَّرحاً أمرهن عند العربِ في الميراثِ وغيره وكذلك اليتامى، أجدَّ الحديث فيهنَّ مراراً ليرجعوا عن أحكامِ الجاهلية. وتقدم في صدر السورة شيءٌ من أحكام

(١) كتبت في الحاشية.

النساء والمواريث، وعادةُ العرب إذا ذكرت شيئاً انْ تستطردَ إلى شيءٍ آخر[١] ثم ترجع إلى الأول. والاستفتاءُ طلبُ الفتيا وهو ما يتضح به الحكمُ المطلوب، والاستفتاءُ ليس في ذواتِ النساء وإنما هو عن شيءٍ من أحكامهن، ولم يبيّن فهو مجملٌ.

ومعنى ﴿يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ يبيّن لكم حال ما سألتم عنه [١٣٠/ب] وحكمه. وعن عائشة رضي الله عنها قيل: نزلت هذه الآية يعني ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ۝٣﴾ [النساء] أولاً، ثم سأل ناس بعدها رسول الله ﷺ عن أمر النساء فنزلت «ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن».

وفي إعراب «ما» من قوله ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ جوّزوا وجوهاً منها الرفع عطفاً على لفظ «الله»، وعطفاً على الضمير المستكن في «يفتيكم»، وعلى الابتداء وخبره محذوف تقديره: في يتامى النساء بيّن لكم، وقيل: الخبر «في الكتاب». وجَوَّزوا في «ما» النصب تقديره: ويبين لكم ما يتلى عليكم. وجَوَّزوا في «ما» أيضاً الجر من وجهين أحدهما أن تكون الواو للقسم وقاله الزمخشري[٢]، والثاني أنْ يكون معطوفاً على الضميرِ المجرور في «فيهن» وقاله محمد بن أبي موسى، وهو الذي نختاره وإن كان لا يجيزه البصريون إلا في الشعرِ وقد أجازه الكوفيون في الكلام، وقد استدللنا على صحة مذهبهم عند الكلام على قوله تعالى ﴿وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۝٢١٧﴾ [البقرة].

قال الزمخشري[٣]: وليس بسديدٍ أنْ يعطفَ على المجرور في «فيهن»

(١) عبارة ق: أن تطرد من شيء إلى شيء آخر.

(٢) الكشاف ١ : ٥٦٧.

(٣) الكشاف ١ : ٥٦٧.

لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى انتهى. الذي أختاره هذا الوجه وإنْ كان مذهب جمهور البصريين أنَّ ذلك لا يجوزُ إلا في الشعر، قد ذكرت دلائل جوازه في الكلام وامتنعَتْ في تفسير قوله «وكفر به والمسجد الحرام». وليس مختلاً من حيث اللفظ لأنَّا قد استدللنا على جواز ذلك، ولا من حيث المعنى كما زعم الزمخشري بل المعنى عليه، ويكون على تقديرِ حذفٍ أي: يُفتيكم في متلوهنّ وفيما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء، وحذف لدلالة قوله «وما يُتْلى عليكم في الكتاب». وإضافة متلوّ إلى ضميرهن سائغة إذِ الأضافةُ تكون بأدنى ملابسة لما كان متلوًّا فيهن صَحَّت الإضافةُ إليهن كما جاء ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۝٣٣ ﴾ [سبأ] لمّا كان المكر يقع فيهما صحّت الإضافة إليهما، ومن ذلك قول الشاعر[1]:

إذا كوكبُ الخرقاء لاح بسُحْرةٍ

وأما قول الزمخشري: لاختلاله في اللفظ والمعنى، فهو قولُ الزجَّاج بعينه قال الزجّاج: وهذا بعيد بالنسبة إلى اللفظ وإلى المعنى، أما اللفظ فإنه يقتضي عطف المظهر على المضمر، وذلك غير جائز كما لم يجز في قوله ﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۝١ ﴾ [النساء]، وأما المعنى فإنه تعالى أفتى في تلك المسائل، وتقدير العطف على الضمير يقتضي أنه أفتى فيما يتلى عليكم في الكتاب، ومعلوم أنه ليس المراد ذلك وإنما المراد أنه تعالى يفتي فيما سألوه من المسائل انتهى كلامه.

وقد بيّنا صحة المعنى على تقدير ذلك المحذوف، والرفع على العطف

---

(١) البيت في شرح ديوان المتنبي غير منسوب ٤: ٤، وعجزه:

سهيل أذاعت غزلها في القرائب

على «الله» أو على ضميره يخرجه عن التأسيس، وعلى الابتداء يخرج الجملة بأسرها عن التأسيس، وكذلك الجر على القسم، والنصب بإضمار فعل، والعطف على الضمير يجعله تأسيساً وإذا دار الأمرُ بين التأسيس والتأكيد كان حملُه على التأسيسِ أوْلى ولا يُذهب إلى التأكيد إلا عند اتضاح عدم التأسيس.

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: بم يتعلق قوله «في يتامى النساء»؟ قلت: في الوجه الأول هو صلة «يُتلى» أي: يتلى عليكم في معناهن، ويجوز أن يكون «في يتامى النساء» بدلاً من «فيهن»، وأما في الوجهين الأخيرين فبدل لا غير انتهى كلامه.

ويعني بقوله: في الوجه الأول أن يكون «وما يتلى» في موضع رفع. فأمّا ما أجازه في هذا الوجه من أنه يكون صلة «يتلى» فلا يُتصور إلا إن كان «في يتامى» بدلاً من «في الكتاب» أو تكون «في» للسبب لئلا يتعلّق حرفا جرٍّ بمعنى واحد بفعلٍ واحد وهو لا يجوزُ إلا إنْ كان على طريقة البدل أو بالعطف. وأمّا ما أجازه [١٣١/أ] في هذا الوجه أيضاً من أن «في يتامى النساء» بدل من «فيهن» فالظاهر أنه لا يجوز للفصلِ بين البدل والمُبْدل منه بالعطف، ونظير هذا التركيب: زيد يقيم في الدار وعمروٌ في كِسْرٍ منها، ففصلت بين «في الدار» وبين «في كسرٍ منها» بالعطف والتركيب المعهود: زيد يقيم في الدار في كسرٍ منها وعمرو.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: الإضافة في «يتامى النساء» ما هي؟ قلت:

---

(١) الكشاف ١: ٥٦٧.

(٢) الكشاف ١: ٥٦٧.

إضافة بمعنى مِن كقولك: عندي سَحْقُ[1] عمامة انتهى.

الذي ذكره النحويون أن الإضافة التي هي بمعنى مِن هي إضافة الشيء إلى جنسه كقولك: خاتم حديد وثوب خزّ وخاتم فضة، ويجوز الفصل وإتباع الجنس لما قبله ونصبه وجرّه. والذي يظهر في «يتامى النساء» [وفي سحق عمامة أنها إضافة على معنى اللام، ومعنى اللام الاختصاص.

وقرىء: في ييامى النساء] بياءين أصله أيامى جمع أيّم فأبدلت الهمزة ياء، والأَيِّم مَنْ لا زوجَ لها.

ومعنى ﴿ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ قال ابن عباس وغيره: هو الميراث، وقال آخرون هو الصداق.

والمخاطب بقوله ﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾ أولياء المرأة كانوا يأخذون صدقات النساء ولا يعطونهنّ شيئاً، وقيل أولياء اليتامى كانوا يتزوجون اليتامى اللواتي في حجورهم ولا يعدلون في صدقاتهن.

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يأخذ الناس بالدرجة الفضلى في هذا المعنى فكان إذا سألَ الوليَّ عن وليّته فقيل هي غنيّة جميلة، قال له: اطلب لها من هو خير منك وأَعْوَدُ عليها بالنفع. وإذا قيل له هي فقيرة دميمة قال له: أنت أَوْلى بها وبالستر عليها من غيرك.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَانِ﴾ معطوف على «يتامى النساء» وذلك أنَّ العربَ كانت لا تورّث الصّبيةَ ولا الصبيَّ وكان الكبيرُ ينفردُ بالمالِ وكانوا يقولون: إنما يرث مَنْ يحمي الحوزةَ ويردّ الغنيمةَ ويقاتل عن الحريمِ،

(١) السّحق: الثوب الخلق البالي.

ففرض اللهُ تعالى لكل أحدٍ حقَّه.

﴿ وَأَن تَقُومُوا ﴾ الظاهر أنه في موضع جر أي: وفي قيامكم «لليتامى بالقسط» وهو العدل. والذي تُلي في هذا المعنى قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴿٢﴾ ﴾ [النساء]. وجوّز الزمخشري أن يكونَ في موضعِ نصبٍ بمعنى ويأمركم أنْ تقوموا. وفي ريّ الظمآن في موضع رفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره: وقيامكم لليتامى بالقسط خير. ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ ما شرطية مفعولة بفعل الشرط كأنه قال: وأي شيء تفعلوا. و«من خير» تبيين لما أُبهم في لفظة «ما».

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾ نزلت في أبي السنابل بن بعكك وامرأته وقيل غير ذلك. والنشوزُ تَقَدَّمَ شرحُه وشيء من أحكامه في صدر هذه السورة[١]، والإعراض دون النشوز. وقرىء: أن يُصلحا مِنْ أصلح[٢]. وقرىء: يصّالحا أصله يتصالحا فأدغم التاء في الصاد. وقرأ ابن مسعود: إن اصّالحا جعل إن شرطية واصّالحا فعلاً ماضياً.

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٤.

(٢) ق: من أصلحا من أصلح.

﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ هذا من باب المبالغة جعل الشح كأنه شيء معدّ في مكانٍ وأحضرته الأنفس وسيقت إليه. ولم يأت: وأحضر الشحّ للأنفس فيكون مَسُوقاً إلى الأنفسِ بل الأنفسُ سِيقتْ إليه لكون الشحّ مجبولاً عليه الإنسان ومركوزاً في طبيعته وذلك عام لا يخصّ في شيء.

﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ قال الماتريدي: وإن تحسنوا في أن تعطوهن أكثر من حقهن وتتقوا في أن لا تنقصوا من حقّهن شيئاً، أو إنْ تُحسنوا في إيفاء حقهن والتسوية بينهن وتتقوا الجورَ والميلَ وتفضيل بعض على بعض. وختم آخر هذه بصفة الخبير وهو علم ما يلطف إدراكه ويدقّ لأنه قد يكون بين الزوجين من خفايا الأمور ما لا يطّلع عليه إلا الله تعالى ولا يظهران ذلك لأحد. وكان عمران بن حطّان [١٣١/ب] الخارجي من أذمّ بني آدم وامرأته من أجملهم فأجالت في وجهه نَظَرها يوماً ثم تابعت: الحمد لله، فقال: مالك؟ قالت: حمدتُ الله على أنّي وإياك من أهل الجنة، قال: كيف؟ قالت: لأنك رُزقتَ مِثْلي فشكرتَ ورزقتُ مثلكَ فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الصابرين والشاكرين.

﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ﴾ الآية، نبّه تعالى على انتفاءِ استطاعةِ العدلِ بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميلٌ البتّة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهنّ. وفي ذلك عذرٌ للرجالِ فيما يقع من التفاوتِ في الميلِ القلبي والتعهد والنظر والتأنيس والمفاكهة فإن التسوية في ذلك محال خارج عن حدّ الاستطاعة أو بالغٌ من الصعوبة حدًّا يكاد يكون كالمحال، هذا إذا[1] كنّ كلّهن محبوبات. وعلّق انتفاء الاستطاعة في التسوية على تقدير وجود الحرص من الإنسان على ذلك. وعن النبي ﷺ أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: «هذه

(١) كتبت في الحاشية.

قسمتي فيما أملكُ فلا تُؤاخذني فيما تملكُ ولا أملكُ»[1] يعني المحبّة لأنَّ عائشةَ كانت أحب إليه.

﴿ كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ المعلقة هي التي ليست مطلقة ولا ذات بعل، قال الراجز[2]: [من الرجز]

هل هي إلا خطة أو تطليق أو صلف أو بين ذاك تعليق

وفي حديث أم زرع[3]: زوجي العَشَنّق إن أَنْطِقْ أُطَلَّقْ وإن أسكتْ أُعَلَّقْ، شبّهت المرأة بالشيء المعلَّق من شيء لأنه لا على الأرض استقرَّ ولا على ما علق فيه.

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ الضمير يعود على الزوجين. وقرأ زيد بن أفلح: يتفارقا بألف المفاعلة، والمعنى رضي كل واحد منهما بالفراق من صاحبه، وقيل ذلك هو بالطلاق. قيل: ولا مدخل للنساء في الطلاق وأجيب بأنها [لمّا] كانت سبباً للطلاق بمشاقّتها الزوج وسوء عشرتها نسب التفرق إليهما. ﴿ يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ حذف المضاف من كلٍّ، والمعنى كل واحد من الزوجين. والظاهر[4] في الغنى أنه غنى المال. وكان الحسن بن علي فيما رووا طُلَقَة[5] ذُوَقة فقيل له في ذلك فقال: إني رأيتُ الله تعالى علّق الغِنى بأمرين فقال ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النور] وقال «وإن يتفرقا يغن الله كلاً من

(١) فتح الباري ٩: ٣١٣ بألفاظ مقاربة.

(٢) المنصف ٣: ١٢٧.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٨٩٦. والعشنّق: الطويل الممتدّ القامة.

(٤) ق: أن في.

(٥) أي كثير الطلاق كثير النكاح.

سعته».

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (١٣٣) مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) ﴾.

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ﴾ الآية، وصينا: أمرنا أو عهدنا إليهم وإليكم و﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يحتمل أن يتعلق بـ«أُوتوا» السابقة وهو الأقرب، أو بـ«وصّينا». والمعنى أنَّ الوصية بالتقوى هي سنة [الله تعالى] مع الأمم السابقة.

﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ ضمير منفصل منصوب معطوف على «الذين»، وفي الممتحنة ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ (١) ﴾. قدم الموصول على الضمير لتقدمه في الزمان، وقُدّم في الممتحنة لشرف الرسول، ومثل هذا فصيح في الكلام نحو: رأيت زيداً وإياك. ومن خصّ ذلك [بالشعر] كابن عصفور والآمدي[1] فهو واهم.

و﴿ أَنِ اتَّقُوا ﴾ يحتمل أن تكون مصدرية أي بأن اتقوا الله، وأن تكون مفسّرة التقدير: أي اتقوا الله.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا ﴾ أي: عن خلقه وعن عبادتهم لا تنفعه طاعتهم ولا يضرّه كفرهم. ﴿ حَمِيدًا ﴾ أي: مستحقاً لأن يُحمد لكثرة نعمه وإن كفرتموه أنتم.

---

(١) ق: والأبدي.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ الباء زائدة في فاعل «كفى» وكذلك سقطت في قول الشاعر[(١)]: [من الطويل]

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فإن كانت «كفى» بمعنى وقى فلا تزاد الباء في فاعلها كقوله تعالى ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب] أي وقاهم، فلا يجوز في الكلام: كفى [بالله] المؤمن الشر.

﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ عام يدل على قدرة الله تعالى في إذهاب من شاء وإتيان من شاء، وقد خصّه قومٌ بمن كان يعادي رسولَ الله ﷺ من العرب [١٣٢/أ] وغيرهم.

﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ أي: بناسٍ آخرين غيركم. ومدلول «آخر» أن يكون من جنس ما قبله نحو: رأيت زيداً وآخر، فلا يكون «آخر» من غير جنس زيد. ولو قلت: اشتريت فرساً وآخر، لم يكن «آخر» إلا من جنس الفرس. وأجاز الزمخشري وابن عطية في قوله «بآخرين» أنْ يكونوا من غير جنسِ الناسِ، وهو خطأٌ لأنَّ «غير» تقع على المغايرة في الجنس [أو الوصف، و«آخر» لا تقع إلا على المغايرة في الجنس].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) هو سحيم عبد بني الحسحاس والبيت في ديوانه ص١٦، وصدره:

عميرة ودّعْ إن تجهّزتَ غازيا

وانظر البيان والتبيين ١ : ٧١.

ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، قيل نزلت في اختصام [غني] وفقير عند رسول الله ﷺ.

﴿قَوَّٰمِينَ﴾ صفة مبالغة في القيام، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ وهو العدل. ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ ظاهره أنه من الشهادة في الحقوق ولذلك أتبعه بما بعده. ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: تشهدون على أنفسكم أي تقرّون بالحق وتقيمون القسط عليها. وانتصب «شهداء» على أنه خبر بعد خبر. ومجيء «لو» هنا لاستقصاء جميع ما يمكن فيه الشهادة. لمّا كانت الشهادة من الإنسان على نفسه بصدد أن لا يقيمها لِمَا جُبل عليه المرء من محاباة نفسه ومراعاتها نبّه على هذا الحال.

وجاء هذا الترتيبُ للاستقصاء في غايةٍ من الحُسْنِ والفصاحةِ فبدأ بقوله ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنه لا شيء أعزّ على الإنسانِ من نفسه، ثم ذكر الوالدين وهما أقرب إلى الإنسان وسبب نشأته وقد أمر ببرّهما وتعظيمهما والحوطة لهما، ثم ذكر الأقربينَ وهم مظنة المحبّةِ والتعصّب، وإذا كان هؤلاء أمر بالقيام في حقّهم بالقسطِ والشهادة عليهم فالأجنبيُّ أحرى بذلك. ويتعلق قوله «على أنفسكم» بمحذوفٍ لأن التقدير: وإن كنتم شهداء على أنفسكم فكونوا شهداء لله، هذا تقدير الكلام. وقال ابن عطية: «ولو على أنفسكم» متعلق بـ«شهداء» انتهى. إنْ عَنَى بـ«شهداء» هذا الملفوظ به فلا يصحُّ ذلك، وإنْ عنى الذي قدّرناه نحن فيصحّ.

وقال الزمخشري[1]: ويجوز أن يكون المعنى: وإن كانت الشهادة وبالاً على أنفسكم أو على آبائكم وأقاربكم، وذلك أن يشهد على من يتوقع[2] ضرره من سلطان ظالم أو غيره انتهى.

وما قاله لا يجوز لأن ما تعلّق به الظرف كون مقيد، ولا يجوز حذف الكون المقيّد لو قلت: كان زيد فيك، وأنت تريد: محباً فيك لم يجز، لأن «محباً» كون مقيد. وإنما ذلك جائز في الكون المطلق وهو تقدير كائن أو مستقر.

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ أي: إنْ يكن المشهود عليه غنياً فلا يمتنع من الشهادة [عليه] لغناه، أو فقيراً فلا يمنعها ترحّماً عليه وإشفاقاً. فعلى هذا الجوابُ محذوف لأنَّ العطف هو بأو ولا يثنى الضمير إذا عطف بها بل يفرد، وتقدير الجواب: فليشهد عليه ولا يراعي الغني لغناه أو لخوفٍ منه ولا الفقير لمسكنته وفقره. ويكون قوله «فالله أولى بهما» ليس هو الجواب بل لما جرى ذكر الغني والفقير عاد الضمير على ما دلّ[3] عليه ما قبله كأنه قيل: فاللهُ أوْلى بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء. وفي قراءة أبي: فالله أولى بهم، ما يشهد بإرادة الجنس. وذهب الأخفش وقوم إلى أن «أو» في معنى الواو، فعلى قولهم يكون الجواب «فالله أولى بهما» حيث شرع الشهادة عليهما وهو أنظر لهما منكم، ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها.

---

(١) الكشاف ١: ٥٧٠.

(٢) ق: موقع.

(٣) ق: عاد.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ الظاهر أنَّ الخطاب للمأمورين بالقيام بالقسط والشهادة لله والمنهيين عن اتباع الهوى. ومعنى «وإن تلووا» أي: تلووا ألسنتكم عن شهادةِ الحقِّ أو حكومةِ العدلِ أو تُعرضوا عن الشهادةِ بما عندكم وتمنعوها. وقرىء: وإن تَلُوا بضم اللام بواو واحدة.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ هذا فيه وعيدٌ لمن لَوَى [١٣٢/ب] بالشهادةِ أو أعرض عنها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ خطاب للمؤمنين. ومعنى «آمِنوا» دُومُوا على الإيمان. ومناسبتها لما قبلها أنه لما أمر المؤمنينَ بالقيام بالقسط والشهادة لله تعالى بيَّنَ أنه لا يتَّصفُ بذلك إلا مَنْ كان راسخَ القدم في الإيمان بالأشياء المذكورة في هذه الآية فأمر بها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ

عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هي في المنافقين إذ هم المتلاعبون بالدين فحيث لقوا المؤمنين قالوا آمنا وحيث لقوا أصحابهم قالوا إنا مستهزئون، ولذلك جاء بعده «بَشِّر المنافقينَ». «لم يكنِ اللهُ ليغفرَ لَهُمْ» قال الزمخشري(١): نفي الغفران والهداية وهي اللطف على سبيلِ المبالغة التي تعطيها اللام، والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الثابت الخالص انتهى.

ظاهر كلامه أنه يقولُ بقولِ الكوفيين وهو(٢) أنهم يقولون: إذا قلت: لم يكن زيد ليقوم، إن خبر «لم يكن» هو قولك «يقوم» واللام للتأكيد زيدت في المنفي والمنفي هو القيام، وليست أنْ مضمرة بل اللام هي الناصبة، والبصريون يقولون: النصب بإضمار أنْ، وينْسَبِكُ من أن المضمرة والفعل بعدها مصدر، وذلك المصدر لا يصحّ أن يكون خبراً لأنه معنى والمُخبر عنه جثة، ولكن الخبر محذوف واللام مقوّية لتعدية ذلك الخبر إلى المصدر، وأضمرت أنْ بعدها وصارت اللام كالعوض من أن المحذوفة، ولذلك [لا] يجوز حذف هذه اللام ولا الجمع بينها وبين أن ظاهرةً. ومعنى قوله: والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما أن المعنى لم يكونوا ليؤمنوا(٣) فيغفر لهم ويهديهم.

---

(١) الكشاف ١: ٥٧١.

(٢) ق: وهم.

(٣) ق: لم يؤمنوا.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ﴾ الذين خبر مبتدأ محذوف، أو منصوب[1] على الذم كأنه [قال: أذمّ الذين، أو صفة لقوله «المنافقين».

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الظاهر أنه خطاب] للمؤمنين الذين يجالسون المنافقين ولذلك قال «فلا تقعدوا معهم» [نُهُوا عن القعود] ولذلك جاء بعده «إنكم إذاً مثلهم». وأنْ في قوله «أن[2] إذا» مخففةٌ من الثقيلةِ واسمها ضمير الشأن محذوف تقديره: أنّه، والجملة بعده الشرطية خبر أن، وجوابه «فلا تقعدوا» و«حتى» غاية. نُهوا أنْ يقعدوا معهم إلا في وقت يخوضون في غير الكفر والاستهزاء. و«إذاً» في قوله «إنكم إذاً مثلهم» توسطت بين اسم إنّ وخبرها ومعناها معنى الشرط تقديره: إن قعدتم معهم مثلهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ لمّا اتخذوهم في الدنيا أولياء جمع بينهم في الآخرة في النار والمرء مع من أحب، وهذا توعّد منه تعالى تأكد به التحذير من مخالطتهم ومجالستهم.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾ الآية، الاستحواذ الاستيلاء والتغلب، ويقال حاذ يحوذ حوذاً وأحاذ، وكان القياس أن يقال استحاذ كما يقال استطال ولكنها شذّت هذه اللفظة فصحّت العين وهي الواو فلم تقلب ألفاً كما قلبت في استقام وأصله استقوم. ومعنى الآية الذين ينتظرونَ بكم ما يتجددُ من الأحوال من ظفرٍ لكم أو بكم.

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ مظاهرين. والمعنى فأسْهِمُوا لنا بِحُكْمِ أنَّا مؤمنون.

---

(١) ق: منصوباً.

(٢) سقطت في ق.

﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: اليهود ﴿ نَصِيبٌ﴾ أي: نيلٌ من المؤمنين ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم وأبقينا عليكم. ﴿ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنْ ثبّطناهم عنكم فأسْهِمُوا لنا بحكم أنّا نواليكم فلا نؤذيكم ولا نترك أحداً يؤذيكم.

﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ يحتمل أن يكون ثَمّ معطوف محذوف تقديره: وبينهم، ويحتمل أن لا عطف ويكون قوله «بينكم» شاملاً للمؤمنين والكفار [١٣٣/أ] وغلّب فيه الخطاب.

وقوله ﴿ سَبِيلًا ﴾ في الآخرة، وقيل «سبيلا» أي: الاستيلاء على بيضةِ الإسلام في الدنيا.

ومعنى ﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ أي: منزل الخدْع بهم وهذه عبارة عن عقوبة سمّاها باسم الذنب فعقوبتهم في الدنيا في ذلّهم وخوفهم وفي الآخرة عذاب جهنم. وقرىء: خادعْهم بسكون العين. و«كسالى» جمع كسلان، وفَعلان هذا يجمع على فُعالى كهذا، وعلى فَعالى كغضبان وغَضابى. والكسل الفتور عن الشيء والتواني فيه وهو ضد النشاط، وقال بعض الشعراء في ذَمِّ مَنْ ينتمي إلى الفلسفة[1]:

وما انتسبوا إلى الإسلامِ إلا ... لصونِ دمائهم أنْ لا تُسالا
فيأتون المناكرَ في نشاطٍ ... ويأتون الصلاةَ وهم كُسالى

وانتصب «قليلاً» على أنه نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ تقديرهُ: إلا ذِكْراً قليلاً،

---

(١) لم أجدهما. وفي البحر ٣: ٣٧٧ «وقد أشار بعض علمائنا إليهم في شعر قاله وضمن فيه بعض الآية، فقال في أبي الوليد بن رشد الحفيد وأمثاله من متفلسفة الإسلام» وذكر البيتين وقبلهما بيتين آخرين.

قال الزمخشريُّ[١]: يجوز أنْ يراد بالقلّة العدم انتهى. لا يجوز أن يراد به العدم لأن الاستثناء يأباه وقد رددنا هذا القول عليه وعلى ابن عطية في هذه السورة[٢].

(﴿ مُّذَبْذَبِينَ ﴾ أي: مُقَلْقَلينَ. ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: بين الإيمان والكفر، و«ذلك» هو اسم إشارة مفرد وقد يشار به إلى اثنين كما قال ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴿٦٨﴾﴾ [البقرة] أي: بين الفارض والبكر. قال لبيد[٣]: [من الرمل]

إن للشرّ وللخير مَدىً وكِلاَ ذلك وَجْهٌ وقَبَلْ

أي كلا ذينك أي الشر والخير. وقرىء: مذبذِبين بكسر الذال الثانية اسم فاعل أي مذبذبين أنفسهم. وقرىء: متذبذبين اسم فاعل من تذبذب أي اضطرب)[٤] وقرأ الحسن البصري: مذبذبين بفتح الميم والذالين، قال ابن عطية: وهي قراءة مردودة انتهى.

الحسنُ البصريُّ من أفصحِ الناس يُحْتَجُّ بكلامهِ فلا ينبغي أن تُردَّ قراءته، ولها وجهٌ في العربية وهو أنه أتبع حركة الميم لحركة الذال. وإذا كانوا قد أَتْبَعُوا حركة الميم لحركة عين الكلمة في مثل: مِنْتِن وبينهما حاجز فَلأَن يُتْبِعُوا بغير حاجز أولى. وكذلك أتبعوا حركة عين منفعل لحركة اللام في حالة الرفع فقالوا منحدُرٌ، وهذا أوْلى لأنَّ حركةَ الإعراب ليست بثابتة بخلاف حركة الذال، وهذا كله توجيه شذوذ وعلى تقديرِ صحةِ النقلِ عن الحسنِ

(١) الكشاف ١ : ٥٧٤.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٦.

(٣) البيت لابن الزبعرى، انظر ديوان لبيد ص٢٠٠، وشرح المفصل ١ : ٣٢٢.

(٤) ما بين قوسين ورد في ق في موضع آخر يخلّ بالسياق.

البصريّ أنه قرأ ذلك بفتح الميم والله أعلم.

وانتصب «مذبذبين» على الحال قيل من فاعل «يراؤون» وقيل من فاعل «يذكرون» فتكون الذبذبة قيداً في المراءاة. وفي الذكر. والذبذبةُ وصفٌ ثابتٌ لهم فالأولى أن يكون انتصابه على الذم كأنه قيل: أذمّ مذبذبين، وقال الشاعر[١]:

ولا الحجاج عيني بنت ماء [من الوافر]

كأنه قال: أذمّ عيني بنت ماء. ويتعلق بمحذوف[٢] تقديره: لا منسوبين إلى هؤلاء ولا منسوبين إلى هؤلاء، وهو في موضع الحال.

﴿لَا تَتَّخِذُوا ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عام يشمل المنافقين كبني قريظة إذ كان بينهم وبين الأنصار حلف ورضاع، ويشمل الكافرين من غيرهم.

وقوله ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يغني المهاجرين، ويكون «يا أيها الذين آمنوا» خطاباً للأنصار وغيرهم من المؤمنين ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ أي: بموالاة الكفار.

﴿فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قال ابن عباس: الدرك لأهل النار كالدرج [١٣٣/ب] لأهل الجنة، إلا أن الدرجات بعضها فوق بعض والدركات بعضها أسفل من بعض. وقال أبو عبيدة: الدركات الطبقات وأصلها من الإدراك أي هي متداركة متلاحقة. وقرىء: في الدَّرْك بسكون الراء.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ استثناء من المنافقين ﴿تَابُوا۟﴾ من النفاق. ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ أعمالهم وتمسكوا بالله وكتابه. ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ أي: لا يبتغون بعمل

---

(١) هكذا ورد الشعر في ق وفي ط، ولم أجده في مصدر.

(٢) ق: إلى محذوف.

الطاعات إلا وجه الله تعالى. ولما كان المنافقُ مُتَّصفاً بنقائضِ هذه الأوصافِ من الكفر وفسادِ الأعمال والموالاة للكافرين والاعتزاز(١) بهم والمراءاة للمؤمنين - شَرَطَ في توبتهم ما يناقضُ تلك الأوصاف وهو التوبة من النفاق وهي الوصف المحتوي على بقية الأوصاف من حيث المعنى، ثم فصّل ما أجمل فيها وهو الإصلاح للعمل المستأنف المقابل لفساد أعمالهم الماضية، ثم الاعتصام بالله في المستقبل وهو المقابل لموالاة الكافرين والاعتماد [عليهم] في الماضي، ثم الإخلاص للدين لله تعالى وهو المقابل للرياء الذي كان لهم في الماضي. ثم بعد تحصيل هذه الأوصاف جميعها أشار إليهم بأنهم مع المؤمنين، ولم يحكم بأنهم المؤمنون ولا من المؤمنين وإن كانوا قد صاروا مؤمنين، تنفيراً لما كانوا عليه من عظم كفر النفاق وتفظيعاً لحال من كان متلبّساً به.

و﴿مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: رفقاؤهم ومصاحبوهم.

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أتى بسوف لأنَّ إيتاءَ الأجرِ هو يوم القيامة وهو زمانٌ مستقبلٌ ليس قريباً من الزمان الحاضر، وقد قالوا إن سوف أبلغ في التنفيس من السين. ولم يعد الضمير عليهم فيقال: وسوف يؤتيهم، بل أخلصَ ذلك الأجرَ للمؤمنين وهم رفقاؤهم يشاركونهم فيه ويساهمونهم.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ ما الاستفهامية في موضع نصب بـ«يفعل» تقديره: أي شيء [يفعل]. ومعناه النفي أي ما يعذبكم. وأجيز أن تكون «ما» نافية والباء في «بعذابكم» زائدة.

﴿إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ قدّم الشكر على الإيمان لأن العاقل ينظر ما عليه

(١) ق: والاعتذار.

من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكراً مبهماً، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكراً مفصلاً فكان الشكرُ متقدماً على الإيمان فكأنه[1] أصل التكليف ومداره.

﴿شَاكِرًا﴾ أي: مثيباً موفياً أجوركم، وأتى في صفة الشكر باسم الفاعل بلا مبالغة ليدلّ على أنه يتقبل[2] ولو أقل شيء من العمل وينمّيه.

﴿عَلِيمًا﴾ بشكركم وإيمانكم فيجازكم. وفي قوله «عليماً» تحذير وندب إلى الإخلاص لله عزّ وجلّ.

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾.

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها هي أنه تعالى لما ذكر من أحوال المنافقين وذمّهم وإظهار فضائحهم ما ذكر، وبيّن ظلمهم واهتضامهم جانب المؤمنين - سوّغ هنا للمؤمنين أن يذكروهم بما فيهم من الأوصاف الذميمة. وقال عليه السلام[3]: «اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره

---

(١) ق: فكان.

(٢) ق: مقبل.

(٣) حديث موضوع، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢: ٥٢.

الناس﴾.

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ هذا الاستثناءُ متصل على تقديرِ حذف مضاف أي: إلاّ جهر من ظُلم، وقيل: الاستثناء منقطع فالتقدير: لكن المظلوم له أن ينتصف من ظالمه بما يوازي ظلامته. وقيل «مَن» فاعل بالمصدر وهو «الجهر» تقديره: لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم أي إلا المظلوم فإنه عزّ وجلّ لا يكره جهره بالسوء، وفيه إعمال المصدر معرّفاً بالألف [واللام] وهي مسألة خلاف. ومذهب [١٣٤/أ] سيبويه جواز ذلك، قال ابن عطية: وإعراب «مَنْ» يحتمل في بعض هذه التأويلات النصب، ويحتمل الرفع على البدل من «أحد» المقدّر انتهى. يعني بأحد المقدّر في المصدر إذ التقدير: أن يجهر أحد.

وما ذكره من جواز البدل لا يصحُّ وذلك لأنَّ الاستثناءَ المنقطع على قسمين: قسم يسوغ فيه البدل وهو ما يمكن توجّه العامل عليه نحو: ما في الدار أحد إلا حمار، فهذا فيه البدل في لغة تميم، والنصب على الاستثناء المنقطع في لغة الحجاز، وإنما جاز فيه البدل لأنك لو قلت: ما في الدار إلا حمار، صحّ المعنى. وقسم يتحتّم فيه النصب على الاستثناء ولا يسوغ فيه البدل وهو ما لا يمكن توجه العامل عليه نحو: المال ما زاد إلا النقص، التقدير: لكن النقص حصل له، فهذا لا يمكن أن يتوجّه «زاد» على النقص، [لأنك لو قلت: ما زاد إلا النقص] لم يصح المعنى. والآية من هذا القسم لأنك لو قلت: لا يحبُّ الله أنْ يجهر بالسوء إلا الظالم، فتفرغ «أن يجهر» لأن يعمل في «الظالم» لم يصح المعنى.

قال الزمخشري[1]: ويجوز أن يكون [«مَنْ»] مرفوعاً كأنه قيل: لا يحب الله أن يجهر بالسوء إلا الظالم على لغة من يقول: ما جاءني زيد إلا عمرو بمعنى: ما جاءني إلا عمرو. ومنه ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل] انتهى.

هذا الذي جَوَّزه الزمخشريُّ لا يجوز لأنه لا يمكن أن يكون الفاعل يذكر لغواً زائداً، ولا يمكن أن يكون «الظالم» بدلاً من «الله» ولا عمرو بدلاً[2] من زيد، لأن البدل في هذا الباب راجع إلى كونه بدل بعض من كل إما على سبيل الحقيقة نحو: ما قام القوم إلا زيد، وإما على سبيل المجاز نحو: ما في الدار أحد إلا حمار، وهذا لا يمكن فيه البدل المذكور لا على سبيل الحقيقة ولا على سبيل المجاز لأن الله علم[3] وكذلك زيد هو زيد فلا يمكن أن يُتخيل فيه عموم فيكون الظالم بدلاً من الله وعمرو بدلاً[4] من زيد. وأمّا ما يجوز فيه البدل من الاستثناء المنقطع فإنه يُتخيل فيما قبله عموم ولذلك صحّ البدل منه على طريق المجاز وإن لم يكن بعضاً من المستثنى منه حقيقة.

وأما قول الزمخشري: على لغة من يقول: ما جاءني زيد إلا عمرو فلا نعلمُ هذه اللغة إلا في كتابِ سيبويه بعد أنْ أنشدَ أبياتاً من الاستثناء المنقطع آخرها قول الشاعر[5]: [من الطويل]

---

(١) الكشاف ١ : ٥٧٦.

(٢) ق: بدل.

(٣) ق: عليم.

(٤) ق: بدل.

(٥) البيت للحصين بن الحُمام المرّي، وهو في المفضليات ص٦٥ بروي مفتوح.

عشيَّةَ لا تُغْني الرماحُ مكانَها ولا النَّبْلُ إلا المَشْرَفِيُّ المُصَمَّمُ

ما نصه: وهذا يقوّي: ما أتاني زيد إلا عمرو وما أعانه إخوانكم إلا إخوانه، لأنها معارف ليست الأسماء الآخرة بها ولا منها انتهى كلام سيبويه. ولم يصرّح ولا لوّح أن قوله: ما أتاني زيد إلا عمرو، من كلام العرب. وقال من شرح كلام سيبويه: فهذا يقوّي: ما أتاني زيد إلا عمرو، أي: ينبغي أن يثبت هذا من كلامهم لأن «النبل» معرفة ليس بـ«المشرفي» كما أن زيداً ليس بعمروٍ وكما أن إخوة زيد ليسوا إخوتك انتهى. وليس: ما أتاني زيد إلا عمروٌ نظير البيت لأنه يُتخيل عموم في البيت على سبيل المجاز كأنه قيل: لا يغني السلاح مكانها إلا المشرفي بخلاف: ما أتاني زيد إلا عمرو، فإنه لا يُتخيل في: ما أتاني زيد عموم البتّة. على أنه لو سُمعَ هذا من كلامِ العربِ وجبَ تأويلُه حتى يصحَّ البدل فكان يقدّر: ما جاءني زيد ولا غيره إلا عمرو، وكان يدل على حذف هذا المعطوف وجود هذا الاستثناء. أما أن يكون على إلغاء[1] الفاعل وزيادته أو على كون عمرو بدلاً من زيد فإنه لا [١٣٤/ب] يجوز لما ذكرناه.

وأما قول الزمخشري: ومنه «قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله» فليس من بابٍ ما ذكر لأنه يحتمل أنْ تكون «مَنْ» مفعولة و«الغيب» بدلاً مِن «مَن» بدل اشتمال أي لا يعلم غيب من في السماوات والأرض إلا الله، أي ما يسرّونه وما يخفونه لا يعلمه إلا الله. وإنْ سلّمنا أنَّ «مَن» مرفوعة فيجوز أن يكون «الله» بدلاً من «مَن» على سبيل المجاز في «من»، لأنّ «مَن في السماوات» يُتخيل فيه عموم كأنه قيل: قل لا يعلم الموجودون الغيب إلا الله، أو على سبيل المجاز في الظرفية بالنسبة إلى الله

(١) كتبت في الحاشية.

تعالى إذ جاء عنه ذلك في القرآن وفي السنّة كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنعام] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الزخرف] وفي [الحديث]: أينَ اللهُ؟ قالت: في السماء. ومن كلام العرب: لا وذي[1] في السماء بيته، يَعْنُونَ اللهَ تعالى. وإذا احتملت الآية هذه الوجوه لم يتعين حملها [على] ما ذكر.

﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ الظاهر أن الهاء في «تخفوه» تعود على الخير، قال ابن عباس: يريد من أعمال البرّ كالصيام والصدقة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴾ قيل نزلت في اليهود والنصارى. وجعل إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض كفراً[2] بالله ورسوله. وقوله «بين ذلك» [أي بين] الإيمان والكفر.

والجملة من قوله «أولئك هم» وما بعدها خبر لإنّ، والأفعال التي قبل ذلك صلات لـ«الذين». بدأ أولاً بأشنعها وهو الكفر بالله ورسله إذ هم متظاهرون بذلك، ثم الاعتقاد القلبي وهو إرادة التفريق بين الله ورسله، ثم التلاعب بالدين في كونهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. وانتصب «حقاً» على أنه نعت لمصدر محذوف تقديره: كفراً حقًّا. ويجوز في إعراب «هم» أن يكون مبتدأ و«الكافرون» خبره، ويجوز أن يكون «هم»[3] فصلاً و«الكافرون» خبراً عن «أولئك»، ويجوز أن يكون بدلاً من «أولئك»، والبدل من المبتدأ مبتدأ فيكون «الكافرون» خبراً عن لفظ «هم». ويجوز أن ينتصب «حقاً» على أنه توكيد لمضمون الجملة والعامل محذوف تقديره: أحقّ ذلك حقاً.

---

(١) ق: وذو.

(٢) ق: كفر.

(٣) ق: هو.

لما تقدم ذكر الكافرين ذكر مقابلهم وهم المؤمنون وذكر ما أعدّ لهم كما ذكر ما أعدّ للكافرين. وختم آية المؤمنين بقوله ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: غفوراً لمن يقع منه(١) بعض ذلك، رحيماً لكونه لا يؤاخذهم.

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾.

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ عام في اليهود والنصارى، وقيل خاص باليهود وسؤالهم سؤال تعنت ولذلك قالوا «أن تنزل» والتنزيلُ إنما هو لله تعالى، وقد نزّل عليكم أشرفَ الكتبِ وأعظمها وهو القرآن. ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ قدّروا قبل هذا كلاماً محذوفاً فجعله الزمخشري شرطاً هذا جوابه ان استكبرت ما سألوا منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك، فلا تبال يا محمد عن سؤالهم وتشطيطهم فإنها عادتهم فقد

سألوا موسى. وأسند السؤال إليهم وإن كان إنما وقع من آبائهم من نقبائهم السبعين لأنهم[١] راضون بفعل آبائهم ومذاهبهم ومشابهون لهم في التعنّت. وقرىء: أكثر بالثاء مكان الباء. وتقدم تفسير باقي الآية في سورة البقرة[٢].

والباء في ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ تتعلق بمحذوف فقدّره الزمخشري: فعلنا بهم ما فعلنا، وقدّره ابن عطية: لعنّاهم وأذللناهم، وجوّزوا أن تتعلق بقوله ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء]. على أنَّ قوله «فَبِظُلْمٍ من الذين هادوا» بدل من قوله «فبما نقضهم ميثاقهم» وقاله الزجاج وأبو بكر والزمخشري. وهذا فيه [١٣٥/أ] بُعْدٌ لكثرةِ الفواصلِ بين البدلِ والمُبْدَلِ منه، ولأنَّ المعطوفَ على السبب سبب فيلزم تأخير بعض أجزاء السبب الذي للتحريم في الوقت عن وقت التحريم، فلا يمكن أن يكون جزء سبب أو سبباً إلا بتأويل بعيد. وبيان ذلك أن قولهم «على مريم بهتاناً عظيماً» وقولهم «إنا قتلنا المسيح» متأخر في الزمانِ عن تحريمِ الطيبات عليهم. فالأوْلى أن يكون التقدير: لَعَنَّاهم، وقد جاء مصرّحاً به في قوله ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة] قال ابن عطية: وحذف جواب هذا الكلام بليغ [منهُم] متروك مع ذهن السامع انتهى.

تسميته[٣] ما يتعلق به المجرور بأنه جواب، اصطلاح لم يعهد في علم النحو ولا تساعده اللغة لأنه ليس بجواب. والظاهر في قوله «وبكفرهم وقولهم» أنه معطوفٌ على قوله «فبما نقضهم» وما بعده. على أن الزمخشري أجاز أن يكون قوله «وبكفرهم وقولهم» معطوفاً على «بكفرهم».

---

(١) ق: لأنه.

(٢) ٢: ٥٥.

(٣) ق: نسبته.

وتكرر نسبة الكفر إليهم بحسب متعلقاته إذ[1] كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد ﷺ فعطف بعض كفرهم على بعض، قال الزمخشري[2]: أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل: فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف، وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم، أو: بل طبع الله عليها بكفرهم وجَمْعهم بين كفرهم وكذا وكذا.

وقال الزمخشري أيضاً[3]: فإن قلت: هلاّ زعمت أن المحذوف الذي تعلّقت به الباء ما دل عليه قوله «بل طبع الله عليها بكفرهم» فيكون التقدير: فبما نقضهم ميثاقهم طبعَ اللهُ على قلوبهم بل طبعَ الله عليها بكفرهم؟ قلت: لم يصح هذا التقدير لأن قوله «بل طبع الله عليها بكفرهم» ردٌّ وإنكارٌ لقولِهم «قلوبنا غلف» فكان متعلقاً به انتهى.

وهو جواب حسن ويمتنع من وجهٍ آخر وهو أنَّ العطف ببل يكون للإضرابِ عن الحكمِ الأول وإثباته للثاني على جهة إبطال الأول أو الانتقال[4]، فأما في كتاب الله تعالى في الإخبار فلا يكون إلا للانتقالِ وليستفاد من الجملة الثانية ما لا يستفاد من الأولى.

والذي قدّره الزمخشري لا يسوغُ فيه هذا الذي قرّرناه لأن قوله «فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله - وقولهم[5] قلوبنا غلف بل طبع الله على

---

(١) ق: إذا.

(٢) الكشاف ١ : ٥٧٩.

(٣) الكشاف ١ : ٥٧٨.

(٤) ق: والانتقال.

(٥) ق: وقلوبهم.

قلوبهم» هو مدلول الجملة التي صحبتها «بل» وهو قوله «بل طبع الله عليها بكفرهم» فأفادت الجملةُ الثانيةُ ما أفادتِ الجملةُ الأولى، وهو لا يجوز، لو قلت: مرّ زيد بعمرو بل مرّ زيد بعمرو لم يجز، وقد أجاز ذلك أبو البقاء وهو أن يكون التقدير: فبما نقضهم ميثاقهم وكذا وكذا طبع الله على قلوبهم، وقيل التقدير: فبما نقضهم ميثاقهم لا يؤمنون إلا قليلا، فالفاء مقحمة[1]، و«ما» في قوله «فبما نقضهم» كهي في ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران] وتقدم الكلام فيها.

والبهتانُ العظيم هو رَمْيُهَا عليها السلام بالزنى مع رؤيتهم الآيةَ في كلامِ عيسى عليه السلام في المهد. وقولهم ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ هو على جهة الاستهزاء منهم كقول فرعون لعنه الله ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء]. وفي الكلام حذف تقديره: وصلبناه، ولذلك نفاه في قوله تعالى «وما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكن شُبِّه لهم»، هذا إخبارٌ منه تعالى بأنهم ما قتلوا عيسى ولا صلبوه.

واختلف [١٣٥/ب] الرواة في كيفية القتل والصلب وفيمن أُلقي الشّبه عليه اختلافاً كثيراً. ولم يَثْبُتْ عن رسولِ الله ﷺ في ذلك شيءٌ.

و﴿شُبِّهَ﴾ مبني للمفعول و«لهم» في موضع المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله.

والذي نعتقده أن المشبّه هو الملك الممخرق الذي كان في زمان عيسى عليه السلام، لما رفعه الله تعالى إليه وفقدوه أخرج شخصاً وقال لهم: هذا عيسى فقتله وصلبه. قيل: ولا يجوز [أن يُعتقد] أنَّ الله تعالى ألقى شبه عيسى على [واحدٍ منهم] لأنَّ ذلك تطرّف إلى السفسطة كما ادّعى بعض

---

(١) ق: معجمة.

الجُهَّال في الشيخ القرشي وكان شيخاً مجذوماً أنه كان إذا أرادَ أنْ يخلو بامرأته للوطء برز لها في صورةٍ شاب أمرد حسن الصورة. وحكي لنا عن بعض من كان تولّى مشيخةَ الصوفيةِ بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة أنه تكلم مع بعض العلماء في أنه يكون في الآن الواحد بشكلِه وصورتِه في مكانٍ، ثم يكونُ بشكلِه وصورته في ذلك الآن في مكان آخر. وعند هؤلاء المنتمين للتصوف(١) من المكابرات وتجويز المستحيلات والإيهامات شيء كثير.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ الضمير قيل عائد على اليهود، واختلافهم [فيه هو قولهم] إنه ليس برسول وإنه ليس لِرِشْدَةٍ(٢). والظاهر أنه عائدٌ على النصارى، واختلافهم أنَّ بعضهم يقولُ: قُتِلَ وصُلب، وبعضهم يقول: قتل ناسوته لا لاهوته، وبعضهم يقول: لم يُقْتَلْ ولم يصلب. واليقين الذي صحّ فيه نقل الكافّة عن حواسّها هو أنَّ شخصاً صُلب وأما هل هو عيسى أم لا فليس من علم الحواسّ.

﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ استثناء منقطع إذ اتباع الظن(٣) ليس مندرجاً تحت قوله «مِنْ عِلْم».

وقال ابن عطية: هو استثناء متصل إذ الظن والعلم يضمّهما جنس أنهما من معتقدات اليقين، وقد يقول الظانّ على طريق التجوز: علمي في هذا الأمر أنه كذا وهو يعني ظنه انتهى.

وليس كما ذكرَ من أنَّ الظن والعلم يضمّهما جنس أنهما من معتقدات

---

(١) ق: الصوف.

(٢) تقول: هو لِرِشْدَةٍ خلاف قولك: لِزِنْيَةٍ.

(٣) «استثناء منقطع إذ اتباع الظن» كتبت في الحاشية.

اليقين، لأنَّ الظنَّ ليس من معتقدات اليقين لأنه ترجيح أحد الجائزين. وعلى تقدير أنَّ الظنَّ والعلم يضمّهما ما ذكر فلا يكونُ أيضاً استثناء متصلاً لأنه لم يستثن الظن من العلم فليست التلاوة: ما لهم به من علم إلا الظن، وإنما التلاوة «إلا اتباع الظن» والاتباع للظن لا يضمّه والعلم جنس ما ذكر. والظاهر أنَّ الضمير في «قتلوه» عائد على عيسى. وانتصب «يقيناً» على أنه مصدر في موضع الحال أو نعت لمصدر محذوف، أو بمعنى حقاً فيكون مصدراً [مؤكداً] لمضمون الجملة. ومَنْ ذهبَ إلى أنه معمول لقوله «رفعه» فيكون فيه تقديم وتأخير فقوله خطأ، لأن ما بعد «بل» لا يعمل فيما قبلها.

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ إنْ هنا نافية والمُخبَر عنه محذوف قامت صفته مقامه، التقدير: وما أحد من أهل الكتاب كما حذف في قوله ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم].

وقال الزمخشري(1): «ليؤمنن به» جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، ونحو ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الصافات] ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم] والمعنى: ما من اليهود أحدٌ إلا ليؤمنن به انتهى.

وهو غلط فاحش إذ زعم أن «ليؤمننّ به» جملة قسمية واقعة صفة لمحذوف إلخ. وصفة «أحد» المحذوف إنما هو الجار والمجرور وهو [١٣٦/أ] «من أهل الكتاب» والتقدير كما ذكرناه: وإن أحد من أهل الكتاب. وأما قوله «ليؤمنن به» فليست صفة لموصوف ولا هي جملة قسميّة كما زعم، إنما هي جملة جواب القسم، والقسم محذوف، والقسم وجوابه

(1) الكشاف ١: ٥٨٠.

في موضع خبر المبتدأ الذي هو «أحد» المحذوف، إذ لا ينتظم من «أحد» والمجرور إسناد(١) لأنه لا يفيد، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسميّة وجوابها فذلك محطّ الفائدة، وكذلك أيضا الخبر هو «إلا له مقام» وكذلك «إلا واردها» إذ لا ينتظم مما قبل إلا تركيب إسنادي.

والظاهر أن الضميرين في «به» و«موته» عائذان على عيسى وهو سياق الكلام، والمعنى: من أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله، روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملّة واحدة وهي ملّة الإسلام قاله ابن عباس وغيره. وقال ابن عباس أيضاً وجماعة: الضمير في «به» لعيسى، وفي «موته» للكتابي، قالوا: وليس يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى ويعلم أنه نبي، ولكن عند المعاينة للموت فهو إيمان لا ينفعه.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾.

﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ ﴾ الطّيبات ما ذكر تعالى في قوله ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام].

و﴿ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ جملة(٢) في موضع الصفة لـ«طيبات» والمعنى: كانت

---

(١) ق: إسناده.

(٢) ق: جملة حالية في موضع الصفة.

احِلَّتْ لهم. وانتصب «كثيراً» على أنه مفعول به أي: ناساً كثيراً وناصبه المصدر وهو قوله «وبصدّهم»، أو انتصب على أنه نعت لمصدر محذوف تقديره صداً كثيراً.

﴿ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ جملة حالية تؤذن بتقبيح فعلهم إذا ما نهى تعالى عنه يجب أن يبعد منه، قالوا: والربا محرم في جميع الشرائع. وقوله «بالباطل» هو الرُّشا التي كانوا يأخذونها على تغيير شرائعهم.

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ الآية، مجيء «لكن» هنا في غاية الحسن لأنها داخلة بين نقيضين وجوابهما وهم الكافرون والعذاب الأليم، والمؤمنون والأجر العظيم. و«الراسخون» الثابتون المتقنون المستبصرون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني منهم أو المؤمنون من المهاجرين والأنصار. والظاهر أنه عامٌ فيمن آمن.

وارتفع «الراسخون» على الابتداء والخبر «يؤمنون» لا غير لأن المدح لا يكون إلا بعد تمام الجملة الأولى. ومن جعل الخبر «أولئك سنؤتيهم» فقوله ضعيف. وانتصب «والمقيمين» على المدح. وارتفع «والمؤتون» أيضاً على إضمار «وهم» على سبيل القطع إلى الرفع. ولا يجوز أن يعطف على المرفوع قبله لأن النعت إذا قطع في شيء منه لم يعد ما بعده إلى إعراب المنعوت، وهذا القطع لبيان فضل الصلاة والزكاة، فكثر الوصف بأن جعل في جمل. وقرىء: والمقيمون بالرفع عطفاً على المرفوع قبله، قال ابن عطية: فرق بين الآية والبيت، يعني بيت الخرنق وكان أنشده قبل وهو[1]:

[من الكامل]

---

(١) ديوان الخرنق ص٢٩.

النــازلــون بكــلِّ مُعْتَــرَكٍ   والطَّيِّبُــون مَعــاقِــدَ الأُزُرِ

بحرف العطف الذي في الآية، فإنه يمنع عند بعضهم تقدير الفعل وفي هذا نظر انتهى. إنْ مَنَعَ ذلك أحد فهو محجوج بثبوت ذلك في كلام العرب مع حرف العطف ولا نظر في ذلك لما قال ابن عطية، كما قال الشاعر[1]: [من المتقارب]

[١٣٦/ب] ويأوي إلى نسوةٍ عُطَّلٍ   وشُعْثاً مراضيعَ مِثْلَ السّعالي

وذكر الزمخشري وغيره وجوهاً في أنّ «والمقيمين» في موضع جرّ عطفاً على الضمير في «منهم» أي ومن المقيمين، أو عطفاً على «قبلك» أي ومن قَبْل المقيمين، أو عطفاً على الكاف في قوله «إليك»[2] [أي يؤمنون بما أنزل إلى محمد وإلى المقيمين]. وأجازوا فيمن قرأ: والمقيمون بالرفع أن يكون في موضع خبر مبتدأ محذوف، أو عطفاً على الضمير المستكنّ في «الراسخون»، أو عطفاً على الضمير المستكن في «المؤمنون»، أو على الضمير المستكن في «يؤمنون». وهذه أعاريب ينزّه كتاب الله عنها ولا يحلّ اعتقاد شيء منها ولولا[3] أن الزمخشري وابن عطية ذكراهما وهما يُدّعىٰ فيهما أنهما أجلّ من صنّف في التفسير لما ذكرتُ ذلك.

﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ

(١) هو أمية بن أبي عائذ، والبيت من شواهد الكتاب ١: ٣٩٩.

(٢) ق: ومن قبلك.

(٣) ق: ولو.

وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا.

﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ جمع عام جرّد منه ما ذكره تعالى في قوله «وأوحينا إلى إبراهيم» تعظيماً لهم وتنبيهاً على أنهم أشرف من غيرهم إذ كانوا أصحاب ملل كملّة موسى وعيسى. وقرىء: زُبراً بضم الزاي جمع زَبور كعمود وعُمُد. والزبور الذي آتاه الله داود وأنزله عليه قرأتُ فيه وقد عُرّب وهو يتضمن مواعظ وأمثالاً كثيرة.

وانتصاب «رسلاً» على إضمار فعلٍ أي: قد قصصنا رسلاً عليك، فهو من باب الاشتغال. والجملة من قوله «قد قصصناهم» مفسّرة لذلك الفعل ويدلّ على هذا قراءة أبيّ: ورسلٌ بالرفع في الموضعين على الابتداء، وجاز الابتداء بالنكرة هنا لأنه موضع تفصيل كما أنشدوا[1]: [من المتقارب]

فثوبٌ لبستُ وثوبٌ أَجُرّْ

وقوله[2]: [من الطويل]

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٥٩، وتمامه:

فلما دنوتُ تسدّيتها ... فثوباً لبست وثوباً أجرّْ

(٢) عجز بيت لامرىء القيس، وصدره في الديوان ص١٢:

بشِقٍّ وشِقٌّ عندنا لم يُحَوَّلِ

ومرجّح النصب على الرفع كون العطف على جملة فعلية وهي «وآتينا داود زبورا». ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ هذا إخبار بأن الله شرّف موسى بكلامه، وأكّد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه، هذا هو الغالب. وقد جاء التأكيد بالمصدر في المجاز إلا أنه قليل فمن ذلك قول هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري[1]: [من الطويل]

بكى الخزّ من رَوْحٍ وأنكر جِلْدَه وعجّتْ عجيجاً من جُذامَ المَطارفُ

وقال ثعلب: لولا التأكيد بالمصدر لجاز أن يكون كما تقول: قد كلّمت لك فلاناً، بمعنى كتبت إليه رقعة وبعثت إليه رسولاً، فلما قال «تكليما» لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله تعالى. ومسألة الكلام مما طال فيه الكلام واختلف فيها علماء الإسلام، وبهذه المسألة سُمِّي علم أصول الدين بعلمِ الكلامِ وهي مسألةٌ يبحث فيها في أصول الدين. وقرىء: وكلّم اللهَ موسى بالنصب في الجلالة.

﴿رُّسُلٗا﴾ بدل من قوله «ورسلاً». والجملة من قوله «وكلّم الله موسى تكليما» جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه أفادت تشريف موسى عليه السلام بتكليمه تعالى، إذ هو مندرج في قوله «ورسلاً قد قصصناهم عليك». ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بالثواب ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقاب. و﴿لِئَلَّا﴾ تعليل لإرسالِ الرسل كما قال تعالى[2] ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ ١٩﴾ [المائدة].

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ

= إذا ما بكى من خلفها انحرفت له

(١) البيت لحميدة بنت النعمان بن بشير كما في معجم الأدباء ١١: ٢٠.

(٢) ق: أن تقول.

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ﴾ الآية، الاستدراك بلكن يقتضي تقدم جملة محذوفة، لأن لكن لا يُبتدأ بها فالتقدير [ما روي] في سبب النزول وهو أنه لمّا نزل «إنا أوحينا إليك» قالوا: ما يشهد لك بهذا؟ فنزل «لكن الله يشهد». وشهادته تعالى بما أنزل إليه [١/١٣٧] إثباته بإظهار المعجزات كما ثبتت الدعاوى بالبيّنات. وقرىء: لكنّ الله، بالتشديد ونصب الجلالة. ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ﴾ الباء للحال أي: متلبّساً بعلمه أي عالماً به.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ استثناء من قوله «طريقاً». و«طريقاً» منفي من حيث المعنى لأن التقدير: لم يكن الله مريداً هدايتهم، وإذا انتفت إرادة الهداية انتفت الهداية للطريق، وإذا انتفت الهداية انتفت الطريق، وهذا على طريقة البصريين. وأما الكوفيون فالنفي منسحب أولاً على الهداية. وتقدم الكلام على لام الجحود في قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾.

﴿لَا تَغْلُوا۟﴾ الغلّو التجاوز في الأمر. ومعنى ﴿فِى دِينِكُمْ﴾ [أي]: الذي أنتم مطلوبون[١] به لا دينكم المضلل. والظاهر أن «أهل الكتاب» المراد بهم النصارى بدليل آخر الآية، وقيل يشمل اليهود والنصارى. وغلوُّ اليهودِ كونهم أنكروا رسالةَ عيسى ونسبوهُ لغير رِشْدَة، وغلوُّ النصارى قولُ بعضِهم إنه الله وقول [بعضهم] إنه ثالث ثلاثة. ﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾ تقدم تفسيرها في قوله ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران]. و﴿أَلْقَىٰهَآ﴾ جملة حالية أي أوجد فيها عيسى. ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: من الأرواح التي أوجدها. والذي يظهر أن قوله «ثلاثة» خبر مبتدأ محذوف تقديره: الإله أو المعبود ثلاثة، لأنهم يثبتون الله وصاحبته وولده. ﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ تقدم قوله «فآمنوا خيراً لكم».

وفي نصب «خيراً» ثلاثة أوجه الأول: مذهب الخليل وسيبويه أنه منصوب على فعل يجب إضماره تقديره وآتوا خيراً لكم، الثاني: مذهب الكسائي وأبي عبيدة أنه منصوب على خبر «يكن» محذوفة تقديره: يكن هو خيراً لكم، ويكن هو أي الانتهاء خيراً لكم، الثالث: مذهب الفراء أن انتصابه على أنه صفة لمصدر محذوف تقديره: فآمنوا إيماناً خيراً[٢] لكم وانتهوا انتهاءً خيراً لكم والترجيح بين هذه الأقوال مذكور في علم النحو.

---

(١) ق: مطلبون.

(٢) كتبت في الحاشية.

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ﴾ الاستنكاف الأنفة والترفّع، مِن نكفت الدمع إذا نحيّته بإصبعك من خدّك ومنعته من الجري. وقيل الاستنكاف من النكف يقال: ما عليه في هذا الأمر نكف ولا وكف[1]، والنكف أن يقال له سوء، واستنكف دفع ذلك السوء.

وقوله ﴿ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ظاهره أنْ يكون معطوفاً على قوله «لن يستنكف المسيح» والمعنى: ولا تستنكف الملائكة[2] المقربون أنْ يكونوا عبيداً لله، وليس معطوفاً على قوله «المسيح» لاختلاف الخبر.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: من أين دلَّ قوله «ولا الملائكة المقربون» على أنَّ المعنى: ولا من فوقه؟ قلت: من حيث إن علم المعاني لا يقتضي غير ذلك، وذلك أنَّ الكلامَ إنما سيقَ لردِّ مذهب النصارى وغلّوهم في رفعِ المسيحِ عن منزلة العبودية، فوجب أن يقال لهم: لن يترفَّع عيسى عن العبوديةِ ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل: لن تستنكف الملائكة المقربون من العبوديةِ فكيف بالمسيحِ. ويدل عليه دلالة ظاهرة بيّنة تخصيص المقربين[4] لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة ومثاله قول القائل[5]. [من الطويل]

ومـا مثلـه مِمَّـن يجـاوِدُ حـاتـمٌ ولا البحرُ ذو الأمواج يلتج زاخِرُهْ

---

(١) انظر اللسان «نكف».

(٢) بعده في ق: ظاهره أن يكون معطوفاً على قوله المقربون. .

(٣) الكشاف ١ : ٥٨٦.

(٤) ق: تخصص المقربون.

(٥) شرح شواهد الكشاف ٤ : ٤٠١ غير منسوب.

لا شبهة في أنه قصدَ بالبحرِ ذي الأمواجِ ما[1] هو فوقَ حاتم في الجودِ، ومَنْ كان له ذوقٌ فليذق مع هذه الآية قوله ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة] حتى يعترف بالفرق البيّن انتهى كلامه.

التفضيلُ بين الأنبياء والملائكة إنما يكون بالسمع إذ نحن لا ندركُ جهةَ التفضيل بالعقل. وأما الآية فقد يقال: متى نُفي شيء عن اثنين فلا يدل ذلك على أنَّ الثاني أرفع من الأول ولا أنَّ ذلك من باب الترقّي. فإذا قلت [١٣٧/ب] لن يأنف فلان أن يسجد لله ولا عمرو، فلا دلالة فيه على أن عمراً أفضل من زيد، وإن سلّمنا ذلك فليست الآية من هذا القبيل لأنه قابلَ مُفْرداً بجمعٍ ولم يقابل مفرداً بمفردٍ ولا جمعاً بجمع، فقد يقال: الجمع أفضل من المفرد ولا يلزم من الآيةِ تفضيل الجمع على الجمع ولا المفرد على المفرد، وإنْ سلّمنا أنَّ المعطوف في الآية أرفع من المعطوف عليه فيكون ذلك بحسب ما ألقي في أذهان[2] العرب وغيرهم من تعظيمِ الملكِ وترفيعه حتى أنهم ينفون البشرية عن الممدوح ويثبتون له الملكية، ولا يدل تخيلهم ذلك على أنه في نفسِ الأمر أفضل وأعظم ثواباً. ومما ورد من ذلك على حسب ما ألقي في الأذهان قوله تعالى حكاية عن النسوةِ اللاتي فاجأهن حُسْن يوسف ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف]. وقال الشاعر[3]: [من الطويل]

فلست بإنسيٍّ ولكن لملاكٍ تَنزّلَ من جوّ السماء يَصوبُ

---

(١) ق: وما.

(٢) ق: في الأذهان أذهان العرب.

(٣) البيت لعلقمة الفحل في ديوانه ص١٣٢، وانظر الكتاب ٤ : ٣٨٠، واللسان «ملك».

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: علام عطف قوله «ولا الملائكة»؟ قلت: [لا يخلو] إما أن يعطف على «المسيح» أو على اسم «يكون» أو على المستتر في «عبداً» لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة كقولك[2]: مررت برجلٍ عَبْدٍ أبوه. فالعطف على «المسيح» هو الظاهر لأداء غيره إلى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا مَن فوقه موصوفين بالعبودية أو أن يعبد الله هو ومَن فوقه انتهى.

الانحرافُ عن الغرضِ الذي أشار إليه هو كون الاستنكافِ يكون مختصاً بالمسيح، والمعنى القائم[3] إشراك الملائكة مع المسيح في انتفاء الاستنكاف عن العبودية، لأنه [لا] يلزم من استنكافه وحده أنْ يكون هو والملائكة عبيداً، أو أن يكون هو وهم يعبدونه [مع عدم] استنكافهم، فقد يرضى شخص أن يضرب هو وزيد عمراً، ولا يرضى ذلك زيد.

ويظهر أيضاً مرجوحية الوجهين من جهة دخول «لا»، إذ لو أُريد العطف على الضمير في «يكون» أو على المستتر في «عبداً» لم تدخل «لا» بل كان يكون التركيب بدونها، تقول: ما يريد زيد أن يكون هو وأبوه قائمين، وتقول: ما يريد زيد أن يصطلح هو وعمرو. فهذان ونحوهما ليسا من مظنات دخول «لا»، فإن وجد في لسان العرب دخول «لا» في نحوٍ من هذا فهي زائدة. وقرىء: عُبَيْداً بالتصغير. واستدلَّ مَنْ قال بتفضيل الملائكة على الأنبياء بهذه الآية إذ فيها الترقّي من الأعلى إلى الأعلى كما تقدّم، وهي مسألة خلاف. وأجيب بأنه لما كان الملك في أنفس البشر مما يعظّمونه

---

(١) الكشاف ١ : ٥٨٨.

(٢) ق: وقولك.

(٣) ق: التام.

ويرفعون من قدره جاءت الآية على ذلك، ألا ترى إلى قولِ صواحبِ امرأةِ العزيز في يوسف عليه السلام ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف] وقوله: [من الطويل]

فلستُ بإنسي(١)

وسيأتي الكلام على ذلك إنْ شاء الله في قوله تعالى ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء]. ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ الآية، حمل أولاً على لفظ «مَن» فأفرد الضمير في «يستنكف» و«يستكبر»، ثم على المعنى في قوله «فسيحشرهم» والضمير عائد على معنى «مَن». هذا هو الظاهر، ويحتمل أن يكون الضمير عاماً عائداً(٢) على الخلق لدلالة المعنى عليه، لأنَّ الحشر ليس مختصاً بالمستنكف، ولأن التفصيل بعده يدلّ عليه، ويكون ربط الجملة الواقعة جواباً لاسم الشرط بالعموم الذي فيها. ويحتمل أن يعود الضمير على معنى «مَن» ويكون قد حذف المعطوف عليه لمقابلته إياه، التقدير: فسيحشرهم ومن لم يستنكف إليه جميعا كقوله تعالى ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴿٨١﴾﴾ [النمل] أي والبرد. وعلى هذا الاحتمال [١٣٨/أ] يكون ما فُصّل بأمّا مطابقاً لما قبله، وعلى الوجه الأول لا تطابق. والإخبار بالحشر إليه وعيد إذ المعنيّ به الجمع يوم القيامة حيث يذل المستنكف والمستكبر.

﴿بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الجمهور على أن البرهان هو محمد ﷺ، وأطلق عليه «برهان» لما ظهر على يديه من الحجج والدلائل. والنور المبين هو القرآن.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ

(١) تقدم تخريج الشعر قبل قليل.

(٢) ق: عائد عاماً.

أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ تقدم الكلام في الكلالة اشتقاقاً ومدلولاً. وقال جابر: هي آخر آية نزلت. و﴿فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ متعلق بـ«يفتيكم» وهو من إعمال الثاني، لأن «في الكلالة» يطلبها «يستفتونك» و«يفتيكم» فأعمل الثاني. وبعض عوامّ القرّاء يقف على قوله «يستفتونك» ويرى ذلك حسناً وهو لا يجوز، لأن جملتي الإعمال متشبثة[1] إحداهما بالأخرى، فلو قلت: ضربني، وسكتَّ ثم قلت: وضربت زيداً، لم يَجُزْ إلاّ لانقطاع النَّفَسِ.

وقوله تعالى ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ تفسير لحكم الكلالة. و«ولد» يشمل الذكر والأنثى. وارتفع «امرؤ» على أنه فاعل بفعل محذوف يفسّره ما بعده. والجملة من قوله «ليس له ولد» في موضع الصفة لامرىءٍ، أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد. وفيه دليل على جواز الفصل بين النعت والمنعوت بالجملة المفسّرة في باب الاشتغال فعلى هذا تقول: زيداً ضربته العاقل، على أن العاقل صفة لزيد، أجريت الجملة المفسّرة في هذا الباب مجرى الجملة الخبرية في قولك: زيد ضربته العاقل، فكما جاز الفصل بالخبر جاز بالمفسر.

ومنع الزمخشري أن يكون قوله «ليس له ولد» جملة حالية من الضمير في

(١) ق: منشئة.

«هلك» فقال[١]: ومحلّ «ليس[٢] له ولد» الرفع على الصفة لا النصب على الحال. وأجاز ذلك أبو البقاء فقال[٣]: «ليس له ولد» الجملة في موضع الحال من الضمير في «هلك»، «وله أخت» جملة حالية أيضاً. والذي يقتضيه النظر أن ذلك ممتنع وذلك أن المسند إليه حقيقةً إنما هو الاسم الظاهر المعمول للفعل المحذوف، فهو الذي ينبغي أن يكون التقييد له. أما الضمير فإنه في جملة مفسّرة لا موضع لها من الإعراب فصارت كالمؤكدة لما سبق، وإذا تجاذب الاتباع والتقييد مؤكِّد ومؤكَّد فالحكم إنما هو للمؤكد إذ هو معتمد الإسناد الأصلي، فعلى هذا لو قلت: ضربت زيداً [ضربت زيداً] العاقل، انبغى[٤] أن يكون «العاقل» نعتاً لزيد في الجملة الأولى لا لزيد في الجملة الثانية لأنها جملة مؤكدة للجملة الأولى. والمقصود بالإسناد إنما هو الجملة الأولى لا الثانية. قيل: وثمّ محذوف للاختصار ودلالة الكلام عليه والتقدير: [ليس] له ولد ولا والد.

﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٌ﴾ المراد بها الشقيقة أو التي لأب دون التي لأمّ لأن الله فرض لها النصف وجعل أخاها عَصَبة وقال «للذكر مثل حظ الأنثيين»، وأما الأخت للأم فلها السّدس في آية المواريث مسوّى بينها وبين أخيها. والضمير في قوله «وهو» وفي «يرثها» يعود إلى ما تقدم لفظاً دون معنى وهو من باب: عندي درهم ونصفه، لأن الهالك لا يرث والحيّة لا تورث، ونظيره في القرآن ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ ﴿١١﴾﴾ [فاطر]. وهذه الجملة مستقلة

---

(١) الكشاف ١: ٥٨٩.

(٢) كتبت في الحاشية.

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن ١: ٢٠٥.

(٤) ق: انتفى.

لا موضع لها من الإعراب وهي دليل جواب الشرط الذي بعدها المحذوف.

﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ المراد به هنا الابن لأن الابن يسقط الأخ دون البنت.

﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ قالوا: الضمير في «كانتا» ضمير أختين دلّ على ذلك قوله «وله أخت»، فقد تقرر في علم العربية أن الخبر يفيد ما لا يفيده الاسم. وقد منع أبو علي وغيره: سَيِّدُ الجاريةِ مالكها، لأن الخبر أفاد ما أفاده [١٣٨/ب] المبتدأ. والألف في «كانتا» تفيد التثنية كما أفاده الخبر وهو قوله «اثنتين». وأجاب الأخفش وغيره بأن قوله «اثنتين» يدل على عدم التقييد بالصغر أو الكبر أو غيرهما من الأوصاف، واستحق الثلثان بالاثنينية مجردة عن القيود فلهذا كان مقيداً. وهذا الذي قالوه ليس بشيء لأن الألف الضمير للاثنتين يدل أيضاً على مجرد الاثنينيّة من غير اعتبار قيد، فصار مدلول الألف ومدلول «اثنتين» سواء، وصار المعنى: فإن كانت الأختان اثنتين، ومعلوم أن الأختين اثنتان[1].

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله «فإن كانتا اثنتين، وإن كانوا إخوة»؟ قلت: أصله: فإن كان من يرث بالأخوّة اثنتين، وإن كان من يرث بالأخوّة ذكوراً وإناثاً. وإنما قيل: فإن كانتا وإن كانوا كما قيل: من كانت أمّك، فكما أنّث ضمير «مَنْ» لمكان تأنيث الخبر كذلك ثنّى وجمع ضمير من يرث في «كانتا» و«كانوا» لمكان تثنية[3] الخبر وجمعه انتهى.

(١) ق: اثنتين.

(٢) الكشاف ١ : ٥٨٩.

(٣) ق: تأنيث.

وهو تابع في هذا التخريج غيره وهو تخريجٌ لا يصحُّ وليس نظير: من كانت أمك، لأنّ «مَن» صرّح بها ولها لفظ ومعنى فمن أنّث راعى المعنى لأن التقدير: أية أمّ كانت أمك، ومدلول الخبر في هذا مخالف لمدلول الاسم بخلاف الآية فإن المدلولين واحد، ولم يؤنث في: مَن كانت أمك، لتأنيث الخبر إنما أنّث مراعاة لمعنى مَن إذ أراد بها مؤنثاً، ألا ترى أنك تقول: مَن قامت، فتؤنث مراعاة للمعنى إذا أردت السؤال عن مؤنث، ولا خبر هنا فيؤنث «قامت» لأجله.

والذي يظهر لي في تخريج الآية غير ما ذكروا وذلك وجهان: أحدهما أن الضمير في «كانتا» لا يعود على أختين إنما يعود على الوارثتين[1] ويكون ثَمّ صفة محذوفة لاثنتين، و«اثنتين» بصفته هو الخبر والتقدير: فإن كانت[2] الوارثتان اثنتين من الأخوات فلهما الثلثان مما ترك، فيفيد إذ ذاك الخبر ما لا يفيده الاسم، وحذف الصفة لفهم المعنى جائز.

والوجه الثاني أن يكون الضمير عائداً على الأختين كما ذكروا، ويكون خبر كان محذوفاً لدلالة المعنى عليه وإن كان حذفه قليلاً، ويكون «اثنتين» حالاً مؤكدة والتقدير: فإن كانت أختان له [أي للمرء الهالك، ويدل على حذف الخبر الذي هو «له»] قوله «وله أخت» فكأنه قيل: فإن كان أختان له. ونظيره أن تقول: إن كان لزيد أخ فحكمه كذا، وإن كانوا أخوان فحكمهما كذا، تريد: وإن كان أخوان له.

﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ﴾ الآية، يعني أنهم يحوزون المال على ما تقرر في إرث

---

(١) ق: الوارثين.

(٢) ق: كانتا.

الأولاد من أنه للذكر مثل حظ الأنثيين. والضمير في «كانوا» إنْ عاد على الإخوةِ فقد أفاد الخبر بالتفصيل المحتوي على الرجال والنساء ما لا يفيده الاسم، لأن الاسم ظاهر في الذكور. وإنْ عاد [على] الوارث فظهرت إفادة الخبر ما لا يفيد المبتدأ ظهوراً واضحاً. والمراد بقوله «إخوة» الإخوة والأخوات وغلّب حكم المذكر.

﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ مفعول من أجله. ومفعول «يبيّن» محذوف أي يبيّن لكم الحق. فقدّر البصري والمبرد وغيره: كراهة أن تضلّوا، وقدّر الكوفي وغيره: لئلاّ تضلّوا، وحذف [«لا»]، ومثله عندهم قول القطامي[1]: [من الوافر]

رأينا ما رأى البُصَراءُ مِنّا فـآلَيْنـا عليهـا أن تُبـاعـا

والظاهر أن المعنى: يبين الله لكم شأن[2] الكلالة كراهة أن تضلّوا فيها.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [١٣٩/أ] يعلم مصالح العباد في المبدأ والمعاد وفيما كلّفهم به من الأحكام.

وهذه السورةُ مشتمل أوّلها على كمالِ تنزّه[3] الله تعالى وسعة قدرته، وآخرها مشتملٌ على بيانِ كمالِ العلم. وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والألوهية والجلال والعزة، وبهما يجب أن يكون العبد منقاداً للتكاليف.

[انتهى بعون الله الجزء الأول من تجزيء المحقق، ويليه إن شاء الله الجزء الثاني، وأوله تفسير سورة المائدة].

---

(١) ديوانه ص٤٠ مع بعض اختلاف.

(٢) غير مقروءة في ق.

(٣) ق: كمال بين به.

سورة المائدة

سورة المائدة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ .

هذه السورةُ مدنيةٌ، نزلت مُنْصَرَفَ رسولِ الله ﷺ من الحُديبيةِ، ومنها ما نَزَلَ في حَجة الوَداع ومنها ما نزل عامَ الفتحِ. وكُلُّ ما نزلَ بعد الهجرةِ بالمدينة أو في سفرٍ أو بمكةَ فهو مَدَنيٌّ. ومناسبةُ افتتاح هذه السُّورة لما قبلها هو أنه تعالى لَمَّا ذَكَرَ استفتاءَهم في الكَلاَلة وأفتاهُم فيها، ذكر أنه يُبيِّنُ لهم كراهةَ الضَّلالِ فبيَّنَ في هذه السورة أحكاماً كثيرة هي تفصيلٌ لذلك المُجْمَل.

﴿ أَوۡفُواْ ﴾ يقال: وَفَى وأَوْفى ووفَّى. والعُقود جمع عَقْد وهو ما التزمَهُ الإنسانُ من مَطْلوبٍ شرعيٍّ. وهو عامٌّ يندرجُ تحته ما رَبَطَ الإنسانُ على نفسه أو مع صاحبٍ له مما يجوزُ شرعاً. وأصلُ العقود في الأجرام ثم تُوُسِّعَ فيه فَأُطْلِقَ في المعاني.

﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ هذا تفصيل بعد عموم. وبهيمةُ الأنعام هي الأنعامُ نفسها أو ما يُشْبِهها من الوحشِ المباح أكْلُه كالظُّبيِّ والمَهَا وبقر

---

(١) مدنية وآياتها مئة وعشرون.

الوحش والأُيَّلِ والأرنبِ مما لا نابَ له.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ هذا استثناءٌ من بهيمة الأنعام. و«ما يتلى عليكم» مُبْهَمٌ مُفَسَّرٌ بقوله «حرمت عليكم»[1]، وبما ثَبتَ في السُّنَّةِ تحريمُه. و«ما» في موضعِ نَصْبٍ لأنه استثناءٌ من موجب وهو قوله «أُحِلَّتْ». وموضع «ما» نصبٌ على الاستثناء ويجوزُ الرفعُ على الصفة لـ«بهيمة». قال ابن عطية: وأجاز بعضُ الكوفيين أنْ يكون في موضع رفعٍ على البدل وعلى أن تكون «إلا» عاطفة، وذلك لا يجوز عند البصريين إلا من نكرةٍ أو ما قاربها من أسماءِ الأجناس نحو قولك: جاء الرجالُ إلا زيد، كأنك قلت: غير زيدٍ انتهى.

وهذا الذي حكاه عن بعض الكوفيين من أنه في موضعِ رفعٍ على البدل لا يصحُّ البتَّةَ لأنَّ الذي قبله موجب، فكما [لا] يجوز: قام القومُ إلا زيد، على البدل، كذلك لا يجوز البدلُ في «إلا ما يتلى». وأما كون «إلا» عاطفة فهو شيءٌ ذهب إليه بعض الكوفيين كما ذكر ابن عطية. وقوله: وذلك لا يجوز عند البصريين، ظاهِرهُ الإشارةُ إلى وجهي الرفع البدل والعطف. وقوله: إلا من نكرة، هذا الاستثناءُ مُبْهم لا يدرى من أيِّ شيءٍ هو، وكلا وجهي الرفع لا يصلحُ أنْ يكونَ استثناءً منه، لأنَّ البدل من الموجب لا يجيزه أحدٌ علمناه لا بصريٌّ ولا كوفيٌّ. وأما العطفُ فلا يجيزه بصريٌّ البتّة وإنما الذي يجيزه البصريون أنْ يكون نعتاً لما قبله في مثل هذا التركيب، وشرط فيه بعضهم ما ذكر من أنه يكون المنعوت نكرة أو ما قاربها من أسماء الأجناس، [فلعل ابنَ عطية اختلطَ عليه البدلُ والنعتُ فلم يُفَرِّقْ بينهما في الحكم. ولو فرضنا تبعيةَ ما بعدَ إلاَّ لما قبلها من الإعرابِ على طريقةِ البدل حيث يسوغ ذلك لم

---

[1] الآية ٣ التالية.

يشترط تنكير ما قبل إلاَّ ولا كونه مقارباً للنكرة من أسماء الاجناس] لأنَّ البدلَ والمُبْدَلَ منه يجوز اختلافهما بالتنكير والتعريف.

﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ اتفق الجمهور على نصب «غير» واتفق مَنْ وقفنا على كلامه من المعربين والمُفَسِّرين على أنه منصوبٌ على الحال، واختُلف في صاحب الحال فقال الأخفشُ: هو ضميرُ الفاعلِ في «أوفوا»، وقال الجمهور الزمخشري وابن عطية وغيرهما: هو الضميرُ المجرور [في «أحلت لكم»، وقال بعضهم: هو الفاعل المحذوف من «أُحِلَّت» المقام مقامه المفعول به وهو الله، وقال بعضهم: هو الضمير المجرور] [١٣٩/ب] في «عليكم». ونقل القرطبي[1] عن البصريين أن قوله «إلا ما يتلى عليكم» هو «استثناء من «بهيمة الأنعام» وهي المستثنى منها والتقدير: إلا ما يُتْلَى عليكم إلا الصيدَ وأنتم مُحْرِمُون، بخلاف قوله تعالى ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٣٢﴾ [الذاريات] على ما يأتي بيانه، وهو قول مستثنى مما يليه من الاستثناء، قال: ولو كان كذلك لَوَجَبَ إباحة الصيد في الإحرام لأنه مُستثنىً من المحظور إذ كان «إلا ما يتلى عليكم» مستثنى من الإباحة. وهذا وجهٌ ساقطٌ فإذاً معناه: أُحِلَّتْ لكم بهيمةُ الأنعام غير مُحِلِّي الصيد وأنتم حرم إلا ما يتلى سوى الصيد». وقال ابن عطية: وقد خلط الناسُ في هذا الموضع في نصب «غير» وقَدَّروا تقديماتٍ[2] وتأخيرات وذلك كله غير مَرْضِيٍّ لأنَّ الكلامَ على اطِّرادِه متمكن استثناء بعد استثناء انتهى كلامه. وهو أيضاً ممن[3] خلط على ما بَيَّنْتُه. فأما قولُ الأخفشِ ففيه الفصلُ بين ذي الحال والحال بجملةٍ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦: ٣٥-٣٦.

(٢) ق: تقديرات.

(٣) ق: مما.

اعتراضيةٍ بل هي منشئة أحكاماً وذلك لا يجوز. وفيه تقييدُ الأيفاءِ بالعقودِ بانتفاء إحلالِ الموفين الصيد وهم حُرم، وهم مأمورون بإيفاء العقود بغير قيدٍ، ويصير التقدير: أوفوا بالعقود في حالِ انتفاءِ[1] كونكم [مُحلِّينَ الصيد وأنتم حرم، فإذا لم توجد هذه الحال فلا توفوا بالعقود.

وأما قول الجمهور فهو مردودٌ من هذا الوجهِ الأخيرِ إذْ يصيرُ المعنى: أُحلَّتْ لكم بهيمةُ الأنعام في حالِ انتفاء كونكم تُحِلُّونَ الصيدَ وأنتم حُرم، وهم قد أُحلَّتْ لهم بهيمةُ الأنعام في هذه الحال وفي غيرها من الأحوال إذا أريد ببهيمة الأنعام الأنعام نفسها، وإنْ أُريدَ بها الظباء وبقر الوحش وحمره فيكون المعنى: وأُحِلَّ لكم هذه في حال انتفاء كونكم] تُحِلُّون الصيدَ وأنتم حُرم، وهذا تركيبٌ قلقٌ مُعقَّدٌ تَنَزَّه القرآنُ أنْ يأتي فيه مثل هذا، ولو أُريدَ بالآية هذا المعنى لجاء على أفصحِ تركيبٍ وأحسنِه.

وأما قولُ مَنْ جَعَله حالاً من الفاعل وقدّره: وأَحلَّ اللهُ لكم بهيمةَ الأنعام غير مُحلٍّ لكم الصيدَ وأنتم حُرم، قال كما تقول: أحللتُ لك[2] كذا غير مُبيحه لكَ يومَ الجمعة، فهو فاسدٌ لأنهم نَصُّوا على أنَّ الفاعلَ المحذوفَ في مثل هذا التركيب يصيرُ نَسْياً مَنْسِياً فلا يجوزُ وقوع الحال منه، لو قلت: أنزل المطر للناس مُجيباً لدعائهم، إذ الأصل: أنزلَ اللهُ المطرَ مُجيباً لدعائهم، لم يَجُزْ وخصوصاً على مذهب الكوفيين ومَنْ وافقهم من البصريين لأنَّ صيغةَ الفعل المبني للمفعول صيغةٌ وُضِعتْ أصلاً كما وضعت صيغته مبنياً للفاعل وليس مغيّرة [من صيغة] بنيت للفاعل، ولأنه يتقيَّدُ[3] إحلاله تعالى بهيمة

(١) ق: إيفاء.

(٢) ق: لكم.

(٣) ق: بتقييد.

الأنعام إذا أريد بها ثمانية الأزواج بحالِ انتفاءِ إحلالهِ الصيد وهم حُرم، وهو تعالى قد أحلَّها في هذه الحال وفي غيرها.

وأما قول من جعله حالاً[١] من الضمير في «عليكم»، فالذي يُتْلى لا يتقيد بحال انتفاء إحلالهم الصيد وهم حُرم، بل هو يتلى عليهم في هذه الحال وفي غيرها. وأما ما نقله القرطبي عن البصريين فإنْ كان النقلُ صحيحاً فهو يَتَخَرَّجُ على ما سنوضحه إنْ شاء الله تعالى فنقول: إنما عرض الإشكال في الآية مِنْ جَعْلهم «غير محلّي الصيد» حالاً من المأمورين بإيفاء العقود أو من المحلَّل لهم أو من المُحَلِّلِ وهو الله أو من المَتْلُوِّ عليهم. وغرَّهم في ذلك كونه كتب «محلّي» بالياء وقَدَّروه هم أنه اسم فاعل من أحلَّ وأنه مضاف إلى «الصيد» إضافة اسم الفاعل المتعدي إلى المفعول، وأنه جَمْعٌ حُذف منه النونُ للإضافةِ وأصله: غير مُحلِّين الصيد وأنتم حرم إلا في قول مَنْ جَعَله حالاً من الفاعل المحذوف فلا يُقدّر فيه حذف النون بل حذف التنوين. وإنما يزول الإشكالُ ويتضحُ المعنى بأنْ يكون قوله «محلِّي الصيد» من باب قولهم: حِسَان النساء، والمعنى: النساء الحسان، فكذلك[٢] هذا أصله: غير الصَّيد المُحَلّ، والمُحَلُّ [١٤٠/أ] صفةٌ للصيدِ لا للناسِ ولا للفاعلِ المحذوف. ووصفُ [الصيد] بأنه مُحَلٌّ على وجهين: أحدهما أنْ يكون معناهُ: دخلَ في الحِلِّ[٣] كما تقول: أَحلَّ الرجلُ أي دخل في الحِلِّ، وأحرم: دخل في الحرم. والوجه الثاني أن يكون معناه: صار ذا حِلٍّ[٤] أي

(١) ق: بدلاً.

(٢) ق: فلذلك.

(٣) ق: المحلّ.

(٤) ق: صار داخل.

حلالاً بتحليلِ الله، وذلك أنَّ الصيدَ على قسمين: حلالٌ وحرامٌ، ولا يختصُّ الصيدُ في لغة العرب بالحلال؛ ألا ترَى إلى قول بعضهم: إنه ليصيدُ الأرانبَ حتى الثعالبَ؟ لكنه يختص به شرعاً. وقد تَجوَّزَت العربُ فأطلقتْ الصيدَ على ما لا يُوصَفُ بحلٍّ ولا حرمة نحو قول الشاعر[١]: [من البسيط]

ليثٌ بِعَثَّر يصطادُ الرجالَ إذا ما كذّب الليث عن أقرانه صَدَقا

وعثّر: اسم موضع. وقال آخر[٢]: [من الطويل]

وقد ذهبت سلمى بعقلكَ كُلّه فهل غير صيدٍ أحرزته حبائله

وقال آخر[٣]: [من المتقارب]

وهِرٌّ تصيدُ قلوبَ الرجال وأفلتَ منها ابنُ عمروٍ حُجُرْ

ومجيء «أَفْعَل» على الوجهين المذكورين كثير في لسان العرب؛ فمن مجيء أفعل لبلوغ المكان ودخوله قولهم: أَحْرَمَ الرجلُ وأعْرَقَ وأَشْأَمَ وأَيْمَنَ وأَتْهَمَ وأنجدَ إذا بلغ هذه المواضعَ وحَلَّ بها. ومن مجيء أفعل بمعنى صار ذا كذا، قولهم: أعشبت الأرضُ وأبْقلت وأغدَّ البعير وأَلْبَنَت الشاةُ وغيرها وأَجْرَت الكلبة[٤] وأَصْرمَ النخلُ وأَتْلت[٥] الناقةُ وأَحْصد[٦] الزرع وأجرب

(١) البيت لزهير في ديوانه ص٥٤.

(٢) ق: لعقلك. و«أحرزته حبائله» غير مقروءتين. والبيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص٧٦.

(٣) هو امرؤ القيس والبيت في ديوانه ص١٥٥ . وهرّ: هي ابنة سلامة بن عَبْد.

(٤) ق: وأجريت المكلية.

(٥) أَتْلت الناقة: أي امتلأ بطنها.

(٦) ق: واخضر.

الرجل وأنجبت المرأة.

وإذا تقرر أنَّ الصيد يُوصف بكونه [مُحَلاً] باعتبار أحد الوجهين المذكورين من كونه بلغ الحِلَّ أو صار ذا حل[1]، اتضح كونه استثناء ثانياً ولا يكون استثناء من استثناء إذ لا يمكن ذلك لتناقض الحكم؛ لأنَّ المُسْتَثْنَى من المُحَلَّل محرمٌ والمستثنَى من المُحرَّم محلّلٌ، بل إذا كان المعنيُّ بقوله «بهيمة الأنعام» الأنعام أنفسها فيكون استثناء منقطعاً، وإنْ كان المراد الظباء وبقر الوحش وحُمره ونحوها فيكون استثناءً متصلاً على أحدِ تفسيري المحلّ استثنَى الصيد الذي بلغ الحِلَّ في حال كونهم مُحْرِمين.

فإن قلت: ما فائدة هذا الاستثناء بقيد بلوغ الحِلِّ والصيد الذي في الحَرَم لا يَحِلّ أيضاً؟ قلت: الصيدُ الذي في الحرم لا يحلُّ للمُحْرِم ولا لغيرِ المحرم، وإنما يحلُّ لغير المُحْرِم الصيدُ الذي في الحلّ، فنبَّه بأنه إذا كان الصيد الذي في الحلّ يحرم على المُحْرِم وإنْ كان حلالاً لغيره فأحرى أن حَرُمَ عليه الصيد الذي هو بالحَرَم. وعلى هذا[2] التفسير يكون قوله «إلا ما يُتلى عليكم» - إنْ كان المُراد به ما جاء بعده من قوله «حُرِّمت عليكم» الآية - استثناء منقطعاً؛ إذ لا تختص المَيْتةُ وما ذُكِرَ معها[3] بالظباء وحُمُر الوحش وبقرِه ونحوه، فيصير: لكن ما يُتلى عليكم أي تحريمه فهو محرّم. وإنْ كان المراد ببهيمة الأنعامِ الأنعامَ والوحوش فيكون الاستثناءان راجعين إلى المجموع على التفصيل؛ فيرجع«إلا[4] ما يتلى عليكم» إلى ثمانية الأزواج،

---

(١) ق: بلغ الحسل أو صار داخل.

(٢) ق: وهذا.

(٣) ق: معهما.

(٤) ق: إلى.

ويرجع «غير محلي[١] الصيد» إلى الوحوش إذ لا يمكن أن يكون الثاني استثناءً من الاستثناءِ الأول، وإذا لم يمكن ذلك وأمكن رجوعه إلى الأول بوجهٍ ما جازَ.

وقد نصّ النحويون على أنه إذا لم يمكن استثناء بعض المستثنيات من بعض، كانت كلها مستثنيات من الاسم الأول نحو قولك: قام القومُ إلا زيداً إلا عَمْراً[٢] إلا بكراً. فإن قلتَ: ما ذكرته من هذا التخريج الغريب، وهو أن يكون المُحلّ من صفة الصيد لا من صفةِ الناسِ ولا من صفةِ الفاعلِ المحذوف، يُعَكِّرُ عليه كونه كُتِبَ في رسم [١٤٠/ب] المصحف بالياء فَدَلَّ ذلك على أنه من صفات الناس، إذْ لو كان من صفة الصيد لم يُكتب بالياء، وكون القُرّاء وقفوا عليه بالياء يأبى ذلك أيضاً - قلتُ: لا يعكّر على هذا التخريج لأنهم كتبوا كثيراً رسم المصحف على ما يخالفُ النُّطْقَ نحو كَتْبهم «لا أذبحنه» و«لا أوضعوا» بألف بعد لام ألف، وكَتْبهم «بأييد» بياءين بعد الألف، وكتبهم «أولئك» بواو بعد الألف وتَنَقُّصهم مه ألفاً، وكَتْبهم «الصلحت» ونحوه بإسقاطِ ألفين، وهذا كثيرٌ في الرسم.

وأما وقفهم عليه بالياء فلا يجوز لأنه لا يوقف على المضاف دون المضاف إليه، وإنما قصدوا بذلك الاختبار[٣] أو ينقطع النَّفَس فوقفوا على الرسم كما وقفوا على «سندعُ» من قوله ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [العلق] من غير واوٍ إتباعاً للرسم. على أنه يمكنُ توجيه كَتْبه بالياء والوقف عليه بها بأنه جاء ذلك على لغة الأَزْد يقفون على بزيد: بزيدي، بإبدال التنوين ياءً، فكتب «محلّي» بالياء على الوقف على هذه اللغة وهذا توجيه شذوذٍ رسميّ، ورسم

(١) ق: محلّ.

(٢) ق: عمرواً.

(٣) غير مقروءة في ق.

المصحف مما لا يُقاسُ عليه.

وقرأ ابن أبي عبلة «غيرُ» بالرفع، وأحسن ما يخرج عليه أنْ يكونَ صفةً لقوله «بهيمة الأنعام». ولا يلزم من الوصف بغير أنْ يكون ما بعدها مماثلاً للموصوف في الجنسية، ولا يضر الفصلُ بين النعتِ والمنعوتِ بالاستثناء. وخرِّج أيضاً على الصفة للضمير في «يتلى»، قال ابن عطية: لأن[1] «غير محلِّي الصيد» هو في المعنى بمنزلة: غير مستحلّ إذا كان صيداً انتهى. ولا يُحتاجُ إلى هذا التَّكَلُّفِ على تخريجنا «محلي الصيد».

﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ جملة حالية، و«حُرم» جمع حرام، ويقال: أحرمَ الرجلُ أي دخلَ في الإحرامِ بحجٍ أو عمرةٍ أو بهما فهو مُحْرِمٌ وحرام[2]. وأحرم الرجل دخل الحَرَمَ، قال الشاعر[3]: [من الطويل]

فقلتُ لها فِيئي إليكِ فإنني حرامٌ وإني بعد ذاكِ لبيب

أي مُلَبٍّ. ويحتمل الوجهين قوله «وأنتم حرم» إذ الصيدُ يحرم على مَنْ كان [في الحرم وعلى مَنْ كان] أحرمَ بحجٍ أو عمرةٍ وهو قول الفقهاء. وقال الزمخشري[4]: «وأنتم حرم» حال عن «محلّي الصيد» كأنه قيل: أَحْللنا لكم بعضَ الأنعام في حالِ امتناعكم عن الصيد وأنتم مُحْرِمُون لئلا نُحَرِّجَ عليكم انتهى.

وقد قدَّمنا فسادَ هذا القول بأنَّ الأنعامَ مُباحةٌ مطلقاً لا بالتقييد بهذه الحال.

---

(١) ق: لأنه.

(٢) ق: فهو محرّم وأحرام.

(٣) نسب البيت في شروح السقط ٢: ١١٤٣ إلى المخبّل السعدي، وفي اللسان «لبب» إلى المضرّب بن كعب، وكذا في الاقتضاب ٣: ٤٣٤.

(٤) الكشاف ١: ٥٩١. وفي ق: لئلا يتحرج.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ هذه الجملةُ جاءت مُقَوِّيَةً لهذه الأحكامِ الشرعيةِ المخالفةِ لمعهودِ[1] أحكام العرب من الأمرِ بإيفاءِ العُقودِ وتحليلِ بهيمةِ الأنعام والاستثناء منها ما يُتلى تحريمه في الحلّ مطلقاً، والحرم إلا في الاضطرار، واستثناء الصيد في حالة الإحرام وتَضمَّنَ ذلك حِلَّهُ لغير المحرم، فهذه خمسةُ أحكامٍ ختمها بقوله «إن الله يحكم ما يريد» فموجبُ الحكمِ والتكليفِ هو إرادتُه لا اعتراضَ عليه ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه لا [ما] يقوله المعتزلةُ من مراعاةِ المصالح.

﴿شَعَٰٓئِرَ اللَّهِ﴾ تقدم تفسيرها في البقرة[2]. والشعائرُ هي ما حَرَّمَ اللهُ مطلقاً سواء أكان في الإحرامِ أو غيره. و﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ مفرد حُلِّيَ بأل الجنسية فالمرادُ به عمومُ الأشهرِ الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. والمعنى: لا تُحِلُّوا بقتالٍ ولا غارةٍ ولا نهب. ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ لا خلاف أن الهدي ما أُهديَ من النَّعَمِ إلى بيتِ الله وقُصدت به القُربةُ، فأمرَ اللهُ أن لا يُستحلَّ ولا يُغار عليه. ﴿وَلَا الْقَلَٰٓئِدَ﴾ قال الجمهور: هي ما كانوا في الجاهلية يَتقلَّدُون به من شجر الحرم ليأمنوا، فَنُهِيَ المؤمنون عن فِعْلِ الجاهلية وعن أخذِ القلائد من شجر الحرم. ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ قرىء: آمِّي البيتِ الحرام بحذف النون بالإضافة. ويقال: أممتُ الشيءَ أي [١٤١/أ] قَصَدْتُه، «ولا آمِّين» أي لا تُحِلُّوا مَنْع مَن قَصَد البيت الحرام لحجٍّ أو عمرة باستيفاء مناسكهما. وهذه المعاطيفُ الأربعة مُندرجةٌ في عموم قوله «لا تحلوا شعائر الله» فكان ذلك تخصيصاً بعد تعميم. و﴿يَبْتَغُونَ﴾ جملة حالية. و﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ بكسرِ الراء وضَمِّها، وهو مصدر رَضِيَ رضىً ورضواناً.

---

(١) ق: لعهود.

(٢) انظر تفسير الآية ١٥٨.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ تقدم[1] شيئان: أحدهما تحريم الصيد للحُرم لقوله تعالى «غير محلي الصيد وأنتم حرم»، والثاني قوله في الجملة التي تأتي بعدها وهو قوله «ولا آمين البيت الحرام». فيرجع قوله تعالى «وإذا حللتم» للأول، وقوله «ولا يجرمنكم» للثاني، وهذا من أجلِّ الفصاحة. ومعنى «وإذا حللتم» أي: من مناسك الحج.

﴿فَاصْطَادُوا﴾ هو أمرُ إباحةٍ لا أمرُ وجوبٍ، لأنَّ الصيدَ كان قبل الحجِّ حلالاً فمُنع منه الحاج، فلما زال المانعُ رجع لأصله من الحِلّ. قرأ أبو واقد والجراح[2] ونبيح والحسن بن عمران: فاصطادوا بكسر الفاء، قال الزمخشري[3]: قيل هو بدل من كَسْرِ الهمزة عند الابتداء. وقال ابن عطية: هي قراءة مشكلة، ومن توجيهها أن يكون راعى كسر ألف الوصل إذا بدأتَ فقلتَ: اِصطادوا، فكسر الفاء مراعاة وتذكرة لكسرة[4] ألف الوصل انتهى. وليس عندي كَسْراً مَحْضاً بل هو من باب الإمالة المحضة لتوهّم وجود كسرة همزة الوصل، كما أمالوا الفاء في: فإذا، لوجود كسرة إذا.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي: لا يَحْملنَّكُم، يقال: جرمني كذا على بُغْضِكَ أي حَمَلني. وقرىء: شنآن بفتح النون وسكونها وهو البُغْض، وفِعْله شَنِىء بكسر النون، وذكر له في البحر[5] ثلاثة عشر مصدراً. وقال سيبويه: كل بناء كان من المصادر على فَعَلان بفتح العين لم يتعدَّ فِعْلُه إلا أن يشذ شيء كالشنآن[6].

---

(١) ق: تقديره شيئان.

(٢) ق: والحرم.

(٣) الكشاف ١: ٥٩٢.

(٤) ق: وبدلوا الكسرة.

(٥) انظر ٣: ٤٢٢.

(٦) «يشذ شيء كالشنآن» غير مقروءة في ق. والعبارة في الكتاب ٤: ١٥، وهي منقولة =

وقرىء: أن [صدّوكم] بكسر الهمزة حرف شرط، وبفتحها على التعليل أي لأنْ صَدُّوكم.

وقوله ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾ أي على الاعتداء أي لا يحملنّكم بغضهم على الاعتداء. ومن فَسَّر «لا يجرمنكم» بمعنى لا يكسبنّكم[١] فهو يتعدى إلى اثنين: أحدهما ضمير الخطاب، والثاني قوله «أن تعتدوا» فالمعنى: لا يكسبنّكم البُغْضُ الاعتداءَ عليهم.

﴿عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال ابن عباس: البرّ ما أُمرتَ به والتقوى ما نُهيتَ عنه. ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾ المعاصي. ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ التعدي في حدود الله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ تَقَدَّمَ الأمرُ بإيفاء العقود وتحليلٍ وتحريمٍ ونهيٍ عن أشياء فناسب أن يختم بالأمر بالتقوى والإخبار بأنه تعالى شديد العقاب لمن أمره ولمن نهاه عن شيءٍ فما انتهى.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ﴾ تقدم الكلام على هذه الأربعة في سورة البقرة[٢].

= بتصرف.

(١) ق: يلبسنكم. وكذا هي بعدُ.

(٢) انظر تفسير الآية ١٧٣.

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي يُحبس نَفَسُهَا حتى تموتَ سواء أكان حبسه بحبلٍ أو بيدٍ أو غير ذلك.

الوقذ: ضَرْبُ الشيء حتى يَسْترخي ويشرف على الموت، وقيل: الموقوذةُ المضروبةُ بعصا أو حجرٍ لا حدَّ له فتموت بلا ذَكَاة، ويقال: وقَذَهُ النُّعاسُ: غَلَبه، ووقذه الحِلْم[1]: سكَّنه.

التردّي[2]: السقوط في بئر والتهوّر من جبل، ويقال رَدِيَ وتردَّى أي هلك، ويقال: ما أدري أين ردي أي ذهب.

«النطيحة» هي التي ينطحها غيرها فتموت بالنطح، وهي فعيلة بمعنى مفعولة صفة جَرَتْ مجرى الأسماء فوليت العوامل ولذلك ثبتت فيها الهاء.
﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناء راجع للأنواع الخمسة، فما وُجد منها به رَمَقٌ وذكِّيَ حَلَّ أَكْلُه، والتذكيةُ الذبح.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ النُّصب: جمع نصاب وهي حجارة منصوبة حول الكعبة، وكان أهلُ الجاهلية يذبحون عليها لآلهتهم ولها أيضاً، وتُلَطَّخُ بالدماء ويُوضع عليها اللحمُ قطعاً قطعاً ليأكل منه الناس.

﴿وَأَن [١٤١/ب] تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ الأزلام القداح واحدها زُلم وزَلم بضم الزاي وفتحها، وهي السِّهامُ، كان أحدهم إذا أراد سَفَراً أو غزواً أو تجارةً أو نكاحاً أو أمراً من معاظم الأمور ضرب بالقِداحِ وهي مكتوبٌ على بعضها: نَهَاني ربي، وعلى بعضها: أمرني ربي، وبعضها غُفْلٌ. فإنْ خرج الآمرُ مضى لطَلِبته، وإن خرج الناهي أمسكَ، وإنْ خرج الغفل أعادَ الضرب.

---

(١) ق: الحكم.

(٢) ق: المتردي.

وذِكْر هذه المحرمات هو تفصيلٌ لما أجمل في عموم قوله ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ①﴾ [المائدة] وبهذا صار المستثنى منه والمستثنى معلومَيْن.

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟﴾ هذا معطوف على ما قبله أي: وحَرَّمَ عليكم الاستقسامَ بالأزلامِ وهو طَلَبُ معرفة القِسْم وهو النصيب[1]، أو القَسْم وهو المصدر. وذُكِرَ مع المطاعم لأنهم كانوا يُوقِعُونَ الاستقسامَ عند البيت. ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الظاهر أنه إشارةٌ إلى الاستقسام بالأزلام إذ[2] كان فيه استخراج شيء من المغيبات التي انفرد الله بعلمها.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ﴾ اليأسُ قَطْعُ الرجاء، يقال: يئس يَيْأَسُ ويَيْئِسُ، ويقال أيس وهو مقلوب من يئس، ودليلُ القلب تَخَلُّف الحكم عَمَّا ظاهِرُه أنه موجِبٌ له، ألا ترى أنهم لم يقلبوا ياءه ألفاً لتحركها وانفتاحِ ما قبلها، فلم يقولوا آسَ كما قالوا هاب. و«اليوم» الألف واللام فيه للعهدية وهو يوم عرفة، قاله مجاهد وابن زيد، وقيل: هو يومُ نزولها بعد العصر في حجة الوداع يوم الجمعة ورسول الله ﷺ في الموقفِ على ناقته وليس في الموقفِ مشركٌ، وقيل اليوم الذي دخل فيه الرسولُ مكةَ لثمانٍ بَقِينَ من شهرِ رمضان سنة تسعٍ، وقيل سنةَ ثمانٍ، ونادى مُنادِيه بالأمانِ لمن يلفظُ بشهادةِ الإسلامِ ولمن وضع السلاحَ ولمن أغلقَ بابه.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أعم من مشركي العرب وغيرهم. ومعنى ﴿مِن دِينِكُمْ﴾ من تغييره وتبديله إذ[3] كان في حجته تلك صلى الله عليه وسلم كملت شرائع

---

(١) ق: النصب.

(٢) ق: إذا.

(٣) ق: إذا.

الإسلام ولذلك قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾، أي في ظهورِ الإسلام وكمالِ الدين وسَعَةِ الأحوالِ وغير ذلك ممّا انتظمت هذه الملة الحنيفية إلى دخول الجنة والخلود فيها، وقيل بفتحِ مكة ودخولها آمنينَ ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج مشرك ولم يطف بالبيت عريان. وانتصب «ديناً» على الحال.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾ المَخْمصةُ المَجاعة التي تخمص فيها البطون أي تضمر، وقال الأعشى[1]: [من الطويل]

تَبِيتُون في المَشْتى مِلاءً بطونُكم وجاراتكم غرثى يَبِتْنَ خمائصا

أي: فمن اضطر لأكلِ شيءٍ مما ذكر تحريمه في مجاعة فأكَلَ «غير متجانفٍ» أي مُتَلَبِّسٍ بمعصيةٍ ولا مائلٍ إليها فأكلَ فلا إثمَ عليه.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ سببُ نزولها ما ثبت في صحيح أبي عبد الله الحاكم[2] بسنده إلى أبي رافع قال: أمرني رسولُ الله ﷺ بقتل الكلاب فقال الناسُ: يا رسولَ الله ما أُحِلَّ لنا من هذه الأمةِ التي أمرت بقتلها؟ فنزلت «يسألونك» الآية. ويحتمل أن تكون «ماذا» كلها استفهاماً والجملة خبر، ويحتمل أن تكون «ما» استفهاماً و«ذا» خبراً أي ما الذي أحلّ لهم والجملة من قوله «ماذا أحلّ لهم» في موضع نصب بيسألونكَ على إسقاط حرف

(١) ديوانه ص١٨٥.

(٢) المستدرك ٢: ٣١١.

الجر. والسؤال هنا معلّقٌ وليس فِعلاً قلبياً لكن لَمَّا كان طريقاً إلى العلم أُجْرِيَ مجرى العلم فعلّق. ولمّا[1] كان «يسألونك» الفاعل فيه ضمير غائب قال «لهم» بضمير الغائب. ويجوز في الكلام: ماذا أُحِلَّ لنا، كما تقول: أقسم زيد لَيضربنَّ ولأضربنَّ. وضمير المتكلم يقتضي حكاية ما قالوا: كما أن «لأضربن» يقتضي حكاية [١٤٢/أ] الجملة المقسم عليها.

قال الزمخشري[2]: في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده «ماذا أحل لهم» كأنه قيل: يقولون [لك] ماذا أُحِلَّ لهم انتهى. لا يحتاج إلى ما ذكر لأنه من باب التعليق كقوله: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ [القلم] فالجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني ليسألونك. ونَصُّوا على أنَّ فعل السؤال يعلّق وإنْ لم يكن من أفعال القلوب لأنه سبب للعلم، فكما تعلّق العلم فكذلك[3] سببه.

و﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ هنا المُسْتَلَذَّات. ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ معطوف على «الطيبات» وهو على حذف مضاف تقديره: وأَكْل ما عَلَّمتم من مَصِيدَ الجوارح. و«الجوارح» الكواسر من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين، وسُمِّيت بذلك لأنها تجرحُ ما تَصيدُ غالباً أو لأنها تكسب؛ يقال: امرأة لا جارحَ لها أي لا كاسبَ، ومنه ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام] أي ما كسبتم، ويقال: جرح واجترح بمعنى كسب.

﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ المُكَلِّبُ بالتشديد مُعَلِّمُ الكلاب ومُضْرِيها على الصيد،

---

(١) ق: لمّا.

(٢) الكشاف ١: ٥٩٤.

(٣) ق: فلذلك.

وبالتخفيف صاحب الكِلاب: اشتقاق هذه الحال من الكلب وإن كانت عامة في الجوارح على سبيل التغليب، لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلب فاشْتُقَّتْ من لفظِه لكثرةِ ذلك في جنسه، وقيل لأنَّ الغالبَ من صيدهم أنْ يكونَ بالكلاب، أو اشتقت من الكَلَب وهو الضراوة، ويقال: هو كَلِبٌ بكذا إذا كان ضارياً به، قال الزمخشري[١]: أو لأن السبع يُسمَّى كلباً، ومنه قوله عليه السلام[٢]: «اللهمّ سَلِّطْ عليه كلباً من كلابكَ» فأكله الأَسَدُ انتهى. لا يصح هذا الاشتقاق لأنَّ كونَ الأسد كلباً هو وصف[٣] فيه، والتكليبُ من صفة المعلم والجوارح هي سِباعٌ بنفسها وكلابٌ بنفسها لا بِجَعْلِ المعلم.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي أنَّ تعليمكم إياهُنَّ ليس من قِبَلِ أنفُسِكم إنما هو من العلم الذي عَلَّمكم اللهُ وهو أنْ جعلَ لكم رَوِيَّةً وفكرة بحيث قبلتم العِلْمَ فكذلك الجوارحُ يصير لهم إدراكٌ ما وشعورٌ بحيث يقبلن الائتمارَ والانزجارَ. وفي قوله: «مما علمكم الله» إشعارٌ ودلالةٌ على فضلِ العلم وشرفه إذ ذكر ذلك في معرض الامتنان. ومفعول علّم و«تعلّمونهن» الثاني، محذوف تقديره: وما عَلَّمتموهُ طَلَبَ الصيدِ لكم لا لأنفسهنّ تعلمونهن ذلك. وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ صيدَ ما لم يعلّم حرامٌ أَكْلُهُ[٤] لأنَّ الله تعالى إنما أباح ذلك بشرطِ التعليم، والدليل على ذلك الخطاب في «عليكم» في قوله «فكلوا مما أمسكن عليكم» وغير المُعَلَّمِ إنما يمسكُ لنفسه. ومعنى «مما علمكم

(١) الكشاف ١: ٥٩٤.

(٢) المقصود بالقول عتبة بن أبي لهب بن عبد المطّلب وكنيته أبو واسع. ولحسّان بن ثابت في ديوانه ص٣١٨ أبيات يعيّر بها قوم عتبة بذلك، وانظر دلائل الأصبهاني ٢: ٤٥٤.

(٣) ق: وصفاً.

(٤) ق: وأكله.

الله» من الأدب الذي أدَّبكم به تعالى وهو اتباعُ أوامرِه واجتنابُ نواهيه، فإذا أُمِرَ وائتمرَ وزُجِرَ وانزجر فقد تعلّم مما علّمنا الله.

﴿ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ ظاهره أنه إذا أمسكَ على مرسله جاز الأكلُ سواءً أكلَ الجارحُ أم لم يأكل. ﴿ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ أي على ما علّمتم من الجوارح، أي سَمُّوا عليه عند إرساله لقوله[1]: «إذا أرسلتَ كلبكَ وذكرتَ اسمَ اللهِ فَكُلْ»، والتسميةُ عند الإرسال هي[2] على الوجوبِ أو على الندب.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ الآية، لما تقدّم ذكر ما أحلّ وحرّم من المطاعم أمر بالتقوى، فإنَّ التقوى بها يُمسكُ الإنسانُ عن الحرام. وعَلَّلَ الأمرَ بالتقوى بأنه تعالى سريعُ الحساب لِمَنْ خالفَ ما أمر به من تقواه، فهو وعيدٌ بيوم القيامة وأنَّ حسابه تعالى إياكم سريعٌ إتيانُه إذْ يومُ القيامة قريبٌ.

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥) ﴾.

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ كَرَّر إحلالَ الطيبات تأكيداً للجملة قبلها ولما يعطف عليها من قوله تعالى ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا [١٤٢/ب] الْكِتَابَ ﴾ وهو عام مخصوص خَصَّه الجمهورُ بذبائحهم سواء أَسَمُّوا اسمَ الله على الذبيحةِ أمْ لم يُسَمُّوا. وما كان حراماً على المسلم أكلُه وإنْ كان أهلُ الكتاب يأكلونه كالميتة والدم والخنزير فلا يجوزُ لنا أكلُه وإنْ كان ذلك من طعامهم. وذهبت

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٥٣٠، رواية عن عدي بن حاتم.

(٢) ق: أي هي.

الزيديةُ والإماميةُ إلى أنه لا يجوزُ أكلُ ذبائحهم، وأمّا ما كان ممّا هو طعامٌ لهم وليس من الذبائحِ كالخبزِ والفواكِه فلا خلافَ بين المسلمين في جوازِ أكله. وأهلُ الكتاب هم اليهود والنصارى المتأصِّلون في ذلك لا من تَهَوَّدَ وتَنَصَّرَ من العرب وغيرهم لأنهم لم يؤتوا الكتاب، ومن العلماء مَنْ أجرى هؤلاء مَجْرى الكتابيّ الأصلي.

ومعنى ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أي يحلُّ لكم أنْ تُطعموهم من طعامِكم. والظاهر أنَّ المجوسيَّ والصابىء لا يحلُّ لنا[1] أكل ذبيحتهم لأنهم ليسوا من أهلِ الكتاب. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: وأحلَّ لكم نكاح المحصنات أي العفائف اللاتي لَسْنَ بزوانٍ.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي العفائف منهن. وظاهر هذه الآية جوازُ نِكاحِ الكتابيةِ ذمّيةً كانت أو حربيّةً، وقد تزوّج عثمانُ رضي الله عنه نائلة بنت الفرافصة وكانت نصرانيةً، وتزوج طلحةُ يهوديةً من الشام. ومن العلماء مَنْ منع نكاح الكتابيّات واستدلَّ بقوله تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۝٢٢١﴾ [البقرة] قال: وأيّ إشراكٍ أعظمُ ممن يقول: المسيحُ ابن الله وعزيرٌ ابن الله، تعالى الله عما يقولون، وتقدم الكلامُ على هذه المسألة مسبوقاً في البقرة[2]. ومذهبُ الإماميةِ تحريم نكاح الكتابيات، والمسلمُ يجدُ بينه وبين الكافرةِ نُفرةً دينيّة وقد تَقْوى فتصير نفرةً طبيعية. وإنَّ شخصاً لا يؤمنُ بالله ويكذّب الرُّسُلَ وخصوصاً نبيّنا محمداً ﷺ لجديرٌ أنْ يُهْجَر ولا يُعاشرَ ولا يُتَّخذَ فراشاً، بل لو كان مسلماً فاسقاً أو مبتدعاً وجَبَ هَجْرُه وترك معاشرته.

---

(١) ق: لها.

(٢) انظر تفسير آية البقرة السابقة.

﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي مُهورهن. وانتزع العلماءُ من هذا أنه لا ينبغي أنْ يدخل بزوجته إلا بعد أنْ يبذلَ لها من المهر ما يَسْتحلُّها به، ومن جوَّزَ أنْ يدخل دون بذل ذلك رأى أنه بحكم الالتزام في حكم المؤتي. ﴿مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ تقدم الكلام على شبهها في سورة النساء[1]. ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي بشرائع الإيمان. ﴿فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ أي إذا وافى على الكفر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية، نزلت في قصة عائشة حين فقدت العقد بسببِ فَقْدِ الماء ومشروعيةِ التَّيَمُّم، وذلك في غزوةِ المُرَيْسيع. ومناسبةُ هذه الآية لما قَبْلَها أنه لما افتتح بالأمر بإيفاء العقود وذكر تحليلاً وتحريماً في المطعم والمنكح فاستقصى ذلك وكان المطعم آكد من المنكح فَقَدَّمَهُ عليه، وكان النوعان من لَذَّاتِ الدنيا الجسمية ومهماتها للإنسان وهي معاملات دنيوية بين الناس بعضهم مع بعض - استطرد منها إلى المعاملات الأخروية التي هي بين العبد وربِّه تعالى. ومعنى «قمتم» أردتم القيامَ إلى الصلاة. وثَمّ محذوفٌ تقديره: مُحْدِثين لأنَّ مَنْ [كان على] طهارة الوضوء لا يجبُ عليه أن يتوضأ.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٤.

﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ الوجه من منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن، وهو ما واجه الناظر. والظاهر دخول البياض الذي بين الأذنين والخد في الوجه[1]، وأنَّ الأُذنين واللحية ليست داخلة في الوجه. والغسل إمرارُ الماءِ على العضو. ومذهبُ مالك أنَّ الدَّلْكَ داخلٌ في الغسل.

﴿ وَأَيْدِيَكُمْ [١٤٣/أ] إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ اليدُ في اللغة من أطرافِ الأصابعِ إلى المنكب، وقد غيّا الغسل إليها. واختلفوا في دخولها في الغسل فذهب الجمهور إلى وجوب دخولها، وذهب زُفَر وداود إلى أنَّه لا يجب، قال الزمخشري[2]: «إلى» تُفيدُ معنى الغاية مطلقاً، ودخولها في الحكم وخروجها أمرٌ يدورُ مع الدليل، وقوله: «إلى المرافق» و«إلى الكعبين» لا دليلَ فيه على أحد الأمرين انتهى.

ذكر أصحابنا أنه إذا لم يقترن بما بعد «إلى» قرينةُ دخولٍ أو خروج فإنَّ في ذلك خلافاً، منهم من ذهب إلى أنه داخلٌ ومنهم مَنْ ذهب إلى أنه غيرُ داخلٍ وهو الصحيحُ وعليه أكثر المُحَقِّقين؛ وذلك أنه إذا اقترنت به قرينة فإنَّ الأكثرَ في كلامهم أن يكون غير داخلٍ، فإذا عَرِيَ من القرينةِ فيجب حَمْلُه على الأكثر، وأيضاً فإذا قلت: اشتريت المكان إلى الشجرة، فما بعد «إلى» هو الموضع الذي انتهى إليه المكان المُشْتَرى، فلا يمكن أن تكونَ الشجرةُ من المكانِ المشترى لأنَّ الشيء لا ينتهي ما بقيَ منه شيءٌ، إلا أن يُتجوز فيُجعل ما قرب من الانتهاء انتهاء. وإذا لم يتصور أن يكون داخلاً إلا بمجاز وجب أنْ يُحملَ على أنه غير داخل لأنه لا يُحمل على المجاز ما أمكنت الحقيقة إلا أنْ يكونَ ثَمَّ قرينة مُرَجِّحةٌ للمجاز على الحقيقة. وقول الزمخشري عند

(١) ق: داخل في الوجه.

(٢) الكشاف ١: ٥٩٦.

انتفاءِ قرينةِ الدخولِ أو الخروج لا دليلَ فيه على أحدِ الأمرين فمخالفٌ لنقلِ أصحابنا إذْ ذكروا أنَّ النحويين على مذهبين أحدهما الدخول والآخر الخروج وهو الذي صَحَّحوه. وعلى ما ذكره الزمخشري يتوقف ويكون من المجمل حتى يتَّضح ما يحمل عليه من خارج عن الكلام. وعلى ما ذكر أصحابنا يكون من المُبيَّن فلا يتوقف على شيء من خارج في بيانه.

قال ابن عطية: تحريرُ العبارة في هذا المعنى أن يقال: إذا كان ما بعد «إلى» ليس مما قبلها فالحدُّ أوَّلُ المذكورِ بعدها، وإذا كان ما بعدها من جملة ما قَبْلَها فالاحتياطُ أنَّ الحدَّ آخر المذكور بعدها، ولذلك يترجَّحُ دخولُ المرفقين في الغسل، والروايتان محفوظتان عن مالك، وروى أشهب عنه أنهما غير داخلين، وروى غيره أنهما داخلان انتهى. هذا التقسيم ذكره عبد الدائم القيرواني فقال: إنْ لم يكن ما بعدها من جنس ما قبلها لم يدخل، وإنْ كان فيحتمل أن يدخل ويحتمل ألَّا يدخل والأظهر ألّا يدخل انتهى. ومذهب أبي العباس أنه[1] إذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها دخل في الحكم.

﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ هذا أمْرٌ بالمسح بالرأس، واختلفوا في مدلولِ باءِ الجَرِّ هنا فقيل إنها للإلْصاقِ وهو مذهبُ سيبويه وهذا الذي نختاره، قال الزمخشريُّ[2]: المرادُ إلصاقُ المسحِ بالرأسِ ومَاسِحُ بَعْضِه ومستوعبه بالمسح كِلاَهُما ملصقٌ للمسح برأسه انتهى. وليس كما ذكر: ليس ماسِحُ بعضه يُطلق عليه أنه ملصق المسح برأسه حقيقة وإنما يُطلق عليه ذلك على سبيلِ المجاز وتسمية لبعضٍ بكلٍّ. وقيل: الباء للتبعيض، وكونها للتبعيض يُنْكِرهُ أكثرُ النحاة. وقيل: الباء زائدة مؤكدة مثلها في قوله

(١) ق: إلى أنه.

(٢) الكشاف ١: ٥٩٧.

تعالى ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج] أي إلحاداً. وحكى سيبويه في كتابه[١]: خشنت صدره وبصدره ومسحت رأسه وبرأسه في معنى واحد. وهذا نصٌّ في المسألة.

وعلى هذه المفهومات ظهر الاختلافُ بين العلماء في مسح الرأس: فمشهورُ مذهبِ مالك وجوبُ التعميم، والمشهور من مذهب الشافعي وجوبُ أدنى ما ينطلقُ عليه اسمُ المسح، ومشهور مذهب أبي حنيفة ربعُ الرأس، وقال الثوري: إذا مَسحَ شعرةً واحدة أجْزأهُ.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قرىء بالجر [١٤٣/ب] عطفاً على «برؤوسكم» وقرىء بالنصب عطفاً على موضع «برؤوسكم» فاقتضى ظاهر ذلك مسح الرجلين. ومذهب الجمهور إلى أنَّ فَرْضَ الرجلين الغسل لا المسح وذلك هو الثابتُ عن رسول الله ﷺ في الأحاديث التي قاربت التواترَ من أنه كان يغسلُ رجليه في الوضوء. وذهبت الإماميةُ إلى أنَّ فَرْضهما المسح لا الغسل، وذهب الحسن ومحمد بن جرير الطبري إلى [أن] المتوضِّىءَ مُخَيَّرٌ بين غسل رجليه وبين مسحهما إذ قد ثبت غسلهما بالسُّنَّةِ ومسحهما بالقرآن، فأي شيء فعل منهما جاز. وذهب داود إلى أنه يجب الجمعُ بين غسل الرجلين ومسحهما.

ومَنْ ذهب إلى أن قراءة النصب في قوله «وأرجلكم» هو عطف على قوله «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم» وفصل بينهما بهذه[٢] الجملة التي هي قوله: «وامسحوا برؤوسكم» فقوله بعيد، لأن فيه الفصل بين المتعاطفين بجملة إنشائية، وقراءة «وأرجلكم» بالجر تأبى ذلك. وغيَّا مسح الرجلين بالانتهاء

(١) لم أجده بنصّه، وانظر في معناه الكتاب ١: ٩٢ و٢: ١٧٥.

(٢) ق: هذه.

إلى الكعبين؛ فَعَنْ مالكٍ أنَّ الكعبين[١] العظمانِ الملتصقانِ للساق المحاذيان للعقب. وقالت الإماميةُ وكُلُّ مَنْ ذهب إلى وجوب المسح: الكعب الذي هو وجه القدم فيكون المسح مُغْنِيًا به.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟﴾ لمّا ذكر تعالى الطهارة الصغرى ذكر الطهارة الكبرى. وتقدم مدلولُ الجُنب في قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ ﴿٤٣﴾﴾ [النساء]. والظاهر أنَّ الجُنب مأمورٌ بالاغتسال، وقال عمر وابنُ مسعود: لا يتيممُ الجُنبُ البتةَ بل يَدَعُ الصلاةَ حتى يجدَ الماء، والجمهورُ على خلاف ذلك وأنه يتيمّم، وقد رجعا إلى ما عليه الجمهور. والظاهر أنَّ الغُسلَ والمسحَ والتطهيرَ إنما يكونُ بالماء لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ أي للوضوء والغسل «فتيمموا صعيداً طيباً» فَدَلَّ [على] أنه لا واسطةَ بين الماء والصعيد وهو قولُ الجمهور. وذهب الأوزاعيُّ والأصَمُّ إلى أنه يجوز الوضوء والغسل بجميع المائعات الطاهرة.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ تقدم تفسير هذه الجملة الشرطية وجوابها في النساء[٢]، إلا أنَّ في هذه الجملة زيادة «منه» وهي مرادةٌ في تلك التي في النساء. وفي لفظة «منه» دلالةٌ على إيصالِ شيءٍ من الصعيد إلى الوجه واليدين، فلا يجوزُ التيمم بما لا يعلق[٣] باليدين كالحجر والخشب والرمل العاري عن أنْ يعلقَ شيءٌ منه باليد فيصل إلى الوجه، وهذا مذهبُ الشافعي. وقال أبو حنيفة ومالك: إذا ضربَ الأرضَ[٤] ولم يعلق بيده شيءٌ من الغبار

---

(١) ق: أنهما الكعبان.

(٢) انظر تفسير الآية السابقة.

(٣) ق: يليق.

(٤) ق: ضرب اليد.

ومَسَحَ به أجزأه. وظاهرُ الأمر بالتيمم للصعيد والأمر بالمسح أنه لو يمّمه غيره أو وقف[1] في مَهبِّ ريحٍ فَسَفَتْ على وجهه ويديه التراب وأَمَرَّ يده عليه أو لم يُمِرَّ، أو ضرب ثوباً وارتفع منهُ غبار إلى [وجهه] ويديه - إن ذلك لا يُجزئه، وفي كُلٍّ من المسائلِ الثلاثِ خلافٌ.

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي من تَضْييقٍ، بل رَخَّصَ لكم في تيمُّمِ الصعيد عند فَقْدِ الماء. وتقدم الكلامُ على مثل اللام في «ليجعل» في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء] فأغنى عن إعادته[2]. والذي يقتضيه النَّظَرُ أنه كثر في لسان العرب تعدّي لفظ الإرادة والأمر إلى معمول باللام كهذا المكان [و]كقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام][3] وفي قول الشاعر[4]: [من الطويل]

أُريدُ لأنسى ذِكْرَهَا فكأنما تَمَثَّلُ لي ليلى بكلِّ طريقِ

فهذه اللام يجوز أن تأتي «أن» بعدها، وأنْ يُكتفى بها دون «أن»، وأن يؤتى بأن وحدها كقوله [١٤٤/أ] تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر]. وتأويل من جعل: يريد وأمرتُ لِأُسْلِمَ، على تأويلِ المصدر بغير حرف شامل[5] فيقدّر: إرادتي ليجعل وأمري لأسلم، فيكون مبتدأ في التقدير والخبر في «ليجعل» وفي «لأسلم» تقديره: إرادتي كائنة للجعل، وأمري كائن

(١) ق: ووقف.

(٢) ق: عيادته.

(٣) وفي ق: «وأمرت أن أسلم» ولا مكان للاستشهاد بها هنا.

(٤) البيت لكثيّر عزّة في ديوانه ص١٠٨. وقافيته: بكل سبيل. وفي ق: ذكر فكأنها يمثل.

(٥) ط: سابك.

للإسلام - فهو تأويل متكلف.

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ ﴾.

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية، والخطابُ للمؤمنين والنعمة هنا الإسلام وما صاروا إليه من اجتماع الكلمة والعزة. والميثاقُ هو ما أخذه الرسولُ ﷺ عليهم في بيعةِ العقبة وبيعة الرضوان وكل موطن، قاله ابن عباس.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾ تَقَدَّمَ تفسيرُ مثل الجملة الأولى في النساء[1]، إلا أن هناك بُدِىء «بالقسط» وهنا أُخِّرَ. وهذا من التوسُّعِ في الكلام والتَّفَنُّنِ في الفصاحة. ويلزم مَنْ كان قائماً لله أن يكون شاهداً بالقسط، ومَنْ كان قائماً بالقسط أن يكون قائماً لله. إلا أن التي في النساء جاءت في معرضِ الاعترافِ على نفسه وعلى الوالدين والأقربين فبدأ بالقسطِ الذي هو العدلُ والسواء من غير مُحاباةِ نفسٍ ولا والدٍ ولا قرابةٍ، وهنا جاءت في معرض تَرْكِ العداواتِ والإِحَنِ فَبُدِىء فيها بالقيامِ لله إذْ كان الأمرُ بالقيام

(١) الآية ١٣٥.

لله أولاً أردع للمؤمنين، ثم أردف بالشهادة بالعدل. فالتي[١] في معرض المحبة والمحاباة بُدىءَ فيها بما هو آكدُ وهو القسطُ، والتي في معرضِ العداوةِ والشنآنِ بُدىء فيها بالقيام لله، فناسب [كل] معرض ماجِيءَ به إليه.

وايضاً فتقدم هناك[٢] حديثُ النُّشُوز والإعراض وقوله: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ ﴾ [النساء] وقوله: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا ﴾ [النساء][٣] فناسب ذكر تقديم القسط، وهنا تأخَّرَ ذِكْرُ العداوة فناسب أنْ يجاورها ذِكْرُ القسط. وتعديةُ «يَجْرِمنّكم» بعلى هنا يدلُّ على أن معناه: يَحْملنّكم، لأنَّ: يكسبنّكم[٤] لا يتعدى بعلى إلا إنْ ضُمِّنَ معنى ما يتعدى بها وهو خلاف الأصل.

﴿ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ هو: ضميرٌ يعود على المصدر المفهوم من قوله «اعدلوا» كقولهم: مَنْ كذب كان شرًّا له، ففي «كان» ضمير يفهم من قوله «كذب»، وكذلك هذا أي: العدلُ أقربُ للتقوى. نهاهم أولاً أنْ تَحملهم الضغائنُ على تركِ العدلِ ثم أمرهم ثانيا[٥] به تأكيداً ثم استأنفَ فذكر لهم وجهَ الأمرِ بالعدلِ وهو قوله: «هو أقرب للتقوى» أي أدخلُ في مناسبتها أو أقرب لكونه لطفاً فيها. وفي الآية تنبيهٌ على مراعاةِ حَقِّ المؤمنين بالعدل، إذ كان تعالى قد أمر بالعدل مع الكافرين.

---

(١) ق: فأتى.

(٢) ق: هنا.

(٣) وفي ق: يصالحا.

(٤) ق: يلبسكم.

(٥) ق: بإتيانه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لما كان الشنآنُ محلُّه[1] القلبُ وهو الحاملُ على تركِ العدل أمر بالتقوى وأتى بصفة «خبير» ومعناها عليم ولكنها تختص بما لطفَ إدراكُه فناسب هذه الصفة أن ينبّه بها على الصفة القلبية.

لما نادى المؤمنينَ وأمرهم بالقيامِ لله والشهادةِ بالقسطِ ذكر موعدهم بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية. و«وعد» تَعدَّى لاثنين والثاني محذوف تقديره: الجنة، وقد صَرَّحَ بها في غير هذا الموضع[2]. والجملة من قوله ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ مفسرةٌ لذلك المحذوف تفسيرَ السببِ للمسبب؛ لأنَّ الجنةَ مترتِّبةٌ على الغفران وحُصولِ الأجر. وإذا كانت الجملةُ مفسِّرة فلا موضعَ لها من الإعراب والكلام قبلها تام.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، لَمَّا ذَكَرَ ما لِمَنْ آمنَ ذَكَرَ ما لمن كفر. وفي المؤمنين جاءت الجملةُ فعليةً متضمنةً الوعدَ بالماضي الذي هو دليلٌ على الوقوع، فأنفُسهم متشوقةٌ لما وُعِدُوا به، متشوّقةٌ إليه مبتهجةٌ طول الحياة [١٤٤/ب] بهذا الوعد الصادق. وفي الكافرين جاءت الجملةُ اسميةً دالَّةً على ثبوتِ هذا الحكم لهم وأنهم أصحابُ النار فهم دائمونَ في عذاب إذ حتم لهم أنهم أصحاب الجحيم، ولم يأتِ بصورةِ الوعيدِ فكان يكون الرجاء لهم في ذلك.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا﴾ الآية، عن ابن عباس رضي الله عنه أنها نزلت من أجلِ كفارِ قريش، وقد تقدم ذكرهم في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

---

(١) ق: محلّ.

(٢) في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ۝٧٢﴾ [التوبة].

شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].

﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾.

﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ الآية، مناسبةُ هذه الآية لما قبلها أنه [لمّا] أمَرَ بذكر الميثاقِ الذي أخذه تعالى على المؤمنينَ في قوله تعالى: ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴿٧﴾﴾ [المائدة] ثم ذكر وَعْدَهُ إياهم، ثم أمرهم بذكرِ نِعْمتهِ عليهم إذ كَفَّ أيدي الكفَّارِ عنهم - ذكَّرهم بقصة بني إسرائيل في أخذِ الميثاقِ عليهم ووعده لهم بتكفيرِ السيئات وإدخالهم الجنة فَنقضُوا الميثاقَ.

و﴿ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾ قيل هُم الملوكُ وقيل: ما وفى منهم بالميثاق إلا

خمسة: داودُ وابنُه سليمان وطالوتُ وحرصا[1] وابنه، وكَفَر السبعةُ وبَدَّلُوا وقتلوا الأنبياء. وخرج خلال الإثني عشر اثنان وثلاثون جباراً كلهم يأخذ الملك بالسيف ويعبث فيهم. ورتَّبَ تعالى على إقامةِ الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل وتعظيمهم وإقراض الله تعالى قرضاً حسناً - تكفيرَ سَيِّئاتهم وإدخالهم جنَّات. وقدّم قبل هذا أنه تعالى معهم بالكلاءةِ والحِفْظِ، قال الزمخشري[2]: وهذا الجواب - يعني «لأُكَفِّرَنَّ» - سادٌّ مَسَدَّ القَسَم والشرطِ جميعاً انتهى. [ليس] كما ذكر، لا يسدُّ «لأكفرنّ» مَسَدَّهما بل هو جوابُ القَسَم فقط، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ. ولما علم تعالى أنه لا يَفِي بالميثاقِ بعضُهم قال تعالى «فمن كفر بعد ذلك منكم».

ورتَّبَ على نَقْضِهم[3] الميثاقَ لَعْنَهم وجَعْلَ قلوبِهم قاسية، ثم ذكر تحريفَهم لكلامِ الله ونِسْيانَهم حَظّاً مما ذُكِّرُوا به. ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾ الخطابُ لرسولِ الله ﷺ [أي هذه عادتهم] ودَيْدَنُهم معكَ وهو ما كان أسلافُهم [عليه] من خيانةِ الرُّسُلِ وقتلهم الأنبياء، فهم لا يزالون يُخَوِّفُونكَ وينكثونَ عُهودكَ ويُظاهرون عليكَ أعداءكَ ويهمُّون بالقتلِ وأنْ يَسمُّوكَ[4]. و﴿خَآئِنَةٍ﴾ صفةٌ لمحذوفٍ تقديره: على نفوس خائنة. وقد يُرادُ بالخائنة المصدر جاء على فاعلة كأنه قال: تَطَّلعُ على خيانةٍ [منهم]، ثم استثنى بقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ كَمَنْ أسلمَ مثل عبد الله بن سلام وغيره. ثم أمر نبيَّهُ عليه السلام بالعفو عنهم

---

(١) ط: وحزقيل. وفي ضبط أسماء النقباء اختلافٌ كبير، انظر البحر ٣: ٤٤٤ والقرطبي ٦: ١١٣.

(٢) الكشاف ١: ٦٠٠.

(٣) ق: بعضهم.

(٤) «ينكثون» و«يسمّوك» غير مقروءتين في ق.

والصفح وأنَّ ذلك من الإحسانِ إليهم فقال: «إن الله يحب المحسنين».

ثم ذكر تعالى أَخْذَ الميثاقِ على النصارى، والميثاق المأخوذ عليهم هو الإيمان بالله وبمحمد ﷺ، إذْ كان ذِكْرُه[1] عليه السلام موجوداً في كتبهم كما قال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف]. قال الزمخشري[2]: [فإن قلت:] فَهَلَّا قيل: ومن النصارى؟ قلت: لأنهم إنما سَمُّوا أنفُسَهم بذلك ادعاءً لنُصرةِ الله وهم الذين قالوا [لعيسى]: نحن أنصارُ الله، ثم اختلفوا بَعْدُ نسطوريةً ويَعقوبيةً وملكية انتهى. قد تقدم في أول البقرة[3] أنه قيل: سُمُّوا نصارى لأنهم من قريةٍ بالشام تُسمَّى ناصرة. وقوله: وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصارُ الله، القائل لذلك هم الحواريون وهم عند الزمخشري كفارٌ وقد أوضح ذلك على زعمه في آخر هذه السورة[4]، وهم عندَ غيرِه مؤمنون، ولم يَخْتلفُوا هم إنما اختلف مَنْ جاء بعدهم ممن يَدَّعي تَبعيَّتهم.

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ ظاهره أنه يعودُ على النصارى، وقيل: النصارى هم النسطورية واليعقوبية والملكية كُلُّ فرقةٍ تُعادي الأخرى. وقيل: الضمير عائدٌ على اليهود والنصارى، أي[5] بين اليهود والنصارى فإنهم أعداء يلعنُ بعضُهم بعضاً ويُكَفِّرُ بعضُهم بعضاً. ﴿وَسَوْفَ[١٤٥/أ] يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ هذا تهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ بعذابِ الآخرة إذ مُوجِبُ ما صَنَعُوا إنما هو الخلودُ

(١) ق: ذكر.

(٢) الكشاف ١: ٦٠١.

(٣) لم يتقدم مثل ذلك.

(٤) انظر الكشاف ١: ٦٥٤.

(٥) ق: أن.

في النار.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الخطابُ لليهود والنصارى. و«رسولنا» هو محمد ﷺ. ﴿مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من صفة محمد ﷺ ومن رَجْمِ الزُّناةِ وغير ذلك. ﴿نُورٞ﴾ هو القرآن إذ هو مُزيلٌ لظلماتِ الشرك والشك. ﴿مُّبِينٞ﴾ واضحُ الدلالةِ موضح طرق الإسلام.

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١٧) وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ (١٨) يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١٩)﴾.

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ الآية، ذَكَرَ تعالى [أنَّ] من النصارى مَنْ قال إن المسيحَ هو اللهُ، ومنهم من قال هو ابنُ الله، ومنهم من قال هو ثالثُ ثلاثة. وتقدم أنهم ثلاثُ طوائف: ملكانية ويعقوبية ونسطورية، وكُلٌّ منهم يُكفِّرُ بعضُهم بعضاً. ومِنْ بعضِ اعتقاداتِ النصارى استنبطَ مَنْ تَسَتَّرَ بالإسلام ظاهراً أو انتمى إلى الصوفيةِ حُلولَ الله تعالى في الصور الجميلة، ومَنْ ذهب من ملاحدتهم إلى القولِ بالاتحادِ والوحدة كالحلّاج والسودي[1] وابن أحلى وابن عربي المقيم بدمشق وابن الفارض وأتباع هؤلاء كابن سَبْعِين

(١) في البحر ٣: ٤٤٩: الشوذي.

والتُّسْتَري[1] تلميذه وابن مطرف المقيم بمرسية والصفَّار المقتول بغرناطة وابن لباج وابن الحسن المقيم - كان - بلورقة. ومِمَّنْ[2] رأيناه يُرمى بهذا المذهبِ الملعونِ العفيف التلمساني وله في ذلك أشعارٌ كثيرة، وابن عياش[3] المالقي الأسود الأقطع - المقيم - كان بدمشق، وعبدالواحد بن المؤخر المقيم كان بصعيد مصر، والأَيْكي[4] العجمي الذي كان يُولَّى المسجدَ بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من ديار مصر، وأبو[5] يعقوب ابن مُبشّر تلميذ التستري المقيم كان بحارة زويلة بالقاهرة، والشريف عبد العزيز المَنُوفي وتلميذه عبد الغفار القوصي. وإنما سردتُ أسماءَ هؤلاء نُصْحاً لدين الله يعلم الله ذلك، وشَفقةً على ضُعفاء المسلمين، وليحذروا منهم [فهم] أَشَرُّ من الفلاسفةِ الذين يُكَذِّبون الله ورسله ويقولون بِقِدَمِ العالم ويُنكرون البعثَ. وقد أُولع جَهَلَةُ مَنْ ينتمي للتصوف بتعظيمِ هؤلاء وادعائهم أنهم صفوةُ الله وأولياؤه. والرَّدُّ على النصارى والحُلولية والقائلين بالوحدة هو من عِلْمِ أصول الدين.

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ ﴾ الآية، هذا ردٌّ عليهم، والفاء في «فَمَنْ» للعطفِ على جملةٍ محذوفة تضمنت كَذِبَهم في مقالتهم، التقدير: قل كذبوا، أو قل: ليس كما قالوا فمن يملك. والمعنى مَنْ يمنع من قدرة الله وإرادته شيئاً أي لا أحد يمنعُ مما أراد اللهُ شيئاً، وهذا الاستفهامُ معناه النفي. و﴿ إِنْ أَرَادَ ﴾ شرطٌ جوابهُ محذوفٌ تقديره: فَعَلَ ذلك. ﴿ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ عام معطوف

(١) ق: الششتري.

(٢) ق: ومن.

(٣) ق: عباس.

(٤) ق: والاملي.

(٥) ق: وأبي.

على ما قبله، وما قبله نَصٌّ على المسيحِ وأمِّه وقد اندرجا في العموم فصارا مذكورَيْن مرةً في النص ومرة في العموم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ والمسيحُ وأمه من جملة ما في الأرض فهما مَقهورانِ لله مملوكان له. وهذه الجملةُ مُؤكِّدةٌ لقوله «إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه» ودلالةٌ على أنه إنْ أرادَ فَعَلَ، لأنَّ مَنْ له ذلك الملك يفعلُ في مُلْكِه ما يشاء. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي أن خَلْقه ليس مقصوراً على نوعٍ واحد بل ما تعلقت مشيئته بإيجاده أَوْجَدَهُ واخترعه، فقد يُوجِدُ شيئاً لا من ذَكَرٍ ولا أنثى كآدمَ عليه السلام وأوائل الأجناس المتولِّد بعضها من بعض، وقد يخلقُ من ذكرٍ وأنثى، وقد يخلق من أنثى لا من ذكر معها كالمسيح. وفي قوله «يخلق ما يشاء» إشارةٌ إلى أنَّ المسيح وأمه مخلوقان. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كثيراً ما يذكرُ القُدرةَ عقيبَ الاختراع وذكر الأشياء الغريبة.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الآية، ظاهر اللفظ أنَّ جميع اليهود والنصارى قالوا عن جميعهم ذلك [١٤٥/ب] وليس كذلك بل في الكلام لَفٌّ وإيجاز، والمعنى: وقالت كُلُّ فرقةٍ من اليهود والنصارى عن نفسها خاصة ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، يدل على ذلك: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة] والبُنوَّةُ هنا بُنُوَّةُ الحنانِ والرأفة. و«أحباؤه» جَمْعُ حبيب فعيل بمعنى مفعول أي مَحْبُوبوه[١]، أُجريَ مَجرى فعيل من المضاعف الذي هو اسم الفاعل نحو لبيب وأَلِبّاء. وقال ابن عباس: هم طائفةٌ من اليهود خوَّفهم الرسولُ عِقابَ الله فقالوا: أَتُخَوِّفنا بالله

(١) ق: محبوبه.

ونحن أبناءُ الله وأحباؤه. وبعد «قل» محذوفٌ تقديره: كَذَبتم في دَعْواكم فَلِمَ يعَذِّبكم بذنوبكم. ومَنْ كان محبوباً لله وابناً له بمعنى الرأفة لا يُعَذِّبه.

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أضْرَبَ عن الاستدلالِ الأول من غير إبطالٍ له وانتقلَ إلى استدلالٍ ثانٍ من ثبوتِ كَوْنِهم بَشَراً من بعضِ مَنْ خَلَقَ فهم مُسَاوونَ لغيرهم في البشريةِ والحدوثِ، وهما يمنعان البنوّةَ فإنَّ القديمَ لا يلد بشراً والأب لا يخلق ابنه، فامتنع بهذين الوصفين البنوّة وامتنع بتعذيبهم أن يكونوا أحبَّاءَ الله فبطل الوصفان اللذان ادَّعَوْهما.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ شاملٌ لليهود والنصارى. ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ هو محمد ﷺ. ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ مفعولُه محذوفٌ تقديره: يُبينُ لكم شريعةَ الإسلام والدين. ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي على انقطاعٍ من الرُّسُلِ، إذْ لم يكن بين محمدٍ وعيسى عليهما السلام رسول على فترة. قال ابن عباس إنه كان بين ميلادِ عيسى والنبي عليهما السلام خمس مئةِ سنةٍ وتسع وستون سنة بُعث في أولها ثلاثة أنبياء وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴿١٤﴾﴾ [يس] وهو شمعون وكان من الحواريين. وقال ابن الكَلْبيُّ مِثْلَ قول ابن عباس إلا أنه قال: بينهما أربعة أنبياء واحدٌ من العرب من بني عَبْس وهو خالد بن سنان الذي [قال] فيه النبيُّ ﷺ «ضَيَّعَهُ قومُه»[1]. و﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ مفعول من أجله فقدَّره البصريون: كراهةَ أنْ تقولوا أو حذارَ أن تقولوا، وقَدَّره الفَرَّاء: لئلا تقولوا، وهو متعلقٌ بقوله ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾. و﴿مِنۢ بَشِيرٍ﴾ مِنْ زائدةٌ وهو فاعل بقوله «ما جاءنا». ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ تكذيبٌ لهم وخصوصاً اليهود[2].

---

(١) لا يصح، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١: ٢٩٨.

(٢) ق: وخصوص من اليهود.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ الآية، مناسبةُ هذه الآية لما قبلها أنه تعالى بَيَّنَ تَمَرُّدَ أسلافِ اليهود على موسى وعصيانهم إياه مع تذكيرِهِ إياهم بنعمِ الله وتعداد ما هو العظيم منها، وأنَّ هؤلاء الذين هم بحضرة الرسولِ ﷺ هم جارون معكَ مَجْرى أسلافِهم مع موسى عليه السلام. وعَدَّدَ عليهم من نِعَمه[1] ثلاثاً: الأولى: جعل أنبياء فيهم وذلك أعظم الشرفِ إذْ هُم الوسائطُ بين الله وبين خَلْقِه والمُبلِّغونَ عن اللهِ شرائِعَهُ. الثانية: جعلهم ملوكاً، ظاهرهُ الامتنانُ عليهم بأنْ جعلهم ملوكاً أي جعل منهم ملوكاً، إذ الملكُ شرفٌ في الدنيا واستيلاء، فذكَّرهم بأنَّ منهم قادة الآخرة وقادة الدنيا. الثالثة: إيتاؤهم[2] ما لم يُؤْتِ أحداً من العالمين، فَسَّرهُ ابنُ عباس بالمَنِّ والسلوى والحجر والغمام.

(١) ق: من بعد.

(٢) ق: إيتاؤه.

و﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ المُطَهَّرة وهي إيلياء المشتملة على بيت المقدس الآن، وقيل غير ذلك، وقال الفرزدق[(١)]: [من الطويل]

وبَيْتَانِ بيت الله نحنُ نزورهُ ... وبيتٌ بأعلى إيلياء مُشرَّف

وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ[(٢)] «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا [١٤٦/أ] والمسجد الحرام والمسجد الأقصى». ومعنى ﴿كَتَبَ[(٣)] ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قَسمها لكم وسَمَّاها، وفي ذلك تنشيطٌ لهم وتقويةٌ إذْ أخبرهم بأنَّ الله كتبها لهم. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا﴾ أي لا تَنكصُوا على أعقابكم من خوفِ الجبابرةِ جُبناً وهلعاً.

﴿قَالُوا [يَٰمُوسَىٰٓ] إِنَّ فِيهَا﴾ الظاهرُ أنَّ قومَهُ قالوا ذلك، وقيل النقباء، وقيل الأشراف المطّلعون على الأسرار. ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قيل إنهم من الرومِ استولوا على الأرض المقدسة وكانوا شجعاناً وذوي قُوةٍ، وقيل من ولد العيص بن إسحاق. ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ [هذا تصريحٌ بالامتناعِ التام من أن يقاتلوا الجبابرة ولذلك كان النفي بـ«لن». ومعنى «حتى يخرجوا منها»] بقتالِ غَيْرِنَا أو بسببٍ يُخرجهمُ اللهُ به فيخرجون.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ الآية، الأشهرُ عند المفسرين أنَّ الرجلين هما يوشع بن نون بن أفزاييم بن يوسف وهو ابن أخت موسى، وكالب بن يوقنا خَتَنُ موسى على أخته مريم بنت عمران، وهما اللذان وفيا من النقباء الذين بعثهم موسى عليه السلام في كَشْفِ أحوالِ الجبابرة، فكتما ما اطّلعا عليه من

---

(١) الديوان ٢: ٣٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٢: ١٠١٤ عن أبي هريرة. وفي ق: ثلاث.

(٣) ق: كتبها.

أحوالِ الجبابرة إلا عن موسى عليه السلام، وأفشى ذلك بقية النقباء في أسباطهم[1] فآلَ بهم ذلك إلى الخَورِ والجُبن بحيث امتنعوا من القتال.

ومعنى ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي من قتالِ الجبابرة. ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي بالوُثوقِ بأنَّ الله كتب لهم الأرضَ المقدسة. ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ والبابُ بابُ مدينة الجبَّارين، والمعنى أَقْدِمُوا على الجهادِ وكافحوا حتى تَدْخُلوا عليهم الباب، وهذا يدلُّ على أنَّ موسى كان قد أنزل محلّته قريباً من المدينة. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ قالا ذلك ثِقةً بوعدِ الله في قوله ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۝٢١﴾ [المائدة]، وقيل رجاءً لنصرِ الله رسله وغلب ذلك على ظنهم وما غُزِيَ قومٌ في عقر دارهم إلا ذلُّوا. وإذا لم يكونوا حافظِي باب مدينتهم حتى دُخِلَ وهو الملزم فَلأَنَ لا يَحفظُوا ما وراءَ البابِ أولى.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟﴾ لما رأيا بني إسرائيل قد عصوا الرسول ﷺ في الإقدام على الجهادِ مع وَعْدِ الله السابقِ لهم استرابا في إيمانهم وأَمَراهم بالتوكُّلِ على الله إذ هو الملجأُ والمَفْزعُ عند الشدائد، وعُلِّقَ ذلك بشرط الإيمان الذي استرابا في حصوله لبني إسرائيل. والفاء في قوله «فتوكلوا» جوابُ أمرٍ محذوف تقديرهُ: تنبَّهُوا فتوكَّلوا. و﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ متعلق بـ«توكلوا» كما قالت العرب: زيداً فاضربْ، تقديره: [تنبَّه] فاضربْ زيداً، وكثيراً يأتي معمول ما بعد الفاء متقدماً عليها.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ﴾ لما كَرَّرَ عليهم أمْرَ القتالِ كَرَّرُوا الامتناعَ على سبيل التوكيد المؤئس، وقَيَّدوا أولاً نفيَ الدخول بالظرف المختص بالاستقبال وحقيقته التأبيد، وقد يُطلَقُ على الزمانِ المتطاولِ وكأنهم أولاً نفوا الدخولَ

(١) ق: أنشاطهم.

طولَ الأبدِ، ثم رجعوا إلى تعليقِ ذلك بديمومةِ الجبارين فيها. و«ما» في قوله: ﴿مَّا دَامُوا۟﴾ مصدرية ظرفية تقديره: مُدَّةَ دوامِهم فيها، وأبدلوا زماناً مُقَيَّداً من زمانٍ هو ظاهرٌ في العموم في الزمان المستقبل فهو بدلُ بعضٍ من كُلٍّ. ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ ظاهرُ الذهابِ الانتقالُ، وهذا يدل على أنهم كانوا مُشَبِّهة ولذلك قال الحسن: هو كفرٌ منهم بالله تعالى ويدلُّ على ذلك عبادتُهم العجلَ واتخاذه إلهاً وكونهم حين مَرُّوا بقومٍ يعبدون البقرَ قالوا لموسى عليه السلام ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَرَبُّكَ﴾ معطوفٌ على الضمير المُسْتكِنِّ في «اذهب» المُؤكَّدِ بـ«أنتَ»، وتقدم الكلام على نظير هذا في قوله ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة].

﴿إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ هذا دليلٌ على أنهم خارت طِباعهم فلم يقدروا على النهوضِ معه للقتال، ولا على الرجوع من حيث جاؤوا، بل أقاموا حيثُ كانت المحاورةُ بين موسى وبينهم. وها من قوله «ها هنا» للتنبيه، وهنا ظرف [١٤٦/ب] مكان للقريب والعامل فيه «قاعدون».

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ﴾ لمَّا عصوا أمرَ الله وتَمَرَّدُوا على موسى وسمعَ منهم ما سمعَ من كلمةِ الكُفرِ وسوء الأدب مع الله ولم يَبْقَ معه مَنْ يثقُ به إلا هارون قال ذلك. وهذا من الكلام المنطوي صاحبه على الالتجاءِ إلى الله وشِدَّةِ اللِّياذِ به والشكوى إليه ورِقَّة القلبِ التي تستجلبُ الرحمةَ وتستنزلُ النُّصرة.

﴿وَأَخِى﴾ منصوب معطوف على «نفسي» ويعني به هارون عليهما السلام، وكأنه ما اعْتَدَّ بذينك الرَّجُلين المُؤْمِنَيْن، كما رُوي عن عليٍّ كَرَّمَ الله وجهه أنه خطب في مسجد الكوفة مُستنجداً على قتالِ أعدائه فلم يُجِبْهُ إلا رجلان، فقال: أين تَقعانِ مما أُريدُ؟. وأجاز الزمخشري وابن عطية أن يكون «وأخي» مرفوعاً معطوفاً على الضمير المُسْتكنِّ في «أملك»، وجازَ ذلك للفصلِ بينهما بالمفعول المحصور، ويَلْزَمُ من ذلك أنَّ موسى وهارون لا يملكان إلا نفس

موسى فقط، وليس المعنى على ذلك بل الظاهر أنَّ موسى عليه السلام يملكُ أمرَ نفسِه وأمرَ أخيه فقط. ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا﴾ ظاهره أنه دعا بأن الله يفرق بينهما.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾: «قال» فيه ضمير يعود على الله تعالى. «فإنها» أي الأرض المقدسة. ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ أي محرّم دخولها وتمليكهم إياها. وانتصب ﴿أَرۡبَعِينَ﴾ على أنه ظرف زمان والعامل فيه «محرّمة». قيل: وحكمة هذا العدد أنهم عبدوا العجلَ أربعينَ يوماً فجعلَ لكل يومٍ سنةً، قيل إنَّ مَنْ كان جاوز عشرين سنة لم يعش إلى الخروج من التيه، وإنَّ مَنْ كان دون العشرين عاش وكأنه لم يعش المكلفون[1] العصاة.

﴿يَتِيهُونَ﴾ التِّيهُ في اللغة الحيرة، يقال منه: تَاه يَتِيهُ ويَتُوه وتَيَّهْتُه وتَوَّهته والياء أكثر[2]. والأرضُ التَّيهاء التي لا يُهْتدى فيها، وأرض تيه. والعامل في قوله «أربعينَ»: «يَتيهون»، قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون العامل في «أربعين» مُضْمَراً يدلُّ عليه «يتيهون» المتأخر انتهى. لا أدري ما الحاملُ له على قوله إنَّ العامل مُضمر كما ذكر، بل الذي جَوَّزَ الناس في ذلك هو أن يكون العامل فيه «يتيهون» نفسه لا مضمر يُفَسِّرُه.

قوله ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ قال ابن عباس: تسعة فراسخ، وقال مقاتل: هذا عَرْضُها وطولها ثلاثون فرسخاً[3]. ورُوِيَ في كيفية تِيههم في هذه المدة أنهم كانوا يَرحلونَ بالليلِ ويسيرون ليلهم أجمع حتى إذا أصبحوا وجدوا جملتهم في الموضع الذي ابتدؤُوا منه، ويسيرون النهار جادِّينَ حتى إذا

---

(١) غير مقروءة في ق.

(٢) «تاه يتيه ويتوه وتيّهته وتوّهته والياء أكثر» غير مقروءة في ق.

(٣) عبارة ق: هذا طولها وعرضها ثلاث فرسخاً.

امْسَوْا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه فيكون سَيْرُهُم تَحْليقاً. وقيل إنهم كانوا ست مئة ألف مقاتلين. قيل: والحكمةُ [في التيه] هو أنهم لما قالوا «إنا ها هنا قاعدون» عُوقِبُوا بالقُعودِ فصاروا في صورةِ القاعدينَ وهم سائرونَ كلما ساروا يوماً أمسوا في المكانِ الذي أصبحوا فيه. وكان هذا التِّيهُ خَرْقَ عادةٍ وعجباً من قُدرةِ الله تعالى حيث كانوا عقلاء ولم يهتدوا للخروجِ من التيه، ومات موسى وهارون عليهما السلام في التيه، فكان التيه لبني إسرائيل عقاباً ولهما رحمةً وراحةً وروحاً. ونبَّأَ اللهُ تعالى بعد موتهما يوشعَ بن نون بعد كمالِ الأربعينَ سنة فَصدَّقَهُ بنو إسرئيل وأخبرهم بأنَّ الله أمره بقتالِ[1] الجبابرة فبايعوه وسار بهم إلى أريحا وقتل الجبَّارين وأخرجهم وصار[2] الشامُ كله لبني إسرائيل. وفي تلك الحرب وقفت له الشمسُ ساعةً حتى استمر هَزْم الجبارين. ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ أي فلا تحزن، يقال: أَسِيَ الرجلُ يَأْسَى أسىً إذا حزن، والظاهر أنه خطابٌ لموسى عليه السلام. ومعنى ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ على عذابهم وإهلاكهم.

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ

(١) ق: بقاتل.

(٢) ق: وسار.

مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، هو خطابٌ للنبيِّ ﷺ، و«عليهم» أي على بقيةِ بني إسرائيلَ [١٤٧/أ] الذين عاصروه عليه السلام وهَمُّوا ببسطِ أيديهم وقالوا إنهم أبناءُ الله وأحباؤه، وذَكَّرهُمْ موسى عليه السلام بنعم الله تعالى. ومناسبةُ هذه الآية لِمَا قَبْلَها أنه كان من آخرِ كلامِهم لموسى عليه السلام ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة] وذلك لِجُبْنِهم وخور طباعِهم عن قتالِ الجبَّارين. وفي قصة ابْنَيْ آدمَ جسارةُ قابيلَ على قتلِ النفس التي حَرَّمَ اللهُ قَتْلَها، فتشابها من هذا الوجه فكان قابيلُ أولَ عاصٍ في هذه المعصية العظيمة وبنو إسرائيل أول مَنْ خاطب رسولهم بقوله ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة]. والنبأ: الخبر، وابنا آدم هما قابيل وهابيل ابناه لِصُلْبِه. ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ إذْ: منصوب بقوله «نبأ» قال الزمخشري[١]: ويجوزُ أنْ يكون بدلاً من النبأ أي: اتلُ عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف انتهى. لا يجوز ما ذكر لأن «إذ» لا يُضافُ إليها إلا الزمانُ و«نبأ» ليس بزمان. والقربانُ الذي قَرَّباهُ هو زَرْعٌ لقابيلَ وكبشٌ لهابيل، وكانت علامة التَّقَبُّلِ أكلَ النار النازلةِ من السماء القربانَ وتَرْكَ غير المُتَقَبَّلِ.

قال الزمخشري[٢]: يقال قَرَّبَ صدقةً وتَقَرَّبَ بها، لأنَّ تَقرَّب مطاوع قَرَّب انتهى. ليس: تقرّب بصدقة مطاوع: قرّب صدقة، لاتحاد فاعل الفعلين،

(١) الكشاف ١: ٦٠٦.

(٢) الكشاف ١: ٦٠٦.

والمطاوعة مختلفٌ فيها الفاعل فيكون من أَحَدِهما فعلٌ ومن الآخرِ انفعالٌ نحو: كسرتُه فانكسرَ وفَلَقْتُه فانفلق، وليس قَرَّبْتُ صدقةً وتقرَّبْتُ بها من هذا الباب فهو غلطٌ فاحش.

﴿فَنُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ هو هابيل. ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾ وهو قابيل. ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾ هذا تهديد شديد ووعيد بالقتل لأخيه وأكَّدَهُ بالقَسَم المحذوفِ وتقديرُه: واللهِ لأقْتُلَنَّكَ. ولَمَّا هَدَّده بالقتلِ عُلم أنه لم يكن مُتَّقياً لله تعالى لتهديده[1] بهذه المعصيةِ العظيمة، وكان ذلك حَسَداً له فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ومَنْ لم يَرْضَ بفعلِ الله تعالى لم يكن مُتَّقياً له تعالى.

ثم قال له: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ﴾ الآية، فَبَيَّنَ التفاوت بينهما بأنك إنْ أردتَ قَتْلي فلم أُرِدْ قتلك. واللام في «لئن» هي الموطئةُ المُؤْذنةُ بقَسَمٍ محذوف وإنْ شرطية، وجوابُ القَسَم قوله ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ﴾ وجوابُ إنْ محذوفٌ لدلالةِ جوابِ القَسَمِ عليه. وذُكِرَ أنَّ الحاملَ له على أنه لا يريد قَتْلَهُ خَوْفُه من الله تعالى. قال الزمخشري[2]: فإنْ قلت: لِمَ جاء الشرطُ بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله: لئن بسطت ما أنا بباسط؟ قلت: لِيُفيدَ أنه لا يفعلُ ما يكتسبُ به هذا الوصفَ الشنيعَ ولذلك أكَّدَهُ بالباء المؤكِّدة للنفي انتهى.

وأوردَ أبو عبد الله الرازيُّ هذا السؤالَ والجوابَ ولم ينسبه[3] للزمخشري. وهو كلام فيه انتقادٌ وذلك أن قوله «ما أنا بباسط» ليس جزاءً للشرطِ بل هو جوابٌ للقسم المحذوف، ولو كان جواباً للشرط لكان بالفاء، فإنه إذا كان

(١) ق: لتهديه.

(٢) الكشاف ١: ٦٠٧.

(٣) ق: يتشبه.

جواب الشرط منفيًا بما، فلا بُدَّ من الفاء إلا إنْ كانت الأداةُ ليست من الجَوازِمِ في الكلام فلا يحتاج إذ ذاك [إلى] الفاء كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ﴿٢٥﴾﴾ [الجاثية]، والقاعدةُ النحويةُ أنه إذا اجتمع قَسَمٌ وشَرْطٌ كان الجوابُ للسابق منهما إذا لم يَتقدمهما ذو خبر.

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ الآية، المعنى: إنْ قَتَلْتَني وسبق بذلك قَدَرٌ فاختياري أنْ أكون مظلوماً ينتصرُ اللهُ لي في الآخرة.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ وهو فَعَّل من الطوع وهو الانقيادُ، كأنَّ القتلَ كان ممتنعاً عليه متعاصياً، وأصله: طاعَ له قتلُ أخيه أي انقادَ له وسهل، ثم عُدِّيَ بالتضعيفِ فصار الفاعل مفعولاً. والمعنى [١٤٧/ب] أنَّ القتل في نفسه مُسْتَصْعَبٌ عظيمٌ على النفوس، فَرَدَّتْهُ هذه النفسُ اللَّحُوحُ الأَمَّارةُ بالسوء طائعاً مُنقاداً حتى أوقعه صاحب هذه النفس. وقُرِىءَ: فطاوعت، يكون «فاعَلَ» فيه للاشتراك نحو: ضَاربتُ زيداً.

قال الزمخشري[١]: فيه وجهان: أن يكون مِمَّا جاء على فاعَلَ بمعنى فعَّلَ، وأنْ يراد أنّ قتل أخيه كأنَّهُ دعا نفسه إلى الإقدامِ عليه فطاوعته ولم تَمتنعْ، و«له» لزيادة الربط كقولك: حفظتُ لزيدٍ مالَهُ انتهى. أما الوجهُ الثاني فهو موافقٌ لما ذكرناه، وأما الوجهُ الأول فقد ذكر سيبويه[٢]: ضاعفتُ وضَعَّفتُ مثل ناعمتُ ونَعَّمت وقال: فجاؤوا[٣] به على مثال عاقبته. قال: وقد تجيء فاعلت لا يُراد بها عمل اثنين ولكنهم بَنَوا عليه الفعلَ كما بنوه

(١) الكشاف ١ : ٦٠٨. وفي ق: فطاوعه ولم يمتنع.

(٢) الكتاب ٤ : ٦٨.

(٣) ق: في آدابه.

على أفعلت، وذكر أمثلةً منها: عافاه الله.

وهذا المعنى وهو أن فاعَلَ بمعنى فَعَّل أغفله بعضُ المُصَنِّفين من أصحابنا في التصريف كابنِ عصفور وابن مالك وناهيك بهما جمعاً واطِّلاعاً، فلم يذكرا أنَّ فاعَلَ يجيءُ بمعنى فعَّل ولا فعَّل يجيء بمعنى فاعَلَ. وقوله: و«له» لزيادة الربط، [يعني] في قوله: «فطوعت له»، يعني أنه لو جاء: فطوَّعت نفسه قتل أخيه، لكان كلاماً تامًا جارياً على كلامِ العرب وإنما جِيءَ به على سبيلِ زيادةِ الربط للكلام إذِ الربطُ يحصلُ بدونه كما أنك لو قلت: حفظتُ مالَ زيدٍ كان كلاماً تاماً. ﴿فَأَصْبَحَ﴾ بمعنى صار.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ الآية، رُويَ أنه أول قتيلٍ قُتلَ على وجه الأرض، ولمّا قتله تركه[1] بالعَرَاءِ لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السِّباعَ. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ الغرابُ معروفٌ ويُجْمَعُ في القِلَّة على أَغْرِبة وفي الكثرةِ على غربان، قيل: وهو مشتقٌّ من الاغترابِ، والعربُ تتشاءم به، قال الشاعر[2]:

[من الطويل]

جـرى بفـراقِ العـامـريّـةِ غـدوةً ... شواحِجُ[3] سودٌ ما تُعيد وما تُبدي

يعني الغربان. ظاهرُ الآية أن الله تعالى بعثَ غراباً يبحثُ في الأرض، فَرُوِيَ أنهما غرابان قَتَلَ أحدهما الآخرَ فحفرَ له بمنقارِه ورجليه حفرةً وألقاه فيها. والبحثُ في الأرض نَبْشُ التراب وإثارته. ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ متعلقٌ بقوله «بعث». والمواراةُ السترُ، والضمير الفاعل في «ليريه» عائدٌ على الغراب، ويجوز أنْ يكون عائداً على المصدر المفهوم من قوله «يبحث» أي ليريه

(١) ق: ترك.

(٢) البيت في ديوان الحماسة بشرح التبريزي ١: ٣٠٥، للعديل بن الفرخ العجلي.

(٣) ق: سواجح.

البحثَ. و﴿ كَيْفَ ﴾ منصوب بقوله «يواري» والجملة استفهامية في موضع مفعول ثانٍ لقوله «ليريه» بمعنى لِيُعَلِّمه. والسوأةُ العَوْرة.

﴿ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ ﴾ الآية، استقصر إدراكَهُ وعقله في جهلِه ما يصنع بأخيه حتى تَعلَّم - وهو ذو العقلِ المركب فيه الفكر والرويَّة والتدبير - من طائرٍ لا يعقلُ. ومعنى هذا الاستفهام الإنكار على نفسِه والنفي، أي لا أعجزُ عن كوني مثلَ هذا الغرابِ، وفي ذلك هَضْمٌ لنفسه واستصغارٌ لها بقوله «مثل هذا الغراب».

وأصلُ النداء أنْ يكونَ لمن يعقل، ثم قد يُنادى ما لا يَعقل على سبيلِ المجاز كقولهم: يا عجبا ويا حسرتا، والمراد بذلك التعجب كأنه قال: انظروا لهذا العجب ولهذه الحسرة. والمعنى: تَنَبَّهُوا لهذه الهلكة وتأويله: هذا أوانك فاحضري. وقرأ الجمهور: يا ويلتا، بألفٍ هي منقلبة عن الياء كما [قالوا] في يا غلامي: يا غلاما. وقُرىء: يا ويلتي، على أصل ياء المتكلم. وقرىء: أعجزت، بفتح الجيم وهي اللغة الفصيحة، وبكسرها وهي قراءة شاذة. والعجزُ عن الشيء انتفاءُ [١٤٨/ أ] القُدرةِ عليه.

و﴿ أَنْ أَكُونَ ﴾ تقديره: عن أنْ أكونَ، فحذف عن. و«أن أكون» هل هو في موضعِ نَصْبٍ أو في موضعِ جَرٍّ فيه خلافٌ. ﴿ فَأُوَٰرِيَ ﴾ معطوف على قوله «أن أكون»، فالعجز مُتسلِّطٌ على الكونِ وعلى المواراةِ. قرأ طلحة بن مصرف والعياض بن عروان: فأواريْ بسكون الياء، فالأولى أن يكون على القطع أي فأنا أواري [سوأة أخي، فيكون «أواري» مرفوعاً. وقال الزمخشري[١]: وقُرىء بالسكون على: فأنا أواري]، أو على التسكينِ في

(١) الكشاف ١: ٦٠٨.

موضعِ النصبِ للتخفيفِ انتهى. يعني أنه حذف الحركة وهي الفتحة تخفيفاً استثقلها على حرف العِلّة. قال ابن عطية: «هي لغةٌ لتوالي الحركات».

لا ينبغي أن يُخرج على النصب لأن نصب مثل هذا هو بظهور الفتحة، ولا تُستثقلُ الفتحةُ فتحذف تخفيفاً كما أشار إليه الزمخشري، ولا ذلك لغةٌ كما زعم ابنُ عطية، ولا يصلحُ التعليلُ بتوالي الحركات فيه. وهذا عند النحويين - أعني النصب بحذف الفتحة - لا يجوزُ إلا في الضرورة فلا تُحملُ القراءةُ عليها إذا وُجد حَمْلُها على معنى صحيح وقد وُجد وهو الاستئنافُ أي: فأنا أواري. وقال الزمخشري[1]: «فأواري» بالنصب على جواب الاستفهام انتهى. وهذا خطأٌ فاحشٌ لأنَّ الفاء الواقعة جواباً [للاستفهام] تنعقد من الجملة الاستفهامية والجواب شرط وجزاء، وهنا لا تنعقد تقول: أتزرني فأكرمك، فالمعنى: إنْ تَزُرْني أُكرمْك[2]. ولو قلت هنا: إن أعجز أن أكون مثل هذا الغراب أُوارِ سوأةَ أخي - لم يصحَّ، لأنَّ المواراةَ لا تترتب على عجزه عن كونه مثل الغراب.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ قبل هنا[3] جملة محذوفة تقديرها: فوارى سوأةَ أخيه. والظاهر أنَّ نَدَمَهُ كان على قتلِ أخيه لما لَحِقَهُ من عصيانِ رَبِّه وإسخاطِ أبويه وتبشيرِه أنه من أصحابِ النار. وهذا يدل على أنه كان عاصياً لا كافراً.

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ متعلق بقوله «كتبنا». ويقال أُجل وإجل ومعناه: من

---

(١) الكشاف ١ : ٦٠٨.

(٢) ق: أتزورني أكرمك.

(٣) ق: قيل هنا.

سببِ ذلك القتل كتبنا على بني إسرائيل، يقال: فعلتُ هذا من أجلك أي بسببك، وقيل: يتعلق «من أجل» بقوله «من النادمين» أي صار من النادمينَ بسببِ القتلِ، ويكون «كتبنا على بني إسرائيل» استئناف كلام.

وقوله ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي بغيرِ قتلِ نفس. ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هو معطوفٌ على «نفس» أي وبغير فساد. والفسادُ قَطْعُ الطريق وقلعُ الأشجار وقتلُ الدوابِ لا لضرورةٍ وحرقُ الزَّرْعِ وما يجري مجراه، وهو الفسادُ المُشارُ إليه بعد هذه الآية. والضمير في «أنه» ضمير الأمر والشأن، و«مَنْ» شرطية وجوابه «فكأنه» والجملة في موضع خبر «أنه». وتَشْبِيهُه[1] قتلَ النفسِ الواحدةِ بقتلِ الناسِ جميعاً وإحياءَهَا بإحيائِهم قال ابن عباس: هو من حيث انتهاك حُرْمَتها بالقتلِ أو صون حرمتها بالامتناع وباستحيائها.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ الضمير في «جاءتهم» عائد على بني إسرائيل. ومعنى ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات والكُتبِ الإلهيةِ الواضحةِ فكان المناسبُ اتباعَ الرُّسُلَ فيما جاؤوا به من امتثالِ أمرِ الله والانقيادِ لأحكامه. ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد مَجيءِ الرسل. ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾ أي مجاوزون الحَدَّ في المعاصي وعدم اتِّباعِ الرُّسُلِ. و﴿مِّنْهُم﴾ في موضعِ الصفةِ لقوله «كثيراً» و﴿بَعْدَ﴾ منصوبٌ على الظرف والعاملُ فيه قولُه ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

---

(١) ق: ويشبهه.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ﴾ الآية، نزلت في قومٍ من عُكْل وعرينة وحديثهم مشهور[1]. ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر في الآية قبلها تغليظ الإثم [١٤٨/ب] في قتل النفس بغير نفس ولا فساد في الأرض، أتبعه ببيان الفساد في الأرض الذي يوجب القتل ما هو، فإن بعض ما يكون فساداً في الأرض لا يوجب القتل.

﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ هو [على] حذف مضاف تقديره: يحاربون أولياء الله. والمحاربة مطلقة وفسّرها مالك رحمه الله بأنَّ المحارب هو مَنْ حملَ السلاحَ على الناس في مصرٍ أو في بريّة فكادهم عن أنفسهم وأموالهم دون ثائرة ولا دَخَل ولا عداوة. ومذهب أبي حنيفة وجماعة أنَّ المحاربين هم القُطَّاع للطريقِ خارج المصر، وأما في المصر فيلزمه حدّ ما اجترح من قتلٍ أو سرقة أو غصب أو نحو ذلك.

وقوله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ظاهره العموم فيشمل المصر وغيره كما قال مالك. والسعي في الأرض فساداً يحتمل أن يكون المعنى: بمحاربتهم، أو يضيفون فساداً إلى المحاربة. وانتصب «فساداً» على أنه مفعول له، أو مصدر في موضع الحال، أو مصدر من معنى «يسعون»، على معنى أن «يسعون في الأرض» معناه يفسدون لمّا كان السعي للفساد جُعل فساداً أي إفساداً.

والظاهر في هذه العقوبات الأربع أنَّ الإمامَ مخيَّرٌ بين إيقاعِ ما شاء منها بالمحارب في أيِّ رتبة كان المحارب من الرتب[2] التي قدّمناها، وبه قال جماعة من الصحابة وهو مذهب مالك وجماعة. وقال مالك: وأستحسن أن

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٦: ١٤٨.

(٢) ق: الرتبة.

يأخذ في الذي لم يَقتل بأيسر العقاب ولا سيما إن لم يكن ذا شرور معروفة، وأما إن قَتل فلا بدّ من قتله.

وقال ابن عباس وجماعة من التابعين: لكلِّ رتبةٍ من الحَرَابةِ رتبةٌ من العقاب؛ فمن قَتل قُتل، ومن أخذ المال ولم يقتل فالقطع من خلاف، ومن أخاف فقط فالنفي، ومن جمعها قُتل وصُلب.

والقائلون بهذا الترتيب اختلفوا فقال أبو حنيفة ومحمد وغيرهما: يُصلب حيًّا ويُطعن حتى يموت، وقال الشافعي وجماعة: يُقتل ثم يُصلب نكالاً لغيره، وأما القطع فاليد اليمنى من الرسغ والرجل الشمال من المفصل. واختلفوا في النفي فقال أبو حنيفة، النفي أن يُسجن وهو إخراجه من الأرض قال الشاعر وهو مسجون[1]: [من الطويل]

خرَجْنا من الدنيا ونحن من أهلها   فلَسْنا من الأمواتِ فيها ولا الأَحْيا

وقال السدّي: هو أن يُطلب بالخيل والرّجل فيقام عليه حدّ الله ويخرج من دار الإسلام. قال مالك: لا يضطر مسلم إلى دخول دار الشرك. ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أي ذلك الجزاء من القتل والصلب والقطع والنفي. والخزي الهوان والذل والافتضاح. ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ ظاهره الجمع للمحارب بين عقاب الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، ظاهره أنه استثناءٌ من المعاقبين عقاب قاطع الطريق، فإذا تابوا قبل القدرة على أخذهم سقط عنهم ما ترتّب على الحرابة، وهذا ظاهر فعل عليّ رضي الله عنه بحارثة بن بدر

(١) البيت لصالح بن عبد القدوس في الوفيات ٤: ٣٥.

الغداني فإنه كان محارباً ثم تابَ قبلَ القدرةِ عليه فكتب له بسقوطِ الأموال والدم عنه كتاباً منشوراً. وقالوا: لا نظر للإمام فيه إلا كما ينظر في سائر المسلمين، فإنْ طُولب بدمٍ نُظر فيه وأُقيدَ[1] منه بطلب الولي. وإنْ طولب بمالٍ فمذهب مالك والشافعي وأصحاب الرأي: يؤخذ ما وجد عنده من مال [١٤٩/أ] وغيره ويُطالبَ بقيمة ما استهلك، وقال قوم من الصحابة والتابعين: لا يطالب بما استهلك ويؤخذ ما وجد[2] عنده بعينه. وظاهر قوله ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عدم المطالبة بشيء من الجزاء السابق لمن تاب من المحاربين قبل القدرةِ عليه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٣٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ۝٣٧﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر جزاء المحاربين أمر المؤمنين بتقوى الله تعالى وابتغاء القربات إليه، فإنّ ذلك هو المُنْجِي من المحاربةِ والعقاب المُعَدّ للمحاربين، و«الوسيلة»: القُربة. أمر المؤمنين بأوصاف خالف فيها المحارب إذ لم يتّق[3] الله تعالى ولا ابتغى قربة إليه. وجعل الحرابة عوض الجهاد في سبيل الله فاستحق بذلك العقاب العظيم في الدنيا والعذاب في الآخرة. ورتّب هنا

---

(١) وأقيد: غير مقروءة في ق.

(٢) ق: وجده.

(٣) ق: ينو.

رجاء الفلاح على الاتّصاف بهذه الأوصاف التي في هذه الآية من التقوى وابتغاء الوسيلة والجهاد.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية، لما ذكر حال المؤمن ورجاء الفلاح له ذكر حال الكافر وما يؤول إليه. وخبر «إنّ» هو «لو» وجوابها. و«مثله» معطوف على «ما» من قوله «ما في الأرض» أي الذي في الأرض. وجواب «لو» جاء منفياً وهو قوله «ما تُقبّل منهم» وجاء على الفصيح من ترك اللام، إذ يجوز في الكلام: لو جاء زيد لما جاء عمرو، فتدخل اللام على ما النافية. وقال «به» فأفرد الضمير وإن كان تقدّمه شيئان: «ما» الموصولة و«مثله» لتلازمهما[١] كما قالت العرب: رب يوم وليلة مرّ بي، تريد: مرّا بي، فأفرد الضمير لتلازم اليوم والليلة، قال الزمخشري[٢]: ويجوز أن تكون الواو في[٣] «ومثله معه» بمعنى مع فيتوحّد المرجوع إليه. فإن قلت: فبم ينتصب المفعول معه؟ قلت: بما تستدعيه «لو» من الفعل، لأن التقدير: لو ثبت أن لهم ما في الأرض جميعاً انتهى. إنما توحّد الضمير لأن حكمَ ما قبل المفعول معه في الخبر والحال وعَوْد الضمير متأخراً حكمُه متقدما؛ تقول: الماء والخشبة استوى كما تقول: الماء استوى والخشبة، وقد أجاز الأخفش في ذلك أن يُعطى حكم المعطوف فتقول: الماء مع الخشبة استويا، ومنع ذلك ابن كيسان.

وقول الزمخشري: ويجوز أن تكون الواو في «ومثله» بمعنى مع - ليس بشيء لأنه يصير التقدير: مع مثله معه، أي مع مثل ما في الأرض مع ما في الأرض، إن جعلت الضمير في «معه» عائداً على «ما» فيكون «معه» حالاً من

---

(١) ق: لتلازمها.

(٢) الكشاف ١: ٦١٠.

(٣) ق: الواو عاطفة في.

مثله. وإذا [كان] ما في الأرض مع مثله، كان مثله معه ضرورةً فلا فائدة في ذكره «معه» لملازمة معيّة كلٍّ منهما للآخر. وإن جعلت الضمير عائداً على «مثله» أي مع مِثْله مع ذلك المِثْل، فيكون المعنى: مع مِثْلين - فالتعبيرُ عن هذا المعنى بتلك العبارة عيٌّ، إذ الكلام المنتظم أن يكون التركيب إذا أريد ذلك المعنى: مع مِثْلَيْه.

وقول الزمخشري: [فإن قلت] إلى آخر الجواب - هذا السؤال لا يَرِدُ لأنّا قد بيّنا فسادَ أنْ تكونَ الواو واو مع. وعلى تقدير وروده فهذا بناءٌ منه على أنّ «أنّ» إذا جاءت بعد «لو» كانت في موضعِ رفعٍ على الفاعلية فيكون التقدير على هذا: لو ثبت كينونة ما في الأرض مع مثله لهم ليفتدوا به، فيكون الضمير عائداً على «ما» فقط. وهذا الذي ذكره هو تفريعٌ على مذهب المبرّد في أنّ «أنّ» بعدَ لو في موضعِ[1] [رفعٍ] على الفاعلية [وهو مذهبٌ مرجوح، ومذهب سيبويه أنّ «أنّ» بعد لو في موضع رفع على الابتداء]، والزمخشري لا يظهر من كلامه في هذا الكتاب [١٤٩/ب] وفي تصانيفه أنه وقفَ على مذهبِ سيبويه في هذه المسألة.

وعلى التفريع على مذهب المبرّد لا يصحّ أن يكون «ومثله» مفعولاً معه ويكون العامل فيه ما ذكر من الفعل، وهو «ثبت» بواسطة الواو لما تقدم من وجود لفظ «معه» وعلى تقدير سقوطها لا يصح لأن «ثبت» ليست رافعةً «ما» العائد عليها الضمير، وإنما هي رافعة مصدراً منسبكاً من أنّ وما بعدها وهو كون، إذ التقدير: لو ثبت كون ما في الأرض جميعا لهم ومثله معه ليفتدوا به. والضمير عائد على ما دون الكون، فالرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه، إذ لو كان إياه للزم من ذلك وجود الثبوت مصاحباً للمِثْل، والمعنى على

---

(١) عبارة ق: في أن تعدلوا في موضع.

كينونة ما في الأرض مصاحباً للمثل، لا على ثبوت ذلك مصاحباً للمثل.

وهذا فيه غموض وبيانه أنك إذا قلت: يعجبني قيام زيد وعَمْراً، وجعلت عَمْراً مفعولاً معه والعامل فيه: يعجبني - لزم من ذلك أن عمراً لم يقم، وأنه أعجبك القيام وعمرو.

وإنْ جعلتَ العاملَ فيه القيام كان عمرو قائماً وكان الإعجاب قد تعلّق بالقيام مصاحباً لقيام عمرو. فإن قلت: هلاّ كان «ومثله معه» مفعولاً معه والعامل فيه هو العامل في «لهم» إذ المعنى عليه؟ قلت: لا يصح ذلك لما ذكرناه من وجود «معه» في الجملة، وعلى تقدير سقوطها لا يصح، لأنهم نصّوا على أن قولك: هذا لك وأباك، ممنوع في الاختيار.

وقال سيبويه[1]: فأما: هذا لك وأباك، فقبيح لأنه لم يذكر فعلاً ولا حرفاً فيه معنى فِعْل حتى يصير كأنه[2] قد تكلّم بالفعل انتهى. وأفصح سيبويه بأن اسم الإشارة وحرف الجر المتضمن معنى الاستقرار لا يعملان في المفعول معه، ولو كان أحدهما يجوز أن ينصب المفعول معه لخيّر أن ينسب العمل لاسم الإشارة أو لحرف الجر.

وقد أجاز بعض النحويين أن[3] يعمل في المفعول معه الظرف وحرف الجر، فعلى هذا المذهب يجوز لو كانت الجملة خالية[4] من قوله «معه» أن يكون «ومثله» مفعولاً على أن العامل [فيه هو العامل] في لهم.

---

(١) الكتاب ١: ٣١٠.

(٢) ق: كأنك.

(٣) ق: أنه.

(٤) ق: حالية.

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ الآية، قال السائب: نزلت في طعمة بن أبيرق ومضت قصته في سورة النساء[1]. ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر جزاء المحاربين بالعقوبات التي منها قطع الأيدي والأرجل من خلاف، ثم أمر بالتقوى لئلاّ يقعَ الإنسانُ في شيءٍ من الحرابة، ثم لما ذكر حالَ الكفارِ - ذكر حُكْمَ السرقةِ لأن فيها قطع الأيدي بالقرآنِ والأرجلِ بالسُّنَّةِ على ما يأتي ذكره. وهي أيضاً حرابةٌ من حيث المعنى لأن فيها سعياً[2] بالفساد إلا أنَّ تلك على سبيل الشوكة والظهور، والسرقة على سبيل الاختفاء والتستّر. والظاهر عموم السارق والسارقة فيمن سرق قليلاً أو كثيراً، واختلفوا فيما يُقطعُ به السارقُ فقيل: يقطع في القليلِ والكثيرِ كما دلَّ عليه ظاهر العموم، وهو مذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو مذهب داود والخوارج. وقال داود ومَنْ وافقه: لا يقطع في سرقة حبة واحدة ولا تمرة واحدة بل في أقلّ شيءٍ يسمّى مالاً وفي أقل شيء يخرج الشحّ والضنة[3].

وقيل: النصاب الذي تقطع فيه اليد عشرة دراهم فصاعداً أو قيمتها من غيرها وهو قول بعض الصحابة وبعض التابعين وبه قال أبو حنيفة والثوري.

---

(١) انظر تفسير الآية ١٠٥ من النساء.

(٢) ق: سبباً.

(٣) ق: والظن.

وقيل: ربع دينار فصاعداً أو قيمتها من غيرها وهو قول الصحابة وبعض التابعين وهو قول الأوزاعي والليث والشافعي وأبي ثور.

وقيل خمسة دراهم وهو قول أنس وعروة وسليمان بن يسار والزهري.

وقيل أربعة دراهم وهو مرويّ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة.

وقيل ثلاثة دراهم [وهو] قول ابن عمر وبه قال [١٥٠/أ] مالك وإسحاق وأحمد، إلا إنْ كان ذهباً فلا يقطع إلا في ربع دينار.

وقيل درهم فما فوقه وبه قال عثمان البتّي، وقطع عبدالله بن الزبير في درهم.

وللسرقةِ التي تُقطع فيها اليدُ شروطٌ ذكرت في الفقه.

وقرأ الجمهور: والسارق والسارقة بالرفع، والرفع في «والسارق والسارقة» على الابتداء والخبر محذوف والتقدير: فيما يتلى عليكم أو فيما فرض عليكم. «السارق والسارقة» أي حكمهما. ولا يجيز سيبويه أن يكون الخبر قوله «فاقطعوا» لأن الفاء لا تدخل إلا في خبر مبتدأ موصول بظرف أو مجرور أو جملة صالحة لأداة الشرط، والموصول هنا «أل» وصلتها اسم فاعل أو اسم مفعول، وما كان هكذا لا تدخل الفاء في خبره عند سيبويه، وقد أجاز ذلك جماعة من البصريين أعني أن يكون «السارق والسارقة» مبتدأ والخبر جملة الأمر، أَجْرَوا «أل» وصلتها مجرى الموصول المذكور لأن المعنى فيه على العموم إذ معناه: الذي سرق والتي سرقت، وقد تجاسرَ الفخرُ الرازيُّ وأساء الأدبَ على سيبويه وتكلّمنا معه بما يوقف عليه في كتابنا المسمّى بالبحر المحيط الملخص منه هذا الكتاب[1].

---

(١) انظر البحر ٣: ٤٧٦ وما بعدها.

وقرىء: والسارق والسارقة بالنصب على الاشتغال أي اقطعوا السارق والسارقة كما تقول: زيداً فاضربه أي: اضرب زيداً فاضربه. وللزمخشري في هذه القراءة كلام غرب فهمه عن تحرير كلام سيبويه ورددناه عليه في «البحر»[١].

والمخاطب بقوله «فاقطعوا» هو من تولى أمور المسلمين ممن يكون له إقامة الحدود عليهم. والظاهر من قوله «أيديهما» أنه تُقطع من السارقِ يداهُ الثّنتان، لكن الإجماع على خلاف هذا الظاهر وإنما تقطع من السارق[٢] يُمْنَاهُ ومن السارقةِ يمناها، قال الزمخشري[٣]: «أيديهما» يديهما، ونَحْوُه ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۝٤﴾ [التحريم] اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف، وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله: والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم انتهى.

وسوّى الزمخشري بين «أيديهما» و«قلوبكما» وليسا بسيَّيْن[٤] لأن باب «صغت قلوبكما» يطّرد فيه وضع الجمع موضع التثنية وهو ما كان اثنين[٥] من شيئين كالقلب والأنف والوجه والظهر، وأما إنْ كان في كلِّ شيء منهما اثنان كالأذنين[٦] واليدين والفخذين فإنَّ وضعَ الجمعِ موضعَ التثنية لا يطّردُ وإنما يحفظ ولا يقاس عليه، ولم تتعرض الآية في قطع الرجل في السرقة وفي ذلك خلاف ذكر في مسائل الخلاف.

---

(١) انظر ٣: ٤٧٨.

(٢) ق: من اليسار ويمناه.

(٣) الكشاف ١: ٦١٢.

(٤) ق: بشيئين.

(٥) ق: اثنتين.

(٦) ق: كأذنين.

وظاهر قطع اليد أنه يكون من المنكب وهو مذهب الخوارج، ومذهب الجمهور أنه من الرسغ وفي الرجل من المفصل. وروي عن علي أنه في اليد من الأصابع وفي الرجل من نصف القدم وهو معقد الشراك[1].

والظاهر أن المترتب على السرقة هو قطع اليد فقط فإن كان المال قائماً بعينه أخذه صاحبه، وإن كان السارق استهلكه فلا ضمانَ عليه، وبه قال مكحول وجماعة من التابعين. وقال الشافعي وأحمد وإسحاق: يضمن ويغرم. وقال مالك: إن كان موسراً ضمّن، أو معسراً فلا ضمان عليه.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ الآية، قال الكسائي: انتصب «جزاءً» على الحال، وقال قطرب: على المصدر أي جزاهما جزاء، وقال الجمهور: على المفعول من أجله. و«بما» تعلق بـ«جزاء» وما موصولة أي بالذي كسباه، ويحتمل أن تكون ما مصدرية أي جزاءً بكسبهما، وانتصاب «نكالاً» على المصدر أو على أنه مفعول من أجله. والنكال العذاب، والنكل القيد وتقدم الكلامُ عليه في قوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا ۝٦٦﴾ [البقرة]. وقال الزمخشري[2]: «جزاء» و«نكالاً» مفعول لهما انتهى. وتبع في ذلك الزّجاج، قال الزجاج: هو مفعول من أجله، يعني «جزاء» قال: وكذلك «نكالاً من الله» انتهى.

وهذا ليس بجيد إلا إذا كان [١٥٠/ب] الجزاء هو النكال فيكون ذلك على طريق البدل، وأما إذا كانا مبتاينين فلا يجوز أن يكونا مفعولين لهما إلا بواسطة حرف العطف.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [عزيزٌ] في انتقامهِ من السارق وغيره من أهل المعصية،

---

(١) ق: الشرك.

(٢) الكشاف ١ : ٦١٢.

حكيم في فرائضه وحدوده. روي أن بعض الأعراب سمع قارئاً يقرأ: والسارق إلى آخره، وختمها بقوله: والله غفور رحيم، فقال: ما هذا كلام فصيح. فقيل له: ليس التلاوة كذلك وإنما هي «والله عزيز حكيم» فقال: بخٍ بخٍ عزَّ فحكمَ فقطع.

﴿فَمَن تَابَ﴾ هذا عام في كل تائب من حرابة وسرقة وغيرهما. وقوله «ظلمه» هو مصدر مضاف للفاعل [أي] من بعد أنْ ظلمَ غيره أو نفسه بالمعصية. وقوله ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عطفٌ على «تاب» فلم يقتصر على توبته. وإصلاحه هو تَنَصُّله من التبعات[1]. ومعنى ﴿يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ أي: يتجاوز عنه.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ خطاب للسامع وهو تقرير ومعناه الإثبات أي قد علمت. وقدّم «يعذّب» هنا على «يغفر» لأنه تقدم ما يصنع بالمحارب من العذاب وبالسارق من القطع فَذِكرُ التعذيب أولاً أَرْدَعُ له. وأطلق التعذيب فجاز أن يراد به التعذيب في الدنيا أو التعذيب في الآخرة أو كليهما. ومفعول «يشاء» محذوف تقديره: من يشاء تعذيبه، وكذلك قوله «يغفر لمن يشاء» أي يشاء غفران ذنبه.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

(١) «تنصّله من التبعات» غير مقروءة في ق.

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿ ❁ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ الآية، سبب نزولها أنَّ يهودياً زنى بيهودية فرُفع أمرهما إلى رسولِ الله ﷺ فحكم عليهما بالرجم، فأنكرَ اليهودُ ذلك وزعموا أنَّ التوراةَ ليس فيها الرجم، فأُتي بها فوجد فيها الرجم فافتُضِحُوا.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ هم المنافقون.

و﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ يراد به اليهود، والمعنى على هذا: لا تهتمّ بمسارعة المنافقين في الكفر واليهود، أي بإظهار ما يلوح لهم من آثار الكفر وهو كيدهم للإسلام وأهله فإن الله ناصرك عليهم.

ومسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصةً لم يخطئوها، ويكون «مِن» الأولى والثانية على هذا تبييناً وتقسيماً للذين يسارعون في الكفر، فيكون قوله «ومن الذين هادوا» معطوفاً على قوله «من الذين قالوا». ويجوز أن يكون «ومن الذين هادوا» استئناف كلام فلا يكون معطوفاً على قوله «من الذين قالوا»، و«سماعون» مبتدأ أي قوم سمّاعون «ومن الذين هادوا» خبره.

﴿ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ قيل إنهم أهل فدك كان اليهودُ تستمعُ منهم وقيل غيرهم.

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ ﴾ أي: يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التي وضعها الله فيها. قال ابن عباس والجمهور: هي حدودُ الله في التوراة، وذلك أنهم غَيَّروا الرجمَ أي: وضعوا الجَلْدَ مكان الرجم. ﴿ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا ﴾ إشارة إلى ما حرّفوه من تبديل الرجم بالتحميم والجلد، أي: [إن] حُكم عليكم بهذا «فخذوه» أي فاقبلوه وإن لم تُعطعوا ما تحكمون به من التحميم والجلد «فاحذروا» أي فلا تقبلوا.

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ ﴾ تأكيد لما قبله. ﴿ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ ﴾ أي: للرُّشا وهو المالُ الذي يأخذونه على تبديلِ أحكامِ الله وتحريفها. ﴿ فَإِن جَآءُوكَ ﴾ الآية، يعني للحكم بينهم، فخيّر تعالى نبيَّهُ بين الحكمِ بينهم أو الإعراض عن الحكم.

﴿ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ ﴾ الآية، هذا تعجيبٌ من تحكيمهم إياه مع أنهم لا يؤمنون به ولا بكتابه[1]، وفي كتابهم الذي يَدَّعونَ الإيمانَ به حكم الله نصّ جليّ، فليسوا قاصدين حكم الله حقيقةً، وإنما قصدوا بذلك أن يكون عنده صلى الله عليه وسلم رخصة فيما تحاكموا إليه فيه اتباعاً لأهوائهم وانهماكاً في شهواتهم. ومَنْ عَدَلَ عن حكمِ الله في كتابه [١٥١/أ] الذي يدَّعي أنه مؤمنٌ به إلى تحكيم من لم يؤمن به ولا بكتابه فهو لا يحكّم إلا رغبة فيما يقصده من مخالفة كتابه. وإذا خالفوا كتابَهم لكونه ليس على وفقِ شهواتهم فَلأنْ يخالفوكَ[2] إذا لم توافقهم أوْلى وأحرى.

---

(١) ق: بكتابهم.

(٢) ق: يخالفونك.

والواو في ﴿وَعِندَهُمُ﴾ للحال، «وعندهم التوراة» مبتدأ وخبر. وقوله «فيها» حال من التوراة. وارتفع «حكم» على الفاعلية بالجار والمجرور أي كائناً فيها حكم الله.

﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ [قال ابن عطية] أي: من بعد كونِ حكمِ الله في التوراة في الرجم وما أشبهه، من الأمورِ التي خالفوا فيها أمرَ الله انتهى. وهذه الجملة مستأنفة أي: ثم هم يتولّون بعد ذلك، وهي إخبارٌ من الله بتولِّيهم على عادتهم في أنهم إذا وضح لهم الحق أعرضوا عنه.

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: من تَرَكَ حُكم كتابه وحكم رسول الله ﷺ، فهو مُنْتَفٍ عنه الإيمان حقيقة. وانتصاب «كيف» على الحال، وهو استفهام لا يراد به حقيقته بل التعجب من حالهم كيف علموا حكم الله في كتابهم وحكم الرسول عليه السلام.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ قال ابن عباس وابن مسعود: نزلت في الجاحدين حكمَ الله، وهي عامةٌ في كُلِّ مَنْ جَحدَ حكم الله تعالى. و﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ وصفُ مَدْحٍ للأنبياء كالصفات التي تجري على الله تعالى، وأريد بإجرائها التعريض باليهود والنصارى حيث قالت اليهود إنَّ الأنبياء كانوا يهوداً وقالت النصارى كانوا نصارى، فبيّن أنهم كانوا مسلمين كما كان إبراهيم ولذلك جاء ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج] ونبه بهذا الوصفِ أنَّ اليهودَ والنصارى بُعَداءُ من هذا الوصف الذي هو الإسلام، وأنه كان دين الأنبياء كلهم قديماً وحديثاً.

﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ تقدم مدلوله في قوله تعالى في آل عمران ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ العلماء واحدهم حبر بفتح الحاء وكسرها. وقال أبو الهيثم: هو بفتح الحاء، وقال الفراء: هو بالكسر، فأما الذي يُكْتَبُ به فبكسر الحاء.

﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ الباء في «بما» للسبب وتتعلق بقوله «يحكم». واستفعل هنا للطلب، والمعنى بسبب ما استحفظوا. والضمير في «استحفظوا» عائد على النبيين والربانيين والأحبار أي بسبب ما طلب الله منهم حفظهم لكتاب الله وهو التوراة وكلّفهم حفظها وأخذ عهده عليهم في العمل بها والقول بها. و«استُحفظوا» مبني للمفعول حذف الفاعل وهو الله والمعنى: استحفظهم الله أي طلب حفظهم له.

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ الظاهر أنَّ الضميرَ عائدٌ على كتاب الله تعالى أي: كانوا عليه رقباء كيلا يبدّل، والمعنى: يحكمُ بأحكام التوراة النبيُّونَ بين موسى وعيسى كان بينهما ألفُ نبيٍّ للذين هادوا يحملونهم على أحكامِ التوراة لا يتركونهم أنْ يعدلوا عنها كما فعل رسول الله ﷺ مِنْ حَمْلِهم على حكمِ الرجم وإرغامِ أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد.

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ الآية، الظاهر أن هذا الخطاب لليهود على سبيل الحكاية، والقول لعلماء بني إسرائيل ويشمل من كان بحضرة رسول الله ﷺ من علماء اليهود. وفي الكلام التفات خرج من ضمير الغيبة وهو ضمير الرفع في «يحكّمونك» إلى ضمير الخطاب في قوله «فلا تخشوا الناس».

﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ هذا نهيٌ للحكام عن أخذِ الرُّشا وتبديل أحكام الله تعالى.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم﴾ الآية، ظاهر هذا العموم، فيشمل هذه الأمةَ وغيرهم ممن كان قبلَهم.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ

وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى بيّن في التوراة أن حكم الزاني المحصن الرجم وغيّره اليهود [وبيّن هنا أنَّ في التوراةِ أنَّ النفسَ بالنفس وغيَّره اليهود] أيضاً ففضّلوا بني النضير على بني قريظة وخصّوا إيجاب القَوَدِ على بني قريظة [١٥١/ب] دونَ بني النضير. ومعنى «وكتبنا» فرضنا، وقيل: قلنا والكتابة بمعنى القول، ويجوز أنْ يراد الكتاب حقيقة وهي الكتابة في الألواح، لأنَّ التوراةَ نزلت مكتوبة في الألواح. والضمير في «فيها» عائد على التوراة، وفي «عليهم» على الذين هادوا. وقوله «بالنفس» جار ومجرور في موضع خبر «أنّ» فيتعلق بمحذوف، والأصل فيه أن يكون العامل لفظ: كائن أو مستقر. والباء في «بالنفس» للمقابلة فيقدر[1] ما هو قريب من الاستقرار وهو تقديرهم: مأخوذة بالنفس. والمعنى أنه[2] إذا قَتلتْ نفسٌ نَفْساً قُتلتْ بها، والمعاطيفُ على هذا التقدير أي: والعينُ مأخوذةٌ بالعينِ أي: مَنْ فقأ عيناً فُقئتْ عينُه، ومَنْ جَدع أنفاً جُدع أنفه، ومن صَلم أذناً صُلمت أذنه، ومن كسر سنًّا كسرت سنه. وقرىء بنصب «والعين» إلى قوله «والجروح» مراعاه لاسم أنّ. وقرىء بالرفع قطعاً

---

(١) ق: فقدر.

(٢) ق: أن.

عن اسم أنّ وارتفعت الأسماء بالابتداء وخبرها في الجار والمجرور كما قدّمناه. وخبر «والجروح» قوله «قصاص».

والظاهر في قوله «النفس بالنفس» العموم، فيخرج منه ما يخرج منه بالدليل ويبقى الباقي على عمومه. والظاهر في قوله «والعين بالعين» العموم، فتُفقأ عين الأعور بعين مَنْ كان ذا عينين وبه قال علي وأبو حنيفة والشافعي، ولهذه الجناياتِ أحكامٌ ذُكرت في كتبِ الفقه.

«والجروح قصاص» أي: ذات[1] قصاص. ولفظ «الجروح» عام والمراد به الخصوص وهو ما يمكن فيه القصاص وتُعرف المماثلة فلا يُخاف منها على النفس، فإنْ خيف كالمأمومة[2] وكسر الفخذ وغير ذلك فلا قصاص فيها. ومدلول «والجروح قصاص» يقتضي أن يكون الجرح بمثله، فإن لم يكن بمثله فلا قصاص.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ المتصدق صاحب الحق ومستوفي القصاص من مجروح أو ولي قتيل. و«به» عائد على القصاص الشامل للنفس وللأعضاء وللجروح التي فيها القصاص. و«فهو» ضمير يعود على التصدق أي فالتصدق كفارة للمتصدق. والمعنى أنَّ مَنْ تصدّقَ بجرحه أو دم وليِّه فعفا عن حقِّه في ذلك فإنَّ العفوَ كفّارةٌ له عن ذنوبِهِ يعظم الله أجره بذلك ويكفّر عنه.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية، ناسب فيما تقدم ذكر الكافرين لأنه جاء عقب قوله «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور»[3]، ففي ذلك إشارة إلى أنه

---

(١) ق: ذا.

(٢) أمّ فلانا فهو مأموم: أصاب أم رأسه.

(٣) الآية ٤٤ السابقة.

لا يحكم بجميعها بل يخالف رأساً ولذلك جاء «ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً» وهذا كفرٌ فناسب ذكر الكافرين. وهنا جاء عقب أشياء مخصوصة من أمر القتال والجروح، فناسب ذكر الظلم المنافي للقصاص وعدم التسوية فيه، والإشارة إلى ما كانوا قرروه من عدم التساوي بين بني النضير وبني قريظة.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ الآية، ومناسبة هذه لما قبلها أنه تعالى ذكر أنّ التوراة يحكم بها النبيّون، ثم ذكر أنه قفَّاهم بعيسى عليه السلام تنبيهاً على أنه من جملةِ الأنبياء،وتنويهاً باسمه وتنزيهاً عما يَدَّعيه فيه اليهودُ وأنه من جملة مصدّقي التوراة. ومعنى «قفَّينا» أتينا به يقفو آثارَهُم أي: يتبعها. والضمير في «آثارهم» يعود على «النبيين» من قوله «يحكم بها النبيون»[1]. وليس التضعيف في «قفّينا» للتعدية بل ضمّن معنى «قفّينا» معنى: جئنا ولذلك عدّاه بعلى وبالباء.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ هذه الجملةُ معطوفةٌ على قوله «وقفّينا» وفيها تعظيم عيسى بأنَّ الله آتاه كتاباً إلهيّاً.

وقوله ﴿فِيهِ هُدًى﴾ في موضع الحال. وارتفع «هدى» على الفاعلية بالجار والمجرور إذ قد اعتمد بأن وقع حالاً لذي حال أي كائناً فيه هدى، ولذلك عطف عليه «ومصدقاً لما بين يديه». والضمير في «يديه» [١٥٢/أ] عائد على الإنجيل. والمعنى أن عيسى وكتابه الذي أنزل عليه هما مصدّقان لما تقدّمهما من التوراة فتظافر[2] على تصديقه الكتابُ الإلهيّ المنزل.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية، أمر تعالى أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل

---

(١) في الآية ٤٤ أيضاً.

(٢) أي تعاون.

الله فيه من الأحكام ويكون هذا الأمر على سبيلِ الحكاية أي: وقلنا لهم احكموا، أي حين إيتائه عيسى أمرناهم بالحكمِ بما فيه، إذْ لا يمكن أن يكون [ذلك] بعد بعثةِ رسولِ الله ﷺ إذْ شريعتهُ ناسخةٌ لجميع الشرائع. وقرأ الجمهور: ليحكم بلام الأمر. وقرأ حمزة: ولِيَحْكُمَ بكسر اللام وفتح الميم جعلها لام كي. والظاهر أنّ نصب «هدى وموعظة» على المفعول له، وعطف عليه قوله «وليحكم». ولما كان فاعل «هدى وموعظة» عائداً على الإنجيل عطف عليه قوله «وليحكم» وأتى باللام لاختلاف الفاعل، لأن فاعل «وليحكم»: «أهل الإنجيل»، والفاعل في «هدى وموعظة» هو الإنجيل، فلما اختلفا عدّي المفعول من أجله باللام كما تقول: ضربت ابني تأديباً ولخوف[1] زيد منه، ففاعل التأديب هو الضمير وفاعل الخوف هو زيد. ويجوز أن يكون «وهدى وموعظة» معطوفاً على «ومصدقاً» كأنه قال: وهادياً وواعظاً[2]، ويكون قوله «وليحكم» على قراءة حمزة متعلقاً بمحذوف تقديره: وآتيناه الإنجيل ليحكم.

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ الآية، ناسب هنا ذكر الفسق لأنه خروجٌ عن أمرِ الله تعالى إذ تقدم قوله «ولِيَحْكُمَ» وهو أمرٌ كما قال تعالى ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۝٥٠ ﴾ [الكهف] أي: خرج عن طاعة أمره تعالى.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى

---

(١) ق: لخوف.

(٢) ق: واعظاً.

مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ الآية، لما ذكر تعالى أنه أنزل التوراة فيها هدى ونور، ولم يذكر من أنزلها عليه لاشتراكهم كلهم[1] في أنها أنزلت على موسى عليه السلام وترك ذكره للمعرفة بذلك، ثم ذكر عيسى وأنه آتاه الإنجيل فذكره مفيداً أنه من جملة الأنبياء إذ اليهود تنكر نبوّته، وإذا أنكرته أنكرت كتابه فنصّ عليه وعلى كتابه، ثم ذكر إنزال القرآن على رسول الله ﷺ فذكر الكتاب ومن أنزله عليه مقرراً لنبوّته وكتابه، لأن الطائفتين ينكرون نبوته وكتابه. وجاء هنا ذكر المنزّل إليه بكاف الخطاب لأنه أنصّ على المقصود.

و﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ معناه متلبّساً بالحق ومصاحباً له لا يفارقه. وانتصب «مصدقاً» على الحال. ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي: لما تَقَدَّمه. ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الألف واللام فيه للجنس لأنه عَنَى به جنس الكتب المنزلة. ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ قال ابن عباس: أميناً، وعنه أيضاً: شاهداً. وقال الخليل: رقيباً، وبه فسّر الزمخشري قال[2]: «ومهيمناً» رقيباً على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات انتهى. وقال الشاعر[3]: [من الطويل]

---

(١) ط: لاشتراك علم الجميع.

(٢) الكشاف ١ : ٦١٨.

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص٣٦٨.

مليكٌ على عَرْشِ السماء مُهَيمِنٌ لعـزّتـه تَعْنُـو الـوجـوهُ وتسجـدُ

﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ أمر بالوجوب، والضمير في «بينهم» عائد على المتحاكمين يهوداً[1] كانوا أو غيرهم. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي: لا توافقهم على أغراضِهم الفاسدة من التفريقِ في القصاص بين[2] الشريفِ والوضيع وغير ذلك من أهوائهم التي [هي] راجعة لغيرِ الدين والشرع. ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ الذي هو القرآن. وضمّن «تتبع» معنى تنحرف أو تنصرف فلذلك عُدِّيَ بعن، أي: لا تنحرف أو تتزحزح عمّا جاءك متبعاً أهواءهم أو بسبب أهوائهم. قال أبو البقاء[3]: «عما جاءك» في موضع الحال أي: عادلاً عَمَّا جاءك. ولم يضمّن «تتّبع» معنى [١٥٢/ب] ما يتعدى بعن. وهذا ليس بجيد لأن «عن» حرف جر[4] ناقص لا يصلح أن يكون حالاً من الجثّة كما لا يصلح أن يكون خبراً. وإذا كان ناقصاً فإنه يتعدى بكون مقيّد لا بكون مطلق، والكون المقيّد لا يجوز حذفه.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا﴾ الآية، الظاهر أنَّ المضاف إليه «كلّ» المحذوف هو أمة أي: لكلِّ أمةٍ. والخطاب في «منكم» للناس، أي: أيها الناس: لليهودِ[5] شرعةٌ ومنهاجٌ وللنصارى كذلك [وللمسلمين كذلك] قاله علي وغيره. ويعنون في الأحكام، وأما المُعْتَقَدُ فواحدٌ لجميعِ العالم: توحيد وإيمان بالرسل وكتبها. والشِّرعةُ والمنهاج لفظان بمعنى واحد فالثاني تأكيدٌ للأول.

---

(١) ق: يهود.

(٢) ق: في الشريف.

(٣) إملاء ١ : ٢١٧.

(٤) ق: لأن عرف جر.

(٥) ق: أي لليهود.

﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ مفعول «شاء» محذوف تقديره: ولو شاء جَعْلكم أمة واحدة، وحذف لدلالة الجواب عليه وهو قوله «لَجَعلكم أمة واحدة» في اتباع الحق أو اتباع الباطل.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: ولكن لم يشأ ذلك ليختبركم فيما آتاكم من الكتب.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: استبقوا الأعمالَ الصالحة وهي التي عاقبتها أحسن الأشياء.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ هو استئناف في معنى التعليل لأمره تعالى باستباق الخيرات كأنه يقول: تظهر ثمرة استباق الخيرات والمبادرة إليها في وقت الرجوع إلى الله تعالى ومجازاته.

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ أي: فيخبركم بأعمالكم وهي كناية عن المجازاة بالثواب والعقاب، وهو إخبار إيقاع. وبهذه التنبئة[١] يظهر الفصل بين المحقّ والمبطل والمستبق والمقصر في العمل. ونبّأ هنا جاءت على وضعها الأصلي من تعديتها إلى واحد بنفسها[٢] وإلى آخر بحرف الجر، ولم يضمّنها معنى أعْلَمَ فيعدّيها إلى ثلاثة.

﴿وَأَنِ ٱحْكُم [بَيْنَهُم] بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ سبب نزولها قال ابن عباس: قال بعض يهـود لبعض منهم ابن صوريا وشأس بن قيس وكعب بن أسيد: اذهبوا بنا إلى محمّد لعلّنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد قد عرفتَ أنَّا أحبار يهود وأشرافهم، وإن اتبعناكَ اتّبعكَ كُلُّ اليهود، وبيننا وبين قومٍ خصومةٌ

(١) ق: السنة.

(٢) ق: بنفسه.

فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك، فأبى ذلك رسولُ الله ﷺ فنزلت. «وأن احكم» ذكروا في إعرابه وجوهاً، والذي نختاره أن يكون في موضع رفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر مؤخراً[١]، والتقدير: وحُكْمُك بما أنزل الله أَمْرُنا وقولنا، أو مقدّماً والتقدير: ومن الواجب حُكْمُك بما أنزل الله. وأبْعَدَ مَنْ ذهبَ إلى أنه في موضع نصب عطفاً على «الكتاب» أي: وأنزلنا إليك الكتاب والحكم، أو في موضع جرّ عطفاً على «بالحق» أي [بالحق] وبالحكم.

﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ ﴾ أي: يستزلّوك وحذّره عن ذلك وإنْ كان مأيوساً من فتنتهم إياه. وموضع «أن يفتنوك» نصب على البدل تقديره: واحذرهم فِتْنَتَهم إياك، أو يكون مفعولاً من أجله تقديره: من أن يفتنوك، وحذف مِن.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ الآية، أي: فإن تولّوا عن الحكم بما أنزل الله وأرادوا غيره.

ومعنى ﴿ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ أي: يعذبهم ببعض آثامهم، وأبهم بعضاً هنا، ويعني به - والله أعلم - التولّي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع «ببعض ذنوبهم» موضع ذلك. وأراد أنهم ذوو ذنوب جمّة كثيرة العدد، وهذا الذنب مع عِظَمِهِ بعضها.

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ هذا استفهامٌ معناه الإنكار على اليهود حيث هم أهل كتاب[٢] وتحليل وتحريم من الله تعالى، ومع ذلك يُعْرِضُونَ عن حكم الله تعالى ويختارون عليه حكمَ الجاهلية. وقرىء: أفحكم بالنصب وهو مفعول «يبغون»، وبالرفع على الابتداء [١٥٣/أ] والخبر «يبغون»، وحذف

(١) ق: والخبر مؤخر.

(٢) ق: الكتاب.

الضمير العائد على المبتدأ من الجملة تقديره: يبغونه، كقول الشاعر[١]:

وخالد يَحْمَد ساداتنا[٢] بالحق لا يَحمَدُ بالباطلِ

[من السريع]

تقديره: يحمده.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ أي: لا أحد أحسن من الله حكماً. وتقدّم ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة] فجاءت هذه الجملة مشيرة لهذا المعنى. والمعنى أن حكم الله هو الغاية في الحُسْنِ وفي العدل، وهو استفهامٌ معناه التقريرُ ويتضمّن شيئاً من النكير عليهم. واللام في «القوم يوقنون» للبيان متعلق بمحذوف تقديره: أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون.

﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا﴾ الآية، سبب نزولها قصة عبد الله بن أبيّ واستمساكه بحلفِ [يهود] وتبرّؤ عبادةَ بن الصامتِ من حلفهم عند انقضاءِ بدر وانتجاز أمر بني قينقاع، وكانوا حلفاء عبد الله[٣] وعبادة في قصّة فيها طولٌ

---

(١) البيت للأسود بن يعفر، وهو من شواهد مغني اللبيب ٢: ٦١١، وهو فيه غير منسوب. وانظر شرح أبيات المغني ٧: ٢٨٠.

(٢) ق: نبيا دانيا.

(٣) ق: خلفاء عند الله.

وهذا مُلَخَّصُهَا والله تعالى أعلم. نهى تعالى المؤمنين عن موالاةِ اليهود والنصارى ينصرونهم ويستنصرون بهم ويصافونهم ويعاشرونهم معاشرة المؤمنين. والظاهر أنَّ الضمير في «بعضهم» عائدٌ على اليهود والنصارى، وقيل: المعنى على أن ثَمَّ محذوفاً والتقدير: بعض اليهود أولياء بعض وبعض النصارى أولياء بعض، لأنَّ اليهود ليسوا أولياء النصارى ولا النصارى أولياء اليهود. ويمكن أن يقال: جمعهم في الضميرِ على سبيلِ الإجمالِ ودلَّ ما بينهم من المعاداةِ على التفصيل وأنَّ بعض اليهود لا يتولَّى إلا جنسه وبعض النصارى كذلك. قال الحوفي: هي جملة من مبتدأ وخبر في موضع النعت لأولياء. والظاهر أنها جملة مستأنفة لا موضع لها من الإعراب.

﴿فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ قال ابن عباس: فإنه منهم في حُكْم الكفر، أي: ومَنْ يتولَّهم في الدين. وهذا تشديدٌ عظيم في الانتفاء من أَهلِ الكفر وترك موالاتهم وإنحاء على ابن أبيّ ومن اتَّصفَ بصفته. ولا يدخل في الموالاة معاملة[1] اليهود والنصارى من غير مصافاة.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ الخطابُ لرسولِ الله ﷺ. وقال ابن عطية: وقرأ ابن وثاب: فيرى الذين، بالياء، فيحتمل أن يكون «الذين» فاعل «يرى» والمعنى أن يسارعوا فحذفت أن إيجازاً انتهى. هذا ضعيف لأنّ حذف أنْ من هذا لا ينقاس، والفاعل ضمير يعود على «الله» أو [على] الرأي. «والذين في قلوبهم مرض» عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين.

﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ أي: في مودّتهم وموالاتهم.

﴿نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ هذا محفوظٌ من قولِ عبد الله بن أبيّ وقاله معه

---

(١) ق: مقابلة.

منافقون كثير، قال ابن عباس: معناه نخشى أنْ لا يتمّ أمرُ محمد فيدور الأمر علينا.

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ هذه بشارةٌ للرسولِ والمؤمنين بوعده تعالى بالفتح والنصر. قال قتادة: عنى به القضاء في هذه النوازل، والفتّاح القاضي. قال ابن عطية: وظاهرُ الفتحِ في هذه الآية ظهور رسول الله ﷺ وعلو كلمته فيستغني عن اليهود.

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ هو إجلاء بني النضير وأخذ أموالهم، لم يكن للناس فيه فِعْلٌ بل طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب، وقَتْلُ [قريظة] وسَبْيُ ذراريهم.

﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟﴾ أي: يصيرون نادمين على ما حدَّثتهم به [١٥٣/ب] أنفسهم أنّ أمر النبي عليه السلام لا يتمّ ولا تكون الدولة لهم. و«نادمين» خبر فيصبحوا[1]، و«على ما أسرّوا» متعلق بنادمين.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآية، [لمّا] رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين قالوا «أهؤلاء» أي: المنافقون «الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم». والمعنى: يقول بعضُهم لبعض تعجّباً من حالهم إذ أغلظوا للمؤمنين بالأيمان أنهم معهم وأنهم معاضدوهم وعلى اليهود، فلمّا حلّ باليهود ما حلّ ظهر من المنافقين ما كانو يُسِرُّونه من موالاةِ اليهود والتمالؤ على المؤمنين.

[وقرىء: يقـول بغير واو كأنه جوابُ قائلٍ يقـول: فماذا يقـولُ المؤمنون حينئـذٍ؟ فقيـل: يقـول الذين آمنـوا]. وقـرىء: ويقـول بالـواو ورفـع

---

(١) ق: فأصبحوا.

اللام. وقرئ: ويقول بالواو ونصب اللام. وأما قراءة: ويقول بالنصب فَوُجِّهَتْ على أن هذا القول لم يكن إلا عند الفتح وأنه محمول على المعنى فهو معطوف على «أن يأتي»، إذ معنى «فعسى الله أن يأتي» معنى: فعسى[1] أن يأتي الله، وهذا الذي يسمّيه النحويون العطف على التوهّم: يكون الكلام في قالب تقدّره في قالب آخر إذ لا يصح أن يعطف على لفظ «أن يأتي» لأنه لا يصحّ أن يقال: فعسى الله أن يقول المؤمنون، إذْ ليس في المعطوف ضمير اسم الله ولا شيء [منه]. وأجاز ذلك أبو البقاء على تقدير ضمير محذوف، أي: ويقول الذين آمنوا به، أي بالله، فهذا الضمير يصحّ به الربط. «أهؤلاء» استفهام تحقير واستصغار للمنافقين. والجملة من قوله «إنهم لمعكم» مؤكّدةً بإنّ واللام، مبالغةٌ من المنافقين في أيمانهم إذ جمعوا بين حرفي توكيد وهما[2] إنّ واللام.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ استئناف إخبار من الله بحبوطِ أعمالهم، والظاهر أنه من كلامِ المؤمنين. والحبوطُ البطلانُ و«أعمالهم» هي التي كانوا يظهرونها من موافقة المؤمنين في الصلاة وغيرها وهم لا يعتقدون ثواباً في ذلك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

(١) ق: فعسى الله.

(٢) ق: وهي.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ قال الحسن وغيره: نزلت خطاباً للمؤمنين عامة إلى يوم القيامة، وقيل هي خاصة في قبائل بأعيانهم فذكر المفسرون أنه ارتدَّ في زمنِ رسول الله ﷺ مذحج[1] ورئيسهم عبهلة بن كعب ذو الخمار وهو الأسود العنسي قتله فيروز[2] على فراشه وأخبر رسول الله ﷺ بقتله وسمّى قاتله ليلة قتل، ومات رسول الله ﷺ من الغد وأتى مَقْتَلُه في آخرِ ربيع الأول. وبنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة الكذاب قتله وحشي. وبنو أسد ورئيسهم طليحة[3] بن خويلد، هزمه خالد وأفلت ثم أسلم وحسن إسلامه.

وهذه ثلاث فرق ارتدّت في حياة رسول الله ﷺ وتنبأ رؤساؤها.

وارتدّ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سبع فرق: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرّة بن سلمة القشيري، وسليم قوم الفجاءة [بن] عبد يا ليل، ويربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر وقد تنبأت وتزوّجها مسيلمة الكذاب، وقال شاعرهم[4]: [من البسيط]

أضحَتْ نَبِيَّتُنَا أنثى نطيف بها وأصبحَتْ أنبياء الناسِ ذُكْرانا

وقال أبو العلاء المعري[5]:

---

(١) كذا في ق، ط. وفي تفسير الرازي ١٢: ٢١: بنو مدلج.

(٢) ق: خيرون. والتصويب من البحر ٣: ٥١١، والرازي في الموضع نفسه.

(٣) ق: طلحة. وانظر الرازي في الموضع السابق.

(٤) البيت لقيس بن عاصم في شرح شواهد الكشاف ص٣٣٤. وهو في تاريخ الطبري ٣: ٢٧٤ لعطارد بن حاجب.

(٥) البيت من كتابه «استغفروا واستغفري»، كما في شرح شواهد الكشاف ص٣٣٣. وانظر بشأن كتاب المعري: تعريف القدماء ص١١١.

أمّتْ سجاحُ ووالاها مُسَيْلِمَـةٌ كذّابةٌ في بني الدّنيا وكذّابُ

وكندة قوم الأشعث، وبكر بن وائل بالبحرين قوم الحُطَم بن يزيد، وكفى الله أمرهم على [١٥٤/أ] يد أبي بكر رضي الله عنه. وفرقة في عهد عمر بن الخطاب: غسّان قوم جبلة بن الأيهم نصّرتْه اللطمة وسيّرته إلى بلد الروم بعد إسلامه[١].

وقرىء: من[٢] يرتدد، بالفكّ والإدغام. وهي جملة شرطية والجواب قوله «فسوف يأتي الله بقوم»، والقاعدة النحوية أنه إذا كان جواب الشرط جملة واسم الشرط غير ظرف فلا بدّ من ضميرٍ في جملةِ الجواب عائد على اسم الشرط. والجملةُ ها هنا ليس فيها ضميرٌ ظاهر فلا بدّ من تقديره، وتقديره: بقوم غيرهم، أي غير من يرتدّ، و«بقوم» فيه أقوال. وفي المستدرك[٣] لأبي عبد الله الحاكم بإسناده أنه لما نزلت أشار رسول الله ﷺ إلى أبي موسى الأشعري فقال: هم قوم هذا. وهذا أصح الأقوال وكان لهم بلاءٌ في الإسلام زمان رسول الله ﷺ وعامة فتوح عمر على أيديهم. ووصف تعالى هؤلاء القوم بأنه يحبهم ويحبونه ومحبة الله لهم هي توفيقهم للإيمان كما قال تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ۝٧﴾ [الحجرات] وإثابته على ذلك وعلى سائر الطاعات وتعظيمه إياهم وثناؤه عليهم. ومحبّتهم له طاعته تعالى واجتناب مناهيه وامتثال مأموراته. وقدم محبته على محبتهم إذ هي أسبق وأشرف.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هو جمع ذليل لا جمع ذلول الذي هو

---

(١) تفصيله في تفسير الرازي ١٢: ٢١.

(٢) ق: ومن.

(٣) أخرجه الحاكم ٢: ٣١٣ من حديث عياض الأشعري، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

نقيض الضعف، لأن ذَلولاً لا يجمع على أذلّة بل على ذُلُل. وعَدّى «أذلّة» بعلى وإن كان الأصل باللام لأنه ضمّنه معنى الحنوّ والعطف كأنه قيل: عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع، قيل: أو لأنه على حذف مضاف، التقدير: على فضلهم على المؤمنين. والمعنى أنهم يذلّون ويخضعون لمن فُضّلوا عليه مع شرفهم وعلوّ مكانتهم، وهو نظير قوله ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۝٢٩﴾ [الفتح]. وجاءت هذه الصفة بالاسم الذي فيه المبالغة لأن «أذلّة» جمع ذليل و«أعزّة» جمع عزيز وهما صفتا مبالغة، وجاءت الصفة قبل هذا بالفعل في قوله «يحبهم ويحبونه» لأن الاسم يدل على الثبوت، فلما كانت صفة مبالغة وكانت لا تتجدد بل هي كالغريزة جاء الوصف بالاسم. ولما كانت الصفة قبلُ تَجَدَّدُ لأنها عبارةٌ عن أفعالِ الطاعات والثواب المترتّب عليها جاء الوصفُ بالفعلِ الذي يقتضي التجدد. ولما كان الوصف الذي يتعلق بالمؤمن آكد ولموصوفه ألزم، قُدّم على الوصف المتعلق بالكافر، ولشرف المؤمن أيضاً. ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وربه أشرف من الوصف الذي بين المؤمن والمؤمن، قدّم قوله «يحبّهم ويحبّونه» على قوله «أذلّة على المؤمنين».

وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من ذهب إلى أن الوصف إذا كان بالاسم وبالفعل، لا يتقدم الوصف بالفعل على الوصف بالاسم إلا في ضرورة الشعر نحو قول الشاعر[1]: [من الطويل]

وفرعٍ يغشّي المتن أسودَ فاحمٍ [أثيثٍ كقِنْو النخلةِ المتعثكلِ]

إذ جاء ما ادّعى أنه يكون في الضرورة في هذه الآية فقدّم «يحبهم

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٦.

ويحبونه» وهو فعل، على قوله «أذلة» وهو اسم. وكذلك قوله تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام]. وقرىء شاذاً: أذلةً بالنصب، وكذا: أعزةً نصباً على الحال من النكرة إذ قربت من المعرفة لوصفها. ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾سبيل الله» أي في نصرة دينه. وظاهر هذه الجملة أنها صفة ويجوز أن تكون استئناف إخبار.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ أي هم صلاب في [١٥٤/ب] دينه لا يبالون بمن لام فيه، فمتى شرعوا في أمر بمعروفٍ ونهي عن منكر أمضوه[١] لا يمنعهم اعتراض معترض ولا قول قائل. وهذان الوصفان أعني الجهاد والصلابة في الدين هما نتيجة الأوصاف السابقة، لأنّ مَنْ أحبّ الله لا يخشى إلا إياه، ومن كان عزيزاً على الكافر جاهد في إخماده واستئصاله. وناسب تقديم الجهاد على انتفاء الخوف من اللائمين لمجاورته «أعزة على الكافرين» ولأن الخوف أعظم من الجهاد فكان ذلك ترقياً[٢] من الأدنى إلى الأعلى. ويحتمل أن تكون الواو في «ولا يخافون» واو الحال أي يجاهدون وحالهم في المجاهدة غير حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود، فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود وتخاذلوا حتى لا يلحق بهم لوم من جهتهم. وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله تعالى لا يخافون لومة لائم. ولَوْمة للمرة الواحدة وهي نكرة في سياق النفي فتعمّ أي لا يخافون شيئاً قطّ من اللوم.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ الظاهر أنّ «ذلك» إشارة إلى ما تقدّم من الأوصاف التي تحلّى بها المؤمن. ذكر أن ذلك هو من فضل الله يؤتيه من أراده، ليس ذلك

---

(١) ق: مضوه.

(٢) ق: ترقيباً.

بسابقة ممن أعطاه إياه بل ذلك على سبيل الإحسان منه تعالى لمن أراد الإحسان إليه. وقيل: «ذلك» إشارة إلى حب الله لهم وحبّهم له.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [أي: واسعُ] الإحسانِ والإفضال، عليم[1] بمن يصنع ذلك فيه.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية، لما نهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء بيَّنَ هنا من هو وليّهم وهو الله ورسوله، والوليّ هنا الناصر، والمعنى: لا وليَّ لكم إلا الله. وقال «وليّكم» بالإفراد ولم يقل أولياؤكم وإن كان المُخْبَر به متعدداً، لأن وليّاً اسم جنس، أو لأن الولاية حقيقةً هي لله تعالى على سبيل التأصّل ثم نظم في سلكه من ذكر على سبيل التّبع، ولو جاء جمعاً لم يتبيّن هذا المعنى من الأصالة والتبعيّة.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية، هذه أوصاف ميّز بها المؤمنَ الخالصَ الإيمانِ من المنافق، لأنَّ المنافقَ لا يدومُ [على] الصلاة ولا على الزكاة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب]. ولما كانت الصحابةُ وقتَ نزولِ هذه الآية بين[2] مُقيم صلاة ومؤتي زكاة - وفي كلتا الحالتين كانوا مُتَّصفين بالخضوعِ لله والتذلّل له - نزلت الآية متضمّنةً هذه الأوصافَ الجليلة.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت «الذين يقيمون» ما محله؟ قلت: الرفع على البدل من «الذين آمنوا» أو على: هم الذين يقيمون انتهى.

---

(١) ق: عليهم.

(٢) ق: من.

(٣) الكشاف ١: ٦٢٣.

ولا أدري ما الذي منعه من الصفة إذ هو المتبادر إلى الذهن، ولأن المبدل منه في نيّة الطرح ولا يصحّ هنا طرح «الذين آمنوا» لأنه هو الوصف المترتب عليه صحّة ما بعده من الأوصاف.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يحتمل أن يكون جواب «من» محذوفاً لدلالة ما بعده عليه أي يكن من حزب الله تعالى، ويغلب ويحتمل أن يكون الجواب «فإن حزب الله» ويكون من وضع الظاهر موضع المضمر أي فأنتم هم الغالبون. وفائدة وضع الظاهر هنا موضع المضمر الإضافة إلى «الله» فيَشْرفون بذلك وصاروا بذلك أعلاماً. وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حَزَبَهم. و«هم» يجوز أن يكون فصلاً و«الغالبون» خبر إنّ، ويجوز أن يكون مبتدأ و«الغالبون» خبره والجملة في موضع خبر إنّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال ابن [١٥٥/أ] عباس: كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجالٌ من المسلمين يوادُّونهما[١] فنزلت.

ولمّا نهى تعالى المؤمنينَ عن اتخاذِ اليهودِ والنصارى أولياء نهى هنا عن اتخاذِ الكفارِ أولياء يهوداً كانوا أو نصارى أو غيرهما. وكرّر ذكر اليهود والنصارى بقوله تعالى «من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» وإنْ كانوا مندرجينَ في عمومِ الكفار، على سبيل النصِّ على بعضِ أفراد العام لسبقهم في

(١) ق: يوادّوهما.

الذكرِ في الآياتِ قَبْلُ، ولأنهم أوغل في الاستهزاء وأبعد انقياداً للإسلام إذْ يزعمون أنهم على شريعةٍ إلهيّة، ولذلك كان المؤمنون من المشركين في غايةِ الكَثْرةِ والمؤمنون من اليهودِ والنصارى في غايةِ القِلَّة.

وقرىء: والكفار بالنصب عطفاً على «الذين اتخذوا» وبالجر عطفاً على «من الذين».

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في موالاة الكفار. ثم نبّه على الوصف الحامل على التقوى وهو الإيمان أي من كان مؤمناً حقاً يأبى موالاة أعداء الدين.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ قال الكلبي: كان إذا نودي بالصلاة قام المسلمون إليها فتقول اليهود: قاموا لا قاموا، صلَّوا لا صلَّوا، ركعوا لا ركعوا! على طريق الاستهزاء والضحك فنزلت. «وإذا ناديتم» أي: نادى بعضكم إلى الصلاة لأن الجميع لا ينادون.

وقال بعض العلماء: فيها دليل على مشروعيّة الأذان بنصِّ الكتاب لا بالمنام وحده انتهى.

ولا دليل في ذلك على مشروعيته لأنه قال «وإذا ناديتم» ولم يقل: ونادوا، على سبيلِ الأمر، وإنما هذه جملةٌ شرطية دلّت على سَبْقِ المشروعيّةِ لا على إنشائها.

ولما قدّم أنهم اتخذوا الدينَ هزواً ولعباً اندرج في ذلك جميع ما انطوى عليه الدين، فجرّد من ذلك أعظم أركان الدين ونصّ عليه وهو الصلاة التي هي صلةٌ بين العبدِ وربِّه، فنبّه على أنَّ مَن استهزأ بالصلاةِ ينبغي أنْ لا يُتَّخذَ وليّاً وأنْ يُطردَ ويُتخذ عدوًّا. فهذه الآية جاءت كالتوكيد للآية التي قبلها. «ذلك» أي الفعل منهم كائن بسبب انتفاء عقلهم، ونفاه عنهم لكونهم لم

ينتفعوا به في الدين.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، «قل» أمرٌ لرسول الله ﷺ. و«هل» استفهام معناه النفي. و«تنقِمون» بكسر القاف ماضيه نَقَم وهي أفصح من نقِمَ ينقَم.

و﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ استثناء مفرغ أي: لا تعيبون منا شيئاً إلا الإيمان بالله. وهذه محاورةٌ لطيفة وجيزة تنبِّهُ الناقمَ على أنه ما نقمَ عليهم إلا ما [لا] يُنقم ولا يُعدُّ عيباً ونظيره(1): [من الطويل]

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفَهم ... بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب

«وما أنزل» معطوف على «بالله» وهو القرآن. ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ هي الكتب الإلهيّة كالتوراة والإنجيل وغيرهما.

وقرأ نعيم بن ميسرة: وإنّ أكثركم فاسقون، بكسر الهمزة وهو واضح المعنى: أمره تعالى أن يقول لهم هاتين الجملتين. وقرأ الجمهور: وأنّ بفتح الهمزة وخُرّج ذلك [على] وجوه منها الرفع على الابتداء، وقدّر

(1) البيت للنابغة في ديوانه ص٦٠.

الزمخشري[١] الخبر مؤخراً محذوفاً أي: وفِسْقُ أكثركم معلومٌ عندكم لأنكم علمتم أنّا[٢] على الحقِّ وأنكم على الباطل انتهى. ولا ينبغي أنْ يقدَّر الخبرُ إلا مقدّماً أي: ومعلومٌ فِسْقُ أكثركم، لأنّ الأصح أن لا يُبتدأ بها متقدمةً إلا بعد أما فقط. ومنها [١٥٥/ب] النصب عطفاً على «أن آمنّا» إلا أنه على حذفِ مضافٍ تقديرهُ: واعتقادنا فيكم أنَّ أكثركم فاسقون، وهذا معنى واضح ويكون ذلك داخلاً فيما ينقمون[٣] حقيقة. ومنها [الجر] عطفاً على قوله «وما أنزل إلينا وما أنْزل من قبل» أي وبأن أكثركم فاسقون.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ الخطابُ بالأمرِ لرسولِ الله ﷺ، وبضمير الخطاب لأهل الكتاب الذين أُمر أن يناديهم ويخاطبهم. أو يكون خطاباً للمؤمنين بقوله «قل يا أهل الكتاب هل تنقمون». «ذلك» اسم إشارة، فعلى تقديرِ أنَّ الخطاب للكفار يكون ذلك إشارة إلى حال من نَقَم، ويكون «مَنْ لعنه الله» على حذفِ مضافٍ أي: حال من لعنه. وللعربِ لغةٌ منقولة أنَّ اسمَ الإشارة يكون على كل حال من تأنيث وتثنية وجمع كما يكون للواحد المذكر، فيحتمل أن يكون «ذلكم» من هذه اللغة، ويحتمل أن يكون «ذلكم» أيضاً إشارة إلى متشخص[٤] وأفرد على معنى الجنس كأنه قال: قل هل أنبئكم بشرٍّ من جنس الكتابي ومن جنس المؤمن على اختلاف التقديرين اللذين سبقا، ويكون أيضاً «من لعنه» تفسير شخص لشخص.

وانتصب «مثوبة» على التمييز وجاء على التركيب الأكثر الأفصح من تقديم

---

(١) الكشاف ١ : ٦٢٥. وعبارته: أي وفسقكم ثابت معلوم.

(٢) ق: أن الله.

(٣) ق: يتقون.

(٤) أي إلى متعيّن.

المفضّل عليه على التمييز كقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء] وتقديم التمييز على المفضل أيضاً فصيح كقوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]. و«مَنْ» في موضع رفع كأنه قيل: مَنْ هو؟ فقيلَ: هو مَنْ لعنه الله، أو في موضع جرّ على البدل من قوله «بشرٍّ». و«من» موصولة عاد الضمير عليه على لفظه في قوله «لعنه الله» وفي قوله «عليه»، وأعاده على معنى «من» في قوله تعالى «وجعل منهم القردة والخنازير» ثم عاد إلى لفظة «مَن» في قوله «وعَبَد» فأفرد الضمير.

قال ابن عباس: هم أصحابُ السبتِ مُسخ شبابُهم قردةً وشيوخهم خنازير. وقرأ جمهور السبعة: وعَبَد الطاغوت. وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة: وعَبُد بضم الباء، الطاغوتِ بكسر التاء.

قال الزمخشري[1]: ومعناه الغلوُّ في العبودية كقولهم رجل حَذُر وفَطُن للبليغ في الحذر والفطنة.

وقال ابن عطية: عَبُد لفظ مبالغة كيَقُظ ونَدُس[2]، فهو لفظ مفرد يُرادُ به الجنس ويُبنى بناء الصفات لأن «عَبُد» في الأصل صفة وإن كان يستعمل استعمال الأسماء وذلك لا يخرجه عن حكم الصفة ولذلك لم يمتنع أن يُبنى منه بناء مبالغة، وأنشد هو والزمخشري[3]: [من الكامل]

أبني لُبينى إنّ أُمّكـمُ   أَمَةٌ وإنّ أباكـمُ عَبـد

وعدّ ابن مالك في أبنية أسماء الجمع فَعُلاً فقال: ومنها فَعُل

---

(١) الكشاف ١: ٦٢٥.

(٢) النَّدُس: من يخالط الناس دون أن يثقل عليهم.

(٣) الكشاف ١: ٦٢٥. والبيت لأوس بن حجر في ديوانه ص٢١.

كسَمُر[١] وعَبُد. وعلى هذه القراءة يكون «وعَبُد» معطوفاًعلى قوله «القردة والخنازير»، وعلى قراءة الجمهور يكون معطوفاً على صلة[٢] «مَنْ». وفي «البحر»[٣] أنَّ في قوله تعالى «وعبد الطاغوت» اثنتين[٤] وعشرين قراءة وتكلّم على توجيهها فيه، منها قراءة الحسن: وعبْد الطاغوتَ بإسكان الباء ونصب التاء، قال ابن عطية: أراد وعبداً، منوناً فحذف التنوين كما في قوله[٥]:

[من المتقارب]

[فـألفيتـه غيـر مُسْتَعْتِـبٍ] ولا ذاكـرَ الله إلا قليـلا

[انتهـى]. ولا وجـه لهـذا التخـريـج لأن «عبـداً» لا يمكـن أن ينصـب «الطاغوت» بوجه، إذ ليس بمصـدر ولا اسم فاعل. والتخريج الصحيح أن يكون تخفيفاً من عَبَد بفتح الباء. «أولئك» [١٥٦/أ] إشارة إلى الموصوفين باللعنة وما بعدها.

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ الآية، ضمير الغيبة في «جاؤوكم» لليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ وخاصة للمنافقين منهم، قاله ابن عباس وغيره. وضمير الخطاب في «جاؤوكم» يقوّي أن الخطاب في قوله «هل أنبّئكم» للمؤمنين. ونقول إن الجملة الاسمية الواقعة حالاً المصدّرة بضمير ذي الحال [المخبر عنه بفعل أو اسم يتحمل ضمير ذي الحال] آكد من الجملة الفعلية من جهة أنه يتكرر فيها المسند إليه فيصير نظير قوله: قام زيد [زيد]. ولما

---

(١) ق: كسمرة.

(٢) ق: صلات.

(٣) انظر ٣: ٥١٩.

(٤) ق: اثنين.

(٥) البيت لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص١٢٣.

كانوا[١] حين جاؤوا الرسولَ والمؤمنين قالوا آمنا متلبِّسينَ بالكفر كان ينبغي لهم أن [لا] يخرجوا بالكفر لأن رؤيةَ رسولِ الله ﷺ كافية في الإيمان؛ ألا ترى إلى قولِ بعضهم حين رأى رسولَ الله ﷺ قال: علمت أنَّ وجهه ليس بوجهِ كذَّاب، مع ما يظهر لهم منه من خوارقِ الآياتِ وباهرِ الدلالاتِ، فكان المناسب أنهم وإن كانوا دخلوا بالكفر أن لا يخرجوا به بل يخرجون بالرسولِ مؤمنينَ ظاهراً وباطناً، فأكَّدَ وصفهم بالكفرِ بأنْ كرر المسند إليه تنبيهاً على تحقُّقهم بالكفرِ وتماديهم عليه[٢] وأن رؤيته عليه السلام لم تُجْدِ عندهم ولم يتأثّروا لها.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ الآية، عامّ: من كفرهم ونفاقهم وتغيير صفة محمد ﷺ ونعته. وفي هذا مبالغةٌ في إفشاء ما كانوا يكتمونه من المكرِ بالمسلمينَ والعداوة، وأن قولهم «آمنا» خالَف ظاهرُ قولِهم باطنَهم.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ الآية، تحتمل «ترى» أن تكون بصريّة فيكون «يسارعون» صفة، وأن تكون علميّة فيكون مفعولاً ثانياً. والمسارعة الشروع بسرعة. و«الإثم» قيل الكذب، و«العدوان» الظلم. وليس حقيقة الإثم الكذب، إذ الإثم هو الحكم المتعلق بصاحب المعصية أو الإثم[٣] ما يختصّ بهم، والعدوان ما يتعدّاهم إلى غيرهم. و«السحت» تقدم الكلام عليه[٤].

﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ﴾ الآية، «لولا» تخصيصٌ يتضمن توبيخَ العلماء والعُبّاد على سكوتهم عن النهي عن معاصي الله تعالى والأمر بالمعروف.

---

(١) ق: كان.

(٢) ق: وتماديه عليهم.

(٣) ق: والإثم.

(٤) انظر تفسير الآية ٤٢ من هذه السورة.

وقال العلماء: ما في القرآن آية أشدّ توبيخاً منها للعلماء، وأنشد ابن المبارك في شعره[1]: [من المتقارب]

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآية، نزلت في فنحاص وفي ابن صوريا وعازر بن أبي عازر قالوا ذلك. ونُسب ذلك إلى اليهود لأن هؤلاء علماؤهم وهم أتباعهم في ذلك.

واليدُ في الجارحة حقيقة وفي غيرها مجازٌ فيراد بها النعمة والقوة والملك والقدرة. وظاهر قول اليهود أنّ لله تعالى يداً؛ فإنْ كانوا أرادوا الجارحةَ فهو يناسبُ مذهبهم إذ هو التجسّم. وظاهر مساق الآية يدلّ على أنهم أرادوا بغلّ اليد وبسطها المجاز عن البخل والجود ومنه قوله ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء].

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ خبرٌ وإيعادٌ واقع بهم في جهنم لا محالة، قال الحسن: أو

(١) البيت في القرطبي ٨: ١٢٠.

خبر عنهم في الدنيا جعلهم الله أبخل قوم قاله الزّجاج. ويظهر أنّ قولهم «يد الله مغلولة» استعارة[1] عن الإمساكِ من الإحسانِ الصادرِ عن المقهورِ على[2] الإمساك، ولذلك جاؤوا بلفظ «مغلولة» ولا يُغلّ إلا المقهور، فجاء قوله «غُلّت [١٥٦/ ب] أيديهم» دعاءً عليهم بغلِّ الأيدي، فهم في كل بلدٍ مع كلِّ أمةٍ مقهورون مغلوبون لا يستطيع أحدٌ منهم أنْ يستطيلَ ولا يستعلي، فهو استعارةٌ عن ذُلِّهم وقهرهم وأنَّ أيديهم لا تنبسط لدفع ضرٌّ نزلَ بهم، وذلك مقابلة عمّا تضمّنه قولهم «يد الله مغلولة». وليست هذه المقالة بدعاً منهم فقد قالوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ يحتمل أن يكون خبراً وأن يكون دعاءً. و«بما قالوا» يحتمل أن يكون يراد به مقالتهم هذه ويحتمل أن يكون عاماً فيما نسبوه إلى الله تعالى مما لا يجوزُ نِسْبتُه إليه، فتندرج هذه المقالةُ في عموم ما قالوا.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ معتقد أهل الحق أن الله تعالى ليس بجسم ولا جارحة له ولا يشبهه شيء من خلقه ولا يكيّف ولا يتحيّز ولا تحلّه الحوادث وكل هذا مقرر في علم أصول الدين. والجمهور على أن هذا استعارة عن جوده وإنعامه السابغ، وأضاف ذلك إلى اليدين جرياً على طريقة العرب في قولهم: فلان ينفق بكلتا يديه ومنه قول الشاعر[3]: [من الطويل]

يـداك يـدا مجدٍ فكفٌّ مفيـدةٌ   وكفٌّ إذا ما ضُنَّ بالمالِ تنفق

ويؤيّد أنَّ اليدين هنا بمعنى الإنعام قرينة الإنفاق، ومَنْ نظر في كلام

(١) ق: أنه استعارة.

(٢) ق: عن.

(٣) البيت للأعشى في ديوانه ص٢٦١.

العرب أدنى نظرٍ عرفَ يقيناً أنّ بسطَ اليد وقبضها استعارة للجود والبخل.

﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ تأكيد للوصف بالسخاء وأنه لا ينفق إلا على ما تقتضيه مشيئته. ولا موضع لقوله «ينفق» من الإعراب إذ هي جملة مستأنفة. قال الحوفي: «كيف» سؤال عنْ حال وهي نصب بيشاء انتهى. ولا يُعقل هنا كونها سؤالاً عن حالٍ بل هي في معنى الشرط كما تقول: كيف تكون أكون. ومفعول «يشاء» محذوف، وجواب «كيف» محذوف يدل عليه «ينفق» المتقدم كما يدلّ في قولك: أقوم إن قام زيد، على جواب الشرط، والتقدير: [ينفق] كيف يشاء أن ينفق [ينفق]، كما تقول: كيف تشاء أن أضربك [أضربك]. ولا يجوز أن يعمل في «كيف» «ينفق»، لأن اسم الشرط لا يعمل فيه ما قبله إلا إن كان جاراً فقد يعمل في بعض أسماء الشرط، ونظير ذلك قوله تعالى ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم].

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا﴾ [ذكَرَ «كثيراً»] لأنَّ منهم مَنْ آمن كعبد الله بن سلام.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ قيل: الضمير في «بينهم» عائد على اليهود والنصارى لأنه جرى ذكرهم في قوله ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة] ولشمول قوله ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة] للفريقين وهذا قول الحسن وغيره. وقيل هو عائد على اليهود إذ فيهم جبرية وقدريّة ومشبّهة وموحّدة، وكذلك فرق النصارى كالملكانية واليعقوبية والنسطورية.

والذي يظهر أن المعنى: لا يزالون متباغضينَ متعادينَ[1] فلا يمكن اجتماعُ كلمتهم على قتالك ولا يقدرون على حربك ولا يصلون إليك ولا إلى أتباعك. وفي ذلك إخبارٌ بالغيب وهو أنه لم يجتمع لحربِ المسلمين جيشًا

---

(١) ق: متساعدين.

يهودٍ ونصارى منذ كان الإسلامُ إلى هذا الوقت.

﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا﴾ قال الجمهور: هو استعارة، وإيقاد النار عبارة عن إظهارِ الحقدِ والكيد والمكر بالمؤمنين والاغتيالِ والقتال، وإطفاؤها صَرْفُ الله عنهم ذلك وتفريق آرائهم وحلّ عزائمهم وتفريق كلمتهم وإلقاء الرعب في قلوبهم، لا يرون محاربة أحد إلا غُلبوا وقُهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد.

﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾ [١٥٧/أ] الظاهر أنه يراد به العمل والفعل، أي: يجتهدون في الكيدِ للإسلامِ ومحو[١] ذِكْرِ الرسولِ من كتبهم. و«الأرض» يجوز أن يراد بها الجنس أو أرض الحجاز فتكون أل فيه للعهد.

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ[٢] وَٱتَّقَوۡاْ﴾ الآية، قيل: المراد أسلافهم ودخل فيها المعاصرون بالمعنى. والغرض الإخبار عن أولئك الذين أطفأ الله نيرانهم وأذلّهم بمعاصيهم، والذي يظهر أنهم معاصرو رسولِ الله ﷺ، وفي ذلك ترغيبٌ لهم في الدخول في الإسلام. وذكر شيئين هما الإيمان والتقوى ورتَّبَ عليهما شيئين وهما: قابل الإيمانَ بتكفيرِ السيئاتِ إذِ الإسلامُ يجبُّ ما قبله، ورتَّب على التقوى - وهي امتثال الأوامر واجتناب المناهي - دخول جنة النعيم. وأضاف الجنةَ إلى النعيمِ تنبيهاً على ما كانوا يستحقّونه من العذاب لو لم يؤمنوا ويتقوا. و«أنّ» في قوله «ولو أن أهل الكتاب» حرف مصدري ينسبك منه مع ما بعده مصدر، فقيل يرتفع على الفاعلية،

---

(١) ق: ونحو.

(٢) ق: أنهم آمنوا.

التقدير: لو ثبت إيمانهم وتقواهم لكفّرنا عنهم. وقيل هو مبتدأ والخبر محذوف [التقدير]: لو إيمانهم وتقواهم موجودان لكفّرنا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ الآية، هذا استدعاءٌ لإيمانهم وتنبيه لهم على اتباعِ ما في كتبهم وترغيب في عاجلِ الدنيا وبسط الرزق عليهم فيها، إذْ أكثر ما في التوراة من الموعودِ به على الطاعاتِ هو الإحسان إليهم في الدنيا. ولمّا رغّبهم في الآية قَبْلُ في موعودِ الآخرة من تكفيرِ السيئات وإدخالهم الجنة - رغَّبهم في هذه الآية في موعودِ الدنيا ليجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة. وكان تقديم موعود الآخرة أهمّ لأنه هو الدائم الباقي والذي به النجاة السرمدية والنعيم الذي لا ينقضي.

ومعنى إقامة التوراة والإنجيل هو إظهارُ ما انطوتْ عليه من الأحكامِ والتبشير برسولِ الله ﷺ والأمر باتّباعه، فهو كقولهم: أقاموا السوق أي: حرّكوها وأظهروها وذلك تشبيهٌ بالقائم من الناس إذ هي أَظهرُ هيئته. وفي قوله «والإنجيل» دليلٌ على دخول النصارى في لفظ «أهل الكتاب».

وظاهر قوله ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ العموم في الكتب الإلهية مثل كتاب أشعيا وكتاب دانيال فإنها مملوءةٌ من البشارةِ بمبعثِ رسولِ الله ﷺ، وقيل «ما أنزل إليهم من ربهم» هو القرآن.

وظاهرُ قوله ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ أنه استعارة عن سبوغ النعم عليهم وتوسعة الرزق عليهم كما يقال: قد عَمَّهُ الرزقُ من فَرْقهِ إلى قدميه ولا فوق ولا تحت. وقال ابن عباس وغيره: لأعطتهم السماء مطرها وبركتها والأرض نباتها كقوله تعالى ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ الضمير في «منهم» يعود على أهل الكتاب. والأمّةُ هنا يُرادُ بها الجماعةُ القليلة للمقابلة لها بقوله «وكثير». والاقتصاد من القصدِ وهو الاعتدالُ وهو افتعل بمعنى اعتمل واكتسب، أي كانت أولاً جائرة ثم اقتصدت. وقيل هم مؤمنو الفريقين كعبد الله بن سلاّم وأصحابه وثمانية وأربعين[1] من النصارى، واقتصادهم هو الإيمان بالله تعالى.

﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ هذا تنوّع في التفصيل؛ والجملة الأولى جاءت «منهم أمة مقتصدة» جاء الخبر الجار والمجرور و«مقتصدة» وصف، والجملة الثانية جاء فيها الوصف الجار والمجرور والخبر الجملة من قوله «ساء ما يعملون».

وبين التركيبين تفاوتٌ غريب من حيث المعنى وذلك أن الاقتصادَ جُعل وصفاً والوصفُ ألزمُ للموصوفِ من الخبر، فأتى في الطائفة الممدوحة بالوصف اللازم وأخبر عنها بقوله «منهم»، والخبر ليس من شأنه اللزوم ولا سيّما هنا [١٥٧/ب] فأخبر عنهم بأنهم من أهل الكتاب في الأصل ثم قد تزول هذه النسبة بالإسلام فيكون التعبير عنهم والإخبار بأنهم منهم باعتبار الحالة الماضية.

وأما في الجملة الثانية فإنهم منهم حقيقةً لأنهم كفّار فجاء[2] الوصف بالألزم ولم يجعل خبراً، أو جُعل خبراً للجملة التي هي «ساء ما يعملون» لأن الخبر ليس من شأنه اللزوم، فهم بصدد أن يسلم ناس منهم فيزول عنهم الإخبار بمضمون هذه الجملة.

---

(١) ق: وأربعون.

(٢) ق: في.

واختار الزمخشري في «ساء» أن تكون التي لا تتصرف قال[1]: فيه معنى التعجب كأنه قيل: [وكثير منهم] ما أسوأ عملهم. ولم يذكر غير هذا الوجه. واختار ابن عطية أن تكون المتصرّفة، تقول: ساء الأمر يسوء. وأجاز أن تكون غير المتصرفة فتستعمل استعمال نعم وبئس كقوله تعالى ﴿سَآءَ مَثَلًا ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف] فالمتصرفة تحتاج إلى تقدير مفعول أي: ساء ما كانوا يعملون بالمؤمنين[2]، وغير المتصرفة تحتاج إلى تقدير تمييز أي ساء عملاً ما كانوا يعملون انتهى.

فإذا كانت «ساء» للتعجب كان وزنها فَعُل كما نقول: قَضُوَ الرجل أي ما أقضاه، وكذلك يكون وزنها فَعِل إذا كانت من باب نعم وبئس[3]، وإذا كانت متصرفة ومتعدّية كان وزنها فعَل بفتح العين. ويجوز في «ما» أيضاً أن تكون مصدرية أي ساء عملهم، وأن تكون موصولة بمعنى الذي ويكون التقدير: ما يعملونه، وحذف الضمير العائد على الموصول.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ

(١) الكشاف ١: ٦٣٠.

(٢) ق: المؤمنين.

(٣) انظر الكتاب ٢: ١٧٩.

أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ هذا نداءٌ بالصفة الشريفة التي هي أشرف أوصاف الجنس الإنساني، وأمرٌ بتبليغ ما أُنزل إليه، وهو عليه السلام قد بلّغ ما أُنزل إليه فهو أمرٌ بالديمومة.

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ بتبليغِ ما أنزلَ إليك. وظاهر هذا الجواب لا ينافي الشرط إذ صار المعنى: وإن لم تفعل لم تفعل. والجواب لا بدّ أن يغاير الشرط حتى يترتّب عليه فقال الزمخشري[1]: المراد: وإن لم تفعل نالك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب، فوضع السبب موضع المسبّب، ويعضده قوله عليه السلام: «فأوحى الله إليّ إن لم تبلّغ رسالتي عذّبتك» انتهى. وقال ابن عطية: أي إن تركتَ شيئاً فكأنك قد تركت الكلّ وصار ما بلّغت غير معتدٌّ به. فمعنى «وإن لم تفعل» وإن لم تستوف.

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قال محمد بن كعب: نزلت بسببِ الأعرابيِّ الذي اخترطَ سيفَ النبيِّ ﷺ ليقتله انتهى، وهو غورث بن الحارث وذلك في غزوة ذات الرقاع[2]. وهذه الآيةُ نزلت بالمدينة والرسولُ ﷺ بها مقيم سهر ليلة وحرسه سعد وحذيفة فنام حتى غطَّ فنزلت، فأخرج إليهما رأسه من قبّة أدم وقال: انصرفوا أيها الناسُ فقد عصمني اللهُ لا أبالي مَنْ نصرني ومَنْ

---

(١) الكشاف ١ : ٦٣٠. وفيه: فلك ما يوجبه.

(٢) انظر حديث جابر في صحيح مسلم ١ : ٥٧٦.

خذلني. أصل هذا الحديث في صحيح مسلم[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى﴾ أي: من قضى عليه بالكفر والموافاة عليه، أي لا يهديه الله أبداً. فليس لفظ «الكافرين» على عمومه لأنه قد وُجد كفّار وقد هداهم الله تعالى.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال رافع بن حارثة وغيره: يا محمد ألستَ تزعمُ أنك على ملّة إبراهيم وأنك تؤمنُ بالتوراةِ وبنبوّة موسى وأن ذلك حق؟ قال: بلى ولكن أحدثتم وغيّرتم وكتمتم. فقالوا: إنّا نأخذ بما في أيدينا فإنه الحق ولا نصدقك ولا نتبعك فنزلت[٢]. وتقدم الكلام على إقامة التوراة والإنجيل و«ما أنزل»[٣] فأغنى عن إعادته. ونَفْي أنْ يكونوا[٤] على شيءٍ جعل ما هم عليه عَدَماً صِرْفاً لفساده وبطلانه فنفاه من أصله، أو لاحظ [فيه] صفة محذوفة أي على شيء يُعتدّ به، فيتوجّه النفي إلى الصفة دون الموصوف. والضمير في «تقيموا» عائد على أهل الكتاب [١٥٨/أ] من اليهود والنصارى، وقيل جمع الضمير والمقصود التفصيل أي: حتى يقيم أهلُ التوراةِ التوراةَ ويقيم أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ. ولا يحتاج إلى ذلك إنْ أُريدَ ما في الكتابين من التوحيدِ فإنَّ الشرائع فيه متساوية.

﴿فَلَا تَأۡسَ﴾ أي: لا تحزن عليهم فأقام الظاهر مقام المضمر تنبيهاً على العلّة الموجبة لعدم التأسّف وهي الفسق، أو هو عام فيندرجون فيه.

---

(١) انظر ٤: ١٨٧٥، وأخرجه الترمذي ٥: ٢٥١ من حديث عائشة وقال: حديث غريب.

(٢) انظر جامع البيان ٦: ٢٠٠.

(٣) في تفسير الآية ٦٦.

(٤) ق: يكون.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الآية، تقدم الكلام على نظيرها[١]. وقرأ أبيّ وعثمان وغيرهما: والصابئين منصوباً عطفاً على اسم إنّ وما بعدها، قال الزمخشري[٢]: وبه قرأ ابن كثير انتهى، وليس ذلك مشهوراً عن ابن كثير. وقرأ القراء السبعة: والصابئون بالرفع، ووُجّه ذلك على وجوه منها مذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة أنه مرفوع بالابتداء وهو منويّ به التأخير ونظيره: إن زيداً وعمرو قائم، التقدير: إنّ زيداً قائم وعمرو قائم، فحذف خبر عمرو لدلالة خبر إنّ عليه، والنية بقوله: وعمرو التأخير، ويكون «وعمرو قائم» بخبره هذا المقدّر معطوفاً على الجملة من: إنّ زيداً قائم، وكلاهما لا موضع له من الإعراب. الوجه الثاني أنه معطوف على موضع اسم إنّ، لأنه قبل دخول إنّ كان في موضع رفع فَروعِيَ هذا الموضع، وهذا مذهب الكسائي والفراء. ودلائل هذه المسألة مقررة في علم النحو.

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا ﴾ الآية، هذا إخبارٌ بما صدر من أسلافِ اليهود من نقضِ الميثاقِ الذي أخذه تعالى عليهم وما اجترحوهُ من الجرائمِ العِظام من تكذيبِ الأنبياء وقتل بعضهم. والذين بحضرةِ رسولِ الله ﷺ أخلافُ أولئك، فغير بِدْعٍ ما يصدرُ منهم للرسولِ عليه السلام من الأذى والعصيان إذ ذلك شنشنة من أسلافهم.

﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ ﴾ الآية، تقدم تفسير نظيرها في البقرة[٣]، وقال الزمخشري هنا[٤]: فإن قلت: أين جواب الشرط؟ فإن قوله «فريقا كذبوا

---

(١) انظر تفسير الآية ٦٢ من البقرة.

(٢) الكشاف ١ : ٦٣٣.

(٣) الآية ٨٧.

(٤) الكشاف ١ : ٦٣٣.

وفريقا يقتلون» نابَ عن الجوابِ، لأنَّ الرسولَ الواحد لا يكون فريقين، ولأنه لا يحسن أنْ تقول: إن أكرمتَ أخي أخاك أكرمتُ؟ قلت: هو محذوف ودلّ عليه قوله «فريقاً كذّبوا وفريقاً يقتلون» كأنه قيل: كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه.

وقوله ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ جواب مستأنف لقائل يقول: كيف فعلوا برسلهم؟ انتهى.

وقوله «فإن قلت: أين جواب الشرط» سمّى قوله «كلما جاءهم رسول» شرطاً وليس بشرط، بل «كلّ» منصوبة[1] على الظرف لإضافتها إلى المصدر المنسبك من ما المصدرية الظرفية، والعامل فيها هو ما يأتي بعد ما المذكورة وصلتها من الفعل، كقوله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ ﴿٥٦﴾﴾ [النساء] وقوله تعالى ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ ﴿٨﴾﴾ [الملك][2]. واجتمعت العرب على أنه لا يجزم بكلما.

وعلى تسليم تسميته شرطاً فذِكْر أنّ قوله «فريقاً كذبوا» ينبو عن الجواب لوجهين: أحدهما: قوله «لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين» وليس كما ذكر لأن الرسول في هذا التركيب لا يراد به الواحد بل المراد الجنس، ألا ترى أنك إذا قلت: لا أصحبك ما طلع نجم، لا يراد به واحد بل يراد به الجنس وأي نجم طلع. وإن كان المراد به الجنس انقسم إلى الفريقين: فريق كذّب وفريق قتل.

والوجه الثاني قوله «ولأنه لا يحسن أن تقول: إن أكرمت أخي أخاك

---

(١) ق: منصوب.

(٢) وفي ق: فوج سمعوا.

أكرمت» يعني أنه لا يجوز تقديم منصوب فعل الجواب عليه، وليس كما ذكر بل مذهب البصريين والكسائي أن ذلك جائز حسن ولم يمنعه إلا الفرّاء وحده. وهذا كله على تقدير تسليم أنّ «كلما» شرط، وإلا فلا يلزم أن يعتذر بهذا بل يجوز تقديم [١٥٨/ب] منصوب الفعل العامل في «كلما» عليه فتقول: كلما جئتني أخاك أكرمت، وعموم نصوص النحويين على ذلك لأنهم حين حصروا ما يجب تقديم المفعول به على العامل وحصروا ما يجب تأخيره عنه [قالوا: وما سوى ذلك يجوز فيه التقديم على العامل والتأخير عنه] ولم يستثنوا هذه الصورة ولا ذكروا فيها خلافاً.

فعلى هذا الذي قررناه يكون العامل في «كلما» قوله «كذّبوا» وما عطف عليه، ولا يكون محذوفاً. وقال الحوفي وابن عطية: «كلما» ظرف والعامل فيه «كذّبوا». وقال أبو البقاء: «كذبوا» جواب «كلما» انتهى.

وجاء بلفظ «يقتلون» على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها، قاله الزمخشري(١). ويحسن مجيئه كونه رأس آية، والمعنى أنهم كذبوا فريقاً فقط وقتلوا فريقاً ولا يقتلونه إلا مع التكذيب فاكتفى بذكر القتل عن ذكر التكذيب، أي اقتصر ناس على تكذيب فريق وزاد ناس على التكذيب القتلَ.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ قال ابن الأنباري: نزلت في قوم كانوا على الكفر قبل البعثة، فلما بعث رسول الله ﷺ كذبوه بغياً وحسداً، ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ بمجانبة الحق، ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: عرضوا للتوبة بإرسال الرسل وإن لم يتوبوا، ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ لأنهم كلهم لم يجمعوا

---

(١) الكشاف ١: ٦٣٣.

على خلافه انتهى. وقرىء: أن لا تكون بنصب النون بأن، وقرىء برفعها على أنّ «أن» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الأمر محذوف تقديره: أنه لا تكون، «ولا تكون» جملة في موضع خبر أنْ. وفي كلتا[1] القراءتين نابت مناب مفعولي حسب. «فعموا» عن النظر في دلائل الحق. «وصمّوا» عن سماع الآيات الإلهية. «ثم تاب الله عليهم» ببعثة عيسى عليه السلام ثم بمحمد ﷺ فاتّبع ناس منهم عيسى عليه السلام ومحمداً عليه السلام. و«كثير» بدل من الضمير في «صمّوا» أو «عموا» لأن فيهم من آمن بالنّبيّين المذكورين.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ تقدم شرح هذه الجملة مستوفى في أول

(١) ق: كلا.

السورة[1].

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ﴾ الآية، ردّ تعالى عليهم مقالتهم بقول من يدعون الألوهيّة فيه وهو عيسى أنه لا فرقَ بينه وبينهم في أنهم كلّهم مربوبون، وأمرهم بإخلاصِ العبادةِ له، ونبّه على الوصفِ الموجبِ للعبادةِ وهو الربوبية، وفي ذلك أعظمُ دليلٍ عليهم في فسادِ دَعواهم وهو أنَّ الذي يُعظِّمونه ويرفعون قَدْره عمّا ليس له يردّ عليهم مقالتهم. وهذا الذي ذكره تعالى منه هو مذكورٌ في إنجيلهم يقرؤونه ولا يعملون به وهو قول المسيح: يا معشر بني المعمودية، وفي رواية: يا معشر الشعوب، قوموا بنا إلى أبي وأبيكم وإلٰهي وإلٰهكم ومُخلِّصي ومخلّصكم.

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ الظاهرُ أنه من كلامِ المسيح فهو داخل تحت القول وفيه أعظم ردعٍ منه عن عبادته إذ أخبر بأنه مَنْ عبدَ غيرَ الله تعالى منعهُ الله دار من أفرده بالعبادة وجعل مأواه النار، إنَّ الله لا يغفر أن يُشرك به. وقيل هو من كلام الله تعالى مستأنف، أخبر بذلك على سبيل الوعيد والتهديد.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ظاهره أنه من كلام عيسى عليه السلام، أخبرهم أنه مَنْ تجاوزَ ووضع الشيء غير موضعه فلا ناصرَ له ولا مساعد فيما افترى وتقوّل، وفي ذلك ردعٌ لهم عمّا انتحلوه في حقه من دعوى أنه إلٰه وأن ذلك ظلم إذْ جعلوا ما هو مستحيل في [١٥٩/أ] العقل واجباً وقوعه، أو فلا ناصر له ولا مُنجي من عذاب الله في الآخرة. ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى أخبر أنهم ظلموا وعدلوا عن الحق في أمر عيسى

(١) انظر شرح الآية ١٧.

وتقوّلهم عليه فلا ناصرَ لهم[١].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ هؤلاء هم المَلَكية من النصارى القائلون بالتثليث. وظاهر قوله «ثالث ثلاثة» أحد آلهة ثلاثة، قال المفسرون: أرادوا بذلك أنَّ الله تعالى وعيسى وأمّه [آلهة] ثلاثة، ويؤكده ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة] ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن] ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام] ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون][٢].

وحكى المتكلمون عن النصارى أنهم يقولون: جوهرٌ واحد ثلاثة أقانيم أب وأم وروح قدس وهذه الثلاثة إلهٌ واحد كما أنَّ الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة وعَنَوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة، وأثبتوا الذاتَ والكلمةَ والحياة، وقالوا إنَّ الكلمةَ التي هي كلام الله اختلطتْ بجسدِ عيسى اختلاطَ الماءِ بالخمر أو اختلاط اللبن بالماء، وزعموا أنَّ الأبَ إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد. وهذا معلومُ البطلان ببديهةِ العقلِ أنَّ الثلاثة لا تكون واحداً وأنَّ الواحد لا يكون ثلاثة. ولا يجوز في العربية في «ثالث ثلاثة» إلا الإضافة لأنك لا تقول: ثلّثت الثلاثة[٣]، وأجاز النصب[٤] أحمد بن يحيى ثعلب وردّوه عليه.

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ومعناه لا يكون إله في الوجود إلا متّصفاً بالوحدانية، وأكّد ذلك بزيادة «مِن» الاستغراقية وحصر إلهيّته في صفة

---

(١) ق: له.

(٢) وفي ق: ما اتخذ الله صاحبة.

(٣) بل تقول: ربّعت الثلاثة، أي صيّرتهم بك أربعة.

(٤) أي في الذي يلي اسم الفاعل الموافق له في اللفظ.

الوحدانية. و«إلهٌ» رفع على البدل من «إلهٍ» على الموضع، وأجاز الكسائي إتباعه على اللفظ فيجرّ، لأنه يجيز زيادة مِن في الواجب. والتقدير: وما إلهٌ في الوجود إلا إلهٌ واحد [أي] موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله تعالى.

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟﴾ قبل «إنْ» قسم محذوف، والأكثر مجيء اللام الموطئة لجواب القسم المحذوف كقوله تعالى ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون]، وقد تُحذف اللام فيكون التقدير: لئن لم ينتهوا، كما حُذفتْ في قوله ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف]. و«ما» في قوله «عما يقولون» [مصدرية] أي عن قولهم، أو موصولة تقديره: عن الذي يقولونه، وحذف الضمير العائد على ما.

و﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ﴾ اللام فيه جواب قسم محذوف قبل أداة الشرط، وأكثر ما يجيءُ هذا التركيب وقد صحبتْ «إنْ» اللام المؤذنة بالقسم المحذوف كقوله تعالى ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب]. ومعنى «الذين[1] كفروا» الذين ثَبَتُوا على هذا الاعتقادِ فأقام الظاهر مقام المضمر إذ كان الربط يحصل بقوله: ليمسنهم[2]، لتكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله «لقد كفر الذين»، والإعلام بأنهم كانوا بمكان من الكفر إذ جعل الفعل في صلة «الذين» وهي تقتضي كونها معلومة للسامع مفروغاً من ثبوتها واستقرارها لهم. ومِنْ في «منهم» للتبعيض أي كائناً منهم، والربط حاصل بالضمير وكأنه قيل: كافرهم وليسوا كلهم بقوا على الكفر بل قد تاب كثير منهم عن[3] النصرانية. ومن أثبت أن تكون مِنْ

---

(١) ق: والذين.

(٢) ق: وليمسنّهم.

(٣) ق: من.

لبيان الجنس أجاز ذلك.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هذا لطفٌ بهم [١٥٩/ب] واستدعاء إلى التنصّل من تلك المقالة الشنعاء بعد أن كرّر عليهم الشهادة بالكفر. والفاء في «أفلا» للعطف، حجزت بين همزة الاستفهام ولا النافية والتقدير: فألا. وقال ابن عطية: رفق تعالى بهم بتحضيضه إياهم على التوبة وطلب المغفرة انتهى. وما ذكره[1] من الحثّ والتحضيض على التوبة هو من حيث المعنى لا من [حيث] مدلول اللفظ، لأن [مدلول] «أفلا» غير مدلول ألا التي للحضّ والحثّ.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ﴾ الآية، لما ردّ على النصارى قولهم الأول بقول المسيح «اعبدوا الله ربي وربكم»[2] والثاني بقوله «وما من إله إلا إله واحد»[3] [المائدة] أثبت له الرسالة بصورة الحصر، أي: ما المسيحُ بن مريم شيءٌ مما تدّعيه النصارى من كونهِ إلهاً وكونه أحد آلهةٍ ثلاثة، بل هو رسول من جنس الرسل الذين خلوا وتقدموا، جاء بآياتٍ من عند الله تعالى.

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ هذا البناء من أبنية المبالغة، والأظهر أنه من الثلاثي المجرّد نحو: سِكّير من سَكِرَ. ويجوز أن يكون بناءً من صدَّق لقوله تعالى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا ﴿١٢﴾﴾ [التحريم] كما قيل في أبي بكر رضي الله عنه الصدّيق.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ هذا تنبيهٌ على سمة الحدوثِ وتبعيد عن

---

(١) ق: ذكروه.

(٢) الآية ٧٢ السابقة.

(٣) الآية ٧٣.

اعتقاد ما اعتقدته النصارى فيهما[١] من الإلهيّة؛ لأنَّ مَن احتاجَ إلى الطعام وما يتبعه من العوارض لم يكن إلا جسماً مركّباً من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وغير ذلك، وهو ممّا يدلّ على أنه مصنوع مؤلّف مدبّر كغيره من الأجسام.

﴿ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ﴾ أي الإعلام من الأدلّة الظاهرة على بطلان ما اعتقدوه. وهذا أمرٌ للنبيّ ﷺ وفي ضمن ذلك الأمر لأمّته [بالنظر] في ضلال هؤلاء وبُعدهم عن قبول ما نُبّهوا عليه.

﴿ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ كرّر الأمر بالنظر لاختلاف المتعلق؛ لأن الأول أمرٌ [بالنظر] في كونه تعالى أوضح لهم الآيات وبيّنها بحيث لا يقع معها لبس، والأمر الثاني هو بالنظر في كونهم يصرفون عن استماع الحق وتأمّله، أو في كونهم يقلبون ما بيّن لهم إلى الضدّ منه، وهذان أمرا تعجيبٍ. ودخلت «ثم» لتراخي ما بين العجبين وكأنه يقضي العجب من توضيح الآيات وتبيينها، ثم تنظر في حال من بيّنت له فترى إعراضهم عن الآيات أعجب من توضيحها، لأنه يلزم من تبيينها تبيُّنها لهم والرجوع إليها[٢] فكونهم أفكوا عنها أعجب.

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية، لما كان إشراكهم بالله تضمن القول والاعتقاد جاء الختم بقوله «وهو السميع» أي: لأقوالكم العليم باعتقادكم وما انطوتْ عليه نِيّاتكم. وفي الإخبار عنه تعالى بهاتين الصفتين تهديد ووعيد على ما يقولونه ويعتقدونه. وتضمّنت الآيةُ الإنكار عليهم حيث عبدوا مِن

(١) ق: فيما.

(٢) ق: إليهم.

دونه مَن هو مُتَّصفٌ بالعجزِ عن دفع ضرٍّ أو جلب نفع. قيل: ومن مرّت عليه مدد لا يسمع فيها ولا يعلم [لجدير أن لا يُعبد، كيف وقد تركوا عبادة] القادر على الإطلاق السميع للأصوات العليم بالنّيات.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟﴾ ظاهره نداء أهل الكتاب الحاضرين زمان رسول الله ﷺ، ويتناول من جاء بعدهم. ولما سبق القول في أباطيل اليهود وتُلي بأباطيلِ النصارى جُمع الفريقان في النهي عن الغُلوّ في الدين [١٦٠/أ]. وانتصب «غير الحق» [على معنى: غُلُوًّ غير الحق] وهو الغلوّ الباطل. وليس المراد هنا بالدين ما هُمْ عليه، بل المراد الدين الحق الذي جاء به موسى وعيسى عليهما السلام.

ومن غلوِّ اليهود إنكارُ نبوّةِ عيسى وادّعاؤهم فيه لِغِيَّةٍ[1]، ومن غلوِّ النصارى ما تقدّم من اعتقادِ بعضهم فيه أنه الله، وبعضهم أنه أحد آلهة ثلاثة.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ﴾ الآية، هؤلاء القوم هم أسلاف اليهود والنصارى ضلّوا في أنفسهم وأضلّوا غيرهم كثيراً. ثم عيّن ما ضلّوا عنه وهو السبيل السويّ المتوسّط في الدين. وتخصيص ابن عطية والزمخشري عموم أهل الكتاب بالنصارى خروج عن الظاهر وهو العموم، من غير داعية إلى ذلك. ويؤيد العموم قوله بعد ذلك «على لسان داود وعيسى ابن مريم» داود بالنسبة إلى اليهود وعيسى بالنسبة إلى النصارى.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ

(١) يقال: هو ولد غيّة: أي ولد زِنْية.

يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية، قال ابن عباس: لُعِنُوا بكل لسان: لعنوا على عهد موسى في التوراة وعلى عهد داود في الزبور وعلى عهد عيسى في الإنجيل وعلى عهد رسول الله ﷺ في القرآن. و«لُعن» مبني للمفعول حُذف فاعله فيجوز أن يكون الله تعالى ويجوز أنْ يكون الفاعل غيره تعالى كالأنبياء. والأفصح أنه إذا فرّق متضمّن الجزأين[1] اختير لفظ الإفراد على لفظ التثنية وعلى لفظ الجمع فلذلك جاء «على لسان» مفرداً[2] ولم يأت: على لسانَيْ داود وعيسى، ولا: على ألْسن داود وعيسى. فلو كان المتضمنان غير مفرّقين اختير لفظ الجمع على التثنية وعلى الإفراد نحو قوله تعالى ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿٤﴾﴾ [التحريم]. والمرادُ باللسانِ هنا الجارحةُ لا اللغة أي: أن الناطق بلعنهم هو لسان داود وعيسى.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ أي: ذلك اللعن كائن بسبب عصيانهم، وذكر على سبيل التوكيد وإلاّ فقد فُهم سبب اللعنة بإسنادها إلى من تعلّق بهذا الوصف الدالّ على العِلّية وهو «الذين كفروا» كما تقول: رُجم الزاني، فيُعلم أنَّ الرجم سببه الزنى، كذلك اللعن سببه الكفر ولكن أُكّد بذكره ثانية في قوله تعالى «ذلك بما عَصَوْا». و«ما» مصدرية في قوله «بما عصوا» أي: بعصيانهم. «وكانوا» يجوز أن يكون معطوفاً على «عصوا» فيكون داخلاً في صلة «ما» أي: بعصيانهم [وكونهم]، ويجوز أن يكون إخباراً من الله تعالى

---

(١) ق: الحرفين.

(٢) ق: مفرد.

أن شأنهم الاعتداء.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ ظاهره التفاعل بمعنى الاشتراك أي لا ينهى بعضهم بعضاً وذلك أنهم جمعوا بين فعل المنكر والتجاهر به وعدم النهي عنه. والمعصية [إذا فُعلت] وقُدّرت على العبد ينبغي أن يستتر بها. «من ابتلي منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر»(١). فإذا فُعلت جهاراً وتواطؤاً على عدم الإنكار كان ذلك تحريضاً على فِعْلها وسبباً مثيراً لإفشائها.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ عود الضمير في «منهم» على بني إسرائيل. فقال مقاتل: «كثيراً منهم» هم مَنْ كان بحضرةِ رسولِ الله ﷺ يتولون الكفار وعَبَدَةَ الأصنامِ، والمراد كعب بن الأشرف وأصحابه الذين استجاشوا المشركين على رسول الله ﷺ، وعلى هذا تكون رأى بصرية، ويحتمل أن تكون من رؤية القلب.

﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزمخشري(٢) [في قوله] «أن سخط» إنّه المخصوص بالذم ومحلّه الرفع كأنه قيل: لبئس زادهم إلى الآخرة سخط [الله] عليهم، والمعنى موجب سخط الله عليهم انتهى.

ولا يصحّ هذا الإعراب إلاّ على مذهب الفرّاء والفارسي في أن «ما» [١٦٠/ب] موصولة، أو على مذهب مَنْ جعل في «بئس» ضميراً وجعل «ما» تمييزاً بمعنى شيئاً و«قَدّمتْ» صفة للتمييز.

وأما على مذهب سيبويه فلا يستوي ذلك لأن «ما» عنده اسم تام معرفة بمعنى الشيء، والجملة بعده صفة للمخصوص المحذوف، والتقدير: لبئس

---

(١) رواه مالك في الموطأ ٢: ٨٢٥ من حديث زيد بن أسلم.

(٢) الكشاف ١: ٦٣٧.

الشيء شيء قدّمت لهم أنفسهم، فيكون على هذا «أن سخط» في موضع رفع على البدل من المخصوص المحذوف، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هو أن سخط.

وقال ابن عطية: و«أن سخط» في موضع رفع بدل من «ما» انتهى. ولا يصحّ هذا سواء كانت «ما» موصولة أم تامة لأن البدل يحلّ محلّ المبدل منه، و«أن سخط» لا يجوز أن يكون فاعلاً لبئس، لأن فاعل بئس ونعم لا يكون أن والفعل. وقيل «أن سخط» في موضع نصب بدلاً من الضمير المحذوف في «قدّمتْ» أي قدّمته كما تقول: الذي ضربتُ زيداً أخوك، تريد: ضربتُه زيداً. وقيل على إسقاط اللام أي لأن سخط.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ الآية، إن كان المراد بقوله «ترى كثيراً منهم» أسلافهم، فالنبي داود وعيسى، أو معاصري رسول الله ﷺ فهو[1] النبي عليه السلام و«الذين كفروا» عبدة الأوثان. والمعنى: لو كانوا مؤمنين إيماناً خالصاً غير نفاق إذ موالاة الكفار دليل على النفاق. والظاهر في ضمير «كانوا» وضمير الفاعل في «ما اتخذوهم» أنه يعود على «كثيراً منهم»، وفي ضمير المفعول أنه يعود على «الذين كفروا». وقال القفال وجهاً آخر وهو أن يكون المعنى: ولو كان هؤلاء المتولّون من المشركين يؤمنون بالله وبمحمد ﷺ ما اتخذهم[2] هؤلاء اليهود أولياء. والوجه الأول أولى لأن الحديث إنما هو عن قوله «كثيراً منهم»، فَعَوْد الضمائر على نسق واحد أولى من اختلافها. وجاء جواب «لو» منفياً بغير لام وهو الأفصح، ودخول اللام عليه

(١) ق: وهو.

(٢) ق: اتخذوهم.

قليل نحو قول الشاعر[١]: [من البسيط]

لو أنّ بالعلم تُعطَى ما تعيش به   لما ظفرت من الدنيا بنقرون

﴿ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ خصّ الكثير بالفسق إذ منهم قليل قد آمن، والمخبر عنهم أولاً هو الكثير، والضمائر بعده له. وليس المعنى: ولكن كثيراً من ذلك الكثير، ولكنّه لمّا طال أعيد بلفظه، وكان من وضع الظاهر موضع الضمير إذ[٢] كان السياق يكون: ما اتخذوهم أولياء ولكنهم فاسقون، فوضع الظاهر موضع الضمير.

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾.

﴿ لَتَجِدَنَّ ﴾ قال قتادة: نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة ممّا جاء به عيسى عليه السلام آمنوا برسول الله ﷺ فأثنى الله عليهم، قيل هو النجاشي وأصحابه تلا عليهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حين هاجر إلى الحبشة سورة مريم فآمنوا وفاضت أعينهم من الدمع. وظاهر «اليهود»

---

(١) لم أجده، وانظر البحر ٣: ٥٤٢.

(٢) عبارة ق: الظاهر بلفظه موضع الضمير إذا.

العموم وذلك أنهم مرنوا على تكذيبِ الأنبياء وقتلهم، وعلى العُتُوِّ والمعاصي واستشعارِ اللعنة وضرب الذلّة والمسكنة، فتحررت عداوتهم وكيدهم وحسدهم وخبثهم. وفي الحديث[١]: «ما خلا يهوديان بمسلمٍ إلا همّا بقتله».

وفي وصف الله إياهم بأنهم أشد عداوة إشعار بصعوبة إجابتهم إلى الحق ولذلك قَلَّ إسلامُ اليهود. وعطف «الذين أشركوا» على «اليهود» وجعلهم تبعاً لهم في ذلك، إذ كان اليهود أشدّ في العداوة إذ تباينوا هم والمسلمون في الشريعة وفي الجنس، وتباين المسلمون والمشركون في الشريعة لا في الجنس إذْ بينهم وشائجُ متصلةٌ [١٦١/أ] من القراباتِ والأنسابِ القريبة فتَعْطفهم على كل حالٍ الرحمُ على المسلمين، ولأنهم ليسوا على شريعةٍ من عند الله فهم أسرعُ للإيمان من كل أحدٍ من اليهودِ والنصارى. واللام في «لتجدنّ» جواب قسم محذوف، ومفعول «تجدنّ» الأول «أشد الناس» والمراد بالناس الكفار، و«الذين آمنوا» متعلق بـ«أشدّ»، والمفعول الثاني «اليهود» وما عطف عليه، و«عداوة» تمييز.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ أي: هم ألينُ عريكة وأقرب ودًّا. ولم يصفهم بالودِّ إنما جعلهم أقرب من اليهود والمشركين، وهم أمةٌ لهم وفاء، واليهودُ ليسوا على شيءٍ من أخلاقِ النصارى بل شأنهم الخبث.

و[في] قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰۚ﴾ إشارةٌ إلى أنهم ليسوا متمسّكين بحقيقةِ النصرانية بل ذلك قول منهم وزعم. «ذلك» إشارة إلى

---

(١) حديث ضعيف من رواية أبي هريرة، انظر ضعيف الجامع الصغير ٥: ٩٣ وروايته فيه: ما خلا يهودي قطّ بمسلم إلا حدّث نفسه بقتله.

قريب المودة، وهو مبتدأ والخبر قوله «بأن منهم» أي كائن بأنّ منهم. واسم أنّ «قسّيسين». القَسّ بفتح القاف[١] تَتَبُّعُ الشيء، وبكسرها رئيس النصارى، وقِسّيس بناء للمبالغة كشِرّيب، وجُمع بالواو والنون جمع سلامة وجمع أيضاً جمع تكسير قالوا: قساوسة، قال أمية بن أبي الصلت[٢]: [من البسيط]

لو كان منفَلَتٌ كانت قساوسةٌ يحييهم الله في أيديهم الزّبرُ

قال الفراء: هو مثل مهالبة كثرت السينات فأبدلوا إحداهن واواً، يعني أن قياسه قساسِسَة. وفي هذا التعليلِ دليلٌ على جلالةِ العلم بقوله تعالى «قسّيسين» وأنه سبيلٌ إلى الهداية، وعلى [حُسْنِ عاقبةِ] الانقطاعِ والانفراد بقوله تعالى «ورهبانا» وأنه طريق إلى النظر في العاقبة، وعلى التواضعِ بقوله «لا يستكبرون»، وأنه سببٌ لتعظيمِ الموجد إذ يشهد من نفسه ومن كل مُحْدَث أنه مفتقر للموجد فيلزم[٣] عنده مخترع الأشياء الباري عز وجل.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ﴾ الآية، تقدم قصة الحبشة ومَنْ أسلم على يدي جعفر بن أبي طالب[٤]. والظاهر أنَّ الضمير يعود على «قسّيسين ورهباناً» فيكون عامًّا ويكون قد أخبر عنهم بما يقع من بعضهم كما جرى للنجاشي حين تلا عليه جعفر سورة مريم إلى قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴿٣٤﴾﴾ وسورة طه إلى قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾ فبكى. وكذلك

---

(١) ق: السين.

(٢) البيت في ديوانه ص٣٨٧ منقول عن اللسان «قسس».

(٣) ق: فيعظم.

(٤) انظر تفسير الآية السابقة.

قومه الذين[1] وفدوا على رسولِ الله ﷺ حين قرأ عليهم ﴿يسٓ ۝١﴾ [يس] فبكوا. والجملة من قوله «وإذا سمعوا» تحتمل الاستئناف وتحتمل أن تكون معطوفة على خبر «أنهم».

﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ هي من رؤية العين. وأسند[2] الفيضَ إلى الأعين وإنْ كانت حقيقة [للدموع] كما قال[3]: [من الطويل]

ففاضت دموعُ العينِ مني صبابةً [على النّحر حتى بلّ دمعيَ مِحْملي]

إقامة للمسبّب مقام السبب، لأنَّ الفيض مسبّب عن الامتلاء فالأصل: ترى أعينهم تمتلىء من الدموع حتى تفيض، لأن الفيض على جوانب الإناء ناشىء عن امتلائه، قال الشاعر[4]: [من الطويل]

قـوارضُ تـأتيـني وتَحْتَقِـرونهـا وقد يَمْلأُ الماءُ الإناءَ فَيفعمُ[5]

ويحتمل أنه[6] أسند الفيضَ إلى الأعينِ على سبيلِ المبالغة في البكاء لما كانت يفاض فيها جعلت الفائضة نفسها على سبيل المجاز والمبالغة.

و«مِن» [في] قوله ﴿مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ متعلقة بمحذوف تقديره: مملوءةً من الدمع. و«مِن» في قوله ﴿مِمَّا عَرَفُواْ﴾ للسبب بمعنى الباء متعلقة بـ«تفيض». و«ما» [١٦١/ب] مصدرية في قوله «مما عرفوا»، و«من الحق» بدل من قوله

---

(١) ق: قوله للذين.

(٢) ق: وسند.

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٩.

(٤) البيت للفرزدق في ديوانه ٢: ١٩٥ مع اختلاف في الرواية.

(٥) ق: فينعم.

(٦) ق: أن.

«ممّا». ويجوز أن تكون «ما» موصولة تقديره: من الذي عرفوه، وحذف الضمير العائد عليها، و«من الحق» في موضع الحال أي مستقرًّا من الحق.

﴿ يَقُولُونَ﴾ جملة مستأنفة، قال ابن عطية: «يقولون» في موضع نصب على الحال انتهى، وقال مثله أبو البقاء. ولم يبيّنا ذا الحال ولا العامل فيها. ولا جائز أن يكون حالاً من الضمير في «أعينهم» لأنه مجرور بالإضافة لا موضع له من رفع ولا نصب إلا على مذهب من يجوّز تنزّل الخبر المضاف منزلة المضاف إليه، وقد بيّنّا وجه خطأ ذلك في كتابنا «منهج السالك»[1] من تأليفنا. ولا جائز أن يكون حالاً من ضمير الفاعل في «عرفوا» لأنها تكون قيداً في العرفان وهم قد عرفوا الحق في هذه الحال وفي غيرها. فالأولى أن تكون مستأنفة أخبر تعالى عنهم بأنهم التبسوا بهذا القول، والمعنى أنهم عَرَفُوا الحقَّ بقلوبهم ونَطقتْ به وأقرَّتْ ألسنتهم.

﴿ءَامَنَّا﴾ معناه أنشأنا الإيمان بالرسول، والمعنى أنهم عرفوا الحق [فآمنوا]. و«مع الشاهدين» قال ابن عباس: هم أمة محمد ﷺ، وقالوا ذلك إذ هم شهداء على سائر الأمم كما قال تعالى ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة].

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ هذا إنكارٌ واستبعاد لانتفاءِ الإيمانِ منهم مع قيام مُوجبِهِ وهو عرفانُ الحق. والظاهر أنَّ قولهم ذلك هو لأنفسهم على سبيل المكالمة معها لدفعِ الوساوس والهواجس، إذ فراق طريق وسلوك أخرى لم

(١) ق: أوضح المسالك. و«منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك» هو أحد كتبه التي لم يكمل تصنيفها. انظر فوات الوفيات ٤: ٧٩.

يُنشأ عليْها[١] ممّا يصعب ويشقّ. و«ما» استفهامية مبتدأ. و«لنا» في موضع الخبر التقدير: أي شيء كائن لنا. و«لا نؤمن» جملة حالية التقدير: غير مؤمنين، والعامل فيها هو العامل في الجار والمجرور.

و﴿وَنَطْمَعُ﴾ الظاهر أنه استئنافُ إخبارٍ منهم، ويجوز أن يكون في موضع الحال عطفاً على قوله «لا نؤمن» فيكون في حيز النفي.

قال الزمخشري[٢]: والواو في «ونطمع» واو الحال والعامل في الحال معنى الفعل العامل في «لا نؤمن» ولكن مقيداً بالحال الأولى، لأنك لو أزلتها [وقلت]: وما لنا ونطمع، لم يكن كلاماً انتهى. ما ذكره من أن الحالين العامل فيهما واحد - وهو ما في اللام[٣] من معنى الفعل كأنه قيل: أي شيء حصل لنا غير مؤمنين طامعين[٤] - ليس بجيد، لأن الأصح أنه لا يجوز أن يقتضي العامل حالين لذي حال واحدة إلا بحرف عطف إلا أفعل التفضيل فالأصح أنه يجوز فيه ذلك، وذو الحال هَنا واحد وهو الضمير المجرور بلام «لنا»، ولأنه أيضاً تكون الواو دخلت على المضارع، ولا تدخل واو الحال على المضارع إلا بتأويل فيحتاج أن يقدر: ونحن نطمع.

قال الزمخشري[٥]: ويجوز أن يكون «ونطمع» حالاً من «لا نؤمن» على أنهم أنكروا على أنفسهم أنهم لا يوحّدون الله تعالى ويطمعون مع ذلك أن

---

(١) ق: عنها.

(٢) الكشاف ١ : ٦٣٩. والعبارة منقولة بتصرف.

(٣) ق: الكلام.

(٤) ق: طائعين.

(٥) الكشاف ١ : ٦٣٩.

يصحبوا[1] الصالحين انتهى. وهذا أيضاً ليس بجيد لأن فيه دخول واو الحال على المضارع ويحتاج إلى تأويل.

وقال الزمخشري[2]: وأن يكون معطوفاً على «لا نؤمن» على معنى: وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين، أو على معنى: وما لنا لا نجمع بينهما [بالدخول] في الإسلام لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين. ويظهر لي وجه غير ما ذكروه وهو أن يكون معطوفاً على «نؤمن» على أنه [١٦٢/أ] منفي كنفي «نؤمن»، التقدير: وما لنا لا نؤمن ولا نطمع، فيكون في ذلك إنكار لانتفاء إيمانهم وانتفاء طمعهم مع قدرتهم على تحصيل الشيئين الإيمان والطمع في الدخول مع الصالحين انتهى.

﴿بِمَا قَالُوا[3]﴾ إشارة إلى قوله تعالى «يقولون [ربنا] آمنّا» إلى آخر كلامهم. وتقدَّمَ «مما عرفوا من الحق» فاجتمع القول والمعرفة فكان ذلك إيماناً محضاً. و«المحسنين» يجوز أن يكون ذلك من وضع الظاهر موضع المضمر كأنه قال: جزاؤهم. ونبّه على الصفة الجليلة التي هي أعظم مراتب العبادة التي سئل رسول الله ﷺ: ما الإحسان؟ فقال: أن تعبد الله كأنك تراه[4]. ويجوز أن يكون «المحسنين» عامًّا واندرج هؤلاء فيهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا﴾ اندرج في «الذين كفروا وكذبوا» اليهود

---

(١) ق: يصبحوا.

(٢) الكشاف ١: ٦٣٩.

(٣) ق: قالوه.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ١: ٣٧، ٣٩ من حديث عمر بن الخطاب وأبي هريرة.

والنصارى وغيرهم. لمّا ذكر ما للمؤمنين ذكر ما أعدّ للكافرين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآية، ذكروا سبب نزولها [في] قصة طويلة ملخّصها أنَّ جماعةً من الصحابة عَزَموا على التقشفِ المفرط والعبادةِ الدائمة من الصيام الدائم وترك إتيان النساء واللحم والوَدَك[1] والطيب ولبس المسوح والسياحة في الأرض وجَبِّ المذاكير، فنهاهم رسولُ الله ﷺ عن ذلك فنزلت. ومناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنه تعالى لمّا مدح النصارى بأنَّ منهم قسّيسين ورهباناً وعادتهم الاحتراز عن الطيبات ومستلذات الدنيا - أوهمَ ذلك المدحُ ترغيبَ المسلمين في مثل ذلك التقشّف والتبتّل، فبيَّنَ تعالى أنَّ الإسلامَ لا رهبانيةَ فيه، وقال رسولُ الله ﷺ[2] «أما أنا فأقومُ وأنامُ وأصومُ وأفطرِ وأتزوج النساء وأنال الطِّيبَ فمن رغبَ عن سُنَّتي فليس منّي». وأكل رسولُ الله ﷺ الدجاج والفالوذج، وكان يعجبه الحلوى والعسل. والطيِّباتُ هنا المستلذَّات من الحلال. ومعنى لا تحرّموها[3]: لا تمنعوها أنفسَكم كمنع التحريم، أو لا تقولوا حَرَّمناها على أنفسنا، مبالغة منكم في العزم على تركها تزهّداً منكم وتقشّفاً.

[﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية، تقدم تفسير مثلها في قوله] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) أي الدسم والدهن.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢: ١٠٢٠ من حديث أنس.

(٣) ق: لا تحرمونها.

﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴿١٦٨﴾﴾ الآية [البقرة].

[﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾] تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيداً بقوله «الذين أنتم به مؤمنون» لأنَّ الإيمان به يحمل على التقوى في امتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾ تقدم الكلام في تفسير نظير هذه الجملة[١]. ومعنى «عقّدتم» وثّقتم بالقصدِ والنيّة. وقرىء: عاقدتم وعَقَدْتم، وقال أبو علي الفارسي: يحتمل أن يكون كطارقت النعل وعاقبت اللصَّ انتهى. ليس مثله لأنك لا تقول: طرقت النعل وعقبت اللص بغير ألف، وهذا تقول فيه: عاقدت اليمين وعقدت اليمين، قال الحطيئة[٢]: [من البسيط]

قـومٌ إذا عقـدوا عَقْـداً لِجـارِهـمُ [شدّوا العِنَاج وشدّوا فوقه الكَرَبا]

فجعله بمعنى المجرد وهو الظاهر كما ذكرناه. و«الأيمان» جمع يمين، واليمين المنعقدة بالله أو بأسمائه أو بصفاته. وقال الإمام أحمد: إذا حلف بالنبيِّ ﷺ انعقدت يمينه لأنه حلف بما لا يتمُّ الإيمانُ إلا به. وفي بعض الصفات تفصيل وخلاف ذكر في كتب الفقه.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢٥ من سورة البقرة.

(٢) ديوانه ص١٢٨.

﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾ الضمير عائد على «ما» إن كانت «ما» موصولة اسمية، وهو على حذف مضاف التقدير: بحنث [١٦٢/ب] الذي عقدتم عليه الأيمان. وإن كانت مصدرية عاد الضمير على ما يُفهم من المعنى وهو إثم الحنث وإن لم يَجْرِ له ذكر صريح لكن يقتضيه المعنى.

و«مساكين» أعمّ من أنْ يكونوا ذكوراً أو إناثاً أو من الصنفين. والظاهر تعداد الأشخاص، فلو أطعم مسكيناً واحداً الكفارة عشرةَ أيامٍ لم يَجُزْ[1] وبه قال مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: يجزىء.

وتعرّضت الآية لجنس ما يُطعم منه وهو ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ ولم تتعرض لمقدار ما يطعم كل واحد، هذا الظاهر. وقد رأى مالك وجماعة أن هذا التوسط هو في القدر ورأى جماعة أنه في الصنف وبه قال ابن عمر وغيره. قال ابن عطية: الوجه أن يعم بلفظ الوسط القدر والصنف انتهى. وقال مالك والشافعي: مدٌّ لكلِّ مسكينٍ بمدِّ رسولِ الله ﷺ. وقال أبو حنيفة: نصف صاع من برٍّ أو صاع من تمر. والظاهر أنه لا يجزىء [إلا] الإطعام بما فيه كفاية وقتاً واحداً، فإن غَدَّاهم وعشَّاهم أجزأه، وبه قال أبو حنيفة ومالك، وقال الشافعي: من شرط صحة الكفارة تمليك الطعام للفقراء، فإن غدّاهم وعشّاهم لم يُجْزِه، وبه قال ابن جبير والحكم.

والظاهر أنه لا يشترط الأدام، وقال ابن عمر: أوسط [ما يطعم] الخبز والتمر، والخبز والزبيب، وخير ما نطعم أهلينا الخبز واللحم، وعن غيره: الخبز والسمن. وقال ابن سيرين: أفضله اللحم وأوسطه السمن وأحسنه الخبز مع التمر، وروي عن ابن مسعود مثله. وقال ابن حبيب: لا يجزىء

(١) وتقرأ كذلك: لم يُجزِ.

الخبز قَفاراً[1] ولكن بأدام زيت أو لحم أو لبن ونحوه. والظاهر أن المراعى ما يطعم أهله الذين يختصُّون [به] أي: من أوسطِ ما يطعم كل شخص أهله. وقيل: المراعى عيش البلد والمعنى: من أوسطِ ما تطعمونَ أيها الناسُ أهليكم في الجملة من مدينة أو صقع. و«من أوسط» في موضع مفعول ثانٍ لإطعام، والأول هو «عشرة مساكين» أي طعاماً من أوسط. والعائد على «ما» من «ما تطعمون» محذوف تقديره: تطعمونه. وجُمع «أهل» جمع تكسير قالوا أهالٍ وجمع [جمع] سلامة بالواو والنون رفعاً وبالياء والنون نصباً وجرًّا وهو شاذ في القياس.

و﴿أَهْلِيكُمْ﴾ هو المفعول الأول وعلامة النصب فيه الياء، والمفعول الثاني هو الضمير المقدر في: تطعمونه.

﴿أَو كِسْوَتُهُمْ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى «إطعام». والظاهر أن الكسوة هي مصدر وإن كان يستعمل للثوب الذي يستر. ولمّا لم يذكر مقدار ما يطعم لم يذكر مقدار الكسوة، فظاهره مطلق الكسوة. وأجمعوا على أن القلنسوة بانفرادها لا تجزىء، وللعلماء اختلاف كثير فيما يُكسى به الفقير في الكفارة مذكور في كتب الفقه. والظاهر إطلاق الإطعام والكسوة والرقبة، ويجزىء ما دلّ عليه الاسم مما جرت به العادة.

والظاهر حصول الكفارة بتحرير ما يصدق عليه «رقبة» من غير اعتبار شيء آخر، فيجزىء عتق الكافر وذي العاهة وبه قال داود وجماعة من أهل الظاهر، وقال مالك: لا يجزىء كافر ولا أعمى ولا أبرص ولا مجنون. فمن

---

(١) أي غير مأدوم.

لم يجد أحد هذه الثلاثة التي وقع فيها التخيير من الإطعام والكسوة والتحرير، فالواجب عليه صيام ثلاثة أيام. و[«من»] في «من لم يجد» شرطية وما بعده جملة الجزاء وقد قدّرناه: فالواجب عليه، فالهاء في عليه عائدة على «من» و«صيام» خبر.

﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ أي: ذلك المذكور. واستدلّ بها الشافعي على جواز التكفير بعد اليمين وقبل الحنث، وفيها تنبيه على أن الكفارة قبل اليمين لا تجوز. وذهب الجمهور إلى أن التكثير [١٦٣/أ] لا يكون إلا بعد الحنث، فهم يقدّرون محذوفاً أي: إذا حلفتم وحنثتم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نزلت بسبب قصةِ سعدِ بن أبي وقاص حين شربَ طائفةٌ من الأنصار والمهاجرين فتفاخروا فقال سعد: المهاجرون خير، فرماه أنصاريٌّ بلَحْي جمل ففزر أنفه. وتقدم ذِكْرُ الخمرِ والميسر في سورة البقرة(1)، وذِكْر واحد الأنصاب في قوله تعالى ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴿٣﴾﴾ [المائدة] والأزلام في قوله ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ﴿٣﴾﴾ [المائدة] وذلك في

---

(١) الآية ٢١٩.

أوائل هذه السورة.

﴿ رِجْسٌ ﴾ قال الزجاج: [الرجس] اسمٌ لكلِّ ما استقذر من عمل، يقال: رجس الرجل رجساً إذا عمل عملاً قبيحاً. وقال ابن دريد: الرجس الشر. ولما كان الشيطانُ هو الداعي إلى التلبُّس بهذه المعصية والمغري بها جُعلت من عمله وفعله ونُسبت إليه على جهة المجاز والمبالغة في كمال تقبيحه كما جاء ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص].

والضمير في «فاجتنبوه» عائد على الرجس المُخْبَر به عن الأربعة فكان الأمر باجتنابه متناولاً لها. وقال الزمخشري[1]: فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله «فاجتنبوه»؟ قلت: إلى المضاف المحذوف كأنه قيل: إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك، ولذلك [قال]: رجس من عمل الشيطان انتهى. ولا حاجة إلى تقدير هذا المضاف بل الحكم على هذه الأربعة أنفسها أنها رجس أبلغ من تقدير ذلك المضاف كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة].

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ الآية، ذكر تعالى في الخمرِ والميسر مفسدتين إحداهما دُنيويةٌ والأخرى دينية.

فأما الدنيويةُ فإنَّ الخمر تُثيرُ الشرورَ والحقود وتؤول بِشُرَّابها إلى التقاطعِ، وأما الميسر فإنَّ الرجل لا يزال يقامر حتى يبقى سليباً وينتهي من سوءِ الصنيع في ذلك [إلى] أنْ يقامر حتى على أهله وولده، فيؤدي به ذلك إلى أنْ يصير أعدى عدوٍ لمن قهره وغلبه، لأنَّ ذلك يُؤخذ منه على سبيلِ القهر والغلبة.

---

(١) الكشاف ١: ٦٤٢.

وأما الدينيةُ فالخمر لغلَبَةِ السرورِ بها والطرب على النفوس والاستغراق في الملاذِّ الجسمانية تُلْهي عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة، والميسر إنْ كان غالباً به انشرحت نفسُه ومنعه حُبُّ الغَلَبِ والقهر والكسب عن ذِكْرِ الله، وإنْ كان مغلوباً فما حصل له من الانقباض والندم والاحتيال إلى أن يصير غالباً لا يُخطر بقلبه ذكر الله تعالى.

وأفرد الخمر والميسر هنا وإن كانا قد جُمعا مع الأنصاب[1] والأزلام، قيل: لأن الخطاب كان للمؤمنين، وإنما ذكر معهما الأنصاب والأزلام تأكيداً لقبحِ الخمرِ والميسر وتبعيداً عن تعاطيهما فنُزِّلا في التَّرْكِ منزلةَ ما قد تركه المؤمنون من الأنصاب والأزلام.

و﴿ٱلْعَدَٰوَةَ﴾ تتعلق بالأمور الظاهرة، وعطف عليها ما هو أشدّ منها وهو البغضاء لأن متعلّقها القلب، كذلك «ذكر الله» عطف عليه ما هو ألزم وأوجب وآكد وهو الصلاة. وفيما ينتجه الخمر والميسر من العداوة والبغضاء والصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة أقوى دليل على تحريمهما وعلى أن ينتهي المسلم عنهما[2] ولذلك جاء بَعْدُ «فهل أنتم منتهون» وهذا الاستفهام من أبلغ ما يُنهى به كأنه قيل: قد تُلي عليكم ما فيها من المفاسد الدنيوية والدينية التي توجب الانتهاء فهل أنتم منتهون أم باقون على حالكم مع علمكم بتلك المفاسد. وجَعْل الجملة اسمية والمواجهة لهم بـ«أنتم» أبلغ من جعلها فعلية، وقيل هو استفهام تضمّن معنى الأمر أي فانتهوا، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: انتهينا يا رب.

(١) ق: أنصاب.

(٢) ق: عنها.

[١٦٣/ب] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ هذا أمر، والأحسن أن لا يُقيّد الأمر هنا بل أمروا أن يكونوا مطيعين دائماً حذرين لأن الحذر مدعاة إلى عمل الحسنات واتقاء السيئات.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: فإن أعرضتم فليس على الرسول إلا أن يبلّغ أحكام الله، وليس عليه خلق الطاعة فيكم ولا يلحقه من تولّيكم شيء بل ذلك لاحق بكم. وفي هذا من الوعيد البالغ ما لا خفاء به إذ تضمن أن عقابكم إنما يتولاه المرسِل لا الرسول. ووصف البلاغ بالمبين [إما] لأنه بيّن في نفسه واضح، وإما لأنه مبيّن لكم أحكام الله تعالى.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، قال ابن عباس والبراء بن عازب وأنس: لما نزل تحريم الخمر قال قوم: كيف بمن ماتَ مِنّا وهو يشربها ويأكل الميسر فنزلت. فأعلم تعالى أنَّ الذمَّ والجُناح إنما يتعلقُ بفعل المعاصي، والذين ماتوا قبلَ التحريمِ ليسوا بعاصين. والظاهر من سبب النزول انَّ اللفظ عام ومعناه الخصوص.

﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ ثبتوا وداموا على الحالة المذكورة. ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾ انتهوا في التقوى إلى امتثالِ ما ليس بفرضٍ من النوافلِ في الصدقاتِ والصلاةِ وغير ذلك:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ﴾ الآية، نزلت عام الحديبية وأقام رسولُ الله ﷺ بالتنعيم فكان الوحشُ والطير يغشاهم في رِحَالِهم وهم مُحْرِمُون، وقيل: كان بعضهم أحرمَ وبعضُهم لم يحرم فإذا عَرَضَ صيدٌ اختلفت أحوالهم واشتبهت الأحكام. وقيل: قتل أبو اليَسَر حمارَ وحشٍ برمحه فقيل: قتلتَ الصيد وأنت محرم فنزلت. ومناسبةُ هذه الآية لما قبلها هو أنهم لما أمرهم أنْ لا يحرّمُوا الطيّبات وأخرج من ذلك الخمر والميسر وهما حرامان - إنما[1] أخرج بعده ما حرّم من الطيّبات في حال دون حال وهو الصيد، وكان الصيدُ مما يعيشُ به العرب ويتلذّذ باقتناصه ولهم فيه الأشعار والأوصاف الحسنة. والظاهر أن الخطاب بقوله «يا أيها الذين آمنوا» للمحلّ والمحرم، ولكن لا يتحقق الابتلاءُ إلا مع الإحرام أو الحرم.

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ هذا تعليل لقوله «ليبلونكم». ومعنى «ليعلم» ليتميّز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظَر [في] الآخرة فيتّقي الصيد، ممن لا يخافه فيقدم عليه.

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بالمخالفةِ فصادَ، و«ذلك» إشارة إلى النهي الذي تضمّنه معنى الكلام السابق وتقديره: فلا يصيدوا، يدل عليه قوله تعالى ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾.

﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قيل في الآخرةِ وقيل في الدنيا، قال ابن عباس: يوسع ظهره وبطنه جلداً ويسلب ثيابه.

---

(١) ق: وإنما.

﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ جملة حالية. و«حُرُم» جمع حرام، والحرام ينطلق على من كان محرماً وعلى من حلّ الحرم.

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم﴾ الآية، الظاهر تقييد القتل بالعمد، فمن لم يتعمد فقتل خطأً بأن كان ناسياً لإحرامه، أو رماه ظانًّا أنه ليس بصيد فإذا هو صيد، أو عدل سهمه الذي رماه لغير صيد فأصاب صيداً فلا جزاء عليه. وروي ذلك عن ابن عباس وابن جبير وطاووس وعطاء وسالم، وبه قال أبو ثور وداود والطبري. وهو أحد قولي الحسن البصري ومجاهد وأحمد بن حنبل وغيره. ومذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأصحابهم أن الخطأ بنسيانٍ أو غيره كالعمد، والعمد أن يكون ذاكراً لإحرامه قاصداً للقتل، وروي ذلك عن عمر وابن عباس.

وقرأ الكوفيون: فجزاءٌ بالتنوين، مِثْلُ بالرفع. فارتفاع «جزاء» على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فالواجب عليه أو اللازم له جزاء. ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف [١٦٤/أ] الخبر تقديره: فعليه جزاء، و«مثلُ» صفة أي: فجزاء يماثل ما قتل. وقرأ باقي السبعة: فجزاءُ مثلِ، برفع «جزاء» وإضافته إلى «مثل»، فقيل «مثل» كأنها مقحمة [كما تقول: مثلك يفعل كذا، أي أنت تفعل كذا، فالتقدير: فجزاءُ ما قتل]. وقيل ذلك من إضافة المصدر إلى المفعول وكان الأصل: فعليه جزاءُ مثلِ ما قتل، أي: يغرم مثل ما قتل، ثم أضيف إلى المفعول، ويدل على هذا التقدير قراءة السلمي: فجزاءٌ بالرفع والتنوين، مثلَ ما قتل بالنصب.

و﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ صفة لجزاء سواء أَرُفع «جزاء» و«مثل» أو أضيف «جزاء» إلى «مثل» أي كائن من النعم. ويجوز في وجه الإضافة أن يتعلق «من النعم» بجزاء، إلا في الوجه الأول لأن «جزاء» مصدر موصوف فلا يعمل. ووهم

أبو البقاء في تجويزه أن يكون «من النعم» حالاً من الضمير في «قتل»، يعني من الضمير المنصوب المحذوف في «قتل» العائد على ما قال، لأن المقتول يكون من النعم. وليس المعنى على ذلك لأن الذي هو من النّعم هو ما يكون جزاء لا الذي يقتله المحرم، ولأن النّعم لا تدخل في اسم الصيد. والظاهر في المِثْليّة أنها مثليّة في الصورة والخلقة والعِظَم والصِّغَر وهو قول الجمهور.

وظاهر قوله «من النعم» أنه لا يُشترط بسنّ فتجزىء الجَفَرة والعَناق[1] على قدر الصيد، وبه قال أبو يوسف ومحمد. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أن يهدي إلا ما يجزىء في الأضحية.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ﴾ الآية، أي: يحكم بمثل ما قتل. قال ابن وهب: من السنّة أن يخيّر الحَكَمان مَنْ قَتَل الصيد كما خيّره الله تعالى في أن يُخرج هدياً بالغ الكعبة - وانتصب «هدياً» على الحال من الضمير في قوله «به»، ومعنى ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ واصلاً إليها - أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً. فإن اختار الهَدْي حكما عليه بما يريانه نظيراً[2] لما أصاب. وأدنى الهدي شاة، وما لم يبلغ شاة حكما فيه بالطعام. ثم خُيّر بين أن يطعم أو يصوم مكان كل مُدٍّ يوماً، وكذلك قال مالك. والظاهر أنه يحكم به عدلان وكذلك فعل عمر في حديث قبيصة بن جابر، استدعى عبد الرحمن بن عوف وحكما في ظبيٍ بشاةٍ. وفعل ذلك جرير وابن عمر. والظاهر أنَّ العَدْلين ذَكَران فلا يحكم فيه امرأتان.

---

(١) الجَفَرة جمع جَفْر وهو من أولاد الشاة ما بلغ أربعة أشهر. والعَناق أنثى الماعز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول.

(٢) ق: نظر.

﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ قرأ الصاحبان بالإضافة، وزعم الزمخشري[1] أن هذه الإضافة مبيّنة كأنه قيل: أو كفارة من طعام مساكين، كقوله: خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة. وليست من هذا الباب لأن خاتم فضةٍ، من إضافة الشيء إلى جنسه والطعام ليس جنساً للكفّارة إلا بتجوّز بعيد جدّاً. وقرأ باقي السبعة بالتنوين ورفع «طعام»، وقرأ كذلك الأعرج وعيسى بن عمر إلا أنهما أفردا مسكين على أنه اسم جنس. قال أبو علي: [«طعام» عطف بيان، لأن الطعام هو الكفارة انتهى. وهذا لا يجوز على] مذهب البصريين، لأنهم شرطوا في عطف البيان أن يكون في المعارف لا في النكرات، فالأولى أن يُعرب بدلاً. وقد أجمل في مقدار الطعام وفي عدد المساكين، والظاهر أنه يكفي ما يُسمّى طعاماً وأنه يكفي أقل ما ينطلق عليه جمع مساكين.

وجوّزوا أن يكون «ذلك» إشارة إلى الصيد المقتول؛ ففي الظبي ثلاثة أيام وفي الإبل عشرون يوماً وفي النعامة وحمار الوحش ثلاثون يوماً قاله ابن عباس. وقال ابن جبير: يصوم ثلاثة أيام إلى عشرة أيام. والظاهر عدم تقييد الطعام والصوم بمكان وبه قال جماعة من العلماء فحيثما شاء كفّر بهما. وقال عطاء وغيره: الهدي والإطعام بمكة، والصوم حيث شاء.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ [١٦٤/ب] الذوق معروف واستعير هنا لما يؤثر من غرامة أو إتعاب نفس بالصوم. والوبالُ سوء عاقبة ما فعل وهو هتكه حرمة الإحرام بقتل الصيد. قال الزمخشري[2]: «ليذوق» متعلق بقوله «فجزاء» أي فعليه أن يجازى أو يكفّر ليذوق انتهى. وهذا لا يجوز إلا على قراءة من أضاف «فجزاء»، أو نوّن ونصب «مثل». وأما على قراءة من نوّن ورفع «مثل»

---

(١) الكشاف ١: ٦٤٥.

(٢) الكشاف ١: ٦٤٥.

فلا يجوز أن تتعلق اللام به، لأن «مثل» صفة لجزاء، وإذا وصف المصدر لم يَجُزْ لمعموله أن يتأخر عن الصفة، لو قلت: أعجبني ضَرْبُ زيدٍ الشديدُ عَمْراً، لم يَجُز، فإن تقدّم المعمول على الوصف جاز ذلك. والصواب أن يتعلق على هذه القراءة بفعل محذوف، التقدير: جوزي بذلك ليذوق.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي في جاهليتكم من قتلكم الصيد في الحرم، قال الزمخشري[1]: لأنهم كانوا متعبّدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرّماً انتهى. وقال ابن زيد: عفا الله عما سلف لكم أيها المؤمنون من قتل الصيد قبل هذا النهي والتحريم.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ قال ابن عباس: إن عاد متعمّداً عالماً بإحرامه فلا كفّارة عليه وينتقم الله منه.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ الآية، قال الكلبي: نزلت في بني مدلج وكانوا ينزلون في أسياف البحر، سألوا عمّا نضب عنه الماء من السمك فنزلت. قال الزمخشري[2]: «صيد البحر» مَصِيْداتُ البحر مما يُؤْكَلُ [ومما لا يؤكل]، و«طعامه» ما يطعم من صيده، والمعنى أحلّ لكم الانتفاع بجميعِ ما يُصادُ من البحر وأُحلّ لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة، وعند ابن أبي ليلى جميع ما يُصاد منه، على أن تفسير الآية عنده: أحلّ لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه انتهى.

وتفسير «وطعامه» بقوله: وأن تطعموه خلاف الظاهر، ويكون على قول ابن أبي ليلى - الضمير في «وطعامه» عائداً على صيد البحر [والظاهر عَوْده

---

(١) الكشاف ١: ٦٤٥.

(٢) الكشاف ١: ٦٤٦.

على البحر] وأن يُراد به المطعوم لا الطعام، ويدل على ذلك ظاهر لفظ «وطعامه». وقراءة ابن عباس: وطُعْمه بضم الطاء وسكون العين تدل على أنه لا يُراد به المصدر، وقد فصّل قوله «وطعامه» بما يرمي به البحر ولم يُصَدْ. وفي الأثر: كلوا السمكة الطافية، وهي الميتةُ التي طفت على وجه الماء. وقد أكل جماعة من الصحابة في سفرٍ لهم من دابةٍ عظيمة تُسمَّى العنبر حسر عنها البحر والحديث في ذلك مشهور[1].

وانتصب «متاعاً» - قال ابن عطية - على المصدر، والمعنى متّعكم به متاعاً تنتفعون به وتأتدمون. وقال الزمخشري[2]: «متاعاً لكم» مفعول له أي [أحلّ لكم] تمتيعاً لكم، وهو في المفعول له بمنزلة قوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء] في باب الحال، لأن قوله «متاعاً لكم» مفعول له مختص بالطعام، كما أنّ «نافلة» [حال] مختصة بيعقوب. يعني أحلّ لكم طعامه تمتيعاً [لتّنائكم][3] يأكلونه طريًّا ولسيّارتكم يتزوّدونه قديداً كما تزوّد موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر انتهى. وتخصيصه المفعول له بقوله «وطعامه» جارٍ على مذهبه مذهب أبي حنيفة بأنّ صيد البحر منه ما يؤكل وما لا يؤكل، وأن قوله «وطعامه» هو المأكول منه، وأنه لا يقع التمتيع إلا بالمأكول منه طريًّا وقديداً. وعلى مذهب غيره يجوز أن يكون مفعولاً له باعتبار صيد البحر وطعامه. والخطاب في «لكم» لحاضري البحر ومدنه. والسيارة المسافرون.

---

(١) انظر مثلاً: البخاري ٤: ١٥٨٦ من حديث جابر، ومسلم ٣: ١٥٣٥ من حديث جابر أيضاً.

(٢) الكشاف ١: ٦٤٦.

(٣) التّناء كرمّان: المقيمون، من: تنأ بالمكان: أقام فيه.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ الآية، كرر تحريم الصيد على المحرم تغليظاً لحكمه. والظاهر تحريم صيد البر على المُحْرِمِ من جميع الجهات: صيد وأَكْل صيد، ذلك من أجله [١٦٥/أ] أو من أجل غيره[١]، وروي ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين. وعن أبي هريرة وبعض التابعين أنهم أجازوا للمُحرم أكل ما صاده الحلّال وإن صاده من أجله إذا لم يدلّ [عليه] ولم يشتره[٢]. وروي عن عمر وعثمان والزبير أنه يأكل المحرم ما صاده الحلّال لنفسه أو لحلّالٍ مثله. وقال آخرون: يحرم على المحرم أن يصيد، وأما إن اشتراه من مالكٍ له فذبحه وأكله فلا يحرم، وفعل ذلك أبو سلمة بن عبد الرحمن. وقال أبو حنيفة وأصحابه: أَكْل المُحْرِمِ الصَيدَ جائزٌ إذا اصطاده الحلّال ولم يأمر المحرم بصيده ولا دلّ عليه. وقال مالك والشافعي وأحمد: يأكل ما صاده الحلّال إن لم يَصِدْه لأجله، فإن صيد من أجله فلا يأكل، فإن أكل فقال مالك والأوزاعي والحسن بن صالح: عليه الجزاء، وقال الشافعي: لا جزاء عليه.

وقال الزمخشري[٣]: فإن قلت: ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله «صيد البرّ»؟ [قلت: قد أخذ أبو حنيفة بالمفهوم من قوله «وحرّم عليكم صيد البرّ] ما دمتم حُرماً» لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد غيرهم [لأنهم هم المخاطبون، فكأنه قيل: وحرّم عليكم ما صدتم في البرّ، فيخرج منه مصيد غيرهم] ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة] انتهى.

---

(١) ق: من غير أجله.

(٢) ق: ولم يشر.

(٣) الكشاف ١: ٦٤٦.

وهذه مكابرة من الزمخشري في الظاهر، بل الظاهر من قوله تعالى «صيد البرّ» العموم سواء صاده محرم أم حلال. وقرىء: وحَرّم مبنياً للفاعل، صَيْدَ بالنصب، وحَرَماً بفتح الحاء والراء.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ هذا فيه تنبيه وتهديد جاء عقيب تحليل وتحريم، وذكر الحشر إذ فيه يظهر جزاء من أطاع وعصى.

﴿۞ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وذلك أنه تعالى ذكر تعظيم الإحرام بالنهي عن قتل الوحش فيه بحيث شرع بقتله ما شرع، وذكر تعظيم الكعبة بقوله «هَدْياً بالغ الكعبة»(١) فذكر تعالى في هذه الآية أنه جعل الكعبة قياماً للناس أي: ركّز في قلوبهم تعظيمها. و«جعل» هنا بمعنى صيّر، وقيل «جعل» هنا بمعنى بيّن وحكم، وينبغي أن يحمل هذا على تفسير المعنى، إذ لم ينقل «جعل» مرادفة لهذا المعنى لكنه من حيث التصيير يلزم منه التبيين والحكم. ولما كان لفظ الكعبة قد أطلقه بعض العرب على غير البيت

(١) الآية ٩٥ السابقة.

الحرام كالبيت الذي كان في خثعم يسمّى كعبة اليمانية - بيّن تعالى أن المراد هنا بالكعبة البيت الحرام. وهو بدل من الكعبة أو عطف بيان.

وقال الزمخشري[1]: «البيت الحرام» عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك انتهى.

وليس كما ذكر لأنهم ذكروا في شرط عطف البيان الجمود، وإذا كان شرطه أن يكون جامداً لم يكن فيه إشعار بمدحٍ إذ ليس مشتقّاً، وإنما يُشعر بالمدح المشتقّ إلا أن يقال إنه لما وصف عطف البيان بقوله «الحرام» اقتضى المجموع المدح فيمكن ذلك. والقيام مصدر، يقال: قيام الأمر وقوام الأمر. وكونه قياماً للناس باتّساع الرزق عليهم وبامتناع الإغارة في الحرم وبسبب صيرورتهم أهل الله فكل أحد يتقرب إليهم، [وبما] يقام فيها من المناسك وفضل العبادات، وبأمن من توجّه إليها، وبعدم أذى من جرّ جريرة ولجأ إليه، وببقاء الدين ما حُجّت واستُقبلت.

و﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ ظاهره الإفراد وهو ذو الحجة لإقامة موسم الحج فيه، وقيل: المراد به الجنس فيشمل الأشهر الحرم [١٦٥/ب] الأربعة: الثلاثة بإجماع من العرب، وشهر مُضَرَ وهو رجب[2] كان كثير من العرب لا يراه ولذلك يُسمّى شهر الله إذ كان تعالى قد ألحقه في الحرمة بالثلاثة فنسبه وسدده. وكانوا لا يهيجون أحداً في الشهر الحرام، ولا من ساق الهدي لأنه يُعلم أنه لم يجىء لحرب، ولا من خرج يريد البيت لحجّ وعمرة فتقلّد من لحاء السمر، ولا من قضى نسكه فتقلّد من شجر الحرم.

---

(١) الكشاف ١ : ٦٤٦.

(٢) إنما قيل: رجب مضر لأنهم كانوا أشدّ تعظيماً له.

﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾ الظاهر أن الإشارة هي للمصدر المفهوم أي ذلك الجعل لهذه الأشياء قياماً للناس وأمناً لهم[1] لتعلموا أنه تعالى يعلمُ تفاصيلَ الأمورِ الكائنة في السماوات والأرض ومصالحكم في دنياكم ودينكم. وقيل: الإشارة إلى صرف قلوب الناس إلى مكة في الأشهر المعلومة فيعيش أهلها معهم ولولا ذلك لماتوا جوعاً لعلمه بما في ذلك من مصالحهم، وليستدلوا على أنه تعالى يعلم ما في السماوات وما في الأرض.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ الآية، هذا تهديدٌ، إذْ أخبر أنَّ عقابه شديد لمن انتهك حرمته. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وهذا ترجيةٌ بالغفرانِ والرحمة لمن حافظَ على طاعةِ الله أو تاب عن معاصيه.

﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ روى جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك المال إن عملته في طاعة الله؟ فقال رسول الله ﷺ[2]: إن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب، فنزلت هذه الآية. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما حَذَّرَ عن المعصيةِ ورغَّبَ في الطاعة بقوله تعالى «اعلموا أن الله شديد العقاب» وأتبعها التكليف بقوله تعالى «ما على الرسول إلا البلاغ» ثم بالترغيب في الطاعة والتنفير من المعصية [بقوله «والله يعلم ما تبدون وما تكتمون» - أتبعه بنوع آخر من الترغيب في الطاعة والتنفير من المعصية] فقال «قل لا يستوي» الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ﴾ الآية، روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري[3]

---

(١) ق: وأمثالهم.

(٢) رواه مسلم ٢: ٧٠٣ من حديث أبي هريرة بلفظ مقارب.

(٣) ٤: ١٦٨٩.

عن أنس قال: قال رجل: يا رسول الله، من أبي؟ قال: أبوك فلان، ونزلت الآية، والسائل هو عبد الله بن حذافة. و«أشياء» اسم جمع كطرفاء. وعلى مذهب سيبويه أصلها شيئاء من لفظ شيء ثم قلب فجعلت لامه وهي الهمزة أولاً مكان فاء الكلمة، فوزنها: لَفْعاء، وجعلت فاء الكلمة وهي الشين تلي اللام، وجعلت الياء مكان لام الكلمة وهي كانت عيناً لأن المادة هي الشين والياء والهمزة. وفي وزنها أقوال أُخر ذكرت في النحو.

والجملة من قوله تعالى ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ وما عطف عليها من الشرط والجزاء في موضع الصفة لـ «أشياء».

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: من الأشياء التي نُهيتم عن السؤال عنها.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ ظاهره أنه يعود على الأشياء. ولا يمكن، لأن الأشياء التي نُهوا عن السؤال عنها ليست الأشياء التي سألها القوم الذين في هذه الآية، فيكون ذلك على حذف مضاف تقديره: قد سأل أمثالها. وكان بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم عن أشياء هي تعنّتات وسؤالات لا تجوز كقولهم ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء].

﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾ أي: بتلك السؤالات كافرين.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما نهى عن

سؤال ما لم يؤذن فيه ولا كلّفهم إياه منع التزام أمور ليست مشروعة من الله تعالى.

والبحيرة: فعيلة بمعنى مفعولة كالنطيحة بمعنى المنطوحة وهي الناقة إذا [١٦٦/أ] أنتجت خمسة أبطن في آخرها ذكر، شقّوا أذنها وخلّوا سبيلها لا تُركب ولا تُحلب ولا تُطرد عن ماء ولا مرعى.

السائبة: فاعلة من ساب إذا جرى على وجه الأرض، يقال ساب الماء وسابت الحية، وقال ابن عباس: السائبة هي التي تسيّب للأصنام أي[١] تعتق. وكان الرجل يسيّب من ماله شيئاً فيجيء به إلى السدنة وهم خدم آلهتهم فيطعمون من لبنها للسبيل.

الوصيلة: قال ابن عباس إنها الشاة تنتج سبعة أبطن، فإن كان السابع أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكراً ذبحوه وأكلوه جميعاً، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فتترك مع أخيها فلا تذبح، ومنافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك الرجال والنساء فيها.

الحامي: اسم فاعل من حمى وهو الفحل من الإبل، قال ابن مسعود وابن عباس: هو الفحل ينتج من صلبه[٢] عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيّبونه لأصنامهم فلا يحمل عليه شيء.

و«مِن» في قوله «من بحيرة» زائدة، [و«بحيرة»] مفعولة بـ«جعل».

---

(١) ق: تسيّبت للأصنام أن.

(٢) ق: من بطنه.

قال الزمخشري[1]: معنى «ما جعل» ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك. وقال ابن عطية: و«جعل» في هذه الآية لا يتّجه أن تكون بمعنى خلق، لأن الله تعالى خلق هذه الأشياء كلها، ولا هي بمعنى صيّر لعدم المفعول الثاني، وإنما هي بمعنى: ما سنّ وما شرع انتهى.

لم يذكر النحويون في معنى جعل: شرع، بل ذكروا أنها تأتي بمعنى خلق وبمعنى ألقى وبمعنى صيّر وبمعنى الأخذ في الفعل فتكون من أفعال المقاربة، وذكر بعضهم أنها تجيء بمعنى سمّى. وقد جاء حذف أحد مفعولي ظنّ وأخواتها لكنه قليل، والحمل على ما سُمع أولى من إثبات معنى لم يثبت في لسان العرب، فيحتمل أن يكون المفعول الثاني محذوفاً أي: ما صيّر الله بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حاميا مشروعة، بل هي من شرعِ غيرِ الله. والأنعام خلقها الله رفقاً بعباده ونعمة عدّدها عليهم ومنفعة بالغة، وأهل الجاهلية قطعوا طريق الانتفاع وإذهاب نعمة الله تعالى بها.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ هذا استدراكٌ بعد نفي أي: يجعلون البحيرةَ وما بعدها من جعل الله تعالى. وعبّر بقوله «الكذب» عن نسبة ذلك الجَعْل إلى الله تعالى.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ﴾ الآية، تقدم تفسير مثلها في البقرة[2]. وهنا: «تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا». وهناك: «اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا» وهنا: «لا يعلمون شيئاً» وهناك: «لا يعقلون شيئاً»، والمعنى في هذا التغاير لا يكاد يختلف.

---

(١) الكشاف ١: ٦٤٩.

(٢) الآية ١٧٠.

قال ابن عطية في «أَوَلَوْ»: ألف التوقيف دخلت على واو العطف كأنهم عطفوا هذه الجملةَ على الأولى والتزموا شنيعَ القول، فإنما التوقيف توبيخ لهم كأنهم يقولون بعده: نعم ولو كانوا كذلك انتهى.

قوله في الهمزة ألف التوقيف، عبارة لم أقف عليها من كلام النحاة، يقولون: همزة الإنكار، همزة التوبيخ، وأصلها همزة الاستفهام. وقوله: كأنهم[1] عطفوا هذه الجملة على الأولى، يعني فكان التقدير: وَأَلَوْ، فاعتنى بالهمزة فقدمت كقوله ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ۝٩﴾ [الروم]. وليس كما ذكر من أنهم عطفوا [١٦٦/ب] هذه الجملة على الأولى على ما نبيّنه إن شاء الله تعالى.

قال الزمخشري[2]: والواو في قوله «أوَ لو كان آباؤهم» واو الحال وقد دخلت عليها همزة الإنكار [وتقديره]: أَحَسْبُهم[3] ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون؟، والمعنى أنَّ الاقتداء إنما يصحُّ بالعالم المهتدي، وإنما يُعرف اهتداؤه بالحجة[4].

جعل الزمخشري الواو في «أَوَلو» واو الحال وهو مغاير لقول ابن عطية إنها واو العطف [كأنهم] عطفوا هذه الجملة على الجملة الأولى. ونقول إنه[5] يصحّ أن يقال هي واو العطف لا من الجهة التي ذكرها ابن عطية، وواو الحال. لكن يحتاج ذلك إلى تبيين؛ وذلك أنه قد تقدم من كلامنا أن

(١) ق: وقولهم لأنهم.

(٢) الكشاف ١ : ٦٤٩.

(٣) غير مقروءة في ق.

(٤) ق: فالحجة.

(٥) ق: إنها.

«لو» التي تجيء هذا المجيء هي شرطية وتأتي لاستقصاء ما قبلها والتنبيه على حالة داخلة فيما قبلها وإن كان مما ينبغي أن لا يدخل كقوله: أعطوا السائل ولو جاء على فرس، وردّوا السائل ولو بظلف[1]: «واتقوا النار ولو بشق تمرة»[2] وقول الشاعر[3]: [من البسيط]

قَوْمٌ إذا حاربوا شَدُّوا مآزِرَهُمْ   دونَ النساءِ ولو باتَتْ بأطهارِ

والمعنى: أعطوا السائل على كل حال ولو بالحالة التي تشعر بالغنى وهو مجيئه على فرس، وكذلك تقرّر ما ذكرنا من المثل على ما يناسب، فالواو عاطفة «على كل حال» [مقدّرة، فمن حيث هذا العطف صحّ أن يقال هي عاطفة، ومن حيث إن العطف على الحال حال] صحّ أن يقال إنها واو الحال. وقد تقدّم الكلام على ذلك في «البحر» بأشبع من هذا[4]، فالتقدير في الآية[5]: أَحَسْبُهم اتّباع ما وجدوا عليه آباءهم على كل حال ولو في الحالة التي ينتفي عن آبائهم العلم والهداية، فإنها حالة ينبغي أن لا تُتّبع فيها الآباء، لأن ذلك حال من غلب عليه الجهل المفرط.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ قال أبو أمية الشعباني[6]: سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية فقال: لقد سألت عنها خبيراً؛ سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإذا رأيت دنيا مُؤْثَرة وشُحّاً

(١) ق: بظلاف.

(٢) خرّجه مسلم في صحيحه ٢: ٧٠٤ من حديث عديّ بن حاتم.

(٣) البيت للأخطل في ديوانه ص١٢٠.

(٤) انظر ٤: ٣٥.

(٥) ق: في هذا.

(٦) انظر تفسير الطبري ٧: ٦٣.

مطاعاً وإعجاب كُلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ فعليكَ بِخُويصةِ نفسكَ.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لمّا بيّن أنواع التكاليف ثم قيل «ما على الرسول إلا البلاغ» إلى قوله تعالى «وإذا قيل لهم تعالوا»[١]، كان المعنى أن هؤلاء الجهّال بما تقدّم من المبالغة في الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه بل بقوا مصرّين على جهلهم، فلا تبالغوا أيها المؤمنون بجهالتهم وضلالتهم فإنّ ذلك لا يضرّكم، بل كونوا منقادين لتكاليف الله مطيعين لأوامره.

و﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ من كلم الإغراء وله باب معقود في النحو وهو معدود في أسماء الأفعال، فإن كان الفعل متعدّياً كان اسمه متعدّياً، وإن كان لازماً كان لازماً. و«عليكم» اسم لقولك: الزم، فهو متعدٍّ فلذلك نصب المفعول به والتقدير هنا: عليكم إصلاح أنفسكم. «إلى الله مرجعكم» أي مرجع المهتدين والضالين[٢]. وغلّب الخطاب على الغيبة كما تقول: أنت وزيد تقومان. وهذا فيه تذكير بالحشر وتهديد بالمجازاة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ

(١) الآيات ٩٩-١٠٤.

(٢) ق: والظالمين.

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ الآية، روى البخاري وغيره[1] عن ابن عباس قال: كان تميم الداري وعديّ يختلفان إلى مكة فخرج معهما فتى من بني سَهمٍ فتوفّي بأرضٍ ليس فيها مسلمٌ فأوصى إليهما فدفعا تركته إلى أهله وحبسا جاماً من فضة مخوصاً[2] بالذهب، فاستحلفهما - وفي رواية: فحلفهما - [١٦٧/أ] بعد العصر النبي ﷺ ما كتمتما ولا اطلعتما، ثم وجد الجام بمكة فقالوا اشتريناه من عدي وتميم، فجاء الرجلان من ورثة السهميّ فحلفا أن هذا الجام للسهمي و«لشهادتنا أحقّ من شهادتهما وما اعتدينا»، قال[3]: فأخذ الجام، وفيهم نزلت هذه الآية.

ومناسبتها لما قبلها هو أنه لما ذكر «يا أيها الذين آمنوا» الآية، كان في ذلك تنفير عن الضلال واستبعاد عن أن ينتفع بهم في شيء من أمور المؤمنين من شهادة أو غيرها، فأخبر تعالى بمشروعية شهادتهم أو الإيصاء إليهم في السفر على ما سيأتي بيانه. وقرأ الجمهور: شهادةُ بالرفع، بينِكم بالجر.

و«شهادة» مبتدأ و«اثنان» خبره على أحد تقديرين: أحدهما أن يكون التقدير: ذوا شهادة بينكم اثنان، والتقدير الثاني أن لا يُحذف من الأول

---

(١) أخرجه الترمذي ٥: ٢٥٨ من الطريق نفسه وقال: حديث غريب وليس إسناده بصحيح.

(٢) الجام: إناء للشراب والطعام، ومخوصاً بالذهب: مزيّناً به.

(٣) ق: قالوا.

ويُحذف من الثاني فتقدّر: شهادة اثنين فيطابق المتبدأ الخبر في التقديرين، إذ لو حُمل على غير حذف لم يصحّ لأن الشهادة ليست تفسيراً لـ«اثنين». وقرأ السّلمي: شهادةً بالنصب والتنوين فقدّره الزمخشري[1]: لِيُقِمْ شهادةً اثنان، فجعل «شهادة» مفعولاً بإضمار هذا الأمر و«اثنان» مرتفع بـ«ليقم» على الفاعلية. وهذا الذي قدّره الزمخشري هو تقدير ابن جنّي بعينه. قال ابن جني: التقدير: ليُقم شهادةً بينكم اثنان انتهى.

وهذا الذي ذكره ابن جنّي مخالفٌ لما قاله أصحابنا، قالوا: لا يجوز حذف فعلٍ وأيضاً فاعله إلا إن أشعر[2] بالفعل ما قبله كقوله تعالى «يُسَبَّحُ له فيها بالغدو والآصال رجال» [النور: ٣٦، ٣٧] على قراءة من فتح الباء فقرأه مبنيّاً للمفعول. وذكروا في اقتياس هذا خلافاً[3] أي: يسبّحه رجال، فدل «يسبح» على: يسبّحه. أو أجيب به نفي كأن يقال لك: ما قام أحد عندك، فتقول: بلى زيد، أي قام زيد. أو أجيب به استفهام كقول الشاعر[4]:

[من الطويل]

ألا هل أتى أمّ الحويرث مرسَلٌ   بلى، خالدٌ إن لم تَعُقْه العوائقُ

التقدير: أتى خالد أو يأتيها خالد. وليس حذف الفعل الذي قدّره ابن جنّي وتبعه الزمخشري واحداً من هذه الأقسام الثلاثة.

والذي عندي أن هذه القراءة الشاذة تتخرج على وجهين: أحدهما: أن يكون «شهادةً» منصوباً على المصدر الذي ناب مناب الفعل بمعنى الأمر،

---

(١) الكشاف ١ : ٦٥٠.

(٢) ق: وإبقاء فاعله إلا إن أشعره.

(٣) ق: خلاف.

(٤) البيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١ : ١٥١.

و«اثنان» مرتفع به والتقدير: ليشهد بينكم اثنان. والوجه الثاني: أن يكون أيضاً مصدراً ليس بمعنى الأمر بل يكون خبراً ناب مناب الفعل في الخبر وإن كان ذلك قليلاً كقولهم: أفعلُ وكرامةً ومسرّةً أي أكرمك وأسرّك، أي يشهد اثنان.

﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفة لقوله «اثنان» و«منكم» صفة أخرى، و«من غيركم» صفة «لآخران». قال ابن عباس وغيره: أمر الله تعالى بإشهاد عدلين من القرابة إذ هم أحقّ بحال الوصية وأدرى بصورة العدل فيها. فإن كان الأمر في سفر ولم تحضر قرابة أسندها إلى غيرهما من المسلمين الأجانب. وهذا القول مخالف لما ذكره الزمخشري وغيره من المفسرين حتى إن ابن عطية قال: لا نعلم خلافاً أن سبب هذه الآية أن تميما الداري وعديًّا[1] كانا نصرانيين، وساق الحديث المذكور أولاً. وقال أبو جعفر النحّاس ناصراً لقول ابن عباس إن هذا [١٦٧/ب] القول يبنى على معنى غامض في العربية، وذلك أن معنى «آخر» في العربية من جنس الأول، تقول: مررت بكريم وكريم آخر، فقوله: آخر، يدل على أنه من جنس الأول، ولا يجوز عند أهل العربية: مررت بكريم وخسيس آخر، ولا: مررت برجلٍ وحمارٍ آخر، فوجب من هذا أن يكون معنى قوله «أو آخران من غيركم» أي عدلان، والكفار لا يكونون عدولاً انتهى.

وما ذكره في المثل صحيح، إلّا أن الذي في الآية مخالف للمُثل التي ذكرها النحاس في التركيب، لأنه مثّل بتأخير «آخر» وجعله صفة لغير الجنس الأول. وأما الآية فمن قبيل ما تقدّم فيه «آخر» على الوصف واندرج «آخر» في الجنس الذي قبله، ولا يعتبر وصف جنس الأول تقول: جاءني رجل

---

(١) ق: تميم.. وعلي.

مسلم وآخر كافر، ومررت برجل قائم وآخر قاعد، واشتريت فرساً سابقاً وآخر مبطئاً. فلو أخّرت «آخر» في هذه المُثل لم تجز المسألة، لو قلت: جاءني رجل مسلم وكافر آخر، ومررت برجل قائم وقاعد آخر، واشتريت فرساً سابقاً ومبطئاً آخر، لم يجز.

وليست الآية من هذا القبيل لأن التركيب فيها جاء «اثنان ذوا عدلٍ منكم أو آخران من غيركم» فآخران من جنس قوله «اثنان» ولا سيّما إذا قدّرته: رجلان اثنان. فآخران هما من جنس قولك: رجلان، ولا يعتبر وصف قوله «ذوا عدل منكم» وإنْ كان مغايراً لقوله «من غيركم» كما لا يعتبر وصف الجنس في قولك: عندي رجلان اثنان مسلمان وآخران كافران، إذ ليس من شرط «آخر» إذا تقدم أنْ يكون من جنس الأول بقيد وصفه، وعلى ما ذكرته هو لسان العرب، قال تعالى ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران] [وأخرى] تأنيث آخر، قال زهير بن أبي سلمى[1]: [من البسيط]

كانوا فريقين يُصغون الزِّجاج على قُعْسِ الكواهل في أكتافها شَمَمُ
وآخرين تَرى الماذيَّ عُدَّتهم من نَسْجِ داودَ أو ما أَورثَتْ إرَمُ

[قوله: يصغون] أي: يميلون، والزجاج عنى به الأسِنَّة، وقُعْس: جمع أقعس وهو الأحدب، والشمم الارتفاع، والماذيّ الدرع اللّين الصافي، وإرم أمة قديمة. التقدير: كانوا[2] فريقين فريقاً أو ناساً يصغون الزجاج، ثم قال: وآخرين ترى الماذي. فـ«آخرين» من جنس قولك: فريقاً، ولم يعتبره بوصفه.

---

(١) ديوانه ص١٥٨. وفي ق: يصغون الثياب.

(٢) ق: كان.

وهو قوله «يصغون الزجاج» لأن الشاعر قَسَم من ذَكَر إلى قسمين متباينين بالوصف متّحدين في الجنس، وهذا الفرق قَلَّ مَنْ يفهمه فضلاً عمّن يعرفه.

والظاهر أن «أو» للتخيير وقال به ابن عباس. فمن جعل قوله «من غيركم» أي: من غير عشيرتكم، كان مخيّراً بين أنْ يستشهد أقاربه أو الأجانب من المسلمين.

ومن زعم أن قوله «من غيركم» أي من الكفار فاختلفوا: فقيل «غير» يعني به أهل الكتاب وروي ذلك عن ابن عباس، وقيل: أهل الكتاب والمشركين وهو ظاهر قوله «من غيركم». [وقيل: «أو» للترتيب إذا كان قوله «من غيركم»] يعني به: من غير أهل ملّتكم، فالتقدير: إن لم يوجد من ملّتكم.

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب، ولو جرى على لفظ «إذا حضر أحدكم الموت» لكان التركيب: إن هو ضرب في الأرض فأصابته مصيبة الموت، وإنما جاء الالتفات جمعاً لأن قوله «أحدكم» معناه [١٦٨/أ] إذا حضر كل واحد منكم الموت. والمعنى إذا سافرتم في الأرض لمصالحكم ومعاشكم. وظاهر الآية يقتضي أنَّ استشهادَ آخرين من غير المسلمين مشروطٌ بالسفر في الأرض وحضور علامات الموت.

﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ قال الفارسي والحوفي وأبو البقاء: صفة لـ«آخران»، واعترض بين الموصوف والصفة بالشرط وما عطف عليه. وأفاد الاعتراض أن العدول إلى آخرين من غير الملّة أو القرابة حسب اختلاف العلماء في ذلك إنما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت فيه. واستغنى عن جواب «إن» لما تقدّم من قوله «أو آخران من غيركم» انتهى.

وقال الزمخشري[1]: فإن قلت: ما موضع «تحبسونهما»؟ قلت: هو استئناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما: فكيف [نعمل إن] ارْتَبْنا فيهما؟ فقيل: تحبسونهما انتهى.

وما قاله الزمخشري من الاستئناف أظهر من الوصف لطول الفصل بالشرط والمعطوف عليه بين الموصوف وصفته. وإنما قال الزمخشري: بعد اشتراط العدالة فيهما، لأنه اختار أنْ يكون قوله «أو آخران من غيركم» معناه: أو عدلانِ آخرانِ من غيرِ القرابة، والخطابُ في ذلك لمن يلي ذلك من ولاةِ الإسلام. وضمير المفعول عائد في قولٍ على آخَرَين من غير المؤمنين، والظاهر عَوْدُه على اثنين منّا أو من غيرنا سواء كانا وصيّين أو شاهدين.

وظاهر قوله ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أنَّ الألف واللام للجنس أي من بعد صلاة. وقد قيل بهذا الظاهر، وقيل هي صلاة العصر ورجح بأنَّ رسول الله ﷺ استحلف عديًا وتميماً بعدها عند المنبر.

﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ الآية، ظاهره تقييده حلفهما بوجود الارتياب فمتى لم توجد الريبة فلا تحليف.

﴿لَا نَشۡتَرِي﴾ جواب القسم والضمير في «به» عائد على القسم بالله. و﴿ثَمَنٗا﴾ على حذف مضاف تقديره: مالاً ذا ثمن.

وفي ﴿كَانَ﴾ ضمير يعود على من يُقْسَم لأجله قريباً منه من حيث المعنى.

﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ معطوفة على قوله «لا نشتري به ثمناً» فيكون من جملة المقسم عليه. وأضاف الشهادة إلى الله لأنه تعالى هو الآمر بإقامتها النّاهي

(١) الكشاف ١: ٦٥١.

عن كتمانها. وقرأ الأعمش وابن محيصن: لَمِلاَّثمين، بإدغام نون «مِن» في لام «الآثمين» بعد حذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام. و«إذا» ها هنا تؤدي معنى الشرط والمعنى: وإنّا[1] إن اشترينا أو كتمنا لمن الآثمين.

﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾ أي: فإن اطلع بعد حلفهما. ﴿ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ أي: ذنباً بحنثهما في اليمين بأنها ليست مطابقة للواقع. ﴿ فَـَٔاخَرَانِ ﴾ أي: رجلان آخران. ﴿ يَقُومَانِ[مَقَامَهُمَا ﴾ أي:] مقام ذينك اللذين استحقّا إثماً بما ظهر عليهما من خيانتهما في الجام يقومان مقامهما في الإيمان أنهما يستحقّان ذلك الجام ويكونان من الورثة لمالِ الميتِ الذي كان سافر.

وقرىء: استُحقّ عليهم، مبنيًّا[2] للمفعول أي المستحقّ[3] عليهم، أي أخذ الجام الذي كان الأوّلان خانا فيه وكتماه عن الورثة. وقرىء: استَحقّ مبنياً للفاعل أي استحقّ الأوّلان أخذه بخيانتهما. وقرىء: الأوّلَيْن، صفة لـ«الذين» ويريد به الوارث لأنهم أوّلون باعتبار استحقاق المال، والآخران المعثور على خيانتهما آخران. وقرىء: الأوليان، على إضمار مبتدأ محذوف أي الآخران [١٦٨/ب] القائمان مقام الأوّلين اللذين كتما الجام تقديره: هما الأوليان.

﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ ﴾ أي: لأيماننا أن الجام ممّا نستحقّه أحقّ من شهادة ذَيْنِك الأوّلين. ويريد بالشهادة الأيمان لأن الأيمان تثبت بها الحقوق كما تثبت بالشهادة. «لشهادتنا» جواب القسم «وما اعتدينا» معطوف عليه،

(١) ق: وإذا.

(٢) ق: مبني.

(٣) ق: استحق.

كما جاء قسم الآخرَيْن له جوابان: لا نشتري ولا نكتم، كذلك جاء ها هنا جوابان: لشهادتنا وما اعتدينا.

﴿إِنَّآ إِذًا﴾ [أي: إنْ] زللنا في الشهادة واعتدينا، لمن الظالمين.

وهذه الآية نزلت في قضية معيّنة على ما دلّ عليه سبب النزول في صحيح البخاري، ولم يقيّد شهادة العدلين بالسّفر وقيّدت به شهادة آخرين من غير المسلمين بقوله تعالى «إن أنتم ضربتم في الأرض». وثَمّ محذوف تقديره: ووضعتما أيديكما على جميع ما خلّفه الميت ثم أدّيا ذلك للورثة فإن ارتيب فيهما حلفا اليمين المذكورة بعد الصلاة. فإن اطُّلع على خيانة منهما في شيء معيّن حلف الآخران على استحقاق ذلك وأخذاه. وذكر في البحر تقادير من الإعراب تطالع فيه[1].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الإشارة[2] بـ«ذلك» إلى الحكم السابق. ولمّا كان الشاهدان لهما حالتان: حالة مرتاب فيها إذا شهدا، فإذ ذاك يحبسان بعد الصلاة ويحلفان اليمين المشروعة في الآية. وحالة يُطّلع[3] فيها إذا شهدا، على إثمهما بالشهادة وكذبهما في الحلف، فإذ ذاك لا يلتفت إلى أيمانهم وتردّ إلى شهود آخرين فيُعمل بأيمانهم، فقوبلت كل حالة بما يناسبها، وكان العطف بـ«أو» لأنها لأحد الشيئين. والإشارة بـ«الفاسقين» إلى من حرّف الشهادة.

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه لما أخبر تعالى بالحكم في شاهدَي الوصية ذكّر بهذا اليوم المَخُوفِ وهو يوم القيامة، فجمع

(١) انظر ٤: ٤٥ وما بعدها.

(٢) ق: إشارة.

(٣) ق: لا يطلع.

بذلك بين فضيحةِ الدنيا وعقوبةِ الآخرة لمن حرَّفَ الشهادة ومَنْ لم يتَّقِ الله تعالى.

﴿ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ سؤال توبيخ لأممهم لتقوم الحجة عليهم. وانتصاب «ماذا» بـ«أجبتم» انتصاب لمصدره على معنى: أي إجابة أجبتم، كما تقول: ماذا يقوم زيد، تريد: أي قيام يقوم. قالوا: هو الناصب لقوله «يوم يجمع». والسؤال عن الإجابة متضمن المجاب به ونفيهم العلم عنهم بقولهم[1] «لا علم لنا»، قال ابن عباس: معناه لا علم لنا إلا علماً أنت أعلم به منا. وقرىء: علامَ، بالنصب وهو على حذف الخبر لفهم المعنى، فيتم الكلام بالمقدر في قوله «إنك أنت» أي: إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره.

قال الزمخشري[2]: ثم نصب «علام الغيوب» على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم إنّ انتهى. وهذا الوجه الأخير لا يجوز لأنهم أجمعوا على أن ضمير المتكلم وضمير المخاطب لا يجوز أن يوصف، وأما ضمير الغائب ففيه خلاف شاذ للكسائي.

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) ق: بقوله.

(٢) الكشاف ١ : ٦٥٢.

مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ «إذ» بدل من قوله «يوم يجمع». «يا عيسى» وصف عيسى بقوله «ابن مريم». واحتمل «عيسى» أن يكون مضموماً ومفتوحاً في التقدير كما كانتا ظاهرتين في قولك: يا زيدُ بنَ عمرو [ويا زيدَ بنَ عمرو]. والنعمة هنا جنس ويدلُّ على ذلك ما عدّده بعد هذا التوحيد اللفظي من النعم، وأضافها [١٦٩/أ] إليه تنبيهاً على عظمها. ونعمتُه عليه قد عَدَّدها هنا وفي البقرةِ وآل عمران ومريم[١] وفي مواضع من القرآن. ونعمته على أُمِّهِ براءتها ممّا نُسبَ إليها وتكفيلها لزكريا وتقبّلها بقبولٍ حَسَنٍ وما ذكر في سورة التحريم ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم] إلخ وغير ذلك. وأمر بذكر نعمة أمه لأنها نعمة صائرة إليه.

و﴿أَيَّدتُّكَ﴾ معناه قوّيتك مشتقًّا من الأيد، وأيّد وزنه فَعَّل مضارعه يؤيّد، قال الزمخشري[٢]: يكون على أَفْعَلْتُك قال ابن عطية: على وزن فاعلتك، ويظهر أن الأصل في القراءتين: أَأْيَدْتُكَ، على وزن أَفْعَلْتُكَ ثم اختلف الإعلال، والمعنى فيهما قوّيتك من الأيد انتهى. لو كان أفعل لكان المضارع يؤيّد كمضارع آمن يؤمن. وأما من قرأ: آيد[٣] فيحتاج إلى نقل مضارعه من كلام العرب؛ فإن كان يؤايد فهو فاعَلَ، وإن كان يؤيّد فهو أَفْعَلَ. وأما قول ابن عطية في القراءتين: يظهر أن وزنه أفعلتك ثم اختلف الإعلال فلا أفهم ما أراد.

(١) انظر ٢: ٨٧، ٢٥٣، و٣: ٤٥-٥٠ و١٩: ١٦-٣٤.

(٢) الكشاف ١: ٦٥٣ وعبارته «وقرىء: آيدتك، على أَفْعَلْتُك».

(٣) ق: آأيد.

﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ تقدّم تفسير [نظير] هذه الجمل والقراءات التي فيها في آل عمران[١]. وما لم يتقدم ذكره نذكره فنقول: جاء هنا: كهيئة الطير فتنفخ فيها فيكون طائراً. قال مكّي: هو في آل عمران عائد على الطائر، وفي المائدة عائد على الهيئة، قال: ويصحّ عكس هذا. وقال غيره: الضمير المذكور عائد على الطين.

قال ابن عطية: ولا يصحُّ عَوْد هذا الضميرِ لا على [الطير ولا على] الطين ولا على الهيئة، لأنَّ الطيرَ أو الطائر الذي يجيء الطين على هيئته لا نفخ فيه البتّة وكذلك لا نفخ في هيئته الخاصة به، وكذلك الطين إنما هو الطين العام ولا نفخ في ذلك انتهى.

قال الزمخشري[٢]: ولا يرجع - يعني الضمير - إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء، وكذلك الضمير في «فتكون»[٣] انتهى.

والذي ينبغي أن يحمل عليه كلام مكي أنه لا يريد به ما فهم عنه بل يكون قوله «عائد على الطائر» لا يريد به الطائر المضاف إليه الهيئة، بل الطائر الذي صوّره عيسى ويكون التقدير وإذ تخلق من الطين طائراً صورته[٤] مثل صورة الطائر الحقيقي فتنفخ فيه فيكون طائراً حقيقة بإذن الله. ويكون قوله «عائد على الهيئة» لا يراد به الهيئة المضافة إلى الطائر بل الهيئة التي تكون الكاف صفة لها ويكون التقدير: وإذ تخلق من الطين هيئة مثل هيئة الطير فتنفخ فيها

---

(١) ٣: ٤٩.

(٢) الكشاف ١: ٦٥٣.

(٣) ق: يكون.

(٤) ق: صورة.

أي في الهيئة الموصوفة بالكاف المنسوب خَلْقُها إلى عيسى. «وإذ تخرج الموتى» أي تحيي الموتى، فعبّر بالإخراج عن الإحياء كقوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ بعد قوله ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴿١١﴾ ﴾ [ق][1]، أو يكون التقدير: وإذ تخرج الموتى من قبورهم أحياءً.

﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ ﴾ أي: منعتُهم من قتلك حين همّوا بك وأحاطوا بالبيت الذي أنت فيه. والبيّنات هنا هي المعجزات التي تقدّم ذكرها وظهرت على يديه.

ولمّا فصَّلَ تعالى نعمته ذكر ذلك منسوباً لعيسى عليه السلام دونَ أمه لأنَّ من هذه النعمة نعمة النبوة وظهور هذه الخوارق، فنعمته عليه أعظم منها على أمّه فخصّ بالذكر أعظم النعمتين، ولأن[2] جميع ما وُصف [به] عيسى عليه السلام هو فَخْرٌ لأمهِ إذ وَلَدتْ مثلَ هذا النبيِّ الكريم، وقال [١٦٩/ب] الشاعر[3]: [من الكامل]

شهِدَ العوالمُ أنها لنجيبة ... بدليلِ ما ولَدتْ من النُّجباءِ

﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ قرىء: ساحر بالألف هنا وفي هود والصف[4]. فهذا إشارة إلى عيسى. وقرىء: سِحْر، فهذا إشارة إلى ما جاء به عيسى من البيّنات، ويجوز أن يكون قوله هذا إشارة إلى عيسى

---

(١) وفي ق: فأحيينا.

(٢) ق: وكان.

(٣) لم أجده، وانظر البحر ٤: ٥٢.

(٤) انظر ١١: ٧، ٦١: ٦.

ويكون قوله «سحر» أي [ذو] سحر[١] فيكون على حذف مضاف، أو جعلوا عيسى سحراً على سبيل المبالغة.

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ الظاهر أن الوحي على ألسنة الرسل. والرسول هنا هو عيسى عليه السلام. وهذا الإيحاء إلى الحواريين هو من نعم الله تعالى على عيسى بأن جعل له أتباعاً يصدّقونه ويعملون بما جاء به.

﴿ أَنْ ءَامِنُوا۟ ﴾ أن تفسيرية بمعنى أي، ويجوز أن تكون مصدرية أي بالإيمان. ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ أي: بكَ وبرسولك. ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ أي: منقادون لأمرك.

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ ظاهر اللفظ أن قوله تعالى «إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك»[٢] إلى آخر قصة المائدة كان ذلك في الدنيا، ذكّر عيسى بنعمه وبما أجراه على يديه من المعجزات، وباختلاف بني إسرائيل عليه وانقسامهم إلى كافر ومؤمن وهم الحواريون. ثم استطرد إلى قصة المائدة إعلاماً لرسول الله ﷺ بما صدر من الحواريين في قصة المائدة بعد إقرارهم بالإيمان بالله تعالى وبعيسى عليه السلام، إذ في سؤال المائدة

---

(١) ق: وسحر.

(٢) الآية ١١٠ السابقة.

بعض تعنّت من الحواريين، وفي قولهم «يا عيسى بن مريم» سوء أدب إذ لم يقولوا: يا روح الله [أو] يا رسول الله. وفي قولهم «هل يستطيع ربك» سوء أدب.

وقرأ الجمهور: هل يستطيع ربُّك، بالياء و«ربك» بالرفع. وقرأ الكسائي: هل تستطيع، بالتاء و«ربك» بالنصب وهو على حذف مضاف تقديره: سؤال ربك، فالمعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزّل. وهذه القراءة أحسن[1] في المحاورة من قراءة الجمهور.

﴿عَلَيْنَا مَآئِدَةً﴾ المائدةُ الخوانُ الذي عليه طعامٌ، فإذا لم يكن عليه طعامٌ فليس بمائدة.

﴿قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيه إنكار عليهم اقتراح هذه الآية وبشاعة اللفظ في قولهم «هل يستطيع ربك» بعد قولهم: آمنا بك وبرسولك، ويدل على اضطرابهم الآية التي بعدها. روي أن عيسى عليه السلام لبس جبّة شعر ورداء شعر وقام يصلّي ويبكي ويدعو. والآية قولهم: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي: مما على المائدة. ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ و«أنْ» هذه هي المخففة من الثقيلة تقديره [أنّك] قد صدقتنا. ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال الزمخشري[2]: عاكفين عليها، على أنّ «عليها» في موضع الحال انتهى. وهذا التقدير ليس بجيد لأن حرف الجر لا يحذف عامله وجوباً إلا إذا كان كوناً مطلقاً لا كوناً مقيداً، والعكوف كون مقيّد. ولأن المجرور إذا كان في موضع الحال كان العامل فيها: عاكفين المقدّر، وقد ذكرنا أنه ليس بجيد.

---

(١) ق: حسنة.

(٢) الكشاف ١: ٦٥٤. وفي ق: أي على أن.

ثم إن قول الزمخشري مضطرب لأن «عليها» إذا كان ما[1] يتعلق به هو «عاكفين» كانت في موضع نصب على المفعول الذي تعدّى إليه العامل بحرف الجر، وإذا كانت في موضع الحال كان العامل فيها كوناً مطلقاً واجب الحذف فظهر التنافي بينهما والله أعلم.

ثم إن عيسى عليه السلام دعا الله تعالى باسمه العَلَم الذي لا شركة فيه وهو «اللهم». و«ربنا»: أي: مصلحنا ومالك أمرنا.

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ المعنى: [١٧٠/أ] يكون يوم نزولها عيداً، قيل: وهو يوم الأحد ومن أجل ذلك اتخذه النصارى عيداً. والعيد السرور والفرح ولذلك يقال: يوم عيد. والمعنى أن يكون لنا سروراً وفرحاً. والعيد المجتمع لليوم المشهود، وَعُرْفُه أن يقال فيما يستدير بالسنة أو بالشهر أو بالجمعة ونحوه.

﴿لِأَوَّلِنَا﴾ [لأهلِ زماننا. ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ من يجيء بعدنا. و«الأوّلنا» بدل من ضمير المتكلم في قوله «لنا» وأعيد فيه حرف الجر وجاز ذلك لأن معنى قوله «لأوّلنا] وآخرنا» كلّنا، كقولك: مررت بكم كبيْركم وصغيركم أي كلكم. وضمير المتكلم والمخاطب لا يبدل منهما إلا بتوكيد نحو: قمت أنا نفسي وقمت أنت نفسك، إلا إن كان البدل يفيد معنى التوكيد فيجوز كهذه الآية.

﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ علامة شاهدة على صدق عبدك. ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ عام في طلب الرزق من المائدة وغيرها.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ الآية، اختلفوا في كيفية نزولها وفيما كان عليها

(١) ق: مما.

ومن أكل منها وفيما آل إليه حال من أكل منها اختلافاً[١] مضطرباً متعارضاً ذكره المفسرون أضْرَبْتُ عنه صفحاً إذ ليس فيه شيء يدل على لفظ الآية.
وأحسن ما يقال فيه ما خرجه الترمذي[٢] في أبواب التفسير عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ: «أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً وأُمروا أن لا يدّخروا لغدٍ ولا يخونوا فخانوا وادّخروا ورفعوا لغدٍ فَمُسِخوا قردة وخنازير».

﴿فَمَن يَكْفُرْ﴾ جملة شرطية جوابها ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ﴾ الآية. قال الحسن ومجاهد: لما سمعوا هذا الشرط أشفقوا فلم تنزّل.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ الآية، قال ابن عباس وقتادة والجمهور: هذا القول إنما هو من الله تعالى يوم القيامة يقوله على رؤوس الأشهاد فيعلم الكفار أنّ

(١) ق: فاً.

(٢) ٥: ٢٦٠.

ما كانوا فيه باطل فيكون هذا من تمام قوله تعالى ﴿ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة] المقول في الآخرة، وفصل بينهما بآية المائدة تنبيهاً على ما صدر من بني إسرائيل وإن كانوا أظهروا الإيمان بالله تعالى وبعيسى عليه السلام لينبّه المؤمنين على أن سؤال الاقتراح ينبغي أن يتحرّز عنه، وكثيراً اقترح بنو إسرائيل ما لا يجوز كقولهم ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف] وقولهم ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء].

وفي إيلاء الاستفهام الاسم [ومجيء الفعل بعده دلالة على صدور الفعل في الوجود، لكن وقع الاستفهام] عن النسبة أكان هذا الفعل الواقع صادراً عن المخاطب أو ليس بصادرٍ عنه. بيان ذلك أنك تقول: أضربت زيداً، فهذا استفهام هل صدر منك ضربٌ لزيد أم لا، ولا إشعار فيه بأن ضرب زيد قد وقع. فإذا قلت: ءأنت ضربت زيداً كان الضرب قد وقع بزيد لكنك استفهمت عن إسناده إلى المخاطب، وهذه مسألة بيانية نحوية نَصَّ على ذلك أبو الحسن الأخفش.

وذكر المفسرون أنه لم يقلْ أحدٌ من النصارى بإلٰهيّة مريم فكيف قيل «إلٰهين»؟. وأجابوا بأنهم لما قالوا لم [تلد] بشراً وإنما ولدت إلهاً لزمهم أنْ يقولوا من حيث البعضيّة بإلٰهية مَنْ ولده فصاروا بمثابة من قاله انتهى.

والظاهر صدور القول في الوجود لا من عيسى عليه السلام، ولا يلزم من صدور القول وجود الاتخاذ[1].

﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهاً لك عن أن يقال هذا وينطق به أو أن يكون له شريك. بدأ أولاً بتنزيه الله تعالى ثم ثانياً بإنكار ذلك القول بقوله «ما يكونُ

(١) ق: الاتحاد.

لي أن أقول ما ليسَ لي بحق» ثم ثالثاً بقوله« إنْ كنتُ قُلتُه فقد علمته» عَلّقَ مستحيلاً على مستحيلٍ وهو نفيه علمه تعالى بذلك القولِ فانتفى ذلك القول، ثم رابعاً بإحاطةِ علمه تعالى بما في نفس عيسى عليه السلام بقوله «تعلم ما في نفسي».

[وقوله] ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِكَۚ﴾ من باب المقابلة، ولا يقال إن الله [١٧٠/ب] نفساً وإن كان قد جاء قوله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ[ٱللَّهُ] نَفۡسَهُۥ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران] قالوا: معناه عقابه، ونظيره في المقابلة قوله تعالى ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران].

﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ﴾ أخبر أنه لم يتعدَّ أمرَ الله تعالى في أنْ أمر بعبادته وأقرَّ بربوبيّته.

وفي قوله ﴿رَبِّى وَرَبَّكُمۡۚ﴾ براءته مما ادّعوه فيه. قال الحوفي وابن عطية: و«أنْ» في «أن اعبدوا» مفسّرة لا موضع لها من الإعراب، ويصح أن تكون بدلاً من «ما»، ويصحّ أن تكون بدلاً من الضمير في «به». وزاد ابن عطية [أنه يصحّ] أن تكون في موضع خفض على تقدير: بأن اعبدوا. وأجاز أبو البقاء الجرّ على البدل من الهاء، والرفع على إضمار هو، والنصب على إضمار أعني، أو بدلاً من موضع «به». وقال أبو عبد الله الرازي[١]: كان الأصل أن يقال: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به، إلا أنه وضع القول موضع الأمر نزولاً على موجب الأدب. قال الحسن: إنما عدل لئلاّ يجعل نفسه وربه آمرَيْن معاً، ودلّ على أن الأصل ما ذكر «أن» المفسّرة انتهى.

---

(١) تفسيره ١٢: ١٤٤.

وقال الزمخشري[١]: «أنْ» في قوله «أن اعبدوا الله» إن جعلتها مفسّرة لم يكن لها بدّ من مفسّر، والمفسّر إما فعل القول وإما فعل الأمر، وكلاهما لا وجه له؛ أما فعل القول فيُحكى بعده الكلام من غير أن يتوسّط[٢] بينهما حرف التفسير، لا تقول: ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله، ولكن: ما قلت لهم إلا اعبدوا الله.

[وأما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله عزّ وجلّ، فلو فسّرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لأنَّ الله تعالى لا يقول: اعبدوا الله ربي وربكم. وإن جعلتها موصولة بالفعل لم يَخْلُ من أن تكون بدلاً من «ما أمرتني به» أو من الهاء في «به». وكلاهما[٣] غير مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه، ولا يقال: ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله بمعنى: ما قلت لهم إلا عبادته، لأن العبادة لا تقال.

وكذلك إذا جعلته بدلاً من الهاء، لأنك لو أقمت «أن اعبدوا الله» مقام الهاء، فقلت: إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله، لم يصحّ لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته.

فإن قلت: فكيف تصنع؟ قلت: يُحمل فعل القول على معناه، لأن معنى «ما قلت لهم إلا ما أمرتني به»: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به، حتى يستقيم تفسيره بـ«أن اعبدوا الله ربي وربكم». ويجوز أن تكون «أن» موصولة عطف بيان للهاء[٤] لا بدلاً انتهى.

---

(١) الكشاف ١: ٦٥٦.

(٢) ق: توسط.

(٣) ق: وكليهما.

(٤) ق: عطفاً على بيان الهاء.

وفيه بعض تعقّب: أمّا قوله: وأمّا فعل الأمر إلى آخر المنع، وقوله: لأن الله تعالى لا يقول: اعبدوا الله ربي وربكم - فإنما لم يستقم لأنه جعل الجملة وما بعدها مضمومة إلى فعل الأمر. ويستقيم أن يكون فعل الأمر مفسّراً بقوله «اعبدوا الله»، ويكون «ربي وربكم» من كلام عيسى عليه السلام على إضمار: أعني، أي: أعني وربكم، لا على الصفة التي فهمها الزمخشري فلم يستقم ذلك عنده.

وأما قوله: لأن العبادة لا تقال - فصحيح لكن ذلك يصحّ على حذف مضاف، أي: ما قلت لهم إلا القول الذي أمرتني به: قول عبادة الله، أي: القول المتضمن عبادة الله.

وأما قوله: لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته - فلا يلزم في [كل] بدل أن يحلّ محلّ المبدل منه؛ ألا ترى إلى تجويز النحويين: زيد مررت به أبي عبد الله؟ ولو قلت: زيد مررت بأبي عبد الله لم يَجُزْ ذلك عندهم إلا على رأي الأخفش.

وأما قوله: عطف بيان للهاء - فهذا فيه بُعد لأن عطف البيان أكثره بالجوامد الأعلام، وما اختاره الزمخشري وجوزه غيره من كون «أنْ» مفسّرة لا يصحّ لأنها جاءت بعد إلّا، وكل ما كان بعد إلّا المستثنى بها فلا بد أن يكون [١٧١/أ] له موضع من الإعراب، وأنْ التفسيرية لا موضع لها من الإعراب. ويظهر [لي] أن تكون «أن» مفسّرة لفعل محذوف يدل على معنى القول والتقدير: أمرتهم أن اعبدوا الله، ويدل على هذا الفعل قوله «ما أمرتني به»، وإذا أمره الله بشيء فلا بدّ أن يأمر به عباده.

والذي(١) صدر من عيسى عليه السلام في غير موضع أمره بعبادة الله ومنه ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة] وقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران].

ولو ذهب ذاهبٌ إلى أنّ «أنْ» زائدة لمجرد التوكيد وأن قوله «اعبدوا الله ربي وربكم» من قوله «ما أمرتني به» - لكان وجهاً سائغاً وصار التقدير: إلا ما أمرتني به اعبدوا الله ربي وربكم.

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ أي: رقيباً كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من قول ذلك وأن يتديّنوا به. وأتى بصيغة فعيل للمبالغة: كثير الحفظ عليهم والملازمة لهم. و«ما» ظرفية ودام تامة أي: ما بقيت فيهم أي: شهيداً في الدنيا.

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى ﴾ هي وفاةُ رَفْعِه عليه السلام إلى السماء لا وفاةُ الموتِ، ألا ترى إلى قوله ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء]. وتضافرت الأخبارُ الصحيحةُ عن رسول الله ﷺ أنه في السماء حيّ وأنه ينزل ويقتل الدّجال(٢). وقال تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء](٣) أي: بعيسى قبل موته أي: الموتة الحقيقية.

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ الآية، قال أهل السنّة: مقصود عيسى عليه السلام تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى وترك الاعتراض بالكليّة ولذلك ختم الكلام بقوله «فإنك أنت العزيز الحكيم» أي: قادرٌ على كُلّ ما تريد حكيمٌ في

---

(١) ق: الذي.

(٢) انظر مثلاً صحيح مسلم ٤: ٢٢٥٨، رواية عبد الله بن عمرو.

(٣) وبعدها في ق: به أي.

كل ما تفعل لا اعتراض عليك.

﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قرأ الجمهور: هذا يومُ، بالرفع على أن «هذا» مبتدأ و«يوم» خبره والجملة محكيّة بقال وهي في موضع المفعول به لقال. وقرأ نافع: هذا يومَ، بفتح الميم فخرّجه الكوفيون على أنه مبني خبر لهذا، وبُني لأضافته إلى الجملة الفعلية المصدّرة بالمضارع فتتّحد القراءتان. والبصريون لا يجيزون بناء الظرف إلا إذا كانت الجملة مصدّرة بالفعل الماضي نحو: عجبت من يومَ قدم زيد، وهذه المسألة ذكرت [في علم النحو].

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ هذا كأنه جواب سائل سأل: ما لهم جزاءً على الصدق؟ فقيل: لهم جنات. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ إشارة إلى تأبيد الديمومة في الجنة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ﴾ ذلك: إشارة إلى ما تقدم من كينونة الجنة لهم على التأبيد، وإلى رضوان الله عنهم لأن الجنة بما فيها كالعدم بالنسبة إلى رضوان الله تعالى.

وثبت في الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال(١): «يطلع اللهُ على أهلِ الجنة فيقول: يا أهل الجنة هل رضيتم؟ فيقولون: يا ربنا وكيف لا نرضى وقد بعدتنا عن نارك وأدخلتنا جنتك. فيقول الله عزّ وجلّ: ولكم عندي أفضل من ذلك. فيقولون: وما أفضل من ذلك؟ فيقول الله عزّ وجلّ: أُحِلُّ عليكم رضائي فلا أسخطُ عليكم بعدها أبداً».

---

(١) صحيح مسلم ٤: ٢١٧٦، عن أبي سعيد الخدري بألفاظ مقاربة.

وقال أبو عبد الله الفخر الرازي[1]: مفتتحُ السورة كان بذكرِ العهدِ المنعقدِ بين الربوبية والعبودية، فيشرع العبد في العبودية وينتهي إلى الفناء المحض عن نفسه [بالكلية]. فالأول هو الشريعة وهو البداية، والآخر هو الحقيقة وهو النهاية. فمفتتحُ السورةِ من الشريعة [١٧١/ب] ومختتمها بذكرِ كبرياءِ الله وجلالِه وقهره وعزّته وعلوّه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة. فما أحسنَ المناسبةَ بين ذلك المُفْتَتحِ وهذا المختتم انتهى. وليست الحقيقةُ والشريعةُ والتمييز بينهما من ألفاظِ الصحابةِ والتابعين، وإنما ذلك من كلامِ الصوفية، ولهم في ذلك كلام طويل.

(١) تفسيره ١٢ : ١٤٧.

سورة الأنعام

سورة الانعام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ هذه السورة مكية إلا آيات قيل نزلت بالمدينة. ومناسبة افتتاح هذه السورة لآخر المائدة أنه تعالى لما ذكر ما قالته النصارى في عيسى وأمه من كونهما إلٰهين من دون الله، وجرت تلك المحاورة، وذكر ثواب الصادقين، وأعقب ذلك بأنّ له ملك السماوات والأرض وما فيهن، وأنه قادر على كل شيء - ذكر بأن الحمد لله المستغرق جميع المحامد، فلا يمكن أن يثبت معه شريك في الإلهيّة فيُحمد. ثم نبّه على العلّة المقتضية لجميع المحامد والمقتضية كون ملك السماوات والأرض وما فيهن له، بوصف خلق السماوات والأرض؛ لأن الموجد للشيء، المنفرد باختراعه، له الاستيلاء والسلطنة عليه. ولمّا تقدّم قولهم في عيسى عليه السلام وكفرهم بذلك وذَكَر الصادقين وجزاءهم - أعقب خلق السماوات والأرض بجعل

---

(١) مكية وآياتها مئة وخمس وستون.

الظلمات والنور فكان ذلك مناسباً للكافر والصادق.

وقال الزمخشري[1]: «جعل» تتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله تعالى «وجعل الظلمات والنور»، [وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صيّر كقوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ [الزخرف]]. والفرق بين الخَلْق والجَعْل أن الخلق فيه [معنى] التقدير وفي الجعل معنى التصيير، كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيء شيئاً، أو نقله من مكان إلى مكان [ومنه]: «وجعل الظلمات والنور» لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة، والنور من النار، انتهى.

وما ذكره من أنّ «جعل» بمعنى صيّر في قوله تعالى «وجعلوا الملائكة» لا يصحّ، لأنهم لم يصيّروهم إناثاً، وإنما قال بعض النحويين إنها ها هنا بمعنى سمّى. وتقدّم الكلام في سورة البقرة[2] على جمع السماوات وإفراد الأرض وجمع الظلمات وإفراد النور.

و﴿ثُمَّ﴾ كما تقرّر في اللسان العربي، أصلها للمهلة في الزمان، قال ابن عطية: «ثم» دالّة على قبح فعل الذين كفروا، لأن المعنى أن خلقه السماوات والأرض وغيرها قد تقرر، وآياته قد سطعت، وإنعامه بذلك قد تبيّن، ثم بعد هذا كله عدلوا بربّهم. فهذا كما تقول: يا فلان أعطيتك وأكرمتك وأحسنت إليك ثم تشتمني، أي بعد وضوح هذا كله. ولو وقع العطف في هذا ونحوه بالواو، لم يلزم التوبيخ كلزومه بثم، انتهى.

---

(١) الكشاف ٢ : ٣، ونقلها المصنّف بتصرف.

(٢) لم يتقدم مثل هذا الكلام هناك.

وقال الزمخشري[١]: فإن قلت: فما معنى «ثم»؟ قلت: استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته، وكذلك «ثم أنتم تمترون» استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم، انتهى.

وهذا الذي ذهب إليه ابن عطية من أن «ثمّ» للتوبيخ، والزمخشري من أنّ «ثمّ» للاستبعاد ليس بصحيح، لأن «ثمّ» لم توضع لذلك وإنما التوبيخ والاستبعاد مفهوم من سياق الكلام لا من مدلول «ثم»، ولا أعلم أحداً من النحويين [١٧٢/أ] ذكر ذلك، بل «ثم» هنا للمهلة في الزمان، وهي عاطفة جملة اسمية على جملة اسمية. أخبر تعالى بأن الحمد له ونبّه على العلّة المقتضية للحمد من جميع الناس، وهي خلق السماوات والأرض والظلمات والنور، ثم أخبر أن الكافرين به يعدلون، فلا يحمدونه.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: علام عطف قوله «ثم الذين كفروا»؟ قلت: إما على قوله «الحمد لله» على معنى أن الله حقيق [بالحمد] على ما خلق، لأنه ما خلقه إلا نعمة، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، فيكفرون نعمته[٣]، وإما على قوله «خلق السموات والأرض» على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه انتهى.

وهذا الوجه الثاني الذي جوّزه لا يجوز، لأنه إذ ذاك يكون معطوفاً على الصلة، والمعطوف على الصلة صلة. فلو جعلت الجملة من قوله «ثم الذين كفروا» صلة لم يصحّ هذا التركيب، لأنه ليس فيها رابط يربط الصلة

---

(١) الكشاف ٢: ٤.

(٢) الكشاف ٢: ٣.

(٣) ق: يكفرون نعمه.

بالموصول إلا إن خرّج على قولهم: أبو سعيد الذي رويت عن الخدري، يريد: رويت عنه، فيكون الظاهر قد وقع موقع المضمر فكأنه قيل: ثم الذين كفروا به يعدلون، وهذا من الندور بحيث لا يقاس عليه ولا يُحمل كتاب الله عليه مع ترجيح حمله على التركيب الصحيح الفصيح.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الظاهر فيه العموم، فيندرج فيه عبدة الأصنام وأهل الكتاب، فعبدت النصارى المسيح، واليهود عزيراً، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله[1]، والمجوس عبدوا النار، والمانوية عبدوا النور. والباء في «بربهم» يحتمل أن تتعلق بـ«كفروا»، وفيه إشارة إلى أن مالكهم لا ينبغي أن يكفروا به، ويعدلوا عن طاعته. ويحتمل أن تتعلق بـ«يعدلون» وتكون الباء بمعنى عن، أي: يعدلون عنه إلى غيره مما لا يخلق ولا يقدر، ويكون المعنى: يعدلون به غيره أي: يسوّون به غيره في اتخاذه ربًّا وإلهاً وفي الخلق والإيجاد، وعَدْل الشيء بالشيء التسوية به. وفي الآية ردّ على القدرية في قولهم: الخير من الله والشرّ من الإنسان، فعدلوا به غيره في الخلق والإيجاد.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ ظاهره أنّا مخلوقون من الطين وذكر ذلك المهدوي ومكي والزهراوي عن فرقة. والنطفة التي يخلق منها الإنسان أصلها من طين ثم يقلبها الله نطفة. قال ابن عطية: وهذا يترتب على قول من يقول: يرجع بعد التولّد والاستحالات الكثيرة نطْفة، وذلك مردود عند الأصوليين [انتهى. والمشهور عند] المفسّرين أن المخلوق من الطين هنا هو آدم عليه السلام، قال مجاهد وقتادة والسدّي وغيرهم: المعنى خلق آدم من

---

(١) عبارة ق: عبدة الأصنام وعبدة النصارى المسيح واليهود عزير من أهل الكتاب الذين اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله.

طين، والبشر من آدم فلذلك قال «خلقكم من طين». وذكر ابن سعد في الطبقات[١] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «الناس من ولد آدم وآدم من تراب»، وقال بعض شعراء الجاهلية[٢]: [من الوافر]

إلى عِرْق الثرى وشَجَتْ عروقي　　وهـذا المـوت يَسْلُبني شبـابـي

وفسّره الشُّراح بأن عرق الثرى هو آدم. وعلى هذا يكون التأويل على حذف مضاف إما في «خلقكم» أي خلق أصلكم، وإما «من طين» أي من عِرْقِ طينٍ وفرعه.

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ و«قضى» إن كانت هنا بمعنى قدّر وكتب، كانت «ثم» هنا للترتيب [١٧٢/ب] في الذكر لا في الزمان لأن ذلك سابق على خلقنا إذ هي صفة ذات، وإن كانت بمعنى أظهر، كانت للترتيب الزماني على أصل وضعها، لأن ذلك متأخر عن خلقنا، فهي صفةُ فِعْلٍ. والظاهر من تنكير الأجلين أنه تعالى أبهم أمرهما، وقيل: الأول أجل الدنيا من وقت الخلق إلى الموت، والثاني أجل الآخرة، لأن الحياة في الآخرة لا انقضاء لها. ولا يعلم كيفية الحال في هذا الأجل إلا الله تعالى.

وقال الزمخشري[٣]: فإن قلت: المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفاً وجب تأخيره [فلِمَ جاز تقديمه] في قوله «وأجلٌ مسمّى عنده»؟ قلت: لأنه تخصّص[٤]

---

(١) لم أجده فيه، وأخرجه الترمذي في سننه ٥: ٣٨٩ من حديث ابن عمر بألفاظ مقاربة وقال: حديث غريب.

(٢) هو امرؤ القيس، والبيت في ديوانه ص٩٨.

(٣) الكشاف ٢: ٤.

(٤) ق: تخصيص.

بالصفة، فقارب المعرفة كقوله تعالى ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة] انتهى.

وهذا الذي ذكره من مسوّغ الابتداء بالنكرة لكونها وصفت، لا يتعيّن هنا أن يكون هو المسوّغ، لأنه يجوز أن يكون المسوّغ هو التفصيل، لأن [من] مسوّغات الابتداء بالنكرة أن يكون الموضع موضع تفصيل نحو قوله[١]:

[من الطويل]

إذا ما بكى مِنْ خَلْفِها انحرفَتْ له　　بشِـقٍّ وشِـقٌّ عنـدنـا لـم يُحـوَّلِ

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: الكلام السائر أن يقال: عندي ثوب جيّد، ولي عبد كيّس وما أشبه ذلك [فما أوجب التقديم؟]. قلت: أوجبه أن المعنى: وأي أجل مسمّى عنده، تعظيماً لشأن الساعة، فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم انتهى.

وهذا لا يجوز لأنه إذا كان التقدير: وأي أجل مسمّى عنده، كانت «أي» صفة لموصوف محذوف تقديره: وأجلٌ أيُّ أجلٍ مسمّى. ولا يجوز حذف الصفة إذا كانت أيًا، ولا حذف موصوفها وإبقاؤها، فإذا قلت: مررت بأي رجل، تريد برجلٍ أيّ رجل، لم يجز[٣].

والكلام في «ثم» هنا كالكلام فيها في قوله «ثم الذين كفروا». والذي يظهر أن قوله تعالى «هو الذي خلقكم» على جهة الخطاب، هو التفات من

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٢.

(٢) الكشاف ٢: ٥.

(٣) بعده في ق: وقوله: أيّ منافق، ضعيف إذا حذف موصوف أيّ. ولا محلّ لهذه العبارة هنا، وهي متعلّقة بشاهد آخر مشروح في الدرّ اللقيط في حاشية البحر ٤: ٧٢.

الغائب الذي هو قوله «ثم الذين كفروا»، فإن كمال الخلق وقضاء الأجل ليس مختصًّا بالكفار، إذ اشترك فيه المؤمن والكافر، لكنه قصد به الكافر تنبيهاً له على أصل خلقه وقضاء الله تعالى عليه وقدرته. وإنما قلت إنه من باب الالتفات لأن قوله «ثم أنتم تمترون» لا يمكن أن يندرج في هذا الخطاب من اصطفاه الله تعالى بالإيمان والنبوّة.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ لما تقدم ما يدلّ على القدرة التّامة والاختيار ذكر ما يدلّ على العلم التام، فكان في التنبيه على هذه الأوصاف دلالة على كونه تعالى قادراً مختاراً عالماً بالكليات والجزئيات، وإبطالاً لشبهة منكر المعاد. قيل: «هو» ضمير الشأن وما بعده مبتدأ خبره قوله «يعلم» و«في السماوات وفي الأرض» متعلق بـ«يعلم». وقيل: «هو» ضمير عائد على الله تعالى، وما بعده خبره وهو عَلَم تضمّن معنى المعبود و«في السماوات وفي الأرض» متعلق به. والاسم العلم قد يُضمن[1] معنى المشتق فيعمل فيما بعده كما قال الشاعر[2]: [من الرجز]

أنا أبو المنهال بعضَ الأحيان [ليس عليّ حَسَبي بضُؤلان]

فضمّن «أبو المنهال» معنى المشهور فلذلك نصب «بعضَ الأحيان»، وبعض: ظرف زمان لإضافته لظرف الزمان. وقال نحواً من هذا الزمخشري[3] وابن عطية.

﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ عامّ لجميع الاعتقادات والأقوال والأفعال [١٧٣/أ]

---

(١) ق: تضمن.

(٢) البيت غير منسوب في الخصائص ٣: ٢٧٠، وهو لأبي المنهال في اللسان (أين).

(٣) الكشاف ٢: ٥.

وكسبُ كل إنسان عملُه المفضي به إلى اجتلاب نفع أو دفع ضرّ، ولهذا لا يوصف به الله تعالى.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ ﴾ «مِن» الأولى زائدة، تدل على الاستغراق، و«آية» فاعل بتأتيهم، و«مِن» الثانية في موضع الصفة للتبعيض، تقديره: من آية كائنة من آيات ربهم، أي تلك الآية بعض آيات الله تعالى. والمراد بالآية[1] علامة تدل على الوحدانية، وانفراده بالألوهية والرسالةُ والمعجز الخارق والقرآن. وفي «تأتيهم» التفات وخروج من خطاب في قوله «يعلم سركم»[2] إلى غيبة في قوله «تأتيهم».

و﴿ مِّنْ [ءَايَٰتِ] رَبِّهِمْ ﴾ الرّب هو المالك المصلح الناظر في مصالح عباده، فكان المناسب أن لا يعرضوا عن آيات مالكهم ومصلحهم. و«كانوا» بعد «إلا» في موضع نصب على الحال، ولم تجىء في القرآن هذه الحال بعد «إلاّ» إلاّ بلفظ الماضي، وقد جاءت في كلام العرب مصحوبة [بقد]، قال الشاعر[3]:

متى يَأْتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حاجةً لنفسيَ إلا قد قَضَيْتُ قضاءها

[من الطويل]

(١) عبارة ق: والمراد بآية والآية.

(٢) الآية ٣ السابقة.

(٣) البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه ص٤٩.

قال الزمخشري[1]: يعني وما يظهر لهم قط دليل من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار إلا كانوا عنه معرضين انتهى.

واستعمال الزمخشري «قطّ» مع المضارع في قوله: وما يظهر لهم قطّ دليل، ليس بجيّد، لأن قطّ ظرف مختصّ بالماضي إلاّ إن كان أراد به بقوله «وما يظهر»: وما ظهر، ولا حاجة إلى استعمال ذلك. ومعنى «عنها» عن قبولها وسماعها. والإعراض ضد الإقبال وهو مجاز إذ حقيقته في الأجسام.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ[2] لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ كذّب فعل متعدٍّ إلى مفعول بنفسه كقوله تعالى ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحج] وجاء هنا متعدياً بالباء، كما جاء في قوله ﴿ يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ ﴾ [الماعون] وقوله ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنعام] ضمّن معنى الاستهزاء فتعدّى بالباء. والحق عام في القرآن والإسلام ومحمد ﷺ وانشقاق القمر والوعد والوعيد. والفاء في قوله «فقد كذبوا» للتعقيب وأن إعراضهم عن الآية أعقبه التكذيب.

وقال الزمخشري[3]: «فقد كذبوا» مردود على كلام محذوف كأنه قيل: إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق، «لما جاءهم» يعني القرآن الذي تُحدّوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه انتهى.
ولا ضرورة تدعو إلى تقدير شرط محذوف إذ الكلام منتظم دون هذا التقدير.

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ ﴾ هذه رتب ثلاث، صدرت من هؤلاء الكفار. الأولى الإعراض عن تأمل الدلائل، ثم التكذيب، ثم الاستهزاء. والنبأ: الخبر الذي

---

(١) الكشاف ٢: ٥.

(٢) ق: للحق.

(٣) الكشاف ٢: ٥.

يعظم وقعه، وكنّى بالأنباء عمّا يحلّ بهم في الدنيا من القتل والسبي والجلاء، وما يحلّ بهم في الآخرة من عذاب النار. و«به» متعلق بـ«يستهزئون». ودلّ قوله «يستهزئون» على أن المراد بقوله «كذبوا بالحق» أي: استهزؤوا ولذلك عدّاه بالباء.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ الآية، لمّا هدّدهم وأوعدهم على إعراضهم وتكذيبهم واستهزائهم، أتبع ذلك بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة، وحضّ على الاعتبار بالقرون الماضية. و«يروا» هنا بمعنى يعلموا. و«كم» في موضع المفعول بـ«أهلكنا» و«يروا» معلّقة، والجملة في موضع مفعوليها. و«مِن» الأولى لابتداء الغاية و«من» الثانية للتبعيض والمفرد بعدها واقع موقع [الجمع] كأنه قال: من القرون، ويعني به قوم نوح وعاد وثمود وأشباههم.

ومكّن في «مكناهم» متعدٍّ لمفعول كقوله [١٧٣/ب] ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف] ويتعدى باللام في قوله «لكم» وكقوله ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف].

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المراد بالإرسال الإنزال. و«السماء» قيل: عبّر بها عن المطر كقول الشاعر[1]: [من الوافر]

إذا نَزَلَ السماءُ بأرضِ قومٍ [رَعَيْناه وإنْ كانوا غِضابا]

يعني المطر، وقيل: هو على حذف مضاف أي: وأرسلنا مطر السماء.

و﴿مِدْرَارًا﴾ منصوب على الحال من «السماء» أو من المضاف إليه وهو المطر. ومدرار: مفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث.

---

(١) البيت لمعاوية بن مالك في الاقتضاب ٣: ٨٣، والمفضليات ص٣٥٩.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ تقدم تفسيره في البقرة[١]. والظاهر أن الذنوب هنا هي كفرهم وتكذيبهم برسل الله وآياته.

﴿وَأَنشَأْنَا﴾ فائدة إنشاء[٢] قرن بعد قرن إظهار القدرة على إهلاك ناس وإنشاء ناس. وقَرْن مفرد وُصف بالجمع مراعاة لمعناه، إذ كان تحته أفراد كثيرون، ولو وُصف في غير القرآن لقيل: قرناً آخر على اللفظ، ولكن روعي المعنى فجمع مراعاة للفواصل.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ الآية، سبب نزولها اقتراح عبد الله بن أبي أمية وتعنّته إذ قال للنبي ﷺ: لا أومن بك حتى تصعد إلى السماء ثم تنزل بكتاب فيه: من رب العزة إلى عبد الله بن أبي أمية، يأمرني بتصديقك، وما أراني بعد هذا كنت أصدّقك. ثم أسلم بعد ذلك وقتل شهيداً بالطائف. ولما ذكر تعالى تكذيبهم بالحق لما جاءهم ثم وعظهم وذكّرهم بإهلاك القرون الماضية بذنوبهم - ذكر مبالغتهم في التكذيب بأنهم لو رأوا كلاماً مكتوباً في قرطاس، ومع رؤيتهم جسّوه بأيديهم، لم تزدهم الرؤية واللمس إلا تكذيباً،

(١) في الكلام على الآية ٢٥.
(٢) ق: أنشأنا.

وادّعوا أن ذلك من باب السحر لا من باب المعجز[1] عناداً وتعنّتاً.

والفاء في «فلمسوه» للتعقيب أي: بنفس ما رأوا الكتاب، لم يكتفوا برؤية البصر بل أعقبوا ذلك بحاسّة اللمس وهي اليد، إذ كانت أقوى في الإحساس من غيرها. وجاء «لقال الذين كفروا» لأن مثل هذا الغرض يقتضي انقسام الناس إلى مؤمن وكافر؛ فالمؤمن يراه من أعظم المعجزات، والكافر يجعله من باب السحر. ووصف السحر بـ«مبين» إمّا لكونه بيّناً في نفسه وإما لكونه أظهر غيره.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ ﴾ قال ابن عباس: قال النضر بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية ونوفل بن خالد: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة، يشهدون أنه من عند الله، وأنك رسوله انتهى.

والظاهر أن قوله «وقالوا» استئناف إخبار من الله تعالى، حكى عنهم أنهم قالوا ذلك. ويحتمل أن يكون معطوفاً على جواب «لو» أي: لقال الذين كفروا ولقالوا لولا أنزل عليه ملك. و«لولا» بمعنى هلاّ للتحضيض.

﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ الآية، قال ابن عباس وغيره: في الكلام حذف تقديره: ولو أنزلنا ملكاً فكذّبوه لقضي الأمر بعذابهم ولم يؤخّروا حسب ما سلف في كل أمة اقترحت آية وكذّبت بها بعد ظهورها.

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ أي: ولو جعلنا الرسول ملكاً كما اقترحوا، لأنهم كانوا يقولون: لولا أنزل على محمد ملك، وتارة يقولون

---

(١) ق: العجز.

﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون] و﴿لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴿١٤﴾﴾ [فصّلت].

ومعنى «لجعلناه رجلا» لصيّرناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ في غالب الأحوال في صورة دِحْيَةَ، وكما تمثّل لمريم في صورة بشر، وكما في حديث سؤال جبريل عليه الصلاة والسلام [١٧٤/أ] بحيث رآه الصحابة في صورة رجل يسأل عن الإيمان وعن الإحسان[١]. ﴿وَلَلَبَسۡنَا﴾ أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذٍ بأنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة إنسان: [هذا إنسان] وليس بملك.

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ﴾ هذه تسلية لرسول الله ﷺ عما كان يلقى من قومه وتأسٍّ بمن سبق من الرسل، وقالت الخنساء[٢]: [من الوافر]

ولولا كَثْرَةُ الباكين حولي ... على إخوانهم لَقَتَلْتُ نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن ... أُسَلِّي النفسَ عنه بالتأسّي

﴿فَحَاقَ﴾ يقال: حاق يحيق حيقاً وحيوقاً وحيقاناً أي أحاط.

ومعنى ﴿سَخِرُواْ﴾ أي: استهزؤوا، إلا أن استهزأ تُعدّى بالباء وسخر بـ«مِن» كما قال ﴿إِن تَسۡخَرُواْ [مِنَّا] فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود]، وبالباء تقول: سخرت به. وكان اللفظ «سخروا» وإن كان معناه استهزؤوا، لئلا يكثر في الجملة الواحدة لفظ الاستهزاء إذ أوله «ولقد استهزىء» وآخره «يستهزئون» فكان «سخروا» أفصح.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١: ٣٧ من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) الديوان ص٨٤.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، لما ذكر تعالى ما حلّ بالمكذبين المستهزئين، وكان المخاطبون بذلك أُمَّةً أُمِّيَّةً، لم تدرس الكتب، ولم تجالس العلماء، فلما أن تكابر في الإخبار بهلاك من أهلك بذنوبهم - أُمروا بالسير في الأرض والنظر فيما حلّ بالمكذبين ليعتبروا بذلك، ويتظافر مع الإخبار الصادق الحسّ، فللرؤية من مزيد الاعتبار ما لا يكون في الإخبار [كما] قال بعض العصريين[1]: [من الطويل]

لطائفُ مَعْنًى في العَيانِ ولم تكن لتُـدْرَكَ إلا بـالتَّـزاوُرِ واللِّقَـا

والظاهر أن السير المأمور به هو الانتقال من مكان إلى مكان، وأن النظر المأمور به هو نظر العين، وأن «الأرض» هو ما قرب من بلادهم من ديار المُهلَكين بذنوبهم كأرض عاد ومدين ومدائن قوم لوط [وثمود]، وقال قوم: «الأرض» هنا عام لأنّ في كل قطر منها آثاراً لهالكين وعبراً للناظرين. وجاء هنا خاصة «ثم انظروا» بحرف المهلة، وفيما سوى ذلك بالفاء التي هي للتعقيب.

---

(١) انظر البحر ٤: ٨٠.

وقال الزمخشري[١] في الفرق: جعل النظر مسبّباً عن السير في قوله تعالى «فانظروا» فكأنه قال: سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين. [و«سيروا»] هنا معناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في آيات الهالكين وآثارهم، ونبّه على ذلك بثمّ لتباعد ما بين الواجب والمباح انتهى.

وما ذكر أولاً متناقض لأنه جعل النظر متسبباً عن السير، فكان السير سبباً للنظر، ثم قال: فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، فجعل السير معلولاً بالنظر، فالنظر سبب له، فتناقضا. ودعوى أن الفاء تكون سببيّة، لا دليل عليها، وإنما معناها التعقيب فقط، وأما مِثْلُ: ضربتُ زيداً فبكى، وزنى ماعز فَرُجم، فالتسبب فُهم من مضمون الجملة، لا أن الفاء موضوعة له، وإنما تفيد تعقيب الضرب بالبكاء وتعقيب الزنى بالرجم فقط. وعلى تسليم أن الفاء تفيد التسبّب فلِمَ كان السير هنا سير إباحة وفي غيره سير واجب؟ فيحتاج ذلك إلى فرق بين هذا الموضع وتلك المواضع. وعاقبة الشيء منتهاه وما آل إليه، والمراد به هنا العذاب على العصيان، قال النابغة[٢]: [من البسيط]

ومَــنْ عصَــاكَ فَعَــاقِبْــهُ مُعــاقَبَــةً تنهى الجَسُورَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ

[١٧٤/ب] والضمد الحقد.

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴾ لما ذكر تعالى تصريفه فيمن أهلكهم بذنوبهم، أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم بسؤالهم ذلك، فإنه[٣] لا يمكنهم أن

(١) الكشاف ٢: ٧، والعبارة منقولة بتصرف.

(٢) ديوانه ص١٤.

(٣) ق: فإنهم.

يقولوا إلا أن ذلك لله تعالى، فيلزمهم بذلك أنه تعالى هو المالك المهلك لهم، وهذا السؤال سؤال تبكيت وتقرير. و«ما» موصولة بمعنى الذي، أريد بها العموم، وهي مبتدأة. و«لمن» في موضع الخبر. أمره تعالى بنسبة ذلك إلى الله تعالى، ليكون أول من بادر إلى الاعتراف بذلك.

﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ ظاهر «كتب» أنه بمعنى سطّر وخطّ، وقيل أوجب إيجاب فضل وكرم لا إيجاب لزوم. و«الرحمة» هنا الظاهر أنها عامة، فتعمّ المحسن والمسيء في الدنيا، وهي عبارة عن الإفضال عليهم والإحسان إليهم.

﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ جواب قسم وهو أن «كتب» أُجري مجرى القسم، فأجيب بجوابه وهو «ليجمعنكم» كما في قوله تعالى ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة]. والظاهر أنّ «إلى» للغاية، والمعنى: ليحشرنكم منتهين إلى يوم القيامة.

﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ الظاهر أن «الذين» مرفوع على الابتداء والخبر قوله [«فهم] لا يؤمنون»، ودخلت الفاء لما تضمّن المبتدأ من معنى الشرط كأنه قيل: من يخسر نفسه فهو لا يؤمن. و«خسروا» في معنى: قضى الله عليهم بالخسران، وترتّب على ذلك عدم إيمانهم.

﴿ ۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ لما ذكر تعالى أنّ له ملك ما حوى المكان من السماوات والأرض، ذكر ما حواه الزمان من الليل والنّهار، وإن كان كل واحد من المكان والزمان يستلزم الآخر، لكن النصّ عليهما أبلغ في الملكية، وقدم المكان لأنه أقرب إلى العقول والأفكار من الزمان. والظاهر أنه استئناف إخبار، وليس مندرجاً تحت قوله. والظاهر أن السكون ضد الحركة، واقتصر عليه لأنه ما [من] متحرك إلا سكن ولا ينعكس. وقيل: هو

على تقدير معطوف حذف تقديره: وما تحرك.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ الآية، لما تقدم أنه تعالى اخترع السماوات والأرض، وأنه مالك لما تضمّنه المكان والزمان - أمر تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ذلك، على سبيل التوبيخ لهم، أي مَن هذه صفاته هو الذي يُتّخذ وليًّا وناصراً ومعيناً، لا إله إلا هو، لا الآلهة التي لكم، إذ هي لا تنفع ولا تضرّ، لأنها بين جماد أو حيوان مقهور. ودخلت همزة الاستفهام على الاسم دون الفعل، لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليًّا، لا في اتخاذ الولي، كقولك لمن ضرب زيداً، وهو ممّن لا يستحق الضرب، بل يستحق الإكرام: أزيداً ضربتَ؟! تنكر عليه أن يكون مثل هذا يُضرب، ونحوه قوله تعالى ﴿أَفَغَيْرَ [ٱللَّهِ] تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر] و﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس].

وقرأ الجمهور: فاطرِ، بالجر، فوجّهه ابن عطية والزمخشري وقبلهما الحوفي على أنه نعت لله، وخرّجه أبو البقاء على أنه بدل، وكأنه رأى أن الفصل بين المبدل منه والبدل أسهل من الفصل بين المنعوت والنعت، إذ البدل على المشهور [هو] على نيّة تكرار العامل. وقرأ ابن أبي عبلة برفع الراء، على إضمار هو، قال ابن عطية: أو على الابتداء انتهى. ويحتاج إلى إضمار خبر، ولا دليل على حذفه. وقرىء بالنصب على المدح أي أمدح فاطر السماوات، يقال: فطر، أي خلق واخترع من غير مثال.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ أي يَرزق ولا يُرزق كقوله تعالى ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات] والمعنى أن المنافع كلّها من عند الله، وخصّ الإطعام من أنواع الانتفاعات، لمسّ الحاجة إليه، كما خص الرّبا بالأكل[1]، وإن كان

---

(١) في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة].

المقصود الانتفاع بالرّبا.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾ قال الزمخشري[١]: لأن النبي [١٧٥/أ] ﷺ سابقُ أمّته في الإسلام كقوله تعالى ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام] وكقول موسى عليه السلام ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف]. وقال ابن عطية: المعنى: أول من أسلم من هذه الأمة بهذه الشريعة. وفي هذا القول نظر، لأنه عليه السلام لم يصدر منه امتناع عن الحق وعدم انقياد إليه، وإنما هذا على طريق التحريض على الإسلام، كما يأمر الملك رعيّته بأمْرٍ، ثم يتبعه بقوله: أنا أول من يفعل ذلك، ليحملهم على فعله[٢].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ الظاهر أن الخوف هنا على بابه، والخوف ليس بحاصلٍ لعصمته، بل هو متعلق بشرط، هو ممتنع في حقّه صلى الله عليه وسلم.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ قرىء مبنياً للمفعول و«مَن» مبتدأة، والضمير في «يُصرف» عائد على «مَن»، والضمير في «عنه» عائد على العذاب، والفاعل في «رحمه» عائد على الله تعالى. وقرىء: من يَصرف، مبنياً للفاعل، والفاعل بيصرف ضمير يعود على الله تعالى و«مَن» مفعول مقدم تقديره: أي شخص يصرف الله عنه[٣] العذاب فقد رحمه.

﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ الإشارة بـ«ذلك» إلى المصدر المفهوم من «يصرف» أي وذلك الصّرف هو الظفر والنجاة من الهلكة، و«المبين» هو البيّن في نفسه

---

(١) الكشاف ٢: ٨.

(٢) ق: فعل ذلك.

(٣) ق: عن.

أو المبين غيره.

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ أي يصبْك ويَنَلْك بضرّ، وحقيقة المسّ تلاقي جسمين. وكشفَ الضرَّ، أزاله، وكشفتْ عن ساقيها: أزالت ما يسترهما. والضرّ أخصّ من الشر، فناسب ذكر[1] المسيس الذي هو أخصّ من الاستيلاء. وفي قوله «فلا كاشف له» محذوفٌ تقديره: عنك.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ[2] بِخَيْرٍ﴾: «أراد» يتعدى لمفعولين، أحدهما بنفسه والآخر بالباء. والباء قد تدخل على الذات، وينتصب الثاني كقوله ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة]، وتارة تدخلِ الباء على المعنى كقول الشاعر[3]:

[من الطويل]

أرادَتْ عـراراً بـالهـوان وَمَـن يُـرِدْ ... عراراً لَعَمْري بالهَوانِ فقد ظَلَمْ

وعرار اسم رجل: وكقوله ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر] وجاء جواب الأول بالحصر في قوله تعالى «فلا كاشف له إلا هو» مبالغة في الاستقلال بكشفه، وجاء جواب الثاني بقوله تعالى «فهو على كل شيء قدير» دلالة على

---

(١) ق: ذلك.

(٢) ق: يردك. وهو سهو ساق أبا حيان إلى الكلام على «أراد».

(٣) البيت لعمرو بن شأس في شرح ديوان الحماسة ١ : ٢٨٠.

قدرته على كل شيء فيندرج فيه المسّ بخير[1] وغيره. ولو قيل إن الجواب محذوف لدلالة الأول عليه، لكان وجهاً حسناً وتقديره: فلا موصل له إليك إلا هو، والأحسن تقديره: فلا رادّ له، للتصريح بما يشبهه في قوله تعالى ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس] ثم أتى بعدُ بما هو شامل للخير والشر وهو قدرته على كل شيء.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ القهر: الغلبة والحمل على الشيء، من غير اختيار المحمول. لما ذكر انفراده تعالى بتصرّفه بما يريده من خير وضرّ وقدرته على الأشياء، ذكر قهره وغلبته، وأن العالم مقهورون ممنوعون من بلوغ مرادهم.

و«فوق» حقيقة في المكان ولا يراد به الحقيقة إذ الباريء منزّه عن أن يحلّ في جهة، والعرب تستعمل «فوق» إشارة إلى علوّ المنزلة وشفوفها [على غيرها من الرتب، ومنه قوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴿١٠﴾﴾ [الفتح] وقوله تعالى] ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف] وقال النابغة[2]: [من الطويل]

بَلَغْنا السّماءَ مَجْدُنا وجدودُنا   وإنّا لَنَرْجو فوقَ ذلك مَظْهَرا

يريد علو الرتبة والمنزلة. و«فوق» العامل فيه «القاهر» أي المستعلي بقهره فوق عباده، أو في موضع رفع على أنه خبر ثانٍ لـ«هو» أخبر عنه بشيئين أحدهما أنه القاهر والثاني أنه فوق [١٧٥/ب] عباده بالرتبة والمنزلة.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: المحكم أفعاله متقنة آمنة من وجوه الخلل والفساد.

---

(١) ق: بخيره.

(٢) هو الجعدي، والبيت في اللسان (ظهر).

و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ هو العالم بخفيّات الأمور كجليّاتها[١].

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ﴾ الآية، قال الكلبي: قال رؤساء مكة: يا محمد، ما نرى أحداً يصدقك فيما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا اليهود والنصارى عنك، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذِكْرٌ ولا صفة، فَأَرِنا مَن يشهد لك أنك رسول الله كما تزعم، فأنزل الله هذه الآية.

وقال الزمخشري[٢]: هنا الشيء لأعمّ العامّ لوقوعه على كل ما يصحّ أن يعلم ويُخبرَ عنه، فيقع على القديم والجوهر والعرض والمحال والمستقيم، ولذلك صحّ أن يقال في الله تعالى: إنه شيء لا كالأشياء كأنك قلت: معلوم لا كسائر المعلومات، ولا يصح: جسم لا كالأجسام، وأراد: أي شهيد أكبر شهادة، فوضع «شيئاً» مكان شهيد ليبالغ في التعميم انتهى.

وقال جهم بن صفوان: لا يطلق على الله لفظة شيء. وخالفه الجمهور [في ذلك.

«شهادة» منتصب على التميز. وقال ابن عطية: ويصحّ على المفعول]، بأن يحمل «أكبر» على التشبيه بالصفة المشبّهة باسم الفاعل انتهى.

هذا كلام عجيب لأنه لا يصحّ نصبه على المفعول، ولأن «أفعل من» لا يشبّه بالصفة المشبّهة باسم الفاعل، ولا يجوز في «أفعل من» أن يكون من باب الصفة المشبّهة باسم الفاعل، لأن شرط الصفة المشبّهة باسم الفاعل أن تؤنث وتثنّى وتجمع و«أفعل من» لا يكون فيها ذلك، وهذا منصوص عليه من النحاة، فجعل ابن عطية المنصوب في هذا مفعولاً وجعل «أكبر» مشبّهاً

---

(١) ق: لجليّاتها.

(٢) الكشاف ٢: ٩.

بالصفة المشبّهة وجعل منصوبه مفعولاً، وهذا تخليط فاحش، ولعله يكون من الناسخ لا من المصنّف.

﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ﴾ مبتدأ، وخبر، فهي جملة مستقلّة بنفسها لا تعلّق لها بما قبلها من جهة الصناعة الإعرابية، بل قوله «أي شيء أكبر شهادة» هو استفهام على جهة التقرير والتوقيف، ثم أخبر بأن خالق الأشياء والشهود هو الشهيد بيني وبينكم. وانتظم الكلام من حيث المعنى، والجملة ليست جواباً صناعياً، وإنما يتمّ ما قالوه لو اقتصر على «قل الله». وقد ذهب إلى ذلك بعضهم، فأعربه مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما تقدّم عليه، والتقدير: قل الله أكبر شهادة، ثم أضمر مبتدأ يكون «شهيد» خبراً له تقديره: هو شهيد بيني وبينكم لأنذركم ولأبشركم، فحذف المعطوف لدلالة المعنى عليه، وقد صرّح به في قوله تعالى ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ۝٢﴾ [الكهف]. واقتصر على الإنذار لأنه في مقام تخويف لهؤلاء المكذبين بالرسالة المتّخذين غير الله إلهاً. والظاهر أنّ «مَن» في موضع نصب عطفاً على مفعول «لأنذركم»، والعائد على «من» ضمير منصوب محذوف، وفاعل «بلغ» ضمير يعود على «القرآن» أي: ومن بلغه هو أي: القرآن.

و﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ عام في العرب والعجم، ويجوز أن يكون في موضع رفع عطفاً على الضمير المستكنّ في «لأنذركم» وجاز ذلك للفصل بينه وبين الضمير بضمير المفعول وبالجار والمجرور أي: ولينذر به من بلغه القرآن.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ قرىء: إنكم لتشهدون، بصورة الإيجاب فاحتمل أن يكون خبراً محضاً، واحتمل الاستفهام على تقدير حذف أداته، ويبيّن ذلك قراءة الاستفهام، وهذا الاستفهام معناه التقريع لهم والتوبيخ والإنكار [١٧٦/أ] عليهم؛ فإن كان الخطاب لأهل مكّة، فالآلهة الأصنام، فإنهم

أصحاب أوثان، وإن كان لجميع المشركين، فالآلهة كلّ ما عُبد غير الله تعالى من وثن أو كوكب أو خشب أو نار أو آدمي.

و﴿أُخْرَىٰ﴾ صفة لـ«آلهة»، وصفة جمع ما لا يعقل كصفة الواحدة المؤنثة كقوله تعالى ﴿مَآرِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾ [طه]. ولما كانت الآلهة حجارة، أُجريت مجرى المفردة تحقيراً لها، فوُصفت بما توصف به المفردة وهو لفظ «أخرى».

﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ إلى آخره، وما أبدع هذا التركيب! أمر أولاً بأنْ يخبرهم بأنه لا يوافقهم في الشهادة، ولا يلزم من ذلك إفراد الله تعالى بالألوهيّة فأمر به ثانياً ليجتمع مع انتفاء موافقتهم إثبات الوحدانية لله تعالى، ثم أخبر ثالثاً بالتبرّؤ من إشراكهم وهو كالتوكيد لما قبله.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٢١ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٢٢ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٢٤﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الآية، تقدم شرح الجملة الأولى في البقرة[1]، وشرح الثانية في هذه السورة قريباً[2].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ تقدّم الكلام عليها[3]. والافتراء الاختلاق والمعنى: لا أحد أظلم ممّن كذب على الله أو كذّب بآيات الله، جمعوا بين

(١) الآية ١٤٦.

(٢) الآية ١٢.

(٣) انظر تفسير الآية ٩٤ من آل عمران.

أمرين متناقضين، فكذبوا على الله بما لا حجّة عليه، وكذّبوا بما ثبت بالحجّة البيّنة والبرهان الصحيح حيث قالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام] وقالوا أُمرنا بها، وقالوا: الملائكة بنات الله تعالى، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴿١٨﴾﴾ [يونس]، ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب، وكذبوا القرآن والمعجزات، وسمّوها سحراً، ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ.

ومعنى ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا يظفرون في الدنيا والآخرة بمطالبهم بل يبقون في الحرمان والخذلان. ونفى الفلاح عن الظالم، فدخل فيه الأظلم، والظالم غير الأظلم، وإذا كان هذا لا يفلح، فكيف يفلح الأظلم؟.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ الناصب لـ«يوم» فيه أقوال ذكرت في البحر[1]: أحدها: أنه مفعول لاذكر محذوفةً، على أنه مفعول به، وهو خطاب للسامع، والثاني لمحذوف متأخر تقديره: ويوم نحشرهم كان كيت وكيت، فترك، ليبقى على الإبهام الذي هو أدخل في التخويف. والضمير المنصوب في «نحشرهم» عام في العالم كلّهم. وعطف بثمّ للتراخي الحاصل بين مقامات يوم القيامة في المواقف، فإن فيه مواقف، بين كل موقف وموقف تراخٍ على حسب طول ذلك اليوم.

و﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ عام في المشركين. و﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ عام، سؤال توبيخ وتقريع[2]. وظاهر مدلول «أين شركاؤكم» غيبة الشركاء عنهم، أي تلك الأصنام قد اضمحلّت، فلا وجود لها. وأضيف الشركاء إليهم، لأنه لا شركة في الحقيقة بين الأصنام وبين شيء، وإنما أوقع عليها اسم الشريك بمجرد تسمية الكفرة لها شركاء، فأضيفت إليهم بهذه النسبة. والزعم: القول الأميل

(١) انظر ٤: ٩٤.

(٢) ق: وتقرير.

إلى الباطل [والكذب] في أكثر الكلام، وقد يطلق على مجرد القول، ومن ذلك قول سيبويه [في كتابه]: وزعم الخليل، أي: قال. و«الذين» موصولٌ صلتُه «كنتم تزعمون» والعائد عليه محذوف تقديره: كنتم تزعمونهم شركاء.

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ تقدّم مدلول الفتنة[١]، وشرحت هنا بحبّ الشيء والإعجاب به كما تقول: فتنت بزيد. فعلى هذا يكون المعنى: ثم لم يكن حبّهم للأصنام وإعجابهم بها واتباعهم لها لما سئلوا[٢] عنها، ووقفوا على عجزها إلا التبرؤ منها والإنكار لها، وفي هذا توبيخ لهم. و«ثم لم[٣] تكن فتنتهم» فيه قراءات، الجاري منها [١٧٦/ ب] على الأشهر قراءة: فتنتَهم بالنصب.

﴿ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ﴾ أنْ مع ما بعدها أجريت في التعريف مجرى المضمر، وإذا اجتمع الأعرف وما دونه في التعريف فذكروا أن الأشهر جَعْل الأعرف هو الاسم وما دونه الخبر، ولذلك أجمعت السبعة على ذلك في قوله تعالى ﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النمل] ﴿ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الجاثية][٤]. ومن قرأ بالياء، ورفع الفتنة، فذكّر الفعل لكون تأنيث الفتنة مجازيًّا، والفتنة اسم يكن والخبر «إلا أن قالوا»، جعل غير الأعرف الاسم والأعرف الخبر. ومن قرأ: ثم لم تكن فتنتُهم، بالتاء ورفع الفتنة، فأنّث لتأنيث الفتنة، والإعراب كإعراب ما قبله. ومن قرأ: ثم لم تكن بالتاء، فتنتَهم بالنصب، فالأحسن أن يقدّر «إلا أن قالوا» مؤنثاً أي: ثم لم تكن فتنتَهم إلا مقالتُهم. وقرىء: ربّنا بالجر صفة لله تعالى، وبالنصب على

---

(١) انظر تفسير الآية ٢١٧ من البقرة.

(٢) ق: سألوا.

(٣) ق: لن.

(٤) وفي ق: وما.

النداء، أي: يا ربّنا.

﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والنظر قلبي، و«كيف» منصوب بكذبوا، والجملة في موضع [نصب] بانظر، لأن «انظر» متعلّقه. و«كذبوا» ماضٍ وهو في أمر لم يقع، لكنه حكاية عن يوم القيامة، ولا إشكال في استعمال الماضي فيها موضع المستقبل تحقيقاً لوقوعه ولا بدّ.

﴿ وَضَلَّ ﴾ يحتمل أن يكون عطفاً[1] على «كذبوا» فيدخل في حيّز «انظر»، ويحتمل أن يكون إخباراً مستأنفاً فلا يدخل في حيّزه، ولا يتسلّط النظر عليه.

﴿ مَّا كَانُوا ﴾ قال ابن عطية: ما مصدرية، قال: معناه ذهب افتراؤهم في الدنيا وكذبهم بادعائهم لله الشركاء. وقال الزمخشري[2]: ما موصولة بمعنى الذي، قال: وغاب عنهم «ما كانوا [يفترون» أي:] يفترون إلهيّته وشفاعته.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١)

(١) ق: عطف.

(٢) الكشاف ٢: ١١.

﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الآية، عن ابن عباس أن أبا سفيان وجماعة من كفار قريش استمعوا لرسول الله ﷺ، فقالوا للنضر: يا أبا فتيلة[1] ما يقول محمد؟ فقال: [ما يقول] إلا أساطير الأولين، مثل ما أحدّثكم عن القرون الماضية. وكان صاحب أشعار، سمع أقاصيص في ديار العجم مثل قصة رستم واسفنديار. قال أبو عبيدة: أساطير جمع أسطارة وهي التّرهات، وقيل غير ذلك. قال ابن عطية: وقيل هو اسم جمع، لا واحد له من لفظه كعباديد وشماطيط[2] انتهى.

هذا لا تُسمِّيه النحاةُ اسم جمع، لأنه على وزن الجموع، بل يسمّونه جمعاً، وإن لم يُلفظ له بواحد. والضمير في «منهم» عائد على «الذين أشركوا»[3]. ووحّد الضمير في «يستمع» حملاً على لفظ «مَن» وجَمَعه في «على قلوبهم» حملاً على معناها. و«يستمع» متعدٍّ إلى مفعول به إذا كان من جنس الأصوات كقوله تعالى ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف]، عدّي هنا بإلى لتضمّنه معنى يصغون بأسماعهم إليك. والجملة من قوله «وجعلنا» معطوفة على الجملة قبلها عطف فعلية على اسميّة، فيكون إخباراً من الله تعالى أنه جعل كذا. وقيل: الواو واو الحال أي وقد جعلنا من ينصت إلى سماعك وهم من الغباوة في حدّ مَن قَلْبُه في كنان وأذنه صمّاء. وجعل هنا

---

(١) غير مقروءة في ق.

(٢) يقال: تفرق القوم عبابيد وشماطيط: أي فرقاً. .

(٣) في الآية ٢٢ السابقة.

يحتمل أن تكون [بمعنى] ألقى فتتعلق «على» بها، أو بمعنى[1] صيّر فتتعلق بمحذوف إذ هي في موضع المفعول الثاني. ويجوز أن تكون بمعنى خلق، فتكون في موضع الحال، لأنها في موضع نعت لو تأخّرت، فلما تقدمت صارت حالاً. والأكنّة جمع كنان كعنان وأعنّة، والكنان [١٧٧/أ] الغطاء الجامع، قال الشاعر[2]: [من الطويل]

إذا ما انتَضَوها في الوغى من أكنّةٍ حَسِبْتَ بروقَ الغيثِ هاجَتْ عيونُها

و﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ في موضع المفعول من أجله تقديره عندهم: كراهة أن يفقهوه، وقيل: المعنى أن لا يفقهوه، وتقدم نظير هذين التقديرين في قوله تعالى ﴿أَن تَضِلُّواْ ۝١٧٦﴾ [النساء]. والضمير المنصوب في «يفقهوه» عائد على القرآن الدالّ عليه من حيث المعنى قوله «ومنهم من يستمع إليك». الوقر الثقل في الأذن، ويقال بفتح الواو وبكسرها، وفعله وقر بفتح القاف وكسرها. وهذه عبارة عمّا جعل الله في نفوس هؤلاء القوم من الغلظ والبعد عن قبول الخير كأنهم لم يكونوا سامعين لأقواله.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ﴾ الآية، لما ذكر عدم انتفاعهم بعقولهم، انتقل من حاسّة الأكنّة والوقر إلى الحاسّة[3] التي هي أبلغ من حاسّة السّماع وهي الرؤية، فنفى ما يترتب على إدراكها وهو الإيمان. وقال ابن عباس: «كل آية» كل دليل وحجّة، «لا يؤمنوا بها» لأجل ما جعل على قلوبهم أكنّة انتهى.

ومقصود هذه الجملة الشرطية الإخبار عن المبالغة التامة والعناد المفرط.

---

(١) ق: بما وبمعنى.

(٢) لم أجده، وانظر البحر ٤: ٩٧.

(٣) ق: الخامسة.

في عدم إيمانهم، حتى أن الشيء المرئي الدالّ على صدق رسول الله ﷺ حقيقةً لا يرتّبون عليه مقتضاه، بل يرتّبون عليه ضدّ مقتضاه. و«حتى» أصلها أن تكون حرف غاية، وقد تأتي بمعنى الفاء؛ فإذا كانت بمعنى الغاية، كانت حرف ابتداء تعلّقت بقوله «ومنهم من يستمع إليك» أي: يمتد استماعهم وتكررهم إلى أن يقولوا في القرآن «إن هذا إلا أساطير الأولين»، فيكون المبتدأ محذوفاً بعدها تقديره: حتى هم، والجملة الشرطية خبر المبتدأ. وإذا كانت بمعنى [الفاء] كان التقدير: فإذا جاؤوك.

و﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ جملة حالية أي: مجادليك، وبلغ تكذيبهم بالآيات إلى المجادلة. و﴿يَقُولُ﴾ جواب إذا.

و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ جمع أسطارة وأسطورة وأسطور. و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قام مقام الضمير إذ لو جرى على الغيبة لكان اللفظ: لقالوا.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ النأي البعد، يقال: نأى ينأى نأياً. والضمير في قوله «وهم» عائد على الكفار. وتقدم ذكر الرسول في قوله «يجادلونك»، وتقدم ذكر القرآن في قوله «إن هذا» أي: القرآن فاحتمل أن يكون الضمير في «عنه» في الموضعين عائداً على الرسول، فيكون من الالتفات، إذ هو خروج من خطاب إلى غيبة، ومعناه: ينهون الناس عن رسول الله ﷺ واتّباعه «وينأون» أي: يبعدون عنه عليه السلام وما جاء [به]. ويحتمل أن يكون الضمير في «عنه» عائداً على القرآن المشار إليه بقولهم «إن هذا» فلا يكون من باب الالتفات. وفي قوله: ينهون وينأون تجنيس التصريف وقيل تجنيس التحريف وهو أن تنفرد كل كلمة عن الأخرى بحرف، فينهون: انفردت بالهاء، وينأون انفردت بالهمزة.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ الآية، جواب لو محذوف، لدلالة المعنى عليه وتقديره:

لرأيت أمراً شنيعاً وهولاً عظيماً. و«ترى» في معنى رأيت، ومفعوله محذوف تقديره: ولو تراهم. و«إذ» ظرف لما مضى.

﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ الآية، قرىء بنصب «نكذّب» و«نكون»، وهذا النصب عند جمهور البصريين هو بإضمار أنْ بعد [١٧٧/ب] الواو، فهو يَنْسَبِكُ من أن المضمرة والفعل بعدها مصدر مرفوع معطوف على مصدر متوهم مقدر من الجملة السابقة، والتقدير: يا ليتنا يكون لنا ردٌّ وانتفاءُ تكذيبٍ وَكونٌ من المؤمنين. وكثيراً ما يوجد في كتب النحو أن هذه الواو المنصوب بعدها هو على جواب التمنّي كما قال الزمخشري[1]: وقرىء: ولا نكذبَ ونكونَ، بالنصب بإضمار أنْ على جواب التّمني ومعناه: إن رُددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين انتهى.

وليس كما ذكر فإن نصب الفعل بعد الواو ليس على جهة الجواب، لأن الواو لا تقع في جواب الشرط، فلا ينعقد مما قبلها ولا مما بعدها شرط وجواب، وإنما هي واو [الجمع تعطف ما بعدها على المصدر المتوهم قبلها وهي] واو العطف يتعيّن مع النصب أحد محاملها الثلاثة وهي: المعيّة، ويميزها من الفاء تقدير «مع» موضعَها، كما أن فاء الجواب إذا كان بعدها فعل منصوب يميزها تقدير شرط قبلها أو حالٍ مكانها. وشبهة من قال إنها جواب، أنّها تنصب في المواضع التي تنصب فيها الفاء، فتوهم أنها جواب. ويوضّح لك أنها ليست بجوابٍ انفراد الفاء دونها، بأنها إذا حذفت، انجزم الفعل بعدها بما قبلها لما فيه من معنى الشرط، إلا إذا نصبت بعد النفي، وسقطت الفاء فلا ينجزم. وإذا تقرر هذا فالأفعال الثلاثة من حيث المعنى متمنّاة على سبيل الجمع بينها لا أنّ كلّ واحد متمنّى وحده إذ التقدير كما

قلنا: يا ليتنا يكون لنا ردٌّ مع انتفاء التكذيب وكوننا من المؤمنين. وقرىء: ولا نكذبُ ونكونُ، برفعهما [عطفاً] على «نُردّ» فيكونان داخلين[1] في التمني، أو رفعاً على الاستئناف والقطع أي: ونحن لا نكذّب ونكون. وقرىء برفع: ولا نكذّبُ، عطفاً على «نُردّ» وعلى الاستئناف، ونكونَ بالنصب عطفاً على مصدر متوهّم، وتكون أنْ مضمرة بعد الواو أي: وأن تكون فالتقدير: يكون منا ردٌّ [وانتفاءُ تكذيبٍ] وكونٌ من المؤمنين.

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ﴾ بل هنا للإضراب والانتقال من شيء إلى شيء من غير إبطال لما سبق. و«لهم» أي: لليهود والنصارى، سئلوا في الدنيا: هل تعاقبون على ما أنتم عليه؟ [قالوا: لا]، وقيل كفار مكّة، ظهر لهم ما أخفوه من أمر البعث بقولهم ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية][2]، أو المنافقون، كانوا يخفون الكفر، فظهر لهم وباله يوم القيامة.

﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ أي: إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار وتمنّيهم الردّ. ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ من الكفر. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ تقدم الكلام على هذه الجملة[3]، وهل التكذيب راجع إلى ما تضمّنته جملة التمنّي من الوعد بالإيمان، أو ذلك إخبار من الله تعالى عن عادتكم وديدنكم[4] وما أنتم عليه من الكذب في مخاطبة رسول الله ﷺ، فيكون ذلك منقطعاً مما قبله من الكلام.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ﴾ الآية، لما أخبر النبي ﷺ كفار مكّة بالبعث قالوا هذا. و«إن» نافية و«هي» ضمير الحياة. قالوا: «إنِ» الحياة إلا حياتنا الدنيا، فنفوا أن

---

(١) ق: داخلان.

(٢) أو قصد المصنف الآية التالية وسها عن أوّلها.

(٣) في تفسير الآية السابقة.

(٤) ودنيكم.

يكون ثَمّ حياة أخرى في الآخرة، ولذلك قالوا «وما نحن بمبعوثين» يعني إلى الحشر والجزاء. لمّا دلّ الكلام على نفي البعث لما تضمّنه من الحصر، صرّحوا بالنفي المحض الدالّ على عدم البعث بالمنطوق، وأكّدوا ذلك بالباء الداخلة عبر الخبر على سبيل المبالغة في الإنكار. وهذا [١٧٨/أ] يدل على أن هذه الآية في مشركي العرب ومن وافقهم في إنكار البعث.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ جواب لو محذوف كما حذف في «ولو ترى»[1] أولاً، وذلك مجاز عن الحبس والتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيّده ليعاقبه.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ الظاهر أن الفاعل بـ«قال» هو الله، فيكون السؤال منه تعالى لهم سؤال تقرير وتوبيخ. والإشارة بـ«هذا» إلى البعث ومتعلّقاته، وقال أبو الفرج بن الجوزي: أليس هذا العذاب بالحق؟. وكأنه لاحظ قوله «قال فذوقوا العذاب».

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ بلى جواب للتقرير، وأكّدوا جوابهم باليمين في قولهم «وربّنا» وهو الإقرار بالإيمان حيث لا ينفع. وناسب التوكيد بقولهم «وربّنا» صدر الآية في «وقفوا على ربّهم». والباء في قوله «بما» للسبب. وكفرهم كان بالبعث وغيره.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ خسرانهم أنهم استعاضوا الكفر عن الإيمان، فصار ذلك شبيهاً بحالة البائع الذي أخذ وأعطى، وكان ما أخذ سبباً لهلاكه، وما أعطاه من الإيمان سبباً لنجاته.

---

(١) الآية ٢٧ السابقة.

ومعنى ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ بلوغ الآخرة وما يكون فيها من الجزاء ورجوعهم إلى أحكام الله تعالى فيها. و«حتى» غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم.

«بغتة» البغت والبغتة الفجأة، يقال: بَغَتَهُ يَبْغَتُهُ أي: فَجَأَهُ وهو مجيء الشيء بسرعة من غير جعل بالك إليه وغير علمك بوقت مجيئه. فرّط: قصّر مع القدرة على ترك التقصير، وقال أبو عبيدة: فرّط ضيّع. والتكذيب مُغَيًّا بالحسرة، لأنه لا يزال بهم التكذيب إلى قولهم «يا حسرتنا» وقت مجيء الساعة. والضمير في «فيها» عائد على الحياة الدنيا إذ تقدم ذكرها[1].

و«ما» في قوله «ما فرّطنا» مصدرية أي: على تفريطنا. والجملة من «وهم يحملون» جملة حالية وذو الحال الضمير في «قالوا». والأوزار الخطايا والآثام، وأصله من الحمل يقال: وزرته أي: حملته، وأوزار الحرب أثقالها من السلاح، وهو مجاز [عبّر] بحمل الوزر عمّا يجده من المشقة والآلام بسبب ذنوبه، والمعنى أنهم يقاسون عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل عليهم.

﴿أَلَا سَآءَ﴾ ساء على وزن فعَل متعدية لمفعول محذوف تقديره ساءهم. و«ما» مصدرية أي: ساءهم وزرهم، أو موصولة بمعنى الذي، وحذف الضمير العائد عليه، والتقدير: ساءهم الذي يزرونه، أي: يحملونه[2]. ويجوز في «ساء» أن يكون وزنها فعُل التي تكون في التعجّب كقوله: قَضُوَ الرجل، أي: ما أقضاه فيكون تقديره: ما أسوأ الذي يزرونه. وافتتح بألا تنبيهاً وإشارة بسوء مرتكبهم.

---

(١) الآية ٢٩ المتقدمة.

(٢) ق: يحملون.

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ ﴾ الآية، لما ذكر قولهم «وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا»[1] ذكر قصاراها، وأن منتهى أمرها أنها فانية منقضية عن قريب، فصارت شبيهة باللهو واللعب، إذ هما لا يدومان، ولا طائل لهما. وقرىء: ولدار الآخرة، على الإضافة فقيل: هو من الموصوف إضافة إلى صفته، إذ أصله: وللدارُ[2] الآخرةُ، وقيل على حذف موصوف تقديره: ولدار الحياة الآخرة.

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ﴾ الآية، قيل: نزلت في الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف، فإنه كان [١٧٨/ب] يكذب في العلانية ويصدق في السرّ ويقول: نخاف أن تتخطّفنا العرب ونحن أكلة رأس. وقيل: نزلت في الأخنس بن شريق، قال لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس عندنا أحد غيرنا. فقال: والله إنّ محمداً لصادق، وما كذب قطّ، ولكن إذا ذهب بنو قصيّ باللواء والسقاية والحجابة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فنزلت.

---

(١) الآية ٢٩ السابقة.

(٢) ق: ولا الدار.

﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾ عبّر هنا بالمضارع عن الماضي لأن علم الله لا يتجدد، وهي هنا معلّقة، و«إنه» والجملة بعدها في موضع مفعولي «نعلم». و﴿يَقُولُونَ﴾ أي: بألسنتهم.

و﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي: ببواطنهم بل يعتقدون صدقك. وقرىء: لا يُكْذبونك، أي: لا يجدونك تكذب، تقول: أكذبته أي: وجدته يكذب، لأن أفعل تأتي للوجدان، كقولهم: أحمدته أي: وجدته محموداً. وقرىء: لا يكذّبونك بالتشديد، أي: لا يعتقدون كذبك.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نبّه على الوصف المؤدّي بهم إلى جحود الآيات وهو الظلم.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ. ولمّا سلّاه تعالى بأنهم بتكذيبك إنما كذبوا الله، سلّاه ثانياً بأن عادة أتباع الرسل قبلك تكذيب رسلهم، وأن الرسل صبروا فتأسَّ بهم [في] الصبر.

﴿وَأُوذُوا﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على قوله «كُذّبتْ»، ويحتمل أن يكون معطوفاً على قوله «فصبروا».

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: لمواعيد الله في نصر رسله نحو قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴿١٧١﴾﴾ [الصافات] الآية.

﴿مِن نَّبَإِي﴾ قال الفارسي: «مِن» زائدة، وفاعل جاء ما بعد[1] «مِن» وهو «نبأ المرسلين». والذي[2] يظهر أن الفاعل مضمر تقديره هو ويعود على ما دلّ عليه المعنى من الجملة السابقة، أي: ولقد جاءك هذا الخبر من تكذيب

---

(١) ق: جاء نبأ بعد.

(٢) ق: وهو الذي.

أتباع الرسل للرسل والصبر والإيذاء إلى أن نُصروا، وأن هذا الإخبار هو بعض نبأ المرسلين الذين تتأسّى بهم. و«من نبأ» في موضع الحال، وذو الحال ذلك المضمر.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الآية، «كبر» أي: شقّ وصعب إعراضهم عن الإيمان وعن اتّباع ما جئت به. «فإن» شرط ثانٍ و«إن» تُخلّص الماضي للاستقبال، وكبر إعراضهم: واقع ماض لكن يُتأول على معنى الاستقبال أي: وإن يتبيّن كبر إعراضهم، والتبيّن مستقبل والاستطاعة مستقبلة، فصار عطف مستقبل على مستقبل، وهو التبيّن. والنفق: السَّرب في داخل الأرض الذي يُتوارى فيه. وقرأ نبيح الغنوي: أن تبتغي نافقاً، وهو في اللغة أحد جِحَرة[1] اليربوع، قال الشاعر[2]: [من الطويل]

وَيَستخرجُ اليَرْبوعَ مِن نافِقائِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ ومِن جُحْرِهِ بالشِّيحَةِ اَلْيَتَقَصَّعُ

والسلّم: الذي يُصعد عليه ويُرتقى. ومعنى الآية أنك لا تستطيع ذلك، والمراد بيانِ حرصه على إسلام قومه، وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم.

والظاهر من قوله ﴿فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ أن الآية هي غير ابتغاء النّفق في الأرض والسلّم في السماء، وأن المعنى: أن تبتغي نفقاً في الأرض، فتدخل فيه، أو سلّماً في السماء، فتصعد عليه إليها، فتأتيهم بآية غير الدخول في السّرب والصعود إلى السماء، مما[3] يرجى إيمانهم بسببها، أو مما اقترحوه رجاء.

---

(١) جمع جُحْر.

(٢) البيت لذي الخِرَق الطهوي في نوادر أبي زيد ص٦٧.

(٣) ق: بما.

إيمانهم، وتلك الآية [١٧٩/أ] من إحدى الجهتين. قال ابن عطية: «فتأتيهم بآية» بعلامة ويريد إما في فعلك ذلك أي: تكون الآية نفس دخولك في الأرض وارتقائك في السماء، وإما في أن تأتيهم بالآية من إحدى الجهتين انتهى.

وقال نحواً من ذلك الزمخشري[١]. وما جوّزاه من ذلك لا يظهر من دلالة اللفظ؛ إذ لو كان ذلك كما جوّزاه لكان التركيب: فتأتيهم بذلك آيةً، وأيضاً فأي آية في دخول سربٍ في الأرض؟ أما الرقيّ إلى السماء فيكون آية. واسم كان في قوله «وإن كان» هو ضمير الأمر والشأن، وكبر إعراضهم: فعل وفاعل جملة في موضع خبر كان. وأجاز قوم أن يكون «إعراضهم» اسم كان و«كبر» في موضع نصب على الخبر، وجواب الشرط في قوله «فإن استطعت» محذوفٌ تقديره: فافعل أحد الأمرين ابتغاء النفق وابتغاء السلّم.

﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: إما أن يخلق ذلك في قلوبهم أوّلاً فلا يضلّ أحد، وإما أن يخلقه فيهم بعد ضلالهم. ودلّ هذا التعليق على أنّه تعالى ما شاء منهم جميعهم الهدى بل أراد إبقاء الكافر على كفره. ومفعول «شاء» محذوف لدلالة جواب «لو» عليه، تقديره: ولو شاء جَمْعَهم على الهدى. ويحذف مفعول شاء كثيراً في القرآن لدلالة [جواب] «لو» عليه.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ذكروا في هذه الآية أقوالاً مدخولة ذُكرت في البحر[٢]. والذي أختاره أن هذا الخطاب ليس لرسول الله ﷺ، وذلك أنه تعالى قال «ولو شاء الله لجمعهم على الهدى» فهذا إخبار وعقد كلّي أنه لا يقع في الوجود إلا ما شاء الله وقوعه، ولا يختص هذا الإخبار بهذا الخطاب

(١) الكشاف ٢: ١٥.

(٢) انظر ٤: ١١٦.

بالرسول، بل الرسول ﷺ عالم بمضمون هذا[١] الإخبار، فإنما ذلك للسامع، فالخطاب والنهي في «فلا تكوننّ» للسامع دون الرسول فكأنه قيل: ولو شاء الله أيها السامع - الذي لا يعلم أنّ ما وقع في الوجود هو بمشيئة الله تعالى - جَمْعَهم على الهدى لَجَمعهم عليه، فلا تكوننّ أيها السامع من الجاهلين، بأن ما شاء الله إيقاعه وقع، وأن الكائنات معذوقة[٢] بإرادته.

﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ أي: للإيمان. ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع قبول وإصغاء كما قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الزمر]. و«يستجيب» بمعنى يجيب، وفرّق الرّماني بين أجاب واستجاب بأنّ استجاب فيه قبول لما دُعي، ويستجيب جاء مُعدّى باللام كقوله تعالى ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة] و﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران]، وجاء معدّى بنفسه، قال الشاعر[٣]:

[من الطويل]

وداعٍ دعا يا من يُجيبُ إلى النّدا ... فلـم يَسْتَجِبْـهُ عنـد ذاك مُجيـبُ

﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ الظاهر أن هذه [جملة] مستقلّة من مبتدأ وخبر، والظاهر أن الموت هنا والبعث حقيقة، وذلك إخبار من الله تعالى أن[٤] الموتى على العموم من مستجيب وغير مستجيب يبعثهم الله، فيجازيهم على أعمالهم. وقيل: الموت والبعث مجازان، استعير الموت للكفر والبعث للإيمان[٥]. وقيل: الجملة من قوله [«والموتى] يبعثهم الله» مبتدأ وخبر،

---

(١) ق: هذه.

(٢) أي: معلّقة وموسومة.

(٣) البيت لكعب بن سعد بن مالك الغنوي، وهو في النوادر ص٣٧، والاقتضاب ٣٩٩:٣، وجمهرة أشعار العرب ٥٥٨.

(٤) ق: وأن.

(٥) عبارة ق: استعير للموت للكفر والإيمان للبعث.

أي: والموتى بالكفر يحييهم الله بالإيمان.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤساء قريش، سألوا الرسول ﷺ آيةً تعنتاً منهم، وإلاّ فقد جاءهم بآيات كثيرة، فيها مقنع انتهى.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ﴾ أي: ما سألتموه من إنزال آية، الله قادر على ذلك كما أنزل [١٧٩/ ب] الآيات السابقة، [فلا فرق في تعلق القدرة بالآيات المقترحة على سبيل التعنّت والآيات] التي لم تقترح، وقد اقترحتم آيات كانشقاق القمر، فلم تُجْدِ عندكم[1]، ولا أثَّرَتْ فيكم، وقلتم هذا سحر مستمر.

﴿لَا يَعْلَمُونَ[2]﴾ قدرته على إنزال الآيات.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ تقدم شرح الدابة[3]، وهي هنا في سياق النفي مصحوبة بمن التي تفيد استغراق الجنس، فهي عامة تشمل كلّ ما يدبّ، فيندرج فيها الطائر، [فذِكْرُ الطائر] بعد ذكر «دابّة» تخصيص بعد تعميم، وذِكْرُ بعضٍ من كلّ وصار من باب التجريد كقوله تعالى ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة] بعد ذكر الملائكة. وإنما جرّد الطائر، لأن تصرّفه في الجو دون تصرّف غيره من الحيوان أبلغ في القدرة وأدلّ على عظمها من تصرّف غيره من الحيوان في الأرض، إذ الأرض جسم كثيف يمكن تصرّف الأجرام عليها، والهواء جسم

(١) ق: عنكم.

(٢) ق: ألا تعلمون.

(٣) انظر البقرة ٢: ١٦٤.

لطيف لا يمكن عادة تصرّف الأجرام الكثيفة فيه إلا بباهر القدرة الإلهيّة، ولذلك قال تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ الآية [النحل][1].

وجاء قوله ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ إشارة إلى تعميم جميع الأماكن، لما كان لفظ «من دابّة» وهو المتصرف أتى بالمتصرّف[2] فيه عامًّا وهو الأرض، وتشمل الأرض البر والبحر.

و﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ تأكيد لقوله «ولا طائر» لأنه لا طائر إلا يطير بجناحيه، ولرفع المجاز الذي كان يحتمله قوله «ولا طائر» لو اقتصر عليه، ألا ترى إلى استعارة الطائر للعمل في قوله تعالى ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء] وقولهم: طار لفلان طائر كذا في القسمة أي: سهمه، وطائر السّعد والنحس. ففيه تنبيه على تصوّر هيئته على حال الطيران واستحضار لمشاهدة هذا الفعل الغريب. وجاء الوصف بلفظة «يطير» لأنه مشعر بالديمومة والغلبة لأن أكثر أحوال الطائر كونه يطير، فقلّما يسكن حتى أن المحبوس منها يكثر ولوعه بالطيران في المكان الذي حُبس فيه من قفص وغيره. و«من دابّة» في موضع رفع بالابتداء إذ «مِن» زائدة في النفي، وخبره «أمم أمثالكم».

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ الآية، وكثيراً ما يستدلّ بعض الظاهرية بهذه الآية. وقوله «من شيء» يشير إلى أن الكتاب تضمّن الأحكام التكليفيّة كلها. والتفريط التقصير وأصل فِعْله أن يتعدى بفي كقوله ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر] وإذا كان كذلك فيكون قد ضُمّن معنى: ما أغفلنا وما تركنا، ويكون «من شيء» في موضع المفعول به، و«من» زائدة. والمعنى:

(١) وفي ق: أولم.

(٢) ق: أي التصرف.

ما تركنا ولا أغفلنا في الكتاب شيئاً يحتاج إلى دلائل[١] النبوّة والإلهيّة والتكاليف.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الظاهر أنه يُراد به البعث يوم القيامة وهو قول الجمهور، فتحشر البهائم والدوابّ والطير. وفي ذلك حديث يرويه يزيد بن الأصمّ عن أبي هريرة قال[٢] «يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدل الله عزّ وجلّ أن يأخذ للجمّاء[٣] من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً فذلك قوله ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠)﴾ [النبأ].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قال النقّاش: نزلت في بني عبد الدار، ثم انسحبت على من سواهم. والآيات هنا القرآن وما ظهر على يدي الرسول ﷺ من المعجزات والدلائل والحجج. والإخبار عنهم بقوله ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [١٨٠/أ] الظاهر أنه استعارة عن عدم الانتفاع الديني بهذه الحواسّ، لا أنهم صمّ وبكم في الظلمات حقيقة. وجاء قوله «في الظلمات» كناية عن عمى البصيرة فهو ينظر لقوله ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ (١٨)﴾ [البقرة] لأن قوله «في الظلمات» أبلغ من قوله: عمي، إذ جُعلت[٤] الظلمات ظرفاً لهم. وجُمعت لاختلاف جهات الكفر.

﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ﴾ الآية، «من» مبتدأ شرطية، و«يشأ» مجزوم بمَن، ومفعول «يشأ» محذوف تقديره: من يشأ الله إضلاله يضلله، وكذلك مفعول «يشأ» الثاني محذوف تقديره: أي ومن يشأ جَعْلَه. وظاهر الآية يدلّ على

---

(١) ط: يُحتاج إليه من دلائل.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢: ٢٣٥ بالفاظ مقاربة.

(٣) شاة جمّاء: إذا لم تكن ذات قرن.

(٤) ق: إذا جاءت.

مذهب[١] أهل السنّة في أن الله تعالى هو الهادي وهو المضلّ، وأن ذلك معذوق بمشيئته لا يُسأل عما يفعل.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ الآية، قال الفراء[٢]: للعرب في «أرأيت» لغتان ومعنيان، أحدهما أن تسأل الرجل: أرأيت زيداً؟ أي: بعينك، فهذه مهموزة. وثانيهما[٣] أن تقول: أرأيت؟ وأنت تريد: أخبرني، فها هنا تترك الهمزة إن شئت وهو أكثر كلام العرب، يومىء إلى ترك الهمزة للفرق بين المعنيين انتهى[٤]. وإذا كانت بمعنى أخبرني جاز أن تختلف التاء [باختلاف المخاطب، وجاز أن تتصل بها الكاف مشعرة باختلاف المخاطب وتبقى التاء] مفتوحة كحالها للواحد المذكر. ومذهب البصريين أن التاء هي الفاعل وما لحقها حرف خطاب يدل على اختلاف المخاطب. ومذهب الكسائي أن الفاعل هو التاء وأن أداة الخطاب اللاحقة في موضع المفعول الأول.

---

(١) ق: لمذهب.

(٢) معاني القرآن ١: ٣٣٣، والنص منقول بتصرف.

(٣) ق: أي وثانيهما.

(٤) وقعت الكلمة ها هنا، وحقّها أن تقع بعد قوله: وهو أكثر كلام العرب.

ومذهب الفرّاء أن التاء هي حرف خطاب كهي في: أنت، وأنّ أداة الخطاب بعده هي [في] موضع الفاعل، استعيرت ضمائر النصب للرفع. والكلام على هذه المذاهب إبطالاً وتصحيحاً مذكور في علم النحو.

وكون أرأيت وأرأيتك بمعنى أخبرني نصّ عليه سيبويه وغيره من أئمة العربية. وكون أرأيت بمعنى أخبرني هو تفسير معنى لا تفسير إعراب، لأن أخبرني تتعدّى بعن فتقول: أخبرني عن زيد، وأرأيت تتعدى لمفعول به صريح وإلى جملة استفهامية هي في موضع المفعول الثاني كقولك: أرأيت زيداً ما صنع؟ فما: بمعنى أي شيء وهو مبتدأ وضع في موضع الخبر. وأما في هذه الآية فنقول هو من باب الإعمال فـ«أرأيتكم» يطلب مفعولاً به و«أتاكم» يطلب مرفوعاً وهو قوله «عذاب الله» فلما اجتمع العاملان «أرأيتكم» وفعل الشرط الذي هو «أتاكم» [أُعمل الثاني وهو «أتاكم»]، فاختيار مذهب البصريين أن الثاني هو أولى بالإعمال. ولو كان على إعمال «أرأيتكم» لكان التركيب بنصب «عذاب» و«الساعة»، فكان يكون في غير القرآن: أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله[1] أو الساعة. لكنه لما أعمل الثاني حذف مفعول «أرأيتكم» الأول والثاني هو جملة الاستفهام وهو قوله «أغير الله». ورابط هذه الجملة الاستفهامية بالمفعول المحذوف في «أرأيتكم» مقدر تقديره: أغير الله تدعون لكشفه، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة فأخبِروني.

و﴿أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ أي: أتاكم خوفه وأماراته وأوائله مثل الجَدْبِ والبأساء والأمراضِ التي يُخاف منها الهلاك. ولا يحتاج إلى تأويل العذاب بمقدّماته بل إذا حلّ بالإنسان العذاب، واستمرّ عليه، لا يدعو إلاّ الله تعالى.

---

(١) ق: الدنيا.

وقوله ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ تقديره: إلهاً غير الله تدعون، وهو استفهام توبيخ وتقرير. ﴿تَدْعُونَ﴾ أي: لكشف ما حلّ بكم.

و«إياه» مفعول مقدم، انتقل من استفهام التوبيخ إلى حصر من يدعونه بقوله ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ أي: بل الله [١٨٠/ب] تدعون. [و«ما» من قوله ﴿مَا تَدْعُونَ﴾ الأظهر أنها موصولة] قال ابن عطية: ويصح أن تكون ظرفية انتهى. فيكون مفعول «يكشف» محذوفاً أي: فيكشف العذاب مدة دعائكم، أي: ما دمتم داعية. وهذا فيه حذف المفعول وخروج عن الظاهر لغير حاجة، ويُضْعفه وَصْلُ ما الظرفية بالمضارع وهو قليل جداً، إنما بابها أن توصل بالماضي، تقول: لا أكلّمك ما طلعت الشمس، ويضعف: ما تطلع الشمس، ولذلك [علّة] ذكرت في علم النحو.

وقوله ﴿إِن شَآءَ﴾ مفعول «شاء» محذوف تقديره: إن شاء كَشْفَه. ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ أي تتركون[١] الالتجاء إلى آلهتكم التي تشركون بها ربكم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية، هذه تسلية لرسول الله ﷺ، وإن عادة الأمم مع رسلهم التكذيب والمبالغة في قسوة القلب، حتى هم إذا أُخذوا بالبلايا، لا يتذلّلون لله تعالى، ولا يسألونه كشفها. وهؤلاء الأمم الذين بعث الله إليهم الرسل أبلغ انحرافاً وأشد شكيمة وأجلد من الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ، إذ خاطبهم بقوله «قل أرأيتكم» الآية، وأخبر أنهم عند الأمارات لا يدعون لكشفها إلا الله تعالى. وفي الكلام حذف، التقدير: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فكذّبوا فأخذناهم. وتقدم تفسير البأساء والضراء في البقرة[٢].

---

(١) ق: وينسون أي يتركون.

(٢) انظر تفسير الآية ١٧٧. وفي ق: تفسير الباء والضراء.

والترجّي هنا بالنسبة إلى البشر، أي: لو رأى أحدٌ ما حلّ بهم، لرجا تضرّعهم وابتهالهم إلى الله في كشفه. والأخذ: الإمساك بقوة وبطش وقهر، وهو هنا مجاز عن متابعة العقوبة والملازمة، والمعنى: فعاقبناهم في الدنيا.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ ولولا حرف تحضيض يليها الفعل ظاهراً أو مضمراً أو فصل بينهما بالظرف: فصل بين «لولا» و«تضرّعوا» بإذ، وهي معمولة لـ«تضرّعوا». والتحضيض يدلّ على أنهم لم يقع تضرعهم حين جاء البأس، فمعناه إظهار معاتبة مذنب غائب وإظهار سوء فعله. وإسناد المجيء إلى البأس مجاز عن وصوله إليهم، والمراد أوائل البأس وعلاماته.

﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: صَلُبَتْ وصبرت على ملاقاة العذاب لما أراد الله تعالى من كفرهم. ووقوع «لكن» هنا حسن، لأن المعنى انتفاء التذلّل عند مجيء البأس ووجود القسوة الدالّة على العتوّ والتعزّز، فوقعت «لكن» بين ضدّين، وهما اللين والقسوة. وكذا إن كانت القسوة عبارة عن الكفر، فعبّر بالسبب عن المسبّب. والضراعة عبارة عن الإيمان، فعبّر بالمسبّب عن السبب كانت أيضاً واقعة بين ضدّين، تقول: قسا قلبُه، فكفر، وآمن، فتضرّع.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يحتمل أن تكون الجملة داخلة تحت الاستدراك، ويحتمل أن تكون استئناف إخبار. والظاهر الأول، فيكون الحامل على ترك التضرّع قسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي كان الشيطان سبباً في تحسينها لهم.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ أي: فلما تركوا الاتعاظ والازدجار بما ذُكّروا به من البأس، استدرجناهم بتيسير مطالبهم الدنيوية، وعبّر عن ذلك بقوله تعالى ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ إذ يقتضي شمول الخيرات وبلوغ الطلبات. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ ومعنى هذه الجملة معنى قوله تعالى

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ﴿١٧٨﴾﴾[آل عمران]. وفي الحديث الصحيح عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال[1] «إذا رأيت الله تعالى يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم، فإنما ذلك استدراج منه لهم، ثم تلا «فلما نسوا» الآية».

والأبواب: عبارة عن الأسباب[2] التي هيّأها الله لهم، المقتضية لبسط الرزق عليهم، والإبهام[3] في هذا العموم لتهويل ما فتح عليهم وتعظيمه. وغيّا[4] [١٨١/أ] الفتح بفرحهم بما أوتوا، وترتّب على فرحهم أخذهم بغتة، أي: إهلاكهم فجأة وهو أشد الإهلاك، إذ لم يتقدم شعور به، فتتوطّن النفس على لقائه. ابتلاهم أولاً بالبأساء والضراء، فلم يتّعظوا، ثم نقلهم إلى ما أوجب سرورهم من إسباغ النعم عليهم، فلم يُجْدِ ذلك عندهم، ولا تصدّوا لشكرٍ، ولا اصغوا إلى إنابة، بل لم يحصلوا إلاّ على فرح بما أسبغ عليهم. قال محمد بن النضر الحارثي: أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة. ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ أي: باهتون بائسون، لا يحيرون جواباً.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾ عبارة عن استئصالهم بالهلاك. ونبّه على سبب الاستئصال بذكر الوصف الذي هو الظلم، وهو هنا الكفر. والدابر التابع للشيء من خلفه يقال: دَبَرَ الولد الوالد يَدْبُرُه: وقال أمية بن أبي الصلت[5]:

[من البسيط]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤: ١٤٥ بألفاظ مقاربة.

(٢) ق: أسباب.

(٣) ق: والا بهما.

(٤) ق: وعنى.

(٥) الديوان ص٣٨٩.

فاستُؤصِلوا بعذابٍ خَصَّ دابِرَهُم   فما استطاعوا له صَرْفاً ولا انْتَصَروا

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الظاهر أنه تعالى لما أرسل الرسل إلى هؤلاء الأمم، كذبوهم[١] وآذوهم، فابتلاهم الله تارة بالبلاء وتارة بالرخاء، فلم يؤمنوا، فأهلكهم، واستراح الرسل من شرهم وتكذيبهم، وصار ذلك نعمة في حق الرسل، إذ أنجز الله وعده على لسانهم بهلاك مكذّبيهم، فناسب هذا الفعل كله الختم بالحمد لله رب العالمين.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ الآية، لمّا ذكر أولاً تهديدهم بإتيان العذاب أو الساعة كان ذلك أعظم من هذا التهديد، فأكّد خطاب الضمير بحرف الخطاب فقيل «أرأيتكم»[٢]. ولما كان هذا التهديد أخف من ذلك لم يؤكّد به، بل اكتفى بخطاب الضمير فقيل «أرأيتم». وفي تلك وهذه الاستدلال

---

(١) ق: كذبوا.

(٢) الآية ٤٠ السابقة.

على توحيد الله تعالى، وأنه المتصرّف في العالم الكاشف للعذاب والرادّ لما شاء بعد الذهاب، وأنّ آلهتهم لا تغني عنهم شيئاً. والظاهر من قوله: أخذ سمعكم وأبصاركم، أنه إذهاب للحاسّة السمعية والبصريّة فيكون أخذاً حقيقياً، وقيل هو أخذٌ معنوي. والمراد إذهاب نور البصر بحيث يحصل العمى وإذهاب سمع الأذن بحيث يحصل الصمم.

وتقدم الكلام على إفراد السمع وجمع الأبصار وعلى الختم على القلوب في أوائل البقرة[١] فأغنى عن إعادته. ومفعول «أرأيتم» الأول محذوف والتقدير: قل أرأيتم سمعكم وأبصاركم إن أخذها الله تعالى، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية كما تقول: أرأيتك زيداً ما صنع؟. وقد قرّرنا أن ذلك من باب الإعمال أعمل الثاني وحذف من الأول، وأوضحنا كيفية[٢] ذلك في الآية قبل هذه[٣]. والضمير في «به» أفرده إجراءً له مجرى اسم الإشارة كأنه قيل: يأتيكم بذلك، أو يكون التقدير: بما أخذ وختم عليه. ﴿ٱنظُرۡ﴾ خطاب للسامع. وتصريفها مرة تأتي بالنعمة، ومرة تأتي بالنقمة، ومرة بالترغيب ومرة بالترهيب. والصدف والصدوف الإعراض والنفور و﴿يَصۡدِفُونَ﴾ أي: يُعرضون، ولا يعتبرون.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً﴾ هذا تهديد ثالث؛ فالأول بأحد أمرين: العذاب أو الساعة، والثاني بالأخذ والختم، والثالث بالعذاب فقط. و«بغتة» فجأة لا يتقدم لكم به علم. و«جهرة» تبدو لكم مخايله، ثم ينزل[٤].

---

(١) انظر شرح الآية ٧.

(٢) ق: لينبّه.

(٣) الآية ٤٠.

(٤) ق: يقول.

ولمّا كانت البغتة تضمّنت معنى الخفية[1]، صحّ مقابلتها للجهرة، وبدىء بها لأنها أردع من الجهرة. والجملة من قوله ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ معناها النفي، أي: ما يهلك إلا القوم الظالمون، ولذلك دخلت «إلّا» وهي في موضع المفعول الثاني لـ «أرأيتكم» [١٨١/ ب] والرابط محذوف أي: هل يهلك به، والأول من مفعولي «أرأيتكم» محذوف من باب الإعمال، لما قرّرناه. ولمّا كان التهديد شديداً جمع فيه بين أداتي الخطاب، والخطاب لكفار قريش والعرب. وفي ذكر الظلم تنبيه على علّة الإهلاك، والمعنى: هل يهلك إلا أنتم لظلمكم.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآية، أي: مبشرين بالثواب ومنذرين بالعقاب. وانتصب ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ على الحال، وفيهما معنى العلّية أي: أرسلناهم للتبشير والإنذار، لا لأن تُقترح عليهم الآيات بعد وضوح ما جاؤوا به وتبيّن صحته. ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ أي: من صدّق بقلبه، وأصلح في عمله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ومعنى ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾[2] جعل العذاب ماسًّا، كأنّه ذو حياة، يفعل بهم ما يشاء من الآلام.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ الآية، قال الطبري: المعنى أني لا أقول لكم إني إلهٰ، فأتّصف بصفاته من كينونة خزائنه عندي وعلم الغيب. ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ قال الزمخشري[3] في الملائكة: هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه منزلة منه. وهو جارٍ على مذهب المعتزلة، وقد تكلّمنا على ذلك في قوله

---

(١) ق: الحقيقة.

(٢) جامع البيان ٧: ١٢٦، والعبارة منقولة بتصرف.

(٣) الكشاف ٢: ٢٠.

تعالى ﴿ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء][1]. وهذه الثلاثة أجوبةٌ لما سأله المشركون: فالأول [جواب] لقولهم: إن كنت رسولاً، فاسأل الله حتى يوسّع علينا خيرات الدنيا، والثاني جواب: إن كنت رسولاً، فَأَخْبِرْنا بما يقع في المستقبل من المصالح والمضارّ، فنستعدّ لتحصيل تلك ودفع هذه، والثالث جواب قولهم ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴿٧﴾ ﴾ [الفرقان] انتهى.

وقال الزمخشري[2]: فإن [قلت]: «أعلم الغيب» ما محلّه من الإعراب؟ قلت: النصب عطفاً على محلّ قوله «عندي خزائن الله» لأنه من جملة القول كأنه قال: لا أقول لكم هذا القول [ولا هذا القول] انتهى. ولا يتعيّن ما قاله بل الظاهر أنه معطوف على «لا أقول» لا معمولٌ له، فهو أمر أن يخبر عن نفسه بهذه الجمل الثلاث فهي معمولة للأمرِ الذي هو «قل»، وغاير [في] متعلّق النفي، فنفى، قوله «عندي خزائن الله» وقوله «إني ملك»، ونفى علم الغيب، ولم يأت التركيب: ولا أقول إني أعلم الغيب؛ لأن كونه ليس عنده خزائن الله من أرزاق العباد وقسمهم معلومٌ ذلك للناس كلهم فنفى ادّعاه ذلك، وكونه بصورة البشر معلوم أيضاً لمعرفتهم بولادته ونشأته بين أظهرهم، فنفى أيضاً ادّعاءه ذلك، ولم يَنْفِهما من أصلهما لأن انتفاء ذلك من أصله معلوم عندهم، فنفى أن يكابرهم في ادّعاء شيء يعلمون خلافه قطعاً.

ولمّا كان علم الغيب يمكن أن يظهر على لسان البشر، بل قد يدّعيه كثير من الناس كالكهّان وضُرّاب الرمل والمنجّمين، وكان صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأشياء من المغيّبات وطابقت ما أخبر به - نفى علم الغيب من أصله

---

(١) وفي ق: المقربين.

(٢) الكشاف ٢: ٢١.

فقال «ولا أعلم الغيب» تنصيصاً على محض العبودية والافتقار، وأن ما صدر عنه من أخبار الغيب إنما هو من الوحي الوارد عليه لا من ذات نفسه فقال «إن أتبع إلا ما يوحى إلي»، كما قال فيما حكى الله عنه ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف] وكما أُثِرَ عنه صلى الله عليه وسلم «لا أعلم ما وراء هذا الجدار إلاّ أن يعلمني ربي»[1].

وجاء هذا النفي على سبيل الترقّي، فنفى أوّلاً ما تتعلّق به رغبات الناس أجمعين من الأرزاق التي هي قوام الحياة الجسمانية، ثم نفى ثانياً ما تتعلق به وتتشوّف إليه النفوس الفاضلة من معرفة ما يجهلون وتعرف ما يقع من الكوائن، ثم نفى ثالثاً ما هو مختص بذاته من صفة المَلكية التي هي مباينة لصفة البشرية، فترقّى [١٨٢/أ] في النفي من عام إلى خاص إلى أخصّ، ثم حصر ما هو عليه في أحواله كلها بقوله «إن أتّبع إلاّ ما يوحىٰ إلي» أي: أنا متّبع ما أوحى الله غير شارع شيئاً من جهتي، وظاهره حجّة لنُفَاة القياس.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي: لا يستوي الناظر المفكر في الآيات والمعرض الكافر الذي يهمل النظر. ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ هذا عرض وتحضيض معناه الأمر، أي: فكّروا، ولا تكونوا ضالّين أشباه العُمْي.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الآية، [لمّا] أخبر أنه لا يتبّع إلا ما يوحى إليه، أمره تعالى أن ينذر به، فقال «وأنذر به» أي بما يوحى إليك. وظاهر قوله «الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم» عموم من خاف الحشر وآمن بالبعث. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إلى جزاء ربهم. ﴿لَيْسَ لَهُم﴾ هذه الجملة في موضع الحال

---

(١) ذلك في غزوة تبوك حين ضلّت ناقته، انظر السيرة النبوية ٤: ١٦٦، ومختصر المقاصد الحسنة ص١٧٤.

أي: في حال من لا وليّ له ولا شفيع، وذو الحال الضمير في قوله «يحشروا»[1] والعامل فيها «يحشروا». ويجوز أن يكون إخباراً من الله تعالى عن صفة الحال يومئذ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ متعلق بقوله «وأنذر» أي: رجاء أن يحصل لهم التقوى.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية، قال سعد بن أبي وقّاص: نزلت فينا ستّة: فيّ وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال؛ قالت قريش: إنّا لا نرضى أن نكون لهؤلاء أتباعاً فاطردهم عنك فنزلت. ولما أمر تعالى بإنذار غير المتّقين، لعلهم يتّقون، أردف ذلك بتقريب المتّقين وإكرامهم، ونهاه عن طردهم، ووَصَفهم بموافقة ظاهرهم لباطنهم من دعاء ربّهم وخلوص نيّاتهم.

والظاهر في قوله «يدعون ربهم» يسألونه ويلجؤون إليه، ويقصدونه بالدعاء والرغبة. و﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ كناية عن الزمان الدائم، ولا يُراد بهما خصوص زمانهما، كما تقول: الحمد لله بكرة وأصيلا، تريد: في كل حال. فكنّى بالغداة عن النهار وبالعشيّ عن الليل، وخصّهما بالذكر، لأن الشغل

(١) ق: يحشرون.

فيهما غالب على الناس، ومن كان في هذين الوقتين يغلب عليه ذكر الله ودعاؤه، كان في وقت الفراغ أغلب عليه. وقرأ ابن عامر وجماعة: بالغدوة. ﴿يُرِيدُونَ﴾ جملة حالية، وذو الحال الواو في «يدعون» وهي الفاعل، و«يدعون» هو العامل في الحال. و﴿وَجْهَهُۥ﴾ هو كناية عن الله تعالى، إذ الجسمانية تستحيل بالنسبة إلى الله تعالى.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم﴾ الآية، قال الزمخشري[١]: كقوله «إن حسابهم إلا على ربي»[٢] وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال «ما عليك من حسابهم من شيء» بعد شهادته لهم[٣] بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم، [على معنى] وإن كان الأمر كما يقولون عند الله، فما يلزمك إلاّ اعتبار الظاهر والاتّسام بسيرة المتّقين، وإن كان لهم باطن غير مرضيّ، فحسابهم عليهم، أي: لازم لهم لا يتعدّاهم[٤] إليك، كما أن حسابك عليك، لا يتعدّاك إليهم كقوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام] انتهى.

لا يمكن ما ذكره من الترديد في قوله: وإن كان الأمر إلى آخره، لأنه تعالى قد أخبر أنهم «يدعون ربّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه» وإخبار الله تعالى هو الصدق الذي لا شكّ فيه، فلا يقال فيهم: وإن كان الأمر كما يقولون، وإن كان لهم باطن غير مرضيّ - لأنه فرض مخالف لما أخبر تعالى من خلوص بواطنهم ونيّاتهم لله عزّ وجلّ. «من شيء» في موضع المبتدأ و«من» زائدة، و«من حسابهم» في موضع الحال، لأنه لو تأخّر كان في

(١) الكشاف ٢: ٢٢.
(٢) ق: كقولهم.
(٣) ق: من شيء ذمّ لهم.
(٤) ق: لا يتعدى.

موضع الصفة، و«عليك» في موضع خبر المبتدأ، كأنه قيل: ما شيء من حسابهم كائن عليك. والمعنى نفي حسابهم عليه، وجوابه قوله «فتطردهم» فينتفي الحساب والطرد كأنه قيل: لا حساب عليك فكيف يكون طرد؟. ولمّا نفى حسابهم عليه نفى حسابه عليهم في قوله «وما [١٨٢/ب] من حسابك عليهم من شيء». قال الزمخشري[١] «فإن قلت: أما كفى قوله: «ما عليك من حسابهم من شيء» حتى ضمّ «وما من حسابك عليهم من شيء»؟ قلت: قد جُعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة، وقصد بهما مؤدّى واحد، وهو المعنى في قوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام]، ولا يستقلّ بهذا المعنى إلا الجملتان جميعاً كأنه قيل: لا تؤاخَذُ أنت ولا هم بحساب صاحبه» [انتهى].

تركيب غير عربي، لا يجوز عود الضمير هنا غائباً ولا مخاطباً؛ لأنه إن أعيد غائباً، فلم يتقدم له اسم مفرد غائب يعود عليه، إنما تقدم قوله «ولا هم» ولا يمكن[٢] العود إليه على اعتقاد الاستغناء بالمفرد عن الجمع، لأنه يصير التركيب «بحساب صاحبهم»، وإن أعيد مخاطباً، فلم يتقدم له مخاطب[٣] يعود عليه، إنما تقدم قوله «لا تؤاخذ أنت» ولا يمكن العود عليه، لأنه ضمير مخاطب فلا يعود عليه غائباً. ولو أبرزته مخاطباً، لم يصحّ التركيب أيضاً، فإصلاح هذا التركيب أن يقال: لا يؤاخذ كل واحد منّا ولا منهم بحساب صاحبه، أو لا تؤاخذ أنت بحسابهم ولا هم بحسابك، أو لا تؤاخذ أنت ولاهم بحسابكم، فتُغلّب الخطاب على الغيبة كما تقول: أنت

---

(١) الكشاف ٢: ٢٢.

(٢) ق: يتقدم.

(٣) ق: مخاطباً.

وزيد تضربان. وفسّر الحساب(١) هنا بالأعمال وقيل بالأرزاق، أي: كلّ منهما له حسابه. وقوله ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ هو جواب النهي في قوله «ولا تطرد الذين» كقوله تعالى ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۝٦١﴾ [طه] فصار جواب كلّ من النهي ومن النفي على ما يناسبه.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ الآية، الكاف للتشبيه في موضع نصب، والإشارة بذلك إلى فتون سابق، وهو افتتان الكفار الذين أشاروا بطرد من كان أسلم من ضعفاء المؤمنين، وهم الذين نهاهم الله عن طردهم. وكنى [بقوله] «بعضهم» عن أولئك الكفار. وقوله «ببعض» كناية عن أولئك المؤمنين. وقوله ﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾ علّة للفتون. ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى أولئك المؤمنين، واستحقار لهم كقول الكفار ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١﴾ [الفرقان] وكقولهم ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ۝٢٥﴾ [القمر](٢). وقوله ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ أي: بالدين، علينا. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ هذا استفهام معناه التقرير والردّ على أولئك القائلين، أي: الله أعلم بمن يشكر، فيضع فيه هدايته دون من يكفر، فلا يهديه. وجاء لفظ الشكر هنا في غاية من الحسن إذ تقدم من قولهم «أهؤلاء منّ الله عليهم» أي: أنعم، فناسب ذكر الإنعام لفظ الشكر. والمعنى أنه تعالى عالم بهؤلاء المنعم عليهم الشاكرين لنعمائه. وتضمّن العلم معنى الثواب والجزاء لهم على شكرهم.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الآية، الجمهور أنها نزلت في الذين نهى الله عن طردهم، فكان إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: الحمد لله الذي جعل

---

(١) ق: الخطاب.

(٢) ق: وكقوله: أو ألقي عليه الذكر.

في أمّتي من أبدؤهم بالسلام[1]. ولفظة «الذين يؤمنون» عامّة في هؤلاء وفي كل مؤمن يجيء إلى رسول الله ﷺ، أمره بإفشاء التحية لهم ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ في صحيح البخاري[2] أن الله تعالى «[كتب] كتاباً فهو عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي». والكَتْب هنا كناية عن إيصال رحمته تعالى لعباده.

﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾ الآية، السوء: الشرك[3]. وتقدم تفسير عمل السوء في النساء[4] فأغنى عن إعادته. ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد عمل السوء ﴿وَأَصْلَحَ﴾ شرط استدامة الإصلاح في السّيء الذي تاب منه. وقرىء: أنّه، فأنّه بفتح الهمزتين [١٨٣/أ] والضمير في «أنه» ضمير الأمر والشأن، و«أنّه» بدل من «الرحمة» و«الرحمة» منصوب بكتب، و«مَن» في قوله «مَن عَمِلَ» يجوز أن تكون شرطية، والفاء في «فأنّه» جواب الشرط وما بعده مقدَّر بالمصدر، وقبله مبتدأ يكون المصدر خبره، فالتقدير: فالأمر غفران الله له. ويجوز أن يكون «مَن» مبتدأ، والفاء دخلت في خبره، وهذه الجملة المقدّرة في موضع خبر المبتدأ الذي هو «مَن». وقرىء بكسر الهمزتين فيهما: الأولى على جهة التفسير للرحمة، والثانية في موضع الخبر أو الجواب على التقديرين في «مَن عمل» أهي شرط أو موصول. وقرىء بفتح الأولى على البدل من «الرحمة» كما تقدم، وبكسر الثانية على التقديرين اللذين سبقا.

وما أحسن مساق هذا المقول: أمره أوّلاً أن يقول للمؤمنين «سلام عليكم»

---

(١) انظر أسباب النزول ص١٤٧.

(٢) ٦ : ٢٧٤٥ من حديث أبي هريرة.

(٣) ق: الشرط.

(٤) انظر تفسير الآيتين ١١٠، ١٢٣ من النساء.

فبدأ أوّلاً بالسلامة والأمن لمن آمن، ثم خاطبهم ثانياً بوجوب الرحمة. وأسند الكتابة إلى ربّهم أي: كتب الناظر لكم في مصالحكم والذي يربيكم[(١)] ويملككم الرحمة. فهذا تبشير بعموم[(٢)] الرحمة، ثم أبدل منها شيئاً خاصًا وهو غفرانه ورحمته[(٣)] لمن تاب وأصلح.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ الآية، الكاف للتشبيه و«ذلك» إشارة إلى التفصيل السابق الواقع في هذه السورة، أي: ومثل ذلك التفصيل البيّن نفصّل آيات القرآن، ونلخّصها في صفة أحوال المجرمين؛ مَن هو مطبوع على قلبه لا يُرجى إسلامه، ومَن نرى فيه أمارة القبول، وهو الذي يخاف إذا سمع ذِكْر القيامة، ومَن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده. واستبان: يكون لازماً ومتعدّيا. وتميم وأهل نجد يذكّرون السبيل، وأهل الحجاز يؤنّثونها. وقرىء: وليستبين بالياء، سبيلُ: بالرفع، أي: وليظهر سبيل المجرمين. وقرىء: ولتستبين بتاء الخطاب، سبيل بالنصب، فاستبان هنا متعدّية، فقيل هو خطاب لرسول الله ﷺ، وقيل: له ظاهراً والمراد أمّته. وخصّ سبيل المجرمين لأنه يلزم من استبانتها استبانة سبيل المؤمنين، أو يكون على حذف معطوف لدلالة المعنى عليه، التقدير: سبيل المجرمين والمؤمنين.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

(١) ق: يريكم.

(٢) ق: لعموم.

(٣) ق: ورحمة.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨)﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ الآية، أمره تعالى أن يجاهرهم[1] بالتبرّؤ من عبادتهم غير الله. ولما ذكر تعالى تفصيل الآيات، ليستبين سبيل المبطل من المحقّ، نهاه عن سلوك سبيلهم. ومعنى «نُهيت» زجرت، و﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ هم الأصنام، عبّر عنها بالذين على زعم الكفّار حين أنزلوها منزلة من يعقل. و«تدعون» قال ابن عباس: معناه تعبدون، وقيل: تسمّونهم آلهة، مِن: دعوت ولدي زيداً: سمّيتُه، وقيل: تدعون في أموركم وحوائجكم. وفي قوله «تدعون من دون الله» استجهال [لهم] ووصفٌ بالاقتحام فيما كانوا منه على غير بصيرة. ولفظة «نُهيت» أبلغ من النفي بلا أعبد، إذ فيه ورود تكليف.

﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ الآية، ولمّا كانت أصنامهم مختلفة، كان لكلّ عابد صنم هوى يخصّه، فلذلك جمع. و﴿إِذًا﴾ معناها الجزاء أي: قد ضللت إن أتبع أهواءكم. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ جملة مؤكّدة لما قبلها، وأتى بالأولى بقوله «ضللتُ»، والفعل يدلّ على التجدّد، وفي الثانية باسم الفاعل وهو «المهتدين»، ويدلّ على الثبوت، فنفى تجدد الضّلال وثبوت الهداية.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على شريعة واضحة. والبيّنة هي المعجزة التي تبيّن صدقي. ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ إخبار [١٨٣/ب] عنهم أنهم كذّبوا به. والظاهر عَوْد الضمير على «ربي» أي: وكذّبتم بربي. ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ الذي استعجلوا به هو العذاب، والاستعجال لم يأت في القرآن إلّا للعذاب. ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: الحكم على الإطلاق، وهو الفصل بين الخصمين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب. وقرىء: يقضي، من القضاء،

(١) ق: أن لا يجاهدهم.

و﴿ ٱلْحَقَّ ﴾ نعت لمصدر محذوف، أي: يقضي القضاء الحق. وقيل: «الحق» مفعول بيقضي، ومعنى يقضي: يصنع. قال الشاعر[1]: [من الكامل]

وعليهما مَسْرُودَتان قضاهما داودُ [أو صَنَعُ السّوابغِ تُبَّعُ]

أي: صنعهما. وقرىء: يقصّ الحق، من قصّ الحديث، كقوله تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف] أو مِن قصَّ الأثر: أي اتّبعه.

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ ﴾ الآية، أي: لو كان في قدرتي الوصول إلى ما تستعجلون به من حلول العذاب، لبادرتُ إليه، ووقع الانفصال بيني وبينكم. ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الظاهر أن المعنى: والله أعلم بكم، فوضع الظاهر المشعر بوصفهم [بالظلم] موضع المضمر. ومعنى: أعلم بهم أي: بمجازاتهم، ففيه وعيد وتهديد.

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

لمّا قال تعالى «إنِ الحكم إلاّ لله» وقال «وهو أعلم بالظالمين» بعد قوله «ما تستعجلون به» انتقل من خاص إلى عام، وهو علم الله تعالى بجميع

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١: ١٩.

الأمور الغيبيّة، واستعار للقدرة عليها المفاتح لما كانت سبباً للوصول إلى الشيء، فاندرج في هذا العام ما استعجلوا وقوعه وغيره. والمفاتح جمع مِفْتح بكسر الميم، وهي الآلة التي يُفتح بها ما أُغلق. قال الزهراوي: ومفتح أفصح من مفتاح. وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال[1] «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهنّ إلا الله: إنّ الله عنده علم الساعة، إلخ».

﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ حصر أنه لا يعلم تلك المفاتح ولا يطّلع عليها إلا هو. ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى التصوف أشياء من ادّعاء علم المغيّبات والاطّلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة، مقطوع لهم ولأتباعهم بها، يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ولا ينكرَ ذلك أحد، هذا مع خلوّهم عن العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب. وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها[2] «ومن زعم أنّ محمداً يخبر بما [يكون] في غد، فقد أعظم على الله الفرية[3]» والله تعالى يقول ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ۝٦٥﴾ [النمل]. ولقد كثرت هذه الدعاوى في ديار مصر وقام بها ناس صبيان العقول يُسمّون بالشيوخ.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ﴾ لما كان ذكره تعالى مفاتح الغيب أمراً معقولاً، وأخبر[4] تعالى باستئثاره بعلمه واختصاصه به، ذكر تعلق علمه بهذا المحسوس على سبيل العموم، ثم ذكر علمه بالورقة والحبّة والرطب واليابس على سبيل الخصوص، فتحصّل إخباره تعالى بأنه عالم بالكلّيات والجزئيات،

---

(١) أخرجه البخاري ٤: ١٦٩٣ من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه.

(٢) ١: ١٥٩.

(٣) ق: الفدية.

(٤) ق: أخبر.

مستأثر بعلمه وبما نعلمه نحن. وقدم البرّ لكثرة مشاهدتنا لما اشتمل عليه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والحيوان والنبات والمعادن، أو على سبيل الترقّي إلى ما هو أعظم في الجملة، لأن ما فيه من أجناس الحيوانات أعجب، وطوله وعرضه أعظم، وما في البحر من حيوان وجواهر وغير ذلك. وعبّر بلفظ «ما» التي هي لآحاد ما لا يعقل لكثرة[1] أجناسه وأنواعه [١٨٤/أ] وأشكاله، فشمل النوعين العاقل وغيره[2]، تغليباً لما لا يعقل. وقال سيبويه: «ما» مبهمة تقع على كل شيء. وظاهر كلامه أنها لا تختص بما لا يقعل.

و«مِن» في ﴿مِن وَرَقَةٍ﴾ زائدة، و«ورقة» فاعل بتسقط. و﴿يَعْلَمُهَا﴾ مطلقاً قبل السقوط ومعه وبعده. و«يعلمها» في موضع الحال من «ورقة» وهي حال من النكرة كما تقول: ما جاء أحدٌ إلاّ راكباً. ﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾ أتى بجزأين لطيفين، أحدهما علوي، وهو سقوط ورقة من علوّ إلى أسفل، والثاني سفليّ وهو اختفاء حبّة[3] في بطن الأرض. ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وهذا استثناء جارٍ[4] مجرى التوكيد؛ لأن قوله «ولا حبة» «ولا رطب» «ولا يابس» معطوف على قوله «ورقة»، والاستثناء الأول منسحب عليها كما تقول: ما جاءني من رجلٍ إلاّ أكرمته ولا امرأةٍ، فالمعنى: إلا أكرمتها. ولكنه لما طال الكلام أعيد[5] الاستثناء على سبيل التوكيد، وحَسَّنه كونه فاصلة رأس آية.

---

(١) ق: الكثرة.

(٢) ق: وغيرهما.

(٣) ق: اختفاضه.

(٤) ق: جاري.

(٥) ق: عيد.

والرطب واليابس وصفان معروفان والمراد العموم في المتّصف بهما. والكتاب المبين كناية عن علم الله تعالى المحيط بجميع الأشياء.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر استبداده بالعلم التام للكليّات والجزئيات، ذكر استئثاره بالقدرة التامة تنبيهاً على ما تختصّ به الإلهية. وذكر شيئاً محسوساً قاهراً[1] للأنام وهو التوفّي بالليل والبعث بالنّهار، وكلاهما ليس للإنسان فيه قدرة، بل أمرٌ يوقعه الله تعالى بالإنسان. والتوفّي عبارة، في العرف، عن الموت، وهنا المعنيّ به النوم على سبيل المجاز للعلاقة التي بينه وبين الموت، وهي زوال إحساسه ومعرفته وفكره. و﴿جَرَحْتُم﴾ كسبتم، ومنه جوارح الطير: كواسبها، واجترحوا السيئات: اكتسبوها، والمراد منها أعمال الجوارح، ومنه قيل للأعضاء جوارح. والضمير في «فيه» عائد على النهار. وقضاء الأجل: فصل مدة العمر من غيرها. و«مسمّى»: في علم الله تعالى. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ وهو المرجع إلى موقف الحساب.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ تقدم الكلام عليه[2]. وظاهر ﴿وَيُرْسِلُ﴾ أن يكون معطوفاً على «وهو القاهر» عطف جملة فعلية على جملة اسمية وهي من آثار القهر. و﴿عَلَيْكُمْ﴾ ظاهره أنه متعلق بيرسل كقوله تعالى ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ الآية [الرحمن]. ولفظة «على» مشعرة بالعلوّ والاستيلاء لتمكّنهم[3] منّا جُعلوا كأنّ ذلك علينا. وجوّزوا أن يكون متعلّقاً بحَفَظَة أي: حافظين عليكم. و﴿حَفَظَةً﴾ جمع حافظ وهو قياس مطّرد في فاعل كقولهم: بارّ

---

(١) ق: قاهر.

(٢) الأنعام ٦: ١٨.

(٣) ق: لتمنكم.

وبررة. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: أسباب الموت. ﴿تَوَفَّتۡهُ﴾ قبضت روحه. ﴿رُسُلُنَا﴾ جاء[1] جمعاً، فعنى به ملك الموت وأعوانه. والظاهر أن الرسل هنا غير الحفظة، ولا تعارض بين قول الله ﴿يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر] وبين قوله ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [السجدة] وبين قوله «توفّته رسلنا» لأن نسبة ذلك إلى الله تعالى بالحقيقة ولغيره بالمباشرة. ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ جملة حالية والعامل فيها «توفّته»، أو استئنافية أخبر عنهم بأنهم لا يفرطون في شيء مما أُمروا به من الحفظ والتوفّي.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ الظاهر عود الضمير على العباد. وانتقل من ضمير الخطاب في «عليكم» إلى ضمير الغيبة في «رُدّوا»، وفاعل الردّ المحذوف هو الله تعالى [١٨٤/ب] كأنّ الأصل: ثم ردّهم الله. وقرىء: رِدّوا بكسر الراء أصله رُدِدوا، أُتبعت حركة الراء لحركة الدال، ثم سكنت الدال للإدغام فقيل: رِدُّوا، كما قرىء «رِدّت إلينا»[2]. وظاهر الإخبار [بالرد] إلى الله تعالى أنه يُراد به البعث والرجوع إلى حكم الله تعالى وجزائه يوم القيامة، ويدل عليه آخر الآية. و﴿مَوۡلَىٰهُمُ﴾ فيه إشعار بإحسانه تعالى إليهم؛ إذ مولاهم هو سيّدهم وهم عبيده. وَوَصْفُه تعالى بالحق معناه العدل الذي لا يحكم إلا بالحق. ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ تنبيه منه تعالى عباده بأن جميع أنواع التصرفات له. ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ تقدّم الكلام في سرعة حسابه تعالى في قوله ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة].

﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٣) قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ (٦٤) قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ

(١) في ق زيادة: لأن نسبة ذلك إلى.

(٢) يوسف ٦٥.

﴿بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾.

﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم﴾ الآية، لما تقدّم ذكره تعالى دلائل على ألوهيّته من العلم التّام والقدرة الكاملة، ذكر نوعاً من أثرهما[1] وهو الإنجاء من الشدائد. وهو استفهام يراد به التقرير والإنكار والتوبيخ والتوقيف على[2] سوء معتقد من عبد الأصنام، وترك الذي ينجي من الشدائد، ويُلجأ إليه في كشفها. والظّلمات: أريد [بها] حقيقة الظلمة، وجُمعت باعتبار مواردها؛ ففي البر والبحر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الصواعق، وفي البرّ أيضاً ظلمة الغبار وظلمة الغيم وظلمة الرّيح، وفي البحر أيضاً ظلمة الأمواج. ويكون ذلك على حذف مضاف، التقدير: من مهالك ظلمة البرّ والبحر ومخاوفها. وأكثر المفسّرين على أن الظلمات مجاز عن شدائد البرّ والبحر ومخاوفهما وأهوالهما، والعرب تقول: يوم أسود، ويوم مظلم، ويوم ذو كواكب.

و﴿تَدۡعُونَهُۥ﴾ جملة حالية، وذو الحال ضمير الخطاب أي تنادونه مظهرين الحاجة وَمُخْفيها. والتضرع وصف بادٍ على الإنسان، والخُفية[3] الإخفاء. وقال الحسن: تضرعاً: علانية، وخفية أي نيّة، وانتصبا على المصدر أي: يتضرعون تضرّعاً ويُخفون خُفية. ﴿لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا[4]﴾ قبله قسم محذوف، واللام هي الموطئة لجواب القسم وهو «لنكونن». والإشارة بهذه، إلى الظلمات و«إنْ» شرطية بعد اللام وجوابها محذوف لدلالة جواب القسم عليه.

---

(١) ق: أمرهما.

(٢) ق: عن.

(٣) ق: والحقيقة.

(٤) ق: أنجيتنا.

﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ الضمير في «منها» عائد إلى ما أشير إليه بقوله «من هذه». ﴿ وَمِن كُلِّ﴾ معطوف على الضمير المجرور أعيد معه الخافض. وأمره تعالى بالمسابقة[1] إلى الجواب ليكون هو صلى الله عليه وسلم أسبق إلى الخير وإلى الاعتراف بالحق، ثم ذكر أنه تعالى ينجي من هذه الشدائد التي حضرتهم ومن كل كرب، فعمّ بعد التخصيص، ثم ذكر قبيح ما يأتون بعد ذلك وبعد إفراده بالدعاء والتضرّع ووعدهم إياه بالشكر من إشراكهم معه في العبادة غيره. قال ابن عطية. وعطف بثمّ للمهلة التي تبيّن قبح فعلهم أي: ثم بعد معرفتكم بهذا كله وتحقّقه أنتم تشركون انتهى.

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾ لما نزلت استعاذ رسول الله ﷺ وقال في الثالثة «هذه أهون أو أيسر»[2]. والظاهر أن الخطاب لأمّة رسول الله ﷺ، والآية متضمّنة للوعيد. ﴿ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ كما فعل بقوم لوط وكما فعل بأصحاب الفيل أرسل عليهما حجارة. ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما فعل بقارون وبداره [قال تعالى ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص]. ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ ﴾ أي: يخلطكم. ﴿ شِيَعًا ﴾ [١٨٥/أ] جمع شيعة، وانتصب على الحال أي: يخلطكم متشايعين فرقاً مختلفة ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم[3]﴾ كما جرى في حرب صفين بين علي وأصحابه، ومعاوية وأصحابه، وكما جرى بين علي والخوارج، وكل هؤلاء مسلمون مؤمنون. والبأس الشدّة. ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ هذا استرجاع لهم ولفظة تعجّب للنبي ﷺ. والمعنى أنّا نسلك[4] في مجيء

---

(١) ق: بالسّابقة.

(٢) أخرجه البخاري ٤: ١٦٩٤ من حديث جابر. وانظر الفتح الرباني ١٨: ١٣٩.

(٣) قدّم في ق شرح «ويذيق بعضكم» على شرح «أو يلبسكم».

(٤) ق: نسألك.

الآيات أنواعاً، رجاء أن يفقهوا، ويفهموا عن الله تعالى لأن [في] اختلاف الآيات ما يقتضي الفهم، إن عَزَبت آية لم تعزُب أخرى.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ الضمير عائد على القرآن، ويدل عليه ذكر الآيات قبله. ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ جملة استئناف، أخبر بأن القرآن هو الحق. ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في «به» وهو أشنع عليهم في التكذيب بشيء هو الحق. ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: لست بقائم عليكم لأكرهكم على التوحيد.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: لكل شيء يُنبَأ به وقت استقرار وحصول لا بدّ منه. ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مبالغة في التهديد والوعيد.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ، ويدخل فيه المؤمنون، لأن علّة النّهي، وهو سماع الخوض في آيات الله، يشمله وإياهم، و«رأيت» هنا بَصَريّة ولذلك تعدّت إلى واحد. ولا بدّ من تقدير حال محذوفة أي: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا وهم خائضون فيها. والخوض أصله في الماء؛ شبّه تنقّلهم في آيات الله بالخوض في الماء، وتنقّلُهم في الآيات قولُهم هذا سحر، هذا افتراء. هذه أساطير الأوّلين.

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أمرٌ له عليه السلام بالإعراض عنهم، وهو تركهم بالنّية والجلوس معهم، يبيّنه قوله تعالى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية، وفيها ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء]. «وإمّا ينسينّك الشيطان» أي: بشغله لك عن النهي عن مجالستهم، فلا تقعد معهم. ﴿ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي: ذِكْرك النهي.

وما أحسن مجيء الشرط[1] الأول بإذا التي هي للتحقّق، لأن كونهم يخوضون في الآيات محقّق، ومجيء الشرط الثاني بإنْ، لأنّ، إنْ لغير المحقق، وجاء ﴿ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ تنبيهاً على علّة الخوض في الآيات والطعن فيها، وأنّ سبب ذلك ظلمهم وهو مجاوزة الحدّ. و«ما» زائدة بعد «إنْ» الشرطية[2]، والفعل قد لحقته النون الشديدة، وكثر ذلك في القرآن، قال تعالى ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الزخرف]، ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف]. ويجوز حذف ما، في غير القرآن، وحذف نون التوكيد، وحذف أيّهما شئت، فتقول: إمّا تقم أقم، وإن تقومنّ أقم، نصّ على ذلك سيبويه[3].

قال الزمخشري[4]: ويجوز أن يُراد: وإن كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين، لأنها[5] مما تنكره العقول، فلا تقعد بعد الذكرى: أي بعد أن ذكّرناك[6] قبحها، ونبّهناك عليه معهم انتهى.

هذا خلاف ظاهر الشرط، لأنه قد نُهي عن القعود معهم قبل، ثم عطف

---

(١) ق: الشرك.

(٢) ق: شرطية.

(٣) انظر الكتاب ١: ٢٦٧.

(٤) الكشاف ٢: ٢٦.

(٥) ق: أنها.

(٦) ق: ذكّرناكها.

على الشرط السابق هذا الشرط، وكله مستقبل.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ هم المؤمنون، والضمير في «حسابهم» عائد على المستهزئين الخائضين في الآيات. رُوي أن المؤمنين قالوا لما نزلت ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء] قالوا: لا يمكننا طواف ولا عبادة في الحرم، فنزلت. ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ مِن: زائدة، وشيء: مبتدأ خبره «على الذين». و﴿ذِكْرَىٰ﴾ يحتمل أن تكون في موضع نصب، أي: ولكن تذكرونه ذكرى، أو ذكِّروهم، أو في موضع رفع، أي: ولكن عليهم ذكرى، لعلهم يتقون الوعيد بتذكيركم إياهم. قال الزمخشري[1]: ولا يجوز أن يكون عطفاً على محلّ «من شيء» كقولك: ما في الدار من أحد ولكن زيد [١٨٥/ب] لأن قوله «من حسابهم» يأبى ذلك انتهى.

كأنه تخيّل أن في العطف يلزم القيد الذي في المعطوف عليه وهو «من حسابهم» لأنه قيد في «شيء» فلا يجوز عنده أن يكون من عطف المفردات عطفاً على «من شيء» على الموضع، لأنه يصير التقدير عنده: ولكن ذكرى من حسابهم، وليس المعنى على هذا. وهذا الذي تخيّله ليس بشيء لأنه لا يلزم في العطف بـ«ولكن» ما ذكر، تقول: ما عندنا رجل سوء ولكن رجل صدق، وما عندنا رجل من تميم، ولكن رجل من قريش، وما قام من رجل عالم ولكن رجل جاهل. فعلى هذا الذي قررناه، يجوز أن يكون من قبيل عطف الجمل كما تقدم، ويجوز أن يكون من عطف المفردات. والعطف إنما هو للواو ودخلت لكن للاستدراك.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾ هذا أمر بتركهم، وكان ذلك لقلّة أتباع

---

(١) الكشاف ٢: ٢٧.

الإسلام حينئذٍ، ودينهم ما كانوا عليه من البحائر والسوائب والحوامي والوصائل وعبادة الأصنام والطواف حول البيت عراة يصفرون ويصفقون.
﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ الضمير في «به» عائد على القرآن. و﴿تُبْسَلَ﴾ قال ابن عباس: تفضح، وقال قتادة: تحبس وترتهن. و﴿أَن تُبْسَلَ﴾ اتفقوا على أنه في موضع المفعول من أجله وقدّروا: كراهة أن تبسل ومخافة أن تبسل ولئلاّ تبسل. ويجوز عندي أن يكون في موضع جر على البدل من الضمير، والضمير مفسَّر بالبدل. وأضمر الإبسال لما في الإضمار من التفخيم كما أضمروا ضمير الأمر والشأن، وفسّر بالبدل وهو الإبسال، فالتقدير: وذكّر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت، وقد روي[1]: [من الطويل]

إذا هي لم تستَكْ بعود أراكةٍ تُنُخِّلَ فاستاكَتْ به عُود إسْحِلِ

بجرّ «عود» على أنه بدل من الضمير.

﴿لَيْسَ لَهَا﴾ هذه جملة استئناف إخبار. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من دون عذاب الله وليّ فينصرها، ولا شفيع فيدفع عنها بمسألته. ﴿وَإِن تَعْدِلْ﴾ أي: تَفْدِ كلّ فداء، والعدل الفدية لأن الفادي يعدل الفداء بمثله. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟﴾ الظاهر أنه يعود على «الذين اتخذوا دينهم». وقال ابن عطية: «أولئك» إشارة إلى الجنس المدلول عليه بقوله «أن تُبسل نفس». ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ الحميم الماء الحار. والأظهر أنها جملة استئناف إخبار، ويحتمل أن تكون حالاً. و«شراب» فَعال بمعنى مفعول كطعام بمعنى مطعوم. ولا ينقاس فَعال بمعنى مفعول؛ لا يقال قَتال ولا ضَراب بمعنى

---

(١) البيت للطفيل الغنوي في ديوانه ص٦٥، وينسب لعمر بن أبي ربيعة، انظر ديوانه ص٤٩٨.

مقتول ومضروب.

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾.

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، هذا استفهام بمعنى الإنكار، أي: لا يقع شيء من هذا من دون الله النافع الضارّ المبدع للأشياء القادر. ﴿ مَا لَا يَنفَعُنَا ﴾ إذ هي أصنام خشب وحجارة وغير ذلك. ﴿ وَنُرَدُّ ﴾ معطوف على «أندعو»[1] وهو داخل في استفهام التقرير. ﴿ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ أي: إلى الشرك أي: ردّ القهقرى إلى وراء وهي المشية الدنيّة، واستعمل المَثَل بها فيمن رجع من خير إلى شر. قال الطبري[2] وغيره: الردّ على العقب يستعمل فيمن أمل[3] أمراً فخاب أمله. ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ﴾ موضع «كالذي» نصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي: ردًّا مثل ردّ الذي، والأحسن أن يكون حالاً أي: كائنين كالذي. والذي: ظاهره أنه مفرد ويجوز أن يراد به معنى الجمع أي: كالفريق الذي استهوته الشياطين، حمله الزمخشري[4] على أنه من الهوى

---

(١) ق: أن ندعو.

(٢) انظر تفسيره ٧: ١٥٢.

(٣) ق: أمن.

(٤) انظر الكشاف ٢: ٢٨.

الذي [١٨٦/أ] هو المودّة[1] والميل، كأنه قيل: كالذي أمالته الشياطين عن الطريق الواضح إلى المهمه القفر. وحمله غيره على أنه من الهُوِيّ أي: ألقته في هوّة، ويكون استفعل بمعنى أفعل نحو استزلّ وأزلّ. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق باستهوته.

﴿حَيْرَانَ﴾ حال من ضمير النصب في «استهوته» وهو لا ينصرف ومؤنثه حيرى. ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾ قال الزمخشري[2]: أي لهذا المستهوي أصحاب: رفقة. «يدعونه إلى الهدى» أي: إلى أن يهدوه إلى الطريق المستوي. قال ابن عباس في معنى الآية: مَثَل عابد الصنم مَثَل من دعاه الغول[3] فيتبعه فيصبح وقد ألقته في مهمه ومهلكة، فهو حائر في تلك المهامه. ﴿ٱئْتِنَا﴾ معمول لقول محذوف تقديره: قائلين ائتنا، وهو من الإتيان بمعنى جِيءْ إلينا. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ من قال إن قوله «له أصحاب» يعني به من الشياطين، وإن قوله ﴿إِلَى ٱلْهُدَى﴾ بزعمهم، كانت هذه الجملة ردًّا عليهم، أي: ليس ما زعمتم هدى بل هو كفر، وإنما الهدى هدى الله وهو الإيمان. ومن قال إن قوله «له أصحاب» مثل للمؤمنين الدّاعين إلى الهدى الذي هو الإيمان، كانت إخباراً بأن الهدي هُدى الله مَن شاء، لا أنه يلزم من دعائهم إلى الهدى وقوع الهداية، بل ذلك بيد الله تعالى من هداه اهتدى. ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الظاهر أن اللام لام كي، ومفعول «أمرنا» الثاني محذوف وقدّروه: وأمرنا بالإخلاص لكي ننقاد ونستسلم.

قال ابن عطية: ومذهب سيبويه أن «لنسلم» هو في موضع المفعول، وأن

---

(١) ق: المدّة.

(٢) الكشاف ٢: ٢٨.

(٣) ق: إلى الغول.

قولك: أُمرت لأقوم، وأُمرت أن أقوم، يجريان سواء [انتهى].

وما ذكروه عن سيبويه ليس كما ذكر، بل ذلك مذهب الكسائي والفرّاء، زَعَما أنّ لام كي تقع في موضع «أن» في: أردتُ وأُمرتُ، قال تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء].

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا﴾ أن مصدرية، دخلت على الأمر، فَيَنْسَبِكُ منه مصدر، ولا يلحظ فيه معنى الأمر، ويكون معطوفاً على قوله «لنسلم» أي: للإسلام، ولإقامة الصلاة. والضمير في ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ عائد على رب العالمين. «واتقوه» معطوف على «أقيموا» فيكون مأموراً بالإخلاص للإسلام ولإقامة الصلاة ولتقوى الله. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ جملة خبرية تتضمن التنبيه والتخويف لمن ترك امتثال ما أمر به من الإسلام والصلاة واتّقاء الله تعالى. وإنما تظهر ثمرة فعل هذه الأعمال وحسرات تركها يوم الحشر والقيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ لما ذكر أنه تعالى إلى جزائه يحشر العالم، وهو منتهى ما يؤول إليه أمرهم، ذكر مبتدأ وجود العالم واختراعه له بالحق، أي: بما هو حق، لا عبث فيه، ولا هو باطل، أي: لم يخلقهما باطلاً ولا عبثاً، بل صدرا عن حكمة وصواب، وليستدلّ بهما على وجود الصانع، إذ هذه[1] المخلوقات العظيمة الظاهر عليها سمات الحدوث، لا بدّ لها من صانع واحد عالم قادر مريد، جلّ وتعالى. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ يوم: خبر مبتدأ وهو «قوله» و«الحق» صفة، والتقدير: قوله الحق كائن يوم يقول، كما تقول: اليوم القتال. و﴿كُن﴾ معمول ليقول، و﴿فَيَكُونُ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: فهو يكون. وهذا تمثيل لإخراج الشيء من العدم إلى

---

(١) ق: هي.

الوجود وسرعته، لا أن ثَمَّ شيئاً يؤمرَ.

﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ الملك مبتدأ، وخبره المجرور قبله. و«يوم» منصوب بما تعلّق به الجار والمجرور، أي: الملك كائن له يوم يُنفخ في الصور، كقوله تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴿١٦﴾﴾ [غافر]. ﴿عَٰلِمُ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو عالم. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ لمّا ذكر خَلْق الخَلْق وسرعة [إيجاده] لما يشاء وتضمّن البعث إفناءهم قبل ذلك [ناسب ذكر] الوصف بالحكيم. ولمّا ذكر أنه عالم الغيب والشهادة ناسب [١٨٦/ب] ذكر الوصف بالخبير، إذ هي صفة تدلّ على علم ما لَطُفَ إدراكه من الأشياء.

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ الآية، لمّا ذكر قوله «قل أندعو من دون الله ما لا ينفعُنا ولا يضرّنا»، ناسب ذكر هذه الآية هنا، وكان التذكار بقصة إبراهيم مع أبيه وقومه أنسب، لرجوع العرب إليه، إذ هو جدّهم الأعلى، فذُكّروا بأن إنكار هذا النبي محمد ﷺ عليكم عبادة الأصنام هو مثل إنكار جدّكم إبراهيم على أبيه وقومه عبادتها. ففي ذلك التنبيه على اقتفاء من سلف من صالحي الآباء والأجداد، وهم وسائر الطوائف يعظمون إبراهيم عليه السلام. والظاهر أن آزر اسم أبيه، قاله ابن عباس وغيره. وفي كتب التواريخ

أن اسمه بالسريانية تارَخ، فعلى هذا يكون له اسمان كيعقوب وإسرائيل. وهو عطف بيان أو بدل، وامتنع من الصرف للعلمية والعجمة. وقرىء: آزرُ بالضمّ على النداء أي يا آزر. «أتتخذ أصناماً» معمول لقال. وهو استفهام معناه الإنكار والتوبيخ. «أصناماً آلهة» مفعولان لتتخذ. وبدأ بقوله «أصناماً» تقبيحاً وتبعيداً لأن يتّخذ ما كان من حجر أو خشب معبودات آلهة. لمّا أنكر على أبيه أخبر أنه وقومه في ضلال، وجَعْلُهم مظروفين للضلال أبلغُ من وَصْفهم بالضلال، كأن الضلال صار ظرفاً لهم. و﴿ مُّبِينٍ﴾ ظاهر.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هذه جملة اعتراض بين قوله «وإذ قال إبراهيم» منكراً على أبيه عبادة الأصنام، وبين جملة الاستدلال عليهم بإفراد المعبود [الحق] وكونه لا يشبه المخلوقين وهي قوله «فلما جن عليه الليل». والكاف في «كذلك» للتشبيه، و«ذلك» إشارة إلى الرؤية [المفهومة] من قوله «إني أراك» أي: مثل تلك الرؤية نُري، و«نُري» بمعنى أرينا. ويجوز أن تكون الكاف للتعليل بمعنى اللام كأنه قيل: ولذلك[1]. «ملكوت» بمعنى الملك كالرحموت بمعنى الرحمة والرغبوت بمعنى الرغبة، وفي هذا البناء على فَعَلُوت إشعار بالتكثير.

والإراءة هنا بمعنى الإبصار، لأنها تعدّت إلى اثنين: الأول «إبراهيم» والثاني «ملكوت» والهمزة فيها للنقل. أرَأيْتُه: جَعَلْتُه يرى، فأصل الفعل رأى بمعنى أبصر يتعدى إلى واحد، فلما أدخل همزة النقل تعدّى إلى اثنين. وعن [علي] كرّم الله وجهه عن النبي ﷺ قال «كشف الله له عن السماوات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين»[2]. فليس المعنى مجرّد الإبصار ولكن وقع له

---

(١) ق: وكذلك.

(٢) لم أجده فيما رجعت إليه وانظر البحر ٤: ١٦٥.

معها من الاعتبار والعلم ما لم يقع لأحد من أهل زمانه الذين[١] بُعث إليهم، قاله ابن عباس. وقال الشاعر[٢]: [من الوافر]

ولكــن للعيــان لطيــف معنــى [لـه ســأل المعـاينـةَ الخليـلُ]

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ أي: أريناه الملكوت.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ الآية، هذه الجملة معطوفة [على قوله] «وإذ قال إبراهيم» على قول من جعل «كذلك نُري» اعتراضاً، وهو قول الزمخشري. قال ابن عطية: الفاء في قوله «فلما» رابطة جملة ما بعدها بما قبلها، وهي ترجّح أن المراد بالملكوت هو هذا التفصيل الذي في هذه الآية. جنّ عليه الليل وأجنّ: أظلم، هذا تفسير المعنى، وهو بمعنى ستر متعدّياً. قال الشاعر[٣]: [من المتقارب]

ومـاءٍ وردتُ قُبَيْـلَ الكَـرى وقد جَنَّه السَّدَفُ[٤] الأدهمُ

﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ هو الزّهرة، قاله ابن عباس. ووزنه فَوْعل عند البصريين، الواو زائدة، وأصوله الكافان والباء. وقال الصاغاني: حقُّ لفظ كوكب أن يذكر في تركيب و ك ب عند حُذّاق النحويين، فإنّها صُدّرت بكاف زائدة عندهم، إلا [١٨٧/أ] أن الجوهري أوردها في تركيب ك وك ب، ولعلّه سمع فيه الليث، فإنه ذكره في الرباعي ذاهباً إلى أن الواو أصلية انتهى. ليت شعري من حذّاق النحويين الذين تكون الكاف عندهم من حروف الزيادة

---

(١) ق: الذي.

(٢) لم أجده وانظر البحر ٤: ١٦٥.

(٣) البيت للبُرَيق الهذلي في ديوان الهذليين ٣: ٥٦.

(٤) ق: السّدر.

فضلاً عن زيادتها في أول الكلمة، والكاف ليست من حروف الزيادة!.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ استئناف كلام من إبراهيم حين رأى الكوكب[1]، ولا يريد بذلك الاعتقاد، وإنما ذلك مِثْلُ أن ترى رجلاً ضعيف التركيب ضعيف القوة لا يكاد ينهض، فيقول إنسان: هذا ناصري! بمعنى أنه لا يقدر على نصرتي مثل هذا. وقال الزمخشري[2]: كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد[3] أن ينبّههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرّفهم أن النظر الصحيح مؤدٍّ إلى أن شيئاً منها[4] لا يصحّ أن يكون إلهاً لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها محدثاً، أحدثها وصانعاً صنعها، ومدبّراً دبّر طلوعها وأفولها وانتقالها وسيرها ومسيرها وسائر أحوالها انتهى. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أفل يأفِل أفولاً أي: غاب، قال ذو الرّمة[5]:

[من الطويل]

مصابيحُ ليست باللواتي[6] يقودها نجومٌ ولا بالآفلاتِ الدّوالكِ

﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾ أي: عبادة الآفلين المتغيّرين من حال إلى حال، المتنقلين من مكان إلى مكان، فإن ذلك من صفات الأجرام والله تعالى منزّه عن ذلك.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ لم يأت في الكواكب: رأى كوكباً بازغاً، لأنه أوّلاً ما ارتقب حتى يبزغ الكوكب لأنه بإظلام الليل تظهر الكواكب،

---

(١) وردت هذه العبارة في ق قبل قول الصاغاني المتقدم.

(٢) الكشاف ٢: ٣١.

(٣) ق: فإذا أراد.

(٤) ق: يود إلى شيء منها.

(٥) ديوانه ص٤٢٥.

(٦) ق: بالتي.

بخلاف حاله مع القمر والشمس؛ فإنه لما أوضح لهم أنّ هذا النيّر وهو الكوكب الذي رآه لا يصحّ أن يكون ربّاً، ارتقب ما هو أنور منه وأضوأ على سبيل إلحاقه بالكوكب، والاستدلال على أنه لا يصلح للعبادة، فرآه أول طلوعه وهو البزوغ. ثم عمل كذلك في الشمس؛ ارتقبها إذ كانت أنور من القمر وأضوأ وأكبر جرماً وأعمّ نفعاً، ومنها يستمدّ القمر على ما قيل، فقال ذلك على سبيل الاحتجاج عليهم، وبيّن أنها مساوية للقمر وللكوكب في صفة الحدوث. ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ تنبيه لقومه على أنّ من اتخذ القمر إلهاً، وهو نظير الكوكب في الأفول، فهو ضالّ، فإن الهداية إلى الحق بتوفيق الله تعالى.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ المشهور في الشمس أنها مؤنثة، وقيل: تذكّر وتؤنّث. فأنّث أولاً على المشهور، وذكّر في الإشارة، على اللغة القليلة مراعاة ومناسبة للخبر، فرجحت لغة التذكير التي هي أقلُّ على لغة التأنيث. ويمكن أن يقال إن أكثر لغة الأعاجم لا يفرقون في الضمائر ولا في الإشارة بين المذكر والمؤنث [ولا علامة عندهم للتأنيث بل المذكر والمؤنث] سواء في ذلك عندهم. فلذلك أشار إلى المؤنث عندنا حين حكى كلام إبراهيم لما يشار به إلى المذكّر. بل لو كان المؤنث بفَرْجٍ لم يكن لهم علامة تدلّ عليه في كلامهم. وحين أخبر تعالى عنها بقوله «بازغة» و«أفلت» أنّث على مقتضى العربية إذ ليس ذلك بحكاية. ولمّا أفلت الشمس ولم يبق شيء يمثّل لهم به وظهرت حجّته وقوي بذلك على منابذتهم، تبرّأ من شِرْكهم وناداهم بقوله «يا قوم» لينبّههم على تحقيق براءته من الشرك.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ الآية، وهذا من التجنيس المغاير؛ الأول فعل والثاني اسم. والمعنى قصدي وعبادتي. و﴿فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السماوات ظرف للكواكب والقمر والشمس معبوداتهم من دونِ الله تعالى. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ ذكر الظرف الذي فيه أصنامهم المتّخذة منها أو من الخشب والحجارة. وانتصب

﴿حَنِيفًا﴾ على الحال، وذو الحال التاء في «وجّهتُ»، والعامل [فيها] الفعل. وتقدّم تفسير الحنيف[1]، وهو المائل عن الأديان كلّها إلى دين الحقّ. وختم ذلك بانتفاء كونه من المشركين. [١٨٧/ب] وما أحسن خَتْم هذه الجمل: [ختم] أولاً في رؤية الكوكب بقوله «لا أحبّ الآفلين»، وثانياً في تعليق الضلالة على انتفاء الهداية، وثالثاً في البراءة من الشّرك، ورابعاً على سبيل التوكيد في انتفائه أن يكون من المشركين.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ المحاجّة مفاعلة من اثنين مختلفين في حُكْمين، يدلي كلّ منهما بحجّةٍ على صحة دعواه. والمعنى: وحاجّه قومه في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك. ومحاجّة مثل هؤلاء إنما هي بالتمسّك باقتفاء آبائهم تقليداً، وبالتخويف ممّا يعبدونه من الأصنام، كقول قوم هود ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴿٥٤﴾﴾ [هود]، فأجابهم بأن الله تعالى قد هداه[2] بالبرهان القاطع على توحيده ورفض ما سواه وأنه لا يخاف من آلهتهم. ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ جملة حالية. ﴿وَلَآ أَخَافُ﴾ استئناف إخبار. و﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى﴾ استثناء منقطع. ولما كانت قوة الكلام أنه لا يخاف ضرًّا، استثنى مشيئة ربّه تعالى.

---

(١) انظر تفسير الآية ١٣٥ من البقرة.

(٢) ق: هداهم.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ذكر عقب الاستثناء سعة علم الله تعالى في تعلّقه بجميع الكوائن. وانتصب «علماً» على التمييز المحوّل من الفاعل، أصله: وسع علمُ ربي كلَّ شيء. وأكثر ما يجيء التمييز المحوّل من الفاعل مع الفعل اللازم نحو: تصبّب زيد عَرَقاً. وهنا جاء مع الفعل المتعدي، لأن «كلّ شيء» مفعول بِوَسِع، و«وسع» متعدٍّ، قال تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة].

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ تنبيه على غفلتهم حيث عبدوا ما لا يضرّ ولا ينفع، وأشركوا بالله، وعلى ما جاءهم به من إظهار الدلائل التي أقامها على عدم صلاحية هذه الأصناف[1] للربوبية.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ هذا استفهام معناه التعجب والإنكار، كأنه تعجب من فساد عقولهم حيث خوّفوه خشباً وحجارة، لا تَضرّ ولا تنفع، وهم لا يخافون عقبى شركهم بالله تعالى، وهو الذي بيده النفع والضرّ والأمر كله.

﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ معطوف على «أخاف» فهو داخل في التعجب والإنكار. واختلف متعلّق الخوف؛ فبالنسبة إلى إبراهيم علّق الخوف بالأصنام، وبالنسبة إليهم علّقه بإشراكهم بالله، تركاً للمقابلة، ولئلا يكون الله عديل أصنامهم، لو كان التركيب ولا تخافون الله. وأتى بلفظ «ما» الموضوعة لما لا يعقل، لأن الأصنام لا تعقل إذ هي خشب وحجارة وكواكب. والسلطان: الحجّة. والإشراك لا يصحّ أن يكون عليه الحجّة. وكان لمّا أقام الدليل العقلي على بطلان الشركاء وربوبيّتهم، نفى أيضاً أن يكون على ذلك دليل سمعي. فالمعنى أن ذلك ممتنع عقلاً وسمعاً فوجب اطّراحه.

---

(١) ق: الأصنام.

﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ لمّا خوّفوه في مكان الأمن، ولم يخافوا في مكان الخوف، أبرز[1] الاستفهام في صورة الاحتمال، وإن كان قد علم قطعاً أنه هو الآمن لا هم. قال الشاعر[2]: [من الكامل]

فَلَئِنْ لَقِيْتُكَ خالياً فَلَتَعْلَمَنْ[3] أَيِّـي وأَيُّـكَ فـارسَ الأحـزاب

أي: أيّنا، ومعلوم عنده أنه هو فارس الأحزاب لا المخاطَب. وأضاف أيًّا إلى الفريقين، ويعني فريق المشركين وفريق الموحّدين. وعدل عن: أيّنا أحقّ بالأمن أنا أم أنتم، احترازاً من تجريد نفسه، فيكون ذلك تزكية لها. وجواب الشرط محذوف، أي: إن كنتم من ذوي العلم والاستبصار، فأخبروني أيّ هذين الفريقين أحق بالأمن.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية، الظاهر أنه من كلام إبراهيم، لمّا استفهم استفهام عالمٍ بمن هو الآمِن، نصّ على من له الأمْن فقال «الذين آمنوا» الآية. «الذين» خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين، أو مبتدأ و«أولئك» مبتدأ ثانٍ، و«لهم الأمن» خبر «أولئك» والجملة من «أولئك» وما [١٨٨/ أ] بعده خبر عن الأول.

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على الصلة، فلا موضع لها من الإعراب، ويحتمل أن تكون الجملة المنفية حالاً، والعامل فيها «آمنوا» أي: آمنوا غير لابسي إيمانهم بظلم. وما ذهب إليه ابن عصفور من أنّ وقوع الجملة المنفيّة بلم قليل جداً ليس كذلك. ألا ترى إلى قوله تعالى

---

(١) ق: اتّزن.

(٢) البيت في المحتسب ١ : ٢٥٤ غير منسوب، وروايته:

فلئن لقيتك خاليين لتعلما أيّي وأيّك فارسا الأحزاب

(٣) ق: لتعلمن.

﴿فَانقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران]؟ وكذلك ما ذهب إليه ابن خروف، من وجوب الواو فيها، إذا كان فيها ضمير يعود على ذي الحال [خطأ. ألا ترى إلى قوله «لم يمسسهم» فيه ضمير يعود على ذي الحال]، وهو ضمير النصب في «يمسسهم» ولم تدخل الواو على «لم»؟.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية، الإشارة بتلك إلى ما وقع به الاحتجاج من قوله «فلما جنّ عليه الليل» إلى قوله «وهم مهتدون»[1]، هذا هو الظاهر. وأضافها إليه تعالى على سبيل التشريف، وكان المضاف إليه بنون العظمة، لا بياء المتكلم. و«آتيناها» أحضرناها بباله، وخلقناها في نفسه، إذ هي من الحجج العقلية. أو آتيناها بوحي منّا، ولقّنّاه إياها، و«تلك» مبتدأ و«حجّتنا» خبره. «آتيناها» خبر ثانٍ. ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ في موضع الحال من الهاء في «آتيناها» أي: آتيناها مستعلية على قومه، هو على حذف

(١) الآيات ٧٦ - ٨٢ المتقدمة.

مضاف تقديره: على حجج قومه.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ أي: مراتب ومنزلة من نشاء. وأصل الدرجات في المكان، ورفعها بالحجة والبيان. وقرىء: درجاتٍ بالتنوين، فَمَنْ: مفعول بنرفع، و«درجات» منصوب على الظرف أي: في درجات. وقرىء مضافاً لِمَن، فدرجات: مفعول بنرفع. ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الظاهر أنه خطاب للنبي ﷺ أخبره بقوله «وتلك حجتنا» إلى آخره.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ الآية، هذه الجملة معطوفة على قوله «وتلك حجّتنا» عطف جملة فعلية على جملة اسميّة. قال ابن عطية: «ووهبنا» عطف على «آتيناها» انتهى. لا يصح هذا، لأن «آتيناها» لها موضع من الإعراب إمّا خبر وإمّا حال ولا يصح في «ووهبنا» شيء منهما. وذَكَر ما منّ به عليه من هبته له هذا النبي الذي تفرّعت منه أنبياء بني إسرائيل.

﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي: كل واحد من إسحاق ويعقوب هدينا. وفي قوله «من قبل» تنبيه على قدمه. وفي ذكره لطيفة، وهو أن نوحاً عليه السلام عبدت الأصنام في زمانه، وقومه أول قوم عبدت الأصنام، ووحّد هو الله تعالى. وكذلك إبراهيم؛ عُبدت الأصنام في زمانه، ووحّد هو الله تعالى ودعا إلى رفضها.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضمير عائد على نوح عليه السلام لأنه أقرب مذكور، ولأن في المذكورين لوطاً عليه السلام، وليس هو من ذرية إبراهيم، لأنه ابن أخيه، فهو من ذرية نوح عليه السلام.

﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ قدّم داود لتقدّمه في الزمان، ولكونه صاحب كتاب، ولكونه أصلاً لسليمان، وهو فرعه.

﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ قرنهما[1]، لاشتراكهما في الامتحان؛ أيوب بالبلاء في جسده ونبذ قومه له، ويوسف بالسجن وتغريبه عن أهله، وفي مآلهما إلى السلامة والعافية. وقدّم أيوب، لأنه أعظم في الامتحان. ﴿وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ قرنهما لاشتراكهما في الأخوّة[2]، وقدم موسى عليه السلام، لأنه كليم الله وصاحب كتاب، وهو التوراة، والمعجزاتِ التي ذكرها الله تعالى في كتابه. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء من إيتاء الحجّة وهبة الأولاد الخيّرين نجزي من كان محسناً في عبادتنا مراقباً في أعماله لنا.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾ قرن بينهم لاشتراكهم في الزهد الشديد والإعراض عن الدنيا، وبدأ بزكريا ويحيى لسبقهما عيسى في الزمان، وقدّم زكريا لأنه والد يحيى، فهو أصل، ويحيى فرع [١٨٨/ ب] وقدّم عيسى، لأنه صاحب كتاب ودائرة متّسعة. وتقدّم ذكر [أنساب] هؤلاء الأنبياء عليهم السلام[3] إلا إلياس، وهو إلياس بن يسي[4] بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران. وقيل: إلياس هو الخضر عليه السلام. وفي ذكر عيسى عليه السلام هنا دليل على أن ابنِ البنت داخل في الذّرية. وبهذه الآية استدلّ على دخوله في الوقف على الذرية. وسواء أكان الضمير في «ومن ذريته» عائداً على نوح أو على إبراهيم، فتقول: الحسن والحسين ابنا فاطمة عليهما السلام هما من ذرّية رسول الله ﷺ. وبهذه الآية استدلّ أبو جعفر الباقر ويحيى بن يعمر على ذلك. وكان الحجاج بن يوسف طلب منهما الدليل على

---

(١) ق: قربهما.

(٢) ق: الآخرة.

(٣) في مواضع متفرقة.

(٤) ق: بشير، وما أثبته في الطبري ٧: ١٧٢.

ذلك، إذ كان هو ينكر ذلك، فسكت في قصتين جرَتا لهما معه. ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لا يختص ﴿كُلٌّ﴾ بهؤلاء الأربعة بل يعم جميع من سبق ذكره.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ هو ابن إبراهيم مِن هاجر، وهو أكبر ولده، وقيل هو نبي من بني إسرائيل، كان زمان طالوت، وهو المعنيّ بقوله ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ ﴿٢٤٦﴾﴾ الآية [البقرة]. ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ قرأ الجمهور: والْيسع، كأنّ أل دخلت على مضارع وسع يسع، فقيل هو عربي، دخلت أل عليه. وقرىء: واللَّيْسَع، على وزن فَيْعَل كَضَيْغَم. والصحيح أنه في القراءتين أعجمي لزمَتْه أل في القراءتين. وقال ابن مالك: ما قارنت أل نَقْله[1] كالمسمّى بالنضر أو بالنعمان، أو ارتجاله كاليسع والسموأل، فإن الأغلب ثبوت أل فيه. وهذه الأسماء[2] لا تنصرف للعلمية والعجمة إلا اليسع فإنه منصرف يجر بالكسرة ولا ينوّن، وإلا لوطاً ونوحاً فإنهما مصروفان لخفة البناء وسكون وسطهما، وإن كانت العلّتان موجودتين فيهما وهما العَلَمية والعُجْمة الشخصية.

﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه دلالة على أن الأنبياء أفضل من الأولياء، خلافاً لمن ينتمي إلى التصوف، في زعمهم أن الولي أفضل من النبي، كمحمد بن العربي الحاتمي، صاحب الفصوص، وكتاب الفتوح المكّية وعنقاء مغرب، وغير ذلك من كتب الضلال. وفيه دلالة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة لعموم «العالمين» وهم الموجودون سوى الله تعالى، فيندرج في العموم الملائكة.

---

(١) ق: بقله.

(٢) كتبت في ق سهواً: الا.

﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ المجرور في موضع نصب. قال الزمخشري[1]: عطفاً على «كُلًّا» بمعنى: وفضلنا بعض آبائهم [انتهى]. فمِنْ للتبعيض، والمراد من آمن منهم نبيًّا كان أو غير نبيّ. ﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ ﴾ عطف على «فضّلنا» أي: اصطفيناهم. وكرّر الهداية على سبيل التوضيح والتوكيد.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى الهدى السابق، وفيه دليل على أن الهدى بمشيئة الله تعالى. ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ ﴾ فرض تقديري، لا يقع من الأنبياء، عليهم السلام كقوله تعالى ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر]. والحبوط مترتب على مستحيل، إذ الأنبياء معصومون، فلا يمكن أن يقع منهم إشراك ألبتّة.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى من سبق ذكره، فذكر ما فُضّلوا به. و﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ جنس للكتب الإلهية كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور. ﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ الحكمة، أو الحكم بين الخصوم. ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا ﴾ الضمير في «بها» عائد على النبوة أو على الكتاب والحكم والنبوة. والإشارة بهؤلاء، إلى كفار قريش وكل كافر في ذلك العصر، قاله ابن عباس. ومعنى ﴿ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ أي: أرصدنا للإيمان بها. والتوكيل هنا استعارة للتوفيق للإيمان بها والقيام بحقوقها، والقوم الموكّلون بها هم مؤمنو [أهل الكتاب من] أهل المدينة، قاله ابن عباس.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ الإشارة بأولئك إلى المشار إليهم بأولئك الأولى وهم الأنبياء السابق [١٨٩/أ] ذكرهم - وأَمَره تعالى أن يقتدي بهداهم، والهداية السابقة هي توحيد الله تعالى وتقديسه عن الشريك، والمعنى: فبطريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة، فلا يمكن أن يؤمر بالاقتداء بالمختلفة، وهي هدى ما لم تُنسخ،

---

(١) الكشاف ٢: ٣٣.

فإذا نُسخت لم [تبق] هدى، بخلاف أصول الدين فإنها كلها هدى أبداً.

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ متعلق باقتده. وقرىء: اقتده، بالهاء الساكنة وصلاً ووقفاً، وهي هاء السكت، أجروها وصلاً مجراها وقفاً. وقرىء بحذفها وصلاً وإثباتها وقفاً، وهذا هو القياس. وقرىء: اقتده، باختلاس الكسرة في الهاء وصلاً وسكونها وقفاً. وقرىء بكسرها ووصلها بياء وصلاً وسكونها وقفاً، وتؤوّل على أنها ضمير المصدر لا هاء السكت. ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: على الدعاء إلى القرآن وهو الهدى والصراط المستقيم. ﴿أَجْرًا﴾ أي: أجرة أتكثّر بها وأُخصّ بها. إنِ القرآن إلاّ ذكرى: أي موعظة لجميع العالمين.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: نزلت في مالك بن الصيف اليهودي إذ قال له رسول الله ﷺ: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام، أتجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين؟ قال: نعم.

[قال]: فأنت الحبر السمين. فغضب ثم قال: «ما أنزل الله على بشر من شيء»[1]. وأصل القَدْر معرفة الكميّة، يقال: قَدَر الشيء إذا حَزَره وسبره قال ابن عباس[2]: معناه ما عظموا الله حق تعظيمه. وانتصب «حق قدره» على المصدر وهو في الأصل وصف، أي: قَدْرَه الحقّ، ووصف المصدر إذا أضيف إليه انتصب نَصْبَ المصدر. والعامل في «إذ» «قدروا». ﴿مِّن شَىْءٍۗ﴾ مفعول بأنزلَ و«مِن» زائدة تدل على الاستغراق.

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، فيها دليل على أن النقض يقدح في صحة الكلام، وذلك أنه نقض قولهم «ما أنزل الله» بقوله: «قل من أنزل الكتاب»، فلو لم يكن النقض دليلاً على فساد الكلام لما كانت حجة الله مفيدة لهذا المطلوب. و«الكتاب» هنا التوراة. وانتصب ﴿نُورًا وَهُدًى﴾ على الحال والعامل «أنزل» أو «جاء». ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ المعنى: تجعلونه ذا قراطيس أي: أوراقاً وبطائق. ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ﴾ كإخفائهم الآيات الدالّة على بعثة رسول الله ﷺ وغير ذلك من الأحكام التي أخفوها. وأدرج تعالى تحت الإلزام توبيخهم وذمّهم بسوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض.

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ ظاهره أنه خطاب لبني إسرائيل مقصود به الامتنان عليهم وعلى آبائهم، بأن علموا من دين الله تعالى وهدايته ما لم يكونوا به عالمين. ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ أمره تعالى بالمبادرة إلى الجواب، أي: قل الله أنزله فإنهم لا يقدرون أن يناكروك، لأن الكتاب الموصوف بالنور والهدى الآتي به من أُيِّد بالمعجزات [إنما أنزله الله تعالى]. ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: في باطلهم الذي يخوضون فيه. ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه:

---

(١) انظر لباب النقول ص١٠٢.

(٢) ق: ابن عطية.

إنما أنت لاعب. و«يلعبون» حال من مفعول «ذرهم» أو من ضمير «خوضهم». و«في خوضهم» متعلق بذرهم أو «يلعبون» أو حالاً من «يلعبون».

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ الإشارة إلى القرآن. لما قرّر إنكار[1] من أنكر أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً، أخبر أن هذا الكتاب الذي أنزل على رسول الله ﷺ مبارك كثير النفع والفائدة. ولمّا [١٨٩/ب] كان الإنكار إنما وقع على الإنزال فقالوا «ما أنزل الله» وقيل «قل من أنزل الكتاب» كان تقديم وصفه بالإنزال آكَدَ مِن وَصْفه بكونه مباركاً، ولأن ما أنزل الله تعالى فهو مبارك قطعاً، فصارت[2] الصفة بكونه مباركاً كأنها صفة مؤكدة إذ تضمّنها ما قبلها.

﴿وَلِتُنذِرَ﴾ قرىء بالتاء، والخطاب لرسول الله ﷺ. وقرىء بالياء، والضمير فيه عائد على الكتاب. و﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ هو على حذف مضاف تقديره: أهل أم القرى. وأم القرى مكة، سمّيت بذلك لأنها منشأ الدين، ولِدَحْوِ الأرض منها، ولأنها وسط الأرض، ولكونها قبلة وموضع الحج ومكان أول بيت وضع للناس. و«مَنْ» معطوف على «أهل» المحذوف، ولا يجوز حذف «مَن» والعطف على «أم القرى» لأنه يكون معطوفاً على المفعول به و«حول» ملتزم فيه الظرفية فلا يصحّ عطفه على «أم القرى» فكان يكون مفعولاً به، وهو لا يجوز لالتزامه الظرفية.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ الظاهر أن الضمير في «به» عائد على الكتاب، أي: الذين يصدّقون بأن لهم حشراً وجزاءً يؤمنون بهذا الكتاب لِمَا انطوى عليه من ذكر الوعد والوعيد والتبشير والتهديد. ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خصّ

---

(١) ق: أن إنكار.

(٢) ق: فسارت.

الصلاة لأنها عماد الدين، ومن كان محافظاً عليها كان محافظاً على أخواتها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ الآية، نزلت في النضر بن الحارث ومن معه من المستهزئين، لأنه عارض القرآن بكلام سخيف، لا يُذكر لسخفه. ويندرج في عموم من افترى مسيلمة والأسود العنسي وكل من افترى على الله كذباً. وتقدّم الكلام على ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة] وفسّروه بأنه استفهام معناه النفي، أي: لا أحد أظلم. ﴿أَوْ قَالَ﴾ معطوف على صلة «مَن». وبدأ أولاً بالعام وهو افتراء الكذب على الله تعالى، وهو أعمّ من أن يكون ذلك الافتراء بادّعاء وحي أو غيره. ثم ثانياً بخاصّ وهو افتراء منسوب إلى وحي من الله تعالى. ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ جملة حالية، أي: غير موحى إليه، لأن من قال: أوحي إلي، وهو مُوحىً إليه صادق. ثم [ثالثاً] بأخصّ مما قبله، لأن الوحي قد يكون بإنزال قرآن وبغيره. وقصّة ابن أبي سرح هي دعواه أنه سينزل قرآناً مثل ما أنزل الله.

وقوله ﴿مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ليس معتقده أن الله أنزل شيئاً، وإنما المعنى: مثل ما أنزل الله على زعمكم. وإعادة «مَن» تدل على تغاير مدلوله لمدلول «مَن» المتقدمة؛ فالذي قال «سأنزل» غير «من افترى» أو «قال أوحي» وإن كان ينطلق عليه ما قبله انطلاق العام على الخاص. وقوله «سأنزل» وعد كاذب، وتسميته إنزالاً مجاز، وإنما المعنى: سأنظم كلاماً يماثل ما ادّعيتم أن الله أنزله. وهذه الآية وإن كان سبب نزولها في مخصوصين، فهي شاملة لكل من ادّعى مثل دعواهم كطليحة الأسدي والمختار بن أبي عبيد وسجاح وغيرهم. وقد ادّعى النبوّة عالم كثير، كان ممّن عاصرناه إبراهيم الغازازي الفقير؛ ادّعى ذلك بمدينة مالقة، وقتله السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي ملك الأندلس بغرناطة، وصلبه.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الآية، «ترى» بمعنى رأيت، و«إذ» ظرف معمول له. وجواب «لو» محذوف أي: لرأيت أمراً عظيماً. و«الظالمون» عام اندرج فيه اليهود والمتنبئة وغيرهم. و«الظالمون» مبتد أخبره «في غمرات». و﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ جملة حالية. ﴿ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: بالضرب، بدليل ﴿ يَضْرِبُونَ [١٩٠/أ] وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [الأنفال]. ﴿ أَخْرِجُوٓاْ ﴾ معمول لمحذوف تقديره: قائلين أخرجوا أنفسكم. وهذه عبارة عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد من غير تنفيس وإمهال، وقيل من باب التجريد. ﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ منصوب بتجزون. ﴿ ٱلْهُونِ ﴾ الهوان. والعذاب: ما عُذّبوا به من شدة النّزاع. ﴿ بِمَا كُنتُمْ ﴾ متعلق بتجزون. ﴿ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ نعت لمصدر محذوف تقديره: قولاً غير الحق. وعلّل جزاء العذاب بالكذب على الله تعالى وباستكبارهم عن آياته أي: عن الاعتبار وعن الإيمان بها.

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ قال النضر بن الحارث: سوف تشفع لي اللات والعزّى فنزلت[1]. «جئتمونا» ماضٍ معناه المضارع. والظاهر أنه من كلام الله تعالى والخطاب للكفّار. «فرادى» واحداً واحداً من غير الأهل والمال والولد. «كما» الكاف للتشبيه تقديره: مجيئاً مثل خَلْقنا إياكم. وانتصب «أول مرة» على الظرف أي: أول زمان. ﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ أي: أبرزناكم للوجود. ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾ أي: تفضّلنا به عليكم من الخول والأهل والمال. ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ منصوب بقوله «وتركتم»، وكنّى به عن الدنيا. ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ﴾ وقفهم على الخطأ في عبادتهم الأصنام وتعظيمها، وكانوا[2] يعتقدون شفاعة الملائكة. ﴿ أَنَّهُمْ فِيكُمْ ﴾ سدّت «أنّ» مسدّ مفعولَي[3]

(١) انظر لباب النقول ص١٠٣.

(٢) ق: وكان.

(٣) ق: مفعول.

«زعمتم». و«فيكم» متعلق بشركاء. والمعنى في استعبادكم، لأنّهم حين دعوهم آلهة، وعبدوها، فقد جعلوا للهِ شركاء فيهم وفي استعبادهم. ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرىء: بينكم، بالرفع على أنه فاعل «تقطع» اتُّسع فيه، وأُسند إليه الفعل، فصار اسماً، كما استعملوه اسماً في قوله تعالى ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ۝٥﴾ [فصلت]. وقرىء: بينكم، بالنصب فقيل: الحركة حركة بناء، وبُني لإضافته إلى المبني، وهو ضمير الخطاب، فيكون فاعلاً بتقطّع، فتستوي القراءتان. ويظهر أن الفاعل ضمير يعود على المصدر المفهوم مما قبله تقديره هو، أي: التواصل الذي كان بينكم وبين شفعائكم. ويظهر أيضاً أن يكون من باب الإعمال: تقدّم «تقطّع» وعطف عليه «وضَلّ» فتنازعا على «ما» فأعمل الثاني، فما: فاعل بضَلّ[1]، وأضمر في «تقطّع» الفاعل وهو ضمير «ما». ومفعولا «تزعمون» محذوفان اختصاراً لدلالة ما قبله عليه، تقديره: تزعمونهم شركاء فيكم.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٩٥ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٩٦ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٩٩ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

---

(١) ق: يضلّ.

﴿سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ الظاهر أنه تعالى فالق الحب: شاقُّه فمخرجٌ منه النبات والنوى، فمخرج منه الشجر. والحب والنوى عامّان أي: كل حبة وكل نواة. وهذه إشارة إلى فعل الله تعالى في أن يشق جميع الحب عن جميع النبات الذي يكون منه، ويشق النوى عن جميع الأشجار الكائنة [عنه]. ولمّا كان قد تقدّم ذكر البعث، نبّه على قدرته الباهرة في شقّ النواة مع صلابتها، وإخراجه منها نبتاً أخضر ليّناً، إلى ما بعد ذلك مما فيه [الإشارة إلى] القدرة التامة، والإشارة إلى البعث والنشر بعد الموت. ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ تقدم في أوائل آل عمران[1]. وعطف قوله ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ على قوله [«فالق] الحب» اسم فاعل [على اسم فاعل]، ولم يعطفه على «يخرج» لأن قوله «فالق الحب والنوى» من جنس إخراج الحي من الميت، لأن النامي في حكم الحيوان، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم]؟. فوقع قوله «يخرج الحي من الميت» من قوله «فالق الحب والنوى»[2] موقع الجملة المبيّنة، فلذلك عطف على اسم فاعل لا على الفعل. ولما كان هذا مفقوداً في آل عمران وتقدّم قبل[3] ذلك جملتان

---

(١) الآية ٢٧.

(٢) ق: فالق الإصباح.

(٣) ق: في ذلك.

فعليتان وهما ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران][1] كان العطف بالفعل. على أنه يجوز أن يكون معطوفاً، وهو اسم فاعل، على المضارع لأنه في معناه كما قال الشاعر[2]: [من الرجز]

[١٩٠/ب] بات يُغَشِّيها بِعَضْبٍ باتِرِ   يقصد في أَسْوُقِها وجائرِ

﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[3] فكيف تُصرفون عن عبادة من له هذه القدرة الباهرة.

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ الإصباح مصدر سمّي به الصبح، قال الشاعر[4]: [من الطويل]

[ألا أيُّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انجَلِ   بِصُبْحٍ] وما الإصباحُ فيكَ بِأَمْثَلِ

وفَلْقُه: إخراج هذا النور المنتشر من ظلمة الليل وغبشها، إذ هو أعظم من فلق الحب والنوى إذ هو من الآثار العلوية، والأحوال الفلكية أعظم[5] وقعاً في النفوس من الأحوال الأرضية. ﴿ سَكَنًا ﴾ فَعَل بمعنى مفعول كالقَنَص بمعنى المقنوص. وانتصب على أنه مفعول ثانٍ لجاعل، وأضيف «جاعل» إلى المفعول الأول[6] وهو «الليل». وقرىء: وجعل، فعلاً ماضياً ونُصب «الليل». والحُسْبان: جمع حساب كشِهاب وشُهْبان، قال ابن عباس:

---

(١) ق: يولج الليل في النهار.

(٢) البيت في الخزانة ٢: ٣٤٥ غير منسوب.

(٣) ق: تصرفون.

(٤) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٨.

(٥) ق: أعظم من فلق الحب والنوى إذ هو من الآثار ووقعاً في النفوس من الأحوال الأرضية.

(٦) ق: الثاني. وانصرف المصنف عن معالجة قراءة الكوفيين ابتداءً «وجعلَ الليلَ» إلى معالجة قراءة باقي السبعة «وجاعل الليلِ»، ثم عاد إلى ذكرها بعد.

يعني بها عدد الأيام والشهور والسنين. ومن قرأ: وجَعَل: عَطَف «والشمس» وما بعده على مفعولَيْ «جعل». ومن قرأ بالإضافة فقيل: هو عطف على موضع «الليل» لأن موضعه نصب. وهذا لا يجوز على مذهب سيبويه، بل لا يعطف على اسم الفاعل عنده، بل يُضمِر فعلاً تقديره: وجعل الشمس والقمر.

قال الزمخشري[١]: أو يعطفان على محل «الليل». فإن قلت: كيف يكون للّيل محلّ والإضافة حقيقية، لأن اسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضيّ، ولا تقول: زيدٌ ضاربٌ عَمْراً أمسِ؟ - قلت: ما هو في معنى الماضي وإنما هو دالّ على جَعْلٍ[٢] مستمر في الأزمنة انتهى.

ملخّصه أنه ليس اسم فاعل ماضياً، فلا يلزم أن يكون عاملاً، فيكون للمضاف إليه موضع [من] الإعراب، وهذا على مذهب البصريين، أن اسم الفاعل الماضي لا يعمل. وأما قوله «إنما هو دالّ على جعل مستمر في الأزمنة» فيكون إذ ذاك عاملاً، ويكون للمجرور بعده موضع، فيعطف عليه «والشمس والقمر». وهذا ليس بصحيح، إذا كان لا يتقيّد[٣] بزمان خاص، وإنما هو للاستمرار، فلا يجوز له أن يعمل ولا لمجروره محلّ. وقد نصّوا على ذلك وأنشدوا[٤]: [من البسيط]

أَلْقَيْتَ كاسِبَهُم في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ   [فاغفِرْ عليكَ سلامُ الله يا عُمَرُ]

فليس الكاسب ها هنا مقيّداً بزمان. «ذلك» إشارة إلى جميع الأخبار من

---

(١) الكشاف ٢ : ٣٨.

(٢) ق: على معنى.

(٣) ق: يتقدّر.

(٤) البيت للحطيئة في ديوانه ص٢٠٨.

قوله «فالق الحب» إلى آخره.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا﴾ نبّه تعالى على أعظم فوائد خَلْقها، وهي الهداية للطرق والمسالك والجهات التي تُقصد، والقبلة، إذ حركات الكواكب في الليل يُستدلّ بها على القبلة، كما يُستدلّ بحركة الشمس في النهار عليها. والخطاب عام لكل الناس. و﴿لِتَهْتَدُوا۟﴾ متعلق بجعل مضمرة، لأنها بدل من «لكم» أي: جعل ذلك لاهتدائكم. و«جعل» معناها [خلق] فهي تتعدى إلى واحد. قال ابن عطية: ويمكن أن تكون بمعنى صيّر، ويقدّر المفعول الثاني من «لتهتدوا» أي: جعل لكم النجوم هداية انتهى. هذا ضعيف لِنُدور حَذْف أحد مفعولَيْ باب ظن وأخواتها[1]. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: بيّنّا وقسمنا[2]. وخصّ من يعلم، لأنهم الذين ينتفعون بتفصيلها.

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهو آدم عليه السلام. ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي: موضع استقرار وموضع استيداع، أو مصدر، أي: فاستقرار واستيداع. وقرىء: فمستقِرٌ، بكسر القاف، اسم فاعل، وعلى هذه القراءة يكون «ومستودَع» بفتح الدال، اسم مفعول. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ لمّا كان الاهتداء بالنجوم واضحاً، ختمه بقوله تعالى [١٩١/أ] «يعلمون» أي: مَن له أدنى إدراك ينتفع بالنظر في النجوم وفائدتها. ولمّا كان الإنشاء من نفس واحدة، والتصريف في أحوال كثيرة يحتاج إلى فكر[3] وتدقيق، ختمه بقوله تعالى «يفقهون» إذ الفقه هو استعمال فطنة ودقّة نظر وفكر، فناسب خَتْم كل جملة بما يناسب ما

(١) ق: وأختها.

(٢) ق: وقصينا.

(٣) ق: فكّ.

صدّر به[١] الكلام.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ لمّا ذكر إنعامه تعالى بخَلْقنا، ذكر إنعامه علينا بما نقوّم به أَوَدَنا ومصالحنا. و«السماء» هنا السحاب. والظاهر أن معنى[٢] ﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ مما يسمّى نباتاً في اللغة، وهو ما يُنمى من الحبوب والفواكه والبقول والحشائش والشجر، ومعنى «كل شيء» مما ينبت. وأشار إلى أن السبب واحد والمسببات كثيرة. وقال الطبري[٣]: «نبات كل شيء» جميع ما ينمو من الحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك، لأن ذلك كلّه يتغذّى وينمو بنزول الماء من السماء. وفي قوله «فأخرجنا» التفات من غيبة إلى تكلّم بنون العظمة. ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ ﴾ أي: من النبات. ﴿ خَضِرًا ﴾ غضّاً ناضراً طريّاً. ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ ﴾ جملة في موضع الصفة لِخَضِراً[٤]، ويجوز أن يكون استئناف إخبار. ﴿ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ أي: من الخَضِر كالقمح والشعير وسائر القطاني، ومن الثمار كالرّمان والصنوبر وغيرهما ممّا يتراكب حبّه، ويركب بعضه بعضاً.

﴿ مِن طَلْعِهَا ﴾ بدل من قوله «ومن النخل» أعيد فيه حرف الجر. والطَّلْع أول ما يخرج من النّخلة في أكمامه[٥]، أطلعت النخلة: أخرجت طَلْعها. ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ القِنْو بكسر القاف وضمّها: العِذق بكسر العين وهو الكباسة وهو عنقود النخلة، وجَمْعه في القلّة أقناء، وفي الكثرة قنوان، بكسر القاف في لغة الحجاز وضمّها في لغة قيس، وبالياء بدل الواو في لغة ربيعة، وتميم

---

(١) ق: منه.

(٢) ق: المعنى.

(٣) العبارة بمعناها في تفسيره ٧: ١٩٤.

(٤) ق: مخضراً.

(٥) ق: إكماله.

بكسر القاف وضمّها. ويجتمعون في المفرد على قنو، وقنو بالواو، ولا يقولون فيه قُنى ولا قِنى. ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة من المتناول. وهذه الجملة مبتدأ وخبر، قُطعت ممّا قبلها في الإعراب، لِمَا في تجريدها من عِظَم المنّة والنعمة، إذ كانت من أعظم قوت العرب، ليدلّ على الثبوت والاستقرار، وأن ذلك مفروغ منه، فلها شبه[1] بالحبّ المتراكب في القوت، ولها شبه بالتفكّه كالعنب المذكور، فناسب الاعتراض بهذه الجملة بينهما.

قال ابن عطية: «ومن النخل» تقديره: ويُخرج من النخل، و«من طلعها قنوان» ابتداء، خبره مقدّم، والجملة في موضع المفعول بنخرج انتهى.

هذا خطأ لأنّ ما يتعدّى إلى مفعول واحد، لا تقع الجملة في موضع مفعوله إلا إذا كان الفعل ممّا يعلّق، وكانت الجملة فيها مانع من أن يعمل، في شيء من مفرداتها، الفعل من الموانع المشروحة في علم النحو. و«نخرج» ليست مما يعلّق، وليس في الجملة ما يمنع من عمل الفعل في شيء من مفرداتها؛ إذ لو كان الفعل هنا مقدّراً لتسلّط على ما بعده ولكان التركيب والتقدير: ونخرج من النخل من طلعها قنواناً دانية، بالنصب.

قال الزمخشري[2]: ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً لدلالة «أخرجنا» عليه، تقديره: ومُخرجة من طلع النخل قنوان [انتهى]. لا حاجة إلى هذا التقدير، إذ الجملة مستقلّة في الإخبار بدونه. ومن قرأ: قنواناً دانيةً، بالنصب أشرك بين ذلك وبين المنصوب قبله والمنصوب بعده.

﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ معطوف على «نبات». ولمّا جرّد النخل جرّد جنّات الأعناب

---

(١) ق: فلما شبّه.

(٢) الكشاف ٢: ٣٩.

لشرفها. ﴿وَٱلزَّيْتُونَ﴾ شجر معروف وزنه فيعول كقيصوم، لقولهم: أرض زتنة، ولعدم فعلون، أو قلّته فمادته مغايرة لمادة الزيت. و«الرمان» فُعّال كالحمّاض والعنّاب، وليس بفعلان لقولهم: أرض رمنة. قال الزّجاج: قرن الزيتون بالرمان لأنهما شجرتان [١٩١/ب] تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره. ﴿مُشْتَبِهًا﴾[١] أي: بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم. وانتصب «مشتبهاً» على أنه حال من «الرمان» لقربه منه، وحذفت الحال من الأول. أو حال من الأول لسبقه، [فالتقدير]: والزيتون مشتبهاً وغير متشابه والرمان كذلك.

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ النظر نظر رؤية، ولذلك عدّاه بإلى، لكن يترتّب عليه الفكر والاعتبار والاستبصار والاستدلال على قدرة باهرة، تنقله من حال إلى حال. ونبّه على حالين: الابتداء وهو وقت ابتداء الإثمار، والانتهاء وهو وقت نضجه. ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ اليَنْع مصدر يَنع بفتح الياء في لغة الحجاز، وبضمّها في لغة بعض نجد، وكذا اليُنُع بضم الياء والنون، والينوع بواوٍ بعد الضمّتين. يقال: ينعت الثمرة، إذا أدركت ونضجت، وأينعت أيضاً. قال الفراء: ينع الثمر وأينع أي: احمرّ. والعامل في «إذا» «انظروا»، و«ينعه» معطوف على «ثمره».

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الإشارة بذلكم إلى جميع ما سبق ذكره من فلق الحب والنوى إلى آخر ما خلق تعالى وما امتنّ به. والآيات: العلامات الدالّة على كمال قدرته وإحكام صنعته وتفرّده بالخلق دون غيره. وظهور الآيات لا ينفع إلاّ لمن قدّر الله تعالى له الإيمان، وأما من سبق قَدَرُ الله تعالى بالكفر له، فإنه لا ينتفع بهذه الآيات، فنبّه بتخصيص الإيمان على هذا المعنى.

---

(١) ق: متشابهاً.

وانظر إلى حسن مساق هذا الترتيب: لمّا تقدّم أن الله تعالى فالق الحب والنّوى، جاء الترتيب بعد ذلك تابعاً لهذا الترتيب؛ فحين ذكر أنه أخرج نبات كل شيء، ذكر الزرع وهو المراد بقوله «خَضِراً نخرج منه حبًّا متراكباً»، وابتدأ به كما ابتدأ به في قوله «فالق[1] الحب» ثم ثنّى بما له نوى فقال «ومن النخل من طلعها قنوان» إلى آخره، كما ثنّى به في قوله «والنوى». وقدّم الزرع على الشجر لأنه غذاء، والثمر فاكهة، والغذاء مقدم على الفاكهة، وقدّم النخل على سائر الفواكه، لأنه يجري مجرى الغذاء بالنسبة إلى العرب، وقدّم العنب لأنه أشرف الفواكه وهو في جميع أطواره منتفع به: حنوط، ثم حصرم، ثم عنب، ثم إن عُصر كان منه خلّ، وإن جفّف كان منه زبيب. وقدّم الزيتون لأنه كثير المنفعة في الأكل، وفيما يُعصر منه من الدّهن العظيم النفع في الأكل والاستصباح وغيرهما. وذكر الرّمان، لعجب حاله وغرابته في أنه مركب من قشر وشحم وعَجَم[2] وماء، والثلاثة باردة يابسة أرضية كثيفة قابضة عَفِصة[3] قوية في هذه الصفات، وماؤه بالضدّ ألذّ الأشربة وألطفها وأقربها إلى حيّز الاعتدال، وفيه تقوية للمزاج الضعيف غذاء من وجه ودواء من وجه، فجمع تعالى فيه بين المتضادَّين المتعاقدين، فما أبهر قدرته وأعجب ما خلق.

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى ما اختصّ به من باهر قدرته ومتقن صنعته وامتنانه على عالم الإنسان بما أوجد له ممّا يحتاج إليه في قوام حياته، وبيّن أن ذلك آيات لقوم يعلمون ولقوم يفقهون ولقوم يؤمنون - ذكر

---

(١) ق: فالحق.

(٢) العَجَم بالتحريك: النواة والواحدة عَجَمة، ويقال: ليس لهذا الرّمان عَجَم.

(٣) طعام عَفِص: فيه مرارة وتقبّض.

ما عاملوا به مُنشئهم من العدم وموجد أرزاقهم، من إشراك غيره له في عبادته، ونسبة ما هو مستحيل عليه، من وصفه بسمات الحدوث من البنين والبنات. والضمير في «وجعلوا» عائد على الكفار، لأنهم مشركون وأهل كتاب[١]. «شركاء» مفعول أول و«لله» متعلق به و«الجن» مفعول ثان. وأعرب أستاذنا العلاّمة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي قال: انتصب «الجنّ» على إضمار فعلٍ جوابَ سؤالٍ مقدَّر [١٩٢/أ] كأنه قيل: من جعلوا لله شركاء؟ قيل: الجنّ، أي: جعلوا الجن. ويؤيد هذا المعنى قراءة أبي حيوة ويزيد بن قطيب: الجنُّ بالرفع، على تقدير: هم «الجنُّ» جواباً لمن قال: من الذين[٢] جعلوهم شركاء؟ فقيل له: هم الجن، ويكون ذلك على سبيل الاستعظام لما فعلوه والانتقاص لمن جعلوه شريكاً لله تعالى. فعلى قراءة الرفع في «الجن» يكون «شركاء» مفعولاً أوّلاً و«لله» جار ومجرور في موضع المفعول الثاني أي صيّروا شركاء كائنين لله.

قال الزمخشري[٣] وابن عطية: «الجن» مفعول أول لجعلوا، وهو بمعنى صيّروا، «شركاء» مفعول ثانٍ، و«لله» متعلق بشركاء. قال الزّمخشري[٤]: فإن قلت: فما فائدة التقديم؟ قلت: فائدته استعظام أن يُتّخذ لله شريك من كان ملكاً أو جنّيا أو إنسيّاً، ولذلك قدّم اسم الله على الشركاء انتهى. وأجاز الحوفي وأبو البقاء[٥] أن يكون «الجن» بدلاً من «شركاء» و«لله» في موضع

---

(١) ق: الكتاب.

(٢) ق: الذي.

(٣) الكشاف ٢: ٤٠.

(٤) الكشاف ٢: ٤٠.

(٥) ق: أجازاهما والحوفي وأبو البقاء.

المفعول الثاني و«شركاء» هو المفعول الأول.

وما أجازاه[١] لا يجوز، لأنه يصحّ[٢] للبدل أن يحلّ محلّ المبدل منه، فيكون الكلام منتظماً، لو قلت: وجعلوا للهِ[٣] الجنّ، لم يصحّ. وشرط البدل أن يكون على نيّة تكرار العامل على أشهر القولين، أو معمولاً للعامل في المُبْدَل منه على قول، وهذا لا يصحّ هنا ألبتّة كما ذكرنا. والضمير في «وخلقهم» عائد على الجاعلين إذ هم المحدَّث عنهم، وهي جملة حالية أي: وقد خلقهم وانفرد بإيجادهم دون مَن اتّخذوه شريكاً له وهم الجنّ، فجعلوا من يخلقهم شريكاً لخالقهم، وهذه غاية الجهالة. ﴿وَخَرَقُوا﴾ قرىء بتخفيف الراء وتشديدها، أي: اختلقوا وافتروا[٤]. ويقال: خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه وافتعله وافتراه وخرصه إذا كذب فيه، قال الفرّاء. وأشار بقوله «بنين» إلى [قول] أهل الكتابين في المسيح وعزير، وبقوله «وبنات» إلى [قول] قريش في الملائكة.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره هو بديع، وتقدم تفسيره في البقرة[٥]. ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ [لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: كيف يكون له] ولد، وهذه حاله، أي: أن الولد إنما يكون من الزوجة، وهو لا زوجة [له] فلا ولد له. وفيه إبطال الولد من ثلاثة أوجه: أحدها أن مبتدع السماوات والأرض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة، لأن الولادة من صفات

---

(١) ق: أجازوه.

(٢) ق: لا يصحّ.

(٣) ق: الله.

(٤) ق: وافترقوا.

(٥) الآية ١١٧.

الأجسام، ومخترع الأجسام لا يكون جسماً حتى يكون والداً. والثاني أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد، وهو تعالى متعالٍ عن مجانس فلم يصحّ أن يكون له صاحبة، فلم تصحّ الولادة. والثالث أنّه ما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به، ومن كان بهذه الصفة كان غنياً عن كلّ شيء، والولد إنّما يطلبه المحتاج إليه.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: ذلكم الموصوف بتلك الصفات السابقة من كونه بديعاً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً خالقَ الموجودات عالماً بكل شيء - هو الله. بدأ بالاسم العلم، ثم قال «ربكم» أي: مالككم والناظر في مصالحكم، ثم حصر الألوهية فيه، ثم كرر وَصْفَ خَلْقِهِ كلَّ شيء، ثم أمر بعبادته. لأن من استجمعت فيه هذه الصفات، كان جديراً بالعبادة، وأن يُفرد بها، فلا يُتّخذ معه شريك. ثم أخبر أنه[1] مع تلك الصفات السابقة التي منها خَلْق كل شيء، هو المالك لكل شيء من الأرزاق والآجال، رقيب على الأعمال.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ اختلف المفسرون في الإدراك في هذه الآية ما هو. قيل: الإدراك هنا الرؤية، وبه قال جماعة من الصحابة، وقيل: الإدراك هنا هو الإحاطة بالشيء، وليس بمعنى الرؤية، وهو قول جماعة من الصحابة أيضاً. وسيأتي الكلام على الرؤية في سورة الأعراف في قوله تعالى حكاية عن موسى [١٩٢/ب] عليه السلام في قوله ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۝١٤٣﴾ [الأعراف].

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠

(١) ق: أن.

عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ هذا وارد على لسان رسول الله ﷺ إلى قوله «وما أنا عليكم بحفيظ». والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به، كما أن البصر نور العين الذي به تبصر. أي: جاءكم من الوحي والتنبيه بما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز، ما هو للقلوب كالبصائر. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ أي: فالإبصار لنفسه، أي: نفعه وثمرته. ﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ﴾ أي: فالعمى عليها، أي: فجدوى العمى عائد على نفسه. والإبصار والعمى كنايتان عن الهدى والضّلال. والمعنى أن ثمرة الهدى والضّلال إنما هي للمهتدي والضالّ، لأن الله تعالى غنيّ عن خلقه، وهذه من الكنايات الحسنة. لما ذكر البصائر أعقبها بالإبصار والعمى، وهذه مطابقة لطيفة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: وَمِثْلَ ما بيّنّا تلك الآيات التي هي بصائر، وصرّفناها، نصرّف الآيات، ونردّدها على وجوه كثيرة. ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن: «دَرَسْتَ». وقرىء: دارست، [أي: دارست] يا محمد غيرك في هذه الأشياء، أي: قارأته وناظرته، إشارة منهم إلى سلمان[1] وغيره من الأعاجم واليهود. وقرىء: دَرستْ، مبنيًّا للفاعل مضمراً فيه، أي: درست الآيات أي: ترددت على أسماعهم حتّى بليت وقدمت في نفوسهم وامّحت. وقرىء: درستَ، أي: يا محمد في الكتب القديمة ما تجيئنا به.

---

(١) ق: سليمان.

واللام في «وليقولوا، ولنبيّنه» هي لام كي، وقيل لام الصيرورة. والمعنى: وليقول من كفر، ولنبيّن لمن علم وآمن. وتتعلق اللامان بمحذوف تقديره: ليكون كذا، ويكون كذا، صرّفنا الآيات. ولا يتعين ما ذكر المعربون والمفسرون من أنّ اللام في «وليقولوا» لام كي أو لام الصيرورة، بل الظاهر أنها لام الأمر، والفعل مجزوم بها، لا منصوب بإضمار أن، ويؤيده قراءة من سكّن اللام، والمعنى عليه متمكن، كأنه قيل: ومثل ذلك نصرّف الآيات وليقولوا هم ما يقولون من كونك[1] درستها وتعلّمتها، أو درسَتْ هي، أي: بليَتْ، وقَدُمَتْ، فإنه لا يحفل بهم ولا يلتفت إلى قولهم. وهو أمر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بهم وبما يقولون في الآيات، أي: لنصرّفها وليدّعوا فيها ما شاؤوا فلا اكتراث بدعواهم. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: كأنه قال: وكذلك نصرّف القرآن[2]، وأعاد الضمير مفرداً، قالوا: على معنى الآيات لأنها القرآن.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أمره تعالى بأن يتبع ما أوحي إليه وبأن يعرض عمّن أشرك. والأمر بالإعراض عنهم كان قبل نسخه بالقتال والسّوق إلى الدين طوعاً أو كرهاً. والجملة بين الأمْرَين اعتراض أكّد به وجوب اتّباع الوحي، أو في موضع الحال المؤكدة.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ أي: أن إشراكهم ليس في الحقيقة بمشيئتهم وإنما هو[3] بمشيئة الله تعالى. وظاهر الآية يردّ على المعتزلة، ويتأوّلونها على مشيئة القسر والإلجاء. ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: رقيباً تحفظهم من

---

(١) ق: من كونها.

(٢) ق: نصرّف القرآن نصرف الآيات.

(٣) ق: هي.

الإشراك. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ أي: بمسلّط عليهم. والجملتان متقاربتان في المعنى، إلا أن الأولى فيها نفي جعل الحفظ منه تعالى عليهم، والثانية فيها نفي الوكالة عليهم. والمعنى أنّا لم نسلّطك عليهم ولا أنت في ذاتك [بمسلّط] فناسب أن تعرض عنهم، إذ لست مأموراً منّا بأن تكون حفيظاً عليهم، ولا أنت وكيل عليهم من تلقائك.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠ ۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ١١١ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ١١٣﴾.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس: سببها أن كفار قريش قالوا لأبي طالب: إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سبّ [١٩٣/أ] آلهتنا والغضّ منها، وإما أن نسبّ إلٰهه ونهجوه فنزلت[1]. وحكم هذه الآية باقٍ في هذه الأمة؛ فإذا كان الكافر في منعة، وخيف أن يسبّ الإسلام أو الرسول أو الله عزّ وجلّ، فلا يحلّ لمسلمٍ ذمّ دين الكافر ولا صنمه ولا صليبه، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك. ولما أمر تعالى باتّباع

---

(١) انظر لباب النقول ص١٠٣.

ما أوحي إليه وبموادعة المشركين، عدل عن خطابه إلى خطاب المؤمنين فنُهوا عن سبّ أصنام المشركين. ولم يُواجَه هو صلى الله عليه وسلم بالخطاب وإن كان هو الذي سَبَّ الأصنام، جاء على لسانه، وأصحابه تابعون له في ذلك لما في مواجهته وحده بالنهي من خلاف ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الكريمة، إذ لم يكن صلى الله عليه وسلم فحّاشاً ولا صخّاباً ولا سبّاباً فلذلك [جاء] الخطاب للمؤمنين فقيل «ولا تسبّوا» ولم يكن التركيب: ولا تسبّ، كما جاء في ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٦﴾ [الأنعام]. وإذا كانت الطاعة تؤدي إلى مفسدة خرجت عن أن تكون طاعة، فيجب النهي عنها كما يُنهى عن المعصية.

و﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم الأصنام[1]، أي: يدعوهم المشركون. وعبّر عن الأصنام وهي لا تعقل، بالذين، كما يعبّر عن العاقل، على معاملة من لا يعقل معاملة من يعقل، إذ كانوا أنزلوهم منزلة من يعقل في عبادتهم واعتقادهم فيهم أنهم شفعاء لهم عند الله تعالى. وقيل: يُحتمل أن يراد بالذين يدعون، الكفار.

وظاهر قوله ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ أنهم يقدمون على سبّ الله تعالى، إذا سُبّت آلهتهم، وإن كانوا معترفين بالله تعالى، لكن يحملهم على ذلك انتصارهم لآلهتهم وشدة غيظهم لأجلها، فيخرجون عن الاعتدال إلى ما ينافي العقل، كما يقع من بعض المسلمين إذا اشتد غضبه وانحرف فإنه قد يلفظ بما يؤدي إلى الكفر، نعوذ بالله من ذلك. «فيسبوا» جواب للنهي في قوله «ولا تسبّوا»، وانتصب بإضمار أن بعد الفاء كقوله تعالى ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۝٦١﴾ [طه].

(١) ق: والذين يدعونهم الأصنام.

و﴿عَدْوًا﴾ مصدر عدا وكذا عُدُوٌّ وعُدْوان بمعنى اعتدى أي[1] ظلم، وانتصب على المصدر أو في موضع الحال المؤكدة، أو على المصدر من غير لفظ الفعل [لأن معنى] «فيسبّوا»: يعتدوا على الله. ومعنى ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: على جهالة بما يجب لله أن يُذكر به، وهو بيان لمعنى الاعتداء.

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي: مثل تزيين عبادة الأصنام للمشركين زيّنا لكل أمّة. وظاهر «لكل أمة عملهم» العموم في الأمم وفي العمل، فيدخل فيه المؤمنون والكافرون. وتزيينه هو ما يخلقه ويخترعه في النفوس من المحبّة للخير أو الشر والاتّباع لطرقه، وتزيين الشيطان هو ما يقذفه في النفوس من الوسوسة وخطرات السّوء.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ أي: مقترحة نحو قولهم: تجعل الصفا ذهباً. فقام رسول الله ﷺ ليدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال له: إن شئت أصبح ذهباً، فإن لم يؤمنوا، هلكوا عن آخرهم معاجلة كما فعل بالأمم الماضية، إذ لم يؤمنوا بالآيات المقترحة، وإن [شئت] تركتهم حتى يتوب تائبهم. فقال: بل حتى يتوب تائبهم[2]. وإنما اقترحوا آية معيّنة، لأنهم شكّوا في القرآن، ولهذا قالوا: دارست أي: العلماء، وباحثت أهل التوراة والإنجيل، وكابر أكثرهم وعاند. والمعنى أنهم حلفوا غاية حلفهم، وسُمّي الحلف قسماً، لأنه يكون عند انقسام الناس إلى التصديق والتكذيب. وكان إقسامهم بالله غاية في الحلف، وكانوا يقسمون بآبائهم وآلهتهم، فإذا كان الأمر عظيماً أقسموا بالله. والجَهد بفتح [١٩٣/ب] [الجيم]: المشقّة، وبضمّها: الطاقة، ومنهم من يجعلها بمعنى واحد. وانتصب «جهد» على

---

(١) ق: إلى.

(٢) انظر لباب النقول ص١٠٣.

المصدر المنصوب بـ«أقسموا»، أي: أقسموا جهد إقساماتهم، والأيمان بمعنى الإقسامات.

و﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ﴾ إخبار عنهم لا حكاية لقولهم، إذ لو حكى قولهم لكان: لئن جاءتنا آية. ويعامل الإخبار عن القسم معاملة حكاية القسم بلفظ ما نطق المقسِم به. و﴿ءَايَةٌ﴾ لا يُراد به مطلق آية، إذ قد جاءتهم آيات كثيرة، ولكنهم أرادوا آية مقترحة كما ذكرناه. ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ هذا أمر بالردّ عليهم، وأنّ مجيء الآيات ليس لي، إنما ذلك لله تعالى، وهو القادر عليها ينزلها على وجه المصلحة كيف شاء بحكمته، وليست عندي فتُقترح عليّ. «ليؤمنن بها» جواب القسم.

﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ قرىء بفتح الهمزة و«ما» استفهامية ويعود عليها ضمير الفاعل في «يشعركم». وأما الخطاب فقيل هو للكفار، وقيل: المخاطب بها المؤمنون. وقرىء: لا تؤمنون، بتاء الخطاب، وقرىء بياء الغيبة. أخبر تعالى عنهم أنهم لا يؤمنون ألبتّة على تقدير مجيء الآية، وتمّ الكلام عند قوله «وما يشعركم». [ومتعلق «يشعركم» محذوف أي: وما يشعركم] ما يكون. فإن كان الخطاب للكفار كان التقدير: ما يكون منكم، ثم أخبر على جهة الالتفات بما علمه من حالهم لو جاءتهم الآيات. وإن كان الخطاب للمؤمنين كان التقدير: وما يشعركم أيها المؤمنون ما يكون منهم، ثم أخبر المؤمنين [بعلمه] فيهم أنهم لا يؤمنون. وقرىء بكسر الهمزة، والمناسب أن يكون الخطاب للكفّار في هذه القراءة، كأنه قيل: وما يدريكم أيها الكفار ما يكون منكم؟ ثم أخبرهم على جهة الجزم أنهم لا يؤمنون على تقدير مجيئها.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ الآية، الظاهر أنها جملة استئنافية أخبر تعالى أنه يفعل بهم ذلك، وهي إشارة إلى الحيرة والتردد وصرف الشيء عن

وجهه. والمعنى أنه تعالى يحوّلهم عن الهدى، ويتركهم في الضلال والكفر. و«كما» للتعليل، أي: نفعل بهم ذلك، لكونهم لم يؤمنوا به أوّل وقت جاءهم هدى الله تعالى كما قال تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة]. ويؤكد هذا المعنى آخر الآية قوله «ونذرهم في طغيانهم» أي: ونتركهم في تغمّطهم[1] في الشر والإفراط فيه يتحيرون. وهذا كلّه إخبار من الله تعالى بفعله بهم في الدنيا. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الكاف للتعليل لا للتشبيه و«ما» مصدرية. والمعنى أنه تعالى يقلّب ما ذكر لكونهم لم يؤمنوا به، أي: بالقرآن أول وقت جاءهم، إذ كان ينبغي المبادرة إلى الإيمان. ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ أي: نتركهم في طغيانهم يتحيرون.

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ الآية، أي: لو آتيناهم الآيات التي اقترحوها من إنزال الملائكة في قولهم ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام] وتكليم الموتى إياهم في قولهم ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ ﴿٣٦﴾﴾ [الدخان] وفي قولهم: أَحْيِ قصيّ بن كلاب وجدعان بن عمرو، وهما أمينا العرب والوسطان فيهم، وحَشْرِ كل شيء عليهم من السباع والدوابّ والطيور وشهادتهم بصدق رسول الله ﷺ.

وجواب «لو»: «ما كانوا ليؤمنوا» وقدّره الحوفي: لما كانوا، قال: وحذفت اللام وهي مرادة، انتهى. وليس قوله بجيّد لأن المنفيّ «بما» إذا وقع جواباً لِلَوْ، فالأكثر في لسان العرب أن لا تدخل اللام[2] على ما، وقلّ دخولها على ما، فلا نقول إن اللام حذفت منه، بل إنما أدخلوها على ما تشبيهاً للمنفي بما بالموجب. ألا ترى أنه إذا كان النفي بلم، لم تدخل اللام على لم، فدلّ على أن أصل المنفيّ أن لا تدخل عليه اللام. واللام في

---

(١) ق: تغطمهم. وتغمّطهم في الشرّ: إسرافهم فيه حتى غطّى عليهم.

(٢) ق: الكلام.

«ليؤمنوا» لام الجحود أتت بعد كون ماضٍ منفي، وخبر كان محذوف تقديره: ما كانوا أهلاً للإيمان، لأنّ «أنْ» مقدّرة [١٩٤/أ] بعد اللام، فَيَنْسَبِكُ منها مع ما بعدها مصدر، والكثير حذف خبر كان في هذا التركيب، وقد جاء مصرّحاً به في قول الشاعر[1]: [من الوافر]

سموتَ ولم تكن أهلاً لتسمو [ولكـنّ المضيّـع قـد يُصـاب]

و﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ استثناء متصل من محذوف، هو علّة وسبب، التقدير: ما كانوا ليؤمنوا لشيء من الأشياء إلا لمشيئة الله تعالى. والظاهر أن الضمير في «أكثرهم» عائد إلى ما عادت عليه الضمائر قبلُ من الكفار. وإنما قال «أكثرهم» لأن من هؤلاء الكفار من شاء الله تعالى إيمانه فآمن وصدّق. ومعنى «يجهلون» أي: الحق الذي جئت به من عند الله تعالى.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ﴾ الآية، المعنى: مِثْل جَعْل هؤلاء الكفار المقترحين الآيات وغيرهم أعداءً لك، جعلنا لمن قبلك من الأنبياء أعداءً ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ أي: متمرّدي[2] الصنفين. ﴿ يُوحِى ﴾ يلقي في خفية. ﴿ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي: بعض الصنف الجنّي إلى بعض الصنف الإنسي، أو يوحي شياطين الجن إلى شياطين الإنس. ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي: مُحسَّنه ومُزيَّنه بالأباطيل ليغروهم ويخدعوهم ويوهموهم أنهم على شيء. وثمرة هذا الجَعْل الامتحان، فيظهر الصبر على ما مُنوا به ممّن يعاديهم فيعظم الثواب والأجر. وفي هذه تسلية لرسول الله ﷺ وتأسٍّ بمن تقدّمه من الأنبياء، وأنك لست منفرداً بعداوة من عاصرك، بل هذه سنّة مَن قبلك من الأنبياء: وانتصب

---

(١) البيت في شرح التصريح ٢: ٢٣٥ غير منسوب.

(٢) ق: متمردين.

«غرورا» على أنه مفعول من أجله [أي]: للغرور، أو مصدراً في موضع الحال أي: غارّين، والناصب لهما «يوحي».

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الضمير المنصوب جوّزوا أن يكون عائداً على العداوة المفهومة من «عدوّاً» والإيحاء المفهوم من «يوحي» أو على الزخرف أو على القول أو على الغرور أوجهاً خمسة. ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [أي: اتركهم وما يفترون] من تكذيبك، ويتضمن الوعد والوعيد. وقال قتادة: كل «ذر» في كتاب الله تعالى فهو منسوخ بالقتال. و«ما» بمعنى الذي والعائد محذوف تقديره يفترونه، أو مصدريّة تقديره وافتراءهم.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ﴾ أي: ولتميل إليه، الضمير يعود على ما عاد عليه في «فعلوه». ﴿وَلِيَرْضَوْهُ [وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾] وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام. واللام لام كي، وهي معطوفة على قوله «غروراً» لما كان معناه: للغرور، فهي متعلقة بيوحي، ونصب «غروراً» لاجتماع شروط النصب فيه، وعدّي «يوحي» إلى هذا باللام لفوت شرط صريح المصدرية واختلاف الفاعل، لأن فاعل «يوحي» هو «بعضهم» وفاعل «تصغى» هو «أفئدة». وترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة؛ لأنه أوّلاً يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضى فيكون فعل الاقتراف، فكان كل واحد سبباً عمّا قبله.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ قال مشركو قريش لرسول الله ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً من أحبار اليهود، وإن شئت من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت. والفاء في «أفغير» للعطف فترتيبها قبل الهمزة، وقُدّمت الهمزة لأن الاستفهام له صدر الكلام، كما قُدّمت على الواو في قوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴿٤١﴾ ﴾ [الرعد] وعلى ثمّ في قوله ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يونس]. وهذا استفهام، معناه النفي، أي: لا أبتغي حكماً غير الله. قالوا: والحَكَم أبلغ من الحاكم لأنه من عُرف منه الحُكْم مرة بعد أخرى، والحاكم اسم فاعل يصدق على المرّة الواحدة. وجوّزوا في إعراب «غير» أن يكون مفعولاً بأبتغي و«حكماً» حال، وعكسه. وأجاز الحوفي وابن عطية أن ينتصب على التمييز عن [١٩٤/ب] «غير» كقولهم: إنّ لنا غيرها إبلاً. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ﴾ وهذه الجملة في موضع الحال، مفصّلاً موضّحاً فيه الأحكام من الأمر والنهي والحلال والحرام والواجب والمندوب والضلال والهدى. ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ﴾ علم التوراة والإنجيل والزّبور والصحف، والمراد علماء أهل الكتاب. وهذه الجملة [تكون] استئنافاً وتتضمّن الاستشهاد بمؤمني أهل الكتاب والطعن على مشركيهم وحَسَدتهم. ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ﴾ خطاب للسامع الذي يمكن أن يجوز منه[1] الامتراء، لا للنبي ﷺ.

﴿ كَلِمَتُ[2] رَبِّكَ ﴾ هو القرآن وكل ما أخبر به من أمرٍ ونهي ووعدٍ ووعيد. وانتصب «صدقاً وعدلاً» على أنهما مصدران في موضع الحال. ومعنى «وتمت» استمرت، لا أنه كان بها نقص فكملت، كما قال: وتمّ حمزة على إسلامه أي: استمرّ.

---

(١) ق: فيه.

(٢) ق: كلمات. وقراءة أهل الكوفة بالتوحيد، والباقين بالجمع.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: وإن توافق فيما هم عليه من عبادة غير الله تعالى وشرع ما شرعوه بغير إذن الله، لأن الأكثر كانوا إذ ذاك كفاراً. و«الأرض» هنا الدنيا قاله ابن عباس. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: ليسوا راجعين في عقائدهم إلى علم ولا فيما شرعوه إلى حكم الله تعالى. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: يقدّرون ويحزرون، وهذا تأكيد لما قبله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ لمّا ذكر تعالى «يضلوك عن سبيل الله» أخبر بأنه أعلم العالمين بالضلال والضالّ والمهتدي. والمعنى أنه أعلم بهم وبك فإنهم الضالّون وأنت المهتدي[1]. و«من» قيل في موضع جرٍّ على إسقاط حرف الجر وإبقاء عمله. وهذا ليس بجيّد، لأن مثل هذا لا يجوز إلاّ في الشعر. وقال أبو الفتح: في موضع نصب بأعلم بعد حذف حرف الجر. وهذا ليس بجيد، لأن أفعل التفضيل لا يعمل النصب في المفعول به. وقال أبو علي: في موضع نصب بفعل محذوف أي: يَعلم مَن يضلّ، ودلّ على حذفه «أعلمُ»، ومثله ما أنشده أبو زيد[2]: [من الطويل]

[أَكَـرَّ وأَحْمَـى للحقيقـةِ منهـمُ] وأَضْرَبَ منّا بالسّيوفِ القَوانِسا

أي: يضرب القوانس، وهي إذ ذاك موصولة وصلتها «يضلّ».

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟

---

(١) ق: المنتهي.

(٢) البيت للعباس بن مرداس في ديوانه ص٦٩، وانظر نوادر أبي زيد ص٥٩.

يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ذكر أن السبب في نزولها أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: من قتل الشاة التي ماتت؟ قال: الله تعالى. قالوا: فتزعم أنّ ما قتلت أنت وأصحابك وما قتله الصقر والكلب حلال وما قتله الله حرام؟ فنزلت[1]. ولمّا تضمّنت الآية التي قبلها الإنكار على اتباع المضلّين الذين يحلّون الحرام ويحرّمون الحلال، وكانوا يسمّون في كثير مما يذبحونه اسم آلهتهم - أمر المؤمنين بأكل ما سمّي على[2] ذكاته اسم الله تعالى لا غيره من آلهتهم. ﴿إِن كُنتُم [بِآيَاتِهِ] مُؤْمِنِينَ﴾ علّق أكل[3] ما سمّي الله على ذكاته بالإيمان كما تقول: أطعني إن كنت ابني، أي: إن كنتم مؤمنين، فلا تخالفوا أمر الله تعالى. وهو حثٌّ على أكل ما أحلّ وترك ما حرّم.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: وأيُّ غرض لكم في الامتناع من أكل ما ذكر اسم الله [عليه]؟. وهو استفهام يتضمن الإنكار على من امتنع من ذلك، أي: لا شيء، يمنع من ذلك. ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾ في هذه السورة لأنها على ما نُقل مكيّة ونزلت في مرة واحدة، فلا يناسب أن يكون «وقد فصّل» راجعاً إلى تفصيل البقرة والمائدة[4]، لتأخرهما في النزول عن هذه السورة. والجملة من قوله «وقد فصل» في موضع الحال. وقرىء: فُصّل وحُرّم، مبنيًا للفاعل ومبنيًا للمفعول. ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ﴾ استثناء من

---

(١) انظر لباب النقول ص١٠٣.

(٢) ق: عليه.

(٣) ق: كلّ.

(٤) انظر ٢: ١٧٣، ٥: ٣.

قوله[1] «ما حرم عليكم». ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا[١٩٥/أ] لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ أي: وإن كثيراً من الكفار المجادلين في المطاعم وغيرها ليُضلّون بالتحريم والتحليل بأهوائهم وشهواتهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: بغير شرع من الله تعالى بل بمجرد أهوائهم كعمرو بن لحي ومَن دونه من المشركين كأبي الأحوص بن مالك الجشمي وبديل[2] بن ورقاء الخزاعي وحليس بن يزيد القرشي الذين اتخذوا البحائر [والسوائب].

﴿وَذَرُوا ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ الإثم عامّ في جميع المعاصي. لمّا عتب عليهم في ترك أكل ما سمّي الله عليه، أُمروا بترك الإثم ما فُعل ظَاهراً وما فُعل في خفية، فكأنه قال: اتركوا المعاصي ظاهرها وباطنها، قاله أبو العالية وغيره. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ في الدنيا ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة، وهذا وعيد وتهديد للعصاة.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الآية، لما أمر بأكل ما سُمّي الله عليه وكان مفهومه أنه لا يؤكل مما لم يُذكر اسم الله عليه، أكّد هذا المفهوم بالنصّ عليه. والظاهر تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه عمداً، كأن ترك التسمية، أو نسياناً، وبه قال ابن عباس وجماعة. وروي عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت وجماعة من التابعين أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۝٥﴾ [المائدة] وأجازوا ذبائح أهل الكتاب وإن لم يُذكر اسم الله عليها. ولا يُسمّى ذلك نسخاً بل هو تخصيص. وروي عن علي وعائشة وابن عمر أنّ الآية محكمة ولا يجوز لنا أن نأكل من ذبائحهم إلاّ ما ذُكر اسم الله تعالى عليه. والضمير في «وإنه» عائد إلى المصدر الدالّ

---

(١) ق: قولكم.

(٢) ق: بدايل.

عليه «تأكلوا» أي: وإنّ الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه «لفسق» لمعصية. وهذه الجملة لا موضع لها من الإعراب وتضمّنت معنى التعليل فكأنه قيل: لفسقه.

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عام في شياطين الإنس والجن كما في أول الحزب ﴿عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام]. ﴿لَيُوحُونَ﴾ ليلقون في خفاء ووسوسة بالتمويه والتلبيس. ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ يعني من الإنس ككفّار قريش وغيرهم. ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ علّة للإيحاء. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ هذا إخبار أنّ ما صدر من جدال الكفار للمؤمنين ومنازعتهم فإنما هو من الشياطين، يوسوسون لهم به، ولذلك ختم بقوله ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [أي: وإن أطعتم أولياء الشياطين إنكم لمشركون] لأن طاعتهم طاعة للشياطين، وذلك إشراك. وجواب الشرط زعم الحوفي أنه «إنكم لمشركون» على حذف الفاء أي: فإنكم لمشركون[1]. وهذا الحذف من الضرائر فلا يكون في القرآن وإنما الجواب محذوف، و«إنكم لمشركون» جواب قسم محذوف، التقدير: والله إن أطعتموهم، وكقوله تعالى ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة]. وأكثر ما يستعمل في هذا التركيب بتقديم اللام المؤذنة بالقسم المحذوف على إن الشرطية كقوله تعالى ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر]. وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ

(١) عبارة ق: وزعم الحوفي أنه على حذف أي: فإنكم لمشركون.

نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في حمزة وأبي جهل؛ رمى [أبو جهل] رسول الله ﷺ بفرث، فأُخبر بذلك حمزة حين رجع من قَنَصه[1] وبيده قوس، وكان لم يسلم، فغضب، فعلا بها أبا جهل وهو يتضرّع إليه ويقول: سفّه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله تعالى، وأسلم[2]. ولما تقدّم ذكر المؤمنين والكافرين مثّل تعالى فيهما بأن شبّه المؤمن بعد أن كان كافراً بالحي المجعول له نور يتصرف به كيف سلك، والكافر بالمختبط في الظلمات المستقرّ فيها دائماً ليظهر الفَرْق بين الفريقين. والموت والحياة والنور والظلمة مجاز، فالظلمة مجاز عن الكفر، والحياة مجاز عن [١٩٥/ب] الإيمان، والموت مجاز عن الكفر. والجملة من قوله «أومن» معطوفة على ما قبلها، والأصل تقديم واو العطف وإنما قُدّمت الهمزة لأن الاستفهام له صدر الكلام، وكان الأصل: وَأَمَنْ. و«من» مبتدأ موصول بمعنى الذي، و«كان ميتا» صلته.

ولما ذكر صفة الإحسان إلى العبد المؤمن، نسب ذلك إليه فقال «فأحييناه وجعلنا» وفي صفة الكافر لم ينسبها إلى نفسه بل [قال]: «كمن مثله في

---

(١) القَنَص محرّكة: الصيد.

(٢) انظر السيرة النبوية ١: ٣١١.

الظلمات». و«كمن» في موضع خبر «من» المتقدمة الذكر. ومَن في «كمن» موصولة، و«مثله في الظلمات» من مبتدأ وخبر صلة لمَن. و«مثله» معناه صفته وعبّر بها عن الذات كأنه قيل: كمن هو في الظلمات. و«في الناس» إشارة إلى تنويره على نفسه وعلى غيره من الناس، فذكر أن منفعة المؤمن ليست مقتصرة على نفسه، وقابل تصرّفه بالنّور وملازمة النّور له باستقرار الكافر في الظلمات وكونه لا يفارقها، وأكّد ذلك بدخول الباء في خبر ليس. ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾ الإشارة بذلك إلى إحياء المؤمن، أي: كما أحيينا المؤمنين زُيّن للكافرين، فقابل الشيء بضدّه.. أو إشارة إلى كينونة الكافر في الظلمات زُيّن للكافرين، فقابل الشيء بمثله.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾ أي: مثل ذلك الجعل: جَعْلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها جَعَلنا في كل قرية. وتضمّن ذلك فساد حال الكفرة المعاصرين لرسول الله ﷺ؛ إذ حالهم حال من تقدّمهم من نظرائهم الكفّار. و«جعلنا» بمعنى صيّرنا، ومفعولها [الأول] «أكابر مجرميها» و«في كل قرية» المفعول الثاني. و«أكابر» على هذا مضاف إلى «مجرميها». وأجاز أبو البقاء أن يكون «مجرميها» بدلاً من «أكابر». وأجاز ابن عطية أن يكون «مجرميها» المفعول الأول و«أكابر» المفعول الثاني والتقدير: مجرميها أكابر. وما أجازاه خطأ وذهول عن قاعدة نحوية وهو أنّ أفعل التفضيل إذا كان بمِن ملفوظاً بها أو مقدّرة أو مضافة[1] إلى نكرة، كان مفرداً مذكّراً دائماً سواء أكان لمذكر أم لمؤنث، مفرد أو مثنى أو مجموع. فإذا أُنّث أو ثُنّي أو جُمع طابق[2] ما هُوَ له في ذلك ولزمه أحد أمرين: إما الألف واللام، أو الإضافة إلى معرفة.

---

(١) ق: أو مقدّراً أو مضافاً.

(٢) ق: فيما.

وإذا تقرر هذا فالقول بأنّ «مجرميها» بدل من «أكابر»، أو أن «مجرميها» مفعول أول، خطأ لالتزامه أن يبقى «أكابر»[1] مجموعاً وليس فيه ألف ولام، ولا هو مضاف إلى معرفة، وذلك لا يجوز. والهاء في «مجرميها» عائدة على «قرية» فلا يجوز تقديم «أكابر مجرميها» على قوله «في كل قرية». ولام «ليمكروا» لام «كي»، وهي متعلقة بجعلنا. وحذف الممكور به للعلم به. «وما يشعرون» أن وباله يحيق بهم. ولا يعني نفي شعوره على الإطلاق، وهو مبالغة في نفي العلم إذ نفى عنهم الشعور الذي هو يكون للبهائم.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ﴾ قال مقاتل: روي أن الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقًّا لكنت أولى بها منك، لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً. وروي أن أبا جهل [قال]: تُزاحمنا بنو[2] عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كَفَرَسَيْ رِهانٍ قالوا: منّا نبيّ يوحىٰ إليه. والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت. والضمير في «جاءتهم» عائد على الأكابر، وتغيية[3] إيمانهم بقولهم «حتى نؤتى» دليل على تمحّلهم في دعواهم واستبعاد منهم أنّ الإيمان لا يقع منهم البتة، إذ علّقوه بمستحيل عندهم. وقولهم ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ ليس فيه إقرار بالرسل من الله تعالى، وإنما قالوا ذلك على سبيل التهكّم والاستهزاء، ولو كانوا موقنين وغير معاندين لاتّبعوا رسل الله. والمِثْليّة كونهم تجري على يدهم المعجزات فيحيي لهم [١٩٦/ أ] الأموات ويفلق لهم البحر ونحو ذلك كما جرت على أيدي الرسل.

---

(١) ق: الكافر.

(٢) ق: بني.

(٣) غيّا الشيء: جعل له نهاية.

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] هذا استئناف إنكار عليهم، وأنه تعالى لا يصطفي للرسالة إلاّ من علم أنه يصلح لها، وهو أعلم بالجهة التي يضعها فيها، وقد وضعها فيمن اختاره لها، وهو محمد رسول الله ﷺ دون أكابر مكّة كأبي جهل والوليد بن المغيرة ونحوهما. وقالوا: «حيث» لا يمكن إقرارها على الظرفية فتكون مفعولاً على السّعة ولا يعمل فيه «أعلم» إذ أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به، فاحتاجوا إلى إضمار فعل يفسّره «أعلم» تقديره: يعلم حَيث. هكذا قال الحوفي والتبريزي وابن عطية وأبو البقاء. وما أجازوه من أنه مفعول به على السعة أو مفعول به على غير السّعة تأباه قواعد النحو؛ لأن النحاة نصّوا على أن «حيث» من الظروف التي لا تتصرّف، وشذّ إضافة لدى إليها وجرّها بالباء وبفي، ونصّوا على أن الظرف[2] الذي يُتوسّع فيه لا يكون إلا متصرّفاً. وإذا كان الأمر كذلك امتنع نصب «حيث» على المفعول به لا على السعة ولا على غيرها.

والذي يظهر لي إقرار «حيث» على الظرفية المجازية على أن يضمّن «أعلم» معنى ما يتعدى إلى الظرف، فيكون التقدير: الله أنفذ علماً حيث يجعل رسالاته، أي: هو نافذ العلم في الموضع الذي يجعل فيه رسالته، والظرفية هنا مجاز كما قلنا. ﴿سَيُصِيبُ﴾ وعيد شديد. و﴿ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ عام في الأكابر وغيرهم والصَّغار مقابل الأكابر وهو الهوان والذلّ[3]، يقال منه: صغُر يصغُر وصغِر يصغَر واسم الفاعل صاغر وصغير. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في عَرَصة القيامة. وقدّم الصغار على العذاب لأنهم تمرّدوا عن اتّباع رسول

---

(١) ق: رسالاته، وقرأ ابن كثير وحفص بالتوحيد وباقي السبعة على الجمع.

(٢) ق: الظروف.

(٣) ق: والذي.

الله ﷺ وتكبّروا طلباً للعزّ والكرامة، فقوبلوا أوّلاً بالهوان والذلّ. ﴿بِمَا كَانُوا۟﴾ الباء للسبب. وختمها بقوله ﴿يَمْكُرُونَ﴾ مراعاة لقوله «ليمكروا فيها».

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ الآية، [قال] مقاتل: نزلت في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل. والهداية هنا مقابلة الضلال، والشرح كناية عن كونه قابلاً للإسلام متوسعاً لقبول تكاليفه. والضمير في «يجعل» عائد على الله تعالى. ومعنى «يجعل» يصيّر لأن الإنسان يُخلق أوّلاً على الفطرة وهي كونه مهيّأً لما يُلقىٰ إليه ولما يُجعل فيه؛ فإذا أراد الله تعالى إضلاله [أضلّه] وجعله لا يقبل الإيمان. وقرىء: ضَيْقاً، بحذف الياء التي هي عين الكلمة؛ إذ وزنه قبل الحذف فَيْعِل، وبعد الحذف فَيْل[1] كقولهم: لَيّن ولَيْن. ﴿حَرَجًا﴾ اسم فاعل من حرِج يَحْرَج فهو حَرِج. ومن قرأ: حَرَجاً فهو وصف بالمصدر. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ هذه الجملة التشبيهية معناها أنه كما يزاول أمراً غير ممكن، لأن صعود السماء مَثَلٌ فيما يبعد ويمتنع[2] من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة. وقرىء: يَصّاعد ويُصَعِّد ويَصْعد. ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ﴾ الإشارة بذلك إلى المصدر المفهوم من قوله «يجعل». و﴿ٱلرِّجْسَ﴾ بمعنى العذاب، قاله أهل اللغة. وتعدية «يجعل» بعلى يحتمل أن يكون معناها يُلقي كما تقول: جعلتُ متاعك بعضه فوق بعض، وأن يكون بمعنى يصيّر. و«على» في موضع المفعول الثاني.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا

---

(١) ق: فيع.

(٢) ق: يقصد ويمنع.

بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ الإشارة بقوله «وهذا» إلى القرآن والشرع الذي جاء به رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس. وانتصب «مستقيماً» على أنه حال مؤكدة، لأن صراطه تعالى لا يكون إلا مستقيماً. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ أي: بيّنّاها، ولم نترك فيها إجمالاً ولا التباساً. ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتدبّرون بعقولهم.

﴿۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ أي: الجنة. والسلام من أسماء الله تعالى كما قيل في الكعبة بيت الله [١٩٦/ب] وأضيفت إليه تشريفاً، قاله ابن عباس. ومعنى ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: في نزله وضيافته كما تقول: نحن اليوم عند فلان، أي: في كرامته وضيافته. ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ أي: مواليهم أو ناصرهم على أعدائهم أو متولّيهم بالجزاء على أعمالهم.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ[1] جَمِيعًا ﴾ أعرب بعضهم «يوم» مفعولاً باذكر محذوفة. والأولى أن يكون الظرف معمولاً لفعل القول المحكيّ به النّداء: أي ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن، وهو أولى مما أجاز بعضهم من نصبه باذكر مفعولاً به لخروجه عن الظرفية. قال الزمخشري[2]: «ويوم نحشرهم» منصوب بمحذوف، أي: واذكر يوم نحشرهم، أو: ويوم نحشرهم وقلنا: يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته انتهى. وما ذكره يستلزم حذف جملتين: جملة وقلنا وجملة العامل. ويجوز أن يكون «يا معشر» في موضع الحال لقول[3] محذوف تقديره: قائلين، على سبيل التوبيخ لهم، ويكون قوله ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم ﴾ مقولَهم «ربنا» على سبيل الاستعذار، والعامل في «يوم»: «قال النار مثواكم». والضمير في «يحشرهم» عائد على الثقلين، و«جميعاً» توكيد. ومعنى الاستكثار هنا إضلالهم منهم كثيراً وجَعْلهم أتباعهم كما تقول: استكثر فلان من الأشياع. ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ أي: وقال أولياء الجن من الإنس أي: الكفار من الإنس.

﴿ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ ﴾ أي: انتفع بعضنا ببعض. وانتفاع الإنس بالشياطين حيث دلّوهم على الشهوات وعلى التوصّلات إليها، وانتفاع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم في إغوائهم، روي هذا المعنى عن ابن عباس. والأجل الذي بلغوه هو الموت. ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ﴾ أي: مكان

---

(١) ق: نحشرهم، وهي قراءة نافع.

(٢) الكشاف ٢: ٤٩. وعبارته مضطربة في ق ونصّها: ويوم نحشرهم منصوباً بفعل مضمر غير الفعل القول واذكر تقدير عندهم ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاً عنه.

(٣) ق: بفعل.

ثوائكم أي: إقامتكم. قال أبو علي: هو عندي مصدر لا موضع، وذلك لعمله في الحال التي هي «خالدين»، والموضع ليس فيه[١] معنى فعل فيكون عاملاً، والتقدير: النار ذات ثوائكم. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ اضطربت أقوال المفسرين في هذا الاستثناء ولا أراه يصحّ منها شيء، ونظيره الاستثناء الذي في سورة هود وسيأتي الكلام في ذلك[٢]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ هذه صفتان مناسبتان لهذه الآية، لان تخليد هؤلاء الكفرة في النار صادر عن حكمته.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ لما ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين بمعنى أنه يحفظهم وينصرهم، بيّن أن الكافرين بعضهم أولياء بعض في الظلم والخزي. قال قتادة: يجعل بعضهم وليّ بعض في الكفر والظلم، يريد ما تقدّم من ذكر الجن والإنس واستمتاع بعضهم ببعض.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ هذا النداء أيضاً يوم القيامة، والاستفهام للتوبيخ والتقريع حيث أعذر الله إليهم بإرسال الرسل، فلم يقبلوا منهم. والظاهر أنّ من الجن رسلاً إليهم، وقيل: رسل الجن هم رسل الإنس فهم رسل الله بواسطة إذ هم رسل رسله[٣]، ويؤيده قوله تعالى ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف] قاله ابن عباس. ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ الظاهر أن هذه حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله «ألم يأتكم» لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار، فكان تقريراً [لهم]. والمعنى: قالوا شهدنا على أنفسنا بإتيان

---

(١) ق: فيها.

(٢) انظر تفسير الآيتين ١٠٧ و١٠٨ من سورة هود.

(٣) يريد ما روي من أن قوماً من الجن استمعوا إلى الأنبياء ثم عادوا إلى قومهم فأخبروهم كما جرى لهم مع الرسول، فيقال لهم رسل الله وإن لم يكونوا رسله حقيقة. انظر البحر ٤: ٢٢٢.

الرسل إلينا وإنذارهم إيّانا هذا اليوم. وهذه الجملة نابت مناب بلى هنا، وقد صرّح بها في قوله ﴿قَالُوا بَلَىٰ ۝٣٠﴾ [الأنعام]. أقروا بأن حجّة الله تعالى لازمة لهم وأنهم محجوجون بها. ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ هذا إخبار عنهم من الله تعالى وتنبيه على السبب الموجب لكفرهم وإفصاح لهم [١٩٧/أ] بأذمّ الوجوه الذي هو الخداع.

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: لِمَ كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم؟ قلت: الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون، والثانية ذمٌّ لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلّة نظرهم، وأنهم قوم غرّتهم الحياة الدنيا واللّذات الحاضرة، وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربّهم واستيجاب عذابه، وإنما قال [ذلك] تحذيراً للسامعين [من] مثل حالهم، انتهى. لم تتكرر الشهادة لاختلاف المُخبِر ومتعلّقها؛ فالأولى إخبارهم عن أنفسهم، والثانية إخباره تعالى عنهم. والأولى متعلّقها الإقرار بإتيان الرسل إليهم قاصّين[٢] ومنذرين، والثانية إخباره تعالى أنهم شهدوا على أنفسهم بالكفر، فهذه الشهادة غير الأولى.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ الآية، الإشارة بـ«ذلك» إلى أقرب مذكور دلّ عليه الكلام وهو إتيان الرسل قاصّين الآيات ومنذرين بالحشر والحساب والجزاء، بسبب انتفاء إهلاك القرى بظلمٍ وأهلُها لم يُنبَّهوا ببعثة الرسل إليهم والإعذار إليهم والتقدم بالإخبار بما يحلّ بهم إذا لم يتّبعوا الرسل. وفي الحديث[٣] «ليس أحد أحبّ إليه العذر من الله تعالى، فمن أجل

---

(١) الكشاف ٢: ٥١.

(٢) ق: قاصدين.

(٣) أخرجه مسلم ٤: ٢١١٤ من حديث عبد الله بن مسعود.

ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل».

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: ولكلٍّ من المكّلفين مؤمنهم وكافرهم درجات متفاوتة من جزاء أعمالهم وتفاوتها بنسبة بعضهم إلى بعض، وبنسبة عمل كل عامل، فيكون هو في درجة، فيترقّى إلى أخرى كاملة ثم إلى أكمل. والظاهر اندراج الجن في العموم في الجزاء كما اندرجوا في التكليف وفي إرسال الرسل إليهم. قال ابن عباس: جزاء مؤمني الجن إجارتهم من النار. وقال أبو حنيفة: ليس للجن ثواب لأن الثواب فضل من الله فلا يقال به لهم إلاّ ببيان من الله، ولم يذكر الله تعالى في حقّهم إلاّ عقوبة عاصيهم لا ثواب طائعهم. وخالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد فقالا: لهم ثواب على الطاعات وعقاب على المعاصي، ودليلهما عمومات الكتاب والسنّة. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾ أي: ليس بساهٍ، تخفى عليه مقادير الأعمال وما يترتب عليها من الأجور، وفي ذلك تهديد ووعيد.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ لمّا ذكر تعالى من أطاع ومن عصى، والثواب والعقاب، ذكر أنه هو الغني من جميع الجهات، لا تنفعه الطاعة، ولا تضرّه المعصية. ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ هذا فيه إظهار القدرة التامة والغنى المطلق. والخطاب عام للخلق كلهم كما قال تعالى ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء] فالمعنى: إن يشأ إفناء هذا العالم واستخلاف ما يشاء من الخلق غيرهم فعل. و﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ في موضع مصدر على غير المصدر لقوله «ويستخلف»، لأن معناه: وينشىء. والمعنى: إن يشأ الإذهاب والاستخلاف يذهبكم ويستخلف، فكلٌّ من الإذهاب والاستخلاف معذوق[1] بمشيئته تعالى. و«من» لابتداء الغاية.

---

(١) أي: متصل بها ومتعلق.

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾ ظاهر «ما» العموم في كلّ ما يوعدونه. والإشارة إلى هذا الوعيد المتقدم خصوصاً، وإما أن تكون للعموم مطلقاً. ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ أي: فائتين، [يقال]: أعجزني الشيء، أي: فاتني. أي: لا تفوتوننا عمّا أردنا بكم.

﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ ﴾ قرىء: على مكاناتكم، على الجمع حيث وقع. فمَن جَمعَ قابل جمع المخاطبين [بالجمع] ومن أفرد فعلى الجنس. والمكانة مصدر مكن، فالميم أصلية وبمعنى المكان. ويقال: المكانة مفعل ومفعلة من الكون، فالميم زائدة. فيحتمل أن [١٩٧/ ب] يكون المعنى: على تمكّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم. والظاهر أن «من» مفعول بتعلمون، وأجازوا أن تكون مبتدأ اسم استفهام وخبره «تكون» والفعل معلّق والجملة في موضع المفعولين معدّى إلى مفعولين. و﴿ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ ﴾ مآلها وما تنتهي إليه. و«الدار» يظهر منه أنها دار الآخرة.

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝١٣٦ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ۝١٣٧ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝١٣٨ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ۝١٣٩ قَدۡ خَسِرَ

﴿الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ روى ابن عباس وغيره أن العرب كانت تجعل من غلّاتها وزروعها وأثمارها وأنعامها جزءاً تسمّيه لله تعالى وجزءاً تسمّيه لأصنامها، وكانت عادتها أن تبالغ وتجتهد في إخراج نصيب الأصنام أكثر منها في نصيب الله، إذ كانوا يعتقدون أن الأصنام بها فقر وليس ذلك بالله تعالى. فكانوا إذا جمعوا الزّرع فهبّت الرّيح فحملت من الذي لله إلى الذي لشركائهم تركوه ولم يردّوه إلى نصيب الله تعالى، ويفعلون عكس هذا. وإذا تفجّر من سقيٍ ماءٌ جعلوه لله، في نصيب شركائهم تركوه، وبالعكس سدّوه. وإذا لم ينجح شيء من نصيب آلهتهم، جعلوا نصيب الله تعالى لها، وكذا في الأنعام. وإذا أجدبوا أكلوا نصيب الله، وتركوا نصيبها. لمّا ذكر الله تعالى قُبح طريقة مشركي العرب في إنكارهم البعث، ذكر أنواعاً من جهالاتهم تنبيهاً على ضعف عقولهم.

وفي قوله تعالى «مما ذرأ» أنه تعالى كان أولى أن يُجعل له الأجود والأحسن وأن يكون جانبه تعالى هو الأرجح؛ إذ كان تعالى هو الموجِد لما جعلوا له منه نصيباً والقادر على تنميته دون أصنامهم العاجزة عمّا يحلّ بها، فضلاً عن أن تخلق شيئاً أو تنمّيه. ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ هذا ذمّ بالغ عامّ لأحكامهم، فيندرج فيه حكمهم هذا السابق وغيره، أو في إيثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم ما لم يُشرع لهم. و«ما» مصدرية و«ساء» متعدّية حذف مفعولها لدلالة المعنى تقديره: ساءهم حكمُهم، أي: جلب لهم السوء.

وقد ذكروا في «ما» إعراباً غير ما ذكرناه منبّهاً عليه في البحر[١]. وقال ابن عطية: و«ما» في موضع رفع كأنه قال: ساء الذي يحكمون. ولا يتّجه عندي أن يُجرى هنا «ساء» مجرى بئس ونعم لأن المفسَّر هنا مضمر، ولا بدّ من إظهاره باتفاق من النحاة، وإنما اتجه أن يُجرى مجرى بئس في قوله ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ [الأعراف] لأن المفسَّر ظاهر في الكلام [انتهى].

هذا قول من شدا يسيراً من العربية، ولم ترسخ قدمه فيها؛ بل إذا جرت «ساء» مجرى نعم وبئس كان حكمها حكمها[٢] سواء، لا تختلف في شيء البتّة من فاعل مضمر أو ظاهر وتمييز. ولا خلاف في جواز حذف المخصوص بالمدح والذم والتمييز فيها لدلالة الكلام عليه. فقوله «لأن المفسَّر هنا مضمر ولا بدّ من إظهاره باتفاق النحاة» إلى آخره كلام ساقط، ودعواه الاتفاق - [مع أن الاتفاق] على خلاف ما ذكر - عجبٌ عُجاب!.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية، الإشارة بـ«ذلك» إلى المصدر المفهوم من قوله «وجعلوا لله» تقديره: ومِثْلُ ذلك الجَعْل في التزيين زيّن لكثير ﴿قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالوأد، وبنحرهم للآلهة. وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد لي كذا غلاماً لينحرنّ أحدهم، كما حلف عبد المطّلب. وقرىء: زَيَّن مبنيًا [للفاعل، والفاعل «شركاؤهم» و«قَتْلَ» مصدر مضاف للمفعول. وقرىء: زُيِّن مبنيًا] للمفعول، و«قَتْلُ» مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله، و«شركاؤهم» مرفوع بفعل محذوف يدل عليه ما قبله تقديره: زَيّنه شركاؤهم. ونظيره قراءة «يُسَبَّح له»[٣] مبنيًا للمفعول،

---

(١) انظر ٤: ٢٢٨.

(٢) ق: حكمها.

(٣) ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝ رِجَالٌ﴾ [النور].

و«رجال» فاعل بفعل محذوف يدلّ عليه ما قبله تقديره: يسبّحه رجال. وقرأ ابن عامر كذلك إلا أنه [١٩٨/أ] نصب «أولادهم» وجرّ «شركائِهم»، فصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل والمفعول. وهي مسألة مختلف في جوازها؛ فجمهور البصريين يمنعونها، متقدموهم ومتأخّروهم، ولا يجيزون ذلك إلّا في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح، لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصّريح المحض ابن عامر الآخذِ القرآنَ عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب، ولوجودها أيضاً في لسان العرب في عدة أبيات، من ذلك قول الشاعر[1]: [من م. الكامل]

فَـزَجَجْتُهـا بِمِـزَجَّـةٍ زَجَّ القلوصَ أبي مَزادَه

قال الزمخشري[2]: والفصل بينهما - يعني المضاف والمضاف إليه - [بغير الظرف فشيء] لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً كما سَمُج ورُدَّ [في]:

زجّ القلوص أبي مزادة

فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته؟. والذي حمله على ذلك أنه [رأى] في بعض المصاحف «شركائهم» مكتوباً بالياء. ولو قرىء بجرّ الأولاد والشركاء - لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم - لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب، انتهى.

---

(١) البيت غير منسوب في الخصائص ٢: ٤٠٦ ومعاني القرآن ١: ٣٥٨، وانظر تعليق الفراء ٢: ٨١، والكتاب ١: ١٧٦.

(٢) الكشاف ٢: ٥٤.

أعجب من عجمي ضعيف في النحو يردّ على عربي صريحٍ محضٍ قراءةً متواترة موجوداً نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيّرتهم هذه الأمّة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم [ومعرفتهم] وديانتهم.

﴿ لِيُرْدُوهُمْ ﴾ [ليهلكوهم] من الردى وهو الهلاك. ﴿ وَلِيَلْبِسُوا ﴾ ليخلطوا. و﴿ دِينَهُمْ ﴾ ما كانوا عليه من دين إسماعيل حتى زلّوا عنه إلى الشّرك. ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾ الظاهر عَوْد الضمير إلى القتل، لأنه المصرّح به والمحدَّث عنه. والواو في «فعلوه» عائدة على الكثير. ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: يختلقون من الإفك على الله تعالى والأحكام التي يشرعونها[1]، وهو أمر تهديد ووعيد. و«ما» مصدرية أي: وافتراءهم، أو موصولة بمعنى الذي، والعائد من الصلة محذوف تقديره: يفترونه.

﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ أعلَمَ تعالى بأشياء مما شرعوها وتقسيمات ابتدعوها والتزموها على جهة الفرية والكذب منهم على الله تعالى: أفردوا من أنعامهم وزروعهم وأثمارهم أشياء، وقالوا: هذا حِجْر أي: حرام ممنوع. والحِجْر بمعنى المحجور كالذِّبْح والطِّحْن. والضمير في «يطعمها» عائد على الأنعام والحرث. ومفعول «نشاء» محذوف تقديره: من نشاء طعمه، قيل هم الرجال دون النساء، وقيل هم سدنة الأصنام وخَدَمَتُها. ﴿ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ هي البحائر والسوائب والحوامي، وتقدم تفسيرها في المائدة[2]. ﴿ وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ أي: عند الذبح. وقال أبو وائل وجماعة: لا يحجّون عليها ولا يُلَبُّون، كانت تُركب في كل وجه إلا الحج.

---

(١) ق: والأحكام الذي يشرعوها.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠٣ من المائدة.

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ أي: اختلاقاً وكذباً على الله تعالى حيث قسموا هذه الأنعام هذا التقسيم، ونسبوا ذلك إلى الله تعالى. وانتصب «افتراءً» على أنه مفعول من أجله، أو مصدر على إضمار فعل، أي: يفترون.

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وهي الأجنّة، يقولون في أجنّة البحائر والسوائب ما ولد منها حيًّا، فهو خالص للذكور، ولا تأكل منه الإناث، وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث. وقيل: ما في [١٩٨/ب] بطونها: اللبن. وقال الطبري[١]: اللفظ يعمّ الأجنّة واللبن انتهى. والظاهر الأجنّة لأنها التي في البطن حقيقة، وأما اللبن ففي الضرع لا في البطن إلا بمجاز بعيد. «ما» مبتدأ خبره «خالصة» أُنّث على المعنى، ثم ذُكّر في قوله «ومحرّم» حملاً على لفظ ما. وقرىء: خالصةً، بالنصب على الحال، وخالصاً، بالنصب على الحال أيضاً، وقرىء: خالصٌ، بالرفع بغير تاء خبر لِمَا. «لذكورنا» متعلق بخالص أو بخالصة.

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ كانوا إذا خرج الجنين ميتاً اشترك في أكله الرجال والنساء، وكذلك ما مات من الأنعام الموقوفة نفسها. وقرىء: وإن تكن، بتاء التأنيث، ميتةً بالنصب، أي: وإن تكن الأجنّة التي تخرج ميتةً. وقرىء: وإن يكن، بالتذكير، ميتةٌ بالرفع على أنّ كان تامّة، وأجاز الأخفش أن تكون الناقصة، وجعل الخبر محذوفاً، التقدير: إن يكن في بطونها ميتةٌ. قال الزمخشري[٢]: وقرأ أهل مكّة: وإن تكن ميتةٌ، بالتأنيث والرفع، انتهى. إن عنى بقوله «أهل مكة» ابن كثير فهو وهم، وإن عنى غيزه من أهل مكة فيمكن أن يكون نقلاً صحيحاً. وهذه القراءة التي عزاها

---

(١) تفسيره ٨: ٣٦.

(٢) الكشاف ٢: ٥٥.

الزمخشري لأهل مكة هي قراءة ابن عامر. ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ أي: جزاء وصفهم.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ ﴾ كان جمهور العرب لا يئدون بناتهم وكان بعض ربيعة ومضر يئدونهنّ وهو دفنهنّ أحياء، فبعضهم يئد خوف العَيْلة والإقتار، وبعضهم خوف السّبي، فنزلت هذه الآية في ذلك إخباراً بخسران فاعل ذلك. ولما تقدّم تزيين قتل الأولاد وتحريم ما حرّموه في قولهم «هذه أنعام وحرثٌ حِجْر» جاء هنا تقديم قَتْل الأولاد وتلاه التحريم. وفي قوله ﴿ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ إشارة إلى خفة عقولهم وجهلهم بأن الله تعالى هو الرازق والمقدّر السبي وغيره.

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ

أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها [أن الله تعالى] لما أخبر عنهم أنهم حرّموا أشياء مما رزقهم الله، أخذ يذكر ما امتنّ به عليهم من الرزق الذي تصرّفوا فيه بغير إذنه تعالى، افتراءً منهم عليه واختلاقاً؛ فذكر نوعي الرزق النباتي والحيواني [فبدأ بالنباتي كما بدأ به في الآية المشبهة لهذا[١]، واستطرد منه إلى الحيواني] إذ كانوا قد حرّموا أشياء من النوعين. ويقال: عرشت الكرم، إذا جعلت له دعائم وسَمْكاً، تنعطف عليه القضبان. ﴿وَٱلنَّخْلَ﴾ قدّمه على الزّرع، لأن العرب كانت أحوج إليه، إذ كانت غالب أقواتهم. واختلاف أُكُله وهو المأكول، هو بأنّ لكل نوعٍ من أنواع النخل والزرع طعماً ولوناً وحجماً ورائحة يخالف به النوع الآخر، والمعنى: مختلفاً أكل ثمره. وانتصب «مختلفاً» على أنه حال مقدّرة، لأنه لم يكن وقت الإنشاء مختلفاً.

قال الزمخشري[٢]: والضمير في «أُكُله» عائد على النخل والزرع، وأُفرد لدخوله في حكمه بالعطف انتهى. هذا ليس بجيد، لأن العطف بالواو لا يجوّز إفراد ضمير المتعاطفين.

وقال الحوفي: والهاء في «أكله» عائدة على ما تقدم من ذكر هذه الأشياء المنشآت انتهى. وعلى هذا لا يكون ذو الحال النخل والزرع فقط بل جميع ما أنشأ، لاشتراكها كلّها في اختلاف المأكول. ولو كان كما زعم لكان

---

(١) الآية ١٣٦ السابقة.

(٢) الكشاف ٢: ٥٦، والعبارة فيه بالمعنى.

التركيب: مختلفاً أُكُلها، إلاّ إن أُخذ على حذف مضاف أي: ثمر جنّات، وروعي هذا المحذوف فقيل: أُكُله بالإفراد على مراعاته، فيكون ذلك نحو قوله ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ [النور] أي: أو كذي ظلمات. والظاهر عَوْده على أقرب مذكور وهو الزرع، فتكون قد [١٩٩/أ] حذفت حال النخل لدلالة هذه الحال عليها، التقدير: النخل مختلفاً أُكُله والزرع مختلفاً أُكله، كما في: زيد وعمرو قائم. وتقدّم الكلام على قوله ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ [الأنعام].

﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ لمّا كان مجيء تلك الآية في معرض الاستدلال بها على الصانع وقدرته، والحشر وإعادة الأرواح إلى الأجساد بعد العدم، وإبراز الجسد وتكوينه من العظم الرميم، وهو عجب الذَّنَب - قال ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام] إشارة إلى الإيجاد أوّلاً وإلى غايته. وهنا لمّا كان معرض الغاية الامتنان وإظهار الإحسان بما خلق لنا قال «كلوا من ثمره إذا أثمر» فحصل بمجموعهما الحياة الأبديّة والحياة الدنيوية السريعة الانقضاء، وتقدّم النظر، وهو الفكر، على الأكل لهذا السبب. وهذا أمر بإباحة الأكل، واستُدلّ به على أن الأصل في المنافع الإباحة والإطلاق، وقيّده بقوله «إذا أثمر» وإن كان من المعلوم أنه إذا لم يثمر فلا أكل، تنبيهاً على أنه لا ينتظر به محلّ إدراكه واستوائه، بل متى أمكن الأكل منه فعل.

﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ والذي يظهر عَوْد الضمير على ما عاد عليه «من ثمره» وهو جميع ما تقدّم ذكره مما يمكن أن يؤكل إذا أثمر. والحقّ هنا مجمل، واختُلف فيه، أهو الزكاة أم غيرها. وقرىء: حصاده، بفتح الحاء وكسرها. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ روى ابن عباس أن ثابت بن قيس بن شماس جذّ[1]

---

(١) أي: قطع.

خمس مئة نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً فنزلت[١]. ولمّا أمر تعالى بالأكل من ثمره وبإيتاء حقّه نهى عن مجاوزة الحدّ فقال «ولا تسرفوا»، وهذا النهي يتضمن أفراد الإسراف فيدخل فيه الإسراف في أكل الثمرة حتى لا يبقى منها شيء للزكاة، والإسراف في الصدقة بها حتى لا يُبقي لنفسه ولا لعياله شيئاً.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ هذا معطوف على «جنّات» [أي]: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً. والحمولة ما يُحمل عليه من الإبل والبقر، والحمولة الأحمال، ويقال الحَمول بفتح الحاء بمعنى الحمولة، قال الشاعر[٢]:

[من الكامل]

حَـيِّ الحَمـولَ بجـانـب العَـزْلِ [إذ لا يـلائـم شَكْلُهـا شَكْلـي]

والفرش: الغنم. وقدّم الحمولة على الفرش، لأنها أعظم في الانتفاع، إذ ينتفع بها في الأكل والحمل.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ تقدم تفسير ما أحلّ المشركون وما حرّموا ونسبتهم ذلك إلى الله تعالى[٣]. فلمّا قام الإسلام، وثبتت الأحكام، جادلوا النبي ﷺ، وكان خطيبهم مالك بن عوف بن أبي الأحوص الجشمي فقال: يا محمد، بَلَغنا أنك تُحلّ أشياء. فقال له: إنكم قد حرّمتم أشياء على غير أصل وإنما خلق الله تعالى هذه الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها، فمن أين جاء هذا التحريم، أمِن قِبَل الذكر أم من قبل الأنثى؟ فتحيّر مالك بن عوف وسكت. [وقوله] «ثمانية أزواج» بدل من قوله «حمولة وفرشاً». ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ﴾ هو

---

(١) انظر لباب النقول ص١٠٤.

(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٢٣٦.

(٣) انظر تفسر الآيتين ١٣٨، ١٣٩ من السورة.

معروف بسكون الهمزة وفتحها، ويقال: ضئين، وكلاهما اسم جمع لضائنة وضائن. ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ هو معروف بسكون العين وفتحها، ويقال: مِعيز ومِعزى وهي أسماء جموع لماعزة وماعز وأمعوز.

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وهذا الاستفهام هو استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع[١] حيث نسبوا ما حرّموه إلى الله تعالى. وكانوا يحرّمون الذكور[٢] مرّة والإناث مرّة، ومرّة أولادها ذكوراً وإناثاً ومختلطة، فبيّن تعالى أن هذا التقسيم هو من قبل أنفسهم لا من قبله تعالى. ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ﴾ أي: إن كنتم صادقين في نسبة ذلك التحريم إلى الله، فأخبروني عن الله تعالى بعلم، لا بافتراء [١٩٩/ب] ولا بتخرّص، وأنتم لا علم لكم بذلك، إذ لم يأتكم بذلك وحي من الله تعالى، فلا يمكن منكم تنبئة بذلك. وفصل بهذه الجملة المعترضة بين المتعاطفين على سبيل التقريع لهم والتوبيخ، حيث لم يستندوا في تحريمهم إلا إلى الكذب البحت والافتراء.

[﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ﴾] الإبل: الجمال للواحد والجمع، ويجمع على آبال، وتأبّل الرجل: اتخذ إبلاً. وقولهم: ما أبلّ الرجل، في التعجب، شاذ. وقدّم الإبل على البقر لأنها أغلى ثمناً وأغنى نفعاً في الرحلة وحمل الأثقال عليها، وأصبر على الجوع والعطش، وأطوع وأكثر انقياداً في الإناخة والإثارة. ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ انتقل من توبيخهم في نفي علمهم بذلك إلى توبيخهم في نفي شهادتهم، وذلك وقت توصية الله إياهم بذلك، لأن مُدْرَك الأشياء المعقول والمحسوس، فإذا انتفيا فكيف يحكم بتحليل أو تحريم؟.

(١) ق: وتقرير.

(٢) ق: الذكر.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ممّن افترى على الله كذباً فنسب إليه تحريم ما لم يحرّمه، فلم يقتصر على افتراء الكذب في حقّ نفسه وضلالها حتى قصد بذلك ضلال غيره، فسنّ هذه السنّة الشنعاء، وغايته بها إضلال الناس، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نفى هداية من وجد منه الظلم، فكان مَن فيه الأظلمية أولى بأن لا يهديه. وهذا عموم في الظاهر، وقد تبيّن تخصيصه مما يقتضيه الشرع.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية، لمّا ذكر أنهم حرّموا ما حرّموا افتراءً على الله، أمره تعالى أن يخبرهم بأن مُدْرَك التحريم إنما هو بالوحي من الله تعالى وبشرعه لا بما تهوى الأنفس وما تختلقه على الله تعالى. وجاء الترتيب هنا كالترتيب الذي في البقرة والمائدة[1]، وجاء هنا هذه المحرّمات منكّرة والدم موصوفاً بقوله «مسفوحاً» والفسق موصوفاً بقوله «أهلّ لغير الله به»، وفي تينك السّورتين معرّفاً؛ لأن هذه السورة مكّية فعلق بالمنكّر، وتانك السورتان مدنيتان فجاءت تلك الأسماء معارف بالعهد وحوالة على ما سبق تنزيله في هذه السورة. و﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ استثناء منقطع لأنه كون والمحرّم عين من الأعيان. ويجوز أن يكون بدلاً على لغة بني تميم، ونصباً على لغة الحجاز كقوله تعالى ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۝١٥٧﴾ [النساء] لأن اتّباع الظن ليس بعلم، فهو استثناء منقطع. واسم كان ضمير مذكر، يعود على محرّم تقديره: إلّا أن يكون المحرّم ميتةً.

ومعنى ﴿مَّسْفُوحًا﴾ أي: مصبوباً سائلاً كالدم في العروق لا كالطحال والكبد، وقد رُخّص في دم العروق بعد الذبح. وقيل لأبي مجلز: القِدْر تعلوها الحمرة من الدم. فقال: إنما حرّم الله تعالى المسفوح. وفي قوله «أو

---

(١) انظر ٢: ١٧٣، ٥: ٣.

دماً مسفوحاً» دلالة على أن دم البقّ والبراغيث والذباب ليس بنجس لأنه ليس بمسفوح. والظاهر أن الضمير في «فإنه» عائد على «لحم خنزير» وزعم أبو محمد بن حزم أنه عائد على «خنزير» فإنه أقرب مذكور، وإذا احتمل الضمير العَوْد على شيئين، كان عَوْده على الأقرب أرجح. وعورض بأن المحدَّث عنه إنما هو اللحم، وجاء ذكر الخنزير على سبيل الإضافة إليه، لا أنه هو المحدَّث عنه المعطوف. ويمكن أن يقال: ذكر اللحم تنبيهاً على أنه أعظم ما ينتفعُ به من الخنزير، وإن كان سائره مشاركاً له في التحريم بالتّنصيص على العلّة من كونه رجساً، أو لإطلاق الأكثر على كلّه، أو الأصل على التابع، لأن الشّحم أو غيره تابع للّحم.

﴿أَوْ فِسْقًا﴾ معطوف على ما قبله. قال الزمخشري[1]: فـ«فسقاً» منصوب على أنه مفعول من أجله مقدّم على العامل فيه وهو «أُهلّ» كقوله[2]:

[من الطويل]

طَرِبْتُ وما [شوقاً] إلى البِيضِ أَطْرَبُ [ولا لَعِباً منّي وذو الشّوق يَلْعَبُ]؟

[٢٠٠/أ] وفصل بين «أو» و«أهلّ» بالمفعول له انتهى.

هذا إعراب متكلّف جدًّا، وتركيب هذا[3] الإعراب خارج عن الفصاحة وغير جائز على قراءة من قرأ: إلا أن يكون ميتةٌ، بالرفع فيبقى الضمير في «به» ليس له ما يعود عليه، ولا يجوز أن يُتكلّف محذوف حتى يعود الضمير عليه، فيكون التقدير: أو شيء أُهلّ لغير الله به، لأن مثل هذا لا يجوز إلاّ في ضرورة الشعر. وسمّي ما «أهل لغير الله به» فسقاً لتوغّله في باب الفسق،

(١) لم أجده في الكشاف.

(٢) البيت للكميت في الهاشميات ص٣٦، وانظر الأغاني ١٦ : ٣٤٩.

(٣) ق: وتركيب على هذا.

ومنه ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ [اسْمُ] اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام] و﴿ أُهِلَّ ﴾ في موضع الصفة له.

واختلفوا في هذه الآية أهي محكمة، وهو قول الشعبي وابن جبير، فعلى هذا لا شيء محرّم من الحيوان إلا فيها، وليس هذا مذهب الجمهور، وقيل هي منسوخة بآية المائدة[1]. وينبغي أن يفهم هذا النسخ بأنه نسخ للحصر فقط. وقيل: جميع ما حُرّم داخل في الاستثناء سواء كان بنصّ قرآن أم حديث عن رسول الله ﷺ بالاشتراك في العلّة التي هي الرجسيّة. والذي نقوله إن الآية مكيّة وجاءت عقب قوله «ثمانية أزواج»، وكان الجاهلية يحرّمون ما يحرّمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي من هذه الثمانية، فالآية محكمة وأخبر فيها أنه لم يجد فيما[2] أوحي إليه إذ ذاك من القرآن سوى ما ذكر، ولذلك أتت صلة «ما» جملةً مصدَّرة بالفعل الماضي، فجميع ما حُرّم بالمدينة لم يكن إذ ذاك سبق منه وحيٌ فيه بمكّة، فلا تعارض بين ما حُرّم بالمدينة وبين ما أخبر أنه أوحي إليه بمكّة تحريمه. وذكر الخنزير وإن لم يكن من ثمانية الأزواج لأنّ من الناس من كان يأكله إذ ذاك، ولأنه أشبه شيء بثمانية الأزواج في كونه ليس سبعاً مفترساً، يأكل اللحوم، ويتغذى بها، وإنما هو من نمط الثمانية في كونه يعيش بالنبات، ويرعى كما ترعى الثمانية. وذكر المفسّرون أشياء مما اختلف أهل العلم فيه ذكرناه في البحر المحيط[3].

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ تقدّم تفسير مثل هذا[4]. ولما كان صدر الآية مفتتحاً

---

(١) الآية ٣ من المائدة.

(٢) ق: فيها.

(٣) انظر ٤: ٢٤٢.

(٤) انظر البقرة ٢: ١٧٣.

بخطابه تعالى بقوله «قل لا أجد» اختتم الآية بالخطاب فقال «فإنّ ربك» وذلك [يدلّ] على اعتنائه به بتشريف خطابه افتتاحاً واختتاماً.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه لمّا بيّن أنّ التحريم إنما يستند للوحي الإلهي، أخبر أنه حرّم على بعض الأمم السابقة أشياء، كما حرّم على أهل هذه الملّة أشياء، مما ذكرها في الآية قبل. فالتحريم إنما هو راجع إلى الله تعالى في الأمم جميعها. وفي قوله «حرّمنا» تكذيب لليهود في قولهم إن الله لم يحرّم علينا شيئاً، وإنما حرّمنا على أنفسنا ما حرّمه إسرائيل على نفسه. قال ابن عباس وجماعة: هي ذوات الظلف كالإبل والنّعام وما ليس بذي أصابع منفرجة كالوزّ والبطّ ونحوهما، واختاره الزّجاج.

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ﴾ «من» متعلّقة بحرّمنا، والضمير المثنّى في شحومهما عائد على البقر والغنم. ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي: إلا الشحم الذي حملته ظهور البقر والغنم، قال ابن عباس: هو ما علق بالظهر من الشحم، وبالجنب من داخل بطونهما. و«ما» موصولة والضمير العائد على «ما» محذوف تقديره: حملته الحوايا، إن قُدّر وزنها فواعل فجمع حاوية كراوية وروايا، أو جمع حاوياء كقاصعاء وقواصع[1]. وإن قُدّر وزنها فعائل فجمع حويّة كمطيّة ومطايا، وتقرير صيرورة ذلك إلى حوايا مذكور في علم التصريف. وهي الدوارة التي تكون في بطن الشياه. قال علي بن عيسى الرّماني: هو كل ما يحويه البطن فاجتمع واستدار. وقال ابن عباس وجماعة: هي المباعر.

---

(١) القاصعاء: حجر اليربوع والجمع قواصع.

قال الزمخشري[1]: و«أو» في «أو الحوايا» بمنزلتها في قولهم: جالس [٢٠٠/ب] [الحسن[2] أو ابن سيرين انتهى. الذي قاله النحويون إنّ «أو» في هذا المثال للإباحة، فيجوز له أن يجالسهما معاً وأن يجالس أحدهما. والأحسن في الآية إذا قلنا إن ذلك معطوف على «شحومهما» أن تكون «أو» فيه للتفصيل، فصّل بها ما حرّم عليهم من البقر والغنم. ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ﴾ معطوف على «ما حملت ظهورهما». ﴿بِعَظْمٍ﴾ هو شحم الإلية لأنه على العصعص، قاله السدّي وابن جريج. ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ «ذلك» إشارة إلى المصدر الدالّ عليه التحريم كأنه قال: ذلك التحريم جزيناهم. ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ إخبار عمّا حرّم الله تعالى عليهم لا أن ذلك من تحريم إسرائيل.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ الظاهر عَوْد الضمير على أقرب مذكور وهم اليهود، أي: فإن كذّبوك فيما أخبرتَ به أنه تعالى حرّمه عليهم، وقالوا لم يحرّمه الله تعالى، وإنما حرّمه إسرائيل. ﴿فَقُل﴾ متعجباً من حالهم ومعظماً لافترائهم مع علمهم بما قلت. ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة مع شدة هذا الجرم، كما تقول عند رؤية معصية عظيمة: ما أحلم الله تعالى، وأنت تريد: لإمهاله العاصي. و﴿ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ عام فيندرج فيه مكذّبو الرسول وغيرهم من المجرمين، ويحتمل أن يكون من وقوع الظاهر موقع المضمر أي: ولا يُردّ بأسه عنكم. وجاء معمول «قل» الأول جملة اسمية لأنها أبلغ في الإخبار من الجملة الفعلية، فناسبت الأبلغيّة في وصفه تعالى بالرحمة الواسعة. وجاءت الجملة الثانية فعلية ولم تأت اسمية فيكون التركيب: وذو بأس؛ لئلا يتعادل الإخبار عن الوصفين، وباب الرحمة

---

(١) الكشاف ٢: ٥٨.

(٢) بداية سقط ورقة من الأصل استدركت من المطبوع.

أوسع، فلا تعادل.

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الآية، هذا إخبار بمستقبلٍ وقد وقع، وفيه إخبار بمغيّبٍ معجزةً لرسول الله ﷺ، فكان كما أخبر به تعالى. وهذا القول ورد منهم حين بطل احتجاجهم، وثبت الرّد عليهم فعدلوا إلى أمر حقّ، وهو أنه لو أراد الله تعالى أن لا يقع شيء من ذلك، لم يقع. وأورد ذلك على سبيل الحوالة على المشيئة والمقادير، مغالطةً وَحَيْدَةً عن الحقّ وإلحاداً لا اعتقاداً صحيحاً. و«الذين أشركوا» عام في مشركي قريش وغيرهم. ومفعول «شاء» محذوف تقديره: لو شاء الله عدم إشراكنا ما أشركنا. «ولا آباؤنا» معطوف على الضمير في «أشركنا» ولم يُحْتَجْ إلى توكيد إذ فَصل بين الضمير والمعطوف عليه لفظة «لا» ولو كان في [غير] القرآن لاحتيج إلى فصل بالضمير كما تقول: ما قمنا نحن وزيد، وهذا على مذهب أهل البصرة، والكوفيون لا يشترطون الفصل بالضمير في العطف.

﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: مِثْلُ ذلك التكذيب المشار إليه في قوله «فإن كذّبوك» كذَّبَتِ الأمم السالفة. فمتعلّق التكذيب هو غير قولهم «لو شاء الله ما أشركنا» أي: بنحو هذه الشبهة من ظنّهم أنّ تَرْكَ الله لهم دليل على رضاه بحالهم. ﴿ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ﴾ غاية لامتداد التكذيب إلى وقت

العذاب، لأنه إذا حلّ العذاب لم يبق تكذيب ألبتة. ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ هذا استفهام على معنى التهكم بهم، وهو إنكار أي: ليس عندكم من علم تحتجّون به فتظهرونه لنا، ما تتبعون في دعاواكم إلا الظن الكاذب الفاسد، وما أنتم إلا تكذبون أو تقدّرون وتحزرون. و«من علم» مبتدأ زيدت فيه «مِن» و«عندكم» الخبر. فتخرجوه جواب الاستفهام، وهو منصوب بحذف النون كقوله تعالى ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ ۝٥٣﴾ [الأعراف]. و﴿إن﴾ في الموضعين نافية تقديره: ما تتبعون، وما أنتم.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ أي: البالغة في الاحتجاج الغالبة كل حجّة، حيث خلق عقولاً يُفكَّر بها وأسماعاً يُسمعَ بها وأبصاراً يُبصَر بها، وكلّ هذه مدارك للتوحيد ولاتّباع ما جاءت به الرسل عن الله تعالى.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ الآية، بيّن تعالى كذبهم على الله تعالى وافتراءهم في تحريم ما حرّموا منسوباً إلى الله تعالى فقال ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ ۝١٤٣﴾ [الأنعام] وقال ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ۝١٤٤﴾ [الأنعام]. ولما انتفى هذان الوجهان انتقل إلى وجه ثالث ليس بهذين الوجهين، وهو أن يستدعي منهم من يشهد لهم بتحريم الله تعالى ما حرّموا. و«هلم» هنا على لغة الحجاز اسم فعل، وهي متعدية ولذلك انتصب المفعول به بعدها، وتأتي لازمة كقوله تعالى ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا ۝١٨﴾ [الأحزاب] أي: أقبلوا إلينا. وإضافة الشهداء إليهم تدلّ على أنهم غيرهم. وهذا أمر على سبيل التعجيز أي: لا يوجد من يشهد لهم بذلك شهادة حقّ، لأنها دعوى كاذبة. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الظاهر أنه يدلّ على مغايرة الذوات، و«الذين كذبوا بآياتنا» يعمّ جميع من كذّب الرسول وإن كان مُقِرّاً بالآخرة كأهل الكتاب. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قِسْمٌ من المكذّبين بالآيات وهم عبدة الأوثان والجاعلون لربّهم عديلاً وهو المِثْل، عدلوا به الأصنام في العبادة والألوهية. ويحتمل أن يكون العطف من

تغاير الصفات والموصوف واحد، وهو قول الأكثرين. ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ متعلق بيعدلون ومفعول ﴿يَعْدِلُونَ﴾ محذوف والتقدير: وهم يعدلون بربّهم غيره من الآلهة التي عبدوها.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ لمّا ذكر ما حرّموا افتراء عليه ثم ذكر ما أباحه تعالى لهم من الحبوب والفواكه والحيوان، ذكر ما حرّمه تعالى عليهم من أشياء نهاهم عنها وما أوجب عليهم من أشياء أمرهم بها. وتقدم شرح «تعالوا» عند قوله ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ (٦٤)﴾ [آل عمران]. والخطاب في «قل» لرسول الله ﷺ، وفي «تعالوا» قيل للمشركين وقيل لمن بحضرة رسول الله ﷺ من مؤمن وكتابي ومشرك. وسياق الآيات يدلّ على أنه للمشركين، وإن كان حكم غيرهم في ذلك حكمهم. أمره تعالى أن يدعو جميع الخلق إلى سماع ما حرّم الله تعالى بشرع الإسلام المبعوث به إلى الأسود والأحمر.

و﴿أَتْلُ﴾ أسرد وأنصّ من التلاوة وهي إتباع بعض الحروف بعضاً. وقال كعب الأحبار: هذه الآية مفتتح التوراة: بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم إلى آخر الآية. وقال ابن عباس: هذه الآيات هي

المحكمات التي ذكرها الله تعالى في سورة آل عمران[١] أجمعت عليها شرائع الخلق، ولم تُنسخ قطّ في ملّة، وقد قيل: إنها العشر الكلمات، أنزلت على موسى عليه السلام. و﴿ مَا ﴾ بمعنى الذي وهي مفعولة بأَتْلُ، أي: أقرأ الذي حرّمه ربكم عليكم. و﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ متعلّق بحرَّمَ، لا بأَتْلُ. ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ الظاهر أنّ «أنْ» تفسيرية و«لا» ناهية لأن «أَتْلُ» فعلٌ بمعنى القول وما بعد «أن» جملة فاجتمع في «أن» شرطا التفسيرية، وهي أن يتقدّمها معنى القول، وأن يكون ما بعدها جملة.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: إذا جعلت «أن» مفسّرة لفعل التلاوة وهو معلّق بـ«ما حرّم عليكم» وجب أن يكون ما بعدها منهيّاً عنه محرّماً كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي، فما تصنع بالأوامر[٣]؟ قلت: لمّا وردت هذه الأوامر مع النواهي][٤]، [٢٠١/ب] وتقدّمهن جميعاً فعل التحريم، واشتركن في الدخول تحت حكمه، على أن التحريم راجع إلى أضدادها، وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله انتهى.

وكون هذه الأشياء اشتركت في الدخول تحت حكم التحريم، وكون التحريم راجعاً إلى أضداد الأوامر بعيد جدّاً وإلغازٌ في المعاني، ولا ضرورة تدعو إلى ذلك. وأما عطف هذه الأوامر فيحتمل وجهين: أحدهما أنها معطوفة لا على المناهي قبلها، فيلزم انسحاب التحريم عليها حيث كانت في

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٧ ﴾ [آل عمران].

(٢) الكشاف ٢: ٦١.

(٣) ق: بالأول.

(٤) نهاية السقط في الأصل.

حيّز «أن» التفسيرية، بل هي معطوفة على قوله تعالى «أتل ما حرّم» أمرهم أولاً بأمر يترتب عليه ذِكْر مَنَاهٍ ثم أمرهم ثانياً بأوامر، وهذا معنى واضح. والثاني أن تكون الأوامر معطوفة على النواهي وداخلة تحت «أن» التفسيرية، ويصحّ ذلك على تقدير محذوف، تكون «أن» مفسّرة له وللمنطوق قبله الذي دلّ على حذفه، والتقدير: وما أمركم به، لدلالة «ما حرّم» عليه، لأن معنى «ما حرّم ربكم عليكم»: ما نهاكم ربكم عنه [فالمعنى: قل تعالوا أتل ما نهاكم ربكم عنه] وما أمركم به. وإذا كان التقدير هكذا، صحّ أن تكون «أن» تفسيرية لفعل النهي الدالّ عليه التحريم وفعل الأمر المحذوف. الأ ترى أنه يجوز أن تقول: أمرتك أن لا تكرم جاهلاً، وأكرِمْ عالماً؟ إذ يجوز عطف الأمر على النهي والنهي على الأمر كما قال امرؤ القيس[1]: [من الطويل]

[وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم] يقولون لا تهلِكْ أسىً وتجمّلِ

وهذا لا نعلم فيه خلافاً، بخلاف الجمل المتباينة بالخبر والاستفهام والإنشاء، فإنّ في جواز العطف فيها خلافاً.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: هلاّ قلت: هي التي تنصب الفعل وجعلت «ألاّ تشركوا» بدلاً من «ما حرّم»؟ قلت: وجب أن يكون: لا تشركوا، ولا تقربوا، ولا تقتلوا، ولا تتبعوا السبل، نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله «وبالوالدين إحسانا» [لأنّ] التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا، وبعهد الله أوفوا انتهى. ولا يتعين أن تكون جميع الأوامر معطوفة على جميع ما دخل عليه، لأنّا بيّنّا جواز عطف «وبالوالدين إحساناً»

---

(١) ديوانه ص٩.

(٢) الكشاف ٢: ٦١.

على «تعالوا» وما بعده معطوف عليه، ولا يكون قوله «وبالوالدين إحساناً» معطوفاً على «ألاّ تشركوا». وتقدّم في البقرة[1] تفسير «وبالوالدين إحساناً».

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ مِنْ هنا سببيّة أي: من فقر، يقال: أملق الرجل إذا افتقر. ولمّا أمر تعالى بالإحسان إلى الوالدين، نهى عن الإساءة إلى الأولاد، ونبّه على أعظم الإساءة إلى الأولاد وهو إعدام حياتهم بالقتل خوف الفقر، كما قال في الحديث[2] وقد سئل عن أكبر الكبائر فذكر الشرك بالله تعالى وهو قوله «أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك» ثم قال «وأن تقتل ولدك خشية أن يَطْعم معك» وقال «وأن تزاني حليلة جارك»، وجاء هذا الحديث منتزعاً من هذه الآية.

وجاء التركيب هنا «من إملاق نحن نرزقكم وإياهم» وفي الإسراء ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۝٣١﴾ [الإسراء] فيمكن أن يكون ذلك من التفنّن في الكلام، ويمكن أن يقال في هذه الآية: جاء «من إملاق» وظاهره حصول الإملاق للوالد لا توقّعه وخشيته وإن كان واجداً للمال فبدأ أولاً بقوله «نحن نرزقكم» خطاباً للآباء وتبشيراً لهم بزوال الإملاق وإحالة الرزق [٢٠٢/أ] على الخالق الرازق، ثم عطف عليهم الأولاد. وأما في سورة الإسراء، فظاهر التركيب أنهم موسرون وأنّ قتلهم إياهم إنما هو لتوقّع حصول الإملاق والخشية منه، فبدىء فيه بقوله «نحن نرزقهم» إخباراً بتكفّله تعالى برزقهم، فلستم أنتم رازقيهم، وعطف عليهم الآباء. وصارت الآيتان مفيدتين[3] معنيين: أحدهما أن الآباء نُهوا عن قتل الأولاد مع وجود إملاقهم، والآخر

---

(١) الآية ٨٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤: ١٦٢٦ من حديث عبد الله، ومسلم ١: ٩٠.

(٣) ق: مفيدتان.

أنهم نُهوا عن قتلهم وإن كانوا موسرين، لتوقّع الإملاق وخشيته، وحَمْلُ الآيتين على ما يفيد معنيين أولى من التأكيد.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ كالمنقول في ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠] [وتقدم فأغنى عن إعادته]. ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ هذا مندرج تحت عموم الفواحش، إذ أن الأجود أن لا يخصّ الفواحش بنوعٍ ما، وإنما جرّد منها قتل النفس تعظيماً لهذه الفاحشة واستهوالاً لوقوعها، ولأنه لا يتأتّى الاستثناء بقوله «إلا بالحق» إلاّ من القتل لا من عموم الفواحش. وقوله «التي حرّم الله» حوالة على سبق العهد في تحريمها فلذلك وصفت بالتي. والنفس المحرّمة هي المؤمنة والذمّية والمعاهِدة. و«بالحق» بالسبب الموجب لقتلها كالردّة والقصاص والزنى بعد الإحصان والمحاربة. ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ إشارة إلى جميع ما تقدّم وفي لفظ «وصّاكم» من اللطف والرأفة وجَعْلهم أوصياء له تعالى ما لا يخفى من الإحسان. ولمّا كان العقل هو مناط التكليف قال تعالى «لعلكم تعقلون» أي: فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا. والوصاة: الأمر المؤكد المقرر، قال الأعشى[1]: [من الطويل]

أجِدَّكَ لم تسمع وصاةَ محمد نبيِّ الإله حين أوصى وأشهدا

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ﴾ هذا نهيٌ عن القرب الذي يعمُّ جميع وجوه التصرّف وفيه سدّ الذريعة.

﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: بالخصلة التي هي أحسن في حق اليتيم. ولم يأت: إلا بالتي هي حسنة، بل جاء بأفعل التفضيل مراعاة لمال اليتيم وأنه لا

(١) ديوانه ص١٧٣.

يكفي فيه[1] الحالة الحسنة بل الخصلة الحسنى. وأموال الناس ممنوع من قربانها، ونصّ على اليتيم لأن الطمع فيه أكثر لضعفه وقلّة مراعاته. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ هذه غاية من حيث المعنى لا من حيث هذا التركيب اللفظي، ومعناه: احفظوا على اليتيم ماله إلى بلوغ أشدّه، فادفعوه إليه. وبلوغ الأشدّ هنا لليتيم هو بلوغ الحُلم مع أنه[2] لا يثبت معه سفه. ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل والسويّة. وقيل: القسط هنا أدنى زيادة ليُخرج بها عن العُهدة بيقين، لِمَا روي «إذا وزنتم فأرجحوا»[3]. و﴿وَأَوْفُوا۟﴾ فعل أمر وبعده أوامر أيضاً وقبله[4] مَنَاهٍ، فيحتمل ذلك الوجهين المتقدمين إلى قوله:

يقولون لا تهلك أسىً وتجمّل[5] [من الطويل]

﴿لَا نُكَلِّفُ﴾ الآية، تقدّم الكلام على مثلها في البقرة[6]. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ أي: لو كان المقول له أو عليه ذا قرابة [للقائل] فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص. ويدخل في ذي القربى نفس القائل ووالده وأقربوه، فهو ينظر إلى قوله تعالى ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء] وعنى بالقول هنا ما لا يُطّلع عليه إلاّ بالقول من أمرٍ وحكمٍ وشهادة وخبر ووساطة بين الناس [٢٠٢/ب] وغير ذلك. ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ يحتمل أن يكون مضافاً إلى الفاعل أي: بما عهدكم الله عليه أوفوا، وأن يكون مضافاً إلى المفعول

---

(١) ق: في.

(٢) ق: أن.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢: ٧٤٨ من حديث جابر بن عبد الله.

(٤) ق: وبعده.

(٥) انظر تفسير الآية السابقة ١٥١.

(٦) الآية ٢٨٦.

أي: بما عهدتم الله عليه أوفوا. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ولمّا كانت الخمسة المذكورة قبل هذا من الأمور الظاهرة الجليّة وجب تعقّلها وتفهّمها فختمت بقوله «لعلكم تعقلون»، وهذه الأربعة خفيّة غامضة لا بدّ فيها من الاجتهاد والذكر الكثير حتى يقف على موضع الاعتدال ختمت بقوله «لعلكم تذكّرون».

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ قرىء: وإنّ، بكسر الهمزة وتشديد [النون] على الاستئناف، و«فاتبعوه» جملة معطوفة على الجملة المستأنفة. وقرىء بفتح الهمزة وتشديد النون، وهو على إضمار اللام تقديره: ولأنّ، كقوله ﴿لِإِيلَٰفِ ۝١﴾ وقوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ ۝٣﴾ [قريش]. وقرىء: وأنْ، وهو على إضمار اللام وأنْ مخفّفة من الثقيلة وفيها ضمير الشأن، و﴿هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ مبتدأ وخبر مفسّر ذلك بضمير الشأن. والإشارة «بهذا» إلى الآيات التي أعقبَتْها هذه الآية من الأوامر والنواهي لأنها هي المحكمات التي لم تُنسخ في ملّة من الملل. و﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حال مؤكدة لأن صراطه تعالى لا يكون إلا مستقيماً.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ في مسند الدارمي[1] عن ابن مسعود قال «خطّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطّاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه ويساره، ثم قال: هذه سبلٌ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ثم قرأ هذه الآية». وانتصب ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ لأجل النهي جواباً له أي: فتتفرّق فحذف التاء. وقرىء: فتّفرق بتشديد التاء. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كرّر التوصية على سبيل التوكيد. ولمّا كان الصراط المسقيم هو الجامع للتكاليف، وأمر تعالى باتّباعه، ونهى عن بُنيّات الطريق[2]، ختم ذلك

---

(١) لم أجده هناك، ووجدته في مسند أحمد ١٨ : ١٤١ من حديث عبد الله بن مسعود، وانظر سنن الدارمي ٢: ٢٤١.

(٢) أي الطرق الصغيرة المتفرعة من الجادة.

بالتقوى التي هي اتّقاء النار، إذ من اتّبع صراطه، نجا النجاة الأبدية، وحصل على السعادة السرمدية.

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا ﴾: «ثم» تقتضي المهلة في الزمان، هذا أصل وضعها، ثم تأتي للمهلة في الإخبار. قال الزمخشري[1]: عطف على «وصّاكم به» قال: فإن قلت: كيف صحّ عطفه عليه بثمّ والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل؟ قلت: هذه التوصية قديمة لم تزل تُوصّاها[2] كل أمّة على لسان نبيّها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهنّ شيء من جميع الكتب، فكأنه قيل: ذلكم وصّاكم به يا بني آدم قديماً وحديثاً، ثم أعظم من ذلك أنّا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك انتهى.

---

(١) الكشاف ٢: ٦٢.

(٢) ق: تواصاها.

والذي قاله الزمخشري هو أنه رام إبقاء «ثم» على المهلة الزمانية فصار التقدير أن وصاته تعالى تقدّمت قبل زمان موسى عليه السلام «ثم آتينا» ففيه خروج عن ضمير الغائب في «به» إلى ضمير المتكلم في قوله «ثم آتينا». والكتاب هنا التوراة و﴿تَمَامًا﴾ منصوب على الحال وهو مصدر في الأصل، و﴿الَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ جنس أي: على من كان محسناً، ويؤيده قراءة ابن مسعود: على الذين أحسنوا، وقراءة أبيّ: تماماً للمحسنين، وهاتان القراءتان تفسير لا قرآن. ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: البعث للحساب.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾: «هذا» إشارة إلى القرآن، و«أنزلناه» و«مبارك» صفتان لـ«كتاب». وكان الوصف الأول جملة فعلية مسندة لضمير الله تعالى بنون العظمة [٢٠٣/أ] وكان الوصف بالإنزال آكد من الوصف بالبركة فقُدّم، لأنّ الكلام هو مع من ينكر رسالة محمد ﷺ، وينكر إنزال الكتب الإلهية. وكونه مباركاً عليهم، هو وصف حاصل لهم منه متراخٍ عن الإنزال، فلذلك تأخر الوصف بالبركة، وتقدّم الوصف بالإنزال. وبركته بما يترتّب عليه من النفع والنّماء بجمع كلمة العرب به والمواعظ والحكم والإعلام بأخبار الأمم السالفة والأجور الثابتة لتاليه والشفاء من الأدواء والشفاعة لقارئه وعدّه من أهل الله تعالى.

﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾: «أن تقولوا» مفعول من أجله فقدّره الكوفيون: لئلاّ تقولوا ولأجل ألاّ تقولوا، وقدّره البصريون: كراهة أن تقولوا. والعامل في كلا المذهبين «أنزلناه» محذوفة[1] يدل عليها «أنزلناه» المتقدمة. و«الكتاب» هنا جنس، والطائفتان هم أهل التوراة والإنجيل اليهود والنصارى بلا خلاف، والخطاب متوجّه إلى كفار قريش بإثبات الحجة عليهم

(١) ق: محذوف.

بإنزال هذا الكتاب لئلاّ يحتجّوا هم وكفّار العرب بأنهم لم يكن لهم كتاب، فكأنه قيل: وهذا القرآن يا معشر العرب أُنزل حجّة عليكم، لئلاّ تقولوا إنما أنزل التوراة والإنجيل بغير لساننا على غيرنا، ونحن لم نعرف ذلك، فهذا كتاب بلسانكم مع رجل منكم.

﴿ وَإِن كُنَّا ﴾ قال الزمخشري[1]: «وإن كنّا» هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والأصل: وأنه كنّا عن دراستهم غافلين، على أن الهاء ضمير [الشأن] انتهى.

وما ذهب إليه من أنّ أصله: وأنه كنّا، والهاء ضمير الشأن يلزم منه أنّ «أنْ» المخففة من الثقيلة عاملة في مضمر محذوف حال التخفيف، كما قال النحويون في أنْ المخفّفة من الثقيلة. والذي نصّ الناس عليه أنّ «أنْ» المخففة من الثقيلة إذا لزمت اللام في أحد الجزأين بعدها أو في أحد معمولي الفعل الناسخ الذي يليها، أنها مهملة، لا تعمل في ظاهر، ولا مضمر، لا مثبت، ولا محذوف. فهذا الذي ذهب إليه مخالف للنصوص، وليست إذا وليها الناسخ داخلة في الأصل على ضمير الشأن ألبتّة.

﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ انتقال من الإخبار بحصر إنزال الكتب على غيرهم وأنه لم ينزل عليهم، [إلى] الإخبار بحكمٍ على تقدير: والكتاب هو الكتاب السابق ذكره. ومعنى ﴿ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ أي: أرشد وأسرع اهتداءً لكونه نزل علينا بلساننا فنحن نتفهمه ونتدبّره وندرك ما تضمّنه من غير إكداد فكر ولا تعلُّم لسان، بخلاف الكتاب الذي أُنزل على الطائفتين فإنه بغير لساننا، فنحن لا نعرفه ونغفل عن دراسته. ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ هذا قطعٌ

---

(١) الكشاف ٢: ٦٢.

لاعتذارهم بانحصار إنزال الكتاب على الطائفتين، وبكونهم لم ينزل عليهم كتاب، ولو نزل لكانوا أهدى من الطائفتين. والظاهر أن البيّنة هي القرآن، وهو الحجة الواضحة [الدالّة] الدلالة النيّرة حيث نزل عليهم بلسانهم وألزم [العالم] أحكامه وشريعته، وأن الهدى والنور من صفات القرآن. ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أي: أعرض عنها. وتأخّر الإعراض لأنه ناشىء عن التكذيب، والإعراض عن الشيء هو بعد رؤيته وظهوره. ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ﴾ وعيد شديد. وعلّق الجزاء على الصدوف لأنه ناشىء عن التكذيب.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ الضمير في «ينظرون» عائد على الذين قيل لهم: «فقد جاءكم[1] بيّنة من ربكم» أي: ما ينتظرون. ﴿إِلَّآ أَن [٢٠٣/ب] تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إلى قبض أرواحهم وتعذيبها. ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ بعلمه وقدرته تعالى بلا أين ولا كيف، لفصل القضاء بين خلقه في الموقف يوم القيامة. ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ يريد آيات القيامة والهلاك الكلّي، و«بعض آيات ربك» أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك. ﴿يَوْمَ يَأْتِى﴾: «يوم» منصوب بـ«لا ينفع» و«إيمانها» فاعل «ينفع» واجبٌ تأخيره لعود [الضمير] على المفعول، فصار نحو: ضرب زيداً[2] غلامُه، وتقدم نظيره في البقرة ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة]. قال الزمخشري[3]: [وقرأ ابن سيرين]: لا تنفع، بالتاء لكون الإيمان مضافاً إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه، كقولهم: ذهبت بعض أصابعه انتهى. هذا غلط لأن الإيمان ليس بعضاً للنفس، ويحتمل أن يكون أنّث على معنى الإيمان وهو المعرفة والعقيدة،

---

(١) ق: جاءتكم.

(٢) ق: زيد.

(٣) الكشاف ٢: ٦٤.

فيكون مثل: جاءته[1] كتابي فاحتقرها، على معنى الصحيفة. ووصف «نفساً» بالجملة المنفية وهي «لم تكن آمنت من قبل» فدلّ على أن أيمانها وحده[2] نافع قبل ذلك اليوم.

وقوله ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ عطف على قوله «آمنت» التقدير: أو تكن كسبت في إيمانها خيراً، فدلّ ذلك على أنها إذا كانت مؤمنة، وكسبت خيراً قبل ذلك اليوم، نفعها ذلك. وملخّص هذا أنه قبل ذلك اليوم ينفع الإيمان وحده أو ينفع مع كسب الخير. ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ هذا أمر تهديد ووعيد. ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ما يحلّ بكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ قرىء: فارقوا وفرّقوا دينهم. ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ كاليهود افترقوا على فِرّيسيين[3] وربّانيين وسمرة، وكالنصارى افترقوا على ملكية ويعقوبية ونسطورية، وأهل الضلال من هذه الأمة وأصحاب البدع والأهواء منهم كالخوارج وهم طوائف. ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ هو إخبار عن المباينة التّامة والمباعدة كقول النابغة[4]: [من الوافر]

إذا حـاولـتَ فـي أسـدٍ فجـوراً فإني لستُ منك ولستَ منّي

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾

(١) ق: ما جاءته.

(٢) ق: وحدها.

(٣) ق: قرابين.

(٤) ديوانه ص١٩٩.

لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ روى أبو سعيد الخدري وابن عمر[1] أنها نزلت في الأعراب الذين آمنوا بعد الهجرة، ضوعفت لهم الحسنة بعشر، وضوعفت للمهاجرين بسبع مئة انتهى. لمّا ذكر حال من فارق دينه ورتّب عليه أن الله تعالى ينبئه بما فعل، ذكر المجازاة. والظاهر عموم «من جاء» وعموم الحسنة. وحصر العدد فيما ذكر، وأيّ شخصٍ ما جاء بحسنةٍ ما جوزي عليها بعشر أمثالها، ومن جاء بسيّئة جوزي بمثلها. وقرىء: عشرُ أمثالِها، على الإضافة. وقرىء: عشرٌ أمثالُها، فأمثالها صفة لعشر. والضمير في «أمثالها» عائد على الحسنة.

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أمره تعالى بالإعلان بالشريعة ونبذ ما سواها، ووصفها بأنها طريق مستقيم لا عوج فيها. وهو إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]. [﴿دِينًا قِيَمًا﴾] انتصب «ديناً قيماً» على إضمار فعل، تقديره: هداني ديناً قيماً، ودلّ على ذلك قوله قبلُ «هداني ربي». وتعدى «هَدى» تارةً بإلى كقوله «إلى صراط» وتارةً بنفسه إلى مفعول ثانٍ كقوله تعالى ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ [الصافات]. وقرىء: قِيَماً، وتقدّم توجيهه في أوائل سورة النساء[2]. وقرىء: قيّماً

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨: ٨١.

(٢) انظر تفسير الآية ٥ من السورة.

كسيّد. وفي كلتا القراءتين هو وصف لقوله «ديناً». و﴿مِّلَّةَ﴾ بدل من قوله «ديناً»، و﴿حَنِيفًا﴾ حال، وتقدم نظيره في سورة البقرة[١]. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نعى عليهم في اتخاذهم آلهة وإشراكهم مع الله تعالى [٢٠٤/أ]، وإبراهيم عليه السلام بريء من ذلك كله، فكان يجب عليهم اتباع أبيهم إبراهيم إذ هو النبي المجمَع عليه وعلى تعظيمه من سائر الطوائف.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى﴾ ظاهره العموم من الصلاة المفروضة وغيرها. ﴿وَنُسُكِى﴾ قال ابن عباس: هي الذبائح التي تذبح لله تعالى، وجمع بينهما كما جمع بينهما في قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]. ومعنى ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ﴾ أنه[٢] لا يملكهما إلا الله تعالى.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ عام، والإشارة بـ«بذلك» الظاهر أنه إلى «قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم». والألف واللام في «المسلمين» للعهد ويعني به هذه الأمة، لأن إسلام كل نبيّ سابقٌ على إسلام أمّته لأنهم منه يأخذون شريعته.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ حكى النقاش أنه روي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: ارجع يا محمد إلى ديننا، واعبد آلهتنا، واترك ما أنت عليه ونحن نتكفّل لك بكل ما تحتاج إليه في دنياك وآخرتك، فنزلت هذه الآية. والهمزة للاستفهام، ومعناه الإنكار والتوبيخ وهو ردٌّ عليهم إذ دَعَوه إلى آلهتهم. والمعنى أنه [كيف تجتمع لي] دعوة غير الله رباً، وغيره مربوب له ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ تقدم الكلام عليه في البقرة[٣]. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾

---

(١) الآية ١٣٥ من السورة.

(٢) ق: ومماتي بذاته لا.

(٣) انظر تفسير الآيتين ٢٨١، ٢٨٦ من البقرة.

والتنبئة عبارة عن الجزاء، والذي اختلفوا فيه هو من الأديان والمذاهب، يجازيكم بما ترتّب عليه من الثواب والعقاب. وسياق هذه الجمل سياق الخبر والمعنى على الوعيد والتهديد.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ أذكرهم تعالى بنعمته عليهم إذ كان النبي المبعوث وهو محمد خاتم النبيّين ﷺ، فأمّته خلفت سائر الأمم، ولا تجيء بعدها[١] أمة تخلفها، إذ عليهم تقوم الساعة. ورفع الدرجات هو بالشرف في المراتب الدنيوية والعلم وسعة الرزق. و﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بقوله «ورفع». ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من ذلك جاهاً ومالاً وعلماً وكيف يكونون في ذلك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ[٢] ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ لمّا كان الابتلاء به يظهر المسيء والمحسن والطائع والعاصي، ذكر هذين الوصفين وختم بهما. ولمّا كان الغالب على فواصل الآي قبلها هو التهديد، [بدأ] بقوله «سريع العقاب» يعني لمن كفر ما أعطاه الله تعالى. وسرعة عقابه إن كان في الدنيا فالسرعة ظاهرة، وإن كان في الآخرة فوُصف بالسرعة لتحقّقه، إذ كل[٣] ما هو آتٍ آتٍ. ولمّا كانت جهة الرحمة أرجى، أكّد ذلك بدخول اللام في الخبر، وبكون الوصفين بُنيا بناء المبالغة، ولم يأت في جهة العقاب بوصفه بذلك، فلم يأت: إن ربك معاقب، و﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ من باب الصفة المشبّهة.

---

(١) ق: بعده.

(٢) ق: لسريع.

(٣) ق: إذ هو كل.

سورة الأعراف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾.

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية، هذه السورة مكية كلها، قاله ابن عباس. وقال مقاتل: إلا قوله «واسألهم عن القرية» إلى قوله «من ظهورهم ذريتهم»[2] فإن ذلك مدني، وروي هذا أيضاً عن ابن عباس، وقيل: إلى قوله «وإذ نتقنا»[3].

واعتلاق هذه السورة بما قبلها هو أنه لما ذكر تعالى قوله ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ ۝١٥٥ ﴾ [الأنعام] واستطرد منه لما بعده، وإلى قوله آخر السورة ﴿ وَهُوَ [٢٠٤/ب] ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ۝١٦٥ ﴾ [الأنعام] وذكر ابتلاءهم فيما آتاهم، وذلك لا يكون إلاّ بالتكاليف الشرعية - ذكر ما يكون به التكاليف وهو الكتاب الإلهي، وذكر الأمر باتّباعه كما أمر في قوله «وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتّبعوه».

---

(١) مكية وآياتها ست ومئتان.

(٢) الآيات ١٦٣ - ١٧٢.

(٣) الآية ١٧١.

وتقدم الكلام على هذه الحروف المقطّعة أوائل السّور في أول البقرة[1]، وذِكْرُ ما حدسه الناس فيها ولم يقم دليل واضح على شيء من تفسيرهم يتعيّن به ما قالوا، وزادوا هنا لأجل الصاد أقوالاً، لا يقوم الدليل على صحة شيء منها.

ونهيُه تعالى أن يكون في صدره حرج منه أي من سببه، لما تضمّنه من أعباء الرسالة وتبليغها لمن لم يؤمن بكتاب ولا اعتقد صحّة رسالة وتكليف الناس أحكامها، وهذه أمور صعبة ومعانيها تشق عليه[2]. وأسند النهي إلى الحرج، ومعناه نهي المخاطب عن التعرّض للحرج، وكان أبلغ من نهي المخاطب، لما فيه من أن الحرج لو كان مما يُنهى، لنهيناه عنك، فانتهِ أنت عنه بعدم التعرض له، ولأنّ فيه تنزيه نبيّه ﷺ بأن ينهاه فيأتي التركيب: فلا تحرج منه، لأنّ ما أنزله تعالى إليه، يناسب أن يُسرَّ به وينشرح لما فيه من تخصيصه بذلك وتشريفه حيث أهّله لإنزال كتابه عليه، وجعله سفيراً بينه وبين خلقه، فلهذه الفوائد عدل عن أن ينهاه ونَهىٰ الحرج.

«كتاب» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا كتاب. و«أنزل» جملة في موضع الصفة لكتاب. والظاهر أن الضمير في «منه» عائد على الكتاب. وذهب الفرّاء وتبعه الحوفي والزمخشري وابن عطية أن «لتنذر» متعلق بقوله «أنزل إليك». وقوله «أنزل» ماضي الزمان و«لتنذر» مستقبل الزمان، فلذلك احتيج في جعله مفعولاً من أجله للام الجرّ لمّا اختلف زمانهما. والجملة من قوله «فلا يكن» اعتراض بين «أنزل» وبين «لتنذر». «وذكرى» مصدر وهو مجرور عطفاً على المصدر المنسبك من أنْ والفعل المنصوب بإضمارها في قوله «لتنذر» أي: لإنذارك ولذكرى. ومعنى «ذكرى» هنا المراد به: ولتذكير

---

(١) انظر تفسير الآية الأولى.

(٢) ق: يشق عليه ذلك.

المؤمنين كقوله تعالى ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر][1]. وحذف مفعول «لتنذر» أي: لتنذر الكافرين، ويدلّ على حذفه نظيره في قوله «وذكرى للمؤمنين».

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يشمل القرآن والسنّة لقوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم]. والضمير في ﴿مِن دُونِهِ﴾ عائد على «ربكم». ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ من دون الله تعالى كالأصنام والرهبان والكهّان والأحبار والنّار والكواكب وغير ذلك. وانتصب ﴿قَلِيلًا﴾ على أنه نعت لمصدر محذوف. و﴿مَّا﴾ زائدة، أي: يتذكرون تذكّراً قليلاً.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: «كم» هنا خبرية، التقدير: وكثير من القرى أهلكناها. وأعاد الضمير في «أهلكناها» على معنى كم، وهي في موضع رفع بالابتداء و«أهلكناها» جملة في موضع الخبر، وأجازوا أن يكون في موضع نصب بإضمار فعل يفسّره «أهلكناها» تقديره: وكم من قرية أهلكنا، أهلكناها. ولا بدّ في الآية من تقدير محذوف مضاف لقوله «أوهم قائلون»؛ فمنهم من قدّره: وكم من أهل قرية، ومنهم من قدّره: أهلكنا أهلها. وينبغي أن يُقدَّر عند قوله «فجاءها» أي: فجاء أهلها، لمجيء[2] الحال من «أهلها»

(١) ق: وما هو.

(٢) ق: ويجيء.

بقوله «بياتاً» بدليل: «أوهم قائلون» لأنه يمكن إهلاك [٢٠٥/أ] القرى بالخسف والهدم وغير ذلك، فلا ضرورة تدعو إلى حذف المضاف قبل قوله «فجاءها». والضمير في «أهلكناها» المرفوع ضمير المتكلم المعظّم، وفيه التفات، إذ فيه خروج من ضمير الغائب المفرد إلى ضمير المتكلم. و﴿ قَآئِلُونَ ﴾ من القيلولة، نوّع مجيء البأس إلى نوعي[١] الاستراحة وهو «بياتاً» أي: ليلاً، إذ هو وقت سكون وراحة، وإلى زمان القيلولة وهو وقت الراحة أيضاً. و«أو» هنا للتفصيل.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: لا يقال: جاء زيد هو فارس، بغير واو فما بال قوله تعالى «هم[٣] قائلون»؟ قلت: قدّر بعض النحويين الواو محذوفة وردّه الزجّاج وقال: لو قلت: جاءني زيد راجلاً أو هو فارس، أو: جاءني زيد هو فارس، لم يُحْتَجْ فيه إلى واو، لأن الذكر قد عاد إلى الأول. والصحيح أنها إذا عطفت على حالٍ قبلها، حذفت الواو استثقالاً، لاجتماع حرفي عطف، لأن واو الحال هي واو العطف، استعيرت للوصل. فقولك: جاءني زيد راجلاً أو هو فارس، كلام فصيح، وارد على حدّه، وأما: جاءني زيد هو فارس، فخبيث انتهى.

فأما بعض النحويين الذي أبهمه الزمخشري فهو الفرّاء، وأما قول الزجّاج في التمثيلين لم يُحْتج فيه إلى الواو، لأنّ الذكر قد عاد إلى الأول، ففيه إبهام. وتعيينه لم يُجز دخولها في المثال الأول، ويجوّز دخولها في المثال الثاني، فانتفاء الاحتياج ليس على حدّ سواء، لأنه في الأول لامتناع

(١) ق: نوعين.

(٢) الكشاف ٢: ٦٧.

(٣) ق: أو هم.

الدخول، وفي الثاني لكثرة الدخول، لا لامتناعه فأما قول الزمخشري: والصحيح إلى آخره، فتعليله ليس بصحيح، لأن واو الحال ليست حرف عطف، فيلزم من ذكرها اجتماع حرفي عطف، لأنها لو كانت للعطف، للزم أن يكون ما قبل الواو حالاً حتى تعطف حالاً على حال. فمجيئها فيما لا يمكن أن يكون حالاً دليل على أنها ليست واو عطف، ولا لُحِظَ فيها معنى واو العطف، تقول: جاءني زيد والشمس طالعة. فجاء زيد ليس بحالٍ فتعطف عليه جملة حال، وإنما هذه الواو مغايرة لواو العطف بكل حال، وهي قسم من أقسام الواو، كما تأتي للقسم، وليست فيه للعطف، إذا قلت: والله لتخرجنّ. وأما قوله: فخبيث، فليس بخبيث، وذلك أنه بناه على أن الجملة الاسمية، إذا كان فيها ضميرُ ذي حال فإنّ حذف الواو منها شاذ، وتبع في ذلك الفرّاء وليس بشاذّ، بل هو كثيرٌ وقوعه في القرآن وفي كلام العرب نثرها ونظمها، وهو أكثر من رمل يبرين ومها فلسطين[1]! . وقد رجع الزمخشري عن هذا المذهب إلى مذهب الجماعة.

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَنٰهُمْ ﴾ قال ابن عباس: «دعواهم» تضرّعهم إلا إقرارهم بالشرك انتهى. و«دعواهم» اسم كان و«إذ» ظرف معمول لدعواهم، وخبر كان «أن قالوا» أي: إلا قولَهم، و«إنا» وما بعدها معمول للقول.

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: نسأل الأمم المرسل إليهم عن أعمالهم وعمّا بلّغه إليهم الرسل كقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [القصص]، ونسأل الرسل عمّا أجاب به من أُرسلوا إليه كقوله تعالى ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة]. وسؤال الأمم تقرير وتوبيخ يُعقب الكفار والعصاة عذاباً، وسؤال الرسل تأنيس، يُعقب

(١) ق: ونهر فلسطين.

الأنبياء ثواباً وكرامة.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ أي: نسرد عليهم أعمالهم قصة قصة بعلِم منّا لذلك واطّلاع عليه. ﴿وَمَا[٢٠٥/ب] كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن شيء منه، وهذا من أعظم التوبيخ والتقريع حيث يقرّون بالظلم، وتشهد عليهم أنبياؤهم، ويقصّ الله عليهم أعمالهم.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ مذهب الجمهور أن في القيامة موازين توزن بها أعمال العباد اتّباعاً لظواهر النصوص في ذلك. وذهب مجاهد والضحاك والأعمش وجماعة - وهو قول المعتزلة - إلى أن ما ورد من الوزن والموازين إنما هو كناية عن العدل ومحاسبة أهل الموقف بحساب أعمالهم. «والوزن» مبتدأ، و«يومئذ» [ظرف] منصوب بالوزن، والتنوين في «إذ» تنوين العوض من جملة محذوفة تقديره: يوم إذ نسأل ونقصّ، فحذف ذلك وعوّض منه التنوين ولذلك لا يجتمعان، وكذا في كل موضع يلحق التنوين فيه لإذ. و«الحق» خبر عن المبتدأ الذي هو الوزن.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ﴾ من أثبت الميزان، ذكر[١] أنه ذو كفّتين ولسان، ولم يثبت مثل هذا نصّاً لا في القرآن ولا في السنّة. والثقل والخفة إنما هما من صفات الأجسام، والحسنات والسيئات من صفات الأعراض. فقال هؤلاء إن الموزون هي الصحف التي كتبت فيها الحسنات والسيّئات. وقوله ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أفرد الضمير مراعاة للفظ «من» ثم جمع في قوله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ مراعاة لمعنى «من». ويتعلق ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بقوله ﴿يَظْلِمُونَ﴾ لتضمّنه معنى: يكذبون، أو لأنها بمعنى يجحدون.

(١) عبارة ق: أثبت الميزان وذكر.

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ تقدم معنى «مكنّاكم» في قوله في أول الأنعام ﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٦﴾ ﴾. والخطاب راجع للذين خوطبوا: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف] وما بينهما، أُورد مورد الاعتبار والاتعاظ بذكر ما آل إليه أمرهم في الدنيا، وما يؤول إليه في الآخرة. ﴿ مَعَٰيِشَ ﴾ جمع معيشة. وقرأ خارجة عن نافع: معائش بالهمز، شبّهها بصحائف من حيث عدد الحروف والحركات والسكون. والمعيشة ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها مما يُتوصّل به إلى ذلك. وهي في الأصل مصدر ينزّل منزلة الآلات. وإعراب ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ كإعراب ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ هو على حذف مضاف تقديره: خلقنا أباكم ثم صوّرناكم[1]. وتبقى «ثم» دالّة على وضعها من المهلة في الزمان، فبدأ

(١) على أن الخطاب في الأولى لآدم وفي الثانية لذرّيته. وفي المطبوع: ثم صوّرنا أباكم، على أن الخطاب في الجملتين لآدم، لأن العرب تخاطب العظيم الواحد بخطاب الجمع. انظر البحر ٤: ٢٧٢.

بالخلق وهو إخراج من العدم الصرف إلى مادة وهي التراب[١] ولقوله تعالى ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران] ثم ثنّى بالتصوير وهو تشكيله بالصورة الآدمية. وتقدم تفسير ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة]، فأغنى عن إعادته. وقوله ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ جملة لا موضع لها من الإعراب، مؤكدة لمعنى ما أخرجه الاستثناء من نفي سجود إبليس كقوله «أبى واستكبر» بعد قوله «إلاّ إبليس» في البقرة.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾ انتقل من ضمير المتكلم المعظم إلى ضمير الغيبة في «قال». و«ما» استفهامية مبتدأة والجملة بعده خبره. و«لا» في ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ زائدة للتوكيد يدل على زيادتها سقوطها في قوله ﴿أَن تَسْجُدَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص]. و«إذ» معمولة لقوله «منعك». والمعنى أنه وبّخه وقرّعه على امتناعه من السجود وإن كان تعالى عالماً بما منعه من السجود. و«ما» استفهامية تدل على التوبيخ كما قلنا قبل. ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ هذا ليس بجواب مطابق[٢] للسؤال، لكنه يتضمن الجواب إذ معناه: منعني فضلي عليه [٢٠٦/أ] لشرف عنصري على عنصره. ولم ينظر الأبلم[٣] لأمرِ مَن أمره بالسجود وهو الله تعالى، فامتثال الأمر طاعة لله تعالى. وقد تكلم الناس في تفضيل النار على الطين وفي تفضيل الطين على النار بما هو مذكور في البحر[٤].

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ لما كان امتناعه من السجود لظهور شرفه على آدم عند نفسه، قابله الله تعالى بالهبوط المشعر بالنزول من علوّ إلى سفل. والضمير

---

(١) ق: التركيب.

(٢) ق: مطلق.

(٣) أي: الغليظ الشفتين.

(٤) انظر ٤: ٢٧٣.

في «منها» عائد على الجنة وإن لم يَجْرِ لها ذكر. قال ابن عطية: أُهْبِطَ أولاً وأُخرج من الجنة، وصار في السماء، لأن الأخبار تضافرت أنه أغوى آدم وحوّاء من خارج الجنة، ثم [أُمر] آخراً بالهبوط من السماء مع آدم وحوّاء. ومعنى ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ أي:[1] لا يصح لك، أو لا يتمّ، أو لا ينبغي. والضمير في ﴿فِيهَا﴾ عائد على ما عاد عليه «منها»، ولا مفهوم لهذا الظرف، بل التكبر منهيّ عنه في كل موضع. وكرر معنى الهبوط بقوله «فاخرج» لأن الهبوط منها خروج، ولكنه أخبر بصغاره وذلّته وهو أنه جزاء على تكبّره، قوبل بالضد مما اتّصف به وهو الصّغار الذي هو ضد التكبّر. والتكبّر تفعُّل منه، لا أنه خُلق كبيراً عظيماً ولكنه هو الذي تعاطى الكِبْر.

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ هذا يدل على إقراره بالبعث وعلمه بأن آدم سيكون له ذرية ونسل يعمّرون في الأرض ثم يموتون. والضمير في «يبعثون» عائد على ما دلّ عليه المعنى إذ ليس في اللفظ ما يدل عليه. ومعنى «أنظرني» أي: أخّرني.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ الظاهر أن الباء للقسم و«ما» مصدرية ولذلك تلقّيت الحلف بقوله «لأقعدن». و«أغويتني» بمعنى أضللتني، قاله ابن عباس. والإغواء نَسَبه إلى الله تعالى إبليس، وهو فعل من أفعال الله تعالى جارٍ على الحكمة الإلهية فجاز أن يُقسم به. قال الزمخشري[2]: فإن قلت: بم تعلّقت الباء فإن تعليقها بلأقعدنّ يصدّ عنه[3] لام القسم، لا تقول: والله بزيدٍ لأمرّنّ؟ قلت: تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره: فبما أغويتني أقسم بالله

---

(١) ق: أو.

(٢) الكشاف ٢: ٦٩.

(٣) ق: عن.

لأقعدنّ، أي: بسبب إغوائك أقسم انتهى.

ما ذكره من أن اللام تصدّ عن تعلّق الباء بلأقعدنّ ليس مجمعاً عليه بل في ذلك خلاف. وعبّر بالقعود عن الثبوت في المكان والتلبّث فيه. قالوا: وانتصب «صراطك» على إسقاط «على»، قاله الزّجاج وشبّهه بقول العرب: ضرب زيد الظهر والبطن، أي: على الظهر والبطن. وإسقاط حرف الجر لا ينقاس في مثل هذا، لا يقال: قعدت الخشبة، تريد: قعدت على الخشبة، والأولى أن يُضمّن «لأقعدن» معنى ما يتعدى بنفسه فينتصب الصراط على أنه مفعول به والتقدير: لألزمنّ بقعودي صراطك المستقيم. وهذا الصراط هو دين الإسلام وهو الموصل إلى الجنّة.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الظاهر أن إتيانه من هذه الجهات الأربع كناية عن وسوسته وإغوائه له والجدّ في إضلاله من كلّ وجه ممكن. ولمّا كانت هذه الجهات يأتي منها العدوّ غالباً، ذكرها، لا أنه يأتي من الجهات الأربع حقيقة. وغاير في حرف الجر الذي هو مِن وعن، لأنه لو كان الكلّ بمِن أو بعن لكان في تكرار ذلك قلق في التركيب.

﴿مَذۡءُومٗا﴾ يقال ذأمه يذأمه ذَأْماً: عابه، بسكون الهمزة ويجوز إبدالها ألفاً. ﴿مَّدۡحُورٗاۖ﴾ يقال دحره: أبعده وأقصاه دحوراً، قال الشاعر[1]:

[من الوافر]

دَحَرْتُ بني الحصيب إلى قديدٍ ... وقد كانوا ذوي أَشَرٍ وَفَخْرِ

وهذه ثلاثة[2] أوامر: أمرٌ بالهبوط مطلقاً، وأمر بالخروج مخبراً أنه ذو

---

(١) لم أجده وانظر البحر ٤ : ٢٧٧.

(٢) ق: ثلاث.

صغار، وأمر بالخروج مقيّداً[1] بالـذم [٢٠٦/ب] والطرد. ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ قرأ الجمهور: لَمَن بفتح اللام، والظاهر أنها اللام الموطّئة للقسم، و«مَن» شرطية في موضع رفع على الابتداء، وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة. ويجوز أن تكون اللام لام الابتداء و«مَن» موصولة، و﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب قسم محذوف بعد «من تبعك»، وذلك القسم المحذوف وجوابه في موضع خبر «مَن» الموصولة. وقرأ الجحدري وعصمة عن أبي بكر عن عاصم: لِمَن تبعك بكسر اللام، واختلفوا في تخريجها. قال ابن عطية: المعنى: لأجل من تبعك لأملأنّ انتهى.

ظاهر هذا التقدير أن اللام تتعلق بلأملأنّ، ويمتنع ذلك على قول الجمهور، وأن ما بعد لام القسم لا يعمل فيما قبلها.

قال الزمخشري[2]: يعني لمن تبعك منهم [هذا] الوعيد وهو قوله «لأملأنّ جهنم منكم أجمعين»، على أن «لأملأنّ» في محلّ الابتداء، و«لمن تبعك» خبره انتهى.

إن أراد ظاهر كلامه فهو خطأ على مذهب البصريين، لأن قوله «لأملأنّ» جملة هي جواب قسم محذوف. فمن حيث كونها جملة فقط، لا يجوز أن تكون مبتدأة، ومن حيث كونها جواباً للقسم المحذوف يمتنع أيضاً، لأنها إذ ذاك من هذه الحيثيّة لا موضع لها من الإعراب، ومن حيث كونها مبتدأة لها موضع من الإعراب. ولا يجوز أن تكون الجملة لها موضع ولا موضع لها بحال؛ لأنه يلزم أن تكون في موضع رفع، لا في موضع رفع داخلاً

---

(١) ق: مقيّد.

(٢) الكشاف ٢: ٧١.

عليها عامل غير داخل عليها عامل، وذلك لا يُتصوّر.

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ أي: وقلنا يا آدم، وتقدم تفسير هذه الآية في البقرة[1]، إلا أن هنا «فكلا من حيث شئتما» وفي البقرة «وكلا منها رغدا»، قالوا: وجاءت على أحد محاملها، وهو أن يكون الثاني بعد الأول. وحذف «رغداً» هنا على سبيل الاختصار، وأثبت هناك[2] لأن تلك مدنية وهذه مكيّة فوفّى المعنى هناك باللفظ.

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: فعل الوسوسة لأجلهما. وأما قوله ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه] فمعناه ألقى الوسوسة إليه. ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا ﴾ اللام لام كي وهو علّة الوسوسة. ﴿ مَا وُۥرِيَ ﴾ ما سُتر. وقرأ عبد الله بن مسعود: أُوري، بإبدال الواو همزة وهو بدل جائز. وقرىء: ما وُرِيَ، بواو مضمومة من غير واو بعدها على وزن كُسِيَ. وقرأ مجاهد والحسن: من سَوَّتهما،

---

(١) الآية ٣٥.

(٢) ق: هنا.

بالإفراد وتسهيل الهمزة وبإبدالها واواً وإدغام الواو فيها. و﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ استثناء مفرّغ من المفعول من أجله، أي: ما نهاكما ربكما لشيء إلا أن تكونا ملكين أو من[1] الخالدين الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ لم يكتف إبليس بالوسوسة وهي الإلقاء في خفيةٍ سرًّا ولا بالقول، حتى أقسم على أنه ناصح لهما. والمقاسمة مفاعلة تقتضي المشاركة في الفعل، وأما هنا فمعنى «وقاسمهما» أي: أقسم لهما لأن اليمين لم يشاركا فيها، وهو كقول الشاعر[2]: [من الطويل]

وقاسَمَها[3] بالله جَهداً لأنتمُ ... ألذُّ من السلوى إذا ما نَشُورها

وفاعَلَ قد يأتي بمعنى أفعَلَ نحو: باعدت الشيء وأبعدته. و«لكما» متعلق بمحذوف تقديره: ناصح لكما أو أعني أو بالناصحين، على أن أل موصولة وتُسومح في الظرف والمجرور ما لا يتُسامح في غيرهما.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ أي: استزلّهما إلى الأكل من الشجرة بغُروره أي: بخداعه إياهما وإظهار النصح لهما وإبطان الغش وإطماعهما أن يكونا ملكين أو خالدين. وبأقسامه أنه ناصح لهما جعل من يغترّ بالكلام حتى يصدّق فيقع في مصيبة، كالذي تدلّى من علوّ إلى سفل بحبل ضعيف، فينقطع به فيهلك [٢٠٧/أ] ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: وجدا طعمها آكلَيْن منها كما قال تعالى ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا ﴿١٢١﴾﴾ [طه] وتطايرت عنهما ملابس الجنة وظهرت لهما

(١) ق: ومن.

(٢) البيت لخالد بن زهير الهذلي في ديوان الهذليين ١: ١٥٨.

(٣) ق: وقاسمهما.

عوراتهما، وتقدّم أنهما [كانا] قبل ذلك لا يريانها[١] من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر.

﴿وَطَفِقَا﴾ طفق من أفعال المقاربة بفتح الفاء وكسرها، وبالباء مكان الفاء مكسورة، و«يخصفان» خبر «طفقا». ومعنى ﴿يَخْصِفَانِ﴾ أي: جعلا يلصقان ورقة على ورقة ويلصقانها. والأولى أن يعود الضمير في «عليهما» على عورتيهما كأنه قيل: يخصفان على سوءاتهما من ورق الجنة، وعاد بضمير الاثنين لأن الجمع يراد به اثنان. و«على» هنا ظرف مجازي بمعنى فوق لا حرف جر، ونظير هذا التركيب قوله تعالى ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب] وقول الشاعر[٢]: [من المتقارب]

هوّن عليك فإنّ الأمور   بكفّ الإله مقاديرُها

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ لما كان وقت الهناء شرّف بالتصريح باسمه في النداء فقيل ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف] وحين كان وقت العتاب أخبر أنه ناداه ولم يصرّح باسمه. والظاهر أنه تعالى كلّمهما بلا واسطة. والجملة معمولة لقول محذوف أي: قائلاً «ألم أنهكما»، وهو استفهام معناه العتاب على ما صدر منهما، والنهي[٣] قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبَا ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف] وثَمَّ مضاف محذوف تقديره: عن قربان تلك. و«تي» اسم الإشارة واللام للبعد، حذفت ياءُ «تي» لالتقاء الساكنين و«كُما» خطاب للاثنين. ﴿وَأَقُل لَّكُمَا﴾ إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴿١١٧﴾﴾ [طه].

---

(١) ق: يرانهما.

(٢) البيت مع ثانٍ له في العقد ٣: ١٤١، وهو منسوب لابن أبي حازم، وفيه خرم.

(٣) ق: والمعنى.

و﴿ لَنَكُونَنَّ ﴾ جواب قسم محذوف قبل «إنْ» كقوله تعالى ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ [عَمَّا يَقُولُونَ] لَيَمَسَّنَّ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة]. التقدير: والله إن لم تغفر لنا. وأكثر ما تأتي «إن» هذه ولام التوطئة قبلها [كقوله] ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ [ٱلْمُنَٰفِقُونَ]﴾ ثم قال ﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأحزاب].

﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ تقدم تفسيره في البقرة[1].

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ وهذا كالتفسير لقوله «ولكم في الأرض مستقر ومتاع» أي: بالحياة «إلى حين» أي: حين الموت. ﴿ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ أي: إلى المجازاة بالثواب والعقاب.

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لمّا ذكر قصة آدم وفيها ستر السوءات وجعل في الأرض مستقراً ومتاعاً، ذكر تعالى ما امتنّ به على بنيه وما أنعم به عليهم من اللباس الذي يواري

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٦ من البقرة.

السوءات والرياش الذي يمكن به[1] استقرارهم في الأرض واستمتاعهم بما خوّلهم. «قد أنزلنا» الإنزال مجاز من [باب] إطلاق السبب على مسبّبه، فأنزل المطر وهو سبب يتهيأ به اللباس. واللّباس يعمّ جميع ما يُلبس ويستر. الريش معروف وهو هنا عبارة عن سعة الرزق ورفاهة العيش والتمتّع، وقال الزمخشري[2]: لباس الزينة استعير من ريش الطائر لأنه لباسه وزينته، أي: أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يواري سوءاتكم ولباساً يزيّنكم، لأن الزينة غرض صحيح، وكما قال تعالى ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۝٨﴾ [النحل] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ۝٦﴾ [النحل] انتهى.

ويحسّنه قوله تعالى ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۝١٤﴾ [النحل]. وقرىء: ولباسَ: بالنصب عطفاً على ما قبله. وقرىء بالرفع وهو مبتدأ و﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ مبتدأ وخبر، خبر عن قوله «ولباس»[3] والرابط بينهما اسم الإشارة كما يربط المضمر وكأنه قال: ولباس التقوى هو خير. والإشارة بقوله ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إلى ما تقدّم من إنزال اللباس والرياش ولباس التقوى. والمعنى: من آيات الله الدالّة على فضله ورحمته على عباده. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ هذه النعم فيشكرون الله تعالى عليها.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: لا يستهوينكم ويغلب عليكم. وهو نهي للشيطان والمعنى نهيهم أنفسهم عن الإصغاء إليه والطواعية لأمره، كما قالوا: لا أرينّك هنا، ومعناه [٢٠٧/ب] النهي عن الإقامة بحيث يراه. و﴿كَمَآ﴾ في موضع نصب أي: فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم من الجنة.

---

(١) ق: بهم.

(٢) الكشاف ٢: ٧٤.

(٣) عبارة ق: وقرىء بالرفع وهو مبتدأ وذلك خبر مبتدأ، وخير خبر عن قوله ولباس.

و﴿ يَنزِعُ ﴾ حال من الضمير في «أخرج» أو من «أبويكم» لأن الجملة فيها ضمير الشيطان[١] وضمير الأبوين. ونسب النَّزْع والإراءة إلى الشيطان لما كان متسبّباً فيه.

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ قال الزمخشري[٢]: الضمير في «إنه يراكم» ضمير الشأن والحديث انتهى. لا ضرورة تدعو إلى هذا، بل الظاهر أنه ضمير عائد على الشيطان، أي: أنّ الشيطان وهو إبليس يبصركم هو وجنوده من الجهة التي لا تبصرونه منها. وهم أجسام لطيفة معلوم من هذه الشريعة وجودهم، كما أن الملائكة أيضاً معلوم وجودهم من هذه الشريعة. ولا يُستنكر وجود أجسام لطيفة جداً لا نراها نحن؛ ألا ترى أن الهواء جسم لطيف، لا ندركه نحن وقد قام البرهان العقلي القاطع على وجوده؟ وقد صحّ تصوّرهم في الأجسام الكثيفة ورؤية بني آدم لهم في تلك الأجسام كالشيطان الذي رآه أبو هريرة حين جعل يحفظ تمر الصدقة[٣]، والعفريت الذي رآه رسول الله ﷺ وقال فيه: «لولا دعوة أخي سليمان لربطتُه إلى سارية من سواري المسجد»[٤]، وكحديث خالد بن الوليد حين سُيّر لكسر ذي الخَلَصة[٥]، وكحديث سواد بن قارب مع رئيّه من الجن[٦]. إلاّ أنّ رؤيتهم في الصور نادرة كما أن الملائكة تبدو في صور كحديث جبريل عليه

---

(١) ق: ضمير الشأن.

(٢) الكشاف ٢: ٧٥.

(٣) انظر البخاري ٢: ٨١٢.

(٤) أخرجه البخاري ١: ١٧٦ من حديث أبي هريرة.

(٥) جاء في الأصنام ص٣٥ أن رسول الله ﷺ لمّا فتح مكّة سيّر جرير بن عبد الله لهدم ذي الخلصة، فهدم بنيانه وأضرم فيه النار.

(٦) انظر السيرة النبوية ١: ٢٢٣، والفتح الرّباني ٢٠: ٢٠٥.

السلام[١]. وقوله ﴿يَرَىٰكُمْ﴾ تعليل للنهي وتحذير مِن فتنته بأنه بمنزلة العدوّ المداجي يكيدهم ويغتالكم من حيث لا تشعرون. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ أي: صيّرنا، ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ ناصريهم وعاضديهم في الباطل.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ الظاهر أنه إخبار مستأنف عن هؤلاء الكفّار بما كانوا يقولون إذا ارتكبوا الفواحش. وقولهم ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ تقليد لآبائهم في فِعْل ذلك، والتقليد ليس طريقاً لحصول العلم. وقولهم ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ افتراء على الله تعالى، وكانوا يقولون: لو كره الله ذلك لنَقَلَنا عنه. ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: بفعل الفحشاء. وإنما لم يردّ التقليد لظهور بطلانه فأبطل تعالى دعواهم أن الله أمر بها، إذ مدرك ذلك إنما هو الوحي على لسان الرسل والأنبياء ولم يقع ذلك. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وبّخهم على كذبهم ووقفهم على ما لا علم لهم به ولا رواية لهم فيه، بل هي دعوى واختلاق.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل. ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ معطوف على ما ينحلّ إليه[٢] المصدر الذي هو القسط؛ [أي] بأن أقسطوا وأقيموا. وكما ينحلّ المصدر لأنْ والفعل الماضي نحو: عجبت من قيام زيد، وخرج، تقديره: من أن قام زيد وخرج، ولأنْ والمضارع نحو[٣]: [من الوافر]

للُبْسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عيني [أحبُّ إليّ من لُبْس الشُّفوفِ]

---

(١) أخرجه مسلم ١: ٣٧ من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) ق: عليه.

(٣) البيت من شواهد الكتاب ٣: ٤٥، لميسون بنت بحدل. وانظر أمالي الشجري ١: ٢٨٠، والمقتضب ٢: ٢٧.

تقديره: لأنْ ألبس عباءة وتقرّ عيني. ولمّا أشكل هذا التخريج جعل الزمخشري «وأقيموا» على تقدير: وقل [فقال[1]: وقل] أقيموا وجوهكم. قال ابن عباس: المعنى إذا حضرت الصلاة، فصلّوا في كل مسجد، ولا يقل أحدكم: أصلّي في مسجدي. ﴿وَٱدْعُوهُ﴾ الدعاء على بابه أمر به مقروناً بالإخلاص. ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ هذا إعلام بالبعث أي: كما أوجدكم واخترعكم كذلك يعيدكم بعد الموت. والكاف في «كما» للتشبيه و«ما» مصدرية. والمعنى: تعودون بإنشائه تعالى مثل بدئه إياكم، شبّه الإعادة بالبدء.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ تقسيم للمؤمن والكافر. وانتصب «فريقاً» على أنه مفعول بهدى، و﴿فَرِيقًا﴾ الثاني انتصب بإضمار فعل يفسّره ما بعده تقديره: وأضل فريقاً. وهذا من باب الاشتغال فسّره فعل ناصب[2] من معنى قوله ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾. ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ لتعليل الفريق الذي حقت عليهم الضلالة.

﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

(١) الكشاف ٢: ٧٥.

(٢) ق: فسّر فكل ناصب.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ [٢٠٨/أ] زِينَتَكُمۡ ﴾ الآية، كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة، وكانوا لا يأكلون في أيام حجّهم دسماً، ولا ينالون من الطعام إلا قوتاً تعظيماً لحجّهم فنزلت[1]. والزينة فِعلة من التزيين وهو اسم ما يتجمّل به من ثياب وغيرها كقوله تعالى ﴿ وَٱزَّيَّنَتۡ ﴾ [يونس] أي: بالنبات. والزينة هنا المأمور بأخذها هو ما يستر العورة في الصلاة. وفي صحيح مسلم[2] عن عروة أن العرب كانت تطوف عراة إلا الحمس وهم قريش، إلا أن تعطيهم الحمس ثياباً فتعطي الرجال الرجال والنساء النساء. وفي غير مسلم[3] من لم يكن له صديق بمكة يعيره ثوباً طاف عرياناً أو في ثيابه وألقاها بعدُ فلا يمسّها أحد وتسمّى اللّقى، وقال بعضهم[4]:

[من الطويل]

كفى حَزَناً كرّي[5] عليه كأنه   لَقًى بين أيدي الطائفين حريم

فلما بعث الله تعالى رسوله وأنزل عليه «يا بني آدم خذوا زينتكم» أذّن مؤذن رسول الله ﷺ: ألا لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان[6]. ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ الظاهر أنه أمر بإباحة الأكل والشرب من [كل ما يمكن أن يؤكل أو يشرب مما لم يُحظر أكله وشربه في الشريعة، وإن كان النزول على سبب خاص كما ذكروا من امتناع المشركين من أكل] اللّحم والدسم أيام إحرامهم. والنّهي عن الإسراف يدل على تحريمٍ بقوله تعالى «إنه

(١) انظر أسباب النزول ص١٥١.

(٢) ٢: ٨٩٤ من حديث هشام بن حكيم عن أبيه، لا عروة.

(٣) انظر مثلاً: الفتح الرباني ١٢: ١٣.

(٤) البيت في اللسان «حرم» غير منسوب.

(٥) ق: كدّي.

(٦) ق: عرياناً.

لا يحب المسرفين﴾. والظاهر تعلّق الإسراف بالأكل والشرب كما يوجد للمترفين في الدنيا من مغالاة التأنق في الأكل بحيث يغرم على الدجاجة الواحدة نحوٌ من عشرين درهماً[1]، وكما يغرم على الرطل من الحلوى نحو من أربعين درهماً. ولقد شاهدنا بعض أكابرهم رسم بأن يُعمل له خميرة وردٍ في مئين من القناني، في كل قنينة أربع[2] أواق، فقيل له الورد كماءٍ حِلٍّ[3] وهو غالٍ. فقال: أليس موجوداً؟ فقيل له: بلى[4]. فقال: كل موجود ليس بغالٍ!. وكما بَلَغنا عن بعض الناس أنه يأكل الفستق مقشوراً بالسكّر النبات في القطايف، وقد سئل في حال من يأكل قشر الموز من الجوع والفقر فقال ذلك الآكل: كلنا فقراء!. وأما تأنّقهم في الأواني الصينيّة ومغالاتهم في أثمانها فكثير، ويُسألون درهماً لفقير فلا يبرّون به.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ هي ما حسّنتهْ الشريعة وقرّرته ممّا يُتجمّل به من الثياب وغيرها. وأضيفت إلى الله تعالى لأنه هو الذي أباحها. و«الطيبات» هي المستلذّات من المأكول والمشروب بطريقه وهو الحِلّ. ومعنى الاستفهام إنكار تحريم هذه الأشياء وتوبيخ محرّميها، وقد كانوا يحرّمون أشياء من لحوم الطّيبات وألبانها. والاستفهام إذا تضمّن الإنكار لا جواب له. ومعنى ﴿أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ أي: أبرزها وأظهرها وفصّل حلالها من حرامها.

﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقرىء: خالصةٌ، بالرفع وقرأ باقي السبعة بالنصب. فأما النصب فعلى الحال والتقدير: قل هي مستقرة للذين

---

(١) ق: درهم.

(٢) ق: أربعة.

(٣) ق: كما دخل، ولعل الصواب ما أثبتّه.

(٤) ق: نعم.

امنوا في حال خلوصها لهم يوم القيامة، وهي حال من الضمير المستكنّ في الجار والمجرور الواقع خبراً لهي، و«في الحياة» متعلق بآمنوا. وأما الرفع فجوّزوا [فيه] أن يكون خبراً لـ«هي»، و«للذين آمنوا» متعلق بـ«خالصة»، و«في الحياة» متعلق بـ«آمنوا»، ويصير المعنى: قل هي خالصة يوم القيامة لمن آمن في الدنيا. ولا يعني يوم القيامة وقت الحساب، وخلوصها كونهم لا يعاقبون عليها، وإلى هذا المعنى يشير[1] ابن جبير. وجوّزوا فيه أن يكون خبراً بعد خبر، والأول هو «للذين آمنوا» و«في الحياة الدنيا» متعلق بما يتعلق به «للذين» وهو الكون المطلق؛ [أي]: قل هي كائنة في الحياة الدنيا للمؤمنين وإن كان يشركهم فيها في الحياة الدنيا الكفار، وخالصة لهم يوم القيامة. ويراد بيوم القيامة استمرار الكون في الجنّة. وهذا المعنى من أنها لهم ولغيرهم في الدنيا خالصة لهم يوم القيامة هو قول ابن عباس وجماعة.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ [٢٠٨/ب] ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ تقدم تفسير الفواحش في أواخر الأنعام[2]. ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ قال ابن عباس: هنا «ما ظهر منها» ما كانت تفعله الجاهلية من نكاح الأبناء نساء الآباء، والجمع بين الأختين، وأن تنكح المرأة على عمّتها وخالتها. «وما بطن» وهو الزّنى. وما عطف عليها بدل من «الفواحش» وهو بدل تفصيلي لانقسام الفواحش إلى ظاهرة وباطنة، ونظيره قوله[3]: [من الطويل]

وكنتُ كذي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صحيحةٍ ... ورِجْلٍ رمى فيها الزمانُ فشَلَّتِ

و﴿ وَٱلْإِثْمَ ﴾ عام يشمل الأقوال والأفعال التي يترتب عليها الإثم.

---

(١) ق: يصير.

(٢) الآية ١٥١.

(٣) البيت لكثيّر عزّة في ديوانه ص٩٩.

﴿وَٱلْبَغْىَ﴾ التعدّى وتجاوز الحدّ مبتدئاً كان أو منتصراً. وقوله ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ زيادة بيان وليس يُتصور بغيٌ بحقٍّ [لأن ما كان بحقّ] لا يسمّى بغياً. وتقدم تفسير «ما لم ينزّل به سلطاناً» في الأنعام[1] فأغنى عن إعادته.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أي: ولكل واحد من الأمة عمر ينتهي إليه بقاؤه في الدنيا، فإذا مات، علم ما كان عليه من حق أو باطل. وقرىء: جاء آجلهم بإبدال همزة «أجلهم» ألفاً، وقرىء أيضاً بحذفها، وقرىء أيضاً بإقرارها همزة. وجواب «إذا» قوله «لا يستأخرون». وقال الحوفي «ولا يستقدمون» معطوف على «يستأخرون» انتهى. وهذا لا يمكن لأنّ إذا شرطية، فالذي يترتب عليها إنما هو مستقبل، ولا يترتب على مجيء الأجل في المستقبل إلا مستقبل، وذلك يُتصور في انتفاء الاستئخار لا في انتفاء الاستقدام، لأن الاستقدام سابق على مجيء الأجل في الاستقبال، فيصير نظير قولك: إذا قمت في المستقبل لم يتقدم قيامك في الماضي. ومعلوم أنه إذا قام في المستقبل، لم يتقدم قيامه هذا في الماضي، وهذا شبيه بقول زهير[2]:

بدا ليَ أني لستُ مُدْرِكَ ما مضى ... ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائيا

ومعلوم أن الشيء إذا كان جائياً إليه لا يسبقه. والذي تُخرّج عليه الآية أن قوله «ولا يستقدمون» منقطع من الجواب على سبيل استئناف إخبار، أي: وهم لا يستقدمون الأجل أي: لا يسبقونه. وصار المعنى أنهم لا يسبقون الأجل ولا يتأخرون عنه.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا

---

(١) الآية ٨١.

(٢) ديوانه ص٢٨٧.

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾».

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ هذا الخطاب هو لبني آدم في الأزل، وقيل: مراعىً به وقت الإنزال، وجاء بصورة الاستقبال، لتقوى الإشارة بصحة النبوّة إلى محمد ﷺ. و«ما» في «إمّا» تأكيد، وجواب الشرط: «فمن اتقى وأصلح».

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ لمّا ذكر المكذبين ذكر من هو أسوأ حالاً منهم وهو من يفتري الكذب على الله تعالى، وذكر أيضاً من كذّب بآياته. «أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب» ذكرو أقوالاً كثيرة؛ والذي يظهر أن الذي كُتب لهم في الدنيا من رزق وأجل وغيرهما ينالهم فيها، ولذلك جاءت التغيِيَةُ بعدها بحتّى. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ تقدم الكلام على «حتى إذا» في أوائل الأنعام[1]. والمعنى أنهم ينالهم حظّهم ممّا كتب لهم إلى أن

(١) الآية ٣١.

تأتيهم رسل الموت يقبضون أرواحهم فيسألونهم سؤال توبيخ وتقرير: أين معبوداتكم من دون الله تعالى؟ فيجيبون بأنهم ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي: هلكوا واضمحلّوا. والرّسل: ملك الموت وأعوانه. و«يتوفونهم» في موضع الحال.

وكتبت «أين ما» متصلة، وكان قياس كتابتها الانفصال، لأن «ما» موصولة كهي في: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ١٣٤﴾ [الأنعام] إذ التقدير: أين الآلهة التي كنتم تعبدون. ومعنى ﴿تَدْعُونَ﴾ أي: تستغيثونهم لقضاء حوائجكم. وجواب سؤالهم ليس مطابقاً من جهة اللفظ، لأن سؤاله عن مكان، وأجيب بفعلٍ، وهو مطابق من جهة المعنى إذ [٢٠٩/أ] تقدير السؤال: ما فعل معبودوكم[1] من دون الله معكم؟ قالوا: ضلّوا عنّا. ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ استئناف إخبار من الله تعالى بإقرارهم على أنفسهم بالكفر.

﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ﴾ أي: يقول الله لهم أي: لكفّار العرب وهم المفترون الكذب والمكذّبون بالآيات وذلك يوم القيامة. وعبّر بالماضي لتحقق وقوعه، وقوله ذلك على لسان الملائكة. ويتعلق «في أمم» في الظاهر بـ«ادخلوا» والمعنى: في جملة أمم، ويحتمل أن يتعلق بمحذوف، فيكون في موضع الحال. و﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ أي: تقدمتكم في الحياة الدنيا أو تقدم دخولها في النار. وقدم الجنّ لأنهم الأصل في الإغواء والإضلال، ودلّ ذلك على أن عصاة الجن يدخلون النار. و«في النار» متعلق بـ«خَلَتْ» على أن المعنى: تقدم دخولها، أو بمحذوف هو صفة «لأمم» أي: في أمم سابقة في الزمان كائنة من الجن والإنس كائنة في النار.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: «كلّما» للتكرار ولا يستوي ذلك في الأمة

---

(١) ق: معبودكم.

الأولى، فاللاحقة تلعن السابقة أو يلعن بعض الأمة الداخلة بعضها. ومعنى «أختها» أي: في الدين، والمعنى كلما دخلت أمة من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان وغيرهم من الكفار. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾: «حتى» غاية لما قبلها، والمعنى أنهم يدخلون فوجاً ففوجاً لاعناً بعضهم بعضاً إلى انتهاء تداركهم وتلاحقهم في النار واجتماعهم فيها. وأصل «اداركوا» تداركوا، أدغمت التاء في الدال، فاجتُلبت همزة الوصل.

وأخرى هنا بمعنى آخِرة مؤنث آخِر مقابل أول لا مؤنث آخَر بمعنى غير كقوله تعالى ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ ١٦٤﴾ [الأنعام]. واللام في «لأولاهم» لام السبب أي: لأجل أولاهم، لأن خطابهم مع الله تعالى لا معهم. «أضلّونا» شرعوا لنا الضلال وجعلونا نضلّ وحملونا عليه. ﴿ضِعْفًا﴾ زائداً على عذابنا إذ هم كافرون ومسبّبو كفرنا. ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: لكلٍّ من الأخرى والأولى عذاب مضاعف زائد إلى غير نهاية، وذلك أن العذاب مؤبّد فكلّ ألمٍ يعقبه آخر. وقرأ الجمهور بالتاء على الخطاب للسائلين، أي: لا تعلمون ما لكلّ فريق من العذاب أو لا تعلمون المقادير وصور العذاب. أو خطاب لأهل الدنيا أي: ولكن يا أهل الدنيا لا تعلمون مقدار ذلك. وهذه الجملة ردٌّ على أولئك السائلين وعدم إسعاف لما طلبوا.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ أي: قالت الطائفة المتبوعة للطائفة المتَّبِعة. واللام في «لأخراهم» لام التبليغ نحو: قلت لك اصنع كذا، لأن الخطاب هو مع أُخراهم، بخلاف اللام في «لأولاهم» فإنها كما ذكرنا لام السبب لأن الخطاب هناك هو مع الله تعالى. وقبل قوله «فما» جملة محذوفة وتقديرها: فما أجابكم الله تعالى إلى ما طلبتم من تضعيف العذاب لنا. ﴿فَمَا [كَانَ] لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ باتّباعكم إيّانا في الدنيا، بل كفرتم اختياراً لا أنّا حملناكم على ذلك إجباراً. وأنّ قوله ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ من كلام الأولى خطاباً

للأخرى على سبيل التشفّي منهم، وأنّ ذوق العذاب بما كسبتم من الآثام لا بسبب دعواكم أنّا أضللناكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا﴾ أي: عن قبولها والتفكّر فيها والإيمان بها، والاستكبار هو نتيجة التكذيب. ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ قرىء: لا تفتح، مخففاً ومثقّلاً وبياء الغيبة. «أبواب السماء» قال ابن عباس لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لما يريدون به طاعته [٢٠٩/ب] تعالى، أي: لا يصعد لهم عمل صالح فتفتح له[1] أبواب السماء. وقيل: المعنى لا تفتح لهم أبواب السماء في القيامة ليدخلوا منها إلى الجنّة. ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ الولوج التقحّم في الشيء. «الجمل» الحيوان المعروف، والجمل حبل السفينة، ولغاته تأتي في المركبات[2]. ﴿سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ ثقبه. وتضمّ سين «سمّ» وتفتح وتكسر. وكل ثقب في أنف أو أذن أو غير ذلك فالعرب تسمّيه سَمّاً. و«الخِياط» المِخْيَط وهما آلتان كإزار ومئزر ولحاف ومِلْحف وقناع ومِقْنع. و«يلج» هذا نفي مُغَيّا بمستحيل، وذكر الجمل لأنه أعظم الحيوان المزاول للإنسان جثّة، فلا يلج إلا في باب واسع، فلا يدخلون الجنة أبداً. وقال الشاعر[3]: [من الوافر]

لقد عَظُمَ البعيرُ بغير لُبٍّ ... فَلَمْ يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البعيرُ

وقرأ ابن عباس في جماعة، وأبان عن عاصم: الجُمَّل، بضم الجيم والتشديد وفُسّر بالقلس الغليظ وهو حبل السفينة، تُجمع حبال وتُفتل وتصير

(١) ق: لهم.

(٢) انظر البحر ٤: ٢٩٧، وكذا اللسان «جمل».

(٣) البيت للعباس بن مرداس في الحماسة ٣: ١١٥٥.

حبلاً واحداً. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل [ذلك] الجزاء نجزي أهل الجرائم.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ هذه استعارة لما يحيط بهم من النار من كل جانب، كما قال تعالى ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر]. والغواشي: جمع غاشية، قال ابن عباس: هي اللحف.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لما أخبر تعالى بوعيد(١) الكفار أخبر بوعد المؤمنين. وخبر «والذين» الجملة من «لا نكلّف نفساً» أي: منهم، أو الجملة من «أولئك» وما بعده، وتكون جملة «لا نكلف» اعتراضاً بين المبتدأ والخبر، وفائدته أنه لما ذكر قوله «وعملوا الصالحات» نبّه على أن ذلك العمل وُسْعهم وغير خارج عن قدرتهم. وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عِظَم محلّها يُوصَل إليها بالعمل السهل من غير مشقة.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الغل]: الحقد والإحنة الخفية في النفس وجمعها غلال، ومنه الغلول: أخذ الشيء في خفاء. «ونزعنا» أي: أذهبنا في الجنة ما انطوت عليه صدورهم من الحقود. ونزع الغلّ في الجنة أن لا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم، وكنّى بالصدر عن الشخص. والذي

---

(١) ق: بوعد.

يظهر أن النزع للغلّ كناية عن خَلْقهم في الآخرة سالمي القلوب طاهريها متوادّين متعاطفين كما قال تعالى ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر].

و﴿تَجْرِي﴾ حال، قاله الحوفي، قال: والعامل فيه «نزعنا». وقال أبو البقاء: حال والعامل معنى الإضافة. وكلا القولين لا يصحّ لأنّ «تجري» ليس من صفات الفاعل الذي هو ضمير «نزعنا»، ولا من صفات المفعول الذي هو «ما في صدورهم»، ولأنّ[1] معنى الإضافة لا يعمل إلا إذا كانت إضافةً يمكن للمضاف أن يعمل إذا جُرّد من الإضافة رفعاً ونصباً فيما بعده. والظاهر أنه خبر مستأنف عن صفة حالهم.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ أي: وفّقنا لتحصيل هذا النعيم الذي صرنا إليه بالإيمان والعمل الصالح، إذ هو نعمة عظيمة، يجب عليهم بها حمده والثناء عليه. «وما كنا» وقرىء: ما كنّا. ومعنى «لنهتدي» أي: من ذوات أنفسنا، «لولا أن هدانا الله». وجواب لولا الجملة قبلها وهو «وما كنّا لنهتدي»، ولا ينكر تقديم جواب لولا عليها، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ۝١٠﴾ [القصص] وقوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ [٢١٠/أ] رَبِّهِ ۝٢٤﴾ [يوسف][2] وإن كان الأكثر في لسان العرب تأخير جواب لولا كقوله تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ ۝٢١﴾ [النور]. و«أن هدانا» في موضع رفع بالابتداء تقديره: لولا هداية الله إيانا.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالموعود الذي وعدونا في الدنيا، قَضَوا بأنّ ذلك حقٌّ قضاءَ مشاهدةٍ بالحسّ، وكانوا في الدنيا يقضون بذلك قضاء

---

(١) ق: وكان.

(٢) ق: وهمّت به لولا.

استدلال. ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾ يُحتمل أن يكون النداء من الله تعالى، وهو لقلوبهم أسرّ وأرفع لقدرهم، ويحتمل أن يكون من الملائكة. ويحتمل أن تكون [أنْ] المخففة من الثقيلة أي: ونودوا بأنّه تلكم الجنة، واسمها ضمير الشأن يحذف إذا خفّفت. ويحتمل أن تكون «أنْ» مفسّرة لوجود شرطيها وهما أن يكون قبلها جملة في معنى القول وبعدها جملة وكأنه قيل: تلكم الجنّة. و«تلكم» اسم إشارة والذي بعدها خطاب للجماعة، والمعنى أن البعد فيها باعتبار سَبْق الوعد بها في الدنيا، و«الجنة» صفة لـ«تلكم»، و«أورثتموها» خبر عن تلكم، والهمزة في «أورثتموها» بدل من واو بدلاً جائزاً، لأن أصل المادة الواو والراء والثاء تقول: وَرِثَ يَرِثُ، ولو قرىء: وُورثتموها لكان عربياً لأن «فاعِل» من ذوات الواو نحو واري إذا بنيت للمفعول يجوز أن تبدل [واوه] همزة فتقول: أوري، وأصله وُوري.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي

﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: من فريقي الجنّة والنار بعلامتهم التي يتميّزون بها من ابيضاض وجوه واسوداد وجوه. وفي هذه الجملة التجنيس[١] المغاير، وهو أن يكون إحدى الكلمتين اسماً والأخرى فعلاً، فـ«الأعراف» اسم و«يعرفون» فعل. والرجال: قوم تساوت حسناتهم وسيّئاتهم وقفوا هنالك ما شاء الله تعالى لم تبلغ حسناتهم بهم دخول الجنة ولا سيّئاتهم دخول النار. وروي في مسند ابن أبي خيثمة[٢] عن جابر عن رسول الله ﷺ حديث فيه: «قيل: يا رسول الله من استوت حسناته وسيّئاته؟. قال: أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها، وهم يطمعون».

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ الضمير في «نادَوْا» عائد على «رجال». و«أن» تفسيرية أو مخفّفة من الثقيلة كما تقدّم. و﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ جملة حالية العامل فيها «نادَوْا» [أي: نادَوْا] غيرَ داخلي الجنّة. ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ جملة حالية أيضاً أي: يطمعون في دخولها. وأجاز الزمخشري[٣] أن يكون «لم يدخلوها وهم يطمعون» صفة لرجال. وهو بعيد، للفصل بين الموصوف والصفة بجملة «ونادوا» وليست جملة اعتراض.

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ الضمير في «أبصارهم» عائد على رجال الأعراف يسلّمون على أهل الجنة وإذا نظروا إلى أهل النار دعوا الله تعالى في التخلص منهم، قاله ابن عباس وجماعة. وفي قوله «صُرفت» دليل على أن أكثر أحوالهم النظر إلى تلقاء أصحاب الجنة، وأنّ نظرهم إلى أصحاب النار

(١) ق: من التجنيس.

(٢) حديث مرفوع رواه الحافظ ابن مردويه وأورده ابن كثير ٣: ١٧١ وقال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٣) الكشاف ٢: ٨٢.

بكونهم صُرفت أبصارهم تلقاءهم، فليس الصرف من قِبَلِهم بل هم محمولون عليه مفعول بهم ذلك: لأن ذلك المُطَّلَع مَخُوفٌ من سماعه فضلاً عن رؤيته فضلاً عن التلّبس به. والمعنى أنهم إذا حُملوا على صرف أبصارهم، ورأوا ما هم عليه، استغاثوا بربّهم من أن يجعلهم معهم. ولفظة «ربنا» مشعرة بوصفه تعالى بأنه مصلحهم وسيّدهم وهم عبيده، فبالدعاء به طلب رحمته واستعطاف كرمه. و«تلقاء» تفعال من اللقاء، استعمل ظرف مكان، تقول: زيد تلقاء عمرو، أي: مكان لقائه وجهته.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا ﴾ الآية، هذا النداء وأولئك الرجال في النار، ومعرفتهم [إياهم] في الدنيا بعلامات. ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ ﴾ في الدنيا: المال والولد والأجناد والحجّاب والجيوش. و«ما أغنى» استفهام توبيخ وتقريع، و«ما» في «ما أغنى» يجوز أن تكون نافية، و«ما» في «وما كنتم» مصدرية أي: وكونكم تستكبرون. وقرأت فرقة: تستكثرون بالثاء المثلثة من الكثرة.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ هذا يقتضي سماع كلٍّ من الفريقين كلام الآخر، وهذا جائز عقلاً على بعد المسافة بينهما من العلوّ والسّفل، وجائز أن يكون ذلك مع رؤية واطّلاع من الله تعالى، وذلك أخزى وأنكى للكفار، وجائز أن يكون ذلك وبينهم الحجاب والسّور. وعن ابن عباس أنه لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج بعد اليأس فقالوا: يا ربّ لنا قرابات من أهل الجنة فأْذن لنا حتى نراهم ونكلّمهم، فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم، ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم قد اسودّت وجوههم وصاروا خَلْقاً آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وأخبروهم

بقراباتهم، فينادي الرجلَ أخوه فيقول: يا أخي قد احترقتُ فأغثني. فيقول: إن الله حرّمهما على الكافرين. ويحتمل أن تكون [أن] مصدرية ومفسّرة [٢١١/أ] وكلام ابن عباس يدلّ[1] على أن هذا النداء كان عن رجاء وطمع في حصول ذلك، وقيل: [هو] مع اليأس لأنهم قد علموا دوام عقابهم وأنه[2] لا يفترّ عنهم، ولكنّ اليائس من الشيء قد يطلبه كما يقال: إنّ الغريق يتعلّق بالزّبد، وإن علم أنه لا يغنيه.

و«أفيضوا» أمكن من: اسقونا لأنها تقتضي التوسعة، كما يقال: أفاض الله عليه نعمه أي: وسّعها. وسؤالهم الماء لشدّة التهابهم واحتراقهم، ولأن من عادته إطفاء النار. ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ لأن البنية البشرية لا تستغني عن الطعام إذ هو مقوّيها[3]، أو لرجائهم الرحمة بأكل طعام أهل الجنة، و«أو» على بابها من كونهم سألوا أحد الشيئين، وأتى «أو ممّا رزقكم الله» عاماً. والعطف بأو يدلّ على أن الأول لا يندرج في العموم، وقيل: أو بمعنى الواو لقولهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾، وقيل: المعنى: حرّم كلاًّ منهما، فأو على بابها. و«ما رزقكم الله» عامّ فيدخل فيه الطعام والفاكهة والأشربة غير الماء، أو تضمّن «أفيضوا» معنى: ألقوا، فيتعدى للماء ولغيره. و«ما» في «ممّا» موصولة والعائد عليها محذوف تقديره رزقكموه، ومعنى التحريم هنا المنع كما قال[4]: [من الطويل]

---

(١) ق: يقتضي يدل.

(٢) ق: وأنهم.

(٣) ق: مقولها.

(٤) لم أتعرّف تمامه وقائله وانظر البحر ٤: ٣٠٥.

حرامٌ على عينيّ أن تطعما[١] الكرى

وإخبارهم بذلك هو عن أمر الله تعالى.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ تقدم تفسيرها في الأنعام[٢] فأغنى عن إعادته. ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ هذا إخبار من الله تعالى عمّا يفعل بهم، قال ابن عباس وجماعة: يتركهم في العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم. ﴿وَمَا كَانُوا۟﴾ معطوف على «ما نَسُوا» و«ما» فيهما مصدرية، والكاف في «كما» للتعليل أي: لنسيانهم وكونهم جحدوا بآيات الله.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ الضمير في «جئناهم» عائد على من تقدم ذكره، ويكون الكتاب على هذا جنساً، أي: بكتاب إلهي، إذ الضمير عام في الكفار، و﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ صفة لكتاب، و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ الظاهر أنه حال من فاعل «فصّلناه». وانتصب «هدى ورحمة» على الحال، وقيل مفعول من أجله أي: لأجل الهدى. وقرىء بالرفع، أي: هو هدى ورحمة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ أي: مآل أمره وعاقبته، قال ابن عباس: مآله يوم القيامة. ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: يظهر عاقبة ما أخبر به من الوعد والوعيد، يسأل تاركو اتّباع الرسل: هل لنا من شفعاء. والناصب ليوم: «يقول»، والجملة بعد «يوم» في تقدير مصدر أي: يوم إتيان تأويله. ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ أي: تركوا العمل به واتّباعه. ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ هو معمول القول، و«مِن» زائدة و«شفعاء» مبتدأ و«لنا» في موضع الخبر، و﴿فَيَشْفَعُوا۟﴾ جواب الاستفهام منصوب بحذف النون. ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ هو على إضمار هل أي: هل

---

(١) ق: تطعم.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٠.

نرد، وجوابه «فنعمل»، عطف جملة استفهام فعلية على جملة استفهام اسمية. ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: خسروا في تجارة أنفسهم حيث ابتاعوا الخسيس الفاني من الدنيا بالنفيس الباقي من الآخرة، وبطل عنهم افتراؤهم على الله تعالى ما لم يقُلْه ولا أمر به، وكذبُهم في اتخاذهم آلهة [من] دون الله تعالى.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، لما ذكر تعالى أشياء من مبدأ خلق الإنسان وانقسامهم إلى مؤمن وكافر ومعادهم وحشرهم إلى جنة ونار، ذكر مبدأ العالم واختراعه، ثم بعد إلى النبوة والرسالة، إذ مدار القرآن على تقرير المسائل الأربع: التوحيد والقدرة والمعاد والنبوّة. و«ربكم» خطاب عامّ للمؤمن والكافر. ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في صحيح مسلم[1] عن أبي هريرة قال «أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: خلق الله عزّ وجلّ التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق [٢١١/ب] الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدوابّ يوم

(١) ٤: ٢١٤٩.

الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل».

وأما استواؤه تعالى على العرش فحمَلَه على ظاهره من الاستقرار بذاته على العرش قوم. والجمهور من السلف السفيانان ومالك والأوزاعي والليث وابن المبارك وغيرهم في أحاديث الصفات على الإيمان بها وإمرارها على ما أراد الله تعالى من غير تعيين مراد، وقوم تأوّلوا ذلك على عدّة تأويلات، ومسألة الاستواء مذكورة في علم أصول الدين. و«العرش» السقف، وكلُّ ما علا وأظلّ فهو عرش.

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ التغشية التغطية، والمعنى أنه يُذهب الليل نور النهار، [فالليل للسكون والنهار للحركات. وفحوى الكلام يدل على أن النهار يُغشيه الله الليل]. وهما مفعولان [لأنّ] التضعيف والهمزة مُعدّيان. وقرىء بالتضعيف والهمز. وقرأ حميد بن قيس: يَغْشَى الليلُ، بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وضمّ اللام كذا قال عنه أبو عمرو[1] الداني. وقال أبو الفتح بن جني عن حميد بنصب «الليل» ورفع «النهار». قال ابن عطية: وأبو الفتح أثبت [انتهى].

هذا الذي قاله من أنّ أبا الفتح أثبت كلاماً لا يصحّ، إذ رتبة أبي عمرو الداني في القراءات ومعرفتها وضبط رواياتها واختصاصه بذلك، بالمكان الذي لا يدانيه أحد من أئمة القراءة فضلاً عن النحاة الذين ليسوا مقرئين ولا رَوَوُا القرآن عن أحد ولا روى عنهم القرآن أحد، هذا مع الديانة الزائدة والتثبّت في النقل وعدم التجاسر ووفور الحظّ من العربية؛ فقد رأيت له كتاباً في «كلا وكلتا» وكتاباً في إدغام أبي عمرو الكبير دلاّ على اطّلاعه

(١) ق: عمر، وكذا في المواضع التالية.

الأرض وإدخال ماهيّته في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان. ومعنى «بعد إصلاحها» أي: بعد أن أصلح [الله] خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلّفين.
﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ لمّا كان الدعاء من ا لله تعالى بمكانٍ، كرّره، فقال أولاً «ادعوا ربكم تضرّعاً وخفية» وهاتان الحالتان من الأوصاف الظاهرة، لأن الخشوع والاستكانة وإخفاء الصوت ليست[1] من الأفعال القلبية. ثم كرّر الأمر[2] بالدّعاء خوفاً وطمعاً وهما من الأوصاف القلبية أي: وجلين مشفقين وراجين مؤمّلين، فبدأ أولاً بأفعال الجوارح ثم ثانياً بأفعال القلوب. وانتصب «خوفاً وطمعاً» على أنهما مصدران في موضع الحال، أو انتصاب المفعول له. وعَطْف أحدهما على الآخر يقتضي أن يكون الخوف والرجاء متساويين.

وقد قال كثير من العلماء: ينبغي أن يغلب الخوف الرجاء طول الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ والرحمة مؤنثة، فقياسها أن يخبر عنها إخبار المؤنث فيقال: قريبة. قال الفرّاء[3]: إذا استعمل في النسب والقرابة فهي مع المؤنث بتاء ولا بدّ، تقول: هذه قريبة فلان، وإذا استعملت في قرب المسافة أو الزمن فقد تجيء مع المؤنث بتاء وقد تجيء بغير تاء، تقول: دارك منّي قريب، وفلانة منّا قريب، ومن هذا قول الشاعر[4]:

عشيّـةَ لا عَفْـراءُ منـكَ قـريبـةٌ   فَتَـدْنُـو ولا عَفْـراءُ منـكَ بعيـدُ

[من الطويل]

---

(١) ق: ليسا.

(٢) ق: أمر.

(٣) معاني القرآن ١ : ٣٨٠، والنصّ منقول بتصرف.

(٤) البيت في سمط اللآلي ١ : ٤٠١ لعروة بن حزام.

فجمع في هذا البيت بين الوجهين، انتهى. وقال تعالى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ [الأحزاب] وقال الشاعر[1]: [من الطويل]

له الويل إن أمسى ولا أمُّ هاشم قريبٌ ولا البَسْباسةُ ابنةُ يشكرا

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ لمّا ذكر تعالى الدلائل على كمال ألوهيّته وقدرته وعلمه من العالم العلوي، أتبعها بالدلائل من العالم السفلي، وجعل الخبر موصولاً في «إن ربكم الله الذي»[2] وفي «وهو الذي» دلالة على كون ذلك معهوداً عند السامع مفروغاً من تحقق النسبة فيه والعلم به، ولم يأت التركيب: إن ربكم خلق، ولا: وهو يرسل الرياح. قرىء: نُشُراً، جمع نَشور كصَبور وصُبُر. وقرىء: نُشْراً بإسكان الشين تخفيفاً [٢١٢/ب] من الضمّ كرُسُل ورُسْل. ونَشْراً: مصدر نَشَر. وبُشْرى، والألف للتأنيث وهو مصدر بشّر كرُجعى. ومعنى ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: أمام نعمته وهو المطر الذي هو من أجلّ النّعم وأحسنها أثراً. والتعبير عن أمام الرحمة بقوله «بين يدي رحمته» من مجاز الاستعارة، إذ الحقيقة هو ما بين يدي الإنسان من الأجرام.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ هذه غاية لإرسال الرياح، والمعنى أنه تعالى يرسل الرياح منشّرات أو مبشّرات إلى سَوْقَ السحاب وقت إقلاله إلى بلد ميّت. و«السحاب» اسم جنس بينه وبين مفرده تاء التأنيث فيذكّر كقوله تعالى ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ ۝١٦٤﴾ [البقرة] ويؤنث ويوصف ويخبر عنه بالجمع كقوله تعالى «ثقالاً» وثقله بالماء الذي فيه. ونسب السَّوق إليه تعالى بنون العظمة التفاتاً، إذ فيه خروج من ضمير الغيبة في «رحمته» إلى ضمير المتكلم في

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٦٨.

(٢) الآية ٥٤ المتقدمة.

«سقناه» لما فيه من عظيم المنّة وجليل النعمة. وذكّر الضمير في «سقناه» رعياً للفظه كما قلنا إنه يذكّر. واللام في «لبلد» لام التبليغ كقولك: قلت لك. وقال الزمخشري[1]: لأجل بلد. فجعل اللام لام العلّة ولا يظهر، وفرقٌ بين قولك: سقتُ لك مالاً، وسقت لأجلك مالاً، فإن الأول معناه: أوصَلْتُه لك وأبْلَغْتُكَهُ[2]، والثاني لا يلزم منه وصوله إليه بل قد يكون الذي وصل إليه المال غير الذي علّل به السَّوق؛ ألا ترى صحّة قول القائل: لأجل زيد سقتُ لك مالك؟. ووَصْفُ البلد بالموت استعارة حسنة لجدبه وعدم نباته، كأنه من حيث عدم الانتفاع به كالجسد الذي لا روح فيه.

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ الظاهر أن الباء ظرفية والضمير عائد على «بلدٍ ميت» أي: فأنزلنا فيه الماء وهو أقرب مذكور فحسن عَوْده إليه. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي: بالماء. ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ظاهره العموم. ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [أي: مثل هذا الإخراج وهو إخراج النبات نخرج الموتى] من قبورهم أحياءً إلى الحشر. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بإخراج الثمرات وإنشائها خروجكم للبعث إذ الإخراجان سواء؛ فهذا الإخراج المشاهَد، نظيره الإخراج الموعود به.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾. «الطّيب» الجيّد التّربة الكريم الأرض. ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ المكان السّبخ الذي لا يُنبت ما يُنتفع به وهو الرديء من الأرض. ولما قال «فأخرجنا به من كل الثمرات» تمّم هذا المعنى بكيفيّة ما يخرج من النبات من الأرض الكريمة والأرض السّبخة. وفي الكلام حال محذوفة أي: يخرج نباته وافياً حسناً، وحذفت لفهم المعنى، ولدلالة البلد الطيب عليها، ولمقابلتها بقوله «إلا نكداً»، ولدلالة «بإذن ربه» لأن ما أذن تعالى في

---

(١) الكشاف ٢: ٨٤.

(٢) ق: وأبلغتك هو.

إخراجه لا يكون إلا على أحسن حال. و«بإذن ربّه» في موضع الحال. وخصّ خروج النبات[1] الطيب بقوله «بإذن ربه» على سبيل المدح له والتشريف ونسبة الأشياء الشريفة الطيّبة إليه تعالى وإن [كان] كلا النّباتَيْن يخرج بإذنه تعالى. ومعنى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بتيسيره. وحذف من الجملة الثانية الموصوف أيضاً والتقدير: والبلد الذي خبث، لدلالة «والبلد الطيب» عليه، فكلٌّ من الجملتين فيه حذف.

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ أي: مثل هذا التصريف والترديد والتنويع، ننوّع الآيات ونردّدها وهي الحجج الدالّة على الوحدانية والقدرة التامّة الباهرة والفعل بالاختيار. ولمّا كان ما سبق ذكره من إرسال الرياح مبشرات ومنشّرات سبباً لإيجاد النبات الذي هو سبب إيجاد الحياة وديمومتها، كان ذلك أكبر نعمة على الخلق فقال «لقوم يشكرون» أي: يشكرون هذه النعمة التي لا تكاد توازيها نعمة. وخصّ الشاكرين لأنهم هم المنتفعون بهذه النعم.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

(١) ق: نبات.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ لما ذكر تعالى في هذه السورة مبدأ الخلق الإنساني، وهو آدم عليه السلام، وقصّ من أخباره ما قصّ، واستطرد من ذلك [٢١٣/أ] إلى المعاد ومصير أهل السعادة إلى الجنة وأهل الشقاوة إلى النار، قصّ تعالى على نبيّه ﷺ أحوال الرسل الذين كانوا قبله وأحوال من بُعثوا إليه، على سبيل التسلية له، عليه السلام، والتأسّي بهم، فبدأ بنوح عليه السّلام، إذ هو آدم الثاني وأول رسول بُعث إلى من في الأرض، وأمّته أَدْوَمُ تكذيباً له وأقلّ استجابة له. وتقدّم رفع نسبه إلى آدم عليهما السلام[1]. وكان نجّاراً، بعثه الله إلى قومه، وهو ابن أربعين سنة، قاله ابن عباس. قال الزمخشري[2]: فإن قلت: ما بالهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع «قد» وقلّ عنهم نحو[3]: [من الطويل]

حلفتُ لها بالله حَلْفَةَ فاجرٍ لَنَامُوا [فما إنْ من حديثٍ ولا صالِ]

قلت: إنّما كان ذلك لأن الجملة القَسَميّة لا تساق إلا تأكيداً لجملة القسم التي هي جوابها، فكان مظنّة لمعنى التوقّع الذي هو معنى «قد» عند استماع المخاطب كلمة القسم انتهى. وبعض أصحابنا يقول: إذا أُقسم على جملة مصدّرة بماضٍ مثبت متصرّف وكان قريباً[4] من زمان الحال، أتيتَ مع اللام بقد الدالّة على التقريب من زمن الحال، ولم تأت بقد بل باللام وحدها إن لم تُرد التقريب.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾ في ندائه قومه تنبيه لهم لما يلقيه إليهم واستعطاف وتذكير

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٣ من آل عمران.

(٢) الكشاف ٢ : ٨٤.

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٣٢.

(٤) ق: وكان فيها من.

بأنهم قومه، فالمناسب أن لا يخالفوه. ومعمول القول جملة الأمر بعبادة الله تعالى وحده ورفض آلهتهم المسمّاة ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً وغيرها، والجملة المنبّهة على الوصف الداعي إلى عبادة الله تعالى وهو انفراده بالألوهية المرجوّ إحسانه المحذور انتقامه دون آلهتهم. ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ[1] غَيْرُهُۥٓ﴾ [قرىء: غيرِه] بالجرّ نعتاً للإله على اللفظ، وقرىء: غيرُه بالرفع نعتاً للإله على الموضع، و«من» زائدة و«إله» مبتدأ و«لكم» خبره. و﴿أَخَافُ﴾ على بابها من الخوف لأنه يجوز عنده أن يؤمنوا[2] أو يؤمن بعضهم. و﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يوم القيامة أو يوم حلول العذاب بهم في الدنيا وهو الطوفان. وفي هذه الجملة إظهار الشفقة والحنوّ عليهم.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ الملأ: الأشراف وسادتهم وهم الذين يتعاصون على الرسل لانغمار عقولهم بالدنيا وطلب الرئاسة والعلوّ فيها. و«نراك» الظاهر أنّها من رؤية البصر. و﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ جعلوه ظرفاً لنوح عليه السلام. ومعنى ﴿مُّبِينٍ﴾ واضح. وجاءت جملة جوابهم مؤكّدة بإنّ واللام.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ لم يَرد النفي منه على لفظ ما قالوه، فلم يأت التركيب: لست في ضلال مبين، بل جاء في غاية الحسن من نَفْي أن يلتبس به ويختلط ضلالة ما واحدة، فأنّى يكون في ضلال؟ فهذا أبلغ في الانتفاء من الضلال إذ لم تعتلق به ضلالة واحدة. وفي ندائه لهم ثانياً والإعراض عن جفائهم ما يدل على سعة صدره والتلطّف بهم. ولمّا نفى عنه التباس ضلالةٍ ما به، دلّ على أنه على الصراط المسقيم، فصحّ أن يستدرك كما تقول: ما زيد بضالٍّ لكنّه مهتدٍ. فلكنّ واقعة بين نقيضين لأنّ الإنسان لا يخلو من أحد

---

(١) ق: من الله.

(٢) ق: أن يكونوا يؤمنوا.

الشيئين: الضلال والهدى، ولا تُجامع الضلالة الرسالة. وفي قوله ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تنبيه على أنه ربّهم لأنهم من جملة العوالم، أي: من ربكم المالك لأموركم الناظر لكم بالمصلحة حيث وجّه إليكم رسولاً يدعوكم إلى إفراده تعالى بالعبادة.

و﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ استئناف على سبيل البيان لكونه رسولاً، أو جملة في موضع الصفة لـ«رسول» ملحوظاً فيه كونه خبراً لضمير متكلم كما تقول: أنا رجل آمر بالمعروف، فتراعي لفظ أنا، ويجوز: يأمر بالمعروف، تراعي لفظ رجل. والأكثر مراعاة ضمير المتكلم والمخاطب، فيعود الضمير ضمير متكلم أو مخاطب، قال تعالى ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل] بالتاء، ولو قرئ بالياء لكان عربياً مراعاةً للفظ [٢١٣/ب] «قوم» لأنه غائب. وجمع ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾ باعتبار ما أوحي إليه في الأزمان المتطاولة، أو باعتبار المعاني المختلفة من الأمر والنهي والزجر والوعظ والتبشير والإنذار، أو باعتبار ما أوحي إليه وإلى من قبله. وتقدم الكلام على «نصح»[(١)] وتعديتها باللّام إلى المفعول وبغير اللام نحو نصحت زيداً ونصحت لزيد كقول الشاعر[(٢)]:

[من الطويل]

نَصَحْتُ بني عوفٍ فلم يَتَقَبَّلوا وَصاتي ولم تَنجَحْ لديهم وسائلي

وفي قوله ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إبهام عليهم، وهو عام ولكن ساق ذلك مساق المعلومات التي يخاف عليهم ولم يسمعوا قطّ بأمّة عذّبت فتضمّن التهديد والوعيد. وما أحسن سياق هذه الأفعال: قال أولاً «أبلغكم رسالات ربي» وهذا مبدأ أمره معهم وهو التبليغ كما قال ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى]

---

(١) انظر تفسير الآية ٢١ من هذه السورة.

(٢) البيت للنابغة في ديوانه ص٦٧.

ثم قال «وأنصح لكم» أي: أخلص لكم في تبيين الرشد والسّلامة في العاقبة إذا عبدتم الله تعالى وحده، ثم قال «وأعلم من الله ما لا تعلمون» من بطشه بكم، وهو مآل أمركم إذا لم تفردوه بالعبادة، فنبّه على مبدأ أمره[١] معهم ومنتهاه.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ﴾ الآية، تضمن قولهم ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾ [الأعراف] استبعادهم واستمحالهم ما أخبرهم به من خوف العذاب عليهم، وأنه بعثه الله تعالى إليهم بعبادته وحده ورَفْض آلهتهم وتعجبوا من ذلك. والهمزة للإنكار والتوبيخ، أي: هذا ممّا لا يُتعجّب منه إذ له تعالى التصرف التّام بإرسال من يشاء لمن يشاء. قال الزمخشري[٢]: الواو للعطف والمعطوف [عليه] محذوف كأنه قيل: أكذّبتم وعجبتم أن جاءكم انتهى. وهذا كلام مخالف لكلام سيبويه والنّحاة، لأنهم يقولون إن الواو لعطف ما بعدها على ما قبلها من الكلام ولا حذف هناك، وكان الأصل: وَأَعَجبتم، لكنه اعتنى بهمزة الاستفهام، فقُدّمت على حرف العطف، لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿أَن جَآءَكُمْ﴾ على إسقاط حرف الجر تقديره: لِأَنْ جاءكم، وهو تعليل لعجبهم. ﴿ذِكْرٌ﴾ أي: كتاب. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو على حذف مضاف تقديره: على لسان رجل منكم[٣]. ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ به أي: فجاءكم الذكر للإنذار بالمخوف، [والإنذار بالمخوف] لأجل وجود التقوى منهم، ووجود التقوى

---

(١) ق: أمرهم.

(٢) الكشاف ٢ : ٨٦.

(٣) تقدّم في ق والمطبوع شرح «ذكر من ربكم على رجل» على شرح «أن جاءكم» فأعدته إلى سياقه.

لرجاء الرحمة وحصولها. فعلّل المجيء بجميع هذه العلل المرتّبة، لأن المرتّب على السبب سبب.

وفي قوله ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ إعلام بعلّة الغرق وهو التكذيب. و﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يقتضي أن نوحاً عليه السلام كانت له آيات ومعجزات تدلّ على إرساله. و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ يذكّر ويُفرد كقوله تعالى ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ [الشعراء] ويجمع كقوله تعالى ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم ﴿٢٢﴾﴾ [يونس]. ويتعلق «في الفلك» بما تعلّق به الظرف الواقع صلة أي: والذين استقرّوا معه في الفلك، ويحتمل أن يتعلق بـ«أنجيناه» أي: أنجيناهم في السفينة من الطوفان. و﴿عَمِينَ﴾ من عمى القلب أي: غير مستبصرين. ويدلّ على ثبوت هذا الوصف كونه جاء على وزن فَعِل، ولو قصد الحدوث لجاء على فاعل. وقال معاذ النحوي: يقال: رجل عَمٍ في أمره: لا يبصره، وأعمى: في البصر، قال الشاعر[1]: [من الطويل]

[وأعْلَمُ ما في اليومِ والأمسِ قبلَه] ولكنّني عن عِلْمِ ما في غدٍ عَمِي

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ

---

(١) هو زهير والبيت في ديوانه ص٢٩.

إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ «إلى» متعلقة بمحذوف تقديره: وأرسلنا إلى عاد. و«عاد» اسم الحي ولذلك صَرَفَهُ، وبعضهم جعله اسماً للقبيلة فمنعه الصرف، قال الشاعر[1]: [من الرجز]

لو شَهِدَ عادَ في زمان عادِ لَابْتَـزَّهـا مبـارِكَ الجـلادِ

سمّيت القبيلة باسم أبيهم وهو عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. وهود: قال [٢١٤/أ] شيخنا الأستاذ الحافظ أبو الحسن الأبذي النحوي المعروف، إن هوداً عربي، والذي يظهر من كلام سيبويه لمّا عدّه مع نوح ولوط وهما عجميّان، أنه عجميٌّ عنده انتهى. وهود[2]: هو عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. ونزل أرضَ اليمن فهو أبو اليمن كلّها. و﴿أَخَاهُمْ﴾ مفعول بأرسلنا المحذوفة، و«أخاهم» ليس من عاد بل هو مجاز كما تقول: يا أخا العرب، للواحد منهم. وقيل من عاد وهو هود بن عبدالله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح، فعلى هذا يكون من عاد. ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ تقدم الكلام على هذا[3].

(١) البيت في الكتاب ٣: ٢٥١، وفي الإنصاف ٢: ٥٠٤ غير منسوب فيهما.

(٢) في المعارف ص١٤ وتفسير القرطبي ٧: ٢٣٦: هو هود بن عبد الله بن رباح بن جاوب بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح.

(٣) انظر تفسير الآية ٥٩ من السورة.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ استعطاف وتحضيض على تحصيل التقوى مخافة أن يحلّ بهم واقعة تشبه واقعة قوم نوح.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ أتى بوصف الملأ بالذين كفروا ولم يأت بهذا الوصف في قوم نوح، لأن قوم هود كان في أشرافهم من كان آمن به، منهم مرثد بن سعد بن عفير، ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن فلذلك قالوا ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء]. ﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾ أي: في خفّة حلم وسخافة عقل. و«في سفاهة» يقتضي أنه فيها قد احتوت عليه كالظرف المحتوي على الشيء. وأتبعوا ذلك بقولهم ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فدلّ ذلك على أنه أخبرهم بما يحلّ بهم من العذاب إن لم يتّقوا الله تعالى.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾ تقدّمت كيفية هذا النفي في قوله ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴿٦١﴾﴾ [الأعراف] وهناك جاء: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف] وهنا جاء «وأنا لكم ناصح أمين». لما كان آخر جوابهم جملة اسمية، جاء قوله كذلك؛ فقالوا هم: «وإنا لنظنك من الكاذبين» قال هود: «وأنا لكم ناصح أمين». وجاء بوصف الأمانة وهي الوصف العظيم الذي حمله الإنسان، ولا أمانة أعظم من أمانة الرسالة وإيصال أعبائها إلى المكلّفين.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ تقدم الكلام عليه(١). ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ﴾. «إذ» ظرف لما مضى، وناصبه محذوف تقديره: واذكروا إنعامه عليكم وقت جعلكم خلفاء، فإنعامه: مفعول اذكروا. قال الزمخشري(٢): «إذ» مفعول به وهو منصوب باذكروا، أي: اذكروا وقت جعلكم.

---

(١) الآية ٦٣ المتقدمة.

(٢) الكشاف ٢ : ٨٧: والعبارة فيه بالمعنى.

وهذا ليس بجيّد لأن إذ من الظروف التي لا تتصرّف فلا تكون مبتدأة ولا فاعلة ولا مفعولة. ومعنى ﴿خُلَفَآءَ﴾ أي: ملوكاً في الأرض استخلفكم فيها. ﴿مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ هذا يدل على قرب زمانهم من زمان نوح. ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ ظاهر بعض التواريخ أن البسطة الامتداد والطول والجمال في الصور والأشكال، ويحتمل أن يكون المعنى: «وزادكم بسطة» أي: اقتداراً في المخلوقين وتسليطاً عليهم واستيلاءً. ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ الآلاء: النعم، واحدها إِلىً نحو مِعىً وأمعاء. ذكّرهم أوّلاً نعماً مخصوصة من جعلهم خلفاء وزيادة البسطة، وذكّرهم ثانياً نعمه مطلقاً، وناط بِذِكْرِ نِعمهِ رجاءَ فلاحِهم.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ الظاهر أنهم أنكروا أن يتركوا أصنامهم ويفردوا الله تعالى بالغبادة، مع اعترافهم بالله تعالى، حُبًّا لما نشؤوا عليه وتألّفاً لما وجدوا آباءهم عليه. ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ دليل على أنه كان يعدهم بعذاب الله تعالى إن أقاموا على الكفر. وقولهم ذلك يدل على تصميمهم [على تكذيبه] واحتقارهم لأمر النبوّة واستعجال العقوبة إذ هي عندهم لا تقع أصلاً.

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ﴾ قال ابن عباس: الرجس: السخط أي: حلّ بكم وتحتّم عليكم. ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ هذا إنكار منه لمخاصمتهم له فيما لا ينبغي فيه الخصام، وهو ذكر ألفاظ ليس تحتها مدلول تستحق به العبادة، فصارت المنازعة باطلة بذلك. ومعنى «سمّيتموها[1] [٢١٤/ب] أنتم وآباؤكم» أي: أحدثتموها قريباً

(١) ق: سمّيتموها سمّيتم.

أنتم وآباؤكم وهي صمود وصداء والهباء[1]، وقد ذكر ذلك مرثد بن سعد في شعره[2]: [من الوافر]

عَصَتْ عادٌ رسولَهُمُ فأَضْحَوْا ... عِطاشاً ما تَبُلُّهُمُ السَّماءُ
لهم صنمٌ يقال له صَمودٌ ... يقابله صَداءٌ والهَباءُ
فَبَصَّرَنا الرسولُ سبيلَ رَشْدٍ ... فأَبْصَرْنا الهدى وجلا العماءُ
وإنّ إله هودٍ هُوْ إلهي ... على الله التوكّلُ والرّجاءُ

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ وهذا غاية في التهديد والوعيد، أي: انتظروا عاقبة أمركم في عبادة غير الله تعالى، وفي تكذيب رسوله، وهذا غاية في الوثوق بما يحلّ بهم وأنه كائن لا محالة.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ يعني من آمن معه برحمة سابقة لهم من الله تعالى وفضل عليهم حيث جعلهم آمنوا[3]، فكان ذلك سبباً لنجاتهم مما أصاب قومهم من العذاب. ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ كناية عن استئصالهم بالهلاك. وتقدم الكلام في «دابر» في قوله ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام]. وفي قوله «الذين كذبوا» تنبيه على علّة قطع دابرهم. وفي قوله «بآياتنا» دليل على أنه كانت لهود عليه السلام معجزات، ولكن لم تذكر لنا بتعيينها. ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ جملة مؤكدة لقوله «كذّبوا بآياتنا»، ويحتمل أن يكون إخباراً من الله تعالى أنهم ممّن علم الله تعالى أنهم لو بقُوا لم يؤمنوا، أي: ما كانوا ممّن يَقْبل إيماناً ألبتّة.

---

(١) انظر الأصنام ص١١٠-١١١.

(٢) لم أعثر عليه، وانظر البحر ٤: ٣٢٦.

(٣) ق: حيث جعلوا منهم.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ ثمود اسم القبيلة سمّيت باسم أبيهم الأكبر وهو ثمود أخو جديس وهما ابنا حاثر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام وإلى وادي القرى. وصالح عليه السلام هو ابن آسف[1] بن كاشح بن أرم بن ثمود بن حاثر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: آية ظاهرة جلية وشاهد على صحّة نبوّتي. وقوله «قد جاءتكم بيّنة من ربكم» كأنه جواب لقولهم[2]: ائتنا ببيّنة تدلّ على صدقك وأنك مرسل إلينا. و«من ربكم»

(١) ق: سالف. وفي الاسم اختلاف، انظر مثلاً تفسير القرطبي ٧: ٢٣٨ والمعارف ص١٤.

(٢) ق: لقوله.

متعلق بـ«جاءتكم» أو في موضع الصفة «لبيّنة».

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ لمّا أبهم في قوله «قد جاءتكم بيّنة من ربكم» بيّن ما الآية، فكأنه قيل ما البيّنة؟ قال: هذه ناقة الله وأضافها إلى الله تشريفاً وتخصيصاً نحو: بيت الله وروح الله، ولكونه خلقها بلا واسطة ذكر وأنثى، لا مالك لها غيره، ولأنها حجّة على القوم، ولما أودع فيها من الآيات الآتي ذكرها في قصة قوم صالح. و«لكم» بيان لمن هي موجبة عليه الإيمان وهم ثمود، لأنهم عاينوها وسائر الناس أُخبروا عنها، كأنه قال: لكم خصوصاً. وانتصب «آية» على الحال، والعامل فيها على ما نختاره فعل محذوف تقديره: انظروا إليها في حال كونها آية.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ لمّا أضاف الناقة إلى الله أضاف محلّ رعيها إلى الله، إذ الأرض وما نبت فيها ملكه تعالى. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ نهاهم عن مسّها بشيء من الأذى، وهذا تنبيه بالأدنى على الأعلى إذ كان قد نهاهم عن مسّها بسوءٍ إلزاماً لآية الله تعالى، فنهيُه عن نحرها وعقرها ومنعها من الماء[1] والكلأ أولى وأحرى. والمسّ والأخذ هنا استعارة، وهذا وعيد شديد لمن يمسّها بسوءٍ. والعذاب الأليم هو ما حلّ بهم إذ عقروها وما أعدّ لهم في الآخرة. وقوله «فيأخذكم» جواب النهي، والناصب للفعل أنْ مضمرة بعد الفاء.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ [٢١٥/ أ] جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ ذكّر صالح قومه نعماً خاصة وهي جعلهم خلفاء بعد الأمة التي سبقتهم. ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أنزلكم بها وأسكنكم إياها. والمباءة: المنزل في الأرض، وهو من باء

---

(١) ق: المال.

أي: رجع. ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ جملة حالية العامل فيها «بوّأكم» ومعناه تعملون كقوله تعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت] فتعدّى اتّخذ لمفعول واحد. ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ[١] بُيُوتًا﴾ النحت: النجر والنشر في الشيء الصلب كالحجر والخشب وغير ذلك، وقال الشاعر[٢]: [من البسيط]

أمّـا النهـارُ ففـي قَيْـدٍ وسِلْسِلَـةٍ والّليلُ في بطن منحوتٍ من السّاجِ

وانتصب «بيوتاً» على أنه حال مقدّرة، لأنها وقت النحت لم تكن بيوتاً بل صارت بيوتاً بعد ذلك كقولك: خِطْ [لي] هذا قباءً. قال ابن عباس: القصور لمصيفهم[٣] والبيوت في الجبال لمشتاهم. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ تقدم الكلام على هذه الجملة في البقرة[٤] في قصة استسقاء موسى لقومه.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا﴾ قرأ ابن عامر: وقال الملأ، بواو العطف، والجمهور: قال، بغير واو. و«الذين استكبروا» وصف للملأ إمّا للتخصيص لأن مِن أشرافهم مَن آمن وهو جندع بن عمرو [وإمّا للذّم]. و«استكبروا» طلبوا الهيبة لأنفسهم وهو من الكِبْر، فيكون استفعل للطلب وهو بابها، أو يكون استفعل بمعنى فعل أي: كبروا بكثرة المال والجاه، فيكون مثل عجب واستعجب. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا﴾ أي: استضعفهم رؤساء الكفّار واستذلّوهم وهم العامّة وهم أتباع الرّسل. و﴿لِمَنْ ءَامَنَ﴾ بدل من «الذين استضعفوا»، والضمير [في ﴿مِنْهُمْ﴾] إن عاد على المستضعفين كان بدل بعض من كلّ، ويكون الذين استضعفوا قسمين: مؤمنين وكافرين. وإن عاد على «قومه»

---

(١) ق: من الجبال.

(٢) البيت في المقتضب ٤: ٣٣١ غير منسوب.

(٣) ق: لمصانعهم.

(٤) الآية ٦٠.

كان بدل كلٍّ من كلّ أعيد معه حرف الجرِ وهو اللام، وكان الاستضعاف مقصوراً على المؤمنين، وكان الذين استضعفوا قسماً واحداً. و«ومن آمن» مفسّر للمستضعفين من قومه، واللام في «للذين» للتبليغ، والجملة المقولة على جهة الاستهزاء والاستخفاف. وفي قولهم ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ اختصاص بصالح، ولم يقولوا: من ربنا ولا: من ربكم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ وجواب المستضعفين وعدولهم عن قولهم: هو مرسل، إلى قولهم «إنّا بما أرسل به مؤمنون» في غاية الحسن؛ إذ أمْر رسالته معلوم واضح لا يدخله ريب لما أتى به من المعجزات العظيمة الخارقة، فلا يحتاج أن يُسأل عن رسالته ولا أن يُستفهم عن العلم بإرساله، فأخبروا بأنهم مؤمنون بما أرسل به لأنه لا يلزم بعد وضوح رسالته إلا التصديق بما جاء به. وتضمّن كلامهم العلم بأنه مرسل من الله تعالى. و«مؤمنون» خبر «إنّا»، و«بما أرسل» متعلق به، و«به» متعلق بـ«أرسل».

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ نسب العقر إلى الجميع وإن كان صادراً من واحد لمّا كان عقرها عن تمالؤ[1] واتفاق. وقصة عاد وثمود مشهورة عند العرب قال الأفوه الأودي[2]: [من البسيط]

فينا معاشرُ لم يَبْنوا لقومهمُ ... وإن بنى قومهمْ ما أفسدوا عادوا

أي: عادوا للإفساد.

أَضْحَوْا كقَيْل بن عترٍ في عشيرته ... إذا أُهلكتْ بالذي سَدّى لها عاد

أو بعده كقُدارٍ حين بايعه ... على الغواية أقوامٌ فقد بادوا

(١) ق: تمادي.

(٢) وهو صلاءة بن عمرو، والأبيات في ديوانه ص٩.

وقيل: ابن عثر هو رئيس عاد قوم هود. ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: استكبروا عن امتثال أمر ربّهم [٢١٥/ب] يقال: عتا يعتو عتوًّا. ﴿ائْتِنَا[1] بِمَا تَعِدُنَا﴾ أي: من العذاب، لأنه كان سبق منه ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ﴾ [الأعراف] فاستعجلوه ما وعدهم به من ذلك إذ كانوا مكذّبين له في الإخبار بذلك الوعيد وبغيره، ولذلك علّقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ روي أنّ السّقب وهو ولد الناقة، لمّا عقروها رغا ثلاثاً، فقال صالح: لكلّ رغوةٍ أَجَلُ يومٍ، تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام. فقالوا هازئين به: متى ذلك وما آيته؟ فقال: تصبحون غداة مؤنس مصفرّةً وجوهكم، وغداة العَروبة محمرّيها ويوم شِيارٍ[2] مسودّيها، ثم يصبّحكم العذاب يوم أوّل وهو يوم الأحد. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ [الرَّجْفَةُ﴾ أي: أخذتهم] صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض، فقطّعت قلوبهم وهلكوا. وقد ذكر علقمة السّقب في شعره فقال[3]: [من الطويل]

رغا فوقهم سَقْبُ السماء فداحِضٌ   بشِكّتــه لــم يُستلَــبْ وسليــبُ

وإنما نسبه للسماء لأنه آية من آيات الله تعالى. ﴿جَاثِمِينَ﴾ الجثوم: اللصوق بالأرض على الصدر مع قبض الساقين كما يرقد الأرنب والطير.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ الآية، ظاهر العطف بالفاء يدلّ على أنّ هذا التولّي كان

---

(١) ق: فائتنا.

(٢) كانت العرب تسمّي يوم الخميس مؤنساً. والجمعة العروبة والسبت شِياراً.

(٣) البيت في المفضليات ص٣٩٥.

بعد هلاكهم ومشاهدة ما جرى عليهم، فيكون الخطاب على سبيل التفجّع عليهم والتحسّر لكونهم لم يؤمنوا فهلكوا، أو للاغتمام [لهم] وليسمع ذلك من كان معه من المسلمين فيزداد إيماناً وانتفاءً عن معصية الله تعالى واقتفاءً لما جاء به نبيّه عن الله تعالى، ويكون[1] معنى قوله ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ولكن كنتم لا تحبون الناصحين، فيكون حكاية حال ماضية، وقد خاطب رسول الله ﷺ أهل قليب بدر.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ الآية، لوط هو ابن هاران ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، وناحور وهم بنو تارح بن ناحور. وانتصب «لوطاً» بإضمار: وأرسلنا، عطفاً على الأنبياء قبله، و«إذ» معمولة لأرسلنا. وجوّز الزمخشري وابن عطية نصبه بـ«واذكر» مضمرة، زاد الزمخشري[2] أن «إذ» بدل من لوط، أي: واذكر وقت إذ قال لقومه. وتقدّم الكلام على كونِ إذ تكون معمولاً بها صريحاً لـ«اذكر»، وأن ذلك تصرّف فيها[3].

---

(١) ق: وليكون.

(٢) الكشاف ١ : ٩٢.

(٣) انظر تفسير الآية ٦٩ من السورة.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الاستفهام هنا هو على جهة الإنكار والتوبيخ والتشنيع والتوقيف على هذا الفعل القبيح، و«الفاحشة» هنا إتيان ذكران الآدميين في الأدبار. ولمّا كان هذا الفعل معهوداً قُبْحه ومركوزاً في العقول فُحْشه أتى معرّفاً بالألف واللام، أو تكون أل فيه(١) للجنس على سبيل المبالغة كأنه لشدة قبحه جُعل جميع الفواحش، ولبُعد العرب عن ذلك البعد التام وذلك بخلاف الزنى فإنه قال فيه ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء] فأتى [به] منكّراً أي: فاحشة من الفواحش، وكان كثير من العرب يفعله ولا يستنكرون فعله ولا ذكره في أشعارهم.

والجملة المنفيّة تدلّ على أنهم هم أوّل من فعل هذه الفعلة القبيحة وأنهم مبتكروها. والمبالغة في «من أحد» حيث زيدت [مِن] لتأكيد نفي الجنس، وفي الإتيان بعموم العالمين جميعاً. قال عمرو بن دينار: مارئي ذكر على ذكر قبل قوم لوط. و﴿مَا سَبَقَكُم﴾ جملة حاليّة من الفاعل أو من الفاحشة، لأنّ في «سبقكم بها» ضمير: هم وضمير: ها. وقال الزمخشري(٢): هي جملة مستأنفة، أنكر عليهم أولاً بقوله «أتأتون الفاحشة» ثم وبّخهم عليها فقال: أنتم أوّل من عملها، أو على أنه جواب لسؤال مقدّر كأنهم قالوا: لِمَ لا نأتيها؟ فقال: ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تُسبقوا به.

وقال الزمخشري(٣): والباء للتعدية، من قولك: سبقته بالكرة، إذا ضربتها [٢١٦/أ] قبله. ومنه قوله عليه السلام «سبقك بها عُكّاشة»(٤) انتهى.

---

(١) ق: أم تكون فيه.

(٢) الكشاف ٢: ٩٢.

(٣) الكشاف ٢: ٩٢.

(٤) أخرجه مسلم ١: ١٩٨ من حديث أبي هريرة.

ومعنى التعدية هنا قلق جدًا، لأن الباء المعدّية في الفعل المتعدي إلى واحد هي تجعل المفعول الأول يفعل ذلك الفعل بما دخلت عليه الباء فهي كالهمزة. وبيان ذلك أنك لو قلت: صككت [الحجر بالحجر، فمعناه: أصككتُ] الحجر الحجر، أي: جعلت الحجر يصكّ الحجر. وكذلك: دفعت زيداً بعمروٍ عن خالد، معناه: أدفعت زيداً عَمْراً عن خالد، أي: جعلت زيداً يدافع عَمْراً عنِ خالد، فللمفعول الأول تأثير في الثاني. ولا يتأتّى هذا هنا إذ لا يصحّ أن يقدّر: أسبقتُ زيداً الكرة، أي: جعلت [زيداً] يسبق الكرة، إلا بمجاز متكلّف وهو أن يجعل ضربك الكرة أول جعل ضربة قد سبقها أي: تقدمها في الزمان فلم يجتمعا.

﴿ إِنَّكُمْ (١) لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ هذا بيان لقوله «أتأتون الفاحشة». وأتى هنا من قولهم: أتى المرأة: غشيها، وهو استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ. و«شهوة» مصدر في موضع الحال أي: مشتَهِين إن كانت حالاً من الضمير في «تأتون»، أو مشتَهَيْن(٢) إن كان حالاً من «الرجال». ويجوز أن ينتصب مفعولاً من أجله أي: للشهوة. و«بل» هنا للخروج من قصة إلى قصة، ينبىء بأنهم متجاوزو الحدّ في الاعتداء. وجاء هنا «مسرفون» باسم الفاعل ليدلّ على الثبوت ولموافقتها ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأسماء. وجاء في النمل ﴿ تَجْهَلُونَ ﴾ [النمل] بالمضارع لتجدّد الجهل فيهم ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأفعال.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾ الضمير

---

(١) ق: أئنكم.

(٢) ق: مشتهون.

المنصوب في «أخرجوهم» عائد على لوط ومن آمن به. ولمّا تأخر نزول هذه السورة عن سورة النّمل أضمر ما فسّره الظاهر في النّمل من قوله ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النمل]. [و«يتطهّرون»] قال ابن عباس ومجاهد: يتقذّرون عن إتيان أدبار الرجال والنساء.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾ من العذاب الذي حلّ بقومه. و«أهله» هم المؤمنون معه. ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ فلم تنجُ واسمها واهلة، كانت منافقة تُسرّ الكفر موالية لأهل سدوم. ومعنى ﴿ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ من الذين بقُوا في ديارهم فهلكوا. والجملة من قوله «كانت» تأكيد لما تضمّنه الاستثناء من عدم نجاة امرأته.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ ﴾ ضمّن «أمطرنا» معنى: أرسلنا، فلذلك عدّاه بعلى كقوله ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال] والمطر هنا هي حجارة وقد ذكرت في غير آية. ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ هذا خطاب للسامع قصتهم كيف كان مآل من أجرم. وفيه اتّعاظ وازدجار أن تسلك هذه الأمة مسلكهم. و«المجرمين» عام في قوم نوح وهود وصالح ولوط وغيرهم، وهو من نظر التفكّر أو من نظر البصر فيمن بقيت له آثار منازل ومساكن كثمود وقوم لوط كما قال تعالى ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ ﴿٣٨﴾ ﴾ [العنكبوت]. و«كيف» خبر «كان» و«عاقبة» اسم «كان». والجملة في موضع نصب لأن «انظر» معلّقة عنها.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا

كل صراط وخصوص سبيل الله، فيكون «بكل صراط» حقيقة في الطرق، و«سبيل الله» مجاز عن دين الله. والباء في «بكل صراط» ظرفية نحو: زيد بالبصرة، أي: في كل صراط وفي البصرة. [«توعدون» جملة حالية، أي: من جاء للإيمان بشعيب. «وتصدون» معطوف على «توعدون»].

قال الزمخشري: فإن قلت: إلام يرجع الضمير في «من آمن به»؟ قلت: إلى «كل صراط» تقديره: توعدون من آمن به وتصدّون عنه، فوضع الظاهر الذي هو «سبيل الله» موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم دلالة على عظم ما يصدّون عنه انتهى.

هذا تعسّف في الإعراب لا يليق أن يُحمل عليه القرآن لِمَا فيه من التقديم والتأخير ووضع الظاهر موضع المضمر من غير حاجة إلى ذلك، وعَوْدِ الضمير على أبعد مذكور مع إمكان عوده على أقرب مذكور الإمكان السائغ الحسن الراجح. وجعل «من آمن» منصوباً بـ«توعدون»، فيصير من إعمال الأول وهو قليل، وقد قال النحاة إنّه لم يَرِدْ في القرآن لقلّته. ولو كان من إعمال الأول لَلَزِمَ ذِكْرُ الضمير في الفعل الثاني، وكان يكون التركيب: وتصدّونه أو تصدّونهم، إذ هذا الضمير لا يجوز حذفه على قول الأكثرين إلا ضرورةً، وعلى قول بعض النحاة يُحذف في قليل من الكلام. ويدل على أنّ «من آمن» منصوب بـ«تصدّون» الآية الأخرى وهي ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران] فنَصْبه بـ«توعدون» بعيد، هذا مع التكلّفات المضافة إلى ذلك فكان جديراً بالمنع لما في ذلك من التعقيد البعيد عن الفصاحة.

قال ابن عطية: يجوز أن يعود على شعيب في قول من رأى القعود على

الطرق للردّ[1] عن شعيب. وهذا بعيد لأن القائل «ولا تقعدوا» هو شعيب، فكان يكون التركيب: من آمن بي، ولا يسوغ هنا أن يكون التفاتاً لو قلت: يا هند أنا أقول لا تهيني من أكرمه، تريد: أكرمني، لم يصحّ.

﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ الضمير عائد على «سبيل الله» والسبيل يذكّر ويؤنث، وهي جملة حالية أي: باغيها، والتقدير: تبغون لها عوجاً ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ روي أن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله تعالى في نسلها بالبركة والنّماء فكثروا وفشوا. ﴿وَانظُرُوا[2] كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ هذا تهديد لهم وتذكير بعاقبة من أفسد قبلهم، وتمثيل لهم بمن حلّ به العذاب من قوم نوح عليه السلام وهود وصالح ولوط، وكانوا قريبي عهد بما أصاب المؤتفكة. وإعراب هذه [٢١٧/أ] الجملة كإعراب الجمل الواقعة إثر قصة قوم لوط[3]. قال الزمخشري[4]: «إذ» مفعول به غير ظرف أي: واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلاً عددكم فكثّركم الله تعالى ووفّر عددكم. وذكر غيره أنه منصوب على الظرف فلا يمكن أن يعمل فيه: واذكروا، لاستقبال اذكروا وكون إذ ظرفاً لما مضى. والقلّة والتكثير هنا بالنسبة إلى الأشخاص أو إلى الفقر والغنى أو إلى قصر الأعمار وطولها، أقوال ثلاثة أظهرها الأول. وقال الزمخشري[5]: إذا كنتم أقلّة أذلّة فأعزّكم بكثرة العَدد والعُدد [انتهى].

---

(١) ق: تفرّد.

(٢) ق: وانظر.

(٣) انظر الآيات ٨٠-٨٤ المتقدمة.

(٤) الكشاف ٢: ٩٤.

(٥) الكشاف ٢: ٩٤.

ولا ضرورة تدعو إلى حذف صفة وهي: أذلّة ولا إلى تحميل قوله «فكثّركم» معنى: بالعُدد؛ ألا ترى أن القلّة لا تستلزم الذلّة ولا الكثرة تستلزم العزّة، قال الشاعر[1]: [من الطويل]

تُعَيِّرُنـا أنّـا قليـلٌ عَـديـدُنـا فقلـتُ لهـا إنّ الكـرامَ قليـلُ
وما ضَرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلُ

وقيل: المراد مجموع [الأقوال الأربعة]: كثَّر عددهم وأموالهم وأرزاقهم وطوّل أعمارهم وأعزّهم بعد أن كانوا على مقابلاتها.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآية، هذا الكلام من أحسن ما تلطّف به في المحاورة، إذ أبرز المتحقق في صورة المشكوك فيه؛ وذلك أنه قد آمن به طائفة، بدليل قول المستكبرين عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف] وهو أيضاً من بارع التقسيم إذ لا يخلو قومه من القسمين. والذي أُرسل [به] هنا ما أمرهم به من إفراد الله تعالى بالعبادة وإيفاء الكيل والميزان، ونهاهم عنه من البَخْس والإفساد والقعود المذكور. ومتعلق «لم يؤمنوا» محذوف دلّ عليه ما قبله وتقديره: لم يؤمنوا به. والخطاب بقوله «منكم» لقومه. وينبغي أن يكون قوله «فاصبروا» خطاباً لفريقي قومه من آمن ومن لم يؤمن. و﴿بَيْنَنَا﴾ أي: بين الجميع، فيكون ذلك وعداً للمؤمنين بالنصر الذي هو نتيجة الصبر فصبروا على ما كُذّبوا وأُوذوا حتى أتاهم نصرنا، ووعيداً للكافرين [بالعقوبة] والخسار.

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ﴾ جواب قسم محذوف. والقسم يكون على فِعْل المقسم كقوله «لنخرجنّك» وعلى فِعْل غيره كقوله «أو

---

(١) البيتان للسموأل في الحماسة ١: ١١١، ١١٢.

لتعودنّ». وهذا يدلّ على [صعوبة] مفارقة الوطن إذ قرنوا ذلك بالعَوْد إلى الكفر. وفي الإخراج والعَوْد طباق معنوي، والعود هنا بمعنى الصيرورة. ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ أي: أيقع منكم أحد هذين الأمرين على كل حال حتى في حال كراهيتنا[1] لذلك؟. والاستفهام للتوقيف على شنعة المعصية بما أقسموا عليه من الإخراج عن مواطنهم ظلماً أو الإقرار بالعود في ملّتهم.

قال الزمخشري[2]: الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره: أتعيدوننا في ملّتكم في حال كراهيتنا أو مع كوننا كارهين؟ انتهى. فجعل الاستفهام خاصاً بالعود في ملّتهم، وليس كذلك؛ بل الاستفهام هو عن أحد أمرين: الإخراج أو العود. وجعل الواو واو الحال وقدّره: أتعيدوننا في حال كراهتنا. وليست واوَ الحال التي يعبّر عنها النحويون بواو الحال، بل هي واو العطف عطفت على حال محذوفة كقوله صلى الله عليه وسلم «رُدّوا السائل ولو بظلفٍ مُحْرَقٍ»[3] ليس المعنى ردّوه في حال الصدقة عليه بظلف محرق، بل المعنى: ردّوه مصحوباً بالصدقة ولو مصحوباً بظلف محرق. وتقدم لنا إشباع القول في هذا المعنى[4].

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا﴾ الآية، هذا إخبار مقيّد من حيث المعنى بالشرط، وجواب الشرط محذوف من حيث الصناعة وتقديره: إن عدنا في ملّتكم [فقد افترينا. وليس قوله] «قد افترينا على الله كذباً» هو جواب الشرط إلاّ على مذهب من

---

(١) ق: كراهيتها.

(٢) الكشاف ٢: ٩٦.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢: ٩٢٣ من حديث ابن بُجَيد الأنصاري. وظلف محرق: مشويّ.

(٤) انظر تفسير الآية ١٧٠ من البقرة.

يجيز تقديم جواب الشرط على الشرط، فيمكن أن يخرّج هذا عليه. ونظير هذا [٢١٧/ب] التركيب الفصيح قول الأشتر النخعي واسمه الحارث(١):

[من الكامل]

بقّيتُ وفري وانحرفتُ عن العلا ... ولقيتُ أضيافي بوجهِ عَبوسِ

إن لم أَشُنَّ على ابن هندٍ غارةً ... لم تَخْلُ يوماً من نِهاب نفوس

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ أي: وما ينبغي ولا يتهيأ لنا أن نعود في ملّتكم «إلا أن يشاء الله ربنا». وهذا الاستثناء على سبيل عذق جميع الأمور بمشيئة الله تعالى وإرادته(٢). وقال ابن عطية: ويحتمل أن يريد استثناء ما يمكن أن يتعبّد الله به المؤمنين [بشيء] ممّا يفعله الكفرة من القربان، فلمّا قال لهم: إنا لا نعود في ملّتكم، ثم خشي أن يتعبّده الله تعالى بشيء من أفعال الكفرة، فيعارض ملحد بذلك ويقول: هذه عودة إلى ملّتنا، استثنى مشيئة الله تعالى فيما يمكن أن يتعبّد به انتهى.

وهذا الاحتمال لا يصحّ؛ لأن قوله «بعد إذ نجّانا الله منها» إنما يعني النجاة من الكفر والمعاصي لا من أعمال البرّ. وقيل: هذا الاستثناء إنما هو تسليم وتأدّب. قال ابن عطية: ويقلق هذا التأويل من جهة استقبال الاستثناء، ولو كان الكلام: إن شاء، قوي هذا التأويل انتهى. وليس يقوّي هذا التأويل، بل لا فرق بين: إلا أن يشاء، وبين: إلا إن شاء، لأنّ «إنْ» تخلّص الماضي للاستقبال كما تخلّص «أنْ» المضارع للاستقبال، فكلا الفعلين مستقبل.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تقدّم تفسير نظيرها في الأنعام في قصة إبراهيم

---

(١) البيتان في شرح ديوان الحماسة ١: ١٤٩. واسمه هناك: مالك بن الحارث.

(٢) أي: وَسْمها بها.

عليه السلام[١]. ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في دفع ما توعّدتمونا به وفي حمايتنا من الضلال، وفي ذلك استسلام لله تعالى وتمسّك بلطفه. ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: احكم. والفاتح والفتّاح: القاضي بلغة حمير، وقيل بلغة مراد، وقال بعضهم[٢]: [من الوافر]

ألا أَبْلِغْ بني عصَمٍ رسولاً فإنّي عن فُتاحَتِكم غنيُّ

وقال ابن عباس: ما كنت أعرف ما معنى هذه اللفظة حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعال لأفاتحك، أي: أحاكمك. وقال الفرّاء[٣]: أهل عُمان يسمّون القاضي الفاتح.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض، أي: كبراؤهم لأتباعهم تثبيطاً عن الإيمان. ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه. ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ أي: مغبونون. قال الزمخشري[٤]: فإن قلت: ما جواب القسم الذي وطّأته اللام في «لئن اتّبعتم» وجواب الشرط؟ قلت: قوله «إنكم إذاً لخاسرون» سادّ مسدّ الجوابين انتهى. والذي تقوله النحويون[٥] إن جواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، ولذلك وجب مضيّ فعل الشرط. فإن عنى الزمخشري بقوله: سادّ مسدّ الجوابين، أنه اجتُزِىء به عن ذكر جواب الشرط فهو قريب. وإن عنى به أنه من حيث الصناعة النحوية، فليس

---

(١) الأنعام ٦: ٨٠.

(٢) هو الأسعر الجعفي كما في اللسان «فتح» مع اختلاف في الرواية. والبيت في مجاز القرآن ١: ٢٢٠.

(٣) معاني القرآن ١: ٣٨٥.

(٤) الكشاف ٢: ٩٧.

(٥) عبارة ق: وهو الذي يقول.

كما زعم؛ لأن الجملة يمتنع أن تكون لا موضع لها من الإعراب [وأن يكون لها موضع من الإعراب]، و«إذاً» هنا معناها التوكيد، وهي الحرف الذي هو جواب، ويكون معه الجزاء وقد لا يكون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ تقدّم تفسير هذه الجملة[1]. قال قتادة: أُرسل شعيب إلى أصحاب الأيكة، فأُهلكوا بالظُّلة، وإلى أصحاب مدين فصاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا جميعاً.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ أي: كأن لم يقيموا ناعمي البال رخيّي العيش في دارهم. وفيها قوة الإخبار عن هلاكهم وحلول المكروه بهم والتنبيه على الاعتبار بهم كقوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۝٢٤﴾ [يونس]. وفي كأن ضمير الشأن محذوف تقديره قبل الحذف: كأنه، والجملة بعدها في موضع الخبر منفيًّا بـ«لم» وهو الكثير، وقد جاء النفي بلمّا في قول [٢١٨/أ] حماد الكلبي[2]:

وكأنْ لمّا يكون قطّ لم

والنّفي بلمّا قليل. ﴿كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: «هم» فصل[3] بين الاسم والخبر، ويجوز أن يكون بدلاً من الاسم في «كانوا». ولما كان قولهم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠﴾ [الأعراف] قوبلوا بقوله «هم الخاسرين». وأفاد الفصل الاختصاص.

---

(١) الأعراف ٧: ٧٨.

(٢) لم أجد تمامه وقائله، وانظر البحر ٤: ٣٤٦.

(٣) ق: فصلاً.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ تقدم تفسير نظيره في قصة صالح[1]. ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ أي: فكيف أحزن على من لا يستحق أن يُحزن عليه. ونبّه على العلّة الموجبة لعدم الحزن عليهم وهي الكفر، إذ هو أعظم ما يعادي به المؤمن.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى ما حلّ بالأمم السالفة من بأسه وسطوته عليهم آخر أمرهم حين لا تجدي فيهم موعظة، ذكر تعالى أن تلك عادته في أتباع الأنبياء، إذا أصرّوا على تكذيبهم. وجاء بعد «إلّا» فعل ماضٍ وهو «أخذنا»، ولا يليها فعل ماضٍ إلا إن تقدم فعل أو صحب بقد فمثال ما تقدّمه فعل هذه الآية، ومثال ما أصحب قد قولك: ما زيد إلا

---

(١) الآية ٧٩ السابقة.

قد قام، قال الشاعر[١]: [من الطويل]

متى يأتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حاجةً لنفسيَ إلا قد قضيت قضاءها

والجملة من قوله «أخذنا» حالية أي: إلاّ آخذين أهلها، وهو استثناء مفرّغ من الأحوال. وتقدّم تفسير نظير قوله «إلاّ أخذنا»[٢] إلى آخرها.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ أي: مكان الحالة السيئة من البأساء والضرّاء، الحالة الحسنة من السّراء والنعمة. و«مكان» هو محلّ الباء أي: بمكان السيئة. وفي لفظ «مكان» إشعار بتمكّن البأساء منهم كأنه صار للشدة عندهم مكان. ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ أي: كثروا وتناسلوا. ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ أبطرتهم النعمة وأشِروا فقالوا: هذه عادة الدهر ضرّاء وسرّاء وقد أصاب آباءنا مثل ذلك، وليس ذلك بابتلاء وقصد، بل ذلك بالاتفاق لا على ما تخبر الأنبياء، جعلوا أسلافهم وما أصابهم مثلاً لهم ولما يصيبهم فلا ينبغي أن تنكر هذه العادة من أفعال الدهر. ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ تقدّم الكلام على مثل هذا[٣]، لما فسدوا على التقديرين أخذوا هذا الأخذ.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا﴾ الآية، أي: لو كانوا ممّن سبق في علم الله تعالى أن يتلبّسوا بالإيمان بما جاءت به الأنبياء، وبالطاعات التي هي ثمرة الإيمان، لتيسّر لهم من بركات السماء، ولكن كانوا ممّن سبق في علمه تعالى أنهم يكذّبون الأنبياء فيؤخذون باجترامهم. وكلٌّ من الإيمان والتكذيب والثواب والعقاب سبق به القدر. وأضيف الإيمان والتكذيب إلى العبد كسباً

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه ص٤٩.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٢ من الأنعام.

(٣) الأنعام ٦ : ٣١.

والموجد لهما هو الله تعالى لا يُسأل عمّا يفعل. والظاهر أن قوله ﴿ بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ لا يُراد بها معيّن ولذلك جاءت نكرة، وقيل: بركات السماء المطر وبركات الأرض الثمار.

﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ الهمزة دخلت على «أمن»[(١)] للاستفهام على جهة التوقيف والتوبيخ والإنكار والوعيد للكافرين المعاصرين لرسول الله ﷺ أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك. والفاء لعطف هذه الجملة على ما قبلها. قال الزمخشري[(٢)]: فإن قلت: ما المعطوف عليه؟ ولِمَ عُطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ قلت: المعطوف عليه قوله «فأخذناهم بغتة»[(٣)]. وقوله «ولو أنّ أهل القرى» إلى قوله «يكسبون» وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه. وإنّما عطفت بالفاء لأن المعنى: فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة، أَبَعْدَ ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً أو أمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى انتهى.

وهذا الذي ذكره الزمخشري من أن حرف العطف الذي [٢١٨/ب] بعد همزة الاستفهام هو عاطف ما بعدها على ما قبل الهمزة من الجمل رجوع إلى مذهب الجماعة في ذلك، وتخريج لهذه الآية على خلاف ما قرّر من مذهبه في غير آية، أنه يقدّر محذوف بين الهمزة[(٤)] وحرف العطف يصحّ بتقديره عطف ما بعد الحرف عليه، وأن الهمزة وحرف العطف واقعان في موضعهما من غير اعتبار تقديم حرف العطف على الهمزة في التقدير، وأنه قدّم الاستفهام اعتناءً لأنّ له صدر الكلام.

---

(١) ق: أمنوا.

(٢) الكشاف ٢ : ٩٨.

(٣) الآية ٩٥ السابقة.

(٤) ق: بين الآية الهمزة.

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ الآية، أي: في حال الغفلة والإعراض والاشتغال بما لا يجدي كأنهم يلعبون. و﴿ضُحًى﴾ منصوب على الظرف أي: ضحوة. ويقيّد كل ظرف بما يناسبه من الحال؛ فيقيد البيات بالنوم وتقيّدت الضحى باللعب. وجاء «نائمون» باسم الفاعل لأنها حالة ثبوت واستقرار للبائتين، وجاء «يلعبون» بالمضارع، لأنهم مشتغلون بأفعال متجددة شيئاً فشيئاً في ذلك الوقت.

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾ جاء العطف بالفاء وإسناد الفعل إلى الضمير لأن الجملة المعطوفة تكرير لقوله «أفأمن أهل القرى» «أو أمن» وتأكيد لمضمون ذلك، فناسب إعادة الجملة مصحوبة بالفاء. و﴿مَكْرَ﴾ مصدر أضيف إلى الفاعل وهو استعارة لأخذه العبد من حيث [لا يشعر]. وكرر المكر مضافاً إلى الله تحقيقاً لوقوع جزاء المكر بهم.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ ﴾ الآية، قال ابن عباس: «يَهْدِ»: يبين. والفاعل بِيَهْدِ يحتمل وجوهاً: أحدها أن يعود على الله تعالى ويؤيده قراءة من قرأ: نَهْدِ بالنون. والثاني أن يكون ضميراً عائداً على ما يُفهم من سياق الكلام السابق أي: أوَلَم يَهْدِ ما جرى للأمم السالفة أهلَ القرى وغيرهم. وعلى هذين الوجهين يكون «أن لو نشاء» وما بعده في موضع المفعول بِيَهْدِ أي: أولم يبيّن الله أو ما سبق من قصص القرى ومآل أمرهم للوارثين إصابتنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك، أي: علمهم بإصابتنا أو قدرتنا على إصابتنا إياهم. والمعنى أنكم[1] مذنبون كهم وقد علمتم ما حلّ بهم، أفما تحذرون أن يحلّ بكم ما حلّ بهم، فذلك ليس بممتنع علينا لو شئنا.

---

(١) ق: أنهم.

والوجه الثالث أن يكون الفاعل بِنَهْدِ قوله «أن لو نشاء» فينسبك المصدر من جواب لو والتقدير: أولم نبيّن ونوضّح للوارثين مآلهم وعاقبتهم إصابتنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك، أي: علمهم بإصابتنا أو قدرتنا على إصابتنا إياهم على التقديرين إذا كانت [أنْ] مفعولة.

و«أنْ» هنا هي المخففة من الثقيلة لأن الهداية فيها معنى العلم واسمها ضمير الشأن محذوف، والخبر الجملة المصدّرة بلو و«نشاء» في معنى شئنا، لأنّ لو التي هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره إذا جاء بعدها المضارع صرفَتْ معناه إلى المضي. ومفعول «نشاء» محذوف دلّ عليه جواب لو، والجواب «أصبناهم»، ولم يأت باللام وإن كان الفعل مثبتاً إذ حذفها جائز فصيح كقوله تعالى ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة] والأكثر الإتيان باللام كقوله تعالى ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف]. والذين يرثون الأرض من بعد أهلها: أي: يخلفون فيها من بعد هلاك أهلها، وظاهره التسميع لمن كان في عصر رسول الله ﷺ من مشركي قريش وغيرهم.

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الظاهر أنها جملة مستأنفة أي: ونحن نطبع على قلوبهم. والمعنى أنّ من أوضح الله تعالى [له] سبيل الهدى وذكر له أمثالاً ممّن أهلكه الله تعالى بذنوبهم، وهو مع ذلك دائم على غيّه لا يرعوي، يطبع الله على قلبه، فينبو سَمْعه عن سماع الحق. وأجاز الزمخشري في عطف «ونطبع» [٢١٩/أ] وجهين أحدهما ضعيف والآخر خطأ؛ قال الزمخشري[١]: فإن قلت: بم يتعلق قوله «ونطبع على قلوبهم»؟ قلت: فيه أوجه: أنْ يكون معطوفاً على ما دلّ عليه معنى «أولم يهد لهم» كأنه قيل:

---

(١) الكشاف ٢: ٩٩.

يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم، أو على «يرثون الأرض» انتهى.

فقوله إنه معطوف على مقدّر وهو: يغفلون عن الهداية ضعيف لأنه إضمار لا يُحتاج إليه إذ قد صحّ أن يكون على الاستئناف من باب العطف في الجمل، فهو معطوف على مجموع الجملة المصدّرة بأداة الاستفهام، وقد قاله[١] الزمخشري وغيره. وقوله إنه معطوف على «يرثون» [خطأ، لأنه إذا كان معطوفاً على «يرثون»] كان صلة لـ«الذين» لأن المعطوف على الصلة صلة، ويكون قد فصل بين أبعاض الصلة بأجنبي من الصلة وهو قوله «أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم» سواء أقدّرنا «أن لو نشاء» في موضع الفاعل لـ«يَهْدِ» أو في موضع المفعول، فهو معمول ليهد لا تعلّق له بشيء من صلة «الذين» وهو لا يجوز.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، و«القرى» هي بلاد قوم نوح وهود وصالح وشعيب بلا خلاف بين المفسّرين. وجاءت الإشارة بـ«تلك» إشارة إلى بُعْد هلاكها وتقادمه، وحصل الربط بين هذه وبين قوله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف]. و«نقصّ» يحتمل إبقاؤه[٢] على حاله من الاستقبال فالمعنى: قد قصصنا عليك من أنبائها ونحن نقصّ عليك أيضاً منها مفرّقاً في السور، ويجوز أن يكون عبّر بالمضارع عن الماضي أي: تلك القرى قصصنا، والأنباء هنا أخبارهم مع أنبيائهم ومآل عصيانهم. و«تلك» مبتدأ و«القرى» خبر و«نقصّ» جملة حالية نحو قوله تعالى ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴿٥٢﴾﴾ [النمل]. وفي الإخبار بالقرى معنى التعظيم لها ولمهلكها كما قيل في قوله ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴿٢﴾﴾ [البقرة]، وفي

---

(١) ق: قال.

(٢) ق: ويحتمل بقيّه.

قوله صلى الله عليه وسلم «أولئك الملأ من قريش»[1]. ولما كان الخبر مقيّداً بالحال أفاد كالتقييد بالصفة. ومعنى من أنباء: «من» للتبعيض فدلّ على أنّ لها أنباءً أُخَر لم يقصّها[2] عليه، وإنما قصّ عليه ما فيه عظة[3] وازدجار وادّكار بما جرى على من خالف الرسل ليتّعظ بذلك السامع من هذه الأمة.

﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ﴾ الذي يظهر أن الضمير في «كانوا» وفي «ليؤمنوا» هو عائد على أهل القرى، وأنّ الباء في «بما» ليست سببيّة فالمعنى أنهم انتفت عنهم قابلية الإيمان وقت مجيء الرسل بالمعجزات [بما كذّبوا به من قبل مجيء الرسل بالمعجزات] بل حالهم واحد قبل ظهور المعجزات وبعد ظهورها، لم تُجْدِ عنهم شيئاً. وفي الإتيان بلام الجحود في «ليؤمنوا» مبالغة في نفي القابلية والوقوع، وهو أبلغ في تسلّط النّفي على الفعل بغير لام. و«ما» في «بما كذّبوا» موصولة والعائد منصوب محذوف أي: بما كذّبوه، وجوّز أن تكون مصدرية.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي: لأكثر الناس أو أهل القرى والأمم الماضية. و«مِن» في «من عهد» تدلّ على استغراق الجنس. ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾: إنْ هي المخففة من الثقيلة، ووجد بمعنى علم. ومفعول «وجدنا» الأولى «لأكثرهم» ومفعول الثانية «الفاسقين» واللام للفرق بين إنْ المخفّفة من الثقيلة وإنْ النافية، وتقدّم الكلام على ذلك في قوله ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة]، ودعوى [بعض] الكوفيين أنّ «إنْ» في نحو

(١) قاله عند رجوعه إلى المدينة مقبلاً من بدر، انظر دلائل النبوة للبيهقي ٣: ١٤٧.

(٢) ق: يقصّه.

(٣) ق: عظمة.

هذا التركيب هي النافية واللام بمعنى إلاّ. وقال الزمخشري[١]: وإن الشأن والحديث وجدنا انتهى. ولا يُحتاج إلى هذا التقدير، وكأن الزمخشري يزعم أنّ «إنْ» إذا خففت كان محذوفاً منها الاسم وهو الشأن والحديث، إبقاءً لها على الاختصاص بالدخول على الأسماء. وقد تقدّم لنا تقدير نظير ذلك ورددناه عليه[٢].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ

---

(١) الكشاف ٢: ١٠٠.

(٢) انظر تفسير الآية ١٦٤ من البقرة.

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

[٢١٩/ب] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ الآية، لما قصّ الله تعالى على نبيّه عليه السّلام أخبار الأنبياء وما آل إليه أمر قومهم ذكر موسى عليه السّلام. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنّ بين موسى وشعيب عليهما السّلام مصاهرة كما حكى الله تعالى في كتابه، ونسباً[1] لكونهما من نسل إبراهيم عليه السلام. ولما استفتح قصّة نوح عليه السلام بـ﴿أَرْسَلْنَا ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف] بنون العظمة، أتبع ذلك بقصة موسى فقال «ثم بعثنا». والضمير في «من بعدهم» عائد على الرسل من قوله ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف]. وتعدية «فظلموا» بالباء على سبيل التضمين بمعنى كفروا.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذه محاورة من موسى لفرعون وخطاب له بأحسن ما يُدعى به وأحبّها إليه، إذ كان مَن مَلَكَ مصر يقال له فرعون كنمرود في يونان وقيصر في الروم وكسرى في فارس والنجاشي في الحبشة. وعلى هذا لا يكون فرعون وأمثاله علماً شخصياً بل يكون علم جنس كأسامة وثُعالة[2]. ولمّا كان فرعون قد ادّعى الربوبيّة فاتحه موسى عليه السّلام بقوله «إني رسول من رب العالمين» لينبّهه على الوصف الذي ادّعاه وأنه فيه مبطل لا مُحقّ.

ولمّا كان قوله ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ دعوى أردفها بما يدلّ على صحّتها وهو قوله «قد جئتكم». ولمّا قرّر رسالته فرّع عليها تبليغ

---

(١) ق: ونسب.

(٢) ثُعالة وثُعَل: كلتاهما الأنثى من الثعالب.

الحكم وهو قوله «فأرسل». ولم ينازعه فرعون في هذه السورة في شيء ممّا ذكره موسى عليه السلام، إلاّ أنّه طلب المعجزة ودلّ ذلك على موافقته لموسى وأن الرسالة ممكنة لإمكان المعجزة، إذ لم يدفع إمكانها بل قال «إن كنت جئت بآية». ومعنى [«حقيق»] جدير وخليق، وارتفاعه على أنه صفة لرسول أو خبر بعد خبر. و«أن لا أقول [على الله] إلاّ» حَسُن فيه أن يكون فاعلاً بـ«حقيق» كأنه قيل: يحقّ عليّ كذا ويجب. ويجوز أن يكون «أن لا أقول» مبتدأ و«حقيق» خبره. وقال الزمخشري(١): وفي القراءة المشهورة وهي قوله «على أن لا أقول» إشكال، ولا يخلو من وجوه: أحدها أن يكون مما يقلب من الكلام لأمن الإلباس كقول الشاعر(٢): [من الطويل]

[ونركب خيلاً لا هوادةَ بينها] وتَشْقى الرماح بالضّياطِرةِ الحُمْرِ

ومعناه: وتشقى الضياطرة بالرماح انتهى هذا الوجه. وأصحابنا يخصون القلب بالشعر ولا يجيزونه في فصيح الكلام فينبغي أن يُنزّه القرآن عنه، وعلى هذا يصير معنى هذه القراءة معنى قراءة نافع. قال الزمخشري(٣): والثاني أن ما لزمك فقد لزمته، فلما كان قول الحق حقيقاً عليه كان هو حقيقاً على قول الحق أي: لازماً له. قال الزمخشري(٤): والثالث أن يُضمّن «حقيق» معنى حريص، تضمين «هيجني» معنى ذكرني في بيت الكتاب،

---

(١) الكشاف ٢: ١٠٠.

(٢) البيت لخداش بن زهير في اللسان (ضطر) بالياء المشدّدة المفتوحة: حقيق عليّ.

(٣) الكشاف ٢: ١٠١.

(٤) الموضع نفسه.

انتهى. يعني بالكتاب كتاب سيبويه والبيت المنشد[1]: [من البسيط]

إذا تغنّى حمامُ الأيك هيّجني ولـو تسلّيـتُ عنهـا أمَّ عمّـارِ

قال الزمخشري[2]: والرابع وهو الأوجه والأدخل في لغة القرآن أن يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام، لا سيما وقد رُوي أن عدو الله فرعون قال [له] لما قال «إني رسول من رب العالمين»: [كذبت]، فيقول: أنا حقيق عليّ قول الحق، أي: واجب عليّ قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به انتهى. ولا يصحّ هذا الوجه إلا إن عنى أنه يكون «على أن لا أقول» صفة له: كما تقول: أنا على قول الحق أي: طريقتي وعادتي قول الحق.

وقال ابن مقسم: «حقيق» من نعت الرسول [٢٢٠/أ] أي: رسول حقيق من رب العالمين أُرسلتُ على أن لا أقول على الله إلا الحق، وهذا معنى صحيح واضح. وقد غفل أكثر المفسرين من أرباب اللغة عن[3] تعليق «على» برسول، [ولم يخطر لهم تعليقه إلا بقوله «حقيق» انتهى.

وهذا الكلام فيه تناقض في الظاهر لأنه قدّر أولاً العامل في على «أُرسلتُ» وقال أخيراً إنهم غفلوا عن تعليق «على» برسول]. فأما الأخير فلا يجوز على مذهب البصريين لأن «رسولاً» قد وُصف قبل أن يأخذ معموله وذلك لا يجوز. وأما التقدير الأول وهو أيضاً «أُرسلتُ» وتفسير لفظ «رسول» فهو تقدير سائغ. ويُتأوّل كلام ابن مقسم أخيراً في قوله عن تعليق «على» برسول

---

(١) البيت للنابغة في ديوانه ص٢٣٥، مع اختلاف في الرواية.

(٢) الكشاف ٢: ١٠١.

(٣) ق: على.

أي: ممّا دلّ عليه رسول.

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ ﴾ الآية، لمّا عرض موسى عليه السلام رسالته على فرعون وذكر الدليل على صدقه وهو مجيئه بالبيّنة والخارق المعجز، استدعى منه فرعون خرق العادة الدالّ على الصدق. وهذا الاستدعاء يحتمل أن يكون على سبيل الاختبار وتجويزه ذلك، ويحتمل أن يكون على سبيل التعجيز لما تقرّر في ذهن فرعون أن موسى عليه السلام لا يقدر على الإتيان ببيّنة. والمعنى إن كنت جئت بآية من ربك فأحضِرْها عندي لتصحّ دعواك وتثبت صدقك.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ هذه إذا الفجائية وفيها خلاف مذكور في البحر[1]. بدأ بالعصا دون سائر المعجزات، لأنها معجزة تحتوي على معجزات كثيرة منها انقلابها ثعباناً. وانقلاب خشبة لحماً ودماً قائماً به الحياة من أعظم الإعجاز، ويحصل في انقلابها ثعباناً من التهويل ما لا يحصل في غيرها وتلقّفها لحبال السّحرة وعصيّهم وإبطالها لما صنعوا من كيدهم وسحرهم. والإلقاء حقيقةٌ في الأجرام[2].

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ أي: جذب يده، قيل: من جيبه، وهو الظاهر لقوله تعالى ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [النمل]. و«للناظرين» أي: للنظارة. وفي ذكر ذلك تنبيه على عظم بياضها لأنه لا يعرضها للنظارة إلا إذا كان بياضها عجيباً خارجاً عن العادة. وقال ابن عباس: صارت نوراً ساطعاً يضيء ما بين السماء والأرض [له] لمعان مثل لمعان البرق، فخرّوا على

---

(١) انظر ٤: ٣٥٧.

(٢) يعني هو حقيقة في الأجرام ومجاز في المعاني نحو: ألقى المسألة.

وجوههم. وما أعجب هذين الخارقين العظيمين: أحدهما في نفسه وذلك اليد البيضاء، والأخرى في غير نفسه وهي العصا. وجمع بذينك تبدّل الذّوات من الخشبية إلى الحيوانية، وتبدّل الأعراض من السّمرة إلى البياض الساطع، فكانا دالَّين على جواز الأمرين، وأنهما كلاهما ممكن الوقوع، وكان موسى عليه السلام أسمر.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ ﴿٣٤﴾﴾. والجمع بينهما أن فرعون وهم قالوا هذا الكلام، فحكى هنا قولهم وهناك قوله، أو قاله ابتداءً، فتلقّفه منه الملأ. ولما كان الانقلاب وبياض اليد ممّا هو مستحيل في العادة، وهم ينكرون النبوّات، نسبوه إلى السحر، ووصفوه بـ«عليم» لمبالغته عندهم في السحر.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ استشعرت نفوسهم ما صار إليه أمرهم من إخراجهم من أرضهم، وخلوّ مواطنهم منهم وخراب بيوتهم، فبادروا إلى الإخبار بذلك، وكان الأمر كما استشعروا، إذ أغرق الله تعالى فرعون وآله، وأخلى منازلهم منهم. ونبّهوا على هذا الوصف الصعب الذي هو معادل لقتل النفس، قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم ﴿٦٦﴾﴾ [النساء]. وتحتمل «فماذا» أن تكون كلها استفهاماً وتكون مفعولاً ثانياً لـ«تأمرون» على سبيل التوسّع فيه بأن حذف منه حرف الجرّ كما قال: أمرتك الخير، ويكون المفعول الأول محذوفاً لفهم المعنى أي: أيّ شيء تأمرونني، وأصله: بأي شيء. ويجوز أن تكون «ما» استفهاماً مبتدأ و«ذا» موصولة بمعنى الذي، خبرٌ عنه، و«تأمرون» صلة «ذا»، ويكون قد حذف مفعولي[1] «تأمرون» وهو ضمير [المتكلم والثاني وهو المضمر العائد على

(١) ق: مفعول.

الموصول، والتقدير: فأيّ شيء الذي تأمرونيه؟ أي: تأمرونني به. وكلا الإعرابين في «ماذا» جائز في قراءة من كسر النّون، إلا أنه حذف ياء المتكلم، وأبقى الكسرة دلالة عليها.

وقدّر ابن عطية الضمير العائد على «ذا» إذا كانت موصولة مقروناً بحرف الجر فقال: وفي «تأمرون» ضمير] [٢٢٠/ب] عائد على الذي تقديره: تأمرون به انتهى. وهذا ليس بجيد لفوات شرط جواز حذف الضمير إذا كان مجروراً بحرف جر، وذلك الشرط هو أن لا يكون الضمير في موضع رفع، وأن يجرّ ذلك الحرف الموصول أو الموصوف به أو المضاف إليه، ويتحد المتعلّق به الحرفان لفظاً ومعنى، ويتحد معنى الحرف أيضاً. والعذر لابن عطية أنه قدّره على الأصل، ثم اتّسع فيه فتعدّى إليه الفعل بغير واسطة الحرف، ثم حذف بعد الاتّساع.

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ أي: قال من حضر مناظرة موسى عليه السلام من عقلاء ملأ فرعون وأشرافه. قيل: ولم يكن فرعون يجالس ولد غيّةٍ[1] وإنما كانوا أشرافاً، ولذلك أشاروا عليه بالإرجاء ولم يشيروا عليه بالقتل وقالوا: إن قتلتَه دخلت على الناس شبهة، ولكن اغْلِبْهُ بالحجّة. وقرىء بالهمز وبغير همز فقيل هما بمعنى واحد والمعنى: أخِّرْه واحبسه، وقيل: ارجيه بغير همز بمعنى أطمِعْه، جعله من رجوت، أدخل عليه همزة النقل أي: أطمعه وأخاه ولا تقتلهما حتى يظهر كذبهما، فإنك إن قتلتهما ظُنَّ أنّهما صدقا.

قال ابن عطية: وقرأ ابن عامر: أرجئهِ بكسر الهاء بهمزة قبلها، قال الفارسي: وهذا غلط انتهى. نسبة ابن عطية هذه القراءة إلى ابن عامر ليست

(١) يقال: هو ولد غيّة بالفتح والكسر: زَنية.

بجيدة[1]، لأن الذي روى ذلك إنما هو ابن ذكوان لا هشام، وكان ينبغي أن يقيّد فيقول: وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان.

ولم يَجْرِ لهارون ذكرٌ في صدر القصة، وقد تبيّن في غير آية أنهما ذهبا معاً، وأرسلا إلى فرعون، ولمّا كان موافقاً له في دعواه ومؤازراً له أشاروا بإرجائهما. ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ﴾ أي: مدائن مصر وقراها. والحاشرون: قال ابن عباس: هم أصحاب الشرط، «حاشرين» أي: حاشرين السّحرة. وفي الكلام حذف تقديره: فبعث فأتوه، فلما جاء السّحرة وأُعلموا بما صدر من موسى عليه السلام من انقلاب العصا وبياض اليد، وأن هذا [من السحر - قالوا لفرعون «إن لنا لأجراً». وقرىء: أئِنّ بهمزة الاستفهام. وقرىء: إنّ] على جهة الإثبات، فجاز أن يكون الاستفهام من بعض السحرة والإثبات من بعضهم. وفي خطاب السحرة بذلك لفرعون دليل على استطالتهم عليه باحتياجه إليهم، وربما يحصل للعالم بالشيء من الترفّع على من يحتاج إليه وعلى من لا يعلم مثل علمه. و«نحن» إما تأكيد للضمير، وإمّا فصلٌ، وجواب الشرط محذوف.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: نعم إن لكم لأجراً وإنكم، فعطف هذه الجملة على الجملة المحذوفة بعد «نعم» التي هي نائبة عنها. والمعنى: لمن المقرّبين منّي، أي: لا أقتصر على الجعل والثواب على غلبة موسى بل أزيدكم أن تكونوا المقربين، فتحوزون إلى الأجر الكرامة[2] والرفعة والجاه والمنزلة.

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ قبل هذا محذوف تقديره: فحضر موسى بعصاه.

---

(١) ق: ليس بجيّد.

(٢) ق: فتجوزون إلى الأجر الرامة.

والذي يظهر أن تخييرهم إياه ليس من باب الأدب كما قال الزمخشري[1]، بل ذلك من باب الإدلال بما يعلمونه من السحر وإيهام الغلبة والثقة بأنفسهم وعدم الاكتراث والاهتبال بأمر موسى عليه السلام. وأجازوا في «أن تلقي» و«أن نكون» النصب أي: اختر أو افعل إما إلقاءك وإما إلقاءنا والمعنى فيه البداءة، والرفع [أي]: إما إلقاؤك مبدوء به وإمّا إلقاؤنا فيكون مبتدأ، وإما أمْرُك الإلقاء أي: البداءة به أو إمّا أمْرُنا الإلقاء فيكون خبر مبتدأ محذوف. ومفعول «تلقي» محذوف تقديره: [أن تلقي عصاك، ومفعول «الملقين» محذوف تقديره:] حبالنا وعصيّنا.

﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ﴾ أمرهم موسى عليه السلام بالتقدّم وثوقاً بالحق وعلماً أنه تعالى يبطله كما حكى الله تعالى عنه ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ﴿٨١﴾ ﴾ [يونس]. ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي أرَوُا العيون بالحيل والتّخيلات ما لا حقيقة له كما قال تعالى [٢٢١/أ] ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [طه]. وفي قوله «سحروا أعين الناس» دلالة على أن السحر لا يقلب عيناً وإنما هو من باب التخييل. ﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ [أي: أرهبوهم] واستفعل هنا بمعنى أفعل كأبلّ واستبلّ، والرهبة الخوف والفزع. وقال الزمخشري[2]: استرهبوهم وأرهبوهم إرهاباً شديداً كأنهم استدعوا رهبتهم. وقال ابن عطية: «واسترهبوهم» بمعنى وأرهبوهم، فكأن فعلهم اقتضى واستدعى الرهبة من الناس انتهى. ولا يظهر ما قالا لأن الاستدعاء والطلب لا يلزم منه وقوع المستدعى والمطلوب. والظاهر هنا حصول الرهبة فلذلك قلنا إن استفعل فيه موافق أفعل.

---

(١) انظر الكشاف ٢: ١٠٢.

(٢) الكشاف ٢: ١٠٣.

ووصف السحر بـ«عظيم» لقوّة ما خيّل أو لكثرة آلاته من الحبال والعصي؛ روي أنهم جاؤوا بحبال من أدم وأخشاب مجوّفة مملوءة زئبقاً، وأوقدوا في الوادي ناراً فحميت بالنار من تحت والشمس من فوق فتحركت وركب بعضها بعضاً، وهذا من باب الشعبذة والدك[١].

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ الظاهر أنه وحي إعلام كما رُوي أن جبريل عليه السلام أتاه وقال له: إنّ الحقّ يأمرك أن تلقي عصاك. وكونه وحي إعلام فيه تثبيت للجأش وتبشير بالنصر. و«أن» يُحتمل أن تكون المفسّرة بمعنى أي، لأنه تقدّمها معنى القول وهو «أوحينا»، فالمعنى: أي: ألق عصاك، وأن تكون الناصبة دخلت على فعل الأمر فينسبكُ منهما[٢] مصدر تقديره: بالإلقاء. وفي الكلام حذف قبل الجملة الفجائية أي: فألقاها فإذا هي تلقف، وتكون الجملة الفجائية إخباراً لما ترتّب على الإلقاء. وقرىء: تلقَّفُ بحذف التاء وأصلها: تتلقف، وبإدغام التاء في التاء في[٣] «تلقف». وقرىء تلقَف مضارع لَقِف. و«ما» موصولة أي: ما يأفكونه أي: يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزوّرونه، أو مصدرية أي: تلقف إفكهم تسمية للمفعول بالمصدر.

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ قال ابن عباس والحسنَ: ظهر واستبان. وقال أرباب المعاني: الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقرّه. قال القاضي: «فوقع الحق» يفيد قوة الظهور والثبوت بحيث لا يصحّ فيه البطلان، كما لا يصحّ في الواقع أن يصير إلا واقعاً. ومع ثبوت الحق

---

(١) الدّك: شدة الوطء والكيد.

(٢) ق: منها.

(٣) ق: هي.

بطلت، وزالت تلك الأعيان التي أفكوها، وهي الحبال والعصي.

﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ﴾ أي: غُلب جميعهم في مكان اجتماعهم أو وقت اجتماعهم وانقلبوا أذلّاء. و﴿صَٰغِرِينَ﴾ حال.

﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ لمّا كان الضمير قبلُ مشتركاً جُرّد المؤمنون وأفردوا بالذكر.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: ساجدين قائلين. و«قالوا» في موضع الحال من الضمير في «ساجدين» أو من «السّحرة». وعلى التقديرين فهم ملتبسون بالسجود لله تعالى شكراً على المعرفة والإيمان وبالقول المنبىء عن التصديق الذي محلّه القلوب. ولما كان السجود أعظم القرب إذ «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[1] بادروا [به] متلبّسين بالقول الذي لا بدّ منه عند القادر عليه؛ إذ الدخول في الإيمان إنما يدلّ عليه القول، وقالوا «رب العالمين» [وفاقاً لقول موسى عليه السلام ﴿إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأعراف]]. ولما كان قد يوهم هذا اللفظ غير الله كقول فرعون ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات] نَصُّوا بالبدل على أنه رب العالمين ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ وأنهم فارقوا فرعون وكفروا بربوبيّته. والظاهر أنّ قائل ذلك جميع السّحرة.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ قرىء: آمنتم على الخبر، وأآمنتم على الاستفهام. والضمير في «به» عائد على «رب العالمين». و«قبل أن آذن لكم» [فيه] وهنٌ في أمره لأنه إنما جعل ذنبهم بمفارقة الإذن ولم يجعله نفس الإيمان. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى [٢٢١/ب] ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي: إنّ صنعكم هذا لحيلةٌ احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء وتواطأتم على

---

(١) رواه مسلم ١: ٣٥٠ من حديث أبي هريرة.

ذلك لغرض لكم، وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني إسرائيل، قال هذا تمويهاً على الناس لئلاّ يتبعوا السّحرة في الإيمان. روي عن ابن مسعود وابن عباس أن موسى عليه السلام اجتمع مع رئيس السّحرة شمعون فقال له موسى عليه السلام: أرأيتكم إن غلبتكم أتؤمنون بي؟ فقال[١] له: نعم، فعلم بذلك فرعون فقال ما قال.انتهى.

ولما خاف فرعون أن يكون إيمانُ السّحرة حجّة قومه ألقى في الحال نوعين من الشبهة أحدهما أنّ هذا تواطؤ منهم، لا أنّ ما جاء به حقّ، والثاني أنّ ذلك طلبٌ منهم للمُلْك. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعيد. ومفعول «تعلمون» محذوف أي: ما يحلّ بكم، أَبْهَمَ في متعلق «تعلمون» ثم عيّن ما يفعله بهم فقال مقسماً:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ لما ظهرت الحجّة عاد إلى عادة ملوك السّوء، إذا غُلبوا، من تعذيب من ناوأهم[٢]، وإن كان مُحقًّا. ومعنى ﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي: يد يمنى ورجل يسرى. وهذا التوعّد الذي توعّده فرعون السّحرة ليس في القرآن نصّ على أنه أنفذه وأوقعه.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ[٣]﴾ هذا تسليم واتكال على الله تعالى وثقة بما عنده، والمعنى أنّا نرجع إلى ثواب ربّنا يوم الجزاء على ما نلقاه من الشدائد.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ الآية، والذي يظهر من تعديته بمِن أنّ المعنى «وما تنقم منّا» أي: ما تنال منّا كقوله ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ

---

(١) ق: فقالوا.

(٢) ق: ناوأه.

(٣) ق: لمنقلبون.

مِنۡهُ ﴿٩٥﴾ [المائدة] أي: يناله بمكروه، ويكون فعل وافتعل فيه بمعنى واحد كقدر واقتدر، وعلى هذا يكون قوله ﴿إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا﴾ مفعولاً من أجله استثناءً مفرّغاً، أي: ما تنال منا وتعذّبنا بشيء من الأشياء إلا لأن آمنّا بآيات ربّنا. وعلى هذا المعنى يدل تفسير عطاء، قال عطاء: ما لنا عندك ذنب تعذّبنا به إلا أن آمنّا. ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ تقدم الكلام عليه في البقرة[1].

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ﴾ تضمّن قول الملأ إغراء فرعون بموسى وقومه وتحريضه على قتلهم أو تعذيبهم حتى لا يكون لهم خروج عن دين فرعون. ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ [عطفًا على ﴿لِيُفۡسِدُواْ﴾ أي: للإفساد ولتركك وترك آلهتك] وكان الترك هو لذلك، وبدؤوا أوّلاً بالعلّة العامّة وهي الإفساد، ثم أتبعوه بالخاصّة، ليدلّوا على أن ذلك الترك من فرعون لموسى وقومه هو أيضاً يؤول إلى شيء يختص بفرعون، قدحوا بذلك زند تَغَيُّظه على موسى وقومه ليكون ذلك أبقى عليهم إذ هم الأشراف، وبترك موسى وقومه بمصر يذهب ملكهم وشرفهم. ويجوز أن يكون النصب على جواب الاستفهام والمعنى: أنّى يكون الجمع بين تركك موسى وقومه للإفساد وبين تركهم إياك وعبادة آلهتك؟ أي: أن هذا مما لا يمكن وقوعه.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٥٠ من البقرة.

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ وإنّما لم يعاجل موسى وقومه بالقتال لأنه كان قد مليء من موسى عليه السلام رعباً. والمعنى أنه قال: سنعيد عليهم ما كنّا فعلنا بهم قبلُ من قتل أبنائهم، ليقلّ رهطه الذين يقع الإفساد بواسطتهم. والفوقية هنا بالمنزلة والتمكّن في الدنيا. و«قاهرون» يقتضي تحقيرهم أي: قاهرون لهم فهم أقلّ من أن نهتم بهم، فنحن على ما كنّا عليه من الغلبة، أو أن غلبة موسى عليه السلام لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا، ولئلاّ تتوهّم العامّة أنّه المولود الذي تحدّث المنجّمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده، فيثبّطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتّباعه وأنه منتظَر بعدُ.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ لمّا توعّدهم فرعون جزعوا وتضرّعوا، فسكّنهم موسى عليه السلام، وأمرهم بالاستعانة بالله تعالى [٢٢٢/أ] وبالصبر، وسلاّهم، ووعدهم النصر، وذكّرهم ما وعد الله به بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم. ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ أي: أرض مصر، وأل فيه للعهد وهي الأرض التي كانوا فيها.

﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ أي: بابتلائنا بذبح أبنائنا مخافة ما كان يتوقع فرعون من هلاك ملكه على يد المولود الذي يولد منّا. و«أن» مصدرية مخلِّصة الفعل للاستقبال. وكانت إذايتهم الأولى قبل مجيء موسى عليه السلام وإذايتهم الثانية بعد مجيئه، فلذلك جاءت «ما» مصدرية وجاء بعدها الفعل الماضي. ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ هذا رجاء من موسى عليه السلام، ومِثْله من الأنبياء يقوّي قلوب أتباعهم فيصبرون إلى وقوع متعلق الرجاء. ومعنى ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: في استخلافكم من الإصلاح والإفساد، وهي جملة تجرى مجرى البعث والتحريض على طاعة الله تعالى. وفي الحديث «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف

تعملون[١].

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ الأخذ التناول باليد ومعناه هنا الابتلاء في المدة التي أقام نبيهم موسى عليه السلام يدعو إلى الله تعالى. ومعنى «بالسنين» بالقحوط والجدوب، والسّنة تطلق على الحول وتطلق على الجدب ضد الخصب، وقد اشتقّوا منها بهذا المعنى فقالوا: أَسْنَتَ القوم، إذا أجدبوا ومنه قول الشاعر[٢]: [من الكامل]

(١) رواه مسلم ٤: ٢٠٩٨ من حديث أبي سعيد الخدري. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١: ٢٥٤.

(٢) البيت في المقاصد النحوية ٤: ١٤٠، وفي اللسان (سنت)، وهو منسوب فيهما لعبدالله بن الزبعرى. وهو في اللسان (هشم) غير منسوب.

عَمْرُو الذي هَشَمَ الثّريدَ لقومه ورجـالُ مكّـةَ مُسْنِتُـونَ عِجـافُ

قال ابن عباس: أما السّنون فكانت لباديتهم ومواشيهم، وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم. وهذه سيرة الله تعالى في الأمم يبتليها بالنّقم، ليزدجروا ويتذكروا بذلك ما كانوا فيه من النعم.

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أتى في الشرط بإذا في مجيء الحسنة، وهي لتحقق وجوده، لأن إحسان الله تعالى هو المعهود الواسع العام لخلقه بحيث إن إحسانه لخلقه عامّ حتى في حال الابتلاء. وأتى الشرط بإنْ في إصابة السيئة وهي للإمكان، إبرازاً أنّ إصابة السيئة ممّا قد يقع وقد لا يقع. ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾[1] أي: يتشاءموا، وأصله يتطيّروا فأدغم التاء في الطاء. ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: طائرهم: نصيبهم أي: ما طار لهم في القَدَر مما هم لاقُوه، وهو مأخوذ من زجر الطير. سمّي ما عند الله من القدر للإنسان طائراً لما كان يُعتقد أن كلّ ما يصيبه إنما هو بحسب ما يراه في الطائر، فهي لفظة مستعارة.

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ[2]﴾ الضمير في «قالوا» عائد على آل فرعون، ولم يزدهم الأخذ بالجدوب ونقص الثمرات إلا طغياناً وتشدّداً في كفرهم وتكذيبهم. ولم يكتفوا بنسبة ما يصيبهم من السيئات إلى أنّ ذلك بسبب موسى عليه السلام ومن معه، حتى واجهوه بهذا القول الدّالّ على أنه لو أتى بما أتى من الآيات فإنهم لا يؤمنون. وأتوا بـ«مهما» التي تقتضي العموم ثم فُسّر بـ«آية» على سبيل الاستهزاء في تسميتهم ذلك آية، كما قالوا في قوله

---

(١) ق: وقد لا يقعوا تطيّروا.

(٢) ق: بأننا بآية.

﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء]، وتسميتهم[1] لها بـ«آية» على زعمك، ولذلك علّلوا الإتيان بقولهم «لتسحرنا بها». وبالغوا في انتفاء الإيمان بأن صدّروا الجملة بـ«نحن» وأدخلوا الباء في «بمؤمنين»، أي: أن إيماننا لك لا يكون أبداً. و﴿مَهْمَا﴾ مرتفع بالابتداء، أو منتصب بإضمار فعل يفسّره فَعل الشرط فيكون من باب الاشتغال أي: أيَّ شيءٍ تحضر بإتيانه[2]. والضمير في «به» عائد على «مهما» وفي «بها» عائد أيضاً على معنى «مهما» لأن المراد به: أيّة آيةٍ، كما عاد على «ما» في قوله تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا[3] ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة]. و«مهما» كلمة بسيطة ليست [٢٢٢/ب] مركّبة من: مَهْ اسم الفعل وما، ولا أنّ أصلها: ما ما فأبدلت ألفها هاءً فقيل مهما. وقد جاء في الشرط مهما، قال الشاعر[4]: [من الطويل]

أماويَّ مهما يَسْتَمِعْ في صديقه ... أقاويلَ هذا الناس ماويّ يَنْدمِ

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ قال الأخفش: الطوفان جمع طوفانة عند البصريين، وعند الكوفيين مصدر. قال ابن عباس: الطوفان: الماء المغرق، وقال جماعة: هو المطر أُرسل عليهم دائماً الليل والنهار ثمانية أيام، وقيل: ذلك مع ظلمة شديدة لا يرون شمساً ولا قمراً، ولا يقدر أحد أن يخرج من داره. وقيل: أُمطروا حتى كادوا يهلكون. وبيوت القبط وبني إسرائيل مشتبكة، فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، فمن جلس غرق. ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة من الماء، وفاض الماء على وجه

---

(١) ق: وتسميه.

(٢) ق: أي أيّ محضر بإتيانه.

(٣) ق: ننساها.

(٤) البيت في اللسان (مهه) والخزانة ٣: ٦٣١ غير منسوب.

أرضهم، وركد، فمنعهم من الحرث والبناء والتصرّف ودام عليهم سبعة أيام.

﴿ وَٱلْجَرَادَ ﴾ جمع جرادة وهو اسم جنس بينه وبين مفرده تاء التأنيث. وابتُلوا بالجراد بعد ابتلائهم بالطوفان سبعة أيام فأكلت عامّة زرعهم وثمارهم، ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء فكشف عنهم بعد سبعة أيام.

وسلّط الله عليهم القمّل، قال ابن عباس: القمل هو الدّبا وهو صغار الجراد قبل أن تنبت له أجنحة ولا يطير. رُوي أن موسى عليه السلام مشى إلى كثيب أهيل فضربه بعصاه فانتشر كلّه قمّلاً بمصر فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض. وكان يدخل بين جلد القبطي وقميصه، ويمتلىء الطعام قمّلاً.

وأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فملأت آنيتهم وأطعماتهم ومضاجعهم، ورمت بأنفسها في القدور وهي تغلي والتنانير وهي تفور، [وإذا] تكلّم أحدهم وثبَتْ إلى فيه.

ثم بعد ذلك ارسل الله عليهم الدم حتى صار ماؤهم دماً، حتى إن الإسرائيلي ليضع الماء في في القبطي فيصير في فيه دماً. وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك فكان يمصّ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها صار ماؤها الطيبُ ملحاً أجاجا. ومعنى تفصيل الآيات تبيينها وإزالة إشكالها. وحكمة التفصيل بالزمان أنه يُمتحن فيه أحوالهم، أيَفُون بما عهدوا أم ينكثون[1].

وانتصب ﴿ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ على الحال. والذي دلّت عليه الآية أنه أرسل

---

(١) سمّاها مفصّلات لأنّ بين الآية والآية فصلاً من الزمان. انظر البحر ٤: ٣٧٣.

عليهم ما ذكر فيها، وأما كيفية الإرسال ومكث ما أرسل عليهم من الأزمان والهيئات فمرجعه إلى النقل عن الأخبار الإسرائيليات؛ إذ لم يثبت [من] ذلك في الحديث النبوي شيء. ومع إرسال حسن الآيات استكبروا عن الإيمان وعن قبول أمر الله تعالى. ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ إخبار منه تعالى عنهم باجترامهم على الله تعالى وعلى عباده.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ الظاهر أن الرّجز هو ما كان أُرسل عليهم من الآيات التي تقدّمت قبلُ. ومعنى «وقع عليهم» أي: نزل عليهم وثبت. وفي قولهم ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ وفي إضافة الربّ إلى موسى عليه السلام عدم إقرار بأنه ربّهم حيث لم يقولوا: ادعُ لنا ربّنا. ومعنى ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بما اختصّك به فنبأك، أو بما وصّاك به أن تدعو به فيجيبك كما أجابك في الآيات. والظاهر تعلّق «بما عهد» بـ«ادْعُ لنا ربّك» ومتعلّق الدعاء محذوف تقديره: ادعُ لنا ربك بما عهد عندك في كشف هذا الرجز. و﴿لَئِن كَشَفْتَ﴾ جواب لقسم محذوف في موضع الحال من «قالوا» أي: قالوا ذلك مقسمين لئن كشفت. وفي قولهم ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [٢٢٣/أ] دلالة على أنه طلب منهم الإيمان كما أنه طلب منهم إرسال بني إسرائيل. وقدّموا الإيمان لأنه المقصود الأعظم الناشىء منه الطواعية. وفي إسناد الكشف إلى موسى عليه السلام حيدة عن إسناده إلى الله تعالى لعدم إقرارهم بذلك.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾ في الكلام حذف دلّ عليه المعنى وهو: فدعا موسى فكشف عنهم الرجز. وأسند تعالى الكشف إليه لأنه هو الكاشف حقيقةً، فلمّا كان من قولهم أسندوه إلى موسى عليه السلام وهو إسناد مجازي، ولمّا كان إخباراً من الله أسنده تعالى إليه لأنه إسناد حقيقي. و﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ [قالوا]: متعلق بـ«كشفنا»، ولا يمكن حمله على التعلق به لأن ما دخلت عليه لمّا ترتّب جوابه على ابتداء وقوعه، والغاية بقوله «إلى

أجل» ينافي التعليق على ابتداء الوقوع، فلا بدّ من تعقّل الابتداء والاستمرار حتى تتحقق الغاية[١]. و﴿هُم بَٰلِغُوهُ﴾ جملة في موضع الصفة لـ«أجل» وهي أفخم من الوصف بالمفرد لتكرّر الضمير، فليس في حُسْن التركيب كالمفرد[٢]. و«إذا» للمفاجأة، تدلّ على أنه لم يكن بعد بلوغ الأجل وبين النكث زمان يتخلّلهما، بل بنفس ما بلغوا الأجل نكثوا ما أقسموا عليه من الإيمان والإرسال.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: أحللنا بهم النقمة وهي ضدّ النعمة. فإن كان الانتقام هو الإغراق فتكون الفاء تفسيرية، وذلك على رأي من أثبت هذا المعنى للفاء، وإلاّ كان المعنى: فأردنا الانتقام منهم. والباء في «بأنهم» سببية. والآيات هي المعجزات التي ظهرت على يد موسى عليه السلام. والظاهر عود الضمير في «عنها» إلى الآيات أي: غفلوا عمّا تضمّنته الآيات من الهدى والنجاة وما فكّروا فيها، وتلك الغفلة هي سبب التكذيب.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ﴾ الآية، لمّا قال موسى عليه السلام ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف] كان كما ترجّى موسى عليه السلام فأغرق أعداءهم في اليم، واستخلف بني إسرائيل في الأرض. و﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هم بنو إسرائيل، كان فرعون يستعبدهم ويستخدمهم. وفي الكلام حذف مضاف تقديره: وأورثنا ذرّية القوم، لأن القوم المستضعفين لم يعودوا إلى ديار مصر بأعيانهم، إذ كانوا جاوزوا البحـر وأقاموا بالأرض المقدسة، وإنما ورث مصر ذرّيتهم ومنهم سليمان بن داود عليهما السلام. و﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ﴾ منصوب على أنه مفعول ثانٍ

---

(١) وجعل بعضهم «إلى أجل» من تمام الرجز أي: الرجز كائناً إلى أجل، والمعنى أن العذاب كان مؤجلاً. انظر البحر ٤ : ٣٧٥.

(٢) هذا إذا وقع في غير القرآن فقيل: إلى أجل بالغيه. انظر المصدر السابق.

لـ «أورثنا». وجُعلت مشارق ومغارب مبالغة في كثرة بركتها. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: مضت واستمرّت، من قولهم: تمّ على الأمر إذا مضى عليه. ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ الباء سببية و«ما» مصدرية أي: بصبرهم. ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ أي: خرّبنا قصورهم وأبنيتهم. والتدمير الإهلاك وإخراب الأبنية. ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ أي: يرفعون من الأبنية المشيّدة كصرح هامان وغيره.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ لمّا بيّن أنواع نعمه على بني إسرائيل بإهلاك عدوّهم، أتبع بالنعمة العظمى من إراءتهم هذه الآية العظيمة وقطعهم البحر مع السلامة، والبحر بحر القلزم. ومعنى «وجاوزنا» قطعنا بهم البحر، يقال: جاوز الوادي إذا قطعه، والباء للتعدية، يقال: جاوز البحر، إذا قطعه، وجاوز بغيره البحر[1]: عبر به فكأنه قال: وجزنا ببني إسرائيل البحر، أي: أجزناهم البحر، وفاعَلَ بمعنى المجرّد يقال: جاوز وجاز بمعنى واحد. ﴿فَأَتَوْا۟﴾ أي: مرّوا. ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم من لخم وجذام. ﴿يَعْكُفُونَ﴾ أي: يقيمون. ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ﴾ أي: عبادة الأصنام لهم. والأصنام: قيل البقر حقيقة وقيل تماثيل من حجر وعيدان على صورة البقر. ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى

---

(١) ق: وجاوزه بغير البحر.

[٢٢٣/ب]﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ الظاهر أن طلب مثل هذا كفر وارتداد وشقاق وعناد، خرجوا في ذلك على عادتهم في تعنّتهم على أنبيائهم وطلبهم ما لا ينبغي. وقد تقدّم من كلامهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة] وغير ذلك مما هو كفر. وربما كان القول من بعضهم فنُسب إلى جميعهم.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تعجّب موسى عليه السلام من قولهم على أثر ما رأوا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة، ووصفهم بالجهل المطلق، وأكّده بإنّ، لأنّه[1] لا جهل أعظم من هذه المقالة ولا أشنع. وأتى بلفظ ﴿تَجْهَلُونَ﴾ ولم يقل جهلتم إشعاراً بأنّ ذلك منهم كالطبع والغريزة لا ينتقلون عنه [في] ماضٍ ولا مستقبل.

﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ الإشارة بـ«هؤلاء» إلى العاكفين على عبادة تلك الأصنام. ومعنى «متبّر» مهلك مدمّر مكسّر، وأصله الكسر. قال الزمخشري[2]: وفي إيقاع «هؤلاء» اسماً لإنّ وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبراً لها واسم لعبدة الأصنام بأنهم هو المعرّضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتّة، وأنه لهم ضربة لازب، ليحذّرهم عاقبة ما طلبوا ويبغّض لهم ما أحبّوا انتهى. لا يتعيّن ما قاله من أنه قدّم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبراً، لأن الأحسن في إعراب مثل هذا أن يكون خبر إنّ «متبّر»، وما بعده مرفوع على أنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله. وكذلك «ما كانوا» هو فاعل بقوله «وباطل»، فيكون إذ ذاك قد أخبر عن اسم إنّ بمفرد لا جملة، وهو نظير: إنّ زيداً مضروب غلامه، فالأحسن في الإعراب أن يكون «غلامه» مرفوعاً على أنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله، و«مضروب» خبر إنّ. والوجه الآخر [وهو]

---

(١) ق: وأكّده بأنه لا جهل.

(٢) الكشاف ٢: ١١٠.

أن يكون مبتدأ و«مضروب» خبره جائز وهو مرجوح.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ما أحسن ما خاطبهم موسى عليه السلام: بدأهم أولاً بنسبتهم إلى الجهل، ثم ثانياً أخبرهم بأنّ عُبّاد الأصنام ليسوا على شيء بل مآل أمرهم إلى الهلاك وبطلان العمل، وثالثاً أنكر وتعجّب أن يقع هوعليه السلام في أن يبغي لهم غير الله إلهاً، أي: أغير الله المستحقّ للعبادة والألوهية أطلب لكم معبوداً وهو الذي شرّفكم واختصّكم بالنّعم التي لم يعطها مَن سلف من الأمم لا غيره؟ فكيف أبغي لكم إلهاً غيره؟.

ومعنى «على العالمين» على عالمي زمانهم أو بكثرة الأنبياء فيهم. وانتصب «أغير» مفعولاً بـ«أبغيكم» أي: أبغي لكم غير الله، و«إلها» تمييز عن «غير» أو حال. أو على الحال و«إلهاً» المفعول، والتقدير: أبغي لكم إلهاً غير الله، فكان «غير» صفة فلما تقدم انتصب حالاً. وقال ابن عطية: و«غير» منصوبة بفعل مضمر، هذا هو الظاهر، ويحتمل أن ينتصب على الحال انتهى. ولا يظهر نصبه بفعل مضمر لأنّ «أبغي» مفرّغ له أو لقوله «إلهاً»، فإن تخيّل أنه منصوب بأبغي مضمرةً يفسّرها هذا الظاهر فلا يصحّ؛ لأن الجملة المفسِّرة لا رابط فيها لا من ضمير ولا من مُلابس يربطها بـ«غير»، فلو كان التركيب: أغير الله أبغيكموه، لصحّ المعنى. ويحتمل «وهو فضّلكم» أن يكون حالاً وأن يكون مستأنفاً.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ الخطاب لمن كان على عهد رسول الله ﷺ تقريعاً لهم بما فعل أوائلهم وبما جاؤوا به. وتقدّم تفسير نظير هذه الآية في أوائل سورة البقرة[1] فأغنى عن إعادته.

(١) انظر تفسير الآية ٤٩ من البقرة.

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً ﴾ روي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوّهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون. فلما هلك فرعون سأل موسى ربّه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوماً وهو شهر ذي القعدة. وانتصب «ثلاثين» على أنه مفعول ثانٍ على حذف مضاف، فقدّره أبو البقاء(1): إتيان ثلاثين أو إتمام ثلاثين. وقال ابن عطية: «وثلاثين» نصب [٢٢٤/أ] على تقدير: وأجّلناه أو مناجاة ثلاثين، وليست منتصبة على الظرف لأن المواعدة لم تقع في الثلاثين، والضمير [في] «وأتممناها» عائد على المواعدة المفهومة من «واعدنا». وقال

---

(١) إملاء ١: ٢٨٤.

الحوفي: الهاء والألف نصب بـ«أتممناها» وهما راجعتان إلى «ثلاثين» انتهى. ولا يظهر لأن الثلاثين لم تكن ناقصة فتمّمت بعشر. وحذف مميّز «عشر» أي: بعشر ليالٍ لدلالة ما قبله عليه. وفي مصحف أبيّ: وتمّمناها مشدّداً. والميقات ما وُقّت له من الوقت وضربه له. وجاء بلفظ «ربّه» ولم يأت على «واعدنا» فكان يكون التركيب: فتم ميقاتنا، لأنّ لفظ «ربه» دالّ على أنه مُصلحه وناظر في أمره ومالكه والمتصرف فيه. والفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما قدر فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت الشيء. وانتصب «أربعين» على الحال، قاله الزمخشري وابن عطية. وقدّر الزمخشري الحال فيه فقال[1]: أي تمّ بالغاً هذا العدد. فعلى هذا لا يكون الحال «أربعين» بل الحال هذا المحذوف، فينافي قوله: «وأربعين ليلة» نصب على الحال. وقال ابن عطية أيضاً: ويصحّ أن يكون «أربعين» ظرفاً من حيث هي عدد أزمنة، وقيل: «أربعين» مفعول به بـ«تمّ» لأن معناه بلغ. والذي يظهر أنه تمييز منقول من الفاعل وأصله: فتمّ أربعون ميقات ربّه، أي: كملت، ثم أسند التمام لـ«ميقات» وانتصب «أربعون» على التمييز.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ قرىء شاذًا: هارونُ بالضم على النداء [أي]: يا هارون. أمره حين أراد المضيّ للمناجاة والمغيب فيها أن يكون خليفته في قومه وأن يصلح في نفسه أو ما يجب أن يصلح في أمر قومه، ونهاه أن يتبع سبيل من أفسد. وفي النهي دليل على وجود المفسدين ولذلك نهاه عن اتباع سبيلهم. وأَمْرُه إياه بالإصلاح ونهيه عن اتّباع سبيل المفسدين هو على سبيل التأكيد لا لتوهمّ أنه يقع منه خلاف الإصلاح واتباع تلك السبيل لأن منصب النبوة منزّه عن ذلك. ومعنى ﴿ٱخۡلُفۡنِي﴾ استبِدّ بالأمر وذلك في حياته إذ راح

(١) الكشاف ٢: ١١١ في الموضعين.

إلى مناجاة ربّه، وليس المعنى أنك تكون خليفتي بعد موتي؛ ألا ترى أنّ[1] هارون مات قبل موسى عليهما السلام؟.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي: للوقت الذي ضربه له أي: لتمام الأربعين كما تقول: أتيته لعشرٍ خلون من الشهر. ومعنى [اللام] الاختصاص والجمهور على أنه وحده خُصَّ بالتكليم[2] إذ جاء للميقات. وقال القاضي: سمع هو والسبعون كلام الله تعالى. قال ابن عطية: خلق له إدراكاً سمع به الكلام القائم بالذات القديمة الذي هو صفة ذات. وقال ابن عباس وابن جبير: أدنى الله موسى عليه السلام حتى سمع صريف الأقلام في اللوح. وقال الزمخشري[3]: وكلّمه ربّه من غير واسطة كما يكلّم الملك. وتكليمه تعالى أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح. وروي أن موسى عليه السلام كان يسمع الكلام من كلّ جهة. وعن ابن عباس: كلّمه أربعين يوماً وأربعين ليلة وكتب له الألواح، وقيل إنما كلّمه في أوّل الأربعين انتهى.

وقال وهب: كلّمه في ألف مقام، وعلى إثر المقام يُرى نور على وجهه ثلاثة أيام، ولم يقرب النساء مذ كلّمه الله تعالى انتهى. وقد أوردوا هنا الخلاف الذي في كلام الله تعالى وهو مذكور [هو] ودلائل المختلفين في كتب الأصول. و«كلّمه» معطوف على «جاء» وقيل حال. وعدل عن قوله: وكلّمناه إلى قوله «وكلّمه ربّه» للمعنى الذي عدل إلى قوله «فتمّ ميقات ربّه».

---

(١) ق: إلى.

(٢) ق: بالتكلّم.

(٣) الكشاف ٢: ١١١.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ أرني: هي بصريّة والمفعول الثاني محذوف تقديره: أرنيك أو أرني إياك[١]. قال السّدي وأبو بكر الهذلي: لمّا كلّمه وخصّه بهذه الرتبة [٢٢٤/ب] طمحت همّته إلى رتبة الرؤية وتشوّف إلى ذلك فسأل ربّه أن يريه نفسه. قال ابن عطية: ورؤيته تعالى عند الأشعرية وأهل السنّة جائزة عقلاً لأنه من حيث هو موجود تصحّ رؤيته. وقررت الشريعة رؤية الله تعالى في الآخرة ومنعت من ذلك في الدنيا بظواهر الشرع، فموسى عليه السلام لم يسأل محالاً وإنما سأل جائزاً.

وقوله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ ليس بجواب من سأل محالاً، وقد [قال] تعالى لنوح عليه السلام ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ ٤٦﴾ [هود] فلو سأل موسى محالاً لكان في الجواب زجرٌ ما وتبيين. وللزمخشري كلام كثير في الرؤية ذكرناه في البحر[٢]. «ولكن انظر إلى الجبل» تعليق الرؤية على تقدير الاستقرار مؤذن بعدمها إذ لم يستقر. ونبّه بذلك على أن الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقرّ فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بأن لا يستقرّ. وهذا تسكينٌ لقلب موسى عليه السلام وتخفيف عنه من ثقل أعباء المنع. والتجلي: الظهور، والدكّ مصدر دككْتُ الشيء: فتتُّه وسحقته، مصدر في معنى المفعول، والدكّ والدقّ بمعنى واحد. قال ابن عزيز: دكًّا مستوياً مع الأرض. والخرُور: السقوط. «أفاق» ثاب إليه حسه وعقله.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ ترتّب على التجلّي أمران: أحدهما تفتّت الجبل وتفرّق أجزائه، والثاني خرور موسى مغشيًّا عليه. والتجلّي بمعنى الظهور الجسماني مستحيل على الله تعالى، قال ابن عباس وقوم: لمّا

---

(١) ق: أرني إليك إياك.

(٢) انظر ٤ : ٣٨٣.

وقع نوره عليه تعالى تدكدك. ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ نزّه الله تعالى عن سمات الحدوث والنقص.

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾ لما طلب موسى عليه السلام الرؤية وَمُنِعَها، عدّد عليه تعالى وجوه نعمه العظيمة عليه، وأمره أن يشتغل بشكرها، وهذه تسلية منه تعالى له. و﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ لفظ عام ومعناه الخصوص أي: على أهل زمانك. وقدّم «برسالاتي» على «وبكلامي» لأن الرسالة أسبق في الزمان، أو لأنه انتقل من شريف إلى أشرف. وأَمَره تعالى بأن يأخذ ما آتاه من النبوّة، لأنّ في الأمر بالأخذ مزيد تأكيد وحصول أجر بالامتثال. والمعنى: خذ ما آتيتك باجتهاد في تبليغه وجدّ في النفع به. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ على ما آتيناك، وفي ذلك إشارة إلى القنع والرضى بما أعطى الله تعالى والشكر عليه.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ أي: أمرنا له بالكتابة فأضاف الكتابة إلى نفسه تعالى لمّا كان آمراً بالكتابة. والضمير في «له» عائد على موسى. و«الألواح» جمع قلّة، والألف واللام فيها للعهد إذ عنى بها ألواح موسى عليه السلام. قيل: والضمير نابت عنه الألف واللام أي: في ألواحه. ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ محتاج إليه في شريعتهم. ﴿مَّوْعِظَةً﴾ للازدجار والاعتبار. ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من التكاليف والحلال والحرام والأمر والنّهي والقصص والعقائد والإخبار بالمغيّبات.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ الظاهر أن الضمير في «خذها» عائد على الألواح. ومعنى «بقوة» قال ابن عباس: بجدٍّ واجتهاد فِعْلَ أولي العزم. وقال: أُمر أن يأخذ بأشد ما أمر به قومه. وقوله ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ ظاهره أنه أفعل التفضيل وفيها الحسن والأحسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر. ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ الإراءة هنا من رؤية العين ولذلك تعدّت إلى اثنين. و﴿دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ هي مصر. وثَمّ حال محذوفة تقديره: مدمّرةً، ألا ترى إلى قوله ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ

﴿فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف]، وقيل أريحا التي كان بها العمالقة، وقيل من الأرض المقدّسة. قال الزمخشري[١]: كيف أقفرت منهم ودمّروا لفسقهم [٢٢٥/أ] لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكّل بكم مثل نكالهم انتهى. وقرأ الحسن: سأوريكم بواوٍ ساكنة بعد الهمزة على ما يقتضيه رسم المصحف. ووجّهت هذه القراءة بوجهين: أحدهما ما ذكره أبو الفتح وهو أنه أشبع الضمّة ومطّها[٢]، فنشأ عنها الواو، قال: ويحسّن احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ فمكّن الصوت فيه انتهى. فيكون كقوله[٣]:

[من البسيط]

[وأنني حيثما يثني الهوى بصري   من حيثما سلكوا] أدنو فأنظورُ

أي: فأنظر. وهذا التوجيه ضعيف لأن الإشباع بابه ضرورة الشعر. والثاني ما ذكره الزمخشري[٤] قال: وقرأ الحسن: سأوريكم، وهي لغة فاشية في الحجاز؛ يقال: أورني كذا وأوريته، فوجهه أن يكون من أوريتُه الزند كأن المعنى: بيّنْهُ لي وأنِرْه لأستبينه انتهى. وهي أيضاً في لغة أهل الأندلس كأنهم تلقّفوها من لغة الحجاز وبقيت في لسانهم إلى الآن، وينبغي أن ينظر في تحقيق هذه اللغة أهي في لغة الحجاز أم لا. وقرأ ابن عباس وقسامة بن زهير: سأورثكم، قال الزمخشري[٥]: وهي قراءة حسنة يصحّحها قوله تعالى ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾ الآية، لمّا ذكر «سأريكم دار الفاسقين» ذكر ما يفعل

---

(١) الكشاف ٢: ١١٧.

(٢) ق: ومطلها.

(٣) البيت لابن هرمة في ديوانه ص٢٣٩.

(٤) الكشاف ٢: ١١٧.

(٥) الكشاف ٢: ١١٧.

بهم من صرفه إياهم عن آياته لفسقهم وخروجهم عن طورهم إلى وصفٍ ليس لهم. ثم ذكر تعالى من أحوالهم ما استحقّوا به اسم الفسق. ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ وصفهم[1] هذا الوصف الذميم وهو التكبّر عن الإيمان حتى لو عُرضت عليهم كل آية لم يروها آية فيؤمنوا بها، وهذا حتم منه تعالى على الطائفة التي قدّر أن لا يؤمنوا. ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ الآية، أراهم الله تعالى السبيلين فرأوهما فآثروا الغيّ على الرشد كقوله تعالى ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: ذلك الصرف عن الآيات هو بسبب تكذيبهم بها وغفلتهم عن النظر فيها والتفكر في دلالتها. والمعنى أنهم استمر تكذيبهم، وصار لهم ذلك ديدناً[2] حتى صارت تلك الآيات لا تخطر لهم ببال، فحصلت الغفلة عنها والنسيان لها حتى كانوا لا يذكرونها ولا شيئاً منها. والظاهر أن الصرف سببه التكذيب والغفلة من جميعهم ويحتمل أن الصّرف سببه التكذيب، ويكون قوله ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ استئناف إخبار منه تعالى عنهم، أي: من شأنهم أنهم كانوا غافلين عن الآيات وتدبّرها، فأورثتهم الغفلة التكذيب بها. والظاهر أن «ذلك» مبتدأ وخبره «بأنهم» أي: ذلك الصرف كائن بأنهم كذّبوا، وجوّزوا أن يكون منصوباً فقدّره ابن عطيّة: فعَلْنا ذلك، وقدّره الزمخشري[3]: صرفهم الله تعالى ذلك الصرف بعينه.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي

(١) ق: صرف.

(٢) ق: ديناً.

(٣) الكشاف ٢: ١١٧.

أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ الآية، إن كان الاتخاذ بمعنى اتخاذه إلهاً معبوداً فصحّ نسبته إلى القوم، وذُكر أنهم كلّهم عبدوه غير هارون، ولذلك قال ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف]، وقيل إنّما عبده قوم منهم لا جميعهم لقوله تعالى ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف]. وإن كان بمعنى العمل كقوله تعالى ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت] أي: عملت وصنعت، فالمتّخِذ إنما هو السامريّ واسمه موسى بن ظفر من قرية تسمّى سامرة، ونُسب ذلك إلى قوم موسى مجازاً كما قالوا: بنو تميم قتلوا فلاناً، وإنما قتله واحد منهم ولكونهم راضين بذلك.

ومعنى ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد مضيّه للمناجاة. ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ يتعلق بـ«اتّخذ»، وبها يتعلق «من[1] بعده» وإن كانا حرفي جر بلفظ واحد. وجاز ذلك لاختلاف مدلوليهما لأن «مِن» الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض. وقرىء: [٢٢٥/ب] من حَلْيهم، مفرداً ومن حُلِيّهم جمعاً. وأصله حُلُوْيٌ

(١) ق: بمن بعده وإن كان.

على وزن فُعولن فاجتمعت واو وياء فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها، ثم كسر ما قبلها لتصحّ الياء[1]، ثم أتبعت حركة الحاء لحركة اللام فقيل: حِلِيّ كما قالوا[2]: عِصِيّ. والعجل ولد البقرة القريب الولادة. ومعنى ﴿جَسَدًا﴾ جثة جماداً ليس مصوراً [بالخطّ].في حائط ولا رقماً في ثوب. وكان ذلك بسبب ما كان تقدم من أنهم مرّوا بقوم يعبدون البقرة فقالوا تلك المقالة الشنيعة. ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ ظاهره أنه قامت به الحياة ولذلك كان له خوار. وقيل: لمّا صنعه السامري أجوف تحيّل لتصويته بأن جعل في جوفه أنابيب على شكل مخصوص وجعله في مهبّ الريح فتدخل في تلك الأنابيب فيظهر له صوت يشبه الخوار، فإذا خار، سجدوا له، وإذا سكت رفعوا.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ إن كان «اتخذ» بمعنى[3] عمل، وصنع، فلا بدّ من تقدير محذوف يترتّب عليه هذا الإنكار وهو: فعبدوه وجعلوه إلٰهاً لهم، وإن كان المحذوف إلٰهاً أي: اتخذوا عجلاً جسداً له خوار إلٰهاً فلا يحتاج إلى حذف جملة. وهذا استفهام إنكار حيث عبدوا جماداً أو حيواناً عاجزاً، عليه آثار الصنعة، لا يمكن أن يتكلم ولا يهدي. وقد ركز في العقول أنّ من كان بهذه المثابة، استحال أن يكون إلٰهاً، وهذا نوع من أنواع البلاغة يسمّى الاحتجاج النظري، وبعضهم يسميه المذهب[4] الكلامي.

والظاهر أن ﴿يَرَوْا﴾ بمعنى يعلموا. وسلب تعالى عنه هذين الوصفين دون

---

(١) هذا التعليل ينطبق على قراءة من قرأ: حُلِيّهم جمعاً بالضمّ والتشديد، على ثُدِيّ.

(٢) ق: كما قال. وهذا التعليل ينطبق على قراءة لم يذكرها المصنف وهي قراءة من قرأ: من حِلِيّهم جمعاً بالكسر والتشديد، على عِصِيّ.

(٣) ق: بمنع.

(٤) ق: الاحتجاج.

باقي أوصاف الإلهيّة لأن انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم، وانتفاء الهداية إلى سبيل [يستلزم] انتفاء القدرة. وانتفاء هذين الوصفين وهما العلم والقدرة يستلزمان انتفاء باقي الأوصاف، فلذلك خُصّ هذان الوصفان بانتفائهما. ﴿ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾ أي: أقدموا على ما أقدموا عليه من هذا الأمر الشنيع وكانوا واضعين الشيء في غير موضعه، أي: من شأنهم الظلم فليسوا مبتكرين وضع الشيء في غير موضعه.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ قال الزمخشري[1]: لمّا اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل، لأنّ عادة من اشتدّ ندمه وحسرته أن يعضّ يده غمًّا فتصير يده مسقوطاً فيها لأن فاه قد وقع فيها، و«سقط» مسند إلى «في[2] أيديهم» وهو من باب الكناية انتهى. وأصل السقوط الوقوع من علوّ. ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ الآية، انقطاع إلى الله تعالى واعتراف بعظيم ما أقدموا عليه. ولما كان هذا الذنب وهو اتخاذ غير الله إلهاً أعظم الذنوب بدؤوا بالرحمة التي وسعت كل شيء، ومن نتائجها غفران الذنب.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ الآية، أخبره تعالى قبل رجوعه أنهم قد فُتنوا بالعجل، فلذلك رجع وهو غاضب، ويدل على هذا القول قوله تعالى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه]. و﴿غَضْبَـٰنَ﴾ صيغة مبالغة، والغضب غليان في القلب بسبب حصول ما يؤلم[3]. و﴿أَسِفًا﴾ حزيناً والفعل منه أسِف يأسف. ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ تقدم الكلام على بئسما في أوائل

---

(١) الكشاف ٢: ١١٨.

(٢) ق: إلى ما في.

(٣) ق: ما لم يؤلم.

البقرة[1]. ومعنى ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾ أي: من بعد انفصالي عنكم للمناجاة، ذمّهم على عبادة غير الله تعالى. و﴿أَعَجِلۡتُمۡ﴾ استفهام إنكار، يقال: عجل عن الأمر إذا تركه، وأعجله عنه غيرُه. والمعنى: أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى عليه السلام حافظين لعهده وما وصّاكم به؟. ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ أي: ألواح التوراة وكان حاملاً لها فوضعها بالأرض غضباً [٢٢٦/أ] على ما فعله قومه من عبادة العجل وحميّةً لدين الله تعالى. والظاهر أنه أخذ برأسه أي: أمسك رأسه جارّه إليه، والظاهر أن سبب هذا الأخذ هو غضبه على أخيه كيف عبدوا العجل وهو قد استخلفه فيهم، وأمره بالإصلاح، وأن لا يتبع سبيل من أفسد، وكيف لم يكفّهم عن ذلك. ﴿قَالَ ٱبۡنَ[2] أُمَّ﴾ الآية، ناداه نداء استعطاف وترفّق وكان شقيقه، وهي عادة العرب تتلطف وتتحنّن بذكر الأم كما قال[3]: [من الخفيف]

يا بن أمي ويا شُقَيِّقَ[4] نفسي   أنـت خلَّفْتَنـي لـدهـرٍ شـديـدِ

وقرىء بكسر الميم اجتزاءً بالكسرة عن الياء، إذ أصله: يا بن أمّي. وقرىء: يا بن أمَّ بفتح الميم المشدّدة اجتزاءً بالفتحة عن الألف، إذ أصله: يا بن أمّا، والألف منقلبة عن الياء كما قال[5]: [من الرجز]

يا بنة عمّا لا تلومي واهجعي   [ألم يكن يبيضُّ لو لم يصلعِ]

---

(١) انظر تفسير الآية ٩٠ من البقرة.

(٢) ق: يا بن أمّ.

(٣) البيت لأبي زبيد الطائي في رثاء أخيه، وهو في المقتضب ٤: ٢٥٠.

(٤) ق: شقيقي.

(٥) البيت لأبي النجم في النوادر ص١٩، والمقتضب ٤: ٢٥٢.

يريد: يا بنة عمّي. ومعنى ﴿ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ وجدوني ضعيفاً. ولمّا أبدى له[1] ما كان منهم من الاستضعاف له ومقاربة قتلهم [إياه] سأله ترك ما يسرّهم بفعله فقال ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ أي: لا تسرّهم بما تفعل بي فأكون ملوماً منهم ومنك، قال الشاعر[2]: [من الكامل]

[فلرحمة المتوجّعين مرارةٌ] والموتُ دون شماتة الأعداء

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾ لمّا اعتذر إليه أخوه، استغفر لنفسه وله، قالوا: واستغفاره لنفسه بسبب فعلته مع أخيه وعجلته في إلقاء الألواح، واستغفاره لأخيه من فعلته في الصبر لبني إسرائيل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ الظاهر أنه من كلام الله إخباراً عمّا ينال عُبّاد العجل، ومخاطبة لموسى عليه السلام بما ينالهم، ويدلّ عليه قوله آخر الآية «وكذلك نجزي المفترين».

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿ثُمَّ تَابُوا۟﴾ أي: رجعوا إلى الله تعالى. ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: من بعد عمل السيئات. ﴿وَءَامَنُوٓا۟﴾ داموا على إيمانهم وأخلصوا فيه. «والذين» مبتدأ وخبره «إن ربك» والعائد على المبتدأ محذوف تقديره: لغفور رحيم بهم.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ

(١) ق: لهم.

(٢) لعله لابن أبي الشبل البغدادي، انظر الوفيات ٤: ٣٩٣.

هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ الآية، سكوت غضبه كان، والله أعلم، بسبب اعتذار أخيه وكونه لم يقصّر في نهي بني إسرائيل عن عبادة العجل ووعد الله تعالى إياه بالانتقام منهم. وسكوت الغضب استعارة؛ شبّه خمود الغضب [بانقطاع كلام المتكلم وهو سكوته، جعل الغضب] كأنه إنسان يناجي موسى ويهيّجه لما فعل قومه من اتخاذهم العجل، ولذلك ألقى الألواح ثم إنه سكت عنه. وهذا من بديع الاستعارة: جعل سكون الغضب سكوتاً. وقرأ معاوية بن قرّة: ولمّا سكن بالنون عوض التاء. ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ هو جواب «لمّا»، وكان ألقاها غضباً على قومه فلما سكت الغضب أخذها. ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ أي: [فيما] نقل وحوّل منها. واللام في «لربهم» مقوية لوصول الفعل الذي هو «يرهبون» إلى المفعول المتقدم كقوله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف].

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ اختار افتعل من الخير وهو التخيّر والانتقاء. و«اختار» من الأفعال التي تعدّت إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بواسطة حرف الجر، ثم يحذف حرف الجر ويتعدّى إليه الفعل فتقول: اخترت زيداً من الرجال واخترت زيداً الرجالَ، قال الشاعر[1]: [من البسيط]

اخترتُك الناسَ إذ رثّتْ خلائقهم   واعتلّ من كان يُرجى عنده السُّولُ

﴿لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ قال وهب بن منبه: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: إنّ طائفة تزعم أن الله لا يكلّمك فخذ منّا من يذهب معك ليسمعوا كلامه فيؤمنوا، فأوحى الله تعالى إليه أن يختار سبعين من خيارهم، ثم ارتقِ بهم الجبل أنت وهارون واستَخْلِفْ يوشع، ففعل. فلما سمعوا كلامه سألوا موسى أن يريهم [٢٢٦/ب] الله جهرة فأخذتهم الرجفة. وفي الكلام حذف تقديره: فرجف بهم الجبل وصعقوا.

﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ﴾ مفعول «شئت» محذوف تقديره: لو شئت إهلاكنا، وجوابه «أهلكتهم» ولم يأت الجواب باللام. ﴿وَإِيَّٰيَۖ﴾ ضمير المتكلم معطوف على الضمير المنصوب في «أهلكتهم». ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ الظاهر أنه استفهام استعلام: أيقع إهلاك المختارين وهم خير بني إسرائيل بما فعل غيرهم إذ من الجائز في العقل ذلك، ألا ترى قوله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ٢٥﴾ [الأنفال] وقوله عليه السلام[2] وقد قيل: «أنَهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال:نعم إذا كثُر الخبَث». وكما ورد[3]:

---

(١) البيت للراعي النميري في ديوانه ص١١٦، وفي رواية الديوان إقواء.

(٢) أخرجه مسلم ٤ : ٢٢٠٨ من حديث زينب بنت جحش، ومالك في الموطأ ٢ : ٩٩١ من حديث أم سلمة، والبخاري ٦ : ٢٦٠٩.

(٣) أخرجه البخاري ٢ : ٧٤٦ من حديث جبير بن مطعم عن عائشة بلفظ مقارب.

إن قوماً يُخسف بهم. قيل: وفيهم الصالحون؟ فقيل: يبعثون على نيّاتهم. وكلامنا هذا معناه «بما فعل السفهاء منا» وهم عُبّاد العجل.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ «إن» نافية بمعنى ما، و«هي» ضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام أي: إن الفتنة إلا فتنتك أي: راجعة إليك إذ أنت موجد الخير والشر، وأنت موقع ضلال مَن فَتَنْتَه وهداية من شئت، وهذا هو الاعتقاد الصحيح أن الله تعالى يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء. ومفعول «تشاء» محذوف تقديره: من تشاء إضلاله ومن تشاء[1] هدايته. ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أي: القائم بأمرنا. ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ سأل الغفران والرحمة له لهم لما كان قد اندرج قومه في قوله «أنت ولينا». وفي سؤال المغفرة والرحمة له ولهم - وكان قومه أصحاب ذنوب - أكّد استعطاف ربه تعالى، وغفران تلك الذنوب فأكّد ذلك ونبّه بقوله «وأنت خير الغافرين».

ولما كان هو وأخوه عليهما السلام من المعصومين من الذنوب، فحين سأل المغفرة له ولأخيه وسأل الرحمة لم يؤكد المغفرة بل قال ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف] فنبّه على أنه تعالى أرحم الراحمين، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف]؟. وكان تعالى خير الغافرين لأن غيره يتجاوز [عن] الذنب طلباً للثناء أو الثواب أو دفعاً للصفة الخسيسة عن القلب وهي صفة الحقد. والباريء تعالى منزه عن أن يكون غفرانه لشيء من ذلك.

﴿۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: ما يحسن من نعمة وطاعة وغير ذلك. وحسنة الآخرة هي الجنة لا حسنة دونها. ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ تعليل

---

(١) ق في المواضع الثلاثة: يشاء.

لطلب الغفران والرحمة. وقرأ الجمهور: هُدنا بضم الهاء من هاد يهود أي: تبنا إليك، قاله ابن عباس. وقرأ زيد بن علي وأبو وجزة: بكسر الهاء من هاد يهيد إذا حرّك، أي: حرّكنا أنفسنا وجذبناها لطاعتك، قال الشاعر(١):

[من السريع]

قد علمَتْ سلمى وجاراتُها　　أنّـي مِـنَ الله لهـا هـائِـدُ

أي: مائل. ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ الظاهر أنه استئناف إخبار عن عذابه ورحمته. ومفعول «من أشاء» محذوف تقديره: أشاء إصابته به. وقرأ زيد بن علي والحسن وطاوس وعمرو بن فائد: من أساء، من الإساءة. وقرأ بها سفيان بن عيينة مرّة، واستحسنها، وذُكر أن الشافعي صحّف «من أشاء» بقوله: من أساء، ثم وجدت قراءة كما ذكرنا. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أي: أقضيها وأقدّرها والضمير عائد على الرحمة لأنها أقرب مذكور. وفهم المفسرون من قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلى آخر الأوصاف أن المتّصفين بذلك هم أمّة محمد رسول الله ﷺ.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ الآية، هذا من بقيّة خطابه تعالى لموسى عليه السلام، وفيه تبشير له ببعثة محمد ﷺ وذكر لصفاته وإعلام له أيضاً أنه ينزل كتاباً يسمّى الإنجيل. ومعنى الاتباع الاقتداء به فيما جاء به اعتقاداً وقولاً [٢٢٧/أ] وفعلاً. وجمع هنا بين الرسالة والنبوّة لأن الرسالة في بني آدم أعظم شرفاً من النبوّة، أو لأنها بالنسبة إلى الآدمي والملك أعمّ

---

(١) في شعر عمرو بن معد يكرب ص١٥٤:

قد علمت سلمى وجاراتها　　مـا قطّـر الفـارس إلا أنـا

ولعلّ البيت الذي أورده المصنّف ملفّق من بيتين أو لعلّه سواه. وانظر أيضاً الكتاب ٢: ٣٥٣، وشرح الحماسة للمرزوقي ١: ٤١١، وشرح شواهد المغني ٥:٢٥٦.

فبدىء به. و﴿ٱلْأُمِّىَّ﴾ هو الذي على صفة أمة العرب: أنّا أمّة أميّة لا نكتب ولا نحسب، فأكثر العرب لا تكتب ولا تقرأ، وكونه صلى الله عليه وسلم أمّياً من جملة المعجز. ومعنى ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ أي: يجدون وصفه ونعته. قال ابن عباس: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: بخلع الأنداد وبمكارم الأخلاق وصلة الأرحام. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: المستلذّات، ويبعد تفسيره هنا بالحلال.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ وهو ما كانت العرب تستخبثه كالحية والعقرب والحشرات والدم والميتة ولحم الخنزير، وما جاء في الشرع النّهي عن أكله كذي مخلب من الطير وذي ناب من السّباع، وما أمر بقتله كالحدأة والغراب والفأرة والعقرب وغير ذلك. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ تقدّم تفسير الإصر في البقرة[1]. ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ هذا مثل لما كُلّفوا من الأمور الصعبة كقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، والقصاص حتماً من القاتل عمداً كان أو خطأً، وترك الاشتغال يوم السبت، وتحريم العروق في اللحم. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾ أثنوا عليه ومدحوه. وقرىء: وعَزَروه، بالتخفيف. وقرىء بزاءين أي: وعَزّزُوه. و«النور» القرآن وهو على حذف مضاف أي: أنزل مع نبوّته، لأن استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لمّا ذكر تعالى لموسى عليه السلام صفة محمد ﷺ، وأخبر أن من أدركه وآمن به أفلح، أمر تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم بإشهار دعوته ورسالته إلى الناس كافة والدعاء إلى الإيمان بالله تعالى وبرسوله وكلماته واتّباعه. ودعوة رسول الله ﷺ عامة للإنس والجن وتقتضيه الأحاديث النبوية. و«الذي» في موضع نصب على

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٨٦ من البقرة.

المدح أو رفع، وأجاز الزمخشري[1] أن يكون مجروراً صفة «لله» تعالى وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله «إليكم». وقال أبو البقاء[2]: ويبعد أن يكون صفة لله تعالى أو[3] بدلاً منه لما فيه من الفصل بينهما بـ«إليكم» وبالحال، و«إليكم» متعلق بـ«رسول»، و«جميعاً» حال من ضمير «إليكم».

وقال الزمخشري[4]: «لا إله إلا هو» بدل من الصلة التي هي «[له] ملك السماوات والأرض» وكذلك «يحيي ويميت». وفي «لا إله إلا هو» بيان للجملة قبلها لأنّ مَن مَلَك السماوات والأرض كان هو الإله على الحقيقة. وفي «يحيي ويميت» بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره انتهى. وإبدال الجمل [من الجمل] غير المشتركة في عامل لا نعرفه، وكأن الزمخشري لاحظ أنّ كلاً من الجملتين يصحّ أن يكون صلة. والظاهر أن تكون هذه جملاً مستقلة من حيث الإعراب وإن كان متعلقاً بعضها ببعض من حيث المعنى.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ لما ذكر أنه[5] رسول الله ﷺ، أمرهم بالإيمان بالله تعالى وبه، وعدل عن ضمير المتكلم إلى الظاهر وهو الالتفات، لما في ذلك من البلاغة بأنه هو النبي السابق ذكره في قوله تعالى «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي»[6] وأنه هو المأمور باتّباعه الموجود

---

(١) انظر الكشاف ٢ : ١٢٣.

(٢) إملاء ١ : ٢٨٧. وليست الجملة الأخيرة فيه: وجميعاً حال من ضمير إليكم.

(٣) ق: وبدلاً.

(٤) الكشاف ٢ : ١٢٣.

(٥) ق: أنّ.

(٦) الآية ١٥٧ السابقة.

بالأوصاف السابقة. والظاهر أن كلماته هي الكتب الإلهية التي أنزلت على من تَقَدَّمه وعليه.

ولمّا كان الإيمان بالله تعالى هو الأصل يتفرّع عنه الإيمان بالرسول والنبي، بدأ به ثم أتبعه بالإيمان بالرسول ثم أتبع ذلك بالإشارة إلى المعجز الدّال على نبوّته وهو كونه أمّياً وظهر عنه من المعجزات في ذاته ما ظهر من القرآن الجامع لعلوم الأولين والآخرين [٢٢٧/ب] مع نشأته في بلدٍ عارٍ من أهل العلم لم يقرأ كتاباً ولم يخطّ ولم يصحب عالماً ولا غاب عن مكة غيبة تقتضي تعلّماً.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ﴾ الآية، لما أمروا بالإيمان بالله

ورسوله وأمروا[١] باتّباعه، ذكر أنّ من قوم موسى من وُفّق للهداية وَعَدل ولم يَجُر، ولا تكون له هداية إلا باتّباع شريعة موسى عليه السلام قبل مبعث رسول الله ﷺ وباتّباع شريعة رسول الله ﷺ بعد مبعثه. فهذا إخبار عمّن كان من قوم موسى بهذه الأوصاف فكان المعنى أنهم كلهم لم يكونوا ضُلاّلاً بل كان منهم مهتدٍ كعبد الله بن سلام، وأصحابه.

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ و«اثنتي عشرة» حال. وأجاز أبو البقاء[٢] أن يكون «قطّعنا» بمعنى صيّرنا، وأن ينتصب «اثنتي عشرة» على أنه مفعول ثانٍ لـ«قطّعنا». ولم يعدّ النحويون «قطّعنا» في باب ظننت، وجزم به الحوفي فقال: «اثنتي عشرة» مفعول لـ«قطّعناهم» أي: جعلناهم اثنتي عشرة، وتمييز «اثنتي عشرة» محذوف لفهم المعنى تقديره: اثنتي عشرة فرقة، و«أسباطاً» بدل من «اثنتي عشرة». وتقدم تفسير الأسباط في البقرة[٣]. و﴿أُمَمًا﴾ قال أبو البقاء[٤]: نعت لـ«أسباط» أو بدل بعد بدل. ولا يجوز أن يكون «أسباطاً» تمييزاً لأنه جمع، وتمييز هذا النوع لا يكون إلا مفرداً.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ تقدم تفسير نظيره في البقرة[٥]. «فانبجست» أي: عرقت[٦]، وانفجرت: سالت. وقال الواحدي: الانبجاس: الانفجار، يقال: بجس وانبجس بمعنى واحد.

---

(١) ق: وأمر.

(٢) إملاء ١: ٢٨٧.

(٣) انظر تفسير الآية ١٣٦ من البقرة.

(٤) إملاء ١: ٢٨٧.

(٥) انظر تفسير الآية ٦٠ من البقرة.

(٦) عرقت: ترشحت.

قال الزمخشري[١]: «أناس» اسم جمع غير تكسير نحو رُخاء وثُناء وتُؤام وأخوات لها. ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير، والضمة بدل من الكسرة كما أُبدلت في نحو سكارى وغيارى انتهى. لا يجوز ما قال، لأن سيبويه نص في كتابه[٢] على أن فُعال جمع تكسير أصل كما أن فِعال كذلك. ولم يُسمع كسر همزة أُناس كما سُمع الضّم في فُعالى.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ تقدمت هذه القصة وتفسيرها في البقرة[٣]، وكأن هذه مختصرة من تلك؛ إذ هناك «وإذا قلنا ادخلوا» وهنا «وإذ قيل لهم اسكنوا»، وهناك «رغداً» وسقط هنا، وهناك ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ وهنا «سنزيد»، وهناك «فأنزلنا على الذين ظلموا» وهنا «فأرسلنا عليهم». وبينهما تغاير في بعض الألفاظ لا تناقض فيه؛ فقوله «وإذ قيل لهم» وهناك «وإذ قلنا» فهنا حذف الفاعل للعلم به وهو الله تعالى، وهناك «ادخلوا» وهنا «اسكنوا» والسكنى ضرورة تعقب[٤] الدخول، فأمروا هناك بمبدأ الشيء وهنا بما تسبّب عن الدخول، وهناك «فكلوا» بالفاء وهنا بالواو، فجاءت الواو على أحد محتملاتها من كون ما بعدها وقع بعد ما قبلها. وقيل: الدخول حالة منقضية فحسن ذكر فاء التعقيب بعده، والسكنى حالة مستمرة فحسن الأمر بالأكل معه لا عقيبه، فحسنت الواو الجامعة للأمرين في الزمن الواحد وهو أحد محاملها. وقيل: ثبت «رغداً» بعد الأمر بالدخول لأنها حالة قدوم فالأكل

---

(١) الكشاف ٢: ١٢٤.

(٢) انظر ٣: ٦٣٩.

(٣) في الآيتين ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾، وأثبتُّهما لتسهيل المقارنة.

(٤) ق: تتعقب.

فيها ألذّ وأتمّ وهم إليه أحوج بخلاف السكنى فإنها حالة استقرار واطمئنان فليس الأكل فيها ألذّ ولا هم أحوج إليه. وأما التقديم والتأخير في «وقولوا» و«ادخلوا» فقال الزمخشري[1]: سواء قدّموا الحطّة على دخول الباب أو أخّروها فهم جامعون [في] الإيجاد بينهما انتهى.

وقوله: سواء قدّموا وأخّروها تركيب غير عربي وإصلاحه: سواء أقدموا أم أخّروها كما قال تعالى ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم]. ويمكن أن يقال: ناسب تقديم الأمر بدخول الباب سجّداً مع تركيب «ادخلوا هذه القرية» [٢٢٨/أ] لأنه فعل دالّ على الخضوع والذّلة و«حطّة» قول، والفعل أقوى في إظهار الخضوع من القول، فناسب أن يذكر مع مبدأ الشيء وهو الدخول، ولأنّ قبله «ادخلوا» فناسب الأمر بالدخول للقرية الأمر بدخول بابها [على هيئة الخضوع، ولأن دخول القرية لا يمكن إلا بدخول بابها] فصار باب القرية كأنه بدل من القرية أعيد معه العامل بخلاف الأمر بالسكنى.

وأما «سنزيد» هنا فقال الزمخشري[2]: موعد بشيئين: بالغفران والزيادة، وطرح الواو لا يخلّ بذلك لأنه استئناف مرتّب على تقدير قول القائل: وماذا بعد الغفران؟ فقيل له: سنزيد المحسنين. وزيادة «منهم» بيان «فأرسلنا» و«أنزلنا». و«يظلمون» و«يفسقون» من وادٍ واحد [انتهى]. وقرأ الحسن: حطّةً بالنصب على المصدر أي: حطّ ذنوبنا حطّة. ويجوز أن ينتصب بـ«قولوا» على حذف، التقدير: وقولوا قولاً حطّة، أي: ذا حطّة، فحذف ذا وصار «حطة» وصفاً للمصدر المحذوف كما تقول: قلت حسناً وقلت حقًّا أي: قولاً حسناً وقولا حقًّا.

---

(١) الكشاف ٢: ١٢٥.
(٢) الكشاف ٢: ١٢٥.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ الآية، الضمير في «واسألهم» عائد على من بحضرة الرسول من اليهود. وذكر أن بعض اليهود المعارضين للرسول عليه السلام قالوا له: لم يكن من بني إسرائيل عصيان ولا معاندة لما أُمروا به، فنزلت هذه الآية موبّخةً لهم ومقررةً كذبهم ومعلنةً بما جرى على أسلافهم من الإهلاك، والمسخ.وكانت اليهود تكتم هذه القصة فهي ممّا لا يُعلم إلا بكتاب أو وحي من الله تعالى، فإذا أعلمهم بها من لم يقرأ كتابهم عُلم أنه من جهة الوحي. وقوله «عن القرية» فيه حذف أي: عن أهل القرية. والقرية هي إيلة وقيل طبريّا قاله ابن عباس وجماعة. ومعنى ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ أي: بقرب البحر مبنيّة بشاطئه[1]. ويحتمل أن يكون معنى الحضارة على جهة التعظيم لها أي: هي الحاضرة في قرى البحر، والتقدير: حاضرة قرى البحر، أي: يحضر أهل قرى البحر إليها لبيعهم وشرائهم وحاجتهم.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أي: يجاوزون أمر الله تعالى في العمل يوم السبت. وقد تقدم منه تعالى النهي عن العمل فيه والاشتغال بصيد أو غيره[2]، إلا أنه في هذه النازلة كان عصيانهم، أي: حدث عصيانهم. وقرىء: يُعِدّون، من الإعداد، وكانوا يعدّون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير عبادة الله. و«إذ» ظرف والعامل فيه قال الحوفي: «إذ» متعلقة بِسَلْهُم[3] انتهى. ولا يُتصور لأنّ «إذ» ظرف لما مضى و«اسألهم» مستقبل ولو كان ظرفاً مستقبلاً لم يصحّ المعنى لأن العادين وهم أهل القرية متقدمون فلا يمكن سؤالهم، والمسؤول غير أهل القرية العادين.

---

(١) ق: باثناطيه.

(٢) انظر البقرة ٢: ٦٥، والنساء ٤: ١٥٤.

(٣) ق: بسيلهم.

وقال الزمخشري[١]: «إذ يعدون» بدل من «القرية»، والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل: واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت، وهو من بدل الاشتمال انتهى. وهذا لا يجوز لأنّ «إذ» من الظروف التي لا تتصرف ولا يدخل عليها حرف جر، وجَعْلها بدلاً يجّوز دخول «عن» عليها، لأن البدل هو على نيّة تكرار العامل، ولو أدخلت عن عليها، لم يَجُز، وإنما تُصُرِّفَ فيها بأن أضيف إليها بعض الظروف الزمانية نحو: يوم إذ كان كذا. وأما قول من ذهب إلى أنها يُتصرف فيها بأن تكون مفعولة باذكر، فهو قول من عجز عن تأويلها على ما ينبغي لها من إبقائها ظرفاً. والعامل في «إذ» محذوف تقديره: واسألهم عن قصة أهل القرية وقت عَدْوهم.

و﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ العامل في إذ «يعدون»[٢] أي: إذ عَدَوْا في السبت إذ أتتهم، لأن إذ ظرف لما مضى يصرف المضارع للمضيّ. وقال الزمخشري[٣]: ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل انتهى. يعني بدلاً من «القرية» بعد بدل «إذ يعدون» وقد ذكرنا أن ذلك لا يجوز. ﴿شُرَّعًا﴾ ظاهرة، [٢٢٨/ب] الواحد شارع، والعامل في «ويوم» قوله «لا تأتيهم» وفيه دليل على أنّ ما بعد لا للنفي يعمل فيما قبلها، وفيه ثلاثة مذاهب: الجواز مطلقاً، والمنع مطلقاً، والتفصيل بين أن تكون «لا» جواب قسم فيمنع، أو غير ذلك فيجوز وهو الصحيح. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البلاء بأمر الحوت. ﴿نَبْلُوهُم﴾ أي: بلوناهم وامتحنّاهم.

---

(١) الكشاف ٢: ١٢٥.

(٢) وإذ تأتيهم العامل في إذ يعدون. وردت هذه العبارة في ق قبل قليل بعد قوله «من إبقائها» ظرفاً.

(٣) الكشاف ٢: ١٢٥.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠) ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١)﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين جرّبوا الوعظ فيهم فلم يروه يجدي. والظاهر أن القائل غير المقول لهم: «لم تعظون قوماً» فتكون ثلاث[1] فرق: فرقة اعتدوا، وفرقة وعظت ونهت، وفرقة اعتزلت فلم تَنْهَ ولم تَعْتَدِ. وهذه الطائفة هي القائلة للواعظ «لم تعظون قوماً». وقرىء: معذرةٌ، بالرفع أي: موعظتنا إقامة عذر إلى الله تعالى. وقرىء: معذرةً، بالنصب، وقال أبو البقاء[2]: من نصب فعلى المفعول له، أي: وعَظْنا للمعذرة، وقيل هو مصدر أي يعتذرون معذرة، وقالهما

---

(١) ق: ثلاثة.

(٢) إملاء ١: ٢٨٧.

الزمخشري[١].

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ الضمير في «نسوا» للمنهيين أي: تركوا ما ذكّرهم به الصالحون. وجَعْل الترك نسياناً مبالغة، إذ أقوى أحوال الترك أن ينسى المتروك. و«ما» موصولة بمعنى الذي. و«السوء» عام في المعاصي وبحسب القصص يختصّ هنا بصيد الحوت. و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم العاصون، نبّه على العلّة في أخذهم وهي الظلم. وقرىء: بِيْس، على وزن فِعْل، وبالهمز. [وبئيس] على وزن فعيل. وبَيْئَس، على وزن فيعَل. هذه المشهورات وذكر في البحر اثنتين[٢] وعشرين قراءة.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: استعصوا. والعتوّ هو الاستعصاء والتأبّي[٣] في الشيء. وباقي الآية تقدم تفسيره في البقرة[٤]. والظاهر أن العذاب والمسخ والهلاك إنما وقع بالمعتدين في السبت، والأمة القائلة «ولِمَ تعظون قوماً» هم من فريق الناهين الناجين، وإنما سألوا إخوانهم عن علّة وعظهم وهو[٥] لا يجدي فيهم شيئاً البتّة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى قبح أفعالهم واستعصاءهم أخبر تعالى أنه حكم عليهم بالذّل والصّغار إلى يوم القيامة. «تأذن» أعلم، من الأذان وهو الإعلام. وأُجري مجرى القسم فتُلُقّي بما يُتلقّى به القسم وهو قوله «ليبعثن». ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ إخبار يتضمن سرعة إيقاع

---

(١) الكشاف ٢: ١٢٦.

(٢) ق: اثنين. وانظر البحر ٤: ٤١٢.

(٣) ق: والتأني.

(٤) انظر تفسير الآية ٦٥ من البقرة.

(٥) ق: وهم.

العذاب بهم. ﴿وَإِنَّهُۥ(١) لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ترجية لمن آمن منهم ومن غيرهم ووعدٌ لمن تاب منهم وأصلح.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي: فِرَقاً متباينين في أقطار الأرض، فقلّ أرض لا يكون فيها منهم شرذمة، وهذا حالهم وهم في كل مكان تحت الصّغار والذلّة. و«أمماً» حال، وقال الحوفي: مفعول ثانٍ. وتقدم قوله هذا في ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ [الأعراف]. و[﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾] من آمن منهم، أي: من آمن بعيسى ومحمد عليهما السلام [أو من آمن بالمدينة] و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصلاح [أي: ومنهم قوم دون أهل الصلاح] لأنه لا يعتدل التقسيم إلا على هذا التقدير من حذف مضاف، أو يكون «ذلك» المعنيّ به أولئك فكأنه قال: ومنهم قوم دون أولئك. وقد ذكر النحويون أن اسم الإشارة المفرد قد يستعمل للمثنى والمجموع فيكون «ذلك» بمعنى أولئك على هذه اللغة ويعتدل التقسيم. [و«دون» ظرف في موضع الصفة لمبتدأ محذوف خبره في المجرور قبله، أي: ومنهم قوم دون ذلك].

قال ابن عطية: فإن أريد بالصلاح الإيمان فـ«دون» بمعنى غير يراد بها الكفرة انتهى. إنْ أراد أنّ «دون» ترادف غير، فهذا ليس بصحيح، وإن أراد أنه يلزم ممّن كان دون شيء أن يكون غيره فصحيح. ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: بالصحّة والرخاء والسعة و«السيئات» مقابلاتها. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الطاعة ويتوبون عن المعصية.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [قال ثعلب: الناس كلهم يقولون]: خَلَف صدقٍ

---

(١) ق: وإن ربك.

للصالح وخَلْف [٢٢٩/أ] سوءٍ للطالح، ومنه قول الشاعر[1]: [من الكامل]

ذهب الذين يُعاش في أكْنافِهِمْ ويقيتُ في خَلْفٍ كَجلْدِ الأجْرَبِ

﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها. و﴿عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ هو ما يأخذونه من الرُّشا والمكاسب الخبيثة، و«العَرَض» ما يعرض ولا يثبت. وفي قوله «عرض هذا الأدنى» تخسيس لما يأخذونه وتحقير له. ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ قطع على الله تعالى بغفران معاصيهم، أي: لا يؤاخذنا الله تعالى بذلك، و«لنا» في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، تقول: غفر الله لزيد الذنب، فتحذف الفاعل والمفعول وتقيم المجرور مقام الفاعل فتقول: غُفر لزيد.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الظاهر أن هذا استئناف إخبار عنهم بانهماكهم في المعاصي، أي: وإن أمكنتهم الرُّشا والمكاسب الخبيثة لم يتوقّفوا عن أخذها ثانيةً ودائماً، فهم مصرّون على المعاصي. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، هذا توبيخ وتقريع وتقرير لما تضمّنه الكتاب من أخذ الميثاق أنهم لا يكذبون على الله تعالى. قال ابن زيد: كان يأتيهم المحقّ برشوة فيخرجون له كتاب الله فيحكمون له به، فإذا جاء المبطل أخذوا منه الرشوة وأخرجوا كتابهم الذي كتبوه بأيديهم وحكموا له به. و«أن لا يقولوا» في موضع رفع على البدل من «ميثاق الكتاب» و«درسوا» معطوف على قوله «ألم يؤخذ» وفي ذلك أعظم توبيخ وتقريع وهو أنهم تمرّدوا على ما في الكتاب وعرفوا ما فيه المعرفة التامة من الوعيد على قول الباطل والافتراء

(١) البيت للبيد في ديوانه ص١٥٣.

على الله. ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ أي: ولثواب دار الآخرة خير من تلك الرشوة الخبيثة الخسيسة المعقبة خزي الدنيا والآخرة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ [قرىء بالتشديد والتخفيف، أي: يتمسكون بالكتاب] أي: بما تضمّنه من حلال وحرام وعبادة. والتمسّك بالكتاب يستلزم إقامة الصلاة، لكنها أُفردت بالذكر هنا تعظيماً لشأنها لأنها عماد الدين [والصلة] بين العبد [وربّه]. و«الذين» استئناف إخبار [وهو] مبتدأ خبره «إنّا لا نضيع» إلخ، والرابط بينهما العموم في المصلحين أو ضمير محذوف تقديره: المصلحين منهم.

﴿۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ﴾ النتق الجذب بقوة، وفسّره بعضهم بغايته وهو القلع، وتقول العرب: نتقت الزبدة من فم القربة، والناتق: الرحم التي تقلع الولد من الرجل، وقال النابغة الذبياني(١): [من الكامل]

لم يُحرَموا حُسْنَ العزاء وأمُّهم طفحتْ عليك بناتقٍ مِذْكارِ

و«فوقهم» العامل فيه «نتقنا» ضُمّن معنى رفعنا بالنتق الجبلَ فوقهم، كقوله تعالى ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ ۝٦٣﴾ [البقرة]. «كأنه ظلة» في موضع الحال من «الجبل». والظلّة هنا معناها الغمامة. «وظنوا» هنا باقية على بابها من ترجيح أحد الجائزين. ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ تقدم تفسيرها في البقرة(٢).

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوۡ

(١) ديوانه ص١٠٢.

(٢) انظر تفسير الآية ٦٣ من البقرة.

نَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾.

«وإذ أخذ ربك من بني آدم» قال الزمخشري[1]: هذا من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه تعالى نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركّبها فيهم، وجعلها مميّزة بين الضلال والهدى، فكأنه سبحانه وتعالى أشهدهم على أنفسهم، وقرّرهم وقال «ألست بربكم»؟ وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بالوحدانية. وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ وفي كلام العرب: ومعلوم أنه لا قولَ ثَمَّ وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى انتهى.

ومفعول «أخذ»: ذرّيتهم[2]. ويحتمل في قراءة الجمع أن يكون مفعول «أخذ» محذوفاً لفهم المعنى [٢٢٩/ب] و«ذرّياتهم»: بدل من ضمير «ظهورهم» كما أن «من ظهورهم» بدل من قوله «من بني آدم» والمفعول المحذوف هو الميثاق كما قال ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء]. وتقدير الكلام: وإذ أخذ ربك من ظهور ذريات بني آدم ميثاق التوحيد وإفراده بالعبادة. واستعار أن يكون أخذ الميثاق من الظهر كأن الميثاق لصعوبته وللارتباط به والوقوف عنده شيء ثقيل[3] يُحمل على الظهر. ﴿أَلَسۡتُ﴾ دخلت همزة الاستفهام على النفي فصار معناه التقرير، وهذا النوع من التقرير يجاب بما يجاب به النفي الصريح؛ فإذا قلت: ألست من بني فلان؟ أجبت ببلى وصار معناه: أنت من بني فلان، فكذلك هنا أجيب ببلى، ومعناه: أنت

(١) الكشاف ٢ : ١٢٩.

(٢) ق: ذرّياتهم.

(٣) ق: قيل.

ربنا. ﴿شَهِدْنَآ﴾ الظاهر أن الضمير لله تعالى. ﴿عَنْ هَٰذَا﴾ إشارة إلى الميثاق والإقرار بالربوبية.

﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾ قرىء: أو يقولوا، بالياء وبالتّاء. المعنى أن الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم مذكّر بما تضمّنه العهد من توحيد الله تعالى وعبادته لكانت لهم حجتان: إحداهما[1]: كنا غافلين، والأخرى: كنا تبعاً لأسلافنا فكيف نهلك والذنب إنما هو لمن طرق لنا وأضلّنا[2]، فوقعت الشهادة لتنقطع عنهم الحجج. ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ هذا من تمام القول الثاني، أي: كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدّمهم فيه وتركه سنّةً لنا.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: مثل هذا التفصيل الذي فصّلنا فيه الآيات السابقة نفصّل الآيات اللاحقة. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن شركهم وعبادة غير الله تعالى إلى توحيده وعبادته.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (١٧٨) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ

---

(١) ق: أحدهما.

(٢) ق: وأضللنا.

بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ قال الجمهور هو بلعام وهو رجل كنعاني أوتي بعض كتب الله تعالى. والانسلاخ من الآيات مبالغة في التبرّؤ والبعد، أي: لم يعمل بما اقتضته نعمتنا عليه. وقرأ الجمهور: فأتبعه الشيطان، من أتبَع رباعياً أي: لحقه وصار معه، وهي مبالغة في حقه إذ جعل كأنه هو إمام للشيطان يتبعه، وكذلك ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات] أي: عدا وراءه.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾ أي: ولو شئنا أن نشرّفه ونرفع قدره بما آتيناه من الآيات لفعلنا. ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ترامى إلى شهوات الدنيا ورغب [فيها] واتّبع ما هو ناشىء عن الهوى. وجاء الاستدراك هنا تنبيهاً على السبب الذي لأجله لم يُرفع ولم يُشرّف كما فُعل بغيره ممّن أوتي الهدى فآثره واتّبعه. و«أخلد» معناه رمى بنفسه إلى الأرض أي: لما فيها من الملاذّ والشهوات قاله ابن عباس. وقال الزمخشري[1]: وكان حق الكلام أن يقال: ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض، فحططناه، ووضعنا منزلته، فوقع قوله «فمثله كمثل الكلب» موضع: فحططناه أبلغ حطّ، لأن تمثيله بالكلب في أخسّ أحواله وأذلّها في معنى ذلك انتهى.

قوله: وكان حق الكلام إلخ، سوء أدب على كلام الله تعالى. وأما قوله:

---

(١) الكشاف ٢: ١٣١.

فوقع قوله «فمثله» إلخ، فليس واقعاً موقع ما ذكر، ولكن قوله «ولكنه أخلد إلى الأرض» وقع موقع: فحططناه، إلا أنه تعالى لما ذكر الإحسان إليه أسند ذلك إلى ذاته الشريفة فقال «آتيناه آياتنا» «ولو شئنا لرفعناه بها»، ولما ذكر ما هو في حق الشخص إساءة أسنده إليه فقال «فانسلخ منها» وقال «ولكنه أخلد إلى الأرض» [وهو تعالى في الحقيقة هو الذي سلخه منها وأخلده إلى الأرض] فجاء على حدّ قوله ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ۝٧٩﴾ [الكهف] وقوله ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ ۝٨٢﴾ [الكهف] في نسبة ما كان حسناً إلى الله تعالى، ونسبة ما كان بخلافه إلى الشخص.

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ الآية، أي: فصفته - إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن تركته لم يحملها - كصفة الكلب إن كان مطروداً لهث وإن كان رابضاً لهث، قاله ابن عباس[1]. وهذه الجملة الشرطية في موضع الحال أي: لاهثاً في الحالتين [٢٣٠/أ] قاله الزمخشري وأبو البقاء[2]. وتفسيرهما [لاهثاً] من حيث المعنى لا أنّ جملة الشرط هي الحال. ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ أي: ذلك الوصف وصف الذين كذبوا بآياتنا، صفتهم كصفة الكلب لاهثاً في الحالتين، فكما شبّه وصف المؤتىٰ الآيات المنسلخ منها بالكلب في أخسّ حالاته، كذلك شُبّه به المكذّبون بالآيات حيث أُوتُوها وجاءتهم واضحات تقتضي التصديق بها فقابلوها بالتكذيب وانسلخوا منها.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ ساء بمعنى بئس، وتقدم لنا أن أصلها التعدّي[3]، تقول:

---

(١) العبارة: فمثله كمثل الكلب.. قاله ابن عباس، وردت في ق في غير موضعها قبل قليل، قبل قول الزمخشري مباشرة.

(٢) الكشاف ٢: ١٣١، والإملاء ١: ٢٨٩.

(٣) انظر تفسير الآية ٦٦ من المائدة، والآية ٣١ من الأنعام.

ساءني الشيء يسوؤني، ثم لما استُعملت استعمال بِئْس بُنيت على فِعْل وجرت عليها(١) أحكام بئس. و«مثلاً» تمييز للمضمر المستكن في «ساء» فاعلاً، وهو مفسّر بهذا التمييز، وهو من الضمائر التي يفسّرها ما بعدها، ولا بدّ أن يكون المخصوص بالذّم من جنس التمييز فاحتيج إلى تقدير حذف إما في التمييز أي: ساء أصحاب مثل القوم، وإما في المخصوص أي: ساء مثلاً مثلُ القوم. وهذه الجملة تأكيد للجملة السابقة.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ لما تقدّم ذكر المهتدين والضالّين أخبر تعالى أنه هو المتصرف فيهم بما شاء من هداية وضلال. وتقرّر من مذهب أهل السنّة أنه تعالى هو خالق الهداية والضلال في العبد، و«من» شرطية مفعولة بـ«يَهْدِ» وحمل على لفظها في الجواب وهو قوله «فهو المهتدي». و«مَن» الثانية كذلك وحُمل على معناها في الجواب في قوله «فأولئك» فناسب الإفراد هناك لأن المهتدي قليل، وناسب الجمع في الثانية لأن الضالّين كثير.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾ هذا إخبار منه تعالى بأنه خلق لجهنم كثيراً من الصنفين. ومناسبة هذا لما قبله أنه لمّا ذكر أنه هو الهادي وهو المُضِلّ أعقبه بذكر من خُلق للخسران والنار، وذكر من أوصافهم ما ذكر وفي ضمنه وعيد للكفار. والمعنى: لعذاب جهنم: واللام للصيرورة، على قول من أثبت لها هذا المعنى. ولمّا كان مآلهم إليها جعل ذلك سبباً على جهة المجاز.

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الآية، لمّا كانوا لا يتدبّرون شيئاً من الآيات ولا ينظرون إليها نظر اعتبار ولا يسمعونها سماع تفكّر، جعلوا كأنهم فقدوا الفقه بالقلوب والإبصار بالعيون والسماع بالآذان. وليس المراد نفي هذه

(١) ق: وجردت إليها.

الإدراكات عن هذه الحواس، وإنما المراد نفي الانتفاع بها فيما طُلب منهم من الإيمان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عدم الفقه في العواقب والنظر للاعتبار والسماع للتفكر، ولا يهتمون بغير الأكل والشرب. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ بل للإضراب وليس إبطالاً بل هو انتقال من حكم وهو التشبيه بالأنعام إلى حكم آخر وهو كونهم أضلّ من الأنعام. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ هذه الجملة بيّن تعالى بها سبب كونهم أضلّ من الأنعام وهو الغفلة عمّا أعدّ الله تعالى لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الآية، قال مقاتل: دعا رجل الله في صلاته، ومرة دعا الرحمن، فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربًّا واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فنزلت. ومناسبتها لما قبله أنه تعالى لمّا ذكر أنه ذرأ كثيراً من الإنس والجن للنّار، ذكر نوعاً منهم وهم الذين يلحدون في أسمائه وهم أشدّ الكفار عتيًّا أبو جهل وأضرابه. و«الحسنى» هنا تأنيث الأحسن. وَوُصف الجمع الذي لا يعقل بما وُصف به الواحد كقوله تعالى ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه] وهو فصيح، ولو جاء على المطابقة للجمع لكان التركيب: الحُسَن على وزن الأُخَر كقوله تعالى ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة] [٢٣٠/ب] لأنّ جمع ما لا يعقل يُخبَر به ويوصَف بجمع المؤنثات وإن كان المفرد مذكراً. قال ابن عطية: و«الأسماء» هنا بمعنى التسميات إجماعاً من المتأولين لا يمكن غيره انتهى. لا تحرير فيما قال لأن التسمية مصدر والمراد هنا الألفاظ التي تطلق على الله تعالى وهي الأوصاف الدالّة على تغاير الصفات لا تغاير الموصوف، كما تقول: جاء زيد الشجاع

الكريم[١]. وكون الاسم الذي أمر تعالى أن يُدعىٰ به حسناً هو ما قرّره الشرع ونصّ عليه في إطلاقه على الله تعالى.

ومعنى ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ أي: نادوه بها كقوله: يا ألله يا رحمن يا رحيم يا ملك وما أشبه ذلك. [﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ يقال]: لحد وألحد لغتان بمعنى واحد وهو العدول عن الحق والإدخال فيه ما ليس منه، قاله ابن السكيت. ومعنى «يلحدون في أسمائه» أي: يقولون بجهلهم: يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وغير ذلك من الأسماء التي لم يثبت في الشرع إطلاقها على الله تعالى. و﴿سَيُجۡزَوۡنَ﴾ وعيد شديد، واندرج تحت قوله ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ الإلحاد في أسمائه وسائر أفعالهم القبيحه.

﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى من ذرأ للنار ذكر مقابلهم. وفي لفظة «وممّن» دلالة على التبعيض وأن المعظم[٢] من المخلوقين ليسوا هداة إلى الحق ولا عادلين به.

﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ قال أبو عبيد: الاستدراج أن تدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً ولا تهجم عليه، وأصله من الدرجة وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مرقاة مرقاة، ومنه: درج الكتاب: طواه شيئاً بعد شيء، ودرج القوم: ماتوا بعضهم في إثر بعض. ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ قيل: بالاستدراج أو بالهلاك. وقال الأعشى في الاستدراج[٣]: [من الطويل]

فلو كنت في جبٍّ ثمانين قامةً ورُقّيتَ أسباب السماء بسلّمِ

---

(١) ق: والكريم.

(٢) ق: العظم.

(٣) البيتان في ديوانه ص١٥٩، مع اختلاف في الرواية.

ليستدرجَنْك القول حتى تَهِرَّه وتعلمَ أنّي عنكمُ غيرُ مفحمِ

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ معطوف على «سنستدرجهم» فهو داخل في الاستقبال، وهو خروج من ضمير التكلّم بنون العظمة إلى ضمير تكلّم المفرد. والمعنى: أؤخّرهم[١] ملاوة من الدهر أي: مدة فيها طول، والملاوة بفتح الميم وضمّها وكسرها ومنه ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝٤٦﴾ [مريم] أي: طويلاً. وسمَّى فِعْلَه ذلك بهم كيداً لأنّه شبيه[٢] بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان. والمتين من كل شيء القوي، يقال: مَتن متانة.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٨٤ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ قال الحسن وقتادة: سبب نزولها أن رسول الله ﷺ صعد ليلة على الصفا فجعل يدعو قبائل قريش: يا بني فلان يا بني فلان، يحذّرهم ويدعوهم إلى الله تعالى. فقال بعض الكفار حين[٣] أصبحوا: هذا مجنون بات يُصَوِّتُ حتى الصباح، وكانوا يقولون: ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصافات][٤] فنفى الله عزّ وجل عنه ما قالوا، ثم أخبر أنه محذر من عذاب الله تعالى. والآية باعثة لهم على التفكر في أمر الرسول عليه السلام وانتفاء الجِنّة عنه. وهذا الاستفهام قيل: معناه التوبيخ، وقيل: معناه

---

(١) ق: أؤخره.

(٢) ق: تشبيه.

(٣) ق: حتى.

(٤) ق: شاعر.

التحريض على التأمل. والجِنّة: الجن، والمعنى: من مسّ جنّة أو من تخبّط جنة. والظاهر أن «يتفكروا» معلق على الجملة المنفية وهي في موضع نصب بـ«يتفكّروا» بعد إسقاط حرف الجر، لأن التفكر من أفعال القلوب فيجوز تعليقه. والمعنى: أولم يتأمّلوا ويتدبروا في انتفاء هذا الوصف عن رسول الله ﷺ، فإنه منتفٍ عنه لا محالة، ولا يمكن لمن أمعن الفكر أن ينسب ذلك إليه.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، لمّا حضّهم على التفكر في حال رسول الله ﷺ، وكان مفرّعاً على تقرير دلائل التوحيد، أعقبه بما يدلّ على التوحيد [٢٣١/أ] ووجود الصانع الحكيم والملكوت: الملك العظيم، وتقدم شرح ذلك في الأنعام[1]. ولم يقتصر على ذكر النظر في الملكوت بل نبّه على أن كل فرد من الموجودات محلّ للنظر والاعتبار والاستدلال على الصانع ووحدانيته كما قيل[2]: [من المتقارب]

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ   تـدلُّ على أنّه واحـدُ

﴿وَأَنْ عَسَىٰ﴾ أن: هي المخففة من الثقيلة واسمها محذوف ضمير الشأن، وخبرها [«عسى»] وما تعلقت به. وقد وقع خبراً لها الجملة غير الخبرية في مثل هذه الآية وفي مثل ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا ۝٩﴾ [النور] فـ«غضب الله عليها» جملة دعاء وهي غير خبرية. وأجاز أبو البقاء[3] أن تكون «أنْ» هي المخففة من أنّ الثقيلة، وأن تكون مصدرية. يعني أن تكون الموضوعة على

---

(١) انظر تفسير الآية ٧٥ من الأنعام.

(٢) البيت لأبي العتاهية في ديوانه ص١٠٤.

(٣) إملاء ١: ٢٨٩.

حرفين وهي الناصبة للفعل المضارع. وليس بشيء لأنهم نصّوا على أنها توصل[١] بفعل متصرف مطلقاً يعنون ماضياً ومضارعاً وأمراً، فشرطوا فيه التصرف، و«عسى» فعل جامد فلا يجوز أن يكون صلة لأن. و«عسى» هنا تامّة، و«أن يكون» فاعل بها نحو قولك: عسى أن يقوم زيد، واسم «يكون» قال الحوفي: «أجلهم» و«قد اقترب» الخبر. وقال الزمخشري[٢] وغيره: اسم «يكون» ضمير الشأن [انتهى]. فيكون «قد اقترب أجلهم» في موضع نصب في موضع خبر «يكون»، و«أجلهم» فاعل بـ«اقترب». وما أجازه الحوفي فيه خلاف. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ معنى هذه الجملة وما قبلها توقيفهم وتوبيخهم على أنه لم يقع منهم نظر ولا تدبّر في شيء من ملكوت [السماوات] والأرض ولا في مخلوقات الله تعالى ولا في اقتراب آجالهم، ثم قال: فبأي حديث أو أمر [يقع] إيمانهم وتصديقهم إذ لم يقع بأمر فيه نجاتهم ودخولهم الجنة؟ ونحوه قول الشاعر[٣]: [من الطويل]

فعن أي نفسٍ بعد نفسي أقاتل

والمعنى إذا لم أقاتل عن نفسي فكيف أقاتل عن غيرها.

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ نفى نفياً عامّاً أن يكون هادٍ لمن أضلّه الله تعالى، فتضمّن اليأس من إيمانهم والمقت لهم. ﴿وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قرىء: ونذرهم، بالنون ورفع الراء. وقرىء: ويذرهم بالياء ورفع الراء، وهو استئناف إخبار، قطع الفعل أو أضمر قبله: ونحن، فتكون جملة

---

(١) ق: توصف.

(٢) الكشاف ٢: ١٣٣.

(٣) لم أقف على قائله وتمامه، وانظر البحر ٤: ٤٣٣.

اسمية. وقرىء: ونَذَرهم، بالنون والجزم على أنه مجزوم عطفاً على محل «فلا هادي له» فإنه في موضع جزم جواباً للشرط. والجملة من «يذرهم» تقدم تفسيره في أوائل البقرة[١] فأغنى عن إعادته.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ قال ابن عباس: الضمير لليهود؛ قال حسل[٢] بن أبي قشير وشمويل بن زيد: إن كنت نبياً فأخبِرْنا بوقت الساعة فإنّا نعرفها. فإن صدقت آمنّا بك [فنزلت][٣]. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر التوحيد والنبوّة والقضاء والقدر أتبع ذلك بذكر المعاد. وأيضاً فلما تقدّم قوله ﴿ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف] وكان ذلك باعثاً لهم على المبادرة إلى التوبة - أتى بالسؤال عن الساعة ليُعلم أن وقتها مكتوم عن الخلق فيكون ذلك سبباً للمسارعة إلى التوبة. و«الساعة» القيامة، موت من كان حينئذ حيًّا وبَعْث الجميع يقع عليه [اسم] الساعة. واسم القيامة والساعة من الأسماء الغالبه كالنجم للثريا.

و﴿ مُرْسَىٰهَا ﴾ مصدر أي متى ارساؤها [أي] إثباتها وإقرارها. والرسوّ ثبات

---

(١) انظر تفسير الآية ١٥ من البقرة.

(٢) ق: حسن.

(٣) انظر أسباب النزول ص١٥٣.

الشيء الثقيل ومنه: رسا الجبل وأرسيت السفينة، والمرسى: المكان الذي ترسو فيه. وقال الزمخشري[1]: «مرساها» إرساؤها أو[2] وقت إرسائها أي [٢٣١/ب] إثباتها وإقرارها انتهى. وتقديره وقت إرسائها ليس بجيد لأن «أيان» اسم استفهام عن الوقت فلا يصح أن يكون خبراً عن الوقت إلا بمجاز، لأنه يكون التقدير: في أي وقتٍ وقتُ إرسائها. و«أيان مرساها» مبتدأ وخبر. وحكى ابن عطية عن المبرد أن «مرساها» مرتفع بإضمار فعل. ولا حاجة إلى هذا الإضمار، و«أيان مرساها» جملة استفهامية في موضع البدل من «الساعة» والبدل على نية تكرار العامل وذلك العامل معلق عن العمل، لأن الجملة فيها استفهام. ولمّا علّق الفعل وهو يتعدى بعن، صارت الجملة في موضع نصب على إسقاط حرف الجر، فهو يدل في الحقيقة على موضع «عن الساعة» لأن موضع الجر نصب.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي: استأثر بعلمها. ولما كان السؤال عن الساعة عموماً ثم خُصّص بالسؤال عن وقتها جاء الجواب عموماً عنها بقوله «قل إنما علمها عند ربي» ثم خُصّصت من حيث الوقت فقيل ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وعِلْم الساعة من الخَمْس التي نصّ عليها من الغيب أنه لا يعلمها إلا هو تعالى. والمعنى: لا يكشفها ولا يظهرها لوقتها الذي قدّر أن تكون فيه إلا هو.

﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال السّدي: معنى «ثقلت» خفيت في السماوات والأرض فلا يعلم أحد من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين متى تكون، وما خفي أمره ثقل على النفوس انتهى. ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي فجأة على غفلة منكم وعدم شعور بمجيئها. ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ «عنها» متعلق

---

(١) الكشاف ٢: ١٣٤.

(٢) ق: أي.

بـ«يسألونك». والحفاوة: الاعتناء بالشيء، ويتعدى بالباء والمعنى: حفيّ بها أي مُعْتَنٍ [بها] وبالسؤال عن حالها.

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي﴾ الآية، قال ابن عباس: قال أهل مكة: ألا يخبرك [ربك] بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتري وتربح، وبالأرض التي تجدب فترحل عنها إلى ما هي أخصب؟ فنزلت[١]. ووجه مناسبتها لما قبلها ظاهر جداً، وهذا منه عليه السلام إظهار للعبودية وانتفاء عمّا يختص بالربوبيّة من القدر وعلم الغيب ومبالغة[٢] في الاستسلام، فلا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر.

﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضارّ حتى لا يمسّني شيء منها. وظاهر قوله ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ انتفاء العلم عن الغيب على جهة عموم الغيب كما روي عنه عليه السلام «لا أعلم ما وراء هذا الجدار إلاّ أن يُعْلِمَنيه ربي»[٣] بخلاف ما يذهب إليه هؤلاء الذين يدّعون الكشف، وأنهم بتصفية نفوسهم يحصل لها اطلاع على المغيّبات وإخبار بالكوائن التي تحدث. وما أكثر ادّعاء الناس لهذا الأمر وخصوصاً في ديار مصر حتى إنهم لينسبون ذلك إلى رجل متضمّخ بالنجاسة يظل دهره لا يصلي ولا يستنجي من نجاسة ويكشف عورته للناس حين يبول، وهو عارٍ من العلم والعمل الصالح، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) انظر أسباب النزول ص١٥٤.

(٢) ق: مبالغة.

(٣) ق: أبي. وانظر السيرة النبوية ٤: ١٦٦، وانظر أيضاً مختصر المقاصد الحسنة ص١٧٤.

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾.

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ مناسبتها لما قبلها أنه لما تقدم سؤال الكفار عن الساعة ووقتها، وكان فيهم من لا يؤمن بالبعث، ذكر ابتداء خلق الإنسان وإنشاءه، تنبيهاً على أن الإعادة ممكنة كما أن الإنشاء ممكن[١]، وتقدم تفسير نظيرها[٢]. ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ أي: ليطمئن ويميل إليها لأن الجنس إلى الجنس أميل وآنس به. وإذا كان «منها» على حقيقته فالسكون[٣] والمحبّة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبّه محبّة نفسه أو أكثر لكونه بعضاً [منه]. وأنّث في قوله «منها» ذهاباً إلى لفظ النفس، ثم ذكّر في قوله

(١) ق: ممكناً.

(٢) انظر تفسير الآية ١ من النساء.

(٣) ق: حقيقة فالسكوت.

«ليسكن» حملاً على معنى النفس ليبيّن أن المراد بها الذَّكَر آدم أو غيره. وكان الذكر [هو] الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشّاها فكان التذكير أحسن طباقاً للمعنى.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ [٢٣٢/أ] الغشيان كناية عن الجماع. ومعنى الخفّة أنها لم تَلْقَ به من الكرب ما يعرض لبعض الحبالى. و«حملاً» مصدر(١)، أو أن يكون ما في البطن، والحَمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس شجرة، وبالكسر: ما كان على ظهر أو على رأس [غير] شجرة. ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ قال الحسن: استمرت به، أو فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخراج ولا إزلاق. ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ دخلت في الثقل كما تقول: أصبح وأمسى، أو صارت ذات(٢) ثقل كما تقول: أتمر الرجل وألبن، إذا صار ذا تمرٍ ولبن.

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ أي: مالك أمرهما، ومتعلق الدعاء محذوف يدلّ عليه جواب جملة القسم أي: دَعَوَا الله ورغبا إليه في أن يؤتيهما صالحاً، ثم أقسما على أنهما يكونان من الشاكرين إن آتاهما صالحاً. ومَن جَعَل الكلام لآدم وحواء - وهو الظاهر - جعل [الشّرك] تسميتهما [الولد الثالث عبد الحارث، إذ كان قد مات لهما ولدان قبله كانا قد سمّيا كل واحد منهما عبدالله] فأشار عليهما إبليس، لعنه الله، أن يسمّيا هذا الثالث عبد الحارث حرصاً على حياته. فالشرك الذي جعل لله تعالى هو في التسمية فقط. وقال الزمخشري(٣): في الكلام محذوف تقديره: جعل أولادهما له شركاء فيما آتاهما، بدليل «فتعالى الله عمّا يشركون» فجمع، لأن آدم وحواء معصومان

---

(١) ق: مصدراً.

(٢) ق: ذا.

(٣) الكشاف ٢: ١٣٧، ونقل المصنف عبارة الزمخشري بفحواها.

عن الشرك، فتعيّن أن المراد أولادهما. وقرأ السلمي: عمّا تشركون، بالتاء خطاب للكفّار، وكذلك الياء. وتمّت قصة آدم وحوّاء عند قوله «فيما آتاهما» ثم استأنف تنزيه الله تعالى وتقديسه عمّا وقع من الكفّار من الإشراك بالله تعالى، ويدل على انتقال الكلام من قصة آدم وحوّاء إلى حال الكفّار، الآيات الجائية بعد هذا وهو قوله «أيشركون» الآية، وصدر[١] الآية في قوله «هو الذي خلقكم» إذ ضمير الخطاب يشمل المشركين وغيرهم. ومنصب آدم عليه السلام منزّه [عن] أن يجعل لله شريكاً، إذ هو نبي مرسل مكلَّم. وقرىء: شِرْكاً بالإفراد، وشركاء بالجمع.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ أي: أيشركون الأصنام وهي لا تقدر على خلق شيء كما يخلق الله تعالى. [﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: يخلقهم الله تعالى] ويوجدهم كما أوجدكم. ويحتمل أن يكون «وهم» عائداً[٢] على ما عاد عليه ضمير الفاعل في «أيشركون» أي: وهؤلاء المشركون يُخلقون، أي: كان يجب أن يعتبروا لكونهم مخلوقين[٣] فيجعلوا إلٰهم خالقهم لا من لا يخلق شيئاً.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ﴾ الظاهر أن الخطاب للكافرين، انتقل من الغيبة إلى الخطاب على سبيل الالتفات والتوبيخ على عبادة غير الله تعالى. ويدلّ على أن الخطاب[٤] للكفار قوله بعدُ: «إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم». وضمير المفعول عائد على ما عادت عليه هذه الضمائر، قيل: وهي الأصنام. والمعنى: وإن تدعوا هذه الأصنام إلى ما هو هدى

---

(١) ق: ومصدر.

(٢) ق: عائد.

(٣) ق: مخلوقون.

(٤) ق: الخطا.

ورشاد[١]، أو إلى أن يهدوكم كما تطلبون من الله الهدى والخير، «لا يتبعوكم» على مرادكم ولا يجيبوكم[٢]، أي: ليست فيهم هذه القابلية لأنها جماد لا تعقل. وعادل همزة الاستفهام في قوله «ادعوتموهم» بقوله «أم» والجملة الاسمية بعدها من المبتدأ والخبر، لأنها[٣] في معنى الفعل إذ التقدير: أم صَمَتُّم. وحَسَّن المجيءَ بالجملة الاسمية كونُها فاصلة كالفواصل قبلها. قال ابن عطية: وفي قوله «أدعوتموهم أم أنتم صامتون» عطف الاسم على الفعل إذ التقدير: أم صَمَتُّم. ومثل هذا قول الشاعر[٤]: [من الطويل]

سواءٌ عليكَ النَّفْرُ أَمْ بِتَّ ليلةً ... بأهلِ القبابِ من نُميرِ بنِ عامرِ

انتهى. ليس هذا من عطف الاسم على الفعل، إنما هو من عطف الجملة الاسمية على الجملة [٢٣٢/ب] الفعلية. وأما البيت فليس من عطف الاسم على الفعل، بل من عطف الجملة الفعلية على الاسم[٥] المقدّر بالجملة الفعلية؛ إذ أصل التركيب: سواء عليك أنفرت أم بِتَّ ليلة، فأوقع النفر موضع: أنفرتَ. وتقدم الكلام في «سواء» وعلى ما بعدها في أوائل البقرة[٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، هذه الجملة على سبيل التوكيد لما قبلها في انتفاء كون هذه الأصنام قادرة على شيء من نفع أو ضرّ أي [أن]

(١) ق: ورشاداً.

(٢) ق: يجيبونكم.

(٣) ق: لأن.

(٤) البيت في المقاصد النحوية ٤: ١٧٩ غير منسوب.

(٥) ق: الاسمية.

(٦) انظر تفسير الآية ٦ من البقرة.

الذين تدعونهم وتسمّونهم آلهة من دون الذي أوجدها وأوجدكم هم عباد. وسمّى الأصنام عباداً وإن كانت جمادات لأنهم كانوا يعتقدون أنها تضرّ وتنفع. وقال الزمخشري[١]: «عبادٌ أمثالكم» استهزاء بهم، أي: قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء، فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم، ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال «ألهم أرجل يمشون بها» انتهى. وليس كما زعم، لأنه تعالى حكم على هؤلاء المدعوّين[٢] من دون الله تعالى أنهم عباد أمثال الداعين، فلا يقال في الخبر من الله تعالى «فإن ثبت ذلك» لأنه ثابت، ولا يصح أن يقال: ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالكم فقال «ألهم أرجل»، لأن قوله «ألهم أرجل» ليس إبطالاً لقوله «عباد[٣] أمثالكم» لأن المِثْلِيَّةَ ثابتة إما في أنهم مخلوقون أو في أنهم مملوكون مقهورون، وإنما ذلك تحقير[٤] لشأن الأصنام وأنهم دونكم في انتفاء الآلات التي أُعدّت للانتفاع بها مع ثبوت كونهم أمثالكم فيما ذكر. ولا يدل إنكار هذه الالآت على انتفاء المثليّة فيما ذكر، وأيضاً فالإبطال لا يُتصور بالنسبة إليه تعالى، لأنه يدل على كذب أحد الخبرين، وذلك مستحيل بالنسبة إلى الله تعالى.

قرأ سعيد بن جبير: إن، خفيفة، وعباداً أمثالكم، بنصب الدّال واللام. واتفق المفسرون على تخريج هذه القراءة على أنّ «إنْ» هي النافية أُعملت عمل ما الحجازية، فرفعت الاسم ونصبت [الخبر] فـ«عباداً أمثالكم» خبر

---

(١) الكشاف ٢ : ١٣٨.

(٢) ق: المدعون.

(٣) ق: عباداً.

(٤) ق: تحقيراً.

منصوب. قالوا: والمعنى بهذه القراءة تحقير شأن الأصنام ونفي مماثلتهم للبشر، بل هم أقلّ وأحقر إذ هي جمادات لا تفهم ولا تعقل. وإعمال إنْ إعمال ما الحجازية فيه خلاف، أجاز ذلك الكسائي وأكثر الكوفيين، ومن البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني، ومنع من إعمالها الفرّاء وأكثر البصريين، واختلف النقل عن سيبويه والمبرد. والصحيح أن إعمالها لغة، ثبت ذلك في النثر والنظم [وقد] ذكرنا ذلك مشبعاً في شرح التسهيل[1].

وقال النحّاس: هذه قراءة لا ينبغي أن يُقرأ بها لثلاث جهات: إحداها[2] مخالفة للسّواد. الثانية أن سيبويه يختار الرفع في خبر إنْ إذا كانت بمعنى ما، فتقول: إن زيد منطلق، لأن عمل ما ضعيف، وإنْ بمعناها، فتكون أضعف منها. والثالثة[3] أن الكسائي رأى أنها في كلام العرب، لا تكون بمعنى ما، إلا أن يكون بعدها إيجاب انتهى. وكلام النحّاس هذا هو الذي لا ينبغي لأنها قراءة مروية عن تابعي جليل ولها وجه في العربية. وأما ثلاث الجهات التي قد ذكرها فلا يقدح شيء منها في هذه القراءة. أما كونها مخالفة للسواد فهو خلاف يسير جدًّا لا يضرّ، ولعله كتب المنصوب على لغة ربيعة في الوقف على المنوّن المنصوب بغير ألف، فلا يكون فيه مخالفة للسواد. وأمّا ما حكى عن سيبويه، فقد اختلف الفهم عن كلام سيبويه في إنْ. وأمّا ما حكاه عن الكسائي، فالنقل عن الكسائي أنه حكى إعمالها، وليس بعدها إيجاب.

والذي يظهر لي أن هذا التخريج الذي خرّجوه من أنّ إنْ للنفي ليس

---

(١) طبع جزء منه بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٨هـ، وليش ذلك فيه.

(٢) ق: أحدها.

(٣) ق: والثالث.

بصحيح؛ لأنّ قراءة الجمهور تدلّ على إثبات كون الأصنام عباداً أمثال عابديها، وهذا التخريج يدلّ على نفي ذلك [٢٣٣/أ] فيؤدي إلى عدم مطابقة أحد الخبرين، وهو لا يجوز بالنسبة إلى الله تعالى. وقد خرّجتُ هذه القراءة على وجهٍ غير ما ذكروه، وهو أن تكون إنْ هي المخففة من الثقيلة، وأعملها عمل المشدّدة. وقد ثبت أنّ إنْ المخفّفة يجوز إعمالها عمل المشدّدة في غير المضمر بالقراءة المتواترة ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا ﴿١١١﴾﴾ [هود] وبنقل سيبويه عن العرب، لكنه نصب في هذه القراءة خبرها كما نصبه عمر بن أبي ربيعة في قوله(١): [من الطويل]

[إذا اسودّ جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافاً] إنّ حُرّاسنا أُسْدا

وقد ذهب جماعة من النحاة إلى جواز نصب أخبار إنّ وأخواتها واستدلّوا على ذلك بشواهد ظاهرة الدّلالة على صحة مذهبهم وتأولها المخالفون. فهذه القراءة الشاذّة تتخرّج على هذه اللغة، أو تتأول على تأويل المخالفين لأهل هذا المذهب وهو أنهم قالوا: إن تقديره: أقبلت رواجعاً(٢)، فكذلك تُؤوّل هذه القراءة على إضمار فعل تقديره: إن الذين تدعون من دون الله خلقناهم عباداً أمثالكم، وتكون القراءتان قد توافقتا على معنى واحد وهو الإخبار أنهم عباد، ولا يكون تنافٍ بينهما وتخالف لا يجوز في حق الله تعالى. وقرىء أيضاً: إنْ، مخففة، ونصب: عباداً، على أنه حال من الضمير

---

(١) البيت في الخزانة ٤: ٢٩٤ غير منسوب، وليس في ديوانه.

(٢) ذلك في قول العجاج:

يا ليت أيامَ الصّبا رواجعا

فتأوّلوا المنصوب على إضمار فعل تقديره: أقبلت رواجعا. والبيت في شرح المفصل ٨: ٨٤ غير منسوب. وهو من شواهد الكتاب ٢: ١٤٢.

المحذوف العائد من الصلة على «الذين»[1]، وأمثالكم: بالرفع على الخبر. أي: إنِ الذين تدعون من دون الله - في حال كونهم عباداً - أمثالكم في الخلق أو في الملك، فلا يمكن أن يكونوا آلهة.

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾ هذا استفهام إنكار وتعجب في تبيين أنهم جماد لا حراك لهم، وأنهم فاقدون لهذه الأعضاء ومنافعها التي خلقت لأجلها، فأنتم أفضل من هذه الأصنام إذ لكم هذا التصرف. وهذا الاستفهام الذي معناه الإنكار قد يتوجّه الإنكار فيه إلى انتفاء هذه الأعضاء وانتفاء منافعها، فتسلّط النفي على المجموع كما فسّرناه، لأن تصويرهم هذه الأعضاء للأصنام، ليست أعضاء حقيقية. وقد يتوجّه النفي إلى الوصف أي: وإن كانت لهم هذه الأعضاء النافعة. و«أم» هنا منقطعة، فتتقدر ببل والهمزة، وهو إضراب على معنى الانتقال لا على معنى الإبطال. وإنما هو تقدير على نفي كل واحدة من هذه الجمل، وكان ترتيب هذه الجمل هكذا لأنه بدأ بالأهم ثم أتبع بما دونه إلى آخرها.

﴿ قُلِ ادْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ لما أنكر تعالى عليهم عبادة الأصنام وحقر شأنها وأظهر كونها جماداً عارية عن شيء من القدرة أمر تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهم ذلك، أي لا مبالاة بكم ولا بشركائكم فاصنعوا ما تشاؤون، وهو أمر تعجيز أي: لا يمكن أن يقع منكم[2] دعاء لأصنامكم ولا كيد لي، وكانوا قد خوّفوه آلهتهم. ومعنى «ادعوا شركاءكم» استعينوا بهم على إيصال الضرّ إليّ. ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾ أي: امكروا بي ولا تؤخّرونِ عما تريدون بي من الضرّ. وسمّى الأصنام شركاءهم من حيث لهم نسبة إليهم بتسميتهم إياهم آلهة وشركاء لله،

---

(١) ق: الذي.

(٢) ق: منهم.

تعالى الله عن ذلك.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ﴾ الآية، لما أحالهم على الاستنجاد بآلهتهم في ضرّه، وأراهم أن الله هو القادر على كل شيء، عقب ذلك بالاستناد إلى الله تعالى والتوكل عليه، والإعلام أنه تعالى هو ناصره عليهم. وبيّن جهة نصره عليهم بأن أوحى إليه، وأعزّه برسالته، ثم إنه عزّ وجلّ يتولى الصالحين من عباده وينصرهم على أعدائهم [٢٣٣/ب] ولا يخذلهم. وقرىء: وليَّ اللهُ، بياء مشدّدة[1].

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: من دون الله. وهذه الآية بيان لحال الأصنام وعجزها عن نصرة أنفسها، فضلاً عن نصرة غيرها.

﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ تناسق الضمائر يقتضي أن الضمير المنصوب في «وإن تدعوهم» هو للأصنام. ونفى عنهم السماع لأنها جماد لا تحسّ، وأثبت لهم النظر على سبيل المجاز بمعنى أنهم صوّروهم ذوي أعين فهم يشبهون من ينظر ومن قلّب حدقته للنظر. ومعنى «إليك» أي: إليك أيها الداعي، وأُفرد لأنه اقتطع قوله ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ من جملة الشرط واستأنف الإخبار عنهم.

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

(١) أي بياء واحدة مشدّدة مفتوحة، ورفع الجلالة. وهي قراءة أبي عمرو في رواية عنه.

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ الآية، هذا خطاب لرسول الله ﷺ ويعمّ جميع أمته. وهي أمرٌ بجميع مكارم الأخلاق. وقد أمر بذلك رسول الله ﷺ وهي في قوله «يسّروا ولا تعسّروا»[١] وقال حاتم الطائي[٢]: [من الطويل]

خُذي العفو منّي تستديمي مودّتي ولا تَنْطِقي في سَوْرتي حين أَغْضَبُ

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴾ أي ينخسنّك[٣] بأن يحملك بوسوسة على ما لا يليق، فاطلب العياذ بالله منه، وهي اللواذ والاستجارة. قيل: لما نزلت «خذ العفو» الآية، قال رسول الله ﷺ «كيف والغضب»؟ فنزلت[٤]: «وإما ينزغنك». و«إن» شرطية و«ما» زائدة و«نزغ» هو الفاعل، وهو مصدر، يراد به اسم الفاعل أي: نازغ. وهذا التركيب جاء في القرآن كثيراً بزيادة ما، وبنون التوكيد، كقوله تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنفال] ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [يونس] وختم بهاتين الصفتين لأن الاستعاذة تكون باللسان ولا تجدي إلا باستحضار معناها فالمعنى: سميع للأقوال عليم بما في الضمائر.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ ﴾ الآية، قرىء: طَيْف، مخففاً من طيّف، كما قالوا: مَيْت في ميّت. وقال الكسائي[٥]: الطيف: اللمم، والطائف: ما طاف حول الإنسان، [وقال ابن عطية]: وكيف هذا وقد قال الأعشى[٦]: [من الكامل]

---

(١) رواه مسلم ٣: ١٣٥٩ من حديث أنس بن مالك.

(٢) ليس في ديوانه، وانظر البحر ٤: ٤٤٨.

(٣) ق: يمسنّك.

(٤) انظر تفسير الطبري ٩: ١٠٦، والإكليل ص١٣٢.

(٥) ق: قال ابن عطية وقال الكسائي.

(٦) البيت في ديوانه ص٢٥٧.

وتُصبح عن غبِّ السُّرى وكأنها ألمَّ بها من طائفِ الجنّ أولقُ

انتهى. لا يُتعجب من تفسير الكسائي الطائف [بأنه] ما طاف حول الإنسان بهذا البيت، لأنه يصحّ فيه معنى ما قاله الكسائي، لأنه إن كان تعجبه وإنكاره من حيث خصّص[1] الإنسان، فالذي قاله الأعشى تشبيه لأنه قال «كأنها»، وإن كان تعجبّه من حيث فسر بأنه ما طاف حول الإنسان، فطائف الجن يصحّ أن يقال طاف حول الإنسان. وشبّه هو الناقة في سرعتها ونشاطها وقطعها الفيافي في عجلة بحالتها إذا ألمّ بها أولق من طائف الجن. والنزغ من الشيطان أخفّ من مسّ الطائف من الشيطان، لأن النزغ أدنى حركة، والمسّ الإصابة. والطائف: ما يطوف [به] ويدور عليه فهو أبلغ لا محالة، فحال المتقين في ذلك غير حال الرسول.

وانظر لحسن هذا البيان: حيث كان الكلام للرسول كان الشرط بلفظ «إنْ» المحتملة للوقوع ولعدمه، وحيث كان الكلام للمتقين كان المجيء بإذا الموضوعة للتحقق أو الترجيح. وعلى هذا فالنزغ يمكن أن يقع ويمكن أن لا يقع، والمسّ واقع لا محالة أو مرجح وقوعه. وهو إلصاق البشرة بالبشرة وهو هنا استعارة. وفي تلك الجملة أُمر هو صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة. وهنا جاءت الجملة خبرية في ضمنها الشرط، وجاء الخبر «تذكروا» فدلّ على تمكّن مسّ الطائف حتى حصل نسيان فتذكّروا ما نسوه. والمعنى: تذكّروا ما أمر به تعالى وما نهى عنه، وبنفس التذكر حصل إبصارهم وفاجأهم إبصار الحق والسّداد، فاتّبعوه وطردوا عنهم مسّ الطائف. و«اتّقَوا» عامة في كل ما يُتّقى.

(١) ق: خصوص.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ الضمير في «وإخوانهم» عائد على ما تقدّم [٢٣٤/أ] من الكفار، «وإخوانهم» مبتدأ [و«يمدونهم» خبر]، والضمير في «يمدّونهم» المنصوب يعود على ما عاد عليه الضمير في «وإخوانهم». وقرىء: يُمدّونهم من أمدّ، ويَمُدّونهم، من مدّ وهما بمعنى واحد. و«في الغي» متعلق بيمّدونهم. ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي: لا يكفّون عن إمدادهم في الغواية.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ روي أن الوحي كان يتأخر عن النبي ﷺ أحياناً، فكان الكفار يقولون: هلاّ اجتبيتها[1]! ومعنى هذه اللفظة في كلام العرب: تخيّرتها واصطفيتها. قال ابن عباس: هلاّ اختَرَعْتَها واختلقتَها من قِبَلك ومن عند نفسك. و«لولا» هي للتحضيض بمعنى هل لا. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ الآية، بيّن أنه ليس مجيء الآيات إليه إنما هو مُتّبِعٌ ما أوحاه الله تعالى إليه ولست بمفتعلها. ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: هذا الموحىٰ إليّ الذي أنا أتّبعه، لا أبتدعه، وهو القرآن بصائر، أي: حجج وبيّنات يُبْصَر بها وتتضّح الأشياء الخفيات. وهي جمع بصيرة كقوله ﴿أَدْعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۝١٠٨﴾ [يوسف] أي: على أمر جليّ منكشف. وأخبر عن المفرد بالجمع لاشتماله على سور وآيات، وقيل هو على حذف مضاف أي: ذو بصائر. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: دلالة على الرشد ورحمة في الدين والدنيا. وخصّ المؤمنين لأنهم هم الذين يستبصرون وهم الذين ينتفعون بالوحي، يتبعون ما أمر به ويجتنبون ما يُنهون عنه فيه ويؤمنون بما تضمّنه.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤ وَٱذْكُر

(١) انظر تفسير الطبري ٩: ١٠٩.

رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ الآية، روي أنها نزلت في المشركين، كانوا إذا صلى رسول الله ﷺ يقولون ﴿لَا تَسْمَعُوا[1] لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت] فنزلت جواباً لهم[2]. ولمّا ذكر أن القرآن بصائر وهدى ورحمة أمر باستماعه إذا شُرع في قراءته، وبالإنصات وهو السكوت مع الإصغاء إليه. لأن ما اشتمل على هذه الأوصاف من البصائر والهدى والرحمة حريّ بأن يُصْغىٰ إليه حتى تحصل منه للمنصت هذه النتائج العظيمة وينتفع بها، فيستبصر من العمى ويهتدي من الضلالة ويُرحم بها. والظاهر استدعاء الاستماع والإنصات إذا شُرع في قراءة القرآن.

[﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ الآية، لما أمرهم تعالى بالاستماع والإنصات إذا شُرع في قراءته] ارتقى من أمْرهم[3] إلى أمْر رسول الله ﷺ بذكر ربّه في نفسه أي: بحيث يراقبه ويذكره في الحالة التي لا يشعر بها أحد، وهي الحالة الشريفة العليا. ثم أمره أن يذكره دون الجهر من القول، أي: يذكره بالقول الخفي الذي يُشعر بالتذلّل والخضوع من غير صياح ولا تصويت، كما تناجىٰ الملوك وتستجلب منهم الرغائب، وكما قال صلى الله عليه وسلم للصحابة وقد جهروا بالدعاء «إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، اربعوا على

---

(١) ق: لا تسمع.

(٢) انظر أسباب النزول ص١٥٤، ولباب النقول ص١٠٥.

(٣) ق: من أمره تعالى.

أنفسكم»[١]. ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي: مالك أمرك والناظر في مصلحتك. و«في نفسك» متعلق بـ«اذكر» و«تضرعاً وخيفة» مفعولان من أجله أي: لتضرعٍ وخيفة، أو مصدران منصوبان على الحال أي: متضرعاً وخائفاً. «ودون الجهر» معطوف على قوله «في نفسك» أي: ذكراً في نفسك وذكراً دون الجهر.

﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ إن كان جمعاً لغداة فهو مقابل بالجمع وهو «والآصال»، وإن كان مصدراً لغدا فيكون على حذف تقديره: بأوقات الغدوّ. والظاهر اقتصار الأمر بالذكر على هذين الوقتين، وقيل: المراد بهما الأوقات، واقتصر عليهما لأنهما ظرفان للأوقات. و«الآصال» هي العشايا جمع أصيل وهي العشية. ولمّا أمره تعالى بالذكر أكّد ذلك بالنهي عن أن يكون من الغافلين، أي: استَدِمِ الذكر ولا تغفل عنه طرفة [٢٣٤/ب] عين. ومعلوم أنه عليه السلام تستحيل عليه الغفلة لعصمته عليه السلام فهو نهيٌ له والمراد أمّته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة عليهم السلام. ومعنى العنديّة الزّلفى والقرب منه تعالى بالمكانة لا بالمكان، وذلك لتوفّرهم على طاعته وابتغاء مرضاته. ولمّا أمر تعالى بالذكر ورغّب في المواظبة عليه، ذكر مَن شأنُهم ذلك فأخبر عنهم بأخبار ثلاثة: الأول نفي[٢] الاستكبار عن عبادته، وذلك هو أصل إظهار العبودية. ونفي الاستكبار هو الموجب للطاعات كما أن الاستكبار هو الموجب للعصيان، لأن المستكبر يرى لنفسه شفوفاً[٣] ومزيّة فيمنعه ذلك من الطاعة. الثاني: إثبات التسبيح منهم له تعالى وهو التنزيه

---

(١) رواه مسلم ٤: ٢٠٧٧ من حديث أبي موسى.

(٢) ق: في.

(٣) ق: شغوفاً.

والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته عزّ وجلّ. والثالث: السجود له.

ولما كانت العبادة ناشئة عن انتفاء الاستكبار فكانت على قسمين: عبادة قلبية وعبادة جسمانية ذكرهما. فالقلبية تنزيه الله تعالى عن السوء، والجسمانية السجود وهو الحال التي يكون العبد فيها أقرب إلى الله تعالى. وفي الحديث: «أطَّتِ السماء وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد»[(١)]. سؤال[(٢)]: في تقديم الجار والمجرور في «وله يسجدون» إشعار[(٣)] بأنهم لا يسجدون لغيره [فكيف] وقد سجدوا لآدم؟ فأجيب عنه بأن الذين سجدوا لآدم ملائكة الأرض خاصة، ويردّ عليه قوة العموم في: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ ﴾ [الحجر]!. ويمكن أن يجاب بأن السجود كان لله في الحقيقة وآدم كالقِبلة.

(١) رواه أنس بن مالك مرفوعاً وإسناده ضعيف. انظر النهاية ١: ٥٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٥٣٢.

(٢) ق: سواك.

(٣) ق: أي إشعار.

فهرس المجلد الثاني

اسم السورة	الرقم
النساء	5
المائدة	١٨٥
الأنعام	٣٥١
الأعراف	٥١٣

النَّهرُ المادّ

مِن البَحْرِ المُحيط

تصنيف

الإمام أبي حيّان الأندلسيّ

٦٥٤-٧٤٥هـ

تحقيق

الدكتور عمر الأسعد

المجلّد الثالِث

الأنفال - الكهف

دار الجيل

بيروت

سورة الأنفال

الطبعَة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

سورة الأنفال(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية، هذه السورة مدنية كلها إلا سبع آيات أولها «وإذ يمكر بك الذين كفروا»(2) إلى آخر الآيات، قاله ابن عباس. ولا خلاف أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه. وقال ابن زيد: لا نسخ فيها إنما أخبر أن الغنائم لله تعالى من حيث هي ملكه ورزقه، وللرسول ﷺ من حيث هو مبيّن لحكم الله تعالى والصادع فيها ليقع التسليم فيها من الناس، وحكم القسمة نازل في خلال ذلك.

و«الأنفال» جمع نفل، قال ابن عباس وجماعة: هي الغنائم. ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أمر بإصلاح ذات البين وهذا يدل على أنه كانت بينهم مباينة ومباعدة، وربما خيف أن تفضي بهم إلى إفساد ما بينهم من المودّة

---

(1) مدنية وآياتها خمس وسبعون.

(2) الآيات ٣٠ - ٣٦.

والمصافاة. وتقدم الكلام على «ذات» في قوله «بذات الصدور»[1]. والبين هنا الفراق والتباعد و«ذات» هنا نعت لمفعول محذوف أي: وأصلحوا أحوالاً[2] ذاتَ افتراقكم، لما كانت الاحوال ملابسة للبَيْن أضيفت صفتها إليها كما تقول: اسقني ذا إنائك، أي: ماءً صاحبَ إنائك، لما لابس الماء الإناء وصف بذا وأضيف [إلى] الإناء، والمعنى: اسقني ما في الإناء من الماء.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: كاملي الإيمان. قال ابن عطية: وجواب الشرط في قوله المتقدم «وأطيعوا» هذا مذهب سيبويه. ومذهب أبي العباس أن الجواب محذوف متأخر يدلّ عليه المتقدم تقديره: إن كنتم مؤمنين أطيعوا. ومذهبه في هذا أن لا يتقدم الجواب على الشرط انتهى. والذي قاله مخالف لكلام النحاة فإنهم يقولون [إن] مذهب سيبويه أن الجواب محذوف وأن مذهب أبي العباس وأبي زيد الأنصاري والكوفيين جواز تقديم جواب الشرط عليه وهذا النقل هو الصحيح.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ ﴾ [٢٣٥/أ] قرىء: [وجلت] بفتح الجيم وهي لغة. ولما كان معنى «إن كنتم مؤمنين» أي: كاملي الإيمان قال: «إنما المؤمنون» أي: الكاملو الإيمان. ثم أخبر عنهم بموصول وُصل بثلاث مقامات عظيمة وهي مقام الخوف ومقام الزيادة للإيمان ومقام التوكل. ويحتمل قوله ﴿ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾ أن يذكر اسمه فقط ويلفظ به تفزع قلوبهم لذكره استعظاماً له وتهيّباً وإجلالاً. ويحتمل أن يكون ذكر الله على حذف مضاف أي: ذكر عظمة الله وقدرته وما خوّف به من عصاه.

---

(١) لم يتقدم في آل عمران ١١٩، ١٥٤ والمائدة: ٧.

(٢) ق: أحوال.

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية، حسن أن يكون [الذين] صفة لـ «الذين» السابقة حتى تدخل في حيّز الخبرية، فيكون ذلك إخباراً عن المؤمنين بثلاث: الصفة[١] القلبية، وعنهم بالصفة البدنية والصفة المالية. وجمع أفعال القلوب لأنها أشرف، وجمع في أفعال الجوارح [بين الصلاة والصدقة لأنها عمود أفعال الجوارح]. والظاهر أن قوله ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ عامّ في الزكاة ونوافل الصدقات وصلات الرحم وغير ذلك من المبارّ المالية.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ «حقًّا» نعت لمصدر محذوف تقديره: إيماناً حقًّا، ويجوز أن يكون توكيداً لمضمون الجملة السابقة، فيكون العامل فيه محذوفاً تقديره: أحقّه حقًّا. و«هم» في قوله «هم المؤمنون» [يجوز أن يكون فصلاً بين المبتدأ والخبر، وأن يكون مبتدأ خبره «المؤمنون»] والجملة خبر «أولئك» ويجوز أن يكون بدلاً من «أولئك». ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ لما تقدمت ثلاث صفات قلبية وبدنية ومالية ترتّب عليها ثلاثة أشياء، فقوبلت الأعمال القلبية بالدرجات، والبدنية بالغفران، وقوبلت المالية بالرزق الكريم. وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع.

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾.

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ ذكر في البحر[٢] في تأويل هذه الآية خمسة عشر قولاً لم يتّضح شيء منها. ومن دُفع إلى حوك الكلام وتقلّب في إنشاء أفانينه، وزاول الفصاحة والبلاغة لم يستحسن شيئاً من تلك الأقوال

(١) ق: الصلات.

(٢) انظر البحر ٤: ٤٥٩ وما بعدها.

وإن كان بعض قائليها له إمامة في علم النحو ورسوخ قدم، لكنه لم يتحنّك بلَوْك الكلام ولم يكن في طبعه صوغه أحسن صوغ ولا التصرف في النظر فيه من حيث الفصاحة وما به يظهر الإعجاز.

وقبل تسطير هذه الأقوال في البحر وقفتُ على جملة منها فلم يَلِقْ بخاطري منها شيء، فرأيت في النوم أني أمشي في رصيف ومعي رجل أباحثه في قوله تعالى «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق» فقلت له: ما مرّ بي شيء مشكل في القرآن مثل هذا، ولعلّ ثَمَّ محذوفاً يصحّ به المعنى وما وقفت فيه لأحدٍ من المفسرين على شيء طائل. ثم قلت له: ظهر لي الساعة تخريجه وأن ذلك المحذوف هو: نصرك. واستحسنتُ أنا وذلك الرجل هذا التخريج، ثم انتبهت من النوم وأنا أذكره. والتقدير: فكأنه قيل «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق» أي: بسبب إظهار دين الله تعالى وإعزاز شريعته، وقد كرهوا خروجك تهيباً للقتال وخوفاً من الموت؛ إذ كان أمر عليه السلام بخروجهم بغتةً ولم يكونوا مستعدّين للقتال وجادلوك في الحق بعد وضوحه - نصرك الله وأمدّك بملائكته. ودلّ على هذا المحذوف الكلام الذي بعده وهو قوله «إذ تستغيثون ربكم»[1].

ويظهر أنّ الكاف في هذا التخريج المناميّ ليست لمحض التشبيه بل فيها معنى التعليل. [وقد نصّ النحويون أنها قد يحدث فيها معنى التعليل] وخرّجوا عليه قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ۝١٩٨﴾ [البقرة] وأنشدوا[2]:

[وشخصت أبصارهم وأجذموا] لا تَشْتِمِ الناس كما لا تُشْتَمُ

(١) الآية ٩ الآتية وما بعدها.

(٢) الرجز لرؤبة في ديوانه ص١٨٣.

أي: لاتقاء أن يشتمك الناس لا تشتمهم. ومن الكلام الشائع على هذا المعنى: كما تطيع الله تعالى يدخلك الجنة، أي: لإطاعتك الله يدخلك [٢٣٥/ب] الجنة، فكان المعنى: لأجل أن خرجت لإعزاز دين الله وقتل أعدائه نصرك الله وأمدّك بالملائكة. والظاهر أن «من بيتك» هو مقام سكناه بالمدينة لأنها مُهاجَرُه ومختصّة به. والواو في «وإن فريقاً» واو الحال. ومفعوله «لكارهون» هو الخروج، أي: لكارهون الخروج [معك، وكراهتهم ذلك إما لنفرة الطبع وإما لأنهم لم يستعدّوا للخروج].

والظاهر أن ضمير الرفع في «يجادلونك» عائد على فريق من المؤمنين الكارهين. وجدالهم قولهم: ما كان خروجنا إلا للعير ولو عرفنا لاستعددنا للقتال. و«الحق» هنا نصرة دين الإسلام. ويحتمل أن يكون «يجادلونك» [في موضع الحال من الضمير في «لكارهون»، ويحتمل أن يكون] استئناف إخبار. و«ما» في قوله «ما تبيّن» مصدرية، أي: بعد تبيُّنه. وهذا أبلغ في الإنكار لجدالهم بعد وضوح الحق. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ شبّه حالهم في فرط فزعهم - وهم يُسار بهم إلى الظّفر والغنيمة - بحال من يساق على الصّغار إلى الموت، وهو شاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشكّ فيها. وقيل: كان خوفهم لقلّة العدد، وأنهم كانوا رجّالة. وروي أنهم ما كان فيهم إلا فارسان وكانوا ثلاث مئة وثلاثة عشر، وكان المشركون في نحو ألف رجل. وقصة بدر مستوعبة في كتب السير.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ

ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ هي غير معيّنة، والطائفتان هما طائفة عير قريش، وكانت فيها تجارة عظيمة لهم ومعها أربعون راكباً [فيها] أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام، وطائفة الذين استنفرهم أبو جهل، وكانوا في العدد الذي ذكرناه.

و﴿غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ هي العير لأنها ليست ذات قتال، إنما هي غنيمة باردة. ومعنى إحقاق الحق: تثبيته وإعلاؤه.

و﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة، وبما أمر الملائكة من نزولهم للنّصرة، وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر، وبما أظهر من خبره صلى الله عليه وسلم. وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال، والمعنى أنكم ترغبون في الفائدة العاجلة وسلامة الأحوال، والله تعالى يريد معالي الأمور وإعلاء الحق والفوز في الدارين، وشتّان ما بين المرادين، ولذلك اختار لكم ذات الشوكة وأراكم عياناً خَذْلهم ونصرَكم وأذلّهم وأعزّكم، وحصل لكم ما أربى على فائدة العير وما أدناه وأقلّه خيرٌ منها.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ «إذ» بدل من «إذ يعدكم». واستغاث: طلب الغوث، لمّا علموا أنه لا بدّ من القتال شرعوا في طلب الغوث من الله تعالى

والدعاء بالنصرة. والظاهر أنه خطاب لمن خوطب بقوله «وإذ يعدكم الله» و«تودّون»، وأن الخطاب في قوله «كما أخرجك» و«يجادلونك» هو خطاب لرسول الله ﷺ ولذلك أفرد، فالخطابان مختلفان. واستغاث يتعدى بنفسه كما هو في الآية، وكما هو في قوله ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ ﴿١٥﴾﴾ [القصص] [ويتعدّى] بحرف الجر كما جاء في باب الاستغاثة وكقول الشاعر[1]:

حتى استغاثت بماءٍ لا رشاءَ له   من الأباطح في حافاته البُرَكُ

والظاهر أن قراءة من قرأ: مرْدَفين، بسكون الراء وفتح الدال أنه صفة لقوله «بألف» أي: أردف بعضهم ببعض.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ الضمير في «وما جعله» عائد على الإمداد المنسبك من «أنّي ممدّكم»، وتقدّم تفسير هذه الآية[2]. والمعنى إلا بشرى لكم، [فحذف «لكم»] وأثبت في آل عمران لأن القصة فيها مُسْهبة وهنا موجزة فناسب هنا الحذف. وهنا قدّم «به» وأخّر هناك على سبيل التفنّن والاتّساع في الكلام. وهنا جاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ مراعاة لأواخر الآي، وهناك [٢٣٦/أ] ليست آخر آية لِتَعَلُّقِ «ليقطع» بما قبله فناسب أن يأتي «العزيز الحكيم» على سبيل الصفة، وكلاهما مشعر بالعلّية كما تقول: أكرِمْ زيداً العالم، وأكرم زيداً إنه عالم.

---

(١) البيت لزهير في ديوانه ص١٧٥. وهو من البسيط

(٢) انظر تفسير الآيتين ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران] وأثبتّهما لتسهيل المقارنة.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ[1] ٱلنُّعَاسَ﴾ «إذ» بدل من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ۝﴾ [الأنفال]. عدّد تعالى نعمه على المؤمنين في يوم بدر؛ قال الزمخشري[2]: «إذ» منصوب بالنصر، أو بما في «من عند الله» من معنى الفعل، أو بـ«ما جعله الله»، أو بإضمار: اذكر.انتهى.

أمّا كونه منصوباً بالنصر ففيه ضعف من وجوه: أحدها أنه مصدر فيه أل وفي إعماله خلاف، ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز إعماله. الثاني: أنه موصول وقد فُصل بينه وبين معموله بالخبر الذي هو «إلا من عند الله» وذلك لا يجوز، لا يقال: ضرب زيد شديد عمراً. الثالث: أنه يلزم منه إعمال ما قبل إلاّ فيما بعدها من غير أن يكون ذلك المعمول مستثنى أو مستثنى منه أو صفة له، و«إذ» ليس واحداً من هذه الثلاثة فلا يجوز: ما قام إلا زيد يوم الجمعة، وقد أجاز ذلك الكسائي والأخفش.

وأمّا كونه منصوباً بما في «عند الله» من معنى الفعل فيضعفه المعنى لأنه يصيّر استقرار النصر مقيّداً بالظرف، والنصر من عند الله مطلقاً في وقت غشي النعاس وغيره. وأما كونه منصوباً بـ«ما جعله الله» فقد سبقه إليه الحوفي، وهو ضعيف أيضاً لطول الفصل ولكونه معمول ما قبل إلا، وليس أحد تلك الثلاثة. وانتصب «أمنةً» على أنه مفعول من أجله لاتّحاد الفاعل في قراءة من قرأ: يُغْشِيكم، والمغشي هو الله تعالى.

ومعنى ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ أي: من الجنابات، وكان المؤمنون لحق أكثرهم في سفرهم الجنابات وعدموا الماء وكانت بينهم وبين ماء بدر مسافة طويلة

---

(١) ق: يغشاكم.

(٢) الكشاف ٢: ١٤٦.

من رمل دَهْس[١] ليّن تسوخ فيه الأرجل، وكان المشركون قد سبقوهم إلى ماء بدر، وكان نزول المطر قبل ذلك.

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: عذابه لكم بوسواسه، والرجز: العذاب. والظاهر أن تثبيت الأقدام هو حقيقة لأن المكان الذي وقع فيه اللقاء كان[٢] رملاً تغوص فيه الأقدام فلبّده المطر حتى ثبتت عليه الأقدام. والضمير في «به» عائد على المطر. وانظر إلى فصاحة مجيء هذه التعليلات: بدأ أولاً منها بالتعليل الظاهر وهو تطهيرهم من الجنابة وهو فعل جسماني أعني اغتسالهم من الجنابة، وعطف عليه بغير لام العلّة ما هو من لازم التطهير وهو إذهاب رجز الشيطان حيث وسوس إليهم بكونهم يصلّون ولم يغتسلوا من الجنابة، ثم عطف بلام العلّة ما ليس بفعل جسماني وهو فعل محلّه القلب وهو التشجيع والاطمئنان والصبر على اللقاء، وعطف عليه بغير لام العلّة ما هو من لازمه وهو كونهم لا يفرّون وقت الحرب. فحين ذكر التعليل الظاهر الجسماني والتعليل الباطن القلبي ظهر حرف التعليل، وحين ذكر لازِمَهما، لم يؤكّد بلام التعليل. وبدأ أولاً بالتطهير لأنه الآكد والأسبق في الفعل والذي تؤدّى به أفضل العبادات وتحيا به القلوب.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ هذا أيضاً من تعديد النعم، إذ الإيحاء إلى الملائكة بأنه تعالى معهم أي: ينصرهم ويعينهم. تقدّم أن الخطاب السابق للمؤمنين، وهنا الخطاب في قوله «إذ يوحي ربك» لرسول الله ﷺ وحده من ربه أي: مالكه والناظر في إصلاحه. و«الملائكة» هم الذين أمدّ الله المؤمنين بهم.

---

(١) الدَّهْس: اللّين السّهل.

(٢) ق: وكان.

و﴿ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾ بالنصر والتأييد. ثم أمر الملائكة بتثبيت المؤمنين وأخبر أنّه سيلقي الرعب في قلوب الكفار، ثم أمره بضرب ما فوق الأعناق وهي الرؤوس وضرب [٢٣٦/ب] كل بنان وهي الأصابع، [وهي] اسم جنس الواحد منها بنانة.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الإشارة إلى ما حلّ بهم من إلقاء الرعب في قلوبهم وما أصابهم من الضرب والقتل. والكاف لخطاب السّامع و«ذلك» مبتدأ و«بأنهم» خبره، والضمير عائد على الكفار. وتقدم الكلام في المشاقّة في قوله تعالى ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۝١٣٧ ﴾ [البقرة]. والمشاقّة هنا مفاعلة، فكأنه تعالى لما شرع شرعاً وأمر بأوامر وكذبوا هم وصدّوا تباعد ما بينهم وانفصل وانشقّ. وعبّر المفسرون عن قوله «شاقّوا الله» أي: صاروا في شق غير شقّه. والضمير في جملة الجواب العائد على اسم الشرط الذي هو «من» محذوف تقديره: شديد العقاب له.

﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ ﴾ الآية، جمع بين العذابين: عذاب الدنيا وهو المعجّل، وعذاب الآخرة وهو المؤجّل. والإشارة بـ«ذلكم» إلى ما حلّ بهم من عذاب الدنيا، والخطاب للمشاقّين. ولمّا كان عذاب الدنيا بالنسبة إلى عذاب الآخرة يسيراً[1]، سمّى ما أصابهم منه ذوقاً، لأن الذّوق يُعرف به الطّعم وهو يسيرٌ ليُعرف به حال الطعم. «ذلكم» مبتدأ خبره محذوف تقديره: ذلكم العقاب، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: العقاب ذلكم. وقال الزمخشري[2]: ويجوز أن يكون نصباً على: عليكم ذلكم فذوقوه كقولك: زيداً فاضربه انتهى. ولا يجوز هذا التقدير لأن «عليكم» من أسماء الأفعال

(١) ق: يسير.

(٢) الكشاف ٢: ١٤٨.

وأسماء الأفعال لا تضمر، وتشبيهه له بزيد فاضربه، ليس بجيد، لأنهم لم يقدّروه بعليك زيداً فاضربه، وإنما هو منصوب على الاشتغال.

﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ قال ابن عطية: إما على تقدير: وحَتْمٌ أنّ، فيقدر ابتداء محذوف يكون «أنّ» خبره، وإما على تقدير: واعلموا أنّ، فهي على هذا في موضع نصب انتهى. وقرأ الحسن وزيد بن علي وسليمان التيمي: وإنّ، بكسر الهمزة على استئناف إخبار، ونبّه على العلّة في كون عذاب النار لهم وهي الكفر.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ﴾ الآية، وانتصب «زحفاً» على الحال من المفعول أي: زاحفين إليكم، أو من الفاعل أي: زاحفين إليهم، أو منهما أي: متزاحفين. قال الفراء: الزحف: الدنوّ قليلاً قليلاً، يقال: زحف إليه يزحف زحفاً إذا مشى [انتهى]. وعدل[1] عن [لفظ الظهور إلى] لفظ الأدبار تقبيحاً لفعل الفارّ وتبشيعاً لانهزامه. وتضمّن هذا النهي الأمر بالثّبات والمصابرة على القتال.

(١) ق: ومن يولّهم وعدل.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ لمّا نهى تعالى عن تولّي الأدبار، توعّد من ولّى[١] دبره وقت لقاء العدوّ. وناسب قوله «ومن يولّهم» قوله «فقد باء بغضب من الله» كأن المعنى: فقد ولّى مصحوباً بغضب الله، قال الشاعر[٢]: [من الطويل]

ولَسْنا على الأعقاب تَجْري كُلُومُنَا ولٰكِنْ على أقدامِنا تَقْدُمُ الدِّما

والظاهر أن الجملة المحذوفة بعد إذ وعوّض منها التنوين هي قوله: إذ لقيتم الكفار وانتصب «متحرفاً» و«متحيزاً» على الحال من الضمير المستكنّ في «يولّهم» العائد على «من».

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ التحرف للقتال هو الكرّ بعد الفرّ، يخيّل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه. وهذا من باب خدع الحرب ومكائدها. و«متحيزاً»[٣] اسم فاعل من تحيّز، أصله: تَحَيْوَزَ تَفَيْعَلَ، من الحوز؛ اجتمعت ياء وواو، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء[٤]، وأدغمت الياء في الياء فصار: تحيّز. ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المخصوص بالذمّ محذوف تقديره: بئس المصير هي، أي: جنهم.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ الآية، لما رجع الصحابة من بدر ذكروا مفاخرهم فيقول القائل: قتلتُ وأسرتُ فنزلت[٥]. قال الزمخشري[٦]: والفاء جواب شرط

---

(١) ق: تولّى.

(٢) البيت للحصين بن الحمام في الشعر والشعراء ٢: ٦٤٨، والخزانة ٣: ٣٥٢ مع اختلاف في الرواية.

(٣) ق: إلا متحيّزاً.

(٤) ق: وقلبت ياءً.

(٥) انظر أسباب النزول ص١٥٦.

(٦) الكشاف ٢: ١٤٩.

محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم [٢٣٧/أ] لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم انتهى. وليست الفاء جواب شرط محذوف كما زعم، وإنما هي للربط بين الجمل، لأنه لما قال ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾ كان امتثال ما أُمروا به سبباً للقتل فقيل «فلم تقتلوهم» أي: لستم مستبدين بالقتل لأن الإقدار عليه والخلق له إنما هو لله تعالى ليس للقاتل فيها شيء لكنه أُجري على يده، فنفى عنهم إيجاد القتل[1] وأثبته لله تعالى. وعطف الجملة [المنفيّة] بما على الجملة المنفية بلَمْ، لأن لم نفيٌ للماضي وإن كان بصورة المضارع.

﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ قال ابن عباس: قبض رسول الله ﷺ يوم بدر قبضة من تراب فرماهم بها وقال: شاهت الوجوه[2]، أي: قبحت. فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه وفي منخريه[3] وفيه منها شيء. ومجيء «لكنّ» هنا في الموضعين أحسن مجيء لكونها بين نفي وإثبات، فالمثبت لله تعالى هو المنفي عنهم وهو حقيقة القتل.

﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال السّدي: ينصرهم وينعم عليهم، يقال: أبلاه إذا أنعم عليه، وبلاه إذا امتحنه. والبلاء يستعمل للخير والشر، والبلاء الحسن: قيل بالنصر والغنيمة، وقيل بالشهادة. واللام في «ليبلي» تتعلّق بمحذوف بعد الواو تقديره: وفعلنا ذلك - أي قَتْلَهم ورَمْيَهم، أو مقدّر آخر الجملة تقديره: بلاءً حسناً فعلنا ذلك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ أي: سميع لكلامكم وما تفخرون به، عليم بما انطوت عليه الضمائر.

---

(١) ق: العقل.

(٢) أخرجه مسلم ٣: ١٤٠٢ من حديث إياس بن سلمة عن أبيه، في غزوة حنين.

(٣) ق: وهي متحرّبة!.

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال الزمخشري[١]: «ذلكم» إشارة إلى البلاء الحسن، ومحلّه الرفع «وأن الله موهن» معطوف على «وليبلي»[٢] يعني أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين انتهى. وهذا فيه بُعْدٌ لفصل المعطوف الذي هو «وأن الله» عن «ليبلي» بجملتين إحداهما «إن[٣] الله سميع عليم» والاخرى ما قدّره في قوله «ذلكم». وقال ابن عطية: «ذلكم» إشارة إلى ما تقدّم من قتل الله ورميه إياهم، وموضع «ذلكم» من الإعراب رفع. قال سيبويه: التقدير: الأمر ذلكم. وقرىء: مُوَهِّن من وهّن، والتعدية بالتضعيف فيما عينه حرف حلق غير الهمزة قليل نحو: ضعّفت ووهّنت، وبابه أن يُعدّى بالهمزة نحو: أذهلته وأوهنته. وقرىء بالتنوين ونصب «كيد»، وبحذفه وجرّ «كيد» على الإضافة.

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ قال الجمهور: هي خطاب لأهل مكة على سبيل التهكّم، وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلّقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكّنا للعاني، إن كان محمد على حق فانصره وإن كنّا على حق فانصرنا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ

---

(١) الكشاف ٢: ١٥٠.

(٢) في الكشاف: معطوف على «ذلكم»، وهو يُضْعف ردّ المصنّف على الزمخشري.

(٣) ق: على ليبلو بجملتين أحدهما وأنّ.

تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ الظاهر أنه خطاب للمؤمنين الخُلّص، حثّهم بالأمر على الطاعة لله تعالى ورسوله، وأفردهم بالأمر رفعاً لأقدارهم. ﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ الضمير في «عنه» عائد على رسول الله ﷺ. ﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ أي: الأمر بالطاعة والنهي عن التولي.

﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ الآية، تقدّم الكلام على الصم البكم في البقرة(١). وقيل: نزلت في طائفة من بني عبد الدار كانوا يقولون: نحن صمّ بكمٌ عميٌ عمّا جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه، فقتلوا جميعاً بأحد وكانوا أصحاب اللواء.

﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ قال ابن عطية: أخبر تعالى بأن عدم سمعهم وهداهم إنما هو بما علم الله تعالى منهم وسبق من قضائه عليهم، فخرّج ذلك في عبارة بليغة في ذمّهم بقوله «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم» والمراد: لأسمعهم(٢) إسماع تفهّم وهدى. ثم ابتدأ عزّ وجلّ الخبر عنهم بما هم عليه من حتمه عليهم بالكفر فقال ﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ﴾ أي: ولو فهّمهم، ﴿لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [٢٣٧/ب] بحكم القضاء السابق فيهم، ولأعرضوا عمّا تبيّن لهم من الهدى.

---

(١) انظر تفسير الآية ١٨ من البقرة.

(٢) ق: لأفهم سمعهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ تقدّم الكلام على استجاب في قوله ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة]. وأفرد الضمير في «دعاكم» كما أفرده في ﴿ وَلَا تَوَلَّوْاْ [عَنْهُ ﴿٢٠﴾ ﴾] [الأنفال]. والظاهر تعلّق «لما» بقوله «دعاكم» ودعا يتعدى باللام، قال الشاعر[1]: [من المتقارب]

دعوتُ[2] لِمَا نابَني مِسْوَراً [فلبَّى فلبَّيْ يدَيْ مِسْوَرِ]

وقال آخر[3]: [من الطويل]

وإن أُدْعَ للجُلّى أَكُنْ مِن حُماتِها [وإن يَأْتِكَ الأعداءُ بالجَهد أَجْهَدِ]

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ المعنى أنه تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء والقادر على الحيلولة بين الإنسان وبين ما يشتهيه قلبه، فهو الذي ينبغي أن يستجاب [له] إذا دعا، إذ بيده ملكوت كل شيء وزمامه.

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً ﴾ الآية، هذا الخطاب ظاهره العموم باتّقاء الفتنة التي لا تختص بالظالم، بل تعمّ الصالح والطالح. والجملة من قوله «لا تصيبن» خبرية صفة لقوله «فتنة» أي: غير مصيبة الظالم خاصة. إلاّ أن دخول نون التوكيد على المنفي بلا مختلَفٌ فيه؛ فالجمهور لا يجيزونه ويحملون ما جاء منه على الضرورة أو على النّدور. والذي نختاره الجواز، وإليه ذهب بعض النحويين. وإذا كان قد جاء لحاقها بالفعل منفياً بلا مع الفصل نحو قوله[4]:

[من الطويل]

---

(١) البيت في كتاب سيبويه ١: ٣٥٢ غير منسوب.

(٢) ق: دحوت.

(٣) البيت لطرفة من معلقته، انظر شرح القصائد السبع ص٢٠٥.

(٤) البيت لحسّان السّعدي في النوادر ص١١٢.

فــلاذا نعيــمٍ يتــركَــنْ لنعيمــه وإن قال قرّظني وَخُذْ رشوةً أبى

فَلأن تلحقه مع غير الفصل أولى نحو «لا تصيبنّ». وزعم الزمخشري أن الجملة صفة وهي نهي، قال[١]: وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل: واتّقوا فتنةً مقولاً فيها: لا تصيبنّ. وزعم الفرّاء أن الجملة جواب للأمر نحو قولك: انزل عن الدّابة لا تطرحنّك، أي: [إن] تنزل عنها لا تطرحنّك. [قال[٢]: ومنه ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ⁽١٨⁾﴾ [النمل] أي: إن تدخلوا لا يحطمنكم، فدخلت النون لما فيها من معنى الجزاء انتهى. وهذا المثال وهو قوله «ادخلوا»[٣] ليس نظير «واتقوا فتنة» لأنه ينتظم من المثال والآية شرط وجزاء كما قدّر، ولا ينتظم ذلك هنا. ألا ترى أنه لا يصحّ تقدير: إن تتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة، لأنه يترتب إذ ذاك على الشرط غير مقتضاه من جهة المعنى.

وأخذ الزمخشري قول الفرّاء وزاده فساداً وخبط فيه فقال[٤]: وقوله «لا تصيبنّ» لا يخلو من أن يكون جواباً للأمر أو نهياً بعد أمر أو صفة لـ«فتنة». فإذا كان جواباً فالمعنى: إن أصابتكم فتنة لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمّكم انتهى تقريره لهذا القول. فانظر كيف قرّر أن يكون جواباً للأمر الذي هو «اتقوا» ثم قدّر أداة الشرط داخلة على غير مضارع «اتقوا» فقال: فالمعنى إن أصابتكم، يعني الفتنة. وانظر كيف قدّر الفرّاء في: انزل عن الدابّة لا تطرحنك] وفي قوله «ادخلوا» فأدخل أداة الشرط على مضارع

---

(١) الكشاف ٢: ١٥٢.

(٢) معاني القرآن ٢: ٤٠٧، ونقل المصنّف مضمون عبارة الفرّاء.

(٣) يريد قوله تعالى ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ⁽١٨⁾﴾.

(٤) الكشاف ٢: ١٥٢.

فعل الأمر. وهكذا يقدّر ما كان جواباً للأمر، وفيه تخريجات أخر ذكرت في البحر[١]. قال الزمخشري[٢]: «خاصّة» أصله أن يكون نعتاً لمصدر محذوف اي: إصابة خاصّة، وهي حال من الفاعل المستكنّ في «لا تصيبنّ»، ويحتمل أن يكون حالاً من «الذين ظلموا» أي: مخصوصين بها بل تعمّهم وغيرهم. قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون «خاصة» حالاً من الضمير في «ظلموا» انتهى. لا أتعقّل أنا هذا الوجه.

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ الآية، نزلت عقيب بدر فقيل: خطاب للمهاجرين خاصة كانوا بمكّة قليلي العدد مقهورين فيها يخافون أن يستلبهم المشركون قاله ابن عباس، فآواهم بالمدينة وأيّدهم بنصره يوم بدر. و﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الغنائم وما فتح به عليهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قال ابن عباس: نزلت في أبي لبابة حين استنصحه قريظة لمّا أبى رسول الله ﷺ أن يسيّرهم إلى أذرعات وأريحا كفعله ببني النضير، فأشار أبو لبابة إلى حلقه، أي: ليس عند رسول الله ﷺ إلا الذبح[٣]، فكانت هذه خيانته في قصة طويلة[٤].

(١) انظر ٤: ٤٨٤.

(٢) لم أجده في الكشاف، وانظر المفصل ص١١٦.

(٣) ق: الربح.

(٤) انظر تفسير الطبري ٩: ١٤٦.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وفي كون الأجر العظيم عنده تعالى إشارة إلى أن[1] لا يفتن المرء بماله وولده فيؤثر محبّته لهما على ما عند الله فيجمع المال ويحب الولد حتى يُؤْثِر ذلك كما فعل أبو لبابة لأجل كون ماله وولده كانوا عند بني قريظة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآية، الفرقان مصدر، من فرق بين الشيئين أي: حال بينهما. قال ابن عباس وجماعة: فرقاناً: مخرجاً، قال الشاعر[2]:

وكيف أُرجّي الخُلْدَ والموتُ طالبي ومـالـيَ مِـن كـأسِ المنيّـةِ فُـرقـانُ

[من الطويل]

أي: مخرج ومخلص.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لما ذكّر المؤمنين نعمة ربهم عليهم ذكّره[3] ﷺ

(١) ق: أنه.

(٢) البيت في القرطبي ٧: ٣٩٦ غير منسوب.

(٣) ق: ذكّرهم.

نعمه عليه في خاصة نفسه، وكانت قريش تشاوروا في دار الندوة بما يُفعل به؛ فمن [٢٣٨/أ] قائل: يُحبس ويُقيّد ويُتربّص به ريب المنون، ومن قائل: يُخرج من مكة لتستريحوا منه. وتصوّر لهم إبليس في صورة شيخ نجدي وفيّل[١] هذين الرأيين. ومن قائل: يجتمع من كل قبيلة رجل ويضربونه ضربة واحدة بأسيافهم فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو هاشم على محاربة قريش كلها، فيرضون بأخذ الديّة. فصوّب إبليس لعنة الله عليه هذا الرأي، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّه ﷺ بذلك وأمره ألاّ يبيت في مضجعه، وأذن له في الخروج إلى المدينة. فأمر علياً أن يبيت في مضجعه ويتّشح ببردته وباتوا راصدين، فبادروا إلى المضجع فأبصروا علياً فبُهتوا، وخلّف عليًّا ليردّ ودائع[٢] كانت عنده، وخرج إلى المدينة. ومعنى «ليثبتوك» أي: ليثخنوك بالجراح والضرب، من قولهم: ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح، ورمى الطائر فأثبته أي: أثخنه، وقال الشاعر[٣]: [من البسيط]

فقلتُ ويحكَ ماذا في صحيفتكم قالوا الخليفةُ أمسى مُثْبَتاً وَجِعا

أي: مثخناً.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ الآية، قائل ذلك النضر بن الحارث واتّبعه قائلون كثيرون، وكان من مردة قريش، سافر إلى فارس والحيرة وسمع من قصص الرهبان والأناجيل وأخبار[٤] رستم وإسفنديار، ورأى[٥] اليهود والنصارى

---

(١) أي خطّأهما وأضعفهما.

(٢) ق: وحلف ليردوا ودائع. وانظر في ذلك السيرة النبوية ٢: ١٢٤ وما بعدها.

(٣) البيت في القرطبي ٧: ٣٩٧ غير منسوب.

(٤) ق: وأخبارهم.

(٥) ق: ويرى.

يركعون ويسجدون. والنضر قتله رسول الله ﷺ صبراً بالصّفراء بالأثيّل[١] منها، مُنْصَرَفَه من بدر. وفي هذا التركيب جواز وقوع المضارع بعد إذا وجوابه الماضي جوازاً فصيحاً، بخلاف أدوات الشرط فإنه لا يجوز ذلك فيها إلا في الشعر نحو[٢]:

من يكدني بشيء كنت منه

ومعنى ﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾: ولا نطيع، أو قد سمعنا مثل هذا. [وقولهم ﴿لَوْ نَشَآءُ﴾ أي: لو نشاء القول لقلنا مثل] الذي يتلوه، وذكر على معنى المتلوّ. وهذا القول منهم على سبيل البهت والمصادمة، وليس ذلك في استطاعتهم فقد طولبوا بسورة منه فعجزوا، وكانوا أحب شيء إليهم الغلبة وخصوصاً في باب البيان، فقد كانوا يتمالطون[٣] ويتعارضون ويُحكم بينهم في ذلك. وكانوا أحرص الناس على قهر رسول الله ﷺ، فكيف يحيلون المعارضة على مشيئتهم ويتعلّلون بأنهم لو أرادوا لقالوا مثل هذا القول. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تقدم في الأنعام[٤].

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ﴾ الآية، قائل ذلك النضر بن الحارث، وقيل أبو جهل، رواه البخاري ومسلم[٥]. والإشارة في قوله «إن [كان] هذا» إلى القرآن أو ما جاء به رسول الله ﷺ من التوحيد وغيره، أو نبوّته عليه السلام من بين سائر

---

(١) الأثيل: موضع قرب المدينة، والصفراء: واد. انظر معجم البلدان «الأثيل».

(٢) لم أجد تمامه وقائله، وانظر البحر ٤ : ٤٨٨.

(٣) مالطه: قال نصف بيت وأتمّه الآخر.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٥ من الأنعام.

(٥) انظر البخاري ٤ : ١٧٠٤، ولم أجده في مسلم، وانظر السيرة النبوية ٢ : ٣٢٥.

قريش. وتقدم الكلام على «اللّهم»[1]. وقرأ الجمهور: هو الحقَّ، بالنصب، جعلوا «هو» فصلاً. وقال ابن عطية: ويجوز في العربية رفع «الحق» على أنه خبر «هو» والجملة خبر «كان». قال الزّجاج: ولا أعلم أحداً قرأ بهذا الجائز، وقراءة الناس إنما هي بنصب «الحق» انتهى. وقد قرأ بها الأعمش وزيد بن علي وهي جائزة في العربية، فالجملة خبر كان وهي لغة تميم يرفعون بعد «هو» التي هي فصل في لغة غيرهم.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: ما فائدة قوله «من السماء» والأمطار لا تكون إلا منها؟ قلت: كأنه أراد أن يقال: أمطر علينا السّجيل وهي الحجارة المسوّمة للعذاب، فوضع «حجارة من السماء» موضع السّجيل، كما يقال: صبّ عليه مسرودة من حديد، يريد درعاً انتهى.

ومعنى جوابه أن قوله «من السماء» جاء على سبيل التوكيد، كما أن قوله: من حديد، معناه التوكيد لأن المسرودة لا تكون إلا من حديد، كما أن الأمطار لا تكون إلا من السماء. وقال ابن عطية: وقولهم «من السماء» مبالغة وإغراق انتهى. [٢٣٨/ب] والذي يظهر لي أن حكمة قولهم «من السماء» هي [في] مقابلتهم مجيء الأمطار من الجهة التي ذكر صلى الله عليه وسلم أنه يأتيه الوحي من جهتها، أي: أنك تذكر أنك يأتيك الوحي من السماء، فأتتنا بعذاب من الجهة التي يأتيك منها الوحي، إذ كان يحسن أن يعبّر عن إرسال الحجارة [عليهم] من غير جهة السماء بقولهم: فأمطر علينا حجارة. وقالوا ذلك على سبيل الاستبعاد والاعتقاد أن ما أتى به ليس بحقّ.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٦ من آل عمران.

(٢) الكشاف ٢: ١٥٥.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ اللام في «ليعذّبهم» لام الجحود والنصب في الفعل بإضمار أن بعد اللام، وتقدم الكلام عليها في آل عمران[1] عند «ما كان الله ليذر المؤمنين»[2]. وقال ابن بزّي: نزلت الجملة الأولى بمكة إثر قوله «بعذاب أليم»، والثانية عند خروجه من مكة في طريقه إلى المدينة وقد بقي بمكة مؤمنون يستغفرون، والثالثة بعد بدر عند ظهور العذاب عليهم. قال ابن عباس: لم تعذّب أمّة قطّ ونبيّها فيها انتهى.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الآية، انظر إلى حسن مساق هاتين الجملتين: لما كانت كينونته فيهم سبباً لانتفاء تعذيبهم أكّد خبر «كان» باللام على رأي الكوفيين، أو جعل خبر «كان» الإرادة المنتفية على رأي البصريين. وانتفاء الإرادة للعذاب أبلغ من انتفاء العذاب. ولمّا كان استغفارهم دون تلك الكينونة الشريفة لم يؤكّد باللام بل جاء خبر «كان» قوله «معذّبهم» فشتّان ما بين استغفارهم وكينونته صلى الله عليه وسلم فيهم. والظاهر أن هذه الضمائر كلها في الجمل عائدة على الكفّار. وقال ابن عباس أيضاً ما مقتضاه أن الضميرين عائدان على الكفار، وكانوا يقولون في دعائهم: غفرانك، ويقولون: لبّيك لا شريك لك، ونحو هذا ممّا هو دعاء واستغفار فجعله الله تعالى أمنة من عذاب الدنيا.

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الظاهر أنّ «ما» استفهامية أي: أيّ شيء لهم في انتفاء العذاب؟ وهو استفهام معناه التقرير، أي: كيف لا يعذّبون وهم متّصفون بهذه الحال المقتضية للعذاب، وهي صدّهم للمؤمنين عن المسجد الحرام وليسوا بولاة البيت ولا متأهلين لولايته. ومن صدّهم ما فعلوا مع

---

(١) ق: البقرة.

(٢) انظر تفسير الآية ١٧٩ من آل عمران.

رسول الله ﷺ عام الحديبية، وإخراجه مع المؤمنين داخل في الصدّ. كانوا يقولون: نحن ولاة البيت نصدّ من نشاء وندخل من نشاء.

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ ﴾ الآية، لما نفى عنهم أن يكونوا أولياء البيت ذكر من فعلهم القبيح ما يؤكد ذلك، وأن من كانت صلاته ما ذكر لا يستأهل أن يكونوا أولياءه، فالمعنى - والله أعلم - أن الذي يقوم مقام صلاتهم هو المكاء والتّصدية. وضعوا مكان الصلاة والتقرب إلى الله الصفير والتصفيق، وكانوا يطوفون بالبيت عراة رجالهم ونساؤهم مشبكين بين أصابعهم يصفرون ويصفقون، يفعلون ذلك إذا قرأ رسول الله ﷺ يخلطون عليه في صلاته وقراءته. «مكاء» مصدر مكا يمكو، وجاء على فُعال. ويكثر فُعال في الأصوات كالصراخ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ نزلت[1] في [نفقة] المشركين الخارجين إلى بدر، كانوا ينحرون يوماً عشراً من الإبل ويوماً تسعاً، وقيل غير ذلك.

(١) انظر أسباب النزول ص١٥٩.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ هذا إخبار بما يؤول إليه حال الكفار في الآخرة من حشرهم إلى جهنم إذ[١] أخبر بما آل إليه حالهم في الدنيا من حسرتهم وكونهم مغلوبين. ومعنى قوله «والذين كفروا» من وافى[٢] على الكفر. وأعاد الظاهر لأنّ من أنفق ماله من الكفار أسلم منهم جماعة. ولام «ليميز» متعلّقة بقوله «يحشرون». و«الخبيث» [٢٣٩/أ] و«الطيب» وصفان يصلحان للآدميين، و«الخبيث» هم الكفار، و«الطيب» هم المؤمنون. و«بعضه» بدل من «الخبيث» أي: ويجعل بعض الخبيث على بعض «فيركمه» أي: يضمّه. و«أولئك» إشارة إلى «الخبيث». و«الخبيث» اسم جنس لوحظ أولاً إفراده في قوله «بعضه» وفي قوله «فيركمه»، ولوحظ ثانياً جمعه في قوله «أولئك هم الخاسرون».

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟﴾ لمّا ذكر ما يحلّ بهم من حشرهم إلى النار وجَعْلهم فيها وخُسْرهم[٣]، تلطّف بهم وأنّهم إذا انتهوا عن الكفر وآمنوا غفرت لهم ذنوبهم السالفة. وليس ثَمَّ ما يترتّب على الانتهاء عنه غفرانُ الذنوب سوى الكفر، فلذلك كان المعنى: وإن ينتهوا عن الكفر ويسلموا. واللام في «للذين» الظاهر أنها للتبليغ وأنه أُمر أن يقول لهم هذا المعنى الذي تضمّنته ألفاظ الجملة المحكيّة بالقول، وسواء أقاله[٤] بهذه العبارة أم غيرها.
﴿وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ العَوْد يقتضي الرجوع إلى شيء سابق، ولا يكون الكفر لأنهم لم ينفصلوا عنه، فالمعنى عودهم إلى [ما]

(١) ق: إذا.
(٢) ق: آفى.
(٣) ق: وحشرهم.
(٤) ق: قاله.

أمكن انفصالهم عنه وهو الارتداد بعد الإسلام. وجواب الشرط: قالوا: فقد مضت سنة الأولين. ولا يصحّ ذلك على ظاهره بل ذلك دليل على الجواب والتقدير: وإن يعودوا انتقمنا منهم وأهلكناهم فقد مضت سنة الأولين في أنّا انتقمنا منهم فأهلكناهم بتكذيب أنبيائهم وكفرهم.

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في البقرة[1]، وهنا زيادة «كله» توكيداً لـ«الدين». ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا ﴾ أي: عن الكفر. ومعنى ﴿ بَصِيرٌ ﴾: بإيمانهم فيجازيهم على ذلك ويثيبهم.

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾: أعرضوا عن الإسلام. والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: ونعم النّصير الله تعالى.

﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾.

---

(١) انظر تفسير الآية ١٩٣ وهي قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وأثبتُها للمقارنة.

﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم ﴾ الآية، قال الواقدي: كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة. ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ قال ابن عباس وجماعة: «[لله] خمسه» استفتاح كلام كما يقول الرجل لعبده: أعتقك الله وأعتقتُك، على جهة التبرّك وتفخيم الامر، والدنيا كلها لله تعالى. وقسم الله تعالى وقسم الرسول ﷺ واحد، وكان عليه السلام يقسم الخمس على خمسة أقسام. والظاهر أن «ما» موصولة، و«غنمتم» صلة ما، والعائد محذوف. و«من شيء» تفسير لما انبهم في لفظ «ما» أريد بها العموم، فلذلك دخلت الفاء في خبر «أنّ» لتضمّن العموم معنى الشرط. و«أنّ لله» في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: فالحكم أن لله(١) خمسه. وأجاز الفراء(٢) أن تكون «ما» شرطية منصوبة بـ«غنمتم»، واسم «أن» ضمير الشأن محذوف تقديره: أنّه، وحَذْف هذا الضمير مع أنّ المشددة مخصوص عند سيبويه بالشعر. وتقدم الكلام على ذوي القربى وما بعدها في البقرة(٣). وظاهر العطف يقتضي التشريك فلا يُحرم أحد. «وما أنزلنا» معطوف على «بالله». و﴿ يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ يوم بدر بلا خلاف، فرّق فيه بين الحق والباطل. و﴿ ٱلۡجَمۡعَانِۗ ﴾ جمع المؤمنين وجمع الكافرين. والمُنزل: الآيات والملائكة والنصر. وختم بصفة القدرة لأنه تعالى أدال المؤمنين على قلّتهم(٤) على الكافرين على كثرتهم ذلك اليوم.

﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ «العدوة» شط الوادي ويسمى شفيراً وضفة،

---

(١) ق: الله.

(٢) انظر معاني القرآن ١: ٤١١.

(٣) انظر تفسير الآية ٨٣ من البقرة.

(٤) ق: قتلهم.

سميت بذلك لأنها عدت ما في الوادي من ماء أن يتجاوزه، أي: منعته، قال الشاعر[1]: [من الوافر]

عَدَتْني عن زيارتها العوادي   وحالت دونها حربٌ زَبونُ

ويسمّى الفضاء المساير للوادي عدوة للمجاورة. وقرىء: بالعِدوة بكسر العين وبضمها. ومعنى «الدنيا» [٢٣٩/ب] القربى، و«القصوى» البُعدى. وثبوت الواو في «القصوى» شاذ في القياس فصيح في الاستعمال، والقياس: القصيا بالياء، وقد قاله بعض العرب لأن الفُعلى من ذوات الواو تقلب ياءً كالدنيا من الدنوّ، والعليا من العلوّ. والمدينة من الوادي من[2] موضع الوقعة منه في الشرق وبينهما مرحلتان. وقرىء: أسفلَ، بالنصب منصوباً على الظرف وهي في موضع الخبر للمبتدأ قبله، وأصله وصف لموصوف محذوف تقديره: والركب مكاناً أسفل منكم، أي: [في] مكان. وقرىء: أسفلُ بالرفع، اتسع في الظرف فجُعل خبراً للمبتدأ قبله، وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضاً لا بأس بها، ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي الأرض اللينة التي تغوص فيها الأقدام ولا يُمشى فيها إلا بتعب ومشقّة. وكانت العير وراء ظهور العدوّ مع كثرة عددهم.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ كان الالتقاء على غير ميعاد، قال مجاهد: أقبل أبو سفيان وأصحابه تجاراً من الشام، لم يشعروا بأصحاب محمد ولا بأصحاب بدر. ولم يشعر أصحاب محمد ﷺ بكفار قريش ولا كفّار قريش بمحمد وأصحابه حتى التقوا على ماء بدر لسقي

(١) البيت للنابغة في ديوانه ص٢٥٦.

(٢) ق: هي.

ركابهم(١)، فاقتتلوا فغلبهم أصحاب محمد ﷺ ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا﴾ أي: ولكن تلاقيتم على غير ميعاد ليقضي الله أمراً من نصر دينه وإعزاز كلمته وكسر الكفار وإذلالهم. ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي: موجوداً متحققاً واقعاً. ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ بدل من «ليقضي» فيتعلق بمثل ما تعلق به «ليقضي». والظاهر أن المعنى: ليقتل من قتل من كفار قريش وغيرهم عن بيان [من الله تعالى وإعذار بالرسالة، ويعيش من يعيش عن بيان] منه(٢) وإعذار لا حجة لأحد عليه. وقرىء: حَيِيَ، بياءين على الفك، وحَيَّ: بالإدغام.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، وتظاهرت الروايات أنّها رؤيا منامٍ رأى رسول الله ﷺ فيها الكفار قليلاً فأخبر بها أصحابه فقويت نفوسهم وشجعت على أعدائهم. وقال النبي ﷺ لأصحابه حين انتبه «أبشروا لقد نظرت إلى مصارع القوم»(٣). والمراد بالقلّة قلّة القدر والبأس والنجدة وأنّهم مهزومون مصروعون. ولا يُحمل على قلة العدد لأنه صلى الله عليه وسلم رؤياه حقّ، وقد كان علم أنهم ما بين تسع مئة إلى ألف فلا يمكن حمل ذلك على قلّة العدد. وانتصب «قليلاً» على أنه مفعول ثالث ليُري، والأول ضمير الخطاب، والثاني ضمير الغيبة. و«كثيراً» مفعول ثالث لأرى، والأول ضمير الخطاب، والثاني ضمير الغيبة، أجريت(٤) الحلمية مجرى: أعلمت، فتعدّت إلى ثلاثة مفاعيل. وجواز حذف هذا المنصوب

(١) ليستقي كلهم.

(٢) ق: منهم.

(٣) في صحيح مسلم ٤: ٢٢٠٣ من حديث عمر أن رسول الله ﷺ «كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس».

(٤) ق: أجرت.

يبطل هذا [المذهب]، تقول: رأيت زيداً في النوم وأرى الله زيداً في النوم.

وقال الزمخشري[١]: انتصب «قليلاً» على الحال. وما قاله ظاهر لأن: ارى منقولة بالهمزة من رأى البصرية فتعدّت إلى اثنين: الأول كاف الخطاب للرسول، والثاني ضمير الكفار. فـ«قليلاً» و«كثيراً» منصوبان على الحال. و﴿وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: تفرقت آراؤكم في أمر القتال، فكان يكون ذلك سبباً لانهزامكم وعدم إقدامكم على قتال أعدائكم، لأنه لو رآهم كثيراً أخبركم برؤياه ففشلتم. ولما كان رسول الله ﷺ محمياً عن الفشل معصوماً من النقائص، أسند الفشل إلى من يمكن ذلك في حقّه فقال تعالى «لفشلتم» وهذا من محاسن القرآن. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ من الفشل والتنازع والاختلاف بإراءته له صلى الله عليه وسلم الكفار [٢٤٠/أ] قليلاً فأخبرهم بذلك.

﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ﴾ الآية، [هذه] الرؤية[٢] [يقظة] لا منام. وقلّل الكفار في أعين المؤمنين تحقيراً لهم ولئلاّ يجبنوا عن لقائهم وقال ابن مسعود: لقد قُلّلوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جانبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة. وقُلّل المؤمنون في أعين الكفار حتى قال قائل منهم: إنما هم أَكَلَةُ جزور، وذلك قبل الالتقاء [بهم] ليجترئوا على المؤمنين فتقع الحرب ويلتحم القتال، إذ لو كُثّروا قبل اللقاء لأحجموا وتحيّلوا في الخلاص أو استعدوا واستنصروا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ

---

(١) الكشاف ٢: ١٦١.

(٢) ق: هي الرؤية.

تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ الآية، أي: فئة كافرة، حذف الوصف لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار. واللقاء اسم للقتال غالب. وأمرهم تعالى بالثبات وهو مقيّد بآية الضعف. وفي الحديث[1] «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا». وأمرهم بذكره تعالى كثيراً في هذا الموطن العظيم من مصابرة العدوّ والتلاحم بالرماح والسيوف، وهي حالة يقع فيها الذهول عن كلّ شيء فأُمروا بذكر الله إذ هو سبحانه وتعالى الذي يُفزع إليه عند الشدائد. والأظهر أن يكون «فتفشلوا» [جواباً للنهي فهو منصوب، ولذلك عطف عليه منصوب: لأنه يتسبّب عن التنازع الفشل وهو الخور والجبن عن لقاء العدو. ويجوز أن يكون «فتفشلوا»] مجزوماً عطفاً على «ولا تنازعوا» ذلك على قراءة عيسى بن عمر: ويذهبْ، بالياء وسكون الباء. ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قال الزمخشري[2]: والريح: الدولة شبّهت

(١) أخرجه مسلم ٣: ١٣٦٢ من حديث أبي هريرة وروايته: فإذا لقيتموهم فاصبروا. وانظر صحيح الجامع الصغير ٦: ١٣٢.

(٢) الكشاف ٢: ١٦٢. ومع البيت الذي أورده ثانٍ.

بنفوذ أمرها وتمشّيه[١] بالريح وهبوبها فقيل: هبّت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره. وقول الشاعر[٢]: **[من البسيط]**

أَتنْظرانِ قليلاً رَيْثَ غَفْلَتِهم أم تَغْدُوَان فإنّ الرّيحَ للغادي

انتهى. وهو قول أبي عبيدة إن الريح هي الدولة. وقال آخر[٣]:

إذا هبَّتْ رياحُكَ فاغْتَنِمْها فإنّ لكلّ خافقةٍ سكونا

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَـٰرِهِم ﴾ الآية، نزلت في أبي جهل وأصحابه[٤]، خرجوا لنصرة العير بالقينات والمعازف، ووردوا الجحفة فبعث خفاف الكناني، وكان[٥] صديقاً له، بهدايا مع ابنه وقال: إن شئت أمددناك بالرجال وإن شئت بنفسي مع من خفّ من قومي. فقال أبو جهل: إن كنّا نقاتل الله تعالى كما يزعم محمد فوالله ما لنا بالله طاقة، وإن كنّا نقاتل [الناس] فوالله إنّ بنا على الناس لقوّة، والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدراً فنشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيْنات، فإنّ بدراً مركز من مراكز العرب وسوق من أسواقهم، حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا آخر الأبد. فَوَردوا بدراً فسُقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القينات. فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا مثل هؤلاء بطرين مرائين

---

(١) ق: وتسببه.

(٢) البيت لسليك بن السلكة في شرح شواهد الكشاف ص٣٧٤.

(٣) البيت في القرطبي ٨: ٢٤ غير منسوب. وهو من الوافر

(٤) انظر لباب النقول ص١١٢.

(٥) ق: وإن.

بأعمالهم صادّين عن سبيل الله تعالى. وقال رسول الله ﷺ[١]: «اللهم إنّ قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها تحادّك وتكذّب رسولك، اللهم فأحِنْها[٢] الغداةَ». وفي قوله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ وعيد وتهديد لمن بقي[٣] من الكفار. وانتصب «بطراً ورئاء» على أنه مفعول من أجله.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وهي ما كانوا فيه من الشرك وعبادة الأصنام ومسيرهم إلى بدر وعزمهم على قتال رسول الله ﷺ. وهذا التزيين والقول والنكوص من وسوسة الشيطان على سبيل المجاز وهو من باب مجاز التمثيل. ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ رجع في ضدّ إقباله، أي: رجع إلى وراء. ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ مبالغة في الخذلان والانفصال عنهم، لم يكتف بالفعل حتى أكّد ذلك بالقول ﴿[إِنِّيٓ] أَرَىٰ [٢٤٠/ب] مَا لَا تَرَوْنَ﴾ رأى خرق العادة ونزول الملائكة. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ قال قتادة[٤] وابن الكلبي: معذرة كاذبة لأنه لم يخف الله قط. وقال الزّجاج وغيره: بل خاف مما رأى من الهول أنه يكون اليوم الذي أنظر إليه انتهى. ويحتمل أن يكون ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ معطوفاً على معمول القول، قال ذلك بسطاً لعذره عندهم وهو متحقق أن عقاب الله شديد. ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى استأنفه تهديداً لإبليس ومن تابعه من مشركي قريش وغيرهم.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ الآية، ظاهر العطف التغاير فقيل: المنافقون هم

---

(١) انظر السيرة النبوية ٢: ٢٧٣.

(٢) تحادّك: تعاديك. أحِنْها: أهلِكْها. وفي القرطبي ١٧: ١٤٦: فأخْنِهم الغداة، من الخنا وهو الهلاك.

(٣) ق: لقي.

(٤) ق: قتال.

من الأوس والخزرج لما خرج رسول الله ﷺ قال بعضهم: نخرج معه، وقال بعضهم: لا نخرج. غرّ هؤلاء المؤمنين دينهم، يزعمون أنهم على حق وأنهم لا يُغلبون، هذا معنى قول ابن عباس. ﴿ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ قوم أسلموا ومنعتهم أقرباؤهم من الهجرة وأخرجتهم قريش معها كرهاً، فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا وقالوا: ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ فقُتلوا جميعاً. ولم يُذكر أن منافقاً شهد بدراً مع المسلمين إلا متعب بن قشير فإنه ظهر منه يوم أحد قوله ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران]. «والذين في قلوبهم مرض» هو من عطف الصفات وهي لموصوف واحد؛ وصفوا بالنفاق وهو إظهار ما لا يخفيه، وبالمرض لقوله تعالى ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة] وهم منافقو[1] المدينة.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآية، «لو» التي ليست شرطاً في المستقبل تقلب المضارع للمضيّ، فالمعنى: لو رأيت وشاهدت. وحَذْف جواب «لو» جائز بليغ حذفه في مثل هذا لأنه يدلّ على التعظيم أي: لرأيت أمراً عجيباً وشيئاً هائلاً. والظاهر أن «الملائكة» فاعل «يتوفى» ويدلّ عليه

(١) ق: منافقون.

قراءة من قرأ: تتوفى، بالتاء. وقيل في هذه القراءة: الفاعل ضمير «الله» و«الملائكة» مبتدأ، والجملة حالية كهي في «يضربون». قال ابن عطية: ويضعفه سقوط واو الحال فإنها في الأغلب تلزم مثل هذا انتهى. ولا يضعفه إذا جاء بغير واوٍ في كتاب الله وفي كثير من كلام العرب، ولكن يضعفه تفكيك الكلام من حيث صار جملتين. وانصباب الرؤية على الملائكة في حال ضربهم وجوه الكفار. والملائكة هم المُمَدُّ بهم يوم بدر. و«يضربون» حال من «الملائكة». و«وجوههم» حال الإقبال. «وأدبارهم» حالة هزيمتهم؛ لأن الضرب في الأدبار أخزى وأشد نكالاً. ﴿وَذُوقُوا[1] عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ هو كلام مستأنف من الله تعالى يقوله لهم في الآخرة.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ تقدم الكلام [عليه في آل عمران][2].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً﴾ الآية، «ذلك» مبتدأ وخبره «بأن الله» إلخ، أي: ذلك العذاب والانتقام بسبب كذا. وظاهر النعمة أنه يراد بها ما يكون فيه من سعة الحال والرفاهية والعزّة والأمن والخصب وكثرة الأولاد. ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ «حتى» هنا للغاية، المعنى: إلى أن يغيّروا. و«ما» موصولة بمعنى الذي. و«بأنفسهم» صلته، والباء ظرفية أي: في أنفسهم من تبديل شكر الله تعالى بكفران النعمة.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الدأب: العادة. وهذه الجملة تأكيد للجملة السابقة. ﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ﴾ حُمل على معنى كلّ فجُمع الضمير في «كانوا» [و«ظالمين» مراعاة لمعنى «كل» أو] لأجل الفواصل. ولم يُحمل على لفظه

---

(١) ق: ونقول ذوقوا.

(٢) انظر تفسير الآية ١١ من آل عمران.

كما حُمل في قوله ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء] فأفرد الضمير كما أفرده في ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ [العنكبوت]. قال الزمخشري(١): وكلٌّ من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين(٢) أنفسهم بالكفر والمعاصي انتهى. لا يظهر تخصيص الزمخشري «كلًّا» بغرقى القبط وقتلى قريش؛ إذ الضمير في «كذّبوا» وفي «أهلكناهم» لا يختصّ بهما، فالذي يظهر عموم المشبّه به [١/٢٤١] وهم آل فرعون والذين من قبلهم، أو عموم المشبّه والمشبّه بهم.

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الآية، نزلت في بني قريظة منهم كعب بن الأشرف وأصحابه؛ عاهدهم رسول الله ﷺ ألّا يمالئوا عليه فنكثوا [بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم فنكثوا] ومالؤوا معهم يوم الخندق، وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم(٣). ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ إخبار منه تعالى أنهم لا يؤمنون فلا يمكن أن يقع منهم إيمان، قال ابن عباس: شر الناس الكفار، وشر الكفار منهم المصرّون، وشرّ المصرّين الناكثون للعهود: فأخبر تعالى أنهم جامعون لأنواع الشر.

---

(١) الكشاف ٢: ١٦٤.

(٢) ق: ظالمي.

(٣) ق: فخالفهم.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾ بدل من «الذين كفروا».

﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾ أي: فإمّا تظفر بهم. وثمّ محذوف تقديره: فاقتلهم، لأن التشريد لا يتسبب عن الظّفر فقط، بل عن الظفر والقتل. والتشريد: التطريد والإبعاد. ﴿مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ أي: من الكفار. وقرأ الأعمش بخلافٍ عنه: فشرّذ، بالذال المعجمة، وكذا في مصحف عبد الله. قالوا: ولم تُحفظ هذه المادة في لغة العرب، وقيل: الذّال بدل من الدال كما قالوا: لحم خراديل وخراذيل[1].

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً﴾ الظاهر أن هذا استئناف كلام، أخبره تعالى بما يصنع في المستقبل مع من يخاف منه خيانة. وقوله «من قوم» يدل على أنهم ليسوا الذين تقدّم ذكرهم، إذ لو كانوا إياهم لكان التركيب: وإما تخافن منهم. أمر تعالى نبيّه عليه السلام إذا أحسّ من أهل عهدٍ ما ذكرنا وخاف خيانتهم أن يلقي إليهم عهدهم وهو النبذ. ومفعول «فانبذ» محذوف، التقدير: فانبذ إليهم عهدهم أي: ارمه واطرحه. وفي قوله «فانبذ» عدم اكتراث [به] كقوله تعالى ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ ۝١٨٧﴾ [آل عمران]. ومعنى ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على طريق مستوٍ قَصْدٍ، وذلك أن يظهر لهم نبذ العهد ويخبرهم إخباراً مكشوفاً بيّناً أنك قطعت ما بينك وبينهم.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ قال الزهري: نزلت فيمن أفلت من الكفار يوم بدر، فالمعنى: لا تظنّهم ناجين مفلتين لا يعجزون طالبهم بل لا بدّ من أخذهم في الدنيا. وقرىء: ولا يحسبنّ، بياء الغيبة والفاعل ضمير يعود على الرسول عليه السلام أو على السامع، والمفعول الأول «الذين» والثاني

(١) لحم خراديل وخراذيل: إذا كان مقطّعاً.

«سبقوا»، قال الزمخشري[1]: وليست هذه القراءة التي تفرّد بها حمزة بنيّرة[2]، يشير إلى قراءته «ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا» بياء الغيبة انتهى. لم ينفرد بها حمزة كما ذكر بل قرأ بها ابن عامر وهو من العرب الذين سبقوا اللحن، وقرأ علي وعثمان وحفص عن عاصم، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع وأبو عبد الرحمن وابن محيصن وعيسى والأعمش. وكان الزمخشري توهّم أن الفاعل «الذين» فما استنارت له. وقرىء: تحسبنّ، بتاء الخطاب والمفعول [الأول] «الذين كفروا» والثاني «سبقوا». وقرىء: إنهم، بكسر الهمزة، واستبعد أبو عبيد وأبو حاتم هذه القراءة. ولا استبعاد فيها لأنها تعليل للنّهي أي: لا تحسبنّهم فائتين لأنهم[3] لا يعجزون أي: لا يقع منك حسبان لفوتهم لأنهم لا يُعجزون. وقرىء: أنهم، بفتح الهمزة وهو تعليل للنهي أي: لأنهم لا يعجزون من طلبهم.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ الآية، لما اتفق في قصة بدر أن قصدوا

---

(١) الكشاف ٢: ١٦٥.

(٢) ق: بثيرة.

(٣) ق: أنهم.

الكفار بلا تكميل عدّة ولا آلة، وأمره تعالى بالتشريد وبنبذ العهد للناقضين، كان ذلك سبباً للأخذ في قتاله والتمالؤ عليه، فأمره تعالى والمؤمنين بإعداد ما قدروا عليه من القوة للجهاد ولإعداد الأرصاد، وعلّق ذلك بالاستطاعة لطفاً منه تعالى. والمخاطبون هم المؤمنون، والضمير في «لهم» عائد على الكفار المتقدمي الذكر وهم المأمور بحربهم في ذلك الوقت. والظاهر العموم في كل ما يُتَقوى به في حرب العدو والآلات كالرمي وذكور الخيل وقوة القلوب [٢٤١/ب] واتفاق الكلمة والحصون المشيّدة وآلات الحرب وعُددها والأزواد[١] والملابس الباهية. و«رباط» جمع رَبْط، قال ابن عطية: «ورباط» جمع رَبْط ككلب وكلاب، فلا يكثر ربطها إلا وهي كثيرة. ويجوز أن يكون الرباط مصدراً من رَبَط كصاح صياحاً، لأن مصادر الثلاثي غير المزيد لا تنقاس انتهى. وليس بصحيح بل له مصادر منقاسة ذكرها النحويون. وقوله «من قوة ومن رباط الخيل» تفسير لما أبهم في قوله «ما استطعتم».

وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا وإن القوة الرّمي»[٢] ومعناه - والله أعلم - أنّ[٣] معظم القوة وأنكاها للعدوّ الرّمي. ﴿تُرۡهِبُونَ﴾ تخوّفون وقرىء: ترهّبون، بالتشديد. ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾ الظاهر أنهم المنافقون لأنه قال «لا تعلمونهم الله يعلمهم» أي: لا تعلمون أشخاصهم إذ هم متسترّون[٤] عنكم أن تعلموهم بالإسلام. فالعلم هنا كالمعرفة تعدّى إلى

(١) ق: والازدراد. والأزواد: جمع الزّود وهو طعام السفر والحضر جميعاً.

(٢) أخرجه مسلم ٣: ١٥٢٢، وانظر صحيح الجامع الصغير ٢: ٣٧١.

(٣) ق: أنه.

(٤) ق: يسترون.

واحد وهو متعلق بالذوات وليس متعلقاً بالنسبة.

﴿ ۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ الضمير في «جنحوا» عائد على الذين نبذ [إليهم] على سواء وهم بنو قريظة والنضير. جنح الرجل إلى الآخر: مال إليه، وجنحت إليه، وجنحت الإبل: أمالت أعناقها في السير، قال ذو الرّمة[1]: [من الطويل]

إذا مات فوق الرّحل أحييتُ روحه   بذكراكِ والعيسُ المراسيل جُنَّحُ

أي: مائلات. وجنَح: يتعدى بـ«إلى» وباللام. و«للسلم» يذكّر ويؤنث فقيل: التأنيث لغة، وقيل: على معنى المسالمة، وقيل: حملاً على النقيض وهو الحرب.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: وإن يرد[2] الجانحون للسّلم بأن يظهروا السلم ويبطنوا الخيانة والغدر مخادعة فاجنح لها، فما عليك من نيّاتهم الفاسدة، فإنّ حسبك وكافيك هو الله تعالى، ومن كان الله تعالى حسبه فلا يبالي بمن نوى سوءاً. ثمّ ذكّره بما فعل معه أولاً من تأييده بالنصر وبائتلاف المؤمنين على إعانته ونصره على أعدائه، فكما لطف بك أولاً يلطف بك آخراً. والمؤمنون هنا الأوس والخزرج [وكان بين الطائفتين من العداوة للحروب التي جرت بينهم ما كان لولا الإسلام ليُقضى أبداً، ولكنه تعالى منّ عليهم بالإسلام فأبدلهم بالعداوة محبّة وبالتباعد قرباً. ومعنى ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: على تأليف قلوبهم واجتماعها على محبة بعضها بعضاً، وكونها في الأوس والخزرج] تظاهرت به أقوال المفسّرين.

(١) ديوانه ص٨٧.

(٢) ق: يريدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ الآية، نزلت بالبيداء في غزوة [بدر] قبل القتال. والظاهر رفع «ومن» عطفاً على ما قبله، أي: حسبك الله والمؤمنون. وقال الشعبي وابن زيد: معنى الآية: حسبك الله وحسب من اتبعك. قال ابن عطية: فـ«من» في هذا التأويل في موضع نصب عطفاً على موضع الكاف لأن موضعها نصب على المعنى بيكفيك الذي سدت [«حسبك»] مسدّها انتهى. وهذا ليس بجيد لان «حسبك» ليس مما تكون الكاف فيه في موضع نصب، بل هذه إضافة صحيحة ليست من نصب، و﴿ حَسۡبُكَ ﴾ مبتدأ مضاف إلى الضمير وليس مصدراً ولا اسم فاعل. والذي ينبغي أن يُحمل عليه كلام الشعبي وابن زيد هو أن يكون ﴿ وَمَنِ ﴾ مجرورة على حذف «وحسب» لدلالة «حسب» عليه، فيكون كقول الشاعر(١): [من المتقارب]

أكلَّ امرىءٍ تحسبين امرأً ونـارٍ تَـوَقَّـدُ بـاللّيـل نـارا

أي: وكلّ نارٍ، فلا يكون من العطف على الضمير المجرور. وقال ابن عطية: وهذا الوجه من حذف المضاف مكروه، بابه في ضرورة الشعر انتهى. وليس بمكروه ولا ضرورة، وقد أجازه(٢) سيبويه في الكلام وخرّج عليه

---

(١) هو أبو دؤاد الإيادي، والبيت في الأصمعيات ص١٩١.

(٢) ق: أجاز.

البيت وغيره من الكلام الفصيح. قال الزمخشري[١]: «ومن اتّبعك» الواو بمعنى مع وما بعده منصوب [٢٤٢/أ] تقول: حسبك وزيداً درهم، ولا يُجرّ[٢] لأن عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال[٣]: [من الطويل]

[إذا كانتِ الهيجاءُ وانشقَّتِ العصا] فَحَسْبُكَ والضحّاكَ سيفٌ مهنّدُ

والمعنى: كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصراً انتهى. وهذا الذي قاله الزمخشري مخالف لكلام سيبويه، قال سيبويه[٤]: قالوا: حسبك وزيداً درهم، لما كان فيه معنى كفاك، وقبح أن يحملوه على المضمر نَوَوُا الفعل كأنه قال: حسبك ويحسب أخاك درهم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هاتان الجملتان شرطيتان في ضمنهما الأمر بصبر عشرين لمئتين، وبصبر مئة لألف، ولذلك دخلها النسخ؛ إذ لو كان خبراً محضاً لم يكن فيه النسخ، لكن الشرط إذا كان فيه معنى التكليف جاز فيه النسخ، وهذا من ذلك، ولذلك نُسخ بقوله «الآن خفف الله عنكم». والتقييد بالصبر في أول كل شرط لفظاً هو محذوف من الثانية لدلالة ذكره في الأولى، وتقييد الشرط الثاني بقوله «من الذين كفروا» لفظاً هو محذوف من الشرط الأول في قوله «يغلبوا مئتين». فانظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث أثبت قيداً[٥] في الجملة الأولى وحذف نظيره من الثانية، وأثبت قيداً في

(١) الكشاف ٢: ١٦٧.

(٢) ق: يجيز.

(٣) نسب في ذيل الأمالي ص١٤٠ لجرير وليس في ديوانه. وهو في معاني القرآن ١: ٤١٧، وشرح شواهد الكشاف ص٣٧٤ غير منسوب فيهما.

(٤) لم أجد النصّ في كتابه وانظر ٢: ٣٤٧.

(٥) ق: قيد.

الثانية وحذف من الأولى. ولمّا كان الصبر شديد المطلوبية أثبت في أولى جملتي التخفيف وحذف من الثانية لدلالة السابقة عليه، ثم ختمت الآية بقوله تعالى «والله مع الصابرين» مبالغة في شدة المطلوبية، ولم يأت في جملتي التخفيف قيد الكفر اكتفاءً بما قبل ذلك.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ نزلت في أسارى بدر، وكان رسول الله ﷺ قد استشار أبا بكر وعمر وعليًا، فأشار أبو بكر بالاستحياء وعمر بالقتل في حديث طويل يوقف عليه في صحيح مسلم[1]. وقرأ أبو الدرداء وأبو حيوة: ما كان للنبي، معرّفاً، والمراد به في التنكير والتعريف رسول الله ﷺ، ولكن في التنكير إبهام في كون النفي لم يتوجّه عليه معيّناً. وتقدّم مثل هذا التركيب وكيفية هذا النفي في آل عمران في قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴿١٦١﴾ ﴾ [آل عمران][2] وهو هنا على حذف مضاف أي: ما كان لأصحاب نبي أو لأتباع نبيٍّ فحذف اختصاراً، ولذلك جاء الجمع في قوله «تريدون عرض الدنيا» [ولم يجيء التركيب: يريد أو تريد عرض الدنيا] لأنه عليه السلام لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد عرض الدنيا قطّ، وإنما فعله

---

(١) ٣: ١٣٨٥، أخرجه من حديث ابن عباس.

(٢) ق: وما كان للنبي.

جمهور مباشري الحرب. ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الإثخان: المبالغة في القتل والجراحات، يقال: أثخنته الجراحات: أثبتته حتى تثقل عليه الحركة، وأثخنه المرض: أثقله، من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: لولا أن الله تعالى كتب في أمّ الكتاب أنه يسجل لكم الغنائم لمسّكم فيما تعجّلتم منها ومن الفداء يوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذاب عظيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ نزلت هذه الآية عقيب بدر في أسرى بدر، أُعلموا أنّ لهم ميلاً إلى الإسلام وأنهم يؤمّلونهم إن فُدُوا ورجعوا إلى قومهم. والظاهر أن الضمير في ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ عائد على «الأسرى» لأنه أقرب مذكور. والخيانة هي كونهم أظهر الإسلام بعضهم ثم رجعوا إلى دينهم. ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ بخروجهم مع المشركين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ الآية، قسّم المؤمنين إلى المهاجرين والأنصار والذين لم يهاجروا، فبدأ بالمهاجرين لأنهم أصل الإسلام وأول من استجاب لله تعالى، فهاجر قوم إلى المدينة [وقوم إلى الحبشة وقوم إلى ابن

ذي يزن، ثم هاجروا إلى المدينة] وكانوا قدوة لغيرهم في الإيمان وسَبَبَ تقوية للدين. «من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»(١). وثنّى بالأنصار لأنهم ساوَوْهم في الإيمان وفي الجهاد بالنفس والمال، لكنه عادل الهجرة بالإيواء والنصر، وانفرد المهاجرون بالسبق. وذكر [٢٤٢/ب] ثالثاً من آمن ولم يهاجر ولم ينصر ففاتتهم هاتان الفضيلتان وحُرموا الولاية حتى يهاجروا.

ومعنى ﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والتعاون والمؤازرة كما جاء في غير آية ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۝٧١﴾ [التوبة]. وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فكان المهاجريّ يرثه أخوه الأنصاري إذا لم يكن له بالمدينة ولي مهاجريّ، ولا توارث بينه وبين قريبه المسلم غير المهاجريّ. قال ابن زيد: واستمرأمرهم كذلك إلى فتح مكّة ثم توارثوا بعدُ لمّا لم تكن هجرة، فمعنى «ما لكم من ولايتهم من شيء» نفي الموالاة في التّوارث، وكان قوله تعالى «وأولوا الأرحام» نسخاً لذلك. ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ والمعطوف مغاير للمعطوف عليه، فوجب أن تكون الولاية المنفيّة غير النصرة انتهى. ولما نزل «ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا» قال الزبير: هل نعينهم على أمر إن استعانوا بنا؟ فنزل «وإن استنصروكم». والاستثناء في قوله «إلا على قوم» معناه أنّ من بيننا وبينهم ميثاق، لا ننصر(٢) المستنصرين الذين لم يهاجروا عليهم بل نتركهم وإياهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ لمّا ذكر أقسام المؤمنين الثلاثة، وأنهم

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جرير ٢: ٧٠٤، وانظر صحيح الجامع الصغير ٥: ٣٠٤.

(٢) ق: لا تنصروا.

أولياء ينصر بعضهم بعضاً ويرث بعضهم بعضاً، بين أن فريق الكفّار كذلك، إذ كانوا قبل بعثة رسول الله ﷺ يعادي أهل الكتاب منهم قريشاً ويتربّصون بهم الدوائر، فصاروا بعد بعثته عليه السلام يوالي بعضهم بعضاً وإلباً[١] واحداً على رسول الله ﷺ خوفاً على رئاستهم وتحزّباً على المؤمنين. ﴿إلا تفعلوه[٢]﴾ الضمير عائد على الاستنصار[٣] وهو المصدر المفهوم من قوله ﴿وإن استنصروكم﴾. و﴿تكن﴾ تامّة، و﴿فتنة﴾ فاعل. والفتنة إهمال المسلمين المستنصرين بنا حتى يتسلّط عليهم عدوّهم من الكفّار. وقرأ أبو موسى الحجازي عن الكسائي: كثير، بالثاء.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾ هذه الآية فيها تعظيم المهاجرين والأنصار، وهي مختصرة إذ حذف منها: بأموالهم وأنفسهم، وليست تكراراً لأن السابقة تضمّنت ولاية بعضهم بعضاً وتقسيم المؤمنين إلى الأقسام الثلاثة وبيان حكمهم في ولايتهم ونصرهم، وهذه تضمّنت الثناء والتشريف والاختصاص وما آل إليه حالهم من المغفرة والرزق الكريم. وتقدم تفسير نظير أواخر[٤] هذه الآية في أوائل السورة.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ يعني الذين لحقوا بالهجرة من سبق إليها، فحكم تعالى بأنهم من المؤمنين السابقين في الثواب والأجر، وإن كان للسابقين شفوف السبق وتقدم الإيمان والهجرة والجهاد. ومعنى ﴿من بعد﴾:

---

(١) الإلب: القوم تجمعهم عداوة واحد.

(٢) ق: تفعلوا.

(٣) ق: الانتصار.

(٤) ق: أواخر نظير. وانظر تفسير الآية ٤ من الأنفال.

من بعد الهجرة الأولى، وذلك بعد الحديبية، قاله ابن عباس. ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ قيل: هو المواريث واستدلّ بها أبو حنيفة على توريث ذوي الأرحام، وقيل: ليست في المواريث والله أعلم.

سورة براءة(1)

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾.

قوله تعالى ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ هذه السورة مدنية كلها، وقيل: إلا آيتان من آخرها فإنهما نزلتا بمكّة، وهذا قول الجمهور. ويقال: برئت من فلان أبرأ براءة: أي: انقطعتْ بيننا العصمة. ومنه: برئت من الدَّين. وارتفع «براءة» على الابتداء، والخبر «إلى الذين عاهدتم». و«من الله» صفة مسوّغة لجواز الابتداء بالنكرة، أو على إضمار مبتدأ أي: هذه براءة. وقرأ عيسى بن عمر: براءةً بالنصب، قال ابن عطية: أي: الزموا، وفيه معنى الإغراء. قال الزمخشري(2): اسمعوا براءةً إلى الذين عاهدتم. قال ابن إسحاق [٢٤٣/أ]

(١) مدنية وآياتها مئة وتسع وعشرون آية. وهي في القرآن الكريم باسم «التوبة»

(٢) الكشاف ٢: ١٧٢.

وغيره: كانت العرب قد أوثقها رسول الله ﷺ عهداً عامّاً على ألاّ يُصدّ أحد عن البيت الحرام ونحو هذا من الموادعات[1]، فنقض ذلك بهذه الآية وأحلّ لجميعهم أربعة أشهر، فمن كان له مع رسول الله ﷺ عهد خاص وبقي منه أقل من الأربعة أبلغ به تمامها، ومن كان أمده أكثر أتمّ له عهده. وإذا كان ممّن تحسّس منه نقض العهد قصر على أربعة أشهر. ومن لم يكن له عهد خاص فُرضت له الأربعة يسيح في الأرض أي: يذهب فيها مسرعاً آمناً. وظاهر من «المشركين» العموم فدخل فيه مشركو قريش وغيرهم.

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أمر إباحة، وفي ضمنه[2] تهديد وهو التفات من غيبة إلى خطاب، أي: قل لهم سيحوا. ويقال: ساح سياحة وسَوْحاً وسيحاناً ومنه: سيح الماء وهو الجاري المنبسط. قال ابن عباس: أول الأشهر شوّال حين نزلت الآية، وانقضاؤها انقضاء المحرّم بعد يوم الأذان بخمسين، فكان اجلُ من له عهد أربعة أشهر من يوم النزول، وأجل سائر المشركين خمسون ليلة من يوم الأذان. ﴿غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي: لا تفوتونه وإن أمهلكم وهو مخزيكم أي: مذلّكم في الدنيا بالقتل والأسر والنهب، وفي الآخرة بالعذاب.

﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ قرىء: وإذْن، بكسر الهمزة وسكون الذّال. وقرىء: إنّ الله، بكسر الهمزة [وفتحها]؛ فالفتح على تقدير: بأن، والكسر على إضمار القول على مذهب البصريين، أو لأن الأذان في معنى القول فكسرت على مذهب الكوفيين. وحكى أبو عمروٍ عن أهل نجران أنهم يقرؤون: منِ الله، بكسر النون على أصل التقاء الساكنين وإتباعاً لكسرة الميم.

---

(١) ق: المرادعات.

(٢) ق: تضمّنه.

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ الظاهر أنه يوم واحد، فقال عمر وجماعة: هو يوم عرفة، ورُوي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ(١). وقال أبو موسى وجماعة: هو يوم النحر. وقيل: يوم الحج الأكبر أيام الحج كلّها، قاله سفيان بن عيينة. والذي تظاهرت به الأحاديث أن عليًا كرّم الله وجهه أذّن بتلك الآيات يوم عرفة وإثر خطبة أبي بكر، ثم رأى أنه لم يعمّ الناس بالإسماع فتتبّعهم بالأذان بها يوم النحر. وفي ذلك اليوم بعث أبو بكر من يعينه بها كأبي هريرة وغيره، وتتبّعوا بها أيضاً أسواق العرب كذي المجاز وغيره. وبهذا يترجّح قول سفيان. وجملة «براءة من الله ورسوله» إخبار بثبوت البراءة. وجملة «وأذان من الله ورسوله» إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت فافترقنا وعلقّت البراءة بالمعاهدين لأنها مختصّة بهم ناكثيهم وغير ناكثيهم. وعلّق الأذان بالناس لشموله معاهداً وغيره، ناكثاً وغيره، مسلماً وكافراً. و«رسوله» معطوف على موضع اسم «أنّ»، إذ كان قبل دخول «أنّ» كان في موضع رفع على الابتداء، وفي العطف على هذا الموضع خلاف. ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير المستكنّ في قوله: بريء هو ورسوله. والأجود أن يكون مرفوعاً على الابتداء وخبره محذوفاً(٢) تقديره: ورسوله بريء منهم، وحذف الخبر لدلالة ما قبله عليه.

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ أي: من الشّرك الموجب لتبرّؤ الله ورسوله منكم. ﴿فَهُوَ﴾ أي: التوب ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الدنيا لعصمة أنفسكم وأولادكم وأموالكم، وفي الآخرة لدخول الجنّة وخلاصكم من النّار. ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: عن الإسلام. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: لا تفوتونه عمّا يحلّ بكم من

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٠: ٤٩.

(٢) ق: محذوف، وهو وجه.

نقماته. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جعل الإنذار بشارة على سبيل الاستهزاء بهم. و«الذين كفروا» عام يشمل المشركين عبدة الأوثان وغيرهم، وفي هذا وعيد عظيم بما يحلّ بهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ الأظهر [٢٤٣/ب] أن يكون استثناء منقطعاً بمعنى لكن، ويبعد أن يكون متصلاً وإن كان قال به قوم لعسر ظهور المستثنى منه قبله الذي هؤلاء بعض منه.

﴿فَأَتِمُّوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ أي: إلى انقضاء مدة عهدهم. والظاهر أن قوله «إلى مدّتهم» يكون في المدة التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، أُمروا بإتمام العهد إلى تمام المدّة. وعن ابن عباس: كان بقي لحيٍّ من كنانة تسعة أشهر فأتمّ إليهم عهدهم.

﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ أي: لم يعينوا عليكم أحداً كما فعلت قريش ببني بكر حين أعانوهم بالسلاح على خزاعة. وتعدى «أتمّوا» بإلى لتضمّنه معنى: فأدّوا، أي: فأدّوه تامًّا كاملاً.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ الظاهر أن هذه الأشهر هي التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها، ووصفت «بالحُرم» لأنها محرّم فيها القتال. وتقدّم ذكر الخلاف في ابتدائها وانتهائها. وإذا تقدّمت النكرة وذكرت بعد ذلك فالتوجه أن يؤتى بالضمير نحو: لقيت رجلاً فضربته. ويجوز أن يعاد اللفظ معرّفاً بأل نحو: لقيت رجلاً فضربت الرجل[1].

ولفظ ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ عامّ في الأماكن من حلٍّ وحرم.

---

(١) يشير إلى تقدّم ذكر «الأشهر الحرم» نكرة في قوله «أربعة أشهر» (الآية) ثم إعادتها هنا معرّفة.

﴿وَخُذُوهُمْ﴾ عبارة عن الأسر، والأخيذ: الأسير، ويدلّ على جواز اسرهم.

﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ قيّدوهم وامنعوهم من التصرّف في بلاد المسلمين، وقيل: استرقّوهم وحاصروهم إن تحصّنوا. قال القرطبي[١]: في قوله «واقعدوا لهم كل مرصد» دلالة على جواز اغتيالهم قبل الدعوة. لأن المعنى: اقعدوا لهم مواضع الغِرّة. وهذا تنبيه على أن المقصود إيصال الأذى إليهم بكل طريق: إما بطريق القتال وإما بطريق الاغتيال. وقد أجمع المسلمون على جواز السّرقة من أموال أهل الحرب وإسلال[٢] خيلهم وإتلاف مواشيهم إذا [عُجز] عن الخروج بها إلى دار الإسلام إلا أن يصالحوا على مثل ذلك.

قال الزمخشري[٣]: «كل مرصد»: كل ممرّ ومجتاز ترصدونهم فيه، وانتصابه على الظرف كقوله ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف] انتهى. وهذا الذي قاله [قد قاله] الزّجاج قال: «كل مرصد» ظرف كقولك: ذهبت مذهباً. وردّه أبو علي لأن المرصد المكان الذي يُرصد العدوّ فيه، فهو مكان مخصوص لا يحذف الحرف منه إلا سماعاً كما حكى سيبويه: دخلت البيت و[٤]:

[لَـدْنٌ بهـزّ الكـفّ يعسِـلُ متنُـه فيه] كما عسَلَ الطريقَ الثعلبُ

انتهى. وأقول: يصحّ انتصابه على الظرف لأن قوله ﴿وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ﴾ ليس معناه حقيقة القعود، بل المعنى: ارصدوهم في كل مكان يُرصد فيه. ولما

---

(١) الجامع ٨: ٧٣.

(٢) أي أخذها خفية.

(٣) الكشاف ٢: ١٧٥.

(٤) البيت لساعدة بن جؤية، وهو من شواهد الكتاب ١: ٣٦، ٢١٤. وهو من الكامل

كان هذا المعنى جاز قياساً أن يُحذف منه «في» كما قال[1]: [من الطويل]

[ولم تَدْرِ وَشْك البين حتّى رأتهُمُ] وقد قعدوا أرماقها كلَّ مَقْعدِ

فمتى كان العامل في الظرف المختص عاملاً من لفظه أو من معناه جاز أن يصل إليه بغير وساطة «في» فيجوز: جلست مجلس زيد، وقعدت مجلس زيد، تريد: في مجلس زيد. فكما يتعدى الفعل إلى المصدر من غير لفظه إذا كان بمعناه فكذلك إلى الظرف. وقال الأخفش: معناه: على كل مرصد، فحذف «على» وأعمل الفعل. وحَذْف «على» ووصول الفعل إلى مجرورها فينصبه يخصّه أصحابنا بالشعر وأنشدوا[2]: [من الطويل]

تحنّ فتبدي ما بها من صبابةٍ وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

أي: لقضى عليّ.

﴿فَإِن تَابُوا﴾ أي: عن الكفر والغدر. والتوبة تتضمن الإيمان وترك ما كانوا فيه من المعاصي.

﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ كناية عن الكفّ عنهم وإجرائهم مجرى المسلمين في تصرفاتهم حيثما شاؤوا، ولا تتعرضوا لهم.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا

(١) البيت لزهير في ديوانه ص٢٢٨.

(٢) البيت في الكامل ١: ٢١ منسوب إلى أعرابي من بني كلاب.

يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ الظاهر أنها محكمة، وعن ابن جبير قال: جاء رجل إلى [٢٤٤/أ] علي كرم الله وجهه وقال: إن أراد الرجل منّا أن يأتي محمداً بعد انقضاء الأجل ليسمع كلام الله تعالى أو يأتيه لحاجة قُتل[١]؟ قال: لا لأن الله تعالى قال «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره» الآية، انتهى. ولمّا أمر تعالى بقتل المشركين حيث وُجدوا وأخذهم وحصرهم وطلب غرّتهم ذكر لهم حالة لا يُقتلون فيها ولا يؤسرون[٢] [وهي] إذا جاء واحد منهم مسترشداً طالباً للحجّة والدلالة على ما تدعو إليه من الدين. والمعنى: وإن أحد من المشركين استجارك أي: طلب منك أن تكون مجيراً له وذلك بعد انسلاخ الأشهر ليسمع كلام الله تعالى وما نصّ من التوحيد ويقف على ما بُعثْتَ[٣] به فكن مجيراً له حتى يسمع كلام الله ويتدبّره ويطّلع على حقيقة الأمر، ثم أبلغه داره التي يأمن فيها إن لم يُسلم، ثم قاتِلْه إن شئت من غير غدر ولا خيانة.

(١) ق: قُبل.

(٢) ق: لا يقتلون فيهما ولا يسوسون.

(٣) ق: بعث.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: ذلك الأمر بالإجارة وإبلاغ المأمن بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه، فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا الحق.

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ ﴾ هـذا استفهـام معنـاه [التعجب] والاستنكـار والاستبعـاد. وفي الآية إضمار أي: كيف يكون للمشركين عهـد مع إضمار الغـدر والنكث. والاستفهام يراد به النفي كثيراً، قال الشاعر[1]:

فهذي سيوف يا هُدَيّ بن مالك كثير ولكن كيف بالسيف ضارب

أي: ليس بالسيف ضارب. ولما كان الاستفهام معناه النفي صلح مجيء الاستثناء وهو متصل، وقيل منقطع أي: لكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام. وقال ابن عباس: هم قريش. وقال السدّي: بنو جذيمة ابن الديل. وقال ابن إسحاق: قبائل بني بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش. «كيف» في موضع نصب خبراً «ليكون» و«عهد» اسم «يكون». والظاهر أن «ما» مصدرية ظرفية، [أي] استقيموا لهم مدة استقامتهم، وليست شرطية. وقال أبو البقاء[2]: هي شرطية كقوله تعالى ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ۝٢ ﴾ [فاطر] انتهى. فكان التقدير: ما استقاموا لكم من زمان فاستقيموا لهم. وقال الحوفي: «ما» شرطية في موضع رفع بالابتداء، والخبر «استقاموا»، و«لكم» متعلق بـ«استقاموا»، «فاستقيموا لهم» الفاء جواب الشرط انتهى. فكان التقدير: فأي وقت استقاموا فيه لكم فاستقيموا لهم. وإنما جوّز أن تكون شرطية لوجود الفاء

---

(١) البيت في الأمالي الشجرية ١: ٢٦٧ غير منسوب. وهو من الطويل

(٢) إملاء ٢: ١٢.

في «فاستقيموا» لأن المصدرية الزّمانية لا تحتاج إلى الفاء.

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ الظاهر أن الفعل المحذوف بعدها هو من جنس أقرب مذكور لها، وحُذف للعلم به في «كيف» السابقة والتقدير: وكيف يكون لهم عهد وحالهم هذه، والواو للحال. ومعنى «يظهروا» يغلبوا. وجواب الشرط «يرقبوا». وقال الشاعر[1] في حذف الفعل بعد كيف:

وخبّرتماني أنما الموت بالقُرى فكيف وهاتا هضبة وكثيبُ

أي: فكيف مات وليس في قرية. الإلُّ: الحلف. والذمّة: العهد. وقال أبو عبيدة: والإباء مخالفة[2] للقلب لما يجري على اللسان من القول الحسن.

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الظاهر عود الضمير على من قِبَلَه من المشركين المأمور بقتلهم، ويكون المعنى: اشتروا بالقرآن وما يدعو إليه من الإسلام ثمناً قليلاً وهو اتّباع الشهوات والأهواء. لمّا تركت دين الله وآثرت الكفر كان ذلك كالشراء والبيع.

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ هذا تنبيه على الوصف الموجب للعداوة وهو الإيمان [٢٤٤/ب] ولما كان قوله «لا يرقبوا فيكم» يوهم[3] أن ذلك مخصوص بالمخاطبين، نبّه على علّة ذلك وأن سبب المنافاة هو الإيمان. ﴿ وَأُولَٰئِكَ ﴾ أي: الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة. ﴿ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ المتجاوزن الحدّ في الظلم والشر ونقض العهد.

---

(١) هو كعب بن سعد الغنوي والبيت في الأصمعيات ص٩٧. وهو من الطويل

(٢) ق: مخالفته.

(٣) ق: يتوهّم.

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: فإن تابوا عن الكفر ونقض العهد والتزموا أحكام الإسلام.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم. والإخوان والإخوة جمع أخ من نسب أو دين.

﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ أي: نبيّنها ونوضّحها. وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين[١] من قوله «فإن تابوا» وقوله «وإن نكثوا» بعثاً وتحريضاً[٢] على تأمّل ما فصّل تعالى من الأحكام. وقال «لقوم يعلمون» لأنّه[٣] لا يتأمل تفصيلها إلاّ من كان من أهل العلم والفهم.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟﴾ أي: وإن نقضوا عهدهم من بعد ما تعاهدوا وتحالفوا على ألاّ ينكثوا.

﴿وَطَعَنُوا۟ [فِى دِينِكُمْ]﴾ أي: عابوه وثلبوه واستنقصوه. والطعن هنا مجاز وأصله الإصابة بالرمح أو العود وشِبْهه. والظاهر أن هذا الترديد في الشرطين هو في حقّ الكفّار أصلاً لا في من أسلم ثم ارتدّ، فيكون قوله «فقاتلوا أئمة الكفر» أي: رؤساء الكفر وزعماءه، والمعنى: فقاتلوا الكفار. وخصّ الأئمة بالذكر لأنهم هم الذين يحرّضون الأتباع على البقاء على الكفر.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

---

(١) ق: الشركين.

(٢) ق: وتعريضاً.

(٣) ق: لأن.

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا﴾ «ألا» حرف عرض ومعناه هنا الحضّ على قتالهم. ولمّا أمر تعالى بقتال أهل الكفر أتبع ذلك بالسبب الذي يبعث على مقاتلتهم وهو ثلاثة أشياء جمعوها، وكل واحد منها على انفراده كافٍ في الحضّ على مقاتلتهم. ومعنى «نكثوا أيمانهم» نقض العهد. وقال السدّي وجماعة: نزلت في كفار مكّة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة انتهى. ﴿وَهَمُّوا﴾ هو همُّ قريش بإخراج رسول الله ﷺ من مكّة حين تشاوروا بدار الندوة، فأذن الله تعالى [لنبيّه عليه السلام] في الهجرة، فخرج رسول الله ﷺ بنفسه، وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة، لأن رسول الله ﷺ جاءهم أوّلاً بالكتاب المنير وتحدّاهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون والبادىء أظلم.

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ تقرير للخشية منهم وتوبيخ عليها ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ فتقتلوا أعداءه. ولفظ الجلالة مبتدأ وخبره «أحق»، و«أن تخشوه» بدل من «الله» أي: وخشية الله أحقّ من خشيتهم، «فأن تخشوه» في موضع رفع، ويجوز أن يكون في موضع نصب أو جرّ على الخلاف إذ حذف حرف الجر وتقديره: بأن تخشوه، أي: أحق من غيره بأن تخشوه. وجوّز أبو البقاء[1] أن يكون «أن تخشوه» مبتدأ و«أحق» خبره قدّم عليه. وأجاز ابن عطية أن يكون

---

(١) إملاء ٢: ١٢.

«أحقّ» مبتدأ وخبره «أن تخشوه» والجملة خبر عن الأول، وحَسُن الابتداء بالنكرة لأنها أفعل التفضيل.

﴿قَـٰتِلُوهُمْ﴾ لما تقدم الحضُّ على القتال في قوله «ألا تقاتلون» أمره[1] ها هنا فقال «قاتلوهم». ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالقتل والنّهب وسبي الذرّية، ونصّ بقوله «بأيديكم» على أنهم هم الذين يعذّبونهم. ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ يُهِنْهُم ويذلّهم. ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يُعِنكم[2] على قتلهم. وجاء التركيب «صدور قوم مؤمنين» ليشمل المخاطبين وكل مؤمن. وإذهابُ الغيظ بما نال الكفار من المكروه، وهذه الجملة كالتأكيد للتي قبلها. والضمير المجرور في «قلوبهم» عائد على «قوم». وقرأت فرقة: ويَذْهَبْ، فعلاً لازماً، «غيظُ» فاعل به. وقرأ زيد بن علي كذلك، إلا أنه رفع الباء. وقرىء: ويتوبُ الله، رفعاً وهو استئناف إخبار بأن بعض أهل مكة وغيرهم يتوب عن كفره وكان كذلك [فقد] أسلم عالم كثيرون [٢٤٥/أ] وحَسُن إسلامهم. وقرأ زيد بن علي ويعقوب وجماعة: ويتوبَ بنصب الباء، جعله داخلاً في جواب الأمر من طريق المعنى. قيل: ويمكن أن تكون التوبة داخلة في الجزاء. قال ابن عطيّة: ويتوجّه ذلك عندي إذا ذهب إلى أن التوبة يُراد بها ها هنا أنّ قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله تعالى هو توبة لكم أيها المؤمنون وكمال لإيمانكم، فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال انتهى. وهذا الذي قدّره من كون التوبة تدخل تحت جواب الأمر هو بالنسبة للمؤمنين الذين أُمروا بقتال الكفار. والذي يظهر أن ذلك بالنسبة إلى الكفار، فالمعنى: على من يشاء من الكفار، وذلك أن قتال الكفار وغلبة المسلمين إياهم قد ينشأ عنها إسلام

---

(١) ق: أمر به.

(٢) ق: يعينكم.

كثير من الناس وإن لم يكن لهم رغبة في الإسلام ولا داعية قبل القتال، ألا ترى إلى[1] قتال رسول الله ﷺ أهل مكة كيف كان سبباً لإسلامهم، لأن الداخل في الإسلام قد يدخل فيه على بصيرة وقد يدخل على كره واضطرار ثم قد يحسن حاله في الإسلام.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا﴾ تقدم تفسير هذه الجملة[2]. والمعنى أنكم لا تُتركون على ما أنتم عليه حتى يتبيّن الخلّص منكم وهم المجاهدون في سبيل الله والذين لم يتخذوا بطانة [من دون الله] من غيرهم. و«لم يتخذوا» معطوف على «جاهدوا» داخل في حيّز الصلة. ويجوز أن تكون الجملة حالاً من ضمير «جاهدوا» أي: جاهدوا غير متخذين وليجة. والوليجة فعيلة من ولج، كالدخيلة من دخل وهي البطانة والمدخل يدخل فيه على سبيل الاستسرار[3]، شبّه النفاق به.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ روي أنه لمّا أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر يعيّرونهم بالشرك، وطفق عليّ يوبّخ العباس فقال العباس: تظهرون مساوئنا وتكتمون محاسننا. فقال أَوَ لكم محاسن؟. قال:

(١) ق: أنّ.

(٢) انظر تفسير الآية ١٤٢ من آل عمران.

(٣) الاستسرار: الاستتار والتواري.

نعم ونحن أفضل منكم أجراً؛ إنّا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفكّ العاني. فأنزل الله هذه الآية[١] رادًّا عليهم. وانتصب «شاهدين» على الحال والعامل فيه «يعمروا»[٢] وصاحب الحال هو الضمير. وشهادتهم على أنفسهم بالكفر هو[٣] قولهم في الطواف: لبّيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. أو قولهم إذا سئلوا عن دينهم قالوا: نعبد اللات والعزّى.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أعاد الضمير على لفظ مَن في قوله «آمن» وما عُطف عليه، ثم راعى المعنى في قوله «فعسى أولئك». و«عسى» من الله تعالى واجبة حيثما وقعت في القرآن، وفي ذلك قطع أطماع المشركين أن يكونوا مهتدين، إذ من جمع هذه الخصال الأربع[٤] جعل حاله حال من تُرجى له هذه الهداية، فكيف بمن هو عارٍ منها؟ وقال تعالى «أن يكونوا من المهتدين» أي: من الذين سبقت لهم الهداية. ولم يأت التركيب: أن يكونوا مهتدين، بل جُعلوا بعضاً من المهتدين، وكونهم منهم أقلّ في التعظيم من أن يجرّد لهم الحكم بالهداية.

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ

(١) انظر لباب النقول ص١١٥.

(٢) ق: نعمر.

(٣) ق: وهو.

(٤) ق: الأربعة.

مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ الآية، في صحيح مسلم[1] من حديث النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي ألّا أعمل عملاً بعد أن أسقي الحاجّ. وقال آخر: ما أبالي ألّا[2] أعمل عملاً بعد أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل ممّا قلتم. فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكنّي إذا صلّيتُ الجمعة دخلتُ فاستفتيتُ رسول الله ﷺ فيما اختلفتم فيه، فنزلت هذه الآية. و«سقاية» هو على حذف مضاف تقديره: [٢٤٥/ب] ذوي سقاية الحاج، فيعادل قوله «كمن آمن». ولمّا نفى المساواة بينهما أوضح بقوله «والله لا يهدي القوم الظالمين» مَن الراجح منهما، وأن الكافرين بالله هم الظالمون ظلموا أنفسهم بترك الإيمان بالله تعالى وبما جاء به رسول الله ﷺ، وظلموا المسجد الحرام إذ جعله الله متعبّداً له فجعلوه متعبّداً لأوثانهم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، زادت هذه الآية وضوحاً في الترجيح للمؤمنين المتّصفين بهذه الأوصاف على المشركين المفتخرين بالسّقاية والعمارة، فطهّروا أنفسهم من دنس الشّرك بالإيمان، وطهّروا أبدانهم بالهجرة إلى مواطن رسول الله ﷺ وترك ديارهم التي نشؤوا بها، ثم بالغوا في الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، المعرَّضين بالجهاد للتّلف. فهذه الخصال أعظم درجات البشرية.

---

(١) ٣: ١٤٩٩.

(٢) ق: أن.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ﴾ الآية، نهى عن اتخاذ الآباء والإخوان أولياء إذ كانوا قد آثروا الكفر على الإيمان، وحَكَم بأنّ من تولّاهم كان منهم وأنه ظالم.

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ ﴾ هذه الآية تقتضي الحضّ على الهجرة، وذكر الأبناء لأنهم أعلق بالنفس، وقدّم الآباء لأنهم هم الذين يجب برّهم وإكرامهم وحبّهم، وثنّى بالأبناء لأنهم أعلق بالقلوب. ولمّا ذكر الأصل والفرع ذكر الحاشية وهي الإخوان، ثم ذكر الأزواج وهنّ في المحبّة والإيثار كالأبناء، ثم الأبعد بعد الأقرب في القرابة فقال «وعشيرتكم». ثم ذكر «وأموال اقترفتموها» أي: اكتسبتموها[1]، لأن الأموال يعادل حبّها حبّ القرابة بل حبُّها أشدّ، وكانت الأموال في ذلك الوقت عزيزة وأكثر الناس كانوا فقراء. ثم ذكر «وتجارة تخشون كسادها» والتجارة لا تتهيأ إلا بالأموال، وجعل تعالى التجارة سبباً [لزيادة] الأموال ونمائها. ثم ذكر «ومساكن ترضونها» وهي القصور والدّور. ومعنى «ترضونها» تختارون الإقامة بها. وانتصب «أحب» على أنه خبر «كان»، واسمها «آباؤكم» وما بعده. وقرأ الحجاج بن

---

(١) ق: أكسبتموها.

يوسف: [أحبُّ] بالرفع، فخطّأه يحيى بن يعمر من حيث الرواية لأنه لم يرو إلّا بالنّصب وإن كان الرفع جائزاً من حيث العربية، لأنه كان يكون في «كان» ضمير الأمر والشأن وهو اسمها، و«آباؤكم» وما عطف عليه مبتدأ و«أحبّ» خبر، والجملة في موضع [نصب على أنها] خبر «كان».

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من الإيمان بالله واتّباع رسوله ﷺ.

﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: انتظروا وهو أمر يتضمن التّهديد.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قال ابن عباس: هو فتح مكة.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ المواطن: مقامات الحرب ومواقفها. وهذه المواطن وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة، ووصفت بالكثرة[1]، وقال أئمة التاريخ إنّها كانت ثمانين موطناً.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [حنين]: هو وادٍ بين مكّة والطائف قريب من ذي المجاز، وصُرف مذهوباً به مذهب المكان، ولو ذُهب به مذهب البُقعة لم يصرف كما قال الشاعر[2]: [من الكامل]

---

(١) ق: بالكثيرة.

(٢) البيت لحسّان في ديوانه ص٣٩٠.

نصروا نبيّهُم وشَدُّوا أزره   بحنينَ يوم تَواكُلِ الأبطال

و«إذ» بدل من «ويوم»، وأضاف الإعجاب إلى جميعهم وإن كان صادراً من واحد منهم لمّا رأى الجمع الكثير أعجبه ذلك وقال: لن نُغلب اليوم من قلّة. وهذه الكثرة قال ابن عباس: كانوا ستة عشر ألفاً. والباء في «بما رحبت» للحال، و«ما» مصدرية، أي: ضاقت بكم الأرض مع كونها رحبة واسعة لشدّة الحال عليهم. والرُّحب: السّعة، وبفتح الراء: الواسع، يقال: فلان رَحْب الصدر وبلد رَحْب وأرض رَحْبة، وقد رَحُبت رُحْباً [٢٤٦/أ] ورَحابة. «ثم وليتم» أي: ولّيتم فارّين على أدباركم منهزمين تاركين رسول الله ﷺ. وأسند التولّي إلى جميعهم وهو واقع من أكثرهم، إذ ثبت مع رسول الله ﷺ ناس من الأبطال على ما يأتي ذكره فنقول[1]: لمّا افتتح رسول الله ﷺ مكة كان في عشرة آلاف من أصحابه وانضاف إليه ألفان من الطّلقاء فصاروا في اثني عشر ألفاً إلى ما انضاف إليهم من الأعراب من سليم وبني كِلاب وعَبْس وذُبيان. وسمع بذلك كفّار العرب فشقّ عليهم، فجمعت له هوازن وألفافها وعليهم مالك بن عوف النصري، وثقيف عليهم عبد يا ليل بن عمرو، وانضاف إليهم أخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين ألفاً. فخرج إليهم رسول الله ﷺ بعد استعماله عتاب بن أسيد على مكة حتى اجتمعوا بحنين. فلمّا تصافّ الناس حمل المشركون على محاني[2] الوادي وكانوا قد كمنوا بها فانهزم المسلمون. قال قتادة: ويقال إن الطلقاء من أهل مكة فرّوا وقصدوا إلقاء الهزيمة في المسلمين وبلغ فلّهم مكة، وثبت رسول

---

(١) انظر السيرة النبوية ٤: ٨٠ وما بعدها. وانظر أيضاً صحيح مسلم ٣:٣٩٨ وما بعدها.

(٢) مَحْنِيَة الوادي: منعطفه، والجمع محانٍ.

الله ﷺ على بغلة شهباء تسمّى دلدل لا يتخلخل، والعباس قد اكتنفه آخذاً بلجامها، وابن عمّه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه جعفر وعلي ابن أبي طالب وربيعة بن الحارث والفضل بن العباس وأسامة بن زيد وأيمن ابن عبيد، وهو أيمن بن أم أيمن، وقتل بين يدي رسول الله ﷺ [عنه]، وهؤلاء من أهل بيته. وثبت معه أبو بكر وعمر فكانوا عشرة رجال، ولهذا قال العباس[١]: [من الطويل]

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة   وقد فرّ من قد فرّ منهم وأقشعوا
وعاشرُنا لاقى الحمام بنفسه   بما مسّه في الله لا يتوجّع

وثبتت أم سليم رضي الله عنها في جملة من ثبت، ممسكةً بعيراً لأبي طلحة وفي يدها خنجر. ونزل رسول الله ﷺ عن بغلته إلى الأرض واستنصر الله عزّ وجلّ وأخذ قبضة من تراب وحصى فرمى بها في وجوه الكفّار وقال: شاهت الوجوه. قال يعلى بن عطاء: فحدّثني أبناؤهم عن آبائهم قالوا: لم يبق منّا أحد إلاّ دخل عينيه ذلك التراب. وقال صلى الله عليه وسلم للعبّاس وكان صيّتاً: نادِ أصحاب السَّمُرة[٢]. فنادى الأنصار فخذاً فخذاً، ثم نادى: يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب البقرة[٣]. فكرّوا عَنَقاً واحداً[٤] وهم يقولون: لبّيك لبّيك. وانهزم المشركون، فنظر رسول الله ﷺ إلى قتال

(١) البيتان في الجامع ٨: ٩٨.

(٢) أي الشجرة المسمّاة بذلك وهي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

(٣) عنى بأصحاب الشجرة أصحاب البيعة، وبأصحاب البقرة أصحاب القرآن، من إطلاق الجزء على الكلّ.

(٤) العَنَق: السير السريع.

المسلمين فقال: هذا حين حمي الوطيس. وركض رسول الله ﷺ [خلفهم] على بغلته. وفي صحيح مسلم[(١)] من حديث البراء أن هوازن كانوا رماةً فرموهم برِشْق من نَبلٍ كأنها رِجْلٌ[(٢)] من جراد فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان يقود بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطّلب، اللّهم أنزل نصرك. قال البراء: كنّا إذا حمي الوطيس نتّقي به صلى الله عليه وسلم، وإن الشجاع الذي يتحاذى[(٣)] به، يعني النبي ﷺ. وفي أول هذا الحديث: أكنتم ولّيتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه ما ولّى.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ السكينة: النصر والوقار والثبات بعد الاضطراب والقلق. ويخرج من هذا القول رسول الله ﷺ، فإنه لم يزل ثابت الجأش ساكنه. «وعلى المؤمنين» ظاهره شمول من فرّ ومن ثبت. وقيل: هم الأنصار إذ هم الذين كرّوا وردُّوا الهزيمة.

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ هم الملائكة بلا خلاف، ولم تتعرّض الآية لعددهم.

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالقتل الذي [٢٤٦/ب] استحرّ فيهم والأسر لذراريهم والنّهب لأموالهم. وكان السّبي أربعة آلاف رأس وقيل ستة آلاف، ومن الإبل اثنا عشر ألفاً سوى ما لا يُعلم من الغنم، وقسّمها رسول الله ﷺ بالجِعرانة[(٤)]، وفيها قصّة عباس بن مرداس وشعره. وكان مالك بن عوف قد أخرج الناس للقتال، والذّراري ليقاتلوا عنها، فخطّأه في ذلك دريد بن

---

(١) مسلم ٣: ١٤٠٠، والبخاري ٣: ١٠٥٢.

(٢) الرِّجْل من الجراد: القطعة العظيمة منه.

(٣) يتحاذى به: يقابله ويجعله حذاءه أي: إزاءه.

(٤) موضع ظاهر مكة على سبعة أميال منها إلى الطائف.

الصمّة وقال: هل يردّ المنهزمَ شيءٌ؟. وفي ذلك اليوم قتل دريد القتلة المشهورة، قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان السّلمي ويقال له ابن الدّغنة.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ إخبار بأن الله تعالى يتوب على من يشاء فيهدي من شاء ممّن بقي من الكفار للإسلام، وَوَعْدٌ بالمغفرة والرحمة كمالك بن عوف النصري رئيس هوازن ومن أسلم معه من قومه. وروي[1] أن ناساً منهم جاؤوا فبايعوا على الإسلام وقالوا: يا رسول الله، أنت خير النّاس وأبرّ الناس، وقد سُبي أهلونا وأولادنا وأُخذت أموالنا. فقال صلى الله عليه وسلم: إن خير القول أصدقه، اختاروا إمّا ذراريكم ونساءكم وإمّا أموالكم. فقالوا: ما نَعْدِلُ بالأحباب[2] شيئاً. وتمام الحديث أنهم أخذوا نساءهم وذراريهم إلا امرأة وقع عليها صفوان بن أمية فحبلت منه فلم يردّها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ الآية، لمّا أمر صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله عنه أن يقرأ على المشركين بمكّة أول «براءة» وينبذ إليهم عهدهم وأن الله بريء من المشركين ورسوله، قال أناس: يا أهل مكّة ستعلمون ما تَلْقَوْن من الشدّة وانقطاع السّبل وفقد الحمولات

(١) انظر البخاري ٤: ١٥٦٩ من حديث عروة بن الزبير.

(٢) في البحر ٥: ٢٦: بالأحساب، وفي القرطبي ٨: ١٠٢: بالأنساب.

فنزلت[1]. والظاهر الحكم عليهم بأنهم نجس، أي ذوو نجس. قال ابن عباس والحسن وعمر بن عبد العزيز والطبري وغيرهم: الشّرك هو الذي نجّسهم فأعيانهم نجسة كالخمر والكلاب والخنازير. وقال الحسن: من صافح مشركاً فليتوضأ. وفي التحرير: وبالغ الحسن حتى قال إن الوضوء يجب مِن مَسِّ يد المشرك. ولم يأخذ أحد بقول الحسن إلا الهادي من الزّيدية. وقال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما: وصف المشرك بالنجاسة لأنه جُنب إذ غسله من الجنابة ليس بغُسل. وعلى هذا القول يجب الغُسل على من أسلم من المشركين، وهو مذهب مالك. وقال ابن عبد الحكم: لا يجب. ولا شكّ أنهم لا يتطهّرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات، فجُعلوا نجساً مبالغة في وصفهم بالنجاسة.

﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ الظاهر أن النهي مختصّ بالمشركين وبالمسجد الحرام، وهذا مذهب أبي حنيفة. وأباح دخول اليهود والنصارى المسجد[2] الحرام وغيره، ودخول عبدة الأوثان في سائر المساجد. وقال الشافعي: هي عامّة في الكفار، خاصّة في المسجد الحرام، فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين في سائر المساجد. وقاس مالك جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين، وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام، ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ العيلة: الفقر. وقرىء: عائلة، وهو مصدر كالعاقبة أو نعت لمحذوف أي: حالاً عائلة.

---

(١) انظر لباب النقول ص ١١٦.

(٢) ق: دخول المسجد.

﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أتى في جواب الشرط بسوف، وهي أكثر مبالغة في التنفيس من السين. والإغناء إنما وقع كثيراً بعد اتّساع نطاق الإسلام وفتح البلاد؛ يحكى عن الزبير وطلحة أنهما بلغا من اتّساع المال ما يُتَعَجَّب منه. وعلّق الإغناء بالمشيئة لأنه يقع في حقّ بعضٍ دون بعض وفي وقت دون وقت.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بغزو الروم، وغزا بعد نزولها تبوك. وقيل: نزلت في قريظة والنضير فصالحهم. وكانت أول جزية أصابها المسلمون وأول ذلّ أصاب أهل [٢٤٧/أ] الكتاب بأيدي المسلمين. نفى الإيمان بالله عنهم لأن سبيلهم سبيل من لا يؤمن بالله تعالى، إذ يصفونه بما لا يليق أن يوصف به «من الذين أوتوا الكتاب» بيان لقوله «الذين». والظاهر اختصاص أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم بنو إسرائيل والروم نصًّا، وأجمع الناس على ذلك. وأما المجوس فقال ابن المنذر: لا أعلم خلافاً أن الجزية تؤخذ منهم انتهى، ورُوي أنه كان بُعث في المجوس نبي واسمه زرادشت، واختلف أصحاب مالك في مجوس العرب. وأما السّامرة والصابئة فالجمهور على أنهم من اليهود والنصارى تؤخذ منهم الجزية وتؤكل ذبائحهم، وقالت فرقة: لا تؤخذ منهم جزية ولا تؤكل ذبائحهم، وقيل: تؤخذ منهم الجزية ولا تؤكل ذبائحهم. والظاهر شمول جميع أهل الكتاب في إعطاء الجزية. ولم يرد نصٌّ في مقدار الجزية، وقال الشافعي وغيره: على كل رأس دينار. وقال أبو حنيفة: على الفقير المكتسب اثنا عشر درهماً، وعلى المتوسط في الغنى ضعفها، وعلى المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون درهماً. ولا تؤخذ عنده من فقير لا كسب له.

﴿عَن يَدٍ﴾ قال ابن عباس: أي: يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها.

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ جملة حالية أي: ذليلون حقيرون. وذكروا كيفيات في أخذها منهم وفي صَغارهم، ولم تتعرض الآية لتعيين شيء منها.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ بيّن سبحانه وتعالى لحاق اليهود والنصارى بأهل الشرك وإن اختلفت طرق الشرك، فلا فرق بين من يعبد الصنم أو يعبد المسيح وغيره، وقائل ذلك قوم من اليهود كانوا بالمدينة. قال ابن عباس: قالها أربعة من أحبارهم: سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف، وقيل: قاله فنحاص[1]. والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تُليت عليهم فما أنكروا ولا كذّبوا مع تهالكهم على التكذيب.

(١) ق: فيحاص.

وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام، فرفع الله تعالى عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم، فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: إلى أين تذهب؟. قال: أطلب العلم. فحفّظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفاً. فقالوا: ماجمع الله له التوراة في صدره وهو غلام إلا أنّه ابنه. وظاهر قول النصارى «المسيح ابن الله» بنوّة النسل كما قالت العرب في الملائكة وكما قيل عنهم إنهم يقولون إن المسيح إله وابن إله. وقيل [إن] بعضهم يعتقدها بنوّة حنوٍّ ورحمة. وهذا القول لم يظهر إلا بعد النبوّة المحمّدية وظهور دلائل صدقها، وبعد أن خالطوا المسلمين وناظروهم، فرجعوا عمّا كانوا يعتقدونه في عيسى عليه السلام. وقرىء: عزيرٌ، منوّناً على أنه اسم عربي مصغّر. وقرىء غير منوّن على أنه أعجمي مُنع من الصرف للعجمة والعلمية. وهو مبتدأ وخبره «ابن». ومعنى «بأفواههم» أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلاّ لفظ فارغ يفوهون[1] به كالألفاظ المهملة التي هي كالأجراس والنّغم لا تدلّ على معانٍ. وقرىء: يضاهئون ويضاهون، معناه يشابهون[2]، و[هو] على حذف مضاف تقديره: يضاهي قولهم قول الذين كفروا.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم أسلاف المعاصرين لرسول الله ﷺ.

﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم عامّ لأنواع الشر.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل على

(١) ق: ينوهون.

(٢) لا وجه لتوجيه العبارة هكذا: وقرىء: يضاهئون. ويضاهون: معناه يشابهون. لأن هذا التوجيه يذهب بقراءة باقي السبعة بلا همز، عدا عاصم وابن مصرف.

سبيل التعجب.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ تعدّت «اتخذ» إلى مفعولين، والضمير عائد على اليهود والنصارى. والأحبار: علماء اليهود واحدهُ حَبْر، والرهبان: عُبّاد النصارى الذين زهدوا في الدنيا وانقطعوا عن الخلق في الصوامع. أخبر عن المجموع وعاد كلٌّ إلى [٢٤٧/ب] ما يناسبه، أي: اتخذ اليهود أحبارهم والنصارى رهبانهم.

و﴿ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ عطف على «رهبانهم».

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ ﴾ الظاهر أن الضمير عائد على من عاد عليه في «اتخذوا» أي: أُمروا في التوراة والإنجيل وعلى ألسنة أنبيائهم. وفي قوله «عما يشركون» دلالة على إطلاق اسم الشّرك على اليهود والنصارى.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ مَثَّلهم ومَثَّل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوّة محمد ﷺ بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبثٌّ في الآفاق، ونور الله تعالى: هُداه الصادر عن القرآن والشرع المنبثّ. فمن حيث سمّاه نوراً سمّى محاولة إفساده إطفاءً، وكنّى بالأفواه عن قلّة حيلتهم وضعفها. أخبر أنهم يحاولون أمراً جسيماً بشيء ضعيف، فكان الإطفاء بنفخ الأفواه.

﴿ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ ﴾ أجرت العرب [أبى] بمعنى الفعل المنفي كأنه قال: لا يريد الله، فلذلك دخلت «إلاّ» في الإيجاب بعد ما معناه النفي. و«أن يتم» [في موضع نصب] ونظير ذلك قول الشاعر(١): [من الطويل]

(١) البيت للنابغة في ديوانه ص٥٣.

أبـــى الله إلا عـــدلَـــه ووفـــاءَهُ فلا النُّكْرُ معروفٌ ولا العُرْفُ ضائعُ

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ الآية، الظاهر أن الضمير في «ليظهره» عائد على الرسول ﷺ لأنه المحدَّث عنه. و«الدين» هنا جنس أي: ليعليه على أهل الأديان كلّهم، فهو على حذف مضاف. فهو صلى الله عليه وسلم غلبت أمّته[1] اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب، وغلبوا النصارى على بلاد الشام إلى ناحية الروم والمغرب، وغلبوا المجوس على ملكهم، وغلبوا عُبّاد الأصنام على كثير من ملكهم مما يلي الترك والهند، وكذلك سائر الأديان.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، ذكر ما عليه كثير منهم، تنقيصاً من شأنهم وتحقيراً لهم، وأن مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فضلاً عن اتخاذهم أرباباً لما اشتملوا عليه من أكل المال بالباطل وصدّهم عن سبيل الله. واندرجوا في عموم الذين يكنزون الذهب والفضة فجمعوا بين الخصلتين الذّميمتين: أَكْل المال بالباطل وكَنْز المال. وأَكْلُهم المال بالباطل هو أخذهم من أموال أتباعهم ضرائب باسم الكنائس والبيع وغير ذلك ممّا يوهمونهم به أن النفقة فيه من الشّرع والتقرب إلى الله تعالى. وصَدُّهم عن سبيل الله هو دين الإسلام واتّباع رسول الله ﷺ. «والذين» مبتدأ اسم موصول ضُمّن معنى اسم الشرط، فلذلك دخلت الفاء في خبره في قوله «فبشرهم». والضمير في «ولا ينفقونها» عائد على المكنوزات الدّال عليها «الذهب والفضة».

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا ﴾، «يوم» منصوب بقوله «أليم». والضمير في «عليها» [عائد] على المكنوزات يوقد عليها في نار جهنم؛ إذ يجوز أن يجمع الله

---

(١) ق: ملّتهم.

تلك المكنوزات فيُحمى عليها.

﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾ وخصّصت هذه المواضع بالكيّ لأنه في الجبهة أشنع، وفي الجنب والظهر أوجع، ولأنها مجوّفة فتصل إلى أجوافهم النار بخلاف اليد والرجل.

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ هو على إضمار قول تقديره: فيقال لهم «هذا» إشارة إلى المصدر المفهوم من قوله «فتكوى» أي: هذا الكيّ جزاء ما كنزتم.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ﴾ الآية، كانت العرب لا عيش لأكثرها إلاّ من الغارات وإعمال سلاحها، فكانت إذا توالت عليهم الأربعة الحرم صَعُبَ عليهم وأملقوا، وكان بنو فقيم من كنانة أهل دين وتمسّكٍ بشرع إبراهيم عليه السلام، فانتدب لهم القَلَمَّس وهو حذيفة بن عبيد بن [٢٤٨/أ] فقيم، فنسأ الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم ابنه قلع ثم ابنه أميّة ثم ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف وعليه قام الإسلام. وكانت العرب إذا فرغت من حجّها جاء إليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا: أَنسِئْنا شهراً، أي: أخِّرْ عنّا حرمة المحرّم فاجعلها في صفر، فيُحلّ المحرم ويغزون فيه ويعيشون، ثم يلتزمون حرمة صفر ليوافقوا عدّة الأشهر الأربعة، ويسمّون ذلك الصّفر

المحرّم، ويسمّون ربيعاً الأول صفراً، وربيعاً الآخر ربيعاً الأول وهكذا في سائر الشهور يستقبلون نسيئهم في المحرّم الموضوع لهم، فيسقط على هذا حكم المحرّم الذي حلّل لهم، وتجيء السنّة من ثلاثة عشر شهراً أولها [المحرّم] المحلّل، ثم المحرّم الذي هو في الحقيقة صفر، ثم استقبال السّنة كما ذكرنا. قال مجاهد: ثم كانوا يحجّون [في] كل عام شهرين وِلاءً[1]، وبعد ذلك يبدّلون فيحجّون عامين ولاءً ثم كذلك حتى كانت حجّة أبي بكر رضي الله عنه في ذي القعدة حقيقة، وهم يسمّونه ذا الحجّة. ثم حجّ رسول الله ﷺ سنة عَشْرٍ في ذي الحجّة حقيقة. فلذلك قوله[2] «إن الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً أربعة حُرُم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب الذي بين جمادى وشعبان». ومناسبة هذه الآية [لما قبلها] أنه لمّا ذكر أنواعاً من قبائح أهل الشرك وأهل الكتاب، ذكر أيضاً نوعاً منه وهو تغيير العرب أحكام الله تعالى لأنه حَكَم في وقت بحكم خاص، فإذا غيّروا ذلك الوقت فقد غيّروا حكم الله تعالى. و«الشهور» جمع كثرة، وأعاد الضمير عليها كإعادته على الواحدة المؤنثة فقال «منها» أي: من تلك الشهور. ولمّا كانت الأربعة الحُرم للقلّة عاد الضمير عليها بالنون في قوله «فيهن»؛ تقول[3] العرب: الجذوع انكسرت لأنه جمع كثرة، والأجذاع انكسرن لأنه جمع قلّة. وانتصب «كافة» على الحال من الفاعل أو المفعول، ومعناه: جميعاً. ولا يثنّى ولا يُجمع ولا تدخله أل ولا يُتصرف فيها بغير الحال. وتقدم بسط الكلام فيها في قوله ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة]. والمعيّة بالنصر والتأييد، وفي ضمنه

---

(١) أي: متابعة.

(٢) ق: وقول.

(٣) ق: وقول.

الأمر بالتقوى والحثّ عليها.

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ ﴾ قرىء: النسيء، مهموزاً على وزن فعيل. وقرىء: النسيّ، بتشديد الياء في غير همز. وتقدّم الكلام عليها في قوله ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ جاءت مع كفرهم بالله لأن الكافر إذا أحدث معصية ازداد كفراً. والضمير في «به» عائد على «النّسيء».

واللام في ﴿ لِّيُوَاطِـُٔوا۟ ﴾ متعلقة بقوله «ويحرّمونه» وذلك على طريق الإعمال. ومعنى «ليواطئوا» أي: ليحفظوا في كل عام أربعة أشهر في العدد؛ فأزالوا الفضيلة التي خصّ الله تعالى بها الأشهر الحرم [وحفظوا العِدّة] وحدها، بمثابة أن يفطر رمضان ويصوم شهراً من السّنة بغير مرض أو سفر.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ ﴾ الآية، لمّا أمر الله رسوله ﷺ بغزاة تبوك، وكان زمان جدبٍ وحرٍّ شديد وقد طابت الثمار، عظم ذلك على الناس

وأحبّوا المقام. نزلت عتاباً على من تخلّف عن هذه الغزاة، وكانت سنة تسعٍ من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الرّوم في عشرين ألفاً من راكب وراجل، وتخلّف عنه قبائل من الناس، ورجال من المؤمنين كثير، ومنافقون. وخصّ الثلاثة بالعتاب الشديد بحسب مكانهم من الصحبة إذ هم من أهل بدر وممّن يُقتدى بهم. وكان تخلّفهم عن غير علّة حسبما يأتي[1] إن شاء الله تعالى. ولمّا شرح معايب الكفّار رغّب في مقاتلتهم. و«ما لكم» استفهام معناه الإنكار [٢٤٨/ب] والتقريع. وبُني «قيل» للمفعول، والقائل هو رسول الله ﷺ، ولم يذكر إغلاظاً ومخاشنةً لهم وصوناً لذكره، إذ أخلد إلى الهوينى والدّعة من أخلد وخالف أمره عليه السلام.

ومعنى ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ مِلتُم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمارها، وكرهتم مشاقّ السفر. وقيل: ملتم إلى الإقامة بأرضكم، ولمّا ضُمّن معنى الميل والإخلاد عُدّي بـ«إلى». وفي قوله «أرضيتم» نوع من الإنكار والتعجب، أي: أرضيتم بالنعيم العاجل في الدنيا بدل النعيم الباقي. و«من» تضافرت[2] أقوال المفسرين على أنها بمعنى: [بدل، أي]: بدل الآخرة كقوله تعالى ﴿ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً ﴾ [الزخرف] أي: بدلاً منكم. ومنه قول الشاعر[3]:

فليت لنا من ماء زمزم شربةً ... مبـرّدةً بـاتـت علـى طَهَيـان

أي: بدلاً من ماء زمزم. والطّهيان: عود ينصب في ناحية الدار للهواء تُعلّق فيه أوعية الماء [حتى] يبرد. وأصحابنا لا يُثبتون أن «مِن» تكون للبدل.

---

(١) انظر شرح الآية ١١٨ من السورة.

(٢) ق: تظافرت.

(٣) البيت للأحول الكندي كما في اللسان «طها». وهو من الطويل

ويتعلق «في الآخرة» بمحذوف تقديره: فما متاع الحياة الدنيا محسوباً في نعيم الآخرة.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ﴾ الآية، هذا وعيد للمتثاقلين عظيم، حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدّارين، وأنه يهلكهم ويستبدل قوماً آخرين خيراً منهم وأطوع، وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئاً.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ فيه انتفاء النصر بأي طريق كان من نَفْرٍ أو غيره. وجواب الشرط محذوف تقديره: فسينصره [الله]، ويدلّ عليه «فقد نصره الله» أي: ينصره في المستقبل كما نصره في الماضي. ومعنى إخراج الذين كفروا إياه: فِعْلُهم به ما يؤدي إلى الخروج. والإشارة إلى خروج رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة. ونسب الإخراج إليهم مجازاً كما نسب في قوله ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ⦗١٣⦘﴾ [محمد]. وقصة خروج رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه مذكورة في السِّيَر. وانتصب «ثاني اثنين» على الحال أي: أحد اثنين وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه. ورُوي أنه لمّا أُمر بالخروج قال لجبريل عليه السلام: مَن يخرج معي؟ قال: أبو بكر. وقال الليث: ما صحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر. وقال سفيان ابن عيينة: خرج أبو بكر بهذه الآية من المعاتبة التي في قوله «إلاّ تنصروه». قال ابن عطية: بل خرج منها كلّ من شاهد غزوة تبوك، وإنما المعاتبة لمن تخلّف فقط. وهذه الآية منوّهة بقدر أبي بكر رضي الله عنه وتقدّمه وسابقته في الإسلام. وفي هذه الآية ترغيبهم في الجهاد ونصر دين الله تعالى؛ إذ بيّن فيها أن الله ينصره كما نصره إذ كان في الغار وليس معه أحد فيه سوى أبي بكر رضي الله عنه. و«الغار» نَقْب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكّة على مسيرة ساعة، مكث فيه عليه السلام ثلاثاً. «إذ هما» بدل، و«إذ يقول» بدل ثانٍ. وقال العلماء: من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله

وليس ذلك لسائر الصحابة. وكان سبب حزن أبي بكر خوفه على رسول الله ﷺ، فنهاه عليه السلام تسكيناً لقلبه، وأخبره بقوله «إن الله معنا» يعني بالمعونة والنصر. وقال أبو بكر: يا رسول الله، إن قُتلتُ فأنا رجل واحد، وإن قُتلتَ هَلَكَتِ الأمّة وذهب دين الله. فقال رسول الله ﷺ[1] «ما ظنّك باثنين الله ثالثهما». وأنشد أبو بكر[2]: [من البسيط]

[٢٤٩/أ] قال النبي: -ولم- يجزع يوقّرني ... ونحن في سدفٍ من ظلمة الغار

لا تَخْشَ شيئاً فإن الله ثالثنا ... وقد تكفّل لي منه بإظهار

وإنما كيدُ من يخشى بوادره ... كيد الشياطين قد كادت لكفّار

والله مهلكهم طرًّا بما صنعوا ... وعاجل المنتهى منهم إلى النار

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ قال ابن عبّاس: السكينة: الرحمة والوقار، والضمير في «عليه» عائد على رسول الله ﷺ إذ هو المحدَّث عنه. وقال ابن عطية: والسّكينة عندي إنما هي ما ينزله الله تعالى على أنبيائه من الحياطة لهم والخصائص التي لا تصلح إلاّ لهم، كقوله ﴿فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة]. ويحتمل [أن يكون] قوله «فأنزل الله سكينته» إلى آخره، يراد به ما صنعه الله تعالى لنبيّه إلى وقت تبوك من الظهور والفتوح، لا أن يكون هذا يختصّ بقضيّة الغار.

و﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هي الشرك وهي مقهورة.

---

(١) أخرجه البخاري ٤: ١٧١٣ من حديث أنس عن أبي بكر.

(٢) البيتان الأوّلان في البداية والنهاية ٣: ١٨٣، وفيه إشارة إلى قصيدة أبي بكر وأنها مطولة جدًّا.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ هي التوحيد[1]، و«هي» فَصْل بين المبتدأ والخبر، أو مبتدأ و«العليا» خبره، والجملة خبر لقوله «وكلمة الله».

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ لمّا توعّد تعالى من لا ينفر مع رسول الله ﷺ وضرب له من الأمثال ما ضرب، أتبعه بهذا الأمر الجزم. والمعنى: انفروا على الوصف الذي يخفّ عليكم [فيه] الجهاد، أو الوصف الذي يثقل. والخفّة والثّقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة. وأمّا من لا يمكنه كالأعمى ونحوه فخارج عن هذا.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ أي: لو كان ما دُعوا إليه غُنماً قريباً سهل المنال ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً مقارباً. وهذه الآية في قصة تبوك حين استنفر المؤمنين فنفروا، واعتذر منهم لا محالة فريق لا سيّما من القبائل المجاورة للمدينة. ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ لبادروا إليه لا لوجه الله تعالى ولا لظهور كلمته. ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ أي: المسافة الطويلة في غزو الرّوم. و«الشّقة» السفر البعيد، وربما قالوه بالكسر في الشين. ﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾ أي: المنافقون. وهذا إخبار بغيب، قال الزمخشري ما نصّه[2]: «بالله» متعلق بـ«سيحلفون» أو هو من كلامهم، والقول مراد في الوجهين أي: سيحلفون - [يعني] المتخلفين - عند رجوعك من غزوة تبوك، معتذرين يقولون: بالله

(١) ق: التوكيد.

(٢) الكشاف ٢: ١٩١.

لو استطعنا لخرجنا معكم، أو: وسيحلفون بالله يقولون: لو استطعنا. وقوله «لخرجنا» سدّ مسدّ جواب القسم و«لو» جميعاً. والإخبار بما سوف يكون بعد القول من حلفهم واعتذارهم، وقد كان من جملة المعجزات. ومعنى الاستطاعة استطاعة العُدّة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا انتهى. وما ذهب إليه من أن قوله «لخرجنا» سدّ مسدّ جواب القسم و«لو» جميعاً، ليس بجيّد، بل للنحويّين في هذا مذهبان: أحدهما أنّ «لخرجنا» هو جواب القسم، وجواب «لو» محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط إذا تقدّم القسم على الشرط، وهذا اختيار أبي الحسن ابن عصفور. والآخر أنّ «لخرجنا» هو جواب «لو»، وجواب القسم هو «لو» وجوابها، وهذا اختيار ابن مالك. أما أنّ «لخرجنا» يسدّ مسدّهما فلا أعلم أحداً ذهب إلى ذلك.

﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالحلف الكاذب أي: يوقعونها في الهلاك به. والظاهر أنها جملة استئناف إخبار منه تعالى. وقال الزمخشري[1]: «يهلكون أنفسهم» إمّا أن يكون بدلاً من «سيحلفون» أو حالاً بمعنى مهلكين، [٢٤٩/ب] والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب، وما يحلفون عليه من التخلّف. ويحتمل أن يكون حالاً من قوله «لخرجنا» أي: لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التّهلكة بما نحمّلها من المسير في تلك الشّقة[2]. وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم، ألا ترى أنه لو قيل: سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا، لكان سديدا. يقال: حلف بالله ليفعلنّ ولأفعلن، فالغيبة على[3] حكم الإخبار والتكلم على الحكاية انتهى. أما كون «يهلكون»

---

(١) الكشاف ٢: ١٩١.

(٢) ق: المشقة.

(٣) ق: في.

بدلاً من «سيحلفون» فبعيد، لأن الإهلاك ليس مرادفاً [للحلف] ولا هو نوع من الحلف، ولا يجوز أن يبدل فعل من فعل إلاّ أن يكون مرادفاً له أو نوعاً منه. وأمّا كونه حالاً من قوله «لخرجنا» فالذي يظهر أن ذلك لا يجوز لأن قوله «لخرجنا» فيه ضمير المتكلم، فالذي يجري عليه إنما يكون بضمير المتكلم. فلو كان حالاً من ضمير «لخرجنا» لكان التركيب: نهلك أنفسنا أي: مهلكي أنفسنا. وأما قياسه على: حلف بالله ليفعلنّ ولأفعلنّ، فليس بصحيح لأنه إذا أجراه على ضمير الغيبة لا يخرج منه إلى ضمير التكلم، لو قلت: حلف زيد ليفعلنّ وأنا قائم، على أن يكون: وأناقائم، حالاً من ضمير ليفعلنّ، لم يَجُز. وكذا عكسه نحو: حلف زيد لأفعلنّ يقوم، تريد: قائماً، لم يَجُز. وأما قوله: وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم فمغالطة؛ ليس مخبراً عنهم بقوله «لو استطعنا لخرجنا معكم» بل هوحاكٍ لفظ قولهم. ثم قال: ألا ترى [أنه] لوقيل: لو استطاعوا لخرجوا لكان سديداً إلى آخره. صحيح، لكنه تعالى لم يقل ذلك إخباراً عنهم بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكي، فلا يجوز أن يخالف بين ذي الحال وحاله لاشتراكهما في العامل، لو قلت: قال زيد: خرجت نضرب خالداً، تريد أضرب خالداً، لم يَجُز، ولو قلت: قالت هند: خرج زيد أضرب خالداً، تريد: خرج زيد ضارباً خالداً لم يَجُز.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ اللام في «لِمَ» لام التعليل و«ما» استفهامية حذف منها الألف. واللام الثانية للتبليغ. وهما متعلّقان «بأذنت» وجاز ذلك لاختلاف معنييهما. و«حتى» غاية للاستفهام. وقوله «الذين صدقوا» في استئذانك وأنك لو لم تأذن لهم خرجوا معك.

﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يريد في أنهم استأذنوك يظهرون لك أنهم يقفون عند حدّك وهم كَذَبة وقد عزموا على العصيان أذنت لهم أو لم تأذن.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ما قبل هذه [الآية] وما بعدها ورد في قصة [تبوك]. والظاهر أن متعلّق الاستئذان هو «أن يجاهدوا» أي: ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، وكان(1) الخُلَّص من المهاجرين والأنصار لا يستأذنون النبي ﷺ أبداً ويقولون: لنجاهدنّ معه بأموالنا وأنفسنا.

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية، هم المنافقون وكانوا تسعةً وثلاثين رجلاً.

ومعنى «ارتابت»: شكّت.

و﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيّرون لا يتجه لهم هدى، فتارة يخطر لهم صحة أمر

---

(1) ق: وإن كان.

رسول الله ﷺ وتارة يخْطر لهم خلاف ذلك.

﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ قال ابن عباس: عدّة من الزّاد والماء والرّاحلة لأن سفرهم بعيد وفي زمان حرٍّ شديد. وفي تركهم العدّة دليل على أنهم أرادوا التخلّف.

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ قال الزمخشري[1]: فإن قلت: كيف موقع حرف الاستدراك؟ قلت: لمّا كان قوله «ولو أرادوا الخروج» معطياً معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو، قيل «ولكن كره الله انبعاثهم» كأنه قيل: ما خرجوا ولكن تثبّطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم، [٢٥٠/أ] كما تقول: ما أحسن إليّ زيد ولكن أساء إليّ انتهى. وليست الآية نظير[2] هذا المثال، لأن المثال واقع فيه «لكن» بين [ضدين، وفي الآية «لكن» واقع فيها بين] متّفقين من جهة المعنى. والانبعاث: الانطلاق والنهوض، قال ابن عباس: «فثبطهم» كسّلهم وفتّر نيّاتهم.

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ لمّا خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنيّة الوداع، وضرب عبد الله بن أبيّ عسكره أسفل منها ولم يكن بأقلّ العسكرين. فلمّا سار تخلّف عنه عبد الله فيمن تخلّف فنزلت. والخبال: قال ابن عباس: الفساد ومراعاة إخماد الكلمة. وتقدم شرح الخبال في آل عمران[3]. وهذا الاستثناء متصل وهو مفرّغ، إذ المفعول الثاني لـ«زاد» لم يُذكر. وقد كان في هذه الغزوة منافقون كثير ولهم لاشك خبال، فلو خرج

(١) الكشاف ٢: ١٩٣.

(٢) ق: تظهر.

(٣) انظر تفسير الآية ١١٨ من آل عمران.

هؤلاء لالتأموا فزاد الخبال.

﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾ الإيضاع: الإسراع: قال الشاعر[١]: [من الوافر]

أرانا مُوضِعين لأمرِ غيبٍ ونُسحر بالطعام وبالشرابِ

ومفعول «أوضعوا» محذوف تقديره: ولأوضعوا ركائبهم[٢] بينكم، لأن الراكب أسرع من الماشي. والخِلال: جمع الخَلَل وهو الفرجة بين الشيئين، وجلسنا خلال البيوت وخلال الدّور: أي بينها. و«يبغون» حال أي: باغين. و«الفتنة» هي الكفر.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قال الزمخشري[٣]: نمّامون، يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم، أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم انتهى. فاللام في القول الأول للتعليل، وفي الثاني لتقوية التعدية كقوله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج]. والقول الأول قاله سفيان بن عيينة والحسن ومجاهد وابن زيد، قالوا: معناه جواسيس يستمعون الأخبار وينقلونها إليهم، ورجّحه الطبري. والقول الثاني قول الجمهور، قالوا: معناه وفيكم مطيعون سامعون.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ تقدم ذكر السبب في نزول هذه الآية والتي قبلها من قصة رجوع عبد الله بن أبيّ بأصحابه في هذه الغزاة. حقّر شأنهم في هذه الآية وأخبر أنهم قديماً سعوا[٤] على الإسلام فأبطل الله سعيهم. قال ابن عباس: بَغَوْا لك الغوائل. وقال ابن جريج: وقف اثنا عشر رجلاً من

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٩٧.

(٢) ق: ركائبكم.

(٣) الكشاف ٢: ١٩٤.

(٤) ق: سمعوا.

المنافقين على الثّنية ليلة العقبة كي يفتكوا برسول الله ﷺ.

ومعنى ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل هذه الغزوة، وذلك ما كان من حالهم وقت هجرة رسول الله ﷺ ورجوعهم عنه في أحد وغيرها. وتقليب الأمور هو تدبّرها ظهراً لبطنٍ، والنظر في نواحيها وأقسامها والسعي بكل حيلة.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: القرآن وشريعة رسول الله ﷺ. ولفظة «جاء» مشعرة بأنه كان قد ذهب.

﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وصفه بالظهور لأنه كان كالمستور، أي: غلب وعلا دين الله.

﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ أي: لمجيء الحق وظهور دين الله تعالى.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾ نزلت في الجدّ بن قيس[1]، ذكر أن رسول الله ﷺ لمّا أمر بالغزو إلى بلاد الروم حرّض الناس فقال للجدّ بن قيس: هل لك العام في جِلاد بني الأصفر؟. وقال له وللناس: أغزوا تغنموا بنات الأصفر. فقال الجدّ: ائذن لي في التخلّف ولا تفتنّي بذكر بنات الأصفر فقد علم قومي أني لا أتمالك عن النساء إذا رأيتهن.

ومعنى[2] ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾: بالنساء، هذا قول ابن عباس. والفتنة التي سقطوا فيها هي فتنة التخلّف وظهور كفرهم ونفاقهم. ولفظة «سقطوا» تنبىء عن تمكّن وقوعهم فيها.

---

(١) انظر أسباب النزول ص١٦٦ ولباب النقول ص١١٨.

(٢) ق: وتضفني.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ [٢٥٠/ب] تَسُؤْهُمْ﴾ قال ابن عباس: الحسنة يوم بدر، والمصيبة(١) يوم أحد. وينبغي أن يُحمل قوله على التمثيل، واللفظ عامّ في كل محبوب ومكروه، وسياق الجمل يقتضي أن يكون ذلك في الغزو ولذلك قالوا: الحسنة: الظَّفَر والغنيمة، والمصيبة: الخيبة والهزيمة، مثلما جرى في غزوة أحد.

ومعنى ﴿أَمْرَنَا﴾ أي: الذي نحن متّسمون به من الحذر والتيقّظ والعمل بالجزم في التخلف عن الغزو من قبل ما وقع من المصيبة.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ الآية، أي: ما تنتظرون بنا إلا إحدى(٢) العاقبتين كل واحدة منهما هي الحسنى من العواقب: إما النّصرة وإما الشهادة.

---

(١) ق: والمعصية.

(٢) ق: أحد.

فالنصرة مآلها إلى الغلبة والاستيلاء، والشهادة مآلها إلى الجنّة.

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ قرىء بضم الكاف، ويعني في سبيل الله ووجوه البرّ، وهو أمر معناه التهديد والتوبيخ. «أنفقوا» قال ابن عطية: «أنفقوا» أمرٌ في ضمنه جزاء، وهذا مستمر في كل أمر معه جزاء، والتقدير[1]: إن تنفقوا لن يُتقبّل منكم. وأما إذا عُرّي الأمر من الجواب فليس يصحبه تضمّن الشرط انتهى. ويقدح في هذا التخريج أن الأمر إذا كان فيه معنى الشرط كان الجواب كجواب الشرط. فعلى هذا يقتضي أن يكون التركيب: فلن يُتَقَبّل، بالفاء، لأنّ لن لا تقع جواباً للشرط إلاّ بالفاء، فكذلك[2] ما ضمّن معناه. وانتصب «طوعاً أو كرهاً» على الحال. والطَّوع أن يكون من غير إلزام الله ورسوله، والكره إلزام ذلك. وسُمّي الإلزام إكراهاً لأنهم منافقون، فصار الإلزام شاقًّا عليهم كالإكراه. وعلّل انتفاء التقبلّ بالفسق، والمراد به هنا الكفر، ويدلّ عليه قوله:

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾ الآية، ذكر السبب الذي هو بمفرده مانع من قبول نفقاتهم وهو الكفر، وأتبعه بما هو ناشىء عن الكفر ومستلزِم له وهو دليل عليه، وذلك إتيان الصلاة وهم كسالى، وإيتاء النفقة وهم كارهون. فالكسل في الصلاة وترك النشاط إليها وأَخْذِها بالإقبال من ثمرات الكفر، فإيقاعها عندهم لا يرجون به ثواباً ولا يخافون بالتفريط فيها عقاباً. وكذلك الإنفاق للأموال لا يُخرجون[3] ذلك إلاّ وهم لا يرجون به ثواباً.

---

(١) ق: أو التقدير.

(٢) ق: فلذلك.

(٣) ق: لا يكرهون.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ لما قطع رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بيّن أنّ الأشياء التي يظنّونها من باب منافع الدنيا، جعلها تعالى أسباباً لتعذيبهم في الدنيا بها، أي: ولا تعجبك أيّها السّامع، بمعنى: لا تستحسن ولا تَفْتَتِنْ بما أُوتوا من زينة الدنيا، وفي هذا تحقير لشأن المنافقين. والضمير في «بها» عائد على الأموال. واللام في «ليعذبهم» لام كي. ومفعول «يريد» محذوف تقديره: يريد(١) كسبهم الأموال والأولاد لأجل تعذيبهم.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: لمن جملة المسلمين. وأكذبهم بقوله ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾. ومعنى ﴿يَفْرَقُونَ﴾ يخافون القتل وما يُفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقيّة وهم يبطنون النفاق.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ لما ذكر فَرَق المنافقين من المؤمنين أخبر بما هم عليه معهم مما يوجبه الفَرَق وهو أنهم لو أمكنهم الهرب منهم لهربوا، ولكنّ صُحْبتهم لهم(٢) صحبة اضطرار لا اختيار. والملجأ: الحِرْز: والمغارات: جمع مغارة [وهي الغار] ويجمع على غيران، يبنى من غار يغور إذا دخل. بدأ أوّلاً بالأعمّ وهو الملجأ إذ يطلق على كل ما يلجأ إليه الإنسان، ثم ثنّى

---

(١) ق: ير.

(٢) ق: له.

بالمغارات وهي الغيران في الجبال، ثم أتى ثالثاً بالمدّخل وهو النفق باطن الأرض.

﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى واحد من الثلاث.

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي: يسرعون إسراعاً لا يردّهم شيء.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ اللاّمز هو حرقوص بن زهير التّميمي، وهو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج. كان رسول [٢٥١/أ] الله ﷺ يقسم غنائم حنين، فقال: اِعْدِلْ يا رسول الله، الحديث[١] وقيل غيره. والمعنى: من يعيبك في قَسْم الصدقات. وضمير «ومنهم» للمنافقين، والكاف لرسول الله ﷺ. وهذا الترديد بين الشرطين يدلّ على دناءة طباعهم ونجاسة أخلاقهم، وأنّ لَمْزَهم الرسول إنما هو لشَرَهِهم في تحصيل الدنيا ومحبّة المال، وأنّ رضاهم وسُخْطهم إنما مُتَعَلَّقُه العطاء. والظاهر حصول مطلق الإعطاء[٢] أو نفيه. وما أحسن مجيء جواب هذين الشرطين، لأن الأول لا يلزم أن يقارنه ولا أن يتعقّبه، بل قد يجوز أن يتأخر نحو: إن أسلمت دخلت الجنة. فإنما يقتضي مطلق الترتيب وأما جواب الشرط الثاني فجاء بإذا الفجائية وأنه إذا لم يُعطَوا فاجأ[٣] سخطهم ولم يمكن تأخره لِمَا جُبلوا عليه من محبة الدنيا والشّره في تحصيلها. ومفعول «رَضُوا» محذوف أي: رضوا ما أعْطُوه. وليس المعنى: رَضُوا عن الرسول ﷺ، لأنهم منافقون، ولأن رضاهم وسخطهم لم يكن لأجل الدّين بل لأجل الدنيا. وجاءت «إذا» الفجائية رابطة

---

(١) انظر البخاري ٣: ١١٤٨، ٤: ١٧١٤. وأسباب النزول ص١٦٧.

(٢) ق: الأعضاء.

(٣) ق: فاجأهم.

لجواب الجزاء بجملة الشرط، ولا نحفظ أنّ «إذا» جاءت جواباً للشرط إلا وحرف الشرط «إن»، وكذلك في قوله ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم]. وسائر أدوات الشرط كانت أسماء كمَن وما ومهما، أو ظرف زمان كمتى وأيّان، أو مكان كحيثما، لا نعلمه جاء جواب شيء منها بإذا الفجائية على كثرة مطالعتي لدواوين العرب.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ الآية، هذا وصف لحال المستقيمين في دينهم، أي: رضوا قسمة الله ورسوله. وقالوا: كفانا فضل الله تعالى وعلّقوا آمالهم بما سيؤتيه الله إياهم، وكانت رغبتهم إلى الله تعالى لا إلى غيره. وجواب «لو» محذوف تقديره: لكان خيراً لهم في دينهم ودنياهم.

﴿۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ لما ذكر تعالى من يعيب[1] الرسول في قسم الصدقات بأنه يعطي من يشاء ويحرم من يشاء أو يخصّ أقاربه أو يأخذ لنفسه ما بقي، وكانوا يسألون فوق ما يستحقون - بيّن تعالى مصرف الصدقات وأنه عليه السلام إنما قسم على ما فرضه الله تعالى. ولفظة «إنما» إن كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها، وإن لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف؛ إذ مناط الحكم بالوصف يقتضي التعليل به، والتعليل بالشيء يقتضي الاقتصار عليه. والظاهر أن مصرف الصدقات هؤلاء الأصناف، والظاهر أن العطف مشعر بالتغاير فيكون «الفقراء» غير

---

(١) ق: تعب.

﴿المساكين﴾. والظاهر بقاء هذا الحكم للأصناف الثمانية دائماً إذ لم يرد نصٌّ في نسخ شيء منها. وتقدم الكلام على الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل في البقرة[١].

﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ العامل هو الذي يستنيبه الإمام في السعي في جمع الصدقات وكلّ من تصرَّف لا يُستغنى عنه فيها فهو من العاملين ويسمّى جابي الصدقات أو السّاعي.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم أشراف من العرب مسلمون، لم يتمكن الإيمان من قلوبهم أعطاهم ليتمكّن الإيمان في قلوبهم. فمن المؤلّفة أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وحويطب بن عبد العزّى وصفوان بن أمية ومالك بن عوف النّضري والعلاء بن حارثة الثقفي. فهؤلاء أعطاهم رسول الله ﷺ مئة بعير [لكل واحد] ومخرمة بن نوفل الزهري وعمير بن وهب الجمحي وهشام بن عمرو العائذي أعطاهم دون المئة. ومن المؤلّفة سعيد بن يربوع والعباس بن مرداس والأقرع بن حابس وزيد الخيل وعلقمة بن علاثة وأبو سفيان الحارث بن عبد المطّلب وحكيم بن حزام وعكرمة بن أبي جهل [٢٥١/ب] وسعيد بن عمرو وعيينة بن حصن. وحَسُن إسلام المؤلّفة حاشا عيينة فإنه لم يزل مغموصاً عليه[٢].

﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ قال ابن عباس: الغارم من عليه دَيْن. وزاد مجاهد وقتادة: في غير معصية ولا إسراف. والجمهور على أنه يُقضى منها دين الميّت إذ هو غارم، وقال أبو حنيفة وابن الموّاز: لا يُقضى منها. قال أبو حنيفة: ولا

(١) انظر تفسير الآية ١٧٧ من البقرة.

(٢) أي مطعوناً عليه في دينه.

يقضى منها كفّارة ونحوها من حقوق الله تعالى. وإنما الغارم من عليه دين يُحبس فيه. وقيل: يدخل في الغارمين من تحمّل حمالات في إصلاحٍ وبرٍّ وإن كان غنيًّا إذا كان ذلك يُجحف بماله[1] وهو قول الشافعي وأصحابه وأحمد.

﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هو المجاهد يُعطَى منها إذا كان فقيراً، والجمهور على أنه يُعطى منها وإن كان غنيًّا ما ينفق في غزوته. وقال الشافعي وأحمد وعيسى بن دينار وجماعة: لا يُعطى الغني إلاّ إن احتاج في غزوته وغاب عنه وَفْره. وقال أبو حنيفة وصاحباه: لا يُعطى إلا إن كان فقيراً أو منقطعاً به، فإذا أُعطي ملك وإن لم يصرفه في غزوته. وقال ابن عبد الحكم: ويجعل من الصدقة في الكُراع[2] والسّلاح وما يُحتاج إليه من آلات الحرب وكفّ العدوّ عن الحوزة لأنه كلّه في سبيل الله ومنفعته [للجمهور]. والجمهور على أنه يجوز الصّرف منها إلى الحجّاج والمعتمرين وإن كانوا أغنياء. وانتصب «فريضة» لأنه في معنى المصدر المؤكّد، لأنّ قوله «إنما الصدقات للفقراء» معناه: فَرَض الله الصدقات [فريضة] لهم. وقرىء: فريضةٌ، بالرفع على: تلك فريضة.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ لأنّ ما صدر عنه هو عن علم منه بخلقه وحكمةٍ منه في القسمة، أي: عليم بمقادير المصالح، حكيم لا يشرّع إلا ما هو الأصلح.

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن

---

(١) ق: ماله. وأجحف بماله: ذهب به.

(٢) الكُراع: الدوابّ من الخيل والبغال والحمير.

﴿يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٦٢ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٣﴾.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ كان خِذام بن خالد وعبيد بن هلال والجلاس بن سويد في آخرين يؤذون رسول الله ﷺ. فقال بعضهم: لا تفعلوا فإنّا نخاف أن يَبْلغه فيُوقع بنا. فقال الجلاس: بل نقول ما شئنا فإنّ محمداً أذن سامعة ثم نأتيه فيصدّقنا [فنزلت[1]، وقيل غير ذلك. يقال: رجل أذن إذا كان يسمع مقال كل أحد] يستوي فيه الواحد والجمع، قاله الجوهري. وقال الشاعر[2]: [من الطويل]

وقد صرت أذناً للوشاة سميعة ... ينالون من عرضي ولو شئت ما نالوا

وارتفع «أذن» على إضمار مبتدأ، أي: قل: هو أذن خير لكم «يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين» تعدية «يؤمن» أوّلاً بالباء وثانياً باللام قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر فعدّي بالباء، وقصد الاستماع للمؤمنين وأن يسلّم لهم ما يقولون فعدّي باللام. وقرىء: ورحمةٌ. بالرفع عطفاً على «أذن»، وبالجرّ عطفاً على «خير».

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ وخصّ المؤمنين وإن كان رحمة للعالمين، لأنّ ما حصل لهم من الإيمان بسبب رسول الله ﷺ لم يحصل لغيرهم، وخُصُّوا هنا بالذّكر وإن كانوا قد دخلوا في العالمين لحصول مزيّتهم. وأبرز اسم الرسول - ولم يأت به مضمراً على نسق «يؤمن» - بلفظ الرسول تعظيماً لشأنه وجمعاً له في الآية بين الرّتبتين العظيمتين من النبوّة والرسالة. وإضافته

(١) انظر أسباب النزول ص١٦٨.

(٢) لم أجده، وانظر البحر ٥: ٦٢.

إليه زيادة في تشريفه وحتم على من آذاه بالعذاب الأليم وحقّ لهم ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ﴾ عام يندرج فيه هؤلاء الذين آذوا هذا الإيذاء الخاص وغيرهم.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ﴾ الظاهر أن الضمير في «يحلفون» عائد على الذين يقولون: هو أذن، أنكروه وحلفوا أنهم ما قالوه. واللام في «ليرضوكم» لام كي. قال ابن عطية: مذهب سيبويه أنهما جملتان حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها، والتقدير عنده: والله أحقّ أن يرضوه ورسوله أحقّ أن يرضوه. ومذهب المبرّد أنّ في الكلام تقديماً [٢٥٢/أ] وتأخيراً وتقديره: والله [أحقّ] أن يرضوه ورسوله انتهى. فقوله: مذهب سيبويه أنهما جملتان حذفت الأولى. إن كان الضمير في «أنّهما» عائداً[١] على كل واحدة من الجملتين، فكيف يقول: حذفت الأولى ولم تحذف الأولى إنما حُذف خبرها؟. وإن كان الضمير عائداً على الخبر وهو «أحق أن يرضوه» فلا تكون جملة إلا باعتقاد كون أن يرضوه مبتدأ و«أحقّ» المتقدم خبره. لكن لا يتعيّن هذا القول إذ يجوز أن يكون الخبر مفرداً بأن يكون التقدير: أحق بأن يرضوه. وعلى التقدير الأول يكون التقدير: والله إرضاؤه أحقّ. وقدّره الزمخشري[٢]: والله أحقّ أن يرضوه ورسوله كذلك.انتهى. وفي تقديره تفكيك للكلام حيث جعل «أحقّ أن يرضوه» خبراً عن قوله «والله»، فنوى به التقديم أو أضمر خبراً لقوله «ورسوله» وقدّره: كذلك. والذي نقول: إنه لما كانت طاعة رسول الله ﷺ طاعة لله[٣] تعالى كما قال ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۝٨٠﴾ [النساء]

(١) ق: عائد.

(٢) الكشاف ٢: ١٩٩.

(٣) ق: الله.

صارا لذلك[١] متلازمين كالشيء الواحد فأخبر عنهما إخبار الواحد فأفرد الضمير كما قال الشاعر[٢]: [من الهزج]

[لمن زُحلوقةٌ زُلٌّ] بهـا العينـان تنهـلُّ

ولم يقل: تنهلّان. وقالت العرب: ربّ يومٍ وليلةٍ مرّ بي، فأفرد الضمير لتلازُمهما.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ أي: ألم يعلم المنافقون، وهو استفهام معناه التوبيخ والإنكار. وقرىء بالتّاء وهو التفات خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب. واسم «أنَّ» هو ضمير الأمر والشأن، وخبر «أنّ» هو جملة الشرط والجزاء؛ «فمَن» مبتدأ، و«يحادد» مجزوم به. قال ابن عباس: المحادّة هنا المخالفة، و«يحادد» خبر «لمَن» والفاء داخلة في جواب الشرط. وينسبك من «أنْ» وما بعدها مصدر خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فجزاؤه كينونة النار له. قال الزمخشري[٣]: ويجوز أن يكون [«فأنّ له»] معطوفاً على «أنّه» على أنّ جواب «مَن» محذوف تقديره: ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأنّ له نار جهنم انتهى. فيكون «فأنّ له نار جنهم» في موضع نصب. وهذا الذي قدّره لا يصحّ؛ لأنهم نصّوا على أنه إذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضياً في اللفظ أو مضارعاً مجزوماً بلم، فمن كلامهم: أنت ظالم إن فعلت، ولا يجوز: إن تفعل. وهنا حذف جواب الشرط، وفعل الشرط ليس ماضي اللفظ ولا مضارعاً مقروناً بلم، وذلك إن

(١) ق: صار ذلك.

(٢) البيت منسوب لامرىء القيس في ملحق الديوان ص٤٧٢.

(٣) الكشاف ٢: ١٩٩.

جاء في كلامهم فمخصوص بالضرورة. وأيضاً فتجد الكلام تامًّا دون تقدير هذا الجواب.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الآية، قال ابن كيسان: وقف جماعة منهم لرسول الله ﷺ في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به، فأخبره جبريل عليه السلام فنزلت[1]. وقيل: قالوا في غزوة تبوك: أيرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات!. فأنزل الله تعالى «قل استهزءوا». والظاهر أن «يحذر» خبر، ويدلّ عليه «إن الله مخرج ما تحذرون» فقيل [هو] واقع منهم حقيقة لمّا شاهدوا رسول الله ﷺ يخبرهم بما يكتمونه وقع الحذر والخوف في قلوبهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ أي: ولئن سألتهم عما قالوا[2] من القبيح في حقّك وحقّ أصحابك، من قول بعضهم: انظر إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام، وقول بعضهم: كأنكم [بهم] غداً في الحبال أسرى لبني الأصفر، وقول بعضهم: ما رأيت كهؤلاء أرغب[3] بطوناً

(١) في أسباب النزول ص١٦٨ غير ذلك.

(٢) ق: يقولوا.

(٣) ق: لا أرغب.

ولا أكثر كذباً ولا أجبن عند اللقاء. فأطلع الله تعالى نبيّه على ذلك فعنّفهم، فقالوا: يا نبي الله، ما كنّا في شيء من أمرك [٢٥٢/ ب] ولا أمر أصحابك، إنما كنّا في شيء مما يخوض فيه الرّكب، كنّا في غير جدّ [فنزلت][١]. «قل أبالله» تقرير على استهزائهم، وضمّنه الوعيد ولم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجُعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وُبّخوا بأخطائهم موضع الاستهزاء، حيث جعل المستهزأ به على حرف التقرير، وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته وهو حسن. وتقديم «بالله» وهو معمول خبر كان عليها، يدلّ على جواز تقديمه عليها. وعن ابن عمر قال[٢]: رأيت قائل هذه المقالة؛ يعني «إنما كنا نخوض ونلعب» واسمه وديعة بن ثابت متعلقاً بحَقَب[٣] ناقة رسول الله ﷺ، يماشيها والحجارة تنكثه وهو يقول «إنما كنا نخوض ونلعب» والنبي ﷺ يقول «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون»؟.

﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم﴾ نُهوا عن الاعتذار لأنها اعتذارات كاذبة فهي لا تنفع. «قد كفرتم» أظهرتم الكفر «بعد إيمانكم» أي: بعد إظهار إيمانكم لأنهم كانوا يُسرّون الكفر فأظهروه باستهزائهم. وجاء التقسيم بالعفو عن طائفة والتعذيب لطائفة. وكان المنافقون صنفين: صنف أُمر بجهادهم جهاد الكفّار والمنافقين، وهم رؤساؤهم المعلنون بالأراجيف، فعُذّبوا بإخراجهم من المسجد وانكشاف معظم أحوالهم. وصنف ضَعَفَة مظهرون الإيمان وإن أبطنوا الكفر، لم يؤذوا رسول الله ﷺ فعفا عنهم، وهذا العفو والعذاب في

---

(١) انظر لباب النقول ص١١٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الحَقَب: الحزام الذي يلي حقو الناقة.

الدنيا. وقيل: العفو عمّن علم الله تعالى أنهم سيَخلصون من النفاق ويُخلصون الإيمان، والمعذّبون من مات منهم على نفاقه. وقرىء: إن يُعفَ تُعذَّب، مبنياً للمفعول. وقرىء: إن نعف نعذّب، بنونين. وقرىء: إن تُعفَ، بالتاء مبنيّاً للمفعول، التقدير: إن تُعف هذه الذنوب.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ﴾ بيّن تعالى أنّ ذكورهم وإناثهم ليسوا من المؤمنين كما قال تعالى ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴿٥٦﴾ ﴾ [التوبة] بل بعضهم من بعض في الحُكْم والمنزلة والنفاق فهم على دين واحد، وليس [المعنى] على التبعيض حقيقة لأن ذلك معلوم. ووصفهم بخلاف ما عليه المؤمنون من أنهم «يأمرون بالمنكر» وهو الكفر وعبادة غير الله تعالى والمعاصي «وينهون عن المعروف» وهو الإيمان والطاعات. وقَبْض الأيدي عبارة عن [عدم] الإنفاق في سبيل الله. والنسيان هنا التَّرْكُ، تركوا طاعة الله وطاعة رسوله.

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ أي: تركهم من الخير وأما من الشرّ فلم يَنْسَهم منه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ الآية، والكفار هنا المُعْلِنُونَ بالكفر.

و﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: حال مقدّرة لأن الخلود لم يقارن الوعد.

و﴿حَسْبُهُمْ﴾: كافيهم وذلك مبالغة في عظم عذابهم؛ إذ عذابهم شيء لا يُزاد(١) عليه.

﴿وَلَعَنَهُمُ﴾: أهانهم مع التعذيب.

ولمّا ذكر تشبيههم بمن قبلهم وذكر ما كانوا فيه من شدّة القوة وكثرة الأموال والأولاد واستمتاعهم بما قدّر لهم من الأنصباء - شبّه استمتاع المنافقين باستمتاع الذين من قبلهم، وأبرزهم بالاسم الظاهر فقال «كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم»، ولم يكن التركيب: كما استمتعوا بخلاقهم، ليدلّ بذلك على التحقير، لأنه كما يُدَلّ بإعادة الظاهر مكان المضمر على التفخيم والتعظيم، كذلك يُدَلّ بإعادته على التحقير والتصغير لشأن المذكور كقوله: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم] وكقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة]. ولم يأت التركيب: إنه كان، ولا: إنهم هم.

﴿وَخُضْتُمْ﴾ أي: دخلتم في اللهو والباطل، وهو مستعار من الخوض في الماء، ولا يستعمل إلا في الباطل [٢٥٣/أ] لأن التصرّف في الحق إنما هو على ترتيب ونظام، وأمور الباطل إنما هي خوض، ومنه [قوله عليه

---

(١) ق: يزيد.

السلام][1] «رُبّ متخوّض في مال الله له النار يوم القيامة».

﴿كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ أي: كالخوض الذي خاضوا، قاله الفراء[2]. وقيل: كالنّوع الذي خاضوا. وقيل: النون محذوفة أي: كالذين خاضوا، أي: كخوض الذين. وقيل: الذي مع ما بعدها تنسبك مصدراً أي: كخوضهم. والظاهر أن «أولئك» إشارة إلى الذين وصفهم بالشدّة وكثرة الأموال والأولاد. والمعنى: وأنتم كذلك تحبط أعمالكم.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ لمّا شبّه المنافقين بالكفّار المتقدّمين، في الرغبة في الدنيا وتكذيب الأنبياء عليهم السلام، وكان لفظ «الذين من قبلكم» فيه إبهام - نصّ على طوائف بأعيانها ستة، لأنه كان عندهم شيء من أنبائهم، وكانت بلادهم قريبة من بلاد العرب، وكانوا أكثر الأمم عدداً، وأنبياؤهم أعظم الأنبياء: نوح عليه السلام أول الرّسل، وإبراهيم الأب الأقرب للعرب، وما يليها من الأمم مقاربون لهم في الشدّة وكثرة المال والولد. وقوم نوح أُهلكوا بالغرق، وعاد بالريح، وثمود بالصيحة، وقوم إبراهيم بسلب النعمة عنهم حتى سُلّطت البعوضة على نمرود ملكهم، وأصحاب مدين بعذاب يوم الظلّة، والمؤتفكات بجعل أعالي أرضها أسافل وإمطار الحجارة عليهم.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ

(١) انظر النهاية ٢: ٨٨.

(٢) معاني القرآن ١: ٤٤٦.

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾.

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ ﴾ الآية، لمّا ذكر المنافقين والمنافقات وما هم عليه من الأوصاف القبيحة والأعمال الفاسدة - ذكر المؤمنين والمؤمنات. وقال في أولئك «بعضهم من بعض» وفي هؤلاء «بعضهم أولياء بعض» إذ لا ولاية بين المنافقين ولا شفاعة لهم ولا يدعو بعضهم لبعض، فكان المراد هنا الولاية في الله تعالى خاصة.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ الآية، لمّا أعقب المنافقين بذكر ما أوعدهم به من نار جهنم - أعقب المؤمنين بذكر ما وعدهم به من نعيم الجنّات ولمّا كان قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ وعداً إجماليًا - فصّله هنا تنبيهاً على أنّ تلك الرحمة في هذه الأشياء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ لمّا ذكر وعيد غير المؤمنين وكانت السورة قد نزلت في المنافقين بدأهم في ذلك بقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ

﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة]. ولمّا ذكر أمر الجهاد وكان الكفار غير المنافقين؛ أشدّ شكيمة وأقوى أسباباً في القتال وأنكأ[1] بتصدّيهم للقتال - قال تعالى: «جاهد الكفار والمنافقين» [فبدأ بهم. قال ابن عبّاس: «جاهد الكفّار» بالسيف «والمنافقين»] باللّسان.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ الضمير عائد على المنافقين، فقيل هو حلف الجلاس وتقدّمت قصّته مع عامر بن قيس[2].

﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ قال مجاهد: نزلت في خمسة عشر رجلاً همّوا بقتله عليه السلام وتوافقوا على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنّم العقبة، فأخذ عمّار بن ياسر بخطام راحلته يقودها، وحذيفة خلفها يسوقها. فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقعة السّلاح، فالتفت فإذا قوم متلثّمون، فقال: إليكم يا أعداء الله، فهربوا. وكان منهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعيمة بن أبيرق والجلاس بن سويد وأبو عامر بن نعمان وأبو الأحوص.

﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ هذا إحسان منه عزّ وجلّ ورفقٌ ولطفٌ بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم العظيمة. وكان الجلاس بعد حلفه وإنكاره أنه ما قال ما نُقل عنه، قد اعترف وصدّق الناقل عنه وتاب وحَسُنت توبته. ولم يَرِدْ أنّ أحداً قُبلت توبته غير الجلاس. وقيل: وفي هذا دليل على قبول توبة الزنديق [٢٥٣/ب] المُسرّ للكفر المظهر للإيمان، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي. وقال مالك: لا تُقبل. فإن جاء من قِبَل نفسه

---

(١) أي أمعن في القتال.

(٢) انظر شرح الآية ٦١ المتقدمة، وانظر أيضاً أسباب النزول ص١٦٨.

قبل أن يُعثر عليه قُبلت توبته بلا خلاف. «يَكُ خيراً لهم» اسم «يك» ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله «يتوبوا» تقديره: يك هو، أي: التَّوبُ خيراً لهم.

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ الآية، قال الضحّاك: هم نَبْتل بن الحارث وجدّ بن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة بن حاطب، وفيهم نزلت الآية.

والظاهر أن الضمير في «فأعقبهم» هو عائد على الله تعالى، عاقبهم على الذنب بما هو أشدّ منه. والظاهر عود الضمير في «يلقونه» على الله تعالى، وقيل: جزاء أفعالهم.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ هذا استفهام تضمّن التوبيخ والتقريع. وقرأ علي وأبو عبدالرحمن والحسن: تعلموا، بالتاء وهو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير وأنه تعالى فاضح المنافقين ومُعْلِمُ المؤمنين أحوالهم التي يكتمونها شيئاً فشيئاً.

﴿ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ هذا التقسيم عبارة عن إحاطة علمه تعالى بهم. والظاهر أن الآية في جميع المنافقين: مَن عاهَدَ وأخلف وغيره.

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية، نزلت فيمن عاب المتصدّقين. وكان رسول الله ﷺ حثّ على الصّدقة فتصدّق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف وأمسك مثلها، فبارك له رسول الله ﷺ فيما أعطى وفيما

أمسك. وتصدّق عمر بنصف ماله، وعاصم بن عدي بمئة وَسْق، وعثمان بصدقة عظيمة، وأبو عقيل الأراشي بصاع تمرٍ وترك لعياله صاعاً، وكان آجر نفسه لسقي نخيلٍ بهما، ورجل بناقة عظيمة قال: هي وذو بطنها صدقة يا رسول الله، وألقى إلى رسول الله ﷺ خطامها. فقال المنافقون: ما تصدّق هؤلاء إلا رياءً وسمعةً، وما تصدّق أبو عقيل إلاّ ليُذكر مع الأكابر أو ليذكّر بنفسه فيُعطى من الصدقات والله غني عن صاعه فقال بعضهم: تصدّق بالنّاقة وهي خير منه، وكان الرجل أقصر الناس قامة وأشدّهم سواداً فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال «بل هو خير منك ومنها»[1] يقوله ثلاثاً.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ مندرجون في المطّوعين ذُكروا تشريفاً لهم حيثما فاتتهم الصدقة، بل تصدّقوا بالشيء وإن كانوا أشدّ الناس إليه حاجة، وأتعبهم[2] في تحصيل ما تصدّقوا به كأبي عقيل وأبي خيثمة، وكان قد لُمز في التصدّق بالقليل، ونظرائهما. «الذين يلمزون» مبتدأ. و«في الصدقات» متعلق بـ«يلمزون». «والذين لا يجدون» معطوف على «المطوعين» كأنه قيل: يلمزون الأغنياء وغيرهم. و«فيسخرون» معطوف على «يلمزون». و«سخر الله منهم» وما بعده خبر عن «الذين يلمزون».

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية، سأل عبد الله بن عبد الله بن أبيّ - وكان رجلاً صالحاً - رسول الله ﷺ أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت[3]. فقال صلّى الله عليه وسلم: قد رخّص لي فأزيد على السبعين فنزلت ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ۝٦﴾ [المنافقون]. وعلى هذا فالضمائر

---

(١) انظر الطبري ١٠: ١٣٦.

(٢) ق: وأتبعهم.

(٣) انظر لباب النقول ص١٢٢.

عائدة على جميع المنافقين، والخطاب بالأمر لرسول الله ﷺ. والظاهر أن المراد بهذا الكلام التخيير، وهو الذي رُوي عن رسول الله ﷺ وقد قال له عمر «كيف تستغفر لعدوّ الله وقد نهاك الله عن الاستغفار لهم؟. فقال عليه السلام: ما نهاني ولكنّه خيّرني»(١). فكأنه قال له: إن شئت فاستغفر وإن شئت فلا تستغفر. ثم أعلمه [٢٥٤/أ] أنه لا يغفر لهم وإن استغفر سبعين مرة.

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾.

(١) انظر البخاري ٤: ١٧١٥، وأخرجه من حديث ابن عمر.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ لمّا ذكر الله تعالى ما ظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين - ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه وتخلّفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذار حتى أذن لهم، فكشف الله تعالى لرسوله عليه السلام عن أحوالهم وأعلمه بسوء فعالهم فأنزل عليه «فرح المخلّفون» أي: عن غزوة تبوك. وكان رسول الله ﷺ قد خلّفهم بالمدينة لمّا اعتذروا فأذن لهم. وهذه الآية تقتضي التوبيخ والوعيد. ولفظة «المخلفون» تقتضي الذّم والتحقير، ولذلك جاء «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف»[1]. وهي أمكن من لفظ: المتخلِّفين، إذ هم مفعول بهم ذلك. ولم يفرح إلا منافق فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر. ولفظ المقعد يكون للزمان والمكان والمصدر، وهو هنا للمصدر أي: بقعودهم، وهو عبارة عن الإقامة بالمدينة. وانتصب «خلاف» على الظرف أي: بعد رسول الله ﷺ؛ يقال: فلان أقام خلاف الحيّ، أي: بعدهم إذ ظعنوا ولم يظعن معهم، ومنه قول الشاعر[2]: [من الطويل]

فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى   تـأهّـبْ لأخرى مثلها فكـأن قـد

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، والمعنى: فإن رجعك الله من سفرك هذا وهو غزوة تبوك.

﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ﴾ عطف على محذوف تقديره: فأردت الخروج بعد الرجوع فاستأذنوك. وجواب الشرط قوله «فقل». وأَمْرُ الله تعالى نبيّه عليه السلام أن يقول لهم «لن تخرجوا» هو عقوبة لهم وإظهار لدناءة منزلتهم وسوء حالهم.

---

(١) الآيتان ٨٧، ٩٣ التّاليتان.

(٢) البيت في الأمالي ٣: ٢١٨، والوفيات ١: ٢٣٩ غير منسوب فيهما.

وأكّد نفي الخروج في المستقبل بقوله «أبدا» وهو ظرف مستقبل. وانتقل بالنفي من الشّاق عليهم وهو الخروج إلى الغزاة إلى الأشقّ وهو قتال العدوّ لأنه أعظم الجهاد وثمرة الخروج وموضع بارقة السيوف التي تحتها الجنة. ثم علّل انتفاء الخروج والقتال بكونهم رضوا بالقعود أول مرّة، ورضاهم ناشىء عن نفاقهم وكفرهم وخداعهم وعصيانهم أمْر الله تعالى في قوله ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة] وقالوا هم ﴿ لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة] فعلّل بالمسبّب وهو الرّضى الناشىء عن السبب وهو النفاق.

و﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ هي الخرجة إلى غزوة تبوك. و«مرّة» مصدر كأنه قيل: أول خرجة دُعيتم إليها، لأنها لم تكن أول خرجة خرجها رسول الله ﷺ للغزاة، فلا بدّ من تقييدها إذ الأوّلية تقتضي السّبق. وقيل: التقدير: أول خرجة خرجها رسول الله ﷺ لغزو الرّوم بنفسه. وقيل: أول مرّة قبل الاستئذان.

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ النّهي عن الصلاة على المنافقين إذا ماتوا عقوبة ثانية وخزي متأبّد. وكان [عليه السلام] فيما روي يصلّي على المنافقين إذا ماتوا ويقوم على قبورهم بسبب ما يظهرونه من الإسلام، فإنهم كانوا يتلفّظون بكلمتي الشهادة ويصلّون ويصومون، فبنى الأمر على ما ظهر من أقوالهم وأفعالهم، ووكّل سرائرهم(١) إلى الله تعالى. ولم يزل على ذلك حتى وقعت واقعة عبد الله بن أبيّ. وروى أنس(٢) أنه لما تقدّم ليصلي(٣) عليه جاءه جبريل عليه السلام فجبذه بثوبه وتلا عليه «ولا تصل على أحد منهم

---

(١) ق: سائرهم.

(٢) رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث يزيد الرقاشي، وهو ضعيف. انظر تفسير الطبري ١٠: ١٤٢، وابن كثير ٣: ٤٣٧.

(٣) ق: ليصلّ.

مات أبدا» الآية، فانصرف ولم يصلّ عليه. و«مات» صفة «لأحد»، تقدّم الوصف [٢٥٤/ ب] بالمجرور ثم بالجملة. وهو ماضٍ بمعنى المستقبل لأنّ الموتَ موجودٌ[١] لا محالة. نهاه تعالى عن الصلاة عليه والقيام على قبره، وهو الوقوف على قبره حتى يُفرغ من دفنه.

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ ﴾ الآية، تقدّم الكلام على نظيرها[٢]. وأُعيد ذلك لأن تجدّد النزول له شأن في تقرير ما نزل له.

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ الآية، «أن» يحتمل أن تكون تفسيرية بمعنى أي، ويحتمل أن تكون مصدرية أي: بالإيمان. والظاهر أن الخطاب للمنافقين أي: آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم. و«استأذنك»[٣] جواب «وإذا».

و﴿ أُوْلُوا۟ ٱلطَّوْلِ ﴾ الكبراء والرؤساء. و«الطّول» قال ابن عباس: الغِنى. والمعنى: استأذنك أولو الغنى منهم في القعود. وفي «استأذنك» التفات، إذ هو خروج من لفظ الغيبة وهو قوله «مع رسوله»[٤] إلى ضمير الخطاب.

﴿ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ أي: مع الزَّمْنى[٥] وأهل العذر ومن تُرك.

وفي قوله ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ تهجين لهم ومبالغة في الذّم. و«الخوالف» النساء. والظاهر أن قوله «وطبع» خبر من الله تعالى بما فعل بهم، فلأجل الطبع لا يفقهون ولا يتدبّرون ولا يتفهّمون ما في الجهاد من

---

(١) ق: غير موجود.

(٢) انظر تفسير الآية ٥٥ من السورة.

(٣) ق: واستأذنوك.

(٤) ق: ورسوله.

(٥) الزّمنى: جمع زَمِن وهو ذو العاهة.

الفوز والسعادة، وما في التخلف من الشقاء والضّلال.

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ «لكن» وَضْعُها أن تقع بين متنافيَيْن. ولمّا تضمّن قول المنافقين «ذَرْنا» استئذانهم[1] في القعود، كان ذلك تصريحاً بانتفاء الجهاد، وكأنه قيل: رضوا بكذا ولم يجاهدوا لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا. والمعنى: إن تخلّف هؤلاء المنافقون فقد توجّه إلى الجهاد مَن هو خير منهم وأخلصُ نيّة.

و﴿ ٱلْخَيْرَٰتُ ﴾ جمع خَيْرة وهو المستحسن من كل شيء، فيتناول محاسن الدنيا والآخرة لعموم اللفظ، وكثر استعماله في النساء ومنه قوله تعالى ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الرحمن].

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ وقرىء بالتشديد والتخفيف. والظاهر أن هؤلاء الجائين كانوا مؤمنين كما قال ابن عباس، لأن التقسيم يقتضي ذلك؛ ألا ترى إلى قوله ﴿ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾؟ فلو كان الجميع كفاراً لم يكن لوصف الذين قعدوا بالكذب اختصاص، وكان يكون: سيصيبهم عذاب أليم. و«المعذّرون» هم أسد وغطفان وقيل غير ذلك.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟

(١) ق: واستئذانهم.

بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ۞ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ الآية، لمّا ذكر حال من تخلّف عن الجهاد مع القدرة عليه، ذكر حال من له عذر في تركه. و«الضعفاء» جمع ضعيف وهو الهَرِم ومن خُلق في أصل البنية شديد النحافة والضؤولة بحيث لا يمكنه الجهاد. والمريض: مَن عَرض له المرض أو كان زَمِناً[(١)] ويدخل فيه العمى والعَرَج. والذين لا يجدون ما ينفقون: هم الفقراء، قيل: هم مزينة وجهنية وبنو عذرة. ونفى الحرج عنهم في التخلّف عن الغزو. ونَفْي الحرج لا يتضمّن المنع من الخروج إلى الغزو؛ فلو خرج أحد هؤلاء ليُعين المجاهدين بما يقدر عليه من حفظ متاعهم أو تكثير سوادهم ولا يكون كَلًّا عليهم، كان له في ذلك ثواب جزيل. فقد كان عمرو بن الجموح أعرج وهو من أتقياء الأنصار وهو في أول الجيش رضي الله عنه، وقال له رسول الله ﷺ[(٢)] «إن الله تعالى عَذَرك. فقال: والله لأحفزنّ بعرجتي هذه في الجنة». وكان ابن أم مكتوم أعمى فخرج إلى أُحد وطلب أن يُعطى اللواء فأخذه فأصيبت يده التي فيها اللواء فأمسكه باليد الأخرى فضُربت فأمسكه [٢٥٥/أ]

---

(١) أي ذا عاهة.

(٢) من حديث إسحاق بن يسار عن أشياخ من بني سلمة، انظر السيرة النبوية ٣: ١٦.

بصدره وقرأ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية [آل عمران]. وشرط في انتفاء الحرج النّصح لله ورسوله وهو أن تكون نيّاتهم وأقوالهم سرًّا وجهراً خالصة لله تعالى من الغشّ، ساعية في إيصال الخير للمؤمنين، داعية لهم بالنصر والتمكين. ففي سنن أبي داود[1] «لقد تركتم بعدكم قوماً ما سرتم سيراً ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادياً إلاّ وهم معكم فيه. قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟. قال: حَبَسهم العذر». وقرأ أبو حيوة: إذا نصحوا الله ورسوله، بنصب الجلالة والمعطوف.

﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ أي: من لائمة تناط بهم أو عقوبة. ولفظ «المحسنين» عامّ في كل من أحسن.

﴿ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ أي: على ظهرٍ يُركب ويُحمل عليه أثاث المجاهد. و«إذا» تقتضي جواباً، والأولى أن يكون ما يقرب منها وهو «قلت»، ويكون قوله «تولوا» جواباً لسؤال مقدّر كأنه قيل: فما حالهم إذا أجابهم الرسول؟ قيل «تولوا وأعينهم تفيض من الدمع». قال الزمخشري[2]: فإن قلت: هل يجوز أن يكون قوله «قلت لا أجد» استئنافاً مثله - يعني مثل «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف»[3] - كأنه قيل: إذا ما أتوك لتحملهم تولّوا، فقيل: ما لهم [تولّوا] باكين؟ قلت: لا أجد ما أحملكم عليه، إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض؟ قلت: نعم ويحسن انتهى. ولا يجوز ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام الله؟. وهو فهم أعجمي. وتقدّم الكلام على نحو

---

(١) ٣: ١٢ من حديث أنس بن مالك.

(٢) الكشاف ٢: ٢٠٨.

(٣) الآية ٨٧ المتقدمة.

﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ في المائدة[١]. وقال الزمخشري[٢]: هنا «وأعينهم تفيض من الدمع» كقولك: تفيض دمعاً، وهو أبلغ من: يفيض دمعها، لأن العين جُعلت كأنّ كلّها دمع فائض. و«مِن» للبيان كقولك: أفديك من رجل. ومحلّ الجار والمجرور النصب على التمييز انتهى. ولا يجوز ذلك لأن التمييز الذي أصله فاعل لا يجوز جرّه بمِن، وأيضاً فإنه معرفة [ولا يجوز إلا على رأي الكوفيين الذين يجيزون مجيء التمييز معرفة]. وانتصب «حزناً» على المفعول له، والعامل فيه «تفيض» وقال أبو البقاء: أو مصدر في موضع الحال. و«ألا يجدوا» مفعول له أيضاً، والناصب له «حزناً». وقال أبو البقاء[٣]: [ويجوز] أن يتعلق «بتفيض». ولا يجوز ذلك على إعرابه «حَزَناً» مفعولاً[٤] له والعامل فيه «تفيض»؛ لأن العامل لا يقتضي اثنين من المفعول له إلا بالعطف أو البدل. وقوله «ألا يجدوا ما ينفقون» فيه دلالة على أنهم مندرجون تحت قوله «ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج». وتقدّم نفيان: نفي الحرج عمّن ذكر، والثاني نفي السبيل بمعنى اللائمة والعتب عن المحسنين، فيكون قوله «ولا على الذين» معطوفاً على «المحسنين» عطف الخاصّ على العامّ. ويحسّن هذا قوله «إنما السبيل» معرّفاً باللاّم إذا عاد على النكرة في قوله «من سبيل».

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ الآية، أثبت في حقّ المنافقين ما نفاه في حقّ المحسنين، فدلّ لأجل المقابلة بأن هؤلاء مسيئون. وأي إساءة

---

(١) انظر تفسير الآية ٨٣ من المائدة.

(٢) الكشاف ٢ : ٢٠٨.

(٣) إملاء ٢: ٢٠ في الموضعين.

(٤) ق: مفعول.

أعظم من النفاق والتخلّف عن الجهاد والرغبة بأنفسهم عن رسول الله ﷺ.
«رضوا» تقدّم الكلام عليه[(١)].

﴿ ۞ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية، ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾ علّة للنّهي عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يُصدَّق فيما يعتذر به. فإذا عَلم أنه مكذَّب في اعتذاره كَفَّ عنه.

﴿ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ ﴾ علّة لانتفاء التصديق لأنه تعالى إذا أخبر الرسول والمؤمنين[(٢)] بما انطوت عليه سرائرهم من الشّر والفساد لم يمكن تصديقهم في معاذيرهم.

﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ ﴾ الآية، لمّا ذكر أنه يصدر منهم الاعتذار [٢٥٥/ب] أخبر أنهم سيؤكّدون ذلك الاعتذار بالحلف الكاذب، وأن سبب الحلف هو طلبهم أن تُعرضوا[(٣)] عنهم فلا تلوموهم ولا توبّخوهم.

﴿ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ أي: فأجيبوهم إلى طلبتهم. وعلّل الإعراض عنهم بأنهم رجس أي: مستقذرون بما انطووا عليه من النفاق، فتجب مباعدتهم واجتنابهم كما قال ﴿ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة].

﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ﴾ الآية، قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبيّ، حلف بالله الذي لا إله إلا هو لا يتخلّف عنه بعدها، وحلف ابن أبي سرح ليكوننّ معه على عدوّه، وطلب من الرسول أن يرضى عنه فنزلت[(٤)]. وهنا

(١) انظر تفسير الآية ٨٧ من السورة.
(٢) ق: والمؤمنون.
(٣) ق: تعرض.
(٤) انظر البخاري ٤: ١٧١٦.

حذف المحلوف[1] به وفي قوله «سيحلفون بالله» أثبت، كقوله تعالى ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا ﴿١٧﴾﴾ [القلم] وقوله ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام] فلا فرق بين إثباته وحذفه في انعقاد ذلك يميناً. وغرضهم في الحلف رضى رسول الله ﷺ والمؤمنين عنهم لنفعهم في دنياهم، لا أن مقصدهم وجه الله تعالى والبرّ، إذ هي أيمان كاذبة وأعذار مختلقة لا حقيقة لها. وفي الآية قبلها لمّا ذكر حَلْفهم لأجل الإعراض جاء الأمر بالإعراض نصًّا لأنّ الإعراض من الأمور التي تظهر للناس. وهنا ذكر الحلف لأجل الرضى فأبرز النهي عن الرضى في صورة شرطية، لأن الرضى من الأمور القلبيّة التي تخفى، وخرّج مخرج المتردّد فيه وجعل جوابه انتفاء رضى الله تعالى عنهم، فصار رضى المؤمنين عنهم أبعد شيء في الوقوع، لأنه معلوم منهم أنهم لا يرضون عمّن لا يرضى الله عنهم. ونصّ على الوصف الموجب لانتفاء الرضى وهو الفسق. وجاء اللفظ عامًّا فيُحتمل أن يراد به الخصوص كأنه قيل: فإن الله لا يرضى عنهم. ويحتمل بقاؤه على العموم فيندرجون فيه ويكونون أولى بالدخول، إذ العامّ إذا نزل على سبب مخصوص لا يمكن إخراج ذلك السبب من العموم بتخصيص ولا غيره.

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ

---

(١) ق: المفعول به.

اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ نزلت في أعراب من بني أسد وتميم وغطفان. و﴿وَأَجْدَرُ﴾ أحق.

﴿أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ أي: بأن لا يعلموا. والحدود هنا الفرائض.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ نزلت في أعراب من بني أسد ومن سبق ذكرهم، كانوا يتخذون ما يؤخذ منهم من الصدقات مغرماً. والمغرم: الغُرْم والخُسْر.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ نزلت في بني مقرن من مزينة، قاله مجاهد. ولمّا ذكر تعالى من يتّخذ ما ينفق مغرماً ذكر مقابله وهو من يتخذ ما ينفق مغنماً. وذكر هنا الأصل الذي ترتّب عليه إنفاق المال في القربات وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، إذ جزاء ما ينفَق إنما يظهر ثوابه الدائم في الآخرة. وفي قصة أولئك اكتفى بذكر نتيجة الكفر وعدم الإيمان وهو اتّخاذه ما ينفق مغرماً وتربّصه بالمؤمنين الدوائر. والأجود

تعميم[١] القربات من جهاد وصدقة. والمعنى: يتخذه سبب وصل عند الله تعالى وأدعية الرسول. وكان عليه السلام يدعو للمتصدّقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم[٢] «اللهم صلّ على آل أبي أوفى». وقال تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة]. والظاهر عَطْف و«صلوات» على «قربات».

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [قال أبو موسى الأشعري وغيره: من صلّى إلى القبلتين. و«مِن» تفسير «للسابقون». و«والسابقون»] مبتدأ، و«رضي الله عنهم» الخبر.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ ذكر في هذه الآية أنّ منافقين حولكم من الأعراب وفي المدينة لا تعلمونهم، أي: [٢٥٦/أ] لا تعلمون أعيانهم أو لا تعلمونهم منافقين. ومعنى «حولكم» حول بلدتكم وهي المدينة. والذين كانوا حول المدينة جهينة وأسلم وأشجع وغفار ومزينة وعصية ولحيان وغيرهم ممّن جاور المدينة.

و﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ معطوف على «ممّن حولكم» فاشتركا في النفاق، ويكون «مردوا» إخباراً[٣] عن الصّنفين. ويجوز أن يكون «ومن أهل المدينة» استئناف خبر لمبتدأ محذوف تقديره: قوم مردوا. ويجوز حذف هذا المبتدأ الموصوف بالفعل كقولهم: منّا ظَعَن ومنّا أقام، يريدون: منّا جمعٌ ظَعَن ومنّا جمع أقام ويكون الموصوف بالتمرد منافقو[٤] المدينة. قال

(١) ق: تعيم.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١: ٥٧٢ من حديث عبد الله بن أبي أوفى.

(٣) ق: إخبار.

(٤) ق: منافق.

الزمخشري[1]: كقولهم[2]: [من الوافر]

أنا ابن جلا [وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني]

انتهى. إن كان شبّهه في مطلق حذف الموصوف فَحَسَنٌ، وإن كان شبّهه في خصوصيّته فليس بحسن، لأن حذف الموصوف مع «من» وإقامة صفة مقامه وهي في تقدير الاسم ولا سيّما في التفصيل، منقاس كقولهم: منّا ظعن ومنّا أقام، وأما: أنا ابن جلا، فضرورة شعر كقوله[3]: [من الرجز]

يرمي بكفَّيْ كان مِن أرمى البشَرْ

أي: بكفَّي رجل. وكذلك: أنا ابن جلا، تقديره: أنا ابن رجل جلا أي: كشف الأمور وبيّنها. وفي قوله[4] «نحن نعلمهم» تهديد، وترتّب عليه الوعيد بقوله «سنعذبهم مرتين». والظاهر إرادة التثنية، ويحتمل أن يكون لا يُراد بها شفع الواحد بل يكون المعنى على التكثير كقوله ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ﴿٤﴾﴾ [الملك] أراد: كرّة بعد كرّة. كذلك يكون معنى «سنعذبهم [مرتين]»: مرّة بعد مرّة.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ الآية، نزلت في جماعة من الصحابة أوثق ثلاثة منهم أنفسهم بسواري المسجد فيهم أبو لبابة، رغبوا عن رسول الله ﷺ

(١) الكشاف ٢: ٢١١.

(٢) القائل سحيم بن وثيل الرياحي، والبيت في اللسان «جلا».

(٣) الرجز في الخصائص ٢: ٣٦٧ غير منسوب، وفيه: جادت بكفّي، وفي المقتضب ٢:١٣٩.

(٤) ق: قولهم.

وتخلّفوا عن الغزو مع المسلمين فنزلت[١].

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، والضمير عائد على الذين خلطوا، قالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا التي خلّفتنا عنك فتصدّق بها وطهّرنا. فقال «ما أُمرتُ أن آخذ من أموالكم شيئاً» فنزلت[٢].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ الآية، قال الذين لم يتوبوا من المتخلّفين: هؤلاء كانوا بالأمس معنا لا يُكلَّمون ولا يجالَسون، فنزلت[٣].

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾ تقدم نظيره[٤].

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس وغيره: نزلت في الثلاثة الذين خُلّفوا قبل التوبة عليهم: هلال بن أميّة الواقفي، ومرارة بن الربيع، وكعب بن مالك. وقرىء: مُرْجَؤون، بالهمز وبغير الهمز، ومعناه التأخير.

﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لحكمه.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إنْ أصرّوا ولم يتوبوا.

﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ

(١) انظر لباب النقول ص١٢٣.

(٢) اللباب ص١٢٤.

(٣) انظر تفسير الطبري ١١: ١٥.

(٤) في الآية ٩٤ المتقدمة، ولم يفسّره.

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا﴾ لمّا ذكر طرائق ذميمة لأصناف المنافقين أقوالاً وأفعالاً، ذكر أنّ منهم من بالغ في الشّر حتى ابتنى مجمعاً للمنافقين يرتّبون فيه ما شاؤوا من الشّر وسمّوه مسجداً. ولمّا بنى بنو عمرو بن عوف مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله ﷺ فجاء وصلّى فيه ودعا لهم، حسدهم بنو عمّهم بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف، وحرّضهم أبو عامر الفاسق على بنائه حين[1] نزل الشام هارباً من وقعة حنين[2] فراسلهم في بنائه وقال: ابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر آتي بجند من الروم فأُخرج محمداً وأصحابه. فبنوه إلى[3] مسجد قباء وكانوا [٢٥٦/ ب] اثني عشر رجلاً من المنافقين: خِذام بن خالد، ومن داره أُخرج المسجد، وثعلبة بن حاطب ومعتّب بن قشير وحارثة بن عامر وابناه مجمّع وزيد ونَبْتل بن الحارث وعبّاد بن حُنيف وبَجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت وأبو حبيبة [بن] الأزعر[4] وبخزَج بن عمرو ورجل من بني ضبيعة. وقالوا لرسول الله ﷺ: [بنينا مسجداً لذي العلّة والحاجة والليلة المطيرة والشّاتية، ونحن نحب أن تصلّي لنا فيه وتدعو لنا

(١) ق: حتى. وانظر أمر مسجد الضّرار في السيرة النبوية ٤: ١٧٣.
(٢) ق: خيبر.
(٣) ق: على.
(٤) ق: وأبو حنيفة الأزهر. والتصويب من الطبري ١١: ١٨، والقرطبي.

بالبركة. فقال صلى الله عليه وسلم] «إني على جناح سفر وحال شغل، وإذا قدمنا إن شاء الله صلّينا فيه». وكان إمامهم مجمّع بن حارثة، وكان غلاماً قارئاً للقرآن حسن الصوت، وهو ممّن حَسُن إسلامه، وولاّه عمر إمامة مسجد قباء بعد مراجعة، ثم بعثه إلى الكوفة يعلّمهم القرآن. فلمّا قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك نزل بذي أوان، بلدٍ بينه وبين المدينة ساعة من نهار. ونزل عليه القرآن في شأن مسجد الضّرار، فدعا مالك بن الدُّخْشُم ومعنا[1] وعاصماً ابني عدي، وقيل: بعث عمار بن ياسر ووحشيّاً قاتل حمزة بهدمه وتحريقه. فهُدم وحُرق بنارٍ في سَعف، واتُّخذ كُناسة يرمى فيها الجيف والقمامة. وقرىء: الذين، بغير واو فاحتمل أن يكون بدلاً من قوله «وآخرون»، وأن يكون خبر ابتداء تقديره: هم الذين، وأن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره: منهم الذين.

و﴿ ٱتَّخَذُوا ﴾ هنا تعدّى لواحد كقوله تعالى ﴿ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت] أي: عملت بيتاً. و﴿ضِرَارًا﴾ مفعول من أجله.

وقوله﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ هي جملة القسم المحلوف عليها مصدَّرة «بإنْ» النافية، التقدير: ما أردنا إلا الحسنى، كقوله ﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر] أي: ما أمسكهما ﴿ مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴿٤١﴾﴾ [فاطر].

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهاه أن يقوم فيه لأنّ بُناته كانوا خادعوا الرسول فهمّ عليه السلام بالمشي معهم واستدعى قميصه لينهض فنزلت[2] «لا تقم فيه أبدا»، وعبّر بالقيام عن الصلاة فيه. قال ابن عباس وجماعة من الصحابة

---

(١) ق: ومعتباً.

(٢) انظر اللباب ص١٢٥.

والتابعين: المؤسس على التقوى مسجد قباء، أسّسه رسول الله ﷺ وصلّى فيه أيّام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس.

﴿ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾ وفي الحديث[١] «قال لهم: يا معشر الأنصار، رأيت الله أثنى عليكم بالطّهور فماذا تفعلون؟ قالوا: يا رسول الله: إنّا[٢] رأينا [جيراننا] من اليهود يتطهّرون بالماء - يريدون: الاستنجاء بالماء - ففعلنا ذلك، فلمّا جاء الإسلام لم نَدَعْه. فقال: لا تَدَعوه إذن.

وقرىء: أسّس بنيانه، مبنيًّا للفاعل، وأُسّس، مبنيًّا للمفعول فيهما. شفا الشيء: حافّته، وألفه منقلبة عن واو، ولذلك[٣] يقال في تثنيته: شفوان. والجُرُف: ما جرفه السيل من الأودية، أو الهوّة، قاله أبو عبيدة. وقيل: الجرف: البئر التي لم تُطْوَ[٤]. و«هارٍ» أي: ساقط، يقال: هار يهور وهار يهير، واسم الفاعل هائر فقيل: حذفت الهمزة فبقي: هارٍ، وقيل: قلبت الكلمة من هائر إلى هاري فحذفت الياء لأجل التنوين وصار الإعراب في الرّاء، فقالوا في الرفع: هارٌ وفي النصب: هاراً وفي الجرّ: هارٍ.

﴿ لَا[٥] يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ ﴾ الآية، يحتمل أن [يكون] البنيان هنا مصدراً، أي: لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان. ويحتمل أن يراد به المبنى على حذف مضاف، أي: لا يزال بناء المبنى.

---

(١) انظر سنن أبي داود ١ : ١١ من حديث أبي هريرة.

(٢) ق: إنّ.

(٣) ق: وكذلك.

(٤) طُوِيَتْ البئر: بنيت بالحجارة.

(٥) ق: ولا.

﴿رِيبَةً﴾ أي: شكًّا، يريد: سبب ريبة. وقرىء: تُقَطَّع، مبنيًّا للمفعول، وتَقَطَّع، مبنيًّا للفاعل. وأصله: تتقطّع، حُذفت التاء الثانية فبقي: تَقَطّع.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في البيعة الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين، وكان أصغرهم سنًّا عقبة بن عمرو. وذلك أنهم [اجتمعوا] مع رسول الله ﷺ عند العقبة وقالوا: [اشترط] لك ولربك، والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة. فاشترط رسول الله ﷺ [٢٥٧/أ] حمايته مما يحمون منه أنفسهم، واشترط لربّه(١) التزام الشريعة وقتل الأحمر والأسود في الدفع عن الحوزة. فقالوا: ما لنا على ذلك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: الجنّة. فقالوا: نعم، ربح البيع، لا نقيل ولا نقايل(٢) - وفي بعض الروايات: ولا نستقيل - فنزلت(٣). والآية عامّة في كلّ من جاهد في سبيل الله من أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة. والظاهر من قوله «في التوراة والإنجيل والقرآن» أنّ كلّ أمّة أُمرت بالجهاد ووُعدت عليه الجنّة، فيكون «في التوراة» متعلّقاً بقوله «اشترى».

---

(١) ق: لنفسه.

(٢) أي نعارض ونبادل.

(٣) لباب النقول ص١٢٦.

والأمر بالجهاد والقتال موجود في جميع الشرائع.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ هذا استفهام على جهة التقرير، أي: لا أحد أوفى. ولمّا أكّد الوعد بقوله «عليه حقاً» أبرزه هنا في صورة العهد الذي هو آكَدُ وأوثق من الوعد، إذ الوعد في غير حقّ الله جائزٌ إخلافه، والعهد لا يجوز إلا الوفاء به إذ هو آكد من الوعد.

قال الزمخشري[1]: «ومن أوفى بعهده من الله» لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يُقْدم عليه الكرام من الخَلْق مع جوازه عليهم لحاجتهم، فكيف بالغنيّ الذي لا يجوز عليه قبيح قطّ؟ ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن منه وأبلغ انتهى. وفيه دسيسة الاعتزال واستعمال «قط» في غير موضعه، لأنه أتى به مع قوله: لا يجوز عليه قبيح قطّ. وقطّ: ظرف ماضٍ فلا يعمل فيه إلا الماضي. ثم قال: «فاستبشروا» خاطبهم على سبيل الالتفات، لأن في مواجهته تعالى لهم بالخطاب تشريفاً[2]، وهي حكمة الالتفات هنا. وليست «استفعل» هنا للطلب، بل هي بمعنى أفعل كاستوقد وأوقد.

و﴿ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ وصف على سبيل التوكيد ومحيل على البيع السابق، ثم قال: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: الظفر للحصول على الربح والغبطة في البيع لحطّ الذّنب ودخول الجنّة.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ الآية، قال ابن عبّاس: لمّا نزل ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، قال رجل: يا رسول الله، وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر؟ فنزلت «التائبون».

---

(١) الكشاف ٢ : ٢١٦.

(٢) ق: تشريف.

وهذه الأوصاف للكَمَلة من المؤمنين، ذكرها الله تعالى ليستبق[١] إلى التحلّي بها عبادُه وليكونوا على أوفى درجات الكمال. «التائبون» قيل: هو مبتدأ خبره «العابدون»، وما بعده خبر بعد خبر، أي: التائبون في الحقيقة الجامعون لهذه الخصال. وقيل: خبره «الآمرون». وقيل: خبره محذوف بعد تمام الأوصاف وتقديره: من أهل الجنّة. وترتيب هذه الصفات في غاية من الحسن؛ إذ بدأ أولاً بما يخصّ الإنسان مرتّبة على ما ينبغي، ثم بما يتعدّى من هذه الأوصاف من الإنسان لغيره وهو الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، [ثم] بما يشمل ما يخصّه في نفسه وما يتعدّى إلى غيره وهو الحفظ لحدود الله. ولمّا ذكر تعالى مجموع هذه الأوصاف أمر رسول الله ﷺ بأن يبشّر المؤمنين. وفي الآية قبلها «فاستبشروا» أمرهم بالاستبشار فحصلت لهم المزيّة التّامة بأنّ الله تعالى أمرهم بالاستبشار وأمر رسول الله ﷺ أن يبشّرهم.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية، نزلت في شأن أبي طالب[٢] حين احتضر فوعظه وقال «أي عمّ، قل: لا إله إلا الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله تعالى». وكان بالحضرة أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقالا له: يا أبا طالب، أترغب عن

(١) ق: ليشتق.

(٢) انظر صحيح البخاري ٤: ١٧١٧، خرّجه من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه.

ملّة عبد المطّلب؟ فقال أبو طالب: لولا أنّي أخاف أن يعيّر بها ولدي من بعدي لأقررتُ بها عينك. ثم قال: أنا على ملّة عبد المطّلب، ومات فنزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص] فقال رسول الله ﷺ «لأستغفرنّ لك ما لم أُنهَ عنك». فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية فترك الاستغفار لأبي طالب.

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ[٢٥٧/ ب] إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ الآية، ولمّا كان استغفار إبراهيم لأبيه بصدد أن يُقتدى به - ولذلك قال جماعة من المؤمنين: نستغفر لموتانا كما استغفر إبراهيم لأبيه - بيّن العلّة في استغفار إبراهيم لأبيه، وذكر أنّه حين اتّضحت له عداوته لله تعالى تبرّأ منه إبراهيم. والموعدة التي وعدها إبراهيم إياه هي قوله ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴿٤٧﴾﴾ [مريم] وقوله ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة]. والضمير الفاعل في «وعدها» عائد على إبراهيم، وكان أبوه بقيد الحياة وكان يرجو إيمانه، فلما تبيّن له من جهة الوحي من الله تعالى أنه عدوّ لله وأنّه يموت كافراً وانقطع رجاؤه منه تبرّأ منه وقطع عنه استغفاره. ويدل على أنّ الفاعل في «وعد» ضمير يعود على إبراهيم قراءة الحسن وابن السميقع وأبي نهيك ومعاذ القارىء وحمّاد الرّاوية: وعدها أباه. وقيل: الفاعل ضمير والد إبراهيم و«إياه» ضمير إبراهيم، وعده أبوه أنه سيؤمن فكان إبراهيم قد قوي طمعه في إيمانه فحمله ذلك على الاستغفار له حتى [نُهي] عنه. والأوّاه: الخاشع المتضرّع، وقيل غير ذلك؛ قال الزمخشري[1]: «أوّاه» فعّال من أوه كلأّل من اللؤلؤ، وهو الذي يكثر التأوّه، ومعناه أنه لفرط ترحّمه ورأفته وحلمه كان يتعطّف على أبيه الكافر إلى آخره.

---

(١) الكشاف ٢ : ٢١٧.

تشبيهه «أوّاه» من أوه بلأّل من اللؤلؤ ليس بجيّد، لأن مادّة أوه موجودة في صورة أوّاه، ومادة لؤلؤ مفقودة في اللآّل لاختلاف التركيب إذ: لأّل ثلاثي ولؤلؤ رباعي، وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف الأصلية.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ ﴾ الآية، مات قوم كان عملهم على الأمر الأول كاستقبال بيت المقدس وشرب الخمر، فسأل قوم رسول الله ﷺ بعد مجيء النَّسْخ ونزول الفرائض عن ذلك فنزلت[1]. «وما كان الله» أي: ما كان ليديم الإضلال لقوم أرشدهم إلى الهدى حتى يبيّن لهم ما يتّقونه أي: يجتنبونه، فلا يجدي ذلك فيهم فحينئذ يدوم إضلالهم.

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية، قال ابن عطية: التوبة من الله تعالى رجوعه بعبده من حالة إلى حالة أرفع منها، وقد تكون في الأكثر رجوعاً عن حالة المعصية إلى حالة الطاعة. وقد تكون رجوعاً من حالة طاعةٍ إلى أكمل منها. وهذه توبته في هذه الآية على النبي ﷺ لأنه رجع به من حالة قبل تحصيل الغزوة وتحمّل مشقّاتها، إلى حالةٍ بعد ذلك أكمل منها. وأما توبته على المهاجرين والأنصار فحالها معرّضة لأن تكون من نقصان إلى طاعةٍ

---

(١) انظر القرطبي ٨: ٢٧٧.

وجدٌّ في الغزو ونصرة الدين. وأما توبته على الفريق [الذي كاد أن يزيغ] فرجوع من حالة محطوطة إلى [حالة] غفران ورضى [انتهى].

﴿ٱتَّبَعُوهُ﴾ أي: اتّبعوا أمره.

﴿فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ الضيق والشّدة والعدم. وهذا هو جيش العسرة الذي قال فيه رسول الله ﷺ «من جهّز جيش العسرة فله الجنة»[١] فجهّزه عثمان بن عفان بألف جمل وألف دينار. وروي أنّ رسول الله ﷺ قلّب الدنانير بيده وقال «وما على عثمان ما عمل بعد هذا»[٢]. وجاء أنصاري بسبع مئة وَسق[٣] من تمر. وقال مجاهد وغيره: بلغت العسرة بهم إلى أن كان العشرة منهم يعتقبون[٤] على بعير واحد من قلّة الظّهر، وإلى أن قسموا التّمرة بين الرجلين، وكان النّفر يأخذون التمرة الواحدة فيمصُّها أحدهم ويشرب عليها الماء [ثم يفعل بها كلّهم ذلك. وقال عمر بن الخطاب: أصابهم في بعضها عطش شديد حتى جعلوا ينحرون الإبل ويشربون ما في كروشها من الماء] ويعصرون الفرث[٥] حتى استسقى رسول الله ﷺ، فرفع يديه يدعو، فما رجعهما حتى انسكبت سحابة، فشربوا وادّخروا ثم ارتحلوا، فإذا السحابة [٢٥٨/أ] لم تخرج عن العسكر. وفي هذه الغزاة همّوا من المجاعة بنحر

(١) أخرجه البخاري ٣: ١٣٥١.
(٢) أخرجه الترمذي ٩: ٢٩١ من حديث عبد الرحمن بن خبّاب وقال: حديث غريب. وانظر تاريخ الخلفاء ص١٥١.
(٣) الوسق: ستون صاعاً، أو حمل بعير.
(٤) ق: يتعقّبون.
(٥) الفرث: «الزّبل ما دام في الكرش».

الإبل، فأمر صلى الله عليه وسلم[١] بجمع فضل أزوادهم حتى اجتمع منه على النِّطع شيء يسير، فدعا فيه بالبركة ثم قال «خذوا في أوعيتكم» فملؤوها حتى لم يبق وعاء، وأكل القوم كلّهم حتى شبعوا وفضل فضلة، وكان الجيش ثلاثين ألفاً وزيادة، وهي آخر مغازيه عليه السلام. وفيها خلّف عليًّا بالمدينة فقال المنافقون: خلّفه بغضاً فيه، وأخبره بقولهم فقال «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»[٢]؟. ووصل صلى الله عليه وسلم إلى أوائل بلاد العدوّ وبثّ السّرايا فصالحه أهل أذْرُح وأيلة وغيرهما على الجزية وانصرف. وقال ابن عباس: تزيغ: تعدل عن الحقّ في المتابعة. و«كاد» تدلّ على القرب لا على التّلبّس بالزّيغ. وقرىء: يزيغ، بالياء فيتعيّن أن يكون في «كاد» ضمير الشأن. وارتفع «قلوب» بتزيغ لامتناع أن تكون «قلوب» اسم كاد و«يزيغ» في موضع الخبر لأن النيّة به التأخير، ولا يجوز: من بعد ما كاد قلوب يزيغ بالياء. وقرىء بالتاء فاحتمل أن يكون في «كاد» ضمير الشأن كقراءة الياء، واحتمل أن يكون «قلوب» اسم كاد و«يزيغ» الخبر وسّط بينهما كما فعل ذلك بكان. وفي هذين الإعرابين كلام ذكر في البحر[٣]. «فريق منهم» قال الحسن: همّت فرقة بالانصراف لِمَا لَقُوا من المشقّة. وقيل: زَيْغها بظنون لها ساءت في معنى عزم الرسول على تلك الغزوة لِمَا رأته من شدّة العسرة وقلّة الوفر وبُعد الشّقة وقوة العدوّ المقصود.

---

(١) صحيح مسلم ١: ٥٦ من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد وانظر الفتح الرباني ٢٢:٥٧. والنّطع: البساط يتخذ من أديم.

(٢) أخرجه البخاري ٣: ١٣٥٩ من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه.

(٣) انظر ٥: ١٠٩.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾[١] معطوف على قوله «والأنصار». ومعنى «خُلّفوا» أي: عن غزوة تبوك.

﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ تقدّم تفسيره[٢].

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ استعارة، لأن الغمّ والهمّ ملأها بحيث لا يسعها أُنس ولا سرور وحرجت من فرط الوحشة.

﴿وَظَنُّوا﴾ أي: علموا. وقال قوم: الظّن هنا على بابه من ترجيح أحد الجائزَيْن لأنه وقف أمرهم على الوحي ولم يكونوا قاطعين بأنه ينزل في شأنهم قرآن، أو كانوا قاطعين لكنهم يجوّزون تطويل المدّة في بقائهم في الشّدة. فالظّن عاد إلى تجويز[٣] تلك المدة قصيرةً. وجاءت هذه الجمل في كنف[٤] «إذا» في غاية الحسن والترتيب [فذكر أوّلاً] ضيق الأرض عليهم وهو كناية عن استيحاشهم وتنزّه الناس عن كلامهم، وثانياً «وضاقت عليهم أنفسهم» وهو كناية عن تواتر الهمّ والغمّ على قلوبهم حتى لم يكن فيها شيء من الانشراح والاتّساع، فذكر أوّلاً ضيق المحلّ ثم ثانياً ضيق الحال فيه، لأنه قد يضيق المحلّ وتكون النفس منشرحة، ثم ثالثاً لمّا يئسوا من الخَلْق عذقوا[٥] أمورهم بالله وانقطعوا إليه، وعلموا أنه لا يخلّص من الشّدة ولا يفرّجها إلا هو تعالى.

---

(١) انظر البخاري ٤: ١٦٠٣.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٥ من السورة.

(٣) ق: تجوّز.

(٤) ق: فعلق هذه الجمل في كيف!.

(٥) أي ربطوها به.

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ﴾ ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرّة أخرى ليستقيموا على توبتهم وينيبوا، أو ليتوبوا أيضاً فيما يُستقبل إن[1] فَرَطَتْ منهم خطيئة، علماً منهم أن الله توّاب على من تاب ولو عاد في اليوم مئة مرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ الآية، هو خطاب للمؤمنين أُمروا بكونهم مع أهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعهم صدقهم وأزاحهم عن رتبة النفاق. واعترضت هذه الجملة تنبيهاً على رتبة الصدق، وكفى بها أنها ثانية لرتبة النبوة في قوله ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء].

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ الآية، نزلت فيمن تخلّف من أهل المدينة عن غزوة تبوك وفيمن تخلّف من حولهم[2] من الأعراب من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا أمر [٢٥٨/ب] المؤمنين

---

(١) ق: لمن.

(٢) ق: وفي تخلّف ممن حوليهم.

بتقوى الله تعالى وأمر بكينونتهم مع الصادقين - وأفضل الصادقين رسول الله ﷺ ثم المهاجرون والأنصار - اقتضى ذلك موافقة الرسول وصحبته أنّى توجّه من الغزوات والمشاهد.

﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ قال الزمخشري[1]: أن يصحبوه على البأساء والضّراء ويكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط، وأن يُلقَوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم، علماً بأنها[2] أعزّ نفس عند الله تعالى وأكرمها عليه. وإذا تعرّضت مع كرامتها وعزّتها للخوض في الشدائد والهول، وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرّضت له ولا يكترث بها أصحابها ولا يقيموا لها وزناً [انتهى].

﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ الظمأ: العطش. ولمّا كان العطش أشقّ الأشياء المؤذية للمسافر بكثرة الحركة وإزعاج النفس وخصوصاً في شدة الحرّ كغزوة تبوك - بدىء به أوّلاً وثُنّي بالنَّصَب وهو التعب لأنه الكلال الذي يلحق المسافر والإعياء الناشىء عن العطش والسير. وأتى ثالثاً بالجوع لأنه حالة يمكن الصبر عليها الأوقات العديدة، بخلاف العطش والنصب المُفْضيَيْن إلى الخلود والانقطاع عن السفر، فكان الإخبار بما يعرض للمسافر أولاً فثانياً فثالثاً.

و﴿مَوْطِئًا﴾ مَفْعِل من وطىء، فاحتمل أن يكون مكاناً واحتمل أن يكون مصدراً. والفاعل في «يغيظ» عائد على المصدر؛ إما على موطىء إن كان مصدراً، وإما على ما يفهم من موطىء إن كان مكاناً، أي: يغيظ وَطْؤهم إياه

---

(١) الكشاف ٢: ٢٢٠.

(٢) ق: بها.

الكفار. والنَّيْل: مصدر، واحتمل أن يبقى على موضوعه واحتمل أن يراد به المَنِيْل. وأطلق «نَيْلاً» ليعمّ القليل والكثير ممّا يسوؤهم قتلاً وأسراً وغنيمة وهزيمة. وبدىء في هاتين الجملتين بالأسبق أيضاً وهو الوطء، ثم ثنّى بالنيل[1] من العدوّ. وجاء العموم في «الكفار» بالألف واللام، وفي «من عدو» لكونه في سياق النفي. وبدىء أوّلاً بما يخصّ المسافر في الجهاد في نفسه، ثم ثانياً بما يترتب على تحمّل تلك المشاقّ من غيظ الكفّار والنّيل من العدوّ.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ قال ابن عباس: كالتمرة ونحوها، والكبيرة[2] ما فوقها. وقدّم «صغيرة» على سبيل الاهتمام كقوله تعالى ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]، ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ ﴿٦١﴾﴾ [يونس]. وإذا كتب أجر الصغيرة فأحرى أجر الكبيرة. ومفعول «كُتب» مضمر يعود على المصدر المفهوم من «ينفقون» و«يقطعون» كأنه قيل: كُتب لهم هو، أي: الإنفاق والقطع. وتأخّرت هاتان الجملتان وقُدّمت تلك الجملة السابقة لأنها أشقّ على النفس وأنكى للعدوّ، وهاتان أهون لأنهما في الأموال[3] وقطع الأرض إلى العدوّ. وسواء حصل غيظ الكفار والنّيل من العدوّ أم لم يحصلا فهذا أعمّ وتلك أخصّ، وكان تعليل تلك آكد إذ[4] جاء بالجملة الاسمية المؤكدة «بأنّ». وذكر فيه الأجر ولفظ «المحسنين» تنبيهاً على أنهم جازوا رتبة الإحسان التي هي أعلى رتب المؤمنين. وفي هاتين الجملتين أتى بلام العلّة

(١) ق: بالقليل.

(٢) ق: والكبير.

(٣) ق: الأهوال.

(٤) ق: إذا.

وهي متعلقة «بكُتِب» والتقدير: أحسن جزاء الذين كانوا يعملون لأن عملهم له جزاء أحسن وله جزاء حسن.

﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ لمّا سمعوا قوله ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة][1]، أهمّهم ذلك فنفروا إلى المدينة إلى رسول الله ﷺ فنزلت.

﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ أي: ليجعلوا غرضهم في التفقّه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ إرادة أن يحذروا الله تعالى فيعملوا صالحاً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لمّا حضّ على التفقّه في الدّين وحرّض على رحلة طائفة من المؤمنين فيه [٢٥٩/أ] أمر تعالى المؤمنين كافة بقتال من يليهم من الكفار، فجمع بين الجهادَيْن: جهاد الحجّة وجهاد السيف، وقال بعض

(١) وانظر أسباب النزول ص١٧٨، ولباب النقول ص١٢٧.

الشعراء][1]: [من البسيط]

من لا يعدّله القرآن كان له — من الجهاد وبيض البتر تعديل

﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ الغلظة تجع الجرأة والصبر على[2] القتال وشدة العداوة. والغلظة حقيقة في الأجسام واستعيرت هنا للشدّة في الحرب. وفي قوله «واعلموا» تبشير لهم بالنصر.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه [والثانية في] المنافقين: كانوا إذا نزلت سورة فيها عيب[3] المنافقين، خطبهم رسول الله ﷺ وعرّض بهم في خطبته، فينظر بعضهم إلى بعض يريدون[4] الهرب ويقولون: هل يراكم من أحد إن قمتم؟ فإن لم يرهم أحد خرجوا من المسجد.

﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا﴾ يحتمل أن يكون خطاب بعض المنافقين لبعضٍ على سبيل الإنكار والاستهزاء بالمؤمنين، ويحتمل أن يقولوا[5] ذلك لقراباتهم المؤمنين فيستقيمون لهم ويطمعون[6] في ردّهم إلى النفاق. ومعنى قولهم «هذه»[7] على سبيل التحقير للسّورة والاستخفاف بها، كما تقول: أي غريب في هذا وأي دليل فيه.

---

(١) لم أجد قائله، وانظر البحر ٥: ١١٤.

(٢) ق: عن.

(٣) ق: عتب.

(٤) ق: فنظر.. ويريدون.

(٥) ق: يقول.

(٦) ق: ييسمون لهم ويطعنون.

(٧) ق: ذلك.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ قرىء بياء الغيبة يعني به الكفّار، وبتاء الخطاب يعني به المؤمنين. والرؤية إما علمية وإما بصريّة. ومعنى الآية: أَوَلا يزدجر هؤلاء الذين تفضح سرائرهم كل سنة مرة أو مرتين بحَسَبِ واحدٍ واحدٍ ويعلمون أن ذلك من عند الله تعالى فيتوبون ويذكرون وعد الله تعالى ووعيده.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ الآية، ذكر [أولاً] ما يحدث عنهم من القول على سبيل الاستهزاء، ثم ذكر ثانياً ما يصدر منهم من الفعل على سبيل الاستهزاء وهو الإيماء والتغامز بالعيون إنكاراً للوحي وسخرية قائلين: هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف[1] فإنّا لا نقدر على استماعه. و«نظر» بصريّة وهي معلّقة. و«هل يراكم من أحد» في موضع نصب بها.

﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ أي: عن الإيمان والفكر في السورة التي نزّلت.

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ الظاهر أنه خبر. لمّا كان الكلام في معرض ذكر الذنب بدأ بالفعل المنسوب إليهم وهو قوله «ثم انصرفوا» ثم ذكر تعالى فعله بهم على سبيل المجازاة لهم على فعلهم كقوله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۝٥﴾ [الصف].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾.

(١) ق: لتتصرّف.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الآية، لمّا بدأ السورة ببراءة الله ورسوله من المشركين، وقصّ فيها أحوال المنافقين شيئاً فشيئاً، خاطب العرب على سبيل تعداد النعم عليهم والمنّ بكونه جاءهم رسولٌ من جنسهم أو من نسبهم عربيّاً قرشيّاً، يبلّغهم عن الله تعالى، متّصف بالأوصاف الجميلة من كونه يعزّ عليه مشقّتهم في سوء العاقبة من الوقوع في العذاب، ويحرص على هداهم ويرأف بهم ويرحمهم. اللهم فصلّ عليه أشرف صلاة وسلّم عليه أزكى سلام.

سورة يونس (١)

عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾.

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ هذه السورة مكّية إلا ثلاث آيات فإنها نزلت بالمدينة وهي ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس] إلى آخرهنّ قاله ابن عباس. وسبب نزولها أن أهل مكة قالوا: لم يجد الله رسولاً إلاّ يتيم أبي طالب

---

(١) مكّية وهي مئة وتسع آيات.

فنزلت[1]. ومناسبتها [٢٥٩/ب] لما قبلها أنه تعالى لمّا أنزل ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [التوبة] وذكر تكذيب المنافقين، ثم قال ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة] وهو محمد ﷺ، أتبع ذلك بذكر الكتاب الذي أُنزل والنبي الذي أُرسل، وأن ديدن الضّالين واحدٌ، منافقيهم ومشركيهم في التكذيب بالكتب الإلهية وبمن جاء بها، ولِمَا جاء بها. ولمّا كان ذكر القرآن مقدّماً على ذكر الرّسول في آخر السورة، جاء في أول هذه السورة كذلك، فتقدم ذكر الكتاب على ذكر الرسول. والظاهر أن «تلك» باقية على موضوعها من استعمالها لبُعد المشار إليه. وقال مجاهد وقتادة: وأشار «بتلك» إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل والزّبور، فتكون الآيات: القصص التي وصفت في تلك الكتب. وقال الزّجاج: إشارة إلى آيات القرآن التي جرى ذكرها.

والهمزة في «أكان» للاستفهام على سبيل الإنكار لوقوع العجب من الإيحاء إلى بشر منهم بالإنذار والتبشير، أي: لا عجب في ذلك فهي عادة الله في الأمم السالفة؛ أوحى إلى رسلهم الكتب بالتبشير والإنذار على أيدي من اصطفاه منهم. واسم «كان»: «أن أوحينا» و«عجبا» الخبر. و«للناس» قيل: هو في موضع الحال من «عجباً» لأنه لو تأخر لكان صفة، فلما تقدّم كان حالاً. وقيل: يتعلق بقوله «عجباً» وليس مصدراً بل هو بمعنى معجب، والمصدر إذا كان بمعنى المفعول جاز تقديم معموله عليه كاسم المفعول. وقيل: هو تبيين أي: أعني للناس. وقيل: يتعلق بـ«كان» وإن كانت ناقصة، وهذا لا يتمّ إلا إذا قُدّرت دالّةً على الحدث؛ فإنها إن تمحّضت للدلالة على الزّمان لم يصحّ تعلّقٌ بها. وقرأ عبد الله: عجب،

---

(١) انظر أسباب النزول ص١٧٩.

فقيل: «عجب» اسم كان، و«أن أوحينا» هو الخبر، فيكون نظير قوله[١]:

[كأنّ سبيئة من بيت رأسٍ] يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ

وهذا محمول على الشذوذ، وهذا تخريج الزمخشري[٢] وابن عطية. وقيل: «كان» تامّة، و«عجب» فاعل بها، والمعنى: أحدث للناس عجب لأن أوحينا، وهذا التوجيه حسن. و«أنْ أنذر» «أنْ» تفسيرية أو مصدرية مخفّفة من الثقيلة وأصله: أنّه أنذر الناس، على معنى أن الشأن قولنا: أنذر الناس قالهما الزمخشري[٣]. ويجوز أن تكون «أنْ» المصدرية الثنائية[٤] الوضع لا المخفّفة من الثقيلة، لأنها تُوصَل بالماضي والمضارع والأمر، فوُصلت هنا بالأمر، وينسبك منها معه مصدر تقديره: بإنذار الناس. وهذا الوجه أولى من التفسيرية لأن الكوفيين لا يثبتون «لأنْ» أن تكون تفسيرية، ومن المصدرية المخفّفة من الثقيلة لتقدير[٥] حذف اسمها وإضمار خبرها وهو القول، فيجتمع فيها حذف الاسم والخبر، ولأن التأصيل خير من دعوى الحذف بالتخفيف «قدم صدق» قال ابن عباس وغيره: هي الأعمال الصالحة من العبادات. «عند ربهم» سابقة وفضلاً ومنزلة رفيعة. ولما كان السّعي والسّبق بالقدم سُمّيت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً، كما سمّيت النعمة يداً لأنها تُعطَى باليد.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إشارة إلى الإيحاء بالإنذار والتبشير.

---

(١) البيت لحسّان في ديوانه ص٥٩. وهو من الوافر

(٢) انظر الكشاف ٢: ٢٢٤.

(٣) الكشاف ٢: ٢٢٤.

(٤) ق: الشائبة.

(٥) ق: التقدير.

﴿لَسَٰحِرٌ[1] مُّبِينٌ﴾ لَشيء يُعلَّل به وهو[2] شيء لا حقيقة له كما قال[3]:

[أرانا مُوضِعين لأمر غيبٍ] ونُسحر بالطعام وبالشراب
[من الوافر]

أي: نُعلَّل بهما.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ تقدم تفسير مثل هذه الجملة في سورة الأعراف[4] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الآية، أي: المتصف بالإيجاد والتدبير والكبرياء، وهو ربكم الناظر في مصالحكم فهو المستحق للعبادة، إذ لا يصلح للعبادة إلا هو تعالى، فلا تشركوا به بعض خلقه.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ حضٌّ على التدبّر والتفكّر في الدلائل الدالّة على ربوبيته وإمحاض العبادة له تعالى.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ الآية، ذكر ما يقتضي التذكر وهو كون مرجع الجميع [٢٦٠/أ] إليه، وأكّد هذا الإخبار بأنه وعد الله الذي لا شكّ في صدقه. ثم استأنف الإخبار وفيه معنى التعليل[5] بابتداء الخلق وإعادته وأنّ مقتضى الحكمة بذلك هو جزاء المكلّفين على أعمالهم. وانتصب «وعدَ الله حقاً» على أنهما مصدران مؤكّدان لمضمون الجملة، والتقدير: وَعَدَ اللهُ وَعْداً،

---

(١) ق: بسحر. وأخذ المصنّف بقراءة الجمهور ونافع: لَسِحْرٌ، بدون ألف إشارة إلى الوحي. وقراءة الكوفيين وابن كثير: لساحر، بالألف إشارة إلى الرسول ﷺ. انظر التيسير ص١٢٠، والبحر ٥: ١٢٣.

(٢) ق: وهي.

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٩٧.

(٤) انظر شرح الآية ٥٤ من الأعراف.

(٥) ق: التعليق.

فلمّا حذف الناصب أضاف المصدر إلى الفاعل، وذلك كقوله تعالى ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ [البقرة]. والتقدير في «حقّاً»: حَقَّ ذلك حقًّا. وقيل: انتصب «حقًّا» بوَعْد على تقدير: في، أي: وَعْد الله في حقّ. وقال علي بن سليمان: التقدير: وقت حقّ، وأنشد[1]: [من الطويل]

أحقًّا عباد الله أن لست خارجاً ولا والجاً إلاّ عليّ رقيب

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى الدلائل على ربوبيّته من إيجاد هذا العالم العلوي والسفلي، ذكر ما أودع في العالم العلوي من هذين الجوهرين النيّرَيْن المشرقَيْن، فجعل الشمس ضياءً: أي ذات ضياء أو مضيئة أو نفس الضياء مبالغة. و«جعل» يُحتمل أن تكون بمعنى صيّر فيكون «ضياءً» مفعولاً ثانياً، ويُحتمل أن تكون بمعنى خلق فتكون حالاً.

﴿ وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ أي: ذا نور أو منوّراً أو نفس النور مبالغة، إذ هما مصدران. ولمّا كانت الشمس أعظم جِرماً خُصَّت بالضياء لأنه هو الذي له سطوع ولمعان، وهو أعظم من النور. والظاهر عَوْد الضمير على القمر أي: مسيره منازل، أو قدّره ذا منازل. وعاد الضمير عليه وحده لأنه هو المراعى في معرفة عدد السنين والحساب عند العرب. والمنازل هي البروج، وكانت العرب تنسب إليها الأنواء وهي ثمانية وعشرون منزلة: الشرطين والبطين والثّريا والدّبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعَوّاء والسّماك والغفر والزّبانان والإكليل والقلب والشّولة والنعائم والبلدة وسعد الذّابح وسعد بلع وسعد السّعود وسعد الأخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر والرشاء وهو الحوت. واللام متعلّقة بقوله «وقدره منازل».

---

(١) البيت لابن الدمينة في ديوانه ص١٠٣. وروايته: لست صادراً ولا وارداً.

﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ الآية، اختلافهما: تعاقبهما وكون أحدهما يخلف الآخر.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ من الأجرام النّيرة التي فيها، والملائكة المقيمين بها وغير ذلك مما يعلمه. «والأرض» من الجوامد والمعادن والنبات والحيوان. وخصّ المتّقين لأنهم الذين يخافون العواقب فيحملهم الخوف على تدبّرهم ونظرهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ الآية، الظاهر أن الرجاء هو التأميل والطمع، أي: لا يؤملون رجاء ثوابنا وعقابنا، أو معنى لا يخافون.

والظاهر أن قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ ﴾ هو قِسْم من الكفار غير القسم الأول وذلك لتكرير الموصول فيدلّ على المغايرة، ويكون معطوفاً على اسم «إنّ»، ويكون «أولئك» إشارة إلى صنفي الكفار: ذي الدنيا المتوسّع فيها الناظر في الآيات فلم يؤثر عنده [رجاء] لقاء الله بل رضي بالحياة الدنيا لتكذيبه بالبعث والجزاء، والعادم التوسّع[1] الغافل عن آيات الله الدالّة على الهداية. ويحتمل أن يكون من عطف الصفات فيكون «والذين هم عن آياتنا غافلون» [هم الذين] لا يرجون لقاء الله.

---

(١) ق: المتوسّع.

والظاهر أنّ ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ عطف على الصلة، ويحتمل أن تكون واو الحال أي: وقد اطمأنّوا بها. والآيات: قيل آيات القرآن أو العلامات الدالّة على الوحدانية والقدرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، أي: يزيدهم في هداهم بسبب إيمانهم السابق ويثيبهم، أو يهديهم إلى طريق الجنة بسبب [٢٦٠/ب] إيمانهم السابق. والظاهر أن يكون «تجري» مستأنفاً، فيكون قد أخبر عنهم بخبرين عظيمين: أحدهما هداية الله تعالى لهم وذلك في الدنيا والآخرة، وبجريان الأنهار وذلك في الآخرة. كما تضمّنت الآية في الكفّار شيئين: أحدهما اتّصافهم بانتفاء رجاء لقاء الله وما عطف عليه، والثاني مقرّهم ومأواهم. فصار تقسيماً للفريقين في المعنى.

لمّا هداهم ونعّمهم بالجنة نزّهوا الله تعالى وقدّسوه بقولهم ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾. و«اللهم» تقدم الكلام عليه(١).

﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ﴾ أي: تحيّة بعضهم لبعض، أو تحيّة الملائكة لهم كما قال ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد]. و«أنْ» هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن لازم الحذف، والجملة بعدها(٢) خبر أنْ. [و«أنْ»] وصلتها خبر قوله «وآخر دعواهم». وزعم صاحب النظم أنّ «أنْ» هنا زائدة، و«الحمد لله» خبر «وآخر دعواهم» وهو مخالف لنصّ النحويين.

﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٦ من آل عمران.

(٢) ق: بعد.

ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ﴾ الآية، قال مجاهد: نزلت في دعاء الرجل على نفسه وماله أو ولده ونحو هذا، فأخبر تعالى أنه لو فعل مع الناس في إجابته إلى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم. وانتصب «استعجالهم» على أنه مصدر تشبيهي تقديره: استعجالاً مثل استعجالهم. وقال الزمخشري[1]: أصله: ولو يعجّل الله للناس [الشّر] تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطَلِبَتهم، كأنّ استعجالهم بالخير تعجيلٌ لهم.انتهى. مدلول عجّل غير مدلول استعجل، لأن عجّل تدلّ على الوقوع واستعجل تدلّ على طلب التعجيل، وذلك واقع من الله تعالى وهذا مضاف إليهم، فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري. فيحتمل وجهين: أن يكون التقدير: تعجيلاً مثل استعجالهم بالخير، فشبّه التعجيل بالاستعجال لأن طلبتهم للخير ووقوع تعجيله مقدّم عندهم على كل شيء. والثاني: أن يكون ثَمّ محذوف يدلّ عليه المصدر تقديره: ولو يعجّل الله للنّاس الشّر إذا استعجلوا به استعجالهم بالخير، لأنهم كانوا يستعجلون بالشّر ووقوعه على سبيل التّهكم كما كانوا يستعجلون بالخير. وقرىء: لقُضي، مبنيًّا للمفعول، أجلُهم: بالرفع. ولقَضَى، مبنيًّا للفاعل، وفيه ضمير يعود على الله تعالى، وأجلَهم: نصب على المفعول. والفاء في «فنذر»

---

(١) الكشاف ٢: ٢٢٧.

جواب ما أخبر به عنهم على طريق الاستئناف تقديره: فنحن نذر، قاله الحوفي. وقال أبو البقاء[١]: «فنذر» معطوف على فعل محذوف تقديره: ولكن نمهلهم[٢] فنذر.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه لمّا استدعوا حلول الشّر بهم وأنه تعالى لا يفعل ذلك بطلبهم بل يترك من لا يرجو لقاءه يعمّه في طغيانه، بيّن شدة افتقار الناس إليه واضطرارهم إلى استمطار إحسانه مسيئهم ومحسنهم. والظاهر أنه لا يراد بالإنسان هنا شخص معيّن وأنه لا يراد به الكفار، بل المراد الإنسان من حيث هو سواء أكان كافراً أم عاصياً بغير الكفر.

و﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ حال أي: مضطجعاً، ولذلك عُطف عليه الحالان، وذو الحال الضمير في «دعانا»، والعامل فيه «دعانا» أي: دعانا ملتبساً بأحد هذه الأحوال. واحتملت هذه الأحوال الثلاثة أنْ تكون لشخص واحد واحتملت أن تكون لأشخاص، إذ الإنسان جنس. والمعنى أن الذي أصابه الضرّ لا يزال داعياً ملتجئاً راغباً إلى الله تعالى في جميع حالاته كلها، وابتدأ بالحالة الشاقّة وهي اضطجاعه وعجزه عن النهوض وهي أعظم في الدّعاء وآكد، ثم بما يليها وهي حالة القعود وهي حالة العجز عن القيام، ثم [بما] يليها وهي حالة القيام وهي حالة العجز عن المشي فتراه يضطرب[٣] ولا ينهض للمشي كحالة الشيخ الهرم. [٢٦١/أ] والجملة من قوله «كأن لم يدعنا إلى ضر مسه» في موضع الحال أي: إلى كشف ضرّ مسّه. والكاف من «كذلك»

---

(١) الإملاء ٢: ٢٥.

(٢) ق: نهملهم.

(٣) ق: يضرب.

في موضع نصب أي: مثل ذلك. والإشارة [«بذلك»] إلى تزيين[(١)] الإعراض عن الابتهال إلى الله تعالى عند كشف الضّر وعدم شكره وذكره على ذلك.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الآية، هذا إخبار لمعاصري رسول الله ﷺ وخطاب لهم بإهلاك من سلف قبلهم من الأمم بسبب ظلمهم وهو الكفر، على سبيل الرّدع لهم والتذكير بحال من سبق من الكفار والوعيد لهم وضرب الأمثال، فكما فعل بهؤلاء يفعل بكم. ولفظة ﴿لَمَّا﴾ مشعرة بالعلّية، وهي حرف تعليق في الماضي.

و﴿وَجَاءَتْهُمْ﴾ ظاهره أنه معطوف على «ظلموا» أي: لمّا حصل هذان الأمران: مجيء الرّسل بالبيّنات وظُلْمهم أُهلكوا. والظاهر أن الضمير في قوله «وما كانوا[(٢)]» عائد على «القرون» وأنه معطوف على قوله «ظلموا». والكاف في «كذلك» في موضع نصب أي: مثلَ ذلك الجزاء - وهو الإهلاك - نجزي القوم المجرمين. فهذا وعيد شديد لمن أجرم يدخل فيه أهل مكة وغيرهم.

والخطاب في ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ لمن بُعث إليهم رسول الله ﷺ. والمعنى: استخلفناكم في الأرض بعد القرون المُهْلَكَة لننظر أتعملون خيراً أم شرًّا فنعاملكم على حسب عملكم. [ومعنى] «لننظر» ليتبيّن في الوجود ما[(٣)] علمناه أزلاً، فالنظر مجاز عن هذا.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ

(١) ق: تبيين.

(٢) ق: كان.

(٣) ق: وما.

بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ الآية، قال ابن عباس وابن الكلبي: [نزلت] في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة، قالوا: يا محمد ائت بقرآن غير هذا فيه ما نسألك. والتبديل يكون في الذات بأن تُجعل ذات بدل ذات أخرى، ويكون في الصّفة. والتبديل هنا هو في الصفة وهو أن يُزال بعض نظمه بأن يجعل مكان آية العذاب آية الرحمة. ولمّا كان الإتيان بقرآن غير هذا غير مقدور للإنسان لم يُحتج إلى نفيه، ونُفي ما هو مقدور للإنسان وإن [كان] مستحيلاً ذلك في حقّه صلى الله عليه وسلم فقيل له «قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي».

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ﴾ الآية، هذه مبالغة في التبرئة مما طلبوا منه، أي: أن تلاوته عليهم هذا القرآن إنما هو بمشيئة الله تعالى وإحداثه أمراً عجيباً خارجاً عن العادات، وهو أن يخرج رجل أمّي لم يتعلّم ولم يسمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلدة فيها علماء فيقرأ عليهم كتاباً فصيحاً يبهر كلام كلّ فصيح ويعلو كل منثور ومنظوم، مشحوناً بعلوم من الأصول والفروع وأخبار ما كان وما يكون، ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطّلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسراره ولا سمعتم منه حرفاً من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به. ومفعول «شاء» محذوف أي: قل لو شاء الله

أن لا أتلوه. وجاء جواب «لو» على الفصيح من عدم إتيان اللام لكونه منفيًّا بما. ويقال: دريت به وأدريت زيداً به، والمعنى: ولا أعلمكم به على لساني. ونبّه على أن ذلك وحي من الله بإقامته فيهم عمراً وهو أربعون سنة من قبل ظهور القرآن على لساني يافعاً وكهلاً، لم تجرّبوني في كذب ولا تعاطيت شيئاً من هذا ولا عانيت اشتغالاً، فكيف أُتهم باختلاقه؟. والظاهر عود الضمير في «من قبله» على القرآن.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ تقدم تفسير مثل هذا الكلام(١).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الضمير في «ويعبدون» عائد على كفار قريش الذين تقدمت محاوراتهم. [٢٦١/ب].

و﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ هو الأصنام جماد لا تقدر على نفع ولا ضرّ. قيل: إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوها لم تضرّهم، ومن حقّ المعبود أن يكون مثيباً على الطّاعة معاقباً على المعصية. وكان أهل الطائف يعبدون

---

(١) انظر تفسر الآية ٢١ من الأنعام.

اللّات وأهل مكة يعبدون العُزّى ومناة وأسافاً ونائلة وهبل.

وفي قوله ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ دلالة على أنهم يعبدون الأصنام ولا يعبدون الله. قال ابن عباس: يعنون في الآخرة، أي: النفع والضّر.

و﴿أَتُنَبِّـُٔونَ﴾ استفهام على سبيل التّهكم بما ادّعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام، وإعلامٌ بأن الذي أنبؤوا به باطل غير منطوٍ تحت الصحّة، فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلّق به علمه.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لمّا ذكر تعالى الدّلالة على فساد عبادة الأصنام، ذكر الحامل على ذلك وهو الاختلاف الحادث بين الناس. والظاهر عموم «الناس» ويُتصوّر في آدم وبنيه إلى أن وقع الاختلاف بعد قتل أحد ابنيه الآخر. «أمّة واحدة» تقدم الكلام عليها في البقرة[1]. والكلمة هنا هو القضاء والتقدير لبني آدم بالآجال الموّقتة.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ﴾ الآية، هذا من اقتراحهم. وكانوا لا يعتدّون بما أنزل من الآيات العظام المتكاثرة التي لم يُنزّل على أحد من الأنبياء مثلها، وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات، دقيقة المسلك من بين المعجزات، وجعلوا نزولها كلا نزول، فكأنه لم ينزّل عليه شيء قطّ حتى قالوا: لولا أُنزل عليه آية من ربه واحدة، وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التّمرد وانهماكهم في الغيّ به.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحدٍ به. يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيّب لا

(١) انظر تفسير الآية ٢١٣ من البقرة.

يعلمه إلاّ هو.

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نزول ما اقترحتموه.

﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ بما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وجحدكم الآيات.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ الآية، سبب نزولها[1] أنه لمّا دعا على أهل مكة رسول الله ﷺ بالجدب، قحطوا سبع سنين، فأتاه أبو سفيان فقال: ٱدْعُ لنا بالخصب فإن أخصبنا صدّقناك. فسأل الله تعالى لهم فَسُقُوا ولم يؤمنوا. والرحمة هنا الغيث بعد القحط والأمن بعد الخوف والصحة بعد المرض والغنى بعد الفقر وما أشبه.

ومعنى ﴿مَسَّتْهُمْ﴾ خالطتهم. وفي هذه الجملة دليل على سرعة تقلّب ابن آدم من حالة الخير إلى حالة الشّر وذلك بلفظ «أذقنا» كأنه قيل: أول ذوقه الرحمة قبل أن يداوم استطعامها[2] مكر، وبلفظ «مِن» المشعرة بابتداء الغاية أي: ينشىء[3] المكر إثر كشف الضرّ لا يمهل ذلك، وبلفظ «إذا» الفجائية الواقعة جواباً «لإذا» الشرطية أي: في وقت إذاقة الرحمة فاجؤوا[4] بالمكر. ولمّا كانت هذه الجملة كما قلنا تتضمن سرعة المكر منهم قيل: «قل الله أسرع مكرا» [فجاءت] أفعل التفضيل. ومعنى وصف المكر بالأسرعية أنه تعالى قبل أن تدبّروا مكائدكم قضى بعقابكم وهو مُوقعه بكم واستدرجكم بإمهاله.

---

(١) انظر القرطبي ٨: ٣٢٤.

(٢) ق: استعظامها.

(٣) ق: ينسى.

(٤) ق: فأبوا.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣) ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر أن الناس إذا أصابهم الضّر لجؤوا إلى الله تعالى، فإذا أذاقهم الرحمة عادوا إلى عادتهم من إهمال جانب الله تعالى والمكر في آياته، وكان المذكور في الآيتين أمراً كليًا - أوضح ذلك الأمر الكلّي بمثال جليّ كاشف عن حقيقة ذلك المعنى الكلّي، ينقطع فيه رجاء الإنسان عن كلّ متعلّق به إلا الله تعالى، فيخلص له الدّعاء وحده في كشف هذه النازلة التي لا يكشفها إلا هو تعالى. وقرىء: [٢٦٢/أ] ينشركم، من النشر والبثّ. ويسيّركم، من التسيير.

﴿ وَجَرَيْنَ ﴾ النون عائدة على الفلك ويراد به الجمع إذ الفلك يكون مفرداً كقوله ﴿ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١١٩) ﴾ [الشعراء] ويكون جمعاً كهذا، ولهذا عاد الضمير عليه جمعاً، والباء في «بهم» للتعدية، وفي «بريح»[1] للسّبب. وفي قوله «بهم» التفات إذ هو خروج من خطاب في قوله «كنتم» إلى غيبة في قوله «بهم» «وفرحوا» وما بعد ذلك من ضمير الغيبة.

قال الزمخشري[2]: فائدة الالتفات في قوله تعالى «حتى إذا كنتم في

---

(١) ق: وفي بهم.

(٢) الكشاف ٢: ٢٣١.

الفلك وجرين بهم» المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجّبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح.انتهى.

والذي يظهر - والله أعلم - أن حكمة الالتفات هنا هي أنّ قوله ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ خطاب فيه امتنان وإظهار نعمه للمخاطَبين، والمسيَّرون في البرّ والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل، فَحَسُن خطابهم بذلك ليستديم الصالح [على] الشكر، ولعلّ الطالح[1] يتذكر هذه النعمة فيرجع، فلما ذكرت حالة آل الأمر في آخرها إلى [أنّ] المتلبّس بها هو باغٍ في الأرض بغير الحق، عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطَبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي.

وقوله: «جاءتها» جواب «إذا». و«عاصف» صفة لـ«ريح» على معنى النّسب أي: ذات عصف، إذ لو كانت جارية على الفعل لكانت بالتّاء كقوله تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء]. والمعنى: من كل مكان من أمكنة الموج. والظنّ هنا على بابه الأصلي من ترجيح أحد الجائزَيْن.

ومعنى ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: للهلاك كما[2] يحيط العدو بمن يريد إهلاكه، وهي كناية عن استيلاء أسباب الهلاك.

﴿دَعَوُا اللَّهَ﴾ جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: فما كان حالهم في تلك الشدة؟ قيل: دعوا الله.

﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا﴾ اللام موطّئة لقسم محذوف في موضع الحال تقديره: مُقْسِمين.

---

(١) ق: الصالح.

(٢) ق: كمن.

﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ أي: من هذه الشّدة.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ الآية، وجواب «لمّا» «إذا» الفجائية وما بعدها. [ومجيء «إذا» وما بعدها] جواباً لها دليل على أنها حرف يترتّب ما بعدها من الجواب على ما قبلها من الفعل الذي بعد «لمّا»، وأنها تفيد الترتيب والتعليق في الماضي، وأنها كما قال سيبويه [حرف] ومذهب غيره أنها ظرف، وقد أوضحنا ذلك فيما كتبناه في علم النحو. والجواب بإذا الفجائية دليل على أنّه لم يتأخر بغيهم عن إنجائهم، بل بنفس ما وقع الإنجاء وقع البغي. قال ابن عباس: «يبغون» بالدعاء إلى عبادة غير الله تعالى والعمل بالمعاصي والفساد. والخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال الجمهور: لأهل مكة. والذي يظهر أنه خطاب لأولئك الذين أنجاهم الله وبَغَوا، ويحتمل كما قالوا العموم فيندرج أولئك فيهم. وهذا ذمّ للبغي في أوجز لفظ.

ومعنى ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ وبال البغي [عليكم] ولا يجني ثمرته إلا أنتم. وقرىء: متاعَ، بالنصب على الظرف أي: وقت متاع الحياة الدنيا. وقرىء: متاعُ، بالرفع على أنه [خبر] مبتدأ محذوف تقديره: هو متاع. وأجاز النحّاس وتبعه الزمخشري[(١)] أن يكون «على أنفسكم» متعلقاً[(٢)] بقوله «بغيكم» كما تعلّق في قوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۝٧٦﴾ [القصص] ويكون الخبر «متاع» إذا رفعته.

ومعنى ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: على أمثالكم والذين جنسكم جنسهم، يعني: بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا

---

(١) الكشاف ٢: ٢٣٢.

(٢) ق: متعلق.

يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه لمّا قال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴿٢٣﴾﴾ [يونس] ضرب مثلاً عجيباً غريباً للحياة الدنيا بذكر من سعى فيها على سرعة زوالها وانقضائها، وأنها بحال ما تعزّ وتسرّ، تضمحلّ[1] ويؤول أمرها إلى الفناء. والمَثَل هنا يحتمل أن يراد به الصفة وأن يراد به القول السائر المشبّه به حال الثاني بالأول.

و﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إمّا أن يراد به [٢٦٢/ب] السّحاب، وإما أن يراد: من جهة السماء. والظاهر أن النبات اختلط بالماء، ومعنى الاختلاط تشبّثه به وتلقّيه إياه وقبوله له لأنه يجري له مجرى الغذاء، فتكون الباء للمصاحبة، وكل مختلطين يصحّ في كلٍّ منهما أن يقال: اختلط بصاحبه. ولمّا كان النبات ينقسم إلى مأكول وغيره بيّن أنّ المراد أحد القسمين «بمِن» فقال: «مما يأكل الناس» كالحبوب والثمار والبقول، «والأنعام» كالحشيش وسائر ما يُرعى. و«مما يأكل» حال من النبات والعامل فيه محذوف تقديره: كائناً ممّا يأكل. و«ما» موصولة صلته «يأكل» والضمير محذوف تقديره: يأكله الناس. و«حتى» غاية فيحتاج أن يكون الفعل الذي قبلها متطاولاً حتى تصحّ الغاية، فإمّا أن يُقدّر قبلها محذوف[2] أي: فما زال ينمو حتى إذا، أو يُتجوّز في «فاختلط» ويكون معناه: فدام اختلاط النبات بالماء حتى إذا.

(١) ق: وتضمحلّ.

(٢) ق: تقدّر قبلها محذوفاً.

وقوله ﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ جملة بديعة اللفظ جعلت الأرض آخذة زخرفها متزيّنة، وذلك على جهة التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة في كل لون فاكتست وتزيّنت بأنواع الحليّ، فاستعير الأخذ وهو التناول باليد لاشتمال نبات الأرض على بهجة ونضارة وألوان مختلفة، واستعير لتلك[1] البهجة والنضارة والألوان المختلفة لفظ الزخرف وهو الذهب لما كان من الأشياء المبهجة المنظر السّارة للنفوس. [و«ازّينت»] أي: بنباتها وما أودع فيها من الحبوب والثمار والأزهار.

﴿أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: على التمكّن من تحصيلها ومنفعتها ورفع غلّتها، وذلك لحسن نموّها وسلامتها من العاهات. والضمير في «أهلها» عائد على الأرض، وهو على حذف مضاف أي: على [ما] أودعها من الغلّات وما ينتفع به. وجواب «إذا» قوله «أتاها أمرنا» كالرّيح والصّر والسموم وغير ذلك من الآفات كالفأر والجراد. وقيل: «أتاها أمرنا» بإهلاكها. وأبهم في قوله «ليلاً أو نهاراً» وقد علم تعالى متى يأتيها أمره، أو[2] تكون «أو» للتنويع لأن بعض الأرض يأتيها أمره ليلاً وبعضها نهاراً ولا يخرج كائن عن وقوعه. والحصيد: فعيل بمعنى مفعول أي: المحصود. وعبّر «بحصيد» عن التالف استعارةً؛ جعل ما هلك من الزرع بالآفة قبل أوانه حصيداً لعلاقة ما بينهما من الطّرح على الأرض.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ مبالغة في التلف والهلاك حتى كأنها لم توجد قبلُ ولم تقم بالأرض للحبّة [بهجة] خضرة نضرة تسرّ أهلها.

---

(١) ق: لذلك.

(٢) ق: إذ.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: مثل هذا التفصيل الذي فصّلناه في الماضي نفصّل في المستقبل.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ لمّا ذكر الحياة الدنيا وما تؤول إليه من الفناء والاضمحلال وما تضمّنته من الآفات والعاهات، ذكر تعالى أنّه داعٍ إلى دار السلام والصحّة والأمن وهي الجنة، وأهلها سالمون من كل مكروه. ولمّا كان الدعاء [عامًّا] لم يتقيّد بالمشيئة، ولما كانت الهداية خاصة تقيّدت بالمشيئة فقال «ويهدي من يشاء» أي: من يشاء هدايته.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [أي: أحسنوا] في كلّ ما تعبّدوا به، أي: [أتوا] بالمأمور كما ينبغي واجتنبوا المنهيّ عنه. و«الحسنى» هي الجنة[1]. و«زيادة» هي النظر إلى الله تعالى في الجنة، ولا يلحقها خزي والخزي يتغير به الوجه ويسودّ، فكنى بالوجه عن الجملة لكونه أشرفها ولظهور أثر السرور والحزن فيه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية، «والذين» مبتدأ. و«جزاء» مبتدأ ثانٍ وخبره

---

(١) ق: الحسنة.

«بمثلها» فقيل: الباء زائدة والضمير العائد على المبتدأ محذوف تقديره: جزاء سيئة منهم بمثلها. وقيل: خبر «والذين» قوله: «ما لهم من الله من عاصم» والجملتان قبله اعتراض بين المبتدأ وخبره.

﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ[٢٦٣/أ] وُجُوهُهُمْ﴾ هذه مبالغة في سواد الوجوه، وقد جاء مصرَّحاً به في قوله ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران] و«أغشيت» كُسيت، ومنه الغشاء. وكون وجوههم مسودّة هو حقيقة لا مجاز فتكون ألوانهم مسودّة. وقرىء: قطْعاً، بسكون الطاء و«مظلماً» صفة له. وقرىء بفتح الطاء فيكون «مظلماً» حالاً[1] من «الليل». وقال الزمخشري[2]: فإن قلت: إذا جعلت «مظلماً» حالاً من «الليل» فما العامل فيه؟ قلت: لا يخلو إما أن يكون «أغشيت» من [قِبَل] أن «من الليل» صفة لقوله «قطعاً»، فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة. وإما أن يكون معنى الفعل في «من الليل» انتهى.

أما الوجه الاول فهو بعيد لأن الأصل أن يكون العامل في الحال هو العامـل في ذي الحال، والعامل في «الليل» هو: مستقرّ، الواصل إليه «بمن»، و«أغشيت» عامل في قوله «قطعاً» الموصوف بقوله «من الليل» فاختلفا. فلذلك كان الوجه الأخير أولى أي: قطعاً مستقرّة أو كائنة من الليل في حال إظلامه. قال ابن عطية: وإذا كان نعتاً - يعني «مظلماً» - «لقطعاً»[3]، فكان حقّه أن يكون قبل الجملة، ولكن قد يجيء بعد هذا وتقدير الجملة: قطعاً استقرّ من الليل مظلماً، على نحو قوله ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ

(١) ق: حال.

(٢) الكشاف ٢: ٢٣٤.

(٣) ق: يعني مظلماً نعتاً لقطع.

أَنزَلْنَهُ مُبَارَكٌ ﴿٩٢﴾ ﴾[1] [الأنعام] انتهى. لا يتعيّن تقدير العامل في المجرور بالفعل فيكون جملة، بل الظاهر أن يُقدّر باسم الفاعل[2] فيكون من قبيل الوصف بالمفرد والتقدير: قطعاً كائناً من الليل مظلماً.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ﴾ الآية، الضمير في «نحشرهم» عائد على من تقدّم من الفريقين. وانتصب «ويوم» على فعل محذوف أي: ذَكِّرهم أو خَوِّفْهم ونحوه. و«جميعا» حال. والشركاء هم من عُبد من دون الله تعالى كائناً من كان. و«مكانكم» عدّه النحويون من أسماء الأفعال وقُدّر بِٱثْبُتوا كما قال الشاعر[3]:

وقولي كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدي أو تستريحي

أي: اثبتي، ولكونها بمعنى اثبتي جزم «تحمدي». وتحملت ضميراً فأكد وعطف عليه في قوله «أنتم وشركاؤكم». وقال الزمخشري[4]: و«أنتم» أكّد به الضمير في «مكانكم» لسدّه[5] مسدّ قوله: الزموا و«شركاؤكم»[6] عطف عليه انتهى. يعني عطفاً على الضمير المستكن وتقديره: الزموا، وأن «مكانكم» قام مقامه فتحمّل الضمير الذي في «الزموا». ليس بجيد، إذ لو كان كذلك لكان «مكانكم» الذي هو اسم فعل يتعدى كما يتعدى: الزموا. ألا ترى اسم الفعل إذا كان الفعل لازماً كان اسم الفعل لازماً، وإذا كان متعدّياً كان متعدّياً، مثال ذلك: عليك زيداً. لمّا ناب مناب: الزَم، تعدّى، وإليك: لمّا

---

(١) ق: مبارك أنزلناه.

(٢) ق: الفعل.

(٣) البيت لعمرو بن الإطنابة، وهو في الخصائص ٣: ٣٥. وهو من الوافر

(٤) الكشاف ٢: ٢٣٥.

(٥) ق: لسدّ.

(٦) ق: شركاؤكم.

ناب مناب: تَـنَحَّ[1]، ولكون: مكانك لا يتعدّى، قدّره النحويون: اثبتوا، واثبتوا لا يتعدى. قال ابن عطية: «أنتم» رفع بالابتداء، والخبر: مخزيّون أو مهانون ونحوه، فيكون «مكانكم» قد تمّ ثمّ أخبر أنهم كذا. وهذا ضعيف لفكّ الكلام الظاهرِ اتّصالُ بعض أجزائه ببعض، ولتقدير إضمار لا ضرورة تدعو إليه، ولقوله «فزيلنا بينهم» إذ يدلّ على أنهم ثبتوا هم وشركاؤهم في مكان واحد حتى وقع التزييل [بينهم] وهو التفريق، ولقراءة من قرأ: أنتم وشركاءكم، بالنصب على أنه مفعول معه والعامل فيه اسم الفعل. ولو كان «أنتم» مبتدأ وقد حذف خبره لما جاز أن يأتي بعده مفعول معه، تقول: كل رجل وضيعتُه، بالرفع ولا يجوز فيه النصب. قال ابن عطية: ويجوز أن يكون «أنتم» تأكيداً للضمير الذي في الفعل المقدّر الذي هو: قفوا أو نحوه. هذا ليس بجيّد إذ لو كان تأكيداً لذلك الضمير المتصل بالفعل لجاز تقديمه على الظرف إذ الظرف لم يتحمّل ضميراً على هذا القول فيلزم تأخيره عنه وهو غير جائز، لا تقول: أنت مكانك [٢٦٣/ب] ولا يُحفظ من كلامهم. والأصحّ أنه لا يجوز حذف المؤكد في التأكيد المعنوي، فكذلك [هذا لأن التأكيد] ينافي الحذف، وليس من كلامهم: أنت زيداً، لمن رأيته قد شهر سيفاً وأنت تريد: اضرب [أنت] زيداً، إنما كلام العرب: زيداً، تريد: اضرب زيداً[2].

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ يقال: زِلْتُ الشيء عن مكانه أزيله، فعين الكلمة ياء. وزعم ابن قتيبة وتبعه أبو البقاء[3] أن قوله «زيّلنا» من مادة زال يزول، فتكون

---

(١) ق: تنحّى.

(٢) ق: زيد.

(٣) انظر الإملاء ٢: ٢٨.

عين الكلمة واواً. و«زيّلنا» وزنه عندهما: فيعل، اجتمعت ياء وواو وسُبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً[1] وأُدغمت الياء في الياء. والصحيح أنه من ذوات الياء وأن وزنه فَعّل، ولذلك قالوا في مصدره: تزييلاً على وزن [تفعيل]، وقالوا في الاشتقاق منه: زايلنا بالياء. ونَفْي الشركاء عبادة المشركين هو ردّ لقولهم: إياكم كنا نعبد. و«إيّانا» مفعول «بتعبدون»، وحَسُن تقديمه كون «تعبدون» فصلاً.

ولمّا تنازعوا استشهد الشركاء بالله تعالى، وانتصب «شهيداً» على التمييز لقبوله صحة مِن. و«إنْ» هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين إنْ النافية وبين إنْ التي للإثبات، وتقدم الكلام على مثل ذلك في ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة].

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾. «هنالك» ظرف مكان أي: في ذلك الموقف والمقام المقتضي للحيرة والدّهش. «تبلو» أي: تختبر ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح[2] أم حسن، أنافع أم ضارّ، مقبول أو مردود. وقرىء: تبلو. وقرىء: تتلو.

﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى جزائه.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: ذهب وبطل ما كانوا يفترونه من الكذب.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا

(١) ق: الياء واواً.

(٢) ق: قبيح.

تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ الآية، لمّا بيّن فضائح عبدة الأوثان أتبعها بذكر الدلائل على فساد مذهبهم بما يوبّخهم ويحجّهم بما لا يمكن إلا الاعتراف به من حال رزقهم وحواسهم وإظهار القدرة الباهرة في الموت والحياة. فبدأ بما فيه [قوام] حياتهم وهو الرزق الذي لا بدّ منه، فمن السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات. «فمِن» لابتداء الغاية، هُيّىء الرزق بالعالم العلوي والعالم السفلي معاً لم يقتصر على جهة واحدة توسعةً منه وإحساناً، ثم ذكر ملكه لهاتين الحاسّتين الشريفتين: السمع[1] الذي هو سبب مدارك الأشياء، والبصر الذي يُري ملكوت السماوات والأرض. ومعنى ملكهما أنه متصرف فيهما بما يشاء تعالى من إبقاء وحفظ وذهاب.

﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ تقدم تفسيره[2].

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ شامل لما تقدّم من الأشياء الأربعة المذكورة ولغيرها. والأمور التي يدبّرها تعالى لا نهاية لها. فلذلك جاء بالأمر الكلّي بعد تفصيل بعض الأمور. واعترافهم بأن الرازق والمالك والمخرج والمدبّر هو الله تعالى

(١) ق: السمع والبصر.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٧ من آل عمران.

أمرٌ لا يمكنهم إنكاره ولا المباهتة فيه.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ﴾ إشارة إلى من اختصّ بهذه الأوصاف السابقة.

و﴿ فَمَاذَا ﴾ استفهام معناه النفي ولذلك دخلت «إلاّ» وصحبه التقرير والتوبيخ كأنه قيل: ما بعد الحقّ إلا الضلال. و«ماذا» مبتدأ، ركّبت ذا مع ما فصار مجموعهما استفهاماً كأنه قيل: أي شيء، والخبر «بعد الحق».

﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ أي: كيف يقع صرفكم بعد وضوح الحق وقيام حججه عن عبادة من يستحق العبادة، وكيف تشركون [معه غيره] وهو لا يشاركه في شيء من تلك الأوصاف؟.

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ ﴾ الكاف للتشبيه في موضع نصب، والإشارة «بذلك» إلى المصدر المفهوم من «تُصرفون» [أي]: مثل صرفهم عن الحق بعد الإقرار به في قوله «فسيقولون الله» حقّ العذاب عليهم أي: جازاهم مثل أفعالهم.

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ﴾ الآية، لمّا استفهم عن أشياء من صفات الله واعترفوا بها ثم أنكر عليهم صرفهم عن الحق وعبادة الله [٢٦٤/أ] تعالى، استفهم عن شيء هو سبب العبادة وهو إبداء الخلق وهم يسلّمون ذلك [لقوله] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان]، ثم إعادة الخلق وهم منكرون ذلك، لكنه عطف على ما يسلّمونه ليُعلم أنهما سواء بالنسبة إلى قدرة الله تعالى، وأن ذلك لوضوحه وقيام برهانه قُرن بما يسلّمونه إذ لا يدفعه إلا مكابر، إذ هو من الواضحات التي لا يختلف في إمكانها العقلاء وجاء الشرع بوجوبه فوجب اعتقاده. ولمّا كانوا لمكابرتهم لا يقرّون بذلك أمر تعالى نبيّه أن يجيب فقال «قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده» وأبرز الجواب في جملة مبتدأة مصرّح بجزئها، فعاد الخبر فيها مطابقاً لخبر

اسم الاستفهام، وذلك تأكيد وتَثبّت. ولمّا كان الاستفهام قبل هذا لا مندوحة لهم عن الاعتراف به، جاءت الجملة محذوفاً منها أحد جزأيها في قوله «فسيقولون الله» [يونس: ٣١] ولم يحتج إلى التأكيد بتصريح جزأيها.

ومعنى ﴿ تُؤْفَكُونَ﴾ تُصرفون وتقلبون عن اتباع الحق.

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ الآية، لمّا بيّن تعالى عجز أصنامهم عن الإبداء[١] والإعادة اللذين هما من أقوى أسباب القدرة وأعظم دلائل الألوهية، بيّن عجزهم عن هذا النوع من صفات الإله وهو الهداية إلى الحق وإلى منهاج الصواب. وقد أعقب الخلق بالهداية في القرآن في مواضع، فقال تعالى حكاية عن الكليم ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه] فاستدل بالخلق والهداية على وجود الصانع، وهما حالان للجسد والروح. وقرىء: لا يهدي، مخففاً مضارع هدى. ويَهَدّي، بفتح الهاء وتشديد الدال وأصله يهتدي، نقلت حركة التاء إلى الهاء وأدغمت التاء في الدال. وقرىء: يَهِدّي، بكسر الهاء وتشديد الدّال. وقرىء بكسر الياء إتباعاً لحركة الهاء وتشديد دال[٢] يهدي.

﴿ فَمَا لَكُمْ ﴾ استفهام معناه التعجب والإنكار أي: أيّ شيء لكم في اتخاذ هؤلاء الشركاء إذ كانوا عاجزين عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم.

﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ استفهام آخر، أي: كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أنداداً وشركاء؟. وهاتان جملتان أنكر في الأولى وتعجّب من اتّباعهم من لا

---

(١) ق: الابتداء.

(٢) ق: الذال.

يهدي ولا يهتدي، وأنكر في الثانية[١] حكمهم بالباطل وتسوية الأصنام بربّ العالمين.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ الظاهر أن «أكثرهم» على بابه، لأن منهم من تبصّر في الأصنام فرفضها كما قال[٢]: وهو من الطويل

أربٌّ يبـــول الثعلبـــان بـــرأســـه   لقد هان من بالت عليه الثعالب

والمعنى: ما يتبع أكثرهم في اعتقادهم في الله تعالى وفي صفاته إلّا ظنًّا ليسوا متبصّرين ولا مستندين إلى برهان، إنما ذلك شيء تلقّفوه من آبائهم. والظّن في معرفة الله تعالى لا يغني من الحق شيئاً أي: من إدراك الحق ومعرفته على ما هو عليه لأنه تجويز لا قطع.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

---

(١) ق: الثاني.

(٢) البيت في اللسان «ثعلب» وفي الاقتضاب ٣: ٨٦، ونُسب فيهما لغير واحد.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ الآية، لما تقدّم قولهم ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۝١٥﴾ [يونس] وكان من قولهم أنه افتراه قال تعالى «وما كان هذا القرآن أن يفترى» أي: ما صحّ ولا استقام أن يكون هذا القرآن المعجز مفترى. والإشارة «بهذا» فيها تفخيم المشار إليه وتعظيمه وكونه جامعاً للأوصاف التي يستحيل لوجودها فيه أن يكون مفترى. والظاهر أنّ «أن يفترى» هو خبر «كان» أي: افتراء أي: ذا افتراء أو مفترى. ووقعت «ولكن» هنا أحسن موقع إذ كانت بينْ نقيضين وهما الكذب والتصديق المتضمّن الصدق. و«الذي بين يديه» الكتب الإلهية المتقدمة. وانتصب «تصديق» على أنه خبر كان مضمرة وهو على حذف مضاف [٢٦٤/ب] أي: ذا تصديق.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: «أم» منقطعة تتقدر ببل والهمزة تقديره: بل أيقولون افتراه، والاستفهام على سبيل الإنكار. وتقدم الكلام على نظير هذه الآية في البقرة(١).

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: بل كذّبوا بهذا القرآن العظيم المنبىء بالغيوب الذي لم تتقدّم لهم به معرفة ولا أحاطوا بمعرفة غيوبه.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ﴾: «كيف» في موضع نصب خبر لكان. و«انظر» معلّقة. والجملة الاستفهامية مع ما بعدها في موضع نصب. قال ابن عطية: ولكيف تصرّفات تحلّ محل المصدر الذي هو كيفيّة، ويحتمل هذا الموضع أن يكون منها، ومن تصرّفاتها قولهم: كن كيف شئت انتهى. ليس «كيف» تحل محلّ المصدر، ولا لفظ كيفية هو مصدر، إنما ذلك نسبة إلى كيف. وقوله: ويحتمل أن يكون هذا الموضع منها ومن تصرّفاتها قولهم: كن كيف

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٣ من البقرة.

شئت - لا يحتمل أن يكون منها لأنه لم يثبت لها هذا المعنى الذي ذكر من كون «كيف» بمعنى كيفية وادعاء مصدر كيفية. وأما: كن كيف شئت، فكيف ليست بمعنى كيفية وإنما هي شرطية، وهو المعنى الثاني الذي لها وجوابها محذوف، التقدير: كيف شئت فكن، كما تقول: قم متى شئت. فمتى: اسم شرط ظرف لا يعمل فيه قم، والجواب محذوف تقديره: متى شئت فقم[(١)].

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآية، الظاهر أنه إخبار بأنّ من كفار قريش من سيؤمن به وهو من سبقت له السعادة. ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ فيوافي على الكفر.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ الآية، أي: وإن تمادوا على تكذيبك فتبرأ منهم، قد أعذَرْتَ وبلَّغْتَ كقوله ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ ﴿٢١٦﴾﴾ [الشعراء].

ومعنى ﴿لِّي عَمَلِي﴾ أي: لي جزاء عملي[(٢)] ولكم جزاء عملكم. ومعنى «عملي» أي الصالح المشتمل على الإيمان والطاعة.

﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ المشتمل على الشرك والعصيان. والظاهر أنها آية منابذة لهم وموادعة وفي ضمنها الوعيد.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت الآيتان في النّضر بن الحارث وغيره من المستهزئين. وهذه الآية فيها تقسيم من لا يؤمن من الكفار إلى قسمين، بعد تقسيم المكذبين إلى من يؤمن[(٣)] ومن لا يؤمن. والضمير في «يستمعون» عائد على «مَن» والعود على المعنى دون العود على

---

(١) ق: وقم.

(٢) ق: أي سأجزي عملي.

(٣) ق: لا يؤمن.

اللفظ في الكثرة، وهو كقوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء]. والمعنى: من يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلّمت الشرائع. ثم نفى جدوى ذلك الاستماع بقوله «أفأنت تسمع الصم» أي: هم وإن استمعوا إليك صُمٌّ عن إدراك ما تلقيه إليهم ليس لهم وعي ولا قبول ولا سيّما قد انضاف إلى الصّمم انتفاء العقل. فَحَرٍ[1] بمن عدم السمع والعقل ألاّ يكون له إدراك لشيء البتّة، بخلاف أن لو كان الأصمّ عاقلاً فإنه بعقله يهتدي إلى أشياء. وأعاد في قوله: «ومنهم من ينظر إليك» الضمير مفرداً مذكراً على لفظ «مَن» وهو الأكثر في لسان العرب. قال ابن عطية: جاء «ينظر» على لفظ «مَن»، وإذا جاء الفعل على لفظها فجائز أن يُعطف عليه آخر على المعنى. وإذا جاء أولاً على معناها فلا يجوز أن يعطف بآخر على اللفظ، لأن الكلام يلبس حينئذ انتهى.

ليس كما قال بل يجوز أن يراعى المعنى أولاً فيعيد الضمير على حساب ما يريد من المعنى من تأنيث وتثنية وجمع، ثم يراعى اللفظ فيعيد الضمير مفرداً مذكراً، وفي ذلك تفصيل ذكر في علم النحو. والمعنى أنهم عُمْي فلا تقدر على هدايتهم، لأن السبب الذي يُهتدى به إلى رؤية الدلائل قد فقدوه. هذا وهم مع فقد البصر قد فقدوا البصيرة؛ إذ من كان أعمى فإنه يهديه نور بصيرته إلى أشياء بالحدس، [٢٦٥/أ] وهذا قد جمع بين فقدان البصر والبصيرة. وهذه مبالغة عظيمة في عدم قبول ما يُلقى إلى هؤلاء؛ إذ جمعوا بين الصمم وانتفاء العقل، وبين العمى وفقد البصيرة.

وفي قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ وألاّ يكترث بعدم قبولهم، فإن الهداية إنما هي لله تعالى. ولمّا ذكر تعالى هؤلاء الأشقياء ذكر تعالى أنه لا

---

(١) حَرٍ وحريّ بمعنى.

يظلمهم شيئاً؛ إذ قد أزاح عللهم ببعثة رسول الله ﷺ وتحذيرهم من عقابه، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالتكذيب والكفر. واحتمل هذا النفي للظلم أن يكون في الدنيا أي: لا يظلمهم شيئاً من مصالحهم، واحتمل أن يكون في الآخرة [وأنّ] ما يلحقهم من العقاب هو عدل منه، لأنهم هم الذين تسبّبوا فيه باكتساب ذنوبهم كما قدّر تعالى عليهم ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ الآية، ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ جملة تشبيهية في موضع نصب من الضمير المنصوب في «نحشرهم» التقدير: مشبَّهين بمن لم يلبث إلا ساعة.

و﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ حال ثانية، ويجوز أن يكون استئناف إخبار. وأجاز ابن عطية في «كأن لم يلبثوا» أن يكون صفة لمصدر محذوف تقديره: حشراً كأن لم يلبثوا، وأن تكون الجملة المشبّهة في موضع صفة لقوله «يوم» انتهى. أما قوله إنه نعت لمصدر محذوف فيحتاج إلى رابط فقدّره: كأن لم يلبثوا قبله، ومثل هذا الرابط لا يجوز حذفه. وأما قوله إن الجملة في موضع الصفة «ليوم يحشرهم[1]» فلا يجوز، لأن الجملة التشبيهية هي نكرة و«يوم يحشرهم» معرفة؛ إذ التقدير: ويوم حَشْرهم، ولا توصف المعرفة بالنكرة.

---

(١) ق: نحشرهم.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أخبر عنهم بخبرين: أحدهما خسرانهم معلّلاً بالتكذيب بلقاء الله تعالى، والثاني إخباره تعالى بانتفاء هدايتهم.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ الآية، إمّا هي «إنْ» الشرطية زيد[١] عليها «ما». قال ابن عطية: ولأجلها جاز دخول النون الثقيلة، ولو كانت «إنْ» وحدها لم يَجُزْ انتهى. يعني أنّ دخول النون[٢] للتأكيد إنما يكون مع زيادة «ما» بعد «إنْ». وهذا الذي ذكره مخالف لظاهر كلام سيبويه؛ فأجاز سيبويه أن[٣] تقول: إنْ تقومنّ أقم، بغير زيادة «ما» بعد «إن». ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع إلى الله تعالى أي: إن أريناك عقوبتهم أو لم نُرِكَها فهم على كل حال راجعون إلينا إلى الحساب والعذاب. قال الزمخشري[٤]: «فإلينا مرجعهم» جواب «أو نتوفيّنك». [وجواب «نرينّك» محذوف كأنه قيل: وإما نرينك بعض الذي نعدهم فذاك أو نتوفّينّك] قبل أن نُرِيَكَهُ فنحن نريكه[٥] في الآخرة انتهى. جعل الزمخشري الكلام شرطين لهما جوابان، ولا حاجة إلى تقدير جواب محذوف؛ لأن قوله «فإلينا مرجعهم» صالح أن يكون جواباً للشرط والمعطوف عليه. وأيضاً فقول الزمخشري: فذاك هو اسم مفرد لا ينعقد منه جواب شرط، فكان ينبغي أن يأتي بجملة يتضح بها جواب الشرط؛ إذ لا يُفهم من قوله: فذاك، الخبر الذي حُذف المتحصّل به فائدة الإسناد. «ثم» مع ذلك الله شهيد من أول تكليفهم على جميع أعمالهم. «فثَمّ» هنا لترتيب

---

(١) ق: يريد.

(٢) ق: دخول إن.

(٣) ق: له أن.

(٤) الكشاف ٢: ٢٣٩.

(٥) ق: نريك.

الإخبار لا لترتيب القصص في أنفسها.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ الآية، لمّا بيّن حال الرسول ﷺ في قومه، بيّن حال الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم تسليةً له صلى الله عليه وسلم وتطميناً لقلبه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ﴾ الآية، الضمير في «ويقولون» عائد على مشركي قريش ومَن تابعهم من منكري الحشر، استعجلوا بما وُعدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد أو على سبيل الاستخفاف، ولذلك قالوا: إن كنتم صادقين فيما وعدتم به فلا يقع منه شيء.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى﴾ الآية، لمّا التمسوا تعجيل العذاب أو تعجيل الساعة، أمره أن يقول لهم: ليس ذلك إليّ بل إلى الله تعالى. وإذا كنت لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرًّا [٢٦٥/ب] فكيف أملكه لغيري وكيف أطّلع على ما لم يُطْلعني عليه الله تعالى.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ انفرد تعالى بعلمه، وتقدم الكلام على «لكلّ أمة أجل» في الأعراف[1].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا

(١) انظر شرح الآية ٣٤ من الأعراف.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ[1] إِنْ أَتَىٰكُمْ﴾ الآية، تقدم الكلام عليها في الأنعام[2]. وقرّرنا هناك أن العرب تُضمّن «أرأيت» معنى «أخبرني» وأنها تتعدّى إذ ذاك إلى مفعولين، وأن المفعول الثاني أكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها مع ما قبلها مبتدأ وخبر، تقول العرب: أرأيت زيداً ما صنع؟ المعنى: أخبرني عن زيد ما صنع، وقبل دخول «أرأيت» كان الكلام: زيد ما صنع؟. وإذا تقرّر هذا «فأرأيتم» هنا المفعول الأول لها محذوف، والمسألة من باب الإعمال: تنازع «أرأيت» و«إن أتاكم» على قوله «عذابه» فأعمل الثاني إذ هو المختار على مذهب البصريين وهو الذي ورد به السماع أكثر من إعمال الأول، فلما أعمل الثاني حذف من الأول، ولم يضمر، لأن إضماره مختصّ بالشعر أو قليل في الكلام على اختلاف النحويين في ذلك. والمعنى: قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب الله إن أتاكم أي شيء تستعجلون منه؟ فليس شيء من العذاب يستعجله عاقل؛ إذ العذاب كله مرّ المذاق موجب لنفار الطبع منه. فتكون جملة الاستفهام جاءت على سبيل التلطّف بهم والتنبيه لهم أن العذاب لا ينبغي أن يُستعجل. ويجوز أن تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والتهويل للعذاب أي: أيّ شيء شديد تستعجلون منه، أي: ما أشدّ وأهول ما تستعجلون من العذاب. وتقدّم الكلام في قوله «بياتاً» في الأعراف[3] مدلولاً وإعراباً، وانتصابه وما بعده على الظرف.

---

(١) ق: أرأيتكم.

(٢) ق: الأعراف. وانظر تفسير الآية ٤٠ من الأنعام.

(٣) انظر شرح الآية ٤ من الأعراف.

والمعنى: إن أتاكم عذابه وأنتم ساهون غافلون إمّا بنوم وإمّا باشتغال بالمعاش والكسب. وهو نظير قوله ﴿بَغْتَةً ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام] لأن العذاب إذا فاجأ من غير شعور به كان أشدّ وأصعب، بخلاف أن يكون قد استُعدّ له وهيّىء لحلوله. ويجوز في «ماذا» أن يكون «ما» مبتدأ و«ذا» خبره وهو بمعنى الذي، و«يستعجل» صفته، وحُذف الضمير العائد على الموصول التقدير: أيّ شيء الذي يستعجله من العذاب المجرمون؟. [ويجوز في «ماذا» أن يكون كله مفعولاً كأنه قيل: أي شيء يستعجله من العذاب المجرمون؟].

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: بِمَ يتعلّق الاستفهام وأين جواب الشرط؟ قلت: تعلّق «بأرأيتم» لأن المعنى: أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون. وجواب الشرط محذوف وهو: يندموا على الاستعجال ويعرفوا الخطأ فيه انتهى.

وما قدّره الزمخشري غير سائغ، لأنه لا يُقدّر الجواب إلا ممّا تَقَدّمه لفظاً أو تقديراً، تقول: أنت ظالم إن فعلت. فالتقدير: إن فعلت فأنت[2] ظالم. وكذلك ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [البقرة] التقدير: إن شاء الله نَهْتَدِ. فالذي يُسوّغ أن يُقدّر: إن أتاكم عذابه فأخبروني ماذا يستعجل. قال الزمخشري[3]: ويجوز أن يكون «ماذا يستعجل» جواباً للشرط كقولك: إن أتيتك ماذا[4] تطعمني؟، ثم تتعلّق الجملة «بأرأيتم» وأن يكون «أثمّ إذا ما

---

(١) الكشاف ٢: ٢٤٠.

(٢) ق: فأن.

(٣) الكشاف ٢: ٢٤٠.

(٤) ق: ما.

وقع آمنتم به» جواب الشرط، و«ماذا يستعجل منه المجرمون» اعتراضاً. والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان انتهى.

أمّا تجويزه أن يكون «ماذا» جواباً للشرط فلا يصحّ؛ لأن جواب الشرط إذا كان استفهاماً فلا بد فيه من الفاء، تقول: إن زارنا فلان فأيّ رجل هو؟ وإن زارنا فلان فأي يدٍ له بذلك؟. ولا يجوز حذفها إلا إن كان في ضرورة، والمثال الذي ذكره وهو: إن أتيتك ماذا تطعمني هو من تمثيله لا من كلام العرب. وأما قوله: تتعلق الجملة «بأرأيتم»؛ إن عنى بالجملة «ماذا يستعجل» فلا يصحّ ذلك لأنه قد جعلها جواباً للشرط. وإن عنى بالجملة جملة الشرط [٢٦٦/أ] فقد فسّر هو «أرأيتم» بمعنى أخبرني. وأمّا تجويزه «أثمّ إذا ما وقع آمنتم به» جواب الشرط و«ماذا يستعجل منه المجرمون» اعتراضاً، فلا يصحّ أيضاً لِمَا ذكرناه من أن جملة الاستفهام لا تقع جواباً للشرط إلا ومعها فاء الجواب. وأيضاً «فثُمّ» هنا وهي حرف عطف تعطف الجملة التي بعدها على ما قبلها فالجملة الاستفهامية معطوفة، [وإذا كانت معطوفة] لم يصحّ أن تقع جواب شرط. وأيضاً «فأرأيتم» بمعنى أخبرني يحتاج إلى مفعول ولا تقع جملة الشرط موقعه. والظاهر عود الضمير في «منه» على العذاب، وبه يحصل الربط بجملة الاستفهام بمفعول «أرأيتم» المحذوف الذي هو مبتدأ في الأصل، وقيل: يعود على الله تعالى. و«المجرمون» هم المخاطبون في قوله «أرأيتم إن أتاكم». ونبّه على الوصف الموجب لترك الاستعجال وهو الإجرام، لأنّ من حقّ المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعاً من مجيئه، وإن أبطأ فكيف يستعجله؟. و«ثم» حرف عطف، وتقدّمت همزة الاستفهام عليها كما تقدّمت على الواو والفاء في ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف] وفي ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا ﴿٩﴾﴾ [الروم] وتقدم الكلام على

ذلك[١]. قال الطبري في قوله «أثُمّ» بضمّ الثاء، إنّ معناه: أهنالك. قال[٢]: وليست ثمّ هذه التي تأتي بمعنى العطف انتهى. وما قاله الطبري من أنّ ثُمّ ليست للعطف دعوى!. وأما قوله إن المعنى: أهنالك، فالذي ينبغي أن يكون ذلك تفسير معنى، لا أنّ ثُمّ المضمومة الثّاء معناها معنى هنالك. وفاعل «وقع» ضمير يعود على العذاب. وقرىء: آلآن، على الاستفهام بالمدّ. وقرىء بهمزة الاستفهام بغير مدّ، وهو على إضمار القول أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: ألآن آمنتم به؟. فالناصب لقوله «الآن» هو آمنتم وهو محذوف. «وقد كنتم» جملة حالية لأن استعجالهم بالعذاب تكذيب لوقوعه.

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الآية، أي: يقول [لهم] خَزَنة جهنم هذا الكلام. والظّلم ظلم الكفر. «ثم قيل» هذا من عطف الجمل وهو استئناف إخبار عمّا يقال لهم يوم القيامة.

﴿ ۞ وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ﴾ أي: يستخبرونك. وأصلها أن تتعدّى إلى واحد بنفسها وإلى الآخر بحرف الجر، تقول: استنبأت زيداً عن عمرو، أي: طلبت منه أن يخبرني عن عمرو. فاستفعل هنا للطلب، والمفعول الأول كاف الخطاب، والمفعول الثاني الجملة من قوله «أحق هو» على سبيل التعليق. و«حَقٌّ» يجوز أن يكون خبراً مقدماً و«هو» مبتدأ، ويجوز أن يكون مبتدأ و«هو» الخبر. قال ابن عطية: وقيل: هي بمعنى يستعلمونك. قال: فهي على هذا تحتاج إلى مفاعيل ثلاثة: أحدها الكاف والابتداء والخبر سَدًّا مسدّ المفعولين. انتهى. ليس كما ذكر لأن استعلم لا يُحفظ كونُها متعدّية إلى

(١) انظر تفسير الآية ١٨٤ من الأعراف.

(٢) جامع البيان ١١ : ٨٥.

مفاعيل ثلاثة، لا يُحفظ: استعلمت زيداً عَمْراً قائماً. فتكون جملة الاستفهام سدّت مسدّ المفعولين، ولا يلزم من كونها بمعنى يستعلمونك أن تتعدى إلى ثلاثة، لأنّ استعلم لا يتعدّى إلى ثلاثة كما ذكرنا. والضمير في «هو» عائد على العذاب.

﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ﴾ أمر تعالى نبيّه أن يقول لهم مجيباً «إي وربّي». و«إي» هي من حروف الجواب بمعنى نعم، ولا تستعمل إلا مع القسم. وجواب القسم «إنه لحق»، قال الزمخشري[1]: وسمعتهم يقولون في التصديق [أيو] ويصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده.انتهى. لا حجّة فيما سمعه الزمخشري من ذلك لعدم الحجّة في سماعه لفساد كلام العرب إذ ذاك وقبله بأزمان كثيرة. «بمعجزين» أي: فائتين.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ الآية، ذكر بعض أحوال الظالمين في الآخرة. و«ظلمت» صفة لـ«نفس». والظلم هنا الشرك والكفر. وافتدى يأتي مطاوعاً لفدى فلا يتعدّى، تقول: فديته [٢٦٦/ب] فافتدى، وبمعنى فدى فيتعدى، وهنا يحتمل الوجهين.

و﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما كان لها في الدنيا من الخزائن والأموال والمنافع.

و﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ من الأضداد ويأتي بمعنى أظهروا أو بمعنى أخفوا.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾ الآية، قيل: تعلُّق هذه الآية بما قبلها من جهة أنه فرض أن النفس الظالمة لو كان لها ما في الأرض لافتدت به، وهي لا شيء لها البتّة

---

(١) الكشاف ٢: ٢٤١.

لأن جميع الأشياء إنما هي بأسرها ملك لله تعالى.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ۝٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٦٠ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ۝٦١﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم﴾ الآية، الخطاب بـ«يا أيها الناس» عام. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر الأدلّة على الإلهية والوحدانية والقدرة، ذكر الدلائل الدّالة على صحة النبوّة والطريق المؤدي إليها وهو القرآن. والمتّصف بهذه الأوصاف الشريفة هو القرآن.

﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ فضل الله: الإسلام، والرحمة: القرآن، قاله ابن عباس وقيل غير ذلك. والظاهر أن قوله «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» جملتان، وحذف ما تتعلّق به الباء والتقدير: [قل بفضل الله وبرحمته] ليفرحوا، ثم عُطفت الجملة الثانية على الأولى على سبيل التوكيد.

قال الزمخشري[1]: والتكرير للتأكيد [والتقرير] وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحُذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه. والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل: إن فرحوا لشيء

(١) الكشاف ٢: ٢٤١.

فلْيخصّوهما بالفرح، فإنه لا مفروح به أحقّ منهما. ويجوز أن يراد: بفضل الله وبرحمته فَلْيعتنوا فبذلك فليفرحوا. [ويجوز أن يراد: قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك - أي: فبمجيئهما - فليفرحوا] انتهى.

أما إضمار: فليعتنوا فلا دليل عليه. وأما تعليقه بقوله: قد جاءتكم، فينبغي أن يقدّر ذلك محذوفاً بعد: قل، ولا يكون متعلقاً بـ«جاءتكم» الأولى للفصل بينهما بقل.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس][1] وكان المراد بذلك كتاب الله المشتمل على التحليل والتحريم - بيّن فساد شرائعهم وأحكامهم من الحلال والحرام من غير مستند في ذلك إلى الوحي. و«أرأيتم» هنا بمعنى أخبروني. وتقدّم[2] أنها تتعدى لمفعولين: فالأول هنا «ما» من قوله «ما أنزل» وهي موصولة وصلتها «أنزل»، والضمير محذوف تقديره: أنزله. و«من رزق» تبيين لما انبهم من لفظ «ما»، و«فجعلتم» معطوف على «أنزل». والمفعول الثاني محذوف تقديره: آلله أذن لكم [وهي جملة استفهام دلّ على حذفها قوله بعد أمر الله تعالى له بـ«قل»: «آلله أذن لكم»]. و«أم» الظاهر أنها متصلة.

والمعنى: أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه، أم تكذبون على الله تعالى في نسبة ذلك إليه؟ فنبّه بتوقيفهم على أحد القسمين وهم لا يمكنهم ادّعاء إذن الله في ذلك فثبت افتراؤهم.

---

(١) وفي ق: قل يا أيها الناس.

(٢) انظر شرح الآية ٥٠ من هذه السورة.

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ ﴾ الآية، «ما» استفهامية مبتدأة خبرها «ظَنُّ» والمعنى: أيُّ شيءٍ ظَنُّ المفترين يوم القيامة؟.

أبهم الأمر على سبيل التهديد والإبعاد، يوم يكون الجزاء بالإحسان والإساءة.

و«يوم» منصوب بـ«ظَنُّ». ومفعول الظّن قيل: تقديره: ما ظنُّهم أن الله تعالى فاعل بهم أينجيهم أم يعذّبهم.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر جملة من أحوال الكفار ومذاهبهم والرّد عليهم ومحاولة الرسول لهم، ذكر فضله تعالى على الناس وأنَ أكثرهم لا يشكره على فضله، وذكر اطّلاعه تعالى على أحوالهم وحال الرسول معهم في مجاهدته لهم وتلاوة القرآن عليهم، وأنه تعالى عالم بجميع أعمالهم. واستطرد من ذلك إلى ذكر أولياء الله ليُظهر التفاوت بين الفريقين: فريق الشيطان وفريق الرّحمن.

والخطاب في قوله «وما تكون في شأن وما تتلو» للرسول ﷺ، وهو عام لجميع شؤونه عليه السلام. [٢٦٧/أ] «وما تتلو منه» مندرج تحت عموم «شأن» واندرج من حيث المعنى في الخطاب كلّ ذي شأن. و«ما» في الجملتين نافية، والضمير في «منه» عائد على «شأن»، و«من قرآن» تفسير للضمير، وخُصّ من العموم لأن القرآن هو أعظم شؤونه صلى الله عليه وسلم.

والخطاب في قوله «ولا تعملون» عامّ، وكذا «إلا كنّا عليكم شهوداً». وولي «إلاّ» هنا الفعل غير مصحوب بـ«قد»، لأنه قد تقدّم «إلاّ» فعل. والجملة بعد «إلا» حال. و«شهوداً» رقباء نحصي عليكم. و«إذ» معمولة

لقوله «شهوداً».

ولمّا كانت الأفعال السابقة المراد بها الحال[1] الدائمة وتنسحب على الأفعال الماضية، كان الظرف ماضياً وكان المعنى: وما كنت في شأن وما تلوت من قرآن وما عملتم من عمل إلا كنّا عليكم شهوداً إذ أفضتم فيه؛ و«إذ» تخلّص المضارع لمعنى الماضي.

ثم واجهه تعالى بالخطاب وحده في قوله «وما يعزب عن ربك» تشريفاً له عليه السلام وتعظيماً. ولمّا ذكر شهادته تعالى على أعمال الخلق ناسب تقديم «الأرض» التي هي محل المخاطبين على «السماء» بخلاف ما في سورة سبأ[2]، وإن كان الأكثر تقديمها على الأرض. وقرىء: يعزِب، بكسر الزّاي وكذا في سبأ.

والمثقال اسم لا صفة ومعناه هنا وزن ذرّة، والذّر صغار النّمل. ولمّا كانت الذّرة أصغر الحيوان المتناسل المشهور النوع عندنا، جعلها الله مَثَلاً لأقلّ الأشياء وأحقرها، إذ هي أحقر ما نشاهد، ثم قال «ولا أصغر من ذلك» أي: من مثقال ذرة.

ولما ذكر تعالى أنه لا يعزب عن علمه أدق الأشياء التي نشاهدها، ناسب تقديم «ولا أصغر من ذلك» ثم أتى بقوله «ولا أكبر» على سبيل إحاطة علمه بجميع الأشياء.

ومعلومٌ أنّ من علم أدقّ الأشياء وأحقرها وأخفاها كان علمه متعلّقاً بأكبر الأشياء وأظهرها. وقرىء: ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ، بفتح الراء فيهما،

---

(١) الحال: تذكر وتؤنّث، انظر مختصر المذكر والمؤنث ص٥٤.

(٢) وهو قوله تعالى ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۝٣﴾ [سبأ].

ووُجِّه[1] على أنه معطوف على «ذرّة» أو على «مثقال» على اللفظ. وقرىء برفع الراء فيهما، ووُجّه على أنه عطف على موضع «مثقال» لأنّ «مِن» زائدة، فهو مرفوع بـ«يعزب».

وقال الزمخشري[2] تابعاً لاختيار الزّجاج: والوجه النصب على نفي الجنس. والرفع على الابتداء ليكون كلاماً مبتدأ. وفي العطف على محلّ «مثقال ذرّة» أو لفظه فتحاً[3] في موضع الجر إشكال؛ لأن قوله: لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب، مشكل انتهى.

وإنما أشكل عنده لأن التقدير يصير: إلا في كتاب فيعزب، وهذا كلام لا يصحّ. وخرّجه أبو البقاء[4] على أنه استثناء منقطع تقديره: لكن هو في كتاب مبين، ويزول بهذا التقدير الإشكال.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ

---

(١) ق: ووجهه.

(٢) الكشاف ٢: ٢٤٣.

(٣) ق: ومحا.

(٤) انظر إملاء ٢: ٣٠.

سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ الآية، «أولياء الله» هم الذين يتولّونه بالطّاعة ويتولّاهم بالكرامة. وعن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ سئل عن أولياء الله فقال «هم الذين يُذكّرون الله برؤيتهم»(١) يعني السمت والهيئة. وهذه الآية يدلّ ظاهرها على أنّ من آمن واتّقى فهو داخل في أولياء [الله]، هذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولاء دائماً.

وإنما نبّهنا هذا التنبيه حذراً من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الوليّ. وبشراهم في الحياة الدنيا: تظاهرت الروايات عن رسول الله ﷺ أنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له، وبشراهم في الآخرة تلقّي الملائكة إياهم مسلّمين مبشّرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحف بأيمانهم وما يقرؤون [منها] وغير ذلك من البشارات.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تغيير لأقواله ولا خلف في مواعيده(٢) كقوله تعالى ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴿٢٩﴾﴾ [ق].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ إما أن يكون [٢٦٧/ب] «قولهم» أريد به بعض أفراده وهو التكذيب والتهديد وما يتشاورون به في أمر رسول الله ﷺ، فيكون من إطلاق العامّ وإرادة الخاص، وإمّا أن يكون ممّا حذفت منه الصّفة

(١) لم أجده، وروى ابن كثير ٣: ٥١٢ نحواً منه عن سعيد بن جبير مرسلاً.

(٢) ق: مواعده.

المخصّصة أي: قولهم الدّال على تكذيبك ومعاندتك[١].

ثم استأنف بقوله ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ أي: لا عزّة لهم ولا منعة فهم لا يقدرون لك على شيء ولا يؤذونك، إنّ الغلبة والقهر لله تعالى وهو القادر على الانتقام منهم فلا يُعازّه شيء ولا يغالبه.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ المناسبة ظاهرة في هذه الآية: لمّا ذكر أنّ العزّة له تعالى، وهي القهر والغلبة، ذكر ما يناسب القهر وهو كون المخلوقات له تعالى.

و«مَن» الأصل فيها أن تكون للعقلاء، وهنا هي شاملة لهم ولغيرهم على حكم التغليب، وحيث جيء «بما كان تغليبا» للكثرة إذ أكثر المخلوقات لا تعقل.

والظاهر أنّ «ما» نافية و«شركاء» مفعول «يتّبع»، ومفعول «يدعون» محذوف لفهم المعنى تقديره: آلهةً أو شركاء. أي: أن الذين جعلوهم آلهة وأشركوهم مع الله في الربوبيّة ليسوا شركاء حقيقة؛ إذ الشركة في الإلهيّة مستحيلة، وإن كانوا قد أطلقوا عليهم اسم الشركاء. وجوّزوا أن تكون «ما» استفهامية في موصع نصب بـ«يتّبع» و«شركاء» منصوب بـ«يدعون»[٢]، أي: وأيّ شيء يتّبع، على تحقير المتّبَع كأنه قيل: من يدعو شريكاً لله تعالى لا يتّبع شيئاً.

ومعنى «يخرصون» أي: يحزرون.

---

(١) ق: ومعاندك.

(٢) ق: بتدعون.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ ﴾ هذا تنبيه منه تعالى على عظم قدرته وشمول نعمته لعباده، فهو المستحقّ بأن يُفرد بالعبادة.

«لتسكنوا فيه» أي: ممّا تقاسون من الحركة والتردّد في طلب المعاش وغيره بالنهار. وأضاف الإبصار إلى النهار مجازاً لأن الإبصار يقع فيه كما قال[1]: [من الطويل]

[لقد لُمْتِنا يا أمّ غيلان في السُّرى] ونمتِ وما ليلُ المَطِيّ بنائمِ

أي: يبصرون فيه مطالب معايشهم.

قال قطرب: يقال: أظلم الليل: صار ذا ظلمة، وأضاء النهار وأبصر: أي: صار ذا ضياء وبصر انتهى.

وذكر علّة خلق الليل وهي «لتسكنوا فيه» وحَذَفها من النهار، وذكر وصف النهار، وحذفه من الليل، وكلّ من المحذوف يدلّ على مقابله، والتقدير: جعل الليل مظلماً لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً لتتحركوا فيه في مكاسبكم وما تحتاجون إليه بالحركة.

ومعنى «يسمعون»[2] سماع معتبر.

﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ ﴾ الآية، الضمير في «قالوا» عائد على مَن نَسب إلى الله الولد ممّن قال: الملائكة بنات الله وغير ذلك.

و«سبحانه» تنزيهه عن اتّخاذ الولد وتعجّب ممّن يقول ذلك.

---

(١) البيت لجرير في ديوانه ٢: ٩٩٣.

(٢) ق: تسمعون.

«هو الغني» علّة لنفي الولد، لأنّ اتخاذ الولد إنما يكون للحاجة إليه، والله تعالى غير محتاج إلى شيء، فهو غني عن اتخاذ الولد. و«إن» نافية. والسلطان: الحجة أي: ما عندكم من حجّة بهذا القول.

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾ الآية، لمّا ذكر الدلائل على وحدانيّته وذكر [ما جرى] بين الرسول وبين الكفار، ذكر قصصاً من قصص الأنبياء وما جرى لهم مع قومهم من الخلاف، وذلك تسلية لرسول الله ﷺ وليتأسّى بمن قبله من الأنبياء. والضمير في «عليهم» عائد على أهل مكة الذين تقدّم ذكرهم.

و«كَبُر» معناه عُظُم. «مقامي» أي: طول مقامي [فيكم، أو قيامي] للوعظ.

قال ابن عطية: ولم يُقرأ هنا بضم الميم.انتهى.

ليس كما قال، بل قرأ «مُقامي» بضم الميم أبو مجلز وأبو رجاء وأبو الجوزاء. والمُقام: الإقامة بالمكان، والمَقام: مكان القيام. وجواب الشرط «فعلى الله توكّلت» فلا أبالي منكم.

وقرىء: فأجمعوا، مِن: أجمع الرجل الشيء: عزم عليه ونواه، قال

[٢٦٨/أ] الشاعر[1]: [من الخفيف]

أجمعوا[2] أمرهم بليلٍ فلمّا أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

وقرىء: فأجمعوا، أمرٌ من جَمَع.

و«شركاءَكم» معطوف على «أمركم» وهو على حذف مضاف تقديره: وأمر شركائكم.

ومعنى «اقضوا إليّ» أنفذوا قضاءكم نحوي. ومفعول «اقضوا» محذوف أي: اقضوا إليّ ذلك الأمر وأمْضُوا ما في أنفسكم واقطعوا ما بيني وبينكم.

«ولا تُنظرون» أي: لا تؤخّروني، والنَّظِرة: التأخير.

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ الآية، أي: فإن دام تولّيكم عمّا جئت به إليكم من توحيد الله ورفض آلهتكم، فلست أبالي بكم إذا[3] ما دعوتكم إليه وذكّرتكم به ووعظتكم لم أسألكم عليه أجراً إنما يثيبني الله عليه.

«فكذّبوه» أي: فتمّوا على تكذيبه وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان.

و«في الفلك» متعلّق بالاستقرار الذي تعلّق به «معه» أو بـ«نجّيناه».

«وجعلناهم» [جمع] ضمير المفعول على معنى «مَن».

---

(١) البيت للحارث بن حلزة من معلّقته، وهو في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٤٥٢.

(٢) ق: جمعوا.

(٣) ق: إذا.

و«خلائف» يخلفون الغارقين المُهلَكين.

ثم أمر بالنّظر إلى عاقبة المنذَرين بالعذاب وإلى ما صار إليه حالهم. وفي هذا الإخبار توعّد للكفّار بمحمد ﷺ وضَرْبُ مثالٍ لهم في أنهم بحال هؤلاء من التكذيب فستكون حالهم كحالهم في التعذيب.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا﴾ الآية، أي: من بعد نوح رسلاً.

«إلى قومهم» يعني هوداً وصالحاً ولوطاً وإبراهيم وشعيباً.

والبيّنات: المعجزات والبراهين الواضحة المُثبتة لما جاؤوا به.

وجاء النفي مصحوباً بلام الجحود ليدلّ على أن أيمانهم في حيّز الاستحالة والامتناع.

قال ابن عطية: ويحتمل اللفظ عندي معنى آخر وهو أن تكون «ما» مصدرية، والمعنى: فكذّبوا رسلهم فكان عقابهم من الله أن لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل، أي: من قبل سببه ومن جرّائه(١). ويؤيد هذا التأويل [قوله] «كذلك نطبع» انتهى.

الظاهر أنّ «ما» موصولة ولذلك عاد الضمير عليها في قوله «بما كذّبوا به» ولو كانت مصدريّة بقي الضمير غير عائد على مذكور، فيحتاج أن يتكلف ما يعود عليه الضمير. والضمير في «كذّبوا» عائد على ما عاد عليه ضمير «كانوا» وهم قوم الرسل. والمعنى أنهم كانوا قبل بعثة الرّسل أهل جاهلية وتكذيب للحقّ فتساوت حالاتهم قبل البعثه وبعدها كأنْ لم يُبعث إليهم أحد. و«من قبل» متعلق «بكذّبوا» أي: من قبل بعثة الرسل.

---

(١) ق: جزاه.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾ الآية، لا يُخَصّ قوله «وملئه» بالأشراف بل هي عامة لقوم فرعون شريفهم ومشروفهم.

«فاستكبروا» تعاظموا عن قبولها. والحق: هو العصا واليد.

﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ ﴾ استفهام إنكار، ومعمول القول محذوف تقديره: هذا سحر. ثم أنكر عليهم أيضاً باستفهام ثانٍ وهو قوله «أسحرٌ هذا» أي: أسحرٌ هذا الذي جئت به من معجز العصا واليد. ثم أخبر عليه السلام بقوله ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا ﴾ الآية، «أجئتنا» خطاب لموسى عليه السلام وحده، لأنه هو الذي ظهرت على يديه المعجزات وهي العصا واليد.

«لتلفتنا» لتصرفنا وتلوينا. «عما وجدنا عليه آباءنا» من عبادة غير الله

واتخاذ آلهة دونه. و«الكبرياء» مصدر.

ولما ادّعوا أن ما جاء به موسى عليه السلام هو سحر، أخذوا في معارضته بأنواع من السّحر ليظهروا[١] لسائر الناس أنّ ما جاء به موسى عليه السلام هو من باب السحر.

والمخاطب بقوله «أئتوني» خَدَمة فرعون [٢٦٨/ ب] والمتصرّفون[٢] بين يديه. وقرىء: بكل سحّار، على المبالغة. وقرىء: بكل ساحر، على الإفراد.

وفي قوله «أَلْقُوا ما أنتم ملقون» استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم. وفي إبهام «ما أنتم ملقون» تخسيس[٣] وتقليل وإعلام أنه لا شيء يلتفت إليه.

وقرىء: السحر، بغير أداة استفهام، «فما» مبتدأة موصولة بمعنى الذي، وصلتها «جئتم به»، وخبر المبتدأ «السّحر».

وقرىء: آلسحر، بالاستفهام، «فما» استفهامية مبتدأة تقديره: أي شيء، و«جئتم به» الخبر، و«آلسحر» بدل من «ما». ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ويكون استفهاماً ثانياً تقديره: أهو السّحر؟.

قال ابن عطية: والتعريف هنا في «السحر» أرتب لأنه قد تقدّم منكّراً في قوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يونس] فجاء هنا بلام العهد، كما يقال أول[٤]

(١) ق: ليظهر.
(٢) ق: والمتصرّفين.
(٣) ق: تجنيس.
(٤) ق: إنّ أول.

الرسالة: سلام عليك، وفي آخرها: والسلام عليك انتهى.

أخذ هذا من[1] الفرّاء، قال الفرّاء[2]: وإنما قال «السحر» بالألف واللام لأن النكرة إذا أعيدت أعيدت بالألف واللام. ولو قال له: من رجل، لم يقع[3] له في فهمه أنه يسأله عن الرجل الذي ذكره له.انتهى.

وما ذكراه هنا في «السحر» ليس هو من باب تقدّم النكرة ثم أخبر عنها بعد ذلك؛ لأنّ شرط هذا أن يكون المعرَّف بالألف واللام هو النكرة المتقدم ولا يكون غيره كما قال تعالى ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ۝١٦﴾ [المزمل]، وتقول: زارني رجل فأكرمت الرجل. ولمّا كان إياه جاز أن تأتي بالضمير بدله فتقول: فأكرمته. والسحر هنا ليس هو السحر الذي في قولهم «إنّ هذا لسحر» أي: إنّ الذي أخبر ذا عنه بأنه سحر هو ما ظهر على يدي موسى من معجزة العصا، والسحر الذي في قول موسى عليه السلام إنما هو سحرهم الذي جاؤوا به، فقد اختلف المدلولان إذ قالوا هم عن معجزة موسى، وقال موسى عما جاؤوا به، ولذلك لا يجوز أن يؤتى هنا بالضمير بدل السحر، فيكون عائداً على قولهم «السحر».

و«سيبطله» يمحقه بحيث يذهب ويظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ الآية، الظاهر في الفاء من حيث إن مدلولها التعقيب،

---

(١) ق: أخذ من هذا.

(٢) انظر معاني القرآن ١: ٤٧٥، وليست هذه عبارته فيه.

(٣) ق: يقل.

أنّ هذا الإيمان الصادر من الذّرية لم يتأخر عن قصة الإلقاء.

والظاهر أن الضمير في «قومه» عائد على موسى، وأنه لا يعود على فرعون؛ لأن موسى عليه السلام هو المحدَّث عنه في هذه الآية، وهو أقرب مذكور، ولأنه لو كان عائداً على فرعون، لم يظهر لفظ «فرعون» وكان التركيب: على خوف منه ومن مَلَئهم أن يفتنهم. وهذا الإيمان من الذّرية كان أول مبعثه إذ قد آمن به بنو[1] إسرائيل قومه كلّهم: كان أوّلاً دعا الآباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون، وأجابَتْه طائفة من أبنائهم مع الخوف من فرعون.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ الآية، الظاهر أنهم سألوا الله أن لا يُفتنوا عن دينهم، وأن يخلصوا من الكفار، فقدّموا ما كان عندهم أهمّ وهو سلامة دينهم لهم، وأخّروا سلامة أنفسهم، إذ الاهتمام بمصالح [الدّين] آكد من الاهتمام بمصالح الأبدان.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ

(١) ق: من بني. وانظر في هذا جامع البيان ١١: ١٠٣ وما بعدها.

بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ الآية، «أنْ» يجوز أن تكون تفسيرية بمعنى أي، وأن تكون مصدرية.

و«تبوّآ» فعل أمر أي: اتّخذا[1] مباءة، وهو المكان الذي يرجع الإنسان إليه.

والظاهر اتخاذ البيوت بمصر وهي مصر المعروفة، ومصر من البحر إلى أسوان، والإسكندرية من أرض مصر.

﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: قِبَل القبلة، ثم سيق الخطاب عامًّا لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها، ثم خصّ موسى عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرض تعظيماً له وللمبشَّر به.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ﴾ الآية، الزّينة عبارة [٢٦٩/أ] عمّا يُتزيّن به ويُتحسّن من الملبوس والمركوب والأثاث[2]. والمال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق. وفي تكرير «ربّنا» توكيد للدّعاء والاستغاثة. واللام في «ليضلّوا» الظاهر أنها لام كي على معنى: آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج فكان الإيتاء لكي يُضلّوا. ويُحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله تعالى ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴿٨﴾﴾ [القصص] وكما قال

---

(١) ق: اتخذ.

(٢) ق: والإناث؟.

الشاعر[١]: [من البسيط]

وللمنـايـا تُـربّـي كـلُّ مـرضعـةٍ وللخراب يُجِدُّ الناسُ عمرانا

﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ الآية، قال ابن عباس: صارت دراهمهم حجارة منقوشة صحاحاً وأثلاثاً وأنصافاً، ولم يبق لهم معدن إلاّ طمس الله عليه فلم ينتفع به أحد بعدُ.

﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس: اطبع عليها وامنعها من الإيمان.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ مجزوم[٢] على أنه جواب «اشدد»، والأمر وجوابه ينعقد منهما شرط وجزاء وتقدير ذلك هنا: إن تشدد لا يؤمنوا.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ الآية، قال محمد بن كعب: كان موسى عليه السلام يدعو وهارون عليه السلام يؤمّن، فنُسبت الدعوة إليهما، ويمكن أن يكونا دَعَوَا معاً، ثم أُمرا بالاستقامة، والمعنى الديمومة عليها وعلى ما أُمرتما من الدعوة إلى الله وإلزام حجّة الله.

و«الذين لا يعلمون» فرعون وقومه، قاله ابن عباس.

﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ تقدّم الكلام في الباء من [قوله] «ببني[٣] إسرائيل» وكم كان الذين جاوزوا مع موسى عليه السلام في الأعراف[٤]. ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ الآية، وإتباع فرعون هو بمجاوزة البحر. روي أن فرعون

(١) البيت في زاد المسير ٤: ٥٦ غير منسوب.

(٢) ق: منصوب. وإذا كان منصوباً فهو معطوف على ليضلوا.

(٣) ق: من بني.

(٤) انظر شرح الآية ١٣٨ من الأعراف.

لما انتهى إلى البحر، فوجده قد انفرق ومضى فيه بنو إسرائيل، قال لقومه: إنما انفرق بأمري. وكان فرعون على فرس ذكر، فبعث الله إليه جبريل على فرس أنثى ودَنَوَا، فدخل بها البحر ولج فرس فرعون وراءه وجنّب الجيوش خلفه، فلما رأى أن الانفراق قد ثبت واستمرّ له وبعث الله ميكائيل يسوق الناس حتى حصل جميعهم في البحر فانطبق عليهم، ولمّا لحقه من الدهش ما لحقه، كرّر المعنى بثلاث عبارات: إما على سبيل التّلعثم؛ إذ ذاك مقام تحار فيه القلوب، أو حرصاً على القبول، ولم يقبل الله تعالى منه، إذ فاته وقت القبول وهو حالة الاختيار وبقاء التكليف. والتوبة بعد المعاينة لا تنفع؛ ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿فَلَمْ [يَكُ] يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمن]. وتقدّم الخلاف في قراءة: «آلان» في قوله «آلان وقد كنتم به تستعجلون» في هذه السورة[1]، والمعنى: أتؤمن الآن الساعة في حال الاضطرار حين أدركك[2] الغرق وأيستَ من نفسك؟ قيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق.

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ الآية، أي: نلقيك بنجوةٍ من الأرض وهي المكان المرتفع. و«ببدنك» بدرعك، وكان من لؤلؤ منظوم لا مثال له، قاله[3] ابن عباس. والبدن: بدن الإنسان، والبدن: الدرع القصيرة، قال الشاعر[4]:

[من الوافر]

---

(١) انظر شرح الآية ٥١.

(٢) ق: أدرك.

(٣) ق: قال.

(٤) البيت في شرح القصائد السبع ص٤١٤ غير منسوب، وهو في القرطبي ٨: ٣٨٠ منسوب إلى كعب بن مالك.

تـــرى الأبـــدان فيهـــا مُسْبَغـــاتٍ على الأبطـال واليَلَـبَ[1] الحصينا

يعني الدروع. وقيل: نلقيك ببدنك عرياناً ليس عليك ثياب ولا سلاح، وذلك أبلغ في [٢٦٩/ب] إهانته.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ[2] إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية، الظاهر أن بني إسرائيل هم الذين كانوا آمنوا بموسى عليه السلام، ونَجَوْا من الغرق وسياق الآيات يشهد لهم.

وانتصب «مبوّأ صدق» على أنه مفعول ثانٍ «لبوّأنا» كقوله تعالى ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا ۝٥٨﴾ [العنكبوت] أو على المصدر.

ومعنى «صدق» أي: فضل وكرامة. ولمّا ذكر أنه بوّأهم مبوّأ صدق ذكر امتنانه عليهم بما رزقهم من الطيبات، وهي المآكل المستلذّات أو الحلال.

«فما اختلفوا» أي: كانوا على ملّة واحدة وطريقة مع موسى عليه السلام في أول حاله.

«حتى جاءهم العلم» أي: علم التوراة فاختلفوا. وهذا ذمٌّ لهم أي: أن سبب الاتفاق هو العلم فصار عندهم سبب الاختلاف فتشعّبوا شعباً بعدما قرؤوا التوراة.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٩٤ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ

(١) ق: والثلب.

(٢) ق: لبني.

ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ الآية، الظاهر أنّ «إنْ» شرطيّة تقتضي تعليق شيء على شيء، ولا تستلزم تحتّم وقوعه ولا إمكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كقوله تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف] ويستحيل أن يكون له ولد، فكذلك هذا يستحيل أن يكون عليه السلام في شك، وهذه الآية من ذلك.

وقيل: «إن» نافية. وقيل: الخطاب لغير رسول الله ﷺ. وقيل: معنى «في

شكّ» في ضيق ولا يُراد به حقيقة الشّك وهو تساوي الجائزَيْن. وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا أشكّ ولا أسأل بل أشهد أنه الحق»[١].

«فتكون» منصوب بإضمار أنْ بعد الفاء وهو جواب النّهي قبله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ذكر[٢] عباداً قضى عليهم بالشقاوة فلا تتغير. والكلمة التي حقّت عليهم هي اللعنة والغضب.

﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ هو في الوقت الذي لا ينفعهم فيه إيمانهم.

﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ﴾ الآية، «لولا» هنا هي التحضيضيّة التي صَحِبها التوبيخ. وكثيراً ما جاءت في القرآن للتحضيض فهي بمعنى هلاّ. والتحضيض أن يريد الإنسان فعل الشيء الذي يحضّ عليه. وإذا كانت للتوبيخ فلا يريد[٣] المتكلّم الحضّ على ذلك الشيء. وهنا وبّخهم على ترك الإيمان النافع، والمعنى: فهلاّ آمن أهل قرية وهم على مهل لم يلتبس العذاب بهم، فيكون الإيمان نافعاً لهم في هذه الحالة.

و«إلاّ قوم يونس» استثناء منقطع، إذ لم يندرج قوم يونس في قوله «قرية». وإلى الانقطاع فيه ذهب سيبويه والكسائي والفرّاء والأخفش. وقيل: هو استثناء متّصل لأن التّحضيض إنما يكون على شيء لم يقع فتضمّن معنى النفي، وصار المعنى: لم تكن قرية - يعني أهلها - آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس، وهم أهل نينوى من بلاد الموصل كانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم يونس عليه السلام، فأقاموا على تكذيبه سبع سنين، وتوعّدهم

---

(١) رواه سعيد عن قتادة، انظر تفسير الطبري ١١: ١١٦.

(٢) ق: لما ذكر.

(٣) ق: يرد.

العذاب بعد ثلاثة أيام وقيل بعد أربعين يوماً.

«إلى حين» أي: إلى وقت انقضاء آجالهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، قيل: أُنزلت في أبي طالب لأن رسول الله ﷺ أسف لموته على ملّة عبد المطّلب، وكان حريصاً على إيمانه، وكان أحرص الناس على هداية من في الأرض.

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ تقديم الاسم في الاستفهام على الفعل، يدلّ على إمكان حصول الفعل، لكن من غير الاسم، فللّه أن يُكره الناس على الإيمان لو شاء، وليس ذلك لغيره.

وقرىء: ونجعل، بنون المتكلم، ويجعل، بياء الغيبة.

[٢٧٠/أ] ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إذ السبيل إلى معرفته تعالى هو بالتفكر في مصنوعاته: ففي[1] العالم العلوي في حركات الأفلاك ومقاديرها وأوضاعها، والكواكب وما يختصّ بذلك من المنافع والفوائد. وفي العالم السفليّ في أحوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان وخصوصاً حال الإنسان. وكثيراً ما ذكر الله في كتابه الحضّ على التفكر في مخلوقاته تعالى، وقال «ماذا في السماوات والأرض» تنبيهاً على القاعدة الكليّة، والعاقل يتنبّه لتفاصيلها وأقسامها. ثمّ لمّا أمر تعالى بالنّظر أخبر أنه من لا يؤمن، لا تغنيه الآيات.

و«النّذر» جمع نذير؛ إما مصدر فمعناه: والإنذارات، وإما بمعنى منذر فمعناه: المنذرون والرّسل.

---

(١) ق: وفي.

و«ما»[1] الظاهر أنها للنفي، ويجوز أن تكون استفهاماً أي: وأيّ شيء تغني الآيات وهي الدلائل؟ وهو استفهام على جهة التقرير.

قال ابن عطية: ويحتمل أن تكون «ما» في قوله «وما تغني» مفعولة لقوله «انظروا» معطوفة على قوله «ماذا» أي: تأمّلوا قَدْر غَناء الآيات والنذر عن الكفّار إذا قبلوا ذلك كفعل قوم يونس، فإنه يرفع العذاب في الدنيا والآخرة، وينجي من المهلكات. فالآية على هذا تحريض على الإيمان، وتجوُّز اللفظ على هذا التأويل إنما هو في قوله «لا يؤمنون» انتهى.

هذا احتمال فيه ضعف. وفي قوله: مفعولة معطوفة على قوله «ماذا» [تجوّز] - يعني[2] أن الجملة الاستفهامية التي هي «ماذا في السماوات والأرض» في موضع المفعول - لأنّ «ماذا» وحده منصوب بـ«انظروا» فتكون «ماذا» موصولة و«انظروا» بصرية لما تقدّم. وفي الآية توبيخ لحاضري رسول الله ﷺ من المشركين.

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ لما تقدّم قوله «فهل ينظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم» وكان ذلك مشعراً بما حلّ بالأمم الماضية المكذّبة ومصرّحاً بهلاكهم في غير ما آية - أخبر تعالى عن حكاية حالهم الماضية فقال «ثم ننجّي رسلنا». والمعنى أن الذين خلوا، أهلكناهم لمّا كذّبوا الرّسل، ثم نجّينا الرّسل والمؤمنين. والظاهر أن «كذلك» في موضع نصب تقديره: مثلَ ذلك الإنجاء الذي نجّينا الرسل ومؤمنيهم ننجي من آمن بك يا محمد، ويكون

---

(١) ق: وأما.

(٢) ق: تغني.

«حقًّا» على تقدير: حقّ ذلك حقًّا[1].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الآيات خطاب لأهل مكّة، يقول: إن كنتم لا تعرفون ما أنا عليه فأنا أبيّنه لكم. فبدأ أولاً بالانتفاء من عبادة ما يعبدون من الأصنام تسفيهاً لآرائهم، وأثبت ثانياً مَن الذي يعبده وهو «الله الذي يتوفّاكم». وفي ذكر هذا الوصف الوسط الدّال على التَّوفي دلالة على البدء وهو الخلق، وعلى الإعادة، فكأنه أشار إلى أنه يعبد الله الذي خلقكم ويتوفّاكم ويعيدكم. وكثيراً ما صرّح بهذه الأطوار الثلاثة وكان التصريح بهذا الوصف لما فيه من التذكير بالموت وإرهاب النفوس به وصيرورتهم إلى الله تعالى بعده، فهو الجدير بأن يُخاف ويُتّقى ويُعبد لا الحجارة التي يعبدونها. «وأُمرت أن أكون من المؤمنين» لمّا ذكر أنه يعبد الله وكانت العبادة أغلب ما عليها عمل الجوارح، أخبر بأنه أُمر بأن يكون من المصدّقين بالله الموحّدين له المُفْرِديه بالعبادة، فانتقل من عمل الجوارح إلى نور المعرفة وطابق الباطن الظاهر.

﴿وَأَنْ أَقِمْ﴾ يحتمل أن تكون معمولة لقوله «وأُمرت» مراعى فيها المعنى، لأن معنى قوله «أن أكون»: كن من المؤمنين، فتكون [٢٧٠/ب] «أن» مصدرية صلتها الأمر. والوجه هنا المنحى والمقصد، أي: استقم للدين ولا تَحِدْ عنه. و«حنيفاً» حال من الضمير في «أقم» أو من المفعول.

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ كنّى بالفعل عن الدّعاء مجازاً أي: فإن دعوت ما لا ينفعك ولا يضرّك. وجواب الشرط «فإنك» وخبرها. وتوسّطت «إذاً» بين اسم إنّ والخبر، ورُتْبَتها بعد الخبر، لكن روعي في ذلك الفاصلة.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ الآية، أتى في الضّر بلفظ المسّ، وفي الخير بلفظ

---

(١) وننجي: مضارع أنجى، وخطّ المصحف بغير ياء.

الإرادة. وطابق بين الضّر والخير مطابقة معنوية لا لفظية؛ لأن مقابل الضرّ النفع، ومقابل الخير الشّر، فجاءت لفظة[1] الضّر ألطف وأخصّ من لفظة الشّر، وجاءت لفظة الخير أتمّ من لفظة النفع. ولفظة المسّ أوجز من لفظة الإرادة وأنصّ على الإصابة وأنسب لقوله «فلا كاشف له إلاّ هو». ولفظة الإرادة أدلّ على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره وأنسب للفظ الخير. وإن المسّ والإرادة معناهما الإصابة. وجاء جواب «وإن يمسسك» بنفي عام وإيجاب، وجاء جواب «وإن يُرِدْك» بنفي عامّ لأنّ ما أراده لا يردّه رادّ لا هو صلى الله عليه وسلم ولا غيره.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ الآية، «الحق» القرآن والرسول ودين[2] الإسلام. والمعنى: فإنما ثواب هدايته حاصل له، ووبال ضلاله عليه. والهداية والضلال واقعان بإرادة الله تعالى. وروي أنه لما نزلت «واصبر» جمع صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال «إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني»[3].

---

(١) ق: لفظ.

(٢) ق: دين.

(٣) أخرجه البخاري ٦: ٢٥٨٩ من حديث أسيد بن حضير.

سورة هود(1)
عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾.

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ قال ابن عباس: هذه السورة مكية كلّها. وعنه أيضاً أنها مكّية إلا قوله ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ ﴿١٢﴾﴾ [هود]. و«كتاب» خبر مبتدأ محذوف يدلّ عليه ظهوره بعد هذه الحروف المقطّعة كقوله ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴿٢﴾﴾ [البقرة]. و«أحكمت» صفة له. ومعنى الإحكام نظمه نظماً رصيفاً(2) لا نقص فيه ولا خلل. والهمزة في «أُحكمت» للنقل، وأصله حكم فهو حكيم ثم أُدخلت عليه همزة النقل فصار يتعدّى إلى واحد. «ثم فصّلت» كما تفصّل القلائد بالدلائل من دلائل التوحيد والأحكام

---

(1) مكّية وآياتها مئة وثلاث وعشرون.

(2) ق: رصفيًا.

والمواعظ والقصص، أو جُعلت فصولاً سورة سورة وآية آية، أو فرّقت في التنزيل ولم تُنزّل جملة واحدة، أو فُصّل بها ما يحتاج إليه العباد أي بيّن ولُخّص. «من لدن» تقدّم الكلام عليه في آل عمران[1].

«حكيم» بمعنى مُحكِم وهي صفة راجعة لقوله «أحكمت». «خبير» عالم بخفايا الأشياء راجع إلى قوله «ثم فصّلت». وكان[2] العطف بـ«ثمّ» لتراخي أوامر التفصيل ونواهيه عن المنزّل بالإحكام. و«من لدن» تتعلق بأحد الفعلين من باب الإعمال، ومن حيث المعنى تتعلق بهما.

و﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ يحتمل أن تكون «أن» حرف تفسير لأنّ في تفصيل الآيات معنى القول وهذا أظهر. ويجوز أن تكون الناصبة للمضارع و«لا» نفي، وعلامة النصب حذف النون. ويجوز أن تكون «أنْ» مصدرية وُصلت بفعل النّهي وعلامة الجزم فيه حذف النون. والظاهر عود الضمير في «منه» إلى الله تعالى أي: إنني لكم نذير من جهته وبشير، فتكون في موضع الصفة فتعلّق بمحذوف أي: كائن من جهته [٢٧١/أ] أو تعلّق بـ«نذير» أي: أنذركم من عذابه إن كفرتم وأبشركم بثوابه إن آمنتم.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟﴾ هذا أمر بالاستغفار يرجّح أن يكون «ألا تعبدوا» نهياً[3]، نهى ثم أمر كقوله[4]: [من الطويل]

[وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم] يقولون لا تَهْلِكْ أسىً وتجمَّلِ

(١) انظر تفسير الآية ٣٨ من السورة.

(٢) ق: وإن كان.

(٣) ق: نهي.

(٤) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٩.

والاستغفار: طلب المغفرة وهي الستر. والتوبة: الانسلاخ من المعاصي والنّدم على ما سلف منها والعزم على عدم العود إليها. وتقدّم أمران بينهما تراخٍ وترتّب عليهما جوابان بينهما تراخٍ: ترتّب على الاستغفار التمتيع المتاع الحسن [في الدنيا] وترتّب على التوبة إيتاء الفضل في الآخرة، وناسب كل جواب لما وقع جواباً له؛ لأن الاستغفار من الذنب أول حال الراجع إلى الله تعالى فناسب أن يرتّب عليه [حال] الدنيا، والتوبة هي المنجية من النار والتي تُدخل الجنة فناسب أن يرتّب عليها حال الآخرة. والضمير في «فضله» يحتمل أن يعود على الله أي: يعطي في الآخرة كلّ من كان له فضل في عمل الخير وزيادة ما تفضّل به عليه تعالى وزاده[1]. ويحتمل أن يعود على «كل» أي: جزاء ذلك الفضل الذي عمله في الدنيا لا يبخس منه شيء. والظاهر أن «تولّوا» مضارع حذف منه التاء أي: وإن تتولّوا، وقيل: هو ماضٍ للغائبين والتقدير: فقل لهم إني أخاف عليكم. ووصف «يوم» بكبير وهو يوم القيامة لما يقع فيه من الأهوال.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى جزائه. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق، وكان يجالس رسول الله ﷺ ويحلف أنه يحبّه ويضمر خلاف ما يُظهر، وقيل غير ذلك.

﴿لِيَسْتَخْفُوا۟﴾ أي: من الله فلا يُطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم. والضمير في «منه» عائد على الله تعالى، والذي يظهر من أسباب النزول أنه عائد على رسول الله ﷺ، وكما قيل إنّ هذه الآية نزلت في الكفار الذين

---

(١) ق: وزيادة.

كانوا إذا لقيهم رسول الله ﷺ تطامنوا وثَـنَوْا صدورهم كالمستتر وردّوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بثيابهم تباعداً منه وكراهة للقائه، وهم يظنّون أنّ ذلك يخفى عليه أو على الله تعالىٰ فنزلت الآية. فعلى هذا يكون «ليستخفوا» متعلّقاً بـ «يثنون صدورهم».

ومعنى ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يجعلونها أغشية، ومنه قول الخنساء[1]:

أرعى النجومَ وما كُلِّفتُ رِعْيَتَها ... وتـارةً أتغشّى فضلَ أطماري[2]

[من البسيط]

وانتصب «حين» بقوله «يعلم».

وقال الزمخشري[3]: يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم.

وقال أبو البقاء[4]: «ألا حين» العامل في الظرف محذوف أي: ألا حين يستغشون ثيابهم يستخفون.

وتقدير الزمخشري وأبي البقاء إضمار لا يُحتاج إليه.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ

(١) الديوان ص٥٨.

(٢) ق: أتماري.

(٣) الكشاف ٢: ٢٥٨.

(٤) إملاء ٢: ٣٥.

وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، الدابّة هنا عامّ في كلّ حيوان يحتاج إلى رزق. و«على الله» ظاهر في الوجوب وإنما هو تفضّل، ولكنّه لمّا ضمن تعالى أن يتفضّل عليهم، أبرزه في حيّز الوجوب. قال ابن عباس: «مستقرها» حيث تأوي إليه من الأرض، و«مستودعها» الموضع الذي تموت فيه فتدفن.

«من دابة» في موضع مبتدأ و«من» زائدة لاستغراق الجنس.

و«رزقها» مبتدأ و«على الله» خبره، والجملة خبر المبتدأ والتقدير: وما من دابّة إلاّ رزقها كائن على الله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى ما يدلّ على كونه عالماً ذكر ما يدلّ على كونه قادراً. وتقدّم تفسير الجملة [٢٧١/ب] الأولى في سورة يونس[(١)]. والظاهر أن قوله «وكان عرشه على الماء» تقديره: قبل خَلْق السماوات والأرض. وفي هذا دليل على أنّ الماء والعرش كانا مخلوقَيْن قبلُ. والظاهر تعلّق «ليبلوكم» بخلق، أي: خلقهنّ بحكمة بالغة وهي أن يجعلها مساكن لعباده، وينعم عليهم فيها بفنون النعم، ويكلّفهم فعل الطاعات واجتناب المعاصي، فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه.

(١) انظر الآية ٣ من سورة يونس، وشرح الآية ٥٤ من الأعراف.

ومعنى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم.

و﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾ مبتدأ وخبر في موضع نصب بقوله «ليبولكم» وهو معلّق لأن الاختبار فيه معنى التمييز والعلم.

وذكر الزمخشري[١] أن «استمع» تعلّق ومثّله بقوله: استمع أيّهم أحسن صوتاً.انتهى.

ولا أعلم أحداً ذكر أنّ «استمع» تعلّق، وإنما ذُكر من غير أفعال القلوب: سَلْ وانظر. وفي جواز تعليق «رأى» البَصَريّة خلاف، ولذلك علّق عن جملة الاستفهام. والظاهر الإشارة «بهذا» إلى القول أي: إنْ قولك[٢] إنكم مبعوثون إلاّ سحر، أي: بطلان هذا القول كبطلان السحر.

والظاهر أن «العذاب» هو العذاب الموعود به. والأمّة هنا: المدّة من الزمان.

﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ استفهام قالوه على سبيل التكذيب والاستهزاء. والظاهر أن «يوم» منصوب بقوله «مصروفاً» فهو معمول لخبر ليس. وقد استدلّ به على جواز تقديم خبر ليس عليها؛ قالوا: لان تقدّم المعمول يؤذن بتقدّم العامل، ونُسب هذا المذهب لسيبويه وعليه أكثر البصريين، وذهب الكوفيون والمبرّد إلى أنه لا يجوز ذلك وقالوا: لا يدلّ جواز تقديم المعمول على جواز تقدّم العامل، وأيضاً فإن الظرف والمجرور يُتّسع فيهما ما لا يُتّسع في غيرهما ويقعان حيث لا يقع العامل فيهما نحو: إنّ اليومَ زيداً مسافر. وقد تتبّعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقدّم خبر ليس عليها ولا بمعموله إلاّ ما

---

(١) الكشاف ٢: ٢٥٩.

(٢) ق: قولكم.

دلّ عليه ظاهر هذه الآية، وقول الشاعر(١): [من الطويل]

فيأبى فما يزداد إلا لجاجة   وكنت أبيًّا في الخَنا لست أُقْدم

وتقدم تفسير جملة ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾(٢).

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ الآية، الظاهر أن «الإنسان» هنا هو جنس، والمعنى أن هذا الخُلق في سجايا الناس، ثم استثنى منهم الذين ردّتهم الشرائع والإيمان إلى الصبر والعمل الصالح، ولذلك جاء الاستثناء منه في قوله «إلا الذين صبروا» متصلاً.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ﴾ الآية، كانوا يقترحون عليه الآيات تعنّتاً لا استرشاداً، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة ممّا جاء به كافية في رشادهم.

و﴿وَضَائِقٌ﴾ اسم فاعل من ضاق، وعبر «بضائق» دون ضيّق للمناسبة في اللفظ مع «تارك» وإن كان «ضيّق» أكثر استعمالاً، لأنه وصف لازم و«ضائق» وصف عارض، ولأن اسم الفاعل من الثلاثي إذا لم يأت على وزن فاعل نحو: فَرِحٍ وثقيل، وأُريد الحدوث به بُني على فاعل كثَقُل فهو ثاقل وفَرِح

(١) لم أجده، وانظر البحر ٥: ٢٠٦.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠ من سورة الأنعام.

فهو فارح، ولذلك جاء اسم الفاعل من ضاق على: فاعل، لحدوثه[١]، إذ ليس وصفاً لازماً فيجيء على: ضيّق.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي ليس عليك إلاّ أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلّغهم بما أُمرت بتبليغه، وما عليك رَدُّوا أو تهاونوا واقترحوا.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يحفظ ما يقولون، وهو فاعل بهم ما يجب أن يُفعل، فتوكّلْ عليه وكِلْ أمرك إليه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الآية، الظاهر أنّ «أم» منقطعة فتقدّر ببل والهمزة أي: بل أيقولون أفتراه. والضمير في «افتراه» عائد على قوله «يوحى إليك» وهو القرآن. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لا تتعلّق [٢٧٢/أ] أطماعهم بأن يترك بعض ما أوحي إليه إلا لدعواهم أنه ليس من عند الله، وأنه هو الذي افتراه. وإنما تحدّاهم أوّلاً بعشر سور مفتريات قبل تحدّيهم بسورة، إذ كانت هذه السورة مكّية والبقرة مدنية، وسورة يونس أيضاً مكية[٢]. ويقتضي التحدّي بعشرٍ أن يكون قبل طلب المعارضة بسورة، فلمّا نسبوه إلى الافتراء طلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات إرخاءً لعنانهم[٣] وكأنه يقول: هَبُوا أني اختلقتُه ولم يُوحَ إليّ، فأْتوا أنتم بكلام مثله[٤] مختلق من عند أنفسكم، فأنتم عرب فصحاء مثلي، لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام. وإنما عنى بقوله «مثله» في حسن النظم والبيان وإن كان مفترى.

---

(١) ق: الحدوثة.

(٢) آية التحدي في البقرة قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة]، وفي يونس قوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس].

(٣) ق: لعناتهم.

(٤) ق: مثله بكلام.

وشأن من يريد تعجيز شخص أن يطالبه أوّلاً بأن يفعل أمثالاً ممّا يفعل هو، ثم إذا تبيّن له عجزه قال له: افعل مثالاً واحداً.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ الذي يظهر أن الضمير في «فإن لم يستجيبوا» عائد على «من استطعتم»، وفي «لكم» عائد على الكفار، لعَوْد الضمير على أقرب مذكور، ولكون الخطاب يكون لواحد، ولترتُّب الجواب على الشرط ترتُّباً حقيقياً من الأمر بالعلم. ولا يُتجوّز بأنه [أريد به]: فدوموا على العلم بأن لا إله إلا هو، ولا أن يكون قوله «فهل أنتم مسلمون» تحريضاً على تحصيل الإسلام لا أنه يراد به الإخلاص.

ولمّا طولبوا بالمعارضة وأُمروا بأن يَدْعوا من يساعدهم فلم تُمْكن المعارضة ولا استجاب أصنامهم وآلهتهم لهم، أُمروا بأن يعلموا أنه من عند الله وليس مفترى فتمكن معارضته، وأنه تعالى هو المختصّ بالألوهية لا يشركه في شيء منها آلهتهم وأصنامهم، فلا يمكن أن يجيبوا لظهور عجزهم وأنها لا تنفع ولا تضرّ في شيء من المطالب.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر أشياء من أحوال الكفّار المنافقين في القرآن، ذكر شيئاً من أحوالهم الدنيوية وما يؤولون إليه في الآخرة. وظاهرُ «مَن» العموم في كلّ من يريد زينة

الحياة الدنيا، والجزاء مقرون بمشيئته تعالى. وجاء فعل الشرط ماضياً في قوله «من كان» وفعل الجزاء مضارعاً مجزوماً وهو «نوفّ» والجزم أفصح من الرفع؛ إذ لو جاء «نوفّي» مرفوعاً لكان جائزاً كما قال[1]: [من البسيط]

وإن أتاه خليل يومَ مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرَمُ

فرفع «يقول» ولو جزمه لكان أفصح كالآية. وأفرد الضمير في «كان يريد» على لفظ «مَن» وجَمَعه في قوله «إليهم» مراعاة للمعنى.

والضمير في قوله ﴿مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ الظاهر أنه عائد على «الآخرة» والمجرور متعلق «بحبط» والمعنى: وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة. ويجوز أن يتعلق بقوله «صنعوا» فيكون عائداً على الحياة الدنيا كما عاد عليها في «فيها» قبلُ[2].

و«ما» في «ما صنعوا» بمعنى الذي، أو مصدريّة، و«باطل» وما بعده توكيد لقوله «وحبط ما صنعوا». و«باطل» خبر مقدّم إن كان من عطف الجمل و«ما كانوا» هو المبتدأ. وإن كان خبراً بعد خبر ارتفع «ما» «بباطل» على الفاعلية.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ الآية، لمّا ذكر حال من يريد الحياة الدنيا، ذكر حال من يريد وجه الله بأعماله الصالحة، وحذف المعادل الذي دخلت عليه الهمزة والتقدير: كمن يريد الحياة الدنيا. وكثيراً ما حُذف في القرآن كقوله تعالى ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۝٨﴾ [فاطر]. وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره.

(١) البيت لزهير في ديوانه ص١٥٣.
(٢) أي في الآية السابقة.

«كان على بيّنة» أي: على برهان من الله وبيان أن دين [٢٧٢/ب] الإسلام حقّ وهو دليل العقل.

﴿وَيَتْلُوهُ﴾ ويتبع ذلك البرهان.

﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي: شاهد بصحّته وهو القرآن. «منه» أي: من الله تعالى أو شاهد[1] من القرآن.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: ومن قبل القرآن.

﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ وهو التوراة، أي: ويتلو ذلك أيضاً من قَبْل القرآن كتاب موسى.

والإشارة بـ«أولئك» إلى[2] «من كان على بيّنة»، راعى معنى «مَن» فجمع.

﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ أي: مكان وعده الذي يصير إليه، وقال حسّان[3]:

أوردتموه حياض الموت ضاحيةً فالنار موعدها والموت لاقيها

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى

(١) ق: وشاهد.

(٢) ق: إلا.

(٣) ديوانه ص٤٨٥. وهو من البسيط

ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَمَنْ[1] أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ تقدّم تفسير نظير هذه الجملة[2].

و«الأشهاد» جمع شاهد كصاحب وأصحاب، أو جمع شهيد كشريف وأشراف، والأشهاد: الملائكة الذين يحفظون عليهم أعمالهم في الدنيا.

وفي قوله «هؤلاء» إشارة إلى تحقيرهم وإصغارهم بسوء مرتكبهم[3].

وفي قوله «على ربّهم» أي: على من يحسن إليهم ويملك نواصيهم، وكانوا جديرين بأن لا يكذبوا عليه.

﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ اسم لـ«كان» و«مِن» زائدة. والضمير في «ما كانوا» عائد على «أولياء».

ومعنى أنه لا يستطيع [أن يسمع] ولا يبصر فكيف يصلح للولاية؟ ويكون «يضاعف لهم العذاب» اعتراضاً. وقيل: «ما» مصدرية أي: يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم وإبصارهم، والمعنى أن العذاب وتضعيفه دائم لهم متمادٍ.

و﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ خسران أنفسهم كونهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى، فخسروا في تجارتهم خسراناً لا أعظم منه. وهو على حذف مضاف

---

(١) ق: فمن.

(٢) انظر تفسير الآية ٢١ من الأنعام.

(٣) ق: مركبتهم.

أي: راحة وسعادة أنفسهم.

﴿لَا جَرَمَ﴾ مذهب الخليل وسيبويه أنّهما رُكّبا من لا، وجرم، وبُنيا، والمعنى: حقّ، وما بعده رُفع به على الفاعلية.

وقال الكسائي: معناها: لا صدّ ولا منع، فيكون اسم لا، وهي مبنيّة على الفتح.

وقال قوم إنّ «جرم» مبنيّة مع لا على الفتح نحو قولك: لا رجل، ومعناها: لا بدّ. ولا محالة، وهو شبيه بقول الكسائي، فيكون «أنّهم» على إسقاط حرف الجر إذ صار التقدير: لا بدّ من أنّ لهم النار، أي: من كينونة النار لهم.

ولمّا كان خسران النفس أعظم الخسران، حكم عليهم بأنهم هم الزائدون في الخسران على كل خاسرٍ من سواهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، والفريقان هنا الكافر والمؤمن.

ولمّا كان تقدّم ذكر الكفّار، وأعقب بذكر المؤمنين، جاء التمثيل هنا مبتَدَأً بالكافر فقال «كالأعمى والأصم».

ويمكن أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين، فقوبل[1] الأعمى بالبصير، وهو طباق، وقوبل الأصمّ بالسميع، وهو طباق أيضاً.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ استفهام معناه النفي أي: لا يستويان. «مثلاً» أي: صفة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ

(١) ق: وقوبل.

إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ الآية، ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ ظاهر في أنهم كانوا يعبدون الأوثان كما جاء مصرّحاً [به] في غير هذه السورة[1]. و«أن» بدل من «أنّي لكم» في قراءة من فتح، ويحتمل أن تكون [«أن»] المفسّرة.

وأما في قراءة من كَسَر فيحتمل أن تكون المفسّرة والمراعى قبلها إمّا «أرسلنا» وإمّا «نذير مبين»، ويحتمل أن تكون] معمولة «لأرسلنا» أي: بأن لا تعبدوا إلا الله.

وذكروا في ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ أنه منصوب على الظرف، والظاهر أن العامل

(١) انظر نوح ٧١: ٢٣. وفيها أسماء أصنام عبدها قوم نوح ثم عَبَدَتْها العرب بعد ذلك.

فيه «اتّبعك» وإن كان الظرف جائياً بعد «إلاّ» والمعنى: اتبعك في بادىء رأيهم أراذلنا. وقرىء: بادىء الرأي، من بدأ يبدأ ومعناه أول الرأي. وقرىء: بادي، بالياء من بدا يبدو، ومعناه ظاهر الرأي.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ﴾ لمّا حكى شبهتهم في إنكار نبوّته عليه السلام في[1] قولهم «ما نراك إلا بشراً مثلنا» ذكر أن المساواة في البشرية لا تمنع من حصول المفارقة في صفة النبوّة والرسالة. ثم ذكر الطريق الدالّ على إمكانه على جهة التعليق والإمكان، وهو متيقّن أنه على بيّنة من معرفة الله وتوحيده، وما يجب له وما يمتنع، لكنه أبرزه في طريق الشرط والجزاء على سبيل الفرض لهم والاستدراج [٢٧٣/أ] للإقرار بالحق وقيام الحجّة على الخصم.

والبيّنة: البرهان والشاهد بصحّة دعواه.

و﴿ رَحْمَةً ﴾ قال ابن عباس: الرحمة النبوة.

«فعميت» [قرىء مبنيًا للفاعل، وقرىء: فعُمّيت] مبنيًا للمفعول مع شدّ الميم. والظاهر أن الضمير عائد على البيّنة، وبذلك يحصل الذّم لهم من أنه أتى بالمعجزة الجليلة الواضحة وأنها على وضوحها واستنارتها خفيت عليهم.

﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ تعدّى لمفعولين أحدهما ضمير الخطاب والثاني ضمير الغيبة، واتّصاله أفصح، ويجوز في الكلام انفصاله فتقول: أنلزمكم إياها.

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾ الآية، تلطّف نوح صلى الله عليه وسلم بندائه إياهم بقوله «ويا قوم» و«يا قوم» استدراجاً لهم في قبول كلامه، كما

---

(١) ق: وفي.

تلطّف مؤمن آل فرعون بقوله «يا قوم» «يا قوم»[١].

والضمير في «عليه» عائد على الإنذار وإفراد الله تعالى بالعبادة المفهوم من قوله ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۝٢٦﴾ [هود]. وتقدم تفسير الجمل الثلاث في الأنعام[٢].

و﴿تَزْدَرِيٓ﴾ تفتعل والدّال بدل من التاء، قال الشاعر[٣]: [من الوافر]

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسد هصور

والعائد على الموصول محذوف أي: تزدريهم [أي] تستحقرهم أعينكم.

و﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ﴾ معمول لقوله «ولا أقول».

و«للذين» معناه لأجل الذين.

﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ الظاهر المبالغة في الخصومة والمناظرة.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ إشارة إلى قوله ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦﴾ [هود]. و«بما» يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي، وحذف العائد تقديره: بما تَعِدُناه، ويجوز أن تكون مصدرية أي: بوعدك.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ الآية، أي: ليس ذلك إليّ إنما هو لله تعالى الذي يعاقبكم على عصيانكم إن شاء فعل.

---

(١) انظر سورة المؤمن ٤٠: ٢٩ وما بعدها.
(٢) انظر تفسير الآيتين ٩٠، ٥٢ من الأنعام.
(٣) البيت للعباس بن مرداس في شرح ديوان الحماسة ٣: ١١٥٣، وفي تهذيب اللغة ٥: ١١١.

ولمّا قالوا «قد جادلتنا» وطلبوا تعجيل العذاب، وكان مجادلته لهم إنما هو على سبيل النّصح والإنقاذ من عذاب الله تعالى قال «ولا ينفعكم نصحي». وهذان الشرطان اعتقب الأول منهما قوله «ولا ينفعكم نصحي» وهو دليل على جواب الشرط تقديره: إن أردت أن أنصح لكم، فلا ينفعكم نصحي، والشرط الثاني اعتقب الأول، وجوابه أيضاً ما دلّ عليه قوله «ولا ينفعكم نصحي» تقديره: إن كان الله يريد أن يغويكم فلا يمنعكم نصحي. وصار الشرط الثاني شرطاً في الأول، وصار المتقدم متأخّراً والمتأخر متقدّماً، وكان التركيب: إن أردت أن أنصح لكم، إن كان الله يريد أن يغويكم، فلا ينفعكم نصحي. وهو من حيث المعنى كالشرط إذا كان بالفاء[1] نحو: إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم، فلا ينفعكم نصحي.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ﴾ الآية، الظاهر أن الضمير في «يقولون» عائد على قوم نوح أي: بل أيقولون افتراه فيما أخبرهم به من دين الله وعقاب من أعرض عنه، [فقال] عليه السلام: «إن افتريته فعليّ إجرامي» أي: إثم إجرامي، والإجرام مصدر أجرم.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا

(١) ق: بالغا.

قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ الآية، «فلا تبتئس» نهاه تعالى عن ابتئاسه، وهو حزنه عليهم في استكانة. وابتأس: افتعل من البؤس، ويقال: ابتأس الرجل إذا بلغه شيء يكرهه، قال الشاعر[1]: [من الطويل]

وكم من خليلٍ أو حميمٍ رُزِئْتُهُ ... فلم أبتئسْ[2] والرُّزْءُ فيه جليلُ

﴿وَاصْنَعِ﴾ عطف على «فلا تبتئس».

«بأعيننا» بمرأى [منّا] وكلاءة وحفظ.

---

(١) البيت في القرطبي ٩: ٣٠ غير منسوب.

(٢) ق: فلا نبتئس.

«ووحينا» نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع، وعن ابن عبّاس: لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر[(١)].

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ الآية، هي حكاية حالٍ ماضية، و«الفلك» السفينة، قال ابن عباس: [٢٧٣/ب] الخشب من خشب الشمشار[(٢)] وهو البقص، قطعه من جبل لبنان.

وسخريتهم منه لكونهم رأوه يبني السفينة، ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت. قالوا: يا نوح ما تصنع؟ قال: أبني بيتاً يمشي على الماء. فتعجّبوا من قوله، وسخروا منه، وقالوا: هذا الذي يزعم أنه نبيّ، صار نجّاراً.

و«كلما» ظرف، و«ما» مصدرية ظرفية تقديره: وكل وقت مرور سخروا منه، والناصب لكلّ «سخروا».

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ تهديد بالغ، والعذاب المخزي: الغرق، والعذاب المقيم: عذاب الآخرة لأنه دائم عليهم سرمد[(٣)]. و«من يأتيه» مفعول «بتعلمون» و«مَن» موصولة. وتعدّى «تعلمون» إلى واحد استعمالاً لها استعمال عرف في التعدية إلى واحد.

قال ابن عطية: وجائز أن تكون التعدية إلى مفعولين، واقتصر على الواحد انتهى.

---

(١) أي صدره.

(٢) في سائر التفاسير: من خشب السّاج، وهو شجر يعظم جدًّا. والشمشار والبقص لم أجدهما.

(٣) ق: سرور.

ولا يجوز حذف الثاني اقتصاراً، لأنّ أصله خبر مبتدأ، ولا اختصاراً هنا، لأنه لا دليل على حذفه.

و﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ هنا غاية لقوله «ويصنع الفلك»، و«يصنع» كما قلنا حكاية حال ماضية أي: وكان يصنع الفلك إلى أن جاء وقت الوعد الموعود به. والجملة من قوله «وكلما مرّ عليه» حال، كأنه قيل: ويصنعها، والحال أنه كلما[1] مرّ.

و﴿ أَمْرُنَا ﴾ واحد الأمور، أو مصدر، أي: أَمْرنا بالفَوَران، أو للسحاب بالإرسال، والملائكة بالتصرّف في ذلك.

﴿ وَفَارَ ﴾ معناه انبعث بقوة. و﴿ ٱلتَّنُّورُ ﴾ وجه الأرض، والعرب تسمّيه تنّوراً قاله ابن عباس. والتّنور: مستوقَد النار ووزنه فُعُّول عند أبي علي، وهو أعجمي وليس بمشتقّ.

وقال ثعلب: وزنه تَفْعول من النّور، وأصله تَنْوُور فهمزت الواو ثم خفّفت وشدّد الحرف الذي قبله.

وقرىء: من كلٍّ، بالتنوين، فيكون «زوجين» مفعولاً بقوله «احمل». وقرىء بغير تنوين على الإضافة، فيكون «اثنين» مفعول «احمل». و«أهلك» و«من» معطوفان على المفعول قبله.

ولمّا كان المطر ينزل كأفواه القرب، جعلت الوحوش تطلب وسط الأرض هرباً من الماء حتى اجتمعت عند السفينة، فأمر الله تعالى أن يجعل فيها من الزوجين اثنين، يعني ذكراً وأنثى، ليبقى أصل النسل بعد الطوفان. فروي أنه

---

(١) ق: كما.

كان يأتيه بعض الحيوان فيضع يمينه على الذّكر ويساره على الأنثى، وكانت السفينة ثلاث طبقات: السفلى للوحوش والوسطى للطعام والشراب والعليا له ولمن آمن معه.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: ثمانون رجلاً. وعنه: ثمانون إنساناً ثلاثة من بنيه: سام وحام ويافث وثلاث كنائن له. ولمّا خرجوا من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية الثمانين بناحية الموصل.

﴿۞وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ الآية، الضمير في «وقال» عائد على نوح عليه السلام: أي: وقال نوح حين أُمر بالحمل في السفينة لمن آمن معه ولمن أُمر بحمله: اركبوا[1] فيها. والظاهر أنه خطاب لمن يعقل خاصّةً، لأنه لا يليق بمن لا يعقل. وعُدّي «اركبوا» بفي لتَضَمُّنه معنى: صِيْروا فيها أو ادخلوا، والتقدير: اركبوا الماء فيها.

والباء في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ في موضع الحال أي: متبرّكين باسم الله.

و﴿مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ منصوبان إما على أنهما ظرفا زمان أو مكان، لأنهما يجيئان لذلك، أو ظرفا زمان على جهة الحذف كما حذف من: جئتك مقدم الحاجّ أي: وقت قدوم الحاج.

ويجوز أن يكون «مجراها ومرساها» مرفوعين على الابتداء و«باسم الله» الخبر.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ إخبار من الله بما جرى للسفينة. و«بهم» حال: أي ملتبسة بهم، والمعنى: تجري وهم فيها.

---

(١) ق: اركبوها.

﴿فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ أي: في موج الطوفان، شبّه كلّ موجة منه بجبل في تراكمها وارتفاعها. وقوله «في موج» يدلّ على أنّ الموج[١] كان ظرفاً لهم وهم [٢٧٤/أ] مظروفون فيه، وكانت السفينة تسبح بهم في الماء كالسمكة.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ الآية، الواو لا ترتّب، وهذا النداء كان قبل جَرْي السفينة في قوله «وهي تجري بهم». وفي إضافته إليه هنا وفي قوله «إنّ ابني من أهلي» ونداثه دليل على أنه ابنه لصلبه، قاله ابن عباس. والضمير في «كان» عائد على ابنه. وأدغم بعض القراء الباء في الميم من «اركب معنا» لاشتراكهما في أنهما من حروف الشّفة، ولذلك أبدلت في قول بعضهم: با اسمك؟ يريدون: ما اسمك؟. ونداؤه بالتصغير خطاب تحنّن ورأفة. والمعنى: اركب معنا في السفينة فتنجو «ولا تكن مع الكافرين» فتهلك.

وظنّ ابن نوح أنّ ذلك المطر والتفجّر على العادة ولذلك قال «سآوي إلى جبل يعصمني» أي: من وصول الماء إليّ فلا أغرق. وهذا يدل على تماديه في الكفر وعدم وثوقه بأبيه فيما أخبر. قيل: والجبل الذي عناه طورزيتا[٢] فلم يمنعه.

والظاهر إبقاء «عاصم» على حقيقته وأنه نفى كلّ عاصم من أمر الله في ذلك الوقت وأن «من رحم» يقع فيه مَنٌّ على المعصوم. والضمير الفاعل يعود على الله تعالى وضمير[٣] الموصول محذوف ويكون الاستثناء منقطعاً أي: لكن من رحمه الله معصوم.

---

(١) ق: الموضع.

(٢) علم مرتجل لجبل يقع شرقي وادي سلوان، انظر معجم البلدان «طورزيتا». وقيل إن الجبل الذي آوى إليه طور سيناء، انظر القرطبي ٩: ٤٠.

(٣) ق: والضمير.

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾ أي: بينه وبين نوح عليه السلام. قيل: كانا يتراجعان الكلام فما استتمّت المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكباً على فرس وقد بطر وأُعجب بنفسه فالتقمَتْه وفرسه، وحيل بينه وبين نوح فغرق.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ الآية، في هذه الآية أحد وعشرون نوعاً من البديع: المناسبة في قوله «أقلعي» و«ابلعي»، والمطابقة بذكر الأرض والسماء، والمجاز في قوله «يا سماء» والمراد مطر السماء، والاستعارة في قوله «أقلعي»، والإشارة في قوله «وغيض الماء» فإنها إشارة إلى معانٍ كثيرة، والتمثيل في قوله «وقضي الأمر» عبّر بإهلاك الهالكين ونجاة النّاجين بلفظة[1] فيها بُعد عن لفظه الموضوع له، والإرداف في قوله «واستوت على الجودي» فقوله «استوت» كلام تام و«على الجودي» مُردَف قصداً للمبالغة في التمكّن بهذا المكان، والتعليل في قوله «وغيض الماء» فإنّ ذلك علّة الاستواء، وصحة التقسيم باستيعاب أقسام الماء في حالة نقصه إذ ليس إلاّ احتباس ماء السماء واحتقان ماء الأرض وغَيْضُ الماء حاصل على ظهرها، والاحتراس في قوله «وقيل بعداً للقوم الظالمين» وهو أيضاً ذمّ لهم ودعاء عليهم، والإيضاح بقوله «الظالمين» بيّن أنّهم هم القوم الذين سبق ذكرهم في قوله ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۝٣٨﴾ [هود] فالألف واللام في «القوم» للعهد، ولو سقط لفظة «القوم» هنا حصل لبس في المعنى، والمساواة فلفظها مساوٍ لمعناها، وحُسْن النّسق لعطف[2] قضايا بعضها على بعض، والإيجاز لذكر القصة باللفظ القصير مستوعباً للمعاني الجمّة،

---

(١) ق: وبلفظة.

(٢) ق: العطف.

والتّسهيم لأن أوّل الآية «يا أرض ابلعي» فاقتضى آخرها «ويا سماء أقلعي»، والتهذيب لأن مفردات الألفاظ موصوفة بكمال الحُسن، كلّ لفظة سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة، وحُسْن البيان والتمكين، لأن الفاصلة مستقرّة في قرارها، والتجنيس في قوله «أقلعي» و«ابلعي»، والمقابلة في قوله «يا أرض ابلعي» و«يا سماء أقلعي»، والذّم في قوله «بعداً للقوم الظالمين»، والوصف: قصّ القصّة ووصفها بأحسن وصف بحيث استعمل نعوت ألفاظها وصفات معانيها. فما أعظم إعجازها من آيةٍ عدّة ألفاظها تسع عشرة لفظة فيها أحد وعشرون نوعاً من البديع.

و﴿الْجُودِيِّ﴾ اسم جبل[1]. وهذا النداء والخطاب بالأمر هو استعارة مجازية وعلى هذا جمهور الحُذّاق، وقيل إن الله تعالى أحدث فيهما إدراكاً وفهماً [٢٧٤/ب] لمعاني الخطاب. رُوي أن أعرابياً سمع هذه الآية فقال: هذا كلام القادرين!.

ومعنى ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ﴾ أراد أن يناديه، ولذلك أدخل الفاء؛ إذ لو أراد حقيقة النداء والإخبار عن وقوعه منه، لم يدخل الفاء في «فقال» ولسقطت. والواو في هذه الجملة لا ترتّب أيضاً، وذلك أن هذه القصّة كانت أول ما ركب نوح السفينة.

ومعنى: ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ أي: الذين أُمرت أن أحملهم في السفينة بقوله تعالى ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴿٤٠﴾﴾ [هود] ولم يظنّ أنه داخل فيمن استثناه الله تعالى بقوله ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴿٤٠﴾﴾ [هود] لِظنّه أنه مؤمن.

وعموم قوله «ومن آمن» يشمل المؤمن من أهله وغيرهم. وحسن الخطاب

---

(١) جبل بقرب الموصل. انظر معجم البلدان «الجودي».

بقوله «وإنّ وعدك الحق».

ومعنى ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ على قول من قال إنه ابنه لصلبه، أي: الناجين أو الذين عمّهم الوعد. ومن زعم أنه ربيبه فهو ليس من أهله حقيقةً، إذ لا نسبة بينه وبينه بولادة. فعلى هذا نفى ما قَدَّر أنه داخل في قوله «وأهلك» ثم علّل انتفاء كونه ليس من أهله بأنه «عملٌ غير صالح». والضمير في «إنه» عائد على ابن نوح.

وقرىء: عملٌ، منوّناً «غيرُ» رفعاً صفة له. فاحتمل قوله «إنه» أن[1] يكون على حذف مضاف تقديره: أي: إنّ عَمَلَه غيرُ صالح، أو يكون الحذف في «عمل» تقديره: إنه ذو عمل غير صالح، أو جعله نفس العمل مبالغة في ذمّه.

[وقرىء]: عَمِلَ، فعلاً ماضياً و«غيرَ» منصوب به.

ومعنى قوله ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: إذا وعدتك، فاعلم يقيناً أنه لا خُلْفَ في الوعد، فإذا رأيت ولدك لم يُحمل، فكان عليك أن تقف وتعلم أن ذلك بحقّ واجب عند الله تعالى. ولكنّ نوحاً عليه السلام حملته شفقة النبوّة وسجيّة البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير، وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء بترفّق في قوله «إني أعظك أن تكون من الجاهلين».

﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ في المستقبل ما لا علم لي بصحّته، تأدبياً بأدبك واتّعاظاً بموعظتك.

---

(١) ق: إذ.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾ الآية، القائل هو الله تعالى لقوله [«منّا»] و«سنمتّعهم». أُمر عند نزوله بالهبوط من السفينة أو من الجبل مع أصحابه للانتشار في الأرض. والباء للحال أي: مصحوباً بسلامة وأمن.

﴿وَبَرَكَٰتٍ﴾ هي الخيرات النامية في كل الجهات. والظاهر أنّ «مِن» لابتداء الغاية، أي: ناشئة من الذين معك وهم الأمم المؤمنون إلى آخر الدهر. ويجوز أن يكون «أمم» مبتدأ محذوف الصّفة، وهي المسوّغة لجواز الابتداء بالنكرة، والتقدير: وأممٌ منهم، أي: ممّن معك أي: ناشئة معك. ويجوز أن يكون مبتدأ، ولا يقدّر صفة، والخبر «سنمتّعهم» في التقديرين، ومسوّغ الابتداء كون المكان مكان تفصيل. ويدلّ على أن الممتَّعين تقع منهم معاصٍ فلذلك قال ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ الآية، «تلك» الإشارة إلى قصة نوح، وتلك: إشارة[1] للبعيد لأنّ بين هذه القصّة والرسول عليه السلام مُدداً لا تُحصى. و«من أنباء الغيب» مِن للتّبعيض، وهو الذي تقادم عهده، ولم يبق عِلْمه إلا عند الله تعالى.

و﴿نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ﴾ لتكون لك هداية وأسوة فيما لقيه غيرك من الأنبياء، ولم يكن علمها عندك ولا عند قومك، وأعلمناهم بها لتكون لهم مثالاً وتحذيراً أن يصيبهم إذا كذّبوك ما أصاب أولئك. وَلِلَحْظِ هذا المعنى ظهرت فصاحة قوله «فاصبر» أي: فاصبر على أذاهم مجتهداً في التبليغ عن الله تعالى، فالعاقبة لك كما كانت لنوحْ عليه السلام في هذه القصة.

ومعنى «ما كنت تعلمها» أي: مفصّلة كما سردناها عليك، وعِلْمُ

---

(١) ق: الإشارة.

[٢٧٥/أ] الطوفان كان معلوماً عند العالم على سبيل الإجمال. والجملة من قوله «ما كنت تعلمها» في موضع الحال من مفعول «نوحيها» أو من[1] مجرور «إليك».

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ الآية، «وإلى عاد» معطوف على قوله ﴿ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [هود] عطفت الواو والمجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب.

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ قال الحسن: في جعلكم الإلهيّة لغير الله تعالى.

---

(١) ق: ومن.

﴿ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ أي: بحجّة واضحة تدلّ على صدقك. وقد كذبوا في [ذلك] وبهتوه. و«عن» في قوله «عن قولك» حال من الضمير في «تاركي آلهتنا» كأنه قيل: صادرين عن قولك.

﴿ إن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ ﴾ نسبوا ما صدر منه[1] من دعائهم إلى الله تعالى وإفراده بالإلهيّة إلى الخبل والجنون، وأن ذلك ممّا اعتراه به بعض آلهتهم لكونه سبّها وحرّض على تركها ودعا إلى ترك عبادتها. و«اعتراك» جملة محكيّة «بنقول» فهي في موضع المفعول، ودلّت على بَلَهٍ حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم.

﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ ﴾ الآية، وصف قدرة الله تعالى وعِظَم ملكه من كون كلّ دابة في قبضته وملكه وتحت قهره وسلطانه. فأنتم من جملة أولئك المقهورين.

وقوله ﴿ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ تمثيل؛ إذ كان المالك القادر يقود المقدور عليه بناصيته كما يُقاد الأسير والفرس بناصيته حتى صار الأخذ بالناصية عُرفاً في القدرة على الحيوان. وكانت العرب تجزّ ناصية الأسير الممنون عليه، علامة أنه قُدر عليه وقُبض على ناصيته.

والظاهر أن الضمير في «تولّوا» عائد على قوم هود، وخطابه لهم من تمام الجمل المقولة قبلُ. و«تَولّوا» أصله تتولّوا، حُذفت التاء الثانية فصار تَولّوا. وجواب الشرط قوله «قد أبلغتكم» وصحّ أن يكون جواباً، لأنّ في إبلاغه إليهم رسالته تَضَمُّنَ ما يحلّ بهم من العذاب المستأصِل، فكأنه قيل: فإن تتولّوا استُؤصلتم بالعذاب، ويدل على ذلك الجملة الخبرية وهي قوله «ويستخلف ربي قوماً غيركم».

---

(١) ق: منهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا﴾ الآية، قيل: كانوا أربعة آلاف وقيل ثلاثة آلاف. والظاهر تعلّق «برحمةٍ منّا» بقوله «نجّينا» أي: نجّيناهم بمجرد رحمة من الله، لحقتهم، لا بأعمالهم الصالحة.

وقال الزمخشري[1]: فإن قلت: ما معنى تكرير التّنجية؟ قلت: ذكر أوّلاً أنه حين أهلك عدوّهم نجّاهم ثم قال «ونجّيناهم من عذاب غليظ» على معنى: وكانت التّنجية من عذاب غليظ. قال: وذلك أن الله تعالى بعث عليهم السّموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم وتقطّعهم عضواً عضواً.

﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ﴾ إشارة إلى قبورهم وآثارهم، كأنه قيل: سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا. ثم استأنف الإخبار عنهم فقال «جحدوا بآيات ربهم»[2] أي: أنكروها. وأضاف الآيات إلى «ربّهم» تنبيهاً على أنه مالكهم ومربّيهم[3]، فأنكروا آياته، والواجب إقرارهم بها. وأصل جَحَد أن يتعدّى بنفسه، لكنه أجري مجرى كَفَر، فعُدّي بالباء كما عُدّي كَفَر بنفسه.

﴿وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ﴾ قيل: عَصَوْا هوداً والرسل الذين كانوا من قبله، وقيل: يُنزَّل تكذيب الرسول الواحد منزلة تكذيب الرّسل لأنهم كلهم مجمعون على الإيمان بالله والإقرار بربوبيّته لقوله ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ٢٨٥﴾ [البقرة].

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ أي: اتبع سقاطهم أمر رؤسائهم وكبرائهم، والمعنى أنهم

---

(١) الكشاف ٢: ٢٧٧.

(٢) ق: جحدوا بها أي: بآيات ربهم.

(٣) ق: أو مربّيهم.

أطاعوهم فيما أمروهم به.

﴿وَأُتْبِعُوا﴾[1] عامّ في المتّبعين والمتبوعين. وانتصب «بعداً» على أنه مصدر بمعنى الدعاء كأنه قيل: أبعدهم الله بعداً، ومعناه الدعاء بالهلاك.

و«قوم هود» بدل من «عاد»[2] وإنما خصّهم بالذكر لأنّ ثَمّ عاداً أخرى [٢٧٥/ب] وهم المشار إليهم بقوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠﴾ [النجم]. وهم عاد إرم.

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٦٢ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝٦٣ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝٦٤ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝٦٥ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ۝٦٦ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٦٧ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝٦٨﴾.

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ الآية، «هو أنشأكم» اخترعكم «من الأرض» أي: باختراعه آدم صلى الله عليه وسلم أصلهم، فكان إنشاء الأصل إنشاء

---

(١) ق: وأتبعناهم.

(٢) ق: هاد.

للفرع.

﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ جعلكم عُمّاراً، وقيل: «استعمركم» من العُمر، أي: استبقاكم فيها.

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ أي: داني الرحمة. «مجيب» لمن دعاه.

﴿قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا﴾ قال كعب: كانوا يرجونه للمملكة بعد مَلِكهم، لأنه كان ذا حسب وثروة. وعن ابن عباس: كان فاضلاً خيّراً، نقدّمك على جميعنا. والإشارة «بهذا» إلى الأمر بعبادة الله تعالى وإفراده[1] بها.

و«ما يعبد آباؤنا» حكاية حال ماضية.

وفي[2] «إنّنا» لغتان لقريش، قال الفرّاء: من قال: إنّنا، أخرج الحرف على أصله، لأن كناية المتكلمين: نا، فاجتمعت ثلاث نونات. ومن قال: إنّا، استثقل اجتماعها، فأسقط الثالثة، وأبقى الأوليين.

والذي أختاره أنّ نا ضمير المتكلمين لا تكون المحذوفة لأنّ في حذفها حذف بعض اسم وهي منه حرف ساكن، وإنّما المحذوفة النون الثانية من إنّ فحذفت لاجتماع الأمثال، وبقي من الحرف الهمزة والنون الساكنة بعدُ، هذا أولى من حذف ما بقي منه حرف[3].

وأيضاً فقد عُهد حذف هذه النون مع غير ضمير المتكلّمين، ولم يُعهد حذف نون نا، فكان حذفها من إنّ أولى.

---

(١) ق: وأفرده.

(٢) ق: وإننا.

(٣) ق: حذف.

و«مريب» اسم فاعل من متعدٍّ، أرابه: أوقعه في الرّيبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة[١]، أو من لازم: أراب الرجلُ: إذا كان ذا ريبة. وأسند ذلك إلى الشكّ إسناداً مجازيًا. ووجود مثل هذا الشّك كوجود التصميم[٢] على الكفر.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ الآية، تقدّم الكلام على «أرأيتم» في قصة نوح عليه السلام[٣].

«غير تخسير» غير أن أخسركم أي: أنسبكم إلى الخسران وأقول إنكم خاسرون. فَفَعل هذا للنّسبة كفسّقته وفجّرته أي: نسبتُه إلى الفسق والفجور.

قال الزمخشري[٤]: فإن قلت: فبم يتعلّق «لكم»؟. قلت: «بآية» حالاً منها متقدّمة، لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها، فلمّا تقدّمت انتصبت على الحال انتهى.

هذا متناقض لأنه من حيث تعلُّق «لكم» «بآية» كان «لكم» معمولاً «لآية»، وإذا كان معمولاً لها امتنع أن يكون حالاً منها، لأن الحال يتعلّق بمحذوف فيتناقض هذا الكلام؛ لأنه من حيث كونه معمولاً لها كانت هي العاملة، ومن يث كونه حالاً منها كان العامل غيرها.

ومعنى: «تمتعوا» استمتعوا بالعيش. «في داركم» [في بلدكم] وتسمى البلاد الديار.

---

(١) ق: وانتفاء هي الطمأنينة.

(٢) ق: التعميم.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٨ من السورة.

(٤) الكشاف ٢: ٢٧٩.

«ذلك» أي: الوعد بالعذاب. «غير مكذوب» أي: صدق حق، والأصل: غير مكذوب فيه، فاتّسع فيه بحرف الجر، وأجرى الضمير مجرى المفعول به.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا﴾ الكلام في «جاء أمرنا» كالكلام السابق في قصة هود[١]. و«مِن» تعلّق بمحذوف أي: ونجيّناهم من خزي، أي: وكانت التّنجية[٢] من خزي يومئذ. وقرىء: ومن خزيٍ، بالتنوين ونَصْب «يومَئذ» على الظرف معمولاً لِخزْي. وقرىء بالإضافة وفتح الميم. والتنوين في «إذ» تنوين عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة الذكر أي: ومن فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحلّ بهم.

وقال الزمخشري[٣]: ويجوز أن يريد «بيومئذ» يوم القيامة، كما فسّر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة[٤] انتهى.

وهذا ليس بجيّد لأن التنوين في إذ تنوين العوض، ولم يتقدم إلا قوله «فلما جاء أمرنا» ولم تتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها، فيكون هذا التنوين عوضاً من الجملة التي تكون في يوم القيامة. وناسب مجيء الأمر وَصْفه تعالى بالقوي العزيز فإنهما من [٢٧٦/أ] صفات الغلبة والقهر والانتقام. والجملة التي من بعد هذا تقدّم الكلام عليها في الأعراف[٥].

---

(١) انظر تفسير الآية ٥٨ من السورة.

(٢) ق: النتيجة.

(٣) الكشاف ٢: ٢٧٩.

(٤) انظر أيضاً ٢: ٢٧٧.

(٥) انظر تفسير الآية ٩٢ من الأعراف.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ الآيات، أدرج شيئاً من أخبار إبراهيم عليه السلام بين قصّة صالح ولوط لأنّ له مدخلاً في قصة لوط. وكان إبراهيم ابن خالة لوط. والرّسل هنا الملائكة، بشّرت إبراهيم عليه السّلام بثلاث بشائر: بالولد وبالخلة وبإنجاء لوط ومن آمن معه، قيل: كانوا اثني عشر ملكاً قاله ابن عباس.

وانتصب «سلاماً» على إضمار الفعل أي: سلّمنا عليك سلاماً، «فسلاماً» قَطَعه[1] [معمولاً] للفعل المضمر المحكيّ بـ«قالوا».

و«سلام» خبر مبتدأ محذوف أي: أمري وأمركم سلام، أو مبتدأ محذوف الخبر أي: عليكم سلام، والجملة محكية وإن كان حُذف منها أحد جزأيها.

﴿ فَمَا لَبِثَ ﴾ «ما» نافية، و«لبث» معناه تأخر وأبطأ و«أن جاء» فاعل بلبث، التقدير: فما تأخر مجيئُه. ويجوز أن يكون في «لبث» ضمير إبراهيم، فهو فاعل وإن جاء على إسقاط الحرف، فقدّر بأن وبعن وبفي. وهذا من أدب

(١) ق: قطعة.

الضيافة وهو تعجيل القِرى، وكان مال إبراهيم البقر فقدّم أحسن ما فيه وهو العجل.

ومعنى «حنيذ» أي: مشوي.

﴿لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى أكله. «نكرهم» أي: أنكرهم، قال الشاعر(١):

وأنكرَتْني وما كان الذي نكِرَتْ   من الحوادث إلا الشّيبَ والصّلعا

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قال الحسن: حدّث به نفسه. والظاهر [أنه لم يعرف] أنهم ملائكة لمجيئهم في صورة البشر، وكان مشغوفاً بإكرام الضيف فلذلك جاؤوا في صورهم. وإنما عرف أنهم ملائكة بقولهم «لا تخف إنّا أُرسلنا إلى قوم لوط».

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ وهي سارة بنت هاران بن ناحور(٢) وهي ابنة عمّه.

«قائمة» أي: لخدمة الأضياف. وكان نساؤهم لا يحتجبن كعادة [العرب] ونازلة البوادي والصحراء، ولم يكن التّبرج مكروهاً عندهم، وكانت عجوزاً، وخدمة الضيفان مما تُعدّ من مكارم الأخلاق.

﴿فَضَحِكَتْ﴾ قال مجاهد: حاضت. وقال الجمهور: هو الضحك المعروف، فقيل: هو مجاز معبَّرٌ به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاة أخيها وهلاك قومه.

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه ص١٣٧. وهو من البسيط

(٢) وقع في الاسم اختلاف، انظر مثلاً تفسير الرازي ١٨: ٢٦.

﴿فَبَشَّرْنَٰهَا﴾ هذا موافق لقوله ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [هود]. والمعنى: فبشّرناها على لسان رسلنا، بشّرتها الملائكة بإسحاق، وبأنّ إسحاق سيلد يعقوب.

﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ الألف بدل من ياء الإضافة. و«يا ويلتا» كلمة تخفّ على أفواه النساء إذا طرأ عليهنّ ما يعجبن منه. واستفهمت بقولها «أألد» استفهام إنكار وتعجّب. «وأنا عجوز» وما بعده، جملتا حال.

وانتصب «شيخاً» على الحال. والإشارة «بهذا» إلى «بعلي» تعجيب من حدوث ولد بين شيخين هرمين، واستغربت ذلك من حيث العادة لا إنكاراً لقدرة الله تعالى.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الملائكة. «أتعجبين» استفهام إنكار لعجبها.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ أي: الخيفة التي كان أوجسها في نفسه حين نكر أضيافه، والمعنى: اطمأن قلبه بعلمه أنهم ملائكة.

و«البشرى» تبشيره بالولد، أو أن المراد بمجيئهم غيره. وجواب «لمّا» محذوف تقديره: اجترأ[١] على الخطاب، ودلّ على ذلك الجملة المستأنفة وهي «يجادلنا».

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ أي: قالت الملائكة. والإشارة «بهذا» إلى الجدال والمحاورة في شيء مفروغ منه، والأمر ما قضاه وحكم به من عذابه الواقع[٢] بهم لا محالة.

---

(١) ق: اجتراء.

(٢) ق: أي الواقع.

﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ۝٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ۝٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ۝٨٠ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ۝٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ۝٨٣ ﴾.

﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ ﴾ الآية، خرجت الملائكة من قرية [٢٧٦/ب] إبراهيم عليه السلام إلى قرية لوط عليه السلام وبينهما ثمانية أميال، وقيل: أربعة فراسخ، فأتوها عشاءً، وقيل: نصف النّهار، ووجدوا لوطاً عليه السلام في حرثٍ له، وقيل: وجدوا ابنته تسقي ماءً في نهر سدوم وهي أكبر حواضر قوم لوط. فسألوها الدلالة على من يضيّفهم، ورأت هيئتهم، فخافت عليهم من قوم لوط، وقالت لهم: مكانكم. وذهبت إلى أبيها، فأخبرته، فخرج إليهم، فقالوا: إنّا نريد أن تضيفنا الليلة. فقال لهم: أو ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم؟ فقالوا: وما عملهم؟ فقال: أشهد بالله إنهم شرّ قوم في الأرض. وقد كان الله تعالى [قال] للملائكة: لا تعذّبوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات. فلما قال هذه قال جبريل عليه السلام: هذه واحدة، وتردّد القول بينهم حتى كرّر لوط الشهادة أربع مرّات. ثم دخل لوط المدينة، فحينئذ سيء بهم أي: لحقه سوء بسببهم وضاق ذرْعه.

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي: شديد لما كان يتخوّفه من تعدّي قومه على أضيافه.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ لما جاء لوط[1] بضيفه لم يعلم بذلك أحد إلا أهل بيته. فخرجت امرأته حتى أتت مجالس قومها، فقالت: إنّ لوطاً أضاف الليلة قوماً ما رُئي مثلهم جمالاً وكذا وكذا، فحينئذ جاؤوا يهرعون أي: يسرعون كأنما يُدفعون دفعاً فِعْلَ الطّامع الخائف فَوْتَ ما يطلبه.

﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: كان ذلك ديدنهم وعادتهم، أصرّوا على ذلك ومرنوا عليه، فليس ذلك بأول إنشاء هذه المعصية، جاؤوا يهرعون إليه، لا يكفّهم حياء لضراوتهم عليها.

والتقدير في «ومن قبل» أي: من قبل مجيئهم إلى هؤلاء الأضياف وطلبهم إياهم.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ [الأحسن أن تكون الإضافة مجازية أي: بنات قومي أي: البنات أطهر لكم، إذ النّبي يُنزّل منزلة الأب لقومه. وقرىء: أطهرَ، على الحال فقيل «هؤلاء» مبتدأ و«بناتي هنّ» مبتدأ وخبر. وقيل «هؤلاء بناتي»] مبتدأ وخبر، و«هن» مبتدأ و«لكم» خبره. قيل: والعامل المضمر، وقيل: «لكم» بما فيه من معنى الاستقرار. وقيل «هؤلاء بناتي» مبتدأ وخبر، و«هنّ» فصل، و«أطهر» حال.

ورُدّ بأن الفصل لا يقع إلا بين جزأي الجملة، ولا يقع بين الحال وذي الحال. وقد أجاز ذلك بعضهم وادّعى السماع فيه عن العرب لكنه قليل.

---

(١) ق: إبراهيم.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ قال ذلك على سبيل التفجّع. وجواب «لو» محذوف تقديره: لفعلت بكم وصنعت. والظاهر أنّ «أو» عطف جملة فعلية [على جملة فعلية][1].

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ الآية، روي أن لوطاً عليه السّلام غلبوه وهمّوا بكسر الباب وهو يمسكه، قال له الرّسل: تنحَّ عن الباب. فتنحّى فانفتح الباب، فضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس أعينهم فَعَمُوا وانصرفوا على أعقابهم يقولون: النّجاء النّجاء، فعند لوط قوم سحرة. وتوعّدوا لوطاً، فحينئذ قالوا له «إنّا رسل ربك» الآية.

والجملة من قوله «لن يصلوا إليك» موضّحة للذي قبلها؛ لأنهم إذا كانوا رسل الله لن يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره. ثم أمروه بأن يسري بأهله.

وقرىء: فأسْرِ، بالوصل وبالهمز. «بقطع من الليل» قال ابن عباس: بطائفة من الليل. وقرىء: إلاّ امرأتك، بالنصب وهو استثناء من «فَأَسْرِ بأهلك»، وبالرفع بدل من قوله «أحد».

قال الزمخشري[2]: وفي إخراجها مع أهله روايتان: روي أنه أخرجها معهم، وأُمر أن لا يلتفت منهم أحد إلاّ هي، فلمّا سمعت هدّة العذاب التفتت وقالت: يا قوماه! فأدركها حجر فقتلها.

وروي أنه أُمر بأن يخلفها مع قومها، فإنّ هواها إليهم، ولم يَسْرِ بها.

واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين.انتهى.

---

(١) انظر بيان ذلك في البحر ٥: ٢٤٧.

(٢) الكشاف ٢: ٢٨٤.

وهذا وهم فاحش، إذ بنى القراءتين على اختلاف الروايتين من أنه سرى بها أو[1] أنه لم يَسْرِ بها، وهذا [٢٧٧/أ] تكاذب في الأخبار. يستحيل أن تكون القراءتان وهما من كلام الله تعالى تترتّبان على التكاذب.

والضمير في «إنّه» ضمير الشأن. و«مصيبها» مبتدأ. و«ما أصابهم» الخبر.

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ أي: موعد هلاكهم الصبح. [وجعل الصبح] ميقاتاً لهلاكهم لأن النفوس فيه أودع والراحة فيه أجمع.

ويروى أنّ لوطاً عليه السلام خرج بابنتيه، ليس معه غيرهما، عند طلوع الفجر، وطوى الله تعالى له الأرض في وقته حتى نجا، ووصل إلى إبراهيم عليه السلام.

والضمير في «عليها» عائد على مدائن قوم لوط؛ جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة، ثم قلبهم عليهم وأُتبعوا الحجارة من فوقهم وهي المؤتفكات سبع مدائن، وقيل خمس عدّها المفسّرون[2]، وفي ضبطها إشكال.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على أهلها. وروي أن الحجارة أصابت منهم من كان خارج مدنهم، حتى قتلتهم أجمعين، وأنّ رجلاً كان في الحرم، فبقي الحجر معلّقاً في الهواء حتى خرج من الحرم فقتله.

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ

(١) ق: لو.

(٢) وهي سدوم، وعامورا، ودادوما، وضعوه، وقتم. وانظر القرطبي ٩: ٨١.

وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا
تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ
أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى
وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا
ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا
قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ
وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا
رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ﴾ الآية، كان قوم شعيب عبدة الأوثان، فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وبالكفر استوجبوا العذاب. ولم يعذّب الله أمّة عذاب استئصال إلا بالكفر، وإن انضافت إلى ذلك معصية، كانت تابعة.

قال ابن عباس: «بخير» أي: في رخص الأسعار.

«يوم محيط» أي: مهلك، من قوله ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف]. وأصله من إحاطة العدوّ، وهو العذاب الذي حلّ بهم في آخر[1]. وَوَصْفُ اليوم بالإحاطة أبلغ من وصف العذاب به، لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث، فإذا أحاط بعذابه، فقد اجتمع للمعذَّب ما اشتمل عليه منه، كما إذا أحاط بنعيمه.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ﴾ الآية، لمّا أمرهم شعيب عليه السلام بعبادة الله تعالى، وترك عبادة الأوثان، وإيفاء المكيال والميزان، ردّوا عليه على سبيل الاستهزاء والهُزء بقولهم «أصلواتك». وكان كثير الصلاة، وكان إذا صلّى تغامزوا وتضاحكوا.

﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ مقابل لقوله ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود]. ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ مقابل لقوله ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [هود]. وكون الصلاة آمرة، هو على وجه المجاز، كما كانت ناهية في قوله ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت] أو يقال إنها تأمر بالجميل والمعروف أي: تدعو إليه وتبعث عليه. إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطَّنز[2]، وجعلوا الصلاة آمرةً على سبيل التهكّم بصلاته. والمعنى: تأمرك بتكليفنا أن نترك، فحذف المضاف لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره.

والظاهر أنه أراد بالصلاة الصلاة المعهودة في تلك الشريعة.

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ ظاهره أنه إخبار منهم على سبيل الاستهزاء

---

(١) ق: أخذ.

(٢) حاشية ق: الطنز: السخرية.

والتهكّم.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ هذه مراجعة لطيفة واستنزال حسن واستدعاء برفق، ولذلك قال فيه رسول الله ﷺ[١] «ذلك خطيب الأنبياء». وهذا النوع يسمّى استدراج المخاطب عند أرباب علم البيان. وهو نوع لطيف غريب المعنى والمغزى، يُتوسّل به إلى بلوغ الغرض.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: أين جواب «أرأيتم» وما له لم يثبت كما أثبت في قصة نوح وصالح[٣]؟ قلت: جوابه: محذوف، وإنما لم يثبت، لأن إثباته في القصّتين دلّ على مكانه[٤]. ومعنى الكلام: ينادى عليه. والمعنى: أخبروني إن كنت على حجّة واضحة ويقين من ربي، وكنت نبيًّا على الحقيقة، أيصحّ لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكفّ عن المعاصي، والأنبياء [٢٧٧/ ب] لا يُبعثون إلا لذلك[٥]؟ انتهى.

وتسمية هذا جواباً لـ«أرأيتم» ليس بالمصطلح، بل هذه الجملة التي قدّرها هي في موضع المفعول الثاني لـ«أرأيتم»، لأن «أرأيتم» إذا ضُمّنت معنى: أخبِرْني، تعدّت لمفعولين، والغالب في الثاني أن يكون جملة استفهامية، ينعقد منها ومن المفعول الأول، في الأصل، جملة ابتدائية كقول العرب: أرأيتك زيداً ما صنع؟.

---

(١) نسب في البداية والنهاية ١: ١٨٥ إلى رسول الله ﷺ تارة، ونسب إلى بعض السلف أخرى.

(٢) الكشاف ٢: ٢٨٧.

(٣) انظر الآيتين ٢٨، ٦٣ من السورة.

(٤) ق: في الصّفتين دلّ على كلامه.

(٥) ق: كذلك.

قال ابن عطية: وجواب الشرط الذي في قوله «إن كنت على بيّنة» محذوف تقديره: أأضلّ[1] كما ضللتم أو: أترك تبليغ الرسالة، ونحو هذا ممّا يليق بهذه المحاجّة انتهى.

وليس قوله: أضلّ جواباً للشرط، لأنه إذا كان مثبتاً، فلا يمكن أن يكون جواباً، لأنه لا يترتّب على الشرط، وإن كان استفهاماً حَذْفُ الهمزة منه[2]، فهو في موضع المفعول الثاني «لأرأيتم» وجواب الشرط محذوف يدلّ عليه الجملة السابقة مع متعلّقها.

قال الزمخشري[3]: «ما استطعت» يجوز في «ما» وجوه: أحدها أن تكون بدلاً من «الإصلاح» أي: المقدار[4] الذي استطعته، أو على حذف مضاف تقديره: إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت، فهذان وجهان في البدل. والثالث أن يكون مفعولاً كقوله[5]: [من المتقارب]

ضعيف النكاية أعداءه [يخال الفرار يراخي الأجل]

أي: ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم انتهى.

وهذا الثالث ضعيف، لأن المصدر المعرّف بأل، لا يجوز إعماله في المفعول به عند الكوفيين، وأما البصريون فإعماله عندهم فيه قليل.

---

(١) ق: أضلُّ.

(٢) ق: منه الهمزة.

(٣) الكشاف ٢: ٢٨٧. ونقل المصنف عبارة الزمخشري متصرّفاً فيها.

(٤) ق: المقدر.

(٥) من شواهد شرح ابن عقيل ٢: ٩٥.

ومعنى «لا يجرمنكم» يكسبنكم[١]. «شقاقي» أي: خلافي[٢] وعداوتي. و«شقاقي» فاعل «يجرمنكم». و«أن يصيبكم» مفعول ثانٍ لـ«يجرمنكم». و«مثل» مرفوع به.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ إما في الزّمان، لقرب عهد هلاكهم من عهدكم، إذ هم أقرب الهالكين، [وإما في الكفر والمعاصي وما يستحق به الهلاك].

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ﴾ الآية، كانوا لا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهة له، أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ احترموه لرهطه، إذ كانوا كفاراً مثلهم، أو كان في عزة ومنعة منهم.

﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾ ظاهره القتل بالحجارة وهي شر القتلات.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ أي: بذي منعة علينا.

والظاهر في قوله ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أن الضمير عائد على الله تعالى أي: ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر، لا يُعبأ به. والظّهري بكسر الظاء: منسوب إلى الظّهر من تغييرات النسب، ونظيره قولهم في النسب إلى أمس: إمسي بكسر الهمزة.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟﴾ تقدم تفسير نظيره[٣].

---

(١) ق: يلبسنكم.

(٢) ق: في خلافي.

(٣) انظر تفسير الآية ١٣٥ من الأنعام.

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: قد ذكر عملهم[٢] على مكانتهم وعمله على مكانته، ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم، فكان القياس أن يقول: من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق، حتى ينصرف «من يأتيه عذاب يخزيه» إلى الجاحدين. ومن هو صادق، إلى النبي المبعوث إليهم. قلت: القياس ما ذكرت. ولكنهم [لمّا] كانوا يعدّونه كاذباً قال «ومن هو كاذب» يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلاً لهم انتهى.

وفي ألفاظ هذا الرجل سوء أدب، والذي قاله ليس بقياس لأنّ التهديد الذي وقع ليس بالنّسبة إليه ولا هو داخل في التهديد المراد بقوله «سوف تعلمون» إذ لم يأت التركيب: اعملوا على مكانتكم وأعمل على مكانتي ولسوف تعلمون وأعلم، وإنما التهديد مختصّ بهم.

واستسلف الزمخشري قوله: قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته، فبنى على ذلك سؤالاً فاسداً لأن المترتّب على ما ليس مذكوراً لا يصحّ البتّة. وجميع الآية والتي قبلها إنما هي بالنسبة إليهم على سبيل التهديد، ونظيره في سورة تنزيل[٣] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٩ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٤٠﴾ [الزمر] فهذا جاء بالنسبة إلى المخاطبين في قوله ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ۝١٣٥﴾ [الأنعام] كما جاء [٢٧٨/أ] هنا. «مَن يأتيه» «من» يجوز أن تكون موصولة مفعولة بقوله «تعلمون» أي: تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب. ويجوز أن تكون استفهامية في موضع رفع على الابتداء و«تعلمون»

(١) الكشاف ٢: ٢٩٠.

(٢) ق: أعمالهم.

(٣) تنزيل أو الزمر.

معلّق[1] كأنه قيل: أيّنا يأتيه عذاب يخزيه وأيّنا هو كاذب.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝٩٦ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ۝٩٩ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ الآيات: المعجزات التّسع وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدّم ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ومنهم من أبدل النقص بإظلال الجبل. وقيل: الآيات: التوراة، وهذا ليس بسديد، لأنه قال «إلى فرعون وملئه» والتوراة إنما أُنزلت بعد هلاك فرعون وملئه.

والسلطان المبين: هو الحجة الواضحة.

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ يقال: قَدَم زيدٌ القومَ يَقْدُم قَدْماً وقُدوماً: تقدّمهم. والمعنى أنه يقدم قومه المغرقين إلى النار كما كان قدوة في الضلال متَّبعاً كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه.

وعدل عن: فيوردهم إلى «فأوردهم» [لتحقُّق وقوعه لا محالة وكأنه قد وقع، ولِما في ذلك من الإرهاب والتخويف. والهمزة في «فأوردهم»] للتعدية، وَرَدَ يتعدّى إلى واحد فلمّا أدخلت الهمزة، تعدّى إلى اثنين، فتضمّن وارداً وموروداً. ويطلق الوِرد على الوارد، فالوِرد لا يكون المورود، فاحتيج إلى حذف ليطابق فاعل «بئس» [المخصوص بالذّم فالتقدير: وبئس

(١) ق: متعلق.

مكان الورد المورود، ومعنيّ به النار، فالورد فاعل ببئس]، والمخصوص بالذم «المورود» وهي النار.

قال ابن عطية: و«المورود» صفة «للوِرد» أي: بئس مكان الورد المورود[1] النار ويكون المخصوص محذوفاً لفهم المعنى كما حُذف في قوله ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝١٩٧﴾ [آل عمران] انتهى.

وهذا التخريج ينبني على جواز وصف فاعل نعم وبئس وفيه خلاف.

وذهب ابن السّراج والفارسي إلى أنّ ذلك لا يجوز.

وقال الزمخشري[2]: «بئس الرفد المرفود» رِفْدهم: أي بئس العون المُعان، وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومددٌ له، وقد رُفدت باللعنة في الآخرة. وقيل: بئس العطاء المعطى انتهى.

ويظهر من كلامه أن «المرفود» صفة «للرفد» وأن المخصوص بالذّم محذوف تقديره: رفدهم. وما ذكر من تفسيره: أي بئس العون هو قول أبي عبيدة. وسمّي العذاب رفداً على نحو قوله[3]: [من الوافر]

[وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ] تحيّةُ بَيْنِهم ضربٌ وجيعُ

وقال الكلبي: الرّفد الرفادة، أي: بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ۝١٠٠ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ

---

(١) ق: والمورود.

(٢) الكشاف ٢: ٢٩١.

(٣) البيت لعمرو بن معد يكرب في المقتضب ٢: ٢٠.

لَمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ .

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ الآية، الإشارة «بذلك» إلى ما تقدّم من ذكر الأنبياء وقومهم وما حلّ بهم من العقوبات، أي: ذلك النبأ بعض أنباء القرى. والضمير في «منها» عائد على «القرى».

قال ابن عباس: «قائم» عامر. و«حصيد» داثر[1].

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: ما محلّ هذه الجملة؟ قلت: هي مستأنفة لا محلّ لها انتهى.

وقال أبو البقاء[3]: «منها قائم» ابتداء وخبر في موضع الحال من الهاء في «نقصّه». و«حصيد» مبتدأ خبره محذوف أي: ومنها حصيد انتهى.

وما ذكره أبو البقاء يجوز، أي نقصّه عليك وحال القرى ذلك. فالحال أبلغ في التخويف وضرب المثل للحاضرين أي: نقصّ عليك بعض أنباء القرى وهي على هذه الحال، يشاهدون فعل الله تعالى بها.

---

(١) ق: دامر.

(٢) الكشاف ٢: ٢٩١.

(٣) إملاء ٢: ٤٥.

﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ﴾ «ما» نافية أو استفهامية بمعنى أي شيء الذي كانوا يَدْعون.

و«غير تتبيب» أي: غير تخسير.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ﴾ الآية، أي: ومثل ذلك الأخذ أخذ الله الأمم السابقة أَخْذ ربك.

و«القرى» عامّ في القرى الظالمة. والظلم يشمل ظلم الكفر وغيره.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى يوم القيامة الدالّ عليه قوله «عذاب الآخرة».

و«الناس» مفعول لم يُسمَّ فاعله رافعه «مجموع».

وأجاز ابن عطية أن يكون «الناس» مبتدأ، و«مجموع» خبر مقدم.

وهو بعيد لإفراد الضمير في «مجموع» وقياسه على إعرابه: مجموعون: و«مجموع له الناس» عبارة عن الحشر.

و«مشهود» عامّ يشهده [٢٧٨/ب] الأوّلون والآخرون من الإنس والجن والملائكة والحيوان.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ أي: ذلك اليوم. وقيل: يعود على الجزاء.

«إلا لأجل معدود» أي: لقضاء سابقٍ[١]، قد نفذ فيه بأجل محدود لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه.

والظاهر أن الفاعل «بيأتي» ضمير يعود على ما عاد عليه الضمير في «نؤخّره» وهو قوله «ذلك يوم»، والناصب له «لا تكلّم» والمعنى: لا تكلّم

---

(١) ق: القضاء السابق.

نفس ذلك اليوم إلا بإذنه تعالى، وذلك من عظم المهابة والهول في ذلك اليوم.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ ﴾ الآية، الزفير: أول نهيق الحمار، والشهيق آخره.

وانتصاب «خالدين» على أنه حال مقدّرة. و«ما» مصدرية ظرفية أي: مدة دوام السماوات والأرض. والمراد بهذا التوقيت التأبيد كقول العرب: ما أقام ثبير[١] وما لاح كوكب. وضعت العرب ذلك للتأبيد من غير نظر لفناء ثبير أو الكوكب أو لعدم فنائهما.

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ قال الزمخشري[٢] : فإن قلت: ما معنى الاستثناء في قوله «إلا ما شاء ربك» وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في هذه الآية من غير استثناء؟ قلت: هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة[٣]، وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذّبون بالزّمهرير وبأنواع من العذاب سوى[٤] عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها، وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم. وهكذا أهل الجنة [لهم] مع تبوىء الجنة ما هو أكبر منها وأجلّ موقعاً منهم وهو رضوان الله تعالى، كما قال تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة]. ولهم ما يتفضّل الله به عليهم سوى ثواب الجنّة ما لا يعرف كنهه إلا هو، فهو المراد بالاستثناء. والدليل عليه قوله «عطاء غير مجذوذ».

---

(١) ثبير: جبل بظاهر مكة. انظر معجم البلدان «ثبير».

(٢) الكشاف ٢: ٢٩٤.

(٣) ق: أهل الجنة.

(٤) ق: يساوي.

ومعنى قوله في مقابله «إن ربك فعّال لما يريد» أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له، فتأمّله فإن القرآن يفسّر بعضه بعضاً [انتهى].

وقال الفراء[١] فيما حكى عنه ابن عطية: «إلّا» في هذه الآية بمعنى سوى، والاستثناء منقطع كما تقول: لك عندي ألفا درهم إلا الألف التي كنت أسلفتك، بمعنى: سوى تلك. ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى بعد هذا «عطاء غير مجذود». وانتصب «عطاءً» على المصدر أي: أعطوا عطاءً بمعنى إعطاءً، كقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح] أي: إنباتاً. ومعنى «غير مجذوذ» أي: غير مقطوع بل هو ممتدّ إلى غير نهاية.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١١٠ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١١ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ﴾ لمّا[٢] ذكر تعالى قصص عبدة الأوثان من الأمم السالفة، وأتبع ذلك بذكر أحوال الأشقياء والسعداء، شرح لرسول الله ﷺ أحوال

(١) انظر معاني القرآن ٢: ٢٨.

(٢) ق: كما.

الكفار من قومه، وأنهم متّبعو آبائهم كحال من تقدّم من الأمم السالفة في اتّباع آبائهم في الضلال.

و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى مشركي العرب باتفاق، وأن ديدنهم كديدن الأمم الماضية في التقليد والعمى عن النظر في الدلائل والحجج. وهذه تسلية لرسول الله ﷺ، وعده بالانتقام منهم إذ حالهم كحال الأمم السّالفة، قد قصصنا عليك ما جرى لهم من سوء العاقبة. والتشبيه في قوله «كما يعبد» معناه أنّ حالهم في الشّرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت، وقد بَلَغك ما نزل بأسلافهم فسينزل بهم مثله.

و«ما يعبدون[1]» استئناف جرى مجرى التعليل للنهي عن المرية.

و«ما» في «ممّا» و«كما» تحتمل أن تكون مصدرية وبمعنى الذي.

والنصيب هنا: قال ابن عباس: ما قُدّر لهم من خير وشرّ.

وقال الزمخشري[2]: فإن قلت: كيف نصب «غير منقوص» حالاً عن النصيب الموفّى؟ قلت: يجوز أن يوفّى وهو ناقص، ويوفّى وهو كامل؛ ألا [٢٧٩/أ] ترى أنك تقول: وفّيته شطر حقّه وثلث حقّه وحقّه كاملاً وناقصاً؟ انتهى.

وهذه مغلطة. إذا قال: وفّيته شطر حقّه، فالتّوفية وقعت في الشطر، وكذا ثلث حقّه. فالمعنى: أعطيته الشطر أو الثلث كاملاً لم أنقصه عنه شيئاً. وأما قوله: وحقّه كاملاً وناقصاً؛ أما كاملاً فصحيح، وهو حال مؤكدة،

---

(١) ق: يعبد.

(٢) الكشاف ٢: ٢٩٥.

لأنّ التوفية تقتضي الإكمال. وأما: وناقصاً، فلا يقال، لمنافاته التّوفية[١].

والخطاب في «فلا تك» موجّه إلى من داخله الشّك لا إلى الرسول عليه السلام والمعنى والله أعلم: قل يا محمد لمن شكّ: لاتك في مرية ممّا يعبد هؤلاء، فإن الله لم يأمرهم بذلك، وإنما اتّبعوا في ذلك آباءهم تقليداً لهم وإعراضاً عن حجج العقول.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الآية. «الكتاب» التوراة.

«فاختُلف[٢] فيه» فقبله بعض وأنكره بعض. والظاهر عود الضمير في «فيه» على «الكتاب» لقربه، ويجوز أن يعود على موسى عليه السلام. ويلزم من الاختلاف في أحدهما الاختلاف في الآخر.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ الآية، الظاهر عموم «كلّ» وشموله للمؤمن والكافر. وقرىء: وإنّ كلاًّ، بالتشديد و«كُلاًّ» اسمها. وقرىء: وإنْ، بالتخفيف و«كلاًّ» اسمها، وإعمالها مخفّفةً ثابت في لسان العرب؛ ففي كتاب سيبويه[٣]: إنْ زيداً لمنطلق، بتخفيف إنْ. وقرىء: لَمَا، بتخفيف الميم، فاللام هي الداخلة في خبر «إن» المخففة والمشدّدة، و«ما» زائدة. واللام في «ليوفّينهم» جواب قسم محذوف، وذلك القسم في موضع خبر «إن»، و«ليوفّينهم» جواب ذلك القسم المحذوف، فالتقدير: وإن كلاًّ لأُقسم ليوفّينهم. وقرىء: لمّا، بالتشديد وهي لمّا الجازمة، حذف الفعل المجزوم لدلالة المعنى عليه وتقديره: وإن كلاًّ لمّا ينقص من جزاء عمله. ويدلّ عليه

---

(١) ق: التوبة.

(٢) ق: فاختلفوا.

(٣) ٢: ١٣٩.

قوله تعالى «ليوفّينهم ربك أعمالهم»، لما أخبر بانتفاء نقص جزاء أعمالهم أكّده بالقسم، قالت العرب: قاربتُ المدينة ولمّا، يريدون: ولما أدخُلْها [لدلالة] المعنى عليه.

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ الآية، أُمر بالاستقامة وهو عليها، وهو أمر بالدوام والثبوت. والخطاب لرسول الله ﷺ وأصحابه الذين تابوا من الكفر، ولسائر الأمّة بالمعنى. و«أُمرت» مخاطبة تعظيم. واستفعل هنا للطلب أي: اطلب الإقامة على الدّين كما تقول: استغفِرْ أي: اطلب الغفران.

«ومن تاب معك» معطوف على الضمير المستكنّ في «فاستقم» وأغنى الفاصل عن التوكيد.

﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ ﴾ قال ابن عباس: في القرآن فتُحلّوا وتحرّموا ما لم آمركم به.

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ قال ابن عباس: معنى الركون: الميل.

﴿ فَتَمَسَّكُمُ ﴾ جواب للنّهي منصوب بإضمار أنْ بعد الفاء كقوله تعالى ﴿ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۝٦١ ﴾ [طه][1].

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ ﴾ الآية، سبب نزولها ما في صحيح مسلم[2] من حديث الرجل الذي عالج امرأة أجنبية منه فأصاب منها ما سوى إتيانها فنزلت.

وانظر إلى الأمر والنّهي في هذه الآيات حيث جاء الخطاب في الأمر «فاستقم كما أُمرت» «وأقم الصلاة» موحّداً في الظاهر، وإن كان المأمور به

---

(١) ق: ولا.

(٢) انظر ٤: ٢١١٦، رواية عن عبد الله بن مسعود.

من حيث المعنى عامًّا، وجاء الخطاب في النّهي «ولا تطغوا» «ولا تركنوا» موجَّهاً إلى غير الرسول مخاطباً به أمّته، فحيث كان الأمر بأفعال[1] الخير توجّه إليه، وحيث كان النهي عن المحظورات عدل عن الخطاب عنه إلى غيره من أمّته، وهذا من جليل الفصاحة.

ولا خلاف أن المأمور بإقامتها هي الصلاة المكتوبة، وإقامتها: دوامها. وانتصب «طرفي النهار» على الظرف. وطرف الشيء يقتضي أن يكون من الشيء، فالذي يظهر أنهما الصبح والعصر لأنهما طرفا النهار.

والزُّلَف [٢٧٩/ب] قيل: المغرب والعشاء.

والظاهر أن الإشارة بقوله «ذلك» إلى أقرب مذكور، وهو قوله «أقم الصلاة» أي: إقامتها في هذه الأوقات.

«ذكرى» أي: سبب عظة وتذكرة. [«للذاكرين»] أي: للمتّعظين.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ

(١) ق: بأصحاب.

﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الآية، «لولا» هنا للتحضيض[1]، صحبها معنى التفجّع والتأسّف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تَهْتَدِ. و«القرون» قوم نوح وعاد وثمود.

والبقيّة هنا يراد بها الخير والنظر.

﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ استثناء منقطع، أي: لكن قليلاً ممّن أنجينا منهم نهوا عن الفساد [وهم قليل بالإضافة إلى جماعاتهم.

والظاهر أن «الذين ظلموا» هم تاركو النّهي عن الفساد].

و﴿مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ أي: ما نعموا فيه من حبّ الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيّ، ورفضوا ما فيه صلاح دينهم.

﴿وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ أي: ذوي جرائم غير ذلك.

قال الزمخشري[2]: إن كان معناه: واتبعوا الشهوات كان معطوفاً على مضمر، لأن المعنى: إلا قليلاً ممّن أنجينا منهم نَهَوا عن الفساد في الأرض واتّبع الذين ظلموا شهواتهم، فهو عطف على نهوا. وإن كان معناه: واتّبعوا جزاء الإتراف، فالواو للحال[3] كأنه قيل: أنجينا القليل وقد اتّبع الذين ظلموا جزاءهم وكانوا مجرمين، لأنّ تابع الشهوات مغمور بالآثام.انتهى.

جعل «ما» في قوله «ما أُترفوا فيه» مصدرية، ولهذا قدّره: اتّبعوا الإتراف،

---

(١) ق: للتخصيص.

(٢) الكشاف ٢: ٢٩٨.

(٣) ق: قالوا وللحال.

والظاهر أنها بمعنى الذي؛ لعَوْد الضمير في «فيه» عليها.

وأجاز أيضاً أن يكون معطوفاً على: اتّبعوا أي: اتّبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك.

وأجاز أيضاً[١] أن يكون اعتراضاً وحكماً عليهم بأنهم قوم مجرمون. انتهى.

ولا يسمّى هذا اعتراضاً في اصطلاح النّحو، لأنه آخر آية، فليس بين شيئين يحتاج أحدهما إلى الآخر.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ الآية، تقدّم تفسير شبه هذه الآية في الأنعام[٢]، إلا أنّ هنا «ليهلك» وهي آكد في النّفي لأنه على مذهب الكوفيين زيدت اللام في خبر كان على سبيل التوكيد، وعلى مذهب البصريين توجّه النّفي إلى الخبر المحذوف المتعلّق به اللام، تقديره: مريداً لإهلاك القرى.

وقال ابن عطية: المعنى: وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه، تعالى الله عن ذلك، وأهلها مصلحون بالإيمان به تعالى.

وقال الزمخشري[٣]: «وأهلها مصلحون» تنزيهاً لذاته عن الظلم وإيذاناً بأن إهلاك المصلحين من الظلم.انتهى.

وهو مصادم للحديث[٤] «أنهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كَثُر

---

(١) المصدر السابق نفسه في الموضعين.

(٢) انظر تفسير الآية ١٣١ من الأنعام.

(٣) الكشاف ٢ : ٢٩٨.

(٤) رواه مسلم ٤ : ٢٢٠٧ من حديث زينب بنت جحش.

الخَبَثُ»، وللآية ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ٢٥﴾ [الأنفال].

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ﴾ قال الزمخشري[(١)]: بمعنى: لاضطّرهم إلى أن يكونوا أهل ملّة واحدة. وهذا كلام يتضمّن نفي الاضطرار، وأنه لم يقهرهم على الاتفاق على دين الحق ولكنّه مكّنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف، فاختار بعضهم الحقّ وبعضهم الباطل، فاختلفوا «ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك» إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم فاتّفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه انتهى.

وهو على طريقة الاعتزال. وقال ابن عباس وقتادة: «أمة واحدة» مؤمنة حتى لا يقع منهم كفر، لكنه تعالى لم يشأ ذلك.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ استثناء متصل من قوله «ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك» فلا يقع منهم اختلاف.

والإشارة بقوله «ولذلك خلقهم» إلى المصدر المفهوم من قوله «مختلفين» كما قال الشاعر[(٢)]: [من الوافر]

إذا نُهـي[(٣)] السّفيـه جـرى إليـه ... [وخالَفَ والسفيهُ إلى خلاف]

فعاد الضمير على المصدر المفهوم من اسم الفاعل كأنه قيل: وللاختلاف

---

(١) الكشاف ٢: ٢٩٨.

(٢) البيت في معاني القرآن ١: ١٠٤، والخصائص ٣: ٤٩، والإنصاف ١: ١٤٠ غير منسوب.

(٣) ق: لهى.

خلقهم. ويكون على حذف مضاف أي: لثمرة الاختلاف من الشقاء والسعادة خلقهم.

وقال الزمخشري[1]: «ولذلك» إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام أوّلاً من التمكين والاختيار الذي [٢٨٠/أ] [كان] عنه الاختلاف. «خلقهم» ليثيب مختار الحقّ بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره انتهى.

وهذا على طريقة الاعتزال.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي: نفذ قضاؤه وحقّ أمره. واللام في «لأملأنّ» هي التي يتلقّى بها القسم، إذ الجملة قبلها ضمّنت معنى القسم كقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ثم قال ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ۝٨١﴾ [آل عمران].

والجِنّة والجنّ بمعنى واحد، قال ابن عطية: والهاء فيه للمبالغة، وإن كان الجن يقع على الواحد فالجِنّة جمعه انتهى.

فيكون ممّا يكون فيه الواحد بغير هاء وجمعه بالهاء كقول بعض العرب: كَمْءٌ للواحد وكَمْأة للجمع.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ «وكلاًّ» مفعول به والعامل فيه «نقصّ» والتنوين عوض المحذوف والتقدير: وكلّ نبأ نقصّ عليك.

«من أنباء الرسل» في موضع الصفة لقوله «وكلاًّ» إذ هي مضافة في التقدير إلى نكرة.

و«ما» زائدة كما هي في قوله ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف].

---

(١) الكشاف ٢: ٢٩٨.

﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ قال ابن عباس: ما نسكّن به فؤادك.

وتثبيت الفؤاد هو بما جرى للأنبياء عليهم السلام وبأتباعهم المؤمنين وبما لقوا من مكذّبيهم من الأذى، ففي هذا كلّه أسوة لهم إذ المشاركة في الأمور الصعبة تهوّن ما يلقى الإنسان من الأذى.

ثم الإعلام بما جرى على مكذّبيهم من العقوبات المستأصلة بأنواع العذاب من غرق وريح ورجفة وخسفٍ وغير ذلك فيه طمأنينة للنفس وتأنيس.

والإشارة بقوله «في هذه» إلى أنباء الرسل التي قصّها الله تعالى عليه أي: النبأ الصدق[١] «الحق» الذي هو مطابق لما جرى، ليس فيه تغيير ولا تحريف كما ينقل شيئاً من ذلك المؤرخون.

«وموعظة» أي: اتعاظ وازدجار لسامعه.

«وذكرى» لمن آمن، إذ الموعظة والذكرى لا ينتفع بهما إلا المؤمن لقوله تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥ ﴾ [الذاريات].

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ ﴾ «اعملوا» صيغة أمر ومعناه التهديد والوعيد، والخطاب لأهل مكة وغيرها.

﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي: جهتكم وحالتكم التي أنتم عليها.

﴿ وَٱنتَظِرُوٓا۟ ﴾ بنا الدوائر.

﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ أن ينزل بكم [نحو] ما اقتصّ الله من النّقم النازلة بأشباهكم.

---

(١) ق: والصدق.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [أضاف تعالى علم الغيب بما في السماوات والأرض] له توسّعاً، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، ولا حظّ لمخلوق في علم الغيب.

فالجملة الأولى دلّت على أنّ علمه محيط بجميع الكائنات كلّيها وجزئيّها حاضرها وغائبها؛ لأنها إذا أحاط علمه بما غاب[١]، فهو بما حضر محيط، إذ علمه تعالى لا يتفاوت.

والجملة الثانية دلّت على القدرة النافذة والمشيئة.

والجملة الثالثة دلّت على الأمر بإفراد مَنْ هذه صفاته بالعبادة الجسديّة والقلبية، والعبادة أولى الرّتب التي يتحلّى بها العبد.

والجملة الرابعة دلّت على الأمر بالتوكّل وهي أخيرة الرّتب؛ لأنه بنور العبادة أَبْصَرَ أنّ جميع الكائنات معذوقة[٢] بالله تعالى، وأنه هو المتصرّف وحده في جميعها لا يشاركه في شيء منها أحد من خلقه، فَوَكَل نفسه إليه تعالى ورفض سائر ما يُتوهّم أنه سبب في شيء منها.

والجملة الخامسة تضمّنت التّنبيه على المجازاة، فلا يُضيع طاعة مطيع ولا يهمل حال متمرّد. لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

---

(١) ق: أغاب.

(٢) أي مرتبطة به.

سورة يوسف(1)

عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾.

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ [٢٨٠/ ب أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

هذه السورة مكية كلها، وقال ابن عباس وقتادة: إلا ثلاث آيات من أولها. وسبب نزولها أن كفار مكّة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله ﷺ عن السبب الذي أحلّ بني(2) إسرائيل بمصر. ووجه مناسبتها لما قبلها وارتباطها أنّ في آخر السورة التي قبلها ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ ۝١٢٠﴾ [هود]، وكان في تلك الأنباء المقصوصة فيها ما لاقى الأنبياء عليهم السلام من قومهم، فأتبع ذلك بقصة

---

(1) مكيّة وآياتها مئة وإحدى عشرة.

(2) ق: بيني.

يوسف وما لاقاه عليه السلام من إخوته، وما آلت إليه حاله من حُسن العاقبة ليحصل لرسول الله ﷺ التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب.

وجاءت هذه القصة مطوّلة مستوفاة، فلذلك لم تتكرّر في القرآن إلا ما أخبر به مؤمن آل فرعون من سورة غافر[١].

والإشارة «بتلك آيات» إلى «آلر» وسائر حروف المعجم التي تركّبت منها آيات القرآن. والظاهر أن المراد «بالكتاب» [القرآن] و«المبين» إما المبين في نفسه الظاهر أمره في إعجاز العرب وتبكيتهم، وإما المبيّن الحلال والحرام والحدود والأحكام وما يُحتاج إليه من أمر الدين، قاله ابن عباس.

والضمير في «أنزلناه» عائد على «الكتاب» الذي فيه قصة يوسف عليه السلام.

وانتصب «قرآناً» على البدل من الضمير.

و«عربيًّا» صفة له، وهو منسوب إلى العرب، والعرب جمع عربّي كروم ورومي[٢].

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما تضمّن من المعاني، واحتوى عليه من البلاغة والإعجاز فتؤمنون. ولعلّ: ترجٍّ فيه معنى التعلّل لقوله «أنزلناه».

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ الآية، «القصص» مصدر قصّ. والمراد بكونه أحسن أنه اقتُصّ على أبدع طريقة وأحسن أسلوب، ألا ترى أن هذا الحديث مقتصّ في كتب الأوّلين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في

(١) الآية ٣٤.

(٢) ق: ورميّ.

كتاب منها مقارباً لاقتصاصه في القرآن.

وانتصب «أحسن» على المصدرية، لإضافته إلى المصدر.

﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ﴾ الباء للسبب و«ما» مصدرية. و«هذا القرآن» تنازعه عاملان [أحدهما] «نقصّ» والثاني «أوحينا»، فأعمل الثاني جرياً على الأفصح في باب التنازع.

والضمير في «مِن قبله» يعود على الإيحاء.

ومعنى «من الغافلين» لم يكن لك شعور بهذه القصة ولا سبق لك علم فيها.

والعامل في ﴿إِذۡ﴾ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ ۝٥﴾ [يوسف] كما تقول: إذ[1] قام زيد قام عمرو. وتبقى «إذ» على وضعها الأصلي من كونها ظرفاً[2] لِما مضى.

وللزمخشري وابن عطية أقوال في العامل في «إذ» ردّت في البحر[3] لضعفها. و«يوسف» اسم عبراني امتنع من الصرف للعلمية والعجمية، وتقدّمت فيه لغات[4]. وقرىء يا أبتَ، بفتح التاء، وجمهور القراء على كسرها. وهي عوض من ياء الإضافة فلا يجتمعان، لا يقال: يا أبتي. «إني رأيت» معمول للقول فهو في موضع نصب. و«رأيت» هي حُلميّة لدلالة متعلّقها على أنه منام. والظاهر أنه رأى في منامه كواكب والشمس[5]

---

(١) ق: إن.

(٢) ق: ظرف.

(٣) انظر ٥ : ٢٧٩.

(٤) لم يتقدم فيه شيء.

(٥) ق: الشمس.

والقمر. ومن حديث جابر بن عبد الله[1] أنّ يهوديًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عن أسماء الكواكب التي رآها يوسف. فسكت عنه ونزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها، فدعا رسول الله ﷺ اليهودي فقال «هل أنت مؤمن إن أخبرتك بذلك؟ قال: نعم. قال: جربان والطارق والذيال وذو الكتفين وقابس ووثاب وعمودان والفليق والمصبح والضّروح وذو الفرغ[2] والضياء والنور. فقال اليهودي: [٢٨١/أ] إي والله إنها لأسماؤها».

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: لِمَ أخّر «الشمس والقمر»؟ قلت: أخّرهما ليعطفهما[4] على الكواكب على طريق الاختصاص[5] بياناً لفضلهما واستبدادهما بالمزيّة على غيرهما من الطوالع، كما أخّر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك[6]. ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع، أي: رأيت الكواكب مع الشمس والقمر [انتهى.

الذي يظهر] أن التأخّر إنما هو من باب التّرقي من الأدنى إلى الأعلى، ولم يقع التّرقي في الشمس والقمر جرياً على ما استقرّ في القرآن من أنه إذا اجتمعا قُدّمت عليه، ولامتناع أن يجتمع الشمس والقمر في أحد عشر كوكباً لأنهم إخوته، فليس المكنى عنه بالشمس والقمر داخلاً فيهم.

---

(١) انظر الطبري ١٢ : ٩٠، وابن كثير ٤ : ٩، ودلائل النبوة ٦ : ٢٧٧.

(٢) وردت بعض الأسماء مصحفة في ق: جربان: خرثان، الذيّال: الذبال، الضّروح: الصّروح، ذو الفرغ: ذو الفرع، والتصويب من البحر ٥ : ٢٧٩ والطبري ١٢ : ٩٠.

(٣) الكشاف ٢ : ٣٠٢.

(٤) ق: ليعظهما.

(٥) ق: الاختصار.

(٦) انظر البقرة ٢ : ٩٨.

والظاهر أن «رأيتهم» كرّر على سبيل التوكيد للطّول بالمفاعيل، وجاء الضمير ضمير من يعقل، لأنه صدر منهم السجود، لأنه من صفات من يعقل.

و«لي» متعلق بساجدين: و«ساجدين» منصوب على الحال.

ولمّا خاطب يوسف عليه السلام أباه بقوله «يا أبت» وفيه إظهار الطواعية والبرّ والتنبيه على محلّ الشفقه بطبع الأبوة [خاطبه أبوه] بقوله ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير التحبيب والتقريب والشفقة.

«فيكيدوا لك» منصوب بإضمار أنْ على جواب النّهي. وعُدّي «فيكيدوا» باللام، وفي ﴿فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾[1] [المرسلات] بنفسه فاحتمل أن يكون من باب التضمين: ضمّن «فيكيدوا» معنى ما يتعدّى باللاّم، فكأنه قال: فيحتالوا لك بالكيد. والتضمين أبلغُ لدلالته على معنى الفعلين، وللمبالغة أكّد بالمصدر.

ونبّه يعقوب عليه السلام على سبب الكيد وهو ما يزيّنه الشيطان للإنسان ويسوّل له وذلك للعداوة التي بينهما، فهو يجتهد دائماً أن يوقعه في المعاصي ويدخله فيها ويحضّه عليها.

وكأنّ يعقوب دلّته رؤيا يوسف عليه السلام على أنّ الله تعالى يبلغه مبلغاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوّة، وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه، فخاف عليه من حسد إخوته، فنهاه أن يقصّ رؤياه لهم.

وفي خطاب يعقوب ليوسف بنهيه عن أن يقصّ على إخوته مخافة كيدهم، دلالة على تحذير المسلم أخاه من يخافه عليه، والتنبيه على بعض ما لا

(١) ق: فيكيدون.

يليق، ولا يكون ذلك داخلاً في باب الغيبة.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أي: مثل ذلك الاجتباء وهو ما أراه من تلك الرؤيا التي دلّت على جليل قدره وشريف منصبه ومآله إلى الرسالة والنبوّة والملك.

و«يجتبيك» يختارك ربك للنبوّة والملك. وما أحسن لفظة «ربك» هنا لأنه المالك لأمره الناظر في مصلحته.

﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ كلام مستأنف، ليس داخلاً في التشبيه كأنه قال: وهو يعلّمك.

و﴿تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ عبارة عن مآل الرؤيا وعاقبة أمرها. وهي اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ وإتمامها بأنّه تعالى وصل لهم نعمة الدنيا بأن جعلهم أنبياء وملوكاً بنعمة الآخرة بأن نقلهم إلى أعلى الدرجات في الجنة.

و«آل يعقوب» هم[1] أولاده ونسله إذ جعل النبوّة فيهم.

وإتمام النعمة[2] على إبراهيم عليه السلام بالخلّة والإنجاء من النار وإهلاك عدوّه نمروذ، وعلى إسحاق بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه. وسمّى الجدّ وأبا[3] الجدّ أبوين لأنهما في عمود النسب كما قال ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة] ولهذا يقولون: ابن فلان وإن كان بينهما عدّة في عمود النسب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق الاجتباء. ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء مواضعها.

---

(١) ق: إنهم.

(٢) ق: النبوّة.

(٣) ق: وآباء.

وهذان الوصفان مناسبان لهذا الوعد الذي وعده يعقوب يوسف عليهما السلام [٢٨١/ ب] في قوله «وكذلك يجتبيك ربك».

﴿ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠ ﴾.

﴿ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ ﴾ الآية، «آيات»[1] على نبوّة نبيّنا صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها، فأخبرهم بالصحّة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب.

والذي يظهر أن الآيات: الدلالات على صدق رسول الله ﷺ وعلى ما أظهره الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه وصدق رؤياه وصحة تأويله وضبط نفسه وقهرها حتى قام بحقّ الأمانة وحدوث السرور بعد اليأس.

والضمير في «قالوا» عائد على إخوة يوسف. و«أخوه» هو بنيامين. ولمّا كانا شقيقين أضافوه ليوسف. واللام في «ليوسف» لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أي: كثرة حبّه لهما ثابت لا شبهة فيه.

و﴿ أَحَبُّ ﴾ أفعل تفضيل، وهو مبني من المفعول شذوذاً، ولذلك عُدّي بإلى؛ لأنه إذا كان ما تعلّق به فاعلاً، من حيث المعنى، عُدّي إليه بإلى، وإذا كان مفعولاً، عُدّي إليه بفي، تقول: زيد أحبّ إلى عمرٍو من خالد[2]،

(١) ق: الآيات.

(٢) ق: زيد أحبّ إليّ من عمرٍو ومن خالد.

فالضمير في أحبُّ مفعول من حيث المعنى، وعمرو هو المحبّ. وإذا قلت: زيد أحبّ في عمروٍ من خالد، كان الضمير فاعلاً وعمروٌ هو المحبوب. ومن خالد في المثال الأول محبوب، وفي الثاني فاعل. ولم يثنّ[1] «أحبّ» لتعدّيه بمِن. وكان بنيامين أصغر من يوسف، فكان يعقوب يحبّهما بسبب صغرهما وموت أمّهما. وحبّ الصغير والشفقة عليه مركوز في فطرة البشر.

وقد نظم الشعراء في محبّة الولد الصغير قديماً وحديثاً، ومن ذلك ما قاله الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري[2] في قصيدة بعث بها إلى أولاده وهو في السجن منها: [من الكامل]

وصغيركم عبد العزيز فإنني	أطوي لفرقته جوى لم يصغر
ذاك المقدّم في الفؤاد وإن غدا	كُفأً لكم في المنتمى والعنصر
إن البنـان الخمـس أكفـاء معـاً	والحَلْي دون جميعها للخنصر
وإذا الفتى فقد الشباب سما له	حبّ البنين ولا كحب الأصغر

﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ جملة حالية أي: يفضّلهما علينا في المحبّة، وهما لا كفاية فيهما، ونحن جماعة نقوم بمرافقه، فنحن أحقّ بزيادة المحبّة منهما.

وعن ابن عباس: العصبة ما زاد على العشرة، وعنه أيضاً: ما بين العشرة إلى الأربعين. والضلال هنا هو الهوى قاله ابن عباس.

والظاهر أن «اقتلوا يوسف» من جملة قولهم [والظاهر] أنّ «أو اطرحوه أرضاً» هو من قولهم أن يفعلوا به أحد الأمرين.

---

(١) مط: يبن.

(٢) توفي سنة ٣٩٤هـ، وترجمته في الأعلام ٤: ١٥٦، والأخير من الأبيات في اليتيمة ٢:١٠٢.

وانتصب «أرضاً» على إسقاط حرف الجر، أي: في أرض[١] بعيدة من الأرض التي هو فيها قريب من أرض يعقوب.

قال الزمخشري[٢]: أرضاً منكورة مجهولة بعيدة من العمران، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف[٣]، ولإبهامها من هذا الوجه نُصِبت[٤] نَصْبَ الظروف المبهمة.

وقال ابن عطية: ذلك خطأ - يعني كونها منصوبة على الظرف - قال: لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهماً، وهذه ليست كذلك، بل هي أرض مقيّدة بأنها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك، فزال بذلك إبهامها. ومعلوم أن يوسف لم يَخْلُ من الكون في أرض، فتبيّن أنهم أرادوا أرضاً بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه انتهى.

هذا الرّد صحيح، لو قلت: [جلست] داراً بعيدة أو قعدت مكاناً بعيداً، لم يصحّ إلا بواسطة في، ولا يجوز حذفها إلا في ضرورة شعر، أو مع: دخلتُ، على الخلاف في دخلتُ أهي لازمة [٢٨٢/أ] أم متعدّية. والضمير في «من بعده» عائد على «يوسف» أو قَتْله أو طَرْحه. وصلاحهم هو بالتوبة والتنصّل من هذا الفعل.

والقائل: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ هو يهوذا وكان أحلمهم وأحسنهم فيه رأياً، وهو الذي قال ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف] وقال لهم:

---

(١) ق: الأرض.

(٢) الكشاف ٢ : ٣٠٥.

(٣) ق: الناس.

(٤) ق: نصب.

القتل عظيم. وهذا عطف منهم على أخيهم لِمَا أراد الله من إنفاذ قضائه وإبقاءٍ على نفسه، وسبب لنجاتهم من الوقوع في هذه الكبيرة وهو إتلاف النفس بالقتل.

قال الهروي: الغيابة[1] في الجبّ: شِبْهُ لِحْفٍ[2] أو طاقٍ في البئر فويق الماء يغيب ما فيه عن العيون.

و«السيّارة» جمع سيّار وهو الكثير السّير في الأرض.

ومفعول «فاعلين» محذوف أي: فاعلين ما يحصل به غرضكم من التفريق بينه وبين أبيه.

﴿ قَالُوا يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

﴿ قَالُوا يَـٰٓأَبَانَا ﴾ لمّا تقرّر في أذهانهم التفريق بين يوسف وأبيه، أعملوا الحيلة على يعقوب، وتلطّفوا في إخراجه معهم، وذكروا نصحهم له وما في

(١) ق: الغاية.

(٢) اللّحف: الفتحة أو الشّق، انظر تهذيب اللغة «لحف».

إرساله معهم من انشراح صدره بالارتعاء واللعب، إذ هو ممّا يشرح الصبيان، وذكروا حفظهم له ممّا يسوؤه.

وفي قولهم «مالك لا تأمنّا على يوسف» دليل على أنهم تقدم منهم سؤال في أن يخرج معهم، وذكروا سبب الأمن وهو النصح، أي: لِمَ لم تأمنّا عليه وحالتنا هذه؟ والنصح دليل على الأمانة ولهذا قُرِنا في قوله ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف]. وكان قد أحسّ منهم قبلُ ما أوجب ألّا يأمنهم عليه.

و«لا تأمنّا» جملة حالية، وهذا استفهام صحبه معنى التعجب. وقرىء: لا تأمنّا، باختلاس الحركة والإدغام.

وفي لفظة ﴿أَرْسِلْهُ﴾ دليل على أنه كان يمسكه ويصحبه دائماً.

وانتصب «غداً» على الظرف، وهو ظرف مستقبل، يطلق على اليوم الذي يلي يومك، وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد باليوم الذي يلي يومك. وأصله غدو، فحذفت لامه وقد جاء تامًّا.

وقرىء: يرتع ويلعب، بالياء. وقرىء بالنون. واللعب ها هنا الاستباق والانتضال، يتدربون بذلك لقتال العدوّ. وسمّوه لعباً لأنه بصورة اللعب، ولم يكن ذلك للّهو بدليل قولهم ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف] ولو كان لعب لهوٍ ما أقرّهم عليه يعقوب.

ومن كسر العين من «يرتع» فهو يفتعل[1]، قال مجاهد: هي من المراعاة، أي: يراعي بعضنا بعضاً ويحرسه.

ثم اعتذر لهم يعقوب عليه السلام بشيئين: أحدهما عاجل في الحال،

---

(١) ق: تفتعل.

وهو ما يلحقه من الحزن لمفارقته، وكان لا يصبر عنه، والثاني خوفه عليه من الذئب إن غفلوا عنه برعيهم ولعبهم.

وعدل إخوة يوسف عن أحد الشيئين وهو حزنه على ذهابهم [به] لقصر مدّة الحزن، وإيهامهم أنهم يرجعون به إليه عن قريب، وعدلوا إلى قضيّة الذئب، وهو السبب الأقوى في منعه أن يذهبوا به. فحلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم، وحالهم أنهم عشرة رجال، بمثلهم تُعصب الأمور، وتُكفى الخطوب، إنهم إذاً لقوم خاسرون، أي: هالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ بين هذه الجملة والجمل التي قبلها محذوف يدلّ عليه المعنى تقديره: فأجابهم إلى ما سألوه، وأرسل معهم يوسف. «فلما ذهبوا به وأجمعوا» أي: عزموا واتّفقوا على إلقائه في الجبّ.

و﴿أَن يَجۡعَلُوهُ﴾ مفعول «أجمعوا» يقال: أجمع الأمر وأزمعه بمعنى العزم عليه. واحتمل ان يكون الجعل هنا بمعنى الإلقاء وبمعنى التصيير.

وجواب «لمّا» هو قولهم ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ أي: لمّا كان كيت وكيت قالوا. والظاهر أن الضمير في «وأوحينا إليه» عائد على يوسف، وهو وحي إلهام، قال ابن عباس: هو وحي منام. ويدلّ[1] على أن الضمير [٢٨٢/ب] عائد على يوسف قوله لهم ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ۝٨٩﴾ [يوسف].

وتقدّم أنّ جواب «لمّا» هو قولهم «قالوا»، ونختار أن يكون الجواب

(١) ق: يدلّ.

محذوفاً لدلالة المعنى عليه تقديره: سُرُّوا[١] بذلك، أي: بذهابهم به وإجماعهم على ما يريدون أن يفعلوا به. ويكون قوله «وأوحينا إليه» ليس داخلاً تحت جواب «لمّا» بل هو استئناف إخبار بإيحاء الله تعالى إلى يوسف عليه السلام.

وانتصب «عشاء» على الظرف. و«يبكون» حال أي: باكين. قيل: وإنما جاؤوا عشاءً ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة، ولذلك قيل: لا تطلب الحاجة بالليل، فإن الحياء في العينين، ولا تعتذر[٢]، في النهار من ذنب فتتلجلج[٣] في الاعتذار. وفي الكلام حذف تقديره: وجاؤوا أباهم دون يوسف عشاءً يبكون، فقال: أين يوسف؟ فقالوا: إنا ذهبنا نستبق.

﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ أي: بمصدّق الآن، «ولو كنّا صادقين» فما أنت بمؤمن لنا على كل حالة ولو في حالة الصدق. رُوي أنهم أخذوا جدياً أو سخلة فذبحوه ولطّخوا قميص يوسف بدمه، وقالوا ليعقوب: هذا قميص يوسف، فأخذه ولطخ به وجهه وبكى، ثم تأمّله فلم يَرَ خرقاً ولا ارتاب، فاستدلّ بذلك على خلاف ما زعموا وقال لهم: متى كان الذئب حليماً يأكل يوسف، ولا يخرق قميصه؟!. قيل: كان في قميص يوسف صلى الله عليه وسلم ثلاث آيات: كان دليلاً ليعقوب على أنّ يوسف لم يأكله الذئب، وألقاه على وجهه فارتدّ بصيراً، ودليلاً على براءة يوسف حين قُدَّ من دُبُر.

قال الزمخشري[٤]، وسبقه إليه الحوفي: فإن قلت: «على قميصه» ما

(١) ق: لسرّوا.

(٢) «في الظّلمة. . . ولا تعتذر» كتب في حاشية ق.

(٣) ق: فتتلخلخ. وفي اللسان «لخخ» اللّخلخانية: اللكنة في الكلام والعجمة.

(٤) الكشاف ٢: ٣٠٨.

محلّه؟ قلت: محلّه النصب على الظرف كأنه قيل: وجاؤوا فوق قميصه بدم، كما تقول: جاء على جِماله بأحمال. فإن قلت: هل يجوز أن يكون حالاً متقدمة؟ قلت: لا لأنّ حال المجرور لا يتقدّم عليه انتهى.

ولا يساعد المعنى على نصبه على الظرف بمعنى فوق، لأن العامل فيه إذ ذاك «جاؤوا» وليس الفوق ظرفاً لهم.

وقال أبو البقاء[1]: «على قميصه» في موضع نصب حالاً من الدم، لأن التقدير: جاؤوا بدم كذب على قميصه انتهى.

وتقديم الحال على المجرور بالحرف غير الزائد في جوازه خلاف، ومن أجاز استدلّ على ذلك بأنه موجود في لسان العرب، وأنشد على ذلك شواهد مذكورة في علم النحو. والمعنى يرشد إلى ما قاله أبو البقاء.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾ هنا محذوف تقديره: لم يأكله الذئب بل سوّلت.

وقال قتادة: معنى «سوّلت» زيّنت.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فأمري صبر جميل أو «فصبر جميل» أي: أمثل.

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ أي: المطلوب منه العون على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف، فالصبر على الرزيّة.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي

(١) إملاء ٢: ٥٠.

مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ قيل: كانوا من مدين قاصدين إلى مصر.

﴿ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ ﴾ وهو مالك بن دعر الخزاعي، فأرسلوه ليطلب لهم الماء. والوْارد: الذي يرد الماء ليستقي للقوم، وإضافة الوارد إلى الضمير ليست إضافة إلى المفعول بل المعنى: الذي يرد لهم الماء.

﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ أي: أرسلها ليستقي الماء.

﴿ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ[1]﴾ في الكلام حذف تقديره: فتعلّق يوسف بحبل الدّلو، فلما بَصُر به المُدْلي قال يا بشرى، وتعلّقه بالحبل يدلّ على صغره إذ لو كان ابن ثمانية عشر أو سبعة عشر عاماً[2] لم يحمله الحبل غالباً، ولفظة «غلام» ترجّح ذلك إذ يطلق عليه ما بين الحولين إلى البلوغ حقيقة، وقد يطلق على الرجل الكامل. وقوله «يا بشرى[3]» هو على سبيل السرور والفرح بيوسف عليه السلام إذ رأى أحسن ما خلق، وأضاف البشرى إلى نفسه.

وقرىء: يا بشراي، بياء الإضافة، ويا بشرى. قيل: ذهب به الوارد إلى أصحابه فبشّرهم به.

﴿ وَأَسَرُّوهُ ﴾ أي: أخفوه وكتموا أمره من وجدانهم له في الجبّ وقالوا:

---

(١) ق: بشراي.

(٢) ق: سنة. «وتعلّقه بالحبل.. سبعة عشر عاماً» كتبت في حاشية ق.

(٣) ق: بشراي.

دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه [٢٨٣/أ] لهم بمصر.

وقال ابن عباس: الضمير في «وأسرّوه» و«شروه» لإخوة يوسف عليه السلام وأنهم قالوا للرفقة: هذا غلام قد أبق لنا، فاشتَرَوه منا. وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه.

وانتصب «بضاعة» على الحال، أي: متجراً لهم ومكسباً.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ أي: لم تَخْفَ عليه أسرارهم، أو هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم.

﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ الآية، «وشروه» أي: باعوه. والظاهر أن الضمير في «شروه» عائد على السيّارة، أي: وباعوا يوسف. ومن قال إن الضمير في [«وأسرّوه»] عائد على إخوة يوسف، جعله هنا عائداً عليهم، أي: وباعوا أخاهم يوسف بثمن بخس. و«بخس» مصدر وُصف به، بمعنى مبخوس، أي: زَيْفٌ ناقص العيار. و«دراهم» بدل من «ثمن» فلم يبيعوه بدنانير. و«معدودة» إشارة إلى القلّة، وكانت عادتهم أنهم لا يزِنون إلاّ ما بلغ أوقية وهي أربعون درهماً، لأن الكثيرة يعسر فيها العدد بخلاف القليلة. قال ابن عباس: أربعون درهماً.

﴿وَكَانُواْ فِيهِ﴾ الضمير عائد على يوسف. و«فيه» الأجود أن يكون متعلّقاً «بالزاهدين» وإن كان في صلة[1] الألف واللام، لأن الظرف والمجرور يُتّسع فيهما ما لا يُتّسع في غيرهما بخلاف المفعول به، وتقدّم الخلاف في ذلك في قوله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾[2] [الأعراف].

---

(١) ق: أصله.

(٢) ق: من.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ لم تتعرض الآية لاسم من اشتراه، وذكر المفسرون فيه اختلافاً كثيراً.

و«مثواه» مكان إقامته وهو كناية عن الإحسان إليه في كل مأكل ومشرب وملبس.

ولام «لامرأته» تتعلق «بقال» فهي للتبليغ نحو: قلت لك، لا «باشتراه»[1].

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ لعلّه إذا تدرّب وراض الأمور وعرف مجاريها نستعين به على بعض ما نحن بصدده، فينفعنا بكفايته، أو نتبنّاه، ونقيمه مقام الولد. وقيل: كان عقيماً لا يولد له، فتفرّس فيه الرشد، فقال ذلك.

«وكذلك» أي: مثل ذلك التمكين من قلب العزيز حتى عطف عليه وأمر امرأته بإكرام مثواه.

﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أرض مصر يتصرّف فيها بأمره ونهيه، أي: حكّمناه فيها.

ولام «النعلّمه» متعلّقة بمحذوف إما قبله [أي]: لنملّكه [ولنعلّمه]، وإما بعده أي: ولنعلّمه من تأويل الأحاديث كان ذلك الإنجاء والتمكين[2].

و«الأحاديث»:الرؤيا.

والضمير في «على أمره» عائد على يوسف أي: يدبّره ولا يَكِلُه إلى غيره.

---

(١) ق: لاشتراه.

(٢) ق: الإيحاء والتكهين.

والأَشُدّ عند سيبويه جمعٌ واحده شِدّة وأَشُدّ كنعمة وأنعمُ.

وقال الكسائي: شَدٌّ وأشُدّ نحو صَكّ وأصُكّ[1].

والأشُدّ: بلوغ الحلم.

والحكم: الحكمة. والعلم: النبوّة. وقيل: الحكم بين الناس، والعلم: الفقه في الدين. وهذا أشبه لمجيء قصّة المراودة.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء لمن صبر ورضي بالمقادير نجزي المحسنين. وفيه تنبيه على أنّ يوسف كان محسناً في عنفوان شبابه، فآتاه الله الحكم والعلم على جزاء إحسانه.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾ الآية، المراودة: المطالبة برفق، مِن راد يرود،

(١) ق: صل وأصل. والصّك: الكتاب وجمعه أصُكّ، فارسي معرّب.

إذا ذهب وجاء، وهي مفاعلة من واحد نحو: داويت المريض. وكنّى به عن طلب النكاح والمخادعة لأجله، كأنّ المعنى: وخادعته عن نفسه، ولذلك عدّاه بعن.

وقال تعالى «التي هو في بيتها» ولم يصرّح باسمها، ولا بامرأة العزيز ستراً على الحرم. والعرب تضيف البيوت إلى النساء فتقول: ربّة البيت وصاحبة البيت، قال الشاعر[١]: [من البسيط]

يا ربّة البيت قومي غير صاغرة

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ هو تضعيف تكثير بالنسبة إلى وقوع الفعل بكل باب باب، وقيل: كانت سبعة أبواب.

﴿هَيْتَ﴾ اسم فعل بمعنى أسرع [٢٨٣/ب] و«لك»[٢] للتبيين أي: لك أقول، أمرته بأن يسرع إليها.

وزعم الكسائي والفراء أنها لغة حورانيّة، وقعت لأهل الحجاز، فتكلّموا بها، ومعناها تعال.

وانتصب «معاذ الله» على المصدر أي: عياذاً بالله من فعل السّوء.

والضمير في «إنه» يعود على الله تعالى أي: إن الله ربي أحسن مثواي [أي]: نجّاني من الجبّ فأقامني في أحسن مقام.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: المجازون الإحسان بالسّوء.

---

(١) لم أتعرف قائله وتمامه، وانظر البحر ٥: ٢٩٣.

(٢) ق: وذلك.

وما أحسن هذا التنصّل من الوقوع في السّوء: استعاذ أولاً بالله تعالى الذي بيده العصمة وملكوت كل شيء، ثم نبّه على أن إحسان الله إليه لا يناسب أن يجازى بالسّوء، ثم نفى الفلاح عن الظالمين، وهو الظفر والفوز بالبغية، فلا يناسب أن أكون ظالماً، أضع الشيء غير موضعه.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ الذي نقوله إن يوسف عليه السّلام لم يقع منه همٌّ بها البتّة، بل هو منفيّ لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفتَ[1] لولا أن عصمك الله.

قال ابن عطية: قول من قال إن الكلام قد تمّ في قوله «ولقد همّت به» وأن جواب «لولا» في قوله «وهمّ بها» وأنّ المعنى: لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها، فلم يهمّ يوسف عليه السلام - يردّه لسان العرب وأقوال السلف انتهى.

أما قوله: يردّه لسان العرب فليس كما ذكر، وقد استدل من ذهب إلى [جواز] ذلك بوجوده في لسان العرب، قال تعالى ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص]. فقوله «إن كادت لتبدي به» [إمّا] أن يتخرّج على أنه الجواب على ما ذهب إليه ذلك القائل، وإمّا أن يخرّج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به.

وأما أقوال السّلف فنعتقد أنّه لا يصحّ عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً، مع كونها قادحة في بعض المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة. والذي رووا عن السّلف لا يساعد عليه

---

(١) ق: فارقت.

كلام العرب، لأنهم قدّروا جواب «لولا» محذوفاً، ولا يدلّ عليه دليل لأنهم لم يقدّروا الهمّ بها.

ولا يدلّ كلام العرب إلا أن [يكون] المحذوف من معنى ما قبل الشرط، لأنّ ما قبل الشرط دليل عليه، ولا يُحذف الشيء لغير دليل.

والبرهان الذي رآه هو ما آتاه الله من العلم الدالّ على تحريم ما حرّمه الله تعالى، ولا يمكن الهمّ به فضلاً عن الوقوع به.

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ﴾ التقدير: مثل ذلك الرؤية نري براهيننا لنصرف عنه، فتجعل الإشارة إلى الرؤية. والناصب للكاف ما[1] دلّ عليه قوله «لولا أن رأى برهان ربّه». و«لنصرف» متعلّق بذلك الفعل الناصب للكاف.

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ الآية، واستبق يوسف وامرأة العزيز إلى الباب: هذا[2] للخروج والهروب منها، وهذه لمنعه ومراودته. وأصل استبق أن يتعدّى بإلى فحذف اتّساعاً.

﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ﴾ أي: قطعته، والقدّ: القطع والشقّ، وأكثر استعماله فيما كان طولاً. «من دبر» أي: من وراء. «وألفيا» أي: وجدا وصادفا زوجها. والمرأة تقول لزوجها سيدي، ولم يُضَف إليهما لأنّ زوجها ليس بسيّد يوسف على الحقيقة.

﴿مَا جَزَآءُ﴾ «ما» نافية. وبدأت بالسجن إبقاءً على محبوبها، ثم ترقّت إلى العذاب الأليم، قيل: وهو الضرب بالسّوط. وقولها «ما جزاء» أي: أن

---

(١) ق: ممّا.

(٢) ق: وهذا.

الذنب ثابت متقرّر في حقّه. وأتت بلفظة «سوءاً» أي: بما يسوؤها وليس نصًّا في معصية كبرى؛ إذ يحتمل خطابه لها بما يسوؤها، أو ضربه إياها.

وقولها: ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ يدلّ على عظم موقع السجن من ذوي الأقدار حيث قرنته بالعذاب الأليم.

ولمّا أغرت بيوسف عليه السلام وأظهرت [٢٨٤/أ] تهمته، احتاج إلى إزالة التّهمة عن نفسه فقال: «هي راودتني عن نفسي» ولم يسبق أوّلاً إلى القول ستراً عليها، فلمّا خاف على نفسه وعلى عرضه الطّاهر[١] قال «هي راودتني»، وأتى بضمير الغيبة إذ كان غلب عليه الحياء أن يشير إليها ويعيّنها بالإشارة فيقول: هذه[٢] راودتني، أو تلك راودتني؛ لأنّ في المواجهة بالقبيح ما ليس في الغيبة.

ولمّا تعارض قولاهما عند العزيز - وكان رجلاً فيه أناة ونَصَفَة - طلب الشاهد من كلٍّ، فشهد شاهد من أهلها، فقيل: كان ابن خالتها طفلاً في المهد، أنطقه الله ليكون أدلَّ على الحجة. وجواب الشرط «فصدقت» و«فكذبت» وهو على إضمار قد، أي: فقد صدقت وفقد كذبت.

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ أي: زوجها. ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ أي: إنّ قولكِ «ما جزاء» إلى آخره، أو إنّ هذا الأمر وهو طمعها في يوسف. والخطاب في «كيدكنّ» لها ولجواريها أو لها وللنّساء. ووصف كيد النساء بالعظم وإن كان قد يوجد في الرجال، لأنهنّ ألطف كيداً بما جبلن عليه وبما تفرّغن له واكتسب بعضهنّ من بعض، وهن أنفذ حيلة وقال تعالى ﴿وَمِن شَرِّ

---

(١) ق: الظاهر.

(٢) ق: هي.

﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق]. وأما اللواتي في القصور فمعهنّ من ذلك ما لا يوجد لغيرهنّ لكونهنّ أكثر تفرّغاً من غيرهنّ وأكثر تأنّساً بأمثالهن.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾ أي: عن هذا الأمر، واكتمه ولا تتحدث به. وفي ندائه باسمه تقريب له وتلطيف. ثم أقبل عليها فقال «واستغفري»، ثم ذكر سبب الاستغفار وهو قوله «الذنبك». ثم أكّد ذلك بقوله «إنك كنت من الخاطئين» ،ولم يقل: من الخاطئات، لأن الخاطئين أعمّ لأنه يُطلق على الذكور والإناث بالتغليب. خَطِىءَ إذا أذنب متعمّداً.

وقال الزمخشري[1]: وما [كان] العزيز إلا حليماً، روي أنه كان قليل الغيرة، انتهى.

وتربة إقليم مصر اقتضت هذا. وأين هذا ممّا جرى لبعض ملوكنا أنه كان مع ندمائه المختصّين به في مجلس أنس، وجارية تغنّيهم من وراء ستر، فاستعاد بعض خلصائه بيتين[2] من الجارية كانت قد غنّت بهما، فما لبث أن جيء برأس الجارية مقطوعاً في طشت. وقال له الملك: استَعِد البيتين من هذا الرأس. فسُقط في يد ذلك المستعيد ومرض مدّة حياة ذلك الملك!

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ

---

(١) الكشاف ٢: ٣١٦.

(٢) ق: ببيتين.

ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ الآية، لم تلحق تاء التأنيث لأنه جمع تكسير المؤنث، ويجوز فيه الوجهان. و«نسوة» جمع قلّة، وكنّ على ما نُقل خمساً: امرأة خبّازه وامرأة ساقيه وامرأة بوّابه وامرأة سجّانه وامرأة صاحب دوابّه.

«في المدينة» هي مصر، ومعنى «في المدينة» أنهم أشاعوا هذا الأمر من حبّ امرأة العزيز ليوسف، وصرّحوا بإضافتها إلى العزيز مبالغةً في التشنيع، لأنّ النفوس أميل لسماع أخبار ذوي الأخطار وما يجري لهم. وعبّرن «بتُراود» وهو المضارع الدالّ على أنه صار ذلك سجيّةً لها تخادعه دائماً عن نفسه، كما تقول: زيد يعطي ويمنع، ولم يقلن[1]: راودت فتاها. ثم نبّهن على علّة ديمومة المراودة [وهي] كونها قد شغفها حبًّا، أي: بلغ حبّه شغاف قلبها. الشّغاف: حجاب القلب وقيل سويداؤه[2] قال[3]: [من الطويل]

أتقتلنـي وقـد شَغفـتُ فـؤادهـا كما شَغفَ المهنوءةَ الرّجلُ الطّالي

وانتصب «حبًّا» على التمييز المنقول من الفاعل. والفتى: الغلام وعُرْفه في المملوك. وفي الحديث[4] «لا يقل أحدكم عبدي وأَمَتي وليقل فتاي وفتاتي»، وقد قيل في غير المملوك. وأصل الفتى في اللغة الشابّ، ولكنّه

---

(١) ق: يقل.

(٢) ق: سوائده.

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٣٣.

(٤) رواه مسلم ٤: ١٧٦٤ من حديث أبي هريرة.

لما كان جُلّ الخَدَمة شباباً استعير لهم اسم الفتى. ثم نقمن ذلك عليها فقلن «إنّا لنراها [٢٨٤/ب] في ضلال مبين» أي: تحيّر واضح للناس.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾ الآية، روي أن تلك المقالة الصادرة عن النسوة، إنّما قصدن بها المكر بامرأة العزيز. ومكرهنّ هو اغتيابهنّ إياها وسوء مقالتهنّ فيها أنها عشقت يوسف. وسمّي الاغتياب مكراً لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره.

﴿أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾ الضمير عائد على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها.

﴿وَأَعۡتَدَتۡ﴾ أي: عدّت. «لهن متكأً» أي: يسّرت وهيّأت لهن ما يتكئن عليه من النمارق والمخادّ والوسائد وغير ذلك.

﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ ومعلوم أن هذا المجلس لا بدّ فيه من طعام وشراب، فيكون في جملة الطعام ما يُقطع بالسكاكين، فقيل: كان لحماً وكانوا لا ينهشون اللحم إنما كانوا يأكلونه حزًّا بالسكاكين.

﴿وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ﴾ هذا الخطاب ليوسف. وخروجه يدلّ على طواعيتها فيما لا يُعصى الله فيه. وفي الكلام حذف تقديره: فخرج عليهن.

ومعنى «أكبَرْنه» أعظَمْنه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع. قيل: كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء.

﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ أي: جرَّحْنَها كما تقول: كنت أقطع اللحم فقطعت يدي. فالتضعيف للتكثير، فالجرح كأنه وقع مراراً في اليد الواحدة، وصاحبتها لا تشعر، لما ذُهلت بما راعها من جمال يوسف، فكأنها غابت عن حسّها. والظاهر أنّ الأيدي هي الجوارح المسمّاة بهذا الاسم.

ولمّا فعلن هذا الفعل الصعب من جرح أيديهنّ وغلب عليهنّ ما رأين من يوسف وحُسْنه «قلن حاش لله» أي: حاشا يوسف أن يقارف ما رَمَتْه به. ومعنى «لله» أي: لطاعة الله [أو لمكانته من الله] أو لترفيع الله أن يُرمى بما رمته به أو يذعن إلى مثله، لأنّ تلك أفعال البشر، وهو ليس منهم إنما هو مَلَك. فعلى هذا تكون اللام في «لله» للتعليل، أي: جانب يوسف المعصية لأجل [طاعة] الله تعالى.

قال الزمخشري[1]: حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، تقول: أساء القوم حاشا زيد، قال[2]: [من الكامل]

حاشا أبا ثوبان إنّ به ضنًّا عن الملحاة والشّتم

وهي حرف من حروف الجر، فوضعت موضع التنزيه والبراءة. فمعنى «حاش لله» براءة الله وتنزيه الله انتهى.

ما ذكره من أنها تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء غير معروف عند النحويين، لا فرق بين قولك: قام القوم إلا زيداً، وقام القوم حاشا زيدٍ. ولمّا مثّل بقوله: أساء القوم حاشا زيد، وفهم هو من التمثيل براءة زيد من الإساءة جعل ذلك مستفاداً منها في كل موضع. وأمّا ما أنشده: حاشا أبا ثوبان البيت، فهكذا أنشده أيضاً ابن عطية وأكثر النحاة، وهو بيت ركّبوا فيه صدر بيت على عجز بيت آخر وهما من بيتين[3]: [من الكامل]

(١) الكشاف ٢: ٣١٧.

(٢) انظر التعليقة التالية.

(٣) البيتان للجميح الأسدي في الأصمعيات ص٢١٨، والمفضليات ص٣٦٧.

حاشا أبي ثوبانَ إنّ أبا ثَوْبانَ ليس ببُكْمَةٍ[1] فَدْمِ
عمرو بن عبد الله إنّ به ضِنًّا عن المَلْحاة والشّتمِ

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا[2]﴾ ولمّا كان غريب الجمال فائق الحسن عما عليه حُسْن صور الإنسان، نفين عنه البشرية، وأثبتن له الملكية، لِمَا كان مركوزاً في الطباع حُسْن المَلَك وإن كان لا يُرى. وقد نطق بذلك شعر العرب والمُحْدَثين[3]. قال بعض العرب[4]: [من الطويل]

[٢٨٥/أ] فلستَ لإنسيٍّ ولكن لِمَلأَكٍ تنـزَّلَ من جوّ السماء يَصُوبُ

وقال أبو إسحاق الغزّي[5]: [من البسيط]

ترك إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

وانتصاب «بشراً» على لغة الحجاز، وكذا جاء ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۝٢﴾ [المجادلة] و﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة].

ولغة تميم الرفع، قال ابن عطية: ولم يُقرأ بها.

وقال الزمخشري[6]: ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ: بشرٌ، بالرفع وهي قراءة ابن مسعود.انتهى.

---

(١) ق: بكمة.
(٢) ق: بشر.
(٣) ق: والمحدّثين.
(٤) البيت لعلقمة الفحل في ديوانه ص١٣٢، وهو من شواهد سيبويه ٤: ٣٨٠.
(٥) البيت في الوفيات ١: ٣٩٦، وفيه: قوم إذا.
(٦) الكشاف ٢: ٣١٧.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ الآية، ذا: اسم إشارة، واللام لبُعد المشار[١]، وكنّ: خطاب لتلك النسوة. والمعنى أن هذا الذي صدر منكنّ من الإكبار وتقطيع الأيدي ونفي البشرية عنه وإثبات الملكية له هو الذي لمتنّني فيه أي: في محبّته.

ثم جعلت تتوعّده مقسمة على ذلك وهو يسمع قولها «ولئن لم يفعل ما آمره». و«ما» موصولة. والضمير في «ما آمره» عائد على يوسف، والعائد على الموصول محذوف تقديره: ما آمره به، أي: من الموافقة لي فيما أريد. واللام في «لئن» مؤذنة بقسم محذوف وجوابه «ليسجننّ». وجاءت النون المشدّدة، لأنها آكَدُ من المخفّفة، ثم عطف عليه «وليكونَنْ» بالنون الخفيفة لأن الصَّغار أخفّ من السجن. فقالت له النسوة: أطِعْ وافعل ما أمَرَتك به.

فقال ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ فأسند الفعل إليهنّ كلهنّ لما نصحن[٢] له وزيّنّ له مطاوعتها، ونهينه عن إلقاء نفسه في السجن والصَّغار[٣]، فالتجأ إلى الله تعالى، والتقدير: دخول السجن أحبّ إليّ. وقرأ يعقوب وجماعة: السَّجن، بفتح السين وهو مصدر سَجَن أي: حَبْسُهم إياي في السَّجن أحبّ إليّ. و«أحبّ» هنا ليست على بابها من التفضيل لأنه لم يحبب ما يدعونه إليه قطّ، وإنما هذان شرّان[٤] فآثر أحد الشرّين على الآخر، وإن كان في أحدهما مشقّة، وفي الآخر لذّة. لكن لِمَا ترتّب على تلك اللذة من معصية الله تعالى وسوء العاقبة، لم يخطر له ببال، ولما في

(١) ق: المشافر.

(٢) ق: تنصحن.

(٣) ق: والصغار: الذل.

(٤) ق: الشّران.

الآخر[١] من احتمال المشقة في ذات الله والصبر على النوائب وانتظار الفرج والحضور مع الله تعالى في كل وقت داعياً له في تخليصه، آثره. ثم ناط العصمة بالله واستسلم له كعادة الأنبياء والصالحين وأنه تعالى لا يصرف السّوء إلاّ هو فقال «وإلاّ تصرف عني كيدهنّ أصبُ إليهنّ» أي: أَمِلْ إلى ما دعونني إليه.

وجعل جواب الشرط قوله «أصبُ إليهن» وهي كلمة مشعرة بالميل فقط لا بمباشرة المعصية.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ أي: من الذين لا يعملون بما يعلمون، لأنّ [من] لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء.

وذكر استجابة الله تعالى له ولم يتقدم لفظ دعاء لأنّ قوله «وإلا تصرف عني» فيه معنى طلب الصرف والدّعاء، وكأنه قال: اصرف عني كيدهنّ.

﴿فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّ﴾ أي: حال بينه وبين المعصية.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعاء الملتجىء إليه. «العليم» بأحواله وما انطوت عليه نيّاته.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ﴾ أي: ظهر. والفاعل «البدا» ضمير يفسّره ما يدلّ عليه المعنى، أي: بدا لهم هو، أي: رأي وبداء كما قال الشاعر[٢]: [من الطويل]

بدا لكَ من تلك القَلوص بَداءُ [لعلّك والموعود حقٌّ لقاؤه]

(١) ق: الآخرة.

(٢) البيت منسوب للشّماخ في ديوانه ص٤٢٧.

هكذا قاله النّحاة والمفسرون إلاّ من أجاز أن تكون الجملة فاعلة، فإنه زعم أنّ قوله «ليسجننّه» في موضع الفاعل «البدا» أي سَجْنُه [٢٨٥/ب] حتى حين، والردّ على هذا المذهب مذكور في النّحو(١).

والذي أذهب إليه أن الفاعل ضمير يعود على السجن المفهوم من قوله «ليسجننّ» أو من قوله «السِّجن» على قراءة الجمهور، أو السَّجن، على قراءة من قرأ بفتح السّين. والضمير في «لهم» للعزيز وأهله.

و«الآيات» هي الشواهد الدالّة على براءة يوسف عليه السلام.

و«ليسجننّه» جواب قسم محذوف، والقسم وجوابه معمول(٢) لقول محذوف تقديره: قائلين.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ المعنى: إلى زمان. والحين يدلّ على مطلق الوقت. ومن عيّن له هنا زماناً فإنّما كان ذلك باعتبار مدة سجن يوسف لا أنه موضوع في اللغة لذلك، وكأنها اقترحت زماناً حتى تبصر ما يكون منه.

وفي سجنهم ليوسف دليل على مكيدة النساء واستنزال المرأة لزوجها ومطاوعته لها وعشقه وجَعْله زمام أمره بيدها، هذا مع ظهور خيانتها وبراءة يوسف عليه السلام. روي أنه لما امتنع يوسف من المعصية ويئست منه امرأة العزيز قالت لزوجها: إنّ هذا الغلام العبراني قد فضحني في الناس، وهو يعتذر إليهم ويصف الأمر بحسب اختياره، وأنا محبوسة محجوبة، فإمّا أذنت لي فخرجت إلى الناس فاعتذرتُ وكذّبتُه وإمّا حبستَه كما أنا محبوسة!. فحينئذ بدا لهم سجنه. قال ابن عباس: فأمر به فحُمل على حمار وضُرب

---

(١) ق: البحر.

(٢) ق: معمولة.

أمامه بالطبل ونودي عليه في أسواق مصر أن يوسف العبرانيّ أراد سيّدته فهذا جزاؤه أن يُسجن. قال أبو صالح: ما ذكر ابن عباس هذا الحديث إلاّ بكى.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ ﴾ الآية، في الكلام حذف تقديره: فسجنوه فدخل معه السجن فتيان. روي أنهما كانا للملك الأعظم الوليد بن الرّيان، أحدهما خبّازه والآخر ساقيه، واتّهمهما المَلك بأنّ الخابز منهما أراد سمّه ووافقه على ذلك السّاقي فسجنهما. و«مع» تدلّ على الصحبة واستحداثها، فدلّ على أنهم سُجنوا الثلاثة في ساعة واحدة.

ولمّا دخل يوسف السّجن استمال الناس بحسن حديثه وفضله ونبله، وكان يسلّي حزينهم ويعود مريضهم ويسأل لفقيرهم ويندبهم إلى الخير، فأحبه

الفَتَيان ولزماه[1]، وأحبّه صاحب السجن والقيّم عليه وقال له: كن في أيّ البيوت شئت.

وكان يوسف عليه السلام قال لأهل السجن: إني أعبر الرؤيا وأجيد. ورأى الحلميّةُ جرت مجرى أفعال القلوب في جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متّحدي المعنى، «فأراني» فيه ضمير الفاعل المستكن، وقد تعدّى الفعل إلى الضمير المتّصل وهو رافع للضمير المستكنّ[2] وكلاهما لمدلول واحد، ولا يجوز أن تقول: أضرِبُني ولا أُكرِمُني.

و«أعصر» في موضع المفعول الثاني. و«خمراً» ليس المعصور إنما المعصور ماؤه ويؤول إلى الخمر، فعبّر عنه بما يكون مآله إلى الخمرية.

«نبّئنا» يدلّ على أنه كان نبّأهم بأنه يحسن تعبير الرؤيا.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ﴾ الآية، لمّا استعبراه ووصفاه بالإحسان، افترض ذلك، فوصف يوسف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبّئهما بما يُجعل لهما من الطعام قبل أن يأتيهما ويصفه لهما. وقيل: كان ذلك في اليقظة وقيل: كان في النوم. فقالا له: ومن أين لك ما تدّعيه من العلم وأنت لست بكاهن ولا منجّم؟. فقال لهما «ذلكما ممّا علّمني ربي» وجعل ذلك تخليصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد[3]، ويعرض عليهما الإيمان، ويزيّنه لهما، ويقبّح لهما الشرك بالله [٢٨٦/أ] تعالى. وروي أنه نُبِّىء في السجن.

---

(١) ق: ولزمه.

(٢) ق: المتّصل.

(٣) ق: التوكيد.

والظاهر أنّ قوله «إني تركت» استئناف إخبار بما هو عليه، إذ كانا قد أحبّاه، وكَلِفا به وبحسن أخلاقه ليُعْلمهما ما هو عليه من مخالفة قومهما فيتّبعاه. وفي الحديث[١] «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النّعم».

وعبّر «بتركت» مع أنه لم يتشبّث بتلك الملّة قطّ إجراءً للترك مجرى التّجنب من أول حاله، واستجلاباً لهما لأن يتركا تلك الملّة التي كانا فيها.

والذين لا يؤمنون: هم أهل مصر. ونبّه على أصلين عظيمين: الإيمان بالله والإيمان بدار الجزاء. وكرّر لفظة «هم» على سبيل التوكيد، وحَسَّن ذلك الفصل[٢].

قال الزمخشري[٣]: وتكرير «هم» للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة وأنّ غيرهم مؤمنون، ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهاً على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا كافر بدار الجزاء انتهى.

ليست «هم» عندنا تدلّ على الخصوص، وباقي ألفاظه ألفاظ المعتزلة.

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ﴾ لمّا ذكر أنه رفض ملّة أولئك ذكر اتّباعه ملّة آبائه، ليُريهما أنه من بيت النبوّة، بل عرّفهما أنه نبيّ بما ذكره من إخباره بالغيوب، لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه وإيقاع قوله.

---

(١) أخرجه مسلم ٤: ١٨٧٢ من حديث سهل بن سعد. وانظر صحيح الجامع الصغير ٢: ٣٣.

(٢) ق: الفضل.

(٣) الكشاف ٢: ٣٢٠.

﴿ مَا كَانَ لَنَآ ﴾ ما صحّ وما استقام[١] «لنا» معشر الأنبياء.

﴿أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ عموم في المَلَك والجنّي والإنسي، فكيف بالصّنم الذي لا يسمع ولا يبصر، «فشيء» يراد به المُشْرَك[٢]، ويجوز أن يراد به المصدر أي: شيء من الإشراك، فيعمّ الإشراك ويلزم عموم متعلّقاته. و«مِن» زائدة لأنها في حيّز النفي إذ المعنى: ما نشرك بالله شيئاً[٣]. والإشارة «بذلك» إلى شرعهم وملّتهم.

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ لمّا ذكر ما هو عليه من الدّين الحنيفيّ، تلطّف في حسن الاستدلال على فساد ما عليه قوم الفَتَيَيْن من عبادة الأصنام، فناداهما باسم الصحبة في المكان الشّاق الذي تخلص فيه المودّة وتمحض فيه النصيحة. واحتمل قوله «يا صاحبي السجن» أن يكون من باب الإضافة إلى الظرف والمعنى: يا صاحبيّ في السجن، واحتمل أن يكون من باب إضافته إلى شبه المفعول كأنه قيل: يا ساكني السجن، كقوله تعالى ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر].

ثم أورد الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله «أأرباب» فأبرز ذلك في صورة الاستفهام حتى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بالدليل من غير استفهام. وهكذا الوجه في مجاجّة الجاهل[٤]: أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها، فإذا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها، ثم كذلك حتى يصل إلى الإذعان بالحقّ.

---

(١) ق: استفهام.

(٢) ق: الشّر.

(٣) ق: من شيء.

(٤) ق: الجهلة.

وقابل تفرُّق آبائهم بالوحدانيّة. وجاء بصفة «القهّار» تنبيهاً على أنه تعالى له هذا الوصف الذي معناه الغلبة والقدرة التامة، وإعلاماً بِعِزْوِ أصنامهم[١] عن هذا الوصف الذي لا ينبغي أن يُعبد إلا المتّصف به، وهم عالمون بأنّ تلك الأصنام جماد. والمعنى: أعبادة أرباب متكاثرة في العدد خير أم عبادة واحد قهّار وهو الله تعالى؟ فمن ضرورة يرى العاقل خيريّة عبادة الله تعالى. ثم استطرد بعد هذا الاستفهام إلى الإخبار عن حقيقة ما يعبدون.

والخطاب بقوله «ما تعبدون» لهما ولقومهما من أهل مصر. ومعنى الأسماء الألفاظ، أحدثتموها أنتم وآباؤكم فهي فارغة لا مسمّيات تحتها. وتقدّم تفسير مثل [٢٨٦/ب] هذه الجملة في الأعراف[٢].

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: ليس لكم ولا لأصنامكم حكم، ما الحكم في العبادة والدّين إلاّ لله. ثم بيّن ما حَكَم به فقال «أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إياه».

ومعنى «القيّم» الثابت الذي دلّت عليه البراهين.

«لا يعلمون» لجهالتهم وغلبة الكفر عليهم.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ الآية، لمّا ألقى إليهما ما كان أهمّ وهو أمر الدين رجاءً في إيمانهما، ناداهما ثانياً لتجتمع أنفسهما لسماع الجواب. فروي أنهما قالا: ما رأينا شيئاً وإنما تحالمنا[٣] لنجرّبك. فأخبرهما يوسف عليه السلام عن غيب علمه من قِبَل الله تعالى، أن الأمر قد قُضي ووافق القدر، وسواء أكان ذلكما منكما حلماً أم تحالماً. وأفرد «الأمر» وإن كان

---

(١) أي: بتجرّدها، يقال: هو عِزْوٌ منه: خِلْوٌ، والجمع أعراء.

(٢) انظر تفسير الآية ٧١ من الأعراف.

(٣) ق: وإن تحاكمنا.

أمر هذا غير أمر هذا، لأن المقصود إنما هو عاقبة أمرهما الذي أُدخلا به السجن، وهو اتّهام الملك إياهما بسمّه، فرأيا ما رأيا أو[١] تحالما بذلك.

﴿وَقَالَ﴾ [أي]: يوسف عليه السلام. ﴿لِلَّذِى ظَنَّ﴾ أي: أيقن هو أي: يوسف. ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ﴾ وهو السّاقي.

والذي يظهر أن يوسف عليه السلام إنّما قال لساقي الملك «اذكرني عند ربك» ليتوصّل إلى هدايته وإيمانه بالله تعالى كما توصّل إلى إيضاح الحق للساقي ورفيقه.

والضمير في «فأنساه» عائد على الساقي. ومعنى «ذكر ربه» أي: ذكر يوسف، والإضافة تكون بأدنى ملابسة. وإنساء الشيطان له بما يوسوس إليه من اشتغاله حتى يذهل عمّا قال له يوسف، لما أراد الله تعالى بيوسف من إجزال أجره بطول مقامه في السجن.

و«بضع سنين» مجمل فقيل: سبع سنين وقيل اثني عشر[٢]. والظاهر أنّ قوله «في السجن» إخبار عن مدة مقامه في السجن منذ سجن إلى أن خرج.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ

---

(١) ق: وتحالما.

(٢) على تقدير: عاماً.

يَٰبِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ .

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ﴾ الآيات، لمّا دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة، هالَتْه، فرأى سبع بقرات سمان، خرجن من نهر يابس، وسبع بقرات عجاف، فابتلعت العجاف السّمان. ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبّها وسبعاً[1] أخر يابسات قد استحصدت وأدركت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها، فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها.

«أرى» يعني في منامه، ودلّ على ذلك «أفتوني في رؤياي». و«رأى» حكاية حال فلذلك جاء بالمضارع دون رأيت.

وجاء لفظ «بقرات» و«سنبلات» مجموعاً جمع سلامة في المؤنث، لأنه موضوع في القلّة، فناسب لفظ «سبع».

و«للرؤيا» مفعول «تعبرون» قوي تعدّي الفعل باللام لتأخره، فتقول: زيداً

(١) ق: وسبع.

ضربت، ولزيدٍ ضربت. فلو تأخّر المفعول عن الفعل لم يجىء باللام إلا قليلاً، كقول الشاعر[١]: [من الوافر]

فلمّا [أن] تـواقفنـا قليـلاً أَنَخْنا للكلاكل فارتمينا

يريد: أنخنا الكلاكل.

و﴿أَضْغَٰثُ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي، أي: تلك الرؤيا أضغاث أحلام. والأضغاث: جمع ضغث أي: تخاليط أحلام، وهو ما يكون من حديث النفس أو وسوسة الشيطان أو مزاج الإنسان. وأصله أخلاط النبات استعير للأحلام. وجمعوا الأحلام وإن كانت رؤياه واحدة إما[٢] باعتبار متعلّقاتها إذ هي أشياء، [وإمّا باعتبار جواز ذلك كما تقول: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرساً واحداً تعليقاً بالجنس، وإمّا بكونه قصّ عليهم مع هذه الرؤيا غيرها]. ونَفَوْا عن أنفسهم العلم بتأويل الأحلام أي: لسنا من أهل تعبير الرؤيا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ الآية، أي: تذكّر ما سبق له مع يوسف عليه السلام.

«بعد أمّة» أي: مدّة طويلة.

والجملة من قوله «وادّكر» حاليّة، وأصله ادتكر، أُبدلت التاء دالاً، وأدغمت الدال فيها، فصار ادّكر.

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ [٢٨٧/أ] أي: أخبركم عمّن عنده علمه.

---

(١) البيت في المقرّب ١: ١١٥ غير منسوب.

(٢) ق: وإما.

«فأرسلون» أي: ابعثوني.

وفي الكلام حذف تقديره: فأرسلوه إلى يوسف عليه السلام فأتاه فقصّ عليه رؤيا الملك.

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ﴾ إلى آخره، تضمّن هذا الكلام من يوسف عليه السلام ثلاثة أنواع من القول: أحدها[1] تعبير بالمعنى لا باللفظ. الثاني عرضُ رأيٍ وأمْرٌ به وهو قوله «فذروه في سنبله». والثالث الإعلام بالغيب في أمر العام الثامن.

والظاهر أن قوله «تزرعون سبع سنين دأباً» خبر؛ أخبر أنهم تتوالى لهم هذه السنون السبع لا ينقطع فيها زرعهم للريّ الذي يوجد.

﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ إشارة برأي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه إلا بحيلة إبقائها في السنبل، فإذا بقيت فيه انحفظت[2]. والمعنى: اتركوا الزّرع في السّنبل إلا ما [لا] غنى عنه للأكل، فيجتمع الطعام ويتركب ويؤكل الأقدم فالأقدم[3] من ذلك المدّخر.

وحذف المميّز في قوله ﴿سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾ لدلالة قوله «سبع سنين» عليه، وأسند الأكل إليهنّ في قوله «يأكلن» على سبيل المجاز من حيث إنه يؤكل فيها كما قال تعالى ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴿٦٧﴾﴾ [يونس]. ومعنى «تحصنون» تحرزون وتخبّئون، مأخوذ من الحصن وهو الحرز والملجأ.

---

(١) ق: أحدهما.

(٢) عبارة ق: في السنبل إلا بحيلة فإذا بقيت فيه وانحفظت.

(٣) ق: الأقدم في الأقدم.

وقرىء: دأباً، بفتح الهمزة وسكونها. و«ما» شرطية، وجوابه «فذروه».

قال ابن عباس: ﴿يُغَاثُ﴾ من الغيث، وقيل من الغوث وهو الفرج. وفي الأول يبنى[١] من ثلاثي، وفي الثاني من الرباعي، تقول: غاثنا الله: من الغيث، وأغاثنا: من الغوث.

وقرىء: تعصرون، بالتّاء على الخطاب، وقرىء بالياء على الغيبة. والجمهور على أنه من عصر النبات كالعنب والقصب والزيتون والسّمسم وجميع ما يُعصر. ومصر بلد عصير لأشياء[٢] كثيرة.

وفي الكلام حذف تقديره: فأتى المستفتي يوسف إلى الملك، وأخبره بفتيا يوسف عليه السلام، فقال الملك: ائتوني به. فلما جاء الرسول يوسف قال له: ارجع إلى ربك - وهو الملك - فاساله: ما بال النسوة. ليعلم الملك براءة يوسف عليه السلام ممّا نسب إليه. فأحضر الملك النسوة وقال الملك: ما خطبكنّ. ومن كرم يوسف أنه سكت عن زوج العزيز مع ما صنعت به، وتسبّبت فيه من السجن والعذاب، واقتصر على ذكر مقطّعات الأيدي.

﴿إِنَّ رَبِّي﴾ الله ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أراد أنّ كيدهن عظيم لا يعلمه إلا الله لِبُعْدِ غَوْرِه.

واستشهد بعلم الله تعالى على أنّهن كِذْبَةٌ[٣] وأنه بريء ممّا قُذف به.

---

(١) ق: ينبّيء.

(٢) ق: كأشياء.

(٣) ق: كذبة.

والضمير [في] «بكيدهنّ» عائد على النسوة المذكورات لا للجنس، لأنها حالة توقيف على ذنب. وجاء «النسوة» بالألف واللام للعهد في قوله ﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف]، كما قال تعالى ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴿١٦﴾﴾ [المزمل].

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ في الكلام حذف تقديره: فرجع الرسول فأخبره بما قال يوسف، فجمع الملك النّسوة وامرأة العزيز وقال لهنّ: ما خطبكنّ؟. وهذا استدعاء منه أن يُعْلِمْنَه بالقصة. ونزّه جانب يوسف بقوله «إذ راودتن يوسف عن نفسه» ومراودتهنّ له قولهنّ: أطع مولاتك. فأجاب النسوة بجواب جيد تظهر منه براءة أنفسهنّ جملة وتنزيه يوسف عليه السلام بقولهن «ما علمنا عليه من سوء». فلمّا سمعت امرأة العزيز مقالتهنّ في براءة يوسف أقرّت بأعظم ممّا أقررن به - إذ كانت هي أقوى سبب فيما جرى من المراودة ومن سجن يوسف - قالت «الآن حصحص الحق». وقرىء: حُصْحِص، مبنيًّا للمفعول. وأتبعَتْ ذلك بقولها[1] «أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين».

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ[2] أَنِّي [٢٨٧/ب] لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ الظاهر أن هذا من كلام امرأة العزيز، وهو داخل تحت قوله «قالت» والمعنى: ذلك الإقرار والاعتراف بالحق، ليعلم يوسف أني لم أخُنْه في غيبته، وأكذبْ عليه، وأرْمِه بذنب هو بريء منه.

ثم اعتذرت عمّا وقعت فيه ممّا يقع فيه البشر من الشهوات بقولها ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ والنفوس مائلة إلى الشهوات أمّارة بالسوء.

---

(١) ق: بقوله.

(٢) ق: لم يعلم.

ومن ذهب إلى أن قوله «ذلك ليعلم» إلى آخره من كلام يوسف يحتاج إلى تكلُّفِ ربطٍ بينه وبين ما قبله، ولا دليل يدلّ على أنّه من كلام يوسف، إذ لم يكن يوسف حاضراً وقت سؤال الملك النّسوة وإقرار امرأة العزيز بما أقرتّ به.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٥٧﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ الآية، روي أن الرسول جاءه فقال: أجب الملك. فخرج من السجن، ودعا لأهله. فلمّا دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بعزّتك وقدرتك من شرّه. ثم سلّم عليه ودعا له بالعبرانية. فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي. وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، فكلّمه بها فأجابه يوسف عليه السلام بجميعها فتعجّب منه.

ومعنى «أستخلِصْه» أجعله خالصاً لنفسي وخاصًّا بي. وفي الكلام حذف تقديره: فأتوه به.

والظاهر أن الفاعل «بكلّمه» ضمير يوسف أي: فلمّا كلّم يوسف الملك، ورأى الملك حُسْنَ منطقه بما صدق به الخبر. «قال إنك اليوم لدينا مكين أمين» أي: ذو مكانة ومنزلة. «أمين» مؤتمن على كل شيء.

ولمّا وصفه الملك بالتمكّن عنده والأمانة، طلب من الأعمال ما يناسب هذين الوصفين فقال ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ولّني خزائن أرضك.

﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ أي: احفظ ما تستحفظه. «عليم» بوجوه التصرف. وصف نفسه بالأمانة والكفاءة، وهما مقصود الملوك ممّن يولّونه، إذ هما يعمّان وجوه التثقيف والحياطة، ولا خلل معهما لعامل. وجاء «حفيظ» بصفة المبالغة وهي مقصودة ولمناسبة قوله «عليم». وكان الملك يصدر[١] عن رأي يوسف، ولا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك التمكين في نفس الملك. ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر.

﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ يتّخذ منها مباءة ومنزلاً كلّ مكان أراد، فاستولى على جميعها ودخلت[٢] تحت سلطانه. وروي أن الملك توّجه بتاجه، وختمه بخاتمه، وردّاه[٣] بسيفه، ووضع له سريراً من ذهب مكلّلاً بالدّر والياقوت، فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوّض إليه أمره. وعزل قطفير العزيز، ثم مات بعدُ، فزوّجه الملك امرأته زليخا. فلمّا دخل عليها قال: أليس هذا خيراً ممّا طلبت؟ فوجدها [عذراء] لأنّ العزيز كان لا يطؤها، فولدت له ولدين: أفرايم ومنشا. وأقام العدل بمصر وأحبّه الرجال والنساء، وأسلم على يده الملك وكثير من الناس.

وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الأولى، حتى لم يبق معهم منها شيء، ثم بالحُلِيّ والجواهر ثم بالدوابّ ثم بالضّياع والعقار ثم برقابهم ثم استرقّهم[٤] جميعاً فقالوا: والله ما رأينا كاليوم

---

(١) ق: لا يصدر.

(٢) ق: ودخل.

(٣) أي ألبسه إياه.

(٤) ق: افترقهم.

ملكاً أجلّ ولا أعظم منه. فقال للملك: كيف رأيت صنع الله فيّ وفيما خوّلني فما ترى؟ قال: الرأي رأيك. قال: فإني أُشهد الله وأُشهدك أني أعتقتُ أهل مصر عن آخرهم ورددتُ عليهم أملاكهم.

وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس.

وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب مصر، فأرسل يعقوب عليه السلام بنيه ليمتاروا، واحتبس بنيامين.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾ أي: [٢٨٨/أ] بنعمتنا من الملك والغنى وغيرهما. ولا نضيع في الدنيا أجر من أحسن. ثم ذكر أنّ أجر الآخرة خير، لأنه الدائم الذي لا يفنى. وفي الآية إشارة إلى أنّ حال يوسف في الآخرة خير من حالته في الدنيا.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ

مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ الآية، أي: جاؤوا من القريات من أرض فلسطين بغور الشام إلى مصر ليمتاروا منها، فتوصّلوا إلى يوسف للميرة، فعرفهم لأنه فارقهم وهم رجال، ورأى زيّهم قريباً من زيّه إذ ذاك، ولأنّ همته كانت معمورة بهم وبمعرفتهم، فكان يتأمّل ويتفطّن. وإنكارهم إياه كان لطول العهد ومفارقته إياهم في سنّ الحداثة، ولاعتقادهم أنه قد هلك ولذهابه عن قلّة أفكارهم فيه، ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حالته التي فارقوه عليها طريحاً في البئر مشريًّا بدراهم معدودة. حتّى لو تخيّل لهم أنه هو لكذّبوا أنفسهم، ولأنّ المُلْك مما يبدّل الزّي ويلبس صاحبه من التّهيب والاستعظام ما يُنْكَر منه العرف.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ وكان الجهاز الذي لهم هو الطعام الذي امتاروه. وفي الكلام حذف تقديره: وكان قد استوضح منهم أنه لهم أخ قد قعد عند أبيهم. روي أنه لمّا عرفهم أراد[1] أن يخبروه بجميع أمرهم، فباحثهم بأن قال لهم ترجمانه: أظنكم جواسيس. فاحتاجوا إلى التعريف بأنفسهم فقالوا: نحن أبناء رجل صدّيق وكنّا اثني عشر ذهب منّا واحد في البرّية، وبقي أصغرنا عند أبينا، ونحن جئنا للميرة، وسقنا بعير الباقي منّا، وكانوا عشرة ولهم أحد عشر بعيراً. فقال لهم يوسف: ولِمَ تخلّف أحدكم؟. قالوا: لمحبّة

(١) ق: أرادوا.

أبينا فيه. قال: فأتوني بهذا الأخ حتى أعلم حقيقة قولكم، وأرى لِمَ أحبّه أبوكم أكثر منكم، إن كنتم صادقين. ثم ذكر ما يحرّضهم به على الإتيان بأخيهم بقوله «ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين» أي: المضيفين، يعني في قطره وفي زمانه، يؤنسهم بذلك ويستميلهم. ثم توعّدهم إن لم يأتوا إليه بحرمانهم من الميرة في المستقبل. واحتمل قوله «ولا تقربونِ» أن يكون نهياً وأن يكون نفياً مستقبلاً ومعناه النهي، وحذفت النون وهو مرفوع كما حذفت في قوله ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر]، وأن يكون نفياً داخلاً في الجزاء معطوفاً على محلّ «فلا كيل لكم عندي» فيكون مجزوماً. والمعنى أنهم لا يقربون له بلداً ولا طاعة. وظاهر كلّ ما فعله يوسف معهم أنه بوحي من الله تعالى، وإلاّ فإنه كان مقتضى البرّ أن يبادر إلى أبيه ويستدعيه، لكن الله أراد تكميل أجر يعقوب عليه السلام ومحنته وليفسّر الرؤيا الأولى.

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ أي: سنخادعه ونستميله في رفق إلى أن يتركه[1] يأتي معنا إليك، ثم أكّدوا ذلك الوعد بأنهم فاعلو ذلك لا محالة لا نفرّط فيه ولا نتوانى.

وقرىء: لفتيانه، ولفتيته. فالكثرة على مراعاة المأمورين، والقلّة على مراعاة المتناولين، وهم الخَدَمة الكائلون. أمرهم بجعل المال الذي اشتروا به الطعام في رحالهم مبالغة في استمالتهم.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ﴾ أي: يعرفون حقّ ردّها وحقّ التكرّم بإعطاء البدلَين، فيرغبون فيها إذا انقلبوا إلى أهلهم وفرغوا ظروفهم. و«لعلهم يعرفونها» تعليق بالجَعْل. و«لعلهم يرجعون» تعليق بترجّي معرفة البضاعة للرجوع إلى يوسف.

---

(١) ق: نتركه.

قيل: وكانت بضاعتهم النّعال والأدم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ الآية، أي: رجعوا من مصر ممتارين، بادروا [٢٨٨/ب] بما كان أهمّ الأشياء عندهم من التوطئة لإرسال أخيهم معهم، وذلك[١] قبل فتح متاعهم وعلمهم بإحسان العزيز إليهم من ردّ بضاعتهم. وأخبروا بما جرى لهم مع العزيز الذي على أهراء[٢] مصر، وأنهم استدعى منهم العزيز أن يأتوا بأخيهم حتى يتبيّن صدقهم أنهم ليسوا جواسيس.

وقولهم ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ إشارة إلى قول يوسف ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى ۝٦٠﴾ [يوسف] ويكون منعٌ يُراد به في المستأنَف وإلاّ فقد كيل لهم وجاؤوا أباهم بالميرة. لكن لمّا أُنذروا بمنع الكيل قالوا «مُنع منّا الكيل». وقيل: أشاروا إلى بعيرِ بنيامين الذي مُنع من الميرة، وهذا أولى بحمل[٣] «مُنع» على الماضي حقيقةً ولقولهم «فأرسِلْ معنا أخانا نكْتَلْ» ويقوّيه قراءة: يكتل، بالياء أي: يكتل أخونا، فإنه مُنع كيل بعيره لغيبته.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية، هذا تقرير وتوقيف وتألّم من فراقه بنيامين، ولم يصرّح بمنعه من حمله لما رأى في ذلك من المصلحة. وشبّه هذا الائتمان في ابنه هذا بائتمانه إياهم في حقّ يوسف: قلتم فيه ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢﴾ [يوسف] كما قلتم في هذا، فأخاف أن تكيدوا له كما كِدْتُم لذلك. لكنّ يعقوب لم يَخَفْ عليه كما خاف على يوسف، واستسلم لله

(١) ق: ومع ذلك.
(٢) ق: على أهل.
(٣) ق: لحمل.

فقال: فالله خيرٌ حفظاً. وقرىء: حافظاً، اسم فاعل. وانتصب حفظاً وحافظاً على التمييز. والمنسوب له الخير هو حفظ الله، والحافظ الذي من جهة الله.

وأجاز الزمخشري(١) أن يكون «حافظاً» حالاً.

وليس بجيّد لأنّ فيه تقييد «خير» بهذه الحالة.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ اعتراف بأن الله تعالى هو ذو الرحمة الواسعة فأرجو منه حفظه، وألّا يجمع عليَّ مصيبته ومصيبة أخيه.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ﴾ الآية، «ما نبغي» استفهامية أي: أيَّ شيء نبغي ونطلب من الكرامة؟ هذه أموالنا رُدّت إلينا. وكانوا قالوا لأبيهم: قَدِمْنا على خير رجل وأنزلَنا وأكرَمَنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمَنا كرامته.

والجملة من قوله «هذه بضاعتنا رُدّت إلينا» موضّحة لقولهم «ما نبغي»، والجمل بعدها معطوفة عليها على تقدير: فنستظهر بها.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ في رجوعنا إلى الملك.

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ فلا يصيبه شيء ممّا تخافه. وكرّر حفظ الأخ مبالغة في الحضّ على إرساله.

﴿وَنَزْدَادُ﴾ باستصحاب أخينا وَسْقَ بعير على أوساق بعيرنا(٢)، لأنه إنما كان حمل لهم عشرة أبعرة ولم يحمل الحادي عشر لغيبة صاحبه.

---

(١) انظر الكشاف ٢: ٣٣١.

(٢) ق: لعيرنا. ووَسْق البعير: حمله.

والإشارة «بذلك» الظاهر أنها إلى «كيل بعير» أي: يسير بمعنى قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه.

قال الزمخشري[١]: أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا، يعني ما يُكال لهم فازدادوا إليه ما يُكال لأخيهم. ويجوز أن يكون من كلام يعقوب أي: حمل بعير واحد[٢] شيء يسير لا يُخاطَر لمثله بالولد، كقوله ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ ۝٥٢﴾ [يوسف] انتهى.

يعني ظاهر الكلام أنه من كلامهم وهو من كلام يعقوب، كما أن قوله «ذلك ليعلم» ظاهره أنه من كلام امرأة العزيز وهو من كلام يوسف. وهذا كلّه تحميل للفظ القرآن ما يبعد تحميله وفيه مخالفة الظاهر لغير دليل.

ولمّا كان يعقوب غير مختار لإرسال ابنه، وألحّوا عليه في ذلك، علّق إرساله بأخذ الموثق عليهم وهو الحلف بالله، إذ به تؤكّد العهود وتُشدَّد. ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ جواب للحلف، لأن معنى ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾. حتى تحلفوا لي لتأتنّني به.

وقوله ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ لفظ عام لجميع وجوه الغلبة، والمعنى: تعمّكم الغلبة من جميع الجهات حتى لا يكون لكم حيلة ولا وجه مَخْلص، وهذا الاستثناء من المفعول [٢٨٩/أ] من أجله مراعى في قوله «لتأتنّني» وإن كان مثبتاً [فهو] بمعنى[٣] النفي، لأن المعنى: لا تمتنعون من الإتيان به لشيء من الأشياء إلا أن يحاط بكم. ومثاله من المثبت في اللفظ ومعناه النفي قولهم:

---

(١) الكشاف ٢: ٣٣١.

(٢) ق: وأي.

(٣) ق: يعني.

أنشدك الله إلاّ فعلت، أي: ما أنشدك إلا الفعل. وفي الكلام حذف تقديره: فأجابوه إلى ما طلب.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ﴾ يعقوب ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ مِن طَلَب الموثق وإعطائه. ﴿وَكِيلٌ﴾ رقيب ومطّلع.

ونهيه إياهم أن يدخلوا من باب واحد هو خشية العين، وكانوا أحد عشر كرجل واحد أهل جمال وبسطة، قاله ابن عباس. والعين حق، وفي الحديث[١] «إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القِدْر» وفي التعوّذ[٢] «من كلّ عين لامّة».

ويظهر أن خوفه عليهم من العين في هذه الكرة بحسب أنّ محبوبه فيهم وهو بنيامين الذي [كان] يتسلّى به عن شقيقه يوسف، ولم يكن فيهم في الكرّة الأولى، فأهمل أمرهم، ولم يحتفل بهم لسوء صنيعهم في يوسف.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: هو الذي يحكم وحده وينفّذ ما يريد، فعليه وحده توكّلت.

و﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: من أبواب متفرقة. روي أنهم لمّا ودّعوا أباهم قال لهم: بلّغوا ملك مصر سلامي، وقولوا له: إنّ أبانا يصلّي عليك، ويدعو لك، ويشكر صنيعك معنا. وفي كتاب أبي منصور الهمذاني أنه خاطبه بكتاب قرىء على يوسف عليه السلام فبكى.

وجواب «لما» قوله «ما كان يغني عنهم من الله من شيء» وفيه حجة لمن

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣: ٢٥٠، وصحيح الجامع الصغير ٤: ٦٤.

(٢) انظر النهاية ٤: ٢٧٢، وسنن أبي داود ٤: ٢٣٥.

زعم أنّ لمّا حرف وجوب لوجوب لا ظرف زمان بمعنى حين؛ إذ لو كانت ظرف زمان جاز أن تكون معمولاً لما بعد «ما» النافية، لا يجوز: حين قام زيد ما قام عمرو، ويجوز: لما قام زيد ما قام عمرو. فدلّ ذلك على أنّ لمّا حرف يترتّب جوابه على ما بعده.

«وإنه لذو علم» يعني لقوله «إن الحكم إلا لله» وما بعده، وعلمُه بأنّ القدر لا يرفعه الحذر. وهذا ثناء من الله تعالى على يعقوب عليه السلام.

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ

أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ روي أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به. فقال: أحسنتم وأصبتم، وستجدون ذلك عندي. فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيًا لأجلسني معه. فقال يوسف عليه السلام: بقي أخوكم وحيداً. فأجلسه معه على مائدته، وجعل يؤاكلهم وقال: أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لا ثاني له فيكون معي. وبات يوسف يضمّه إليه، ويشمّ رائحته حتى أصبح. وسأله عن ولده فقال: لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخٍ لي هلك. فقال: أتحبّ أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟. قال: من يجد أخاً مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل!. فبكى يوسف عليه السلام، وقام إليه وعانقه وقال: أنا أخوك يوسف فلا تبتئس ولا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى، فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير، فلا تُعْلِمْهم بما أعلمتك.

وعن ابن عباس: تعرّف إليه أنه أخوه وهو الظاهر.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يشير بقوله «بما كانوا يعملون» إلى ما يعمله فتيان يوسف [من أمر السقاية ونحو ذلك انتهى.

ولا يحتمل ذلك لأنه لو كان التركيب: بما يعملون، بغير «كانوا» لأمكن على بُعده، لأن الكلام إنما هو مع إخوة يوسف.] وأما ذكر فتيانه فبعيد جدًا لأنه لم يتقدم لهم ذكر إلا في قوله ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف] وقد حال

بينهما قصص، واتّسق الكلام مع الإخوة اتّساقاً لا ينبغي أن يعدل عن أن الضمير عائد إليهم، وأن ذلك إشارة إلى ما كان يلقى منهم قديماً من الأذى، إذ قد[1] أَمِن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف.

والظاهر أن الذي [٢٨٩/ب] جعل السّقاية في رحل أخيه هو يوسف، ويظهر من حيث كونه ملكاً أنه لم يباشر ذلك بنفسه بل أمر غيره من فتيانه أو غيرهم أن يجعلها.

وقال ابن عمر، وابن عباس وجماعة: «السّقاية» إناء يشرب به الملك، وبه كان يكال الطعام للناس.

﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي: نادى منادٍ. أذن: أعلم وأذّن: أكثر الإعلام، ومنه المؤذّن لكثرة ذلك منه. و«ثم» تقتضي مهلة بين جعل السقاية والتأذين، [فروي] أنه لمّا فصلت العير بأوقارها، وخرجوا من مصر أُدركوا وقيل لهم ذلك. والظاهر أن «العير» الإبل، وقال مجاهد: كانت دوابّهم حميراً. ومناداة العير والمراد أصحابها كقوله[2]: يا خيل الله اركبي، ولذلك جاء الخطاب «إنكم لسارقون» فروعي المحذوف ولم يُراعَ[3] «العير» كما روعي في: اركبي، وفي قوله ﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف]. ويجوز أن يُطلق العير على القافلة أو الرفقة، فلا يكون من مجاز الحذف.

﴿ قَالُواْ﴾ أي: إخوة يوسف. ﴿ وَأَقْبَلُواْ﴾ جملة حالية أي: وقد أقبلوا. «عليهم» أي: على طالبي السقاية أو على المؤذّن إن كان أريد به جمع، كأنه

---

(١) ق: أقد.

(٢) أورده البيهقي في الكلام على غزوة ذي قَرَد، انظر دلائل النبوة ٤ : ١٨٧ .

(٣) ق: يراعى.

جعل مؤذّنين ينادون. وساءهم أن يُرموا بهذه المثلبة العظيمة وقالوا «ماذا تفقدون» ليقع التفتيش فتظهر براءتهم. واحتمل أن يكون «ماذا» استفهاماً في موضع نصب بـ«تفقدون»، واحتمل أن تكون [«ما»] وحدها استفهاماً مبتدأ و«ذا» موصولة بمعنى الذي خبر عن «ما» و«تفقدون» صلة لذا، والعائد محذوف أي: تفقدونه.

و«صواع الملك» هو المكيال وهو السقاية، سمّاه أولاً بإحدى جهتيه[١] وآخِراً بالثانية.

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾ أي: لمن دلّ على سارقه وفضحه، وهذا جُعْل.

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ من كلام المؤذّن أي: وأنا بحمل البعير كفيل أؤدّيه إلى من جاء به، وأراد به وسق بعير من طعام جُعْلاً لمن حصّله.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ أقسموا بالتاء من حروف القسم لأنها يكون فيها التعجب غالباً، كأنهم عجبوا من رَمْيهم بهذا الأمر العظيم. وروي أنهم ردّوا البضاعة التي وجدوها في الرّحال وتحرّجوا من أخذ الطعام بلا ثمن، وكانوا قد اشتهروا بمصر بصلاح وعفّة، وكانوا يجعلون الأكِمَّة[٢] في أفواه إبلهم لئلا تنال زرع الناس، فأقسموا على إثبات شيء قد علموه منهم وهو أنكم قد علمتم أنّ مجيئنا لم يكن لفساد. ثم استأنفوا الإخبار عن نفي صفة السّرقة عنهم، وأن ذلك لم يوجد منهم قطّ.

قال ابن عطية: والتاء في «تالله» بدل من واو، كما أبدلت في: تراث وفي التّوراة والتّخمة. ولا تدخل التاء في القسم إلاّ في الله من بين أسمائه تعالى

---

(١) ق: جهته.

(٢) الأكِمّة: جمع كِمّ وهو ما تُغطّى به أفواه الإبل.

و[لا في] غير ذلك لا تقول: تالرّحمن ولا تالرّحيم انتهى. أما قوله: والتاء في «تالله» بدل من واو فهو قول أكثر النحويين.

وقال السهيلي إنها أصل بنفسها وليست بدلاً من واو. وأما قوله: وفي التوراة، فعلى مذهب البصريين إذ زعموا أن الأصل: ووراه، مِن ورى الزّند[1].

ومن النحويين من زعم أن التاء زائدة وذلك مذكور في النحو.

وأما قوله: ولا تدخل إلى آخره، فقد حُكي عن العرب دخولها على الرّب وعلى الرحمن وعلى حياتك، قالوا: تَرَبِّ[2] الكعبة وتالرّحمن وتَحَياتك.

والظاهر اتّحاد الضمائر في قوله ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ إذ التقدير إذ ذاك: قالوا جزاء الصّاع، أي: سرقته، مَن وُجد الصّاع في رحله.

وقولهم: «جزاؤه من وُجد في رحله» كلام مَنْ لم يشكّ أنهم بُرَآء ممّا رُموا به، ولاعتقادهم البراءة علّقوا الحكم على وجدان الصّاع لا على سرقته. و«جزاؤه» مبتدأ، و«من» مبتدأ؛ فإن كانت شرطية «فوجد في رحله» [الخبر، وجواب الشرط «فهو جزاؤه». وإن كانت موصولة «فوجد في رحله»] صلتها، و«فهو جزاؤه» في [٢٩٠/أ] موضع خبرها.

قال ابن عطيّة: والضمير في «قالوا جزاؤه» للسارق. وهذا لا يصحّ لخلوّ الجملة الواقعة خبر «جزاؤه» من رابط.

(١) ق: ورواه من روى الزند.

(٢) ق: أترب.

وقال الزمخشري[(١)]: المعنى: قالوا: جزاء سرقته. ويكون «جزاؤه» مبتدأ، والجملة الشرطية كما هي خبره، على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر، والأصل: جزاؤه من وجد[(٢)] في رحله فهو هو، فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك: مَن أخو زيد[(٣)]؟ فيقول: أخوه من يقعد إلى جنبه، فهو هو، يرجع الضمير الأول إلى مَن والثاني إلى الأخ. ثم تقول: فهو أخوه، مقيماً للمظهر مقام المضمر [انتهى].

ووضع الظاهر موضع المضمر للربط إنما هو فصيح في مواضع التفخيم والتهويل وغير فصيح فيما سوى ذلك نحو: زيد قام زيد، وينزّه القرآن عنه.

وقال الزمخشري أيضاً[(٤)]: «جزاؤه» خبر مبتدأ محذوف أي: المسؤول عنه جزاؤه، ثم أفتوا بقولهم «مَن وُجد في رحله فهو جزاؤه» كما تقول من يستفتي في جزاء صيد الحرم: جزاء صيد الحرم، ثم تقول ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة].

وهو متكلّف إذ تصير الجملة من قوله: المسؤول عنه جزاؤه، على[(٥)] هذا التقدير ليس فيه كبير فائدة؛ إذ قد علم من قوله «فما جزاؤه» أن الشيء المسؤول عنه جزاء سرقته، فأي فائدة في نطقهم بذلك؟. وكذلك القول في المثال الذي مثّل به من قول المستفتي. ومعنى «فهو جزاؤه» أي: استعباده،

---

(١) الكشاف ٢: ٣٣٤.

(٢) ق: وضع.

(٣) عبارة ق: فهو هو موضع الجزاء هو كما تقول لصاحبك: من أحقّ بزيد.

(٤) الكشاف ٢: ٣٣٤.

(٥) ق: وعلى.

إذ كانت عادتهم استعباد[1] السارق.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق.

﴿نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: بالسّرقة وهو ديننا وسنّتنا في أهل السّرقة.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ قيل: قال لهم من وكّل بهم: لا بدّ من تفتيش أوعيتكم. فانطلق بهم إلى يوسف عليه الصلاة والسلام، فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة وتمكين الحيلة واتّقاء ظهورها حتى بلغ وعاءه فقال: والله ما أظنّ هذا[2] أخذ شيئاً. فقالوا: والله لا تتركه حتى تنظر رحله، فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا. فاستخرجها[3] منه.

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ يعني علّمناه إياه وأوحينا به إليه.

وقولهم ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ لا يدلّ على الجزم بأنه سرق، بل أخرجوا ذلك مخرج الشرط أي: إن كان وقع منه سرقة فهو يتأسّى بمن سرق قبله، فقد سرق أخٌ له من قبل. والتعليق على الشرط على أن السرقة[4] في [حقّ بنيامين وأخيه ليست مجزوماً بها، كأنهم قالوا: إن كان هذا الذي رُمي به] بنيامين حقًّا فالذي رُمي به يوسف من قبل حقّ[5]. لكنه قوّى الظنّ عندهم في حقّ يوسف بما ظهر لهم أنه جرى من بنيامين، ولذلك قالوا: ﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ﴿٨١﴾﴾ [يوسف]. وقيل: حقّقوا السّرقة في جانب

(١) ق في الموضعين: استبعاد.

(٢) ق: هو.

(٣) ق: فاستخرجوه.

(٤) ق: من.

(٥) ق: حقًّا.

بنيامين وأخيه بحسب ظاهر الأمر، فكأنهم قالوا: إن كان سرق فغير بدعٍ من ابني راحيل لأن أخاه يوسف كان قد سرق. فعلى هذا القول يكون قولهم إنحاءً على يوسف وبنيامين، وقولهم هذا هو بحسب الظاهر والإخبار بأمرٍ جرى، لتزول المعرّة عنهم وتختصّ بالشقيقين. وتنكير «أخ» في قولهم «فقد سرق أخ له من قبل» لأن الحاضرين لا علم لهم به، وقالوا [«له»] لأنه كان شقيقه. والجمهور على أن السرقة التي نُسبت إلى يوسف عليه السلام هي أن عمّته ربّته وشبّ عندها. وأراد يعقوب أخذه فأشفقت من فراقه، فأخذت منطقة[1] إسحاق، وكانت متوارثة [عندهم فنطقته بها من تحت ثيابه، ثم صاحت وقالت: فقدت المنطقة] ففتّشت فوُجدت عند يوسف فاسْتَرَقَّتْه حسبما كان عندهم في شرعهم، وبقي عندها حتى ماتت فصار عند أبيه.

والضمير في «فأسرّها» يفسّره سياق الكلام، أي: الحزازة[2] التي حدثت في نفسه [٢٩٠/ب] من قولهم.

والظاهر من قوله ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ خطابهم بهذا القول في الوجه، فكأنه أسرّ كراهية مقالتهم ثم وبّخهم بقوله «أنتم شرٌّ مكاناً»، وفيه إشارة إلى تكذيبهم. ومعنى ﴿أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ يعني هو أعلم بما تصفون منكم، لأنه عالم بحقائق الأمور وكيف كانت سرقة أخيه التي أَحَلْتُم سرقته عليه.

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ الآية، استعطفوا يوسف إذ كان قد أخذ عليهم الميثاق.

ومعنى «كبيراً» في السّن أو القَدْر. وكانوا أعلموا يوسف بأنه كان له ابن

---

(١) المنطقة: ما ينتطق به، أي: يُشدّ به الوسط.

(٢) ق: أي أن الحزازة.

هلك، وهذا شقيقه يستأنس به. وخاطبوه «بالعزيز» إذ كان في تلك الخطّة، بعزل قطفير وموته على ما سبق.

ومعنى «مكانه» أي: بدله على جهة الاسترقاق والاستعباد[1].

وقوله ﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وصفوه بما شاهدوه من إحسانه لهم ولغيرهم، أو من المحسنين إلينا في هذه اليد إن أسديتها إلينا.

و﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ تقدّم الكلام عليه في[2] ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف].

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ﴾ استفعل هنا بمعنى المجرد، يئس واستيأس بمعنى واحد نحو: سخروا واستسخر وعجب واستعجب.

ومعنى ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ انفردوا من غيرهم يناجي بعضهم بعضاً. والنّجي: الفعيل بمعنى مُفاعل كالخليط والعشير، وبمعنى المصدر الذي هو التّناجي كما قيل: النّجوى بمعنى التّناجي. وهو لفظ يوصف به من له نجوى، واحداً[3] كان أو جماعة مؤنثاً أو مذكّراً.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السنّ وهو روبيل، ذكّرهم الميثاق في قول يعقوب ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف].

و«ما» زائدة[4] أي: ومن قبل هذا فرّطتم في يوسف. و«من قبل»

---

(١) ق: والاستبعاد.

(٢) ق: الكلام على.

(٣) ق: واحد.

(٤) ق: زائد.

متعلق[1] بـ«فرّطتم». وقد جوّزوا في إعرابه وجوهاً أحدها: أن تكون «ما» مصدرية أي: ومن قبلُ تفريطكُم.

قال الزمخشري[2]: على أنّ محلّ المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو «من قبلُ»، ومعناه: ووقع من قبلُ تفريطُكم في يوسف.

وقال ابن عطية: ولا يجوز أن يكون قوله «من قبل» متعلقاً بـ«فرّطتم» وإنما تكون «ما» على هذا مصدرية، التقدير: من قبلُ تفريطكُم في يوسف واقع ومستقر، وبهذا المقدَّر يتعلق قوله «من قبل» انتهى.

وهذا وقول الزمخشري راجع إلى معنى واحد وهو أنّ «ما فرّطتم» يقدَّر بمصدر مرفوع بالابتداء و«من قبل» في موضع الخبر، وذهلا عن قاعدة عربية، وحقّ لهما أن يذهلا، وهو أن هذه الظروف التي هي غايات، إذا بُنيت لا تقع أخباراً للمبتدأ، جُرَّت أولم تُجَرَّ. تقول: يوم السبت مبارك والسفر بعده، ولا يجوز: والسّفر بعد. وعمروٌ [جاء] وزيد خلفه، ولا يجوز أن يقال: وزيد خلف. وعلى ما ذكراه يكون: تفريطكم مبتدأ و«من قبل» خبر، وهو مبني وذلك لا يجوز، وهذا مقرر في علم العربية.

ولهذا ذهب أبو علي إلى أن المصدر مرفوع بالابتداء و«في يوسف» هو الخبر أي: كائن أو مستقر في يوسف.

والظاهر أنّ قوله «في يوسف» معمول لقوله «فرّطتم» لا أنه في موضع خبر.

---

(١) ق: متعلقاً.

(٢) الكشاف ٢: ٣٣٧.

وأجاز الزمخشري[١] وابن عطية أن تكون «ما» مصدرية والمصدر المسبوك في موضع نصب، التقدير: ألم تعلموا أَخْذَ أبيكم عليكم موثقاً ومن قبلُ تفريطَكُم في يوسف.

وقدّره الزمخشري[٢]: وتفريطكم من قبل في يوسف.

وهذا الذي ذهبا إليه ليس بجيد، لأنّ فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف[٣] الذي هو على حرف واحد وبين المعطوف، فصار نظير: ضربت زيداً وبسيفٍ عَمْراً.

وقد زعم أبو علي الفارسي أنه لا يجوز ذلك إلا في ضرورة الشعر.

وأما تقدير الزمخشري: وتفريطكم من قبل في يوسف، فلا يجوز لأن فيه تقديم معمول المصدر [٢٩١/أ] المنحلّ لحرف مصدري والفعل عليه، وهو لا يجوز.

وأجاز أيضاً أن تكون موصولة بمعنى الذي، قال الزمخشري[٤]: ومحلّه الرفع أو النصب على الوجهين انتهى.

يعني بالرفع أن يرتفع على الابتداء و«من قبل» الخبر، وقد ذكرنا أنّ ذلك لا يجوز. ويعني بالنصب أن يكون عطفاً على المصدر المنسبك من قوله «أن أباكم قد أخذ عليكم» وفيه الفصل بين حرف العطف الذي هو الواو وبين

---

(١) انظر الكشاف ٢: ٣٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) عبارة ق: الفصل بين الجار والمجرور الذي بين حرف العطف.

(٤) الكشاف ٢: ٣٣٧.

المعطوف.

فأحسن هذه الأوجه ما بدأنا به من كون «ما» زائدة، وبرح التّامة تكون بمعنى ذهب وبمعنى ظهر ومنه: برح الخفاء أي: ظهر، وذهب، لا ينتصب الظرف المكاني المختصّ بها، إنما يصل إليه بوساطة في، فاحتيج إلى اعتقاد تضمين برح معنى فارق.

وعنى بـ«الأرض» أرض مصر التي فيها الواقعة، ثم غيّا ذلك بغايتين: إحداهما خاصة وهي قوله «حتى يأذن لي أبي» في الانصراف إليه، والثانية عامّة وهي قوله «أو يحكم الله لي» لأنّ إذن أبيه له هو من حكم الله تعالى [له] في مفارقة أرض مصر.

وكأنه لمّا علّق الأمر بالغاية الخاصة رجع إلى نفسه فأتى بغاية عامة تفويضاً لحكم الله ورجوعاً إلى من له الحكم حقيقة، ومقصوده التضييق على نفسه كأنه سجنها في القطر الذي أدّاه إلى سخط أبيه.

وفي الكلام حذف تقديره: فرجعوا إلى أبيهم وأخبروه بالقصّة وقول من قال: ارجعوا ثم استشهدوا بأهل القرية التي كانوا فيها وهي مصر قاله ابن عباس.

و﴿ بَلْ ﴾ للإضراب فتقتضي كلام محذوفاً قبلها حتى يصحّ الإضراب فيها وتقديره: ليس الأمر حقيقة كما أخبرتم بل سوّلت. وتقدّم شرح ﴿ سَوَّلَتْ ﴾ وإعراب ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف]. ثم ترجّى من الله تعالى أن يأتيه بهم وهم يوسف وبنيامين وكبيرهم على الخلاف الذي فيه. وترجّى يعقوب للرؤيا

التي رآها يوسف فكان ينتظرها[1] ويحسن ظنّه بالله في كل حال، ولما أُخبر به عن ملك مصر أنه يدعو له برؤيه ابنه. ووَصْفُه الله تعالى بهاتين الصّفتين[2] لائق بما يؤخّره تعالى من لقاء بنيه، وتسليم لحكم الله فيما جرى عليه.

والضمير في «بهم» عائد على يوسف وأخيه وعلى كبيرهم الذي امتنع أن يسير معهم إلى أبيهم، وباقي الإخوة كانوا عند يعقوب عليه السلام.

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ الآية، «وتولى» أي: أعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به، وأنه ساء ظنّه بهم، ولم يصدّق قولهم، وجعل يتفجع ويتأسّف. ونادى يعقوب الأسف على سبيل المجاز على معنى: هذا زمانك فاحضر!. والظاهر أنه مضاف إلى ياء المتكلم قلبت الياء ألفاً كما قالوا في: يا غلامي، يا غُلاماً. وكرّر يعقوب ما دهاه من أمر يوسف[3] فتأسّف عليه وحده ولم يتأسف عليهما لأنه هو الذي لا يعلم أحيٌّ هو أم ميت، بخلاف أخويه، ولأنه كان أصل الرزايا عنده إذ ترتّبت عليه، وكان أحب أولاده إليه وكان

---

(١) ق: ينظرها.

(٢) ق: الصفات.

(٣) عبارة ق: من أمر بنيامين والقائل: فلن أبرح الأرض بعد فقدانه يوسف، فتأسّف.

دائماً يذكره ولا ينساه. وابيضاض عينيه[١] من توالي العَبرة عليهما فينقلب سواد العين إلى بياض كدر.

والظاهر أنه كان عَمِيَ لقوله تعالى ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۝٩٦﴾ [يوسف]، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩﴾ [فاطر] فقابل البصير بالأعمى. وعلّل الابيضاض بالحزن، وإنما هو من البكاء المتوالي وهو ثمرة الحزن، فعلّل بالأصل الذي نشأ منه البكاء وهو الحزن. والكظيم: إمّا للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب أي: شديد الكظم كما قال ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران]. ولم يَشْكُ يعقوب إلى أحد وإنما كان يكتمه في نفسه، ويمسك همّه في صدره، فكان يكظمه أي: يردّه [٢٩١/ب] إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر. وإمّا أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، وهو لا ينقاس وقاله قوم كما قال تعالى ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝٤٨﴾ [القلم].

وجواب القسم «تفتأ» حذفت منه لا، وحذفُها جائز والمعنى: لا تزال، واسمها ضمير الخطاب و«تذكر» خبر «تفتأ». و«حتى» للغاية بمعنى إلى أن، فكأنهم قالوا له ذلك على جهة تفنيد[٢] الرأي أي: لا تزال تذكر يوسف إلى حال القرب من الهلاك أو إلى أن تهلك. فقال هو:

﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا أشكو لأحدٍ منكم ولا غيركم.

وقال أبو عبيدة وغيره: البثّ: أشدّ الحزن، سُمّي بذلك لأنه من صعوبته لا يطيق حَمْله فيبثّه أي: ينشره.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظنّي

---

(١) ق: عينه.

(٢) ق: تقييد.

به أنه يأتي بالفرج من حيث لا أحتسب.

﴿اذْهَبُوا﴾ أمَر بالذّهاب إلى الأرض التي جاؤوا منها وتركوا بها أخَوَيْهم بنيامين والمقيم بها. وأمَرَهم بالتّحسس وهو الاستقصاء والطلب بالحواس، ويستعمل في الخير والشّر. وقرىء بالجيم [والمعنى]: فتجسّسوا شيئاً من أمْر يوسف وأخيه. وإنّما خصهما لأن الذي أقام وقال ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف] إنما أقام مختاراً. و«روح الله» رحمته وفرجه وتنفيسه.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ الآية، في الكلام حذف تقديره: فذهبوا من الشام إلى مصر فلما دخلوا عليه. والضمير في «عليه» عائد على يوسف. وكان آكَدَ ما حدّثوه فيه شكوى ما أصابهم من الجهد قبل ما وصّاهم به من تجسّس نبأ يوسف وأخيه.

و«الضّر» الهزال من الشّدة والجوع. والبضاعة كانت زيوفاً قاله ابن عباس. ثم التمسوا منه إيفاء الكيل، وقد استُدِلّ بهذا على أن الكيل على البائع، ولا دليل فيه.

﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ أي: بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة، أو زِدْنا على حقّنا. فَسَمَّواْ ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقةً.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ الآية، نَسَبهم إمّا إلى جهل المعصية وإمّا إلى جهل الشباب وقلّة الحنكة. وقيل: أتاهم من جهة الدّين، وكان عليه السلام حليماً موفقاً، فكلّمهم مستفهماً عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال «هل علمتم» أي: قُبحَ ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون، لا تعلمون قُبْحَه فلذلك أقدمتم عليه؟. يعني: هل علمتم قبحه فتُبْتُم إلى الله منه؟ لأنّ عِلْمَ القبيح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجرّ التوبة. فكان كلامه شفقة عليهم وتنصّحاً لهم في الدّين وإيثاراً لحقّ الله تعالى على حقّ نفسه في ذلك المقام الذي يتنفّس فيه المكروب وينفث[1] فيه المصدور ويستشفي المغيظ المحنق[2] ويدرك ثأرَه الموتور.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي﴾ لمّا خاطبهم بقوله «هل علمتم» أدركوا أنه لا يستفهم ملك لم[3] ينشأ عندهم ولا تتبّع أحوالهم، وليس منهم فيما يظهر إلا وعنده منهم علم بحالهم[4]. فيقال إنه كان يكلّمهم من وراء حجاب، فرفعه ووضع التاج وتبسّم، وكان يضيء ما حوله من نور تبسُّمه. ورأوا لمعةً بيضاء كالشّامة في فَرْقه حين وضع التاج، وكان مثلها لأبيه وجدّه وسارة، فتوسّموا أنه يوسف واستفهموا استفهام إخبار وقيل استفهام تقرير، لأنهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سبق ذكرها. ولمّا

---

(١) ق: وينفس.

(٢) ق: المحتف.

(٣) ق: ولم.

(٤) ق: إلا وعندهم منه علم وبحالهم.

استفهموه أجابهم فقال «أنا يوسف» كاشفاً لهم أمره، وزادهم في الجواب قوله «وهذا أخي» لأنه سبق قوله «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه». وكان في ذكر أخيه بيان لما سألوا عنه وإن كان معلوماً عندهم، وتوطئة لما ذكر بعدُ من قوله «قد منّ الله علينا» [٢٩٢/أ] أي: بالاجتماع بعد الفرقة والأنس بعد الوحشة. ثم ذكر أنّ سبب مَنِّ الله تعالى هو التقوى والصبر.

والأحسن أن لا يُخَصَّ التقوى بحالةٍ[1] ولا الصبر. وقد قرأ قنبل: يتّقي[2]، فقيل: هو مجزوم بحذف الياء التي هي لام الكلمة، وقيل[3]: جزمه بحذف الحركة على لغة من يقول: لم يرمي زيد، وقد حكوا ذلك لغة. وقيل: هو مرفوع و«مَن» موصول بمعنى الذي، وعطف عليه مجزوم وهو «يصبر» وذلك على التّوهم، كأنه توهّم أنّ «مَن» شرطية و«يتقي» مجزوم.

و«المحسنين» عامّ يندرج فيه من تقدّم، أو وضع موضع الضمير لاشتماله على المتّقين والصابرين فكأنه قيل: لا يضيع أجرك.

و﴿ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ﴾ فضّلك بالمُلْك أو بالصبر والعلم قالهما ابن عباس.

﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ﴾ التثريب: التأنيب والعتب. وعبّر بعضهم عنه بالتعيير.

---

(١) ق: بحالهِ.

(٢) ق: ويتّقي.

(٣) ق: وهي.

ومنه(١) «إذا زنت أَمَةُ أحدكم فَلْيَجْلِدْها(٢) ولا يُثَرِّبْ عليها» أي: لا يعيّرها. وأصله من الثّرب وهو الشّحم الذي هو غاشية الكرش، ومعناه إزالة الثّرب، كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد، فضرب مثلاً للتقريع الذي يمزّق العرض ويذهب بماء الوجه.

و«تثريب» اسم «لا»، و«عليكم» الخبر، و«اليوم» منصوب بالعامل في الخبر أي: لا تثريب مستقرّ عليكم اليوم.

وقال الزمخشري(٣): فإن قلت: بِمَ تعلّق «اليوم»؟ قلت: بالتثريب(٤) أو المقدّر [في] عليكم من معنى الاستقرار أو «بيغفر». والمعنى: لا أثرّبكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنّة التثريب فما ظنّكم بغيره من الأيام؟. ثم ابتدأ فقال «يغفر الله لكم» فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم، يقال: غفر الله لك ويغفر الله لك، على لفظ الماضي والمضارع جميعاً. ومنه قول المشمّت(٥): يغفر الله لكم ويصلح بالكم. أو: «اليوم يغفر الله لكم» بشارة بعاجل الغفران لما تجدّد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم.انتهى.

أمّا قوله: إن «اليوم» متعلق بالتثريب فهذا لا يجوز لأن التثريب مصدر وقد فُصل بينه وبين معموله بقوله «عليكم».

---

(١) أخرجه مسلم ٣: ١٣٢٨ من حديث أبي هريرة. وانظر صحيح الجامع الصغير ١: ٢٢٠.

(٢) ق: فليجدها.

(٣) الكشاف ٢: ٣٤٢.

(٤) ق: بالتقريب.

(٥) تشميت العاطس: الدّعاء له.

و«عليكم» إمّا أن يكون خبراً أو صفة «لتثريب»[1]، ولا يجوز الفصل بينهما لأن معمول المصدر من تمامه. وأيضاً لو كان «اليوم» متعلّقا «بتثريب» لم يَجُزْ بناؤه وكان يكون من قبيل المشبّه بالمضاف، وهو الذي يسمّى بالممطول[2] ويسمّى المطّول، وكان [يكون] معرباً منوّناً.

وأما تقديره الثاني فتقدير حسن، ولذلك وقف على قوله «اليوم» أكثر القرّاء وابتدؤوا «بيغفر الله لكم» على جهة الدّعاء، وهو تأويل ابن إسحاق والطبري.

وأما تقديره الثالث وهو أن يكون «اليوم» متعلّقاً «بيغفر» فمقول، وقد وقف بعض القراء على «عليكم» وابتدأ «اليوم يغفر الله لكم». ولمّا دعا لهم بالمغفرة، أخبر عن الله تعالى بالصفة التي هي سبب الغفران، وهو أنه تعالى أرحم الراحمين، فهو يرجو منه قبول دعائه لهم بالمغفرة.

والباء في «بقميصي» الظاهر أنها للحال أي: مصحوبين أو مُلْتَبسين به. والظاهر أنه قميص من ملبوس يوسف عليه السلام بمنزلة قميص كلّ أحد.

قال ابن عطية: هكذا تبين الغرابة في أن وجد يعقوب ريحه من بُعْد، ولو كان من قُمص الجنّة، كما قيل، ما كان في ذلك غرابة ولوجده كلُّ أحدٍ. وقوله: «فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا» يدلّ على أنه [عَلِمَ أنه] عَمِيَ من الحزن إمّا بإعلامهم وإما بوحيٍ من الله تعالى. وقوله «يأت بصيراً» يظهر أنه بوحيٍ من الله تعالى.

وأهلوه الذين أَمَر أن يُؤتى بهم سبعون، وقيل غير ذلك. وفي نحوٍ من

---

(١) ق: لتقريب.

(٢) اسم ممطول: طال بإضافةٍ أو صلةٍ، انظر اللسان «مطل».

هذا العدد حلّوا بمصر وَنَمَوْا حتى خرج من ذرّيتهم مع موسى ستّ مئة ألف [مع قرب المدّة] آية عظيمة للمعتبرين.

ومعنى «يأت» يأتيني. وانتصب «بصيراً» على الحال.

ثم أمرهم بأمرين: أحدهما الذهاب بقميصه إذ كان [٢٩٢/ب] أُسِرَّ إليه ارتدادُ بصر أبيه بإلقاء قميصه على وجهه، والأمر الثاني إتيانه بأهلهم جميعاً لتكمل مسرّتهم بذلك.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ الآية، يقال: فَصَل من البلد يَفْصِل فصولاً: انفصل منه وجاوز حيطانه، وهو لازم. وفصَل الشيء فصلاً: فرّق، وهو متعدٍّ. ومعنى «فصلت العير» انفصلت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب عليه السلام، وكان قريباً من بيت المقدس وهو الصحيح، لأن آثارهم وقبورهم هناك إلى الآن.

وقرأ ابن عبّاس: ولمّا انفصلت العير. قال ابن عباس: وجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام، وهاجت ريح فحملت عَرْفه. وقيل غير ذلك.

ومعنى «لأجد» لأشمّ، فهو وجود حاسّة الشّم، وقال الشاعر[1]: [من الطويل]

(١) لم أجده، وانظر البحر ٥: ٣٤٥.

وإنـي لأستشفـي بكـلّ غمـامـةٍ يهبّ بها من نحو أرضك ريح

ومعنى «تفنّدون» قال ابن عباس: تسفّهون وتجهّلون.

وقال القاضي منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله: يقال: شيخ مفنّد أي: فسد رأيه، ولا يقال: عجوز مفنّدة، لأن المرأة لم يكن لها قطّ رأي أصيل فيدخله[1] التّفنيد. و«لولا» هنا حرف امتناع لوجود، و«أن تفنّدون» في موضع الابتداء تقديره: لولا تفنيدكم، وجوابها محذوف.

قال الزمخشري[2]: المعنى: لولا تفنيدكم إياي، لصدقتموني انتهى.

وقد يقال: تقديره: لولا أن تفنّدون لأخبرتكم بكونه حيًّا لم يمت، لأنّ وجدان ريحه دالّ على حياته.

والمخاطب بقوله «تفنّدون» الظاهر من تناسق الضمائر أنه عائد على من كان عنده من أولاده غير الذين راحوا يمتارون، إذ كان أولاده جماعة. وقيل: المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته من قرابته.

والضلال هنا لا يُراد به ضد الهدى والرشاد، قال ابن عباس: المعنى: إنك لفي خطئك. وكان حزن يعقوب قد تجدّد بقصّة بنيامين.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ «أن» زائدة للتأكيد، وزيادتها بعد لمّا قياس مطّرد. قال ابن عباس: «البشير» كان يهوذا، لأنه كان جاء بقميص الدم. والضمير المستكن في «ألقاه» عائد على «البشير».

---

(١) ق: فيدخل.

(٢) الكشاف ٢: ٣٤٣.

وقوله ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من حياة يوسف وأن الله يجمع بيننا. ولمّا رجع إليه بصره وقرّت عينه بالمسير إلى ابنه يوسف وقرّرهم[1] على قوله «ألم أقل لكم» طلبوا منه أن يستغفر لهم الله تعالى لذنوبهم، واعترفوا بالخطأ السابق منهم.

و﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ﴾ عِدَةٌ لهم بالاستغفار بسوف، وهي أبلغ في التنفيس من السين، فعن ابن مسعود أنه أخّر الاستغفار لهم إلى السَّحَر، وعن ابن عباس: إلى ليلة الجمعة، وعنه: إلى سَحَرها. ولمّا وعدهم بالاستغفار رجّاهم بحصول الغفران بقوله «إنه هو الغفور الرحيم». وفي الكلام حذف تقديره: فامتثلوا ما أمرهم به يوسف من الذهاب والإتيان بأهلهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ الآية، ذكروا أن يوسف جهّز إلى أبيه جهازاً ومئتي راحلة ليتجهّز إليه بمن معه. فخرج يوسف - قيل: والملك - في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم، فتلقّوا يعقوب عليه السلام، وهو يمشي يتوّكأ على يهوذا، فنظر إلى الخيل والناس فقال:

(١) ق: وقرّر.

يا يهوذا أهذا فرعون مصر؟ قال: [لا] ولكن هذا ولدك. فلمّا لقيه يعقوب عليه الصلاة السلام قال: السلام عليك يا مُذهب الأحزان.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ أي: ضمّهما إليه وعانقهما. والظاهر [٢٩٣/أ] أنّهما أبوه وأمّه راحيل. وقال الحسن وابن إسحاق: كانت أمّه بالحياة.

وظاهر قوله ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ أنه أمرٌ بإنشاء دخول مصر. قال السّدي: قال لهم ذلك وهم في الطريق حين تلقّاهم.انتهى.

فيبقى قوله «فلّما دخلوا على يوسف» كأنه ضُرب لهم مضرب أو بيتٌ حالةَ التلقّي في الطريق، فدخلوا فيه عليه. ومعنى «ادخلوا» أي: تمكّنوا واستقرّوا فيها. والظاهر تعليق الدخول على مشيئة الله تعالى، لمّا أمرهم بالدخول، علّق ذلك على مشيئة الله تعالى لأن جميع الكائنات إنما تكون بمشيئته تعالى، وما لم يشأ لم يكن.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ و«العرش» سرير الملك. ولمّا دخل يوسف مصر وجلس في مجلسه على سريره، واجتمعوا إليه، أكرم أبويه فرفعهما على السرير، وخصّهما بذلك تكرمةً لهما دون إخوته.

والضمير في «وخرُّوا» عائد على أبويه وإخوته. وظاهر قوله «وخرّوا له سُجّداً» أنه السجود المعهود وأنّ الضمير في «له» عائد على يوسف لمطابقة الرؤيا في قوله ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا ۝٤﴾ الآية [يوسف]. وكان السجود إذ ذاك جائزاً من باب التكريم بالمصافحة وتقبيل اليد والقيام، ممّا شُهر بين الناس من باب التعظيم والتوقير.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: سجودكم هذا تأويل أي: عاقبة رؤياي أنّ تلك الكواكب والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. و«مِن»

متعلق «برؤياي» والمحذوف في «من قبل» تقديره: من قبل هذه الكوائن والحوادث التي جرت بعد رؤياي.

ثم ابتدأ يوسف بتعديد نعم الله تعالى عليه فقال «قد جعلها ربي حقًّا» أي: صادقة، رأيت ما وقع لي في المنام يقظة، حقيقة لا باطل فيها ولا لغو. وفي المدّة التي كانت بين رؤياه وسجودهم خلاف متناقض.

و«أحسنَ» أصله أن يتعدّى بإلى، قال الله تعالى ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص] وقد تتعدى [بالباء] قال تعالى ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة]. وقد يكون ضمّن «أحسن» معنى لَطَفَ، فعدّاه بالباء. وذكر إخراجه من السجن، وعدل عن إخراجه من الجبّ صفحاً عن ذكر ما تعلَّقَ بفعل إخوته وتناسياً لما جرى منهم إذ قال ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف] وتنبيهاً على طهارة نفسه وبراءتها ممّا نُسبت إليه من المراودة، وعلى ما تنقّل إليه من الرئاسة في الدنيا بعد خروجه من السجن، بخلاف ما تنقّل إليه بالخروج من الجبّ إلى أن بِيْعَ بَيْعَ العبيد.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ من البادية. وكان منزل يعقوب بأطراف الشام بالبادية بادية فلسطين، وكان ربّ إبل وغنم وبادية. وقابل يوسف نعمة إخراجه من السجن بمجيئهم من البدو، والإشارة بذلك إلى الاجتماع بأبيه وإخوته وزوال الحزن عن أبيه. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ[1] «من يُرِدِ الله به خيراً ينقله من البادية إلى الحاضرة».

﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: أفسد، وتقدم الكلام على «نزغ»[2]،

(١) لم أجده فيما رجعت إليه وانظر البحر ٥: ٣٤٩.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٠٠ من سورة الأعراف.

وأسند النَّزْغ إلى الشيطان، لأنه هو الموسوس كما قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة]. وذكر هذا القدر من أَمْر إخوته لأنّ النعمة إذا جاءت إثْر بلاء وشدّة كانت أحسن موقعاً. «إنّ ربي لطيف» أي: لطيف التدبير «لما يشاء» من الأمور رفيق.

و«مِن» في قوله ﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾، وفي ﴿مِن تَأْوِيلِ﴾ للتّبعيض لأنه لم يؤته إلا بعض مُلْك الدنيا ولا علم إلا بعض التأويل.

وانتصب «فاطر» على الصّفة أو على النّداء.

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ تتولّاني بالنعمة في الدّارين، وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي.

وذكر كثير من المفسّرين أنه لمّا عدّد نعم الله تعالى عليه، تشوّق إلى لقاء ربّه ولحاقه بصالحي سلفه، ورأى أنّ الدنيا كلّها فانية فتمنّى الموت. والذي يظهر أنه [٢٩٣/ب] ليس في الآية تمنّي الموت، وإنّما عدّد نعمه تعالى عليه، ثم دعا أن يُتمّ عليه النعم في باقي أمره، أي: توفّني إذا حان أجلي على الإسلام، واجعل لحاقي بالصالحين، وإنما تمنّى الوفاة على الإسلام لا الموت. و«الصالحين» أهل الجنة وقيل غير ذلك.

وعلماء التاريخ يزعمون أن يوسف عليه السلام عاش مئة عام وسبعة أعوام وله من الولد أفرايم ومنشا ورحمة زوجة أيوب عليه السلام.

قال الزهري: ولد لأفرايم نون ولنون يوشع وهو فتى موسى. وولد لمنشا موسى وهو قبل موسى بن عمران، ويزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر،

وكان ابن عباس ينكر ذلك. وثبت في الحديث الصحيح[١] أن صاحب الخضر موسى بن عمران.

وتوارثت الفراعنة ملك مصر، ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على دين يوسف عليه السلام وأبيه إلى أن بعث الله محمداً ﷺ.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ[٢] إِلَيْكَ ﴾ الآية، قال ابن الأنباري: سألت قريش واليهود رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فنزلت مشروحة شرحاً شافياً، وأمّل عليه السلام أن يكون ذلك سبباً لإسلامهم، فخالفوا تأميله، فعزّاه الله تعالى بقوله ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾ الآيات.

والإشارة «بذلك» إلى ما قصّه الله تعالى من قصّة يوسف عليه السلام وإخوته.

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾ أي: [عند] بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم على أن يجعلوه في الجبّ، ولا حين ألقوه فيه، ولا حين التقطته السيارة، ولا حين بيع.

(١) انظر مثلاً البخاري ١: ٥٦.

(٢) ق: نوحيها.

﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ أي: يبغون الفوائل ليوسف، ويتشاورون فيما يفعلون [به] أو يمكرون بيعقوب حين أتَوا بالقميص ملطّخاً بالدّم. وفي هذا تصريح لقريش بصدق(١) رسول الله ﷺ.

وهذا النوع في علم البيان يسمّى بالاحتجاج النّظري وبعضهم يسمّيه المذهب الكلامي، وهو أن يلزم الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج. وتقدّم نظير ذلك في آل عمران وفي هود(٢)؛ وهذا تهكّم بقريش وبمن كذّبه، لأنه لا يخفى على أحد أنه لم يكن من حملة(٣) هذا الحديث وأشباهه، ولا لقي فيها أحداً يُعْلِمه بشيء من ذلك، ولمْ يسمع [منه] ولم يكن من علم قومه. فإذا أخبر به وقصّه هذا القصص الذي أعجز حملته ورواته، لم يقع شبهة في أنّه ليس منه وأنه من جهة الوحي(٤)، فإذا أنكروه تهكّم بهم وقيل لهم: قد علمتم أنه لم يكن مشاهداً لمن مضى من القرون الخالية؛ ونحوه ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص]. وقوله «وما كنت» هنا على جهة التهكّم [بهم] لأنه قد علم كل أحد أن محمداً ﷺ ما كان معهم.

و﴿أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾ أي: عزموا على إلقاء يوسف في الجبّ.

﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ جملة حالية. والمكر أن يدبّر(٥) على الإنسان تدبيراً يضرّه ويؤذيه.

---

(١) ق: تصريح تقديس يصدق.

(٢) انظر ٣: ٤٤، ١١: ٤٩.

(٣) ق: جملة.

(٤) ق: الوجه.

(٥) ق: يريد.

و«الناس» الظاهر العموم، كقوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٧﴾ [هود]. وعن ابن عباس أنهم أهل مكة.

﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ [ولو] بالغت في طلب إيمانهم لا يؤمنون لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر. وجواب «لو» محذوف أي: ولو حرصت لم يؤمنوا، إنما يؤمن من يشاء الله إيمانه.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على ما تُحدّثهم به وتذكّرهم[1] أن ينيلوك منفعة وجدوى، كما يعطى حملة الأحاديث والأخبار، إن هو إلاّ عظة وذكر[2] من الله للعالمين عامّة، وحثٌ على طلب النجاة على لسان رسول الله ﷺ.

ثم أخبر تعالى أنهم لفرط كفرهم يمرّون على الآيات التي تكون سبباً [٢٩٤/أ] للإيمان، فيعرضون عنها، ولا تفيد عندهم شيئاً، ولا تؤثر فيهم، وأن تلك الآيات هي في العالم العلوي وفي العالم السفلي.

ومعنى ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ أي: يمشون عليها، والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر.

﴿وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ جملة حالية أي: إيمانهم متلبّس بالشّرك. قال ابن عباس: هم أهل الكتاب، أشركوا بالله تعالى من حيث كفروا بنبيّه عليه السّلام.

﴿أَفَأَمِنُوٓا۟﴾ استفهام إنكار فيه معنى التوبيخ والتهديد.

﴿غَٰشِيَةٌ﴾ نقمة، تغشاهم أي تغطيهم كقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۝٥٥﴾ [العنكبوت] وقال الضحّاك: يعني الصواعق

---

(١) ق: يحدّثهم به ويذكرهم.

(٢) ق: وذكرى.

والقوارع انتهى.

وإتيان الغاشية يعني في الدنيا، وذلك لمقابلته بقوله «أوتأتيهم الساعة» أي: يوم القيامة.

﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة في الزّمان ومن حيث لا يُتوقَّع.

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ تأكيد لقوله «بغتة». قال الكرماني: لا يشعرون بإتيانها أي: وهم غير مستعدّين لها.

قال ابن عباس: تأخذهم الصيحة وهم على أسواقهم ومواضعهم.

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ لمّا تقدّم من قول يوسف عليه السلام ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف] وكان قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف] دالاًّ على أنه حارص على إيمانهم مجتهد في ذلك داعٍ إليه مثابر عليه، وذكَرَ ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [يوسف] أشار إلى ما فهم من ذلك وهو شريعة الإسلام والإيمان وتوحيد الله تعالى فقال: [قل] يا محمد هذه الطريقة والدعوة طريقي التي سلكتُها وأنا عليها. ثم فسّر

تلك السبيل فقال «أدعو إلى الله» يعني لا إلى غيره من ملك أو إنسان أو كوكب أو صنم، إنما دعائي إلى الله تعالى وحده. قال الجمهور: «سبيلي» ديني. ومفعول «أدعو» هو محذوف تقديره: أدعو الناس. والظاهر تعلّق «على بصيرة» «بأدعو». و«أنا» توكيد للضمير المستكن في «أدعو». و«مَن» معطوف على ذلك الضمير والمعنى: أدعو أنا إليها ويدعو إليها من اتّبعني.

ويجوز أن يكون «على بصيرة» خبراً مقدّماً و«أنا» مبتدأ و«مَن» معطوف عليه.

ويجوز أن يكون «على بصيرة» حالاً من ضمير «أدعو» فيتعلّق بمحذوف، ويكون «أنا» فاعلاً بالجار والمجرور النائب عن ذلك المحذوف، «ومن اتّبعني» معطوف على «أنا».

وأجاز أبو البقاء[١] أن يكون «ومن اتّبعني» مبتدأ خبره محذوف تقديره: كذلك أي: داعٍ إلى الله على بصيرة. ومعنى «بصيرة» حجّة واضحة وبرهان متيقّن، من قوله ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام][٢]. و«سبحان الله» داخل تحت قوله «قل» أي: قل وتنزيه الله من النسركاء أي: براءة من الله من أن يكون له شريك.

ولمّا أُمر بأن يخبر عن نفسه عليه السّلام أنه[٣] يدعو هو ومن اتّبعه إلى الله تعالى، وأُمر أن يخبر أنه ينزّه الله تعالى عن الشركاء، أُمر أيضاً أن يخبر أنه في خاصة نفسه مُنْتَفٍ عن الشّرك وأنه ليس ممّن أشرك. وهو نفي عامّ في

---

(١) انظر إملاء ٢: ٥٩.

(٢) ق: جاءتكم.

(٣) ق: أن.

الأزمان لم يكن منهم[1] ولا في وقت من الأوقات.

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ حصرٌ في المرسَل دعاةً إلى الله تعالى فلا يكون مَلَكاً. قال ابن عباس: «رجالاً» يعني لا نساءً، فلا رسول امرأة. و«القرى» المدن.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الضمير في «أفلم يسيروا» عائد على من أنكر إرسال الرّسل من البشر، ومن عاند الرسول وأنكر رسالته وكفر. أي: هلاّ يسيرون[2] في الأرض، فيعلمون بالتواتر أخبار الرسل السابقة، ويرون مصارع الأمم المكذِّبة، فيعتبرون بذلك.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ هو حضٌّ على العمل لدار الآخرة والاستعداد [لها] واتّقاء المهلكات، وفي هذه الإضافة [٢٩٤/ب] تخريجان: أحدهما أنها من إضافة الموصوف إلى صفته وأصله: وللدّارُ الآخرةُ خير، وهو تخريج كوفيّ. والثاني أن يكون من حذف الموصوف وإقامة صفته مقامه وأصله: ولَدارُ المدّة الآخرة أو النّشأة الآخرة خير، وهو تخريج بصري.

و﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لما قبلها، وليس في اللفظ ما يكون له غاية، فاحتيج إلى تقدير، فقدّره الزمخشري[3]: وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً فتراخى نصرهم حتى إذا استيأس الرّسل عن النّصر.

وقال ابن عطية: ويتضمّن قوله «أفلم يسيروا» إلى قوله «من قبلهم» أن الرّسل الذين بعثهم الله من أهل القرى دَعَوْهم، فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم المثلات، فصاروا في حيّز من يُعتبَر بعاقبته. فلهذا المضمَّن حَسُن أن

---

(١) ق: منه.

(٢) ق: يسيروا.

(٣) الكشاف ٢: ٣٤٧.

تدخل «حتى» في قوله «حتى إذا استيأس الرسل» انتهى.

لم يتلخّص لنا من كلامه شيء يكون ما بعد «حتى» غاية له، لأنه علّق الغاية بما ادّعى أنه فهم ذلك من قوله «أفلم يسيروا» الآية. قال أبو الفرج بن الجوزي[١]: المعنى متعلّق بالآية الأولى فتقديره: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فَدَعَوْا قومهم، فكذّبوهم، وصبروا، وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا استيأس الرسل. وهو نوع من كلام الزمخشري.

وقال القرطبي في تفسيره[٢]: المعنى: وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالاً، ثم لم نعاقب أممهم بالعقاب، حتى إذا استيأس الرّسل. وقرىء: كذّبوا، بالتشديد مبنيًا للمفعول. والضمير في «وظنّوا» وفي «أنهم» عائد على الرّسل. والظّن بمعنى اليقين والمعنى: وأيقنت الرّسل أنهم قد كذّبهم قومهم. وقرىء: كُذِبوا، بالتخفيف في الذّال مبنيًا للمفعول أيضاً، والضمائر في «ظنّوا» وفي «أنهم» عائدة على المرسل إليهم والمعنى: وظنّ المُرسَل إليهم أن الرسل قد كَذَبهم من جاءهم بالوحي. وقرىء: فنُنْجي، بنونين مضارع أنجى. ونُجِّيَ، بنون واحدة وشدّ الجيم وفتح الياء مبنيًا للمفعول. وقرأت فرقة: فنُنْجيَ، بنونين مضارع أنجى وفتح الياء، قال ابن عطية رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط من هبيرة انتهى.

ليست غلطاً، ولها وجه من العربية وهو أن الشرط والجزاء يجوز أن يأتي بعدهما المضارع منصوباً بإضمار أنْ بعد الفاء، كقراءة من قرأ ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا

---

(١) زاد المسير ٤: ٢٩٦.

(٢) ٩: ٢٧٥. ووصل المصنف قوله: «حتى إذا استيأس الرسل» بما قبله. وليست هي كذلك في القرطبي.

﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة] بنصب «فيغفر» بإضمار أنّ بعد الفاء. ولا فرق في ذلك بين أن تكون أداة الشرط جازمة أو غير جازمة.

ومفعول «نشاء» محذوف تقديره: نشاء تنجيته(١).

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ والبأس هنا الهلاك. وهذه الجملة فيها وعيد وتهديد لمعاصري رسول الله ﷺ.

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي(٢) ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ الضمير في «قصصهم» عائد على الرسل والمرسل إليهم، واندرجت فيه قصّة يوسف وغيره.

وقرأ في قِصصهم، بكسر القاف أحمد بن جبير الأنطاكي عن الكسائي والقصبي(٣) عن عبد الوارث عن أبي عمرو، جمع قصّة. والعبرة: الدلالة التي يُعبر بها إلى العلم، والعبرة: الاتّعاظ.

والظاهر أنّ اسم «كان» مضمر يعود على القصص أي: ما كان القصص حديثاً مختلقاً بل هو حديث صدق ناطق بالحق جاء به من لم يقرأ الكتب ولا تتلمذ لأحد ولا خالط العلماء.

وانتصب «تصديق» على أنه خبر كان المحذوفة تقديره: ولكنْ [كان] - أي الحديث المشتمل على قصص الأنبياء - تصديقَ الذي بين يديه [أي: بين يدي الحديث. ومعنى «بين يديه»] أي: الكتب المنزلة الإلٰهيّة.

---

(١) ق: يشاء - في الموضعين - تنجيه.

(٢) ق: للأولي.

(٣) ق: والعصي. وانظر غاية النهاية ٢: ٢١٦.

«وتفصيل كل شيء» مما يُحتاج إليه في الشريعة.

وقرأ حُمران بن أعين وعيسى الكوفي: تصديقُ وتفصيلُ وهدى [٢٩٥/أ] ورحمةٌ، برفع الأربعة، أي: ولكنْ [هو] تصديق. والجمهور بنصب الأربعة. وقال ذو الرّمة[1]: [من الطويل]

وما كان عندي من تراثٍ[2] ورثته ولا ديةٍ كلّا ولا كسبِ مأثمِ
ولكن عطاء الله من كلّ رحلةٍ إلى كل محجوب السُّرادق خِضْرِمِ

برفع عطاء على إضمار: هو، ونصبه على إضمار: كان.

و«هدى» أي: سبب هداية في الدنيا. «ورحمةً» أي: سبباً[3] لحصول الرحمة في الآخرة.

وخُصّ المؤمنون بذلك لأنهم هم الذين ينتفعون بذلك كما قال تعالى ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة]. وتقدّم أول السورة قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ۝٢﴾ [يوسف] وقوله ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ۝٣﴾ [يوسف] وفي آخرها «ما كان حديثاً يفترى» فلذلك احتمل أن يعود الضمير على القرآن وأن يعود على القصص.

---

(١) ديوانه ص٦٣٣ مع اختلاف في رواية البيت الأول.
(٢) ق: تراب.
(٣) ق: سبب.

سورة الرعد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾.

﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

هذة السورة مكية في قول، وقيل مدنية، واستثني في كل قول آيات ذكرت في البحر[2]. وتقدم الكلامُ في الحروف المقطّعة في أوائل السور في أول البقرة[3] فيطالَعُ هناك.

(١) مدنية وهي ثلاث وأربعون آية.

(٢) انظر ٥ : ٣٥٨.

(٣) انظر تفسير الآية الأولى من البقرة.

قال الزمخشري[١]: «تلك» إشارة إلى آيات السورة. والمراد بالكتاب السورة، أي تلك آيات السّورة الكاملة العجيبة في بابها [انتهى].

وقيل: «تلك» إشارة إلى جميع كتب الله المنزلة، ويكون المعنى: تلك الآيات التي قصصتُ عليك خبرها هي آيات الكتاب الذي أنزلتُه قبل هذا الكتاب الذي أنزلتُه إليك.

والظاهر أن قوله «والذي» مبتدأ و«الحق» خبره. و«من ربك» متعلق «بأنزل». و«أكثر الناس» عام في كفّار مكة وغيرهم.

ولمّا ذكر انتفاء الإيمان عن أكثر الناس، ذكر عقيبه ما يدلّ على صحة التوحيد[٢] والمعاد وما يجذبهم إلى الإيمان ممّا يفكّر فيه العاقل ويشاهده من عظيم القدرة وبديع الصّنع.

والجلالة مبتدأ و«الذي» هو الخبر.

والضمير في ﴿تَرَوْنَهَا﴾ عائد على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: تشاهدون السماوات خالية عن عمد. واحتمل هذا الوجه أن يكون «ترونها» كلاماً مستأنفاً، واحتمل أن يكون جملة حاليّة، أي: رفعها مرئيّةً لكم بغير عمد، وهي حال مقدّرة لأنه حين رفعها لم نكن مخلوقين. وقيل: ضمير النصب في «ترونها» عائد على «عمد» أي: بغير عمد مرئيّةٍ، «فترونها» صفة للعمد. وتقدّم[٣] تفسير «ثم استوى على العرش».

---

(١) الكشاف ٢: ٣٤٨.

(٢) ق: التوكيد.

(٣) ق: وتقديم. وانظر شرح الآية ٥٤ من الأعراف.

﴿كُلٌّ يَجْرِى﴾ قال ابن عباس: منازل الشمس والقمر وهي الحدود التي لا يتعدّاها، قدّر لكلٍّ منهما سيراً خاصًّا [إلى جهة خاصّة] بمقدار خاص من السرعة والبطء انتهى.

والأجل المسمّى هو يوم القيامة، فعند مجيئه ينقطع ذلك الجريان والتسيير كما قال تعالى ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير] وقال تعالى ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة]. ومعنى تدبير الأمر إنفاذه وإبرامه، وعبّر بالتدبير تقريباً للأفهام إذ التدبير إنما هو النظر في أدبار الأمور وعواقبها، وذلك من صفات البشر.

و«الأمر» أمر ملكوته وربوبيّته وهو عامٌّ في جميع الأمور من إيجاد وإعدام وإحياء وإماتة وإنزالِ وحيٍ وبَعْث رسلٍ وتكليف وغير ذلك.

وتفصيل الآيات: جعلها فصولاً مبيّنة مميّزاً بعضها عن بعض.

و«الآيات» دلالاته وعلاماته في سماواته [٢٩٥/ب] على[1] وحدانيّته.

وهاتان الجملتان استئناف إخبار عن الله تعالى.

والخطاب في «لعلّكم» للكفرة. و«توقنون» بالجزاء وبأن هذا المدبّر والمفصّل لا بدّ لكم من الرجوع إليه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: الآية، [لمّا قرّر الدلائل السماوية، أردفها بتقرير الدلائل الأرضية. وقوله «مدّ الأرض» يقتضي أنها بسيطة لا كروية] وهذا هو ظاهر الشريعة.

---

(١) ق: وعلى.

قال أبو عبد الله الرازي[١]: ثبت بالدليل أن الأرض كرة، ولا ينافي ذلك قوله «مدّ الأرض» وذلك أن الأرض جسم عظيم، والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح، والتفاوت بينه وبين السطح لا يحصل إلاّ في علم الله تعالى، ألا ترى أنه قال ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ] مع أن العالم والناس عليها يستقرّون، فكذلك هنا. وأيضاً إنما ذكر «مدّ الأرض» ليستدلّ[٢] به على وجود الصانع. وكونُها مجتمعة تحت البيت على ما قيل أمرٌ غير مشاهد ولا محسوس، فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع. فتأويل «مدّ الأرض» أنه جعلها مختصّة بمقدار معين، وكونها تقبل الزيادة والنقص أمرٌ جائز ممكن في نفسه، فالاختصاص بذلك المقدار المعيّن لا بدّ أن يكون بتخصيص مخصّص وتقدير مقدّر، وبهذا يحصل الاستدلال على وجود الصانع انتهى ملخّصاً.

والرواسي: الثوابت، والمعنى: جبالاً رواسي. وأيضاً فقد غلب على الجبال وصفها بالرواسي، وصارت الصفة تغني عن الموصوف، فجُمع جَمْع الاسم كحائط وحوائط وكاهل وكواهل. وكانت الأرض مضطربةً فثقّلها الله تعالى بالجبال في أحيازها[٣] [فزال اضطرابها].

والاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم قيل: من جهة أنّ طبيعة الأرض واحدة، فحصول الجبال في بعض جوانبها دون بعض لا بدّ أن يكون بتخليق قادر حكيم، ومن جهة ما يحصل منها من المعادن الجوهرية والرخامية وغيرها كالنّفط والكبريت يكون الجبل واحداً في الطبع

---

(١) انظر تفسيره ١٩: ٣.

(٢) ق: يستدلّ.

(٣) وفي إجبارها.

بتقدير قادر قاهر متعالٍ عن مشابهة الممكنات، ومن جهة تَوَلُّد الأنهار منها قيل: وذلك لأن الجبل جسم صلب وتتصاعد أبخرة من[١] قعر الأرض إليه ثم تحتبس هناك، فلا تتكامل فيه، فيحصل بسببه مياه كثيرة، فلقوّتها تشقّ الأرض وتخرج وتسيل على وجه الأرض، فلهذا ففي أكثر الأمر إذا[٢] ذكر الله تعالى الجبال ذكر الأنهار كهذه الآية، وكقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ [المرسلات]، ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا ﴿١٥﴾﴾ [النحل].

والأنهار: قال المفسرون: المياه الجارية في الأرض، وتقدّم الكلام في الأنهار في أوائل البقرة[٣].

«ومن كل الثمرات» متعلّق «بجعل»، ولمّا ذكر الأنهار ذكر[٤] ما ينشأ عنها وهو الثمرات.

والزّوج هنا الصنف الواحد الذي هو نقيض الاثنين، يعني أنه حين مدّ الأرض، جعل ذلك، ثم تكثّرت وتنوّعت.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ الآية، «قطع» جمع قطعة وهي الجزء. و«متجاورات» متلاصقة متدانية قريب بعضها من بعض. وقال ابن عباس: أرض طيبة وأرض سبخة تنبت هذه وهذه إلى جنبها لا تنبت.

وقرىء: وزرع ونخيل صنوان، برفع الأربعة عطفاً على «جنات». وبالجرّ

---

(١) ق: في. و«قعر» غير مقروءة.

(٢) ق: فلهذا في الأمر أكثر إذا.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٥ من البقرة.

(٤) ق: وذكر.

عطفاً على «من أعناب». والصّنو: الفرع يجمعه وآخر أصلٌ واحد، وأصله المِثْل، ومنه قيل للعمّ صنو وجمعه في لغة الحجاز صنوان، بكسر الصاد كقِنو وقِنوان، وبضمّها في لغة تميم وقيس كذئب وذُؤبان. ويقال: صَنوان بفتح الصاد وهو اسم جمع لا جمع تكسير لأنه ليس من أبنيته.

﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ ماء مطر أو ماء بحر أو ماء نهر أو ماء عين أو ماء نبع لا يسيل على وجه الأرض. وخصّ [٢٩٦/أ] التفضيل في الأكل وإن كانت متفاضلة في غيره لأنه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات، ألا ترى إلى تفاوتها في الأشكال والألوان والروائح والمنافع وما يجري مجرى ذلك؟. قد نبّه تعالى في هذه الآية على قدرته وحكمته، وأنه المدبر للأشياء كلها، وذلك أن الشجر يخرج أغصانها وثمراتها في وقت معلوم، لا يتأخر عنه ولا يتقدّم، ثم يتصعّد الماء في ذلك الوقت علوًا وليس من طبعه إلا التسفّل، ثم يتفرق ذلك الماء في الورق والأغصان والثمر كلٌّ بقسطه وبقدر ما فيه صلاحه، ثم يختلف طعوم الثمار والماء واحد والشجر جنس واحد، وكل ذلك دليل على مدبّر دبّره وأحكمه لا يشبه المخلوقات.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ قال ابن عباس: في اختلاف الألوان والروائح والطعوم.

﴿لَأَيَـٰتٍ﴾ لحُججاً ودلالاتٍ.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يعلمون الأدلّة، فيستدلّون بها على وحدانيّة الصانع القادر.

ولما كان الاستدلال في هذه الآية بأشياء في غاية الوضوح من مشاهدة تجاور القطع والجنات وسقيها وتفضيلها، جاء ختمها بقوله «القوم يعقلون» بخلاف الآية التي قبلها، فإن الاستدلال بها يحتاج إلى تأمّل وتزيّد نظر، جاء

ختمها بقوله «لقوم يتفكرون».

﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾.

﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ الآية، لمّا أقام الدليل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته التي لا يقدر عليها سواه، عجب رسول الله ﷺ من إنكار المشركين وحدانيته وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم، فنزل «وإن تعجب». قال ابن عباس: وإن تعجب من تكذيبهم إياك بعدما كانوا حكموا عليك أنك من الصادقين، فهذا أعجب.

وقال الزمخشري[1]: «وإن تعجب» يا محمد من قولهم في إنكار البعث، فقولهم عجيب حقيق بأن يُتعجّب منه، لأنّ من قدر على إنشاء ما عدّد عليك من الفِطَر العظيمة ولم يَعْيَ بخلقهن، كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره، فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب انتهى.

وليس مدلول [اللفظ] ما ذكر، لأنّه جعل متعلّق عجبه صلى الله عليه وسلم هو قولهم في إنكار البعث [فاتّحد الشرط والجزاء، إذ صار التقدير: وإن تعجب من قولهم في إنكار البعث، فأعجب من قولهم في إنكار البعث]. وإنما مدلول اللفظ أن يقع منك عجب، فليكن من قولهم «أئذا

(١) الكشاف ٢: ٣٤٩.

كنّا[1]» الآية، وكان المعنى الذي ينبغي أن يتعجب منه هو إنكار البعث لأنه تعالى هو المخترع للأشياء، ومن كان قادراً على إبرازها من العدم الصرف، كان قادراً على الإعادة كما قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۝٢٧﴾ [الروم]. وقوله «فعجب» خبر مقدّم واجب التقديم.

واختلف القرّاء في الاستفهامين إذا اجتمعا، في أحد عشر موضعاً، منها هذا الموضع. والظاهر أنّ «أئذا» معمول «لقولهم» محكيّ به.

قال الزمخشري[2]: «أئذا كنّا[3]» إلى آخر قولهم، يجوز أن يكون في محلّ الرفع بدلاً من «قولهم» انتهى.

وهذا إعراب متكلّف وعدول عن الظاهر. وإذا متمحّضة للظرف، وليس فيها معنى الشرط فالعامل [فيها] محذوف يفسّره ما تدلّ عليه الجملة الثانية، وتقديره: أَنُبْعَثُ أو أَنُحْشَر.

«أولئك» إشارة إلى قائلي تلك المقالة، وهي تقرير مصمّم على إنكار البعث، فلذلك حكم عليهم بالكفر إذ عجّزوا قدرته عن إعادة ما أنشأ واخترع ابتداءً. ولمّا حكم عليهم بالكفر في الدنيا، ذكر ما يؤولون[4] [إليه] في الآخرة على سبيل الوعيد، وأبرز ذلك في جملة مستقلّة مشاراً إليهم.

والظاهر أن الأغلال تكون في أعناقهم حقيقة في الآخرة كما قال تعالى ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾ [غافر].

---

(١) ق: متنا.

(٢) الكشاف ٢: ٣٤٩.

(٣) ق: متنا.

(٤) ق: يؤول.

ولمّا كانوا متوعَّدين[1] بالعذاب إن أصرّوا على الكفر وكانوا مكذّبين بما أُنذروا [به] من العذاب، سألوا واستعجلوا في الطلب أن يأتيهم العذاب، وذلك على سبيل [٢٩٦/ب] الاستهزاء، كما قالوا ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال] وقالوا ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء].

قال ابن عباس: السيئة: العذاب، والحسنة: العافية.

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ أي: يستعجلونك بالسيئة مع علمهم بما حلّ بغيرهم من مكذّبي الرّسل. في الأمم السّالفة، وهذا يدلّ على سخف عقولهم، إذ يستعجلون بالعذاب والحالة هذه؛ فلو أنه لم يسبق تعذيب أمثالهم لكانوا ربما يكون لهم عذر، ولكنهم لا يعتبرون فيستهزئون.

قال ابن عباس: «المثلات» العقوبات المستأصلات كَمُثْلة قطع الأنفِ والأذنِ ونحوهما.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ ترجية للغفران.

و﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ في موضع الحال، والمعنى أنه يغفر لهم مع ظلمهم أنفسهم باكتساب الذنوب، أي: ظالمين أنفسهم.

قال ابن عباس: ليس في القرآن آية أرجى من هذه.

و«لشديد العقاب» تخويف وإرهاب بعد ترجية.

وقال سعيد بن المسيّب: لمّا نزلت هذه الآية قال عليه السلام[2] «لولا

---

(١) ق: وكانوا متنوّعين.

(٢) لم أجده فيما رجعت إليه، وانظر البحر ٥: ٣٦٧.

عفو الله ومغفرته لما هَنَأَ لأحد عيش[١]، ولولا عقابه لاتّكل كلّ أحد».

وفي حديث آخر[٢] «إن العبد لو علم قدر عفو الله تعالى لما أمسك عن ذنب، ولو علم قدر عقوبته لقمع نفسه في عبادة الله تعالى».

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ ﴾ عن ابن عباس[٣]: «لمّا نزلت، وضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: أنا المنذر. وأومأ بيده إلى منكب علي رضي الله عنه وقال: أنت الهادي يا علي بك يُهتدى مِن بعدي».

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لمّا تقدّم إنكارهم البعث لتفرُّق الأجزاء واختلاط بعضها ببعض بحيث لا يتهيأ الامتياز[٤] بينها، نبّه على إحاطة علمه تعالى، وأنّ من كان عالماً بجميع المعلومات هو قادر على إعادة ما أنشأ أولاً.

«الله يعلم» كلام مستأنف مبتدأ وخبر. و«ما» موصولة، والعائد عليها

---

(١) ق: لما هنأ أحداً عيش.

(٢) لم أجده، وانظر البحر أيضاً ٥: ٣٦٧.

(٣) انظر الطبري ١٣: ٧٢.

(٤) ق: الامتيان.

محذوف تقديره: تحمله، وهو هنا من حمل البطن لا من حمل الظهر.

﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ قال ابن عباس: تنقص من الخلقة. و«تزداد» تتمّ.

وظاهر عموم قوله ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ أي: بحدٍّ لا يتجاوزه، ولا يقصّر عنه. والمراد من العنديّة العلم، أي: هو عالم بكميّة كل شيء وكيفيّته على الوجه المفصّل المبيّن، فامتنع وقوع [اللبس] في تلك المعلومات.

ولمّا ذكر تعالى أنه عالم بأشياء خفيّة لا يعلمها إلاّ هو وكانت أشياء جزئيّة من خفايا علمه، ذكر أن علمه محيط بجميع الأشياء. فعِلْمُه تعالى متعلّق بما يشاهده العالم تعلّقه بما يغيب عنهم.

و«الكبير»: العظيم الشأن الذي كل شيء دونه. «المتعال»: المستعلي على كل شيء بقدرته، أو الذي كَبُر عن صفات المُحْدثين وتعالى عنها.

ولمّا ذكر تعالى أنه عالم الغيب والشهادة على العموم، ذكر تعالى تعلُّق علمه بشيء خاص من أحوال المكلّفين فقال «سواء منكم» الآية. والمعنى: سواء في علمه المسرّ بالقول والجاهر به، لا يخفى عليه شيء من أقواله. و«سواء» تقدّم الكلام فيه وفي معانيه[1]، وهو هنا بمعنى مستوٍ.

وأعربوا «سواء» خبراً [مقدّماً و«من أسرّ» والمعطوف عليه مبتدأ مؤخراً. ويجوز أن يكون «سواء»] مبتدأ لأنه موصوف بقوله «منكم»، و«مَن» والمعطوف عليه الخبر.

قال ابن عباس: «مستخفٍ» مستتر، و«سارب» ظاهر.

(١) انظر تفسير الآية ٦ من البقرة.

و«سارب» معطوف على مستخفٍ، و«مَن» موصول[١] يراد به التثنية، وحُمل على المعنى في تقسيم خبر المبتدأ الذي هو «هو»، وعلى لفظ «مَن» في إفراد «هو».

والمعنى: سواء اللذان هما مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار.

وانظروا إلى حسن هذه المقابلات في قوله تعالى: تفيض وتزداد، والغيب والشهادة، وأسرّ وجهر، ومستخفٍ [٢٩٧/أ] وسارب، والليل والنهار.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ الضمير في «له» عائد على الله تعالى، أي: لله معقّبات: ملائكة من بين يدي العبد ومن خلفه، والمعقّبات على هذا: الملائكة الحفظة على العباد أعمالهم والحفظة لهم أيضاً، قاله الحسن. وروي فيه حديث عن عثمان عن النبي ﷺ[٢].

قال الزمخشري[٣]: والأصل: معتقبات، فأُدغمت التاء في القاف كقوله ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [التوبة] يعني المعتذرون. ويجوز: مِعقّبات، بكسر العين ولم يُقرأ به.انتهى.

هذا وهم فاحش! لا تدغم [التّاء في القاف ولا القاف في التاء لا من كلمتين ولا من كلمة. وقد نصّ التّصريفيون] على أن القاف والكاف كلٌّ منهما يُدغَم في الآخر ولا يدغمان في غيرهما، ولا يُدغم غيرهما فيهما. وأما تشبيهه بقوله «وجاء المعذّرون» فلا يتعيّن أن يكون أصله: المعتذرون. وأما قوله: ويجوز: مُعِقّبات [بكسر العين، فهذا لا يجوز، لأنه بناه على أنّ

(١) ق: موصولة.

(٢) انظر الطبري ١٣: ٧٧.

(٣) الكشاف ٢: ٣٥٢.

أصله: معتقبات] فأُدغمت التاء في القاف، وقد ذكرنا أن ذلك وهم فاحش.

ولمّا ذكر تعالى إحاطة علمه بخفايا الأشياء وجلاياها، وأن الملائكة تعتقب على المكلّفين لضبط ما يصدر منهم، كان الصادر منهم خيراً أو شرًّا[1]، ذكر تعالى أن ما خوّلهم فيه من النعم، وأسبغ عليهم من الإحسان، لا يزيله عنهم إلى الانتقام منهم إلّا بكفر تلك النعمة وإهمال أمره بالطاعة واستبدالها بالمعصية، فكان في ذكر ذلك تنبيه على لزوم الطاعة، وتحذير من وبال المعصية.

والظاهر أنه لا يقع تغيير النعم بقومٍ حتى يقع تغيير منهم بالمعاصي.

والسُّوء يجمع كل ما يسوء من مرض وفقر وعذاب وغير ذلك من البلاء.

و﴿مِن وَالٍ﴾ أي: من ملجأ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ لمّا خوّف تعالى العباد بقوله «وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له» أتبعه بما يشتمل على

(١) ق: وكان.. وشرًّا.

أمور دالّةٍ على قدرة الله تعالى وحكمته، تشبه النّعم من وجه والنّقم من وجه.

وتقدّم الكلام في البرق والرّعد والصواعق والسّحاب في البقرة[١].

قال ابن عباس: «خوفاً» من الصواعق «وطمعاً» في الغيث.

وقال أبو عبد الله الرازي[٢]: اعلَمْ أن المحققين من الحكماء يذكرون أن هذه الآثار العلوية إنما تتمّ بقوى روحانية فلكية. وللسّحاب روح معيّن من الأرواح الفلكية يدبّره، وكذا القول في الرياح وفي سائر الآثار العلوية. وهذا عين ما قلناه إن الرّعد اسم لملك من الملائكة يسبّح الله تعالى. فهذا الذي قاله المفسّرون بهذه العبارة هو عين ما ذكره المحقّقون من الحكماء فكيف [يليق] بالعاقل الإنكار؟ انتهى.

وهذا الرجل غرضه جريان ما تنتحله الفلاسفة على مناهج الشريعة، ولن[٣] يكون ذلك أبداً. وقد تقدّمت أقوال المفسرين في الرّعد في البقرة[٤]، فلم يُجمعوا على أن الرعد اسم لملك. وعلى تقدير أن يكون اسماً لملك، لا يلزم أن يكون ذلك الملك يدبّر السّحاب ولا غيره؛ إذ لا يُستفاد مثل هذا إلاّ من النبي المشهود له بالعصمة لا من الفلاسفة الضُّلاّل. والظاهر عَوْد الضمير في قوله «من خيفته» على الله تعالى، كما دلّ عليه في قوله «بحمده». ومعنى «من خيفته» من هيبته وإجلاله.

---

(١) انظر تفسير الآية ١٩ من البقرة.

(٢) تفسيره ١٩ : ٢٨.

(٣) ق: وأن.

(٤) انظر ما سبق قبل حاشيتين.

و«مَن» مفعول «بيصيب» وهو من باب الإعمال أعمل فيه الثاني؛ إذ «يرسل» يطلب «مَن» و«فيصيب» يطلبه، ولو أعمل الأول، لكان التركيب في غير القرآن: ويرسل الصواعق فيصيبه بها على من يشاء. لكن جاء على الكثير في لسان العرب المختار عند البصريين وهو إعمال الثاني.

ومفعول «يشاء» محذوف تقديره: من يشاء إصابته.

والضمير في «وهم» عائد على الكفّار المكذّبين الرسول المنكرين الآيات. «يجادلون» في قدرة الله [٢٩٧/ب] تعالى على البعث وإعادة الخلق بقولهم ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس]، وفي وحدانيّته باتّخاذ الشركاء والأنداد ونسبة التوالد إليه بقولهم: الملائكة بنات الله.

و«المحال» بكسر الميم: العداوة يعني لمن جادل في الله تعالى، قاله ابن عباس.

[والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ عائد على الله و﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ قال ابن عباس]: دعوة الحق: لا إله إلا الله وما كان من الشريعة في معناها.

قال الزمخشري[1]: «له دعوة الحق» فيه وجهان: أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل، كما تضاف الكلمة إليه في قولك[2]: كلمة الحق للدّلالة على أنّ الدعوة ملابسة للحق مختصّة به، وأنها بمعزل من الباطل. والمعنى أن الله سبحانه يُدعى، فيستجيب الدعوة، ويعطي الداعي سؤاله إن[3] كان مصلحة له، فكانت «دعوة» ملابسة للحقّ،

---

(١) الكشاف ٢: ٣٥٤.

(٢) ق: قوله.

(٣) ق: وإن.

لكونه حقيقياً بأن يوجّه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه. والثاني: أن تضاف إلى الحق الذي هو الله تعالى على معنى: دعوة المدعوّ الحق الذي يسمع فيجيب. وعن الحسن: الحقّ هو الله تعالى وكل دعاء إليه دعوة الحق انتهى.

وهذا الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري لا يظهر، والظاهر أن هذه الإضافة من باب إضافة الموصوف إلى الصفة كقوله تعالى ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف] على أحد الوجهين، والتقدير: لله الدعوة الحق بخلاف غيره فإن دعوتهم باطلة. والمعنى أن الله تعالى، الدعوة له هي الدعوة [الحق]. ولمّا ذكر تعالى جدال الكفار لله تعالى، وكان جدالهم في إثبات آلهة معه، ذكر تعالى أنه له دعوة الحق، أي: من يدعو له، فدعوته هي الحق، بخلاف أصنامهم التي جادلوا في الله لأجلها، فإن دعاءها باطل لا يتحصّل منه شيء فقال «والذين يدعون».

والضمير في «يدعون» عائد على الكفار، والعائد على «الذين» محذوف أي: يدعونهم.

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ الضمير عائد [على] الله سبحانه.

﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ﴾ شُبّهوا في قلّة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه، ليشربه، فبسطهما ناشراً أصابعه، فلم تُبْقِ[1] كفّاه منه شيئاً، ولم يبلغ طَلِبته من شربه. وهذا مبالغة عظيمة في الخيبة لدعائهم لآلهتهم.

---

(١) ق: أن يغرفه.. فبسطها.. فلم يلق.

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ آلهتهم ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝١٤﴾ أي: في حيرة واضمحلال لأنه لا يجدي شيئاً ولا يفيد، فقد ضلّ ذلك الدعاء عنهم كما ضلّ المدعوون، قال تعالى ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا ۝٣٧﴾ [الأعراف].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، إن كان السجود بمعنى الخضوع والانقياد «فمَن» على عمومها ينقاد كلّهم لما أراده تعالى بهم شاؤوا أو أبَوْا، وينقاد له تعالى ظلالهم حيث هي على مشيئته من الامتداد والتّقلص والفيء والزّوال. وإن كان السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة وهو وضع الجبهة بالمكان الذي يكون فيه الواضع، فيكون عامًّا مخصوصاً، إذ يخرج منه من لا يسجد، ويكون قد عبّر بالطّوع عن سجود الملائكة والمؤمنين، وبالكره عن سجود من ضمّه السيف إلى الإسلام. والذي يظهر أن مساق هذه الآية إنما هو العالم كلّه مقهور لله تعالى خاضع له، ولما أراد منه مقصور على مشيئته، لا يكون منه إلا ما قدّر تعالى، فالذين يعبدونهم كائناً ما كانوا داخلون تحت القهر، ويدل على هذا المعنى تشريك الظّلال في السجود، والظلال ليست أشخاصاً يُتصور منها السجود بالهيئة المخصوصة، ولكنها داخلة تحت مشيئته تعالى، يصرّفها على ما أراد، إذ هي من العالم، والعالم جواهره وأعراضه داخلة تحت إرادته كما قال تعالى ﴿أَوَلَمْ [٢٩٨/ أ] يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ ۝٤٨﴾ [النحل].

قال الفراء: الظّل مصدر، يعني في الأصل. ثم أطلق على الخيال الذي يظهر للجرم، رطوله بحسب انحطاط الشمس وقصره بسبب ارتفاعها، فهو منقاد لله تعالى في طوله وقصره وميله من جانب إلى جانب. وخُصّ هذان الوقتان بالذكر لأنّ الظّلال إنما تكثر وتعظم فيهما.

وتقدّم شرح الغدوّ والآصال في آخر الأعراف[1].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، أي: قل يا محمد للكفّار «من رب السماوات والأرض» استفهام تقرير واستنطاق فإنهم يقولون الله. فإذا قالوها، قل: الله، أي: هو كما قلتم. وروي أنه لمّا قال هذا للمشركين، عطفوا عليه، فقالوا: أجب أنت. فأمره الله تعالى فقال «قل الله» انتهى.

واستفهم بقوله «قل أفاتّخذتم» على سبيل التّوبيخ والإنكار، أي: بعد أن علمتم أنه تعالى هو رب السماوات والأرض تتّخذون من دونه أولياء، وتتركونه، فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبباً للتوحيد، من علمكم وإقراركم، سبباً للإشراك. ثم وصف تلك الأولياء بصفة العجز، وهي كونها لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضرًّا، ومَن بهذه المثابة فكيف يملك لكم نفعاً وضرًّا؟. ثم مثّل ذلك بحالة الكافر والمؤمن ثم حالة الكفر والإيمان، وأبرز

(١) انظر تفسير الآية ٢٠٥ من الأعراف.

ذلك في صورة الاستفهام الذي يبادر المخاطَب[١] إلى الجواب فيه من غير فكر ولا رويّة بقوله «قل هل يستوي الأعمى والبصير» ثم انتقل إلى الاستفهام عن الوصفين القائمين بالكافر وهو الظلمات، وبالمؤمن وهو النور.

وتقدّم الكلام في جمع الظلمات وإفراد النّور في البقرة[٢].

و«أم» في قوله «أم هل» منقطعة تتقدّر بـبل والهمزة على المختار، والتقدير: بلْ أَهَلْ تستوي. وهل وإن نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع فقد جامعتها في قول الشاعر[٣]: [من البسيط]

[سائل فوارس يربوعٍ بشدّتنا] أهل رأونا بوادي القفّ ذي الأكمِ

ومثال قوله تعالى «أم هل» في الجمع بين أم وهل قول علقمة[٤]:

أم هل كبير بكى لم يَقْضِ عبرته [إثْرَ الأحبّة يوم البين مشكوم]

ثم انتقل إلى الإخبار عنهم غائباً من خطابهم، إعراضاً عنهم وتنبيهاً على توبيخهم في جعلهم شركاء[٥]، وتعجيباً منهم وإنكاراً عليهم. وتضمّن هذا الاستفهام التهكّم بهم لأنه معلوم بالضرورة أن هذه الأصنام وما اتخذوا من دون الله أولياء وجعلوهم شركاء، لا تقدر على خلق ذرّة ولا إيجاد شيء البتّة.

---

(١) ق: إلى المخاطب.

(٢) لم يتقدم الكلام في ذلك في أي موضع.

(٣) البيت لزيد الخيل في المقتضب ١: ٤٤، والخصائص ٢: ٤٦٣.

(٤) البيت في المفضليات ص٣٩٧.

(٥) ق: شركائهم.

والمعنى أن هؤلاء الشركاء هم خالقون شيئاً حتى يستحقوا العبادة وجَعْلَهم شركاء لله تعالى، أي: جعلوا لله شركاء موصوفين بالخلق مثل خلق الله تعالى، فيتشابه ذلك عليهم فيعبدونهم. ومعلوم أنهم لا يخلقون شيئاً، وهم يُخلقون فكيف يُشْرَكون في العبادة ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴿١٧﴾﴾ [النحل].

ثم أمره تعالى فقال «قل الله خالق كل شيء» أي: موجد الأشياء كلها معبوداتهم وغيرها، وهم أيضاً مقرّون بذلك ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان].

واحتمل أن يكون قوله «وهو الواحد القهّار» داخلاً تحت الأمر «بقل»، فيكون قد أُمر أن يخبر بأنه تعالى الواحد المنفرد بالإلهيّة، القهار الذي جميع الأشياء تحت قدرته وقهره. واحتمل أن يكون استئناف إخبار منه تعالى بهذين الوصفين: الوحدانية والقهر، فهو تعالى لا يُغالَب وما سواه مقهور له.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ الآية، هذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب [٢٩٨/ب] والحق والباطل؛ فالماء مثل القرآن لما فيه من[1] حياة القلوب وبقاء الشرع والدين، والأودية مثل القلوب.

ومعنى «بقدرها» على سعة القلوب وضيقها، فمنها ما انتفع به فحفظه ووعاه، فتدبّر فيه، فظهرت ثمرته وأدرك تأويله ومعناه، ومنها دون ذلك بطبقة ومنها دونه بطبقات.

والزبد: مثل الشكوك والشُّبَه وإنكار الكافرين أنه كلام الله تعالى ودَفْعهم

---

(١) ق: ملء.

إياه. والماء الصافي المنتفع به مثل الحق، وفي الحديث الصحيح ما يؤيد هذا التأويل وهو قوله عليه الصلاة والسلام[١] «مثل ما بُعثت به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً وكانت منها طائفة [طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها طائفة] أجادب فأمسكت الماء فانتفع الناس به، وسَقَوْا ورَعَوْا، وكانت منها قيعان[٢]، لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً. فذلك مثل ما جئت[٣] به من العلم والهدى، ومثل من لم يقبل هدى الله تعالى الذي أُرسلتُ به».

والماء: المطر. ونكّر «أودية»[٤] لأن المطر إنما ينزل على طريق المناوبة فيسيل بعض الأودية دون بعض. و«أودية» جمع قلّة كقولهم: نادٍ وأندية.

والزبد: قال الرّماني: وَضَرُ[٥] الغليان وخبثه، وقال [الشاعر][٦]:

فما الفرات إذا هبّ الرّياح له ترمي غواربُه العِبْرَيْنِ بالزَّبَدِ

ومعنى «بقدرها» أي: على قدر صغرها وكبرها أو بما قُدّر لها من السماء بسبب نفع الممطور عليهم لا ضرّهم، ألا ترى إلى قوله تعالى «وأمّا ما ينفع الناس». فالمطر [مثل] للحق فهو نافع خالٍ من الضرر.

وعرّف «السيل» لأنه عنى به ما فهم من الفعل، والذي يتضمنه الفعل من

(١) أخرجه مسلم ٤: ١٧٨٧ من حديث أبي موسى، مع اختلاف في الرواية.

(٢) ق: قيعاً. والقيع والقاع بمعنى. والقيعان جمع القاع.

(٣) ق: جلت.

(٤) ق: وأودية.

(٥) وضر الغليان: وسخه.

(٦) البيت للنابغة في ديوانه ص٢٢. وهو من البسيط

المصدر[1] هو نكرة، فإذا عاد عليه الظاهر كان معرفة كما كان لو صرّح به نكرة، ولذلك يُضمر إذا عاد على ما دلّ عليه الفعل من المصدر نحو: من كذب كان شرًّا له، أي: كان الكذب. ولو جاء هنا مضمراً لكان جائزاً عائداً على المصدر المفهوم من «فسالت».

و«احتمل» بمعنى حمل جاء فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر.

و﴿رَّابِيًاۚ﴾ منتفخاً عالياً على وجه السيل ومنه[2] الرّبوة.

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ[3]﴾ أي: ومن الأشياء التي توقدون عليها وهي الذهب والفضّة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ونحوها مما يوقد عليه وله زبد. وانتصب «ابتغاء» على أنه مفعول من أجله.

والحلية: ما يُعمل للنساء ممّا يتزيّنّ [به] من الذهب والفضة.

والمتاع: ما يُتخذ من الحديد والنحاس وما أشبههما من الآلات التي هي قوام العيش كالأواني والمساحي[4] وآلات الحرث وقطاعات الأشجار والسكك وغير ذلك. و«زبد» مرفوع بالابتداء وخبره في قوله «ومما يوقدون[5]». و«مِن» الظاهر أنها للتبعيض لأن الزّبد هو بعض ما يوقد عليه من تلك المعادن. و«من» أيضاً تكون لابتداء الغاية أي: ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء. والمماثلة في كونهما يتولّدان من الأوساخ والأكدار.

---

(١) من المصدر: مكررة في ق.

(٢) ق: وفيه.

(٣) ق: توقدون.

(٤) المساحي: جمع مسحاة وهي ما يُسحى به (أي يُجرف) كالمجرفة.

(٥) ق: توقدون.

و«الحق والباطل» على حذف مضاف أي: مَثَل الحق والباطل؛ شبّه الحق بما يخلص من جرم هذه المعادن من الأقذار والخبث ودوام الانتفاع بها، وشبّه الباطل بالزّبد المجتمع من الخبث والأقذار، ولا بقاء له ولا قيمة. وفصّل ما سبق ذكره ممّا ينتفع [به] ومن الزبد، فبدأ بالزّبد إذ هو المتأخّر في قوله «زبداً رابياً» وفي قوله «زبد مثله» ولكون الباطل كناية عنه وهو متأخر. وهي طريقة فصيحة: يبدأ في التقسيم بما ذكر آخراً كقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ [٢٩٩/ أ] وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آل عمران] والبداءة بالسابق فصيحة كقوله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [هود] وكأنه - والله أعلم - يبدأ في التفصيل بما هو أهمّ في الذكر.

وانتصب «جفاء» على الحال أي: مضمحلاً متلاشياً لا منفعة فيه ولا بقاء له. والجُفاء: اسم لما يجفَوُه السيل أي: يرمي به، يقال: جَفَأَت القدر بزبدها وجفأ السيل بزبده وأجفأ وأجفل.

وقال ابن الأنباري: «جفاء» متفرقاً من جفأت الريح الغيم إذا قطّعته، وجفأت الرجل: صرعته.

ويقال: جفأ الوادي وأجفأ إذا نشف.

و«الزبد» يراد به ما سبق ممّا[1] احتمله السيل وما خرج من خبث المعادن. وأُفرد الزّبد ولم يُثَنَّ وإن تقدّم زَبَدان لاشتراكهما في مطلق الزبدية فهما واحد باعتبار القدر المشترك.

﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: من الماء الخالص من الغثاء ومن الجوهر

(١) ق: من ماء.

المعدني الخالص من الخبث.

﴿فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لانتفاع الناس به. والكاف في موضع نصب أي: مَثَل ذلك الضرب كمثل الحق والباطل يضرب الله الأمثال.

والظاهر أنه لمّا ضرب هذا المثل للحق والباطل، انتقل إلى ما لأهل الحق من الثواب وأهل الباطل من العقاب فقال ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: للذين دعاهم الله تعالى على لسان رسوله ﷺ فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من اتّباع دينه الحالة الحسنى، وذلك هو النّصر في الدنيا وما اختصّوا به من نعمه تعالى ودخول الجنة في الآخرة. «فالحسنى» مبتدأ وخبره في قوله «للذين».

قال الزمخشري[1]: «للذين استجابوا» متعلق «بيضرب» أي: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا، أي: هما مَثَلا الفريقين[2]. و«الحسنى» صفة لمصدر «استجابوا» أي: استجابوا الاستجابة. وقوله «لو أن لهم» كلام مبتدأ [في] ذكر ما أعدّ لغير المستجيبين انتهى.

التفسير الأول أولى لأنّ فيه ضرب الأمثال غير مقيّد بمثل هذين، والله تعالى قد ضرب أمثالاً كثيرة في هذين وفي غيرهما، ولأنه فيه ذكر ثواب المستجيبين، بخلاف قول الزمخشري. فلما ذكر ما أعدّ لغير المستجيبين من العقاب ذكر ما للمستجيبين من الثواب، ولأن تقديره الاستجابة الحسنى مشعر بتقييد الاستجابة، ومقابلها ليس نفي الاستجابة مطلقاً إنما مقابلها نفي الاستجابة بالحسنى، والله تعالى قد نفى الاستجابة مطلقاً، ولأنه على قوله

---

(١) الكشاف ٢: ٣٥٦.

(٢) ق: للفريقين.

يكون قوله «لو أنّ لهم ما في الأرض» كلاماً مفلتاً ممّا قبله أو كالمفلت إذ يصير المعنى: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين والكافرين لو أنّ لهم ما في الأرض، فلو كان التركيب بحرفٍ رابطٍ «لو» بما قبلها زال التّفلت. وأيضاً فيوهم الاشتراك في الضمير وإن كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوماً لهم. و«الذين لم يستجيبوا» مبتدأ خبره ما بعده. وغاير بين جملتي الابتداء لما يدلّ عليه تقديم الجارّ والمجرور من الاعتناء والاهتمام.

«لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً» و«سوء الحساب» قال ابن عباس: أن لا تقبل حسناتهم ولا تغفر سيئاتهم. وتقدم تفسير مثل «ومأواهم جهنم»[1].

﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في حمزة وأبي جهل. ولمّا ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وذكر ما للمؤمن من الثواب وما للكافر من العقاب، ذكر استبعاد من يجعلهما سواء وأنكر ذلك فقال «أفمن يعلم أنّما أنزل [٢٩٩/ب] إليك من ربك الحق كمن هو أعمى» أي: ليسا مشتبهين لأنّ العالم بالشيء بصير به، والجاهل به كالأعمى. والمراد عمى البصيرة ولذلك قابله بالعلم. والهمزة للاستفهام

---

(١) انظر مثلاً تفسير الآية ١٩٧ من آل عمران.

والمراد به إنكار أن تقع شبهة بعدما ضرب من المثل في أن حال من علم أنّما أنزل إليك من ربك الحق، فاستجاب، بمعزلٍ من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبُعد ما بين الزبد والماء، والخبث والإبريز. ثم ذكر أنه لا يتذكر بالموعظة وضرب الأمثال إلاّ أصحاب العقول. والفاء للعطف، وقدّمت همزة الاستفهام لأنّ له صدر الكلام والتقدير: فَأَمَنْ[1] يَعلم.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من «أولو» أو صفة له أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم الذين. والظاهر إضافة «عهد» إلى الفاعل أي: بما عهد الله. والظاهر أن قوله «ولا ينقضون الميثاق» جملة توكيدية لقوله «يوفون بعهد الله» لأن العهد هو الميثاق، ويلزم من إيفاء العهد انتفاء نقضه.

و﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ ظاهره العموم في كلّ ما أمر به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: وعيده كلّه.

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: استقصاءه فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

و﴿صَبَرُوا۟﴾ مطلق فيما يُصبَر عليه من المصائب في النفوس والأموال وميثاق التكليف. وجاءت الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصولَيْن قبلُ بلفظ المضارع في قوله «الذين يوفون» و«الذين يصلون» وما عطف عليهما، على سبيل التفنّن في الفصاحة. ويظهر أيضاً أن اختصاص هذه الصّلة بالماضي وتَيْنك بالمضارع، أنّ تينك الصّلتين قُصد بهما الاستصحاب والالتباس

---

(١) ق: أفمن.

دائماً، وهذه الصّلة قُصد بها تقدّمها على تينك الصّلتين وما عُطف عليهما؛ لأنّ حصول تلك الصّلات إنما هي مرتّبة على حصول الصبر وتقدّمه عليها، ولذلك لم تأت صلة في القرآن بالصبر إلا بصيغة الماضي، إذ هو شرط في حصول التكاليف وإيقاعها.

﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون، أي: يدفعون الشّر بالخير.

و﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ عاقبة الدنيا، وهي الجنة[1]، لأنها التي أراد الله تعالى أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها.

و﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدل من «عقبى الدار». ويحتمل أن يُراد: عقبى دار الآخرة لدار الدنيا، أي: العقبى الحسنة في الدار الآخرة هي لهم. ويحتمل أن يكون «جنات» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي جنّات.

والظاهر أنّ «ومَن» معطوف على الضمير في «يدخلونها» وقد فصل بينهما بالمفعول.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ أي: بالتحف والهدايا من الله تعالى تكرمةً لهم.

وارتفع «سلام» على الابتداء. و«عليكم» الخبر. والجملة محكيّة بقول محذوف تقديره: يقولون سلام عليكم. والمخصوص بالمدح محذوف أي: فنعم عقبى الدار الجنة، أو[2] فنعم عقبى الدار الصبر.

و﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلّق بذلك المحذوف الذي هو: يقولون سلام عليكم

---

(١) ق: الجمعة.

(٢) ق: وفنعم.

بسبب صبركم، أي: تحيّة الملائكة لهم ودخولهم عليهم من كل باب بالتحف والهدايا هو بسبب صبرهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾ الآية، لما ذكر حال السعداء وما ترتّب لهم من الأمور السّنية الشريفة، ذكر حال الأشقياء وما ترتّب لهم من الأمور المخزية. وتقدم تفسير ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة] في أوائل البقرة. وترتّب هناك للسعداء التصريح بعقبى الدار وهي الجنة وإكرام الملائكة لهم بالسّلام وذلك غاية القرب والتّأنيس، وهنا ترتّب للأشقياء الإبعاد من رحمة الله تعالى.

و﴿ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ أي: الدار السّوء وهي النار، أو سوء [٣٠٠/أ] عاقبة الدار، وتكون دار الدنيا.

ولمّا كان كثير من الأشقياء فتحت عليهم نعم الدنيا ولذّاتها أخبر تعالى أنه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. والكفر والإيمان لا تعلّق لهما بالرزق، قد يُقْدَر على المؤمن ليعظم أجره، ويبسط للكافر إملاءً لازدياد آثامه.

و﴿وَيَقْدِرُ﴾ مقابل ﴿يَبْسُطُ﴾ وهو التضييق.

والضمير في «وفرحوا» عائد على «الذين ينقضون» وهو استئناف إخبار عن جهلهم بما أوتوا من بسطة الدنيا عليهم، وفرحهم هو فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى وإنعامه عليهم.

و«متاع» معناه ذاهب مضمحلّ يستمتع به قليلاً ثم يفنى كما قال الشاعر(1): [من الخفيف]

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غيـر أنْ لا بقـاء لـلإنسـان

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ(2) ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [نزلت] هذه الآية في مشركي مكّة طلبوا مثل آيات الأنبياء، والملتمس ذلك هو عبد الله بن أبي أمية وأصحابه. ردّ تعالى على مقترحي الآيات من كفّار قريش أن الأمر بيد الله تعالى، يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء. ومفعول «يشاء» محذوف تقديره: من يشاء إضلاله. و«إليه» متعلق «بيهدي» أي: إلى طاعته.

و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بدل مِن «مَن أناب». واطمئنان القلوب: سكونها بعد الاضطراب من خشيته. وذِكْر الله تعالى: ذكر رحمته ومغفرته.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم الذين، أو مبتدأ خبره ما بعده. و«طوبى» فُعلى من الطّيب، قلبت ياؤه واواً لضمّة ما قبلها كما قلبت في موسر.

و«طوبى» مبتدأ خبره «لهم»، و«حسن مآب» معطوف عليه. و«طوبى»

---

(1) البيت في القرطبي ٦: ٤١٤، ورد على لسان جارية لسليمان بن عبد الملك.

(2) ق: إليه.

تأنيث الأطيب وكان القياس أن يكون بالألف واللام، وقد جاء نظيره بغير ألف ولام كقولهم[1]: [من الرجز]

[مـن نـزلٍ إذا الأمـور غبّـتِ] في سعي دنيا طال ما قد مُدَّتِ[2]

وقول الآخر[3]: [من البسيط]

وإن دعوتِ إلى جُلّى ومكرمةٍ يوماً إليك كرام الناس فادْعِينا

وتأنيث الأفعل ممّا عينه ياء أن يأتي على فُعلى، فتارة تبدل ياؤه واواً، قالوا: الحوراء، وتارة يقرّونها ياء، قالوا: الحيرى، فطوبى جاءت على أحد الوجهين.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ﴾ الكاف للتشبيه. و«ذلك» إشارة لإرسال من تقدّم من الرسل، أي: مِثْل إرسالهم إرسالك. ويدلّ على ذلك قوله «قد خلت من قبلها أمم» [أي: «رُسُل أمم»]. و«لتتلو» متعلق بقوله «أرسلناك».

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ جملة حالية، أي: أرسلناك في أمة رحمة لها مني وهم يكفرون بي، أي: وحال هؤلاء أنهم «يكفرون بالرحمن» بالبليغ الرحمة. والظاهر أن الضمير من قوله «وهم» عائد على أمّة المرسل إليهم الرسول عليه السّلام، أعاد على المعنى إذ لو أعاد على اللفظ لكان التركيب: وهي تكفر. والمعنى: أرسلناك إليهم وهم يدينون دين الكفر، فهدى الله تعالى بك من أراد هدايته. والمعنى الإخبار بأن الأمم السالفة المرسل إليهم

(١) البيت للعجّاج في ديوانه ص٢٦٧.

(٢) ق: قدمت.

(٣) البيت لبشامة بن حزن النهشلي في شرح ديوان الحماسة ١: ١٠١.

الرسل والأمة التي أُرسلتَ إليها جميعهم جاءتهم الرسل وهم يدينون دين الكفر، فيكون في ذلك تسلية لرسول الله ﷺ، إذ أمّته مثل الأمم السّالفة. ونبّه على الوصف الموجب لإرسال الرسول عليه السلام وهو الرحمة الموجبة[1] لشكر الله تعالى على إنعامه ببعثة الرسول عليه [٣٠٠/ب] السلام والإيمان به.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ الآية، قال ابن عباس وغيره إن الكفار قالوا للنبي ﷺ: سيِّرْ جبلي مكة فقد ضيّقا علينا واجعل لنا أرضاً قطعاً غراسة، وأَحْيِ لنا آباءنا وأجدادنا وفلاناً، فنزلت[2] مُعْلمة أنهم لا يؤمنون ولو كان ذلك كله. ولمّا ذكر تعالى علّة إرساله وهي تلاوته ما أوحاه إليه ذكر تعظيم هذا الموحى وأنه لو كان قرآناً تسيّر به الجبال عن مقارّها أو تقطّع به الأرض

(١) ق: الرّجبة.

(٢) انظر أسباب النزول ص١٨٥، ولباب النقول ص١٣٠.

حتى تتزايل[1] قطعاً قطعاً أو تكلّم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن، لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر]. فجواب «لو» محذوف وهو ما قدّرناه. ويجوز أن يكون جواب «لو»: ما آمنوا.

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ «بل» هنا للانتقال أي: أن الإيمان والكفر بيد الله تعالى يخلقهما فيمن يشاء، واليأس: القنوط من الشيء وهو هنا في قول الأكثرين بمعنى العلم كأنه قيل: أفلم يعلم الذين آمنوا.

قال القاسم بن معن: هي لغة هوازن.

وقال ابن الكلبي: هي لغة حيّ من النّخع. وأنشدوا لسحيم بن وثيل الرياحي[2]: [من الطويل]

أقول لهم بالشّعب إذ يشترونني   ألم تيأسوا أني ابنُ فارسِ زَهْدَمِ

و«أن لو يشاء» [قبله] قسم محذوف تقديره: وأقسم أن لو يشاء الله، وقد صرّح بالقسم قبل «أن، ولو» في قول الشاعر[3]: [من الطويل]

وأقسم أنْ لو التقينا وأنتمُ   لكان لكم[4] يوم من الشّر مظلم

---

(١) أي: تتباين.

(٢) ق: بن وهل. والبيت في اللسان «يأس» منسوب لسحيم، وفي القرطبي ٩: ٣٢٠، لمالك بن عوف.

(٣) هو المسيب بن علس، والبيت من شواهد الكتاب ٣: ١٠٧.

(٤) ق: لنا.

و«أنْ» زائدة في هذا التركيب نص على ذلك سيبويه[١]. ومفعول «يشاء» محذوف تقديره: الهداية. وجواب «لو»: «لَهَدى الناس».

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ من كفرهم وسوء أعمالهم.

﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم بما يُحلّ الله تعالى بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم، أو تحلّ القارعة قريباً منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شرارها، ويتعدّى إليهم شرورها. «حتى يأتي وعد الله» وهو موتهم أو القيامة.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ تقدم الكلام [عليه][٢]. «فكيف كان عقاب» استفهام[٣] معناه التعجب ممّا حلّ بهم والتقرير[٤]، وفي ضمنه وعيد معاصري الرسول عليه السلام من الكفار.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الآية، «من» موصولة صلتها ما بعدها. وهي مبتدأ والخبر محذوف تقديره: كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضرّ ولا تنفع، كما حُذف من قوله ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر] تقديره: كالقاسي قلبه الذي هو في ظلمة. ودلّ عليه قوله «وجعلوا لله شركاء» كما دلّ على: كالقاسي قوله «فويل للقاسية قلوبهم». ويُحسّن حذف هذا الخبر كون المبتدأ يكون مقابله [الخبر] المحذوف. وقد جاء مثبتاً كثيراً كقوله تعالى ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴿١٧﴾﴾ [النحل] «أفمن يعلم» ثم قال

---

(١) الموضع السابق ٣: ١٠٧.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠ من الأنعام.

(٣) ق: استفام.

(٤) ق: والتقدير.

﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد].

والظاهر أن قوله ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ استئناف إخبار عن سوء صنيعهم وكونهم أشركوا مع الله ما لا يصلح للألوهية، نعى عليهم هذا الفعل القبيح. هذا والباري تعالى محيط بأحوال النفوس جليّها وخفيّها، ونبّه على بعض حالاتها وهو الكسب ليتفكر الإنسان فيما يكسب من خير وشرّ، وما يترتّب على الكسب من الجزاء.

وعبّر «بقائم» عن الإحاطة والمراقبة التي لا يغفل عنها.

[٣٠١/أ] [ثم] أمره تعالى أن يقول لهم «سَمّوهم» أي: اذكروهم بأسمائهم.

والمعنى أنهم ليسوا ممّن يذكر ولا يسمّى، إنما يُذكر ويُسمّى من هو ينفع ويضر.

و«أم» في قوله «أم تنبّئونه» منقطعة فتقدّر ببل والهمزة، تقديره: بل أتنبّئونه. والضمير في: أتنبّئونه عائد علىٰ الله تعالى. و«ما» في «بما» موصولة والعائد محذوف تقديره: يعلمه. والضمير في «يعلم» عائد على الله تعالى.

والمعنى: أتنبّئون الله بشركة الأصنام التي لا تتصف بعلمٍ البتة.

وذكر نفي العلم في الأرض، إذ الأرض هي مقرّ تلك الأصنام، فإذا انتفى علمها في المقرّ التي هي فيه فانتفاؤه في السماوات أحرى. وعلى هذا التأويل يكون الفاعل «بيعلم» ضميراً يعود على «ما»، وعلى الأول ذكرنا أنه عائد على الله تعالى.

والمعنى على هذا استفهام التوبيخ على أنه عندهم لا يكون علمه في السماوات ولا في الأرض بل علمه تعالى محيط [بجميع الأشياء].

والظاهر في «أم» من قوله «أم بظاهر» أنها منقطعة أيضاً، أي: بل أتسمّونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك[1] حقيقة، أي: أنكم تنطقون بتلك الأسماء وتسمّونها[2] آلهة ولا حقيقة لها إذ أنتم تعلمون أنها لا تتّصف بشيء من أوصاف الإله لقوله تعالى ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً ۝٤٠ ﴾ [يوسف] والظاهر أن قوله «أم بظاهر» معطوف على قوله «بما لا يعلم».

والعذاب في الدنيا هو ما يصيبهم بسبب كفرهم من القتل والأسر والنّهب والذّلة[3] والجدوب والبلايا في أجسامهم وغير ذلك ممّا يمتحن به الكافر، وكان عذاب الآخرة أشقّ على النفوس لأنه إحراق بالنّار دائماً ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ۝٥٦ ﴾ [النساء]. و«من واق» من ساتر يحفظهم عن العذاب ويحميهم[4].

ولمّا ذكر ما أعدّ للكفّار في الآخرة ذكر ما أعدّ للمؤمنين فقال ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي: صفتها التي هي [في] غرابة المثل. وارتفع «مثل» على الابتداء في مذهب سيبويه، والخبر محذوف أي: فيما قصصنا عليكم مثل الجنة.

و﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ تفسير لذلك المثل، وتقول: مثّلت الشيء إذا

(١) ق: كذلك.

(٢) ق: وتسميتها.

(٣) والذلّة: مكررة في ق.

(٤) ق: ويجمعهم.

وصفته وقرّبته للفهم، وليس هنا ضرب مثل فهو كقوله ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٧﴾ [الروم] أي: الصفة العليا.

والأُكُل: ما يؤكل فيها. ومعنى دوامه أنه لا ينقطع أبداً كما قال تعالى ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة]. «تلك» أي: تلك الجنة عاقبة الذين اتّقوا الشرك.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٧ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية، نزلت في مؤمني أهل الكتابيّن من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة.

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ يعني: ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه والسّيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما.

﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني ممّا هو ثابت في كتبهم غير محرّف. وكانوا ينكرون ما هو نعت

الإسلام ونعت[١] رسول الله ﷺ وغير ذلك ممّا حرّفوه وبدّلوه.

﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ أي: إلى شرعه ودينه، وإليه مرجعي [عند البعث يوم القيامة أو إليه مرجعي] في جميع الأحوال في الدنيا والآخرة.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك إنزالنا الكتاب على الأنبياء قبلك، لأن قوله «والذين آتيناهم الكتاب» يتضمن إنزاله تعالى الكتاب. وهذا الذي أنزلناه هو بلسان العرب [كما أنّ الكتب السابقة] بلسان من نزلت عليه. وأراد بالحكم أنه يفصل بين الحق والباطل [٣٠١/ب] ويحكم. وانتصب «حكماً» على الحال من ضمير النصب في «أنزلناه» والضمير عائد على القرآن. والحكم: ما تضمّنه القرآن من المعاني. ولمّا كانت العبارة عنه بلسان العرب نُسب إليها.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ﴾ الخطاب لغير الرسول لأن الرسول عليه السلام [معصوم] من اتباع أهوائهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية، قال الكلبي: عيّرت اليهود الرسول عليه السلام وقالوا: ما نرى لهذا الرجل مهمّة[٢] إلا النكاح والنساء، ولو كان نبيًّا كما زعم لشغله أمر النبوّة عن النساء فنزلت هذه الآية[٣]. قيل: وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النّسْخ فردّ الله تعالى عليهم بأن الرّسل قبله كانوا مثله ذوي أزواج وذرّية، وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم، ولا يأتون بما يُقترح عليهم. والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات،

---

(١) ق: وبعث.

(٢) ق: همّة.

(٣) انظر أسباب النزول ص١٨٥.

فلكلّ وقت حكم يحكم فيه على العباد، أي: يفرض عليهم ما يريده تعالى.

وقوله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ لفظ عام في الأشياء التي لها آجال لأنه ليس منها شيء إلّا وله أجل في بداءته وفي خاتمته، وذلك الأجل مكتوب ومحصور.

والظاهر أن المحو عبارة عمّا نُسخ من الشرائع والأحكام، والإثبات عبارة عن دوامها وتقرّرها وبقائها، أي: يمحو ما يشاء محوه ويثبت ما يشاء إثباته.

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو ديوان الأمور المحدثة التي قد سبق في القضاء أن تبدّل وتمحى وتثبت.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ تقدم الكلام عليه في يونس[1].

و«إما» هنا فقال الحوفي وغيره: «فإنما عليك» جواب الشرط. والذي تقدّم شرطان لأن المعطوف على الشرط شرط. أما كونه جواباً للشرط [الأول] فليس بظاهر لأنه لا يترتب عليه إذ يصير المعنى: وإما نرينّك بعض[2] ما نعدهم من العذاب فإنما عليك البلاغ. وأما كونه جواباً للشرط الثاني وهو «أو نتوفّينك» فكذلك[3]، لأنه يصير التقدير: إنْ ما نتوفّينك فإنما عليك البلاغ، ولا[4] يترتب وجوب التبليغ عليه أي على وفاته عليه السلام لأن التكليف ينقطع بعد الوفاة. فيحتاج إلى تأويل، وهو أن يتقدّر لكل شرط منهما ما يناسب أن يكون جزاءً مرتّباً عليه، وذلك أن يكون التقدير والله أعلم: وإما نرينّك بعض الذي نعدهم به من العذاب فذلك شافيك من

---

(١) انظر تفسير الآية ٤٦ من يونس.

(٢) ق: يعني.

(٣) ق: فلذلك.

(٤) ق: لا.

أعدائك ودليل على صدقك إذ أخبرتَ بما يحلّ بهم ولم يعيّن زمان حلوله بهم، واحتمل أن يقع ذلك في حياتك، واحتمل أن يقع بهم بعد وفاتك. أو إن نتوفّينك قبل حلوله بهم، فلا لوم عليك ولا عتب إذ قد حلّ بهم بعض ما وعدك الله تعالى به على لسانك من عذابهم، فإنما عليك البلاغ لا حلول العذاب بهم، إذ ذاك راجع إلينا وعلينا جزاؤهم في تكذيبهم إياك وكفرهم بما جئت به.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الضمير في «أولم يروا» عائد على الذين وعدوا، وفي ذلك اتّعاظ لمن اتعظ. نُبّهوا على أن ينظروا نقص الأرض من أطرافها.

و«نأتي» يعني بالأمر والقدرة كقوله تعالى ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [النحل].

و«الأرض» أرض الكفار المذكورين. ومعنى «ننقصها من أطرافها» نفتحها للمسلمين من جوانبها.

كان المسلمون يغزون من حوالي أرض الكفار ممّا يلي المدينة ﷺ ويغلبون على جوانب أرض مكة. والأطراف: الجوانب.

و﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ المعقّب: الذي يكرّ على الشيء فيبطله، وحقيقته

الذي يعقّبه أي: بالردّ والإبطال. ومنه قيل لصاحب الحق معقّب، لأنه يقضي غريمه بالاقتضاء والطلب. والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة [٣٠٢/أ] والإقبال، وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس. والجملة من قوله «لا معقّب لحكمه» في موضع الحال أي: نافذاً حكمه.

«وهو سريع الحساب» تقدّم الكلام عليه(١).

ثم أخبر تعالى أن الأمم السابقة كان يصدر منهم المكر بأنبيائهم كما فعلت قريش، وأن ذلك عادة المكذّبين للرسل: مكر بإبراهيم نمرود، وبموسى فرعون، وبعيسى اليهود. وجعل تعالى مكرهم كَلاَ مكر، إذ أضاف المكر كله له تعالى. ومعنى مكره تعالى عقوبته إياهم، سمّاها مكراً إذ كانت ناشئة عن المكر وذلك على سبيل المقابلة كقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة].

ثم فسّر قوله «فلله المكر جميعاً» بقوله «يعلم ما تكسب كل نفس» والمعنى: يجازي كل نفس بما كسبت.

ثم هدّد الكافر بقوله «وسيعلم الكفار(٢) لمن عقبى الدار» [إذ] يأتيه العذاب من حيث هو في غفلة عنه، فحينئذ يعلم لمن هي العاقبة المحمودة.

ولمّا قال الكفار ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ أي: إنما أنت مدّعٍ ما ليس لك، أمره تعالى أن يكتفي بشهادة الله تعالى بينهم، إذ قد ظهر على يديه من الأدلّة على

---

(١) ينظر تفسير الآية ٢٠٢ من البقرة، والآية ١٩، ١٩٩ من آل عمران، والآية ٤ من المائدة.

(٢) ق: الكافر.

رسالته ما في بعضها كفاية[1] لمن وفّق. ثم أردف شهادة الله تعالى [بشهادة مَن عنده علم الكتاب.

وقرأ ورش[2]: ومِن عنده، بِمِن الجارّة، ذكره الأهوازي في الموجز[3].

و«الكتاب» هنا القرآن، والمعنى أنّ من عرف ما أُلّف فيه من المعاني الصحيحة والنظم المعجز الفائت لقدرة البشر يشهد بذلك.

---

(١) ق: كتابة.

(٢) ق: روس.

(٣) هو الحسن بن علي بن إبراهيم، مقرىء الشام في عصره. وكتابه المشار إليه هو «الموجز في القراءات». توفي سنة ٤٤٦هـ. انظر الأعلام ٢: ٢٤٥.

سورة إبراهيم[1]

عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ (١) ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ (٢) ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ (٣) وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٤)﴾.

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ هذه السورة مكّية كلّها في قول الجمهور. وعن ابن عباس وقتادة: هي مكّية إلاّ من قوله «ألم تر إلى الذين بدّلوا» إلى «النار»[2].

وارتباط هذه السورة بالتي قبلها واضح جدًّا لأنه ذكر فيها ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا (٣١)﴾ [الرعد] ثم [قال] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ (٣٧)﴾ [الرعد] ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ (٤٣)﴾ [الرعد] فناسب قوله «آلر كتاب أنزلناه إليك».

---

(١) مكّية وآياتها ثنتان وخمسون.

(٢) الآيات ٢٨ - ٣٠.

وأيضاً فإنهم لمّا قالوا على سبيل الاقتراح ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۝٢٧﴾ [الرعد] وقيل له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧﴾ [الرعد] أنزل «الٓر كتاب أنزلناه إليك» كأنه قيل: أولم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه إليك.

﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وهي الضلال «إلى النور» وهو الهدى.

«كتاب» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا كتاب «أنزلناه» جملة في موضع الصفة. «لتخرج» متعلّق «بأنزلناه» وهي لام العلّة. «من الظلمات» متعلق «بتخرج» [«إلى النور» متعلق «بتخرج»] أيضاً. «إلى صراط العزيز الحميد» بدل من قوله «إلى النور» وأعيد معه حرف الجرّ وهو «إلى» كما تقول: مررت بزيد بأخيك.

وقرىء: الله، بالجرّ على البدل أو عطف بيان. وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ، أو خبر مبتدأ أي: هو الله. «وويل» مبتدأ خبره «للكافرين». و«من عذاب» في موضع الصفة «لويل».

ولا يضرّ الفصل بالخبر بين الصفة والموصوف، ولا يجوز أن يكون متعلّقاً «بويل» لأنه مصدر، ولا يجوز الفصل بين المصدر وما يتعلق به بالخبر.

ويظهر من كلام الزمخشري أنه ليس في موضع الصفة، قال[1]: فإن قلت: ما وجه اتصال قوله «من عذاب شديد» بالويل؟ قلت: لأن المعنى: يُوَلوِلُون من عذاب شديد ويضجّون منه ويقولون: يا ويلاه [٣٠٢/ب] كقوله[2] تعالى ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣﴾ [الفرقان] انتهى.

---

(١) الكشاف ٢: ٣٦٥.

(٢) ق: لقوله.

فظاهره على تقدير عامل يتعلّق به «من عذاب شديد». ويحتمل هذا العذاب أن يكون واقعاً بهم في الدنيا أو واقعاً بهم في الآخرة.

والاستحباب: الإيثار والاختيار، وهو استفعال من المحبّة، لأن المُؤْثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحبّ إليها وأفضل عندها من الآخر. ويجوز أن يكون استفعل بمعنى أفعل كاستجاب وأجاب. ولمّا ضُمّن معنى الإيثار عُدّي بعلى.

وجوّزوا في إعراب «الذين» أن يكون مبتدأ خبره «أولئك في ضلال بعيد» وأن يكون مقطوعاً على الذّم إمّا خبر مبتدأ محذوف أي: هم الذين، وإمّا منصوباً بإضمار فعلٍ تقديره: أذمّ.

وأن يكون صفة «للكافرين». ونصّ على هذا الوجه الأخير الحوفي والزمخشري وأبو البقاء[1].

وهو لا يجوز، لأنّ فيه الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي منهما وهو قوله «من عذاب شديد» سواء أكان «من عذاب شديد» في موضع الصفة «لويل» أم متعلقاً بفعل محذوف أي: يضجّون ويُوَلْوِلُون من عذاب شديد.

وتقدم الكلام على «ويبغونها عوجاً» في آل عمران[2] وعلى وصف الضلال بالبعد.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ الآية، سبب نزولها أن قريشاً قالوا: ما بال الكتب كلّها أعجمية وهذا عربي فنزلت.

---

(١) الكشاف ٢: ٣٦٦، والإملاء ٢: ٦٦.

(٢) انظر تفسير الآية ٩٩ من آل عمران.

والظاهر أن قوله «وما أرسلنا من رسول» العموم، فيندرج فيه الرسول عليه السلام. فإن كانت الدعوة عامّة للناس كلّهم أو اندرج في اتباع ذلك الرسول [من] ليس من قومه [كان] من لم تكن لغته لغة ذلك الرسول موقوفاً على تعلّم تلك اللغة حتى يفهمها أو يرجع في تفسيرها إلى من يعلمها.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾.

و﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ يحتمل أن تكون «أنْ» مفسّرة بمعنى أي، وأن تكون مصدرية.

وفي قوله: «قومك» خصوص لرسالته إلى قومه بخلاف قوله ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم]. والظاهر أن قومه هم بنو إسرائيل. «وذكّرهم» معطوفة على قوله «أخرِجْ قومك».

والإشارة بقوله «إنّ في ذلك» إلى التذكير بأيّام الله.

و«صبّار شكور» صيغتا[1] مبالغة وهما مشعرتان بأن أيام الله تعالى المراد بها بلاؤه ونعماؤه، أي: صبّار على بلائه شكور لنعمائه.

---

(١) ق: صفتا.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، لمّا تقدم أمره تعالى لموسى عليه السلام بالتذكير بأيّام الله ذكّرهم بما أنعم تعالى عليهم من نجاتهم من آل فرعون، وفي ضمنها تعداد شيء ممّا جرى عليهم من نقمات الله تعالى. وتقدم إعراب «إذ» في نحو هذا التركيب في قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران]. وتقدّم تفسير نظير هذه الآية[1]، إلاّ أنّ هنا «ويذبّحون» بالواو، وفي البقرة بغير واو، وفي الأعراف «يقتّلون». فحيث لم يُؤت بالواو جُعل الفعل[2] تفسيراً لقوله «يسومونكم» وحيث أُوتي بها دلّ على المغايرة، وأنّ سوء العذاب كان بالتذبيح وبغيره. وحيث جاء «يقتّلون» جاء باللفظ المطلق المحتمل للتذبيح ولغيره من أنواع القتل.

وتقدّم شرح «تأذن» وتلقّيه بالقسم في قوله في الأعراف ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف]. واحتمل «إذ» أن يكون منصوباً باذكروا، وأن يكون معطوفاً على «إذ نجّاكم» لأنّ هذا الإعلام بالمزيد على الشكر من نعمه تعالى.

والظاهر أن متعلّق الشكر هو الإنعام أي: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم.

«ولئن كفرتم» أي: نعمتي فلم [٣٠٣/أ] تشكروها رتّب العذاب الشديد على كفر نعمه تعالى. ولم يبيّن محلّ الزيادة فاحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما.

---

(١) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة]، وقوله ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف].

(٢) ق: العقل.

وجاء التركيب على ما عُهد في القرآن من أنه إذا ذكر الخير أسنده إليه تعالى وإذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبته إليه فقال «لأزيدنكم» ونسب الزيادة إليه تعالى وقال «إن عذابي لشديد» ولم يأت التركيب: لأعذبّنكم وصرّح في «لأزيدنكم» بالمفعول، وهنا لم يُذكر وإن كان المعنى عليه أي: إن عذابي لكم لشديد.

وجواب «إن تكفروا» محذوف لدلالة المعنى عليه، التقدير: فإنما ضرر كفركم لاحقٌ بكم والله تعالى متّصف بالغنى المطلق والحمد سواء أكفروا أم شكروا. وفي خطابه لهم تحقير لشأنهم وتعظيم لله تعالى في ذكر هاتين الصفتين.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ

جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ .

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية، الظاهر أنّ هذا خطاب من موسى عليه السلام لقومه، وقيل ابتداء خطاب من الله تعالى لهذه الأمة. وخبر قوم نوح وعاد وثمود قد قصّه الله تعالى في كتابه وتقدّم في الأعراف وهود[1]. والهمزة في «ألم» للتقرير والتوبيخ. والظاهر أن «والذين» في موضع خفض عطفاً على ما قبله، إما على «الذين» وإما على «قوم نوح وعاد وثمود».

قال الزمخشري[2]: والجملة من قوله «لا يعلمهم إلا الله» اعتراض، والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله تعالى انتهى.

وليست جملة اعتراض، لأن جملة الاعتراض تكون بين جزأين أحدهما الآخر.

وقال أبو البقاء[3]: تكون هذه الجملة حالاً من الضمير في «من بعدهم».

فإن عنى من الضمير المجرور في «من بعدهم» فلا يجوز لأنه حال مما جرّ بالإضافة، وليس له محلّ إعراب من رفع أو نصب. وإن عنى من الضمير المستقرّ في الجار والمجرور النائب عن العامل أمكن.

---

(١) انظر على التوالي الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣ من الأعراف وما يلي كلاً منها، والآيات ٢٥، ٥٠، ٦١ من هود وما يلي كلاً منها.

(٢) الكشاف ٢: ٣٦٨.

(٣) الإملاء ٢: ٦٦.

وقال أبو البقاء أيضاً[1]: ويجوز أن يكون مستأنفاً، وكذلك «جاءتهم».

وأجاز الزمخشري وتبعه أبو البقاء[2] أن يكون «والذين» مبتدأ [والخبر «لا يعلمهم إلا الله». وقال الزمخشري[3]: والجملة من المبتدأ] والخبر وقعت اعتراضاً انتهى.

وليست باعتراض، لأنها لم تقع بين جزأين أحدهما يطلب الآخر.

والضمير في «جاءتهم» عائد على «الذين من قبلكم»، والجملة تفسيرية للنّبأ.

والظاهر أن الأيدي هي الجوارح، وأن الضميرين في «أيديهم» و«أفواههم» عائدان على الذين جاءتهم الرسل.

«وقالوا إنّا كفرنا» بادروا أولاً إلى الكفر وهو التكذيب المحض، ثم أخبروا أنهم في شكّ وهو التردّد، كأنهم نظروا بعض نظر، اقتضى أن انتقلوا من التكذيب المحض إلى التردّد، أو هما قولان من طائفتين: طائفة بادرت بالتكذيب والكفر، وطائفة شكّت، والشكّ في مثل ما جاءت به الرسل عليهم السلام كفر. و«مريب» صفة توكيدية.

ودخلت همزة الاستفهام الذي معناه الإنكار على الظرف على الجار الذي هو خبر عن المبتدأ، لأن الكلام ليس في الشكّ، إنّما هو في المشكوك فيه، وأنه لا يحتمل الشكّ لظهور الأدلّة وشهادتها عليه. وقدّر مضاف فقيل: أفي

---

(١) الموضع نفسه.

(٢) الكشاف ٢: ٣٦٨. ولا يظهر في الإملاء تبعيّة أبي البقاء للزمخشري.

(٣) الكشاف ٢: ٣٦٨.

إلٰهيّته أو في وحدانيّته. ثم نبّههم على الوصف الذي يقتضي ألّا يقع فيه شكّ البتّة وهو كونه منشىء العالم وموجده فقال: «فاطر السماوات والأرض». و«فاطر» صفة لله تعالى، ولا يضرّ الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدأ فيجوز أن تقول: في الدار زيدٌ الحسنةِ، وإن كان أصل التركيب: في الدّار الحسنة زيد. ولمّا ذكر تعالى أنه موجد العالم، ونبّه على الوصف الذي لا يناسب [٣٠٣/ب] أن يكون معه فيه شكّ، ذكر ما هو عليه من اللطف بهم والإحسان إليهم فقال «يدعوكم ليغفر لكم» أي: يدعوكم إلى الإيمان كما قال ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ ﴿١٠﴾﴾ [غافر] أو يدعوكم لأجل المغفرة نحو: دعوته لينصرني. وتقدّم الكلام في طرفٍ من هذا في الأعراف في قوله ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف]. وقيل هنا «ويؤخركم إلى أجل مسمّى» قبل الموت ولا يعاجلكم بالعذاب.

ومعنى «مسمّى» أي: قد سمّاه وبيّن مقداره.

«إن أنتم» أي: ما أنتم. «إلا بشر مثلنا» لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا، فلِمَ تُخَصُّون بالنبوّة دوننا. والظاهر أن طلبهم السلطان المبين، وقد أتتهم الرسل بالبيّنات، إنما هو على سبيل التعنّت والاقتراح، وإلّا فما أتَوْا به من الدلائل والآيات كافٍ لمن استبصر، ولكنّهم قلّدوا آباءهم فيما كانوا عليه من الضلال. ألا ترى أنهم لمّا ذكروا أنهم مماثلوهم قالوا «تريدون أن تصدّونا عمّا كان يعبد آباؤنا» أي: ليس مقصودكم إلّا أن نكون لكم تبعاً، ونترك ما نشأنا عليه من دين آبائنا.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ الآية، سلّموا لهم في أنهم مماثلوهم في البشريّة وحدها، وأمّا ما سوى ذلك من الأوصاف التي اختصّوا بها، فلم يكونوا مثلهم، ولم يذكروا ما هم عليه من الوصف الذي تميّزوا به

تواضعاً منهم ونسبة ذلك إلى الله تعالى. ولم يصرّحوا بمنّ الله عليهم وحدهم، لكن أبرزوا ذلك في عموم «من يشاء من عباده» والمعنى: يمنّ بالنبُوّة على[1] من يشاء تَنبِئَتَه.

ومعنى «بإذن الله» بتسويغه[2] وإرادته، أي: الآية التي اقترحوها ليس لنا الإتيان بها ولا [هي] في استطاعتنا، ولذلك كان التركيب «وما كان لنا» وإنما ذلك أمر متعلّق [بالمشيئة].

و«فليتوكل» أمرٌ منهم للمؤمنين بالتوكّل وقصدوا به أنفسهم قصداً أوّلياً، وأمروها به كأنهم قالوا: ومن حقّنا أن نتوكّل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم. ألا ترى إلى قولهم «وما لنا ألاّ نتوكل على الله» ومعناه: وأيّ عذرٍ لنا في ألاّ نتوكل[3] على الله «وقد هدانا» فعل بنا ما يوجب توكّلنا عليه، وهو التوفيق لهداية كلّ واحد منّا سبيله الذي يجب سلوكه في الدين.

والأمر الأول وهو قوله «فليتوكّل المؤمنون» لاستحداث التوكّل، والثاني للثبات على ما استحدثوا من توكّلهم.

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾ جواب قسم، ويدلّ على ما سبق ما يجب فيه الصبر وهو الأذى.

و«ما» مصدرية. وجوّزوا أن تكون بمعنى الذي والضمير محذوف أي: ما آذيتموناه وكان أصله: به، فهل حذف به أو الباء فوصل الفعل إلى

(١) ق: وعلى.

(٢) ق: بتسويفه.

(٣) ق: ومعناه: في أي عذر لنا ألاّ نتوكل.

الضمير؟ قولان.

﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾ أقسموا على أنه لا بدّ من إخراجهم أو عودهم في ملّتهم كأنهم قالوا: ليكونن[1] أحد هذين. ولمّا أقسموا هم على إخراج الرّسل أو العودة في ملّتهم، أقسم تعالى على إهلاكهم - وأي: إخراجٍ أعظم من الإهلاك بحيث لا يكون لهم عودة إليها أبداً؟ - وعلى إسكان الرسل ومن آمن[2] بهم وذرّياتهم أرض أولئك المُقْسِمين على إخراج الرسل عليهم السلام.

والإشارة «بذلك» إلى توريث الأرض الأنبياء ومن آمن بهم بعد إهلاك الظالمين كقوله تعالى ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف] ومقام: يحتمل المصدر أي: قيامي عليه بالحفظ لأعماله ومراقبتي إياه كقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد].

والظاهر أن الضمير في «واستفتحوا» عائد على الأنبياء أي: استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال]. ويجوز أن يكون من الفتاحة وهي الحكومة، أي: استحكموا الله: طلبوا منه القضاء بينهم. واستنصار الرسل في القرآن كثير.

«وخاب» معطوف على محذوف [٣٠٤/أ] تقديره: فنصروا وظفروا. «وخاب كلّ جبّار عنيد» وهم قوم الرّسل، وتقدّم شرح جبار عنيد[3]. والعنيد: المعاند كالخليط بمعنى المخالط.

﴿مِّن وَرَائِهِ﴾ ذكر ما يؤول إليه حال الجبار العنيد في الآخرة. ووراء: من

---

(١) ق: لنكونن.

(٢) ق: وآمن.

(٣) انظر تفسير الآية ٥٩ من هود، ولم يُذكر فيه شيء.

الأضداد ينطبق[1] على خلف وعلى أمام كأنه قيل: من أمامه وبين يديه جهنم.

«ويُسقى» معطوف على محذوف تقديره: يدخلها ويُسقى. والظاهر إرادة حقيقة الماء.

و«صديد» قال مجاهد وغيره: هو ما يسيل من أجساد أهل النار.

وقال الزمخشري[2]: «صديد» عطف بيان لما قال «ويُسقى من ماء» فأبهمه إبهاماً ثم بيّنه بقوله «صديد» انتهى.

والبصريون لا يجيزون عطف البيان في النكرات، وأجازه الكوفيون، وتبعهم الفارسي فأعرب «زيتونة» عطف بيان لـ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴿٣٥﴾﴾ [النور].

فعلى رأي البصريين لا يجوز أن يكون قوله «صديد» عطف بيان.

وتجرّع: تفعّل، والظاهر أنها للتكلّف نحو تحلّم[3]، أي: يأخذه شيئاً فشيئاً. والظاهر انتفاء مقاربة[4] إساغته، وإذا انتفت [انتفت] الإساغة، فيكون كقوله ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴿٤٠﴾﴾ [النور] أي: يقرب من رؤيتها فكيف يراها. والحديث جاء بأنه يشربه[5]، فإن صحّ الحديث كان المعنى: ولا يكاد يسيغه قبل أن يشربه ثم شربه، كما جاء ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة]

---

(١) ق: ينطلق.

(٢) الكشاف ٢: ٣٧١.

(٣) ق: تحكّم.

(٤) ق: مقارنة.

(٥) انظر مثلاً المستدرك ٢: ٣٥١.

أي: وما كادوا يفعلون [قبل] الذبح.

«ويأتيه الموت» أي: أسبابه. والظاهر أن قوله «من كل مكان» معناه من الجهات السّت وذلك تفظيع لما يصيبه من الآلام.

«وما هو بميّت» لتطاول شدائد الموت وامتداد سكرته.

«ومن ورائه» الخلاف في «من ورائه» [هنا] كالخلاف في «من ورائه جهنم».

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ﴾ الآية، ارتفاع «مثل» على الابتداء، وخبره محذوف تقديره عند سيبويه: فيما يُتلى عليكم أو يُقصّ.

قال ابن عطية: وقيل هو مبتدأ و«أعمالهم» ابتداء ثانٍ و«كرماد» خبر

الثاني، والجملة خبر الأول، وهذا عندي أرجح الأقوال، وكأنك قلت: المتحصّل مثالاً في النفس للذين كفروا هذه الجملة المذكورة وهي أعمالهم في فسادها وقت الحاجة، وتلاشيها كالرماد الذي تذروه الرياح، وتفرّقه بشدّتها حتى لا يبقى له أثر ولا يجتمع منه شيء انتهى.

هذا القول الذي رجّحه ابن عطية قاله الحوفي، وهو لا يجوز، لأن الجملة الواقعة خبراً عن المبتدأ [الأول الذي] هو «مثل» عارية من رابط يعود على المثل، وليست نفس المبتدأ في المعنى، فلا تحتاج إلى رابط. والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة.

و«أعمالهم كرماد» جملة مستأنفة على تقدير سؤال، كأنه قيل: كيف مَثَلهم؟ فقيل: أعمالهم كرماد، كما تقول: صفة زيد عِرْضُه مصون وماله مبذول.

ووصف اليوم بقوله «عاصف» وإن كان من صفة الريح على سبيل التجوّز كما قالوا: يوم ماطر وليل نائم.

«لا يقدرون» يوم القيامة. «مما كسبوا» من أعمالهم. «على شيء» أي: لا يرون له أثراً من ثواب، كما لا يُقْدَر من الرّماد المطيّر بالرياح على شيء.

«ذلك» إشارة إلى كونهم بهذه الحال، وعلى مثل هذا الغرر البعيد[1] الذي تعمّق فيه صاحبه، وأبعد عن طريق النجاة، أو البعيد عن الحق أو الثواب. وفي البقرة ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ﴾ [البقرة] وهنا «لا يقدرون مما كسبوا على شيء» من التفنّن في الفصاحة والتغاير في التقديم

(١) ق: الغدر والبعيد.

والتأخير والمعنى واحد..

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ الآية، الظاهر أن قوله «يذهبكم» خطاب عام للناس. وعن ابن عباس: خطاب للكفار.

«ويأت بخلق جديد» الظاهر أن يكون المعنى: إن يشأ يذهبكم[1] أيها الناس ويأت بناسٍ آخرين من جنسكم آدميين.

﴿وَبَرَزُوا﴾ أي: ظهروا من قبورهم [٣٠٤/ب] إلى جزاء الله وحسابه. والذين استكبروا: هم رؤساؤهم وقادتهم استتبعوا[2] الضعفاء واستغووهم.

«واستكبروا» تكبّروا وأظهروا تعظيم أنفسهم واستكبروا عن اتباع الرسل وعبادة الله تعالى.

و«تبعاً» يحتمل أن يكون اسم جمعٍ لتابع كخادم وخَدَم وخائب وخَيَب، ويحتمل أن يكون مصدراً كقوم عدل ورضى.

و«هل أنتم مغنون عنا» استفهام، معناه توبيخهم إياهم وتقريعهم، وقد علموا أنهم لن يغنوا شيئاً. والمعنى: إنا تبعناكم فيما كنتم فيه من الضلال كما أمرتمونا، وما أغنيتم عنا شيئاً، ولذلك جاء جوابهم «لو هدانا الله لهديناكم» فأجابوا بذلك على سبيل الاعتذار والخجل وردّ[3] الهداية إلى الله تعالى، وهو كلام حق في نفسه.

---

(١) ق: يذهبكم يعذبكم.

(٢) ق: استعتبوا.

(٣) ق: وردًا.

قال الزمخشري[١]: «مِن» الأولى للتّبيين والثانية للتبعيض، كأنه قيل: هل أنتم مغنون عنّا بعض الشيء الذي هو عذاب الله. ويجوز أن يكونا للتبعيض معاً، بمعنى: هل أنتم مغنون عنّا بعض شيء هو بعض عذاب الله انتهى.

هذان التوجيهان اللذان. وجّههما الزمخشري في المكانين يقتضي أولهما التقديم في قوله «من شيء» على قوله «من عذاب الله» لأنه جعل «من شيء» هو المبيّن بقوله «من عذاب الله»، ومِن التّبيينيّة يتقدّم عليها ما تبيّنه ولا يتأخر. والتوجيه الثاني وهو بعض شيء هو بعض العذاب يقتضي أن يكون بدلاً، فيكون بدل عام من خاص لأن «من شيء» أعمّ من قوله «من عذاب الله».

وإن عنى «بشيء» شيئاً من العذاب، فيؤول المعنى إلى ما قدّر وهو بعض بعض عذاب الله، وهذا لا يقال، لأن بعضيّة الشيء مطلقة، فلا يكون لها بعض. والظاهر أن قوله «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا» إلى آخره داخل تحت قول المستكبرين، وجاءت جُملاً بلا واو عطف كأنّ كلّ جملة أنشئت مستقلّة غير معطوفة وإن كانت مرتبطاً بعضها ببعض من جهة المعنى، لأن سؤالهم «هل أنتم مغنون عنّا» إنما كان لجزعهم ممّا هم فيه فقالوا لهم ذلك، سوّوا بينهم وبينهم في ذلك لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها، يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ، فلا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر.

ولمّا قالوا «لو هدانا الله» أتبعوا ذلك بالإقناط من النجاة فقالوا «ما لنا من محيص» أي: منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا. وتقدم الكلام في مثل هذه

---

(١) الكشاف ٢: ٣٧٣.

التسوية في البقرة[1].

والظاهر أن هذه المحاورة بين الضعفاء والرؤساء هي في موضع العرض وقت البروز بين يدي الله تعالى.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لمّا ذكر محاورة الأتباع لرؤسائهم الكفرة، ذكر محاورة الشيطان وأتباعه من الإنس، وذلك لاشتراك الرؤساء والشيطان في التلبس بالإضلال. والشيطان هنا إبليس وهو رأس الشياطين.

ومعنى «قضي الأمر» تعيّن قوم للجنّة وقوم للنار،وذلك كله في الموقف.

و«وعد الحق» يحتمل أن يكون من إضافة الموصوف إلى صفته أي: الوعد الحق، وأن يكون «الحق» صفة الله أي: وعده، وأن يكون «الحق» الشيء الثابت وهو البعث والجزاء على الأعمال، أي: يوفّي لكم بما وعدكم ووعدتُكم خلاف ذلك فأخلفتُكم.

و«إلاّ أن دَعَوْتُكم» الظاهر أنه استثناء منقطع لأن دعاءه إياهم إلى الضلال ووسوته ليس من جنس السلطان وهو الحجة البيّنة.

«ما أنا بمصرخكم» أي: مغيثكم. «وما أنتم بمصرخيّ» أي: بمغيثيّ. وقرأ الجمهور: بمُصرخيَّ، بفتح الياء.

وقرأ يحيى [٣٠٥/أ] بن وثّاب والأعمش وحمزة بكسر الياء.

وقد طعن ناس في هذه القراءة، وما ذهبوا إليه لا يُلتفت إليه لأن هذه

(١) انظر تفسير الآية ٦ من البقرة.

قراءة متواترة نقلها [السلف] واقتفى آثارهم فيها الخلف. وقد نقل جماعة من أهل اللغة أنها لغة، لكنّه قلّ استعمالها، ونصّ قطرب على أنها لغة في بني يربوع وأنشدوا للأغلب العجلي(١): [من الرجز]

قال لها هل لك يا تافيِّ قالت له ما أنت بالمرضيِّ

و«ما» في «بما أشركتموني» مصدرية. و«من قبل» متعلق بـ«أشركتموني» أي: كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي: في الدنيا.

«إن الظالمين لهم عذاب أليم» الظاهر أنه من تمام كلام إبليس، حكى الله عنه ما سيقوله في ذلك الوقت، ليكون تنبيهاً للسامعين على النظر في عاقبتهم والاستعداد لما لا بدّ منه. وأن يتصوّروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول، فيخافوا ويعملوا [ما يخصّلهم] منه وينجيهم.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ الآية، لمّا جمع الفريقين في قوله ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم] وذكر شيئاً من أحوال الكفّار، ذكر ما آل إليه حال المؤمنين من إدخالهم الجنة.

قال الزمخشري(٢): فإن قلت: فبم يتعلّق - يعني «بإذن ربهم» - في القراءة الأخرى(٣) وقولك فأُدخِلُهم أنا بإذن ربهم كلام غير ملتئم؟ قلت: الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله «بإذن ربهم» بما بعده، أي: تحيّتهم فيها

---

(١) الرجز للأغلب العجلي في معاني القرآن ٢: ٧٦، والخزانة ٢: ٢٥٧. وتا: منادى وهو اسم إشارة يشار به إلى المؤنث.
(٢) الكشاف ٢: ٣٧٦.
(٣) يعني بها قراءة: أُدْخِلُ، على فعل المتكلّم.

سلام بإذن ربّهم، يعني أن الملائكة يحيّونهم[1] بإذن ربهم انتهى.

ظاهر كلامه أنّ «بإذن ربهم» معمول لقوله «تحيّتهم» ولذلك قال: يعني أنّ الملائكة يحيّونهم بإذن ربهم. وهذا لا يجوز، لأن تقديم معمول المصدر المنحلّ لحرف مصدري والفعل عليه هو[2] غير جائز.

وتقدّم تفسير «تحيّتهم فيها سلام» في أوائل يونس[3].

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ الآية، تقدم الكلام في «ضرب» مع المثل في أوائل البقرة[4] فأغنى عن إعادته.

والكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

---

(١) ق: يجيئونهم.

(٢) ق: وهو.

(٣) انظر تفسير الآية ١٠ من يونس.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٦ من البقرة.

«أصلها ثابت وفرعها في السماء» يريد بالفرع أعلاها ورأسها، وإن كان المشبّه به ذا فروع فيكون من باب الاكتفاء بلفظ الجنس. ومعنى «في السماء» في جهة العلو والصّعود [لا] المظلّة. ولمّا شبّهت الكلمة الطّيبة بالشجرة، كانت الكلمة أصلها ثابت في قلوب[1] أهل الإيمان، وما يصدر عنها من الأعمال الزكيّة والأعمال الصالحة هو فرعها يصعد إلى السماء إلى الله تعالى كما قال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ۝١٠﴾ [فاطر] الآية، [وما يترتب على ذلك العمل - وهو ثواب الله تعالى - هو جناها].

ووصف هذه الشجرة بأوصاف: الأول قوله «طيبة» أي: كريمة المنبت، والأصل في الشجرة [أن تكون] لذيذة في الطعم. الثاني: رسوخ أصلها وذلك يدلّ على تمكّنها وأنّ[2] الرياح لا تقصفها فهي بطيئة الفناء. الثالث: علوّ فرعها وذلك يدلّ على تمكّن الشجرة ورسوخ عروقها وعلى بعدها عن عفونات الأرض وعلى صفائها من الشوائب. الرابع: ديمومة[3] وجود ثمرتها وحضورها في كل الأوقات. والحين في اللغة: قطعة من الزمان.

والكلمة الخبيثة: هي كلمة الكفر. والظاهر أن التشبيه وقع بشجرة غير معيّنة إذا وجدت منها هذه الأوصاف.

ومعنى ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ أي: اقتطعت جثّتها بنزع الأصول وبقيت في غاية الوهي والضعف فيقلبها[4] أقل ريح، فالكافر يرى أن بيده شيئاً، ولا يستقر، ولا يغني عنه شيئاً. «ما لها من قرار» أي: استقرار، يقال:

---

(١) ق: قول.

(٢) ق: فأن.

(٣) ق: ديموميّة.

(٤) ق: فيقبلها.

قرّ[١] الشيء [٣٠٥/ب] قراراً: ثبت ثباتاً. وهذا النوع من المجاز هو من تشبيه المعقول بالمحسوس.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ﴾ بدأ بحال المؤمن، وتثبيتُه في الدنيا كونه لو فُتن عن دينه في الدنيا لثبت[٢] عليه وما زال، كما جرى لأصحاب الأخدود.

ثم ذكر حال الكافر بقوله «ويضلّ الله الظالمين».

ولمّا ذكر تعالى ما فعل بكل واحد من القسمين، ذكر أنه لا يمكن اعتراض [عليه] فيما خصّ به كلّ واحد منهما، إذ ذاك راجع إلى مشيئته تعالى فقال «ويفعل الله ما يشاء» لا يُسأل عمّا يفعل.

﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾. «الذين بدّلوا» ظاهره أنه عامّ في جميع المشركين. وسأل ابن عباس عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فقال: هما الأفجران[٣] من قريش أخوالي - أي: بني مخزوم، فاستُؤصلوا ببدر - وأعمامك، أي: بني أميّة. وبدّل: يتعدى إلى اثنين أحدهما بالباء أو ما جرى مجراها. وقد تُحذف الباء، وهي هنا محذوفة تقديره: بنعمة الله، أي: بشكر نعمة الله، وتقدّم الكلام على مثل ذلك في قوله ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة].

«وأحلّوا قومهم دار البوار» أي: دار الهلاك.

و«جهنم» بدل من قوله «دار البوار». والمخصوص بالذّم محذوف

---

(١) ق: قرا.

(٢) ق: أثبت.

(٣) ق: الأبجران.

تقديره: وبئس القرار هي، أي: جهنم.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: زادوا إلى كفر نعمته أن[1] صيّروا له أنداداً، وهي الأصنام التي اتّخذوها آلهة من دون الله تعالى. والظاهر أنّ اللام لام الصيرورة والمآل، لما كانت نتيجة جَعْل الأنداد آلهة آل إلى الضلال. والأمر بالتّمتع أمْرُ تهديد ووعيد.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى حال الكفار وكُفْرهم نعمته وجَعْلَهم له أنداداً وتهدَّدهم، أمَرَ المؤمنين بلزوم الطاعة والتّيقظ لأنفسهم، والتزام عمودي الإسلام الصلاة والزكاة قبل مجيء يوم القيامة. ومعمول «قل» محذوف تقديره: أقيموا الصلاة، و«يقيموا» جواب لهذا الأمر المحذوف، وعلامة الجزم فيه حذف النون.

قال ابن عطية: ويظهر أن المقول[2] هو الآية التي بعدُ، أي: قوله «الله الذي خلق السماوات والأرض» انتهى.

وهذا الذي ذهب إليه من كون معمول القول هو «الله الذي خلق» الآية،

---

(١) ق: أي.

(٢) ق: القول.

تفكيك للكلام يخالفه ترتيب التركيب، ويكون قوله «يقيموا الصلاة» كلاماً مفلتاً من القول ومعموله، [أو يكون جواباً فُصل به بين القول ومعموله]. ولا يترتب أن يكون جواباً لأن قوله تعالى «الله الذي خلق السماوات والأرض» لا يستدعي إقامة الصلاة والإنفاق إلا بعد تقدير بعيد جدًّا. وتقدّم الكلام على قوله «لا بيع فيه» في البقرة[1].

ولمّا أطال الكلام في وصف أحوال السّعداء والأشقياء، ختم وصفه بالدلائل الدالّة على وجود الصانع فقال «الله الذي خلق السماوات» الآية، وذكر أنواعاً من الدلائل فذكر أولاً إبداعه وإنشاءه السماوات والأرض، ثم أعقب بباقي الدلائل وأبرزها في جملة مستقلّة ليدلّ وينبّه على أنّ كل جملة منها مستقلّة في الدّلالة، ولم يجعل متعلّقاتها معطوفات عطف المفرد على المفرد. و«الله» مرفوع على الابتداء و«الذي» خبره.

قال ابن عطية: ويجوز أن تكون [«مِن»] لبيان الجنس، كأنه قال: فأخرج به رزقاً لكم هو الثمرات.

وهذا ليس بجيّد، لأنّ مِن التي لبيان الجنس إنما تأتي بعد المبهم الذي بيّنته.

قال الزمخشري[2]: ويجوز أن يكون «من الثّمرات» مفعول «أخرج»، و«رزقاً» حالاً من المفعول أو نصباً على المصدر من «أخرج» لأنه في معنى رزق. وقيل «مِن» زائدة انتهى.

هذا لا يجوز عند جمهور البصريين، لأن ما قبلها واجب وبعدها معرفة،

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٥٤ من البقرة.

(٢) الكشاف ٢: ٣٧٩.

ويجوز عند الأخفش.

[٣٠٦/أ] وانتصب «دائبين» على الحال، والمعنى: يدأبان في سيرهما وإنارتهما وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات.

والضمير [المنصوب] في «سألتموه» عائد على «ما» وهي موصولة بمعنى الذي. والذي يظهر أن النّعمة هو المنعَم به وأنه هو اسم جنس لا يُراد به الواحد بل يراد به الجمع كأنه قيل: وإن تعدّوا نعم الله.

ومعنى «لا تحصوها» لا تحصروها ولا تطيقوا عدّها.

والمراد بالإنسان هنا الجنس أي: توجد فيه هذه الخلال وهي الظّلم والكفر؛ يظلم النعمة بإغفال شكرها، ويكفرها بجحدها. وجاء في النحل ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ وجاءت مختتمة بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل] وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر التعجّب من الذين بدّلوا نعمة الله كفراً، وجعلوا لله أنداداً وهم قريش ومن تابعهم من

العرب الذين اتخذوا من دون الله آلهة، وكان من نعمه تعالى عليهم إسكانهم حرمه - أردف ذلك بذكر أصلهم إبراهيم وأنّه صلوات الله وسلامه عليه دعا الله تعالى أن يجعل مكّة آمنة، ودعا بأن يجنّب بنيه عبادة الأصنام[1].

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ كقوم نوح. «فمن تبعني» أي: على ديني وما أنا عليه. «فإنه مني» جعله بعضَه لفرط الاختصاص به وملابسته له. «ومن عصاني» هذا فيه طباق معنوي لأن التبعيّة طاعة. «فإنك غفور رحيم» معناه لمن عصاه لغير الشرك.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ الآية، كرّر النداء رغبة في الإجابة وإظهار التذلّل والالتجاء إلى الله تعالى. وأتى بضمير جماعة المتكلّمين، لأنه تقدّم ذكره وذكر بنيه في قوله ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ ۝٣٥﴾ [إبراهيم].

و«من ذريتي» هو إسماعيل ومن ولد منه. وذلك أن هاجر لمّا ولدت إسماعيل، غارت منها سارة، فروي أنه ركب البُراق هو وهاجر والطفل، فجاء في يوم واحد من الشام إلى بطن مكّة، فنزل وأنزل ابنه وأَمَتَه هنالك، وركب منصرفاً من يومه ذلك، وكان هذا كلّه بوحي من الله تعالى. فلما ولّى دعا بما في ضمن هذه الآية. و«مِن» للتبعيض لأن إسحاق كان بالشام. والوادي: ما بين الجبلين وليس من شرطه أن يكون فيه ماء، وإنما قال «غير ذي زرع» لأنه كان علم أنّ الله لا يضيّع هاجر وابنها في ذلك الوادي، وأنه يرزقهما الماء.

«ليقيموا» متعلق بـ«أسكنت». و«ربّنا» دعاء معترض. والمعنى أنه لا يخلو

(١) ق: الأرض.

هذا البيت المعظم من العبادة، و«مِن» للتبعيض.

قال الزمخشري[1]: «بواد» هو وادي مكة. «غير ذي زرع» لا يكون فيه شيء من زرع قطّ كقوله ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ۝٢٨﴾ [الزمر] بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه إلا استقامة لا غير انتهى.

استعمل قطّ وهو ظرف لا يستعمل إلا مع الماضي معمولاً لقوله: لا يكون، وهو ليس ماضياً. وهو مكانَ: أبداً الذي يستعمل فيه مع غير الماضي من المستقبلات.

و«أفئدة» هو على حذف مضاف تقديره: ذوي أفئدة من الناس. [وأصل الهُوِيّ أن يكون من علوّ.

قال الزمخشري[2]: ويجوز أن تكون «مِن» للابتداء كقولك: القلب مني سليم، تريد: قلبي، فكأنه قيل: أفئدة ناس. وإنّما نكّرت المضاف إليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة، لأنها في الآية نكرة ليتناول[3] بعض الأفئدة انتهى.

لا يظهر كونها لابتداء الغاية، لأنه ليس لها فعل يُبتدأ به لغاية ينتهي إليها؛ إذ لا يصحّ ابتداءَ جَعْلُ الأفئدة من الناس].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ الآية، كرّر النداء للتضرّع والالتجاء، ولا يظهر تفاوت بين إضافة «ربّ» إلى ياء المتكلم وبين إضافته إلى جمع المتكلّم.

(١) الكشاف ٢: ٣٨٠.

(٢) الكشاف ٢: ٣٨٠.

(٣) ق: لتناول.

و«ما نخفي وما نعلن» عامّ فيما يخفونه ويعلنونه، ثم أتى بأعمّ منه وهو قوله تعالى «وما يخفى على الله من شيء».

والظاهر أن هذه الجمل التي تكلّم بها إبراهيم عليه السلام لم تقع منه في زمان واحد، وإنّما [٣٠٦/ب] حكى الله تعالى عنه ما وقع منه في أزمان مختلفة، يدلّ على ذلك أن إسحاق لم يكن موجوداً حالة دعائه إذ ترك هاجر والطفل بمكة. والظاهر أن حَمْده الله تعالى على هبة ولديه كان بعد وجود إسحاق. و«على الكبر» يدلّ على مطلق الكبر، ولم يتعيّن لتُعَيَّن المدةُ التي وُهب له فيها ولداه. وروي أنه وُلد [له] إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد له إسحاق وهو ابن مئة واثنتي عشرة سنة.

قال الزمخشري[1]: ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله، ويجعل دعاء الله سميعاً على الإسناد المجازي والمراد سماع الله، انتهى. هذا بعيد لاستلزامه أن يكون من باب الصفة المشبّهة، والصفة متعدّية، ولا يجوز ذلك إلا عند أبي علي الفارسي حيث لا يكون لبس، وأمّا هنا فاللبس حاصل؛ إذ الظاهر أنه من إضافة المثال للمفعول لا من إضافته إلى الفاعل. وإنما أجاز ذلك الفارسي في مثل: زيد ظالم العبيد، إذا علم أن له عبيداً ظالمين.

والظاهر أن إبراهيم عليه السلام سأل[2] المغفرة لأبويه القريبين وكانت أمّه مؤمنة وكان والده لم ييأس من إيمانه، ولم يتبين له عداوة الله تعالى.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ

(١) الكشاف ٢: ٣٨١.

(٢) ق: سأل.

هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا ﴾ الآية، الخطاب بقوله «ولا تحسبنّ» للسامع الذي يمكن منه حسبان مثل هذا، لجهله بصفات الله تعالى، لا للرسول عليه السلام، لأنه مستحيل ذلك في حقّه. وفي هذه الآية وعيد عظيم للظالمين.

ومعنى «مهطعين» مسرعين. ومعنى «مقنعي رؤوسهم» وجوه الناس يومئذ إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد.

ومعنى «أفئدتهم هواء» أي: اضطراب أفئدتهم وجيشانها في الصدور، وأنها تجيء وتذهب وتبلغ على ما رُوي حناجرهم، فهي في ذلك كالهواء الذي هو أبداً في اضطراب. وحصول هذه الصفات الخمس للظالمين قيل عند المحاسبة، بدليل ذكرها عقيب قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم].

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ الآية، هذا خطاب لرسول الله ﷺ. و«يوم» منصوب على أنه مفعول ثانٍ «لأنذر» ولا يصحّ أن يكون ظرفاً، لأن

ذلك اليوم ليس بزمان الإنذار وهذا اليوم هو يوم القيامة.

«وأنذر الناس» الظالمين، وبيّن ذلك قوله «فيقول الذين ظلموا» لأن المؤمنين يُبشَّرون ولا يُنذَرون.

«أوَلم تكونوا» هو على إضمار القول، والظاهر أن التقدير: فيقال لهم، والقائل الملائكة أو الباري تعالى. يُوبَّخون ويُذكَّرون بذلك مقالتهم في إنكار البعث وإقسامهم على ذلك كما قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل].

قال الزمخشري[1]: «أولم تكونوا أقسمتم» على إرادة القول وفيه وجهان: أن يقولوا ذلك بطراً وأشراً ولِمَا استولى عليهم من عادة الجهل والسّفه، وأن يقولوه[2] بلسان الحال حيث بَنَوْا شديداً وأمّلوا بعيداً. و«ما لكم» جواب القسم، وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله «أقسمتم» ولو حكى لفظ المُقْسِمين لقال: ما لنا من زوال. والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزولون بالموت والفناء، وقيل: لا تنتقلون إلى دار أخرى انتهى.

جَعْلُ الزمخشري «أوَ لم تكونوا» محكيًا بقولهم مخالف لما قدّمناه. وقوله: لا تزولون بالموت والفناء ليس بجيد؛ لأنهم مُقرّون بالموت والفناء، وقيل: هو قول مجاهد. ومعنى «ما لكم من زوال» من الأرض بعد الموت أي: لا نُبعث من القبور.

«وسكنتم» إن كان من السكون فالمعنى أنهم قرّوا فيها واطمأنّوا طيّبي النفوس سائرين سيرة مَن [٣٠٧/أ] قَبْلَهم في الظلم والفساد، لا يحدثونها

(١) الكشاف ٢: ٣٨٣.

(٢) ق: يقولوا.

بما لقي الظالمون قبلهم.

«وتبيّن لكم» بالخبر والمشاهدة ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام.

«وضربنا لكم الأمثال» أي: صفات ما فعلوا وما فُعل بهم وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾ الآية، الظاهر أن الضمير في «مكروا» عائد على المخاطَبين في قوله ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم]، أي: مكروا بالشرك بالله تعالى وتكذيب الرسل. ومعنى «مكرهم» المكر العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم. والظاهر أن هذا إخبار من الله تعالى لنبيّه بما صدر منهم[1] في الدنيا وأنه[2] ليس مقولاً في الآخرة. والظاهر إضافة «مكرهم» وهو المصدر إلى الفاعل كما هو مضاف في الأول [إليه] كأنه قيل: وعند الله [ما] مكروا، أي: مكرهم.

وقال الزمخشري[3]: أو يكون مضافاً إلى المفعول على معنى: وعند الله مكرهم الذي يمكرهم [به] وهو عذابهم الذي يستحقّونه، يأتيهم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون انتهى.

هذا لا يصح إلا إن كان «مَكَرَ» يتعدّى بنفسه كما قدّر هو: يمكرهم به. والمحفوظ أنّ مكر[4] [لا] يتعدّى إلى مفعول بنفسه، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال] ولا يُحفظ: زيد ممكور، وإنما يقال:

(١) ق: منه.

(٢) ق: ولأنه.

(٣) الكشاف ٢: ٣٨٣.

(٤) ق: مكره.

ممكور[١] به.

وقرىء: لَتزولُ، بفتح اللام الأولى وضمّ الثانية، ولِتزولَ، بكسر اللام الأولى وفتح الثانية.

والذي [يظهر أنّ] زوال الجبال مجاز، ضُرب مثلاً لمكر قريش وعِظَمه، والجبال لا تزول. وهذا من باب الغلوّ والإيغال والمبالغة في ذمّ مكرهم.

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ هذا الوعد هو قوله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر]. «إن الله عزيز» لا يمتنع عليه شيء ولا يُغالَب. «ذو انتقام» من الكفرة لا يعفو عنهم.

والتبديل يكون في الذات أي: تزول ذات وتجيء أخرى، ومنه ﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء]، ﴿ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [سبأ]. ويكون في الصفات كقولك: بدّلت الحلقة خاتماً، فالذات لم تفقد لكنها انتقلت من شكل إلى شكل. واختلفوا في التبديل هنا أهو في الذات أو هو في الصفات وقال ابن عباس: تُمَدّ كما يُمَدّ الأديم وتُزال عنها جبالها وآكامها وشجرها وجميع ما فيها حتى تصير مستوية ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه]. وتُبدّل[٢] السماوات بتكوير شمسها وانتثار[٣] كواكبها وانشقاقها وخسوف قمرها.

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ «مقرنين» مشدودين في القرن أي: مقرون بعضهم مع بعض في القيود والأغلال. والظاهر تعلّق «في

---

(١) ق: منكور، في الموضعين.

(٢) ق: وينذر.

(٣) ق: انتشار.

الأصفاد» بقوله[١] «مقرّنين» [أي]: يقرّنون في الأصفاد.

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ السرابيل: القمص، فيجمع عليهم الأربع: لذع القطران وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوَحِش[٢]، ونتن الرّيح.

﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ ﴾ متعلق بقوله ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم]، و«ترى المجرمين» جملة معترضة بينهما.

و«كل نفس» عامٌّ في الطائعة والعاصية.

«ما[٣] كسبت» في حياتها من طاعة ومعصية فيثيب الطائعة ويعاقب العاصية.

«إن الله سريع الحساب» [تقدم شرحه[٤]].

والإشارة «بهذا» إلى ما ذكره تعالى من قوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا ﴾ إلى قوله ﴿ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[٥]]. ومعنى «بلاغ» كفاية في الوعظ والتذكير. فالإشارة «بهذا» إلى إعلام الله تعالى بما يجزي في الآخرة.

«ولينذَروا» وما بعده متعلق بمحذوف يدلّ عليه ما تقدّم، تقديره: فأعلَمْنا

---

(١) ق: لقوله.

(٢) ق: والوحش.

(٣) ق: بما.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٠٢ من البقرة، والآية ١٩، ١٩٩ من آل عمران، والآية ٤ من المائدة.

(٥) الآيات ٤٢ - ٥١ المتقدمة.

به ليُنذَروا به. «وليعلموا أنما هو» الضمير في «هو» عائد على الله تعالى، هو المتصرّف في ذلك اليوم وغيره وهو المتوحّد بالألوهية.

[٣٠٧/ب] «وليذّكر أولو الألباب» هم أرباب العقول.

سورة الحجر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾﴾.

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر في آخر السورة قبلها أشياء من أحوال القيامة، من تبديل السماوات والأرض وأحوال الكفار في ذلك اليوم، وأنّ ما أتى به على حسب التبليغ والإنذار - ابتدأ في هذه السورة بذكر القرآن الذي [هو] بلاغ للناس وأحوال الكفرة ووِدادتهم.

و«تلك» إشارة إلى ما تضمّنته السورة من الآيات.

والكتاب والقرآن المبين: السورة. وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى: تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وأي قرآن مبين، كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان.

والظاهر أن «ما» في «ربما» مهيّئة، وذلك أنها من حيث هي حرف جر

---

(١) مكية وهي تسع وتسعون آية.

على خلاف فيه، لا يليها إلا الأسماء، فجيء «بما» مهيّئة لمجيء الفعل بعدها. وفي ربّ لغات وأحكام ذكرت في النحو، وعلى كثرة مجيء ربّ في كلام العرب، لم تجىء في القرآن إلا في هذا الموضع. وقد اختلفوا أتفيد التقليل أم التكثير، والذي يظهر أن ذلك يفهم من سياق الكلام لا من وضعها. ومثال هذا التركيب القرآني قوله[1]: [من الخفيف]

ربّما تكره النفوس من الأمـ ــر له فرجة كحلّ العقال

و«ما» مهيئة لمجيء الفعل بعدها ودعوى أنها نكرة موصوفة بَعيدٌ كتأويل من قال: ربّ شيء تودّه، وحذف الضمير العائد على شيء. وأكثر ما يأتي الفعل بعدها ماضياً كقول الشاعر[2]: [من المديد]

ربّما أوفيتُ في عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثوبي شَمالاتُ

وقد جاء مستقبلاً فقال سليم القشيري[3]: [من الطويل]

ومعتصمٍ بالحيّ من خشية الرّدى سيردى وغازٍ مشفقٍ سيؤوبُ

«فيودّ» مستقبل لا يحتاج إلى تأويله بمعنى ودّ. وكثر مجيء «لو» بعد ودّ ينسبك منها مصدر تقديره: [أن] لو كانوا مسلمين [أي: كونَهم مسلمين. ومن لم يثبت أنّ لو حرف مصدري يتأوّل مفعولاً محذوفاً لودّ وجواباً للو، فيقدّر: يودّ الذين كفروا الإسلام لو كانوا مسلمين] لينجوا بذلك.

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا﴾ أمْرُ تهديد لهم ووعيد، أي: ليسوا ممّن يرعوي عما

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص٣٦٠.

(٢) البيت لجَذيمة الأبرص، وهو من شواهد الكتاب ٣: ٥١٨.

(٣) البيت في شرح أبيات المغني ٣: ٢٠٤.

هو فيه من الكفر والتكذيب، ولا ممّن تنفعه النّصيحة والتذكير، فهم إنّما حظّهم حظّ البهائم من الأكل والتّمتع بالحياة الدنيا، والأمل في تحصيلها هو الذي يلهيهم[1] ويشغلهم عن الإيمان بالله تعالى وبرسوله.

وفي قوله «يأكلوا ويتمتّعوا» إشارة إلى أن التلذّذ والتنعم وعدم الاستعداد للموت والتأهب له ليس من أخلاق من يطلب النجاة من عذاب الله تعالى.

«فسوف يعلمون» تهديد ووعيد أي: فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وما يؤولون إليه في الدنيا من الذلّ والقتل والسّبي، وفي الآخرة من العذاب السّرمدي.

ولمّا توعّدهم بما يحلّ بهم أردف ذلك بما يُشعر بهلاكهم، وأنه لا يُستبطأ، فإنّ له أجلاً لا يتعدّاه. والمعنى: من أهل قرية كافرين. والظاهر أن المراد بالهلاك هلاك الاستئصال مكذّبي الرسل وهو أبلغ في الزّجر.

و«من قرية» مفعول «أهلكنا» و«مِن» لاستغراق الجنس. «ولها كتاب معلوم» جملة حاليّة.

و«من» زائدة تفيد استغراق الجنس أي: ما تسبق أمّة. وأنّث «أجلها» على لفظ «أمة»، وجمع وذكّر في «وما [٣٠٨/أ] يستأخرون» حملاً على المعنى، وحذف: عنه، لدلالة الكلام عليه.

قال الزمخشري[2]: الجملة واقعة صفة «القرية» والقياس أن لا تتوسّط الواو بينهما كما في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا

---

(١) ق: يليهم.

(٢) الكشاف ٢: ٣٨٧.

﴿مُنذِرُونَ ۝٢٠٨﴾ [الشعراء] وإنما توسّطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني زيد وعليه ثوب انتهى.

ووافقه على ذلك أبو البقاء فقال[١]: الجملة نعت «القرية» كقولك: ما لقيت رجلاً إلاّ عالماً، وقد ذكرنا حال الواو في مثل هذا في البقرة في قوله ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۝٢١٦﴾ [انتهى].

وهذا الذي قاله الزمخشري وتبعه فيه أبو البقاء لا نعلم أحداً قاله من النحويين، وهو مبني على أنّ ما بعد «إلاّ» يجوز أن يكون صفة، وقد منعوا ذلك.

قال الأخفش: لا يُفصل بين الصفة والموصوف بإلاّ[٢]. ثم قال: ونحو: ما جاءني رجل إلاّ راكب، تقديره: إلاّ رجل راكب، وفيه قبح لجعل الصفة كالاسم.

وقال أبو علي الفارسي: تقول: ما مررت بأحدٍ إلاّ قائماً، قائماً: حال من أحد، ولا يجوز، إلاّ قائمٍ، لأنّ إلاّ لا تعترض بين الصفة والموصوف.

وقال ابن مالك - وقد ذكر ما ذهب إليه الزمخشري من قوله في نحو: ما مررت بأحدٍ إلاّ زيد خير منه: إن الجملة بعد إلاّ صفة لأحد - إنه مذهب لم يُعرف لبصري ولا كوفي فلا يُلتفت إليه. وأبطل ابن مالك قول الزمخشري: إنّ الواو توسّطت لتأكيد لصوق الصفة [بالموصوف].

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ

---

(١) إملاء ٢: ٧٢.

(٢) ق: بالاسم.

إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ الآية، قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أمية والنضر بن الحارث ونوفل بن خويلد والوليد بن المغيرة. وهذا الوصف بأنه الذي نُزّل عليه الذّكر قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف، لأنهم لا يقرّون بتنزيل الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون، وهذا كقول فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء] إذ لو كان مؤمناً برسالة موسى عليه السلام ما أخبر عنه بالجنون.

ثم اقترحوا عليه أن يأتيهم بالملائكة شاهدين بصدقك وبصحة دعواك وإنذارك كما قال ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان]، أو معاقبين على تكذيبك كما كانت باقي الأمم المكذّبة. و«لوما» حرف تحضيض بمعنى هلاّ.

وقرىء: ما تَنَزَّلُ، بشدّ التاء، أصله تتنزّل فأدغم التاء في التاء.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الظاهر أن معناها كما يجب وبحقٍّ[1] من الوحي والمنافع التي أراها الله تعالى لعباده، لا على اقتراح كافر ولا باختيار معترض. ثم ذكر

---

(١) ق: كما تحبّ ويحقّ.

عادة الله تعالى في الأمم من أنه لم يأتهم[١] بآية اقتراح إلاّ ومعها العذاب في إثرها إن لم يؤمنوا، فكأنّ الكلام: ما تنزّل الملائكة إلا بحقّ لا باقتراحكم، وأيضاً فلو نزّلت لم تُنْظَروا بعد ذلك [بالعذاب] أي: تُؤخَّروا، المعنى. وهذا لا يكون إذ كان في علم الله تعالى أنّ منهم من يؤمن ويلد من يؤمن.

﴿وَإِنَّا[لَهُۥ]لَحَٰفِظُونَ﴾ أي: حافظون له من الشياطين وفي كل وقت تكفّل تعالى بحفظه فلا تعتريه زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل، بخلاف غيره من الكتب المتقدمة فإنه تعالى لم يتكفّل بحفظها[٢]، بل قال تعالى إن الرّبانيين والأحبار استحفظوها ولذلك وقع فيها الاختلاف. وحفظه إياه دليل على أنه من عنده تعالى؛ إذ لو كان من قول البشر لتطرّق إليه ما تطرّق لكلام البشر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى استهزاء الكفار [به] ونسبته إلى الجنون واقتراح نزول الملائكة، سلّاه تعالى بأن من أُرسل من قبلك كان ديدن المُرسل إليهم مثل ديدن هؤلاء معك. وتقدم تفسير [٣٠٨/ب] الشّيع في أواخر الأنعام[٣]. ومفعول «أرسلنا» محذوف أي: أرسلنا من قبلك رسلاً.

قال الزمخشري[٤]: «وما يأتيهم» حكاية حال ماضية لأنّ «ما» لا تدخل على مضارع إلا وهو في موضع الحال، ولا على ماضٍ إلا وهو قريب من الحال انتهى.

---

(١) ق: يأتيهم.

(٢) ق: حفظها.

(٣) انظر تفسير الآية ١٥٩ من الأنعام.

(٤) الكشاف ٢: ٣٨٨.

هذا الذي ذكره هو قول الأكثرين أنّ[1] «ما» تخلص المضارع للحال وتعيّنه. وذهب غيره إلى أنّ «ما» يكثر دخولها على المضارع مراداً به الحال، وتدخل عليه مراداً به الاستقبال، وأنشد شاهداً على ذلك قول أبي ذؤيب[2]: [من الكامل]

أودى بَنِيَّ وأودعوني حسرةً   عند الرّقاد وعَبْرَةً ما تُقْلِعُ

وقال الأعشى يمدح رسول الله ﷺ[3]: [من الطويل]

له نافلات ما يغبّ نوالها   وليس عطاء اليوم مانعه غدا

وقال تعالى ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ ﴿١٥﴾﴾ [يونس].

﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الظاهر عود الضمير على الاستهزاء المفهوم من قوله «يستهزئون». والباء في «به» للسبب. والمجرمون هنا كفار قريش ومن دعاهم الرسول إلى الإيمان.

و﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ إن كان إخباراً مستأنفاً فهو من العامّ المراد به الخصوص فيمن حتم عليه، إذ قد آمن من عالم ممّن كذّب الرسول عليه السلام، فقد خلت سنة الأولين في تكذيبهم رسلهم أو في إهلاكهم حين كذبوا رسلهم واستهزؤوا بهم، وهو تهديد لمشركي قريش.

والضمير في «عليهم» عائد على المشركين وذلك لفرط تكذيبهم وبُعدهم

---

(١) ق: أي.

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٢.

(٣) ديوانه ص١٧٣.

عن الإيمان حتى ينكروا ما هو مشاهد بالأعين محسوس مماسّ بالأجساد بالحركة والانتقال. وهذا بحسب المبالغة التامة في إنكار الحق.

والظاهر أن الضمير في «فظلّوا» عائد على من عاد عليه في قوله «عليهم»، أي: لو فُتح عليهم باب من السماء وجُعل لهم معراج يصعدون فيه لقالوا هو شيء نتخيّله لا حقيقة له وقد سُحرنا بذلك. وقد جاء لفظ «فظلّوا» مشعراً بحصول ذلك في النهار ليكونوا مستوضحين لما عاينوا.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ لمّا ذكر تعالى حال منكري النبوّة، وكانت مفرّعة على التوحيد، ذكر دلائله السماوية وبدأ بها ثم أتبعها بالدلائل الأرضية.

والبروج: جمع برج. وقال ابن عيسى الرّماني: البروج اثنا عشر برجاً: الحَمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الشمس والقمر. والظاهر أن الضمير في «وزيّناها» عائد على البروج لأنها المحدَّث عنها والأقرب في اللفظ، وقيل على «السماء» وهو قول الجمهور. وخص بالناظرين لأنها من المحسوس التي لا تُدرَك إلا بنظر العين، ويجوز أن يكون من نظر القلب لما

فيها من الزّينة المعنوية وهو ما فيها من حسن[١] الحكم وبدائع الصنع وغرائب القدرة.

والضمير في «وحفظناها» عائد على [السماء] ولذلك قال الجمهور إنّ الضمير في «وزيّنّاها» عائد على «السماء» حتى لا تختلف الضمائر. وحِفْظ السماء هو بالرّجم بالشهب على ما تضمّنتّه الأحاديث الصحاح.

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ الآية، ومعنى «مددناها» بسطناها ليحصل بها الانتفاع لمن حلّها. ولمّا كانت هذه الجملة تقدّمها جملة فعلية كان النصب على الاشتغال أرجح من الرفع على الابتداء، فلذلك نصب «الأرض». والرواسي: الجبال، والظاهر أن الضمير في «فيها» عائد على الأرض الممدودة. وقال [٣٠٩/أ] ابن عباس: «موزون» مقدور بقدر.

وتقدّم تفسير المعايش في الأعراف[٢]. والظاهر أنّ «مَن» لمن يعقل[٣] ويراد به العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون، فإن الله هو الرازق يرزقهم وإياكم. «ومن» مجرور معطوف على الضمير في «لكم»، وحسّن العطف الفصل بينهما بقوله «فيها معايش». أو يدخل معهم ما لا يعقل بحكم التغليب كالأنعام والدّواب وما بتلك المثابة ممّا الله تعالى رازقه وقد سبق إلى ظنّهم أنهم هم الرازقون لهم.

وتقدم شرح الخزائن[٤]، و«وإن» نافية و«مِن» زائدة. والظاهر أن

---

(١) ق: جنس.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠ من الأعراف.

(٣) ق: لمن لا يعقل.

(٤) انظر تفسير الآية ٥٠ من الأنعام.

المعنى: وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، فيكون الخزائن وهي ما تحفظ فيه الأشياء مستعارة من المحسوس الذي هو الجسم إلى المعقول.

و«لواقح» جمع لاقح، يقال: ريح لاقح جائيات بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير بل بشرّ: ريح عقيم.

و«المستقدمين» قال ابن عباس: الأموات. و«المستأخرين» الأحياء.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ فيه التفات وخروج من ضمير العظمة للواحد إلى الاسم الظاهر تنبيهاً على أن المتّصف بتلك الأفعال السابقة هو ربك المالك لك والناظر في مصلحتك، وهو توكيد للفظ الربّ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ

أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ الآية، لمّا نبّه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة إلى ما يستقرون فيه - نبّههم على مبدأ أصلهم وهو آدم عليه السلام وما جرى لعدوّه إبليس من المحاورة مع الله تعالى. وتقدّم شيء من هذه القصة في أوائل البقرة[1] عقب ذكر الإماتة والإحياء والرجوع إليه تعالى، وفي الأعراف[2] بعد ذكر يوم القيامة وذكر الموازين فيه، وفي الكهف[3] بعد ذكر الحشر، وكذا في سورة ص[4] بعد ذكر ما أعدّ من الجنّة والنار لخلقه. فحيث ذكر منتهى هذا الخلق ذكر مبدأهم وقصته[5] مع إبليس ليحذّرهم من كيده ولينظروا ما جرى له معه حتى أخرجه من الجنّة التي هي مقرّ السعادة والراحة إلى الأرض التي هي مقرّ التكليف والتعب[6] فيحترزوا من كيده.

والصلصال: قال أبو عبيدة: الطين إذا خُلط بالرمل وجفّ. والحمأ: طين أسود منتن واحده حَمَأة بتحريك الميم.

وقال ابن عباس: المسنون: الرطب ومعناه المصبوب، لأنه لا يكون

(١) انظر تفسير الآية ٣٤ وما بعدها من البقرة.
(٢) انظر تفسير الآية ١١ وما بعدها من الأعراف.
(٣) انظر تفسير الآية ٥٠ من الكهف.
(٤) انظر تفسير الآية ٧١ وما بعدها من ص.
(٥) ق: وقضيته.
(٦) ق: والبعث.

مصبوباً إلا وهو رطب فكنّى عن المصبوب بوصفه لأنه[١] موضوع [له].

و«السموم» قال ابن عباس: الريح الحارّة التي تقتل. وعنه: نار لا دخان لها ومنها تكون الصواعق.

ومعنى ﴿سَوَّيْتُهُ﴾ أكملت خَلْقَهُ. والتسوية عبارة عن الإتقان وجعل أجزائه مستوية فيما خلقت له.

«ونفخت فيه من روحي» أي: خلقت الحياة فيه. ولا نفخ هناك ولا منفوخ حقيقة وإنّما تمثيل لتحصيل ما يجيء به فيه. وإضافة الروح إليه تعالى على سبيل التشريف نحو: بيت الله وناقة الله، أو المُلْك إذ هو المتصرّف في الإنشاء للرّوح والمُوْدِعُها حيث يشاء.

«فقعوا له ساجدين» أي: اسقطوا على الأرض.

وحرف الجر محذوف من «أن» أي: مالك في أن لا تكون وأي داعٍ دعا بك إلى إبائك السجود؟.

و«لأسجد» اللام[٢] لام الجحود. والمعنى: لا يناسب حالي السجود له. وفي البقرة[٣] نبّه على العلّة المانعة له وهي الاستكبار أي: رأى نفسه أكبر من أن يسجد. وفي الأعراف[٤] صرّح بجهة الاستكبار وهي ادّعاء الخيريّة والأفضلية، بادّعاء المادة المخلوق منها كلّ منهما .. وهنا نبّه على مادّة آدم

---

(١) ق: لا أنه.

(٢) ق: واللام.

(٣) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

(٤) ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف]. وانظر تفسير الآيتين.

[٣٠٩/ب] وحده. وهنا «فاخرج منها» وفي الأعراف «فاهبط منها». وتقدّم ذكر الخلاف فيما يعود [عليه] ضمير «منها».

و﴿ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ «ما» مصدرية. وهنا أقسم بالإغواء وفي مكان آخر قال ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص] فيكون ذلك في محاورتين. و«لأزيّنَنّ» جواب القسم. و«لهم» ضمير يعود على ما يُفهم من الكلام وهم ذرية آدم عليه السلام.

﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ ﴾ الإشارة بهذا إلى ما تضمّنه «المخلَصين» من المصدر أي: الإخلاص الذي يكون في عبادي هو صراط مستقيم لا يسلكه أحد فيضلّ أو يزلّ، لأنّ من اصطفيته أو أخلص لي بالعمل لا سبيل لك عليه. ولمّا قسم إبليس ذرّية آدم إلى غاوٍ ومخلص قال تعالى: هذا أمر مصيره إلي. ووصفه بالاستقامة إذ هو حقّ، وصيرورتهم إلى هذين القسمين ليس لك. والعرب تقول: طريقك في هذا الأمر على فلان، أي: إليه يصير النظر في أمرك. وقرأ الجمهور: عليَّ، جارّاً ومجروراً ويتعلق بقوله «مستقيم» أي: [مستقيم] على إرادتي وحكمي. وقرأ يعقوب على وزن فَعِيل[1]، وهو صفة لقوله «صراط».

والإضافة في قوله «إن عبادي» إضافة تشريف أي: إن المختصّين بعبادتي. وعلى هذا لا يكون قوله «إلاّ من اتّبعك» استثناءً متصلاً، بل يكون منقطعاً بمعنى: لكن من اتّبعه لم يندرج في قوله «إنّ عبادي». وإن كان أريد «بعبادي» عموم الخلق فيكون «إلا من اتّبعك[2]» استثناءً متّصلاً لاندراجه في عموم العباد. و«مِن» في قوله «من الغاوين» لبيان الجنس أي: الذين هم الغاوون.

(١) أي: صراط عَلِيٌّ، بمعنى عالٍ.

(٢) ق: تبعك.

و﴿لَمَوۡعِدُهُمۡ﴾ مكان وعد اجتماعهم، والضمير للغاوين.

قال ابن عطية: و«أجمعين» تأكيد وفيه معنى الحال.انتهى.

هذا جنوح لمذهب من يزعم أن «أجمعين» يدل على اتّحاد الوقت، والصحيح أن مدلوله مدلول: كلّهم.

والظاهر أن جهنم هي واحدة و«لها سبعة أبواب» قيل: أعلاها للموحّدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى ما أعدّ لأهل النار، ذكر ما أعدّ لأهل الجنة، ليظهر تباين ما بين الفريقين.

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم﴾ تقدم شرحه في الأعراف[١]. وانتصب «إخواناً» على الحال، وهي حال من الضمير المجرور في «صدورهم» والحال من المضاف نادرة.

وقد تأوّل [أبو البقاء] نصبه على غير الحال من الضمير المجرور[٢].

«على سرر» جمع سرير. و«على سرر» و«متقابلين» حالان. والقعود على السرير دليل على الرفعة والكرامة التامة. وعن ابن عباس: على سرر مكلّلة بالياقوت والزّبرجد والدّر. «متقابلين» متساوين في التواصل والتوادد.

﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ﴾ أي: تعب مما يقاسونه في الدنيا، وإذا انتفى

---

(١) انظر تفسير الآية ٤٣ من الأعراف.

(٢) انظر الإملاء ٢: ٧٥، والبحر ٥: ٤٥٧.

المسّ انتفت الديمومة. واكّد انتفاء الإخراج بدخول الباء في «بمخرجين». و«منها» متعلق «بمخرجين».

ولمّا تقدم ذكر ما في النار وذكر ما في الجنة أكّد تعالى تَنْبِئَة الناس وتقرير ذلك وتمكينه في النفوس بقوله ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾. وناسب ذكر الغفران والرحمة اتصال ذلك بقوله ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر]، وتقديماً لهذين الوصفين العظيمين اللذين وصف بهما نفسه تعالى.

وجاء قوله ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ في غاية اللطف إذ(١) لم يقل على وجه المقابلة: وأني المعذب المؤلم، كل ذلك ترجيح لجهة(٢) العفو والرحمة. وسدّت «أنّ» مسدّ مفعولي «نبّيء» إن قلنا إنها تعدّت إلى ثلاثة، ومسدّ واحد إن قلنا إنها تعدّت إلى [٣١٠/أ] اثنين.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) ق: إن.

(٢) ق: لجملة.

مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية، لما ذكر تعالى ما أعدّ للعاصين من النار وللطائعين من الجنّة، ذكّر العرب بأحوال من يعرفونه ممّن عصى وكذّب الرسل، فحلّ به عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة، ليزدجروا عن كفرهم، وليعتبروا بما حلّ بغيرهم، فبدأ بذكر جدّهم الأعلى إبراهيم عليه السلام وما جرى لقوم ابن أخيه لوط، ثم بذكر أصحاب الحجر وهم قوم صالح ثم بأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب(١).

و«ضيف إبراهيم» هم الملائكة الذين بشّروه بالولد وبهلاك قوم لوط. وتقدّم الكلام عليه في سورة هود(٢). «ونبّئهم» عدّى «نبّئهم» بحرف الجر وهو عن، ولم يذكر لها مفعولاً ولا مفعولين.

و«سلاماً» مقتطع من جملة محكيّة «بقالوا» فليس منصوباً به والتقدير: سَلِمْتَ سلاماً من السلامة، أو سلّمنا سلاماً من التّحية.

وقيل «سلاماً» نعت لمصدر محذوف تقديره: فقالوا قولاً سلاماً.

وتصريحه هنا بأنه وَجِلٌ منهم كان بعد تقريبه إليهم ما أضافهم به وهو

---

(١) جرى ذكر أصحاب الأيكة في الآيات قبل أصحاب الحجر.

(٢) انظر تفسير الآية ٦٩ من هود.

العجل الحنيذ(١)، وامتناعهم من الأكل. وفي هود ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ٧٠﴾ [هود](٢) فيمكن أن هذا التصريح كان بعد إيجاس الخيفة. ويحتمل أن يكون القول هنا مجازاً بأنه ظهرت عليه مخايل الخوف حتى صار كالمصرَّح به القائل.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئناف في معنى التعليل للنّهي عن الوجل، فبشّروه بأمرين أحدهما أنه ذَكَر والثاني وَصْفُه بالعلم على سبيل المبالغة.

واستنكر إبراهيم عليه السلام أن يولد [له] مع الكبر.

و﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ تأكيد استبعاد وتعجّب، وكأنه لم يعلم أنهم ملائكةٌ رسلُ الله تعالى إليه، فلذلك استفهم واستنكر أن يولد له. ولو علم أنهم رسل الله ما تعجّب ولا استنكر ولا سيما وقد رأى من آيات الله عياناً كيف أحيا الموتى.

و﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: باليقين الذي لا لبس فيه.

وقولهم له ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ﴾ نهي، والنهي عن شيء لا يدلّ على تلبّس المنهيّ عنه به ولا بمقاربته.

وقوله ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾ ردٌّ عليهم وأن المحاورة في البشارة لا تدلّ على القنوط بل ذلك على سبيل الاستبعاد لما جرت به العادة. وفي ذلك إشارة إلى أن هبة الولد على الكبر من رحمة الله تعالى إذ يشدّ عضد والده به، ويؤازره حالة كونه لا يستقلّ ويرث منه علمه ودينه.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ الآية، لمّا بشّروه بالولد وراجعوه في ذلك علم أنهم ملائكة الله ورسله، فاستفهم بقوله «فما خطبكم». والخطب لا يكاد يقال إلا

---

(١) ق: الحنييذ.

(٢) وفي ق: «فأوجس في نفسه خيفةً» طه ٢٠: ٦٧.

في الأمر الشديد، فأضافه إليهم من حيث أنهم هم حاملوه إلى أولئك القوم المعذَّبين.

وذكر «إلى قوم مجرمين» فأبرزه في صورة النكرة وإن كان أريد به[1] معيّنون، يدلّ على ذلك قولهم في سورة هود ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود] فعيّنهم. وإنّما نكّر ها هنا على سبيل الاستهانة بهم وإن كانوا معيّنين من جهة المعنى.

فقوله ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ استثناء نكرة في الظاهر ولكنهم معيّنون في المعنى. وكثيراً ما تأتي النكرة يُراد بها التعيين كقول من صحب رجلاً عالماً معيّناً فيقول: لقد صحبت رجلاً عالماً.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ استثناء من الضمير المنصوب في «منجوهم».

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: فقوله «إلا امرأته» ممّ استثني، وهل هو استثناء من استثناء؟ قلت: استثني[3] من الضمير المجرور في قوله «لمنجوّهم» وليس من الاستثناء في شيء، لأن الاستثناء من الا تثناء إنما يكون فيما اتّحد الحكم فيه وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته، كما اتّحد الحكم في قول المطلّق [٣١٠/ ب] ثلاثاً: إلا اثنتين إلا واحدة، وفي قول المقرّ لفلان على عشرة دراهم: إلا ثلاثة إلا درهماً. فأمّا في الآية فقد اختلف الحكمان لأن «آل لوط» متعلق بـ«أرسلنا» أو بـ«مجرمين»، و«إلاّ امرأته» قد تعلّق «بمنجّوهم» فأنى [يكون] استثناء من استثناء؟ انتهى.

---

(١) ق: بهم.

(٢) الكشاف ٢ : ٣٩٣.

(٣) ق: استثنا، في الموضعين.

لمّا استسلف الزمخشري أن «إلا امرأته» مستثنى من الضمير المجرور، لم[1] يجوّز أن يكون استثناء من استثناء. ومن قال إنه استثناء من استثناء[2] فيمكن تصحيح كلامه بأحد وجهين: أحدهما أنه [لمّا] كان الضمير في «لمنجّوهم» عائداً[3] على «آل لوط» وقد استثنى منه المرأة فصار كأنه مستثنى من «آل لوط» لأن المضمر هو الظاهر في المعنى.

والوجه الآخر أن قوله «إلاّ آل لوط» لما حكم عليهم بغير الحكم على «قوم مجرمين» اقتضى ذلك نجاتهم في قوله «إنّا لمنجّوهم أجمعين» تأكيداً لمعنى الاستثناء إذ المعنى: إلا آل لوط، فلم يرسل عليهم بالعذاب، ونجاتهم مترتّبة على عدم الإرسال إليهم بالعذاب، فصار نظير قولك: قام القوم إلا زيداً فإنه لم يقم [أو: إلا زيداً لم يقم]. فهذه الجملة تأكيد لما تضمّنه الاستثناء من الحكم على ما بعد إلاّ بضدّ الحكم السابق على المستثنى منه. «فإلا امرأته» على هذا التقرير الذي قرّرناه استثناء من «آل لوط» لأن الاستثناء ممّا جيء به للتأسيس أولى من الاستثناء ممّا جيء به للتأكيد.

وجاء الضمير في «أرسلنا» وفي «إنا» وفي «قدّرنا» مسنداً إلى الملائكة لأنهم هم المأمورون بإهلاكهم.

ووصف «قوم» «بمنكرون» لأنه نكِرَتْهم نفسه، ونفرت منهم وخاف أن يطرقوه بشرّ.

و﴿ بَلْ ﴾ إضرابٌ عن قولٍ محذوف، أي: ما جئناك لشيء تخافه، بل

---

(١) ق: ولم.

(٢) ومن قال إنه استثناء من استثناء: مكررة في ق.

(٣) ق: عائد.

جئناك بالعذاب لقومك، إذ كانوا يمترون فيه، أي: يشكّون في وقوعه، أو يجادلون فيه تكذيباً لك بما وعدتهم به عن الله تعالى.

﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ نهاهم أولاً عن الالتفات وأمره باتّباع أدبارهم، ويكون ذلك أحفظ لهم من أن يترك[1] ساقةً خلفه.

و«حيث تؤمرون» قال ابن عباس: هي الشام.

ولمّا ضمّن «قَضَيْنَا» معنى أوحينا تعدّت تعدّيها بإلى، أي: وأوحينا إلى لوط منقضياً مبتوتاً[2].

والإشارة «بذلك» إلى ما وعده تعالى من إهلاك قومه. و«أنّ دابر» تفخيم للأمر وتعظيم له، وهو في موضع نصب على البدل من «ذلك».

و«مصبحين» داخلين في الصباح.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الآية، استبشارهم فرحهم بالأضياف الذين وردوا على لوط عليه السلام. والظاهر أن هذا المجيء ومحاورةَ لوط مع قومه في حق أضيافه وعَرْضَه بناتِه عليهم، كان ذلك كله قبل إعلامه بهلاك قومه وعلمه بأنهم رسل الله تعالى، ولذلك سمّاهم ضيفاً، وخاف الفضيحة منهم لأجل تعاطيهم ما لا يجوز من الفعل القبيح. وقد جاء ذلك مرتّباً هكذا في سورة هود[3] والواو لا ترتّب.

﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ من الخزي وهو الإذلال، أو من الخزاية وهي الاستحياء.

---

(١) ق: ينزل. والسّاقة المؤخّرة وهي نقيض المقدمة.

(٢) ق: مبثوثاً.

(٣) في قوله ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۝٧٨﴾ [هود].

وفي قوله ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ﴾ دليل على تقدّم نهيهم إياه عن أن يضيف أو يجير أحداً أو يدفع عنه أو يمنع بينهم وبينه، فإنهم كانوا يتعرّضون لكلّ أحد وكان هو عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينه وبين من تعرّض له. فأوعدوه بأنه إن لم ينته أخرجوه(١).

وتقدّم الكلام في قوله «بناتي» ومعنى الإضافة في هود(٢).

و«إن كنتم فاعلين» شكّ في قبولهم لقوله، كأنه قال: إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون. وقيل: إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحلّ الله تعالى دون ما حرّم.

واللام في ﴿لَعَمْرُكَ﴾ لام الابتداء، و«عمرك» مبتدأ خبره محذوف تقديره: لعمرك قسمي. وإذا كان في القسم كانت العين مفتوحة ومعناها البقاء [٣١١/أ] وجواب القَسَم فقيل: القَسَم من الملائكة خطاباً للوط عليه السلام، وقيل: خطاباً لرسول الله ﷺ. وكنّى عن الضّلالة والغفلة بالسّكر، أي: تحيُّرهم في غفلتهم وضلالتهم منعهم عن إدراك الصواب الذي تشير به.

و﴿الصَّيْحَةُ﴾ صيحة الهلاك. و﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس. وقيل: أول العذاب كان عند الصبح وامتدّ إلى شروق الشمس فكان تمام الهلاك.

والضمير في «عَالِيَها سَافِلَها» عائد على «المدينة» المتقدمة الذكر(٣).

(١) انظر مثلاً الآية ١٦٧ من الشعراء، والآية ٥٦ من النمل.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٨ في هود.

(٣) في الآية ٦٧.

﴿ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للمتفرسين. وعن ابن عباس: هم أهل الصلاح والخير.

﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ﴾ أي: ممرّ ثابت وهي بحيث يراها الناس ويعتبرون بها، لم تندرس، وهو تنبيه لقريش.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: في صنعنا بقوم لوط لعلامةً ودليلاً لمن آمن بالله تعالى.

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾ الآية، هم قوم شعيب. والأيكة التي أضيفوا إليها كانت شجر الدّوم وقيل غير ذلك. كفروا فسلّط الله عليهم الحرّ، وأُهلكوا بعذاب الظُّلة، ويأتي [ذلك] مستوفى في سورة الشعراء[1].

﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾[2] الضمير يعود على أصحاب الأيكة [ومدين] لأنه مرسل إليهما، فدلّ ذكر أحدهما على الآخر، فعاد الضمير إليهما.

﴿ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بطريق من الحق واضح. والإمام: الطريق.

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الآية، «أصحاب الحجر» ثمود قوم صالح عليه السلام.

---

(١) انظر تفسير الآية ١٧٦ وما بعدها من الشعراء.

(٢) ق: وإنها.

و«الحجر» أرض[١] بين الحجاز والشام، وتقدمت قصته في الأعراف مستوفاة[٢].

و«المرسلين» يعني بتكذيبهم صالحاً، لأنّ من كذّب واحداً منهم فكأنما كذّبهم جميعاً. وتقدم ذكر قصتهم في الأعراف ويأتي أيضاً بعض خبرهم[٣].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: خلقاً[٤] ملتبساً بالحق، لم يُخلق شيء من ذلك عبثاً ولا هملاً بل ليطيع من أطاع بالتفكر في ذلك الخلق، وليتذكر النشأة الآخرة بهذه النشأة الأولى. ولذلك نبّه من تنبّه بقوله «وإن الساعة لآتية» فيجازي من أطاع وعصى.

---

(١) ق: أيضاً. وانظر الروض المعطار ص١٨٩.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٣ وما بعدها من الأعراف.

(٣) انظر تفسير الآية ٧٣ من الأعراف، وانظر مثلاً تفسير الآية ١٤١ وما بعدها من الشعراء، والآية ٤٥ من النمل.

(٤) ق: خلقنا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ جمع مثناة، والمثناة كل شيء يُثْنى أي: يُجعل اثنين، من قولك: ثَنَيْت الشيء ثَنْياً أي: عطفته وضممت إليه آخر. وهذا مجمل لا سبيل إلى تعيينه إلا بدليل منفصل؛ جوّز الزّجاج أن تكون أم القرآن سمّيت السبع المثاني، لأنها يُثنى بها على الله تعالى.

قال ابن عطية: وفي هذا القول من جهة التصريف نظر.انتهى.

لا نظر في ذلك، لأنها جمع مُثنى بضم الميم، مُفعل، من: أثنى، رباعيًّا، أي: مقرّ ثناء على الله تعالى، أي: فيها ثناء على الله تعالى. وقال عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم: السبع هنا آيات الحمد. قال ابن عباس: هي سبع ببسم الله الرحمن الرحيم. وقال غيره: هي سبع بدون البسملة. وقال أبو العالية: لقد نزلت هذه السورة وما نزل من السبع الطوال شيء.

﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ ظاهره أنه خطاب لرسول الله ﷺ، والمعنى نهي أمّته عن ذلك لأن من أوتي القرآن شغله النظر فيه وامتثال تكاليفه وفهم معانيه عن الاشتغال بزهرة الدنيا، ومدّ العين للشيء، إنما هو لاستحسانه وإيثاره.

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافاً.

ونهاه تعالى عن الحزن عليهم إن لم يؤمنوا - وكان كثير الشفقة على من بُعث إليه - وأَمَره بخفض الجناح لمن آمن، وهي كناية عن التلطّف والرفق. وأصلُه أن الطائر إذا ضمّ الفرخ إليه بسط جناحه له ثم قبضه على [٣١١/ب] [فرخه]. والجناحان من ابن آدم جانباه.

ثم أمره بأن يبلّغ أنه هو النذير الكاشف لكم ما جئت به إليكم من تعذيبكم إن لم تؤمنوا.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون متعلقاً بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر] أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على المقتسمين القرآن فنسبوه إلى سحر وكذب وافتراء.

ومعنى ﴿عِضِينَ﴾ أي: فرقاً.

والثاني أن يكون متعلقاً بقوله ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: إنذاراً مثل إنذار المقتسمين.

قال الزمخشري(١): فيه وجهان: أحدهما أن يتعلق بقوله «ولقد آتيناك» أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب، وهم المقتسمون(٢) الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم: بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، فاقتسموه إلى حقّ وباطل وعضوه. وقيل: كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم: سورة البقرة لي، ويقول آخر: سورة آل عمران لي. ويجوز أن يُراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم، وبأن اليهود أقرّت ببعض التوراة وكذبت ببعض، والنصارى أقرّت ببعض الإنجيل وكذّبت ببعض. وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير الأولين، بأنّ غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم.

والثاني أن يتعلق بقوله «وقل إني أنا النذير المبين» [أي]: وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين، يعني اليهود، وهو ما جرى على قريظة والنضير. جعل المتوقّع بمنزلة الواقع، وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما

---

(١) الكشاف ٢: ٣٩٨.

(٢) ق: المقتسمين.

سيكون وقد كان. ويجوز أن يكون «الذين جعلوا القرآن عضين» منصوباً «بالنذير» أي: أنذر العضين الذين يجزّئون القرآن إلى شعر وسحر وأساطير، مثلما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكّة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفّروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ، يقول بعضهم: لا تغترّوا بالخارج منّا فإنه ساحر، ويقول الآخر: كذّاب، ويقول الآخر: شاعر، فأهلكهم الله يوم بدر وقتلهم بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطّلب وغيرهم. أو مثلما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا[1] صالحاً عليه السلام، والاقتسام بمعنى التقاسم. فإن قلت: إذا علّقت قوله «كما أنزلنا» بقوله «ولقد آتيناك» فما معنى توسّط «لا تمدّن» إلى آخره [بينهما]؟ قلت: لمّا كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله [عليه وسلم] عن تكذيبهم وعداوتهم، اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم[2] ومن الأمر بأن يُقْبل بمجامعه على المؤمنين انتهى.

أما الوجه الأول وهو تعلّق «كما» «بآتينا» فذكره أبو البقاء[3] على تقدير، وهو أن يكون في موضع نصب نعتاً لمصدر محذوف تقديره: آتيناك سبعاً من المثاني إيتاءً كما أنزلنا، أو إنزالاً كما أنزلنا، لأن «آتيناك» بمعنى: أنزلنا عليك.

وأمّا قوله: إن المقتسمين هم أهل الكتاب فهو قول الحسن ومجاهد [ورواه الحوفي عن ابن عباس.

(١) أي أن يوقعوا به ليلاً.

(٢) ق: كونهم.

(٣) انظر الإملاء ٢: ٧٧.

وأما قوله: اقتسموا القرآن، فهو قول ابن عباس] فيما رواه عنه سعيد بن جبير.

وأمّا قوله: اقتسموه فقال بعضهم: سورة البقرة إلى آخره فقاله عكرمة. وقال السّدي: هم الأسود بن عبد المطلب والأسود بن عبد يغوث والوليد والعاص والحارث بن قيس، ذكروا القرآن فمن قائل: البعوض لي، ومن قائل: النّمل لي، وقائل [٣١٢/أ] الذباب لي[١]، وآخر: العنكبوت لي، استهزاءً، فأهلكهم الله جميعهم.

وأما قوله: إن القرآن عبارة عما يقرؤونه من كتبهم إلى آخره، فقاله[٢] مجاهد.

وأما قوله: ويجوز أن يكون قوله «الذين جعلوا القرآن عضين» منصوباً «بالنذير» أي: أنذر العضين، فلا يجوز أن يكون منصوباً «بالنذير» كما ذكر، لأنه موصوف «بالمبين» ولا يجوز أن يعمل إذا وصف قبل ذكر المعمول على مذهب البصريين، لا يجوز: هذا عليمٌ شجاعٌ عِلْمَ النحو، فتفصل بين عليم وعلم بقولك شجاع. وأجاز ذلك الكوفيون وهي مسألة خلافية، ذكرت دلائلها في علم النحو.

وأما قوله: الذين يجزّئون[٣] القرآن إلى شعر وسحر وأساطير فمرويّ عن قتادة، إلا أنه قال بدل سحر: كهانة.

وأما قوله: الذين اقتسموا مداخل مكة، فهو قول السائب، وفيه أن

---

(١) وقائل الذباب لي: مكررة في ق.

(٢) ق: فقال.

(٣) ق: وأما قولك: الذين يجرّون.

الوليدبن المغيرة قال: ليقل بعضكم: كاهن، وبعضكم: شاعر، وبعضكم: غاوٍ. وهم حنظلة بن أبي سفيان وعتبة وشيبة أبناء ربيعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن هشام وأبو قيس بن الوليد وقيس بن الفاكه[١] وزهيربن أمية وهلال بن عبد الأسود والسائب[٢] بن صيفي والنضر بن الحارث وأبو البحتري بن هشام وزمعة بن الحجاج وأمية بن خلف وأوس بن المغيرة، تقاسموا على تكذيب رسول الله ﷺ فأهلكوا جميعاً[٣].

وأما قوله[٤]: الذين اقتسموا على أن يبيتوا صالحاً، فقول عبدالله بن زيد. قال ابن عطية: والكاف من قوله «كما» متعلّقة بفعل محذوف تقديره: وقل إني أنا النذير عذاباً كالذي أنزلنا على المقتسمين، فالكاف اسم في موضع نصب، هذا قول المفسّرين. وهذا عندي غير صحيح لأن «كما» ليس مما يقوله محمد ﷺ بل هو من قول الله تعالى فينفصل الكلام. وإنما يترتّب هذا القول بأن يقدّر بأن الله تعالى قال له: أنذر عذاباً كما. والذي أقول في هذا المعنى: وقل إني أنا النذير المبين كما قال قبلك رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك.

ويحتمل أن يكون المعنى: وقل إني أنا النذير المبين، كما قد أنزلنا في الكتب أنك ستأتي نذيراً، وهذا على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى.

أما قوله: وهو عندي غير صحيح إلى آخره فقد اعتذر بعضهم عن ذلك وقال: الكاف متعلقة بمحذوف دلّ عليه المعنى تقديره: أنا النذير بعذاب مثل

---

(١) ق: الفاكهه.

(٢) ق: وهلال.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٤: ٤٨.

(٤) وأما قوله: مكررة في ق.

ما أنزلنا، وإن كان المنزل الله، كما يقول بعض خواصّ الملك: أَمَرْنا بكذا، وإن كان الملك هو الآمر.

وأما قوله: والذي أقول في هذا المعنى إلى آخره فهو كلام مُثَبَّج[1] ولعلّه أن يكون من الناسخ ولعله أن يكون: وأنزلنا عليك كما أنزلنا عليهم.

«عضين» جمع عضة، وهو لا ينقاس، جُمع بالواو رفعاً وبالياء نصباً وجرًّا، ولامه أصلها واو أو هاء يقال: عضيت تعضية أي: فرقت، وكل فرقة عِضَة؛ يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة.

والضمير في «لنسألنّهم» يظهر عوده على «المقتسمين» وهو وعيد وسؤال تقريع.

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ الصدع: الشّق. وتصدّع القوم: تفرقوا. وصدعته فانصدع أي: شققته فانشق. وقال مؤرج: اصدع: افصل. وقال ابن الأعرابي: اقصد.

و«ما» في «بما تؤمر» موصولة بمعنى الذي، والعائد عليها محذوف تقديره: أُمِرْتَه أي: به. وأمر يتعدى إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بحرف جر، ويجوز [حذفه] وقد جمع الشاعر بينهما قال[2]: [من البسيط]

أَمرتُك الخيرَ فافعلْ ما أُمرتَ به فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَبِ

[٣١٢/ب] والمفعول الأول في الآية هو ضمير المخاطب المستكن في «تؤمر» والثاني الهاء المحذوفة العائدة على «ما» الموصولة.

---

(١) ثبّج الكلام: إذا لم يبيّنه.

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب، وهو من شواهد الكتاب ١: ٣٧.

قال الزمخشري[1]: يجوز أن تكون «ما» مصدرية اي: بأمرك، مصدر من المبني للمفعول.انتهى.

هذا ينبني على مذهب من يجوّز أن يكون المصدر يراد به أن والفعل المبني للمفعول، والصحيح أن ذلك لا يجوز.

ثم أخبره تعالى أنه كفاه المستهزئين بمصائب أصابتهم لم يَسْعَ فيها رسول الله ﷺ ولا تكلّف لها مشقّة.

قال عروة وابن جبير: هم خمسة: الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب أبو زمعة والأسود بن عبد يغوث، ومن بني خزاعة الحارث بن الطلاطلة[2].

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وجعلهم إلهاً مع الله تعالى في الآخرة كما جوزوا في الدنيا.

وكنّى بالصدر عن القلب لأنه محلّه، وجعل سبب الضيق ما ينطقون به من الاستهزاء والطعن فيما جاء به.

ثم أمره تعالى بتنزيهه عما نسبوا إليه من اتّخاذ الشريك معه، مصحوباً بحمده والثناء [عليه] على ما أهدى إليه من نعمة النبوة والرسالة والتوحيد وغيرها من النّعم، فهذا في المعتقد والفعل القلبي.

وأمره بكونه من الساجدين والمراد أنه من المصلّين، فكنّى بالسجود عن الصلاة، وهي أشرف أفعال الجسد «وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو

---

(١) الكشاف ٢: ٣٩٩.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٤: ٤٨، ودلائل النبوّة ص٢٦٨.

ساجد»[1].

ثم أمره تعالى بالعبادة التي هي شاملة لجميع أنواع ما يتقرّب إليه تعالى. وهذه الأوامر معناها: دُمْ على كذا؛ لأنه عليه السلام ما زال متلبّساً بها، أي: دم على التسبيح والسجود والعبادة.

والجمهور على أن المراد باليقين الموت، أي: ما دمت حيًّا فلا تُخِلَّ بالعبادة.

وقيل: ليس اليقين من أسماء الموت، وإنما العلم به يقين لا يمتري فيه عاقل، فسمّي يقيناً تجوّزاً أي: يأتيك الأمر اليقين علمه ووقوعه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١: ٣٥٠، من حديث أبي هريرة.

سورة النحل(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩﴾.

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ الآية، هذه السورة مكية كلها، وقيل مكية إلا ثلاث آيات، فإنها مدنية(2): ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر] كان ذلك تنبيهاً على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عمّا اجترموه في دار الدنيا فقيل «أتى أمر الله» وهو يوم القيامة على قول الجمهور. وقال ابن عباس: المراد بالأمر نصر رسول الله ﷺ وظهوره على الكفار. و«أتى» قيل: باقٍ على معناه من المضيّ، والمعنى: أتى أمر الله وعداً، فلا تستعجلوه وقوعاً.

---

(1) مكية وهي مئة وثمان وعشرون آية.

(2) وهي الآيات ٩٥ - ٩٧، انظر البحر ٥: ٤٧٢.

قال ابن عباس: «الروح» الوحي ينزّل به الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ونظيره قوله ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۝١٥﴾ [غافر].

و«أن» مصدرية وهي التي من شأنها أن تنصب[1] المضارع، وُصلت في قولهم: كتبتُ إليه بأن قم. وهو بدل من «الروح» أي: بإنذاره. وقيل: «أن» تفسيرية بمعنى أي، فلا موضع لها من الإعراب.

وقال الزمخشري: و«أن أنذروا» بدل من «الروح» أي: ننزّلهم بأن أنذروا، وتقديره: بأنه أنذروا أي: بأن الشأن أقول لكم أنذروا أنه لا إله إلا أنا انتهى.

جعلها المخفّفة من الثقيلة، وأضمر اسمها وهو ضمير الشأن، وقدّر إضمار القول حتى يكون الخبر جملة خبرية وهي أقول. ولا حاجة إلى هذا التكلّف مع [٣١٣/أ] سهولة كونها الشأنيّة التي من شأنها نصب المضارع. وقوله[2] «إلا أنا» انتقل من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم في قوله «إلا أنا».

و«إذا» هنا للمفاجأة. وبعد خلقه من النطفة لم تقع المفاجأة بالمخاصمة إلا بعد أحوال تطوّر فيها[3]، فتلك الأحوال محذوفة وتقع المفاجأة بعدها.

و«خصيم مبين» يحتمل وجهين:

---

(١) ق: انتصب.

(٢) ق: وهو قوله.

(٣) ق: تطوّرها.

أحدهما أن يراد به الذّم، وهو مخاصمته لأنبياء الله تعالى وأوليائه بالحجج الداحضة. وأكثر ما ذُكر الإنسان في القرآن في معرض الذمّ أو مردوفاً بالذّم.

والوجه الثاني أن يراد به المدح لأنه تعالى قوّاه على منازعة الخصوم، وجعله مبيّن الحق من الباطل، ونقله من تلك الحالة الجماديّة وهو كونه نطفة إلى الحالة الشريفة وهي حالة النطق والإبانة.

ولمّا ذكر تعالى خلق الإنسان، ذكر ما امتنّ عليه به في قوام معيشته، فذكر أولاً أكثرها منافع وألزَمَ، لمن نزل القرآن بلغتهم وذلك ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ﴾. وتقدم شرح «الأنعام» في الأنعام[1]. والذي يظهر أن يكون «الكم فيها دفء» [استئنافاً لذكر ما يُنتفع به من جهتها، ولذلك قابله بقوله «ولكم فيها جمال». و«دفء»] مبتدأ. و«لكم» خبره. ويتعلق «فيها» بما في «لكم» من معنى الاستقرار.

وجوّز أبو البقاء[2] أن يكون «فيها» حالاً من «دفء» [إذ لو تأخّر كان صفة. وجوّز أيضاً أن يكون «لكم» حالاً من «دفء»] و«فيها» الخبر.

وهذا لا يجوز، لأن الحال إذا كان العامل فيها معنى، فلا يجوز تقديمها على الجملة بأسرها، لا يجوز: قائماً في الدار زيد، فإن تأخّرت الحال عن الجملة، جازت بلا خلاف. والدفء: اسم لما يُدفأ به أي: يسخّن، وتقول العرب: دفىء يومنا فهو دفيء إذا حصلت فيه سخونه تزيل البرد.

وقال الزمخشري[3]: فإن قلت: تقدُّمُ الظرف في قوله «ومنها تأكلون»

(١) انظر تفسير الآية ١٣٨ من الأنعام.

(٢) إملاء ٢ : ٧٨.

(٣) الكشاف ٢: ٤٠١.

مؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غيرها؟ قلت: الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم، وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبطّ وصيد البرّ والبحر فكغير المعتدّ به وكالجاري مجرى التفكّه.انتهى.

وما قاله بناء منه على أن تقديم الظرف أو المفعول دالٌّ على الاختصاص، وقد رددنا عليه ذلك في قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة].

﴿ جَمَالٌ ﴾ مصدر جَمُل بضم الميم.

﴿ حِينَ تُرِيحُونَ ﴾ يقال: أراح الماشية: ردّها بالعشي من المرعى، وسَرَحها يَسْرَحُها سَرْحاً وسُروحاً: أخرجها غدوة إلى المرعى. وسَرَحَتْ هي، يكون متعدّياً ولازماً. وأكثر ما يكون ذلك أيام الربيع، إذا سقط الغيث وكثر الكلأ، وخرجوا للنّجعة. وقدّم الإراحة على السرح، لان الجمال فيها أظهر، إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع، ثم أوت إلى الحظائر بخلاف[1] وقت سرحها، وإن كانت في الوقتين تزيّن الأفنية وتجالب[2] فيها الرّغاء والثّغاء فيأنس أهلها، ويفرح أربابها، وتجلّهم في أعين الناظرين إليها، وتكسبهم الجاه والحرمة.

والأثقال: الأمتعة واحدها ثِقْل.

وقوله ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ ﴾ لا يراد به معيّن، أي: إلى بلد بعيد، توجّهتُم إليه لأغراضكم. و«بالغيه» صفة للبلد.

﴿ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ أي: إلا بمشقتها.

وناسب الامتنان بهذه النعمة من حملها الأثقال الختم بصفة الرأفة والرحمة

---

(١) ق: بخلا.

(٢) من الجلبة وهي اختلاط الأصوات.

لأن من رأفته تيسير هذه المصالح وتسخير الأنعام لكم.

ولمّا ذكر تعالى منّته بالأنعام ومنافعها الضرورية، ذكر الامتنان بمنافع الحيوان التي ليست بضرورية، ولمّا كان الركوب أعظم منافعها اقتصر عليه، ولا يدلّ ذلك على أنه لا يجوز أكل الخيل خلافاً لمن استدلّ بذلك.

وانتصب «وزينة» ولم يكن باللام [ووصل الفعل إلى الركوب بواسطة الحرف وكلاهما مفعول من أجله لأن التقدير: خلقها. والركوب من صفات المخلوق لهم ذلك، فانتفى شرط النصب، وهو اتحاد الفاعل، فعدّي باللام]. والزّينة من وصف الخالق فاتّحد الفاعل، فوصل الفعل [٣١٣/ب] إليه بنفسه.

ولمّا ذكر الحيوان الذي ينتفع به انتفاعاً ضرورياً وغير ضروري أعقب بذكر الحيوان الذي لا ينتفع به غالباً على سبيل الإجمال إذ تفاصيله خارجة[(١)] عن الإحصاء والعدّ.

والقصد مصدر يوصف به، يقال: سبيل قَصْد وقاصد إذا كان مستقيماً، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السّالك لا يعدل عنه.

و«السبيل» هنا مفرد اللفظ. والجائر: العادل عن الاستقامة والهداية كما قال طرفة[(٢)]: [من الطويل]

[عدوليّة أو من سفين ابن يامنٍ] يجور بها[(٣)] الملاّح طوراً ويهتدي

﴿وَلَوْشَآءَ﴾ مفعول «شاء» محذوف تقديره: هدايتكم.

---

(١) ق: خارج.

(٢) شرح القصائد السبع ص١٣٧.

(٣) ق: عليها.

قال الزّجّاج: لفرض[1] لكم آية تضطركم إلى الاهتداء والإيمان انتهى.
[قال ابن عطية]: وهذا قول سوء لأهل البدع الذين يرون أن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد، لم يحصله الزّجاج، ووقع فيه رحمه الله من غير قصد انتهى.

لم يعرف ابن عطية أن الزّجاج معتزلي، فلذلك تأوّل عليه أنه لم يحصله[2]، وأنه وقع فيه من غير قصد.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا امتنّ عليهم بإيجادهم بعد العدم الصّرف وإيجاد ما ينتفعون به من الأنعام

---

(١) ق: قال ابن عطية قال الزجاج: يعرض.

(٢) ق: يحصل.

وغيرها من المركوب، ذكر ما امتنّ به عليهم من إنزال الماء الذي هو قوام حياتهم وحياة الحيوان، وما يتولّد عنه من أقواتهم وأقواتها من الزرع وما عطف عليه، فذكر منها الأغلب ثم عمّم بقوله «ومن كل الثمرات» ثم أتبع ذلك بخلق الليل الذي هو سكن لهم، والنهار الذي هو معاشهم فيه، ثم بالنّيّرين اللّذين جعلهما الله مؤثّرين بإرادته في إصلاح ما يحتاجون إليه، ثم بما ذرأ في الأرض. والظاهر أنّ «لكم» في موضع الصفة لما يتعلق بمحذوف. ويرتفع «شراب» به، أي: ماءً كائناً لكم منه شراب، ويجوز أن يتعلق «بأنزل»، ويجوز أن يكون استئنافاً و«شراب» مبتدأ.

لمّا ذكر إنزال الماء، أخذ في تقسيمه والشراب هو المشروب. والتبعيض في «منه [شراب]» ظاهر، وأمّا في «منه شجر» فمجاز: لمّا كان الشجر إنباته على سقيه بالماء جعل الشجر من الماء.

و﴿فِيهِ[1] تُسِيمُونَ﴾ يقال: أسام الماشية وسوّمها جعلها ترعى، وسامت بنفسها فهي سائمة وسوام: رعت حيث شاءت.

﴿بِهِ ٱلزَّرْعَ﴾ بدأ بالزرع لأنه قوت أكثر العالم، ثم بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه، وهي ضرورية مع منفعة أكله والائتدام به وبدهنه والاطّلاء بدهنه، ثم بالنخيل لأن ثمرته من أطيب الفواكه وقوتٌ في بعض البلاد، ثم بالأعناب لأنها فاكهة محضة، ثم قال «ومن كل الثمرات» أتى[2] بلفظ «مِن» التي للتبعيض لأن كلّ الثمرات لا تكون إلا في الجنة، وإنّ ما أنبت في الأرض بعض من كلّها للتذكرة. وختم ذلك بقوله تعالى «يتفكرون»

(١) ق: منه.

(٢) ق: التي.

لأن النّظر في ذلك يحتاج إلى فضل تأمّل واستعمال فكر. ألا ترى أن الحبّة الواحدة إذا وضعت في الأرض ومضى[١] عليها مقدار من الزمان معيّن لحقها[٢] من نداوة الأرض ما تنتفخ به فيشقّ أعلاها فتصعد منه شجرة إلى الهواء، وأسفلها يغوص منه في عمق الأرض شجرة أخرى وهي العروق، ثم ينمو الأعلى ويقوى وتخرج الأوراق والأزهار والأكمام والأثمار المشتملة على أجسام مختلفة الطبائع والطعوم والألوان والروائح والأشكال والمنافع، وذلك [٣١٤/أ] بتقدير قادر مختار وهو الله تعالى. وأفرد في قوله «لآيةً» استدلالاً بإنبات الماء وهو واحد وإن كثرت أنواع النبات.

وقرأ الجمهور: والشمس، وما بعده منصوباً، وانتصب «مسخراتٍ» على أنها حال مؤكدة. وقرىء: والشمسُ، وما بعده بالرفع على الابتداء والخبر.

وقرأ حفص: والنجومُ مسخراتٌ، برفعهما على الابتداء والخبر.

وجمع الآيات عند ذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة.

﴿ وَمَا ذَرَأَ ﴾ معطوف على «الليل والنهار» يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك.

﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُۥٓ ﴾ من البياض والسّواد وغير ذلك. وختم هذا بقوله «يذّكّرون» ومعناه الاعتبار والاتعاظ، كأنّ علمهم بذلك سابق طرأ عليه النسيان فقيل «يذكّرون» أي: يتذكرون ما نسوا من تسخير هذه المكوّنات في الأرض. وأفرد الآية هنا لأن الذي ذكره مفرد في قوله «ما ذرأ» ووصفه

---

(١) ق: ومعنى.

(٢) ق: لحتمها.

بمفرد وهو قوله «مختلفاً».

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى الاستدلال بما ذرأ في الأرض، ذكر ما امتنّ به من تسخير البحر. ومعنى تسخيره كونه يتمكن الناس من الانتفاع به للركوب في المصالح والغوص في استخراج ما فيه وللاصطياد لما فيه. و«البحر» جنس يشمل الملح والعذب. وبدأ أولاً من منافعه بما هو الأهم وهو الأكل. و«منه» على حذف مضاف أي: لتأكلوا من حيوانه لحماً طرياً. ثم ثنّى بما يُتزيّن به وهو الحلية من اللؤلؤ والمرجان، ونبّه على غاية الحلية وهي اللبس. وفيه منافع غير اللبس؛ فاللحم الطّري من الملح والعذب، والحلية من الملح. ولمّا ذكر تعالى نعمة الأكل منه ونعمة الاستخراج للحلية، ذكر نعمة تصرّف الفلك فيه «مواخر» أي: شاقّة فيه، أو ذات صوت لشقّ الماء[1] بحمل الأمتعة والأقوات للتجارة وغيرها.

وأسند الرؤية إلى المخاطب المفرد فقال «وترى» وجعلها جملة معترضة بين التعليلين: تعليل الاستخراج وتعليل الابتغاء، [فلذلك عدل عن جمع المخاطب.

والظاهر عطف «ولتبتغوا» على التعليل قبله] كما أشرنا إليه. والفضل هنا الأرباح بالتجارة والوصول إلى البلاد الشاسعة. وهذا دليل على جواز ركوب البحر.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على ما منحكم من هذه النعم.

---

(١) ق: لشق الأنفس.

والسبل: الطرق. قال ابن عطية: قوله «وأنهاراً» منصوب بفعل مضمر تقديره: وجعل أو خلق أنهاراً. وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على خصوص «ألقى»، ولو كانت «ألقى» بمعنى خلق لم يُحْتَج إلى هذا الإضمار انتهى.

وأيّ إجماع في هذا، وقد حكى هو عن المتأوّلين أنّ «ألقى» بمعنى خلق وجعل[١]؟

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الآية، ذكر التباين بين من يخلق وهو الباري وبين من لا يخلق وهي الأصنام، وجيء «بمَن» في الثاني لاشتمال المعبود غير الله على من يعقل وما لا يعقل، أو لاعتقاد الكفار أن لها تأثيراً وأفعالاً فعوملت معاملة أولي [العلم]، أو المشاكلة[٢] بينه وبين من يخلق.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ تقدّم الكلام عليه[٣].

وأخبر تعالى أنه يعلم ما يسرّون، وضمّنه الوعيد لهم والإخبار[٤] بعلمه تعالى. وفيه التنبيه على نفي هذه الصفة الشريفة عن آلهتهم.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

---

(١) ق: أي جعل.

(٢) ق: فالمشاكلة.

(٣) انظر تفسير الآية ٣٤ من إبراهيم.

(٤) ويصح توجيه العبارة كذا: والإخبار بعلمه تعالى فيه التنبيه على...

يَعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

ولمّا أظهر تعالى التباين بين الخالق وغيره نصّ على أنّ آلهتهم لا تَخلق وعلى أنها مخلوقة. وأخبر أنهم أموات، وأكّد ذلك بقوله «غير أحياء» ثم نفى عنهم الشعور [٣١٤/ب] الذي يكون للبهائم فضلاً عن العلم الذي يتصف به العقلاء. وعبّر «والذين» وهو للعاقل، عومل غيره معاملته لكونها عُبدت واعتُقد فيها الألوهية. و﴿أَيَّانَ﴾ ظرف زمان. وعن ابن عباس أن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيُؤمر بكلّهم إلى النار.

وتقدم الكلام في ﴿لَا جَرَمَ﴾ في هود[1].

و﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ عامّ في الكافرين والمؤمنين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ﴾ الآية، قيل: سبب نزولها أن النضر بن الحارث سافر عن مكّة إلى الحيرة، وكان قد اتّخذ كتب التواريخ والأمثال ككليلة ودمنة وأخبار اسفنديار ورستم، فجاء إلى مكّة فكان يقول: إنما

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من هود.

يحدّث محمد بأساطير الأولين وحديثي أجمل من حديثه، فنزلت.

و«ماذا» كلمة استفهام مفعول «بأنزل» أو «ما» مبتدأ خبره «ذا» بمعنى الذي، وعائده في «أنزل» محذوف أي: أيّ شيء الذي أنزله؟.

وأجاز الزمخشري أن يكون «ماذا» مرفوعاً بالابتداء، قال[١]: يعني أي شيء أنزله ربكم.

وهذا لا يجوز عند البصريين إلا في ضرورة الشعر. والضمير في «لهم» عائد على كفار قريش. و«ماذا أنزل» ليس معمولاً «لقيل» على مذهب البصريين لأنه جملة، والجملة لا تقع موقع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، كما لا تقع[٢] موقع الفاعل. فالمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله قيل: هو ضمير المصدر المفهوم من «قيل» تقديره: قيل[٣] هو، أي: القول والجملة بعده تفسير لذلك الضمير لا أنها هي المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله.

واللام في «ليحملوا» لام الأمر على معنى الحتم عليهم والصَّغار الموجب لهم.

و﴿ كَامِلَةً ﴾ حال أي: لا ينقص منها شيء.

و«مِن» في «[مِنْ] أوزارِ» للتبعيض، فالمعنى أنه يحمل مِن وِزْرِ كلِّ من أضلّ، أي: بعض وزر من ضلّ بإضلالهم.

وقال الواحدي ليست «مِن» للتبعيض لأنه يستلزم تخفيف الأوزار عن الأتباع وذلك غير جائز لقوله عليه السلام «من غير أن ينقص من أوزارهم

---

(١) الكشاف ٢: ٤٠٦.

(٢) ق: يقع.

(٣) ق: فقيل.

شيء»[1] لكنها للجنس أي: ليحملوا من جنس أوزار الأتباع.انتهى.

ولا تتقدر «مِن» التي لبيان الجنس هذا [التقدير] الذي قدّره الواحدي، وإنّما تقدّر الأوزار التي هي أوزار الذين يضلّونهم، فيؤول من حيث المعنى إلى قول الأخفش[2] ، وإن اختلفا في التقدير.

قال الزمخشري[3]: «بغير علم» حال من المفعول، أي: يضلّون من لا يَعلم أنهم ضُلّال.انتهى.

وقال غيره: حال من الفاعل وهو أولى، إذ هو المحدَّث عنه والمسند إليه الإضلال على جهة الفاعلية، والمعنى أنهم يقدمون على هذا الإضلال جهلاً منهم بما يستحقّونه من العذاب الشديد على ذلك الإضلال. ثم أخبر تعالى عن سوء ما يتحمّلونه للآخرة. وتقدم الكلام على نظير إعراب ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام].

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ أي: أمْرُه وعذابه. والبنيان: قيل: حقيقة، قال ابن عباس: «الذين من قبلهم» منهم نمرود، بنى صرحاً ليصعد بزعمه إلى السماء وأفرط في علوّه وطوله في السماء فرسخين.

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ قال ابن الأعرابي: العرب تقول: خرّ علينا سقفٌ ووقع علينا حائطٌ، إذا كان يملكه وإن لم يملكه وقع عليه. فجاء بقوله «من فوقهم» ليخرج هذا الذي من كلام العرب فقال «من فوقهم» أي:

---

(١) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ٢: ٧٠٤، عن المنذر بن جرير عن أبيه.

(٢) جماع قوله «مِن» زائدة أي: وأوزار الذين يضلّونهم، والمعنى: ومثل أوزار الذين يضلّونهم. انظر البحر ٥: ٤٨٤.

(٣) الكشاف ٢: ٤٠٦.

عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا.

﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ قال ابن عباس: هي في قصة النمرود.

و﴿يُخْزِيهِمْ﴾ يعمّ جميع المكاره التي تحلّ بهم، ويقتضي ذلك إدخالهم النار لقوله تعالى ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران] أي: [٣١٥/أ] أهنته كل الإهانة. وجمع بين الإهانة بالفعل والإهانة بالقول بالتقريع والتوبيخ في قوله «يخزيهم».

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ أضاف تعالى الشركاء إليه، والإضافة تكون بأدنى ملابسة، والمعنى: شركائي في زعمكم، إذ[1] أضاف على جهة الاستهزاء بهم[2].

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ صفة للكافرين فيكون داخلاً تحت القول.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون «الذين» مرتفعاً بالابتداء منقطعاً ممّا قبله، وخبره في قوله «فألقَوُا السَّلَم» فزيدت الفاء في الخبر، وقد يجيء مثل هذا.انتهى.

هذا لا يجوز إلا على مذهب الأخفش فإنه يجيز: زيد فقام [أي: قام] ولا يتوهم أن الفاء هي الداخلة في خبر المبتدأ إذا[3] [كان موصولاً وضمّن معنى الشرط، لأنه لا يجوز دخولها في مثل هذا الفعل مع صريح] الشرط فلا

---

(١) ق: أو.

(٢) بعده في ق: ومفعولا تزعمون محذوفان، التقدير: تزعمونهم شركاء. وهو وهم من المصنف وضع فيه تزعمون مكان تشاقّون.

(٣) ق: أداة.

يجوز فيما ضمّن معناه.

«ظالمي أنفسهم» تقدّم الكلام عليه في سورة النساء[1].

و«السلم» هنا الاستسلام.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ هو على إضمار القول، ويكون ذلك كذباً منهم ولذلك ردّ عليهم بقوله «بلى» أي: كنتم تعملون السوء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لمّا كذّبوهم في دعواهم أخبروا أنه تعالى هو العالم بأعمالهم فهو المجازي عليها.

ثم أمرهم بالدخول. واللام في «فلبئس» لام التوكيد، ولا تدخل على الماضي المتصرف ودخلت على الجامد لبعده عن الأفعال وقربه من الأسماء. والمخصوص بالذم محذوف تقديره: فلبئس مثوى المتكبرين هي، أي: جهنم. ووصف التكبّر دليل على استحقاق صاحبه النار.

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٖ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٖۚ كَذَٰلِكَ

(١) انظر تفسيرالآية ٩٧ من النساء، ولم يتكلّم عليه ثمّ.

فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ الآية، أي: أنزل خيراً. ودلّ هذا النصب على [أنّ] «ماذا أنزل» مفعول «بأنزل» وطابق الجواب السؤال في النصب. والظاهر أن قوله «للذين» مندرج تحت القول وهو تفسير للخير الذي أنزل الله تعالى في الوحي أن من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة بدخول الجنّة. والظاهر أن المخصوص بالمدح هو «جنات عدن».

والكاف[1] في موضع نصب نعتاً لمصدر محذوف أي: جزاء مثل جزاء الذين أحسنوا نجزي المتقين.

و«طيبين» حال من مفعول «تتوفاهم». والمعنى أنهم صالحو الأعمال مستعدّون للموت. والطّيب الذي لا خبث فيه.

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾ الظاهر أن هذا القول في الآخرة، ولذلك جاء بعده «ادخلوا الجنة» فهو من قول خَزَنَة الجنة.

﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: بالعمل الصالح.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر طعن الكفار في القرآن بقولهم ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل] ثم أتبع ذلك بوعيدهم وتهديدهم، ثم توعّد من وصف القرآن بالخيرية - بيّن أن أولئك الكفرة لا يرتدعون عن حالهم إلاّ أن تأتيهم

---

(١) أي كاف «كذلك».

الملائكة بالتهديد أو أمر الله بعذاب الاستئصال. والكاف[١] في موضع نصب أي: مِثْلَ فِعْلِهم في انتظار الملائكة أو أَمْرِ الله تعالى فَعَلَ الكفار الذين تقدّموهم.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بكفرهم وتكذيبهم الذي أوجب لهم العذاب في الدنيا والآخرة.

وقوله ﴿فَأَصَابَهُمۡ﴾ معطوف على «فَعَل» «وما ظَلَمهم» اعتراض. وستأتي عقوبات[٢] كفرهم.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: أحاط [بهم] جزاء استهزائهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ تقدم الكلام عليه في آخر الأنعام[٣].

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾.

---

(١) المراد كاف «كذلك».

(٢) ق: مقولات.

(٣) انظر تفسير الآية ١٤٨ من الأنعام.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ الآية، ذكر تعالى بعثه[1] الرّسل في الأمم السالفة، فلا يستنكر بعثه محمداً[2] ﷺ في هذه [٣١٥/ب] الأمة.

و«أن» يجوز أن تكون تفسيرية بمعنى أي، وأن تكون مصدرية.

وتقدم مدلول «الطاغوت» في البقرة[3].

﴿مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: فمنهم من اعتبر، فهداه الله تعالى، ومنهم من أعرض وكفر. ثم أحالهم في معرفة ذلك على المسير في الأرض. «عاقبة المكذبين» لرسلهم بما جاؤوا به عن الله تعالى.

ثم خاطب نبيّه عليه السلام، وأعلمه أن مَن حتّم تعالى عليه بالضلالة، لا يجدي فيه الحرص على هدايته. وقرىء: لا يُهدى، مبنيًّا للمفعول، و«مَن» مفعول ما لم يُسَمَّ [فاعله]، والفاعل في «يضلّ» ضمير الله تعالى. والعائد على «مَن» محذوف تقديره: من يضلّه الله. وقرىء: يهدي، مبنيًّا للفاعل، والظاهر أن في «يهدي» ضميراً[4] يعود على الله تعالى و«مَن» مفعول.

وقرأت فرقة: يُهدي، بضم الياء وكسر الدّال [قال ابن عطية]: وهي ضعيفة انتهى. حكى الفرّاء أن هدى بمعنى اهتدى لازماً. وإذا ثبت أن هدى لازم بمعنى اهتدى كما حكاه الفراء، لم تكن ضعيفة، لأنه أدخل على اللازم همزة التعدية، والمعنى: لا يجعل[5] مهتدياً من أضلّه. والضمير في «لهم»

---

(١) ق: بعثة.

(٢) ق: تستنكر بعثة محمد.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٥٦ من البقرة.

(٤) ق: ضمير.

(٥) ق: يحصل.

عائد على معنى «مَن» والضمير في «وأقسموا» عائد على كفار قريش.

﴿ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ تقدّم الكلام عليه في الأنعام[١]. وانتصب «وعداً» و«حقًّا» على أنهما مصدران مؤكدان لما دلّ عليه «بلى» من تقدير المحذوف الذي هو: يبعثه.

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ اللام في «ليبيّن» متعلقة بالفعل المقدّر بعد «بلى» أي: يبعثهم ليبيّن لهم، كما يقول الرجل: ما ضربتُ أحداً، فيقول[٢]: بلى زيداً، أي: ضربتُ زيداً. ويعود الضمير في: يبعثهم المقدّر، وفي «لهم» على معنى مَن في قوله «مَن يموت» وهو شامل للمؤمنين والكفّار.

والذي اختلفوا فيه: هو الحق.

و﴿ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴾ فيما اعتقدوا من جعل آلهة مع الله تعالى وإنكار النبوّات وإنكار البعث وغير ذلك ممّا أُمروا به وبيّن لهم أنه دين الله تعالى فكذبوا به وكذبوا في نسبة أشياء إليه تعالى.

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ ﴾ الآية، لمّا تقدّم إنكارهم البعث وأكّدوا ذلك بالحلف بالله تعالى الذي أوجدهم وردّ عليهم تعالى بقوله «بلى»[٣] وذكر حقيقة وعده [بذلك - أوضح أنه تعالى متى تعلّقت إرادته بوجود شيء أوجده]. وقد أقرّوا بأنه تعالى خالق كلّ هذا العالم سمائه وأرضه، وأن إيجاده لذلك لم يتوقّف على سبق مادّة ولا آلة، فكما قدر على الإيجاد ابتداءً، وجب أن يكون قادراً على الإعادة.

---

(١) انظر تفسير الآية ١٠٩ من الأنعام.

(٢) ق: كما تقول لرجل.. فتقول.

(٣) الآية ٣٨ المتقدمة.

وتقدم الكلام [في قوله ﴿ كُن ﴾ في البقرة[1].

والظاهر أن اللام] في «الشيء» وفي «له» هي للتبليغ، كقولك: قلت لزيد قم.

قال ابن عطية: «إذا أردناه» تنزّل منزلة: مراد، ولكنّه أتى بهذه الألفاظ المستأنفة بحسب أن الموجودات تجيء وتظهر شيئاً بعد شيء فكأنه قال: إذا ظهر المراد فيه. وعلى هذا الوجه يخرّج قوله ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة] وقوله ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران][2] ونحو هذا معناه: يقع منكم بإرادة الله تعالى في الأزل وعلمه. وقوله: «أن نقول» تنزّل منزلة المصدر، كأنه قال قولنا. ولكن أن مع الفعل تعطي استئنافاً ليس في المصدر في أغلب أمرها. وقد تجيء في مواضع لا يُلحظ فيها الزمن كهذه الآية وكقوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الروم] وغير ذلك انتهى.

قوله: ولكن أن مع الفعل، أي: المضارع.

وقوله: في أغلب أمرها، ليس بجيّد بل تدلّ على المستقبل في جميع أمورها.

وأما قوله: وقد تجيء.. إلى آخره، فلم يفهم ذلك من دلالة أنْ، وإنما ذلك من نسبة قيام السماء والأرض بأمر الله، لأن هذا لا يختص بالمستقبل دون الماضي في حقّه تعالى، ونظيره ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

(١) انظر تفسير الآية ١١٧ من البقرة.

(٢) ق: ليعلم.. آمنوا منكم.

﴿قَدِيرًا ۝٢٧﴾ [الأحزاب][1] فكان تدلّ على اقتران الجملة بالزمن الماضي وهو تعالى [٣١٦/أ] متّصف بهذا الوصف ماضياً وحالاً ومستقبلاً. وتقييد الفعل بالزمن لا يدلّ على نفيه بغير ذلك الزمن.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ عامٌّ في المهاجرين كائناً ما كانوا، فيشمل أولهم وآخرهم.

﴿مِنْ [بَعْدِ] مَا ظُلِمُوا﴾ كخبّاب بن الأرتّ والمُخْرَجين إلى أرض الحبشة.

والظاهر انتصاب «حسنة» على أنه نعت لمصدر محذوف، يدلّ عليه الفعل، أي: تَبْوِئَةً حسنة. وقيل: انتصاب «حسنة» على المصدر على غير الصدر[2] لأنّ معنى «لنبوّئنّهم في الدنيا» أي: لنحسننّ إليهم، «فحسنةً» في معنى: إحساناً.

والضمير في «يعلمون» عائد على المؤمنين، أي: لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم.

و﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على تقدير: هم الذين أو أعني الذين صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن لا سيّما حرم الله تعالى المحبوب لكل قلب مؤمن، فكيف لمن كان مسقط رأسه؟ وعلى بذل الرّوح في ذات الله تعالى واحتمال الغربة في دار لم ينشأ بها، وناس لم يألفهم أجانب في النّسب.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

---

(١) ق: إن الله كان.

(٢) ق: المصدر.

وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَمَآ [أَرْسَلْنَا] مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ الآية، نزلت[1] في مشركي مكة، أنكروا نبوّة رسول الله ﷺ وقالوا: الله أعظم [من] أن يكون رسوله بشراً، فهلاّ بعث إلينا ملكاً. وتقدّم تفسير هذه الجملة في آخر يوسف[2]. والمعنى: يوحي إليهم على ألسنة الملائكة.

والأجود أن يتعلّق قوله «بالبينات» بمضمر يدلّ عليه ما قبله، كأنه قيل: بِمَ أُرسلوا؟ قال: أرسلناهم بالبينات والزّبر، فيكون على كلامين.

قال الزمخشري[3]: يتعلق «بما أرسلنا» قوله «بالبيّنات» داخلاً تحت حكم الاستثناء مع «رجالاً» أي: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبيّنات، كقولك: ما ضربت إلا زيداً بالسوط [لأنّ أصله: ضربت زيداً بالسوط] انتهى.

هذا قاله الحوفي أيضاً. وقال أبو البقاء[4]: وفيه ضعف، لأنّ ما قبل إلاّ لا يعمل فيما بعدها إذا تمّ الكلام على إلاّ وما يليها، إلا أنه قد جاء في الشعر قوله[5]: [من البسيط]

نُبِّئْتُهم عَذّبوا بالنّار جارهمُ ولا يعـذِّب إلا اللهُ بـالنّـار

(١) ق: نزلت ما يؤمرون في. وانظر أسباب النزول ص١٨٨.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠٩ من يوسف.

(٣) الكشاف ٢: ٤١١.

(٤) إملاء ٢: ٨١.

(٥) البيت بلا نسبة في معاني القرآن ٢: ١٠١.

انتهى.

وهذا الذي أجازه الحوفي والزمخشري لا يجوز على مذهب جمهور البصريين، لأنهم لا يجيزون أن يقع بعد «إلّا» إلّا مستثنى أو مستثنى منه أو تابع، وما ظُنّ من غير الثلاثة معمولاً لما قبل إلّا قدّر له[١] عامل.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ هو القرآن، وقيل له ذِكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين. ويحتمل أن يريد: لتبيّن بتفسيرك المجمل وشرحك ما أشكل فيدخل في [هذا] ما بيّنته السّنة من أمر الشريعة.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: إرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فيتنبّهوا ويتأمّلوا.

و﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ نعت لمصدر محذوف أي: المَكْرَات السيئات.

و﴿ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟﴾ في قول الأكثرين هم أهل مكة، مكروا برسول الله ﷺ. والخسف: بلع الأرض المخسوف به وقعودها به إلى أسفل، وذكر النقاش أنه وقع الخسف في هذه الأمة.

﴿بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما فُعِلَ بقارون. وذكر لنا أن «أخلاط»[٢] [من بلاد الروم] خُسف بها، وحين أحسّ أهلها بذلك فرّ أكثرهم، وأن[٣] بعض التّجار ممّن كان يرد إليها رأى ذلك من بعيد فرجع بتجارته. «من حيث لا يشعرون» من الجهة التي لا شعور لهم بمجيء العذاب منها كما فعل بقوم لوط.

(١) له: كررت في ق.

(٢) ويقال فيها أيضاً خِلاط، من مدن أرمينيا. انظر معجم البلدان والروض المعطار «خلاط».

(٣) ق: فأن.

﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ في أسفارهم. والأخذ هنا الإهلاك كقوله[1] تعالى ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

و﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ على نقص، قاله ابن عباس. وقال ابن بحر: ضدّ البغتة، أي: على حدوث حالات [٣١٦/ب] يُخاف منها كالرياح والزلازل والصواعق، ولهذا ختم بقوله تعالى «إنّ ربكم لرؤوف رحيم» لأن في ذلك مهلة وامتداد وقت، فيمكن فيه التلافي.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى قدرته على تعذيب الماكرين وإهلاكهم بأنواع من الأخذ، ذكر تعالى طواعية ما خلق من غيرهم وخضوعهم[2] ضد حال الماكرين، لينبّههم على أنه ينبغي بل يجب عليهم أن يكونوا طائعين منقادين لأمره تعالى. والاستفهام هنا معناه التوبيخ.

والجملة من قوله «يتفيأ» في موضع الصفة «الشيء». و«ما» موصولة والعائد محذوف تقديره: خَلَقَه[3]. و«من شيء» تبيين لما انبهم في لفظ «ما».

و«يتفيأ» يتفعل[4] من الفيء وهو الرجوع، يقال: فاء الظلّ يفيء فيئاً:

---

(١) ق: لقوله.

(٢) ق: وخضوعه.

(٣) ق: خلق.

(٤) ق: تتفيأ: تتفعّل.

رجع وعاد بعدما نسخه ضياء الشمس. وفاء إذا عُدّي، فبالهمزة كقوله تعالى ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۝٧﴾ [الحشر] أو بالتضعيف نحو: فيّأ الله الظّل فتفيأ. وتفيأ من باب المطاوعة فهو لازم، وقد استعمله أبو تمام متعدّياً قال[1]:

طلبتْ ربيعَ ربيعةَ المُمْهِي لها وتفيّأت ظلاً له ممدودا

ويحتاج ذلك إلى نقله من كلام العرب متعدّياً.

ويمين الفَلَك: هو المشرق وشماله هو المغرب، وخُصّ هذان الاسمان بهذين الجانبين.

وقال شيخنا الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الكتامي المعروف بابن الصائغ: أفرد، وجمع بالنظر إلى الغايتين، لأن ظل الغداة يضمحلّ حتى لا يبقى منه إلا اليسير، فكأنه في جهة واحدة، وهو بالعشي على العكس لاستيلائه على جميع الجهات، فلحظت[2] الغايتان في الآية، هذا من جهة المعنى.

وفيه من جهة اللفظ المطابقة، لأن «سجّداً» جمع، فطابقه جمع «الشمائل» لاتصاله به، فحصل في الآية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهما معاً وتلك الغاية في الإعجاز انتهى.

والظاهر حمل الظلال على حقيقتها، وعلى ذلك وقع كلام أكثر المفسرين وقالوا: إذا طلعت الشمس وأنت متوجّهٌ إلى القبلة، كان الظلّ قدّامك، فإذا ارتفعت، كان على يمينك، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك. فإذا أردت

---

(١) ديوانه ١ : ٤١١ . وهو من الخفيف

(٢) ق: فلخصت.

الغروب كان عن يسارك.

قال الزمخشري[١]: «سجّداً» حال من الظلال. «وهم داخرون» حال من الضمير في «ظلاله».

[وما أجازه الزمخشري من أن «وهم داخرون» حال من الضمير في «ظلاله»] فعلى مذهب جمهور البصريين لا يجوز، وهي مسألة: جاءني غلام هندٍ ضاحكةً، فلا يجوز: جاءني ضاحكةً غلام هند.

ولمّا كان سجود الظّلال في غاية الظّهور انتقل إلى سجود ما في السماوات والأرض.

قال الزمخشري[٢]: [فإن قلت]: فهلاّ جيء بمَن دون «ما» تغليباً للعقلاء من الدوابّ على غيرهم؟ قلت: [لأنه] لو جيء بمن لم[٣] يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولاً للعقلاء [خاصة]، فجيء بما[٤] هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم انتهى.

ظاهره[٥] تسليم أن مَن قد تشمل العقلاء وغيرهم على جهة التغليب، وظاهر الجواب تخصيص مَن بالعقلاء، [وأن الصالح للعقلاء] وغيرهم: ما دونَ مَن. وهذا ليس بجواب، لأنه أورد السؤال على التسليم ثم ذكر الجواب على غير التسليم، فصار المعنى أنّ مَنْ يغلّب بها. والجواب لا يغلّب بها،

---

(١) الكشاف ٢: ٤١٢.

(٢) الكشاف ٢: ٤١٢.

(٣) ق: ولم.

(٤) ق: بمن.

(٥) أي ظاهر السؤال.

وهذا في الحقيقة ليس بجواب.

و«من دابة» يجوز أن يكون بياناً لما في الطّرفين، ويكون في السماوات خلق يدبّون. ويجوز أن يكون بياناً لما في الأرض، ولهذا قال ابن عباس: يريد: كلّ ما دبّ على الأرض.

وعطف «والملائكة» على «ما في السماوات وما في الأرض» وهم [٣١٧/أ] مندرجون في عموم «ما» تشريفاً لهم وتكريماً.

والظاهر أن الضمير في قوله «يخافون» عائد على المنسوب إليهم السجود في «ولله يسجد». والفوقية المكانية مستحيلة بالنسبة إليه تعالى، فإن علّقته «بيخافون» كان على حذف مضاف، أي: يخافون عذابه كائناً من فوقهم، لأن العذاب إنّما ينزل من فوق. وإن علّقته «بربهم» كان حالاً منه أي: يخافون ربهم غالباً قاهراً كقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام]. والجملة من «يخافون» يجوز أن تكون حالاً من الضمير في «لا يستكبرون». «ويفعلون ما يؤمرون» أما المؤمنون فبحسب الشرع والظاهر، وأما غيرهم من الحيوان فبالتسخير والقدر الذي يسوقهم إلى ما نفذ من أمر الله تعالى.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦٠﴾.

﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ الآية، ولمّا كان الاسم الموضوع للإفراد والتثنية قد يُتجوّز فيه، فيراد به الجنس نحو: نعم الرجل زيد ونعم الرجلان الزيدان وقول [الشاعر][1]: [من الوافر]

فإن النار بالعُودَين تُذكى   وإن الحرب أوّلُها الكلامُ

أكّد الموضوع لهما بالوصف فقال «إلٰهين اثنين». ولمّا نهى عن اتّخاذ إلٰهين، واستلزم النّهي عن اتخاذ آلهة، أخبر تعالى أنه إلٰه واحد كما قال تعالى ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ۝١٦٣﴾ [البقرة]، بأداة الحصر وبالتأكيد بالوحدة. ثم أمرهم بأن يرهبوه، والتفت من الغيبة إلى الحضور لأنه أبلغ في الرهبة. وانتصب «إياي» بفعل محذوف مقدّرٍ أُخّر[2] عنه، يدلّ عليه «فارهبون» وتقديره: وإياي ارهبوا. وتقدّم نظيره في البقرة[3].

وقال ابن عطية: «وإياي» منصوب بفعل مضمر تقديره: فارهبوا إياي فارهبون انتهى.

هذا ذهول عن القاعدة النحوية أنه إذا كان المفعول ضميراً منفصلاً، والفعل متعدٍّ إلى واحد وهو الضمير، وجب تأخير الفعل كقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ۝٥﴾ [الفاتحة] ولا يجوز أن يتقدّم إلاّ في ضرورة نحو

---

(١) ق: وقال. والبيت لنصر بن سيار كتب به إلى يزيد بن هبيرة، انظر البيان والتبيين ١:١٥٨.

(٢) ق: التأخير عنه.

(٣) انظر تفسير الآية ٤٠ من البقرة.

قوله[1]: [من الرجز]

[أتَتْك عنسٌ تقطع الأراكا] إليك حتى بلغَتْ إيّاكا

ثم التفت من التكلّم إلى ضمير الغيبة، فأخبر تعالى أنّ له ما في السماوات والأرض.

«وله الدين» أي: الطاعة والملك. «واصباً» أي: دائماً، يقال: وصب الشيء: دام. قال أبو الأسود الدؤلي[2]: [من الكامل]

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه يوماً بذمّ الدهر أجمع واصبا

«أفغير الله» استفهام تضمّن التوبيخ والتعجب، أي: بعدما عرفتم وحدانيّته وأنّ ما سواه له ومحتاج إليه، كيف تتّقون وتخافون غيره ولا نفع ولا ضرر يقدر عليه؟.

و«ما» موصولة، وصلتها «بكم» والعامل فعل الاستقرار، أي: وما استقرّ بكم.

و«من نعمة» تفسير «لما». والخبر «فمن الله» على إضمار مبتدأ محذوف تقديره: فهي من الله. ودخلت الفاء في جملة الخبر لتَضَمُّن الموصول معنى اسم الشرط. ولمّا ذكر تعالى أن جميع النّعم منه ذكر حالة افتقار العبد إليه وحده حيث لا يدعو ولا يتضرّع لسواه وهي حالة الضّر.

و«الضرّ» عامٌّ في جميع ما يتضرّر به.

---

(١) البيت لحميد الأرقط، من شواهد الكتاب ٢: ٣٦٢.

(٢) ديوانه ص١٠١.

و«إليه» متعلق «بتجأرون». والجؤار: رفع الصوت بالدعاء، قال الأعشى يصف راهباً[١]: [من المتقارب]

يــداوم[٢] مــن صلــوات المليــ ــك طوراً سجوداً وطوراً جؤارا

و«إذا» الثانية للفجاءة، وفي ذلك دليل على أن إذا الشرطية ليس العامل فيها الجواب لأنه [٣١٧/ب] لا يعمل ما بعد إذا الفجائية فيما قبلها.

و«منكم» خطاب للذين خوطبوا بقوله ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل] إذ «بكم» خطاب عام.

و«فريق» مبتدأ و«منكم» في موضع الصفة، وخبره «يشركون»، و«بربّهم» متعلق به. والفريق هنا هم المشكون المعتقدون حالة الرجاء أنّ آلهتهم تنفع وتضرّ وتشقي [وتسعد].

واللام في «ليكفروا» إن كانت للتعليل كان المعنى أن إشراكهم بالله شبيه كُفْرِهم به أي: جحودِهم أو كفرانِ نعمته. و«بما آتيناهم» من النّعم أو من كشف الضّر أو من القرآن المنزّل إليهم.

وإن كانت للصيرورة فالمعنى: صار أمرهم ليكفروا وهم لم يقصدوا بأفعالهم تلك أن يكفروا، بل آل أمر ذلك الجؤار والرغبة إلى الكفر بما أنعم عليهم، أو إلى الكفر الذي هو جحوده والشّرك به.

وإن كانت للأمر فمعناه التهديد والوعيد. «فسوف تعلمون» مبالغة في التهديد.

---

(١) ديوانه ص٨٩.

(٢) ق: يدوام.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ الآية، الضمير في «يجعلون» عائد على الكفار، وفي «لا يعلمون» عائد على «ما» التي هي الأصنام، إذ هي جماد لا علم لها ولا شعور. والنصيب: هو ما جعلوه لها من الحرث والأنعام. قبّح تعالى فعلهم ذلك أن يجعلوا ممّا رزقهم نصيباً للأصنام، ثم أقسم تعالى على أنه يسألهم عن افترائهم واختلاقهم[١] في إشراكهم مع الله آلهة، وأنها أهل للتقرّب إليها بجعل النصيب لها.

ولمّا ذكر تعالى أنه يسألهم عن افترائهم ذكر أنهم مع اتّخاذهم آلهة نسبوا إلى الله تعالى التوالد وهو مستحيل، ونسبوا ذلك إليه فيما لم يرتضوه لأنفسهم، وتربّد وجوههم من نسبته إليهم، ويكرهونه أشد الكراهة، وكانت خزاعة وكنانة تقول: الملائكة بنات الله.

«سبحانه» تنزيه له سبحانه وتعالى عن نسبة الولد إليه.

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ وهم الذكور. وهي جملة من مبتدأ وخبر.

وأجاز الزمخشري[٢] - وتبع فيه الفرّاء والحوفي - أن يكون «ولهم ما يشتهون» معطوفاً على قوله «لله البنات».

وذهلوا عن قاعدة في النحو، وهي أن الفعل إذا رفع ضميراً، وجاء بعده ضمير منصوب، لا يجوز أن ينصبه الفعل إلا إذا كان من باب ظن أو فقد وعدم؛ فلو قلت: زيد ظنّه قائماً - تريد: ظنّ نفسه - جاز. ولو قلت: زيد

---

(١) ق: واختلافهم.

(٢) الكشاف ٢: ٤١٤.

ضربه - فتجعل في ضرب ضمير رفع عائداً[1] على زيد وقد تعدى للضمير المنصوب - لم يَجُزْ. والمجرور يجري مجرى المنصوب؛ فلو قلت: زيد غضب عليه، لم يجز، كما لم يجز: زيد ضربه. فلذلك امتنع أن يكون قوله «لهم» متعلقاً «بيجعلون».

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ المشهور أنّ البشارة أول خبر يسرّ، وهنا قد يراد به مطلق الإخبار، أو تغيّر البشرة، وهو القَدْر المشترك بينهما. «بالأنثى» بولادة الأنثى.

﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾ بمعنى صار. وأصل [ظلّ] اتّصاف اسمها بالخبر الذي يجيء بعدها.

﴿مُسْوَدًّا﴾ خبر «ظلّ» واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغمّ والتكرّه[2] والنّفرة التي لحقته.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: ممتلىء القلب حزناً وغمًّا. و«كظيم» يحتمل أن يكون للمبالغة من كاظم، ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول كما قال تعالى ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم]. ويقال: سقاء مكظوم أي: مملوء مسدود الفم.

«يتوارى»: يختفي. «من القوم» متعلقٌ به. «من سوء» مِن للتعليل أي: لسوء ما بُشّر به. وقوله «به» ذكره حملاً على لفظ «ما» وإن كان أريد به الأنثى، ولذلك ذكّره في قوله «أيمسكه على هون» أي: على هوان.

و«أيمسكه» قبله حال محذوفة، التقدير: مفكّراً أيمسكه.

---

(١) ق: عائد.

(٢) ق: والنكرة.

«أم يدسّه» معطوف [٣١٨/أ] على «أيمسكه»، وكنّى به عن الوأد[١] وهو دفن البنت بالحياة. والجملة من قوله «أيمسكه» إلى آخرها في موضع نصب بتلك الحال المحذوفة، كما تقول: فكّرت أزيد في الدّار أم عمرو.

والظاهر من قوله «ألا ساء[٢] ما يحكمون» رجوعه إلى قوله ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴿٥٧﴾﴾ [النحل]، أي: ساء ما يحكمون في نسبتهم إلى الله تعالى ما هو مستكره عندهم نافر عنهنّ طبعهم بحيث لا يحتملون نسبتهنّ إليهم.

و«ما» في قوله «ما يحكمون» مصدرية تقديره: ساء حكمهم.

﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: صفة السّوء من الكفر بالله تعالى وإشراكهم معه أصناماً ونسبة الولد إليه تعالى وإنكارهم البعث.

«ولله المثل الأعلى» أي: الصفة العليا من تنزيهه تعالى عن الولد والصّاحبة وجميع ما ينسب الكفرة إليه ممّا لا يليق به تعالى كالتشبيه والانتقال وظهوره تعالى في صورة.

وناسب الختم «بالعزيز» وهو الذي لا يوجد نظيره، «الحكيم» الذي يضع الأشياء مواضعها.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ

---

(١) ق: وكنّى بعض الوأد.

(٢) ق: أساء.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ الآية، لمّا حكى تعالى عن الكفار عظيم ما ارتكبوه من الكفر ونسبة التوالد إليه، بيّن أنه تعالى يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة إظهاراً لفضله ورحمته.

و«يؤاخذ» مضارع آخذ[١]، والظاهر أنه بمعنى المجرّد الذي هو أخذ. والضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ عائد على غير مذكور ودلّ على أنه الأرض قوله ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ لأنّ الدبيب من الناس لا يكون إلاّ في الأرض.

والظاهر عموم «من دابّة» فيهلك الصالح بالطالح، فكان يهلك جميع ما يدبّ على الأرض حتى الجِعلان[٢] في جحورها.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ الآية، تقدّم نظيره في الأعراف[٣].

و«ما» في «يكرهون» لمن يعقل وأُريدَ بها النّوع كقوله تعالى ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم ﴿٣﴾﴾ [النساء].

ومعنى ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ يصفونه بذلك، ويحكمون به.

و﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بدل من الكذب أو على إسقاط الحرف أي: بأنّ لهم. وتقدّم الكلام في «لا جرم»[٤].

---

(١) ق: وأخذ.

(٢) الجِعلان: ضرب من الخنافس.

(٣) انظر تفسير الآية ٣٤ من الأعراف.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٢ من هود.

﴿ مُّفْرَطُونَ ﴾ قال الفرّاء[١]: تقول: العرب: أفرطت منهم ناساً أي: خلّفتهم ونَسِيتُهم. وقيل: مخلّفون متركون في النار.

ثم أخبر تعالى بإرسال الرسل إلى الأمم من قبل أمتك مقسماً على ذلك، ومؤكّداً بالقسم وبقد التي تقتضي تحقيق الأمر على سبيل التسلية لرسول الله [صلى الله] عليه وسلم، لما كان يناله بسبب جهالات قومه ونسبتهم إلى الله تعالى ما لا يجوز.

﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ من تماديهم على الكفر.

﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ حكاية حالٍ ماضية، أي: لا ناصر لهم في حياتهم إلاّ هو.

أو عبّر باليوم عن وقت الإرسال ومحاورة الرسل لهم، أو حكاية حال آتية وهو يوم القيامة. وأل في «اليوم» للعهد وهو اليوم المشهور، فهو وليّهم في ذلك اليوم أي: قرينهم وبئس القرين. والظاهر عود الضمير في «وليّهم» إلى «أمم».

[قيل][٢]: ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش وأنه زيّن للكفار قبلهم أعمالهم فهو وليّ هؤلاء لأنّهم منهم. ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي: فهو وليّهم: أي: وليّ أمثالهم اليوم انتهى.

وهذا فيه بُعد، لاختلاف الضمائر من غير ضرورة تدعو إلى ذلك، ولا إلى حذف المضاف، بل الضمير في الظاهر عائد إلى «أمم»[٣].

---

(١) معاني القرآن ٢: ١٠٧.

(٢) هذا كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٢: ٤١٦.

(٣) ق: الأمم.

واللام في «لتبين» لام التعليل. و«الكتاب» القرآن. و«الذي[1] اختلفوا فيه» من الشّرك والتوحيد والجبر والقَدَر وإثبات المعاد ونفيه وغير ذلك ممّا يعتقدون من الأحكام كتحريم البَحيرة وتحليل الميتة والدّم وغير ذلك من الأحكام.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ في موضع نصب [٣١٨/ب] على أنهما مفعول من أجله، وانتصبا لاتّحاد الفاعل في الفعل وفيهما، لأن المنزل هو الله تعالى [وهو الهادي والراحم.

ودخلت اللام في «لتبيّن» لاختلاف الفاعل، لأن المنزل هو الله تعالى] والتبيين مسند للمخاطَب وهو رسول الله ﷺ.

قال الزمخشري[2]: معطوفان على محلّ «لتبيّن».انتهى.

ليس بصحيح، لأن محلّه ليس نصباً فيعطف منصوباً عليه؛ ألا ترى أنه لو نصبه لم يَجُزْ لاختلاف الفاعل؟.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

---

(١) ق: والذين.

(٢) الكشاف ٢: ٤١٦.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ لمّا ذكر تعالى إنزال الكتاب للتّبيين كان القرآن حياة الأرواح وشفاءً لما في الصدور من علل العقائد، ولذلك ختم بقوله «يؤمنون» أي: يصدّقون، والتصديق محلّه القلب - ذكر إنزال المطر الذي هو حياة الأجسام وسبب لبقائها، ثم أشار بإحياء الأرض بعد موتها إلى إحياء القلوب بالقرآن كما قال تعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام]. فكما تصير الأرض خَضِرةً بالنبات نَضِرةً بعد همودها، كذلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتاً بالجهل، ولذلك ختم تعالى بقوله «يسمعون» أي: هذا التشبيه المشار إليه، والمعنى سماع إنصاف وتدبّر. ولملاحظة هذا المعنى - والله أعلم - لم يختم بـ: قوم يبصرون، وإن كان إنزال المطر مما يُبْصَر ويشاهد.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى إحياء الأرض بعد موتها، ذكر ما ينشأ عن المطر وهو حياة الأنعام التي هي مألوف العرب بما تتناوله من النبات الناشىء عن المطر.

ونبّه على العبرة العظيمة وهو خروج اللبن من بين فرث ودم. والفرث: كثيف ما يبقى من المأكول في الكرش أو المِعاء. وذكّر في قوله ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ ولا ضعف في ذلك من هذه الجهة، لأن التذكير والتأنيث باعتبار وجهين. وأعاد الضمير مذكّراً مراعاة للجنس، لأنه إذا صحّ وقوع المفرد الدالّ على الجنس مقام جمعه، جاز عَوْده عليه مذكّراً كقولهم: هو أحسن الفتيان وأنبله. لأنه يصحّ: هو أحسن فتى، وإن كان هذا لا ينقاس عند سيبويه، إنما يُقتصر فيه على ما قالته العرب.

قال الزمخشري[1]: ذكر سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة [الواردة] على أفعال كقولهم: ثوب أكياس. ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً انتهى.

قال سيبويه[2]: وأما أفعال فقد يقع للواحد.

فقول سيبويه: فقد يقع للواحد، دليل على أنه ليس ذلك بالوضع. وقول الزمخشري إنه ذكره في الأسماء المفردة على أفعال، تحريف في اللفظ وفهم عن سيبويه ما لم يُرِدْهُ. ويدلّ على ما قلناه أن سيبويه حين ذكر أبنية الأسماء المفردة نصّ على أنّ أفعالاً ليس من أبنيتها؛

قال سيبويه[3] في باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة: وليس في الكلام أَفْعَوْل ولا أَفْعِيل ولا أفعال إلاّ أن تكسّر عليه اسماً للجمع.انتهى.

فهذا نصّ منه على أن أفعالاً لا يكون في الأبنيه المفردة.

ولمّا ذكر تعالى ما منّ به من بعض منافع الحيوان، ذكر ما منّ به من بعض منافع النبات. «ومن ثمرات» متعلق «بتتّخذون». و«منه» بدل من قوله «من ثمرات» لأنه جمع يقع مكانه المفرد، كأنه قيل: ومن ثمر النخل، كما ذكرنا في إفراد الضمير في قوله «مما في بطونه» لوقوع النعم مكان الأنعام. والسَّكَر في اللغة: الخمر، قال الشاعر[4]: [من البسيط]

---

(١) الكشاف ٢: ٤١٦.

(٢) انظر الكتاب ٣: ٢٢٩.

(٣) الكتاب ٤: ٢٤٧.

(٤) البيت للأخطل في ديوانه ١: ٢٠٨.

بئس الصحاة وبئس الشَّرب شربهمُ إذا جرى منهم المـزّاء والسَّكَـرُ

[ولما كان مفتتح الكلام] «وإن لكم في الأنعام لعبرة» ناسب الختم بقوله «يعقلون» لأنه لا يعتبر إلاّ ذوو[١] العقول كما قال [٣١٩/أ] تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران][٢]. وانظر إلى الإخبار عن نعمة اللبن ونعمة السَّكَر والرّزق الحسن؛ لمّا كان اللبن لا يحتاج إلى معالجة من الناس أخبر عن نفسه تعالى بقوله «نسقيكم»، ولمّا كان السَّكَر والرّزق الحسن يحتاج إلى معالجة قال «تتّخذون» فأخبر عنهم باتّخاذهم منه السّكر والرزق الحسن. ولأمرٍ ما عجزت العرب العرباء عن معارضته!.

ولمّا ذكر تعالى المنّة باللبن المشروب[٣] وغيره، أتمّ النعمة بذكر العسل. ولمّا كانت المشروبات من اللبن وغيره هو الغالب في الناس أكثر من العسل، قدّم اللبن وغيره عليه، وقدّم اللبن على ما بعده لأنه المحتاج إليه كثيراً، وهو الدليل على الفطرة ولذلك اختاره رسول الله ﷺ حين أُسري به وعُرض عليه اللبن والخمر والعسل. وجاء ترتيبها في الجنة كهذه الآية[٤]؛ ففي إخراج اللبن من النَّعم والسَّكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، والعسل من النحل دلائل باهرة على الألوهية والقدرة والاختيار.

والإيحاء هنا الإلهام والإلقاء في روعها وتعليمها على وجه هو تعالى أعلم بكنهه لا سبيل إلى الوقوف عليه. و«النحل» جنس واحده نحلة، ويؤنث في لغة الحجاز ولذلك قال «أن اتخذي». و«أن» تفسيرية لأنه تقدّم معنى القول

---

(١) ق: ذو.

(٢) ق: الألباب. وفي يوسف ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

(٣) ق: بالمشروب اللبن.

(٤) انظر الآية ١٥ من محمد.

وهو «وأوحى»، أو مصدرية أي: باتّخاذ. و«مِن» للتبعيض لأنها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان. والظاهر أن البيوت هنا عبارة عن الكوى التي تكون في الجبال وفي متجوّف الأشجار. وأمّا ممّا يعرش ابن آدم فالخلايا التي يصنعها للنحل ابن آدم، والكوى التي تكون في الحيطان. ولمّا كان النحل نوعين، منها ما مقرّه الجبال والغياض ولا يتعهده أحد، ومنها ما يكون في بيوت الناس ويُتَعَهَّد في الخلايا ونحوها - شمل الأمر باتّخاذ البيوت النوعين[1].

وظاهر العطف بالفاء في «فاسلكي» أنه يعتقب[2] الأكل، أي: فإذا أكلت فاسلكي سبل ربّك، أي: طرق ربك إلى بيوتك راجعةً. والسّبل إذ ذاك مسالكها في الطيران، وربما أجدب مكانها فانتجعت المكان البعيد ثم عادت إلى مكانها الاول. وأضاف السبل إلى ربّ النحل من حيث إنه تعالى هو خالقها ومالكها والناظر في تهيئة مصالحها ومعاشها.

﴿ ذُلُلًاۚ ﴾ أي: غير متوعّرة عليها سبيل تسلكه، فعلى هذا «ذللاً» حال من «سبل ربك» كقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك]، أو حال من الضمير في «فاسلكي» متذلّلة.

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴾ وهو العسل، وسمّاه شراباً لأنه ممّا يُشرب. وقوله «من بطونها» لا يدلّ على تعيين المكان الذي يخرج منه أمن الفم أو من المخرج.

﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ بالحمرة والبياض والسّمرة.

(١) ق: نوعين.

(٢) ق: يتعقب.

ونكّر «شفاء» إمّا للتعظيم فيكون المعنى: فيه شفاء أيّ شفاء، وإما لدلالته على مطلق الشفاء أي: فيه بعض شفاء للناس ليس على عمومه، لأن بعض الأمراض لا يصلح فيه العسل.

ولمّا كان أمر [النّحل] عجيباً[1] في بنائها تلك البيوت المسدّسة وفي أكلها من أنواع الأزهار والأوراق الحامض والمرّ والضّارّ، وفي طواعيتها لأميرها ولمن يملكها في نقلها معه، وكان النظر في ذلك يحتاج إلى تأمّل وزيادة تدبّر، ختم بقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ نبّه تعالى على قدرته التامّة في [٣١٩/ب] إنشائنا من العدم وإماتتنا وتنقّلنا في حال الحياة من حال الجهل إلى حالة العلم، وذلك كلّه دليل على القدرة التّامة والعلم الواسع، ولذلك ختم تعالى بقوله ﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

و«أرذل العمر» آخره الذي تفسد فيه الحواسّ ويختلّ النطق والفكر. وخُصّ بالرذيلة لأنها حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد.

---

(١) ق: أمراً عجيباً.

واللام في «لكي» لتعليل الرّد إلى أرذل العمر، وهي حرف جرّ. و«كي» هنا ناصبة[١] بنفسها بمعنى أنْ، فينسبك منها [مع] ما بعدها مصدر فالتقدير: لا يبقى علمه شيئاً بعد أن كان عَلِمَه.

ولمّا ذكر تعالى خَلْقنا ثم إماتتنا وتفاوتنا في السنّ، ذكر تفاوتنا في الرزق وأنّ رِزْقنا أفضل من رزق المماليك وهم بشرٌ مثلنا، والتفاضل بالرزق يكون بالكثرة والقلّة. ثم نفى تعالى أن يكون مَن فُضّل في الرزق رادًّا رزقه على مملوكه؛ إذ ذاك الرزق الذي يطعمه مملوكه هو رزق الله تعالى والكلّ مرزوقون لله تعالى بالرّزق الذي قدّره للمالك والمملوك، ولذلك قال تعالى «فهم فيه سواء» أي: المُلاّك والمملوكون في الرزق سواء، ولذلك قال بعض الأدباء[٢]: [من البسيط]

ولا تقولنّ لي فضلٌ على أحدٍ   الفضل لله ما للناس أفضال

ثم استفهم عن جحودهم نِعَمَهُ استفهام[٣] إنكار. وأتى بالنعمة الشاملة للرزق وغيره من النعم التي لا تحصى، أي: أنّ من تَفَضَّل عليكم بالنشأة أولاً ثم بما فيه قوام حياتكم جدير بأن تُشكر نعمه ولا تُكفر.

ولمّا ذكر تعالى امتنانه بالإيجاد ثم بالرّزق المفضّل فيه، ذكر امتنانه بما يقوم بمصالح الإنسان ممّا[٤] يأنس به ويستنصر به ويخدمه.

واحتمل «من أنفسكم» أن يكون المراد: من جنسكم ونوعكم، واحتمل

(١) ق: ناقصة.

(٢) لم أجده.

(٣) ق: استفام.

(٤) ق: من.

أن يكون ذلك باعتبار خَلْق حوّاء من ضلعٍ من أضلاع آدم عليه السلام فنسب ذلك إلى بني آدم، وكلا الاحتمالين مجاز.

والظاهر [أنّ] عطف «حفدة» على «بنين» يفيد[1] كون الجميع من الأزواج وأنهم غير البنين، وقال الحسن: الحَفَدة هم بنو الابن، والحفدة: الأعوان والخدم ومن يسارع في الطاعة؛ يقال: حَفَد يَحْفِد حَفْداً وحُفوداً وحَفَداناً، ومنه «وإليك نسعى ونحفِد»[2] أي: نسرع في الطاعة، وقال الشاعر[3]:

حَفَد الولائد حولهنّ وأسلمتْ بأكفّهنّ أزمّةَ الأجمالِ

وقال الأزهري: الحفدة: أولاد الأولاد. ولمّا ذكر تعالى ما امتنّ به من جَعْل الأزواج وما ينتفع [به] من جهتهنّ[4]، ذكر تعالى منّته بالرّزق. والطّيبات عامّ في النبات والثمار والحبوب والأشربة.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ استئناف إخبار عن حالهم في عبادة الأصنام، وفي ذلك تبيين لقوله تعالى ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾. نعى عليهم فساد نظرهم في عبادة ما لا يمكن أن يقع منه ما يسعى عابده في تحصيله منه وهو الرزق ولا هو في استطاعته، فنفى أولاً أن يكون شيء من الرزق في ملكهم، ونفى ثانياً قدرتها على أن تحاول ذلك.

و﴿ مَا[لَا] يَمۡلِكُ﴾ عامّ في جميع مَنْ عُبدَ من دون الله من مَلَك أو آدمي أو غير ذلك. وأجازوا في «شيئا» انتصابه بقوله «رزقاً».

---

(١) ق: بقيد.

(٢) انظر النهاية ١ : ٤٠٦.

(٣) البيت في اللسان «حفد» غير منسوب. وهو من الكامل

(٤) ق: جهتين.

قال ابن عطية: والمصدر يعمل مضافاً باتّفاق، لأنه في تقدير الانفصال، ولا يعمل إذا دخله الألف واللام لأنه قد توغّل في حال الأسماء وبَعُد عن الفعلية، وتقدير الانفصال في الإضافة حسن عمله [٣٢٠/أ] وقد جاء عاملاً مع الألف واللام في قوله[1]: [من المتقارب]

ضعيف النكاية أعداءه [يخال الفرارَ يراخي الأجَلْ]

البيت، وقوله[2]: [من الطويل]

[لقد علمتْ أُولى المغيرة أنني] لحقتُ فلم أُنكِلْ عن الضربِ مِسْمعا

انتهى.

أما قوله: يعمل مضافاً باتفاق، إن عنى من البصريين فصحيح، وإن عنى من النحويين فغير صحيح؛ لأن بعض النحويين ذهب إلى أنه وإن أضيف لا يعمل، وإن نَصَب ما بعده أو رَفَعه، إنما هو على إضمار الفعل المدلول عليه بالمصدر.

وأما قوله: لأنه في تقدير الانفصال فليس كذلك لأنه لو كان في تقدير الانفصال لكانت الإضافة غير محضة. وقد قال بذلك أبو القاسم بن برهان وأبو الحسين بن الطّراوة، ومذهبهما فاسد لنعت هذا المصدر المضاف وتوكيده بالمعرفة.

وأما قوله: ولا يعمل إلى آخره، فقد ناقض في قوله آخراً: وقد جاء عاملاً مع الألف واللام.

---

(١) البيت من شواهد الكتاب ١: ١٩٢، وانظر شرح ابن عقيل ٢: ٩٥.

(٢) البيت للمرّار الأسدي، وهو من شواهد الكتاب ١: ١٩٣.

وأما كونه لا يعمل مع الألف واللام فهو مذهب منقول عن الكوفيين.

ومذهب سيبويه جواز إعماله، قال سيبويه[١]: وتقول: عجبت من الضرب زيداً، كما تقول: عجبت من الضارب زيداً، تكون الألف واللام بمنزلة التنوين.

والظاهر عَوْد الضمير في «يستطيعون» على «ما» على معناها، لأنه يراد بها آلهتهم، بعدما أعاد على اللفظ في قوله «لا يملك» فأفرد. وجاز أن يكون داخلاً في صلة «ما» وجاز أن لا يكون داخلاً بل إخبار عنهم بانتفاء الاستطاعة أصلاً لأنهم أموات.

وأما قول الزمخشري[٢] إنه يراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد، فليس كما ذكر لأنّ نفي الملك مغاير لنفي الاستطاعة.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ قال ابن عباس: لا تشبّهوه بخَلْقه.

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أثبت العلم لنفسه، والمعنى أنه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والإشراك به. [وعبّر] عن الجزاء بالعلم.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ كُنْهَ ما أقدمتم عليه ولا وبالَ عاقبته.

﴿۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ

---

(١) الكتاب ١ : ١٩٢.

(٢) الكشاف ٢ : ٤٢٠.

بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾ ﴾.

﴿ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا﴾ الآية، مناسبة ضرب هذا المثل أنّه لمّا بيّن تعالى ضلالهم في إشراكهم بالله غيره، وهو لا يجلب نفعاً ولا ضرًّا لا لنفسه ولا لعابده، ضرب لهم مثلاً قصّة عبد في ملك غيره عاجز عن التصرّف، وحرٌّ غني متصرف فيما آتاه الله تعالى. فإذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتركَيْن في الإنسانية، فكيف تشركون بالله تعالى وتسوّون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته من آدميّ وغيره مع تباين الأوصاف؟! وإنّ واجب الوجود لا يمكن أن يُشْبهه شيء من خلقه، ولا يمكن لعاقل أن يُشبِّه به غيرَه.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾ أي: قصة رجلين. وهذا[1] مثل ثانٍ[2] ضربه تعالى لنفسه ولما يُفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية، والأصنامِ التي هي أموات لا تضرّ ولا تنفع.

والأبكم: الذي ولد أخرس، فلا يَفهم ولا يُفهم.

﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾ أي: ثقل وعيال على من يلي[3] أمره ويعوله.

﴿ أَيۡنَمَا[4] يُوَجِّههُّ﴾ حيثما يرسله ويصرفه في مطلبِ حاجةٍ أو كفايةِ مهمٍّ[5]

---

(١) هذا كلام الزمخشري، من هنا حتى نهاية تفسير الآية. انظر الكشاف ٢: ٤٢١.

(٢) ق: ثاني.

(٣) ق: يعي.

(٤) ق: أينما ما.

(٥) ق: بهم.

لم ينفع ولم يأت بنُجْح.

﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن﴾ هو سليم الحواس نفّاع ذو كفاية مع رشد وديانة، فهو يأمر الناس بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم: على سيرة صالحة ودين قويم.

ثم ذكر تعالى أنّ له غيب السماوات والأرض وهو ما غاب عن العباد وخفي فيها عنهم عامّة.

والظاهر اتّصاله بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل]. أخبر باستئثاره بعلم الغيب في السماوات والأرض ثم بكمال قدرته على [٣٢٠/ب] الإتيان بالساعة التي ينكرونها في لمحة البصر أو أقرب.

والمعنى بهذا الإخبار أن الآلهة التي يعبدونها منتفٍ عنها هذان الوصفان اللذان للإلٰه وهما العلم المحيط بالمغيّبات، والقدرة البالغة التّامة. ومن ذكر أنّ قوله «ومن يأمر بالعدل» هو الله تعالى، ذكر ارتباط هذه الجملة بما قبلها بأنّ من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو الكامل في العلم والقدرة، فبيّن ذلك بهذه الجملة.

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ

﴿نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ۝٨١ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٨٢ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾.

ولمّا ذكر تعالى أمر الساعة، وأنها كائنة لا محالة، فكان في ذلك دلالة على النشأة الآخرة وتقدم وصفهم بانتفاء العلم - ذكر النشأة الأولى وهي[١] إخراجهم من بطون أمهاتهم غير عالمين شيئاً تنبيهاً على وقوع النشأة الآخرة. ثم ذكر تعالى امتنانه عليهم بجعل الحواس التي هي سبب لإدراك الأشياء والعلم.

قال الزمخشري[٢]: «والأفئدة» من جموع القلّة التي جرت مجرى جموع الكثرة [والقلّة]، إذ لم يَرِدْ في السماع غيرها كما قالوا: شسُوع في جمع شِسْع لا غير فجرت ذلك المجرى انتهى.

ودعوى الزمخشري أنه لم يجيء في جمع شسع إلا شسوع لا غير، ليس بصحيح، بل جاء فيه جمع القلّة قالوا: أشساع[٣]، وما ذكره الزمخشري[٤] هنا ليس بشيء.

ولمّا كانت النشأة الأولى وجعل ما يعلمون به لهم من أعظم النعم عليهم قال «لعلكم تشكرون». وتقدم الكلام في «أمّهات» في النساء[٥]. و«لا تعلمون» جملة حالية أي: غير عالمين.

---

(١) ق: وفي.

(٢) الكشاف ٢: ٤٢٢.

(٣) ق: شساع.

(٤) ق: ابن الخطيب.

(٥) انظر تفسير الآية ٢٣ من النساء.

ولمّا ذكر تعالى مدارك العلم الثلاثة: السمع والبصر والعقل، والأول مدرك المحسوس والثاني مدرك المعقول، اكتفى من ذكر مدرك المحسوس بذكر النظر فإنه أغرب، لما يشاهَد به من عظيم المخلوقات على بُعْدها[١] المتفاوت كمشاهدته للنّيرات في الأفلاك. وجعل هنا موضع الاعتبار والتعجّب الحيوان الطائر فإن طيرانه في الهواء مع ثقل جسمه مما يُتعجّب منه ويُعتبر به. وتضمّنت الآية ذكر مدرك العقل في كونه لا يسقط [إذ] ليس تحته ما يدعمه، ولا فوقه ما يتعلّق به، فيعلم بالعقل أنه له ممسك قادر على إمساكه وهو الله تعالى. فانتظم في الآية ذكر مُدرَك الحسّ ومُدرَك العقل.

ومعنى «مسخرات» مذلَّلات، وبُني للمفعول دلالة على أنّ له مسخِّراً وهو الله تعالى. والجو: مسافة ما بين السّماء والأرض.

﴿لَآيَٰتٍ﴾ جمع ولم يفرد لما في ذلك من الآيات: خفة[٢] الطائر التي جعلها الله تعالى فيه لأن يرتفع بها، وثقله الذي جعله الله تعالى فيه لأن ينزل، والفضاء الذي بين السماء والأرض، والإمساك الذي لله تعالى. أو جمع باعتبار ما في هذه الآية والتي قبلها.

وقال ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم هم الذين ينتفعون بالاعتبار، ولتضمّن الآية أنّ المسخِّر والمُمْسِك لها هو الله تعالى فهو إخبار منه تعالى ما يصدّق به إلا المؤمن.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ الآية، والسَّكَن فَعَل بمعنى مفعول

---

(١) ق: ما بعدها.

(٢) ق: خفطة.

كالقَنَص وأنشد الفرّاء[١]: [من البسيط]

جـاء الشتـاء ولمـا أتّخـذْ سكنـاً   يا ويح قلبيَ من حَفْرِ القراميصِ

وليس السّكن بمصدر كما ذهب إليه ابن عطية. والظاهر أنه يندرج في البيوت التي من جلود الأنعام: بيوت الشَّعر وبيوت الصوف وبيوت الوبر.

«يوم ظعنكم» يوم ترحلون خفّ عليكم حملها وثقلها، ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها.

والظاهر أن «أثاثاً» مفعول والتقدير: وجعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً.

﴿مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ [٣٢١/أ] لمّا كانت بلاد العرب الغالب عليها الحرّ، امتنّ عليهم بذكر ما يكنّهم منه كالظّلال فيما له ظلّ. والأكنان[٢] من الجبال: الغِيْران والكهوف والبيوت المنحوتة منها. والسّربال: ما لُبس على البدن من قميص وغيره. وثَمَّ محذوف تقديره: الحرّ والبرد، لأنّ ما وقى الحرّ جدير بأن يقي البرد.

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم﴾ كناية عن الدروع والمِغْفَر[٣] وغير ذلك.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ يحتمل أن يكون ماضياً أي: فإن أعرضوا عن الإسلام، ويحتمل أن يكون مضارعاً أي: فإن يتولّوا، وحذفت الياء. ويكون جارياً على الخطاب السابق والماضي على الالتفات. والفاء وما بعدها جواب

(١) البيت في اللسان «قرمص» غير منسوب.

(٢) ق: والأكنا.

(٣) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يُلبس تحت القلنسوة.

الشرط صورة، والجواب حقيقة محذوف أي: فأنت معذور إذ أدّيت ما وجب عليك، فأقيم سبب العذر وهو «البلاغ» مقام المسبّب لدلالته عليه.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ لمّا ذكر إنكارهم لنعمة الله تعالى، ذكر حال يوم القيامة حيث لا ينفع فيه الإنكار، على سبيل الوعيد لهم بذلك اليوم. وانتصب «يوم» بإضمار: اذكر، على أنه مفعول به. ومتعلق الإذن محذوف فقيل: في الرجوع إلى دار الدنيا أو في الكلام والاعتذار.

﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي: لا يُزال عنهم العتب.

والظّاهر أن قوله «شركاءهم» عامّ في كل من اتخذوه شريكاً لله تعالى من صنم وغيره. والظّاهر أن القول منسوب إليهم حقيقة، وقيل منسوب إلى جوارحهم، لأنهم لمّا أنكروا الإشراك بقولهم ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنعام] أصمت الله ألسنتهم، وأنطق جوارحهم.

ومعنى ﴿ نَدْعُوا ﴾ نعبد، قالوا ذلك [رجاء] أن يُشْركوا معهم في العذاب إذ يحصل التأسّي بهم.

والضمير في «فألقوا»[١] عائد على «الذين أشركوا»، و«إليهم» عائد على الشركاء.

﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ خطاب العابدين للمعبودين، واجهوا من كانوا يعبدونهم بأنهم كاذبون.

و«السلم» الاستسلام والانقياد لحكم الله تعالى بعد الإباء والاستكبار في الدنيا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بطل عنهم. ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من أن لله شركاء.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ. و﴿زِدْنَٰهُمْ﴾ الخبر. صدر منهم شيئان: الكفر والصدّ عن سبيل الله، فعوقبوا بعذابين: عذاب على الصدّ فوق العذاب الذي لهم على الكفر.

و﴿فِى كُلِّ أُمَّةٍ﴾ نبعث فيها: منها، حذف في السابق[٢] ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وأثبته هنا، وحذف هناك «في» وأثبته هنا. والمعنى في كليهما أنه يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم.

والخطاب في «بك» لرسول الله ﷺ. والإشارة «بهؤلاء» إلى أمّته.

﴿وَنَزَّلْنَا﴾ استئناف إخبار، وليس داخلاً مع ما قبله لاختلاف الزّمانين.

لمّا ذكر ما شرّفه الله تعالى به من الشهادة على أمّته، ذكر ما أنزل عليه مما فيه بيان كل شيء من أمور الدين، ليزيح بذلك علّتهم فيما كلّفوا، فلا حجّة

(١) ق: قالوا.

(٢) في الآية ٨٤ المتقدمة.

لهم ولا معذرة.

والظاهر أن «تبياناً» مصدر جاء على تِفعال، وإن كان باب المصادر أن يجيء على تَفعال بالفتح كالتَّرداد والتَّطواف[1]، فنظير «تِبيان» في كسر تائه: تِلقاء. ونصبوا «تبياناً» على الحال، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: كيف كان القرآن تبياناً لكل شيء؟ قلت: المعنى أنه بيّن كل شيء من أمور الدين حيث كان نصًّا على بعضها وإحالةً على السّنة حيث أمر فيه باتّباع رسول الله ﷺ وطاعته وقيل ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم] وحثًّا على الإجماع في[3] قوله ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٥﴾ [النساء]. وقد رضي رسول الله صلى [٣٢١/ب] الله عليه وسلم اتّباع أصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»[4]. وقد اجتهدوا وقاسوا ووطّؤوا طرق القياس والاجتهاد[5]، فكانت السنّة والاجتهاد والإجماع والقياس مستندةً إلى تبيين الكتاب، فمن ثَمّ كان تبياناً لكلّ شيء.انتهى.

قوله: وقد رضي [رسول] الله ﷺ إلى قوله: اهتديتم؛ لم يقل ذلك، رسول الله ﷺ، وهو حديث موضوع، لا يصح بوجهٍ عن رسول الله ﷺ.

---

(١) ق: والطواف.

(٢) الكشاف ٢: ٤٢٤.

(٣) ق: من.

(٤) موضوع، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١: ٧٨. وانظر أيضاً تعليق المصنف الآتي عليه.

(٥) ق: واجتهاد.

قال الحافظ الوزير أبو محمد علي بن أحمد بن حزم في رسالته في إبطال القياس والرأي والاستحسان والتعليل والتقليد ما نصّه: وهذا خبر مكذوب موضوع باطل لم يصحّ قطّ، وذكر إسناده[(١)] إلى البزّار صاحب المسند. قال: سألتم عمّا روي عن النبي ﷺ ممّا في أيدي العامة ترويه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إنما مَثَل أصحابي كمثل النجوم أو كالنجوم بأيها اقتدوا اهتدوا. فهذا كلام لم يصحّ عن النبي ﷺ، رواه عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي ﷺ ولم يثبت. والنبي ﷺ لا يصحّ[(٢)] الاختلاف بعده من أصحابه. هذا نصّ كلام البزّار.

قال[(٣)] ابن معين: عبد الرحيم بن زيد كذاب خبيث ليس بشيء. وقال البخاري: هو متروك. ورواه أيضاً حمزة الجزري، وحمزة هذا ساقط متروك.

و«للمسلمين» متعلق «ببشرى». ومن حيث المعنى متعلق «بهدى ورحمة».

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ

(١) ق: ذكر بإسناده.

(٢) في المطبوع: لا يبيح.

(٣) ق: وقد.

عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ الآية، عن ابن عباس في حديث فيه طول[1]، منه أنّ عثمان بن مظعون كان جليس النبيّ ﷺ وقتاً، فقال له عثمان: ما رأيتُك تفعل فَعْلَتَك الغداة. قال: وما رأيتَني فعلت؟ قال: شَخَص بصرك إلى السماء ثم وضعتَه على يمينك فتحرّفتَ عنّي إليه وتركتَني، فأخذتَ تنغض رأسك كأنك تستَفْقه شيئاً يقال لك. قال: أَوَفطنتَ لذلك؟ أتاني رسول الله آنفاً وأنت جالس. قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: «إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان» وذكر الآية. قال: فذلك حين استقرّ الإيمان في قلبي فأحببتُ محمداً ﷺ.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لمّا ذكر «ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء» وصل[2] به ما يقتضي التكاليف فرضاً ونفلاً وأخلاقاً وآداباً.

والعدل: فعل فروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظّلم والإنصاف وإعطاء الحقّ.

«والإحسان» فِعْلُ كل مندُوب إليه.

(١) انظر أسباب النزول ص١٨٩.

(٢) ق: ووصل.

﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ هو صلة الرّحم وهو مندرج تحت الإحسان لكنّه نبّه عليه اهتماماً به وحضًّا على الإحسان إليه.

و«الفحشاء» الزّنى. «والمنكر» الشرك. «والبغي» التّطاول بالظّلم والسعاية فيه. وهو داخل في المنكر، ونبّه عليه اهتماماً باجتنابه.

﴿ يَعِظُكُمْ ﴾[(١)] أي: بالأمر والنهي.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ تتنبّهون لما أُمرتم به ونُهيتم عنه.

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ عهد الله عَلَمٌ لما عقده الإنسان والتزمه.

﴿ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ أي: العهود الموثّقة بالإيمان. نهى عن نقضها تهمّماً بها ﴿ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ أي: توثيقها باسم الله تعالى.

وكفالة الله تعالى: شهادته ومراقبته. والجملة من قوله «وقد جعلتم» في موضع الحال.

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ ﴾ أي: في نقض العهد بعد توكيده وتوثيقه بالله تعالى كالمرأة الورهاء[(٢)] [٣٢٢/أ] تبرم فَتْل غَزْلها ثم تنقضه نكثاً، وهو ما يحلّ فتله. والتشبيه لا يقتضي تعيين المشبّه به. وعن الكلبي ومقاتل: الورهاء هي من قريش، خرقاء، اسمها ريطة بنت سعد[(٣)]، من تيم، تلقّب بجفراء، اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصِنّارة مثل أصبع وفَلْكة[(٤)] عظيمة على قدرها كانت تغزل

---

(١) ق: يعظكم به.

(٢) الورهاء: الحمقاء.

(٣) في القرطبي ١٠: ١٧١: ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد.

(٤) فلكة المغزل: القطعة من الخشب ونحوه تجعل في أعلاه وتثبت الصّنارة من فوقها =

هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهنّ فينقضن ما غزلن.

والظاهر أن قوله ﴿مِنۢ بَعۡدِ[١] قُوَّةٍ﴾ أي: شدّة حدثت من تركيب قوى الغزل. والنّكث في اللغة الحبل إذا انتقضت قواه.

والدَّخَل: الفساد والدّغل[٢]. جعلوا الأيمان ذريعة إلى الخدع والغدر، وذلك أن المحلوف له مطمئن فيمكن للحالف ضرّه بما يريده. قالوا: نزلت في العرب، كانوا إذا حالفوا قبيلة فجاء أكثر منها عدداً حالفوه[٣] وغدروا بالتي كانت أقلّ.

﴿هِيَ أَرۡبَىٰ﴾ أي: أزيد وأكثر. والضمير في «به» عائد على المصدر المنسبك من «أن تكون» أي: بسبب كونه أمّة هي أربى من أمّة.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الآية، هذه المشيئة [مشيئة] اختيار على مذهب أهل السنّة، ابتلى الناس بالأمر والنّهي ليذهب كلٌّ إلى ما يُسِّرَ له.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ كرّر النّهي عن اتّخاذ الأيمان دَخَلاً تهمّماً بذلك، مبالغة في النّهي عنه لعظم موقعه من الدين.

قال ابن عطية: وتردّده في معاملات الناس.

وقال الزمخشري[٤]: تأكيداً عليهم وإظهاراً لعظم ما يُرتكب منه انتهى.

= وعود المغزل من تحتها.

(١) ق: أي بعد.

(٢) ق: والرّغل. والدّغل: عيب في الأمر يفسده.

(٣) ق: خالفوه.

(٤) الكشاف ٢: ٤٢٧.

وقيل إنما كرّر لاختلاف المعنيين؛ لأن الأول نهي عن الدخول في الحلف ونقص العهد بالقلّة والكثرة، وهنا نهي عن الدَّخَل في الأيمان التي يراد[١] بها اقتطاع حقوق فكأنه قال: دَخَلاً بينكم لتتوصّلوا بها إلى قطع أموال الناس.

وأقول: لم يتكرر النّهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً، وإنما سبق إخبار بأنهم اتخذوا أيمانهم دخلاً معلّلاً بشيء خاص، وهو أن تكون أمة هي أربى من أمّة، وجاء النهي بقوله «ولا تتخذوا» استئناف إنشاء عن اتّخاذ الأيمان دخلاً على العموم، فيشمل جميع الصور من الحَلْف في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك.

وانتصب «فتزل» على جواب النّهي، وهو استعارة لمن كان مستقيماً ووقع في أمر عظيم وسقط، لأن القدم إذا زلّت، نقلت[٢] الإنسان من حال خير إلى حال شرّ.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هذه الآية نهي عن الرُّشا وأخذ الأموال على ترك ما يجب على الآخذ فِعْلُه أو فِعْلِ ما يجب عليه[٣] تَرْكُه، فإنّ هذه هي التي عهد الله تعالى إلى عباده فيها. وبيّن تعالى الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفذ وتنقضي[٤] عن الإنسان، وينقضي عنها، والتي في الآخره باقية دائمة.

ودلّ قوله تعالى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ على [أنّ] نعيم الجنّة لا ينقطع أبداً.

---

(١) ق: يريد.

(٢) في المطبوع: تقلب، وهو وجه.

(٣) عليه: مكررة في ق.

(٤) ق: وتقتضي.

و«ما» موصولة وهي اسم «إنّ» و«عند الله» صلة الموصول.

و﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ جملة في موضع خبر «إنّ». و«ما» في الجملتين موصولة بمعنى الذي. و«ينفذ» خبر الأولى. و«باقٍ» خبر الثانية.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ جملة حالية.

والظاهر من قوله ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُمْ﴾ أنّ ذلك في الدنيا، ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ يعني في الآخرة.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ الآية، لمّا ذكر ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل] وذكر أشياء ممّا بيّن في الكتاب[1]، فإن كان الخطاب لرسول الله ﷺ لفظاً فالمراد أمّته.

ونفى تعالى سلطان الشيطان عن المؤمنين. والسلطان هنا [٣٢٢/ب]

(١) كذا أورده المصنف. وفي عبارة البحر ٥: ٥٣٥ جواب لمّا: ذكر ما يصون به القارىء قراءته من وسوسة الشيطان ونزغه فخاطب السامع بالاستعاذة منه إذا أخذ في القراءة.

التسلّط والولاية، والمعنى أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتّباع خطواته. وظاهر الإخبار انتفاء سلطته عن المؤمنين مطلقاً.

ولمّا ذكر تعالى إنزال الكتاب تبياناً لكلّ شيء، وأمر بالاستعاذة عند[١] قراءته، ذكر تعالى نتيجة ولاية الشيطان لأوليائه المشركين وما يلقيه إليهم من الأباطيل، فألقى إليهم إنكار النَّسْخ لمّا رأوا تبديل آية مكان آية. وتقدّم الكلام في النّسخ في البقرة[٢]. والظاهر أن هذا التبديل رَفْع آيةٍ لفظاً ومعنى، ويجوز أن يكون التّبديل بحكم المعنى وإبقاء اللفظ، ووجد الكفار بذلك طعناً في الدين وما علموا أن المصالح تختلف بحسب الأوقات والأشخاص، وكما وقع نسخ شريعة بشريعة يقع في شريعة واحدة. وأخبر تعالى أنه العالم بما ينزّل لا أنتم، وما تنزّل ممّا يقرّه ويرفعه فمرجع علم ذلك إليه.

و«روح القدس» هنا هو جبريل عليه السلام. وأضاف الربّ إلى كاف الخطاب تشريفاً لرسول الله ﷺ باختصاص الإضافة.

و﴿بِالْحَقِّ﴾ حال أي: ملتبساً بالحقّ سواء كان ناسخاً أو منسوخاً.

و﴿لِيُثَبِّتَ﴾ معناه أنهم لا يضطربون في شيء منه لكونه نسخاً، بل النسخ مثبّت لهم[٣] لهم على إيمانهم. ودلّ اختصاص التعليل بالمسلمين على اتّصاف الكفّار بضدّه من لحاق الاضطراب لهم.

قال الزمخشري[٤]: «وهدى وبشرى» مفعول لهما معطوفان على محل

---

(١) ق: ضد.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠٦ من البقرة.

(٣) ق: مثبّتاً.

(٤) الكشاف ٢: ٤٢٩.

«ليثبّت» انتهى.

تقدّم الرّدّ عليه في نحو هذا وهو قوله ﴿ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴿٦٤﴾﴾ [النحل] في هذه السورة. ولا يمتنع عطفه على المصدر المنسبك من أنْ والفعل لأنه مجرور، فيكون «وهدى وبشرى» مجرورين كما تقول: جئت لأحسن إلى زيد وإكرامٍ[1] لخالد، إذ التقدير: لإحسانٍ إلى زيد.

وجاء إسناد التعليم إلى مبهم لم يُعيَّن. وقال ابن عبّاس: كان في مكّة غلام أعجمي لبعض قريش يقال له بلعام، فكان رسول الله ﷺ يعلّمه الإسلام ويرومه عليه، فقالت قريش: هذا يعلّم محمداً[2] من جهة الأعاجم، وقد ذكروا أسماء ناسٍ أُخَر غير بلعام لا يصحّ شيء منها.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: الجملة التي في قوله «لسان الذي يلحدون إليه أعجمي» ما محلّها؟ قلت: لا محلّ لها لأنها مستأنفة، جواب لقولهم. ومثله قوله ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ[4] ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام] بعد قوله ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام] انتهى.

يجوز عندي أن تكون جملة حالية، فموضعها نصب، وذلك أبلغ في الإنكار عليهم؛ أي: يقولون ذلك والحال هذه، أي: عِلْمهم بأعجمية هذا البشر وإبانة عربية[5] هذا القرآن كان يمنعهم من تلك المقالة، كما تقول:

---

(١) ق: وأكرم.

(٢) ق: محمد.

(٣) الكشاف ٢: ٤٢٩.

(٤) ق: رسالاته.

(٥) ق: وآياته غريبة.

تشتم فلاناً وهو قد أحسن إليك، أي: عِلْمُكَ[١] بإحسانه لك كان يقتضي مَنْعك من شتمه.

وإنما ذهب الزمخشري إلى الاستئناف، ولم يذهب إلى الحال، لأنّ مذهبه أنّ مجيء الجملة الحالية الاسمية بغير واوٍ شاذّ، وهو مذهب مرجوح جدًّا. ومجيء ذلك بغير واوٍ لا يكاد ينحصر كثرةً في كلام العرب، وهو مذهب تبع فيه الفرّاء.

وأما «الله أعلم» فظاهر قوله فيها لأنها جملة خالية[٢] من ضمير يعود على ذي الحال، لأن ذا الحال هو ضمير [«وقالوا»] وفي هذه الآية ذو الحال ضمير «يقولون». والضمير الذي في جملة الحال هو ضمير الحال في «يلحدون»، فالجملة وإن عريت عن الواو[٣] ففيها ضمير ذي الحال.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ

(١) ق: أعلمك.

(٢) ق: حالية.

(٣) ق: عن الحال.

مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَـٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

﴿إِنَّ[٣٢٣/ أ] ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآية، أخبر تعالى عنهم أنهم لا يهديهم الله أبداً إذ كانوا جاحدين آيات الله وهو ما أتى به رسول الله ﷺ من المعجزات وخصوصاً القرآن، فمن بالغ في جحد آيات الله سدّ الله باب الهداية عنهم، وذكر تعالى وعيده بالعذاب الأليم لهم.

ومعنى «لا يهديهم» لا يخلق الإيمان في قلوبهم، وهذا عام مخصوص، فقد اهتدى قوم كفروا بآيات الله تعالى.

﴿مَن كَفَرَ﴾: «مَن» شرطية وجوابه محذوف تقديره: فهو مؤاخذ بكفره. و«إلّا» باستثناء منقطع تقديره: لكن من أُكره على الكفر ولَفَظَ به وقلبه مطمئن بالإيمان فلا يؤاخذ به.

﴿وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ﴾: «مَن» شرطية جوابه «فعليهم غضب».

وقال ابن عطية: وقيل: «فعليهم» خبر عن «مَن» الأولى والثانية إذ هو واحد بالمعنى؛ لأن الإخبار في قوله «من كفر» إنما قصد الصنف الشّارح بالكفر صدراً انتهى.

هذا وإن كان كما ذكر فهاتان جملتان شرطيتان، وقد فصل بينهما بأداة الاستدراك، فلا بدّ لكل واحدة منهنّ من جواب على انفراده، لا يشتركان

فيه، فتقدير الحذف أُجري على صناعة الإعراب. وعلى كون «مَن» في موضع رفع على الابتداء يجوز أن تكون شرطية كما ذكرنا، وأن تكون موصولة وما بعدها صلتها، والخبر محذوف لدلالة ما بعده عليه، كما ذكرنا في حذف جواب الشرط. إلاّ أنّ «مَن» الثانية لا يجوز أن تكون شرطاً حتى يقدّر قبلها مبتدأ، لأنّ «مَن» وَلِيَتْ «لكنْ» فتعيّن إذ ذاك أن تكون «مَن» موصولة. فإن قدّر مبتدأٌ بعد «لكنْ» جاز أن تكون شرطية في موضع [خبر] ذلك المبتدأ المقدّر كقوله[1]: [من الطويل]

[ولستُ بحلاّل التّلاع مخافةً] ولكن متى يَسترفدِ[2] القومُ أرْفِدِ

أي: ولكنْ أنا، فكذلك هنا أي: ولكن هم من شرح بالكفر صدراً أي: منهم.

وأجاز الحوفي والزّمخشري[3] أن تكون «مَن» بدلاً من «الذين لا يؤمنون» ومن «الكاذبون».

ولم يُجز الزّجاج إلا أن يكون بدلاً من «الكاذبون» لأنه رأى الكلام إلى آخر الاستثناء غير تام، فعلّقه بما قبله.

وأجاز الزمخشري[4] أيضاً أن يكون بدلاً من «أولئك».

فإن كان بدلاً من «الذين لا يؤمنون» فيكون قوله «وأولئك هم الكاذبون» جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه، والمعنى: إنما يفتري الكذب من كفر

---

(١) البيت لطرفة في شرح القصائد السبع ص١٨٦.
(٢) ق: تسترفد.
(٣) الكشاف ٢: ٤٣٠.
(٤) الكشاف ٢: ٤٣٠.

بالله من بعد إيمانه، واستثني منه المكره، فلم يدخل تحت حكم الافتراء. وإذا كان بدلاً من «الكاذبون» فالتقدير: وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه. وإذا كان بدلاً من «أولئك» فالتقدير: من كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون.

وهذه الأوجه الثلاثة عندي ضعيفة؛ لأن الأول يقتضي أنه لا يفتري الكذب إلاّ من كفر بالله من بعد إيمانه، والوجود يقتضي أنّ من يفتري الكذب هو الذي لا يؤمن، وسواء أكان[1] ممّن كفر بعد الإيمان أم كان ممّن لم يؤمن قطّ، بل من لم يؤمن قطّ هم الأكثرون المفترون الكذب!.

وأما الثاني فيؤول المعنى إلى ذلك؛ إذ التقدير: وأولئك - أي: الذين لا يؤمنون - هم من كفر بالله من بعد إيمانه، والذين لا يؤمنون هم المفترون.

وأما الثالث فكذلك، إذا التقدير أن المشار إليهم هم من كفر بالله من بعد إيمانه مخبرٌ عنهم بأنهم الكاذبون.

وقال الزمخشري[2]: ويجوز أن ينتصب على الذّم.

هذا أيضاً بعيد، والذي تقتضيه فصاحة الكلام جَعْل الجمل كلّها مستقلّة لا ترتبط بما قبلها من حيث الأعراب بل من حيث المعنى [٣٢٣/ب] والمناسبة.

والظاهر أن «ذلك» إشارة إلى ما استحقّوه من الغضب والعذاب، أي: كائن لهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ [فيه] دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك

(١) ق: كان.

(٢) الكشاف ٢: ٤٣٠.

وهم عمّار وأصحابه رضي الله عنهم.

﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ الآية، «يوم» ظرف وهو منصوب باذكر على أنه مفعول به. والظاهر عموم «كل نفس» فتجادل المؤمن والكافر وجداله بالكذب والجحد، فتشهد[١] عليهم الرسل والجوارح فحينئذ لا ينطقون.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي: من قرى الأوّلين، جُعل مثلاً لمكّة على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة.

قال الزمخشري[٢]: يجوز أن يراد: قرية مقدّرة على هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأوّلين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلاً لمكّة إنذاراً من مثل عاقبتها انتهى.

لا يجوز أن يراد قرية مقدّرة على هذه الصفة، بل لا بدّ من وجودها لقوله ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ ابتدأ بصفة الأمن لأنه[٣] لا نعيم لخائف. والاطمئنان زيادة في الأمن فلا يزعجها خوف.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ أقواتها واسعة من جميع جهاتها لا تتعذر منها جهة. وأنعمُ: جمع نعمة كشدّة[٤] وأشُدّ. والإذاقة واللباس كناية عن وصول الخوف والجوع إليهم.

---

(١) ق: فتشهم.

(٢) الكشاف ٢: ٤٣١.

(٣) ق: لأن.

(٤) ق: كأشده.

ولمّا تقدّم ذكر الأمن وإيتاء الرزق قابلهما بالجوع الناشىء عن انقطاع الرزق وبالخوف، وقدّم الجوع لِيَلِيَ المتأخّر وهو إتيان الرزق كقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آل عمران].

والظاهر أن الضمير في ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ﴾ عائد على ما عاد عليه في قوله ﴿ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾.

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾.

ولمّا تقدّم «فكفرت بأنعم الله» جاء هنا ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ وفي البقرة جاء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة] لم يذكر من كفر نعمته فقال ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة].

ولمّا أمرهم بالأكل ممّا رزقهم، عدّد عليهم محرّماته تعالى، ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم دون اتّباع ما شرع الله تعالى على لسان أنبيائه. وكذا جاء في البقرة ذِكْرُ ما حرّم إثر قوله «كلوا من طيّبات ما رزقناكم»[1].

---

(١) ق: كلوا ممّا رزقكم.

وقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾ تقدّم تفسير مثلها في البقرة[١].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ الآية، لمّا بيّن تعالى ما حرّم بالغ في تأكيد ذلك بالنّهي عن الزيادة فيما حرّم. و«ما» مصدرية. و«الكذب» مفعول «بتصف» أي: لوصف[٢] ألسنتكم الكذب.

و«هذا حلال وهذا حرام» تفسير للكذب. [ويجوز] أن تكون «ما» موصولة بمعنى الذي و«تصف» صلته والضمير العائد على «ما» محذوف تقديره: تصفه، و«الكذب» بدل من هذا الضمير المحذوف. ويجوز أن ينتصب «الكذب» على أنه نعت لمصدر محذوف منصوب «بتقولوا» أي: ولا تقولوا القول الكذب لما تصف. واللام للتعليل أي: لما تصف.

وقال الزمخشري[٣]: يجوز أن يكون «الكذب» بالجرّ صفة «لما» المصدرية كأنه قيل: لوَصْفِها الكذبِ، بمعنى الكاذب، كقوله تعالى ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ ۝١٨﴾ [يوسف]، والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحلّ والحرمة انتهى.

هذا عندي لا يجوز، وذلك أنّهم[٤] نصّوا على أنّ أنْ المصدرية [٣٢٤/أ] لا يُنعت المصدر المنسبك منها ومن الفعل، فلا يوجد في كلامهم: يعجبني أنْ قمت السريعُ، تريد: قيامُك السريعُ. ولا: عجبتُ من أن تخرج السريعِ، أي: من خروجِك السريعِ. وحكم باقي الحروف المصدرية حكم أنْ، فلا يوجد في كلامهم وصف المصدر المنسبك من أنْ ولا من [ما] ولا من كي،

---

(١) انظر تفسير الآية ١٧٣ من البقرة.

(٢) ق: بوصف.

(٣) الكشاف ٢: ٤٣٣.

(٤) ق: على أنهم.

بخلاف صريح المصدر فإنه يجوز أن يُنعت. وليس لكلّ[١] مصدر حكم المنطوق به، وإنما يتّبع في ذلك ما تكلّمت به العرب.

وارتفع «متاعٌ» على أنه خبر مبتدأ محذوفٍ تقديره: عَيْشُهم في الدنيا متاع قليل.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا﴾ تقدّم ما حرّم عليهم في آخر الأنعام[٢]. ويتعلّق ﴿مِن قَبْلُ﴾ «بقصصنا» وهو الظاهر، وقيل «بحرّمنا» والمحذوف الذي في «من [قبل»] تقديره: من قبل تحريمنا على أهل ملّتك.

و«السوء» ما يسوء صاحبه من كفر ومعصية وغيره. والكلام في الذين تابوا[٣] وما يتعلق [به] تقدّم نظيره[٤].

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ الآية، مناسبة هذه الآية للآيات قبلها أنه لمّا أبطل تعالى مذاهب المشركين في هذه السورة، في[٥] الطعن في نبوّة رسول الله

---

(١) ق: كل.

(٢) انظر تفسير الآية ١٤٦ من الأنعام.

(٣) ق: آمنوا.

(٤) انظر تفسير الآية ١٦٠ من البقرة.

(٥) ق: والطعن عن نبوّة.

ﷺ، وتحليل ما حرّم وتحريم ما أحلّ[١]، وكانوا مفتخرين بجدّهم إبراهيم صلوات الله على نبيّنا وعليه - ذكره في آخر السّورة، وأوضح منهاجه وما كان عليه من طاعة الله تعالى ورفض الأصنام، ليكون ذلك حاملاً لهم على تركها والاقتداء به.

قال ابن عطية: قال مكي[٢]: ولا يكون - يعني «حنيفاً» - حالاً من «إبراهيم» لأنه مضاف إليه. وليس كما قال، لأن الحال قد تعمل فيها حروف الخفض إذا عملت في ذي الحال، كقولك: مررت بزيد قائماً.انتهى.

أمّا ما حكى عن مكّي وتعليله امتناع ذلك بكونه مضافاً إليه، فليس على إطلاق هذا التعليل؛ لأنه إذا كان المضاف إليه في محلّ رفع أو نصب، جازت الحال منه نحو: يعجبني قيامُ زيدٍ مسرعاً، وشُرْبُ السّويقِ ملتوتاً.

وقال بعض النّحاة: ويجوز أيضاً ذلك إذا كان المضاف جزءاً من المضاف إليه كقوله تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر]، أو كالجزء كقوله تعالى ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة].

وأما قول ابن عطية في ردّه على مكي بقوله: وليس كما قال لأن الجال إلى آخره، فقول بعيد عن قول أهل الصنعة، لأن الباء في «بزيد» ليست هي العاملة في «قائماً» وإنما العامل في الحال «مررت»، والباء، وإن عملت الجرّ في «بزيد» فإن زيداً في موضع نصب بمررت، ولذلك إذا حذف حرف الجر حيث يجوز حذفه، نصب الفعل ذلك[٣] الاسم الذي كان مجروراً بالحرف.

(١) ق: وتحريم ما حرّم وتحليل ما أحلّ.

(٢) انظر مشكل إعراب القرآن ١: ٤٢٦.

(٣) ق: لذلك.

وتقدّم تفسير القانت والحنيف(١).

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ روي أنه كان عليه السّلام لا يتغدّى إلا مع ضيف، فلم يجد ذات يوم ضيفاً، فأخّر غداءه، فإذا هو بفوجٍ من الملائكة في صورة البشر، فدعاهم إلى الطعام فخيّلوا له أنّ بهم جذاماً، فقال: الآن وجبت مؤاكلتكم، شكراً لله تعالى على أنه عافاني وابتلاكم.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال قتادة: حبّبه الله تعالى إلى كلّ الخلق، فكلّ أهل الأديان يتولّونه(٢): اليهود والنصارى والمسلمون، وخصوصاً كفّار قريش، فإنّ فخرهم إنما هو به، وذلك لإجابة دعوته ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء].

ولمّا وصف إبراهيم عليه السلام بتلك الأوصاف الشريفة أمر نبيّه عليه السلام أن يتّبع ملّته. وهذا الأمر من جملة الحسنة التي آتاها الله تعالى إبراهيم في الدنيا. وملّته: أي: عقائد الشرع [٣٢٤/ب] دون الفروع لقوله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة].

ولمّا أمر تعالى رسوله باتّباع ملّة إبراهيم، وكان الرسول عليه السلام قد اختار يوم الجمعة - فدلّ ذلك على أنّه كان في شرع إبراهيم - بيّن أنّ يوم السبت لم يكن في شرع إبراهيم. و«السبت» مصدر وبه سُمّي اليوم، وتقدم الكلام في هذا اللفظ في الأعراف(٣).

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ

---

(١) انظر تفسير الآيتين ٢٣٨، ١٣٥ من البقرة.

(٢) ق: يتلونه.

(٣) انظر تفسير الآية ١٦٣ من الأعراف.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ أمر تعالى رسوله عليه السلام أن يدعو[1] إلى دين الله وشرعه بتلطّف، وهو أن يسمع المدعوّ حكمة، وهو الكلام الصواب القريب الواقع في النّفس أجمل موقع. وعن ابن عباس أن «الحكمة» هي القرآن، وعنه أيضاً: «الموعظة الحسنة» مواعظ القرآن.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت[2] في شأن التمثيل بحمزة، رضي الله عنه وغيره في يوم أحد. والظاهر عود الضمير في «لهو» إلى المصدر الدّال عليه الفعل مقيّداً بالإضافة إليهم أي: لَصَبْرُكُم.

و﴿لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: لكم أيها المخاطبون، فوضع «الصابرين» موضع الضمير ثناءً من الله تعالى [عليهم] بصبرهم على الشّدائد أو بصبرهم على المعاقبة.

ولمّا خُيّر المخاطبون في المعاقبة والصبر عنها عَزم على الرسول عليه السلام في الذي هو خير وهو الصبر، فأُمر هو وحده[3] بالصبر.

ومعنى ﴿بِٱللَّهِ﴾ بتوفيقه وتيسيره وإرادته.

---

(١) ق: يدع.

(٢) انظر أسباب النزول ص١٩١ وما بعدها.

(٣) ق: فأمر وحده هو.

والضمير في «عليهم» يعود على الكفّار، وكذلك في «يمكرون» كما قال تعالى ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٨﴾ [المائدة].

ومعنى المعيّة: بالنّصر والتأييد والإعانة. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

تم الجزء الأول ويتلوه في الثاني سورة الإسراء(١).

[٣٢٦/أ] الجزء الثاني من تفسير أبي حيان المسمّى بالنّهر المقتصر من البحر، غفر له وللمسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً(٢).

(١) الورقة التالية ٣٢٥ بوجهيها بياض في الأصل.

(٢) فوق هذا العنوان تمليك صورته: مِلْكٌ لله تعالى بيد أحمد بن محمد بن ناصر كان الله له آمين.

وتحته تمليك آخر نصّه: مِلْكٌ لعبد ربّه العليّ، أحمد نجل ناصر الدرعي.

[٣٢٦/ب] بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. قال الشيخ الإمام أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي رحمه الله [ورضي] عنه:

سورة الإسراء(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (١) وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا (٨) ﴾.

---

(١) مكية وآياتها مئة وإحدى عشرة.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ الآية، سبب نزولها ذكر رسول الله ﷺ لقريش الإسراء به وتكذيبهم [له] فأنزل الله تعالى ذلك تصديقاً له. وهذه السورة مكية إلاّ آيات اختلف فيها، ذكرت في البحر(١). ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى [لمّا] أمره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم، وأن يَضيق صدره من مكرهم، وكان من مكرهم نسبتُه إلى التكذيب والسحر والشعر وغير ذلك ممّا رموه به - أعقب تعالى ذلك بشرفه وفضله واحتفائه به وعلوّ منزلته. وتقدّم الكلام على «سبحان» في البقرة(٢). و«أسرى» بمعنى سرى. وانتقل من ضمير الغيبة في قوله «بعبده» إلى ضمير المتكلم في قوله «لنريه من آياتنا».

والظاهر أن هذا الإسراء كان بشخصه، ولذلك كذّبت قريش به وشغبت عليه.

و«المسجد الأقصى» بيت المقدس. وسمّي الأقصى لأنه كان في ذلك الوقت أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة.

و﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صفة مدح لإزالة اشتراك عارض، وبركته بما خُصّ به من الخيرات الدينية كالنبوّة والشرائع والرّسل الذين كانوا في ذلك [٣٢٧/أ] القطر، والدّنياوية من كثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض. وفي الحديث(٣) أنه تعالى بارك فيما بين العريش إلى الفرات، وخصّ فلسطين بالتقديس. وفي إضافته تعالى «عبده» لضميره تشريفٌ عظيم. وكثيراً ما أتى التشريف

---

(١) انظر ٦: ٣-٤.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٢ من البقرة.

(٣) انظر مثلاً: سلسلة الأحاديث الضعيفة ١: ٢٥، وتفسير القرطبي ١٠: ٢١٢.

بلفظ العبد كقوله تعالى ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ ﴿٣٠﴾﴾ [ص] و﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر] و﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَآ[1] إِبْرَاهِيمَ [وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ] ﴿٤٥﴾﴾ [ص].

ويروى عنه[2] أنه صلى الله عليه وسلم كان نائماً في بيت أمّ هانىء [بعد صلاة العشاء فأُسري به ورجع من ليلته. وقصّ القصّة على أمّ هانىء] وقال: مُثّل لي النبيّون فصلّيت بهم. وقام ليخرج إلى المسجد[3] فتشبّثت أم هانىء بثوبه. فقال: مالكِ؟ قالت: أخشى أن يكذّبك قومك إن أخبرتَهم. قال: وإن كذّبوني!. فخرج فجلس إليه أبو جهل، فأخبره رسول الله ﷺ بحديث الإسراء فقال أبو جهل: يا معشر كعب بن لؤي هلمّ، فحدّثهم فمن بين مصفّق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً. وارتدّ ناس ممّن كان آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أتصدّقه على ذلك؟ قال: إني لأصدّقه على أبعد من ذلك. فسمّي الصدّيق. ومنهم من كان سافر إلى [بيت المقدس] ثم [عاد]، فاستنعتوه المسجد، فجُلي له بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته لهم. فقالوا: أما النّعت فقد أصاب. وقالوا: أخبِرْنا عن عِيْرنا. فأخبرهم عن عدد جمالها وأحوالها وقال: تَقْدُم يوم كذا مع طلوع [الشمس] يَقْدُمها جمل أورق[4]. فخرجوا ذلك [اليوم] نحو الثنيّة[5]، فقال: قائل منهم: هذه والله الشمس قد طلعت. فقال آخر: وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد. ثمّ لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين.

---

(١) ق: عبدنا.

(٢) انظر السيرة النبوية ٢: ٤٣.

(٣) ق: من المسجد.

(٤) الأورق من الإبل: الذي في لونه بياض إلى سواد.

(٥) ق: لأفعاله.

وقد عُرج به إلى السّماء في تلك الليلة، وكان العروج به من بيت المقدس. وأخبر قريشاً أيضاً بما رأى في السّماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء، وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى.

«إنه هو السميع» لأقوال محمد. «البصير» بأفعاله[1]. وفيه التفات من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب في «إنه».

﴿وَءَاتَيْنَا﴾ معطوف على الجملة السابقة من تنزيهه سبحانه وتعالى وبراءته من السوء. ولا يلزم من عطف الجمل المشاركة في الخبر أو غيره.

ولمّا ذكر تشريف الرسول عليه السلام بالإسراء وإراءته الآيات، ذكر تشريف موسى عليه السلام بإيتائه التوراة. و«الكتاب» هنا التوراة. والظاهر عود الضمير في «وجعلناه» على «الكتاب». «أن لا» تكون تفسيرية و«لا» نهي. و«أن» تكون مصدرية تعليلاً أي: لئلاّ يتخذوا، و«لا» نفي.

وانتصب «ذرية» على النّداء أي: يا ذريّة. قرأت فرقة: ذرّيةُ من حملنا، برفع «ذرية». وخُرّج على أن يكون بدلاً من الضمير في «تتخذوا» على قراءة من قرأ بياء الغيبة.

قال ابن عطية: ولا يجوز في القراءة بالتاء، لأنك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت: ضربتك زيداً، على البدل، لم يَجُزْ انتهى. ما ذكره من إطلاق أنك لا تبدل من ضمير مخاطب يحتاج إلى تفصيل؛ وذلك أنه إن كان في بدل بعض من كل وبدل اشتمال جاز بلا خلاف، وإن كان من بدل شيء من شيء وهما لعينٍ واحدة؛ فإن كانت تفيد[2] التوكيد جاز بلا خلاف نحو:

---

(١) ق: لأفعاله.

(٢) ق: فكان يفيد.

مررت بكم كبيركم وصغيركم، وإن لم يُفِدِ التوكيد فمذهب جمهور البصريين المنع، ومذهب [٣٢٧/ب] الأخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجود ذلك في كلام العرب، وقد استدللنا على صحة ذلك في شرح التسهيل.

وذكر ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ تنبيهاً على النعمة التي نجّاهم الله بها من الغرق. والظاهر أن الضمير في «إنّه» عائد على «نوح» عليه السلام أي: كونوا موحِّدين شاكرين لنعم الله مقتدين بنوح الذي أنتم ذرّيّة من حُمل معه.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، قضى: يتعدى بنفسه إلى مفعول كقوله تعالى ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص]. ولمّا ضمّن هنا معنى الإيحاء أو الإنفاذ تعدّى بإلى[1]، أي: وأوحينا أو أنفذنا إلى بني إسرائيل في القضاء المحتوم المبتوت. واللام في «لتفسدنّ» جواب قسم؛ فإمّا أن يقدّر محذوفاً ويكون متعلّق القضاء محذوفاً تقديره: وقضينا إلى بني إسرائيل بفسادهم في الأرض وعلوّهم، ثم أقسم تعالى على وقوع ذلك وأنه كائن لا محالة، فحذف متعلق «قضينا» وأبقى منصوب[2] القسم المحذوف. ويجوز أن يكون «قضينا» أجري مجرى القَسَم و«لتفسدنّ» جوابه، كقولهم: قضاء الله لأقومنّ. «مرّتين» أولاهما قتل زكريّا عليه السلام ونشره في الشجرة بالمنشار، والثانية حبسهم أرميا حين أنذرهم سخط الله تعالى.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: موعود أولاهما والوعد قد سبق بذلك. والموعود هو العقاب. والضمير في «أولاهما» عائد على المرّتين.

﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ قال ابن عباس: غزاهم سنحاريب وجنوده ملك بابل، وقيل:

---

(١) ق: إلى.

(٢) ق: منصب.

بختنصر. وروي أنه دخل قبلُ في جيش من الفرس، وهو خامل، يسير في مطبخ الملك، فاطّلع من جور بني إسرائيل على ما لم تعلمه الفرس، لأنه كان يُداخلهم، فلما انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الأعظم، فلمّا كان بعد مدّة جعله الملك رئيس جيش، وبعثه، وخرّب بيت المقدس، وقتلهم، وجلاهم. ثم انصرف، فوجد الملك قد مات، فملك موضعه، واستمر حاله حتى ملك الأرض بعد ذلك. والبعث هنا: الإرسال والتسلّط.

﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: قتال وحرب شديد، لقوّتهم ونجدتهم وكثرة عَددهم وعُددهم[١].

﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ وأسند الجَوْس - وهو التردّد خلال الديار بالفساد - إليهم، فتخريب[٢] المساجد وإحراق التوراة من جملة الجَوْس المسند إليهم.

﴿وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾ أي: منجزاً ما وقع به الوعد من العقاب.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ هذا إخبار من الله تعالى لبني إسرائيل في التوراة. وجعل «رددنا» موضع نردّ، إذ وَقْتَ إخبارهم لم يقع الأمر بعدُ، لكنّه لمّا كان وعد الله تعالى في غاية الثّقة أنه يقع، عبّر عن مستقبله بالماضي. و«الكرّة» الدّولة والغلبة على الذين بُعثوا عليهم حين[٣] تابوا ورجعوا عن الفساد، ملكوا بيت المقدس. وقيل: «الكرّة» قتل[٤] بختنصّر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع المُلْك إليهم.

---

(١) ق: مَددهم ومُددهم.

(٢) ق: لتخريب.

(٣) ق: حتّى.

(٤) ق: قبل الكرة قبل.

وذكر في سبب ذلك أنّ ملكاً غزا أهل بابل، وكان بختنصر قد قتل من بني إسرائيل أربعين ألفاً ممّن يقرأ التوراة، وبقي بقيّتهم عنده ببابل في الذّل. فلمّا غزاهم ذلك الملك، وغلب على بابل، تزوج امرأة من بني إسرائيل، فطلبت منه أن يردّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس ففعل. وبعد مدة [٣٢٨/أ] قامت فيهم الأنبياء، فرجعوا إلى أحسن ما كانوا عليه.

وانتصب «نفيراً» على التمييز فقيل: النفير والنافر واحد، وأصله مَن ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته.

وجواب ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ قوله ﴿فَلَهَا﴾ على حذف مبتدأ، و«لها» خبره تقديره: فالإساءة لها.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: المرة الآخرة في إفسادكم وعلّوكم. وجواب «إذا»[1] محذوف يدلّ عليه جواب «إذا» الأولى تقديره: بعثناهم عليكم. وإفسادهم [في ذلك بقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام]. وقرىء: ليسوؤوا، بلام كي وياء الغيبة وضمير الجمع الغائب العائد على المبعوثين. وقرىء: لنسوء، بالنون التي للعظمة، وفيها ضمير يعود على الله تعالى. والظاهر أنه أراد بالوجوه الحقيقة؛ لأن آثار الأعراض النفسانية في القلب تظهر[2] على الوجه؛ ففي[3] الفرح يظهر الإسفار والإشراق، وفي الحزن يظهر الكلوح والغبرة[4]. ويحتمل أن يعبّر عن الجملة بالوجه، فإنهم ساؤوهم بالقتل والنهب والسّبي، فحصلت الإساءة للذوات كلها.

---

(١) ق: إذ.

(٢) ق: يظهر.

(٣) ق: وفي.

(٤) ق: والغيبة.

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ أي: مسجد بيت المقدس.

ومعنى ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالسيف والقهر والغلبة والإذلال. وهذا يُبعد قول من ذهب إلى أن أولى المرّتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب.

﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ يهلكوا، وقال قطرب: يهدموا، وقال الشاعر[1]: [من الطويل]

فما الناس إلا عاملان فعامل يتبرّ ما يبني وآخر رافع

والظاهر أن «ما» مفعول «بيتبرّوا» أي: يهلكوا ما غلبوا عليه من الأقطار. ويحتمل أن تكون «ما» ظرفية أي: مدة استيلائهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرّة الثانية إن تبتم وانزجرتم عن المعاصي، وإن عدتم إلى المعصية مرة ثالثة، عدنا إلى العقوبة. وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم. وعن الحسن: عادوا، فبعث الله تعالى محمداً ﷺ، فهم يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون. ثم ذكر ما أعدّ لهم في الآخرة وهو جعل جهنم لهم حصيراً، والحصير: السجن أو المحبس. قال لبيد[2]: [من الكامل]

ومقامةٍ غلب الرجال كأنهم جنّ لدى باب الحصير قيام

والذي يظهر أنها حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم. فحصير: معناه ذات حصر؛ إذ لو كان للمبالغة لزمته التاء لجريانه على مؤنث كما تقول: رحيمة وعليمة، ولكنه على معنى النسب كقوله تعالى ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ ١٨﴾ [المزمل] أي: ذات انفطار.

---

(١) البيت للبيد في ديوانه ص١٧٠.

(٢) ديوانه ص٢٩٠.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ لمّا ذكر تعالى من اختصّه بالإسراء وهو محمد ﷺ، ومن آتاه التوراة وهو موسى عليه السلام، وأنه هدى لبني إسرائيل، وذكر فيها ما قضى عليهم فيها من التسلّط عليهم بذنوبهم - كان ذلك رادعاً من غفل عن[1] معاصي الله تعالى، فذكر ما شرّف الله به رسوله من القرآن الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب إلٰهي وأنه[2] يهدي للطريقة التي هي أقوم.

والذي يظهر من حيث المعنى أن «أقوم» هنا لا يراد بها التفضيل؛ إذ لا مشاركة بين الطريقة التي يرشد إليها القرآن وطريقة غيرها وفُضّلت هذه عليها، وإنما المعنى: التي هي قيّمة [أي]: مستقيمة وغيرها من الطرق ليست مستقيمة، كما قال تعالى ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة].

﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ عطف على قوله ﴿ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾.

(١) ق: من. وفي المطبوع: رادعاً من عقل، وهو وجه.

(٢) ق: فأنه.

بشّروا بفوزهم بالجنة وبكينونة العذاب الأليم لأعدائهم الكفار؛ إذ في علم المؤمنين بذلك [٣٢٨/ب] وتبشيرهم به مسرّةٌ لهم، فهما بشارتان، وفيه وعيد للكفّار.

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفّار، ولم يذكر الفسقة؟ قلت: [كان] الناس حينئذ إمّا مؤمن تقي وإما مشرك، وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك. انتهى.

هذه مكابرة، بل قد وقع في زمان الرسول عليه السلام من بعض المؤمنين هَنات وسقطات بعضها مذكور في القرآن وبعضها في الحديث الصحيح الثابت.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ قال ابن عباس وغيره: نزلت ذامّة لما يفعله الناس من الدعاء على أموالهم وأبنائهم في أوقات الغضب والضجر. ومناسبتها لما قبلها أن بعض من لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ما وُعد به من الشر في الآخرة، كقول النّضر ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال]. وكتب «ويَدْعُ» بغير واو على حسب السّمع. و«الإنسان» هنا ليس واحداً معيّناً، والمعنى أنّ في طباع الإنسان إذا ضجر وغضب، دعا على نفسه وأهله وماله بالشّر أن يصيبه كما يدعو بالخير أن يصيبه. ثم ذكر تعالى أن ذلك من عدم تثبّته وقلّة صبره وكونه خُلق كثير التسرّع لما يرد: عليه لا يتأنّى ولا يستبصر.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ الظاهر أنّ «آيتين» هو المفعول الأول، و«الليل والنهار» ظرفان في موضع المفعول الثاني؛ أي: وجعلنا في الليل والنهار

---

(١) الكشاف ٢: ٤٣٩.

آيتين.

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: جعلنا [الليل] ممحوّ الضّوء مطموسه مظلماً لا يستبان فيه شيء، كما لا يُستبان ما في اللوح الممحوّ.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: تُبصَر فيه الأشياء وتُستبان. ومعنى «لتبتغوا [فضلاً» أي]: من فضله، أي: لتتوصّلوا إلى استبانة أعمالكم وتصرّفكم في معايشكم(١).

«والحساب» للشهور والأيام والساعات. ومعرفة ذلك في الشرع إنما هو من جهة آية الليل لا من جهة آية النهار.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ ممّا تفتقرون(٢) إليه في دينكم ودنياكم.

﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ بيّناه تبييناً غير ملتبس. والظاهر أنّ نَصْب «وكل شيء» على الاشتغال.

﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ أي: أن جميع ما يلقى الإنسان من خير وشرّ، فقد سبق به القضاء، وألزم حظّه وعمله ومكسبه في عنقه، فعبّر عن الحظّ والعمل إذ هما متلازمان بالطائر. وقرىء: ونُخرج، بالنون مضارع أخرج، كتاباً: بالنصب. وعن أبي جعفر: ويُخْرَج، بالياء مبنيًّا للمفعول، كتاباً، أي(٣): يُخْرَج الطائر كتاباً. وعنه أيضاً: كتابٌ، بالرفع على أنه مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله.

و﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ صفتان لكتاب. ويجوز أن يكون «منشوراً» حالاً من مفعول «يلقاه».

---

(١) ق: ومعايشكم.

(٢) ق: لا تفتقرون.

(٣) ق: أو.

«اقرأ كتابك» معمول لقول محذوف أي: يقال له: اقرأ كتابك. وقال قتادة: يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً. و«بنفسك» فاعل «كفى» والباء زائدة على سبيل الجواز لا اللزوم، ويدلّ عليه أنها إذا حذفت ارتفع ذلك الاسم بكفى كقول الشاعر(١): [من الطويل]

ويخبرني عن غائب المرء هَدْيُه   كفى الهديُ عمّا غيَّب المرءُ مُخبِرَا

و﴿ٱلْيَوْمَ﴾ منصوب «بكفى» و«عليك» متعلق «بحسيباً».

ومعنى «حسيباً» حاكماً عليك بعملك(٢). و«حسيباً» منصوب على التمييز لجواز دخول «مِن» عليه. والحسيب بمعنى المحاسب ومعناه حافظاً عليك عملك، ولذلك عدّي بعلى.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ قيل: نزلت(٣) الإشارة في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسود، وفي الضلال إلى الوليد بن المغيرة. وتقدّم تفسير ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ في آخر الأنعام(٤) [٣٢٩/أ].

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ غيّا(٥) انتفاء التعذيب ببعثة رسول الله ﷺ، والمعنى: حتى نبعث رسولاً فيُكذَّب(٦) ولا يؤمنَ بما جاء به من عند الله تعالى. وانتفاء التعذيب أعمّ من أن يكون في الدنيا بالهلاك وغيره من

---

(١) البيت لزياد بن زيد العدوي في تهذيب اللغة «هدى».

(٢) ق: بعلمك.

(٣) انظر القرطبي ١٠: ٢٣٠.

(٤) بل مرّ بها المصنف في آية الأنعام ١٦٤ دون شرح.

(٥) غيّاه به: علّقه.

(٦) ق: يتكذّب.

العذاب، أو في الآخرة بالنّار فهو يشملهما.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى أنه لا يعذّب أحداً حتى يبعث إليه رسولاً، بيّن بعد ذلك علّة إهلاكهم وهي مخالفة أمر رسول الله ﷺ والتّمادي على الفساد والفسق. وأراد هنا: على حقيقته. و«أن نهلك» يعني في الدنيا.

وقرىء: أَمَرْنا، بتخفيف الميم من الأمر، ومفعول أمر محذوف تقديره: أمرنا بالطاعة مترفيها. ويجوز أن يكون «أمرنا» بمعنى كثّرنا لقول العرب: أَمِر القوم بكسر الميم أي: كثروا، وأَمَرهم الله بفتح الميم أي: كثّرهم، فصارت الحركة يصير بها الفعل متعدّياً، تقول العرب: شتِرت عين الرجل بكسر التاء، وشَتَرها الله بفتح التاء. والقول الذي حقّ عليهم هو وعيد الله تعالى الذي قاله رسولهم. والتدمير: الإهلاك مع طمس الأثر وهدم البناء مع إهلاك أهلها.

وقرىء: آمرنا، بالمدّ أي: كثّرنا، عدّي أمر بالهمزة بمعنى كثّرنا.

وقرىء: أمّرنا بالتشديد أي: جعلناهم أمراء، أو بمعنى كثّرنا.

«وكم» في موضع نصب على المفعول «بأهلكنا» أي: كثيراً من القرون أهلكنا. و«من القرون» بيان «لكم» وتمييز له كما يميّز العدد بالجنس. والقرون: عاد وثمود وغيرهم. ويعني بالإهلاك هنا الإهلاك بالعذاب، وفي ذلك تهديد ووعيد لمشركي مكّة. وقال «من بعد نوح» ولم يقل: من بعد آدم، لأن نوحاً عليه السلام أول نبيّ بالغ قومه في تكذيبه، وقومه أوّلُ من حلّت بهم العقوبة العظمى وهي الاستئصال بالطّوفان. وتقدّم القول في عمر القرن[1].

و«مِن» الأولى للتّبيين والثانية لابتداء الغاية، وتعلّقا بـ«أهلكنا» لاختلاف معنييهما.

﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ ﴾ إنما يجيء في الأغلب في مدح أو ذمّ. وإعراب «كفى بربك» كإعراب: كفى بالله.

و﴿ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ ﴾ تنبيه على أن الذّنوب هي أسباب الهلكة.

و﴿ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ تنبيه على أنه عالم بها فمعاقب عليها. ويتعلق «بذنوب» «بخبيراً» أو «ببصيراً».

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ قيل: نزلت في المنافقين كانوا يغزون مع المسلمين لا للثّواب. و«مَن» شرطية وجوابه ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ فقيّد المعجّل بمشيئته، أي: ما نشاء تعجيله. و﴿ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ بدل من قوله «له» بدل بعض من كلّ، لأن الضمير في «له» عائد على «مَن» الشرطية. وهي في معنى

---

(١) انظر تفسير الآية ٦ من الأنعام.

الجمع ولكن جاءت الضمائر هنا على اللفظ لا على المعنى.

و«جعلنا» بمعنى صيّرنا. والمفعول الأول «جهنّم» والثاني «له» لأنه ينعقد منهما مبتدأ وخبر. و«يصلاها» حال من الضمير في «له» أو من «جهنم».

«مذموماً» إشارة إلى الإهانة. «مدحوراً» إشارة إلى البعد والطرد من رحمة الله تعالى. وهما حالان من الضمير المستكنّ في «يصلاها».

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ أي: ثواب الآخرة بأن يؤثرها على الدنيا ويعقد إرادته بها. «وسعى» فيما كُلّف من الأعمال والأقوال. «سعيها» أي: السّعي المعدّ للنّجاة فيها.

﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ هو الشرط الأعظم في النجاة، فلا تنفع إرادة ولا سعي إلا بحصوله. وفي الحقيقة هو الناشىء عنه إرادة الآخرة والسعي للنجاة فيها وحصول الثواب.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى من اتّصف بهذه الأوصاف. وراعى معنى «مَن» فلذلك كان بلفظ الجمع. والله تعالى يشكرهم على طاعتهم، وهو تعالى هو [٣٢٩/ب] المشكور على ما أعطى. وانتصب «كلا» بـ«نَمُدُّ». والإمداد: المواصلة بالشيء.

و«هؤلاء وهؤلاء» بدلان من «كلاًّ» بدل تفصيل، وقدّره الزمخشري(١): كلّ واحد من الفريقين نمدّ. وأعربوا «هؤلاء» بدلاً من «كلاًّ».

ولا يصحّ أن يكون بدلاً من «كلاًّ»(٢) على تقدير: كل واحد، لأنه يكون إذ

---

(١) الكشاف ٢: ٤٤٣.

(٢) ق: كلّ.

ذاك بدل كلٍّ من بعض فينبغي أن يكون التقدير: كلّ الفريقين، فيكون بدل [كلٍّ] من كلٍّ على جهة التفصيل.

والظاهر أنّ هذا الإمداد هو في الرزق في الدنيا، ويدلّ على هذا التأويل ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ أي: أن رزقه لا يضيق عن مؤمن ولا كافر. ومعنى «محظوراً» أي: ممنوعاً.

والظاهر أن «انظر» بصريّة لأن التفاوت[1] في الدنيا مُشاهَد. و«كيف» سؤال عن الهيئة منصوب «بفضّلنا»، والجملة في موضع نصب على إسقاط حرف الجر [وهو: إلى. ويجوز أن يكون «انظر» من نظر القلب، فيكون حرف الجر] المقدَّر لفظة: في، والتفضيل هنا في الدنيا، و«درجات» منصوباً على التمييز والمفضّل عليه محذوف تقديره: من درجات الدنيا وتفضيلها.

والخطاب في «لا تجعل» للسامع المخاطب [غير الرسول. «فتقعد» قال الفراء وتبعه الزمخشري[2]: «فتقعد» بمعنى فتصير، فيكون اسمها ضمير المخاطب] وخبرها «مذموماً». وحكى الكسائي عن العرب: قعد لا يُسأل حاجة إلا قضاها.

وأصحابنا لا يجعلون قعد بمعنى صار، إلا في المَثَل في قولهم: شحذ شفرته حتى قعدت كأنها حَرْبة[3]، أي: صارت. و«مذموماً» حال عندهم من الضمير المستكنّ في «فتقعد» ويؤوّلونه على معنى: فيثبت ويسكن[4] في حال

---

(١) ق: التفات.

(٢) ليس في معاني القرآن، وانظر الكشاف ٢: ٤٤٤.

(٣) انظر الهمع ٢: ٧٠.

(٤) ق: فثبت وسكن.

الذم.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ الآية، قال ابن عباس وجماعة: «قضى» بمعنى أمر و«أن» حرف تفسير.

وقال أبو البقاء[(١)]: ويجوز أن يكون في موضع نصب أي: الزم ربك عبادته و«لا» زائدة انتهى.

وهذا وهم لدخول «إلّا» على مفعول «تعبدوا» فلزم أن يكون منفيًا أو منهيًا، و«لا تعبدوا» نهي.

و﴿ إِحْسَـٰنًا ﴾ مصدر بمعنى الأمر، عطف ما معناه أمر على نهي[(٢)]، كما عطف في قوله[(٣)]: [من الطويل]

[وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم] يقـولـون لا تهلِـكْ أسًـى وتجمَّـلِ

وقد اعتنى بالأمر بالإحسان إلى الوالدين حيث قُرن بقوله «لا تعبدوا إلّا إياه» وتقديمهما اعتناءً بهما على قوله «إحساناً». ومناسبة[(٤)] اقتران برّ الوالدين بإفراد الله تعالى بالعبادة من حيث إنه تعالى هو الموجِد حقيقة والوالدان وساطة في إنشائه، وهو تعالى المنعم بإيجاده ورزقه وهما ساعيان في مصالحه.

وقال الزمخشري[(٥)]: «إمّا» هي إنْ الشرطية زيدت عليها ما توكيداً لها، ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل، ولو أفردت لم يصحّ دخولها؛ لا تقول: إن تكرمنّ زيداً يكرمك، ولكن: إمّا تكرمنّه.انتهى.

وهذا الذي ذكره مخالف لمذهب سيبويه، لأنّ مذهبه أنه يجوز أن يجمع

---

(١) إملاء ٢: ٩٠.

(٢) ق: نفي.

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٩.

(٤) ق: أو مناسبة.

(٥) الكشاف ٢: ٤٤٤.

بين إمّا ونون التوكيد، وأن تأتي[١] بإنّ وحدها ونون التوكيد، وأن تأتي بإمّا وحدها دون نون التوكيد. وقال سيبويه[٢] في هذه المسألة: وإن شئت لم تقحم النّون، كما أنك [إن شئت] لم تجيء بها[٣] - يعني مع النون وعدمها -.

وقرىء: يبلغنّ بنون التوكيد، وعند: متعلق به، وأحدهما: فاعل بيبلغنّ، أو كلاهما: معطوف على أحد. وقرىء: يبلغانّ، فالألف للتثنية والنون مشدّدة بعد ألف الاثنين، وأحدهما: بدل من الضمير، أو كلاهما: فاعل بفعل محذوف تقديره: أو يبلغ كلاهما. والفاء في «فلا» جواب الشرط.

وقال الزمخشري[٤]: فإن قلت: لو قيل: إمّا يبلغان كلاهما، كان توكيداً لا بدلاً، فمالك زعمت أنه بدل؟ قلت: لأنه معطوف على ما لا يصحّ أن يكون توكيداً للاثنين، فانتظم في حكمه، فوجب أن يكون مثله. فإن قلت: ما ضرّك لو جعلته توكيداً مع كون المعطوف عليه بدلاً [٣٣٠/أ] وعطفت التوكيد على البدل؟ قلت: لو أريد توكيد التّثنية لقيل: كلاهما فحسب[٥]، فلما قيل «أحدهما أو كلاهما» علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلاً مثل الأول.

وقال ابن عطية: وعلى هذه القراءة الثالثة - يعني يبلغان - يكون قوله «أحدهما» بدلاً من الضمير في «يبلغان» وهو بدل مقسّم كقول

---

(١) ق: يأتي.

(٢) الكتاب ٣: ٥١٥.

(٣) ق: بما.

(٤) الكشاف ٢: ٤٤٤.

(٥) ق: محسن.

الشاعر[1]: [من الطويل]

وكنت كذي رِجْلين رِجْلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رمى فيها الزّمان فشَلَّتِ

انتهى.

ويلزم من قوله أن يكون «كلاهما» معطوفاً على «أحدهما» وهو بدل، والمعطوف على البدل بدل، والبدل مشكل لأنه يلزم منه أن يكون المعطوف عليه بدلاً، وإذا جعلت «أحدهما» بدلاً من الضمير فلا يكون إلا بدل بعض من كل، وإذا عطفت عليه «كلاهما» فلا جائز أن يكون بدل بعض من كلّ، لأن «كلاهما» مرادف للضمير من حيث التثنية، فلا يكون بدل بعض من كلّ، ولا جائز أن يكون بدل كلّ من كلّ، لأن المستفاد من الضمير التثنية، وهو المستفاد من «كلاهما» فلم يفد البدل زيادة على المبدل منه.

وأما قول ابن عطية: وهو بدل مقسم كقول الشاعر: وكنت كذي[2] رجلين.. البيت، فليس [من] بدل التقسيم، لأن شرط ذلك العطف بالواو. وأيضاً فالبدل المقسم لا يصدق المبدل فيه على أحد قسميه، وكلاهما يصدق عليه الضمير وهو المبدل منه، فليس هو من البدل المقسم. وقد ذكرنا تخريجه على إضمار فعل، فيكون «كلاهما» فاعلاً بذلك الفعل.

﴿أُفٍّ﴾ اسم فعل بمعنى أتضجر[3]. ولم يأت اسم فعل بمعنى المضارع إلا قليلاً نحو: أف وأوّه بمعنى أتوجّع. وإذا كان قد نهى أن يستقبلهما بهذه اللفظة الدالّة على الضجر والتبرّم بهما، فالنّهي عمّا هو أشدّ كالشّتم والضّرب

---

(١) البيت لكثيّر عزّة في ديوانه ص٩٩.

(٢) ق: كذا.

(٣) ق: التضجّر.

هو بجهة الأَوْلى. وفي «أفّ» لغات ذكرت في البحر[١]. ولمّا نهاه تعالى أن يقول لهما ما مدلوله: أتضجرّ منكما، ارتقى إلى النّهي عمّا هو من حيث الوضع أشدّ من «أفّ» وهو نَهْرُهما، وإن كان النّهي عن نهرهما يدلّ عليه النّهي عن قوله «أفّ»، لأنه إذا نهى عن الأدنى كان ذلك نهياً عن الأعلى بجهة الأَوْلى. والمعنى: لا تزجرهما عمّا يتعاطيانه ممّا لا يعجبك.

﴿وَقُل لَّهُمَا﴾ بدل قول أفّ ونهرهما.

﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: جامعاً للمحاسن من البرّ وجودة[٢] اللفظ.

ثم أمره تعالى بالمبالغة في التواضع لهما بقوله ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ وقال القفّال: في تقديره وجهان: أحدهما أن الطائر إذا ضمّ فرخه إليه للتربية، خفض له جناحه. فخَفْض الجناح كناية عن حسن التدبير، فكأنه قيل للولد: اكفل والديك بأن تضمّهما إلى نفسك كما فعلا بك [ذلك] حال صغرك. الثاني: أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحيه، وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه. فصار خَفْض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه.

ثم أمره تعالى بأن يدعو الله تعالى لهما بأن يرحمهما رحمته الباقية، إذ رحمته عليهما لا فناء لها. ثم نبّه على العلّة الموجبة للإحسان إليهما والبرّ بهما واسترحام الله تعالى لهما، وهي تربيتهما له صغيراً، وتلك الحالة مما يزيده إشفاقاً لهما ورحمة؛ إذ هي تذكير بحالة إحسانهما له وقت أن لا يقدر على الإحسان لنفسه. والظاهر أن الكاف في «كما» للتعليل، أي: رب

---

(١) انظر ٦: ٢٣.

(٢) ق: البرّ وغيره وجودة.

ارحمهما لتربيتهما لي وإحسانهما إليّ حالة الصغر والافتقار.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [٣٣٠/ب] أخبر تعالى أنه أعلم بما انطوت عليه الضمائر من قصد عبادة الله تعالى والبرّ بالوالدين. ثم قال ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أي: ذوي صلاح ثم فرط منكم تقصير في عبادة أو برّ وأنبتُم إلى الخير.

﴿فَإِنَّهُ[كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ أي]: غفور لما فرط من هَناتكم. والظاهر أن هذا عامّ في كلّ من فرطت منه جناية ثم تاب منها.

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ الآية، لمّا أمر ببرّ الوالدين أمر بصلة القرابة. والظاهر أنه خطاب لمن خوطب بقوله ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء]. والحقّ هنا ما يتعيّن له من صلة الرّحم وسدّ الخلّة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه. ونهى تعالى عن التبذير، وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر[1] عليها، وتبذّر أموالها في الفخر والسمعة، وتذكر ذلك في أشعارها، فنهى الله تعالى عن النفقة في غير وجوه البرّ وما يقرّب منه تعالى.

﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ وأخوّة الشياطين كونهم قرناءهم في الدنيا، وفي النار في الآخرة. وتدلّ هذه الأخوّة على أنّ التبذير هو في معصية الله تعالى، وكونهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف في الدنيا. وذكر كفران الشيطان لربّه ليُحْذَرَ ولا يطاع، لأنه لا يدعو إلى خير، كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

---

(١) تتياسر عليها: تلعب بالقداح.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ قيل: نزلت في ناسٍ من مزينة، استحملوا رسول الله ﷺ فقال «لا أجد ما أحملكم عليه»[١] فبكوا. وروي أنه عليه السلام كان بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطي وسُئل قال: يرزقنا الله وإياكم من فضله[٢]. فالرحمة على هذا: الرزق المنتظر.

قال الزمخشري[٣]: ويجوز أن يكون «ابتغاء رحمة من ربك» علّة لجواب[٤] الشرط فهو يتعلّق به وقُدّم عليه، أي: فقل لهم قولاً سهلاً ليّناً، وعِدْهم وعداً جميلاً رحمةً لهم وتطييباً لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك، أي: ابْتَغِ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم.انتهى.

ما أجازه لا يجوز لأنّ ما بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبله. لا يجوز في قولك: إن تقم فاضرب زيداً، إن تقم زيداً فاضرب، وهذا منصوص عليه. فإن حذفت الفاء في مثل: إن تقم تضرب خالداً، فمذهب سيبويه والكسائي الجواز فتقول: إن تقم خالداً تضرب، ومذهب الفرّاء المنع. فإن كان معمول الفعل مرفوعاً [نحو: إن تفعل يفعل زيد، فلا يجوز تقديم زيد على أن يكون مرفوعاً] بتفعل هذه وأجاز سيبويه أن يكون مرفوعاً بفعل يفسّره: يفعل، كأنك قلت: إن تفعل زيد يفعل، ومنع ذلك الكسائي والفرّاء.

﴿فَقُل[٥] لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أي: مداراة باللسان. ويَسَرَ: يكون لازماً ومتعدّياً، فميسور: من المتعدي، تقول: يَسَرْتُ لك كذا إذا أعددته لك.

---

(١) انظر دلائل النبوة ٥: ٢١٨.

(٢) انظر القرطبي ١٠: ٢٤٩.

(٣) الكشاف ٢: ٤٤٧.

(٤) ق: الجواب.

(٥) ق: وقل.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية، قيل: نزلت في إعطائه صلى الله عليه وسلم قميصه، ولم يكن له غيره وبقي عرياناً. وقيل أعطى الأقرع بن حابس مئة من الإبل وعيينة مثل ذلك والعباس بن مرداس خمسين ثم كملها مئة فنزلت[١]. وهذه استعارة استعير فيها المحسوس للمعقول، وذلك أن البخل معنى قائم في الإنسان يمنعه من التصرّف في ماله، فاستعير له الغلّ الذي هو ضمّ اليد إلى العنق، فامتنع من تصرّف يده وإجالتها حيث يريد. وذكر اليد لأنّ الأخذ بها والإعطاء، واستعير بسط اليد لإذهاب المال، وذلك لأنّ قَبْض اليد يحبس ما فيها وبَسْطها يُذهب ما فيها. طابق في الاستعارة بين بسط اليد وقبضها من حيث المعنى؛ لأنّ جعل اليد مغلولة هو قبضها، وغلّها أبلغ في القبض. وقد طابق بينهما أبو تمام فقال في المعتصم[٢]: [٣٣١/أ]

تعوّد بسط الكف حتى لو أنّه ثناها لقبضٍ لم تُجِبْهُ أناملُهْ

والظاهر أنه مراد بالخطاب أمّة الرسول عليه السلام، وإلا فهو صلى الله عليه وسلم كان لا يدّخر شيئاً لغدٍ، وكذلك من كان واثقاً بالله تعالى حتى الوثوق كأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه حيث تصدّق بجميع ماله. وختم ذلك بقوله «خبيراً» وهو العلم بخفيّات الأمور. و«بصيراً» أي: بمصالح عباده حيث يبسط لقوم ويضيّق على قوم.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ تقدّم تفسير نظير صدر هذه الآية[٣]، والفرق بين «خشية إملاق» و«من إملاق»، وبين قوله «نرزقكم وإياهم» وبين

---

(١) انظر لباب النقول ص١٣٦.

(٢) ديوانه ٣: ٢٩.

(٣) وهي قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۝١٥١﴾ [الأنعام]، وانظر تفسير الآية.

قوله «نرزقهم وإياكم».

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ الآية، تقدّم تفسيره في الأنعام[١].

﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: وبئس طريقاً طريقه، لأنها سبيل تؤدي إلى النار.

وقال ابن عطية: «وساء سبيلاً» نصب على التمييز، التقدير: وساء سبيله سبيلاً انتهى.

وإذا كان «سبيلاً» نصب على التمييز، فإنما هو تمييز للمضمر المستكن في «ساء»، وهو من المضمر الذي يفسّره ما بعده. والمخصوص بالذمّ محذوف، وإذا كان كذلك فلا يكون تقديره: وساء سبيله سبيلاً، لأنه إذ ذاك لا يكون فاعله ضميراً يُراد به الجنس مقيّداً بالتمييز، ويبقى التقدير أيضاً عارياً عن المخصوص بالذّم.

وتقدّم تفسير قوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ﴾ في أواخر الأنعام[٢]. ولمّا نهى عن قتل الأولاد نهى عن قتل النفس فانتقل من الخاصّ إلى العامّ. والظاهر أن هذه كلها منهيّات مستقلّة ليست مندرجة تحت قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء] كاندراج «ألاّ تعبدوا».

وانتصب مظلوماً على الحال من الضمير المستكنّ في «قُتل»، والمعنى أنه قُتل بغير الحقّ.

---

(١) لم يتقدّم ذلك.

(٢) انظر تفسير الآية ١٥١ من الأنعام.

﴿ فَقَدْ[(١)] جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ وهو الطالب لدمه[(٢)] شرعاً.

﴿ سُلْطَٰنًا﴾ أي: تسلّطاً وقهراً.

والظاهر النّهي عمّا كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد وقتل غير القاتل والمُثْلة ومكافأة الذي يقْتل[(٣)] لمن قتله.

والضمير في «إنه» عائد على الولي لتناسق الضمائر. ونَصْره إياه بأن أوجب له القصاص فلا يستزاد[(٤)] على ذلك، أو نصره بمعونة السلطان وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ تقدّم تفسير نظيره في الأنعام[(٥)].

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ عامّ فيما عقده الإنسان بينه وبين ربّه تعالى، أو بينه وبين آدمي في طاعة.

﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ ظاهره أن العهد هو المسؤول من المعاهِد أن يفي له ولا يضيّعه. وقيل هو على حذف مضاف أي: إن ذا العهد كان مسؤولاً إن لم يفِ به. واسم «كان» ضمير يعود على «العهد» أو على ذي العهد. «مسؤولاً» خبر «كان» وفيه ضمير المفعول أي: مسؤولاً هو، أي: عدمَ الإيفاء به.

ثم أمره تعالى بإيفاء الكيل وبالوزن المستقيم وذلك فيما يرجع إلى

---

(١) ق: وقد.

(٢) ق: بدمه.

(٣) ق: والمكافأة التي تقتل.

(٤) ق: بأن وجب.. فلا يسترد.

(٥) انظر تفسير الآية ١٥٢ من الأنعام.

المعاملة بالأموال.

وفي قوله ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ دلالة على أن الكيل هو على البائع لأنه لا يقال ذلك للمشتري. والتقييد بقوله «إذا كلتم» أي: وقت كيلكم على سبيل التأكيد. ولا يتأخر الإيفاء بأن يكيل به بنقصانٍ ما، ثمّ يوفيه بعد ذلك، فلا يتأخر الإيفاء عن وقت الكيل.

[بالقسطاس]: قال ابن عطيّة: واللفظة للمبالغة من القسط انتهى.

لا يجوز [٣٣١/ب] أن يكون من القسط لاختلاف المادّتين؛ لأن القسط مادّته: قسط، وذلك مادته: قَسْطَسَ إلا إن أعتقد زيادة السين أخيراً كسين قُدموس وضُغبوس وعِرفاس[١] فيمكن، لكنه ليس من مواضع زيادة السين المقيسة.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: الإيفاء والوزن، لأنّ فيه تطييب النفوس بالاتّسام بالعدل والإيصال للحقّ.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: عاقبة، إذ لا يبقى على الموفي والوازن[٢] تبعة لا في الدنيا ولا في الآخرة. وهو من المآل، وهو المرجع.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الآية، لمّا أمر تعالى بثلاثة أشياء: بالإيفاء بالعهد والإيفاء بالكيل والوزن بالقسطاس، أتبع ذلك بثلاثة مَنَاهٍ: «ولا تَقْفُ» «ولا تمش» «ولا تجعل». ومعنى «ولا تَقْفُ» لا تتبع ما لا علم لك به من قولٍ أو فعلٍ. نهى أن يقول ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم. ويدخل فيه

(١) القدموس: الضخم. والضغبوس: الرجل الضعيف. والعرفاس: الناقة الصبور على السير.

(٢) ق: والوزان.

النّهي عن اتّباع التقليد لأنه اتّباع لما لا يعلم صحته. وقال الكميت[١]:

فــلا أرمــي البــريء بغيــر ذنــب ولا أَقْفُــو الحــواصــن إن قُفينــا[٢]

وفي قوله ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ دليل على أن العلوم مستفادة من الحواسّ ومن العقول. وجاء هذا الترتيب القرآني في البداءة بالسمع ثم يليه البصر ثم الفؤاد. و«أولئك» إشارة إلى «السمع والبصر والفؤاد»، وهو اسم إشارة إلى الجمع المذكر والمؤنث العاقل وغيره.

وتخيّل ابن عطية أن «أولئك» مختصّ بالعاقل فقال: وعبّر عن «السمع والبصر والفؤاد» بأولئك، لأنها حواس لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسؤولة فهي حالة من يعقل.

وليس ما تخيّله صحيحاً بل جميع أسماء الإشارة مثل «أولئك» يشترك فيه المذكر والمؤنث والعاقل وغير العاقل.

قال الزمخشري[٣]: و«عنه» في موضع الرفع بالفاعلية أي: كل واحدٍ منها[٤] كان مسؤولاً عنه. «فمسؤولاً» مسند إلى الجارّ والمجرور كالمغضوب في قوله ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ۝٧﴾ [الفاتحة] يقال للإنسان: لِمَ سمعتَ ما لا يحلّ لك سماعه؟ ولم نظرتَ [إلى] ما لا يحلّ لك النظر إليه، ولم عزمتَ على ما لا تحلّ لك العزيمة عليه؟ انتهى. وهذا الذي ذهب إليه من أنّ «عنه»

---

(١) البيت في شعر الكميت ٢: ١٣٢. وهو من الوافر

(٢) ق: تفسا.

(٣) الكشاف ٢: ٤٤٩.

(٤) ق: منهما.

في موضع الرفع بالفاعلية ويعني [به] أنه[1] مفعول لم يُسَمَّ فاعله لا يجوز؛ لأن الجارّ والمجرور وما يقام مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشروطهما جارٍ مجرى الفاعل. [وكما أن الفاعل] لا يجوز تقديمه فكذلك ما جرى مجراه وأقيم مقامه؛ فإذا قلت: غضب عليّ زيد، [فلا يجوز: عليّ زيدٌ غضب، بخلاف: غضبت على زيد] فيجوز: على زيد غضبت.

وقد حكى الاتفاق من النحويين على أنه لا يجوز تقديم الجار والمجرور الذي يقام مقام الفاعل على الفعل أبو جعفر النّحاس، ذكر ذلك في المقنع[2] من تأليفه، فليس «عنه مسؤولاً» «كالمغضوب عليهم» لتقديم الجار والمجرور في «عنه مسؤولاً» وتأخيره في ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ۝٧﴾ [الفاتحة].

وقول الزمخشري: ولم نظرت إلى ما لا يحل لك، أسقط «إلى»[3] وهو لا يجوز إلا إن جاء في ضرورة الشعر، لأنّ نظر يتعدّى بإلى، وكان التركيب: ولم نظرت إلى ما لا يحلّ لك؟ كما قال: انظر إليه، فعدّاه بإلى، و«مسؤولاً» فيه ضمير يعود على «كل» من حيث اللفظ، وهذا الضمير هو المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله. و«عنه» في موضع نصب، والضمير في «عنه» عائد على معنى «أولئك» أي: عن كل واحد مما تقدّم.

وانتصب «مرحاً» على الحال أي: مارحاً[4] كما تقول: [٣٣٢/أ] جاء زيد ركضاً، أي: راكضاً. أو على حذف مضاف أي: ذا مَرَحٍ. والمرح هو

(١) ق: ومعنى أنه.

(٢) انظر تآليفه في الأعلام ١: ٢٠٨. وفي الإنباه ١: ٣٥٢ أن للحسن بن علي الطائي كتاب المقنع في شرح كتاب ابن جني.

(٣) لم يُسقطها الزمخشري، والظاهر أنها سقطت في النسخة التي نقل عنها المصنّف.

(٤) ق: مرحاً.

السّرور [والاغتباط بالراحة والفرح، وكأنه ضمّن معنى الاختيال لأنّ غلبة السرور] والفرح يصحبها التكبّر والاختيال، ولذلك علّل بقوله ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: لن تجعل فيها خرقاً بدَوْسك لها وشدة وطئك. وانتصب ﴿طُولًا﴾ على التمييز أي: لن يبلغ[1] طولك الجبال.

والظاهر أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى مصدر النّهيين السابقين وهما: قَفْوُ ما ليس لك به علم والمشي في الأرض مرحاً. و«سيّئةً» خبر «كان» وأنّث؛ ثم قال «مكروهاً» فذكّر. وقرىء: «سيئُهُ»، «فسيئُهُ» اسم «كان» و«مكروهاً» الخبر.

«ذلك» إشارة إلى جميع التكاليف من قوله ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴿٢٢﴾﴾ إلى قوله ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء][2]. وهي أربعة وعشرون نوعاً من التكاليف بعضها أمرٌ وبعضها نَهْيٌ، بدأها بقوله «لا تجعل» واختتم الآيات بقوله «ولا تجعل». وقال «ممّا أوحي» لأنّ ذلك بعض ممّا أوحي إليه؛ إذ أوحي بتكاليف أُخر. و«مما أوحي» خبر عن «ذلك». و«من الحكمة» يجوز أن يكون متعلّقاً «بأوحي»، وأن يكون بدلاً من «ما»، وأن يكون حالاً من الضمير المنصوب المحذوف العائد على «ما». وكانت هذه التكاليف حكمة، لأن حاصلها يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع الطاعات والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة، والعقول تدلّ على صحّتها وهي شرائع في جميع الأديان لا تقبل النَّسْخ.

وعن ابن عباس أنّ هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أوّلها «لا تجعل مع الله إلهاً آخر». قال تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ

(١) ق: تبلغ.

(٢) الآيات ٢٢-٣٧ السابقة.

﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف]. وكرر تعالى النّهي عن الشّرك؛ ففي النهي الأول ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء] وفي الثاني ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء] والفرق بين مذموم وملوم أنّ كونه مذموماً أن يذكر أن الفعل الذي أقبل عليه قبيح منكر، وكونه ملوماً أن يقال له بعد الفعل وذمّه: لِمَ فعلت كذا وما حملك عليه وما استفدت منه إلا لحاق الضّرر بنفسك؟ فأول الأمر الذم[1] وآخره اللوم.

والفرق بين «مخذولاً» و«مدحوراً» أنّ المخذول هو المتروك إعانته ونصره والمفوّض إلى نفسه، والمدحور: المطرود المبعَد على سبيل الأهانة له والاستخفاف به. فأول الأمر الخذلان وآخره الطّرد مهاناً. وكان وصف الذّم والخذلان يكون[2] في الدنيا، ووصف اللوم والدّحور يكون في الآخرة ولذلك جاء «فتُلقى في جهنم».

والخطاب بالنهي في هذه الآيات كلّها للسامع غير رسول الله ﷺ.

وقال الزمخشري[3]: ولقد جعل الله تعالى فاتحتها وخاتمتها النّهي عن الشّرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ومَن عَدِمَها لم تنفعه حكمته وعلومه وإن بذّ[4] فيها الحكماء وحكّ بيافوخه السماء. وما أغنت[5] عن الفلاسفة أسفار الحِكَم وهم عن دين الله أضلّ من النَّعَم.

---

(١) ق: بالذّم.

(٢) ق: لا يكون.

(٣) الكشاف ٢: ٤٥٠.

(٤) أي غلبهم وفاقهم.

(٥) ق: أغنت.

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَٰئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾.

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ ﴾ الآية، لمّا نبّه تعالى على فساد طريقة من أثبت لله شريكاً ونظيراً، أتبعه بفساد طريقة من أثبت لله ولداً. والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ. والخطاب لمن اعتقد أن الملائكة بنات الله تعالى.

ومعنى «أفأصفاكم» آثركم وخصّكم وهذا كما قال ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) ﴾ [الطور][1] ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) ﴾ [النجم] وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم. ومعنى «عظيماً» مبالغاً في المنكر والقبيح حيث أضفتم إليه [٣٣٢/ ب] الأولاد[2]، ثم حيث فضّلتم عليه تعالى أنفسكم فجعلتم له ما تكرهون، ثم نسبة الملائكة - الذين هم من شريف ما خلق - إلى الأنوثة.

ومعنى ﴿ صَرَّفْنَا ﴾ نوّعنا من جهة إلى جهة ومن مثال إلى مثال. والتصريف لغةً: صرف الشيء من جهة إلى جهة، ثم صار كناية عن التبيين. وقرىء: ليذّكّروا، أصله من التذكّر، أدغمت التاء في الذال. وقرىء: ليَذْكُروا، من الذِّكْر.

﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ أي: التصريف.

---

(١) ق: أله.

(٢) ق: أولاد.

﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: بعداً وفراراً عن الحق.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾ ذكر قولهم إنه تعالى معه آلهة وردّ عليهم.

ومعنى ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟﴾ أي: طلبوا متوصّلين.

﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ إلى مغالبته وإفساد ملكه لأنهم شركاؤه كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض. والكاف في «كما» في موضع نصب أي: مثلما. وقرىء: تقولون، بتاء الخطاب. ويقولون، بياء الغيبة.

«سبحانه» أي: تنزيهه. «وتعالى» متعلق به «عن» على سبيل الإعمال، إذ يصح «السبحان» أن يتعلق به «عن». والتّعالي في حقّه تعالى هو بالمكانة لا بالمكان. وعلوّ: مصدر على غير المصدر؛ إذ لو جاء على «تعالى» لكان المصدر تعالياً، لأنّ تفاعل بمعنى الفعل المجرد وهو علا.

ونسبة التسبيح للسماوات والأرض ومن فيهنّ من ملك وإنسٍ وجانّ، حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة، وأنّ ما لا حياة فيه ولا نموّ يُحدث الله تعالى له نطقاً. وهذا هو ظاهر اللفظ، ولذلك جاء ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

قال ابن عطية: ثم أعاد على السماوات والأرض ضمير من يعقل لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح انتهى.

ويعني بالضمير في قوله «ومن فيهنّ» و[كأنه] تخيّل أنّ هنّ لا يكون إلا لمن يعقل من المؤنثات[1]. وليس كما تخيّل بل هنّ يكون ضمير الجمع المؤنث مطلقاً.

(١) ق: المؤمنات.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ «إن» نافية، و«من شيء» مبتدأ، و«من» زائدة، وخبره «يسبّح» موجب بعد النّفي.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ حيث لا يعالجكم بالعقوبة على سوء نظركم.

﴿غَفُورًا﴾ إن رجعتم ووحّدتم الله تعالى.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا﴾ الآية، نزلت[1] في أبي سفيان والنضر وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي لهب، كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن، فحجب الله تعالى أبصارهم إذا قرأ، فكانوا يمرّون به ولا يرونه. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر تقرير الألوهية ذكر بعده تقرير النبوّة، وذكر أشياء من أحوال الكفرة وإنكارها وإنكار المعاد. والمعنى: إذا شرعت في القراءة، وليس المعنى على الفراغ من القراءة بل المعنى أنك إذا التبستَ بقراءة القرآن. ولا يراد بالقرآن جميعه بل ما ينطلق

(١) انظر لباب النقول ص١٣٦.

عليه الاسم، فإنك تقول لمن يقرأ شيئاً من القرآن: هذا يقرأ القرآن.

والظاهر إقرار ﴿مَّسْتُورًا﴾ على موضوعه [من كونه] اسم مفعول أي: مستوراً عن أعين الكفّار فلا يرونه، أو مستوراً به الرسول عن أعينهم.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ تقدّم تفسيره في الأنعام(١).

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ قيل: دخل ملأٌ من قريش على أبي طالب يزورونه، فدخل عليهم رسول الله ﷺ فقرأ، ومرّ بالتوحيد فقال: يا معشر قريش: قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم. فولّوا ونفروا، فنزلت(٢) هذه الآية.

قال الزمخشري(٣): وَحَد يَحِد وَحْداً وحِدَةً نحو: وعد يعد وعداً وعِدَةً. و«وحده» من باب رجع عَوْده على بَدْئه [٣٣٣/أ] وافعله جَهْدك وطاقتك في أنه مصدر سادٌّ مسدّ الحال [أصله يَحِدُ وحده بمعنى واحداً انتهى.

ما ذهب إليه من أن «وحده» مصدر سادّ مسدّ الحال] خلاف مذهب سيبويه، و«وحده» عند سيبويه ليس هو مصدراً بل هو اسم وضع موضع المصدر الموضوع موضع الحال، «فوحده» عنده موضوع موضع إيحاد، وإيحاد موضوع [موضع] موحد. و«وحده» وقع بعد فاعل ومفعول نحو: ضربتُ زيداً [وحده] فمذهب سيبويه أنه حال من الفاعل أي: موحّداً له بالضرب.

ومذهب المبرّد أنه يجوز أن يكون حالاً من المفعول. فعلى مذهب

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٥ من الأنعام.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٠: ٢٧٢.

(٣) الكشاف ٢: ٤٥٢.

سيبويه يكون التقدير: موحِّداً له بالذّكر، وعلى مذهب المبرّد يكون التقدير: موحَّداً بالذكر.

والظاهر أن الآية في حال الفارّين عنه وقت قراءته القرآن ومروره بتوحيد الله تعالى. والمعنى: إذا جاء في قراءته مواضع التوحيد، فرّ الكفّار إنكاراً له واستبشاعاً لرفض آلهتهم واطّراحها.

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴾ أي: بالاستخفاف الذي يستمعون به والهزء بك وبالقرآن واللغو. كان إذا قرأ صلى الله عليه وسلم قام رجلان من بني عبدالله عن يمينه ورجلان منهم عن يساره فيصفّقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار.

و«بما» متعلّق «بأعلم». و«به» متعلق «بيستمعون» لمّا ضُمّن «يستمعون» معنى يستهزئون عُدّي بالباء. و«إليك» متعلق «بيستمعون» الثانية. و«إذ» الثانية بدل من الأولى. و«نجوى» على إضمار: هم نجوى أي: ذوو نجوى. و«إن» في «إن تتبعون» نافية والجملة في موضع مفعول «بيقول».

وروي أنّ تناجيهم كان عند عتبة، دعاهم - أي: أشرافَ قريش - إلى طعام، فدخل عليهم النبي ﷺ وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله تعالى، فتناجوا يقولون: ساحر مجنون. والظاهر أن «مسحوراً» من السحر، أي: خبل عقله [السحر].

و«الأمثال» هي ما تقدّم من قولهم في تناجيهم.

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ أي: إلى الإيمان.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا ﴾ استفهام تعجّب وإنكار واستبعاد. لمّا ضربوا له الأمثال وقالوا عنه إنه مسحور، ذكروا ما استدلّوا به على زعمهم على اتّصافه بما نسبوا إليه، واستبعدوا أنه بعدما يصير الإنسان رفاتاً يحييه الله تعالى ويعيده.

وقد ردّ عليهم ذلك بأنه تعالى هو الذي فطرهم بعد العدم الصّرف، على ما يأتي شرحه في الآية بعد هذا.

وجواب «إذا» محذوف تقديره: أئذا كنا عظاماً ورفاتاً نبعث. رفت الشيء: كسره يرْفِتُه بالكسر، والرُّفات: الأجزاء المفتّتة من كل شيء مكسّر. وفُعال بناء لهذا المعنى كالحطام والفُتات والرُّضاض[1] والرُّقاق.

﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ الآية، أي: كونوا حجارة يابسة أو حديداً، مع أن طباعها القساوة والصلابة، لكان قادراً على أن يردّكم إلى حال الحياة.

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحرّكونها على سبيل التكذيب والاستبعاد.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: متى العَوْد، ولم يقولوا ذلك على سبيل التسليم للعود ولكن حيدةً وانتقالاً لما لا يُسأل عنه؛ لأنّ ما ثبت إمكانه بدليل العقل لا يُسأل عن تعيين وقوعه، ولكن أجابهم على سؤالهم بقرب وقوعه لا بتعيين زمانه، لأنّ ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه.

واحتمل أن يكون في «عسى» إضمار، أي: عسى هو أي: العَوْد. واحتمل أن يكون [٣٣٣/ب] مرفوعها «أن يكون» فتكون فيه تامّة.

ووقع في لفظ ابن عطية: عسى أنّ الساعة قريبة انتهى.

وهذا تركيب لا يجوز، لا تقول: عسى أن زيداً قائم، بخلاف: عسى أن

(١) رُضاض الشيء: فُتاته.

يقوم زيد. و«قريبا» يحتمل أن يكون خبر كان على أنه يكون العود متّصفاً بالقرب. ويحتمل أن يكون ظرفاً أي: زماناً قريباً، وعلى هذا التقدير يكون «يوم يدعوكم» بدلاً من «قريباً». والظاهر أن الدعاء حقيقة أي: يدعوكم بالنداء الذي يُسمعكم وهو النفخة الأخيرة، كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق].

ومعنى «فتستجيبون» توافقون الداعي فيما دعاكم إليه. والظاهر أن الخطاب للكفار، إذ الكلام قبل ذلك معهم، فالضمير لهم. و«بحمده» حال منهم أي: ملتبسين[1] بالثناء عليه تعالى.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ و«إنْ» هنا نافية. و«تظنون» معلّقة[2] عن العمل فالجملة بعده في موضع نصب. وقلّما ذكر النحويون في أدوات التعليق إنْ النافية. ويظهر أن انتصاب «قليلا» على أنه نعت لزمان محذوف أي: إلا زماناً قليلا، كقوله[3] ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴿١٩﴾﴾ [الكهف]. ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف أي: لبثنا لبثاً قليلا، ودلالة الفعل على مصدره دلالة قوية.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ الآية، إضافة العباد له تعالى [تدلّ] على أن المأمورين هم المؤمنون، أُمروا أن يقول بعضهم لبعض الكلم التي هي

(١) ق: ملتبثين.

(٢) ق: متعلقة.

(٣) ق: لقوله.

أحسن، أي: يجلّ بعضهم بعضاً ويعظّمه، ولا يصدر له منه إلا الكلم الطيب والقول الجميل. ونُبّهوا على أنه قد يكون من الشيطان نزغ لهم فيتجنّبوه، ذُكّروا بعداوته القديمة لهم.

والخطاب بقوله ﴿رَّبُّكُمْ﴾ للمؤمنين. فالرحمة: الإنجاء من الكفار وأذاهم. والتعذيب: تسليطهم عليهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي: حافظاً وكفيلا.

ولمّا خاطبهم تعالى بقوله «ربكم[1] أعلم بكم» انتقل من الخصوص إلى العموم، فقال مخاطباً لرسوله عليه السلام ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليبيّن أنّ علمه غير مقصور عليكم؛ بل علمه متعلق بجميع من في السماوات والأرض بأحوالهم ومقاديرهم وما يستأهل[2] كل واحد منهم. و«بمن» متعلق «بأعلم» كما تعلّق «بكم» قبله «بأعلم». ولمّا كان الكفار قد استبعدوا تنبئة البشر - إذ فيه تفضيل الأنبياء على غيرهم - أخبر تعالى بتفضيل بعض الأنبياء على بعض، إشارة إلى أنه لا يستبعد تفضيل الأنبياء على غيرهم إذ قد وقع التفضيل في هذا الجنس المفضّل على الناس. والله تعالى أعلم بما خصّ كل واحد به من المزايا، فهو يفضّل من يشاء منهم على من شاء إذ هو الحكيم، فلا يصدر شيء إلا عن حكمته.

وفيه إشارة إلى أنه لا يستنكر تفضيل محمد ﷺ على سائر الأنبياء، وخصّ داود بالذّكر هنا لأنه تعالى ذكر في الزبور أن محمداً خاتم النبيين، وأن أمته خير الأمم، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا

(١) ق: ربّه.

(٢) ق: يتساهل.

عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء] وهم محمد ﷺ وأمّته.

وكانت قريش ترجع إلى اليهودِ كثيراً فيما يخبرون به ممّا في كتبهم، فنبّه على أن زبور داود تضمّن البشارة بمحمد ﷺ. وفي ذلك ردٌّ على مكابري اليهود حيث قالوا: لا نبيّ بعد موسى، ولا كتاب بعد التوراة. ونصّ تعالى هنا على إيتاء داود الزّبور وإن كان قد آتاه مع ذلك الملك، إشارةً إلى أن التفضيل المحض هو بالعلم الذي آتاه والكتاب الذي أنزل عليه، كما فضّل محمداً[1] ﷺ بما آتاه [٣٣٤/أ] من العلم والقرآن الذي خصّه به.

وتقدّم تفسير ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ في آخر النساء[2].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ الآية، قيل: نزلت في عبدة الشياطين، وهم خزاعة أسلمت الشياطين وبقوا يعبدونهم.

---

(١) ق: محمد.

(٢) انظر تفسير الآية ١٦٣ من النساء.

﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾[1] [جواب لقوله «ادعوا». وثَمّ محذوف بعد الفاء تقديره: فهم لا يستطيعون]. والمعنى: لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضرّ من مرض أو فقر أو عذاب، ولا أن يحوّلوه من واحد إلى آخر ويبدّلوه. وفي قوله «زعمتم» ضمير محذوف عائد على «الذين» وهو المفعول الأول، والثاني محذوف تقديره: زعمتموهم آلهةً من دون الله.

والظاهر أن «أولئك» إشارة إلى المعبودين وهو مبتدأ، و«الذين» صفة له، و«يدعون» صلة «للذّين»، والواو للعابدين، والضمير العائد على «الذين» محذوف تقديره: يدعونهم آلهةً. و«يبتغون» خبر «أولئك». و«الوسيلة» القرب إلى الله تعالى.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أجاز الحوفي أن يكون بدلاً من الواو في «يبتغون» وتبعه الزمخشري[2]، فعلى هذا يكون «أيهم» موصولاً، و«أقرب» خبر مبتدأ، التقدير: يبتغي الذين هم أقرب إلى ربّهم الوسيلة.

وأجاز أيضاً أن يكون «أيّهم أقرب» مبتدأ وخبراً على الاستفهام، ومقدّراً قبله[3] الفعل المعلّق وهو[4] ينظرون. وقال نحوه ابن عطية. والجملة في موضع نصب على إسقاط: في، إن كان من نظر القلب، وإلى، إن كان من نظر البصر. وإضمار الفعل المعلّق يحتاج إلى سماع.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ معطوف على «يبتغون».

---

(١) ق: يستطيعون.

(٢) انظر الكشاف ٢: ٤٥٤.

(٣) ق: قبل.

(٤) ق: وهم.

﴿مَحْذُورًا﴾ يحذره كل أحد.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ «إنْ» نافية، و«من» زائدة في المبتدأ، تدلّ على استغراق الجنس. والجملة بعد «إلّا» خبر. وقيل: المراد الخصوص، التقدير: وإن من قرية ظالمة، والظاهر أن جميع القرى تهلك قبل يوم القيامة، وإهلاكها تخريبها وفناء أهلها.

﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ أي: معذّبو أهلها بالقتل وأنواع العذاب.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الإهلاك والتعذيب.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أي: في سابق القضاء أو اللوح المحفوظ [«مسطوراً»] أي: مكتوباً أسطاراً.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ عن ابن عباس أنّ أهل مكّة سألوا أن يجعل لهم الصّفا ذهباً، وأن ينحّي عنهم الجبال فيزرعون، اقترحوا ذلك على رسول الله ﷺ. فأوحى الله تعالى إليه: إن شئتَ أفعل ذلك لهم، فإن تأخّروا عاجلتهم بالعقوبة، وإن شئتَ استأنيت بهم، عسى أن أجتبي منهم مؤمنين. فقال: بل تستأني بهم يا ربّ فنزلت[1].

واستعير المنع للتّرك، أي: ما تركْنا إرسال الآيات المقترحة إلا لتكذيب الأولين بها. وليس تكذيب الأولين علّة في منع إرسال الآيات لقريش، فالمعنى: إلّا اتّباعهم طريقة تكذيب الأولين بها. فتكذيب الأولين: فاعل على حذف مضاف، فإذا كذّبوا بها كما كذّب الأولون، عاجلتهم بعذاب الاستئصال، وقد اقتضت الحكمة أن لا أستأصلهم.

---

(١) انظر أسباب النزول ص١٩٥.

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأوّلون ثم كذّبوا بها لمّا أُرسلت إليهم فأهلكوا، واحدة وهي ناقة صالح، لأن آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم، يبصرها صادرهم وواردهم. وانتصب «مبصرة» على الحال وهي قراءة الجمهور. وقرىء: مبصِرةٌ، بالرفع على إضمار مبتدأ أي: هي مبصِرة، وأضاف الإبصار إليها على سبيل المجاز لما كانت تبصرها الناس، والتقدير: آية مبصرة. وقرىء: مبصَرةً، بفتح الصاد اسم مفعول يبصرها الناس ويشاهدونها.

﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: إنذاراً بعذاب الدنيا والآخرة.

[٣٣٤/ب] «وإذ قلنا لك» الآية، «أحاط بالناس» فقيل بعلمه فلا يخرج شيء عن علمه، وبقدرته، فقدرته غالبة كل شيء.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ قال الجمهور: هي رؤيا عين ويقظة، وهي ما رأى في ليلة الإسراء من العجائب. قال الكفّار: إنّ هذا لعجب! نسير لبيت المقدس شهرين إقبالاً وإدباراً، ويقول محمد: جاءه من ليلته وانصرف منه!. فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدّوا. وشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية[1].

وقيل في الرؤيا غير ذلك ممّا هو مذكور في البحر[2]. قال ابن عطية: قالت عائشة: الرؤيا رؤيا منام. وهذه الآية تقضي بفساده؛ وذلك أنّ رؤيا المنام لا فتنة فيها، وما كان أحد لينكرها.انتهى.

ليس كما قال ابن عطية فإن رؤيا الأنبياء حقّ، ويخبر النبي بوقوع ذلك لا

---

(١) انظر لباب النقول ص١٣٧.

(٢) انظر ٦: ٥٤.

محالة، فيصير إخباره فتنة لمن يريد الله به ذلك.

و﴿أَرَيْنَاكَ﴾ صلة «للّتي» والعائد محذوف تقديره: أريناكها.

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ قيل هي أبو جهل، وقيل شجرة الزّقوم. وقال أبو جهل[1] وغيره: هذا محمد يتوعّدكم بنارٍ تحرق الحجارة، ثم يزعم أنها تنبت الشجر، والنار تأكل الشجر، وما نعرف الزّقوم إلا التّمر بالزّبد. ثم أمر أبو جهل جارية له، فأحضر تمراً وزبداً وقال لأصحابه: تزقّموا؛ فافتتن أيضاً بهذه المقالة بعض الضعفاء. والظاهر أن «الشجرة الملعونة في القرآن» هي التي تفرّع منها ناس في الملّة الإسلامية وهم ظالمون قد أحدثوا من الشريعة ما لا يجوز فيها، ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود]. وسئل الإمام أحمد عن شخص منهم هل تلعنه؟ فقال: هل رأيتني ألعن أحداً؟ ثم قال: ما لي لا ألعن من لعنه الله تعالى في كتابه، وتلا ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود].

﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي: التخويف إلا طغياناً كبيراً.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

---

(١) انظر أسباب النزول ص١٩٥.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ تقدم الكلام في مثل هذه الآية[١].

وانتصب «طينا» على أنه حال من الضمير المحذوف العائد على «مَن» تقديره: لمن خلقته في حال طين، وهي حال ماضية محكية. وأجاز بعضهم أن يكون منصوباً على إسقاط حرف الجر، تقديره: من طين، كما صرّح به في قوله ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف].

والكاف في «أرأيتك» للخطاب، وتقدّم الكلام عليها في سورة الأنعام[٢].

وقال الحوفي: «أرأيتك» بمعنى عرِّفْني وأخبِرْني. و«هذا» منصوب «بأرأيتك». والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كرّمتَه عليّ لِمَ كرّمتَه عليّ وقد ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف]. وحذف هذا لما في الكلام من الدليل عليه. وقال نحواً منه الزّمخشري[٣].

وقال ابن عطية: والكاف في «أرأيتك» حرف خطاب ومبالغة في التنبيه، لا موضع لها من الإعراب، فهي زائدة. ومعنى أرأيت: أتأمّلت ونحوه[٤]، كأن المخاطِب بها ينبّه المخاطَب، ليستجمع لما ينصّه عليه بعد.

وقال سيبويه[٥]: هي بمعنى أخبرني، ومثّل بقوله: أرأيتك زيداً أبو من هو.

وقاله الزّجاج، ولم يمثّل: وقول سيبويه صحيح حيث يكون بعدها استفهام كمثاله، وأمّا في هذه الآية فهي كما قلت، وليست التي ذكر سيبويه، انتهى.

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٤ من البقرة.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٠ من الأنعام.

(٣) انظر الكشاف ٢: ٤٥٦.

(٤) ق: ونحو.

(٥) الكتاب ١: ٢٣٩.

وما ذهب إليه الحوفي والزمخشري في «أرأيتك» هنا هو الصحيح، ولذلك قدّر الاستفهام وهو: لِمَ كرّمته عليّ. فقد انعقد من قوله: هذا الذي كرّمت عليّ، لِمَ كرّمته عليّ، جملة من مبتدأ وخبر، وصار مثل: زيد أبو من هو؟. دخلت عليه «أرأيتك» فعملت في الأول والجملة الاستفهامية في موضع الثاني.

والمستقر[١] في: أرأيت [٣٣٥/أ] بمعنى أخبرني، أن يدخل على جملة ابتدائية، يكون الخبر استفهاماً، فإن صُرّح به فذاك واضح، وإن قُدّر، فقد أشبعنا الكلام في ذلك في الأنعام[٢].

ومعنى ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ أي: أخّرت مماتي وأبقيتني حيًّا. واللام مؤذنة بقسم محذوف، وقد صرّح هو في مكان آخر بالمُقْسَم به، فقال ﴿فَبِعِزَّتِكَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص]. وجواب القسم ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ تقول العرب: احتنك الجراد الأرض: أكل نباتها، ولذلك[٣] فسّره بعضهم بمعنى لأستأصلنّ. واستثنى القليل لأنه علم أنه يكون في ذرّية آدم عليه السلام من لا يتسلّط عليه كما قال ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر].

والأمر بالذّهاب ليس على حقيقته من نقيض المجيء، والمعنى اذهب لشأنك الذي اخترته. وعقبه [بذكر] ما جرّه سوء فعله من جزائه وجزاء أتباعه: جهنم. ولمّا تقدم اسم غائب وهو «فمن تبعك» وضمير خطاب، غلّب الخطاب فقال «جزاؤكم». والموفور: المكمل. ووفر متعدٍّ

(١) ق: والمستتر.
(٢) انظر تفسير الآية ٤٠ من الأنعام.
(٣) ق: وكذلك. وفيه وجه.

كقوله[1]: [من الطويل]

ومن يجعلِ المعروف من دون عرضه يَفِرْه ومن لا يتّق الشتم يُشتَمِ

ولازم، تقول: وفر المالُ يَفِرُ وفوراً.

وانتصب «جزاء» على المصدر والعامل فيه «جزاؤكم».

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ ﴾ معناه استخفف[2]، وهو معطوف على «اذهب»[3] وعطف عليه ما بعده من الأمر، وكلّها بمعنى التهديد كقوله تعالى ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴿٤٠﴾ ﴾ [فصلت]. و«مَن» في ﴿ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ ﴾ موصولة مفعولة «باستفزز». ومفعول «استطعت» محذوف تقديره: من استطعت أن تستفزّه[4].

والصوت هنا: الدّعاء إلى معصية الله. وقرأ الحسن: واجلُب، بوصل الألف وضمّ اللام مِن جَلَب ثلاثيًا. وأَجْلِبْ، مِن أجلب على قراءة الجمهور رباعيًا.

والظاهر أن إبليس له خيل، ورجاله من الجن من جنسه، قاله قتادة. وقيل من الآدميين أضيفوا إليه لانخراطهم في طاعته وكونهم أعوانه على غيرهم قاله مجاهد.

وقال الزمخشري[5]: فإن قلت: ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه

(١) البيت لزهير في ديوانه ص٣٠.
(٢) ق: التخفف.
(٣) ق: فاذهب.
(٤) ق: تستفززه.
(٥) الكشاف ٢ : ٤٥٦.

بخيله ورَجِله؟ قلت: هو كلام وارد[1] مورد التمثيل؛ مثّلت حاله في تسليطه على من يغويه بمغوارٍ وقع على قوم، فصوّت بهم صوتاً، يستفزّهم من أماكنهم، ويقلقهم عن مراكزهم، وأجلب عليهم بجنده من خيّالة ورجالة حتى استأصلهم انتهى.

وقرأ الجمهور: ورَجْلك، بفتح الراء وسكون الجيم، وهو اسم جمع، واحده راجل كرَكْب وراكب. وقرأ حفص بكسر الجيم.

والمشاركة في الأموال ما أخذ من غير حقّه وما وضع في غير حقّه. والمشاركة في الأولاد ما مجّسوه وهوّدوه ونصّروه وصبغوه غير صبغة الإسلام. وأمّا وعده فالوعد الكاذب كوَعْدهم أنْ لا بَعْث.

وانتصب «غروراً» وهو مصدر، على أنه نعت لمصدر محذوف أي: وعداً غروراً.

والإضافة إليه تعالى في «إن عبادي» إضافة تشريف، والمعنى: المختصّين بكونهم عبادي لا يضافون إلى غيري.

ومعنى ﴿وَكِيلًا﴾ أي: حافظاً لعباده الذين ليس له عليهم سلطان من إغواء الشيطان.

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ

(١) ق: قادر.

﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ۝٦٩ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى وصف المشركين في اعتقادهم آلهتهم، وأنها تضرّ وتنفع، وأتبع ذلك بقصّة إبليس مع آدم وتمكينه من وسوسة ذرّيته وتسويله، ذكر ما يدل من أفعاله على وحدانيته تعالى، وأنّه هو النافع الضّار المتصرّف في خلقه بما يشاء، فذكر إحسانه إليهم بحراً وبرًّا.

وإزجاء [٣٣٥/ب] الفلك: سوقها من مكان إلى مكان بالريح اللينة والمجاديف[(١)]. وابتغاء الفضل: طلب التجارة والحج فيه والغزو.

و﴿ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ الخوف من الغرق باضطرابه وعصف الريح.

ومعنى ﴿ضَلَّ﴾ ذهب عن أوهامكم من تدعونه إلهاً، فيشفع أو ينفع. وجاءت صفة كفور دلالة على المبالغة، ثم لم يخاطبهم بذلك، بل أسند ذلك إلى الإنسان لطفاً بهم وإحالة على الجنس؛ إذ كل واحد لا يكاد يؤدي شكر نعم الله تعالى.

ولمّا كان الخسف تغيباً في التراب قال «جانب البر». و«بكم» حال أي: يخسف جانب البرّ مصحوباً بكم. والحاصب: الحجارة. «ثم لا تجدوا» عند حلول أحد هذين بكم من توكلون أموركم إليه.

و«أم» في ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ منقطعة تتقدّر ببل والهمزة، أي: بل أأمنتم.

---

(١) وبالذّال أيضاً.

والضمير في «فيه» عائد على البحر. وانتصب «تارة» على الظرف أي: وقتاً غير الوقت الأول.

﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ والقاصف: الذي يكسر كلّ ما يلقى، ويقال: قصف الشجر يقصفه قصفاً: كسره. وقال أبو تمام[1]: [من البسيط]

إنّ الرياح إذا ما أعصفَتْ[2] قصفَتْ عيدانَ نجدٍ ولا يعبأْنَ بالرَّتَمِ

والباء في ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ سببية، و«ما» مصدرية أي: بسبب كفركم السابق منكم. والضمير في «به» عائد على المصدر الدالّ عليه «فيغرقكم» إذ هو أقرب مذكور وهو نتيجة الإرسال. والتّبيع: قال ابن عباس: النّصير، وقال الفرّاء[3]: طالب الثأر.

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى ما امتنّ به عليهم من إزجاء الفلك ومن تنجيتهم من الغرق، تمّم ذكر المنّة بذكر تكريمهم ورزقهم وتفضيلهم. وكرّم معدّى بالتضعيف من كرَم، أي: جعلناهم ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمّة.

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال ابن عباس: في البرّ على الخيل والبغال والحمير والإبل، وفي البحر على السفن.

و«الطَّيِّبَات» كما تقدّم[4]: الحلال أو المستلذّ.

---

(١) ديوان أبي تمام ٣: ٢٨٠.

(٢) ق: عصفت.

(٣) ق: وقا. معاني القرآن ٢ : ١٢٧.

(٤) انظر تفسير الآية ٩٣ من يونس.

ومعنى ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ أبهم في قوله «على كثير» ولم يعيّن الكثير الذي فَضّل بني[1] آدم عليه.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

ولمّا ذكر تعالى أنواعاً من كرامات الإنسان في الدنيا ذكر أشياء من أحوال الآخرة فقال ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾. والعامل في «يوم» اذكرْ، على أنه مفعول به. «بإمامهم» الظاهر[2] أنه الإمام الذي يأتمّ به أمّته من نبيّ أو كتاب أو شريعة.

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ جاء جمعاً على معنى مَن؛ إذ قد حمل على اللفظ أولاً فأفرد في قوله ﴿أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾. والكتاب ما كُتب له فيه من خير وشر.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا ينقصون أدنى شيء. وتقدّم شرح الفتيل في سورة النساء[3].

(١) ق: بنو.

(٢) ق: والظاهر.

(٣) لم يتقدم شرحه في الآيتين ٤٩، ٧٧ اللتين ورد ذكر الفتيل فيهما في النساء.

والظاهر أن الإشارة بقوله ﴿فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى الدنيا قاله ابن عباس وغيره، أي: من كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله تعالى وعبره والإيمان بأنبيائه.

﴿فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ إمّا أن يكون على حذف مضاف أي: في شأن الآخرة، وإما أن يكون: فهو يوم القيامة أعمى على معنى أنه حيران لا يتوجّه له صواب، ولا يلوح له نجح.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الضمير في «وإن كادوا» عائد على الكفار. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لمّا عدّد نعمه على بني آدم، ثم ذكر حالهم في الآخرة من إيتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة، ومن عمل أهل الشقاوة، أتبع ذلك بما يهمّ به الأشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتّلبيس على سيّد أهل السعادة المقطوع له بالعصمة. ومعنى «ليفتنونك» ليخدعونك، وذلك في ظنّهم، لا أنهم قاربوا ذلك إذ هو معصوم عليه السلام أن يقاربوا فتنته عمّا[1] أوحى الله تعالى إليه. وتلك المقاربة في زعمهم سببها [٢٣٦/أ] رجاؤهم أن يفتري على الله تعالى غير ما أوحى الله تعالى إليه، من تبديل الوعد وعيداً[2] أو الوعيد وعداً، وما اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله تعالى ما لم ينزّله عليه. و«إنْ» هذه هي المخفّفة من الثقيلة وَلِيَتْها الجملة الفعلية وهي «كادوا» لأنها[3] من أفعال المقاربة. وإنما تدخل - على مذهب البصريين - من الأفعال على النواسخ التي للإثبات، على ما تقرّر في علم النحو. واللام في «ليفتنونك» هي الفارقة بين إنْ هذه وإنْ النافية.

---

(١) ق: فتنة ما.

(٢) ق: وعيد.

(٣) ق: لا أنها.

﴿وَإِذًا﴾ حرف جواب وجزاء. ويقدّر قَسَم هنا يكون «لاتّخذوك» جواباً له والتقدير: والله إذاً، أي: [إن] افتتنت أو افتريت لاتّخذوك.

و﴿ لَّاتَّخَذُوكَ﴾ في معنى ليتّخذونك.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ جواب «لولا» يقتضي إذا كان مثبتاً امتناعه لوجود ما قبله؛ فمقاربة الركون لم تقع منه عليه السلام، فضلاً عن الركون، والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله تعالى له. وانتصب «شيئا» على المصدر. وجواب «لولا» قوله «لقد كدت» ومثله قول الشاعر[١]: [من البسيط]

لولا الأمير ولولا فضل طاعته   لقد شربت دماً أحلى من العسل

وأكثر ما يجيء باللام وحدها وبعدها الفعل الماضي المثبت كقوله ﴿لَمَسَّكُمْ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال].

﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ أي: عذاب الآخرة وغذاب القبر مضاعفَيْن.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ روي أنه لمّا نزلت قال رسول الله ﷺ «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[٢]. والضمير في «وإن كادوا» ليهود المدينة وناحيتها كحييّ بن أخطب وغيره، وذلك أنهم ذهبوا إلى المكر برسول الله ﷺ فقالوا: إن هذه ليست بأرض الأنبياء وإنما أرض الأنبياء الشام، ولكنك تخاف الرّوم. فإن كنت نبيًّا فاخرج إليها فإن الله[٣] سيحميك كما حمى غيرك

---

(١) لم أجده.

(٢) أخرجه أحمد ٥: ٤٢ من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة.

(٣) ق: فإن كان الله.

من الأنبياء فنزلت[١]. وأخبر تعالى أنه لو خرج لم يُلْبِثْهم بعده إلا قليلاً.

وانتصب «سنة» على المصدر المؤكد أي: سنّ الله ذلك سنة. والمعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنّة الله تعالى أن يهلكهم بعد إخراجه ويستأصلهم ولا يقيمون بعده إلا قليلا، كقوله في قصة شعيب[٢]، وقوله ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل] وقوله ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء][٣]. وقوله ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ﴾ نظير قوله ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النساء][٤].

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر كيدهم لرسول الله ﷺ وما كانوا يرمون به، أمره تعالى أن يقبل على شأنه من عبادة ربه وأن لا يشغل[٥] قلبه بهم. وكان قد تقدم القول في الإلهيّات

---

(١) انظر أسباب النزول ص١٩٦.

(٢) انظر الآية ٩٤ من الأعراف وتفسيرها.

(٣) ق: ولتكونن.

(٤) ق: يأتون.

(٥) ق: يغشل.

والمعاد والنبوّات، فأردف ذلك بالأمر بأشرف العبادات والطاعات بعد الإيمان، وهي الصلاة. وتقدّم الكلام في إقامة الصلاة[١]. والمواجَه[٢] بالأمر الرسول عليه السلام.

قال الواحدي: اللام للسبب لأنها إنما تجب بزوال الشمس، فيجب على المصلّي إقامتها لأجل دلوك الشمس.

وقال ابن عطية: «أقم الصلاة» الآية، هذه بإجماع المفسرين إشارة إلى الصّلوات [الخمس] المفروضة.

وقال ابن عباس[٣] وغيره: دلوك الشمس: زوالها، والإشارة إلى الظهر والعصر، و«غسق الليل» إشارة إلى المغرب والعشاء، «وقرآن الفجر» أريد به صلاة الصبح. فالآية على هذه تعمّ جميع الصلوات كلها. وأعاد «قرآن الفجر» في قوله [٢٣٦/ ب] ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ ولم يأت مضمراً فيكون على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر.

ومعنى ﴿مَشْهُودًا﴾ أي: تشهده الملائكة حَفَظَة الليل وحفظة النهار كما جاء في الحديث[٤] «إنهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر».

ولمّا أمره تعالى بإقامة الصلاة للوقت المذكور، ولم يَدُلَّ أمره تعالى إياه على اختصاصه بذلك دون أمّته، ذكر ما اختصّه به تعالى وأوجبه عليه من

---

(١) انظر تفسير الآية ٤٣ من البقرة.

(٢) ق: والمواجهة.

(٣) ابن عباس: مكررة في ق.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١: ٤٣٩ من حديث أبي هريرة.

قيام الليل، وهو[١] في أمّته تطوّع فقال «ومن الليل فتهجد به» أي: بالقرآن في الصلاة. «نافلة» زيادة مخصوصاً بها أنت. و«تهجّد» هنا تفعَّل بمعنى الإزالة والتّرك كقولهم: تأثم وتحنّث: ترك التأثّم والتحنّث، ومنه: تحنّث بغار حراء أي: ترك[٢] التحنّث، وشرح بلازمه وهو التعبّد. و«ومن» للتبعيض. و«عسى» مدلولها في المحبوبات في الترجّي، والأجود أن هذه الترجية والإطماع بمعنى الوجوب من الله تعالى. وهو متعلق من حيث المعنى بقوله «فتهجّد». و«عسى» هنا تامّة وفاعلها «أن يبعثك» و«ربك» فاعل «يبعثك». و«مقاماً» الظاهر أنه معمول «ليبعثك» وهو منصوب على الظرف أي: في مقام محمود.

ولا يجوز أن يكون «ربك» اسم «عسى» و«أن يبعثك» في موضع الخبر لأنه يلزم من ذلك الفصل [بين العامل الذي هو «أن يبعثك» وبين المعمول الذي هو «مقاماً»] بأجنبي وهو «ربك» الذي هو اسم «عسى». وعن أبي هريرة أنه عليه السلام قال[٣] «المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي».

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية، لمّا أمره تعالى بإقامة الصلاة وبالتّهجد ووعده ببعثه مقاماً محموداً، وذلك في الآخرة - أمره أن يدعوه بما يشمل أموره الدّنياويّة والأخراوية فقال «وقل رب أدخلني» الآية. والظاهر أنه عام في جميع أموره ومصادره دنيا وآخرة. والصدق هنا لفظ يقتضي رفع المذامّ واستيعاب المدح كما تقول: رجل صدق، إذ هو مقابل رجل سوء.

---

(١) ق: وهي.

(٢) ق: تترك.

(٣) أخرجه أبو نعيم والبيهقي من حديث أبي هريرة، انظر صحيح الجامع الصغير ٦: ٢٠.

و﴿ سُلْطَٰنًا ﴾ أي: حجّة بيّنة.

و﴿ نَّصِيرًا ﴾ مبالغة في ناصر.

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ «الحق»: القرآن. و﴿ ٱلْبَٰطِلُ ﴾: الشيطان. وهذه الآية نزلت بمكّة، ثم إن رسول الله ﷺ كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الأصنام وسقوطها لطعنه إياها بالمِخْصَرة حسبما ذكر في السّير[1].

و﴿ زَهُوقًا ﴾ صفة مبالغة في اضمحلاله وعدم ثبوته في وقت ما.

و«مِن» في ﴿ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ لابتداء الغاية.

وقال ابن عطية والزمخشري[2]: «من القرآن»: «من» لبيان الجنس. ووافقهما أبو البقاء[3]. وقد ذكرنا[4] أن مِن التي لبيان الجنس لا تتقدّم على المبهم الذي بيَّنَتْهُ وإنما تكون متأخرة عنه. وشفاؤه كونه مزيلاً للرّيب كاشفاً عن غطاء القلب لفهم المعجزات والأمور الدالّة على الله تعالى المقرّرة[5] لدينه، فصار لعلاّت القلوب كالشفاء لعلاّت الأجسام، و«خساراً» للظالمين - وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعه - هو بإعراضهم عنه وعدم تدبّره، بخلاف المؤمن فإنه يزداد بالنظر فيه والتدبّر في معانيه إيماناً.

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ ﴾ لما ذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء للمؤمن وخساراً للظالم، عرّض بما أنعم عليه من شرائع الإسلام، ومع ذلك

(١) المخصرة: ما يُتوكّأ عليه كالعصا ونحوه. وانظر سيرة ابن هشام ٤: ٥٩.
(٢) الكشاف ٢: ٤٦٣.
(٣) إملاء ٢: ٩٥.
(٤) انظر تفسير الآية ٢٥ من البقرة.
(٥) ق: المقدّرة.

أعرض عنه وبَعُد بجانبه اشمئزازاً له.

وقرىء: نأى، من النأي وهو البعد. وقرىء: وناء، نهض.

ومعنى «يؤوساً» قنوطاً من أن ينعم الله تعالى عليه.

والظاهر أن المراد بالإنسان هنا ليس واحداً بعينه بل [٣٣٧/أ] المراد الجنس. ونسب تعالى الإنعام لذاته، والمسيس للشّر. ويؤوس: صفة مبالغة من يئس.

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ ﴾ «كلٌّ» إذا كان غير مضاف فتارة يُراعى لفظه فيفرد الضمير العائد عليه، كما في قوله تعالى «كلٌّ يعمل على شاكلته»، [وتارة يُراعى معناه فيُجمع كما في قوله تعالى ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس].

و﴿ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾] أي: على مذهبه الذي[1] يشاكل حاله في الهدى والضّلالة، من قولهم: طريق ذو شواكل، وهي الطرق التي تشعّبت منه.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ

---

(١) ق: أي. وهذه العبارة من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٢: ٤٦٤.

سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ في الصحيح من حديث ابن مسعود[١] أنه قال: إني مع رسول الله ﷺ في حرث[٢] بالمدينة وهو متكيء على عسيب، فمرّ بنا ناسٌ[٣] من اليهود فقالوا: سَلُوه[٤] عن الرّوح. فقال بعضهم: لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون. فأتاه نفرٌ منهم فقالوا: يا أبا القاسم، ما تقول في الرّوح؟ فسكت ثم ماج فأمسكت بيدي على جبهته فعرفت أنّه ينزل عليه الوحي، فنزل عليه «ويسألونك عن الرّوح» الآية. فعلى هذا يكون الضمير في «ويسألونك» لليهود، ويكون الخطاب [لهم] في قوله[٥] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ الآية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ١٧٤٩ من حديث عبد الله بألفاظ مقاربة.

(٢) ق: حرب.

(٣) ق: فمرّ بناسٍ.

(٤) ق: سلوا.

(٥) ق: وقوله.

و«الرّوح» على قول الجمهور هي[1] الروح التي في الحيوان وهو اسم جنس، وهذا هو الظاهر.

ومعنى ﴿مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ أي: فعل ربّي كونها بأمره، وفي ذلك دلالة على حدوثها. والأمر بمعنى الفعل وارد، قال تعالى ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ۝٩٧﴾ [هود] أي: فِعْله. والظاهر أنهم سألوا عن ماهيّتها وحقيقتها، وقيل عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له، وكلاهما مشكل لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقد رأيت كتاباً يترجم بالنّفخ والتسوية لبعض الفقهاء المتصوّفة، يذكر فيه أن الجواب في قوله تعالى ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ إنما هو للعوامّ، وأمّا الخواصّ فهم عنده يعرفون الرّوح.

وأجمع علماء الإسلام على أن الرّوح مخلوقة، وذهب كفرة الفلاسفة وكثير ممّن ينتمي إلى الإسلام إلى أنها قديمة. واختلاف الناس في الرّوح بلغ إلى سبعين قولاً، وكذلك اختلفوا هل الروح النفس أم شيء غيرها.

﴿وَلَئِن شِئۡنَا﴾ اللام مؤذنة بقسم محذوف. و﴿لَنَذۡهَبَنَّ﴾ جوابه.

﴿وَكِيلًا﴾ أي: حافظاً ما أوحينا إليك.

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ استثناء منقطع أي: ولكن رحمة من ربك غير مذهوب به. وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى إنعامه على نبيّه بالنبوّة وبإنزال وحيه عليه وباهر قدرته، ذكر ما منحه تعالى من الدليل على نبوّته

---

(١) ق: هنا.

الباقي بقاء الدهر وهو القرآن الذي عجز العالم عن الإتيان بمثله، وأنه من أكبر النعم عليه والفضل الذي أبقى له ذكراً إلى آخر الدهر. وإذا كان فصحاء اللسان الذي نزل به وبلغاؤهم(١) عجزوا عن الإتيان بسورة واحدة [مثله]، فلأن يكونوا أعجز عن أن يأتوا(٢) بمثل جميعه، ولو تعاون الثقلان عليه، لا يأتون بمثله. ولما كانت(٣) الجن تفعل أفعالاً مستغربةً كما حكى الله عنهم في قصة سليمان(٤) عليه السلام، أدرجوا مع الإنس في التعجيز، ليكون ذلك أبلغ في التعجيز.

و﴿لَا يَأْتُونَ﴾ جواب القسم محذوف. واللام الموطئة في «لئن» وهي الداخلة على الشرط كقوله تعالى ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾ [الحشر].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ تقدّم نظيره(٥). والظاهر أن المراد بالمَثَل هو [القول] الغريب السائر في الآفاق، والقرآن مَثَل من الأمثال التي ضربها الله سبحانه وتعالى.

قال الزمخشري(٦): ويجوز أن تكون [«مِن»] مؤكدة [٣٣٧/ب] زائدة، التقدير: ولقد صرّفنا كلّ مثل.انتهى.

يعني فيكون مفعول «صرّفنا» «كلّ مثل». وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين والأخفش [لا] على مذهب جمهور البصريين. والظاهر أن مفعول

---

(١) ق: وبلغاتهم.

(٢) عبارة ق: فلأن تكونوا أنتم أعجز عن أن تأتوا.

(٣) ق: كان.

(٤) انظر مثلاً الآية ٣٩ من النمل، والآية ١٣ من سبأ.

(٥) انظر تفسير الآية ٤١ من هذه السورة.

(٦) لم أجد هذا النص في الكشاف.

«صرّفنا» محذوف تقديره: البيّنات والعبر. و«مِن» لابتداء الغاية.

وروي أن صناديد قريش اجتمعوا وسيّروا للرسول عليه الصلاة والسلام، فلمّا جاء إليهم جرت بينهم محاورات في ترك دينهم، وطلب منهم أن يوحّدوا ويعبدوا الله تعالى. فأرغبوه بالمال والرئاسة فأبى وقال: لست أطلب ذلك. فاقترحوا عليه ستّ الآيات التي ذكرها الله تعالى [هنا].

ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لمّا تحدّاهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، فتبيّن عجزهم عن ذلك وإعجازه، وانضمّت إليه معجزات أخر وبيّنات واضحة، فلزمَتْهم الحجّة وغُلبوا - أخذوا يتعلّلون باقتراح آياتٍ، فِعْل الحائر المبهوت، فقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم.

ومعنى ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أرض مكّة. ﴿يَنۢبُوعًا﴾ مشتق من النّبع ووزنه يَفعول كيَعْفور.

﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾ التي أصلها الينبوع. ثم اقترحوا ثانياً جنةً من نخيل وأعناب، وكان الغالب على بلادهم ذلك. ﴿خِلَـٰلَهَا﴾ أي: وسط الجنّة.

وقولهم ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ إشارة إلى قوله تعالى ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۝٩﴾ [سبأ].

﴿قَبِيلًا﴾ معاينة.

والزّخرف: الزّينة، ويطلق على الذهب. «أو ترقى» أي: تصعد. «في السماء» على حذف مضاف أي: إلى معارج السماء. والظاهر أن «السماء» هنا هي المظلّة. وما اكتفوا بالتّغيية بالرقي في السماء، حتى غيّوا[1] ذلك بأن

(١) غيّا الأمر: جعله له غاية.

ينزل عليهم كتاباً يقرؤونه. ولمّا تضمّن اقتراحهم ما هو مستحيل في حقّ الله تعالى، وهو أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً، أمره تعالى بالتّسبيح والتنزيه عمّا لا يليق به، ومن أن يُقترح عليه ما ذكرتم فقال ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ﴾ أي: ما كنت إلا بشراً رسولاً من الله إليكم لا مقترحاً عليه ما ذكرتم من الآيات.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا﴾ الآية، الظاهر أن قوله «وما منع الناس أن يؤمنوا» إخبار من الله تعالى عن السبب الضعيف الذي منعهم من الإيمان، إذ ظهر لهم المعجز، وهو استبعاد أن يبعث الله تعالى رسولاً إلى الخلق واحداً منهم، ولم يكن ملكاً. و«أن يؤمنوا» في موضع نصب. و«أن قالوا» في موضع رفع. و«إذ» ظرفٌ العامل فيه «منع». و«النّاس» كفّار قريش القائلون تلك المقالات السابقة. و«الهدى» القرآن ومن جاء به. وليس المراد مجرّد القول، بل قولهم الناشىء عن اعتقادهم.

والهمزة في «أبعث» للإنكار. و«رسولا» ظاهره أنه نعت.

وقوله «قل لو كان» الآية، «يمشون» يتصرفون فيها بالمشي، وليس لهم صعود إلى السّماء، فيسمعون من أهلها ويعلمون ما يجب علمه، بل هم مقيمون في الأرض يلزمهم ما يلزم المكلّفين من عبادات مخصوصة وأحكام، لا يدرك تفصيلها بالعقل.

﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم﴾ من جنسهم مَنْ يعلّمهم ذلك ويلقيه إليهم.

ولمّا دعاهم صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان وتحدّى على صدق نبوّته بالمعجز الموافق لدعواه، أمره تعالى أن يعلمهم، بأنه تعالى هو الشهيد بينه وبينهم، على تبليغه، وما قام به من أعباء الرّسالة، وعدم قبولهم وكفرهم، وما اقترحوا عليه من الآيات، على سبيل العناد.

وأردف ذلك بما فيه تهديد، وهو قوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ بخفيّات أسرارهم ﴿بَصِيرًا﴾ مطّلعاً على ما يظهر [٣٣٨/أ] من أفعالهم وأقوالهم.

والظاهر أنّ قوله ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ إخبار من الله تعالى وليس مندرجاً تحت «قل» لقوله «ونحشرهم». و«مَن» مفعول «بيَهْدِ» فهو: ضمير يعود على «مَن» على لفظها.

و﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ مطاوع لهدى، تقول: هداه فاهتدى كما تقول: عصمته فاعتصم. «ومن» مفعول بـ«يضلل». «لهم» ضمير يعود على [معنى] «مَن» لا على لفظها.

والظاهر أن قوله ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ هو حقيقة، وذلك عند قيامهم من قبورهم، لم يردّ الله إليهم سمعهم وأبصارهم ونطقهم، فيرون النار ويسمعون زفيرها، وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم، كما تقدّم في أوائل البقرة[١]. و﴿خَبَتْ﴾ معناه سَكَنَ لهبها. ﴿سَعِيرًا﴾ إيقاداً.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ذلك الحشر والعذاب.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا﴾ تقدّم الكلام عليه في أثناء السورة[٢].

والرؤية هنا رؤية القلب [وهي العلم]. ومعنى ﴿مِثْلَهُمْ﴾ من الإنس. وعطف قوله ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ﴾ على قوله ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ لأنه استفهام تضمّن التقرير، والمعنى: قد علموا بدليل العقل كيت وكيت. «وجعل لهم» أي: للعالمين ذلك.

---

(١) انظر تفسير الآية ١٨ من البقرة.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٩ المتقدمة.

﴿أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو الموت.

﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ وهم الواضعون الشيء غير[1] موضعه على سبيل الاعتداء ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ أي: جحوداً لما أتى به الصادق عليه السلام من توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة، وبعثهم يوم القيامة إلى الجزاء.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ مناسبة أن المشركين قالوا ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء] وطلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدهم لتكثير أقواتهم وتتسع عليهم، فبيّن تعالى أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقُوا على بخلهم وشحّهم.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ فاعل بفعل محذوف يفسّره ما بعده تقديره: تملكون، فحذف تملك وانفصل الضمير الذي هو الواو فصار «أنتم» كقوله[2]:

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها [فليس إلى حسن الثناء سبيل]

فهو: فاعل وكان تقديره: وإن لم يحمل، ففيه ضمير مستكن، فلما حذف الفعل انفصل الضمير فصار: هو. وخرّج [ذلك] أبو الحسن علي بن فضّال[3] المجاشعي على إضمار كان.

وقال أبو الحسن بن الصائغ[4]: حذف كان فانفصل اسمها والتقدير: قل لو كنتم، وقال: البصريون يصرّحون بامتناع: لو زيد قام لأكرمته، على

(١) ق: على غير.
(٢) البيت للسموأل في شرح ديوان الحماسة ١: ١١١. وهو من الطويل
(٣) ق: فضالة، انظر الأعلام ٤: ٣١٩.
(٤) هو شيخ أبي حيان، انظر البحر ٦: ٨٤.

الفصيح، ويجيزونه شاذًا كقولهم: لو ذاتُ سوارٍ لطمَتْني[١].

وهو عندهم على فعل مضمر. وجواب «لو» لأمسكتم. و«خشية» مفعول من أجله. و«قتورا» مبالغة في التقتير.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾.

ولمّا حكى الله تعالى عن قريش ما حكى من تعنّتهم في اقتراحهم وعنادهم للرسول عليه السلام، سلّاه تعالى بما جرى لموسى عليه السلام مع فرعون ومع قومه من قولهم ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴿١٥٣﴾ ﴾ [النساء].

و«تسع آيات» تقدّم الكلام عليها في الأعراف[٢].

والعامل في «إذ» محذوف تقديره: فاسأل عن حديث أو قصة بني إسرائيل إذ جاءهم.

وقال الزمخشري[٣]: اذكر أو: يخبروك[٤] انتهى.

و«إذ» ظرف لما مضى ولا يصحّ إعمال واحد منهما فيه.

---

(١) من أمثال العرب، انظر المستقصى ٢: ٢٩٧.

(٢) انظر تفسير الآية ١٣٣ من الأعراف.

(٣) الكشاف ٢: ٤٦٨.

(٤) ق: يخبرونك.

وقرأ الجمهور: لقد علمتَ، بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون، وتبكيته في قوله عنه إنه مسحور؛ أي: قد علمتَ أنّ ما جئتُ به ليس من باب السحر ولا أني خُدعتُ في عقلي، بل علمتَ أنه ما أنزلها إلا الله. وما أحسن ما جاء به من إسناد إنزالها إلى لفظ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إذ هو لمّا سأله [٣٣٨/ب] فرعون في أول محاورته فقال له ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء] قال له ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء] ينبّهه على[1] نقصه وأنه لا تصرّف له في الوجود، فدعواه الربوبية دعوى استحالة. فبكّته وأعلمه أنه يعلم آيات الله ومن أنزلها، ولكنه مكابر معاند كقوله تعالى ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا ﴿١٤﴾﴾ [النمل]. وخاطبه بذلك على سبيل التوبيخ، أي: أنت بحال من يعلم هذا، وهو في الوضوح بحيث تعلمها. وليس خطابه على جهة إخباره عن علمه.

وقرىء: لقد علمتُ، بتاء المتكلّم وهو ضمير موسى عليه السلام، و«ما أنزل» جملة في موضع نصب علّق عنها «علمت».

ومعنى «بصائر» دلالات على وحدانية الله تعالى وصدق رسوله عليه السلام. والإشارة «بهؤلاء» إلى [الآيات] التّسع. وانتصب «بصائر» على الحال والعامل فيه محذوف تقديره: أنزلها.

وقابل موسى عليه السلام ظنه بظنّ فرعون، وشتّان ما بين الظّنّين: ظَنُّ فرعون ظَنٌّ باطل وظَنُّ موسى عليه السلام ظَنُّ صدقٍ.

---

(١) على: مكررة في ق.

وقال الفرّاء[١]: «مثبوراً» مصروفاً عن الخير مطبوعاً[٢] على قلبك، من قولهم: ما ثبرك عن هذا؟ أي: ما منعك وصرفك.

واستفزازه إياهم هو استخفافه لموسى ولقومه، بأن يقلعهم من أرض مصر بقتلٍ أو جلاء، فحاق به مكره، وأغرقه الله تعالى وقبطه.

والضمير في «من بعده» عائد على فرعون أي: بعد إغراقه.

والأرض المأمور بسكناها أرض الشام.

و﴿ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ قيام الساعة.

وانتصب ﴿ لَفِيفًا ﴾ على الحال، أي: منضمًا بعضكم إلى بعض.

﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾.

﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ الآية، هو مردود على قوله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء]. وهكذا طريقة كلام العرب وأسلوبها: تأخذ في شيء، وتستطرد منه إلى شيء آخر ثم إلى آخر، ثم تعود إلى ما ذكرته أولاً.

---

(١) انظر معاني القرآن ٢: ١٣٢.

(٢) ق: مصروف عن الخير مطبوع.

وانتصب مبشراً ونذيراً على الحال، أي: مبشراً لهم بالجنّة ومنذراً من النّار.

وانتصب «قرآناً» على إضمار فعلٍ يفسّره «فرقناه» أي: وفرقنا قرآناً فرقناه، فهو من باب الاشتغال. وحَسَّنَ النصب ورجّحه على الرفع كونه عُطف على جملة فعلية، وهي قوله «وما أرسلناك». ولا بدّ من تقدير صفة لقوله «وقرآنا» حتى يصحّ كونه كان يجوز فيه الابتداء، لأنه نكرة لا مسوّغ لها في الظاهر، للابتداء بها، والتقدير: وقرآناً أيَّ قرآن أي: [قرآناً] عظيماً جليلا.

﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أي: تطاول في المدّة شيئاً بعد شيء.

﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ يتضمّن الإعراض عنهم والاحتقار لهم وعدم الاكتراث بهم، فإنّ خيراً منهم العلماء الذين قرؤوا الكتاب، وعلموا الشرائع، آمنوا به، وصدّقوه، وثبت عندهم أنه النبي الموعود به في كتبهم، فإذا تُلي عليهم خرّوا[1] سجّداً وسبّحوا الله تعظيماً لوعده ولبشارته ببعثة محمد ﷺ، وإنزال القرآن عليه، وهو المراد بالوعد في قوله ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾. والظاهر أن الضمير في قوله [﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾] عائد على القرآن كما عاد عليه في قوله «به» ويدلّ عليه ما قبله وما بعده.

والظاهر في قوله ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أن الضمير في «يُتلى» عائد على القرآن. والخرور: السقوط بسرعة. وانتصب «سجداً» على الحال.

و﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ نزّهوا الله عمّا نسبه إليه كفّار قريش وغيرهم.

و﴿إِن﴾ هنا المخفّفة من الثقيلة، واللام هي الفارقة. والمعنى أن ما وَعد به من إرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه قد [٣٣٩/أ] فعله وأنجزه.

---

(١) سخروا.

وتكرّر الخرور لاختلاف حالتي السّجود والبكاء، وجاء التعبير عن الحالة الأولى بالاسم، وعن الثانية بالفعل، لأنّ الفعل مشعر بالتّجدد [وذلك أن البكاء ناشىء عن التفكّر، فهم دائماً في فكره وتذكّر، فناسب ذكر الفعل إذ هو مُشعر بالتجدّد]. ولما كانت حالة السجود ليست تتجدّد في كل وقت، عبّر فيها بالاسم.

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ أي: ما تُلي عليهم. ﴿خُشُوعًا۩﴾ أي: تواضعاً.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية، قال ابن عباس: تهجّد رسول الله ﷺ ذات ليلة بمكّة، فجعل يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم. فقال المشركون: كان محمد يدعو إلهاً واحداً فهو الآن يدعو إلهين اثنين [الله] والرحمن، ما [نعرف] الرحمن إلا رحمان اليمامة - يعنون مسيلمة - فنزلت[1]. والله والرحمن اسمان لذات واحدة. و﴿أَيًّا﴾ شرطية. و«ما» زائدة. و﴿تَدْعُوا۟﴾ فعل الشرط، حذفت منه النون. و﴿فَلَهُ﴾ جواب الشرط.

والمعنى: أيّ الاسمين - وهو لفظ الله والرحمن - فله - لكون[2] الاسمين لذات واحدة - الأسماء الحسنى. والصلاة هنا الدعاء، قاله ابن عباس.

ومعلوم أن الجهر والمخافتة معتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار. وكان عليه السلام يرفع صوته بقراءته، فيسبّ[3] المشركون ويلغون، فأُمر بأن يخفض من صوته حتى لا يسمع المشركون، وأن لا يخافت حتى

(١) انظر أسباب النزول ص٢٠٠، والبخاري ٦: ٢٧٢٢.

(٢) ق: الكون.

(٣) ق: فتسبّ.

يسمعه[1] من وراءه من المؤمنين.

﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين الجهر والمخافتة سبيلاً وسطاً. وتقدّم الكلام على «بين ذلك» في البقرة[2].

ولمّا ذكر تعالى أنه واحد، وإن تعدّدت أسماؤه، أمره تعالى أن يحمده على ما أنعم به عليه بما آتاه من شرف الرسالة والاصطفاء. ووصف نفسه بأنه لم يتخذ ولداً، فيعتقد تكثّره فيه بالنّوع، وكان ذلك ردًّا على اليهود والنصارى والعرب الذين عبدوا الملائكة، واعتقدوا أنهم بنات الله. ونفى أولاً الولد خصوصاً، ثم نفى الشريك في ملكه وهو أعمّ من أن يُنسب إليه ولد، فيشركه في ملكه أو غيرَه. ولمّا نفى الولد، ونفى الشريك، نفى الوليّ وهو الناصر، وهو أعمّ من أن يكون ولداً أو شريكاً أو غير شريك. ولمّا كان اتخاذ الولد قد يكون للانتصار والاعتزاز والاحتماء من الذّل، وقد يكون التّفضل والرحمة لمن والى من عباده الصالحين، كان النفي لمن ينتصر به من أجل المذلّة، إذ كان مورد الولاية يحتمل هذين الوجهين، فنفى الجهة التي تكون لأجل النقص، بخلاف الولد والشريك، فإنهما نفيا على الإطلاق.

﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ التكبير أبلغُ لفظةٍ للعرب في معنى التعظيم والإجلال. وأكّد بالمصدر تحقيقاً له وإبلاغاً[3] في معناه.

---

(١) ق: لا يسمعه. وانظر ذلك في لباب النقول ص١٤٢.

(٢) انظر تفسير الآية ٦٨ من البقرة.

(٣) ق: وبلاغاً.

وابتُدئت هذه السورة بتنزيه الله تعالى واختُتمت به. وكان رسول الله ﷺ إذا أفصح الغلام من بني عبد المطّلب، علّمه هذه الآية ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية، إلى آخرها.

سورة الكهف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الآية، هذه السورة مكية، وقيل: فيها آيات مدنية. وسبب نزولها[2] أن قريشاً أرسلت النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة [٣٣٩/ب] فقالوا لهما: سَلاَهم عن محمد، وصِفَا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى أتيا المدينة فسألاهم، فقالت اليهود: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهنّ، فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل، فالرجل متقوّل، فَرَوْا فيه رأيكم. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم أمر عجيب. وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق

---

(١) مكّية وهي مئة وعشر آيات.

(٢) انظر لباب النقول ص١٤٣.

الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه. وسلوه عن الرّوح. فأقبل النّضر وعقبة إلى مكّة، فسألاه[١] فقال: غداً أخبركم، ولم يقل: إن شاء الله. فاستمسك الوحي عنه خمسة عشر يوماً، فأرجف به كفّار قريش وقالوا إن محمداً تركه رَئِيُّه[٢] الذي كان يأتيه من الجن. وقال بعضهم: قد عجز عن أكاذيبه. فشقّ ذلك عليه، فلما انقضى ذلك جاءه الوحي بجواب الأسئلة وغيرها.

ومناسبة أول السّورة لآخر ما قبلها أنه لمّا قال ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ ١٠٥﴾ [الإسراء] وذكّر المؤمنين أنه[٣] يزيدهم خشوعاً، وأنه تعالى أمره بالحمد له، وأنه لم يتخذ ولداً - أمره تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السالم من العوج، القيّم على كل الكتب، المنذر من اتّخذ ولداً، المبشّر المؤمنين بالأجر الحسن. ثم استطرد إلى كفّار قريش، والتفت من الخطاب في قوله ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء] إلى الغيبة في قوله ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾ لما في «عبده»[٤] من الإضافة المقتضية تشريفه. ولم يجيء التركيب: أنزل عليك. و«الكتاب» القرآن.

وقال الزمخشري[٥]: «ولم يجعل له» معطوفة على «أنزل» فهي داخلة في الصلة. ورتّب على هذا أن الأحسن في انتصاب «قيّماً» أن يُنصب بفعل مضمر ولا يُجعل حالاً من «الكتاب» لما يلزم من ذلك، وهو الفصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وقدّره: جعله قيّماً.

---

(١) ق: فسألوه.

(٢) ق: رائيه.

(٣) ق: ذكر المؤمنين وأنه.

(٤) ق: عبد.

(٥) الكشاف ٢: ٤٧١.

وقال ابن عطية: «قيّماً» نصب على الحال من «الكتاب» فهو بمعنى التقديم مؤخر في اللفظ، أي: أنزل الكتاب قيّماً، واعترض بين الحال وذي الحال قوله «ولم يجعل له عوجاً».

أمّا إذا قلنا بأن الجملة المنفيّة اعتراض فهو جائز، ويفصل بجمل الاعتراض بين الحال وصاحبها. والصحيح أنهما حالان من «الكتاب» الأولى جملة والثانية مفرد، وكثير من أصحابنا على منع ذلك، وفي ذلك أعاريب أخر ذكرت في البحر[(١)].

والعِوَج في المعاني كالعوج في الأشخاص. ونكّر «عوجاً» ليعمّ جميع أنواعه لأنها نكرة في سياق النّفي، والمعنى أنه في غاية الاستقامة، لا تناقض ولا اختلاف في معانيه، ولا حوشيّة ولا عيّ في تراكيبه ومبانيه.

و﴿ قَيِّمًا ﴾ بمصالح العباد وشرائع دينهم وأمور معايشهم ومعادهم، ولذلك جاء بعده «لينذر» و«ليبشّر»، فيجوز أن يتعلّقا بقوله «قيّماً» ويجوز أن يعلّقا «بأنزل». والبأس الشديد: عذاب الآخرة، ويحتمل أن يندرج فيه ما يلحقهم من عذاب الدنيا.

﴿ مِّن لَّدُنْهُ﴾ تقدّم الكلام عليه في أول هود[(٢)]. والأجر الحسن: الجنّة.

ولمّا كنّى عن الجنّة بقوله ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ قال ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾ أي: مقيمين، فجعله ظرفاً لإقامتهم. ولمّا كان المكث لا يقتضي التأبيد قال ﴿ أَبَدًا﴾، وهو [ظرف] دالّ على زمن [غير] متناهٍ. وانتصب «ماكثين» على الحال، وذو الحال هو الضمير في «لهم».

---

(١) انظر ٦: ٩٦.

(٢) أحال المصنّف في أول هود إلى آل عمران، انظر تفسير الآية ٣٨ منها.

والذين نسبوا الولد إلى الله تعالى بعض اليهود في عزير، وبعض النصارى في المسيح، وبعض العرب في الملائكة.

والضمير في «به» الظاهر أنّه عائد على الولد الذي ادّعوه.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما لهم بقولهم هذا من علم، فالجملة [٣٤٠/أ] في موضع الحال، أي: قالوا جاهلين من غير فكر ولا رويّة ولا نظيرٍ فيما يجوز ويمتنع. وقرأ الجمهور: كلمةً، بالنصب فالظاهر انتصابها على التمييز، وفاعل «كبرت» مضمر يعود على المقالة المفهومة من قوله ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وفي ذلك معنى التعجب، أي: ما أكبرها كلمة، والجملة بعدها صفة لها، تفيد استعظام اجترائهم على النّطق بها وإخراجها من أفواهم، فإن كثيراً مما يوسوس[1] به الشيطان في القلوب وتحدّث به النفس لا يمكن أن يُتفوّه به، بل يُصرف عنه الفكر، فكيف بهذا المنكر؟. وسميّت «كلمة» كما يسمّون القصيدة كلمة. و﴿إِن﴾ نافية، أي: ما يقولون. و﴿كَذِبًا﴾ نعت لمصدر محذوف أي: قولاً كذباً.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ لعلّ للترجّي في المحبوب وللإشفاق في المحذور. و«باخع» قال الفرّاء: بخع يبخع بخعاً وبخوعاً: أهلك من شدة الموجدة[2]، وأصله الجهد. والظاهر أنها هنا للإشفاق؛ أشفق أن يبخع الرسول نفسه عليهم لكونهم لم يؤمنوا.

وقوله ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ استعارة فصيحة من حيث لهم إدبار وتباعد عن الإيمان وإعراض عن الشرع، فكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو [في]

(١) ق: يشوش.

(٢) ق: الوحدة.

إدبارهم يحزن[(١)] عليهم.

ومعنى «على آثارهم» من بعدهم أي: بعد يأسك من إيمانهم أو بعد موتهم على الكفر. ويقال: مات فلان على أثر فلان أي: بعده.

والإشارة ﴿ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ إلى القرآن، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر]. و﴿ أَسَفًا ﴾ مفعول من أجله وأصله: حزناً.

وارتباط قوله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ بما قبلها على سبيل التسلية لرسول الله ﷺ، لأنه تعالى أخبر أنه خلق ما على الأرض من الزّينة، للابتلاء والاختبار أيّ الناس أحسن عملاً، وليسوا على نمط واحد في الاستقامة واتّباع الرّسل، لا بدّ أن يكون فيهم من هو أحسن عملاً ومن هو أسوأ عملاً. فلا تغتمّ وتحزن على من قضيتُ عليه بأنه يكون أسوأ عملاً، ومع كونهم يكفرون بي، لا أقطع عنهم موادّ هذه النّعم التي خلقتها.

و﴿ جَعَلْنَا ﴾ هنا بمعنى خلقنا. والظاهر أن «ما» يُراد بها غير العاقل، وأنه يراد به العموم فيما لا يعقل. وزينة كل شيء بحسبه. وانتصب «زينةً» على الحال أو المفعول من أجله إن كان «جعلنا» بمعنى خلقنا وأوجدنا. وإن كان بمعنى صيّرنا، فانتصب على أنه مفعول ثانٍ.

و﴿ أَيُّهُمْ ﴾ يحتمل أن تكون الضّمة فيها إعراباً فيكون «أيّهم» مبتدأ، و﴿ أَحْسَنُ ﴾ خبره، والجملة في موضع المفعول «النبلوهم» ويكون قد علّق «النبلوهم»[(٢)] إجراءً لها مجرى العلم، لأن الابتلاء والاختبار سبب العلم. ويحتمل أن تكون الضمة فيها على مذهب سيبويه، لوجود شرط جواز البناء

---

(١) ق: تحزن.

(٢) ق: ليبلوهم، في الموضعين.

في أيّ، وهو كونها مضافة، قد حذف صدر صلتها، و«أحسن» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو أحسن. ويكون «أيُّهم» موصولاً في موضع نصب بدلاً من الضمير في «ليبلوهم»(١) والمفضّل عليه محذوف تقديره: ممّن ليس أحسن عملاً.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ﴾ أي: مصيّرون ما عليها ممّا كان زينة لها، أو ما عليها ممّا هو أعمّ من الزّينة وغيره.

﴿صَعِيدًا﴾ تراباً. «جرزاً» لا نبات فيه. وهذا إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها، وتسلية لرسول الله ﷺ عمّا تضمّنته أيدي المترفين من زينتها إذ مآل ذلك كله [٣٤٠/ب] إلى الفناء والمحاق.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝١٥ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ الآية، «أم» هنا هي المنقطعة، فتقدّر ببل والهمزة، قيل للإضراب عن الكلام الأول، والمعنى الانتقال من كلام إلى

---

(١) ق: ليبلوهم.

اخر، لا بمعنى الإبطال، والهمزة للاستفهام وزعم بعض النحويين أنّ «أم» هنا بمعنى الهمزة فقط. والظاهر في قوله «أم حسبت» أنه خطاب لرسول الله ﷺ.

وقال[١] مجاهد: لم يُنْهَ عن التعجب وإنما أراد: كل آياتنا كذلك.

وأهل الكهف: هم الفتية الذين ذكرهم الله تعالى بعد ذلك.

و«الكهف» هو الغار الذي في الجبل يُستتر فيه. و«الرقيم» قيل هو [اسم] الكلب الذي كان معهم، وقيل اسم قصر. وقيل: هذا الكهف هو في الروم، وقيل في الشام. وبالأندلس[٢] في جهة غرناطة بقرب قرية تُسمّى لَوْشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمّة، وأكثرهم قد انجرد لحمه وبعضهم متماسك. وقد مضت القرون السّالفة ولم نجد من علم شأنهم، ويزعم ناس أنهم أصحاب الكهف.

قال ابن عطية: دخلتُ إليهم ورأيتهم منذ أربع وخمس مئة وهم بهذه الحالة، وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء رومي يسمّى الرقيم كأنه قصر مُخْلِق، وبقي بعض جدرانه وهو في فلاة من أرض خربة. وبأعلى حضرة غرناطة مما يلي القبلة آثار قديمة يقال لها مدينة دَقْيوس[٣] وجدنا في آثارها غرائب من[٤] قبور ونحوها. وإنما سهل [ذكر] هذا مع بُعْده لأنه عجب يتخلّد ذكره ما شاء الله تعالى.انتهى.

---

(١) ق: فقال.

(٢) هذا كلام ابن عطية، انظر القرطبي ١٠: ٣٥٨.

(٣) ق: دفتوس.

(٤) ق: في.

وقال والدي، فسح الله في مدّته: وحين كنّا بالأندلس كان الناس يزورون هذا الكهف، ويذكرون أنهم يغلطون في عددهم إذا عَدُّوهم وأنّ معهم كلباً، ورحل الناس إلى لوشة لزيارتهم. وأمّا ما ذكر من مدينة دَقْيوس[١] التي بقبلي غرناطة فقد مررت عليها مراراً لا تُحصى وشاهدت فيها حجارة كباراً. ويترجّح كون أهل الكهف بالأندلس لكثرة دين النصارى بها حتى أنها بلاد مماكتهم العظمى، ولأن الإخبار بما هو في أقصى مكان عن أرض الحجاز أبعد أن لا يعرفه[٢] أحد إلا بوحيٍ من الله تعالى.

والعامل في [«إذ»] قيل: اذكر، وقيل «عجباً». ومعنى «أوى» جعلوه مأوى لهم ومكان اعتصام. ثم دَعَوُا الله تعالى أن يؤتيهم رحمة من عنده وهي الرزق. ولفظ «الفتية» يُشعر بأنهم كانوا شبّاناً، وكذلك روي أنهم كانوا شبّاناً من أبناء الأشراف والعظماء مطوّقين مسوّرين بالذهب ذوي ذوائب. وهم من الرُّوم اتّبعوا دين عيسى عليه السلام. وأصحابنا الأندلسيون يكثر في ألفاظهم تسمية نصارى الأندلس بالروم، وقلّ من ينطق بلفظ النصارى. وقال بعض أدبائهم يخاطب ملك الأندلس [الآن] ابن أحمر[٣]: [من الطويل]

حميتَ حمى الإسلام في أرضِ غربةٍ وقد نشبت للرّوم فيها المخالب

ومفعول «ضربنا» محذوف تقديره: حجاباً من أن يسمعوا، وهو كناية عن النوم. وانتصب «سنين» على الظرف، والعامل فيه «فضربنا».

و﴿عَدَدًا﴾ مصدر وُصف [به]، والظاهر منه الدّلالة على الكثرة، لأنه لا

(١) ق: دفتوس.

(٢) ق: وأبعد لا يعرفه.

(٣) لم أجده.

يحتاج أن يعدّ إلاّ ما كَثُر لا ما قلّ.

قال الزمخشري[(١)]: ويحتمل أن يريد القلّة، لأن الكثير عنده قليل كقوله ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۝٣٥﴾ [الأحقاف] انتهى.

هذا تحريف في التشبيه، لأن لفظ الآية ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [٣٤١/أ] فهذا تشبيه لسرعة انقضاء ما عاشوا في الدنيا إذا رأوا العذاب كما قال الشاعر[(٢)]:

كأنّ الفتى لم يَعْرَ[(٣)] يوماً إذا اكتسى　　　ولـم يـك صعلـوكـاً إذا مـا تمـوّلا

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم.

و﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: ليظهر لهم ما علمناه من أمرهم.

﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ قال ابن عباس: هم الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب، وأهل الكهف حزب، وقيل غير ذلك.

قال الزمخشري[(٤)]: وقرىء: لِيُعلم، وهو معلّق عنه لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد «يعلم» إليه. وفاعل «يعلم» مضمون الجملة كما أنه مفعول «يعلم» انتهى.

لا يجوز ما ذكر على مذهب البصريين، لأن الجملة إذ ذاك تكون في موضع المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله، وهو قائم مقام الفاعل. فكما أن تلك الجملة وغيرها من الجمل لا تقوم مقام الفاعل، فكذلك لا يقوم ما ناب

---

(١) الكشاف ٢: ٤٧٣.

(٢) البيت في الكامل ٢: ١١٩ ونسبه محققه لجابر بن ثعلبة الطائي.

(٣) ق: يعد.

(٤) الكشاف ٢: ٤٧٣.

عنه.

وللكوفيين مذهبان: أحدهما أنه يجوز الإسناد إلى الجملة مطلقاً، والثاني: أنه لايجوز إلا إذا كان الفعل ممّا يصحّ تعليقه.

و«أي الحزبين» مبتدأ و«أحصى» خبره وهو أفعل التفضيل، و«لما» متعلّق به، و«أمدا» مفعول «أحصى».

غلط ابن عطية، فأورد فيما بني من الرباعي: ما أعطاه للمال وآتاه للخير، وهي أسود من القار، وماؤه أبيض من اللبن، و: فهو لما سواه أضيع. قال: وهذه كلّها أفعل من الرباعي انتهى.

وأسود وأبيض ليس بناؤهما من الرباعي. وفي بناء أفعل للتعجب وللتفضيل ثلاثة مذاهب: يُبنى مطلقاً وهو ظاهر كلام سيبويه. وقد جاء منه ألفاظ لا يبنى منه مطلقاً وما ورد حُمِل على الشذوذ. والتفضيل[1] بين أن تكون الهمزة للنقل فلا يجوز، أو لغير النقل، كأشكل الأمر وأظلم الليل، فيجوز أن تقول: ما أشكل هذه المسألة وما أظلم هذا الليل، وهذا اختيار ابن عصفور من أصحابنا. ودلائل هذه المذاهب مذكورة في كتب النحو.

قال الزمخشري[2]: فإن [قلت]: فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل؟ قلت: ليس بالوجه السديد؛ وذلك أن بناءه من غير الثلاثي[3] المجرد ليس بقياس، ونحو: أعدى من الجرب، وأفلس من ابن المذلّق[4] شاذ، والقياس

---

(١) ق: التفضيل.

(٢) الكشاف ٢: ٤٧٤.

(٣) ق: الثلا.

(٤) ق: وأفلس من الذّلق. وانظر المثلين في الدرة الفاخرة ص٣٠٣، ٣٣٢.

على الشاذ في غير القرآن ممتنع، فكيف به [فيه]. ولأنّ «أمداً» لا يخلو إما أن ينصب بأفعل، فأفعل لا يعمل، وإما أن ينصب بـ«لبثوا» فلا يسدّ عليه المعنى. فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه «أحصى» كما أضمر في قوله[1]: [من الطويل]

[أكرّ وأحمى للحقيقة منهمُ] وأضربَ منّا بالسيوفِ القوانسا

على: نضرب[2] القوانس، فقد أبعدت المتناول[3]، وهو قريب، حيث أبيت[4] أن يكون «أحصى» فعلاً، ثم رجعت مضطرًّا إلى تقديره وإضماره انتهى.

أما دعواه الشذوذ، فهو مذهب أبي علي، وقد ذكرنا أنّ ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من أفعل مطلقاً، وأنه مذهب أبي إسحاق، وأن التفضيل اختيار ابن عصفور، وقول غيره: والهمزة في «أحصى» ليست للنقل.

وأمّا قوله: فأفعل لا يعمل، ليس بصحيح، لأنه يعمل في التمييز و«أمداً»[5] تمييز، وهكذا أعربه من زعم أنّ «أحصى» أفعل التفضيل كما تقول: زيد أقطع الناس سيفاً، فلم يعربه مفعولاً به.

وأما قوله: وإما أن ينصب بـ«لبثوا» فلا يسدّ عليه المعنى أي: لا يكون سديداً، فقد ذهب الطبري إلى أن نصب «أمداً» «بلبثوا». قال ابن عطية:

---

(١) البيت لعباس بن مرداس في ديوانه ص٦٩.

(٢) ق: بضرب.

(٣) ق: التناول.

(٤) ق: أثبتّ.

(٥) ق: وأبداً.

وهذا غير متّجه. انتهى.

وقد يتّجه ذلك، لأن الأمد هو الغاية، وتكون عبارة [٣٤١/ب] عن المدّة كقوله ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة] ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر]. ولما سقط الحرف وصل إليه الفعل.

وأما قوله: فإن زعمت إلى آخره، فنقول: لا يحتاج إلى هذا الزّعم، لأن لقائل[1] ذلك أن يسلك مذهب الكوفيين في أن أفعل التفضيل تنصب المفعول به. فالقوانس عندهم منصوب بأضرب نَصْبَ المفعول به.

وأما تأويله بضرب القوانس، فقول[2] البصريين.

وكذلك[3] ذهب بعض النحويين إلى أن قوله «أعلم مَن يضلّ» «مَن» منصوبة «بأعلم» نَصْب المفعول به. ولو كثر وجود مثل[4]:

وأضرب منّا بالسيوف القوانسا

لكنّا نقيسه، ويكون معناه صحيحاً، لأن أفعل التفضيل مضمن معنى المصدر، فيعمل بذلك التّضمين؛ ألا ترى أن المعنى: يزيد ضربنا بالسيوف على ضرب غيرنا؟.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾ بدأ بقصتهم أولاً مختصرةً ثم ذكرها مفصّلة مطوّلة.

﴿نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: على وجه الصدق. وجاء بلفظ «نقصّ» موازناً لقوله

(١) ق: القائل.

(٢) ق: قول.

(٣) ق: ولذلك.

(٤) تقدّم تخريجه قبل قليل.

«لنعلم»، ثم قال «آمنوا بربهم» ففيه[1] إضافة الربّ وهو السيد والناظر في مصلحة عبيده. ولم يأت التركيب: آمنوا بنا، للإشعار بتلك الرتبة، وهي أنهم مربوبون له مملوكون. ثم قال «وزدناهم» ولم يأت التركيب: وزادهم، لِمَا في لفظ: نا من العظمة والجلالة. وزيادته تعالى لهم هدى هو تيسيرهم للعمل الصالح والانقطاع إليه، ومباعدة الناس والزهد في الدنيا، وهذه زيادة على الإيمان الذي حصل لهم.

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: ثبّتناها وقوّيناها على الصبر على هجرة الوطن والنّعيم، والفرار بالدين إلى غار في مكان قفر لا أنيس فيه ولا ماء ولا طعام. والرّبط مقابله الانحلال، ومنه: فلان رابط الجأش، إذا كانت نفسه لا تتفرّق[2] عند الفزع والخوف.

واللام في «لقد» لام تأكيد. و«إذاً» حرف جواب وجزاء، أي: لقد قلنا إن دعونا من دونه إلهاً «قولاً شططاً» أي: ذا شطط وهو التعدّي والجور، «فشططاً» نعت لمصدر محذوف.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ الآية، ولما وحّدوا الله تعالى، ورفضوا ما دونه من الآلهة، أخذوا في ذمّ قومهم وسوء فعلهم، وأنهم لا حجّة لهم في عبارة غير الله تعالى. ثمّ عظّموا جرم من افترى على الله كذباً. والضمير في «من دونه» عائد على الله تعالى. و«لولا» حرف تحضيض بمعنى هلا صحبه[3] الإنكار. والسلطان: الحجّة والبرهان.

---

(١) ق: فيه.

(٢) ق: تتفرّع.

(٣) ق: صحبة.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ خطاب من بعضهم لبعض. والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم، فهو اعتزال جسماني وقلبي. و«ما» معطوف على المفعول في «اعتزلتموهم» أي: واعتزلتم معبوداتهم.

و﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون [الله] مع آلهتهم، لاندراج لفظ الجلالة في قوله «وما يعبدون»، أو منقطع إن كانوا لا يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجه في معبوداتهم.

﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ﴾ المعنى: يبسط عليكم رحمته.

﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم﴾ ما ترتفقون به في أمر عيشكم.

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾﴾.

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ﴾ الآية، هنا جمل محذوفة(١) دلّ عليها ما تقدّم، والتقدير: فأوَوْا إلى الكهف، فألقى الله تعالى عليهم النوم، واستجاب دعاءهم، وأرفقهم في الكهف بأشياء. وقرىء: تَزَّاور، بإدغام تاء «تَزَاوَرُ» في الزّاي. وقرىء: تَزْوَرُّ، على وزن تحمرّ. وقرىء: تَزاوَرُ، بحذف التاء على [٣٤٢/ أ] وزن تَفَاعَلُ وبإدغام التاء في الزّاي، والمعنى تزوغ وتميل.

و«ذات اليمين» جهة يمين الكهف، وحقيقته المسالمة باليمين، يعني

---

(١) ق: محذفة.

يمين الداخل إلى الكهف أو يمين الفتية.

و﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ أي: لا تقربهم، من معنى القطيعة.

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ﴾ أي: متّسع من الكهف.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هذه الصفة مع الشمس تقتضي أنهم كان لهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدَّبور[١]، وهم في زاوية. وقال عبدالله بن مسلم: كان باب الكهف ينظر إلى بنات نعش، وعلى هذا كان أعلى الكهف مستوراً من المطر.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ جمع يَقِظ بمعنى منتبه من النوم.

﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ جملة حالية. وقيل: كانت أعينهم مفتّحة فيحسبهم الرائي أنهم منتبهون.

والظاهر أن قوله «ونقلبهم» خبر مستأنف. وقيل: إنما وقع الحسبان من جهة تقلّبهم ولا سيّما إذا كان من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين، و﴿ذَاتَ﴾ منصوب على الظرف، وأصلها صفة للجهة كأنه قال: جهةً ذاتَ اليمين.

والظاهر[٢] أن قوله «وكلبهم» أريد به الحيوان المعروف الذي تبعهم. والوصيد: باب الكهف.

قال الزمخشري[٣]: «باسط ذراعيه» حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا

---

(١) الدَّبور: الريح التي تقابل الصَّبا.

(٢) ق: والظ.

(٣) الكشاف ٢: ٤٧٥.

يعمل إذا كان في معنى المضيّ، وإضافته إذا أضيف حقيقيّة[1] معرّفة كغلام زيد، إلا إذا نُويت حكاية الحال الماضية انتهى.

وقوله إن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي، ليس إجماعاً، بل ذهب الكسائي وهشام، ومن أصحابنا أبو جعفر بن مضاء إلى أنه يجوز أن يعمل. وحجج الفريقين مذكورة في علم النّحو. والخطاب في قوله «لو اطلعت» لمن هو في قوله «وترى الشمس» «وتحسبهم أيقاظاً».

ومعنى ﴿ لَوَلَّيْتَ ﴾ أي: أعرضت بوجهك عنهم وأوليتهم كشحك[2]. وانتصب «فراراً» على المصدر، إما لفَرَرْتَ محذوفة، وإما لولَّيْتَ لأنه بمعنى: لفررت. وإما مفعولاً من أجله. وانتصاب ﴿ رُعْبًا ﴾ على أنه مفعول ثانٍ.

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية، الكاف للتشبيه، والإشارة «بذلك» قيل للمصدر المفهوم من ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴿١١﴾ ﴾ [الكهف] أي: مِثْلِ جَعْلِنا إنامتهم هذه المدة الطويلة جَعَلْنا بَعْثَهم آيةً. واللام في «ليتساءلوا» للصيرورة والمآل لا للتعليل.

والقائل في قوله: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ قيل كبيرهم، وقيل صاحب نفقتهم.

---

(١) ق: حقيقته.

(٢) طوى عنه كشحه وأولاه كشحه: تركه وأدبر عنه.

و«كم» سؤال عن العدد والمعنى: كم يوماً أقمتم نائمين. والظاهر صدور الشكّ من المسؤولين، وقيل «أو» للتفضيل؛ قال بعضهم: لبثنا يوماً، وقال بعضهم: بعض يوم. والسائل أحسّ في خاطره طول نومهم ولذلك سأل. قيل: ناموا أول النهار واستيقظوا آخر النّهار. وجوابهم هذا مبني على غلبة الظنّ، والقول بالظّن الغالب لا يُعدّ كذباً. ولمّا عرض لهم الشّك في الإخبار ردّوا علم لُبْثهم إلى الله تعالى. ولمّا انتبهوا من نومهم أخذهم ما يأخذ من نام طويلاً [من] الحاجة إلى الطعام.

واتّصل ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ﴾ بحديث التساؤل كأنهم قالوا: خذوا فيما[1] يهمّكم ودَعُوْا علم ذلك إلى الله تعالى. والمبعوث قيل هو تمليخا. وكانوا قد استصحبوا حين خرجوا دراهم لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم، فلذلك أشاروا إليها بقولهم «هذه». و«المدينة» هي مدينتهم التي خرجوا منها. «وليتلطف» في اختفائه وتحيّله مدخلاً ومخرجاً. «ولا يشعرون» أي: لا يفعل ما [٣٤٢/ب] يؤدّي من غير قصدٍ منه إلى الشعور بنا، سمّي ذلك إشعاراً منه بهم لأنه سبب فيه. والجملة في موضع نصب بـ«فلينظر» معلّق عنها الفعل. «فأيّها» استفهام مبتدأ، و«أزكى» خبره. ويجوز أن يكون «أيّها» موصولاً مبنيًّا مفعولاً «بينظر» على مذهب سيبويه، و«أزكى» خبر مبتدأ محذوف، و«طعاماً» تمييز. و«أزكى» قال يمان بن ريان[2]: أرخص.

والضمير في «إنهم» عائد على ما دلّ عليه المعنى من كفّار تلك المدينة. والظّهور هنا الاطّلاع عليهم والعلم بمكانهم، والظاهر أنه الرّجم بالحجارة. «أو يعيدوكم» يدخلوكم فيها مكرهين. ولا يلزم

---

(١) ق: ما.

(٢) ق: رياب، وانظر البحر ٦: ١١١.

من[1] العود إلى الشيء التلبّس به. «ولن تفلحوا» إن دخلتم في دينهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ قبل هذا الكلام جمل محذوفة، التقدير: فبعثوا أحدهم، ونظر أيها أزكى طعاماً، وتلطّف، ولم يُشعر بهم أحداً، فأطلع الله تعالى أهل المدينة على حالهم. وقصّة ذهابه إلى المدينة وما جرى له مع أهلها وحمله إلى الملك وادّعائهم عليه أنه أصاب كنزاً من كنوز الأقدمين وحمل الملك ومن ذهب إليهم مذكور في التفاسير[2].

و﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أطلعنا. وتقدّم الكلام في «أعثرنا» في قوله ﴿فَإِنْ عُثِرَ[3] ﴿١٠٧﴾﴾ [المائدة]. ومفعول «أعثرنا» محذوف تقديره: أعثرناهم عليهم. والضمير في ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ عائد على مفعول «أعثرنا». و«وعد الله» هو البعث لأنّ حالهم في نومتهم وانتباههم بعد المدة المتطاولة كحال من يموت ثم

(١) ق: يلزمن العود.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري ١٥ : ١٤٢، والقرطبي ١٠ : ٣٧٨.

(٣) ق: عثروا.

يبعث. و«لا ريب فيها» أي: لا شكّ ولا ارتياب في قيامها والمجازاة فيها. وكان الذين أُعثروا على أهل الكهف قد دخلتهم فتنة في أمر الحشر وبعث الأجساد من القبور، فشكّ في ذلك بعض الناس، واستبعدوه وقالوا: تُحشر الأرواح. فشقّ ذلك على ملكهم وبقي حيران [لا يدري] كيف يبين أمره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرّماد وتضرّع إلى الله تعالى في حجّة وبيان. فأعثر الله تعالى على أهل الكهف، فلما بعثهم الله تعالى، وتبيّن الناس أمرهم، سُرّ الملك بذلك، ورجع من كان شكّ في بعث الأجساد إلى اليقين به. وإلى هذا وقعت الإشارة بقوله ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾. و«إذ» معمولة «لأعثرنا» أو «ليعلموا».

والظاهر أنّ «سيقولون» عائد على من تقدّم ذكرهم وهم المتنازعون في حديثهم قبل ظهورهم عليهم، فأخبر تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم بما كان من اختلاف قومهم في عددهم. وانتصب «رجماً» على أنه مصدر لفعل مضمر أي: يرجمون بذلك. و«ثلاثة» خبر مبتدأ محذوف والجملة بعده صفة أي: هم ثلاثة أشخاص. وإنما قدّرنا أشخاصاً [لأنّ] «رابعهم»[1] اسم فاعل أضيف إلى الضمير. والمعنى أنه ربعهم أي: جعلهم أربعة وصيّرهم إلى هذا العدد. والكلام في «خمسة سادسهم[2]» كالكلام فيما تقدّم. والواو في «وثامنهم» للعطف على الجملة السابقة، أي: يقولون هم سبعة وثامنهم كلبهم. ثم أخبروا إخباراً ثانياً أن ثامنهم كلبهم فهما جملتان.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: فما هذه الواو الداخلة على الجملة [الثالثة

(١) ق: ورابعهم.

(٢) ق: وسادسهم.

(٣) الكشاف ٢: ٤٧٨.

ولِمَ دخلت عليها دون الأوليين؟ قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة] الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف، ومنه[1] [٣٤٣/أ] قوله عزّ وجلّ ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ۝٤﴾ [الحجر]. وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدّلالة على أنّ اتّصافه بها أمر ثابت مستقرّ، وهي الواو التي آذنت بالذين قالوا «سبعة وثامنهم كلبهم» قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظنّ كما غيرهم انتهى.

وكون الواو تدخل على الجملة الواقعة صفة دالّة على لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتّصاله بها، شيء لا يعرفه النّحويون. بل قرّروا[2] أنه لا تعطف[3] الصفة التي ليست بجملة على صفة أخرى، إلا إذا اختلفت المعاني حتى يكون العطف دالاًّ على المغايرة، وأما إذا لم يختلف فلا يجوز العطف. هذا في الأسماء المفردة، وأما الجمل التي تقع صفة فهي أبعد من أن يجوز ذلك فيها.

ولمّا أخبر تعالى عن مقالتهم واضطرابهم في عددهم أمره أن يقول «ربي أعلم بعدتهم» [أي] لا يخبر بعددهم إلا من يعلمهم حقيقةً وهو الله تعالى. «ما يعلمهم إلا قليل» والمثبت في حق الله تعالى الأعلمية وفي حقّ القليل العالمية فلا تعارض. ثم نهاه تعالى عن الجدل فيهم أي: في عدّتهم. والمراء: وسمّى مراجعتهم له مراء على سبيل المقابلة لمماراة أهل الكتاب له في ذلك، وقيده بقوله «ظاهراً» أي: غير متعمق فيه وهو أن تقصّ عليهم ما

---

(١) مكررة في ق.

(٢) ق: قدّروا.

(٣) ق: يعطف.

أوحي إليك فحسب من غير تجهيل ولا تعنيف كما قال تعالى ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ۝١٢٥﴾ [النحل]. ثم نهاه أن يسأل أحداً من أهل الكتاب عن قصّتهم: لا سؤال متعنّت لأنه خلاف ما أمرت به من الجدال بالتي هي أحسن، ولا سؤال مسترشد لأنه تعالى قد أرسلك بأن أوحى إليك قصّتهم.

ثم نهاه أن يخبر بأنه يفعل في الزمن المستقبل شيئاً إلا ويقرن بمشيئته تعالى. وتقدّم في سبب النزول[1] كونه لم يقل ذلك مقروناً بالمشيئة.

و﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ استثناء لا يمكن حمله على ظاهره، لأنه يكون داخلاً تحت القول، فيكون من المقول، ولا ينهاه الله أن يقول ﴿إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ لأنه كلام صحيح في نفسه لا يمكن أن ينهى عنه، فاحتيج في تأويل هذا الظاهر إلى تقدير. والظاهر أمره تعالى بذكر الله إذا عرض له النسيان.

والإشارة بقوله ﴿لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا﴾ إلى الشيءِ المنسيِّ، أي: اذكر ربك عند نسيانه بأن تقول: عسى أن يهديني ربي لشيء آخر أقرب منه رشداً وأدنى خيراً.

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ۝٢٦ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ۝٢٧ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ

(١) انظر صدر تفسير هذه السورة.

وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ﴾ الظاهر أن قوله[1] «ولبثوا» إخبار من الله تعالى بمدة لبثهم نياماً في الكهف إلى أن أطْلع الله تعالى عليهم. ولمّا تحرّر هذا العدد بإخبار الله تعالى، أمر نبيّه عليه السلام أن يقول ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ فخبره هذا هو الحق والصدق الذي لا يدخله ريب، لأنه عالم غيب السماوات والأرض.

والظاهر أن قوله «بما لبثوا» إشارة إلى المدّة السابق ذكرها. وحكى النقّاش أنها ثلاث مئة سنة شمسيّة، ولما كان الخطاب للعرب زيدت التّسع إذ حساب العرب هو بالقمر لاتّفاق الحسابين. والضمير في «له» عائد على الله. وهل هو في موضع رفع أو نصب، وهل: أسمِعْ وأبصِرْ أمران حقيقة أم أمران لفظيّان معناهما إنشاء التعجب، في ذلك خلاف مقرر في النحو. وتقدم الكلام على كيفية نسبة التعجب إلى الله تعالى في قوله ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة].

والضمير في قوله «مالهم» لأهل السماوات والأرض. و«من ولي» من متولٍّ[2] [٣٤٣/ب] لأمورهم. ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ في قضائه. ﴿أَحَدًا﴾ منهم.

---

(١) أن قوله: مكررة في ق.

(٢) ق: متولّي.

ولما أنزل[١] عليه ما أنزل من قصة أهل الكهف، أمره بأن يقصّ ويتلو على معاصريه ما أوحى الله تعالى [إليه] من كتابه في قصة أهل الكهف وفي غيرهم، وأنّ ما أوحاه إليه لا مبدّل له.

و﴿لَا مُبَدِّلَ﴾ عامّ و﴿لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ عامّ أيضاً.

فالتخصيص إما في «لا مبدّل» أي: لا مبدّل له سواه ألا ترى إلى قوله ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل]؟ وإما في: كلماته، [أي]: لكلماته المتضمّنة الخبر، لأن ما تضمّن غير الخبر وقع النسخ في بعضه.

وفي أمره تعالى أن يتلو ما أوحي إليه، وإخباره أنه لا مبدّل لكلماته إشارة إلى تبديل المتنازعين في أهل الكهف وتحريف أخبارهم. والملتحد: أي: الملتجأ الذي تميل إليه وتعدل له.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية، قال كفار قريش: لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك، وصحبناك - يعنون عمّاراً وصهيباً وسلمان[٢] وابن مسعود وبلالاً ونحوهم من الفقراء - وقالوا: إن ريح جبابهم[٣] يؤذينا، فنزلت «واصبر نفسك» الآية[٤]، أي: احبسها وثبّتها. قال عنترة[٥]:

فصبرتُ عارفةً لذلك حُرّةً ترسو إذا نفسُ الجبان تَطَلَّعُ

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس. وتقدم الكلام على قوله

---

(١) ق: نزل.

(٢) ق: سليمان.

(٣) ق: جباههم.

(٤) انظر لباب النقول ص١٠١.

(٥) ق: قال أبو ذؤيب، وهو خطأ والبيت لعنترة في ديوانه ص٢٦٤. وهو من الكامل

«بالغداة والعشي» قراءة وإعراباً في الأنعام[١].

﴿وَلَا تَعْدُ﴾ أي: لا تصرف عيناك النظر عنهم إلى أبناء الدنيا. وعدا: متعدٍّ، تقول: عدا فلان طوره، وجاء القوم عدا زيداً. فلذلك قدّرنا المفعول محذوفاً ليبقى الفعل على أصله من التّعدية.

وقال الزمخشري[٢]: إنما عُدّي [بعن] لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك: نبت عنه عينه، وعلت عنه عينه، إذا اقتحمته، ولم تعلق به. فإذا قلت: أي غرض في هذا التضمين، وهلاّ قيل: ولا تَعْدُهُمْ عيناك، أو: لا تَعْلُ عيناك عنهم؟ قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ[٣]، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوَزين إلى غيرهم. ونحوه قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ ﴿٢﴾﴾ [النساء] أي: ولا تضمّوها إليها آكلين لها انتهى.

وما ذكره من التضمين لا ينقاس عند البصريين، وإنما يُذهب إليه عند الضرورة، أمّا إذا أمكن إجراء اللفظ على مدلوله الوضعي، فإنه يكون أولى.

وقال الزمخشري[٤]: «تريد زينة الحياة الدنيا» في موضع الحال.انتهى.

وصاحب الحال إن قُدّر «عيناك» فكان يكون التركيب: تريدان[٥]. وإن قُدّر الكاف فمجيء الحال من المجرور بالإضافة مثل هذا فيه إشكال،

---

(١) انظر تفسير الآية ٥٢ من الأنعام.

(٢) الكشاف ٢ : ٤٨١.

(٣) ق: فداً. والفذّ: الفرد.

(٤) الكشاف ٢ : ٤٨٢.

(٥) ق: يريدان.

لاختلاف العامل في الحال وذي الحال، وقد أجاز ذلك بعضهم إذا كان المضاف جزءاً أو كالجزء. وحسّن ذلك هنا أن المقصود نهيه هو عليه السلام عن الإعراض عنهم والميل إلى غيرهم. [وإنما جيء بقوله «عيناك» والمقصود هو، لأنهما بهما يكون المراعاة للشخص والتلفّت إليه. والمعنى: ولا تَعْدُ أنت عنهم النظر إلى غيرهم].

والظاهر أن المراد بـ﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا ﴾ كفار قريش. ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في طلب الشهوات. ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ أي: ضائعاً.

و﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو[1]. ويجوز أن يكون «الحق» مبتدأ و﴿ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ الخبر. والظاهر أن الفاعل «بشاء» عائد على «مَن».

وقال ابن عطية: الضمير في «شاء» عائد على الله تعالى، وكأنه لمّا كان الإيمان والكفر تابعين لمشيئة الله تعالى، جاء بصيغة الأمر حتى كأنه تحتّم وقوعه مأمور به مطلوب منه. ولما تقدّم الإيمان والكفر أعقب بما أعدّ لهما، فذكر ما أعدّ للكافرين تِلْوَ[2] قوله ﴿ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [٣٤٤/أ] وأتى بعد ذلك بما أعدّ للمؤمنين. والسّرادق: حائط من نار محيط.

﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ ﴾ يطلبوا الغوث ممّا حلّ بهم من النار وشدة إحراقها واشتداد عطشها.

﴿ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ ﴾ هذا على سبيل المقابلة، وإلا فليست إغاثة.

---

(١) في البحر ٦: ١٢٠: هذا الحق.

(٢) ق: يلي.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قال ابن عباس: ماء غليظ مثل دُرْدِيّ الزيت(١).

و﴿يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾ في موضع الصفة «لماء» أو في موضع الحال منه، لأنه قد وصف، فحسن مجيء الحال [منه] وإنما اختصّ الوجوه لكونها عند شربهم يقرب حرّها من وجوههم. وقيل: عبّر بالوجوه عن جميع أبدانهم، والمعنى أنه ينضج به جميع جلودهم.

﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ المخصوص بالذّم محذوف تقديره: بئس الشراب هو، أي: الماء [الذي يغاثون به. والضمير في «ساءت» عائد على النار. والمرتَفَق: قال ابن عباس]: المَنْزِل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية، خبر «إنّ» قوله «أولئك». والجملة من قوله «إنا لا نضيع» [اعتراض. ويحتمل أن يكون الخبر قوله «إنّا لا نضيع»] ويكون العائد محذوفاً(٢) تقديره: من أحسن عملاً منهم.

ويجوز أن يكون «أولئك» مبتدأ خبره ما بعده، ويكون توضيحاً لقوله «إنا لا نضيع أجر». ولما ذكر مكان أهل الكفر وهو النار، ذكر مكان أهل الإيمان وهي جنّات عدن. ولما ذكر هناك ما يغاثون(٣) به وهو [ماء] كالمهل، ذكر هنا ما خصّ به أهل الجنة من كون الأنهار تجري من تحتهم [ثمّ] ذكر ما أنعم به عليهم من التّحلية واللباس اللذين هما زينة ظاهرة، وبدأ بالتحلية، لأنها أفخر من اللباس. و«مِن» الأولى يجوز أن تكون للابتداء والثانية لتّبيين. وقرأ أبان عن عاصم: أَسْوِرَة، جمع سوار. وقرأ الجمهور:

---

(١) دُرْدِيّ الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله.

(٢) ق: محذوف.

(٣) ق: يغاثوا.

أساور، جمع أسْوِرَة، وهي جمع الجمع.

قال الزمخشري[١]: وجمع بين السندس وهو ما رقّ من الديباج، وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعاً بين النوعين. [انتهى].

وبناء التّحلية للمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله إشعار[٢] بأنهم يكرَمُون بذلك، ولا يتعاطون ذلك بأنفسهم. قال الشاعر[٣]: [من الطويل]

غرائر في كنٍّ وصونٍ ونعمةٍ   يُحَلَّين ياقوتاً وشَذْراً مفقّرا[٤]

وأسند الفعل[٥] إليهم، لأن الإنسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصاً لو كان بادي العورة. ووصف الثياب بالخضرة، لأنها أحسن الألوان، والنفس تنبسط لها أكثر من غيرها، وقد روي في ذلك أثر أنها تزيد في ضوء البصر.

وخصّ الاتّكاء لأنها هيئة المُنْعَمين والملوك على أسرّتهم. و«الأرائك» جمع أريكة وهي السرير. والمخصوص بالمدح محذوف أي: نعم الثواب ما وُعدوا به. والضمير في «وحسنات» عائد على الجنات. و«مرتفقا» تمييز، وهو محوّل من الفاعل.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

---

(١) الكشاف ٢: ٤٨٣.

(٢) ق: إشعاراً.

(٣) البيت في اللسان (فقر) غير منسوب.

(٤) فقّر الخرز: ثقبه للنظم.

(٥) أي فعل اللباس.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ الآية، قيل: نزلت في أخوين من بني مخزوم[1]: الأسود بن عبد الأسود بن عبد يا ليل، وكان كافراً، وأبي سلمة عبدالله بن الأسود، وكان مؤمناً. وقيل غير ذلك. والضمير في «لهم» عائد على المتجبرين الطالبين من رسول الله ﷺ طرد ضعفاء المؤمنين، فالرجل الكافر بإزاء المتجبّرين، والمؤمن بإزاء ضعفاء المؤمنين. وظهر بضرب المثل الربط بين هذه الآية والذي قبلها؛ إذ كان من أشرك إنما افتخر بماله وأنصاره، وهذا يزول، فيصير الغني فقيراً، وإنما المفاخرة بطاعة الله تعالى. «واضرب لهم» قصة رجلين. و«جعلنا» تفسير للمثل فلا موضع له من الإعراب. وأبهم في قوله «جعلنا لأحدهما» وتبيّن أنه[2] الكافر الشاكّ في البعث. وأبهم تعالى

---

(١) اختُلف في اسميهما؛ فهما في القرطبي ١٠: ٣٩٩ أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد.. زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ، والأسود بن عبد الأسد، وكان الأول مؤمناً والآخر كافراً.

(٢) ق: أنّ.

مكان الجنّتين إذ لا يتعلق [٣٤٤/ب] بتعيينه كبير فائدة. وذكر إبراهيم ابن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلدان أن بحيرة تنيّس[(١)] كانت هاتين الجنّتين، وكانتا لأخوين، فباع أحدهما نصيبه من الآخر، وأنفقه في طاعة الله تعالى حتّى عيّره الآخر، وجرت بينهما هذه المحاورة. قال: فغرّقهما الله تعالى في ليلة، وإياهما عنى بهذه الآية.

قال ابن عطية: وتأمّل هذه الهيئة التي ذكرها الله تعالى، فإن المرء لا يكاد يتخيّل أجلّ منها في مكاسب الناس: جنّتا عنب أحاط بهما نخل، وبينهما فسحة هي مزدرع لجميع الحبوب، والماء المَعِين يسقي جميع ذلك من النّهر.

﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا﴾ حفّه: طاف به من جوانبه. قال[(٢)]: [من البسيط]

يَحُفُّـــه جـــانبـــا نِيْـــقٍ ويُتْبِعُـــه مِثْلَ الزّجاجة لم تُكْحَلْ من الرَّمدِ[(٣)]

وحففته به: جعلته مطيفاً به.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ أي: كل واحدة منهما ولذلك أفرد في قوله ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾. وقد راعى معنى التثنية في قوله ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا﴾ فثنّى الضمير وهو ضمير الجنّتين. وقال الشاعر[(٤)]: [من البسيط]

كلاهما حين جدّ الجري بينهما قـد أقلعـا وكـلا أنفيهمـا رابـي

فثنّى في أقلعا وأفرد في رابي.

---

(١) تنيّس: من مدن مصر، انظر الروض المعطار ص١٣٧.

(٢) البيت للنابغة في ديوانه ص١٥.

(٣) النِّيق: الجبل. ويتبعه مثل الزجاجة: يريد عيناً صافية.

(٤) البيت للفرزدق في ديوانه ص٣٣ (ط الصاوي).

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ أي: لم تنقص منه شيئاً.

وقرىء: ثَمَر وثُمُر. ويظهر من قوله «فقال لصاحبه» أنه ليس أخاه. «وهو يحاوره» جملة حالية. والظاهر أن ذا الحال هو القائل، أي: يفتخر عليه بكثرة ماله وعزّة نفسه. و«مالاً» و«نفراً» تمييزان بعد أفعل التفضيل.

وقال الزمخشري[1]: فإن قلت: لِمَ أفرد الجنّة بعد التّثنية؟ قلت: معناه: ودخل ما هو جنّته ماله جنّةٌ غيرها، يعني أنه لا نصيب له من الجنّة التي وُعد المتّقون، فما مَلَكَه في الدنيا جنّته لا غير، ولم يقصد الجنّتين ولا واحدة منهما انتهى.

ولا يُتصور ما قاله، لأنّ قوله «ودخل جنته» إخبار من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنّته، فلا بدّ أن يكون قصد في الإخبار أنه دخل إحدى جنّتيه إذ لا يمكن أن يدخلهما معاً في وقت واحد. والمعنى: ودخل جنته يُري صاحبه ما هي عليه من البهجة والنضارة والحسن.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ جملة حالية أي: وهو كافر بنعمة ربّه، مغترّ بما ملكه، شاكٌّ في نفاد[2] ما خوّله، وفي البعث الذي حاوره فيه صاحبه. والظاهر أن الإشارة بقوله «هذه» إلى الجنة التي دخلها. وعنى بالأبد أبد حياته، وذلك لطول أمله وتمادي غفلته، ولحسن قيامه عليها بما أوتي من المال والخدم، فهي باقية مدّة حياته على حالها من الحسن والنضارة. والحسّ يقضي بأن أحوال الدنيا بأسرها غير باقية.

﴿أَن تَبِيدَ﴾ أن تهلك. «هذه» إشارة إلى الجنة التي دخلها.

---

(١) الكشاف ٢: ٤٨٤.

(٢) ق: نفاذ.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ هذا شكّ في قيام السّاعة، وهو كفر. ثم أقسم على أنّه إن رُدَّ إلى ربه، على سبيل قياس الأخرى على الدنيا، كما يزعم صاحبه، ليجدنّ في الآخرة خيراً من جنّته تطمّعاً وتمنّياً على الله تعالى، وادّعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنّتين في الدنيا إلاّ لاستحقاقه، وأنّ معه هذا الاستحقاق أين توجّه، كقوله ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۞﴾ [فصلت].

ومعنى «منقلباً» [٣٤٥/أ] مرجعاً وعاقبة، أي: منقلب الآخرة لبقائها، خير من منقلب الدنيا لزوالها. وانتصب «منقلباً» على التمييز.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ الآية، «وهو يحاوره» حال من الفاعل وهو «صاحبه».

﴿أَكَفَرْتَ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ حيث أشرك مع الله تعالى غيره. ثم نبّه على أصل نشأته وإيجاده بعد العدم، وأن ذلك دليل على جواز البعث من القبور، ثمّ تحتّم[١] ذلك بإخبار الصادقين وهم الرسل عليهم السلام.

وقوله: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ إما أن يراد: خلق أصلك من تراب، وهو آدم عليه السلام، وخَلْقُ أصله سببٌ في خلقه، فكان خَلْقه خَلْقاً له. أو أريد[٢] أنّ ماء الرجل يتولّد من أغذية راجعة إلى التراب، فنبّه أوّلاً على ما تولّد منه ماء أبيه، ثم ثانيه على النّطفة التي هي ماء أبيه.

وانتصب «رجلاً» على الحال والعامل فيه «سواك». ولمّا لم يكن الاستفهام استفهام إعلام وإنما هو استفهام إنكار وتوبيخ، فهو في الحقيقة

(١) ق: نختم.
(٢) ق: وأريد.

تقرير على كفره وإخبار عنه، لأن معناه: قد كفرت بالذي خلقك.

استدرك هو مخبراً عن حال نفسه فقال ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ إقراراً بتوحيد الله تعالى، وأنه لا يشرك به. وقرىء: لكنّ، بتشديد النون بغير ألف في الوصل وبألف في الوقف. وأصله: لكن أنا، ونقل حركة الهمزة إلى نون لكنْ، وحذف الهمزة، فالتقى مثلان، فأدغم أحدهما في الآخر. وأما في الوقف، فإنه[1] أثبت ألف أنا، وهو المشهور في الوقف على أنا. ومثال إثباتها في الوصل قوله[2]: [من الوافر]

أنا سيف العشيرة فاعرفوني حُميداً قد تذرّيتُ السّناما[3]

كان الأصل: لكن أنا وحصل الإدغام.

وقال الزمخشري[4]: ونحوه - يعني: ونحو إدغام نون لكن في نون أنا بعد حذف الهمزة - قول القائل[5]: [من الطويل]

وترمينني بالطَّرْفِ أي أنت مذنبٌ وتَقْلينني لكنَّ إياكِ لا أَقْلي

أي: لكن أنا لا أقليك.انتهى.

لا يتعيّن ما قاله في البيت لجواز أن يكون التقدير: لكنّني، فحذف اسم لكنّ. وذكروا أن حذفه فصيح، إذا دلّ عليه الكلام، وأنشدوا على ذلك قول

---

(١) ق: وأنه.

(٢) البيت لحميد بن ثور في ديوانه ص١٣٣.

(٣) ق: تدربت السنانا.

(٤) الكشاف ٢: ٤٨٤.

(٥) البيت غير منسوب وهو في المفصل ص٣١٣ ومعاني القرآن ٢: ١٤٤.

الشاعر[١]: [من الطويل]

فلو كنت ضبّيًّا عرفت قرابتي ولكنّ زنجيٌّ عظيم المشافر

في رواية من روى زنجيٌّ بالرفع، أي: ولكنك زنجي. «فأنا» مبتدأ، و﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن مبتدأ ثانٍ، و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ثالث، و﴿رَبِّي﴾ خبره. والثالث وخبره خبر عن الثاني، والثاني وخبره خبر عن «أنا». والعائد عليه هو الياء[٢] في «ربي»، وصار التركيب نظير: هند هو زيد ضاربها[٣].

وفي قوله ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ تعريض بإشراك صاحبه وأنه مخالفه في ذلك. وقد صرّح بذلك صاحبه في قوله ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝٤٢﴾ [الكهف].

﴿وَلَوۡلَآ﴾ تحضيضية بمعنى هلّا، ففصل بينها وبين فعل التّحضيض «بإذ» وهو ظرف لما مضى، والعامل فيه «قلت». و«ما» في ﴿مَا شَآءَ﴾ شرطية منصوبة بـ«شاء» والجواب محذوف تقديره: أيّ شيء شاء الله كان[٤]. ويجوز أن تكون «ما» موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره: الذي شاء الله كائن. ويجوز أن يكون خبر [٣٤٥/ب] مبتدأ محذوف تقديره: الأمر الذي شاء الله. ثم نصحه بالتبرُّؤ من القوة فيما يحاوله ويعانيه، وأن يجعل القوة لله. ثم أردف تلك النّصيحة بترجّيه[٥] من الله تعالى وتوقّعه أن يقلب ما به وما بصاحبه من الفقر والغنى فقال ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ أي: أني

---

(١) البيت من شواهد الكتاب ٢: ١٣٦ ومنسوب فيه إلى الفرزدق، ولم أجده في ديوانه.

(٢) ق: الباء.

(٣) ق: ضربها.

(٤) ق: الذي شاءه كان.

(٥) في المطبوع: بترجية.

أتوقع من صنع الله تعالى وإحسانه أن يمنحني جنّةً خيراً من جنّتك لإيماني به، ويزيل عنك نعمتك لكفرك به ويخرب بستانك.

وقرىء: أقلَّ، بالنصب مفعولاً ثانياً «لترَني» وهي عِلْميّة لا بَصَريّة، لوقوع «أنا» فصلاً. ويجوز أن يكون توكيداً للضمير المنصوب في «تَرَني». [ويجوز أن تكون بصريّة و«أنا» توكيد للضمير المنصوب في «تَرَني»] فيكون «أقلَّ» حالاً.

وقرىء: أقلُّ، بالرفع على أن يكون «أنا» مبتدأ و«أقلُّ» خبره، والجملة في موضع مفعول «ترني» الثاني إن كانت عِلْميّة، وفي موضع الحال إن كانت بَصَريّة.

ويدلّ قوله[1] ﴿وَوَلَدًا﴾ على أنّ قول صاحبه ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف] عنى به الأولاد، إذ قابل كثرة المال بالقلّة، وعزّة النّفر بقلّة الأولاد.

والحسبان: قال ابن عطية: العذاب، وقيل غير ذلك. وهذا الترّجي إن كان ذلك أن يؤتيه[2] في الدنيا فهو أنكى للكافر وآلم، إذ يرى حاله من الغنى قد انتقلت إلى صاحبه. وإن كان ذلك أن يؤتيه في الآخرة، فهو أشرف وأذهب مع الخير والصّلاح.

﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا﴾ أي: أرضاً بيضاء، لا نبات فيها لا من كرم ولا نخل ولا زرع، قد اصطلم[3] جميع ذلك، فبقيت يباباً قفراً، يزلق عليها لإملاسها. والزَّلَق: الذي لا تثبت عليه قدم، ذهبت غراسه ونباته، وسلب المنافع حتى منفعة المشي، فهو وحل لا ينبت، ولا تثبت فيه قدم. وتَرَجّي المؤمن لجنّة

---

(١) ق: ويدل عليه وولدا.

(٢) ق: يأتيه.

(٣) الاصطلام: الاستئصال.

هذ الكافر آفة[١] علويّة من السماء أو آفة سفلية من الأرض، وهو غور مائها، فيتلف كل ما فيها من الشجر والزرع.

و«غورا» مصدر، خبر عن اسم أصبح، على سبيل المبالغة «أو يصبح» معطوف على قوله «ويرسل». والضمير في «له» عائد على الماء، أي: لن تقدر على طلبه لكونه ليس مقدوراً على ردّ ما[٢] غوّره الله تعالى.

وبلّغ الله المؤمن ما ترجّاه من هلاك ما بيد[٣] صاحبه وإبادته، على خلاف ما ظنّ في قوله ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥﴾ [الكهف]، فأخبر تعالى أنه أحيط بثمره، وهو عبارة عن الإهلاك، وأصله الإحاطة.

و«يقلب كفيه» ظاهره أنه يقلّب كفّيه ظهراً لبطن ندماً، ولمّا كان هذا الفعل كناية عن النّدم، عدّاه تعدية فعل النّدم، فقال «على ما أنفق فيها»، كأنه قال: فأصبح نادماً على ذهاب ما أنفق في عمارة تلك الجنّة.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ تقدم الكلام عليه في أواخر البقرة[٤]. وتمنّيه انتفاء الشرك: الظاهر أنه صدر منه ذلك في حالة الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة. وفي قوله «بربي»[٥] دليل على إيمانه.

ولمّا افتخر بكثرة ماله وعزّة نفره، أخبر تعالى أنه لم يكن له فئة، أي: جماعة تنصره، ولا كان منتصراً بنفسه. وجمع الضمير في «ينصرونه» على

---

(١) ق: بجنّة هذا الكافر بآفة.

(٢) وفي: على ردّ ماءٍ غوّره الله، وجه.

(٣) ق: يبيد.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٥٩ من البقرة.

(٥) ق: ترني.

المعنى، كما أفرده على اللفظ في قوله ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران].

والحقيقة في ﴿هُنَالِكَ﴾ أن تكون ظرف مكان للبعد. وتقدّم في الكلام ما يدلّ على الدّار الآخرة، فالظاهر أنه أشير به لدار الآخرة، أي: في [٣٤٦/أ] تلك الدار الولاية لله، كقوله تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴿١٦﴾﴾ [غافر]. «فالولاية» مبتدأ و«هنالك» الخبر.

وقرىء: الوِلاية، بكسر الواو وفتحها. وقرىء: الحقِّ، بكسر القاف صفة «لله» تعالى. وقرىء: الحقُّ، بالرفع صفة للولاية.

«هو خير» مبتدأ وخبر. «ثواباً» تمييز. ولما كان «هنالك» إشارة إلى الدار الآخرة، ناسب ذِكْرُ الخيريّةِ الثوابَ فيها. و«عقباً» بمعنى العاقبة.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، لمّا بيّن تعالى في المثل الأول حال

الكافر والمؤمن، وما آل إليه ما[1] افتخر به الكافر من الهلاك، بيّن في هذا المثل حال الحياة الدنيا واضمحلالها ومصير ما فيها من النعيم والترفّه.

و﴿ كَمَآءٍ ﴾ تقدّم الكلام على تفسير نظير هذه الجملة في يونس[2]. والهشيم: اليابس، قاله الفرّاء، واحده هشيمة. وقال الشاعر[3]: [من الوافر]

ولكـن البـلاد إذا اقشعـرّت وصـوّح نبتهـا رُعـي الهشيـم

ذَرى وأذرى لغتان: فرّق، قاله أبو عبيدة.

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ قال الجمهور: هي الكلمات المأثور[4] فضلها وهي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿ وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ أي: رجاءً.

ولمّا ذكر تعالى ما يؤول إليه حال الدنيا من النّفاد، أعقب ذلك بأوائل أحوال يوم القيامة فقال ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ والمعنى أنه ينفكّ نظام هذا العالم الدنياوي، ويؤتى بالعالم الأخروي. وانتصب «يوم» على إضمار: واذكر يوم. وقرىء: تُسَيَّر، مبنيًا للمفعول. ونسيّر، بنون العظمة مبنياً للفاعل.

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ ﴾ وقرىء: وتُرى، مبنيًا للمفعول.

---

(١) ق: وما.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٤ من يونس.

(٣) البيت في اللسان «صوح» منسوب لأبي علي البصير.

(٤) ق: المأثورة.

﴿ بَارِزَةً ﴾ حال، أي: منكشفة ظاهرة لذهاب الجبال والظِّراب[١] والشجر والعمارة، أو على حذف مضاف تقديره: وترى أهل الأرض بارزين من بطنها.

و﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ ﴾ أي: أقمناهم من قبورهم، وجمعناهم لعرصة القيامة.

وقال الزمخشري[٢]: فإن قلت: لِمَ جيء «بحشرناهم» ماضياً بعد «نسيّر» و«ترى» قلت: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز، ليعاينوا[٣] تلك الأهوال العظائم[٤]، وكأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك انتهى.

والأولى أن تكون الواو واو الحال لا واو العطف، والمعنى: وقد حشرناهم، أي: يُوقَع التسيير في حال حشرهم.

وقيل: «وحشرناهم» «وعرضوا» «ووضع الكتاب» ممّا وُضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقُّقِ وقوعه. و«فلم نغادر» أي: لم نترك.

وانتصب «صفاً» على الحال، وهو مفرد تنزّل منزلة الجمع أي: صفوفاً. وفي الحديث الصحيح[٥]: «يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفاً يسمعهم الداعي وينفذهم[٦] البصر» الحديث الصحيح بطوله.

﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ معمول لقولٍ محذوف تقديره: وقلنا.

---

(١) واحدها الظَّرِب، وهي الروابي الصغار.

(٢) الكشاف ٢ : ٤٨٧.

(٣) ق: لعاينوا.

(٤) ق: والعظائم.

(٥) انظر صحيح مسلم ١ : ١٨٠، وصحيح الجامع الصغير ٦ : ٣١٩ وما بعدها.

(٦) ق: وينفد.

و﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ نعت لمصدر محذوف، أي: مجيئاً مثل مجيء خلقكم، أي: حفاةً عراةً غرلاً، كما جاء في الحديث[1]، وخالين من المال والولد. و«أنْ» هنا مخففة من الثقيلة وفصل بينهما وبين الفعل بحرف النفي وهو «لن»[2] كما فصل في قوله تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ ﴾ [القيامة]. و«بل» للإضراب بمعنى الانتقال من خبر إلى خبر، ليس بمعنى الإبطال، والمعنى: أن لن نجعل لإعادتكم وحشركم موعداً، أي: مكان وعدٍ أو زمان وعد لإنجاز ما وُعدتم [٣٤٦/ب] على ألسنة الأنبياء عليهم السلام من البعث والنشور.

والخطاب في[3] «لقد جئتمونا» للكفّار المنكرين البعث على سبيل تقريعهم وتوبيخهم.

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ «الكتاب» اسم جنس أي: كتب أعمال الخلق. وإشفاقهم: خوفهم من كشف أعمالهم السّيئة وفضيحتهم وما يترتب على ذلك من العذاب السّرمدي.

﴿ يَٰوَيْلَتَنَا ﴾ نادوا هلكتهم التي هلكوا خاصة من بين الهلكات فقالوا «يا ويلتنا» والمراد مَن بحضرتهم كأنهم قالوا: يا من بحضرتنا انظروا هلكتنا، وكذا ما جاء من نداء ما لا يعقل.

«ما» استفهامية مبتدأ، و«لهذا» في موضع الخبر تقديره: أي شيء لهذا الكتاب. و«لا يغادر» جملة حالية. «صغيرة» أي: مثل القُبلة. «ولا كبيرة»

---

(١) انظر ما أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ٢١٩٤ من حديث عائشة وابن عباس. وغُرلاً: غير مختونين، جمع أغرل.

(٢) ق: أن.

(٣) ق: من.

مثل الزّنى. وقُدّمت الصغيرة اهتماماً بها، وإذا أُحصيت الصغيرة فالكبيرة أحرى.

﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ ضبطها وحفظها.

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ في الصحف عتيداً.

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ الآية، ارتباطها بالتي قبلها هو أنه لمّا ذكر يوم القيامة والحشر، وذكر خوف المجرمين ممّا سُطّر في ذلك الكتاب -

وكان إبليس هو الذي حمل المجرمين على معاصيهم واتّخاذ شركاء مع الله تعالى - ناسب ذكر إبليس والنّهي عن اتّخاذ ذرّيته أولياء من دون الله تعالى، تبعيداً عن المعاصي وعن امتثال ما يوسوس به. وتقدّم الكلام في استثناء إبليس أهو استثناء متّصل أم منقطع، وهل هو من الملائكة أم ليس منهم في أوائل البقرة[١]. فأغنى عن إعادته.

والظاهر أنّ معنى ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ فخرج عمّا أمره به ربّه من السجود. والهمزة في: أتتّخذونه، للتوبيخ والإنكار والتّعجب أي: أبعد ما ظهر منه الفسق والعصيان، تتّخذونه وذرّيته أولياء من دوني مع ثبوت عداوته لكم تتخذونه وليًّا؟. ﴿وَهُمۡ[٢] لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ جملة حالية. و«عدو» مفرد أريد به الجمع المقابل به الجمع وهو «أولياء». والمخصوص بالذّم محذوف، أي: بئس للظالمين بدلاً من الله تعالى إبليس وذرّيته. وقال «للظالمين» لأنهم اعتاضوا من الحقّ بالباطل وجعلوا مكان ولايتهم الله تعالى ولايتهم إبليس وذرّيته. وهذا نفس الظلم، لأنه وضع الشيء في غير موضعه.

﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ الذي يظهر أن المعنى إخبار من الله تعالى عن نبيّه عليه السلام، وخطاب منه تعالى له في انتفاء كينونته متّخذ عضدٍ من المضلّين، بل هو مذ كان ووجد عليه السلام في غاية التبرّؤ منهم والبعد عنهم، ليُعلم أمته أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته، لم يعتضد بمضلّ، ولا مال إليه عليه السلام. وقرأ علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: متّخذاً المضلّين، أعمل اسم الفاعل.

﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾ ليس المعنى أنه تعالى أخبر أنهم شركاؤه،

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٤ من البقرة.

(٢) ق: وهو.

ولكنّ ذلك على زعمكم، والإضافة تكون بأدنى ملابسة. ومفعولا «زعمتم» محذوفان لدلالة المعنى عليهما، إذ التقدير: زعمتموهم شركائي. والنّداء بمعنى الاستغاثة، أي: استغيثوا بشركائكم، والمراد: نادوهم لدفع العذاب عنكم، أو للشفاعة لكم.

والظاهر أن الضمير في «بينهم» عائد على الداعين والمدعوّين وهم المشركون والشركاء.

﴿مَّوْبِقًا﴾ الموبق: المهلك[1]، يقال: [٣٤٧/أ] وَبِقَ يَوْبَقُ وَبَقاً، ووَبَقَ يَبِقُ وُبوقاً إذا هلك، فهو وابق. وأوبَقَتْه ذنوبه: أهلكَتْه.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ هي رؤية عين أي: عاينوها. والظّن[2] هنا قيل: على موضوعه من كونه ترجيح أحد الجائزَيْن، وكونهم لم يجزموا بدخولها رجاءً وطمعاً في رحمة الله تعالى.

ومعنى ﴿مَصْرِفًا﴾ أي: معدلاً ومراغاً.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ﴾ الآية، تقدّم تفسير نظير صدر هذه الآية[3]. وهنا «شيء» مفرد معناه الجمع، أي: أكثر الأشياء التي يتأتّى فيها الجدال إن فصّلتها[4] واحداً واحداً.

﴿جَدَلًا﴾ خصومة ومماراة. يعني أن جدال الإنسان أكثر من جدل كل

---

(١) ق: الملك.

(٢) ق: في الظن.

(٣) انظر تفسير الآية ٤١ من الإسراء.

(٤) ق: وصلتها.

شيء. ونحوه ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾ [النحل]. وانتصب «جدلاً» على التمييز. قيل: والإنسان هنا النضر بن الحارث، وقيل ابن الزبعرى، وقيل أمية بن خلف. وكان جداله في البعث حتّى أتى بعظم فَذَرَّهُ فقال: أيقدر الله على إعادة هذا؟. وكثيراً ما يذكر الإنسان في معرض الذّم. وقد تلا رسول الله[1] ﷺ قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ حين عاتب عليًّا كرّم الله وجهه على النوم عن صلاة الليل، فقال له عليّ: إنما نفسي بيد الله تعالى[2]. فاستعمل الإنسان على العموم.

وفي قوله ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية، تأسُّفٌ عليهم وتنبيه على فساد حالهم، لأن هـذا المنـع لم يكن منهم بقصـد أن يمتنعـوا، ليجيئهم[3] العذاب، وإنما امتنعوا هم مع اعتقاد أنهم مصيبون، لكن الأمر في نفسه يسوقهم إلى هذا، فكان حالهم تقتضي التأسف عليهم. و«الناس» يراد به كفّار عصر الرسول عليه السلام، الذين[4] تولّوا دفع الشريعة وتكذيبها. «وما منع الناس أن يؤمنـوا» إلا ما سبق في علمنا وقضائنا أن تجري عليهم سنّة الأولين من عذاب الاستئصال من المسخ والصيحة والخسف والغرق وعذاب الظّلة ونحو ذلك.

وأراد «بالأوّلين» من أهلك من الأمم السّالفة. و«أن يؤمنوا» في موضع نصب على إسقاط حرف الجر، أي: من الإيمان. وفاعل «منع» قوله «أن يأتيهم» وهو حذف مضاف تقديره: إلاّ انتظارُ أن يأتيهم.

وقرىء: قُبُلًا، بضمّ القاف والباء، فاحتمل أن يكون بمعنى: قِبَلًا، بكسر

---

(١) انظر البخاري ١ : ٣٧٩.

(٢) انظر البخاري ١ : ٣٧٩.

(٣) ق: ليجهم.

(٤) ق: الذي.

القاف وفتح الباء، وقد قرىء به، وحكاها أبو عبيدة أنهما بمعنى واحد في المقابلة. وأن يكون جمع قبيل، أي: يجيئهم[١] العذاب أنواعاً.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ أي: بالنعيم المقيم لمن آمن.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ أي: بالعذاب الأليم لمن كفر.

﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾ ليزيلوا. ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى﴾ يجمع آيات القرآن وعلامات الرسول قولاً وفعلاً.

﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ من عذاب الآخرة. واحتملت «ما» أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف تقديره: وما أُنذروه، وأن تكون مصدريّة أي وإنذارهم، فلا يحتاج إلى عائد.

﴿هُزُوًا﴾ أي: سخرية واستخفافاً كقولهم ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام]، ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال][٢].

وتقدّم تفسير نظير قوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٣] الآية.

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء لا يهتدون أبداً. وهذا من العام والمراد به الخصوص وهو من طبع الله على قلبه، وقضى عليه بالموافاة على الكفر، إذ قد اهتدى كثير من الكفّار وآمنوا. وحمل أولاً على لفظ «مَن» في قوله ﴿ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فأفرد، ثم على المعنى في قوله «إنا جعلنا على

---

(١) ق: يجمعهم.

(٢) ق: لو شئنا.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٥ من الأنعام.

قلوبهم» فجمع. وفي [٣٤٧/ ب] «وإن [تدعهم]» وتقييده[١] بالأبدية مبالغة في انتفاء هدايتهم.

و«الغفور» صفة مبالغة. و«ذو الرحمة» أي: الموصوف بالرحمة. ثم ذكر دليل رحمته وهو كونه تعالى لا يؤاخذهم عاجلاً بل يمهلهم مع إفراطهم في الكفر وعداوة الرسول ﷺ. والموعد: أجل الموت.

وأشار تعالى بقوله ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [إلى القرى] المجاورة أهل مكّة كقرى ثمود وقوم لوط وغيرهم، ليعتبروا بما جرى عليهم، وليحذروا ما يحلّ[٢] بهم كما حلّ بتلك القرى. و«تلك» مبتدأ. و«القرى» صفة أو عطف بيان، والخبر «أهلكناهم». ويجوز أن يكون «القرى» الخبر، و«أهلكناهم» جملة حاليّة كقوله تعالى ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ۝٥٢﴾ [النمل]. ويجوز أن يكون «تلك» منصوباً بإضمار فعل يفسّره ما بعده أي: وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم. و«تلك القرى» على إضمار مضاف أي: وأصحاب تلك القرى، ولذلك عاد الضمير على ذلك المضمر في قوله «أهلكناهم».

وقوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ إشعارٌ بعلّة الإهلاك وهي الظلم، وبهذا استدلّ الأستاذ أبو الحسن بن عصفور على حرفية «لمّا» وأنها ليست بمعنى حين، لأن الظرف لا دلالة فيه على العلّة. وفي قوله «لمّا ظلموا» تحذير من الظّلم إذ نتيجته[٣] الإهلاك. وضربنا لإهلاكهم[٤] وقتاً معلوماً وهو الموعد. واحتمل الموعد أن يكون مصدراً أو زماناً.

---

(١) ق: تقييده.
(٢) ق: حلّ.
(٣) ق: نتيجة.
(٤) ق: هلاكهم.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ الآية، في الحديث الثابت الصحيح[١] وفي التواريخ أنه[٢] موسى بن عمران موسى بني إسرائيل والمرسل هو وأخوه هارون إلى فرعون، وفتاه يوشع بن نون بن أفرائيم[٣] بن يوسف بن يعقوب. والفتى: الشّاب. وسبب هذه القصة[٤] أن موسى عليه السّلام جلس يوماً في مجلس لبني إسرائيل وخطب فأبلغ. فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا. فأوحى الله تعالى إليه أن يسير بطول سِيْف البحر[٥] حتى يبلغ البحرين. وعتب الله عليه حين لم يردّ [العلم] إلى الله تعالى. فأوحى إليه: بل

(١) انظر ما أخرجه البخاري ٤: ١٧٥٢ من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) ق: أنّ.

(٣) ق: أفرائيل، والتصحيح من الرازي ٢١: ١٤٤.

(٤) راجع القصة في مظنّتها من صحيح البخاري المذكور فوق.

(٥) ق: بسيف طول البحر. وسيف البحر: ساحله.

أعلم منك عبدٌ لي عند مجمع البحرين، وهو الخضر في أيام فريدون قبل موسى. وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى عليه السلام.

ومعنى ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ لا أزال وهي من أخوات كان، تحتاج إلى اسم وخبر، واسمها الضمير المستكنّ في «أبرح» العائد على موسى، والخبر محذوف لفهم المعنى، يدل عليه التّغيية بحتى، التقدير: لا أبرح سائراً حتى أبلغ. ونصّ أصحابنا على أن خبر كان وأخواتها لا يجوز حذفه وإن دلّ الدليل على حذفه إلا ما جاء في الشعر من قوله[1]: [من الكامل]

لهفي عليك للهفة من خائفٍ ... يبغي جوارك حين ليس مجير

أي: حين ليس في الدنيا مجير. والذي أراه أنه يجوز حذفه إذا دلّ الدليل على حذفه كهذا الموضع.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: «لا أبرح» إن كان بمعنى لا أزول، مِن: برح بالمكان، فقد دلّ على الإقامة لا على السفر. وإن كان بمعنى لا أزال، فلا بدّ من الخبر. قلت: هو بمعنى لا أزال، وقد حذف الخبر، لأن الحال والكلام معاً يدلّان عليه. أما الحال فلأنها كانت حال سفر، وأما الكلام فلأنّ قوله «حتى أبلغ مجمع البحرين» غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له، فلا بدّ أن يكون المعنى: لا يبرح مسيري حتى أبلغ، على أن: حتى أبلغ هو الخبر، [٣٤٨/أ] فلما حُذف المضاف، أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن الضمير الغائب إلى ضمير المتكلم. وهو وجه

(١) البيت من شواهد المغني ٢: ٦٣١، وهو في الهمع ٢: ٨٤ غير منسوب فيهما وانظر شرح أبيات مغني اللبيب ٧: ٣١٦ وما بعدها.

(٢) الكشاف ٢: ٤٩٠.

لطيف.انتهى.

هما وجهان خلطهما الزمخشري؛ أما الأول فجعل الفعل مسنداً إلى المتكلم لفظاً، وجعل الخبر محذوفاً كما قدّرة ابن عطيه، و«حتى أبلغ» فضلة متعلّقة بالخبر المحذوف وغاية له. والوجه الثاني جعل «لا أبرح» مسنداً من حيث اللفظ إلى المتكلّم، ومن حيث المعنى إلى ذلك المقدّر المحذوف، وجعل خبر «لا أبرح» هو «حتى أبلغ» فهو عمدة، إذ أصله خبر المبتدأ لأنه خبر[1] أبرح.

قال الزمخشري[2]: ويجوز أن يكون المعنى: لا أبرح، ما أنا عليه، بمعنى: ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ، كما تقول: لا أبرح المكان انتهى.

و«مجمع البحرين» قال مجاهد وقتادة: هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم.

قال ابن عطية: هو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان. فالركن الذي لاجتماع[3] البحرين ممّا يلي برّ الشّام هو مجتمع البحرين على هذا القول.

وقالت فرقة منهم محمد بن كعب القرظي: هو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دَبور إلى صَبا[4]. والقرية التي أبت أن تضيّفهما هي الجزيرة الخضراء.

---

(١) ق: حين.

(٢) الكشاف ٢: ٤٩٠.

(٣) ق: لا اجتماع.

(٤) الصَّبا: الريح التي تهب من جهة المشرق، والدَّبور: الريح التي تقابلها.

وقال ابن عباس: الحُقُب: الدهر، وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون وقيل سنة بلغة قريش.

والظاهر أن قوله ﴿أَوْ أَمْضِيَ﴾ معطوف على «أبلغ» فغيّا[1] بأحد الأمرين: إما ببلوغه المجمع وإمّا بمضيّه حقباً. وقيل: هي تغيية لقوله «لا أبرح» كقولك: لا أفارقك أو تقضيني حقّي. فالمعنى: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين إلى أن أمضي زماناً أتيقّن معه فوات مجمع البحرين.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ [ثَمَّ جملة محذوفة والتقدير: فسارا فلما بلغا - أي موسى وفتاه - مجمع بينهما] - أي: بين البحرين - نسيا حوتهما. وكان من أمر الحوت وقصّته أن موسى عليه السلام حين أوحى الله تعالى إليه أنّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا ربّ فكيف لي به؟ فقال: تأخذ معك حوتاً، فتجعله في مِكْتَل[2]، فحيثما فقدتَ[3] الحوت، فهو ثَمَّ. فأخذ حوتاً فجعله في مكتله، ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما. واضطرب الحوت في المكتل، فخرج منه، وسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله تعالى عن الحوت جِرْيَة الماء فصار عليه مثل الطّاق[4]. والسَّرَب: المسلك في جوف الأرض.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: مجمع البحرين وهو الموعد. قيل: سارا بعد مجاوزة الصخرةِ الليلة والغد إلى الظّهر. وأُلقي على موسى النَّصَب والجوع حين

---

(١) من الغاية، وهي مدى الشيء.

(٢) المكتل: شبه الزّنبيل.

(٣) ق: قعدت.

(٤) الطاق: عقد البناء.

جاوز الموعد، ولم يَنْصَبْ ولا جاع قبل ذلك، فتذكّر الحوت وطلبه. والنَّصَب: التعب.

وقوله ﴿مِن سَفَرِنَا هَٰذَا﴾ إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة.

وقال الزمخشري[1]: «أرأيت» بمعنى أخبِرْني. فإن قلت: ما وجه التئام هذا الكلام؟ فإن كل واحد من «أرأيت» و«إذ أوينا» و«فإني نسيت الحوت» لا متعلق له؟. قلت: لمّا طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما[2] رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك انتهى.

وكون «أرأيت» بمعنى أخبِرْني ذكره سيبويه [٣٤٨/ب] وقد أمعنّا الكلام في ذلك في سورة الأنعام[3]. ويجوز أن يكون «أرأيت» هنا بمعنى أَعَلِمْتَ، أي: أعلمت ما جرى، فلا يكون[4] بمعنى أخبِرْني. و«إذ» معمول «لأرأيت» هذه. وفي نسبة النسيان إلى نفسه دليل على حسن أدبه وتلطّفه في فقد الحوت.

و﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ يتقدّر بالمصدر تقديره: ذكري إياه، وهو بدل اشتمال من ضمير الغيبة في «أنسانيه»، وفصل بين المبدل منه والبدل بقوله ﴿إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وهو فاعل «أنسانيه».

والظاهر أن الضمير في ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ عائد على الحوت كما عاد في قوله ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف] وهو من كلام يوشع.

(١) الكشاف ٢: ٤٩١.

(٢) ق: وما.

(٣) انظر تفسير الآية ٤٠ من الأنعام.

(٤) ق: يكونى.

وإنما كان عجباً لخروجه من المكتل وحياته بعد كونه مشويًا أو مأكولاً بعضٌ منه، وإمساك جرية الماء عليه.

والإشارة بقوله «ذلك» أي: أمر الحوت وفقده واتخاذه سبيلاً في البحر لأنه أمارة الظفر بالطَّلِبَةِ من لقاء ذلك العبد الصالح. و«ذلك» مبتدأ. و«ما» موصولة خبر عن المبتدأ. و«نبغ» صلة «ما» والعائد عليها محذوف تقديره: نبغيه.

﴿ فَٱرْتَدَّا﴾ أي: رجعا على أدراجهما من حيث جاءا.

﴿قَصَصًا﴾ أي: يقصّان الأثر قصصاً، فانتصب على المصدرية بإضمار: يقصّان. أو يكون في موضع الحال أي: مقتصّين، فينتصب بقوله «فارتدّا».

﴿ فَوَجَدَا﴾ أي: موسى والفتى.

﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هذه إضافة تشريف واختصاص. وجداه عند الصخرة التي فقدا[1] الحوت عندها، وهو مسجّى[2] في ثوب، مستلقياً على الأرض. فقال: السلام عليك. فرفع رأسه وقال: أنّى بأرضك السّلام[3]، ثم قال له: من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال له: ألم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى ولكن أحببت لقاءك، وأن أتعلم منك. قال له: إني على علم من علم الله تعالى عَلَّمَنيه لا تَعْلَمه أنت، وأنت على علم من علم الله تعالى علّمك الله تعالى لا أعلمه أنا. قيل: واسم الخضر بليا بن ملكان[4].

(١) ق: فقد.

(٢) ق: مشجى.

(٣) عبارة الطبري: ١٥ : ١٨٢ وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض؟.

(٤) ق: مليا بن ملولان. والتصحيح من البحر ٦: ١٤٧.

وفي قول الخضر لموسى عليه السلام من أنت، وقد أعلمه الله تعالى بواطن الأشياء ومآلها، دليل على كذب هؤلاء المنتمين إلى التّصوف[١] المدّعين علم الغيب والكشف عن أحوال الناس، أعاذنا الله من ذلك. ولدن: تقدّم الكلام عليها في أوائل آل عمران[٢].

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾ في الكلام محذوف تقديره: فلمّا التقيا وتراجعا الكلام، وهو الذي ورد في الحديث الصحيح[٣]، قال له موسى هل أتّبعك، وفي هذا دليل على التواضع للعالم. وفي هذه القصة دليل على الحثّ على الرحلة في طلب العلم، وعلى حسن التلطّف والاستنزال والأدب في طلب العلم بقوله «هل أتبعك». وفيه المسافرة مع العالم لاقتباس فوائده، والمعنى: هل يخفّ عليك ويتّفق لك. وانتصب «رشداً» على أنه مفعول ثانٍ لقوله «تعلمن» أو على أنه مصدر في موضع الحال، وذو الحال الضمير في «أتّبعك». وقرىء: رُشْداً ورَشَداً.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ نفى الخضر استطاعته الصبر معه على سبيل التأكيد كأنها ممّا[٤] لا يصح ولا يستقيم.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ أي: أن صبرك على ما لا خبرة لك به مستبعَد. وفيه إبداء عذرٍ له حيث لا يمكنه الصبر [٣٤٩/أ] لما يرى من منافاة ما هو عليه. وانتصب «خبراً» على التمييز أي: بما لم يُحِطْ به خُبْرك، فهو منقول من الفاعل. أو أنه على مصدر على غير المصدر لأن المعنى ﴿عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ

---

(١) ق: الصوف.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٨ من آل عمران.

(٣) انظر البخاري ٤: ١٧٥٢.

(٤) ق: ما.

خُبْرًا﴾: أي: على ما لم تُخْبَرْه.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ وعده بوجدانه صابراً وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، علماً منه بشدة الأمر وصعوبته إذ لا يصبر على[1] ما ينافي ما هو عليه إذا رآه.

﴿وَلَآ أَعْصِى﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على «صابراً» أي: صابراً وغيرَ عاصٍ، فيكون في موضع نصب عطفاً على الاسم، إذ كان في معناه كقوله تعالى ﴿صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴿١٩﴾﴾ [الملك] أي: وقابضاتٍ. ويجوز أن يكون معطوفاً على «ستجدني» فلا محلّ له من الإعراب، ولا يكون مقيّداً بالمشيئة لفظاً.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ

(١) ق: إلاّ على.

يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ الآية، «فانطلقا» أي موسى والخضر، وكان[1] معهما يوشع، ولم يُضمَّ له لأنه في حكم التّبع، وقيل: كان موسى قد صرفه، وردّه إلى بني إسرائيل. والألف واللام في «السفينة» لتعريف الجنس، إذ لم يتقدم عهد في السفينة مخصوصة. وقد روي في كيفية ركوبهما السفينة وخرقها وسدّها أقوال، والمعتمد ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما قالا[2]: فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فكلّموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر، فحملوه بغير نولٍ. فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدّوم. فقال له موسى عليه السلام: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها، لتغرق أهلها إلى قوله «عسرا». قال: وقال رسول الله ﷺ: «وكانت الأولى من موسى نسياناً». قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

واللام في ﴿ لِتُغْرِقَ[3] أَهْلَهَا ﴾ قيل: لام العاقبة وقيل لام العلّة. [وقرىء]: ليَغْرَقَ، بفتح الياء والراء وسكون الغين، أهلُها: بالرفع. وقرىء بتاء الخطاب.

---

(١) ق: وثانٍ.

(٢) أخرجه البخاري ٤: ١٧٥٧ من حديث أبي بن كعب، ومسلم ٤: ١٨٤٧ من حديثه.

(٣) ق: ليُغرق.

ثم ذكّره الخضر بما سبق له من نفي استطاعته الصبر لما يرى فقال «لا تؤاخذني بما نسيت». والظاهر حمل النسيان على وضعه، وقد قال عليه السلام[١] «كانت الأولى من موسى نسياناً» والمعنى أنه نسي العهد الذي كان بينهما من عدم سؤاله، حتى يكون هو المخبر له أولاً.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: شنيعاً من الأمور كالداهية والإدّ[٢] ونحوه.

﴿فَانْطَلَقَا﴾ في الكلام حذف، تقديره: فخرجا من السفينة، ولم يقع غرق بأهلها، فانطلقا. فبينما هما يمشيان على ساحل البحر، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الصبيان. وفي بعض الروايات: فمرّا بغلمان يلعبون، فعمد الخضر إلى غلام حسن الهيئة وضيء الوجه، فاقتلع رأسه. وقيل غير ذلك من كيفيات القتل.

وحكى القرطبي[٣] عن صاحب العرس والعرائس أن موسى عليه السلام لما قال للخضر: أقتلت نفساً زاكية، غضب الخضر، واقتلع كتف الصبي الأيسر، وبشر اللحم[٤] عنه، وإذا في عظم كتفه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبداً.

ومعنى: زاكية، طاهرة من الذّنوب. ووصفها بهذا الوصف لأنه لم يرها أذنبت.

[٣٤٩/ب] ومعنى «نكراً» أنكر من الأول لأن الخرق يمكن سدّه، والقتل لا سبيل إلى تدارك الحياة معه.

---

(١) انظر حديثي الشيخين السابقين.
(٢) الإدّ: الداهية والأمر الفظيع.
(٣) تفسيره ١١ : ٢١.
(٤) بشرتُ الأديم: إذا أخذت بشرته.

وفي قوله «لك» زجر وإغلاظ ليس في الأول، لأن مواقعة التساؤل ثابتة بعد التقدم إلى ترك السؤال. واستعذار موسى عليه السلام بالنسيان أفظع وأقطع[١] في المخالفة لِمَا كان أخذ على نفسه من الصبر وانتفاء العصيان.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه القصّة أو بعد هذه المسألة.

﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ أي: فأوْقعِ الفراق بيني وبينك.

ومعنى ﴿قَدْ بَلَغْتَ﴾ أي: أعذرتَ إليّ، وبلغتَ إليّ العذر. وفي البخاري[٢] قال: يرحم الله موسى لَوَدِدْنا أنه صبر حتى يقصّ علينا من أمرهما.

والقرية التي أتيا أهلها قيل: الجزيرة الخضراء وقيل غير ذلك. وفي الحديث[٣] انهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم. وهذه عبرة مصرّحة بهوان الدنيا[٤] على الله تعالى. وتكرر لفظ أهل على سبيل التوكيد، وقد يظهر له فائدة غير التوكيد، وهو أنهما حين أتيا أهل القرية، لم يأتيا جميع أهل القرية، إنما أتيا بعضهم، فلما قال «استطعما» احتمل أنّهما لم يستطعما إلا ذلك البعض الذي أتياه، فجيء بلفظ «أهلها» ليعمّ جميعهم وأنهم تتبّعوهم[٥] واحداً واحداً بالاستطعام. ولو كان التركيب: استطعماهم، لكان عائداً على البعض المأتيّ. وإسناد الإرادة إلى الجدار من المجاز البليغ والاستعارة [البارعة]. وكثيراً ما يوجد في كلام العرب إسناد أشياء، تكون

---

(١) ق: أقطع وأقطع.

(٢) ٤: ١٧٥٤، ١٧٥٨، وهو بعض حديث أبيّ بن كعب السابق ذكره.

(٣) انظر صحيح مسلم ٤: ١٨٥٢.

(٤) الدنيا: مكررة في ق.

(٥) ق: وأيهم يتبعونهم.

من أفعال العقلاء، إلى ما لا يعقل من الحيوان[١] وإلى الجماد. والمعنى: لو كان الجماد أو الحيوان الذي لا يعقل مكان العاقل، لكان صادراً منه ذلك الفعل.

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ قال ابن عباس: دفعه بيده فاستقام. وهذا أليق بحال الأنبياء عليهم السلام.

﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ﴾ ظاهره أنه اعتراض إذ كان في غاية الاحتياج إلى الطعام، فناسب اتّخاذ الأجر على ما فعله من إقامة الجدار، ولذلك قال ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ إذ قد تقدّم قوله ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾. وقوله «لو شئت» يتضمن معنى السؤال. وقرىء: لاتّخذتَ، وَلَتَخِذْتَ، والماضي تَخِذَ يَتْخَذُ كتبع يتبع والتاء أصلية.

﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ أي: سأخبرك بتأويل ما رأيت بما آل إليه الأمر فيما كان ظاهره أن لا يكون.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ واللام في «لمساكين» ظاهره أنها[٢] للاختصاص، وأنهم كانوا مالكين لها.

﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فيه إسناد إرادة العيب إليه. ووراء: من الأضداد بمعنى خلف وبمعنى أمام، وفسّر ها هنا «وراءهم» بمعنى أمامهم. «ملك» ذكر أنّ[٣] اسمه هدد بن بدد وكان كافراً. وقرأ أبيّ وعبد الله: كل سفينة صالحة، ويحمل ذلك على التفسير، لا على أنه قرآن. وانتصب «غصباً» على أنه مفعول من أجله. ولمّا ظهر له أن السفينة قد عيبت بإخراج بعض ألواحها

---

(١) ق: من أفعال الحيوان.

(٢) ق: أنه.

(٣) ق: وذلك أنّ.

وخوف أهلها من[1] الغرق، لم يتعرّض هذا الملك إلى أخذها.

وأمّا ﴿ٱلْغُلَـٰمُ﴾ فالألف واللام فيه للعهد، إذ قد تقدّم مجيئه نكرةً لقوله ﴿لَقِيَا غُلَـٰمًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف] فهو نظير ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴿١٦﴾﴾ [المزمل].

﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ يراد بأبويه أبوه وأمّه ثُنّي تغليباً من باب القمرين في القمر والشمس، وهي تثنية لا تنقاس.

﴿فَخَشِينَآ﴾ أي: خفنا أن يغشى الوالدين المؤمنَيْن طغياناً عليهما وكفراً لنعمتهما، بعقوقه وسوء صنيعه. وإنما خشي الخضر منه ذلك لأنّ الله عزّ وجلّ أعلمه بحاله، وأطْلعه على سرّ أمْره، وأمَره بقتله، [٣٥٠/أ] كاخترامه لمفسدةٍ عرفها في حياته.

والزّكاة هنا الطهارة والنّقاء من الذنوب وما ينطوي عليه من شرف الخُلُق والسكينة والرُّحْم والرّحمة: العطف[2]، مصدران كالكثُرْ والكثرة. وأفعل هنا ليس للتفضيل، لأن ذلك الغلام[3] الكافر لا زكاة فيه ولا رحمة. والظاهر أن قوله «وأقرب رحماً» [أي]: رحمة والديه[4]. وقال ابن جريج: يرحمانه. وقال رؤبة بن العجاج[5]: [من الرجز]

يا منزل الرُّحْم على إدريسا ومنـزل اللعـن علـى إبليسـا

(١) ق: على.

(٢) ق: والعطف.

(٣) ق: الكلام.

(٤) ق: يرحم والديه.

(٥) في ديوانه ص١٧٥ البيت الأول من هذا الرجز بقافية مكسورة.

وقيل: الرُّحْم من الرحمة والقرابة.

ووَصْف الغلامين باليُتْم يدلّ على أنهما كانا صغيرين. وفي الحديث[1] «لا يُتْمَ بعد البلوغ». واسمهما أصرم وصريم واسم أبيهما كاشح واسم أمّهما دهنا. والظاهر أنّ أباهما هو الأقرب إليهما الذي ولدهما دِنْيَةً[2]. وفي الحديث[3] «إن الله تعالى يحفظ الرجل الصالح في ذرّيته». وانتصب «رحماً» على المفعول له.

والظاهر في الكنز أنه مال مدفون جسيم ذهب وفضة. وفي قوله ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ إسناد الإرادة إلى الله تعالى لما تضمّنت من إرادة الخير، بخلاف ما تقدم من قوله ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف] ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ الضمير في «فعلته» عائد على ما تقدم من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

﴿عَنْ أَمْرِى﴾ يدلّ على أن ذلك كان بأمر الله تعالى. وقد استُدلّ بهذا على أن الخضر عليه السلام كان نبيًّا.

وتَسْطِعْ مضارع اسطاع[4] بهمزة الوصل. وقال ابن السكّيت: يقال: ما أستطيع وما أسطيع وما أستتيع وما أستيع أربع لغات. والمحذوف[5] في

---

(١) أخرجه أبو داود ٣: ١١٥ من حديث علي بألفاظ أخر، وانظر صحيح الجامع الصغير ٦: ٢١٣.

(٢) ق: دينه. ويقال: هو ابن عمّي دِنْيَةً: أي ابن عمّي القريب. وبعده في المطبوع: وقيل السابع وقيل العاشر.

(٣) أورده القرطبي ١١: ٣٩ بلفظ: وقد روي. وانظر الدرّ المنثور ٤: ٢٣٥.

(٤) ق: وتسطيع مضارع استطاع.

(٥) اضطربت عبارة ق فجاءت بما هذا صورته: والمحذوف في تستيطع تاء الافتعال إذ الأصل هي الطاء فاء الكلمة، والألف المنقلبة عن الواو وهي عين الكلمة آخر =

تسطيع تاء الافتعال؛ إذ الطّاء هي أصل[1]، وهي فاء الكلمة، والألف المنقلبة عن الواو هي عين الكلمة، والعين لام الكلمة. والأصل الطّوع.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ الآية، الضمير في «ويسألونك» عائد على قريش

= لام الكلمة.

(١) يراد بذلك أنه لا حاجة تدعو إلى أن المحذوف هي الطاء التي هي فاء الفعل ثم أبدلوا من تاء الافتعال طاءً. انظر البحر ٦: ١٥٦.

حين دسّتها اليهود على سؤاله عن الروح، والرجل الطّواف، وفتية ذهبوا في الدهر، ليقع امتحانه بذلك[١]. وذو القرنين هو الإسكندر اليوناني ذكره ابن إسحاق. وعن علي رضي الله عنه: كان عبداً صالحاً ليس بملك ولا نبي ضرب على قرنه[٢] الأيمن في طاعة الله فمات فبعثه الله تعالى، فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله تعالى فسمّي ذا[٣] القرنين. وورد في الحديث[٤] أن الذين ملكوا الأرض أربعة: مؤمنان[٥] سليمان وذو القرنين، وكافران نمرود وبختنصّر، وكان بعد نمرود.

وقوله «ذكرا» يحتمل أن يريد به قرآناً وأن يريد به حديثاً وخبراً.

والتمكين الذي له في الأرض كونه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الوصول إلى أغراضه.

﴿سَبَبًا﴾ أي: طريقاً موصلاً إليه، والسّبب: ما يُتوصّل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة، فأراد بلوغ المغرب، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يوصله إليه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ﴾ وكذلك أراد المشرق، فأتبع سبباً، وأراد بلوغ السّدين، فأتبع سبباً. وأصل السبب الحبل، ثم تُوسّع فيه حتى صار يطلق على ما يُتوصّل به إلى الغرض.

وقرىء: حامية، يعني حارّة وحمئة، يعني فيها ماء وطين. وفي حديث

---

(١) انظر الطبري ١٦: ٧.

(٢) قرن الرأس: جانبه.

(٣) ق: ذو.

(٤) لم أجده، ونسبه في زاد المسير ٥: ١٨٥ إلى مجاهد وأوله: ملك الأرض أربعة.

(٥) ق: مؤمنان وكافران.

أبي ذرّ[١] «أنّ رسول الله ﷺ نظر إلى الشمس عند غروبها فقال: أتدري أين تغرب يا أبا ذرّ؟ فقلت: لا. فقال: إنها تغرب في عين حامية». وهذا الحديث وظاهر النصّ دليل على أن قوله «في عين» متعلق «بتغرب».

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ أي: [٣٥٠/ب] عند تلك العين. قال وهب: انطلق يؤمّ المغرب إلى أن انتهى إلى باسك[٢]، فوجد جمعاً لا يحصيهم إلا الله تعالى، فضرب حولهم ثلاثة عساكر حتى جمعهم في مكان واحد، ثم دخل عليهم في النّور[٣]، ودعاهم[٤] إلى عبادة الله تعالى، فمنهم من آمن ومنهم من صدّ عنه.

﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ بالقتل على الكفر.

﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي: بالحمل على الهدى والإيمان.

ولمّا خيّره تعالى بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام، اختار[٥] الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال: أمّا من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم وهو الكفر هنا بلا خلاف، فذلك هو المعذَّب في الدارين.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ وعمل[٦] ما يقتضيه الإيمان، فله جزاءً الحسنى. وأتى بحرف التنفيس في «فسوف نعذّبه» لما يتخلل بين إظهاره كفره وبين تعذيبه

---

(١) أخرجه مسلم ١: ١٣٨ بألفاظ أخر.

(٢) في القرطبي ١١: ٥١: ناسك. ولم أجده في معاجم البلدان.

(٣) إذ سُخّر له النور والظلمة يكونان جنداً من جنوده، انظر القرطبي ١١: ٥٠.

(٤) ق: ودعا.

(٥) ق: اختاروا.

(٦) ق: همل.

من دعائه إلى الإيمان وتأبّيه [عنه]. فهو لا يعاجلهم بالقتل على ظلمهم، بل يدعوهم ويذكرهم، فإن رجعوا، وإلاّ فالقتل.

وقوله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي: يوم القيامة. وأتى بنون العظمة في «نعذّبه» على عادة الملوك في قولهم: نحن فعلنا. وقوله «إلى ربّه» فيه إشعار بأنّ التخيير لذي القرنين ليس من الله تعالى، إذ لو كان كذلك [لكان التركيب]: ثم يردّ إليك فتعذّبه.

ولا يبعد أن يكون التخيير من الله تعالى ويكون قد أعلم ذو القرنين بذلك أتباعه، ثم فصّل مخاطباً لأتباعه لا لربّه تعالى. وما أحسن مجيء هذه الجمل! لمّا ذكر ما يستحقّه من ظلم بدأ بما هو أقرب لهم ومحسوس عندهم وهو قوله «فسوف نعذّبه» ثم أخبر بما يلحقه آخراً يوم القيامة، وهو تعذيب الله تعالى إياه العذاب النكر، ولأنّ الترتيب الواقع هو كذا.

ولمّا ذكر ما يستحقّه من آمن وعمل صالحاً ذكر جزاء الله تعالى في الآخرة وهو «الحسنى» أي: الجنّة، لأن طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حمله على أن آمن لأجل جزائه في الآخرة، وهو عظيم بالنسبة إلى الإحسان في الدنيا، ثم أتبع ذلك بإحسانه له في الدنيا بقوله «وسنقول له من أمرنا يسرا» أي: لا نقول له ما يتكلّفه مما هو شاقّ عليه، أي: قولاً ذا يسرٍ وسهولة كما قال ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾ [الإسراء]. ولمّا ذكر ما أعدّ الله له من الحسنى جزاءً، لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل بل اقتصر على القول أدباً مع الله تعالى، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه قولاً وفعلاً.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقاً إلى مقصده الذي يُسّر له.

والقوم هنا الزّنج. والسّتر هنا: البنيان، وقيل غير ذلك. والمعنى أنهم لا

شيء لهم يسترهم من حرّ الشمس. وقال مجاهد: السّودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض. وقال بعض الرُّجّاز[١]:

بالزّنج حرٌّ غيّر الأجسادا[٢] حتى كسا جلودها السّوادا

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ [إِذَا] بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ الآية، قال وهب: السّدّان: جبلان منيفان في السّماء ورائهما وأمامهما البلدان وهما بمنقطع أرض بلاد التّرك ممّا يلي بلاد أرمينيا وأذربيجان، وهما ليّنان أملسان يلزق عليهما كل شيء. وسمّي الجبلان سدّين لأنّ كل واحد منهما قد سدّ فجاج الأرض وكانت بينهما فجوة يدخل منها يأجوج ومأجوج[٣].

والضمير في «قالوا» عائد على هؤلاء القوم، شَكَوا ما يَلْقَوْن من يأجوج ومأجوج، إذ رَجَوْا عنده ما ينفعهم، لكونه بتلك [٣٥١/أ] الأرض، ودوّخ الملوك، وبلغ إليهم وهم لم يبلغ أرضهم ملك قبله.

و«يأجوج ومأجوج» قبيلتان من بني آدم، وقيل هما من ولد يافث بن نوح، وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الجبل والديلم. وقال السّدي والضحّاك: التّرك شرذمة منهم، خرجت تُغير، فجاء ذو القرنين، فضرب السدّ عليهم، فبقيت في هذا الجانب. وقال قتادة والسدّي: بُني السدّ على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السدّ، فهم التّرك. وقد اختُلف في عددهم وصفاتهم ولم يصحّ في ذلك شيء من هذا.

وهما ممنوعان من الصرف، فمن زعم أنهما أعجميان فللعلميّة والعجمة،

---

(١) لم أجده.

(٢) ق: السّوادا.

(٣) ق: وما جوع.

ومن زعم أنهما عربيّان، فللتّأنيث والعلمية، لأنهما اسما قبيلة. وقرىء: يأجوج ومأجوج بهمزة وبغير همزة.

﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لم يعيّن جهة الفساد وفيها أقوال ذكرت في البحر[١].

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [هذا] استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على ما طلبوا، على جهة حسن الأدب [إذ] سألوه ذلك، كقول موسى عليه السلام للخضر ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف].

وقرىء: خراجاً وخرجاً. والخراج والخرج بمعنى واحد كالنوال والنّول[٢]، والمعنى: جُعْلاً نخرجه من أموالنا. وكلّ ما يُستخرج من ضريبة وجزية وغلّة فهو خراج وخَرْج.

وقرىء بفتح السين في «السدين» و«سدا» وبضمّها[٣].

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ أي: ما بسط الله لي من القدرة والملك خير من خَرْجكم.

﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ بما أتقوّى به من فعله، وصنّاع يحسنون العمل والبناء، وبالآلات. وقرىء: مكّني ومكّنني، بالإدغام وبإظهار النونين. و«ما» مبتدأ موصول بمعنى الذي وما بعده صلته، والعائد الضمير الذي في «فيه»، و«خير» خبر. و﴿رَدْمًا﴾ حاجزاً حصيناً مُوْثقاً.

---

(١) انظر ٦ : ١٦٤.

(٢) ق: كالمنوال والنّوال.

(٣) ق: وبضمّهما.

وقرىء: ائتوني[١] وآتوني، من أتى وآتى والمعنى: أحضروا زبر الحديد. وثَمَّ محذوف تقديره: فأتوه بما طلب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ قرىء بضم الصاد والدّال وبفتحهما، وبضمّ الصاد وإسكان الدّال. والصّدفان: جانبا الجبل إذا تحاذيا لتصادفهما: لتلاقيهما. وحُكي في الكيفية أن ذا القرنين قاس ما بين الصّدفين وحفر الأساس حتى بلغ[٢] الماء ثم جعل حشوه[٣] الصخر وطينه النحاس يذاب ثم يُصبّ عليه. والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سدّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافخ[٤] حتى إذا صار كالنّار صبّ النّحاس المذاب على الحديد المحمّى، فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً. وقيل: طول ما بين السدّين مئة فرسخ وعرضه خمسون فرسخاً. وفي الحديث[٥] «أن رجلاً أخبر رسول الله ﷺ أنه رأى السدّ، فقال: كيف رأيته؟ قال: كالبُرْد المحبّر طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد رأيته».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ في الكلام حذفٌ تقديره: فنفخوا حتى جعلوه ناراً. والفاعل «بجعل» هو الضمير المفهوم من قوله: «انفخوا» التقدير: هو، أي: النفخ ناراً.

﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾ فيه القراءتان اللتان في «آتوني» المتقدمة، أي: جيئوني.

---

(١) ق: قال ائتوني.

(٢) ق: إذا بلغ.

(٣) ق: حسره.

(٤) ق: المنافع.

(٥) رواه ابن جرير ١٦: ٢٠ من حديث قتادة. وقال ابن كثير ٤: ٤٢٥: هذا حديث مرسل.

﴿قِطْرًا﴾ منصوب «بأفرغ» على إعمال الثاني، إذ ينازعه «آتوني» و«أُفْرغ». وحذف الضمير من الأول ولو كان أعمل الأول لكان التركيب: آتوني أفرغه عليه قطراً، فكنت تضمر في الثاني على الفصيح. والقطْر: النّحاس.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ تحذف التاء تخفيفاً لقربها [٣٥١/ب] من الطاء. وقرأ حمزة وطلحة بإدغامها في الطاء، وهو إدغام على غير حدّه، إذ لا يصحّ الإدغام إلا أن يكون قبل الإدغام متحرك أو حرف مدٍّ ولين.

﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أن يعلوا[1] عليه. وفي الكلام حذف تقديره: فلمّا. أكمل بناء السدّ، واستوى، واستحكم، قال: هذا رحمة من ربي.

ودكًّا: منونةً مصدر دكَكْتُه. والظاهر أن «جعله» بمعنى صيّره، فدكًّا: مفعول ثان.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون بمعنى خلق، وينصب دكًّا على الحال انتهى.

وهذا بعيد جدًّا، لأن السدّ إذ ذاك موجود مخلوق، ولا يخلق المخلوق، لكنه ينتقل من بعض هيئته إلى هيئة أخرى.

﴿۞وَتَرَكْنَا﴾ هذا الضمير لله تعالى. والأظهر أن الضمير في «بعضهم» يعود على الخلق. [«يومئذ»]: أي يوم إذ[2] وعد الله وهو يوم القيامة، ويقويه قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾، ويظهر أن ذلك هو يوم القيامة، وكذلك[3] ما جاء

---

(١) ق: يعلق.

(٢) ق: إذا.

(٣) ق: ولذلك. أي: ويقوّيه كذلك.

بعده من الجمع وعرض جهنم. وتقدم الكلام على النّفخ في الصّور في سورة الأنعام[١]. و«جمعاً» مصدر مؤكد.

﴿وَعَرَضْنَا﴾ أي: أبرزنا جهنم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ[٢].

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ﴾ صفة ذمّ، استعار الغطاء لأعينهم، والمراد أنهم لا يبصرون آياتي التي يُنظر إليها فيُعتبر بها.

﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ مبالغة في انتفاء السّمع إذا نُفيت الاستطاعة وهم وإن كانوا يسمعون، جُعلوا كمن نُفيت قدرته على السمع لمّا لم ينتفعوا بسمعهم.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ الآية، هم مَن عَبَد[٣] الملائكة وعزيراً وعيسى، واتخذوهم أولياء من دون الله تعالى، وهم بعض العرب واليهود والنصارى. وهو استفهام فيه معنى الإنكار والتوبيخ. والمعنى أنهم ليس لهم من ولاية هؤلاء الذين تولّوهم شيء، ولا يجدون عندهم منتفعاً. وحسب يتعدى لمفعولين سدّت[٤] أنْ مع معمولها مسدّهما.

وقرأ علي بن أبي طالب كرّم الله وجههُ وجماعة: أفحسْبُ، بإسكان السين وضمّ الباء مضافاً إلى «الذين» أي أَفَكَا فيهم[٥] ومحسبهم ومنتهى غرضهم، والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله تعالى، فارتفع «حسبُ» على الابتداء والخبر «أن يتخذوا».

---

(١) لم يأت على شرحها في آية الأنعام ٧٣.

(٢) ق: إذا.

(٣) ق: من الملائكة وعزير.

(٤) ق: سدّ.

(٥) ق: أفأكا فيهم.

وقال الزمخشري[١]: أو على الفعل والفاعل، لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك: أقائم الزّيدان، وهي قراءة محكمة جيدة انتهى.

والذي يظهر أن هذا الإعراب لا يجوز، لأن حَسْباً ليس باسم فاعل فيعمل. ولا يلزم من تفسير شيء بشيء أن يجري عليه جميع أحكامه.

وقد ذكر سيبويه[٢] أشياء من الصفات التي تجري مجرى الأسماء، وأن الوجه فيها الرّفع، ثم قال: وذلك: مررت برجلٍ خيرٌ منه أبوه، ومررتُ برجلٍ سواءٌ عليه الخيرُ والشرُّ، ومررتُ برجلٍ أبٌ[٣] لك صاحبُه، ومررتُ برجلٍ حَسْبُك من رجلٍ هو، ومررت برجلٍ أيُّما رجلٍ هو انتهى.

ولا يبعد أن يرفع به الظاهر؛ فقد أجازوا في: مررت برجلٍ أبي عشرة أبوه، ارتفاع أبوه بأبي عشرة، لأنه في المعنى: والد عشرة.

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾ أي: أعددنا ويسّرنا. والنُّزُل: موضع النزول، والنّزل أيضاً: ما يقدّم للضيف ويُهيَّأ له وللقادم من الطعام. والنّزل هنا يحتمل التفسيرين.

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ

---

(١) الكشاف ٢: ٥٠٠.

(٢) الكتاب ٢: ٢٦.

(٣) أبله، محرّفة عن: أب له.

﴿كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ أي: قل يا محمد للكافرين «هل ننبئكم» الآية، فإذا طلبوا ذلك فقل لهم ﴿[أُو۟لَٰٓئِكَ] ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۝١٠٥﴾ [الكهف]. و«الأخسرين أعمالاً» كلّ من دان بدين غير دين الإسلام أو راءى بعمله أو أقام على بدعة. والأخسر: من أتعب نفسه، فأدى تعبه به إلى النار. وانتصب «أعمالاً» على التمييز [٣٥٢/أ] وجُمع لأنّ أعمالهم في الضّلال مختلفة، وليسوا مشتركين في عمل واحد.

و«الذين» يصحّ رفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هم الذين، وكأنه جواب عن سؤال، ويجوز نصبه على الذّم[1] وجرّه على الوصف أو على البدل.

﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ أي: هلك وبطل وذهب.

و﴿يَحْسَبُونَ﴾ و﴿يُحْسِنُونَ﴾ من تجنيس التصحيف، وهو أن يكوّن النقط [والشكل] فرقاً بين الكلمتين، ومنه قول أبي عبادة البحتري[2]: [من الطويل]

ولم يكن المغترُّ بالله إذ[3] سرى ... ليُعجِزَ والمعتزُّ بالله طالبُهْ

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر. و﴿جَهَنَّمُ﴾ بدل. و«ذلك» إشارة إلى ترك إقامة الوزن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى ما أعدّ للكافرين، ذكر

---

(١) ق: الزم.

(٢) ق: أبي حبارة. ديوان البحتري ١: ٢١٥.

(٣) ق: إن.

ما أعدّ للمؤمنين. وفي الصحيح[1] «جنّات الفردوس أربع: ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضّة حليتهما وآنيتهما وما فيهما». وفي حديث عبادة[2] «الفردوس أعلاها» يعني أعلى الجنّة. ويقال: كَرْم مفردس أي: معرّش، ولذلك سميت الروضة. التي دون اليمامة فردوساً لاجتماع نخلها وتعريشها على أرضها.

و﴿ نُزُلًا ﴾ يحتمل من التأويل ما يحتمل قوله ﴿ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الكهف] المتقدم.

ومعنى ﴿ حِوَلًا ﴾ تحوّلاً إلى غيرها. قال ابن عيسى: هو مصدر كالعِوَج والصِّغَر.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ [ٱلْبَحْرُ] مِدَادًا ﴾ أي: ماء البحر مداداً، وهو ما يمدّ به الدّواة من الحبر، وما يمدّ به السّراج من السليط[3]. ويقال: السماء مداد الأرض.

﴿ لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى ﴾ أي: مُمِدًّا لكتب كلمات ربي، وهو علمه وحكمته، وكتب بذلك المداد.

﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ ﴾ أي: فني ماؤه الذي هو المداد قبل أن تنفد الكلمات، لأنّ كلماته تعالى لا يمكن نفادها لأنها لا تتناهى، والبحر ينفد لأنه متناهٍ[4] ضرورة. وجواب «لو» الأولى «لنفد»، وجواب الثانية محذوف تقديره: لم تنفد الكلمات.

---

(١) أخرجه مسلم ١: ١٦٣ من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه.

(٢) انظر التاج ٥: ٤٠٤.

(٣) السليط: الزيت عند عامة العرب، وعند أهل اليمن دهن السّمسم.

(٤) ق: منتهاه.

وفي قوله ﴿وَلَوْ جِئْنَا﴾ التفات من ضمير الغائب إلى[1] ضمير المتكلّم. والضمير في ﴿بِمِثْلِهِۦ﴾ [عائد] على «البحر». و﴿مَدَدًا﴾ تمييز لجواز دخول مِن عليه، كما قال الشاعر[2]: [من الطويل]

[فإن خفت يوماً أن يلجّ بك الهوى] فـإن الهـوى يكفيكـه مثلُـه صبـرا

والمدد هو الممدود به، فَعَل بمعنى مفعول كالقَنَص بمعنى المقنوص.

وفي قوله ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ إعلام بالبشرية والمماثلة في ذلك، لا أدّعي أني مَلَك.

﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: علمي إنما هو مستند إلى وحي ربي.

ونبّه على الوحدانيّة لأنهم كانوا كفّاراً بعبادة الأصنام، ثم حضّ على ما فيه النجاة.

و﴿يَرۡجُواْ﴾ بمعنى يطمع. و﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ على تقدير محذوف أي: حُسْن لقاء ربّه. ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ﴾ نهى عن الإشراك بعبادة الله تعالى.

وقال ابن جبير: لا يرائي في عمله، فلا يبتغي إلا وجه ربّه خالصاً لا يخلط به غيره. قيل: نزلت[3] في جندب بن زهير، قال لرسول الله ﷺ: «إني أعمل العمل لله تعالى فإذا اطّلع عليه سرّني. فقال: إنّ الله لا يقبل ما شورك فيه».

وقرىء: يشرك بالياء والتاء خطاباً للسامع والتفاتاً من ضمير الغائب إلى

---

(١) ق: من.

(٢) أنشده ابن الأعرابي في اللسان «ظنب».

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٠٢.

ضمير المخاطَب، وهو المأمور بالعمل الصالح. ثم عاد إلى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله «ربّه» ولم يأت التركيب: بربّك، إيذاناً بأن الضميرين لمدلول واحد، وهو من قوله ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ .

فهرس المجلد الثالث

اسم السورة	الرقم
الأنفال	٥
براءة	٥٣
يونس	١٤٥
هود	٢٠٩
يوسف	٢٧١
الرعد	٣٥٥
إبراهيم	٣٩٧
الحجر	٤٣١
النحل	٤٦٣
الإسراء	٥٣٧
الكهف	٦٠٩

النَّهَرُ المَادُّ

مِنَ البَحْرِ المُحِيط

تصنيف

الإمام أبي حيّان الأندلسي

٦٥٤-٧٤٥هـ

تحقيق

الدكتور عمر الأسعد

المجلّد الرابع

مريم - الصافّات

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

[٣٥٢/ ب] سورة مريم[١]

عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝١١ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ۝١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ۝١٥ ﴾.

﴿ كٓهيعٓصٓ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾. هذه السورة مكية كالتي

(١) مكية وهي ثمان وتسعون آية.

قبلها. وقال مقاتل: إلاّ آية[1] السجدة فهي مدنية. ونزلت بها بعد مهاجرة المؤمنين إلى الحبشة. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى ضمّن السّورة التي قبلها قصصاً عجباً، كقصة أهل الكهف، وقصة الرجلين، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين. وهذه السورة تضّمنت قصصاً عجباً من ولادة يحيى بين شيخٍ فانٍ وعجوز عاقر، وولادة عيسى من غير أب. فلما اجتمعا في هذا الشيء المُغْرِب، ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك. وتقدّم الكلام في أول البقرة على الحروف المقطّعة التي في فواتح السّور بما يوقف عليه هناك[2] و﴿ ذِكْرُ﴾ خبر مبتدأ أي هذا المتلوّ من القرآن ذِكْرُ.

وقرىء: ذَكَرَ، فعلاً ماضياً، ورحمةَ، بالنصب. وقرىء: ذَكِّر، فعل أمر من التذكير[3]، رحمةَ، بالنصب، و«عَبْدَه» نصب بالرحمة[4]، أي ذكِّرْ أنّ رحمة ربك عبده. وذكر في السبعة كما تقدم.

و«رحمة» مصدر لا يراد بها أنها واحدة من الرحمات، لأنه إذ ذاك لا ينصب المفعول، لا يجوز أن تقول: أعجبني ضربة زيدٍ عَمْراً، لأنه إذ ذاك محدود بالوحدة فلا يعمل. و«زكريا» بدل أو عطف بيان.

«إذ» ظرفٌ العامل فيه «ذِكْرُ» أو «رحمة». ووصف النّداء بالخفيّ، لئلا يخالطه رياء ، وقيل غير ذلك.

---

(١) ق: الآية. وآية السجدة الآية ٥٨ من السّورة.

(٢) انظر تفسير الآية الأولى من البقرة.

(٣) ق: التكذيب.

(٤) ق: بالرحم.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ هذه كيفية دعائه وتفسير ندائه، ومعناه ضَعُف. وأسند الوهن إلى العظم لأنه عمود البدن، وبه قوامه وأصل بنائه، فإذا وهن، تداعى، وتساقطت قوته. وقرىء: وهن، بفتح الهاء وكسرها.

﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ شبّه الشيب بشواظ النار في بياضه، وانتشاره في الشعر، وفشوّه فيه، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب مميّزاً. ولم يُضِفِ الرأس اكتفاءً بعلم المخاطَب أنه رأسه، وإلى هذا نظر ابن دريد فقال[1]: [من الرجز]

واشتعـل المُبْيَـضُّ فـي مُسْـوَدِّه   مثلَ اشتعال النار في جَزْل الغضى

﴿ وَلَمْ أَكُنْ ﴾ يعني فيما مضى، أي: ما كنت بدعائك ربّ شقياً، بل كنت سعيداً موفقاً، إذ كنتَ تجيب دعائي، فأسعد بذلك. فعلى هذا «الكاف» مفعول. وقيل: المعنى: بدعائك لي إلى الإيمان شقياً، بل كنت ممّن أطاعك وعَبَدك مخلصاً. فالكاف على هذا فاعل، والأظهر الأول. وروي أن حاتم الطائي أتاه طالب حاجة فقال: أنا الذي أحسنتَ إليه وقت كذا. فقال حاتم: مرحباً بالذي توسّل بنا إلينا، وقضى حاجته.

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى ﴾ «الموالي» بنو العمّ والقرابة الذي يلون بالنسب، وقال الشاعر[2]: [من البسيط]

مهـلاً بنـي عمّنـا مهـلاً مـوالينـا   لا تنبشـوا بيننـا مـا كـان مـدفونـا

والأظهر اللائق بزكريا عليه السلام من حيث إنّه معصوم، أنه لا يطلب

(١) البيت من شواهد المغني ٢: ٤٣٣، وانظر شرح أبيات مغني اللبيب ٦: ٣١٦.
(٢) البيت في اللسان «ولي» منسوب للّهبي يخاطب بني أمية.

الولد لأجل ما يخلفه [٣٥٣/أ] من حطام الدنيا، وكذلك قول من قال إنما خاف أن تنقطع النبوّة من ولده، وترجع إلى عَصَبته[1]، لأنّ ذلك إنما [هو لله] يضعها الله حيث يشاء، ولا يعترض على الله تعالى فيمن شاءه واصطفاه من عباده.

وقرىء: يرثْني ويرثْ، بجزمهما جواباً للأمر وهو «هَبْ». وبرفعهما على الصفة لقوله «وليًا». والظاهر أن الإرث يكون في العلم والدين. والظاهر أن يعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

و﴿ رَضِيًّا﴾ بمعنى مرضيّ.

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ﴾ قيل له بأثر الدعاء. والمنادي والمبشِّر زكريا همُ الملائكة، بوحيٍ من الله تعالى، قال تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران]. والغلام: الولد الذكر، وقد يقال على الأنثى غلامة. والظاهر أن يحيى ليس عربيًا لأنه لم تكن عادتهم أن يسمّوا بألفاظ العربية فيكون مَنْعه[2] الصرف للعلمية والعجمة.

﴿ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: من قبلِ ولادته من تسمّى[3] باسمه، بل هو منفرد بتسمية يحيى.

و﴿ أَنَّىٰ﴾ بمعنى كيف، وتقدّم الكلام عليها في قوله ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران]. والعِتيّ: المبالغة في الكبر ويبس العود. يقال: عتا العود وعسا: يبس وجسا.

---

(١) عَصَبة الرجل: قرابته لأبيه.

(٢) ق: منه.

(٣) ق: يسمّى.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك تصديق له، ثم ابتدأ: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ فالكاف[1] رفعٌ أو نصبٌ «بقال»، و«ذلك» إشارة إلى مبهم يفسّره قوله ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾. و«هو» ضمير معناه: إيجاده عليّ هيّن.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل ولادة يحيى، يشير إلى عظيم قدرته.

﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ أي: في حيّز العدم، والمعدوم لا يسمّى شيئاً.

﴿قَالَ﴾ أي: زكريا. ﴿رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ أي علامة أعلم بها وقوع ما بُشّرت به. وطلب ذلك ليزداد يقينه، كما قال إبراهيم ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة] لا لتوقُّفٍ منه في صدق ما وُعد به، ولا لتوهُّم أنّ ذلك من عند غير الله تعالى، لعصمته الأنبياء عن مثل ذلك.

﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ روى ابن زيد أنه لمّا حملت زوجته، أصبح لا يستطيع أن يكلّم أحداً ومع ذلك يقرأ التوراة، ويذكر الله تعالى، فإذا أراد مقاولة أحد، لم يُطِقْه.

و﴿سَوِيًّا﴾ حال من ضمير ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ﴾ أي: في حال صحتك، ليس بك خرس ولا علّة. وعن ابن عباس: «سويا» عائد على الليالي أي: كاملات [مستويات] فتكون صفة «لثلاث». وذكر الليالي[2] هنا والأيام في آل عمران[3] على أن المنع من الكلام استمرّ له ثلاثة أيّام بلياليهن.

وقرىء: ألاّ تُكلّمُ، برفع الميم، جعلها أنْ المخفّفة من الثقيلة، التقدير:

---

(١) يعني كاف: كذا.

(٢) ق: أي الليالي.

(٣) في قوله تعالى ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران].

أنه لا تُكلِّم. وقرىء بالنصب على أنها الناصبة للمضارع.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ وهو بتلك الصفة من كونه لا يستطيع أن يكلّم الناس. ومحرابه: موضع صلاته. و«المحراب» تقدّم الكلام عليه في آل عمران[1].

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ [أي: أشار إليهم] ويشهد له قوله ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران].

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ في الكلام حذف والتقدير فلما ولد يحيى وكبر وبلغ السنّ الذي يُؤمَر فيه، قال الله تعالى له على لسان مَلَك «يا يحيى خذ الكتاب». ويدل عليه قوله تعالى بعدُ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

و«الكتاب» التوراة، قال ابن عطية: هو التوراة بلا خلاف، لأنه ولد قبل عيسى، ولم يكن الإنجيل موجوداً انتهى.

ليس كما قال بل قيل إنه[2] كتاب خُصَّ به، كما خُصّ كثير من الأنبياء عليهم السلام بمثل ذلك. وقيل: «الكتاب» هنا اسم جنس، أي: اتْلُ كتاب الله. وقيل: «الكتاب» صحف إبراهيم.

و«الحكم» النبوّة.

و﴿صَبِيًّا﴾ أي: شابًا لم يبلغ سنّ الكهولة. [٣٥٣/ب] وعن ابن عباس في حديث مرفوع[3]: ابن سبع سنين.

﴿وَحَنَانًا﴾ معطوف على «الحكم». والحنان: الرحمة. قال ابن عباس:

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٧ من آل عمران.

(٢) ق: له.

(٣) رواه السيوطي في الدرّ المنثور ٤: ٢٦٠ من حديث ابن عباس.

قال أبو عبيد[1]: [من المتقارب]

تَحنَّنْ عليَّ هداك المليكُ   فإنَّ لكلِّ مقامٍ مقالا

قال: وأكثر ما يستعمل مثنى كما قال الشاعر[2]: [من الطويل]

أبا منذرٍ أفنيت فاستبقِ بعضنا   حنانيك بعضُ الشّر أهون من بعضِ

﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي: طهارة.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ قال قتادة: لم يَهُمَّ قطّ بكبيرة ولا صغيرة ولا همّ بامرأة.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: كثير البرّ والإكرام والتبجيل.

﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ أي: متكبراً.

﴿عَصِيًّا﴾ أي: عاصياً كثير العصيان.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ أي: أمانٌ عليه. والأظهر أنها التحية المتعارفة، وإنما الشرف في أن سلّم الله تعالى عليه، وحيّاه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلّة الحيلة والفقر إلى الله تعالى.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ

(١) البيت في المقتضب ٣: ٢٢٤ غير منسوب، وهو في اللسان: حنن، منسوب إلى الحطيئة، ولم أجده في ديوانه.

(٢) البيت لطرفة في ديوانه ص١٧٢.

كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ الآية، لمّا تقدّم قصّة زكريا مع ما فيها من الغرابة، أعقب بما هو أغرب منها، وهو وجود ولد من غير ذَكَر. و«إذ» ظرف لما مضى لا يعمل فيه «اذكر» لأنه مستقبل، بل التقدير: اذكر ما جرى لمريم وقت كذا.

﴿ٱنتَبَذَتْ﴾ افتعل من نبذ[1]، ومعناه ارتمت وتنحّت وانفردت. وانتصب ﴿مَكَانًا﴾ على الظرف أي: في مكان. ووصف بشرقيّ لأنه[2] كان مما يلي بيت المقدس.

﴿حِجَابًا﴾ أي: حائطاً أو شيئاً[3] يسترها. والظاهر أن الروح هو جبريل عليه السلام. وانتصب «بشراً» على أنه حال، ووصفه بقوله «سويا» أي: كامل الصورة حسن الأعضاء وضيء الوجه. وإنما مُثّل لها في صورة الإنسان، لتستأنس بكلامه، ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في صورة الملائكة، لنفرت، ولم تقدر على استماع كلامه. ودلّ على عفافها وورعها أنّها تعوّذت

(١) ق: من نبذ افتعل.

(٢) ق: أنه.

(٣) ق: أي لشيء.

بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن. وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاءً لها وسَبْراً لعفّتها.

وجواب «إنْ» في قوله ﴿إِن كُنتَ﴾ محذوف تقديره: إن كنت تقيًّا فاذهب عني.

﴿قَالَ﴾ أي: جبريل عليه السلام.

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الناظر في مصلحتك والمالك لأمرك، وهو الذي استعاذت به. وقوله لها ذلك تطمين لها، وأني لست ممن تُظَنّ به ريبة، أرسلني إليك، ليهب لك غلاماً.

وقرىء: ليهب، بالياء وفيه ضمير يعود على الله تعالى. وقرىء بالهمز، أسند الهبة إلى نفسه على سبيل المجاز، إذ الواهب هو الله تعالى. وتعجّبت مريم، وعلمت بما أُلقي في روعها أنه من عند الله تعالى.

وتقدّم الكلام على سؤالها عن الكيفية في آل عمران[١] في قصتها.

وفي قولها ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ تخصيص بعد تعميم، لأن مسيس البشر يكون بسفاح أو نكاح. والبغيّ: المجاهرة[٢] المشتهرة في الزّنى، ووزنه فعول اجتمعت واو وياء، وأدغمت في الياء، وكسر ما قبل الياء، لتصحّ الياء.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ﴾ الكلام عليه كالكلام السابق في قصة زكريا[٣].

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على تعليل محذوف تقديره لنبيّن

---

(١) انظر تفسير الآية ٤٧ من آل عمران.

(٢) ق: المهاجرة.

(٣) انظر تفسير الآية ٩ من هذه السورة.

به قدرتنا ولنجعله، أو محذوف متأخر [٣٥٤/أ] أي: فعلنا ذلك. والضمير في «ولنجعله» عائد على الغلام، وكذلك في قوله «وكان» [أي]: وجوده أمراً مفروغاً منه. وكونه رحمة من الله أي طريق هدى لعالم كثير، فينالون الرحمة بذلك.

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ﴾ أي: في بطنها. وذكروا أقوالاً كثيرة مضطربة في مدة الحمل[١].

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: مكاناً بعيداً.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ أي: ساقها المخاض وهو الطلق بالألم الذي يلحقها لانزعاج الولد في بطنها للخروج. «فأجاءها» أي: جاء بها، تعدّى: [جاء، تارة] بالباء وتارة بالهمزة.

قال الزمخشري[٢]: إلا أنّ استعماله قد تغيّر بعد النقل إلى معنى الإيجاء[٣]، ألا تراك لا تقول: جئت المكان وأجاءنيه كما تقول: بلغته وأبلغنيه[٤]، ونظيره: آتى، حيث لم تستعمل في الإعطاء، ولم تقل: أتيت المكان وآتانيه فلان انتهى.

أما قوله وقول غيره: إنّ الاستعمال غيّره إلى معنى الإيجاء، فيحتاج إلى نقل الأئمة المستقرئين لذلك عن لسان العرب. والإجاءة تدلّ على المطلق، فتصلح لما هو بمعنى الإيجاء ولما هو بمعنى الاختيار، كما لو قلت: أقمت

---

(١) انظر البحر ٦: ١٨١.

(٢) الكشاف ٢: ٥٠٦.

(٣) في الكشاف: الإلجاء.

(٤) ق: تلقيته وأتلقيته.

زيداً، فإنه قد يكون مختاراً لذلك، وقد تكون قد قسرته على القيام. وأما قوله: ألا تراك لا تقول إلى آخره، فمن رأى أن التعدية بالهمزة قياس، أجاز ذلك، ولو لم يُسمع، ومن لا يراه قياساً، فقد سمع ذلك في جاء، حيث قالوا: أجاء، فيجيز ذلك. وأما تنظيره ذلك بآتى، فهو تنظير غير صحيح، لأنه بناه على أن الهمزة فيه للتعدية، وأن أصله: أأتى[1]. وليس كذلك، بل آتى[2] مما بني على أفعل[3]، وليس منقولاً من أتى بمعنى جاء؛ إذ لو كان منقولاً من أتى المتعدّية لواحد، لكان ذلك الواحد هو المفعول الثاني [والفاعل هو الأول، إذا عدّيت بالهمزة، تقول: آتى المال زيداً، وآتى زيد عمراً المال، فيختلف التركيب بالتعدية، لأن زيداً، عند النحويين، هو المفعول الأول، والمال هو المفعول الثاني]. وعلى ما ذكره الزمخشري كان يكون العكس، فدلّ ذلك على أنه ليس على ما قاله.

وأيضاً فآتى مرادف لأعطى، فهو مخالف من حيث الدلالة في المعنى. وقوله: ولم تقل: أتيت المكان وآتانيه. هذا غير مسلّم، بل يقال: أتيت المكان، كما تقول: جئت المكان. وقال الشاعر[4]: [من الوافر]

أَتَـوا نـاري فقلـتُ مَنُـون أنتـم فقالوا الجنّ قلتُ عِمُوا صباحَا

ومن رأى النّقل بالهمزة قياساً قال: آتانيه.

---

(١) ق: أتى.

(٢) ق: بلا أتى.

(٣) ق: على أن الهمزة أفعل.

(٤) البيت من شواهد الكتاب ٢ : ٤١١، ونسبه محققه إلى سمير بن الحارث، وقافيته: ظلاما. وهو في الخزانة ٦ : ١٧٧ منسوب لجذع بن سنان، وقافيته كما هنا.

والمستفيض المشهور أن ميلاد عيسى عليه السلام كان بيت لحم، وأنها لمّا هربت، وخافت عليه، أسرعت به، وجاءت إلى البيت المقدس، فوضعته على صخرة، فانخفضت له، وصارت كالمهد، وهي الآن تُزار بحرم بيت المقدس. ثم بعد أيام توجّهت به إلى بحر الأردن فعمّدته فيه، وهو الذي يتخذه النصارى ويسمونه يوم الغطاس، وهم يظنون أن المياه في ذلك اليوم تقدّست فلذلك يغطسون في ذلك اليوم في كل ماء.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [استندت إلى الجذع] ولم يكن وراءها امرأة تشدّها كعادة النساء عند الوضع. ذكروا في هذا الجذع أقوالاً مضطربة، والظاهر أنها نخلة، عادتها أن تثمر وترطب، فلما اشتد بها الأمر هناك، واحتضنت الجذع لشدة الوضع، وولدت عيسى عليه السلام، قالت عند ولادتها [لما رأته من الآلام والتغرّب وإنكار قومها وصعوبة الحال من غير ما وجه] ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾. وتمنّت مريم الموت من جهة الدّين، إذ خافت أن يَظنَّ بها البشر السّوء في دينها.

والنَّسْي: الشيء الحقير الذي من شأنه أن يُنسى، فلا يُتألَّم[1] لفقده كالوتد والحبل للمسافر وخرقة [٣٥٤/ب] الطمث. ونَسْي: فَعْل بمعنى مفعول كطَحْن بمعنى مطحون ورَعْي بمعنى مرعيّ. وأكّد ذلك بقوله «منسيا» لاختلاف صورتي التركيب.

والظاهر أن المنادي هو عيسى عليه السلام، أي: فولدته فأنطقه الله تعالى. و«فناداها» أي: حالة [الوضع]. وقيل: جبريل عليه السلام، وكان في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها. قيل: وكان

(١) ق: تتألّم.

يقْبَلُ[1] الولد كالقابلة.

وقرىء: مَنْ تحتها، فقيل عيسى، وقيل جبريل، فَمَنْ موصولة، فعلى هذا يكون المنادي [عيسى] عليه السلام. و«أنْ» حرف تفسير.

و﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ نهي[2].

﴿سَرِيًّا﴾ السريّ: الرجل العظيم من الرجال له شأن عظيم، والسريّ في اللغة الجدول.

وفي قوله ﴿رَبُّكِ﴾ تأنيس لها إذ هو مالكها والناظر في إصلاحها.

ثم أمرها بهزّ الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع. قال ابن عباس: كان الجذع نخراً يابساً، فلمّا هزّته إذا السّعف قد طلع، ثم نظرت إلى الطّلع يخرج من بين السعف، ثم اخضرّ فصار بلحاً، ثم احمرّ فصار زَهْواً[3] ثم رُطَباً، كل ذلك في طرفة عين. فجعل الرّطب يقع بين يديها لا يتسرّح منها شيء[4]. وإلى: حرف جر.

وفي قوله ﴿وَهُزِّيٓ﴾ ضمير الفاعل وهو الياء، وقد تعدّى الفعل إلى ضمير الجرّ ونظيره قوله تعالى ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص] وقوله تعالى ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب].

وفي النحو أن الفعل إذا رفع ضميراً متصلاً أو مستكنًّا، لا يتعدى إلى

---

(١) أي يتلقّاه عند الولادة.

(٢) ق: نهدي.

(٣) الزّهو: البُسْر الملون، وإذا ظهرت الحمرة والصفرة في النّخل فقد ظهر فيه الزّهو.

(٤) ق: شيئاً.

ضمير النصب ولا إلى ضمير الجر، فلا تقول: ضَرَبْتَك، ولا: ضربتُني، ولا: زيد ضَرَبَه، أي: ضَرَب نفسه. بل المعروف أنه يؤتى بدل الضمير المنصوب بالنفس فتقول: ضربتَ نفسك وضربتُ نفسي وزيد ضرب نفسه، إلا في باب ظن وفقد وعدم، فيجوز ذلك، فتقول: ظننتك قائماً وظننتني قائماً. وفي «وهزي إليك» جاء فصيحاً تعدّى ذلك إلى ضمير الجر. والباء زائدة في قوله «بجذع» لأن هزّ متعدٍّ بنفسه، تقول: هززت الغصن.

وقرىء: تَسَّاقَط، بتشديد السين، وأصله: تتساقط، فأدغمت التاء في السين. وقرىء: تَسَاقَط، بحذف التاء. وقرىء: تُسَاقِط، مضارع ساقط تُساقِط. فعلى هذه القراءة يكون «رطباً» مفعولاً به، وعلى القراءتين قبل ذلك يكون «رطباً» تمييزاً منقولاً[1] من الفاعل؛ إذ الأصل: تتساقَطُ أو تَسَاقَطُ رُطَبُه. وفي قوله «وهزّي» دليل على السبب لتحصيل الرزق.

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾ لمّا كانت العادة تقديم الأكل على الشرب تقدّم في الآية، ولمجاورة قوله «تساقط عليك رطباً جنياً». ولمّا كان المحزون قد يأكل ويشرب قال «وقري عينا» أي: لا تحزني. ثم ألقى إليها ما تقول إذ رأت أحداً ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ إنْ شرطية، وما زائدة. وأصل «ترين» تَرْأَيِينَنّ[2]؛ نقلت حركة الهمزة إلى الراء وحذفت الهمزة، وحذفت نون الرفع لدخول[3] الجازم الذي هو إنْ، ثم أدخلت النون الشديدة، فانحذفت ياء الضمير، فبقيت: تَرَيِنَّ، والياء المكسورة هي لام الفعل. «فقولي» جواب الشرط، والجملة بعده معمول «القولي» في موضع نصب.

---

(١) ق: متقول.

(٢) ق: تريينن.

(٣) ق: لدفع.

وفي قولها ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لطيفة وهو قولها «للرحمن» أي: للذي يرحمني أولاً وآخراً، وفي هذه الحال وغيرها. ولا تناقض، لأن المعنى ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [٣٥٥/أ] بعد قولي هذا.

وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليها المعنى، أي: فإمّا ترين من البشر أحداً وسألك أو حاورك الكلام فقولي.

و﴿صَوْمًا﴾ قال السدّي وابن زيد: كانت سنّة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا﴾ الآية، «تحمله» جملة حالية أي: حاملة له. والفَرِيّ: العظيم الشنيع.

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ الظاهر أنه أخوها الأقرب، وكانوا[1] يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم. نعوا عليها ما جاءت به، وأنّ أبويها كانا صالحين، فكيف صدر منك هذه الفعلة القبيحة. وفي هذا دليل على أن الفروع غالباً تكون زاكية، إذا زكت الأصول، ويُنكر عليها، إذا جاءت بضدّ ذلك.

---

(١) ق: وكان.

﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ لمّا اتهموها [بما اتّهموها] نَفَوا عن أبيها السوء، ونفوا عن أمّها البغاء، وهو الزّنى. روي أنها لما دخلت به على قومها، وهم أهل بيت صالحون، تباكوا، وقالوا ذلك. وقيل: هَمُّوا برجمها حتى تكلّم عيسى عليه السلام فتركوها.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ ألف «أشارت» منقلبة عن ياء. وقال يزيد بن حاتم المهلبي: هي منقلبة عن واو من الشّورى. ونازعه أبو عبد الرحمن بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان الرعيني قاضي أفريقية، وتحاكما إلى قتيبة الميّال - وكان يزيد قد جلبه من الكوفة إلى المغرب - فقال له ابن غانم: كيف تبني من الإشارة تفاعلنا؟ فقال: تشايرنا. فقال له يزيد: ما الدليل على هذا؟ قال: قول كثيّر[1]: [من الطويل]

قلت وفي الأحشاء قول مخامر ألا حبّذا يا عَزَّ ذاك التّشايرُ

وقوله تعالى «فأشارت إليه» أي: هو الذي يجيبكم، إذا ناطقتموه. وقيل: كان المستنطق لعيسى زكريا. ويروى أنهم لما أشارت إليه قالوا: استخفافها بنا أشدّ علينا من زناها. [ثم] قالوا على جهة الإنكار والتهكّم «كيف نكلم» أي: من كان في المهد يربّى لا يُكلّم. وإنما أشارت إليه لما تقدّم لها من وعده أنه يجيبهم عنها، ويغنيها عن الكلام، وقيل: بوحي من الله تعالى [إليها].

و«كان» قيل زائدة وقيل تامّة، وينتصب «صبياً» على الحال في هذين القولين.

(١) ديوانه ص٥٠٢. وفي البيت خرم.

والظاهر أنها ناقصة، فتكون بمعنى صار، أو تبقى على مدلولها من اقتران مضمون[١] الجملة بالزمان الماضي، ولا يدل ذلك على الانقطاع[٢]، كما لم يدلّ في قوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٠﴾ [النساء].

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أنطقه الله تعالى أولاً بقوله «إني عبد الله» ردًّا للوهم الذي ذهبت إليه النصارى. وفي قوله «عبدالله» والجمل التي بعده تنبيه على براءة أمّه [ممّا] اتّهمت به، لأنه تعالى لا يخصّ بولدٍ موصوف بالنبوّة والخصال الحميدة إلا مبرّأة مصطفاة.

و«الكتاب» الإنجيل أو التوراة أو مجموعهما.

﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أنه تعالى نبّأه حال طفوليّته أكمل الله تعالى عقله، واستنبأه طفلاً، وقيل إن ذلك سبق في قضائه وسابق حكمته.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ أي: نفّاعاً.

و﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ شرط وجوابه محذوف تقديره: جعلني مباركاً، وحذف لدلالة ما تقدّم عليه. و«ما» في «أينما» زائدة، وفي «ما دمت» مصدرية ظرفية أي: مدة دوام حياتي والظاهر حَمْل الصلاة والزكاة على ما شُرع في شريعتهم في البدن والمال.

والجبّار: المتعاظم. وكان عليه السلام في غاية التواضع يأكل الشجر، ويلبس الشَّعر، ويجلس على التّراب [٣٥٥/ب] [وينام] حيث جنّه الليل لا مسكن له. وكان يقول: سلوني فإني ليّن القلب صغير في نفسي.

---

(١) ق: مدلول.

(٢) يعني أنه كان وهو الآن على ما كان.

والألف واللام في «والسلام» للجنس.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ الآية، الإشارة «بذلك» إلى المولود الذي ولدته مريم المتّصف بتلك الأوصاف الجميلة. و«ذلك» مبتدأ و«عيسى» خبره، و«ابن مريم» صفة لعيسى أو خبر بعد خبر أو بدل. والمقصود ثبوت بنوّته من مريم خاصة من غير أب، فليس بابن الله تعالى كما تزعم النصارى، ولا لغير رِشْدَةٍ[1] كما تزعم اليهود. وانتصاب «قول» على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة؛ أي: هذا الإخبار عن عيسى ابن مريم ثابتٌ صدقٌ ليس منسوباً لغيرها أي: أنها ولدته من [غير مسّ] بشر، كما تقول: هذا عبدالله الحقَّ لا الباطل، أي: أقول الحق وأقول قول الحق، فيكون هنا «الحق» الصدق. وقرىء: قولُ، برفع اللام، وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هو، أي: نِسبَتُه إلى أمه خاصّة فقط قولُ الحق.

قال الزمخشري[2]: وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل انتهى.

هذا الذي ذكره لا يكون إلا على المجاز في «قول» وهو أن يراد به كلمة

---

(١) تقول: هو لرشدة، خلاف قولك: لزِنْيَة.

(٢) الكشاف ٢: ٥٠٩.

الله، لأن اللفظ لا يكون الذات.

وقرىء: يمترون، بياء الغيبة وبتاء الخطاب. وامترى: افتعل إمّا من المِرْية وهي الشّك، وإمّا من المراء وهو المجادلة والملاحاة، وكلاهما مقول هنا: قالت اليهود ساحر كذاب، وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وهو الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ «مِن» زائدة في سياق النفي، والنفي لم يتسلّط على «كان»، وإذا انتفى الكون انتفى متعلّقه وهو الاتّخاذ، فكأنّ حرف النفي باشر «يتخذ»، و«من ولد» في موضع المفعول. والنفي هنا دلّ على التنزيه ولذلك أعقب هذا النفي بقوله «سبحانه» أي: تنزّه عن الولد، إذ هو مما لا يتأتّى ولا يتصوّر في المعقول، ولا تتعلق به القدرة لاستحالته، إذ هو تعالى متى تعلقت إرادته بشيء أوجده، فهو منزّه عن التوالد. وقال بعض الشعراء[1]:

[من الطويل]

ألا ربَّ مولودٍ وليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يَلْدَهُ أبوانِ

عنى[2] بالأول عيسى عليه السلام وبالثاني آدم عليه السلام. وتقدم الكلام على الجملة من قوله ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة].

وقرىء: وإنّ، بكسر الهمزة. وقرىء بفتحها، التقدير ولأنّ[3] الله ربي وربكم فاعبدوه. والإشارة بقوله «هذا» أي: القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة هو الطريق المستقيم الذي يفضي بقائله ومعتقده إلى النجاة.

---

(١) البيت لعمرو الجنبي في الكتاب ٢: ٢٦٦، وهو في الخصائص ٢: ٣٣٣.

(٢) قبله في ق: أي لم يلده.

(٣) في المطبوع: وكان، وفيه وجه.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ هذا إخبار من الله تعالى لرسوله بتفرّق بني إسرائيل فرقاً.

ومعنى ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين، لم يقع الاختلاف بسببه من غيرهم[1].

و﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ قال الكلبي: اليهود والنصارى. وقال قتادة: إن بني إسرائيل جمعوا أربعة من أحبارهم فقال أحدهم: عيسى هو الله نزل إلى الأرض وأحيا من أحيا وأمات من أمات. فكذّبه الثلاثة وتبعه اليعقوبية. ثم قال أحد الثلاثة: عيسى ابن الله. فكذّبه الاثنان واتّبعه النّسطورية. وقال أحد الاثنين: عيسى[2] أحد ثلاثة: الله إله ومريم إله وعيسى إله. فكذّبه الرابع واتبعه الإسرائيلية. وقال الرابع: عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فاتّبعه فريق من بني إسرائيل. ثم اقتتل الأربعة فغُلب المؤمنون وقُتلوا وظهر اليعقوبية على الجميع. والأربعة يعقوب ونسطور وملكا وإسرائيل. و«مشهد» مفعل من الشهود وهو الحضور، أو من الشهادة، ويكون مصدراً ومكاناً وزماناً. فمن الشهود يجوز أن يكون المعنى [٣٥٦/أ] من شهودِ هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، وأن يكون [من] مكان الشهود فيه وهو الموقف، وأن يكون من وقت الشهود، ومن الشهادة. ويجوز أن يكون المعنى: من شهادة ذلك اليوم، وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر، وأن يكون من مكان الشهادة، وأن يكون من وقت الشهادة. واليوم العظيم على هذه الاحتمالات هو يوم القيامة.

---

(١) ق: سببه غيرهم.

(٢) عبارة ق مضطربة: عيسى عبد الله وكلمته ألقاها أحد ثلاثة. ونجم الاضطراب عن الخلط بين قول الثالث والرابع.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ صيغة تعجب. وحذف من الثاني [«بهم»] لدلالة الأول عليه وتقديره: ما أسمعهم وما أبصرهم. وتقدم الكلام في التعجب من الله تعالى في قوله ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة].

﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ هو يوم القيامة.

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ عموم يندرج فيه هؤلاء الأحزاب الكفار وغيرهم من الظالمين. و«اليوم» أي: في دار الدنيا.

و«يوم الحسرة» اسم جنس لأن بعده حسرات كثيرة في مواطن عدّة، منها يوم الموت، ومنها أخْذ الكتاب بالشمال وغير ذلك.

و﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: أمر يوم القيامة.

﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ جملة حالية والعامل فيها قوله ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ لعلهم ينتفعون بالإنذار ويفكّرون في يوم الحسرة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ تجوّز[1] وعبارة عن فناء المخلوقين وبقاء الخالق، فكأنها وراثة[2].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ

(١) ق: يجوز.

(٢) ق: وارثة.

سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية، «واذكر» خطاب لرسول الله ﷺ، والمراد: اتلُ عليهم نبأ إبراهيم، وذاكِرُه ومُورِدُه في التنزيل هو الله تعالى. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر قصّة مريم وابنها عيسى، واختلاف الأحزاب فيها، وعبادتهما من دون الله تعالى، وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة - ذكر الفريق الضالّ الذي عبد الجماد. والفريقان وإن اشتركا في الضّلال، فالفريق العابد الجماد أضلّ. ثم ذكر قصّة إبراهيم عليه السلام مع أبيه تذكيراً للعرب بما كان أبوهم عليه من توحيد الله تعالى وتبيين[1] أنهم سلكوا غير طريقه. وفيه صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به، وأنّ ذلك متلقًّى بالوحي. والصدّيق من أبنية المبالغة، وهو مبني من الثلاثي للمبالغة، أي: كثير الصدق. والصّدق عُرْفه في اللسان ويقابله الكذب. وقد يستعمل في الأفعال والخلق وفيما لا يعقل[2].

قال الزمخشري[3]: هذه الجملة - يعني قوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ - وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله، أعني «إبراهيم» و«إذ قال» نحو قولك: رأيت زيداً - ونعم الرجل - أخاك. ويجوز أن يتعلق «إذ» «بكان» أو

(١) ق: سالكو.

(٢) كأن يقال: صدّقني الطعام كذا وكذا قفيزاً، وعود صدق، للصلب الجيد. انظر البحر ٦: ١٩٣.

(٣) الكشاف ٢: ٥١٠.

بـ «صدّيقاً نبيًّا»، أي: كان جامعاً لمقام الصدّيقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات انتهى.

والتخريج الأول يقتضي تصرّف «إذ» وقد تقدّم لنا أنها لا تتصرّف[1].

والتخريج الثاني مبني على أنّ «كان» الناقصة وأخواتها تعمل في الظروف وهي مسألة خلاف.

والتخريج الثالث لا يصحّ، لأن العمل لا ينسب إلاّ إلى لفظ واحد، أما أن يُنسب إلى مركّب من مجموع لفظين فلا. ولا جائز أن يكون «إذ» معمولاً[2] «لصدّيقاً» لأنه قد نُعت إلاّ على رأي الكوفيين. ويحتمل أن يكون معمولاً «لنبيًّا» أي: منبّأً في وقت قوله لأبيه ما قال، وأن التّنبئة كانت في ذلك الوقت، وهو بعيد.

وتقدّم الكلام على «يا أبت» في سورة يوسف[3]. واستفهم إبراهيم عن السبب الحامل لأبيه على عبادة الصّنم، وهو منتفٍ عنه السمع والبصر والإغناء عنه شيئاً، تنبيهاً على شُنْعة الرأي وقبحه وفساده في عبادة من انتفت عنه هذه الأوصاف. رتّب إبراهيم عليه السلام الكلام مع أبيه في أحسن اتّساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب [٣٥٦/ب] الجميل والخلق الحسن، منتصحاً[4] في ذلك نصيحة ربه تعالى.

---

(١) انظر تفسير الآيتين ٦٩، ١٦٣ من الأعراف.

(٢) ق: معمول.

(٣) انظر تفسير الآية ٤ من يوسف.

(٤) ق: مستنصحاً.

ولمّا سأله عن العلّة في عبادة الصنم، ولا يمكن أن يجد جواباً، انتقل إلى إخباره بأنه قد جاءه من العلم ما لم يأته، ولم يصف أباه بالجهل إذ يغني عنه السؤال السابق. وقال «من العلم» على سبيل التبعيض، أي: شيء من العلم ليس معك. وهذه المحاورة تدلّ على أن ذلك [كان] بعد ما نُبِّىء، إذ في لفظ «جاءني» تجدّد العلم. والذي جاءه الوحي الذي يأتي به الملك، أو العلم بأمور الآخرة وثوابها وعقابها، أو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة والألوهية.

﴿ فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ على توحيد الله بالعبادة وارفض الأصنام.

﴿أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ وهو الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة.

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ انتقل من أمره باتّباعه إلى نهيه عن عبادة الشيطان [وعبادته كونه يطيعه في عبادة الأصنام، ثم نفّره عن عبادة الشيطان] بأنه كان عصيًّا للرحمن، حيث استعصى حين أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأبى، فهو عدوّ لك ولأبيك آدم من قبل. وكان لفظ «الرحمن» هنا تنبيهاً على سعة رحمته، وأنّ مَن هذا وَصْفُه هو الذي ينبغي أن يُعبد ولا يُعصى، وإعلاماً بشقاوة الشيطان حيث عصى مَنْ هذه صفته، وارتكب من ذلك ما طرده عن هذه الرحمة.

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الأولى حَمْل «أخاف» على موضوعه الأصلي، لأنه لم يكن آيساً من إيمانه، بل كان راجياً له وخائفاً أن لا يؤمن، وأن يتمادى على الكفر، فيمسّه العذاب. وخوّفه إبراهيم سوء العاقبة، وتأدّب معه إذ لم يصرّح بلحوق العذاب به، بل أخرج ذلك مخرج الخائف، وأتى بلفظ هو ألطف من المعاقبة، ونكّر العذاب، ورتّب على مسّ العذاب بقوله «إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن» ما هو أكبر منه وهو

ولاية الشيطان.

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى ﴾ «قال» أي: أبوه، استفهم استفهام إنكار. والرغبة عن الشيء: تركه عمداً. وآلهته: أصنامه. وأغلظ له في الإنكار، وناداه باسمه، ولم يقابل[1] «يا أبت» بيا بُنيّ.

قال الزمخشري[2]: وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله «أراغب أنت عن آلهتي» لأنه كان أهمّ عنده، وهو عنده أعنى، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها [أحد]. وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله ﷺ عمّا كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه انتهى.

والمختار في إعراب «أراغب [أنت]» أن يكون «راغب» مبتدأ لأنه قد اعتمد على أداة الاستفهام، و«أنت»[3] فاعل سدّ مسدّ الخبر.

ويترجّح هذا الإعراب على ما أعربه الزمخشري من كون «أراغب» خبر و«أنت» مبتدأ بوجهين: أحدهما أن[4] لا يكون فيه تقديم ولا تأخير؛ إذ رتبة الخبر أن يتأخر عن المبتدأ. والثاني أن لا يكون فصل بين العامل الذي هو «أراغب» وبين معموله الذي هو «عن آلهتي» بما ليس بمعمول[5] للعامل، لأن الخبر ليس هو عاملاً في المبتدأ بخلاف كون «أنت» فاعلاً، فإنه معمول

---

(١) ق: يقل بل.

(٢) الكشاف ٢: ٥١١.

(٣) الاستفهام وأنت، مشطوبتان في ق.

(٤) ق: أنه.

(٥) ق: معمول.

«لراغب»، فلم يُفصل بين «أراغب» وبين «آلهتي» بأجنبي، وإنما فصل بمعمولٍ له.

ولما أنكر عليه رغبته عن آلهته، توعّده مقسماً على إنفاذ ما توعّده به، إن لم ينته. ومتعلّق «تنته» محذوف واحتمل أن يكون: عن مخاطبتي بما خاطبتني به ودعوتني إليه، وأن يكون: لئن لم تنته عن الرغبة عن آلهتي.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ جواب لقسم محذوف[1]، وظاهره الرجم بالحجارة.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: علام عطف «واهجرني»؟ قلت: على معطوف عليه محذوف، يدلّ عليه «لأرجمنّك» أي: فاحذرني واهجرني، لأنّ «لأرجمنّك» تهديد وتقريع انتهى.

وإنما احتاج إلى حذف، ليناسب بين جملتي العطف والمعطوف عليه، وليس [٣٥٧/أ] [ذلك] بلازم عند سيبويه، بل يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة الإنشائية.

وقوله ﴿وَٱهْجُرْنِى﴾ معطوف على قوله ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وكلاهما معمول للقول.

وانتصب «مليا» على الظرف أي: دهراً طويلاً ومنه الملوان وهما الليل والنهار.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ قرأ أبو البرهسم[3]: سلاماً، بالنصب. ورفع «سلام»

---

(١) ق: القسم المحذوف.

(٢) الكشاف ٢: ٥١١.

(٣) ق: أبو البرهشيم، انظر معجم القراءات القرآنية ٤: ٤٨.

على الابتداء ونصبه على المصدر أي: سلّمت سلاماً، دعاءٌ له بالسلامة على سبيل الاستمالة. ثم وعده بالاستغفار، وذلك يكون بشرط حصول ما يمكن معه الاستغفار وهو الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ أي: معتنياً. و«بي» متعلّق به. ولما كان في قوله «لأرجمنّك» فظاظة وقساوة قلب، قابله بالدعاء له بالسّلامة والأمن، ووعده بالاستغفار قضاءً لحقّ الأبوّة.

ولمّا أمره بهجره الزمان الطويل، أخبره بأنه يمتثل أمره، ويعتزله وقومه ومعبوداتهم، فهاجر إلى الشام، وقيل إلى حرّان. وكان بأرض كوثا[1].

ولسان الصدق: الثناء الحسن الباقي عليهم آخر الأبد، قاله ابن عباس.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ الآية، وقرىء: مخلَصاً، بفتح اللام أي: أخلصه الله تعالى للعبادة والنبوة. وقرىء بكسر اللام أي: أخلص العبادة عن الشرك والرّياء. وحَسَّنَ مجيء قوله «نبيًّا» بعد قوله

(١) مدينة بالعراق إلى جانب بابل فيها ولد إبراهيم الخليل. انظر الروض المعطار ص٥٠٣، ومعجم ما استعجم ٤: ١١٣٨، ومعجم البلدان «كوثى».

«رسولاً» كونه فاصلة. وإطلاق رسول على الملائكة، ولا يقال لهم في العرف أنبياء.

ونداؤه إياه هو تكليمه إياه. و«الطور» الجبل المشهور بالشام. والظاهر أن «الأيمن» صفة للجانب، لقوله في آية أخرى ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ ۝٨٠﴾ [طه] بنصب «الأيمن» نعتاً «لجانب الطور». و«الأيمن» مشتق من اليُمْن وهي البركة.

﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ هو تقريب مكانة وتشريف لا مكان. و«نجيّا» فعيلاً من المناجاة، وهو حال من المفعول في «قرّبناه». والمناجاة: المسارّة.

و«مِن» في ﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ للسبب أي: من أجل رحمتنا له، أو للتبعيض. و﴿أَخَاهُ﴾ مفعول «بوهبنا». و﴿هَٰرُونَ﴾ بدل أو عطف بيان.

قال الزمخشري[1]: و«أخاه» على هذا الوجه - يعني كون «مِن» في «من رحمتنا» للتبعيض - بدل، و«هارون» عطف بيان، كقولك: رأيت رجلاً أخاك زيداً انتهى.

الذي يظهر ما قلناه، ولا تُرادف «مِن» بعضاً فتبدل منها.

و«إسماعيل» هو ابن إبراهيم عليهما السّلام. وصِدْقُ وَعْدِهِ أنه كان منه مواعيد لله وللناس، فوفى بالجميع، فلذلك خُصَّ بصدق الوعد.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة، ليجعلهم قدوة لمن وراءهم، ولأنهم أولى من سائر الناس [كقوله تعالى] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء].

---

(١) الكشاف ٢: ٥١٣.

و﴿مَرْضِيًّا﴾ مفعول من رضي. ويقال: مرضوّ، بإدغام واو مفعول في اللام التي هي واو. ويقال مرضيّ، لأنه اجتمعت واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فأدغمت الواو في الياء[١]، فصار: مرضيًّا. وحسّن مجيء «مرضياً» دون مرضوّ كونه [فاصلة].

و«إدريس» هو جدّ أبي نوح وهو أخنوخ. وهو أول من نظر في النجوم والحساب وجعله الله تعالى من معجزاته، وأوّل من خطّ بالقلم[٢]، وخاط الثياب، ولبس المخيط، وكانوا قبلُ يلبسون الجلود، وأول مرسل بعد آدم، وأول من اتّخذ المكاييل والموازين والأسلحة، فقاتل بني قابيل. وامتنع من الصرف للعلمية والعجمة.

والمكان العلي: شرف النبوّة والزُّلْفَة[٣] عند الله تعالى. وقد أنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة. وحديث أبي هريرة وأنس[٤] أنه في السماء الرابعة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ [٣٥٧/ب] و﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبره. وهو إشارة إلى من تقدّم ذكره في هذه السّورة من الأنبياء. و«مِن» في ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ للبيان، لأن جميع الأنبياء منعم عليهم. و«مِن» الثانية للتبعيض.

وكان إدريس من ذرية آدم عليه السلام، لقربه منه، لأنه جدّ[٥] أبي نوح. وإبراهيم من ذريّة من حُمل مع نوح، لأنه من ولد سام بن نوح.

---

(١) أي بقلب الواو ياءً ثم إدغامها بالياء.

(٢) ق: القلم.

(٣) الزُّلْفة والزُّلفى: القُربة والمنزلة.

(٤) انظر البخاري ٣: ١٢١٧، ومسلم ١: ١٤٦.

(٥) ق: لا جدّ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسحاق وإسماعيل ويعقوب. «وإسرائيل»[١] معطوف على «إبراهيم». وزكريا ويحيى وموسى وهارون من ذرية إسرائيل، وكذلك عيسى عليه السلام، لأن مريم من ذريته.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمل العطف على «مِن» الأولى والثانية.

و﴿إِذَا تُتْلَىٰ﴾ كلام مستأنف. ويجوز أن يكون «الذين» صفة «لأولئك» والجملة الشرطية خبر.

وقرأ الجمهور: تتلى، بتاء. وقرىء بالياء. وانتقل في هذه الجمل من الاسم الظاهر إلى ضمير المتكلم في قوله «حملنا» وما بعده، ثم إلى الاسم الظاهر في قوله «آيات الرحمن» وهذا من التّفنن في البلاغة والفصاحة.

وانتصب «سجداً» على الحال المقدّرة، لأنهم حالة الخرور ما كانوا سجداً. والبُكيّ: جمع باكٍ كشاهد وشهود. [وأصله] بُكُوْي، اجتمعت واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت، وكسر ما قبلها.

قال ابن عطية: «وبكيًا» بكسر الباء، وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى.

ليس قوله هذا بسديد، لأنّ إتباع حركة الباء لحركة الكاف لا يعيّن[٢] المصدرية؛ ألا تراهم قرؤوا «جِثيًا» بكسر الجيم جمع جاثٍ، وقالوا: عِصيّ فأتبعوا؟. وسُمع [في جمعه] بُكاةٌ كَرَامٍ ورُماة، قال الشاعر[٣]: [من البسيط]

ولا تراهم وإن جلّت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكونا

---

(١) ق: وإسراف.

(٢) ق: تعيّن.

(٣) البيت لبشامة بن جَزْء النهشلي في شرح ديوان الحماسة ١: ١٠٩.

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾.

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في اليهود.

وإضاعة الصلاة تأخيرها عن وقتها، قاله ابن مسعود وغيره.

«الشهوات» عامّ في كل مشتهى[1] يشغل عن الصلاة وذكر الله تعالى. وعن عليّ رضي الله عنه: الشهوات مَن بَنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور. والغَيّ: كل شرّ، والرّشاد: كل خير. وقال عبدالله بن عمرو وغيره: الغيّ: وادٍ في جهنم.

﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ استثناء متّصل. والضمير في «تاب» مفرد عائد على لفظ «مَن» ثم [حُمل] على المعنى [فجُمع] في قوله «فأولئك». وقرىء[2]: يدخلون، مبنيًّا للفاعل والمفعول.

وانتصب ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ على أنه بدل من قوله «الجنة». وقرىء بالرفع على إضمار مبتدأ محذوف تقديره: تلك جنات عدن. والعَدْن: الإقامة، [يقال]: عَدَن بالمكان إذا أقام به.

---

(١) ق: ما يُشتهى.

(٢) ق: وقيل.

وقال الزمخشري[١]: «عَدْن» عَلَم، لأن المضاف إليها وهو «جنّات» وُصف «بالتّي» وهي معرفة، فلو لم تكن «جنّات» مضافة إلى معرفة، لم توصف بالمعرفة انتهى.

ولا يتعين ذلك؛ إذ يجوز أن تكون «التي» خبر مبتدأ محذوف، أو منصوباً بإضمار: أعني أو أمدح، أو بدلاً من «جنّات». ويبعد أن يكون صفة لقوله «الجنّة» للفصل بالبدل الذي هو «جنّات». والحكم أنه إذا اجتمع النّعت والبدل، قُدّم النعت، وجيء [بعده] بالبدل. ودعوى الزمخشري أن عَدْناً عَلَم بمعنى العَدْن يحتاج إلى توقيف وسماعٍ من العرب، وكذا دعوى العلمية الشخصية فيه.

قال الزمخشري أيضاً[٢]: ولولا ذلك - أي: كونه عَلَماً لأرض الجنّة - لما ساغ الإبدال، لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة، ولما ساغ وصفها بالتي انتهى.

أما قوله: ولولا ذلك، إلى قوله: موصوفة فليس مذهب البصريين، لأن مذهبهم جواز إبدال النكرة من المعرفة، وإن لم تكن موصوفة، وإنما ذلك شيء قاله [٣٥٨/أ] البغداديون، وهم محجوجون بالسماع على ما بيّنّاه في كتبنا في النحو، فملازمته [فاسدة].

و﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال، أي: وعدها وهي غائبة عنهم، أو وهم غائبون عنها، لا يشاهدونها.

و﴿مَأْتِيًّا﴾ مفعول من أتى، فاحتمل «وعده» أن يكون مصدراً وأن يكون

---

(١) ليس النص في الكشاف.

(٢) الكشاف ٢: ٥١٥.

اسم مفعول أي: موعوده.

﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناء منقطع، لأن سلام الملائكة ليس من جنس اللغو.

ومعنى ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ جميع الأوقات، وكنّى بالطرفين عن ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد]؟.

﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ التوريث استعارة، أي: تبقى عليه الجنّة كما يبقى على الوارث مال الموروث، والأتقياء يلقون ربّهم، قد انقضت أعمالهم، وثمرتها باقية، وهي الجنّة.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ أبطأ جبريل عليه السلام عن رسول الله ﷺ مرة، فلمّا جاء قال: يا جبريل قد اشتقت إليك، أفلا تزورنا أكثر ممّا تزورنا؟ فنزلت الآية[١].

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ القصد [بذلك] الإشعار[٢] بملك الله تعالى لملائكته، وأن قليل تصرّفهم وكثيره إنما هو بأمره، وانتقالهم من مكان إلى مكان بحكمته، إذ الأمكنة له وهم له.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ فعيل للمبالغة في ناسٍ كرحيم مبالغة في راحم. والمعنى أنه تعالى لا يهمل أمرك.

(١) انظر لباب النقول ص١٤٥.

(٢) ق: الإشعا.

وارتفع ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على البدل من قوله «ربك» أو على تقدير خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو ربُّ. وعُدّي «واصطبر» باللام على سبيل التضمين، أي: أثبت بالصبر لعبادته، لأن العبادة تورد شدائد، فاثبت لها. وأصله التعدية بعلى، كقوله تعالى ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ١٣٢﴾ [طه]. والسميّ: من يوافق في الاسم، تقول: هذا سميّك أي: اسمه مثل اسمك، فالمعنى أنه لم يتسمَّ بلفظ الله شيء قطّ. وكان المشركون يسمّون أصنامهم كاللات والعزّى «إله»، وأما لفظة الله فلم يطلقوه على شيء من أصنامهم.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ٦٩ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ٧٠ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ٧٢﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ الآية، قيل: سبب النزول[1] أن رجلاً من قريش قيل هو أُبيّ بن خلف، جاء بعظم رفات، فنفخ فيه، وقال لرسول الله ﷺ: أيبعث هذا؟ وسخر وكذّب. وإسناد هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضهم. وقرىء: أئذا، على الاستفهام، وإذا، على الخبر. والناصب لإذا فعل محذوف تقديره: أئذا مت أُبعث. ولا يمكن أن يعمل فيه «لسوف أخرج» لأن لام الابتداء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي

(١) انظر أسباب النزول ص٢٠٤.

(٢) الكشاف ٢: ٥١٧.

معنى الحال، فكيف جامعت حرف الاستقبال؟ قلت: لم تجامعها إلا مُخْلَصة للتوكيد، كما أُخلصت الهمزة من: يا ألله للتعويض، واضمحلّ عنها معنى التعريف انتهى.

ما ذكره من أن اللام تعطي معنى الحال مخالف فيه؛ فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال. وأما قوله: كما أخلصت الهمزة، فليس ذلك إلا على مذهب من يزعم أن الأصل فيه: إله. وأما من يزعم أن أصله لاه[1] فلا تكون الهمزة فيه للتعويض، إذ لم يحذف منه شيء. ولو قلنا: إنّ أصله إله، وحذفت فاء الكلمة، لم يتعيّن أن الهمزة فيه في النداء[2] للتعويض؛ إذ لو كانت للعوض من المحذوفة، لثبتت دائماً في النداء وغيره، ولما جاز حذفها في النّداء، قالوا: يا ألله، بحذفها. وقد نصّوا على أن قطع همزة الوصل في النداء شاذّ.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ كرر لفظ «الإنسان» تشنيعاً عليه في إنكاره البعث، وتذكيراً له بإيجاده قبل ذلك، وإنشائه من العدم الصرف.

قال الزمخشري[3]: الواو عطفت «لا يذكر» على «يقول» [٣٥٨/ب] ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف انتهى.

هذا رجوع منه إلى مذهب الجماعة من أنّ حرف العطف إذا تقدّمته الهمزة فإنما عطف ما[4] بعدها على ما قبلها، وقدّمت الهمزة، لأنّ لها صدر

(١) ق: لا.

(٢) ق: للنّداء.

(٣) الكشاف ٢: ٥١٨.

(٤) ق: على ما.

الكلام. وكان مذهبه أن يقدّر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يُعطف عليه ما بعد الواو فتقرّ الهمزة على حالها وليست مقدّمة من تأخير، وقد رددنا عليه هذه المقالة[١].

و﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ أي: من قبل بعثه وإنكاره البعث.

﴿ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـًٔا ﴾ إشارة إلى العدم الصرف. وانتفاء الشيئيّة عنه يدلّ على أنّ المعدوم لا يسمّى شيئاً.

ولمّا أقام الحجّة على حقيقة البعث، أقسم على ذلك باسمه تعالى، مضافاً إلى رسوله عليه السلام تشريفاً له وتفخيماً لقدره[٢]. وقد تكرر هذا القَسَم في القرآن تعظيماً لحقّه ورفعاً منه.

و﴿ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ ﴾ جواب القسم. والضمير المنصوب، الظاهر أنه عائد على منكري البعث في قوله ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [مريم]. وأريد بالإنسان الجنس المنكر للبعث. وقيل: الضمير عامّ في جميع المحشورين. و«الشياطين» معطوف على الضمير في «لنحشرنهم»[٣] إن كان الضمير عامًّا. أُحضروا ليُروا النار فيفرح المؤمن بنجاته. و«حول» منصوب على الظرف. و«جثياً» قاعدين على الرّكب.

﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ ﴾ لنخرجنّ، كقوله ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأعراف]. وقيل: لنرمينّ، من نزع القوس، وهو الرّمي بالسّهم. والشيعة: الجماعة المرتبطة بمذهب. والضمير في «أيهم» عائد على المحشورين المُحْضَرين و«أيهم»

---

(١) انظر تفسير الآية ٤٤ من البقرة.

(٢) ق: لقدرته.

(٣) ق: لنحضرنّهم.

مبني عند سيبويه، وهو مفعول بـ«ننزعنّ»، ويدلّ على أنه مفعول قراءة من قرأ: أيَّهم، بالنصب. و«أشد» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم أشدّ. وليونس والخليل مذهب في «أيّهم» وأنها استفهام مرفوع بالابتداء، ذكر ذلك في النحو.

وقال الزمخشري[١]: ويجوز أن يكون النزع واقعاً على «من كل شيعة» كقوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا ۝٥٠﴾ [مريم] أي: لننزعنّ بعض[٢] كل شيعة، فكأنّ قائلاً قال: فمن هم؟ فقيل: أيهم أشدّ عتيًّا انتهى.

فتكون «أيهم» موصولة خبر مبتدأ محذوف. وهذا تكلّف وادّعاء إضمار لا ضرورة تدعو إليه، وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين. و«عتياً» تمييز، وأصله المصدر يقال: عتا يعتو عتوًّا وعتيًّا.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ﴾ أي: نحن في ذلك النزع لا نضع شيئاً غير موضعه. و«بها» أي: جهنم. و«صليًّا» تمييز، وهو في الأصل مصدر.

﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ «إنْ» نافية بمعنى ما. وثَمَّ محذوف تقديره: وإن منكم أحد.

﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خبر لمبتدأ محذوف. ومعنى «واردها» أي: معروض عليها، ولا يقتضي الورود الدخول.

قال ابن عطية: «وإن منكم إلاّ واردها» قَسَم والواو تقتضيه. ويفسّره قول النبي ﷺ[٣] «من مات له ثلاثة من الولد لم تمسّه النار إلاّ تحلّة القسم» انتهى.

---

(١) الكشاف ٢: ٥٢٠.

(٢) ق: عن بعض.

(٣) أخرجه مسلم ٤: ٢٠٢٨ من حديث أبي هريرة بألفاظ مقاربة. وانظر النهاية ١: ٤٢٩.

ذهل عن قول النحويين: إنه لا يستغنى عن القسم بالجواب، لدلالة المعنى، إلا إذا كان الجواب باللام أو بإنْ. والجواب جاء هنا على زعمه بإنْ النافية، فلا يجوز حذف القسم على ما نصّوا [عليه]. وقوله: الواو تقتضيه، يدلّ على أنها عنده واو القسم؛ ولا[1] يذهب نحوي إلى [أنّ] مثل هذه الواو واو القسم؛ لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجارّ، ولا يجوز ذلك[2] إلا إن وقع في شعر أو نادر كلام، بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أوّلوا في قولهم[3]: نعم السّير على بئس العَيْر، أي: على عير بئس العير، وقول الشاعر[4]: [من الرجز]

والله ما زيدٌ بِنامَ صاحِبُهْ [ولا مُخالطِ اللّيانِ جانبُهْ]

أي: برجلٍ نام صاحبه. [٣٥٩/أ] وهذه الآية ليست من هذا الضرب؛ إذ لم يُحذَف المُقْسَم به، وقامت صفته مقامه.

﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ ﴾ اسم «كان» ضمير عائد على المصدر المفهوم من قوله «واردها» أي: كان الورود.

ومفعول «اتقوا» محذوف، أي: الشرك. والظلم هنا: ظلم الكفر.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ

(١) ق: فلا.

(٢) ق: في ذلك.

(٣) ق: قوله.

(٤) البيت غير منسوب في الإنصاف ١: ١١٢، والهمع ١: ١٣.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ نزلت[1] في النضر بن الحارث وأصحابه. كان فقراء الصحابة في خشونة عيش ورثاثة سربال، والمشركون يدهنون رؤوسهم، ويرجّلون شعورهم، ويلبسون الحرير وفاخر الملابس، فقالوا للمؤمنين: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ أي: منزلاً وسكناً.

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي: مجلساً.

ولمّا أقام الحجة على منكري البعث، وأتبعه بما يكون يوم القيامة، أخبر عنهم أنهم عارضوا تلك الحجة الدامغة بحسن شارتهم في الدنيا، وذلك عندهم يدلّ على كرامتهم عند الله تعالى. ثم ذكر تعالى كثرة من[2] أهلك من القرون ممّن كان أحسن حالاً منهم في الدنيا، تنبيهاً على أنه تعالى يهلكهم ويستأصل شأفتهم. و«وكم» خبرية مفعول «بأهلكنا» أي: كثيراً أهلكنا. و«من قرن» تمييز.

قال الزمخشري[3]: و«هم أحسن» في محل النّصب صفة «لِكَمْ»؛ ألا ترى أنك لو تركت «هم» لم يكن لك بدٌّ من نصب «أحسن» على الوصفية؟ انتهى.

تابعه أبو البقاء[4] على [أنّ] «هم أحسن» صفة «الكم». ونصّ أصحابنا على أنّ كم الخبرية والاستفهامية لا توصف، ولا يوصف بها، فعلى هذا

---

(١) انظر الطبري ١٦: ٨٧.

(٢) ق: ما.

(٣) الكشاف ٢: ٥٢١.

(٤) إملاء ٢: ١١٦.

يكون «هم أحسن» في موضع الصفة «لقرن»، وجمع لأن القرن مشتمل على أفراد كثيرة فروعي معناه، ولو أفرد الضمير على اللفظ لكان عربيًا، فصار كلفظ جميع، قال تعالى ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس] وقال ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [القمر] فوصفه بالجمع وبالمفرد. وقرىء: ورِئْيا، بهمزة ساكنة ووزنه فِعْل بمعنى مفعول كالطِّحن بمعنى المطحون، فمعناه مرئيًّا. وقرىء: ورِيًّا، بإبدال الهمزة ياءً وإدغامها في الياء بعدها وهو بمعنى المهموز. وقرىء: وزيًّا، بالزّاي بعدها [ياء] مشدّدة وهي البزّة الحسنة. والأثاث: الآلات المجتمعة المستحسنة.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ الآية، [«فليمدد»] يحتمل أن يكون على معناه من الطلب، ويكون دعاءً، وكان المعنى: الأضلّ[1] منا ومنكم مدّ الله له أي: أملى له حتى يؤول[2] إلى عذابه، وكان الدعاء على صيغة الطلب لأنّه الأصل. ويحتمل أن يكون خبراً في المعنى وصورته صورة الأمر تقديره: فيمدّ له ولا يعاجله، كما جاء في الأمر يراد[3] به الخبر في قول الشاعر[4]:

[من الوافر]

وكُوني بالمكارم ذَكِّريني   [ودَلّي دَلَّ ماجدةٍ صَناعِ]

أي: تذكّرينني، فأوقع الأمر وأراد به الخبر. و«حتى» غاية لما قبله. وجمع الضمير في «رأوا» حَمْلاً على معنى «مَن» بعد حَمْله[5] مفرداً في «كان» وفي «له».

---

(١) ق: الأصل.

(٢) ق: يؤن.

(٣) ق: في الإيراد به.

(٤) البيت في النوادر ص٣٠، ٥٨ لبعض بني نهشل، وهو من شواهد مغني اللبيب ٢:٥٨٥، وانظر شرح أبيات المغني ٧:٢٢٧.

(٥) ق: جملةِ.

﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم[1] قتلاً وأسراً، وإظهار الله تعالى دينه على الدين كلّه على أيديهم، وإما يوم القيامة وما ينالهم من العذاب والنّكال، فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدّروه، وأنهم شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً، لا خيرٌ مقاماً وأحسن نديًّا، وأن المؤمنين على خلاف صفتهم.

ولمّا ذكر إمداد الضالّ في ضلالته وارتباكه في الافتخار بنعم الدنيا، عقب [ذكر] ذلك بزيادة هدىً للمهتدي، وبذكر الباقيات الصالحات التي هي بدل من تنعّمهم في الدنيا الذي يضمحلّ ولا يثبت.

قال الزمخشري[2]: «ويزيد» معطوف على موضع «فليمدد» لأنه واقع موضع الخبر، تقديره: من كان في الضلالة مدّ أو يمدّ له الرحمن ويزيد: [٣٥٩/ب] أي: يزيد في ضلال الضالّ[3] بخذلانه، ويزيد المهتدي هدى بتوفيقه انتهى.

لا يجوز أن يكون «ويزيد» معطوفاً على موضع «فليمدد»[4] سواء أكان دعاءً أم خبراً بصورة الأمر، لأنه في موضع الخبر إن كانت [«مَن»] موصولة، أو في موضع الجواب إن كانت «من» شرطية. وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ عارية من ضمير يعود على «مَن» يربط جملة الخبر بالمبتدأ أو جملة الشرط بالجزاء الذي هو «فليمدد» وما عطف عليه، لأن المعطوف على الخبر خبر والمعطوف على جملة الجزاء جزاء. وإذا كانت أداة الشرط اسماً لا ظرفاً، تعيّن أن يكون في جملة الجزاء

(١) ق: إيّاه.

(٢) الكشاف ٢: ٥٢٢.

(٣) ق: الضلال.

(٤) ق: معطوف على موضع فليمدّ.

ضميره، أو ما يقوم مقامه، وكذا في الجملة المعطوفة[١] عليها. و«مردًّا» معناه مرجعاً. وتقدّم تفسير «الباقيات الصالحات» في الكهف[٢].

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ قيل: نزلت[٣] في العاص بن وائل، عمل له خباب بن الأرتّ عملاً، وكان قيناً أي: حدّاداً، فاجتمع له عنده دين، فتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقال خباب: لا أكفر بمحمد

---

(١) ق: المعطوف.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٦ من الكهف.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٠٤.

حتى يميتك الله ويبعثك. فقال العاص[١]: أوَ مبعوث أنا بعد الموت؟ قال خباب: نعم. قال: فإنه إذا كان كذلك، فسيكون لي مال وولد، وعند ذلك أقضيك دينك.

والهمزة في «أطلع» للاستفهام لدلالة «أم» عليها. ومفعول «أفرأيت» الأول «الذي كفر»، والمفعول الثاني جملة الاستفهام التي [هي]: «أطّلع» وما بعدها. وتقدّم الكلام على «أرأيت» في الأنعام[٢].

﴿عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ أي: [له] عمل صالح قدّمه، فهو يرجو بذلك ما يقول.

و«كلا» حرف ردع وزجر وتنبيه على الخطأ، أي: فهو مخطىء فيما يصوّره لنفسه ويتمنّاه، فليرتدع عنه. ولم تجىء «كلاّ» فيما تقدّم تفسيره من القرآن.

﴿سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ﴾ كنّى بالكتابة[٣] عمّا يترتّب عليها من الجزاء، فلذلك دخلت السين التي للاستقبال، أي: سنجازيه على ما يقوله.

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ﴾ أي: نمدّ له من العذاب الذي يُعذَّب به المستهزئون، أي: نزيد له من العذاب ونضاعف له من المدّ.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي: نسلبه المال والولد فنكون[٤] كالوارث له. ﴿وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا﴾ أي: بلا مال ولا ولد.

واللام في ﴿لِّيَكُونُواْ﴾ لام كي. «ليكونوا» أي: الآلهة. ﴿لَهُمۡ عِزّٗا﴾

---

(١) ق: العاصي، في كل المواضع.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٠ من الأنعام.

(٣) ق: بالكناية.

(٤) ق: فتكون.

يتعزّزون بها في النصرة والمنعة[١] والإنقاذ من العذاب.

والظاهر أن الضمير في ﴿سَيَكۡفُرُونَ﴾ عائد على أقرب مذكور محدّث عنه، فالمعنى أن الآلهة سيجحدون عبادة هؤلاء إياهم. ويحتمل أن يكون الضمير للمشركين، ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا [عبدوهم] كما قالوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ [الأنعام]. ﴿ضِدًّا﴾ قال ابن عباس: أعواناً.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ الآية، معناه سلّطنا، ولذلك عدّاه بعلى. ومعنى ﴿تَؤُزُّهُمۡ﴾ أي: تحركهم إلى الكفر.

﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ. والمعنى: لا تعجل عليهم بأن يهلكوا. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا﴾ أيّاماً[٢] محصورة وأنفاساً معدودة، كأنها في سرعة تقضّيها تُعَدّ.

وعدّي ﴿نَحۡشُرُ﴾ «بإلى الرحمن» تعظيماً لهم وتشريفاً. وذكر صفة الرحمانية التي خصّهم بها كرامة؛ إذ لفظ الحشر فيه جمع من أماكن متفرقة وأقطار شاسعة على سبيل القهر، فجاءت لفظة الرحمن مُؤْذنة بأنهم يحشرون إلى من يرحمهم. ولفظة الوفد مشعرة بالإكرام والتّبجيل كما يفد الوُفّاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم.

ولفظة السّوق فيه إزعاج وهوان. وعُدّي بـ«إلى جهنم» تفظيعاً لهم وتشنيعاً لحال مقرّهم. والوِرْد: مصدر [٣٦٠/أ] وَرَد أي: سار إلى الماء كما قال الشاعر[٣]: [من الرجز]

(١) ق: والمنفعة.

(٢) ق: عدًا إلا أيا.

(٣) البيت في الحيوان ٤: ٣٨٦ غير منسوب، وهو في شرح شواهد الكشاف ص٣١٨ =

رِدِي ردي وِرْدَ قطاةٍ صَمّا كُدْرِيَّةٍ أعجبها وِرْدُ المَا

وأطلق الوِرْد على العطاش تسمية للشيء[١] بسببه، إذ لا يَرِدُ إلاّ من كان عطشان[٢].

والضمير في ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ عائد على الخَلْق الدالّ عليهم ذِكْر المتّقين والمجرمين إذ هم قِسْماة[٣]. والاستثناء متّصل. و«مَن» بدل من ذلك الضمير.

قال الزمخشري[٤]: ويجوز أن تكون - يعني الواو في «لا يملكون» - علامة للجمع كالتي في: أكلوني البراغيث، والفاعل «من اتّخذ» لأنه في معنى الجمع انتهى.

لا ينبغي حمل القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميراً. وذكر الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أنه لغة ضعيفة. وأيضاً فالواو والألف والنّون التي تكون علامات لا ضمائر، لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلاً إلا بصريح الجمع وصريح التثنية أو العطف. أما أن يأتي بلفظ مفرد، يطلق على جمع أو على مثنّى، فيحتاج في إثبات ذلك إلى نقل عن العرب. وأمّا عَوْد الضمائر[٥] مثنّاة ومجموعة على مفرد في اللفظ، يراد به المثنى والمجموع، فمسموع[٦] معروف في لسان العرب. على أنه يمكن قياس هذه

= كذلك.

(١) ق: الشيء.

(٢) ق: عطشاناً.

(٣) ق: قساة.

(٤) الكشاف ٢: ٥٢٤.

(٥) ق: الضمير.

(٦) ق: فمسوغ.

العلامات على تلك الضمائر، ولكن الأحوط أن لا يقال ذلك إلا بسماع.
والعهد هنا: قال ابن عباس: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ الضمير في «قالوا» عائد على بعض اليهود حيث قالوا: عزير ابن الله، وبعض النصارى حيث قالوا: المسيح ابن الله، وبعض مشركي [العرب] حيث قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ فيه التفات من ضمير الغيبة [في] «وقالوا» إلى ضمير الخطاب في «جئتم» زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا. ﴿شَيْئًا إِدًّا﴾ الإدّ بفتح الهمزة وكسرها: العجب، وقيل: العظيم المنكر. والإدّة: الشدّة. وآدني الأمر: أثقلني وعظم عليّ.

وقرىء: تكاد، بالتاء وبالياء. وقرىء: يَنْفَطِرْنَ وتَتَفَطَّرْنَ. ومعنى ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ يتشققن. ﴿مِنْهُ﴾ أي: من نسبة الولد إلى الله تعالى. و﴿هَدًّا﴾ منصوب على الحال ومعناه هدماً وسقوطاً.

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ «أن» مع الفعل بتأويل المصدر، وهو تعليل للأفعال قبله من الانفطار والانشقاق والخرور.

وقال الزمخشري[1]: يجوز في «أن دَعَوْا» ثلاثة أوجه: أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في «منه» كقوله[2]: [من الطويل]

---

(١) الكشاف ٢: ٥٢٦.

(٢) البيت في الكامل ١: ١٣٦ واللسان: حتم. وهو منسوب فيهما للفرزدق، ولم أجده في ديوانه.

على حالةٍ لو أنَّ في الرّكب حاتماً على جُوده لضنَّ بالماء[١] حاتِمُ

ومنصوباً بتقدير سقوط اللام وإفضاء الفعل، أي: هدًّا لأن دَعَوْا، علّل الخرور بالهدّ والهدّ بدعاء الولد. ومرفوعاً بأنه فاعل «هدًّا» أي: هدّها دعاءَ الولد للرحمن انتهى.

الأول فيه بُعد لكثرة الفصل بين البدل[٢] والمبدل منه بجملتين. والثاني أيضاً فيه بُعد لأن الظاهر أنّ «هدًّا» لا يكون مفعولاً له بل مصدر من معنى «وتخرّ» أو في موضع الحال. والثالث أيضاً بعيد لأنّ ظاهر «هدًّا» أن يكون مصدراً توكيديًا، والمصدر التوكيدي لا يعمل. ولو فرضناه غير توكيدي[٣] لم يعمل بقياس إلا إن كان أمراً أو مستفهماً عنه نحو: ضَرْباً زيداً وأَضَرْباً زيداً[٤]، على خلاف فيه. وأما إن كان فاعلاً[٥] كما قدّره الزمخشري، أي: هدّها دعاء الولد للرحمن فلا ينقاس، بل ما جاء من ذلك فهو نادر كقول امرىء القيس[٦]: [من الطويل]

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم [يقولون لا تهلك أسىً وتَجمَّلِ]

[أي: وقف صحبي]. ومعنى «دَعَوْا» نسبوا لله الولد.

[و﴿يَنۢبَغِى﴾ مطاوع لبَغَى بمعنى طلب، أي: وما يتأتّى له اتّخاذ الولد] لأنّ

---

(١) في الكشاف: في القوم. ق: نضّ بالماء.

(٢) ق: المبدل.

(٣) ق: توكيد.

(٤) ق: ضَرَبا زيداً واضْرِبًا زيداً.

(٥) ق: خبراً.

(٦) ديوانه ص٩.

الولد مستحيل. و«ينبغي» من الأفعال التي تتصرّف وسُمع فيها الماضي قالوا: انبغى. وقد عدّها [٣٦٠/ب] ابن مالك في التسهيل من الأفعال التي لا تتصرّف[١]، وهو غلط.

و﴿كُلُّ﴾ مبتدأ مضاف إلى «مَن» الموصولة، أي: وكل الذي، والخبر قوله ﴿إِلَّآ ءَاتِي﴾.

قال الزمخشري[٢]: «مَن» موصوفة، لأنها وقعت بعد «كل» نكرةً وقوعها بعد ربّ في قوله[٣]: [من الرمل]

ربّ مَن أنضجت غيظاً صدره [قد تمنّى ليَ موتاً، لم يُطَعْ]

انتهى.

الأولى جعلها موصولة، لأن كونها موصوفة بالنسبة إلى الموصولة قليل[٤]. وانتصب «عبداً» على الحال.

ثم ذكر تعالى أنه أحصاهم وأحاط بهم وحصرهم بالعدّ فلم يَفُتْهُ أحدٌ منهم.

وانتصب ﴿فَرْدًا﴾ على الحال، أي: منفرداً ليس معه أحد ممّن جعلوه شريكاً له. وخبر «كلهم» «آتيه فرداً». وكلّ إذا أضيف إلى معرفة ملفوظ بها نحو: كلهم وكلّ الناس، فالمنقول أنه يجوز أن يعود الضمير مفرداً على

---

(١) ق: تنصرف.

(٢) الكشاف ٢: ٥٢٦.

(٣) البيت لسويد بن أبي كاهل في الشعر والشعراء ١: ٤٢١، والمفضليات ص١٩٨.

(٤) ق: قليلة.

لفظ كلّ، فتقول: كلّكم ذاهب، ويجوز أن يعود جمعاً مراعاة للمعنى فتقول[1]: كلّكم ذاهبون.

والسين في ﴿سَيَجْعَلُ﴾ للاستقبال [فاحتمل أن يكون هذا الجَعْل في الدنيا وهي بأداة الاستقبال] لأن المؤمنين كانوا بمكّة حال نزول هذه السورة، وكانوا ممقوتين من الكفرة، فوعدهم الله تعالى بذلك إذا ظهر الإسلام وفشا، واحتمل أن يكون ذلك في الدنيا، على الإطلاق[2]. ومعنى ﴿وُدًّا﴾ أي: محبّة.

والضمير في ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ عائد على القرآن أي: أنزلناه عليك ميسّراً سهلاً. ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهو اللسان العربي المبين. ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: تخبرهم بما يسرّهم وبما يكون لهم من الثواب على تقواهم. واللُّدّ: جمع ألدّ وهو الشديد الخصومة في الباطل.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ تخويف لهم وإنذار بالإهلاك بالعذاب. والضمير في قوله ﴿قَبْلَهُم﴾ عائد على «قوماً[3] لُدّاً». ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ استفهام معناه النّفي. و«كم» خبريّة [مفعول] «بأهلكنا» أي: كثيراً أهلكنا. و﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾ مفعول «بتحسّ». و«مِن» زائدة. والرِّكْز: قال ابن عباس: الصوت الخفي.

---

(١) ق: فيقول.

(٢) ق: لا على الإطلاق.

(٣) ق: قوم.

سورة طه[1]

عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾.

﴿طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ الآية، هذه السورة[2] مكية بلا خلاف. كان عليه السلام يراوح بين قدميه يقوم على رجلٍ، فنزلت[3]. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر تيسير القرآن بلسان الرسول عليه السلام، أي: بلغته، وكان فيما علّل به قوله ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝٩٧﴾ [مريم] [أكّد] ذلك بقوله «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى». والتذكرة هي البشارة والنّذارة وأنّ ما ادّعاه المشركون [من إنزاله] للشقاء ليس كذلك، بل إنما نُزّل تذكرة.

والظاهر أن «طه» من الحروف المقطعة [نحو ﴿يسٓ ۝١﴾ [يس]

---

(١) مكية، وهي مئة وخمس وثلاثون آية.

(٢) ق: السكورة.

(٣) انظر لباب النقول ص١٤٦.

و﴿الٓر ۝١﴾ [يونس] وما أشبههما، وتقدّم الكلام على ذلك في أوائل البقرة(١).

والظاهر أن قوله «إلا تذكرة» استثناء منقطع تقديره: لكن أنزلناه تذكرة. «فتذكرة» مفعول من أجله، والعامل فيه: أنزلناه هذه المقدّرة. وفي البحر أعاريب متكلّفة تُنظر هناك(٢).

وانتصب ﴿تَنزِيلًا﴾ على أنه مصدر مصدر محذوف أي: نزّل تنزيلاً.

قال الزمخشري(٣): في نصب «تنزيلاً» وجوه: أن يكون بدلاً من «تذكرة» إذا جُعل حالاً لا إذا كان مفعولاً له، لأن الشيء لا يُعلَّل بنفسه، [وأن ينتصب بنزّل مضمراً]، وأن ينتصب «بأنزلنا» لأن معنى: ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، وأن ينتصب على المدح والاختصاص، وأن ينصب «بيخشى» مفعولاً به أي: أنزله إليه تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وهو معنى حسن وإعراب بيّن انتهى.

الأحسن ما قدّمناه أوّلاً من أنه منصوب بنزّل مضمرة، وما ذكره الزمخشري من نصبه على غير ذلك متكلّف(٤): أما الأول ففيه جعل «تذكرة» و«تنزيلاً» حالين، وهما مصدران، وجَعْل المصدر(٥) حالاً لا ينقاس. وأيضاً

---

(١) انظر تفسير الآية الأولى من البقرة.

(٢) انظر البحر ٦: ٢٢٥.

(٣) الكشاف ٢: ٥٢٩.

(٤) ق: متكلّفاً.

(٥) ق: المصدر.

فمدلول «تذكرة» ليس مدلول «تنزيلاً» ولا «تنزيلاً» بعض «تذكرة»[١]. وإن كان بدلاً فيكون بدل اشتمال على مذهب من يرى أن الثاني مشتمل [٣٦١/أ] على الأول، لأن التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها.

وأما قوله: لأنّ معنى: ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، فليس كذلك، لأن معنى الحصر يفُوت في قوله[٢]: أنزلناه تذكرة.

وأما نصبه على المدح فبعيد. وأما نصبه «بمن يخشى» ففي غاية البعد، لأن «يخشى» رأس آية وفاصلة، فلا يناسب أن يكون «تنزيلاً» مفعولاً بيخشى. وقوله: وهو معنى حسن وإعراب بيّن، عجمة وبُعْد عن إدراك الفصاحة.

قال الزمخشري[٣]: ويجوز أن يكون «أنزلنا»[٤] حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه انتهى.

هذا تجويز[٥] بعيد، بل الظاهر أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه. ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ و«مِن» الظاهر أنها متعلّقة بتنزيل، ويجوز أن يكون في موضع الصفة فيتعلق بمحذوف. وفي قوله «ممّن خلق» التفات، إذ فيها خروج من ضمير التكلم وهو «نا»[٦] في «أنزلنا» إلى الغيبة. و﴿ٱلْعُلَى﴾ جمع العُليا. ووَصْف

(١) ق: ولا تنزيل بعض تنزيل تذكرة.

(٢) ق: في ذلك قوله.

(٣) الكشاف ٢: ٥٢٩.

(٤) ق: أنزلناه.

(٥) ق: تحرير.

(٦) ق: ما.

السماوات بالعلى دليل على عظم قدرة من اخترعها، إذ لا[١] يمكن وجود مثلها في علّوها من غيره تعالى.

قال ابن عطية: ويجوز أن يكون - يعني «الرحمن» - بدلاً من الضمير المستتر في «خلق» انتهى..

أرى أنّ مثل هذا لا يجوز، لأنّ البدل يحلّ محلّ المُبدل منه، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ لا يمكن أن يحلّ محلّ الضمير؛ لأنّ الضمير عائد على «مَن» الموصولة، و﴿خَلَقَ﴾ صلته، والرابط هو الضمير فلا يحلّ محلّه الظاهر لعدم الرابط.

قال الزمخشري[٢]: روى جناح بن حبيش[٣] عن بعضهم أنه قرأ: الرحمن، بالكسر صفة «لمن خلق». يعني لمَنْ الموصول. ومذهب الكوفيين أن الأسماء النواقص التي لا تتمّ إلا بصلاتها نحو مَن وما، لا يجوز نعتها إلا الذي والتي فيجوز نعتهما. فعلى مذهبهم لا يجوز أن يكون «الرحمن» صفة «لمن خلق»، والأحسن أن يكون «الرحمن» بدلاً مِن «مَن». وقد جرى الرحمن في القرآن مجرى العَلَم في ولاية العوامل.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ «ما» عامة تشمل من يعقل ومن لا يعقل، وأنه له ملك ما حوت السماوات والأرض وما بينهما ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ أي: تحت الأرض السابعة، قاله ابن عباس.

والخطاب بقوله ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ﴾ لرسول الله ﷺ ظاهراً، والمراد أمّته. ولمّا

---

(١) ق: أو لا.

(٢) الكشاف ٢: ٥٢٩. والنصّ فيه: قرىء: الرحمن، مجروراً صفة «لمن خلق» والرفع أحسن.

(٣) ق: حبيس، انظر معجم القراءات القرآنية ٤: ٧٠.

كان خطاب الناس لا يتأتى إلاّ بالجهر بالكلام جاء الشرط بالجهر[١]، وعلّق على الجهر علمه[٢] بالسرّ، لأن علمه بالسرّ يتضمن علمه بالجهر، أي: إذا كان يعلم السرّ، فأحرى أن يعلم الجهر، والسرّ مقابل للجهر كما قال ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام]. والظاهر أن «أخفى» أفعل تفضيل أي: وأخفى من السرّ. قال ابن عباس: السرّ ما تُسِرُّه إلى غيرك، والأخفى ما تخفيه في نفسك.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [«الله»] مبتدأ و«لا إله إلا هو» الخبر. و﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ خبر ثانٍ. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل: من الذي يعلم السرّ وأخفى؟ فقيل: هو الله. و«الحسنى» تأنيث الأحسن، وصفة المؤنثة [المفردة] تجري على جمع التكسير، وحسّن ذلك كونها وقعت فاصلة، والأحسنيّة كونها تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن من التقديس[٣] والتعظيم والرّبوبية والأفعال التي لا يمكن صدورها إلا منه تعالى.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

---

(١) ق: بالشرط.

(٢) ق: عليه.

(٣) ق: التقدير.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر تعالى تعظيم كتابه، وتضمّن تعظيم رسوله عليه السلام، أتبعه بقصة موسى عليه السلام، ليتأسّى[1] به في تحمّل أعباء النبوة وتكاليف[2] الرسالة. ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ هذا استفهام تقرير يحثّ [٣٦١/ب] على الإصغاء لما يُلقى إليه. وكان من حديثه أنه لمّا قضى[3] أكمل الأجلين، استأذن شعيباً في الرجوع من مدين إلى مصر، لزيارة والدته وأخيه، فأذن له، وقد طالت مدّة جنايته بمصر، ورجا خفاء[4] أمره، فخرج بأهله وماله، وكان في فصل الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامرأته حامل، فلا يدري أليلاً تضع أم نهاراً، فسار في البرّية، لا يعرف طرقها، فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد، وأخذ امرأته الطّلق، فقدح زنده فلم يُورِ.

والظاهر أن «إذ» ظرف للحديث لأنه حدث. ﴿فَقَالَ[5] لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ أي: أقيموا في مكانكم، وخاطب امرأته وولديه والخادم. ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ أي: أحسستُ ناراً. والنار على بُعدٍ لا تُحَسّ إلا بالبصر، فلذلك فسّره[6] بعضهم برأيت. والإيناس أعمّ من الرؤية لأنك تقول: آنست من فلان خيراً. والظاهر أنه رأى ناراً حقيقيه. ولفظة «على» هنا على بابها من الأستعلاء ومعناه أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها. وانتصب ﴿هُدًى﴾ على أنه مفعول

(١) ق: لتتأسّى.

(٢) ق: وتكالف.

(٣) ق: لقي.

(٤) ق: ورماحنا.

(٥) ق: قال.

(٦) ق: لا يُحسّ.. فسّر.

به على تقدير محذوف أي: ذا هدى. وكان قد أضلّ الطّريق، فترجّى أن يجد من يهديه إلى الطريق.

والضمير في ﴿أَتَىٰهَا﴾ عائد على النار، أتاها فإذا هي مضطرمة في سجرة خضراء يانعة[١] عناب، قاله ابن عباس. فكان كلما قرب منها تباعدت فإذا أدبر اتّبعته، فأيقن أن هذا أمر من أمور الله تعالى الخارقة للعادة. ووقف متحيّراً، وسمع من السماء تسبيح الملائكة، وألقيت عليه السكينة. و﴿نُودِىَ﴾ وهو تكليم الله تعالى إياه. و«نودي» مبني للمفعول وحذف الفاعل للتعظيم. ولما كان النداء بمعنى القول كسرت إنّ بعده فقيل:

﴿إِنِّىٓ أَنَا۠﴾ كما تكسر بعد القول الصريح. والظاهر أن أمره تعالى [إيّاه] بخلع النعلين لعظم الحال التي حصل فيها كما تُخلع عند الملوك، غاية في التواضع. وقيل: كانتا من جلد حمار ميت فأُمر بطرحهما لنجاستهما. وفي الترمذي[٢] عن النبي ﷺ قال «كان على موسى عليه السّلام يوم كلّمه ربّه كساء صوف وجبّة صوف وكُمّة صوف وسراويل صوف، وكانت نعلاه من جلد حمار ميت». قال [الترمذي]: هذا حديث غريب. والكُمّة: القلنسوة الصغيرة. لكن أُمر بخلعهما لينال بركة الوادي المقدّس وتمسّ قدماه تربته. و﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾ المطهّر. ﴿طُوًى﴾ اسم[٣] علم عليه، فيكون بدلاً أو عطف بيان. وقرىء منوّناً، لوحظ فيه معنى المكان. وغير منوّن لوحظ فيه معنى البقعة، فمنع من الصرف للعلمية والتأنيث.

---

(١) ق: مضطربة. . مانعة.

(٢) ٦: ٥٦، أخرجه من حديث ابن مسعود.

(٣) ق: اسمه.

وقرىء ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾. «فأنا» مبتدأ، و«اخترتك» جملة في موضع الخبر. وقرىء: وأنّا اخترناك. «أنّا» أنّ[1] واسمها، و«اخترناك» في موضع الخبر. ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ متعلق «باستمع»[2]. و«ما» موصولة بمعنى الذي. «يوحى» صلته، وفيه ضمير يعود على «ما» تقديره: يوحى هو. وقال [٣٦٢/أ] أبو الفضل الجوهري: لمّا قيل لموسى صلوات الله على نبيّنا وعليه: استمع لما يوحى، وقف على حجر، واستند إلى حجر، ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره، ووقف ليستمع، وكان كل لباسه [صوفاً].

والموحى قوله ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ إلى آخر الجمل. جاء ذلك تبييناً وتفسيراً للإبهام في قوله «لما يوحى» ففي الإخبار الأول قال «أنا ربّك» أي: مالكك والناظر في مصلحتك. وفي الثاني «أنا الله» ذكر الاسم العلم الدالّ على جميع الصفات العليّة. والظاهر أنّ «فاعبدني» لفظ يتناول ما كلّفه به من العبادة. وعطف عليه ما قد[3] يدخل تحت ذلك المطلق، فبدأ بالصلاة، إذ هي أفضل الأعمال وأنفعها في الآخرة. والذكر: مصدر يحتمل أن يضاف إلى المفعول أي: لتذكرني، فإنّ ذكري أن أُعبد ويُصلّى لي.

لمّا ذكر تعالى الأمر بالعبادة وإقامة الصلاة، ذكر الحامل على ذلك، وهو البعث والمعاد أي: الجزاء فقال ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ وهي التي يظهر عندها ما عمله الإنسان، وجزاء ذلك إمّا ثواباً وإما عقاباً.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أخفي «من الأضداد» بمعنى الإظهار وبمعنى الستر. قال أبو

---

(١) ق: وأنّ.

(٢) ق: باسمع.

(٣) ق: ما هو قد.

عبيدة: خفيت وأخفيت بمعنى واحد، وقد حكاه عن أبي الخطاب. وأكاد: من أفعال المقاربة، لكنها هنا مجاز بالنسبة إلى الله تعالى. و﴿لِتُجْزَىٰ﴾ متعلّقة «بآتية». و«أكاد أخفيها» جملة اعتراض بينهما. ويجوز أن يتعلق «لتجزى» بقوله «أخفيها» إذا كان المعنى: أظهرها.

والظاهر أن الضمير في ﴿عَنْهَا﴾ عائد على ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ والمعنى: عن اعتقاد صحّتها ووقوعها لا محالة والحشر بعدها والجزاء.

والظاهر أن الخطاب في ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ لموسى عليه السلام. ولا يلزم من النّهي عن الشيء إمكان وقوعه ممّن سبقت له العصمة، فينبغي[1] أن يكون له لفظاً وللسامع غيره ممّا يمكن وقوع ذلك منه. ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ عطفاً على صلة «مَن». ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ جواب للنّهي. وأنْ مقدّرة بعد فاء الجواب. و«تردى» علامة النصب فيه فتحة مقدّرة في الألف، ومثاله في جواب النّهي قوله تعالى ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ ۝٨١﴾ [طه].

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝٢٣ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤﴾.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ علم تعالى في الأزل ما هي، وإنما سأله ليريه عِظَم ما يخترعه عزّ وعلا[2] في الخشبة اليابسة من قلبها حيّة

(١) ق: فينبغي.

(٢) ق: وجلا.

تسعى[١]، وليقرّر في نفسه البعد[٢] بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبّه على قدرته الباهرة. و«ما» استفهام مبتدأ. و«تلك» خبره. و«بيمينك» في موضع الحال كقوله ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ ﴿٧٢﴾﴾ [هود] والعامل فيه اسم الإشارة.

وقال الزمخشري[٣]: ويجوز أن تكون «تلك» اسماً موصولاً صلته «بيمينك»، ولم يذكر ابن عطية غيره.

وليس ذلك مذهباً للبصريين، وإنما ذهب إليه الكوفيون قالوا: يجوز أن يكون اسم الإشارة موصولاً حيث يتقدّر[٤] بالموصول كأنه [قيل]: وما التي[٥] بيمينك. وعلى هذا فيكون العامل في المجرور محذوفاً كأنه قيل: وما التي استقرت بيمينك. وفي[٦] هذا السؤال [٣٦٢/ب] وما قبله من خطابه تعالى لموسى عليه السلام استئناس عظيم وتشريف كريم.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ قرأ ابن أبي إسحاق والجحدري: عَصَيَّ[٧]، وهي لغة هذيل. قال الشاعر[٨]: [من الوافر]

---

(١) ق: حية صيّاصة.

(٢) ق: البعيدة.

(٣) الكشاف ٢: ٥٣٣.

(٤) ق: يتقرّر.

(٥) ق: وما تلك.

(٦) ق: في.

(٧) بقلب الألف ياءً وإدغامها في ياء المتكلّم.

(٨) البيت في شرح المفصل ٣: ٣٣ غير منسوب، وفي اللسان «حرر» منسوب للمنخل اليشكري.

يطـوّف بـي عِكَـبٌ[1] فـي مَعَـدٌ ويضـرب بـالصُّمُلّـةِ فـي قَفَيّـا

يريد: في قفاي. ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ التوكّؤ على الشيء: التحامل عليه في المشي والوقوف، ومنه الاتّكاء. توكّأت واتّكأت بمعنى واحد. ﴿وَأَهُشُّ﴾ هشّ على الغنم يَهُشّ بضمّ الهاء: خبط أوراق الشجر لتسقط، وهشّ إلى الرجل يهِشّ بالكسر، قاله ثعلب، إذا بشّر وأظهر الفرح به. والأصل في هذه المادة الرخاوة، يقال: رجل هشّ. وقدّم في الجواب مصلحة نفسه في قوله «أتوكّأ عليها» ثم ثنّى بمصلحة رعيّته في قوله ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾. والمآرب: ذكر المفسرون أنها كانت ذات شعبتين ومحجن[2]، فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين، وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلّق بها أدواته من القوس والكنانة والحِلاب[3]، وإذا كان في البرّية ركزها[4] وعرض الزّندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظلّ، وإذا قصر رشاؤه[5] وصله بها، وكان يقاتل بها السّباع عن غنمه. والمآرب: الحاجات. وعامَلَ المآرب وإن كان جمعاً معاملة الواحدة المؤنثة فأتبعها صفتها في قوله «أخرى» ولم يقل: أُخَر، رعياً للفواصل. وهو جائز في غير الفواصل، فكان أجوز وأحسن في الفواصل[6].

﴿قَالَ أَلْقِهَا﴾ الظاهر أن القائل هو الله تعالى. ومعنى «ألقها» اطرحها على

---

(١) ق: علب.

(٢) المحجن: العصا المعوجّة.

(٣) الحِلاب: الأناء يُحلب فيه.

(٤) ق: ذكرها.

(٥) ق: وساوه. والرّشاء: الحبل.

(٦) ق: الفصل.

الأرض.

﴿فَإِذَا هِيَ﴾ للمفاجأة. والحيّة تطلق على الصغير والكبير والذكر والأنثى. والجانّ: الرقيق من الحيّات. والثّعبان: العظيم منها. ولا تنافي بين تشبيهها بالجانّ في قوله ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴿١٠﴾﴾ [النمل] وبين كونها ثعباناً[١]؛ لأن تشبيهها بالجانّ هو أول حالها، ثم زيدت حتى صارت ثعباناً. أو شُبّهت بالجانّ وهي ثعبان في سرعة حركتها واهتزازها مع عظم خلقها. قيل: كان لها[٢] عُرْف كعُرف الفرس وصارت شعبتا العصا لها فماً، وبين لَحْييها أربعون ذراعاً.

وعن ابن عباس: انقلبت ثعباناً يبتلع الصخر والشجر والمحجنُ عُنُقاً وعيناها تتّقدان. فلما رأى هذا الأمر العجيب الهائل، لحقه ما يلحق البشر عند رؤية الأهوال والمخاوف، لا سيما هذا الأمر الذي يذهل العقول. ومعنى ﴿تَسْعَىٰ﴾ تنتقل[٣] وتمشي بسرعة. وحكمة انقلابها وقت مناجاته تأنيسُه بهذا المعجز الهائل حتى يلقيها[٤] لفرعون، فلا يلحقه ذعر[٥] منها في ذلك الوقت؛ إذ قد جرت له بذلك عادة، وتدريبُه في تلقّي تكاليف النبوّة ومشاقّ الرسالة.

ثم أمره تعالى بالإقدام على أخذها ونهاه [عن] أن يخاف منها. والسيرة: من السّير وهي الهيئة كالرِّكْبة والجِلْسة [٣٦٣/أ] يقال: سار فلان سيرة حسنة، ثم اتُّسع فيها فنُقلت إلى معنى المذهب والطريقة وقيل: سير الأولين

---

(١) ق: ثعبان.

(٢) ق: له.

(٣) ق: تنقل.

(٤) ق: يلقها.

(٥) ق: وعد.

أي: طريقة الأولين. وانتصب «سيرتها» على أنه بدل اشتمال[١] من الضمير المنصوب في «سنعيدها» أي: سنعيد سيرتها الأولى، وهي كونها كانت عصا.

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ الجناح حقيقة في الطائر، ثم أُطلق على العضد مجازاً. وفي الكلام حذف؛ إذ لا يترتب الخروج على الضمّ، وإنما يترتّب على الإخراج والتقدير: واضمم يدك إلى جناحك، ينضمّ، وأَخْرِجْها تخرجْ. فحذف من الأول، وأبقى مقابله، ومن الثاني، وأبقى مقابله وهو «اضمم» لأنه بمعنى أَدْخِلْ كما يبين في الآية الأخرى[٢].

﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ قيل: خرجت بيضاء تشفّ وتضيء كأنها شمس، وكان[٣] آدم اللون. وانتصب «بيضاء» على الحال. والسّوء: الرّداءة والقبح في كل شيء. وقوله ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ [متعلق «بيضاء»] ويقال له عند أرباب البيان الاحتراس؛ لأنه لو اقتصر على قوله «بيضاء» لأوهم أنّ ذلك من بَرَصٍ أو بَهَق[٤]. وانتصب ﴿ءَايَةً﴾ على الحال.

وقال الزمخشري[٥]: يجوز أن يكون «آية» منصوباً على إضمار: خذ ودونك وما أشبه ذلك، يحذف[٦] لدلالة الكلام، كذا قال، انتهى.

---

(١) ق: اشتمالها.

(٢) وهي قوله ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ۝١٢﴾ [النمل].

(٣) ق: وكأنها. والآدم من البشر: الأسمر.

(٤) البرص: داء وهو بياض. والبهق: بياض يعتري الجلد يخالف لونه ليس من البرص.

(٥) الكشاف ٢: ٥٣٤.

(٦) ق: بحذف.

أما تقدير: خذ، فسائغ، وأما: دونك، فلا يسوغ، لأنه اسم فعل من باب الإغراء ولا يجوز حذفه لأنّه حذف منه من الأصل العامل فيه، وناب منابه، فلا يجوز أن يُحذف النائب والمَنُوب منه، ولذلك لم يَجْر مجراه في جميع أحكامه. و﴿ أُخْرَىٰ ﴾ أي: غير الآية الأولى التي هي قلب العصا حيّة.

واللام في ﴿ لِنُرِيَكَ ﴾ لام كي. و﴿ ٱلْكُبْرَى ﴾ صفة لقوله ﴿ مِنْ ءَايَٰتِنَا ﴾ فوصف الجمع بما يوصف به المفرد. ولو كان ذلك في الكلام، لكان الوصف مطابقاً في الجمع للموصوف، فكان يكون: الكُبَر، لكن حسّن هذا كون «الكبرى» فاصلة.

قال الزمخشري[1]: «لنريك» أي: خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حيّة، لنريك بهاتين[2] الآيتين بعض آياتنا الكبرى، أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا، أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا[3] ذلك يعني أنه أجاز أن يكون مفعول «لنريك» الثاني «الكبرى»، أو يكون «من آياتنا» في موضع المفعول الثاني، وتكون «الكبرى» صفة «لآياتنا» على حدّ ﴿ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف] و﴿ مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [طه] بجريان مثل هذا الجمع مجرى الواحدة المؤنثة. وأجاز هذين الوجهين من الإعراب الحوفي وابن عطية وأبو البقاء[4].

والذي نختاره أن يكون «من آياتنا» في موضع المفعول الثاني و«الكبرى» صفة «لآياتنا»، لأنه يلزم من ذلك أن تكون آياته تعالى كلّها هي الكبرى، لأن

---

(١) الكشاف ٢: ٥٣٤.

(٢) ق: بما تبين.

(٣) ق: فقلنا.

(٤) إملاء ٢: ١٢١.

ما كان بعض الآيات الكُبَر، صدق عليه أنه[١] الكبرى. وإذا جعلت «الكبرى» مفعولاً فلا يمكن أن يكون صفة للعصا واليد معاً، لأنهما كانا يلزم التثنية في وصفهما فكان يكون التركيب: الكُبْرَيَيْن[٢]. ولا يمكن أن يخصّ أحدهما، لأنّ[٣] كلاًّ منهما فيها معنى التفضيل. ويبعد ما قال الحسن [٣٦٣/ب] من أنّ اليد أعظم في الإعجاز من العصا، لأنه ذكر عقيب اليد ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ لأنه جعل «الكبرى» مفعولاً ثانياً «لنريك» وجعل ذلك راجعاً إلى الآية القريبة، وهي إخراج اليد بيضاء من غير سوء. وقد ضعف قوله هذا لأنه ليس في اليد إلاّ تغيّر اللون، وأما العصا ففيها تغيّر [اللون] وخلق الزّيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والأعضاء المختلفة وابتلاع الشجر والحجر، ثم عادت عصا بعد ذلك. فقد وقع التغيّر مراراً، فكانت أعظم من اليد.

ولمّا أراه تعالى هاتين المعجزتين العظيمتين في[٤] نفسه، وفيما يلابسه، وهو العصا، أمره بالذّهاب إلى فرعون رسولاً من عنده تعالى. وعلّل[٥] حكمة الذّهاب إليه بقوله ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾. وخصّ فرعون وإن كان مبعوثاً إليهم كلّهم، لأنّه رأس الكفر ومدعي[٦] الإلٰهيّة، وقومه تُبّاعه.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ

(١) ق: آية.
(٢) ق: الكبيرتين.
(٣) ق: لارا.
(٤) ق: من.
(٥) ق: وعلّل به.
(٦) ق: ومدّع.

فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ الآية، سأل ربّه ورغب في أن يشرح صدره، ليحتمل ما يَرِدُ عليه من الشدائد التي يضيق لها الصّدر.

والعقدة استعارة لثقل كان في لسانه خلقةً. وقيل: كانت من الجمرة التي أدخلها[١] فاه في قصة حُكيت في البحر[٢].

قال الزمخشري[٣]: وفي تنكير العقدة، وإن لم يقل[٤]: واحلل عقدة لساني، أنه طلب حلّ بعضها، إرادة أن يُفهم عنه فهماً جيداً، ولم يطلب الفصاحة الكاملة، و«من لساني» صفة للعقدة كأنه قيل: عقدة من عقد لساني انتهى.

يظهر أنّ «من لساني» تعلق «باحلل» لا في موضع الصفة «لعقدة» وكذا

---

(١) ق: أدخلها الله.

(٢) انظر البحر ٦: ٢٣٩.

(٣) الكشاف ٢: ٥٣٥.

(٤) ق: ولم يقلل.

قال الحوفي. وأجاز أبو البقاء[١] الوجهين.

والوزير: المعين القائم بوِزْر الأمور أي: ثقلها، فوزير الملك يتحمل عنه أوزاره ومؤنه. وقيل: من الوَزَر، وهو الملجأ، يلتجىء إليه الإنسان.

ويجوز أن يكون ﴿وَزِيرًا﴾ مفعولاً[٢] أول، والمفعول الثاني ﴿مِّنْ أَهْلِى[٣]﴾.

ويجوز أن يكون ﴿هَـٰرُونَ﴾ مفعولاً أول و﴿وَزِيرًا﴾ مفعولاً ثانياً.

ويجوز في الوجه الأول أن يكون «هارون» بدلاً من «وزيراً» بدل معرفة من نكرة، ولا يجوز أن يكون عطف بيان للتخالف لكون[٤] «وزيراً» نكرة و«هارون» معرفة.

قال الزمخشري[٥]: وإن جُعل - يعني «أخي» - عطف بيان آخر[٦]، جاز وحَسُن انتهى.

يبعد فيه عطف البيان، لأنّ الأكثر أن يكون الأول دونه في الشهرة، والأمر هنا بالعكس.

وقرىء: أَشْدُدْ[٧]، بهمزة قطع جواباً لقوله «اجعل». وقرىء بوصل الهمزة، وهو طلبٌ من موسى عليه السلام لربّه أن يشدّ أزره به.

---

(١) انظر الإملاء ٢ : ١٢١.
(٢) ق: مفعول.
(٣) ق: أهل.
(٤) ق: يكون.
(٥) الكشاف ٢ : ٥٣٥.
(٦) ق: أخيه.
(٧) ق: أشد.

﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ على معنى الدعاء في شدّ الأزر. وكان هارون أكبر[(١)] من موسى عليه السلام بأربعة أعوام. وجعل موسى ما رغب فيه وطلبه من نعم سبباً يلزم منه العبادة والاجتهاد[(٢)] في أمر الله تعالى. والتّضافر[(٣)] على العبادة والتعاون فيها مثير للرغبة والتّزيد من الخير.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ أي: ننزّهك عمّا [لا] يليق بك. ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ بالدّعاء والثّناء عليك. وقدّم التّسبيح [٣٦٤/أ] لأنه تنزيهه تعالى في ذاته وصفاته وبراءته عن النقائص، ومحلّ ذلك القلب.

والذكر: الثناء على الله تعالى بصفات الكمال ومحلّه اللّسان، فلذلك قدّم ما محلّه القلب على ما محلّه اللسان. و﴿كَثِيرًا﴾ نعت لمصدر محذوف.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي: عالماً بأحوالنا.

والسُّؤل: فُعْل بمعنى المسؤول كالخُبْز والأُكْل بمعنى المخبوز والمأكول، والمعنى: أُعطيت طَلِبَتك وما سألته من شرح الصدر وتيسير الأمر وحلّ العقدة وجعل أخيك وزيراً، وذلك من المنّة عليه.

ثم ذكّره تعالى تقديم منّته عليه، على سبيل التّوقيف، ليعظم اجتهاده، وتقوى بصيرته. و﴿مَرَّةً﴾ معناه منّة. و﴿أُخْرَىٰٓ﴾ تأنيث آخر[(٤)] بمعنى غير، أي: منّة غير هذه المنّة.

---

(١) ق: أكثر.

(٢) ق: والاجهاد.

(٣) ق: والتطاير.

(٤) ق: أخرى.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ قال الجمهور: هو وحي إلهام كقوله تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ۝٦٨﴾ [النحل]. وقيل: وحي إعلام إما بإراءة ذلك في المنام، وإما ببعث ملك إليها، لا على جهة النبوّة، كما بعثه إلى مريم، وهذا هو الظاهر لظاهر قوله ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾، ولظاهر آية القصص ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص].

و﴿أَنِ﴾ يحتمل أن تكون تفسيرية بمعنى أي، لأنه تقدّمها «أوحينا» وهو بمعنى القول. ويحتمل أن تكون مصدرية وُصلت بالأمر.

والظاهر أن ﴿ٱلتَّابُوتِ﴾ كان من خشب، سدّت خروقه وفرشت فيه نِطْعاً[1] وقطناً محلوجاً، وسدّت فمه وجصّصته وقيّرته[2] وألقته في اليمّ، وهو اسم للبحر العذب.

والظاهر أن الضمير في ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ عائد على موسى عليه السلام، وكذلك الضميران بعده، إذ هو المحدَّث عنه لا التّابوت، إنّما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة. ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾ إنما ذكره بلفظ الأمر لسابق علمه بوقوع المُخْبَر به على ما أخبر به، فكأن البحر مأمور ممتثل[3] للأمر. ﴿يَأْخُذْهُ﴾ جواب للأمر الذي هو «فليلقه».

والظاهر أن البحر ألقاه بالسّاحل، فالتُقط منه. والعدوّ الذي لله تعالى ولموسى هو فرعون، وأُخبرت به أمّ موسى على طريق الإلهام، ولذلك «قالت لأخته قصيه» [القصص: ١١] وهي لا تدري أين استقرّ.

---

(١) النطع: البساط من الجلد.

(٢) أي طلته بالقار.

(٣) ق: مكان البحر.. تمثيل.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ قيل: محبّة آسية وفرعون. وكان فرعون أحبّه حبًّا شديداً حتّى لا يتمالك أن يصبر عنه. قال ابن عباس: أحبّه الله وحبّبه إلى خلقه. وقيل: جُعلت عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من رآه.

و﴿مِّنِّي﴾ يجوز أن يكون متعلّقاً بـ«ألقيت» ويجوز أن يكون في موضع الصّفة، فيتعلق بمحذوف تقديره: كائنة[1] منّي.

وقرأ الجمهور: ولِتُصْنَعَ، بكسر لام كي وضمّ التّاء ونصب الفعل أي: ولتُربَّى ويُحسَن إليك، وأنا مراعيك وراقبك[2] كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى [به]. وهو معطوف على علّة محذوفة، أي: ليُتَلَطَّف بك ولتُصنع، أو متعلقة بفعل متأخر تقديره: فعلتُ ذلك.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ قيل: اسمها مريم. قيل سبب ذلك أنّ آسية عرضَتْه للرّضاع، فلم يقبل امرأة، فجعلت تنادي عليه [٣٦٤/ب] في المدينة ويُطاف به، ويُعرض للمراضع فيأبى. وبقيت أمّه بعد قذفه في اليمّ مغمومة، فأمرت أخته بالفَتْش[3] في المدينة، لعلها تقع على خبره، فبَصُرت به في طوافها فقالت: أنا أدلّكم على من يكفله وهم له ناصحون، فتعلّقوا بها وقالوا: أنت تعرفين هذا الصبيّ. فقالت: لا، ولكن أعلم من أهل هذا البيت الحرص على التقرّب إلى الملكة، والجِدّ في خدمتها[4] ورضاها. فتركوها وسألوها الدلالة، فجاءت بأمّ موسى عليه السلام، فلمّا قرّبَتْه، شرب ثديها، فسرّت

(١) ق: كاية.

(٢) ق: وراقيك.

(٣) الفَتْش والتفتيش بمعنى.

(٤) ق: خلمها.

آسية بذلك، وقالت لها: كوني معي في القصر. فقالت[١]: ما كنت لأدع بيتي وولدي، ولكنه يكون عندي. قالت: نعم. فأحسنت إلى أهل ذلك البيت غاية الإحسان، واعتزّ بنو إسرائيل بهذا الرّضاع والنسب[٢] من الملكة. ولما كمل رضاعه، أرسلت آسية إليها أن جيئيني[٣] بولدي ليوم كذا. وأمرت خدمها ومن لها أن يَلْقَيْنه بالتحف والهدايا واللباس، فوصل إليها على ذلك وهو بخير حال وأجمل شأن[٤]، فسرّت به، ودخلت به على فرعون ليراه وليهبه[٥]، فأعجبه، وقرّبه إليه، فأخذ موسى عليه السلام بلحية فرعون. وتقدّم ما جرى له عند ذكر العقدة[٦].

و«إذ» بدل من «إذ» في قوله «إذ أوحينا» فالعامل فيها «مننّا».

وقرىء: تقِرّ، بكسر القاف. وتقدّم أنهما لغتان في قوله ﴿وَقَرِّى عَيْنًا ۝٢٦﴾ [مريم][٧]. وقرأ جناح بن حبيش بضمّ التاء وفتح القاف مبنيًّا للمفعول.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطي الذي استغاثه [عليه] الإسرائيلي، قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة. واغتمّ بسبب القتل خوفاً من عقاب الله تعالى له، ومن اقتصاص فرعون، فغفر الله تعالى له باستغفاره حين قال ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ۝١٦﴾ [القصص] ونجّاه من فرعون حين هاجر به إلى مدين. والغمّ:

---

(١) ق: فقلت.

(٢) ق: والسبب.

(٣) ق: جيتني.

(٤) ق: شباب.

(٥) ق: وليريه.

(٦) انظر تفسير الآية ٢٧ المتقدمة، والبحر ٦: ٢٣٩.

(٧) ولم يتقدم شيء ثمة.

ما يغمّ على القلب بسبب[1] الخوف من القتل.

و﴿ فُتُونًا ﴾ مصدر. ﴿ وَفَتَنَّٰكَ ﴾ خلّصناك من محنة بعد محنة: ولد في عام كان يُقتل فيه الوِلْدان، وألقته أمّه في البحر، وهمّ فرعون بقتله، وقتل قبطيًّا، فخرج خائفاً إلى أهل مدين، فلبث سنين، وكان عمره حين ذهب إلى مدين[2] اثني عشر عاماً، والسّنون التي لبثها في مدين عشر سنين. وأقام عشرة أعوام في رعي غنم شعيب، ثم ثمانية عشر عاماً بعد بنائه بامرأته بنت شعيب وولد له منها، فكمل له أربعون سنة، وهي المدّة التي عادة الله تعالى إرسال الأنبياء على رأسها.

﴿ ثُمَّ جِئْتَ ﴾ أي: المكان الذي ناجيتك فيه، وكلّمتك واستنبأتك. ﴿ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ أي: وقت معيّن قدّرته لم تتقدّم وتتأخر عنه.

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ أي: جعلتك موضع الصنيعة ومقرّ الإجمال والإحسان، وأخلصتك بالألطاف، واخترتك لمحبتي: يقال: اصطنع فلان فلاناً: اتّخذه صنيعة، وهو افتعال من الصنع، وهو الإحسان إلى الشخص حتى يضاف إليه فيقال: هذا صنيع فلان.

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾.

---

(١) ق: سبب.

(٢) ق: المدين.

﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا[٣٦٥/ أ] فِي ذِكۡرِي ﴾ الآية، أمره تعالى أولاً بالذهاب إلى فرعون، فلمّا دعا ربّه وطلب منه أشياء، كان منها[1] أن يشرك أخاه هارون، فذكر الله تعالى أنه آتاه سؤله، وكان منه إشراك أخيه، فأمره هنا وأخاه بالذّهاب. و﴿ وَأَخُوكَ ﴾معطوف على الضمير المستكنّ في «اذهب» المؤكد «بأنت». وتقدّم الكلام على نظيره في قوله ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة][2].

وظاهر ﴿ بِـَٔايَٰتِي ﴾ الجمع فقيل هي العصا واليد وحلّ عقدة لسانه.

﴿ وَلَا تَنِيَا ﴾ أي: لا تَفْتُرا ولا تقصّرا. والونى: الفتور، يقال: ونى يني.

ولمّا حذف من يذهب إليه في الأمر قبله، نصّ عليه في هذا الأمر الثاني، فقيل ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ ﴾ أي: بالرسالة. ونبّه على سبب الذّهاب إليه بالرسالة من عنده بقوله ﴿ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ أي: تجاوز[3] الحدّ في الفساد ودعواه الرّبوبية والإلهيّة من دون الله تعالى.

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ القول اللّين هو مثلْ ما في النازعات ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النازعات] وهذا من لطيف الكلام إذ أبرز ذلك في صورة الاستفهام والمشورة والعرض لما فيه [من] الفوز العظيم.

﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾ والترجّي بالنسبة لهما إذ[4] هو مستحيل وقوعه من الله تعالى، أي: اذهبا على رجائكما وطمعكما، وباشرا الأمر مباشرة من يرجوه،

---

(١) ق: فيها.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٤ من المائدة، والآية ٣٥ من البقرة.

(٣) ق: يجاوز.

(٤) ق: أو.

ويطمع أن يثمر عمله، ولا يخيب سعيه. وقوله «يتذكر» أي: يتذكر حال نشأته[١] صغيراً وأنه حدث بعد أن لم يكن موجوداً. ﴿أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ عقاب الله تعالى في دعواه الربوبيّة.

وفرط: سبق، ومنه الفارط: السابق. والمعنى أننا نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها ﴿أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ في التخطّي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه. وفي المجيء به هكذا على سبيل الإطلاق والرّمز باب[٢] من حسن الأدب وتجافٍ عن التفوّه بالعظيمة[٣].

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ المعيّة هنا بالنّصرة[٤] والعون. ﴿أَسۡمَعُ﴾ أقوالكما. ﴿وَأَرَىٰ﴾ أفعالكما. وقال ابن عباس: أسمع جوابه لكما، وأرى ما يفعل بكما، وهما كناية عن العلم.

﴿فَأۡتِيَاهُ﴾ كرّر الأمر بالإتيان. ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ وخاطباه بقولكما «ربك» تحقيراً له وإعلاماً أنه مربوب مملوك، إذ[٥] كان هو يدّعي الرّبوبية. وأُمِرَا بدعوته إلى أن يبعث معهما بني إسرائيل، ويخرجهم من ذلّ خدمة القبط، وكانوا يعذّبونهم بتكليف الأعمال الشاقّة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسّخرة في كل شيء، مع قتل الولدان واستخدام النّساء. وقد ذُكر في غير هذه الآية دعاؤه إلى الإيمان، فجملة ما دُعي إليه فرعون الإيمان وإرسال بني إسرائيل.

---

(١) ق: شتاته.

(٢) ق: والرمزيات.

(٣) ق: عن الشقوة بالعظمة.

(٤) ق: بالقرّة.

(٥) ق: إذا.

ثم ذكرا[١] ما يدلّ على صدقهما في إرسالهما إليه فقالا ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾، وتكرر أيضاً قولهما «من ربك» على سبيل التوكيد بأنه مربوب مقهور. والآية التي أحالا عليها هي العصا واليد. ولمّا كانا مشتركين[٢] في الرسالة صحّ نسبة المجيء بالآية إليهما، وإن كانت صادرة من أحدهما. ﴿قَدْ [٣٦٥/ب] جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ [مِّن رَّبِّكَ﴾] جارية من الجملة الأولى وهي ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ مجرى البيان والتفسير، لأن دعوى الرسالة لا يثبت إلّا ببيّنتها التي هي المجيء بالآية.

وإنما وحّد[٣] «بآية» ولم يثنّ، ومعه آيتان[٤]، لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها، فكأنه قال: قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجّة على ما ادّعيناه من الرسالة. وكذلك[٥] ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف]، ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء]، ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشعراء][٦].

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ مندرج متّصل بقوله ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ﴾ فيكون إذ ذاك خبراً بسلام المهتدين من العذاب. وفيه تنبيه على أنّ فرعون ليس ممّن اتّبع الهدى.

---

(١) ق: ذكر.

(٢) ق: مشركين.

(٣) ق: وجد.

(٤) ق: اثنان.

(٥) ق: ولذلك.

(٦) وما سبق من كلام الزمخشري ابتداء من قوله: قد جئناك بآية من ربك جارية من الجملة الأولى.. انظر الكشاف ٢: ٥٣٩.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ «أوحي» مبني للمفعول، والمفعول الذي لم يُسمَّ فاعله مصدر ينسبك من «أنّ» وما بعدها، تقديره: أوحي إلينا كينونة العذاب على من كذّب وتولّى. وفيه تنبيه على أن فرعون ممّن كذّب وتولّى.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ بين «قال» و«فمن»[1] محذوف تقديره: سمعت قولكما فمن ربكما؟. وخاطبهما معاً وأفرد موسى عليه السلام بالنّداء إذ كان صاحب عظم الرسالة وهارون وزيره وتابعه.

واستبدّ موسى عليه السّلام بجواب فرعون من حيث خصّه بالسؤال والنّداء معاً، ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها بوجه ولا مجاز. والمعنى: أعطى كلّ[2] ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الإتقان. ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: يسّر[3] كل شيء لمنافعه ومرافقه، فأعطى[4] العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع، وكذلك[5]

(١) ق: أفمن.

(٢) ق: لم ما.

(٣) ق: سيّر.

(٤) هذا ابتداء كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٢: ٥٣٩.

(٥) ق: الأسماع ولذلك.

الأنف واليد والرّجل واللسان كلّ واحد منها مطابق[١] لما علق به من المنفعة غير نابٍ عنه.

قال القشيري[٢]: والخَلْق: المخلوق، لان البطش والرؤية والنّطق معانٍ مخلوقة، أودعها الله تعالى للأعضاء.

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ لمّا أجابه موسى عليه السلام بجوابٍ مُسْكت، ولم يقدر فرعون على معارضته فيه، انتقل إلى سؤال آخر وهو: ما حال مَن هلك من القرون؟ وذلك على سبيل الرّوغان[٣] عن الاعتراف بما قال موسى عليه السلام، وما أجابه به، والحيدة والمغالطة[٤] قيل: سأله عن أخبارها وأحاديثها، ليختبر أهما[٥] نبيّان، أو هما من جملة القُصّاص الذين دارسوا قصص الأمم السّالفة. ولم يكن عنده عليه السلام علم إذ التّوراة إنّما أُنزلت عليه بعد هلاك فرعون.

﴿ قَالَ[٦] عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ﴾ الكتاب هنا اللوح المحفوظ. وقيل: فيما كتبته الملائكة من أحوال البشر. ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي ﴾ الكتاب ﴿ وَلَا يَنسَى ﴾ ما فيه.

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا[٧] وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ الآية، لمّا ذكر موسى عليه السلام دلالته على ربوبيّة الله تعالى، وتمّ كلامه عند قوله ﴿ وَلَا يَنسَى ﴾،

(١) ق: يطابق.
(٢) ق: الزمخشري.
(٣) ق: الزوغان.
(٤) ق: والمغالطة.
(٥) ق: أنّهما.
(٦) ق: فقال.
(٧) ق: مهاداً.

ذكر تعالى ما نبّه به على قدرته تعالى ووحدانيّته، فأخبر عن نفسه بأنه هو الذي [٣٦٦/أ] صنع كيت وكيت.

وإنما ذهبنا إلى أن هذا هو من كلام الله تعالى لقوله تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ وقوله ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ﴿٥٤﴾﴾ [طه] وقوله ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ﴿٥٦﴾﴾ [طه]، فيكون قوله «فأخرجنا» و«أريناه» التفاتاً من ضمير الغائب في «جعل» و«سلك» إلى ضمير المتكلّم المعظّم نفسه، ولا يكون الالتفات من قائلَيْن. وقرىء: مهداً ومهاداً.

ومعنى ﴿سُبُلًا﴾ أي: طرقاً[1]، و﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصناماً. و﴿شَتَّىٰ﴾ صفة للأزواج، والألف فيها للتأنيث اللازم، ووزنها فَعْلى. و﴿مِّن نَّبَاتٍ﴾ صفة لقوله «أزواجاً» يتعلّق بمحذوف تقديره: كائنةً من نبات[2]. وتأخّر جَعْل الاسم صفة على المجرور الذي هو صفة مراعاة لكون «شتّى» فاصلة. ومعنى ﴿شَتَّىٰ﴾ أي: مختلفة النفع والطّعم واللون والرائحة والشكل، بعضها يصلح للناس، وبعضها يصلح للبهائم.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ أمر إباحة معمول لحال محذوفة أي: فأخرجنا قائلين، أي: آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن يأكلوا بعضها، ويعلفوا بعضها. عدّي هنا ﴿وَٱرْعَوْا۟﴾، ورعى: يكون لازماً ومتعدّياً، تقول: رعت الدابّة رعياً، ورعاها صاحبها رعاية، إذا سامها وسرّحها وأراحها. وأشار بقوله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ للآيات السابقة مِن جَعْل الأرض مهداً وسَلْك سبلها وإنزال الماء وإخراج النبات.

---

(١) ق: داقاً.

(٢) ق: أزواج.

وقالوا ﴿ ٱلنُّهَىٰ ﴾ جمع نُهية وهو العقل، سمّي بذلك لأنه ينهى عن القبائح.

والضمير في «منها» عائد على الأرض. وأراد خلق أصلهم آدم عليه السلام، وقيل: من الأغذية التي تتولّد من الأرض، فيكون[1] ذلك تنبيهاً على ما توالدت منها الأخلاط المتولّد منها الإنسان، فهو من باب مجاز الحذف.

﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ أي: بالدفن فيها. ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ أي: بالبعث. ﴿ تَارَةً ﴾ أي: مرة أخرى، نؤلّف أجزاءهم المتفرقة، ونردّهم كما كانوا أحياء. وقوله ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ أي: إخراجه أخرى، لأن معنى قوله «منها خلقناكم» أي: أخرجناكم.

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ

---

(١) ق: يكون.

هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ هذا إخبار من الله تعالى محمداً[١] ﷺ، وهذا يدلّ على أن قوله ﴿فَأَخْرَجْنَا ﴿٥٣﴾﴾ [طه] إنما هو خطاب له عليه السلام.

و«أريناه آياتنا» هي المنقولة[٢] من رأى البصريّة، ولذلك تعدّت إلى اثنين بهمزة النّقل. و«آياتنا» ليس [عامًّا] إذ لم يُرِهِ تعالى جميع الآيات، وإنما المعنى: آياتنا التي رآها، فصارت الإضافة تفيد ما يفيد الألف واللام من العهد. وإنما رأى العصا واليد والطّمسة[٣] وغير ذلك ممّا رآه، فجاء التوكيد بالنسبة لهذه الآيات المعهودة، فكذّب بها جميعاً، وأبى أن يقبل[٤] شيئاً منها.

وفي قوله ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا﴾ وَهْن ظهر منه كثير، واضطراب لما جاء به موسى عليه السلام، إذ علم أنه على الحق، وأنه غالبه على ملكه لا محالة. وذكر علّة المجيء وهي إخراجهم، وألقاها في مسامع قومه، ليصيروا

---

(١) ق: محمد.

(٢) ق: القولة.

(٣) انظر شرح الآية ٨٨ من يونس.

(٤) ق: يقل.

مبغضين له؛ إذ الإخراج من الموطن مما يشقّ، وجعله الله تعالى مساوياً للقتل في قوله ﴿أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾ [النساء: ٦٦].

وقوله [٣٦٦/ب] ﴿بِسِحْرِكَ﴾ تعلّل وتحيّر[١]، لأنه لا يخفى عليه أن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه، ويغلبه على ملكه بالسّحر، وأورد ذلك على سبيل الشّبهة الطاعنة[٢] في النبوّة، وأنّ[٣] المعجز إنّما يتميّز عن السّحر بكون المعجز مما تتعذّر معارضته فقال ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾. ويدلّ على أنّ أمر موسى عليه السلام قد قوي، وكثرت[٤] منعته من بني إسرائيل ووقع أمره في نفوس الناس، إذ هي مقالة من يحتاج إلى الحجّة لا من يصدع بأمر نفسه. وأرضهم هي أرض مصر. وخاطبه بقوله «بسحرك» لأن الكلام كان معه والعصا واليد[٥] إنّما ظهرتا من قبله.

«فلنأتينك» جواب لقسم محذوف. أوهم الناس أنّ ما جاء به موسى عليه السلام إنما هو من باب السحر، وأنّ عنده من يقاومه في ذلك، فطلب ضرب موعد للمناظرة بالسحر.

والظاهر أنّ «موعداً» هنا هو زمان، أي: فعيّن[٦] لنا وقت اجتماع، ولذلك أجاب بقوله ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

---

(١) ق: وتخيّر.

(٢) ق: الطاغية.

(٣) ق: وإنما.

(٤) ق: وكثر.

(٥) ق: والنداء.

(٦) ق: معين.

ومعنى ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾ أي: لا نخلف ذلك الوقت في الاجتماع فيه.

وقوله «ولا أنت» معطوف على الضمير المستكنّ في «نخلفه» المؤكد «بنحن». و«سوى» صفة لقوله «مكاناً». وقرىء: سِوى، بكسر السين وضمّها. وكون فِعَل صفةً قليل؛ قالوا: منزلٌ زِيَمٌ أي: متفرّق أهله، وفُعَل صفة كثير نحو: حُطَم ولُبد.

والظاهر أن قوله «موعداً» يراد به زمان الوعد ولذلك أجاب[1] بقوله «موعدكم يوم الزينة». «وأن يحشر» أن مع الفعل بتأويل المصدر في موضع خبر[2] تقديره: يومُ الزّينة وحَشْرُ الناس. وروي أن يوم الزّينة كان عيداً لهم، وكان مشهوداً، وصادف يوم عاشوراء، وكان يوم سبت.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: بِمَ ينتصب «مكاناً»؟ قلت: بالمصدر أو بفعل يدلّ عليه المصدر. فإن قلت: كيف يطابقه الجواب؟ قلت: أمّا على قراءة الحسن[4] فظاهر، وأما على قراءة العامّة فعلى تقدير: وعدكم وعد يوم الزّينة. ويجوز على قراءة الحسن أن يكون «موعدكم» مبتدأ بمعنى الوقت و«ضحى» خبره على نيّة التعريف فيه لأنه[5] ضحى ذلك اليوم بعينه انتهى.

قوله إنّ «مكاناً» ينتصب بالمصدر، ليس بجائز، لأنه قد وصف قبل العمل

---

(١) ق: الجواب.

(٢) في المطبوع: في موضع جرّ. وكلاهما جائز؛ فإن كان في موضع رفع فهو عطف على «يومُ الزينة»، وإن كان في موضع جرّ فهو عطف على «الزينةِ». وانظر البحر ٦: ٥٤٢.

(٣) الكشاف ٢: ٥٤٢.

(٤) أراد: يومَ. انظر معجم القراءات القرآنية ٤: ٨٧.

(٥) ق: لا صفة.

بقوله «لا نخلفه» وهو موصول. والمصدر إذا وصف قبل العمل لم يَجُزْ أن يعمل عندهم.

وقوله: و«ضحى» خبره على نيّة التعريف فيه، لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه - وهو وإن [كان] ضحى ذلك اليوم بعينه، ليس على نيّة التعريف، بل هو نكرة، وإن كان من يوم بعينه، لأنه ليس معدولاً عن الألف واللام كسِحْر، ولا هو معرّف بالإضافة. ولو قلت: جئت يوم الجمعة بكراً[1]، لم تدّع أن بكراً معرفة، وإن كنّا نعلم أنه من يوم بعينه. وانتصب «مكاناً» بإضمار فعل تقديره: عِدْنا مكاناً سوى.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ ﴾ أي: معرضاً عن قبول الحق.

﴿ فَجَمَعَ [٣٦٧/ أ] كَيْدَهُۥ ﴾ أي: ذوي[2] كيده وهم السّحرة، وكانوا عصابة لم يخلق الله تعالى أسحر منها. ثم أتى الموعد الذي كانوا تواعدوه[3]. وأتى موسى عليه السلام بمن معه من بني إسرائيل.

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ وتقدّم تفسير ويل في سورة البقرة[4]. خاطبهم خطاب محذّر، وندبهم إلى قول الحق إذا رأوه، وأن لا يباهتوا بكذب.

﴿ فَيُسْحِتَكُم ﴾ أي: يهلككم ويستأصلكم. وفيه دلالة على عظم الافتراء،

---

(١) في الصحاح: تقول: أتيته بُكرةً بالضم، أي باكراً. فإن أردت به بكرة يوم بعينه قلت: أتيته بُكرةَ غير معروف، وهي من الظروف التي لا تتمكن.

(٢) ق: درى.

(٣) ق: أتوعدوه.

(٤) انظر تفسير الآية ٧٩ من البقرة.

وأنه يترتّب عليه هلاك الاستئصال. ثم ذكر أنه لا يظفر بالبغية، ولا ينجح طلبه من افترى على الله الكذب. و«فيسحتكم» منصوب بإضمار أن بعد الفاء، وهو جواب للنّهي في قوله «لا تفتروا». وقرىء: يُسحتكم، من أسحت. ويَسْحتكم، من سحت.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ أي: تجاذبوه، والتنازع يقتضي الخلاف. وإسرارهم النّجوى خيفةً من فرعون أن يتبيّن فيهم ضعفاً، لأنهم لم يكونوا مصمّمين على غلبة موسى عليه السلام، بل كان ظنًّا من بعضهم. وقال ابن عبّاس: إنّ نجواهم: إنْ غَلَبنا موسى اتّبعناه.

و«أمرهم» مفعول «بتنازعوا» فتعدّى لمفعول واحد، قال الشاعر(١):

[من الطويل]

فلمّا تنازعنا الحديث وأسمحَتْ   هصرتُ بغصنٍ ذي شمارِيخَ ميّالِ(٢)

ولو حذفت التاء، لتعدّى الفعل إلى اثنين، تقول: نازعت زيداً الحديث.

﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ﴾ قرىء: هذين، بالياء وهو اسم إنّ، وقرىء بالألف، وهي لغة لطوائف من العرب: بني الحارث بن كعب وبعض كنانة وخثعم وزبيد وبعض [بني] العنبر(٣) وبني الهجيم ومراد وعُذرة، يجعلون المثنّى بالألف رفعاً ونصباً وجرًّا، وقال شاعرهم في النصب(٤): [من الرجز]

أعرف منها(٥) الأنف والعينانا   [ومنخرين أشبها ظبيانا]

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٣٢.

(٢) ق: سيّال.

(٣) ق: العبر.

(٤) البيت لرؤبة في ديوانه ص١٨٧.

(٥) ق: منه.

وقال آخر في الجرّ[1]: [من الطويل]

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مضيًّا لنابـاه الشجـاعُ لَصَمّمـا

يريد: لنابيه.

وقرىء: إنْ هذان، بتخفيف إنْ، وهي المخفّفة من الثقيلة و«هذان» مبتدأ، و«لساحران» الخبر، واللام هي الفارقة بين إنْ النافية وإنْ المخفّفة من الثقيلة.

وقوله ﴿ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ﴾ تبعوا فيه مقالة فرعون في قوله ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [طه]، ونسبوا السّحر أيضاً لهارون لمّا كان مشتركاً معه في الرسالة وسالكاً طريقته. وعلّقوا الحكم على الإرادة، وهم لا اطّلاع لهم عليها، تعليقاً للحكم على الظاهر عندهم. و«أرضكم» هي أرض مصر.

ووصفوهما بالسحر تنقيصاً لهما وحطًّا من قدرهما. وقد كان ظهر لهم من أمر اليد والعصا ما يدلّ على صدقهما، وعلموا أنه ليس في قدرة الساحر أن يأتي بمثل ذلك.

والظاهر أن الضمير في «قالوا» عائد على السّحرة، خاطب بعضهم بعضاً.

و﴿ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ تأنيث الأمثل أي: الفضلى الحسنى.

وقرىء: فاجمعوا، بهمزة الوصل مِن جَمَع. [٣٦٧/ب] وفأَجْمِعوا، بقطع[2] الهمزة مِن أَجْمَعَ. وتقدّم الكلام على هذا في سورة يونس[3].

---

(١) البيت للمتلمّس الضُّبَعي في ديوانه ص٣٤.

(٢) ق: انقطع.

(٣) انظر تفسير الآية ٧١ من يونس.

والظاهر أنّه من كلام السّحرة[١] بعضهم لبعض. وانتصب «صفاً» على الحال، أي: مصطفّين.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: ظفر وفاز ببغيته[٢] مَن طَلَبَ العلوّ في أمره وسعى سعيه.

واختلفوا في عدد السّحرة اختلافاً كثيراً؛ فأقلّ ما قيل: إنهم كانوا اثنين وسبعين ساحراً، مع كل ساحر عصيّ وحبال. وأكثر ما قيل: إنهم كانوا تسع مئة ألف ساحر.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ الآية، في الكلام حذف تقديره: فجاؤوا مصطفّين إلى مكان الموعد، وبيد[٣] كل واحد منهم عصا وحبل[٤]، وجاء موسى وأخوه ومعه عصاه، فوقفوا أمامه، وقالوا: يا موسى إمّا أن تلقي. وذكروا الإلقاء لأنهم علموا أنّ آية موسى في إلقاء العصا. قيل: خيّروه ثقةً منهم بالغلب لموسى، وكانوا يعتقدون أنّ أحداً لا يقاومهم في السحر. و«أنْ» وما بعدها تنسبك مصدراً، فإما أن يكون مرفوعاً، وإما أن يكون منصوباً. والمعنى أنك تختار أحد الأمرين. وأختار أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره: إلقاؤك[٥] أول، ويدلّ عليه قوله ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ فتحسن المقابلة من حيث المعنى لا من حيث اللفظ.

---

(١) ق: الشجرة.

(٢) ق: ببغلته.

(٣) ق: ونبذ.

(٤) ق: وحبلاً.

(٥) ق: التارك.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾ ثَمَّ حذفٌ تقديره: فألقَوا فإذا حبالهم. وإذا هي الفجائية، وما بعدها مبتدأ. والضمير في «إليه» الظاهر أنه يعود على موسى لقوله قبلُ[1] «قال بل ألقوا» ولقوله بعدُ «فأوجس في نفسه خيفة موسى». و«أنها تسعى» في موضع المفعول لقوله «يخيَّل» أي: سعيُها. والجملة من قوله «يخيل» إلى آخرها في موضع خبر المبتدأ الذي هو «حبالهم». والرابط في الجملة هو الضمير الذي في «تسعى» أي: تسعى هي أي: الحبال والعصيّ.

والإيجاس هو من الهاجس الذي يخطر بالبال وليس يتمكّن. و«خيفة» أصله خِوْفةً، قلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها وتأخر فاعل «أوجس» وهو «موسى» لكونه فاصلة، وتقدم الضمير في «نفسه» وإن كان القياس تأخيره، فصار نظير: ضربَ غلامَه زيدٌ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨﴾ تقرير لغلبته وقهره، وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التوكيد وبتكرير[2] الضمير وبلام التعريف وبالأعلويّة الدالّة على التفضيل.

﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ لم يأت التركيب[3]: وألْقِ عصاك، لِمَا في لفظ اليمين من معنى اليُمْن والبركة.

وفي قوله ﴿تَلْقَفْ﴾[4] حملٌ على معنى «ما» لا على لفظها؛ إذ أطلقت «ما» على العصا، والعصا مؤنثة، ولو حمل على اللفظ لكان بالياء.

وقرىء: تَلَقَّفْ، وهو جواب الأمر. وأصله تتلقّف، ولذلك أدغم البزّي

---

(١) ق: قيل.

(٢) ق: وبكلمة التوحيد وتنكير.

(٣) ق: التركب.

(٤) وفي قوله تلقف: مكررة في ق.

التاء في التاء، وهو مضارع ماضيه تلقَّفَ، وقرىء: تَلْقِفْ، وهو مضارع لَقِفَ.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ «ما» موصولة صلته «صنعوا». والضمير العائد على «ما» محذوف تقديره: صنعوه. و«كيد» خبر «إنّ». وقرىء: كيد سحر. ومعنى «لا يفلح» أي: لا يظفر ببغيته. ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [٣٦٨/أ] أي: حيث توجّه وسلك.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ وجاء التركيب «فألقي السحرة» ولم يأت: فسجدوا، كأنه جاءهم أمرٌ، وأزعجهم، وأخذهم، فصنع بهم ذلك، وهو عبارة عن سرعة ما تأثّروا لذلك الخارق العظيم، فلم يتمالكوا[١] أن وقعوا ساجدين. وقُدِّم موسى في الأعراف[٢] وأُخِّر هارون لأجل الفواصل[٣]، ولكون موسى عليه السلام هو المنسوب إليه العصا التي ظهر فيها ما ظهر من الإعجاز. وأُخِّر هنا «موسى» لأجل الفواصل.

وتقدّم الخلاف في قراءة[٤] «آمنتم» وفي «لأقطعنّ» «ولأصلّبنّ» في الأعراف[٥]. وتقدّم تفسير نظير هذه الآية فيها. وجاء هناك ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأعراف] وهنا «له». وآمن توصل بالباء إذا كان بالله، وباللام لغيره في الأكثر نحو قوله ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس]، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴿١٧﴾﴾ [يوسف]، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت]. واحتمل الضمير في «له»[٦] أن يعود على موسى

---

(١) ق: يتماللوا.

(٢) في قوله تعالى ﴿قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف].

(٣) ق: وأخي هارون.. التواصل.

(٤) ق: قوله.

(٥) انظر تفسير الآيتين ١٢٣، ١٢٤ من الأعراف.

(٦) ق: واحتمل أي الضمير في به.

عليه السلام وأن يعود على الرّب وأراد بالتقطيع والتّصليب في الجذوع التمثيل بهم. ولمّا كان الجذع مقرًّا للمصلوب، واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف، عدّي الفعل بفي التي للوعاء.

و«لتعلمنّ» هنا [معلّق] «بأيّنا[١] أشدّ» [وهي] جملة استفهامية من مبتدأ وخبر في موضع نصب بقوله «ولتعلمن» سدّت مسدّ المفعولين، أو في موضع مفعول واحد إن كان «لتعلمنّ»[٢] معدّى تعدية عَرَفَ. ويجوز على هذا الوجه أن يكون «أينا» مفعول «لتعلمنّ» وهو مبنيّ على رأي سيبويه، و«أشد»[٣] خبر مبتدأ محذوف، و«أيّنا» موصولة والجملة بعدها صلته والتقدير: ولتعلمنّ الذي هو أشدّ عذاباً وأبقى.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ الآية، أي: لن نختار اتّباعك وسلامتنا من عذابك على ما جاءنا من البيّنات، وهي المعجزة التي أتتنا وعلمنا صحّتها. وفي قولهم هذا توهين له واستصغار[٤] لما هدّدهم به وعدم اكتراث بقوله. وفي نسبة المجيء إليهم وإن كانت البيّنات جاءت لهم ولغيرهم، لأنهم كانوا هم أعرف بالسّحر من غيرهم، وقد علموا أنّ ما جاء به موسى عليه السلام ليس بسحر، فكانوا على جليّة من العلم بالمعجز وغيرهم يقلّدهم في ذلك. والواو في «والذي فطرنا» واو عطف على «ما جاءنا» أي: وعلى الذي فطرنا. لمّا لاحت لهم حجّة الله تعالى في المعجز، بدؤوا[٥] بها، ثم ترقّوا إلى القادر

---

(١) ق: وأيّنا.

(٢) ق: ليعلمنّ.

(٣) ق: واحدد.

(٤) ق: واستصغاراً.

(٥) ق: ثم بدؤوا.

على خرق العادة، وهو الله تعالى وذكروا واصف[1] الاختراع وهو قولهم «الذي فطرنا» تبييناً لعجز فرعون وتكذيبه في ادّعاء الرّبوبية والإلهيّة. و«ما» موصولة بمعنى الذي، وصلته «أنت قاض» والعائد محذوف تقديره: ما أنت قاضيه. ونظيره قول الشاعر[2]: [من الطويل]

ويصغر في عيني تِلادي إذا انثنت   يميني بإدراك الذي كنتُ طالبا

أي: طالبه.

وفي قولهم ﴿فَٱقۡضِ﴾ أمر تحقير لفرعون وعدم مبالاة بما هدّدهم به. وانتصبت «هذه الحياة» على الظرف. و«ما» مهيّئة ويحتمل أن تكون مصدرية [٣٦٨/ب] أي: إنّ قضاءك في هذه الحياة الدنيا لا في الآخرة.

ولم يصرّح في القرآن بأنه أنفذ فيهم وعيده السابق، بل الظاهر أنّه تعالى سلّمهم منه، ويدلّ على ذلك قوله تعالى ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٣٥﴾ [القصص]. وإكراهه إياهم على السّحر حملهم على معارضة موسى عليه السلام مع علمهم أنه ليس بساحر.

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ رَدٌّ على قوله ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ۝٧١﴾ [طه] أي: وثواب الله تعالى [وما] أعدّه لمن آمن به خير وأبقى.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ قيل: هو حكاية قولهم عظة لفرعون، وقيل: خير من الله تعالى، لا على وجه الحكاية، تنبيهاً على قبح ما فعل فرعون، وحسن ما فعل السّحرة، وموعظة وتحذيراً. والضمير في «إنه» ضمير الأمر والشأن،

---

(١) ق: وصف.

(٢) البيت لسعد بن ناشب في شرح ديوان الحماسة ١: ٦٩.

والجملة الشرطية بعده وجوابها في موضع خبر إنّ، وحُملت الضمائر فيها على لفظ «مَن» [فأُفردت، وفي الجملة الآتية بعدها حملت أوّلاً على لفظ «مَن»] فأفرد، ثم ثانياً على معنى «من» فجمع في قوله «فأولئك لهم».

و«جنات» بدل من قوله «الدرجات». ومعنى «تزكى» أي: تطهّر من المعاصي.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ هذا استئناف إخبار عن شيء من أمر موسى عليه السلام. وبينه [وبين] مقال السّحرة مدّة من الزمان، حدث فيها لموسى وفرعون حوادث؛ وذلك أن فرعون لمّا انقضى أمر السّحرة وغلب موسى وقوي[1] أمره، وعده فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل، فأقام موسى عليه السلام على وعده حتى غدره فرعون ونكث، وأعلمه أنه لا يرسلهم معه. فبعث الله تعالى حينئذ الآيات المذكورة في غير هذه الآيات، كلّما جاءت آية وعد فرعون أن يرسل بني إسرائيل عند انكشاف العذاب، فإذا انكشف نكث حتى تأتي أخرى. فلّما كملت الآيات أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج ببني[2] إسرائيل في الليل سارياً. والسُّرى: سير

(١) ق: وقرىء.

(٢) ق: بني.

الليل، ويحتمل أن تكون [«أنْ»] مفسّرة، وأن تكون الناصبة للمضارع. و«بعبادي» إضافة تشريف. والظاهر أن الإيحاء(١) إليه بذلك وبأن يضرب البحر كان متقدّماً بمصر على وقت إتْباع فرعون موسى وقومه بجنوده.

ويروى أن موسى عليه السلام نهض ببني إسرائيل وهم ستّ مئة ألف إنسان فسار بهم من مصر يريد بحر القلزم، واتصل الخبر بفرعون، فجمع جنوده، وحشرهم(٢)، ونهض وراءه. فأوحى الله تعالى إلى موسى أن يقصد(٣) البحر، فجزع بنو إسرائيل، ورأوا أن العدوّ من ورائهم، والبحر من أمامهم، وموسى يثق بصنع الله تعالى. فلما رآهم فرعون قد نهضوا نحو البحر، طمع فيهم، وكان مقصدهم إلى موضع تنقطع فيه الفحوص(٤) والطرق الواسعة. قيل: وكان من خيل فرعون تسعون ألف أدهم ونسبة ذلك من سائر الألوان، وقيل أكثر من ذلك. فضرب موسى عليه السلام البحر، فانفرق اثنتي عشرة(٥) فرقة طرقاً واسعة بينها حيطان الماء واقفة(٦)، فدخل موسى عليه السلام البحر بعد أن بعث الله تعالى ريح الصَّبا فجفّفت تلك الطرق حتى يبست ودخل بنو إسرائيل. ووصل فرعون [٣٦٩/أ] إلى المدخل، وبنو إسرائيل كلهم في البحر، فرأى الماء على تلك الحالة فجزع(٧) قومه واستعظموا الأمر. فقال لهم: إنما انفلق من هيبتي.

---

(١) ق: الإنجاء.

(٢) ق: وجسرهم.

(٣) ق: تقصد.

(٤) الفحوص: المواضع المسكونة.

(٥) ق: عشر.

(٦) ق: واثقة.

(٧) ق: فخرج.

وتقدّم غرق فرعون في سورة البقرة والأعراف ويونس[١]. والظاهر أن لفظة «اضرب» [هنا على حقيقتها من مسّ العصا البحر بقوة وتحامل على العصا، ويوضحه في آية أخرى. ﴿أَنِ ٱضْرِب]بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء]. فالمعنى: أن اضرب بعصاك البحر لينفلق لهم فيصير طريقاً، فتعدّى إلى الطريق بدخول هذا المعنى لما كان الطريق متسبّباً عن الضرب، جُعل كأنه المضروب.

و﴿يَبَسًا﴾ مصدر وُصف به الطريق وصفه بما آل إليه، إذ كان حالةَ الضرب لم يتّصف باليَبَس بل مرّت عليه الصَّبا فجفّفته كما روي. ويقال: يَبِس يُبْساً ويَبَساً كالعُدْم والعَدَم. ومن كونه مصدراً وُصف به المؤنث؛ قالوا: شاة يَبَس وناقة يَبَس إذا جفّ لبنها. وقرىء: لا تخاف، وهي جملة في موضع الحال من ضمير «فاضرب». وقرىء[٢]: لا تَخَفْ، على جواب الأمر. والدَّرْك والدَّرَك اسمان من الإدراك، أي: لا يدركك فرعون وجنوده ولا تخشى.

والظاهر أن الضمير في ﴿غَشِيَهُمْ﴾ في الموضعين عائد على فرعون وقومه. والفاعل «بغشيهم» «ما» الموصولة أي: الذي غشيهم. وفي لفظة «ما» إبهام وتهويل وتعظيم كقوله[٣] تعالى ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم].

«وما هدى» أي: ما هدى قومه إلى الدين، أو ما اهتدى في نفسه، لأن هدى قد يأتي بمعنى اهتدى.

---

(١) انظر تفسير الآيات ٥٠، ١٣٦، ٩٠ من السوّر المذكورة.

(٢) ق: وقوله.

(٣) ق: إبهام التويل وتعظيم لقوله.

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ ﴾ ذكّرهم تعالى بأنواع[١] نعمه، وبدأ بإزالة ما كانوا فيه من الضرر من الإذلال والخَراج[٢] والذّبح، وهي آكد أن تكون مقدَّمة على المنفعة الدنياوية، لأن إزالة الضّرر أعظم في النعمة من إيصال تلك المنفعة. ثم أعقب ذلك بذكر المنفعة[٣] الدينية وهو قوله تعالى ﴿ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ ﴾ إذ أنزل على نبيّهم موسى عليه السلام كتاباً فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم، ثم بذكر[٤] المنفعة الدّنياوية وهو قوله تعالى ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾.

قال الزمخشري[٥]: وقرىء: الأيمن، بالجرّ على الجِوار نحو: جحر ضبٍّ خربٍ انتهى.

هذا من الشذوذ والقلّة بحيث ينبغي أن لا تُخرَّج القراءة عليه. والصحيح أنه نعت «للطّور» لما فيه من اليُمن وإمّا لكونه على يمين من يستقبل الجبل. والظاهر أن الخطاب لمن نجا مع[٦] موسى عليه السلام بعد إغراق فرعون وقومه.

﴿ فَيَحِلَّ ﴾ منصوب بإضمار أنْ بعد الفاء في جواب النّهي.

﴿ فَقَدۡ هَوَىٰ ﴾ أي: سقط وهو كناية عن الهلاك.

---

(١) ق: باتباع.

(٢) الخراج: الإتاوة.

(٣) ق: المفقعة.

(٤) ق: يذكر.

(٥) الكشاف ٢: ٥٤٧.

(٦) ق: بجامع.

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ الآية، «وما أعجلك» سؤال عن سبب[1] العجلة، وأجاب بقوله ﴿ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾[2] لأن قوله «وما أعجلك» تضمّن تأخر قومه عنه، فأجاب مشيراً إليهم لقربهم منه أنهم

(١) عن سبب: مكررة في ق.

(٢) بعده في ق: لأن قوله: وما أعجلك، سؤال عن سبب العجلة وأجاب بقوله: هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى. ففيه تكرار.

على أثره جائين للموعد، وذلك على ما كان عهد إليهم [٣٦٩/ب] أن يجيئوا للموعد. ثم ذكر السبب الذي حمله على العجلة وهو ما تضمّنه قوله «وعجلت إليك ربّ لترضى» من طلب رضى الله تعالى في السبق إلى ما وعده ربه. ومعنى «إليك» أي: إلى مكان وعدك. و«لترضى» أي: ليدوم رضاك ويستمر، لأنه تعالى كان راضياً عنه.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي: اختبرناهم بما فعل السامري. والسامريّ: قيل اسمه موسى بن ظفر[1] وقيل غير ذلك. وتقدّم في الأعراف[2] كيفية اتّخاذ العجل.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وذلك بعدما استوفى الأربعين. وانتصب ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ على الحال. والأسَف: أشد الحزن. ثم أخذ موسى عليه السلام يوبّخهم على إضلالهم. والوعد الحسن: ما وعدهم من الوصول إلى جانب الطّور الأيمن وما بعد ذلك من الفتوح[3] في الأرض.

﴿أَفَطَالَ﴾ إلى آخره، توقيف على أعذار لم تكن ولا تصحّ[4] لهم، وهو طول العهد حتى يتبيّن لهم خلف في الموعد.

وقرىء: بملكنا، بفتح الميم وضمّها وكسرها. قال أبو علي الفارسي: فمعنى الضمّ أنه لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك بسلطانه، وإنما أخلفناه بنظرٍ أدّى إليه ما فعل السامريّ، فليس المعنى أن لهم ملكاً. وفتح الميم

---

(١) ق: يظفر، والتّصْويب من المعارف ص٢٠.

(٢) انظر تفسير الآية ١٤٨ وما بعدها من الأعراف.

(٣) ق: الفرح.

(٤) ق: تفتح.

مصدر من مَلَك، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنّا ملكنا الصواب ولا وفّقنا له، بل غلبتْنا أنفسنا. وكسر الميم كثر استعماله فيما تحوزه اليد، ولكنه يستعمل في الأمور التي يبرمها الإنسان، ومعناها بمعنى التي قبلها. والمصدر في هذين الوجهين مضاف إلى الفاعل، والمفعول مقدّر أي: بملكنا[١] الصواب.

والأوزار الأثقال، أطلق على ما كانوا استعاروا من القبط برسم التزيين أوزاراً لثقلها، أو بسبب أنهم أثموا في ذلك، فسمّيت أوزاراً لما حصلت الأوزار التي هي الآثام بسببها.

و«القوم» هنا القبط.

﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي: الحلي في النار. [وكان أشار عليهم بذلك السامريّ فحفرت حفرة وسجرت فيها النار] وقذف كل من كان معه شيء من ذلك الحلي في النار، وقذف السامريّ ما كان معه.

[ومعنى ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إلقائنا إياها ألقى السامريّ ما كان معه].

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ أي: السامريّ.

﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ تقدّم الكلام على مثل هذا في الأعراف[٢]. والضمير في «فقالوا» لبني إسرائيل، أي: ضلّوا حين قال كبارهم لصغارهم. و«هذا» إشارة إلى العجل. والظاهر أنّ الضمير في «فنسي» عائد على السامري، أي: فنسي إسلامه وإيمانه قاله ابن عباس.

ثم بيّن تعالى فساد اعتقادهم بأن الألوهيّة لا تصلح لمن سُلبت عنه هذه

---

(١) ق: تملّكنا.

(٢) انظر تفسير الآية ١٤٨ من الأعراف.

الصفات فقال ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ[1] قَوْلًا﴾ والرؤية هنا بمعنى العلم، ولذلك جاء بعدها أنْ المخفّفة من الثقيلة، كما جاء ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف] [بأنّ الثقيلة].

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ الآية، أشفق هارون على نفسه وعليهم، وبذل لهم النّصيحة، وبيّن أنّ ما ذهبوا إليه من أمر العجل إنما هو فتنة؛ إذ كان مأموراً من عند الله تعالى بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ومن أخيه موسى عليه السلام [٣٧٠/أ] ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف]. ولا يمكنه أن يخالف أمر الله تعالى وأمر أخيه عليه السلام. والضمير في «به» عائد على العجل. زجرهم أوّلاً هارون عن الباطل وأزال[2] الشّبهة بقوله ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾، ثم نبّههم على معرفة ربهم، وذكر وصف الرحمة تنبيهاً على أنهم متى تابوا قَبِلَهم، وتذكيراً لتخليصهم من فرعون زمان لم يوجد العجل، ثم أمرهم باتّباعه تنبيهاً على أنه نبيّ، يجب أن يُتّبع، ويطاع أمره.

ولمّا وعظهم[3] هارون، ونبّههم على ما فيه رشدهم، اتّبعوا سبيل الغيّ وقالوا: لن نبرح على عبادته مقيمين ملازمين له، وغيّوا[4] ذلك برجوع موسى عليه السلام. وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم إلى الاستدلال، وأخذهم بتقليد[5] السامريّ.

﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ «أن» هي الناصبة للمضارع، وينسبك مصدراً أي: ما

---

(١) ق: لهم.

(٢) ق: وإزالة.

(٣) ق: وعظ.

(٤) ق: رغبوا. وغيّوا ذلك برجوعه: جعلوا رجوعه غاية.

(٥) ق: وأخذ بتقليدهم.

منعك من اتّباعي.

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ استفهام إنكار وهو عليه السلام لم يعص كلام أخيه.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾[١] تقدّم الكلام على «ابن أمّ» في الأعراف[٢].

﴿لَا تَأْخُذْ﴾ وكان قد شرع في أخذ رأس أخيه [كما تقدّم في قوله ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ] يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف] لأنّ في ذلك إهانة. واستعذر هارون لأخيه بقوله ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾. والتفريق الذي خشيه هو التقاتل بينهم لتكون[٣] أنت المتدارك لأمرهم.

ولمّا فرغ من عتابه لأخيه وجواب أخيه له، رجع إلى مخاطبة الذي أوقعهم في الضّلال وهو السّامري.

قال ابن عطية: «ما خطبك» كما تقول: ما شأنك وما أمرك؟ لكن لفظة الخطب تقتضي انتهاراً، لأنّ الخطب مستعمل في المكاره فكأنه قال: ما نحسك[٤] وما شؤمك وما هذا الخطب الذي جاء من قبلك انتهى.

هذا ليس كما ذكر! ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الحجر] وهو قول إبراهيم لملائكة الله تعالى، فليس هذا يقتضي انتهاراً.

وقرىء: فقبضت، بالضاد المعجمة فيهما، أي: أخذت بكفّي مع

(١) ق: قال ابن أمّ.

(٢) انظر تفسير الآية ١٥٠ من الأعراف.

(٣) ق: ليكون.

(٤) ق: بخشك.

الأصابع. وقرىء بالصاد فيهما. وقال المفسرون: «الرسول، هنا جبريل عليه السلام وتقديره: من أثر حافر فرس الرسول. والأثر: التراب الذي تحت حافره.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحلي الذي تصوّر [منه العجل] وكذلك سوّلت لي نفسي. وقال أبو مسلم الأصبهاني: ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون.

وهنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى، وأثره سنّته ورسمه الذي أمر به؛ فقد يقول الرجل: فلان يقفو أثر فلان ويقتصّ أثره، إذا كان يمتثل[1] رسمه. والتقدير أنّ موسى لما أقبل على السامريّ باللّوم والمسألة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم في العجل، قال: بصرت بما لم يبصروا به، أي: عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحقّ، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول، أي: شيئاً من دينك فنبذتها أي: طرحتها. فعند ذلك أعلمه[2] موسى بما له من العذاب في الدنيا والآخرة. [٣٧٠/ب] وإنّما أراد لفظ الإخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له: ما يقول الأمير في كذا؟ أو بماذا يأمر الأمير؟. وأما تسميته رسولاً مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ [ٱلذِّكۡرُ] إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر] وإن لم يؤمنوا بالإنزال. قيل[3]: وما ذكره أبو مسلم أقرب إلى التحقيق إلا أنّ فيه مخالفة المفسرين.

---

(١) ق: تمثيل.

(٢) ق: أعلم.

(٣) ق: بالإنزال قبل.

قيل: ويبعد ما قالوا إنّ جبريل عليه السلام ليس معهوداً باسم رسول ولم يَجْرِ له فيما تقدّم ذِكْر حتى تكون اللام في الرسول لسابق[١] في الذكر، ولأنّ ما قالواه لا بدّ فيه من إضمار، أي: من أثر حافر فرس الرسول، والإضمار خلاف الأصل، ولأن اختصاص السامريّ برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس يبعد جدًّا، وكيف عرف أنّ أثر حافر فرسه يؤثر هذا الأثر الغريب العجيب من إحياء الجماد به وصيرورته لحماً ودماً، وكيف عرف [أنّ] جبريل يتردّد إلى نبيّ، وقد عرف نبوّته، وصحّت عنده، فحاول الإضلال، وكيف اطلع كافر على ترابٍ هذا شأنه، فلقائل أن يقول: لعلّ موسى اطّلع على شيء آخر يشبه هذا، فلأجله أتى بالمعجزات، فيصير ذلك قادحاً فيما أتوا به من الخوارق. ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحلي الذي صوّر منه العجل.

﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾[٢] أي: كما حدث ووقع قرّبت لي نفسي وجعلته لي سؤلاً وأرباً حتى فعلته.

وكان موسى عليه السلام لا يقتل[٣] بني إسرائيل إلا في حدٍّ أو وحي، فعاقبه باجتهاد نفسه، بأن أبعده، ونحّاه عن الناس، وأمر بني إسرائيل باجتنابه واجتناب قبيلته، وأن لا يؤاكلُوا ولا يناكَحوا، وجعل له أن يقول مدة حياته ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا مماسّة ولا إذاية[٤].

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: في القيامة.

---

(١) ق: السابق.

(٢) فنبذتها. . سوّلت لي نفسي، وردت الجملة في شرح الآية قبل قليل.

(٣) ق: لا يقبل.

(٤) ق: إذابه.

﴿ لَّن تُخْلَفَهُۥ ﴾ أي: لن تستطيع الرّوغان عنه والحيلة، فتزلّ عن موعد العذاب.

﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ﴾ خاطبه وحده إذ كان هو رأس الضّلال، وهو ينظر لقولهم ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [طه].

وأقسم ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ وهو أعظم فساد الصورة.

﴿ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ حتى تتفرق أجزاؤه فلا تجتمع.

وانتصب «علماً» على التمييز المنقول من الفاعل تقديره: وسع علمه كل شيء.

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ[١] نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ الآية، «ذلك» إشارة إلى نبأ موسى وبني إسرائيل وفرعون، أي: كقصّنا[٢] هذا النبأ الغريب، نقصّ عليك من أنباء الأمم السالفة [وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة وهي الإعلام بأخبار الأمم السالفة] ليتسلّى بذلك، ويعلم ما صدر من الأمم لرسلهم وما قاست الرسل منهم. والظاهر أنّ الذكر هنا القرآن، امتنّ تعالى عليه بإيتائه الذكر المشتمل على القصص والأخبار، الدالّة ذلك على معجزات أُوتِيَها[٣].

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ أي: عن القرآن بكونه لم يؤمن به ولم يتّبع ما فيه. وقرىء: يَحْمل، مضارع حمل. وقرىء: يحمّل، مشدّداً. والظاهر أنه عبّر عن العقوبة بالوزر لأنه سببها ولذلك قال ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي[٤]: [٣٧١/أ] في العذاب والعقوبة. وجمع «خالدين» والضمير في «لهم» حملاً على معنى «مَن» بعد الحمل على لفظها في «أعرض» وفي «فإنه يحمل». والمخصوص بالذّم محذوف [تقديره]: وزرهم. و«لهم» للبيان كهي في ﴿هَيْتَ لَكَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف] لا متعلقة «بساء». [و«ساء»] هنا التي جرت[٥] مجرى بئس، لا ساء التي بمعنى أحزن وأهمّ، لفساد المعنى.

﴿يَوْمَ[٦] يُنفَخُ﴾ بدل من «يوم القيامة». أسند النّفخ إلى الآمر[٧] به، والنافخ

---

(١) ق: وكذلك.

(٢) ق: لقضاء.

(٣) ق: أوتيتها.

(٤) أي: مكررة في ق.

(٥) ق: التي هي جرت.

(٦) ق: ويوم.

(٧) يتوافق هذا الكلام وقراءة من قرأ: ننفخ، بنون العظمة.

هو إسرافيل، ولكرامته أسند[١] ما يتولّاه إلى ذاته المقدّسة.

و﴿ٱلصُّورِ﴾ تقدّم الكلام عليه في سورة الأنعام[٢].

والظاهر أن المراد بالزّرق زرقة العيون. والزّرقة أبغض الألوان للعرب وكانت [تتشاءم] به.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يتسارّون[٣] لهول المطلع وشدّة ذهاب أذهانهم قد عزب عنهم قدرة المدة التي لبثوا فيها.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ أي: في دار الدنيا أو في البرزخ أو بين النفختين، ثلاثة أقوال. ووصف ما لبثوا فيه بالقصر.

﴿إِلَّا يَوْمًا﴾ إشارة لقصر مدة لبثهم.

﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ تحتمل أن تكون عشر ليالٍ أو عشرة أيام، لأن المذكر إذا حذف وأبقي عدده قد لا يأتي بالتاء. وحكى الكسائي عن أبي الجراح: صمنا من الشهر خمساً، يريد: خمسة أيام. [ومنه] ما جاء «ثمّ أتبعه بستٍّ من شوال»[٤] يريد: ستة أيام. وحَسَّن الحذف هنا كون ذلك فاصلة رأس آية. ذكروا أوّلاً منتهى أقلّ العدد وهو العشر، وذكر أَعْدَلُهم طريقة أقلّ العدد وهو اليوم الواحد. ودلّ ظاهر قوله «إلا يوماً» على أن المراد بقولهم «عشراً» عشرة أيام.

---

(١) ق: ولكن أمته أشد.

(٢) لم يتقدم الكلام عليه في آية الأنعام ٧٣.

(٣) ق: يتساورون.

(٤) أخرجه مسلم ٢ : ٨٢٢ من حديث أبي أيّوب الأنصاري.

وضمير الغائب في ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ عائد على قريش منكري البعث. والخطاب لرسول الله ﷺ. والظاهر وجود السؤال وكأنه تضمّن معنى الشرط، ولذلك دخلت الفاء في قوله «فقل» بخلاف السؤالات في القرآن فليس فيها الفاء بل لفظ: قل. وروي أنّ الله تعالى يرسل على الجبال ريحاً فتدكدكها حتى تكون كالعهن المنفوش[1]، ثم تتوالى عليها حتى تعيدها كالهباء المنبثّ فذلك هو النسف.

والظاهر عود الضمير في ﴿فَيَذَرُهَا﴾ على «الجبال» أي: بعد النسف تبقى قاعاً أي: مستوياً من الأرض معتدلاً.

﴿عِوَجًا﴾ قال ابن عبّاس: ميلاً.

﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ أثراً مثل الشّراك[2].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ التنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة، التقدير: يوم إذ ينسف الله الجبال. «يتبعون» أي: الخلائق. «الداعي» داعي الله تعالى إلى المحشر نحو قوله تعالى ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۝٨﴾ [القمر] وهو إسرافيل يقوم على صخرة بيت المقدس، يدعو الناس فيقبلون من كل جهة، يضع الصّور في فيه ويقول: أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة، هلمّ إلى العرض على الرحمن. والظاهر أن الضمير في «له» عائد على «الداعي» نفى عنه العوج أي: لا عوج لدعائه[3]، بل يُسمع جميعهم فلا

---

(١) تدكدكت الجبال: صارت دكّاوات وهي روابٍ من طين واحدتها دكّاء. والعهن: الصوف المصبوغ ألواناً.

(٢) الشُّراك: سير النعل على ظهر القدم.

(٣) ق: له غاية.

يميل إلى ناس دون ناس.

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ هو على حذف مضاف أي: أصحاب الأصوات. والهمس: الصوت [٣٧١/ ب] الخفي.

﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ هو على حذف مضاف تقديره: إلاّ شفاعة[١] من أذن له الرحمن، أي: في الشفاعة. و«مَن» في موضع رفع بدل من قوله «الشفاعة» على حذف المضاف الذي قلناه.

﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ هو لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

والظاهر أن الضمير في ﴿أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ عائد على الخَلْق المحشورين وهم متّبعو الداعي. والضمير في «به» عائد على الله تعالى، أي: لا يحيط علم أحد بالله تعالى إذ ليس داخلاً تحت تحديد[٢]. و«علماً» تمييز منقول من الفاعل أي: ولا يحيط علمهم به.

والظاهر عموم الوجوه أي: وجوه الخلائق. وخصّ الوجوه لأنّ آثار الذّل إنما تظهر أوّلاً[٣] في الوجوه.

و﴿ٱلْقَيُّومِ﴾ تقدّم الكلام عليه في البقرة[٤].

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ أي: لم ينجح ولم يظفر بمطلوبه[٥]. والظلم يعمّ الشّرك

---

(١) ق: بشفاعة.

(٢) ق: تحديده.

(٣) ق: أوّل.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٥٥ من البقرة.

(٥) ق: ولا يظفر مطلوبه.

والمعاصي وخيبة كل حامل [بقدر] ما حمل من الظلم.

﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ «مَن» للتبعيض.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ جملة في موضع الحال. وقرىء: فلا يخافُ، على الخبر، والتقدير: فهو لا يخاف. فهو: مبتدأ، ولا يخاف: جملة في موضع الخبر. وقرأ ابن محيصن وحميد[1]: فلا يَخَفْ، على النّهي. والهضم: نقص من الحسنات، قاله ابن عباس.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطف على ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ ﴿٩٩﴾﴾ [طه] أي: ومثل ذلك الإنزال، أو كما أنزلنا عليك هذه الآيات المتضمّنة الوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يتّخذون وقاية من وعيد الله تعالى بالعذاب.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ عظة لما حلّ بالأمم السالفة.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ لمّا كان فيما سبق تعظيم القرآن في قوله ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴿١١٣﴾﴾ [طه] ذكر عظم مُنْزله تعالى ثم ذكر هاتين الصفتين وهي صفة الملك التي تضمّنت القهر والسّلطنة، والحق وهي الصفة الثابتة له.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: تأنَّ حتى يفرغ الملقي إليك الوحي ولا تساوق[2] في قراءتك قراءته وإلقاءه كقوله[3] تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ

---

(١) ق: وحمد.

(٢) ق: تسارق. وتساوق: تتابع.

(٣) ق: لقوله.

بِهِۦ﴿١١٦﴾﴾ [القيامة].

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾ الآية، لمّا تقدّمَ ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ ﴿٩٩﴾﴾ [طه] كان من هذه الأنباء قصة آدم عليه السلام ليتحفّظ بنوه من وسوسة الشيطان. وعَهْده: نَهْيه عن قربان تلك الشجرة وأكله منها. والظاهر أن النسيان هنا التّرك، أي: ترك ما وُصّي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها. والعزم: التصميم والمضيّ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ و«أبى» جملة مستأنفة مبيّنة أنّ امتناعه من السجود إنما كان عن إباء منه[1] وامتناع.

(١) ق: إما منه.

والظاهر حذف متعلق «أبى» وأنه يقدّر[1] هنا ما صرّح به في الآية الأخرى ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ[2] ۝٣١﴾ [الحجر].

و«هذا» إشارة إلى إبليس. و«عدو» يطلق على الواحد والمثنى والمجموع. عرّف تعالى آدم عداوة [٣٧٢/أ] إبليس له ولزوجه ليحذراه، فلم يُغْنِ الحذر [من] القدر.

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ الظاهر أنه نهي لإبليس عن إخراجهما، والمعنى أنه لا تتعرضا لمخالفتكما[3] إيّايَ بالقربان والأكل فيخرجكما من الجنّة، واقتصر بقوله «فتشقى» على شقاء آدم فقط لأن زوجته تابعة له ولأن الكلمة رأس آية.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ لما كان الشبع والرّي والكسوة والكِنّ[4] هي الأمور الضرورية[5] للإنسان، اقتصر عليها لكونها كافية له.

وما أحسن المقابلة في هذه الأربعة: فقابل الجوع بخلوّ الباطن، والتعرّي بخلوّ الظاهر، والظّمأ بإحراق الباطن، والضّحو بإحراق الظاهر، فقابل الخلوّ بالخلوّ والإحراق [بالإحراق] وأورد ذلك مورد النّفي. وقرىء: وأنّكَ، معطوفاً على «ألاّ تجوع». وقرىء: وإنّك، على الاستئناف أو عطفاً على «إنّ لك».

---

(١) ق: تعذّر.

(٢) ق: من الساجدين.

(٣) ق: لمخالفتهما.

(٤) الكِنّ: السترة.

(٥) ق: الامور التي هي ضرورية.

وتقدم الكلام في ﴿ فَوَسْوَسَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف] وتعدّى وسوس هنا بإلى، وفي الأعراف باللام[1]. فالتعدّي بإلى معناه أنهى الوسوسة إليه، والتعدّي بلام الجرّ قيل: معناه لأجله. ولما وسوس إليه ناداه باسمه ليكون أقبلَ عليه وأمكنَ للاستماع، ثم عرض عليه ما يُلقي بقوله «هل أدلك» على سبيل الاستفهام الذي يشعر بالنّصح، ويؤثر قبول من يخاطبه كقول موسى [لفرعون] ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [النازعات] وهو عرضٌ فيه مناصحة. وكان آدم عليه السلام قد رغّبه الله تعالى في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله تعالى ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه]؛ ورغّبه إبليس في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله «هل أدلك»، فجاءه إبليس من الجهة التي رغّبه الله تعالى فيها. وفي الأعراف ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف]، وهنا «هل أدلّك» والجمع بينهما أن قوله «هل أدلّك» يكون سابقاً على قوله «ما نهاكما». لما رأى إصغاءه وميله إلى ما عرض عليه، انتقل إلى الإخبار والحصر.

ومعنى ﴿ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ أي: الشجرة التي من أكل منها خلد وحصل له ملك لا يَخْلق.

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا يجوز لأحدنا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم عليه السلام إلا إذا تلاه[2] في أثناء كلامه تعالى وقول نبيّه عليه السلام. فأمّا أن نبتدىء بذلك من قبل أنفسنا فليس بجائز لنا في آبائنا الأدنَيْن لنا المماثلين لنا، فكيف بأبينا الأقدم الأعظم الأكرم النبي المقدم الذي اجتباه الله تعالى، وتاب عليه وغفر له؟.

---

(١) في قوله تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف].

(٢) ق: ذكرناه.

والضمير في «اهبطا» ضمير تثنية وهو أمر لآدم [وحوّاء] جعل[1] هبوطهما عقوبتهما. و«جميعا» حال منهما. «بعضكم لبعض» جملة حالية[2].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ الذِّكْرُ[3] يقعُ على القرآن وعلى سائر الكتب الإلهية.

و﴿ضَنكًا﴾ مصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع. والمعنى: النكد الشّاق من العيش والمنازل ومواطن الحرب وغيرها.

والظاهر أن قوله ﴿أَعْمَىٰ﴾ المراد به عمى البصر كما قال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ [٣٧٢/ ب] يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا ۝٩٧﴾ [الإسراء].

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ سأل العبد ربّه عن السبب الذي استحقّ به أن يُحشر أعمى، لأنه جهله، وظنّ أنه لا ذنب له، فقال له جلّ ذكره ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي: مثل ذلك [فعلت] أنت. ثم فسّر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة، فلم تنظر إليها بعين المعتبر، ولم تتبصّر وتركتها وعميت عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك، ولا نزيل غطاءه عن عينيك. والنسيان هنا بمعنى التّرك لا بمعنى الذّهول، ومعنى «تُنسى» تُترك في العذاب.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾ أي: مثل ذلك الجزاء.

﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي: جاوز الحدّ في المعصية. ثم أخبر تعالى أن عذاب الآخرة أشدّ من عذاب الدنيا لأنه أعظم منه.

---

(١) ق: واجعل.

(٢) ق: كنه.

(٣) ق: الذي.

﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي: منه لأنه دائم مستمر وعذاب الدنيا منقطع.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الآية، وبّخهم الله تعالى، وذكّرهم العبر بمن تقدّم من القرون. ويعني بالإهلاك [الإهلاك] الناشىء عن التكذيب بالرسل وترك الإيمان بالله تعالى واتّباع رسله. والفاعل «ليهد» ضمير عائد على الله تعالى، ويؤيد هذا التخريج قراءة من قرأ: نَهْدِ، بالنون ومعناه نبيّن. و«كم» خبرية مفعولة «بأهلكنا»، التقدير: كثيراً أهلكنا.

والضمير في «يمشون» عائد على ما عاد عليه «هم» وهم الكفار الموبّخون، يريد قريشاً وغيرهم. و«يمشون في مساكنهم» جملة في موضع الحال من ضمير «لهم»، والعامل «يهد» أي: ألم يتبيّن للمشركين في حال مشيهم في مساكن من أهلك من الكفار. وقيل: حال من مفعول «أهلكنا» أي: أهلكناهم[1]

---

(١) ق: أهلكهم. وغارين: متنفعين مغاثين.

غارين آمنين متصرفين في مساكنهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ أي: إنّ في ذلك التّبيين بإهلاك القرون الماضية لآيات.

﴿لِأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ أي: العقول السليمة.

ثم بيّن تعالى الوجه الذي لأجله لا ينزل العذاب معجّلاً عل من كفر بمحمد ﷺ. والكلمة السابقة هي العِدَة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، قال تعالى ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر]. يقول: لولا العدة لكان العذاب لزاماً أي: لازماً. والظاهر عطف «وأجل مسمى» على «كلمةٌ» وأخّر المعطوف على المعطوف عليه، وفصل بينهما بجواب «لولا» لمراعاة الفواصل ورؤوس الآي.

ثم أمره تعالى بالصبر على ما يقول مشركو قريش، وهم الذين عاد عليهم الضمير في ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [طه]. وأمره بالتسبيح مقروناً بالحمد وهو الثناء عليه تعالى.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ وهو صلاة الصبح.

﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ وهي صلاة الظهر والعصر.

﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾ الآناء: جمع إنىً[١] وهو الوقت، ووزنه فِعَل[٢] كمِعًى وأمعاء. وهو متعلق بقوله «فسبح» كما تقول: [٣٧٣/ أ] بزيدٍ فامْرُرْ.

«وأطراف النهار» منصوب على الظرف، وهي أعمّ ممّا بين القبلَيْن[٣]،

---

(١) ق: أنا. وهي صحيحة إن أريد بها أنًى.

(٢) ق: فعلى.

(٣) ق: الفتيلين.

يشير إلى تنفّل الضحى وغير ذلك.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ قرىء بفتح التّاء وضمّها.

﴿وَلَا[1] تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه في سورة الحجر.

و«زهرة» منصوب على الظرف الزّماني لإضافتها إليه. وقرىء: زهرة، بفتح الهاء وسكونها نحو: نَهَر ونَهْر، وهو ما يروق من النّور، وسراج زاهر: له بريق، والأنجم الزُّهر: المضيئة، وأزهر الشجر: بدا نَوْره.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ متعلّق «بمتّعنا» والضمير فيه عائد على «ما» الموصولة «بمتّعنا».

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي: خير ممّا متّعنا به هؤلاء في الدنيا.

﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أي: أدْوَم.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ أمره تعالى أن يأمر أهله بالصلاة التي هي بعد الشهادة آكد أركان الإسلام، وأمره بالاصطبار على مداومتها ومشاقّها، وأن لا يشتغل عنها. وأخبره تعالى أنه لا يسأله أن يرزق نفسه، ولا أن يسعى في تحصيل الرزق ويدأب في ذلك، بل أمره بتفريغ باله لأمر الآخرة. ويدخل في خطابه عليه السلام أمته.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ أي: الحميدة، أو حُسْن العاقبة لأهل التقوى.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ «لولا» للتّحضيض. وهذه عادتهم في

---

(١) ق: لا.

اقتراح الآيات، كأنهم جعلوا ما ظهر من الآيات ليس بآية، فاقترحوا هم ما يختارون، على ديدنهم[١] في التّعنت فأجيبوا بقوله ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ كصحف إبراهيم والزّبور والإنجيل وغيرها من الكتب الإلهيّة. وقرىء: تأتهم، بالتاء وبالياء. وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم.

﴿بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ الضمير في «من قبله» عائد على رسول الله ﷺ أي: من قبل بعثته.

﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾ «لولا» للتّحضيض.

﴿فَنَتَّبِعَ﴾ منصوب بإضمار أن بعد الفاء وهو جواب التّحضيض.

﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ الذّل والخزي مقترنان بعذاب الآخرة.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: منتظر منّا ومنكم عاقبة أمره. وفي ذلك تهديد لهم ووعيد. وأفرد الخبر وهو «متربّص» حملاً على لفظ «كلّ» كقوله[٢] تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء]. والتربّص التأنّي[٣] والانتظار للفرج. و«من» مبتدأ وهو استفهام. و«أصحاب» خبر. والجملة في موضع نصب، والفعل قبلها معلّق عنها. و«السوي» المستقيم. «ومن اهتدى» معطوف على «مَن».

---

(١) ق: ما يختاروا على ودنهم.

(٢) ق: لقوله.

(٣) ق: الثاني.

سورة الأنبياء(١)

عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ (٥) مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦) وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠) وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (١١) فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ (١٣) قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ (١٥) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٧) بَلْ

---

(١) مكية، وهي مئة واثنتا عشرة آية.

نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكية بلا خلاف. ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لمّا ذكر ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ﴿١٣٥﴾﴾ [طه] قال مشركو قريش: محمد يهدّدنا بالبعث والجزاء على الأعمال، وليس بصحيح، فأنزل الله تعالى «اقترب للناس حسابهم». و«اقترب» افتعل [٣٧٣/ب] بمعنى الفعل المجرد وهو قَرُب كما تقول: ارتقب ورقب. والناس: مشركو مكّة وغيرهم ممّن ينكر البعث. والحساب في اللغة: الكميّة من مبلغ العدد، وقد يطلق على المحسوب. وجعل ذلك اقتراباً، لأنّ كلّ ما هو آتٍ، وإن طال وقت انتظاره، قريب. والواو في «وهم» واو الحال. وأخبر عنهم بخبرين ظاهرهما التنافي؛ لأن الغفلة عن الشيء والإعراض عنه متنافيان، لكن يجمع بينهما باختلاف حالين: أخبر عنهم أولاً بأنهم [لا] يتفكرون في عاقبة، بل هم غافلون عمّا يؤول إليه أمرهم. ثم أخبر عنهم ثانياً أنهم إذا نُبّهوا من سِنَة الغفلة، وذُكّروا بما يؤول إليه أمر المحسن والمسيء، أعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك.

والذكر هنا: ما ينزل من القرآن شيئاً بعد شيء. و«مِن» زائدة. و«ذكر» فاعل. ووصفه بالحدوث - إذا[1] كان القرآن - لنزوله وقتاً بعد وقت. و«استمعوه» جملة حالية من الضمير المنصوب في «يأتيهم» تقديره: إلا

(١) ق: إذ. وقوله: إذا كان القرآن، لأنه قيل إن المراد بالذكر أقوال الرسول ﷺ في أمر الشريعة، انظر البحر ٦: ٢٩٦.

مستمعيه. «وهم يلعبون» جملة حالية من ضمير «استمعوه»[١].

و«لاهية» حال من ضمير «يلعبون» أو من ضمير «استمعوه» فيكون حالاً بعد حال. واللاّهية من قول العرب: لها عنه إذا ذهل وغفل. يقال: لها يَلْهَى لُهِيّاً ولُهْياناً، أي: وإن فطنوا فلا يجدي ذلك لاستيلاء الغفلة وعدم التّبصر بقلوبهم[٢]. «النجوى» من التّناجي، ولا يكون إلا خفية. والواو في «وأسروا» فاعل ضمير يعود على ما قبله، و«الذين» بدل منه.

«قل هذا» قبله حال محذوفة تقديره: قائلين: هل هذا إلا بشر. وهو استفهام معناه التعجب، أي: كيف خُصَّ دونكم بالنّبوة مع مماثلته لكم في البشرية.

و﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ استفهام معناه التوبيخ. و«السحر» عَنَوا به ما ظهر على يديه من المعجزات التي أعظمها القرآن. وهاتان الجملتان الاستفهاميتان، الظاهر أنهما متعلقان بقوله «وأسرّوا النجوى» وأنّهما محكيّتان «للنجوى» لأنه بمعنى القول الخفيّ، فهما في موضع نصب على المفعول «بالنجوى».

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ جملة حالية.

وللزمخشري فيه تخبيط ردّ عليه ذلك في البحر[٣].

«قال»[٤] أمْر لنبيّه عليه السلام، والقول أعمّ من أن يكون سرّاً أو جهراً.

---

(١) ق: يستمعوه.

(٢) ق: فقلوبهم.

(٣) انظر البحر ٦: ٢٩٧.

(٤) ق: قل. ووهم المصنف ففسّرها على ذلك.

ثم يبيّن ذلك بقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ أي: لأقوالكم. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما انطوت عليه ضمائركم.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟﴾ ذكر اضطرابهم في مقالتهم، فذكر أنهم أضربوا عن نسبة السحر إليه وقالوا: ما يأتي به إنما هو أضغاث أحلام، وتقدم تفسيرها في يوسف(١). ثم أضربوا عن هذا فقالوا «بل افتراه» أي: اختلقه وليس من عند الله. ثم أضربوا عن هذا فقالوا «بل هو شاعر». وهكذا(٢) المبطل لا يثبت على قول بل يبقى متحيّراً. وهذه الأقوال(٣) الظاهر أنها صدرت من قائلين متّفقين انتقلوا من قول إلى قول، أو مختلفين قال كلٌّ منهم مقالة. والكاف في «كما أرسل» يجوز أن تكون في موضع النعت «لآية»، و«ما أرسل» في تقدير المصدر. والمعنى: بآية مثل آية إرسال الأولين. [٣٧٤/أ] وفي قولهم «كما أرسل الأولون» دلالة على معرفتهم بإتيان الرسل.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ المراد به قوم صالح وقوم فرعون وغيرهما. ومعنى ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ حكمنا بإهلاكها بما اقترحوا من الآيات.

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ استبعاد وإنكار أي: هؤلاء أعتى(٤) من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ تقدم الكلام على مثله في يوسف(٥). «إلا

---

(١) انظر تفسير الآية ٤٤ من يوسف.

(٢) ق: وهذا.

(٣) ق: والظاهر الأقوال.

(٤) ق: أغنى.

(٥) انظر تفسير الآية ١٠٩ من يوسف.

رجالاً﴾ أي: بشراً ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدتم، ثم أحالهم على الذكر وهم أحبار أهل الكتابين، وشهادتهم تقوم بها الحجّة في إرسال الله البشر.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ أي: ذوي جسد. ولما أثبت أنهم كانوا أجساداً، يأكلون الطعام، بيّن أنّ مآلهم إلى الفناء والنفاد، ونفى عنهم الخلود، وهو البقاء السّرمدي، أي: هؤلاء الرسل بشر أجساد يطعمون ويموتون كغيرهم من البشر، والذي صاروا به رسلاً هو ظهور المعجزة على أيديهم وعصمتهم من الصفات القادحة في التبليغ وغيره.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ ذكر تعالى سيرته مع أنبيائه، فكذلك يصدق نبيه محمداً ﷺ وأصحابه ما وعدهم به من النصر وظهور الكلمة، فهذه عِدَة للمؤمنين ووعيد الكافرين. و«صدقناهم الوعد» من باب اختار[1]، وهو ما يتعدى الفعل فيه إلى واحد وإلى الآخر بحرف الجر. ويجوز حذف ذلك الحرف أي: في الوعد.

﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ هم المؤمنون. والمسرفون: هم الكفار.

ولمّا توعّدهم في هذه الآية، أعقب ذلك بوعده بنعمته عليهم فقال[2]: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ والكتاب هو القرآن. وعن ابن عباس: ذِكْر شرفكم، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ الآية، «كم» خبرية معناه: كثيراً. والقصم: أفظع الكسر، عبّر به عن الإهلاك الشديد و«كم» منصوبة «بقصمنا». «من قرية» هو على حذف مضاف أي: من أهل قرية. «كانت»

(١) ق: اختلد.

(٢) ق: فقالوا.

أي: كان أهلها.

﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ أي: بعد إهلاك أهلها. وعن ابن عباس أن القرية هي حَضُور[1]، قرية باليمن. ومن حديثها أن الله تعالى بعث إليهم نبياً فقتلوه، فسلّط الله تعالى عليهم بختنصر كما سلّطه على أهل بيت المقدس، بعث إليهم جيشاً، فهزموه] فخرج إليهم بنفسه، فهزمهم في الثالثة، فلما أخذ القتل فيهم ركضوا هاربين.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ أي: باشروه بالإحساس. والضمير في «أحسّوا» عائد على: أهل، المحذوف من قوله «وكم قصمنا من قرية». والضمير في «منها» عائد على القرية. والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، ركبوا دوابهم يُركضونها هاربين منهزمين. و«إذا» الفجائية جواب قوله «فلما».

وقوله ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ قال ابن عطية: يحتمل أن يكون من قول بختنصر، فالمعنى على هذا أنهم خدعوهم واستهزؤوا بهم، بأن قالوا للهاربين منهم: لا تفرّوا وارجعوا [٣٧٤/ب] إلى منازلكم لعلكم تسألون صلحاً أو جزية أو أمراً نتفق عليه. فلما انصرفوا أمر بختنصر أن ينادى فيهم: يا لثارات النبي المقتول. فقتلوا بالسيف عن آخرهم انتهى.

ويجوز أن يكون «لا تركضوا» من كلام بعضهم لبعض لما هَزموا الجيش ثاني مرة.

﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ معطوف على «ما» الموصولة بـ«أُترفتم»[2]. والإتراف إبطار[3]

---

(١) انظر معجم البلدان ٢٧٢.

(٢) ق: ما أترفتم.

(٣) ق: انظار.

النعمة، والتقدير: وإلى مساكنكم.

وفي قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ دليل على أنّ من كان قارّاً في مسكنه مترفاً فيه جدير بأن يكون يُسأل في المهمات ويعتمد عليه فيها.

ونداء الويل هو على سبيل المجاز كأنهم قالوا: يا[1] هلكتنا. وتقدم تفسير الويل في البقرة[2]. والظلم هنا الإشراك وتكذيب الرسل وإيقاع أنفسهم في الهلاك.

واسم «زالت» هو اسم إشارة وهو «تلك» وهو إشارة إلى الجملة المقولة أي: فما زالت تلك الدعوى دعواهم. قال المفسرون: فما زالوا يكررون[3] تلك الكلمة، فلم تنفعهم كقوله تعالى ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴿٨٥﴾﴾ [غافر]. والدعوى مصدر دعا، يقال: دعا دعوى ودعوة لأن الويل كأنه يدعو الويل. و«تلك» اسم «زالت» و«دعواهم» الخبر، ويجوز العكس قاله الزجاج.

ويعض أصحابنا: إذا لم يكن مبين الاسم والخبر، جعل الأول الاسم والثاني الخبر كما قالوا في: ضرب موسى عيسى.

وقوله ﴿حَصِيدًا﴾ أي: بالعذاب تركوا كالحصيد.

﴿خَٰمِدِينَ﴾ أي: موتى دون أرواح مشبَّهين بالنار إذا طَفِئَت.

ولما ذكر تعالى قصم تلك القرى الظالمة، أتبع ذلك بما يدلّ على أنه فعل ذلك عدلاً منه ومجازاة على ما فعلوا، وأنه ما أنشأ هذا العالم العلوي

---

(١) ق: ما.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٩ من البقرة.

(٣) ق: تكرر وان.

المحتوي على عجائب من صنعه وغرائب من فعله، وهذا العالم السفلي وما أودع فيه من عجائب الحيوان والنبات والمعادن وما بينهما من الهواء والسحاب والرياح على سبيل اللعب، بل لفوائد دينيّة تقضي بسعادة[١] الأبد أو بشقاوته، ودنياوية لا تعدّ ولا تحصى، كقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا[٢] ﴿٢٧﴾﴾ [ص].

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أصل اللهو[٣] ما تسرع إليه الشهوة ويدعو إليه الهوى[٤]. وقال ابن عباس وغيره: اللهو هنا: الولد.

﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ أي: نرمي بسرعة، وهذا من مجاز التمثيل: شبّه الحقّ بالصخرة الصلبة، والباطل بالرخو وأنه قذف الصخرة على الرّخو.

﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ أي: يصيب[٥] دماغه، وذلك مهلك في البشر، فكذلك[٦] الحق يهلك الباطل.

﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾ خطاب للكفار أي: الخزي والهمّ.

﴿مِمَّا[٧] تَصِفُونَ﴾ أي: تصفونه ممّا لا يليق به تعالى من اتّخاذ الصاحبة والولد.

---

(١) ق: سبعا.

(٢) ق: السماوات. ص٣٨: ٢٧.

(٣) ق: الهوا.

(٤) ق: اللهو.

(٥) ق: أصاب.

(٦) ق: فلذلك.

(٧) ق: بما.

والظاهر أن قوله ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ استئناف إخبار بأن جميع العالَم ملكه. وعند: [هنا] لا يراد بها ظرف المكان، لأنه تعالى منزّه عن المكان، بل المعنى: شرف المكانة وعلوّ المنزلة.

و﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ جملة [٣٧٥/أ] حالية.

و﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ أي: لا يكلّون ولا يسأمون، وبيّنه ما بعده من قوله ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ۝٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ۝٢٣ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٤ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ۝٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته وأن من في السماوات والأرض مُلْك له، وأن الملائكة المكرمين هم في خدمته، عاد إلى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمّهم وتسفيه أحلامهم. و«أم» هنا منقطعة تتقدّر ببل والهمزة، وفيها إضراب[1] وانتقال من خبر إلى خبر، واستفهام معناه التعجب والإنكار، أي: اتخذوا آلهة من

(١) ق: فيها إضمار.

الأرض يتّصفون بالإحياء، ويقدرون عليها، وعلى الإماتة، أي: لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف، بل اتخوا آلهة جماداً، لا تتصف بالقدرة على شيء، فهي[1] غير آلهة، لأن صفة الإله المقدرة على الإحياء والإماتة.

﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ صفة لقوله «آلهة» بعد وصفه بالمجرور الذي هو «من الأرض».

والضمير في «فيهما»[2] عائد على السماء والأرض وهما كناية عن العالم، و«إلا» صفة «لآلهة» أي: آلهة غير الله. وكون «إلاّ» يوصف بها معهود في لسان العرب، ومن ذلك ما أنشده سيبويه رحمه الله تعالى[3]: [من الوافر]

وكــل أخٍ مُفــارِقُــه أخــوه لَعَمْـرُ أبيـك إلا الفـرقـدانِ

أي: وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه. وقال أبو العباس المبرد في «إلا الله» أن يكون بدلاً لأنّ[4] ما بعد «لو» غير موجب في المعنى. والبدل في غير الموجب[5] أحسن من الوصف. والذي يظهر أن معنى الآية: وجود الفساد فيهما مترتّب[6] على وجود الآلهة المغايرة لله. وهذا الوجود لم يقع، فلا يقع ما يترتب عليه وهو الفساد.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نزّه نفسه عمّا وصفه به أهل الجهل.

---

(١) ق: فهو.

(٢) ق: فيها.

(٣) البيت لعمرو بن معدي كرب، في الكتاب ٢: ٣٣٤.

(٤) ق: بدلاً لازماً بعد.

(٥) ق: الواجب.

(٦) ق: مترتباً.

ثم وصف نفسه [بأنه مالك هذا المخلوق العظيم الذي جميع العالم هو متضمّنهم.

ثم وصف نفسه] بكمال القدرة ونهاية الحكمة فقال ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ إذ له أن يفعل في مُلكه ما يشاء، وفِعْله على أقصى درجات الحكمة فلا اعتراض ولا تعقّب عليه. والظاهر في قوله «لا يسأل» العموم في الأزمان.

﴿وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ عن أعمالهم.

ثم كرّر تعالى عليهم الإنكار والتوبيخ فقال ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ استفظاعاً لشأنهم واستعظاماً لكفرهم. وزاد في هذا التوبيخ قوله «من دونه» فكأنه وبّخهم على قصد الكفر بالله عزّ وجل، ثم دعاهم إلى الإتيان بالحجّة على ما اتّخذوا، ولا حجّة تقوم على أنّ لله شريكاً لا من جهة العقل ولا من جهة النقل، بل كُتب الله السابقة شاهدة بتنزيهه، تعالى عن الشركاء والأنداد كما في الوحي الذي جئتكم به.

﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ أي: عظة للذين معي وهم أمتّه، وذكر للذين قبلي وهم أمم الأنبياء. والذكر هنا مراد به [الكتب] الإلهية[1]. ويجوز أن يكون «هذا» إشارة إلى القرآن، والمعنى: فيه ذكر الأوّلين والآخرين؛ فذكر الآخرين بالدعوة وبيان الشّرع [٣٧٥/ب] لهم، وذكر الأولين بقصّ[2] أخبارهم وذكر الغيوب في أمورهم. والمعنى على هذا عرض القرآن في معرض البرهان أي: هاتوا برهانكم فهذا برهاني في ذلك ظاهر.

---

(١) ق: إلاهية.

(٢) ق: نقص.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ[1] إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ أخبر تعالى أنه ما أرسل من رسول إلاّ جاء مقرراً لتوحيد الله تعالى وإفراده بالإلهية والأمر بالعبادة. ولمّا كان «من رسول» عامّاً وكان له لفظ ومعنى أفرد على اللفظ في قوله «إلا نوحي إليه» ثم. جمع على المعنى في قوله «فاعبدون» ولم يأت التركيب: فاعبدني ويحتمل أن يكون الأمر له ولأمته.

ثمّ نزّه تعالى نفسه عما نسبوا إليه من الولد، قيل: ونزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وقالت النصارى نحو هذا في عيسى واليهود في عزير. ثم أضرب تعالى عن نسبة الولد إليه فقال ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ تقديره: بل هم عباد مكرمون. ويشمل هذا اللفظ الملائكة وعزيراً والمسيح.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾المعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله، فلا يسبق قولهم قوله ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ فكما أن قولهم تابع لقوله، كذلك فعلهم مبني على أمره، لا يعملون عملاً مالم يُؤمروا به، وهذه عبارة عن توغّلهم في طاعته والامتثال لأمره.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ لمّا كانوا مقهورين تحت أمره وملكوته، وهو محيط بهم، لم يجسروا [على] أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله تعالى، وأهّله للشفاعة في زيادة الثواب والتعظيم، ثم هم مع ذلك من خشيته مشفقون متوقّعون حذرون، لا يأمنون مكر الله.

وقال ابن عباس: ﴿لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ هو من قال: لا إله إلا الله، وشفاعتهم الاستغفار.

---

(١) ق: يوحي. وكذا في الجملة التالية بعد أسطر.

﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ ﴾ بعد أن وصف كرامتهم عليه، وأثنى عليهم، وأضاف إليهم تلك الأفعال السنيّة، فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من ادّعى منهم أنه إله، وذلك على سبيل الفرض والتمثيل، مع علمه بأنه لا يكون، كقوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٨٨ ﴾ [الأنعام] قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد.

«كذلك» أي: مثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين، وهم الكافرون الواضعون الشيء في غير موضعه. وأداة الشرط تدخل على الممكن والممتنع نحو قوله تعالى ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ۝٦٥ ﴾ [الزمر].

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝٣٢ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ هذا استفهام توبيخ لمن ادّعى مع الله آلهة، ودلالة على تنزيهه عن الشريك وتوكيد لما تقدّم من أدلّة التوحيد.

وقوله «كانتا رتقاً» [قال الزّجاج: «السماوات» جمع أريد به الواحد، ولهذا قال «كانتا رتقاً»] لأنه أراد السماء والأرض.

قال ابن عباس وجماعة: كانتا شيئاً واحداً ففصل الله تعالى بينهما

بالهواء[1]. وقيل في الرّتق والفتق وغير ذلك. يقال: رتق الشيء: سدّه، فارتتق. ومنه الرّتقاء للمنضمّة الفرج، وفتق: فصل ما بين المتّصلين.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ إن تعدّت لواحد كانت بمعنى: وخلقنا من الماء كل حيوان، أي: مادّته النّطفة [٣٧٦/أ] وإن تعدّت إلى اثنين فالمعنى: صيّرنا كلّ شيء حيّ متسبّباً من الماء لا بدّ له منه.

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ استفهام إنكار وفيه معنى التعجب من ضعف عقولهم، والمعنى: أفلا يتدبّرون هذه الأدلّة، ويعملون[2] بمقتضاها.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ تقدّم نظيره في النّحل[3]. والظاهر أنّ الضمير في «فيها» عائد على الأرض، وقيل على الرواسي. وجاء هنا تقديم «فجاجاً» على قوله «سبلاً» وفي سورة نوح ﴿لِتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح] لأجل الفواصل.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ وما رُفع وَسُمك على شيء فهو سقف.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نظر إلى السماء فقال[4] «إن السمّاء سقف مرفوع وموج مكفوف يجري كما يجري السهم محفوظاً من الشياطين».

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا﴾ أي: عمّا وضع الله تعالى فيها من الأدلّة والعبر بالشمس والقمر وسائر النّيرات ومسائرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم

---

(١) ق: بالهوى.

(٢) ق: ويعملوا.

(٣) انظر تفسير الآية ١٥ من النحل.

(٤) رواه ابن جرير ١٧: ١٧ من حديث قتادة، بألفاظ أخر. وروى بعضه ابن كثير ٤: ٥٦١ وقال: إسناده غريب.

والترتيب العجيب الدّال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ قدّم الليل لأن الظّلمة تسبق النّور، والشمس على القمر، لأن القمر يستمد النّور منها.

﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ الفلك: الجسم الدائر دورة اليوم والليلة. وعن ابن عباس: الفلك: السماء. وقال أكثر المفسّرين: الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس [والقمر].

«كلّ في فلك» الذي حذف مضافه يجوز أن يعود الضمير عليه مفرداً كقوله تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء]، ويجوز أن يعود عليه[1] جمعاً كقوله تعالى ﴿وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال]. وجاء هنا بضمير الجمع في قوله «يسبحون» رعياً للفواصل. وكنّى بالسّبح عن الجريان. وجاء الضمير مجموعاً وإن كان عائداً على الشمس والقمر باعتبار أوقات مطالعهما لكثرة المطالع.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ قيل إن بعض المسلمين قال إن محمّداً لا يموت، وإنما هو مخلّد، فأنكر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت[2].

والفاء في «أفإن مت» للعطف، قدّمت عليها همزة الاستفهام، لأن الاستفهام له صدر الكلام. وهمزة الاستفهام[3] دخلت على إنْ الشرطية والجملة بعدها جواب للشرط وليست مصبّ الاستفهام، فتكون الهمزة داخلة

---

(١) ق: عليها.

(٢) انظر لباب النقول ص ١٤٧.

(٣) ق: استفهام.

عليها، واعترض الشرط[1] بينهما فحذف جوابه، هذا مذهب سيبويه.

وزعم يونس أن تلك الجملة هي مصبّ الاستفهام والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف. وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه، وللمذهبين تقرير في علم النّحو.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

﴿وَنَبْلُوكُم﴾ نختبركم.

وقدّم الشّر لأن الابتلاء به أكثر، ولأن العرب تقدّم الأقلّ والأردأ. وعن ابن عباس: الخير والشّر هنا عامّ في الغنى والفقر[3] والصحّة والمرض والطاعة والمعصية.

﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم على ما صدر منكم في حالة الابتلاء من الصبر والشكر وفي غير الابتلاء.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ

---

(١) ق: الشرطية.

(٢) انظر تفسير الآية ١٨٥ من آل عمران.

(٣) ق: والفقير.

بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ [٣٧٦/ ب] يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ الآية، قال السُّدِّي ومقاتل: مرّ رسول الله ﷺ بأبي جهل وأبي سفيان، فقال أبو جهل: هذا [نبيّ] بني عبد مناف. فقال أبو سفيان: وما تنكر[1] أن يكون نبياً في بني عبد مناف؟. فسمعهما رسول الله ﷺ فقال لأبي جهل: ما تنتهي حتى ينزل بعمّك الوليد بن المغيرة، وأما أنت يا أبا سفيان فإنّما قلت ما قلته حميّة[2]، فنزلت. و«إنْ» نافية بمعنى ما. والظاهر أن جواب «إذا» هو ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [وجواب إذا بإنْ النافية لم يَرِدْ منه في القرآن إلا هذا، وقوله في الفرقان ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴿٤١﴾﴾]. ولم يُحْتَجْ إلى الفاء في الجواب كما لم تَحْتَج إليه «ما» إذا وقعت جواباً كقوله تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [الجاثية] بخلاف أدوات الشرط، فإنها إذا كان الجواب مصدّراً بما النافية، فلا بدّ من الفاء نحو: إن تَزُرْنا فما[3] نسيء إليك.

﴿أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ «أهذا» استفهام فيه إنكار وتعجّب. والذّكر يكون في الخير والشّر، فإذا لم يُذكر متعلَّقه فالقرنية تدلّ عليه؛ فإن كان من صديق فالذكر ثناء، أو من غيره فذمٌّ، ومنه ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى

(١) ق: ينكر.

(٢) ق: رحمة. انظر لباب العقول ص١٤٧.

(٣) ق: فلا.

يَذْكُرُهُمْ ﴿٦٠﴾ [الأنبياء] أي: بسوء. وكذلك هنا «أهذا الذي يذكر آلهتكم». ثم نعى عليهم إنكارهم عليه ذكر آلهتهم بهذه الجملة الحاليّة وهي «وهم بذكر الرحمن هم كافرون» أي: منكرون[1]، وهذه حالهم: يكفرون بذكر الرحمن وهو ما أنزل من القرآن، فَمَن هذه حاله لا ينبغي أن ينكر على من يعيب آلهتهم. والظاهر أن الجملة حال من الضمير في: يقولون، المحذوف.

ولمّا كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى الإقرار والعلم، نهاهم تعالى عن الاستعجال وقدّم أوّلاً ذمّ الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها. والظاهر أنه يراد بالإنسان هنا اسم الجنس، وكونه خلق من عجل على سبيل المبالغة لما كان يصدر منهم كثيراً كما تقول لمكثر اللعب: أنت من لعب.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ فمتى: استفهام على جهة الهزء، وكان المسلمون يتوعّدونهم على لسان الشّرع. و«متى» في موضع الخبر «لهذا»، فموضعه رفع، وهو على حذف مضاف تقديره: متى إنجاز هذا الوعد.

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الظاهر أن مفعول «يعلم» محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود الذي سألوا عنه واستبطؤوه[2]. و«حين» منصوب بالمفعول الذي هو مجيء. ويجوز أن يكون من باب الإعمال على حذف المضاف، وأعمل الثاني، والمعنى لو يعلمون مباشرة النار، حين لا يكفّونها[3] عن وجوههم. وذكر الوجه لأنه

(١) ق: ينكرون.

(٢) ق: واستنبطوا.

(٣) ق: يكفون.

أشرف ما في الإنسان ومحلّ حواسّه، والإنسان أحرص على الدفاع عنه من غيره من أعضائه. ثم عطف عليها الظهور، والمراد عموم النار لجميع أبدانهم، ولا أحد يمنعهم من العذاب. وجواب «لو» محذوف تقديره: لسَعَوْا فيما يخلّصهم من عذاب الله تعالى.

والظاهر أن الضمير في «تأتيهم»[(١)] عائد على النار. «بغتة» أي: فجأة.

﴿ وَلَا هُمْ[٣٧٧/ أ] يُنظَرُونَ﴾ أي: يؤخَّرون عمّا حلّ بهم من العذاب.

ولمّا تقدّم قوله ﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنبياء] سلّاه تعالى بأنّ من تقدّمه من الرّسل وقع من أممهم الاستهزاء بهم، وأن ثمرة استهزائهم جنوها إهلاكاً وعقاباً في الدنيا والآخرة، فكذلك حال هؤلاء المستهزئين. وتقدّم تفسير مثل هذه الآية في الأنعام[(٢)].

ثم أمره تعالى أن يسألهم: من الذي يحفظكم في أوقاتكم من بأس الله تعالى؟ أي: لا أحد يحفظكم منه، وهو استفهام تقريع وتوبيخ. وفي الكلام تقدير محذوف كأنه [قال:] ليس لهم مانع ولا كالىء. وعلى هذا النّفي تركّبت[(٣)] «بل» في قوله تعالى «بل هم عن ذكر ربهم معرضون».

﴿ تَمْنَعُهُم[(٤)] مِّن دُونِنَا ﴾ أي: من جهة غير جهتنا. ويجوز أن يكون في موضع الصّفة لقوله «آلهة» أي: كائنة من جهتنا تمنعهم. لمّا ذكر نفي منع آلهتهم، ذكر أيضاً عنهم أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم ينقادون منّا

---

(١) ق: يأتيهم.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠ من الأنعام.

(٣) ق: تركيب.

(٤) ق: يمنعهم.

أي: يؤخذون منّا. يقال: أصحب فلاناً إذا قاده، ومنه قول الشاعر[١]:

[من المتقارب]

ولستُ بذي رَثْيَةٍ إمَّرٍ إذا قِيدَ مستكرَهاً[٢] أصْحَبا

يريد: انقاد[٣]. والرَّثية: البطء في المشي. والإمَّر: الذي يطيع كلّ يؤمر.

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ[٤] ﴾ الآية، قال أكثر المفسرين إنها نزلت في كفّار مكة. و«هؤلاء» إشارة إلى المخاطَبين من كفّار مكّة ومن اتخذ آلهة من دون الله. أخبر تعالى أنه متّع هؤلاء الكفّار وآباءهم من قبلهم بما رزقهم من حطام الدنيا حتى طالت أعمارهم في رخاء ونعمة وتدعّسوا[٥] في الضلالة - بإمهاله تعالى إياهم وتأخيرهم إلى الوقت الذي يأخذهم فيه.

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٢٩.

(٢) ق: مستنكرها.

(٣) ق: انقياد.

(٤) ق: وآباؤهم. وكذا في الجملة الواردة بعد.

(٥) أي بالغوا فيها.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي[1] ٱلْأَرْضَ﴾ تقدم تفسير هذه الجملة في آخر الرّعد[2].

وفي قوله ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ دليل على أنهم هم المغلوبون، فهو استفهام فيه تقريع لهم وتوبيخ حيث لم يعتبروا بما يجري عليهم.

ثم أمره تعالى أن يقول لهم ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أي: أعلمكم بما تخافون منه بوحي من الله تعالى لا من تلقاء نفسي، وما كان من جهة الله تعالى فهو الصدق الواقع لا محالة، كما رأيتم بالعيان من نقصان الأرض من أطرافها. ثم أخبر أنهم مع إنذارهم معرضون عمّا أُنذروا به، والإنذار لا يجدي فيهم إذ هم صُمٌّ عن سماعه. ولمّا كان الوحي من المسموعات، كان ذكر الصّمم مناسباً. و«الصُّم» هم المُنْذَرون، فَأَلْ فيه للعهد وناب فيه الظاهر مناب المُضْمَر لأن فيه التصريح بتصامّهم وسدّ أسماعهم إذا أُنذروا. ونفي السماع هنا هو نفي جدواه.

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء الذين صمّوا عن سماع ما أُنذروا به، إذا نالهم شيء ممّا أُنذروا به، ولو كان يسيراً، نادوا[3] بالهلاك وأقرّوا بأنهم كانوا ظالمين. نبّهوا على العلّة التي أوجبت لهم العذاب، وهو ظلم الكفر، وذلّوا وأذعنوا. قال ابن عباس: «نفحة» طرف. وعنه: هو الجوع الذي نزل بمكّة.

ولما ذكر حالهم [٣٧٧/ب] في الدنيا إذا أُصيبوا بشيء استطرد لما يكون في الآخرة التي [هي] مقرّ الثواب والعقاب، فأخبر تعالى عن عدله، وأسند ذلك إلى نفسه بنون العظمة فقال ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾. وتقدم الكلام على

---

(١) ق: نأت.

(٢) انظر تفسير الآية ٤١ من الرعد.

(٣) ق: نادراً.

الموازين في أول الأعراف(١). و«القسط»(٢) مصدر وصفت به الموازين مبالغة، فكأنها جعلت في أنفسها القسط، أو على حذف مضاف أي: ذوات القسط. ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله أي: لأجل القسط.

وقرىء: مثقالُ، بالرفع فاعل «لكان» وهي تامّة. ومثقالَ، بالنصب على خبر «كان» واسمها مضمر تقديره: وإن كان هو أي: العمل أو الشيء. والجملة دالّة على جميع ما يفعل الإنسان من صغير وكبير، وتفسيره «بحبّة من خردل» مبالغة في التقليل. وأنّث الضمير في «بها» وهو عائد على مذكّر وهو «مثقال» لإضافته إلى مؤنث.

﴿وَكَفَىٰ(٣) بِنَا حَاسِبِينَ﴾ فيه توعّد. و«بنا» فاعل والباء زائدة نحو ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ ۝﴾ [الرعد] وهو إشارة إلى ضبط أعمالهم من الحساب وهو العدّ والإحصاء. والظاهر أنّ «حاسبين» تمييز لقبوله: مِن، ويجوز أن يكون حالاً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لمّا ذكر ما آتى رسوله وحال مشركي العرب معه، ذكر(٤) ما آتى موسى وهارون إشارة إلى قصتهما مع قومهما مع ما أوتوا(٥) من الفرقان والضياء والذكر. ثم نبّه على ما آتى رسوله من الذكر المبارك، ثم استفهم على سبيل الإنكار على إنكارهم ما آتى رسله.

و«الفرقان» التوراة وهو الضياء والذكر، أي: كتاباً هو فرقان وضياء

(١) انظر تفسير الآية ٨٥ من الأعراف.

(٢) ق: والموازين.

(٣) ق: وهي.

(٤) ق: فذكر.

(٥) ق: أتوا.

وذكر. ويدلّ على هذا المعنى قراءة ابن عباس: ضياءً، بغير واو.

[واحتمل أن يكون قوله ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ استئناف إخبار عنهم وأن يكون معطوفاً على صلة «الذين»، وتكون الصلة الأولى مشعرة بالتّجدد، دائماً كأنها حالتهم فيما يتعلق بالدنيا، والصلة الثانية من مبتدأ وخبر عنه بالاسم المشعر بثبوت الوصف كأنها حالتهم فيما يتعلّق بالآخرة.

ولما ذكر ما أوتي موسى وهارون عليهما السلام أشار إلى ما آتى محمداً ﷺ فقال «وهذا» أي: وهذا القرآن. «ذكر مبارك» أي: كثير منافعه غزير خيره. وجاء هنا الوصف بالاسم ثم بالجملة جرياً على الأشهر. «وهذا ذكر[1] [مبارك] أنزلناه» تقدم الكلام عليه في الأنعام[2].

﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ، وهو خطاب للمشركين. والضمير في «له» عائد على «ذكر» وهو القرآن، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ إذا أنكر ذلك المشركون كما أنكر أسلاف اليهود ما أنزل الله على موسى عليه السلام.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا

(١) ق: كتاب.

(٢) انظر تفسير الآية ٩٢ من الأنعام.

بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ لمّا تقدم الكلام في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد، أتبع ذلك بذكر أنبياء وما جرى لهم. كلّ ذلك تسلية لرسول الله ﷺ، وليتأسّى بهم فيما جرى عليه من قومه. وقرىء: رُشْده ورَشَده. والرّشد: الظاهر أنها النبوة، والمضاف [٣٧٨/أ] إليه «من قبل» محذوف وهو معرفة، ولذلك بني «قبل» أي: من قبل موسى وهارون. والضمير في «به» الظاهر أنّه عائد على «إبراهيم». وعلمه تعالى[١] به أنه علم منه[٢] أحوالاً عجيبة وأسراراً بديعة فأهّله لخلّته كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ[٣] ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام] وهذا من أعظم المدح وأبلغه إذ أخبر تعالى أنه آتاه الرشد، وأنه[٤] عالم بما آتاه وبه عليه السلام.

---

(١) ق: وعلمه الله تعالى.

(٢) ق: به.

(٣) ق: رسالاته.

(٤) ق: وأنا.

ثم استطرد من ذلك إلى تفسير الرشد وهو الدعاء إلى توحيد الله تعالى ورفض ما عُبد من دونه. و«إذ» معمولة «لآتينا». وبدأ اولاً بذكر أبيه لأنه الأهم عنده في النصيحة وإنقاذه من الضلال، ثم عطف عليه قومه كقوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء].

وفي قوله ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ تحقير لها وتصغير لشأنها وتجاهل بها مع علمه [بها] وبتعظيمهم لها. وفي[1] خطابه لهم بقوله «أنتم» استهانة بهم وتوقيف على سوء صنيعهم. والتمثال: الصورة المصنوعة مشبّهة. بمخلوق من مخلوقات الله تعالى، ومنه: مثّلت الشيء بالشيء: إذا شبّهته به. وقال امرؤ القيس[2]: [من الطويل]

ويا رُبَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ بآنسةٍ كأنها خَطُّ تمثالِ

وعكف: يتعدّى بعلى، كقوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف] فقيل «لها» هنا بمعنى: عليها، كما قيل في قوله ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء]. والظاهر أن اللّام في «لها» لام التعليل أي: لتعظيمها. وصلة «عاكفون» محذوفة أي: على عبادتها. وقيل: ضمّن «عاكفون» معنى عابدين فعدّاه باللام. ولمّا سألهم أجابوه بالتقليد البحت، وأنه فِعْل آبائهم، اقتدوا به من غير برهان. فلمّا أجابوه بما لا شبهة لهم فيه قال ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: في حيرة واضحة لا التباس فيها. وحكم بالضّلال على المقلّدين والمقلّدين، وجعل الضلال مستقراً[3] لهم. و«أنتم»

(١) ق: ومن.

(٢) ديوانه ص ٢٩.

(٣) ق: وجعل الضمير مستتراً.

توكيد للضمير الذي هو اسم كان.

﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ جملة معادلة للجملة التي قبلها، والمعنى: أجئتنا بالحقّ أم بغير الحق وهو اللعب.

﴿بَل رَّبُّكُمْ﴾ قبلها جملة محذوفة تقديرها(١) : ليست تلك التماثيل أرباباً بل ربكم رب السماوات والأرض.

﴿ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ الظاهر أنه عائد على «السماوات [والأرض»].

وتخيّل ابن عطية وغيره أن الضمير في «فطرهنّ» يخصّ من يعقل.

وليس بصحيح بل هو لفظ مشترك بين من يعقل وما لا يعقل من المؤنث المجموع، ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة] والضمير عائد على [الأشهر] الأربعة الحرم. والإشارة بقوله «ذلكم» إلى ربوبيّته تعالى ووصْفَه بالاختراع لهذا العالم. و«مِن» للتبعيض أي: الذين(٢) يشهدون بالربوبية كثيرون وأنا بعض منهم.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ بادرهم أولاً بالقول المنبّه على دلالة العقل ثم بالفعل الذي يقتضي تقطيع أصنامهم وفكّ أجزائها [٣٧٨/ ب] فقال «وتالله لأكيدنّ». والكيد: الاحتيال في وصول الضرر إلى المكيد. والظاهر أنه خاطب بها أباه وقومه.

وقوله ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ أي: إلى عيد كان لهم يحضرون له، وتخلّف هو عنهم لما يقصده.

(١) ق: تقديره.

(٢) ق: الذي.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ قبله محذوف تقديره: فتولّوا إلى عيدهم وقصد هو ما كان نواه. «فجعلهم» أي: الأصنام. «جذاذاً» أي: مفكوكة الأجزاء. وقرىء: جذاذاً، بضم الجيم وكسرها. والجَذّ: القطع.

وقوله ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ استثناء [من الضمير] في «فجعلهم» أي: فلم يكسره.

قيل: وكانت الأصنام مصطفّة، وصنم منها عظيم مستقبل الباب مِن ذَهَبٍ وفي عينيه درّتان مضيئتان، فكسرها بفأس إلا ذلك الصنم وعلّق الفأس في عنقه، وقيل في يده. والضمير في «لهم» يحتمل أن يعود على الأصنام وأن يعود على عُبّاده. والكبر هنا عظم الجثّة أو كبيراً عندهم في المنزلة لكونهم صاغوه من ذهب وجعلوا في عينيه جوهرتين مضيئتين(١) بالليل والنهار. والضمير في «إليه» عائد على إبراهيم، أي: فعل ذلك ترجّياً(٢) منه، يعقب ذلك رجعة إليه وإلى شرعه.

﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا﴾ في الكلام محذوف تقديره: فلما رجعوا من عيدهم(٣) إلى آلهتهم، ورأوا ما فعل بها، استفهموا على سبيل البحث والإنكار فقالوا: من فعل هذا التحطيم؟ إنه لظالم في اجترائه على الآلهة المستحقّة للتوقير والتعظيم.

﴿قَالُوا﴾ أي: قال الذين(٤) سمعوا قوله ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ۝٥٧﴾

---

(١) ق: جوهرتان مضيئتان.

(٢) ق: ترحيباً.

(٣) ق: عندهم.

(٤) ق: الذي.

[الأنبياء] يذكرهم بسوء.

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ يحتمل أن يكون جواباً لسؤال مقدّر؛ لمّا قالوا: سمعنا فتى يذكرهم وأتوا به منكَّراً، قيل: من يقال له؟ فقيل: يقال له إبراهيم. وارتفع «إبراهيم» على أنه مقدّر بجملة محكيّة[١] بـ«يقال» إما على النداء أي: يقال له[٢] حين يُدعى: يا إبراهيم، وإما على خبر مبتدأ محذوف أي: هو إبراهيم، أو على أنه مفرد مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله ويكون من الإسناد للّفظ لا لمدلوله[٣]، أي: يطلق عليه هذا اللفظ.

﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أحضروه بمرأى[٤] منهم. «فعلى أعين الناس» في موضع الحال و«على» معناها الاستعلاء المجازي، كأنّه لتحديقهم إليه وارتفاع أبصارهم لرؤيته مُسْتَعْلٍ على أبصارهم. «لعلهم يشهدون» جوابه إذا سألوه عن تلك الأصنام.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا﴾ أي: الكسر والتهشيم بآلهتنا. وارتفاع «أأنت» المختار أنه بفعل محذوف يفسّره «فعلت» ولما حُذف انفصل الضمير. ويجوز أن يكون مبتدأ. وإذا تقدم الاسم في نحو هذا التركيب على الفعل، كان الفعل صادراً، واستفهم عن فاعله وهو المشكوك فيه. وإذا تقدم الفعل كان الفعل مشكوكاً فيه، فاستفهم عنه: أوقع ذلك أم لم يقع.

والظاهر أن «بل» للإضراب عن جملة محذوفة أي: قال: لم أفعله -

---

(١) ق: محكي.

(٢) ق: لهم.

(٣) ق: للمدلوله.

(٤) ق: يمروا.

إنما الفاعل حقيقة هو الله تعالى - بل فعله كبيرهم. وأسند الفعل إلى كبيرهم على جهة المجاز [٣٧٩/أ] لما كان سبباً في كسر هذا هذه الأصنام هو تعظيمهم وعبادتهم له ولما دونه من الأصنام، كان ذلك حاملاً على تحطيمها وكسرها، فأسند الفعل إلى الكبير، إذ كان تعظيمهم له أكثر من تعظيمهم ما دونه.

«فاسألوهم» لا يريد حقيقة السؤال، بل ذلك على سبيل التعجيز والاستهزاء بهم كأنه قال: إن كانوا ينطقون فاسألوهم، وهم لا ينطقون فلا يصحّ السؤال.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال ابن عباس: حين عبدتم ما لا ينطق ولا يصلح للعبادة.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: ارتبكوا[1] في ضلالهم، وعلموا أن الأصنام لا تنطق، فساءهم ذلك حين نبّه على قيام الحجّة عليهم. ونكسهم كناية عن مجادلتهم ومكابرتهم[2].

﴿مَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ جملة منفيّة في موضع نصب متعلّق عنها الفعل الذي هو ﴿عَلِمْتَ﴾.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ﴾ لمّا ظهرت له الحجّة عليهم أخذ يقرّعهم ويوبّخهم بعبادة تماثيل، لا تنفع ولا تضرّ، ثم أبدى لهم التضجّر منهم ومن معبوداتهم. وتقدّم الخلاف في «أفّ» في سبحان[3]. واللام في «لكم» لبيان المتأفّف به أي: [لكم] ولآلهتكم هذا التأفّف. ثم نبّههم على ما يُدرَك به حقائق الأشياء وهو العقل فقال ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: قُبْحَ ما أنتم عليه، وهو

---

(١) ق: ارتكبوا.

(٢) ق: ومكاثرتم.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٣ من الإسراء.

استفهام توبيخ وإنكار.

﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ الآية، «قالوا حرّقوه» أي: قال بعضهم لبعض. وقيل: أشار بإحراقه نمرود. ولمّا نبّههم على قبيح مرتكبهم وأعلمهم بإقامة الحجّة عليهم، لاذوا بالإيذاء له والغضب لآلهتهم، واختاروا له أشدّ العذاب، وهو الإحراق بالنّار التي هي سبب للإعدام المحض.

وقال ابن عطية: روي أن الذي أشار بإحراقه رجل من الأكراد من أعراب فارس أي: باديتها، فخسف الله تعالى به الأرض فهو يتجلجل(١) فيها إلى يوم [القيامة].

وروي أنهم اتّخذوا منجنيقاً - قيل: بتعليم(٢) إبليس، إذ كان لم يُصنع قبل - فشُدّ إبراهيم رباطاً ووضع في كفّة المنجنيق، ورُمي به، فوقع(٣) في النار.

وروي أن جبريل عليه السّلام جاءه وهو في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا. وعن ابن عبّاس: إنما نجا إبراهيم بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل.

﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ ﴾ لمّا كانت النار تنفعل لما أراده الله تعالى منها كما ينفعل(٤) من يعقل، عبّر عن ذلك بالقول لها والنداء والأمر.

﴿ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا ﴾ المعنى: ذات برد وسلام [فبولغ في ذلك كأنّ ذاتها برد

---

(١) تجلجل في الأرض: ساخ فيها ودخل.

(٢) ق: قبل تعليم.

(٣) ق: فوق.

(٤) ق: ينفعل.

وسلام].

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ قيل: هو إلقاؤه في النار.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ أي: المبالغين في الخسران، وهو إبطال ما راموه به.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

والضمير في ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ عائد على إبراهيم، وضُمّن معنى: أخرجناه بنجاتنا إلى الأرض، ولذلك تعدّى «نجيّناه» بإلى. واحتمل أن يكون «إلى» متعلقاً بمحذوف تقديره: منتهياً[1] إلى الأرض، فيكون في موضع الحال ولا

(١) ق: منها.

تضمين في «ونجيّناه» على هذا.

والأرض التي خرجا[1] منها هي كوثى[2] من أرض العراق، والأرض التي صار لها إليها هي أرض الشام. وبركتها: ما فيها من الخصب والأشجار والأنهار وبَعْث أكثر الأنبياء منها.

وقيل أرض مصر وبركتها [٣٧٩/ب] نِيْلها وزكاة زرعها وعمارة مواضعها.

وروي أن إبراهيم عليه السلام خرج مهاجراً إلى ربّه، ومعه لوط وكان ابن أخيه، فآمنت به سارة وهي ابنة عمّه هاران الأكبر، فأخرجها معه فارًا[3] بدينه. وفي هذه الخرجة لقي الجبّار الذي رام أخذها منه، فنزل حرّان[4]، ومكث بها زماناً، ثم قدم مصر، ثم خرج منها إلى الشام، فنزل السّبع من أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من السبع[5] أو أقرب فبعثه الله تعالى نبياً.

والنّافلة: العطيّة. «وكلاً» يشمل من ذكر: إبراهيم ولوطاً[6] وإسحاق ويعقوب.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يرشدون الناس إلى الدين. و«أئمة» قدوة لغيرهم. وقرىء: أئمة بتخفيف الهمزتين، وتسهيل الثانية وإبدالها محصنة.

---

(١) ق: خرجنا.
(٢) انظر الروض المعطار ص٥٠٣.
(٣) ق: ناراً.
(٤) انظر الروض المعطار ص١٩١.
(٥) ق: اليسع، في الموضعين.
(٦) ق: ولوط.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ﴾ أي: خصصناهم بشرف النبوّة لأنّ الإيجاد هو التّنبئة.

﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بدأ أولاً في الإيجاد بعامّ وهو فعل الخيرات، ثم بخاصّ وهو إقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وجاء «إقام الصلاة» بغير تاء، والقياس: إقامة بالتّاء كما يقال: أطال إطالة.

قال ابن عطية: والإقام مصدر، وفي هذا نظر انتهى.

وأي: نظر في هذا، وقد نصّ سيبويه على أنه مصدر بمعنى الإقامة، وإن كان الأكثر الإقامة بالتاء، وهو المقيس في مصدر أفعل، إذا اعتلّت عينه. وحسّن حذف التاء هنا مقابلته لقوله «وإيتاء» بغير تاء التأنيث.

وانتصب «ولوطاً» على الاشتغال، تقديره: وآتينا لوطاً. والحكم: النبوّة[1].

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي: من عذاب أهل القرية، [والقرية]: سدوم. وكانت قراهم سبعاً عبّر عنها بالواحدة لاتّفاق أهلها على الفاحشة. ونسب عمل الخبائث إلى القرية مجازاً وهو لأهلها. وانتصب «الخبائث» على معنى: يعمل الأعمال أو الفعلات الخبيثة، وهي ما ذكره تعالى في غير هذه السّورة[2] مضافاً إلى كفرهم بالله وتكذيبهم نبيّه عليه السلام.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي: أهل رحمتنا، أو في الجنّة، سمّاها رحمة إذ كانت أثر الرّحمة.

ولمّا ذكر تعالى قصة [إبراهيم] عليه السلام، وهو أبو العرب، وتنجيته من أعدائه، ذكر قصّة] أبي العالم الإنسيّ، وهو الأب الثاني [لآدم] لأنه ليس

---

(١) ق: والنبوة.

(٢) انظر مثلاً هود ١١: ٧٧ - ٨٣، والشعراء ٢٦: ١٦٠ - ١٧٥.

أحد إلاّ من نسله من حام وسام ويافث. وانتصب «نوحاً» على إضمار: اذكر، أي: واذكر نوحاً، أي: قصّته إذ نادى. ومعنى ﴿نَادَىٰ﴾ دعا، مجملاً بقوله ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر] ومفصّلاً بقوله ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح].

و«الكرب» أقصى[1] الغم والأخذ بالنفس وهو هنا الغرق، عبّر عنه بأوّل أحوال [ما يأخذ] الغريق.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ عطف على ﴿وَنُوحًا﴾. وكان داود ملكاً نبيًّا يحكم بين الناس، فوقعت هذه النازلة. وكان ابنه إذ ذاك قد كبر، وكان يجلس على الباب الذي تخرج منه الخصوم، وكانوا يدخلون إلى داود من باب آخر. فتخاصم إليه رجل له زرع، وقيل كَرْم، والحرث يقال فيهما [وهو] في الزرع أكثر وأبعد عن الاستعارة. دخلت حرثه غنم رجل، فأفسدت [عليه. فرأى داود دفعها لصاحب الحرث. فعلى أنه كَرْم رأى أنّ الغنم تقاوم ما أفسدت] من الغلّة، وعلى أنه زرع رأى أنها تقاوم الحرث [٣٨٠/أ] والغلّة. فخرجا على سليمان، فشكا صاحب الغنم، فجاء سليمان فقال: يا نبيّ الله، إني أرى ما هو أرفق بالجميع: أن يأخذ صاحب الغنم الحرث يقوم عليه، ويصلحه حتى يعود كما كان، ويأخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة، ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل، فإذا عاد الحرث إلى حاله، صرف كلٌّ ما لصاحبه إليه، فرجعت الغنم إلى ربّها والحرث إلى ربّه. فقال داود: وُفّقتَ يا بنيّ، وقضى بينهما بذلك.

والنَّفَش: رعي الماشية بالليل بغير راعٍ، والهَمَل: رعيها بالنّهار بغير راعٍ.

---

(١) ق: أنفي.

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ المعنى: وكنّا للحكم الذي صدر في هذه القضية شاهدين. فإن المصدر هنا لا يراد به العلاج[1] بل يراد به وجود الحقيقة.

والضمير في ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ عائد على الحكومة أو الفتوى.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ﴾ ذكر ما امتاز به داود من سليمان عليهما السلام.

والظاهر أن ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ جملة حالية من «الجبال» أي: مسبّحات. والظاهر وقوع التسبيح منها بالنّطق، خلق الله تعالى فيها الكلام، كما سبّح الحصى في كفّ رسول الله ﷺ، وسمع الناس ذلك. وانتصب «والطير» عطفاً على الجبال. ولا يلزم من العطف دخوله في قيد التسبيح. وقيل هو مفعول معه أي: يسبّحن مع الطير.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: فاعلين هذه الأعاجيب من تسخير الجبال وتسبيحهنّ والطّير لمن نختصّه[2] بكرامتنا.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: لم قدّمت «الجبال» على «الطير»؟ قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة، لأنها جماد، والطير حيوان [إلا أنه غير] ناطق انتهى. قوله: حيوان ناطق[4]، إن عنى به أنه ذو نفس ناطقة كما يقولون في حدّ الإنسان إنه حيوان ناطق، فيلزم أن يكون الطير إنساناً، وإن عنى به أنه متكلّم كما يتكلّم الإنسان فليس بصحيح، وإنّما عنى به أنه مصوّت أي: ليس له صوت. ووصف الطير بالنّطق مجاز لأنها في

---

(١) ق: بل العلاج.

(٢) ق: يختصّه.

(٣) الكشاف ٢: ٥٨٠.

(٤) بطل كلام المصنّف بردّ ما سقط من عبارة الزمخشري كما وردت في الكشاف.

الحقيقة لا نطق لها.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ اللّبوس: الملبوس، فَعول بمعنى مفعول كالرّكوب بمعنى المركوب، وهو الدّرع هنا. واللّبوس: ما يُلبس، وقال الشاعر(١): [من الطويل]

عليها أسودٌ ضارياتٌ لَبوسهم   سوابغُ بيضٌ لا تخرّقها النّبلُ

امتنّ تعالى عليه بإيتائه حكماً وعلماً وتسخير الجبال والطير معه وتعلّم صنعة اللّبوس، وفي ذلك فضل هذه الصنعة إذ أسند تعليمها إياه إليه تعالى.

ثم امتنّ علينا(٢) تعالى بقوله ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي: لتكون(٣) وقاية لكم في «حربكم» وسبب نجاة من عدوّكم. وقرىء بالنون والتاء والياء؛ فالنون ضمير لله تعالى، وبالتاء عائد على الدّروع(٤)، وبالياء عائد على اللّبوس.

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ استفهام يتضمّن الأمر، أي: اشكروا الله على ما أنعم عليكم [٣٨٠/ب] كقوله تعالى ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة] أي: انتهوا عمّا حرّم الله تعالى.

ولمّا ذكر تعالى ما خصّ به نبيّه داود، ذكر ما خصّ به ابنه سليمان، فقال ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وجاء التركيب هنا حين ذكر تسخير الرّيح لسليمان باللام،

---

(١) البيت لزهير في ديوانه ص١٠٣.

(٢) ق: عليه.

(٣) ق: ليحصنكم.. ليكون.

(٤) ق: الزّروع.

وحين ذكر تسخير الجبال جاء بلفظ «مع» فقال ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء] وكذا ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ] وقال ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ ﴿٣٦﴾﴾ [ص] وذلك أنه لمّا اشتركا في التسبيح ناسب ذكر «مع» الدالّة[1] على الاصطحاب.

ولمّا كانت الرّيح مسخّرة[2] لسليمان أضيفت إليه[3] بلام التمليك، لأنها في طاعته وتحت أمره. و«عاصفة» حال، العامل فيها «سخّرنا». ويقال: عصفت الرّيح فهي عاصف وعاصفة. ولغة أسد: أعصفت فهي مُعْصِف ومُعْصِفة[4]. ووصفت هذه الرّيح بالعصف وبالرّخاء. والعصف: الشدة في السير، والرخاء: اللّين. فقيل: كان ذلك بالنسبة إلى الوقت الذي يريد فيه سليمان أحد الوصفين، فلم يتّحد الزمان، وقيل: الجمع بين الوصفين كونها رخاء في نفسها طيبة كالنسيم، عاصفة في عملها تبعد في مدة يسيرة كما قال تعالى ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ]. وقيل: الرخاء في البداءة والعصف بعد ذلك.

ولما ذكر تعالى تسخير الرّيح له، وهي[5] جسم شفّاف لا يعقل، وهي لا تُدْرَك بالبصر، ذكر تسخير الشياطين له، وهم أجسام لطيفة تعقل. والجامع بينهما أيضاً سرعة الانتقال؛ ألا ترى إلى قوله ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل]. و«مَنْ» في موضع نصب أي: وسخّرنا من الشياطين مَنْ يغوصون،

---

(١) ق: للدلالة الدالّة.

(٢) ق: مستخدمة.

(٣) ق: إليها.

(٤) انظر الصحاح: عصف.

(٥) ق: وهو.

أو في موضع رفع على الابتداء والخبر في الجار والمجرور قبله. وجمع الضمير في قوله «يغوصون» حملاً على معنى «مَن»، وحسّن ذلك تقدُّم جمعٍ قبله. ومعنى «يغوصون» أي: في البحار لاستخراج اللّآلىء. ودلّ الغوص على المغاص فيه وعلى ما يُغاص، لاستخراجه وهو الجوهر. ومعنى «له» أي: لسليمان، لأنّ الغائص قد يغوص لنفسه ولغيره، فذكر أن الغوص ليس لأنفسهم، إنما هو لأجل سليمان وامتثالهم أمره. والإشارة «بذلك» إلى الغوص، أي: ودون الغوص من بناء المدائن والقصور وغير ذلك كما قال تعالى ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ]. وقيل: الحمّام والنُّورة[1] والطاحون والقوارير والصابون من استخراجهم.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أي: من أن يزيغوا عن أمره أو يبدّلوا أو يغيّروا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخّرون فيه.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ

(١) النُّورة: أخلاط تستعمل لإزالة الشَّعَر.

وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

﴿ ۞وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ الآية، روي أن أيوب كان روميًا من ولد إسحاق بن يعقوب، استنبأه[1] الله، وبسط عليه الدنيا، وكثر أهله وماله، فابتلاه الله تعالى بالمرض في بدنه.

﴿وَذَا[2] الْكِفْلِ﴾ قيل: كان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً. وقال الأكثرون: هو نبيّ.

﴿وَذَا[3] النُّونِ﴾ النون: الحوت [٣٨١/أ] وذو بمعنى صاحب، كما قال تعالى ﴿نٓ وَالْقَلَمِ ﴿١﴾﴾ [القلم]. وانتصب مغاضباً على الحال فقيل: معناه غضبان، وقيل مغاضباً لقومه، أغضبهم بمفارقته وتخوّفهم[4] حلول العذاب، وأغضبوه حين دعاهم إلى الله تعالى مدة، فلم يجيبوه، فأوعدهم بالعذاب، ثم خرج من بينهم على عادة الأنبياء عند نزول العذاب قبل أن يأذن الله تعالى له في الخروج.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نضيق عليه، من القَدْر لا من القدرة.

﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ[5]﴾ في الكلام جمل محذوفة، قد أوضحت في سورة

---

(١) ق: استنابه.

(٢) ق: وذو.

(٣) ق: وذو.

(٤) ق: ويخوّفهم.

(٥) ق: الظلمة.

الصافات[١]. وجمع «الظلمات» لشدة تكاثفها، فإنها ظلمة مع ظلمة. وقيل: ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل.

وروي أن يونس عليه السلام سجد في بطن الحوت قيل: سمع تسبيح الحيتان في قعر الماء ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ «أنْ» تفسيرية لأنه سبق فنادى وهو فيه معنى القول، ويجوز أن يكون التقدير: بأنّه[٢]، فتكون مخفّفة من الثقيلة. حصر الألوهيّة فيه تعالى، ثم نزّهه عن سمات النّقص، ثم أقرّ بما بعد ذلك. وعن النبي ﷺ[٣] «ما من مكروب يدعو بهذا الدّعاء إلاّ استُجيب له».

و«الغم» ما كان ناله حين التقمه الحوت ومدة بقائه في بطنه.

«وزكريا» تقدّم الكلام عليه في آل عمران[٤].

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ روي أنها كانت سيئة الخلق فحسّن الله خلقها. والضمير في «إنهم» عائد على زكريا ويحيى والزوجة.

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: وقت الرغبة ووقت الرهبة.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام. والظاهر أن الفرج هنا حياء المرأة، أحصنته: أي منعته من الحلال والحرام. وقيل: الفرج أيضاً جيب قميصها. وأضاف الروح إليه تعالى على جهة

(١) انظر الآيات ١٣٩ وما بعدها من الصافات.

(٢) ق: فإنه.

(٣) أخرجه الترمذي ٩: ١٧١ من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه.

(٤) أخرجه تفسير ٣٧ من آل عمران.

التشريف. وأفرد «آية» لأنّ حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادة مريم عيسى عليه السلام من غير فحل، وإن كان في مريم آيات وفي عيسى آيات، لكنه هنا لحظ أمر الولادة من غير ذكر، وذلك هو آية واحدة.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه[2] - قال الله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر] أي: أحييتُه - وإذا ثبت ذلك كان قوله ﴿فَنَفَخْنَا[3] فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم. قلت: معناه نفخنا الروح في عيسى فيها، أي: أحييناه في جوفها. ونحو ذلك أن يقول الزّمار: نفخت في بيت فلان، أي: نفخت في المزمار في بيته انتهى.

لا إشكال في ذلك، لأنه على حذف مضاف أي: فنفخنا في ابنها من روحنا. وقوله: قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها، استعمل نفخ متعدّياً. والمحفوظ أنه لا يتعدّى فيحتاج في تعديته إلى سماع. وغير متعدٍّ استعمله هو في قوله: أي نفخت في المزمار [٣٨١/ ب] في بيته.

وقوله[4] ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: لمن اعتبر بها من عالمي زمانهم فمن بعدهم. وناسب ذكر قصة زكريا وزوجه ويحيى للقرابة التي بينهم، قال الشاعر[5]: [من الطويل]

---

(١) الكشاف ٢: ٥٨٢.

(٢) ق: إحياء.

(٣) ق: ونفخنا.

(٤) كرر الناسخ العبارات الواقعة بين قوله «في بيته انتهى» وقوله «في بيته وقوله».

(٥) البيت لعمرو الجنبي في الكتاب ٢: ٢٦٦، وفي الخصائص ٢: ٣٣٣.

ألا ربّ مولودٍ وليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يَلْدَهُ أبوانِ

يريد عيسى وآدم عليهما السلام.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ الآية، الظاهر أن قوله «أمتكم» خطاب لمعاصري رسول الله ﷺ. و«هذه» إشارة إلى ملّة الإسلام، أي: أن ملة الإسلام هي ملّتكم التي يجب أن تكونوا عليها، لا تنحرفون عنها، ملة واحدة غير مختلفة.

﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ أخبر تعالى أنهم بعد ذلك اختلفوا وتقطّعوا أمرهم. والضمير في «وتقطّعوا» عائد على ضمير الخطاب على سبيل الالتفات أي: وتقطّعتم. ولمّا كان هذا الفعل من أقبح المرتكبات، عدل عن الخطاب إلى الغيبة، كأنّ هذا الفعل ما صدر من المخاطَب، لأنّ في الإخبار عنهم بذلك نعياً[1] عليهم ما أفسدوه، وكأنه يخبر غيرهم

---

(١) ق: بغياً.

بما[١] صدر منهم من قبيح فعلهم ويقول[٢]: ألا ترى إلى ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى؛ جعلوا أمر دينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء، لهذا نصيب[٣]، ولهذا نصيب، تمثيلاً لاختلافهم. ثم توعّدهم برجوع هذه الفرقة المختلفة إلى جزائه[٤].

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ ذكر حال المحسن وأنه لا يُكفر سعيه. والكفران: مثل في حرمان الثواب، كما أن الشكر مثل في إعطائه، إذ[٥] قيل لله: شكور. ولا: لنفي الجنس، فهو أبلغ من قوله: فلا نكفر سعيه. والكتابة عبارة عن إثبات عمله في صحيفة الأعمال، ليثاب عليه، ولا يضيع.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ استُعيرَ الحرامُ للممتنعِ وجودُه.

ومعنى ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ قدّرنا إهلاكها على ما هي عليه من الكفر، فالإهلاك هنا إهلاك عن كفر. و«لا» في ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ زائدة، أي: لا يرجعون إلى الإيمان، كقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ⟨١٢⟩﴾ [الأعراف]. والمعنى: وممتنع على أهل قرية قدّرنا عليهم إهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا إلى الإيمان إلى أن تقوم القيامة، فحينئذ يرجعون ويقولون ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ⟨٩٧⟩﴾ [الأنبياء].

(١) ق: ما.

(٢) ق: وتقول.

(٣) ق: انتصب.

(٤) ق: جزيه.

(٥) ق: إذا.

وغيّاً[١] بما قرّب من مجيء الساعة، وهو فتح يأجوج ومأجوج. ويأجوج تقدّم الكلام عليه[٢]. والضمير في «وهم» عائد على «يأجوج ومأجوج».

﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ أي: من الأماكن المرتفعة. ﴿يَنسِلُونَ﴾ يتساقطون ويسرعون.

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ﴾ أي: الوعد بالبعث. «الحق» الذي لا شكّ [٣٨٢/أ] فيه. والفاء جواب «إذا» السابقة. و«إذا» الفجائية، و«هي» ضمير القصّة، مبتدأ. و«أبصار» مبتدأ و«شاخصة» خبره. والجملة خبر عن ضمير القصّة.

وقال الزمخشري[٣]: «هي» ضمير مبهم يوضّحه الأبصار، ويفسّره كما فسّره ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: ﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ [الأنبياء: ٣] انتهى.

لم يذكر غير هذا الوجه وهو قول الفرّاء.

﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: ممّا وجدنا الآن وتبيّنّا من الحقائق. ثم أضربوا عن قولهم «قد كنا في غفلة» وأخبروا بما كانوا قد تعمّدوه من الكفر والإعراض عن الإيمان فقالوا «بل كنا ظالمين».

والخطاب بقوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ للكفار المعاصرين رسول الله ﷺ ولا سيّما أهل مكة. ومعبوداتهم هي الأصنام. والحَصَب: ما يُحصب به، أي: يُرمَى به في نار جهنم.

﴿أَنتُمْ لَهَا﴾ أي: للنار.

---

(١) أي: علّق وربط.

(٢) انظر تفسير الآية ٩٤ من الكهف.

(٣) الكشاف ٢: ٥٨٤.

﴿ وَارِدُونَ ﴾ الورود هنا ورود دخول.

﴿ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَآءِ ﴾ أي: الأصنام التي تعبدونها . ﴿ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ أي: ما دخلوها. ﴿ وَكُلٌّ فِيهَا ﴾ أي: كلّ من العابدين ومعبوداتهم.

﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ الزفير: صوت نَفَس[1] المغموم، يخرج من وسط القلب. والظاهر أن الزّفير إنما يكون ممّن تقوم به الحياة وهم العابدون والمعبودون، ممّن يدّعي الإلهيّة، كفرعون وغلاة الإسماعيلية الذين كانوا ملوك مصر من بني عبيد الله أوّلِ ملوكهم. ويجوز أن يجعل الله للأصنام التي عُبدت حياة، فيكون لها زفير.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ أي: لا يسمعون ما يسرّهم، بل يسمعون كلام من يتولّى عذابهم من الزّبانية، كما قال تعالى ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ

(١) ق: النفس.

ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية، سبب نزول «إن الذين سبقت» قول ابن الزبعرى حين سمع ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء]، لرسول الله ﷺ: قد خصمتك ورب الكعبة؛ أليس اليهود عبدوا عزيراً، والنصارى عبدوا المسيح، وبنو مليح عبدوا الملائكة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتْهم[1] بذلك. فأنزل الله الآية[2].

و«الحسنى» الخصلة المفضّلة في الحُسْن، تأنيث الأحسن[3]، إما السّعادة وإما البشرى بالثواب.

والحسيس: الصوت الذي يُحَسّ من حركة الأجرام. والشهوة: طلب النفس اللذة.

و﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ عامّ في كل هول يكون يوم القيامة.

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالسلام عليهم. وعن ابن عباس: تتلقّاهم الملائكة بالرحمة عند خروجهم من القبور قائلين لهم ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بالكرامة والثواب والنعيم فيه.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ المعنى: طيًّا مثل طيّ السجلّ.

---

(١) ق: أمرهم.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٠٦.

(٣) ق: الإحسان.

قال الزمخشري[1]: العامل في «يوم» من قوله «يوم نطوي» «الفزع» انتهى.

المعنى ليس بجائز لأن «الفزع» مصدر [٣٨٢/ ب] وقد وصف قبل أخذ[2] معموله، فلا يجوز ما ذكر. والعامل فيه: اذكر، مقدّرةً، التقدير: واذكر يوم نطوي. وطيّ: مصدر مضاف إلى المفعول، أي: ليكتب فيه أو لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة. والظاهر أن الكاف ليست مكفوفة بل هي جارّة، و«ما» بعدها مصدريّة ينسبك منها مع الفعل مصدر هو في موضع جرّ بالكاف. و«أول خلق» مفعول «بدأنا» والمعنى: نعيد أول خلق إعادةً مثل بدأتنا له[3]، أي: كما أبرزناه من العدم إلى الوجود، كذلك نعيده من العدم إلى الوجود. وانتصب «وعداً» على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة الخبرية قبله.

﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ تأكيد لتحتّم الخبر، أي: نحن قادرون على أن نفعل.

و«الزبور» الظاهر أنه زبور داود. وقيل: الزبور يعمّ الكتب المنزلة. و«الذكر» اللوح المحفوظ. و«الأرض» قال ابن عباس: هي أرض الجنّة كما قال تعالى ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر].

والإشارة في قوله «إن في هذا» إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة. «لبلاغاً» كفايةٌ يُبلغ بها إلى الخير، وكونه عليه السلام رحمة لكونه جاءهم بما يسعدهم.

و«للعالمين» قيل خاصّ بمن آمن به، وقيل عامّ. وكونه رحمة للكافرين حيث أخّر عقوبتهم، ولم يستأصل الكفّار بالعذاب.

---

(١) الكشاف ٢ : ٥٨٥.

(٢) ق: أحد.

(٣) ق: مثل به أمثاله.

قال [ابن عباس] عوفي مما أصاب غيرهم من الأمم من مسخ وخسف وغرق وقذف، وأخّر أمره إلى الآخرة.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون معناه: وما أرسلناك للعالمين إلا رحمة، أي: هو رحمة في نفسه وهدى بيّن، أخذ به من أخذ، وأعرض عنه من أعرض انتهى.

لا يجوز على المشهور أن يتعلّق الجار بعد إلاّ بالفعل قبلها إلا أن يكون العامل مفرّغاً له نحو: ما مررت إلا بزيد.

قال الزمخشري[1]: «إنما» لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم، كقولك[2]: إنما زيد قائم، وإنما يقوم زيد، وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأنّ «إنما يوحى إلي» مع فاعله[3] بمنزلة: إنما يقوم [زيد]، و«أنما إلهكم إله واحد» بمنزلة: إنما زيد قائم. وفائدة اجتماعهما الدّلالة على أن الوحي إلى رسول الله ﷺ مقصور على استئثار الله بالوحدانية انتهى.

أمّا ما ذكره في «إنما» أنها لقصر ما ذكر، فهو مبني على أن «إنّما» للحصر، وقد قررنا أنها لا تكون للحصر، وأنّ مع إنّ كهي مع كأنّ ومع لعلّ، فكما أنها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجّي، فكذلك لا تفيده مع إنّ. وأما جعله «أنما» المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها تدلّ على القصر، فلا نعلم الخلاف إلا في إنّما بالكسر، وأما بالفتح فحرف مصدري ينسبك منه مع ما بعده مصدر، فالجملة بعدها ليست جملة مستقلّة. ولو

(١) الكشاف ٢: ٥٨٦.

(٢) ق: كقوله.

(٣) لأن إنما يوحى إلي مع فاعله: مكررة في ق.

كانت أنّما دالّة على الحصر، لزم أن يقال إنه لم يُوحَ إليه شيء إلا التوحيد، وذلك لا يصحّ فيه [٣٨٣/أ] إذ قد أوحي إليه أشياء غير التوحيد.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ استفهام يتضمّن الأمر بإخلاص التوحيد والانقياد إلى الله تعالى.

﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ أعلمتكم، وتتضمّن معنى التحذير والنّذارة.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ لم أخصّ أحداً دون أحد. وهذا الإنذار هو إعلام بما يحلّ بمن تولّى من العذاب وغلبة الإسلام، ولكني لا أدري متى يكون ذلك. و«إن» نافية، و«أدري» معلّقة. والجملة الاستفهامية في موضع نصب «بأدري». وتأخّر المستفهَم عنه لكونه فاصلة، إذ لو كان التركيب: أقريب ما توعدون أم بعيد، لم تكن فاصلة. وكثيراً ما يرجح الحكم في الشيء لكونه فاصلة آخر آية. والمعنى أنه تعالى لم يعلمني علمه، ولم يطلعني عليه، والله تعالى هو العالم الذي لا يخفى عليه شيء. و«ما» في قوله «ما توعدون» فاعل «بقريب» تقديره: أيقرب ما توعدون أم يبعد.

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ﴾ أي: لعلّ تأخير هذا الوعد امتحان لكم لننظر كيف تعملون، أو متاع[1] لكم إلى حين ليكون ذلك حجّة وليقع الموعد في وقت هو حكمه. و«أدري» هنا معلّقة أيضاً. وجملة التّرجي هي مصبّ الفعل. والكوفيون يُجْرون لعلّ مجرى هل؛ فكما يقع التعليق عن هل فكذلك عن لعلّ. وقد ذهب إلى ذلك أبو علي الفارسي، وإن كان [ذلك] ظاهراً فيها كقوله تعالى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ١٧﴾ [الشورى]. وقيل ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى يوم القيامة.

---

(١) ق: لمبيع.

﴿قَٰلَ[1] رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ قرىء: قل، على الأمر، وقال، على الخبر. وهو من باب الالتفات، انتقل من ضمير المتكلّم في «أدري» إلى ضمير الغائب في «قال». و«ربّ» منادى مضاف تقديره: يا ربّ. وقرىء: احكم، على الأمر. وقرىء بإسكان الياء في: ربّي أَحْكَمُ، جعله أفعل التفضيل. فربّي[2] أحكم: مبتدأ وخبر. وقرىء: أَحْكَمَ، فعلاً ماضياً. وقرأ الجمهور: تصفون، بتاء الخطاب. وروي أن النبي ﷺ قرأ على أبيّ: ما[3] يصفون، بياء الغيبة.

---

(١) ق: قل.

(٢) ق: فربّ.

(٣) ق: بما.

سورة الحج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧ ﴾.

هذه السورة مكّية إلا «هذان خصمان» إلى تمام ثلاث آيات[2]، قاله ابن عباس. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر حال الأشقياء والسعداء، وذكر

---

(١) مكّية وهي ثمان وسبعون آية.

(٢) الآيات ٩-١٢.

الفزع الأكبر وهو ما يهول يوم القيامة - وكان[1] مشركو مكة قد أنكروا المعاد، وكذّبوه بسبب تأخر العذاب عنهم - نزلت هذه السورة تحذيراً لهم وتخويفاً لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدّة هولها، وذِكْر ما أعدّ لمنكريها، وتنبيههم[2] على البعث بتطويرهم في خلقهم وبهمود الأرض واهتزازها بعدُ بالنبات. والظاهر أن قوله «يا أيها الناس» عامّ. ونبّه تعالى على سبب اتّقائه وهو ما يؤولون إليه من أهوال الساعة، وهو على حذف [مضاف] أي: اتقوا عذاب ربكم.

والزلزلة: الحركة المزعجة وهي عند النفخة [الأولى] وأضيفت إلى الساعة، لأنها من أشراطها. والمصدر [٣٨٣/ب] مضاف للفاعل، والمحذوف المفعول وهو الأرض، ويدلّ عليه قوله ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة]. و«شيء» هنا يدلّ على إطلاقه على المعدوم، لأن الزلزلة لم تقع بعد.

وذكر تعالى أهول[3] الصفات في قوله ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ الآية، لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم، ويتصوّروها[4] بعقولهم، ليكون ذلك حاملاً على تقواه تعالى؛ إذ لا نجاة من تلك الشدائد إلا بالتقوى. وروي أنّ هاتين الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق، فقرأهما رسول الله ﷺ فلم يُرَ[5] أكثر باكياً من تلك الليلة. فلما أصبحوا، لم يحطّوا السّروج عن الدواب،

---

(١) ق: وكانوا.

(٢) ق: وينبيهم.

(٣) ق: أهوال.

(٤) ق: وتصوّرها.

(٥) ق: نر.

ولم يضربوا الخيام وقت النزول، ولم يطبخوا قدراً، وكانوا بين[1] حزين وباكٍ ومفكّر. والناصب «ليوم» «تذهل». والظاهر أن الضمير المنصوب في «ترونها» عائد على الزلزلة، لأنّها المحدَّث عنها، ويدلّ على ذلك وجود ذهول المرضعة ووضع الحمل. هذا إذا أريد الحقيقة وهي الأصل، ويكون ذلك في الدنيا. وقيل: الضمير يعود على «الساعة» فيكون الذهول والوضع عبارة عن شدة الهول في ذلك اليوم، ولا ذهول ولا وضع [هناك] كقولهم: يوم يشيب فيه الوليد. وجاء بلفظ «مرضعة» دون مرضع، لأنه أريد به الفعل لا النّسب، بمعنى ذات رضاع، وقال الشاعر[2]: [من الطويل]

كمرضعة أولاد أخرى وضيّعت ... بني بطنها هذا الضّلال عن القصد

والظاهر أن «ما» [في قوله «عن ما] أرضعت» بمعنى الذي، والعائد محذوف أي: أرضعته، ويقوّيه تعدّي «وتضع» إلى المفعول به في قوله «حملها» [لا] إلى المصدر.

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ قرىء: سكارى، وهو جمع سكران كعجلان وعُجالى. وقرىء: سَكْرى. والصحيح أنه جمع. حكى سيبويه: رجل سَكِر، فيجمع على سَكْرى كزَمِن وزَمْنى. أثبت أنهم سكارى على طريق التشبيه، ثم نفى عنهم الحقيقة وهي السكر من الخمر، وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل. وجاء هذا الاستدراك بالإخبار عن عذاب الله أنه شديد، لمّا تقدّم ما هو بالنسبة إلى العذاب كالحالة الليّنة الهيّنة، وهو الذهول والوضع ورؤية الناس أشباه السكارى، وكأنه قيل: وهذه أحوال هيّنة، ولكن عذاب الله.

---

(١) ق: من بين.

(٢) البيت في شرح ديوان الحماسة ٢: ٧٣٦ للعُديل بن الفرخ العجلي.

شديد، ليس بهيّن ولا ليّن، لأن «الكنّ» لا بدّ أن تقع بين متنافيين بوجهٍ ما.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ ﴾ أي: في قدرته وصفاته. قيل: نزلت[١] في أبي جهل وقيل في النّضر، وكان جَدِلاً يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ولا يقدر الله تعالى على إحياء من بلي وصار تراباً. والآية عامّة في كلّ من تعاطى الجدال، فيما يجوز[٢] على الله تعالى، وما لا يجوز من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا برهان ولا نَصَفَة[٣].

والظاهر أن قوله ﴿ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ هو من الجن كقوله ﴿ وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ ﴾ [النساء].

والظاهر أن الضمير في «عليه» عائد على «مَن» لأنه المحدَّث عنه، وفي «أنه» [٣٨٤/أ] و«تولّاه» وفي «فأنه» عائد عليه أيضاً. والفاعل في تولّى[٤] ضمير «مَن» وكذلك الهاء في «يضلّه».

قال الزمخشري[٥] في «أنه من تولّاه فأنه يضلّه ويهديه»: مَن فتَح، فلأنّ الأول فاعل «كُتب» - يعني به مفعولاً لم يُسمّ فاعله -. قال: والثاني عطف عليه انتهى.

هذا لا يجوز، لأنك إذا جعلت «فأنه» عطفاً على «أنّه» بقيت[٦] «أنه» بلا

(١) انظر لباب النقول ص١٤٨.

(٢) ق: فيما لا يجوز.

(٣) ق: ولا بصفة.

(٤) ق: يتولّى.

(٥) الكشاف ٣: ٥.

(٦) ق: يعنب.

استيفاء خبر، لأنّ «من تولاه» «من» فيه مبتدأة، فإن قدّرتها موصولة فلا خبر لها حتى تستقلّ[1] خبراً «لأنه». وإن جعلتها شرطية فلا جواب لها إذ[2] جعلت «فأنه» عطفاً على «أنه»[3].

ومثل قول الزمخشري قال ابن عطية، قال: و«أنه» في موضع رفع على المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله، و«أنه» الثانية عطف على الأولى مؤكدة مثلها.

وهذا خطأ لما بيّنّاه.

الظاهر أن ذلك من إسناد «كتب» إلى الجملة إسناداً لفظياً، أي: كتب عليه هذا الكلام، كما تقول: كُتب أن الله يأمر بالعدل.

قال الزمخشري[4]: أو على تقدير: قيل، أو على أن «كتب» فيه معنى القول انتهى.

أما الأول وهو على تقدير: قيل: يعني فيكون «عليه» في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله [«الكتب» والجملة من «أنه من تولاه» في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله] لقيل مقدَّرة، وهذا لا يجوز عند البصريين، لأن الفاعل عندهم لا يكون جملة، فلا يكون ذلك مفعولاً لم يُسَمَّ فاعله.

وأما الثاني فلا يجوز أيضاً على مذهب البصريين، لأنه لا تكسر[5] أنّ بعد ما هو بمعنى القول بل بعد القولِ صريحِهِ فاعرفه!.

---

(١) ق: يستقل.

(٢) ق: إذا.

(٣) ق: فأنه.

(٤) الكشاف ٣: ٥.

(٥) ق: يكسر.

ولمّا ذكر تعالى من يجادل في قدرة الله تعالى بغير علم، وكان جدالهم في الحشر والمعاد، ذكر دليلين واضحين على ذلك: أحدهما في نفس الإنسان وابتداء خلقه وتطوره في مراتب[1] سبع، وهي التراب والنّطفة والعلقة والمضغة والإخراج طفلاً وبلوغ الأشُدّ والتوفّي ورذالة العمر، والثاني في الأرض التي يشاهدون تنقّلها من حال إلى حال.

فإذا اعتبر العاقل بذلك ثبت عنده وعلم أنه واقع لا محالة.

العلقة: قطعة[2] من الدم الجامد. والمضغة: اللحمة الصغيرة قدر ما يُمضَغ. والمخلّقة: المسوّاة الملساء لا نقص ولا عيب، يقال: خلق السواك والعود: سوّاه وملّسه، من قولهم: صخرة خلقاء أي: ملساء.

﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التّدريج قدرتنا وأنّ من قدر على [خلق] البشر أولاً من تراب، ثم من نطفة ثانياً - ولا تناسب بين التراب والماء - وقدر على أن يجعل النطفة علقة - وبينهما تباين ظاهر - ثم يجعل[3] العلقة مضغة - قدر على إعادة ما أبدأه، بل هذا أدخل في القدرة.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت الوضع. وما لم نشأ إقراره، مَجَّته الأرحام وأسقطته[4].

ومعنى ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ نخرج كل واحد منكم كقولك: الرجال يشبعهم رغيف، أي: يشبع كل واحد منهم رغيف. واللام في ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾ تتعلق

---

(١) ق: مرات.

(٢) ق: نطفة.

(٣) ق: نجعل.

(٤) ق: أو أسقطته.

بمحذوفٍ تقديره: يستمر عمركم لتبلغوا. والأشدّ: تقدم الكلام عليه في يوسف[١].

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ أي: يستوفي أجله أي بعد الأشُدّ وقبل الهرم، وهو أرذل العمر والخرف. [٣٨٤/ب] «لكيلا» يتعلق بـ«يردّ» وكي ناصبة بنفسها، أي: ليصير نسّاءً بحيث إذا اكتسب[٢] علماً في شيء لم ينشب أن ينساه، ويزلّ عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته. «وترى الأرض هامدة» هذا هو الدليل الثاني الذي تضمَّنَتْه والدليل الأول الآيةُ.

ولما كان الدليل الأول بعض مراتب الخلقة فيه غير مرئي، قال ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ فلم يُحِلْ في جميع رتبه على الرؤية، ولما كان هذا الدليل الثاني مشاهداً للأبصار، أحال على الرؤية فقال «وترى» أي: أيّها السامع أو المجادل. «هامدة» أي: يابسة لا نداوة فيها ولا رطوبة في شيء منها. ولظهوره تكرر هذا الدّليل في القرآن. و«الماء» ماء المطر والأنهار والعيون والسواقي. واهتزازها: تخلخلها واضطراب بعض أجسامها لأجل خروج هذا النبات. «وربت» أي: زادت وانتفخت. «من كل زوج» أي: صنف. «بهيج» أي: رائق للعين حسن المنظر.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وتطوّرهم[٣] في تلك المراتب، ومن إحياء الأرض، حاصل بهذا وهو حقيقته تعالى، فهو الثابت الموجود القادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور، وقد وعد[٤]،

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من يوسف.

(٢) ق: لسبب.

(٣) ق: وبظهورهم.

(٤) ق: وقد وقع وعدنا بالبعث.

وهو قادر عليه، فلا بدّ من كيانه(١).

وقوله ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ [توكيد لقوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. والظاهر أن قوله «وأن الساعة آتية»] ليس داخلاً في سبب ما تقدّم ذكره، فليس معطوفاً على «أنه» التي تليه، فيكون على تقدير: والأمر أنّ الساعة. و«ذلك» مبتدأ، و«بأنّ» الخبر.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية، الظاهر أن المجادل في هذه الآية غير المجادل في الآية قبلها(٢)؛ فعن محمد بن كعب أنها نزلت في الأخنس بن شريق. وعن ابن عباس أنها نزلت في أبي جهل.

(١) ق: مكانه.

(٢) الآية الثالثة المتقدمة.

قال ابن عطية: وكرر هذا على جهة التوبيخ، فكأنه يقول: هذه الأمثال في غاية الوضوح والبيان، ومن الناس مع ذلك من يجادل، فكأنّ الواو واو الحال. والآية المتقدمة، الواو فيها واو عطف، عطفت[1] جملة الكلام على ما قبلها. والآية على معنى الإخبار وهي هنا مكررة للتوبيخ انتهى.

لا يُتخيّل أن الواو في «ومن الناس من يجادل» واو حال. وعلى تقدير الجملة التي قدّرها قبله لو كان مصرّحاً بها لم تتقدّر بإذ، فلا تكون للحال وإنما هي للعطف: قسم المجادلين[2] إلى مجادل في الله بغير علم متّبع لكل شيطان[3] مريد، ومجادل أيضاً بغير علم [ولا هدى] ولا كتاب منير إلى آخره، وعابدٍ ربّه على حرف.

والمراد بالعلم العلم الضروري، وبالهدى: الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة، وبالكتاب المنير: الوحي، أي: يجادل بغير واحد من هذه الثلاثة.

وانتصب «ثاني عطفه» على الحال من الضمير المستكنّ في «يجادل». قال ابن عباس: متكبراً. وقال مجاهد: لاوياً[4] عنقه. و«ليضل» متعلق بـ«يجادل». والخزي في الدنيا: ما لحقه يوم بدر من الأسر والقتل والهزيمة. وقد أسر النّضر[5]، وقتل يوم بدر بالصفراء. والحريق: قيل طبقة [٣٨٥/أ]

(١) ق: عطف.

(٢) ق: المجدولين.

(٣) ق: متّبع لشيطان.

(٤) ق: لاوٍ على عنقه.

(٥) ق: النفر. والنضر هو ابن الحارث.

من طباق جهنم، وقد يكون من إضافة الموصوف إلى صفته[١]، أي: العذاب الحريق أي: المحرق.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الخزي والإذاقة. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي: باجترامك وبعدل الله تعالى فيك. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ تقدّم [الكلام عليه][٢].

﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ قيل: نزلت[٣] في أعرابٍ من أسلم وغطفان، تباطؤوا عن الإسلام، وقالوا: نخاف ألاّ يُنصر[٤] محمد، فينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من يهود، فلا يَقْرونا، ولا يُؤوونا.

وقال ابن عطية: «على حرف» على انحراف منه عن العقيدة البيضاء.

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نفى هنا الضّرر والنفع، وأثبتهما في قوله ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ وذلك لاختلاف المتعلّق، وذلك أن قوله ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ هو الأصنام والأوثان، ولذلك أتى التعبير عنها «بما» التي لا تكون لآحاد من يعقل، وفي الثاني «بمَن» التي هي لمن يعقل. وعلى هذا فتكون الجملتان من إخبار الله تعالى عمّن يدعو إلهاً غير الله تعالى.

وذكروا في إعراب «يدعو» وجوهاً ذكرت في البحر[٥]. والذي نختاره أن مفعول «يدعو» محذوف تقديره: يدعو غير الأصنام ممّن يعقل، ثم أخبر عن هذا المدعوّ بقوله «لمن ضرّه» فاللام لام الابتداء، و«مَن» موصولة، و«ضَرُّه

---

(١) ق: الصفة إلى موصوفها.
(٢) انظر تفسير الآية ١٨٢ من آل عمران.
(٣) انظر أسباب النزول ص٢٠٦، ولباب النقول ص١٤٨.
(٤) ق: نتصر.
(٥) انظر ٦: ٣٥٦.

أقربُ من نفعه» مبتدأ وخبر صلة «لمَن». و«مَن» [مبتدأ] خبره الجملة[(١)] الدالّة على الذّم، وهي قوله «لبئس المولى ولبئس العشير» تقديره هو، «فهو» هذا عائد على «من» الموصولة المبتدأ.

و﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ الناصر. و﴿ٱلْعَشِيرُ﴾ المخالط.

والظاهر أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾[(٢)] عائد على «من» لأنه المذكور، وحقّ الضمير أن يعود على المذكور، ثَمّ محذوف تقديره: إذا كان طالباً للنصر محتاجاً إليه.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ المظلّة.

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: ذلك الحبل. وهذا كله كناية عن التحيّل في طلب النصر، وهو لا يقع إلا إن أراده الله تعالى.

﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ﴾ جملة استفهام في موضع نصب. و﴿فَلْيَنظُرْ﴾ معلق عنها.

ومعنى قوله ﴿كَيْدُهُۥ﴾ أي: ما يتحيّل، وهو فاعل «بيذهبن».

و«ما» في قوله ﴿مَا يَغِيظُ﴾ مفعول، والمعنى أن غيظه لا يزول بإظهار كيده.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: مثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله.

«آيات بينات» أي: لا تفاوتَ في إنزال بعضه ولا إنزال كلّه. والهاء في «أنزلناه» للقرآن، أُضمر للدّلالة عليه. والتقدير: والأمر أن الله يهدي من

---

(١) ق: والجملة.

(٢) ق: يضرّه.

يريد، أي: يخلق الهداية في قلب من يريد هدايته، لا خالق للهداية إلا هو تعالى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الآية، لمّا ذكر قبلُ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ أعقب ببيان من يهديه ومن لا يهديه. و«والمجوس» هم عبدة النار، ويقال إنه كان لهم نبيّ اسمه زارادشت. ويجوز أن يحذف منه أل، فلا ينصرف كما إذا حذفت أل من اليهود، لا ينصرف أيضاً. وفي منع صرف مجوس قال الشاعر[1]: [من الوافر]

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٤٧.

احَارِ[1] تَرى بُرَيْقاً هبَّ وَهْناً كنارِ مجوسَ تَسْتَعِرُ[2] استِعارا

[٣٨٥/ب] وقال الشاعر في منع صرف يهود[3]: [من الطويل]

أولئك أولى[4] من يهودَ بمدحة إذا أنت يوماً قلتها لم تؤنّب

ومنع الصرف للعلمية وتأنيث القبيلة.

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم عبدة الأوثان والأصنام.

وخبر «إنّ» قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ وحسّن ذلك طول الفصل بين «إنّ» وخبرها بالمعاطيف، ويقلّ أن تقول[5] : إنّ زيداً إنّ عَمْراً ضاربه، بلا فصل.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ[6] لَهُ﴾ الظاهر أن السجود هنا عبارة عن طواعية ما ذكر [لله] تعالى والانقياد لما يريده تعالى. وهذا معنى يشمل من يعقل وما لا يعقل، ومن يسجد سجود التكليف ومن لا يسجده. وعطف على «مَن» ما عُبد من دون الله تعالى. ففي السماوات الملائكة كانت تعبدها [بنو مليح]، والشمس عبدتها حمير، وعبد القمر كنانة، قاله ابن عباس. والدّبران تميم، والشّعرى لخم، والثّريا طيء، وعطارد أسد، والمرزم ربيعة. وفي الأرض

(١) ق: أجاد.

(٢) ق: تستعير.

(٣) ق: وقال في منع صرف يهود الشاعر. والبيت في الكتاب ٣: ٢٥٤، ونسبه محققه لرجل من الأنصار.

(٤) ق: أو أولى.

(٥) ق: ونقل أن يقول.

(٦) ق: ولله يسجد.

من عُبد من البشر والأصنام المنحوتة من الجبال والشجر والبقر، وما عُبد من الحيوان. والأحسن على أنّ بين من يعقل وما لا يعقل قدراً مشتركاً، وهو الانفعال والطواعية لما يريد الله منه. و«مَن» مفعول «يُهِن» تقديره: أي شخص. والفاء في قوله «فما» جواب الشرط، و«من مكرم» مبتدأ و«مِن» زائدة، خبره «له».

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾ لمّا ذكر تعالى أهل السعادة وأهل الشقاوة، ذكر ما دار بينهم من الخصومة في دينه، فقال «هذان خصمان» قال قيس بن عبادة وهلال بن بشر[١]: نزلت في المتبارزين يوم بدر: حمزة وعلي وعبيلة بن الحارث، برزوا لعتبة[٢] وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. وقال ابن عباس: الإشارة إلى المؤمنين وأهل الكتاب وقع بينهم تخاصم؛ قالت اليهود: نحن أقدم ديناً منكم، فنزلت[٣].

وخَصْم: مصدر وأريد به هنا الفريق، فلذلك جاء «اختصموا» مراعاة للمعنى، إذ تحت كل خصم منهم أفراد. ومعنى[٤] «في ربهم» في دين ربّهم. والظاهر أن هذا الاختصام هو في الآخرة، ولذلك جاء بعد قوله «اختصموا» التقسيم بالفاء الدالّة على التعقيب في قوله «فالذين كفروا»، ولهذا قال علي كرّم الله وجهه: أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى، وأقسم أبو ذرّ على هذا.

﴿ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ كأنه تعالى يقدّر لهم نيراناً على مقادير جثثهم تشتمل

---

(١) ق: قيس بن عباد وهلال بن يساف.

(٢) ق: لعبيدة وشيبة ابن أبي ربيعة.

(٣) أسباب النزول ص٢٠٧، ولباب النقول ص١٤٩. وانظر البخاري ٤: ١٧٦٨.

(٤) ق: والمعنى.

عليهم.

﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ﴾ صهرتَ الشحم بالنار، إذا أذبْتَه، والصُّهارة: الألْية المذابة. وقيل: ينضج. و«ما» موصولة مفعولة «بيصهر». و«الجلود» معطوف على «ما».

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ﴾ المِقْمعة بكسر الميم: المِقرعة يقمع بها المضروب.

و﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ بدل من قوله «منها» أعيد معه حرف الجر. والظاهر تعليق الإعادة على الإرادة للخروج، فلا بدّ من محذوف يصحّ به المعنى أي: من أماكنهم(١) المعدّة لتعذيبهم.

﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ أي: في(٢) تلك الأماكن. وقيل: أعيدوا فيها بضربِ [٣٨٦/ أ] الزّبانيةِ إيّاهم بالمقامع.

﴿وَذُوقُواْ﴾ أي: ويقال لهم ذوقوا.

والظاهر أن [«مِن»] في ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ للتبعيض، وفي ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ لابتداء الغاية أي: أنششت(٣) من ذهب.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ هذا إخبار عمّا يقع منهم في الآخرة، وهو قولهم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ ۝٧٤﴾ [الزمر] وما أشبه ذلك من محاورة أهل الجنّة. ويكون الصراط: الطريق إلى الجنة. والظاهر أن «الحميد» وصف لله تعالى، وناسب هذا الوصف لكثرة ما يحمده أهل الجنة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، [المضارع] قد لا يلحظ فيه

---

(١) ق: مكانهم.

(٢) ق: من.

(٣) ق: أنشبت.

زمان معيّن من حال أو استقبال، فيدلّ إذ ذاك على الاستمرار، ومنه ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]. وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صُدَّ رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام. والظاهر أنه نفس المسجد وقيل: الحرم كله. ومن صَدَّ عن الوصول إليه، فقد صَدَّ عنه. وقرىء: سواءً، بالنصب مفعول ثانٍ «لجعلناه» وارتفع به «العاكف». وسواءٌ، أصله مصدر بمعنى مستوٍ، فعلى هذا يكون «العاكف» مبتدأ، و«فيه» متعلق «بالعاكف»، و«سواء» الخبر، والجملة في موضع المفعول الثاني «لجعلناه». وخبر «إنّ» محذوف يدل عليه جزاء الشرط[1]، تقديره: يجزون على كفرهم وصدّهم بالعذاب الأليم.

ومفعول «يرد»: «بإلحاد» والباء زائدة. والأحسن أن يضمّن معنى «يرد»: يلتبس، فيتعدى بالباء. والإلحاد: هو[2] الميل عن القصد. والظلم: هو الشرك، ولذلك رتّب عليه العذاب الأليم.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ

(١) ق: جز الخبر.

(٢) ق: هو.

مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

ولمّا ذكر تعالى حال الكفار، وصدّهم عن المسجد الحرام، وتوعّد من أراد فيه بإلحاد، ذكّرهم حال أبيهم إبراهيم، ووبّخهم على سلوكهم غير طريقه، من كفرهم باتخاذ الأصنام، وامتنانه عليهم بإيفاد العالم إليهم.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ أي: واذكر إذ بوأنا أي: جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءةً، أي: مرجعاً يرجع إليه للعمارة[1] والعبادة.

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ خطاب لإبراهيم عليه السلام، وكذا ما بعده من الأمر. و«أن» مصدرية وصلت بالنّهي كما توصل بالأمر. والقائمون: هم المصلّون. ذكر من أركانها أعظمها وهو القيام والركوع والسجود.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أي: نادِ[2]. وروي أنه صعد أبا قبيس

---

(١) ق: العمارة.

(٢) ق: نادي.

فقال[١]: يا أيها الناس حجّوا بيت ربكم. «يأتوك» جواب الأمر. والكاف في «يأتوك» خطاب لإبراهيم عليه السلام. وجعل إتيان البيت إتياناً له عليه السلام، لأنه المُعْلِم بإتيان الناس. و«رجالًا» جمع راجل وهو الماشي على قدميه. «وعلى كل ضامر» أي: وركباناً على كل ضامر وهي الإبل التي ضمرت أجسادها من طول السير. والضمير في «يأتين» عائد على «كل ضامر». العميق: البعيد، وأصله البعد سفلاً، يقال: بئر عميق أي: بعيدة الغور، والفعل عَمُقَ وعَمِقَ، قال الشاعر[٢]: [من الطويل]

[٣٨٦/ب] إذا الخيـل جـاءت مـن فجاج عميقـة
يمـــدّ بهـــا فـــي السيـــر أشعـــث شـــاحـــب

﴿لِيَشْهَدُوا﴾ متعلق «بيأتوك». ونكّر المنافع لأنه أراد منافع مختصّة بهذه العبادة دينية ودنياوية، لاتوجد في غيرها من العبادات.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ كنّى عن النّحر والذّبح بذكر اسم الله تعالى، لأنّ أهل الإسلام لا ينفكّون عن ذكر اسمه، إذا نحروا، أو ذبحوا. [وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يُتقرّب به إلى الله أن يُذكر اسمه عليه]. والأيام المعلومات: أيام العشر، قاله ابن عباس. و«بهيمة الأنعام» تقدم الكلام عليها في العقود[٣].

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ الظاهر وجوب الأكل والإطعام. وقيل باستحبابهما، وقيل باستحباب الأكل ووجوب الإطعام، و«البائس» الذي أصابه بؤس أي: شدّة.

---

(١) ق: فقالوا.

(٢) لم أجده.

(٣) المائدة ٥: ١.

والتَّفَث: ما يصنعه المحرم عند حِلّه من تقصير شعر وحلقه وإزالة شعثه ونحوه من إقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث[١].

والنذور هنا: ما ينذرونه من أعمال البّر في حجّهم.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ هو طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج، وبه تمام التحلّل. و«العتيق» القديم كما قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران]. قال الشاعر[٢]: [من الطويل]

إذا ذقتَ فاها قلتَ طَعْمُ مُدامةٍ مُعتَّقَةٍ مما تجيء به التُّجُرُ

يعني بمعتّقة: قديمة.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ﴾ «ذلك» إشارة إلى الطواف. وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره: تمام الحج. والحرمات: ما لا يحلّ هتكه، وجميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها حرمة. وضمير «فهو» عائد على المصدر المفهوم من قوله «ومن يعظم» أي: فالتعظيم خير له عند ربّه، أي: قربة منه وزيادة في طاعته يثيبه عليها، والظاهر عمومه في جميع التكاليف. والظاهر أن خيراً هنا [ليس] أفعل تفضيل.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ دفعاً لما كانت العرب تعتاده من تحريم أشياء برأيها كالبحيرة والسائبة.

ويعني بقوله ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ما نصّ في كتابه على تحريمه، والمعنى: ما يتلى عليكم آية بتحريمه.

---

(١) انظر البخاري ٥: ٢٢٠٩، ومسلم ١: ٢٢١.

(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١١٠.

ولمّا حثّ على تعظيم حرمات الله، وذكر أنّ تعظيمها خير لمعظّمها عند الله تعالى أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزّور، لأنّ توحيد الله، ونفي الشركاء عنه، وصدق القول أعظم الحرمات. وجُمع في قران[1] واحد، لأن الشرك من باب الزّور، لأنّ المشرك يزعم أن الوثن مستحق العبادة، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزّور، واجتنبوا قول الزّور كله. و«مِن» في «من الأوثان» لبيان الجنس، وتقدّر بالموصول عندهم، أي: الرجس الذي هو الأوثان.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ شبّه المشرك بأن صوّر حاله بصورة حال من خرّ من السماء، فاختطفه الطير[2]، فتفرق قطعاً في حواصلها، أو عصفت [٣٨٧/أ] به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح[3] البعيدة.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ اللَّهِ﴾ الآية، «ذلك» مبتدأ خبره محذوف تقديره: حال المشرك. وتقدّم تفسير «شعائر الله» في أول المائدة[4]. وأما هنا فقال ابن عباس وجماعة: هي[5] البدْنُ الهدايا، وتعظيمها: تسمينها والاهتبال[6] بها والمغالاة فيها. والضمير في «فإنها» عائد على الشعائر على حذف مضاف، أي: فإن تعظيمها. وأضاف التقوى إلى القلوب كما قال صلى الله

(١) ق: قرن.

(٢) ق: الرّيح.

(٣) ق: المطارح. والمطاوح: المقاذف.

(٤) انظر تفسير الآية ٢ من المائدة.

(٥) ق: نفي.

(٦) أي تكثير لحمها.

عليه وسلم «التقوى ها هنا»[١] وأشار إلى صدره.

قال الزمخشري[٢]: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها، لأنه لا بدّ من راجع من الجزاء[٣] إلى «مَن» ليرتبط[٤] به. وإنما ذكرت القلوب، لأنها مراكز التقوى التي[٥] إذا ثبتت فيها، وتمكّنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء انتهى.

وما قدّره عارٍ من راجع من الجزاء إلى «مَن»؛ ألاترى أن قوله: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، ليس في شيء منه ضمير يعود إلى «مَن» يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذي أداته «مَن»؟. وإصلاح ما قاله أن يكون التقدير: فإن تعظيمها منه. فيكون الضمير في منه عائداً[٦] على «مَن» فيرتبط الجزاء بالشرط فاعرفه!.

والضمير في «فيها» عائد على البُدْن. والمنافع: درّها ونسلها وصوفها وركوب ظهورها.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أن يسمنها ويوجبها هدياً فليس له شيء من منافعها، قاله ابن عباس. «ثم محلّها» و«ثم» للتّراخي في الوقت، فاستعيرت للتّراخي في الأفعال.

(١) من حديثٍ أخرجه مسلم ٤: ١٩٨٦، عن أبي هريرة.

(٢) الكشاف ٣: ١٣.

(٣) ق: إلى الخبر.

(٤) ق: لترتبط.

(٥) ق: الذي.

(٦) ق: عائد.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ أي: وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت العتيق. والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت.

﴿مَنسَكًا﴾ قال الفرّاء: عيداً.

﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله تعالى، وأن يكون الذّبح له، لأنه رازق ذلك.

ثم خرج إلى الحاضرين فقال ﴿فَإِلَٰهُكُمْ[1] إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ أي: انقادوا. وكما أنّ الإله واحد، يجب أن يُخلَص له في الذّبيحة، ولا يُشْرَك فيها بغيره. وتقدّم شرح الإخبات[2].

وناسب تبشير من اتّصف بالإخبات هنا، لأن أفعال الحجّ من نزع الثياب، والتّجرد من المخيط، وكشف الرأس، والتردّد في تلك المواضع المغْبَرّة المحجرة، والتلبّس بأفعال شاقّة، لا يعلم معناها إلا الله تعالى - مؤذن بالاستسلام المحض والتواضع المفرط، حيث يخرج الإنسان على مألوفه إلى أفعال غريبة، ولذلك وصفهم بالإخبات والوجل إذا ذكر الله تعالى، والصبر على ما أصابهم من المشاقّ، وإقامة الصلوات في مواضع لا يقيمها إلا المؤمنون المصطَفَوْن، والإنفاق ممّا رزقهم [الله] ومنها الهدايا التي يغالون فيها.

وانتصب «البدن» على الاشتغال، أي: [٣٨٧/ب] وجعلنا البدن. وقرىء بالرفع على الابتداء. و«لكم» أي: لأجلكم. و«من شعائر» في موضع المفعول الثاني.

---

(١) ق: وإلهكم.
(٢) انظر تفسير الآية ٢٣ من هود.

ومعنى ﴿مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وأضافها إلى اسمه تعالى تعظيماً لها.

﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾ قال ابن عباس: نفع في الدنيا وأجر في الآخرة. وذِكْر اسم الله أن يقول عند النحر: الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، اللهم منك وإليك.

﴿عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ أي: على نحرها معقولة.

﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ عبارة عن سقوطها إلى الأرض بعد نحرها.

قال ابن عباس: «القانع» المستغني بما أعطيته «والمعتر» المعترض من غير سؤال.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ أي: مثل ذلك التسخير سخّرناها لكم، تأخذونها منقادة. منّ[1] الله تعالى عليهم بذلك، ولولا تسخير الله لم نُطِقْ ذلك[2]، وكفى بالإبل شاهداً وعبرة.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ قال مجاهد: أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوباً حول الكعبة، وتلطيخ حوالي الكعبة بالدم تقرّباً إلى الله تعالى، فنزلت هذه الآية. وكرّر تذكير النعمة بالتسخير، أي: لتشكروا الله على هدايته إياكم لأعلام دينه ومناسك حجّه، بأن تهلّلوا وتكبّروا، فاختصر الكلام بأن ضُمّن التكبير[3] معنى الشكر وعدّي

(١) ق: إلى.

(٢) ق: بذلك.

(٣) ق: التكبّر.

تعديته. «وبشّر المحسنين» ظاهر في العموم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ٤٢ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ٤٣ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ[1] عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية، روي أن المؤمنين لمّا كثروا بمكّة، وآذاهم[2] الكفّار، وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفّار، ويحتال[3] ويغدر، فنزلت إلى قوله «كفور»[4]. وعد فيها بالمدافعة، ونهى عن الخيانة، وخصّ المؤمنين بالدفع عنهم والنّصرة لهم. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة ممّا يُفعل في الحجّ، وكان المشركون قد صدّوا رسول الله ﷺ عام الحديبية، وآذوا من كان بمكّة من المؤمنين - أنزل الله تعالى هذه الآيات مبشّرة

(١) ق: يدفع.

(٢) ق: آذاهم.

(٣) ق: ويختال.

(٤) انظر القرطبي ١٢: ٦٧.

للمؤمنين بدفعه تعالى عنهم، ومشيرة إلى نصرهم، وآذنة لهم في القتال وتمكينهم في الأرض، بردّهم إلى ديارهم وفتح مكة، وأن عاقبة الأمور راجعة إلى الله تعالى.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ لمّا هاجر المؤمنون إلى المدينة، أذن الله تعالى لهم في القتال. وقرىء: أُذن وأَذن. ويقاتلون، بكسر التاء وفتحها.

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُوا۟﴾ في موضع جرّ نعت «للذين»، أو بدل، أو في موضع نصب بأعني، أو في موضع رفع على إضمار: هم. و«إلا أن يقولوا» استثناء منقطع «فأن يقولوا» في موضع نصب، لأنه منقطع لا يمكن توجّه العامل إليه، فهو مقدّر بلكن من حيث المعنى، لأنك لو قلت: الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله، لم يصحّ.

وقال الزمخشري[1]: «أن يقولوا» في محل الجرّ على الإبدال من «حق» أي: بغير [٣٨٨/أ] موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين، لا موجب الإخراج والتّسيير[2]. ومثله ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ[3] ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة] انتهى.

اتّبع الزمخشري في هذا الزّجاج، وما أجازاه[4] من البدل لا يجوز، لأن البدل لا يكون إلا إذا سبقه نفي أو نهي، أو استفهام في معنى النفي، نحو: ما قام أحد إلا زيد، ولايضربْ أحد إلا زيد، وهل يضرب أحد إلا زيد؟.

---

(١) الكشاف ٣: ١٦.

(٢) ق: والتّيسير.

(٣) ق: بآيات ربنا.

(٤) ق: أجازه.

وأما إذا كان الكلام موجباً أو أمراً، فلا يجوز البدل؛ لا يقال: قام القوم إلا زيد، على البدل. ولا لِيَضْرب القوم إلا زيد، على البدل. لأن البدل لا يكون إلا حيث يكون العامل يتسلّط[1] عليه. ولو قلت: قام إلا زيد، وَلْيَضْرب إلا عمرو، لم يجز. ولو قلت في غير القرآن: أُخرج الناس من ديارهم إلاّ بأن يقولوا لا إله إلا الله، لم يكن كلاماً. هذا إذا تُخيّل أن يكون «إلا أن يقولوا» في موضع جرّ بدلاً[2] من «غير» المضاف إلى «حق».

وأما أن يكون بدلاً من «حق» كما نصّ عليه الزمخشري فهو في غاية الفساد؛ لأنه يلزم منه أن يكون البدل يلي غيراً، فيصير التركيب: بغير إلاّ أن يقولوا، وهذا لا يصحّ. ولو قدّرت: إلا بغير، كما تقدّر في النفّي في: ما مررت بأحد إلا زيدٍ، فتجعله بدلاً، لم يصحّ، لأنه يصير التركيب: بغير غير قولهم ربنا الله، فتكون قد أضفت غيراً إلى غير وهي هي فصار: بغير غير. ويصحّ في: ما[3] مررت بأح إلاّ زيد، أن تقول: ما مررت بغير زيد.

ثم إن الزمخشري حين مثّل البدل، قدّره «بغير موجب سوى التوحيد». وهذا تمثيل للصفة، جعل إلاّ بمعنى سوى، ويصحّ على الصفة، فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل. ويجوز أن تقول: مررت بالفاضل إلا زيد، على الصفة لا على البدل.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ تقدم الكلام عليه في البقرة[4].

---

(١) ق: بتسليط.

(٢) ق: لا.

(٣) ق: فيما.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٥١ من البقرة.

الهدم معروف. الصومعة: موضع العبادة، ووزنها فوعلة، وهي بناء مرتفع منفرد حديد الأعلى. والأصمع من الرجال: الحديد القول. وكانت قبل الإسلام مختصّة برهبان النصارى وبعُبّاد الصّابئين، ثم استعمل في مئذنة المسلمين. والأظهر في تعداد هذه المواضع أن ذلك بحسب متعبّدات الأمم؛ فالصوامع للرهبان وقيل للصابئين، والبيع للنصارى، والصلوات لليهود، وهو على حذف مضاف أي: ومواضع صلوات، والمساجد للمسلمين. وأخبر تعالى أنه قوي على نصرهم عزيز لا يغالب.

والظاهر عود الضمير في قوله «يذكر فيها» على المواضع جميعها، فيكون «يُذكر» في موضع الصّفة لها. ويجوز أن يعود على قوله «ومساجد» فيكون «يذكر» صفة للمساجد.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ يجوز في إعرابه ما يجوز في إعراب ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ توعّد للمخالف ما ترتّب على التمكين.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ فيها تسلية لرسول الله ﷺ بتكذيب من سبق من الأمم [٣٨٨/ب] السابقة لأنبيائهم، ووعيد لقريش إذ مثّلهم بالأمم المكذّبة المعذّبة. وأسند الفعل بعلامة التأنيث من حيث أراد الأمّة والقبيلة. وبنى الفعل للمفعول[١] في «وكذب موسى» لأنّ قومه لم يكذّبوه، إنما كذّبه القبط.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أمهلت لهم وأخّرت عنهم العذاب مع علمي بفعلهم. وفي قوله[٢] «فأمليت للكافرين» ترتيب الإملاء على وصف الكفر،

---

(١) ق: بالمفعول.

(٢) ق: وقوله.

فكذلك[١] قريش أملى تعالى لهم، ثم أخذهم في غزوة بدر وفتح مكة وغيرهما[٢]. والأخذ كناية عن العقاب والإهلاك. والنكير مصدر كالنذير[٣]، المراد به المصدر والمعنى: فكيف إنكاري عليهم وتبديل حالهم الحسنة بالسيئة وحياتهم بالهلاك ومعمورهم بالخراب. وهذا استفهام يصحبه[٤] معنى التعجب كأنه قيل: ما أشدّ ما كان إنكاري عليهم. وفي الجملة إرهاب لقريش.

﴿فَكَأَيِّن﴾ للتكثير، وتقدّم الكلام عليها[٥]. واحتمل أن تكون في موضع رفع على الابتداء، أو في موضع نصب على الاشتغال.

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ جملة حالية. ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ تقدّم تفسيرها في البقرة[٦].

وقال الزمخشري[٧]: فإن قلت: ما محلّ الجملتين من الإعراب؟ - أعني «وهي ظالمة فهي خاوية» - قلت: الأولى في محل نصب على الحال، والثانية لا محلّ لها، معطوفة على «أهلكناها» وهذا الفعل ليس له محلّ انتهى.

وهذا الذي قاله ليس بجيّد؛ لأنّ «فكأيّن» الأجود في إعرابها أن تكون مبتدأة، والخبر الجملة من قوله «أهلكناها» فهي في موضع رفع، والمعطوف على الخبر خبر، فيكون قوله «فهي خاوية» في موضع رفع. لكن يتّجه قول الزمخشري على الوجه القليل وهو إعراب «فكأيّن» منصوباً بإضمار فعل على

(١) ق: فلذلك.

(٢) ق: وغيرها.

(٣) ق: كالتدبير.

(٤) ق: تصحبه.

(٥) انظر تفسير الآية ١٤٦ من آل عمران.

(٦) انظر تفسير الآية ٢٥٩ من البقرة.

(٧) الكشاف ٣: ١٧.

الاشتغال، فتكون الجملة من قوله «أهلكناها» مفسّرة لذلك الفعل وعلى هذا لامحلّ لهذه الجملة المفسّرة، فالمعطوف عليها لا محلّ له.

وقرىء: وبئر، بهمز وبغير همز. يقال[١]: عطّلت البئر وأعطلتها، فعطَّلت بفتح الطاء، وعُطِّلت المرأة من الحليّ بكسر الطاء.

ووصف[٢] القصر «بمَشِيْد» ولم يوصف بمشيّد في قوله ﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۝٧٨﴾ [النساء] لأنّ ذلك جمع ناسب التكثير فيه، وهذا مفرد. وأيضاً «مشيد» فاصلة آية، قال الشاعر[٣]: [من الطويل]

وتيماءَ لم يَتْرُكْ بها جذعَ نخلةٍ ... ولا أُطُمـاً إلا مَشِيْـداً بجنـدلِ

وثمّ بليدة عند البئر اسمها حاضورا[٤]، بناها قوم صالح، وأمّروا[٥] عليها جلهس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا، وعبدوا صنماً، فأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان - وقيل اسمه شريح بن صفوان - نبيًّا فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله تعالى عن آخرهم، وسلّط الله عليهم بختنصّر الذي تقدّم ذكره في الأنبياء[٦]. وعَطْف «وبئر» و«قصر» على قوله «من قرية» يدلّ على التكثير. وقد عيّنت هذه البئر؛ فعن ابن عباس أنها كانت لأهل عدن من اليمن [٣٨٩/أ] وهي الرسّ[٧].

---

(١) ق: فقال.

(٢) ق: وأوصف.

(٣) البيت لامرىء القيس في في ديوانه ص ٢٥.

(٤) ويقال أيضاً حاصورا بالصاد المهملة انظر معجم البلدان «حاصورا».

(٥) ق: وأسروا.

(٦) انظر تفسير الآية من الأنبياء.

(٧) انظر الروش المعطار ص٢٧٢.

وعن كعب الأحبار أنّ القصر بناه عاد الثاني، وهو منذر بن عاد بن إرم بن[1] عاد. وعن الضحاك وغيره أن البئر بحضرموت من أرض الشِّحْر[2]، والقصر مشرف على قُلّة[3] جبل لا يُرتقى.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، تقدّم الكلام عليه[4]. وإسناد العقل إلى القلب يدلّ على أنه محلّه. ولا ننكر أن للدّماغ بالقلب اتصالاً يقتضي[5] فساد العقل إذا فسد الدماغ. ومتعلّق «يعقلون بها» محذوف أي: ما حلّ بالأمم السابقة حين كذبوا أنبياءهم، وكذلك مفعول «يسمعون» أي: يسمعون أخبار تلك الأمم. والضمير في «فإنها» ضمير القصة.

﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ وصفت القلوب بالتي في الصدور مبالغة كقوله[6]

---

(١) ق: من.

(٢) ق: الشجر. وانظر الروض المعطار ص٣٣٨.

(٣) القُلّة: أعلى الجبل.

(٤) انظر تفسير الآية ١٠٩ من يوسف.

(٥) ق: ينتفي.

(٦) ق: كقولهم.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

والضمير في ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ لقريش. وكان صلى الله عليه وسلم يحذّرهم نقمات الله تعالى، ويوعدهم ذلك دنيا وآخرة، وهم لا يصدّقون ذلك، ويستبعدون وقوعه، فكان استعجالهم على سبيل الاستهزاء، وأنّ ما وعدْتَنا به لا يقع وأنْ لا بعث.

وفي قوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ أي: أن ذلك واقع لا محالة، لكن لوقوعه أجل لا يتعدّاه. وأضاف الوعد إليه تعالى، لأن رسوله عليه السلام هو المخبر به عن الله تعالى. وقيل: التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدّة، أي: وإن يوماً من [أيام] عذاب الله، لشدّة العذاب فيه وطوله، كألف سنة من عددكم؛ إذ أيام التّرحة[1] مستطالة وأيام الفرحة مستقصرَة. وقرىء: تعدّون، بالتاء للخطاب والياء للغيبة.

وتكرر التكثير «بكأيّن» من القرى لإفادة معنى غير ما جاءت له الأولى، لأنه ذكر فيها القرى التي أهلكها[2] دون إملاء وتأخير، بل أعقب الإهلاك التذكيرَ[3]. وهذه الآية لما كان تعالى قد أمهل قريشاً حتى استعجلت بالعذاب، جاءت بالإهلاك بعد الإملاء تنبيهاً على أن قريشاً، وإن أملى تعالى [لهم] وأمهلهم، فإنه لا بدّ من عذابهم، فلا يفرحوا[4] بتأخير العذاب عنهم.

ثم أمر نبيّه عليه السلام أن يقول لأهل مكة: يا أيها الناس إنما أنا لكم

---

(١) ق: الفرحة.

(٢) ق: أهلها.

(٣) الآية ٤٥ المتقدمة.

(٤) ق: تفرحوا.

نذير من عذاب الله موضّح لكم ما تحذرون، أو موضّح النّذارة لا تلجلج فيها. وذكر النّذارة دون البشارة، وإن كان التقسيم بعد ذلك يقتضيهما، لأن الحديث مسوق للمشركين. و«يا أيها الناس» نداء لهم وهم المقول فيهم.

والسّعي: الطلب والاجتهاد في ذلك، فيكون بإصلاح وإفساد.

وقرىء: معاجزين ومُعَجِّزين. فأما معاجزين فمعناه معاندين، ومعجّزين فمعناه مثبّطين.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الآية، ذكر له تعالى مسلاة ثانية، باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء، وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم، وأنه ما منهم أحد إلاّ وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه، وبثّ ذلك إليهم، وإلقائه في نفوسهم، كما أنه صلى الله عليه وسلم [كان] من أحرص الناس على هداية قومه، وكان فيهم شياطين [٣٨٩/ب] كالنضر بن الحارث يُلْقون لقومهم[1] وللوافدين عليهم شُبَهاً، يثبّطون بها عن الإسلام. ولذلك جاء قبل هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ ﴾ وسعيهم بإلقاء الشُّبَه في قلوب من استمالوه.

ونسب ذلك إلى الشيطان لأنه هو المغوي والمحرّك شياطينَ الإنس [للإغواء كما قال ﴿ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص]. وقيل إنّ «الشيطان» هنا هو جنس يراد به شياطين الإنس]. والضمير في «أمنيته» عائد على الشيطان أي: في أمنيّة نفسه، أي: بسبب أمنيّة نفسه. ومفعول[2] «ألقى» محذوف لفهم المعنى وهو الشّر والكفر ومخالفة ذلك الرسول أو النّبي، لأن الشيطان ليس يلقي الخير.

ومعنى ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ ﴾ أي: يزيل تلك الشبهة شيئاً فشيئاً حتى يسلم الناس كما قال تعالى ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ ﴾ [النصر].

﴿ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي: معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها، ليجعل ما يلقي الشيطان من تلك الشُّبَه وزخارف القول فتنة لمريض القلب ولقاسيه، وليعلم من أوتي العلم أنّ ما تمنّى الرسول والنّبي من هداية قومه وإيمانهم هو الحق. وهذه الآية ليس فيها إسناد شيء إلى رسول الله ﷺ، إنما تضمّنت

---

(١) ق: لقومه.

(٢) ق: ومفهوم.

حالة من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا تمنّوا، وذكر المفسّرون أشياء ذكرت في البحر[(١)].

«من قبلك» «مِن» لابتداء الغاية. [و«مِن» في] «من رسول» زائدة تفيد استغراق الجنس، وهو مفعول تقديره: رسولاً. وعَطْف «ولا نبي» على «من رسول» دليل على المغايرة، وتقدّم الكلام عليها[(٢)]. وحمل بعض المفسرين قوله «إذا تمنّى» على: تلا، و«في أمنيته» على: تلاوته. والجملة بعد «إلا» في موضع الحال أي: وما أرسلناه إلا وحاله هذه. والظاهر أنّ «تمنّى» من التّمنّي، أي: تمنّى هداية قومه واتّباعهم لما جاء به.

ومعنى ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في تمنّيه ضلالةَ تابعِ الرسول أو النبي ليعارض الحق بالباطل.

والمرية: الشك. والظاهر أن «الساعة» يوم القيامة. واليوم العقيم: يوم بدر. وإنما وصف يوم الحرب بالعقم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن.

والتنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تنوين العوض، والجملة المعوّض منها هذا التنوين هو الذي حُذف بعد الغاية[(٣)]، أي: الملك [يوم] إذ تأتيهم الساعة.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ الآية، هذا ابتداء معنى آخر وذلك أنه لمّا مات عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس: من قتل من المهاجرين أفضل ممّن مات حتف أنفه، فنزلت مسوّية بينهم في أن الله

---

(١) انظر ٦ : ٣٨١ وما بعدها.

(٢) انظر تفسير الآية ١٥٧ من الأعراف.

(٣) ق: إلغائه.

يرزقهم رزقاً حسناً[١]. وظاهر «والذين هاجروا» العموم.

﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا ﴾ لمّا ذكر الرزق ذكر المسكن وهو الجنة.

﴿ يَرْضَوْنَهُۥ ﴾ يختارونه، إذ فيه[٢] رضاهم كما قال تعالى ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف].

﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ ﴾ قيل: نزلت[٣] في قوم من المؤمنين، لقيهم الكفار في الأشهر الحرم، فأبى المؤمنون قتالهم[٤]، وأبى المشركون إلا القتال، فلما اقتتلوا جدّ المؤمنون، ونصرهم الله تعالى. ومناسبتها لما قبلها واضحة [٣٩٠/أ] وهو أنه تعالى لمّا ذكر ثواب من هاجر وقُتل[٥]، أو مات في سبيل الله، أخبر أنه لا يدع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم.

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ ﴾ تقدّم الكلام عليه في أوائل آل عمران[٦].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

---

(١) انظر عبارة القرطبي ١٢ : ٨٨.

(٢) ق: فيهم.

(٣) انظر لباب النقول ص١٥١.

(٤) ق: أشهر الحرم فأبى المشركون من قتالهم.

(٥) ق: وقيل.

(٦) انظر تفسير الآية ٢٧ من آل عمران.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى ما دلّ على قدرته الباهرة من إيلاج الليل في النهار [والنهار في الليل] وهما مرئيان مشاهدان: مجيء الظلمة والنور، ذكر أيضاً ما هو مشاهد من العالم العلوي والعالم السفلي وهو نزول المطر وإنبات الأرض. [وإنزال المطر واخضرار الأرض] مرئيان، ونسبة الإنزال إلى الله تعالى مدرَك بالعقل.

وقوله: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ قال سيبويه[1] فيه: وسألته - يعني الخليل - عن «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة» فقال: هذا واجب، وهو تنبيه كأنك قلت: أتسمع! أنزل من السماء ماءً فكان كذا وكذا.

ولابن عطية والزمخشري فيه كلام ذكر في البحر[2].

﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يشمل الحيوان والمعادن والمرافق[3].

«والفلك» تقدّم الكلام عليه[4]. والظاهر أنّ «أن تقع» في موضع نصب بدل اشتمال، أي: ويمنع وقوع السماء على الأرض. و«إلا بإذنه» متعلق «بتقع» أي: إلا بإذنه فتقع[5].

---

(١) الكتاب ٣: ٤٠.

(٢) انظر ٦: ٥٩٣ وما بعدها.

(٣) ق: والموافق.

(٤) انظر تفسير الآية ١٦٤ من البقرة.

(٥) ق: يقع، في الموضعين.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ﴾ تقدم الكلام عليه[١].

﴿ لَكَفُورٌ ﴾ لَجحودٌ بنعم الله [يعبد] غير مَنْ أنعم عليه بهذه النعم المذكورة وبغيرها.

و﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلۡنَا مَنسَكًا ﴾ روي أنها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما في الذّبائح، وقولهم للمؤمنين: تأكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم، ولا تأكلون ما قتل الله تعالى، فنزلت[٢] بسبب هذه المنازعة.

﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ ﴾ آية موادعة نسختها آية السيف[٣]، أي: وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع، فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء، وهذا وعيد وإنذار، ولكن برفق ولين.

﴿ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ ﴾ خطاب من الله للمؤمنين والكافرين، أي: يفصل بينكم بالثواب والعقاب، ومسلاة لرسول الله ﷺ ممّا كان يلقى منهم.

﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنًا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٌۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعۡرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ

(١) انظر الآية ٢٨ من البقرة.

(٢) انظر القرطبي ١٢: ٩٣.

(٣) الآية ٥ من التوبة.

﴿ٱلْمَصِيرُ ۝٧٢﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ[1] وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، لمّا تقدّم ذكر الفصل بين الكفار والمؤمنين يوم القيامة، [أخبر] تعالى أنه عالم بجميع ما في السماء[2] والأرض، فلا يخفى عليه أعمالكم، وأن ذلك في كتاب، وهو أم الكتاب الذي كتبه قبل خلق السماوات والأرض، كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة.

والإشارة بقوله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قيل: إلى الحكم السابق. والظاهر أنه إشارة إلى حصر المخلوقات تحت علمه وإحاطته.

﴿يَسْطُونَ﴾ [قال ابن عباس:] يبسطون إليهم أيديهم.

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم[3]﴾ وعيد وتقريع. والإشارة «بذلكم»[4] إلى غيظهم على التّالين وسطوهم عليهم. وروي أنهم قالوا: محمد وأصحابه شرّ خلق [فقال الله تعالى: قل لهم يا محمد: أفأنبئكم بشرٍّ ممّن ذكرتم على زعمكم: أهل النار فهم أنتم شرّ خلق] الله. و«النار» خبر مبتدأ محذوف تقديره [٣٩٠/ب] هو النار. و«الذين كفروا» المفعول الأول، والضمير في «وعدها» المفعول الثاني. «وبئس المصير» المخصوص بالذم محذوف تقديره: النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ

(١) ق: السماوات.

(٢) ق: السماوات.

(٣) ق: هل أنبئكم.

(٤) ق: بذلك.

مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ الآية، الخطاب عام يشمل من نظر في عبادة غير الله تعالى، فإنه يظهر له قبح ذلك. و«ضُرب» مبني للمفعول. والظاهر أن ضارب المثل هو الله تعالى؛ ضرب مثلاً لما يُعبد من دونه أي: بيّن شبهاً لكم ولمعبودكم.

و﴿ تَدْعُونَ ﴾ الخطاب لكفار مكة والضمير العائد على «الذين» محذوف تقديره: تدعونهم[1] آلهة.

﴿ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ أي: لهذا المثل. وبدأ تعالى بنفي اختراعهم وخلقهم أقل المخلوقات، من حيث إن الاختراع صفة ثابتة له تعالى مختصّة به، لا يشركه فيها أحد. وثنّى بالأمر الذي بلغ بهم غاية التّعجيز، وهو سلب الذباب، وعدم استنقاذ شيء مما سلبهم. وكان الذباب كثيراً عند العرب، وكانوا يضمّخون أوثانهم بأنواع الطيب، فكان الذباب يذهب بذلك. وعن ابن عباس: كانوا يطلونها بالزّعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب

(١) ق: تدعوهم.

فيدخل الذّباب من الكوى، فيأكله.

﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾[1] الواو للعطف على حال مقدّرة تقديره: على كل حال، ولو في[2] هذه الحال التي كانت تقتضي أن يخلقوا لأجل اجتماعهم، ولكنه ليس في مقدورهم ذلك. والضمير في «له» عائد على الخلق المفهوم من «يخلقوا».

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ قال ابن عباس: الصّنم والذّباب.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته حيث عبدوا من هو منسلخ عن صفاته، وسمّوه باسمه. ثم ختم بصفتين منافيتين لصفات آلهتهم من القوة والغلبة.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ نزلت[3] بسبب قول الوليد بن المغيرة: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ ﴿٨﴾﴾ [ص] وأنكروا أن يكون[4] الرسول من البشر، فردّ الله تعالى عليهم بأن رسله تعالى ملائكة وبشر. ثم ذكر أنه عالم بأحوال المكلّفين، لا يخفى عليه منهم شيء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟﴾ أُمروا أولاً بالصلاة وهي نوع من العبادة، وثانياً بالعبادة، وهي نوع من فعل الخير، وثالثاً بفعل الخير، وهو أعمّ من العبادة، فبدأ بخاصّ ثم بعامّ ثم بأعمّ.

---

(١) ق: إليه.

(٢) ق: من.

(٣) انظر الطبري ١٧: ١٤٢.

(٤) ق: بيننا وأن يكونوا.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ أمْرٌ بالجهاد في دين الله تعالى وإعزاز كلمته، يشمل جهاد الكفار والمبتدعة.

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أي: استفرغوا جهدكم وطاقتكم في ذلك. وأضاف الجهاد إليه لمّا كان مختصًّا بالله تعالى من حيث هو مفعول لوجهه ولأجله.

﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ من تضييق بل هي حنيفيّة سمحة، ليس فيها تشديد بني إسرائيل، شرع فيها التوبة والكفّارات والرخص.

وانتصب «ملة أبيكم» بفعل محذوف تقديره: اتّبعوا ملّة. وفي ذلك تذكير لهم بترك إبراهيم عبادة الأصنام ونهيه إياه [٣٩١/أ] عن ذلك. وقال «أبيكم» بالإضافة إلى أبيه[1] الرسول، لأنه أب للرسول وأمّة الرسول في حكم أولاده فصار أباً لأمّته بهذه الوساطة. والظاهر أن الضمير في «هو سَمَّاكم» عائد على إبراهيم عليه السلام وهو أقرب مذكور.

ولكلّ نبيّ دعوة مستجابة، ودعا إبراهيم فقال ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ۝١٢٨﴾ [البقرة] فاستجاب الله تعالى له، فجعلها أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

و«المسلمين» [مفعول] بإسقاط حرف الجر تقديره: بالمسلمين. «من قبل» أي: من قبل ظهور ملّة الرسول عليه السلام. «وفي هذا» أي: التسمية، وهو إشارة إلى التسمية. وثَمّ مبتدأ محذوف تقديره: وفي هذا شرف لكم وفخر واستبشار. وخبر هذا المبتدأ قوله «وفي هذا» ولتكونوا: متعلق بما تعلّق به المجرور الذي هو «في هذا».

---

(١) ق: أمّة.

﴿ لِيَكُونَ [ٱلرَّسُولُ] شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ أنه قد بلّغكم. ﴿ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴾ بأن الرسل قد بلّغتهم. وإذ قد خصّكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه، وثقوا به ولا تطلبوا النّصرة والولاية إلاّ منه، فهو خير مولى وناصر.

سورة المؤمنون(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف. وفي الصحيح للحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال(٢) «لقد أنزلت عليّ عشر آيات من أقامهنّ دخل الجنة» ثم قرأ: «قد أفلح المؤمنون» إلى عشر آيات. ومناسبتها لآخر السورة قبلها ظاهرة؛ لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟﴾ الآية، وفيها ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ [الحج] وذلك على سبيل الترّجية فناسب ذلك قوله «قد أفلح المؤمنون» إخباراً بحصول ما كانوا(٣) رَجَوْه من الفلاح.

---

(١) ق: المؤمنين. مكيّة، وهي مئة وثماني عشرة آية.

(٢) انظر المستدرك ٢: ٣٩٢.

(٣) ق: اختار بحصول ما كان.

وقوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ﴾ أريد بها النوع كقوله ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴿٣﴾﴾ [النساء] وهو مختص بالإناث بإجماع. وفي الجمع بين الأختين من ملك اليمين، وبين المملوكة وعمّتها وخالتها خلاف.

ومعنى ﴿وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ وراء هذا الحدّ الذي حدّ من الأزواج ومملوكات النساء. وانتصابه على أنه مفعول «بابتغى» أي: خلاف ذلك. ويشمل قوله «وراء ذلك» الزّنى واللواطة ومواقعة[1] البهائم والاستمناء. والجمهور على تحريم الاستمناء، وكان أحمد بن حنبل يجيز ذلك لأنه فضلة في البدن، فجاز إخراجها عند الحاجة، كالفصد والحجامة. وقد ذُكر عن بعض العرب فِعْلُ ذلك، وأُنشد لهم فيه أبيات، ذُكر بعض ذلك في النوادر لأبي علي[2].

والظاهر عموم الأمانات، فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العبد من قول وفعل واعتقاد، فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الأفعال والترّوك [٣٩١/ب] وما ائتمنه الإنسان.

والخشوع والمحافظة متغايران: بدأ أولاً بالخشوع[3] وهو الجامع للمراقبة القلبية والتّذلل بالأفعال البدنية، وثنّى بالمحافظة، وهي تأديتها في وقتها بشروطها من طهارة المصلّي وملبوسه ومكانه، وأداء أركانها على أحسن هيئاتها، ويكون ذلك [دأبه] في كل وقت.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: الجامعون لهذه الأوصاف. ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ الأحقّاء أن يُسمَّوا وارثاً دون من عداهم. ثم ترجم الوارثين بقوله ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ

---

(١) ق: ومواقع.

(٢) لم أجد ذلك فيه.

(٣) الآية ٢ المتقدمة.

﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر. وتقدم الكلام في الفردوس في آخر الكهف[1].

﴿هُمْ فِيهَا﴾ يدلّ على تأنيث «الفردوس».

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ لمّا ذكر تعالى أن المتّصفين بتلك الأوصاف[2] الجليلة هم يرثون الفردوس، فتضمّن ذلك المعاد الأخراوي، ذكر النشأة الأولى، ليستدل بها[3] على صحة النشأة الأخرى.

﴿مِّن طِينٍ﴾ قال ابن عباس: هو آدم عليه السلام، لأنه أُنسلَ من الطين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ عائد على ابن آدم، وإن كان لم يُذكر لشهرة الأمر.

(١) انظر تفسير الآية ١٠٧ من الكهف.

(٢) ق: الأوهام.

(٣) مكررة في ق.

﴿نُطْفَةً﴾ هو المني. ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرّحم.

وتقدم تفسير العلقة والمضغة[1].

﴿عِظَٰمًا﴾ دليل على أن المضغة تصير بنفسها عظاماً. وقرىء: عظماً، والعظم[2].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال ابن عباس وجماعة: هو نفخ الروح فيه، وقيل: خروجه إلى الدنيا.

و﴿فَتَبَارَكَ﴾ فعل ماض لا يتصرّف ومعناه: تعالى وتقدّس.

و﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أفعل التفضيل. والخلاف فيها إذا أضيفت إلى المعرفة هل إضافتها محضة أم غير محضة؛ فمن قال محضة، أعرب «أحسن» صفة، ومن قال غير محضة، أعربه بدلاً.

والإشارة بقوله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ إلى هذا التطوير والإنشاء خلقاً آخر، أي: وانقضاء مدة حياتكم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾. ونبّه تعالى على عظيم قدرته بالاختراع أولاً ثم بالإعدام ثم بالإيجاد.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ الآية، لمّا ذكر ابتداء خلق الإنسان وانتهاء أمره، ذكّره بنعمه.

و«سبع طرائق» قيل لها «طرائق» لتطارق بعضها فوق بعض؛ يقال: طارق

---

(١) انظر تفسير الآية ٥ من الحجّ.

(٢) بالإفراد فيهما.

النعل: جعله على نعل، وطارق بين ثوبين: لبس أحدهما على الآخر.

﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جعلنا مقرّه في الأرض. وعن ابن عباس: أنزل الله تعالى من الجنّة خمسة أنهار: جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل. وفي قوله «فأسكنّاه» دليل على أنّ مقرّ ما نزل من السّماء هو في الأرض، فمنه الأنهار والعيون والآبار. وكما أنزله تعالى بقدرته هو قادر على ذهابه. والباء في «به» للتعدية أي: على إذهابه، كان الفعل لازماً، فصار[1] بالباء متعدّياً، كما قال تعالى ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ۝٢٠﴾ [البقرة] أي: لأذهب سمعهم[2].

ولمّا ذكر [٣٩٢/أ] تعالى نعمة الماء، ذكر ما ينشأ عنه فقال ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ وخصّ هذه الأنواع الثلاثة من النخل والعنب والزّيتون لأنها أكرم الشجر وأجمعها للمنافع. ووصف النخل والعنب بقوله ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ[3]﴾ لأن ثمرها جامع بين أمرين: أحدهما أنه فاكهة يُتفكّه بها، والآخر أنه طعام يؤكل رطباً ويابساً: رُطَباً وتمراً، وعنباً وزبيباً، والزيتون بأن دهنه صالح للاصطباح والاصطباغ[4] جميعاً. والضمير في «لكم[5] [فيها]» عائد على الجنّات، وهم أعمّ [لسائر الثمرات. وعطف «وشجرة» على «جنات» وهي شجرة الزيتون وهي كثيرة بالشّام تخرج] من طور سيناء. الطور: الجبل، أضيف إلى «سيناء». والظاهر أنه علم، اسم بقعة امتنع من الصرف للعلمية والتأنيث. وقرىء بفتح السين وكسرها. وقرىء: تنبت، [بفتح التاء وضمّ

---

(١) ق: صار.

(٢) ق: بنفعهم.

(٣) ق: منافع. ووجّه العبارة بعدُ بما يناسب المنافع.

(٤) الاصطباح: الإضاءة. والاصطباغ: الائتدام.

(٥) ق: ولكم.

الباء، ويكون «بالدّهن» حالاً أي: ملتبسةً بالدّهن. وقرىء: تُنبِت]، فالباء في «بالدهن» زائدة أي: تُنبت الدهنَ فيكون مفعولاً به.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ تقدّم الكلام عليه في النحل[1].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ من الحمل والركوب والحرث والانتفاع بجلودها وأوبارها. ونبّه على أغزر فوائدها وألزمها وهو الشرب والأكل، وأدرج باقي المنافع في قوله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾.

ثم ذكر ما يكاد يختصّ به بعض الأنعام وهو الحمل عليها، وقرَنَهَا بالفُلْك لأنها سفائن البرّ كما أن الفلك سفائن البحر، قال ذو الرّمة[2]: [من الطويل]

[طَروقاً وجِلْبُ الرَّحل مشدودةٌ به] سفينةُ برٍّ تحت خدّي زمامُها

يريد: صيدح ناقته. ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ معطوف على قوله «وعليها» أعيد معه حرف الجر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى

(١) انظر تفسير الآية ٦٦ من النّحل.

(٢) ديوانه ص٦٣٨.

ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ الآية، لمّا ذكر أوّلاً بدء الإنسان وتطوّره في تلك الأطوار، وما امتنّ به عليه، ممّا جعله تعالى سبباً لحياتهم وإدراك مقاصدهم، ذكر أمثالاً لكفار قريش من الأمم السابقة المنكرة لإرسال الله تعالى رسلاً، المكذّبة بما جاءتهم به الأنبياء عن الله تعالى، فابتدأ بقصة نوح عليه السلام لأنه أبو البشر الثاني، كما ذكر أولاً آدم في قوله ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون]. ولقصته أيضاً مناسبة بما قبلها؛ إذ قبلها ﴿ وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ فذكر قصة من صنع الفلك أولاً، وأنه كان سبب نجاة من آمن، وهُلْك من لم يكن فيه. فالفلك من نعمة الله تعالى. كلّ[1] هذه القصص يحذّر بها قريشاً نِقَم الله تعالى، ويذكّرهم نعمه.

﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله[2] ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [يونس]. والإشارة في «بهذا» إلى إفراد الله تعالى بالإلهيّة، وترك الأصنام.

﴿ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ معلوم عندهم أنه ليس بمجنون.

﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي: انتظروا حاله حتى ينجلي أمره وعاقبة خبره. فدعا ربه تعالى بأن ينصره ويُظفره بهم بسبب ما كذّبوه[3].

---

(١) ق: تعالى على.
(٢) ق: لقوله.
(٣) ق: كذّبون.

وتقدّم تفسير أكثر هذه الآية في هود[١]. ونهاه الله تعالى أن يخاطبه في قومه بدعاء نجاة أو غيره، وبيّن علّة النّهي بأنه تعالى قد حكم عليهم بالإغراق.

وأمره تعالى بأن [٣٩٢/ ب] يحمده على نجاته وهلاكهم، وكان الأمر له وحده، وإن كان الشرط قد شمله ومن معه، لأنه نبيّهم وهم متّبعوه في ذلك.

ثم أمره أن يدعوه بأن[٢] ينزله منزلاً مباركاً. قيل: كان ذلك عند الركوب في السفينة، وقيل: عند الخروج منها.

﴿إِنَّ[٣] فِي ذَٰلِكَ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ أي: إنّ فيما جرى على أمّة[٤] نوح لدلائل وعبراً.

﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ أي: مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم، أو لمختبرين بهذه الآيات عبادنا ليعتبروا كقوله تعالى ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٧ وما بعدها.

(٢) ق: بأنه.

(٣) ق: أي.

(٤) على هذه الأمة. وصحّ عندي ترقيم العبارة هكذا: إن فيما جرى على هذه - أمة نوح - لدلائل وعبراً.

كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ الآية، ذِكْرُ هذه القصة عقيب قصة نوح، يُظهر أن هؤلاء هم قوم هود، وهو قول الأكثرين.

﴿بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بلقاء الجزاء من الثواب والعقاب منها.

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ أي: بسطنا لهم الآمال والأرزاق ونعّمناهم. واحتملت هذه الجملة أن تكون معطوفة على صلة «الذين» وكان العطف مشعراً بعلّية التكذيب والكفر، أي: الحامل [لهم] على ذلك كوننا نعّمناهم، وأحسنّا إليهم وكان ينبغي أن يكون الأمر بخلاف ذلك، وأن يقابلوا نعمنا بالإيمان وتصديق من أرسلته إليهم - وأن تكون جملة حالية أي: وقد أترفناهم أي كذبوا في هذه الحال. ويؤول هذا المعنى إلى المعنى الأول أي: كذبوا في حال الإحسان إليهم، وكان ينبغي أن لا يكفروا، وأن يشكروا النعمة بالإيمان بي والتّصديق لرسلي.

قوله: ﴿مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ تحقيق للبشرية وحكم بالتساوي بينه وبينهم، وأن لا مزيّة له عليهم.

والظاهر انّ «ما» موصولة في قوله: ﴿مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ وأن العائد محذوف تقديره: مما تشربون[1] منه، فحذف: منه لوجود مِن الداخلة على [ما] الموصولة.

(١) ق: يشربون.

قال الزمخشري[١]: «إذاً» واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم[٢]، أي: تخسرون عقولكم وتغبنون[٣] في آرائكم انتهى.

ليس «إذاً» واقعاً في جزاء الشرط، بل واقع[٤] بين «إنكم» والخبر. و«إنكم» والخبر ليس جزاءً للشرط، بل ذلك جملة جواب القسم المحذوف قبل[٥] [اللام] الموطئة. ولو كانت «إنكم» والخبر جواباً للشرط، لزمت الفاء في «إنكم». بل لو كانت بالفاء في تركيب[٦] غير القرآن، لم يكن ذلك التركيب جائزاً إلّا عند الفرّاء، والبصريّون لا يجيزونه، وهو عندهم خطأ.

واختلف المعربون في تخريج [«أنكم»] الثانية؛ فالمنقول عن سيبويه أن «أنكم» بدل من الأولى وفيها معنى التأكيد، وخبر «أنكم» الأولى محذوف، لدلالة خبر الثانية عليه، تقديره: أنكم تبعثون إذا متّم. وهذا الخبر المحذوف هو العامل في «إذا».

و﴿ هَيْهَاتَ﴾ اسم فعل لا يتعدّى، يرفع الفاعل ظاهراً أو مضمراً، مثال رفع الظاهر قول الشاعر[٧]: [من الطويل]

[٣٩٣/أ] فهيهات هيهات العقيق وأهله

وهيهات خلٌّ بالعقيق نواصله

---

(١) الكشاف ٣: ٣١.

(٢) ق: قولهم.

(٣) ق: وتحقبون.

(٤) ق: واقعاً.

(٥) ق: قيل.

(٦) ق: في غير تركيب.

(٧) البيت لجرير في ديوانه ٢: ٩٦٥. وفيه أيهات.

ومثال المضمر قوله في هذه الآية: هيهات هو، أي: إخراجكم. وفي هيهات لغات؛

قال الزمخشري[١]: فمن نوّنه، نزّله منزلة المصدر إلى آخره.

ليس هذا بواضح، لأنهم قد نوّنوا أسماء [الأفعال] ولا نقول: إنها إذا نوّنت تنزّلت منزلة المصدر.

قال ابن عطية: طوراً يلي الفاعلُ دون لام؛ تقول: هيهات مجيءُ زيد، أي: بَعُد. وأحياناً يكون الفاعل محذوفاً، وذلك عند اللام كهذه الآية، التقدير: بَعُد الوجود لما توعدون انتهى.

هذا ليس بجيد لأنّ فيه حذف الفاعل، وفيه أنه مصدر حذف، وأبقي معموله، ولا يجيز البصريون شيئاً من هذا.

﴿إِنْ هِيَ﴾[٢] «إن» نافية و«هي» مبتدأ معناه: إن الحياة «إلا حياتنا» الخبر، ففسّر الضمير بسياق المعنى.

﴿افْتَرَىٰ﴾ نسبوه إلى افتراء الكذب على الله تعالى في أنه نبّأه وأرسله إلينا، وأخبره أنّا نُبعث.

﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بمصدّقين.

والضمير في ﴿قَالَ﴾ عائد على الرب. ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ «ما» زائدة للتوكيد. و«قليل» نعت لمنعوت محذوف [تقديره]: عن زمانٍ قليل. و«عن» تحتمل

(١) لم أجده في هذا الموضع في الكشاف.

(٢) ق: وقالوا إن هي.

وجهين: أحدهما أن تتعلق بفعل محذوف تقديره: عمّا قليل أنصرك، والثاني أن يكون متعلقاً بـ«يصبحُنّ» وفيه دليل على أنّ ما بعد اللام المتلقّى به القسم يجوز أن يتقدم على اللام، تقول: والله لأضربنّ زيداً، فيجوز تقديم المفعول على اللام فتقول: والله زيداً لأضربنّ.

و«نادمين» خبر لـ«يصبحن».

والصيحة: تقدم الكلام عليها[1]. وشبّههم في هلاكهم بالغثاء، وهو حميل السيل ممّا بلي[2] واسودّ من الورق والعيدان.

وانتصب «فبعداً» بفعل متروك إظهاره أي: بَعُدوا بعداً، أي: هلكوا هلاكاً. و«للقوم الظالمين» بيان لمن دُعي [عليه بالبُعد].

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا[3] ءَاخَرِينَ ﴾ قال ابن عباس: هم بنو إسرائيل.

---

(١) انظر تفسير الآية ٧٣ من الحجر.

(٢) ق: جميل السير ما يلي.

(٣) ق: قرناً.

﴿ مَاتَسۡبِقُ﴾ إلى آخر الآية، تقدّم الكلام عليه في الحجر[١].

﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ﴾ أي: لأمم آخرين، أنشأناهم[٢] بعد أولئك. والتاء الأولى في «تترى»[٣] بدل من الواو، فأصله: وترى، كما أبدلوا التاء من الواو في تخمة، أصله وخمة. ووزن الكلمة فَعلى، فقرىء منوّناً، فتكون الألف فيه للإلحاق، كهي في أرطىً منوناً. وقرىء بغير تنوين، فتكون الألف للتأنيث اللازم كهي[٤] في أرطى، في لغة من لم ينوّن.

وانتصب على الحال أي: متواترين واحداً بعد واحد. وأضاف الرسل إليه تعالى.

وأضاف رسولاً إلى ضمير الأمة المرسَل إليها، لأن الإضافة تكون بالملابسة، والرسول يلابس المرسِل والمرسَل إليه؛ فالأول كانت الإضافة لتشريف الرسل، والثاني كانت الإضافة إلى الأمة حيث كذّبته، ولم ينجح فيهم إرساله إليهم فناسب الإضافة إليهم.

﴿ فَأَتۡبَعۡنَا[٥] بَعۡضَهُم[٣٩٣/ ب] بَعۡضٗا﴾ في الهلاك الناشىء عن التكذيب.

﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ﴾ الظاهر أنه جمع أحدوثة، وهو ما يتحدث به الناس على جهة الغرابة والتعجّب.

---

(١) انظر تفسير الآية ٥ من الحجر.
(٢) ق: أنشأهم.
(٣) ق: تترك.
(٤) ق: فهي.
(٥) ق: وأتبعنا.

قال الزمخشري[1]: الأحاديث تكون اسم جمع للحديث، ومنه أحاديث رسول الله ﷺ انتهى.

أفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع، وإنما ذكره أصحابنا فيما شذّ من الجموع كقطيع وأقاطيع. وإذا كان عباديد قد حكموا عليه بأنه جمع تكسير لا اسم جمع، وهو لم يلفظ له بواحد، فأحرى أحاديث، فقد لُفظ له بواحد وهو حديث، فالصحيح أنه جمع تكسير لما ذكرنا.

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ قال ابن عباس: هي التّسع.

والسلطان المبين قيل: هي العصا واليد وهما اللتان اقترن بهما التحدّي.

﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: رفيعي الحال في الدنيا.

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ أي: بنو إسرائيل.

﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ أي: خاضعون متذلّلون.

﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: قوم موسى. و«الكتاب» التوراة، ولذلك عاد الضمير على ذلك المحذوف في قوله «لعلهم». ولا يصحّ عود هذا الضمير في «لعلهم» على فرعون وقومه، لأن الكتاب لم يُؤْتَهُ موسى إلا بعد هلاك فرعون لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص].

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ترجٍّ بالنسبة إليهم. «يهتدون» بشرائعها ومواعظها.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ [وَأُمَّهُۥٓ]﴾ أي: قصتهما وهي آية عظمى بمجموعها، وهي

---

(١) الكشاف ٣: ٣٣.

آيات[١] مع التفضيل. والرّبوة هنا: قال ابن عباس: الغوطة بدمشق، وصفتها أنها ذات قرار ومعين على الكمال.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ ﴾ [تقدّم تفسيرها في الأنبياء[٢]. ويدلّ على أن النداء للرسل نودي كل واحد منهم في زمانه قولُه «وإنّ هذه أمتكم»] وقوله «فتقطعوا». وجاء هنا «فاتقون» وهي أبلغ في التخويف والتّحذير من قوله في الأنبياء ﴿ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢ ﴾ لأن هذه جاءت عقيب إهلاك طوائف كثيرين: قوم نوح والأمم الذين من بعدهم. وفي الأنبياء وإن تقدّمت أيضاً قصّة نوح وما قبلها، فإنه جاء بعدها ما يدل على الإحسان واللطف التام في قصة أيوب ويونس وزكريا ومريم، فناسب الأمر بالعبادة لمن هذه صفته تعالى.

وجاء هنا «فتقطعوا» إيذاناً أنّ التقطيع أعقب الأمر بالتقوى، وذلك مبالغة في عدم قبولهم ونفارهم عن توحيد الله تعالى وعبادته. وجاء في الأنبياء[٣] بالواو، فاحتمل معنى الفاء، واحتمل تأخّر تقطّعهم عن الأمر بالعبادة. وفرح كل حزب بما لديه دليل على تعمّقه في ضلاله، وأنه هو الذي ينبغي أن يعتقد، وكأنه لا ريب عنده في أنه الحق.

﴿ فِى غَمْرَتِهِمْ ﴾ هذا وعيد لهم حيث تقطّعوا في أمر رسول الله ﷺ؛ فقائل

(١) ق: آية.

(٢) انظر تفسير الآية ٩٢ من الأنبياء.

(٣) قوله ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۝٩٣ ﴾.

هو شاعر، وقائل هو ساحر، وقائل به جِنّة، كما تقطّع مَن قبلهم مِن الأمم. والغمرة: الماء الذي يغمر القامة، فضربت مثلاً لما هم مغمورون فيه من جهلهم [حتى] حين ينزل بهم الموت.

و«ما» في قوله ﴿أَنَّمَا﴾ [٣٩٤/أ] موصولة بمعنى الذي وهي[1] اسم «أنّ»، وصلتها «نمدهم». والضمير في «به» عائد على «ما» الموصولة. و﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ تبيين وتوضيح لما انبهم في «ما» الموصولة. وخبر «أن» قوله «نسارع لهم في الخيرات» والمعنى: نسارع لهم به، وحذف لطول الكلام ودلالة «به» الأولى عليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(١) ق: وهو.

بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴿ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ الآية، لمّا فرغ من ذكر الكفرة وتوعّدهم، عقّب ذلك بذكر المؤمنين، ووعدهم وذكّرهم بأبلغ صفاتهم، والإشفاق أبلغ التوقّع والخوف.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا ﴾ تقدّم الكلام عليه في البقرة[1].

﴿ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ ﴾ أي: كتاب فيه إحصاء أعمال الخلق، يشير إلى الصحف التي[2] يقرؤون فيها ما ثبت لهم.

﴿ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ أي: قلوب الكفار في ضلال، قد غمرها كما يغمر الماء.

﴿ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ أي: من هذا العمل الذي وصف به المؤمنون.

﴿ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: من دون الغمرة والضلال المحيط بهم. والمعنى أنهم ضالّون معرضون عن الحق، وهم مع ذلك لهم سعايات فساد، فوصفهم تعالى بحالتي شرّ.

والضمير في «إذا هم» عائد على «مترفيهم». و«إذا» الفجائية جواب «لإذا» الشرطية.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٨٦ من البقرة.

(٢) ق: الذين.

﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ يجزعون[١]، عبّر عن الصراخ بالجزع إذ الجزع سببه.

﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [أي: لا تُمنعون من عذابنا أو لا يكون لكم نصر من جهتنا].

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ هي آيات القرآن.

﴿تَنكِصُونَ﴾ ترجعون، استعاره للإعراض عن الحق.

والضمير في «به» عائد على المصدر الدالّ عليه «تنكصون» أي: بالنكوص والتّباعد عن سماع الآيات. أو على الآيات لأنها في معنى الكتاب، [وضُمّن] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ معنى مكذّبين، فعُدّي بالباء، أو تكون الباء للسبب أي: يحدث لكم بسبب سماعه استكبار وعتوّ[٢].

﴿سَٰمِرًا﴾ السّامر مفرد بمعنى الجمع؛ يقال: قوم سامر وسُمّر[٣]، ومعناه سَمَر الليل، مأخوذ من السّمر وهو ما يقع على[٤] الشجر من ضوء القمر، وكانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر. والسمير: الرفيق بالليل في السَّمَر، ويقال له السّمار أيضاً، ويقال: لا أفعله ما سَمَر ابنا سمير[٥]. والسّمير: الدهر، وابناه: الليل والنّهار. وكانوا يسمرون حول الكعبة بذكر القرآن وغيره.

[وقرىء: تَهْجُرون، بفتح التاء وضمّ الجيم. قال ابن عباس: تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه، من الهَجْر]. وقرىء: تُهْجِرون، بضم التاء وكسر

(١) ق: تجأرون تجزعون.

(٢) ق: وعقوبة.

(٣) ويقال أيضاً: سامر وسُمّار كحاجّ وحجّاج، انظر اللسان: سمر.

(٤) ق: عن.

(٥) انظر ثمار القلوب ص٢٦٩.

الجيم مضارع أَهْجَرَ وهو الفحشُ[١]. وفي قراءة التاء التفات من غيبة إلى خطاب. وقرىء بالياء فلا التفات.

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ الآية، ذكر تعالى توبيخهم على إعراضهم عن اتّباع الحق. و«القولُ» القرآن الذي أتى به محمد ﷺ. قرّعهم أولاً بترك[٢] الانتفاع بالقرآن، ثم ثانياً بأنّ ما جاءهم جاء آباءهم[٣] الأولين، ثم ثالثاً بأنهم يعرفون محمداً ﷺ وصحّة نسبه وأمانته[٤] وصدقه، ثم رابعاً نسبوه إلى الجن، وقد علموا أنه أرجحهم عقلاً وأثقبهم[٥] ذهناً.

[٣٩٤/ب] ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ لوقع التناقض باختلاف أهوائهم واضطرابها، واختلّ نظام العالم.

﴿ بِذِكْرِهِمْ ﴾ أي: بوعظهم والبيان لهم.

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا ﴾ هذا استفهام توبيخ أيضاً، المعنى بل أتسألهم مالاً فقلقوا[٦] لذلك واستثقلوك من أجله. وتقدّم الكلام على قوله «خرجاً» في آخر الكهف[٧].

ولمّا زيّف طريقة الكفّار، أتبع ذلك ببيان صحّة ما جاء به الرسول عليه

---

(١) ق: النّحش.

(٢) ق: بنزل.

(٣) ق: آباؤهم.

(٤) ق: وأمايته.

(٥) ق: وأتقنهم.

(٦) ق: فعلقوا.

(٧) انظر تفسير الآية ٩٤ من الكهف.

السلام، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ [إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾] وهو دين الإسلام.

ثم أخبر أنّ من أنكر المعاد[1] ناكب عن هذا الصراط، لأنه لا يسلكه إلا من كان راجياً للثواب خائفاً من العقاب، وهؤلاء غير مصدّقين بالجزاء فهم مائلون عنه.

﴿مِّن ضُرٍّ﴾ قيل: هو الجوع.

﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ هو الأسر والقتل.

﴿بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ روي أنه لمّا أسلم ثمامة بن أثال[2] الحنفي، ولحق باليمامة، منع[3] الميرة من أهل مكّة، فأخذهم الله تعالى بالسّنين حتى أكلوا العِلْهِز[4]. فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنشدك الله والرّحم، ألست تزعم أنك [بعثت] رحمة للعالمين؟. فقال: بلى. فقال: قتلتَ الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت الآية[5].

﴿مُبْلِسُونَ﴾ أي: آيسون من الشّر الذي نالهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ

---

(١) ق: العذاب.

(٢) ق: ثمالة بن أثالة.

(٣) ق: مع.

(٤) ق: العلمين. والعِلْهِز: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة.

(٥) انظر أسباب النزول ص ٢١٠.

إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ﴾ الآية، تقدم الكلام على نظيرها[1]. «تشكرون» «ما» زائدة للتأكيد.

﴿بَلۡ قَالُواْ﴾ «بل» إضراب، أي: ليس لهم عقل ولا نظر في هذه الآيات بل قالوا - والضمير لأهل مكّة ومن جرى مجراهم من إنكار البعث - مثل ما قال آباؤهم عاد وثمود ومن يرجعون إليهم من الكفّار.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ لمّا اتخذوا من دونه آلهة ونسبوا إليه الولد، نبّههم على فرط جهلهم بكونهم يقرّون بأنه تعالى له الأرض، ومن فيها ملك له، وأنه ربّ العالم العلوي، وأنه مالك كل شيء، وهم[2] مع ذلك ينسبون إليه الولد، ويتخذون له شركاء.

قوله: ﴿لِلَّهِۚ﴾ جواب مطابق لقوله ﴿لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ كما تقول: لمن الدار؟ فتقول: لزيد.

---

(١) انظر تفسير الآية ٧٨ من النحّل.

(٢) ق: وهو.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعاً، وكذا هو في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام. وقرىء: لله، فيهما بلام الجر. فالقراءة الأولى فيها المطابقة لفظاً ومعنى، والثانية جاءت على المعنى، لأن قولك: من ربّ هذا؟ ولمن هذا؟ في معنى واحد، ولم يختلف في الأول أنه باللام. وختم كل سؤال بما يناسبه فختم ملك الأرض ومن فيها بالتذكير، أي: أفلا يتذكرون، فيعلموا[1] أن من له ملك الأرض ومن فيها حقيق أن لا يُشرك به بعض خلقه في الربوبية. وختم ما بعدها بالتقوى، وهي أبلغ من التذكير، وفيها وعيد شديد أي: أفلا يخافونه فلا يشركوا به؟. وختم ما بعد هذه بقوله «فأنى تسحرون» مبالغة في التوبيخ بعد إقرارهم والتزامهم [٣٩٥/أ] ما يقع عليهم به الاحتجاج. و«أنّى» بمعنى كيف. قرّر أنهم مسحورون وسألهم عن الهيئة التي سُحروا بها، أي: كيف يُخدعون عن توحيده وطاعته. والسّحر هنا مستعار وهو تشبيه لما يقع منهم من التخليط ووضع الأفعال والأقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور، عبّر عنهم بذلك.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيما ينسبون إلى الله تعالى من اتّخاذ الولد ومن الشركاء وغير ذلك ممّا هم فيه كاذبون.

ثم نفى اتّخاذ الولد وهو نفي استحالة، ونفى الشريك بقوله ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ أي: وما كان معه شريك في خلق العالم واختراعهم، ولا في غير ذلك ممّا يليق به من الصفات العُلا. فنفي الولد تنبيه على من قال: الملائكة بنات الله، ونفي الشّرك في الألوهيّة تنبيه على من قال: الأصنام آلهة. و«من إله» نفي عام يفيد استغراق الجنس، ولهذا جاء ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ [كُلُّ إِلَٰهٍ ﴾ ولم يأت التركيب: إذاً لذهب] الإله. ومعنى «الذهب» أي: لانفرد كل

(١) ق: فيعلمون.

إله بخلقه الذي خلق واستبدّ به، وتميّز ملك كلّ واحد عن ملك الآخر، وغلب بعضهم بعضاً كحال ملوك الدنيا. وإذ لم يقع الانفراد والتغالب، فاعلموا[١] أنه إله واحد.

و«إذاً» لم يتقدّمه في اللفظ شرط ولا سؤال سائل ولا عِدَة، قالوا: فالشرط محذوف تقديره: ولو كان معه آلهة. وإنما حُذف لدلالة قوله «وما كان معه من إله» عليه، وهذا قول الفراء، زعم أنه جاء بعدها اللام كانت [لو] وما دخلت عليه محذوفة، وقد قرّرنا تخريجه[٢] لها على غير هذا في قوله ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣﴾ [الإسراء]. والظاهر أنّ [«ما»] في «بما خلق» بمعنى الذي.

وقال الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي في تقرير استحالة وجود الإلهين ما نصّه[٣]: لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتهما، فلا بدّ أن يشتركا في الوجود، ولا بدّ أن يمتاز كل واحد منهما عن الآخر بعينه، وما به الاشتراك[٤] غير ما به الممايزة، فيكون كل واحد مشاركاً للآخر، وكل مركّب فهو مفتقر إلى آخر ممكن لذاته. فإذن واجب الوجود لذاته ممكن الوجود لذاته، هذا خلف، فإذاً واجب الوجود ليس إلا واحداً فكلّ ما عداه محدث انتهى.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تنزيه عن الولد والشريك.

---

(١) ق: وإن لم يقع.. واعلموا. والعبارة من كلام الفخر الرازي، انظر تفسيره ٢٣: ١١٨.

(٢) ق: تخريجها.

(٣) لم أجده في هذا الموضع من تفسير الرازي.

(٤) ق: الإشراك.

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾ الآية، لمّا ذكر ما كان عليه الكفار من ادّعاء الولد والشريك لله، وكان تعالى قد أعلم نبيّه [أنّه] ينتقم [منهم]، ولم يبيّن أذلك في حياته أم بعد موته - أمره بأن يدعو بهذا الدعاء أي: إن تريني ما تعدهم واقعاً بهم في الدنيا أو في الآخرة، فلا تجعلني معهم. ومعلوم أنه عليه السلام معصوم ممّا يكون سبباً لجعله معهم، ولكنّه أمره أن يدعو بذلك

إظهاراً للعبودية وتواضعاً لله تعالى.

﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ﴾ متعلق بـ«قادرون».

ثم أمره تعالى [٣٩٥/ب] [بحسن الأخلاق. و«بالتي هي أحسن» أبلغ من الحسنة، للمبالغة الدالّ عليها أفعل التفضيل، وجاء في صلة «التي» ليدلّ على معرفة السامع بالحالة التي هي أحسن. قيل: وهذه الآية منسوخة بآية السيف(١)، و«بالتي هي أحسن» شهادة أن لا إله إلا الله. و«السيئة» الشرك.

ثم أمره تعالى] أن يستعيذ من نخسات الشياطين والهمز من الشيطان عبارة عن حثّه على العصيان والإغراء(٢).

ثم أمره أن يستعيذ من حضورهم عنده، لأنّهم إذا حضروا توقّع الهمز. وفسّر همز الشيطان بسَوْرة الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قبلها جملة محذوفة تكون «حتى» غاية لها يدلّ عليها ما قبلها، التقدير: فلا أكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى إذا جاء أحدهم الموت. ونظير حذف هذه الجملة قول الشاعر(٣): [من الطويل]

فيا عجبًا حتى كليبٌ تسبُّني ... كأنّ أباها نهشلٌ أو مجاشعُ

أي: تسبّني الناس حتى كليب. فدلّ ما بعد حتّى على الجملة المحذوفة، وفي الآية دلّ ما قبلها عليها.

---

(١) الآية ٥ من التوبة.

(٢) ق: والأعزايم.

(٣) البيت للفرزدق في ديوانه ١: ٤١٩.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: حضر وعاينه الإنسان فحينئذ يسأل الرجعة إلى الدنيا.

وفي الحديث[١] «إذا عاين المؤمن [الموت] قالت له الملائكة: نرجعك؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ بل قدوماً إلى الله تعالى، وأما الكافر فيقول ﴿ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾.

ومعنى ﴿ فِيمَا تَرَكْتُ﴾ في الإيمان الذي تركته.

﴿ كَلَّآ﴾ كلمة ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد. فقيل: هي [من] قول الله تعالى لهم، وقيل[٢]: من قول من عاين الموت، يقول ذلك لنفسه على سبيل التحسّر والنّدم.

ومعنى ﴿ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ لا يسكت عنها، ولا ينزع[٣] لاستيلاء الحسرة عليه، ولا يجد[٤] لها جدوى، ولا يجاب لما سأل ولا يغاث.

﴿ وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: الكفار. «برزخ» حاجز بينهم وبين الرجعة إلى وقت البعث. وفي هذه الجملة إقناط كلّي أن لا رجوع إلى الدنيا وإنما الرجوع إلى الآخرة. استعير البرزخ للمدّة التي بين موت الإنسان وبعثه.

﴿ فَلَآ أَنسَابَ﴾ أي: لا تواصل بينهم حين افتراقهم إلى ما أعدّ لهم من ثواب وعقاب، وإنما التواصل بالأعمال. ولا تعارض بين انتفاء التساؤل هنا

---

(١) رواه ابن جرير ١٨: ٤٠ من حديث عائشة.

(٢) ق: لو قيل.

(٣) أي لا ينتهي.

(٤) ق: يجدي.

وبين إثباته في قوله ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠﴾ [الصافات] لأنّ يوم القيامة مواطن ومواقف.

وتقدّم الكلام في الموازين في الأعراف[١].

قال الزمخشري[٢]: «في جهنم خالدون» بدل من «خسروا أنفسهم»، ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محلّ لها، أو خبر بعد خبر «لأولئك»، أو خبر مبتدأ محذوف انتهى.

جعل «في جهنم» بدلاً من «خسروا»، وهذا بدل غريب وحقيقته أن يكون البدل الفعل الذي يتعلق به «في جهنم» أي: استقرّوا[٣]في جهنم، من بدل الشيء من الشيء وهما لمسّمى واحد على سبيل المجاز؛ لأنّ من خسر نفسه استقرّ في جهنم.

وأجاز أبو البقاء[٤] أن يكون «الذين» نعتاً «لأولئك»، وخبر «فأولئك»: «في جهنم». والظاهر أن يكون خبراً «لأولئك» لا نعتاً[٥]، و«خالدون» خبراً ثانياً، و«في جهنم» متعلقاً[٦] [٣٩٦/أ] به.

اللّفح أشد من النفخ تأثيراً. والكلوح: تشمّر الشفتين عن الأسنان، ومنه كلوح الكلب والأسد. وخصّ الوجه باللفح لأنه أشرف ما في الإنسان،

---

(١) انظر تفسير الآية ٨ من الأعراف.

(٢) الكشاف ٣: ٤٣.

(٣) ق: استقرّ.

(٤) لم أجد ذلك في الإملاء.

(٥) ق: خبر لأولئك لا نفياً.

(٦) مكررة في ق.

والإنسان أحفظ له من الآفات من غيره من الأعضاء. فإذا لفح[(١)] الأشرف فما دونه ملفوح. ولمّا ذكر إصابة النار للوجه، ذكر الكلوح المختصّ ببعض أعضاء الوجه.

وفي الترمذي[(٢)] «تتقلّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرّته» قال: هذا حديث حسن صحيح.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ [يقول الله تعالى لهم على لسان من يشاء من ملائكته: «ألم تكن آياتي»] وهي القرآن. ولمّا سمعوا هذا التقرير، أذعنوا وأقرّوا على أنفسهم بقولهم ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾، من قولهم: غلبني فلان على كذا، إذا أخذه منك وامتلكه. والشقاوة: سوء العاقبة.

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ أي: عن الهدى.

ثم تدرّجوا من الإقرار إلى الرّغبة والتضرّع، وذلك أنهم أقرّوا - والإقرار بالذّنب اعتذار - فقالوا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من جهنم.

﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ أي: إلى التكذيب واتّخاذ آلهة وعبادة غيرك.

﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ أي: متجاوزون الحدّ في العدوان، حيث ظلمنا أنفسنا أولاً، ثم سومحنا، فظلمناها ثانياً.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ أي: ذِلُّوا فيها، وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زُجرت. يقال: خَسَأْتُ الكلب، وخَسَأَ هو بنفسه، يكون متعدّياً ولازماً.

---

(١) ق: نفخ.

(٢) ٨: ٣١٩، أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: في رفع العذاب أو تخفيفه. قيل: هو آخر كلام يتكلمون[١] به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزّفير والعواء كعواء الكلاب، لا يَفهمون ولا يُفهمون.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ الفريق هنا هم المستضعفون من المؤمنين. وهذه الآية ممّا يقال[٢] للكفّار على جهة التوبيخ. ونزلت في كفّار قريش مع صهيب وعمّار وبلال ونظرائهم، ثم هي عامّة فيمن جرى مجراهم قديماً وبقيّة الدهر.

﴿سِخْرِيًّا﴾ أي: تسخرون منهم ومن اتّباعهم للحق.

قال الزمخشري[٣] في قراءة من قرأ[٤] «أنهم» بالفتح: هو المفعول الثاني أي: جزيتهم فوزهم انتهى.

الظاهر أنه تعليل أي: جزيتهم لأنهم. والكسر على الاستئناف، وقد يراد به التعليل[٥] فيكون الكسرِ [مثل الفتح من حيث الإعراب لاضطرار المفتوحة إلى عامل.

و﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾] الناجون من هلكة إلى نعمة.

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ سألهم سؤال توقيف وهو تعالى يعلم عدد ما لبثوا.

ولما سئلوا عن المدّة التي أقاموا فيها في الأرض، أجابوا بقولهم ﴿لَبِثْنَا

---

(١) ق: يكلّمون.

(٢) ق: كما تقال.

(٣) الكشاف ٣: ٤٤.

(٤) ق: قرىء.

(٥) ق: القليل.

﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ تردّدوا فيما لبثوا، فنسُوا[١] لفرط هول العذاب حتى قالوا «يوماً أو بعض يوم».

العبث: اللعب الخالي من فائدة. وانتصب على أنه مصدر في موضع الحال تقديره: عابثين، أو على أنه مفعول من أجله والمعنى في هذا: ما خلقناكم للعبث وإنما خلقناكم للتكليف والعبادة.

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا﴾ معطوف [٣٩٦/ب] على «أنما» فهو داخل في الحسبان.

و«الكريم» صفة للعرش، لتنزّل الخيرات منه أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين.

«ومن» شرطية وجوابه «فإنما حسابه». و«لا برهان له به» صفة لازمة، لا للاحتراز من أن يكون ثَمَّ آخر يقوم عليه برهان، فهي مؤكدة كقوله[٢] ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ۝٣٨﴾ [الأنعام]. ويجوز أن يكون جملة اعتراض بين الشرط وجزائه، فلا موضع لها من الإعراب.

وافتتح السورة بقوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ وأورد في خاتمتها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ فانظر تفاوت ما بين الافتتاح والاختتام.

ثم أمر رسوله ﷺ أن يدعو بالغفران والرحمة.

---

(١) ق: فقسرا.

(٢) ق: لقوله.

سورة النور(۱)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾.

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الآية، هذه السورة مدنيةٌ بلا خلاف. ولمّا ذكر تعالى في مشركي قريش ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: أعمال سيئة ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ۝٦٣﴾ [المؤمنون] واستطرد بعد ذلك إلى أحوالهم واتخاذهم الولد والشريك وإلى مآلهم في النار - كان من أعمالهم السيئة أنه كان لهم جوارٍ بغايا يستحسنون عليهن، ويأكلون من كسبهن من الزّنى، فأنزل أوّل هذه السورة تغليظاً في أمر الزّنى. وكان فيما ذكر ناس من المسلمين همّوا بنكاحهنّ.

«سورة» مرفوع بالابتداء، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: فيما أنزلنا سورة، أو هذه سورة. وقرىء بالنصب: سورةً، على الاشتغال أي: أنزلنا سورة أنزلناها.

---

(۱) مدنية وآياتها أربع وستون.

قال الزمخشري[1]: أو على: دونك سورةً انتهى.

جعله منصوباً على الإغراء، ولا يجوز حذف أداة الإغراء.

كان الابتداء بقوله «سورة» وإن كان نكرة لتقدير صفة محذوفة تسوّغ الابتداء بالنكرة، كأنه قيل: سورة معظّمة أنزلناها.

وقرىء: وفرضناها[2]، بالتخفيف والتشديد.

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ﴾ أي: أمثالاً ومواعظ وأحكاماً، ليس فيها مشكل يحتاج إلى تأويل.

«الزانية» مبتدأ، والخبر محذوف أي: فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني، وقوله «فاجلدوا» بيان لذلك الحكم، هذا مذهب سيبويه. وقدّمت «الزانية» على «الزاني» لأن داعيتها أقوى لقوة شهوتها ونقصان عقلها، ولكون زناها أفحش وأكثر عاراً، وللعلوق بولد الزّنى وحال النساء الحجبة والصيانة. وأل في «الزانية والزاني» للعموم في جميع الزُّناة. والجَلْد: إصابة الجِلد [بالضرب] كما تقول: رَأَسَه وبَطَنه وظَهَره، أي: ضرب رأْسَه وبطْنَه وظهْرَه. والمأمور بالجلد أئمة المسلمين ونوابهم.

﴿كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ الظاهر اندراج الكافر والعبد والمحصَن في هذا العموم، وهو لا يندرج [فيه] لا الصبي ولا [٣٩٧/أ] المجنون.

والظاهر الاقتصار على الجلد أُحصنا أو لم يُحصنا، وهو مذهب الخوارج.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٦.

(٢) ق: وفرضنا.

واتفق فقهاء الأمصار على أن المُحْصَن يُرجم ولا يُجلد. وجلد علي رضي الله عنه شراحة الهمدانية ثم رجمها وقال: جلدتُها بكتاب الله، ورجمتُها بسنّة رسول الله.

﴿رَأْفَةٌ﴾ أي: لين وهوادة في استيفاء حدود الله تعالى. وقرىء: تأخذكم، بالتاء والياء. ورأفة، بسكون الهمزة وفتحها.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ تثبتٌ وحضٌ وتهييجٌ للغضب لله تعالى ولدينه. وأمر[1] تعالى بحضور جلدهما طائفة إغلاظاً على الزناة وتوبيخاً لهم بحضرة الناس. وسُمّي الجلد عذاباً إذ فيه إيلام وافتضاح، وهو عقوبة على ذلك الفعل.

والطائفة المأمور بشهودها ذلك أقل ما يتصور فيه ذلك ثلاثة.

﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ الظاهر أنه خبر قُصد به تشنيع الزّنى وأمره. ومعنى «لا ينكح» لا يطأ. وزاد المشركة في التقسيم فالمعنى أن الزاني في وقت زناه لا يجامع إلا زانية من المسلمين أو أخسّ منها وهي المشركة. والنكاح بمعنى الجماع.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

(١) ق: وأمره.

وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ القذف: الرمي بالزّنى وغيره، واستعير الرّمي للشتم، لأنه إذاية بالقول كما قال[1]: [من المتقارب]

[ولو عن نَثَا غيرِهِ جاءني] وجُرحُ اللسان كجرح اليدِ

و﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الظاهر أن المراد النساء العفائف. وخصّ النساء بذلك، وإن كان الرجال يشركونهن[2] في الحكم، لأن القذف فيهن أشنع وأنكى للنفوس، ومن حيث هنّ هوى الرجال، ففيه إيذاء لهنّ ولأزواجهن وقراباتهنّ. وقيل: المعنى: الفروج المحصنات، كما قال ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء] ويكون اللفظ شاملاً للنساء والرجال. ولمّا كانت معصية الزّنى كبيرة من أمهات الكبائر، وكان متعاطيها كثيراً ما يتستّر[3] بها، فقلّما يطّلع عليها أحد، شدّد الله على القاذف حيث شرط فيها أربعة شهداء رحمة بعباده وستراً. والمعنى: ثم لم يأتوا الحكّام. والجمهور على إضافة «أربعة» إلى «شهداء».

وقرأ أبو زرعة وعبد الله بن مسلم: بأربعةٍ، بالتنوين وهي قراءة فصيحة، لأنه إذا اجتمع اسم العدد والصفة [كان] الإتباع أجود من الإضافة.

قال ابن عطية: وسيبويه يرى أن تنوين العدد وترك إضافته إنما يجوز[4] في الشعر انتهى.

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٨٥.

(٢) ق: يشركوهن.

(٣) ق: يستتر.

(٤) ق: تجوز.

ليس كما ذكر، إنما يرى ذلك سيبويه في العدد الذي بعده اسم نحو: ثلاثة رجال، وأما في الصفة فلا، بل الصحيح التفضيل الذي ذكرناه.

وإذا نوّنت «أربعة» «فشهداء» بدل إذ هو وصف يجري مجرى الأسماء، أو صفة لأنه صفة حقيقية، ويضعف قول من قال إنه حال أو تمييز.

﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ أمْر للإمام ونوّابه بالجلد.

والظاهر وجوب الجلد وإن لم يطالب المقذوف، وبه قال ابن أبي ليلى.

وقال أبو حنيفة وأصحابه والأوزاعي والشافعي: لا يجلد إلاّ بمطالبته. وقال [٣٩٧/ب] مالك كذلك إلا أن يكون الإمام سمعه يقذفه، فيحدّه إذا كان مع الإمام شهود عدول، وإن لم يطالب المقذوف.

والظاهر أن العبد القاذف حرًّا، إذا لم يأت بأربعة شهداء، جُلد ثمانين لاندراجه في عموم ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ وبه قال عبد الله بن مسعود والأوزاعي.

وقال أبو حنيفة وأصحابه ومالك والثوري وعثمان البتي [والشافعي]: يجلد أربعين.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ الظاهر أنه لا تقبل شهادته أبداً، وإن أكذب نفسه وتاب. وهو نهي جاء بعد أمر، فكما أن حكمه الجلد، كذلك حكمه ردّ شهادته.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الظاهر أنه كلام مستأنف غير داخل في حيّز «والذين يرمون»، كأنه إخبار بحال الرّامين بعد انقضاء الموصول المتضمن معنى الشرط وما ترتّب في خبره من الجلد وعدم قبول الشهادة أبداً.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ هذا الاستثناء يعقب جملاً ثلاثاً[1]: جملة الأمر بالجلد، وهو لو تاب وأكذب نفسه، لم يسقط عنه حدّ القذف. وجملة النهي عن قبول شهادتهم أبداً، وقد وقع الخلاف في قبول شهادتهم إذا تابوا بناءً على أنّ هذا الاستثناء راجع إلى جملة النّهي وجملة الحكم بالفسق، أو هو راجع إى الجملة الأخيرة، وهي الثالثة، وهي الحكم بفسقهم.

والذي يقتضيه النظر أن الاستثناء إذا تعقب جملاً، يصلح أن يتخصّص كلّ واحد منها بالاستثناء، أن يجعل تخصيصاً في الجملة الأخيرة. وهذه المسألة تُكلّم عليها في أصول الفقه، وفيها خلاف وتفصيل، ولم أر من تكلّم عليها من النّحاة غير المهاباذي[2] وابن مالك. واختار ابن مالك أن يعود إلى الجمل كلّها كالشرط. واختار المهابادي أن يعود إلى الجملة الأخيرة، وهو الذي نختاره، وقد استدللنا على صحة ذلك في شرح التسهيل.

ولمّا ذكر تعالى قذف المحصنات، وكان الظاهر أنه يتناول [الأزواج] وغيرهن، وكان رسول الله ﷺ عزم على حدّ هلال ابن أمية حين رمى زوجته بشَرِيك بن سَحْماء فنزلت[3] «والذين يرمون أزواجهم» والمعنى: بالزّنى.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ ولم يقيد بعدد اكتفاءً بالتقييد في قذف غير الزوجات. والمعنى: شهداء على صدق قولهم.

و﴿أَزْوَٰجَهُمْ﴾ يعمّ سائر الأزواج من المؤمنات والكافرات والإماء فكلّهن

---

(١) ق: ثلاثة.

(٢) ق: المهادي.

(٣) ق: شحماء. أسباب النزول ص٢١٢، ولباب النقول ص١٥٢. وانظر البخاري ٤: ١٧٧١.

يلاعنّ الزّوج، للانتفاء من العمل[١]. وقرىء: أربعَ شهاداتٍ، بالنصب على المصدر. وارتفع «فشهادةُ» خبراً على إضمار مبتدأ، أي: فالحكم أو الواجب. أو مبتدأ على إضمار الخبر متقدّماً، أي: فعليه أن يشهد، أو مؤخراً أي: كافية أو واجبة.

وقرىء: والخامسةُ، بالرفع فيهما[٢] وهو مبتدأ. وقرىء: أنّ لعنة الله، وأنْ لعنة الله، مخفّفة من الثقيلة. وينسبك من القراءتين مصدر هو خبر عن قوله «والخامسة» والتقدير: والخامسة [٣٩٨/أ] كينونة لعنة الله عليه. وقرىء: أن غضب الله، بالتشديد والتخفيف.

﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ أي: يدفع. و«العذاب» قال الجمهور: [الحدّ]، وقال أصحاب الرأي: لا حدّ عليها إن لم تلاعن، ولا يوجبه عليها قول الزوج. والظاهر الاكتفاء في اللعان بهذه الكيفية المذكورة في الآية.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ جواب «لولا» محذوف تقديره: لهلكتم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ

---

(١) ق: الحبل.

(٢) أي في هذه الآية، والآية ٩ التالية.

عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآية، سبب نزول هذه الآيات مشهور مذكور في الصحيح[1]. و«الإفك» الكذب والافتراء. والعصبة: الجماعة: وتقدم الكلام عليها في يوسف[2]. «منكم» أي: من أهل ملّتكم وممّن ينتمي للإسلام، ومنهم منافق ومنهم مسلم. والظاهر أنّ خبر «إنّ» هو «عصبة منكم» و«منكم» في موضع الصفة.

و﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ مستأنف. والضمير في «لا تحسبوه» الظاهر أنه عائد على «الإفك».

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لبراءة الساحة وثواب الصبر على ذلك الأذى وانكشاف كذب القاذفين.

﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ أي: جزاء ما اكتسب وذلك بقدر ما خاض فيه لأن بعضهم ضحك، وبعضهم سكت، وبعضهم تكلّم. و«اكتسب» في المآثم ونحوها لأنها تدلّ على اعتمال وقصد، فهو أبلغ في التكذيب[3]. وكَسَب: مستعمل في الخير لأن حصوله مُغْنٍ عن الدّلالة على اعتمالٍ فيه. وقد

---

(١) انظر البخاري ٤: ١٧٧٤، ومسلم ٤: ٢١٢٩.

(٢) انظر تفسر الآية ٨ من يوسف.

(٣) ق: التدبيب.

يستعمل كَسَب في[1] الوجهين.

﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ المشهور أنه عبد الله بن أبيّ [بن] سلول. والعذاب العظيم هو عذاب يوم القيامة، وقيل: هو ما أصاب حسّان من ذهاب بصره وشلّ يده. وقرىء: كبره، بكسر الكاف وضمّها. والعذاب العظيم: عماه وحدّه وضرْبُ صفوان له بالسيف على رأسه، وقال[2]: [من الطويل]

تَـوَقَّ ذبـاب السيـف عنـي فـإنني غـلام إذا هُـوْجيتُ لستُ بشاعـر
ولكننـي أحمـي حمـاي وأتّقـي من الباهت الرامي البريء الظواهر

وأنشد حسان أبياتاً يثني فيها [على أم المؤمنين] ويظهر براءته ممّا نُسب إليه وهي هذه الأبيات[3]: [من الطويل]

حَصـانٌ رَزانٌ مـا تُـزَنُّ بـرِيبـةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافلِ
حليلـةُ خيـرِ النـاس دينـاً ومنصبـاً نبيِّ الهدى والمكرماتِ الفواضلِ
عقيلـة حيّ مـن لـؤي بـن غـالـب كرام المساعي مجدها غير زائل
مهـذّبـة قـد طيّـب الله خيمهـا وطهّرهـا مـن كـل شيـن وبـاطـل
فـإن كـان مـا بلّغـت عنّـي قلتـه فـلا رفعت سـوطي إلـيّ أناملـي
وكيف ودّي[4] ما حييت ونصرتي لآل رسـول الله زيـن المحـافـل
له رتب عالٍ على الناس فضلها تقـاصـر عنهـا سـورة المتطـاول

(١) ق: من.
(٢) الأول منهما في السيرة النبوية ٣: ٣١٨. وهو مما قاله صفوان لحسان بعد أن ضربه بالسيف.
(٣) ديوانه ص٣٨٠.
(٤) ق: ودّي.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [«لولا»] حرف تحضيض بمعنى هلاّ، وفيه تحريض على ظن الخير وزجر وأدب.

والظاهر أن الخطاب للمؤمنين حاشا من تولّى كبره [٣٩٨/ب].

وقيل: ويحتمل دخولهم في الخطاب . وفيه عتاب، أي: كان الإنكار واجباً عليهم.

وعدل بعد الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر، فلم يجىء التركيب: ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم، ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرّح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضٍ أن لا يصدق مؤمن على أخيه قول عائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن حقّ المؤمن إذا سمع مقالة في أخيه أن يبني الأمر فيه على ظنّ الخير، وأن يقول بناءً على[1] ظنّه: هذا إفك مبين. هكذا باللفظ الصّريح ببراءة أخيه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ أي: في الدنيا، بالنعم التي منها الإمهال للتوبة. ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة. ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ العذاب فيما خضتم فيه من حديث الإفك.

يقال: أفاض في الحديث واندفع وهَضَب وخاض.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ العامل في «إذ» «لمسّكم». «تلقّونه» أي: يأخذه بعضكم من بعض، يقال: تلقّى القول وتلقّنه وتلقّفه. والأصل: تتلقّونه.

ومعنى ﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾ أي: تَلُوكُونه بأفواهكم، وتديرونه فيها من غير علم، لأن الشيء المعلوم يكون في القلب، ثم يعبّر عنه اللسان، وهذا الإفك ليس

---

(١) ق: وإن بني على ظنه.

محلّه إلا الأفواه، كما قال ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ أي: ذنباً صغيراً، وهو عند الله من الكبائر.

وعلّق مسّ العذاب بثلاثة آثام: تلقّي الإفك والتّكلم به واستصغاره. ثم أخذ يوبّخهم على التّكلم به وكان الواجب عليهم إذ سمعوه أن لا يفوهوا به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ قال مجاهد: الإشارة إلى عبد الله بن أبي ومن أشبهه. ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لعداوتهم لهم. والعذاب الأليم في الدنيا: الحَدُّ، وفي الآخرة النار.

والظاهر في «الذين يحبون» العموم في كل قاذف منافقاً كان أو مؤمناً. وتعليق الوعيد على محبّة الشّياع دليل على أن إرادة الفسق فسق.

«والله يعلم» أي: البريء من المذنب، وسرائر الأمور، ووجه الحكمة في ستركم، والتغليظ في الوعيد. «والله يعلم» كذبهم. «وأنتم لا تعلمون» لأنه غيب.

وجواب «ولولا» محذوف أي: لعاقبكم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ﴾ بالتّبرئة. ﴿رَّحِيمٌ﴾ بقبول توبة مَن تاب مِن قَذْف.

قال ابن عباس: [الخطاب] لحسّان ومسطح وحمنة، والظاهر العموم.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ

وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ الآية، تقدم الكلام على «خطوات الشيطان»] في البقرة[١]. والضمير في «فإنه» عائد على «مَن» الشرطية، أي: فإن متّبع خطوات الشيطان يأمر بالفحشاء، وهو ما أفرط قُبحُه، و«المنكر» وهو ما تنكره العقول السليمة[٢] أي: يصير رأساً في الضلال بحيث يكون آمراً تطيعه[٣] أصحابه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالتوبة الممحّضة ما طهر أحد منكم أي: ما زكا.

﴿يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ ممّن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح أمارة على سبقها، أو من يشاء بقبول [٣٩٩/أ] التوبة النصوح.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائركم.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ هو مضارع ائتلى، افتعل من الأَلِيّة وهي الحَلْف. وقيل: معناه يقصّر[٤]، بنى افتعل من أَلَوْت بمعنى قصّرت ومنه ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران]. وقال الشاعر[٥]: [من الطويل]

---

(١) انظر تفسير الآية ١٦٨ من البقرة.

(٢) ق: السلبة.

(٣) ق: بطبعه.

(٤) ق: بعصوبتي.

(٥) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٣٩.

وما المرءُ ما دامت حُشاشة نفسه   بمـدركِ أطـرافِ الخطـوب ولا آلِ

وسبب[١] نزولها المشهور، أنه حَلْف أبي بكر[٢] على مسطح، أن لا ينفق عليه، ولا ينفعه بنافعة. وقال ابن عباس والضّحاك: قطع جماعة من المؤمنين منافعهم عمّن قال في الإفك وقالوا: لا نصل من تكلّم به، فنزلت في جميعهم. والآية تتناول من هو بهذا الوصف.

«الغافلات» أي: السليمات الصدور النقيّات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر، لأنهنّ لم يجرّبن الأمور، ولا يفطنّ لما يفطن له المجرّبات.

﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ جاء في قذف المحصنات. قبل هذا الاستثناء بالتوبة[٣]، وفي هذه الآية لم يجيء استثناء. ويناسب أن تكون هذه الآية كما قيل: [نزلت] في مشركي مكة؛ كانت المرأة إذا خرجت المدينة مهاجرةً، قذفوها، وقالوا: خرجت لتفجر. قاله أبو حمزة اليمامي، ويؤيده قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾. [والناصب «ليوم تشهد» ما تعلّق به الجارّ والمجرور وهو «ولهم»].

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ﴾ يوم: بدل من «يوم» والتنوين في إذ للعوض في الجملة المحذوفة والتقدير: يوم إذ تشهد عليهم]. والدين هنا: الجزاء أي: جزاء أعمالهم.

الخبيث: من يكتم في قلبه إذاية الناس حتى يمكر بهم.

---

(١) انظر البخاري ٤: ١٧٨٢.

(٢) ق: خلف أبو بكر.

(٣) انظر الآيتين ٤، ٥ من السورة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة للطيبين والطيبات. والضمير في «يقولون عائد على ذوي الخبث.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال، لا أحبّ أحداً يراني عليها، فلا يزال حتى يدخل عليّ رجل من أهلي، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[1] الآية، فقال أبو بكر بعد نزولها: يا رسول الله أرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن[2]؟ فنزل ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ

---

(١) أسباب النزول ص٢١٩. ولباب النقول ص١٥٨.

(٢) ق: مساكن.

جُنَاحٌ ﴿٢٩﴾ [النور]. ومناسبتها لما قبلها هو أنّ أهل الإفك إنما وجدوا السبيل إلى بهتانهم من حيث اتّفقت الخلوة، فصارت كأنها طريق للتّهمة، فأوجب الله تعالى ألاّ يدخل المرء بيت غيره إلا بعد الاستئذان والسّلام، لأنّ في الدخول على غير هذا الوجه وقوع التّهمة. وفي ذلك من المضرّة ما لا خفاء فيه.

والظاهر أنه يجوز للإنسان أن يدخل بيت نفسه بغير استئذان ولا سلام لقوله «غير بيوتكم». ويروى[١] «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أستأذن على أمي؟ قال: نعم. قال: ليس لها خادم غيري، أستأذن عليها كلما دخلتُ؟. قال: أتحبّ أن تراها عريانة؟. قال الرجل: لا. قال: فاستأذن».

وغيّا النّهي عن الدخول بالاستئناس والسلام[٢] على أهل تلك البيوت.

والظاهر أن الاستئناس هو خلاف الاستيحاش.

﴿غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ هي الفنادق التي في طرق[٣] المسافرين، وقيل: الخِرَب التي تُدخَل [٣٩٩/ب] للتبرّز[٤]، [وقيل]: الرُّبُط، [وقيل]: حوانيت البيّاعين. والمتاع: المنفعة كالاستكنان من الحرّ والبرد وإيواء الرّحال[٥] والسِّلَع والشراء والبيع وغير ذلك.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا﴾ الآية، تقدّم مثل هذا التركيب في قوله تعالى

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ١٨ : ٨٨ عن عطاء بن يسار.

(٢) غيّاه بالاستئناس والسلام: أي ربطه بهما.

(٣) ق: الطرق.

(٤) ق: للتبرد.

(٥) ق: وأبو الرجال.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم]. و«مِن» لابتداء الغاية.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: غض البصر وحفظ الفرج أطهر لهم.

﴿خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ من إجالة النظر وانكشاف العورات، فيجازي على ذلك.

والمؤمنات: عامّ في الزوجات والمملوكات.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهي الكحل والخضاب والخاتم.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الخُمُر: جمع خمار وهو المِقْنعة التي تلقي المرأة على رأسها[1]، وهو جمع كثرة مقيس، ويجمع في القلّة على أخمرة وهو مقيس فيه أيضاً. وقال[2]: [من الرمل]

وتـرى الشَّجْـراء فـي رَيِّقِـه كرؤوسٍ قُطّعتْ فيها الخُمُرْ

وكان النساء يغطين رؤوسهن بالأخمرة ويُسْدِلْنَها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر عليهنّ. وضمّن «وليضربن» معنى: وليضعن وليلقين، فلذلك عدّاه بعلى. وبدأ تعالى بالأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزّينة، ثم ثنّى بالمحارم وسوّى بينهم في إبداء الزّينة ولكن تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب [ما في نفوس] البشر؛ فالأب والأخ ليسا[3] كابن الزّوج، فقد يُبدَى للأب ما لا يُبدَى لابن الزّوج. ولم يذكر تعالى هنا العمّ ولا الخال، وقال الحسن: هما كسائر المحارم في جواز

---

(١) ق: نفسها.

(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٤٥.

(٣) ق: ليس.

النّظر.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ مخصوص بمن كان على دينهنّ، قال ابن عباس: ليس للمسلمة أن تتجرّد بين نساء أهل الذّمة، ولا تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجانب إلا أن تكون أَمَةً لقوله تعالى ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾. وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن امنع نساء أهل الذمّة[1] من دخول الحمّام مع المؤمنات.

والظاهر العموم في قوله «أو ما ملكت أيمانهن» فيشمل الذكور والإناث، فيجوز للعبد أن ينظر من سيّدته ما ينظر أولئك المستثنَوْن، وهو مذهب عائشة وأم سلمة.

وقال سعيد بن المسيّب: لا تغرّنكم آية النور، فإن المراد بها الإماء.

قال الزمخشري[2]: وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها، خصيًّا كان أو فحلاً.

وعن ميسون بنت بحدل الكلابية[3]، أن معاوية دخل عليها ومعه خصيّ، فتقنّعت منه، فقال: هو خصيّ. فقالت: يا معاوية، أترى المُثْلة تحلّل ما حرّم الله؟.

وعن أبي حنيفة رحمه الله: لا يحلّ إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم، ولم يُنقل [عن] أحد من السّلف إمساكهم [انتهى].

---

(١) ق: نساء دخول أهل الذّمة.

(٢) الكشاف ٣: ٦٢.

(٣) ق: الكلامية.

و«الإربة» الحاجة إلى الوطء، لأنهم[1] بُلْه لا يعرفون شيئاً من أمر النّساء. ويدخل في هذه الصيغة المجنون والمعتوه والمخنّث والشيخ الفاني والزّمِن الموقوذ[2] بزمانته.

وقَسّم التابعين غير أولي الحاجة للوطء [٤٠٠/أ] إلى قسمين: رجال وأطفال.

والمفرد المحلّى بأل يكون للجنس فيعمّ، ولذلك وصف بالجمع في قوله ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾ ومن ذلك قول العرب: أهلك الناس الدينار الصُّفْر والدّرهم البِيْض، يريد: الدنانير والدراهم. فكأنه قال: والأطفال ﴿ٱلطِّفْلِ﴾ ما لم يراهق الحلم.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها[3]، فيُعلم أنها ذات خلخال. وزعم حضرمي أنّ امرأة اتّخذت خلخالاً من فضّة واتخذت جَزْعاً[4] فجعلته في ساقها، فمرّت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجَزْع فصوّت، فنزلت[5] هذه الآية.

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لمّا سبقت منه تعالى أوامر ومناهٍ، وكان الإنسان لا يكاد يقدر على مراعاتها دائماً، وإن ضبط نفسه، واجتهد، فلا بدّ من تقصير - أَمَرَ

---

(١) ق: لأنهنّ.

(٢) ق: المقود. والزّمِن: المبتلى بآفة. والموقوذ بزمانته: الغالب عليه آفته.

(٣) أي يصوّت عند التّحرك.

(٤) الجَزْع: الخرز اليماني.

(٥) لباب النقول ص١٥٩.

بالتّوبة وترجّي الفلاح إذا تابوا. وعن ابن عباس: توبوا ممّا كنتم تفعلونه في الجاهلية [لعلكم] تسعدون في الدنيا والآخرة.

وقرىء: أيهُ المؤمنون. و﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴿٤٩﴾﴾ [الزخرف] و﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن]. أصل ها للتنبيه، ضُمّت لضم الياء قبلها إتباعاً، وضمّها لغة لبني مالك رهط شقيق بن سلمة.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ الآية، لمّا تقدّمت أوامر ونواهٍ في غضّ البصر وحفظ الفرج وإخفاء الزّينة وغير ذلك، [قال بعده «وأنكحوا»]. والظاهر أن الأمر في «وأنكحوا» للوجوب، وبه قال أهل الظاهر، وأكثر العلماء على أنه[1] للنّدب. وتقدّم في المفردات[2] أن الأيّم من لا زوج له من ذكر أو أنثى ووزنه فَيْعِل، يقال منه: آم يئيم، وقال[3]: [من م. الكامل]

(١) ق: أنها.

(٢) يعني في شرح مفردات الآية في البحر، انظر ٦: ٤٤٣.

(٣) البيت في اللسان «أيم» منسوب إلى يزيد بن الحكم الثقفي.

كل امرىءٍ سَتَئِيم منـ ـه العِرْس أو منها يئيم[١]

﴿وَإِمَآئِكُمْۚ﴾ جمع أَمَة، أصله: أَمَوَه[٢]، حذفت منه لام الكلمة وهي الواو.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ أي: ليجتهد في العفّة وصون النّفس، وهو استفعل، بمعنى طلب العفّة من نفسه وحملها عليها. وجاء الفكّ على لغة الحجاز.

﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ قيل: النكاح هو اسم لما يُمهر به، وينفق في الزواج، كاللّحاف واللباس: لما يُلتَحَف به ويُلْبَس. أَمَر أوّلاً بما يعصم عن الفتنة[٣] ويُبعد عن مواقعة العصيان، وهو غضّ البصر، ثم بالنّكاح الذي يُحصَن به الدّين، ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام، ثم بالحمل على النّفس الأمّارة بالسّوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوات عند العجز عن النكاح إلى أن يُرزق القدرة [عليه][٤]. ولما حث السّادة[٥] على تزويج الصالحين من العبيد والإماء، رغّبهم في أن يكاتبوهم إذا طلبوا ذلك، ليصيروا أحراراً، فيتصرفوا[٦] في أنفسهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: المكاتبة كالعتاب والمعاتبة.

﴿مِمَّا مَلَكَتْ﴾ يعمّ المماليك الذكور والإناث. «والذين» يحتمل أن يكون مبتدأ خبره الجملة والفاء دخلت في الخبر لما تضمّن الموصول من معنى

(١) ق: كل أمر سايم.. منها بايم.

(٢) ق: أومه.

(٣) ق: الغيبة.

(٤) نهاية كلام للزمخشري ابتدأ بقوله: أمر أولاً. انظر الكشاف ٣: ٦٥.

(٥) ق: ولمّا بعث السيد.

(٦) ق: فينصرفون.

اسم الشرط. والخير: المال، قاله ابن عباس.

﴿وَءَاتُوهُم﴾ أمر للمكاتِبين.

﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ﴾ لا [٤٠٠/ب] يدلّ على مقدار معيّن من المال.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ في صحيح مسلم[١] عن جابر أنّ عبد الله بن أبيّ كان له ستّ جوارٍ: معاذة ومُسَيكة وأميمة وعَمْرة وأروى وقُتَيلة، جاءت إحداهنّ ذات يوم بدينار وأخرى ببُرْد. فقال لهما: ارجعا فازنيا. فقالتا: والله لا نفعل ذلك، قد جاءنا الله تعالى بالإسلام، وحرّم الزّنى. فأتتا رسول الله ﷺ وَشَكَتَا[٢] ذلك فنزلت. والفتاة: المملوكة. وهذا خطاب للجميع، ويؤكد أن يكون «وآتوهم» خطاباً للجميع.

والنّهي عن الإكراه على الزّنى مشروط[٣] بإرادة التّعفف منهن، لأنه لا يمكن الإكراه إلا مع إرادة التّحصن، أما إذا كانت مريدة الزّنى فإنه لا يُتصوّر الإكراه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جواب للشرط. والصحيح أن التقدير: غفور رحيم لهم، ليكون جواب الشرط فيه[٤] ضمير يعود على [«مَنْ»] الذي هو اسم الشرط، ويكون ذلك مشروطاً بالتوبة.

ولمّا غفل الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء[٥] عن هذا الحكم قدّروا: فإن الله غفور رحيم لهنّ، أي: للمكرهات، فعريت جملة جواب الشرط من

---

(١) ٤: ٢٣٢٠، بألفاظ مختلفة. وانظر أسباب النزول ص٢٢٠.

(٢) ق: وشكيا.

(٣) ق: عن الزّنى شروط.

(٤) ق: مَن.

(٥) إملاء ٢: ١٥٦.

ضمير يعود على اسم] الشرط.

﴿وَمَثَلًا﴾ أي: قصة غريبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم في براءتهما.

وقال [الضّحاك]: المراد بالمثل ما في التوراة والإنجيل من إقامة الحدود وأنزل في القرآن مثله. «وموعظة» أي: ما وعظ به في الآيات. والمَثَل من نحو قوله ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ۝٢﴾ [النور]، ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ۝١٢﴾ [النور]، ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ۝١٧﴾ [النور]. وخصّ المتقين، لأنهم المنتفعون بالموعظة.

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾.

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ الآية، النور: الضوء المُدْرَك بالبصر، وإسناده إلى الله تعالى مجاز كما تقول: زيد كَرَمٌ. وإسناده على اعتبارين: إما على أنه بمعنى اسم الفاعل أي: منوِّر السماوات والأرض، وإمّا على حذف مضاف أي: ذو نور، ويؤيّده قوله «مثل نوره». وأضاف النور إلى السماوات والارض للدلالة على سعة إشراقه وفشوّ إضاءته حتى تضيء له السماوات والأرض.

المشكاة: الكوّة غير النافذة، قال الكلبي: وهو حبشي معرّب. وهو على

حذف مضاف أي: صفة نوره[1] كنور مشكاة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المصباح: آلة يستصبح بها، كالمفتاح: آلة للفتح. وقال أبو موسى: المشكاة: الحديدة والرّصاصة التي يكون فيها الفتيل في جوف الزّجاجة. والزّجاجة ظرف للمصباح لقوله ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾.

﴿كَأَنَّهَا﴾ أي: كأن الزّجاجة لصفاء جوهرها وذاتها وهي أبلغ في الإنارة، أو لما احتوت عليه من نور المصباح كأنها كوكب درّي. قرىء: دُرّيّ، بضم الدال وتشديد الياء نسبة إلى الدّر لصفائه. وقرىء: دُرِيْء، بالهمز على وزن مُريق. وقرىء: دِريء، بكسر الدّال والهمز، وهما مشتقان من درأ أي: دفع، كأنّهما يدفعان الظّلمة. وقرىء: يوقد، أي: المصباح. وتوقد[2]، بالتاء أي: الزجاجة، ونسب الاتّقاد إليها لتوقّد[3] المصباح فيها.

﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي: من زيت شجرة. ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾ قيل: بارك فيها سبعون نبيًا [٤٠١/أ] منهم إبراهيم عليه السلام. والزّيتون من أعظم الشجر ثمراً[4]. و﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدل من «شجرة».

وأجاز الكوفيون والفارسي أن يكون عطف بيان، ولا يجيز البصريون ذلك، لأنهم شرطوا في عطف البيان أن يكون معرفة لمعرفة.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ هي من شجر الشام، فليست من شرق الأرض ولا من غربها لأن شجر الشام أفضل الشجر.

---

(١) ق: نور.

(٢) قبلها في ق: وتوقد أي المصباح.

(٣) عبارة ق: ونسب أي الإيقاد إليها يتوقد.

(٤) ق: تمر.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ مبالغة في صفاء الزيت، وأنه لإشراقه وجودته يكاد يضيء من غير نار. والجملة من قوله ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ حالية معطوفة على حال محذوفة، أي: يكاد زيتها يضيء في كل حال، ولو في هذه الحال التي تقتضي أنه لا يضيء لانتفاء مسّ النّار له.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي: متضاعف تعاون عليه المشكاة والزّجاجة والمصباح والزيت، فلم يبق مما يقوّي ويزيده إشراقاً شيء، لأن المصباح إذا كان في مكان ضيّق كان أجمع لنوره، بخلاف المكان الواسع فإنه ينشر[1] النّور، والقنديل أعون شيء على زيادة النّور، وكذلك الزيت وصفاؤه، وهنا تمّ المثال.

وما أحسن ما جاء في التركيب في قوله تعالى ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ حيث ذكر المصباح مرتين: نكرة ومعرفة، وكذلك في قوله «الزّجاجة» ذكرها نكرة ومعرفة، فدلّ ذلك على تفخيم هذا التركيب وحُسْنه، ولو كان في غير القرآن لاكتفى بقوله: كمصباح في مشكاة في زجاجة. وهذا التشبيه كله إنما جاء باعتبار ما يتخيله الناس [من انتشار هذا النور، وإلاّ فالنور المنسوب إلى الله أعظم من كل نور يُتخيل]. ولقد أحسن أبو تمام في قوله، وقد مدح ملكاً، فشبّهه بعمرو في إقدامه، وحاتم في كرمه، وأحنف في حلمه، وإياس في ذكائه فقال[2]: [من الكامل]

إقدام عمروٍ في سماحة حاتم   في حِلْم أحنفَ في ذكاء إياسِ

---

(١) ق: تيسر.

(٢) ديوانه ٢: ٢٤٩.

فقيل له: شبّهتَ هذا الملك بأجلاف من العرب. فقال مرتجلاً[1]:

لا تنكروا ضربي له مَن دونه ... مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقلّ لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

[من الكامل]

والنبراس: المصباح.

ثم قال: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ أي: بهداه. ﴿مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ويصطفيه لها. ثم ذكر تعالى أنه يضرب الأمثال لتقع لهم العبرة والنظر المؤدّي إلى الإيمان.

﴿فِى بُيُوتٍ﴾ الظاهر أن يتعلق «في بيوت» بقوله «يسبّح». وإن ارتباط هذه بما قبلها هو أنه تعالى لمّا ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء، ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المؤمنون. ثم ذكر أشرف عباداتهم القلبية، وهو تنزيههم الله تعالى عن النقائص وإظهار ذلك بالتلفّظ به في مساجد الجماعات. ثم ذكر سائر أوصافهم من التزام ذكر الله تعالى، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وخوفهم ما يكون في البعث. ولذلك جاء مقابل المؤمنين وهم الكفّار في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴿٣٩﴾﴾ [النور] [٤٠١/ب] وكأنه لمّا ذكرت الهداية للنّور، جاء التقسيم[2] لقابل الهداية وعدم قابلها فبدىء بالمؤمن[3] وما تأثّر به من أنواع الهدى، ثم ذكر الكافر.

وقرىء: يُسبِّح، بكسر الباء، و«رجال» فاعل. وقرىء بفتح الباء، و«رجال» فاعل بفعل محذوف؛ لما قال «يسبح له» قيل[4]: من يسبّحه؟

---

(١) ديوانه ٢: ٢٥٠.

(٢) ق: القسيم.

(٣) ق: بالمؤمنين.

(٤) ق: قدر.

فقيل «رجال»، وحذف لدلالة «يسبّح» عليه. و«فيها» بدل من قوله «في بيوت».

ثم ذكر تعالى وصف المسبّحين [بأنهم] لمراقبتهم أمر الله تعالى، وطلبهم رضاه، لا يشتغلون عن ذكر الله. واحتمل قوله «لا تلهيهم» وجهين: أحدهما أنهم لا تجارة لهم تلهيهم عن ذكر الله كقوله[1]: [من الطويل]

على لاحبٍ لا يُهتَدى بمناره [إذا سافَهُ العَوْدُ النَّباطيُّ جَرْجَرا]

أي: لا منار له فيُهتدى به. والثاني أنهم ذوو تجارة وبيّع ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله تعالى وعمّا فرض عليهم.

واللام في «ليجزيهم» معلقة بمحذوف تقديره: فعلوا ذلك ليجزيهم.

﴿أَحْسَنَ﴾ هو على حذف مضاف أي: ثواب أحسن ما عملوا. و«ما» في ﴿مَا عَمِلُوا۟﴾ يحتمل أن تكون موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف تقديره: عملوه، واحتمل أن تكون مصدرية أي: أحسن عملهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى حال المؤمنين، ذكر حال الكافرين، فمثّل لهم ولأعمالهم مَثَلين: أحدهما بُطْل أعمالهم في الآخرة وأنهم لا ينتفعون بها، والثاني يقتضي حالها في الدنيا من ارتباكها في

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٦٦.

الضلال والظّلمة. شبّه أولاً أعمالهم في اضمحلالها وفقدان ثمرتها بسراب في مكان منخفض، ظنّه العطشان ماءً، فقصده، وأتعب نفسه في الوصول إليه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ أي: جاء موضعه الذي تخيّله فيه.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: فقده، لأنه مع الدنوّ لا يرى شيئاً، كذلك الكافر يظن أن عمله في الدنيا نافعُهُ حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم ينفعه عمله، بل صار وبالاً عليه. والقيعة: المكان المنخفض من الأرض وجمعها قيعان.

و﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ العطشان. والسراب: الضّباب المنعقد كأنه سحاب، وهو لا حقيقة له.

والظاهر أنه تعالى شبّه أعمالهم في عدم انتفاعهم بها بسراب، صفته كذا، وأن الضمائر في ما بعد «الظمآن» له.

والمعنى في ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: ووجد مقدور الله عليه من هلاك بالظمأ. «عنده» أي: عند موضع السراب.

﴿فَوَفَّىٰهُ﴾ ما كتب له من ذلك، وهو المحسوب له والله تعالى معجّل حسابه لا يؤخّره عنه. فيكون الكلام متناسقاً[1] آخذاً بعضه بعنق بعض، وذلك باتّصال الضمائر لشيء[2] واحد. ويكون هذا التشبيه مطابقاً لأعمالهم من حيث إنهم اعتقدوها نافعة، فلم تنفعهم. وحصل لهم الهلاك بأثر ما حوسبوا.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ التشبيه الثاني لأعمالهم. فالأول فيما [٤٠٢/أ] تؤول إليه أعمالهم في الآخرة، وهذا الثاني فيما هم عليه في حال الدنيا. وبدأ بالتشبيه

(١) ق: مستأنفاً. وفيه وجه.

(٢) ق: كشيء.

الأول لأنه آكد في الإخبار، لما فيه من ذكر ما يؤول إليه أمرهم من العقاب الدائم والعذاب السّرمد، ثم أتبعه بهذا التمثيل الذي نبّههم[1] على ما هي أعمالهم عليه، لعلهم يرجعون إلى الإيمان، ويفكّرون في نور الله تعالى الذي جاء به الرسول عليه السلام.

وقرىء: سحابُ ظلماتٍ، على الإضافة. وسحابٌ، منوّناً، ظلماتٍ، مجرور بدلاً[2] من «ظلمات» المتقدمة، يكون «بعضها فوق بعض» مبتدأ وخبراً في موضع الصّفة «لظلمات».

وقرىء: سحابٌ، منوّناً، ظلماتٌ، منوّناً بدلاً من قوله «سحاب». والضمير في «يده» عائد على محذوف تقديره: إذا أخرج من استقرّ في الظلمات يده «لم يكد يراها» أي: لم يُقارب رؤيتَها لتكاثفِ الظُّلمة، وإذا انتفت المقاربة، انتفت الرؤية.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦)﴾.

---

(١) ق: ينهم.

(٢) ق: بدل. وكذا في الموضع التالي بعد سطرين.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية، لما ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر، وأن الإيمان والضلال أمرهما راجع إليه، أعقب بذكر الدلائل على قدرته وتوحيده. والظاهر حَمْل التسبيح على حقيقته وتخصيص «مَن» في قوله: ومن في الأرض، بالمطيع لله من الثَّقلين. وقيل «مَن» عامّ لكلّ موجود، وغلّب من يعقل على ما لا يعقل فأدرج ما لا يعقل فيه.

ولما ذكر انقياد من في السماوات والأرض والطير إليه تعالى، وذكر ملكه لهذا العالم وصيرورتهم إليه، أكّد ذلك بشيء عجيب من أفعاله مشعراً بانتقال من حال إلى حال، وكان عقب قوله ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ فأعلم بانتقال إلى معاد، فعطف عليه ما يدلّ على تصرّفه في نقل الأشياء من حال إلى حال.

ومعنى ﴿ يُزْجِي ﴾ يسوق قليلاً [قليلاً] ويستعمل في سَوْق الثقيل برفق كالسحاب والإبل. والسحاب اسم جنس واحده سحابة. والمعنى: يسوق سحابة إلى سحابة.

﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾ أي: بين أجزائه سحابة تتصل بسحابة[1]، فيجعل ذلك ملتئماً بتأليف بعضه إلى بعض، فيجعله ركاماً أي: متكاثفاً، يجعل بعضه على بعض.

﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾ أي: المطر لتراكم السحاب بعضه على بعض وانعصاره بذلك.

﴿ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ أي: [من] فُتُوقِه ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار. والخِلال: قيل مفرد، وقيل جمع خَلَل، كجبال وجبل.

والظاهر أن في السّماء جبالاً من بَرَد، قاله مجاهد والكلبي وأكثر المفسرين، خلقها الله تعالى كما خلق في الأرض جبالاً من حجر. و«جبال»

(١) ق: لأنه سحابه يتصل سحابه.

على معنى الكثرة.

وقرىء: سنا، مقصوراً، برقه، مفرداً. وقرىء: سناء، ممدوداً، بُرَقه، بضم الباء وفتح الراء جمع بُرْقة كاللُّقمة، وهي المقدار من البرق. «يذهب بالأبصار» الباء [٤٠٢/ب] للتعدية تقديره: يُذهب الأبصار.

﴿كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ والظاهر أنّ «من ماء» متعلق «بخلق» و«مِن» لابتداء الغاية، أي: ابتداء خلقها من الماء. واندرج في «كل دابة» المميّز وغيره فسهل التفصيل «بمَنْ» التي لمن يعقل وما لا يعقل، إذا كان مندرجاً في العامّ، فحكم له بحكمه، كأن الدوابّ كلهم مميّزون. والماشي على بطنه الحيّات والحوت ونحوه من الدّود وغيره.

و﴿عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ الإنسان والطير.

و﴿عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كسائر الحيوان الأرضي من البهائم وغيرها. فإن وُجد من [له] أكثر من أربع فقيل: اعتماده إنما هو على الأربع ولا يفتقر في مشيه إلى جميعها. وقدّم ما هو أغرب في القدرة وأعجب وهو الماشي بغير آلة مشي [على] مَن [له] رِجْل وقوائم، ثم على رجلين ثم على أربع.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ

ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا﴾ الآية، نزلت إلى قوله ﴿إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان] في المنافقين بسبب منافق اسمه بشر، دعاه يهودي في خصومة بينهما إلى رسول الله ﷺ، ودعا هو إلى كعب بن الأشرف فنزلت[1].

ولمّا ذكر تعالى دلائل التوحيد أتبع ذلك بذمّ قوم آمنوا بألسنتهم دون عقائدهم.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُم﴾ عن الإيمان. [﴿مِّنۢ﴾] بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ أي: بعد قولهم «آمنا». ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى القائلين، فينتفي عن جميعهم الإيمان، أو إلى الفريق المتولّي، فيكون ما سبق لهم من الإيمان ليس إيماناً، إنما كان ادّعاءً باللسان من غير مواطأة بالقلب.

وأفرد الضمير في «ليحكم»[2] وقد تقدم قوله «إلى الله ورسوله» لأن حكم الرسول عن الله تعالى.

وقسمَ تعالى جهات تولّيهم عن حكومته فقال ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: نفاق وعدم إخلاص.

﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ أي: عرضت لهم الرّيبة والشّك في نبوّته بعد أن كانوا مخلصين.

﴿أَمۡ يَخَافُونَ﴾ أي: يعرض لهم الخوف من الحَيْف في الحكومة فيكون ذلك ظلماً لهم. ثم استدرك «ببل» أنهم الظّالمون.

---

(١) أسباب النزول ص ٢٢١.

(٢) ق: ويحكم.

﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ﴾ لمّا بلغ المنافقين ما أنزل الله تعالى فيهم إلى الرسول عليه السلام وأقسموا إلى آخره. أي ليخرجُنّ عن ديارهم وأموالهم ونسائهم، أو لئن أمرتهم بالجهاد ليخرجُنّ. وتقدّم الكلام في «جهد أيمانهم» في الأنعام[1] . ونهاهم تعالى عن قَسَمهم لعلمه تعالى أنه ليس حقاً. و«طاعة» مبتدأ، و«معروفة» صفة، والخبر محذوف أي: أمثل وأولى. أو خبر مبتدأ محذوف أي: أمْرُنا، أو المطلوب طاعة معروفة.

﴿ فَإِن[2] تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ﴾ أي: على الرسول. ﴿ مَا حُمِّلَ ﴾ وهو التبليغ ومكافحة الناس بالرّسالة وإعمال الجهد في إنذارهم. ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ وهو السّمع والطاعة واتّباع الحق. ثم علّق هدايتهم على طاعته فلا تقع إلا بطاعته.

﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ [٤٠٣/أ] إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ تقدّم الكلام على مثل هذه الجملة في المائدة[3].

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾.

---

(١) انظر تفسير الآية ١٠٩ من الأنعام.

(٢) قبلها في ق: فإن تولّو أي.

(٣) انظر تفسير الآية ٩٢ من المائدة.

والخطاب في ﴿مِنكُمْ﴾ للرسول عليه السلام وأتباعه. و«مِن» للبيان أي: الذين هم أنتم. وعد الله أن ينصر الإسلام على الكفر، ويورثهم الأرض، ويجعلهم خلفاء.

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: بني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة. واللام في «ليستخلفنهم» جواب قسم محذوف أي: وأقسم ليستخلفنّهم، أو أجري وعد الله، لتحقّقة، مجرى القسم، فجووب بما يجاب به القسم. وعلى تقدير حذف القسم يكون معمول «وعد» محذوفاً تقديره: استخلافكم وتمكين[1] دينكم ودلّ عليه جواب القسم المحذوف.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ أي: يثبته ويوطده بإظهاره[2] وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله.

و﴿الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ صفة مدح جليلة.

وقد بلغت هذه الأمة في تمكين هذا الدين الغاية القصوى بما أظهر الله تعالى على أيديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا فيها جميع العالم من لدن آدم عليه السلام إلى زمان هذه الملّة المحمّدية.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ قال صاحب النظم: لايحتمل أن يكون[3] «ومأواهم» متصلاً بقوله «لا تحسبن» ذلك نهي وهذا إيجاب، فهو إذاً معطوف بالواو على مضمر قبله تقديره: لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض بل هم مقهورون ومأواهم النار [انتهى].

---

(١) ق: وتمكّن.

(٢) ق: بإظهار.

(٣) ق: لاتحتمل أن تكون.

واستبعد العطف من حيث إن «لا تحسبن[1]» نهي و«مأواهم» جملة خبرية، فلم يناسب عنده أن تعطف الجملة الخبرية على جملة النهي لتباينهما[2]، وهذا مذهب قوم.

ولمّا أحسّ الزمخشري بهذا قال[3]: كأنه قيل: الذين كفروا لا يفوتون[4] الله.

فتأول جملة النهي بجملة خبرية حتى تقع المناسبة.

والصحيح ان ذلك لا يشترط، بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضها على بعض، وإن لم تتّحد في النّوعية، وهو مذهب سيبويه.

قال الزمخشري[5]: يكون الأصل: لا يحسبنّهم الذين كفروا معجزين. ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول، وكأن الذي سوّغ ذلك أن الفاعل والمفعولَيْن لمّا كانت لشيء[6] واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث انتهى.

قد رددنا هذا التخريج في أواخر [آل] عمران في قوله ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا ﴿١٨٨﴾﴾ في قراءة من قرأ بياء الغيبة، وجعل الفاعل «الذين يفرحون».

وملخّصه أن هذا ليس من الضمائر التي يفسّرها ما بعدها، فلا يتقدر: لا

(١) ق: يحسبنّ.
(٢) ق: كتباينهما.
(٣) الكشاف ٣: ٧٤.
(٤) ق: للذين كفروا لا يقولون الله.
(٥) الكشاف ٣: ٧٤.
(٦) ق: كالشيء.

تحسبنّهم؛ إذ لايجوز: ظنّه زيد قائماً[١]، على تقدير رَفعِ زيد بظَنّه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ الآية، روي[٢] أن عمر بعث إليه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له مدلج، وكان نائماً، فدقّ الباب، ودخل، فاستيقظ [٤٠٣/ب] وجلس، فانكشف منه شيء، فقال عمر: وددتُ أن الله تعالى [نهى] أبناءنا[٣] ونساءنا عن الدخول علينا في هذه الساعة إلا بإذن. ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ، فوجد هذه الآية قد نزلت، فخرّ ساجداً لله تعالى.

و«ليستأذنكم» أمرٌ، والظاهر حمله على الوجوب وقيل على النّدب. والظاهر عموم «الذين ملكت أيمانكم» في العبيد والإماء والظاهر من قوله «ثلاث مرات» ثلاثة استئذانات، ويؤيّده قوله عليه السلام «الاستئذان ثلاث»[٤].

---

(١) ق: ظنّه زيد فيك قائماً.

(٢) أسباب النزول ص ٢٢٢.

(٣) ق: أنبانا.

(٤) صحيح الجامع الصغير ٢: ٤٠٩. وانظر البخاري ٥: ٢٣٠.

﴿مِن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرح ما يُنام فيه من الثياب، ولبس ثياب اليقظة، وقد ينكشف النائم.

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ لأنه [وقت] وضع الثياب للقائلة، لأنّ النهار إذ ذاك يشتدّ حرّه في ذلك الوقت.

﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ﴾ لأنه وقت التجرّد من ثياب اليقظة، والالتحاف بثياب[1] النوم.

﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾ سمّى كل واحدة منها عورة، لأن الناس يختلّ[2] تستّرهم وتحفّظهم فيها. والعورة: الخلل، ومنه أَعْوَرَ الفارسُ[3] وأعور المكان، والأعور: المختلّ العين.

وقرىء: ثلاث، بالرفع، أي: تلك. وقرىء بالنصب.

وقرأ الأعمش: عَوَرات، بفتح الواو وهي لغة تميم وهذيل بن مدركة.

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ أي: يمضون ويجيئون. وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم طوّافون، أي: المماليك والصّغار طوّافون عليكم، أي: يدخلون عليكم المنازل غدوة وعشيّة بغير إذن إلاّ في تلك الأوقات.

«كذلك» الإشارة إلى ما تقدّم ذكره من استئذان المماليك وغير البُلّغ.

ولمّا أمر تعالى النساء بالتحفّظ من الرجال والأطفال غير البلّغ في الأوقات التي هي [مظنّة] كشف عورتهنّ، استثنى القواعد من النساء اللاتي كبرن،

---

(١) ق: ثياب.

(٢) ق: تحيل.

(٣) أعور الفارس: إذا بدا فيه موضع فيه خلل للضرب. والمكان: انكشف.

وقعدن عن الميل إليهن والافتتان بهن، فقال «والقواعد» وهو جمع قاعد من صفات الإناث.

وقال ابن السكّيت: امرأة قاعد: قعدت عن الحيض.

وقال ابن قتيبة: سمّين بذلك لأنهن بعد الكبر يكثرن القعود.

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١) ﴾.

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ عن ابن عباس: لمّا نزل ﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ (٢٩) ﴾ [النساء] تحرّج المسلمون عن مؤاكلة الأعمى لأنه لا يبصر موضع الطعام الطيّب، والأعرج لأنه لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض [لأنه] لا يستطيع استيفاء الطعام، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قيل: وتحرّجوا[2] عن أكل [طعام] القرابات، فنزلت مبيحة جميع هذه المطاعم، ومبيّنة أن تلك إنّما هي في التّعدي والقمار وما يأكله المؤمن من مال من يكره أهله.

---

(١) أسباب النزول ص٢٢٣.

(٢) ق: ويخرجوا.

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ قيل: الزّمنى ملكوا التصرّف في البيوت التي سلّمت إليهم مفاتيحها. وقيل: وليّ اليتيم يتناول من ماله بقدر ما قال تعالى ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۝٦﴾ [النساء] ومفاتيحه بيده.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [٤٠٤/أ] قرن الله تعالى الصديق بالقرابة المحضة. قيل لبعضهم: من أحبّ[1] إليك أخوك أم صديقك؟ فقال: لا أحبّ أخي إلاّ إذا كان صديقي!.

وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة، ألا ترى استغاثة الجهنّميين ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء] ولم يستغيثوا بالآباء والأمّهات.

وانتصب ﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ على الحال، أي: مجتمعين أو متفرقين. ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾.

قال ابن عباس: المساجد، فسلّموا على من فيها، فإن لم يكن فيها أحد قال: السّلام على رسول الله. وقيل: يقول: السلام عليكم: يعني الملائكة، ثم يقول[2]: السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وقيل: فإذا دخلتم بيوتاً من هذه البيوت، لتأكلوا فيها، فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين [هم] منكم ديناً وقرابة.

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: ثابتة بأمره مشروعة من لدنه. وانتصب «تحية» لقوله[3] «فسلموا» لأن معناه: فحيّوا، كقولك: قعدت جلوساً.

---

(١) ق: أحبك.

(٢) ق: تقول.

(٣) ق: فقوله.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية، لمّا افتتح السورة بقوله ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا ﴿١﴾﴾ [النور] وذكر أنواعاً من الأوامر والحدود ممّا أنزله على رسوله عليه السلام، اختتمها بما يجب له عليه السّلام على أمّته من التتابع والتشايع على ما فيه مصلحة الإسلام، ومِن طلب استئذانه إن عرض لأحدٍ منهم عارض، ومن توقيره في دعائهم إياه. و«المؤمنون» مبتدأ، والموصول خبره وهو قوله «الذين آمنوا».

ومعنى ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ نحو مقاتلة عدوّ وتشاور في أمر مهمّ، أو تضامّ لإرهاب مخالف، يُحتاج فيه إلى اجتماع ذوي الآراء، فإذ ذاك لا يحلّ ذهاب أحد ممّن يُحتاج إليه إلا بعد استئذان رسول الله ﷺ. ولذلك غيّا الذهاب[1] بقوله «حتى يستأذنوه[2]» ثم أكّد الاستئذان بقوله «إن الذين يستأذنونك» بلفظ «إنّ» وبالإشارة في قوله [«أولئك»] وبالخبر بعده. ثم أمره تعالى بأن يأذن لمن استأذنه لبعض شأنه، وأمره باستغفار الله له على طاعته باستئذانه له.

(١) أي قيّده.

(٢) ق: يستأذنوك.

﴿لَا تَجْعَلُوا﴾ خطاب لمعاصري رسول الله ﷺ. لمّا كان التّداعي بالأسماء على عادة البداوة أُمروا بتوقير الرسول ﷺ بأن يَدْعوه بأحسن ما يُدعى به نحو: يا رسول الله، يا نبيّ الله، ألا ترى إلى بعض جُفاة من أسلم كان يقول: يا محمّد.

وفي قوله ﴿كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم﴾(١) إشارة إلى جواز ذلك مع بعضهم لبعض، إذ لم يؤمر بالتّوقير والتعظيم في دعائه عليه السّلام إلاّ من دعاه لا من دعا غيره، وكانوا يقولون(٢): يا أبا القاسم، يا محمد، فنُهوا عن ذلك.

ومعنى ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ ينصرفون قليلاً [قليلاً] عن الجماعة في خفية.

و﴿لِوَاذًا﴾ يلوذ بعضهم ببعض وهذا بذاك بحيث يدور معه حيث دار، استتاراً من رسول الله ﷺ.

و«لواذاً» [٤٠٤/ب] صحّت الواو فيه وإن كان قبلها كسرة لصحّتها في الفعل في قولهم: لاوذ، بخلاف: قام قياماً، فإنها اعتلّت في الفعل، فاعتلّت في مصدره.

وقيل: في حفر الخندق ينصرف المنافقون بغير إذن ويستأذن المؤمنون إذا عرضت لهم حاجة.

وخالف: يتعدى بنفسه، تقول: خالفت أمر زيد. وبإلى، تقول: خالفت إلى كذا. فقوله ﴿عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ ضمّن خالف معنى صدّ وأعرض، فعدّاه بعن. والضمير في «أمره» عائد على الرسول عليه السلام. وظاهر الأمر الوجوب،

---

(١) ق: بعضهم.

(٢) ق: غيره ويقولون.

ولذلك جعل في المخالفة إصابة الفتنة أو إصابة العذاب.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: من مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله عليه السلام. وفيه تهديد ووعيد. وأتى بالمضارع وهو «يعلم» كناية عن المجازاة. والظاهر أنّ الخطاب في «أنتم» للمنافقين ولغيرهم. و«ما» عامّة في الأعمال التي يعملها المكلّفون.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ «ويوم» قيل: معطوف على «ما» أي: عَلِم الذي أنتم عليه، وعَلِم يوم يرجعون إليه، فينبّئكم بما عملتم، فتعلّق علمه بالأمرين: حالاً وهو «ما أنتم عليه»، ومآلاً وهو «ويوم يُرجعون إليه». والتفت من ضمير المخاطب في «أنتم» إلى ضمير الغيبة في «يُرجعون».

سورة الفرقان(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا

---

(1) مكية وهي سبع وسبعون آية.

﴿يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الآية، هذه السورة مكية في قول الجمهور. وقال ابن عباس وقتادة: إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1]. ومناسبة هذه لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر من تعظيم رسول الله ﷺ في الاستئذان، وتوقيره عليه السلام في أن لا يكون دعاؤهم له عليه السلام كدعاء بعضهم بعضاً، بل بالإجلال والتعظيم والتوقير، ورتّب على مخالفة أمره إصابة الفتنة أو العذاب - ناسب افتتاح هذه السورة بتعظيمه عليه السلام بنسبته إليه، وإنزاله القرآن عليه، وجعله نذيراً للعالمين كلهم، وناسب قوله ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٦٤﴾﴾ [النور] قوله في هذه السورة ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢﴾﴾ [الفرقان] وتنزيهه تعالى عن الولد والشريك والضمير في «ليكون» عائد على «عبده» لأنه أقرب مذكور. و«الفرقان» القرآن.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ عامّ في الخلق.

﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ تقدير الأشياء هو حدّها بالأمكنة والأزمان والمقادير والمصلحة والإتقان[2].

والضمير في ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ عائد على ما يُفهم من سياق الكلام، لأنّ في قوله ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ [٤٠٥/ أ] وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ﴾ دلالة على ذلك إذا لم يُنْفَ إلا وقد قيل به. ويندرج في «واتخذوا» كلّ من ادّعى إلهاً غير الله ولا يختصّ

---

(١) الآيات ٦٨ - ٧٠.

(٢) ق: والإنفاق.

بذلك عُبّاد الأوثان ولا عُبّاد[1] [الكواكب].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ قال ابن عباس: هو النضر بن الحارث[2] وأتباعه. والإفك: أسوأ الكذب.

و﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ ﴾ قال مجاهد: قوم من اليهود ألقوا أخبار الأمم إليه. وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزّى، ويسار مولى العلاء[3] بن الحضرمي، وجبر مولى عامر. وكانوا كتابيين يقرؤون التوراة، أسلموا وكان الرسول عليه السلام يتعهّدهم.

والظاهر أن الضمير في «فقد جاءوا» عائد على «الذين كفروا» والمعنى أنّ هؤلاء الكفار وردوا ظلماً كما تقول: جئت المكان، فيكون جاء متعدّياً بنفسه. ويجوز أن يُحذف الجارّ أي: [جاؤوا] بظلم وزور، ويصل الفعل بنفسه.

﴿ ٱكۡتَتَبَهَا ﴾ أي: جمعها، من قولهم: كتب[4] الشيء أي: جمعه، أو من الكتابة أي: كتبها بيده، فيكون ذلك من جملة كذبهم عليه وهم يعلمون أنه لا يكتب شيئاً.

و﴿ أَسَٰطِيرُ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هو أو هذه أساطير، و«اكتتبها» خبر ثانٍ. و«أساطير» تقدّم الكلام عليه[5].

---

(١) ق: والإنفاق.

(٢) ق: النضر والحارث.

(٣) ق: وبشار مولى العلي.

(٤) ق: كتبت.

(٥) انظر تفسير الآية ٢٥ من الأنعام.

قال الزمخشري[١]: قرأ طلحة: اكتُتبها، مبنيًّا للمفعول والمعنى: اكتتبها كاتب له، لأنه أمّي[٢] لا يكتب بيده، وذلك من تمام[٣] إعجازه، ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار: اكتتبها إياه كاتب، كقوله ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ ﴾ [الأعراف] ثم بني الفعل للضمير الذي هو إياه، فانقلب مرفوعاً مستتراً بعد أن كان بارزاً منصوباً، وبقي ضمير الأساطير على حاله فصار «اكتتبها» كما ترى انتهى.

لا يصحّ ذلك على مذهب جمهور البصريين، لأنّ: اكتتبها له كاتب، وصل فيه اكتتب لمفعولين أحدهما مسرّح وهو ضمير الأساطير، والآخر مقيّد وهو ضميره عليه السلام، ثم اتسع في الفعل فحذف حرف الجر فصار: اكتتبها إياه كاتب. فإذا بني هذا للمفعول إنما ينوب عن الفاعل المفعول المسرّح لفظاً وتقديراً لا المسرّح لفظاً المقيّد تقديراً، فعلى هذا كان يكون التركيب: اكتتبته لا اكتتبها. وعلى هذا الذي قلناه جاء السّماع من العرب في هذا النّوع الذي أحد المفعولين فيه مسرّح لفظاً وتقديراً والآخر مسرّح لفظاً لا تقديراً، قال الفرزدق[٤]: [من الطويل]

ومنّا الذي اختير[٥] الرجال سماحةً وجوداً إذا هبَّ الرياحُ الزّعازعُ

ولو جاء على ما قرّره الزمخشري لجاء التركيب: ومنّا الذي اختيره الرجال، لأن اختار تعدّى إلى الرجال على إسقاط حرف الجر إذ تقديره:

---

(١) الكشاف ٣: ٨٢.

(٢) ق: أمّياً.

(٣) ق: إتمام.

(٤) ديوانه ١: ٤١٨.

(٥) ق: اختار.

اختير من الرجال.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ أي: كلّ سر خفيّ. وردّ عليهم بهذا وهو وصفه تعالى بالعلم، لأن هذا القرآن لم [٤٠٥/ب] يكن ليصدر إلا من عالم بكل المعلومات.

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ الضمير لكفار قريش وكانوا قد جمعهم والرسول [مجلس] مشهود ذكره ابن إسحاق في السّير، فقال عتبة وغيره: إن كنت تحبّ الرئاسة ولّيناك علينا، أو المال جمعنا لك. فلمّا أبى عليهم اجتمعوا عليه فقالوا[1]: مالك وأنت رسول من الله تأكل الطعام وتقف بالأسواق لا لتماس الرزق؟ سل ربك أن ينزل معك ملكاً ينذر معك، أو يلقي[2] عليك كنزاً تنفق منه، أو يردّ لك جبال مكة ذهباً، وتزال الجبال ويكون مكانها جنّات تطّرد[3] فيها المياه. وأشاعوا هذه المحاجّة فنزلت. وهذا استفهام يصحبه استهزاء.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر. [«فضلّوا» أي: أخطؤوا الطريق، فلا يجدون سبيل هداية، ولا يطيقونه، لالتباسهم بضدّه من الضّلال].

والإشارة «بذلك» الظاهر أنه إلى ما ذكره الكفّار من الكنز والجنّة في الدنيا. والظاهر أنّ هذا الجَعْل [كان] يكون في الدنيا لو شاء الله، وقيل في الآخرة.

---

(١) ق: فقال.

(٢) ق: ويلقي.

(٣) اطّردت المياه: جرت.

«ويجعل لك» قرىء بجزم اللام معطوفاً[١] على قوله «جعل» لأنه في موضع جزم على جواب الشرط. وقرىء بالرفع على الاستئناف أي: وهو يجعل لك.

قال الزمخشري[٢]: وقرىء: ويجعلُ، بالرفع عطفاً على «جعل» إذ الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله[٣]: [من البسيط]

وإن أتـاه خليـل يـومَ مسـألـةٍ   يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

انتهى.

هذا الذي ذهب إليه الزمخشري ليس مذهب سيبويه، وفي المسألة خلاف ذكر في النحو.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ جعلناه مُعَدًّا. ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً كثيرة الإيقاد. ﴿لِمَن كَذَّبَ﴾ عامّ في هؤلاء المكذّبين وغيرهم.

﴿إِذَا رَأَتْهُم[٤]﴾ أي: صارت منهم بقدر ما يرى الرائي من البعد كقولهم: دورهم تتراءى، أي: تتناظر وتتقابل[٥]. ومنه: لا تتراءى ناراهما. وقيل: هو على حذف مضاف أي: [إذا] رأتهم خزنتها من مكان بعيد، سمعوا لها صوت تغيّظ، لأن الغيظ لا يُسمع. وإذا كان على حذف مضاف كان المعنى:

(١) ق: معطوف.
(٢) الكشاف ٣: ٨٣.
(٣) البيت لزهير في ديوانه ص١٥٣.
(٤) ق: رأيتهم.
(٥) ق: وتتقاوى.

تغيَّظ الزّبانية[١] وزفروا على الكفّار غضباً وشهوة للانتقام منهم. وقيل: سمعوا صوت لهيبها واشتعالها.

وانتصب «مكاناً» على الظرف. أي: في مكان ضيّق. وعن ابن عباس: يضيق عليهم تضييق الزُّجّ[٢] في الرمح. «مقرّنين» قرنت [أيديهم] في أعناقهم بالسلاسل. وقيل: يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد.

«هنالك» ظرف مكان أشير به لقوله «مكاناً ضيقاً».

والظاهر دعاء الثّبور وهو الهلاك فيقولون: واثبوراه.

﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾ يقال لهم: لا تدعوا، أو هم أحقّ أن يقال لهم ذلك، وإن لم يكن هناك قول، أي: لا تقتصروا على حزن واحد، بل احزنوا حزناً كثيراً. وكثرته إمّا لديمومة العذاب، فهو متجدّد دائماً، وإمّا لأنّه أنواع، وكل نوع منه يكون ثبوراً لشدّته وفظاعته.

والظاهر [٤٠٦/أ] أن الإشارة «بذلك» إلى النار وأحوال أهلها.

و﴿خَيۡرٌ﴾ هنا ليست تدلّ على الأفضلية بل هي على ما جرت عادة العرب في بيان فضل الشيء وخصوصيّته بالفضل دون مقابله كقوله[٣]: [من الوافر]

[أتهجوه ولست له بكفءٍ] فشرُّكما لخيركما الفداءُ

وهذا الاستفهام على سبيل التوقيف والتوبيخ.

---

(١) ق: كان المعنى كان يغيظوا الزبانية.

(٢) الزُّج: الحديدة التي في أسفل الرمح.

(٣) البيت لحسّان في ديوانه ص٦٤.

قال ابن عطية: ومن حيث كان الكلام استفهاماً، جاز فيه مجيء لفظة التفضيل بين الجنة والنار في الخير، لأن المُوقف جائز له أن يوقف محاوره على ما شاء، ليرى هل يجيبه بالصواب أم بالخطأ. وإنما منع سيبويه وغيره من التفضيل إذا كان الكلام خبراً لأن فيه مخالفة. وأما إذا كان استفهاماً فذلك سائغ انتهى.

ما ذكره يخالفه قوله: فشرّكما لخيركما الفداء.

وقوله ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف] فإن هذا خبر، وكذلك قولهم: العسل أحلى من الخلّ، إلا أن يقيّد[1] الخبر بأنّه إذا كان واضحاً[2] الحكم فيه للسامع بحيث لا يختلج في ذهنه، ولا يتردّد أيهما أفضل فإنه يجوز.

﴿وَعۡدٗا﴾ أي: موعوداً. ﴿مَسۡـُٔولٗا﴾ سألته الملائكة في قولهم ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ ﴿٨﴾﴾ [غافر].

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٨﴾ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا

---

(١) ق: يعيد.

(٢) ق: واضح.

كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ[1] وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، قرىء: نحشرهم، وفنقول، بالنون والياء فيهما.

قال ابن عطية: وقرأ الأعرج: نحشِرهم، بكسر الشين وهي قليلة في الاستعمال قوية في القياس لأن يَفْعِل بكسر العين في المتعدّي[2] أقيس من يَفْعُل بضم العين انتهى.

ليس هذا كما ذكر، بل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه إذا لم يكن للمبالغة[3] ولا حلقيّ عين ولا لام، فإنه جاء على يَفْعُل ويَفْعِل كثيراً. فإن شُهر أحد الاستعمالين اتُّبع وإلاّ فالخيار، حتى أن بعض أصحابنا خيّر فيهما سمع للكلمة أو لم يسمع.

[﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾]. قال[4] الجمهور: من عبد من يعقل ممّن لم يؤمر[5] بعبادته كالملائكة وعيسى وعزير، وهو الأظهر لقوله ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ[6]﴾ وما بعده من المحاورات[7] التي ظاهرها [أنها] لا تصدر إلا من العقلاء، جاء ما

(١) ق: نحشرهم.

(٢) ق: التعدي.

(٣) ق: للمغالبة.

(٤) ق: وقال.

(٥) ق: يأمر.

(٦) ق: أظللتم.

(٧) ق: المجازات.

يشبه ذلك منصوصاً في قوله ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سبأ] و﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة].

وسؤاله تعالى وهو عالم بالمسؤول عنه ليجيبوا بما أجابوا [به] فيبكّت عَبَدَتهم بتكذيبهم إياهم[1]، فتزيد حسرتهم. وجاء الاستفهام مقدّماً فيه الاسم على الفعل، ولم يأت التركيب: أأضللتم، ولا: أم ضلّوا، لأنّ كلًّا من الضلال والإضلال واقع، والسؤال إنما هو عن فاعله. وتقدّم نظير هذا في قوله ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء].

«سبحانك» تنزيه لله تعالى أن يُشْرَك معه في العبادة أحد أو يُفْرَد بعبادة. و«من أولياء» مفعول على زيادة «مِن»، وحَسَّنَ زيادتها انسحاب النّفي على «أن تتخذ[2]» لأنه معمول لـ«ينبغي»[3]، وإذا انتفى الانبغاء[4] لزم منه انتفاء متعلّقه وهو اتّخاذ وليّ من دون الله تعالى.

ولمّا تضمّن[5] قولهم [٤٠٦/ب] ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾ أنّا لم نضللهم ولم نحملهم على الامتناع من الإيمان، صلح أن يستدرك «بلكن»، والمعنى: لكن أكثرت عليهم وعلى آبائهم النّعمة، وأطلت أعمارهم، وكان يجب عليهم شكرها والإيمان بما جاءت به الرسل عليهم السلام، فكان ذلك سبباً للإعراض عن ذكر الله تعالى.

---

(١) ق: إياه.

(٢) ق: يتخذ.

(٣) ق: ليبتغي.

(٤) ق: الابتغاء.

(٥) ق: انضم.

﴿ بُورًا﴾ البور: مصدر يوصف به الواحد والجمع، وقيل: جمعُ بائر كعائذ وعُوذ، وقيل: فَسْدى، وهو لغة الأزد يقولون: أمر بائر أي: فاسد، وبارت البضاعة: فسدت. ومنه قولهم: أرض بور: أي متعطّلة لا نبات فيها.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم ﴾ هذا من قول الله تعالى بلا خلاف وهي مفاجأة بالاحتجاج والإلزام. والخطاب للمعبودين من العقلاء عيسى والملائكة وعزير وهو الظاهر لتناسق الخطاب مع قوله ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ[1] ﴿١٧﴾ ﴾ [الفرقان] أي: كذّبكم[2] المعبودون ﴿ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ أي: بقولهم إنكم أضللتموهم وزعمهم أنكم أولياؤهم من دون الله تعالى فما يستطيعون صرفاً لأنفسهم عمّا هم عليه، أو ما يستطيعون صرفكم عن الحق الذي أنتم عليه، ولا نصراً لأنفسهم من البلاء الذي[3] استوجبوه بتكذيبهم.

﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ ﴾ الظاهر أنه عام، والظّلم هنا الشّرك.

ومفعول «أرسلنا» محذوف تقديره: رسولاً من المرسلين. والجملة بعد «إلّا» في موضع الحال. ولمّا تقدّم طعنهم على الرسول عليه السلام بأكل الطعام والمشي في الأسواق، أخبر تعالى أن هذه عادة[4] مستمرة في كل رسله عليهم[5] السلام.

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ هو عامّ للمؤمن والكافر؛ فالصحيح فتنة

---

(١) ق: قولهم أنتم.

(٢) ق: كذبتم.

(٣) ق: الذين.

(٤) ق: عبادة.

(٥) ق: عليه.

للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني، والرسول المخصوص بكرامة النبوّة فتنة لأشراف الناس الكفّار في عصره، وكذلك العلماء وحكّام العدل. وقد تلا ابن القاسم هذه الآية حين رأى أشهب(١).

والتوقيف بـ«أتصبرون»(٢) خاص للمؤمنين المحقين، فهو لأمة محمد ﷺ، كأنه جعل إمهال الكفار فتنة للمؤمنين، أي: اختباراً ثم وقفهم هل تصبرون أم لا، ثم أعرب قوله ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ الآية، «لا يرجون» أي: لا يخافون. ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فتخبرنا أنك رسول حقًّا. ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيخبرنا بذلك. وهذا كلّه على سبيل التّعنّت، وإلاّ فما جاءهم به من المعجزات كافٍ(٣) لو وفقوا.

﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: تكبّروا. ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: عظّموا أنفسهم بسؤال رؤية الله تعالى وهم ليسوا بأهلٍ لها. واللام في «لقد» جواب قسم محذوف.

«وعتوا» تجاوزوا [الحدّ] في الظلم. ووصَفَه بكبير مبالغةً في إفراطه، أي: لم يجسروا(٤) على هذا القول العظيم إلاّ لأنهم بلغوا الاستكبار وأقصى

---

(١) ما سبق ابتداء من قوله «وجعلنا بعضكم لبعض فتنة»، من كلام ابن عطية انظر البحر ٦: ٤٩٠.

(٢) ق: ما تصبرون.

(٣) ق: كان.

(٤) ق: يخسروا.

العتوّ.

وجاء هنا «عتواً» على الأصل، وفي مريم ﴿عِتِيًّا ۝٦٩﴾ على[1] استثقال اجتماع [٤٠٧/ أ] الواوين، والقلب لمناسبة الفواصل.

قال ابن عباس: «عتواً» كفروا أشدّ الكفر وأفحشوا.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ «يوم» منصوب باذكر وهو أقرب، أو بفعل يدل عليه. ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يُمنعون البشرى. ولا يعمل فيه «لا بشرى» لأنه مصدر ولأنه منفيّ بلا التي لنفي الجنس، لأنه لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. ودخول «لا» على «بشرى» لانتفاء أنواع البشرى.

وهذا اليوم: الظاهر أنه يوم القيامة لقوله بعدُ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ ۝٢٣﴾ [الفرقان]. والظاهر عموم «المجرمين»[2] فيندرج هؤلاء القائلون فيهم.

والظاهر أنّ الضمير في «ويقولون» عائد على القائلين لأنهم المحدَّث عنهم كأنهم يطلبون نزول الملائكة ثم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم، لأنهم لا يلقونهم[3] إلا بما يكرهون، فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدوّ ونزول الشدّة: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ عوذاً، يستعيذون من الملائكة. وقال أبو عبيدة: هاتان اللفظتان عوذة للعرب يقولها من خاف آخر في الحرم او في شهر حرام، إذا لقيه وبينهما تِرَةٌ.

(١) ق: عن.

(٢) ق: المؤمنين.

(٣) ق: يقولونهم.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ القدوم الحقيقي مستحيل في حقّ الله تعالى، فهو عبارة عن حكمه بذلك وإنفاذه. قيل: أو على حذف مضاف أي: قَدِمَتْ ملائكتنا، أسند[1] ذلك إليه لأنه عن أمره. وحسنت لفظة «قدمنا» لأن القادم على شيء مكروه لم يقرّره ولا أمر به مغيِّرٌ له ومُذْهِب.

ومثّلت[2] حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقِرَى ضيف ومَنٍّ على أسير وغير ذلك من مكارمهم - بحال قوم خالفوا سلطانهم، فقصد إلى ما تحت أيديهم، فمزّقها بحيث لم يترك لها أثراً. وفي أمثالهم[3]: أقلّ من الهباء.

و﴿مَّنثُورًا﴾ صفة للهباء. شبّهه بالهباء لقلّته وأنه لا يُنتفع به، ثم وصفه بمنثور لأن الهباء تراه منتظماً مع الضوء، فإذا حرّكته الرّيح رأيته قد تناثر وذهب.

﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ المستقرّ: مكان الاستقرار في أكثر الأوقات. والمقيل: المكان الذي يأوون إليه في الاسترواح إلى الأزواج والتّمتع. ولا نوم في الجنة فسمّي مكان استرواحهم إلى الحور «مقيلاً» على طريق التشبيه إذ المكان المتخيّر للقيلولة يكون أطيب المواضع.

وفي لفظ «وأحسن»[4] رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حُسن الوجوه وملاحة الصّور إلى غير ذلك من التّحاسين.

---

(١) ق: انسد.

(٢) ق: لثلث.

(٣) لم أجده. وانظر مجمع الأمثال ٢ : ٧٣ والمستقصى ١ : ٢٨٦.

(٤) ق: الأحسن.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ الظاهر أن السّماء هي المُظِلّة لنا. والباء باء الحال أي: متغيّمة، أو باء السبب أي: بسبب طلوع الغمام منه، كأنه الذي تنشقّ به السماء كما تقول: شقّ السّنام بالشفرة.

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: إلى الأرض لوقوع الجزاء والحساب.

و«الحق» صفة للملك، أي: الثابت لأنّ كلّ مُلْك يومئذ يبطل [٤٠٧/ب] ولا يبقى إلا ملكه. وخبر «الملك» «يومئذ»، و«للرحمن» متعلق «بالحقّ» أو للبيان[١] أي: أعني للرحمن. وعسر ذلك اليوم على الكافرين بدخولهم النار وما في خلال ذلك من المخاوف. ودلّ قوله «على الكافرين» على تيسيره على المؤمنين؛ ففي الحديث[٢] أنه «يهون حتى يكون على المؤمن أخفّ عليه من صلاة مكتوبة صلّاها في الدنيا».

---

(١) ق: وللبيان.

(٢) أخرجه أحمد ٣: ٧٥ من حديث أبي سعيد الخدري.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ قيل: سبب نزولها هو عقبة وأبيّ. وقيل: كان عقبة خليلاً لأميّة وأسلم [عقبة]، فقال أميّة: وجهي من وجهك حرام إن بايعتَ محمداً. فكفر وارتدّ لرضى أميّة فنزلت[١]. وذُكر من إساءة عقبة إلى[٢] الرسول ما كان سبّب أن قال له الرسول عليه السّلام: «لا ألقاك خارجاً من مكّة إلاّ علوت رأسك بالسيف»[٣] فقُتل عقبة يوم بدر صبراً[٤]، أمر عليًّا فضرب عنقه. وقُتل أبيّ بن خلف يوم أحد في المبارزة.

والمقصود ذكر هول يوم القيامة بتندّم الظالم وتمنّيه أنه لم يكن أطاع خليله الذي كان يأمره بالظّلم. وما من ظالم إلاّ وله في الغالب خليل خاصّ به يعبّر عنه بفلان. وفلان: كناية عن اسم علم لمن يعقل، كما أنّ «فُلُ» كناية عن نكرة من يعقل، تقول: يافُلُ، معناه يا رجل.

والظاهر أن الظالم[٥] يعضّ يديه فعل النّادم والمتفجّع.

و﴿ٱلذِّكْرِ﴾ ذكر الله أو القرآن أو الموعظة. والظاهر حمل «الشيطان» على ظاهره لأنه هو الذي وسوس إليه في مخالّة من أضلّه، أو يريد خليله الذي أضلّه، سمّاه شيطاناً لأنه أضلّ كما أضلّ الشيطانُ، ثم خذله، ولم[٦] ينفعه في العاقبة. والظاهر أن هذه الجملة من تمام كلام الظالم.

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٢٥. وفيه: إن تابعت محمداً.

(٢) ق: على.

(٣) أخرجه الأصبهاني في الدلائل ٢: ٤٧٠ من حديث ابن عباس.

(٤) يقال: قتل فلان صبراً إذا حُبس على القتل حتى يُقتل. انظر السيرة النبوية ٢:٢٩٧. وانظر أيضاً الطبري ١٩: ٦.

(٥) ق: الظاهر.

(٦) ق: لم.

والظاهر أنّ دعاء رسول الله ﷺ ربّه وإخباره بهجر قومه قريش القرآن هو ممّا جرى له في الدّنيا بدليل إقباله عليه مسلّياً ومواسياً بقوله «وكذلك جعلنا» وأنه هو الكافي في هدايته ونصره فهو وعدٌ منه بالنصر. وهذا القول من الرسول وشكايته فيه تخويف لقومه. والظاهر أن «مهجوراً» بمعنى متروكاً من الإيمان به مبعداً[١] مقصيًّا من الهجر. وانتصب «هادياً ونصيراً» على التمييز.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على سبيل[٢] الاقتراح والاعتراض الدّال على نفورهم عن الحق.

قال الزمخشري[٣]: «نُزِّل» ها هنا بمعنى أنزل لا غير كخبّر بمعنى أخبر وإلاّ كان متدافعاً انتهى.

وإنما قال إنّ «نزّل» بمعنى أنزل، لأن نزّل عنده أصلها أن تكون للتفريق. فلو أقرّه على أصله عنده من الدّلالة على التفريق[٤] تدافع هو وقوله ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾. وقد قرّرنا أن «نزّل» لا يقتضي التفريق، لأن التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة، وقد بيّنا ذلك في أول آل عمران[٥]. وقائل ذلك كفّار قريش؛ قالوا: لو كان هذا من عند الله لنزل جملة [٤٠٨/ أ] واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل. وقيل: قائلو ذلك اليهود. والكاف في «كذلك» للتشبيه، و«ذلك» إشارة إلى تنزيله مفرقاً.

---

(١) ق: مبعد.

(٢) ق: وقالوا أي الكفار على سبيل.

(٣) الكشاف ٣: ٩٠.

(٤) فلو أقرّه.. على التفريق، الجملة مكررة في ق.

(٥) انظر تفسير الآية ٣ من آل عمران.

و«لنثبت» متعلق بنزّلناه المحذوفة. «وَرَتَّلْنَاهُ» أي: فصّلناه.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ يضربونه على جهة المعارضة منهم - كتمثيلهم في هذه بالتوراة والإنجيل - إلا جاء القرآن بالحق في ذلك، ثم هو أوضح بياناً وتفصيلاً.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ الظاهر [أنهم] لمّا اعترضوا[1] في حديث القرآن وإنزاله مفرّقاً، كان في ضمن كلامهم أنهم ذوو رشد وخير، وأنهم على طريق مستقيم، ولذلك اعترضوا، فأخبر تعالى بحالهم وما يؤول إليه أمرهم في الآخرة بكونهم ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾. والظاهر أنه يحشر الكافر على وجهه، بأن يسحب على وجهه. وفي الحديث[2] «إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم». وقيل: هو مجاز للذّلة المفرطة والهوان والخزي.

وأعربوا «الذين» مبتدأ، والجملة من «أولئك» في موضع الخبر. ويجوز عندي أن يكون «الذين» خبر مبتدأ محذوف: لمّا تقدّم ذكر الكافرين وما قالوا، قال إيعاداً[3] لهم وتسميعاً بما يؤول إليه حالهم: [هم] الذين يُحشرون. ثم استأنف إخباراً آخر[4] عنهم فقال «أولئك شرٌّ مكاناً».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا

(١) ق: اعتر.

(٢) رواه البخاري ٤: ١٧٨٤ من حديث أنس بألفاظ مختلفة.

(٣) ق: إبعاداً.

(٤) ق: أخبر.

كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، لمّا تقدم تكذيب قريش والكفّار لما جاء به الرسول عليه السلام، ذكر تعالى ما فيه تسلية له عليه السلام، وإرهاب للمكذبين، وتذكير أن يصيبهم[1] ما أصاب الأمم السابقة لما كذّبوا رسلهم، فناسب أولاً أن ذكر من نزّل عليه كتابه جملة واحدة ومع ذلك كفروا وكذّبوا به. فكذلك هؤلاء لو نزّل عليه القرآن جملة واحدة لكفروا وكذّبوا كما كذّب قوم موسى. و«الكتاب» هنا التّوراة. و«هارون» بدل أو عطف بيان. و«وزيراً» مفعول ثان لجعلناه.

والمذهوب إليهم القبط وفرعون. وفي الكلام حذف تقديره: ذهبا وأدّيا الرسالة فكذّبوهما فدمّرناهم. والتدمير أشدّ الإهلاك.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ منصوب بإضمار فعل تقديره: وأهلكنا قوم نوح، أو معطوف على ضمير النّصب في «فدمرناهم». وأجازوا أن يكون منصوباً على

---

(١) ق: تصيبهم.

الاشتغال أي: وأغرقنا قوم نوح. وهو قد يجوز لأن «لمّا» إن كانت ظرفاً كما زعم بعضهم بمعنى حين، فالجملة بعدها في موضع جرّ[١]، والناصب «للمّا» «أغرقناهم». وإن كانت «لمّا» حرف وجوب لوجوب - وهو الصحيح - كان «أغرقناهم» جواباً «للمّا» وهو لا يجوز أن يفسر [ناصباً «القوم»].

و«ذلك» إشارة إلى أولئك المتقدّمي الذكر، فلذلك حسن دخول «بين» عليه من غير أن يُعطف عليه شيء[٢]، كأنه قيل بين المذكورين.

وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها «بذلك».

وانتصب [«وكلاًّ»] الأول على الاشتغال، أي: [٤٠٨/ب] وأنذرنا كلاًّ أو حذّرنا كلاًّ، والثاني على أنه مفعول «بتبّرنا» لأنه لم يأخذ مفعولاً.

ومعنى ضَرَب الأمثال: أي: بيّن لهم القصص العجيبة من قصص الأولّين، ووصفنا لهم ما أدّى إليه[٣] تكذيبهم بأنبيائهم من عذاب الله تعالى وتدميره إيّاهم[٤].

والضمير في ﴿ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ ﴾ لقريش، كانوا يمرّون على سدوم من قرى لوط، وتقدّم الكلام عليها[٥].

و«مطر السوء» الحجارة التي أمطرت عليهم من السماء فهلكوا.

---

(١) ق: خبر.

(٢) من غير أن يعطف عليه شيء: مكررة في ق.

(٣) ق: إليهم.

(٤) ق: إياه.

(٥) انظر تفسير الآية ٧٤ من الأنبياء.

﴿ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ﴾ فيعتبروا بما جرى لأهلها. ثم أضرب «ببل» والمعنى أنهم حملهم على عدم الاعتبار كونهم لا يؤمنون بالبعث وهو النّشور.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في الأنبياء[1].

و«بعث» صلة «للذي» وضميره محذوف. و«رسولاً» منصوب على الحال.

﴿ إِن كَادَ﴾ «إنْ» هي المخفّفة من الثقيلة. وتقدم الكلام على هذا في أول البقرة في قوله ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴿١٤٣﴾﴾ ومذهب الكوفيين في ذلك.

﴿أَن صَبَرْنَا ﴾ في موضع مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: لولا صبرنا موجود. وجواب «لولا» محذوف تقديره: لأضلّنا.

والظاهر أنّ ﴿ مَنْ﴾ استفهامية مبتدأ، و﴿ أَضَلُّ﴾ خبره، والجملة في موضع نصب «ليعلمون» و﴿ يَعْلَمُونَ﴾ معلّق.

ويجوز أن تكون «مَن» موصولة مفعولة «بيعلمون» و«أضلّ» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو أضلّ، وهذه الجملة صلة «لمن». وجاز حذف هذا المضمر للاستطالة التي حصلت بالتمييز كما حصلت في[2] قول العرب: ما أنا بالذي قائل لك سوءً.

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ هذا إياس من إيمانهم، وإشارة[3] إليه عليه

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٦ من الأنبياء.

(٢) ق: من.

(٣) ق: وأشار.

السلام أن لا يتأسّف عليهم، وإعلام أنهم في الجهل بالمنافع وقلّة النظر في العواقب مثل البهائم. ثم ذكر أنهم أضلّ سبيلاً من الأنعام من حيث لهم فهم وتركوا استعماله فيما يخلّصهم من عذاب الله تعالى، والأنعام لا سبيل لها[1] إلى فهم المصالح. و«أرأيت» استفهام تعجّبٍ مِنْ جهل مَنْ هذه حالته. و﴿إِلَـٰهَهُۥ﴾ المفعول الأول «لاتّخذ» و«هواه» الثاني، أي: أقام مقام إلهه الذي يعبده هواه، فهو جارٍ على ما يكون في هواه.

والمعنى أنه لم يتّخذ إلهاً إلاّ هواه. ومفعول «أرأيت» الأول هو «مَنْ»، والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني. وتقدّم لنا الكلام في «أرأيت» في أوائل الأنعام[2].

ومعنى ﴿وَكِيلًا﴾ أي: هل تستطيع أن تدعوه إلى الهدى، فتتوكل عليه، وتجبره[3] على الإسلام.

و«أم» منقطعة تتقدّر ببل والهمزة كأنه قال: بل أتحسب كأن هذه المذمّة أشدّ من التي[4] تقدّمتها حتى حقّت بالإضراب عنها إليها، وهو كونهم مسلوبي الأسماع كالأنعام التي هي مَثَل في الغفلة والضلالة؟. ثم انتقل إلى إضراب آخر بقوله ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ أي: أشدّ في الضّلال من الأنعام، وحذف: من الأنعام.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ

(١) ق: لهم.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٠ من الأنعام.

(٣) ق: فيتوكل عليه ويخبره.

(٤) ق: الذي.

دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ [٤٠٩/أ] كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ الآية، لمّا بيّن تعالى جهل المعترضين على دلائل الصانع وفساد طريقتهم، ذكر أنواعاً من الدلائل التي تدلّ على قدرته التّامة، لعلّهم يتدبّرونها، فبدأ بحال الظّل في زيادته ونقصانه وتغيّره من حال إلى حال، وأنّ ذلك جارٍ على مشيئته. وتقدّم الكلام على «ألم تر» في البقرة[1]. والمعنى: ألم تر إلى صنع ربّك وقدرته.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٤٣ من البقرة.

و«كيف» سؤال عن حال في موضع نصب «بمدّ» والجملة في موضع متعلّق «ألم تر» لأنّ «ترَ» معلّقة[١]. والجملة الاستفهامية التي هي معلّق عنها فعل القلب ليس باقياً على حقيقة الاستفهام، فالمعنى: ألم تر إلى مدّ ربّك الظّل.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ مستقرّاً على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها[٢] على ذلك الظّل: سلّطها عليه ونصبها دليلاً متبوعاً له كما يُتبع الدّليل في الطريق، فهو يزيد بها وينقص ويمتدّ ويقلص، ثم نسخه بها: قبضه قبضاً سهلاً يسيراً غير عسير. وفيه التفات من خروج ضمير الغائب إلى ضمير المتكلّم في «جعلنا» و«قبضناه».

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ انتقل من ضمير المتكلّم إلى ضمير الغائب. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ تشبيهاً بالثوب الذي يغطّي البدن، ويستره من حيث الليل يستر الأشياء.

والسُّبات: ضرب من الإغماء يعتري اليقظان مرضاً، فشبّه النّوم به. والسّبت: الإقامة في المكان، فكان السّبات سكوناً ما. والنّشور هنا الإحياء؛ شبّه[٣] اليقظة به ليطابق الإحياء مع الإماتة.

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ استعارة حسنة أي: قدّام المطر، لأنه يجيء معلمة به. والطَّهور: فَعول إما للمبالغة كنؤوم[٤] فهو معدول عن طاهر، وإما أن

---

(١) ق: متعلقة.

(٢) ق: وجعله.

(٣) ق: الاحاشنه.

(٤) ق: كنوم.

يكون[١] اسماً لما يُتطهر به كالسَّحور والفَطور، وإما مصدر لتطهّر جاء على غير المصدر، حكاه سيبويه.

والظاهر في قوله ﴿مَآءً طَهُورًا﴾ أن يكون للمبالغة في طهارته، وجه المبالغة كونه لم يَشُبْه شيء بخلاف ما نبع من الأرض ونحوه، فإنه تشوبه[٢] أجزاء أرضية من مقرّه أو من ممّره أو ممّا يُطرح فيه. ويجوز أن يوصف بالاسم وبالمصدر.

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ وصف «بلدة» بصفة المذكّر، لأنّ البلدة في معنى البلد في قوله ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ۝٩﴾ [فاطر]. وقدّم إحياء الأرض وسَقْى الأنعام على سقي الأناسيّ، لأنّ حياتهم بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدّم ما هو السبب في ذلك، ولأنّهم إذا وجدوا ما يسقي أرضهم ومواشيهم، وجدوا سقياهم. ونكّر الأنعام والأناسيّ ووُصفا بالكثرة[٣] لأن كثيراً منهم لا يعيشهم إلا ما أنزل الله تعالى من المطر. وكذلك «لنحيي به بلدة ميتاً» يريد بعض بلاد هؤلاء المتباعدين عن مظانّ الماء بخلاف سكّان المدن فإنهم قريبون من الأودية والأنهار والعيون فهم غنيّون غالباً عن ماء المطر. وخصّ الأنعام من بين ما خلق من [٤٠٩/ب] الحيوان الشارب، لأن الطيور والوحوش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها المشرب بخلاف الأنعام فإنها قُنْية الأناسي[٤] ومنافعهم متعلّقة بها، فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم.

---

(١) ق: وإن كان اسماً.

(٢) ق: تشربه.

(٣) ق: ووصفاه للكثر.

(٤) أي: التي يقتنونها لأنفسهم.

و﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ جمع إنسان [في مذهب سيبويه، وجمع إنسيّ في مذهب الفرّاء والمبرّد، وحكي أناسين في جمع إنسان] كسرحان وسراحين.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابن عباس: عائد على القرآن وإن لم يَجْرِ له ذكر لوضوح الأمر، ويعضده ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ ۝٥٢﴾ [الفرقان].

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يقال: مرج الأمر: اختلط واضطرب، وقيل: مرج وأمرج. العذب: الحلو. والفرات: البالغ[1] في الحلاوة. والمِلْح: المالح. والأجاج: البالغ في الملوحة.

والظاهر أنه يراد بالبحرين الماء الكثير العذب والماء الكثير الملح. والبرزخ والحِجْر: ما حجز بينهما من الأرض والسّد.

و﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ كلمة يقولها المتعوّذ وقد فسّرناها[2]، وهي ها هنا واقعة على سبيل المجاز، كأنّ كلّ واحد من البحرين متعوّذ من صاحبه ويقول له: حجراً محجوراً، كما قال ﴿لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمن] أي: لايبغي أحدهما على الآخر بالممازجة. فانتفاء البغي ثَمَّ كالتعوّذ ها هنا؛ جعل كلّ واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه، فهو يتعوّذ منه.

والظاهر عموم البشر وهم بنو آدم. والبشر يطلق على الواحد والجمع. والنّسب والصّهر[3] يعمّان [كلّ قربى بين آدميين. والظاهر أن «الكافر» اسم جنس فيعمّ. وقيل: هو أبو جهل والآية نزلت] فيه. ومعنى «ظهيراً» هيّناً مَهيناً، من قولهم: ظهرتَ به إذا خلّفتَه خلف ظهرك، لا تلتفت إليه.

---

(١) ق: المبالغ.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٢ من هذه السورة.

(٣) ق: والضمير.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ أمره تعالى أن يحتجّ عليهم مزيلاً لوجوه التّهم بقوله ﴿مَآ[(١)] أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن أجراً، أي: لا أطلب مالاً ولا نفعاً يختصّ بي. والضمير في «عليه» عائد على القرآن.

والظاهر في «إلا من شاء» أنه استثناء منقطع تقديره: لكن من شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً فليفعل.

والظاهر تعلّق «به» بقوله «فاسألْ» وبقاءُ الباء غير مضمّنة معنى عن. و﴿خَبِيرًا﴾ من صفات الله تعالى، كما تقول: لقيت بزيدٍ أسداً، ولقيت بزيدٍ البحر، تريد: هو الأسد شجاعة والبحر كرماً. والمعنى أنه تعالى اللطيف العليم الخبير. والمعنى: فاسأل الله الخبير بالأشياء العالم بحقائقها، وقال الشاعر[(٢)]: [من الطويل]

فإن تسألوني بالنّساء فإنني بصيرٌ بـأدواء النسـاء طبيـبُ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ الظاهر أنهم لمّا قيل لهم «اسجدوا للرحمن» فذكرت الصفة المقتضية للمبالغة في الرحمة - والكلمة عربية لا ينكر وضعها - أظهروا التّجاهل بهذه الصّفة التي لله تعالى، مغالطةً منهم ووقاحة.

﴿قَالُوا۟[(٣)] وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وهم عارفون به وبصفته الرحمانية[(٤)]، وهذا كما قال فرعون ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء] حين قال له موسى ﴿إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأعراف] على سبيل المناكرة وهو عالم برب العالمين، كما

(١) ق: لا.
(٢) البيت لعلقمة بن عبدة في المفضليات ص٣٩٢.
(٣) ق: فقالوا.
(٤) ق: وبصفته كذا الرحمانية.

قال له موسى ﴿مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء] فكذلك كفّار قريش استفهموا [٤١٠/أ] عن الرحمن استفهام من يجهله وهم عالمون به. وقرىء: يأمرنا، بالياء والتاء.

﴿وَزَادَهُمْ﴾ أي: هذا القول وهو الأمر بالسجود للرحمن. ﴿نُفُورًا ۩﴾[1] أي: فراراً.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ الآية، لمّا جعلت قريش سؤالها عن اسمه الذي هو الرحمن سؤالاً عن مجهول، نزلت هذه الآية مصرّحة بصفاته التي تُعرّف به وتوجب الإقرار بألوهيّته. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر أنه خلق السماوات والأرض وغير ذلك، نبّههم على ما لهم به اعتناء تامّ من رصد الكواكب وأحوالها ووضع أسماء لها.

والظاهر أن المراد بالبروج المعروفة عند العرب، وتقدّم الكلام عليها[2].

والضمير في «فيها» الظاهر أنه عائد على السماء وقيل على البروج. فالمعنى: وجعل في جملتها سراجاً وهو الشمس.

وانتصب «خلفة» على الحال فقيل: هو مصدر خلف خلفة أي: خلف هذا ذاك وذاك هذا، وقيل: خلفة في الزيادة والنقصان.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ قال ابن عباس: ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في أحدهما، فيستدركه في الذي يليه.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ

(١) ق: إلا نفوراً.

(٢) انظر تفسير الآية ١٦ من الحجر.

قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾.

ولمّا تقدم ذكر الكفار وذمّهم وجاء ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ذكر أحوال المؤمنين المتذكرين الشاكرين فقال ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، وهذه إضافة تشريف وتفضيل. وهو جمع عبد، أي: الذين يعبدونه حق عبادته.

والظاهر أنّ «وعباد» مبتدأ، و«الذين يمشون» الخبر. وقيل «أولئك» [الفرقان: ٧٥] الخبر، و«الذين» صفة. والهَوْن: الرفق واللّين.

وانتصب ﴿هَوْنًا﴾ على أنه نعت لمصدر محذوف، أي: مشياً هوناً، أو على الحال أي: يمشون هيّنين في تؤدة وسكينة وحُسْن سمت، لا يضربون بأقدامهم الأرض ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾ أي: بما لا يسوغ الخطابُ به.

﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي: سلام توديع لا تحيّة، كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: ٤٧].

وقيل: هو على إضمار فعل تقديره: سلّمنا سلاماً.

[﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ البيتوتة هو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم، وهو خلاف الظّلول] والظّلول[1]: الإقامة بالنهار. ولمّا ذكر حالهم بالنّهار بأنهم يتصرّفون أحسن تصرّف، ذكر حالهم بالليل. والظاهر أنه يعني إحياء الليل بالصلاة أو أكثره. ثم عقبه بذكر دعائهم هذا إيذاناً بأنهم، مع اجتهادهم، خائفون يبتهلون إلى الله تعالى في صرف العذاب عنهم.

و﴿سَآءَتْ﴾ احتمل أن يكون بئست، والمخصوص بالذّم محذوف، وفي «ساءت» ضمير مبهم، ويتعيّن أن يكون «مستقراً ومقاماً» [تمييزاً والتقدير: ساءت مستقرًا ومقاماً] هي، وهذا المخصوص بالذّم هو رابط الجملة الواقعة خبراً لإنّ.

ويجوز أن يكون «ساءت» بمعنى أحزنت[2]، فيكون المفعول محذوفاً[3]، أي: ساءتهم، والفاعل ضمير جهنّم. وجاز في مستقر ومقام أن يكونا تمييزين، وأن يكونا حالين، قد عطف أحدهما على الآخر.

﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ الإنفاق في غير طاعة الله [٤١٠/ب] إسراف،

---

(١) ق: والطّلول.

(٢) ق: أحريت.

(٣) ق: محذوف.

والإمساك عن طاعة الله إقتار.

وقرىء: يَقتِرُوا، بفتح الياء وكسر التّاء وضمّها، من قتر. ويُقتِر، بضم الياء وكسر التاء، من أقتر. واسم «كان» ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله «أنفقوا». و﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين الإسراف والإقتار.

و﴿قَوَامًا﴾ معتدلاً، يجوز أن يكون خبراً لكان. و«بين ذلك» خبراً و«قواماً» حال.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ الآية، «سأل ابن مسعود[١] رسول الله ﷺ: أيّ الذّنب أعظم؟. فقال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قال: ثم أيّ؟. قال[٢]: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قال: ثم أيّ؟. قال: أن تزاني حليلة جارك» فأنزل الله تصديقها «والذين لا يدعون» الآية.

وقيل: الأثام: الإثم، ومعناه: يلق جزاء أثام، فأطلق اسم الشيء على جزائه. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كل فرد[٣] ممّا تقدّم.

«يضاعف» و«ويخلد» قرىء بالرفع فيهما على الاستئناف أو يكون في موضع الحال تقديره: مضاعفاً له العذاب وخالداً فيه مهاناً. وقرئء بالجزم فيهما، على أن يكون «يضاعف» بدلاً[٤] من «يلق» بدل فعل من فعل كما قال الشاعر[٥]: [من الطويل]

---

(١) أخرجه البخاري ٤: ١٧٨٤، ومسلم ١: ٩٠.

(٢) ق: ثم قال أي قال، في الموضعين.

(٣) مكررة في ق.

(٤) ق: يدل.

(٥) البيت لعبيد الله الحر، في الكتاب ٣: ٨٦، والمقتضب ٢: ٦٣.

متى تأتنا تُلْمِمْ بنا في ديارنا   تجدْ حطباً جزلاً وناراً تأجَّجا

والظاهر أن توبة المؤمن القاتل النفس بغير حقّ مقبولة لعموم قوله تعالى ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾.

و﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ هو المفعول الثاني، وهو أصله أن يكون مقيّداً بحرف الجر أي: بسيّئاتهم.

و﴿حَسَنَـٰتٍ﴾ هو المفعول الأول وهو المسرّح كما قال تعالى ﴿وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ]. وقال الشاعر(١): [من الرجز]

تضحك منّي أخت ذات النّحْيَيْنْ   أبـدلهـا الله بلـونٍ(٢) لـونَيْـن

سوادَ وجهٍ وبياضَ عينينْ

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ عاد [إلى ذكر] أوصاف عباد الرحمن. والظاهر أن المعنى: لا يشهدون بالزّور أو شهادة الزّور.

واللّغو: كلّ ما ينبغي أن يُلغى ويُطرح. والمعنى: وإذا مرّوا بأهل اللغو مرّوا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقّف عندهم والخوض معهم كقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص].

﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ هي القرآن.

﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ النفي متوجّه إلى القيد الذي هو صمّ وعميان، لا للخرور الداخل عليه. وهذا الأكثر في لسان العرب أن النّفي

---

(١) الرجز في شرح ديوان الحماسة ٤: ١٨٤١ مع اختلاف في رواية البيت الأول.

(٢) ق: بلونها.

يتسلّط على القيد. والمعنى أنهم إذا ذُكّروا بها، أكبّوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكّر بها بآذان واعية وأعين راعية، بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم، فإنهم إذا ذكّروا بها كانوا مكبّين عليها مقبلين على من يذكّر بها في ظاهر الأمر، وكانوا صمًّا وعمياناً حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها.

﴿قُـرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ كناية عن السّرور والفرح. وهو مأخوذ من القرّ وهو البرد، يقال: دمع السّرور بارد ودمع الحزن سخن. ويقال: أقرّ الله عينك [٤١١/أ] وأسخن الله عين العدو. وقال الشاعر[١]: [من الطويل]

فأمّا عيون العاشقين فأسخنت وأمـا عيـون الشّـامتيـن فقـرّتِ

قال الزمخشري[٢]: وجاء «أعين» بصيغة جمع القلّة دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة، لأنه أريد أعين المتّقين وهي قليلة بالإضافة إلى [عيون] غيرهم انتهى.

ليس بجيّد لأنّ «أعين» ينطلق على العشرة فما دونها[٣]، والمتّقون ليست أعينهم عشرة، بل هي عيون كثيرة جدًّا، وإن كانت عيونهم قليلة بالنسبة إلى عيون غيرهم، فهي من الكثرة بحيث تفوت العدّ.

وقرىء: ذرّيتنا، على الإفراد. وذرّياتنا، على الجمع.

«أولئك» إشارة إلى الموصوفين بهذه الأوصاف العشرة.

(١) لم أجده.

(٢) الكشاف ٣: ١٠٢.

(٣) ق: دونه.

و«الغرفة» اسم معرّف بأل، فيعمّ أي: الغرف، كما جاء ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ۝٣٧﴾ [سبأ] وهي العلالي.

قال[1] ابن عباس: هي بيوت من زبرجد ودرٍّ وياقوت.

والباء في ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ للسبب. والتّحية: دعاء بالتّعمير. والسّلام: دعاء بالسّلامة، أي: تحيّيهم الملائكة أو يحيّي بعضهم بعضاً.

﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ معادل لقوله في جهنم ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦﴾ [الفرقان].

والظاهر أن قوله ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ﴾ خطاب لكفّار قريش القائلين ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ۝٦٠﴾ [الفرقان]. أي: لا يحفل بكم ربي لولا تضرّعكم إليه واستغاثتكم إياه[2] في الشدائد. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بما جاء به الرسول عليه السلام فتستحقّون العقاب. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العقاب وهو ما أنتجه تكذيبكم. ونفّس لهم في حلوله بلفظة «فسوف يكون». ﴿لِزَامًا﴾ أي: لازماً لا تنفكّون منه.

---

(١) ق: كذا قال.

(٢) ق: إليه.

سورة الشعراء(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

﴿طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾الآية، هذه السورة مكية كلّها، في قول الجمهور، إلا أربع آيات من «والشعراء» إلى آخر السورة(٢). ومناسبة أولها لآخر ما قبلها أنه [لمّا] قال تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان] ذكر تلّهف رسول الله ﷺ علىكونهم لم يؤمنوا وكونهم كذبوا بالحق لمّا جاءهم. ولمّا أوعدهم في آخر السورة في قوله ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ أوعدهم في أوّل هذه فقال إثر إخباره بتكذيبهم ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾(٣) [الشعراء]. و«تلك» إشارة إلى آيات السورة أو آيات القرآن. و«المبين» هو القرآن.

---

(١) مكية وهي مئتان وسبع وعشرون آية.

(٢) الآيات ٢٢٤ - ٢٢٧.

(٣) ق: فسوف يأتيهم.

وتقدم تفسير ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ في أول الكهف[١].

﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لئلاّ يؤمنوا، أو خيفة أن لا يؤمنوا.

﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ﴾ دخلت «إنْ» على «نشأ». و«إن» للممكن أو المحقّق المنبهم زمانه. ومعنى «آية» أي: ملجئة إلى الإيمان، تقهر عليه «أعناقهم» [٤١١/ب] أعناق الناس: رؤساؤهم ومقدّموهم، شُبّهوا بالأعناق، كما قيل لهم الرؤوس والصدور. ﴿خَٰضِعِينَ﴾[٢] أي: متذلّلين.

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ﴾ تقدّم تفسيره في الأنبياء[٣].

﴿إِلَّا كَانُواْ﴾ جملة حالية أي: إلا يكونون[٤] معرضين عنها. وكان: تدّل على أنّ دينهم وعادتهم الإعراض عن ذكر الله تعالى.

ولمّا كان إعراضهم عن النّظر في صانع الوجود، نبّه تعالى على قدرته، وأنه الخالق المنشىء[٥] الذي يستحق العبادة بقوله ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾. والزوج: النّوع. والكريم: الحسن.

﴿لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ تسجيل على أكثرهم بالكفر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: الغالب القاهر. ولما كان الموضع موضع بيان القدرة، قدّم صفة العزّة على صفة الرحمة فالرحمة إذا كانت عن قدرة، كانت

---

(١) انظر تفسير الآية ٦ من الكهف.

(٢) ق: خاظعين.

(٣) انظر تفسير الآية ٢ من الأنبياء.

(٤) ق: يكونوا.

(٥) ق: للشيء.

أعظم وقعاً. والمعنى أنه عزّ في نقمتا من الكفّار ورحم مؤمني كل أمّة.

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم

﴿مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

ولمّا ذكر تكذيب قريش بما جاءهم من الحق وإعراضهم عنه، ذكر قصة موسى عليه السلام، وما قاسى مع فرعون وقومه، ليكون ذلك مسلاة لما يقاسي عليه السلام من كفار قريش. وإذ[1] كانت قريش قد اتّخذت آلهةً من دون الله تعالى، وكان [قوم] فرعون قد اتّخذوه إلهاً، وكان أتباع ملّة موسى عليه السلام هم المجاورين من آمن بالرسول عليه السلام - بدأ بقصة موسى عليه السلام، ثم ذكر بعد ذلك ما يأتي ذكره من القصص.

والعامل في «وإذ»: اتلُ مضمرةً أي: اتلُ هذه القصة فيما تتلو. ومعنى «نادى» دعا. و«أن» يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون تفسيرية. وسجّل عليهم بالظّلم لظلم أنفسهم بالكفر وظلم بني إسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد.

و«قوم فرعون» قيل: بدل من «القوم الظالمين». والأجود أن يكون عطف بيان، لأنهما عبارتان يعتقبان على مدلول واحد؛ إذ كل واحد من عطف البيان [ومتبوعه مستقلّ بالإسناد. ولما كان «القوم الظالمين» يوهم الاشتراك أتى عطف البيان] بإزالته إذ هو أشهر.

وقرىء: ألا يتّقون، بالياء على الغيبة، وبتاء الخطاب على طريق الالتفات إليهم إنكاراً وغضباً عليهم، وإن لم يكونوا حاضرين، لأنه مبلّغهم ذلك ومكافحهم.

---

(١) ق: وإذا.

والظاهر أنّ «ألا» للعرض المضمّن الحضّ على التقوى.

قال الزمخشري[١]: ويحتمل أن يكون «ألا يتقون» حالاً من الضمير في «الظالمين» أي: يظلمون غير متّقين الله وعقابه، فأدخلت همزة الإنكار على الحال انتهى.

هذا الاحتمال الذي أورده خطأ فاحش، لأنه جعله حالاً من الضمير في «الظالمين»، وقد أعرب هو «قوم فرعون» عطف بيان، فصار فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي منهما، لأن «قوم فرعون» معمول لقوله «آئت» والذي زعم أنه حال معمول لقوله «الظالمين» وذلك لا يجوز.

وأيضاً لو لم يفصل بينهما بقوله [٤١٢/أ] «قوم فرعون» لم يَجُزْ أن تكون الجملة حالاً، لأنّ ما بعد الهمزة يمتنع أن يكون معمولاً لما قبلها.

وقولك: جئت أمسرعاً، على أن يكون: أمسرعاً حالاً من الضمير في: جئت لا يجوز. فلو أضمرت عاملاً بعد الهمزة جاز.

ولمّا كان فرعون عظيم النخوة[٢] حتى ادّعى الإلهيّة، كثير المهابة قد أشربت القلوب الخوف منه، خصوصاً من كان من بني إسرائيل، قال موسى عليه السلام «إني أخاف أن يكذبون».

وقرىء: يضيقُ ولا ينطلقُ، بالرفع فيهما عطفاً على «أخاف». فالمعنى أنه يفيد ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان.

وقرىء بالنصب فيهما عطفاً على «يكذّبون»، [فيكون] التكذيب وما بعده

---

(١) الكشاف ٣: ١٠٦.

(٢) ق: النجوة.

متعلّقاً[1] بالخوف.

وفي الخبر أن الله تعالى أرسل موسى إلى هارون وكان هارون بمصر حين بعث الله تعالى موسى نبيّاً بالشّام. قيل: سار بأهله إلى مصر، فالتقى بهارون، وهو لا يعرفه، فقال: أنا موسى. فتعارفا، وأمرهما أن ينطلقا إلى فرعون لأداء الرسالة. فصاحت أمّهما لخوفها عليهما، فذهبا إليه.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ أي: قِبَلي قَوَد ذنب أو عقوبة ذنب، وهو قتله القبطيّ الكافر خباز فرعون بالوكزة التي وكزها.

و﴿كَلَّآ﴾ ردٌّ لقوله ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ﴿١٢﴾﴾ [الشعراء] أي: لا تخف ذلك.

وقوله: ﴿فَٱذْهَبَا﴾ أمرٌ لهما بخطاب لموسى فقط، لأن هارون ليس بمكلَّم بإجماع، ولكنه قال لموسى ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ ﴿٤٢﴾﴾ [طه].

و﴿مَعَكُم﴾ قيل: مِنْ وَضْع الجمع موضع المثنّى أي: معكما. وقيل: هو على ظاهره من الجمع والمراد موسى وهارون ومن أُرسلا إليه. وكان شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزّبير يرجّح أن يكون أريد بصورة الجمع [المثنى] والخطاب لموسى وهارون فقط قال: لأنّ لفظة «مع» تُباين من يكون كافراً، فإنه لا يقال: الله معه. وعلى [أنه] أريد بالجمع التّثنية، حمله سيبويه رحمه الله، وكأنهما، لشرفهما عند الله تعالى، عاملهما في الخطاب معاملة الجمع؛ إذ كان ذلك جائزاً[2] أن يعامل به الواحد لشرفه وعظمته عنده.

وأفرد «رسول» هنا ولم يثنّ [كما] في قوله ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴿٤٧﴾﴾ [طه] إمّا

(١) ق: متعلق.

(٢) ق: جائز.

لأنه مصدر بمعنى الرسالة، فجاز أن يقع مفرداً خبراً لمفرد فما فوقه، وإمّا لكونهما ذَوَيْ شريعة واحدة، فكأنهما رسول واحد، أو أريد بقوله ﴿إِنَّا﴾ أنّ كل واحد منّا رسول.

و﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه ردّ عليه وأنّه مربوب لله تعالى. باداه بنقض ما كان أبرمه من ادّعاء الألوهية، ولذلك أنكر فقال ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء]. والمعنى: [إليك].

و﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ يجوز أن تكون تفسيرية لما في «رسول» من معنى القول، وأن تكون مصدرية. و«أرسل» بمعنى أطلِقْ وسرِّحْ كما تقول: أرسلت الحجر من يدي، وأرسلت الصقر. وكان موسى عليه السلام مبعوثاً إلى فرعون في أمرين: إرسال بني إسرائيل [٤١٢/ب] لتزول عنهم العبودية، والإيمان بالله، وبُعث بالعبادات والشرع إلى بني إسرائيل. وإرسالهم[١] معهما كان إلى فلسطين، وكانت مسكن موسى وهارون.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ الآية، يروى أنهما انطلقا إلى فرعون، وأدّيا الرسالة، فعرف موسى، فقال [له]: «قال ألم نربك فينا وليداً». وفي الكلام حذف يدلّ عليه المعنى تقديره: فأتيا فرعون، فقالا له ذلك. ولمّا بادهه موسى بأنه رسول رب العالمين وأمره بإرسال بني إسرائيل معه، أخذ يستحقره، ويُضرب عن المرسِل وما جاء به من عنده، ويذكّره بحالة الصُّغْر[٢] والمنّ عليه بالتّربية. والوليد: الصبيّ، وهو فعيل بمعنى مفعول، أطلق ذلك عليه لقربه من الولادة.

---

(١) ق: وارساهم.

(٢) الصُّغر والصَّغار بمعنى.

وقرىء: فَعْلتك، بفتح الفاء إذ كانت وكزة واحدة. وقرأ الشّعبي: فِعْلتك، بكسر الفاء يريد الهيئة، لأن الوكزة نوع من القتل. عدّد عليه نعمة التّربية، ومبلغه عنده مبلغ الرجال حيث كان يقتل نظراءه من بني إسرائيل، وذكّره ما جرى على يده من قتل القبطيّ وعظّم ذلك بقوله «وفعلت فعلتك التي فعلت» لأن هذا[1] الإبهام بكونه لم يصرّح أنها القتل تهويل للواقعة وتعظيم [شأن]. ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ بالنعمة التي لي عليكَ من التربية والإحسان.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أجابه موسى عليه السلام عن كلامه الأخير المتضمّن للقتل؛ إذ كان الاعتذار فيه أهمّ من الجواب في ذكر النعمة بالتربية، لأنّ فيه إزهاق النفس[2].

﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ معناه من الجاهلين بأنّ وكزتي إياه تأتي على نفسه.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ الفرار لم يكن منه وحده وإنما هو منه ومن مَلَئِه المذكورين قبل[3].

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى المصدر المفهوم من قوله ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء] ذكّر بهذا أخيراً [ردًّا] على ما بدأ به فرعون في قوله «ألم نربّك فينا وليداً». والظاهر أنّ هذا الكلام إقرار من موسى عليه السلام بالنّعمة، يقول: وتربيتك لي نعمة عليّ من حيث عبّدت غيري وتركتني، واتّخذتني ولداً، ولكن لا يدفع ذلك رسالتي.

---

(١) ق: في هذا.

(٢) ق: روح النفس.

(٣) ق: قبل.

قال قتادة: هذا منه على جهة الإنكار عليه أن تكون [ثَمَّ] نعمة، كأنه[١] يقول: أويصحّ لك أن تعتدّ عليّ نعمة ترك قتلي من أجل أنك ظلمت بني إسرائيل وقتلتهم؟ أي: ليست بنعمة، لأن الوالجب كان أن لا تقتلني، وأن لاتقتلهم[٢]، ولا تستعبدهم بالقتل والخدمة وغير ذلك.

ولمّا أخبر موسى فرعون بأنه رسول رب العالمين لم يسأل إذ ذاك فيقول: وما ربّ العالمين؟ بل أخذ في المداهاة وتذكار التربية والتقبيح لما فعله من قتل القبطي. فلما أجابه عن ذلك انقطعت حجّته في [٤١٣/أ] التربية والقتل. وكان في قوله «رسول رب العالمين» [الشعراء:١٦]. دعاء إلى الإقرار بربوبيّة الله تعالى وإلى طاعة رب العالمين[٣]، فأخذ فرعون يستفهم عن الذي ذكر موسى أنه رسول من عنده. والظاهر أن سؤاله إنّما[٤] كان على سبيل المباهتة والمكابرة والمرادّة، وكان عالماً بالله تعالى ويدلّ[٥] عليه ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ۝١٠٢﴾ [الإسراء] ولكنّه تعامى عن ذلك طلباً للرئاسة ودعوى الإلهية، واستفهم «بما» استفهاماً عن مجهول من الأشياء. [وقد ورد له استفهام بمَنْ في موضع آخر في قوله ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾ [طه].

ولمّا[٦] سأله فرعون وكان السؤال «بما» التي هي سؤال عن الماهيّة،

---

(١) ق: كافة.

(٢) ق: لا يقتلني وأن لا يقتلهم.

(٣) ق: العالم.

(٤) ق: بما.

(٥) ق: وكلل.

(٦) ق: لمّا.

ولم[١] يمكن الجواب بالماهيّة، أجاب بالصّفات التي تبيّن للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها، وهي ربوبية السماوات والأرض وما بينهما.

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بشيء قطّ، فهذا أَوْلى ما توقنون[٢] به، لظهوره وإنارة دليله. وهذه المحاورة من فرعون تدل على أن موسى عليه السلام دعاه إلى التوحيد.

﴿قَالَ لِمَنْ[٣] حَوْلَهُۥٓ﴾ هم أشراف قومه. قيل: كانوا خمس مئة رجل، عليهم الأساور، وكانت للملوك خاصة.

﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ أي: ألا تُصغون إلى هذه المقالة، إغراءً به وتعجّباً، إذ كانت عقيدتهم أن فرعون ربّهم ومعبودهم.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ نبّههم على منشئهم ومنشىء[٤] آبائهم. وجاء في قوله «الأولين» دلالة على إماتتهم بعد إيجادهم. وانتقل من الاستدلال بالعام إلى ما يخصّهم، ليكون أوضح لهم في [بيان] بطلان دعوى فرعون الإلهية؛ إذ كان آباؤهم الأولون[٥] تقدّموا فرعون في الوجود، فمحال أن يكون وهو في العدم الصّرف إلهاً لهم.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ أي: هذا الذي يدّعي الرسالة، لا يفهم السؤال، فضلاً عن أن يجيب عنه. فقال موسى عليه السلام ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ فعدل إلى

(١) ق: ولمن.

(٢) ق: يوقنون.

(٣) ق: للملأ.

(٤) ق: منشأهم ومنشأ.

(٥) ق: الأولين.

طريق أوضح من الثاني؛ وذلك أنه أراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النّهار، وأراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النّهار. وهذا التقدير المستمر على الوجه العجيب لا يتمّ إلا بتدبير مدبّر يدبّره.

ولمّا انقطع فرعون في باب الاحتجاج، رجع إلى الاستعلاء والغَلَب - وهذا أبين علامات الانقطاع - فتوعّد موسى بالسّجن حين أعياه خطابه فقال[1] «لئن اتخذت إلها غيري» الآية.

ولمّا كان عند موسى عليه السلام من أمر الله تعالى مالا يروعه توعُّد فرعون، قال له على جهة اللطف به والطّمع في إيمانه ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: يوضّح لك صدقي، أفكنت تسجنني حتى في هذه الحالة التي لا يناسب أن أسجن وأنا ملتبس بها؟.

ولمّا سمع فرعون هذا من موسى طمع أن يجد موضع معارضة فقال له ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ أي: رماها من[2] [٤١٣/ب] يده. وتقدم الكلام على عصا موسى[3] عليه السلام. والثعبان أعظم ما يكون من الحيّات.

ومعنى «مبين» ظاهر الثّعبانيّة ليست من الأشياء التي تُزوَّر بالشعبذة والسّحر.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من جيبه. ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ تتلألأ كأنها قطعة من الشمس.

---

(١) ق: قال.

(٢) من: مكررة في ق.

(٣) انظر تفسير الآية ١٠٧ من الأعراف.

ومعنى ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: بياضها يجمع[1] النظّارة على النّظر إليه لخروجه عن العادة، وكان بياضاً نورانياً. روي أنه لمّا أبصر أمر العصا قال: فهل غيرها؟. فأخرج يده. فقال: ما هذه؟ قال: يدي. فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يعشي الأبصار ويسدّ الأفق.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ الآية، تقدّم الكلام عليها[2].

﴿لِمِيقَٰتِ[3] يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يوم الزّينة.

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا ضرر علينا في وقوع ما توعّدنا به من قطع الأيدي والأرجل والتّصليب، بل لنا المنفعة التامّة بالصبر عليه. يقال: ضارَه يضيرُه ضيراً، وضارَه يضُوره ضوراً.

و﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ أي: إلى عظيم ثوابه. أو لا ضير علينا إذ انقلابنا إلى الله تعالى بسبب من أسباب الموت، والقتل أهون أسبابه.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم

---

(١) ق: يجتمع.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠٩ من الأعراف.

(٣) ق: في الميقات.

﴿مُّؤْمِنِينَ ۝٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ الآية، أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببني[1] إسرائيل ليلاً من مصر إلى تُجاه[2] البحر، وأخبر أنهم سيُتّبعون. فخرج سَحَراً جاعلاً طريق الشام على يساره وتوجّه [نحو] البحر. فيقال له في ترك الطريق فيقول: هكذا أُمرت. فلما أصبح، علم فرعون بسُرى موسى ببني إسرائيل، فخرج في أثرهم، وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه العساكر. وذكروا أعداداً في أتباع فرعون وفي بني إسرائيل والله أعلم بصحّة ذلك.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ أي: قال إنّ هؤلاء. وصفهم بالقلّة ثم جمع القليل - فجعل كل حزب قليلاً - جمع السلامة الذي هو للقلّة وقد يجمع القليل على أقلّة وقُلُل. والظاهر تقليل العدد. والشرذمة: الجمع القليل[3] المحتقر، وشرذمة كل شيء: بقيّتهُ[4] الخسيسة.

وقال الجوهري[5]: الشرذمة: الطائفة من الناس، والقطعة من الشيء، وثوب شَراذم: أي قطع.

ومعنى «حاذرون»[6] خائفون متحرّزون منهم.

---

(١) ق: بني.

(٢) أي تلقاءه وجهته.

(٣) غير ظاهرة في ق.

(٤) ق: يقينه.

(٥) الصحاح: شرذم.

(٦) ق: حذرون.

﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم ﴾ الضمير عائد على القبط.

﴿ مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ بحافّتي النّيل من أسوان إلى رشيد.

﴿ وَكُنُوزٍ ﴾ هي الأموال التي خزنوها.

﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ قال ابن لهيعة: هو الفيّوم(١).

قال الزمخشري(٢): «كذلك» يحتمل ثلاثة أوجه: النّصب على: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا، والجرّ على أنه وصف «المقام» أي: ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم، والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: الأمر كذلك انتهى.

الوجه الأول لا يسوغ، لأنه يؤول إلى تشبيه [٤١٤/أ] الشيء بنفسه. وكذلك الوجه الثاني لأن المقام الذي كان لهم هو المقام الكريم ولا يُشَبَّه الشيء بنفسه(٣).

والظاهر أنّ ﴿ مُّشْرِقِينَ ﴾ حال من الفاعل أي: وقت إشراق الشمس.

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ ﴾ أي: رأى أحدهما الآخر.

﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ أي: مُلْحَقُون، قالوا ذلك حين رأوا العدوّ القوي وراءهم والبحر أمامهم، وساءت ظنونهم.

والكاف في «كذلك» للتشبيه، و«ذلك» اسم إشارة.

---

(١) ق: القيوم.
(٢) الكشاف ٣: ١١٥.
(٣) وانظر أيضاً شرح الآية ٦١ الآتي.

قال الزمخشري[1]: يحتمل أن [يكون] المعنى: أخرجناهم هم مثل ذلك الإخراج انتهى.

وهذا لا يصحّ، لأنه يؤول إلى تشبيه الشيء بنفسه. والذي يظهر أنه إشارة إلى ما يُفهم من قوله تعالى ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ ﴿٥٢﴾﴾ [الشعراء] فمعناه: اخرج بهم من ديار مصر، أي: مثل ذلك الإخراج لهم كان هذا الإخراج لفرعون وقومه.

﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ زجرهم وردعهم بحرف الرّدع وهو «كلاّ». والمعنى: لن يدركوكم لأن الله تعالى وعدكم بالنصر والخلاص منهم.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ عن قريب إلى طريق النّجاة ويعرّفنيه وسيكفيني أمرهم.

ولمّا انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون - وكان بين يدي موسى عليه السّلام -: أين أُمرتَ وهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون؟. قال: أُمرتُ بالبحر، ولا يدري موسى ما يصنع فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر. وثَمَّ محذوف تقديره: فضرب فانفلق. فضرب موسى بعصاه فصار فيه اثنا عشر طريقاً، لكل سبط طريق. أراد تعالى أن يجعل هذه الآية متّصلة بموسى عليه السلام ومتعلّقة بفعلٍ فَعَله، ولكنه بقدرة الله تعالى؛ إذ ضَرْب البحر بالعصا لا يوجب انفلاق البحر بذاته، ولو شاء تعالى لفَلَقَه دون ضربه بالعصا. وتقدّم الخلاف في مكان هذا البحر[2]. والفِرْق: الجزء المنفصل. والطّود: الجبل العظيم المنطاد[3] في السماء.

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ أي: قرّبنا. ﴿ثَمَّ﴾ أي: هناك. وثَمّ ظرف مكان للبعد.

---

(١) الكشاف ٣: ١١٥.

(٢) بل تقدّم ذكره في الآية ٥٠ من البقرة، والآية ١٣٨ من الأعراف.

(٣) أي: المرتفع.

﴿ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ أي: قوم فرعون، أي: قرّبناهم. ولم يذكر من قربوا منه، فاحتمل أن يكون المعنى: قرّبناهم حيث انفلق البحر من بني إسرائيل، أو قرّبنا بعضهم من بعض، حتى لا ينجو أحد، أو قرّبناهم من البحر. و«الآخرين» فرعون وقومه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾ لعلامةً واضحة عاينها[1] النّاس وشاع أمرها.

والذي يظهر أن قوله ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ أي: أكثر قوم فرعون وهم القبط؛ إذ قد آمن من السّحرة ناس، وآمنت آسيه امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وعجوز اسمها مريم.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ

(١) ق: عاينوها.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية، لمّا كانت العرب لها خصوصية بإبراهيم عليه السلام، أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يتلو عليهم قصصه وما جرى له مع قومه. ولم يأت في قصة من قصص هذه السّورة. أَمْرُه عليه السّلام [٤١٤/ب] بتلاوة قصّة(١) إلاّ في هذه.

والعامل في «إذ» «نبأ». والظاهر أن الضمير في «وقومه» عائد على «إبراهيم» وقيل على أبيه، أي: وقوم أبيه كما قال ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام]. و«ما» استفهام بمعنى التحقير والتّقرير.

وقد كان إبراهيم عليه السّلام يعلم أنهم عبدة أصنام، ولكن سألهم ليريهم أنّ ما كانوا يعبدونه ليس مستحقاً للعبادة، لما يترتّب على جوابهم من أوصاف معبوداتهم التي هي منافية للعبادة.

ولمّا سألهم عن الذي يعبدونه، لم يقتصروا على ذكره فقط، بل أجابوا بالفعل ومتعلّقه وما عطف عليه من تمام صفتهم مع معبودهم فقالوا ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ على سبيل الابتهاج والافتخار، فأتوا بقصّتهم معهم كاملة، ولم يقتصروا على أن يجيبوا بقولهم: أصناماً.

ولمّا أجابوا إبراهيم عليه السلام، أخذ يوقفهم على قلّة عقولهم، باستفهامه عن أوصاف مسلوبة عنهم، لا يكون ثبوتها إلا لله تعالى.

(١) ق: سورة.

ومعنى ﴿يَسْمَعُونَكُمْ [إِذْ] تَدْعُونَ﴾ أي[١] يجيبونكم كقوله: سمع الله لمن حمده. والعامل في «إذ» «يسمعونكم».

قال ابن عطية: ويجوز فيه - [أي: في «إذ تدعون»] - قياس: مدّكر، ولم يقرأ به أحد. والقياس أن يكون اللفظ به: إذ دّعون. والذي منع من هذا اللفظ كثرة المتماثلات انتهى.

هذا الذي ذكره من أنه يجوز فيه قياس «مدّكر»! لأن ذلك الإبدال - وهو ابدال التّاء دالاً - لا[٢] يكون إلا في افتعل مما فاؤه ذال أو زاي أو دال نحو: ادّكر وازدجر وادّهن، أصله: اذتكر وازتجر وادتهن، أو جيم شذوذاً قالوا: اجْدَ مَع في: اجتمع، ومن تاء الضمير بعد الزّاي والدّال، ومثّلوا بتاء الضمير للمتكلم فقالوا في فزت: فُزْدُ، وفي جلدتُ: جلدُّ، ومن تاء: تولج شذوذاً قالوا: دولج. وتاء المضارعة ليس شيئاً ممّا ذكرنا، فلا تُبدل تاؤه دالاً.

وقول ابن عطية: والذي منع من هذا اللفظ إلى آخره، يدلّ على أنه لولا ذلك لجاز إبدال تاء المضارعة دالاً وإدغام الذّال فيها، فكنت تقول في إذ تخرج: ادّخرج، وذلك لا يقوله أحد، بل إذا أدغم مثل هذا أبدل من الذال تاء وأدغم في التاء فتقول: اتّخرج.

﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ بتقربكم إليهم ودعائكم إياهم. ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ بترك[٣] عبادتكم إياهم. فإذا لم ينفعوا ولم يضرّوا فما معنى عبادتكم لها؟.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا﴾ هذه حيلة عن جواب الاستفهام لأنهم لو قالوا: يسمعوننا

---

(١) ق: أو.

(٢) ق: وهو لا.

(٣) ق: تنزل.

ولا ينفعوننا، ويضرّوننا [فضحوا أنفسهم بالكذب الذي لا يُمترى فيه. ولو قالوا: ما يسمعوننا ولا ينفعوننا ولا يضروننا] أسجلوا[١] على أنفسهم بالخطأ المحض فعدلوا إلى التقليد البحت لآبائهم في عبادتها من غير برهان ولا حجّة. والكاف في موضع نصب «بيفعلون» أي: يفعلون في عبادتهم تلك الأصنام مثل ذلك الفعل الذي نفعله[٢] وهو عبادتهم. [٤١٥/أ] والحيدة عن الجواب من علامات انقطاع الحجّة. و﴿بَلْ﴾ هنا إضراب عن جوابه لمّا سأل، وأَخْذٌ في شيء آخر لم يسألهم عنه، انقطاعاً وإقراراً بالعجز.

﴿وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ وصفهم بالأقدمين دلالةً على تقادم عبادة الأصنام فيهم؛ إذ كانوا عبدوها في زمان نوح عليه السلام وزمان[٣] من بعده.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ بقدرته. ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى طاعته.

والظاهر أن قوله ﴿يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ الطعام المعهود والسّقي المعهود، وفيه تعديد نعمة الرزق[٤]. ولمّا كان الخلق لا يمكن أن يدّعيه أحد، لم يوكّد فيه «بهو» فلم يكن التركيب: الذي هو خلقني. ولمّا كانت الهداية قد يمكن ادّعاؤها، والإطعام والسّقي كذلك، أكّد بـ«هو» في قوله ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى﴾. وذكر بعد نعمة الخلق والهداية ما تدوم به الحياة ويستمر نظام الخلق، وهو الغذاء والشّرب. ولمّا كان ذلك سبباً لغلبة إحدى الكيفيّات على الأخرى بزيادة الغذاء أو نقصانه فيحدث بعد ذلك مرض، ذكر نعمته بإزالة ما حدث من السّقم. وأضاف المرض إلى نفسه ولم يأت التركيب:

---

(١) أسجل الكلام: أرسله.

(٢) ق: يفعله.

(٣) ق: فزمان.

(٤) ق: نعمه للرزق.

وإذا أمرضني، لأنه لا ينبغي أن يُسند[1] ما فيه تأذٍ إليه تعالى وذلك على سبيل الأدب، وإن كان تعالى هو الفاعل لذلك. وإبراهيم عليه السلام عدّد نعم الله تعالى عليه والشفاء محبوب والمرض مكروه، ولمّا لم يكن المرض منها لم يُضِفه إلى الله تعالى.

ولمّا كانت الإماتة ثم البعث لا يمكن إسنادها إلا إلى الله تعالى، لم يحتَجْ إلى توكيد. ودعوى نمرود الإماتة والإحياء هي منه على سبيل المَخْرَقة والقحة. وكذلك لم يحتج إلى تأكيد في «والذي أطمع».

وقدّم إبراهيم عليه السّلام الثّناء على الله تعالى وذكروه بالأوصاف الحسنة بين يدي طَلِبَتِه ومسألته، ثم سأله تعالى فقال ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ فدلّ أنّ تقديم الثّناء على المسألة من المهمّات. والظاهر أن الحكم هو الفصل بين الناس بالحق.

و﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ هو الثّناء وتخليد المكانة، وأعظم ذلك ما جاء في الصلاة على رسول الله ﷺ: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

ولمّا فرغ من مطالب الدّنيا والآخرة لنفسه، طلب لأشدّ الناس التصاقاً به، وهو أصله الذي كان ناشئاً عنه، وهو أبوه فقال ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾.

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ إما من الخزي وهو الهوان، وإما من الخزاية وهي الحياء. والضمير في «يبعثون» ضمير العباد.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ بدل من [﴿يَوْمَ﴾] ﴿يُبْعَثُونَ﴾. ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أي: كما ينفع في

(١) ق: أن لا يسند.

الدنيا يفديه[1] ماله ويذبّ عنه بنوه.

[قال ابن عطيّة: وهذه الآيات في قوله «يوم لا ينفع مال ولا بنون» عندي منقطعة من كلام إبراهيم عليه السلام. وهي إخبار من الله عزّ وجلّ بصفة ذلك اليوم الذي وقف إبراهيم عليه السلام عنده في دعائه أن لا يخزى فيه انتهى.

كأنَّ ابن عطية قد أعرب «يوم لا ينفع» بدلاً من «يوم يبعثون» وعلى هذا لا يتأتّى هذا الذي ذكره من تفكيك الكلام وجَعْل بعضه من كلام إبراهيم وبعضه من كلام الله تعالى؛ لأن العامل في البدل على مذهب الجمهور فعل آخر من لفظ الأول، أو الأول.

وعلى كلا التّقديرين لا يصحّ أن يكون من كلام الله إذ يصير التقدير: ولا تخزني يوم لا ينفع مال ولا بنون].

والظاهر أن الاستثناء[2] منقطع أي: لكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه سلامة قلبه.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قُرّبت لينظروا إليها ويغتبطوا بحشرهم [٤١٥/ب] إليها.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أُظهرت وكُشفت بحيث كانت بمرأى منهم. وجيء ذلك كله بلفظ الماضي في «أتى» و«أُزلفت» و«بُرّزت» لتحقُّق وقوع ذلك وإن كان لم يقع.

والضمير في «فكبكبوا» عائد على الأصنام أجريت مجرى من يعقل من

(١) ق: يعذّبه.

(٢) ق: إلا استثناء.

حيث ذُكرت بعبادة وأُسند إليها فِعْل من يعقل[(١)].

﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ هم الكفرة الذين شملتهم الغواية.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ قبيلُهُ. وكلّ من تبعه فهو جند له وعون.

والخطاب في ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ للأصنام على جهة الاعتراف والإقرار بالحق.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: أصحاب الجرائم والمعاصي العظام والجَرأة، وهم ساداتهم وذوو المكانة في الدنيا والاستتباع كقولهم ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب] الآية.

والظاهر أن «فلو» أُشربت معنى التمنّي و«فنكون»[(٢)] الجواب كأنه قيل: ياليت لنا كرّة فنكون. وقيل: هي الخالصة للدّلالة لما كان سيقع لوقوع غيره، فيكون قوله «فنكون»[(٣)] معطوفاً على «كرّة» أي: فكوناً من المؤمنين. وجواب «لو» محذوف أي: لكان لنا شفعاء وأصدقاء أو: لخلصنا من العذاب.

والإشارة بقوله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إلى قصّة إبراهيم ومحاورته لقومه.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: أكثر قوم إبراهيم. بيّن تعالى أنّ أكثر قومه لم يؤمنوا مع ظهور هذه الدلائل التي استدلّ بها إبراهيم عليه السلام، وفي ذلك مسلاة لرسول الله ﷺ في تكذيب قومه إياه عليه السلام.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ

---

(١) يعقل: مكررة في ق.

(٢) ق: وفيكون.

(٣) ق: فيكون.

أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية، تقدّم الكلام على قوم نوح[1].

﴿أَلَا تَتَّقُونَ[2]﴾ لمّا عرض عليهم تقوى الله برفق انتقل من العرض إلى الأمر فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ في نصحي لكم وفيما دعوتكم إليه من توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، فشرع أشرافهم في تنقيص متّبعيه، وأن الحامل على انتفاء إيمانهم له كونه اتّبعه الأرذلون.

وقوله ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ جملة حالية أي: كيف نؤمن وقد اتّبعك أراذلنا فنتساوى معهم في اتّباعك؟. وكذا فعلت قريش في شأن عمّار وصهيب. والضعفاء أكثر استجابة من الرؤساء، لأن أذهانهم ليست مملوءة بزخارف الدنيا، فهم أدركُ للحقّ وأقبلُ له[3] من الرؤساء. وقرىء: وأتباعك، جمع تابع كصاحب وأصحاب.

---

(١) انظر تفسير الآية ٧١ من يونس.

(٢) ق: يتّقون.

(٣) ق: لهم.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا مشعر بأنهم طلبوا منه ذلك، فأجابهم بذلك، كما طلب رؤساء قريش من رسول الله ﷺ أن يطرد من آمن من الضعفاء فنزلت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام] الآية، أي: لاأطردهم عني لاتباع شهواتكم والطمع في إيمانكم.

ولمّا اعتلّوا في ترك إيمانهم بإيمان من هو دونهم دلّ ذلك على أنه [لم] تثلج صدورهم للإيمان؛ إذ اتّباع الحقّ لا يأنف منه أحد لوجود الشركة فيه. أخذوا في التهديد والوعيد ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ عن تقبيح ما نحن عليه [٤١٦/أ] وادّعائك الرسالة من الله تعالى ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ أي: بالحجارة، وقيل بالشتم. وأيس إذ ذاك من فلاحهم، فنادى ربه وهو أعلم بحاله ﴿ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴾ فدعائي ليس لأجل أنهم آذوني، ولكن لأجل دينك.

﴿ فَٱفْتَحْ ﴾ أي: فاحكم. ودعا لنفسه ولمن آمن به بالنجاة، وفي ذلك إشعار بحلول العذاب بقومه، أي: ونجّني ممّا يحلّ بهم.

و«المشحون» المملوء بما ينبغي له من قدر ما يحمل، يقال: شحنها عليهم خيلاً ورجالاً.

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ﴾ أي: بعد نجاة نوح والمؤمنين.

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية، كان أخاهم من النسب، وكان تاجراً جميلاً أشبه الخَلْق بآدم عليه السلام. عاش أربع مئة سنة وأربعاً وستّين سنة، وبينه وبين ثمود مئة سنة. وكانت منازل عاد ما بين عُمان إلى حضرموت أمرع البلاد، فجعلها الله تعالى جبالاً ورمالاً. أمرهم أولاً بما أمر به نوح وقومه، ثم نعى عليهم من سوء أعمالهم مع كفرهم فقال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ والرّيع بكسر الراء وفتحها: جمع ريعة وهو المكان المرتفع. وقال أبو عبيدة: الريع أيضاً الطريق.

والمصانع: جمع مصنعة، قيل: وهي البناء على الماء. ولمّا خوّفهم عذاب الله وعقابه كان من جوابهم أن قالوا: سواء علينا وَعْظك وعدمه. وجعلوا قوله وعظاً إذ لم يعتقدوا صحّة ما جاء به، وأنه كاذب فيما ادّعاه. وقولهم ذلك على سبيل الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوّفهم به.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا

كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية.

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ يجوز أن يكون إنكاراً لأن يتركوا[1] مخلّدين في نعيمهم، لا يزولون عنه، وأن يكون تذكيراً بالنعمة في تخلية الله تعالى إياهم ومايتنعمون فيه من الجّنات وغير ذلك مع الأمن والدَّعة[2].

والهضيم[3]: قال ابن عباس: إذا أينع وبلغ.

﴿مِنَ الْجِبَالِ﴾ أي: مغارات ليحفظوا أموالهم فيها ﴿فَرِهِينَ﴾[4] قال قتادة: آمنين، وقيل غير ذلك.

و﴿مِّثْلُنَا﴾ أي: في الأكل والشرب وغير ذلك من صفات البشر، فلا اختصاص لك بالرئاسة.

﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ أي: بعلامة على صحة دعواك. وفي الكلام حذف تقديره: قال: آتي بها. قالوا: ما هي؟. قال هذه ناقة. روي أنهم اقترحوا عليه ناقة عُشَراء[5]، تخرج من هذه الصخرة تلد سَقْباً[6]. فقعد صالح يتفكر، فقال له جبريل عليه السلام: صلّ ركعتين، وسل ربك النّاقة. ففعل، فخرجت الناقة، وبركت بين أيديهم ونتجت سقباً مثلها في العِظَم.

---

(١) ق: لا يتركوا.

(٢) هذا من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٣: ١٢٢.

(٣) ق: والنخل والهضيم.

(٤) ق: فرهين.

(٥) الناقة العشراء: التي أتى على حملها عشرة أشهر.

(٦) السّقب: الذكر من ولد الناقة.

وتقدّم في الأعراف[1] طرف من قصة ثمود والناقة.

والشِّرب: النصيب المشروب من الماء نحو السِّقْي. وظاهر هذا العذاب أنه في الدنيا، وكان وقع، ووصف بالعظم لحلول العذاب فيه. ونُسب العقر إلى جميعهم [لكونهم راضين بذلك حتى روي أنهم استرضوا المرأة في خدرها والصبيان فرضوا جميعاً].

﴿فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ﴾ لا ندمَ توبةٍ بل ندم خوفٍ أن يحلّ بهم العذاب عاجلاً، وذلك عند معاينة العذاب في[2] [٤١٦/ب] غير وقت التوبة.

أصبحوا وقد تغيّرت ألوانهم حسبما كان أخبرهم به صالح عليه السلام. وكان العذاب صيحة خمدت لها أبدانهم، وانشقّت قلوبهم، وماتوا عن آخرهم، وصُبّ عليهم حجارة خلال ذلك، وأل في ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ للعهد في العذاب السابق أي: عذاب ذلك اليوم العظيم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

(١) في الآيات ٧٣-٧٩.

(٢) ق: معاينة وذلك في.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية.

﴿أَتَأْتُونَ﴾ استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ. و﴿الذُّكْرَانَ﴾ جمع ذكر مقابل الأنثى. والإتيان كناية عن وطء الرجال، وقد سمّاه تعالى بالفاحشة. ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ وهو مخصوص بذكران بني آدم، وقيل: مخصوص بالغرباء.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ﴾ ظاهر في كونهم لا يأتون النساء إمّا البتّة وإما غلبة.

﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ يدلّ على الإباحة بشرطها ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ أي: من الإناث. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: متجاوزون الحدّ في الظلم. وهو إضراب بمعنى الانتقال من شيء إلى شيء.

ولمّا نهاهم عن هذا الفعل القبيح، توعّدوه بالإخراج وهو النّفي من بلده الذي نشأ فيه، أي: لئن لم تنته عن دعواك النبوّة وعن الإنكار علينا فيما نأتيه من الذّكران، لننفينّك كما نفينا من نهانا قبلك.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾ أي: للفاحشة التي أنتم تعملونها. و«لعملكم» متعلق بـ«القالين».

قال أبو عبد الله الرازي[1]: القِلى: البغض الشديد، كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد انتهى.

ولا يكون قلى بمعنى أبغض وقلا من الطبخ[2] والشيء من مادة واحدة، لاختلاف التركيب؛ فمادة قلا من الشيء، من ذوات الواو وتقول: قلوت اللحم فهو مقلوّ. ومادة قلى من البغض، من ذوات الياء: قليت الرجل فهو

(١) تفسير الرازي ٢٤: ١٦١.

(٢) ق: الط.

مقليّ، قال[1]: [من الطويل]

[صرفتُ الهوى عنهنّ من خشية الرّدى و]لستُ بمقليّ الخلال ولا قالِ

ولمّا توعّدوه بالإخراج، أخبرهم ببغض عملهم، ثم دعا ربّه فقال ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي﴾ أي: من عقوبة ما يعملون من المعاصي.

ولمّا كانت زوجته مندرجة في الأهل، وكان ظاهر دعائه دخولها في التّنجية، وكانت امرأته كافرة، استثنيت في قوله ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾. و«في[2] الغابرين» صفة، أي: من الباقين من لداتها[3] وأهل بيتها. ونجاته عليه السلام أن أمره تعالى بالرحلة ليلاً، وكانت امرأته كافرة، تعين عليه قومه، فأصابها حجر، فهلكت فيمن هلك.

قال قتادة: أمطر الله تعالى على شذّاذ القوم حجارة من السماء فهلكوا.

وقال مقاتل: خسف الله بقوم لوط، وأرسل الحجارة على[4] من كان خارجاً من القرية. ولم يكن فيها مؤمن إلا بيت لوط.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٣٥.

(٢) ق: ومن.

(٣) ق: ولدانها.

(٤) ق: إلى.

خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ روي في الحديث[(١)] أن شعيباً أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة، أمرهم بإيفاء الكيل وهو الواجب، ونهاهم عن الإخسار وهو التّطفيف، ولم يذكر الزيادة على الواجب لأنّ النفوس قد تشحّ بذلك [٤١٧/أ] فمن فعله فقد أحسن، ومن تركه فلا حرج.

وتقدّم تفسير القسطاس في سورة الإسراء[(٢)].

﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ﴾ تقدّم الكلام عليها[(٣)].

ولمّا تقدّم أمْره عليه السّلام بتقوى الله، أمرهم ثانياً بتقوى من أوجدهم وأوجد من قبلهم، تنبيهاً على أن من أوجدهم قادر على أن يعدمهم ويهلكهم. وعطف [عليهم] «والجبلة» إيذاناً بذلك فكأنه قيل: مصيركم إلى ما صار[(٤)] إليه أوّلوكم، فاتقوا الله الذي تصيرون إليه.

«والجبلة» الخَلْق، وقيل: الخَلْق المنجمد الغليظ، مأخوذ من الجبل.

---

(١) انظر الطبري ١٩: ٦٥.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٥ من الإسراء.

(٣) انظر تفسير الآية ٨٥ من الأعراف.

(٤) ق: أصاب.

ثم طلبوا منه إسقاط كسف من السّماء عليهم، وليس له ذلك، فالمعنى: إن كنت صادقاً، فادعُ الذي أرسلك أن يُسقط[١] علينا كسفاً، أي: قطعة. ودلّ طلبهم ذلك على التصميم على الجحود والتكذيب.

ولما طلبوا منه ما طلبوا، أحال علم ذلك إلى الله تعالى، وأنه هو العالم بأعمالكم، وما تستوجبون عليها من العقاب، فهو يعاقبكم [بما شاء].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ وهو نحوٌ ممّا اقترحوا. ولم يذكر الله تعالى كيفية عذاب الظّلة، وروي في حديثها اختلاف كثير؛ فروي أنه حبس عنهم الرّيح سبعاً، فابتُلوا بحرٍّ عظيم، يأخذ بأنفاسهم، لا ينفعهم ظلّ ولا ماء، فاضطرّوا إلى أن خرجوا إلى البّرية، فأظلّتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً، فاجتمعوا تحتها، فأمطرت عليهم ناراً، فأحرقتهم. وكرّر ما كرّر، في أوائل هذه القصص، تنبيهاً على أن طريقة الأنبياء واحدة، لا اختلاف فيها، وهي الدّعاء إلى توحيد الله تعالى وعبادته، ورفض ما سواه، وأنهم ورسول الله ﷺ مشتركون في ذلك، وأن ما جاء به صلى الله عليه وسلم هو ما جاءت به الرّسل عليهم السلام قبله، وتلك عادة الأنبياء.

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا

(١) ق: تسقط.

كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الآية، الضمير في «وإنه» عائد على القرآن، أي: أنه ليس بكهانة ولا سحر، بل هو من عند الله تعالى. وكأنه عاد أيضاً إلى ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عمّا يأتيهم من الذكر، ليتناسب المفتتح والمختتم.

و﴿ٱلرُّوحُ﴾ هنا جبريل عليه السلام. وتقدّم في سورة مريم[1] لِمَ أُطلق عليه الرّوح.

والظاهر تعلّق «على قلبك» و«لتكون» «بنزل»[2]. وخصّ القلب - والمعنى: عليك - لأنه محلّ الوعي والتّثبيت، وليُعلم أن المنزل على قلبه عليه السلام محفوظ، لا يجوز عليه التبديل والتغيير، وليكون علّة في التّنزيل أو النزول اقتصر عليها، لأن ذلك أزجر للسامع، وإن كان القرآن نزل للإنذار والتبشير.

والظاهر تعلّق «بلسان» «بنزل»[3] فكان يسمع من جبريل عليه السلام

---

(١) لم يتقدم ذلك، انظر تفسير الآية ١٧ من مريم.

(٢) ق: تنزل.

(٣) ق: تنزل.

حروفاً عربية.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن. ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: مذكور في الكتب المنزلة القديمة منبَّه عليه مشار[١] إليه.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ أي[٢]: [٤١٧/ب] علامة على صحّته عِلْم بني إسرائيل به؛ إذ كانت قريش ترجع في كثير من الأمور النقلية إلى بني إسرائيل، ويسألونهم عنها، ويقولون: هم أصحاب الكتب الإلهية. وقد تهوّد كثير من العرب، وتنصّر كثير[٣]، لاعتقادهم في صحّة دينهم.

وذكر الثعلبي عن ابن عباس أن أهل مكة بعثوا إلى أحبار يثرب، يسألونهم عن النبي ﷺ فقالوا: هذا زمانه، ووصفوا نعته، وخلطوا في أمر محمد عليه السلام فنزلت الآية في ذلك[٤]. ويؤيد هذا كون الآية مكيّة.

وقرىء: يكن، بالياء، آيةً[٥]، بالنصب خبر «يكن»، و«أن يعلمه» أن مع الفعل بتأويل المصدر تقديره: عِلْمُ بني إسرائيل وهو اسم «يكن».

وقرىء: تكن، بالتّاء، آيةٌ، بالرفع.

وخرّجه الزمخشري[٦] على أنه «آية» اسم «تكن»[٧]، و«أن يعلمه» الخبر،

---

(١) ق: مشاراً.
(٢) أي: مكررة في ق.
(٣) ق: كبير، في الموضعين.
(٤) انظر تفسير القرطبي ١٣ : ١٣٨.
(٥) ق: أنه.
(٦) الكشاف ٣: ١٢٨.
(٧) ق: على أنه آية اسم يكن.

فجعل النكرة اسم «تكن» و«أن يعلمه» المعرفة الخبر.

وهو عكس الإعراب، أعني جَعْل الاسم نكرة والخبر معرفة وهو لا يجوز إلّا في الشعر كقول الشاعر(١): [من الوافر]

كأنّ سبيئةً من بيتِ رأسٍ يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ

والأحسن في هذه القراءة أن يكون في «تكن»(٢) ضمير القصّة اسماً لها، و«آيةٌ أن(٣) يعلمه» جملة في موضع خبر «تكن».

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ ﴾ بلغة العجم على رجل أعجمي، فقرأه على العرب، لم يؤمنوا به من حيث لم يفهموه، واستنكفوا اتّباعه.

وقال الفرّاء(٤): ﴿ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾ جمع أعجم أو أعجمي على حذف ياء النسب، كما قالوا: الأشعرين واحدهم أشعري.

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي: على العرب بلسان العجم.

والضمير في «سلكناه» عائد على ما عادت عليه الضمائر قبلُ(٥) وهو القرآن. والمعنى: مثل ذلك السَّلْك، وهو الإدخال والتمكين والتّفهم لمعانيه.

﴿ سَلَكْنَٰهُ﴾ أدخلناه ومكّنّاه في قلوب المجرمين، والمعنى: ما ترتّب على ذلك السَّلْك من كونهم فهموه وأدركوه، فلم يزدهم ذلك، إلاّ عناداً وجحوداً

---

(١) البيت لحسّان في ديوانه ص٥٩.

(٢) ق: يكن.

(٣) ق: وأن.

(٤) لم أجده في معاني القرآن.

(٥) ق: قيل.

وكفراً به. ورؤيتهم للعذاب، قيل: في الدنيا، وقيل: يوم القيامة.

﴿فَيَقُولُوا﴾[1] أي: كل أمّة معذّبة. ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ مؤخّرون. وهذا على جهة التّمني منهم والرّغبة، حيث لا تنفع الرغبة.

ثم رجع لفظ الآية إلى توبيخ قريش على استعجالهم عذاب الله تعالى في طلبهم سقوط السماء كسفاً وغير ذلك، وقولهم للرسول: أين الذي تعدنا به؟.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ بإقامة الحجة عليهم في أنّ مدّة الإرجاء والإمهال والإملاء لا تغني، إذا نزل العذاب بعدها.

ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك[2] قرية من القرى إلا وقد أرسل لها من ينذرها عذاب الله، إن هي عصت، ولم تؤمن، كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء].

وجمع «منذرون» لأنّ «من قرية» عامّ في القرى الظالمة [٤١٨/أ] كأنه قيل: وما أهلكنا القرى الظّالمة. والجملة من قوله «لها منذرون» في موضع الحال من «قرية».

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: كيف عزلت الواو عن الجملة بعد «إلا» ولم تعزل عنها في قوله ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤﴾ [الحجر]؟. قلت: الأصل عزل الواو، لأن الجملة صفة «القرية». وإذا

---

(١) ق: فيقولون.

(٢) ق: تهلك.

(٣) الكشاف ٣: ١٣٠.

زيدت، فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف] انتهى.

الإعراب أن يكون «لها» في موضع الحال، وارتفع «منذرون» بالمجرور أي: إلا كائناً[1] لها منذرون، فتكون من مجيء الحال مفرداً لا جملة. ولو قدّرنا «لها منذرون» جملة، لم يَجُزْ أن تجيء صفة بعد إلاّ. [ومذهب الجمهور أنه لا تجيء الصفة بعد إلاّ] معتمدة على أداة الاستثناء نحو: ما جاءني أحد إلا راكب، وإذا سُمع مثل هذا، خرّجوه على البدل أي: إلاّ رجل راكب. ويدلّ على صحّة هذا المذهب أن العرب تقول: ما مررت بأحدٍ إلا قائماً، ولا يُحفظ من كلامها: [ما] مررت بأحدٍ إلا قائمٍ [بالجرّ]. فلو كانت الجملة في موضع الصّفة للنكرة، لورد المفرد بعد إلاّ صفةً لها. فإن كانت الصفة غير معتمدة على الأداة، جاءت الصفة بعد إلاّ نحو: ما جاءني أحد إلا زيد خير من عمروٍ، والتقدير: ما جاءني أحد خير من عمروٍ إلا زيد. وأمّا كون الواو تُزاد لتأكيد وصل الصّفة بالموصوف فغير معهود في كلام النحويين لو قلت: جاءني رجل وعاقل، على أن يكون «وعاقل» صفة لرجل لم يَجُزْ. وإنما تدخل الواو في الصفات جوازاً إذا عطف بعضها على بعض، وتغاير مدلولها نحو: مررت بزيد الكريم والشجاع والشاعر. وأما ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف] فقد تقدّم الكلام عليه في موضعه.

و«وذكرى» منصوب على المصدر، والعامل فيه [«منذرون»] لأنه في معنى: مذكِّرون.

(١) ق: كائنتا.

قال الزمخشري[1]: ووجه آخر وهو أن تكون «ذكرى» متعلقة «بأهلكنا» مفعولاً له، والمعنى: وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجّة، بإرسال المنذرين إليهم، ليكون [إهلاكهم] تذكرة وعبرة لغيرهم، فلا يعصوا مثل عصيانهم، وما كنّا ظالمين فنهلك قوماً غير ظالمين. وهذا الوجه عليه المعوّل انتهى.

هذا لا معوّل عليه! لأنّ مذهب الجمهور أنّ ما قبل إلاّ لا يعمل فيما بعدها[2] إلا أن يكون مستثنى أو مستثنى منه، أو تابعاً له غير معتمد على الأداة، نحو: ما مررت بأحد إلا زيد[3] خير من عمروٍ. والمفعول له ليس واحداً من هذه الثلاثة، فلا يجوز أن تتعلق «بأهلكنا». ويتخرّج جواز ذلك على مذهب الكسائي والأخفش، وإن كانا لم ينصّا على المفعول له بخصوصيّته.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الآية، كان مشركو قريش يقولون: إن لمحمدٍ تابعاً[4] من الجن، يخبره كما يخبر [٤١٨/ب] الكهنة فنزلت[5]. والضمير في «به» يعود على القرآن، بل ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء].

وما أحسن ما ترتّب[6] نفي هذه الجمل! نفى أولاً تنزُّل الشياطين به - والنّفي في الغالب يكون من الممكن، وإن كان هنا لا يمكن من الشياطين

---

(١) الكشاف ٣: ١٣٠.

(٢) عبارة ق: أن ما بعد في الأصل قبل إلاّ يعمل فيما قبلها.

(٣) ق: زيداً.

(٤) ق: بايعاً.

(٥) انظر الدرّ المنثور ٥: ٩٥.

(٦) ق: يرتب.

التنزّل بالقرآن - ثم نفى انبغاء[1] ذلك والصلاحية أي: ولو فُرض الإمكان، لم يكونوا أهلاً له[2]، ثم نفى قدرتهم[3] على ذلك، وأنه مستحيل في حقهم التنزّل به. فارتقى من نفي الإمكان إلى نفي الصلاحية إلى نفي القدرة والاستطاعة، وذلك مبالغة مترتّبة في نفي تنزيلهم به. ثم علّل انتفاء ذلك - على استماع كلام أهل السماء - [بأنهم] مرجومون بالشهب.

ثم قال تعالى ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ والخطاب في الحقيقة للسامع لأنه تعالى قد علم أن ذلك لا يمكن أن يكون من الرسول عليه السلام، ولذلك قال المفسّرون: المعنى: قل يل محمد لمن كفر: لا تدع مع الله إلهاً آخر.

ثم أمره تعالى بإنذار عشيرته. والعشيرة تحت الفخذ وفوق الفصيلة. ونبّه على العشيرة، وإن كان مأموراً بإنذار الناس كافة، لأن في إنذارهم - وهم عشيرته - عدمَ محاباةٍ ولطفٍ بهم، وأنهم والناس في ذلك شرع واحد في التخويف والإنذار.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ تقدم الكلام على هذه الجملة في آخر الحجر[4]. وهو كناية عن التواضع. نهاه عن التكبّر بعد التواضع.

و﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عامّ في عشيرته وغيرهم.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾[5] قرىء بالفاء والواو.

---

(١) ق: انتفاء.

(٢) ق: إهلاكه.

(٣) قدرتهم: مكررة في ق.

(٤) انظر تفسير الآية ٨٨ من الحجر.

(٥) ق: فتوكل.

﴿حِينَ تَقُومُ﴾ في التهجّد والصلاة والقيام بالليل.

﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ معطوف على مفعول «يراك» أي: ويرى تقلّبك.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: قل يا محمد هل أخبركم. وهذا استفهام توقيف وتقرير.

﴿عَلَىٰ مَن﴾ متعلق بـ«تَنَزَّلُ». والجملة المتضمّنة معنى الاستفهام في موضع نصب «لأنبئكم» لأنه[1] بمعنى أعلمكم. فإن قدّرتها متعدّية [لاثنين كانت سادّة مسدّ المفعول الثاني. وإن قدّرتها متعدية] لثلاثة، كانت سادّة[2] مسدّ الاثنين.

﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ وهو الكثير الإفك وهو الكذب. و﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم.

فأفّاك وأثيم صيغتا مبالغة، والمراد الكهنة.

والضمير في ﴿يُلْقُونَ﴾[3] يحتمل أن يعود على «الشياطين» أي: ينصتون ويصغون بأسماعهم، ليسترقوا شيئاً مما يتكلّم به الملائكة حتى ينزلوا بها إلى

(١) ق: لأنبئكم لأنه معلّق لأنه.

(٢) ق: سدّت.

(٣) ق: تلقون.

الكهنة. أو يلقون السمع - أي: المسموع - إلى من يتنزّلون عليه.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ أي: وأكثر الشياطين الملقين[1] كاذبون. فعلى معنى الإنصات يكون استئناف إخبار. وعلى إلقاء المسموع إلى الكهنة احتمل الاستئناف، واحتمل أن يكون حالاً من «الشياطين» أي: تنزّل على كل أفّاك أثيم ملقين ما سمعوا.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ قيل: هي في أمية بن أبي الصلت وأبي عزّة ومسافع الجمحي وهبيرة بن أبي وهب وأبي سفيان بن الحارث وابن الزّبعرى. وقد أسلم ابن [٤١٩/أ] الزبعرى وأبو سفيان.

و«الشعراء» عامّ يدخل فيه كل شاعر. والمذموم من يمدح ويهجو شهوة محرّمة، ويقذف المحصنات، ويقول الزّور وما لا يسوغ شرعاً.

و«الغاوون» قال ابن عباس: الرّواة. وقال أيضاً: المستحسنون لأشعارهم المصاحبون لهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ تمثيل لذهابهم[2] في كل شعب من القول واعتسافهم وقلّة مبالاتهم بالغلوّ في المنطق ومجاوزة الحدّ في القصد، حتى يفضّلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحّهم على حاتم، ويبهتوا البريء ويفسّقوا التّقي.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وذلك لغلّوهم[3] في أفانين الكلام

(١) ق: المقين.

(٢) ق: لدهائهم.

(٣) ق: لعلوهم.

ولهجهم بالفصاحة والمعاني اللطيفة، قد ينسبون لأنفسهم ما لا يقع منهم.

وقد درأ الحدّ في الخمر عمر بن الخطاب عن نعمان بن عدي في شعر قاله لزوجته حين احتجّ عليه بهذه الآية. وقد كان ولّاه ميسان، فعزله وأراد أن يحدّه. والفرزدق أنشد سليمان بن عبد الملك[١]: [من الوافر]

فبتن كأنهنّ مصرّعات ... وبتّ أفضّ أغلاق الختام

فقال له سليمان: لقد وجب عليك الحدّ. فقال: لقد درأ الله عنّي الحدّ بقوله ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

أخبر تعالى عن الشعراء بالأحوال التي تخالف النبوّة إذ أمْرهم كما ذكر.

والمراد بالمستثنَيْن حسّان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان ينافح عن رسول الله ﷺ. وقال عليه السلام لكعب بن مالك[٢] «أهْجُهُم فوالّذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النّبل». وقال لحسّان[٣] «قل وروح القدس معك».

ولمّا ذكر ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ توعّد الظالمين هذا التوعّد العظيم الهائل الصّادع للأكباد.

وأبهم[٤] في قوله ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾. وكان السّلف الصالح يتواعظون

---

(١) ديوانه ص٨٣٦، ولم أجده في طبعة بيروت.

(٢) أخرجه النسائي ٥: ٢٠٢، ٢١٢ من حديث أنس، في شعر ابن رواحة. وانظر مسلم ٤: ١٩٣٥.

بها.

والمفهوم من الشريعة أن الذين ظَلموا هم الكفّار. وقرأ ابن عباس وابن أرقم عن الحسن: أي منفلت ينفلتون، بفاءين وتاءين. ومعناه أن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى، وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة. و«سيعلم» هنا معلّقة. و«أي منقلب» استفهام، والناصب له «ينقلبون» وهو مصدر. والجملة في موضع المعمول «لسيعلم».

سورة النمل(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾.

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾ الآية ، هذه السورة مكية بلا خلاف. ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة لأنه قال ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ ﴾ [الشعراء] [٤١٩/أ] وقبله ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ ﴾ [الشعراء]، وقال هنا «طس تلك آيات القرآن(٢)» أي: الذي هو تنزيل ربّ العالمين. وأضاف الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم، لأن المضاف إلى العظيم(٣) عظيم. والمبين: تقدم الكلام عليه(٤).

و﴿ هُدٗى ﴾ قيل: الجنة. ﴿ وَبُشۡرَىٰ ﴾ بالثواب.

---

(١) مكّية وهي ثلاث وتسعون آية.

(٢) ق: الكتاب.

(٣) ق: التعظيم.

(٤) انظر تفسير الآية ١٥ من المائدة.

ولمّا كان الإيقان[١] بالآخرة مما هو ثابت عندهم[٢] مستقر الديمومة جاءت الجملة اسمية، وأكّد[٣] المسند إليه فيها بتكراره فقيل «هم يوقنون». وجاء خبر المبتدأ فعلاً ليدلّ على الديمومة. واحتمل أن تكون تلك الجملة استئناف إخبار.

قال ابن عطية: و«الأخسرون» جمع أخسر لأن[٤] أفعل صفة لا يجمع إلا أن يضاف فتقوى رتبته في الأسماء، وفي هذا نظر انتهى.

لا نظر في كونه يجمع جمع سلامة وجمع تكسير إذا كان بأل، بل لا يجوز فيه إلاذلك، إذا كان قبله ما يطابقه في الجمعية، فتقول: الزّيدون هم الأفضلون والأفاضل، والهندات هنّ الفضليات والفُضْل.

وأما قوله: لا يجمع إلا أن يضاف، فلا يتعيّن إذ ذاك جمعه، بل إذا أضيف إلى نكرة فلا يجوز جمعه، وإن أضيف إلى معرفة[٥] جاز فيه الجمع والإفراد على ما قرّر ذلك في كتب النحو.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى﴾ لمّا تقدّم ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ ۝١﴾ [النمل] خاطب نبيّه عليه السلام بقوله «وإنك» أي: هذا القرآن الذي تلقّيته هو من عند الله تعالى، وهو الحكيم العليم لا كما ادّعاه المشركون من أنه إفك وأساطير وكهانة وشعر وغير ذلك من تقوّلاتهم. وبُني الفعل للمفعول وحُذف الفاعل، وهو

---

(١) ق: الإتقان.

(٢) ق: عندهم لم.

(٣) ق: وأكدت.

(٤) ق: لأنه.

(٥) ق: إلى جمع.

جبريل عليه السلام، للدلالة عليه في قوله ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء]. ولقى [مخففاً] يتعدّى إلى واحد، والتضعيف[1] فيه للتعدية فيتعدّى به إلى اثنين، وكأنه كان[2] غائباً عنه، فلقيه فتلقّاه.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿إِذْ[3] قَالَ مُوسَىٰ﴾ تقدّم الكلام عليه[4].

﴿ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ على الإضافة، وبشهابٍ، منوّناً، قبسٍ، بدلاً منه.

والظاهر أن الضمير في «جاءها» عائد على النار. و«نودي» المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله ضمير عائد على موسى عليه السلام، و«أن» على هذا يجوز أن تكون مفسّرة لوجود شرط المفسّرة فيها، ويجوز أن تكون مصدرية: إما الثنائية التي تنصب المضارع و«بورك» صلة لها، والأصل حرف الجر أي:

---

(١) ق: وهو التضعيف.

(٢) ق: وكان كأنه.

(٣) ق: وإذ.

(٤) انظر تفسير الآية ١٠ من طه.

بأن بورك، و«بورك» الخبر. وإما المخفّفة من الثقيلة وأصلها بحرف الجر، و«من» مفعول لم يُسَمَّ فاعله.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: هل يجوز أن تكون - يعني «أنْ» في قوله «أن بورك» - المخفّفة من الثقيلة وتقديره: أنه بورك، والضمير ضمير الشأن والقصة؟. قلت: لا لأنه لا بدّ من قد. فإن قلت: فعلى إضمارها؟ [قلت]: لايصحّ لأنها علامة ولا تحذف انتهى.

يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، و«بورك» فعل دعاء، كما تقول: بارك الله فيك. وإذا كان دعاءً، لم يَجُزْ دخول قد عليه فيكون كقوله [٤٢٠/أ] تعالى ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ ۝٩ ﴾ [النور] في قراءة من جعله فعلاً ماضياً. وكقول العرب: إما أن جزاك الله خيراً وإما أن يغفر لك. وكان الزمخشري بنى ذلك على أنّ «بورك» خبر لا دعاء فلذلك لم يجز أن تكون المخفّفة من الثقيلة.

و﴿ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ موسى عليه السلام.

﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾هم الملائكة. وجعلت النار ظرفاً له عليه السلام لمّا كان طالباً لها وجائياً إليها.

والظاهر أن الضمير في «إنه» ضمير الشأن. و«أنا الله» جملة في موضع الخبر. و﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ صفتان.

قال الزمخشري[2]: يجوز أن يكون الضمير في «إنه» راجعاً إلى ما دلّ

(١) الكشاف ٣: ١٣٧.

(٢) الكشاف ٣: ١٣٨.

عليه ما قبله، يعني: إنّ مكلّمك أنا، و«الله» بيان «لأنا»، و«العزيز الحكيم» صفتان للبيان انتهى.

إذا حذف الفاعل، وبني الفعل للمفعول، فلا يجوز أن يعود الضمير على ذلك المحذوف، إذ قد غيّر الفعل عن بنائه له، وعزم على أن لا يكون محدّثاً عنه. فعَوْد الضمير إليه مما ينافي ذلك إذ يصير معتنى به مقصوداً.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ تقدم الكلام [عليه][1]. وهنا شبّهها حالة اهتزازها بالجانّ، قيل: وهو صغار الحيّات، شبهها بها في سرعة اضطرابها وحركتها مع عظم جثتها. ولمّا رأى موسى عليه السلام هذا الأمر الهائل ولّى مدبراً.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: لم يرجع.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ استثناء منقطع. والمعنى: لكن من ظلم من غيرهم.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ أي: في جملة تسع آيات. وتقدم الكلام على الآيات في الأعراف[3].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: ذاهباً إلى فرعون.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ ضمّن «جحدوا» معنى كفروا، فلذلك عدّاه بالباء. وانتصب «ظلماً» على أنه مفعول من أجله والعامل فيه «جحدوا».

---

(١) انظر تفسير الآية ١٧٧ من الأعراف.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٢ من طه.

(٣) انظر تفسير الآية ١٣٣ من الأعراف.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُودَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ الآية، هذا ابتداء قصص وإخبار بمغيّبات وعبر[1]. ونكّر «علماً» لأنه طائفة من العلم.

«منطق الطير» استعارة لما يُسمع منها من الأصوات، وهو حقيقة في بني آدم. لمّا كان سليمان يفهم منه ما يفهم من كلام بني آدم كما يفهم بعض الطير من بعض، أُطلق عليه «منطق».

﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ ظاهر العموم، والمراد الخصوص، أي: من كل شيء يصلح لنا ونتمنّاه. وأريد به كثرة ما أوتي، فكأنه مستغرق لجميع الأشياء.

﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يحشر أولهم على آخرهم، أي: يوقف متقدّمو العسكر حتى يأتي آخرهم، فيجتمعون، لا يتخلف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ ﴾ هذه غاية[2] لشيء مقدّر أي: وساروا حتى إذا أتوا. أو يضمّن «يوزعون» معنى فعل يقتضي أن تكون «حتى» غاية[3] له، أي: فهم

(١) ق: وغير ذلك.

(٢) ق: عامة.

(٣) ق: عامة.

يسيرون مكنوفاً[1] بعضهم [من] مفارقة بعض. وعدّي «أتوا» بعلى إمّا لأنّ إتيانهم كان من فوق، وإما أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره، من قولهم: أتى على الشيء، إذا أتى على آخره وأنفذه. وذكروا اختلافاً كثيراً في صغر هذه النملة [٤٢٠/ب] [وكبرها] وفي اسمها العلم ما لفظه. وليت شعري من الذي وضع لها لفظاً يخصّها؟ أبنو آدم أم النّمل؟!. وقالوا كانت نملة [عرجاء.

ولحوق التاء في «قالت» لا يدلّ على أنّ النملة مؤنثة، بل يصحّ أن يقال في المذكر: قالت نملة]، لأن «نملة» وإن كانت بالتاء هو ممّا لا يتميّز [فيه] المذكر من المؤنث. وما كان كذلك كالنملة والقملة ممّا بينه في الجمع وبين واحِدِه[2] من الحيوان تاء التأنيث، فإنه يُخْبَر عنه إخبار المؤنث، ولا يدلّ كونه يُخبر عنه إخبار المؤنث على أنه ذكر أو أنثى، لأن التاء دخلت فيه للفرق، لا دالّةً على التأنيث الحقيقي، بل دالّة على الواحد من هذا الجنس. والضمير في «ادخلوا» ضمير جمع مَن يعقل، وكذلك ضمير الخطاب في «مساكنكم» لما كان النّمل قابلاً لفعل ما أُمروا به، نُزّلوا منزلة جمع من يعقل.

و﴿ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾ قيل بالشام، وقيل بأقصى اليمن.

وفي الكلام حذف تقديره: فسمع سليمان قولها فتبسّم ضاحكاً ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ ﴾ أي: أجعلني أَزَعُ شكر نعمتك وأرتبطه حتى لا ينفلت مني[3] حتى لا أنفكّ شاكراً لك.

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ ﴾

(١) ق: ملفوفاً.

(٢) ق: واحدة.

(٣) ق: لا ينقلب عني.

لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ الآية، الظاهر أنه تفقد جميع الطير وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور المُلْك والاهتمام بالرّعايا. قيل: وكان يأتيه من كل صنف واحد. وفي الكلام حذف تقديره: ففقد الهدهد حين تفقد الطّير. «أم» هنا هي المنقطعة تتقدر[1] ببل والهمزة.

ودلّ قوله ﴿ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ أنه كان في عسكر سليمان من كان يغيب عنه.

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ أبهم العذاب الشديد، وفي تعيينه أقوال مضطربة، فمنها أنه يحشر مع غير جنسه. والسلطان المبين: الحجة والعذر. وفيه دليل على الإغلاظ على العاصين وعقابهم. وبدأ أولاً بأخفّ العقابين وهو التعذيب، ثم أتبعه بالأشدّ وهو إذهاب المهجة بالذّبح. وأقسم على هذين لأنهما من فعله، وأقسم على الإتيان بالسلطان، وليس من فعله لمّا نظم الثلاثة في الحكم بأو، كأنّه قال: ليكوننّ أحد هذه الثلاثة. والمعنى. إن أتى بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح، وإلا كان أحدهما.

---

(١) ق: يتقدّر.

والظاهر أن الضمير في «فمكث» عائد على «الهدهد» أي: غير زمن بعيد، أي: عن قرب. ووصف مكثه بقصر المدّة للدلالة على إسراعه خوفاً من سليمان، وليُعلم كيف كان الطير مسخّراً له، ولبيان ما أُعطي من المعجزة الدّالة على نبوّته وعلى قدرة الله تعالى. وكان فيما روي قد أُعلم بما أقسم عليه سليمان، فبادر إلى جوابه بما يُسكن غيظه عليه، وهو أن غيبته كانت لأمرٍ عظيم، عرض له، فقال ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾. وفي هذا جسارةُ مَنْ لديه علمٌ لم يكن عند غيره وتبجّحه[١] بذلك، وإبهام حتى تتشوف[٢] النفس إلى معرفة ذلك المبهم ما هو. ومعنى الإحاطة هنا أنه علم علماً ليس عند نبي [٤٢١/أ] الله تعالى سليمان عليه السلام.

قال الزمخشري[٣]: ألهم الله الهدهد، فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوّة والحكمة والعلوم الجمّة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاءً له في علمه وتنبيهاً على أن في أدنى خَلْقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يُحط به، لتتحاقر[٤] إليه نفسه، ويصغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة للعلماء، وأعظِمْ بها فتنة. والإحاطة بالشيء علماً أن يُعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم. قالوا: وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أن الإمام لا يخفى عليه [شيء] ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه انتهى.

ولمّا أبهم في قوله «بما لم تحط به» انتقل إلى ما هو أقلّ منه إبهاماً وهو قوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ إذ فيه إخبار بالمكان الذي جاء منه، وأنه له

---

(١) ق: وينجحه.

(٢) ق: تشوف.

(٣) الكشاف ٣: ١٤٣.

(٤) ق: ليتحاقر.

علم بخبر مستيقن له. وقرىء: فمكث، بضم الكاف وفتحها.

وذكر أن مثل «سبأ بنبأ» يسمّى تجنيس التصريف، قال[1]: وهو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف، ومنه قوله تعالى ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر]. ولفظ «نبأ» لا يكون إلا الخبر الذي له شأن، ولفظ الخبر مطلق ينطلق على ما له شأن وما ليس له شأن.

ولمّا أبهم الهدهد أولاً، ثم أبهم ثانياً دون ذلك الإبهام، صرّح بما كان أبهمه فقال ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾.

ومعنى «وجدت» هنا أصبت. والضمير في «تملكهم» عائد على «سبأ» إن كان أريد به القبيلة، وإن أريد الموضع فهو على حذف مضاف أي: وجئتك من أهل سبأ. والمرأة بلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها ملك اليمن كلها، وقد ولده أربعون ملكاً، ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت على المُلْك. وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ هذا على سبيل المبالغة، والمعنى: من كل شيء احتاجت إليه، أو من كل شيء في أرضها.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ قيل: كرسيّها، وكان مرصّعاً بالجواهر. وما أحسن انتقالات[2] هذه الأخبار بعد تهدّد الهدهد وعلمه بذلك؛ أخبر أولاً باطّلاعه على ما لم يطّلع عليه سليمان، تحصّناً من العقوبة برتبة العلم الذي حصلت له، فتشوّف السامع إلى ذلك، ثم أخبر ثانياً بمتعلّق ذلك العلم، وهو أنه من سبأ، وأنه أمر متيقّن، لا يُشكّ فيه، فزاد تشوّف السامع إلى سماع ذلك النبأ،

---

(١) صاحب القول هو صاحب كتاب التفريع بفنون البديع، انظر البحر ٧: ٦٦.

(٢) في المطبوع: انتلافات.

ثم أخبر ثالثاً[١] عن المُلْك الذي أوتيَتْه امرأة - وكان سليمان قد سأل الله تعالى أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده -، ثم أخبر رابعاً ما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه المرأة التي ليس من شأنها ولا من شأن النّساء أن تملك فحول الرجال وهو قوله «وأوتيت من كلْ شيء» وقوله «ولها عرش عظيم».

وكان سليمان له بساط، قد صُنع له وكان عظيماً. [ولمّا] لم يتأثر سليمان عليه [٤٢١/ب] السلام للإخبار بهذا كله إذ هو أمر دنياوي، أخبره خامساً بما يهزّه لطلب هذه الملكة ودعائها إلى الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة فقال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وقرىء: ألا، بالتخفيف وهو حرف استفتاح. ويا، للتنبيه. واسجدوا، فعل أمر. وقرىء: ألاّ، بالتشديد وهي «أن» أُدغمت نونها في «لا» التي للنفي. ويسجدوا، فعل مضارع منصوب بأن. والمعنى: فهم لا يهتدون لنفي سجودهم لله تعالى، أي: الحامل لهم على انتفاء الهداية انتفاء سجودهم لله، لأن الذّنب يجرّ الذنب، فلمّا انتفى عنهم السجود انتفت الهداية. وفي البحر إعراب يوقف عليه فيه[٢].

و«الخبء» مصدر أُطلق على المخبوء وهو المطر والنبات وغيرهما ممّا خبّأه الله تعالى من غيوبه. والظاهر أن «في السماوات» متعلق «بالخبء» أي: المخبوء في السماوات.

والظاهر أن قوله ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ إلى ﴿ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل] من كلام الهدهد.

---

(١) ق: ثانياً.

(٢) انظر ٧: ٦٨.

ولمّا فرغ الهدهد من كلامه، وأبدى عُذره في غيبته، أخّر سليمان أمره إلى أن يتبيّن[1] له صدقه، فقال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ . والنظر هنا التأمّل والتّصفح. و«أصدقت» جملة معلّق عنها «سننظر» وهي في موضع نصب على إسقاط حرف الجرّ، لأنّ نظر بمعنى التأمّل والتّفكر إنّما يتعدّى[2] بحرف الجرّ الذي [هو] في. وعادل بين الجملتين «بأم»، ولم يكن التركيب: أم كذبت، لأنه كان ثَمَّ كذّابون.

وفي الكلام حذف تقديره: فأمر بكتابة كتاب إليهم وبذهاب الهدهد رسولاً إليهم بالكتاب فقال ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾ أي: الحاضر المكتوب الآن. ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: تنحَّ عنهم إلى مكان قريب بحيث تسمع[3] ما يصدر منهم، وما يرجع به بعضهم إلى بعض من القول. وفي قوله «اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم» دليل على إرسال الكتب للمشركين من الإمام، يبلّغهم الدّعوة، ويدعوهم إلى الإسلام. وقد كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وغيرهما من ملوك العرب. وقال وهب: أمْره بالتولّي حُسْنُ أدبٍ ليتنحّى حسبما يُتأدَّب [به] مع الملوك، بمعنى: وكن قريباً بحيث تسمع مراجعاتهم.

ومعنى ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: تأمّل واستحضره في ذهنك. وقيل: معناه: فانتظر. و«ماذا» إن كان معنى «فانظر» معنى التأمّل بالفكر، كان «انظر» معلّقاً. و«ماذا» إما كلمة استفهام في موضع نصب، وإما أن يكون «ما» استفهاماً و«ذا» موصول بمعنى الذي. فعلى الأول يكون «يرجعون» خبراً عن «ماذا»، وعلى الثاني يكون «ذا» هو الخبر و«يرجعون» صلة «ذا». وإن

(١) ق: تبيّن..

(٢) ق: يتعدّ.

(٣) ق: يسمع.

كان معنى «فانظر»: فانتظر، فليس فعل قلب فيعلّق، بل يكون «ماذا» كلّه موصولاً بمعنى الذي، أي: فانتظر[1] الذي يرجعون. والمعنى: فانظر ماذا يرجعون حتى تردّ[2] إليّ ما يرجعون من القول.

وفي الكلام حذف [٤٢٢/أ] تقديره: فذهب وألقى الكتاب وتفكّر فيما يرجع به إليه.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ

(١) ق: فانظر.

(٢) ق: يردّ.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ الآية، فقيل إن الهدهد ألقى الكتاب من كوّة كانت في القصر، وتوارى فيها. فأخذت الكتاب، ونادت أشراف قومها - وكانت قارئة عربية من قوم تُبّع -: قالت يا أيها الملأ. وكرم الكتاب لطبعه بالخاتم. وفي الحديث[1] «كرم الكتاب ختمه»، أو لكونه من سليمان وكانت عالمة بملكه.

ثم أخبرتهم فقالت ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾، كأنها قيل لها: ممّن الكتاب، وما هو؟. فقالت: إنه من سليمان وإنه كيت وكيت[2]. أبهمت أولاً ثم فسّرت. وفي بنائها «ألقي» للمفعول دلالة على جهلها بالملقي حيث حذفته، أو تحقير[3] له حيث كان طائراً إن كانت شاهدَتْه. والظاهر أن بداءة الكتاب من سليمان: بسم الله الرحمن الرحيم إلى آخر ما قصّ[4] الله تعالى، منه خاصّة.

و[«أن» في] ﴿أَلَّا تَعْلُوا﴾ مفسّرة. و«لا تعلوا» نهي لمشاكلة عطف الأمر عليه.

ولمّا قرأت على الملأ الكتاب، ورأت ما فيه من الأمر بالانتقال إلى سليمان،

---

(١) ضعيف، رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس. انظر ضعيف الجامع الصغير ٤: ١٣٨.

(٢) ق: ليت وليت.

(٣) ق: تحقيراً.

(٤) ق: نصّ.

استشارتهم[1] في أمرها، وكانت بأرض مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام.

والمراد هنا: أشيروا عليّ بما عندكم فيما[2] حدث لها، ومن الرأي السّديد والتدبير.

وقصدت بإشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب[3] نفوسهم ليمالئوها ويقوموا[4] معها.

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ أي: مبرمة وفاصلة أمراً.

﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أي: تحضروا عندي، فلا أستبدّ بأمرٍ، بل تكونون حاضرين معي.

و«ما كنت قاطعة أمراً» عامّ في كل أمر، أي: إذا[5] كانت عادتي هذه معكم، فكيف لا أستشيركم في هذه الحادثة الكبرى التي هي الخروج من الملك والانسلاك في طاعة غيري والصيرورة تبعاً.

فراجعها الملأ بما أقرّ عينها من قولهم إنهم أولو قوّة أي: قوة بالعدّة والعدد. ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: أصحاب شجاعة ونجدة. ثم قالوا ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، وذلك من حُسْن محاورتهم إذ وكلوا الأمر إليها. وفيه دليل على الطاعة المفرطة، أي: نحن ذكرنا ما نحن عليه، ومع ذلك فالأمر موكول إليك، كأنهم أشاروا أوّلاً بالحرب، أو أرادوا: نحن أبناء الحرب لا

---

(١) ق: استشاراتهم.

(٢) ق: من ما.

(٣) ق: وتطييت.

(٤) ق: وتقوموا.

(٥) ق: إذ.

أبناء الاستشارة، وأنتِ ذات الرأي والتدبير الحسن، فانظري ماذا تأمرين به، نرجع[1] إليك ونتبع رأيك.

و«فانظري» من التأمّل والتفكّر. و«ماذا» هو المفعول الثاني «لتأمرين». والمفعول الأول محذوف لفهم المعنى أي: تأمريننا به. والجملة معلّق عنها «انظري»، فهي في موضع مفعول «لانظري» بعد إسقاط الحرف من اسم الاستفهام.

ولمّا وصل إليها كتاب سليمان لا على يد رجل بل على طائر، استعظمت مُلك سليمان، وعلمت أنّ من سُخّر له الطير حتى يرسله بأمر خاص إلى شخص خاص مغلقٍ عليه الأبواب، غير ممتنع عليه تدويخ [٤٢٢/ب] الأرض وملوكها. فأخبرت بحال الملوك، ومالت إلى المهاداة والصلح فقالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾ أي: تغلّبوا عليها.

﴿أَفْسَدُوهَا﴾ أي: خرّبوها بالهدم والحرق والقطع، وأذلّوا أعزّة أهلها بالقتل والنهب والأسر.

وقولها فيه تزييف لآرائهم في الحرب وخوف عليهم وحياطة لهم واستعظام لملك سليمان عليه السلام.

وجاء لفظ الهديّة مبهماً، وقد ذكروا في تعيينها أقوالاً[2] مضطربة، وذكروا من حيلها في الهدية ومن حال سليمان حين وصلت إليه وكلامه مع رسلها ما الله أعلم بصحّته. و«فناظرة» معطوف على «مرسلة». و«بِمَ»[3] متعلق بـ«يرجع». والنّظر هنا معلّق أيضاً، والجملة في موضع مفعول به. وفيه دلالة

---

(١) ق: يرجع.

(٢) ق: أقوال.

(٣) ق: وثم.

على أنها لم تثق[١] بقبول الهدية، بل جوّزت الرّد، وأرادت بذلك أن ينكشف لها غرض سليمان. والهديّة[٢] اسم لما يُهدى، كالعطيّة: اسم لما يُعطَى. وروي أنها قالت لقومها: إن كان ملكاً دنياويًا، أرضاه المال، وعملنا معه بحسب ذلك، وإن كان نبيًا لم يُرضه المال، وينبغي لنا أن نتبعه على دينه.

وفي الكلام حذف تقديره: فأرسلت الهدية.

﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ أي: الرسول سليمان. والمراد بالرسول الجنس لا حقيقة المفرد، وكذلك الضمير في ﴿ٱرۡجِعۡ ٣٧﴾ [النمل]. والرسول يقع على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث.

و﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾ استفهام إنكار واستقلال، وفي ذلك دلالة على عزوفه عن الدنيا وعدم تعلّق قلبه بها عليه السلام. [ثم] ذكر نعمة الله عليه وأنّ ما آتاه الله من النبوّة وسعة المُلك خير مما آتاكم بل أنتم بما يُهدَى إليكم تفرحون لحبّكم الدنيا.

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ هو خطاب للرسول الذي جاء بالهديّة وهو المنذر بن عمرو أمير الوفد. والمعنى: ارجع إليهم بهديّتهم. ثم أقسم سليمان فقال ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ﴾ متوعداً لهم. وفيه حذف أي: إن لم يأتوني مسلمين. ودلّ هذا التوعّد على أنهم كانوا كفّاراً باقين على الكفر إذ ذاك. والضمير في«بها» عائد على الجنود.

ومعنى ﴿لَّا قِبَلَ﴾ لا طاقة. وحقيقة القِبَل: المقاومة والمقابلة أي: لا يقدرون أن يقاتلوهم. والضمير في «منها» عائد على «سبأ» وهي أرض

---

(١) ق: يتق.

(٢) ق: واهديه.

بلقيس وقومها.

وانتصب «أذلة» على الحال. «وهم صاغرون» حال أخرى.

والذلّ: ذهاب ما كانوا فيه من العزّ. والصَّغار: وقوعهم في أسر واستعباد، ولايقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً.

﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ الآية، قال ابن عباس: كان سليمان مهيباً لا يُبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه. فنظر ذات يوم رَهَجاً[1] قريباً منه فقال: ما هذا؟ قالوا بلقيس. فقال ذلك.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ الآية، وكان سليمان عليه السلام يجلس في مجلس الحكم من الصبح إلى الظهر. فقيل: [٤٢٣/أ].

﴿مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: من مجلس الحكم، وقيل: قبل أن تستوي من جلوسك قائماً.

﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ أي: على الإتيان به. ﴿لَقَوِىٌّ﴾ على حمله. ﴿أَمِينٌ﴾ لا أختلس منه شيئاً.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قيل: هو آصف بن برخيا، وقيل غير ذلك. والعلم الذي أوتيه قيل: اسم الله الأعظم. والظاهر أن ارتداد الطّرف حقيقة، ولذلك روي أن سليمان قال: أريد أسرع من ذلك، حين أجابه العفريت. فروي أنّ آصف قال لسليمان عليه السلام: مُدَّ عينيك حتى ينتهي طَرْفك. فمدّ طرفه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار العرش من مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدرة الله تعالى.

---

(١) الرّهج: الغبار.

﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ في الكلام حذف تقديره: فدعا الله فأتاه به. «فلما رآه» أي: عرش بلقيس. وانتصب «مستقراً» على الحال، و«عنده» معمول له.

والظرف إذا وقع في موضع الحال، كان العامل فيه واجب الحذف، فقال ابن عطية: وظهر العامل في الظرف من قوله «مستقرًا» وهذا هو المقدَّر أبداً في كل ظرف، جاء ها هنا مُظْهَراً، وليس في كتاب الله مثله انتهى.

﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ أي: هذا الإتيان بعرشها، وتحصيل ما أرادت من ذلك هو فضل ربي عليّ وإحسانه. ثم علّل ذلك بقوله ﴿ لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾. وتلقّي سليمان النعمة وفضل الله تعالى بالشكر إذ ذاك نعمة متجدّدة، والشكر قيد النّعم.

و«أأشكر أم أكفر» في موضع نصب «ليبلوني» وهو معلّق لأنه في معنى التمييز، والتمييز في معنى العلم. وكثر التعليق في هذا الفعل إجراءً له مجرى العلم وإن لم يكن مرادفاً له، لأن مدلوله الحَقيقي هو الاختبار.

﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ أي: ذلك الشكر عائد ثوابه إليه إذ كان قد صان نفسه عن كفران النعمة، وفعل ما هو واجب عليه من شكر نعمة الله عليه.

﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ أي: فضل الله تعالى ونعمته عليه.

﴿ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ ﴾ عن شكره، إذ ثمرة شكره لا يعود نفعها إلى الله، لأنه هو الغني المطلق الكريم بالإنعام على من كفر نعمته.

والظاهر أن قوله «فإن ربي غني كريم» هو جواب الشرط ولذلك أضمرنا في قوله «غنيّ»: أي: عن شكره. ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً دلّ عليه ما قبله من قسيمه، أي: ومن كفر فلنفسه، أي: ذلك الكفر عائد عقابه إليه.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أمْرٌ بالتنكير وهو أن يُزاد فيه ويُنقَص. والتنكير جَعْله متنكّراً متغيّراً عن شكله وهيئته.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾ في الكلام حذف تقديره: فنكّروا عرشها ونظروا ما جوابها إذا سئلت عنه ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: أمِثْلُ هذا العرش الذي[1] رأيتيه عرشك الذي تركتيه[2] ببلادك؟. ولم يأت التركيب: أهذا عرشك؟ بل [٤٢٣/ب] جاء بأداة التشبيه لئلا يكون ذلك تلقيناً لها. ولمّا رأته على هيئة لا تعرفها فيه، وتميّزت فيه أشياء من عرشها لم تجزم بأنه هو، ولا نَفَتْه النّفي البالغ، بل أبرزت ذلك في صورة تشبيهية فقالت: كأنه هو، وذلك من جودة ذهنها حيث لم تجزم في الصورة المختلفة بأحد الجائزَيْن من كونه إياه أو من كونه ليس إياه، وقابلت تشبيههم بتشبيهها.

والظاهر أن قوله ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ إلى قوله ﴿مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٤٣﴾ [النمل] ليس من كلام بلقيس وإن كان متصلاً بكلامها، فقيل هو من كلام سليمان عليه السلام.

و«الصرح» كل بناءٍ عالٍ، ومنه ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا ۝٣٦﴾ [غافر].

ولمّا وصلت بلقيس أمر سليمان الجن فصنعت له صرحاً، وهو السطح في الصحن[3] من غير سقف، وجعلته مبنيًّا كالصّهريج وملىء ماءً، وبثّ فيه السّمك والضفادع، وطبّق بالزّجاج الأبيض الشفاف، ولهذا جاء صرحاً. وجُعل لسليمان في وسطه كرسي، فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجنّ

---

(١) ق: الذي أنت عليه.

(٢) إلحاق الياء بالتاء لغة، انظر الكتاب ٤: ٢٠٠.

(٣) ق: في الصخر.

والإنس. فلما وصلت بلقيس قيل لها: ادخلي إلى نبيّ الله سليمان عليه السلام. فرأت اللجّة وفزعت، ولم يكن لها بدٌّ من امتثال الأمر، فكشفت عن ساقيها، فرأى سليمان ساقيها سالمتين مما قالت الجن [فيها]. فلمّا بلغت هذا الحدّ قال لها سليمان إنه صرح ممرّد من قوارير. فعند ذلك استسلمت بلقيس وأذعنت، وأسلمت، وأقرّت على نفسها بالظّلم. وفي الكلام حذف تقديره: فدخلت امتثالاً للأمر. واللجّة: الماء الكثير. وكَشْف ساقيها عادة كل من كان لابساً وأراد أن يخوض الماء إلى مقصد له، ولم يكن المقصود من الصّرح إلا تهويل الأمر، وحصل كشف السّاق على سبيل التّبع.

قال ابن عطية: و«مع» ظرف بني على الفتح. وأما إذا سكّنت العين فلا خلاف أنه حرف جاء لمعنى انتهى.

والصحيح أنها ظرف فتحت العين أو سكنت، وليس التسكين مخصوصاً بالشعر كما زعم بعضهم، بل ذلك لغة لبعض العرب، والظرفية فيها مجاز، وإنما هو اسم يدلّ على معنى الصّحبة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟

يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ الآية، «ثمود» هي بعد عاد الأولى، وصالح أخوهم في النّسب. لمّا ذكر قصة موسى وداود وسليمان وهم من بني إسرائيل، ذكر قصّة من هو من العرب يذكّر بها قريشاً والعرب، وينبّههم على أنّ من تقدّم من الأنبياء من العرب كان يدعو إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، ليعلموا أنهم في عبادة الأصنام على ضلالة، وأن شأن الأنبياء عربهم وعجمهم هو الدعاء إلى عبادة الله تعالى.

و«أنْ» في ﴿أَنِ اعْبُدُوا﴾ يجوز أن تكون مفسّرة؛ لأنّ «أرسلنا» يتضمن معنى القول. ويجوز أن تكون مصدرية أي: بأن اعبدوا، فحذف حرف الجر. فعلى الأول لا موضع لها من الأعراب، وعلى الثاني ففي موضعها خلاف أهو في موضع نصب أم في موضع [٤٢٤/أ] جرّ.

والظاهر أنّ الضمير في ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ عائد على «ثمود» وأن قومه انقسموا فريقين: مؤمناً وكافراً، وقد جاء ذلك مفسّراً في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا [مِن قَوْمِهِ] لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴿٧٥﴾﴾. وإذا هنا هي الفجائية. وعطف بالفاء التي تقتضي التعقيب لا المهلة، فكان المعنى أنهم بادروا بالاختصام متعقباً دعاء صالح إياهم إلى عبادة الله تعالى. وجاء «يختصمون» على المعنى لأن الفريقين جمع؛ فإن كان الفريقان مَنْ آمن ومَنْ كفر فالجمعية حاصلة في كل فريق. ويدلّ على أن فريق المؤمن جمعٌ قوله ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف] فقال «آمنتم» وهو ضمير الجمع. وإن كان الفريق المؤمن هو صالحاً[1] وحده،

---

(١) ق: صالح.

فإنه قد انضمّ إلى قومه والمجموع جمع. وأوثر «يختصمون» على يختصمان وإن كان من حيث لفظ التثنية جائزاً فصيحاً، لأنه مقطع فصل. واختصامهم دعوى كلّ فريق أن الحقّ معه. وقد ذكر الله تعالى تخاصمهم في الأعراف[١].

ثم تلطّف صالح بقومه، ورفق بهم في الخطاب، فقال منادياً لهم على جهة التحنّن عليهم ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي: بوقوع ما يسوؤكم قبل الحالة الحسنة، وهي رحمة الله تعالى. وكان قد قال لهم في حديث الناقة ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف] فقالوا له ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت][٢].

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي: تشاءَمْنا بك وبالذين آمنوا معك. فردّ عليهم بقوله ﴿طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: حظّكم في الحقيقة من خير أو شرّ هو من عند الله وبقضائه، إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم. ثم انتقل إلى الإخبار عنهم بحالهم فقال: بل أنتم قوم تفتنون بشهواتكم أي: تشغفون بها.

وجاء «تفتنون» بتاء الخطاب على مراعاة «أنتم» وهو الكثير في لسان العرب. ويجوز: يُفتنون، بياء الغيبة[٣] على مراعاة لفظ «قوم» وهو قليل؛ تقول العرب: أنت رجل تأمر بالمعروف، بتاء الخطاب وبياء الغيبة.

و«المدينة» مجتمع ثمود وقريتهم وهي الحِجْر. وذكر المفسرون أسماء

---

(١) ذلك في الآيات ٧٣-٧٩.

(٢) والصحيح أن هذه الآية وردت في معرض ردّ قوم لوط عليه. أما ردّ قوم صالح فجاء ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف].

(٣) ق: بتاء الغيبة.

التسعة وفي بعضها اختلاف، ورأسهم قدار[١] بن سالف، وأسماؤهم لا تنضبط بشكل ولا بتعيين، وكانوا عظماء القرية وفُسّاقها وأغنياءها. والرهط من الثلاثة إلى العشرة، والنّفَر من الثلاثة إلى التسعة. واتفق المفسّرون على أن المعنى: تسعة رجال.

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟﴾ معناه تحالفوا. وقرىء: لتبيّتُنّه، ثم لتقولُنَّ، وضم ما قبل نون التوكيد. وقرىء بالنّون فيهما وفتح ما قبل نون التوكيد. والظاهر أن في الكلام حذف معطوف، يدلّ عليه ما قبله والتقدير: ما شهدنا مهلك أهله ومهلكه. ودلّ عليه قولهم ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ وما روي أنهم عزموا على قتله وقتل أهله . ويكون قولهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ كذباً في الإخبار. أوهموا قومهم [٤٢٤/ب] أنهم إذا قتلوه وأهله سرًّا، ولم يشعر بهم أحد وقالوا تلك المقالة أنهم صادقون وهم كاذبون.

ومَكْرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله، ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون.

والظاهر أن «كيف» خبر «كان» و«عاقبة» الاسم، والجملة في موضع نصب «بانظر» وهي معلّقة. وقرىء: إنّا[٢]، بكسر الهمزة على الاستئناف. وقرىء بفتحها، فأنّا: بدل من «عاقبة» أو خبر «لكان» و«كيف» في موضع الحال أو خبر مبتدأ محذوف أي: هي، أي: العاقبة تدميرهم. أو يكون التقدير: لأنّا، وحذف حرف الجر. وعلى كلتا[٣] القراءتين يجوز أن تكون «كان» تامّة

---

(١) ق: قداد.

(٢) ق: إمّا.

(٣) ق: كلا.

و«عاقبة» فاعلاً[1] بها، وأن تكون زائدة و«عاقبة» مبتدأ خبره «كيف».

ولمّا أمر تعالى بالنظر فيما جرى لهم من الهلاك في أنفسهم، بيّن ذلك بالإشارة إلى منازلهم وكيف خلت منهم. وخراب البيوت وخلوّها من أهلها حتى لا يبقى منهم أحد، ممّا يعاقب به الظَّلَمة إذ يدلّ ذلك على استئصالهم.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ الآية، «ولوطاً» عطف على ﴿صَٰلِحًا ﴿٤٥﴾﴾ [النمل] أي: وأرسلنا لوطاً.

و﴿أَتَأْتُونَ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ. وأبهم أوّلاً في قوله «الفاحشة» ثم عيّنها في قوله ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: تعلمون قُبح هذا الفعل المبتكر الذي أحدثتموه، وأنه من أعظم الخطايا، أو آثار العصاة قبلكم، أو ينظر بعضكم لبعض ولا يستتر ولا يتحاشى من إظهار ذلك.

وانتصب «شهوة» على أنه مفعول من أجله. و«تجهلون» غلّب فيه الخطاب كما غلّب في قوله ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النمل] ومعنى «تجهلون» أي: عاقبة ما أنتم عليه، أو تفعلون فعل السّفهاء المُجّان.

(١) ق: فاعل.

ولمّا أنكر عليهم، ونسبهم إلى الجهل، ولم تكن لهم حجّة فيما يأتونه من ذلك، عدلوا إلى المغالبة والإيذاء.

وتقدّم[١] معنى ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ في الأعراف[٢]. وباقي الآية تقدم تفسير نظيره في الأعراف[٣].

و﴿فَسَآءَ﴾ بمعنى بئس، والمخصوص بالذّم محذوف تقديره: مطرُهم.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾ الآية، لمّا فرغ من قصص هذه السورة، أمر

---

(١) وتقدم: مكررة في ق.

(٢) انظر شرح الآية ٨٢ من الأعراف.

(٣) انظر شرح الآية ٨٢ نفسها.

رسوله عليه السلام. بحمده تعالى، وبالسلام على المصطفين، وأخذ في مباينة واجب الوجود للأصنام التي أشركوها مع الله تعالى وعبدوها. وابتدأ في هذا التقرير لقريش وغيرهم بالحمدلة، وكأنها صدر خطبة لما يلقى(١) من البراهين الدالّة على الوحدانية والعلم والقدرة.

ولمّا كان خلق السماوات والأرض، وإنزال الماء من السّماء، لا شبهة للعاقل في أن ذلك لايكون إلا لله تعالى، وكان الإنبات ممّا قد يتسبّب فيه الإنسان بالبذر والسّقي والتهيئة، ويسوغ لفاعل السبب نسبة فعل المسبّب إليه - بيّن تعالى اختصاصه بذلك بطريق الالتفات وتأكيد ذلك بقوله ﴿مَّاكَانَ [٤٢٥/أ] لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾. الا ترى [أنّ] المتسبّب لذلك قد لا يأتي على وفق مراده، ولو أتى فهو جاهل لطبعه ومقداره وكيفيته، فكيف يكون فاعلاً لها؟!.

والبهجة: الجمال والنّضرة والحسن، لأنّ الناظر فيها يبتهج أي: يسرّ ويفرح.

وقوله ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ(٢)﴾ استفهام فيه تبكيت وتوبيخ وتهكّم بحالهم، وتنبيه على موضع التّباين بين الله تعالى وبين الأوثان التي يعبّر عنها «بما» التي هي لما لا يعقل؛ إذ معلوم عند من له عقل أنه لا شركة(٣) في الخيريّة بين الله تعالى وبينهم. وكثيراً ما يجيء هذا النوع من أفعل التفضيل حيث يُعلم ويُتحقق أنه لا شركة فيها، وإنما يذكر على سبيل إلزام الخصم

(١) ق: تلقي.

(٢) ق: تشركون.

(٣) ق: يشركه.

وتنبيهه على خطأ مرتكبه. وقرىء: ذات، بالإفراد. بهجة[1]، [بسكون الهاء]. وجمع التكسير يجري في الوصف مجرى[2] الواحدة كقوله تعالى ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۝٢٥﴾ [البقرة] وهو على معنى جماعة. [وقرىء: ذوات، بالجمع. بهجة، بفتح الهاء].

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ قد تقدّم أن [نفي] مثل هذه الكينونة، قد يكون ذلك لاستحالة وقوعه كهذا، أو لامتناع وقوعه شرعاً، أو لنفي الأولوية. والمعنى هنا أنّ إنبات ذلك منكم محال، لأنه إبراز شيء من العدم إلى الوجود، وهذا ليس بمقدور إلا الله تعالى.

ولمّا ذكر منّته عليهم، خاطبهم بذلك، ثم لمّا ذكر ذمّهم عدل من الخطاب إلى الغيبة فقال ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ إما التفاتاً وإما إخباراً للرسول بحالهم، أي: يعدلون عن الحق، أو يعدلون به غيره أي: يجعلون له مثيلاً وعديلاً.

ولمّا ذكر تعالى أنه منشىء السماوات والأرض، وذكر شيئاً مشتركاً بين السماء والأرض، وهو إنزال الماء من السماء وإنبات الحدائق بالأرض - ذكر شيئاً مختصًا بالأرض، وهو جعلها قراراً أي: مستقرًّا لكم بحيث يمكنكم الإقامة بها والاستقرار عليها، ولا يديرها الفَلَك قيل: لأنها مضمحلّة في جنب الفلك كالنقطة في وسط الرّحى.

﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ أي: بين أماكنها في شعابها وأوديتها أنهاراً.

---

(١) ق: ذات بهجة بالإفراد.

(٢) ق: ليجري.

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالاً[1] ثوابت حتى لا تنكفىء[2] بكم وتميد.

والبحران: العذب والملح. والحاجز: الفاصل من قدرة الله تعالى.

وما أحسن ما جاء تركيب هذه الجمل بلفظ «وجعل» إذ صارت كل جملة مستقلّة بذاتها بخلاف عطف المفردات، وجاءت بلفظ الماضي دلالة على أن لا تجدّد فيها، بخلاف الجمل التي بعدها، فإنها جاءت بلفظ المضارع الدالّ على التكرّر والتجدّد.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ «المضطر» اسم مفعول وهو الذي أحوجه مرض أو فقر أو حادث من حوادث الدهر إلى الالتجاء إلى الله تعالى، والتضرع إليه، فيدعوه لكشف ما اعتراه من ذلك وإزالته عنه.

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ هو كل ما يسوء، وهو عامّ في كل ضرّ. انتقل من حالة المضطر وهي خاص [٤٢٥/ب] إلى أعمّ وهو ما يسوء، سواء أكان المكشوف عنه في حالة الاضطرار أو فيما دونها.

و﴿خُلَفَآءَ﴾ أي[3]: الأمم السالفة، أو في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

وظلمة البر هي ظلمة الليل وهي الحقيقة، وتنطلق مجازاً على الجهل وعلى انبهام الأمر؛ يقال: أظلم عليّ الأمر. وهداية البرّ تكون بالعلامات، وهداية البحر تكون بالنجوم.

---

(١) ق: جبال.

(٢) ق: يتكفف.

(٣) ق: إلى.

﴿وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ تقدّم نظير هذه الجملة[١].

وقرىء: عما تشركون، بتاء الخطاب.

﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ الظاهر أن «الخلق» هو المخلوق، وبدؤه: اختراعه وإنشاؤه. ويظهر أن المقصود هو من يعيده الله في الآخرة من الإنس والجن والمَلَك لا عموم المخلوق. ولمّا كان إيجاد بني آدم إنعاماً إليهم وإحساناً، ولا تتمّ النّعمة إلا بالرّزق قال ﴿وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ بالنبات.

﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَـٰنَكُمۡ﴾ أي: أحضروا حجتكم ودليلكم على ما تدّعون من إنكار شيء ممّا تقدّم تقريره.

﴿إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ﴾ في أنّ مع الله إلهاً آخر فأين دليلكم عليه؟. وهذا راجع إلى ما تقدّم من جميع الاستفهام الذي جيء به على سبيل التقرير. وناسب ختم كل استفهام بما تقدّمه: لمّا ذكر إيجاد[٢] العالم العلوي والسفلي ختم بقوله ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾.

ولمّا ذكر جعل الأرض مستقرًا ختم بقوله ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ إذ كان فيهم من يعلم ويفكّر[٣] في ذلك. ولمّا ذكر إجابة دعاء المضطر ختم بقوله ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ[٤]﴾ إشارة إلى توالي النسيان على الإنسان إذا صار في خير وزال اضطراره.

---

(١) انظر تفسير الآية ٥٧ من الأعراف.

(٢) ق: اتحاد.

(٣) ق: وتفكّر.

(٤) ق: يذكرون.

ولمّا ذكر الهداية في الظلمات قال ﴿تَعَٰلَى[ٱللَّهُ] عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

واعتقب[1] كل واحدة من هذه الجمل قوله ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ على سبيل التوكيد والتقرير أنه لا إله إلا هو تعالى.

قيل: سأل الكفار عن وقت القيامة التي وعدهم رسول الله ﷺ، وألحّوا عليه فنزل[2] ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية. والمتبادر إلى الذهن أن «مَنْ» فاعل «بيعلم»، و«الغيب» مفعول، و«إلا الله» استثناء منقطع لعدم اندراجه في مدلول لفظ «مَن»، وجاء مرفوعاً على لغة تميم. ودلّت هذه الآية على أنه تعالى هو المنفرد بعلم الغيب و«أيان» تقدّم الكلام فيها في الأعراف[3]، وهي هنا اسم استفهام بمعنى متى، وهي معمولة «ليبعثون»[4] و«يشعرون» معلّق، والجملة التي فيها استفهام في موضع نصب به.

وقرىء: بل ادّارك، أصله تدارك. وقرىء: أدرك، على وزن أفعل، قال ابن عباس: المعنى: بل تدارك علمهم ما جهلوه في الآخرة بمعنى: تكامل علمهم في الآخرة بأن كلّ ما أوعدوا به حق. وهذا حقيقة إثبات العلم لهم لمشاهدتهم عياناً في الآخرة ما وُعدوا به غيباً[5] في الدنيا. وكونه بمعنى المضيّ ومعناه الاستقبال لأن الإخبار به [٤٢٦/أ] صدق فكأنه قد وقع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا

(١) ق: واعيقب.

(٢) انظر القرطبي ١٣ : ٢٢٥.

(٣) انظر تفسير الآية ١٨٧ من الأعراف.

(٤) ق: لتبعثون.

(٥) عينانا.

هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ ﴾ الآية، [لمّا تقدّم أنه تعالى منفرد بعلم الغيب، ومن جملتها وقت السّاعة، وأن الكفار في شكّ منها عمون] ناسب ذكر مقالتهم في استبعادها، وأنّ ما وُعدوا به من ذلك ليس بصحيح، إنما ذلك ما سطّر الأولون، من غير إخبار بذلك عن حقيقة. [ثم] ذكروا أنهم وعدوا ذلك وآباؤهم، فلم يقع شيء من هذا الموعود، ثم جزموا وحصروا أنّ ذلك من أكاذيب من تقدّم. وجاء هنا تقديم الموعود [به] وهو «هذا» وتأخّر في آية أخرى[1] على حسب ما سيق الكلام لأجله.

ثم أمر نبيّه عليه السلام أن يأمرهم بالسير في الأرض. وتقدم الكلام في

(١) في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المؤمنون].

نظيره[١]. وأراد «بالمجرمين» الكافرين.

ثم سلّى نبيه عليه السلام فقال ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ في كونهم لم يسلموا، ولم يذعنوا إلى ما جئت به.

ولمّا استعجلت قريش بأمر الساعة أو بالعذاب الموعود به هم، وسألوا عن الوقت الموعود به على سبيل الاستهزاء، قيل له: [﴿قُلْ] عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ أي: تبعكم عن قرب، وصار كالرديف التابع لكم بعض ما استعجلتم به، وهو كان عذاب يوم بدر، وقيل عذاب القبر. وقرىء: ردف، بكسر الدال وفتحها، وهما لغتان. وأصله التعدّي بمعنى: تبع ولحق، فاحتمل أن يكون مضمّناً معنى اللازم، ولذلك فسّره ابن عباس وغيره بأزف[٢]، وقرب، لمّا كان يجيء بعد الشيء قريباً منه، ضمّن معناه، أو مزيداً للاّم في مفعوله لتأكيد وصول الفعل إليه، كما زيدت الباء في ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة]. وقد عدّي بمن على سبيل التضمين لما يتعدى بها، قال الشاعر[٣]:

فلما ردفنا من عمير وصحبه تــولّــوا ســراعــاً والمنيــة تعنــق

[من الطويل]

أي: دنونا[٤] من عمير.

وبدأ بما يخصّ الإنسان ثم عمّ كل غائبة. عبّر أولاً بالمَحالّ وهي الصدور، عن الحالّ فيها وهي القلوب. والظاهر عموم قوله ﴿مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ أي: ما من شيء في غاية الغيبوبة والخفاء إلا في كتاب عند الله تعالى ومكنون

(١) انظر تفسير الآية ١١ من الأنعام.

(٢) ق: بارق.

(٣) البيت في شرح شواهد الكشاف ٤٦٩ غير منسوب.

(٤) ق: دنوا. وما سبق من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٣: ١٥٨.

علمه. و«من غائبة» في موضع المبتدأ. و«من» زائدة. و«في كتاب» خبره.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لمّا كان القرآن وما قصّ الله تعالى فيه لا يكاد يجدي عندهم، أخبر تعالى عنهم أنهم موتى القلوب، أو شُبّهوا بالموتى، وإن كانوا أحياء صحاح الأبصار، لأنهم إذا تُلي عليهم، لا تعيه آذانهم، فكانت حالهم، لانتفاء جدوى السماع، كحال الموتى.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ حيث يضلّون الطريق فلا يقدر أحد أن يزيل ذلك عنهم ويحوّلهم هداةً بُصَراء إلا الله تعالى. وقرىء: بهادي العمي، اسم فاعل مضاف. وقرىء: بهادٍ، منوّناً. العُمْيَ. وقرىء: تهدي، مضارع هدى. العُمْيَ، بالنصب.

﴿إِن تُسْمِعُ﴾ هم الذين علم الله تعالى أنهم يصدّقون بآياته.

﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ منقادون للحق.

﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا انتجز [٤٢٦/ب] وَعْد عذابهم الذي تضمّنه القول الأزلي من الله تعالى كقوله ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر]. فالمعنى: إذا أراد الله أن ينفذ في الكافرين سابق علمه فيهم من العذاب، أخرج لهم دابّة من الأرض. و«وقع» عبارة عن الثبوت واللزوم. وروي أن خروجها حين ينقطع الخير، ولا يؤمَر بمعروف، ولا يُنهى عن منكر، ولا يبقى منيب ولا تائب.

وفي الحديث[١] أن الدابّة وطلوع الشمس من المغرب من أول الأشراط. ولم يعيّن الأول [منهما] وكذلك الدجّال. وظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس

---

(١) انظر صحيح مسلم ٤: ٢٢٢٦.

أحدها. والظاهر أن الدابة التي تخرج واحدة. [وروي أنها تخرج في كل بلد دابة مما هو مثبوت نوعها في الأرض وليست واحدة] فيكون قوله ﴿دَآبَّةً﴾ اسم جنس. واختلفوا في كيفيتها اختلافاً كثيراً، وقيل: تخاطبهم فتقول للمؤمن هذا مؤمن، وللكافر هذا كافر. وقيل: «تكلَمهم» تجرحهم من الكَلْم.

وروي أنها تَسِمُ الكافر في جبهته وتُربّده[1]، وتمسح على وجه المؤمن فتبيّضه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ الآية، الحشر: الجمع على عنف. «من كل

(١) كتب فوقها في ق: كذا. وتُربّد وجهه: تُعبّسه وتغيّره.

أمة» أي: من الأمم. و«مِن» هي للتبعيض. «فوجاً» أي: جماعة كثيرة.

﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ «مِن» للبيان أي: الذين يكذّبون. والآيات: القرآن.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ تقدم تفسيره[1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ أي: إلى الموقف. ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم﴾ استفهام توبيخ وتقريع وإهانة.

﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ الظاهر أن الواو للحال، أي: أوقع تكذيبكم بها غير متدبّرين لها، ولا محيطين علماً بكنهها. و«أم» هنا منقطعة تتقدر ببل وحدها.

انتقل من الاستفهام الذي يقتضي التوبيخ إلى الاستفهام عن عملهم أيضاً على جهة التوبيخ، أي: أيّ شيء كنتم تعملون؟ والمعنى: إن كان لكم عمل أو حجّة فهاتوا. وليس لهم عمل ولا حجّة فيما عملوه إلا الكفر والتكذيب و«أماذا كنتم»[2] بجملته يحتمل أن يكون استفهاماً منصوباً بخبر كان وهو «تعلمون»، وأن يكون «ما» هو الاستفهام، و«ذا» موصول بمعنى الذي، فيكونان مبتدأ وخبراً، وكان: صلة لذا، والعائد محذوف تقديره: [أي شيء الذي كنتم] تعملونه.

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: العذاب الموعود به بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله تعالى.

ولمّا ذكر أشياء من أحوال يوم القيامة ليرتدع بسماعها من أراد تعالى

---

(١) انظر تفسير الآية ١٧ من النّمل.

(٢) ق: وما.

ارتداعه، نبّههم على ما هو دليل على التوحيد والحشر بما هم يشاهدونه في حالة حياتهم، وهو تقليب الليل والنهار من نور إلى[١] ظلمة ومن ظلمة إلى نور، وفاعل ذلك واحد، وهو الله تعالى.

قال الزمخشري[٢]: وهو مراعى من حيث المعنى، وهكذا النظم المطبوع غير المتكلّف؛ لأن معنى «مبصراً» ليبصروا فيه طريق التقلّب في المكاسب انتهى.

الذي يظهر أن هذا من باب ما حذف من أوله ما أثبت في مقابله، وحذف من آخره ما أثبت في أوّله، فالتقدير: جعلنا الليل مظلماً، لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً، لتتصرّفوا فيه. فالإبصار ينشأ [٤٢٧/أ] عنه التصرّف في المصالح، ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء]. فالسكون علّة لجعل الليل مظلماً، والتصرّف علّة لجعل النهار مبصراً. وتقدّم لنا الكلام على نظير هذين الحذفين مشبعاً في البقرة في قوله ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ﴿١٧١﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ تقدّم الكلام عليه[٣]. وهذه النفخة هي نفخة الفزع. وروى أبو هريرة[٤] أن المَلَك له في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع وهو فزع الحياة الدنيا وليس بالفزع الأكبر، ونفخة الصّعق، ونفخة القيام من القبور. وعبّر هنا[٥] بالماضي في قوله «ففزع» وإن كان لم يقع إشعاراً

---

(١) ق: من نوازل.

(٢) الكشاف ٣: ١٦١.

(٣) لم يتقدم، وانظر تفسير الآية ٧٣ من الأنعام.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٠: ١٣، وانظر القرطبي ١٣: ٢٣٩.

(٥) ق: وغير هذا.

بصحّة وقوعه وأنه كائن لا محالة.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: فلا ينالهم هذا الفزع. وروى أبو هريرة[١] حديثاً أنهم الشهداء متقلّدو السيوف حول العرش. وقد صحّحه القاضي أبو بكر بن العربي. وقرىء: أتوه، فعلاً ماضياً. وآتوه، اسم فاعل.

والضمير في ﴿أَتَوْهُ﴾ عائد على الموقف، ويجوز أن يراد رجوعهم إلى الله تعالى وانقيادهم له. و﴿دَاخِرِينَ﴾ حال ومعناه منقادين ذليلين.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ هو من رؤية العين. ﴿تَحْسَبُهَا﴾ حال من فاعل «ترى» أو من «الجبال».

و﴿جَامِدَةً﴾ من جمد مكانه إذا لم يبرح منه. وهذه الحال للجبال عقيب النفخ في الصور، وهي أول أحوال الجبال: تموج وتسير، ثم ينسفها الله تعالى، فتصير كالعهن، ثم تكون هباءً منبثًّا[٢] في آخر الأمر.

﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [جملة حالية، أي: تحسبها في رأي العين ثابتة مقيمة في أماكنها، وهي سائرة. وتشبيه مرورها بمرّ السحاب] في كونها تمرّ مرًّا حثيثاً كمرّ[٣] السحاب.

وانتصب ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تليها، فالعامل فيه مضمر من لفظه.

---

(١) رواه ابن جرير أيضاً ٢٠ : ١٤، وانظر القرطبي ١٣ : ٢٤١.

(٢) ق: تكون هنا مبينا.

(٣) ق: كما مرّ.

والحسنة: الإيمان. ورتّب[1] على ذلك شيئين أحدهما أنه له خير منها. ويظهر أن «خير» ليس أفعل تفضيل. و«مِن» لابتداء الغاية أي: له خير من الخيور، مبدؤه ومنشؤه منها، أي: من جهة هذه الحسنة. أو «خير» هنا الثواب، والأَخْيَر[2]: الأمن من الفزع. وقرىء: من فزعٍ، بالتنوين. ويومئذٍ: منصوب على الظرف معمول لقوله «آمنون» أو «لفزعٍ»، أو في موضع الصفة «لفزع» أي: كائن في ذلك الوقت. وقرىء بإضافة «فزع» إلى «يومئذ» بكسر الميم حركة إعراب، وفتحها حركة بناء لإضافته إلى مبني. والتنوين في «يومئذ» تنوين العوض، حذفت الجملة وعوّض منها. والأولى[3] أن تكون الجملة المحذوفة ما قرب من الظرف أي: يوم إذ جاء بالحسنة.

والسّيئة: الكفر والمعاصي فيمن ختم الله عليه من أهل المشيئة بدخول النار. وخُصّت الوجوه إذ كانت أشرف الأعضاء، ويلزم من كبّها في النّار كبّ الجميع. أو عبّر بالوجه عن جملة الإنسان.

والظاهر من ﴿فَكُبَّتْ﴾ أنهم يُلقون في النار منكوسين أعلاهم قبل أسفلهم. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ خطاب لهم على إضمار القول، أي: يقال لهم وقت الكبّ هل تجزون.

ثم أمر تعالى [٤٢٧/ب] نبيّه عليه السلام أن يقول ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾. والآمر هو الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾ أي: أفرده[4] بالعبادة.

---

(١) ق: وتب.

(٢) ق: والآخر.

(٣) ق: والأول.

(٤) ق: أفرده.

و«البلدة» هي مكّة. وأسند التّحريم إليه تشريفاً لها واختصاصاً.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: المنقادين لأمر الله فأعبده كما أمرني.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ﴾ أي: أتلو عليكم القرآن.

﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ به ووحّد الله تعالى [وامتثل] أمر نبيّه عليه السلام وآمن بما جاء به، فثمرة هدايته مختصّة به.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ فوبال ضلاله مختصّ به. وحذف جواب «من ضلّ» لدلالة مقابله عليه، ويحتمل أن يكون ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ويحتاج إلى رابط يعود على «مَن» تقديره: من المنذرين له.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أُمر أن يقول ذلك، فيحمد ربّه على ما خصّه به من شرف النبوة والرسالة.

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ تهديد لأعدائه بما يريهم الله من آياته التي تضطرهم إلى معرفتها والإقرار إلى أنها آيات الله تعالى.

ولمّا قسمهم إلى مهتدٍ وضالٍّ، أخبر تعالى أنه محيط بأعمالهم غير غافل عنها.

وقرىء: يعملون، بياء الغيبة التفاتاً من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

سورة القصص(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾.

﴿طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الآية، هذه السورة مكية كلها وقيل غير ذلك. ومناسبة أوّل هذه السورة لآخر ما قبلها أنه أمره تعالى. بحمده ثم قال: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۝٩٣﴾ [النمل] وكان ممّا فسّر به آياته تعالى معجزات الرسول عليه السلام، وأنه أضافها تعالى إليه، إذ كان هو المجري(2) بها على يديه، فقال ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ فأضافها إلى «الكتاب» إذ كان الكتاب هو أعظم المعجزات وأكثر الآيات البيّنات و«الكتاب» هو القرآن.

﴿نَتْلُوا۟﴾ أي نقرأ(3) عليك بقراءة جبريل عليه السلام. ومفعول «نتلو»:

---

(1) مكية وآياتها ثمان وثمانون.

(2) ق: مجري.

(3) ق: يقرأ.

«من نبأ» أي: بعض نبأ. و«بالحق» متعلق «بنتلو» أي: محقّين، أو في موضع الحال من «نبأ» أي: ملتبساً بالحقّ. وخصّ المؤمنين لأنهم هم المنتفعون بالتلاوة.

﴿ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: تجبّر واستكبر حتى ادّعى الربوبية والألوهية. و«الأرض» أرض مصر. والشّيع: الفرق. ملك القبط واستعبد بني إسرائيل.

﴿ وَنُرِيَ ﴾ حكاية حال ماضية. والجملة معطوفة على قوله ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص] لأن كلتيهما تفسير للنّبأ.

و﴿ أَن نَّمُنَّ ﴾ أي: بخلاصهم من فرعون وإغراقه.

﴿ وَنَجْعَلَهُمْ[1] أَئِمَّةً ﴾ أي: مقتدى بهم في الدين والدنيا.

﴿ وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ أي: يرثون فرعون وقومه: ملكهم وما كان لهم.

والتمكين: التوطئة في الأرض وهي أرض مصر والشام بحيث ينفذ أمرهم ويتسلّطون على من سواهم [٤٢٨/أ].

وقرىء: ونُري، مضارع أرينا ونصب ما بعده. ويَرى، مضارع رأى ورفع ما بعده. «وهامان» وزير فرعون.

و﴿ يَحْذَرُونَ ﴾ [أي]: من زوال ملكهم وإهلاكهم على يدي مولود من بني إسرائيل.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ

---

(١) مكررة في ق.

فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ۞.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية، الظاهر أن الإيحاء هنا هو إرسال ملك إليها لقوله بعد ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ أجمعوا على أنها لم تكن نبيّة.

والظاهر أن هذا الإيحاء هو بعد الولادة فيكون ثَمَّ جملة محذوفة أي: وضعت موسى أمّه في زمن الذّبح وخافت عليه فأوحينا. و«أن» تفسيرية أو مصدرية.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الأولاد فألقيه في اليّم. «اليم» هنا نيل مصر. «ولا تخافي» أي: من غرقه وضياعه ومن التقاطه فيُقتل. «ولا تحزني» لمفارقتك[١] إياه. «إنا رادوه إليك» وعد صادق بتسكين قلبها وتبشيرها بحياته وجَعْله رسولاً. وقد تقدّم طرف من هذا الكلام في طه[٢].

واستفصح الأصمعي إمرأة من العرب أنشدت شعراً فقالت: أبعد قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ - الآية - فصاحة؟. وقد جمع بين أمرين

---

(١) ق: لمفارتك.

(٢) انظر تفسير الآيات ٣٨-٤٠ من طه.

ونهيَيْن وخبرين وبشارتين:

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾ في الكلام حذف تقديره: ففعلت ما أُمرت به من إرضاعه ومن إلقائه في اليمّ. واللام في «ليكون» للتعليل المجازي، لما كان مآل التقاطه وتربيته إلى كونه عدوّاً لهم وحزناً، وإن كانوا لم يلتقطوه إلا للتبنّي وكونه حبيباً يكون لهم[1]. ويُعبَّر عن هذه اللام بلام العاقبة وبلام الصيرورة.

و«قرة» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو قرّة. وتقدّم شرح القرّة[2].

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ جملة حالية أي: لا يشعرون أنه الذي يفسد ملكهم على يديه.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ الآية، أي: صار فارغاً من الصبر، وذلك حين بلغها أنه وقع في يد فرعون، فدهمها الأمر، فطاش لبّها، وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجأة الخطب العظيم، ثم استكانت بعد ذلك لموعود الله تعالى. وجواب «لولا» محذوف تقديره: لأبدت به. والظاهر أن الضمير في «به» عائد على «موسى»، فالباء زائدة أي: لتظهره. وقيل: مفعول «تبدي» محذوف أي: لتبدي القول به أي: بسببه وأنه ولدها.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ أي: اتبعي أثره وتتبّعي[3] خبره. فروي أنها

---

(١) ق: لهم يكون.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٤ من الفرقان.

(٣) ق: أي ابتغي أثره وتبتغي.

خرجت في سكك المدينة مختفية، فرأته عند قوم من حاشية امرأة فرعون، يتطلّبون له امرأة ترضعه حين لم يقبل المراضع. وفي الكلام حذف تقديره: فقصّت أثره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ أي[1]: أبصرته. ﴿عَن جُنُبٍ﴾ أي: عن بُعد. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٤٢٨/ب] بطلبها إياه ولا بإبصارها. و«عن جنب» عن شوق إليه.

﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾ التحريم هنا بمعنى المنع أي منعناه أن يرضع ثدي امرأة.

و«المراضع» جمع مرضعة وهي المراة التي تُرضع.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه[2]. والظاهر أن الضمير في «له» عائد على موسى. ولما قالت [لهم]: هل أدلكم؟ فقالوا لها: إنك قد عَرَفْتِه، فأخبرينا مَنْ هو. فقالت: ما أردتُ إلا أنهم ناصحون للملك. فتخلّصت منهم بهذا التأويل. وفي الكلام حذف تقديره: فمرَّتْ بهم إلى أمّه وكلّموها في إرضاعه.

ولمّا أنجز تعالى وعده في الرّد، ثبت عندها أنه سيكون رسولاً نبيًّا. ﴿وَلِتَعْلَمَ[3] أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ فعلنا ذلك.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ تقدم الكلام عليه في يوسف[4].

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن

---

(١) مكررة في ق.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٠ من طه.

(٣) ق: وليعلم.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٢ من يوسف.

شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ الآية، «المدينة» قال ابن عباس هي منف[1]، ركب فرعون يوماً، وسار إليها، فعلم موسى بركوبه، فلحق بتلك المدينة في وقت القائلة.

﴿يَقْتَتِلَانِ﴾ في الدين؛ إذا أحدهما إسرائيلي مؤمن والآخر قبطي كافر.

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ وهو الإسرائيلي.

﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ وهو القبطيّ، وقيل اسمه فاتون. وهذا حكاية حال ماضية. والظاهر أن فاعل «فقضى» ضمير عائد على موسى.

وكان موسى لم يتعمّد قتله، ولكن وافقت وكزته الأجل، فندم موسى عليه السلام وقال ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وهو ما لحقه من الغضب حتى أدّى إلى الوكزة التي قضت على القبطي، وجعله من عمل الشيطان، وسمّاه ظلماً

(١) مدينة مصرية مما يلي جبل المقطم. انظر الروض المعطار ص ٥٥١.

لنفسه، واستغفر منه، لأنه أدّى إلى قَتْل من لم يؤذن له في قتله.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي: من قَتْل القبطيّ أن يؤخذ به. «يترقب» وقوع المكروه به.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: الإسرائيلي الذي كان قتل القبطيّ بسببه[1]. و«إذا» هنا للمفاجأة. و«بالأمس» يعني اليوم الذي قبل يوم الاستصراخ. «يستصرخه» يصيح به مستغيثاً من قبطيّ آخر. ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾ الظاهر أن الضمير في «له» عائد على الإسرائيلي. ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ﴾ لكونك كنت سبباً في قتل القبطي بالأمس. قال له ذلك على سبيل العتاب والتأنيب.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ الظاهر أنّ الضمير في «أراد» و«يبطش» هو لموسى. ﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ أي: للمستصْرِخ وموسى، وهو القبطي. قال الإسرائيلي[2] ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ دفعاً لما ظنّه منه.

﴿جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وشأن الجبار أن يقتل بغير حق.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ قيل هو مؤمن آل فرعون، وكان ابن عمّ فرعون. قال الكلبي: واسمه جبريل بن شمعون «يسعى» أي: يشتدّ في مشيته. ولمّا أمر فرعون بقتله، خرج الجلاوزة من الشارع الأعظم لطلبه، فسلك [٤٢٩/أ] هذا الرجل طريقاً أقرب إلى موسى. و«من أقصى» و«يسعى» صفتان. ومعنى «يأتمرون» يتشاورون.

﴿فَأَخْرُجْ﴾ امتثل موسى عليه السلام ما أمره به ذلك الرجل وعلم صدقه

---

(١) ق: تسببه.

(٢) ق: القبطي.

ونُصْحه، وخرج وقد أقبل طالبوه[1] فلم يجدوه. وكان موسى لا يعرف ذلك الطريق، ولم يصحب أحداً، فسلك مجهلاً واثقاً بالله تعالى داعياً راغباً إلى ربه في تنجيته من الظالمين.

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ﴾ الآية، «توجّه» ردّ وجهه. «تلقاء» تقدم الكلام عليه في يونس[2]، أي: ناحية وَجِهة، استعمل المصدر استعمال الظرف. وكان هناك ثلاث طرق فأخذ موسى في أوسطها وأخذ طالبوه في الآخرَيْن وقالوا: المريب لا يأخذ في أعظم الطرق ولا يسلك إلا في بُنيّاتها[3]. فبقي في الطريق ثماني ليالٍ وهو خافٍ لا يطعم إلا ورق الشجر.

---

(١) ق: وقد اقتلت طالبيه.

(٢) انظر تفسير الآية ١٥ من يونس. ولم يشرحها ثَمّةَ.

(٣) بُنيّات الطرق: هي الطرق الصغار تتشعّب من الجادّة.

والظاهر من قوله ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ﴾ أنه كان لا يعرف الطريق فسأل ربّه أن يهديه أقصد الطريق بحيث إنه لا يضلّ، إذ لو سلك ما لا يوصله إلى المقصود لتاه. وعن ابن عباس: قصد مدين، وأخذ يمشي من غير معرفة فأوصله الله تعالى إلى مدين.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وصل إليه. والورود يكون بمعنى الوصول إلى الشيء وبمعنى الدخول فيه. قيل: وكان هذا بئراً. والأمّة: الجمع الكثير. ومعنى «عليه» أي: شفيره وحاشيته. ﴿يَسْقُونَ﴾ يعني مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: [من] الجهة التي وصل إليها قبل أن يصل إلى الأمّة. ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ قال ابن عباس: تذودان[1] غنمهما عن الماء خوفاً من الرّعاة الأقوياء، وكانتا تكرهان المزاحمة على الماء. واسم الصغرى عبرا والكبرى صبورا. ولمّا رآهما موسى واقفتين لا تتقدّمان للسّقي، سألهما[2] فقال ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾. والسؤال بالخَطْبِ إنما يكونُ في مصاب أو مضطهد[3] [أو من يشفق عليه أو يأتي بمكروه من الأمر]. وفي سؤاله عليه السلام دليل على جواز مكالمة الأجنبية فيما يَعِنّ. ولم يكن لأبيهما[4] أجير فكانتا تسوقان الغنم إلى الماء، ولم يكن لهما قوة الاستسقاء وكان الرعاة يستقون[5] من البئر، فيسقون مواشيهم، فإذا صدروا فإن بقي في الحوض شيء سقتا. فوافى موسى عليه السلام ذلك اليوم، وهما تمنعان غنمهما عن الماء، فرقّ

---

(١) ق: يذودان.

(٢) ق: لا يتقدمان للسقي بتنا لهما.

(٣) ق: مضطهرد.

(٤) ق: ولم يكون بيهما.

(٥) ق: يسقون.

عليهما وقال «ما خطبكما».

وقرىء: يَصْدر، من صدر، وقرىء: يُصْدر من أصدر و«الرعاء» فاعل. فالتقرير فيمن قرأ: يَصْدر أن يكون المعنى: حتى يَصْدر الرعاء عنِ الماء بغنمهم. والمعنى على من قرأ: يُصدر، أي: يُصدر الرّعاء عن الماء غنمهم. وجَمْع راعٍ على رعاء شاذ في القياس وبابه أن يُجمع فُعَله كقاضٍ وقُضَاة، خلافاً للزمخشري[1] إذا زعم أن جمع راعٍ على فِعالٍ قياس. وقرىء: الرُّعاء، بضم الراء. وهو اسم جمع كالرجال. ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ اعتذار لموسى عن مباشرتهما السّقي بأنفسهما وتنبيه على أنّ أباهما لا يقدر على السّقي لشَيَخِه وكِبَره، واستعطاف [٤٢٩/ ب] لموسى عليه السلام في إعانتهما.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أي: سقى غنمهما لأجلهما. وروي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يُقلّه إلا عدد من الرجال، فأقلّه هو وحده. وقيل: كانت لهم دلو لا ينزع بها إلا أربعون رجلاً فنزع بها وحده وروي أنه زاحمهم على الماء حتى سقى لهما[2]، كل ذلك رغبة في الثواب، على ما كان به من نصب السّفر وشدّة الجوع، حتى كانت تظهر الخضرة في بطنه من البقل.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي: ظل شجرة، قيل: كانت سَمُرَة[3].

﴿فَقَالَ[4] رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال المفسرون: تعرض لمن

(١) انظر الكشاف ٣: ١٧٠.

(٢) ق: حتى زاحمهما.

(٣) ق: سحرة. والسَّمُرة: من شجر الطلح.

(٤) ق: قال.

يطعمه[١] لِما ناله من الجوع، ولم يصرّح بالسؤال. و«أنزلت» هنا بمعنى تُنزل. وفي الكلام حذف تقديره: فذهبتا إلى أبيهما من غير إبطاء في السقي، وقصّتا[٢] عليه أمر السّقي لهما، فأمر إحداهما أن تدعوه له.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ «إحداهما» مبهم فقيل الكبرى وقيل الصغرى.

و﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ في موضع الحال أي: مستحية متخفّرة. قال عمر بن الخطاب: قد سترت وجهها بكمّ درعها[٣].

﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ في ذلك ما كان [عليه] شعيب عليه السلام من الإحسان والمكافأة لمن عمل له عملاً، وإن لم يقصد المكافأة.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾ أي: فذهب معها إلى أبيها. وفي هذا دليل على اعتماد أخبار المرأة، إذ ذهب موسى عليه السلام معها كما يُعتمد على أخبارها في باب الرواية .

﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ أي: ما جرى له من خروجه من مصر وسبب ذلك.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: قَبِل الله دعاءك في قولك ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص] ولمّا أخبره[٤] بنجاته منهم آنسه بقوله «لا تخف» وقرّب إليه طعاماً فقال له موسى: إنّا أهل بيت لا نبيع ديننا

---

(١) ق: لما يَطعمه. وهو وجه.

(٢) ق: وقصّا.

(٣) درع المرأة: قميصها.

(٤) ق: وأخبره.

بملء الأرض ذهباً. فقال له شعيب: ليس هذا عوض السّقي، ولكن هذه[١] عادتي وعادة آبائي: قِرى الضيف وإطعام الطعام. فحينئذ[٢] أكل موسى عليه السلام.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ أبهم القائلة. قيل وهي الذاهبة والقائلة والمتزوجة. «يا أبت استأجرة» أي: لرعي الغنم وسقيها. ووصفته بالقوة لكونه رفع الصخرة عن البئر وحده، وانتزع بتلك الدلو وزاحمهم حتى غلبهم على الماء. وبالأمانة لأنها حين قام يتبعها هبّت الرّيح فلفَّت ثيابها فوصفَتْها، فقال لها: ارجعي خلفي ودلّيني على الطريق. وقولها كلام حكيم جامع، لأنه إذا اجتمعت الأمانة والكفاية في القائم بأمر، فقد تمّ المقصود، وهو كلام جرى مجرى المثل وصار مطروقاً للناس، وكان ذلك تعليلاً للاستئجار، وكأنها قالت: استأجره لأمانته وقوّته، وصار الوصفان[٣] منبِّهَيْن عليه.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ﴾.

قال الزمخشري[٤]: «هاتين» فيه دليل على أنه كانت له غيرهما انتهى.

لا دليل في ذلك، لأنهما كانتا اللتين رآهما تذودان [٤٣٠/أ] وجاءته إحداهما، فأشار إليهما، والإشارة إليهما لا تدلّ على أنّ له غيرهما. رغب شعيب في مصاهرته لما وصفَتْه به، ولما رأى فيه من عزوفه عن الدنيا وتعلّقه بالله تعالى، وفراره من الكفر.

---

(١) ق: هذا.

(٢) ق: بحسك.

(٣) ق: الوصفين.

(٤) الكشاف ٣: ١٧٢.

وظاهر قوله ﴿أَنْ أُنكِحَكَ﴾ أنّ الإنكاح إلى الوليّ لا حقّ للمرأة فيه خلافاً لأبي حنيفة في بعض [صوره] بأن تكون بالغة عالمة بمصالح نفسها، فإنها تعقد على نفسها بمحضر من الشهود.

و﴿إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ﴾ مبهم، وهذا عرض لا عَقْد، ألا ترى إلى قوله «إني أريد»؟. وحين العقد يعيّن من شاء منهما، وكذلك لم يحدّ أول أمد الإجارة.

والظاهر من الآية جواز النكاح بالإجارة وبه قال الشافعي وأصحابه.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾ في موضع الحال من ضمير «أنكحك» إما الفاعل وإما المفعول. و«تأجرني» من أَجَرْته: [كنت له أجيراً] كقولك: أَبَوْته: كنت له أباً. ومفعول «تأجرني» الثاني محذوف تقديره: نفسك.

و«ثماني حجج» ظرف. «عشراً» تقديره: عشر حجج. «فمن عندك» خبر مبتدأ محذوف تقديره: فالإتمام إحسان من عندك.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وعد صادق مقرون بالمشيئة، من الصالحين في حسن المعاملة ووطاءة(1) الخُلق.

ولما فرغ شعيب ممّا حاور(2) به موسى قال موسى ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ على جهة التقرير والتوثّق في أن الشّرط إنما وقع في ثماني حجج. و«ذلك» مبتدأ خبره «بيني وبينك» أشار إلى ما عاهده عليه، أي: ذلك الذي عاهدتني وشارطتني عليه قائم بيننا جميعاً لا نخرج عنه. ثم قال «أيما الأجلين» أي:

---

(1) ق: ووطأة. ووطاءة الخلق: لينه ودماثته.

(2) ق: جاور.

الثماني[١] أو العشر. و«ما» زائدة، و«أي» شرطية منصوبة «بقضيت».

«فلا عدوان» جواب الشرط. «والله على ما نقول» أي: على ما تعاهدنا عليه وتواثقنا. «وكيل» أي: شاهد.

﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ جاء عن النبي ﷺ أنه وفّى أطول الأجلين وهو العشر[٢]. وثَمَّ[٣] محذوف تقديره: زوّجه ابنته، وسار بأهله، أي: نحو مصر بلده وبلد قومه. والخلاف فيمن تزوّج: الكبرى أم الصغرى، وكذلك في اسميهما. وتقدّم كيفية مسيره وإيناسه النار في طه[٤].

---

(١) ق: اليماني.

(٢) رواه ابن جرير ٢٠: ٤٣ من حديث ابن عباس.

(٣) ق: ثمّ.

(٤) انظر تفسير الآية ٩ وما بعدها من طه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي: تسخنون بها إذ كانت ليلة باردة، وقد أضلّوا الطريق.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ الآية، «مِن» في «من شاطىء» لابتداء الغاية. و«من الشجرة» كذلك؛ إذ هي بدل من الأولى أي من قبل الشجرة. و«الأيمن» يحتمل أن يكون صفة «للشاطىء» و«للوادي»، على معنى اليمن والبركة. ووصفت البقعة بالبركة لما خُصّت به من آيات الله تعالى وأنواره وتكليمه لموسى عليه السلام. ويتعلق «في البقعة» «بنودي»، أو يكون في موضع الحال من «شاطىء». و«الشجرة» عنّاب وقيل غير ذلك. و«أن» يحتمل أن تكون تفسيرية وأن تكون مخفّفة من الثقيلة. وجاء في طه ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴿١٢﴾﴾، وفي النمل ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾، وهنا ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ﴾. ولا منافاة إذ [٤٣٠/ب] حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء.

والجمهور على أنه تعالى كلّمه في هذا المقام من غير واسطة.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ تقدّم الكلام عليه(١). و﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ تقدّم الكلام عليه(٢) أيضاً.

والظاهر حَمْل ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ على الحقيقة وهو الخوف. وقرىء: الرَّهَب والرَّهْب والرُّهْب. قال الثوري: خاف موسى أن يكون حدث به سوء، فأمره تعالى أن يعيد يده إلى جيبه لتعود على حالتها الأولى، فيعلم موسى أنّه لم يكن سوءً بل آية من الله تعالى.

---

(١) انظر تفسير الآية ١١٧ من الأعراف.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٢ من طه.

﴿فَذَٰنِكَ﴾ إشارة إلى العصا واليد وهما مؤنثتان، ولكن ذكّر لتذكير الخبر.

﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ حجتان نيّرتان.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو القبطي الذي وكزه فمات، فطلب من ربّه ما يزداد به قوة، وذكر أخاه والعلّة التي تكون[1] له زيادة في التبليغ. و«أفصح» [يدلّ] على أن فيه فصاحة ولكنْ أخوه أفصح.

﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ وقرىء: ردءاً، بالهمز. ورِداً، بحذف الهمزة[2] ونقل حركتها إلى الدّال. وقرىء: يصدّقني، بالجزم على أنه جواب الأمر. وبالرفع على أنه صفة لقوله «ردءاً».

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ المعنى فيه: سنقوّيك بأخيك. ويقال في الخير: شدّ الله عضدك، وفي الشّر: فتّ الله في عضدك. والسلطان: الحجة والغلبة والتسلّط.

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: بسوء، أو إلى أذيتكما.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أن يتعلّق بقوله «ونجعل»[3] أو «بيصلون».

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ

---

(١) ق: يكون.

(٢) ق: الهمز.

(٣) ق: ويجعل.

مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآية، «بآياتنا» هي العصا واليد.

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: واضحات الدّلالة على صدقه، وأنه أمر خارق كفّوا عن مقاومته، ورجعوا إلى البهت والكذب على عادتهم، ونفوا أنهم سمعوا[١] بهذا في آبائهم الأوّلين، وقد كذبوا في ذلك لأن الرسل جاءتهم قبل.

ولمّا رأى موسى ما قابلوه به من انتفاء السّماع في الزمان السابق، قال موسى ﴿رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ يعني بذلك نفسه.

ونفى فرعون علمه بإله غيره للملأ، ويريد بذلك نفي وجوده، أي: ما لكم من إله غيري. واستمرّ فرعون في مخرقته، ونادى وزيره هامان، وأمره أن يوقد النار على الطين. قيل: وهو أول من عمل الآجرّ، ولم يقل: اطبخ الآجرّ لأنه لم يتقدم لهامان علم بذلك، ففرعون هو الذي يعلّمه[٢] ما يصنع. ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ أي: ابنِ لي.

(١) ق: ما سمعوا.

(٢) ق: يعمله.

﴿لَعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أوهمَ قومَهُ أنَّ إله موسى يمكن الوصول إليه والقدرة عليه، وهو عالم متيقّن أن ذلك لا يمكن. واطّلع في معنى طلع؛ يقال: طلع إلى الجبل واطّلع بمعنى واحد.

و«الأرض» هنا أرض مصر.

﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ كناية عن إدخالهم في البحر حتى غرقوا؛ شُبّهوا بحصيات قذفها الرامي من يده، ومنه: نبذ النّواة.

وجعل هنا بمعنى صيّر [٤٣١/أ] أي: صيّرناهم أئمة، أي: قدوة للكفّار، يقتدون بهم في ضلالاتهم، اشتهروا بذلك وبقي حديثهم.

وعطف «ويوم القيامة» على «في هذه الدنيا» و«من المقبوحين» قال ابن عباس: من المشوّهين الخِلْقة بسوادِ الوجوه وزرقة العيون.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو التوراة، وهو أول كتاب أنزلت فيه الفرائض والأحكام.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قوم نوح وهود وصالح ولوط. ويقال: لم تهلك قرية بعد نزول التوراة غير القرية التي مُسخ أهلها قردة.

وانتصب «بصائر» على الحال أي: طرائق هدى يُستبصر بها.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ الآية، لمّا قصّ تعالى من أنباء موسى وغرائب ما جرى له، وأوحى[1] تعالى بجميع ذلك إلى محمد رسوله عليه السلام، ذكّره بإنعامه عليه بذلك، وبما قصّه من الغيوب التي كان لا يعلمها لا هو ولا قومه، فقال[2] «وما كنت بجانب الغربيّ».

و«الأمر» قيل: الحكم والنبوّة الذي آتاه الله موسى. وبدأ أوّلاً بنفي شيء خاص وهو أنه لم يحضر وقت قضاء الله لموسى الأمر، ثم ثنّى بكونه لم

---

(١) ق: أوحى.

(٢) ق: يقال.

يكن من الشاهدين والمعنى - والله أعلم - من الشاهدين لجميع ما أعلمناك به، فهو نفي لشهادته جميع ما جرى لموسى عليه السلام فكان عموماً بعد خصوص. و«بجانب الغربي» من إضافة الموصوف إلى صفته عند قوم، ومن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه عند قوم. [فعلى القول الأول] أصله[1]: بالجانب الغربي، وعلى الثاني أصله: بجانب المكان الغربي.

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي: مقيماً. ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ هم شعيب والمؤمنون.

﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ تقرأ عليهم تعلّماً منهم - يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه - ولكنّا أرسلناك وأخبرناك بها وعلّمناكها.

﴿إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه، ولكن أعلمناك رحمة وأرسلناك ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمًا﴾ العرب.

﴿وَلَوۡلَآ﴾ الأولى حرف امتناع لوجود. و﴿أَن تُصِيبَهُم﴾ في موضع المبتدأ كأنه قال: لولا إصابتهم. ﴿فَيَقُولُواْ﴾[2] معطوف على «أن تصيبهم». و﴿لَوۡلَآ﴾ الثانية للتحضيض، جوابها ﴿فَنَتَّبِعَ﴾ ﴿وَنَكُونَ﴾[3]. وجواب «لولا» الأولى محذوف تقديره: ما أرسلناك منذراً لهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ هو محمد ﷺ والظاهر أنه عائد على قريش الذين قالوا: لولا أوتي - أي: محمد - ما أوتي موسى. وذلك أن تكذيبهم لمحمد ﷺ تكذيب لموسى عليه السلام، ونسبتهم السّحر للرسول نسبة

---

(١) ق: تقديره أصله.

(٢) ق: فيقول.

(٣) ق: فنكون.

السحر لموسى؛ إذ الأنبياء عليهم السلام هم من وادٍ واحد، فمن نسب إلى واحد من الأنبياء ما لا يليق، كان ناسباً ذلك إلى جميع الأنبياء. وتتناسق الضمائر[١] كلها في هذا وفي قوله ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص] وإن كان [٤٣١/ب] الظاهر من القول أنه النّطق اللساني، فقد ينطلق على الاعتقاد، وهم من حيث إنكار النبوّات معتقدون أن ما ظهر على أيدي الأنبياء من الآيات إنما هو من باب السحر.

وقرىء: ساحران. وسحران. والضمير في «جاءهم» عائد على العرب.

﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ أي: بكلّ من السّاحرين أو من السّحرين.

ثم أمره تعالى أن يصدع بهذه الآية وهي قوله ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ أي: أنتم أيها المكذّبون بالكتب الإلهية التي تضمّنت الأمر بالعبادات ومكارم الأخلاق، ونهت عن الكفر والنقائص، ووعد الله عليها الثواب الجزيل، إن كان تكذيبكم لمعنى «فأتوا بكتاب من عند الله» يهدي أكثر من هذه أتّبعه معكم. والضمير في «منهما»[٢] عائد على ما أُنزل على موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وتعليق إتيانهم بشرط الصدق أمر متحقّق متيقّن أنه لا يكون ولا يمكن صدقهم، كما أنه لا يمكن أن يأتوا بكتاب من عند الله أهدى من الكتابين. ويجوز أن يراد بالشرط التهكّم بهم.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ قال ابن عباس: يريد: فإن لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج، ولم يمكنهم أن يأتوا بكتاب هو أفضل. والاستجابة تقتضي[٣]

---

(١) ق: ويتناسق الضمير.

(٢) ق: منها.

(٣) ق: يقتضي.

دعاءً وهو صلى الله عليه وسلم يدعوهم دائماً إلى الإيمان.

﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الآية، الضمير في «لهم» عائد على قريش. وقال رفاعة القرظي[١]: نزلت في عشرة من اليهود هو أحدهم. ومعنى «وصّلنا» تابعنا القرآن موصولاً بعضه ببعض في المواعظ والزّجر والدّعاء إلى الإسلام. وفي الحديث[٢] «ثلاثة يؤتيهم الله أجرهم مرّتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بي» الحديث.

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أي: لا تقدر[٣] على خلق الهداية فيه. ولا تنافي[٤] بين هذا وبين قوله ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢ ﴾ [الشورى] لأن معنى هذا: وإنك لترشد. وقد أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب. وحديثه مع رسول الله ﷺ حالة أن مات مشهور[٥].

والضمير في ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ عائد على قريش. وقيل [القائل] الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف: إنك على الحق فنخاف[٦] من اتّباعك. ومعنى ﴿ يُجْبَىٰٓ ﴾ يساق.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةِۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ

---

(١) ق: القرطبي.

(٢) رواه مسلم ١: ١٣٤ من حديث أبي بردة عن أبيه بلفظ آخر.

(٣) ق: يقدر.

(٤) ق: ينافي.

(٥) انظر مثلاً صحيح مسلم. ١: ٥٥.

(٦) ق: فيخاف.

فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا
ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا
غَوَيْنَاۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ
أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا
مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا
يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾
وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ
عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍۖ أَفَلَا
تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن
رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾
وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ ﴾ الآية، هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم، كانوا في مثل حالهم، من إنعام الله تعالى عليهم بالرقود في ظلال الأمن، وخفض العيش، فغمطوا النعمة، وقابلوها بالأشر والبطر، فدمّرهم الله تعالى، وخرّب ديارهم.

و«معيشتها» منصوب على التميز على مذهب الكوفيين، أو مشبّه بالمفعول على مذهب بعضهم، أو مفعول به على تضمن «بطرت» [معنى فعل متعدٍّ] أي: خسرت [٤٣٢/أ] معيشتها، أو على إسقاط «في» أي: في معيشتها، أو على الظرف على حذف مضاف أي: أيام معيشتها. وتقدم ذكر المساكن[(١)].

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ تقدّم الكلام عليه[(٢)]

لمّا ذكر تعالى تفاوت ما بين ما أُوتوا من المتاع والزينة وما عند الله من الثواب قال: أبعد هذا التفاوت الظاهر يُسوّى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا. والفاء في «فهو لاقيه» للتّسبب لأنّ لقاء الموعود مسبّب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير. و«ثم» لتراخي حال الإحضار عن حال التّمتع بتراخي وقته عن وقته. وقرىء: ثم هو، بضم الهاء وبسكونها، أجري مجرى الفاء والواو، فكما سكّنوا هاء هو وهي نحو: فهْو وهْي، فكذلك سكنوها بعد ثمّ.

ومعنى ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أي: المحضرين العذاب.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الآية، نداؤه تعالى يحتمل أن يكون بواسطة أو بغير واسطة ﴿فَيَقُولُ[(٣)] أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ أي: على زعمكم. وهذا الاستفهام على جهة التوبيخ والتقريع. والشركاء: هم من عُبدوا من دون الله تعالى من ملك أو غيره. ومفعولا «تزعمون»[(٤)] محذوفان أحدهما العائد على الموصول والتقدير:

---

(١) انظر تفسير الآية ١٢٨ من طه.

(٢) انظر تفسير الآية ١٣١ من الأنعام.

(٣) ق: فنقول.

(٤) ق: يزعمون.

تزعمونهم[1] شركاء.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: الشياطين وأئمة الكفر ورؤوسه. و«حق» وجب عليهم القول أي: مقتضاه و«هؤلاء» مبتدأ. و«الذين» صفة له. و«أغوينا» صلة «للذين» والعائد محذوف تقديره: أغويناهم. و«أغويناهم» خبر المبتدأ. وتقيّد بقوله «كما غوينا» فاستفيد من الخبر ما لم يُستفد من الصلة.

ويجوز أن يكون «هؤلاء» مبتدأ، و«الذين أغوينا» خبر المبتدأ، و«أغويناهم» استئناف إخبار مقيّد[2] بقوله «كما غوينا».

﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ لمّا سئلوا: أين شركاؤكم؟ وأجابوا بغير جواب، سئلوا ثانياً فقيل «ادعوا شركاءكم». وأضاف الشركاء إليهم، أي: الذين جعلتموهم شركاء لله. وقوله «ادعوا» على سبيل التهكّم بهم، لأنه يعلم أنه لا فائدة في دعائهم.

﴿فَدَعَوۡهُمۡ﴾ هذا لسخافة عقولهم في ذلك الموطن أيضاً؛ إذ لم يعلموا أنّ من كان موجوداً منهم في ذلك الموطن لا يجيبهم. والضمير في «ورأوا» قيل للتّابع والمتبوع. وجواب «لو» محذوف، والظاهر أن يُقدَّر مما يدلّ عليه ما يليه أي: لو كانوا مؤمنين ما رأوا العذاب في الآخرة.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ حكى أوّلاً ما يوبّخهم به من اتّخاذ الشركاء [ثم] باستعانتهم بشركائهم [ثم] بما يبكّتون[3] به من الاحتجاج عليهم بإرسال

(١) ق: يزعمونهم.

(٢) ق: مقيداً.

(٣) ق: ينكثون.

الرسل وإزالة العلل.

ومعنى ﴿فَعَمِيَتۡ﴾ أظلمت عليهم الأمور فلم يستطيعوا أن يخبروا بما فيه نجاة لهم. وأتى بلفظ الماضي لتحقّق[١] وقوعه.

﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً فيما يتخلّصون به إذ أيقنوا أنهم لا حجّة لهم [٤٣٢/ب] فهم في عمىً وعجز عن الجواب. والمراد بالنّبأ الخبر عمّا أجاب به المرسل إليه رسوله.

﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ نزلت[٢] بسبب ما تكلّمت به قريش من استغراب أمر النبي ﷺ، وقول بعضهم ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزخرف] وقائل ذلك الوليد بن المغيرة.

﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [«من»] هنا للسبب أي: وسبب رحمته إياكم جعل لكم الليل والنهار. ثم علّل جَعْل كل واحد منهما، فبدأ بعلّة الأول وهو الليل وهو «لتسكنوا فيه»، ثم بعلّة الثاني وهو [النهار وهو] «ولتبتغوا من فضله»، ثم بما يشبه العلّة لجعل هذين الشيئين وهو «ولعلكم تشكرون» أي: هذه الرحمة والنعمة.

وهذا النّوع من علم البديع يسمّى التفسير، وهو أن تسمّي أشياء ثم تفسّرها[٣] بما يناسبها.

---

(١) ق: ليحقق.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٢٩.

(٣) ق: يسمي.. يفسّرها.

والضمير في «فيه» عائد على «الليل». و«من[1] فضله» يجوز أن يكون عائداً على الله تعالى والتقدير: من فضله، أي: من فضل الله فيه، أي: في النهار. وحذف لدلالة المعنى عليه، ولدلالة لفظ «فيه» السابق عليه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الآية، تقدّم الكلام[2] عليها. وكرّر هنا على جهة الإبلاغ والتأكيد.

﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

---

(١) ق: وفي.

(٢) انظر تفسير الآية ٦٢ من القصص.

و«قارون» اسم أعجمي امتنع من الصرف للعلمية والعجمة. قيل: ومعنى كان من قومه: أي ممّن آمن به، وهو إسرائيلي بإجماع. واختُلف في قرابته من موسى عليه السلام اختلافاً كثيراً؛ قال ابن عباس إنه ابن عمّه، وهو قارون بن يصهر[1] بن قاهث جدّ موسى، لأن النّسابين ذكروا نسبه كذلك. وكان يسمّى المنوّر لحسن صورته، وكان أحفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم، فنافق كما نافق السامريّ.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ ذكروا من أنواع بغيه الكفر والكبر وحسده لموسى عليه السلام على النبوّة، ولهارون على الذّبح والقربان وظُلْمه لبني إسرائيل حين ملّكه فرعون عليهم، ودسّه بغيًّا، تكذب عليه أنه تعرّض لها، وتفضحه بذلك بين ملأ بني إسرائيل. ومن تكبّره أنه زاد في ثيابه شبراً.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ﴾ قيل: أظفره الله بكنز من كنوز يوسف عليه السلام. وقيل: سمّيت أمواله كنوزاً إذ كان ممتنعاً من أداء الزّكاة، وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام أوّل عدواته. و«ما» موصولة صلتها «إنّ» ومعمولاها.

وتقدّم الكلام على مفاتح[2] في سورة الأنعام.

و«لَتَنُوٓءُ» أي: لتثقل. الصحيح أن الباء للتعدية أي: لتُنيء العصبة.

﴿بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ تقدم تفسيره[3].

والمراد: وآتيناه من الكنوز ما إنّ حفظها والاطّلاع عليها يثقل على العصبة،

---

(١) ق: يصر.

(٢) ق: مفاتيح. وانظر تفسير الآية ٥٩ من الأنعام.

(٣) انظر تفسير الآية ٨ من يوسف.

أي: هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها يُتعب حفظها القائمين عليها.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾ نهوه عن الفرح المطغي الذي هو انهماك وانحلال النفس وأشر وإعجاب. وإنما يفرح بإقبال الدنيا [٤٣٣/أ] عليه من اطمأنّ إليها وغفل عن أمر الآخرة.

قال الزمخشري[١]: ومحلّ «إذ» منصوب بـ«تنوء» انتهى.

هذا ضعيف جدّاً، لأن إثقال المفاتيح العصبة ليس مقيّداً بوقت قول قومه له: لا تفرح.

قال ابن عطية: وهو متعلق بقوله «فبغى عليهم» انتهى.

هذا ضعيف أيضاً، لأن بغيه عليهم لم يكن مقيّداً بذلك؟.

وقال أبو البقاء[٢]: «إذ قال له قومه» ظرف «لآتيناه».

وهذا ضعيف أيضاً، لأن الإيتاء لم يكن وقت ذلك القول.

وقال أيضاً[٣]: ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل محذوف دلّ عليه الكلام، أي: بغى عليهم إذ قال له قومه[٤] انتهى.

ويظهر لي أن يكون تقديره[٥]: فأظهر التفاخر والفرح، بما أوتي من الكنوز، إذ قال له قومه لا تفرح.

---

(١) الكشاف ٣: ١٩٠.

(٢) إملاء ٢: ١٨٠.

(٣) إملاء ٢: ١٨٠.

(٤) ق: قال لقومه.

(٥) ق: تقديرية.

ولمّا نهوه[١] عن الفرح المطغي أمروه بأن يطلب فيما آتاه الله من الكنوز وسعة الرزق ثواب[٢] الدار الآخرة بأن يفعل فيه أفعال البّر ويجعله زاداً إلى الأخرة.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: معناه: ولاتضيّع عمرك في أن لا تعمل صالحاً.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ قيل هي الكيمياء، وقيل هي غير ذلك.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ قيل: كان يوم السبت، أي: أظهرَ ما يقدر عليه من الملابس والمراكب وزينة الدنيا. قيل: في ثياب حمر، وقيل: هو وحشمه في ثياب معصفرة، وقيل: في ثياب الأرجوان، وقيل: على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيّه، وقيل: عليهم وعلى حيوانهم الديباج الأحمر وعلى يمينه ثلاث مئة غلام وعلى يساره ثلاث مئة جارية بيض عليهم الحليّ والديباج، وقيل: في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات. وهو أول يوم رئي فيه المعصفر، وقيل غير ذلك من الكيفيّات والله[٣] أعلم بصحة ذلك.

﴿وَيْكَأَنَّ﴾ هي كاف التشبيه الداخلة على أنّ. وكتبت وي متّصلة بكاف التشبيه لكثرة الاستعمال، وأنشد سيبويه[٤]: [من الخفيف]

وَيْ كأنْ من يكن له نَشَبٌ يُحـ ـبَبْ ومَن يفتقرْ يَعِشْ عيشَ ضُرِّ

(١) ق: نهاه.

(٢) ق: وثواب.

(٣) ق: الله.

(٤) الكتاب ٢: ١٥٥. والبيت منسوب فيه لزيد بن عمرو بن نفيل.

وحكى الفرّاء[1] أن امرأة قالت لزوجها: أين ابنك؟ فقال: ويكأنّه وراء البيت.

وقال الأخفش: هي ويك. وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب فلا موضع له من الأعراب، والوقف عليه ويك، ومنه قول عنترة[2]: [من الكامل]

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

﴿وَلَا فَسَادًا﴾ جاء النفي بلا، فدلّ على أنّ كلّ واحد من العلوّ والفساد مقصود لا مجموعهما.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قيل: العمل به.

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قيل: مكّة أراد ردّه إليها يوم الفتح. وقيل غير ذلك.

﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ[3]﴾ هو محمد ﷺ [٤٣٣/ب].

﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هم المشركون.

---

(١) معاني القرآن ٢: ٣١٢.

(٢) ديوانه ص ٢١٩.

(٣) ق: بمن جاء بالهدى من عنده.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟﴾ تذكير لنعمه تعالى على رسوله وأنه تعالى رحمه رحمةً لم يتعلّق بها رجاؤه.

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى دين ربك. وهذه المناهي كلّها ظاهرها أنها لرسول الله ﷺ، وهي في الحقيقة لأتباعه.

والهلاك يُطلق بإزاء العدم المحض، فالمعنى أن الله يعدم كل شيء سواه، وبإزاء نفي الانتفاع به إما للإماتة أو لتفريق الأجزاء، وإن كانت باقية؛ يقال: هلك الثوب، لايريدون فناء أجزائه، ولكن خروجه عن الانتفاع به.

ومعنى ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أي: إلا إياه ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: فصل القضاء. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: إلى جزائه.

سورة العنكبوت(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الآية، هذه السورة

---

(١) مكية وهي تسع وستون آية.

مكية وقيل مدنية. ونزل أوائلها في مسلمين بمكة، كرهوا الجهاد حين فُرض بالمدينة. وقيل في مهجع مولى عمر قتل ببدر، فجزع[1] أبوه وامرأته عليه، وقال فيه رسول الله ﷺ[2] «سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنّة». و«الناس» فسّرت بمن نزلت فيه الآية. و«حسب» يطلب مفعولين سدّت «أنْ» وما بعدها من معمولها مسدّ المفعولين. «أن يقولوا» بدل من «أن يتركوا» و«أن» تكون في موضع نصب بعد إسقاط الخافض وقدّروه بأن يقولوا، أو لأن يقولوا. «وهم لا يفتنون» جملة حالية.

قال الزمخشري[3]: فإن قلت: فأين الكلام الدالّ على المضمون[4] الذي يقتضيه الحسبان؟ قلت: هو في قوله «أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون» وذلك أن تقديره: أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنّا. فالتّرك أول مفعولي حسب، ولقولهم آمنّا هو الخبر. وأما غير مفتونين، فتتمّة للتّرك لأنه من التّرك الذي هو بمعنى التصيير كقوله[5]: [من الكامل]

فتـركتُـه جَـزَرَ السبـاع يَنُشْنَـه [ما بين قُلّة رأسه والمِعْصمِ]

ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول: تركهم[6] غير مفتونين لقولهم آمنّا، على تقدير: حاصل ومستقر قبل اللام. فإن قلت: «أن يقولوا» هو علّة تركهم غير مفتونين وكيف يصحّ أن يقع خبر مبتدأ؟ قلت: كما

---

(١) ق: فجرح.

(٢) أخرجه ابن حجر في الكافي الشاف ص١٢٧.

(٣) الكشاف ٣: ١٩٥.

(٤) ق: المضمر.

(٥) البيت لعنترة في ديوانه ص٢١٠.

(٦) ق: تركتهم.

تقول: خروجه لمخافة الشّر [وضربه للتأديب. وقد كان التأديب والمخافة في قولك: خرجت مخافة الشر] وضربته تأديباً، تعليلين. وتقول أيضاً: حسبت خروجه[1] لمخافة الشر، وظننت ضربه للتأديب، فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبراً انتهى.

هذا كلام فيه اضطراب: ذكر أولاً أن تقديره: غير مفتونين تتّمة [٤٣٤/أ] يعني أنه حال، لأنه سبك ذلك من قوله «وهم لا يفتنون» وهذه جملة حالية. ثم ذكر «أن يتركوا» هنا من الترك الذي هو التصيير. وهذا لا يصحّ لأن مفعول صيّر [الثاني] لا يستقيم أن يكون لقولهم، إذ يصير التقدير: أن يصيروا لقولهم وهم لا يفتنون، وهذا كلام لا يصحّ. وأمّا ما مثّله من البيت فإنه يصحّ أن يكون: جزر السباع مفعولاً ثانياً لترك، بمعنى صيّر، بخلاف ما قدّر في الآية. وأمّا تقديره: تركهم غير مفتونين لقولهم آمنّا على تقدير حاصل و مستقر قبل اللام، فلا يصحّ إذا كان «تركهم» بمعنى تصييرهم، وكان «غير مفتونين» حالاً؛ إذ لا ينعقد من «تركهم» بمعنى[2] تصييرهم «ولقولهم» مبتدأ وخبر لاحتياج تركهم بمعنى تصييرهم إلى مفعول ثانٍ، لأن: غير مفتونين عنده حال لا مفعول ثانٍ. وأما قوله: فإن قلت: [«أن يقولوا»] إلى آخره، فيحتاج إلى فضلة فهم؛ وذلك أن قوله «أن يقولوا» هو علّة تركهم، ليس كذلك. لأنه لو كان علّة له لكان به متعلّقاً كما يتعلّق بالفعل، ولكنه علّة للخبر المحذوف الذي هو مستقرّ أو كائن، والخبر غير المبتدأ. ولو كان «القولهم» علّة للتّرك لكان من تمامه، فكان يحتاج إلى خبر. وأما قوله: كما تقول: خروجه لمخافة الشّر، فلمخافة: ليست علّة للخروج بل

---

(١) ق: خروجهم.

(٢) ق: معنى.

للخبر الذي هو مستقر أو كائن.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ المؤمنون أتباع الأنبياء، أصابهم من المحن ما فرق به المؤمن بالمنشار فرقتين، ومشط[١] بأمشاط الحديد، ولا يرجع عن دينه.

﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ بالامتحان. ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم. ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فيه، مِن عَلِم المتعديّة إلى واحد فيهما ويستحيل حدوث العلم لله تعالى. فالمعنى: وليتعلقنّ علمه به موجوداً كما كان يتعلق به حين كان معدوماً. والمعنى: وليميزن الصادق منهم والكاذب.

قال ابن عطية: «أم» معادلة للألف في قوله «أَحَسِب» وكأنه عزّ وجلّ قرّر الفريقين: قرر المؤمنين على ظنّهم أنهم لا يفتنون، وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنّهم أنهم يسبقون نقمات[٢] الله ويعجزونه انتهى.

ليست «أم» معادلة للألف في «أحسب» كما ذكر، لأنها إذ ذاك تكون متّصلة، ولها شرطان: أحدهما أن يكون قبلها لفظ همزة الاستفهام، وهذا الشرط هنا موجود. والثاني أن يكون بعدها مفرد أو ما هو في تقدير المفرد. مثال المفرد: أزيد قائم أم عمرو، ومثال ما هو في تقدير المفرد: أقام زيد أم تعد. وجوابها تعيين أحد الشيئين إن كان التعادل بين شيئين، أو الأشياء إن كان التعادل بين أكثر من شيئين. وهنا بعد «أم» جملة، ولايمكن الجواب هنا بأحد الشيئين، بل «أم» هنا منقطعة بمعنى بل التي للإضطراب، بمعنى الانتقال من قصة إلى قصة، لا بمعنى الإبطال [٤٣٤/ب].

(١) ق: ويمشط.

(٢) ق: نعمات.

والاستفهام هنا للتقرير والتوبيخ والإنكار، فلا يقتضي جواباً، لأنه في معنى: كيف وقع حسبان ذلك؟.

و﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال ابن عباس: يريد الوليد بن المغيرة وأبا جهل وغيرهما من صناديد قريش. والآية وإن نزلت على سبب، فهي تعمّ جميع من يعمل السيئات من كافر ومسلم.

﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ بمعنى[1] ان يفوتونا.

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ تقدّم الكلام عليه في البقرة[2].

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ﴾ الظاهر أنها على بابها. ومعنى «لقاء الله» الوصول إلى عاقبة الأمر من الموت والبعث والجزاء، مثّلت حاله بحال عبد قدم على مولاه من سفر بعيد، وقد اطلع مولاه على ما يعمل في غيبته عنه، فإن كان عمل خيراً، تَلقَّاهُ بإحسان، أو شرًّا فبضدّ الإحسان. ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ وما أجّله وجعله له أجلاً لآتيه لا محالة، فليبادر لما يصدق رجاءه.

والظاهر أن قوله ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ معناه: ومن جاهد نفسه بالصبر على الطاعات فثمرة جهاده وهو الثواب المعدّ له إنما هي له لا لله تعالى، والله تعالى غني عنه وعن العالمين.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ في جامع الترمذي[3] أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص: آلت أمّه أن لا تطعم ولا تشرب حتى تموت أو يكفر بمحمد.

---

(١) ق: معنى.

(٢) بل في الأنعام، انظر تفسير الآية ١٣٦.

(٣) ٨: ٣٣٣، أخرجه من حديث مصعب بن سعد يحدّث عن أبيه.

و﴿ وَوَصَّيْنَا ﴾ أي: أمرناه بتعاهدهما ومراعاتهما. وانتصب «حسناً» على أنه مصدر وُصف به مصدر «وصّينا» أي: إيصاءً حُسْناً أي: ذا حُسْن، أو على سبيل المبالغة أي: هو في ذاته حسن.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ قال ابن زيد: نزلت في المنافقين ولمّا ذكر تعالى ما أعدّه للمؤمنين، ذكر حال المنافقين: ناساً آمنوا بألسنتهم فإذا آذاهم الكفار جعلوا ذلك الأذى - وهو فتنة الناس[١] - صارفاً لهم عن الإيمان، كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر.

﴿ وَلْنَحْمِلْ ﴾ اللام فيه لام الأمر. وأكثر ما تدخل فيه لام الأمر على المضارع المراد به الغائب كقوله ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ ۝١٥ ﴾ [الحج]. وقد جاء في المخاطب قليلاً؛ قرأ بعضهم «فبذلك فلتفرحوا» [يونس:٥٨]. وأما دخولها على المتكلم فهو قليل، .وقد جاء في الحديث دخولها على المضارع المتكلّم: «قوموا فَلأُصَلِّ لكم»[٢]. والحمل هنا مجاز؛ شبّه القيام بما يتحصّل من عواقب الإثم بالحمل على الظهر، والخطايا بالمحمول. ولمّا كان الأمر يراد به الخبر، صحّ فيه أن يُكذب.

﴿ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ أي: سؤال توبيخ وتقريع.

قال الزمخشري[٣] بعد كلام: وهذا قول صناديد قريش؛ كانوا يقولون لمن آمن منهم: لا نبعث نحن ولا أنتم، فإن عسى كان ذلك فنحن نتحمّل عنكم

---

(١) ق: للناس.

(٢) انظر صحيح مسلم ١: ٤٥٧، أخرجه من حديث أنس. ولم تدخل لام الأمر على المتكلم ثَمّ.

(٣) لم أجد هذا النص في الكشاف في هذا الموضع.

الإثم انتهى.

قوله: فإن عسى كان، تركيب أعجمي لا عربي، لأنّ «إنْ» الشرطية لا تدخل على عسى لأنه فعل جامد، ولا تدخل[1] أدوات الشرط على الفعل الجامد. وأيضاً فإنّ عسى [٤٣٥/أ] لا يليها كان، واستعمل عسى بغير اسم ولا خبر ولم يستعملها تامّة.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

---

(١) ق: يدخل.

يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ الآية، ذكر هذه القصة تسلية لرسول الله ﷺ لما كان يلقى من أذى الكفّار، فذكر ما لقي أول الرسل نوح من أذى قومه المدد المتطاولة، تسلية لخاتم الرسل صلوات الله عليه. والواو في «ولقد» واو عطف، عطفت جملة على جملة. والاستثناء من الألف استُدلّ به على جواز الاستثناء من العدد، وفي كونه ثابتاً من لسان العرب خلاف مذكور في النحو. واختُلف في مقدار عمره حين بُعث[(١)] وحين مات اختلافاً كثيراً.

قال ابن عطية: وقد يحتمل أن تكون المدة المذكورة مدة إقامته من لدن مولده إلى غرق قومه انتهى.

ليس عندي بمحتمل، لأن اللبث متعقّب[(٢)] بالفاء الدالّة على التعقيب.

والضمير في «وجعلناها» يحتمل أن يعود على السفينة. وأفرد[(٣)] «آية» وجاءت الفاصلة «للعالمين» لأن إنجاء السّفن أمر معهود، فالآية إنجاؤه تعالى أصحاب السفينة وقت الحاجة، ولأنها بقيت أعواماً حتى مرّ عليها الناس ورأوها، فحصل العلم لهم بها، فناسب ذلك قوله «للعالمين».

وانتصب «إبراهيم» عطفاً على «نوحاً».

---

(١) ق: كان بعث.

(٢) ق: يتعلق.

(٣) ق: وإفراد.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ﴾ هذه القصة تمثيل لقريش وتذكير لهم بحال أبيهم إبراهيم من رفض الأصنام والدعوى إلى عبادة الله تعالى.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ قال ابن عباس: هو نحت الأصنام وخلقها، سمّاها إفكاً توسّعاً من حيث يفترون بها الإفك في أنها آلهة.

وقال مجاهد: هو اختلاق الكذب في أمر الأوثان وغير ذلك.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ ﴿ثُمَّ [ٱللَّهُ] يُنشِئُ﴾ هاتان جملتان مستأنفتان، إخبار من الله تعالى بالإعادة بعد الموت. وقدّم ما قبل[١] هاتين الجملتين على سبيل الدّلالة على إمكان ذلك. وإذا أمكن ذلك، وأخبر الصادق بوقوعه صار واجباً مقطوعاً بعلمه لا شكّ فيه.

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: تردّون.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين ما أراد الله بكم. والظاهر أن قوله ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ من كلام الله تعالى حكاية عن إبراهيم، إلى قوله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢]. وقيل: هذه الآيات اعتراض من كلام الله تعالى بين كلام إبراهيم والإخبار عن جواب قومه، أي: وإن تكذبوا محمداً.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ الآية، لمّا أمرهم بعبادة الله تعالى، وبيّن سفههم في عبادة الأوثان، وظهرت حجّته عليهم، رجعوا إلى الغلبة، فجعلوا القائم مقام جوابه فيما أمرهم به قولهم ﴿ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾. والآمرون بذلك إمّا بعضهم لبعض، أو كبراؤهم قالوا لأتباعهم: اقتلوه فتستريحوا منه عاجلاً،

---

(١) ق: قيل.

(٢) الآيات ١٨-٢٣.

أو حرّقوه بالنّار، فإمّا أن يرجع إلى دينكم إذا أمضّته[1] النار، وإمّا أن يموت بها [٤٣٥/ب] إن أصرّ على قوله ودينه. وفي الكلام حذف تقديره: فقذفوه في النار، فأنجاه الله تعالى من النار. وفي ذلك إشارة إلى خلوصه من النار بعد إلقائه فيها. قال كعب: لم يحترق منه[2] بالنّار إلا الحبل الذي أوثقوه به.

وجاء هنا الترديد بين قتله وإحراقه؛ فقد يكون ذلك من قائلَيْن: ناس أشاروا بالقتل وناس بالإحراق. وفي الأنبياء ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ ۝٦٨﴾ [الأنبياء] اقتصروا على أحد الشيئين وهو الذي فعلوه: رموه في النار ولم يقتلوه.

وقرىء: مودّةُ، بالرفع من غير تنوين. وبينكم بفتح النون على خبر «إنّ» و«ما» موصولة بمعنى الذي، أي: إن الأوثان التي اتخذتموها مودّة. وقرىء: مودّةً، منصوباً منوّناً. وبينكم، ظرف معمول «المودّة». وقرىء: مودّةَ، نصباً بغير تنوين مضافاً لقوله «بينكم».

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ الآية، لم يؤمن بإبراهيم أحد من قومه إلا لوط عليه السلام حين رأى النار لم تحرقه، وكان ابن أخيه، وسارة وكانت بنت عمّه. والضمير في «وقال» عائد على إبراهيم وهو الظاهر ليتناسق مع قوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾. وكان إبراهيم ابن خمس وسبعين سنة، وهو أول من هاجر في الله تعالى.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ

(١) في المطبوع: مضّته، وهو لغة.

(٢) ق: فيه.

ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ .

وانتصب «ولوطاً» بإضمار: اذكر، أو بالعطف على ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت]، أو بالعطف على ما عطف عليه «إبراهيم». استفهم أولاً وثانياً استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، وبيّن ما تلك الفاحشة المبهمة في قوله ﴿إِنَّكُمْ[1] لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ وإن كانت معيّنة أنها إتيان الذكور في أدبارهم - بقوله ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ [فقال ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ يعني في الأدبار].

﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: سبيل الولد بتعطيل الفروج ووطء أدبار الرجال.

قال الزمخشري[2]: «ما سبقكم بها» جملة مستأنفة مقرِّرة[3] - يعني لقبح تلك الفعلة انتهى.

ويظهر أنها جملة حالية، كأنه قال: أتأتون الفاحشة[4] مبتدعين لها غير

---

(١) ق: أتتكم.

(٢) الكشاف ٣: ٢٠٤.

(٣) ق: مقدّرة.

(٤) ق: الفاتحة.

مسبوقين بها. وفي عموم قوله «من أحد من العالمين» دليل على أنه لم ينْزُ ذكر على ذكر قبل قوم لوط.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ أي: في مجلسكم الذي تجتمعون فيه. وهو اسم جنس إذ أنديتهم في مدائنهم كثيرة، ولا يُسمّى نادياً إلا ما دام فيه أهله، فإذا قاموا عنه، لم يُطلق عليه نادٍ إلا بمجاز.

و«المنكر» ما تنكره العقول والشرائع والمروءات من تضارطهم وتصافعهم وغير ذلك. وهم أول من لاط، [ونساؤهم أول] من ساحق(1).

ولمّا وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبائح أصرّوا على اللجاج في التكذيب، فكان جوابهم له أن قالوا: ائتنا بعذاب الله، قالوا ذلك وهم مصممون على اعتقاد كذبه فيما وعدهم به.

ثم استنصر لوط ربّه عليهم فبعث ملائكة لعذابهم ورميهم بالحاصب.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ تقدم الكلام عليه(2).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّن

(1) ق: ومن سحق.

(2) انظر تفسير الآية ٧٧ من هود.

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ الآية، أي: وإلى مدين أرسلنا. «وارجوا» أي: خافوا [٤٣٦/أ] جزاء اليوم الآخر من انتقام الله منكم.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ تقدم الكلام عليه(١).

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ تقدم الكلام عليه(٢).

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ فالحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء، والصيحة لمدين وثمود، والخسف لقارون، والغرق لقوم نوح وفرعون وقومه(٣).

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ والعنكبوت حيوان معروف، ووزنه فَعْلَلُوت،

---

(١) انظر تفسير الآية ٦٠ من البقرة.

(٢) انظر تفسير الآية ٧٨ من الأعراف.

(٣) أصل العبارة للزمخشري، انظر الكشاف ٣: ٢٠٦.

ويؤنث ويذكّر. شبّه تعالى الكفّار في عبادتهم الأصنام وبنائهم أمورهم عليها بالعنكبوت التي تبني وتجتهد[١] وأمرها كله ضعيف متى مسّه أدنى هامة أذهبته، فكذلك[٢] أمر هؤلاء وسعيهم مضمحلّ لا قوّة له ولا معتمد.

قال الزمخشري[٣]: والغرض تشبيه ما اتّخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم، وتولّوه من دون الله بما هو مَثَلٌ عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج [العنكبوت]. ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله «وإن أوهن[٤] البيوت لبيت العنكبوت» انتهى.

والذي يظهر هو تشبيه المتّخذ من دون الله وليًّا بالعَنبكوت المتّخذة بيتا[٥]، فلا اعتماد للمتّخذ على وليّه من دون الله كما أن العنكبوت لا اعتماد لها على بيتها في استظلال وسكنى، بل[٦] لو دخلتْ فيه خرقته. ثم بيّن حال بيتها، وأنه في غاية الوهن بحيث لا يُنتفع به، كما أن تلك الأصنام لا تنفع، فلا تحدث شيئاً البتّة.

والإشارة بقوله «وتلك» إلى الأمثال وما تقدّم من الأمثال في السّور.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي: لا يعقل صحّتها وحسنها وفائدتها إلا العالمون.

---

(١) ق: يبني ويجتهد.

(٢) ق: فلذلك.

(٣) الكشاف ٣: ٢٠٦.

(٤) ق: أهن.

(٥) عبارة ق: والنصّ يظهر في تشبيه المتّخذ من دون الله ولياً هو بالعنكبوت المتخذة وليًّا بيتاً.

(٦) ق: وسلني قل.

وكان جهلة قريش يقولون إن ربّ محمد يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، وما علموا أن الأمثال تبرز(١) المعاني الخفيّة في الصّور الجليّة.

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ الآية، «أهل الكتاب» اليهود والنصارى. [و«[بالتي] هي أحسن» الملاطفة(٢) في الدعاء إلى الله تعالى والتّنبيه على آياته. «إلا الذين ظلموا» من لم يؤدّ جزية، ونصب الحرب، وصرّح بأن لله تعالى ولداً أو شريكاً، أو يده مغلولة. فالآية منسوخة في مهادنة من لم يحارب. «وقولوا(٣) آمنا» هذا من المجادلة.

(١) ق: يبرز.

(٢) ق: من الملاطفة.

(٣) ق: وقوله.

وفي صحيح البخاري[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا آمنّا بالله».

«وكذلك» أي: مثل إنزل تلك الكتب السابقة[٢]. ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: القرآن. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ [ٱلْكِتَٰبَ]﴾ هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه. ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: من أهل مكة. ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾[٣] أي: بالقرآن إذ هو مذكور في كتبهم أنه ينزل على رسول الله ﷺ. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [٤٣٦/ب] مع ظهورها وزوال الشبهة عنها. ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: من بني إسرائيل وغيرهم.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبل نزوله عليك. «من كتاب» أي: كتاباً، و«مِن» زائدة لأنها في متعلّق النّفي. «ولا تخطه» أي: لا تقرأ ولا تكتب بيمينك، وهي الجارحة التي يُكتب بها. وذكرها زيادة تصوير لما نُفي عنه من الكتابة.

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كان يقرأ كتباً قبل نزول القرآن عليه، أو يكتب، لحصلت الريبة للمبطلين، إذ كانوا يقولون: حصّل ذلك الذي يتلوه ممّا قرأه قبلُ، وخطّه، واستحفظه. فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلُّقٌ ببعض شبهة. وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجّة فظاهرٌ فساده. و«المبطلون» أهل الكتاب.

---

(١) ٦: ٢٦٧٩.

(٢) ق: أي مثل ذلك الذي للكتب السابقة.

(٣) ق: يؤمنون به.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي: قريش. وبعض اليهود كانوا يُعلّمون[1] قريشاً مثل هذا الاقتراح ويقولون لهم: ألا يأتيكم بآية مثل آية موسى من العصا وغيرها.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ الظاهر أنه ردٌّ على الذين قالوا «لولا أنزل». أي: أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات - إن كانوا طالبين للحقّ غير متعنّتين - هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان، فلا يزال معهم آية ثابتة، لا تزول ولا تضحملّ؟.

[وقيل «أولم يكفهم» يعني اليهود]. ﴿أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ [الْكِتَابَ﴾ يُتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك].

روي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا: يا محمد، من يشهد لك بأنك رسول الله؟ فنزلت ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾[2]، أي: قد بلّغت وأنذرت، وأنكم جحدتم وكذّبتم، وهو العالم ما في السماوات والأرض، فيعلم أمري وأمركم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ قال ابن عباس: بغير الله[3].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي

---

(١) ق: يعملون.

(٢) لم أجده.

(٣) بعده في ق كلام متصل بالآية ٥٨ التالية، نقلته هناك.

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ أي: قريش في قولهم ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾[1] ﴿٧٧﴾ [الأعراف] وهو استعجال على جهة التعجيز والتكذيب والاستهزاء بالعذاب الذي كان يتوعّدهم به الرسول عليه السلام. والأجل المسمّى: ما سمّاه الله تعالى وأثبتة في اللوح المحفوظ لعذابهم، وأوجبت الحكمة تأخيره.

ثم كرر فعلهم وقبحه وأخبر أن وراءهم جهنم تحيط بهم.

وانتصب «يوم يغشاهم» بمحيط.

﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ الآية، أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن قوله «يا عبادي» الآية، نزلت فيمن كان مقيماً بمكة، أُمروا بالهجرة عنها إلى المدينة. أي: جانبوا أهل الشرك واطلبوا أهل الإيمان.

ولمّا أخبر تعالى بسعة أرضه - وكان ذلك إشارة إلى الهجرة - وأمر بعبادته، فكان قد يتوهم متوهم أنه إذا خرج من أرضه التي نشأ فيها لأجل من حلّها من أهل الكفر [٤٣٧/أ] إلى دار الإسلام، لا يستقيم له فيها ما كان يستقيم له في أرضه، فربما أدّى ذلك إلى هلاكه - أخبر أن كلّ نفس لها أجل تبلغه، وتموت[2] في أي مكان حلّ، وأن رجوع الجميع إلى جزائه يوم القيامة.

---

(١) ليست الآية بهذه الألفاظ من قول كفار قريش.

(٢) ق: ويموت.

أجاز أبو البقاء[١] أن يكون «الذين» منصوباً بفعل محذوف يدلّ عليه «لنبوّئنهم».

وهذا لا يجوز لأنه لا يفسّر إلا ما يجوز له أن يعمل، ولا يجوز أن تقول زيداً لأضربنّ، فلا يجوز أن تقول: زيداً لأضربنّه، لما ذكرنا[٢].

وقرىء: لنبوّئنّهم، من المباءة[٣] وهي المرجع. والمعنى: لنجعلنّ لهم مكان مباءة أي: مرجعاً يأوون إليه.

﴿غُرَفًا﴾ أي: علالي.

وقرىء: لَنُثْوِيَنَّهم، من ثوى أي: أقام[٤]، وهو فعل لازم فدخلت عليه همزة التعدية، فصار يتعدّى إلى واحد. وقرىء مشدّداً[٥]، عدّي بالتضعيف فانتصبت «غرفاً» إما على إسقاط حرف الجر أي: في غرف، ثم اتّسع فحذف. وإما على تضمين الفعل معنى التّبوئة فتعدّى إلى اثنين، أو شبه الظرف المكاني المخصص بالمبهم فوصل إليه الفعل.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ أي: على مفارقة أوطانهم والهجرة.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ هذان جماع الخير كلّه: الصبر وتفويض الأمور إلى الله تعالى.

---

(١) انظر إملاء ٢: ١٨٣.

(٢) ما تقدّم من تفسير هذه الآية ورد في ق في نهاية تفسير الآية ٥٢. وها هنا موضعه الصحيح.

(٣) ق: المياه.

(٤) ق: وأما ثوى فمعناه أقام.

(٥) أي: لَنُثَوِّيَنَّهم.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

ولما أمر رسول الله ﷺ من أسلم بمكّة بالهجرة خافوا الفقر فقالوا: أغربة في بلد لا دار لنا فيه ولا عقار ولا من يطعم. فمثّل لهم بأكثر[1] الدّواب التي تقتات ولا تدّخر ولا تروّي[2] في رزقها. و﴿ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ من الحمل التي لا تنقل ولا تنظر[3] في ادّخار. ثم قال ﴿ ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا ﴾ أي: على ضعفها. ﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ أي: على قدرتكم على الاكتساب وعلى التحيّل في تحصيل المعيشة، ومع ذلك فرازقكم هو الله تعالى.

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ﴾ الإشارة «بهذه» ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها. و﴿ ٱلْحَيَوَانُ ﴾

---

(١) ق: بأكبر.

(٢) روّى في الأمر: نظر فيه وفكّر.

(٣) ق: لا ينقل ولا ينظر.

والحياة بمعنى واحد. وجعلت الدار الآخرة حيواناً[١] على المبالغة بالوصف بالحياة.

ولمّا ذكر تعالى أنهم مقرّون بالله تعالى إذا سئلوا مَن خلق العالم ومن[٢] نزّل من السماء ماءً؟ ذكر أيضاً حالة أخرى يرجعون فيها إلى الله تعالى، ويقرّون بأنه هو الفاعل لما يريد، وذلك حين ركوب البحر واضطراب أمواجه واختلاف رياحه.

﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ جواب «للمّا» أي: فاجأ التّنجية إشراكهم بالله تعالى، أي: لم[٣] يتأخر عنها ولا وقتاً.

والظاهر في «ليكفروا» أنها لام[٤] كي، وعطف عليه «وليتمتعوا». والمعنى: عادوا إلى إشراكهم ليكفروا، أي: الحامل لهم على الشرك كفرهم بما أعطاهم الله تعالى، وتلذّذهم بما مُتّعوا به من عَرَض الدّنيا، بخلاف المؤمنين، فلم يقابلوها إلا بالشكر لله تعالى على ذلك.

ثم ذكّرهم تعالى بنعمه حيث أسكنهم بلدة أمنوا فيها، لا يغزوهم[٥] أحد، ولا يستلب[٦] منهم، مع كونهم قليلي العدد قارّين في مكان غير ذي زرع. وهذه من أعظم النعم التي كفروا بها، وهي نعمة لا يقدر عليها إلا الله تعالى.

---

(١) ق: حيا.

(٢) ق: وما.

(٣) ق: لمن.

(٤) ق: لم.

(٥) ق: يعروهم. وهو وجه؛ يقال: عراه: غشيه وألمّ به وأتاه طالباً.

(٦) ق: ينسلب.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ أطلق المجاهدة ولم يقيّدها بمتعلّق، ليتناول المجاهدة في النفس. قال ابن عباس: جاهدوا أهواءهم في طاعة الله.

﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾ [٤٣٧/ب] أي: لنزيدنّهم هداية إلى سبيل الخير كقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد]. و«الذين» مبتدأ خبره القسم المحذوف وجوابه وهو «لنهدينّهم».

سورة الروم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾.

﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكية بلا خلاف. وسبب نزولها[2] أن كسرى بعث جيشاً إلى الروم، وأمّر عليهم رجلاً، واختُلف في اسمه، فسار إليهم بأهل فارس، فظفر وقتل وخرب وقطع زيتونهم. وكان التقاؤهم بأذرعات وبصرى، وكان قد بعث قيصر رجلاً أميراً على الروم. وفي البحر[3] ذكرت حكايه غلب الروم فارس.

قال ابن عطية: والقراءة بضم الغين أصحّ. وأجمع الناس على «سيَغْلبون» أنه بفتح الياء، يراد به الروم. وروي عن ابن عمر أنه قرأ أيضاً: سيُغلبون،

---

(١) مكية، وهي ستون آية.

(٢) انظر أسباب النزول ص ٢٣١.

(٣) ٧: ١٦١.

بضم الياء. وفي هذه القراءة قلب المعنى الذي تظاهرت به الروايات[١] انتهى.

قوله: وأجمعوا، ليس كذلك. ألا ترى أن الذين قرؤوا: غَلَبت، بفتح الغين هم الذين قرؤوا: سيُغلبون، بضم الياء وفتح اللام. فليست هذه مخصوصة بابن عمر كما ذكر.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ تقدّم الكلام عليه في يوسف[٢]. والظاهر أن «ويومئذ» ظرف معمول «ليفرح» والتنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة أي: ويوم إذ يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون.

ثم ابتدأ الإخبار بفرح المؤمنين بالنصر.

﴿بِنَصْرِ[٣] اللَّهِ﴾ أي: الروم على فارس، أو المسلمين على عدوّهم.

وانتصب «وعد الله» على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت وهو قوله «سيغلبون» و«يفرح المؤمنون».

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ الكفار[٤] من قريش وغيرهم.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ نفى عنهم العلم النافع للآخرة، وقد أثبت لهم العلم بأحوال الدنيا.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ أي: بيّناً، أي: ما أدّته إليهم حواسّهم، فكأن علومهم

---

(١) ق: الرواية.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٢ من يوسف.

(٣) ق: وينصر.

(٤) ق: الكتاب.

إنما هي علوم البهائم.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ الظاهر أنها معلّقة، ومتعلّقها الجملة من قوله «ما خلق» إلى آخرها. و«في أنفسهم» ظرف على سبيل التأكيد، لأن الفكر لا يكون إلا في النفس كما أن الكتابة لا تكون إلا في اليد[١]. و«بالحق» في موضع الحال أي: ملتبسة بالحق مقترنة به، وبتقدير أجل مسمّى، لا بدّ لها أن تنتهي إليه، وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب. والمراد ﴿ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ ﴾ الأجل المسمّى.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ هذا تقرير وتوبيخ، أي: قد ساروا ونظروا إلى ما حلّ بمن كان قبلهم من مكذّبي الرّسل.

(١) ق: تأكيد.

﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: قلبوها للزراعة [٤٣٨/أ] وغير ذلك.

﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ من العمارة، أي: بقاؤهم فيها أكثر من بقاء هؤلاء، أو من العمران أي: سكنوا فيها.

وقرىء: عاقبةُ، بالرفع وهي اسم كان. و﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر، كأنه قال: عاقبة أمرهم. وخبر كان قوله «السوأى» وهي الحالة السيئة[1]. و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ أفعل تفضيل مؤنث، تذكيره الأسوأ، ويجوز أن يكون «السوأى» مصدراً منصوباً «بأساؤوا».

و﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ هو الخبر أي: تكذيبهم بآيات الله. وقرىء: عاقبةَ، بالنصب على أنه خبر «كان»، واسمها يجوز أن يكون «السوأى».

ويجوز أن يكون «أن كذّبوا» أي: تكذيبُهم. فيكون «السوأى» مصدراً «لأساؤوا».

قال الزمخشري[2]: ويجوز أن يكون «أن» بمعنى أي. [ووجه] آخر وهو أن يكون «أساؤوا السوأى» بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايات، و«أن كذّبوا» عطف بيان لها، وخبر «كان» محذوف كما يحذف جواب لمّا ولو، إرادة الإبهام انتهى.

كون «أن» هنا حرف تفسير متكلّف جدّاً. وأما قوله: الخطايات، فهكذا هو في النسخة التي طالعناها؛ جَمَع جَمْع التكسير بالألف والتاء وذلك لا ينقاس إنما يُقتصر فيه على مورد السّماع. ولا يبعد أن تكون زيادة التاء في:

---

(١) ق: السببيّة.

(٢) الكشاف ٣: ٢١٦.

خطايات من الناسخ[١].

وأما قوله: و«أن كذبوا» عطف بيان لها - أي: «للسوأى» - وخبر «كان» محذوف إلى آخره، فهذا فهم أعجمي لأن الكلام مستقلّ في غاية الحسن بلا حذف فيتكلّف له محذوفاً لا يدلّ عليه دليل.

وأصحابنا لا يجيزون حذف خبر «كان» وأخواتها لا اقتصاراً [ولا اختصاراً] إلاّ إن ورد منه شيء فلا يقاس عليه.

﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لا ينطقون.

﴿فِى رَوْضَةٍ﴾ الروضة: الأرض ذات النبات والماء. ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يُسَرُّون. حَبَره: سرّه سروراً تهلّل له وجهه وظهر له أثره.

ومعنى ﴿مُحْضَرُونَ﴾ مجموعون له لا يغيب أحد منهم.

وجاء «في روضة» منكّراً، و«في العذاب» معرّفاً، والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه. وجاء ﴿يُحْبَرُونَ﴾ بالفعل المضارع لاستعماله للتجدّد، لأنهم كلّ ساعة يأتيهم ما يسرّون به من متجدّدات الملاذّ أو أنواعها المختلفة. وجاء «محضرون» باسم الفاعل[٢] لاستعماله للثّبوت، فهم إذا دخلوا العذاب، يبقون فيه مُحْضَرين، فهو وصف لهم لازم.

﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ

(١) هذا صحيح، وفي النسخة المطبوعة: أسوأ الخطايا. انظر الحاشية السابقة.
(٢) حملاً له على معنى: مقيمون.

إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الآية، لمّا بيّن تعالى عظيم قدرته في خلق السماوات والأرض بالحق - وهي حالة لمبدأ العالم - وفي مصيرهم إلى الجنة والنار - وهي حالة الانتهاء - أمر تعالى بتنزيهه من كل سوء في هذه الأوقات. وقابل بالعشيّ الإمساء، وبالإظهار الإصباح، لأن كلاً منهما يعقب ما قابله؛ فالعشي يعقبه الإمساء، والإصباح يعقبه الإظهار.

ولمّا لم يتصرّف[1] من العشي فِعْل - لايقال أعشى، كما يقال [٤٣٨/ب] أمسى وأصبح وأظهر - جاء التركيب «وعشياً».

ولمّا ذكر الإبداء والإعادة[2] ناسب ذكره ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ وتقدّم

---

(١) ق: يصرف.

(٢) الآية ١١ المتقدمة.

الكلام عليه[١]. «وكذلك» أي: مثل ذلك الإخراج. والمعنى تساوي[٢] الإبداء والإعادة في حقّه تعالى.

ثم ذكر تعالى آياته من بدء خلق الإنسان آية[٣] آية إلى حين بعثه من القبر فقال ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ جعل خلقهم من تراب حيث كان خَلَق أباهم آدم من تراب.

و﴿ تَنتَشِرُونَ ﴾ تتصرفون في أغراضكم وأسفاركم. و«إذا» للمفاجأة. ولمّا كان بين الخلق وبين الانتشار رُتَب أُخر، كان العطف بثم المقتضية المهلة والتراخي.

وبدأ أولاً من الآيات بالنشأة الأولى وهي خلق الإنسان من التراب ثم كونه بشراً منتشراً وهو خَلْق حيّ من جماد. ثم أتبعه بأن خلق له من نفسه زوجاً، وجعل بينهما توادًّا وذلك خَلْق حيّ من عضو حيّ. وقال «القوم يتفكرون» لأن ذلك لا يُدرَك إلا بالفكر في تأليف بين شيئين لم يكن بينهما تعارف.

ثم أتبعه بما هو مشاهد للعالم كلهم وهو خَلْق السماوات والأرض واختلاف اللغات والألوان. والاختلاف دائم بدوام الإنسان لا يفارق. وقال «للعالمين» لأنها آية مكشوفة للعالِم.

ثم أتبعه بالمنام والابتغاء وهما من الأمور المفارَقة في بعض الأوقات، بخلاف اختلاف الألسنة والألوان. وقال «لقوم يسمعون» لأنه لمّا كان من أفعال العبادة، قد يُتوهّم أنه لا يحتاج إلى مرشد، فنبّه على السّماع وجعل

(١) انظر تفسير الآية ٩٥ من الأنعام.

(٢) ق: يساوي.

(٣) ق: أنه.

البال من كلام المرشد[١].

ولما ذكر عرضيات الأنفس اللازمة والمفارقة، ذكر عرضيات الآفاق المفارقة من إراءة البرق وإنزال المطر، وقدّمهما على ما هو من الأرض وهو الإنبات والإحياء، كما قدّم السماوات على الأرض، وقدّم البرق على الإنزال لأنه كالمبشّر يجيء بين يدي القادم. والأعراب لا يعلمون البلاد المعشبة إن لم يكونوا قد رأوا البروق اللائحة من جانب إلى جانب.

وقال ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لأن البرق والإنزال ليس أمراً عادياً فيُتوهم[٢] أنه طبيعة؛ إذ قد يقع ذلك ببلدة دون أخرى، ووقتاً دون وقت، وقويًّا وضعيفاً. فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار، فقال: هو آية لمن عقل، وإن لم يتفكر تفكّراً تامّاً.

ثم ختم هذه الآيات بقيام السماوات والأرض وذلك من العوارض اللازمة؛ فإنّ كلًّا من السماء والأرض لا يخرج عن مكانه، فيتعجّب من وقوف الأرض وعدم نزولها، ومن علوّ السماء وثباتها من غير عمد.

ثم أتبع ذلك بالنشأة الآخرة وهي الخروج من الأرض. وذكر تعالى من [كل] باب أمرين: من الأنفس: خلقكم وخلق لكم، ومن [٤٣٩/أ] الآفاق: السماء والأرض، ومن لوازم الإنسان: اختلاف الألسنة واختلاف الألوان، ومن عوارضه: المنام والابتغاء، ومن عوارض الآفاق: البرق والمطر، ومن لوازمها[٣]: قيام السماء وقيام الأرض.

---

(١) كذا في الأصول.

(٢) ق: متوهم.

(٣) ق: لوازمهما.

﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ الآية، «من في السماوات» عام في كونهم تحت ملكه وقهره.

﴿ قَٰنِتُونَ ﴾ قال ابن عباس: مطيعون، أي: في تصريفه لا يمتنع عليه شيء يريد فعله بهم من حياة وموت ومرض وصحّة، فهي طاعة الإرادة لا طاعة العبادة.

والضمير في «عليه» عائد إلى الله تعالى. وقيل: «أهون» للتفضيل وذلك بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في الشاهد من أن الإعادة في كثير من الأشياء أهون من البداءة للاستغناء عن الرويّة التي كانت في البداءة. هذا وإن كان الاثنان[1] عنده تعالى من اليسر[2] في حيّز واحد.

وقيل: الضمير في «عليه» عائد على «الخلق» أي: والعود أهون على الخلق، بمعنى أسرع لأن البداءة فيها تدريج من طور إلى طور إلى أن يصير[3] إنساناً. والإعادة لا تحتاج إلى هذه التّدريجات في الأطوار، إنما يدعوه الله تعالى فيخرج فكأنه قال: وهو أيسر عليه، أي: أقصر مدة وانتقالاً.

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٨ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ

---

(١) ق: الاتيان.

(٢) ق: اليسير.

(٣) ق: تصير.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ ﴾ قال ابن عباس: بيّن تعالى أمر الأصنام وفساد معتقد من يشركها بالله تعالى بضربه هذا المثل. ومعناه أنكم أيها الناس إذا كان لكم عبيد تملكونهم، فإنكم لا تشركونهم في أموالكم ومهمّ أموركم، ولا في شيء على جهة استواء المنزلة، وليس من شأنكم أن تخافوهم[١] في أن يرثوا أموالكم، أو يقاسموكم[٢] إياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض. فإذا كان هذا فيكم فكيف تقولون[٣] إن من عبيده وملكه شركاء في سلطانه وألوهيّته، وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجوانبكم؟. وجاء هذا المعنى في معرض السؤال والتقرير[٤].

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: لكلمات الله[٥].

و﴿ ٱلْقَيِّمُ ﴾ بناء مبالغة من القيام بمعنى الاستقامة.

و﴿ ۞ مُنِيبِينَ ﴾ حال من ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾. والظاهر أن ﴿ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ كلّ من أشرك، فيدخل فيهم أهل الكتاب وغيرهم.

---

(١) ق: يخافوهم.

(٢) ق: يقاسمونكم.

(٣) ق: يقولون.

(٤) ق: والتقدير.

(٥) ق: لا تبديل لكلمات الله أي لخلق الله.

و﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ﴾ بدل من «المشركين». ﴿ فَرَّقُواْ[١] دِينَهُمْ ﴾ أي: دين الإسلام، وجعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم. ﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ كل فرقة[٢] تشايع إمامها الذي كان سبب ضلالها. ﴿ كُلُّ حِزْبٍ ﴾ أي: منهم فرح بمذهبه مفتون به. و«كل حزب» مبتدأ، و«فرحون» الخبر.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم ﴾ الآية، «الضر»[٣] الشدّة من مرض أو فقر أو قحط أو غير ذلك. والرحمة: الخلاص من ذلك الضر.

﴿ دَعَوْاْ رَبَّهُم ﴾ أفردوه[٤] بالدعاء والتضرّع لينجوا من ذلك الضّر، وتركوا أصنامهم لعلمهم أنه لا يكشف الضّر إلا هو تعالى، فلهم في ذلك الوقت إنابة وخضوع. [٤٣٩/ب] فإذا خلّصهم من ذلك الضّر أشرك فريق ممّن خلّص، وهذا الفريق هم عبدة الأصنام.

---

(١) ق: فارقوا.

(٢) ق: كانوا شيعاً كل فرق.

(٣) ق: الضير.

(٤) ق: أفردوا.

و«إذا فريق» جواب «إذا أذاقهم» الأولى شرطية والثانية للمفاجأة. وتقدّم نظيره[١].

وجاء هنا «فريق» لأن قوله ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾ عامّ للمؤمن والكافر، فلا يُشرِك[٢] إلا الكافر. و«ضرّ» هنا مطلق.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا﴾ بمعنى بل والهمزة؛ بل: للإضراب عن الكلام السابق، والهمزة: للاستفهام عن الحجّة استفهام إنكار وتوبيخ. والسلطان: البرهان من كتاب أو نحوه.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ أي: يظهر مذهبهم وينطق بشركهم. والتكلّم مجاز.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ في إصابة الرحمة فرحوا بها، وذهلوا عن شكر من أسداها إليهم، وفي إصابة البلاء قنطوا ويئسوا وذهلوا عن الصبر، ونسوا ما أنعم به عليهم قبل إصابة البلاء. و«إذا هم» جواب «وإن تصبهم» يقوم مقام الفاء في الجملة الاسمية الواقعة جواباً للشرط. ونظيره ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة].

ولا نعلم جاءت إذا الفجائية جواباً لإنْ الشرطية إلا في هذين الموضعين.

وقرىء: يقْنِطون، مضارع قَنَط. ويقْنَطون، مضارع قَنِط.

وحين ذكر إذاقة الرحمة، لم يذكر سببها وهو زيادة الإحسان والتّفضل.

وحين ذكر إصابة السّيئة ذكر سببها وهو العصيان، ليتحقّق عدله.

---

(١) انظر ٣: ١٢٠.

(٢) ق: تشرك.

ثم ذكر تعالى الأمر الذي من اعتبره لم ييأس[1] من روح الله [وهو] أنه تعالى هو الباسط والقابض، فينبغي ألّا يقنط وأن يتلقّى ما يرد من قبل الله تعالى بالصبر في البلاء والشكر في النعماء، وأن يقلع عن المعصية التي أصابته السيئة بسببها حتى تعود إليه رحمة ربه.

ومناسبة ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لما قبله أنه لمّا ذكر أنه تعالى هو الباسط القابض، وجعل في ذلك آية للمؤمن، أمر نبيّه عليه السلام بالإحسان لمن به فاقة واحتياج، لأن من الإيمان الشفقة على خلق الله. فخاطب من بسط له الرّزق بأداء حقّ الله تعالى من المال وصرفه إلى من يُصرف إليه في رحم أو غيره من مسكين.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ قال السدّي: نزلت في ربا ثقيف، كانوا يعملون [بالربا]، وتعمله قريش فيهم.

﴿فَلَا يَرْبُوا۟﴾ أي: لا يزكو في المال ولا يبارك الله فيه، كقوله تعالى ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة]. وقرىء: أتيتم، بالقصر. وآتيتم، بالمد.

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ التفات من الخطاب في «آتيتم» إلى الغيبة في قوله «فأولئك هم».

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

(١) ق: يقاس.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ الآية، كرر تعالى خطاب الكفار في أمر أوثانهم، فذكر أفعاله التي لا يمكن أن يُدّعى له فيها شريك، وهي الخلق والرزق والإماتة والإحياء، ثم استفهم على جهر التقرير لهم والتوبيخ، ثم نزّه نفسه تعالى عن مقالتهم.

و«الله الذي خلقكم» مبتدأ وخبر. و«مَن» مبتدأ موصولة [٤٤٠/أ] و«من شركائكم» الخبر. و«من شيء» مفعول، و«مِن» زائدة تقديره: شيئاً.

قال الزمخشري[١]: هل من شركائكم الذين اتخذتموهم أنداداً من الأصنام وغيرها من يفعل شيئاً قطّ من تلك الأفعال حتى يصحّ ما ذهبتم إليه؟ انتهى.

استعمل قطّ في غير موضعها، لأنها ظرف للماضي، وهنا جعلها معمولة ليفعل.

و«ذلكم» إشارة إلى ما تقدّم من الخلق والرزق والإماتة والإحياء.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ ظهوره بارتفاع البركات ونزول رزايا، وحدوث فتن، وتغلّب[٢] عدوّ كافر، وهذه الثلاثة توجد[٣] في البر والبحر.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: من المعاصي. وقرىء: لنذيقهم، بالنون

---

(١) الكشاف ٣: ٢٢٤.

(٢) ق: ويغلب.

(٣) ق: يوجد.

وبالياء.

و﴿ سِيرُواْ ﴾ تقدّم الكلام عليه[١].

﴿ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ ﴾ هو يوم القيامة، وفيه [تحذير] يعمّ الناس.

﴿ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ والمردّ مصدر ردّ. «يومئذ» أي: يوم إذ يأتي [ذلك] اليوم. «يصدعون»[٢] يتفرقون؛ فريق في الجنّة وفريق في السعير. يقال: تصدّع[٣] القوم إذا تفرقوا، ومنه الصّداع لأنه يفرّق شُعب الرأس.

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ ﴾ أي: جزاء كفره. وعبّر عن حالة الكافر بـ«عليه»[٤] وهي تدلّ على الثقل والمشقة، وعن حال المؤمن بقوله «فلأنفسهم» باللام التي هي كلامِ الملك. و«يمهدون» يوطّئون، وهي استعارة من الفرش.

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا

---

(١) انظر تفسير الآية ١١ من الأنعام.

(٢) ق: يتصدعون.

(٣) ق: يصدع.

(٤) ق: فعليه.

﴿تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ۝٥٣﴾.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾ منصوب على الحال. ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾[1] معطوف عليه على التوهّم، كأنه قيل: ليبشّر وليذيق وتبشيرها إذاقة الرّحمة وهي نزول المطر، ويتبعه حصول الخصب والرّوح[2] الذي معه[3] الهبوب وإزالة العفونة من الهواء وتذرية[4] الحبوب وغير ذلك. و«بأمره» أي: بأمر الله تعالى. يعني أن جريانها لما كان مسنداً إليها أخبر أنه بأمره تعالى «من فضله» بما ينشىء لكم من الرّيح في التّجارات في البحر، ومن غنائم أهل الشرك.

ثم أنّس[5] رسول الله ﷺ، بأن ضرب له مثل من أرسل من الأنبياء، وتوعّد قريشاً، بأن ضرب لهم مثل من أهلك من الأمم الذين أجرموا وكذّبوا الأنبياء. ولما كان تعالى بيّن الأصلين المبدأ[6] والمعاد ببراهين، ذكر الأصل الثالث وهو النبوّة. وفي الكلام حذف تقديره: فآمن به بعض وكذّب بعض فانتقمنا من الذين أجرموا.

وفي قوله ﴿وَكَانَ حَقًّا﴾ تبشير للرسول عليه السلام وأمّته بالنصر والظّفر؛ إذ أخبر أن المؤمنين بأولئك الأنبياء نُصروا. وفي لفظة «حقًّا» مبالغة في

---

(١) ق: ولنذيقكم.

(٢) الرّوح: نسيم الرّيح.

(٣) ق: مع.

(٤) ق: وتذرونه.

(٥) ق: أيس.

(٦) ق: المذا.

التحتّم وتكريم للمؤمنين وإظهار لفضيلةِ سابقةِ الإيمان، حيث جعلهم مستحقّين النّصر والظفر.

والظاهر أنّ «حقّاً» خبر «كان»، و«نصر المؤمنين» الاسم [٤٤٠/ب] وأُخّر لكون[1] ما تعلّق به فاصلة، وللاهتمام بالخبر إذ هو محطّ الفائدة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ هذا متعلق بقوله ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم] والجملة التي بينهما اعتراض جاءت تأنيساً للرسول عليه السلام وتسلية ووعداً بالنصر ووعيداً لأهل الكفر. وفي إرسالها قدرة وحكمة؛ أما القدرة فإن الهواء اللطيف الذي يسبقه البرق يصير بحيث يقلع الشجر ويهدم البناء، وهو ليس بذاته يفعل ذلك بل بفاعل مختار. وأما الحكمة ففيما يفضي[2] إليه نفس الهبوب من إثارة السحب وإخراج الماء منه وإنبات الزّرع ودرّ الضّرع واختصاصه بناسٍ دون ناس. وهذه حكمة بالغة معذوقة بالمشيئة[3]. والإثارة: تحريكها وتسييرها[4]. والبسط: نشرها في الآفاق. والكِسَف: القِطَع.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ تقدّم الكلام عليه[5]. والضمير في «من خلاله» الظاهر أنه عائد على السحاب إذ هو المحدَّث عنه. وذكّر الضمير لأنّ السحاب اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه.

---

(١) ق: لكونه.

(٢) ق: يقضي.

(٣) أي مقرونة بها.

(٤) ق: وتيسيرها.

(٥) انظر تفسير الآية ٤٣ من النور.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ أخبر تعالى عن تقلّب ابن آدم في أنه بعد الاستبشار بالمطر، بعث[١] الله ريحاً، فاصفرّ بها النّبات. لظلّوا[٢] يكفرون: قلقاً منهم. والريح التي يصفرّ بها النبات حَرور أو حرْجف[٣]، وهما مما يصبح به النبات هشيماً. والحرجف: الشمال إذا عصفت.

والضمير في «فرأوه»[٤] عائد على ما يُفهم من سياق الكلام وهو النبات.

واللام في «ولئن» مؤذنة بقسم محذوف، وجوابه «لظلوا». وهو ممّا وُضع فيه الماضي موضع المستقبل اتساعاً، تقديره: لَيَظَلُّنَّ.

والضمير في «بعده» عائد على الاصفرار، أي: من بعد اصفرار النبات يجحدون نعمته.

وتقدم الكلام على قوله ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ إلى قوله ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ[٥]﴾ في أواخر النمل[٦]. إلا أنّ هنا الربط بالفاء في قوله «فإنك».

﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ

---

(١) ق: بعد.

(٢) ق: فظلّوا.

(٣) الحرور: الريح الحارة، والحرجف: الباردة.

(٤) ق: قراره.

(٥) ق: مبلسون.

(٦) انظر تفسير الآيتين ٨٠-٨١ في النمل.

وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الآية، لمّا ذكر من دلائل الآفاق ما ذكر، ذكر شيئاً من دلائل الأنفس، وجعل الخَلْق من ضعف] لكثرة ضعف الإنسان أول نشأته وطفولته، كقوله تعالى ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء]. والقوة التي تلت الضّعف هي رعرعته[1] ونماؤه وقوّته إلى فصل الاكتهال[2]. والضعف الذي بعد القوة هو حال الشيخوخة والهرم. وقرىء: ضعف، بضم الضاد وفتحها.

﴿مَا لَبِثُوا﴾ هي جواب القسم، وهو على المعنى؛ إذ لو حكى قولهم كان يكون التركيب: ما لبثنا غير ساعة. أي: ما أقاموا تحت التّراب غير ساعة، أو ما لبثوا في الدنيا. استقلّوها لما عاينوا من أمر الآخرة. وإخبارهم بذلك هو على جهة التقوّل بغير علم، أي: على جهة النسيان والكذب.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يُصرفون [٤٤١/أ] عن قول الحق والنطق بالصدق.

و﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث. و«العلم» يعمّ

---

(١) ق: عرعرته.

(٢) ق: الاكهال.

الإيمان وغيره، ولكنْ نصّ على هذا الخاصّ تشريفاً وتنبيهاً على محلّه من العلم.

وقيل «في كتاب الله» في اللوح المحفوظ.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ يقع ذلك من أقسام الكفار وقول أولي العلم لهم.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ في إزالة ما سألوه ممّا هم فيه.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا[١]﴾ إشارة إلى إزالة الأعذار والإتيان[٢] بما فوق الكفاية من الإنذار.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ أي: مثل هذا الطبع. «يطبع الله» أي: يختم على قلوب الجهلة الذين ختم الله عليهم بالكفر في الأزل. وأسند الطبع إلى ذاته تعالى إذ هو فاعل ذلك ومقدّره.

ثم أمره تعالى بالصبر عليهم وعلى عداوتهم، وقوّاه بتحقيق الوعد، وأنه لا بدّ من إنجازه[٣] والوفاء به. ونهاه عن الاهتزاز لكلامهم والتّحرك، فإنهم لا يقين لهم ولا بصيرة.

---

(١) ق: صرفنا.

(٢) ق: وإتيان.

(٣) ق: اتّخاذه.

سورة لقمان[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾.

﴿الٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الآية، هذه السورة مكيّة، قال ابن عباس: إلاّ ثلاث آيات أوّلهن ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2]. وسبب نزولها أن قريشاً سألت عن قصة لقمان مع ابنه وعن برّ والديه فنزلت. ومناسبتها لما قبلها أنه قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ ۝٥٨﴾[3] [الروم]. فأشار

---

(١) مكية وآياتها أربع وثلاثون.

(٢) الآيات ٢٧-٢٩.

(٣) ق: ولقد صرفنا.

هنا إلى ذلك بقوله «الٓم تلك آيات الكتاب الحكيم». وكان في آخر تلك ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ ﴿٥٨﴾﴾ وهنا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ﴿٧﴾﴾ [لقمان]. و«تلك» إشارة إلى البعيد، فاحتمل أن يكون ذلك البعد غايته وعلوّ شأنه.

و﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن أو اللوح المحفوظ.

ولمّا ذكر من صفات القرآن الحكمة، وأنّه هدى ورحمة، وأنّ متّبعه فائز، ذكر حال من بدّل[1] بطلب الحكمة اللهو، وذكر مبالغته في ارتكابه حتى جعله مشترياً له وباذلاً فيه رأس عقله. وذكر علّته وأنّها الإضلال عن طريق الله تعالى. ونزلت[2] هذه الآية في النضر بن الحارث كان يتّجر إلى فارس ويشتري كتب الأعاجم، فيحدّث قريشاً بحديث رستم واسفنديار ويقول: أنا أحسن حديثاً.

و«مَن» في قوله ﴿مَن يَشْتَرِى﴾ موصولة؛ بدأ أولاً بالحمل على اللفظ فأفرد في قوله «من يشتري» و«ليضل» و«ويتخذها»، ثم جمع على المعنى في قوله «أولئك لهم»، ثم حمل على اللفظ فأفرد في قوله «وإذا تتلى» إلى آخر الضمائر. وضمّن[3] هذه الآية ذمّ هذا المشتري من وجوه: التولّي[4] عن الحكمة، ثم الاستكثار، ثم عدم [٤٤١/ب] الالتفات إلى سماعها، كأنه غافل عنها، ثم الإيغال في الإعراض بكون أذنيه كأنّ فيهما صمماً يصدّه عن السّماع.

و«كأن لم يسمعها» حال من الضمير في «مستكبراً» أي: مُشْبهاً حال

---

(١) ق: يدلّ.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٣٢.

(٣) ق: ويضمن.

(٤) ق: التولية.

من لم يسمعها لكونه لا يجعل لها بالاً ولا يلتفت إليها. و«كأنْ» هي المخفّفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واجب الحذف. و«كأنّ في أذنيه» حال من «لم يسمعها».

وانتصب «وعد الله» على أنه مصدر مؤكد والعامل فيه محذوف تقديره: وَعَد الله. و«حقاً» منصوب بمحذوف تقديره: أحقّ حقًّا. وكلاهما مؤكّد لما قبلهما.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ تقدّم الكلام على ذلك[1]. والزّوج الصّنف.

ومعنى ﴿كَرِيمٍ﴾ مدحه بكرمِ[2] جوهرِه ونفاستهِ وحُسْنِ منظره.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته. وبّخ بذلك الكفّار وأظهر حجّته عليهم. والخَلْق بمعنى المخلوق، كقولهم: درهم ضَرْب الأمير أي: مضروبه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى

(١) انظر تفسير الآية ٢ من الرعد.

(٢) ق: مدحته لكرم.

ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ الآية، اختُلف في لقمان هل كان حرًّا أم عبداً، أم نبيًّا أم رجلاً صالحاً، اختلافاً كثيراً مذكوراً[1] في البحر[2]. و«الحكمة» المنطق الذي يُتّعظ به ويُتنبّه ويتناقله الناس. «أن اشكر» هي المخفّفة من الثقيلة، أو مفسِّرة «لنفسه» أي: ثواب الشكر لا يحصل إلا للشاكر، وكُفْر من كَفَر لا يضرّه. و«حميد» مستحق الحمد لذاته وصفاته.

﴿ وَإِذْ قَالَ ﴾ الناصب «لإذ»: اذكر، محذوفة. واختُلف في اسم ابنه اختلافاً كثيراً.

﴿ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ جملة حاليّة. قيل: كان ابنه وامرأته كافرَيْن، فما زال يعظهما حتى أسلما.

والظاهر أنّ قوله ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ من كلام لقمان. وقيل: هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان متّصل به في تأكيد المعنى. وفي صحيح مسلم[3] ما ظاهره أنه من كلام لقمان.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ هذه الآية اعتراض بين أثناء وصية لقمان. وفيها تشديد وتوكيد لاتّباع الولد والده وامتثال أمره في طاعة الله تعالى.

---

(١) ق: مذكور.

(٢) انظر ٧: ١٨٦.

(٣) ١: ١١٤، وأخرجه من حديث عبد الله.

والصحيح أن هذه الآية وآية العنكبوت[١] نزلتا في سعد بن أبي وقّاص، وعليه جماعة من المفسّرين. ولمّا خصّ الأمّ بالمشقّات من الحمل والنفاس والرّضاع والتّربية، نبّه على السبب الموجب للإيصاء بها، ولذلك جاء في الحديث[٢] الأمر ببرّ الأمّ ثلاث مرّات ثم ذكر الأب فجعل له الرّبع من المبرّة[٣].

﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ قال ابن عباس: شدّة بعد شدّة وخَلقاً بعد خلق.

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ ومعناه فِطَامُه، أي: في تمام عامين، عبّر عنه بنهايته. وأجمعوا على اعتبار العامين في مدة الرّضاع في باب الأحكام والنفقات. وأما في تحريم اللبن [٤٤٢/أ] في الرّضاع فخلاف مذكور في الفقه.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ تقدّم الكلام عليه في العنكبوت[٤]. وانتصب «معروفاً» على أنه صفة لمصدر محذوف أي: صحاباً أو مصاحَباً معروفاً وعشرة جميلة، وهو إطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وانتهارهما، وعيادتهما إذا مرضا ومواراتهما إذا ماتا.

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ أي: رجع إلى الله وهو سبيل الرسول ﷺ لا سبيلهما.

﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: مرجعك ومرجعهما فأجازي كلاًّ منكم بعمله.

ولمّا نهى لقمان ابنه عن الشّرك نبّه على قدرة الله تعالى، وأنه لا يمكن أن

(١) الآية ٨. وانظر القرطبي ١٣: ٣٢٨، ١٤: ٦٣.

(٢) رواه البخاري ٥: ٢٢٢٧ من حديث أبي هريرة، ومسلم ٤: ١٩٧٤ من حديثه أيضاً.

(٣) ق: من المبرة وهنا. وكتب فوقها: كذا.

(٤) انظر تفسير الآية ٨ من العنكبوت، ولم يأت على ذكره.

يتأخّر عن مقدوره شيء فقال ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ ﴾. والظاهر أن الضمير في «إنها» ضمير القصة، و«تك» مضارع كان، حذفت نونها، وهي تامّة، و﴿ مِثْقَالَ ﴾ فاعل «بِتَكُ». وأنّث الفعل لإضافة الفاعل إلى مؤنث كما قالوا: تواضعت سور المدينة. «من خردل» في موضع الصفة «لحبّة». «فتكن» معطوف على «تك»[1] وهي تامّة، اسمها مضمر فيها أي: فتكن هي، والخبر «في صخرة».

وبدأ أوّلاً بما يتعقّله الإنسان وهي كينونة [الشيء] في صخرة، وهو ما صَلُب من الحجر وعَسُر إخراجه منها، ثم أتبعه بالعالم العلوي، وهو أغرب للسّامع، ثم أتبعه بما يكون مقرّ الأشياء للشاهد وهو الأرض. «يأت بها الله» جواب الشرط.

لمّا نهاه أوّلاً عن الشّرك، أمره بما يتوسّل به إليه من الطاعات، فبدأ بأشرفها وهو الصلاة، ثم بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ثم بالصبر على ما يصيبه من المحن. «إن ذلك» إشارة إلى ما تقدّم ممّا نهاه عنه وأمره به.

والعزم مصدر، فاحتمل أن يكون يراد به المفعول، أي: من معزوم الأمور، واحتمل أن يراد به الفاعل أي: عازم الأمور كقوله ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد].

وقرىء: ولا تصاعر. ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ ﴾ معناه لا تُوَلِّهم شقّ وجهك كفعل المتكبّر، وأَقْبِلْ على الناس بوجهك من غير تكبّر ولا إعجاب.

(١) ق: تلك.

﴿وَلَا تَمْشِ﴾ تقدّم الكلام عليه في سبحان[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ تقدّم الكلام عليه في النساء[2].

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ لمّا نهاه عن الخلق الذميم، بأمره بالخلق الكريم، وهو القصد في المشي، بحيث لا يبطىء كما يفعل المتنامسون[3] والمتعاجبون؛ يتباطؤون في نقل خطواتهم: المتنامس للرّياء والمتعاجب[4] للترفّع - ولا يُسرع كما يفعل الخَرِق المتهوّر. والغضّ من الصوت: التنقيص من رفعه وجهارته. والغضّ: ردّ طموح الشيء كالصوت والنظر والزّمام. وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت وتمدح به في الجاهلية.

والظاهر أنّ قوله ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ من كلام لقمان لابنه [٤٤٢/ب] تنفيراً[5] له عن رفع الصوت. وقيل: هو من كلام الله تعالى ردّ به على المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت.

وقيل ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ إشارة إلى الأفعال، ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ إشارة إلى الأقوال، فنبّه على التوسّط في الأفعال وعلى الإقلال من فضول الكلام.

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا

(١) انظر تفسير الآية ٣٧ من الإسراء.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٦ من النساء.

(٣) في اللسان «نمس»: المتنامسون: المتسارّون.

(٤) ق: المتعاجب.

(٥) ق: تنفير.

قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ۞ .

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟[1] أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾ تنبيه على الصفة الدالّة على الصّانع.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ﴾ تقدّم الكلام عليه[3]. ولمّا ذكر حال الكافر المجادل، ذكر حال المسلم، وأخبر بأن منتهى الأمور صائر إليه تعالى.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قالت اليهود: إن الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وخلّفها فينا ومعنا. فقال الرسول عليه السلام: التوراة وما فيها من الأنباء قليل في علم الله تعالى. فنزلت هذه الآية[4].

ولمّا ذكر تعالى كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر.

---

(١) ق: تر.

(٢) انظر تفسير الآية ٨ من الحج.

(٣) انظر تفسير الآية ١١٢ من البقرة.

(٤) انظر أسباب النزول ص٢٣٣.

﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلا كخَلْق نفس واحدة وبعثها.

و«من شجرة» تبيينٌ «لما» الموصولة. و«أقلام» خبر «لأنّ».

وقرىء: والبحرَ، بالنصب على الاشتغال، أو عطفاً على «ما»، وبالرفع على الابتداء والجملة حاليّة. «ما نفدت» جواب لو. «من بعده» أي: من بعد نفاد ما فيه.

﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ لا يراد به الاقتصار على هذا العدد، بل جيء به للكثرة، كقوله[1] «المؤمن يأكل في مِعىً واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء» لا يراد به العدد بل ذلك إشارة إلى القلّة والكثرة.

ولما كان لفظ «سبعة» ليس موضوعاً في الأصل للتكثير وإن كان مراداً[2] به هنا التكثير [جاء] مميَّزه بلفظ القلّة وهو «أبحر» ولم يقل: بحور، وإن كان لا يراد به أيضاً إلا التكثير ليناسب[3] بين اللفظين، فكما تجوّز في «سبعة» واستعمل للتكثير، كذلك تجوّز في «أبحر» واستعمل للتكثير.

وفي الكلام جملة محذوفة يدلّ[4] عليها المعنى، تقديره: وكتب بها الكُتّاب كلمات الله- ما نفدت. والمعنى: ولو أن أشجار الأرض أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله، ما نفدت ونفدت الأقلام والمداد الذي في البحر وفيما يمدّه، كما قال ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

---

(١) رواه مسلم ٣: ١٦٣١ من حديث جابر وابن عمر، ومن حديث أبي موسى.

(٢) ق: كان من أدائه.

(٣) ق: لتناسب.

(٤) ق: تدلّ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، [جاء] هنا «إلى أجل» ويدلّ على الانتهاء، أي: يبلغه وينتهي إليه، وفي الزمر[1] ﴿لِأَجَلٍ ﴿٥﴾﴾ ويدلّ على الاختصاص، فجعل الجريَ مختصّاً بإدراكِ أجلٍ مسمّى.

وجَرْي الشمس مختصّ بأجزاء السّنة، وجري القمر بأجزاء الشهر، فكلا المعنيين مناسب لجريهما، فلذلك عدّي بهما.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

و﴿صَبَّارٍ[٤٤٣/أ]شَكُورٍ﴾ بُنيتا مبالغة. وفعّال أبلغ لزيادة حروفه.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ أي: مؤمن يعرف حقّ الله تعالى في هذه النعم. وختم هنا ببنيتي مبالغة وهما «ختار» و«كفور»: فالصّبار الشكور معترف بآيات الله تعالى، والختّار الكفور يجحد بها. وتوازنت هذه الكلمات لفظاً ومعنى؛ أما لفظاً فظاهر. وأما معنىً فالختّار هو الشديد الغدر، والغدر لا يكون إلا من

(١) الآية ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٥﴾﴾ [الزمر].

(٢) تقدم مثيل هذه الآية في الحج : ٦٢، وتجاوزها المصنّف هناك دون تفسير.

قلّة الصبر، لأن الصابر يفوّض أمره إلى الله تعالى، وأمّا الغدّار فيعهد ويغدر فلا يصبر على العهد. وأما الكفور فمقابلة معنى الشكور واضحة.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾.

ولمّا ذكر تعالى الدلائل على وحدانيّته والحشر في أول السّورة، أمر بالتقوى على سبيل الموعظة والتذكير بهذا اليوم العظيم.

﴿ لَّا يَجْزِى ﴾ لا يقضي، ومنه قيل للمتقاضي المتجازي.

ولمّا كان الوالد أكثر شفقة على الولد، من الولد على أبيه بدأ به أوّلاً. وأتى في الإسناد إلى الولد باسم الفاعل لأنه يدلّ على الثّبوت، والثبوت يصدق بالمرة الواحدة. والجملة من «لا يجزي» صفة ليوم، والضمير محذوف أي: فيه. فإمّا أن يحذف برمّته وإما على التدريج، حذف حرف الجر فتعدى الفعل إلى الضمير وهو منصوب فحذف.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الآية، يروى أن الحارث بن عمارة المحاربي قال: يا رسول الله، أخبرني عن الساعة متى قيامها؟. وإني قد ألقيت حبّاتي في الأرض، وقد أبطأتْ عنّا السّماء فمتى تمطر؟ وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت على ما في بطنها أذكر أم أنثى؟ وعلمتُ ما عملتُ أمس فما أعمل

غداً؟ وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت؟ فنزلت[1].

وفي الحديث[2] «خمس[3] لا يعلمهنّ إلاّ الله - وتلا هذه الآية -». و«عِلم» مصدر أضيف إلى «الساعة»، والمعنى: عِلْم تعيين وقتها.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ في إبّانه من غير تقديم ولا تأخير.

﴿مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ من ذكر أو أنثى، تامّ أم ناقص.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ﴾ برّة أو فاجرة. ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شرّ، وربّما عزمت على أحدهما، فعملت بضدّه.

﴿بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ربما أقامت بمكان ناويةً أن لا تفارقه[4] إلى أن تُدفن به، ثم تُدفن بمكان لم يخطر لها ببالٍ قطّ.

وأسند العلم ﷻ تعالى والدّراية[5] للنفس؛ لما في الدراية من معنى الخَتْل والحيلة. ولذلك وُصف الله تعالى بالعالِم ولا يوصف بالدّاري. و«بأي» متعلق «بتموت». والباء ظرفية أي: في أيّ أرض، فالجملة في موضع نصب «بتدري». ووقع الإخبار بأن الله تعالى استأثر[6] بعلم هذه الخمس لأنها جواب لسائل سأل، وهو مستأثر بعلم أشياء لا يحصيها إلا هو تعالى.

---

(١) انظر لباب النقول ص١٧٠، وقارن بالبخاري ٤: ١٧٩٣.

(٢) أخرجه أحمد من حديث بريدة الأسلمي، انظر الفتح الرّباني ١٨: ٢٣٠. وكذا أخرجه البخاري ٦: ٢٦٨٧ من حديث ابن عمر.

(٣) ق: في خمس.

(٤) ق: يفارقه.

(٥) ق: فالدراية.

(٦) ق: استأمن.

سورة السجدة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الآية، هذه السورة مكية، وقال ابن عباس: إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة(٢). ومناسبتها لما قبلها أنه ذكر تعالى فيما قبلها دلائل التوحيد من بدء الخلق وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد والحشر وهو الأصل الثاني وختم به السورة - ذكر في بدء هذه

---

(١) مكية وهي ثلاثون آية.

(٢) هي الآيات ١٨-٢٠، انظر البحر ٧: ١٩٦.

السورة الأصل الثالث، وهو تبيين الرسالة. و«الكتاب» هو القرآن. والظاهر أن تكون «تنزيل» مبتدأ، و«لاريب فيه» اعتراض، و«من رب العالمين» الخبر.

قال الزمخشري[1]: «من رب العالمين» متعلق «بتنزيل»، وفي الكلام تقديم وتأخير. ويجوز أن تتعلق بقوله «لاريب» أي: لا شكّ فيه من جهة الله تعالى. فإن وقع شكّ الكفرة فذلك لا يراعى. والريب: الشّك، وكذا هو في كل القرآن إلا قوله ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور] انتهى.

إذا كان «تنزيل» خبر مبتدأ وكانت الجملة اعتراضية بين ما افتقر إلى غيره وبينه، لم يُقل فيه إنّ فيه تقديماً وتأخيراً، بل لو تأخر لم يكن اعتراضاً. وأما كونه متعلقاً «بلا ريب» فليس بالجيد، لأن نفي الريب عنه مطلقاً هو المقصود لأن المعنى: لامدخل للريب فيه إنه تنزيل الله تعالى، لأنّ موجب نفي الريب عنه موجود وهو الإعجاز، وهو أبعد شيء من الرّيب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

و﴿مِن رَّبِّكَ﴾ في موضع الحال، أي: كائناً من عند ربك. وبه يتعلق «لتنذر» أو بمحذوف تقديره: أنزله والقوم هنا قريش والعرب. و«ما» نافية. و«من نذير» «من» زائدة و«نذير» فاعل «أتاهم». أخبر تعالى أنه لم يبعث إليهم رسولاً بخصوصيّتهم قبل محمد ﷺ لا لهم ولا لآبائهم، لكنهم كانوا متعبّدين بملة إبراهيم وإسماعيل، ومازالوا على ذلك إلى [أن] غيّر ذلك بعض رؤسائهم، وعبدوا الأصنام، وعمّ ذلك، فهم مندرجون تحت قوله ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر] أي: شريعته ودينه. والنذير ليس

---

(١) ليس في الكشاف.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٨ من يونس.

مخصوصاً بمن باشر، بل يكون نذيراً لمن باشره ولغير[١] من باشره، فالعرب ممّن سبق لها نذير ولم يباشرهم نذير غير محمد ﷺ.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ تقدم الكلام عليه[٢].

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ واحد الأمور، أي: ينفذ الله قضاءه بجميع ما يشاؤه.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي: يصعد خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره - أنْ لو سِيْرَ فيه السير [٤٤٤/أ] المعروف من البشر - ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض خمس مئة عام. والضمير في «مقداره» عائد على التدبير؛ أي: كان مقدار التدبير المقضيّ[٣] في يوم، ألف سنة لو دبّره البشر.

وقرىء: خَلْقه، بسكون اللام وهو بدل اشتمال من قوله «كل» التقدير: أحسن خَلْق كل شيء. وقرىء بفتح اللام فعلاً ما ضياً. فالضمير المنصوب فيه إن عاد على «كلّ» كانت الجملة صفة له في موضع نصب، وإن عاد على «شيء» كانت الجملة في موضع جرّ صفة له.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ هو آدم عليه السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ أي: ذريته، نسل من الشيء: انفصل منه.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: قَوَّمَهُ. وأضاف الروح إلى ذاته دلالة على أنه خَلْق عجيب، لايعلم حقيقته إلا الله تعالى، وهو إضافة مِلْك إلى مالك وخَلْق إلى خالقٍ تعالى.

---

(١) ق: وبعين.

(٢) انظر تفسير الآية ٥٤ من الأعراف.

(٣) ق: المقتضى.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ التفات، إذ هو خروج من مفرد غائب إلى جمع مخاطب. وتعديد النعم وهي شاملة لآدم كما أنّ التسوية ونفخ الرّوح شامل له ولذريّته.

و«قليلاً» نعت لمصدر محذوف. و«ما» زائدة والتقدير: تشكرون[1] شكراً قليلاً.

والظاهر أن الضمير في «وقالوا» للجمع، وقيل: القائل أبّي بن خلف، وأُسند إلى الجمع لرضاهم به. والناصب للظرف محذوف، يدلّ عليه المعنى، تقديره أنُبْعَثُ إذا ضللنا في الأرض؟ وهو استفهام استبعاد واستهزاء.

وأصلّه: مِن ضَلَّ الماء في اللبن إذا ذهب فيه.

﴿أَءِنَّا﴾ استفهام استبعاد واستهزاء أيضاً.

﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ إضراب عن معنى استفهامهم كأنه قال: ليسوا مستفهمين بل هم كافرون جاحدون بلقاء الله والصيرورة إلى جزائه.

ثم أمره تعالى أن يخبرهم بجملة الحال غير مفصّلة من قبض أرواحهم، ثم عَوْدهم إلى جزاء ربهم بالبعث.

﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ اسمه عزرائيل ومعناه عبد الله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا

---

(١) ق: يشكرون.

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ الظاهر أنه خطاب للرسول عليه السلام، وقيل: له ولأمّته؛ أي: ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب.

قال الزمخشري[1]: يجوز أن يكون خطاباً لرسول الله ﷺ، وفيه وجهان: أن يراد به التّمني كأنه قيل: وليتك ترى. والتمنّي له كما كان التّرجي له في ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة] لأنه تجرّع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم، فجعل الله تمنّي أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة[2] من الحياء والخزي والغمّ ليشمت[3] بهم. وأن تكون «لو» الامتناعية[4] قد حذف جوابها وهو: لرأيت أمراً فظيعاً. ويجوز أن يخاطَب به كل أحد كما تقول: فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك، فلا تريد به مخاطباً [٤٤٤/ب] بعينه وكأنك قلت: إن أُكرم وإن أُحسن إليه انتهى.

والتمنّي في هذا الموضع بـ«لو» بعيد، وتسمية لو الامتناعية ليس بجيد، بل العبارة الصحيحة في «لو» أنها لما كان سيقع لوقوع غيره وهي عبارة سيبويه. وقوله: قد حذف جوابها وتقديره: وليتك ترى، مما يدلّ على أنها إذا كانت

---

(١) الكشاف ٣: ٢٤٢.

(٢) ق: القطعية.

(٣) ق: لتشمت.

(٤) ق: لولا متناعنه.

للتّمني لا جواب لها. والصحيح أنها إذا أُشربت معنى التّمني يكون لها جواب كحالها إذا لم تُشْرَبْه؛ وقال الشاعر[١]:

فلو نُبش المقابرُ عن كُليبٍ ... فتخبرَ بالذّنائب أيّ زيرِ
بيومِ الشّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ[٢] عيناً ... وكيف لقاءُ مَن تحت القبورِ

وقال الزمخشري[٣]: وقد تجيء «لو» في معنى التّمني كقولك: لو تأتيني فتحدّثني، كما تقول: ليتك تأتيني. فقال ابن مالك: إن أراد به الحذف - أي: وددت تأتيني - فصحيح، وإن أراد أنها موضوعة للتّمني فغير صحيح؛ لأنها لو كانت موضوعة له لما جاز أن يجمع بينهما وبين فعل التّمني، لايقال: تمنّيت ليتك تفعل، ويجوز[٤]: تمنّيت لو تقوم. ولذلك امتنع الجمع بين لعلّ وأترجّى وبين إلا وأستثني.

﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: مطرقوها من الذّل والحزن والهم والغمّ والنّدم.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: عند مجازاته، وهو مكان شدّة الخجل؛ لأن المربوب إذا أساء ووقف بين يدي ربّه كان في غاية الخجل.

﴿رَبَّنَآ﴾ على إضمار: يقولون ربنا. ﴿أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا نكذّب ﴿وَسَمِعْنَا﴾ ما كنّا ننكر.

﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ أي: إلى الدنيا. ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي بالبعث.

---

(١) البيتان لمهلهل بن ربيعة في الكامل ١: ٣٦٠.
(٢) ق: فيوم الشعثين أقر.
(٣) الكلام بمعناه لا بنصّه في الكشاف ٣: ٢٤٢.
(٤) ق: ونحو وتمنيت.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ الآية، أي: اخترعنا الإيمان فيها كقوله ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣١﴾﴾ [الرعد].

﴿فَذُوقُوا﴾ مفعوله محذوف أي: العذاب. والكاف في «كما»[1] للتعليل لا للتشبيه. و«ما» مصدرية أي: لنسيانكم. والمراد بنسيانهم إهمالهم وغفلتهم وعدم الفكر في[2] لقاء جزاء ربّهم. و«هذا» صفة «ليومكم».

ثم قال ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ على المقابلة، أي: جازيناكم جزاء نسيانكم، وذوقوا العذاب المخلّد في جهنم.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ أي: ترتفع وتتنّحى، يقال: جفا الرجل الموضع: تركه، وتجافى الجنب عن الموضع: تركه. و«المضاجع» تقدم الكلام عليه[3]. و«يدعون»[4] حال. و«خوفاً وطمعاً» مفعول من أجله، أو مصدران في موضع الحال.

و«ما» مفعولة «بتعلم» موصولة. وقرىء: أُخْفِيَ، فعلاً ماضياً مبنيًا للمفعول، ومفعوله ضمير يعود على «ما». وقرىء: أُخْفِيْ، مضارع أَخْفَى. و«من قرة» تبيين لما انبهم في «ما». و«جزاء» مفعول من أجله.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي

---

(١) كذا وردت عبارة المصنف، وهو سهو منه.

(٢) ق: عن.

(٣) انظر تفسير الآية ١٥٤ من آل عمران.

(٤) ق: تدعون.

كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في علي والوليد بن عقبة [٤٤٥/أ] تلاحيا، فقال له الوليد: أنا أذلق منك لساناً وأحدُّ سناناً وأردُّ للكتيبة. فقال له علي: اسكت فإنك فاسق، فنزلت(١).

وأريد هنا بالمؤمن والفاسق الجنس، ولذلك جاء جمعاً في قوله «لا يستوون».

والفاسق هنا هو الكافر، ويبيّنه أنه فسق الكفر التقسيم بعد ذلك.

ثم بيّن عدم الاستواء بمقرّ كل واحد منهما وهو أنّ المؤمن له الجنّة والفاسق له النّار.

قال الزمخشري(٢): ويصحّ أن يراد: فجنّة(٣) مأواهم النار، أي: النّار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين، كقوله ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران] انتهى.

هذا فيه بُعْد، وإنما يُذهب إليه في مثل «فبشّرهم بعذاب أليم»] إذا كان مصرّحاً به، فنقول: قام مقام التبشير العذاب، وكذلك قام مقام التحيّة ضرب

(١) انظر أسباب النزول ص٢٣٥، ولباب النقول ص١٧٠.

(٢) الكشاف ٣: ٢٤٤.

(٣) ق: بجنّة.

وجيع[١]. أمّا أن تضمر شيئاً الكلام مستغنٍ عنه، جارٍ على أحسن وجوه الفصاحة حتى يُحمل الكلام على إضمار، فليس بجيد.

و﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ هو الأقرب إليهم في الدنيا من القتل والسّلب والنّهب والأسر.

و«العذاب الأكبر» عذاب[٢] يوم القيامة في النار.

قال ابن عطية: ولا خلاف أن العذاب عذاب الآخرة انتهى.

وفي كتاب التحرير: وأكثرهم على أن «العذاب الأكبر» عذاب يوم القيامة في النار، وقيل: هو القتل والسّبي والأسر. وعن جعفر بن محمد أنه خروج المهدي بالسيف.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ تقدّم الكلام عليه[٣].

﴿مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [عامّ في كل مجرم]. و«من» متعلقة «بمنتقمون».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى

(١) إشارة إلى قول عمرو بن معد يكرب في شرح ديوان الحماسة ٣: ١٤٨١:

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ تحيّةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ

(٢) ق: عدام.

(٣) تقدم مثيل هذه الجملة في الآية ٥٧ من الكهف، وتجاوزها المصنف دون تفسير.

ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، لمّا قرر الأصول الثلاثة: الرسالة وبدء الخلق والمعاد، عاد إلى الأصل الذي بدأ به وهو الرسالة، أي: لست بدعاً في الرسالة، بل سبقك رسل. وذكر[1] موسى عليه السلام لقرب زمانه. والظاهر أن الضمير في «لقائه» عائد على «موسى» مضافاً إليه على طريق المفعول. والفاعل محذوف ضمير الرسول، أي: من لقائك موسى، أي: في ليلة الإسراء، أي: شاهدته حقيقة وهو النبي الذي أوتي التوراة.

وقرىء: لمّا، حرف وجوب لوجوب، وجوابه متقدم عليه وهو «وجعلناه». وقرىء: لِمَا، بكسر اللام وتخفيف الميم، وهي لام العلّة وما مصدرية، تقديره: بصبرهم.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه في طه[2]، إلا أن هنا «من قبلهم» و«أفلا يسمعون»، وهناك ﴿قَبْلَهُم﴾ و﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾. و«يسمعون» و«النّهى» من الفواصل جاء كلّ منهما مطابقاً لما قبله وما بعده من الفواصل.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ﴾ أقام تعالى الحجّة على الكفرة بالأمم السالفة الذين كفروا، فأهلكوا، ثم أقامها عليهم بإظهار قدرته [٤٤٥/ ب] وتنبيههم

---

(١) ق: وسبق.

(٢) في قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه].

على البعث.

«الجُرُز» تقدّم الكلام عليه في الكهف[١]. وكلّ أرض جرز داخلة في هذه، فلا تخصيص لها بمكان معيّن. قال ابن عباس: هي أرض أَبْيَن[٢] من اليمن.

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ أي: بالماء. وخصّ الزّرع بالذّكر وإن كان يخرج الله تعالى به أنواعاً كثيرة من الفواكه والبقول والعشب المنتَفَع به في الطّب وغيره، تشريفاً للزرع، ولأنه أعظم ما يُقصد من النّبات. أو أوقع الزّرع موقع النبات. وقدّمت الأنعام لأنّ ما ينبت تأكله الأنعام أولاً فأولاً من قبل أن يأكل بنو آدم الحبّ؛ ألا ترى أن القصيل وهو شعير يُزرع تأكله الأنعام قبل أن يُسبل[٣]، وغير ذلك يأكله الأنعام قبل بني آدم. أو لأنه غذاء الدوابّ، والإنسان قد يتغذّى بغيره من حيوان وغيره. أو بدأ[٤] بالأدنى ثم ترقّى إلى الأشرف وهم بنو آدم.

و﴿ٱلْفَتْحُ﴾ الحكم وهو الذي يترتب عليه قوله ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ إلى آخره. وقيل: فتح مكّة [وهو غير سديد] لعدم مطابقته ما بعده؛ لأنّ من آمن يوم فتح مكّة ينفعه إيمانه.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يؤخرون عن العذاب. ولمّا عرف غرضهم في سؤالهم على سبيل الهزء، قيل لهم: لا تستعجلوا ولا تستهزئوا. و«يوم» منصوب بـ«لا ينفع». وقيل: إنهم منتظرون العذاب، وهذا حكمهم وإن كانوا لا يشعرون.

---

(١) انظر تفسير الآية ٨ من الكهف.

(٢) انظر الروض المعطار ص١١، ومعجم ما استعجم: ١٠٣/١.

(٣) أسبل الزرع: خرج سنبله.

(٤) ق: بدئ.

سورة الأحزاب[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ (٤) ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥) ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا (٧) لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨) ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. وسبب نزولها[2] روي أنه لمّا قدم المدينة وكان

---

(١) مدنية، وهي ثلاث وسبعون آية.

(٢) انظر أسباب النزول ص ٢٣٦.

يحب إسلام اليهود، فبايعه ناس منهم على النفاق. وكان يُلين لهم جانبه، وكانوا يظهرون النصائح في طرق المخادعة. ولخلقه الكريم وحرصه على ائتلافهم ربما كان يسمع منهم، فنزلت تحذيراً له منهم وتنبيهاً على عداوتهم.

ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة وهو أنه حكى أنهم يستعجلون الفتح وهو الفصل[١] بينهم، وأخبر تعالى أنه يوم الفتح لا ينفعهم إيمانهم، فأمره في أول هذه السورة بتقوى الله تعالى ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به. «إن الله كان عليماً» بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة. «حكيما» لا يضع الأشياء إلا[٢] في مواضعها بالحكمة.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ ﴾ روي أنه كان في بني فهر رجل منهم يقال له أبو معمر جميل بن أسد يدّعي [٤٤٦/أ] أنّ له قلبين، ويقال له ذو القلبين. وكان يقول: أنا أذكى من محمد وأفهم. فلما بلغَتْه[٣] هزيمة بدر طاش لبّه وحدّث أبا سفيان بحديث كالمخبَّل[٤] فنزلت[٥].

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ﴾ لم يجعل تعالى الزوجة المظاهر منها أمّاً لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذلّ، والزوجة مستخدمة متصرَّف فيها بالاستفراش وغيره كالملوك، وهما حالتان متنافيتان. وقرىء: اللّاي واللائي واللاءِ واللاتي. وقرىء: تظاهرون، بالتاء للخطاب. وفي المجادلة[٦] بالياء

(١) ق: الفضل.

(٢) ق: إلى.

(٣) ق: بلغت.

(٤) رجل مخبَّل: فيه فساد في عقله.

(٥) انظر لباب النقول ص١٧١. وأسباب النزول ص٢٣٦.

(٦) ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ﴿٢﴾ ﴾.

للغيبة، مضارع ظاهَرَ. وبشدّ الظاء والهاء، وبشّد الظاء وألف بعدها.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ كانوا في الجاهلية وصدراً من الإسلام إذا تبنّى الرجل ولد[1] غيره صار يرثه. وأدعياء: جمع دعيّ بمعنى مفعول، وقياسه أن يُجمع على فَعْلى كقتيل وقتلى، لكنهم شبّهوه بتقيّ فجمعوه على أفعلاء كتقيّ وأتقياء. «ذلكم» أي: دعاؤهم أبناءً مجرد قول لا حقيقة لمدلوله، إذ لا يواطىء اللفظ الاعتقاد، إذ يعلم حقيقة أنه ليس ابنه.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: ما يوافق ظاهراً وباطناً.

﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: سبيل الحق وهو قوله ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾.

والضمير في «هو» عائد على المصدر المفهوم من قوله «ادعوهم» أي: دعاؤهم لآبائهم ﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعدل. ولمّا أمر بأن يُدعى المتبنّى لأبيه إن عُلم قالوا: زيد بن حارثة.

﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ ولذلك قالوا: سالم مولى أبي حذيفة.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم إخوانكم.

﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ أي: فيما ليس صواباً وهو تبنّي من ليس ابناً له. و«ما» عطفٌ بقوله «ولكن» على «ما أخطأتم»[2]. وقيل «ما» موصولة في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: فيه الجُناح. والتّعمد هنا نسبة الولد إلى الشخص بعد النّهي عن ذلك.

---

(١) ق: بولد.

(٢) أي: ولكن الجناح فيما تعمّدت قلوبكم.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ كونه عليه السلام أولى بهم أي: أرأف بهم وأعطف عليهم، إذ هو يدعوهم إلى النجاة وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك. ومنه قوله عليه السلام[1] «أنا آخذ بِحُجَزِكم[2] عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحّم الفراش».

﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ أي: مثل أمهاتهم في التوقير والاحترام، وفي بعض الأحكام من تحريم نكاحهن وغير ذلك ممّا جرين فيه مجرى الأجانب. وظاهر قوله «وأزواجه» كلّ من أطلق عليها أنها زوجة له عليه السلام، من طلّقها ومن لم يطلّقها، ومن دخل بها ومن لم يدخل بها. وقيل: لا يثبت هذا الحكم لمطلّقته. وقيل: من دخل بها يثبت حرمتها قطعاً. [٤٤٦/ب] وهمّ عمر رضي الله عنه برجم امرأة فارقها رسول الله ﷺ ونكحت بعده، فقالت له: ولِمَ هذا وما ضرب عليّ حجاباً ولا سُمّيت للمسلمين أمّا؟[3] فكفّ عنها.

كان أولاً بالمدينة توارث بأخوّة الإسلام وبالهجرة، ثم حكم تعالى بأن أولي الأرحام أحقّ في التّوارث من الأخ في الإسلام أو بالهجرة.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ أو في القرآن.

﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ أي: أولى من المؤمنين الذين كانوا يتوارثون بمجرّد الإيمان، ومن المهاجرين الذين كانوا يتوارثون بالهجرة. وهذا هو الظاهر، فتكون «مِن» هنا كهي في: زيد أفضل من عمروٍ.

والظاهر عموم قوله ﴿إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم﴾ فيشمل جميع أقسامه من قريب وأجنبي من المؤمنين يحسن إليه ويصله في حياته ويوصي له إذا مات.

---

(١) أخرجه البخاري ٥: ٢٣٧٩ من حديث أبي هريرة.

(٢) الحُجَز: جمع حجزة، وهي معقد الإزار.

(٣) ق: إماما.

وهذا الاستثناء في قوله ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ﴾ هو ممّا يُفهم من الكلام؛ أي: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في النفع بميراث وغيره. وعُدّي «بإلى» لأن المعنى: إلاّ أن توصلوا إلى أوليائكم.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما في الآيتين(١).

﴿مَسۡطُورٗا﴾ أي: مثبتاً بالأسطار. وهذه الجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام.

ولمّا كان ما سبق(٢) أحكاماً عن الله تعالى، وكان فيها أشياء ممّا كانت في الجاهلية وأشياء في الإسلام نسخت، أتبعه بقوله ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ أي: في تبليغ الشرائع والدعاء إلى الله تعالى، فلستَ بدعاً في تبليغك الرسالة عن الله تعالى.

وخصّ هؤلاء الخمسة بالذكر بعد دخولهم في جملة النّبيين قيل: وهم أولو العزم لشرفهم وفضلهم على غيرهم. وقُدّم محمد ﷺ فيهم لكونه أفضلهم وأكثرهم تابعاً. وقُدّم نوح في آية الشورى في قوله ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾(٣) الآية، لأنّ إيراده على خلاف الإيراد هنا؛ أورده على طريق وصف دين الإسلام بالأصالة فكأنه قال: شرع الدين الأصيل الذي بُعث عليه نوح في العهد القديم، وبُعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث، وبُعث عليه من توسّط بينهما من الأنبياء المشاهير.

والميثاق الثاني هو الأول، وكرّر لأجل صفته. والغلظ من صفة الأجسام،

---

(١) ق: الاثنين.

(٢) ق: شق.

(٣) الآية ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ⑬﴾ [الشورى].

واستعير للمعنى مبالغة في حرمته وعظمه وثقل فرط تحمّله.

﴿لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: المؤمنين التابعين الرُّسل. وفيه التفات من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب في «ليسأل» وفي «وأعدّ». واللام هي لام كي.

﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾ أي: عن إيمانهم واتّباعهم الرّسل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، ذكّرهم نعمته عليهم في غزوة الخندق وما اتّصل بها من أمر [٤٤٧/أ] بني قريظة. وقد استوفى ذلك أهل السِّيَر، ونذكر منها ماله تعلّق بالآيات التي نفسّرها[1]. و«إذ» معمولة «النعمة» أي: إنعامه عليكم وقت مجيء الجنود. والجنود كانوا عشرة آلاف: قريش ومَن تابعهم من الأحابيش في أربعة آلاف، يقودهم أبو سفيان، وبنو أسد يقودهم طليحة، وغطفان يقودهم عيينة، وبنو عامر يقودهم عامر بن الطّفيل، وسليم يقودهم أبو الأعور، واليهود النضير [يقودهم] رؤساؤهم حييّ بن أخطب وابنا أبي الحقيق، وبنو قريظة سيدهم كعب بن أسد. وكان بينه وبين الرسول عليه السلام عهد فنبذه بسعي حيّي بن أخطب. قيل: فاجتمعوا خمسة عشر ألفاً وهم الأحزاب، ونزلوا بالمدينة. فحفر الخندق بإشارة سلمان، وهو من عمل الفرس، وظهرت للرسول عليه السلام به تلك

---

(١) ق: يفسّرها.

المعجزة العظيمة من كسر[1] الصخرة التي أعوزت الصحابة ثلاث فِرَق، ظهرت مع كل فرقة بَرْقة، أراه[2] الله تعالى منها مدائن كسرى وما حولها، ومدائن قيصر وما حولها، ومدائن الحبشة وما حولها، وبشّر بفتح ذلك. وأقام الذّراري والنّساء بالآطام[3]، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون في ثلاثة آلاف فنزلوا بظهر سَلْع[4] والخندق بينهم وبين المشركين.

وكان ذلك في شوّال سنة خمس، قاله ابن إسحاق[5]. وقال مالك: سنة أربع. قيل: بعث الله تعالى الصَّبا لنصرة نبيّه عليه السلام فأضرّت بهم؛ هدمت عليهم بيوتهم، وأطفأت نيرانهم، وقطعت حبالهم، وأكفأت قدورهم، ولم يُمْكنهم معها قرار. وبعث الله تعالى مع الصَّبا ملائكة تشدّد الرّيح وتفعل نحو فعلها.

﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق غطفان.

﴿وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش. تحزّبوا وقالوا: نكون جملة حتى نستأصل محمداً، فنصره الله تعالى عليهم.

وزَيْغ الأبصار: مَيْلها عن مستوى نظرها فِعْل الواله الجَزِع.

﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ قيل: إذا انتفخت الرئة من شدّة الفزع والغضب أو الغمّ الشديد، رَبَتْ، وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس

---

(١) ق: كبيرة.

(٢) ق: أراده.

(٣) الآطام: الحصون، جمع أطم.

(٤) سَلْع: جبل بالمدينة.

(٥) السيرة النبوية ٣: ٢٣٠.

الحنجرة. ومن ثمّ قيل للجبان: انتفخ سَحْرُه[1].

والظنون: جمع لما اختلفت متعلّقاته، جُمع وإن كان لاينقاس عند سيبويه جَمْع المصدر إذا اختلفت متعلّقاته، وينقاس عند غيره. وقد جاء الظنون جمعاً في أشعارهم؛ أنشد أبو عمروٍ في كتاب الألحان[2]: [من الوافر]

إذا الجوزاءُ أردفَتِ الثّريا ظننتُ بآل فاطمةَ الظّنونا

و«هنالك» ظرف مكان للبعيد هذا أصله فيُحمل عليه. أي: في ذلك [المكان] الذي وقع فيه الحصار والقتال ابتلي المؤمنون. والعامل [٤٤٧/ب] فيه «ابتلي». وقيل: تزلزلوا، فثبتوا، وصبروا حتى نُصروا، وحُرّكوا إلى الفتنة فعُصموا.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ

---

(١) انتفخ سحره: أي: ملّ وجبن.

(٢) البيت لخَزيمة بن نهد في التهذيب واللسان «قرظ».

حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ وهم المظهرون للإيمان المبطنون[1] الكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم ضعفاء الإيمان الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم فهم على حرف. والعطف دالّ على التغاير، نبّه عليهم على جهة الذّم.

لمّا ضرب رسول الله ﷺ [الصخرة] وبرقت تلك البوارق، وبشّر بفتح فارس والرّوم واليمن والحبشة، قال معتب بن قشير: يعدنا محمد أن يفتتح كنوز كسرى وقيصر ومكة، ونحن الآن لا يقدر أحدنا أن يذهب إلى الغائط! ما يعدنا إلاّ غرورا !. أي: أمراً يغرّنا به، ويوقعنا فيه بشيء لا طاقة لنا به.

وقولهم ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ هو على سبيل الهزء؛ إذ لو اعتقدوا أنه رسوله حقيقة ما قالوا هذه المقالة، فالمعنى: ورسوله على زعمكم وزعمهم. وفي مُعَتِّب ونظرائه نزلت هذه الآية[2].

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: من المنافقين.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ أي: في حومة القتال والممانعة.

﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى بيوتكم ومنازلكم، أمروهم بالهروب عن رسول الله ﷺ. وقيل: فارجعوا كفاراً إلى دينكم الأول وأسلموه إلى أعدائه.

---

(١) ق: المتظنون.

(٢) انظر لباب النقول ص ١٧٢، ودلائل النبوّة ٣: ٤٢٠.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ هو أوس بن قبطي، استأذن في الدخول إلى المدينة عن اتفاق من عشيرته. «يقولون» حال أي: قائلين. «إن بيوتنا عورة» أي: منكشفة للعدوّ. وقيل: خالية للسُّراق. أعور المنزل: انكشف.

وقال ابن عباس: الفريق: بنو حارثة وهم كانوا عاهدوا الله أن لا يولّوا[1] الأدبار، اعتذروا بأن بيوتهم عورة معرّضة للعدوّ ممكنة للسّراق لأنها غير محرزة[2] ولا محصّنة، فاستأذنوه ليحصنوها ويرجعوا إليه، فأكذبهم الله تعالى بأنهم لا يخافون[3] ذلك، وإنما يريدون الفرار.

وقرىء لا مُقام، بضم الميم أي: لا موضع إقامة. وبفتح الميم أي: موضع قيام وثبوت.

والضمير في ﴿دُخِلَتْ﴾ الظاهر عَوْده على البيوت لأنها أقرب مذكور، أي: ولو دخلها الأحزاب الذين يفرّون خوفاً منها وانثالت على أهاليهم وأولادهم.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: الردّة والرجوع إلى إظهار الكفر ومقاتلة المسلمين.

﴿لَـَٔاتَوْهَا﴾ أي: لجؤوا إليها.

وقرىء: لأتوها، بالقصر معناه: [لجاؤوها]. وبالمدّ لأعطوها.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ قدر ما يكون السؤال والجواب من غير توقف.

و﴿عَـٰهَدُوا۟﴾ أجري مجرى اليمين، ولذلك تُلُقّي بقوله ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾. وجواب هذا القسم جاء على الغيبة عنهم على المعنى، ولو جاء

(١) ق: تولّو.

(٢) غير محرزة: غير محصنة.

(٣) ق: تخافون.

كما لفظوا به لكان التركيب: لا نولّي الأدبار. والذين عاهدوا[١] بنو حارثة وبنو سلمة وهما الطائفتان [٤٤٨/أ] اللّتان همّا بالفشل يوم أحد، ثم تابوا وعاهدوا أن لا يفرّوا، فوقع يوم الخندق من بني حارثة ذلك الاستئذان.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾ خطاب وتوبيخ وإعلام أن الفرار لا ينجي من القدر، وأنه تنقطع أعمارهم في يسير من المدة. وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: إن فررتم من الموت أو القتل لا ينفعكم الفرار، لأنّ مجيء الأجل لا بدّ منه. و«إذاً» هنا تقدّمها حرف عطف فلا يتحتّم إعمالها بل الفصيح أن لاتنصب[٢]. و«من ذا» استفهام، ركّبت ذا مع من، وفيه معنى النفي أي: لا أحد يعصمكم من الله.

﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ كانوا - أي: المنافقون - يثبّطون إخوانهم من ساكني المدينة من نَصْر رسول الله ﷺ، يقولون: ما محمد وأصحابه إلا أَكَلة رأس[٣]، ولو كانوا لحماً لا لتهمهم أبو سفيان وأصحابه، فخلّوهم.

وقال ابن زيد: انصرف رجل من عند رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، فوجد شقيقه، عنده شواء ونبيذ. فقال له: أنت هاهنا ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف[٤]؟. فقال: هلمّ إلى[٥] [هذا] فقد أحيط بك وبصاحبك، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبداً. فقال كذبت، والذي يحلف به لأخبرنّه بأمرك. فذهب ليخبره فوجد جبريل عليه السلام قد نزل بهذه

---

(١) ق: عاهد.

(٢) ق: ينصب.

(٣) أي هم قليل يشبعهم رأس واحد.

(٤) ق: والصفوف.

(٥) ق: إلي.

الآية[١].

و﴿ هَلُمَّ ﴾ تقدم الكلام عليه في آخر الأنعام[٢].

قال الزمخشري[٣]: وهلمّوا إلينا: أي: قرّبوا أنفسكم إلينا. قال: وهو صوت سمّي به فعل متعدٍّ مثل أحضِرْ وقرِّب انتهى.

الذي عليه النحويون أنّ هلّم ليس صوتاً، وإنما هو مركّب مختلف في أصل تركيبه، فقيل: هو مركب[٤] من ها التي للتنبيه والميم، وهو مذهب البصريين. وقيل: من هل وأم. والكلام على ترجيح المختار منهما مذكور في النحو.

وأما قوله: سُمّي به فعل متعدٍّ ولذلك قدّر هلّم إلينا أي: قرّبوا أنفسكم إلينا - فالنحويون يقولون إنه متعدٍّ ولازم. فالمتعدّي كقوله ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأنعام] أي: أحضروا شهداءَكم، [واللازم] كقوله «هلمّ إلينا» أي أقْبِلوا إلينا.

«أشحة» جمع شحيح وهو البخيل، وهو جمع لا ينقاس. وقياسه في الصفة المضعّفة العين واللام: أفعلاء، نحو خليل وأخلاّء. فالقياس أشحّاء وهو مسموع أيضاً. والصواب أن يعمّ شحّهم بكلّ ما فيه منفعة للمؤمنين.

﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ ﴾ من العدوّ وتوقّع أن يستأصل أهل المدينة، لاذ هؤلاء المنافقون بك، ينظرون نظر الهلوع المختلط النّظر الذي يُغشى عليه من الموت.

---

(١) انظر القرطبي ١٤: ١٥٢، والطبري ٢١: ٨٩.

(٢) انظر تفسير الآية ١٥٠ من الأنعام.

(٣) الكشاف ٣: ٢٥٥.

(٤) مختلف في أصل تركيبه فقيل هو مركب. العبارة مكررة في ق.

و﴿ تَدُورُ ﴾ في موضع الحال، أي: دائرةً أعينهم. ﴿ كَٱلَّذِى ﴾ في موضع الصفة لمصدر محذوف وهو مصدر مشبّه [٤٤٨/أ] أي دوراناً كدوران عين الذي يغشى[١] عليه، فبعد الكاف محذوفان وهما: دوران وعين.

﴿ سَلَقُوكُم ﴾ بسطوا ألسنتهم فيكم.

﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [إشارة إلى ما حصل للمؤمنين من الظفر والغنيمة.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾] إشارة إلى المنافقين، أي: لم يكن لهم قطّ إيمان. والإحباط: عدم قبول إيمانهم فكأنها محبطة.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: هل ثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط؟. قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان [باللسان] إيمان إلى آخره، انتهى.

في كلام الزمخشري «عسى» صلة «لمن» وهو لا يجوز.

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ جملة في موضع المفعول الثاني «ليحسبون» أي: هم من الجزع بحيث هزم الله الأحزاب فرحلوا[٣] وهم يحسبون أنهم لم يرحلوا.

﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ كرّة ثانية تمنّوا لخوفهم ممّا مُنُوا به هذه الكرّة أنهم مقيمون في البدو مع الأعراب، وهم أهل العمود يرحلون[٤] من قطر إلى

---

(١) ق: تغشى.

(٢) الكشاف ٣: ٢٥٥.

(٣) ق: فدخلوا وهم يحسبون أنهم لم يدخلوا.

(٤) ق: أهل العهود يدخلون.

قطر.

﴿يَسْئَلُونَ﴾ مَنْ قَدِمَ [من] المدينة عمّا جرى عليكم من قتال الأحزاب، يتعرفون أحوالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة، فَرَقاً وجبناً. وغرضهم من البداوة أن يكونوا سالمين من القتال ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتالٌ لم يقاتلوا إلا قليلاً تعلّة ورياءً وسمعة.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الآية، الظاهر في قوله «لكم» عموم الخطاب للمؤمن ولمن يظهر الإيمان. والأسوة: القدوة[1]، وقرىء بضمّ الهمزة وكسرها. و«لمن» بدل من قوله «لكم» بدل بعض من كلّ. فكما نصركم وآزركم[2] حتى قاتل بنفسه عدوّكم، يجب

(١) ق: القدرة.

(٢) ق: فكما يضركم ووازركم.

عليكم[١] أن تنصروه وتؤازروه ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه ولا عن مكان هو فيه.

قال الزمخشري[٢]: «لمن كان يرجو» بدل من «لكم» كقوله ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴿٧٥﴾﴾ [الأعراف] [انتهى].

لا يجوز على مذهب جمهور البصريين أن يُبْدَل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب اسم ظاهر في بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة. وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش، ويدل عليه قول الشاعر[٣]: [من البسيط]

بكم قريشٍ كُفينا كلَّ معضلةٍ وأَمَّ نهجَ الهدى من كان ضِلّيلا

ولمّا بيّن تعالى حال المنافقين وقولهم ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب] بيّن حال المؤمنين وقولهم ضدّ ما قال المنافقون.

وعن ابن عباس: قال النبي[٤] ﷺ لأصحابه «إن الأحزاب سائرون إليكم تسعاً أو عشراً - أي: في آخر تسع ليالٍ أو عشر - فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك».

﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ قال ابن عباس: «نحبه» موته، ومشهور في اللغة أن قولهم: قضى نحبه كناية عن الموت كماقال ابن عباس.

---

(١) ق: عدوكم.

(٢) الكشاف ٣: ٢٥٦.

(٣) البيت من شواهد شذور الذهب ص٤٤٣ غير منسوب، وفي ق: بكم قريشاً.

(٤) انظر الكافي الشّاف ص١٣٣.

وقال الشاعر[١]: [من الطويل]

[٤٤٩/أ] فوَجْدي بسلمى مثلُ وَجْدِ مرقّشٍ بأسماءَ إذ لا تستفيق عواذلُه
قضى نحبه وجداً عليها مرقّشٌ وعُلِّقْتُ من سلمى خبالاً[٢] أماطلُهْ

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: الأحزاب عن المدينة، والمؤمنين إلى بلادهم. «يغيظهم» أي: مغيظين فهو حال. والباء للمصاحبة. و«لم ينالوا» حال ثانية أو من الضمير [في] «بغيظهم» فتكون حالاً متداخلة.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بإرسال الريح والجنود وهم الملائكة، فلم يكن قتال بين المؤمنين والكفار. و«كفى» هنا بمعنى وفي يتعدى لاثنين، وإذا كانت بمعنى حسب فالأكثر في لسان العرب أن يكون الفاعل مصحوباً بالباء الزائدة نحو كفى بالله. والقليل حذف هذه الباء كما قال الشاعر[٣]:
[من الطويل]
عميرةَ وَدِّعْ إن تجهّزت غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم﴾ أي: أعانوا قريشاً ومن معهم من الأحزاب.

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ هم يهود بني قريظة، وقيل: بنو النضير. و«من أهل الكتاب» بيان لقوله «الذين ظاهروهم».

و﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ متعلق بقوله «وأنزل». «من صياصيهم» أي: من حصونهم واحدها صَيْصِيَة وهي كل ما يُتَمنَّع به. والصّياصي أيضاً: شوك

(١) البيتان لطرفة في ديوانه ص١٢٤..
(٢) ق: خيالاً.
(٣) البيت لسحيم في ديوانه ص١٦.

الحاكة ويتّخذ من حديد[1].

وقذف الرعب سبب لإنزالهم، ولكنه قدّم المسبب[2]، لمّا كان السرور بإنزالهم أكثر والإخبار به أهمّ قُدّم. وقال رجل[3]: يا رسول الله، مرّ بنا دحية الكلبي على بغلة بيضاء عليها قطيفة ديباج. فقال: ذلك جبريل عليه السلام بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرّعب في قلوبهم.

ولما[4] رجعت الأحزاب جاء جبريل عليه السلام وقت الظهر فقال: إن الله تعالى يأمركم بالخروج إلى بني قريظة. فنادى في الناس: لا يصلينّ أحد الظهر إلا في بني قريظة. فخرجوا إليها، فمصلٍّ في الطريق، رأى أنّ ذلك خرج مخرج التأكيد والاستعجال، ومصلٍّ بعد العشاء، وكلٌّ مصيب. فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ الأوسي لحلفٍ[5] كان بينهم، رَجَوْا بذلك حُنُوَّه عليهم. فحكم أن يُقتل المقاتِلَةُ، وتُسبى الذّرية والعيال والأموال، وأن تكون[6] الأرض والثمار للمهاجرين دون الأنصار. فقالت له الأنصار في ذلك فقال: أردتُ أن تكون لهم أموال كما لكم أموال. فقال له رسول الله ﷺ «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[7]» ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة،

---

(١) أراد شوكة الحائك التي يسوّي بها السّداة واللّحمة.

(٢) ق: ولكنه لما قدم السبب.

(٣) دلائل النبوّة ٤ : ١١.

(٤) دلائل النبوة ٤ : ٦، والسيرة النبوية ٣: ٢٥٠.

(٥) ق: لخلف.

(٦) ق: يكون.

(٧) الأرقعة: السماوات، الواحدة رَقيع. وفي ق: سبع. ولكن جاء في اللسان «رقع»: =

وقدّمهم[١] فضرب أعناقهم، وهم ما بين ثمان مئة إلى تسع مئة. وقيل: كانوا ست مئة مقاتل وسبع مئة أسير.

[٤٤٩/ب] وجيء بيحيى بن أخطب النَّضيري، وهو الذي كان أدخلهم في الغدر برسول الله ﷺ. فدخل عندهم وفاءً لهم، فنزل فيمن نزل على حكم [سعد]. فلما قرب وعليه حلّتان تفاحيتان مجموعةً يداه إلى عنقه أبصر رسول الله ﷺ، فقال له: يا محمد والله ما لمتُ نفسي في عداوتك، ولكن من يَخْذل اللهُ يُخذل. ثم قال: أيها الناس إنه لا بأس أَمْرُ الله وقَدَرُه وحكمته كتبت على بني إسرائيل. ثم تقدّم فضربت[٢] عنقه.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ

= جاء به على التذكير كأنه ذهب به إلى معنى السقف، وعنى سبع سماوات. وانظر أيضاً النهاية ٢: ٢٥١.

(١) ق: وقذفهم.

(٢) ق: فضرب.

ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ سبب نزولها أن أزواجه صلى الله عليه وسلم تغايرن وأردن زيادة في كسوة ونفقة فنزلت(١).

ولما نصر تعالى نبيّه عليه السلام وفرّق عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضير، ظن أزواجه أنه اختصّ بنفائس اليهود وذخائرهم، فقعدن حوله وقلن: يا رسول الله، بنات كسرى وقيصر في الحُليّ والحُلل والإماء والخَوَل(٢)، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق. وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال، وأن يعاملهنّ بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم. فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهنّ، وأزواجه إذ ذاك تسعة: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وهؤلاء من قريش، ميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حييّ بن أخطب الخيبرية. وقال أبو القاسم الصيرفي: لمّا خُيّر رسول الله ﷺ بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة، فاختار الآخرة، وأُمر بتخيير نسائه ليظهر صدق موافقتهن - وكان تحته عشر نساء، زاد الحميرية - فاخترن الله تعالى ورسوله ﷺ إلا الحميرية.

---

(١) انظر لباب النقول ص١٧٣.

(٢) ق: والجول. والخَوَل: الحشم، يقع على العبد والأمة.

وروي[1] أنه قال لعائشة وبدأ بها - وكانت أحبّهن إليه -: إني ذاكر لك أمراً، ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، ثم قرأ عليها القرآن. فقالت: أفي هذا أستأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، لا تخبر[2] أزواجك أني اخترتك. فقال: إنما بعثني الله مبلّغاً ولم يبعثني متعنّتاً.

والظاهر أنهن إذا اخترن الحياة وزينتها متّعهن رسول الله ﷺ وطلّقهن، وأنه ليس باختيارهنّ ذلك يقع الفراق دون أن يوقعه هو عليه السلام. ثم نادى نساء النبي ليجعلن بالهنّ مما يخاطبن به، إذ كان أمراً يُجعل البال له.

﴿بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ كبيرة [٤٥٠/أ] من المعاصي. ولا يُتوهم أنها الزّنى لعصمة رسول الله من ذلك، ولأنه وصفها بالتّبين والزّنى ممّا يُتستّر به. وينبغي أن تحمل[3] الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشيرته. ولمّا كان مكانهن مهبط الوحي من الأوامر والنواهي لزمهنّ بسبب ذلك وكونهنّ تحت الرسول عليه السلام أكثر ممّا يلزم غيرهنّ، فضوعف لهن الأجر والعذاب.

وقرىء: نُضَعِّف، مبنيًّا للفاعل، العذابَ نصباً. ويُضَعَّف، مبنيًّا للمفعول، العذابُ رفعاً. ومعنى «ضعفين» أي: مرّتين.

﴿۞ وَمَن يَقۡنُتۡ﴾ أي: يُطع ويخضع بالعبودية لله تعالى وبالموافقة لرسوله عليه السلام. وقرىء: يقنت: بياء المذكّر، ويعمل، حَمْلاً على لفظ «من».

﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: ليس كل واحدة منكن كشخص واحد من

(١) انظر البخاري ٤: ١٧٩٦.

(٢) ق: يخبر.

(٣) ق: يحمل.

النساء، أي: من نساء عصركن، كما أنه عليه السلام ليس كأحد من الرجال، كما قال عليه السلام[1] «لست كأحدكم»، كذلكَ زوجاته اللاتي تشرّفن بقربه.

قال الزمخشري[2]: أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد، ثم وضع في النّفي مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه، والمعنى: لستنّ[3] كجماعة واحدة من جماعات النساء، أي: إذا تقصّيت أمّة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكنّ في الفضل والسابقة. ومنه قوله عزّ وجلّ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء] يريد: بين جماعة واحدة منهم تسويةً بين جميعهم بأنهم على الحق المبين انتهى.

أما قوله: أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد فصحيح.

وأما قوله: ثم وضع، إلى قوله: وما وراءه - فليس بصحيح؛ لأن الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول واحد، لأن واحداً ينطلق على كل شيء اتصف بالوحدة، وأحد، المستعمل في النفي العام مخصوص بمن يعقل. وذكر النحويون أن مادّته همزة وحاء ودال، ومادة أحد بمعنى واحد أصله واو وحا ودال، فقد اختلفا مادّة ومدلولاً.

﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الظاهر أنه محمول على أن معناه: إن استقبلتنّ أحداً فلا تخضعن. واتّقى بمعنى استقبل معروف في اللغة؛ قال النابغة الذبياني[4]:

[من الكامل]

---

(١) رواه مسلم ٢: ٧٧٤ من حديث ابن عمر بألفاظ أخر.

(٢) الكشاف ٣: ٢٥٩.

(٣) ق: ليس.

(٤) ق: الجعدي، وهو خطأ. والبيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص٣٤.

سقط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه　　　فتنـاولَتْـه واتَّقَتْنـا بـاليـدِ

أي: استقبلَتْنا باليد. ويكون هذا المعنى أبلغ في مدحهنّ؛ إذ لم يعلّق فضيلتهنّ على التقوى، ولا على نهيهنّ عن الخضوع[1] إذ هنّ متّقيات لله تعالى في أنفسهنّ. والتعليق ظاهره يقتضي أنهنّ لسن متحلّياتٍ بالتقوى.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ وهو الذي لا تنكره الشريعة ولا العقول.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرىء: وقِرْنَ، بكسر القاف. تقول: وَقَر [٤٥٠/ب] يقِرُ إذا سكن، فهو أمْر مثل قولك: عِدْن، من وَعَد. وقرىء بفتح القاف. وتقدم لنا[2] أنه يقال: قررت في المكان، على وزن فَعَلْتُ، فيكون مضارعه يَقْرَرْنَ، والأمر أصله: اْقْرَرْن؛ نقلت حركة الرّاء إلى القاف، وانحذفت همزة الوصل، ثم حذفت لام الكلمة وهي الرّاء كما حُذفت في: ظللت، فقيل قَرْنَ كما قيل: ظَلْنَ. أمرهنّ تعالى بملازمة بيوتهن، ونهاهنّ عن التبرّج، وأعلم تعالى أنه فِعْل الجاهلية الأولى. والتبرج، قال الليث: تبرّجت: أبدت[3] محاسنها من وجهها وجسدها، ويرى مع ذلك من عينها حُسْن نظر.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ﴾ تقدم نظيره في قوله ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء][4].

و«الرجس» الإثم، واستعار الرّجس للذنوب والطّهر للتقوى؛ لأن عرض

---

(١) ق: على الخضوع بها.

(٢) لم يتقدم في مظانّه.

(٣) ق: أحدت.

(٤) وانظر تفسيرها ثمّ.

المقترف[١] للمعاصي يتدنّس بها، وأما الطاعات فالعرض معها نقيّ مَصُون كالثوب الطّاهر. وانتصب «أهلَ» على النّداء أو على المدح أو على الاختصاص، وهو قليل في المخاطب ومنه: بك اللهَ نرجو الفضل. وأكثر ما يكون في المتكلم نحو قوله[٢]: [من م. الرجز]

نحـــن بنـــات طـــارق نمشـي علـى النمـارق

ولمّا كان «أهل البيت» يشمله وإياهنّ غلّب المذكر على المؤنث فجاء الخطاب «عنكم» «ويطهركم».

﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ إما بمعنى احفظن وتذكّرنه، وإما اذكرنه لغيركنّ وارْوِيْنَه حتى يُنقل.

و﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن. و«الحكمة» هي ما كان من حديثه وسنّته[٣] عليه السلام. وفي قوله «لطيفاً» تليين، وفي «خبيراً» تحذيرٌ ما.

وروي أن نساءه عليه السلام قلن: يا رسول الله، ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكرنا. وقيل: السائلة أمّ سلمة. وقيل: لمّا نزل في نسائه ما نزل قالت[٤] نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء. فنزلت[٥] «إن المسلمين» الآية. وهذه الأوصاف العشرة تقدّم شرحها[٦]: بدأ أولاً بالانقياد الظاهر، ثم

(١) ق: المعترف.
(٢) البيت لهند بنت بياضة في اللسان «طرق» ومعجم ما استعجم ١: ٧٠.
(٣) ق: وسمته.
(٤) ق: قال.
(٥) انظر أسباب النزول ص٢٤٠.
(٦) في مواضع متفرقة، انظر مثلاً تفسير الآية ١٧ من آل عمران.

بالتصديق، ثم بالأوصاف التي بعدهما تندرج في الإسلام وهو الانقياد، وفي الإيمان وهو التصديق، ثم ختمها بخلّة المراقبة وهي ذكر الله كثيراً. ولم يذكر لهذه الأوصاف متعلّقاً إلا في قوله «والحافظين فروجهم» «والذاكرين الله» نصّ على متعلّق الحفظ لكونه مزلّة العقلاء ومركب الشهوة الغالبة[1]، وعلى متعلّق الذكر بالاسم الأعظم وهو لفظ «الله» إذ هو العَلَم المحتوي على جميع أوصافه ليذكر المسلم من يذكره[2] وهو الله تعالى وحذف من «والحافظات» «والذاكرات» المفعول لدلالة ما تقدّم والتقدير: والحافظاتها والذّاكراته.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ غلّب الذكور فجمع الإناث معهم وأدرجهم في الضمير، ولم يأت التركيب: لهم ولهنّ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية، قال الجمهور: خطب رسول الله صلى الله

(١) ق: العالية.

(٢) ق: ليتذكر المسلم من تذكره.

[٤٥١/أ] عليه وسلم لزيد زينب بنت جحش، فأبت وقالت: لستُ بناكحته. فقال: بل فانكحيه فقد رضيتُه [فأبَتْ] فنزلت[١]. وذُكر أنها وأخاها عبدالله كرها ذلك، فلمّا نزلت الآية رضيا بذلك. ومناسبة هذه الآية [لما قبلها] أنه لمّا ذكر تلك الأوصاف السّابقة، من الإسلام فما بعده، عقب ذلك بما صدر من بعض المسلمين إذ أشار رسول الله ﷺ بأمرٍ، ووقع منهم الإباء له فأنكر عليهم.

وقال الزمخشري[٢]: كان من حقّ الضمير أن يوحّد كما تقول: ما جاءني من رجل ولا امرأة إلاّ كان من شأنه كذا انتهى.

ليس كما ذكر، لأن هذا عطف بالواو، ولا يجوز إفراد الضمير إلاّ على تأويل الحذف أي: ما جاءني من رجل إلا كان من شأنه كذا. وتقول: ما زيد وعمروٌ إلا ضربا خالداً، ولا يجوز: إلاّ ضرب، إلاّ على الحذف كما قلنا.

و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ مصدر مِن تَخَيَّر[٣]، على غير قياس كالطِّيَرة من تطيّر.

﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ الخطاب للرسول عليه السلام.

﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام وهو أجلّ النّعم وهو زيد بن حارثة الذي كان الرسول عليه السلام تبنّاه.

﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ وهو عتقه.

وقال عليّ بن الحسين: كان قد أوحى الله تعالى إلى رسوله عليه السلام أن زيداً سيطلّقها وأنه يتزوّجها بتزويج الله إياها. فلمّا شكا زيد

(١) انظر لباب النقول ص١٧٤.

(٢) الكشاف ٣: ٢٦٢.

(٣) ق: يخير.

خلقها[1]، وأنها لا تطيعه، وأعلمه، بأنه يريد طلاقها قال له ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ على طريق الأدب والوصيّة، وهو يعلم أنه سيطلّقها. وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يُرِدْ أن يأمره بالطلاق لِمَا علم من أنه سيطلّقها. وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا العذر[2] في شيء قد أباحه الله تعالى له بأن قال «أمسك» مع علمه أنه يطلّق. وأعلمه أن الله أحقّ بالخشية في كل حال.

وهذا المرويّ عن علي بن الحسين هو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. وفي قوله «أمسك عليك» تعدّى الفعل الرافع لضمير المخاطب إلى ضمير الجرّ بوساطة على، ونظيره قول الشاعر[3]: [من الوافر]

هَوِّن عليك فإنّ الأمور بكفّ الإله[4] مقاديرُها

وفي قوله «زَوَّجْنَاكَهَا» تعدّى فعل زوّج إلى مفعولين، وقد جاء الثاني[5] بحرف الجر في قوله ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الدخان].

ولمّا نفى الحرج عن المؤمنين فيما ذكر، واندرج الرسول عليه السلام

---

(١) ق: حلفها.

(٢) ق: التقرر.

(٣) البيت للأعور الشنّي وهو من شواهد الكتاب ١: ٦٤، ونسب في العقد ٣/ ١٤١ لابن أبي خازم. وليس في ديوانه. وفيه خرم.

(٤) ق: إله.

(٥) ق: التالي.

فيهم - إذ هو سيّد المؤمنين - نفى عنه الحرج بخصوصه، وذلك على سبيل التكريم والتشريف. [٤٥١/ب] ونفى عنه الحرج مرتين: إحداهما بالاندراج في العموم والأخرى بالخصوص.

﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ أي: في الزيادة على الأربع. وكانت اليهود عابوه بكثرة[1] النكاح وكثرة الأزواج، فردّ الله عليهم بقوله ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: في الأنبياء بكثرة النساء، حتى كان لسليمان عليه السلام ثلاث مئة حرّة وسبع مئة جارية، وكان لداود عليه السلام مئة امرأة وثلاث مئة سريّة.

وانتصب «سنّة» على أنه اسم موضوع موضع المصدر.

قال ابن عطية: وانتصب «سنة الله» على الإغراء كأنه قال: فعليه سنة الله انتهى.

قوله: على الإغراء، ليس بجيد، لأنّ عامل الاسم في الإغراء لا يجوز حذفه. وأيضاً فتقديره: فعليه سنة الله، بضمير الغائب، لا يجوز ذلك في الإغراء لأنه لا يُغرى غائب، وما جاء من قولهم: عليه رجلاً لَيَسْني، له تأويل وهو مع ذلك نادر.

و﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾ الأنبياء، بدليل وصفهم بَعْدُ بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وهي جملة اعتراض بين الصفة والموصوف. و«الذين» مجرور صفة «للذين خلوا».

ثم نفى تعالى كون رسوله عليه السلام أبا أحدٍ من رجالهم فلا يثبت بينه وبين من تبنّاه من حرمة المصاهرة والنكاح ما يثبت بين الأب وولده.

---

(١) ق: بكثر.

وقرأ الجمهور: ولكنْ رسولَ، بتخفيف «لكنْ» ونصب «رسولَ» على إضمار: كان لدلالة «كان» المتقدمة عليه. قيل: أو على العطف على «أبا أحد».

وقرأ عبد الوارث عن أبي عمروٍ بالتشديد والنصب، على أنه اسم لكنّ، والخبر محذوف تقديره: ولكنّ رسول الله وخاتم النّبيين هو، أي: محمد ﷺ. وحَذْف خبر لكنّ وأخواتها جائز إذا دلّ عليه الدليل، وممّا جاء في لكنّ قول الشاعر(١): [من الطويل]

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي ... ولكنّ زنجيًا عظيم(٢) المشافر

أي: أنت لا تعرف قرابتي.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذۡكُرُوا ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَـٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [«وملائكته»] معطوف على الضمير المرفوع المستكنّ في «يصلّي». وأغنى الفصل بالجار والمجرور عن التأكيد. وصلاة الله غير صلاة الملائكة فكيف اشتركا في العطف وهما مختلفان؟.

وإنما كان ذلك لأنهما قد اشتركا في قدر مشترك وهو إرادة وصول الخير

(١) البيت في الكتاب ٢: ١٣٦ منسوب للفرزدق، ولم أجده في ديوانه.
(٢) هامش ق: غليظ.

إليهم؛ فالله تعالى يريد برحمته إيّاهم إيصال الخير إليهم، وملائكته يريدون بالاستغفار ذلك.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ نهي له عليه السلام عن السّماع منهم في أشياء كانوا يطلبونها مما لا يحبّ، وفي أشياء ينتصحون بها وهي غشّ.

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ الظاهر إضافته إلى المفعول. لمّا نهى عن طاعتهم أمر بتركه أذيّتهم وعقوبتهم. ونسخ منه ما يخصّ الكافرين بآية السيف(١).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإنه ينصرك ويخذلهم. ويجوز أن يكون مضافاً للفاعل [٤٥٢/أ] أي: ودع إذايتهم إياك، أي: مجازاة الإذاية من عقاب وغيره حتى تؤمر، وهذا تأويل مجاهد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا

---

(١) الآية ٥ من التوبة.

﴿مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية، معنى «نكحتم» عقدتم عليهن. وسمّي العقد نكاحاً لأنه سبب إليه كما سميت الخمر إثماً لأنها سبب له. ولفظ النكاح في كتاب الله لم يرد إلا في العقد وهو من آداب القرآن.

وقال ابن عطية: روي عن أبي برزة[1] عن ابن كثير بتخفيف الدّال[2]، من العدوان كأنه قال: فما لكم عدّة تلزمونها عدواناً وظلماً لهن. والقراءة الأولى أشهر عن ابن كثير. وتخفيف الدّال وَهْم من أبي[3] برزة انتهى.

ليس بوهم، إذ قد نقلها عن ابن كثير ابن خالويه وأبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح في شواذّ القرآن.

والظاهر في ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [أنّه] للوجوب، وقيل للنّدب، وتقدّم الكلام عليه في البقرة[4]. والسّراح الجميل هو كلمة طيّبة دون أذى ولا منع واجب. وقيل: أن لا يطالبها بما آتاها.

ولمّا بيّن تعالى بعض أحكام أنكحة المؤمنين، أتبعه بذكر طرف من نساء النبي ﷺ. والأجور: المهور لأنه أجر على الاستمتاع بالبُضع وغيره مما يجوز به الاستمتاع.

وفي وصفهنّ بـ«اللاتي آتيتَ أجورهن» تنبيه على أن الله تعالى اختار لنبيّه

---

(١) ق: روى ابن أبي برزة، وانظر معجم القراءات القرآنية ٥: ١٢٩.

(٢) أراد في: تعتدّونها.

(٣) ق: من ابن أبي.

(٤) انظر تفسير الآية ٢٣٦ من البقرة.

عليه السلام الأفضل والأولى، لأنّ إيتاء المهر أولى من تأخيره، لتقصي الزوج عن عُهدة الدَّيْن وشغل ذمّته به، ولأن تأخيره يقتضي أن يستمتع بها مجاناً دون عوض تسلّمَتْه.

والتعجيل كان سنّة السّلف لا يُعرف منهم غيره[1]؛ ألا ترى إلى قوله عليه السلام[2] لبعض الصحابة حين شكا حالة التزوّج: «فأين درعك الحُطَمية؟».

وكذلك تخصيص ما ملكت يمينه بقوله ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ لأنها إذا كانت سبيّة مالكها [ممّا] غنّمه الله من أهل دار الحرب، كانت أحلّ وأطيب ممّا يشترى من الجلب. وفيما سُبي من دار الحرب قيل سبي طيبة، وممّن له عهد قيل فيه سبي خبيثة. وفيء الله لا يطلق إلاّ على الطّيب دون الخبيث. والظاهر أن قوله ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ مخصوص لفظ «أزواجك» بمن كانت في عصمته كعائشة وحفصة ومن تزوجها بمهر.

و﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ صفة للبنات.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ قالت أمّ هانىء بنت أبي طالب: خطبني رسول الله ﷺ، فاعتذرت إليه فعذرني، ثم نزلت هذه الآية فحرّمَتْني عليه لأني لم أهاجر معه وإنما كنت من الطلقاء.

والتخصيص «باللاتي هاجرن معك» لأنّ من هاجرن معه من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات.

---

(١) ق: غيرهم.

(٢) أخرجه أبو داود ٢: ٢٤٠ من حديث ابن عباس. وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٣: ١٦١.

﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً﴾ قال ابن عباس: هي ميمونة بنت الحارث [٤٥٢/ب] وقيل غير ذلك. وتقدّم الخطاب له عليه السّلام وانتقل منه للاسم الغائب وهو ﴿لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾ ولضمير الغائب في ﴿أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ ثم إلى ضمير الخطاب في قوله ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾.

قال الزمخشري[١]: والفاعل والفاعلة في باب المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعاقبة[٢] والكاذبة انتهى.

ليس كما ذكر بل هما عزيزان، وتمثيله كالخارج يشير إلى قول الفرزدق[٣]:

[من الطويل]

[على قسمٍ لا أشتم الدهرَ مسلماً] ولا خارجاً من فِيَّ زُورُ كَلامِ

والقاعد: إلى أحد التأويلين في قولهم: أقاعداً وقد سار الركب[٤]؟، والكاذبة إلى قوله تعالى ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ [الواقعة].

وقد تُتأوّل هذه الألفاظ على أنها ليست مصادر.

والظاهر أن قوله «خالصة لك» من صفة الواهبة لك نفسها، أي: هبة النساء أنفسهنّ مختصّ بك، لا يجوز أن تهب المرأة نفسها لغيرك. وأجمعوا أن ذلك غير جائز لغيره عليه السلام.

﴿۞ تُرۡجِي﴾ تقدّم الكلام عليه في براءة[٥]. والظاهر أن الضمير في

(١) الكشاف ٣: ٢٦٨.

(٢) في الكشاف: والعافية.

(٣) ديوانه ٢: ٢١٢.

(٤) ق: الراكب.

(٥) انظر تفسير الآية ١٠٦ من براءة.

«منهن» عائد على أزواجه عليه السلام. والإرجاء والإيواء، قال ابن عباس: في طلاق من تشاء ممن حصل في عصمتك وإمساك من تشاء.

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ أي: من طلبتها من المؤخرات وهنّ المعزولات فلا جناح عليك في ردّها وإيوائها إليك.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أي: التفويض إلى مشيئتك، إلى قرّة عيونهنّ ووجود رضاهنّ إذ علمن أنّ ذلك التفويض هو من عند الله تعالى فحالة كل منهن كحالة الأخرى في ذلك.

و«كلهن» تأكيد لنون «ويرضين». واتفقت الروايات على أنه عليه السلام كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات ولم يستعمل شيئاً مما أبيح له ضبطاً لنفسه وأخذاً بالفضل، غير ما جرى لسودة[١].

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ الظاهر أنها محكمة. و«من بعد» المحذوف منه مختلف فيه؛ قال ابن عباس: من بعد التسع لأن التّسع نصاب رسول الله ﷺ من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته منهن. قيل[٢]: لمّا خُيّرن فاخترن الله ورسوله جازاهن الله أن حظر عليه النساء غيرهنّ وتبديلهنّ، ونسخ بذلك ما أباحه له قبلُ من التوسعة في جميع النساء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ

(١) انظر البحر ٧: ٢٤٣.

(٢) ق: قالا.

ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية، في الصحيحين[1] عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم لما تزوّج زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جعلوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى[2] ذلك قام، وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة[3]، فجاء فدخل فإذا القوم جلوس فرجع. ثم إنهم قاموا[4]، فانطلقتُ وجئت فأخبرته أنهم قد انطلقوا. فجاء حتى دخل وذهبت حتى أدخل، فألقي الحجاب بيني [٤٥٣/أ] وبينه وأنزل الله عليه هذه الآية.

وقرىء: غيرَ، بالنصب على الحال والعامل فيه محذوف تقديره: ادخلوا

(١) البخاري ٤: ١٧٩٩، ومسلم ٢: ١٠٤٦.

(٢) ق: رأوا.

(٣) ق: وقعد من ثلاثة.

(٤) ق: وإنهم قاموا وانطلقوا.

بالإذن غير ناظرين. وقرىء بالكسرصفة «الطعام» ثم أمر بالانتشار إذا طعموا.

قال الزمخشري[1]: «إلا أن يؤذن» في معنى الظرف تقديره: وقت أن يؤذن لكم. و«غير ناظرين» حال من «لا تدخلوا»[2] وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ وقت الإذن، ولا تدخلوها إلاّ غير ناظرين إناه انتهى.

أمّا «أن يؤذن لكم» في معنى الظرف وتقديره: وقت أن يؤذن لكم وأنه أوقع الاستثناء على الوقت - فليس بصحيح. وقد نصّوا على أنّ أنْ المصدرية لا تكون في معنى الظرف، تقول[3]: أجيئك صياح الدّيك وقدوم الحاج، ولا يجوز: أجيئك أن يصيح الدّيك، ولا: أن يقدم الحاج.

وأما أن الاستثناء وقع على الوقت والحال معاً فلا يجوز على مذهب [الجمهور]. لا يقع بعد إلاّ في الاستثناء إلا المستثنى أو المستثنى منه أو صفة المستثنى منه.

وأجاز الأخفش والكسائي ذلك في الحال، أجازا: ما ذهب القوم إلا يوم الجمعة راحلين عنّا، فيجوز ما قاله الزمخشري في الحال.

وأما قوله: «إلا أن يؤذن» فلا يتعين أن يكون ظرفاً لأنه يكون التقدير: إلا بأن يؤذن، فتكون الباء للسبب كقوله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۝٥٧﴾ [الأعراف] أو للحال أي: مصحوبين بالإذن.

---

(١) الكشاف ٣: ٢٧٠.

(٢) ق: يدخلوا.

(٣) ق: لا يكون.. يقول.

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾ معطوف على «غير» فهو منصوب، أي: لا تدخلوها لا ناظرين ولا مستأنسين. «ذلكم» إشارة إلى السؤال من وراء الحجاب.

﴿أَطْهَرُ﴾ يريد: من الخواطر التي تخطر[1] للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال، إذ الرؤية سبب التعلّق والفتنة، ألا ترى إلى قول الشاعر[2]:

[من البسيط]

والمرء ما دام ذا عينٍ يقلّبها في أعين العِيْن موقوفٌ على الخطر
يسرّ مقلتَه ما ساء مهجتَه لا مرحباً بانتفاعٍ جاء بالضّرر[3]

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ وعيد لمن تقدّم التعريض[4] به في الآية ممّن أشير إليه بقوله «ذلكم أطهر» ومن أشير إليه ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟﴾ فقيل: إن تبدوا شيئاً على ألستكم أو تخفوه في صدوركم مما يقع عليه العقاب فالله يعلمه فيجازي عليه.

وروي أنه لمّا نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: أوَنحنُ يا رسول الله أيضاً نكلّمهن من وراء حجاب؟. فنزلت[5] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ الآية، أي: لا إثم عليهن.

والظاهر من قوله ﴿وَلَا مَا[6] مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ دخول العبيد والإماء دون ما ملك غيرهنّ. وقيل: مخصوص بالإماء. وقيل: جميع العبيد ممّن في ملكهنّ

---

(١) ق: يخطر.
(٢) لم أجده.
(٣) ق: بالبصر.
(٤) ق: وعند لمن يقدم التعرض.
(٥) انظر البخاري ٤: ١٨٠١.
(٦) ق: أو ما.

أو في ملك غيرهنّ.

وقال النخعي: [٤٥٣/ب] يباح لعبدها النظر إلى ما يواريه[١] الدّرع من ظاهر بدنها.

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ أمرٌ بالتقوى وخروج من الغيبة إلى الخطاب، أي: واتّقين الله فيما أُمرتنّ به من الاحتجاب وأُنزل فيه الوحي من الاستتار. وكان في الكلام جملة حذفت تقديره: اقتصرن على هذا واتّقين الله فيه أن تتعدّينّه إلى غيره.

ثم توعّد بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ [كَانَ] عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من السّر والعلن وظاهر[٢] الحجاب، وباطنه وغير ذلك. ﴿شَهِيدًا﴾[٣] لا تتفاوت الأحوال في علمه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ روي[٤] أنه لمّا نزلت هذه الآية قال قوم من الصحابة: هذا السلام عليك يا رسول الله عرفناه، فكيف نصلّي عليك؟. قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وارحم محمداً وآل محمد كما رحمت وباركت على إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ الآية، كان دأب الجاهلية أن تخرج الحرّة والأمة مكشوفتي الوجه في درع وخمار، وكان الزّناة يتعرّضون - إذا خرجن بالليل لقضاء الحوائج في النخيل والغيطان - للإماء، وربما تعرّضوا للحرّة بعلّة الأمة يقولون: حسبنا ها أمة. فأُمرن أن يخالفن بزيّهن عن زيّ الإماء،

---

(١) ق: يوازيه. ودرع المرأة: قميصها.

(٢) ق: وظاهره.

(٣) ق: شهيد.

(٤) انظر أسباب النزول ص٢٤٣.

بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويُهَبْن ولا يطمع فيهن طامع. والجلابيب: الأردية التي تستر من فوق إلى أسفل، وقيل غير ذلك.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ تأنيس للنساء في ترك الاستتار قبل أن يؤمرن بذلك.

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٦٢﴾.

ولما ذكر حال المشرك الذي يؤذي الله ورسوله، والمجاهر الذي يؤذي المؤمنين - ذكر حال المُسِرِّ الذي يُظهر الحقّ ويضمر الباطل وهو المنافق.

ولمّا كان المؤذون ثلاثة باعتبار إذايتهم لله ولرسوله وللمؤمنين، كان المسرّون ثلاثة: منافق ومن في قلبه مرض ومرجف. فالمنافق يؤذي سرًّا، والثاني يؤذي المؤمن باتباع نسائه[1]، والثالث يرجف بالرسول يقول: غُلب، سيُخرج من المدينة، سيؤخذ، هُزمت سراياه.

وظاهر العطف التغاير بالشخص فيكون المعنى: لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم، والفسقة عن فجورهم، والمرجفون عمّا[2] يؤلّفون من أخبار السّوء ويشيعونه.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: لنسلطنّك عليهم.

---

(١) ق: لسانه.

(٢) ق: على ما.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ أي: في المدينة. و«ثم لا يجاورونك» معطوف على «لنغرينّك». ولم يكن العطف بالفاء لأنه لم يقصد أنه متسبّب عن الإغراء، بل كونه جواباً للقسم أبلغ. وكان العطف «بثم» لأن الجلاء عن الوطن كان أعظم عليهم من [٤٥٤/أ] جميع ما أصيبوا به، فتراخت حالة الجلاء(١) عن حالة الإغراء.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا جواراً قليلاً. وانتصب «ملعونين» على الذّم.

ومعنى ﴿ثُقِفُوٓا﴾ حُصروا وظُفر بهم.

﴿أُخِذُوا﴾ أُسروا. والأخيذ: الأسير.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد، أي: سنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يُقتلوا حيثما ظُفر بهم.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: المشركون عن وقت قيام الساعة استعجالاً على سبيل الهزء، واليهود على سبيل الامتحان إذ كانت معمًّى وقتها في التوراة، فنزلت الآية بأن يردّ فيها العلم إلى الله تعالى، إذ لم يُطْلع عليها ملكاً ولا نبيًّا.

ولمّا ذكر حالهم في الدنيا أنهم ملعونون مهانون مقتولون، بيّن حالهم في

---

(١) ق: جلب له الجلاء.

الآخرة.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ «ما» استفهام في موضع رفع بالابتداء، أي: وأيّ شيء يدريك بها؟. ومعناه النفي أي: ما يدريك بها أحد.

﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ بيّن قرب الساعة، وفي ذلك تبكيت[1] للممتحن وتهديد للمستعجل. وانتصب «قريباً» على الظرف أي: في زمان قريب، إذ استعماله ظرفاً كثير.

﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ يجوز أن ينتصب «يوم» بقوله «لا يجدون»، ويكون «يقولون» استئناف إخبار عنهم. أو تمّ[2] الكلام عند قوله «ولا نصيراً» وينتصب «يوم» بقوله «يقولون». والوجه أشرف ما في الإنسان، فإذا قُلّب في النار كان تقليب ما سواه أولى، أو عبّر بالوجه عن الجملة. وتمنّيهم حيث لا ينفع وتشكّيهم من كبرائهم لا يجدي.

وقرىء: سادتنا. وساداتنا، على الجمع. ولما لم يُجْدِ[3] تمنّيهم الإيمان وطاعة الله ورسوله، ولا قام لهم عذر في تشكّيهم ممّن أضلّهم، دعوا على ساداتهم بقولهم ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ ضعفاً على ضلالهم في أنفسهم وضعفاً على إضلال من أضلّوا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا

(١) ق: تسكيت.

(٢) ق: ثم.

(٣) ق: يجدي.

عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾﴾.

﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ قيل: نزلت[1] في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من مقالة بعض الناس. وقيل: المراد حديث الإفك. قيل[2]: ما أوذي نبي مثلما أوذي رسول الله ﷺ في حديث القسمة فصبر وقال[3] «رحم الله أخي موسى، لقد أوذي[4] أكثر من هذا فصبر». وإذاية موسى عليه السلام قولهم فيه إنه آدر[5]، وقيل غير ذلك.

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ لما أرشد المؤمنين [إلى] ما أرشد من ترك الأذى، واتّقاء الله وسداد القول، ورتّب على الطاعة ما رتّب، بيّن[6] أن ما كُلّفه الإنسان أمر عظيم فقال «إنا عرضنا الأمانة» تعظيماً لأمر التكليف. و«الأمانة» الظاهر أنها كل ما يؤمن عليه من أمرٍ ونهيٍ[7] وشأن دين ودنيا، فالشرع كله أمانة.

والظاهر عرض الأمانة على هذه المخلوقات [٤٥٤/ب] العظام وهي

---

(١) انظر القرطبي ١٤: ٢٥٠.

(٢) ق: قال.

(٣) أخرجه البخاري ٣: ١٢٤٩ من حديث عبد الله.

(٤) ق: لقد صبر.

(٥) الأُدْرة: انتفاخ الخصية.

(٦) ق: تبيّن.

(٧) ق: أمرونهن.

الأوامر والنّواهي، فتثاب إن أحسنَتْ وتعاقب إن أساءت، فأبت وأشفقت. ويكون ذلك بإدراكٍ خَلَقَه الله تعالى فيها، وهذا غير مستحيل؛ إذ قد سبّح الحصى في كفّه عليه السلام، وحنّ الجذع إليه، وكَلَّمَتْه الذراع، فيكون هذا العرض والإباء حقيقة.

قال ابن عباس: أُعطيت الجمادات فهماً وتمييزاً فخُيّرت في الحمل. وذكر الجبال مع أنها من الأرض لزيادة قوّتها وصلابتها، تعظيماً للأمر.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ وصفه بالظلم تاركاً لأداء الأمانة، وبالجهل لإخطائه ما يسعده.

واللام في «ليعذب» لام الصيرورة لأنه لم يحملها لأن يُعذَّب، لكنّه حملها فآل الأمر إلى أن يُعذّب من نافق وأشرك، ويتوب على من آمن.

سورة سبأ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الآية، هذه السورة مكية، وقيل: فيها غير مكّي. وسبب نزولها[2] أن

---

(١) مكية وهي أربع وخمسون آية.

(٢) انظر القرطبي ١٤: ٢٦٠.

أبا سفيان قال لكفار قريش لمّا سمعوا ﴿ لِيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب]: محمد يتوّعدنا بالعذاب بعد أن نموت ويخوّفنا بالبعث، واللّات والعزّى لا تأتينا الساعة أبداً ولا نُبعث. فقال الله تعالى: قل يا محمد ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن][1] وباقي السورة تهديد لهم وتخويف. ومن ذكر هذا السبب ظهرت المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها.

و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ مستغرق لجميع المحامد كلها. ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ ظاهره[2] الاستغراق، ولما كانت نعم الآخرة مُخبَراً بها غير مرئيّة لنا[3] في الدنيا، ذكرها لتقاس نعمها بنعم الدنيا قياس الغائب على الشاهد، وإن اختلفتا في الفضيلة والديمومة.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: من المياه. ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ أي: من النبات. ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من المطر وغير ذلك. ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ أي: من أعمال الخلق.

و«بلى» جواب للنفي السابق من قولهم «لا تأتينا الساعة» أي: بلى لتأتينكم. وأتبع القَسَمَ بقوله «عالم الغيب» وما بعده، ليُعلم أنّ إتيانها من الغيب الذي انفرد به تعالى. وجاء القسم بقوله «وربي» مضافاً إلى الرسول عليه السلام ليدلّ على شدة القسم، إذ لم يأت به في الاسم المشترك بينه وبين من أنكر الساعة وهو لفظ الله.

---

(١) وانظر الآية ٣ من سبأ.

(٢) ق: ظاهر.

(٣) ق: لما.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ هم قريش، قال بعضهم لبعض على سبيل التعجب والاستهزاء، كما يقول الرجل لمن يريد [٤٥٥/أ] أن يعجّبه: هل أدلّك على قصة غريبة نادرة.

لمّا كان البعث عندهم من المحال، جعلوا من يُخبر عن وقوعه في حيّز من يُتعجّب منه، وأتوا باسمه عليه السلام [نكرة] في قولهم ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ واسمه أشهر علم في قريش بل في الدنيا، وإخباره بالبعث أشهر خبر، لأنهم أخرجوا ذلك مخرج الاستهزاء والتحلّي[1] ببعض الأحاجي المعمولة للتّلهي والتّعمية، فلذلك نكروا اسمه.

و«إذا» الشرطية مختلف في العامل فيها وقد بيّناه في شرح التسهيل بأن الصحيح أن يعمل فيها فعل الشرط كسائر أدوات الشرط، والجملة الشرطية يحتمل أن تكون معمولة «لينبّئكم» لأنه في معنى: يقول لكم إذا مزّقتم كل ممزّق: تُبعثون، ثم أكّد ذلك بقوله ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. ويحتمل أن يكون «إنكم لفي خلق جديد» معمولاً لـ«ينبّئكم» و«ينبّئكم» معلّق. ولولا اللام في خبر إنّ لكانت مفتوحة. والجملة سدّت مسدّ المفعولين، والجملة الشرطية على هذا التقدير اعتراض. وقد منع قوم التعليق في باب اعلم والصحيح جوازه، وقال الشاعر[2]: [من الطويل]

حَـذارِ فقـد نُبِّئـتُ أنـك للّـذي ستُجزى بما تسعى فتسعد أو تشقى

و«مُمزّق» [مصدر] جاء على زنة اسم المفعول على القياس في اسم المصدر من كل فعل زائد على الثلاثة.

---

(١) ق: والتحكّي.

(٢) البيت من شواهد الهمع ٢: ٢٤٩ غير منسوب.

والظاهر أن قوله ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ من قولهم بعضهم لبعض، أي: أهو مُفْتَرٍ على الله كذباً فيما يَنسب إليه من أمر البعث، أم به جنون يوهمه ذلك، ويلقيه على لسانه. عادلوا بين الافتراء والجنون، لأن هذا القول عندهم إنما يصدر عن أحد هذين، لأنه إن كان يعتقد خلاف ما أنبأ به فهو مفترٍ، وإن كان لا يعتقده فهو مجنون.

وأضرب تعالى عن مقالتهم والمعنى: ليس الرسول عليه السلام كما نسبتم إليه بل أنتم في عذاب النار أو في عذاب الدنيا بما تكابدونه من إبطال الشرع وهو يُحقّ، وإطفاء نور الله وهو يُتمّ.

ولما كان الكلام في البعث قال ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ فرتّب العذاب على إنكار البعث. وتقدّم الكلام[1] في وصف الضّلال بالبعد وهو من أوصاف المحال استعير للمعنى. ومعنى بُعده أنه لا ينقضي خبره المتلبّس به.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي: هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة.

﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: حيثما تصرفوا، فالسماء والأرض قد أحاطتا بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما، ولا يخرجوا عن ملكوت الله فيهما.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما فعلنا بقارون.

﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كما فعلنا بأصحاب الظُّلة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما، وما يدلّان عليه من قدرة الله تعالى. [٤٥٥/ب] ﴿لَآيَةً﴾ لعلامة ودلالة. ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربّه مطيع له، لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله تعالى

---

(١) انظر تفسير الآية ١٨ من إبراهيم.

على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به.

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ الآية، ومناسبة قصة داود وسليمان عليهما السلام لما قبلهما هي أن أولئك الكفار أنكروا البعث لاستحالته عندهم، فأخبروا بوقوع ما هو مستحيل في العادة ممّا لا يمكنهم إنكاره؛ إذ طفحت ببعضه أخبارهم و[نطقت به] شعراؤهم على ما يأتي ذكره من تأويب الجبال والطير مع داود، وإلانة الحديد وهو الجرم المستعصي، وتسخير الريح لسليمان وإسالة النحاس له كما ألان الحديد لأبيه[1]، وتسخير الجنّ فيما شاء من الأعمال الشاقّة وغير ذلك.

﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ أي: سبّحي معه، قاله ابن عباس.

وقرىء: والطّيرَ، بالنصب عطفاً على موضع «يا جبال». وبالرفع عطفاً على لفظ «يا جبال». وإلانة الحديد قال ابن عباس: حتى صار كالشمع.

(١) ق: لابنه.

وروي أن دواد عليه السلام كان يتنكر[١] فيسأل الناس عن حاله، فعرض له ملك في صورة إنسان فسأله فقال: نعم العبد لولا خُلّة فيه. فقال: وما هي؟. قال: يرتزق من بيت المال ولو أكل من عمل يده لتمّت فضائله. فدعا الله تعالى أن يعلّمه صنعة ويسهّلها عليه، فعلّمه صنعة الدّروع وألان له الحديد فأثرى. وكان ينفق ثلث المال في مصالح المسلمين.

﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ قال ابن زيد: هو في قدر الحلقة أي: لا يعملها صغيرة فتضعف فلا يقوى الدّرع على الدفاع، ولا كبيرة فيُنال لابسها من خلالها.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أبدله من الخيل الرّيح تجري بأمره.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ الظاهر أنه جعله [أي: النحاس، له] في معدنه عيناً تسيل كعيون الماء دلالة على نبوّته[٢] عليه السلام، يستعملها فيما يريد.

وعن ابن عباس: أُجريت له ثلاثة أيام بلياليهنّ وكانت بأرض اليمن. قال مجاهد: سالت من صنعاء. ولم يُذَبِ النّحاس فيما روي لأحدٍ قبله وكان لا يذوب قبل ذلك.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: بأمر ربّه لقوله ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي: ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرنا به من طاعة سليمان.

وقرىء: يَزِغْ، مضارع زاغ. وقرىء بالضم من أزاغ، أي: ومن يُمِلْ.

و«عذاب السعير» عذاب الآخرة. قاله ابن عباس.

---

(١) ق: يينكن.

(٢) ق: بيوته.

والمحاريب، قال مجاهد: المساجد. والتماثيل: الصور. والجفان: جمع جفنة وهي معروفة[1]. والجوابي: الحياض العضام واحدها جابية لأنه يُجبى فيها الماء أي: يجتمع، قال الأعشى[2]: [من الطويل]

نَفى الذَّمَّ عن آل المحلَّق جَفْنَةٌ ... كجابية السَّيْحِ العراقيِّ تفهَقُ

والراسيات: الثابتات[3] على الأثافي[4] فلا تُنقل ولا تحمل لعظمها. وقُدِّمت [٤٥٦/أ] المحاريب على التماثيل لأن النقوش تكون في الأبنية. وقدّم الجفان على القدور مع أن القدور آلة الطبخ والجفان آلة الأكل، والطبخ قبل الأكل؛ لمّا بيّن الأبنية الملكية أراد بيان عظمة السماط الذي يُمَدّ في تلك الدّور، وأشار إلى الجفان، لأنها تكون فيها، والقدور لا تكون فيها ولا تحضر[5] هناك ولهذا قال «راسيات». ولمّا بيّن حال الجفان سرى الذهن إلى عظمة ما يُطبخ فيها فذكر القدور للمناسبة. وذكر في حق داود اشتغاله بآلة الحرب لاحتياجه إلى قتال أعدائه، وفي حقّ سليمان المحاريب والتماثيل لأنه كان ملكاً ابن ملك، قد وطّد[6] له أبوه الملك، أي: مهّده له، فكانت حاله حالة سلم إذ لم يكن أحد يقدر على محاربته.

---

(١) الجفنة كالقصعة.

(٢) ديوانه ص٢٦١.

(٣) ق: الدائبات.

(٤) الأثافيّ: (وتخفف): الأحجار الثلاثة التي توضع عليها القدر وتوقد بينها النار.

(٥) ق: يحضر.

(٦) ق: أطرا.

وقال عقب[١] ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾: «اعملوا صالحاً»[٢]، وعقب ما يعمله الجن: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ عقب كل جملة[٣] بما يناسبها. وروي أن مصلى آل داود لم يَخْلُ قطّ من قائم يصلّي ليلاً أو نهاراً، وكانوا يتناوبونه.

وكان سليمان عليه السلام يأكل الشعير، ويطعم أهله الخشكار، والمساكين الدّرمك[٤]. وما شبع قطّ، وقيل له في ذلك فقال: إني أخاف إن شبعت أن أنسى الجياع. و﴿ٱلشَّكُورُ﴾ صيغة مبالغة وأريد به الجنس.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: أنفذنا عليه ما قضينا عليه في الأزل من الموت، وأخرجناه إلى حيّز الوجود. والضمير في «دلهم» عائد على الجن الذين كانوا يعملون له. وكان سليمان قد أمر الجنّ ببناء صرح له، فبنوه له ودخل فيه مختلياً، ليصفو له يوم واحد من الدهر من الكدر. فدخل عليه شاب فقال له: كيف دخلت من غير استئذان؟. فقال: إنما دخلت بإذن. قال: ومن أذن لك؟. قال: ربّ هذا الصّرح. فعلم سليمان عليه السلام أنه ملك الموت، أتى لقبض روحه. فقال سليمان: سبحان الله! هذا اليوم الذي طلبتُ فيه الصفاء. فقال له: طلبتَ ما لم يُخلق. فاستوثق[٥] من الاتكاء على العصا فقبض روحه. وبقيت الجنّ تعمل على عادتها. وكان سليمان قصد تعمية موته، لأنه كان قد بقي من تمام بناء المسجد عمل سنة، فسأل الله تعالى تمامها على يد الإنس والجن. وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة،

(١) ق: عقب ذلك.
(٢) وفي ق: صالحات.
(٣) ق: عقب ذلك جملة.
(٤) الخشكار: الخبز الأسمر غير النقي. والدّرمك كجعفر الدقيق الأبيض.
(٥) ق: فاستؤنف.

فكانوا يقولون إنه يتحنّث أي: يعبد ربّه.

وقيل إن ملك الموت أعلمه أنه بقي من حياته ساعة، فدعا الجن فبنوا الصرح، وقام يصلي متكئاً على عصاه، فقبض روحه وهو متكىء عليها.

وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه، فلا ينظر أحد منهم إليه في صلاته إلا احترق. فمرّ واحد منهم، فلم يسمع صوته، ثم رجع فلم يسلم، فنظر فإذا هو خرّ ميتاً. وكان عمره ثلاثاً[1] وخمسين سنة [٤٥٦/ب] ملك بعد موت أبيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وكان أبوه قد أسّس بنيان المسجد موضع فسطاط موسى عليه السلام، فمات قبل أن يتمّه، ووصّى به إلى ابنه فأمر الشياطين بإتمامه، ومات قبل تمامه.

و﴿ دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ هي سوسة الخشب وهي الأرضة وقيل غير ذلك. والمنسأة: العصا وكانت فيما رووا من خرّوب، وذلك أنه كان يتعبّد في بيت المقدس، فتنبت له في محرابه كل سنة شجرة تخبره بمنافعها، فيأمر فتقلع، وتصرف في منافعها، وتغرس لتتناسل[2]. فلما قرب موته نبتت له شجرة، وسألها فقالت: أنا الخروب خرجت لخراب ملكك. فعرف أنه حضر أجله، فاستعدّ واتّخذ منها عصا، واستدعى بزاد سنة والجن تتوهّم أنه يتغذى بالليل.

﴿ مِنسَأَتَهُۥ﴾ على وزن مفعلة كمطرقة وهي العصا، سمّيت بذلك لأنها يُنسأ بها الأشياء أي: تؤخّر.

وقرىء: منسأته، بهمزة مفتوحة بعد السين. وبإبدالها ألفاً على غير قياس، وبإسكانها على غير قياس، والأصل فتحها لأنها لام الكلمة.

---

(١) ق: ثلاث.

(٢) ق: ويغرس ليتناسل.

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ الضمير [عائد] على سليمان عليه السلام، أي: سقط عن العصا ميتاً. وقرىء: تَبَيَّنَت، مبنيًا للفاعل. وتُبُيِّنَت، ومبنيًا للمفعول. و«أن» هي المخففة من الثقيلة ينسبك منها مصدر، أي: تبينت الجن جهلها أي: جهل الجن. والمعنى أن الجنّ لو كانت تعلم الغيب، ما خفي عليها موت سليمان عليه السلام، وقد ظهر أنه خفي عليها بدوامها في الخدمة والضّعة.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ[١] ءَايَةٌ جَنَّتَانِ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان، بيّن حال الكافرين بأنعمه بقصة سبأ، موعظةً لقريش وتحذيراً وتنبيهاً لما جرى لمن كفر أنعم الله تعالى. وتقدّم الكلام في سبأ في النّمل[٢]. ولمّا ملكت بلقيس اقتتل قومها على ماء واديهم فتركت ملكها وسكنت قصرها. وراودوها على أن ترجع فأبت فقالوا: لتَرْجِعِنَّ أو لنقتلنّك. فقالت لهم: لا عقول لكم ولا تطيعوني. فقالوا:

---

(١) ق: مساكنهم.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٢ وما بعدها من النّمل.

نطيعك، فرجعت إلى واديهم. وكانوا إذا أُمطروا أتاهم السيل من مسيرة ثلاثة أيام، فأمرت به فسدّ ما بين الجبلين بمُسَنَّاةٍ(١) بالصخر والقار وحبست الماء من وراء السدّ، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة فيها اثنا(٢) عشر مخرجاً على عدّةِ أنهارهم. وكان الماء يخرج لهم بالسّوية إلى أن كان من شأنها مع سليمان عليه السلام ما سبق ذكره في النمل.

وقرىء: مساكنهم جمعاً ومفرداً، بفتح الكاف وكسرها.

﴿ءَايَةٌ﴾ أي: علامة دالّة على الله تعالى وعلى قدرته ووجوب شكره. وخبر «كان» «لسبأ»، و«آية»(٣) اسمها. و«في مساكنهم» متعلق بما تعلق به «لسبأ» [٤٥٧/أ] والتقدير: لقد كانت آية كائنة لسبأ في مساكنهم. «جنتان» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي جنتان.

[قال ابن عطية: «جنتان»] مبتدأ، وخبره «عن يمين(٤) وشمال» انتهى.

لا يظهر ذلك، لأنه نكرة لا مسوّغ للابتداء بها إلا إن اعتقد أن ثَمَّ صفة محذوفة، أي: جنتان لهم أو عظيمتان عن يمين وشمال. وعلى تقدير ذلك يبقى الكلام [مفلتاً] مما قبله.

و﴿جَنَّتَانِ﴾ جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها. وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامّها كأنها جنة واحدة.

---

(١) المسنّاة: ضفيرة تبنى للسيل لتردّ الماء.

(٢) ق: اثني عشر.

(٣) ق: وانه.

(٤) ق: وخبر في يمين.

قال ابن زيد: لا يوجد فيها برغوث ولا بعوض ولا عقرب، ولا تقمل ثيابهم ولا تعيا دوابّهم. وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها المِكْتل[١]، فيمتلىء ثمراً من غير أن تتناول بيدها شيئاً.

﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ قول الله لهم على ألسنة الأنبياء المبعوثين إليهم. وفيه إشارة إلى تكميل النّعمة عليهم حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض.

﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ على ما أنعم به عليكم.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: كريمة التربة حسنة الهواء سليمة من الهوامّ والمضارّ[٢].

﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ لا عقاب على التّمتع بنعمه في الدنيا ولا عذاب في الآخرة.

﴿فَأَعْرَضُوا۟﴾ عمّا جاء به إليهم أنبياؤهم، وكانوا ثلاثة عشر نبيًّا دعوهم إلى الله، وذكّروهم نعمه، فكذّبوهم وقالوا: ما نعرف لله نعمة. فسلّط الله عليهم الجرذ، فأراً أعمى توالد فيه، ويسمّى الخُلْد[٣]، فخرقه شيئاً بعد شيء، وأرسل سيلاً في ذلك الوادي، فحمل ذلك السّد.

فروي أنه كان من العظم وكثرة الماء بحيث ملأ ما بين الجبلين، وحمل الجنات وكثيراً من الناس ممّن لم يمكنهم الفرار. وروي أنه لما خُرق السّد، كان ذلك سبب يبس الجنّات فهلكت بهذا.

---

(١) المكتل: شبه الزّنبيل.

(٢) ق: والمضاف.

(٣) ق: الجلد.

وقال ابن عباس: «العَرِم» الشديد، فاحتمل أن يكون صفة للسيل، أضيف الموصوف إلى صفته والتقدير: السّيل العرم، أو صفة لموصوف محذوف أي: سيل المطر الشديد الذي كان عنه السيل، أو سيل الجرذ العرم، فالعرم صفة للجرذ. وقيل: العرم اسم الجرذ بنفسه وأضيف السيل إليه لكونه كان السبب في خراب السّد الذي حمله السّيل، والإضافة تكون بأدنى ملابسة.

ولمّا غرق من غرق منهم، ونجا من نجا، تفرّقوا وتمزّقوا حتى ضربت العرب المثل بهم فقالوا: تفرقوا أيادي سبأ وأيدي سبأ(١). قيل: والأوس والخزرج منهم.

وعن ابن عباس: كان سيل ذلك الوادي يصل إلى مكّة ويُنتفع به، وكان سيل العرم في ملك ذي الاذعار بن حسان في الفترة التي بين عيسى عليه السلام ونبيّنا محمد [٤٥٧/ ب] ﷺ.

ودخلت الباء في بـ«جنتيهم» على الزّائل. وانتصب ما كان بدلاً وهو قوله «جنتين» على المعهود في لسان العرب. ويسمّى هذا المعوّض «جنّتين» على سبيل المقابلة؛ لأن ما كان فيه خمط واثل وسدر لا يسمّى جنّة، لأنها أشجار لا يكاد يُنتفع بها. وجاءت تثنية ذات على الأفصح في ردّ عينها في التّثنية فقال ﴿ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ ﴾ كما جاء ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الرحمن].

وقرىء: أُكُلِ خَمْطٍ، بالإضافة على حذف مضاف، أي: ثمر خمط.

وقرىء بالتنوين، و«خمط» بدلاً من «أكل». وقرىء بالنصب خمطاً، ونصب ما بعدها بدلاً من قوله «جنّتين».

---

(١) انظر المستقصى ٢: ٨٨.

قال أبو عبيدة: الخمط كل شجرة مرّة ذات شوك. والأثل: شجر وهو ضرب من الطّرْفاء[١]. والسّدر، قال الفراء: هو السمر، وقال الأزهري: السّدر سدران: سدر لا يُنتفع به ولا يصلح ورقة للغَسول وله ثمرة عَفِصَة[٢] لا تؤكل وهو الذي يسمّى الضّال. وسدر ينبت[٣] على الماء وثمره النّبْق وورقه غَسول[٤]، يشبه شجر العنّاب.

«ذلك» إشارة إلى إرسال السيل وتبديل الجنّتين. و«ما» مصدرية، والباء سببية.

﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ﴾ أي: بذلك الجزاء إلا الكفور.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ الآية، جاءت هذه الجملة بعد قوله «وبَدّلناهُم»؛ وذلك أنه لما ذكر ما أنعم به عليهم من جنّتيهم، وذكر تبديلهما بالخمط والأثل والسدر - ذكر ما أنعم به عليهم من اتّصال قراهم، وذكر تبديلها بالمفاوز والبراري. وصف تعالى حالهم قبل مجيء السيل، وهي أنه - مع ما كان منحهم من الجنّتين والنّعمة الخاصّة بهم - كان قد أصلح لهم البلاد المتّصلة بهم، وعمرها، وجعلهم أربابها[٥]، وقدّر السّير بأن قرّب بعضها من بعض.

قال ابن عطية: حتى كان المسافر من مأرب إلى الشام يبيت في قرية ويقيل في أخرى ولا يحتاج إلى حمل زاد.

---

(١) الواحدة طَرَفة، وبه سُمّي طرفة بن العبد.

(٢) عفصة: فيها تقبُّض.

(٣) ق: نبتت.

(٤) ق: الغسول.

(٥) ق: أرباباً.

و﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ المدن.

[﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾] قال الزمخشري[١]: [وقلنا لهم سيروا] ولاقول ثمَّ، ولكنهم لمّا مُكّنوا من السّير، وسُوّيت لهم أسبابه، فكأنهم أمروا بذلك، وأُذن لهم فيه انتهى.

دخول الفاء في قوله: فكأنهم، لا يجوز، والصواب: كأنهم[٢] لأنه خبر لكنّهم.

وقرىء: ربَّنا، على النداء. باعِدْ، فعل من باعَدَ. وبَعِّدْ فعل أمر من بَعَّدَ. وقرىء: ربُّنا، بالرفع على الابتداء: باعَدَ، فعلاً ماضياً في موضع الخبر.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بتكذيب الرسل.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ أي: عظاتٍ وعبراً[٣] يُتحدّث بهم ويُتمثّل.

﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ أي: تعريفاً اتّخذه الناس مثلاً مضروباً، وقال كثيّر عزّة[٤]: [من الطويل]

أيادي سبا يا عزَّ ما كنت بعدكم فلم يَحْلُ للعينين بعدكِ منظرُ

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ أي: في قصص هؤلاء. «لآيات» أي: علامات. «لكل صبار» عن المعاصي وعلى الطاعات. «شكور» للنعم.

---

(١) الكشاف ٣: ٢٨٦.

(٢) ق: كأنه. وهي في الكشاف: كأنهم، بلا فاء.

(٣) ق: وعبر.

(٤) ديوانه ص٣٢٨.

والظاهر أن الضمير في «عليهم» عائد على ما[1] قبله من أهل سبأ. وقيل: هو لبني آدم. وقرىء: صدّق، بشدّ الدّال، وانتصب «ظنه» على أنه مفعول به «الصدّق»، والمعنى، وجد ظنّه صادقاً، أي: ظنّ شيئاً فوقع ما ظنّ.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ﴾ أي: لإبليس. «عليهم من سلطان» أي: من تسلّط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء. وعلّل التسلّط بالعلم والمراد ما تعلّق به العلم وهي تميّز المؤمن بالآخرة من الشاكّ فيها.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ (٢٣) ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٧) وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٩) قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)﴾.

﴿قُلِ [ٱدْعُوا۟] ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، «قل» أمر لمحمد ﷺ، أي: قل للمشركين. «ادعوا الذين زعمتم» وهم معبوداتهم من الملائكة والأصنام. وهو أمر بدعاء، هو تعجيز وإقامة حجّة. وروي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشاً، أي: ادعوهم ليكشفوا عنكم ما حلّ بكم، والتجئوا

(١) ق: من.

إليهم فيما يعنّ لكم. وزعم من الأفعال التي تتعدى إلى اثنين، إذا كانت اعتقادية، والمفعول الأول هو الضمير المحذوف العائد على «الذين»، والثاني محذوف أيضاً لدلالة المعنى عليه، ونابت صفته منابه، التقدير: الذين زعمتموهم آلهةً من دونه، لا يملكون ملك أحقر الأشياء، وهو مثقال ذره. ثم نفى الشركة، ثم نفى الإعانة بقوله «من ظهير» وهو المعين.

ولما كان من العرب من يعبد الملائكة، لتشفع له، نفى أن شفاعتهم تنفع. والنفي منسحب على الشفاعة، أي: لا شفاعة لهم فتنفع.

﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ استثناء مفرّغ فالمستثنى منه محذوف تقديره: ولاتنفع الشفاعة لأحد إلّا لمن أذن الله له.

﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عطية: تظاهرت الأحاديث[1] عن رسول الله ﷺ أن قوله «حتى إذا فزّع» إنما هي في الملائكة، إذا سمعت الوحي إلىٰ جبريل عليه السلام، وبالأمر يأمر الله تعالى به، سمعت كجّر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة.

﴿۞قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ الآية، خطاب للكفّار وسؤال لهم عمّن يرزقهم. وأمره[2] تعالى أن يجيب عاجلاً بقوله «قل الله» إذ [قد يصدر] منهم العناد فلا يقولون[3]: الله، ولا يمكن أن يقولوا آلهتهم.

وقوله «وإنا» الضمير عائد للمؤمنين. «أو إياكم» ضمير الكفّار. «العلى

---

(١) انظر مثلاً البخاري ٤: ١٨٠٤.

(٢) ق: وأمر.

(٣) ق: فقد لا يقولون.

هدى» راجع للمومنين. «أو في ضلال» راجع للكفار. وأورد ذلك[١] بـ«أو» التي تقتضي الترديد بين شيئين، وإن كان في العقل التمييز بين الشيئين. ومعلوم أن المؤمن لا يتساوى مع الكافر، ومما يشبه هذا قول الشاعر[٢]:

[من الوافر]

فـأيّـي مـا وأيّـك كـان شـرّاً ... فسيق إلى المقادة في هوان

فردّد بينه وبين مخاطبه في الشر، ومعلوم عنده أن صاحبه هو[٤٥٨/ب] الشّر.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أطلق على عمل المؤمن إجراماً باعتقاد الكافر فيه ذلك.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ أي: يوم القيامة. ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ أي: يحكم. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل، فيدخل المؤمنين الجنة والكفار النار.

و«الفتاح» و«العليم» صيغتا[٣] مبالغة وهذا فيه تهديد وتوبيخ.

«إلا كافة» قيل: هو حال من الضمير في «أرسلناك» والهاء للمبالغة كقولهم: علاّمة، للرجل كثير العلم. والمعنى: إلا جامعاً للناس في الإبلاغ. وقيل: فيه تقديم وتأخير والتقدير: إلا للناس كافة، ومعناها جميعاً، فيكون حالاً من الناس. ومعناها التأكيد، كأنه قيل: للناس كلهم.

قال الزمخشري[٤]: «إلا كافة للناس» أي: إلا إرساله عامة لهم محيطة

---

(١) ق: لك.

(٢) لم أجده.

(٣) ق: صفتا.

(٤) الكشاف ٣: ٢٩٠.

بهم، لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم. قال: ومن جعله حالاً من المجرور متقدّماً عليه فقد أخطأ، لأنّ تقدم[١] حال المجرور عليه في الإحالة[٢] بمنزلة تقدّم المجرور على الجار. وكم ترى ممّن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى، لأنه لا يستوي له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني، فلا بدّ له من ارتكاب الخطأين انتهى.

أما قوله: كافة بمعنى عامة، فالمنقول عن النحويين أنها لا تكون إلا حالاً، ولم يُتصرّف فيها بغير ذلك، فجَعْلها صفة لمصدر محذوف خروج عما نقلوا. ولا يُحفظ أيضاً استعمالها صفة لموصوف محذوف.

وأما قول الزمخشري: ومن جعله حالاً إلى آخره، فذلك مختلف فيه؛ ذهب الأكثرون إلى أن ذلك لايجوز، وذهب أبو علي وابن كيسان وابن برهان ومن معاصرينا ابن مالك، إلى أنه يجوز[٣] وهو الصحيح. ومن أمثلة أبي عليّ: زيدٌ خيرَ ما يكون خيرٌ منك، التقدير: زيد خيرٌ منك خيرَ ما يكون. فجعل «خيرَ ما يكون» حالاً من الكاف في منك وقدّمها عليه. وقال الشاعر[٤]:
[من الطويل]

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً   فمطلبها كهلاً عليه شديد

أي فمطلبها عليه كهلاً شديد. وقال آخر[٥]: [من الطويل]

تسلّيتُ طرّاً عنكمُ بعد بينِكم   بذكراكمُ حتى كأنكمُ عندي

(١) ق: يقدم.

(٢) ق: الإحاطة.

(٣) ق: لا يجوز.

(٤) البيت للمعلوط السعدي في شرح ديوان الحماسة ٣: ١١٤٨.

(٥) البيت في المقاصد النحوية ٣: ١٦٠ غير منسوب.

أي تسلّيت عنكم طرّاً أي: جميعاً. وقد جاء تقديم الحال على صاحبه المجرور وعلى ما يتعلّق به، ومن ذلك قول الشاعر[١]: [من الكامل]

مشغوفةً بك قد شُغفتُ وإنما حُمَّ[٢] الفراق فما إليك سبيلُ

وقال [آخر][٣]: [من الخفيف]

غـافـلاً تعـرض المنيّـة للمـرء فيُـدعـى ولات حيـنَ إبـاءِ

أي: شُغفتُ بك مشغوفةً، وتعرض المنية للمرء غافلاً.

وإذا جاز تقديمها على المجرور والعامل، فتقديمها عليه دون العامل أجوز.

وقول الزمخشري: وكم ترى ممّن يرتكب هذا الخطأ إلى آخر كلامه، تشنيع، لأن قائل ذلك [٤٥٩/أ] لا يحتاج إلى أن يتأول اللام بمعنى إلى. وأرسل يتعدى باللام كقوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء] ولو تأوّل اللام بمعنى إلى لم يكن ذلك خطأ لأن اللام قد جاءت بمعنى إلى، وإلى جاءت بمعنى اللام. وأرسل، مما جاء متعدّياً بهما إلى المجرور.

والظاهر أن الميعاد اسم على وزن مفعال، استعمل بمعنى المصدر أي: قل لكم وقوع يوم ونحوه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ

(١) البيت في المقاصد النحوية ٣: ١٦٢ غير منسوب.

(٢) ق: حتم.

(٣) البيت أيضاً في المقاصد النحوية ٣: ١٦١ غير منسوب

ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم مشركوا قريش ومن جرى مجراهم. والمشهور أن ﴿بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ التوراة والأنجيل، وما تقدّم من الكتب الإلهية.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أخبر عن حالهم في صيغة التعجب منها. و«ترى» في معنى رأيت لإعمالها في الظرف الماضي. ومفعول «ترى» محذوف أي: حالَ الظالمين إذ هم موقوفون. وجواب «لو» محذوف أي: لرأيت لهم حالة منكرة من ذلّهم وتحاورهم(١) وتجادلهم حيث لا ينفعهم شيء من ذلك.

ثم فسّر ذلك الرجوع والجدل بأن الأتباع - وهم الذين استُضعفوا - قالوا لرؤسائهم على جهة التّذنيب والتّوبيخ وردّ اللائمة عليهم ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنتم أغويتمونا وأمرتمونا بالكفر. فقال لهم رؤساؤهم ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ﴾ فأتوا بالاسم بعد أداة الاستفهام إنكاراً لأن يكونوا هم(٢) الذين صدّوهم، بل صددتم من قبل أنفسكم وباختياركم، كأنهم قالوا: أنحن أجبرناكم(٣) وحُلْنا بينكم وبين الذكر بعد أن صمّمتم على الدخول في الإيمان، بل أنتم منعتم أنفسكم حظّها، وآثرتم الضلال على الهدى، فكنتم

---

(١) وتجاورهم.

(٢) ق: لا أن يكون هم.

(٣) ق: أخبرناكم.

مجرمين كافرين باختياركم لا بقولنا وتسويلنا.

ولمّا أنكر رؤساؤهم أنهم السبب في كفرهم، وأثبتوا بقولهم «بل كنتم مجرمين» أن كفرهم هو من قبل أنفسهم، قابلوا إضراباً بإضراب، فقال الأتباع «بل مكر الليل والنهار» أي: ما كان إجرامنا من جهتنا، بل مكركم لنا دائماً ومخادعتكم لنا ليلاً ونهاراً، إذ تأمروننا ونحن أتباع لا نقدر على مخالفتكم، مطيعون لكم باستيلائكم علينا بالكفر بالله واتّخاذ الأنداد.

وأضيف المكر(١) إلى الليل والنهار، واتُّسع في الظرفين، فهما في موضع نصب على المفعول به على السّعة، أو في موضع رفع على الإسناد المجازي كما قالوا: ليل نائم. والأولى أن يرتفع «مكر» على الفاعلية، أي: بل صدّنا مكركم بالليل والنهار.

«إذ» معمول «لِمَكْر». «وأسروا» الضمير عائد للجميع وهم الظالمون الموقوفون. «وأسرُّوا» تقدّم الكلام عليه(٢). و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ هم الذين سبقت منهم المحاورة. وجَعْل الأغلال إشارة إلى كيفية العذاب، قطعوا بأنهم واقعون فيه.

﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ﴾ استفهام معناه النفي، ولذلك دخلت «إلا» بعد النفي.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ

(١) ق: المكرر.

(٢) انظر تفسير الآية ٥٤ من يونس.

أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ الآية هذه تسلية لرسول الله صلى الله [٤٥٩/ب] عليه وسلم ممّا مُني به من قومه قريش من الكفر والافتخار بالأموال والأولاد، وأن ما ذكروا من ذلك هو عادة المترفين مع أنبيائهم، فلا يهمنّك أمرهم. «من نذير» عامّ، أي: ينذرهم بعذاب الله تعالى إن لم يوحّدوه.

و﴿ قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾ جملة حالية. ونصّ على المترفين لأنهم أول المكذّبين للرسل لِمَا شُغلوا به من زخرف الدنيا، بخلاف الفقراء، فإنهم خالون من مستلذات الدنيا. و«بما» متعلّق بـ«كافرون». و«ربه» متعلق بـ«أرسلتم». و«ما» عامّة فيما جاءت به النُّذُر من طلب الإيمان بالله تعالى وإفراده[1] بالعبادة، والإخبار بأنهم رسله إليهم والبعث والجزاء على الأعمال.

والظاهر أن الضمير في «قالوا» عائد على المترفين: وقيل: عائد على قريش، ويدل عليه ما بعده من الخطاب في قوله ﴿ بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ]. والظاهر[2] أن هذا الموصول أريد به الأموال والأولاد.

﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ ﴾ الظاهر أنه استثناء منقطع، وهو منصوب على الاستثناء، أي: لكن من آمن وعمل صالحاً، فإيمانه وعمله يقرّبانه.

(١) ق: وانفراده.

(٢) ق: الظاهر.

وقال الزّجاج: «إلا من آمن» هو بدل من الكاف والميم في «تقرّبكم».

وقال النحاس: هذا غلط، لأن الكاف والميم للمخاطب، فلا يجوز البدل، ولو جاز هذا لجاز: رأيتك زيداً. وقول أبي إسحاق هذا هو قول الفراء انتهى.

ومذهب الأخفش والكوفيين أنه يجوز أن يبدل [من] ضمير المخاطب والمتكلم، لكن البدل في الآية لا يصحّ. ألا ترى أنه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة لما بعد إلا، لو قلت: ما زيد بالذي يضرب إلا خالداً لم يصحّ. وتخيّل الزجاج أن الصلة وإن كانت من حيث المعنى منفيّة أنه يجوز البدل. وليس بجائز إلا فيما يصحّ التفريغ [له].

قال الزمخشري[1]: «إلا من» استثناء من «كُم» في «تقربكم»، والمعنى أن الأموال لا تقرّب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرّب أحداً إلا من علّمهم الخير، وفقّههم في الدين، ورشّحهم للصلاح والطاعة انتهى.

اتّبع الزّجاج في ذلك، وهو لا يجوز كما ذكرنا. لا يجوز: ما زيد بالذي يخرج إلا أخوه، ولا: ما زيد بالذي يضرب إلا عَمْراً، ولا ما زيد بالذي يمر إلا ببكر. والتركيب الذي ركّبه الزمخشري من قوله: لا تقرّب أحداً إلا المؤمن، غير موافق للتركيب القرآني، ففي الذي ركّبه يجوز ما قال، وفي لفظ القرآن لا يجوز.

وأجاز الفراء[2] أن يكون «مَن» في موضع رفع، وتقدير الكلام عنده: ما

---

(١) الكشاف ٣: ٢٩٢.

(٢) انظر معاني القرآن ٢: ٣٦٣.

هذا[١] المقرّب إلا من آمن انتهى.

وقوله كلام لا يتحصل منه معنى، كأنه كان نائماً حين قال ذلك!!.

وقرىء: جزاءُ، مضافاً إلى الضعف، ومعناه: يجزيهم الله الضعف، أي: يضاعف لهم الحسنات. وقرىء: جزاءٌ، منوّناً. الضِّعفُ [٤٦٠/أ] بالرفع، فالضّعف بدل.

﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ أي: في العلالي.

ولمّا ذكر جزاء من آمن، ذكر عقاب من كفر، ليظهر تفاوت ما بين الشيئين.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ[٢]﴾ تقدم الكلام عليه[٣].

ومعنى ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ أي: يأتي بالخلف والعوض منه وكان لفظ «من عباده» مشعراً بالمؤمنين، وكذلك الخطاب في «وما أنفقتم» فقصد هنا رزق المؤمنين. فليس مساق «قل إن ربي يبسط» مساق ما قيل للكفار، بل مساق الوعظ والتّزهيد في الدنيا، والحضّ على النّفقة في طاعة الله تعالى وإخلاف ما أنفق إما منجزاً في الدنيا وإما مؤجّلاً في الآخرة، وهو مشروط بقصد وجه الله تعالى.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى

(١) ق: ماهو المقرب.

(٢) ق: سعوا.

(٣) انظر تفسير الآية ٥١ من الحج.

كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ[1] جَمِيعًا﴾ أي: المكذبين من تقدّم ومن تأخّر. وخطاب الملائكة تقريع للكفّار، وقد علم تعالى أن الملائكة منزّهون بُرَآءُ ممّا وجّه عليهم من السؤال، وإنما ذلك على طريق توقيف الكفار على سوء ما ارتكبوه، من عبادة غير الله تعالى، وأن من عبدوه متبرىء منهم. و«أهؤلاء» مبتدأ، وخبره «كانوا يعبدون»، و«إياكم» مفعول «يعبدون» لمّا تقدّم انفصل. وإنما قُدّم لأنه أبلغ في الخطاب، ولكون «يعبدون» فاصلة [فلو أتى بالضمير متصلاً كان التركيب: يعبدونكم، ولم يكن فاصلة]. واستُدلّ بتقديم هذا المعمول على جواز تقديم خبر كان عليها إذا كان جملة.

ولما أجابوا الله تعالى، بدؤوا بتنزيهه وبراءته من كل سوء كما قال عيسى عليه السلام[2]، ثم انتسبوا إلى موالاته دون أولئك الكفرة، أي: أنت وليّنا إذ لا موالاة بيننا وبينهم.

وفي قولهم ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ إشعار أنهم ما عبدوهم[3]، وإن لم

---

(١) ق: نحشرهم.

(٢) ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة].

(٣) ق: عبدوه.

يصرّح به، ولكن الإضراب ببل يدلّ عليه، وذلك لأن المعبود إذا لم يكن راضياً بعبادة عابده مريداً لها، لم يكن ذلك العابد عابداً له حقيقة، فلذلك قالوا «بل كانوا يعبدون الجن» لأن أفعالهم القبيحة هي من وسوسة الشياطين وإغوائهم ومراداتهم، فهم عابدون لهم حقيقة، إذ الشياطين راضون بتلك الأفعال.

والإشارة بقوله ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾ إلى تالي الآيات المفهوم من قوله ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ وهو رسول الله ﷺ. وحكى تعالى مطاعِنَهم عند تلاوة القرآن عليهم، فبدؤوا أولاً بالطعن في التّالي بأنه يقدح في معبودات آلهتكم، ثم ثانياً فيما جاء به الرسول عليه السلام من القرآن بأنه كذب مختلق من عنده، وليس من عند الله تعالى، وثالثاً بأن ما جاء به سحر واضح لما اشتمل على ما يوجب الاستمالة وتأثير النفوس له وإجابته. فطعنوا في الرسول عليه السلام وفيما جاء به وفي وصفه. ويحتمل أن يكون ذلك صدر من مجموعهم، ويحتمل أن يكون كل جملة منها قالها [٤٦٠/ب] قوم غير من قال الجملة الأخرى.

وفي قولهم ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ دليل على أنه حين جاءهم، لم يفكّروا فيه، بل بادهوه بالإنكار ونسبته إلى السحر. ولم يكتفوا بقولهم إنه سحر حتى وصفوه بأنه واضح لمن يتأمّله. وقيل: إنكار القرآن والمعجزة كان متّفقاً عليه من المشركين وأهل الكتاب، فقال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾ على وجه العموم.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الآية، «وما آتيناهم» [أي] أهل مكة. «من كتب» من عندنا فيعلموا[1] بدراستها بطلان ما جئت به.

(١) ق: فيعلمون.

ومعنى «قبلك» أي: ما أرسلنا من نذير شافههم بشيء، ولا باشر[1] أهل عصرهم ولا من قَرُب من آبائهم، وقد كانت النذارة في العالم وفي العرب مع شعيب وغيره. ودعوة الله قائمة لا تخلو الأرض من داعٍ إليه.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ توعُّدٌ لهم[2] بمن تقدّمهم من الأمم وما آل إليه أمرهم، وتسلية لرسول الله ﷺ بأن عادتهم في التكذيب عادة الأمم السابقة، وسيحلّ بهم ما حلّ بأولئك.

والظاهر أن الضميرين في «بلغوا» وفي «آتيناهم» عائدان على «الذين من قبلهم» ليتناسقا مع قوله «فكذبوا» أي: ما بلغوا في شكر النعمة وجزاء المنّة معشار ما آتيناهم من النعم والإحسان إليهم. وحين كذّبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتّدمير والاستئصال، ولم يُغْنِ عنهم ما كانوا فيه من القوة.

والمعشار: مفعال من العشر. ولم يُبْنَ على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير المرباع، ومعناهما العشر والرّبع، وقال قوم: المعشار عُشْر العُشْر.

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ

---

(١) ق: يباشر.

(٢) ق: تعالى عدلهم.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ۝٥٤﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ قال السدّي: هي لا إلا إلا الله، وقيل غير ذلك. والمعنى: إنما أعظكم بواحدة، فيها إصابتكم الحق، وخلاصكم، وهي أن تقوموا لوجه الله تعالى متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً.

قال الزمخشري[1]: «بواحدة» بخصلة واحدة وهو فسّرها بقوله «أن تقوموا» على أنه عطف بيان لها انتهى.

هذا لا يجوز لأنّ «بواحدة» نكرة، و«أن تقوموا» معرفة لتقديره: قيامكم لله. وعطف البيان فيه مذهبان: أحدهما أنه يشترط فيه أن يكون معرفة من معرفة، وهو مذهب البصريين، والثاني أنه يتبع ما قبله في التعريف والتنكير، وهو مذهب الكوفيين. وأمّا التّخالف فلم يذهب إليه ذاهب إنما هو وهم من قائله.

وقد ردّ النحويون على الزمخشري في قوله إن «مقام إبراهيم» عطف بيان من قوله «آيات بينات»[2] وذلك لأجل التّخالف فكذلك هذا.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ أي: في[3] أمر محمد ﷺ وما جاء به.

وإنما قال ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ لأن الجماعة يكون مع [٤٦١/أ] اجتماعها تشويش الخاطر والمنع من الفكر وتخليط الكلام والتعصّب للمذاهب.

---

(١) الكشاف ٣: ٢٩٤.

(٢) الآية ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۝٩٧﴾ [آل عمران].

(٣) ق: أي زائد في.

وانتصب «مثنى وفرادى» على الحال. وقدّم «مثنى» لأن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أجدى من فكرة واحدة، فإذا انقدح الحق بين الاثنين، فكّر كلّ واحد بعد ذلك فيزيد بصيرة. وقال الشاعر[1]: [من الطويل]

إذا اجتمعوا جاؤوا بكلّ غريبةٍ ... فيزداد بعض القوم من بعضهم علما

«ثم تتفكروا» عطف على «أن تقوموا» والفكرة هنا في حال رسول الله ﷺ، وفيما نسبوه إليه، فإن الفكرة تهدي غالباً إلى الصواب.

والوقف عند أبي حاتم عند قوله «ثم تتفكروا»، و«ما يصاحبكم من جنة» نفي مستأنف. والذي يظهر أن الفعل معلّق عن الجملة المنفيّة، فهو في موضع نصب على إسقاط في.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ فيه التبرّؤ من طلب الدنيا ومن طلب الأجر على النور الذي أتى به، والتوكّل على الله والأجر [عنده]. واحتملت «ما» أن تكون موصولة مبتدأ، والعائد من الصلة محذوف تقديره: سألتكموه، و«فهو لكم» الخبر، ودخلت الفاء لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. واحتملت أن تكون «ما» شرطية مفعولة بـ«سألتكم»، و«فهو لكم» جملة هي جواب الشرط.

والظاهر أن «بالحق» هو المفعول، فالحق هو المقذوف به.

قال الزمخشري[2]: رَفْع «علاّمُ» محمول على محل إنّ واسمها، أو على المستكنّ في «يقذف»، أو هو خبر مبتدأ محذوف انتهى.

(١) لم أجده.

(٢) الكشاف ٣: ٢٩٥.

أما الحمل على محلّ إنّ واسمها فهو [غير] مذهب سيبويه، فليس بصحيح عند أصحابنا على ما قررناه في كتب النحو. وأما قوله: على المستكنّ في «يقذف» فلم يبيّن وجه حمله، وكأنه يريد أنه بدل من ضمير «يقذف».

ولمّا ذكر تعالى أنه ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ بصيغة المضارع، أخبر أن الحق قد جاء، وهو القرآن والوحي، وبطل ما سواه من الأديان، فلم يَبْقَ لغير الإسلام ثبات، لا في بدءٍ ولا في عاقبة، فلا يُخاف على الإسلام ما يبطله.

﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾ ثَمّ محذوف تقديره: فاهتدائي، وهو مبتدأ خبره «فيما يوحي إلي ربي» أي: كائن بما يوحي. و«ما» مصدرية أي: بإيحاء ربّي. أو موصولة بمعنى الذي، و«يوحي» صلته والضمير محذوف تقديره: يوحيه.

والظاهر أن قوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ أنه وقت البعث وقيام الساعة. وعبّر بـ«فزعوا» و«أُخذوا» و«قالوا» و«حيل» بلفظ الماضي لتحقّق وقوعه بالخبر الصادق.

وقال ابن عباس والضحّاك: هذا في عذاب الدنيا.

ومفعول «ترى»[1] محذوف أي: ولو ترى الكفار إذ فزعوا.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: لا يفوتون الله تعالى، ولا مهرب لهم عمّا [٤٦١/ب] يريده بهم.

﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: من مساكنهم.

والضمير في «به» عائد على الله تعالى. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ قال ابن

---

(١) ق: يرى.

عباس: الرجوع إلى الدنيا، وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون، وهو أن ينفعهم إيمانهم في الدنيا.

مثّل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بُعْد كما يتناوله الآخر من قرب. وقرىء: التناوش، بالواو، وبهمزةٍ بَدَلَها.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِۦ﴾ الضمير في «به» عائد على ما عاد عليه «آمنّا به»، والجملة حالية.

و﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل نزول العذاب.

وقرىء: ويقذفون، مبنيًّا للفاعل حكاية حال متقدّمة، قال الحسن: قولهم لا جنّة ولا نار.

«بعيد» أي: من جهة بعيدة لأنّ نسبته إلى شيء من ذلك أبعد الأشياء.

وقرأ مجاهد وأبو حيوة ومحبوب عن أبي عمرو: ويُقذفون، مبنيًّا للمفعول، معناه يُرمون بالغيب من حيث لا يعلمون، ومعناه يجازون على سوء أعمالهم.

﴿وَحِيلَ﴾ هو مبني للمفعول، وقبل البناء كان حالَ، وهو فعل لا يتعدّى، وقال الشاعر[1]: [من الطويل]

وقد حال همٌّ دون ذلك شاغلٌ   مكان الشَّغافِ تبتغيه الأصابعُ

فعلى هذا يكون المُقام مقام الفاعل ضميرَ المصدر المفهوم من قوله «حيل» كأنه قيل: وحيل هو، أي: الحول. والذي يشتهون: الرجوع إلى الدنيا.

---

(١) البيت للنابغة في ديوانه ص٤٥.

قاله ابن عباس. ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ أي: بأشباههم من كفرة الأمم، أي: حيل بينهم وبين مشتهياتهم.

و﴿مِّن قَبْلُ﴾ يصحّ أن يكون متعلّقا بـ«أشياعهم» أي: من اتّصف بصفاتهم من قبل، أي: في الزّمان الأول، ويترجّح بأنّ ما يُفعل بجميعهم إنما هو في وقت واحد. ويصحّ أن يكون متعلّقاً بـ«فُعل» إذا كانت الحيلولة في الدنيا.

سورة فاطر(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية بلا خلاف. ولما ذكر تعالى في آخر السورة التي قبلها هلاك المشركين، وأنزلهم منازل العذاب، تعيّن على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه.

ومعنى ﴿ رُسُلًا ﴾ بالوحي وغيره من أوامره، ولا يريد جميع الملائكة، لأنهم ليسوا كلهم رسلاً، فمن الرسل جبريل عليه السلام وميكائيل وإسرافيل

---

(1) مكية وهي خمس وأربعون آية.

وعزرائيل، والملائكة المتعاقبون والملائكة المسدّدون حكام العدل وغيرهم، كالملك الذي أرسله الله تعالى إلى الأعمى والأبرص والأقرع.

و«أجنحة» جمع جناح.

وتقدّم الكلام على ﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ في النساء[1].

[٤٦٢/أ] ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ تقرير لما يقع في النفوس من التعجب والاستغراب من خبر الملائكة أولي الأجنحة، أي: ليس هذا ببدع في قدرة الله تعالى، فإنه يزيد في خلقه ما يشاء.

«ما يفتح الله» الفتح والإرسال استعارة للإطلاق «فلا مرسل له» مكان: لا فاتح له، والمعنى: أي شيء يطلق الله من رحمته، أي: من نعمة رزق أو مطر أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها. والعموم مفهوم من اسم الشرط، و«من رحمة» لبيان ذلك العام من أي صنف هو. وهو مما اجتزىء فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرّف المطابق في العموم لاسم الشرط، وتقديره: من الرحمات. و«من» في موضع الحال أي: كائناً من الرحمات، ولا يكون في موضع الصفة لأن اسم الشرط لا يوصف. والظاهر أن قوله «وما يمسك» عام في الرحمة وفي غيرها، لأنه لم يذكر له تبيين، فهو باقٍ على العموم في كل ما يمسك.

فإن كان تفسيره: من رحمة، وحذفت لدلالة الأول عليه، فيكون تذكير الضمير في «فلا مرسل له من بعده» حملاً على لفظ «ما»، وأنّث في «فلا ممسك لها» حملاً على معنى «ما» لأن معناها الرحمة. وقرىء: فلا مرسل[2]

(١) انظر تفسير الآية ٣ من النساء.

(٢) ق: ممسك.

لها، بتأنيث الضمير، وهو دليل على أن التفسير هو: من رحمة، وحذف لدلالة ما قبله عليه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ خطاب لقريش، وهو متجّه لكّل مؤمن وكافر. ثم استفهم على جهة التقرير ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ أي: فلا إله إلا الخالق لا ما تعبدون أنتم من الأصنام. وقرىء: غيرِ، بالخفض نعتاً على اللفظ. وغيرُ، بالرفع نعتاً على الموضع و«مِن» زائدة، و«خالق» مبتدأ وخبره محذوف لدلالة المعنى، تقديره: لكم.

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ تقدّم الكلام عليه[1].

﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ شامل لجميع ما وعد من ثواب وعقاب وغير ذلك.

﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ﴾ تقدّم الكلام عليه في لقمان[2].

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ عداوته سبقت لأبينا آدم عليه السلام.

و﴿ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ اللام فيها للتعليل، فدعاؤه حزبه ليشتركوا معه في النار، ولتظهر ثمرة إغوائه.

ثم اتبع حزبه بما أعدّ لهم من العذاب، وذكر بعد ذلك ما أعد لأهل الإيمان، ليظهر التّباين بين الفريقين.

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ ﴾ «مَن» مبتدأ موصول بمعنى الذي، وخبره محذوف تقديره: كمن لم يُزيَّن له سوء عمله.

---

(١) انظر تفسير الآية ٤٢ من الحج.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٣ من لقمان.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ.

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ الحسرة همّ النفس على فوات أمر. وانتصب «حسرات» على أنه مفعول من أجله، أي: فلا تهلك نفسك للحسرات. و«عليهم» متعلق بـ«تذهب» كما تقول: هلك عليه حباً ومات عليه حزناً، وهو[1] بيان للتحسّر [٤٦٢/ب] عليه، ولا يتعلّق بـ«حسرات» لأنه مصدر فلا يتقدم معموله عليه.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ الآية، لمّا ذكر أشياء من الأمور السماوية وإرسال

(١) ق: أوهو.

الملائكة[١]، ذكر أشياء من الأمور الأرضية: الرياح وإرسالها - وفي هذا احتجاج على منكري البعث - ودلّهم على المثال الذي يعاينونه[٢]، وهو وإحياء الموتى سيّان.

وفي الحديث[٣] «أنه قيل لرسول الله ﷺ: كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه؟. فقال: هل مررت بوادي أَهْلِك محلاً ثم مررت به يهتزّ خَضِراً؟. فقالوا: نعم. فقال: كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه».

و﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ التوحيد والتحميد وذكر الله ونحو ذلك. وصعود الكلم إليه تعالى مجاز في الفاعل وفي المنتهي إليه؛ لأنه تعالى ليس في جهة، ولأن الكلم ألفاظ لا توصف بالصعود، لأن الصعود من الأجرام يكون، وإنما ذلك كناية عن القبول ووَصْفِه بالكمال كما يقال: علا كعبه وارتفع شأنه، ومنه: ترافعوا إلى الحاكم، ورفع الأمر إليه، وليس هناك علوّ في الجهة. ومكر: لازم. و«السيئات» نعت لمصدر محذوف أي: المكرات السّيئات، أو لمضافٍ إلى المصدر أي: أصناف المكر السيئات، أو ضمَّنَ «يمكرون» معنى: يكتسبون فنصب «السيئات» مفعولاً به وإذا كانت «السيئات» نعتاً للمصدر أو لمضافٍ للمصدر، فالظاهر أنه عنى به مكرات قريش في دار الندوة، إذ تذاكروا إحدى ثلاث مكرات، وهي المذكورة في الأنفال[٤] إثباته أو قتله أو إخراجه.

«أولئك» إشارة إلى الذين مكروا تلك المكرات.

---

(١) ذكر أشياء من الأمور السماوية وإرسال الملائكة: مكررةفي ق.

(٢) ق: يعاينوه.

(٣) انظر النهاية ٤: ٣٠٤.

(٤) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۝٣٠﴾ [الأنفال].

﴿يَبُورُ﴾ أي: يفسد ويهلك ويكسد دون مكر الله تعالى بهم إذ أخرجهم من مكة، وقتلهم، وأثبتهم في قليب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعاً، وحقق فيهم قوله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال].

و«مِن» في ﴿مِن مُّعَمَّرٍ﴾ زائدة. وسمّاه بما يؤول إليه، وهو الطويل العمر.

والظاهر أن الضمير في «من عمره» عائد على «معمّر» لفظاً ومعنى.

قال الزمخشري[1]: ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم «الله» صفة لاسم الإشارة، أو عطف بيان، و«ربكم» خبراً، لولا أن المعنى يأباه انتهى.

أما كونه صفة، فلا يجوز، لأن «الله» عَلَم والعلم لا يوصف به، وليس اسم جنس كرجل، فيُتَخَيَّل فيه الصفة. وأما قوله: لولا أن المعنى يأباه، فلا يأباه المعنى، لأنه يكون قد أخبر بأن المشار إليه بتلك الصفات والأفعال [المذكورة.

﴿رَبُّكُمْ﴾ مالككم ومصلحكم، وهذا معنى لائق سائغ].

والقطمير: تقدم شرحه[2]، والقطمير: هو القمع الذي في رأس الثمرة، وقال مجاهد: لفافة[3] النواة، وقيل غير ذلك.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ الخبير هنا أراد به تعالى نفسه [٤٦٣/أ] فهو الخبير الصادق الخبر، نبّأ بهذا فلا شك في وقوعه.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

---

(١) الكشاف ٣: ٣٠٤.

(٢) لم ترد هذه اللفظة في القرآن في غير هذه الآية.

(٣) ق: ولفافة.

أُخْرَىٰۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، هذه آية موعظة وتذكير، وإن جميع الناس محتاجون إلى إحسان الله تعالى وإنعامه في جميع أحوالهم.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه(١).

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ تقدم الكلام عليه(٢).

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ أي: نفس مثقلة [بحملها].

﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ أي: إلى حَمْل حِمْلها.

﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ أي: لا غياث يومئذ لمن استغاث ولا إعانة، حتى أنّ نفساً قد أثقلتها الأوزار، لو دعت أن يخفَّف عنها بعض وزرها، لم تُجَبْ لذلك، وإن كان المدعوّ بعض قرابتها من أبٍ أو ولد أو أخ. فالآية قبلها في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه، وأنه لا يؤاخذ [نفساً] بغير ذنبها،

(١) انظر تفسير الآية ١٣٣ من النساء.

(٢) بل مرّ بالجملة في الأنعام ١٦٤، والإسراء ١٥ دون تفسير.

وهذه في نفي الإعانة.

والحمل ما كان على الظهر في الأجرام، فاستعير للمعاني كالذنوب ونحوها، فيجعل كل محمول متّصلاً بالظّهر كقوله تعالى ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۝٣١﴾ [الأنعام]، كما جعل كل اكتساب منسوباً إلى اليد. واسم «كان» ضمير يعود على المدعوّ المفهوم من قوله «وإن تَدْعُ».

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الآية، قال أبو عبد الله الرازي[١]: وترتيب هذه المنفيّ عنها الاستواء في غاية الفصاحة: ذكر الأعمى والبصير مثلاً للمؤمن والكافر، ثم البصير ولو كان حديد النّظر لا يبصر[٢] إلاّ في ضوء، فذكر ما هو فيه الكافر من ظلمة الكفر، وما هو فيه المؤمن من نور الإيمان، ثم ذكر مآلهما، وهو أن المؤمن بإيمانه في ظل وراحة، والكافر بكفره في حرّ وتعب.

ثم ذكر مثلاً آخر في حق المؤمن والكافر؛ وذلك أن حال المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير، إذ الأعمى قد يشارك البصير في إدراكٍ ما، والكافر غير مدرك إدراكاً نافعاً فهو كالميت، ولذلك أعاد الفعل فقال ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ كأنه جعله مقام سؤال. وكرّر «لا» فيما كرّر لتأكيد المنافاة؛ فالظلمات تنافي النور وتضادّه[٣]، والظّل والحرور كذلك، والأعمى والبصير ليس كذلك، لأن الشخص الواحد قد يكون بصيراً، ثم يعرض له العمى، فلا منافاة إلا من حيث الوصف.

---

(١) تفسير الرازي ٢٦: ١٦. وقد تصرف المصنّف بعبارة الرازي تصرّفاً عظيماً.

(٢) ق: ينظر.

(٣) ق: تضادده.

والمنافاة بين الظلّ والحرور دائمة[١]، لأن المراد من الظّل عدم الحرّ والبرد، فلمّا كانت [المنافاة] أتمّ أكّد بالتكرار.

وأما الأحياء والأموات من حيث إن الجسم الواحد يكون محلاً للحياة، فيصير محلاً للموت، فالمنافاة بينهما أتمّ من المنافاة[٢] بين الأعمى والبصير؛ لأنّ هذين قد يشتركان في إدراك أشياء[٣]، ولا كذلك الحيّ والميّت، فالميت يخالف الحيّ في الحقيقة لا في الوصف على ما تبيّن[٤] في الحكمة الإلهية.

وقدّم الأشرف في [٤٦٣/ب] مَثَلين وهو الظّل والحيّ، وأخر في مثلين وهما البصير والنور، فلا يقال: لأجل السجع؛ لأن معجزة القرآن ليست في مجرّد اللفظ بل فيه وفي المعنى.

ثم لمّا ذكر المآل والمرجع قدّم ما يتعلّق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب كما جاء «سبقت رحمتي غضبي»[٥] فقدّم الظّل على الحرور.

ثم إنّ الكافر المصرّ بعد البعثة صار أضلّ من الأعمى، وشابه الأموات في عدم إدراك الحق فقال «وما يستوي الأحياء» وهم الذين آمنوا بما[٦] أنزل الله «ولا الأموات» الذين تُليت عليهم الآيات البيّنات، ولم ينتفعوا بها، وهؤلاء كانوا بعد إيمان من آمن، فأخّرهم لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين.

---

(١) في تفسير الرازي: ذاتية.

(٢) ق: من الفائدة.

(٣) ق: إدراكِ ما.

(٤) ق: بين.

(٥) أخرجه البخاري ٦: ٢٦٩٤، ومسلم ٤: ٢١٠٧ من حديث أبي هريرة.

(٦) ق: والذين آمنوا أي زائد بما.

وأفرد الأعمى والبصير لأنه قابل الجنس بالجنس؛ إذ قد يوجد في أفراد العميان ما يساوي به بعض أفراد البصراء، كأعمى عنده من الذكاء ما يساوي به البصير البليد، فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الأفراد.

وجُمعت الظلمات لأن طرق الكفر متعدّدة، وأفرد النور لأنّ التوحيد والحق واحد، والتفاوت بين كل فرد من تلك الأفراد وبين هذا الواحد، فقال: الظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي هذا النور.

وأما الأحياء والأموات فالتفاوت بينهما أكبر؛ إذ ما ميّتٌ يساوي في الإدراك حيّاً، فذكر أن الأحياء لا يساوون الأموات، سواء قابلت الجنس بالجنس، أم قابلت الفرد بالفرد انتهى.

ثم سلّى رسوله عليه السلام بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: إسماع هؤلاء منوط بمشيئتنا. وكنّى بالإسماع عن الذي تكون عنده الإجابة للإيمان.

ولمّا ذكر أنه ما يستوي الأحياء ولا الأموات قال ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: هؤلاء من عدم إصغائهم إلى سماع الحق بمنزلة من[1] قد ماتوا وأقاموا في قبورهم. فكما أنّ من مات لا يمكن أن يقبل منك قول الحق، فكذلك هؤلاء، لأنهم أموات القلوب.

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ المعنى أن الدعاء إلى الله تعالى لم ينقطع عن كلّ أمّة، إما بمباشرة من أنبيائهم، وإما بنقل إلى وقت بعثة محمد ﷺ.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ مسلاة للرسول عليه السلام وتقدّم الكلام عليه[2].

---

(١) ق: من هم.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٢ من الحج.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ توعّد لقريش بما جرى لمكذّبي رسلهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ الآية، لمّا قرر تعالى وحدانيته بأدلّة قرّبها، وأمثال ضربها، أتبعها بأدلّة سماوية وأرضية فقال «ألم تر».

﴿جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة كدّرة ودرر، وهو الطريق الواضح المبين وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض.

وقال ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ لأن البياض والحمرة تتفاوت بالشدة والضّعف [٤٦٤/أ] فأبيض لا يشبه أبيض، وأحمر لا يشبه أحمر، وإن اشتركا في القدر المشترك لكنه مشكل[١].

والظاهر عطف «وغرابيب» على «حمر» عطف ذي لون على ذي لون.

والظاهر أنه لمّا ذكر الغربيب وهو الشديد السّواد لم يذكر فيه: مختلف ألوانه، لأنه من حيث جعله شديد السواد - وهو المبالغ في غاية السّواد - لم يكن له ألوان بل هذا لون واحد، بخلاف البيض والحمر فإنها تختلف.

والظاهر أنّ قوله «بيض وحمر» ليسا مجموعين في جُدّة واحدة بل المعنى: جدد بيض وجدد حمر وجدد غرابيب.

---

(١) ق: مشكك.

ويقال: أسود حلكوك وأسود غربيب. و«سود» توكيد «الغرابيب».

«ومن الناس والدواب» عموم بعد خصوص. «والأنعام» خصوص بعد عموم. «كذلك» أي: كاختلاف الثمرات والجبال، فهذا التشبيه من تمام الكلام قبله، والوقف عليه حسن.

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني يخرج مخرج السبب، كأنه قال: كما جاءت القدرة في هذا كله «إنما يخشى الله من عباده العلماء» أي: المخلصون لهذه العبر الناظرون فيها انتهى.

وهذا الاحتمال لا يصحّ، لأنّ ما بعد «إنما» لا يمكن أن يتعلّق به المجرور[1] قبلها؛ ولو خرّج مخرج السبب لكان التركيب: كذلك يخشى الله من عباده، أي: كذلك الاعتبار والنظر في مخلوقات الله تعالى واختلاف ألوانها يَخشى اللهَ. ولكن التركيب جاء «بإنما» وهي تقطع هذا المجرور ممّا بعدها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾﴾.

---

(١) ق: لأنّ ما بعد إنّ لا يمكن أن يتعلق بهذا المجرور.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ ﴾ ظاهره: يقرؤون كتاب الله، أي: يداومون تلاوته. ولما ذكر تعالى وَصْفهم بالخشية - وهي عمل القلب - ذكر أنهم يتلون كتاب الله - وهو عمل اللسان - ويقيمون الصلاة - وهو عمل الجوارح - وينفقون - وهو العمل المالي[1].

﴿ يَرْجُونَ ﴾ خبر «إنّ». وهذا إشارة إلى الإخلاص أي: يفعلون تلك الأفعال، يقصدون بذلك وجه الله تعالى لا للرياء والسمعة.

﴿ لَّن تَبُورَ ﴾ لن تكسد، ولا يتعذّر الربح فيها، بل ينفق عند الله تعالى.

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ ﴾ متعلق بـ«يرجون».

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ﴾ و«ثمّ» للمهلة في الإخبار لا في الزمان. قال ابن عباس: هم هذه الأمة أورثت أمة محمد ﷺ كل كتاب أنزله الله تعالى.

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ وهو العاصي المسرف. والمقتصد: متّقي الكبائر. والسابق: المتّقي على الإطلاق. والظاهر أن الإشارة بـ«ذلك» إلى إيراث الكتاب واصطفاء هذه الأمة.

و﴿ جَنَّٰتُ ﴾ على هذا مبتدأ، و﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ الخبر.

والظاهر أن الضمير المرفوع في «يدخلونها» عائد على الأصناف الثلاثة. وقرأ عمر رضي الله عنه هذه الآية ثم قال: قال رسول الله ﷺ[2] «سابقنا سابق ومقتصدنا ناجٍ وظالمنا مغفور [٤٦٤/ب] له».

---

(١) ق: البالي.

(٢) لم أجده بلفظه، وأخرج الترمذي ٨: ٣٥٨ حديثاً في معناه عن أبي سعيد الخدري.

و«الحزن» جميع الأحزان من أحزان الدين والدنيا حتى هذا[١].

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ فيه إشارة إلى دخول الظالم لنفسه الجنة.

و﴿شَكُورٌ﴾ فيه إشارة إلى السابق، وأنه كثير الحسنات.

و«المُقَامة» هي الإقامة أي: الجنة، لأنها دار إقامة دائماً لا يُرحل عنها.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ من عطائه.

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب بدن[٢].

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي: تعب نفس وهو لازم عن تعب البدن.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) أصل العبارة في البحر ٧: ٣١٤: وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كراء الدّار، ومعناه أنه يعمّ كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا.

(٢) ق: بدون.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ الآية، لمّا ذكر حال المؤمنين ومقرّهم ذكر حال الكافرين.

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يُجهز عليهم فيموتوا؛ لأنهم لو ماتوا، لبطلت حواسّهم، فاستراحوا. وهو في جواب النّفي، وهو على أحد معنيي النصب، فالمعنى: انتفى[1] القضاء عليهم، فانتفى مسبّبه أي: لا يقضى عليهم ولا يموتون.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾ بنى من الصراخ: يفتعل وأبدلت من التاء[2] طاء.

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ أي قائلين: ربّنا أخرجنا منها، أي: من النار، ورُدَّنا إلى الدنيا.

«نعمل صالحاً» قال ابن عباس: نَقُلْ: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من الشّرك.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ هو استفهام توبيخ وتوقيف وتقرير. و«ما» مصدرية ظرفية أي: مدّة تذكُّر.

و﴿خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقدم الكلام عليه[3].

والمقت: أشد الاحتقار والبغض والغضب. والخسار: خسار العمر.

---

(١) ق: على أحد معنيي النصب فالمعنى انتفاء.

(٢) ق: الياء.

(٣) انظر تفسير الآية ١٦٥ من الأنعام.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ تقدم الكلام عليه[١]. قال الزمخشري[٢]: «أروني» بدل من «أرأيتم» لأنّ معنى «أرأيتم»: أخبروني، كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمّا استحقّوا به الإلهيّة والشركة، أروني أي: جزء من أجزاء الأرض استبدّوا بخلقه دون الله، أم لهم مع الله شركة في خلق السماوات، أم معهم كتاب من عند الله، ينطق بأنهم شركاؤه، فهم على حجّة وبرهان من ذلك الكتاب. أو يكون الضمير في «آتيناهم» للمشركين كقوله ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا ﴿٣٥﴾﴾ [الروم]، ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ ﴿٢١﴾﴾ [الزخرف]. «بل إن يعد [الظالمون] بعضهم» وهم الرؤساء، «بعضاً» وهم الأتباع، «إلا غروراً» وهو قولهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴿١٨﴾﴾ [يونس] انتهى.

أما قوله أنّ «أروني» بدل من «أرأيتم» فلا يصحّ، لأنه إذا أبدل ممّا دخل عليه الاستفهام، فلا بدّ من دخول الأداة على البدل. وأيضاً فإبدال الجملة من الجملة لم يُعهد في لسانهم. ثم البدل على نيّة تكرار العامل، ولا يتأتّى ذلك هنا لأنه عامل في «أرأيتم» فيستحيل[٣] دخوله على «أروني».

والذي أذهب إليه هنا أن «أرأيتم» بمعنى أخبروني، وهي تطلب مفعولين، أحدهما منصوب، والآخر مشتمل على الاستفهام كقول العرب: أرأيت زيداً ما صنع؟. فالأول هنا «شركاءكم»، والثاني «ماذا خلقوا»، و«أروني» جملة اعتراضية فيها تأكيد للكلام وتسديد[٤]. ويحتمل أن يكون ذلك من باب الإعمال [٤٦٥/أ] لأنه توارد على «ماذا خلقوا»: «أرأيتم» و«أروني»، لأن

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من الأنعام.

(٢) الكشاف ٣: ٣١١.

(٣) في البحر ٧: ٣١٧: فيتخيّل.

(٤) ق: وتشديد.

«أروني» قد تعلّق عن مفعولها [الثاني كما علّقت رأى التي لم تدخل عليها همزة النّقل، عن مفعولها] في قولهم: أما ترى: أي: ترى ها هنا[١]. ويكون قد أعمل الثاني على المختار عند[٢] البصريين.

ولمّا بيّن تعالى فساد أمر الأصنام، ووقف على الحجّة على بطلانها، عقب بذكر عظمته وقدرته، ليبين الشيء بضدّه، وتتأكّد حقارة الأصنام بذكر عظمة الله تعالى فقال ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾. والظاهر أنّ معناه: أن تنتقلا عن أماكنهما وتسقط السماوات عن علوّها.

وقال الزمخشري[٣]: «أمسكهما» جواب القسم في «ولئن زالتا» سدّ مسدّ الجوابين انتهى.

يعني أنه دلّ على الجواب المحذوف. وإن أُخذ كلامه على ظاهره لم يصحّ؛ لأنه لو سدّ مسدّهما، لكان له موضع من الإعراب باعتبار جواب الشرط، ولا موضع له من الإعراب باعتبار جواب القسم. والشيء الواحد لا يكون معمولاً غير معمول. و«مِن» في «من أحد» لتأكيد الاستغراق، وفي «من بعده» لابتداء الغاية أي: من بعد ترك إمساكه. و«إن» نافية في جواب القسم المحذوف.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ

---

(١) كذا في البحر ٧: ٣١٧. وفي ق: أما ترى يروها هنا. وفي المطبوع: أما ترى أي فرق ها هنا.

(٢) ق: وعند.

(٣) الكشاف ٣: ٣١٢.

وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ الآية، الضمير في «وأقسموا» لقريش. ولمّا بيّن إنكارهم للتوحيد بيّن تكذيبهم للرسل. قيل: وكانوا يلعنون اليهود والنصارى حيث كذّبوا رسلهم وقالوا: لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم. فلمّا بُعث رسول الله ﷺ كذّبوه.

﴿لَئِن جَآءَهُمۡ﴾ حكاية[1] لمعنى كلامهم لا للفظهم؛ إذ لو كان اللفظ لكان التركيب: لئن جاءنا نذير من إحدى الأمم، أي: من واحدة مهتدية من الأمم، أو من الأمة التي يقال فيها إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها، كما قالوا: هو أحد الأحدين، وهي إحدى الإِحَد[2]، يريدون التفضيل في الدهاء والعقل بحيث لا نظير له.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ هو محمد ﷺ.

﴿مَّا زَادَهُمۡ﴾ أي: مجيئه.

﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ بعداً من الحق وهرباً منه. وإسناد الزيادة إليه مجاز، لأنه هو السبب في[3] أن زادوا أنفسهم نفوراً.

(١) ق: وحكاية.

(٢) إحدى الإِحَد: الأمر المنكر الكبير، وانظر شاهده في اللسان «أحد».

(٣) ق: وفي.

والظاهر أن ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ مفعول من أجله، أي: سبب النفور هو الاستكبار. ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ معطوف على «استكباراً» فهو مفعول من أجله أيضاً. أي: الحامل لهم على الابتعاد من الحق هو الاستكبار.

والمكر السيِّىء هو الخداع الذي يرمونه بالرسول عليه السلام والكيد له.

و«استكباراً» بدل من «نفوراً». و«مكر السيِّىء» من إضافة الموصوف إلى صفته ولذلك[1] جاء على الأصل: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾.

وقرأ حمزة: السيِّىءْ، بإسكان الهمزة، أجرى الوصل مجرى الوقف.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾ أي: ليفوته ويسبقه. «من شيء» أي: شيء، و«من» لاستغراق الأشياء.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ فبعلمه[2] يعلم جميع الأشياء فلا يغيب عن علمه شيء، وبقدرته لا يتعذّر عليه شيء.

ثم ذكر تعالى حلمه [٤٦٥/ب] عن عباده في تعجيل العقوبة فقال ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي: من الشرك وتكذيب الرّسل، وهو المعنى في الآية التي في النّحل وهو قوله «بظلمهم»[3]. وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في النّحل. وهناك «عليها» وهنا «على ظهرها»، والضمير عائد على الأرض. إلا أن هناك يُدلّ عليه بسياق[4] الكلام، وهنا يمكن أن

---

(١) ق: وكذلك.

(٢) ق: فيعلمه.

(٣) الآية ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴿٦١﴾﴾ [النحل]. وانظر تفسيرها ثَمّ.

(٤) ق: لسياق.

يعود على ملفوظ به وهو قوله ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر].

ولما كانت حاملة لمن عليها استعير لها الظّهر كالدّابة الحاملة للأثقال، ولأنه أيضاً هو الظاهر بخلاف باطنها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ توعّد للمكذّبين، أي: فيجازيهم بأعمالهم.

سورة يس(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الآية، هذه السورةُ مكية. وقُرىء: تنزيل، بالنصب على المصدر، وبالرفع، خبر مبتدأ محذوف أي: هو تنزيل.

﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بـ «تنزيل».

والظاهر أنَّ قوله «أغلالاً» هو حقيقة لا استعارة. لمّا أخبر تعالى أنهم لا يؤمنون أخبرَ عن شيءٍ من أحوالهم في الاخرةِ إذا دخلوا النارَ. والظاهر عَوْد الضمير في «فهي» إلى الأغلال، لأنها هي المذكورة والمحدَّثُ عنها؛

(1) مكية وآياتها ثلاث وثمانون.

أي: هي عريضة تبلغ بحرفها الأذقان. والذقنُ مجتمعُ اللَّحيين فيضطر المغلولُ إلى رفعِ وجههِ إلى السماء وذلك هو الإقماحُ. وقال الفراء: المُقْمَحُ[(١)]: الذي يغضُّ بصره بعد رفعِ رأسه. وقال الزَّجاج: يقال: أقمح البعيرُ رأسَهُ عن ريٍّ، وقَمَح هو. وقال أبو عبيد: قَمَح قموحاً: رفع رأسه عن الحوضِ ولم يشرب، والجمع قماح، ومنه قول بشر[(٢)] يصف سفينة أخذهم المَيْدُ فيها: [من الوافر]

ونحن على جوانبها قعود[(٣)] نغضُّ الطَّرْف كالإبل القماحِ

﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا﴾ مبالغة في عدم إيصالِ الخيرِ إليهم. والسدّ: تقدَّمَ شرحه[(٤)]. وقرىء بضم السين وفتحها فيهما.

﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: أغشينا أبصارهم وجعلنا عليها غشاوة.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ تقدم الكلام عليه[(٥)].

ولما ذكر تعالى أمرَ الرسالةِ وهي أحد الأصول الثلاثة التي يصير بها المكلَّفُ مؤمناً، ذكر الحشرَ وهو أحد الأصول الثلاثة - والثالث هو التوحيد - فقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أي: بعد إماتتهم.

﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ كناية عن المجازاة أي: ونُحصي[(٦)]، فعبَّر عن

---

(١) ق: القمح. وانظر معاني القرآن ٢: ٣٧٣.

(٢) ديوانه ص ٤٨.

(٣) ق: قموح.

(٤) انظر شرح الآية ٩٤ من الكهف.

(٥) انظر تفسير الآية ٦ من البقرة.

(٦) ق: ونخضر.

إحاطةِ علمه بأعمالهم بالكتابةِ التي يُضبط بها الأشياء.

﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ أي: خطاهم إلى المساجدِ، والسِّير الحسنة[١] والسيئة، وما قدَّموا من النِّيات الصالحة.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصب على الاشتغال. والإمامُ المبين: اللوحُ المحفوظ.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ الآية، تقدم الكلام «اضرب» مع المَثَل في البقرة[٢]. و«القرية» [٤٦٦/أ] أنطاكية بلا خلافٍ، أي: قصة أصحاب القرية. ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ هم ثلاثة جمعهم في المجيء وإنِ[٣] اختلفوا في زمانِ المجيء.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ الظاهر من «أرسلنا» أنهم الأنبياء أرسلهم الله تعالى، ويدلُّ عليه قولُ المرسَلِ إليهم ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾. وهذه المحاورةُ لا تكونُ إلا مع مَنْ أرسله اللهُ تعالى، وهو قول ابن عباس وكعب. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾

(١) ق: والسير في زايد الحسنة.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٦ من البقرة.

(٣) ق: فإن.

أي: دَعَوَاهُمْ إلى الله تعالى، وأخبرا[1] بأنهما رسولا الله فكذَّبوهما.

﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ أي: قوَّينا وشددنا. ويقال: تَعَزَّزَ لحمُ الناقة إذا صَلُب، ويقال للأرض الصلبة العزاز.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ أي: تشاءَمْنا بكم. قال مقاتل: احتبسَ عليهم المطرُ[2]. وقيل: أسرع فيهم الجذامُ عند تكذيبهم الرسل.

﴿ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ أي: بالحجارة. و﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ هو الحريق.

﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ أي: حظّكم وما صار[3] لكم من خير أو شرّ. «معكم» أي: من أفعالكم، أي: ليس هو من أجلنا بل بكفركم. «أإن ذكرتم» ثَمّ محذوفٌ تقديرهُ: تَطَيَّرتم.

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧ ﴾.

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ [رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ اسمه حبيب، قاله ابن عباس. وقيل: وهو ابن إسرائيلي، وكان قصَّاراً، وقيل غير ذلك. و«من أقصى المدينة»]

(١) ق: وأخبروا.

(٢) الأطر.

(٣) ق: صا لكم.

أي: من أبعدِ مواضعها. وقيل: كان مجذوماً، عبدَ الأصنامَ سبعينَ سنة، يدعوهم لكشفِ ضُرِّه، فلما دعاه الرسلُ إلى عبادةِ الله تعالى قال: هل من آيةٍ؟ قالوا: نعم ندعو رَبَّنَا القادر يُفَرِّج عنكَ ما بكَ. فقال: إن هذا لعجب! لي سبعون سنة أدعو هذه الآلهة فلم تستطع، يفرجه رَبُّكم في غَداةٍ واحدة؟. قالوا: نعم، رَبُّنَا على ما يشاءُ قدير وهذه لا تنفعُ شيئاً ولا تضرُّ. فآمن ودَعَوْا رَبَّهم، فكشفَ اللهُ ما به كأنْ لم يكن به بأسٌ[1]. فأقبل على التكسُّبِ فإذا أمسى تصدَّق بكسبهِ؛ نصف لعياله ونصف يطعمه. فلما هَمَّ قومه بقتلِ الرُّسل جاءهم فقال ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. وحبيب هذا مِمَّنْ آمنَ برسولِ الله ﷺ وبينهما[2] ستُّ مئة سنة كما آمن[3] به تُبَّع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما، ولم يؤمن بنبيٍّ غيره أحدٌ إلا بعد ظهوره.

ومعنى ﴿يَسْعَىٰ﴾ يمشي على قدميه.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الظاهر أنّه لا يقول ذلك إلا بعد تقدُّمِ إيمانهِ[4] كما سبق في قصته. وقيل: جاء يسعى، وسمع قولَهم، وفهمه، فلما فهمه، رُوي أنه تعقَّب أمرهم وسَبَرَهُ بأنْ قال لهم: أتطلبون أجراً على دعوتكم هذه؟ قالوا: لا. فدعا عند ذلك قومَهُ إلى اتِّباعهم والإيمانِ بهم، واحتجَّ عليهم بقوله ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي: وهم على هدى من الله تعالى. أمرهم أولاً باتِّباعِ المرسلين، أي: هم رسلُ الله إليكم فاتَّبعوهم، ثم أمرهم ثانياً بجملةٍ جامعة في الترغيب في كونهم لا ينقصُ

(١) ق: ناس.

(٢) ق: بينهما.

(٣) ق: أمره.

(٤) ق: الماية.

منهم من حطام الدنيا شيءٌ، وفي كونهم يهتدون بهداهم فيشتملون على خيرِ الدنيا والآخرة.

وقد [٤٦٦/ب] أجاز بعض النحويين في «مَن» أنْ تكونَ بدلاً من «المرسلين» ظهر فيه العامل كما ظهر إذا كان حرف جر كقوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴿٣٣﴾﴾ [الزخرف]. والجمهور لا يعربون ما صُرِّحَ فيه بالعاملِ الرافعِ والناصب بدلاً، بل يجعلون ذلك مخصوصاً بحرف الجر. وإذا ذكر الرافع والناصب سمّوا ذلك بالتّبيع لا بالبدل.

[ووضع قوله] ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ موضع: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم، ولذلك قال «وإليه ترجعون» ولولا أنه قصد ذلك لقال: وإليه أرجع.

ثم أتبع الكلام كذلك مخاطباً لنفسه فقال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ قاصرةً عن كُلِّ شيءٍ لا تشفعُ ولا تضرُّ ولا تنفعُ. فإنْ أرادكم الله بضرٍّ، وشفعتْ لكم، لم تنفعْ شفاعتُهم(١) ولم يقدروا على إنقاذكم.

فبدأ أولاً بانتفاء الجاه في كونِ شفاعتهم لا تنفع، ثم ثانياً بانتفاء القُدرةِ، فعبَّر بانتفاء الإنقاذِ عنه إذ هو نتيجته، ثم صَرَّحَ بإيمانه، وصدع بالحقّ، فقال مخاطباً لقومه «إني آمنت بربكم» أي: الذي كفرتم به. ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾ أي: اسمعوا قولي وأطيعون.

والظاهر أنَّ الخطاب هو لقومه، والأمر على جهة المبالغة والتّنبيه.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ ظاهره أنه أمرٌ حقيقي بدخوله وقت البعث.

﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إن

(١) ق: شفاعتكم.

كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ الآية، أخبر تعالى بإهلاكِ قوم حبيب بصيحةٍ واحدة، صاح بهم جبريل عليه السلام. وأخبر تعالى أنه ما أنزل عليهم لإهلاكهم جنداً من السماء كالحجارة والرّيح وغير ذلك.

وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ يدلُّ على ابتداء الغاية؛ أي: لم يرسلْ إليهم رسولاً ولا عاتبهم بعد قتله، بل عَاجَلهم بالهلاك. والظاهر أن «ما» في قوله ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ نافية. فالمعنى قريب[1] من معنى الجملة قبلها؛ أي: وما كان يصحُّ في حكمنا أن ننزل في إهلاكهم جنداً من السماء.

﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ كان ناقصة، واسمها مضمر؛ أي: إنْ كانت الأخذةُ أو

(١) ق: باقية فالمعنى قرب.

العقوبةُ إلا صيحةً واحدة.

﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ أي: فاجأهم الخمودُ إثرَ الصيحة لم يتأخر. وكنَّى بالخمودِ عن سكونهم بعد حياتهم كنارٍ خمدتْ بعد تَوَقُّدٍ. ونداء الحسرة على معنى: هذا وقت حضوركِ وظهوركِ. هذا تقدير نداء مثل: [هذا عند] سيبويه، وهو منادى منكور.

قال ابن عطية: و«كم» هنا خبرية، و«أنهم» بدل منها. والرؤيةُ رؤية البصر انتهى.

هذا لا يصحُّ؛ لأنها إذا كانت خبريّة فهي في موضع نصب بـ«أهلكنا» ولا يسوغ فيها إلا ذلك. وإذا كان كذلك امتنع أن يكون «أنهم» بدلاً منها، لأن البدل على نيّة تكرار العامل. ولو سلّطت «أهلكنا» على «أنهم» لم يصحّ؛ ألا ترى أنك لو قلتَ: أهلكنا انتفاء رجوعهم، أو أهلكنا كونهم لا يرجعون، لم يكن كلاماً؟. لكن ابن عطية توهّم أن [«يروا» مفعوله «كم» فتوهّم أنَّ] قوله: أنهم لا يرجعون، بدل لأنه يسوغُ[1] أنْ يتسلَّطَ عليه [٤٦٧/أ] فتقول: ألم يروا أنهم لا يرجعون. وهذا وأمثالُه دليلٌ على ضعفِه في علم العربية!!.

وقرىء: لمّا بالتشديد والتخفيف. فمن شَدَّدَ جعلها بمعنى إلاّ و«إنْ» نافية، أي: ما كلٌّ - أي: كلّهم - إلاّ جميع لدينا محضرون، أي: محشورون. ولا تستعمل لمّا بمعنى إلاّ، إلاّ في الأماكنِ المسموعةِ عن العرب، فلا تقع في الاستثناء؛ لا تقول: قام القوم لمّا زيداً، بمعنى إلا زيداً، لأنَّ هذا التركيبَ لم يُسمع من العرب.

---

(١) ق: لا يسوغ.

ومَن خفف «لما» جعل «إنْ» المخففة من الثقيلة و«كلٌّ» مبتدأ و«ما» زائدة. واللام في «لما» هي الفارقة بين «إن» المخففة من الشديدة وبين «إن» النافية. و«جميع» خبر عن «كلّ»، هذا على مذهب البصريين.

وأما الكوفيون «فإنْ» عندهم نافية، واللام[1] بمعنى إلا، و«ما» زائدة.

والضمير في «لهم» عائدٌ على كفار قريش ومَنْ يجري مجراهم في إنكارِ الحشر.

و«أحييناها» استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية، وكذلك ﴿نَسْلَخُ ۝٣٧﴾ [يس].

قال الزمخشري[2]: ويجوز أن تُوصفَ الأرضُ والليل بالفعل، لأنه[3] أُريد بهما الجنسان مطلقَيْن لا أرض وليل بأعيانهما، فعوملاً معاملة النكرات في وصفهما بالأفعال، ونحوه[4]: [من الكامل]

ولقد أمرُّ على اللئيمِ يسبُّني　　　[فمضيتُ ثُمّتَ قلتُ لا يعنيني]

انتهى.

هذا هَدْمٌ لما استقر عند أئمة النحويين [من] أنَّ النكرة لا تنعت إلا بالنكرة، والمعرفة لا تنعت إلا بالمعرفة، ولا دليلَ لمن ذهب إلى ذلك، وأما «يسبّني» فحال، أي: سابًّا. وقد تبع الزمخشريُّ ابنَ مالك على ذلك في

(١) ق: باقية في الكلام.

(٢) الكشاف ٣: ٣٢١.

(٣) ق: لا به.

(٤) من شواهد الكتاب ٣: ٢٤، لرجل من بني سلول.

«التسهيل» من تأليفه.

والضمير في ﴿مِن ثَمَرِهِۦ﴾ عائدٌ على الماء لدلالة العيون عليه، أو على حذف مضاف أي: من ماء العيون.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ إن كانت «ما» موصولة فتكون معطوفة على «ثمره»؛ تقديره: ومن الذي، والضمير في «عملت»[1] محذوفٌ يعود على «ما» تقديره: عملته. وإن كانت «ما» نافية فالضمير يعود على الثمر.

«الأزواج» الأنواع من جميعِ الأشياء مما تُنبتُ الأرض. وكل صنف زوج مختلف لوناً وطعماً وشكلاً.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وأنواعاً ممّا لا يعلمون أَعَلِمُوا بوجودِه أولم[2] يعلموا.

ولمّا ذكر تعالى الاستدلال بأحوال الأرض وهي المكان الكلّي، ذكر الاستدلالَ بالليلِ والنهار وهو الزّمانُ الكلّي. وبينهما مناسبة لأنَّ المكان لا تستغني عنه الجواهر، والزمان لا تستغني[3] عنه الأعراض.

و﴿نَسْلَخُ﴾ معناه: نكشط ونقشر، وهو استعارةٌ لإزالةِ الضوء وكشفه عن مكان الليل.

و﴿مُّظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام.

ومستقرُّ الشمس بين يدي العرش، تسجدُ فيه كل ليلة بعد غروبها، كما

---

(١) على قراءتها بغير ضمير، انظر البحر ٧: ٣٣٥.

(٢) ق: ولم.

(٣) ق: يستغني، في الموضعين.

جاء في حديث أبي [ذرّ][١]: يقال لها: اطلعي من حيث طلعْتِ. فإذا كان يوم طلوعها من مغربها يقال[٢] لها: اطلعي من حيث غَربْتِ فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام].

[٤٦٧/ب] وقرىء: والقمر، بالرفع على الابتداء، أو بالنصب على الاشتغال. و﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ على حذف مضاف أي: قَدَّرنا سيرَهُ. و﴿مَنَازِلَ﴾ ظرف أي: في منازل.

وهذه المنازل معروفة عند العرب وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمرُ كُلَّ ليلةٍ في واحد منها لا يتخطَّاهُ، ولا يتقاصرُ عنه على تقدير مستوٍ لا يتفاوت، يسير[٣] فيها من ليلة المستهلّ إلى الثامنةِ والعشرين، ثم يستترُ ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر.

وهذه المنازلُ هي مواقع النجوم التي نَسبت إليها العربُ الأنواءَ المستمطرة وهي الشَّرَطان، البُطَيْن، الثُّريا، الدَّبَران، الهَقْعَة، الهَنْعة[٤]، الذراع، النَّثْرة، الطَّرْف، الجَبْهة، الدبرة[٥]، الصَّرْفة، العَوّاء، السِّماك، الغَفْر[٦]، الزباني[٧]، الإكليل، القلب، الشَّوْلة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بُلَع، سعد السعود، سعد الأخبية، فَرْغ الدّلو المُقَدَّم، فرغ الدّلو المؤخر، بطن الحوت،

(١) أخرجه مسلم ١: ١٣٨، وانظر البخاري ٤: ١٦٩٧.

(٢) ق: فقال، في الموضعين.

(٣) ق: يستر.

(٤) ق: الهيعة.

(٥) في القرطبي ١٥: ٢٩: الخراتان.

(٦) ق: العو.

(٧) في القرطبي ١٥: ٢٩: الزُّبانَيان.

ويقال له الرّشاء. فإذا كان في آخرِ منازله دَقَّ واستَقْوَسَ واصفرَّ فَشُبِّه بالعرجون القديم.

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾ «ينبغي» هنا مستعملة فيما لا يمكن خلافه، أي: لم يجعلْ لها قُدرةً على ذلك. وهذا الإدراك المنفي هو أنَّ الله تعالى جعلَ لكلٍّ واحدٍ من الليل والنهار آيتيهما[1] قسماً من الزمان، وضرب له حَدًّا معلوماً، ودَبَّر أمرهما على التعاقب. قال ابن عباس: إذا طلعتِ الشمسُ، لم يكن للقمرِ ضوءٌ، وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء.

«كل في فلك» تقدّم شرحه في الأنبياء[2].

والظاهر من الذرية أنه يُرادُ به الأبناء ومَنْ نشأ منهم[3]. والضمير في «لهم» وفي «ذرّيتهم»[4] عائد على شيء واحد، فالمعنى أنه تعالى حمل ذريّات هؤلاء وهم آباؤهم الأقدمون في سفينة نوحٍ عليه السلام، قاله ابن عباس.

و«المشحون» المملوء.

﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ يعني الإبل والخيل والبغال والحمير. والمماثلة في أنه مركوب مبلِّغٌ للأوطان[5] فقط.

والظاهر أن قوله ﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ أي: [لا مُغيثَ لهؤلاء الذين شاء اللهُ

(١) ق: وانيتهما. وفي هامش ق: لعلها: وانيهما.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٣ من الأنبياء.

(٣) ق: ومن يسامتهم.

(٤) ق: ذرياتهم.

(٥) ق: للأوطاء.

إغراقهم.

قال الزمخشري[1]: «فلا صريخ لهم» أي:] فلا إغاثة، انتهى.

كأنه جعله مصدراً من أفعل، ويحتاج إلى نقلٍ أنّ صريخاً يكون مصدراً بمعنى إصراخ.

﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ أي: ينجون من الموت بالغرق. نفى أوّلاً الصَّريخَ وهو خاص، ثم نفى ثانياً إنقاذهم بصريخٍ أو غيره.

وانتصب «رحمة» على الاستثناء المفرّغ للمفعول من أجله، أي: لرحمة منا. والظاهر أن «رحمة» «ومتاعاً إلى حين[2]» يكون للذين يُنْقَذون، فلا يفيد الدَّوامَ بل ينقذه [الله] رحمةً له ويمتِّعه إلى حينٍ ثم يُميتُه.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

---

(١) الكشاف ٣: ٣٢٤.

(٢) ق: عين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ الآية، [٤٦٨/أ] الضمير في «لهم» لقريش.

و﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: من عذاب الأمم قبلكم. ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ عذاب الآخرة.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ أي: دأبُهم الإعراضُ عن كلِّ آيةٍ تأتيهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا﴾ لمّا أسلم حواشي الكفّار من أقربائهم ومواليهم من المستضعفين، قطعوا عنهم ما كانوا يُواسُونهم به، وكان ذلك بمكّة أولاً قبل نزولِ آياتِ القتال، فندبهم المؤمنون إلى صِلَةِ قراباتهم فقالوا ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾. وجواب «لو» قوله «أطعمه». وورود الموجب بغير لام فصيح، ومنه ﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف]، ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة]، والأكثر مجيئه باللام.

والتصريح بالوصفين من الكفر والإيمان دليلٌ على أنَّ المقولَ لهم هُمُ الكافرون، والقائلون لهم هم المؤمنون، وأنَّ كل وصفٍ حامل صاحبه على ما صدر منه إذ[١]: [من الطويل]

[فحسبكـمُ هـذا التفـاوتُ بيننـا و]كُـلُّ إنـاءٍ بـالـذي فيـه يَـرْشَـحُ

ولمّا كانت هذه الصيحة لا بدَّ من وقوعها جُعلوا كأنهم منتظروها. وهذه هي النفخةُ الأولى تأخذهم، فيهلكون وهم يتخاصمون في معاملاتهم وأسواقهم في أماكنهم من غير إمهالٍ لتوصية ولا رجوعٍ إلى أهل.

وقرىء: يخِصّمون، بكسر الخاء وشدِّ الصَّاد. وقرىء: يِخِصّمون، إتباعاً لحركة الخاء، ويَخَصّمون، بفتح الخاء وكسر الصاد. وفي هذه القراءات[٢]

---

(١) الشعر لحيص بيص في الوفيات ٢: ٣٦٥.

(٢) ق: القراءة.

هو مضارع خَصّم، وكان أصله اختصم. وقرئ بإسكان الخاء وتخفيف الصاد وهو مضارع خَصَم.

﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: إلى جزاء ربهم. ﴿يَنسِلُونَ﴾ أي: يسرعون.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾ الظاهر أن هذا ابتداء كلام، فقيل: من الله تعالى على سبيل التوبيخ والتوقيف على إنكارهم، لمّا رأوا البعثَ الذي كانوا يكذبون به في الدنيا قالوا ذلك. والاستفهام «بمَن» سؤال عن الذي بعثهم.

وتضمّن[1] قولهُ تعالى ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ ذِكْرَ الباعث، أي: الرحمن الذي وعدكموه. و«ما» يجوز أن تكون مصدرية على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق، وبمعنى الذي؛ أي: هذا الذي وعده الرحمنُ والذي صَدَّقَهُ المرسلون.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ

(١) ق: ويضمن.

فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ الآية، لما ذكر تعالى أهوالَ يوم القيامة أعقب ذلك بحالِ السعداء والأشقياء.

والظاهر أن الشغل هو النعيم الذي شَغَلهم عن كُلِّ ما يخطرُ بالبال.

«هم» مبتدأ، «وأزواجهم» معطوف عليه، و«في ظلال» الخبر.

ويجوز أن يكون «هم» تأكيداً[1] للضمير المستكنِّ في «فاكهون»، و«أزواجهم» معطوف عليه، و«في ظلال» في موضع[2] الحال.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ أي: على الأسرّة. ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ صفة لـ«فاكهون»، و﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ متعلّق به. و«الأرائك» جمع أريكة وهي الأسرّة.

و﴿يَدَّعُونَ﴾ مضارع ادَّعى وهو افتعل من دعا. ومعناه: ولهم ما يتمنون.

قال أبو عبيدة: العرب تقول: اِدَّعِ عليَّ ما شئتَ، بمعنى: تَمَنَّ[3] عليَّ.

﴿سَلَٰمٌ﴾ [٤٦٨/ب] قال ابن عباس: الملائكة تدخل عليهم بالتحيةِ من ربِّ العالمين.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، لأن المحشر جمع البرَّ والفاجر، فأمر المجرمون أنْ يكونوا على حدة من المؤمنين.

---

(١) ق: تأكيد.

(٢) ق: الخبر في موضع.

(٣) ق: تمنّى.

والظاهر أن ثَمَّ قولاً محذوفاً؛ لمّا ذكر ما يقال للمؤمنين في قوله «سلام» قيل: ويقال للمجرمين «امتازوا».

ولمّا امتثلوا ما أُمروا به قال لهم على جهةِ التوبيخِ والتقريع ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾، وقَفَهم على عهدِه إليهم ومخالفتهم إياه.

وقرىء: جِبِلاً، بكسرتين وتخفيف اللام. وقرىء: جِبِلًّا، بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وقرىء: جُبْلاً، بضم الجيم وإسكان الباء. وقرىء: جِبَلاً، بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام. والجبلّ: الأمةُ العظيمة، وقال الضّحاكُ: أقلُّه عشرة آلاف. خاطب تعالى[1] الكفار بما فعل معهم الشيطان تقريعاً لهم.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ في الحديث[2]: «يقول العبد يوم القيامة: إني لا أُجيزُ[3] عليَّ إلا شاهداً من نفسي. فيُختَمُ على فيه ويقال لأركانه: انطقي. فتنطقُ بأعماله. ثم يُخلّى بينه وبين الكلام فيقول: بُعْداً [لكنّ وسحقاً فعنكنّ كنت أناضل».

وقال ابن عباس: أراد أعين البصائر. والمعنى: ولو نشاء لختمنا] عليهم بالكفرِ فلا يهتدي منهم أحدٌ أبداً. والطمسُ: إذهابُ الشيء وأثره جملةً حتى كأنه لم يوجد. فإنْ أُريدَ[4] بالأعين الحقيقة فالظاهر أنه يطمس بمعنى يمسح حقيقة. وقرأ عيسى: فاستَبِقوا، على الأمر، وهو على إضمارِ القول أي:

(١) ق: يقال.

(٢) روى نحواً منه ابن جرير ٢٣ : ١٧ عن الشعبي، وانظر التاج الجامع ٥ :٣٧٢.

(٣) ق: أخبر.

(٤) ق: ارتد.

فيقال لهم: استبِقوا الصراطَ، وهو أمرٌ على سبيل التعجيز، إذْ لا يمكنهم الاستباقُ مع طمسِ الأعين.

﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ أي: كيف يبصر مَنْ طُمسَ على عينِه.

ولمّا ذكر تعالى الطمسَ والمسخَ على تقدير المشيئة، ذكر تعالى دليلاً على باهرِ قُدرته في تنكيس المعمّرين، وأنَّ ذلك لا يفعله إلا هو تعالى. وتنكيسه: قَلْبُه وجَعْله على عكسِ ما خَلَقَه الله أولاً، وهو أنه خلقه على ضعفٍ في جسد وخلوٍّ من عقلٍ وعلم، ثم جعله يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أنْ يبلُغَ أشدَّهُ. فإذا انتهى نكسه في الخلق، فيتناقص في حالِ شيخوختِه إلى الحالِ الأولى وهي النشأة.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ الضمير في «علّمناه» للرسول عليه السلام، كانوا يقولون فيه: شاعر. وكان عليه السلام لا يقولُ الشعر، وإذا أنشد بيتاً أحرزَ المعنى دون الوزن.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي: ولا يمكن له ولا يصح ولا يناسب، لأنه صلى الله عليه وسلم في طريق جدٍّ محض، والشعرُ أكثرُه في طريقِ هزلٍ وتحسينٍ(١) [٤٦٩/أ] [لما ليس حَسَناً، وتقبيحٍ لما ليس قبيحاً ومغالاةٍ مُفرِطة].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

---

(١) في هامش ق: هكذا في الأصل بياض. وأكملته من البحر ٧: ٣٤٥.

﴿يُعۡلِنُونَ ٧٦﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم﴾ الآية، لمّا كانت الأشياء المصنوعة لا يباشرها البشرُ إلا باليد، عَبَّر لهم بما يقرب من أفهامهم بقوله ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ[1] أَيۡدِينَآ﴾ أي: مما تولَّينا عمله ولا يمكن لغيرنا أن يعمله، فبقدرتنا وإرادتنا برزت هذه الأشياءُ، لم يشركنا فيها أحد. والباري تعالى مُنَزَّهٌ عن اليدِ التي هي الجارحة وعن كلِّ ما اقتضى التشبيه بالمحدثات.

ثم عنّفهم واستجهلهم في اتخاذهم آلهةً لطلب الاستغفار.

﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أي: الآلهة نَصْر مُتَّخِذيهم وهذا هو الظاهر. لمّا اتَّخذوهم آلهةً للاستنصارِ بهم رَدَّ تعالى عليهم بأنهم ليست لهم قُدرةٌ على نصرهم. والظاهر أن الضمير في «وهم» عائد على ما هو الظاهر في «لا يستطيعون»؛ أي: والآلهةُ للكفَّار جُنْدٌ مُحْضَرون في الآخرةِ عند الحساب، على جهةِ التوبيخ والنقمة. وسَمَّاهم جُنْداً إذ هم مُعَدُّون للنِّقمة من عابديهم[2]، وللتوبيخ.

ثم آنسَ تعالى نبيَّه عليه السلام بقوله ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ﴾ أي: لا يهمّنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم. وتوعّد الكفار بقوله ﴿إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ فنجازيهم على ذلك.

﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ

---

(١) ق: عملته.

(٢) ق: عايد لهم.

أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قَبَّحَ تعالى إنكارَ الكفرةِ البعثَ حيث قرر[1] أنَّ عنصره الذي خلقه منه هو نطفةٌ من ماءٍ مَهينٍ خارج من مخرجِ النّجاسة أفضى به مهانة[2] أصله إلى أنْ تطور أطواراً، وصار ذا تمييزٍ ينكرُ قدرةَ الله تعالى ويقول: مَنْ يحيي الميت بعد ما رَمَّ؟ مع علمه أنه مُنشَأٌ من موات. وقائل ذلك العاصي بن وائل، وقيل غير ذلك. وقد كان لأبيّ مع الرسول عليه السلام مراجعات ومقامات؛ جاء بالعظم الرميم بمكّة، فَفَتَّتَهُ في وجههِ الكريم وقال: مَنْ يُحْيِي هذا يا محمد؟ قال: اللهُ يحييه ويُميتُكَ ويحييك ويدخلك جهنم، ثم نزلت الآية[3]. وأبيٌّ هذا قتله رسولُ الله ﷺ بيده الكريمة يوم أُحُدٍ بالحَربة فخرجت من عنقه.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ ذكر ما هو أغرب من خلق الإنسان من نطفة وهو إبرازُ الشيء من ضدّه وذلك أبدع شيء وهو انقداح النار من الشجر الأخضر. ألا ترى أنَّ الماء يطفىء النار، ومع ذلك خرجت مِمَّا هو مشتملٌ على الماء. والأعرابُ تُوري النارَ من الشجرِ الأخضرِ وأكثرها

(١) ق: قرن.

(٢) ق: على مهانة.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٤٦.

من المَرْخ والعَفار[1]. وفي أمثالهم[2]: في كُلِّ شجرٍ نارٌ، واستمجد المرخ والعفار. يقطع الرجل منهما غصنين مثل السّواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء، فيُسحق المرخ - وهو ذكر - على العفار - وهو أنثى - فتنقدح النارُ بإذن الله تعالى. وعن ابن عباس: ليس شجرٌ إلا وفيه نارٌ إلا العنّاب.

ثم ذكر ما هو أبدع وأغرب من خَلْقِ الإنسان [٤٦٩/ب] من نطفة، ومن إعادةِ الموتى، وهو إنشاءُ هذه المخلوقات العظيمة الغريبة من صِرْفِ العدم إلى الوجود فقال ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾.

قال الزمخشري[3]: «مثلهم» يحتمل معنيين: أنْ يخلق مثلهم في الصِّغر والقماءةِ بالإضافة[4] إلى السماواتِ والأرض، أو أنْ يعيدهم، لأنَّ المعاد مثل المبتدأ، وليس به انتهى.

الذي يقوله: إن المعاد هو عين المبتدأ. ولو كان مثله، لم يُسَمّ ذلك إعادة بل يكون إنشاء مستأنفاً.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ تقدم الكلامُ عليه[5].

﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ تنزيهٌ عامٌّ له تعالى عن جميع النقائص. والمعنى أنه متصرِّفٌ فيه على ما أرادَ وقَضَى. والملكوت: مُلْك كل شيء.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: وإلى جزائه ترجعون.

---

(١) المَرْخ: شجر سريع الوَرْي، والعَفار: شجر يُتخذ منه الزناد.

(٢) انظر المستقصى ٢: ١٨٣.

(٣) الكشاف ٣: ٣٣٢.

(٤) ق: فالإضافة.

(٥) انظر تفسير الآية ١١٧ من البقرة.

سورة الصافات(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ ﴾.

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ الآية، هذه السورةُ مكية. ومناسبةُ أولها لآخرِ ياسين أنه تعالى لَمَّا ذكر المَعَادَ وقدرته على إحياءِ الموتى، وأنه هو مُنْشِئُهم، وإذا تعلَّقتْ إرادتهُ بشيءٍ كان. ذكرَ تعالى هنا وحدانيته؛ إذْ لا يتم ما تعلَّقتْ به الإرادةُ وجوداً وعدماً إلا بكونِ المريدِ واحداً. وأقسم تعالى بأشياء من مخلوقاته «والصافات» قال ابن مسعود: هم الملائكة تصف في السماء في العبادةِ والذِّكْرِ صفوفاً.

و﴿ فَالزَّاجِرَاتِ ﴾ قال مجاهد: الملائكة تزجُر السحابَ وغيرها من مخلوقات الله تعالى.

و﴿ فَالتَّالِيَاتِ ﴾ القارئات. قال مجاهد: الملائكة تتلو ذِكْرَهُ.

---

(١) مكية وهي مئة واثنتان وثمانون آية.

وذكر المشارقَ لأنها مطالع الأنوار، والأبصارُ [بها] أَكْلَفُ. وذِكْرُها يُغني عن ذكرِ المغاربِ، إذْ ذلك مفهوم من المشارق. والمشارق ثلاث مئة وستون مشرقاً وكذلك المغارب، تشرقُ الشمس كُلَّ يومٍ في مشرق منها وتغرب في مغرب، ولا تطلعُ ولا تغربُ في واحد يومين.

وقرأ الجمهور: بزينةِ الكواكب، بالإضافة، فاحتمل المصدر مضافاً للفاعل، أي: بأنْ زانتِ السماءَ الكواكبُ، ومضافاً للمفعول أي: بأن زيَّنَ اللهُ الكواكبَ. وقرىء بزينةٍ، منوّناً، [الكواكب، بالخفض بدلاً من «زينة». وقرىء: بزينةٍ، منوناً]، الكواكبَ، بالنصب فاحتمل أن يكون «بزينةٍ» مصدراً، والكواكب مفعول به. واحتمل أن تكون «الكواكب» بدلاً من السماء، أي: زَيَّنَّا كواكبَ السماء.

﴿وَحِفْظًا﴾ مصدر منصوب بإضمار فعل تقديره: وحفظناها حِفْظاً. «مارد» اسم فاعل. وفي النساء ﴿مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ للمبالغة وموافقة الفواصل هناك.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ[٤٧٠/أ] إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ كلام منقطع مبتدأ، اقتصاصاً لما عليه حال المسترقة للسمع، وأنهم لا يقدرون أنْ يَتَسَمَّعُوا أو يسمعوا وهم مقذوفون بالشُّهبِ مُبْعَدُونَ عن ذلك إلا من أُمْهِلَ حتّى[1] خطفَ الخطفةَ، واسترقَ استراقةً، فعندها تُعاجِلُه الملائكةُ بالشهاب الثاقب.

وقرىء: لا يَسْمعون، مضارع سمع وتعدَّى بإلى، ضُمِّنَ معنى: لا ينتهون بالسمعِ إلى الملأ. وقرىء: يَسَّمَّعون، مضارع تسمَّع، أرادوا إدغام التاء في السين، وسَكَّنُوا التاء، وأبدلوها سيناً كما أبدلوها في الناس فقالوا: النات،

(١) ق: حين.

فاجتلبوا همزة الوصل، لأنه لا يمكن الإدغام إلا بسكون التاء، فصار اسَّمَّع، وصار[١] المضارع: يسّمّع بإدغام التاء في السين.

﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ يُرجمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ أي: من كل جهة يصعدون إلى السماء منها. المرجومُ بها هي التي يراها الناسُ، تنقضُّ[٢] وليست بالكواكبِ الجاريةِ في السماء، لأن تلك لا تُرى حركتها، وهذه الراجمةُ تُرى حركتها لقُرْبها مِنّا[٣]. و﴿دُحُورًا﴾ مصدر في موضع الحال أي: مطرودين[٤].

والواصب: الدائم. والثاقب: هو النافذُ بضوئه وشعائه المنير.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ

(١) ق: فصار.

(٢) ق: ينقص.

(٣) ق: منها.

(٤) ق: مطرودون.

بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ الآية، الاستفتاء نوع من السؤال. والهمزة في «أهم» وإنْ خرجت إلى معنى التقرير فهي في الأصل لمعنى الاستفهام، أي: فاستخبرهم، والضمير لمشركي مكة. وقيل: نزلت في أبي الأَشَدِّ بن كلدة، وكني بذلك لشدَّةِ بطشِه وقوته. وعادل في هذا الاستفهام التقريري في الأشدّية بينهم وبين ما خلق من غيرهم من الأمم من الجن والملائكة والأفلاك والأرضين.

﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ اللازب اللازم[1] ما جاوره واللاصق به.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ خطاب للرسول عليه السلام. وقرىء: عجبتَ. وعجبتُ، والظاهر أن ضمير المتكلم هو لله تعالى، والعجب لا يجوز على الله تعالى.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ روي[2] أن رُكانة؛ رجلٌ من المشركين من أهلِ مكة لَقيه رسولُ الله ﷺ في جبلٍ خالٍ، يرعى غنماً له، وكان من أقوى الناس، فقال له: يا ركانة، أرأيت إنْ صرعتُكَ أتؤمنُ بي؟ قال: نعم. فصرعه ثلاثاً، ثم عرض عليه آياتٍ من دعاء شجرة وإقبالها فلم يؤمن. وجاء[3] إلى أهل مكة فقال: يا بني هاشم: ساخروا بصاحبكم أهلَ الأرضِ فنزلت فيه وفي نظرائه

---

(١) ق: اللام.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٦: ٢٥٠، وما بعدها، وسنن أبي داود ٤: ٥٥.

(٣) ق: وجاؤوا.

﴿ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ .

قال الزمخشري[١]: «أو آباؤنا» معطوف على محل إنّ واسمها، أو على الضمير في «لمبعوثون». والذي جوَّزَ العطفَ عليه الفصل بهمزة الاستفهام، والمعنى: أيُبعث أيضاً آباؤنا؟ على زيادةِ الاستبعادِ، يعنون أنهم أقدم فبَعْثُهم أبعدُ [٤٧٠/ب] وأبطلُ انتهى.

أما قوله: معطوف على محل إنَّ واسمها، فمذهب سيبويه خلافه، لأنَّ قولك: إنَّ زيداً قائم وعمرو، فعمرو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف. وأما قوله: أو على الضمير في «المبعوثون» إلى آخره، فلا يجوز عطفه على الضمير لأن همزة الاستفهام لا تدخل إلا على الجملِ لا على المفرد، لأنه إذا عطف على المفرد كان الفعل عاملاً في المفرد بوساطة حرفِ العطفِ، وهمزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها. فقوله «أو آباؤنا» مبتدأ خبره محذوف تقديره: مبعوثون، ويدلُّ عليه ما قبله. فإذا قلت: أقام زيد أو عمرو؟ فعمرو مبتدأ محذوف الخبر واستفهامهم تَضمَّنَ إنكاراً واستبعاداً، فأمر الله تعالى نبيّه عليه السلام أن يجيبهم بنعم.

﴿ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ أي: صاغرون. وهي جملة حالية العامل فيها محذوف تقديره: نعم تبعثون. وزادهم في الجواب أن بعثهم وهم ملتبسون بالصَّغارِ والذلّ.

و«هي» كناية عن البعثة فإنما بعثتهم[٢] زجرة أي: صيحة، وهي النفخةُ الثانية، لمّا كانت بعثتهم ناشئةً عن الزجرة، جُعلت إياها مجازاً.

---

(١) الكشاف ٣: ٣٣٧.

(٢) ق: يبعثهم.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ما يُفعل بهم، وما يُؤمرون به.

والظاهر أن قوله ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ من كلام بعض الكفّار لبعضٍ إلى آخر الجملتين. أقرُّوا بأنه يوم الجزاء، وأنه يوم الفصل، وخاطب به بعضهم بعضاً.

و«يوم الدين» يوم الجزاء والمعاوضة. و«يوم الفصل» يوم الفرق بين فرق الهدى وفرق الضّلال.

﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ توبيخٌ لهم وتقريع.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية، «احشروا»: خطابٌ من الله للملائكة، أو خطاب الملائكة بعضهم لبعض، أي: اجمعوا الظالمين ونساءهم الكافرات، قاله ابن عباس.

﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ أي: عَرِّفُوهم وقودوهم إلى طريقِ النار حتى يسلكوها. و«الجحيم» طبقة من طبقات جهنم.

﴿وَقِفُوهُمْ﴾ وقوف توبيخٍ لهم.

﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ قال الجمهور: عن أعمالهم. وفي الحديث(١): «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن خمس: شَبابهِ فيما أبلاهُ، وعمرهِ فيما أفناه، وعن مالهِ كيف كسبه وكيف أنفقه وعن ما عمل فيما عَلِمَ».

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ جواب أبي جهل حين قال في بدر ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [القمر].

---

(١) أخرجه الترمذي عن ابن مسعود. انظر صحيح الجامع الصغير ٦: ١٤٨، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٦٦٦.

﴿ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ أي: قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجزٍ، فكلُّ واحدٍ مستسلم غير منتصر.

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ هم جنٌّ وإنس. وتساؤلهم على معنى التقريعِ والندمِ والسخط.

﴿ قَالُوٓاْ ﴾ أي: قالت الإنسُ للجنِّ، أو ضَعَفَةُ الإنسِ الكفرة لكبرائهم وقادتهم.

و﴿ ٱلْيَمِينِ ﴾ الجارحة وليست مرادة هنا، فقيل: استُعيرتْ لجهةِ الخبرِ أو للشدةِ والقوة.

﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ [٤٧١/أ] رَبِّنَآ ﴾ أي: لَزِمَنا قولُ رَبِّنا أي: وعيده لنا بالعذاب. والظاهر أنَّ قوله ﴿ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴾ إخبارٌ منهم أنهم ذائقو العذاب جميعهم: الرؤساء والأتباع.

﴿ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ ﴾ دعوناكم إلى الغيِّ وكانت فيكم قابليّة له فغويتم. ﴿ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾ فأردنا أنْ تشاركونا في الغيِّ.

﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يومَ إذْ يتساءلون ويتراجعون في القول. وهذا إخبارٌ منه تعالى أنهم كما اشتركوا في الغيِّ اشتركوا فيما تَرَتَّبَ عليه من العذاب.

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثل هذا الفعل بهؤلاء نفعل بكل مجرم، فيترتب على إجرامه عذابه.

ثم أخبرَ عنهم بأكبرِ إجرامهم، وهو الشركُ بالله تعالى واستكبارهم عن توحيدهِ وإفرادهِ بالألوهية.

ثم ذكر عنهم ما قدحوا به في الرسولِ عليه السلام وهو نسبته إلى الشعر

وغير ذلك.

ثم أضرب تعالى عن كلامهم وأخبر بأنه عليه السلام جاء بالحق وهو الثابت الذي لا يلحقه اضمحلالٌ فليس ما جاء به شعراً، بل هو الحق الذي لا شَكَّ فيه. ثم أخبر أنه صَدَّقَ مَنْ تَقَدَّمَهُ من المرسلين؛ إذْ هو عليه السلام وهم على طريقة واحدة في دعوى الأمم إلى التوحيد وترك عبادة غيره.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ الآية، «إلا عباد الله». استثناء منقطع. لمَّا ذكر شيئاً من أحوالِ الكفّار وعذابهم ذكر شيئاً من أحوال المؤمنين ونعيمهم. و﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ صفة مدح.

ووصف «رزق» بـ«معلوم» أي: عندهم. «فواكه» بدل من «رزق» وهو ما يُتلذَّذُ به، ولا يُتقوَّتُ لحفظِ الصحة[1]. ذكر أولاً الرزق وهو ما تتلذَّذُ به الأجسامُ، وثانياً الإكرام وهو ما تتلذذُ به النفوسُ، ثم ذكر المحلَّ الذي هم

---

(١) لا ستغنائهم عن حفظ الصحة بالأقوات، انظر البحر ٧: ٣٥٩.

فيه وهو جنات النعيم، ثم أشرفَ المحلِّ وهو السُّرر[١]. ثم لذةَ التآنسِ بأنَّ بعضَهم يقابلُ بعضاً وهو أتَمُّ السرورِ وآنسه، ثم المشروب، وأنهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم بل يُطافُ عليهم بالكؤوس، ثم وصف ما يُطاف عليهم به من الطَّيبِ وانتفاء المفاسد، ثم ذكر تمامَ اللذةِ الجسمانية، وختم بها كما بدأ باللذةِ الجسمانية من الرزق وهي أبلغ الملاذِّ[٢] وهي التآنس بالنساء.

والتقابل[٣] [أن] لا ينظر بعضهمُ إلى قَفَا بعضٍ. وفي الحديث[٤] أنه في أحيان تُرفع عنهم الستورُ[٥]، فينظر بعضُهم إلى بعض. والكأس: ما كان من الزجاج فيه خمرٌ أو نحوه من الأنبذة، ولا يُسَّمى كأساً إلا وفيه خمر. وقد يُسّمى الخمر كأساً تسميةً للشيءِ بمحلِّه، وقال الشاعر[٦]: [من المتقارب]

وكـأسٍ شـربـتُ علـى لـذةٍ وأخـرى تـداويـتُ منهـا بهـا

وقال ابن عباس: كُلُّ كأسٍ في القرآن فهو خمر.

﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من شراب معين، أو من نهر معين، وهو الجاري على وجه الأرض كما يجري الماء. [٤٧١/ب] و«معين» اسم فاعل من مَعُنَ بضم العين كشريف من شَرُف.

﴿بَيۡضَآءَ﴾ صفة للكأس أو للخمر. وقال الحسن: خمرُ الجنَّةِ أشدُ بياضاً

---

(١) ق: السّرور.

(٢) ق: الماذ.

(٣) ق: التقابل.

(٤) انظر الطبري ٢٣: ٣٤.

(٥) ق: ستور.

(٦) البيت للأعشى في ديوانه ص ٢٠٩.

من اللبن.

﴿لَذَّةٍ﴾ صفة بالمصدر على سبيل المبالغة، أو على حذف، أي: ذات لذة، أو على تأنيث لذٍّ بمعنى لذيذ.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ قال ابن عباس وغيره: هو صداع في الرأس.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ يقال: نَزَفت الشاربَ الخمرُ وأَنْزَفَ هو أي: ذهبَ عقلُه من السكر، فهو نزيفٌ ومنزوف. وقرىء: يُنزَفون، بفتح الزاي مِن نَزَفَتْه الخمر. وبكسر الزاي وضمِّ الياء، مضارع أنزف.

وقال سيدي ووالدي: قرأتُ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير رحمه الله في قصيدة علقمة بن عبدة قوله[1]: [من البسيط]

تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبُها ولا يخالطها في الرأس[2] تدويمُ

فقال هذه صفة خمر الجنة لا خمر الدنيا.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قصرن الطَّرْفَ على أزواجهنَّ، لا يمتدُّ طرفهنَّ إلى أجنبيٍ، كقوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة]. وقال الشاعر[3]: [من الطويل]

من القاصراتِ الطَّرفِ لو دبَّ مُحْولٌ من الذَّرِّ فوق الإتب منها لأثَّرا[4]

والمحول: النملة التي مضى عليها من السنين[5] حولٌ. والأتب:

(١) البيت في المفضليات ص ٤٠٢ لعلقمة بن عبدة.

(٢) ق: يؤذيك طالبها. . في الناس.

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ٦٨.

(٤) ق: لا ترى.

(٥) ق: السنة.

القميص، والعِين: جمع عيناء وهي الواسعة العَين في جمال.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ شَبَّهَهُنَّ ببيضِ النعام المكنون في عشّه وهو الأدحية، ولونها بياض به صفرة حسنة، وبها يُشَبَّه النساءُ فيقال فيهن: بيضات الخدور، ومنه قول امرىء القيس[1]: [من الطويل]

وبيضةِ خدرٍ لا يُرام خِباؤها ... تمتّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ
كبِكر مُقاناةِ البياض بصُفرةٍ ... غذاها نميرُ الماء غيرَ المحلَّلِ

وتساؤُلهم في الجنةِ تَساؤلُ راحةٍ وتنعُّمٍ، يتذاكرون نعيمَهم وحالَ الدنيا والإيمان وثمرته.

و«فأقبل» معطوفٌ على «يطاف عليهم» والمعنى: يشربون فيتحدثون على الشراب كعادة الشَّرب في الدنيا. قال الشاعر[2]: [من الوافر]

وما بقَيتْ من اللذاتِ إلا ... أحاديث الكِرامِ على المدام

وجيء به ماضياً لصدقِ الإخبارِ به، فكأنه قد وقع.

ثم حكى تعالى عن بعضهم ما حكى، يتذكر بذلك نعمه عليهم حيث هَداهُ إلى الإيمانِ واعتقاد وقوعِ البعثِ والثواب والعقاب، وهو مثالٌ للتحفُّظِ من قُرناءِ السُّوء والبعد منهم. قال ابن عباس: هذا القائل وقرينه من البشر.

قال فرات بن ثعلبة البهراني: كانا شريكين بثمانية آلافِ درهم، يعبدُ الله أحدهما ويقصّر من التجارة والنظر، والآخر كافرٌ مقبل على ماله، فانفصل

(١) ديوانه ص ١٣، ١٦.

(٢) البيت في شرح شواهد الكشاف ص٥٣٨ غير منسوب.

من شريكه لتقصيره. فكلّما اشترى داراً أو جاريةً [٤٧٢/أ] أو بستاناً، عرضه على المؤمن، وفخرَ به عليه، فيتصدقُ المؤمنُ بنحوٍ من ذلك ليشتري به في الجنة. فكان من أمرهما في الآخرة ما قَصَّهُ الله تعالى.

﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ قال ابن عباس: لمجازَوْن مُحاسَبون.

والضمير في «قل هل أنتم» عائد على «قائل» في[1] قوله «قال قائل». والخطاب في «هل أنتم» لرفقائه في الجنة الذين كان هو وإياهم يتساءلون، وهذا هو الظاهر. لمّا كان قرينه ينكر البعثَ علم أنه في النار ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾. و«سواء الجحيم» وسطها.

و﴿تَٱللَّهِ﴾ قَسَمٌ فيه التعجُّبُ من سلامته منه.

﴿لَتُرْدِينِ﴾ أي: لتهلكني بإغوائك.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ وهي توفيقه للإيمان والبعد من قرين السوء. ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ للعذاب كما أُحْضِرْتَهُ أنت.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ الظاهر أنه من كلامِ القائلِ يُسمع قرينه على جهةِ التوبيخِ له، أي: لسنا أهل الجنّة بميّتين لكنَّ الموتةَ الأولى كانتْ لنا في الدنيا؛ بخلافِ أهلِ النار، فإنهم في كُلِّ ساعةٍ يتمنّون الموتَ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ كحال أهل النار، بل نحن منعمون دائماً. ويكون في خطابه بذلك مُنكّلاً به مُقَرِّعاً له محزِناً، بما أنعم الله عليه من دخول الجنة.

---

(١) ق: وفي.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: الأمر الذي نحن فيه من النعيم والنجاة من النار[1].

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ الآية، لمّا انقضَتْ قصةُ المؤمن وقرينه - وكان ذلك على سبيلِ الاستطرادِ من شيءٍ إلى شيء - عاد إلى ذِكْرِ الجنة والرزق الذي أَعَدَّ اللهُ فيها لأهلها، فقال «أذلك خير نزلاً»، وعادلَ بين ذلك الرزق وبين شجرة الزَّقوم؛ ولاستواء الرزق المعلوم يحصل به اللذة والسرور، وشجرة الزقوم يحصل بها الألم والغم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾ أي: الشجرة. قال قتادة: أبو جهل ونظراؤه - لما نزلت - قال للكفار[2]: محمدٌ يُخبرُ عن النارِ أنها تُنبتُ الأشجارَ وهي تأكلها وتُذهبها، ففتنوا بذلك أنفسهم. وقال أبو جهل: إنما الزَّقُوم التَّمر بالزبد ونحنُ نتزقَّمه!.

واستعير الطَّلع - وهو للنخلة - لما تحمل هذه الشجرة. وشبّه طلعها بثمر شجرةٍ معروفةٍ يقال لثمرها رؤوس الشياطين، وهي بناحيةِ اليمن يقال لها الأَسْتَن، وذكرها النابغة في قوله[3]: [من البسيط]

---

(١) بعده في ق: يعمل العاملون.

(٢) ق: الكفار.

(٣) ديوانه ص١١١، مع اختلاف.

تحيد من أَشْتَنٍ سودٍ أسافلُه   مَشْيَ الإماء الغوادي تحمل الحُزَما

وهو شجر مُرٌّ مُنكَرُ الصورةِ، سَمَّت العربُ ثمره بذلك تشبيها[1] بروؤس الشياطين، ثم صار أصلاً يُشَبَّهُ [به]. والضمير في «منها» عائد على الشجرة.

﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ أي: لإلى النار.

ثم ذكر تعالى حالهم في تقليد آبائهم. والضمير لقريش أي: وجدوا آباءهم ضالِّين فاتَّبعوهم على ضلالتهم.

ثم أخبر بضلالِ أكثرِ مَنْ تقدَّمَ من الأمم.

[٤٧٢/ب] وفي قوله ﴿ فَٱنظُرْ ﴾ ما يقتضي إهلاكَهم وسوءَ عاقبتهم.

واستثنى المخلصين من عباده وهم الأقلّ المقابل لقوله ﴿ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾. والمعنى: إلا عبادَ الله فإنهم نجوا.

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

ولمّا ذكر ضلالَ الأولين ذكر أولهم شهرة وهم قوم نوح. ونداؤه عليه السلام تضمَّنَ أشياء منها الدُّعاء على قومه، وسؤاله النَّجاة، وطلب النّصرة.

واللام في قوله ﴿ فَلَنِعْمَ ﴾ جواب القسم كقوله[2]: [مِنَ الطويل]

---

(١) ق: نسبتها.

(٢) البيت لزهير في ديوانه ص١٤.

يميناً لنعم السَّيدان وجُدتُما [على كلّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ]

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: فَلَنِعْمَ المُجيبونَ نحنُ.

و«الكرب العظيم» الغرق وركوب الماء وهوله.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: في الباقين غابر الدهر. ومفعول «تركنا» محذوف تقديره: ثناءً حسناً جميلاً إلى آخر الدهر، قاله ابن عباس.

و﴿سَلَامٌ﴾ رفع بالابتداء مستأنف. سلَّم اللهُ تعالى عليه لتقتدي بذلك البشرُ، فلا يذكره أحدٌ من العالمين بسوء. وقيل: جملة في موضع نصب بـ«تركنا» وهذا هو المتروك عليه، فكأنه قال: وتركنا على نوحٍ تسليماً يُسَلِّمُ به عليه إلى يومِ القيامة.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية، الظاهر[1] عود الضمير في ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ على نوحٍ عليه السلام، أي: ممن شايعه في أصول الدين والتوحيد، وإن اختلفت شرائعهما أو اتفق أكثرهما.

(١) ق: والظاهر.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: بم[2] تعلَّقَ الظرفُ؟ قلت: بما في الشيعة من معنى المشايعة، يعني وإنَّ مِمَّنْ شايَعَهُ على دِينه وتقواه حين جاء ربه بقلبٍ سليم لإبراهيم، أو بمحذوف وهو اذكر انتهى.

أما التخريج الأول فلا يجوز، لأنَّ فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو قوله: لإبراهيم، لأنه أجنبي من «شيعته» ومن «إذ». وزاد المنع إذ قدَّره: ممّن شايعه حين جاء ربه لإبراهيم، لأنه قدّر: ممن شايعه، فجعل العامل صلة الموصول[3] وفصل بينه وبين «إذ» بأجنبي وهو قوله: ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وأيضاً فلام التوكيد تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها، لو قلت: إنَّ ضارباً لقادمٌ علينا زيداً، لم يَجُز. وأما تقدير اذْكُرْ فهو المعهودُ عند المعربين.

وأجازوا في نصب ﴿أَئِفْكًا﴾ وجوهاً: أحدها أن يكون مفعولاً بـ«تريدون» و«آلهةً» بدلاً منه، وهو استفهام تقرير. ولم يذكر ابن عطية غير هذا الوجه، وذكره الزمخشري قال[4]: فَسَّر الإفك بقوله ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ﴾ على أنها إفكٌ في أنفسها.

والثاني أن يكون مفعولاً من أجله، أي: أتريدون آلهةً من دون الله إفكاً، و«آلهـة» مفعول به، وقدَّمه عنايةً به، وقدَّمَ المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أنْ يُكافحهم بأنهم على إفكٍ وباطلٍ في شِرْكِهم، وبدأ بهذا

---

(١) الكشاف ٣: ٣٤٤.

(٢) ق: ثم.

(٣) ق: علّة لموصول.

(٤) الكشاف ٣: ٣٤٤.

الوجه الزمخشري[١].

والثالث أن يكون حالاً أي: أتريدون آلهةً [٤٧٣/أ] من دون الله آفكين، قاله الزمخشري[٢]. وجَعْل المصدر حالاً لا يَطَّردُ إلا مع أمّا نحو: أمّا عِلْماً فعالم[٣].

﴿ فَمَا ظَنُّكُم ﴾ استفهامُ توبيخٍ وتحذيرٍ وتوعُّد، أي: أيّ شيء ظنكم بمن هو مستحق لأن تعبدوه إذ هو رَبُّ العالمين حتى تركتم عبادتَهُ وعدلتم به الأصنام؟.

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴾ الظاهر أنه أراد عِلْمَ الكواكب وما يُعزى إليها من التأثيراتِ التي جعلها الله تعالى لها. والظاهر أنَّ نظره كان فيها أي: في عِلْمها، قيل: وكانوا يعانون ذلك، فأتاهم من الجهة التي يعانونها، يوهمهم[٤] بأنه استدلَّ بأماراتٍ في علم النجوم أنه سقيمٌ، قيل: وهو الطاعون. قيل: وكان أغلب الأسقام عليهم إذْ ذاكَ، وخافوا العدوى، فهربوا منه إلى عيدهم[٥]، ولذلك قال ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾.

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ أي: أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة، وعَرضَ الأكلَ عليها.

واستفهاماً عن النطق هو على سبيلِ الهزء [لأنها] منحطَّةٌ عن رُتبةِ عابديها، إذْ هم يأكلون وينطقون. وروي أنهم كانوا يضعون عندها طعاماً، ويعتقدون

(١) الكشاف ٣: ٣٤٤.

(٢) الكشاف ٣: ٣٤٤.

(٣) انظر الكتاب ١: ٣٨٤.

(٤) ق: ويوهمهم.

(٥) ق: عندهم.

أنها تصيبُ منه شيئاً[١]، وهو يأكله خَدَمتها.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: أقبل عليهم مستخفياً ضارباً باليمين.

وقرىء: يَزِفُّون، من زَفَّ أي: أسرع. وقرىء: يُزِفُّون، بضم الياء. وبين قوله «فراغ عليهم» وبين قوله «فأقبلوا إليه» جملٌ محذوفة مذكورةٌ في الأنبياء[٢].

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ﴾ استفهام توبيخ وإنكار عليهم كيف هم يعبدون صورةً صوَّروها بأيديهم، وشَكَّلوها على ما يريدون من الأشكال.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الظاهر أن «ما» موصولة بمعنى الذي، معطوفة على الضمير في «خلقكم» أي: أنشأ ذواتكم وذوات ما تعملون من الأصنام. والعملُ هنا التصويرُ والتشكيل كما تقول: عمل الصائغ الخلخال. وقيل: [ما] مصدرية، أي: خلقكم وعملكم.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ أي: في موضع إيقاد النار.

﴿فَأَرَادُوا[٣] بِهِ كَيْدًا﴾ فأبطل الله مكرهم، وجعلهم الأذلِّينَ الأسفلين.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي

---

(١) ق: شميماً.

(٢) انظر الآيات ٥٩-٦١ من الأنبياء.

(٣) ق: وأرادوا.

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾.

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ الآية، لمّا سلّمه اللهُ تعالى منهم ومن النارِ التي ألقَوْه فيها، عزمَ على مفارقتهم. وعبَّر بالذَّهاب عن هجرتِه إلى أرضِ الشام، فهاجر من أرض بابلَ من مملكة نمرود إلى أرض الشام.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ يوفقني إلى ما فيه صلاحي.

﴿هَبْ لِى﴾ أي: ولداً يكونُ في عداد الصالحين. ولفظ الهبة غلب في الولد.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ بينَ هذه الجملة والتي قبلَها محذوفٌ تقديره: فولدَ له وشَبَّ. «فلما بلغ» أي: بلغ أنْ يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه. وكان إذْ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة «قال يا بني» نداء شفقة وترحُّم.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ أي: بأمر من الله تعالى، ويدلُّ عليه [٤٧٣/ب] ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ورؤيا الأنبياءِ عليهم السلام وحيٌ كاليقظة. وذكر[1] له الرؤيا تجسيراً على احتمالِ تلك البليَّةِ العظيمةِ، وشاوره بقوله ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ وإنْ كان حتماً من الله تعالى، ليعلم ما عنده من تلقِّي هذا الامتحانِ العظيم ويصبِّرُه إنْ جزع. قيل: حين بشَّرتهُ الملائكةُ بغلام حليم قال: هو إذاً ذبيحُ الله.

---

(١) ق: وذكره.

فلما بلغ معه السَّعيَ[1] قيل له: أوفِ بنذرك. وقيل: رأى ليلةَ الترويةِ قائلاً يقول له: إنَّ الله يأمرك بذبحِ ابنكَ هذا. فلما أصبح روَّى في ذلك من الصباح إلى الرَّواح أمِنَ الله هذا الحُلُم؟ فمن ثَمّ سُمِّيَ يوم التروية. فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله، فمن ثَمّ سُمِّي يوم عرفة. ثم رأى مثله في الليلةِ الثالثةِ فَهَمَّ بنحرِه فمن ثَمّ سُمِّي يوم النحر.

و«انظر» معلقة. و«ماذا» استفهام. فإن كانت «ذا» موصولة بمعنى الذي فـ«ما» مبتدأ والفعل بعد ذا صلة. وإنْ [كانت] «ماذا» مركبة ففي موضع نصب بالفعل بعدها، والجملةُ واسمُ الاستفهام الذي هو معمولٌ للفعلِ بعده في موضعِ نصبٍ لـ«انظر».

ولما كان خطاب الأبِ «يا بنيَّ» على سبيل التَّرحُّمِ، قال هو «يا أبت» على سبيل التعظيم والتوقير. «افعل ما تؤمر» أي: ما تؤمره، حذفه وهو منصوب، وأصله: ما تؤمر به فحذف الحرف واتصل الضميرُ منصوباً، فجاز حذفُه لوجودِ شرائطِ الحذف فيه.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ كلام مَنْ أُوتيَ الحلم والصبرَ والامتثال لأمرِ الله تعالى والرضى بما أمر.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ أي: لأمرِ الله، انقادا له وخَضَعا. ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ يقال: تلَّ الرجلُ الرجلَ إذا صرعه على شقِّه، وقيل: وضعه بقوة. أوقعه على أحد جنبيه في الأرض مباشراً[2] الأمر بصبر وذلك عند الصخرة التي بمنى. وعن الحسن: في الموضع المشرف على مسجد منى. وعن الضحَّاك: في المنحر

---

(١) ق: فلما بلغ معه السّبع معه.
(٢) ق: في الأرض تواضعاً مباشراً.

الذي يُنْحَرُ فيه اليوم. وجواب «لمّا» محذوفٌ[١] مقدَّر بعد «وتله للجبين» أي: أجزلنا أجرهما.

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال الجمهور: كبش أبيض أقْرن أعْيَن[٢]. ووصف بالعِظَم لأنه مُتَقَبَّلٌ يقيناً. وقال عمرو بن عبيد: لأنه جرت [به] السُّنَّةُ، وصار دِيْناً باقياً إلى آخر الدهر. والذِّبح: بمعنى المذبوح كالطِّحْن بمعنى المطحون. قال ابن عباس وابن جبير: عظمه كونه من كباشِ الجنَّة، رعى فيها أربعينَ خريفاً. وفي قوله «وفديناه» دليلٌ على أنَّ إبراهيمَ عليه السلام لم يذبح ابنه إذ قد فُدي.

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ الظاهر أن هذه بشارة غير تلك البشارة، وأنَّ الغلامَ الحليم المبشَّر به إبراهيم [هو إسماعيل وأنه هو الذبيح لا إسحاق. واستُدلَّ بظاهر هذه الآية وبقوله] عليه السلام «أنا ابن الذبيحين»[٣] وقول الأعرابي له[٤]: يا ابن الذبيحين - فتبسّم عليه السلام - يعني إسماعيل وأباه عبد الله. وكان عبد المطلب نذرَ ذبحَ أحدِ ولده، فخرج السهم [٤٧٤/ أ] على عبدالله، فمنعه أخواله، وقالوا: اِفْدِ ولدك بمئةٍ من الإبل، ففُدي بها. قيل: وكان قرنا الكبش منوطَيْن في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترقَ البيتُ. قال الشعبي: رأيتهما معلّقَيْن في الكعبة.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ

(١) ق: محذوفة.

(٢) كبش أقرن: طويل القرنين، وأعين: واسع العينين.

(٣) لا أصل به بهذا اللفظ، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ١: ٣٣٦.

(٤) قيل فيه: إسناده واهٍ. وقيل: غريبٌ جدًا. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ :٣٣٧.

ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ الآية، «الكرب العظيم» تعبّد القبط لهم، ثم خوفهم من جيش فرعون، ثم البحر بعد ذلك.

والضمير في «ونصرناهم» عائد على موسى وهارون وقومهما. و«هم» يجوز أن يكون فصلاً وتوكيداً وبدلاً.

و«الكتاب المستبين» التوراة. و«الصراط المستقيم» هو الإسلامُ وشرع الله تعالى. «وآتيناهما» الضمير عائد على موسى وهارون. و«الكتاب» وإن كان نازلاً على موسى عليه السلام وحده، فهارون كان مقتدياً[1] به، إذْ كان قومهما قد عبدوا العجلَ، فجمع مع موسى عليه السلام في الضمير لأجل الاقتداء به.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أي: أتعبدون بعلاً. وثَمّ محذوف تقديره: إلهاً، وهو عَلَمٌ لصنمٍ لهم. قيل: وكان من ذهبٍ، طولُه عشرون ذراعاً، وله أربعةُ أوجه،

---

(١) ق: مقترناً.

فتنُوا به، وعَظَّموه حتى أخدموه أربعَ مئة سادنٍ. فكان الشيطان يدخلُ في جوف بعل، ويتكلم بشريعةِ الضلالةِ، والسّدنة يحفظونها، ويعلّمونها الناس. وهم أهلُ بعلبك من بلا الشام، وبه سميت مدينتهم بعلبك.

وقرىء: اللهُ رَبُّكم، بالرفع ورفع ما بعده، وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو الله. وبالنصب، ونصب ما بعده، وهو بدل من قوله «أحسن الخالقين»، أو عطف بيان.

وقرىء: آل ياسين، مفصولة اللام، فتكون ياسين وإلياس اسمين[1] لهذا النبي. وقرىء: إلياسين، بهمزة مكسورة أي: إلياسين جَمَع المنسوبين إلى إلياس معه كما قالوا في جمع أشعري: الأشعرين بحذف ياء النسب.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

﴿مُّصْبِحِينَ﴾ حال أي: داخلين في الصباح. والخطاب في «وإنكم» لقريش، وكانت متاجرهم إلى الشام على مدائنِ قومِ لوط.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعتبرون بما جرى على مَنْ كذَّب الرّسل.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ

(١) ق: اسمان.

حِينٍ ﴿١٤٨﴾ .

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الآية، [هو] يونس بن متّى من بني إسرائيل. وروي أنه نبّيء[١] وهو ابن ثمان وعشرين سنة، بعثه الله إلى قومه، فدعاهم مرةً، فخالفوه، فوعدهم بالعذابِ، فأعلمه[٢] الله بيومه، فحدَّده يونس لهم؛ ثم إنَّ قومه لمَّا رأوا مخايلَ العذابِ قبل أن يباشرهم، تابوا وآمنوا فتابَ اللهُ عليهم، وصرفَ العذابَ عنهم. قيل: ولحقت يونس غضبة فأبق إلى ركوبِ السفينةِ فراراً من قومه. وعبَّر عن الهربِ بالإباق، إذ هو عبد الله تعالى خرج فارًّا من قومه.

وروي أنه لمّا بعدت السفينةُ في البحر ويونس فيها ركدت فقال أهلها: إنَّ فيها لمن يحبس اللهُ السفينةَ بسببه فلنقترع. فأخذوا لكلٍّ سهماً على أنَّ مَنْ طفا سهمه فهو الذي يُرمى [به]، ومَنْ غرق سهمه فليس إياه. فطفا سهم [٤٧٤/ب] يونس، ففعلوا ذلك مرات تقع القرعةُ فيها عليه. فأزمعوا على أنْ يطرحوه في الماء، فجاء إلى ركن منها ليقع منه، فإذا بدابّة من دوابِّ البحرِ ترقبُه وترصد له، فانتقل إلى الركنِ الآخر فوجدها، حتى استدار بالمركب كلها وهي لا تفارقُه، فعلم أن ذلك من عند الله تعالى. فترامى إليها فالتقمَتْه.

وفي[٣] قصة يونس عليه السلام هنا جُملٌ محذوفة مُقدَّرةٌ قبل ذكر فراره

---

(١) ق: نبي.

(٢) ق: فأعلمهم.

(٣) ق: ففي.

إلى الفلكِ كما في الأنبياء[١]. ومجموع القصص تبيّن ما حذف في كل قصة منها.

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ من المغلوبين، وحقيقته: من المزلقين عن مقام الظفر في الاستهام[٢].

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أتى[٣] بما يُلامُ عليه، واللوم: العتب.

﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ من الذاكرين الله بالتسبيح والتّقديس.

﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: في بطن الحوت. روي أنه كان يرفع لحمَ الحوتِ بيديه يقول: لأبنينَّ لك مسجداً حيث لم يَبْنِهِ أحدٌ قبلي. وروي أنَّ الحوتَ مشى به البحارَ كُلَّها حتى قذفه في نصيبين من ناحية الموصل. وروي أنَّ الحوتَ سافر مع السفينة رافعاً رأسه يتنفّس ويونس يُسَبِّحُ، ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البرِّ فلفظه سالماً لم يتغيَّرْ منه شيءٌ فأسلموا.

والظاهر أن قوله «للبث في بطنه» يريد: حيًّا إلى يوم البعث.

﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ المكان الخالي. ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ روي أنه عاد بدنُه كبدنِ الصبيِّ حين يولد.

اليقطين: القرع خاصة. قيل: وهي التي كانت[٤] أنبتها الله تعالى عليه، وتجمع خصالاً: بَردُ الظِّلِّ و[نعومةُ] الملمسِ وعظم الورقِ، وأنَّ الذباب لا يقربها. وماء ورقه إذا رُشَّ به مكان لم يَقْربه ذباب أصلاً.

---

(١) انظر الآية ٨٧ من الأنبياء.

(٢) ق: الاستفهام.

(٣) ق: أي.

(٤) ق: وهي كانت التي.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال الجمهور: رسالته هذه هي الأولى التي أبق[1] بعدها، ذكرها آخر القصص تنبيهاً على رسالته، ويدلُّ عليه «فآمنوا فمتعناهم». وتمتيع تلك الأمّة هو الذي أغضب يونس عليه السلام حتى أبق. «أو» للإبهام على المخاطب لا للشّك.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

والضمير في «فاستفتهم» لقريش كما في قوله أول السورة ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴿١١﴾﴾ [الصافات]. والاستفتاءُ هنا سؤالٌ على جهةِ التوبيخِ والتقريع على قولهم البهتانَ على الله، حيث جعلوا للهِ الإناثَ في قولهم: الملائكة بنات الله مع كراهتهم لهنَّ ووأدهم إياهن واستنكافهم من ذكرهن. وارتكبوا ثلاثةَ أنواع من الكفر: التجسيم لأنَّ الولادة مختصَّةٌ بالأجسام، وتفضيل أنفسهم حيث جعلوا

(١) ق: أنف.

أرفعَ الجنسين لهم وغيره لله، واستهانتهم بمن هو مكرَّمٌ عند الله تعالى حيث أنَّثوهم وهم الملائكة.

بدأ أولاً بتوبيخهم على تفضيل أنفسهم بقوله ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾. وعدل عن قوله: ألربكم، لما في ترك الإضافة إليهم من تخسيسهم[1]، وشرف نبيه عليه السلام بالإضافة إليه. وثنّى بأنَّ نسبةَ الأنوثةِ إلى الملائكة [٤٧٥/أ] تقتضي المشاهدةَ، فأنكر عليهم بقوله ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ أي: خلقناهم وهم لا يشهدون شيئاً من حالهم. ثم أخبر عنهم ثالثاً بأعظمِ الكفر، وهو ادِّعاؤُهم بأنه تعالى قد ولد، فبلغ إفكهم إلى نسبة الولد إليه تعالى. ولما كان هذا أفحش قال «وإنهم لكاذبون». واحتمل أن تخصّ هذه الجملة بقولهم «ولد الله» ويكون تأكيداً لقوله «من إفكهم».

وقرىء: أصطفى، بهمزة الاستفهام على طريقة الإنكار والاستبعاد، وسقطت همزة الوصل، ولا تُمدّ.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ تقريرٌ وتوبيخٌ واستفهام عن البرهان والحجة.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: حجة نزلت عليكم من السماء وخبرٌ بأن الملائكة بنات الله.

﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ الذي أنزل عليكم.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ الآية، «الجِنّة» الظاهر أنهم الشياطين.

وعن الكفار في ذلك مقالات شنيعة منها أنه تعالى صاهرَ سروات الجنِّ، فولد منهم الملائكة، وهم فرقة من بني مدلج، وشافَه بذلك بعضُ الكفار أبا

---

(١) ق: تحسينهم.

بكر الصدّيق.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ أي: الشياطين إنها مُحْضَرة أمر الله من ثوابٍ وعقاب.

ثم نزّه الله تعالى نفسه عن الوصف الذي لا يليق به.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع؛ قالوا: إمّا مِن «يصفون» أي: إلا عبادَ الله، فإنهم يَصِفُونَهُ بصفاتِهِ العُلا، وإمّا مِن «المحضَرون» أي: إلا عباد الله، فإنهم ناجون من العذاب، وتكون جملة التنزيه اعتراضاً. وعلى كلا القولين فالاستثناء منقطع.

والظاهر أن الواو في «وما تعبدون» للعطف، عطفت «وما تعبدون» على الضمير في «فإنكم». وأن الضمير في «عليه» عائد على «ما» والمعنى: قُلْ لهم يا محمد إنكم وما تعبدونَ من الأصنامِ ما أنتم وهم - وغلّب الخطابَ كما تقول: أنتَ وزيدٌ تخرجان - «عليه» أي: على عبادة[1] معبودكم. «بفاتنين» أي: بحاملين بالفتنة على عبادته إلا من قدّر الله تعالى في سابق علمه أنه من أهل النار.

وقرىء: صال، بغير واو. فمن أثبت الواو فهو جمع سلامة، سقطت النون للإضافة، حمل أولاً على لفظ «مَن» فأفرد، ثم ثانياً على معناها فجمع.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هو من قولِ الملائكة.

قال الزمخشري[2]: وما منا أحد إلاّ له مقام معلوم، حذف الموصوف

---

(١) ق: عبادته.

(٢) الكشاف ٣: ٣٥٦.

وأقام الصفة مقامه كقوله[(١)]: [من الوافر]

أنـا ابـنُ جـلا وطـلَّاع الثنـايـا [متى أضعِ العمامةَ تَعرفُوني]

[جادت] بكفَّيْ كان من أرمى البشر[(٢)]

انتهى.

وليس هذا من حذفِ الموصوفِ وإقامةِ الصفةِ مقامَهُ؛ لأن «أحداً» المحذوف مبتدأ، و«إلا له مقام معلوم» خبره، ولأنه لا ينعقدُ كلامٌ من قوله: وما مِنَّا أحدٌ، فقوله «إلا له مقام معلوم» هو محطُّ الفائدة. وإن تخيّل أن «إلا له مقام» في موضع الصفة، فقد نصُّوا على أنَّ إلاَّ لا [٤٧٥/ب] تكون صفةً إذا حُذِفَ موصوفها، وأنها فارقت غيراً إذا كانت [صفة] في ذلك، لتمكُّن غير في الوصف وقلَّةِ تمكُّنِ إلاَّ فيه. وجعل نظير ذلك قوله[(٣)]: أنا ابن جلا، أي: أنا ابن رجلٍ جلا، وبكفَّيْ كان، أي: بكفَّي رجلٍ كان. وهذا عند النحويين من أقبحِ الضرائرِ حيث حذف الموصوف، وأقام الجملة مقامه، ولم يتقدمه مِن.

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ أي: أقدامنا في الصلاة أو أجنحتنا في الهواء.

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ أي: المنزّهون الله تعالى عمّا نسبت إليه الكفرة.

والضمير في «ليقولون» لكفار قريش.

﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ﴾ أي: كتاباً من كُتبِ الأولين الذين نزلَ عليهم التوراةُ

---

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي، وهو في اللسان «جلا».

(٢) الرجز في الخصائص ٢: ٣٦٧، والمقتضب ٢: ١٣٩، غير منسوب.

(٣) ق: ونظر ذلك بقوله. وكتب في الهامش: وجعل.

والإنجيل، لأخلصنا العبادةَ لله تعالى، ولم نكذب كما كذبوا.

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: بما جاءهم[(١)] من الذكر الذي كانوا يتمنَّونه، وهو أشرفُ الأذكار لإعجازه من بين الكتب.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ كفرهم وما يحلُّ بهم من الانتقام. وأكَّدوا قولَهم بإن المخففة وباللام لكونهم كانوا جادِّين في ذلك، ثم ظهر منهم التكذيبُ والنفور البليغ.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى مدة يسيرة، وهي مدة الكفِّ عن القتال[(٢)].

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أي: انظر إلى عاقبةِ أمرهم. ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ[(٣)]﴾ ما يحلُّ بهم من العذابِ والأسرِ والقتل. وأَمْرُه بإبصارهم إشارة إلى الحالة المنتظرة الكائنة لا محالة، وأنها قريبة كأنها بين ناظريه بحيث هو يبصرها. وفي ذلك تسليةٌ وتنفيسٌ عنه عليه السلام.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ استفهام توبيخ.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ هو، أي: العذاب. مَثَّلَ العذابَ النازلَ بهم [بعدما أُنذروه فأنكروه، بجيشٍ أنذر بهجومه قومَه بعضُ نُصَّاحهم][(٤)].

---

(١) ق: أي فجاءهم.

(٢) ق: القتالة.

(٣) ق: يبصرونها وما.

(٤) هذا من كلام الزمخشري. وانظر بقية العبارة في الكشاف ٣: ٣٥٧، وقارن بالبحر ٧: ٣٨٠.

﴿فَسَآءَ صَبَاحُ﴾ المخصوص بالذم محذوف تقديره: فساءَ صباحُ المنذرين صباحهم.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ كَرَّرَ الأمرَ بالتولِّي تأنيساً له عليه السلام وتأكيداً لوقوع الميعاد. ولم يقيِّد أمره بالإبصارِ كما قيَّده في الأول، إمّا لاكتفائِه به في الأول، فحذفه اختصاراً، وإما لِمَا في تركِ التقييد من جولان الذهن فيما يتعلق به الإبصارُ من صنوفِ المسرَّاتِ، والإبصار منهم من صنوف المساءات.

وختم تعالى هذه السورةَ بتنزيهِهِ عَمَّا يَصِفُه به المشركون. وأضاف الربَّ إلى نبيه عليه السلام تشريفاً له بإضافته وخطابه، ثم إلى العزّة وهي العزّة المخلوقة الكائنة للأنبياء والمؤمنين.

فهرس المجلد الرابع

اسم السورة	الرقم
مريم	٥
طه	٥٥
الأنبياء	١٢١
الحج	١٧١
المؤمنون	٢١٣
النور	٢٤٣
الفرقان	٢٨٥
الشعراء	٣١٩
النمل	٣٦١
القصص	٤٠١
العنكبوت	٤٣٣
الروم	٤٥٥
لقمان	٤٧٥
السجدة	٤٨٧
الأحزاب	٤٩٩
سبأ	٥٤١
فاطر	٥٧٥
يس	٥٩٥
الصافات	٦١٧

النَّهرُ المادّ

مِنَ البَحْرِ المُحيط

تصنيف

الإمام أبي حيّان الأندلسي

٦٥٤-٧٤٥هـ

تحقيق

الدكتور عمر الأسعد

المجلّد الخامس

صٓ - النّاس

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

سورة ص[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١﴾.

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ الآية، هذه السورةُ مكيةٌ بلا خلاف. ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه لمّا ذكر عن الكفار [٤٧٦/ أ] أنهم كانوا يقولون ﴿لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦٨﴾ [الصافات] لأخلصنا[2] العبادةَ لله تعالى، وأخبر أنهم أتاهم الذكر، فكفروا به، فبدأ هذه السورةَ بالقسم بالقرآن ذي الذِّكْرِ الذي جاءهم، وأخبر عنهم أنهم كافرونَ به وأنهم في تَعَزُّزٍ ومشاقَّةٍ للرسولِ الذي جاء به. ثم ذكر مَنْ أهلكَ من القرونِ التي شاقَّت الرُّسُلَ ليتَّعظوا بذلك.

---

(١) مكية وهي ثمان وثمانون آية.

(٢) ق: ذكر.. لأخلصوا.

وروي(١) أنه لمّا مرض أبو طالب، جاءت قريش ورسولُ الله ﷺ عند(٢) رأس أبي طالب مجلس رجل، فقام أبو جهلٍ كي يمنعه، وشكوه إلى أبي طالب فقال: يا بن أخي، ما تريدُ من قومك؟. فقال: يا عمّ إنما أُريدُ منهم كلمةً تَذِلُّ بها لهم العربُ وتُؤدي إليهم الجزية بها العجمُ. قال: وما الكلمة؟. قال: كلمة واحدة. قال: وما هي؟. قال: لا إله إلا الله. قال: فقاموا وقالوا: جعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً. قال: فنزل فيهم القرآن «ص والقرآن ذي الذكر» حتى بلغ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص]. وجوابُ القسم فيه أقوالٌ ضعيفة ذكرت في «البحر»(٣).

وينبغي أن يقدر هنا ما أثبت جواباً للقرآن حين أقسم به، وذلك في قوله تعالى ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [يس] فيكون التقدير هنا: ص والقرآن ذي الذكر إنك لمن المرسلين. ويقوّي هذا التقديرَ ذِكْرُ النذارة هنا في قوله ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ وقال هناك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا ۝٦﴾ [يس] فالرسالة تتضمنُ النذارةَ والبشارة.

و«بل» للانتقال من هذا القسم والمُقْسَمِ عليه إلى حال تعزُّزِ الكفار ومشاقَّتهم في قبولِ رسالتكَ وامتثالِ ما جئتَ به واعتراف بالحق.

و«كم» خبرية مفعولة بـ«أهلكنا» أي: كثيراً أهلكنا.

﴿فَنَادَوا۟﴾ أي: استغاثوا، أو نادوا بالتوبة، ورفعوا أصواتهم، يقال: فلان أندى صوتاً أي: أرفع، وذلك بعد معاينةِ العذاب.

(١) انظر السيرة النبوية ٢: ٥٨.

(٢) ق: وعند.

(٣) انظر ٧: ٣٨٣.

﴿ وَلَاتَ حِينَ ﴾ على قول سيبويه[١] عملت عملَ ليس واسمها محذوفٌ تقديره: ولات الحينُ حينَ فوتٍ ولا فرار.

وعلى قول الأخفش تكون «حين» اسم لات، عملتْ عملَ إنَّ، نصبت الاسمَ ورفعت الخبرَ، والخبرُ محذوفٌ تقديره: ولات حين مناص لهم، أي: كائن لهم. والمناص: المنجى والفوت؛ يقال: ناصه ينوصه إذا فاته. وقال الفرّاء[٢]: النّوص: التأخُّر، يقال: ناص عن قِرنه ينوصُ نوصاً ومناصاً إذا فرَّ وزاغ.

والضمير في «وعجبوا» عائد على الكفار، أي: استغربوا مجيءَ رسولٍ من أنفسهم.

و﴿ عُجَابٌ ﴾ بناء مبالغة كرجلٍ طُوال وسُراع في طويل وسريع.

والذين قالوا ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ قال ابن عباس: صناديد قريش وهم ستة وعشرون رجلاً.

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴾ الظاهر انطلاقهم عن مجلس أبي طالب حين اجتمعوا والرسول عليه [٤٧٦/ب] السلام عنده، وشكوه على ما تقدم[٣] في سببِ النزول. ويكون ثَمّ محذوفٌ تقديرهُ: يتحاورون أن امشوا، وتكون «أن» مفسّرة لذلك المحذوف.

و﴿ ٱمْشُوا۟ ﴾ أمرٌ بالمشي وهو نقلُ الأقدامِ عن ذلك المجلس.

---

(١) انظر الكتاب ١: ٦٠.

(٢) معاني القرآن ٢: ٣٩٧. وليس فيه إلا: النّوص: التأخر.

(٣) ق: وشكوه عاما تقدم.

﴿وَٱصْبِرُوا﴾ أمرٌ بالصبر على الآلهة، أي: على عبادتها والتَّمسُّكِ بها.

والإشارة بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إلى ظهورِ محمدٍ ﷺ وعُلُوِّهِ بالنبوة. ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أي: يراد منّا الانقيادَ إليه أو يريده الله ويحكم بإمضائه، فليس فيه إلا الصبر.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي: بتوحيد المعبود وهو الله تعالى.

﴿فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: ملّة النصارى لأن فيها التثليثَ ولا تُوحّد.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ أي: افتعال وكذب.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أنكروا أنْ يختص بالشرفِ من بين أشرافهم، وينزل عليه الكتابُ من بينهم. وهذا الإنكارُ هو ناشىءٌ عن حَسَدٍ عظيم، انطوتْ عليه صدورهم، فنطقتْ[1] به ألسنتهم.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ أي: من القرآن الذي أنزلته على رسولي يرتابون فيه. والإخبار بأنهم في شكٌّ يقتضي كذبهم في قولهم «إن هذا إلا اختلاق».

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ أي: بعدُ، فإذا ذاقوه، عرفوا أنَّ ما جاءَ به حقٌّ وزالَ عنهم الشّكُّ. ونفى الذوقَ بلمّا، وهي تقتضي النفيَ إلى زمانِ الإخبار.

و﴿عَذَابِ﴾ مضاف إلى ياء[2] المتكلم وحُذفت. وتُحذف كثيراً في الفواصل كقوله ﴿أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾ [الفجر].

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ أي: ليسوا متصرّفين في خزائنِ الرحمةِ، فيعطوا

---

(١) ق: فأنطقت.

(٢) ق: الياء.

ما شاؤوا لِمَنْ شاؤوا، ويَمْنَعُوا مَنْ شاؤوا ما شاؤوا، ويصطفوا[١] للرسالة مَنْ أرادوا، وإنما يملكها ويتصرفُ فيها العزيز الذي لا يُغالَبُ، الوهابُ ما شاءَ لمن شاء.

لمّا استفهم استفهامَ إنكارٍ في قوله ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ وكان ذلك دليلاً على انتفاءِ تصرُّفهم في خزائنِ رحمةِ الله تعالى، أتى الإنكارُ والتوبيخُ بانتفاء ما هو أعمُّ فقال ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ليس لهم شيء من ذلك.

﴿فَلْيَرْتَقُواْ﴾ أي: ألَهُمْ شيءٌ من ذلك فليصعدوا في الأسبابِ الموصِلَةِ إلى السماءِ والمعارجِ التي يُتوصَلُ بها إلى تدبيرِ العالم، فيضعوا[٢] الرسالةَ فيمن اختاروا.

ثم صَغَّرهم وحَقَّرهم وأخبرَ بما يؤولُ إليه أمرهم من الهزيمةِ والخيبةِ [فقال ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾]. قيل: وما زائدة، ويجوز أنْ تكون صفةً أُريدَ بها[٣] التعظيم على سبيل الهُزْءِ بهم أو التحقير؛ لأنّ «ما» الصفة تشتملُ على هذين المعنيين. و«هنالك» ظرف مكان يُشارُ به للبعيد. والظاهر أنه يُشار به للمكانِ الذين تفاوضوا فيه مع رسولِ الله ﷺ بتلك الكلمات السابقة، وهو مكة، فيكون ذلك إخباراً بالغيب [٤٧٧/أ] عن هزيمتهم بمكة يوم الفتح، فالمعنى أنهم يصيرون مهزومين بمكة يوم الفتح.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ

(١) ق: فيعطون.. ويمنعون.. ويصطفون الرسالة.

(٢) ق: فيضعون.

(٣) ق: به.

هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾.

و﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ أي: صاحب الأوتاد، وأصله من ثباتِ البيتِ المطنَّب بأوتادِه، قال الأفوه الأوْدي[١]: [من البسيط]

والبيت لا يُبتنى إلا على عمد ... ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ

فاستعير لثبات[٢] العزِّ والملك واستقامة الأمر.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ الآية، «وما ينظر» أي: ما ينتظر. «هؤلاء» إشارةٌ إلى كفار[٣] قريش ومَنْ جرى مجراهم. والصيحةُ: ما نالهم من قتلٍ وأسرٍ وغلبة، كما تقول: صاح فيهم الدهرُ. والفواق: بضم الفاء وفتحها، الزمانُ الذي ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع. والمعنى من زمانٍ يسيرٍ قَدْرَ ما بين الحلبتين يستريحون فيه من العذاب.

﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ قال أبو عبيدة والكسائي: [القطّ]: الكتاب بالجوائز. وقال ابن عباس: «قِطَّنا» نصيبنا من الجنة لتتنعَّمَ به في الدنيا.

ومعنى ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: الذي تزعمون[٤] أنه واقع في العالم إذ هم

(١) ديوانه ص١٠.

(٢) ق: لبيان.

(٣) ق: الكفار.

(٤) ق: يزعمون.

كفَرةٌ لا يؤمنون بالبعث.

ولما كانت مقالتهم تقتضي الاستخفافَ، أمَرَ تعالى نبيَّهُ عليه السلام بالصبرِ على أذاهم، وذكرَ قصصاً للأنبياء عليهم السلام داود وسليمان وأيوب وغيرهم، وما عَرَضَ لهم، فصبروا حتى فَرَّجَ الله تعالى عنهم، وصارتْ عاقبتهم أحسن عاقبة. فكذلك أنتَ تصبرُ، ويؤولُ أمرك إلى أحسنِ مآلٍ.

﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ذا القُوَّةِ في الدين والشرع. وفي ذلك تأنيسٌ للرسولِ عليه السلام بالظَّفَرِ بأعدائِه كما أظفرَ داودَ بالأعداء وقتل داود جالوت. والأوَّاب: الراجعُ إلى طاعة الله تعالى.

«والإشراق» مصدر أشرق أي: صَفَتْ وأضاءت، وشرقت بمعنى طلعت.

﴿وَشَدَدْنَا﴾ تقدم الكلامُ عليه[1].

«وفصل الخطاب» قال ابن عباس: القضاء بين الناس بالحقِّ وإصابته وفهمه.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا

(١) انظر تفسير الآية ٣٥ من القصص.

نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ مجيء مثل هذا الاستفهام إنما يكونُ لغرابةِ ما يجيء معه من القصص كقوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾﴾ [طه] فيتهيأ المخاطَبُ بهذا الاستفهام لما يأتي بعده، ويصغي لذلك. و«الخصم» مصدر ينطلقُ على الواحد والجمع.

﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ روي أنَّ الله تعالى بعثَ إليه ملكين في صورةِ إنسانين، فطلبا أنْ يدخلا عليه، فوجداه في يومِ عبادته، فمنعهما الحُرَّاسُ فتسوَّرا[1] عليه المحرابَ، فلم يَشْعُرْ إلا وهما بين يديهِ جالسان. تسوّر الحائط والسور: تسنَّمه، والبعير: علا أعلاه.

قال ابن عباس: جزَّأَ أيامَهُ أربعةَ أجزاء: يوماً للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخواص أمرِه ويوماً لجميعِ بني إسرائيل فَيَعِظُهم ويبكيهم، فجاؤوه [٤٧٧/ب] في غيرِ يومِ القضاء، ففزِعَ منهم، لأنهم نَزلُوا عليه من فوق، وفي يوم الاحتجابِ، والحرس حوله لا يتركون مَنْ يدخل عليه، فخاف أنْ يُؤذُوه وكان ذلك ليلاً، وكان كُلُّ واحدٍ منهما آخذاً برأس صاحبه. ولمّا أدركوا منه الفزعَ «قالوا لا تخف» أي: لسنا مِمَّنْ جاء إلاّ لأجلِ التحاكم. «خصمان» يحتمل أن يكون هذا موصولاً بقولهما «لا تخف» بادرا بإخبار ما جاءا إليه، ويحتمل أن يكون سألهم: ما أمْرُكُم؟ فقالوا: خصمان. أي: نحن

---

(١) ق: فتسوروا.

خصمان. «بغى» أي: جار بعضنا على بعض كما قال الشاعر[١]:

ولكن الفتى حَمَلَ ابن بدر بغى والبغيُ مَرْتَعهُ وخيمُ

وفي أمْرِهما له ونهيهما بعضُ فظاظةٍ على الحكام، حملَ على ذلك ما هما فيه من التخاصمِ والتشاجرِ، فاستدعيا عَدْلَهُ من غير ارتيابٍ [بأنه] يحكمُ بالعدل. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ مِن أشطَّ رباعياً. و﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ وسطُ طريقِ الحق لا ميل فيه من هنا ولا هنا. والظاهر أنهم كانوا جماعةً فلذلك أتى بضمير الجمع، فإنْ كان المتحاكمان اثنين فيكون قد جاء معهما غيرهما[٢] على جهةِ المعاضدةِ والمؤانسة.

و«أخي» بدل. والأُخُوَّةُ هنا مستعارةٌ إذ هما مَلَكان لمّا ظهرا في صورةِ إنسانين، تكلّما[٣] بالأخوّة، ومجازها أنها أُخُوَّةٌ في الدين والإيمان.

﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ وكنّى بالنعجةِ عن الزوجةِ، والعربُ تذكر ذلك كثيراً في شعرها، وقال الشاعر[٤]: [من الطويل]

أغادي الصَّبوح عند هرٍّ وفَرْتنى وليداً وهل أفنى شبابيَ غيرُ هِرّْ
همـا نعجتـان مـن نعـاج تَبـالـةٍ لدى جؤذُرَيْن أو كبعض دُمى هَكِرْ

هرّ: عَلَمٌ لامرأةٍ، وفرتنى كذلك، وتبالة: مكان فيه النعاج الحسان. ودمى: جمع دمية وهي صور الرخام. وهكر: موضع فيه هذه الصور.

---

(١) البيت لقيس بن زهير في العقد ٦: ١٩.

(٢) ق: معهم غيرهم.

(٣) ق: فكلما.

(٤) هو امرؤ القيس، والبيتان في ديوانه ص١١٠.

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: رُدَّها في كفالتي. وقال ابن كيسان: اجعلها كفلي، أي: نصيبي. وكفل يتعدَّى لواحدٍ ولاثنين بالتضعيفِ والهمزة؛ فمن التضعيفِ قراءة من قرأ ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران] بالتشديد ونَصْب «زكريا»، وبالهمزة كقوله[1] «أكفلنيها» فالنون للوقاية والياء المفعول الأول و«ها» المفعول الثاني. والفصيح اتصاله، ولو كان في غير القرآنِ لجازَ أنْ يجيءَ منفصلاً فكان يكون: أكفلني إياها، والأحسن الاتصال. «وعزني» أي: غلبني، ومضارعه يَعُزُّ بضم العين.

وروي أنَّ داود عليه السلام لمّا سمع كلام الشاكي قال للآخر: ما تقولُ؟ فأقرَّ. فقال له: لئن لم ترجع للحقِّ لأكسرنَّ الذي فيه عيناكَ. وقال للثاني: لقد ظلمكَ. فتبسَّما عند ذلك وذهبا [ولم يرهما] لحينه.

و«بسؤال» مصدر أُضيف إلى المفعولِ، وهو على حذفِ مضافٍ والتقدير: [٤٧٨/أ] بسؤالِ ضَمِّ نعجتكَ إلى نِعاجِهِ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ الظاهر أنه من كلامِ داود عليه السلام. و«الخلطاء» جمع خليط وهو الرفيق، قال الشاعر[2]: [من البسيط]

إنَّ الخليطَ أجدَّ البينَ فافترقا   وعُلِّقَ القلبُ من أسماءَ ما عَلِقا

«وقليل» خبر مقدم. و«ما» زائدة تُفيدُ معنى التعظيمِ والتَّعجيبِ. و«هم» مبتدأ.

﴿وَظَنَّ دَاوُودُ﴾ لمّا كان الظَّنُّ الغالبُ يقاربُ العِلْمَ استعيرَ له، ومعناه: وعَلِمَ داودُ، وأيقنَ أنَّا ابتليناهُ بمحاكمةِ [الخصمين].

---

(١) ق: لقوله.

(٢) البيت لزهير في ديوانه ص٣٣.

﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ حال. والخرور: الهُوِيُّ إلى الأرضِ. فإما أنه عبَّرَ بالركوع عن السجود، وإما أنه[1] ذكرَ أول أحوالِ الخرور أي: راكعاً ليسجد، وخرَّ ساجداً ورجع إلى الله تعالى غفرَ له ذلك الظنَّ ولذلك أشار بقوله «فغفرنا له ذلك». ولم يتقدم سوى قوله «وظن داود أنما فتناه» ويعلم قطعاً أنَّ الأنبياءَ عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، «فيضلك» منصوب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النهي. والفاعل في «فيضلك» ضمير الهوى أو ضمير المصدر المفهوم من قوله «ولا تتبع». «بما نسوا» ما مصدرية تقديره: بنسيانهم.

ثم ذكر ما بينَ المؤمنِ عاملِ الصالحاتِ[2] والمُفْسِدِ من التَّباينِ وأنهما ليسا سِيَّيْن[3]. وقابلَ الصلاحَ بالفسادِ، والتقوى بالفجور. والاستفهامُ بـ«أم» في الموضعين استفهامُ إنكارٍ، والمعنى أنه لا يستوي عندَ الله مَنْ أصلحَ ومَنْ أفسدَ، ولا مَن اتّقى ومَنْ فجرَ.

ولمّا انتفت[4] التسويةُ بَيَّنَ ما يصلح به لمتبّعه السعادة الأبدية وهو كتاب الله فقال ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾. وارتفاعهُ على إضمارِ مبتدأ أي: هذا كتابٌ. وقرىء: مباركاً، على الحالِ اللازمةِ لأنَّ البركةَ لا تفارقه. واللام في «ليدبروا» لامُ كَيْ. وأسند التدبيرَ إلى الجميع وهو التفكُّر في الآياتِ والتأمُّلُ الذي يُفْضِي بصاحبِهِ إلى النظر في عواقبِ الأشياء. وأسند التذكُّرَ إلى أولي العقولِ لأنَّ ذا العقلِ فيه ما يهديه إلى الحقِّ وهو عقله، فلا يحتاجُ إلا إلى ما يذكِّرُه فيتذكَّرُ.

---

(١) ق: أن.

(٢) ق: للصالحات.

(٣) مِثْلين (متماثلان) القاموس.

(٤) ق: انفت.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٠ ﴾.

﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ المخصوصُ بالمدحِ محذوفٌ تقديرهُ: نِعْمَ العبدُ هو، أي: سليمان عليه السلام.

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ﴾ قال الجمهور: عُرضت عليه الخيلُ تركها أبوهُ له، فأُجريتْ بين يديه عَشيًّا فتشاغلَ بِحُسْنِها وجَرْيها ومَحَبَّتها عن ذكرٍ له فقال: رُدُّوها، فطفق يضربُ أعناقها وعراقيبها بالسيفِ لمّا كانت سببَ الذُّهولِ عن ذلك الذكر، فأبدله اللهُ تعالى أسرعَ منها: الريحَ. والصافنُ من الخيل: الذي يرفع إحدى يديه ويقفُ على طرف سُنْبُكِه[1]، وقد يفعل ذلك برجله وهي علامةُ الفراهة، وأنشد الزّجاج[2]: [من الكامل]

أَلِفَ الصُّفونَ فلا يزالُ كأنه ممّا يقومُ على الثلاث كَسِيرا

وقال أبو عبيدة: الصافنُ: الذي يجمع يديه ويسوِّيهما. وأما الذي يقف على طرفِ السُّنْبك فهو المتخيِّمُ. و«الجياد» جمع جواد وهو الفرس.

---

(١) السنبك: طرف الحافر.

(٢) البيت في أمالي ابن الشجري ١: ٥٦، وهو من شواهد المغني ١: ٣١٨، وانظر شرح أبيات المغني ٥: ٣٠١.

وانتصب «حب [٤٧٨/ب] الخير» على أنه مفعول به لتضمُّن[١] «أحببت» معنى آثرت.

والظاهر أنَّ الضميرَ في «توارت» للشمس وإن[٢] لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ لدلالة العشيِّ عليها. و«حتى» غاية لما قبلها، فالمعنى: داومتُ حُبَّ الخيرِ ذاهلاً عن ذِكْرِ ربي.

و«فطفق» من أفعال المقاربة للشروع في الفعل، وحُذِفَ خبرها لدلالة المصدر عليه، أي: فطفقَ يمسحُ مَسْحاً، يمسح أعرافها وسوقها محبةً لها.

وقال ابن عباس: ﴿مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ لم يكن بالسيفِ بل بيديه تكريماً لها ومحبّةً. والباء في «بالسوق» زائدة كهي في قوله ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ[٣] ۝٦﴾ [المائدة].

وحكى سيبويه[٤]: مسحتُ برأسه ورأسه، بمعنى واحد. وقرىء: بالسوق، على وزن فُعْل وهو جمع ساق. وقرىء بهمزة بعدها واو: بالسؤوق على وزن فعول.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ أي: ابتلينا سليمان. ذكر المفسرون أشياءَ لا يصحُّ نقلها، وأقربُ ما قيل فيه أنَّ المرادَ بالفتنةِ كونه لم يستثن في الحديث [الذي] قال فيه: لأطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأة كُلٌّ واحدةٍ تأتي بفارسٍ يجاهدُ في سبيل الله. ولم يقل: إنْ شاء الله. فطاف عليهنَّ فلم تحملْ إلا امرأةٌ واحدة وجاءت

(١) ق: التضمّن.

(٢) ق: فإن.

(٣) ق: فامسحوا.

(٤) انظر الكتاب ١: ٩٢.

بشقِّ رجلٍ. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو قال: إنْ شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»[١].

فالمرادُ بقوله ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ هو هذا، والجسدُ المُلْقى هو المولود شق رجل.. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: بعد امتحانِنَا إياهُ دوام الإنابة والرجوع.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ هذا دأبُ الأنبياء والصالحين من طلب المغفرة من الله تعالى هضماً للنفس وإظهاراً للذّلة والخشوع وطلباً للترقّي في المقامات. والظاهر أنه طلبَ مُلْكاً زائداً على المماليكِ زيادةً خارقةً للعادةِ بالغة حَدَّ الإعجازِ، ليكون ذلك دليلاً على نُبوَّته عليه السلام. ولمّا بالغ[٢] في صِفَةِ هذا المُلْكِ الذي طلبه، أتى[٣] في صفته تعالى باللفظ الدالِّ على المبالغة فقال ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ أي: الكثير الهبات لا يتعاظمُ عنده هبةٌ.

ولمّا طلب الهبة التي اختصَّ بها، وهبه وأعطاه ما ذكر تعالى من قوله ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾. «تجري» جملة [حالية] أي: جارية. «رخاء» أي: لَيِّنة مشتقة من الرخاوة. ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصدَ وأراد.

«الشياطين» معطوف على «الريح» و«كل بناء وغواص» بدل. وأتي بِبُنْيَةِ المبالغةِ كما قال ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ۝١٣﴾ [سبأ]. وقال النابغة[٤]: [من البسيط]

---

(١) رواه البخاري ٣: ١٠٣٨، ومسلم ٣: ١٢٧٦ من حديث أبي هريرة.

(٢) ق: بلغ.

(٣) ق: أي.

(٤) ديوانه ص١٣.

إلَّا سليمانَ إذْ قال الإلهُ له ... قُمْ في البريَّةِ فاحدُدْها عن الفَنَدِ
وخَيِّسِ الجن[١] إني قد أذنتُ لهم ... يبنون تدمرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ

والمعطوف على العام عام فالتقدير: وكل غوّاص، أي: في البحر يستخرجون له الحلية، وهو أول مَن استخرجَ الدرَّ.

«وآخرين» عطف على «كل» فهو داخلٌ في البدل إذْ هو بدلُ كلٍّ من كلٍّ بدل التفصيل، أي: من الجنِّ وهم المَرَدة. سَخَّرهم له حتى قرنهم في الأصفادِ لكفرهم وقال النابغة في ذلك[٢]: [من البسيط]

[٤٧٩/أ] فمن أطاعكَ فانفعه بطاعته ... كما أطاعكَ وادْلُله على الرَّشَدِ
ومَنْ عَصَاكَ فعاقبه معاقبةً ... تنهى الظلومَ ولا تقعد على ضَمَدِ

و﴿مُقَرَّنِينَ﴾ تقدّم الكلامُ عليه في إبراهيم[٣].

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ إشارةٌ لما أعطاهُ الله تعالى من الملك الضخم، وتسخيرِ الجِنِّ والإنسِ والطير، وأمره بأن يَمُنَّ على مَنْ يشاء ويمسك عَمَّنْ يشاء. وَقَفَهُ على قَدْرِ النعمة، ثم أباحَ له التَّصَرُّفَ فيها بمشيئتِه، وهو تعالى قد علم أنه لا يتصرفُ إلا بطاعة الله تعالى. و«بغير حساب» في موضع الحال من «عطاؤنا» تقديره: كائناً بغير حساب.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى

(١) ق: وجيش الجند.

(٢) ديوانه ص١٣-١٤.

(٣) انظر تفسير الآية ٤٩ من إبراهيم.

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ[1] إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ الآية، و«أيوب» عطف بيان أو بدل من «عبدنا». النُّصْب والنَّصَب كالرُّشْد والرَّشَد، وهو التعب والمشقة. والعذاب: الألم. والظاهر أنه تعالى ابتلى أيوبَ عليه السلام في جسدهِ وأهلهِ وماله على ما رُويَ في الأخبار.

وروى أنس عن النبيِّ ﷺ[2] أنَّ أيوبَ بقي في محنته ثماني عشرة سنة، يتساقطُ لحمه حتى مَلَّهُ العالم ولم يصبر عليه إلا امرأته.

ولم يُبيِّنْ لنا تعالى السببَ المقتضي لعلَّته. وأما إسناده المسَّ إلى الشيطان فسببُ ذلك أنه كان يعوده ثلاثةٌ من المؤمنين، فارتدَّ أحدهم فسأل عنه فقيل: ألقى إليه الشيطانُ أنَّ الله لا يبتلي الأنبياءَ والصالحين، فحينئذ قال «مسني الشيطان»، نزَّلَ - لشفقتِه على المؤمنين - مَسَّ الشيطانِ ذلك المؤمنَ حتى ارتدَّ، [منزلةَ] مَسِّه لنفسِه، لأنَّ [المؤمنَ] الخيِّرَ يتألَّم برجوعِ المؤمنِ الخيِّرِ[3] إلى الكفر.

وفي الكلامِ حَذْفٌ تقديرُه: فاستجبنا له وقلنا له: اركض برجلك. فركض فنبعتْ عينٌ، فقلنا له: هذا مُغْتَسلٌ باردٌ وشرابٌ فيه شفاؤك، فاغتسل فَبَرَأ[4]

---

(١) ق: وأيوب.

(٢) انظر الفتح الرّباني ٢٠: ٧٩، والقرطبي ١٥: ٢٠٨.

(٣) ق: الخير المؤمن.

(٤) برىء من المرض بُرءاً بالضم. وأهل الحجاز يقولون: بَرَأَ بَرْءاً بالفتح.

ووهبنا له. ويدلّ(١) على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ قيل: وهبه(٢) مَنْ كان حيًّا منهم وعافاه من الأسقامِ وأرغدَ لهم العيشَ، فتناسَلُوا حتى تَضاعفَ عددهم وصار مثلهم. و«رحمة» و«ذكرى» مفعولان لهما، أي: أن الهبة كانت لرحمتنا إياه وليتذكر أربابُ العقولِ ما يحصلُ للصابرِ من الخيرِ وما يؤولُ إليه من الأجر.

وفي الكلامِ حذفٌ تقديرُه: وكان حَلَفَ ليضربنَّ امرأتَهُ مئةَ ضربةٍ لسببٍ جرى منها - وكانت محسنةً له - فجعلنا له خلاصاً من يمينه بقولنا(٣) ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾. قال ابن عباس: الضِغث: عثكال النخل.

ومحصولُ أقوالهم هو تَمَثُّلُ الشيطانِ لها في صورةِ ناصحٍ أو مداوٍ وعرض لها بشفاءِ أيوب على يديه على شرطٍ لا يمكن وقوعه. فذكَرَتْ ذلك له، فعلم أنَّ الذي عَرَضَ لها(٤) هو الشيطان، وغَضِبَ لعرضها ذلكَ عليهِ، فحلفَ فَحلَّلَ اللهُ تعالى يمينَهُ بأهونِ شيءٍ عليه وعليها، لِحُسْنِ خدمتها إياهُ ورضاه عنها.

وقرىء: عبادنا، وعبدنا.

﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي﴾ لمّا كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غُلِّبَتْ، فقيل في كُلّ [٤٧٩/ب] عمل: هذا مما عَمِلَتْ أيديهم.

و«الأبصار» عبارة عن البصائر التي يبصرون بها الحقائقَ وينظرونَ بنورِ الله

(١) ق: يدلّ.

(٢) ق: أوهبه.

(٣) ق: بقوله.

(٤) ق: له.

تعالى.

﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم ﴾ أي: جعلناهم لنا خالصين.

وقرىء: بخالصةٍ، بالتنوين وبغير تنوين بالإضافة. و﴿ ٱلدَّارِ ﴾ دار الآخرة.

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ الآية، لما كان ما يذكره نوعاً من أنواعِ التنزيل قال «هذا ذكر» كأنه فَصَلَ بين ما قبله وما بعده. ألا ترى أنه لمّا ذكرَ أهلَ الجنةِ، وأعقبه بذكرِ أهلِ النارِ قال ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [ص].

وقال الزمخشريُّ[١]: «جنات» معرفة لقوله ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿٦١﴾ ﴾ [مريم]. وانتصابها[٢] على أنها عطف بيان «لحسن مآب». و«مفتحة» حال والعامل فيها ما في «المتّقين» من معنى الفعل. وفي «مفتحة» ضمير الجنّات، و«الأبواب» بدل من الضمير تقديره: مفتّحة هي الأبواب، كقولهم ضُرِب زيد اليد والرِّجْل وهو من بدل الاشتمال انتهى.

ولا يتعيَّن أنْ تكون «جنات عدن» معرفة بالدليل الذي استدلَّ به، وهو قوله ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى ﴿٦١﴾ ﴾ [مريم]، لأنه اعتقد أن «التي» صفة لـ«جنات عدن». ولا يتعيّن ما ذكره إذ يجوز أن تكون «التي» بدلاً من «جنات عدن»، ألا ترى أن الذي والتي وجموعهما تُستعملُ استعمالَ الأسماء، فتلي العوامل،

(١) الكشاف ٣: ٣٧٨.

(٢) ق: وانتصب بها.

فلا يلزم أنْ تكون صفةً.

وأما انتصابها على أنها عطف بيان، فلا يجوز، لأنَّ للنحويِّين في ذلك مذهبين:

أحدهما: أنَّ ذلك لا يكونُ إلاّ في المعارف، فلا يكون عطفُ البيانِ إلا تابعاً لمعرفة وهو مذهبُ البصريين.

والثاني: أنه يجوز أن يكون في النكرات، فيكون عطف البيان تابعاً لنكرةٍ، كما تكونُ المعرفة فيه تابعةً[1] لمعرفة، وهذا مذهب الكوفيين، وتبعهم الفارسي.

وأما تَخَالُفها في التنكيرِ والتعريفِ فلم يذهبْ إليه أحدٌ سوى هذا المصنِّف، وقد أجاز ذلك في قوله تعالى ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران] فأعربه عطف بيان تابعاً لنكره وهو «آيات بينات» و«مقام إبراهيم» معرفة.

وقد رددنا عليه ذلك في موضعه في آل عمران[2].

وأما قوله: وفي «مفتّحة» ضمير الجنّات، فجمهور النحويين أعربوا «الأبواب» مفعولاً لم يُسَمَّ فاعلُه مرفوعاً بـ«مفتَّحة».

وجاء أبو علي فقال: إذا كان كذلك لم يكن في ذلك ضميرٌ يعود على «جنات عدن» من الحال إن أعرب «مفتّحة» حالاً[3]، أو من النعت إنْ أعرب نعتاً لـ«جنات عدن» فقال: في «مفتّحة» ضمير يعود على الجنات حتى ترتبط

(١) ق: تابعاً.

(٢) انظر تفسير الآية ٩٧ من آل عمران.

(٣) ق: حال.

الحال بصاحبها أو النعت بمنعوته، و«الأبواب» بدل.

وقال من أعرب «الأبواب» مفعولاً[١] لم يُسَمَّ فاعله: العائدُ على الجناتِ محذوفٌ تقديرُه: الأبواب منها.

وألزم أبو علي أنَّ البدل في مثل هذا لا بدَّ فيه من الضمير، إمَّا ملفوظاً به، أو مقدَّراً.

وإذا كان الكلامُ محتاجاً إلى تقدير [٤٨٠/أ] واحد، كان أولى مما يحتاج إلى تقديرين.

وأما الكوفيون فالرابطُ عندهم هو أل، لقيامهِ مقامَ الضميرِ، فكأنه قال: مفتَّحة لهم أبوابها.

وأما قوله: وهو من بدلِ الاشتمالِ، فإنْ عنى بقوله «وهو» قوله: اليد والرجل، فهو وهمٌ، وإنما هو بدلُ بعضٍ من كُلٍّ، وإنْ عنى «الأبواب» فقد[٢] يصحّ، لأنَّ أبوابَ الجنّاتِ ليست بعضاً من الجنّات، وأما تشبيهه ما قدّره من قوله: مفتَّحة هي الأبواب، بقولهم: ضرب زيد اليد والرّجل - فوجْهُه أنَّ «الأبواب» بدل من ذلك الضمير المستكنِّ، كما أنَّ اليد والرّجل بدلٌ من الظاهر الذي هو زيد.

وقال أبو إسحاق وتبعه ابن عطيّة: «مفتّحة» نعتٌ لـ«جنات عدن». وقال الحوفي: «مفتّحة» حال والعاملُ فيها محذوفٌ يدلُّ عليه المعنى تقديره: يدخلونها.

﴿أَتۡرَابٌ﴾ أي: أمثال على سِنٍّ واحدة.

---

(١) ق: مفعول.

(٢) ق: هو.

﴿ هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾.

«هذا» مبتدأ. و«حميم» خبره. و«فليذوقوه» جملة اعتراض.

وقرىء: وغَسَّاق، بتخفيف السين وتشديدها، فإن كانت صفة فتكون ممّا حذف موصوفها، وإن كانت[1] اسماً ففعَّال قليلٌ في الأسماء كالفَيَّاد وهو ذَكَرُ البوم.

وقرىء: وآخر، على الإفراد. وأُخر، على الجمع.

﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي: من شكل العذاب. ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أي: أصناف.

والظاهر أن قوله ﴿هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ من قول رؤسائهم بعضهم لبعض. والفوجُ: الجمعُ الكثير. «مقتحم معكم» أي: النار وهم الأتباع. ثم دَعَوْا عليهم بقولهم «لا مرحباً بهم» لأنّ الرئيسَ إذا رأى الخسيسَ قد قُرِنَ معه في العذابِ ساءه ذلك حيث وقع التساوي في العذابِ ولم يكن هو السالم من العذاب. و«مرحباً» معناه: أتيت رحباً وسعة لا ضيقاً.

---

(١) ق: كان، في الموضعين.

﴿قَالُوا﴾ أي: الفوج. ﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ ردٌّ على الرؤساء ما دَعَوْا[1] به عليهم. ثم ذكروا أنَّ ما وقعوا فيه من العذابِ وصَلْيِ النَّارِ إنما هو بما ألقيتم إلينا، وزَيَّنْتُموه من الكفر، فكأنكم قَدَّمتم لنا العذابَ والصَّلي.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ روي أنَّ القائلينَ من كفّار عصر الرسول عليه السلام وهم[2] أبو جهل وأمية بن خلف وأصحابُ القليب، والذين لم يروهم عمّار وصهيب وسلمان ومَنْ جرى مجراهم.

وقرىء: أتخذناهم، بهمزة الاستفهام لتقرير أنفسهم على هذا على جهةِ التوبيخِ لها والأسف، أي: اتَّخذناهم سخرياً. وقرىء بوصل الهمزة على أنه خبر، ثم أضربوا عن هذا واستفهموا فقالوا: أزاغت عنهم أبصارنا وهم فيها؟. فنَفَوْا أوّلاً ما يدلُّ على كونهم ليسوا معهم، ثم جَوَّزُوا أنْ يكونوا معهم ولكن أبصارهم لم ترهم.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: التفاوض الذي حكيناه عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ أي: ثابتٌ واقعٌ لا بُدَّ أنْ يجري بينهم. و﴿تَخَاصُمُ﴾ بدل من «الحقّ».

﴿[قُلْ] إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ أي: قل يا محمد: إنما أنا منذر المشركين عذابَ الله، وأنه لا إلهَ إلاّ الله [٤٨٠/ب] لا ندَّ له ولا شريكَ له وهو الواحدُ القهار لكلِّ شيءٍ وأنه مالكُ العالم علوه وسفله.

«العزيز» الذي لا يُغالَبُ. «الغفار» لمن تابَ وآمنَ به واتَّبعَ دينه.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ

---

(١) ق: فادعوا.

(٢) ق: وهو.

يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾.

«قل هو نبأ عظيم» الآية، ما قَصَّهُ الله تعالى من مناظرةِ أهلِ النار ومقاولاتِ الأتباعِ مع السادات، لأنه من أحوال البعث، وقريشٌ كانت تنكرُ البعثَ والحساب والعقاب، وهم مُعْرِضُونَ عن ذلك.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أمرَ نبيَّهُ عليه السلام بأنْ يقول: ما كان لي من علمٍ باختصامِ الملأ الأعلى. واختصامُهم هو في آدم وذرِّيتهِ في جَعْلِهم في الأرض.

ثم قال: ﴿إِن يُوحَىٰٓ﴾ إلى آخره، فنفى أنْ يكونَ عِلْمُ ذلك من غير جهةِ الوحي الإلهي[1].

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾.

(١) ق: إلهي.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ تقدّم الكلامُ عليه[١] والبشرُ هو آدمُ عليه السلام. وذكر هنا أنَّ خلقه ﴿مِّن طِينٍ﴾، وفي آل عمران ﴿مِن تُرَابٍ ۝٥٩﴾، وفي الحجر ﴿مِن صَلْصَٰلٍ ۝٢٦﴾، وفي الأنبياء ﴿مِنْ عَجَلٍ ۝٣٧﴾. ولا منافاة؛ ذكر المادةَ البعيدةَ وهي[٢] التراب، ثم ما يليه وهو الطّين، ثم ما يليه وهو الحمأ المسنون، ثم المادة الأخيرة تلي الحمأ وهي[٣] الصلصال. والاستثناء في جميع هذه الأيات يدلُّ على أنه لم يسجد؛ فتارة أكّدَ بالنفي المحض، وتارة ذكر إباءه عن السجود وهو الأنَفَة من ذلك، وتارة نَصَّ على أنَّ ذلك الامتناع كان سببه الاستكبار[٤].

﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ أي: ممّن علوتَ وفُقْتَ. فأجاب أنه من العالين حيث قال ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾.

قال ابن عطية: وذهب كثيرٌ من النحويين إلى أن «أم» لا تكون معادلةً للألفِ مع اختلاف الفعلين، وإنما تكون معادلة إذا دخلتا على فِعْلٍ واحد كقولك: أزيد قام أم عمرو، وقولك: أقام زيد أم عمرو؟. فإذا اختلف الفِعلان كهذه الآية فليست معادلة. ومعنى الآية: أَحَدَثَ لكَ الاستكبارُ الآنَ أم كنتَ قديماً مِمَّنْ لا يليق[٥] أن يُكَلَّفَ مثل هذا لعلوِّ مكانك، وهذا على جهةِ التوبيخ انتهى.

هذا الذي ذكره عن كثيرٍ من النحويين مذهبٌ غير صحيح.

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٠من البقرة.

(٢) ق: وهو.

(٣) ق: وهو.

(٤) انظر مثلاً على التوالي: الأعراف: ١١،١٢ والبقرة: ٣٤.

(٥) ق: ممكن لا تليق.

قال سيبويه[1]: وتقول أضربت زيداً أم قتلته؟ فالبدءُ هنا بالفعلِ أحسنُ، لأنك إنما تسألُ عن أحدهما لا تدري أيُّهما كان، ولا تسأل عن موضع أحدهما، كأنك قلت: أي ذلك كان؟ انتهى.

فعادل بأم الألف مع اختلاف الفعلين.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ﴾ قرىء بالنصب وبالرفع. وهو قَسَم جوابهُ ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾. ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ جملة اعتراض بين القَسَمِ وجوابهِ. والمعنى: وأقولُ الحق. وإذا رفعنا «فالحقّ» مبتدأ خبره محذوفٌ وتقديره: فالحقُّ يميني. وإذا نصبنا فعلى إسقاطِ حرفِ الجر، تقديره: أُقْسِمُ بالحقِّ.

قال ابن عطيّة: أما الأول فرفع على الابتداء، وخبره في قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ لأن المعنى: أن أملأ. انتهى.

هذا ليس بشيء، لأن ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب قسم [٤٨١/أ] ويجب أن يكون جملة، فلا يتقدَّرُ بمفردٍ، وأيضاً ليس مصدراً مُقَدَّراً بحرفِ مصدري والفعل، حتّى ينحلّ إليهما، ولكنَّه لمَّا صحَّ له إسناد ما قَدَّر إلى المبتدأ، حكم أنه خبر.

و«منهم» بدل مِن «مَن» في قوله ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾. و﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد للمتّبِع والمتَّبَع.

﴿عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: المُتَصَنِّعين المتحلِّينَ بما ليسوا من أهله.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: من الله. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ الثقلين الإنس والجن.

---

(١) الكتاب ٣: ١٧١.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ أي: عاقبة خبره وما ترتَّبَ عليه لمن آمن به ومَنْ أعرض عنه.

﴿بَعْدَ حِينِۭ﴾ قال ابن عباس: هو يوم القيامة.

سورة الزمر(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية إلا قوله ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴿٢٣﴾ ﴾ و﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ [ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟] ﴿٥٣﴾ ﴾ قاله ابن

(1) مكية وهي خمس وسبعون آية.

عباس.

«والذين اتخذوا» مبتدأ. و «هم» المشركون. والخبرُ محذوفٌ وهو: قالوا المحكيّ به قوله «ما نعبدهم» أي: والمشركون المُتَّخذونَ من دونِ الله أولياء قالوا ما نعبدُ تلك[1] الأولياء إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلْفى.

«إن الله لا يهدي من هو كاذب» في دعواه أنَّ للهِ تعالى شريكاً. «كفار» لِأَنْعُمِ الله حيث جعلَ مكانَ الشكرِ الكفرَ. والمعنى: لا يهدي مَنْ ختم عليه بالموافاة على الكفر، فهو عام والمعنى على الخصوص، فكم قد هدى مَنْ سبقَ منه الكذب والكفر.

ولمّا كان مِن كذبهم دعوى بعضِهم أنَّ الملائكة بنات الله وعَبَدُوها، عقبه بقوله ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ تشريفاً له وتبنياً إذْ يستحيل أنْ يكونَ ذلك في حقِّه تعالى بالتوالدِ المعروف. «لاصطفى» أي: اختار من مخلوقاته. «ما يشاء» ولداً على سبيل التَّبني، ولكنه تعالى لم يشأ ذلك لقوله[2] تعالى ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم]. وهو عام في اتخاذ النَّسل واتخاذ الاصطفاء. ويدلُّ على أنَّ الاتخاذَ هو التَّبني والاصطفاء قوله «مما يخلق» أي: من [الخلائقِ] التي أنشأها واخترعها. ثم نَزَّه تعالى نفسَهُ تنزيهاً مطلقاً فقال «سبحانه». ثم وصف نفسَهُ بالوحدانيةِ وبالقهر، وهما الصفتان الدَّالَّتانِ على انفرادِه بالألوهيةِ والقهرِ لجميعِ العالمِ كُلِّهم.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ يطولُ كُلٌّ منهما على الآخر فكأنَّ الآخر صار عليه جزء منه.

---

(١) ق: ما نعبد أي زائد تلك.

(٢) ق: كقوله.

ووصْفُ الأنعامِ بالإنزالِ مجاز. والأنعام: الإبلُ والبقر والضأن والمعز. «ثمانية أزواج» لأن من كل منهما ذكراً وأنثى. والزوج: ما كان معه آخرُ من جنسه، فإذا انفردَ فهو [٤٨١/ب] فَرْدٌ ووتر، قال تعالى ﴿فَجَعَلَ[1] مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة].

ومعنى ﴿خَلْقًا﴾ رتَّبها[2] خَلْقاً من بعد خلقٍ على المضغة والعلقة وغير ذلك. والظلماتُ الثلاث: البطنُ والرحمُ والمَشِيمةُ. «ذلكم» إشارةٌ إلى المُتَّصفِ بتلك الأوصافِ السابقة من خلق السماوات وما بعد ذلك من الأفعال.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: كيف تعدلون[3] عن عبادته إلى عبادةِ غيره.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟﴾ قال ابن عباس: خطابٌ للكفار الذين[4] لم يرد الله أنْ يطهِّرَ قلوبهم، وعباده: هم المؤمنون، ويؤيده قَبْلُ: «فأنى تصرفون»، وهذا للكفار فجاء «إن تكفروا» خطاباً لهم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ وعن عبادتكم إذْ لا يرجعُ إليه تعالى منفعةٌ بكم ولا بعبادتكم، إذ هو الغنيُّ المطلق.

وقال الزمخشري[5]: وقد تَمَحَّلَ بعضُ الغُواةِ ليثبت لله تعالى ما نَفاهُ عن ذاتِه من الرضا لعبادِه الكفرَ فقال: هذا من العام الذي أُريدَ به الخاص. وما أرادَ إلا عباده الذين عَنَاهم في قوله ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴿٤٢﴾﴾

---

(١) ق: فخلق.

(٢) ق: ربنا.

(٣) ق: يصرفون.. يعدلون.

(٤) ق: الذي.

(٥) الكشاف ٣: ٣٨٩.

[الحجر] يريد المعصومين كقوله[1] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴿٦﴾﴾ [الإنسان] تعالى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمون انتهى.

فَسمَّى عبد الله بن عباس ترجمان [القرآنِ] وأعلام أهلِ السنّةِ بعض الغُواةِ، وأطلقَ عليهم اسم الظالمين، وذلك من سفهه وجرأته، كما قلت في القصيدة التي ذكرتُ فيها ما يُنتقد عليه[2]: [من الطويل]

ويشتــم أعــلام الأئمــة ضِلَّــةً ولا سيّما أن أولجوه المضايقا

﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يضاعف لكم، وكأنه يريدُ ثوابَ الشكر. وقرىء: يرضه، بصلة الهاء بواو، وباختلاسِ الحركة، وإسكانِ الهاء.

قال أبو حاتم: السكونُ غلطٌ لا يجوز. انتهى.

وليس بغلطٍ؛ بل ذلك لغةٌ لبني كلاب وبني عقيل.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ

---

(١) ق: لقوله.

(٢) ديوان أبي حيّان ص٣٢٨.

قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾ الآية، الظاهر أن «الإنسان» هنا جنس الكافر، وقيل: معيّن كعتبة بن ربيعة. «نسي» أي: ترك. والظاهر أن «ما» بمعنى الذي، أي: نسي الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: أمثالاً يضادّ بعضها بعضاً ويعارض.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ﴾ أتى[1] بصيغة الأمر فقال «تمتع بكفرك» أي: تلذّذ به، واصنع ما شئت «قليلاً» أي: عمراً قليلاً، والخطاب للكافر جاعل الأنداد لله تعالى.

﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي: من سكانها المخلّدين فيها.

ولمّا شرح تعالى شيئاً من أحوال الضالّين المشركين أردفه بشرح أحوال المهتدين الموحّدين فقال ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾. والقانت المطيع. والظاهر أن الهمزة لاستفهام التقرير، ومقابله محذوف لفهم المعنى والتقدير: [٤٨٢/أ] أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله «تمتع بكفرك»، ويدل عليه قوله ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ومن حذف المقابل قول الشاعر[2]:

دعاني إليها القلب إني لأمرها[3] سميع فما أدري أرشدٌ طلابها

[من الطويل] تقديره: أم غيّ.

(١) ق: أي.

(٢) البيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١: ٧١.

(٣) ق: لأمر.

«قل يا عبادي» روي أنها نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة، وعدهم تعالى فقال ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾. [والظاهر تعلّق «في هذه» بـ«أحسنوا» وأن المحسنين في الدنيا لهم في الآخرة حسنة] أي: حسنة عظيمة وهي الجنة. والصفة محذوفة يدل عليها المعنى؛ لأن من أحسن في الدنيا، لا يوعد أن يكون له في الآخرة مطلق حسنة.

ثم حضّ على الهجرة فقال ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ أي: لا عذر للمفرطين البتّة حتى إن اعتلّوا بأوطانهم، وأنهم لا يتمكّنون فيها من أعمال الطاعات، قيل لهم إن بلاد الله كبيرة واسعة، فتحوّلوا إلى الأماكن التي يمكنكم فيها الطاعات.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾ صيغة أمر على جهة التّهديد كقوله ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

«قل إن الخاسرين» أي: هم الذين[1] خسروا أنفسهم، حيث صاروا من أهل النار. «وأهليهم» حيث كانوا معهم في النار.

ولمّا ذكر خسرانهم أنفسهم وأهليهم، ذكر حالهم في جهنم وأنه من فوقهم ظُلل ومن تحتهم ظلل، فيظهر أن النار تغشاهم من فوقهم ومن تحتهم. وسمّى[2] ما تحتهم ظللاً، لمقابلة ما فوقهم كما قال ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت]. والإشارة بـ«ذلك» إلى العذاب، أي: ذلك العذاب يخوّف الله به عباده، ليعملوا ما يخلّصهم منه. ثم ناداهم وأمرهم فقال ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ أي: اتّقوا عذابي.

---

(١) ق: أي الذين هم خسروا.

(٢) ق: ويسمّي.

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ الآية، قال ابن زيد: نزلت «والذين اجتنبوا الطاغوت» في زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان وأبي ذر. وقال ابن إسحاق[١]: الإشارة بها إلى عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد والزبير؛ وذلك أنه لمّا أسلم أبو بكر، سمعوا ذلك، فجاؤوا وقالوا: أسلمت؟ قال: نعم، وذكّرهم بالله تعالى، فآمنوا بأجمعهم، فنزلت فيهم. وهي محكمة في الناس إلى يوم القيامة. و«الطاغوت» تقدم الكلام عليه[٢]. «أن يعبدوها» أي: عبادتها، وهو بدل اشتمال.

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾ أي: من الله تعالى بالثواب.

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [هم] المجتنبون الطاغوت المنيبون إلى الله تعالى. وضع الظاهر موضع المضمر، ليدلّ على أنهم هم، وليترتّب على الظاهر الوصف وهو «الذين يستمعون القول»، وهو عام في جميع الأقوال.

(١) انظر السيرة النبوية ١: ٢٦٧.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٥٦ من البقرة.

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ ثناء عليهم بنفوذ بصائرهم وتمييزهم. و«الذين» مبتدأ خبره «أولئك» وما بعده.

[٤٨٢/ب] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ قيل: نزلت في أبي جهل، أي: نفذ عليه الوعيد بالعذاب. والظاهر أنها جملة مستقلّة. و«من» موصولة مبتدأ. والخبر محذوف تقديره: تتأسف عليه.

ولمّا ذكر حال الكفار في النار، وأن الخاسرين لهم ظُلل، ذكر حال المؤمنين. وناسب الاستدراك هنا، إذ هو واقع بين الكافرين والمؤمنين فقال ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ ففي ذلك حضٌّ على التقوى. لهم علاليّ مرتفعة فوقها(١) علاليّ «مبنية» أي: بناء المنازل التي سُوّيت على الأرض. والضمير في «من تحتها» عائد على الجمعين، أي: تحت الغرف السفلى والغرف العليا لا تفاوت بين أعلاها وأسفلها.

وانتصب «وعد الله» على المصدر المؤكد لمضمون الجملة قبله إذ تضمنت معنى الوعد.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطاب للسامع وتوقيف.

﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ أي: أدخله مسالك وعيوناً. والظاهر أن ماء العيون هو من ماء المطر تحبسه الأرض وتخرجه شيئاً فشيئاً.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ ذكر مِنّته تعالى علينا بما تقوم به معيشتنا.

﴿مُّخْتَلِفًا(٢) أَلْوَٰنُهُۥ﴾ من أحمر وأصفر وأخضر وأبيض. وشمل لفظ الزّرع

---

(١) ق: فوقه.

(٢) ق: مختلفة.

جميع ما يُزرع من مُقْتات وغيره.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: يقارب[1] التّمام.

﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ أي: زالت خضرته ونضارته.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذكر من إنزال المطر وإخراج الزرع به، وتنقّلاته إلى حال الحطامية. ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أي: لتذكيراً وتنبيهاً على حكمة فاعل ذلك وقدرته.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ نزلت[2] في حمزة وعلي. و«مَن» مبتدأ، وخبره محذوف يدلّ عليه «فويل للقاسية» تقديره: كالقاسي المعرض عن الإسلام. وأبو لهب وابنه كانا من القاسية قلوبهم.

وشرح الصدر استعارة عن قبوله للإيمان والخير. والنّور: الهداية. وفي الحديث[3] «كيف انشراح الصدر؟ [قال]: إذا دخل النور القلب، انشرح وانفسح. قلنا: وما علامة ذلك؟. قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتّجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل الموت».

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ [قُلُوبُهُم]﴾ إذا ذكر الله عندهم قست قلوبهم. «أولئك» أي: القاسية [قلوبهم]. «في ضلال [مبين]» أي: في حيرة واضحة لا تخفى.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ

(١) ق: قارب.

(٢) انظر القرطبي ١٥: ٢٤٧.

(٣) أخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود، انظر الدرّ المنثور ٥: ٣٢٥. ونقله الزمخشري في الكشاف ٣: ٣٩٤.

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الآية، عن ابن عباس أنّ قوماً من الصحابة قالوا: يا رسول الله، حدِّثنا بأحاديث حسان، وأخبار الدهر فنزل «الله نزّل أحسن الحديث» الآية.

و﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ مطلق في مشابهة بعضه بعضاً، فمعانيه متشابهة لا تناقض فيها ولا تعارض، وألفاظه في غاية الفصاحة والبلاغة والتناسب بحيث أعجزت الفصحاء والبلغاء.

و﴿مَّثَانِىَ﴾ جمع مثنى ومعناه [٤٨٣/أ] موضع تثنية القصص والأحكام والعقائد والوعد والوعيد. والظاهر حمل القشعريرة على الحقيقة، إذ هو موجود عند الخشية، محسوس يدركه الإنسان من نفسه، وهو حاصل من التأثر القلبي. والمعنى أنه حين يسمعونه يُتلى ما فيه من آيات الوعيد، عَرَتْهم خشية تنقبض منها جلودهم. ثم إذا ذكروا الله ورحمته، لانت جلودهم، أي: زال عنها ذلك التقبّض الناشىء عن خشية القلوب بزوال الخشية عنها.

وضمّن ﴿تَلِينُ﴾ معنى تطمئن جلودهم ليّنة غير منقبضة، وقلوبهم راجية

غير خاشية، ولذلك عدّاه بإلى. وكان في ذكر القلوب في هذه الجملة دليل على تأثّرها عند السّماع، فاكتفى بقشعريرة الجلود عن ذكر خشية القلوب، لقيام المسبّب مقام السبب، فلما ذكر اللّين ذكرهما. وفي ذكر اللّين دليل على المحذوف الذي هو رحمة الله تعالى.

وقال العباس بن عبد المطّلب: قال النبي ﷺ[1] «من اقشعرّ جلده من خشية الله، تحاتّت عنه ذنوبه كما يتحاتُّ عن [الشجرة] اليابسة ورقها».

﴿أَفَمَن يَتَّقِي﴾ أي: يستقبل. والظاهر حمل «بوجهه» على حقيقته؛ لمّا كان يُلقى في النار مغلولة يداه إلى رجليه مع عنقه لم يكن له ما يتّقي به النار إلاّ وجهه، قيل: يُجرّ على وجهه في النار. ويجوز أن يُعبّر بالوجه عن الجملة. وفي قوله ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر] حذف المذموم وهو القاسي القلب، وهنا حذف الممدوح [وهو] المنعَّم في الجنة.

ولمّا ذكر تعالى أنه ضرب في القرآن ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: محتاج إليه، ضرب هنا مثلاً لعابدِ آلهةً كثيرة ومن يعبد الله وحده، ومثّل برجل مملوك اشترك فيه مُلاّك سيّئو الأخلاق، فهو لا يقدر أن يوفي كل واحد منهم مقصودة، إذ لا يتغاضى بعضهم لبعض لمشاحتهم[2] وطلب كلٌّ منهم أن يقضي حاجته على التمام والكمال، فلا يزال في عناء وتعب ولوم من كلّ منهم. ورجلٍ آخر مملوك جميعه لرجل واحد فهو معنيّ بشغله لا يشغله عنه شيء، ومالكه راضٍ عنه، إذ قد خلص لخدمته، وبذل جهده في قضاء

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن العباس بن عبد المطلب، انظر الدّر المنثور ٥: ٣٢٦.

(٢) ق: بمشاحتهم. والمشاحة: الحرص.

حوائجه، فلا يلقى من سيده إلا إحساناً. وتقدّم الكلام في ضرب[1] المثل وما بعده.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ خطاب للرسول عليه السلام وتدخل معه أمته في ذلك. «وإنهم» عائد على الكفار. ثم قال «ثم إنكم[2]» خطاب للجميع. ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ بين يديه يوم القيامة، وهو الحكم العدل، فيتميز المحقّ من المبطل.

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) ق: في نصب. وانظر تفسير الآية ٢٦ من البقرة.

(٢) ق: وإنكم.

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، هذا تفسير وبيان للذين يكون بينهم الخصومة. وهذا يدل على أن الاختصام السابق يكون بين[1] المؤمنين والكافرين. والمعنى: لا أحد في المكذبين أظلم ممن افترى على الله [٤٨٣/ب] الكذب، فنسب إليه الولد والصاحبة والشريك، وحرّم وحلّل من غير أمر الله.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ وهو ما جاء به رسول الله ﷺ. ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ[2]﴾ أي: وقت مجيئه، فاجأه بالتكذيب من غير فكر ولا ارتياء ولا نظر، بل وقت مجيئه كذّب به. ثم توعّدهم توعّداً فيه احتقارهم على جهة التوقيف. و﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ مما قام فيه الظاهر مقام المضمر، أي: مثوى لهم. وفيه تنبيه على علّة كذبهم وتكذيبهم وهو الكفر.

«والذي جاء بالصدق» معادل لقوله «فمن أظلم». و«وصدق به» مقابل لقوله «وكذب بالصدق». و«الذي» جنس كأنه قال: والفريق الذي جاء بالصدق، ويدلّ عليه «أولئك هم المتقون» فجمع. كما أن المراد بقوله «فمن أظلم» يراد به جمع، ولذلك قال «مثوى للكافرين».

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ قالت قريش: لئن لم ينته محمد عن تعييب آلهتنا، لنسلطنّها[3] عليه فتصيبه بخبل أو تعتريه بسوء. فأنزل الله[4] تعالى «أليس الله بكاف عبده» أي: شرّ من يريده بشرّ. والهمزة الداخلة على النّفي للتقرير، أي: هو كافٍ عبده. وفي إضافته إليه تشريف عظيم لنبيّه عليه

---

(١) ق: تكون من.

(٢) ق: جاء.

(٣) ق: لنسلطها.

(٤) انظر القرطبي ١٥: ٢٥٨.

السلام.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ﴾ وهي الأصنام.

ولما بُعث خالد إلى كسر العزّى، قال له سادنها[١]: إني أخاف عليك منها، فلها قوة لا يقوم لها شيء، فأخذ خالد الفأس؛ فهشّم وجهها، ثم انصرف.

وقوله «ويخوفونك» تهكّم بهم، لأنهم خوّفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضرر.

وقرىء: بكافي عبدِه[٢]، على الإضافة. ويكافي عبادَه، مضارع كافى ونصب عباده، فاحتمل أن يكون مفاعلة من الكفاية [كقولك]: يجازي في يجزي. وهو أبلغ من كفى، لبنائه على لفظ المبالغة، وهو الظاهر لكثرة تردّد هذا المعنى في القرآن كقوله ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة]. ويحتمل أن يكون مهموزاً، من المكافأة، وهي المجازاة، أي: يجزيهم أجرهم. ولما كان تعالى كافي عبده، كان التخويف بغيره عبثاً باطلاً. ولمّا اشتملت الآية على مهتدين وضالّين، أخبر أن ذلك كله هو فاعله، ثم قال ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ أي: غالب منيع ذي انتقام. وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين.

ولمّا أقرّوا بالصانع، وهو الله تعالى، أخبرهم أنه تعالى هو المتصرّف في نبيّه بما أراد، وأن تلك الأصنام التي يدعونها آلهة من دونه، لا تكشف ضرّاً، ولا تمسك[٣] رحمة، أي: صحّة وسعة في الرزق ونحو ذلك. و«أفرأيتم» هنا جارية على وضعها، تعدّت إلى مفعولها الأول وهو «ما تدعون[٤]» وجاء

---

(١) ق: سادتها.

(٢) ق: عباده.

(٣) ق: يكشف.. يمسك.

(٤) ق: يدعون.

المفعول الثاني جملة استفهامية وفيها العائد على «ما» وهو لفظ «هنّ» وأنّث تحقيراً لها وتعجيزاً وتضعيفاً. وكان فيها من سُمّي تسمية[1] الإناث [٤٨٤/أ] كالعزّى ومناة واللاّت. وأضاف إرادة الله تعالى الضرّ إلى نفسه والرحمة إليها لأنهم خوّفوه مضرّتها[2]. واستسلف منهم الإقرار بأن خالق العالم هو الله تعالى، ثم استخبرهم عن أصنامهم هل تدفع شرًّا أو تجلب خيراً. وقرىء: كاشفات وممسكات، على الإضافة وعلى الإعمال. ولما تقرّر أن الله تعالى كافيه وأن أصنامهم لا تضرّ ولا تنفع، أمره تعالى أن يعلم أنه تعالى هو حسبه أي: كافيه. والجواب في هذا الاستخبار محذوف والتقدير: فإنهم سيقولون لا نقدر على شيء من ذلك.

«قل يا قوم» تقدم الكلام عليه[3].

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا

(١) ق: لتسمية.

(٢) ق: معرتها.

(٣) انظر تفسير الآية ١٣٥ من الأنعام.

﴿لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى أنه أنزل الكتاب على رسوله بالحق للناس، نبّه على آية من آياته الكُبَر، تدلّ على وحدانيّته، لا يشركه في ذلك صنم ولا غيره فقال «الله يتوفى الأنفس» و«الأنفس» هي الأرواح. قال ابن عباس: الروح لها تدبير عالم الحياة والنفس لها تدبير عالم الإحساس. ومعنى «يتوفى الأنفس» يميتها. «والتي» أي: والأنفس التي. «لم تمت في منامها» أي: يتوفّاها حين تنام تشبيهاً للنوّام[1] بالأموات ومنه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام] فبين الميت والنائم قدر مشترك، وهو كونهما لا يميّزان ولا يتصرّفان. فيمسك من قضى عليها الموت الحقيقي، فلا يردّها في وقتها حيّة، ويرسل النائمة لجسدها إلى أجل ضربه لموتها.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ فهو مالكها يأذن فيها لمن يشاء.

ثم أتى بعامٍّ وهو ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فاندرج فيه ملك الشفاعة.

ولمّا كانت الشفاعة من غيره موقوفة على إذنه، كانت الشفاعات كلها له تعالى.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: مفرداً بالذكر، ولم يُذكر معه آلهتهم، وقيل: إذا قيل لا إله إلا الله.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ وهي الأصنام. والاشمئزاز[2] والاستبشار

(١) ق: للنوم.

(٢) هذه الجملة حتى آخرها أخذها من كلام الزمخشري وتصرف فيها؛ انظر الكشاف ٣:٤٠١.

متقابلان غاية؛ لأن الاشمئزاز امتلاء القلب غمًّا وغيظاً، فيظهر أثره، وهو الانقباض، في الوجه، والاستبشار امتلاؤه سروراً، فيظهر أثره، وهو الانبساط والتهلّل، في الوجه.

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: ما العامل في «وإذا ذكر»؟. قلت: العامل في إذا الفجائية تقديره: وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار انتهى.

ما قاله الزمخشري لا أعلمه من قول من ينتمي للنّحو، وهو أن الظرفين معمولان لفاجؤوا، ثم إذا الأولى تنتصب على الظرف والثانية على المفعول به.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ تقدّم الكلام عليه[٢].

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: كانت ظنونهم في الدنيا متفرقة على حسب ضلالتهم وتخيّلاتهم فيما يعتقدونه، فإذا عاينوا العذاب يوم القيامة، ظهر لهم خلاف ما كانوا يظنون [٤٨٤/ب] وما كان في حسابهم.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا﴾ أي: جزاء ما كانوا. و«ما» في «ما كسبوا» يحتمل أن تكون بمعنى الذي، أي: سيئات أعمالهم، وأن تكون مصدرية أي: سيئات كسبهم. والسيئات: أنواع العذاب، سميت سيئات كما قال ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى].

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ

(١) الكشاف ٣: ٤٠١.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٦ من المائدة.

سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةٗ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ .

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا﴾ الآية، تقدم في غير آية كون الإنسان إذا مسّه الضّر، التجأ إلى الله، مع اعتقادهم الأوثان وعبادتها، فإذا أصابتهم شدة، نبذوها ودعوا ربّ السماوات والأرض. وهذا يدلّ على تناقض آرائهم وشدة اضطرابها.

﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى مشركي قريش. ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيساً في الزمان من سوف. وهو خبر غيب، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره: قُتل رؤساؤهم، وحُبس عنهم الرزق، فلم يُمطَروا سبع سنين، ثم بسط لهم، فمطروا سبع سنين، فقيل لهم: ألم يعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ﴾ نزلت[١] في وحشي قاتل حمزة، أو في قوم آمنوا: عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر معهما، ففتنتهم قريش، فافتتنوا، وظنّوا أن لا توبة لهم، فكتب لهم عمر بهذه الآية. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا شدّد على الكفّار، وذكر ما أعدّ لهم من العذاب، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه، لافتدى به من عذاب الله - ذكر ما في

(١) انظر أسباب النزول ص٢٤٨، ولباب النقول ص١٨٥.

إحسانه من غفران الذنوب، إذا آمن العبد، ورجع إلى الله تعالى. وكثيراً تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة، ليرجو العبد ويخاف. وهذه الآية عامة في كل كافر يتوب، ومؤمن عاصٍ يتوب، يمحو الذّنبَ توبتُه.

وقال عبد الله وغيره: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ عام يُراد به ما سوى الشرك.

وفي قوله «يا عبادي» بإضافتهم إليه وندائهم إقبال وتشريف. و« أسرفوا على أنفسهم» أي: بالمعاصي. والمعنى أن ضرر تلك الذنوب إنما هو عائد عليهم، والنّهي عن القنوط يقتضي الأمر بالرجاء. وإضافة الرحمة إلى الله تعالى التفات من ضمير التكلم إلى الاسم الغائب، لأن في إضافتها إليه سعة الرحمة، إذا أضيفت إلى الله تعالى الذي هو أعظم الأسماء، لأنه العلم المحتوي على معاني جميع الأسماء.

ثم أعاد الاسم الأعظم وأكّد الجملة بإنّ مبالغة في الوعد بالغفران. ثم وصف نفسه بما سبق في الجملتين من الرحمة والغفران بصفتي المبالغة. وأكّد بلفظ «هو» المقتضي عند بعضهم الحصر.

ولمّا كانت هذه الآية فيها فسحة عظيمة للمسرف [٤٨٥/أ] أتْبعها بأن الإنابة - وهي الرجوع - مطلوبة مأمور بها. ثم توعّد من لم يَتُب بالعذاب حتى لا يبقى المرء كالمُهْمَلِ من الطاعة والمتكل على الغفران دون إنابة.

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

«أن تقول نفس يا حسرتا» الآية، الألف منقلبة عن ياء المتكلم وأصله يا حسرتي، كما قالوا في يا غلامي: يا غلاما، فقلبوا الياء ألفاً. والجنب: الجانب، ومستحيل على الله تعالى الجارحة فإضافة الجنب إليه مجاز.

﴿لِمَنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ لم يَكْفِهِ أن ضيّع طاعة الله تعالى حتى سخر من أهلها.

ولمّا كان قوله «لو أن الله هداني» وجوابه متضمّناً نفي الهداية كأنه قال: ما هداني الله، فقيل له: بلى وقد جاءتك آياتي مرشدة لك فكذبت.

﴿فَأَكُونَ﴾ يجوز أن يكون جواب «لو» وقد أُشربت معنى التّمني كأنه قيل: تمنّيت [أنّ] لي كرّة، فأكون من المحسنين. ويجوز أن يكون معطوفاً على «كرة» كأنه قيل: [فلو أنّ] لي كرّةً فكوناً من المحسنين، ويكون جواب «لو» محذوف تقديره: لنجوت.

قال ابن عطية: وحقّ «بلى» أن تجيء بعد نفي عليه تقرير[1]. وقوله «بلى» جواب لنفي مقدّر كأن النفس قالت: فعمري في الدنيا لم يتّسع للنظر[2]، أو قالت: فإني لم يتبيّن لي الأمر في الدنيا، ونحو هذا، انتهى.

---

(١) ق: تقدير.

(٢) ق: في النظر، وفوقها: كذا.

ليس حق «بلى» ما ذكر، بل حقّها أن تكون جواب نفي، ثم حمل التقرير على النفي، ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب، وأجابه بنعم، ووقع ذلك أيضاً في كلام سيبويه نفسه أن أجاب التقرير بنعم اتّباعاً لبعض العرب.

وكذبهم على الله تعالى نِسْبَتُهم إليه البنات والصاحبة والولد، وشَرْعُهم ما لم يأذن به الله. والظاهر أنه عامّ في الكاذبين على الله تعالى. والرؤية هنا من رؤية البصر.

و﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ جملة في موضع الحال، وفيها ردّ على الزمخشري، إذ زعم أن حذف الواو من الجملة الاسمية المشتملة على ضمير ذلك الحال شاذ، وتبع في ذلك الفراء. وقد أعرب هو هذه الجملة حالاً[1]، فكأنه رجع عن مذهبه ذلك.

وقرىء: وجوهَهم مسودّةً، بنصبهما فهو بدل من «الذين» و«مسودة» حال، كأنه قيل: وترى وجوه الذين كذبوا[2] على الله في حال اسودادها.

وقرىء: بمفازتهم، على الإفراد. وبمفازاتهم، على الجمع.

«والذين كفروا» معطوف على قوله «وينجي» وإن كانت تلك جملة اسمية و«ينجي» جملة فعلية، إذ صار المعنى: وينجّي - مع ما بعده - ويخسر[3] من كفر بآيات الله.

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ

(١) الكشاف ٣: ٤٠٦. وليس الزّعم المذكور في هذا الموضع من الكشاف.

(٢) ق: كفروا.

(٣) ق: ونحشر.

مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ الآية، «أفغير» منصوب بقوله «أعبد»، و«تأمرونّي» جملة اعتراضية بين الفعل ومعموله كأنه قيل: أعبد غير الله تأمرونني بذلك. وقرىء: تأمرونّي، بإدغام نون الرفع في نون الوقاية.

قال ابن عطية: وهذا على حذف النون الواحدة وهي الموطئة [٤٨٥/ب] لياء المتكلم، يعني في قراءة من قرأ بحذف النون. قال: ولا يجوز حذف النون الأولى، وهو لحن، لأنها علامة رفع الفعل انتهى.

في المسألة خلاف: منهم من يقول: المحذوفة نون الرفع، ومنهم من يقول: نون الوقاية. وليس بلحن، لأن التركيب متفق عليه، والخلاف جرى في أيّهما حُذف. ونختار أنها نون الرفع. ويجوز أن تكون «تأمروني» في موضع الحال؛ أنكر عليهم أن يعبد غير الله آمريه[1] بذلك.

ولمّا كان الإشراك مستحيلاً على من عصمه الله تعالى، وجب تأويل قوله «لئن أشركت» على حمله على ضمير السامع دون الموحى إليه، أي: أوحي إلى الرسول عليه السلام لئن أشركت أيها السامع، ومضى الخطاب على هذا

(١) ق: أمر به.

التأويل. ويدل على هذا التأويل، وأنه ليس براجعٍ الخطاب [فيه] للرسول عليه السلام، إفراد الخطاب في «لئن أشركت» إذ لو كان هو المخاطب لكان التركيب: لئن أشركتم، فيشمل ضميره وضمير الذين من قبله ويُغَلَّب الخطاب.

و﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾ خطاب للسامع، أمره الله تعالى بالعبادة والشكر.

قال الزمخشري[١]: «فاعبد» ردٌّ لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم، كأنه قال: لا تعبد ما أمروك بعبادته، بل إن كنت عاقلاً فاعبد الله. فحذف الشرط وجعل تقدم المفعول عوضاً منه انتهى.

لا يكون تقدّم المفعول عوضاً من الشرط، لجواز أن يجيء: زيد فعمراً اضرب[٢]، فلو كان عوضاً لم يَجُز الجمع بينهما.

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ تقدم الكلام عليه في الأنعام[٣].

ولمّا أخبر أنهم ما عرفوه حق معرفته، نبّههم على عظمته وجلالة شأنه، على طريق التصوير والتخييل فقال ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾. والدليل العقلي قائم على امتناع ثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى فوجب الحمل على المجاز.

ولما قرر كمال عظمته بما سبق، أردفه أيضاً بما يناسب من ذلك - إذ كان فيما تقدّم ذكر حال الأرض والسماوات يوم القيامة - فقال: ﴿ وَنُفِخَ فِي

---

(١) الكشاف ٣: ٤٠٧.

(٢) ق: وعمرو الضرب.

(٣) انظر تفسير الآية ٩١ من الأنعام.

﴿ٱلصُّورِ﴾.

وقرئ: وأشرقت، مبنيًا للفاعل أي: أضاءت. وقرئ مبنيًا للمفعول مِن: شرقت بالضوء تشرق إذا امتلأت به واغتصت، وأشرقها الله تعالى كما تقول[1]: ملأ الأرض عدلاً، وطبقها عدلاً.

«وجاء بالنبيين» ليشهدوا على أممهم.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: جوزيت مكمّلاً. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد. وفي ذلك وعيد وزيادة تهديد.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ الآية، لمّا ذكر شيئاً من أحوال يوم القيامة على سبيل الإجمال، بيّن بعدُ كيفية أحوال الفريقين، وما أفضى إليه كل واحد منهما، فقال «وسيق». والسوق يقتضي الحثّ على المسير

(١) ق: يقول.

[٤٨٦/أ] بعنف وهو الغالب فيه. وجواب إذا: «فتحت أبوابها»، ودلّ ذلك على أنها لا تفتح إلا إذا جيئت[1] كسائر أبواب السجون، فإنها لا تزال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فتُفتح ثم تُغلق عليهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ على سبيل التقريع والتوبيخ. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من جنسكم يقصّون ما ينبئونكم به ويسهل عليكم مراجعتهم.

﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: الكتب المنزلة للتبشير والنّذارة. ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ وهو يوم القيامة وما يلقى فيه المسيء من العذاب. ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أي: قد جاءتنا وتلَوْا وأنذروا. وهذا اعتراف بقيام الحجّة عليهم.

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: قوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف]. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر أي: علينا. صرّحوا بالوصف الموجب لهم العقاب. ولما فرغت محاورتهم مع الملائكة، أُمروا بدخول النار.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ عبّر عن الإسراع بهم إلى الجنة مكّرمين، بالسّوق. و«إذا» شرطية، وجوابها: قال الكوفيون: «وفتحت»، والواو زائدة. وقال غيرهم: محذوف تقديره: لسُرّوا بذلك.

﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الداخلون الجنة. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة، أي: ملكناها نتصرّف فيها كما نشاء.

﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ المخصوص بالمدح محذوف تقديره: أجرنا.

(١) ق: جاءت.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ خطاب للرسول عليه السلام.

﴿حَآفِّينَ﴾ حال. والحفوف: الإحداق بالشيء من جميع جهاته، أي: حافّين حول العرش. ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال.

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ختم للأمر وقول جزم عند فصل القضاء. أي: هذا الحاكم العدل ينبغي أن يُحمد عند نفوذ حكمه وإكمال قضائه. ومن هذه الآية جُعلت «الحمد لله رب العالمين» خاتمة المجالس والمجتمعات في العلم.

سورة غافر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾.

﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ الآية، سبع الحواميم مكيات قالوا بإجماع. وفي الحديث «إن الحواميم ديباج القرآن»[2]. وفيه «من أراد أن يرتع في رياض مونقة من الجنة فليقرأ الحواميم»[3]. وفيه «مثل الحواميم في القرآن مثل الحبرات في الثياب»[4]. وهذه الحواميم مقصورة على المواعظ والزّجر وطرق الآخرة. وهي قصار لا يلحق فيها سآمة. ومناسبة أول هذه السورة لآخر الزّمر أنه تعالى لمّا ذكر ما يؤول إليه [٤٨٦/ب] حال الكافر وحال المؤمن، ذكر هنا أنه تعالى غافر الذنب وقابل التوب، ليكون ذلك

---

(١) مكية وهي خمس وثمانون آية.

(٢) موضوع. انظر ضعيف الجامع الصغير ٣: ١١٤. وانظر فتح القدير ٤: ٤٧٩.

(٣) أخرجه بمعناه الديلمي عن سمرة بن جندب مرفوعاً، انظر الدر المنثور ٥: ٣٤٤.

(٤) لم أجده.

استدعاءً للكافر إلى الإيمان وإلى الإقلاع عما هو فيه، وأن باب التوبة مفتوح وذكر شدة عقابه وصيرورة العالم كلهم إليه ليرتدع عما هو فيه، وأن رجوعه إليه فيجازيه بما عمل من خير أو شرّ. «شديد العقاب» بدل[1] لأنه من باب الصفة المشبّهة ولا يتعرف بالإضافة إلى المعرفة.

ووقع في كلام الزمخشري في قوله تعالى «شديد العقاب» ما نصّه[2] «والوجه أن يقال لمّا صودف[3] بين هذه المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت».

وهذا تركيب غير عربي لأنه جعل «فقد آذنت» جواب لمّا. وليس من كلامهم: لمّا جاء زيد فقد قام عمرو.

﴿ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾ قال ابن عباس: «الطول» السّعة والغنى.

«ما يجادل» جدالهم فيها قولهم مرةً: سحر، ومرة شعر، ومرة كهانة، ومرة ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾ [الأنعام]، ومرة ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ ١٠٣﴾ [النحل]. فهو جدال بالباطل.

ولمّا كان جدال الكفار ناشئاً عن تكذيب ما جاء به الرسول عليه السلام من آيات الله، ذكر من كذّب قبلهم من الأمم السالفة وما صار إليه حالهم من حلول نقمات الله تعالى بهم، ليرتدع بهم كفار من بُعث الرسول عليه السلام إليهم، فبدأ بقوم نوح إذ كان عليه السلام أول رسول في الأرض. وعطف على قومه « الأحزاب» وهم الذين تحزّبوا على الرسُلِ ولم يقبلوا منهم ما

---

(١) ق: بدلاً.

(٢) الكشاف ٣: ٤١٢.

(٣) ق: مودف، وفوقها: كذا.

جاؤوا به من عند الله تعالى، ومنهم عاد وثمود وفرعون وأتباعه.

وقدّم الهمّ بالأخذ على الجدال بالباطل، لأن الرسل عليهم السلام لمّا عصمهم الله تعالى منهم أن يقتلوهم، رجعوا إلى الجدال بالباطل.

«فكيف» استفهام في موضع خبر «كان». و«عقاب» اسم كان حذفت منه ياء الإضافة لكونه فاصلة.

«وكذلك حقت» الكاف للتشبيه، أي: مثل ذلك الوجوب من عقابهم وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار. و«أنهم» مع ما بعده يتقدّر بالمصدر، أي: كونهم، وهو بدل من قوله[1] «كلمة».

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ الآية، لمّا ذكر جدال الكفار ذكر طاعة هؤلاء

(١) ق: قولهم.

المصطفَيْن من خلقه، وهم حملة العرش، ومن حوله، وهم الحافّون به من الملائكة. و«الذين» مبتدأ. و«من» معطوف عليه. و«يسبحون» الخبر. و«ويؤمنون به» فائدة قوله «ويؤمنون» شرف الإيمان وفضله وشرف من تحلّى به. «ويستغفرون للذين آمنوا» يدلّ على شرف المؤمنين حيث جعل استغفارهم [٤٨٧/أ] معطوفاً على إيمان الملائكة، معطوفاً[١] على تنزيه الملائكة لله تعالى. «ربنا» منصوب على إضمار القول. و«ربّنا» منادى مضاف.

و﴿رَّحۡمَةً وَعِلۡمًا﴾ تمييزان محوّلان من الفاعل تقديره: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء.

ولمّا سألوا إزالة العقاب، سألوا اتّصال الثواب وكرّروا الدعاء بـ«ربنا» فقالوا ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي: امنعهم من الوقوع فيها حتى لا يترتب عليها جزاؤها.

و«من» شرطية مفعول أول بـ«تَقِ» تقديره: أي شخص، و«السيئات» مفعول ثان. «فقد رحمته» جواب الشرط.

ونداؤهم: قيل في النار، والمنادون لهم الزّبانية على جهة التوبيخ والتقريع.

واللام في ﴿لَمَقۡتُ﴾ لام الابتداء أو لام القسم. و«مقت» مصدر مضاف إلى الفاعل التقدير: لمقت الله إياكم، أو لمقت الله أنفسكم، وحذف المفعول لدلالة ما بعده عليه في قوله ﴿أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾.

والظاهر أن مقت الله إياهم هو في الدنيا، ويضعف أن يكون في الآخرة

---

(١) فوقها في ق: كذا.

كما قال بعضهم، لبقاء «إذ تدعون» مفلتاً من الكلام، لكونه ليس له عامل تقدَّم ولا مفسّر لعامل. وإذا كان المقت السابق في الدنيا أمكن أن يُضمر له عامل تقديره: مقتكم إذ تُدعون.

وقال الزمخشري[١]: و«إذ تدعون» منصوب بالمقت الأول، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة أن الله مقت أنفسكم الأمّارة بالسّوء والكفر حين[٢] كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان، فتأبون قبوله وتختارون[٣] عليه الكفر أشدّ مما تمقتونهنّ اليوم وأنتم في النار إذ[٤] أوقعتكم فيها باتّباعكم هواهنّ انتهى.

وفيه دسيسة الاعتزال. وأخطأ في قوله «وإذ تدعون» منصوب بالمقت الأول، لأن المقت مصدر ومعموله من صلته، ولا يجوز أن يُخبَر عنه إلا بعد استيفائه صلته، وقد أخبر عنه بقوله «أكبر من مقتكم أنفسكم» وهذا من ظواهر علم النحو التي لا تكاد تخفى على المبتدئين فضلاً عمّن يدّعي العجمُ أنه في العربية شيخ العرب والعجم وليس كذلك!.

﴿قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ وجه اتصال هذه بما قبلها أنهم كانوا ينكرون البعث، وعظَّم مقتهم أنفسهم هذا الإنكار. فلمّا مقتوا أنفسهم، ورأوا حزناً طويلاً، رجعوا إلى الإقرار بالبعث، فأقرّوا أنه تعالى أماتهم اثنتين وأحياهم اثنتين، تعظيماً لقدرته وتوسّلاً إلى رضاه. ثم أطعموا أنفسهم - بالاعتراف بالذنوب - أن يُرَدّوا إلى الدنيا، أي: إن رجعنا إلى الدنيا ودُعينا إلى الإيمان

---

(١) الكشاف ٣: ٤١٧.

(٢) ق: خبر.

(٣) ق: فيأبون.. ويختارون.

(٤) ق: إذا.

بادرنا إليه. وتقدّم الكلام في الإماتة والإحياء في البقرة[١].

«ذلكم» الظاهر أن الخطاب للكفار في الآخرة. والإشارة إلى العذاب [٤٨٧/ب] الذي هم فيه. و«ذلكم» مبتدأ خبره «بأنه»[٢] لأنه ينسبك ما بعد الباء بمصدر، فيكون التقدير: عذابكم كائن بسبب كفركم وإشراككم المذكورين. والضمير في «بأنه» ضمير الشأن.

﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ أي: إذا أفرد بالإلهيّة ونُفيت عن سواه كفرتم.

﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ أي: ذُكرت اللات والعزّى وأمثالهما من الأصنام، صدقتم بألوهيّتها وسكنت نفوسكم إليها.

﴿فَٱلۡحُكۡمُ﴾ بعذابكم اليوم لله تعالى لا لتلك الأصنام التي أشركتموها مع الله. «العلي» عن الشريك. «الكبير» العظيم الكبرياء.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٥٨ من البقرة.

(٢) ق: بأنكم.

ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿فَٱدْعُوا۟[١] ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية، الأمر للمنيبين.

و«رفيع» خبر مبتدأ محذوف. و«الروح» النبوّة، وقيل: جبريل عليه السلام يرسله لمن يشاء. والأولى الوحي، استعار له الروح لحياة الأديان المرضية به. وسمّي «يوم التلاق» لالتقاء الخلائق فيه، قاله ابن عباس.

﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ﴾ أي: ظاهرون من قبورهم لا يسترهم شيء حفاة عراة. و«يوم» بدل من «يوم التلاق» وكلاهما ظرف مستقبل. والظرف المستقبل عند سيبويه لا يجوز إضافته إلى الجملة الإسمية، لا يجوز: أجيئك يومَ زيدٌ ذاهب، إجراءً له، فكما لا يجوز أن تقول: أجيئك إذا زيد ذاهب، فكذلك لا يجوز هذا، وذهب أبو الحسن إلى جواز ذلك.

قال ابن عباس: إذا هلك من في السماوات ومن في الأرض، فلم يبق إلا الله تعالى قال: لمن الملك اليوم؟. فلا يجيبه أحد، فيردّ على نفسه: لله الواحد القهّار.

و«يوم الآزفة» هو يوم القيامة.

﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ تقدم الكلام عليه في الأحزاب[٢].

---

(١) ق: فادعوه.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠ من الأحزاب.

«خائنة الأعين» الظاهر أنه من إضافة الصفة إلى موصوفه، أي: الأعين الخائنة. وخيانتها من كسر جفنٍ وغمزٍ ونظرٍ يُفهم منه ما يراد.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ الآية، ابتدأ تعالى قصة موسى عليه السلام

مع فرعون تسلية للرسول عليه السلام ووعيداً[١] لقريش أن يحلّ بهم ما حلّ بفرعون وقومه من نقمات الله تعالى. «بآياتنا» أشهرها العصا واليد.

وقرىء: وأن. وقرىء: أو أن. وقرىء: يَظهر، مضارع ظهر والفسادُ فاعل. وقرىء: يُظهر مضارع أظهر والفسادَ مفعول به والفاعل ضمير موسى.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ قيل: كان قبطياً وهو ابن عمّ فرعون، وقيل: كان إسرائيلياً واسمه سمعان، وقيل غير ذلك. «من آل فرعون» في موضع الصفة. ورُدّ قول من علّق «من آل فرعون» بـ«يكتم» بأنه لا يقال: كتمت من فلان كذا، إنما يقال: كتمت فلاناً، قال الله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء]، وقال الشاعر[٢]: [من الطويل]

كتمتُك ليلاً بالجَمومَيْن ساهرا [وهمَّين همّاً مستكنّاً وظاهرا]

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ هذا إنكار منه عظيم وتبكيت لهم كأنه قال: [٤٨٨/أ] أترتكبون الفعلة الشنعاء التي [هي] قتل[٣] نفس محرّمة وما لكم علّة في ارتكابها إلاّ كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله: ربي الله، مع أنه قد جاءكم بالبيّنات من ربكم، أي: من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لا ربّه وحده. وهذا استدراج إلى الاعتراف بالبيّنات، بالدلائل على التوحيد، وهي التي ذكرها في طه والشعراء[٤] حالة محاورته له في سؤاله عن ربّه تعالى. ولمّا صرّح بالإنكار عليهم، غالطهم بعدُ في أن قسم أمره إلى كذب وصدق،

---

(١) ق: ووعيد.

(٢) البيت للنابغة في ديوانه ص١٣٠.

(٣) ق: قيل.

(٤) انظر الآية ٤٩ وما بعدها من طه، والآية ٢٣ من الشعراء وما بعدها.

وأبدى ذلك في صورة احتمال ونصيحة، وبدأ في التقسيم بقوله ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ مداراةً منه وسلوكاً[١] طريق الإنصاف في القول، وخوفاً إذا أنكر عليهم قتله أنه ممّن يعاضده وينصره، فأوهمهم بهذا التقسيم والبداءة بحالة الكذب حتى يسلم من شرّهم[٢]، ويكون ذلك أدنى إلى تسليمهم.

ومعنى «فعليه كذبه» أنه لا يتخطّاه ضرره.

﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وهو يعتقد أنه نبي قطعاً لكنه أتى بلفظ «بعض» لإلزام الحجة بأيسر ما في الأمر، وليس فيه نفي أن يصيبهم [كل] ما يعدهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ فيه إشارة إلى علوّ شأن موسى عليه السلام وأنّ من اصطفاه الله تعالى للنبوّة، لا يمكن أن يقع منه إسراف ولا كذب.

وفيه تعريض بفرعون، إذ هو في غاية الإسراف على نفسه بقتل أبناء المؤمنين، وفي غاية الكذب، إذ ادّعى الإلهيّة[٣] والربوبية، ومَن هذا شأنه لا يهديه الله أبداً. وفي الحديث[٤] «الصدّيقون ثلاثة: حبيب النّجار مؤمن آل ياسين، ومؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه». وفي الحديث أنه عليه السلام طاف بالبيت، فحين فرغ أخذوا بمجامع ردائه فقالوا له: أنت الذي تنهانا عمّا كان يعبد آباؤنا؟. فقال: أنا ذاك. فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقد

(١) ق: وسالكاً.

(٢) ق: شرّه.

(٣) الإلاهيّة.

(٤) موضوع. انظر الأحاديث الضعيفة ١: ٣٥٨، وضعيف الجامع الصغير ٣: ٢٨٣.

جاءكم بالبيّنات من ربكم»[١] رافعاً صوته بذلك وعيناه تسفحان بالدموع حتى أرسلوه.

ثم قال ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ نداء متلطّف في موعظتهم. ﴿لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ [ٱلۡيَوۡمَ] ظَٰهِرِينَ﴾ أي: غالبين عالين. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر، قد غلبتم بني إسرائيل فيها، وقهرتموهم، واستعبدتموهم. وناداهم[٢] بالمُلْك الذي هو أعظم مراتب الدنيا وأجلّها، وهو من جهة شهواتهم. وانتصب «ظاهرين» على الحال، والعامل فيها هو العامل في الجار والمجرور، وذو الحال هو ضمير «لكم».

ثم حذّرهم أن يفسدوا على أنفسهم بأنه إن جاءهم بأس الله لم يجدوا لهم دافعاً ولا ناصراً. وأدرج [نفسه فيه] «ينصرنا» و«جاءنا» لأنه منهم في القرابة، وليعلمهم أن الذي ينصحهم [٤٨٨/ب] به هو مشارك لهم فيه.

وأقوال هذا المؤمن هذه تدل على زوال هيبة فرعون من قلبه، ولذلك استكان فرعون وقال ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بقتله ولا أستصوب إلا ذلك. وهذا قول من لا تحكّم له. وأتى بـ«ما» و«إلا» للحصر والتأكيد. وما أهديكم إلا سبيل الصواب لا ما تقولونه من ترك قتله. وقد كذب بل كان خائفاً وجلاً وقد علم أنّ ما جاء به موسى عليه السلام حق، ولكنه كان يتجلّد ويُري ظاهره خلاف ما أبطن.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ الآية، الجمهور على أن هذا المؤمن هو الرجل القائل «أتقتلون رجلاً» قصّ[٣] الله تعالى أقاويله إلى آخر الآيات. لمّا رأى ما لحق

---

(١) أخرجه البخاري ٤:١٨١٤ من حديث عبد الله بن عمرو بألفاظ مقاربة.

(٢) ق: وبدأهم.

(٣) ق: نصّ.

فرعون من الخور والخوف، أتى بنوع آخر من التهديد، وخوّفهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة من استئصال الهلاك حين كذبوا رسلهم، وقويت نفسه حتى سرد عليهم ما سرد، ولم يَهَبْ فرعون.

«يوم التناد» وهو يوم الحشر. والتنادي مصدر تنادى القوم، أي: نادى بعضهم بعضاً، قال الشاعر[(١)]: [من الطويل]

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً   فقلت: أعبد الله ذلكم الرّدي؟

وسمّي يوم التناد إما لنداء بعضهم لبعض بالويل والثّبور، وإما لتنادي أهل الجنة وأهل النار على ما ذكر في الأعراف[(٢)].

وفي الحديث[(٣)] «إنّ للناس جولة يوم القيامة يندّون يظنّون أنهم يجدون مهرباً [ثم تلا]: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ[(٤)] مُدْبِرِينَ﴾».

﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ﴾ في فراركم حتى تقذفوا في النار. ولمّا يئس المؤمن من قبولهم قوله قال ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

قال الزمخشري[(٥)]: ويحتمل أن يكون «الذين يجادلون» مبتدأ، و«بغير سلطان أتاهم» خبراً. وفاعل «كبر» قوله «كذلك» أي: كبر مقتاً مثل ذلك الجدال. و«يطبع الله» كلام مستأنف. ومن قال: كبر مقتاً عند الله جدالهم، فقد حذف الفاعل، والفاعل لا يصحّ حذفه انتهى.

---

(١) البيت لدريد بن الصمّة في الأصمعيات ص١٠٨، وفي الشعر والشعراء ٢: ٧٥٠.

(٢) انظر تفسير الآية ٤٤ من الأعراف.

(٣) لم أجده.

(٤) ق: يقولون.

(٥) الكشاف ٣: ٤٢٧.

وهذا الذي أجازه لا يجوز أن يكون مثله في كلام فصيح، فكيف في كلام الله تعالى؟ لأنّ فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض، وارتكاب مذهبٍ الصحيحُ خلافه.

أمّا تفكيك الكلام فالظاهر أن «بغير سلطان» متعلق بـ«يجادلون» ولا يُتعقّل جَعْلُه خبراً لـ«الذين» لأنه جار ومجرور، فيصير التقدير: الذين يجادلون في آيات الله كائنون أو مستقرّون بغير سلطان، أي: في غير سلطان، لأن الباء إذا ذاك ظرفية خبر عن الجثث. وكذلك في قوله «يطبع» إنه مستأنف، فيه تفكيك الكلام؛ لأن ما جاء في القرآن من: كذلك يطبع أو نطبع، إنما جاء مربوطاً بعضه ببعض فكذلك هذا. وأما ارتكاب مذهب الصحيح خلافه [فجعَلْ] الكاف اسماً فاعلاً بـ«كبر» وذلك [٤٨٩/أ] لا يجوز على مذهب البصريين إلا الأخفش، ولم يثبت في كلام العرب، أعني نَثْرها: جاءني كزيد، تريد: مثل زيد. فلم تثبت اسميّتها فتكون[1] فاعلة.

وأما قوله: ومن قال إلى آخره فإن قائل ذلك هو[2] الحوفي، والظنّ به أنه فسّر المعنى ولم يرد الإعراب. وإنما تفسير الإعراب أن الفاعل بـ«كبر» ضمير يعود على الجدال المفهوم من «يجادلون» كما قالوا: من كذب كان شرًّا له، أي: كان هو، أي: الكذب المفهوم من كذب. والأولى في إعراب هذا الكلام أن يكون «الذين» مبتدأ وخبره «كبر» والفاعل ضمير المصدر المفهوم من «يجادلون»، وهذه الصفة[3] موجودة في فرعون وقومه. ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم إلى الاسم الغائب لحسن

---

(١) ق: يثبت.. فيكون.

(٢) ق: وهو.

(٣) ق: القصة.

محاورته[1] لهم واستجلاب قلوبهم، وأبرز[2] ذلك في صورةِ تذكّرهم ولا تفجؤهم[3] بالخطاب.

وفي قوله ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه[4] عن حدّ أشكاله من الكبائر.

«كذلك» أي: مثل ذلك الطبع على قلوب المجادلين. «يطبع» أي: يختم بالضلال ويحجب عن الهدى. وقرىء: قلب، بالإضافة، وبالتنوين فـ«متكبّر» صفة له.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ

---

(١) ق: مجاورته.

(٢) ق: وإبراز.

(٣) ق: تجفوهم.

(٤) ق: حروبه.

ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

«وقال فرعون يا هامان» أقوال فرعون: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر] ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر] ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ حيدة عن محاجة موسى ورجوع إلى أشياء لا تصحّ، وذلك كله لما خامره من الجزع والخوف وعدم المقاومة والتعرّف أن هلاكه وهلاك قومه على يدي موسى عليه السلام، وأن قدرته عجزت عن التأثير في موسى، هذا على كثرة سفكه الدّماء. والصّرح تقدّم الكلام عليه[1].

وقرىء: فأطّلعُ، بالرفع عطفاً على «أبلغ». وقرىء بالنصب.

قال الزمخشري[2]: على جواب الترجّي، تشبيهاً للترجّي بالتّمني انتهى. فالتّرجي لا يكون إلا في الممكن، وبلوغ أسباب السماوات غير ممكن، لأنّ فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن تمويهاً على سامعيه. وأمّا النّصب بعد الفاء في جواب الترجّي فشيء أجازه الكوفيون [ومنعه البصريون، واحتجّ الكوفيون] بهذه القراءة. وقرىء: وصَدَّ، مبنيًّا للفاعل. وصُدّ، مبنيًّا للمفعول.

﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ الآية، بدأ المؤمن بذكر المتسبّب عن دعوتهم، وأبدى التفاضل بينهما.

---

(١) انظر شرح الآية ٤٤ من النمل، والآية ٣٨ من القصص.

(٢) الكشاف ٣: ٤٢٨.

ولما ذكر المسبّبين ذكر سببهما وهو دعاؤهم إياه إلى الكفر والشرك، ودعاؤه إياهم إلى الإيمان والتوحيد. وأتى بصفة «العزيز» وهو الذي لا نظير له، «الغفار» لذنوب من رجع إليه وآمن به [٤٨٩/ب] وأوصل سبب دعائهم بمسبّبه وهو الكفر والنار، وأخّر سبب مسبّبه ليكون افتتاح كلامه واختتامه بما يدعو إلى الخير. وبدأ أولاً بجملة اسمية [وهو الاستفهام المتضمّن التعجب من حالتهم، وختم أيضاً بجملة اسمية] ليكون أبلغ في توكيد الإخبار. وجاء في حقهم و«تدعونني» بالجملة الفعلية التي لا تقتضي التوكيد، إذ دعوتهم باطلة لا ثبوت لها فتؤكَّد. و«ما ليس لي به علم» هي الأوثان، أي: لم يتعلّق علمي بها إذ ليس لها مدخل في الألوهية ولا لفرعون.

﴿لَاجَرَمَ﴾ تقدم الكلام عليه[١]. ولمّا ذكر انتفاء دعوة ما عُبد من دون الله، ذكر أن مردّ الجميع إلى الله أي: إلى جزائه.

«فَوَقَاهُ الله سيئات ما مكروا» قال مقاتل: لمّا قال هذه الكلمات قصدوا قتله، فهرب[٢] هذا المؤمن إلى الجبل، فلم يقدروا عليه. «فوقاه الله سيئات ما مكروا» أي: شدائد مكرهم التي تسوؤه[٣] وما همّوا به من أنواع العذاب لمن خالفهم.

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ قال ابن عباس: هو ما حاق بالألف الذين بعثهم فرعون في طلب المؤمن من أكل السّباع والموت بالعطش والقتل والصّلب كما تقدّم[٤].

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من هود.

(٢) ق: هرب.

(٣) ق: تسوؤهم.

(٤) ابحث عنها.

والظاهر أن العرض خلاف الإحراق.

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾.

وقرىء: كلٌّ، بالرفع مبتدأ خبره «فيها»، والجملة في موضع خبر «إنا».

وقرىء بالنصب، وخرّجه الزمخشري وابن عطية على التوكيد. قال الزمخشري[١]: لاسم إنّ وهو معرفة، والتنوين عوض من المضاف إليه، يريد: إنّا كلّنا فيها انتهى.

وخبر إنّ هو «فيها»، ومن رفع «كلاًّ» فعلى الابتداء وخبره «فيها» والجملة خبر إنّ.

(١) الكشاف ٣: ٤٣٠.

وقال ابن مالك في تصنيفه وقد تكلّم على كلّ: ولا يستغنى بنيّة إضافته خلافاً للفرّاء والزمخشري انتهى.

وهذا المذهب منقول عن الكوفيين.

وقال الزمخشري[1] أيضاً: فإن قلت: هلِ يجوز أن يكون «كلًّا» [حالاً] قد عمل [فيها] «فيها»؟. قلت: لا لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدّمة كما يعمل في الظرف متقدّماً، تقول: كلّ يوم لك ثوب، ولا تقول: قائماً في الدار زيد انتهى.

هذا الذي منعه أجازه الأخفش، إذا توسطت الحال نحو: زيد قائماً في الدار، وزيد قائماً عندك. والتمثيل الذي ذكره ليس مطابقاً لما في الآية، لأن الآية تقدّم فيها المسند إليه الحكم، وهو اسم إنّ، وتوسّطت الحال - إذا قلنا إنها حال - وتأخر العامل فيها. [وأما] تمثيله بقوله: ولا تقول: قائماً في الدار زيد، فتأخر فيه المسند والمسند إليه.

وقد ذكر بعضهم أن المنع في ذلك إجماع من النّحاة.

والذي أختاره في تخريج هذه القراءة أن «كلًّا» بدل من اسم إنّ، لأنّ «كلًّا» يُتصرّف فيها بالابتداء ونواسخه وغير ذلك، فكأنه قال: إنّ كلًّا فيها. [٤٩٠/أ] وإذا كانوا قد تأوّلوا: حولا أكتعاً ويوماً أجمعاً على البدل، مع أنهما لا يليان العوامل، فأن يُدّعى في «كلّ» البدل أولى. وأيضاً فتنكير كلّ ونصبه حالاً في غاية الشذوذ.

والمشهور أن «كلًّا» معرفة إذا قُطعت عن الإضافة، حُكي: مررت بكلٍّ

---

(١) الكشاف ٣: ٤٣١.

قائماً، وببعضٍ جالساً، في الفصيح الكثير من كلامهم. وقد شذّ نصب «كلّ» على الحال في قولهم: مررت بهم كلًّا، أي: جميعاً. فإن قلت: كيف تجعله بدلاً وهو بدل كلّ من كلّ من ضمير المتكلم، وهو لا يجوز على مذهب جمهور البصريين؟. قلت: مذهب الأخفش والكوفيين [جوازه] وهو الصحيح. على أن هذا ليس مما وقع فيه الخلاف، بل إذا كان البدل يفيد الإحاطة جاز أن يُبدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب، لا نعلم[1] خلافاً في ذلك كقوله تعالى ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة] وكذلك: مررت بكم صغيركم وكبيركم، معناه: مررت بكم كلّكم، وتكون لنا عيداً كلّنا. فإذا جاز ذلك فيما هو بمعنى الإحاطة، فجوازه فيما دلّ على الإحاطة وهو «كلّ» أولى. ولا التفات لمنع المبرّد البدل فيه لأنه بدل من ضمير المتكلم، لأنه لم يتحقّق[2] مناط الخلاف.

ولمّا أجاب الضعفاءَ المستكبرون، قالوا جميعاً لخزنة جهنم. وأبرزَ ما أضيف إليه الخزنة، ولم يأت ضميراً، فكان يكون التركيب: لخزنتها، لما في ذكر جهنم من التّهويل. فراجعتهم الخزنة [على سبيل التوبيخ] والتقريع: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم﴾ فأجابوهم بأنهم أتتهم. قالوا لهم: فادعوا أنتم، على سبيل الهزء بهم، فإنّا لا نجترىء على ذلك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ الدّلائل التي أوردها على فرعون وقومه.

و«الكتاب» التوراة توارثوها خلفاً عن سلف.

ثم أمره تعالى بتنزيهه في هذين الوقتين اللذين الناس مشغولون فيهما

(١) ق: يعلم.

(٢) ق: يحقق.

بمصالحهم[1] المهمّة.

ثم نبّه تعالى على أنه لا ينبغي أن يجادلَ في آيات [الله] ولا يتكبّر الإنسان لقوله.

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى

(١) ق: بمصالهما.

يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أن مخلوقاته أكبر وأجلّ من خلق البشر، فما لأحدهم يجادل ويتكبر[1] على خالقه؟!.

﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ أي: اعبدوني. و﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ أي: أُثِبْكم على العبادة. وكثيراً جاء الدعاء في القرآن بمعنى العبادة، ويقوّي هذا التأويل قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ وما روى النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال[2] «الدعاء هو العبادة». وقرأ هذه الآية. «إن الذين يستكبرون عن عبادتي» أي: يتعاظمون عن توحيدي. وقرىء: سيدخلون، مبنيًّا للفاعل والمفعول.

«كذلك» أي: مثل ذلك الصرف صرف الله قلوب الجاحدين بآيات الله من الأمم عن طريق [٤٩٠/ ب] الهدى.

و«الطيبات» المستلذّات طعماً ولباساً.

ومعنى ﴿يُسۡجَرُونَ﴾ يطرحون في النار، فيكونون وقوداً لها، وقيل

---

(١) ق: تجادل وتكبّر.

(٢) أخرجه أحمد ٤: ٢٧٦ من حديث النعمان بن بشير، وانظر صحيح الجامع الصغير ٣: ١٥٠.

يحرقون.

ثم أخبر تعالى أنهم يوقفون يوم القيامة على جهة التوبيخ والتقريع، فيقال لهم: [أين] الأصنام التي [كنتم] تعبدون في الدنيا؟ فيقولون: ضلّوا عنا أي: تلفوا منّا وغابوا واضمحلّوا. ثم تضطرب أقوالهم ويفزعون إلى الكذب فيقولون: بل لم نكن نعبد شيئاً. وهذا من أشد الاختلاط في الذهن والنظر.

«ذلكم» أي: الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق، وهو الشرك وعبادة الأوثان. وفي الحديث «إن الله يبغض المرحين الفرحين ويحب كل قلب حزين»[1]. و«تفرحون» و«تمرحون» من باب تجنيس التحريف المذكور في علم البديع، وهو أن يكون الحرف[2] فرقاً بين الكلمتين.

«ادخلوا»[3] الظاهر أنهم قيل لهم «ادخلوا» بعد المحاورة السابقة، وهم قد كانوا في النار، ولكن هذا أمر مقيّد بالخلود وهو الثواء الذي لا ينقطع، فليس أمراً بمطلق الدخول، إذ بعد الدخول فيها أُمروا أن يدخلوا سبعة الأبواب التي لكل باب منهم جزء مقسوم من الكفّار[4]، فكان ذلك أمراً بالدخول بقيد التجزئة[5] لكل باب.

---

(١) موضوع، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بألفاظ مقاربة، انظر ضعيف الجامع الصغير ٢: ١١٠.

(٢) ق: التحريف.

(٣) ق: ادخلوها.

(٤) الإشارة هنا إلى الآية ٤٤ من الحجر.

(٥) ق: التجربة.

و«خالدين» حال مقدّرة ودلّت على الثّواء الدائم فجاء التركيب «فبئس مثوى المتكبرين» ولم يجيء التركيب: فبئس مدخل المتكبرين، لأن نفس الدخول لا يدوم، فلم يبالغ في ذمّه بخلاف الثّواء الدائم الذي لا ينقطع فإنه بولغ في ذمّه.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ الآية، أخبر رسوله عليه السلام بأن ما وعده به من نصره وإعلاء كلمته حق ثابت لا بدّ من وقوعه.

﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ أي: من أخبرناك به في القرآن وهم[1] ثمانية عشر نبيًّا، ومنهم من لم نقصص عليك.

(١) ق: وهو.

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ﴾ أي: ليس ذلك راجعاً إليهم. لمّا اقترحوا على الرسول عليه السلام [آية] قال: «ليس ذلك إليّ، لا تأتي آية إلا إن شاء الله»[١].

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ ردٌّ ووعيد بأثر اقتراحهم الآيات. و«أمر الله» القيامة. و«المبطلون» المعاندون مقترحو الآيات. وقد أتتهم الآيات، فأنكروها، وسمّوها سحراً.

ثم ذكر تعالى آيات اعتبار وتعداد نعم فقال ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ ﴾ وهي ثمانية أزواج. ﴿ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا ﴾ وهي الإبل إذ لم يُعهد ركوب غيرها. ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ عامّ في ثمانية الأزواج، ولما كان المركوب منها هو أعظم منفعة، إذ فيه منفعة الأكل والركوب - وذكر أيضاً أن في الجميع منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك - أكّد منفعة الركوب بقوله ﴿ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ ﴾ من بلوغ الأسفار الطويلة، وحمل الأثقال إلى البلاد [٤٩١/أ] الشاشعة، وما أشبه ذلك من المنافع الدنياوية والدينية. ولما كان الركوب وبلوغ الحاجة المترتب عليه، قد يتوصل به إلى الانتقال لأمر واجب أو مندوب، كالحج وغيره، دخل حرف التعليل على الركوب، وعلى المترتب عليه من بلوغ الحاجات، فجعل ذلك علّة لجعل الأنعام لنا. ولمّا كان الأكل وإصابة المنافع من جنس المباحات[٢]، لم يجعل ذلك علّة في الجَعْل، بل ذكر أنّ منها نأكل، ولنا فيها منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك. كما أدخل لام التعليل في «لتركبوا» ولم يدخلها على الزينة في قوله ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴿٨﴾ ﴾ [النحل]. ولمّا ذكر ما امتنّ به من منّة الركوب للإبل في البرّ، ذكر ما امتنّ به من نعمة الركوب في البحر

(١) لم أجده.

(٢) ق: حسن المناجات.

فقال ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي: حججه وأدلّته على وحدانيته. ﴿ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ أي: أنها كثيرة فأيُّها يُنكر؟ أي: لا يمكن إنكار شيء منها في العقول. و«أي آيات الله» منصوب بـ«تنكرون».

قال الزمخشري[١]: «فأي آيات الله» جاءت على اللغة المستفيضة. وقولك: فأيّة آيات الله، قليل. لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب، وهي في «أيّ» أغرب لإبهامه انتهى.

ومن قلة تأنيث أيّ، قوله[٢]: [من الطويل]

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبّهم عاراً علي وتحسب

وقوله: «وهي في أيّ أغرب» إن عنى أيًّا على الإطلاق، فليس بصحيح؛ لأن المستفيض في النّداء أن تؤنث في نداء المؤنث كقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفجر] ولا يُعلم [من] ذكر تذكيرها فيه فيقول: يا أيها المرأة، إلا صاحب كتاب البديع في النحو[٣]. وإن عنى غير المناداة، فكلامه صحيح: يقلّ تأنيثها في الاستفهام وموصولةً وشرطيّةً.

و«ما» في قوله ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ ﴾ نافية أو استفهامية في معنى النفي.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٣٩.

(٢) البيت للكميت في الهاشميات ص٣٨.

(٣) لعلي بن عيسى الربعي (- ٤٢٠هـ) تصانيف في النحو منها كتاب البديع، وقال عنه الأنباري: حسن جدًّا. انظر الإنباه ٢: ٢٩٧.

والضمير في «جاءتهم» عائد على «الذين من قبلهم» وجاء قوله «من العلم» على جهة التهكّم بهم، أي: في الحقيقة لا علم لهم، وإنّما لهم خيالات واستبعادات لما جاءت به الرسل. وكانوا يدفعون ما جاءت به الرسل بنحو قولهم ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي ﴿٣٦﴾ ﴾ [الكهف]، أو اعتقدوا أن عندهم علماً يستغنون به عن علم الأنبياء عليهم السلام كما تزعم الفلاسفة والدهريّون؛ كانوا إذا سمعوا بوحي الله تعالى دفعوه، وصغّروا علم الأنبياء إلى علمهم.

ولما سمع سقراط - لعنه الله - بموسى عليه السلام قيل له: لو هاجرت إليه. فقال: نحن قوم مهذّبون، فلا حاجة بنا إلى من يهذّبنا!.

وعلى هذين القولين تكون الضمائر متناسبة [٤٩١/ب] عائدة على مدلول واحد.

﴿ بَأْسَنَا ﴾ أي: عذابنا الشديد. حكى حال من آمن بعد تلبّس العذاب به، وأن ذلك لم يكن نافعاً[١]. وفي ذلك حضٌّ على المبادرة إلى الإيمان وتخويف من التأنّي.

و«إيمانهم» [رُفع] بـ«يَكُ» اسماً لها. أو فاعل «ينفعهم»، وفي «يك» ضمير الشأن على الخلاف الذي في: كان يقوم زيد. ودخل حرف النفي على الكون لا على النفع، لأنه يؤدي إلى نفي الصحّة، أي: لم يصحّ ولم يستقم كقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مريم]. وترادف هذه الفاءات أما في ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم ﴿٨٢﴾ ﴾ [غافر] فلأنه كان نتيجة قوله ﴿ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ ﴾. و﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم ﴿٨٣﴾ ﴾ [غافر] جارٍ مجرى البيان والتفسير لقوله ﴿ فَمَآ

(١) ق: نافعلاً.

﴿أَغْنَىٰ﴾. و﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴿٨٤﴾﴾ [غافر] تابع لقوله ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ﴾ كأنه قال: فكفروا به فلما رأوا بأسنا آمنوا. و﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾ تابع لإيمانهم لمّا رأوا بأس الله. وانتصب «سنة» على أنه مصدر لمضمون الجملة السابقة؛ أي: أن ما فُعل بهم هي سنة الله التي قد مضت، وسبقت، في عباده، من إرسال الرسل، والإعذار بهم، وتعذيب من كذّبهم، واستئصالهم بالهلاك، وعدم الانتفاع بالإيمان حالة تلبّس العذاب بهم. و«هنالك» ظرف مكان استعير للزمان، أي: وخسر في ذلك الوقت الكافرون.

سورة فصلت(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢﴾.

﴿حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف. ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال في آخر ما قبلها ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ ۝٨٢﴾ [غافر] إلى آخرها، فتضمّن وعيداً وتهديداً وتقريعاً لقريش، فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر، فذكر أنه نزّل كتاباً مفصّلاً آياته، بشيراً لمن اتبعه، نذيراً لمن

---

(١) مكية، وهي أربع وخمسون آية.

أعرض عنه، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه. ثم ذكر قدرة الإله على إيجاد العالم العلوي والسفلي، ثم قال ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴿١٣﴾﴾ [فصلت]. وهذا كله مناسب لآخر سورة المؤمن.

«تنزيل» مبتدأ خبره «كتاب فصلت آياته» أي: بُيّنت وفُسّرت معانيه، ففصل بين حرامه وحلاله وزجره وأمره[1] ووعده ووعيده.

وانتصب «بشيراً ونذيراً» على النعت لـ«قرآناً عربياً».

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أكثر أولئك القوم، أي: كانوا من أهل العلم، ولكن لم ينظروا النظر التام بل أعرضوا.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لإعراضهم عمّا[2] احتوى عليه من الحجج والبراهين.

روي[3] أن عتبة بن ربيعة ذهب إلى رسول الله ﷺ ليعظّم عليه أمر مخالفته [٤٩٢/أ] لقومه، وليقبّح عليه فيما بينه وبينه، وليعبد ما جاء به، فلما تكلّم عتبة قرأ رسول الله ﷺ «حم» ومرّ في صدرها حتى انتهى إلى قوله ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ فأرعد الشيخ، ووقف شعره، وأمسك على فم رسول الله ﷺ بيده، وناشده بالرحم أن يمسك، وقال حين فارقه: والله لقد سمعت شيئاً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي.

(١) ق: وأمره ونهيه. وانظر أصل العبارة في البحر ٧: ٤٨٣.
(٢) ق: ما، وفوقها: كذا.
(٣) انظر القرطبي ١٥: ٣٣٨.

﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ تقدم الكلام عليه[١].

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: هلاّ قيل: على قلوبنا أكنّة كما قيل: وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد؟ قلت: هو على نمط واحد، لأنه لافرق في المعنى بين قولك: قلوبنا في أكنّة، وعلى قلوبنا أكنّة، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف]. ولو قيل: إنّا جعلنا قلوبهم في أكنّة، لم يختلف المعنى. وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني انتهى.

نقول إن «في» أبلغ في هذا [الموضع] من «على» لأنهم قصدوا إفراط عدم القبول لحصول قلوبهم في أكنّة، احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف، فلا يمكن أن يصل إليها شيء كما تقول: المال في الكيس، بخلاف قولك: على المال كيس، فإنه لا يدلّ على الحصر، وعدم الحصول دلالة الوعاء. وأما في قوله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف] فهو من إخبار الله تعالى، لا يحتاج إلى مبالغة بخلاف قولهم[٣].

وقول الزمخشري: وترى المطابيع منهم، يعني من العرب من شعرائهم، ولذلك تكلم الناس في شعر حبيب، ولم يستحسن بعضهم كثرة صنعة البديع فيه، قالوا: وأحسنه ما جاء من غير تكلف. والحجاب: الستر المانع من الإجابة وهو خلاف في الدين لأنه يعبد الله، وهم يعبدون الأصنام.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٥ من الأنعام.

(٢) الكشاف ٣: ٤٤٢.

(٣) فراغ في ق بمقدار كلمة وفوقه: كذا.

وروي[١] أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوباً وقال: يا محمد بيننا وبينك حجاب، استهزاء منه. «فاعمل» قال مقاتل: اعمل لإلهك الذي أرسلك، فإننا عاملون لآلهتنا التي نعبدها.

وضمّن «فاستقيموا» معنى التوجّه فلذلك تعدّى بإلى، أي: وجّهوا استقامتكم إليه. ولمّا كان العقل ناطقاً بأن السعادة مربوطة بأمرين: التعظيم لله تعالى والشفقة على خلقه، ذكر أن الويل والثّبور والخزي[٢] للمشركين الذين لم يعظّموا الله بتوحيده ونفي الشريك عنه، ولم يشفقوا على خلقه بإيصال الخير إليهم، وأضافوا إلى ذلك إنكار البعث.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال السدّي: نزلت في المرضى والزّمنى إذا عجزوا عن إكمال الطاعات يكتب لهم من الأجر كأصحّ ما كانوا يعملون. والممنون: المنقوص [٤٩٢/ب] قاله ابن عباس.

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه[٣].

ومعنى ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي: في مقدار يومين.

«وبارك فيها» أكثر خيرها. «وقدر فيها أقواتها» أي: أرزاق ساكنيها ومعايشهم. «في أربعة أيام» أي: في تمام أربعة أيام باليومين المتقدّمين. وقرىء: سواء، بالجرّ صفة لـ«أربعة»، وبالنصب[٤] على الحال، وبالرفع خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي سواء.

---

(١) انظر القرطبي ١٥: ٣٣٩.

(٢) ق: والحزن.

(٣) انظر الآية الأولى من الأنعام، والآية ٢٢ من البقرة.

(٤) ق: وبالنصب نصباً.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قصد إليها. والظاهر أن المادة التي خلقت منها السماء كانت دخاناً.

وفي أول الكتاب الذي تزعم اليهود [أنه] التوراة أن عرشه تعالى كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض، فأحدث الله تعالى في ذلك سخونة فارتفع زبد ودخان. أما الزّبد فبقي على وجه الماء فخلق الله منه اليبوسة وأحدث منه الأرض، وأما الدخان فارتفع وعلا وخلق الله منه السماوات. وفيه أيضاً أنه خلق السماوات من أجزاء مظلمة انتهى.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾ هذا القول مجاز، وهو كناية عن انفعال هذه الأجرام العظيمة لما يريد الله تعالى منها. ونحوه قول القائل: قال الجدار للوتد: لِمَ تشقُّني؟ قال الوتد: سل من يدقّني.

قال ابن عطية: وقوله «قالتا» أراد الفرقتين؛ جعل السماوات سماءً والأرضين أرضاً، وهذا نحو قول الشاعر[1]: [من الوافر]

ألم يحزنكِ أنّ حبال قومي وقومك قد تباينتا انقطاعا

[جعلها فرقتين وعبّر عنها بتباينتا انتهى].

هذا ليس كما ذكر، لأنه إنما تقدّم ذكر الأرض مفردة والسماء مفردة، فحسن التعبير عنها بالتثنية. والبيت هو من وضع الجمع موضع التثنية، كأنه قال: ألم يحزنك أن حبلَيْ قومي وقومك، فلذلك ثنّى في قوله: قد تباينتا، وأنّث على معنى الحبل، لأنه لا يريد الحبل حقيقةً إنما عنى به الذّمة[2]

(١) البيت للقطامي في ديوانه ص٣٢ مع اختلاف في الرواية.
(٢) ق: الفرقة.

والمودّة التي كانت بين قوميهما[١].

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ أي: صنعهنّ وأوجدهن، وقال الشاعر[٢]:

[من الكامل]

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صَنَعُ السوابغ تُبَّعُ

وعلى هذا انتصب «سبع» على الحال. «وحفظاً» أي: حفظناها حفظاً من المسترقة بالثواقب. «ذلك» إشارة إلى جميع ما ذكر، أي: أوجده بقدرته وعزّه وعلمه.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ الآية، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ التفات خرج من ضمير الخطاب في قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [فصلت] إلى ضمير الغيبة، إعراضاً عن خطابهم، إذ كانوا قد ذُكّروا بما يقتضي إقبالهم وإيمانهم من الحجج الدالّة على الوحدانية والقدرة الباهرة. «فقل أنذرتكم» أي: أعلمتكم. «صاعقة» أي: حلول صاعقة.

---

(١) ق: قوميها.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١: ١٩.

«قالوا» ضمير غيبة انتقل منه [٤٩٣/أ] إلى ضمير الخطاب في قوله «فإنا». و«ما» في قوله «بما» موصولة بمعنى الذي، والعائد عليه قوله «به». و«بما» متعلق بـ«كافرون».

قال الزمخشري[١]: ومفعول «شاء» محذوف تقديره: لو شاء ربنا إرسال الرسل، لأنزل ملائكة انتهى.

تتبعت ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفاً إلا من جنس الجواب نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۝٣٥﴾ [الأنعام] أي: لو شاء جَمْعَهم على الهدى لجَمَعَهم عليه. وكذلك ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ۝٦٥﴾ [الواقعة] ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ۝٧٠﴾ [الواقعة] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۝١١٢﴾ [الأنعام] ﴿لَوْ[٢] شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۝٣٥﴾ [النحل]،

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد[٣]

[من الطويل]

وقال الراجز[٤]:

واللّذِ لو شاء لكنت صخرا أو جبــلاً أشــمّ مشمخــرّا

فعلى هذا الذي تقرر، لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري، وإنما التقدير: لو شاء ربّنا إنزال الملائكة بالرسالة منه إلى الإنس، لأنزلهم

---

(١) الكشاف ٣: ٤٤٨.

(٢) ق: ولو.

(٣) البيت لطرفة من معلقته، انظر شرح القصائد السبع ص٢٠٩.

(٤) بيتان من الرجز المشطور، وهما غير منسوبين في الإنصاف ٢: ٦٧٦، والهمع ١: ٢٨٤، والخزانة ٢: ٤٩٨.

بها إليهم. وهذا أبلغ في الامتناع من إرسال البشر، إذ علّقوا ذلك بإنزال الملائكة، وهو لم يشأ ذلك فكيف يشاء ذلك في [البشر]؟.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي: بيّنّا لهم وأرشدناهم[1].

﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ أي: اختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد. و«الهون» الهوان، وصف العذاب بالمصدر أو أبدل منه.

ثم ذكّر قريشاً بنجاة من آمن واتقى. قيل: وكان من نجا من المؤمنين ممّن استجاب لهود وصالح مئة وعشرة أنفس[2].

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا

(١) ق: ورشدناهم.

(٢) يذكّرونه لأنهم يرويدون به الإنسان، انظر الصحاح «نفس».

﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ الآية، «ويوم» منصوب باذكر. «يوزعون» تقدم الكلام عليه[1].

و«حتى» غاية لـ«يحشر». و«أعداء الله» هم الكفار من الأولين والآخرين. و«ما» بعد إذا زائدة للتأكيد. والظاهر أن الجلود هي المعروفة، وقيل: كنّى به عن الفروج وعليه أكثر المفسرين منهم ابن عباس.

ثم سألوا جلودهم عن سبب شهادتها عليهم، فلم تذكر سبباً غير أن الله أنطقها. ولما صدر منها ما صدر من العقلاء، وهي الشهادة، خاطبوها بقولهم «لمَ شهدتم» مخاطبة العقلاء.

والظاهر أن قوله ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ من كلام الله تعالى توبيخاً لهم. ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ﴾ الخفيات من أعمالكم.

«وذلكم» إشارة إلى ظنّهم أن الله لا يعلم كثيراً من أعمالهم. وهو مبتدأ خبره «أرداكم». و«ظننتم» بدل من «ذلكم».

وقال الزمخشري[2]: و«ظنكم» و«أرادكم» خبران.

وقال ابن عطية: «أرادكم» يصلح أن يكون خبراً بعد خبر انتهى.

ولا يصح أن يكون «ظنكم الذي ظننتم بربكم» خبراً، لأنّ قوله «وذلكم» إشارة إلى ظنّهم [٤٩٣/ب] السابق، فيصير التقدير: وظنكم بأن ربكم لا

---

(١) انظر شرح الآية ١٧ من النّمل.

(٢) الكشاف ٣: ٤٥١.

يعلم ظنكم بربكم. فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز، وصار نظير ما منعه النحاة من قولك: سيّد الجارية مالكها.

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ أي: يعتذروا فما هم من المعذورين.

ولمّا ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفرة، أردفه بذكر السبب الذي أوقعهم في الكفر فقال ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي: سبّبنا لهم من حيث لم يحتسبوا. و«قرناء» جمع قرين أي: قرناء سوء من غواة الجن والإنس.

﴿فَزَيَّنُوا لَهُم﴾ أي: حسّنوا وقرّروا في أنفسهم.

﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال ابن عباس: من أمر الآخرة أنه لا جنة ولا نار ولا بعث. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا من الضلالة والكفر ولذّات الدنيا.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: كلمة العذاب، وهو القضاء الحتم أنهم معذّبون.

﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي: في جملة أمم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا﴾ أي: لا تصغوا لهذا القرآن.

﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ قيل: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ في المسجد، أصغى إليه الناس من مؤمن وكافر، فخشي الكفار استمالته القلوب بذلك، فقالوا: متى قرأ محمد، فلنلغط نحن بالمكاء[1] والصفير والصياح وإنشاد الشعر والأرجاز حتى يخفى صوته، وهذا الفعل هو اللغو.

﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ بتشويشكم عليه على قراءته فلا يُصغَى إليها.

---

(١) ق: فلنغط. و«بالمكاء» فوقها في ق: كذا. والمكاء: الصفير.

«ذلك» خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلك. و«جزاء» مبتدأ، و«النار» خبره.

﴿لَهُمْ[1] فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: موضع البقاء الدائم الذي لا ينقطع.

والنار هي دار الخلد، فكيف قيل «فيها»؟. ثَمَّ محذوف تقديره: في عذابها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في الصدّيق، قال المشركون: ربنا الله، والملائكة بناته، وهؤلاء شفعاؤنا عنده. واليهود قالوا:

(١) ق: لكم.

ربنا الله، وعزير ابنه، ومحمّد عليه السلام ليس[1] بنبي، فلم يستقيما. والصديق قال: ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد عبده ورسوله، فاستقام ولمّا أطنب تعالى في وعيد الكفار، أردفه بوعيد المؤمنين. وليس المراد التلفّظ بالقول فقط، بل لا بدّ من الاعتقاد المطابق للقول اللساني، وبدأ أولاً بالذي هو أمكن في الإسلام، وهو العلم بربوبية الله تعالى، ثم أتبعه بالعمل الصالح وهو الاستقامة.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: «قلت لرسول الله ﷺ: أخبرني بأمر أعتصم به. قال: قل: ربي الله، ثم استقم. قال: قلت: ما أخوف ما نخافه؟. فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه وقال: هذا»[2].

وقال ابن عطية: «نزلاً» نصب [٤٩٤/أ] على المصدر.

والمحفوظ أن مصدر نزل نزولاً لا نُزلاً.

ولمّا تقدّم قوله تعالى «إن الذين قالوا ربنا الله» ذكر من دعا إلى ذلك فقال «ومن أحسن» أي: لا أحد أحسن قولاً ممّن يدعو إلى توحيده ويعمل العمل الصالح، ويصرّح أنه من المستسلمين المنقادين له. ذُكر أنه يجوز أن يكون ثَمّ محذوف تقديره: قولاً وعملاً، حتى يكون مقابله العمل والقول، ويجوز أن لا يكون ثَمّ محذوف، ويكون قوله «وعمل صالحا» جملة حالية، أي: لا أحد أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله، وقد عمل صالحاً.

ولمّا تفاوتت الحسنة والسّيئة، أمر أن يدفع السيئة بالأحسن، وذلك مبالغة، ولم يقل: ادفع بالحسنة السيئة؛ لأنّ من هان عليه الدّفع بالأحسن،

---

(١) ق: ليبين.

(٢) أخرجه أحمد ٣: ٤١٢.

هان عليه الدفع بالحسن، أي: فإذا فعلت[١] ذلك، إذا الذي بينك وبينه عداوة صار لك كالولي الصديق الخالص الصداقة. و«لا» في قوله «ولا السيئة» زائدة للتوكيد كهي في قوله ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر] لأنّ استوى لا يكتفي بمفرد واحد. فإذا أُخذت الحسنة والسيئة جنساً لم تك زيادتها كزيادتها في الوجه الذي قبل هذا، إذ يصير المعنى: ولا تستوي الحسنات إذ هي[٢] متفاوتة في أنفسها، ولا السيئات لتفاوتها أيضاً.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضمير عائد على الفعلة والسجيّة التي هي الدفع بالأحسن.

وكرّر «وما يُلَقَّاها» تأكيداً لهذه الفعلة الجميلة الجليلة.

و﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ هو ثواب الآخرة.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ تقدّم الكلام عليه[٣] عليه.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ فيه انتقال من خطاب في قوله «لا تسجدوا، واسجدوا» إلى ضمير الغائب في قوله «فإن استكبروا».

ومعنى ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة. و«عند» ظرف مكان وهو مجاز.

﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾ أي: لا يملّون ذلك.

ولمّا ذكر شيئاً من الدلائل العلوية ذكر شيئاً من الدلائل السفلية فقال ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً﴾ أي: غبراء دارسة.

---

(١) ق: فعل.

(٢) ق: الحسنات أي متفاوتة.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٠٠ من الأعراف.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ الآية، تقدم الكلام عليه[1]. وذكر تعالى أنهم لا يخفون عليه، وفي ذلك تهديد لهم.

﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ وعيد وتهديد بصيغة الأمر ولذا جاء ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ هم قريش ومن تابعهم من الكفار غيرهم. والذكر: القرآن هنا بإجماع. وخبر «إنّ» اختلفوا فيه أمذكور هو أم محذوف؛ فقيل مذكور وهو قوله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت] وهو قول أبي عمرو بن العلاء في حكاية جرت بينه وبين بلال بن أبي بردة؛ سئل بلال في مجلسه عن هذا فقال: لم أجد لها نفاذاً. فقال له أبو عمرو: إنه منك لقريب [٤٩٤/ب] «أولئك ينادون» وقاله الحوفي. ويردّ على هذا القول كثرة

---

(١) انظر تفسير الآية ١٨٠ من الأعراف.

الفصل، وأنه ذكر هناك من تكون الإشارة إليهم وهو قوله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى[1] أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ﴾. وقيل محذوف، وخبر إنّ يُحذف لفهم المعنى.

وسأل عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال عمرو: معناه في التفسير: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وإنه لكتاب. فقال له عيسى: أجدت يا أبا عثمان.

وقال قوم: تقديره: معاندون أو هالكون.

وقال الكسائي: قد سدّ مسدّه ما تقدّم من الكلام قبل «إنّ» وهو قوله «أفمن يلقى في النار» انتهى.

كأنه يريد: دلّ عليه ما قبله، فيمكن أن يقدّر: يخلّدون في النار. ويجوز أن يكون خبر «إن» قوله «لا يأتيه [الباطل]» تكون الألف واللام نابت عن الضمير أي: لا يأتيه[2] باطلهم.

ولمّا ذكر تعالى الملحدين في آياته وأنهم لا يخفون عليه، والكافرين بالقرآن، ذكر ما دلّ على تعنّتهم[3] وما ظهر من تكذيبهم، وقولهم: هلاّ نزل بلغة العجم فقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ أي: لا يُفصح ولا تبين معانيه لهم لكونه بلغة العجم أو بلغة غير العرب، لم يتركوا الاعتراض والتّعنت ولقالوا ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي: بيِّنَتْ لنا وأُوضِحَتْ حتى نفهمها.

---

(١) ق: والذين في قلوبهم عمى.

(٢) ق: يأتيهم.

(٣) ق: بعثتهم.

وقرىء: آعجمي، بهمزة الاستفهام بعدها مدّة هي همزة أعجمي. وقرىء: أعجمي، على الخبر. وهما بدل من قوله «آياته».

﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿هُدًى﴾ أي: إرشاد إلى الحق. ﴿وَشِفَآءٌ﴾ أي: لما في الصدور من الظن والشّك.

والظاهر أنّ «والذين لا يؤمنون» مبتدأ، و«في آذانهم وقر» في موضع الخبر. «وهو عليهم عمى» خبر ثانٍ. والظاهر أن الضمير في «وهو» عائد على القرآن، وقيل[1]: يعود على الوقر. «أولئك» إشارة لـ«الذين لا يؤمنون».

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى من عمل صالحاً، كان في ذلك دلالة على الجزاء يوم القيامة، فكأن سائلاً قال: متى ذلك؟ فقيل: لا

---

(١) ق: القرآن وهو يعود.

يعلمها إلا الله تعالى. «وما تخرج[١]» «ما» نافية. و«من ثمرات» «من» زائدة، و«ثمرات»[٢] فاعل. «من أكمامها» في موضع الصفة. «إلا بعلمه» استثناء بعد النفي، و«بعلمه» في موضع الحال؛ أي: لا تخرج ولا تحمل ولا تضع[٣] إلا ملتبساً ذلك بعلمه، فالباء في «بعلمه» للحال.

﴿وَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا. ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: من حيدة ورواغ عن العذاب.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ هذه الآيات نزلت في كفار [قريش] قيل في الوليد بن المغيرة، وقيل في عتبة بن ربيعة.

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: الفقر والضّيقة. ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ أي: فهو يؤوس قنوط.

وأتى بهما صيغتي مبالغة. واليأس من صفة القلب، وهو أن يقطع رجاءه من الخير. والقُنوط أن تظهر عليه آثار اليأس، فيتضاءل وينكسر. وبدأ [٤٩٥/أ] بصفة القلب، لأنها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ سمّى النعمة رحمة إذ هي من آثار رحمة الله.

﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ أي: ضرّ. ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ أي: بسعيي واجتهادي.

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ[٤] إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ أي: ولئن كان كما أخبرتِ الرُّسُلُ. ﴿إِنَّ

---

(١) ق: يخرج.

(٢) ق: ثمرة، في الموضعين.

(٣) ق: لا يخرج ولا يحمل ولا يضع.

(٤) ق: رددت.

[لِي]عِندَهُۥ﴾ أي: عند الله. ﴿لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الحالة الحسنى من الكرامة والنّعمة، كما أنعم عليّ في الدنيا. وأكّدوا ذلك باليمين وبتقديم «لي» و«عنده» على اسم إنّ، وبدخول لام التوكيد عليه أيضاً، وبصيغة «الحسنى» مؤنث الأحسن الذي هو أفعل التفضيل، ولم يقولوا: للحسنة أي: للحالة الحسنة.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا﴾ تقدم الكلام عليه في سبحان[1]، إلاّ أنّ في آخر تلك ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ وفي آخر هذه ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ أي: فهو ذو دعاء بإزالة الشرّ عنه وكشف ضرّه. والعرب تكني بالطول والعرض عن الكثرة؛ يقال: أطال فلان في الكلام، وأعرض في الدعاء، إذا أكثر، أي: مدّ وتضرّع واستغاث[2]. وذكر تعالى في هذه الآية نوعاً من طغيان الإنسان، إذا أصابه الله بنعمة، أبطرته النعمة، وإذا مسّه الشّر، ابتهل إلى الله تعالى وتضرّع.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ القرآن من عند الله. أبرزه في صورة الاحتمال، وهو من عند الله بلا شكّ، ولكنه تنزّل معهم في الخطاب. والضمير في «أرأيتم» لكفار قريش. «من أضل» «من» مبتدأ و«أضلّ» خبره، والمعنى: لا أحد أضلّ.. وهو في موضع المفعول الثاني لـ«أرأيتم».

ثم توعّدهم بما هو كائن لا محالة فقال ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ فقيل: هو وعيد للكفار بما يفتحه الله على رسوله من الأقطار حول مكة وفي غير ذلك من الأرض كخيبر.

---

(١) انظر تفسير الآية ٨٣ من الإسراء.

(٢) ق: واستغاثة.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أراد به فتح مكة، وتضمّن ذلك الإخبار بالغيب[١] ووقع كما أخبر.

و﴿بِرَبِّكَ﴾ الباء زائدة، التقدير: أولم يَكْفِ أو يَكْفِهم ربك.

و﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ بدل من ربك. أما حالة كونه مجروراً بالباء، فيكون بدلاً على اللفظ، وأما حالة مراعاة الموضع، فيكون بدلاً على الموضع.

﴿فِي مِرۡيَةٖ[٢]﴾ أي: في شك. وقرىء بضم الميم وكسرها. وإحاطته تعالى بالأشياء عِلْمُه بها جملة وتفصيلاً، فهو يجازيهم على كفرهم.

(١) ق: بالغيث.

(٢) ق: في من به.

سورة الشورى(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٩ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝١٢﴾.

﴿حمٓ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الآية، قال ابن عباس: هذه السورة مكية إلا أربع آيات من قوله ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ ۝٢٣﴾ إلى آخر

(1) مكية وهي ثلاث وخمسون آية.

الأربع الآيات. ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال [٤٩٥/ب] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ [فصلت] وكان في ذلك الحكم عليهم بالضلال لما كفروا به قال هنا «كذلك» أي: مثل الإيحاء السابق في القرآن الذي كفر به هؤلاء يوحي إليك. أي: أن وحيه تعالى إليك متصل غير منقطع، يتعهدك به وقتاً بعد وقت.

وقرىء: يوحي، مبنيًا للفاعل والجلالة فاعل. [وقرىء: يُوحى، مبنيًا للمفعول والجار والمجرور في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، والجلالة فاعل] بفعل محذوف تقديره: يوحي الله.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: أصناماً وأوثاناً. ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ أعمالهم ومجازيهم عليها.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: بمفوض إليك أمرهم ولا قائم. وما في هذا من الموادعة منسوخ بآية السيف[١].

«وكذلك» أي: مثل هذا الإيحاء والقضاء أنك لست بوكيل عليهم، أوحينا إليك قرآنا عربياً. [والظاهر أن «قرآناً» مفعول «أوحينا».

وقال الزمخشري[٢]: الكاف مفعول به لـ«أوحينا»، و«قرآنا عربيًا»] حال من المعفول به أي: أوحيناه إليك، وهو قرآن عربي، لا لبس فيه عليك إذ نزل بلسانك انتهى.

فاستعمل الكاف اسماً في الكلام وهو مذهب الأخفش.

﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ أي: سبب إيحائنا إليك وهو الإنذار، ولا تُكلَّف غيره.

---

(١) الآية ٥ من التوبة.

(٢) الكشاف ٣: ٤٦١.

و«أُمَّ القرى» مكة، أي: أهل أم القرى، ولذلك[١] عطف [عليها] «ومن حولها»، والمفعول الثاني محذوف. «ومن حولها» هم العرب. «وتنذر يوم الجمع» والمفعول الأول[٢] محذوف، والثاني هو «يوم الجمع» أي: اجتماع الخلائق. والمنذَر [به] هو ما يقع في يوم الجمع من الجزاء، وانقسام الجمع إلى الفريقين، واجتماع الأرواح بالأجساد، وأهل الأرض بأهل السماء، والناس بأعمالهم.

﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يقال: ذرأ الله الخلق، أي: بثّهم وكثّرهم. وقال ابن عباس: يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها. والضمير في «فيه» عائد على الجعل، أي: يخلقكم ويكثركم في الجعل.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تقول العرب: مثلك لا يفعل هذا، بمعنى أنت لا تفعل هذا[٣]، فيكون المعنى في الآية: ليس كهو، أي: كالله شيء. وخرّج على أن الكاف زائدة فكأنه قيل: ليس مثله شيء أي: ليس شيء يماثل الله تعالى. ويجوز أن يكون «مثل» بمعنى الصفة فتكون الكاف باقية على تشبيهها، أي: ليس كصفته شيء من الصفات.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ

---

(١) ق: وكذلك.

(٢) ق: الثاني.

(٣) ق: يفعل شيئاً.. تفعل ذلك.

مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ الآية، لمّا كان أول الرسل نوحاً عليه السلام وآخرهم محمداً[(١)] ﷺ قال ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، ثم أتبع ذلك ما وصّى به إبراهيم إذ كان أبا العرب، وفي ذلك هزٌّ لهم وبعث على اتّباع طريقته وموسى[(٢)] وعيسى صلوات الله عليهم، لأنهما هما اللذان كان أتباعهما موجودين في زمان بعثة رسول الله ﷺ.

والشرائع متفقة في العقائد وفي كثير من الأحكام كتحريم الزنى[(٣)] والقتل بغير حق، والشرائع مشتملة [٤٩٦/أ] على عقائد وأحكام.

ويقال إن نوحاً عليه السلام أول من أتى بتحريم البنات والأمّهات وذوات

---

(١) ق: محمد.

(٢) ق: طريقة موسى.

(٣) ق: الربا.

المحارم. ومعنى «شرع»: اختار. ويحتمل أن تكون [«أن»] مفسّرة، لأنّ ما قبلها هو بمعنى القول، فلا موضع لها من الإعراب. و«أن» تكون مصدرية فتكون في موضع نصب على البدل من «ما» وما عطف عليها. ثم نهى عن التفرق فيه، لأن التفرق سبب للهلاك، والاجتماع والألفة سبب للنجاة.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عَظُمَ وشَقَّ. و«ما» فاعل بـ«كبر».

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ قال ابن عباس: يعني قريشاً. و«العلم» محمد ﷺ، وكانوا يتمنون أن يبعث إليهم نبيّ، كما قال ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴿٤٢﴾﴾ [فاطر] يريدون نبيًّا. وقيل: الضمير يعود على أمم الأنبياء؛ جاءهم العلم فطال عليهم الأمد، فآمن قوم وكفر قوم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ أي: عِدَةُ التأخير إلى يوم القيامة، فحينئذ يقع الجزاء. ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لَجُوزُوا بأعمالهم في الدنيا.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم بقية أهل الكتاب الذين عاصروا رسول الله ﷺ.

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد أسلافهم، أو هم المشركون أُورثوا القرآن من بعد ما أُورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في إيصال ما أُمرت به إليكم لا أخصّ شخصاً بشيء دون شخص، الشريعة واحدة والأحكام مشترك فيها.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: قد وضحت الحججُ وقامت البراهينُ وأنتم مَحْجُوجونَ فلا حاجة إلى إظهار حجة بعد ذلك. ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ أي: يوم القيامة فيفصل بيننا.

وما يظهر في هذه الآية من الموادعة منسوخ بآية السيف[١].

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي: يخاصمون في دينه. قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في طائفة من بني إسرائيل، همّت بردّ الناس عن الإسلام وإضلالهم ومحاجّتهم بأن قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبيّنا قبل نبيّكم فديننا أفضل، فنزلت[٢] الآية في ذلك.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: باطلة لا ثبوت لها.

ولما ذكر تعالى الرزق، ذكر حديث الكسب. ولمّا كان الحرث في الأرض أصلاً من أصول المكاسب، استعير لكل مكسب أريد به النّماء والفائدة [في قوله ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾] أي: من كان يريد عمل الآخرة ويسعى لها سعيها. ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أي: في جزاء حرثه من تضعيف الحسنات. ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ لأنه لم يعمل للآخرة شيئاً. فالجملة الأولى وعد مُنْجَز، والثانية مقيّدة بمشيئته تعالى لمن يشاء ما شاء. وجاء فعل الشرط ماضياً والجواب مجزوماً[٣] كقوله تعالى [٤٩٦/ب] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ⑮﴾ [هود]. ولا نعلم خلافاً في جواز الجزم، وأنه فصيح مختار إلا ما ذكره صاحب كتاب الإعراب وهو أبو الحكم بن عذرة عن بعض النحويين، أنه لا يجيء في الكلام الفصيح، وإنما يجيء مع كان، لأنها أصل الأفعال، ولا يجيء مع غيرها من الأفعال. ونصّ كلام سيبويه[٤] والجماعة أنه لا يختصّ ذلك بكان، بل سائر الأفعال في

---

(١) الآية ٥ من التوبة.

(٢) انظر القرطبي ١٦: ١٤.

(٣) ق: مجزوم.

(٤) انظر الكتاب ٣: ٦٨.

ذلك مثلها. وأنشد سيبويه كلام الفرزدق[(١)]: [من البسيط]

دسّت رسولاً بأن القوم إن قَدَروا   عليك يَشْفُوا صدوراً ذاتَ توغيرِ

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾ الآية، «أم لهم» استفهام تقرير وتوبيخ. لمّا ذكر تعالى أنه شرع للناس ما وصّى به نوحاً، أخذ ينكر ما شرع غيره تعالى. والضمير في «شرعوا» عائد على [الشركاء، وفي «لهم» عائد على] الكفّار المعاصرين للرسول عليه السلام.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ ﴾ أي: العِدَة بأن الفصل يكون في الآخرة. «لقضي بينهم» في الدنيا.

«ذلك» إشارة إلى ما أعدّ لهم من الكرامة، وهو مبتدأ خبره الموصول،

(١) الكتاب ٣: ٦٩، والبيت في ديوانه ١: ٢١٣.

والعائد عليه محذوف، أي: يبشر الله به عباده، حذف حرف الجر فانتصب الضمير ثم حذفه.

قال الزمخشري[١]: أو ذلك التبشير الذي يبشّر الله عباده انتهى.

لا يظهر هذا الوجه، إذ لم[٢] يتقدم في هذه السورة لفظ البشرى ولا ما يدل عليه من بشير أو شبهه. ومن النحويين من جعل «الذي» مصدرية، حكاه ابن مالك عن يونس وتأوّل عليه هذه الآية، أي: ذلك تبشير الله عباده. وليس بشيء، لأنه إثبات للاشتراك بين مختلفي الحدّ بغير دليل. وقد ثبت اسمية «الذي» فلا يعدل عن ذلك بشيء لا يقوم به دليل بل ولا شبهه.

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ روي أن الأنصار أتوا رسول الله ﷺ بمالٍ جمعوه وقالوا: يا رسول الله، قد هدانا الله تعالى بك، وأنت ابن أخينا وتعروك حقوق ومالك سعة، فاستعن بهذا على ما ينوبك. فنزلت[٣] الآية فردّه إليهم.

والظاهر أن قوله «إلا المودة» استثناء منقطع، لأن المودّة ليست أجراً. [فالمعنى: لا أسألكم مالاً ولا رئاسة ولكن أسألكم] أن تَرْعَوْا حق قرابتي، وتصدّقوني فيما جئتكم به، وتمسكوا عن أذيّتي وأذيّة من اتّبعني.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أضرب عن الكلام المتقدم من غير إبطال، واستفهم استفهام إنكار وتوبيخ على هذه المقالة، أي: مثله لا يُنسب إليه الكذب على الله مع اعترافكم له قبلُ بالصدق والأمانة.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٦٦.

(٢) ق: لا.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٥١، ولباب النقول ص١٨٨.

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم حتى لا يشقَّ عليكَ قولُهم إنك مُفترٍ[1].

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ استئناف إخبار.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾ قال عمرو بن حريث: طلب قوم من أهل الصفّة من الرسول عليه السلام [٤٩٧/أ] أن يغنيهم الله، ويبسط لهم الأموال والأرزاق، فنزلت[2]. أعلم تعالى أن الرزق لو جاء على اقتراح البشر لكان سبب بغيهم وإفسادهم، ولكنه تعالى أعلم بالمصلحة، فربَّ إنسان لا يصلح ويكتفى شرّه إلا بالفقر وآخر بالغنى.

﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ أي: يقدّر لهم ما هو أصلح لهم.

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ وهو ما يظهر من آثار الغيث من المنافع والخصب وغير ذلك.

---

(١) ق: مقترح.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٥١.

وقرىء: بما كسبت، بغير فاء. «فما» موصولة بمعنى الذي مبتدأة، والخبر محذوف تقديره: كائن بما كسبت، والباء للسببية و«ما» مصدرية تقديره: بكسب أيديكم. ويجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي، و«كسبت» صلته، والضمير محذوف تقديره: كسبته.

وقرىء: فبما، بالفاء. فالأحسن أن تكون «ما» شرطية والفاء جواب الشرط، وبعد الفاء محذوف تقديره: فهو، أي: فإصابتها بما كسبت أيديكم. وفي الحديث(١): «لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عِرْقٍ إلا بذنب(٢)، وما يعفو عند أكثر».

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ الآية، «الجواري» هي السفن جمع جارية وهي صفة جرت مجرى الأسماء، فوليت(٣) العوامل. والأعلام هي الجبال واحدها علم، وقالت الخنساء ترثي أخاها(٤): [من البسيط]

وإنّ صخراً لتأتمّ الهداة به   كأنه علم في رأسه نار

﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ أي: يقمن، قال الزمخشري(٥): من ظل يظَلُّ ويَظِلُّ نحو ضل يضَلُّ ويَضِلُّ انتهى.

ليس كما ذكر؛ لأن يَضَلّ بفتح العين من ضلِلْت بكسرها في الماضي،

---

(١) أخرجه الترمذي ٩ : ٥ من حديث أبي موسى بألفاظ مقاربة، وانظر صحيح الجامع الصغير ٦: ٢٤٠.

(٢) ق: ذنب.

(٣) ق: فلويت.

(٤) ديوانها ص٨٠.

(٥) الكشاف ٣: ٤٧١.

ويضِل بكسرها من ضَلَلْت بفتحها في الماضي، وكلاهما مقيس.

﴿رَوَاكِدَ﴾ أي: ثوابت. ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ أي: ظهر البحر. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ يهلكهنّ أي: الجواري، وهو عطف على «يسكن».

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: علام عطف «يوبقهن»؟. قلت: على «يُسكن»، لأن المعنى: إن يشأ يسكن الريح، فيركدن أو يعصفها، فيغرقن بعصفها انتهى.

لا يتعيّن أن يكون التقدير: أو يعصفها فيغرقن لأن إهلاك السفن لا يتعين أن يكون بعصف الريح، بل قد يهلكها الله تعالى بسبب غير الريح كنزول سطحها بكثرة الثقل، أو انكسار لوح يكون سبباً لإهلاكها، أو يعرض [لها] عدوّ يهلك أهلها.

والضمير في «كسبوا» عائد على ركاب السفن، أي: بذنوبهم. أخبره تعالى أنه يعفو عن كثير، أي: لا يؤاخذ بجميع ما اكتسب الإنسان.

وقرأ نافع وجماعة: ويعلمُ، بالرفع عطفاً على «ويعف».

وقرأ الجمهور بالنصب، فقال الكوفيون: هو منصوب بالواو التي تسمّى[2] واو الصرف، وهو أن تصرف الواو عطفه على ما قبله [٤٩٧/ب] من المرفوع.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٧١.

(٢) ق: الذي يسمّى.

وقال ابن عطية في قراءة النصب: وهذه الواو ونحوها، التي يسميها الكوفيون واو الصرف، لأن حقيقة واو الصرف التي يريدونها عطف فعل [على] اسم مقدر بتقدير أنْ، لتكون مع الفعل بتأويل المصدر، فيحسن عطفه على الاسم انتهى.

وليس قوله «لأنّ» تعليلاً لقولهم واو الصّرف؛ إنما هو تقرير لمذهب البصريين. وأما الكوفيون فإن واو الصرف ناصبة بنفسها لا بإضمار أنْ بعدها.

وخرّج الزمخشري النصب على أنه معطوف على تعليل محذوف، قال[1]: تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون. ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن، ومنه قوله تعالى ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۝٢١﴾ [مريم] وقوله ﴿وَخَلَقَ[2] ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ ۝٢٢﴾ [الجاثية] انتهى.

ويبعد تقديره: لينتقم منهم؛ لأنه ترتّب على الشرط إهلاك قوم ونجاة قوم، فلا يحسن: لينتقم منهم. وأما الآيتان فيمكن أن تكون اللام متعلقة بفعل محذوف أي: ولنجعله آية للناس فَعَلْنا ذلك، ولتجزى كل نفس بما كسبت [فَعَلْنا ذلك]. وهو كثير أن يقدَّر هذا الفعل محذوفاً قبل لام العلّة، إذا لم يكن فعل ظاهر يتعلّق به.

ومذهب البصريين في قراءة النصب أنه بإضمار أنْ فينسبك منها والفعل بعدها مصدر معطوف على مصدر متوهَّم وتقديره: فإظلالهن أو إيباقهنّ

---

(١) الكشاف ٣: ٤٧٢.

(٢) ق: خلق.

وعِلْم الذين يجادلون. ونظيره قراءة من قرأ ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة] بالنصب، ينسبك منه مصدر معطوف على مصدر متوهَّم تقديره في تلك الآية: يكن حساب فمغفرة.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ جملة منفية في موضع نصب عُلّق عنها قوله «ويعلم». و«من محيص» «من» زائدة، و«محيص» مبتدأ خبره في الذي قبله.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾.

وعن علي رضي الله عنه: اجتمع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مال،

فتصدّق به كله في سبيل الله والخير، فلامه المسلمون وخطّأه الكافرون فنزلت[1] ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾. والظاهر أنه خطاب للناس وقيل للمشركين. و«ما» شرطية مفعول ثانٍ لـ«أُوتيتم». و«من شيء» تبيين لـ«ما» والمعنى: من شيء من رياش الدنيا ومالها[2] والسّعة فيها. والفاء جواب الشرط، أي: فهو متاع أي: يُستمتع به في الحياة. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: من ثوابه وما أعدّ لأوليائه. ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ممّا أوتيتم لأنه لا انقطاع له.

والعامل في «إذا» «يغفرون» وهي جملة من مبتدأ وخبر، معطوفة على «يجتنبون». ويجوز أن يكون «هم» توكيداً للفاعل في «غضبوا»، فيكون «يغفرون» جواب إذا. وقال أبو البقاء[3]: «هم» مبتدأ، و«يغفرون» الخبر، والجملة جواب إذا انتهى.

وهذا لا يجوز [٤٩٨/أ] لأن الجملة لو كانت جواب إذا لكانت بالفاء تقول: إذا جاء زيد فعمرٌ منطلق. ولا يجوز حذف الفاء إلا إن ورد في شعر.

والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور، وهو على حذف مضاف أي: وأمرهم ذو شورى بينهم.

«والذين» صلته «هم ينتصرون». و«إذا» معمولة لقوله «ينتصرون».

«إن ذلك» الإشارة بـ«ذلك» إلى ما يفهم من مصدر «صبر وغفر». والعائد على الموصول المبتدأ، من الخبر محذوف؛ أي: إن ذلك منه، لدلالة

---

(١) انظر القرطبي ١٦: ٣٥.

(٢) ق: وإمالها.

(٣) إملاء ٢: ٢٢٥.

المعنى عليه. «لمن عزم الأمور» إن كان «ذلك» إشارة إلى المصدر المفهوم من قوله «ولمن صبر وغفر» لم يكن في «عزم الأمور» حذف. وإن كان «ذلك» إشارة إلى المبتدأ كان هو الرابط، ولا يُحتاج إلى تقدير «منه»؛ وكان في «عزم الأمور» حذف، أي: أنه لمن ذوي عزم الأمور.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار، دلّ عليها ذكر العذاب. ﴿خَٰشِعِينَ﴾ متضائلين صاغرين بما يلحقهم من الذلّ والصغار. ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ قال ابن عباس: ذليل.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الظاهر أنّ «وقال» ماضٍ لفظاً ومعنى، أي: وقال الذين آمنوا في الحياة الدنيا. ويكون «يوم القيامة» معمولاً لـ«خسروا».

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

وقدّم تعالى هبة الإناث تأنيساً بهنّ[1] وتشريفاً لهنّ ليُهتمّ بصونهنّ والإحسان إليهن. وفي الحديث[2] «من ابتلي بشيء من هذه البنات، فأحسن

(١) ق: لهن.

(٢) أخرجه الترمذي ٦: ١٦٧ عن عائشة بألفاظ مقاربة، وانظر صحيح الجامع الصغير ٥: ٢٢١.

إليهن كنّ له ستراً من النار».

ولمّا كان العقم ليس بمحمود قال ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ وهو قسيم لمن يولد له. ولما كان[1] الخنثى يُحزن بوجوده، لم يذكره تعالى. قالوا: وكانت الخلقة مستمرة ذكراً وأنثى إلى أن وقع في الجاهلية الأولى الخنثى. فسئل فارض العرب ومعمّرها[2] عامر بن الظَّرِب عن ميراثه، فلم[3] يَدْرِ ما يقول فيه، وأرجأهم. فلمّا جن عليه الليل جعل يتقلب وتذهب به الأفكار، وأنكرت خادمه عليه الحالة التي هو فيها فسألته فقال: سهرتُ لأمرٍ لا أدري ما أقول فيه. فقالت له: ما هو؟ فقال: شخص له ذكر وفرج كيف يكون حاله في الميراث؟. قالت له الأمة: ورّثه من حيث يبول. فعَقَلها، وأصبح فعرضها عليهم فرضُوا[4] بها. وجاء الإسلام على ذلك وقضى بذلك علي كرّم الله وجهه.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ أي: بمصالح العباد. ﴿قَدِيرٌ﴾ على تكوين ما يشاء.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ بياناً لصورة تكليم الله تعالى عباده، أي: ما ينبغي ولا يمكن إلا [بأن] يوحي إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام، قال مجاهد: أو النَّفث في القلب. قال النقاش: أو وحي في المنام.

وقال النخعي: كان في الأنبياء من يخطّ له في الأرض، أو بأن يسمعه

(١) ق: كانت.

(٢) فارض العرب: مسنّها. ومعمّرها: لأنه عاش ثلاث مئة سنة فيما يقال. ويمكن أن تُقرأ: فريض العرب، وهو العالم بتقسيم المواريث نسبة إلى الفريضة.

(٣) ق: فلا.

(٤) ق: فصرحوا، ولعلها محرفة عن: ففرحوا.

كلامه دون أن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيّزاً كموسى عليه [٤٩٨/ب] السلام وهذا معنى ﴿مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ أي: من خفاء عن المتكلم لا[1] يحده، ولا يتصوره بذهنه وليس كالحجاب في المشاهَد[2]، أو بأن يرسل إليه [ملكاً] يشافهه بوحي الله تعالى.

«إنه [عَلِيٌّ]» عن صفات المخلوقين. ﴿حَكِيمٌ﴾ تجري أفعاله على ما تقتضيه الحكمة، يكلّم بواسطة وبغير واسطة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء المفصّل أوحينا إليك؛ إذ كان عليه السلام اجتمعت [له] الطرق الثلاث: النّفث في الرّوع والمنام، وتكليم الله له حقيقة ليلة الإسراء، وإرسال رسول إليه وهو جبريل عليه السلام.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ يحتمل أن يعود إلى قوله «روحاً» وإلى «الكتاب» وإلى «الإيمان» وهو أقرب مذكور.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ أخبر بالمضارع والمراد به الديمومة كقولك: زيد يعطي ويمنع، أي: من شأنه ذلك، ولا يراد به حقيقة المستقبل؛ إذ جميع الأمور صائرة إليه على الدوام.

---

(١) ق: ولا.

(٢) ق: الشاهد.

سورة الزخرف(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ۝١٥ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ۝١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ۝١٨ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ۝١٩ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ۝٢٠ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ

---

(١) مكية، وهي تسع وثمانون آية.

مُّسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكية.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: صيّرناه وهو جواب القسم، وهو من الأقسام الحسنة لتناسب القسم والمقسم عليه، وكونهما من وادٍ واحد. «والكتاب» القرآن. و«أم الكتاب» اللوح المحفوظ. وهذا فيه تشريف للقرآن وترفيع بكونه[1] لديه عليًّا على جميع الكتب وعالياً عن جميع وجوه الفساد، حكيماً أي: حاكماً على سائر الكتب. وقرىء: إم، بكسر الهمزة.

﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ قال ابن عباس: المعنى: أفنترك تذكيركم وتخويفكم عفواً عنكم وعفواً عن إجرامكم إذ كنتم. لمّا ذكر خطاباً لقريش «أفنضرب عنكم الذكر» وكان هذا الإنكار دليلاً على تكذيبهم للرسول عليه السلام وإنكاراً لما جاء به - آنسه الله تعالى بأن عادتهم عادة الأمم السابقة من استهزائهم بالرسل، وأنه تعالى أهلك من كان أشدّ منهم بطشاً، أي: أكثر عَدداً وعُدداً وجلداً.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فليحذر قريش أن يحلّ بهم مثل ما حلّ بالأولين مكذّبي الرسل من العقوبة.

---

(١) ق: تكونه.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ احتجاج على قريش بما يوجب التناقض وهو إقرارهم بأن موجد العالم العلوي والسفلي هو الله تعالى، ثم هم يتّخذون أصناماً آلهة من دون الله يعبدونها. والظاهر أنّ ﴿ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ[٤٩٩/أ]ٱلْعَلِيمُ ﴾ هو نفس المحكي من كلامهم، ولا يدلّ كونهم ذكروا في مكانٍ: خلقهنّ الله[1]، أن لا يقولوا في سؤال آخر «خلقهن العزيز العليم».

و﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ﴾ هو من كلام الله تعالى خطاباً لهم بتذكير نعمه السابغة. وكرر الفعل في الجواب في قولهم «خلقهن العزيز العليم» مبالغةً في التوكيد. وفي غيرها اقتصروا على ذِكر اسم الله تعالى؛ إذ هو العلم الجامع للصفات العُلا. وجاء الجواب مطابقاً للسؤال من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، لأنّ «من» مبتدأ، فلو طابق باللفظ لكان بالاسم مبتَدأً، ولم يكن بالفعل.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: إلى مقاصدكم في السفر.

﴿ فَأَنشَرْنَا ﴾ أي: أحيينا. ﴿ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ ذكّر على معنى القطر، و«بلدة» اسم جنس.

﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ تقدم قوله «ما تركبون» وهي موصولة، ويراعى فيها اللفظ والمعنى. فمراعاة المعنى في قوله «ظهور» حيث جمع، ومراعاة اللفظ حيث أضاف الظهور إلى الضمير المفرد. وكذا فيما بعد ذلك في قوله «عليه» وفي الإشارة في قوله «هذا». وجاء في الحديث[2] «أنه عليه السلام كان إذا وضع رجله في الركاب قال: باسم الله. فإذا استوى على الدابّة قال: الحمد لله على كل حال، سبحان الذي سخّر لنا هذا، إلى قوله «المنقلبون» وكبّر

(١) انظر مثلاً الآية ٦١ من العنكبوت.

(٢) أخرجه الترمذي ٩: ١٣٩ من حديث علي بن ربيعة.

ثلاثاً وهلّل ثلاثاً». والمقرن: الغالب الضابط المطيق للشيء، يقال: أقرن الشيء إذا أطاقه. والقَرَن: الحبل الذي يقرن به.

﴿ وَجَعَلُوا لَهُۥ ﴾ أي: كفار قريش والعرب. «له» أي: لله. ﴿ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ أي: ممّن هم عبيد الله. ﴿ جُزْءًا ﴾ أي: نصيباً، وهو قولهم: الملائكة بنات الله.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ[1] لقلّة عقولهم كيف زعموا أنه تعالى اتّخذ لنفسه ما أنتم تكرهونه. ﴿ وَأَصْفَىٰكُم ﴾ جعل لكم صفوة ما هو محبوب لكم، وذلك هو البنون.

وقوله ﴿ مِمَّا يَخْلُقُ ﴾ تنبيه على استحالة الولد ذكراً كان أو أنثى.

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ ﴾ أي: ينتقل في عمره حالاً فحالاً في الحلية، وهو الحَلْي الذي لا يليق إلا بالإناث دون الرجال لتَزَيُّنهن بذلك لأزواجهن، وهو إن خاصم، لا يبينُ لضعفِ العقل ونقصِ التدبُّرِ والتأمّل.

أظهر بهذا تحقيرهن وشفوف[3] البنين عليهن. وكان في ذلك إشارة إلى أن الرجل لا يناسب له التّزين كما للمرأة، وأن يكون مخشوشناً.

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ الآية، لم يكفهم أن جعلوا لله ولداً [حتى] جعلوه أنثى، وجعلوهم من الملائكة، وهذا من جهلهم بالله تعالى وصفاته، واستخفافهم بالملائكة، حيث نسبوا إليهم الأنوثة. وقرىء:

---

(١) ق: وتوضيح.

(٢) انظر تفسير الآية ٥٨ من النحل.

(٣) في الصحاح «شفف»: أشففت بعض ولدي على بعض: فضّلتهم.

عند الرحمن، ظرفاً. وهذا [٤٩٩/ب] الاستفهام فيه تهكّم بهم، والمعنى إظهار فساد عقولهم، وأنّ دعاويهم مجرّدة عن الحجّة.

﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ تقدم الكلام عليه[1].

ولمّا نفى عنهم عِلْمَ ترك عقابهم على عبادة غير الله - أي: ليس يدل على ذلك عقل - نفى أيضاً أن يدلّ على ذلك سمع، فقال ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ من قبل نزول القرآن، أو من قبل إنذار الرسول عليه السلام، يدلّ على تجويز عبادتهم غير الله، وأنه لا يترتّب على ذلك عقاب إذ هو وفق المشيئة. ﴿فَهُم بِهِۦ﴾ أي: بذلك الكتاب.

﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾ في عبادة غير الله وانتفاء الإثم على ذلك.

ثم أخبر تعالى أنهم مقلّدون في ذلك لآبائهم، ولا دليل لهم من عقل ولا نقل.

ومعنى ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: [على] طريقة ودين وعادة، فقد سلكنا مسلكهم، ونحن مهتدون في اتّباع آثارهم.

والظاهر أن الضمير في «قال» أو في «قل»[2] للرسول، أي: قل يا محمد لقومك: أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم؟. وهذا تجهيل لهم حيث يقلّدون، ولا ينظرون في الدلائل. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم﴾ أي: أنت والرسل قبلك، غلّب الخطاب على الغيبة.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالقحط والقتل والسبي والجلاء، فانظر كيف كان عاقبة

---

(١) انظر تفسير الآية ١٤٨ من الأنعام.

(٢) وهي قراءة الجمهور، انظر البحر ٨: ١١.

من كذبك.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ ذكّر العرب بحال جدّهم الأعلى، ونهيه عن عبادة غير الله، وإفراده بالتوحيد والعبادة، هزّاً لهم، ليكون لهم رجوع إلى دين جدّهم، إذ كان أشرف آبائهم والمُجْمَع على محبته، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يقلّد أباه في عبادة الأصنام، فينبغي أن تقتدوا به في ترك تقليد آبائكم الأقربين، وترجعوا إلى النظر واتّباع الحق.

وقرأ الجمهور: بَراء، وهو مصدر يستوي فيه المفرد والمذكر ومقابلهما؛ يقال: نحن البراء منك. وقرئ بضم الباء. وقرئ بفتح الباء وكسر [الراء: بَرِيء].

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ استثناء منقطع، إذ كانوا لا يعبدون الله مع أصنامهم.

وأجاز الزمخشري[1] أن يكون «الذي» مجروراً بدلاً من المجرور بـ«مِن» كأنه قال: إنني براء ممّا تعبدون إلا من الذي. وأن تكون «إلا» صفة بمعنى غير، على أنّ «ما» في «ما تعبدون» نكرة موصوفة، تقديره: إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني، فهو نظير قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء] انتهى.

فوجه البدل لا يجوز، لأنه إنما يكون في غير الموجب من النفي والنّهي والاستفهام؛ ألا ترى أنه يصلح ما بعد إلّا لتفريغ العامل له، و«إنني براء» جملة موجبة، فلا يصحّ أن يفرّغ العامل فيها الذي هو «براء» لما بعد إلّا. وغرّ الزمخشري كون «براء» فيه معنى الانتفاء، [٥٠٠/أ] ومع ذلك فهو موجب، لا يجوز أن يفرّغ لما بعد إلّا. وأمّا تقديره «ما» نكرة موصوفة[2]، ولم يُبقها موصولة لاعتقاده أنّ «إلا» لا تكون صفة إلّا لنكرة. وهذه المسألة فيها خلاف: من النحويين من قال: توصف بها النكرة والمعرفة. فعلى هذا تبقى «ما» موصولة، وتكون «إلا» في موضع الصفة للمعرفة.

﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ تنبيه على أنه لا يستحق العبادة، ولا يُعبد إلا الخالق.

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ أي: يُديمُ هدايتي.

---

(١) ق: أجاز. الكشاف ٣: ٤٨٤.

(٢) ق: موصولة.

والضمير في «وجعلها» المرفوع عائد على «إبراهيم» وقيل على الله تعالى. والضمير المنصوب عائد على كلمة التوحيد التي تكلّم بها وهي قوله ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾.

والإشارة بـ«هؤلاء» لقريش ومن كان من عقب إبراهيم عليه السلام من العرب. لمّا قال ﴿فِى عَقِبِهِۦ﴾ قال تعالى: لكن متّعت هؤلاء وأنعمت عليهم على كفرهم، فليسوا ممّن بقيت كلمة التوحيد فيهم. ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ وهو القرآن. ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ هو محمد ﷺ.

والضمير المرفوع في «وقالوا» لقريش، كانوا قد استبعدوا أن يرسل الله تعالى رسولاً من البشر، واستفاض عندهم أمر إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين. فلمّا لم[1] يكن لهم في ذلك مدفع، ناقضوا فيما يخصّ محمداً ﷺ فقالوا: لِمَ كان محمداً ولَم يكن القرآن ينزل على رجل من القريتين عظيم؟ أشاروا إلى من عَظُم قدره بالسنّ والقِدَم والجاه وكثرة المال. [من القريتين] أي: من إحدى القريتين وهما مكّة والطائف. قال ابن عباس: والذي من مكة الوليد بن المغيرة المخزومي، ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. وكان الوليد بن المغيرة يسمّى ريحانة قريش، وكان يقول: لو كان ما يقول محمد حقًّا لنزل عليّ.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ فيه توبيخ وتعجيب من جهلهم، كأنه قيل: أَعَلى اختيارهم وإرادتهم تقسم الفضائل من النبوّة وغيرها؟. ثم في إضافته في قوله «رحمة ربك» تشريف له صلى الله عليه وسلم، وأنّ هذه الرحمة التي حصلت لك ليست إلا من ربّك المصلح لحالك. ثم أخبر تعالى أنه هو الذي قسم

---

(١) ق: أجمعين فلم.

المعيشة بينهم، فلم يحصل لأحد إلا ما قسمه الله تعالى [له]. وإذا كان تعالى هو الذي تولّى ذلك وفاوت بينهم، وذلك في الأمر الفاني، فكيف لا يتولّى ذلك في الأمر الخطير وهو إرسال من يشاء وتنبيء من يشاء. فليس لكم أن تتخيروا من يصلح لذلك، بل أنتم عاجزون عن تدبير أموركم.

وفي قوله ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم﴾ تزهيد في الإكباب على طلب الدنيا، وعون على التوكّل على الله تعالى. وقال مقاتل: فاضلنا بينهم، فمن رئيس ومرؤوس. وأنشد الشافعي[1] رضي الله عنه: [من الكامل]

[[2] ومن الدليل على القضاء وكونِه بؤسُ الفقير وطِيبُ عَيْشِ الأحمقِ

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ قيل: الجنة، وقيل غير ذلك. ﴿خَيْرٌ﴾ مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا. وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا وما جمع فيها من متاعها.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: ولولا أن يرغب الناس في الكفر، إذا رأوا الكافر في سعة، ويصيروا أمة واحدة في الكفر، قاله ابن عباس وغيره، لأعطيناهم من زينة الدنيا كذا وكذا، ولكنه تعالى اقتضت حكمته أن يغني ويفقر الكافر والمؤمن.

وقال ابن عطية: واللام في «لمن يكفر» لام الملك، وفي «لبيوتهم» لام تخصيص، كما تقول: هذا الكساء لزيد لدابّته، أي: هو لدابّته حِلْس ولزيد ملك انتهى.

ولا يصحّ ما قاله لأن «لبيوتهم» بدل اشتمال أعيد معه العامل، فلا يمكن

---

(١) ديوانه ص٦٥.

(٢) بداية ورقة ساقطة في ق: ٥٠٠/ب، ٥٠١/أ. وأكمل النقص من المطبوع.

من حيث هو بدل أن تكون اللام الثانية إلا بمعنى اللام الأولى، أمّا أن يختلف المدلول فلا. واللام في كليهما للتخصيص.

وقرىء: سُقُفاً على الجمع كرَهْن ورُهُن، وعلى الإفراد. ﴿وَمَعَارِجَ﴾ جمع مَعْرَج وهي المصاعد إلى العلاليّ. ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: يعلون السطوح.

وقال الزمخشري(١): سقوفاً ومصاعد وأبواباً وسُرراً كلّها من فضة انتهى.

كأنه يرى اشتراك المعاطيف في وصف ما عطفت عليه. ولا يتعيّن أن توصف المعاطيف بكونها من فضة.

والزخرف هنا الذهب قاله ابن عباس. وفي الحديث(٢) «إياكم والحمرة فإنها من أحب الزّينة إلى الشيطان». وقال الشاعر(٣): [من الكامل]

وصبغت درعك من دماء كماتهم لمّا رأيت الحسنَ يُلبس أحمرا

«وإن كل» فـ«إنْ» مخففة من الثقيلة، واللام الفارقة بين الإيجاب والنفي و«ما» زائدة. و«متاع» خبر «كلّ». وقرىء: لمّا، بمعنى إلاّ، فـ«إنْ» نافية. ﴿وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: ونعيم الآخرة، وفيه تحريض على التقوى.

﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أي: يَعْمَ. ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾ وهو القرآن كقوله ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة]. ﴿نُقَيِّضْ﴾ أي: نهيّىء ونيسّر. وهذا عقاب على الكفر بالختم وعدم الفلاح.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٨٧.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين، انظر ضعيف الجامع الصغير ٢: ٢٥٦.

(٣) لم أجده.

والظاهر أن ضمير النصب في «وإنهم ليصدونهم» عائد على «مَن» على المعنى. أعاد أولاً على اللفظ في إفراد الضّمير، ثم أعاد على المعنى. والضمير في «ليصدونهم» عائد على «شيطان» وإن كان مفرداً لأنه مبهم في جنسه، ولكل عاشٍ شيطان قرين فجاز أن يعود الضمير مجموعاً.

وقرىء: جاءانا، على التثنية، أي: العاشي والقرين، أعاد على لفظ مَن ولفظ الشيطان القرين، وإن كان من حيث المعنى صالحاً للجمع. وقرىء: جاءنا، على الأفراد، والضمير عائد على لفظ «مَن»؛ أعاد أولاً على اللفظ ثم جمع على المعنى ثم أفرد على اللفظ.

«قال» أي: الكافر للشيطان. ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ تمنّى لو كان ذلك في الدنيا حتى لا يصدّه عن سبيل الله، أو تمنّى ذلك في الآخرة وهو الظاهر، لأنه جواب «إذا» التي للاستقبال. [و«المشرقين»] أي: مشرقي الشمس: مشرقها في أقصر يوم من السنة ومشرقها في أطول يوم من السنة.

﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ مبالغة منه في ذمّ قرينه إذ كان سبب إيراده النار. والمخصوص بالذّم محذوف تقديره: فبئس القرين أنت.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ حكاية حال تقال لهم يوم القيامة، وهي مقالة موحشة، حرمتهم روح التأسّي، لأنه وقّفهم بها على أنه لا ينفعهم التأسّي لعظم المصيبة وطول العذاب واستمرار مدّته، إذ التأسّي راحة كل مصاب في الدنيا في الأغلب.

قال الزمخشري[1]: و«إذ» بدل من «اليوم» انتهى.

(١) الكشاف ٣: ٤٨٩. والنص التالي تبع له.

وحمل ﴿إِذ ظَّلَمۡتُمۡ﴾ على معنى: إذ تبيّن ووضح ظلمكم، ولم يبق لأحدٍ ولا لكم شبهة في أنكم كنتم ظالمين. «ونظيره قوله[1]: [من الطويل]

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة . [ولم تجدي من أن تقرّي بها بُدًا]

أي: تبيّن[2] أني ولد كريمة» انتهى.

ولا يجوز فيه البدل على بقاء «إذ» على موضوعها من كونها ظرفاً لما مضى من الزّمان، فإن جعلت لمطلق الوقت جاز.

وتخريجها على البدل أخذه الزمخشري من ابن جنّي؛ قال في مساءلته أبا علي: راجعتُه مراراً فيها، وآخر ما حصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان، وهما سواء في حكم الله تعالى وعلمه، فتكون «إذ» بدلاً من «اليوم» حتى كأنها مستقبلة أو كأن «اليوم» ماضٍ.

وقيل: التقدير: بعد إذ ظلمتم، فحذف المضاف للعلم به. وفاعل «ينفعكم» الاشتراك.

ولمّا كانت حواسُّهم لم ينتفعوا بها، أعاد الضمير عليهم في قوله ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ﴾ ولم يجْرِ لهم ذكر إلا في قوله ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ والمعنى: إن قبضناك قبل نصرك عليهم فإنّا منهم منتقمون في الآخرة.

﴿فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ﴾ أي: هم في قبضتنا لا يفوتوننا.

ولمّا ردّد تعالى بين حياته وموته صلى الله عليه وسلم أمره بأن يستمسك

---

(١) البيت لزائد بن صعصعة الفقعسي، انظر تنزيل الآيات ص٣٨٠.

(٢) ق: يتبيّن.

بما أوحاه إليه.

«وإنه» أي: وإن ما أوحينا إليك. ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أي: شرفٌ، حيث نزل عليهم وبلسانهم وجعل سائر الناس تبعاً لهم. والقوم على هذا قريش ثم العرب.

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ الظاهر أنه خطاب للسّامع الذي يريد أن يفحص عن الديانات، فقيل له: اسأل أيها الناظر أتباع الرّسل، أجاءتهم[1] الرسّل بعبادة غير الله، فإنهم يخبرونك أن ذلك لم يقع، ولا يمكن أن يأتو به قبلك، أي: قبل بعثة رسولك أيها السامع، وعلّق «واسأل» فارتفع «مَن» وهو اسم استفهام على الابتداء، و«أرسلنا» خبره والجملة في موضع نصب بـ«اسأل» بعد إسقاط الخافض، كأنّ سؤاله: من أرسلت][2] [٥٠١/ب] يارِبّ قبلي من رسلك أجعلت في رسالته [آلهَة] تُعبد؟. ثم سألهم السؤال فحكى المعنى، فردّ الخطاب إلى محمد في قوله «من قبلك».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

(١) ق: جاءتهم.

(٢) نهاية السقط في ق.

مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الآية، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ قبله كلام محذوف تقديره: فطالبوه بما يدلّ على صحّة دعواه الرسالة من الله تعالى، فلما جاءهم بآياتنا. ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ أي: فاجأهم الضحك بحيث لم يفكّروا، ولم يتأمّلوا، بل بنفس ما رأوا ذلك، ضحكوا سخرية واستهزاءً كما كانت قريش تضحك.

قال الزمخشري[(١)]: فإن قلت: كيف جاز أن تجاب «لمّا» بإذا المفاجأة؟. قلت: لأن فعل المفاجأة معها مقدّر، وهو عامل النصب في محلّها كأنه قيل: فلما جاءهم بآياتنا، فاجؤوا وقت ضحكهم انتهى.

ولا نعلم نحويًّا ذهب إلى ما ذهب إليه هذا الرجل من أن إذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدّر تقديره فاجأ، بل المذاهب فيها ثلاثة: مذهب أنها[(٢)] حرف فلا تحتاج إلى عامل، ومذهب أنها ظرف مكان، فإن صرّح بعد الاسم بعدها بخبرٍ له، كان ذلك الخبر عاملاً فيها نحو: خرجت فإذا زيد قائم. فقائم ناصب لإذا، كأنّ التقدير: خرجت ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قائم. ومذهب[(٣)] أنها ظرف زمان والعامل فيه الخبر أيضاً كأنه قال: ففي الزمان الذي خرجت فيه زيد قائم. وإن لم يُذكر بعد الاسم خبر، أو ذكر

---

(١) الكشاف ٣: ٤٩٠.

(٢) ق: بأنها.

(٣) فوقها في ق: كذا.

اسم منصوب على الحال، كانت «إذا» خبراً[١] للمبتدأ. فإن كان المبتدأ جثّة وقلنا: إذا ظرف مكان، كان الأمر واضحا. وإن قلنا ظرف زمان كان الكلام على حذف أي: ففي الزمان حضور زيد.

وما ادّعاه الزمخشري من إضمار[٢] فعل المفاجأة لم يُنطق به ولا في موضع واحد.

ثم المفاجأة التي ادّعاها لا يدل المعنى على أنها تكون من الكلام السابق؛ بل المعنى يدلّ على أن المفاجأة تكون من الكلام الذي فيه إذا، تقول: خرجت فإذا الأسد، فالمعنى: ففاجأني الأسد، وليس المعنى: ففاجأت الأسد.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ كانت آياته من كبار الآيات، وكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها. فعلى هذا يكون ثَمَّ صفة محذوفة، أي: من أختها السابقة عليها. ولا يبقى في الكلام تعارض، ولا يكون ذلك الحكم في الآية الأولى، لأنه لم يسبقها شيء، فتكون أكبر منه. وقيل: الأولى تقتضي علماً، والثانية تقتضي علماً منضمًا إلى علم الأولى، فيزداد الرجوح[٣]. ومعنى «أختها» مناسبتها، تقول: هذه الدرّة أخت هذه، أي: مناسبتها.

﴿وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ خطاب استهزاء وانتقاص. ويكون قولهم ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: على زعمك وقولك. و﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ إخبار[٤] غير مطابق

(١) ق: خبر.

(٢) ق: إطلاق.

(٣) ق: الرجوع.

(٤) ق: اختار.

[٥٠٢/أ] معلّق على شرط دعائه وكشف العذاب عنهم، وعهد معزوم على نكثه، ألا ترى إلى قوله ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾؟. وقوله ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ يحتمل أن يكون من أنّ دعوتك مستجابة.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ﴾ جعل القوم محلاً للنّداء. والظاهر أنه نادى عظماء القبط في محلّه الذي هو وهم يجتمعون [فيه] فرفع صوته فيما بينهم، لتنتشر[1] مقالته في جميع القبط. وسبب ندائه ذلك، أنّه لمّا رأى إجابة الله تعالى دعوة موسى عليه السلام، ورَفْع العذاب [عنهم] خاف ميل القلوب إليه، فنادى فقال ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ أراد أن يبيّن فضله على موسى عليه السلام بملك مصر، وهي من اسكندرية إلى أسوان.

﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: الخلجان التي تخرج من النيل وأعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر تنّيس[2] ونهر دمياط. والواو في «وهذه الأنهار» واو الحال. و«تجري» خبر. و«الأنهار»[3] صفة أو عطف بيان.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي وقدرتي وعجز موسى.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ الظاهر أنها «أم» المنقطعة المقدّرة ببل والهمزة، أي: بل أأنا خيرٌ. وهو إذا استفهمهم أهو خير ممّن هو ضعيف لا يكاد يفصح عن مقصوده إذا تكلّم، وهو الملك المتحكّم فيهم - قالوا له بلا شكّ أنت خير.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ قال مجاهد: كانواْ إذا سوّدوا رجلاً، سوّروه بسوارين، وطوّقوه بطوق من ذهب علامة لسؤدده. فقال فرعون: هلاّ

---

(١) ق: لينشر.

(٢) ق: نيس، وانظر الروض المعطار ص١٣٧.

(٣) ق: وهذه الأنهار.

ألقى ربّ موسى عليه أساورة[١] من ذهب، إن كان صادقاً، فكان ذلك دليلاً على إلقاء مقاليد الملك إليه؟. لمّا وصف نفسه بالملك والعزة ووصفه[٢] بالضعف وقلّة الأعضاد، اعترض فقال: إن كان صادقاً فهلاّ ملّكه ربه وسوّره، وجعل الملائكة أنصاره؟. وقرىء: أَسْوِرة.

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ ﴾ أي: استجهلهم لقلّة أحلامهم.

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ هو على حذف مضاف، قال ابن عباس: أحزنوا أولياءنا المؤمنين.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا ﴾ قال ابن عباس: متقدّمين إلى النار.

﴿ وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ أي: حديثاً عجيب الشأن سائراً مسيرا لمثل يحدّث به الآخِرون من الكفّار يقال لهم: مَثَلكم مَثَل قوم فرعون.

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ

(١) قرىء: أساورة، انظر البحر ٨: ٢٣.

(٢) ق: وصفه.

يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ الآية، لمّا ذكر طرفاً من قصة موسى عليه السلام، ذكر طرفاً من قصة عيسى. وعن ابن عباس وغيره: لما نزل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران] ونزل كيف خُلق من غير فحل قالت قريش: ما أراد محمد من ذكر عيسى إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى. فهذا كان صدودهم من ضربه مثلاً.

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ هذا [٥٠٢/ب] الاستفهام يتضمن أن آلهتهم خير من عيسى.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ أي: ما مثّلوا هذا التّمثيل إلاّ لأجل الجدل والغلبة والمغالطة، لا لتمييز الحق واتّباعه. وانتصب «جدلاً» على أنه مفعول من أجله، وقيل مصدر في موضع الحال.

﴿خَصِمُونَ﴾ شديد الخصومة واللجاج. والظاهر أن الضمير في «أم هو» لعيسى عليه السلام لتناسق الضمائر في قوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا﴾ قال بعض النحويين: «مِن» تكون للبدل أي: لجعلنا بدلكم ملائكة، وجعل من ذلك قوله تعالى ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة] أي: بدل الآخرة، ومنه قول الشاعر[1]: [من الكامل]

أخذوا المخاض من الفصيل غُلُبَّةً ظلماً ويُكتب للأمير إفالا

(١) البيت للراعي في ديوانه ص١٤٢ برواية مختلفة. وروايته هنا كروايته في الخزانة ٣: ١٣٠. والأفيل من الإبل: الصغير، وجمعه إفال.

أي: بدل[١] الفصيل. ويجوز أن تكون «مِن» هنا للتعليل على حذف مضاف تقديره: من أجلكم.

﴿يَخْلُفُونَ﴾ أي: يكونون خلفاءكم، وقيل: يخلف بعضهم بعضاً.

والظاهر أن الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعود على عيسى، إذ الظاهر في الضمائر السابقة أنها عائدة عليه. وقرأ ابن عباس وجماعة: لعَلَم، أي: لعلامة للساعة تدلّ على قرب قيامها، إذ خروجه شرط من أشراطها، وهو نزوله من السماء في آخر الزمان.

﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ أي: هداي.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات، أو بآيات الإنجيل الواضحات. ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي: بما تقتضيه الحِكمةُ الإلهيّة من الشرائع. ﴿وَلِأُبَيِّنَ﴾ متعلّق بـ«جئتكم». ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أمر الديانات.

والضمير في ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ عائد على مَنْ خاطبهم عيسى عليه السلام في قوله «قد جئتكم بالحكمة» وهم قومه المبعوث إليهم.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ تقدم الكلام عليه[٢].

«هل ينظرون» الضمير لقريش. و«أن تأتيهم» بدل من «الساعة» أي: إتيانها إيّاهم.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ﴾ قيل: نزلت[٣] في أبيّ بن خلف وعقبة بن أبي معيط.

---

(١) ق: نزل.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٧ من مريم.

(٣) انظر القرطبي ١٦: ١٠٩.

والتنوين في «يومئذ» عوض من الجملة المحذوفة، أي: يوم إذ تأتيهم الساعة.

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

و﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ صفة لـ«يا عبادي».

﴿ تُحْبَرُونَ ﴾ تُسَرُّون سروراً يظهر حباره أي: أثره عل وجوهكم.

والضمير في «وفيها» عائد على «الجنة».

﴿ مَا تَشْتَهِيهِ[1] ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ هذا حصرٌ لأنواع النعم، لأنها إما مشتهاة في القلب وإمّا مستلذّة في العيون.

«وتلك الجنة» مبتدأ وخبر. «أورثتموها» حال. ويجوز أن تكون «الجنة» بدلاً من «تلك»[2] و«أورثتموها» الخبر، و«بما كنتم» متعلّق بـ«أورثتموها».

ولمّا ذكر ما يتضمن الأكل والشرب ذكر الفاكهة. «منها تأكلون» مِن للتبعيض إذ لا يأكلون إلا بعضها.

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا

(١) ق: تشتهي.

(٢) ق: تلكم.

ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ[٥٠٣/أ] جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى حال أهل الجنّة، أعقبه بذكر حال الكفرة.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ تقدم أنهم ملبسون أي: ساكتون، وهذه أحوال لهم في أزمان متطاولة، فلا تعارض بين سكوتهم وندائهم. واللام في «ليقض» لام الطلب والرغبة، والمعنى: ليُمتنا مرّة حتى، لا يتكرر عذابنا. ﴿قَالَ﴾ أي: مالك.

﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ أي: مقيمون في النار لا تبرحون. وقال ابن عباس: يجيبهم بعد مضيّ ألف سنة.

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ الظاهر أنه من كلام الله تعالى لهم.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾ الضمير لقريش، أي: بل أحكموا أمراً من كيدهم للرسول ومكرهم.

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم.

وكانوا يتناجون ويتسارّون في أمر الرسول عليه السلام فقال تعالى ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ وهو ما يحدّث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خالٍ. «ونجواهم» وهو ما تكلّموا به فيما بينهم. «بلى» أي: نسمعها. ﴿وَرُسُلُنَا [لَدَيْهِمْ] يَكْتُبُونَ﴾ وهم الحَفَظةُ.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ التعليق بإنْ لا يقتضي جواز الشيء، بل قد يُعلّق بها الممتنع ويُجاب بالممتنع. ونظيره ما تقدّم من قوله تعالى ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام] وجوابه محذوف تقديره: فافعل. وهو عليه السلام لا يستطيع لا النّفق ولا السلّم. ويجوز أن يكون المعنى: إن كان للرحمن ولد فيما تدّعون وتزعمون فأنا أول الآنفين المنكرين. لذلك تقول العرب: عبد الرجل يعبد، بمعنى أنف يأنف.

ومعنى «إله» معبود، وبه يتعلق الجار والمجرور، والمعنى أنه هو معبود في السماء ومعبود في الأرض. والعائد على الموصول محذوف تقديره: هو إله.

وقرىء: وقيلَه، منصوب على إضمار فعل أي: ويعلم قِيْلَهُ. وبالخفض، فقيل: معطوف على «الساعة». وقيل: هي واو القسم والجواب محذوف تقديره: ليُنْصَرَنَّ أو لأفعلنّ بهم ما أشاء. وبالرفع معطوف على «علم الساعة» تقديره: وعِلْمُ قيله، فحُذف[1] «وعِلمُ» وأُقيم المضاف إليه مقامه فرُفع. والضمير المجرور عائد على الرسول عليه السلام بدلالة قوله «فاصفح عنهم» أي: أعرِضْ عنهم وتارِكْهم.

---

(١) ق: محذوف.

﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ أي: الأمر سلام.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم وتهديد وموادعة. وهي منسوخة بآية السيف[1].

(١) الآية ٥ من التوبة.

سورة الدخان(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦﴾.

﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ الآية، هذه [٥٠٣/ب] السورة مكية، قيل: إلا قوله ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ ۝١٥﴾. ومناسبة هذه السورة أنه ذكر في أواخر ما قبلها ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ ۝٨٣﴾ [الزخرف] فذكر تعالى يوماً غير معيّن ولا موصوف، فبيّن في أوائل هذه السورة ذلك اليوم بوصفٍ وصفه فقال: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدخان] وأن العذاب يأتيهم من قبله(2). «والكتاب المبين» هو القرآن، أقسم به تعالى.

---

(1) مكية وهي تسع وخمسون آية.

(2) ق: قبلك.

والضمير في «أنزلناه» يكون عائداً عليه. والليلة المباركة: ليلة القدر. قالوا: كُتُب الله كلها إنما أنزلت في رمضان. ﴿مُنذِرِينَ﴾ أي: مخوّفين.

«فيها» أي: في الليلة المباركة. ﴿يُفْرَقُ﴾ يُفصل من غيره ويخلص[١]. ووصف «أمراً» بـ«حكيم» أي: أمرٍ ذي حكمة، وقد أبهم تعالى هذا الأمر، وقال ابن عباس: في ليلة القدر يفصل كلّ ما في العام المقبل من الأقدار والأرزاق والآجال وغير ذلك، ويكتب لهم ذلك إلى مثلها من العام المقبل.

و«أمرا» مفعول بـ«منذرين».

«رحمة من[٢] ربك» مفعول من أجله، والعامل فيه «مرسلين».

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال ابن مسعود: هو الدخان الذي رأته قريش. قيل لعبد الله إن قاصًا عند أبواب كندة يقول[٣] إنه دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ بأنفاس الناس. فقال: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. الا وسأحدّثكم أنّ قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال[٤] «اللهم اشدد[٥] وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف». فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعِلْهِز - والعلهز: الصوف يقع فيه القُراد[٦]، فيشوى الصوف بدم القراد ويؤكل - وأكلوا العظام

---

(١) ق: ويلخص.

(٢) ق: منّا.

(٣) ق: يقال.

(٤) أخرجه مسلم ١: ٤٦٦ من حديث أبي هريرة.

(٥) ق: واشدد.

(٦) القراد: دويبة متطفلة تعيش على الدوابّ.

أيضاً. وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان، وكان الرجل يحدّث الرّجل فيسمع الكلام ولا يرى المتكلّم من الدخان. فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه، فناشدوه الله والرّحم، وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا. فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم. وفيه: فرحمهم النبي ﷺ وبعث إليهم بصدقة ومال. وفيه: فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالتهم فأنزل الله تعالى ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ يعني يوم بدر. وقال عبدالله: خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم[١].

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾ هذا كالمثال لقريش، ذكرت قصة من أُرسل إليهم موسى عليه السلام، فكذّبوه فأهلكهم الله تعالى.

﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ أي: كريم عند الله وعند المؤمنين.

﴿أَنْ أَدُّوا﴾ يحتمل أن تكون «أن» تفسيرية لأنه تقدّم ما يدلّ [٥٠٤/أ] على

---

(١) انظر الطبري ٢٥: ٦٧.

معنى القول وهو «رسول كريم». و«أن» تكون مخففة من الثقيلة، والناصبة للمضارع فإنها توصل بالأمر. طلب منهم أن يؤدّوا إليه بني إسرائيل.

﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: غير متّهم قد أئتمنني الله على وحيه ورسالته.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾ أي: لا تستكبروا على عبادة الله. ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجة واضحة في نفسها.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ﴾ أي: استجرت. ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ كانوا قد توعَّدُوه بالقتل، فاستعاذ من ذلك.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: تصدّقوا. ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾ أي: كونوا بمعزلٍ [مني] وهذه متاركة حسنة.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾[1] لفظ تحقير لهم.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ في الكلام حذف أي: فانتقمْ منهم، فقال[2] له الله: «أسْرِ بعبادي» وهم بنو إسرائيل ومن آمن به من القبط. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي: يتّبعكم فرعون وجنوده، فتنْجون، ويغرق المتّبِعون.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ قال ابن عباس: ساكناً كما جُزْتَه.

﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ هم بنو إسرائيل.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ استعارة لتحقير أمرهم، وأنه لم يتغير عن هلاكهم شيء.

---

(١) ق: فدعا ربه أني مغلوب فانتصر أن هؤلاء.

(٢) ق: فأوحى فقال.

﴿ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ أي: مؤخَّرين عن العذاب.

«من فرعون» بدل من قوله «العذاب المهين» أعيد معه حرف الجر كما أعيد في قوله ﴿ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحج].

﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ ﴾ أي: اصطفيناهم وشرّفناهم. ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أي: عالمي زمانهم.

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ﴾ [يعني] قريشاً. وأشار بـ«هؤلاء» إلى تحقيرهم. كانوا يقولون: ليس لنا إلا موتة واحدة، ولا نُنشر بعدها لحساب.

﴿ فَأْتُوا بِآبَائِنَا ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ وللمؤمنين الذين كانوا يَعِدونهم بالبعث. أي: إن صدقتم فيما [تعدوننا] فأحيوا لنا من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم، حتى يكون ذلك دليلاً على البعث في الآخرة.

﴿ أَهُمْ ﴾ أي: قريش ﴿ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ و«تبّع» تقدم الكلام عليه[1].

﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي: من الجنسين. «لاعبين» أي: عابثين.

---

(١) لم يتقدم الكلام عليه. و«تبّع» لم يذكر إلا ها هنا وفي الآية ١٤ من ق، ولم يُشرح ثَمّ.

﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالعدل، يجازي المحسن والمسيء بما أراد الله تعالى من ثواب وعقاب. ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنه تعالى خلق ذلك لذلك، فهم لا يخافون عقاباً ولا يرجون ثواباً.

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ دُرْدِيّ الزيت[1] و[قيل] غير ذلك.

﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ ﴾ يقال للزبانية: خذوه فاعتلوه، أي: سُوقُوه بعنف وجذب ﴿ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ أي: وسطه.

﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ ﴾ المصبوب في الحقيقة هو الحميم، فتارةً اعتبرت الحقيقة، وتارة اعتبرت الاستعارة، لأنه إذا صُبّ الحميم، فقد صُبّ ما تولّد عنه من الآلام والعذاب، فعبّر بالمسبَّب عن السبب، لأن العذاب هو المسبَّب عن الحميم، ولفظة العذاب أهول وأهيب.

[٥٠٤/ب] ﴿ ذُقْ ﴾ أي: العذاب. ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ وهذا

(١) دردي الزيت: ما يبقى في أسفله.

على سبيل التّهكم بهم، والهزء بمن كان يتعزّز ويتكرّم على قومه.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: الأمر. ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ أي: تشكّون.

ولمّا ذكر حال الكفار، أعقب بحال المؤمنين، فقال ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ استثناء منقطع، أي: لكن الموتة الأولى ذاقوها في الدنيا. وفي ذلك تنبيه على ما أنعم به عليهم من الخلود السرمديّ، وتذكير لهم بمفارقة الدنيا الفانية إلى هذه الدار الباقية.

والضمير في «يَسَّرناهُ» عائد على القرآن. ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهي لغة العرب.

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ النصر الذي وعدناك. ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ فيما يظنون الدوائر عليك. وفيها وعدٌ له عليه السلام ووعيد لهم، ومتاركة منسوخة بآية السيف[١].

(١) الآية ٥ من التوبة.

سورة الجاثية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، هذه السورة مكية، وقيل: إلا قوله ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴿١٤﴾﴾ الآية، فمدني. ومناسبة أولها لآخر ما قبلها في غاية الوضوح: قال[2] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴿٥٨﴾﴾ [الدخان] وقال ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ذكر في البقرة[3] ثمانية دلائل وهنا ستة، لم يذكر

---

(١) مكية وآياتها سبع وثلاثون.

(٢) ق: فقال.

(٣) الفقرة التالية نقلها المصنف من كلام الرازي وتصرّف فيها، انظر تفسيره ٢٧: ٢٦٠.
وآية البقرة المشار إليها هي الآية ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

الفلك والسّحاب، والسبب في ذلك أن مدار الحركة للفلك والسحاب على الرياح المختلفة، فذكر الرياح. وهناك جعل مقطع الثمانية واحداً، وهنا رتّبها على مقاطيع ثلاثة: يؤمنون، يوقنون، يعقلون. وأظن سبب هذا الترتيب: إن كنتم مؤمنين، فافهموا هذه الدلائل، وإن لم تكونوا مؤمنين ولا موقنين، فلا أقل من أن تكونوا من العاقلين فاجتهدوا. وقال هناك ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وهنا ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فدلّ على أن الخلق عين[1] المخلوق وهو الصحيح. ولا تفاوت بين أن يقال «في السماوات» أو «في خلق السماوات».

قال الزمخشري[2]: أقيمت الواو مقامهما[3]، فعملت الجرّ في «واختلاف الليل والنهار» والنصب في «آيات». وإذا رفعتَ فالعاملان الابتداء و«في»؛ عملت الرفع في «آيات» والجرّ في «واختلاف» انتهى.

نسبة عمل الجرّ والنصب، والجرّ والرّفع للواو ليس بصحيح؛ لأن الصحيح من المذاهب أن حروف العطف لا تعمل. ومن منع العطف على مذهب الأخفش أضمر حرف الجر فقدّر[4]: وفي اختلاف. فالعمل للحرف مضمراً ونابت الواو مناب عامل واحد ويدلّ على أنّ [٥٠٥/أ] «في» مقدّرة قراءة عبدالله: وفي اختلاف، مصرّحاً بفي، وحسَّنَ حَذْفَ «في» تقدُّمها في قوله «وفي خلقكم».

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي: تلك الآيات وهي الدلائل المذكورة. ﴿نَتْلُوهَا﴾ أي: نسردها عليك ملتبسةً بالحق. و«نتلوها» في موضع الحال أي: متلوّةً.

---

(١) ق: غير.

(٢) الكشاف ٣: ٥٠٨.

(٣) أي مقام «إنّ» و«في».

(٤) ق: بعد.

قال الزمخشري[١]: والعامل ما دلّ عليه «تلك» من معنى الإشارة، ونحوه ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴿٧٢﴾﴾ [هود] انتهى.

ليس نحوه! لأن [الهاء] في «وهذا» حرف تنبيه. وقيل: العامل في الحال ما دلّ عليه حرف التّنبيه أي: تنبَّهْ. وأما «تلك» فليس فيها حرف التّنبيه. فإذا كان حرف التنبيه عاملاً بما فيه من معنى التنبيه - لأن الحرف قد يعمل في الحال - فالمعنى: تنبَّهْ لزيدٍ في حال شيخه أو في حال قيامه.

وقيل: العامل في مثل هذا التركيب فعل محذوف يدلّ عليه المعنى: أي: انظر إليه في حال شيخه. فلا يكون اسم الإشارة عاملاً ولا حرف التنبيه إن كان هناك.

قال الزمخشري[٢]: «بعد الله وآياته» أي: بعد آيات الله، كقولهم: أعجبني زيدٌ وكَرَمُهُ، يريدون: أعجبني كرم زيد انتهى.

ليس هذا بشيء! لأنّ فيه من حيث المعنى إقحام الأسماء من غير ضرورةٍ والعطفَ، والمراد غير العطف من إخراجه إلى باب البدل. لأن تقدير: كرم [زيد] إنما يكون في: أعجبني زيدٌ كَرَمُه، بغير واو على البدل. [وهذا قلب لحقائق النحو، وإنما المعنى في: أعجبني زيد وكرمه] أنّ ذات زيد أعجبتْه؛ وأعجبه كرمه، فهما إعجابان لا إعجاب واحد. وقد رددنا عليه مثل قوله هذا فيما تقدّم.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا

---

(١) الكشاف ٣: ٥٠٩.

(٢) الكشاف ٣: ٥٠٩.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث وغيره وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن[1]. والآية عامة في كلّ من كان مضاراً لدين الله تعالى. و«أفاك أثيم» صفتا مبالغة. وألفاظ هذه الآية تقدم الكلام عليها[2].

والإشارة بـ«أولئك» إلى «كل أفّاك» لشموله الأفّاكين. حمل أولاً على لفظ «كل» فأفرد، ثم على المعنى فجمع، كقوله ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: من قدّامهم. والوراء ما توارى من خلف وأمام. ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا﴾ من الأموال. ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأوثان.

«هذا» أي: القرآن. «هدى» أي: بالغ في الهداية، كقولك: هذا رجل، أي: كامل في الرجولية.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

---

(١) «ويل لكلّ.. استماع القرآن»: وردت هذه الجملة في ق في غير موضعها الصحيح، قبل قول الزمخشري السابق.

(٢) انظر شرح الآية ٢٢٢ من الشعراء.

تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ﴾ هذه آية اعتبار.

قال الزمخشري[١]: ويجوز أن يكون - يعني «منه» - خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي جميعاً منه، وأن يكون «وما في الأرض» مبتدأ و«منه» خبره. انتهى.

لا يجوز هذان الوجهان إلّا على قول الأخفش؛ لأن جميعاً إذ ذاك حال، والعامل فيها معنوي وهو الجار والمجرور، [٥٠٥/ب] فهو نظير: زيد قائماً في الدار، ولا[٢] يجوز على مذهب الجمهور.

وقرىء: ليجزي، مبنيًا للفاعل أي ليجزي الله. وقرىء بالنون أي لنجزي نحن، وبالياء مبنياً للمفعول. والأحسن أن يكون المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله ضمير المصدر، أي: ليُجزى هو أي: الجزاء، وينتصب «قوما» بإضمار فعل يدلّ عليه ما قبله تقديره: يجزي قوماً.

(١) الكشاف ٣: ٥١٠.

(٢) ق: لا.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾ تقدم الكلام عليه[١].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى إنعامه على بني إسرائيل، واختلافهم بعد ذلك، ذكر تعالى حال نبيّه عليه السلام، وما منّ به عليه من اصطفائه، فقال «ثم جعلناك على شريعة من الأمر». قيل: الشريعة هي الأمر والنهي والحدود والفرائض.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ﴾ أي: هذا القرآن. جُعل ما فيه من معالم الدين بصائر للقلوب، كما جُعل روحاً وحياة. وقرىء: هذه، أي: هذه الآيات.

«أم حسب» «أم» منقطعة تتقدّر ببل والهمزة وهو استفهام إنكار.

قال الكلبي: نزلت[٢] في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، قال شيبة والوليد بن عتبة وعتبة، قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم على شيء، ولئن كان ما تقولون حقًّا، لحالُنا أفضل من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا.

﴿ٱجْتَرَحُوا۟﴾ اكتسبوا. و«السيئات» هنا سيئات الكفر. و«نجعلهم» نصيّرهم، والمفعول الثاني هو «كالذين» وبه تمام المعنى.

واحتمل الضمير في «محياهم ومماتهم» أن يعود على «الذين اجترحوا» أخبر أنّ حالهم في الزمانين سواء، وأن يعود على المجترحين والصالحين، بمعنى أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء في الكرامة عند الله تعالى، ومحيا المجترحين ومماتهم سواء في إهانتهم عند الله تعالى وعدم كرامتهم عليه. ويكون اللفظ قد لفّ هذا المعنى وذهن السامع يفصّله، إذ قد تقدّم إبعاد الله

(١) انظر تفسير الآية ٩٣ من يونس.

(٢) انظر القرطبي ١٦: ١٦٥.

أن يجعل هؤلاء كهؤلاء.

وقال الزمخشري[١]: والجملة التي هي «سواء محياهم ومماتهم» بدل من الكاف، لأن الجملة تقع مفعولاً ثانياً، فكانت في حكم المفرد. ألا تراك لو قلت: أن نجعلهم سواءً محياهم ومماتهم، كان سديداً كما تقول: ظننت زيداً أبوه منطلق انتهى.

هذا الذي ذهب إليه الزمخشري من إبدال الجملة من المفرد، قد أجازه أبو الفتح، واختاره ابن مالك، وأما تجويزه ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ فيظهر لي أنه لا يجوز، لأنها بمعنى التصيير، لا[٢] يجوز: صيّرت زيداً غلامه منطلق، ولا: صيّرت زيداً أبوه قائم، لأن التصيير انتقال من ذات إلى ذات، أو من وصف في الذات إلى وصف فيها. وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول، صيّرت المقدّرة مفعولاً ثانياً ليس [٥٠٦/أ] فيها انتقال ممّا ذكرنا، فلا يجوز. والذي يظهر لي أنّا إذا قلنا بتشبُّث هذه الجملة بما قبلها، أن تكون الجملة في موضع الحال، والتقدير: أم حسب الكفار أن نصيّرهم مثل المؤمنين في[٣] حال استواء محياهم ومماتهم، ليسوا كذلك بل هم يفترقون أي: افتراق في الحالتين، وتكون هذه الحال مبنيّة ما انبهم في المِثْليّة الدالّة عليها الكاف.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا

(١) الكشاف ٣: ٥١١.

(٢) ق: ولا.

(٣) ق: وفي.

نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ .

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ قال مقاتل: نزلت[1] في الحارث بن قيس. و«أفرأيت» هي بمعنى أخبرني، والمفعول الأول هو «من اتخذ»، والثاني محذوف تقديره بعد الصلة التي «لمن» أي: أيهتدي[2]، ويدلّ عليه قوله بعدُ ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا أحد يهديه من بعد إضلال الله إياه.

﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: هو مطواعٌ لهوى نفسه، يتبع ما يدعوه إليه، فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه.

---

(١) انظر لباب النقول ص١٩٠.

(٢) ق: بعد الصلات.. اهتدى.

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: من الله تعالى سابق، أو على علم من هذا الضالّ بأن الحقَّ هو الدين، ويعرض عنه عناداً، فيكون كقوله ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

والظاهر أن قولهم «نموت ونحيا» حكم على هذا النوع بجملته من غير اعتبار تقديم ولا تأخير، أي: تموت طائفة، وتحيا طائفة. وأن المراد بالموت مفارقة الروح للجسد.

وجواب «وإذا»: «ما كان حجتهم» أي: ما تكون حجتهم، لأن إذا للاستقبال. وخالفت أدوات الشرط، بأن جوابها إذا كان منفيًّا بما، لم تدخل الفاء بخلاف أدوات الشرط فلا بدّ من الفاء؛ تقول: إن تزرنا فما جفوتنا، أي: فما تجفونا. وفي كون الجواب منفياً بما، دليل على ما اخترناه من أنّ جواب إذا لا يعمل فيها، لأن ما بعد [ما] النافية لا يعمل فيما قبلها.

«ولله ملك السماوات والأرض» الآية، العامل في «ويوم تقوم»: «يخسر». و«يومئذ» بدل من «ويوم تقوم». و«المبطلون» الداخلون في الباطل.

«جاثية» باركة على الركب مستوفزة، وهي هيئة المذنب الخائف.

وقرىء: جاذية، بالذّال. والجُذُوّ أشدّ استيفازاً من الجثوّ، لأن الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه. وعن ابن عباس: «جاثية» أي: مجتمعة.

وقرىء: كلَّ أمة تدعى، بنصب «كلّ» على البدل بدل النكرة الموصوفة من النكرة.

والظاهر عموم «كل أمة» من مؤمن وكافر.

﴿تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ المنزل عليها، فتحاكَمُ إليه هل وافقَتْه أو خالفته. وأفرد «كتابها» اكتفاء باسم الجنس كقوله ﴿وَوُضِعَ[1] ٱلْكِتَٰبُ ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ أي: يقال لهم: [اليوم] تجزون.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ هو الذي دعيت إليه كل أمّة. وصحّت إضافته إليه تعالى لأنه مالكه والآمر بكَتْبه، وإليهم لأن أعمالهم مثبتة[2] فيه. والإضافة تكون بأدنى ملابسة، فلذلك صحّت إضافته إليهم وإليه [٥٠٦/ب] تعالى.

﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾ أي: يشهد بالحق من غير زيادة ولا نقصان.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ أي: الملائكة أي نجعلها تنسخ أي: تكتب. وحقيقة النسخ نقل خطّ من أصل يُنظر فيه، فأعمال العباد كأنها الأصل.

وقرىء: والساعة، بالرفع على الابتداء، وبالنصب عطفاً على «وعد الله».

﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ظنّاً[3] ضعيفاً، وقال الأعشى[4]: [من المتقارب]

أحـلّ بـه الشيـب أثقـالـه ... وما اعترّه الشيب إلا اعترارا[5]

---

(١) ق: وضع.

(٢) ق: مثبت.

(٣) ق: ضنا.

(٤) ديوانه ص٨١.

(٥) في ق:

وحـلّ بـه الشيـب أثقـالـه ... وما اغترّه الشيب إلا اغترارا

وما أثبتّه رواية الديوان.

أي: اعترارا[(١)] بيّناً. وقال الزمخشري[(٢)]: فإن قلت: ما معنى «إن نظن إلا ظنًّا»؟ قلت: أصله نظنّ[(٣)] ظنًّا ومعناه إثبات الظن فحسب. وأدخل حرف النفي والاستثناء ليفاد[(٤)] إثبات الظن مع نفي ما سواه. وَزِيدَ نفي ما سوى الظن توكيداً بقوله «وما نحن بمستيقنين» انتهى.

وهذا كلام مَنْ لا شعورَ له بالقاعدة النحوية من أن التفريغ يكون في جميع المعمولات، من فاعل ومفعول وغيره، إلا المصدر المؤكد، فإنه لا يكون فيه.

وقولهم ﴿إِن نَّظُنُّ﴾ دليل على أن الكفار قد أخبروا بأنهم ظنّوا البعث واقعاً، ودلّ قولهم قَبْلُ ﴿مَا هِىَ[(٥)] إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية] على أنهم منكرون البعث، فهم - والله أعلم - فرقتان.

﴿۞وَبَدَا[(٦)] لَهُمْ﴾ أي: قبائح أعمالهم. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾، أي: أحاط بهم. ولا تستعمل حاق إلا في المكروه.

﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم في العذاب كالشيء المنسيّ الملقى غير المُبَالَى به.

﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ أي: لقاء جزاء الله على أعمالكم. وأضاف اللقاء لليوم توسّعاً.

---

(١) ق: اغترارا.

(٢) الكشاف ٣: ٥١٣.

(٣) ق: يظن.

(٤) ق: لنفاذ.

(٥) ق: إن هي.

(٦) ق: فبدى.

﴿مِنۡهَا﴾ أي: من النار. ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ أي: تطلب منهم مراجعة إلى عمل صالح. وتقدم الكلام في الاستعتاب[1].

(١) انظر تفسير الآية ٨٤ من النحل.

سورة الأحقاف(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝١١ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝١٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٤﴾.

---

(١) مكية وآياتها خمس وثلاثون.

﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ هذه السورة مكية، قال ابن عباس: إلا ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ ﴿١٠﴾﴾ و﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ ﴿٣٥﴾﴾ الآيتين، فإنهما مدنيّتان. ومناسبة أولها لآخر ما قبلها أن في آخر ما قبلها ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية] وقلتم إنه عليه السلام اختلقها فقال تعالى ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾. وهاتان الصفتان هما آخر تلك وهما أول هذه.

«وأجل مسمى» أي: موعد لفساد هذه البنية، قال ابن عباس: هو يوم القيامة.

﴿عَمَّآ أُنذِرُواْ﴾ يحتمل أن تكون «ما» مصدريّة وأن تكون بمعنى الذي.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ﴾ معناه أخبروني عن الذين تدعون من دون الله وهي الأصنام.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ﴾ استفهام توبيخ. ومفعول «أرأيتم» الأول هو «ما تدعون» و«ماذا خلقوا» جملة استفهامية يطلبها «أرأيتم» لأن مفعولها الثاني يكون استفهاماً، ويطلبها «أروني» على سبيل [٥٠٧/أ] التعليق. فهذا من باب الإعمال؛ أعمل الثاني وحذف مفعول «أرأيتم» الثاني. و«من الأرض» تفسير للمبهم في «ماذا[1] خلقوا».

والظاهر أنه يريد: من أجزاء الأرض، أي: خَلْق ذلك إنما يكون لله تعالى.

قال ابن عطية: يحتمل «أرأيتم» وجهين: أحدهما أن تكون متعدّية و«ما» مفعول بها، ويحتمل أن تكون منبّهة لا تتعدّى وتكون «ما» استفهاماً على معنى التوبيخ. و«تدعون» معناه تعبدون انتهى.

---

(١) ق: ما.

كون «أرأيتم» لا تتعدى وأنها منبّهة[1] شيء قاله الأخفش في قوله ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ [الكهف]، والذي يظهر ما قلناه ثم وقفهم على غباوتهم، فقال ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أي: بل أَلَهُمْ[2] شرك.

﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ وهو القرآن فإنه ناطق بالتوحيد، فطلب منهم أن يأتوا بكتاب واحد يشهد بصحة ما هم[3] عليه.

﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من علم من علوم الأوّلين. وقال ابن عباس: المراد بالأثارة الخطّ في التّراب، وذلك شيء كانت العرب تفعله، وتتكهّن به، وتزجر.

«وهم» أي: الأصنام، عن دعاء الكفّار غافلون: أي: ليس لهم عقل يفهمون به دعاء الكفار.

والضمير في «افتراه» عائد إلى الحقّ، والمراد به الآيات.

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ على سبيل الفرض، فالله حسبي في ذلك. ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من رَدِّ عقوبةِ الله لي شيئاً.

﴿بِمَا تُفِيضُونَ﴾ أي: تندفعون فيه من الباطل ومُرادُه الحقّ، وتسميته تارة سحراً وتارة فرية.

والضمير في «فيه» يعود على «ما» وعلى القرآن.

﴿شَهِيدًۢا﴾ لي بالتّبليغ وشهيداً عليكم بالتكذيب.

---

(١) ق: منبهمة.

(٢) ق: أنهم.

(٣) ق: هو.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ عِدَةٌ لهم بالغفران إن رجعوا عن الكفر.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: جاء قبلي غيري. والبِدْع والبديع من الأشياء: ما لم يُرَ مِثْله. والظاهر أنّ «ما»[١] استفهامية و«أدري» معلّقة، فجملة الاستفهام في موضع المفعول، و«ما» مبتدأة و«يفعل» الخبر[٢].

وقال الزمخشري[٣]: يجوز أن تكون موصولة منصوبة انتهى.

الفصيح المشهور أن درى تتعدى بالباء، ولذلك حين عدّي بهمزة النقل تعدّى بالباء نحو قوله ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴿١٦﴾﴾ [يونس]. فَجَعْلُ «ما» استفهامية هو الأولى. وكثيراً ما عُلّقت في القرآن نحو ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنبياء]. و«يفعل» مثبت غير منفي، لكنه قد انسحب عليه النفي [لاشتماله على «ما» و«يفعل» فلذلك قال «ولا بكم». ولولا اعتبار النفي] لكان التركيب: ما يفعل بي وبكم.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ استسلام وتبرُّؤ من علم المغيّبات ووقوف مع النّذارة من عذاب الله تعالى.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ الشاهد عبد الله بن سلام، قاله الجمهور، والآية مدنية. وعن عبد الله بن سلام: نزلت فيّ آيات من كتاب الله تعالى، نزلت فيّ[٤] «وشهد شاهد».

---

(١) في «ما يُفعل».

(٢) بعده في ق: انتهى.

(٣) الكشاف ٣: ٥١٨.

(٤) في المطبوع: وعدّ منها.

وقال الزمخشري[1]: جواب الشرط [٥٠٧/ب] محذوف تقديره: إن كان هذا القرآن من عند الله، وكفرتم به ألستم ظالمين؟. ويدّل على هذا المحذوف قوله «إن الله لا يهدي القوم الظالمين» انتهى.

جملة الاستفهام لا تكون جواباً للشرط إلا بالفاء. فإن كانت الأداة الهمزة، تقدّمت الفاء نحو: إن تزرنا أفما نحسن إليك؟، أو غيرها تقدّمت الفاء نحو: إن تزرنا فهل ترى إلا خيراً؟ فقول الزمخشري «ألستم ظالمين» بغير فاء لا يجوز أن يكون جواب الشرط.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، قال مقاتل هي مقالة كفار قريش. «للذين آمنوا» أي: لأجل الذين آمنوا واللام للتبليغ. ثم انتقلوا إلى الغيبة في قولهم «ما سبقونا» ولو لم ينتقلوا لكان الكلام: ما سَبقتم إليه. والعامل في «إذ» محذوف اي: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم . وقوله «فسيقولون» مسبب عن ذلك الجواب المحذوف، لأنّ هذا القول ناشىء عن العناد. ويمتنع أن يعمل في إذ «فسيقولون» لحيلولة الفاء. وقِدَمُه بمرور الأعصار عليه.

ولمّا طعنوا في صحّة القرآن قيل لهم: أنزل الله من قبله التوراة على موسى عليه السلام، فأنتم لا تنازعون في ذلك.

﴿إِمَامًا﴾ أي: يُهتدى به إذ فيه البشارة بمبعث رسول الله ﷺ وإرساله، فيلزم اتّباعه والإيمان به. وانتصب «إماماً» على الحال، والعامل فيه العامل في «ومن قبله» أي: وكتاب موسى كائن من قبل القرآن في حال كونه إماماً. ولمّا عبّر عن الكفّار بالذين ظلموا، عبّر عن المؤمنين بالمحسنين ليقابل بلفظ

---

(١) الكشاف ٣: ٥١٨.

الإحسان لفظ الظلم.

﴿وَبُشْرَىٰ﴾ في موضع جر معطوف على المصدر المنسبك في قوله ﴿لِّيُنذِرَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ تقدم الكلام عليه(١).

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

ولمّا ذكر «جزاء بما كانوا يعملون» [السجدة: ١٧] قال ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إذ كان برّ الوالدين ثاني(٢) أفضل الأعمال، إذ في الصحيح «أي الأعمال أفضل؟. فقال: الصلاة على ميقاتها. قال: ثم أي؟. قال: برّ الوالدين»(٣)

(١) انظر شرح الآية ٣٠ من فصّلت.

(٢) ق: ياتي، وفوقها: كذا.

(٣) أخرجه مسلم ١: ٨٩ من حديث عبد الله بن مسعود بألفاظ مقاربة.

وإذ كان عقوقهما ثاني[1] أكبر الكبائر إذ قال عليه السلام[2] «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين». والوارد في برّهما كثير.

قال ابن عطية: ونصب هذا - يعني «إحساناً» - على المصدر الصريح، والمفعول الثاني في المجرور، والباء متعلّقة بـ«وصّينا» أو بقوله «إحساناً» انتهى.

لايصحّ أن يتعلق بـ«إحساناً» لأنه مصدر مقدّر بحرف مصدري والفعل، فلا يتقدم معموله عليه. ولأن «أحسنَ» لا يتعدى بالباء إنما يتعدّى باللام؛ تقول: أحسنت لزيد، ولا تقول: أحسنت بزيد، على معنى أن الإحسان يصل إليه.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ ليس الكره في أول علوقها به بل [٥٠٨/أ] في ثاني استمرار الحمل حتى تتوقع حوادثه.

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَـٰلُهُ﴾ أي: ومدة حمله وفصاله. وهذا لا يكون إلا بأن يكون أحد الطرفين ناقصاً: إما أن تلد المرأة لستة اشهر وترضع[3] عامين، وإما ان تلد لتسعة على العرف، وترضع عامين غير ربع عام. فإن زادت مدّة الحمل نقصت مدة الرضاع وبالعكس، فترتّب على[4] هذا أن أقلّ مدة الحمل ستة أشهر، وأقل مدّة الرضاع عام وتسعة أشهر، وإكمال العامين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة.

(١) ق: وإذا كان عقوقهما يأتي.

(٢) أخرجه مسلم ١: ٩١ من حديث أبي بَكْرة.

(٣) ق: ورضع.

(٤) ق: من.

﴿ بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ تقدّم الكلام عليه[١].

﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ﴾ أي: قال المُحْسِنُ منهم: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾. ولذلك أشار بقوله [«أولئك»] بصيغة الجمع.

وقرىء: يُتقبّل ويُتجاوز، مبنيًا للمفعول ورَفْع «أحسن». وقرىء بالنون فيهما ونَصْب «أحسن».

﴿ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ قيل: «في» بمعنى مع. وقيل هو نحو قولك: أكرمني الأمير في ناسٍ من أصحابه، تريد: في جملة من أكرم منهم، ومحلّه النصب على الحال على معنى: كائنين في أصحاب الجنة. وانتصب «وعد الصدق» على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة.

والمراد بـ«الذي» الجنس، ولذلك جاء الخبر مجموعاً في قوله «أولئك».

﴿ أُفٍّ﴾ تقدّم الكلام عليه[٢].

﴿ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ أي: أُبعث بعد الموت.

﴿ مِن قَبۡلِي﴾ ولم يُبعث أحد بعد موته.

﴿ وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ﴾ جملة [حالية] واستغاث يتعدى بنفسه وبالباء. ﴿ وَيۡلَكَ﴾ دعاء عليه بالثّبور، والمراد به الحثّ والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك. «آمن» أمرٌ منهما له بالإيمان. ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾ وهو البعث بعد [الموت].

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من يوسف.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٣ من الإسراء.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي: من المحسن والمسيء درجات [لأن الجنة درجات] عَلَتْ درجاتٍ، والنار دركات. «وليوفيهم» بعثناهم.

وقرىء: أذهبتم، على الخبر. وأأذهبتم، بهمزتين على الاستفهام، وهو استفهام توبيخ وإنكار. «فاليوم» هو يوم القيامة.

﴿۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام. والأحقاف: قال ابن عباس: وادٍ بين عُمان ومهرة[1].

﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ هم الرسل الذين تقدّموا زمانه. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ الرسل الذين كانوا في زمانه.

---

(١) انظر الروض المعطار ص١٤.

«وقد خلت النذر من بين يديه» جملة حالية. و«ألا تعبدوا» متعلق بـ«أنذر».

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا﴾ استفهام تقرير وتوبيخ فيما أنذره إياهم من العذاب العظيم على ترك إفراد الله بالعبادة.

﴿لِتَأۡفِكَنَا﴾ أي: لتصرفنا عن آلهتنا بالإفك وهو الكذب.

﴿فَأۡتِنَا﴾ استعجال منهم لحلول ما وعدهم به من العذاب العظيم.

والضمير في «رأوه» الظاهر أنه عائد على «ما» في قوله «بما تعدنا» وهو العذاب. وانتصب «عارضاً» على الحال من المفعول.

وقال الزمخشري[1]: «فلما رأوه» في الضمير وجهان: أن يرجع[2] إلى «ما تعدنا»، وأن يكون مبهماً [٥٠٨/ب] قد وضح أمره بقوله «عارضاً» إما تمييزاً وإما حالاً، وهذا الوجه أعرب وأفصح انتهى.

هذا الذي ذكر أنه أعرب وأفصح ليس جارياً على ما ذكره النّحاة؛ لأن المبهم الذي يفسّره، ويوضّحه التّمييز لا يكون إلاّ في باب ربّ، نحو: رُبَّهُ رجلاً لقيته، وفي باب نعم وبئس على مذهب البصريين نحو: نعم رجلاً زيد وبئس غلاماً عمروٌ. وأما أن الحال توضّح المبهم وتفسّره فلا نعلم أن أحداً ذهب إليه.

وقد حصر النّحاة الذي يفسّره ما بعده فلم يذكروا فيه مفعول رأى إذا كان ضميراً، ولا أنّ الحال تفسّر الضمير وتوضّحه.

---

(١) الكشاف ٣: ٥٢٤.

(٢) ق: يرفع.

والعارض: المعترض في الجوّ من السحاب الممطر. وأودية: جمع وادٍ وهو جمع شاذّ في القياس؛ إذ «فاعل» الاسم لا يجمع على أفعلة.

﴿بَلْ هُوَ﴾ «بل» حرف إضراب. و«هو» مبتدأ، و«ما» خبره. و﴿رِيحٌ﴾ بدل من «ما».

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ هو عام مخصوص بتدمير ما أُمرت به. وقرىء: تُرى، بالتاء مبنياً للمفعول، «مساكنهم» رفع.

ولمّا أخبر بهلاك[1] قوم عاد، خاطب قريشاً على سبيل الموعظة فقال ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ[2]﴾. و«إنْ» نافية أي: في الذي ما مكّناكم فيه من القوة والغنى والبسط في الأجسام والأموال. ولم يكن النفي بلفظ «ما» كراهة لتكرير اللفظ، وإن اختلف المعنى.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ الآية، «ولقد أهلكنا» خطاب لقريش على جهة التمثيل لهم. والذي حولهم من القرى مأرب وحِجْر ثمود وسدوم[3].

﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي الحجج والدلائل.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ أي: فهلاّ نصرهم حين جاءهم الهلاك.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ أي: اتخذوهم من دون الله. ﴿قُرْبَانًا﴾ أي: في حال التقرب وجعلهم شفعاء. ﴿ءَالِهَةًۢ﴾ وهو المفعول الثاني لـ«اتّخذوا»، والأول الضمير المحذوف العائد على الموصول.

---

(١) ق: بلال.

(٢) ق: مكّناهم.

(٣) ق: وحجر وثمود. وانظر الروض المعطار ص٥١٥، ١٨٩و ٣٠٨ على الترتيب.

وقال الزمخشري[١]: و«قرباناً» حال، ولا يصحّ أن يكون «قرباناً» مفعولاً ثانياً، و«آلهة» بدلاً[٢] لفساد المعنى انتهى.

لم يبين الزمخشري كيف يفسّر المعنى، ويظهر أن المعنى صحيح على ذلك الإعراب.

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ قضية الجنّ كانت مرتين: الأولى يأتي ذكرها، والثانية أن الله تعالى أمره أن ينذر الجنّ ويقرأ عليهم [القرآن] فقال[٣] «إني أُمرت أن أقرأ على الجنّ فمن يتبعني؟ قالها ثلاثاً. فأطرقوا إلا عبدالله بن

(١) الكشاف ٣: ٥٢٦.

(٢) ق: بدل.

(٣) انظر مسند أحمد ١: ٤٥٨، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢: ٣٦٥ وما بعدها.

مسعود. قال: لم يحضره أحد ليلة الجنّ غيري، فانطلقنا حتى إذا كنّا في شعب الحَجون خطّ لي خطّاً [وقال]: لا تخرج حتى أعود إليك. ثم افتتح القرآن، وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على رسول الله ﷺ، وغشيَتْه أَسْوِدة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته [٥٠٩/أ] ثم انقطعوا كقطع السحاب. فقال لي: هل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم، رجالاً سوداً مستثفري[١] ثياب بيض. فقال: أولئك جنّ نصيبين. وكانوا اثني عشر ألفاً، والسورة التي قرأها عليهم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ①﴾ [العلق]. وفي آخر هذا الحديث قلت: يا رسول الله، سمعت لهم لغطاً. فقال: إنهم تدارؤوا[٢] في قتيل لهم فحكمتُ بالحق».

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: القرآن. ﴿قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ أي: اسكتوا للاستماع، وفيه تأدُّب مع العلم وكيف يُتعلَّم. ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ أي: القرآن. ﴿وَلَّوْا۟[٣] إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ تفرقوا على البلاد ينذرون الجن.

قال قتادة: ما أسرع ما عقل القوم. وعند ذلك وقعت قصة سواد بن قارب[٤] وخنافر وأمثالهما حين جاءهما رَئِيّاهما[٥] من الجن وكان سبب إسلامهما.

﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ أي بعد كتاب موسى.

---

(١) الاستفثار: أن يُدخل إزاره بين فخذيه ملويّاً.

(٢) تدارؤوا: تدافعوا في الخصومة.

(٣) ق: تولوا.

(٤) حديث سواد بن قارب أخرجه البخاري ٣: ١٤٠٣ من حديث عبد الله بن عمر، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٢٤٨، ودلائل الاصبهاني ص١١١.

(٥) ق: ربيّاهما. والرَّئي: الجنّي يعرض للإنسان ويطلعه على ما يزعم من الغيب.

قال عطاء: كانوا على ملّة اليهود.

﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ هو الرسول عليه السلام[١]. ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ يعود على «الله». ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» للتبعيض. ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وهذا كلّه وظواهر القرآن يدلّ على أن الجن مكلّفون، ولم ينصَّ هنا على ثوابهم إذا أطاعوا. وعمومات القرآن تدلّ على الثواب وكذا قال ابن عباس: لهم ثواب وعليهم عقاب، يلتقون في الجنّة، ويزدحمون على أبوابها.

﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ أي: بفائت من عقابه إذ لا منجى ولا مهرب منه.

قال الزمخشري[٢]: ويجوز أن يراد عرض النار عليهم، من قولهم: عرضتُ الناقة على الحوض، يريدون: عَرَض الحوض عليها فقلبوا. ويدلّ عليه تفسير ابن عباس: يجاء بهم إليها فيُكشف لهم عنها انتهى.

لا ينبغي حَمْل القرآن على القلب؛ إذ الصحيح في القلب أنه مما يُضطر إليه في الشعر. وإذا كان المعنى صحيحاً واضحاً مع عدم القلب، فأي ضرورة تدعو إليه؟. وليس في قولهم: عرضت الناقة على الحوض [ولا في تفسير ابن عباس ما يدل على القلب؛ لأنّ عَرْض الناقة على الحوض] وعرض الحوض على الناقة، كلّ منهما صحيح، إذ العرض أمر نسبيّ، يصحّ إسناده لكل واحد من الحوض والناقة.

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يقال لهم. والإشارة بـ«هذا» إلى العذاب. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ تصديقٌ حيث لا ينفع. فيقول لهم المجاوب من الملائكة عند ذلك ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾.

---

(١) بعدها في ق: فيه.

(٢) الكشاف ٣: ٥٢٣. وورد نص الزمخشري في شرحه الآية ٢٠ المتقدمة.

﴿فَاصْبِرْ﴾[1] الفاء عاطفة هذه الجملة على الجملة من أخبار الكفار في الآخرة، والمعنى بينهما مرتبط؛ أي: هذه حالهم مع الله تعالى فلا تستعجل أنت، واصبر ولا تخف إلا الله.

و﴿أُوْلُوا الْعَزْمِ﴾ أي: الجِدّ من الرسل.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ أي: لكفار قريش بالعذاب، أي: لا تَدْعُ لهم بتعجيله فأنه نازل [٥٠٩/ب] بهم لا محالة، وإن تأخّر، وإنهم مستقصرون حينئذ مدّة لبثهم في الدنيا كأنهم لم يلبثوا فيها إلاّ ساعة من نهار. «بلاغٌ» يعني به القرآن والشرع، أي: هذا بلاغ، أي: تبليغ وإنذار. و«بلاغ» مبتدأ خبره: لهم[2].

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ في هذه الآية وعيد وإنذار.

---

(١) ق: فاصبروا.

(٢) فوقها في ق: كذا. وهو يتعارض مع قوله في العبارة السابقة: هذا بلاغ.

سورة القتال(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ۝٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٩ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ الآية، قال ابن عباس: هذه السورة مدنية إلا آية منها نزلت [بمكّة] بعد حجة [الوداع] حين خرج من مكة، وجعل ينظر إلى البيت وهي ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ۝١٣ ﴾ الآية. ومناسبة أولها لآخر ما قبلها واضحة جدًّا.

---

(١) مدنية وهي ثمان وثلاثون آية. وهي في القرآن الكريم سورة «محمد» ﷺ.

﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أعرضوا عن الدخول في الإسلام، أو صدّوا غيرهم عنه. وهم أهل مكّة الذين أخرجوا رسول الله ﷺ. قال ابن عباس: وهم المطعِمون(١) يوم بدر.

﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: أتلفها حيث لم ينشأ عنها خير ولا نفع بل ضرر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هم الأنصار. واللفظ عام يشمل كل مؤمن وكافر.

﴿وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ تخصيصُه من بين(٢) ما يجب الإيمان به تعظيم لشأن الرسول عليه السلام، وإعلام [أنه] لا يصحّ الإيمان ولا يتمّ إلاّ به، وأكّد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. «كفر عنهم سيئاتهم» خبر «الذين». «وأصلح بالهم» أي: شأنهم.

«ذلك» إشارة إلى ما فعل بالكفار من إضلال أعمالهم، وبالمؤمنين من تكفير سيئاتهم وإصلاح بالهم(٣). و«ذلك» مبتدأ، وما بعده الخبر أي: كائن بسبب اتّباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق. «كذلك» أي: مثل ذلك. «يضرب الله للناس أمثالهم» [والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم] لأجل الناس ليعتبروا بهم.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في أيّ زمان لقيتموهم فاقتلوهم. وفي قوله ﴿فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٥﴾ [التوبة] أي: في أيّ مكان، فعمّ في الزمان وفي المكان.

---

(١) وهم اثنا عشر رجلاً، وانظر أسماءهم في القرطبي ١٦ : ٢٢٣.

(٢) ق: مرتين.

(٣) ق: حالهم.

﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ هذا من المصدر النائب مناب فعل الأمر، وهو مطّرد فيه. و«ضرب الرقاب» عبارة عن القتل. ولمّا كان القتل للإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته عبّر بذلك عن القتل. ولا يراد خصوصيّة الرقاب، فإنه لا يكاد يتأتّى حالة الحرب أن تضرب الرقاب، إنما يتأتّى القتل في أي موضع كان من الأعضاء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أي: أكثرتم القتل فيهم وهذه غاية للضرب. فإذا وقع الإثخان، وتمكّنوا من أخذ من لم يُقتل، شَدُّوا وثاق الأسرى.

﴿فَإِمَّا مَنَّۢا﴾ بالإطلاق. ﴿وَإِمَّا فِدَآءً[1]﴾ [٥١٠/أ] فالنصب على إضمار فعل تقديره: فإمّا تمنّون منًّا وإما تفادون فداءً.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ و«حتى» غاية لما تقدّم أي: أثقالها وآلاتها، ومنه قول عمرو بن معد يكرب[2]: [من المتقارب]

وأعـددتُ للحـرب أوزارهـا رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا

والظاهر أن ضرب الرقاب - وهو القتل - مُغَيَّى[3] بشدّ الوثاق وقت حصول الإثخان، وأن قوله «فإما منا بعد» أي: بعد الشدّ. «وإما فداء» حالتان للمأسور: إما أن يمنّ عليه بالإطلاق كما منّ رسول الله ﷺ على ثمامة بن أثال الحنفي بإطلاقه، وإما أن يفدى كما روي عنه عليه السلام أنه فودي منه رجلان من الكفار برجل واحد مسلم.

---

(١) ق: واما منا.

(٢) البيت للأعشى في ديوانه ص١٣٥.

(٣) أي: مرتبط به، من الغاية وهي المدى.

قال الزمخشري[1]: كما منّ على أبي عروة الجمحي[2] وأُثالَ الحنفي انتهى.

صوابه: على ثمامة وعلى أبي عزّة الجمحي، فغيّر الكنية والاسم، ولعلّ ذلك من الناسخ لا في أصل التصنيف. وهذه الآية معارض ظاهرها لقوله تعالى ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۝٥﴾ [التوبة] فذهب ابن عباس وجماعة إلى أنها منسوخة بقوله «فاقتلوا المشركين» الآية، وأن الأسر والمنّ والفداء مرتفع. فإن وقع أسير قُتل ولا بدّ إلا أن أسلم، ورُوي نحوه عن أبي بكر الصديق. [وذهب] جماعة[3] إلى أنّ هذه مخصِّصة لعموم تلك، والمنّ والفداء ثابت.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك. ﴿لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف وغير ذلك. ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟﴾ أي: ليختبركم.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ أي: إلى طريق الجنّة.

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أي: بيّنها لهم، من التعريف. أو علّاها من الأعراف وهي الجبال. أو طيّبها، من العَرْف وهو الطيب.

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: دينه. ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على أعدائكم. ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ أي: في مواطن الحرب.

﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: بُعْداً لهم. «والذين» مبتدأ ضُمّن معنى

---

(١) الكشاف ٣: ٥٣١.

(٢) في الكشاف والمطبوع: الحجبي.

(٣) ق: الصدّيق وجماعة، وفوقها: كذا.

الشرط، والخبر «فتعساً» وهو على إضمار فعل أي: فأتعسهم تعساً.

﴿كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ عام في كل ما نزّل. ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جعلها من الأعمال التي لا تزكوا ولا يُعتدُّ بها.

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أفسد عليهم ما اختصّوا[1] به من أنفسهم وأولادهم.

﴿أَمْثَالُهَا﴾ أي: أمثال تلك التدميرة.

والإشارة بـ«ذلك» إلى الهلاك[2].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، والكاف في «كما» في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره: أكلاً كما تأكل الأنعام.

﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ أي: ينتفعون بمتاع الدنيا أياماً قلائل. ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ غافلين غير مفكّرين في العاقبة. ﴿كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ في مسارحها ومعالفها غافلةً عمّا هي بصدده من النحر والذّبح. [٥١٠/ب] ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: موضع إقامة.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ هي على حذف مضاف تقديره: من أهل قرية. ولذلك عاد الضمير في «أهلكناهم» على ذلك المحذوف. «من قريتك» هي مكة.

---

(١) ق: اختص.

(٢) ق: الله.

﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ أي: أخرجك أهلها، نسب الإخراج إليها مجازاً.

قال ابن عطية: ونسب الإخراج إلى القرية حملاً على اللفظ، وقال «إهلاكناهم» حملاً على المعنى [انتهى.

ظاهر هذا الكلام لا يصحّ؛ لأن الضمير في «أهلكناهم» ليس عائداً على المضاف إلى القرية التي أسند إليها الإخراج، بل إلى أهل القرية في قوله «وكأين من قرية». فإن كان أراد بقوله «حملاً على المعنى»] أي: معنى القرية[1] في قوله «وكأين من قرية» فهو صحيح. لكن ظاهر قوله «حملاً على اللفظ وحملاً على المعنى» أن يكون في مدلول واحد. وعلى هذا يبقى «كأيّن» مفلتاً غير محدَّث عنه بشيء، إلا إن تخيّل[2] أنّ «[هي] أشد» خبر عن «وكأين». والظاهر أنه في موضع الصفة.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ استفهام توقيف وتقرير على شيء متفق عليه، وهي معادلة بين هذين الفريقين. والإشارة إلى الرسول عليه السلام وإلى كفار قريش. واللفظ عام لأهل الصّنفين.

ومعنى ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ أي: على حجّة واضحة وهو القرآن. ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ وهو الشرك. ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ أي: شهوات أنفسهم. والضمير في «واتّبعوا» عائد على معنى «مَن» لا على لفظه.

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ

(١) ق: الفردية.

(٢) ق: يحيل.

وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: صفة الجنة. وهو مرفوع بالابتداء. قال النضر بن شميل: كأنه قال: صفة الجنة ما تسمعون انتهى. «فما تسمعون» هو الخبر، و﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ تفسير لتلك الصفات، فهو استئناف إخبار عن تلك الصفة. وقال سيبويه[1]: فيما يُتلى عليكم مثلُ الجنة، تقدَّر الخبر المحذوف متقدّماً، ثم فسّر ذلك الذي يُتلى.

﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي: غير متغيّر، يقال: أَسَن الماء يأسِنُ ويأسُن إذا تغيّر.

﴿لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ نفي لجميع وجوه الفساد في اللبن.

﴿لَّذَّةٍ﴾ جمعت طِيبَ المطعم وزوالَ الآفاتِ من الصّداع وغيره. و«لذّة» تأنيث لَذٍّ وهو اللذيذ، أو مصدر نُعت به. فالجمهور بالجرّ على أنه صفة لـ«خمر»، وبالرفع صفة لـ«أنهار»، وبالنصب أي: لأجل لذّة فهو مفعول له.

﴿مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ قال ابن عباس: لم يخرج من بطون النّحل فيخالطه الشمع وغيْره. ووصفه بـ«مصفّى» لأن الغالب على العسل التذكير، وهو ممّا يذكّر ويؤنّث.

---

(١) انظر الكتاب ١: ١٤٣.

وبدىء من هذه الأنهار بالماء، وهو الذي لا يستغنى عنه في المشروبات، ثم باللبن إذ كان يجري مجري المطعوم في كثير من أقوات[١] العرب وغيرهم، ثم بالخمر لأنه إذا حصل الريّ والمطعوم تشوّقت النفس إلى ما تلتذّ به، ثم بالعسل لأن فيه الشفاء في الدنيا ممّا يعرض من المشروب والمطعوم، فهو متأخّر في الرّتبة.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لمّا ذكر المشروب ذكر من المأكول ما يُتفكّه[٢] به. قيل: و«مِن» زائدة أي: ولهم فيها كل [٥١١/أ] الثمرات، وقيل: المبتدأ محذوف أي: أنواع من كل الثمرات. ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هو معطوف على ما قبله لا بقيد[٣] «فيها»، أي: ولهم مغفرة من ربهم، لأن المغفرة قبل دخول الجنة. أو على حذف أي: تنعيم مغفرة، إذ المغفرة سبب التنعيم[٤].

و«كمن» قبله محذوف يقابله تقديره: أهؤلاء المنعمون كمن هو خالد في النار؟. «وسقوا» عائد على «مَن»، و«هو[٥] خالد» عائد على اللفظ.

وكذلك «خرجوا» عاد على معنى «من».

﴿يَسْتَمِعُ﴾ كان المنافقون يحضرون عند الرسول عليه السلام ويستمعون كلامه وتلاوته، فإذا خرجوا، قالوا للذين أوتوا العلم وهم السامعون كلام الرسول حقيقةً، الواعون له: ماذا قال آنفاً؟ أي: الساعة، وذلك على سبيل

---

(١) ق: أوقات.

(٢) ق: ينقله.

(٣) ق: يقيّد.

(٤) بعدها في ق: وسُقوا عائد على معنى من.

(٥) ق: في النار هو، وفوقها: كذا.

الهزء والاستخفاف. أي: لم نفهم ما يقول، ولا ندري ما نَفْع ذلك. وممّن سألوه ابن مسعود. و«آنفاً» حال أي: مبتدئاً، أي: ما القول الذي ائتنفه الآن قبل انفصالنا عنه.

قال الزمخشري[١]: و«آنفاً» نصب على الظرف انتهى. قال ذلك لأنه فسّره بالساعة.

وقال الزمخشري[٢]: والمفسّرون يقولون: «آنفاً» معناه الساعة الماضية القريبة منّا، وهذا تفسير بالمعنى انتهى.

الصحيح أنه [ليس] بظرف، ولا نعلم أحداً من النّحاة عدّه في الظروف.

﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ أي: علاماتها، وأحدها شرط بفتح الراء وجزمها، فينبغي الاستعداد لها. ومن أشراطها مبعث رسول الله ﷺ إذ هو خاتم الأنبياء. وروي عنه عليه السلام أنه قال[٣] «أنا من أشراط الساعة» وقال[٤] «بُعثت أنا والساعة كفرسَيْ رهان».

﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ ﴾ الظاهر أن المعنى: فكيف لهم الذكرى والعمل بها إذا جاءتهم الساعة، أي: قد فاتهم ذلك.

ثم أضرب عن ذكر المنافقين وقال ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ والمعنى: دُمْ على عملك بتوحيد الله. واستغفاره عليه السلام لأهل الإيمان رحمة لهم.

---

(١) الكشاف ٣: ٥٣٤.

(٢) الكشاف ٣: ٥٣٤، ونقل العبارة بالمعنى.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن رضي الله عنه قوله: محمد ﷺ من أشراط الساعة، انظر الدر المنثور ٦: ٥٠.

(٤) ضعيف. رواه البيهقي عن سهل بن سعد، انظر ضعيف الجامع الصغير ٥: ١٣٢.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولذنوب المؤمنين. وأحواله عليه السلام ثلاثة: مع الله بالتوحيد، ومع نفسه بالاستغفار، ومع[1] غيره بالاستغفار لهم.

﴿مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ هو على العموم في كل متقلّب وفي[2] كل إقامة.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ الآية، مدح الله تعالى المؤمنين بطلبهم إنزال سورة. والمعنى: تتضمّن أمرنا بمجاهدة العدوّ وفضح[3] أمر المنافقين. والظاهر أن طالبي ذلك هم خُلَّصٌ في إيمانهم، ولذلك قال بعدُ ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: تشخص أبصارهم جبناً وهلعاً.

﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: نظراً كما ينظرُ مَنْ أصابته الغشيةُ من

---

(١) ق: وله ومع.

(٢) فوقها في ق: كذا.

(٣) ق: ويصح.

أجل حلول الموت.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ قال الجوهري[1]: [٥١١/ب] «يقول العرب: أولى لك: تهديد ووعيد.

واختلفوا أهو اسم أو فعل؛ فذهب الأصمعي إلى أنه [فعل] بمعنى: قاربه ما يهلكه أي: نزل به». وعلى قول الجمهور[2] إنه اسم يكون مبتدأ، والخبر «لهم». وقيل «فأولى» مبتدأ، و«لهم» من صلته و«طاعة» خبر، وكان اللام بمعنى الباء كأنه قيل: فأولى بهم طاعة.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: جدّ، والعزم الجدّ، وهو لأصحاب الأمر واستعير للأمر كما قال تعالى ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى] وقال الشاعر[3]:

[من الرجز]

[قد شمرّتْ عن ساقها فشدّوا] وجدَّتِ[4] الحربُ [بكم] فَجِدُّوا

والظاهر أن جواب «فإذا» قوله «فلو صدقوا» كما تقول: إذا كان الشتاء فلو جئتني لكسوتك.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما زعموا من حرصهم على الجهاد.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ التفات للذين في قلوبهم مرض، أقبل بالخطاب إليهم على سبيل التوبيخ لهم وتوقيفهم على سوء مرتكبهم. و«عسى» تقدّم الخلاف

---

(١) انظر الصحاح: ولي. وتصرّف المصنف بكلام الجوهري.

(٢) ق: فعلى قوله.

(٣) البيت لحنظلة بن ثعلبة. وورد الشعر في العقد ٤: ١٨١ برواية أخرى، وانظر جمهرة خطب العرب ٢: ٢٨٩.

(٤) ق: قد جدّت.

في لغتها[١]. وفصل بين عسى وخبرها بالشرط وهو «إن توليتم». ﴿أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بعدم معونة أهل الإسلام على أعدائهم. ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ تُقَطِّعُوا ما بينكم وبينهم من صلة الرحم.

«أولئك» إشارة إلى مرضى القلوب. ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الموعظة. ﴿وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ عن طريق الهدى.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أي: يتصفّحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة. وهو استفهام توبيخ وتوقيف على مخازيهم.

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ استعارة للذين منعهم [كفرهم] الإيمان. و«أم» منقطعة بمعنى بل والهمزة، للتقرير والتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يصل إليها ذكر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم﴾ قال ابن عباس وغيره: نزلت في منافقين كانوا أسلموا، ثم نافقت قلوبهم. والآية تتناول كلّ من دخل في لفظها.

﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه في يوسف[٢]. و«سوّل لهم» ركوب العظائم، من السَّوَل وهو الاسترخاء.

قال الزمخشري[٣]: وقد اشتقّه من السّول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعاً انتهى.

---

(١) يبحث عنها.

(٢) انظر تفسير الآية ١٨ من يوسف.

(٣) الكشاف ٣: ٥٣٧.

قوله: وقد اشتقه إلى آخره، ليس بجيد، لأنه توهّم أن السول أصله[(١)] الهمز فاختلفت المادتان؛ إذ عَيْن سُوْل واو، وعين السّؤل همزة. والسّول له مادتان إحداهما الهمز من سأل يسأل، والثانية الواو من سال يسال. فإذا كان هكذا «فسوّل» يجوز أن تكون من ذوات الواو لا من ذوات الهمزة.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴾ روي أن قوماً من قريظة والنضير كانوا يعينون[(٢)] المنافقين في أمر الرسول عليه السلام والخلاف عليه بنصره ومؤازرته[(٣)]، وذلك قولهم ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾ أي: في بعض ما تأتمرون به أو في بعض الأمر الذي يهمكم. [٥١٢/أ] ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ قالوا ذلك سرًّا فيما بينهم، فأفشاه الله تعالى عليهم.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ الضمير عائد على من تقدّم ذكره من الكفار. «كيف» استفهام وبعده مبتدأ محذوف و«كيف» خبره تقديره: كيف حالهم إذا توفّتهم. والظاهر أن وقت التّوفي هو عند الموت. وقال ابن عباس: لا يُتوفّى أحد على معصية إلا يُضرب من الملائكة في وجهه وفي دبره. و«الملائكة» ملك الموت والمصرّفون معه. و«يضربون» حال من «الملائكة».

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا

(١) ق: وأصله.

(٢) ق: يعلون.

(٣) ق: ومؤازرة.

﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ۝٣٢ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۝٣٤ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٥ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ۝٣٧ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ۝٣٨﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية، إخراج أضغانهم - وهو[1] حقودهم - إبرازها للرسول وللمؤمنين. والظاهر أنها من رؤية البصر، لعطف العرفان عليه، وهو معرفة القلب. وفي هاتين الجملتين تقريب لشهرتهم، لكنه لم يعيّنهم بأسمائهم إبقاءً عليهم وعلى قراباتهم.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ كانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول، مما ظاهره حسن، ويعنون به القبيح كقولهم «راعنا» [النساء: ٤٥]. ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾ خطاب عام يشمل المؤمن والكافر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ناس من بني إسرائيل. وتبيُّن هداهم معرفتهم بالرسول عليه السلام من التوراة.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ قيل: نزلت في بني أسد، أسلموا وقالوا لرسول الله: قد آثرناك وجئناك بأنفسنا وأهلنا!. كأنهم مَنُّوا عليه بذلك فنزلت فيهم هذه [الآية] وقوله تعالى ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۝١٧﴾ [الحجرات]. فعلى هذا

(١) ق: هو.

يكون ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ بالمنّ بالإسلام والرياء والسّمعة والشّرك والنّفاق.

﴿ثُمَّ مَاتُوا۟[١] وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ عامّ. والموجب لانتفاء الغفران وفاتهم على الكفر.

وقيل: نزلت بسبب عدي بن حاتم رضي الله عنه، «سأل رسول الله ﷺ عن أبيه قال: كان له أفعالُ برٍّ فما حاله؟ فقال: في النار. فبكى عديّ وولّى. فدعاه فقال له: أبي وأبوك وأبو إبراهيم خليل الرحمن في النار» فنزلت[٢].

﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي: تضعفوا. ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ وهو الصلح. ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي: الأغلبون. ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ أي: يعرّيكم[٣] من ثواب أعمالكم.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ تحقير لأمر الدنيا، أي: فلا تهنوا في الجهاد، وأخبر عنها بذلك [باعتبار ما يختصّ بها من ذلك، وأمّا ما فيها من الطاعة وأمر الآخرة فليس بذلك].

﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ أي: ثواب أعمالكم من الإيمان والتقوى. ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أي: كثيراً من أموالكم، إنما يسألكم ربع العشر فطيّبوا أنفسكم. ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾ أي: جميعها.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ كرر هاء التّنبيه توكيداً.

﴿وَمَن يَبْخَلْ﴾ أي: بالصدقة وما أوجب الله عليه. ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: لا يتعدّى ضرره لغيره. ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ مطلقاً. ﴿وَأَنتُمُ

---

(١) ق: وماتوا.

(٢) ق: ونزلت. والحديث أخرجه مسلم ١: ١٩١ من حديث أنس.

(٣) ق: يغروكم.

﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾ مطلقاً لافتقاركم إلى ما تحتاجون إليه في الدنيا.

[٥١٢/ب] ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ [عطف] على ﴿تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ ﴿٣٦﴾﴾ [محمد]، أي: وإن تتولّوا عن الإيمان والتقوى. ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يخلق قوماً سواكم راغبين في الإيمان والتقوى غير متولّين عنهما. ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ أي: في الخلاف والتولّي والبخل.

سورة الفتح(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾.

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ الآية، هذه السورة مدنية؛ فعن ابن عباس أنها نزلت بالمدينة. والصحيح أنها نزلت بالطريق منصرفَه من الحديبية سنة ستّ من الهجرة، فهي تُعدّ من المدني. ومناسبتها لما قبلها أنه [لمّا] تقدّم ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد] خطاباً لكفّار قريش، أخبر رسوله بالفتح العظيم. ولمّا قال ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [محمد] ناسب ذلك علوّ الإسلام بهذا الفتح العظيم.

(1) مدنية وهي تسع وعشرون آية.

وعلّل المغفرة باجتماع ما عدّد من الأمور الأربعة، وهي المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز، كأنه قيل: يسّرنا لك فتح مكّة، ونصرناك على عدوّك، لنجمع لك بين عزّ الدارين وأغراض العاجل والآجل[١].

و«السكينة» هي الطمأنينة والسكون [قيل]: بسبب الصلح والأمن، ليعرفوا فضل الله تعالى عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف، والهدنة بعد القتال فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم.

والظاهر أن اللام في «ليدخل» تتعلق بمحذوف يدلّ عليه الكلام، وذلك أنه قال ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فكان[٢] في ذلك دليل على أنه تعالى يبتلي بتلك الجنود من يشاء، فيقبل الخير من قضى له بالخير، والشّر من قضى له بالشّر، ليدخل المؤمنين جنات، ويعذّب الكفّار، فاللام تتعلّق بـ«يبتلي» هذه.

قرىء: لتؤمنوا[٣]، وعطف [عليه] ما بعده بتاء الخطاب. وبياء الغيبة. والضمير في «وتعزروه وتوقروه» عائد للرسول عليه السلام، وفي «وتسبحوه» عائد لله تعالى. وتقدّم لفظ التعزير[٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ

---

(١) هذا من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٣: ٥٤١.

(٢) ق: كان.

(٣) ق: ليؤمنوا.

(٤) انظر تفسير الآية ١٥٧ من الأعراف.

ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ هي بيعة الرضوان وبيعة الشجرة حين أخذ الرسول عليه السلام الأهبة لقتال قريش حين أرجف بقتل عثمان بن عفان، وقد بعثه إلى قريش يعلمهم أنه جاء معتمراً لا محارباً، وذلك قبل أن ينصرف من الحديبية، بايعهم على الصبر المتناهي في قتال العدو إلى أقصى الجهد. ولذلك قال سلمة بن الأكوع وغيره: بايعنا على الموت، وقال ابن عمر وجابر: [على] أن لا نفرّ.

وقال الزمخشري(١): لمّا قال «إنما يبايعون الله» أكّده تأكيداً على طريقة

(١) الكشاف ٣: ٥٤٣.

التخييل فقال «يد الله فوق أيديهم» يريد أن [يد] رسول الله ﷺ التي تعلو [٥١٣/أ] أيدي[١] المبايعين هي يد الله. والله تعالى منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام، وإنما المعنى تقرير[٢] أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۝٨٠﴾ [النساء] [والمراد بيعة الرضوان]. «فإنما ينكث على نفسه» فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه انتهى.

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ الآية، «المخلفون» قبائل من العرب مذكورون في البحر[٣].

﴿ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا﴾ هذا اعتلال منهم عن تخلّفهم، أي: لم يكن لهم من يقوم بحفظ أموالهم وأهليهم غيرهم. فبدؤوا بذكر الأموال لأنّ بها قوام العيش وعطفوا الأهل [عليها] لأنهم كانوا يحافظون على حفظ الأهل أكثر من حفظ المال.

وكان الرسول عليه السلام استنفرهم حين أراد المسير إلى مكّة، فتعلّلوا بهذا الاعتلال.

﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم﴾ الظاهر أنه راجع إلى الجملتين المقولتين من الشغل وطلب الاستغفار. لأن قولهم «شغلتنا» كذب، وطلب الاستغفار خبث منهم وإظهار أنهم مؤمنون عاصون. ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ﴾ أي: من يمنعكم من قضاء الله. ﴿إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا﴾ من قتلٍ أو هزيمة. ﴿أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢا﴾ من ظفر

---

(١) ق: يدي.

(٢) ق: تقدير.

(٣) انظر ٨: ٩٢.

وغنيمة؛ إذ هو تعالى المتصرّف فيكم.

ولمّا أخبر تعالى أنهم قوم بور ذكر ما يدلّ عليه أنهم ليسوا بمؤمنين فقال ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ﴾، ثم ذكر جزاءهم وهو السعير.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ معناه أن يغيّروا وعده لأهل الحديبية بغنيمة خيبر. وذلك أنه وعدهم أن يعوّضهم من مغانم مكة مغانم خيبر، إذا قفلوا موادعين، لا يصيبون منهم شيئاً. وأمره تعالى أن يقول لهم ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، وأتى بصيغة «لن» وهي للمبالغة في النفي، أي: لا يتمّ لكم ذلك إذ[1] قد وعد تعالى أن ذلك لا يحضرها إلا أهل الحديبية فقط.

﴿كَذَٰلِكُمْ[2] قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يريد وعده قبل اختصاصهم بها.

﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: يعز عليكم أن نصيب مغنماً معكم، وذلك على سبيل الحسد أن نقاسمكم فيما تغنمون. ثم ردّ تعالى عليهم كلامهم هذا فقال ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يفهمون. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من أمور الدنيا.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ أمر تعالى نبيّه عليه السلام أن يقول لهم ذلك، ودلّ على أنهم كانوا يظهرون الإسلام. ولو لم يكن الأمر كذلك لم يكونوا أهلاً لهذا الأمر.

وأبهم تعالى في قوله ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس: هم الفرس، وقيل غير ذلك. والظاهر أن هؤلاء المقاتلين ليسوا ممّن تؤخذ منهم الجزية؛ إذ لم يذكر هنا إلا القتال أو الإسلام.

---

(١) ق: أن.

(٢) ق: كذلك.

قال الزمخشري[١]: [٥١٣/ب] وهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنهم لم يُدْعَوْا إلى حرب في أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ولكن بعد وفاته انتهى.

هذا ليس بصحيح! قد حضر كثير منهم مع جعفر في مؤتة، وحضروا حرب هوازن مع رسول الله ﷺ، وحضروا معه في سفرة تبوك. ولا يتمّ قول الزمخشري إلاّ على قول من عيّن أنهم من أهل الردّة.

﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ أي: فيما تُدعون إليه. ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: في الخروج مع الرسول في زمان الحديبية. ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ يحتمل أن يكون في الدنيا وأن يكون في الآخرة.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ تقدم الكلام[٢] [عليه].

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ

---

(١) الكشاف ٣: ٥٤٥.

(٢) انظر شرح الآية ٦١ من النور.

وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية، لمّا ذكر حال من تخلّف عن السفر مع الرسول، ذكر حال المؤمنين الخلّص الذين سافروا معه. والآية دالّة على رضا الله تعالى عنهم، ولذا سمّيت بيعة الرضوان. والعامل في «إذ» «رضي». والرضا بمعنى إظهار النّعم عليهم، فهو صفة فعل لا صفة ذات لتقييده بالزمان. و«تحت» يحتمل أن يكون معمولاً لـ«يبايعونك»، أو حالاً من المفعول، لأنه عليه السلام كان تحتها جالساً في أصلها وكانت الشجرة سَمُرَة[1].

﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ من الإيمان واتّباع الرسول.

﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ قيل: هو فتح خيبر، وكان عقب انصرافهم من مكّة.

﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾ هذه المغانم الموعود بها هي المغانم التي كانت بعد هذه، وتكون إلى يوم القيامة. ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ الإشارة بـ«هذه» إلى البيعة والتخلّص من أمر قريش بالصلح، قاله ابن عباس: ﴿ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ ﴾ أي: أهل مكّة بالصلح.

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ قال ابن عباس: بلاد فارس والروم وما فتحه

---

(١) السَّمُرة: من شجر الطلح، والجمع سَمُر.

المسلمون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ أي: قضى بينكم المكافّة والمحاجزة بعدما خوّلكم الظفر عليهم والغلبة. وروي في سببها أن قريشاً جمعت جماعة من فتيانها، وجعلوهم مع عكرمة بن أبي جهل، وخرجوا يطلبون غرّة[١] في عسكر رسول الله ﷺ. فلما أحسّ بهم المسلمون، بعث عليه السلام خالد بن الوليد - وسمّاه حينئذ سيف الله - في جملة من المسلمين، ففرّوا أمامهم حتى أدخلوهم بيوت مكّة، وأسروا منهم جملة، وسيقوا إلى الرسول، فمنّ عليهم وأطلقهم[٢].

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أهل مكة. و﴿مَعْكُوفًا﴾ حال أي: محبوساً.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ كان بمكّة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميّزين منهم ولا معروفي الأماكن، فقال تعالى «ولولا» أي: ولولا كراهة أن تُهلكوا أناساً مؤمنين بين ظهراني المشركين، وأنتم غير عارفين بهم، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه [٥١٤/أ] ومشقّة - ما كفّ أيديكم عنهم. وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه.

قال الزمخشري[٣]: ويجوز أن يكون «لو تزيّلوا» كالتكرير لـ«لولا رجال مؤمنون» لمرجعهما إلى معنى واحد، ويكون[٤] «لعذّبنا» هو الجواب. انتهى.

قوله: لمرجعهما إلى معنى واحد، ليس بصحيح، لأن ما تعلّق به «ولولا»

---

(١) ق: عدة.

(٢) انظر الطبري ٢٦: ٥٩.

(٣) الكشاف ٣: ٥٤٨.

(٤) ق: ولكون.

الأولى غير ما تعلّق به الثانية. فالمعنى في الأولى: ولولا وطء قوم مؤمنين، والمعنى في الثانية: لو تميّزوا من الكفّار. وهذا المعنى[١] مغاير للأول مغايرة ظاهرة.

﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ قال الزهري: حميتهم: أَنَفَتُهم من[٢] الإقرار للرسول عليه السلام بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم. والذي امتنع من ذلك هو سهيل بن عمرو. والسكينة: الوقار والاطمئنان، فتوقّروا وحلموا.

و«كلمة التقوى» لا إله إلا الله، وروي ذلك عن النبي ﷺ[٣]. والظاهر أن الضمير في «وكانوا» عائد على «المؤمنين» والمفضّل عليهم محذوف؛ أي: أحقّ بها من كفّار مكّة، لأن الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيّه عليه السلام.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

---

(١) ق: هذا معنا.

(٢) ق: في.

(٣) رواه الترمذي ٩ : ١٧ عن أبي بن كعب، وقال: حديث غريب.

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية، رأى الرسول عليه السلام في منامه قبل خروجه إلى الحديبية - وقال مجاهد: وكانت الرؤيا بالحديبية - أنه وأصحابه دخلوا مكّة آمنين، وقد حلّقوا وقصّروا. فقصّ الرؤيا على أصحابه، ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم، وقالوا: إن رؤيا رسول الله ﷺ حق. فلمّا تأخر ذلك، قال عبد الله بن أبيّ وناس معه: والله ما حلقنا ولا قصّرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت[1]. ولمّا نزلت هذه الآية علم المسلمون أنهم يدخلونها فيما يُستأنف. واطمأنّت قلوبهم، ودخلوها معه عليه السلام في ذي القعدة سنة سبع، وذلك ثلاثة أيام هو وأصحابه، وصدقت رؤياه عليه السلام. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي: ما قدّره من ظهور الإسلام في تلك المدّة ودخول الناس فيه، وما كان أيضاً بمكّة من المؤمنين الذين دفع الله بهم.

قال الزمخشري[2]: «فعلم ما لم تعلموا» من الحكمة والصواب في تأخّر فتح مكّة إلى العام القابل انتهى.

لم يكن فتح مكة في العام القابل إنما كان بعد ذلك بأكثر من عام؛ لأن الفتح كان سنة ثمانٍ من الهجرة، وكان خروجه من المدينة عام الحديبية في ذي القعدة سنة ستٍّ من الهجرة.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من شهداء الحديبية. ﴿أَشِدَّآءُ﴾ جمع شديد. ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ دليل على كثرة ذلك منهم. وهذه السّيما قال مالك بن أنس: كانت جباههم منيرة من كثرة السجود في التراب. ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: صفتهم في التوراة.

---

(١) انظر لباب النقول ص١٩٤.

(٢) الكشاف ٣: ٥٥٠.

[٥١٤/ب] و«مثلهم» هذا مبتدأ، و«كزرع» خبره. وقال قتادة: مَثَل أصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج من أمّة محمد قوم ينبتون[1] نباتاً كالزّرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. شَطَأَ الزرع وأشطأ إذا أخرج فراخه وهو في الحنطة والشعير. والضمير المنصوب في «فآزره» عائد على الزّرع، لأن الزّرع أول ما يطلع رقيق الأصل، فإذا خرجت فراخه، غلظ أصله وتقوّى. وكذلك أصحاب الرسول عليه السلام كانوا أقلّة ضعفاء، فلمّا كثروا وتَقَوَّوْا قاتلوا المشركين.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي: صار من الرّقة إلى الغلظ. ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي: تم نباته. ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ جمع ساق، كناية عن أصوله. ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ جملة في موضع الحال. وإذا أعجب الزّراع فهو أحرى أن يعجب غيرهم لأنه لا عيب [فيه] إذ قد أعجب العارفين بعيوب الزّرع، ولو كان معيباً لم يعجبهم، وهنا تمّ المَثَل. و﴿لِيَغِيظَ﴾ متعلق بمحذوف يدلّ عليه الكلام قبله تقديره: جعلهم الله بهذه الصّفة ليغيظ بهم الكفار. والأجر العظيم: الجنّة.

(١) ق: من قوم محمد ينبتون. وفوقها في ق: كذا.

سورة الحجرات(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة لأنه [تعالى] ذكر الرسول عليه السلام وأصحابه ثم قال «وَعَدَ الله» فربّما صدر من المؤمن بعضَ شيء مما ينبغي أن يُنهى عنه: وقال ابن عباس: نُهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه. وقرىء: لا تَقَدّموا، بفتح التاء، وأصلها: لا تتقدموا، فحذف التاء الثانية.

(١) مدنية وهي ثماني عشرة آية.

﴿أَن تَحْبَطَ﴾ هو على حذف مضاف تقديره: مخافة أن تحبط.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ قيل: نزلت[١] في أبي بكر الصدّيق [وعمر] رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت. ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: جرّبها ودربها للتقوى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ نزلت[٢] في وفد بني تميم: الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وغيرهم، وفدوا ودخلوا المسجد وقت الظهيرة والرسول راقد، فجعلوا ينادونه بجملتهم: يا محمد اخرج إلينا. فاستيقظ فخرج لهم. وقصتهم[٣] وشاعرهم وخطيبهم وشاعره عليه السلام وخطيبه مذكورة[٤] في البحر. [﴿مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الوراء: الجهة التي يواريها عنك الشخص من خلف أو قدّام].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ الآية، سبب نزولها[٥] أن الحارث بن ضرار[٦] أسلم، وراح إلى قومه، فجمع زكاتهم ووجه الرسول عليه السلام الوليد [بن الحارث] ليقبض الزكاة، فخاف الوليد [٥١٥/أ] ورجع، فأخبر الرسول أن الحارث منع الزكاة. فقدم الحارث بعد ذلك وأقسم أنه ما جاءه الوليد ولا رآه، وجاء بزكاة قومه [في قصة] فيها طول ذكرت في البحر[٧].

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٥٨.

(٢) أسباب النزول ص٢٥٩، ولباب النقول ص١٩٥.

(٣) فوقها في ق: كذا.

(٤) انظر ٨: ١٠٦.

(٥) انظر أسباب النزول ص٢٦٢.

(٦) ق: صوار.

(٧) انظر ٨: ١٠٩.

و﴿فَاسِقٌۢ﴾ و﴿بِنَبَإٍ﴾ مطلقان يتناول اللفظ كل واحد على جهة البدل. وقرىء: فتبيّنوا، وفتثبّتوا.

أخبر تعالى أن رسوله لو أطاعكم في كثير من الأمر الذي يؤدي إليه اجتهادكم وتقدّمكم بين يديه لعنتّم، أي: لشقّ عليكم.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (١١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الآية، سبب نزولها[١] ما جرى بين الأوس والخزرج حين أساء الأدب عبد الله بن أبي بن سلول على رسول الله وهو متوجّه إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه، وتعصّب بعضهم لعبد الله، وردّ عبد الله [بن] رواحة على ابن أبيّ فتجالد الحيّان، قيل بالحديد وقيل بالجريد والنعال والأيدي فنزلت، فقرأها عليهم فاصطلحوا. وقرىء: بين أخويكم، بالتّثنية. وإخوتكم، بالجمع.

---

(١) انظر اسباب النزول ص٢٦٣، ولباب النقول ص١٩٧.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ هذه الآية قيل نزلت بسبب عكرمة بن أبي جهل، كان يمشي بالمدينة، وقد أسلم، فقال له قوم: هذا ابن فرعون هذه الأمّة!. فعزّ عليه ذلك، وشكاهم فنزلت(١).

قال الزمخشري(٢): وهو في الأصل جمع قائم كصَوْم وزَوْر انتهى.

ليس «فَعْل» من أبنية الجموع إلا على مذهب أبي الحسن في قوله إن رَكْباً جمع راكب. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ﴾ يعني أن يكون المسخور منهم خيراً من الساخرين بهم. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ﴾ أي: يكون المسخور منهن خيراً من الساخرات بهنّ. ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تعيبوا بعضكم بعضاً. ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ أي: القبيحة كقولهم: سعيدُ بطةٍ(٣). وأما الألقاب الحسنة فهي كالصدّيق في أبي بكر والفاروق في عمر.

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ أي: بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالألقاب، فتكونون فسّاقاً بالمعصية بعد إيمانكم.

﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ أي: لا تعملوا على حسبه. وأمر تعالى باجتنابه، لئلا يجترىء أحد على ظنٍّ إلا بعد نظر وتأمّل وتمييز بين حقه وباطله. والمأمور باجتنابه هو بعض الظن المحكوم عليه.

قال الزمخشري(٤): فالهمزة فيه [- يعني في «إثم» -] بدل عن الواو،

---

(١) انظر القرطبي ١٦: ٣٢٥.

(٢) الكشاف ٣: ٥٦٥.

(٣) انظر شرح ابن عقيل ١: ١٢٣.

(٤) الكشاف ٣: ٥٦٨.

كأنه يَتِم الأعمال[١] أي: يكسرها بإحباطه انتهى.

هذا ليس بشيء؛ لأن تصريف هذه الكلمة مستعمل فيه الهمز، تقول: أثم يأثم فهو آثم، والإثم والآثام. فالهمزة أصل وليست بدلاً عن واو. وأمّا يَتِمُ فأصله يوتم وهي من مادة أخرى. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ أي: لا تتّبعوا عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف[٢] عما ستروه.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ يقال: غابه واغتابه كغاله واغتاله. والغيبة من الاغتياب [٥١٥/ب] وهي ذكر الرجل بما يكره مما هو فيه. وفي الحديث[٣]: «سئل رسول الله ﷺ: ما الغيبة؟ فقال: أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع. فقيل[٤]: يا رسول الله، وإن كان حقّاً؟. فقال الرسول عليه السلام: إذا قلت باطلاً فذلك البهتان» وقال ابن عباس: الغيبة إدام كلاب الناس!. ﴿أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ روي في الحديث[٥] «ما صام من أكل لحوم الناس». وقال أبو زيد السهيلي: ضرب المَثَل لأخذه العِرْض بأكل اللحم؛ لأنّ اللّحم ستر على العظم، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستر.

قال الزمخشري[٦]: «ميتاً» نصب على الحال من الأخ انتهى. هذا ضعيف،

---

(١) ق: والأعمال.

(٢) ق: ومعانيهم والانكشاف.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢: ٩٨٧ من حديث المطّلب بن عبد الله.

(٤) ق: فقال.

(٥) ضعيف، أخرجه الديلمي عن أنس، انظر ضعيف الجامع الصغير ٥: ٩٨.

(٦) الكشاف ٣: ٥٦٨.

لأن المجرور بالإضافة لا يجيء الحال منه إلا إذا كان له موضع من الإعراب نحو: أعجبني ركوب الفرس مسرَجاً، وقيام زيد مسرعاً. فالفرس في موضع نصب، وزيد في موضع رفع.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية، قيل: غضب الحارث بن هشام وعتّاب بن أسيد حين أذّن بلال يوم فتح مكّة على الكعبة فنزلت[1]. «من ذكر وأنثى» أي: من آدم وحوّاء. ﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ ﴾ قيل: الشعوب في العجم والقبائل في العرب والأسباط في بني إسرائيل. [﴿ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾] أي: جعلكم ما ذكر كي يعرف بعضكم بعضاً في النسب، فلا ينتمي [أحد] إلى غير آبائه [فلا وجه] للتفاخر[2] بالآباء والأجداد ودعوى التفاضل في الأنساب. ثم بيّن تعالى الخصلة التي يحصل بها التفاضل وهي التقوى. وفي

(١) انظر أسباب النزول ص٢٦٤.

(٢) ق: آبائه لا للتفاخر.

خطبته عليه السلام يوم فتح مكة[١] «إنما الناس رجلان مؤمن تقيّ كريم على الله تعالى، وفاجر شقيّ هيّن على الله، ثم قرأ الآية».

﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ قال مجاهد: نزلت في بني أسد بن خزيمة، قبيلة تجاور المدينة، أظهروا الإسلام وقلوبهم دَخِلة[٢] إنما يحبّون المغانم وعَرَض الدنيا. فرد الله عليهم بقوله ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ كذّبهم في دعوى الإيمان ولم يصرّح بإكذابهم بلفظه، بل بما دلّ عليه من انتفاء إيمانهم. وهذا في أعراب مخصوصين. ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا﴾ فهو اللفظ الصادق من أقوالكم، وهو الانقياد والاستسلام ظاهراً، فلذلك قال ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾. وجاء النفي بـ«لمّا» الدالّة على انتفاء الشيء إلى زمان الإخبار به. ﴿وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإيمان والأعمال، وهذا فتح لباب التوبة. وقرىء: لا يَلِتكم، من لات يَليت وهي لغة الحجاز. وقرىء: يَألِتكم، من ألت، وهي لغة غطفان وأسد.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ هي منقولة من. علمتُ به، أي: شعرت به، ولذلك تعدّت إلى واحد بنفسها، وإلى الآخر بحرف الجر لمّا ثُقّلت[٣] بالتضعيف. وفي ذلك تجهيل لهم حيث ظنّوا أن ذلك يخفى على الله تعالى. ثم ذكر إحاطته بما [٥١٦/أ] في السماوات والأرض.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ أي: يعتدّون عليك أن أسلموا. «فأن أسلموا» في موضع المفعول، ولذلك تعدّى إليه في قوله ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي ٩: ٢١ من حديث ابن عمر.

(٢) ق: دغلة. والدَّخَل: المكر والخديعة.

(٣) ق: نقلت.

سورة ق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ (٤) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (٩) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)﴾.

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ الآية، هذه السورة مكية، قال ابن عباس: إلاّ آية وهي قوله «ولقد خلقنا السماوات والأرض»[2] ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه تعالى أخبر[3] أن أولئك الذين قالوا آمنا، لم يكن إيمانهم [حقّاً] - وانتفاء إيمانهم دليل على إنكار نبوّة الرسول - فقال «بل عجبوا أن جاءهم منذر

(١) مكية وهي خمس وأربعون آية.

(٢) الآية ٣٨.

(٣) انظر الآية ١٤ من الحجرات.

منهم﴾. وعدم الإيمان[١] أيضاً يدلّ على إنكار البعث، فلذلك أعقبه به.

﴿قٓ﴾ حرف. و«القرآن» مقسم به. و«المجيد» صفته وهو الشريف على غيره من الكتب. والجواب محذوف يدلّ عليه ما بعده تقديره: إنك جئتهم منذراً بالبعث فلم يقبلوا بل عجبوا.

والضمير في ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ عائد على الكفار. والإشارة بقولهم «هذا شيء عجيب» الظاهر أنها إلى مجيء منذر من البشر. والإشارة بقوله «ذلك» إلى البعث. ﴿رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ أي: مستبعَد في الأوهام والفكر.

قال الزمخشري[٢]: ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب، ويكون من كلام الله تعالى استبعاداً لإنكارهم ما أُنذروا به من البعث. والوقف قبله على هذا التفسير حسن. فإن قلت: ما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع؟ قلت: ما دلّ عليه المنذر من المنذَر به وهو البعث انتهى.

كون «ذلك [رجع] بعيد» بمعنى مرجوع، وأنه من كلام الله لا من كلامهم، على ما شرحه، مفهوم ينبو عن إدراكه فهم العرب.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ أي: ما أجادوا النظر بل كذّبوا. والحق: القرآن.

﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ قال الضحاك: مختلط، مرة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن.

﴿أَفَلَمْ[٣] يَنظُرُوٓا۟﴾ حين كفروا بالبعث وبما جاء به الرسول إلى آثار قدرة الله

(١) ق: الإنذار.

(٢) الكشاف ٤: ٤.

(٣) ق: أولم.

تعالى في العالم العلوي والسفلي. ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ مرتفعة من غير عمد. ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالنّيرين وبالنجوم. ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: من فتوق وشقوق، بل هي سليمة من كل خلل.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ بسطناها. ﴿رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبالاً ثوابت تمنعها من التكفُّؤ[1].

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي: نوع. ﴿بَهِيجٍ﴾ أي: حسن المنظر يسرّ[2] من نظر إليه.

و﴿تَبْصِرَةً﴾ مفعول من أجله. ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: راجع إلى ربّه مفكّر في بدائع صنعه.

﴿مُّبَٰرَكًا﴾ أي: كثير المنافع. ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ أي: الحبّ الحصيد، فهو من إضافة الموصوف[3] إلى صفته [٥١٦/ب]. و«الحصيد» كل ما يُحصد ممّا له حبّ كالبُرّ والشعير.

﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ أي: طوالاً في العلوّ. وهو منصوب على الحال، وهي حال مقدّرة، لأنها حالة الإنبات[4] لم تكن طوالاً. و«باسقات» جمع و«النخل» اسم جنس، فيجوز أن يذكّر نحو ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [القمر]، وأن[5] يؤنث كقوله ﴿[نَخْلٍ] خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة]، وأن يُجمع باعتبار أفراده، ومنه

---

(١) أي المَيْد والاضطراب.

(٢) ق: بهيج يسر.

(٣) ق: إضافة الصفة الموصوف.

(٤) ق: الإتيان.

(٥) ق: وأنه.

«باسقات» وقوله ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرعد].

﴿لَّهَا طَلۡعٌ﴾ تقدم شرحه [عند] ﴿مِن[(١)] طَلۡعِهَا قِنۡوَانٌ دَانِيَةٌ ٩٩﴾ [الأنعام].
﴿نَّضِيدٌ﴾ أي: منضود بعضه فوق بعض، يريد كثرة الطّلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر، وأول ظهور الثمر في الكُفُرّى[(٢)] وهو أبيض منضّد كحبّ الرّمان فما دام ملتصقاً بعضه ببعض فهو نضيد، فإذا خرج من الكفرى تفرّق فليس بنضيد.

و﴿رِّزۡقًا﴾ نصب على المصدر، لأنّ معنى «فأنبتنا» رَزَقْنا[(٣)]. أو على أنه مفعول له. والإشارة في «كذلك» إلى الإحياء أي: الخروج من الأرض أحياءً بعد موتكم مثل ذلك الحياة للبلدة المَيْت. وهذه كلها أمثلة وأدلّة على البعث.

وذكر تعالى في السماء ثلاثة: البناء والتزيين ونفي الفروج، وفي الأرض ثلاثة: المدّ وإلقاء الرواسي والإنبات. قابل المدّ بالبناء؛ لأن المدّ وضع والبناء رفع. وإلقاءَ الرّواسي بالتزيين[(٤)] بالكواكب لارتكاز كل واحد منهما. والإنبات المترتّب على الشّق بانتفاء الفروج فلا شق فيها.

ونبّه فيما تعلّق به الإنبات على ما يُقطف كل سنة ويبقى أصله، وما يزرع كل سنة أو سنتين [ويُقطف كلّ سنة]. وعلى ما اختلط من جنسين؛ فبعض الثمار فاكهة لا قوت، وأكثر الزرع قوت، والتّمر فاكهة وقوت.

---

(١) ق: ومن.
(٢) الكفرى، بتثليث الكاف والفاء معاً: وعاء طلع النخل.
(٣) ق: وأنبتنا رزقا.
(٤) ق: بالتزيّن.

ولمّا ذكر قوله ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ ﴿٥﴾﴾ [ق] ذكر من كذّب الأنبياء تسلية للرسول عليه السلام. وتقدم الكلام على مفردات هذه الآية وقصص من ذكر فيها[1].

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ الآية، «بالخلق الأول» وهو إنشاء الإنسان من نطفة على التدريج. وتقدّم تفسير عيي في قوله ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف]. والمعنى: أعجزنا عن الخلق الأول فنعجز عن الخلق الثاني؟. وهذا توقيف للكفار وتوبيخ، وإقامة الحجّة الواضحة عليهم.

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي: خلط وشبهة وحيرة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا

(١) انظر مثلاً: الآية ١٢، ١٣ من ص، والآية ١٦٠ من الشعراء، والآية ٣٨ من الفرقان.

قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هذه آيات فيها إقامة حجج على الكفار في إنكارهم البعث. و«الإنسان» اسم جنس، وقيل: آدم. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ قُرْبَ علمٍ به وبأحواله، لا يخفى عليه شيء من خفيّاته، فكأنّ ذاته قريبة منه، كما يقال: الله في كل مكان، أي: بعلمه وهو منزّه عن الأمكنة. و﴿حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ مَثَلٌ في فرط القرب(1) كقول العرب: هو مني مقعد القابلة، ومعقد الإزار. والحبل: العِرْق، شبّه بواحد الحبال. وإضافته إلى الوريد للبيان كقولهم: بعيرُ سانيةٍ(2) [٥١٧/أ] أو يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد.

والعامل في «إذ» «أقرب إليه» لأنه أخبر خبراً مجرداً بالخَلْق والعلم بخطرات الأنفس، والقرب بالقدرة والملك. فلمّا تمّ الإخبار أخبر بذكر الأحوال التي تصدّق هذاالخبر وتعيّن وروده عند السامع، فمنها ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ ومنها [مجيء] سكرة الموت، ومنها النفخ في الصور، ومنها مجيء كل نفس معها سائق وشهيد. و«المتلقيان» الملكان الموكلان بكل إنسان؛ ملك اليمين يكتب الحسنات وملك الشمال يكتب السيئات.

---

(1) في المستقصى ١: ١٢١ والدرّة الفاخرة ١: ٢٠٠: أدنى من حبل الوريد. ولم أجد ما بعده.

(2) السانية: الإبل يُستقى عليها الماء بالسّواني (الدواليب) سمّيت بأسمائها. وفي الدرّة الفاخرة ١: ٢٠٤ وثمار القلوب ص٣٥٥: أذلّ من بعير سانية.

وقال الحسن: الحفظة أربعة؛ اثنان بالنهار واثنان بالليل. و﴿قَعِيدٌ﴾ مفرد، فاحتمل أن يكون معناه مُقاعد كما تقول: جليس وخليط أي: مجالس ومخالط، وأن يكون عُدل من فاعل إلى فعيل للمبالغة كعليم. قال الكوفيون: مفرد أقيم مقام اثنين. والأجود أن يكون حذف من الأول لدلالة الثاني عليه، أي: عن اليمين قعيد.

وظاهر ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ العموم، قال مجاهد: يكتب عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه. ﴿رَقِيبٌ﴾ يرقب. ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر.

و﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ معطوف على «إذ يتلقى». و«سكرة الموت» ما يعتري الإنسان عند نزاعه. والباء في ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ للتعدية أي: جاءت سكرة الموت الحق، وهو الأمر الذي أنطق الله تعالى به كتبه وبعث به رسله من سعادة الميت وشقاوته. أو للحال أي: ملتبسةً بالحق.

﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تميل، يقول: أعيش كذا وأعيش كذا، فمتى فكّر في قرب الموت، حاد بذهنه عنه، وأمّله إلى مسافة بعيدة من الزمن. ومن الحيد الحذر من الموت. وظاهر «تحيد» أنه خطاب للإنسان الذي جاءته سكرة الموت.

﴿سَآئِقٌ﴾ حاثٌّ على السير. ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهد عليه.

قال الزمخشري[1]: ومحل «معها سائق» النصب على الحال من «كل» لتعرُّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة انتهى.

لا ضرورة تدعو إلى الحال، بل الجملة في موضع الصفة إن أعربت

---

(١) الكشاف ٤: ٧.

«معها سائق» مبتدأ وخبراً، وإلّا فـ«سائق» فاعل بالظرف قبله، لأنه قد اعتُمد[١]، فالظرف في موضع الصفة. وأما قوله: لتعرُّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة، فكلام ساقط، لا يصدر عن مبتدىء في النحو؛ لأنه لو نعت «كل نفس» ما نعت إلا بنكرة، فهو نكرة على كل حال. ولا يمكن أن يتعرف «كل» وهو مضاف إلى نكرة.

﴿لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ الآية، أي: من عاقبة الكفر، فلما كُشف الغطاء عنك، احتدّ بصرك أي: بصيرتك، وهذا كما تقول: فلان حديد الذهن. وكنّى بالغطاء عن الغفلة، كأنها غطّت جميعه [٥١٧/ب] أو عينيه فهو لا يبصر. فإذا كان في القيامة زالت عنه الغفلة، فأبصر ما لم يكن يبصره من الحق.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾[٢] هو الشيطان الذي قيّض له في [قوله ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ] شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف]. يشهد[٣] له قوله ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴿٢٧﴾﴾ [ق]. ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ هذا شيء لديَّ وفي ملكتي عتيد لجهنم. والمعنى أن ملكاً يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطاناً مقروناً به يقول: قد أعتَدْتهُ[٤] لجهنم وهيّأته لها[٥] بإغوائي وإضلالي.

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ الخطاب من الله للملكين السائق والشهيد. ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مبالغة، أي: يكفر النعمة والمنعم. ﴿عَنِيدٍ﴾ منحرف عن الطاعة.

---

(١) لأنه قد اعتمد: أي: لأن الظرف تقدّم على الفاعل.

(٢) هذه الفقرة كلها من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٤ : ٧.

(٣) قبلها في ق: يشهد له قرين.

(٤) فوقها في ق: كذا.

(٥) ق: له. وفوقها: كذا.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: الزكاة. ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكّ في الله تعالى أو في البعث، وقيل: متّهم.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الظاهر تعلّقه بما قبله على جهة البدل، ويكون «فألقياه» توكيداً.

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ لم تأت هذه الجملة بالواو بخلاف «وقال قرينه» قبله، لأن هذه استؤنفت كما استؤنفت[1] الجمل في حكاية التقاول، كمقاولة موسى وفرعون، فجرت مقاولة بين الكافر وقرينه، فكأنّ الكافر قال: ربّ هو أطغاني، قال قرينه: ربنا ما أطغيته. وأما «وقال قرينه» فعطف للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول؛ أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له. ومعنى ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ تنزيه لنفسه من أنه[2] أثر فيه. ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: من نفسه لا منّي، فهو الذي استحبّ العمى على الهدى. وكذب القرين، بل[3] أطغاه بوسوسته وتزيينه.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ استئناف أيضاً مثل «قال قرينه». كأنّ قائلاً قال: [ما قال] الله؟. فقيل: قال لا تختصموا لديّ، أي: في دار الجزاء وموقف الحساب. ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ لمن عصاني فلم أترك لكم حجّة.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ أي: عندي، فما أمضيته لا يمكن تبديله. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ﴾ تقدّم الكلام[4] [عليه]. والمعنى: لا أعذّب من لا يستحق العذاب.

---

(١) ق: استأنفت.

(٢) ق: الله.

(٣) ق: قد.

(٤) انظر تفسير الآية ١٨٢ من آل عمران.

وانتصاب «يوم» بـ«ظلّام». قال الزمخشري[١]: ويجوز أن ينتصب بـ«نفخ»[٢] كأنه قيل: ونُفخ في الصور يوم نقول. وعلى هذا يشار بـ«ذلك» إلى «يوم نقول» انتهى.

هذا بعيد جداً، قد فُصل على هذا القول بين العامل والمعمول بجمل كثيرة. ولا يناسب هذا القول فصاحة القرآن وبلاغته.

و﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ تقرير وتوقيف لا سؤال استفهام حقيقة، لأنه تعالى عالم بأحوال جهنم. وقيل: السؤال والجواب من باب التصوير الذي يثبت المعنى، أي: حالها حال من [لو] نطق بالجواب لسائله لقال كذا. وهذا القول يُظهر أنها إذ ذاك لم تكن ملأى. فقولها ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [٥١٨/أ] سؤال ورغبة في الزيادة والاستكثار من الداخلين فيها.

﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ خطاب للمؤمنين. و﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ هو البدل من «المتقين».

﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ بدل بعد بدل تابع لـ«كلّ». قال الزمخشري[٣]: ولا يجوز أن يكون في حكم أوّاب وحفيظ، لأنّ «من» لا يوصف به، ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي انتهى.

يعني بقوله: في حكم أواب [وحفيظ] أن يُجعل من صفته، وهذا حكم صحيح. وأما قوله: ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي، فالحصر فيه ليس بصحيح. قد وصفت العرب بما فيه أل وهو موصول[٤] نحو: القائم

(١) الكشاف ٤: ٩.
(٢) الآية ٢٠ المتقدمة.
(٣) الكشاف ٤: ١٠.
(٤) ق: موصوف.

والمضروب، ووصفت بـ«ذو» الطائيّة و«ذات» في المؤنث. ومن كلامهم[١]: بالفضل ذو فضّلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله بها[٢]. [يريدون: بالفضل الذي فضّلكم] والكرامة التي أكرمكم.

ولا يريد الزمخشري خصوصية الذي، بل فروعه من المؤنث والمثنى والمجموع على اختلاف لغات ذلك[٣].

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نعتاً انتهى. هذا لا يجوز لأنّ «مَن» لا يُنعت بها.

و﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من المفعول أي: وهو غائب عنه وإنما أدركه بالعلم الضروري إذ كلّ مصنوع لا بدّ له من صانع.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالمين من العذاب، أو مسلّماً عليكم من الله تعالى وملائكته. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ أي: يوم تقدير الخلود.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أي: ما تعلّقت به مشيئاتهم من أنواع الملاذّ والكرامات. ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة أو شيء مزيد على ما يشاؤون عند ربهم ونحوه. و«مزيد» مبهم فقيل: مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها، وقيل: تجلّي الله تعالى لهم حتى يروه[٤].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ الآية، أي: كثيراً أهلكنا قبلهم، أي: قبل

---

(١) ق: كلامكم.

(٢) ق: به. وبهامشه: هكذا مضبوط بخطّ العنّابي تلميذ الشيخ أثير الدين رحمهما الله.

(٣) بعده في ق: انتهى.

(٤) ق: يرونه.

قريش. ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ لكثرة قوتهم وأموالهم. والظاهر أن الضمير في «فنقبوا» عائد على «كم» أي: دخلوا البلاد من أنقابها، والمعنى: طوّفوا في البلاد. وقيل: نقّروا وبحثوا، والتنقيب التنقير والبحث. نقّبوا في البلاد من حذر الموت، وجالوا في الأرض كل مجال. و﴿فَنَقَّبُوا﴾ متسبّب عن شدة بطشهم، فهي التي أقدرتهم على التنقيب وقوَّتْهم عليه. ويجوز أن يعود الضمير في «فنقبوا» على قريش، أي: فنقّبوا في أسفارهم في بلاد القرون، فهل رأوا محيصاً حتى يؤمّلوه لأنفسهم.

ويدلّ على عَوْد الضمير على أهل مكة قراءة ابن عباس وغيره: فنقِّبوا، بكسر القاف مشدَّدة، على الأمر لأهل مكة؛ أي: فسيحوا في البلاد وابحثوا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في إهلاك تلك القرون. ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لتذكرة واتّعاظاً. ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: واعٍ. والمعنى: لمن كان له عقل، وعبّر عنه بمحلّه. ومن له قلب لا يعي كمن[1] لا قلب له. وقرأ الجمهور: ألقى [٥١٨/ب] السمعَ، مبنيًّا للفاعل، والسمعَ نُصب به، أي: أوأصغى بسمعه لهذه[2] الأنباء الواعظة. ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر الذهن متفطّن لما أصغى إليه سمعه مفكّر فيه. فـ«شهيد» من المشاهدة وهو الحضور.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ

(١) ق: لمن.

(٢) ق: هذه.

وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ نزلت[١] في اليهود تكذيباً لهم في قولهم إنه تعالى استراح من خلق السماوات والأرض في ستة أيام يوم السبت واستلقى على العرش.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ احتمل أن تكون جملة حالية، واحتمل أن تكون استئنافاً. واللغوب: الإعياء.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ قيل: منسوخ بآية السيف[٢]. ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود وغيرهم من الكفّار، قريش وغيرهم. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: فصلِّ. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ هي صلاة الصبح. ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ هي صلاة العصر، وقيل غير ذلك.

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ أمر بالاستماع. والظاهر أنه أريد [به] حقيقة الاستماع، والمستَمَع له محذوف تقديره: واستمع لما أخبر به من حال يوم القيامة. وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبَر به كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ[٣] «يا معاذ اسمع ما أقول لك. ثم حدّثه بعد ذلك». وانتصب «يوم» بما دلّ عليه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾، أي: يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور.

وقيل: مفعول «استمع» محذوف تقديره: نداء المنادي، وقيل: تقديره:

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٦٦، ولباب النقول ص١٩٩.

(٢) الآية ٥ من التوبة.

(٣) انظر مِثله في تهويل شأن المخبَر به ما أخرجه البخاري ٥: ٢٣٨٤ من حديث رسول الله ﷺ لمعاذ.

نداء الكافر بالويل والثبور، وقيل: لا يحتاج إلى مفعول إذ حذف اقتصاراً، والمعنى: كن مستمعاً ولا تكن غافلاً معرضاً.

[وقيل: معنى «واستمع»] وانتظر. والخطاب[1] لكل سامع. وفي الحديث[2] «إن ملكاً ينادي من السماء: أيتها الأجسام الهامدة والعظام البالية والرّمم الذاهبة، هلمّوا إلى الحشر والوقوف[3] بين يدي الله تعالى». ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق. قيل: والمنادي إسرافيل عليه السلام، ينفخ في الصور وينادي. والمكان القريب هي صخرة بيت المقدس لقربها من السماء بثمانية عشر ميلاً.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ بدل من «يوم يناد». و﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾ صيحة المنادي، قيل: يسمعون من تحت أقدامهم، وقيل: من تحت شعورهم، وهي النفخة الثانية. و﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلّق بـ«الصيحة» والمراد به البعث والحشر. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع. يوم الخروج من القبور. وقيل: الإشارة بـ«ذلك» إلى النداء، أي: ذلك النداء، واتُّسع في الظرف فجُعل خبراً عن المصدر، و﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» الثاني.

وانتصب ﴿سِرَاعًا﴾ على الحال من الضمير في «عنهم» والعامل «تشقق».

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فصل [٥١٩/أ] بين الموصوف وصفته بمعمول الصفة وهو «علينا» أي: يسير علينا، وحَسُن ذلك لأجل كون الصفة فاصلة.

---

(١) ق: الخطاب.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٦: ١١٤ من حديث كعب الأحبار.

(٣) ق: هلمّ.. الوقوف.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ هذا وعيد محض للكفار وتهديد لهم وتسلية[1] للرسول عليه السلام. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: بمتسلّط حتى تجبرهم على الإيمان.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ لأنّ من لا يخاف الوعيد لكونه غير مصدّق بوقوعه لا يُذَكَّر، إذ لا تنفع فيه الذكرى، كما قال ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الذاريات]. وختمت بقوله «فذكر بالقرآن» كما افتتحت بـ«قَ والقرآن المجيد».

(١) ق: وتسديد.

سورة الذاريات(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال «فذكّر بالقرآن»(٢) وقال أول هذه بعد القسم «إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع».

و«الذاريات» الرياح. و«فالحاملات» السحاب. «فالجاريات» الفلك. «فالمقسمات» الملائكة. هذا بتفسير عليّ رضي الله عنه على المنبر، وقد سأله

---

(١) مكية وهي ستون آية.

(٢) الآية الأخيرة من ق.

ابن الكواء، وقاله ابن عباس. والظاهر أن الآية في الكفار وأنه وعيد محض.

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ الجزاء. ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ أي: صار حقيقة على المكلّفين من الإنس والجن.

والظاهر في ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ أنه جنس أريد به جميع السماوات. ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ أي: ذات الخلق المستوي الجيد. وقيل ذات الطرائق يعني المجرّة التي في السماء. وجواب القسم ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾. والظاهر أنه خطاب عام للمسلم والكافر، كما أن جواب القسم السابق يشملهما. واختلافهم كونهم مؤمناً بالرسول وكتابه وكافراً به.

﴿يُؤْفَكُ﴾ أي: يُصرف. ﴿عَنْهُ﴾ عن القرآن أو الرسول، مَن أُفِك أي: من صُرف الصرف الذي لا صَرْف[1] أشدّ منه وأعظم.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ دعاء عليهم وهم أصحاب القول المختلف مكذّبو الرسول عليه السلام.

﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ في جهل يغمرهم. ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عمّا أُمروا به.

﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: متى وقت الجزاء، سؤال تكذيب واستهزاء.

﴿يَوْمَ هُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو، أي: الجزاء. ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي: يعذّبون في النار.

﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا. ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ مبتدأ وخبر. واستعجالهم قولهم «أيان يوم الدين».

ولما ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين. وانتصب «آخذين» على الحال

(١) ق: يصرف. وكررت «الصرف» فيها.

[٥١٩/ب] أي: قابليه راضين به، وذلك في الجنة.

والظاهر أن «قليلا» ظرف، وهو في الأصل صفة أي: كانوا في قليل من الليل. ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف تقديره: كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً. و«ما» زائدة في كلا الإعرابين.

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فيه ظهور على أن تهجّدهم يتّصل بالأسحار، فيأخذون في الاستغفار ممّا يمكن أن يقع فيه تقصير. والأسحار مظنّة الاستغفار.

والحقّ هنا هو الزكاة المفروضة. و«للسائل» الذي يستعطي. و«المحروم» الممنوع من الشيء.

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ ﴾ تدلّ على الصانع وقدرته وتدبيره من حيث هي كالبساط لما فوقها، وفيها الفجاج[1] للسُّلّاك. وهي متجزّئة من سهلٍ ووعر وبحر [وبرّ] وقطع متجاورات، من صلبة، ورخوة، ومنبتة، وسبخة، وتُلقح بأنواع النبات، وفيها العيون والمعادن والدوابّ المنبثّة، في بحرها وبرّها، المختلفة الأشكال. ﴿ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ وهم الذين نظروا النظر الصحيح، وأدّاهم ذلك إلى إيقان[2] ما جاءت به الرسل، فأيقنوا به، لم يدخلهم في ذلك ريب.

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ في حال ابتدائها وانتقالها من حال إلى حال، وما أودع في شكل الإنسان من لطائف الحواس وما ترتّب على العقل الذي أُوتِيَهُ من بدائع العلوم وغريبُ الصنائع، وغير ذلك ممّا لا ينحصر.

---

(١) ق: الصحاح.

(٢) ق: إتقان.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ وهو المطر والثلج لأنه سبب الأقوات. وكل عين دائمة هي من الثلج. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ وهي الجنّة.

والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الإخبار السابق من الله تعالى فيما تقدّم في هذه السورة من صدق الموعود، ووقوع الجزاء، وكونهم في قول مختلف وقَتْل الخرّاصين، وكينونة المتقين في الجنة، على ما وصف وذكر أوصافهم، وما ذكر بعد ذلك. ولذا شُبّه في الحقيقة بما يصدر من نطق الإنسان بجامع ما اشتركا فيه من الكلام. وقرىء: مِثْلُ، بالرفع صفة لـ«حقّ». وقرىء بالفتح وهي حركة بناء، لمّا أضيف إلى مبني بُني. وينسبك ما بعده مصدر تقديره: مثلُ نطقكم [أي: لحقٌّ مثلُ حقّ نطقكم].

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ الآية، «هل أتاك» تقرير لتجتمع نفس المخاطب كما تبدأ المرء، إذا أردت أن تحدّثه بعجيب، فتقرّره هل سمع ذلك أم لا، فكأنك تقتضي أن يقول لا، ويستطعمك[1] الحديث. وبدأ

(١) استطعمه الحديث: استفتحه.

بقصة إبراهيم عليه السلام، وإن كانت متأخرة عن قصّة عاد، هزّاً للعرب إذ كان أباهم الأعلى، ولكون الرسل الذين وفدوا عليه، جاؤوا بإهلاك قوم لوط، إذ قد كذبوه. ففيه وعيد للعرب وتهديد، واتّعاظ وتسلية للرسول عليه السلام عمّا[(١)] يجري عليه من قومه، ووصفهم بالمكرمين لكرامتهم عند [٥٢٠/أ] الله تعالى. وتقدم ذكر عددهم في سورة هود[(٢)].

و«إذ» معمولة لقوله «حديث». و«ضيف» الجماعة والواحد فيه سواء. والظاهر أنهم دخلوا عليه بغير استئذان منه لهم. وانتصب «سلاما» على إضمار [فعل] تقديره: سلّمنا سلاماً. وفي ذلك دليل على أن الوارد على قوم يبدؤهم بالسلام، ويردّون هم عليه. وارتفع «سلام» على إضمار [خبر] تقديره: عليكم سلام. ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ الذي يناسب حال إبراهيم عليه السلام أنه لا يخاطبهم بذلك؛ إذ فيه من عدم الأنس ما لا يخفى، بل يظهر أنه يكون التقدير: هؤلاء قوم منكرون. وقال ذلك مع نفسه أو لمن كان من أتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الأضياف. والظاهر أنّ أنتم[(٣)] خطاب للضيف، والمعنى أنكم قوم لم يتقدم لنا علم بكم، فأخبروه أنهم رسل الله.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ أي: مضى إلى أهله. ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ فيه دليل على المبادرة لإكرام الضيف، وتقديم أحسن ما يقدَّم للضيف.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ فيه أدب المضيف من تقريب القِرى لمن يأكل، وفيه العرض على الأكل، فإنّ في ذلك تأنيساً للآكل. وثَمَّ صفة محذوفة تقديره[(٤)]:

---

(١) ق: وإن كانت متأخرة عمّا.

(٢) انظر تفسير الآية ٦٩ من هود.

(٣) على تقدير: أنتم قوم منكرون، انظر البحر ٨: ١٣٩.

(٤) فوقها في ق: كذا.

سمين محنوذ، أي: مشوي.

﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةًۖ﴾ أي: فلمّا استمرّوا على الامتناع من الأكل، أوجس منم خيفة. وذلك أنّ أكل الضيف أَمَنة[1] ودليل على انبساط نفسه، وللطعام حرمة وذمام والامتناع منه وحشة. فخشي إبراهيم عليه السلام أن [يكون] امتناعهم من أكل طعامه إنما هو لشرٍّ يريدونه، فقالوا لا تخف، وعرّفوه أنهم ملائكة الله تعالى. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ﴾ وقعت البشارة بعد التأنيس والجلوس. وكانت البشارة بذَكَر، لأنه أسرّ للنفس وأبهج. ووصفه بـ«عليم» لأنها الصفة التي يختصّ بها الإنسان الكامل، وفيه تبشير[2] بحياته حتى يكون من العلماء.

﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ﴾ أي: [إلى] بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم وتسمع كلامهم. والصَّرة: الصيحة، وقيل الجماعة من النسوة. ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾ أي: لطمَتْه، وهو فِعْل النساء إذا تعجّبن من شيء. ﴿وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾ أي: أنا قد اجتمع فيّ أني عجوز، وذلك مانع من الولادة، وأني عقيم لم أَلِدْ قطّ، فكيف ألد؟ تعجّبَتْ [من ذلك].

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ﴾ أي: مثل ذلك القول الذي أخبرناك به قال ربك، وهو القادر على إيجاد ما يُستعبد.

ولمّا علم إبراهيم عليه السلام أنهم ملائكة، وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله تعالى رسلاً، قال: «فما خطبكم». والخطب: الأمر الذي فيه غرابة. وفي قوله «أيها المرسلون» دليل على أنه عرفهم أنهم رسل الله تعالى جاؤوا بأمر عظيم.

(١) الأمنة بالتحريك: الأمن.

(٢) ق: تيسير.

﴿إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ أي: ذوي جرائم، وهي كبار المعاصي من كفر وغيره. وأتى بـ«قوم» نكرة، وقد صرّح في آية أخرى ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ[٥٢٠/ب] قَوۡمِ لُوطٖ ۝٧٠﴾ [هود].

﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: لنهلكهم بها. ﴿حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ وهو السجّيل، طين يُطبخ كما يُطبخ الآجرّ حتى يصير[1] في صلابة الحجارة.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة، على كل واحد منها اسم صاحبه. ﴿لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ وهم المجاوزون الحدّ في الكفر وغيره.

﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾ هو من كلام الله تعالى. ﴿مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي: في القرية التي حلّ العذاب بأهلها.

﴿غَيۡرَ بَيۡتٖ﴾ هو بيت لوط عليه السلام. وهو لوط عليه السلام وابنتاه فقط، وقيل ثلاثة عشر نفساً[2].

﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ﴾ أي: [في القرية. ﴿ءَايَةٗ﴾ علامة. قال ابن جريج: حجراً كبيراً جداً منضوداً. وقيل ماء أسود منتن. ويجوز أن يكون «فيها» عائداً على الإهلاكة التي أُهلكوها فإنها من أعاجيب الإهلاك بجعل أعالي القرية أسافل وإمطار الحجارة.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ۝٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ۝٤٠ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝٤٢ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ

---

(١) ق: يصيره.

(٢) ذكّروا النفس لأنهم يريدون بها الإنسان.

تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

والظاهر أن قوله ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ معطوف على «وتركنا فيها» أي]: وفي قصة موسى.

وقال الزمخشري[1] وابن عطية: يكون عطفاً على ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات][2] وفي موسى. وهذا بعيد جدًا، يُنزَّه القرآن عن مثله. ﴿بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ هو البرهان الذي ظهر على يديه من قلب العصا واليد البيضاء وغير ذلك.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أي: أعرض وازورّ، كما قال ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء]. ﴿وَقَالَ سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ تردّد في كذبه.

﴿فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أي: رميناهم في البحر كما ترمى الحصى[3]. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: أتى من المعاصي ما يُلام عليه من دعواه الإلهيّة[4] وغير ذلك.

و﴿ٱلْعَقِيمَ﴾ التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: سُلّطت عليه. ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ جملة

---

(١) الكشاف ٤: ١٩.

(٢) وبقية عبارة الكشاف: أو على قوله «وتركنا فيها آية» على معنى: وجعلنا في موسى آية.

(٣) ق: العصا.

(٤) ق: إلهيّة.

حالية. والرميم تقدّم تفسيره في يس[١].

﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال الحسن: هذا كان حين بُعث إليهم صالح، أُمروا بالإيمان بما جاء به، والتمتع إلى أن تأتي آجالهم، ثم إنهم عَتَوْا بعد ذلك. ولذلك جاء العطف بالفاء المقتضية تأخّر العتوّ عمّا أُمروا به، فهو مطابق لفظاً ووجوداً. و﴿الصَّاعِقَةُ﴾[٢] الصيحة. ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: فجأة وهم ينظرون بعيونهم[٣]، وكانت نهاراً. [أو] «وهم ينظرون» ينتظرون ذلك في تلك الأيام الثلاثة التي أُعلموا بها، ورأوا علاماته في قلوبهم. وانتظار العذاب أشدّ من العذاب.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ كقوله ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٧٨﴾ [الأعراف]. ونفي الاستطاعة أبلغ من نفي القدرة. ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ أبلغ من نفي الانتصار، أي: فما قدروا على الهرب، ولا كانوا ممّن ينتصر لنفسه، فيدفع ما حلّ به.

وقرىء: وقومِ نوح، بالجرّ عطفاً على المجرور قبل ذلك. وبالنصب على إضمار فعلٍ تقديره: وأهلكنا قوم نوح.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ۝٤٨ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ

(١) انظر الآية ٧٨ من يس.
(٢) ق: وجوداً أو الصاعقة.
(٣) ق: بعتوهم.

عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الآية، أي: وبنينا السماء، فهو من باب الاشتغال. وكذا «والأرض فرشناها». «بِأَيْيْدٍ» أي: بقوة قاله ابن عباس. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: بناءها. فالجملة حاليّة أي: بنيناها بتوسيعها، كقوله: جاء زيد وإنه لمسرع، أي: مسرعاً. فهي بحيث إن الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء كالنقطة في وسط الدائرة.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ المخصوص بالمدح محذوف [٥٢١/أ] تقديره: نحن.

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: من الحيوان خلقنا زوجين ذكراً وأنثى. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ عظيم قدرتنا.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أمرٌ بالدخول في الإيمان وطاعة الله تعالى. وجَعَل الأمر بذلك بلفظ الفرار لينبّه على أنّ وراء الناس عقاباً وعذاباً وأمراً حقّه أن يُفَرَّ منه، فجمعت لفظة «ففرّوا» بين التحذير والاستدعاء. وينظر إلى هذا المعنى قول النبي عليه السلام[1] «لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك» ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ﴾ أي: من العذاب نذير مبين.

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ نهى عن جعل شريك لله تعالى وكرر ﴿إِنِّى لَكُم [مِّنْهُ] نَذِيرٌ﴾ على سبيل التوكيد.

(١) أخرجه البخاري ١: ٩٧ من حديث البراء بن عازب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أمر الأمم السابقة عند مجيء الرسل إليهم مثل الأمر من الكفار الذين[١] بُعثتَ إليهم وهو التكذيب. ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ «أو» للتفصيل، أي: قال بعض: ساحر، وقال بعض: مجنون، وقال بعض كليهما. ألا ترى أن قوم نوح لم يقولوا عنه ساحر بل قالوا ﴿بِهِۦ جِنَّةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون] فجُمعوا في الضمير ودلّت «أو» على التفصيل.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ أي: بذلك القول. وهو توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة على تكذيب الأنبياء، مع افتراق أزمانهم. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لم يتواصوا به، لأنهم لم يكونوا في زمان واحد، بل جمعهم علّة واحدة، وهي كونهم طغاة، فهم مستعلون في الأرض مفسدون فيها عاتون.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن الذين كرّرتَ عليهم الدعوة فلم يجيبوا. ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ إذ قد بلّغت ونصحت.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ[٢] تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تؤثّر فيهم وفيمن قدّر الله تعالى أن يؤمن. وما دلّ عليه الظاهر من الموادعة منسوخ بآية السيف[٣]. وعن عليّ رضي الله عنه[٤]: لمّا نزل «فتول عنهم فما أنت بملوم» حزن المسلمون وظنّوا أنه أمر بالتولّي عن الجميع، وأن الوحي قد انقطع، حتى نزلت «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» [فسُرّوا بذلك].

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: مُعَدّين ليعبدون. وكأنّ الآية تعديد نعمه؛ أي:

---

(١) ق: الذي.

(٢) في هامش ق: فقط. وتحته: كذا في الأصل.

(٣) الآية ٥ من التوبة.

(٤) انظر الطبري ٢٧ : ٧.

خلقت لهم حواسّ وعقولاً وأجساماً منقادة نحو العبادة، كما تقول: هذا مخلوق لكذا، وإن لم يصدر منه الذي خُلق له، كما تقول: القلم مبريّ لأنه يُكتب به، وقد يُكتب به وقد لا يُكتب به.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾ أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ أي: أن يطعموا خَلْقي، فهو على حذف مضاف، فالإضافة إلى الضمير تجوز، قاله ابن عباس.

﴿ٱلۡمَتِينُ﴾ الشديد القوة العظيمها[1].

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ هم أهل مكة وغيرهم من الكفار الذين كذبوا الرسول[2] عليه السلام. ﴿ذَنُوبٗا﴾ أي: حظًّا ونصيباً. ﴿مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ من الأمم السابقة التي كذبت الرّسل في الإهلاك [٥٢١/ب] والعذاب. ويجمع في القلّة على أذنبة وفي الكثرة على ذنابيب. وقال علقمة بن عبدة[3]: [من الطويل]

وفي كل حيٍّ قد خبطتَ بنعمةٍ　　　فَحُقَّ لشأسٍ[4] من نداك ذَنوب

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ﴾ قيل يوم بدر، وقيل يوم القيامة. ﴿ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: به أو يوعَدونه.

---

(١) فوقها في ق: كذا.

(٢) ق: الرسل.

(٣) البيت في المفضليات ص٣٩٦.

(٤) ق: للشاس.

سورة الطور[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة، إذ في آخرها «فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم»[2] وقال هنا «إن عذاب ربك لواقع». و«الطور» الجبل. والظاهر أنه اسم جنس لا جبل معيّن. وفي الشام جبل يسمّى الطّور وهو طور سيناء. وقال نوف البكالي إنه الذي أقسم الله تعالى به لفضله على الجبال. قيل: وهو الذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام.

والكتاب المسطور: القرآن والكتب الإلهية.

﴿ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ أي: مبسوط، وقيل مفتوح لا ختم عليه.

---

(١) مكية وهي تسع وأربعون آية.

(٢) الآية ٥٩ من الذاريات.

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ قال علي رضي الله عنه وابن عباس: هو بيت في السماء مُسامِتٌ للكعبة، يقال له الضُّراح والضّريح، وهو الذي ذكر في حديث الإسراء[1] «قال جبريل عليه السلام: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخِرَ ما عليهم».

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ السماء. قال ابن عباس: هو العرش وهو سقف الجنة.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ قال مجاهد وشمر بن عطية: هو البحر الموقد ناراً. وروي أن البحر هو جهنم. والواو الأولى واو القسم وما بعدها للعطف.

والجملة المقسم عليها هي قوله «إن عذاب ربك لواقع». وفي إضافة «العذاب» لقوله «ربك» لطيفة؛ إذ هو المالك والناظر في مصلحة العبيد، فبالإضافة إلى الربّ وإضافته لكاف الخطاب أمان له عليه السلام وأن العذاب الواقع هو بمن كذّبه. و«لواقع» يدلّ على الشدّة، وهو أدلّ عليها من: لكائن. ألا ترى إلى قوله ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ [الواقعة] وقوله ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۝٢٢﴾ [الشورى] كأنه مهيَّأ في مكان مرتفع فيقع على من حلّ به. وعن جبير بن مطعم[2] قال: قدمت المدينة لأسأل رسول الله ﷺ في أسارى بدر، فوافيته يقرأ في صلاة المغرب «والطور» إلى «إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع» فكأنما صُدع قلبي فأسلمت خوفاً من نزول العذاب، وما كنت [٥٢٢/أ] أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب.

وانتصب «يوم» بـ«دافع»، ويجوز أن ينتصب بقوله «لواقع» والجملة بعدها اعتراض بين العامل والمعمول. ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾ قال ابن عباس: تضطرب.

---

(١) أخرجه البخاري ٣: ١١٧٤ من حديث أنس بن مالك ومالك بن صعصعة.

(٢) انظر القرطبي ١٧: ٦٢.

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ﴾ هذا في أول الأمر، ثم تُنسف حتى تصير آخراً كالعهن المنفوش.

﴿فَوَيْلٌ﴾ عطف جملة على جملة تتضمن ربط المعنى وتأكيده.

والخوض: التخبّط[١] في الباطل، وغلب استعماله في الاندفاع في الباطل.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ وذلك أن خزنة جهنم يغلّون أيدي الكفار إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعون بهم إلى النار دفعاً على وجوههم وزجّا[٢] في أقفيتهم، يقال لهم ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

ثم قيل لهم على قطع رجائهم ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ عذابكم حتم، فسواء صبركم وجزعكم، لا بدّ من جزاء أعمالكم.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) ق: التخليط.

(٢) فوقها في ق: كذا.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ لمّا ذكر حال الكفّار ذكر حال المؤمنين ليقع الترهيب والترغيب، وهو إخبار عمّا يؤول إليه حال المؤمنين أُخبروا بذلك. وخبر[1] «إن» «في جنات ونعيم».

وانتصب «فاكهين» على الحال، والعامل فيها العامل في الجار والمجرور. [«فاكهين» مسرورين فرحين، وقيل من التفكّه]. و«ما» في قوله «بما» موصولة بمعنى الذي، والعائد عليها محذوف تقديره: آتاهموه. ويجوز أن تكون مصدرية، ومفعول «آتاهم» محذوف أي: بإيتائهم[2] ربهم الجنّة.

﴿هَنِيٓـًٔا﴾ تقدم الكلام عليه في النساء[3]، والمعنى هنا: هنأكم النعيم بسبب عملكم.

وانتصب «متكئين» على الحال. و«على سرر» متعلق به. «وزوجناهم» قرنّاهم، والتزويج كناية عن ذلك كما قال تعالى ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۝٢٥﴾ [البقرة].

وقال الزمخشري[4]: «والذين آمنوا» معطوف على حور عين، أي: قرنّاهم بالحور العين وبالذين آمنوا، أي: بالرفقاء وبالجلساء منهم، كقوله ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر] فيتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة

---

(١) ق: خبر.

(٢) ق: بإتيان.

(٣) انظر تفسير الآية ٤ من النساء.

(٤) الكشاف ٤: ٢٤.

بمؤانسة الإخوان المؤمنين، «وأتْبَعْناهم ذرّياتهم»[1] - ثم ذكر حديث ابن عباس ثم قال: فيجمع الله لهم أنواع السّرور بسعادتهم في أنفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الإخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم. ثم قال: «بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم» أي: بسبب إيمان عظيم رفيع المحلّ وهو إيمان الآباء، ألحقنا بدرجاتهم ذرّيتهم وإن كانوا لا يستأهلونها، تفضّلاً عليهم وعلى آبائهم ليتمّ سرورهم ويكمل نعيمهم. فإن قلت: ما معنى تنكير الإيمان؟. قلت: معناه الدلالة على أنه إيمان خاص عظيم المنزلة. ويجوز أن يراد إيمان الذرّية الدّاني المحلّ كأنه قال: بشيء من الإيمان لا يؤهّلهم لدرجة الآباء ألحقنا بهم [٥٢٢/ب] انتهى.

ولا يتخيل أحد أن ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ معطوف على «بحور عين» غير هذا الرجل، وهو تخيّل أعجمي مخالف لفهم العربي القحّ ابن عباس رضي الله عنه وغيره. والأحسن من هذه الأقوال قول ابن عباس، ويعضده الحديث الذي رواه؛ لأنّ الآيات كلها في صفة إحسان الله تعالى إلى أهل الجنّة. فذكر من جملة[2] إحسانه أنه يرعى المحسن في المسيء. ولفظة «ألحقنا» تقتضي أن للملحَق بعض التقصير في الأعمال، فيكون إعراب «والذين» مبتدأ، و«أتبعناهم»[3] معطوف على «آمنوا»، و«بإيمان» متعلق بقوله «وأتبعناهم» ونكّره اكتفاءً[4] بحصول الإيمان وإن كان الإنسان مقصّراً في العمل. وخبر «والذين» قوله «ألحقنا بهم». ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ أي: نقصناهم.

---

(١) ق: ذرّيتهم. وما في النص هو قراءة أبي عمرو، انظر المهذب ٢: ٣٧٨.

(٢) ق: جهة.

(٣) قراءة أبي عمرو: وأتبعناهم ذرّياتهم، انظر البحر ٨: ١٤٩.

(٤) ق: اعتناء.

والظاهر أن الضمير في «ألتناهم» عائد على المؤمنين. والمعنى أنه تعالى يُلحق المقصّر بالمحسن ولا ينقص المحسن من أجره شيئاً، وهذا تأويل ابن عباس. ﴿بِمَا كَسَبَ[١]﴾ متعلق بـ«رهين».

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ أي: يسّرنا[٢] لهم شيئاً فشيئاً حتى يكثر ولا ينقطع.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ أي: يتعاطون فيها. والتنازع: التجاذب ملاعبةً؛ إذ أهل الدنيا لهم في ذلك لذة فكذلك في الجنة. ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ قرىء برفعهما. واللغو: السقط من الكلام كما يجري بين شُرّاب الخمر في الدنيا. والتأثيم: الإثم الذي يلحق شارب الخمر في الدنيا.

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي: مماليك. ﴿مَّكْنُونٌ﴾ أي: في الصدف لم تنَلْه الأيدي وهو إذ ذاك رطب فهو أحسن وأصفى.

والظاهر أن التساؤل هو في الجنّة؛ إذ هذه كلها معاطيف بعضها على بعض، أي: يتساؤلون عن أحوالهم، وما نال[٣] كل واحد منهم. ويدلّ عليه ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بهذا النعيم الذي نحن فيه.

﴿مُشْفِقِينَ﴾ رقيقي القلوب خاشعين لله تعالى.

و﴿ٱلسَّمُومِ﴾ هنا النار. وقال الحسن: اسم من أسماء جهنم.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه. ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده ونسأله الوقاية من عذابه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المحسن. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الكبير

---

(١) ق: كسبت.

(٢) ق: سريت.

(٣) ق: يأكل.

الرحمة، إذا عُبد أثاب، وإذا سئل أجاب.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٣٢ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٣٤ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۝٣٩ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۝٤٢ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٣ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ۝٤٤ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝٤٥ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٧ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ الآية، أمره بالتذكير إنذاراً للكافر وتبشيراً للمؤمن، ونفى عنه ما كان الكفار ينسبونه إليه من الكهانة والجنون؛ إذ كانا طريقين للإخبار ببعض المغيّبات، وكان للجنّ بهما ملابسة للإنس. وممّن كان ينسبه إلى الكهانة شيبة بن ربيعة، وممّن كان ينسبه إلى الجنون عقبة بن أبي معيط. والمعنى أنه عليه السلام انتفت عنه صفات النقص من الكهانة والجنون بسبب ما أنعم الله به عليه من النبوّة والرسالة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ(١)﴾ روي أن [٥٢٣/أ] قريشاً اجتمعت في دار الندوة،

(١) ق: شاعراً.

وكثرت آراؤهم فيه عليه السلام حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد الدار - قاله الضحاك -: تربّصوا به ريب المنون فإنه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى. فافترقوا على هذه المقالة فنزلت[1] الآية.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ أي: عقولهم. ﴿بِهَٰذَآ﴾ أي: بقولهم كاهن وشاعر ومجنون، وهو قول متناقض. وكانت قريش تُدعى أهل الأحلام والنُّهى. وقيل لعمرو بن العاص رحمه الله: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعقل؟. فقال: تلك عقول كادها الله تعالى، أي: لم يصحبها التوفيق.

والهمزة في «أم تأمرهم» قيل: أم بمعنى الهمزة أي: أتأمرهم، وقدّرها مجاهد ببل. والصحيح أنها تُقدّر ببل والهمزة.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: مجاوزون الحدّ في العناد مع ظهور الحقّ لهم.

﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلقه من قبل نفسه، كما قال ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحاقة]. ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لكفرهم وعنادهم.

ثم عجّزهم بقوله ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ أي: مماثل للقرآن في نظمه ورصفه ووصفه من البلاغة وصحة المعاني والإخبار بقصص الأمم السالفة والمغيبات والحكم. ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه تقوّله، فليتقوّلوا هم مثله؛ إذ هو واحد منهم، فإن كانوا صادقين، فليكونوا مثله في التقوّل.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ وقفهم، على جهة التوبيخ، على أنفسهم، أهم الذين خلقوا الأشياء [فهم] لذلك يتكبّرون؟. ثم خصّص من تلك الأشياء

---

(١) انظر لباب النقول ص٢٠١.

السماوات والأرض لعظمها وشرفها في المخلوقات. ثم حكم عليهم بأنهم لا يوقنون، ولا ينظرون نظراً يؤدّيهم إلى اليقين.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ أي: خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوّة من شاؤوا، أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها مَن اختياره حكمة ومصلحة. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ الأرباب الغالبون حتى يدبّروا أمر النبوّة، ويبنوا الأمر على إرادتهم.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ منصوب إلى السّماء. ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه أو منه؛ إذ حروف الجرّ قد يسدّ بعضها مسدّ بعض. ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجّة واضحة تصدق استماع مستمعهم.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على الإيمان بالله وتوحيده واتّباع شرعه، فهم من ذلك المغرم الثقيل اللازم مثقلون، فاقتضى زُهْدَهم في اتّباعك.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ. ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه حتى يقولوا: لا نُبعث وإن بُعثنا لا نُعذَّب.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: بك وبشرعك، وهو كيدهم به في دار الندوة. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: فهم، وأبرز الظاهر تنبيهاً على العلّة. أو «الذين كفروا» عامّ [٥٢٣/ب] فيندرجون فيه. ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ أي: الذين يعود عليهم وبال كيدهم، ويحيق بهم مكرهم، وذلك أنهم قُتلوا يوم بدر. وسمّى غلبتهم كيداً، إذ كانت عقوبة الكيد.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يعصمهم ويدفع في صدر إهلاكهم. ثم نزّه تعالى نفسه عمّا يشركون به من الأصنام والأوثان.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾ كانت قريش قد اقترحت على رسول الله ﷺ فيما اقترحت

قولهم ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ۝٩٢﴾ [الإسراء] فأخبر تعالى أنهم لو رأوا ذلك عياناً حسب اقتراحهم، لبلغ بهم عتوّهم وجهلهم أن يغالطوا أنفسهم فيما عاينوه، وقالوا: هو سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا، وليس بكسف ساقط للعذاب.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ أمر موادعة منسوخ بآية السيف[1]. ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ﴾ أي: يوم موتهم واحداً واحداً. والصّعق: العذاب.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: لهؤلاء[2] الظّلمة. ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون يوم القيامة وقبله، وهو يوم بدر والفتح، قاله ابن عباس.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن الحفظ والكلاءة. وجُمع لأنه أضيف إلى ضمير الجماعة، وحين[3] كان الضمير مفرداً أفرد العين؛ قال تعالى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ [طه]. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وهو قول: سبحان الله، عند كل قيام.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قيل[4]: صلاة المغرب والعشاء. ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ صلاة الصبح.

---

(١) الآية ٥ من التوبة.

(٢) ق: هؤلاء.

(٣) ق: وخبر.

(٤) ق: فسبّح قبل.

سورة النجم(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾ .

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة؛ لأنه قال ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۝٣٣﴾ [الطور] أي: اختلق القرآن، ونسبوه إلى الشعر، وقالوا: هو كاهن، هو مجنون. فأقسم تعالى أنه عليه السلام ما ضلّ، وأن ما يأتي به هو وحي من الله تعالى. وهي أول سورة أعلن(٢) رسول الله ﷺ بقراءتها في الحرم، والمشركون يسمعون. وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبي لهب، فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال: يكفي هذا. وسبب نزولها قول المشركين إنّ محمداً يختلق القرآن. وأقسم تعالى بالنجم وهو هنا اسم جنس والمراد النجوم إذا هوت أي: غربت.

---

(١) مكية وهي اثنتان وستون آية.

(٢) ق: أعلى.

وقيل «النجم» معيّن وهو الثريا. وهُوِيُّها: سقوطها مع الفجر. وهو عَلَم عليها بالغلبة، ولا تقول العرب «النجم» مطلقاً إلا للثريّا. و«إذا» ظرف زمان [٥٢٤/أ] والعامل فيه محذوف تقديره: كائناً إذا هوى. وكائناً: منصوب على الحال. أقسم تعالى بالنجم في حال هُوِيّه.

﴿مَا ضَلَّ﴾ جواب القسم. و﴿صَاحِبُكُمْ﴾ هو محمد ﷺ. ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ أي: الرسول عليه السلام. ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي: عن هوى نفسه ورأيه. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ﴾ من عند الله تعالى يوحى إليه.

﴿عَلَّمَهُۥ﴾ الضمير عائد على الرسول عليه السلام، فالمفعول الثاني محذوف، أي: علّمه الوحيَ[1]. ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ هو جبريل عليه السلام وهو مناسب للأوصاف التي بعده.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة. ومنه[2] «لا تحلّ الصدقة لغني ولا لذي مرّة سويّ». «فاستوى» أي: جبريل في الجو. ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إذ رآه الرسول عليه السلام بحراء قد سدّ الأفق، له ستّ مئة جناح. وحينئذٍ دنا من محمد ﷺ حتى[3] كان قاب قوسين. وكذلك هو المرئي في النّزلة[4] الأخرى [له] ستّ مئة جناح عند سدرة المنتهى.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول الله ﷺ. «فتدلّى» فتعلّق عليه في الهواء.

﴿فَكَانَ﴾ مقدار مسافة قربه مثل ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي: قدر قوسين. فحذفت

---

(١) ق: الرسول. وانظر وجهاً آخر في البحر ٨: ١٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود ٢: ١١٨ من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) ق: حين.

(٤) ق: المنزلة.

هذه المضافات. والظاهر أن الدنوّ والتدلّي كان بين جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ، ويدل على ذلك قوله «ولقد رآه نزلة أخرى».

و﴿ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ قيل: هي شجرة نَبِق[١] في السماء السابعة ثمرها كقِلال هَجَر[٢]، وورقها كآذان الفيلة، تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها. و﴿ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ موضع الانتهاء، كأنه ينتهي إليها علم كلّ عالم، ولا يعلم ما وراءها صعداً إلا الله تعالى. وقال الشاعر في وصف الرسول عليه السلام[٣]: [من الطويل]

إلى[٤] السدرة العليا تسامى حقيقة   فكـان بـه المجـد المؤثّـل للسّـدر

﴿ عِندَهَا ﴾ الضمير عائد على السّدرة. ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ فيه بإبهام[٥] الموصول وصلته تعظيم وتكثير للغاشي الذي يغشاه[٦] إذ ذاك أشياء لا يعلم وصفها إلا الله تعالى.

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ أي: ما مال لا هكذا ولا هكذا. ﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾ أي: ما تجاوز المرء إلى غيره، بل وقع عليه وقوعاً صحيحاً. وهذا تحقيق للأمر ونفي للرّيب[٧] عنه.

---

(١) النّبق: هو حَمْل السّدر.

(٢) هجر: بلد. والقلال: جمع قُلّة: إناء كالجرة الكبيرة. وقلال هجر شبيهة بالحِباب (الخوابي، فارسي معرّب).

(٣) لم أجده.

(٤) ق: لدى.

(٥) ق: إبهام.

(٦) ق: يغشاها.

(٧) ق: للمريب.

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ قيل «الكبرى» مفعول «رأى»، أي: رأى الآيات الكبرى والعظمى التي هي بعض آيات ربه، أي: حين رقي إلى السماء، رأى عجائب الملكوت، وتلك بعض آيات الله تعالى. وقيل «من آيات» هو في موضع المفعول، و«الكبرى» صفة [٥٢٤/ب] لـ«آيات ربه». ومثل هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة، وحسّن ذلك هنا كونها فاصلة.

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾.

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾ خطاب لقريش. ولمّا قرّر الرسالة أولاً وأتبعه بما أتبعه من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته الباهرة، بدأ بذكر التوحيد والمنع عن الإشراك بالله تعالى، فوقفهم على حقارة معبوداتهم وهي الأوثان، وأنها ليست لها قدرة. و﴿ ٱللَّٰتَ ﴾ صنم كانت العرب تعظّمه، قال قتادة: كان بالطائف. وقرىء: اللاّت، قال ابن عباس: كان هذا رجلاً بسوق عكاظ يلتّ السمن والسويق عند صخرة. وقيل كان ذلك الرجل[١] يلتّ السويق للحاجّ على حجر، فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده إجلالاً لذلك الرجل وسمّوه باسمه. و«العزى» صنم، وقيل: سَمُرة[٢] كانت لغطفان، وأصلها تأنيث الأعزّ، بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، وخرجت منها شيطانة[٣] ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى

---

(١) بعده في ق: من بهز. وانظر صحيح البخاري ٤: ١٨٤١.
(٢) السمرة: من شجر الطلح.
(٣) ق: سنا. وفوقها: كذا.

قتلها وهو يقول[1]: [من الرجز]

يا عُزَّ كفرانكِ لا سبحانكِ إني رأيتُ الله قد أهانكِ

ورجع فأخبر رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام[2]: «تلك العزى ولن تُعبد أبداً».

﴿وَمَنَوٰةَ﴾ قيل صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل غير ذلك. والذي يظهر أنها كانت ثلاثتها في الكعبة، لأن المخاطب بذلك في قوله «أفرأيتم»[3] هم قريش. والظاهر أن ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صفتان لـ«مناة» وهما يفيدان التوكيد. قيل: ولمّا كانت مناة هي أعظم هذه الأوثان، أُكّدت بهذين الوصفين كما تقول: رأيت فلاناً وفلاناً، ثم تذكر ثالثاً أجلّ منهما فتقول: وفلاناً الآخر الذي من أمره وشأنه. ولفظة آخر وأخرى يوصف به الثالث من المعدودات، وذلك نص في الآية.

و«اللات والعزى ومناة» منصوبة بقوله «أفرأيتم» وهي بمعنى أخبِرْني. والمفعول الثاني الذي لها هو قوله «ألكم الذكر وله الأنثى» على حدّ ما تقرر في متعلق أرأيت، إذا كانت بمعنى أخبِرْني. ولم يعد ضمير من جملة الاستفهام على «اللات والعزّى ومناة» لأن قوله «وله الأنثى» هو في معنى: وله هذه الإناث[4]، فأغنى عن الضمير. وكانوا يقولون في هذه الأصنام هي بنات الله، فالمعنى: ألكم النوع المستحسن المحبوب الموجود. فيكم، وله النوع

---

(١) البيت في اللسان «عزز» منسوب لخالد بن الوليد.

(٢) أخرجه أحمد ٤ : ٢٢٢ برواية أخرى من حديث عروة.

(٣) ق: افرأيت.

(٤) ق: الآيات.

المذموم بزعمكم، وهو المستثقَل[١]. وحسّن إيراد «الأنثى» كونه نصّاً في اعتقادهم أنهنّ إناث[٢]، وأنهن بنات الله، وإن كان في لحاق تاء التأنيث في اللات وفي مناة، وألف التأنيث في العزّى ما يشعر بالتأنيث، لكنه قد يُسّمى [٥٢٥/أ] المذكر بالمؤنث، فكان في قوله «الأنثى» نصٌّ على اعتقاد التأنيث فيها، وحسّن ذلك أيضاً كونه جاء فاصلة؛ إذ لو أتى ضميراً فكان التركيب: ألكم الذكر[٣] وله هنّ، لم تقع فاصلة[٤].

والإشارة بـ«تلك» إلى قسمتهم وتقريرهم أن لهم الذُّكران ولله البنات. وكانوا يقولون إن هذه الأصنام والملائكة بنات الله تعالى.

و﴿ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جائرة، يقال: ضازه يَضُوزه، وضازه يَضِيزه، وضأزه يضأزه. وقرىء: ضِيْزَىٰ، بغير همز، وبالهمز. ووزنها فُعْلى، والألف فيها للتأنيث.

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ هو ترجيح أحد الجائزين. ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: تميل إليه بلذّة. وإنما تهوى أبداً ما هو غير الأفضل، لأنها مجبولة على حبّ الملاذّ، وإنما يسوقها إلى حسن العاقبة العقل. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ توبيخ لهم، فالذي هم عليه فاصل[٥] واعتراض بين الجملتين، أي: يفعلون هذه القبائح والهدى قد جاءهم، فكانوا أولى من يقبله ويترك عبادة من لا تجدي عبادته.

(١) ق: المستقل.

(٢) ق: آيات.

(٣) ق: المذكر.

(٤) بعده في ق: عندكم.

(٥) ق: باطل.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ هو متصل بقوله «وما تهوى الأنفس» أي: بل للإنسان، والمراد به الجنس. ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ أي: ما تعلقت به أمانيه، أي: ليست الأشياء والشهوات تحصل بالأماني، بل الأمر لله تعالى، فقولكم إن آلهتكم تشفع وتقرّب زلفى، ليس لكم ذلك.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ [وَٱلْأُولَىٰ]﴾ أي: هو مالكها فيعطي منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، وليس لأحد أن يبلغ منهما إلا ما شاء الله تعالى [له]. وقدّم «الآخرة» في الذكر لشرفها وديمومتها، وأخّر «الأولى» لتأخيرها في ذلك، ولكونها فاصلة، فلم يُرَاعِ الترتيب الوجودي، كقوله ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل].

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية، «كم» هي خبرية، ومعناها هنا التكثير، وهي في موضع رفع بالابتداء، والخبر «لا تغني». والغَناء: جلب النفع ودفع الضّر بحسب الأمر الذي يكون فيه الغَناء. و«كم» لفظها مفرد ومعناها جمع، ولذلك جاء «لا تغني شفاعتهم».

ومعنى ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ كونهم يقولون إنهم بنات الله تعالى. و﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ هم العرب منكرو البعث.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى﴾ ما يدركه[1] العلم لا ينفع فيه الظن، وإنما يُدرَك بالعلم والتيقّن.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾ موادعة منسوخة بآية السيف[2]. ﴿وَلَمْ يُرِدْ﴾ أي: لم تتعلق إرادته بغيرها، فليس له فكر في سواها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى تعلّقهم بالدنيا وتحصيلها. ﴿مَبْلَغُهُم﴾ غايتهم ومنتهاهم من العلم، وهو ما تعلّقت به علومهم من مكاسب الدنيا كالفلاحة والصنائع كقوله ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴿٧﴾﴾ [الروم]. ولمّا ذكر ماهم [٥٢٥/ب] عليه، أخبر تعالى أنه عالم بالضالّ والمهتدي، وهو مجازيهما.

واللام في «ليجزي» متعلقة بما دلّ عليه معنى الملك، أي: يضلّ ويهدي ليجزي. [وقيل: بقوله «بمن ضل» و«بمن اهتدى» واللام للصيرورة، والمعنى أن عاقبة أمرهم جميعاً للجزاء] بما عملوا، أي: بعقاب ما عملوا. والحسنى: الجنّة.

والكبائر: تقدم الكلام عليه[3]. ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ استثناء منقطع، لأنه لم يدخل تحت ما قبله، وهو صغار الذنوب كالنظرة والقُبْلة وغير ذلك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حيث يكفّر الصغائر باجتنناب الكبائر. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الظاهر أنه خطاب عام. و«أعلم» على بابها من التفضيل. والظاهر أن المراد بـ«أنشأكم» أنشأ أصلكم - وهو آدم عليه السلام - من الأرض. ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾

---

(١) ق: مدركه.
(٢) الآية ٥ من التوبة.
(٣) انظر شرح الآية ٣١ من النساء.

فلا تنسبوها إلى زكاء العمل والطهارة عن المعاصي ولا تُثْنوا[١] عليها، واهضموها، فقد علم الله منكم الزكيّ والتقي.

والجنين: ما كان في البطن، فإذا خرج سمّي ولداً أو سقطاً. وقوله ﴿ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ ﴾ تنبيه على كمال العلم والقدرة، فإن بطن الأم في غاية الظلمة. ومن علم حاله وهو مُجَنّ [لا يخفى عليه وهو ظاهر. ﴿ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ قيل الشرك. وقال علي كرم الله وجهه: عمل حسنة وارعوى] عن[٢] معصية.

﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾.

﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴾ الآية، قال مقاتل وغيره: نزلت[٣] في

(١) ق: تبنوا.

(٢) ق: لا عن.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٦٧.

الوليد بن المغيرة، [كان] قد سمع قراءة رسول الله ﷺ، وجلس إليه ووعظه، فقرب من الإسلام، وطمع فيه رسول الله ﷺ. ثم إنه عاتبه رجل من المشركين وقال: أتترك ملّة آبائك؟ ارجع إلى دينك، واثبت عليه، وأنا أتحمّل عنك بكل شيء تخافه في الآخرة، لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال. فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عمّا همّ به من الإسلام وضلّ ضلالاً بعيداً، وأعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل، ثم أمسك عنه وشحّ. «أكدى» أصله من الكدية؛ يقال لمن حفر بئراً ثم وصل إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفر: قد أكدى. ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يتمم، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره. و«أفرأيت» هنا بمعنى أخبِرْني، ومفعولها الأول الموصول، والثاني الجملة الاستفهامية وهي «أعنده علم الغيب». و﴿تَوَلَّىٰ﴾ أي: أعرض عن الأسلام.

﴿أَعِندَهُۥ﴾ استفهام فيه[1] تهكم؛ إذ ليس عنده شيء من علم الغيب. ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: لا جزاء.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ أي: بل ألم يُخْبَر. ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ وهي التوراة.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ اي: وفي صحف إبراهيم التي نزلت[2] [عليه]. وخصّ هذين النبيّين صلّى الله عليهما، قيل: لأنه ما بين نوح وإبراهيم كانوا يأخذون الرجل بابنه وأبيه وعمّه وخاله، والزوج بامرأته، والعبد بسيّده. فأولّ من [٥٢٦/أ] خالفهم[3] إبراهيم عليه السلام. ومن شريعة إبراهيم إلى شريعة

---

(١) ق: فيه استفهام.

(٢) ق: نزلت هذه.

(٣) ق: يخالفهم.

موسى كانوا لا يأخذون الرجل بجريرة غيره.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ بتبليغ الرسالة والاستقلال بأعبائها[1]، والصبر على ذبح ولده، وعلى فراق إسماعيل وأمّه، وعلى نار نمروذ، وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه. وكان يمشي كلّ يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً، فإن وافقه أكرمه وإلاّ نوى الصوم.

و«أن» هي المخففة من الثقيلة، وهي بدل من «ما» في قوله «بما في صحف». ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ﴾ الظاهر أن الإنسان يشمل المؤمن والكافر وأن الحصر في السعي فليس له سعي غيره. وسأل والي خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۝٢٦١﴾ [البقرة] فقال: ليس له بالعدل إلا ما سعى، وله بالفضل ما شاء الله تعالى. فقبّل عبد الله رأس الحسين. والسّعي: التكسّب. و«يُرى» مبني للمفعول، أي: سوف يراه حاضراً[2] [يوم] القيامة. وفي عرض الأعمال تشريف للمحسن وتوبيخ للمسيء.

والضمير المرفوع في «يجزاه» عائد على الإنسان، والمنصوب عائد على السعي، و«الجزاء» مصدر.

قال الزمخشري[3]: ويجوز أن يكون الضمير للجزاء، ثم فسّره بقوله «الجزاء الأوفى»، أو أبدله منه[4] كقوله ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ۝٣﴾ [الأنبياء]

---

(١) ق: بأعباء الرسالة.

(٢) ق: حاضروا.

(٣) الكشاف ٤ : ٣٣.

(٤) ق: عنه.

انتهى.

وقوله «ثم فسّره بقوله: الجزاء» وإذا كان تفسيراً للضمير المنصوب في «يجزاه» فعلى ماذا انتصابه؟. وأما إذا كان بدلاً فهو من باب بدل الظاهر من المضمر الذي يفسره الظاهر، وهي مسألة خلاف والصحيح المنع.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى جزاء ربك المنتهى.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ الظاهر حقيقة الضحك والبكاء.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ أي: المصطحبين من رجل وامرأة وغيرهما من الحيوان.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ أي: إذا تُدْفَق، وهو المنيّ. يقال: أمنى الرجل ومَنَى.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أي: إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البِلى. وجاء بلفظ «عليه» المشعرة بالتحتّم لوجود الشيء. لمّا كانت هذه النشأة ينكرها الكفار، بولغ بقوله «عليه» بوجودها لا محالة وكأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي: أكسب القنية، يقال: قنيت المال أي: كسبته، وأقنيته إياه أي: أكسبته إياه. ولم يذكر متعلق «أغنى وأقنى» لأن المقصود نسبة هذين الفعلين له تعالى.

و﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾ التي عُبدت هي العَبور، قال السدّي: كانت تعبدها حمير وخزاعة، وهي تقطع السماء طولاً والنجوم كلها تقطعها عرضاً.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ جاء بين انّ وخبرها [٥٢٦/ب] لفظ «هو» وذلك في قوله «وأنه هو أضحك» «وأنه هو أمات» «وأنه هو أغنى» «وأنه هو رب

الشعرى﴾. ففي الثلاثة الأول لمّا كان قد يدّعي ذلك بعض الناس - كقول نمروذ ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة] احتيج إلى تأكيد في أن ذلك هو لله[1] لا غيره؛ فهو الذي يضحك ويبكي، وهو المميت المحيي، والمغني والمقني حقيقة، وإن ادّعى ذلك أحد فلا حقيقة له.

وأمّا ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ فلأنها لمّا عُبدت من دون الله تعالى، نصّ على أنه تعالى هو ربّها وموجدها. ولمّا كان خَلْق الزوجين والإنشاء الأخير وإهلاك عادٍ ومن ذكر، لا يمكن أن يدّعي ذلك أحد، لم يحتج إلى تأكيد تنصيص أنه تعالى هو فاعل ذلك و[عاد] الأولى هم قوم هود، وعاد الأخرى إرم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي: كانوا أكفر من قريش وأطغى. ففي ذلك تسلية لرسول الله ﷺ. و﴿هُمْ﴾ يجوز أن يكون تأكيداً للضمير المنصوب، ويجوز أن يكون فصلاً لأنه واقع بين معرفة وأفعل التفضيل وحُذف المفضول بعد الواقع خبراً لكان، لأنه جارٍ مجرى خبر المبتدأ، وحذفه فصيح فيه فكذلك[2] في خبر كان.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ هي مدائن قوم لوط بإجماع من المفسرين. وسميت بذلك لأنها انقلبت، ومنه الإفك لأنه قلب الحق كذباً، أفكه فائتفك[3]. والظاهر أن «أهوى» ناصب لـ«المؤتفكة» وأخرّ العامل لكونه فاصلة.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ فيه تهويل للعذاب الذي حلّ بهم لمّا قلبها جبريل عليه السلام أتبعت حجارة غشيتْهم. والتضعيف في «غشّاها» للتعدية فتكون «ما» مفعولة والفاعل ضمير عائد على الله تعالى.

---

(١) ق: الله، وفوقها: كذا.

(٢) ق: فلذلك.

(٣) ق: أفكت فائتفكت.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ ﴾ الباء ظرفية والخطاب للسامع. و﴿ تَتَمَارَىٰ ﴾ تتشكّك، وهو استفهام في معنى الإنكار، أي: آلاؤه وهي النّعم لا يتشكّك فيها سامع. وقد سبق ذكر نقم ونعم وأطلق عليها كلها «آلاء»[١] لما في النّقم من الزّجر والوعظ لمن اعتبر. وقرأ يعقوب: ربك تّمارَى، بتاء واحدة مشدّدة.

﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ ﴾الإشارة إلى رسول الله ﷺ، افتتح أول السورة به، واختتم آخرها به.

ولمّا ذكر إهلاك من تقدّم ذكره، وذكر قوله «هذا نذير» ذكر أن الذي أنذر به قريب الوقوع فقال ﴿ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴾ أي: قربت الموصوفة بالقرب في قوله ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ۝١ ﴾ [القمر] وهي القيامة.

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ أي: نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه، لا يعلم ذلك إلا الله تعالى.

﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ وهو القرآن. ﴿ تَعْجَبُونَ ﴾ فتنكرون.

﴿ وَتَضْحَكُونَ ﴾ [٥٢٧/أ] مستهزئين. ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ جزعاً من وعيده.

﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ أي: لاهون. وروي[٢] أنه عليه السلام لم يُرَ ضاحكاً بعد نزولها.

﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ﴾ أي: صلّوا له. ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾ وأفرِدوه بالعبادة، ولا تعبدوا اللات والعزّى ومناة والشّعرى وغيرها من الأصنام.

---

(١) سبق أن فسّر الآلاء بالنعم، انظر شرح الآية ٦٩ من الأعراف.

(٢) انظر القرطبي ١٧ : ١٢٤.

سورة القمر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾.

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ الآية، هذه السورة مكية وقيل غير ذلك. ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها ظاهرة؛ قال «أزفت الأزفة»(٢) وقال «اقتربت الساعة» وسبب نزولها(٣) أن مشركي قريش قالوا للرسول عليه السلام: إن كنت صادقاً فشُقَّ لنا القمر فرقتين. ووعدوا بالإيمان إن فعل. وكانت ليلة بدر، فسأل ربه فانشقّ القمر نصفين: نصفاً على الصفا ونصفاً على قُعَيْقعان(٤). فقال أهل مكة: آية سماوية لا يعمل فيها السحر. فقال أبو

---

(١) مكية وآياتها خمس وخمسون.

(٢) الآية ٥٧ من النجم.

(٣) انظر البخاري ٤: ١٨٤٣، وأسباب النزول ص٢٦٨، والفتح الرّباني ٢٢: ٤٣، ومسلم ٤: ٢١٥٨.

(٤) ق: قيقعان. وهو جبل بمكة، انظر معجم البلدان «قعيقعان».

جهل: اصبروا حتى يأتينا أهل البوادي، فإن أخبروا بانشقاقه فهو صحيح، وإلاّ فقد سحر محمد أعيننا. فجاؤوا وأخبروا بانشقاق القمر، فأعرض أبو جهل وقال: سحر مستمرٌ.

﴿ وَكَذَّبُوا۟ ﴾ أي: بالآيات وبمن جاء بها، أي قالوا: هذا سحر مستمرٌ، سحرنا محمد. ﴿ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ أي: شهوات أنفسهم وما يهوون. ﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ أي: له غاية ينتهي إليها.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ ﴾ أي: من الأخبار الواردة في القرآن في إهلاك من كذّب الأنبياء وما يؤولون إليه في الآخرة. ﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ أي: ازدجار رادع لهم عمّا هم فيه.

و﴿ حِكْمَةٌۢ ﴾ بدل من «مزدجر». ووصفت الحكمة بـ«بالغة» لأنها تبلغ من مقصد الوعظ والبيان لمن له عقل ما لا يبلغ غيرها. ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ يجوز أن تكون «ما» نافية، وأن تكون استفهاماً يراد به التقرير؛ أي: فأيّ شيء تغني النذر مع هؤلاء الكفرة؟.

ثم سلّى رسول الله ﷺ فقال ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ [أي]: أعرِضْ عنهم فإنّ الإنذار لا يجدي فيهم. ثم ذكر شيئاً من أحوال الآخرة وما يؤولون إليه إذ ذاك، متعلّقاً[1] باقتراب الساعة فقال ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾. والناصب لـ«يوم»: اذكر، مضمرةً.

وانتصبْ «خُشَّعاً» وخاشعة وخاشعاً[2]، على الحال من ضمير «يخرجون». والعامل فيه «يخرجون» لأنه فعل متصرّف. وفي هذا دليل على بطلان مذهب

(١) ق: متعلق.

(٢) في قراءات أخر، انظر البحر ٨: ١٧٥.

الجرمي أنه لا يجوز تقدّم الحال على الفعل وإن كان متصرّفاً، وقد قالت العرب: شتّى تؤوب الحَلَبة[1]. فشتّى حال وقد تقدمت على عاملها [٥٢٧/ب] وهو تؤوب لأنه فعل متصرف.

﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ﴾ جملة حالية، شبّههم بالجراد في الكثرة والتموّج. ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ قال أبو عبيدة: مسرعين.

﴿يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه.

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل قريش قوم نوح. وفيه وعيد لقريش وضَرْب مثلٍ لهم. ومفعول «كذّبت» محذوف أي: كذّبت الرسل فكذّبوا نوحاً. لمّا كانوا مكذّبين بالرسل جاهدين للنبوة رأساً، كذّبوا نوحاً لأنه من جملة الرسل.

وفي لفظ ﴿عَبْدَنَا﴾ تشريف وخصوصية بالعبودية كقوله ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال].

﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ أي: هو مجنون. لمّا رأوا الآيات الدالّة على صدقه قالوا هو مصاب الجن، لم يقنعوا بتكذيبه حتى نسبوه إلى الجنون.

---

(١) انظر مجمع الأمثال ١: ٣٧١.

والظاهر أن قوله «وازدجر» إخبار من الله تعالى، أي: انتهروه[١] وازدجروه بالسبّ والتخويف.

﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ أي: غلبني قومي، فلم يسمعوا منّي ويئست من إجابتهم لي. ﴿فَانتَصِرْ﴾ أي: فانتقم بعذاب[٢] تبعثه عليهم. وإنما دعا عليهم بعدما يئس منهم وتفاقم أمرهم.

﴿فَفَتَحْنَا﴾ بيان أن الله تعالى انتصر منهم وانتقم. ومن العجب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين، فأهلكهم الله تعالى بمطلوبهم[٣]. ﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ جعل الماء كأنه آلة يفتح بها. ﴿بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ أي: شديد غزير.

وانتصب ﴿عُيُونًا﴾ على التمييز، جعلت الأرض كلها كأنها عيون تتفجّر. وهذا أبلغ من: وفجّرنا عيون الأرض. ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ في اللوح [المحفوظ] أنه يكون، وهو هلاك قوم نوح بالطوفان. ولذلك ذكر نجاة نوح بعدها في قوله ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾. والدّسر: المسامير التي تُشدّ بها السفينة. وذات الألواح: هي السفينة.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منّا. ﴿جَزَاءً﴾ أي: مجازاة. ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: لنوح عليه السلام؛ إذ كان نعمة أهداها الله تعالى إلى قومه لأن يؤمنوا فكفروها. المعنى أنّ حَمْله في السفينة ومن آمن معه كان جزاءً له على صبره على قومه المئين[٤] من السنين. و«مَن» كناية عن نوح عليه السلام. قال:

---

(١) ق: انتهروا.

(٢) ق: بعد أن.

(٣) ق: لمطلوبهم.

(٤) ق: المبين.

معنى: لمن كُفر: لمن جُحِدت نبوّته. والضمير في «تركناها» عائد على الفعلة والقصّة.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ تهويل لما حلّ بقوم نوح من العذاب وإعظام له؛ إذ قد استأصل جميعهم وقطع دابرهم فلم ينسلْ منهم أحد. أي: فكيف[1] كان عاقبة إنذاري. والنّذر: جمع نذير وهو الإنذار وفيه توقيف لقريش على ما حلّ بالمكذّبين أمثالهم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ أي: سهّلنا القرآن. ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي: للادّكار والاتّعاظ، لما ضمّنه من المواعظ والوعد والوعيد. ﴿فَهَلْ [٥٢٨/أ] مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: من متّعظ.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ الآية، الصّرصر: الريح الشديدة[2] الصوت الباردة. ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ يجوز أن تكون صفة للريح، وأن تكون حالاً

---

(١) ق: وكيف.

(٢) ق: الشديد.

منها لأنها وُصفت، فقربت من المعرفة، وأن تكون مستأنفة. وجاء الظاهر مكان المضمر ليشمل ذكورهم وإناثهم. والجملة التشبيهية حال من «الناس» وهي حال مقدّرة. شبّههم بأعجاز النخل المنقعر إذ تساقطوا على الأرض أمواتاً، وهم جثث عظام طوال. والأعجاز: الأصول بلا فروع قد انقلعت من مغارسها. وقيل: كانت الرّيح تقطع رؤوسهم فتُبقي أجساداً بلا رؤوس فأشبهت أعجاز النخل التي انقلعت من مغرسها.

وقرىء: أبشراً، بنصب «بشراً» على الاشتغال، ونصب «واحداً» صفةً له، تقديره: أنتبع بشراً. ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي: إن اتّبعناه، فنحن في ضلال، أي: في بعد عن الصواب وحيرة. ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: عذاب.

ثم زادوا عليه في الإنكار والاستبعاد فقالوا ﴿أَءُلْقِىَ﴾ أي: أُنزل. قيل: وكأنه يتضمن العجلة في الفعل. والعرب تستعمل هذا الفعل في العجلة. و﴿الذِّكْرُ﴾ هنا الوحي والرسالة وما جاءهم به من الحكمة والموعظة، ثم قالوا: ليس الأمر كما يزعم[1] ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: بَطِرٌ يريد العلوّ علينا.

وفي قوله ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ تهديد ووعيد ببيان انكشاف الأمر. والمعنى أنهم هم الكاذبون الأشرون. وأورد ذلك مورد الإبهام والاحتمال، وإن كانوا هم المعنيّين.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: ابتلاءً واختباراً. وآنس بذلك صالحاً. ولمّا هدّدهم بقوله «سيعلمون غدا» وكانوا قد ادّعَوْا أنه كاذب، قالوا: ما الدليل على صدقك؟. قال الله تعالى «إنا مرسلوا الناقة» أي: مخرجوها من الهضبة التي سألوها. ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ أي: فانتظرهم وتبصّر ما هم فاعلون. ﴿وَاصْطَبِرْ﴾

---

(١) ق: تزعم.

على أذاهم ولا تعجل حتى يأتي أمر الله.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ﴾ أي: ماء البئر التي لهم. ﴿قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين ثمود والناقة. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ أي: محضر[1] لهم وللناقة.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ وهو قدار بن سالف. ﴿فَتَعَاطَى﴾ هو مطاوع عاطى. وكأنّ هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها[2] بعضهم بعضاً فتعاطاها قدار، وتناول العقر بيده. ولمّا كانوا راضين، نسب إليهم ذلك في قوله ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ۝٧٧﴾ [الأعراف].

والصّيحة التي أُرسلت عليهم؛ يروى أن جبريل عليه السلام صاح في طرف منازلهم، فتفتّتوا وهمدوا، وصاروا كهشيم المحتظر، وهو ما تفتّت من الشجر وتهشّم. و﴿الْمُحْتَظِرِ﴾ الذي يعمل الحظيرة، فإنه تتفتّت منه حالة العمل [٥٢٨/ ب] وتتساقط[3].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۝٣٣ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۝٣٤ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۝٣٥ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۝٣٦ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۝٣٨ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۝٤٠ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ۝٤٢ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۝٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ۝٤٤ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥﴾.

---

(١) ق: محضور.

(٢) ق: وعطاها.

(٣) ق: يتفتت.. ويتساقط.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ الآية، تقدمت قصة لوط عليه السلام[1].

والحاصب: من الحصباء وهو المعنيّ بقوله ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود]. ﴿ بِسَحَرٍ﴾ هو بكرة، فلذلك صُرف.

وانتصب ﴿ نِّعْمَةً ﴾ على أنه مفعول من أجله، أي: أنجيناهم لإنعامنا عليهم. ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾ أي: مثل ذلك الإنعام والتّنجية نجزي من شكر إنعامنا وآمن وأطاع.

﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم [بَطْشَتَنَا]﴾ أي: أَخْذتنا لهم بالعذاب. ﴿ فَتَمَارَوْا ﴾ أي: تشكّكوا وتعاطوا ذلك. ﴿ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: بالإنذار.

﴿فَطَمَسْنَآ ﴾ الطمس حقيقة؛ جرّ جبريل عليه السلام جناحه على أعينهم فاستوت مع وجوههم. ﴿ فَذُوقُوا۟ ﴾ أي: فقلت لهم على ألسنة الملائكة: ذوقوا.

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم ﴾ أي: أول [النهار] وباكره، كقوله ﴿ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحجر].

﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هي التّسع. والتوكيد هنا كهو في قوله ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ[2] [ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا] ﴿٥٦﴾ ﴾ [طه]. والظاهر أن الضمير في «كذبوا» وفي «فأخذناهم» عائد على آل فرعون. ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ[3] عَزِيزٍ﴾ لا يغالب. ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزه شيء، وهو كناية [عن] الله تعالى.

---

(١) انظر الآيات ٧٧-٨٣ من هود.

(٢) ق: ولقد رأينا.

(٣) ق: أي أخذ.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ خطاب لأهل مكّة. ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ وقفهم على توبيخهم؛ أي: ليس كفاركم خيراً من أولئك، بل هم مثلهم أو شرٌّ منهم. ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: ألكم في الكتب الإلهية براءة من عذاب الله تعالى.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: واثقون بجماعتنا منتصرون بقوّتنا(١).

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ خطاب للرسول عليه السلام.

و﴿الدُّبُرَ﴾(٢) هنا اسم جنس. وحسّن اسم الجنس هنا كونه فاصلة.

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ انتقل من تلك الأقوال إلى أمر الساعة التي عذابها أشدّ عليهم من كل هزيمة وقتال. ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ أي: أفظع وأشدّ. والداهية: الأمر المنكر الذي لا يُهتدى لدفعه وهي الرزيّة العظمى، تحلّ بالشخص. ﴿وَأَمَرُّ﴾ من المرارة، استعارة لصعوبة الشيء على النفس.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ أي: في حيرة وتخبّط في الدّنيا. ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: احتراق في الآخرة، جُعلوا فيه من حيث إنّ مصيرهم إليه. ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ يُجرّون في النار على وجوههم.

---

(١) ق: أي أنفوز كما عتنا بمنتصر قوتنا.

(٢) ق: فالدبر.

﴿ذُوقُواْ﴾ أي: مقولاً لهم: ذوقوا مسّ سقر. و﴿سَقَرَ﴾ لا ينصرف للتأنيث المجازي والعلمية، وهو اسم من أسماء جهنم.

﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب على الاشتغال؛ أي: خلقنا كل شيء. ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: مقدور لله تعالى كما جاء في الحديث[١] «أن تؤمن بالقدر خيره وشرّه».

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ إلا كلمة واحدة وهي كن. ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ تشبيه بأعجل ما يحسّ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: الفرق المتشايعة في مذهب ودين.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: فعلته الأمم المكذّبة محفوظ عليهم إلى يوم [٥٢٩/أ] القيامة، قاله ابن عباس. ومعنى ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ في دواوين الحفظة.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن. ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مسطور في اللوح. يقال: سطرت وأسطرت بمعنى واحد.

وقرىء: ونَهْرٌ، على الإفراد والمراد به الجنس. وحسّنه كونه جاء فاصلة.

وقرىء: في مقعد، على الإفراد ويراد به اسم الجنس. وقرىء: في مقاعد، على الجمع. و﴿عِندَ﴾[٢] تدلّ على تقريب المكانة من الله تعالى.

(١) أخرجه مسلم ١: ٣٧ من حديث عمر بن الخطاب.
(٢) ق: وقيل.

سورة الرحمن(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٢ ﴾.

﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ الآية، هذه السورة مكية في قول الجمهور. وسبب نزولها(٢) أنه لمّا نزل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ ۝٦٠ ﴾ [الفرقان] قالوا: ما نعرف الرحمن، فنزلت. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر مقرّ المجرمين ﴿ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ ﴾ ومقرّ المتقين ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ ﴾ [القمر] ذكر شيئاً من آثار الملك والقدرة، ثم ذكر مقرّ الفريقين على جهة الإسهاب، إذ كان في آخر السورة ذكره على جهة الاختصار والإيجاز. ولما ذكر قوله ﴿ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥ ﴾ [القمر] فأبرز هاتين الصفتين بصورة التنكير، فكأنه قيل: من المتصف بذلك؟ فقال: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ فذكر ما نشأ عن صفة الرحمة وهو تعليم القرآن الذي هو شفاء للقلوب.

---

(١) مكية وهي ثمان وسبعون آية.

(٢) انظر القرطبي ١٧ : ١٥٢.

والظاهر أن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ مرفوع على الابتداء، و﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ خبره.

ولمّا ذكر تعليم القرآن ولم يذكر المعلم ذكره[1] بعدُ في قوله ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ ليعلم أنه هو المقصود بالتعليم. ولمّا كان خلقه من أجل الدين وتعليمه القرآن، كان كالسبب في خَلْقه فقُدّم على خَلْقه.

ثم ذكر تعالى الوصف الذي يتميز به الإنسان من المنطق المفصح عن الضمير، والذي به يمكن قبول التعليم وهو البيان. ألا ترى أن الأخرس لا يمكن أن يتعلم شيئاً مما يُدرَك بالنّطق؟.

ولمّا ذكر تعالى ما أنعم به على الإنسان من تعليمه البيان، ذكر ما امتنّ [به] من وجود الشمس والقمر، وما فيهما من المنافع العظيمة للإنسان، إذ هما يجريان على حساب معلوم وتقدير سويّ في بروجهما ومنازلهما. والحسبان: مصدر كالغفران، وهو[2] بمعنى الحساب. وارتفع «الشمس» [إمّا] على الابتداء، وخبره[3] «بحسبان»، وإمّا على حذف، أي: جريُ الشمس والقمر كائن بحسبان.

ولمّا ذكر ما به حياة الأرواح من تعليم القرآن، ذكر ما به حياة الأشباح من النّبات الذي لا ساق له، والنبات الذي له ساق. وكان تقديم النجم، وهو ما لا ساق له، لأنه أصل القوت [٥٢٩/ب] والذي له ساق ثمره يُتفكّه به غالباً. ولمّا أوردت هذه الجمل مورد تعديد النّعم ردّ الكلام إلى العطف في وصل ما يناسب وصله. والتناسب الذي بين هاتين الجملتين ظاهر؛ لأن

---

(١) ق: ذكر.

(٢) ق: وهي، وفوقها: كذا.

(٣) ق: وخبر.

الشمس والقمر علويّان، والنجم والشجر سفليّان.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ أي: خلقها مرفوعة حيث جعلها مصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين ينزّلون بالوحي على أنبيائه عليهم السلام. ونبّه بذلك على عظيم شأنه وملكه. «والسماء» نُصب[1] على الاشتغال، روعي مشاكلة الجملة التي قبله[2] وهي «يسجدان».

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ الظاهر أنه كلّ [ما] توزن به الأشياء وتُعرف مقاديرها، وإن اختلفت أشكال الآلات، بدأ أوّلاً بالعلم، فذكر ما فيه أشرف أنواع العلوم وهو القرآن، ثم ذكر ما به التعديل في الأمور وهو الميزان كقوله ﴿وَأَنزَلْنَا[3] مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد].

﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ أي: لِأن لا تطغوا. فـ«تطغوا» منصوب بـ«أن».

وقال الزمخشري[4]: أوهي أنْ المفسّرة. وقال ابن عطية: ويحتمل أن تكون «أنْ» مفسّرة، فيكون «تطغوا» جزماً بالنّهي انتهى.

ولا يجوز ما قالاه من أنّ «أن» مفسّرة؛ لأنه فات أحد شرطيها وهو أن يكون ما قبلها جملة فيها معنى القول. ووضع الميزان ليس جملة فيها معنى القول. والطغيان في الميزان هو أن يكون بالتّعمد. وأمّا ما لا يُقْدَر عليه من التحرير بالميزان فمعفوّ عنه.

---

(١) ق: نصباً.

(٢) ق: تليه.

(٣) ق: وأنزل.

(٤) الكشاف ٤: ٤٤.

ولمّا كانت التسوية مطلوبة جداً أمر تعالى فقال ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾. وقرأ الجمهور: ولا تخسروا، مِن أخسر أي: أفسد ونقص، كقوله ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففون] أي: يُنقصون. وكرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحثّ عليه.

ولمّا ذكر السماء ذكر مقابلها فقال ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي: خفضها مدحوّة على الماء ليُنتفع بها. والأنام: الخلق.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ ضروب ممّا يُتفكّه[1] به. وبدأ بقوله «فاكهة» إذ هو من باب الابتداء بالأدنى والترقّي إلى الأعلى. ونكر لفظها لأنّ الانتفاع بها دون الانتفاع بما يذكر بعدها. ثم ثنّى بالنخل فذكر الأصل ولم تذكر ثمرها[2]، وهو التّمر، لكثرة الانتفاع بها من ليف وسعف وجريد وجذوع وجُمّار[3] وثمر. ثم أتى ثالثاً بالحبّ الذي هو قوام عيش الإنسان في أكثر الأقاليم، وهو البُرّ والشعير وكلّ ما له سنبل وأوراق مشعبة على ساقه. ووصفه بقوله ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ تنبيهاً على إنعامه عليهم بما يقوتهم به من الحب، ويقوت بهائمهم من ورقه، وهو التّبن.

وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم وبينهما النخل والحب ليحصل ما به يُتفكه وما به يُتقوّت وما [٥٣٠/أ] به تقع اللذاذة من الرائحة الطّيبة. وذكر النخل باسمها، والفاكهة دون شجرها لعظم المنفعة بالنخل من جهات متعدّدة، وشجرة الفاكهة بالنسبة إلى ثمرتها حقيرة. فنصّ على ما يعظم به الانتفاع من

---

(١) ق: ينفك.

(٢) ق: ثمرتها.

(٣) الجُمّار: شحم النخل.

شجرة النخل ومن الفاكهة دون شجرها.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ خطاب للثّقلين. والآلاء: النّعم.

ولمّا خاطب الثقلين ذكر أصلهما فقال ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ وهو آدم عليه السلام.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ وهو إبليس. والمارج: المختلط. و«مِن» الأولى لابتداء الغاية، والثانية في «من نار» للتّبعيض.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو ربّ. وعن ابن عباس: [للشمس] مشرق في الصيف مُصعد، ومشرق في الشتاء منحدر تنتقل فيهما مُصْعدة ومنحدرة. والمغربان: مغرب الشفق ومغرب الشمس.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ تقدم الكلام عليه في الفرقان[1]. والظاهر التقاؤهما[2]،

---

(١) انظر تفسير الآية ٥٣ من الفرقان.

(٢) ق: انتقاؤهما.

أي: يتجاوزان فلا فصل بينهما في رؤية العين.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز من قدرة الله تعالى. ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يتجاوزان حدّيهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممارجة[١].

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ قال الجمهور: وإنما يخرج من الأجاج في المواضع التي تقع فيها الأنهار والمياه العذبة، فناسب إسناد ذلك إليهما. وهذا مشهور عند الغواصين. وقال ابن عباس وعكرمة: تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر، لأن الصدف وغيرها تفتح أفواهها للمطر، فلذلك قال «منهما». وقيل: هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان. و﴿اللُّؤْلُؤُ﴾ كبار الجوهر. ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ اسم أعجمي معرّب.

و﴿الْجَوَارِ﴾ السفن. ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ أي كالجبال، شبّهها بالجبال.

وعبّر بـ«مَن» في قوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ تغليباً لمن يعقل. والضمير في «عليها» قيل: عائد على الأرض وقد تقدّم ذكرها[٢]. والفناء عبارة عن إعدام جميع الموجودات من حيوان وغيره.

والوجه يعبّر به عن حقيقة الشيء، والجارحة منفية عن الله تعالى. والظاهر أن الخطاب في قوله ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ للرسول عليه السلام، وفيه تشريف عظيم له عليه السلام. ومعنى ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ الذي يجلّه الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم. ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ للمخلصين من عباده.

---

(١) ق: بالمماوجة.

(٢) في الآية ١٠.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: حوائجهم [وهو] ما[1] يتعلق بمن في السماوات من أمر الدين، وما استعبدوا[2] به، ومن في الأرض من أمر دينهم ودنياهم. والظاهر أن قوله «يسأله» استئناف إخبار. ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ أي: كل ساعة ولحظة. وذكر اليوم لأن الساعات واللحظات في ضمنه. ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال ابن عباس: في شأن يمضيه من الخلق [٥٣٠/ب] والرزق والإحياء والإماتة. وانتصب «كل يوم» على الظرف، والعامل فيه العامل في قوله ﴿فِي شَأْنٍ﴾ وهو: مستقرّ المحذوف، نحو: يوم الجمعة زيد قائم.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ

(١) ق: وما.

(٢) ق: استبعدوا.

ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ الآية، ﴿سَنَفْرُغُ﴾ أي: ننظر في أموركم يوم القيامة، لا أنه تعالى كان له شغل فهو يفرغ منه. وجرى هذا على كلام العرب في أن المعنى: سنقصد لحسابكم، فهو استعارة من قول الرجل لمن يتهدّده: سأفرغ لك، أي: سأتجرد[1] للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه. والمراد التوفر على الانتقام منه.

والظاهر أن قوله ﴿يَٰمَعْشَرَ﴾ الآية، من خطاب[2] الله تعالى إياهم يوم القيامة. وقوله[3] «يا معشر» كالترجمة لقوله: أيها الثقلان. «إن استطعتم» أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا. ثم قال: لاتقدرون على النفوذ إلا بسلطان، يعني بقوة وغلبة، وأنّى لكم ذلك؟ ونحوه ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٢﴾ [العنكبوت]. و﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ أمر تعجيز.

---

(١) ق: ساتجر.

(٢) ق: خطاب من.

(٣) النص التالي من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٤: ٤٧.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ قال ابن عباس: إذا خرجوا من قبورهم، ساقهم شواظ إلى المحشر. والشواظ: لهب النار. والنحاس: الصُّفْر المعروف.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ جواب «إذا» محذوف تقديره: فما أعظم الهول. وانشقاقها انفطارها يوم القيامة. ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: محمّرة كالوردة. ﴿كَالدِّهَانِ﴾ قال ابن عباس: كالأديم الأحمر.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ التنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة، والتقدير: فيوم إذا انشقت. والناصب لـ«يومئذ»: ﴿لَّا يُسْأَلُ﴾ ودلّ هذا على انتفاء السؤال، و﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات] وغيرها من الآيات على وقوع السؤال. فقيل: هي مواطن يُسأل في بعضها.

وسيماهم: سواد الوجوه وزرقة العيون والبكم والعمى والصمم. ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ قال ابن عباس: يؤخذ بناصيته وقدميه، فيطوى ويجمع كالحطب، ويلقى كذلك في النار. ويؤخذ مبني للمفعول، والجار والمجرور في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله.

﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي: يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتقريع.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ أي: يتردّدون بين نارها وبين ما غلا منها من مائع عذابها. و﴿آنٍ﴾ أي: منتهى الحرّ والنّضج، فيعاقب بينهم بين تصلية النار وبين شرب الحميم.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ الآية، «مقام» مصدر، فاحتمل أن يكون مضافاً إلى الفاعل أي: قيام ربه عليه. والظاهر أن لكل فرد من الخائفين جنّتين[1].

---

(١) ق: لكل فرد فرد من الخائفين جنتان.

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ أي: صاحبتا أغصان، وهي الغصون التي تتشعب من فروع الشجرة، لأنها هي التي تورق وتثمر، فمنها [٥٣١/أ] تمتدّ الظّلال، ومنها تجنى الثمار. وذات: مؤنث ذا بمعنى صاحب، فكان القياس أن يقال: ذاتا أفنان، فزدت عين الكلمة وهي الواو فقيل: ذواتا أفنان، وهو أفصح من ذاتا.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ قيل: بالماء الزّلال، إحداهما التّسنيم والأخرى[1] السّلسبيل.

﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ قال ابن عباس: ما في الدنيا من شجرة حلوة ولا مرّة إلا وهي في الجنة حتى شجر الحنظل إلا أنه حلو.

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نُصب[2] على الحال، والعامل فيه محذوف تقديره: يتنعّمون. والاتّكاء من صفات التنعّم الدالّة على صحة الجسم وفراغ القلب. والمعنى: متكئين في منازلهم على فرش. و﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾ تقدم الكلام عليه[3].

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قال ابن عباس: يجتنيه قائماً وقاعداً ومضطجعاً لا يردّ يده بُعْدٌ ولا شوك.

والضمير في «فيهن» عائد على الجنات الدالّ عليهن «جنّتان»، إذ كل فردٍ فُرد له جنتان فصحّ أنها جنان كثيرة. والظاهر أن [«قاصرات الطرف»] هن[4] اللواتي يقصرن أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾

---

(١) ق: والآخر.

(٢) ق: نصباً.

(٣) انظر شرح الآية ٣١ من الكهف.

(٤) ق: والظاهر أنهن اللواتي.

قال ابن عباس: أي: لم يفتضّهن قبل أزواجهن أحد. والضمير في ﴿قَبْلَهُمْ﴾ عائد على ما دلّ عليه الضمير في ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ وهي من الأشياء التي برع[1] حسنها، فشُبّهن بهما فيما يحسن التشبيه به؛ فالياقوت في إملاسه وشفوفه، والمرجان في إملاسه وجمال منظره. وسَمَّتِ العرب بذلك.

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: من دون تينك[2] الجنتين في المنزلة والقَدْر جنتان لأصحاب اليمين. والأُوليان هما للسابقين، والأخريان للتابعين.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي: كثيرة الاخضرار، ولكثرة ذلك أشبهتا الدّهمة وهي السّواد.

﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: تسيلان قليلاً قليلاً بخلاف الجري.

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ﴾ يشمل سائر الفواكه، وهي نكرة في سياق الإثبات، لايُراد بها واحدة من الفواكه. ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ تجريد من الفاكهة لشرفهما كما قال تعالى ﴿وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ[3] ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة].

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ جمع خيرة، وهي المنتهية في الخير.

﴿حُورٌ﴾ جمع حوراء، والحَوَر: شدّة سواد العين وشدّة البياض فيه. و﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ ممتنعات غير مبتذلة. ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ جمع خيمة وهي بيوت اللؤلؤ في الجنّة.

---

(١) ق: نزع.

(٢) ق: تانك.

(٣) ق: وميكائيل.

﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾ قال ابن عباس وغيره: فضول المجلس والبسط. و«عبقري» قال الحسن: بسط حسان، فيها صور وغير ذلك، تصنع بعبقر.

ولمّا ختم تعالى نعم الدنيا بقوله ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن] ختم نعم الآخرة بقوله ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي[1] الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وناسب هنالك ذكر [البقاء والديمومة له تعالى؛ إذ ذكر فناء العالم، وناسب هنا ذكر] ما اشتقّ من البركة وهي النموّ [٥٣١/ ب] إذ جاء ذلك عقب ما امتنّ به على المؤمنين، وما آتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته. وياذا الجلال والإكرام من الصفات التي جاء في الحديث أن يُدعى الله تعالى بها، قال عليه السلام[2] «ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام». وقرىء: ذو الجلال صفة لـ«اسم». وذي الجلال، صفة لـ«ربك».

---

(١) ق: ذو.

(٢) أخرجه أحمد ٤: ١٧٧ من حديث ربيعة بن عامر، والترمذي ٩: ١٨٦ من حديث أنس. وانظر صحيح الجامع الصغير ١: ٣٩٥.

سورة الواقعة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر ما آل إليه الثّقلان من عذاب ونعيم، ذكر ذلك هنا مفصّلاً للسابقين المقرّبين وأصحاب اليمين والمكذبين الضالّين.

والواقعة والآزفة والصاخّة والطامّة من أسماء الساعة. فقوله «وقعت الواقعة» أي: وقعت التي لا بدّ من وقوعها كما تقول: حدثت الحادثة وكانت

---

(١) مكية وهي ست وتسعون آية.

الكائنة. ووقوع الأمر: نزوله، يقال[١]: وقع ما كنت أتوقّعه، أي: نزل ما كنت أترقب نزوله. والعامل في «إذا» الفعل بعدها على ما قررناه في كتب النحو، فهي في موضع نصب بـ«وقعت» كسائر أسماء الشرط.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: بم[٣] انتصب «إذا»؟ قلت: بـ«ليس» كقولك: يومَ الجمعة ليس لي شغل، أو بمحذوف، يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت[٤]، أو بإضمار: اذكر انتهى.

أما نصبها بـ«ليس» فلا يذهب نحوي أو من شدا[٥] شيئاً من صناعة الإعراب إلى مثل هذا؛ لأنّ ليس في النفي كما و«ما» لا تعمل فكذلك ليس؛ وذلك أنّ ليس مسلوبة الدلالة على الحدث والزّمان. والقول بأنها فعل هو على سبيل المجاز؛ لأنّ حدّ الفعل لا ينطبق عليها. والعامل في الظرف إنما هو ما يقع فيه من الحدث. فإذا قلت: يوم الجمعة أقوم، فالقيام في يوم الجمعة واقع، و«ليس» لا حدث لها فكيف يكون لها عمل في الظرف؟. والمثال الذي شبّه [به] وهو يوم: الجمعة ليس لي شغل، لا يدل على أن يوم الجمعة منصوب بليس، بل هو منصوب بالعامل في خبر ليس وهو الجار والمجرور، فهو من تقديم معمول الخبر على ليس. وتقديم ذلك مبني على جواز تقديم الخبر الذي لليس عليها. وهو مختلف فيه، ولم يُسمع من العرب: قائماً ليس زيد.

---

(١) ق: فقال.

(٢) الكشاف ٤: ٥١.

(٣) ق: بما.

(٤) ق: كنت وكنت.

(٥) ق: شد.

وليس إنما تدلّ على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط، فهي كما، لكنه لما اتّصلت بها ضمائر الرفع جعلها ناسٌ فعلاً، وهي في الحقيقة حرف نفي كما النافية. ويظهر من تمثيل الزمخشري إذا بقوله: يوم الجمعة، أنه سلبها الدلالة على الشرط الذي [٥٣٢/أ] هو غالب فيها.

ولو كانت شرطاً وكان الجواب الجملة المصدّرة بليس لزمت الفاء إلا إن حذفت في شعر إذ[1] ورد ذلك فتقول إذا أحسن إليك زيد فلست تترك مكافأته، ولا يجوز: لست بغير فاء إلاّ إن اضطر إلى ذلك.

وأما تقديره: إذا وقعت كان كيت وكيت، فيدلّ على أنّ إذا عنده شرطية، ولذلك قدّر لها جواباً عاملاً فيها. وأما قوله: أو بإضمار اذكر، فإنه سلبها الظرفية وجعلها مفعولاً بها منصوبة باذكر.

و﴿ كَاذِبَةٌ ﴾ ظاهره أنه اسم فاعل من كذب، وهو صفة لمحذوف، فقدّره الزمخشري[2]: نفس كاذبة. والذي يظهر أنها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه.

وقرىء: خافضة رافعة، برفعهما على تقدير هي. ونصبهما على الحال.

﴿ إِذَا رُجَّتِ ﴾ قال ابن عباس[3]: [زلزلت] وحُرّكت بعنف.

﴿ وَبُسَّتِ ﴾ فُتّتت. [و«إذا رجت» بدل من «إذا وقعت». وجواب الشرط عندي ملفوظ به وهو قوله «فأصحاب الميمنة»] والمعنى: إذا كان كذا وكذا

---

(١) ق: إن.

(٢) انظر الكشاف ٤: ٥١.

(٣) ق: ابن عبد السلام.

فأصحاب الميمنة ما أسعدهم وما أعظم ما يُجازَوْن به، أي: أن سعادتهم وعظم رتبتهم عند الله تعالى يظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم.

وقال الزمخشري[١]: ويجوز أن ينتصب بـ«خافضة رافعة» أي: تخفض وترفع وقت رجّ الأرض وبسّ الجبال، لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض انتهى. ولا يجوز أن ينتصب بهما معاً بل بأحدهما، لأنه لا يجتمع مؤثران على أثر واحد.

وقال ابن جني وأبو الفضل الرازي[٢]: «إذا رجّت» في موضع رفع على أنه خبر للمبتدأ الذي هو «إذا وقعت» وليست واحدة منهما شرطية بل جعلت بمعنى وقت، وما بعد إذا أحوال ثلاثة. والمعنى: وقتُ وقوع الواقعة صادقةَ الوقوع خافضةَ قومٍ رافعةً آخرين وقتُ رجِّ الأرض.

وهكذا ادّعى ابن مالك أنّ إذا تكون مبتدأ واستدلّ بهذا. وقد ذكرنا في شرح التسهيل ما تبقى به إذا على مدلولها من الشرط.

﴿ وَكُنتُمْ ﴾ خطاب للعالم. ﴿ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافاً ثلاثة. وهذه رتب الناس يوم القيامة.

﴿ فَأَصْحَٰبُ ﴾ مبتدأ. و«ما» مبتدأ ثانٍ، استفهام في معنى التعظيم. و﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ خبر عن «ما»، و[«ما»] وما بعدها خبر عن «أصحاب». وربط الجملة هنا بالمبتدأ تكرار المبتدأ بلفظه، وأكثر ما يكون ذلك في

---

(١) الكشاف ٤ : ٥٢.

(٢) انظر تفسير الرازي ٢٩: ١٤٣.

موضع التهويل والتعظيم. وإعراب ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ كذلك.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ في أعمال الخيرات ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الجنّة. والجملة مبتدأ وخبر. ويجوز أن يكون «السابقون» توكيداً للأول، ويكون خبر المبتدأ الجملة التي هي اسم الإشارة وما بعدها وهو قوله «أولئك المقرّبون».

والثّلة: الجماعة قلّت أو كثرت، والمراد بها في الآية الجماعة الكثيرة لمقابلتها في [٥٣٢/ب] قوله «وقليل من الآخرين». وارتفع «ثلة» على إضمار: هم. وفي الحديث[١] «الفرقتان في أمّتي فسابق في أول الأمة ثلّة، وسابق سائرها إلى يوم القيامة قليل».

﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ الموضونة: المنسوجة بتركيب بعض أجزائها على بعض كحلق الدّرع. وقال عكرمة: مشبكة بالدّر والياقوت.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾ أي: على السّرر. و«متكئين» حال من الضمير المستكن في «على سرر». «متقابلين» ينظر بعضهم إلى بعض، وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء بواطنهم.

﴿وِلْدَٰنٌ﴾ صغار الخدم. ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ وُصفوا بالخُلْد وهو البقاء على حالهم من الصّغر لا يكبرون. وقيل: مقرّطون بالخلدات وهي ضروب من الأقراط.

﴿مَّعِينٍ﴾ قال ابن عباس: من خمر سائلة جارية مَعينة.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا يفرغ خمرهم، مِن نَزَف البئر: استفرغ ماءها.

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٧: ١١٠ من حديث ابن عباس بألفاظ أخر. وانظر الفتح الرباني ١٨: ٢٩٤.

وقرىء: وحور، بالرفع على تقدير: ولهم حور. وبالجرّ عطفاً على المجرورات قبله، والمعنى أن الولدان يطوفون عليهم بالحور العين.

ووصف اللؤلؤ بالمكنون، لأنه أصفى وأبعد من التغيّر. وفي الحديث[1] «صفاؤهنّ كصفاء الدّر الذي لا تمسّه الأيدي».

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ روي أن المنازل تقسم[2] في الجنة على قدر الأعمال. ونفس دخول الجنة [هو بفضل الله ورحمته لا بعمل عامل؛ وفي النص الصحيح الصريح[3]: لا يدخل أحد الجنّة] بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني منه بفضل ورحمة.

اللغو: سقط القول وفحشه. والتّأثيم: ما يؤثم به، أي: لا يؤثم فيها أحد.

والظاهر أنّ ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ استثناء منقطع لأنه لم يندرج في اللغو ولا التأثيم.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

---

(١) رواه ابن جرير ٢٧: ١٠٢ من حديث أم سلمة.

(٢) ق: والقسم.

(٣) أخرجه البخاري ٥: ٢١٤٧ من حديث أبي هريرة.

﴿فِي سِدْرٍ﴾ في الجنّة شجر على خلقة [السّدر] له ثمر كقِلال هجر[1]، طيب الطعم والرّيح. ﴿مَخْضُودٍ﴾ عارٍ من الشوك.

﴿وَطَلْحٍ﴾ قال مجاهد: هو الموز. والمنضود: الذي نضد[2] من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق تظهر.

﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ أي: منبسط لا يتقلّص ولا ينسخه شيء.

﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ جارٍ في غير أخاديد.

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي: هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفاكهة الدنيا. ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا يُمنع من تناولها بوجه ولا يُحظر عليها كالتي في الدنيا.

﴿وَفُرُشٍ﴾ جمع فراش. ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ نُضّدت[3] حتى ارتفعت، أو رُفعت على الأسرّة. والظاهر أن الفراش هو ما يُفترش للجلوس عليه والنوم.

والضمير في ﴿أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ عائد على الفرش في قول أبي عبيدة؛ إذ هنّ النساء عنده. وعلى ما دلّ عليه الفرش، إذا كان المراد بالفرش ظاهر ما يدلّ عليه من الملابس التي تفترش، ويضطجع عليها. أي: ابتدأنا خلقهنّ ابتداءً جديداً [٥٣٣/أ] من غير ولادة. والظاهر أن الإنشاء هو الاختراع الذي [لم] يُسبق بخَلْق [مثله]، ويكون ذلك مخصوصاً بالحور اللاتي لسن من نسل آدم عليه السلام.

---

(١) القُلّة: إناء للعرب، وقلال هجر شبيهة بالحِباب (الخوابي).

(٢) ق: تعبد.

(٣) ق: نضت.

﴿أَبْكَارًا﴾ قيل: دائمات البكارة كلما وُطئن وُجدن أبكاراً.

والعَروب: قال ابن عباس: المتحبّبة إلى زوجها. ﴿أَتْرَابًا﴾ في الشكل والقدّ والسنّ.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: من الأمم الماضية. ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: من أمّة محمد صلى الله ﷺ. ولا تنافي بين قوله «وثلة من الآخرين» وقوله قبلُ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة]؛ لأن قوله «[وقليل] من الآخرين» هو في السابقين، وقوله «وثلّة من الآخرين» هو في أصحاب اليمين.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ في هذا الاستفهام تعظيم مصابهم.

﴿فِى سَمُومٍ﴾ في أشدّ حرّ. ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء شديد السخونة. ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ اليحمومُ: الأسودُ البهيم. ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ صفتان للظلّ نُفيتا[1] سُمّي ظلاًّ وإن كان ليس كالظّلال، ونُفيَ عنه بردُ الظلّ ونفعه لمن يأوي إليه. «ولا كريم» تتميم لنفي[2] صفة المدح فيه، وتمحيق لما يُتوهّم في الظّل من الاسترواح إليه عند شدة الحرّ، أو نفي لكرامة من يستروح إليه.

---

(١) ق: يفيتا.

(٢) ق: تتميم لصفة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ خطاب لكفار قريش. ﴿أَيُّهَا الضَّالُّونَ﴾ عن الهدى ﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾ للبعث.

﴿لَآكِلُونَ﴾ «من» الأولى لابتداء الغاية أو للتبعيض. والثانية إن كان «من زقوم» بدلاً فـ«مِن» تحتمل الوجهين. وإن لم تكن بدلاً فهي لبيان الجنس؛ أي: من شجر الذي هو زقوم.

﴿فَمَالِئُونَ﴾ الضمير في «منها» عائد على «شجر» إذ هو اسم جنس يؤنث ويذكّر.

﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ ذُكّر على لفظ الشجر، كما أُنّث على المعنى في «منها».

﴿الْهِيمِ﴾ جمع أهيم وهيماء. والهيام داء معطش يصيب الإبل، تشرب حتى تموت، أو تسقم سقماً شديداً. ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ حضٌّ على التصديق؛ أشار إلى النشأة الأولى وهي خلقهم ثم قال: فلولا تصدّقون بالإعادة وتقرّون بها كما أقررتم بالنشأة الأولى.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ هو من المنّي الذي يخرج من الإنسان؛ إذ ليس له في

خلقه عمل ولا إرادة ولا قدرة. ومفعول «أرأيتم» هو ما يليه، والثاني جملة الاستفهام بعده. و«أم» معادلة للهمزة، وكأنّ ما جاء من الخبر بعد «نحن» جيء به على سبيل التوكيد؛ إذ لو قال «أم نحن» لوقع الاكتفاء به دون ذكر الخبر. ونظير ذلك جواب من قال: من في الدار؟ زيد في الدار أو زيد فيها. ولو اقتصر في الجواب على: زيد، لاكتُفي به.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ أي: قضينا وأثبتنا أو رتّبنا في التقدّم والتأخر، فليس موت العالم دفعة واحدة بل بترتيب[1] لا يُتعدى. ﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾ يقال [٥٣٣/ب] سبقتُه على الشيء: أعجزتُه عنه وغلبته عليه.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصفات، اي: نحن قادرون على أن نعدمكم وننشىء أمثالكم، وعلى تغيير أوصافكم ممّا لا يحيط به فكركم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ أنه هو الذي أنشأكم اوّلاً إنساناً إنساناً، وأنه خلق آدم عليه السلام من طين، ولا ينكرها أحد من ولده. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ حضٌّ على التذكّر المؤدي إلى الإيمان والإقرار بالنشأة[2] الآخرة.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ما تُذْرونه وتبذرونه[3] في الأرض.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥ﴾ أي: زرعاً يتمّ وينبت حتى ينتفع به.

والحطام: اليابس المفتّت الذي لم يكن له حبّ ينتفع به. ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أصله فظللتم، حذفت عين الكلمة. و﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه تعجبون.

---

(١) ق: بترتب.

(٢) ق: النشأة.

(٣) تثيرونه وتذبرونه. وأذرى الحبّ: ألقاه في الأرض للزّرع.

﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: معذّبون، من الغرام الذي هو أشدّ العذاب.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: محدودون لا حظّ لنا في الخير.

﴿الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ هذا الوصف يغني عن وصفه بالعذب، ألا ترى مقابله وهو الأجاج؟. ودخلت اللام في ﴿لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ وسقطت في قوله ﴿جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا[1]﴾ وكلاهما فصيح.

والظاهر أنّ قوله ﴿شَجَرَتَهَا﴾ المراد منه الشجر الذي يُقدح منه النار[2]، كما قال تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس].

﴿تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم. ﴿وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي: النازلين الأرض القواء وهي القفر. وقدّم من فوائد النار ما هو أهمّ وآكد من تذكيرها بنار جهنم، ثم أتبعه بفائدتها في الدنيا. وهذه الأربعة التي ذكرها تعالى ووقفهم[3] عليها - من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب والنار - من أعظم الدلائل على البعث؛ إذ فيها انتقال من شيء إلى شيء وإحداث شيء من شيء. ولذلك أمر في آخرها بتنزيهه تعالى عما يقول الكافرون. ووصف تعالى نفسه بـ«العظيم» إذ مَن هذه أفعاله تدلّ على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والإنشاء.

﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ

(١) ق: أجاج.

(٢) ق: يقع منه النهار.

(٣) ق: وقفهم.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ الآية، قرأ الجمهور: فلا أقسم. فقيل: «لا» زائدة مؤكدة مثلها في قوله ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد] والمعنى: فأقسم. وقيل: المنفي محذوف أي: فلا صحة لما يقول الكفار، ثم ابتدأ: أقسم بمواقع النجوم. قال ابن عباس: هي نجوم القرآن التي أنزلت على الرسول عليه السلام. ويؤيد هذا القول قوله «إنه لقرآن» فعاد الضمير على ما يُفهم من قوله «بمواقع النجوم» أي نجوم القرآن.

وفي إقسامه تعالى بمواقع النجوم سرٌّ في تعظيم ذلك لا نعلمه نحن. وقد أعظم ذلك تعالى فقال ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. والجملة المقسم [٥٣٤/أ] عليها قوله ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾. وفصل بين القسم وجوابه، فالظاهر أنه اعتراض بينهما وفيه اعتراض بين الصفة والموصوف بقوله «لو تعلمون». و«كريم» وصف مدرج ينفي عنه ما لا يليق.

والظاهر أن قوله ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ صفة لـ«قرآن كريم». فالمطهّرون هم الملائكة. [وقيل ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ صفة لـ«كتاب مكنون». فإن كان الكتاب الذي هو في السماء فالمطهّرون هم الملائكة] أيضاً، أي: لا يطّلع عليه من سواهم.

والإشارة في ﴿أَفَبِهَٰذَا﴾ للقرآن. و﴿أَنتُم﴾ خطاب للكفّار. ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ قال ابن عباس: مهاودون فيما لا يحلّ.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكر ما رزقكم الله تعالى من إنزال القرآن عليكم تكذيبكم به، أي: تضعون مكان الشكر التكذيب.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ ترتيب الآية: فلولا ترجعونها[1] إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين. و﴿فَلَوْلَآ﴾ الثانية مكررة للتوكيد. والضمير في ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ للنفس.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المتوفّى. ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون.

﴿فَرَوْحٌ﴾ وهو الراحة والرحمة. والريحان: الرزق.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلّمون عليك.

﴿فَنُزُلٌ﴾ النُزُلُ: ما يُعدّ للضيف. والفاء في المواضع الثلاثة جواب لأمّا. وأغنى عن جواب الشرط الذي هو «إنْ». وإذا[2] اجتمع شرطان فالجواب للأول ويغني عن جواب الثاني.

ولمّا انقضى الإخبار بتقسيم أحوالهم وما آل إليه كل قسم منهم، أكّد ذلك بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: إنّ هذا الخبر المذكور في هذه السورة. ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ فقيل هو من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول: هذا يقين اليقين وصواب الصواب، بمعنى أنه نهاية في ذلك، فهما بمعنى واحد

---

(١) ق: ترجعوا بها.

(٢) ق: إذا.

أضيف على سبيل المبالغة.

ولمّا تقدّم ذكر الأقسام الثلاثة مسهباً الكلام فيهم، أمره تعالى بتنزيهه عمّا لا يليق به من الصفات. ولمّا أعاد التقسيم موجزاً[1] الكلام فيه، أمره أيضاً بتنزيهه وتسبيحه والإقبال على عبادة ربّه، والإعراض عن أقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء. ويظهر أن «سبّح» يتعدى بنفسه تارة كقوله «فسبح باسم ربك» ﴿وَتُسَبِّحُوهُ ﴿٩﴾﴾ [الفتح] وتارة بحرف الجر كقوله «فسبح باسم ربك». و﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ يجوز أن يكون صفة لـ «اسم» ويجوز أن يكون صفة لـ «ربك».

(١) ق: مؤخراً.

سورة الحديد(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ هذه السورة [٥٣٤/ب] مدنية بإجماع المفسّرين، قاله النقاش. وقال غيره كالزمخشري(٢): هي مكية. ومناسبتها لآخر ما قبلها واضحة، لأنه تعالى أمر بالتسبيح ثم أخبر أن التسبيح المأمور به قد فعله والتزمه كلّ من في السماوات والأرض. وأتى ﴿سَبَّحَ﴾ بلفظ الماضي و﴿يُسَبِّحُ ۝١﴾ [الجمعة] بلفظ المضارع، وكلّه يدلّ على الديمومة والاستمرار.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ

---

(١) مدنية وهي تسع وعشرون آية.

(٢) ليس في تفسيره.

﴿وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ[1]﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى تسبيح العالم له، وما احتوى عليه من الملك والتصرّف، وما وصف به نفسه من الصفات العلا، وختمها بالعلم بخفيّات الصدور - أمر تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الإيمان وإدامته والنفقة في سبيل الله تعالى. قال الضحّاك: نزلت في غزوة العسرة غزوة تبوك.

﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي: ليست لكم بالحقيقة، وإنما انتقلت إليكم من غيركم وكما وصلت تتركونها[2] لغيركم. وفيه تزهيد فيما بيد الإنسان، إذ مصيره إلى غيره، وليس له منه إلا ما في الحديث[3] «يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أولبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ استفهام على سبيل التأنيب[4] والإنكار. وهو مبتدأ، و«لكم»

---

(١) ق: ورسله.

(٢) ق: تتركوها.

(٣) أخرجه أحمد ٤: ٢٤ من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه.

(٤) ق: التأنيث.

الخبر. ﴿لَا تُؤۡمِنُونَ﴾ جملة حالية. والواو في «والرسول» واو الحال، [وفي] «وقد أخذ» واو الحال. وقرىء: أخذ، مبنياً للفاعل والمفعول. والمعنى أنّ من اتّصف بهذه الأحوال يجب أن يؤمن ويديم الإيمان. والميثاق الذي أخذ: قيل إنه أخذه الله تعالى حين[1] استخرج من ظهر آدم عليه السلام ذرّيته، وأشهدهم على أنفسهم. وجواب ﴿إِن كُنتُم﴾ محذوف أي: فدوموا على الإيمان.

﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ﴾ استفهام ثانٍ على معنى الإنكار. و«أن لا تنفقوا» مصدر على إسقاط حرف الجر تقديره: في عدم الإنفاق. والواو في «ولله» واو الحال. ومقابل قوله ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ﴾ محذوف يدلّ عليه ما بعده تقديره: ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل. ثم أثنى على من فعل ذلك قبل الفتح ثم قال ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: كلًّا من المنفقين. وهو منصوب على أنه مفعول أول بقوله «وعد». و«الحسنى» مفعول ثانٍ وهي قراءة الجمهور بالنصب. وقرأ ابن عامر: وكلٌّ، بالرفع على أنه مبتدأ وخبره الجملة بعده، حذف منه المفعول وهو الضمير العائد على «كل» تقديره: وعده[2] الله. ونظير ذلك قول الشاعر[3]: [من السريع]

وخـالـدٌ يَحْمَـدُ سـاداتُنـا بالحقِّ لا يَحْمَدُ بالباطلِ

تقديره: يحمده ساداتنا. فحذف الضمير العائد على المبتدأ.

---

(١) ق: حتى.

(٢) ق: وعد.

(٣) البيت من شواهد مغني اللبيب ٢: ٦١١ غير منسوب. وهو في شرح أبيات المغني ٧: ٢٨٠ منسوب للأسود بن يعفر.

والظاهر أنّ قوله ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ هو زيادة على التضعيف المترتّب على القرض [٥٣٥/أ] أي: وله مع التضعيف أجر[1] كريم.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية، العامل في «يوم» ما عمل في «له» التقدير: ومستقرّ له[2] أجر كريم يوم ترى. أو اذكر يوم ترى، إعظاماً لذلك اليوم. والرؤية هنا رؤية العين، والنور حقيقة. والظاهر أن النّور يتقدّم لهم بين أيديهم، ويكون أيضاً بأيمانهم، فيظهر أنهما نوران: نور ساعٍ بين أيديهم، ونور بأيمانهم، فلذلك تضيء الجهة التي يؤمّونها. وهذا يضيء ما حواليهم من الجهات.

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ جملة معمولة لقول محذوف تقديره: تقول لهم الملائكة الذين يتلقّونهم. ﴿جَنَّٰتٌ﴾ أي: دخول جنات.

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾. وقيل معمولة لاذكر.

---

(١) ق: أجري.

(٢) ق: لهم، في الموضعين. وتصحّ الجملة بإعادة الضمير على معنى «مَن» في الآية السابقة.

قال ابن عطية: ويظهر لي أن العامل فيه «ذلك هو الفوز العظيم». ويجيء معنى الفوز أفخم كأنه يقول: إن المؤمنين يفوزون بالرحمة يوم يعتري المنافقين كذا وكذا، لأن ظهور المرء يوم خمول عدوّه ومضادّه أبدع وأفخم انتهى.

وظاهر كلامه وتقديره أن «يوم» منصوب بالفوز، وهو لا يجوز لأنه مصدر قد وصف قبل أخذ متعلّقاته، فلا يجوز إعماله. فلو أعمل وصفه وهو «العظيم» لجاز، أي: الفوز الذي عظم، أي: قَدْره يوم يقول انظرونا، أي: انتظرونا. لأنهم لمّا سبقوهم إلى المرور على الصراط، وقد طفئت أنوارهم، قالوا[1] ذلك. وقرىء: أنْظِرونا، من أنظر، رباعياً، أي: أخّرونا أي: اجعلونا في آخركم ولا تسبقونا. وقرىء: أنْظُرونا، أمرٌ من نظر بمعنى انتظر. قال امرؤ القيس[2]: [من الطويل]

وإنكمـا إن تَنْظُـرانـيَ سـاعـةً   من الدهر تنفَعْني لدى أمّ جُندبِ

﴿نَقۡتَبِسۡ﴾ جواب للأمر، أي: نُصِبْ منه حتى نستضيء به. يقال: اقتبس الرجل واستقبس: أخذ من نار غيره قبساً. ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ القائل المؤمنون أو الملائكة. «وراءكم» منصوب بـ«ارجعوا». و«ارجعوا» أمر توبيخ وطرد، أي: ارجعوا إلى الموقف حيث أُعطينا النور. وثَمّ محذوف تقديره: فرجعوا والتمسوا. ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم﴾ أي: بين المؤمنين والمنافقين. ﴿بِسُورٖ﴾ أي: بحاجز. والظاهر في ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ أن يعود الضمير منه على الباب لقربه، وقيل: على السور، و«باطنه» الشق الذي لأهل الجنّة، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ ما بدا

---

(١) ق: فقالوا.

(٢) ق: امرىء. والبيت في ديوانه ص٤١.

منه. ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ أي: من جهته العذاب.

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ استئناف إخبار. ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: في الظاهر. ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أي: كنتم معنا في الظاهر. ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ﴾ أي: عرّضتم أنفسكم للفتنة بنفاقكم. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: بإيمانكم حتى وافيتم على الكفر. ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في أمر الدين. [٥٣٥/ب] ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ وهي الأطماع. ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت على النفاق. و﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، كثر المزاح في شباب الصحابة فنزلت[1]. «يأن» مضارع أنَى كرمى يرمي. ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: هم معاصرو موسى عليه السلام من بني إسرائيل. حُذّر المؤمنون أن يكونوا مثلهم في قساوة القلوب، إذ كانوا إذا سمعوا التوراة،

(١) انظر أسباب النزول ص٢٧٢، ولباب النقول ص٢٠٤.

رقّوا وخشعوا. ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: انتظار الفتح أو انتظار القيامة. و«الأمد» الغاية من الزّمن. ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: صلبت بحيث لا تنفعل للطاعات والخير.

﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ يظهر أنه تمثيل للين القلوب بعد قسوتها ولتأثير ذكر الله تعالى فيها كما يؤثر الغيث في الأرض، فتعود بعد إجدابها مخصبة، كذلك[1] تعود القلوب النافرة مقبلة، يظهر فيها أثر الطاعات والخشوع.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: علام عطف قوله «وأقرضوا»؟. قلت: على معنى الفعل من «المصدّقين» لأن اللام بمعنى الذين، واسم الفاعل بمعنى اصّدقوا [، كأنه قيل: إن الذين اصّدقوا] وأقرضوا انتهى.

واتّبع في ذلك أبا علي الفارسي. ولا يصحّ أن يكون معطوفاً على «المصدّقين» لأن المعطوف على الصلة صلة، وقد فصل بينهما بمعطوف وهو قوله «والمصدقات» ولا يصحّ أيضاً أن يكون معطوفاً على صلة أل في «المصّدقات»[3] لا ختلاف الضمائر؛ [إذ] ضمير «المصّدقات» مؤنث، وضمير «وأقرضوا» مذكّر. فيتخرج هذا على حذف الموصول لدلالة ما قبله عليه، كأنه قيل: والذين أقرضوا، فيكون مثل قول الشاعر[4]: [من الوافر]

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمــدحُــه وينصــرُه ســواءُ

يريد: ومن يمدحه.

---

(١) ق: لذلك.

(٢) الكشاف ٤: ٦٤.

(٣) ق: المتصدقات.

(٤) البيت لحسّان في ديوانه ص٦٤.

﴿كَمَثَلِ﴾ في موضع رفع صفة لما تقدّم. وصورة المثال أن الإنسان ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك، فيشبّ ويقوي ويكسب المال والولد، ويغشاه الناس، ثم يأخذ بعد ذلك في انحطاط، فيشف ويضعف ويسقم، وتصيبه النوائب في ماله وذريته، ويموت ويضمحلّ أمره، ويصير ماله لغيره، فأمره مثل مطر، أصاب أرضاً، فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب أنيق، ثم هاج واصفرّ، ثم تحطّم، ثم تفرّق بالرياح، واضمحلّ[1].

قيل ﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ الزّراع، مِن كفر الحبّ: أي: ستره في الأرض. وخُصّوا بالذكر لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة، فلا يعجبهم إلا المعجب حقيقة. وقيل: من الكفر بالله لأنهم من أشد [الناس] تعظيماً للدنيا وإعجاباً بمحاسنها. وحُطام: بناء مبالغة كعُجاب. وقرىء: مصفاراً. ولمّا ذكر ما يؤول إليه [٥٣٦/أ] أمر الدنيا من الفناء، ذكر ما هو ثابت دائم من أمر الآخرة من العذاب الشديد، ومن رضاه الذي هو سبب النعيم.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ

(١) ما سبق من شرح الآية من كلام ابن عطية، انظر البحر ٨: ٢٢٤.

بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى ما في الآخرة من المغفرة، أمر بالمسابقة إليها. والمعنى: سابقوا إلى سبب مغفرة، وهو الإيمان وعمل الطاعات. ﴿عَرْضُهَا﴾ أي: مساحتها في السّعة. والعرض خلاف الطول. فإذا وصف العرض بالبسطة عُرف أن الطول أبسط وأمدّ. ﴿أُعِدَّتْ﴾ يدلّ على أنها مخلوقة، وتكرر ذلك في القرآن. ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ عطاؤه. ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنون.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ أيّ مصيبة. وذكّر فعلها، وهو جائز التذكير والتأنيث. ومن التأنيث. ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴿٥﴾﴾ [الحجر]. ولفظة «مصيبة» تدلّ على الشّر لأن عُرْفَها[1] ذلك، وخصّها بالذكر لأنها أهمّ على البشر. والمصيبة في الأرض مثل القحط والزلزلة وعاهة الزّرع، وفي الأنفس الأسقام والموت. ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، أي: مكتوبة فيه. ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي: نخلقها، برأ: خلق[2]. والضمير في «نبرأها» الظاهر أنه يعود على المصيبة لأنّها هي المحدَّث عنها. وذِكْر[3] الأرض والأنفس هو على سبيل ذكر محلّ المصيبة. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل وإن كان عسيراً على العباد.

ثم ذكر تعالى الحكمة في إعلامنا بذلك الذي فعله، من تقدير ذلك، وسَبْق قضائه بذلك، فقال ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ﴾ أي: تحزنوا على ما فاتكم. لأن

---

(١) فوقها في ق: كذا.

(٢) ق: أي نخلقها ولا خلق. وفوقها: كذا.

(٣) ق: وكر.

العبد إذا علم ذلك، سلّم وعلم أنّ ما فاته، لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه. فلذلك لا يحزن على فائت، لأنه ليس بصدد أن يناله. ويظهر أن المراد بقوله «لكيلا» أن يلحق الحزن الشديد على ما فات من الخير، فيحدث عنه السّخط وعدم الرّضا بالمقدور. ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟﴾ الفرح المؤدي إلى البطر المنهيّ عنه في قوله ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص]. فإن الحزن قد ينشأ عنه السّخط، والفرح قد ينشأ عنه البطر، ولذلك ختم بقوله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فالفرح بما[1] ناله من حطام الدّنيا يَلْحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتّكبر على الناس، فمثل هذا هو المنهي عنه. وأما الحزن على ما فات من طاعة الله تعالى والفرح بنعم الله والشكر عليها والتواضع، فهو مندوب إليه.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من «كل مختال» أو على إضمار: هم، أو إضمار: أذمّ. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عمّا أمر الله به.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالحجج والمعجزات. ﴿مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ «الكتاب» اسم جنس. و«معهم» حال مقدّرة، أي: وأنزلنا الكتاب صائراً معهم.

﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ [٥٣٦/ب] قال ابن عباس: يترتّب على معنى الآية بأن الله تعالى أخبر بأنه أرسل رسلاً، وأنزل كتباً وعدلاً مشروعاً وسلاحاً يحارب بها[2] من عاند، ولم يهتد بهدي الله تعالى، فلم يَبْقَ عذر. وفي الآية على هذا التأويل حضٌّ على القتال.

---

(١) ق: ما.

(٢) السلاح مذكر ويجوز تأنيثه، انظر الصحاح: سلح.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى إرسال الرّسل جملةً، أفرد منهم في هذه الآية نوحاً وإبراهيم تشريفاً لهما بالذكر. والظاهر أن الضمير في «منهم» عائد على الذرّية.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا ﴾ أي: أتبعنا وجعلناهم يقْفُون من تقدّم. ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ﴾ أي: آثار الذّرية. ﴿ بِرُسُلِنَا ﴾ وهم الرسل الذين جاؤوا بعد الذّرية. ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ﴾ ذكره تشريفاً له ولانتشار أمته[1]. ونسبه لأمّه على العادة في الإخبار عنه. ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾ يحتمل أن يكون المعنى: وخلقنا، ويحتمل أن يكون بمعنى صيّرنا، فيكون «في قلوب» في موضع المفعول الثاني لـ«جعلنا». ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ معطوف على ما قبله فهي داخلة في الجَعْل. ﴿ ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ جملة في موضع الصفة لـ«رهبانيّة».

---

(١) فوقها في ق: كذا.

وخُصّت[1] الرهبانية بالابتداع لأن الرأفة والرحمة في القلب لا تَكَسُّبَ للإنسان فيها، بخلاف الرهبانية فإنها أفعال بدنٍ مع شيء في القلب، ففيها موضع للتكسّب.

وجعل أبو علي الفارسي «ورهبانية» منقطعة من العطف على ما قبلها من «رأفة ورحمة» فانتصب عنده[2] «ورهبانية» على إضمار فعل يفسّره ما بعده، فهو من باب الاشتغال، أي: وابتدعوا[3] رهبانية ابتدعوها.

وتبعه الزمخشري فقال [4]: وانتصابها بفعل مضمر يفسّره الظاهر وتقديره: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، يعني وأحدثوها من عند أنفسهم انتهى.

وهذا إعراب المعتزلة، وكان أبو علي الفارسي معتزلياً. وهم يقولون: ما كان مخلوقاً لله تعالى لا يكون مخلوقاً للعبد؛ فالرأفة والرحمة من خلق الله تعالى، والرهبانية من ابتداع الإنسان فهي مخلوقة له.

وهذا الإعراب الذي لهم ليس بجيّد من جهة صناعة العربية، لأن مثل هذا هو مما لا يجوز فيه الرفع بالابتداء. ولا يجوز الابتداء هنا بقوله «ورهبانيّة» لأنها نكرة لا مسوّغ لها من المسوغات للابتداء بالنكرة.

والظاهر أن ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناء متصل ممّا هو مفعول من أجله، وصار المعنى أنه كتبها تعالى عليهم ابتغاء مرضاته. والضمير في «رعوها» عائد على ما عاد عليه في «ابتدعوها» وهو ضمير «الذين اتّبعوه»،

---

(١) ق: وحصب.

(٢) ق: بعده.

(٣) ق: وابتدعوها.

(٤) الكشاف ٤: ٦٧.

أي: لم يرعوها كما يجب على الناذر رعاية نذره، لأنه عهد مع الله تعالى لا يحلّ نكثه[1]. ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهم أهل الرأفة والرحمة الذين اتّبعوا عيسى عليه السلام. ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ وهم الذين [٥٣٧/أ] لم يحافظوا على نذورهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نداء لمن آمن من أمة محمد عليه السلام. فمعنى «آمِنوا» دوموا واثبتوا. ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ﴾ أي: نصيبين في إيمانه بنبيّه وإيمانه[2] بمحمد ﷺ، كما قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴿٥٤﴾﴾ [القصص].

﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ «لا» زائدة، و«أن» واجبة الذّكر وإن كانت ناصبة للفعل كراهة اجتماع لام الجر ولا الزائدة. وتتعلّق اللام بـ«يؤتكم»، أو على إضمار فعل تقديره: فعلنا ذلك، أي: إيتاء الكفلين وجَعْل النور والغفران. والمعنى أن هذا كله من فضل الله تعالى، وأن المؤتون ذلك لا يقدرون على ذلك، بل ذلك كلّه من فضل الله تعالى. و﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ كناية عن القدرة عن ما[3] يؤتيه من الفضل لمن يشاء.

(١) ق: ثلثه.

(٢) ق: وإيمان.

(٣) ق: عن القدرة عن فضل الله يؤتيه.

سورة المجادلة(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية وقيل غير ذلك. و«التي تجادلك» خولة بنت ثعلبة وقيل غير ذلك. وأكثر الرواة على أن الزوج في هذه النازلة أوس بن الصامت أخو عبادة، ظاهر من أمرأته. قال أبو قلابة وغيره: كان الظّهار في الجاهلية يوجب عندهم فُرقةً مؤبّدة. ولمّا ظاهر أوس من أمرأته قالت زوجته: يا رسول الله: أكل أوس شبابي ونثرتُ له بطني، فلما كبرتُ ومات أهلي ظاهر منّي فقال لها: ما أراك إلا قد حرمتِ عليه. فقالت: يا رسول الله لا تفعل فإني وحيدة ليس لي أهل سواه. فراجعها بمثل مقالته، فراجعَتْه. فهذا هو جدالها. وكانت تقول في

(1) مدنية وهي اثنتان وعشرون آية.

خلال ذلك: اللهم إنّ لي منه صبيةً صغاراً إن ضممتُهم إليه[١] ضاعوا وإن ضممتهم إليّ[٢] جاعوا. فهذا هو اشتكاؤها إلى الله تعالى. فنزل[٣] الوحي عند جدالها. قالت عائشة: سبحان من وسع سمعه الأصوات! كان بعض كلام خولة يخفى عليّ، وسمع الله جدالها. فبعث رسول الله ﷺ خلف أوس[٤] وعرض عليه كفّارة الظهار: العتق. فقال: ما أملك. والصوم، قال: ما أقدر. والإطعام، فقال: لا أجد إلّا أن تعينني. فأعانه عليه السلام بخمسة عشر صاعاً[٥] ودعا له، فكفّر بالإطعام وأمسك أهله. وكان عمر يكرم خولة إذا دخلت عليه ويقول: قد سمع الله لها. والظّهار قول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمّي، يريد: في التحريم.

وقوله ﴿مِنكُم﴾ إشارة إلى توبيخ العرب وتهجين عاداتهم في الظهار، لانه كان من أيمان [٥٣٧/ب] أهل الجاهلية خاصة دون سائر الأمم. والظاهر أن قوله ﴿مِّن نِّسَآئِهِم﴾ يشمل المدخول بها وغير المدخول بها من الزوجات، لا من ظاهر منها قبل عقد نكاحها. ﴿مَّا هُنَّ﴾ أجرى «ما» مجرى ليس في رفع الاسم ونصب الخبر [كما] في قوله تعالى ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا ۝٣١﴾ [يوسف] وقوله ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]. وقرأ المفضل عن عاصم: أمهاتُهم، بالرفع على لغة تميم: وابن مسعود: بأمّهاتهم، بزيادة الباء، قال الزمخشري[٦]: في لغة من ينصب انتهى. يعني أنه لا تزاد الباء في لغة

---

(١) ق: إليّ.

(٢) ق: فوقها في ق: كذا.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٧٣، ولباب النقول ص٢٠٦.

(٤) ق: في أوس.

(٥) ق: صاعداً.

(٦) الكشاف ٤: ٧٠.

تميم.

وهذا ليس بشيء، وقد رُدّ ذلك على الزمخشري. وزيادة الباء في مثل: ما زيد بقائم، كثير في لغة تميم. والزمخشري تبع في ذلك أبا علي الفارسي. ولمّا كان معنى: كظهر أمّي أي: كأمّي في التحريم، ولا يُراد[1] خصوصيّة الظهر الذي هو من الجسد، جاء النفي بقوله ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾. ثم أكّد ذلك بقوله ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي: حقيقة ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾. والحق بهنّ في التحريم أمهات الرضاع وأمهات المؤمنين أزواج الرسول عليه السلام. و«إنْ» نافية و«اللائي» أحد جموع التي. وقول المظاهر منكر [من] القول تنكره الحقيقة وينكره الشرع. وزُور: كذب وباطل منحرف عن الحق، وهو محرّم تحريم المكروهات جدّاً، وإذا وقع لزم. وقد رُجّي تعالى بعده بأنه[2] عفوّ غفور مع الكفارة.

والظاهر أن الظهار لا يكون إلا بالأم وحدها؛ فلو قال: أنتِ عليّ كظهر أختي أو ابنتي لم يكن ظهاراً.

والظاهر أن قوله ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أنْ يعودوا لِلَّفْظِ الذي سبق منهم، وهو قول الرجل ثانياً أنت عليّ كظهر أمّي، فلا تلزم الكفارة بالقول الأول، وإنما تلزم بالثاني، وهو قول أهل الظاهر. وروي أيضاً عن بكير بن عبد الله بن الأشجّ وأبي العالية وأبي حنيفة وهو قول الفراء.

قال طاووس وقتادة والزهري والحسن ومالك وجماعة «لما قالوا» للوطء، والمعنى: لما قالوا إنهم لا يعودون إليه. فإذا ظاهر ثم وطىء فحينئذ تلزمه

---

(١) ق: تزاد.

(٢) ق: بعده بأنه. وفي هامش ق: بأنه، كذا في الأصل وفيه نظر.

الكفّارة وإن طلّقت أو ماتت.

وقال أبو حنيفة ومالك أيضاً والشافعي وجماعة: معناه: يعودون لما قالوا بالعزم على الإمساك والوطء، فمتى عزم على ذلك لزمته الكفّارة، طلّق أو ماتت.

قال الشافعي: العَوْد الموجب للكفّارة أن يمسك عن طلاقها بعد الظهار، ويمضي بعده زمان يمكن أن يطلّقها فيه فلا يطلّق.

﴿ وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ضُمّن معنى اسم الشرط، فلذلك دخلت الفاء في خبره.

و«تحرير» خبر مبتدأ محذوف تقديره: فالواجب تحرير رقبة. والظاهر في التّماس الحقيقة، فلا يجوز تماسُّهما بقبلة أو مضاجعة أو غير ذلك من وجوه الاستمتاع، وهو قول مالك وأحد قولي الشافعي. وقال الأكثرون هو [٥٣٨/أ] الوطء، فيجوز له الاستمتاع بغيره قبل التكفير، وهو الصحيح من مذهب الشافعي. والضمير في ﴿ يَتَمَآسَّاۚ﴾ عائد على ما دلّ عليه الكلام من المُظاهِر والمُظاهَر منها. ﴿ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ إشارة إلى التحرير.

﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ أي: الرقبة ولا ثمنها، أو وجدها وثمنها وكان محتاجاً إلى ذلك، فقال أبو حنيفة: يلزمه العتق ولو كان محتاجاً إلى ذلك، ولا ينتقل إلى الصوم وهو الظاهر. وقال الشافعي: ينتقل إلى الصّوم. والظاهر وجوب التّتابع. ﴿فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ أي: الصّوم لزمانةٍ[1] به أو كونه يضعف به ضعفاً شديداً. والظاهر مطلق الإطعام، ويخصّصه ما كانت العادة في الإطعام وقت النزول، وهو ما يُشبع من غير تحديد بِمُدّ. ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ﴾ الإشارة إلى

(١) زمانة: مرض يدوم.

الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام. ثم شدّد تعالى بقوله ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: فالتزموها وقفوا عندها. ثم توعّد الكافرين بهذا الحكم الشرعي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾ نزلت في مشركي قريش أُخزُوا يوم الخندق بالهزيمة كما أُخزي من قاتل الرسل من قبلهم. ولمّا ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادّين المخالفين لها. والمحادّة: المخالفة والمعاداة في الحدود. ﴿كُبِتُوا۟﴾ أي: أُخزوا ولُعنوا. و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ منافقو الأمم. وهي بشارة للمؤمنين بالنصر وعبّر بالماضي لتحقّق وقوعه.

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: على صدق محمد ﷺ وصحة ما جاء به. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: الذين يحادّونه. ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: يهينهم ويذلهم.

والناصب لـ«يوم يبعثهم» العامل في «للكافرين»[١] أو «مهين» أو اذكر، أو يكون على أنه جواب لمن سأل: متى يكون عذاب هؤلاء؟ فقيل له «يوم يبعثهم». أي: يكون يوم يبعثهم. وانتصب «جميعاً» على الحال، أي: مجتمعين في صعيد واحد. ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ تخجيلاً لهم وتوبيخاً.

---

(١) ق: الكافرين.

﴿أَحْصَىٰهُ﴾ بجميع تفاصيله من كميته وكيفيّته وزمانه ومكانه، ونسوه هم[١] لاستحقارهم إياه واعتقادهم أنه لا يقع[٢] عليه حساب. ﴿شَهِيدٌ﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿رَابِعُهُمْ﴾ رابع اسم فاعل، من ربعت القوم. ومعنى رابع ثلاثة: الذي صيّر الثلاثة أربعة، وكذلك ﴿سَادِسُهُمْ﴾. ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الثلاثة والخمسة. والأدنى من الثلاثة الاثنان[٣]، ومن الخمسة الأربعة. ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ يدلّ على ما يلي الستّة فصاعداً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون دون المؤمنين وينظرون إليهم ويتغامزون بأعينهم عليهم، موهمين المؤمنين عن

---

(١) ق: ونسوهم.

(٢) ق: يضع.

(٣) ق: الاثنين.

أقربائهم أنهم أصابهم شرّ، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أقرباؤهم، فلما كثر [٥٣٨/ب] ذلك منهم، شكا المؤمنون إلى الرسول عليه السلام، فأمرهم ألاّ يتناجوا دون المؤمنين، فلم ينتهوا فنزلت[١]، قاله ابن عباس.

﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ كانوا يقولون: السام عليك، وهو الموت. فيردّ عليهم: وعليكم. وتحية الله تعالى لأنبيائه ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ[٢] الَّذِينَ اصْطَفَىٰٓ ۝٥٩﴾ [النمل].

﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: إن كان نبياً فماله لا يدعو علينا حتى نُعذَّب بما نقول؟. فقال تعالى ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾.

ثم نهى المؤمنين أن يكون تناجيهم مثل تناجي الكفّار. وبدأ بالإثم لعمومه، ثم بالعدوان لعظمته في النفوس، إذ هي ظلامات[٣] العباد. ثم ترقّى إلى ما هو أعظم وهو معصية الرسول عليه السلام. وفي هذا طعن على المنافقين إذا كان تناجيهم[٤] في ذلك.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَٰنِ﴾ أي: هو الذي يزيّنها لهم فكأنها منه[٥]. ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كانوا يوهمون المؤمنين أن غُزاتهم غُلبوا. ﴿بِضَآرِّهِمْ﴾ أي: المؤمنين. ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بمشيئته، فيقضي بالقتل والغلبة.

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٧٥، ولباب النقول ص٢٠٦.

(٢) ق: عباد الله.

(٣) ق: ظلمات.

(٤) ق: يناجيهم.

(٥) ق: يرتّبها لهم كأنها منهم.

ولمّا نهى تعالى المؤمنين عمّا هو سبب للتباغض والتنافر، أمرهم بما هو سبب للتوادّ والتقارب فقال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآية.

كانوا يتنافسون في مجلس الرسول عليه السلام. فأُمروا أن يفسح بعضهم لبعض. ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟﴾ أي: انهضوا في المجلس للتفسّح، لأنّ مريد التوسعة على الوارد يرتفع إلى فوق. أمروا أوّلاً بالتفسّح، ثم ثانياً بامتثال الأمر فيه إذا أُمروا.

والظاهر أن قوله ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ معطوف على ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. والعطف مشعر بالتّغاير، وهو من عطف الخاص على العام. وقيل «والذين أوتوا» من عطف الصفات، والمعنى: يرفع الله المؤمنين العلماء درجات، فالوصفان لذات واحدة. وقال ابن مسعود وغيره: تم الكلام عند قوله «منكم». وانتصب «والذين أوتوا العلم» بفعل مضمر تقديره: ويخص الذين أوتوا العلم درجات، فللمؤمنين رفع وللعلماء درجات.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ

فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ استعارة، والمعنى: قبل[١] نجواكم. وعن ابن عباس أنّ قوماً من المؤمنين وأغفالهم[٢] كثرت مناجاتهم للرسول عليه السلام في غير حاجة إلا لتظهر منزلتهم. وكان عليه السلام سمحاً لا يردّ أحداً فنزلت[٣] مشدّدة عليهم أمر المناجاة. وهذا الحكم قيل: نُسخ قبل العمل به. ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ قال علي[٤]: ما عمل به أحد غيري، أردت المناجاة ولي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت عشر مرار أتصدّق[٥] في كل مرة بدرهم [ثم] ظهرت مشقّة ذلك على الناس فنزلت الرخصة في ترك الصدقة.

﴿ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [٥٣٩/أ] الآية، «الذين تولوا» هم المنافقون، والقوم المغضوب عليهم هم اليهود. قال السدّي ومقاتل إنه عليه السلام قال لأصحابه «يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينَيْ شيطان. فدخل عبد الله بن أبيّ بن سلول، وكان أزرق أسمر قصيراً خفيف

---

(١) ق: قيل.

(٢) ق: في أسباب النزول: وأغنيائهم.

(٣) أسباب النزول ص٢٧٦.

(٤) انظر المرجع السابق.

(٥) ق: تصدق.

اللحية. فقال عليه السلام: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل. فقال له: فعلتَ. فجاء بأصحابه فحلفوا بالله تعالى ما سبّوه فنزلت»[١].
والضمير في «ما هم» عائد على «الذين تولوا قوماً» وهم المنافقون أي: ليسوا منكم أيها المؤمنون ولا منهم، أي: وليسوا من الذين تولّوا وهم اليهود. و«ماهم» استئناف إخبار بأنهم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما قال عليه السلام[٢] «مَثَل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمتين» لأنه مع المؤمنين بقوله ومع الكفار بقلبه.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: أحاط بهم من كل جهة وغلب على نفوسهم واستولى عليها. ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ فهم لا يذكرونه لا بقولهم ولا بألسنتهم. و﴿حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ جنده.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ هي أفعل التفضيل أي: في جملة من هو أذلّ خلق الله تعالى لا ترى أحداً أذلّ منهم.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ أي: كتب في اللوح المحفوظ. ﴿وَرُسُلِىٓ﴾ اي: من بعث منهم بالحرب ومن بعث منهم بالحجة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ ينصر حزبه. ﴿عَزِيزٌ﴾ يمنعه من أن يذلّ.

وبدأ [في قوله ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾] أولاً بالأباء لأن الواجب على الأولاد طاعتهم، فنهاهم عن توادّهم، ثم ثنّى بالأبناء، لأنهم أعلق بالقلوب، ثم أتى ثالثاً بالإخوان، لأنهم بهم التعاضد، ثم أتى[٣] رابعاً

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٧٧، ولباب النقول ص٢٠٧.
(٢) أخرجه مسلم ٤: ٢١٤٦ من حديث ابن عمر. والعائرة المترددة.
(٣) ق: ثنى.

بالعشيرة لأنّ بها التناصر وبهم المقاتلة والتغلّب والتسرّع إلى ما دُعوا.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: منه تعالى وهو الهدى والنّور واللطف. والإشارة بـ«أولئك كتب» إلى الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله. قيل: والآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وقيل: الظاهر أنها متصلة بالآي التي قبلها في المنافقين والموالين لليهود، وقيل غير ذلك[1].

(١) انظر أسباب النزول ص٢٧٧.

سورة الحشر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) ﴾.

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. ومناسبتها لما قبلها أنه ذكر حال المنافقين واليهود، وتولّي بعضهم بعضاً، ذكر أيضاً ما حلّ باليهود من غضب الله عليهم وجلائهم، وإمكان الله رسوله ممّن حادّ الله ورسوله، ورام الغدر بالرسول، وأظهر العداوة بحلفهم مع قريش. وقيل: نزلت في بني النضير وتُعدّ[2] [٥٣٩/ب] من المدنيّة لتدانيها منها. ونزلت[3] في بني النضير، وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يكونوا عليه ولا له. فلما ظهر يوم بدر، قالوا: هو النبي الذي نَعْتُه في التوراة لا تُردّ له راية. فلمّا هُزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا، فخرج

---

(١) مدنية وآياتها أربع وعشرون.

(٢) ق: بعد.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٧٨، ولباب النقول ص٢٠٨.

كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة، فحالفوا عليه قريشاً عند الكعبة. فأخبر جبريل عليه السلام الرسول عليه السلام بذلك، فأمر بقتل كعب فقتله محمد بن مسلمة غيلةً، وكان أخاه من الرّضاع.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ وأيسوا من نصر المنافقين إياهم، فطلبوا الصلح، فأبى عليهم إلا الجلاء، على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا[1] من المتاع فجُلوا إلى الشام وإلى أريحا وأذرعات، إلاّ بيتين منهم: آل أبي الحقيق وآل حييّ بن أخطب، فلحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة. وقبض أموالهم وسلاحهم، فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاث مئة وأربعين سيفاً.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ اللّينة، قال الأخفش[2]: لون من النّخل، أي: ضرب منه، وأصلها لونة. وقال أبو عبيدة: اللينة ما ثمرها لون، وهي نوع من التّمر يقال له اللون. وقال الأصمعي: هي الدَّقَل[3]. و«ما» شرطية منصوبة

---

(١) ق: شاء.

(٢) انظر معاني القرآن ٢: ٤٩٧.

(٣) الدقل: أردأ التمر.

بـ«قطعتم». و﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ تبيين لإبهام «ما». وجواب الشرط «فبإذن الله» أي: قَطْعُها أو تَرْكها بإذن الله. والضمير في «تركتموها» عائد على معنى «ما». وقرىء: قائماً، اسم فاعل مذكّر على لفظ «ما» وأنّث في «على أصولها».

و«ما» في قوله «ما أفاء الله» شرطية أو موصولة. و«أفاء» بمعنى يفيء. ولا يكون ماضياً في اللفظ والمعنى، لأن فعل الشرط لا يكون ماضياً في المعنى، وكذلك صلة ما الموصولة إذا كانت الفاء في خبرها؛ لأنها إذ ذاك شبّهت باسم الشرط.

فإن كانت الآية نزلت قبل جلائهم كانت مخبرة بغيب، فوقع كما أخبرت. وإن كانت نزلت بعد حصول أموالهم للرسول عليه السلام كان ذلك بياناً لما يُستقبل، وحكم الماضي المتقدم حكمه. و«من» في «من خيل» زائدة لأن المفعول يدلّ على الاستغراق. والركاب: الإبل، سلّط الله رسوله عليهم وعلى[١] ما في أيديهم.

ولمّا جلا بنو النضير عن أوطانهم وتركوا رباعهم وأموالهم، طلب المسلمون تخميسها كغنائم بدر فنزل[٢] «[وما] أفاء الله على رسوله» بيّن أن أموالهم فيء لم يوجف عليها خيل ولا ركاب ولا قُطعت مسافة، إنما كانوا ميلين من المدينة مشوا مشياً، ولم يركب إلا رسول الله ﷺ. قال عمر بن الخطاب: كانت أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، ينفق منها على

(١) ق: ولما.

(٢) انظر القرطبي ١٨ : ١١.

أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع[١] عدّة في سبيل الله تعالى.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ أهل القرى [٥٤٠/أ] المذكورون في هذه الآية هم أهل الصفراء ويَنْبُع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى عُرَيْنَة[٢]، وحكمها مخالف لبني النضير. ولم يحبس من هذه رسول الله ﷺ لنفسه شيئاً، بل أمضاها لغيره، وذلك أنها فتحت في ذلك الوقت[٣]. وقيل: الآية الأولى خاصة في بني النضير وهذه الآية عامّة.

والضمير في «تكون» بالتأنيث عائد على معنى «ما» إذ المراد به الأموال والمغانم، وذلك الضمير هو اسم «تكون». وكذلك من قرأ بالياء أعاد الضمير على لفظ «ما» أي: يكون الفيء. وانتصب «دولة» على الخبر. ومن رفع «دولة» فـ«تكون» تامة و«دولةٌ» فاعل، و«كي لا يكون» تعليل لقوله «فلله وللرسول» أي: فالفيء وحكمه لله وللرسول يقسمه على ما أمره الله تعالى، «كيلا يكون» أي: الفيء الذي حقّه أن يُعطى للفقراء بُلْغة يعيشون بها متداولاً بين الأغنياء، يتكاثرون به، أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم كما كان رؤساؤهم يستأثرون بالغنائم ويقولون: من عزَّ بزَّ[٤]، والمعنى: كيلا يكون أَخْذه غلبة وأثرة جاهلية.

---

(١) في الكراع: في الدواب التي تصلح للحرب.

(٢) ق: أهل الصفا.. قرى عربية. وانظر هذه المواضع في الروض المعطار.

(٣) ما سبق في شرح الآية هو من كلام ابن عطية، انظر البحر ٨: ٢٤٥.

(٤) انظر مجمع الأمثال ٢: ٢٦٣.

روي أن قوماً من الأنصار تكلّموا في هذه القرى المفتتحة وقالوا: لنا منها سهمنا فنزل ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ الآية، «للفقراء» بدل من قوله «ولذي القربى» والمعطوف عليه. ومذهب أبي حنيفة: لا يستحق ذو القربى الغنيّ إنما يستحق ذو القربى الفقير، فالفقر شرط فيه. ومذهب الشافعي يرى أن الاستحقاق بسبب القرابة، فيأخذ ذو القربى الغني بقرابته. ثم وصف تعالى المهاجرين بما يقتضي فقرهم ويوجب الإشفاق عليهم. ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ في إيمانهم وجهادهم قولاً وفعلاً.

والظاهر أنّ قوله «والذين تبوءوا» معطوف على «المهاجرين» وهم الأنصار، فيكون قد وقع بينهم الاشتراك فيما يقسم من الأموال. وقيل: هو مستأنف مرفوع بالابتداء والخبر «يحبون». أثنى تعالى عليهم بهذه الخصال الجليلة كما أثنى على المهاجرين بقوله «يبتغون» إلى آخره. «والإيمان» معطوف على «والدار» وهي المدينة. والإيمان ليس مكاناً فيُتبوّأ، فقيل: هو من عطف الجمل، أي: واعتقدوا الإيمان وأخلصوا فيه، قاله أبو علي. وقيل: تبوّؤوا ضُمّن معنى آثروا فتعدّى إلى اثنين.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الظاهر أنه معطوف على ما قبله من المعطوف على «المهاجرين» فقال الفرّاء[1]: هم الفرقة الثالثة من الصّحابة وهي من آمن أو كبّر في آخر مدة النبي ﷺ. وقيل «والذين جاؤوا من بعدهم» مقطوع ممّا قبله معطوف عطف الجمل لا عطف المفردات، فإعراب[2] «والذين» مبتدأ، نُدبوا بالدعاء للأولين والثّناء عليهم وهم [٥٤٠/ب] من يجيء بعد الصحابة إلى يوم القيامة، والخبر «يقولون». أخبر تعالى عنهم بأنهم لإيمانهم ومحبّة أسلافهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا. وعلى القول الأول يكون «يقولون» استئناف إخبار، قيل: أو حال.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)﴾.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الآية، نزلت في عبد الله بن أبيّ، ورفاعة[3] بن

(١) لم أجده في معاني القرآن.

(٢) ق: فإعرابه.

(٣) في القرطبي ١٨ : ٣٤: رافعة.

التابوت، وقوم من منافقي الأنصار، كانوا بعثوا إلى بني النضير بما تضمّنته الجمل المحكية بقوله «يقولون»[(١)].

واللام في «لإخوانهم» للتبليغ. والأخوّة بينهم أخوّة الكفر وموالاتهم.

﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ أي: في قتالكم أحداً من الرسول والمؤمنين وإخلاف ما وعدناكم من النّصرة. و﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ جواب قسم محذوف قبل «إن الشرطية». وجواب «إن» محذوف، والكثير في كلام العرب إثبات اللام المؤذنة بالقسم قبل أداة الشرط. ومِن حَذْفها قوله ﴿وَإِن [لَّمْ]يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة] التقدير: ولئن[(٢)] لم ينتهوا. ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾[(٣)] أي: في مواعيدهم لليهود. وفي ذلك دليل على صحة النبوّة له عليه السلام لأنه إخبار بالغيب.

﴿وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ قد أخبر أنهم لا ينصرونهم، فلا يمكن نصرهم إياهم بعد إخباره تعالى أنه لا يقع. وإذا كانت الضمائر متّفقة، فقال ابن عطية: معناه: ولئن حاولوا[(٤)] ذلك فإنهم ينهزمون انتهى. والظاهر أن الضمير في ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ وفي ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ عائد على المفروض أنهم ينصرونهم، أي: ولئن نصرهم المنافقون ليولُنّ[(٥)] الأدبار ثم لا يُنصر المنافقون.

---

(١) ق: ليقولون. وانظر لباب النقول ص٢١٠.

(٢) ق: وإن. وفوقها: كذا.

(٣) ق: الكاذبون.

(٤) ق: قاتلوا.

(٥) ق: ليولّون المنافقون.

و﴿ رَهْبَةً ﴾ مصدر رُهب المبني للمفعول، كأنه قيل: أشد مرهوبيّة. فالرّهبة واقعة منهم لا من المخاطبين، والمخاطبون مرهوبون فالمخبر عنه مخوف لا خائف. والضمير في «صدورهم» قيل لليهود، والمعنى: رهبتهم منكم أشدّ من رهبتهم من الله.

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ أي: بنو[1] النضير وجميع اليهود. ﴿ جَمِيعًا ﴾ أي: مجتمعين متساندين يعضد بعضهم بعضاً. ﴿ إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ لا في صحراء بخوفهم منكم، وتحصينها بالدروب والخنادق. أو من وراء جدار يتسترون به من أن تصيبوهم.

﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ ﴾ أي: إذا اقتتلوا بعضهم مع بعض كان بأسهم شديداً. أما إذا قاتلوكم، فلا يبقى لهم بأس، لأنّ من حارب أولياء الله تعالى خذل.

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا ﴾ أي: مجتمعين ذوي ألفة واتّحاد. ﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ أي: وأهواؤهم متفرقة. وكذا حال المخذولين لا تستقرّ أحوالهم على شيء واحد، وموجب ذلك الشّتات هو انتفاء عقولهم، فهم كالبهائم لا تتفق على حالة.

﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الآية، «كمثل» خبر مبتدأ محذوف، أي مثلهم - أي بني النضير - كمثل الذين من قبلهم قريباً، وهم بنو [٥٤١/أ] [قينقاع] أجلاهم الرسول عليه السلام من المدينة قبل بني النضير، فكانوا مثلاً لهم، قاله ابن عباس. ﴿ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ قريباً من عصيانهم، أي: لم تتأخر عقوبتهم في الدنيا، كما لم تتأخر عقوبة هؤلاء. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

---

(١) ق: بني.

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ لمّا مثّلهم بمن قبلهم ذكر مثلهم مع المنافقين، فالمنافقون كالشيطان وبنو النضير كالإنسان. والجمهور على أن الشيطان والإنسان اسما جنس، يورّطه في المعصية ثم يفرّ منه. كذلك أغوى المنافقون بني النضير، وحرّضوهم على الثّبات، ووعدوهم النّصر، فلما نشب بنو النضير(١)، خذلهم المنافقون، وتركوهم في أسوأ حال.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ولما انقضى في هذه السورة وصف المنافقين واليهود وعظ المؤمنين، لأن الموعظة بعد المصيبة [لها] موقع في النفس، لرقّة القلوب والحذر ممّا يوجب العقاب. وكرّر الأمر بالتقوى على سبيل التوكيد، أو لاختلاف متعلق التقوى؛ فالأولى(٢) في أداء الفرائض لأنه مقترن بالعمل، والثانية في ترك

(١) ق: أي عَلِقوا.

(٢) ق: فالأول.

المعاصي لأنه مقترن بالتهديد والوعيد. ولمّا كان أمر القيامة واقعاً[1] لا محالة، عبّر عنه بالغد - وهو اليوم الذي يلي يومك - على سبيل التقريب.

﴿كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟﴾ هم الكفار، تركوا عبادة الله تعالى وامتثال ما أمر واجتناب ما نهى، وهذا تنبيه على فرط غفلتهم واتّباع شهواتهم. ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ حيث لم يسعوا لها في الخلاص من العذاب، وهذا من المجازاة بالذنب على الذّنب، عوقبوا على نسيان رحمة[2] الله تعالى بأن أنساهم أنفسهم.

ثم ذكر مباينة الفريقين أصحاب النار في الجحيم وأصحاب الجنة في النعيم.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ من باب التخيل والتمثيل كما مرّ في قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب]، ودلّ على ذلك ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم تأثّره لهذا الذي لو أُنزل على الجبل لتخشّع وتصدّع. وإذا كان الجبل على عظمته وتصلّبه يعرض له الخشوع والتصدّع، فابن آدم كان أولى بذلك، لكنه على حقارته وضعفه لا يتأثر.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ تقدّم شرحه[3]. ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد. ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ المبالغ في الكبرياء والعظمة. ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾ المقدّر لما يوجده. ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ المميّز بعضه من بعض بأشكال مختلفة. ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الممثّل.

---

(١) ق: واقع.

(٢) ق: جهة.

(٣) انظر شرح الآية ٤٨ من المائدة.

سورة الممتحنة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. ونزلت بسبب [حاطب] بن أبي بلتعة، كان وجّه كتاباً مع امرأة إلى أهل مكة يخبرهم [٥٤١/ب] بأن رسول الله ﷺ متوجّه إليهم لغزوهم. فأطلع الله تعالى رسوله ﷺ على ذلك، ووجّه إلى المرأة من أخذ الكتاب منها، والقصّة مشهورة في كتب الحديث والتفسير[2].

ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر فيما قبلها حالة المنافقين والكفّار، افتتح هذه بالنّهي عن موالاة الكفّار والتودّد إليهم. وأضاف في قوله «عدوي»

---

(١) مدنية وهي ثلاث عشرة آية.

(٢) انظر مثلاً: صحيح البخاري ٤ : ١٨٥٥، والقرطبي ١٨ : ٥٠.

تغليظاً[١] لجرمهم وإعلاماً بحلول[٢] عقاب الله تعالى بهم. والعدوّ ينطلق على الواحد وعلى الجمع. و«أولياء» مفعول ثانٍ لـ«تتّخذوا». «تلقون» بيان لموالاتهم، فلا موضع لها من الإعراب، أو استئناف إخبار. «وقد كفروا» جملة حالية، وذو الحال الضمير في «تلقون» أي: توادّونهم[٣] وهذه حالهم وهي الكفر بالله، ولا يناسب[٤] الكافر بالله أن يُوَدّ. «وإياكم» معطوف على «الرسول».

﴿تُسِرُّونَ﴾ استئناف، أي: تسرّون وقد علمتم أني أعلم الإخفاء والإعلان، وأطلع الرسول عليه السلام على ذلك. والضمير في «ومن يفعله» عائد على أقرب مذكور، أي: ومن يفعل الإسرار. وانتصب [«سواء»] على المفعول به، على تقدير تعدّي «ضلّ» أو على الظرف على تقدير اللزوم. والسواء: الوسط.

ولمّا نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء، وشرح ما به الولاية من إلقاءٍ بالمودّة إليهم، وذكر ما صنع الكفار بهم أولاً من إخراج الرسول والمؤمنين - ذكر صنيعهم آخراً لو قدروا [عليه] من أنه إن يتمكّنوا منكم، تظهر عداوتهم لكم، ويبسطوا أيديهم بالقتل والتعذيب، وألسنتهم بالسّب، وودّوا لو ارتددتم عن دينكم الذي هو أحب الأشياء إليكم، وهو سبب إخراجهم إياكم.

ولمّا كان حاطب قد اعتذر بأنّ له بمكة قرابة فكتب إلى أهلها ما كتب

---

(١) ق: تغليظ.

(٢) ق: لحلول.

(٣) ق: توادّوهم.

(٤) ق: تناسب.

ليرعوه في قرابته قال تعالى «لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم». و«يوم» معمول لـ«تنفعكم» أو لـ«يفصل».

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

ولمّا نهى عن موالاة الكفّار ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، وأن من سيرته التّبرؤ من الكفار، ليقتدوا به في ذلك، ويتأسّوا به والظاهر أنه مستثنى من مضاف لـ«إبراهيم» تقديره: أسوة حسنة في مقالات إبراهيم ومحاوراته مع قومه إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك، فليس فيه أسوة حسنة. [فيكون على هذا استثناءً متصلاً. وإما أن يكون قول إبراهيم مندرجاً في «أسوة حسنة»] لأن معنى الأسوة هو الاقتداء والتأسّي، فالقول ليس مندرجاً تحته، لكنه مندرج تحت مقالات إبراهيم عليه السّلام.

والضمير في «فيهم»(١) عائد على «إبراهيم والذين معه». وكرّرت الأسوة توكيداً، وأكّد ذلك بالقسم أيضاً. و«لمن [كان] يرجوا» بدل من ضمير الخطاب بدل بعض من كلّ.

وروي أنه لمّا نزلت هذه الآيات عزم المسلمون على إظهار [٥٤٢/أ]

---

(١) ق: منهم.

عداوات أقربائهم الكفرة، ولحقهم همٌّ لكونهم لم يؤمنوا حتى يتوادّوا فنزل «عسى الله» الآية، مؤنسةً ومرجئةً[١]، فأسلم الجميع عام الفتح، وصاروا إخواناً. ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تقليب القلوب وتيسير العسير. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن أسلم من المشركين.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ نزلت في قوم بمكّة آمنوا ولم يهاجروا، فكانوا في رتبة سوء، لتركهم فرض الهجرة. قيل: قدمت على [أسماء] بنت أبي بكر أمّها قُتيلة[٢] بنت عبد العزّى وهي مشركة، بهدايا، فلم تقبلها، ولم تأذن لها بالدخول فنزلت[٣]. فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها، وتقبل منها، وتكرمها، وتحسن إليها.

(١) ق: مويسة وموجبة.

(٢) ق: نفيلة. وانظر السيرة النبوية ١: ٢٧١.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٨٤.

و﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ و﴿ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ بدلان مما قبلهما بدل اشتمال.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ الآية، سمّاهن تعالى مؤمنات قبل أن يُمْتَحَنَّ. وامتحانهن: قالت عائشة: بآية المبايعة، وقيل: بأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وقال ابن عباس: بالحلف أنها ما خرجت إلاّ حبًّا لله ورسوله ورغبة في دين الإسلام.

﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ ﴾ أطلق العلم [على] الظنّ الغالب بالحذف، وظهور الأمارات بالخروج من الوطن، والحلول في قوم ليسوا من قومها. وبيّن علّة انتفاء رجعهن إلى الكفار أزواجهنّ، وذلك هو التحريم بين المسلمة والكافر. وانعقد التحريم بهذه الجملة، وجاء قوله «ولا هم يحلون لهن» على سبيل التأكيد وتشديد الحرمة؛ لأنه إذا لم تحلّ المؤمنة للكافر، عُلم أنه لا حلّ بينهما ألبتّة.

﴿ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ﴾ أمر أن يُعطى للزوج الكافر ما أنفق على زوجه، إذا أسلمت، فلا يُجمع عليه خسران الزوجية والمالية. قال ابن عباس: أعطى رسول الله ﷺ [ ] بعد امتحانها [زوجها] الكافر ما أنفق عليها، فتزوجها عمر. وكان إذا امتحنهنّ أعطى أزواجهن مهورهنّ. ثم نفى الحرج في نكاح المؤمنين إياهنّ إذا آتوهنّ مهورهنّ. ثم أمر تعالى المؤمنين بفراق نسائهم[1] الكوافر عوابد الأوثان.

﴿ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ ﴾ أي: واسألوا الكافرين ما أنفقتم على أزواجكم إذا فرّوا إليهم. ﴿ وَلْيَسْـَٔلُواْ ﴾ الكفار ﴿ مَآ أَنفَقُواْ ﴾ على أزواجهم إذا فرّوا إلى المؤمنين.

---

(١) ق: نسائهن.

ولما تقرّر هذا الحكم قالت قريش: لا نرضى هذا الحكم، ولا نلتزمه، ولا ندفع لأحد صداقاً، فنزلت[1] بسبب ذلك هذه الآية الأخرى ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾. فأمر تعالى المؤمنين أن يدفعوا إلى من فرّت زوجته من المسلمين - ففاتت بنفسها إلى الكفار، وانقلبت من الإسلام - ما كان أمهرها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ (١٣)﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ كانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا [٥٤٢/ب] بعدما فرغ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر أسفل منه، يبايعهن بأمره ويبلغهنّ عنه. وما مسّت يده عليه السلام يد امرأة قطّ. وقالت أسماء بنت يزيد بن السكن[2]: كنت في النسوة المبايعات، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك نبايعك. فقال لي عليه السلام: إني لا أصافح النساء، ولكن آخذ عليهن ما أخذ الله عليهن. وكانت هند بنت عتبة في النساء، فقرأ عليهن الآية. فلمّا قررهنّ على ألاّ يشركن بالله شيئاً قالت هند: وكيف نطمع أن تقبل منّا ما لم تقبله[3] من الرجال؟ - تعني أنّ هذا بيّنٌ لزومه -. فلما وقف على السرقة: قالت: والله إني لأصيب

(١) انظر القرطبي ١٨: ٦٨.

(٢) هي أم سلمة الأنصارية، انظر الترمذي ٩: ٤٧. والحديث رواه ابن جرير عن ابن عباس ٢٨: ٥١ وما بعدها.

(٣) ق: يطمع أن يقتل منا ما لم يقبل.

الهَنُوة[١] من مال أبي سفيان لا أدري أيحلّ لي ذلك. فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال. فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: إنك لهند بنت عتبة. قالت: نعم: فَاعْفُ عمّا سلف يا نبي الله عفا الله عنك. فقال ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ فقالت: أوتزني الحرّة؟. فقال ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ فقالت: ربّيناهم صغاراً وقتلتَهم كباراً!. وكان حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر حتى استلقى، وتبسّم رسول الله ﷺ فقال ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ﴾ فقالت: والله إن البهتانِ لأمر قبيح ولا تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. فقال ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ فقالت: والله ما جلسنا [مجلسنا] هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء.

والبهتان: قال الأكثرون: أن تنسب إلى زوجها ولداً[٢] ليس منه. وكانت المرأة تلتقط المولود وتقول لزوجها: هذا ولدي منك. ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين، وفرجها الذي تلده منه[٣] بين الرجلين.

والمعروف[٤] الذي نهى عن العصيان فيه قال ابن عباس: هو النّوح وشقّ الجيوب ووشم الوجوه ووصل الشعر وغير ذلك من أوامر الشريعة فَرْضِها ونَدْبِها.

روي أن قوماً من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود، ليصيبوا من ثمارهم، فقيل لهم: لا تتولّوا قوماً مغضوباً عليهم.

---

(١) ق: الهنة. والهنوة: الشيء اليسير.

(٢) ق: وكذا.

(٣) ق: به.

(٤) ق: والنوح.

﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: من خيرها وثوابها.

والظاهر أن «مِن» في «من أصحاب القبور» لابتداء الغاية، أي: من لقاء أصحاب القبور. فمِن الثانية كالأولى في «من الآخرة» فالمعنى أنهم لا يلقونهم في دار الدنيا بعد موتهم.

ولمّا افتتح هذه السورة بالنّهي عن اتخاذ الكفار أولياء، ختمها بمثل ذلك تأكيداً لترك موالاتهم، وتنفيراً للمسلمين عن تولّيهم، وإلقاء المودّة إليهم.

سورة الصف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾.

[٥٤٣/أ] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية، هذه السورة مدنية في قول الجمهور. وسبب نزولها قول المنافقين للمؤمنين: نحن منكم ومعكم، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك. ومناسبتها لآخر ما قبلها أن في الآخر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۝١٣﴾ [الممتحنة] فاقتضى ذلك إثبات العداوة بينهم، فحضّ تعالى على الثّبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم. والنداء بـ«يا أيها» إن كان للمؤمنين حقيقة فالاستفهام يراد به التلطّف في العتب. وإن كان للمنافقين[2] [فالمعنى]: يا أيها الذين آمنوا، أي: بألسنتهم. والاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ، وتهكّم بهم في إسناد الإيمان إليهم، ولم يتعلق بالفعل بعده. وإذا وُقف عليه فبالهاء أو بسكون الميم. ومن سكّن في الوصل، فلإجرائه مجرى الوقف.

---

(١) مدنية وهي أربع عشرة آية.

(٢) فوقها في ق: كذا.

والظاهر انتصاب «مقتاً» على التمييز. وفاعل «كبر» «أن تقولوا» وهو من التمييز المنقول من الفاعل، والتقدير: وكبر مقتُ قولكم مالا تفعلون.

وانتصب «صفاً» على الحال، أي: صافّين أنفسهم أو مصفوفين. «كأنهم» في تراصّهم، من غير فرجة ولا خللٍ، بنيان رصّ بعضه إلى بعض. والظاهر تشبيه الذّوات في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩ ﴾.

ولمّا كان في المؤمنين من يقول ما لا يفعل، وهو راجع إلى الكذب، كان ذلك في معنى الإذاية للرسول عليه السلام، إذ كان في أتباعه من عانى الكذب، فناسب ذكر قصة موسى عليه السلام وقوله لقومه لِمَ تؤذونني. وإذايتهم له كان بانتقاصه في نفسه وجحود آيات الله تعالى واقتراحهم عليه ما ليس لهم اقتراحه. «وقد تعلمون» جملة حالية تقتضي تعظيمه وتكريمه، فرتّبوا على علمهم أنه رسول الله إليهم ما لا يناسب العلم وهو الإذاية. و«قد» تدلّ على التحقيق في الماضي والتوقع في المستقبل[1]. والمضارع هنا معناه المضيّ، أي: وقد علمتم. وعبّر عنه بالمضارع، ليدلّ على

---

(١) ق: المضارع.

استصحاب الفعل.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عن الحق. ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أسند الزّيغ إليهم ثم قال: أزاغ الله كقوله تعالى ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۝١٩﴾ [الحشر]. وهو من العقوبة على الذنب بالذنب.

ولمّا ذكر شيئاً من قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، ذكر شيئاً من قصة عيسى عليه السلام. وهناك قال «يا قوم» لأنه من بني إسرائيل. وهنا قال عيسى «يا بني إسرائيل» من حيث لم يكن له فيهم أب وإن كانت أمّه منهم. و«مصدقاً» و«مبشراً» حالان، والعامل «رسول» أي: مرسل. و«يأتي» و«اسمه» جملتان في موضع الصفة لـ«رسول».

أخبر أنه مصدّق لما تقدم من الكتب [٥٤٣/ب] الإلهيّة، ولمن تأخّر من النبي المذكور؛ لأن التبشير بأنه رسول تصديق برسالته.

وروي أنّ الحواريّين قالوا: يا روح الله، هل بعدنا من أمّة؟ قال: نعم أمة أحمد؛ علماء حكماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم بالقليل من العمل.

والله تعالى أفرد عيسى بالذكر في هذا الموضع لأنه آخر نبيّ قبل نبيّنا عليه السلام، فبيّن أن البشارة به عمّت جميع الأنبياء واحداً بعد واحد حتى انتهت إلى عيسى عليه السلام. والظاهر أن الضمير المرفوع في ﴿جَآءَهُم﴾ يعود على عيسى عليه السلام لأنه المحدَّث عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢

وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

وقرأ الجمهور: تؤمنون، وتجاهدون[١]. وقرأ عبد الله: آمِنوا وجاهِدوا، أمرين. وزيد بن علي بالتاء فيهما محذوف النون فيهما. فأما قراءة الجمهور فصورتهما صورة الخبر، فهما خبران بمعنى الأمر، بيّن ذلك قراءة عبدالله. ونظير ذلك قول العرب: اتّقى الله امرؤٌ فعل خيراً يُثَبْ عليه. معناه: ليتّق الله امرؤ. فانجزم قوله: يُثَبْ، على تقدير هذا الأمر. فلذلك انجزم «يغفر» على تقدير: آمِنوا وجاهِدوا. وأما قراءة زيد فهو على إضمار اللام، تقديره: لتؤمنوا وتجاهدوا[٢]، كما قال[٣]: [من الوافر]

محمد تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ إذا ما خفتَ من شيء تَبالا[٤]

تقديره: لِتَفْدِ.

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ لمّا تقدم الغفران وإدخال الجنّات أتبع ذلك بقوله «وأخرى» فجاز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره: لكم[٥]. وجاز أن يكون منصوباً على إضمار فعل تقديره: ويمنحكم أخرى. و﴿تُحِبُّونَهَا﴾ في موضع الصّفة

---

(١) ق: يؤمنون ويجاهدون.

(٢) ق: ليؤمنوا ويجاهدوا.

(٣) البيت من شواهد سيبويه ٣: ٨، وهو مختلف في نسبته، وانظر الإنصاف ٢: ٥٣٠.

(٤) ق: نتالا.

(٥) ق: ولكم نعمة أو مثوبة أخرى.

على التقديرين. ومن قرأ: نصرٌ، وما بعده بالرفع فهو بدل من «أخرى» المقدّر رفعها. ومن قرأ: نصراً، وما بعده بالنصب فبدلٌ على تقدير نصب «أخرى». ولمّا ذكر تعالى ما يمنحهم من الثواب في الآخرة، ذكر ما يسرّهم في العاجلة وهي ما يفتح عليهم من البلاد. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جملة أمر [عطف] على[1] ما قبلها. ولا يشترط التناسب في عطف الجمل.

﴿كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ ندب المؤمنين إلى النّصرة ووضع لهم هذا الاسم وإن كان قد صار عرفاً للأوس والخزرج، وسمّاهم الله تعالى به. والظاهر أنّ «كما» في موضع نصب، على إضمار، أي: قلنا لكم ذلك كما قال عيسى.

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بعيسى. ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ وهم الذين كفروا بعيسى. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ أي: قاهرين لهم مستولين عليهم.

---

(١) فوقها في ق: كذا.

سورة الجمعة(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤ ﴾ .

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ [٥٤٤/ أ] وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر تأييد من آمن على أعدائهم، أتبعه بذكر التنزيه لله تعالى، وسعة ملكه وتقديسه. وذكر ما أنعم به على أمة محمد ﷺ من بعثته عليه السلام إليهم، وتلاوته عليهم كتابه، وتزكيتهم، فصارت أمّته غالبة سائر الأمم قاهرة لها منتشرة الدعوة، كما انتشرت دعوة الحواريين في زمانهم.

﴿ وَآخَرِينَ ﴾ الظاهر أنه معطوف على «في الأميين» أي: وفي آخرين من الأميين، لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون. وذلك إشارة إلى بعثته عليه السلام.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥ قُلْ

---

(١) مدنية وهي إحدى عشرة آية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ هم اليهود المعاصرون له عليه السلام، كُلّفوا القيام بأوامرها ونواهيها، ولم يطيقوا القيام بها حين كذبوا الرسول، وهي ناطقة بنبوّته عليه السلام. شبّه صفتهم بصفة الحمار الذي يحمل كتباً، فهو لا يدري ما عليه، أكتبٌ هي أم صخرة وغير ذلك، وإنما يدرك من ذلك ما يلحقه من التعب بحملها.

﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ قال الزمخشري[١]: بئس مثلاً مثلُ القوم انتهى. فخرّجه على أن يكون التمييز محذوفاً. وفي «بئس» ضمير يفسّره «مثلاً» الذي ادّعى حذفه.

وقد نصّ سيبويه[٢] على أن التمييز الذي يفسّر الضمير المستكنّ في نعم وبئس وما أُجري مجراهما لا يجوز حذفه. والمخصوص بالذّم محذوف، التقدير: بئس مثل القوم المكذبين مَثَلُهم.

روي أنه لمّا ظهر رسول الله ﷺ، كتب يهود المدينة ليهود خيبر: إن اتّبعتموه أطعناكم، وإن خالفتموه خالفناه. فقالوا لهم: نحن أبناء خليل الرحمن ومنا عزير ابن الله والأنبياء، ومتى كانت النبوّة في العرب؟! نحن

---

(١) الكشاف ٤ : ١٠٣.

(٢) انظر الكتاب ٢ : ١٧٥ وما بعدها.

أحقّ بها من محمد، ولا سبيل إلى اتّباعه، فنزلت «قل يا أيها الذين هادوا». وكانوا يقولون ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة] أي: إن كان قولكم حقاً فتمنّوا أن تُنقلوا[١] سريعاً إلى دار كرامته المعدّة لأوليائه. وتقدم تفسير بقية الآية في البقرة[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

﴿إِذَا نُودِىَ﴾ أي: أُذّن. وكان الأذان عند قعود الإمام على المنبر، وكذا كان في زمان الرسول عليه السلام؛ كان إذا صعد على المنبر أُذّن على باب المسجد، فإذا نزل بعد الخطبة أقيمت الصلاة. وكذا كان في زمن أبي بكر وعمر إلى زمن عثمان؛ كثر الناس وتباعدت المنازل فزاد مؤذّناً آخر على داره التي تسمّى الزّوراء[٣]، فإذا جلس على المنبر أذّن الثاني، فإذا نزل من المنبر أقيمت الصلاة. ولم يَعِبْ أحد ذلك على عثمان رضي الله عنه.

والظاهر [وجوب السّعي لقوله ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وأنه يكون في المشي خفّة.

والظاهر] أن الخطاب بالأمر بالسعي للمؤمنين عموماً، وأنها فرض على

---

(١) ق: تفعلوا.

(٢) انظر تفسير الآيتين ٩٤، ٩٥ من البقرة.

(٣) ق: زوراء.

الأعيان. وعن بعض الشافعية أنها فرض كفاية [٥٤٤/ب] وعن مالك رواية شاذة أنها سنّة.

وإنما ذكر البيع من بين سائر المحرّمات، لأنه أكثر ما يشتغل [به] أصحاب الأسواق؛ إذ يكثر الوافدون الأمصار من القرى ويجتمعون للتجارة إذا تعالى النهار، فأُمروا بالبدار إلى تجارة الآخرة، ونُهوا عن تجارة الدنيا. ووقت التحريم من الزّوال إلى الفراغ من الصلاة. والإشارة بـ«ذلكم» إلى السعي وترك البيع.

والأمر بالانتشار والابتغاء أمر إباحة. و«فضل الله» هو ما يهيّئه[1] من حالة حسنة كعيادة مريض وصلة صديق واتّباع جنازة وأَخْذٍ في بيع وشراء وتصرّفات دينية ودنياوية. وأَمَرَ مع ذلك بإكثار ذكر الله تعالى.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ الآية، روي أنه كان أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فقدم دحية بِعِيرٍ تحمل ميرة. قال مجاهد: وكان من عُرْفهم أن يُدخل بالطبل والمعازف والصّياح، فدُخلَتْ بها سروراً بها [ورسول الله ﷺ يخطب] فانفضّوا إلى رؤية ذلك وسماعه، وتركوه عليه السلام قائماً على المنبر في اثني عشر رجلاً. قال جابر: أنا أحدهم. قال أبو بكر غالب بن عطية: هم العشرة المشهود لهم بالجنة فنزلت[2] «وإذا رأوا».

وقال ابن عطية: قال «إليها» ولم يقل: إليهما، تهمّماً بالأهمّ إذ كانت هي سبب اللهو ولم [يكن] اللهو سببها. وتأمّلْ أنْ قدّمت[3] التجارة على اللهو

---

(١) ق: يتنبه.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٨٦.

(٣) ق: تقدمت.

في الرؤية لأنها أهمّ، وأخّرت مع التفضيل لتقع النفس أولاً على الأبين انتهى.

وقوله: وقال «إليها» ولم يقل إليهما، ليس بصحيح لأن العطف بأو لا يثنّى فيه الضمير، بل يفرد.

وفي قوله ﴿قَآئِمًاۚ﴾ دلالة على مشروعية القيام في الخطبة. وأول من استراح في الخطبة عثمان. وأول من خطب جالساً معاوية.

وناسب ختمها بقوله ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لأنهم كانوا قد مسّهم شيء من غلاء الأسعار كما تقدّم في سبب النزول. و«ما» مبتدأ، و«خير» خبره.

سورة المنافقون(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾.

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ الآية، هذه السورة مدنية نزلت في غزوة بني المصطلق، كانت من عبدالله بن أبيّ بن سلول وأتباعه [فيها أقوال]. وسبب نزولها(٢) مذكور في قصّة طويلة من

---

(١) مدنية وهي إحدى عشرة آية.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٨٧، ولباب النقول ص٢١٤. وانظر أيضاً البخاري ٤:١٨٥٩.

مضمونها أن اثنين من الصحابة ازدحما على ماء، وذلك في غزوة بني المصطلق، فشجّ أحدهما الآخر، فدعا المشجوج بالأنصار، والشّاجّ بالمهاجرين. فقال عبد الله بن أبيّ ما حكى الله عنه من قوله «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يَنفَضُّوا» وقوله «لئن رجعنا إلى المدينة] ليخرجن الأعز [٥٤٥/أ] منها الأذل»[1] وعنى بالأعزّ نفسه، وكلاماً قبيحاً. فسمعه زيد ابن أرقم ونقل ذلك إلى الرسول عليه السلام، فلام رسول الله عبدالله، فحلف ما قال شيئاً من ذلك، فاتُّهم زيد فأنزل الله «إذا جاءك المنافقون» إلى قوله «لا يعلمون» تصديقاً لزيد وتكذيباً لعبد الله.

ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربّما كان حاصلاً عن المنافقين واتّبعهم ناس من المؤمنين في ذلك، وذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة، إذ كان وقت مجاعة - جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان، وأتبعه بقبائح أفعالهم. وقولهم «لا تنفقوا» كانوا أصحاب أموال، والمهاجرون فقراء، قد تركوا أموالهم ومتاجرهم وهاجروا لله تعالى.

﴿قَالُواْ نَشۡهَدُ﴾ يجري مجرى اليمين ولذلك تُلُقّي بما يُتلقّى به القسم. وكذا فعل اليقين والعلم يجري مجرى القسم بقوله ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾. وأصل الشهادة أن يواطىء اللسان القلب هذا بالنطق وذاك بالاعتقاد، فأكذبهم الله وفضحهم بقوله ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: لم تواطىء قلوبهم ألسنتهم على تصديقك واعتقادهم أنك غير رسول، فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم، أو كاذبون عند أنفسهم إذ كانوا يعتقدون أن قولهم «إنك لرسول الله» كذب. وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قوله «والله يعلم إنك

(١) الآيتان ٧، ٨.

لرسوله» إيذاناً أن الأمر كما لفظوا به من كونه رسول الله حقاً. ولو لم تأت هذه الجملة لتُوُهِّم أن قولهم هذا كذب، فوُسّطت الجملة بينهما ليزول ذلك التوهم.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ سمّى شهاداتهم تلك أيماناً. ولمّا ذكر أنهم كاذبون، أتبعه بموجب كذبهم، وهو اتخاذ أيمانهم جنّة، يستترون بها ويذبّون بها عن أنفسهم وأموالهم. ﴿فَصَدُّوا۟﴾ أي: أعرضوا وصدّوا اليهود والمشركين عن الدخول في الإسلام.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الحلف الكاذب والصدّ المقتضيان لهم سوء[1] العمل بسبب إيمانهم ثم كفرهم. ﴿فَطُبِعَ﴾ أي: ختم على قلوبهم. ومعنى ﴿ءَامَنُوا۟﴾ نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل المسلمون. ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ أي: ظهر كفرهم بما نطقوا به بعد.

﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ الخطاب للرسول أو للسامع، أي: لحسنها ونضارتها وجمالها، وهم رؤساء المنافقين. ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ وذلك لفصاحة ألسنتهم وجهارة أصواتهم، فكان منظرهم يروق ومنطقهم يخلب.

وشبّهوا بالخشب لعزوب أفهامهم وفراغ قلوبهم من الإيمان. والجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخَوَر، ويدلّ عليه ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾. و«عليهم» في موضع المفعول الثاني لـ«يحسبون» أي: واقعة عليهم [٥٤٥/ب] وذلك لجبنهم وما في قلوبهم من الرعب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟﴾ لمّا صدّق الله زيد بن أرقم فيما أخبر به عن ابن

(١) ق: سواء سوء.

سلول، مقت الناس ابن سلول، ولامه المؤمنون من قومه، وقال بعضهم: امضِ إلى رسول الله، واعترف بذنبك، يستغفر لك. فلوى رأسه إنكاراً لهذا الرأي وقال لهم: لقد أشرتم عليّ بالإيمان فآمنت، وأشرتم عليّ بأن أعطي زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلاّ أن تأمروني بالسجود لمحمد.

و﴿يَسْتَغْفِرْ﴾ مجزوم على جواب الأمر. و«رسول الله» يطلبه عاملان أحدهما «يستغفر» والآخر «تعالوا»، فأُعمل الثاني على المختار عند أهل البصرة، ولو أعمل الأول لكان التركيب: تعالوا يستغفر لكم إلى رسول الله. وَلَيُّ رؤوسهم هو على سبيل الاستهزاء. واستغفار الرسول لهم هو استتابتهم من النفاق، فيستغفر لهم إذ كان استغفاره متسبباً عن استتابتهم فيتوبون. ﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ [1]﴾ عن المجيء. و«يصدّون» جملة حالية. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ جملة حالية أيضاً. ولمّا سبق في علمه تعالى أنهم لا يؤمنون ألبتة سوّى بين استغفاره لهم وعدمه.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ لمّا سمع عبد الله ولد عبد الله بن أبيّ [وكان رجلاً صالحاً] هذه الآية جاء إلى أبيه فقال: يا أبت أنت والله الذّليل ورسول الله العزيز. فلما دنا إلى المدينة جرّد السيف عليه ومنعه الدخول حتى يأذن له رسول الله. وكان فيما قال له: وراءك! والله لا تدخلها حتى تقول: رسول الله الأعزّ وأنا الأذلّ. فلم يزل حبيساً في يده حتى أذن له الرسول بتخليته. وفي هذا الحديث أنه قال [له]: لئن لم تقرّ لله ورسوله بالعزّة لأضربنّ عنقك. قال: أفاعل أنت؟. قال: نعم. فقال: أشهد أن العزّة

---

(١) ق: وهم يصدّون.

لله ولرسوله وللمؤمنين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ لَا تُلْهِكُمْ ﴾ لا تشغلكم. ﴿ أَمْوَٰلُكُمْ ﴾ بالسعي في نمائها. ﴿ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ﴾ بالسرور بهم والنظر في مصالحهم في حياتكم وبعد مماتكم. ﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ هو عام في الصلاة والثّناء على الله بالتسبيح والتّحميد وغير ذلك. ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الشغل عن ذكر الله بالمال والولد. ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ حيث آثروا العاجل على الآجل والفاني على الباقي.

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ المراد الزّكاة، وقيل: عام في كل مفروض ومندوب. ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ ﴾ أي: هلاّ أخرت موتي إلى زمان قليل. ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ هو منصوب على جواب الرغبة[1]. وقرأ الجمهور: وأكن، مجزوماً.

قال الزمخشري[2]: عطفاً على محل «فأصّدق» كأنه قيل: إن أخّرتني أصّدقْ وأكن.

وقال ابن عطية: عطفاً على الموضع لأن التقدير: إن تؤخّرني أصّدق وأكن، هذا مذهب أبي علي الفارسي.

---

(١) ق: الرعيّة.

(٢) الكشاف ٤: ١١٢.

وأمّا ما حكاه سيبويه[1] عن الخليل فهو غير هذا؛ وهو أنه جزم «أكن» على توهّم الشرط [٥٤٦/أ] الذي يدلّ عليه التمنّي. ولا موضع [له] هنا لأن الشرط ليس بظاهر. وإنما يُعطفُ على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله تعالى ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف]. فمن قرأ بالجزم عطف على موضع «فلا هادي له» لأنه لو وقع هنالك فعل كان مجزوماً انتهى.

والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهّم أن العامل في العطف على الموضع موجود دون مؤثّره، والعامل في العطف على التّوهم مفقود وأثره موجود.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ﴾ فيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات حذر أن يجيء الأجل، وقد فرّط ولم يستعدّ للقاء الله تعالى.

وقرأ الجمهور: تعملون، بتاء الخطاب للناس كلهم. وأبو بكر بالياء، خصّ الكفار بالوعيد، ويحتمل العموم.

---

(١) انظر الكتاب ٣: ١٠٠.

سورة التغابن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية، هذه السورة مدنية في قول الأكثرين. ومناسبتها لما قبلها أنّ ما قبلها مشتمل على حال المنافقين، وفي آخرها خطاب للمؤمنين، فأتبعه بما يناسبه من قوله «هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن» وهذا تقسيم في الإيمان والكفر في النظر إلى الاكتساب عند جماعة من المتأوّلين.

﴿ وَصَوَّرَكُمْ ﴾ هذا تعديد للنعمة في حسن الخلق لأن أعضاء بني آدم متصرفة بجميع ما يتصرف به أعضاء الحيوان، وبزيادات كثيرة فضّل بها. ثم هو مفضّل بحسن[2] الوجه وجمال الجوارح كما قال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين].

ونبّه تعالى بعلمه بما في السماوات والأرض، ثم بعلمه بما يُسِرُّ العباد وما

(١) مدنية وهي ثماني عشرة آية.

(٢) ق: لحسن.

يعلنونه، ثم بعلمه بما أكنّته الصدور، على أنه تعالى لا يغيب عن علمه شيء لا من الكلّيات ولا من الجزئيّات.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠ ﴾

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ الخطاب لقريش، ذُكّروا بما حلّ بالكفّار قبلهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وغيرهم ممّن صرّح بذكرهم في سورة براءة وغيرها[1]، وقد سمعت قريش أخبارهم.

﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: مكروهه وما يسوؤهم منه. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الوبال.

﴿بِأَنَّهُۥ﴾ أي: بأنّ الشأن والحديث. استبعدوا أن يبعث الله من البشر رسولاً كما استبعدت [قريش]. ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ على سبيل الاستغراب. ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ وذلك أنهم يقولون: نحن متساوون في البشرية، فأنّى يكون لهؤلاء تمييز علينا بحيث يصيرون هداة لنا؟.

وارتفع «أبشر» عند الحوفي وابن عطية على الابتداء، والخبر «يهدوننا».

---

(١) انظر الآية ٧٠ من براءة، وانظر مثلاً الآية ٣١ من غافر.

والأحسن [٥٤٦/ب] أن يكون مرفوعاً على الفاعلية، لأن همزة الاستفهام تطلب الفعل، فالمسألة من باب الاشتغال.

﴿فَكَفَرُواْ﴾ العطف بالفاء يدل على تعقّب كفرهم مجيء الرسل بالبينات، أي: لم ينظروا في تلك البينات ولا تأمّلوها بل عقبوا مجيئها بالكفر. ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾ استفعل بمعنى الفعل المجرد. وغناه تعالى أزليّ، فالمعنى أنه ظهر غناه عنهم إذ أهلكهم، وليست استفعل هنا للطلب.

والزّعم تقدّم تفسيره[1]. و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أهل مكة. و﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما بعد حرف النفي. ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ أي: لا يصرفه عنه صارف.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وهو محمد ﷺ. ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ هو القرآن.

وانتصب «يوم» بقوله «لتنبؤن» أو بـ«خبير» بما فيه من الوعيد والجزاء، أو باذكر[2] مضمرةً. ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ يجمع فيه الأولون والآخرون، وذلك أن كل واحد يبعث طامعاً في الخلاص ورفع المنزلة. ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ مستعار من تغابن القوم في التجارة، وهو أن يغبن بعضهم بعضاً لأن السّعداء نزلوا منازل الأشقياء. وفي الحديث[3] «ما من عبد يدخل الجنة إلاّ أُرِيَ مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً. وما من عبد يدخل النار إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن، ليزداد حسرة» وذلك معنى يوم التغابن.

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ﴾ «مَن» شرطية حُمل ما بعدها على اللفظ فأفرد الضمير.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من سبأ.

(٢) ق: وباذكر.

(٣) أخرجه البخاري ٥: ٢٤٠٢ من حديث أبي هريرة بألفاظ مقاربة.

و﴿خَٰلِدِينَ﴾ نُصب على الحال، على معنى «من» لا على لفظه.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الآية، الظاهر إطلاق المصيبة على الرزيّة وما سوء العبد في نفس ومال وولد، وأن جميع الحوادث لا تصيبه إلا بإذن الله.

ولمّا قال تعالى «ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله» ثم أمر بطاعة الله ورسوله، حذّر ممّا يلحق الرجل من زوجه وولده بسبب ما يصدر من أحدهم من العداوة فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ الآية. وعن عطاء بن أبي رباح أن عوف بن مالك الأشجعي أراد الغزو مع النبي ﷺ فاجتمع أهله وأولاده فثبّطوه وشكوا إليه فراقه، فرقّ ولم يَغْزُ. ثم إنه ندم وهمّ بمعاقبتهم فنزلت الآية(١).

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٨٨، ولباب النقول ص٢١٤.

ولا أعدى على الرجل من زوجه وولده إذا كانا عدوّين وذلك في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فبإذهاب ماله وعرضه، وأما في الآخرة فبما يسعى في اكتسابه من الحرام لهما وبما يكسبانه منه بسبب [جاهه].

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاء ومحنة لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة، ولا بلاء أعظم منهما. وفي باب العداوة جاء بـ«من» التي تقتضي التّبعيض، وفي الفتنة حكم بها على الأموال والأولاد لا على بعضهما، وذلك لغلبة الفتنة بهما. وكفى بالمال فتنة قصة [٥٤٧/أ] ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ (٧٥)﴾ [التوبة].

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة. والأجر العظيم: الجنة.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: جهدكم. ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما توعظون به. ﴿وَأَطِيعُوا۟﴾ فيما أُمرتم به ونُهيتم عنه. ﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ فيما وجب عليكم. و﴿خَيْرًا﴾ منصوب بفعل محذوف تقديره: وائتوا خيراً، أو على إضمار: يكن، فيكون خيراً، أو على أنه نعت لمصدر محذوف أي: إنفاقاً خيراً، أو على أنه حال، أو على أنه مفعول بـ«وأنفقوا خيراً» أي: مالاً. أقوال، الأول عن سيبويه.

ولمّا أمر بالإنفاق، أكّده بقوله ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ورتّب عليه تضعيف القرض وغفران الذنب. وفي لفظ القرض تلطّف في الاستدعاء. وفي لفظ المضاعفة تأكيد للبذل لوجه الله تعالى. ثم أتبع جوابي الشرط بوصفين أحدهما عائد إلى المضاعفة، إذ شُكْره تعالى مقابل للمضاعفة، وحلمه مقابل للغفران. قيل: وهذا الحضّ هو في الزكاة المفروضة، وقيل

في المندوب إليه.

وتقدّم الخلاف في القراءة في «يُوقَ» وفي «شحّ» وفي «يضاعفه»[1].

(١) لم يتقدم شيء عن «يوق» و«شحّ». وفي «يضاعفه» انظر شرح الآية ٢٤٥ من البقرة.

سورة الطلاق(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ الآية، هذه السورة مدنيّة. قيل: وسبب نزولها طلاق عبد الله بن عمر وغير ذلك. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر الفتنة بالمال والولد، أشار إلى الفتنة بالنساء، وأنهن قد يعرّضن الرجال للفتنة، حتى لا يجد مخلصاً منها إلا بالطلاق.

و«يا أيها النبي» نداء للنبي عليه السلام وخطاب على سبيل التكريم والتّنبيه. «إذا طلّقتم» هو على إضمار القول أي: قل لأمّتك إذا طلّقتم.

---

(١) مدنية وهي اثنتا عشرة آية.

وقال الزمخشري(١): خصّ النبي عليه السلام [بالنداء] وعمّ بالخطاب، لأنه إمام أمّته وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت، إظهاراً لتقدّمه واعتباراً لترؤّسه، وأنه مِدْرَه(٢) قومه ولسانهم، والذي يصدرون عن رأيه، ولا يستبدّون بأمرٍ(٣) دونه، فكان هو وحده في حكم كلّهم وسادّاً مسدّ جميعهم انتهى. وهو كلام حسن.

ومعنى ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ إذا أردتم تطليقهن. و﴿ٱلنِّسَآءَ﴾ يعني المدخول بهنّ ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ أي: أوقعوا الطلاق. ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ هو على حذف مضاف، أي: لا ستقبال عدّتهن. واللام للتوقيت نحو: كتبتُه لليلةٍ بقيَتْ من شهر كذا.

وتقدير الزمخشري(٤) هنا حالاً محذوفة يدل عليها المعنى يتعلق بها المجرور، أي: مستقبلات [٥٤٧/ب] لعدّتهن، ليس بجيد. لأنه قدّر عاملاً خاصّاً، ولا يحذف العامل [في] الظرف والجار والمجرور إذا كان خاصّاً، بل إذا كان كوناً مطلقاً. لو قلت: زيد عندك، أو في الدار، تريد: ضاحكاً عندك، أو ضاحكاً(٥) في الدار، لم يَجُزْ.

فتعليق اللام بقوله «فطلقوهن» ويجعل على حذف مضاف، هو الصحيح.

---

(١) الكشاف ٤ : ١١٧.

(٢) أي: زعيمهم والمتكلم عنهم.

(٣) ق: بأمن.

(٤) الكشاف ٤ : ١١٧.

(٥) ق: ضاحك، في الموضعين.

والظاهر أن الخطاب في ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ للأزواج، أي: اضبطوها بالحفظ.

وفي الإحصاء فوائد: مراعاة الرجعة وزمان النفقة والسكنى، وتوزيع الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً، والعلم بأنها قد بانت، فيتزوّج بأختها وبأربع سواها.

ونهى تعالى عن إخراجهن من مساكنهن حتى تنقضي العدّة، ونهاهنّ أيضاً عن خروجهن. وأضاف البيوت إليهن لمّا كان سكناهنّ فيها. ونهيهن [عن الخروج] لا يبيحه[1] إذن الزوج؛ إذ لا أثر لإذنه.

والإسكان على الزوج، فإن كان ملكه أو بكراءٍ فذاك، أو ملكها فلها عليه أجرته. وسواء في ذلك الرجعية والمبتوتة. وسنة[2] ذلك أن لا تبيت عن بيتها، ولا تخرج عنه نهاراً إلا لضرورة، وذلك لحفظ النسب والاحتفاظ بالنساء.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ وهي الزّنى. ﴿لَا تَدْرِى﴾ أي: أيها السامع. ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ قال المفسّرون: الأمر هنا: الرغبة في ارتجاعها أو الميل إليها بعد انحرافه عنها، أو ظهور حمل فيراجعها من أجله. ونصب[3] «لا تدري» على جملة الترجّي، «فلا تدري» معلّقة عن العمل.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ﴾ أي: أشرفن على انقضاء عدتهنّ. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي: راجعوهن. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: بغير إضرار. ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: سرّحوهن بإحسان. والمعنى: اتركوهن حتى تنقضي عدّتهن فيملكن

---

(١) ق: نتيجة.

(٢) سنة ذلك: أي: صورته.

(٣) ق: ومصب.

أنفسهن. والإمساك بمعروف هو حسن العشرة فيما للزوجة على الزوج. والمفارقة بمعروف هو أداء المهر والتمتّع والحقوق الواجبة والوفاء بالشرط.

والظاهر(١) وجوب الإشهاد على ما يقع من الإمساك - وهو الرجعة - أو المفارقة - وهي الطلاق -. وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة لقوله(٢) ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۝٢٨٢﴾ [البقرة]. وعند الشافعي واجب في الرجعة، مندوب إليه في الفرقة.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ هذا أمر للشهود، أي: لوجه الله تعالى خالصاً لا لمراعاة مشهود له ولا مشهود عليه، لا يلحظ سوى إقامة الحق.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى إقامة الشهادة، إذ نوازل الأشياء تدور عليها، وبها يتميّز المبطل من المحقّ.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هي في معنى الطلاق، أي: ومن لا يتعدَّ طلاق(٣) السنة إلى طلاق الثلاث وغير ذلك، يجعل الله له مخرجاً.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يفوّض أمره إليه. ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه. [٥٤٨/أ] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [لا بدّ من نفوذ أمر الله تعالى، توكّلت أو لم تتوكّل. وقرىء: بالغٌ، بالتنوين، أَمْرَه، بالنصب. وقرىء: بالغُ أمرِه، بالإضافة].

---

(١) ق: بالشرط الظاهر. وفوقها: كذا.

(٢) ق: كقوله.

(٣) ق: في طلاق.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: تقديراً وميقاتاً لا يتعدّاه.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ الآية، روي أن قوماً منهم أبيّ ابن كعب، وخلاد بن النعمان، لمّا سمعوا قوله تعالى ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة] قالوا: يا رسول الله: فما عدّة من لا قرء لها من صغر أو كبر؟ فنزلت هذه الآية[1]. فقال قائل: فما عدّة الحامل؟. فنزلت «وأولات الأحمال أجلهن» الآية.

ومعنى ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ في أنها يئست أم [لا] لأجل إمكان ظهور حمل وإن كان انقطع دمها. و«إن ارتبتم» هو للمخاطبين، أي: إن [لم] تعلموا عدّة[2] الآيسة واللائي لم يحضن [فالعدة هذه. فتلخّص في قوله «إن ارتبتم» قولان: أحدهما أنه على ظاهر مفهوم اللغة فيه، وهو حصول الشّك. والآخر أنّ معناه التيقُّن للإياس.

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٩٠، ولباب النقول ص٢١٦.

(٢) ق: مدة.

والظاهر أنّ قوله ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾] يشمل من لم تحض لصغر، ومن لا يكون لها حيض البتّة. وهذا موجود في النساء؛ وهو أنها تعيش إلى أن تموت ولا تحيض، ومن أتى عليها زمان الحيض وما بلغت ولم تحض. ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ عام في المطلّقة والمتوفى عنها زوجها.

و«مِن» في ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ للتبعيض، أي: بعض مكان سكناكم.

و﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ قال الزمخشري[1]: فإن قلت: فقوله «من وُجدكم[2]»؟. قلت: هو عطف بيان[3] لقوله «من حيث سكنتم» وتفسير له، كأنه قيل: أسكنوهنّ مكاناً من مساكنكم ممّا تطيقونه. والوُجد: الطاقة والوسع انتهى.

ولا يعرف عطف بيان يعاد فيه العامل، إنما هذا طريقة البدل مع حرف الجر. ولذلك أعربه أبو البقاء[4] بدلاً من قوله «من حيث سكنتم».

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ ولا تستعملوا معهنّ الضِّرار. ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ في المسكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهنّ أو شغل مكانهنّ أو غير ذلك حتى تضطروهنّ إلى الخروج.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ﴾ لا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها بُتَّتْ أو لم تُبتّ. فإن كان متوفّى عنها فأكثر العلماء على أنها لا نفقة لها. وعن علي وابن مسعود: تجب نفقتها في التركة. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: وإن ولدن وأرضعن المولود، وجب لها النفقة وهي الأجر والكسوة وسائر المؤن على

---

(١) الكشاف ٤: ١٢١.

(٢) فوقها في ق: كذا.

(٣) في الكشاف: هو بيان.

(٤) انظر الإملاء ٢: ٢٦٣.

ما قُرّر في كتب الفقه.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ أي: تضايقتم وتشاكستم فلم ترض إلا بما ترضى به الأجنبية، وأبى الزوج [الزيادة أو أبى الزوج] الإرضاع إلا مجاناً، وأبت هي إلا بعوض. ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ أي: يستأجر غيرها، وليس له إكراهها. فإن لم يقبل إلا ثدي أمّه، أُجبرت على الإرضاع بأجرة مثلها. ولا يختصّ هذا الحكم من وجوب أجرة الرّضاع بالمطلّقة، بل المنكوحة[1] في معناها.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ الآية، «عتت» أعرضت عن أمر ربّها، على سبيل العناد والتكبّر. والظاهر في ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ الجمل الأربع[2] من الحساب والعذاب والذوق والخسران، في الآخرة. وجيء به على لفظ الماضي لتحقّق وقوعه. [٥٤٨/ب] ولما ذكر ما حلّ بهذه القرية العاتية، أمر المؤمنين بتقوى[3] الله تعالى تحذيراً من عقابه. ونبّه على ما يخصّ على التقوى وهو

---

(١) ق: بالمنكوحة.

(٢) ق: الأربعة.

(٣) ق: تقوى.

إنزال الذكر. والظاهر أن الذكر هو القرآن، وأن الرسول هو محمد عليه السلام، ويكون بدلاً على حذف مضاف، أي: ذِكْرَ رسولٍ. والضمير في «ليخرج» عائد على الله تعالى. ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ﴾ راعى اللفظ أوّلاً في «مَن» الشرطية فأفرد الضمير في «يؤمن» و«ويعمل» و«يدخله»، ثم راعى المعنى في «خالدين» فجمع، ثم راعى اللفظ في «قد أحسن الله له» فأفرد. واستدلّ النحويون بهذه الآية على مراعاة اللفظ أولاً ثم مراعاة المعنى ثم مراعاة اللفظ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ لا خلاف أن السماوات سبع بنصّ القرآن والحديث. والمثليّة في العدد أي: سبع أرضين. ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾ من السماوات السبع إلى الأرضين السبع. و﴿عِلْمًۢا﴾ تمييز منقول من الفاعل تقديره: أحاط علمه بكل[1] شيء.

---

(١) ق: كل.

سورة التحريم(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. وسبب نزولها ما يأتي ذكره في تفسير أوائلها. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر جملة من أحكام زوجات المؤمنين، ذكر هنا ما جرى من بعض زوجات الرسول عليه السلام. «يا أيها النبي» نداء إقبال وتشريف وتنبيه بالصّفة على عصمته ممّا يقع [فيه] من ليس بمعصوم. «لم تحرم» سؤال

(١) مدنية وآياتها اثنتا عشرة.

تلطّف، ولذلك قدّم قبله «يا أيها النبي» ومعنى «تحرم» تمنع[١]، وليس التحريم المشروع بوحي من الله تعالى وإنما هو امتناع لتطييب خاطر من تحسن معه العشرة. «ما أحل الله» هو مباشرة مارية جاريته، وكان ألمّ في بيت بعض نسائه، فغارت من ذلك صاحبة البيت، فطيّب خاطرها بامتناعه منها واستكتمها[٢] ذلك، فأفشته إلى بعض نسائه. وقيل: هو عسل كان شربه عند بعض نسائه، فكان ينتاب [بيتها] لذلك، فغار بعضهن من دخوله بيت التي[٣] عندها العسل، وتواصين على أن يذكرن له أنّ رائحة ذلك العسل ليس بطيبة[٤]، فقال: لا أشربه[٥]. و«تبتغي» في موضع الحال،أو استئناف إخبار.

﴿تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ مصدر حلّل، ككرَّم تكرمة.

﴿إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ هي حفصة، والحديث هو بسبب مارية. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي: أخبرت عائشة. وقيل: الحديث إنما هو شرب العسل[٦]. ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: أطلعه عليه، أي: على إفشائه، وكان قد تكوتم [٥٤٩/أ] فيه، وذلك بإخبار جبريل عليه السلام. وجاءت الكناية هنا عن المفشية والحذف للمُفشَى إليها بالسّر، حياطة وصوناً عن التصريح بالاسم؛ إذ لا يتعلق بالتصريح بالاسم غرض. وقرىء: عرّف، بالتشديد والتخفيف.

---

(١) ق: تمتنع.

(٢) ق: واكتتمها.

(٣) ق: الذي.

(٤) ق: بطيب.

(٥) انظر البخاري ٥: ٢٠١٦، وأيضاً ٤: ١٨٦٥.

(٦) ق: شربت عسلاً.

﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ﴾ أي: تكرّماً وحياءً وحسن عشرة. قال الحسن: ما استقصى كريم قطّ!. وقال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام!. ومفعول «عرف» المشدّد محذوف أي: عرّفها بعضه، أي: أعلم ببعض الحديث. وقيل: المعرَّف حديث العسل، والذي أعرض عنه حديث مارية. ولمّا أفشت حفصة الحديث لعائشة واكتتمتْها إياه، ونبأها الرسول عليه السلام به، ظنّت حفصة أن عائشة فضحتها فقالت ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾؟ على سبيل التثبّت. فأخبرها أن الله تعالى هو الذي نبّأه به، فسكتت وسلّمت.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ انتقال من غيبة إلى خطاب، ويسمّى الالتفات. والخطاب لحفصة وعائشة. ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ أي: مالت عن الصواب. وأتى بالجمع في قوله «قلوبكما» وحسّن ذلك إضافته إلى مثنّى وهو ضميرهما، والجمع في مثل هذا أكثر استعمالاً من المثنى، والتثنية دون الجمع.

وقرىء: تظّاهرا، بالتشديد. وأصله تتظاهرا. وبالتخفيف والأصل: تتظاهرا. والمعنى: وإن تتعاونا عليه، أي: في إفشاء سرّه والإفراط في الغيرة. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ أي: مُظاهره ومعينه. و«جبريل» مبتدأ، وما بعده معطوف عليه، والخبر «ظهير». فيكون ابتداء الجملة بجبريل وهو أمين وحي الله تعالى، واختتامه بالملائكة. وبدىء بجبريل، وأُفرد بالذكر تعظيماً له، وإظهاراً لمكانته عند الله تعالى. ويكون قد ذُكر مرّتين: مرّة بالنّص ومرّة في العموم.

واكتنف «صالح المؤمنين» جبريل والملائكة تشريفاً لهم واعتناءً بهم؛ إذ جعلهم بين الذين يسبّحون الليل والنهار لا يفترون. فعلى هذا «جبريل» داخل في الظُّهراء لا في الولاية، ويختصّ الرسول بأن الله هو مولاه.

وفصل بين «عسى» وخبرها بالشرط وهو «إن طلقكن». ودلّ ذلك على

أنه عليه السلام لم يقع منه طلاق. والمبدل به محذوف تقديره: أن يبدله بكن. و«خيراً» صفة، وهي أفعل التفضيل، ولذلك عُدّيت بـ«مِن». و«مسلمات» وما بعدها صفة لقوله «أزواجاً». و«أبكاراً» معطوف على «ثيبات» وهما تقسيم للأزواج.

ولمّا وعظ أزواج الرسول موعظة خاصّة، أتبع ذلك بموعظة عامة للمؤمنين وأهليهم. وعطف «وأهليكم» على «أنفسكم» لأن ربّ المنزل راعٍ وهو مسؤول عن رعيّته. ومعنى وقايتهم حملهم على الطاعة وإلزامهم أداء ما فرض الله عليهم. قال عمر[1] «يا رسول الله [٥٤٩/ ب] نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا؟ قال: تنهونهنّ عما نهاكم الله وتأمرونهن[2] بما أمركم الله به، فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار». ودخل الأولاد في «وأهليكم». وانتصب «ما أمرهم» على البدل، أي: لا يعصون أمره كقوله[3] تعالى ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۝٩٣﴾ [طه]، أو على إسقاط حرف الجر، أي: فيما أمرهم. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل: كرّر المعنى توكيداً.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ خطاب عند دخولهم النار، أي: لأنه لا ينفعكم الاعتذار ولا فائدة فيه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا

---

(١) أخرجه ابن مردويه عن زيد بن أسلم، انظر الدرّ المنثور ٦ : ٢٤٤.

(٢) ق: تنهون.. وتأمرون.

(٣) ق: لقوله.

نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الآية، قرىء: نصوحاً، بفتح النون صفة للتوبة. وبضمّها، وسو مصدر وصف به التوبة على سبيل المبالغة. وروي عن عمر وعبد الله: أنها التي لا عودة بعدها، كما لا يعود اللبن للضرع[١]، ورفَعَه معاذ للنبي عليه السلام. «يوم لا يخزي» منصوب بـ«يدخلكم». و«لا يخزي» تعريض بمن[٢] أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر. و﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ هو الرسول عليه السلام. وفي الحديث «أنه عليه السلام تضرّع في أمر أمتّه، فأوحى الله تعالى إليه: إن شئت جعلت حسابهم إليك. فقال: يا رب أنت أرحم بهم. فقال تعالى: إذاً لا أخزيك فيهم».

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ضرب تعالى المثل لهم بامرأة نوح وامرأة لوط في

---

(١) ق: في للضرع. وانظر الطبري ٢٨: ١٠٧.

(٢) ق: فمن.

أنهم لا ينفعهم [مع كفرهم] لحمة نسب ولا وصلة صهر. والكفر قاطع[1] العلائق بين الكافر والمؤمن، وإن كان المؤمن في أقصى درجات الصلاح. ألا ترى إلى قوله ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ٤٦﴾ [هود]؟ كما لم ينفع تَيْنك المرأتين مع كونهما زوجَتيْ نبيَّيْن. وجاءت الكناية عن اسميهما العلمين بقوله ﴿عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ لما في ذلك من التشريف بالإضافة إليه تعالى. ولم يأت التركيب بالضمير عنهما فيكون: تحتهما، لِمَا قصد من ذكر وصفهما بقوله ﴿صَٰلِحَيۡنِ﴾ لأن الصّلاح هو الذي يمتاز به من اصطفاه تعالى، كقوله في حق إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البقرة]. ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾[2] وذلك بكفرهما وقول امرأة نوح: هو مجنون، ونميمة امرأة لوط بمن ورد عليه من الأضياف، قاله ابن عباس. وقال: لم تَزنِ امرأة نبيّ قطّ ولا ابتُلي في نسائه بالزّنى. ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا﴾ أي: نوح ولوط. ﴿عَنۡهُمَا﴾ عن امرأتيهما. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذاب الله تعالى. ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا﴾ أي: وقت موتهما أو يوم القيامة. ﴿مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ مثّل تعالى حال المؤمنين في أن وصلة الكفار لا تضرّهم، ولا تنقص من ثوابهم، بحال امرأة فرعون واسمها آسية بنت مزاحم. ولم يضرّها كونها كانت تحت فرعون، بل نجّاها منه إيمانها. وبحال مريم إذ أوتيت من كرامة [٥٥٠/أ] الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين، مع أن قومها كانوا كفّاراً. ﴿عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ هذا يدلّ على إيمانها وتصديقها بالبعث. قيل: كانت عمّة موسى

(١) ق: الكفر فاطلع.

(٢) ق: فخانتا.

عليه السلام، وآمنت حين سمعت بتلقّف عصاه ما أفك السحرة. طلبت من ربها القرب من رحمته، وكان ذلك أهمّ عندها، فقدّمت الظرف وهو «عندك بيتاً» ثم بيّنت مكان القرب فقالت «في الجنة». ﴿وَنَجِّنِي﴾ قيل: دعت[١] بهذه الدعوات فنجّاها الله تعالى أحسن نجاة. و﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هم القبط.

﴿وَمَرْيَمَ﴾ معطوف على «امرأة فرعون». وجمع تعالى في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها، تسليةً للأرامل وتطييباً لأنفسهنّ. وقرىء: بكلمات[٢]، جمعاً، فاحتمل أن تكون الصحف المنزلة على إدريس عليه السلام، وسمّاها كلمات لقصرها. وقرىء: وكُتبه، على الجمع. وكتابه، على الإفراد. والكتاب هو الإنجيل. ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ غلّب الذكورية على التأنيث، فـ«القانتين» شامل للذكور والإناث. و«مِن» للتبعيض.

(١) ق: دعت قيل دعت.

(٢) ق: كلماته.

سورة الملك[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ضرب للكفّار [مثلاً] بتَيْنك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة[2] وإن كانتا تحت نبيّين، ومثلاً للمؤمنين بآسية ومريم، وهما محتوم لهما بالسعادة، وإن كان قومهما كافرين - كان ذلك تصرّفاً في ملكه على ما سبق به قضاؤه، فقال «تبارك» أي: تعالى وتعاظم الذي بيده الملك. وهو كناية عن الإحاطة والقهر.

وكثيراً ما جاء نسبة اليد إليه تعالى كقوله تعالى ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس]. والملك هنا هو على الإطلاق، لا يبيد ولا يختلّ[3].

---

(١) مكية وهي ثلاثون آية.

(٢) ق: المختوم لهما بالشقاق.

(٣) ق: لا تبد ولا تحيل.

ومعنى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ إيجاد[1] ذلك المصحّح وإعدامه. والمعنى: خلق موتكم وحياتكم أيها المكلّفون. وسمّى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة، استعارة من فعل المختبر. وفي الحديث[2] أنه فسّر «أيكم أحسن عملاً» أيكم أحسن عقلاً وأشدّكم لله خوفاً وأحسنكم في أمره ونهيه نظراً، وإن كان أقلّكم تطوّعاً.

وانتصب «طباقاً» على الوصف لـ«سبع» فإما أن يكون مصدر طابق مطابقة وطباقاً كقولهم: طابق النّعْل: خصفها طبقاً على طبق. وصف به على سبيل[3] المبالغة. والتفاوت: تجاوز الحدّ الذي يجب له، زيادة أو نقصاً. والخطاب في «ترى» لكلّ مخاطب، أو للرسول عليه السلام.

ولمّا أخبر تعالى أنه لا تفاوت [٥٥٠/ب] في خلقه، أمر بترديد البصر في الخلق المناسب فقال «فارجع» ففي الفاء معنى التسبّب، والمعنى أن العيان يطابق الخبر. والفطور: الشقوق، يقال: فطر ناب البعير: شق اللحم وظهر. وقرىء: تفاوت، وتفوُّت. والجملة من قوله «هل ترى من فطور» في موضع نصب بفعل معلّق محذوف، أي: فانظر هل ترى. أو ضمّن «فارجع البصر» معنى فانظر ببصرك هل ترى، فيكون معلّقاً.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ﴾ أي: ردّده. ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ هي تثنية لا شفع[4] الواحد، بل يراد به التكرار كأنه قال: كرّة بعد كرّة، أي: كرّات كثيرة. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: كليل.

---

(١) ق: اتخاذ.

(٢) انظر الكافي الشاف ص٨٦.

(٣) ق: على طريق، وكتب في الهامش: سبيل. والجملة مبتورة، وفي بقيتها أوجه أخرى لإعراب «طباقاً»، انظر البحر ٨: ٢٩٨.

(٤) ق: يشفع.

﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ التي نشاهدها. ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي: بنجوم مضيئة. ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا﴾ أي: جعلنا منها، لأن السماء ذاتها ليست الرّجوم. والظاهر [عوده] على «مصابيح». ونسب الرّجم إليها لأن الشهاب المتّبع للمسترق منفصل من نارها، والكوكب قارّ في فلكه على حاله، فالشهاب كقبس يؤخذ من النار، والنار باقية لا تنقص. والظاهر أن الشياطين هم مسترقو السمع، وأن الرجم هو حقيقة، يُرمون بالشهب كما تقدم في الحجر وغيرها[1]. والضمير في «لهم» عائد على الشياطين.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾.

وقرىء: عذابُ، بالرفع مبتدأ خبره في الجار والمجرور قبله. وبالنصب على إضمار: أعتدنا.

﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا﴾ أي: طُرحوا كما يُطرح الحطب في النار العظيمة ويُرمى به، ومثله ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ ۝٩٨﴾ [الأنبياء]. ﴿سَمِعُواْ لَهَا﴾ أي: لجهنّم. ﴿شَهِيقٗا﴾ أي: صوتاً منكراً كصوت الحمار، تصوّت مثل ذلك لشدّة توقّدها وغليانها. ويحتمل أن يكون على حذف مضاف، أي: سمعوا لأهلها، كما قال تعالى

(١) انظر شرح الآية ١٨ من الحجر، وانظر مثلاً: شرح الآية ١٠ من الصافات.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود]. ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تغلي بهم غلي المرجل.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ أي: ينفصل بعضها من بعض لشدّة اضطرابها. ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: فريق من النار. ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ وتقريع، وهو ممّا يزيدهم عذاباً إلى عذابهم. و«خزنتها» مالك وأعوانه. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ينذركم بهذا اليوم.

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ اعتراف بمجيء النّذر إليهم. والظاهر أن قوله ﴿إِنْ أَنتُمْ[١]﴾ من قول الكفار للرسل الذين جاؤوا نذراً لهم. أنكروا أولاً أن الله تعالى نزل[٢] شيئاً، واستجهلوا ثانياً من أخبر بأنه تعالى أرسل إليهم الرّسل، وإن قائل ذلك في حيرة[٣] عظيمة. فإن كان الخطاب في «إن أنتم» للرسل، فـ«نذير» أريد به الجنس، ولذلك جاء الخطاب بالجمع.

﴿وَقَالُوا﴾ أي: للخزنة[٤] حين حاوروهم. ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ سماع طالب للحق. ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عقل متأمّل له، لم نستوجب الخلود في النار.

﴿فَاعْتَرَفُوا﴾ حين لم ينتفعوا بالاعتراف. ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ أي: بتكذيب الرسل. ﴿فَسُحْقًا﴾ أي: فبعداً لهم، وهو دعاء عليهم [٥٥١/أ] والسُّحق: البُعد. وانتصابه على المصدر أي: سحقهم الله سحقاً.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ﴾ خطاب لجميع الخلق. قال ابن عباس: إن بعض المشركين قال لبعض: أسّروا قولكم لا يسمعْكم إله محمد.

(١) ق: أرأيتم.

(٢) ق: ترك.

(٣) ق: وإن قابل ذلك في خبرة.

(٤) ق: الخزنة.

﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ الهمزة للاستفهام و«لا» للنّفي. والظاهر أن «مَن» مفعول، والمعنى: أينتفي علمه بمن خلق وهو الذي لطف علمه، ودقّ، وأحاط بخفيّات الأمور وجليّاتها؟.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ منّة منه تعالى بذلك. والذَّلول: فَعول للمبالغة. ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أمرٌ بالتصرّف فيها والاكتساب. و«مناكبها» قال ابن عباس: هي الجبال. ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ أي: البعث، فيسألكم[1] عن شكر هذه النعمة عليكم.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ الآية، «من في السماء» هذا مجاز. وقد قام البرهان العقلي على أنه تعالى ليس بمتحيّز في جهة. ومجازه أنّ ملكوته في السماء؛ لأن «في السماء» هو صلة «مَن» ففيه الضمير الذي كان في العامل فيه، وهو: استقرّ، أي: من في السماء هو، أي: ملكوته، فهو على حذف مضاف. وملكوته في كل شيء، لكن خصّ السماء بالذكر لأنها مسكن ملائكته وثَمَّ عرشه وكرسيّه واللوح المحفوظ، ومنها تنزل

(١) ق: فبينا لكم.

قضاياه وكتبه وأمره ونهيه. أو جاء[1] هذا على طريق اعتقادهم إذ كانوا مشبّهة، فيكون المعنى: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء، وهو المتعالي عن المكان. ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ هو ذهابها سفلاً. ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ أي: تموج وتذهب كما يذهب التراب في الرّيح. والنّذير والنكير مصدران بمعنى الإنذار والإنكار.

ولمّا حذّرهم ما يمكن إحلاله بهم من الخسف وإرسال الحاصب، نبّههم على الاعتبار بالطير وما أحكم من خلقها، وعلى من خلقها، وعلى عجز آلهتهم عن شيء من ذلك. وناسب ذكر الاعتبار بالطير إذ قد تقدّمه الحاصب، وقد أهلك الله أصحاب الفيل بالطير والحاصب الذي رمتهم به. ففيه إذكار قريش بهذه القصة، وأنه تعالى لو شاء أهلكهم بحاصب يرمي به الطير كما فعل بأصحاب الفيل. ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطة أجنحتها صافّتها كأنها ساكنة. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ يضممن الأجنحة إلى جوانبها. وهاتان حالتان[2] للطائر، يستريح من إحداهما إلى الأخرى. وعطف الفعل على الاسم لمّا كان في معناه. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بقدرته.

﴿بَل لَّجُّواْ﴾ تمادوا. ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ في تكبّر وعناد. ﴿وَنُفُورٍ﴾ شراد عن الحق لثقله عليهم.

﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ قال قتادة: نزلت مخبرة عن حال القيامة، وأن الكفار يمشون فيها على وجوههم، والمؤمنون يمشون على استقامة.

---

(١) ق: وجاء.

(٢) ق: حالتا.

وقيل للنبي عليه السلام[1]: «كيف يمشي الكافر [٥٥١/ب] على وجهه؟. فقال: إن الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادر أن يمشيه في الآخرة على وجهه». و﴿مُكِبًّا﴾ حال من أكبّ وهو لا يتعدّى. وكبّ متعدٍّ؛ قال تعالى ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل]. والهمزة فيه للدخول في الشيء، أو للصيرورة. ومطاوع كبّ انكبّ، تقول: كببته فانكبّ.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

وانتصب «قليلاً» على أنه نعت لمصدر محذوف. و«ما» زائدة. و«تشكرون» مستأنف أو حال مقدّرة، أي: تشكرون شكراً قليلاً.

والحشر: البعث. والوعد المشار إليه هو وعد يوم القيامة. أي: متى إنجاز هذا الوعد؟.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب وهو الموعود به. ﴿زُلْفَةً﴾ أي: قرباً، أي: ذا قرب. ﴿سِيئَتْ﴾ أي: ساءت رؤيته وجوههم، وظهر فيها السّوء والكآبة، وغشيها السّواد، كمن يُساق إلى القتل. «وقيل» لهم، أي: تقول لهم الزّبانية ومن يوبّخهم. ﴿تَدَّعُونَ﴾ أنه لا جنّة ولا نار. وقيل: تطلبون وتستعجلون،

---

(١) أخرجه البخاري ٤: ١٧٨٤ من حديث أنس بن مالك.

وهو من الدعاء. روي أن الكفار كانوا يدعون على الرسول وأصحابه بالهلاك.

﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ [وَمَن مَّعِيَ] أَوْ رَحِمَنَا﴾ بالنّصر عليكم، فمن يحميكم من العذاب الذي سببه كفركم؟.

ولمّا قال «أو رحمنا» قال «هو الرحمن». ثم ذكر ما به النّجاة وهو الإيمان والتفويض إلى الله تعالى.

ولمّا ذكر العذاب وهو مطلق، ذكر فَقْدَ ما به حياة الأنفس وهو الماء، وهو عذاب مخصوص. والغور تقدّم شرحه[1]. والمعين تقدّم[2]. وجواب «إن أهلكني»: «فمن يجير». وجواب «إن أصبح»: «فمن يأتيكم».

(١) انظر شرح الآية ٤١ من الكهف.

(٢) انظر شرح الآية ٤٥ من الصافات.

سورة القلم(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ۝١٦﴾.

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكّية. ومعظمها نزل في الوليد بن المغيرة وأبي جهل. ومناسبتها لما قبلها أنه فيما قبلها ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم، أو لأرسل عليهم حاصباً. وكان ما أخبر به تعالى هو [ممّا] تلقّفه رسول الله ﷺ بالوحي. وكان الكفار ينسبونه مرة إلى السحر ومرة إلى الشعر ومرة إلى الجنون. فبدأ تعالى هذه السورة ببراءته ممّا كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره على صبره على أذاهم، وبالثّناء على خلقه.

﴿نٓۚ﴾ حرف من حروف المعجم نحو ﴿صٓۚ ۝١﴾ [ص] و﴿قٓۚ ۝١﴾ [ق].

---

(1) مكية وهي اثنتان وخمسون آية.

وهو غير معرب كبعض[1] الحروف التي جاءت مع غيرها مهملة من العوامل. فالحكم على موضعها بالإعراب تخرّص[2]. ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ هو المعهود للكتابة. وجعل الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للناس فجاء القسم على هذا [٥٥٢/أ] بمجموع أمر الكتاب الذي هو قوام للعلوم وأمور الدنيا والآخرة؛ فإن القلم أخو اللسان ومظنّة الفطنة، ونعمة من الله تعالى عامّة. وجواب القسم ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ ويظهر أن «بنعمة ربك» قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحُكْم، على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ أي: على ما تحمّلت من[3] أثقال النبوّة ومن أذاهم، بما ينسبون[4] إليك ممّا أنت لا تلتبس به من المعايب. ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، مننتُ الحبل: قطعته.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ أي: دين عظيم، وهو من الثناء عليه

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ الباء ظرفية تقديره: في أيكم. و﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ مصدر على وزن مفعول كالمعقول والمجلود بمعنى العقل والجلد.

وقيل: الباء زائدة و«أيكم» مبتدأ زيدت الباء فيه كما زادوها في قوله: بحسبك درهم، أي: حسبك. و«المفتون» في هذا الوجه اسم مفعول، والجملة في موضع نصب بالفعل الذي قبله وهو «ويبصرون» لأنه بمعنى

---

(١) ق: لبعض.

(٢) ق: نحرص، وفوقها كذا.

(٣) ق: به من.

(٤) ق: ينتسبون.

يعلمون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ وعيد للضالّ وهم المجانين[1] على الحقيقة، حيث كانت لهم عقول، فلم ينتفعوا بها، ولا استعملوها في اتّباع ما جاءت به الرسل. أو يكون «أعلم» كناية عن جزاء الفريقين.

﴿فَلَا تُطِعِ﴾ أي: الذين كذّبوا[2] ما أنزل الله عليك من الوحي. وهذا نهي عن طواعيتهم في شيء ممّا دعوه إليه من تعظيم آلهتهم.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ «لو» هنا على رأي بعض النحويين مصدرية بمعنى أن، أي: ودّوا إدهانكم.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ تقدم تفسير «مهين» وما بعده في المفردات[3]. وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة. ونوسب فيها فجاء «حلاّف» وبعده «مهين» لأن النون فيها مع الميم تواخٍ. ثم جاء «همّاز مشاء بنميم» بصفتي المبالغة. ثم جاء «مناع للخير» فـ«منّاع» و«أثيم» صفتا مبالغة. والظاهر أن الخير هنا يراد به العموم فيما يطلق عليه خير.

والزنيم: قال ابن عباس: الذي له زنمة في عنقه كزنمة الغنمة. والظاهر أن هذه الأوصاف ليست لمعيّن؛ ألا ترى إلى قوله «كل حلاف» وقوله «إنا بلوناهم» فإنما وقع النّهي عن طواعية من هو بهذه الصفات.

ولمّا ذكر قبائح أفعاله وأقواله ذكر ما يفعل به على سبيل التوعّد فقال

---

(١) ق: المحابين.

(٢) ق: كفروا.

(٣) انظر البحر ٨: ٣٠٥.

«سنسمه على الخرطوم» والسّمة العلامة. ولمّا كان الوجه أشرف ما في الإنسان، والأنف أكرم ما في الوجه لتقدّمه، ولذلك جعلوه مكان العزّ والحميّة، واشتقوا منه الأنفة وقالوا: حميّ الأنف شامخ العرنين، وقالوا في الذليل: جدع أنفه ورغم أنفه، [وكان أيضاً مما تظهر السمات فيه لعلوّه، قال «سنسمه على الخرطوم»].

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

ولمّا [٥٥٢/ب] ذكر المتّصف بتلك الأوصاف الذّميمة وهم كفار قريش، أخبر تعالى [عن] ما حلّ بهم من الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ[1] «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» الحديث. ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ المعروف [من] خبرها عندهم [أنها] كانت بصَوْران[2] على فراسخ من صنعاء لناسٍ[3] بعد رفع عيسى عليه السلام. وكان [صاحبها] يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكراس[4]، وما

(١) أخرجه مسلم ١: ٤٦٦ من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر معجم البلدان: الصَّوْران.

(٣) فوقها في ق: كذا.

(٤) الأكراس: جمع كِرْس وهو ما يُبنى لطُليان المعزى.

أخطأه القطاف من العنب، وما بقي على البساط تحت النخلة إذا صُرمت. فكان يجتمع لهم شيء كثير. فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، ونحن أولو عيال. فحلفوا ليصرمنّها مصبحين، [فبكروا] في الغدوّ خيفة من المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم بقولهم: إن شاء الله. والكاف في «كما بلونا[1]» في موضع نصب و«ما» مصدرية.

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ ﴾ [قال الفراء][2]: والطائف: الأمر الذي يأتي بالليل. ورُدّ عليه بقوله ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف] فلم يخصّص بالليل. و﴿ طَآئِفٌ ﴾ مبهم فقيل: هو جبريل عليه السلام، اقتلعها وطاف بها حول البيت، ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم، ولذلك سميت بالطائف. وليس في أرض الحجاز بلدة فيها الشجر والماء والعنب [وغير ذلك] غيرها[3].

﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ قال ابن عباس: كالرماد الأسود. والصّريم: الرّماد الأسود بلغة خزيمة.

﴿ فَتَنَادَوْا۟ ﴾ دعا بعضهم بعضاً إلى المضي إلى ميعادهم.

﴿ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾ قال الزمخشري[4]: فإن قلت: هلاّ قيل: اغدوا إلى حرثكم، وما معنى «على»؟. قلت: لما كان الغدوّ إليه ليصرموه ويقطعوه،

---

(١) ق: بلوناهم.

(٢) انظر معاني القرآن ٣: ١٧٥.

(٣) ق: وغيرها.

(٤) الكشاف ٤: ١٤٤.

كان غدوّاً عليه، كما تقول: غدا[1] عليهم العدوّ. ويجوز أن يضمّن الغدوّ معنى الإقبال كقولهم: يُغدى عليهم بالجفنة[2] ويراح، أي: فأقبلوا على حرثكم باكرين انتهى.

واستسلف الزمخشري أنّ غدا يتعدّى بإلى، ويحتاج ذلك إلى نقل، بحيث يكثر ذلك، فيصير أصلاً فيه، ويُتأوّل ما خالفه. والذي نحفظه أنه معدّى بعلى كقول الشاعر[3]: [من الوافر]

وقد أغدو على ثُبَةٍ كرامٍ ... نَشَاوَى واجدينَ لما نشاءُ

وكذا عدّي مرادفه، قال[4]: [من الطويل]

بكَرْتُ عليه غُدوةً فرأيته ... قُعوداً لديه بالصّريم عواذلُهْ

﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ هو من صرام النخل.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يخفون كلامهم خوفاً من أن يشعر بهم المساكين.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أي: يتخافتون بهذا الكلام.

﴿قَٰدِرِينَ﴾ أي: على قصد وقدرة في أنفسهم يظنون أنهم ملكوا مرادهم. والحرد المنع.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: [٥٥٣/أ] أرجحهم عقلاً. ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أنبهم

---

(١) ق: غدو.

(٢) ق: بالخفية.

(٣) البيت لزهير في ديوانه ص٧٢.

(٤) البيت أيضاً لزهير في ديوانه ص١٤٠.

ووبّخهم على تركهم ما حضّهم عليه، وهو تسبيح الله تعالى. ولمّا غفلوا عن ذكر الله، وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله تعالى.

ولمّا أنّبهم رجعوا إلى ذكر الله تعالى، واعترفوا على أنفسهم بالظلم وبادروا إلى تسبيح الله تعالى فقالوا «سبحان ربنا». قال ابن عباس: أي: نستغفر الله من ذنبنا.

ولمّا أقرّوا بظلمهم، لام بعضهم بعضاً إذ كان منهم من زيّن ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكفّ، ومنهم من عصى الأمر، ومنهم من سكت على رضاً منه. ثم اعترفوا بأنهم طغوا.

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا ﴾ أي: بهذه الجنة خيراً منها ﴿ رَٰغِبُونَ ﴾ أي: طالبون إيصال الخير إلينا منه. والظاهر أن أصحاب هذه الجنة كانوا مؤمنين أصابوا معصية وتابوا.

والإشارة بـ«ذلك» إلى العذاب الذي نزل بالجنة، أي: كذلك العذاب الذي ينزل بقريش بغتة، ثم عذاب الآخرة بعد ذلك أشدّ عليهم من عذاب الدنيا.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟
بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى
وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى
مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾
فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن

رَبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى أنه بَلاَ كفار قريش، وشبّه بلاءهم ببلاء أصحاب الجنة، أخبر بحال أضدادهم، وهم المتّقون، فقال ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الكفر. ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أضافها إلى النعيم، لأن النعيم لا يفارقها، إذ ليس فيها إلا هو، ولا يشوبه كَدَرٌ كما يشوب جنات الدنيا. وروي أنه لما نزلت هذه قالت قريش: إن كان ثَمَّ جنة، فلنا فيها أكبر الحظّ فنزلت[1].

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا يتساوى المطيع والعاصي. وهو استفهام [فيه توقيف على خطأ ما قالوا وتوبيخ، ثم التفت إليهم فقال ﴿مَا لَكُمْ﴾ أي: أيُّ شيء لكم فيما تزعمون؟ وهو استفهام] إنكار عليهم.

ثم قال ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ وهو استفهام ثالث على سبيل الإنكار عليهم، استفهم عن هيئة حكمهم. ففي قوله «ما لكم» [استفهام] عن كينونة مبهمة. وفي «كيف تحكمون» استفهام عن هيئة حكمهم.

ثم أضرب عن هذا إضراب انتقال لشيء آخر لاإبطال لما قبله فقال ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ أي: بل ألكم. ﴿كِتَٰبٌ﴾ أي: من عند الله. ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أنّ[2] ما تختارونه يكون لكم.

و«ما» في قوله «لَمَا» موصولة[3] بمعنى الذي وهي اسم «إن»، والجار

---

(١) انظر القرطبي ١٨: ٢٤٦.

(٢) ق: أي. وفوقها: كذا.

(٣) ق: لما ولما موصولة.

والمجرور قبله في موضع الخبر. و﴿ تَخَيَّرُونَ ﴾ حذفت منه التاء، أصله تتخيرون.

﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ أي: ضامن بما يقولونه ويدّعون صحته. وسَلْ معلّقة عن مطلوبها الثاني. لما كان السؤال سبباً لحصول العلم، جاز تعليقه كالعلم، ومطلوبها الثاني أصله أن يعدّى بعن أو بالباء كما قال ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة]. ولو كان غير اسم استفهام لتعدّى إليه بعن أو بالباء، كما تقول: سل زيداً عمّن ينظر في كذا. لكنه علّق «سلهم» فالجملة في موضع نصب.

[٥٥٣/ب] ﴿ فَلْيَأْتُوا ﴾ المراد الأصنام أو ناس يشاركونهم في قولهم ويوافقونهم فيه. أي: لا أحد يقول بقولهم، كما أنه لا كتاب لهم ولا عهد من الله[١] ولا زعيم بذلك. «فليأتوا» هذا استدعاء وتوقيف، قيل: في الدنيا، أي: ليحضروهم حتى[٢] يُرى هل هم بحال من يضرّ وينفع أم لا. وقيل: في الآخرة على أن يأتوا بهم.

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ كناية عن شدة الأمر وتفاقمه في ذلك اليوم. والناصب له محذوف تقديره: يكون كيتَ وكيتَ من الأمور الصعبة الشاقة. ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ ظاهره أنهم يُدعون. وتقدّم[٣] أن ذلك على سبيل التوبيخ لا على سبيل التكليف.

و﴿ خَٰشِعَةً ﴾ حال ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ أي: في الدنيا. ﴿ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾

(١) ق: من عهد الله.

(٢) ق: حين.

(٣) لم يتقدم شيء، وانظر البحر ٨: ٣١٦.

أي: الأعضاء، قادرين على السجود. ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ذلّة.

﴿فَذَرْنِي﴾ المعنى: خَلِّ بيني[١] وبينه، فإني سأجازيه وليس ثَمَّ مانع منه. وهذا وعيد شديد لمن يكذّب بما جاء به الرسول عليه السلام من أمر الآخرة وغيره. وكان تعالى قد قدّم أشياء من أحوال السّعداء والأشقياء. و«مَن» في موضع نصب إمّا عطفاً على الضمير في «ذرني»، وإمّا على أنه مفعول معه. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ تقدّم الكلام عليه[٢].

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ تقدّم الكلام [عليه أيضاً][٣].

روي أنه عليه السلام أراد أن يدعو على الذين انهزموا بأُحد، حين اشتدّ بالمسلمين الأمر، وقيل: حين اراد أن يدعو على ثقيف فنزلت[٤] «فاصبر لحكم ربك» وهو إمهالهم وتأخير نصرك عليهم، وامْضِ لما أُمرتَ به من التّبليغ واحتمال الأذى. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام. ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي في بطن الحوت. وليس النّهي منصباً على الذّوات إنما المعنى: لا يكن حالك مثل حاله إذ نادى. فالعامل في «إذ» هو المحذوف المضاف، أي: كحال أو كقصة صاحب الحوت إذ نادى. ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظاً على قومه إذ لم يؤمنوا لمّا دعاهم إلى الإيمان، وأحوجوه[٥] إلى استعجال مفارقته إياهم.

---

(١) ق: بيننا.

(٢) انظر شرح الآية ١٨٢ من الأعراف.

(٣) انظر شرح الآية ٤٠ من الطور.

(٤) انظر الكشاف ٤: ١٤٨.

(٥) ق: وأخرجوه.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ معناه لولا هذه الحال المرجوّة كانت له من نعمة الله تعالى لنُبذ بالعراء. وجواب «لولا»: «لنبذ بالعراء». والمعتمد فيه على الحال لا على النّبذ.

ولمّا[١] أمره تعالى بالصبر لما أراده تعالى، ونهاه[٢] عمّا نهاه، [أخبره بشدّة عداوتهم، ليتلقّى ذلك بالصبر لما أراده تعالى ونهاه عمّا نهاه] فقال ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أي: لَيُزَلّون قدمك بنظرهم الحادّ[٣] الدالّ على العداوة المفرطة. ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ «الذكر» القرآن. ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ تنفيراً عنه، وقد علموا أنه عليه السلام أتمّهم فضلاً وأرجحهم عقلاً.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة وعبرة. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: للجن والإنس، فكيف ينسبون إلى الجنّ [٥٥٤/أ] من جاء به؟.

---

(١) ق: لمّا.

(٢) ق: نهاه.

(٣) ليزلقون. . اتحاد.

سورة الحاقة(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَاقَّةُ (1) مَا ٱلْحَاقَّةُ (2) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ (3) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ (8) وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (10) إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ (12) ﴾.

﴿ ٱلْحَاقَّةُ مَا ٱلْحَاقَّةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء وقال ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ (44) ﴾ [القلم] ذكر حديث القيامة وما أعدّ الله تعالى فيها لأهل السعادة والشقاوة، وأدرج بينهما شيئاً من أحوال الذين كذبوا الرسل كعاد وثمود وفرعون، ليزدجر بذكرهم وما جرى عليهم، الكفارُ الذين عاصروا الرسول عليه السلام. وكانت العرب عالمة بهلاك عاد وثمودٍ وفرعون، فنصّ عليهم لذلك.

و﴿ ٱلْحَاقَّةُ ﴾ المراد بها القيامة والبعث، قاله ابن عباس. والحاقة اسم فاعل من حقّ الشيء، إذا ثبت، ولم يُشكّ في صحته. و«الحاقّة» مبتدأ. و«ما»

(1) مكية وآياتها اثنتان وخمسون.

مبتدأ ثانٍ، و«الحاقة» [خبره. والجملة] خبر عن «الحاقّة» والرابط تكرار المبتدأ بلفظه نحو: زيد ما زيد. و«ما» استفهام لا يراد به حقيقته بل التعظيم، وأكثر ما يربط بتكرار المبتدأ إذا أريد معنى التعظيم والتهويل.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ مبالغة في التّهويل. والمعنى أن فيها ما لم يُدْرَ ولم يحط به[1] وصف من أمورها الشاقّة وتفصيل أوصافها. و«ما» استفهام أيضاً مبتدأ، و«أدراك» الخبر. والعائد على «ما» ضمير الرفع في «أدراك». و«ما» مبتدأ. و«الحاقّة» خبر، والجملة في موضع نصب بـ«أدراك». و«أدراك» معلّقة، وأصل درى أن يُعدّى بالباء وقد تُحذف على قلّة. فإذا دخلت همزة النقل تعدّى إلى واحد بنفسه وإلى الآخر بحرف الجر. فقوله «ما الحاقة» بعد «أدراك» في موضع نصب بعد إسقاط حرف الجر.

والقارعة من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بصدمتها. والطاغية الصيحة.

﴿عَاتِيَةٍ﴾ عَتَتْ على خزّانها فخرجت بغير مقدار.

ومعنى ﴿سَخَّرَهَا﴾ أي: أقامها عليهم وأدامها سبع ليال، عَتَتْ[2] عليهم صبح الأربعاء لثمانٍ بقين من شوال إلى آخر الأربعاء تمام الشهر.

﴿حُسُومٗاۖ﴾ قال ابن عباس: تباعاً لم يتخلّلها انقطاع. ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا﴾ أي: في الليالي والأيام. ﴿صَرۡعَىٰ﴾ أي: هلكى. ﴿خَاوِيَةٖ﴾ خلت أعجازها بِلىً وفساداً.

---

(١) ق: ولم يخطيه، وفوقها: كذا.

(٢) ق: ندب.

وقال ابن شجرة[١]: كانت تدخل في أفواههم، فتُخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية.

﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ ظرف زمان أي: الأمم الكافرة التي كانت قبله كقوم نوح، وقد أشار إلى شيء من حديثه بعد هذا. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط. ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالفعلة أو الفعلات.

﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ[٥٥٤/ب]رَبِّهِمْ﴾ «رسول» جنس، وهو من جاءهم من عند الله كموسى ولوط عليهما السلام. ﴿رَّابِيَةً﴾ أي: نامية.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: زاد وعلا على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعاً. قال ابن جبير: طغى على الخُزّان كما طغت الريح على خُزّانها. ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ أي: في أصلاب آبائكم، أو حملنا آباءكم. ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ هي سفينة نوح.

﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ بما جرى لقومه الهالكين وقومه النّاجين فيها، وعظة أدركها أوائل هذه الأمّة. ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ أي: تحفظ قصتها أُذن من شأنها أن تعي المواعظ وتعتبر بها. يقال: وعيت، لِما حُفظ في النفس، وأوعيت، لِما حُفظ في غير النفس من الأوعية.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ

---

(١) ق: سحرة، وفوقها: كذب.

أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾.

ثنّى الضمير في ﴿فَدُكَّتَا﴾ لأن المراد جملة الأرض وجملة الجبال، أي: ضرب بعضها ببعض حتى تفتّت. والدّكّ فيه تفرق الأجزاء، والدقّ[1] فيه اختلاط الأجزاء.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ معطوف على «فإذا نفخ في الصور» وهو منصوب بـ«وقعت»، كما أن «إذا» منصوب بـ«نفخ» على ما اخترناه[2]. والتنوين في «إذٍ» للعوض من الجملة المحذوفة، تقديره: فيوم إذ نُفخ في الصور وجرى كيت وكيت.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: تفطّرت وتميّز بعضها من بعض. ﴿فَهِيَ﴾ يوم إذ انشقّت. ﴿وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة لتشقّقها بعد أن كانت شديدة.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ أي: على حافاتها حين تنشقّ. والضمير في «فوقهم» عائد على «الملك» ضمير جمعٍ على المعنى، لأنه يراد به الجنس. والظاهر أن التمييز المحذوف في قوله «ثمانية»: أملاك، أي: ثمانية أشخاص من الملائكة.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ كان ما ذكر. ﴿تُعْرَضُونَ﴾ أي: للحساب. و«تعرضون» هو جواب قوله «فإذا نفخ». و«يومئذ تُعرضون» بدل من

(١) ق: والدرك فيه تفرق الأجر أو الدّق.

(٢) وهو مخالف لقول الجمهور، انظر البحر ٨: ٣٢٣.

«فيومئذ». والخطاب في «تعرضون» لجميع العالم المحاسبين. ﴿خَافِيَةٌ﴾ أي: سريرة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الآية، ﴿هَآؤُمُ﴾ قال الكسائي وابن السكّيت: العرب تقول: هاءَ يا رجل، وللاثنين رجلين أو امرأتين: هاؤما، وللرجال: هاؤم، وللمرأة: هاءِ بهمزة مكسورة بغير ياء[1]، وللنساء هاؤنّ. ومعنى ﴿هَآؤُمُ﴾: خذوا. وقد ذكرنا في شرح التسهيل فيها لغات. و«هاؤم» إن كان مدلولها: خذ، فهي متسلّطة على «كتابيه» بغير واسطة. وإن كان مدلولها: تعالوا، فهي متعدّية إليه بواسطة إلى. و«كتابيه» يطلبه «هاؤم» و«اقرؤوا»؛ فالبصريون يُعملون «اقرؤوا»، والكوفيون يُعملون «هاؤم». وفي ذلك دليل على جواز التنازع بين اسم الفعل والفعل.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ أي: أيقنت. ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ أي: ذات رضا. ﴿عَالِيَةٍ﴾ أي: مكاناً وقدراً.

﴿قُطُوفُهَا﴾ أي: ما يُجنى[2] منها. ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة المتناول [٥٥٥/أ] يدركها القائم والقاعد.

﴿كُلُوا﴾ أي: يقال لهم كلوا. و﴿هَنِيٓـًٔا﴾ تقدّم شرحه[3]. ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: قدّمتم من العمل الصالح. ﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ يعني أيام الدنيا.

﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ لمّا رأى فيه قبائح أفعاله وما يصير أمره إليه، تمنّى أنه لم يُعْطَهُ، وتمنّى [أنه] لم يَدْرِ حسابه، فإنه انجلى عنه حسابه عمّا يسوؤه

---

(١) ق: تاء.

(٢) ق: يجيء.

(٣) انظر شرح الآية ٤ من النساء.

فيه، إذ كان عليه لا له.

﴿يَٰلَيْتَهَا﴾ أي: الموتة التي مِتُّها في الدنيا. «كانت القاضية» القاطعة لأمري، فلم أُبعث، ولم أُعذّب.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾ يجوز أن يكون نعتاً محضاً، أخبر بذلك متأسّفاً على ماله حيث لم ينفعه. ويجوز أن يكون استفهاماً وبّخ به نفسه وقرّرها عليه. ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ أي: حجّتي.

﴿خُذُوهُ﴾ أي: يقال للزّبانية خذوه. ﴿فَغُلُّوهُ﴾ أي: اجعلوا في عنقه غلاً.

﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ «الجحيم» مفعول ثانٍ لـ«صلّوه»، والمفعول الأول الهاء في «صلّوه» وأخّر هذا لأجل الفاصلة.

﴿فِى سِلْسِلَةٍ﴾ متعلق بقوله «فاسلكوه». و«ذراعاً» صفة للسلسلة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ﴾ بدأ بأقوى أسباب تعذيبه وهو كفره بالله تعالى. و«إنه» تعليل مستأنف، كأنّ قائلاً قال: لِمَ يُعذَّب هذا العذاب البليغ؟ فقيل: إنه كان لا يؤمن.

وعطف ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ على ﴿لَا يُؤْمِنُ﴾ [وهو] داخل في العلّة، وذلك يدلّ على عظم ذنب من لا يحضّ على إطعام المسكين؛ إذ جُعل قرين الكفر. وهذا حكم ترك الحضّ فكيف ترك الإطعام؟. والتقدير: على إطعام طعام المسكين. وأضاف الطعام إلى المسكين من حيث له نسبة إليه إذ يستحق المسكين حقًّا في مال الغنيّ الموسر ولو بأدنى يسار.

﴿حَمِيمٌ﴾ أي: صديق ملاطف. ﴿مِنْ غِسْلِينٍ﴾ هو صديد أهل النار.

و﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ اسم فاعل من خطىء، وهو الذي يفعل ضدّ الصواب متعمّداً

لذلك، والمخطىء: الذي يفعله غير متعمّد.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ عامّ في جميع مخلوقاته.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن. ﴿ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ هو محمد عليه السلام، ويؤيده قوله ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ ﴾ وما بعده. ونسب القول إليه لأنه هو مبلّغه والعامل به. ونفى تعالى أن يكون قول شاعر لمباينته لضروب الشعر.

﴿ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ ﴾ لأنه ورد بسبّ الشياطين.

وانتصب ﴿ قَلِيلٗا ﴾ على أنه صفة لمصدر محذوف، أو لزمان محذوف أي: يؤمنون إيماناً قليلاً أو زماناً قليلاً. وكذا التقدير في «قليلاً ما تذكرون». والقلّة هو إقرارهم [إذا سئلوا]: من خلقهم؟ قالوا: الله.

وقال ابن عطية: ونصب «قليلاً» بفعل مضمر يدلّ عليه «تؤمنون». و«ما» يحتمل أن تكون [٥٥٥/ب] نافية، فينتفي إيمانهم البتّة، ويحتمل أن تكون «ما» مصدرية، والمتّصف بالقلّة هو[١] الإيمان اللّغوي، لأنهم قد صدّقوا بأشياء يسيرة، لا تغني عنهم شيئاً، إذ كانوا يصدقون أن الخير والصلة والعفاف الذي كان يأمر به الرسول عليه السلام هو حق صواب انتهى.

---

(١) ق: ويتصف بالقلة فهو.

أمّا قوله ونصب «قليلاً» بفعل مضمر يدل عليه «تؤمنون» فلا يصح؛ لأن ذلك الفعل الدالّ عليه «تؤمنون» [إما أن تكون «ما» نافية أو مصدرية كما ذهب إليه. فإن كانت نافية، فكذلك الفعل المضمر الدالّ عليه «تؤمنون»] المنفي بـ«ما» يكون منفياً، فيكون التقدير: ما تؤمنون قليلاً ما تؤمنون. والفعل المنفي بما، لا يجوز حذفه ولا حذف ما، لا يجوز: زيداً ما أضربه، على تقدير: ما أضرب زيداً ما أضربه. وإن كانت مصدرية، كانت إمّا في موضع رفع على الفاعلية بـ«قليلاً» أي: قليلاً إيمانكم. ويبقى[١] «قليلاً» لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له. وإما في موضع رفع على الابتداء، فيكون مبتدأ لا خبر له، لأنّ ما قبله منصوب لا مرفوع.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ التقوّل أن يقول الإنسان عن الآخر إنه قال شيئاً لم يقله. والأقاويل جمع أقوال وهي جمع الجمع. «باليمين» قيل: الباء زائدة.

و﴿ٱلْوَتِينَ﴾ قال ابن عباس: هو نياط القلب. والمعنى: لو تقوّل لأذهبنا حياته معجّلاً.

والضمير في «عنه» يجوز أن يعود على الذي تقوّل. والخطاب في «منكم» للناس. والظاهر في «حاجزين» أن يكون خبراً لـ«ما» على لغة أهل الحجاز، لأن «حاجزين» هو محطّ الفائدة. ويكون «منكم» لو تأخر[٢] لكان صفة لـ«أحد»، فلما تقدّم صار حالاً وجُمع على المعنى، لأنه في معنى الجماعة.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن. ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ﴾ وعيد للمكذبين بالقرآن.

---

(١) ق: وينفي.

(٢) فوقها في ق: كذا.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ﴾ أي: القرآن من حيث كفروا به ويرون من آمن به ينعم وهم يعذّبون.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإن القرآن لحقّ اليقين. ﴿فَسَبِّحْ﴾ تقدّم الكلام عليه[1].

(١) انظر شرح الآية ٧٤ من الواقعة.

سورة المعارج(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨ ﴾.

﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. قال الجمهور: نزلت(2) في النضر بن الحارث حين قال: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ۝٣٢ ﴾ الآية [الأنفال]. ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ ﴾ [الحاقة] أخبر عمّا صدر عن بعض المكذبين بنعم الله تعالى، وإن كان السائل نوحاً أو الرسول فناسب تكذيب المكذبين أن دعا عليهم رسولهم.

﴿ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾ جملة اعتراض بين العامل والمعمول. وقيل: يتعلق

---

(1) مكية وهي أربع وأربعون آية.

(2) انظر أسباب النزول ص٢٩٤.

بـ«دافع» أي: [٥٥٦/أ] من جهته إذا جاء وقته.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [«المعارج»] لغةً: الدرج، وهنا استعارة. قال ابن عباس: في الرّتب والفواصل والصفات الحميدة. وقال ابن عباس أيضاً: «المعارج» السماوات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ هو جبريل عليه السلام، خُصّ بالذكر تشريفاً. والظاهر أن معنى ﴿تَعْرُجُ﴾ في يوم من أيامكم هذه، ومقدار المسافة لو[1] عرجها آدمي، خمسون ألف سنة. والجملة من قوله «تعرج» اعتراض.

ولمّا كانوا قد سألوا استعجال العذاب، وكان السؤال على سبيل الاستهزاء والتكذيب، وكانوا قد وُعدوا به - أمره تعالى بالصبر.

والضمير في ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾ عائد على العذاب، أو على اليوم إذا أريد به يوم القيامة. وهذا الاستبعاد هو على سبيل الإحالة منهم.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ أي: هيّناً في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذّر. وكلّ ما هو آتٍ قريب. والبعد والقرب في الإمكان لا في المسافة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾ [«يوم» منصوب بإضمار فعل أي: يقع يوم تكون]، أو: يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت، أو بـ«قريباً»[2]، أو بدل من ضمير «نراه» إذا كان عائداً[3] على يوم القيامة. و«المهل» دُرْديّ[4] الزيت.

---

(١) ق: أن لو.

(٢) ق: تقريباً.

(٣) ق: عائد.

(٤) دُردي الزيت: ما يبقى في أسفله.

﴿كَٱلۡعِهۡنِ﴾ الصوف المنفوش الذي طيّرته الرّيح.

﴿وَلَا[1] يَسۡـَٔلُ﴾ أي: [لا] يسأله نصرة[2] ولا منفعة لعلمه أنه لا يجد ذلك عنده.

﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ استئناف كلام. قال ابن عباس: في المحشر يبصر الحميم حميمه ثم يفرّ عنه لشغله بنفسه.

﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ﴾ أي: الكافر. وقد يندرج فيه المؤمن العاصي الذي يعذّب.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أقربائه الأدنَيْن[3]. ﴿تُـٔۡوِيهِ﴾ تضمّه انتماءً[4] إليها.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطف على [«يفتدي» على] تقدير: ينجيه بالافتداء.

و﴿كَلَّآۖ﴾ ردع لودادتهم الافتداء، أو تنبيه على أنه لا ينفع. ﴿إِنَّهَا﴾ الضمير للقصة. و﴿لَظَىٰ نَزَّاعَةً﴾ تفسير لها. والشّوى: جلدة الرأس. والشّوى: القوائم.

﴿تَدۡعُواْ﴾ أي: جهنم. ﴿مَنۡ أَدۡبَرَ﴾ عن الحق وتولّى. ﴿وَجَمَعَ﴾ أي: جمع المال فأوعاه وكنزه ولم يؤدّ حق الله تعالى فيه. وهذه إشارة إلى كفار أغنياء.

﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ

(١) ق: لا.

(٢) فوقها في ق: كذا.

(٣) ق: الأدنون.

(٤) ق: ابتماء، وفوقها: كذا.

مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ جنس، ولذلك استثنى منه «إلا المصلين». والإنسان إذا ناله شرّ أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس. ولمّا كان شدّة الجزع والمنع متمكّنة في الإنسان جُعل كأنه خُلق مجبولاً عليهما، كقوله ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء]. و«الخير» المال. ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ استثناء كما قلنا من «الإنسان».

ولذلك وصفهم بما وصفهم به من الصبر على المكاره والصفات الجميلة التي حازوها.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ الآية، كان عليه السلام يصلي عند الكعبة، ويقرأ القرآن، فكانوا يحتفّون به حلقاً حلقاً[1] يستمعون [٥٥٦/ب] ويستهزئون بكلامه ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد،

---

(١) ق: خلقاً خلقاً.

فلندخلنّها قبلهم، فنزلت[١]. ومعنى ﴿قِبَلَكَ﴾ أي: في الجهة التي تليك.
﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: عن يمينك وعن شمالك.

و﴿عِزِينَ﴾ جمع عِزَة. وجُمع جَمْع سلامة شذوذاً فقيل: عِزُون في الرفع وعِزِين في النصب والجر. وهو منصوب على الحال.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ أي: أنشأناهم من نطفة مَذِرة[٢]، فنحن قادرون على إعادتهم وبعثهم يوم القيامة، وعلى الاستبدال بهم خيراً منهم.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أقسم تعالى بمخلوقاته، على إيجاب قدرته، على أن يبدّل خيراً منهم.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد. وما فيه من المهادنة منسوخ بآية السيف[٣].

و﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يومهم» والنُّصب: ما نُصب للإنسان فهو يقصده[٤] مسرعاً إليه من عَلَم أو بناء أو صنم. وغُلّب في الأصنام حتى قيل الأنصاب.
﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون.

وقرأ الجمهور: ذلّة، منوّناً. ذلك اليومُ: برفع الميم مبتدأ وخبر.

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٩٤.

(٢) مذرة: فاسدة.

(٣) الآية ٥ من التوبة.

(٤) ق: يقصد.

سورة نوح(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الآية، هذه السوره مكية. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما أقسم أن يبدّل خيراً منهم وكانوا قد سخروا من المؤمنين، وكذّبوا بما وُعدوا به من العذاب، ذكر قصّة نوح وقومه معه. وكانوا أشدّ تمرّداً من المشركين فأخذهم الله تعالى أخذ استئصال، حتى إنه لم يبق لهم على وجه الأرض نسل. وكانوا عُبّاد أصنام كمشركي مكة. فحذّر تعالى قريشاً أن يصيبهم عذاب استئصال إن لم يؤمنوا.

---

(١) ق: الجن. مكية وهي ثمانٍ وعشرون آية.

ونوح عليه السلام أول نبّي أُرسل، ويقال له شيخ المرسلين وآدم الثاني.

﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ يجوز أن تكون [«أن»] مصدرية وأن تكون تفسيرية. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: عذاب النار في الآخرة.

﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «مِن» للتبعيض لأن الإيمان إنما يجبّ ما قبله من الذنوب لا ما بعده.

قال ابن عطية[1]: [«مِن» في «من ذنوبكم» مزيدة، وهو مذهب] كوفي.

وأقول: أخفشي لا كوفيّ؛ لأنهم يشترطون أن يكون بعد «مِن» نكرة، ولا يبالون بما قبلها من واجب أو غيره. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف تقديره: لو كنتم تعلمون لبادرتم إلى طاعته وتقواه.

ولمّا لم يجيبوه وآذوه، شكا إلى ربّه شكوى من يعلم أن الله تعالى عالم بحاله مع قومه، لما أُمر بالإنذار، فلم يُجْدِ فيهم. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ أي: جميع الأوقات من غير فتور ولا تعطيل في وقت، فلم يزدادوا إلا إعراضاً ونفوراً عن الحق.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ [٥٥٧/أ] أي: ليتوبوا فتغفر لهم. ذكر المسبّب الذي هو حظّهم خالصاً ليكون أقبح في إعراضهم عنه. ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ الظاهر أنه حقيقة، سدّوا مسامعهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم إليه، وتغطّوا بثيابهم حتى لا ينظروا إليه كراهة وبغضاً من سماع النصح ورؤية الناصح. ويجوز أن يكون ذلك كناية عن المبالغة في إعراضهم عمّا دعاهم إليه، فهم بمنزلة من سدّ مسمعه ومنع بصره.

(١) فوقها في ق: كذا.

ثم كرر صفة دعائه بياناً وتوكيداً. لمّا ذكر دعاءه عموم الأوقات ذكر عموم حالات الدعاء. و﴿كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ يدلّ على تكرار الدعوات فلم يبيّن حالة دعائه أوّلاً.

وظاهره أن يكون دعاؤه إسراراً، لأنه يكون ألطف بهم، ولعلهم يقبلون منه، كحال من ينصح في السّر، فإنه جدير أن يُقبل منه. فلمّا لم يُجْدِ له الإسرار، انتقل إلى أشدّ منه وهو دعاؤه جهاراً صَلتاً[1] بالدعاء إلى الله تعالى لا يحاشي أحداً. فلما لم يُجْدِ عاد إلى الإعلان والإسرار.

و﴿مِّدْرَارًا﴾ من الدَّر، وهو صفة يستوي فيها المذكر والمؤنث، ونصبها على الحال، ومعناه كثير الدرّ.

﴿لَا تَرْجُونَ﴾ لا تخافون، والوقار بمعنى العظمة والسلطان، والكلام على هذا وعيد وتخويف.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ جملة حالية تحمل على الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة؛ إذ في هذه الجملة الحالية التنبيه على تدريج الإنسان في أطوار، لا يمكن أن تكون إلا من خلقه تعالى. قال ابن عباس: من النطفة والعلقة والمضغة.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ الآية، لمّا نبّههم نوح عليه السلام

(١) صلتاً بالدعاء: بارزاً مجاهراً فيه.

على الفكر في أنفسهم، وكيف انتقلوا من حال إلى حال، وكانت الأنفس أقرب ما يفكّرون فيه منهم - أرشدهم إلى الفكر في العالم علوه وسفله، وما أودع تعالى في العالم العلوي من هذين النّيرين اللذين بهما قوام الوجود.

والضمير في «فيهن» عائد على السماوات.

والإنبات استعارة في الإنشاء، أنشأ آدم من الأرض وصارت ذريته منه، فصحّ نسبتهم كلهم إلى أنهم أُنبتوا منها. وانتصاب «نباتاً» بـ«أنبتكم» مصدراً على حذف الزائد، أي: إنباتاً، أو على إضمار فعل أي: فنبتّم نباتاً.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ﴾ اي: يصيّركم فيها مقبورين. ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ أي: يوم القيامة. وأكّده بالمصدر، أي: ذلك واقع لا محالة.

﴿بِسَاطًا﴾ تتقلبون عليها كما يتقلّب الرجل على بساطه. ﴿سُبُلًا﴾ طرقاً. ﴿فِجَاجًا﴾ متّسعة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾.

ولمّا أصرّوا على العصيان، وعاملوه بأقبح الأقوال والأفعال ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾. الضمير للجميع. وكان قد قال لهم ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح]. وكان أقام فيهم ما نصّ تعالى عليه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ

عَامًا ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت]. وكان قد وُسّع عليهم [٥٥٧/ب] في الرزق بحيث كانوا يزرعون في الشهر مرتين. ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ رؤساءهم وكبراءهم، وهم الذين كانوا سبب خسارهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَكَرُوا۟﴾ يظهر أنه معطوف على صلة «مَن». وجمع الضمير [في] «ومكروا» «وقالوا» على المعنى. ومكرهم احتيالهم في الدين، وتحريش الناس على نوح. و﴿كُبَّارًا﴾ مبالغة في الكبر كطُوّال وجُمّال.

﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: كبراؤهم لأتباعهم[1]. ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: أصنامكم. وهو عام في جميع أصنامهم، ثم خصّوا بعدُ أكابر أصنامهم وهو وَدًّ وما عطف عليه.

روي أنها أسماء رجال صالحين، كانوا في صدر الزمان، ماتوا فصُوّرت أشكالهم، لتُذكر أفعالهم الصالحة، ثم هلك من صوّرهم، وخلف من يعظّمها ثم [بقيت] كذلك حتى عُبدت. قيل: ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها - وقيل: بل الأسماء فقط - إلى قبائل من العرب؛ فكان وَدًّ لكلبٍ بدُومة الجندل[2]، وسواع لهذيل، ويغوث لمراد، ويعوق لهمدان، ونسر لحمير، ولذلك سمّت العرب بهذه الأسماء[3].

قال أبو عثمان النّهدي: رأيت يغوث، وكان من رصاص، يُحمل على جمل أجرد لا يهيجونه ويسيرون معه حتى يكون هو الذي يبرك، فإذا برك

---

(١) ق: لاتبعاهم.

(٢) انظر الروض المعطار ص٢٤٥.

(٣) يعني سمّت بعبد ودّ وعبد يغوث.

نزلوا وقالوا: قد رضي لكم المنزل. فينزلون حوله، ويضربون عليه[1] بناء انتهى.

ولمّا أخبر أنهم قد أضلّوا كثيراً، [دعا عليهم بالضلال فقال «ولا تزد». وهي معطوفة على «وقد أضلوا» إذ تقديره: وقال: قد أضلّوا كثيراً]. فهي [معمولة] لقال المضمرة المحكيّ بها قوله «وقد أضلّوا». ولا يشترط التناسب في عطف الجمل، بل قد تعطف جملة الإنشاء على جملة الخبر والعكس، خلافاً لمن يدّعي التناسب.

وقرىء: خطاياهم[2]، جمعاً. ﴿أُغۡرِقُواْ﴾ قال الضحّاك: كانوا يغرقون من جانب ويحرقون بالنار من جانب. ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم﴾ تعريض بانتفاء قدرة آلهتهم على نصرهم.

ودعاء نوح عليه السلام عليهم بعد أن أوحي إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ ۝٣٦﴾ [هود]. و﴿دَيَّارًا﴾ من ألفاظ العموم التي تستعمل في النفي وما أشبهه.

ولمّا دعا على الكفّار، استغفر للمؤمنين، فبدأ بنفسه ثم بمن وجب برّه عليه ثم للمؤمنين، فكان هو ووالداه اندرجوا في المؤمنين والمؤمنات.

وقال ابن عباس: لم يكفر لنوح أبٌ ما بينه وبين آدم عليه السلام. ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنًا﴾ قال ابن عباس: مسجدي، وقيل: شريعتي استعار لها بيتاً، كما قالوا: قبّة[3] الإسلام. ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ دعاء لكل مؤمن ومؤمنة في كل أمّة. والتّبار: الهلاك.

---

(١) ق: حوله.

(٢) ق: خطياهم. وقريب منها في الرسم: خطيّاتهم، وهي قراءة، انظر البحر ٨: ٣٤٣.

(٣) ق: فيه.

سورة الجن(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ

---

(١) مكية وهي ثمان وعشرون آية.

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها [٥٥٨/أ] أنه لمّا حكى تمادي قوم نوح في الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام، وكان أول رسول إلى الأرض كما أنّ محمداً ﷺ آخر رسول إلى الأرض، والعرب الذين[١] هو منهم عليه السلام كانوا عبّاد أصنام كقوم نوح، حتى أنهم عبدوا أصناماً مثل أصنام أولئك في الأسماء، وكان ما جاء به محمد عليه السلام من القرآن هادياً إلى الرشد، وقد سمعَتْه العرب، وتوقّف عن الإيمان به أكثرهم - أنزل الله تعالى سورة الجنّ إثر سورة نوح تبكيتاً لقريش والعرب، في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، إذ كانت الجن خيراً منهم، وأقبل إلى الإيمان. هذا وَهُمْ من غير جنس الرسول عليه السلام، ومع ذلك فبنفسِ[٢] ما سمعوا القرآن استعظموه، وآمنوا به للوقت، وعرفوا أنه ليس من نمط كلام الناس، بخلاف العرب؛ فإنه نزل بلسانهم، وعرفوا كونه معجزاً، وهم مع ذلك مكذّبون له ولمن جاء به حسداً وبغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عبادة.

و﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، أي: استماع نفر من الجن. والمشهور أن هذا الاستماع هو المذكور في الأحقاف[٣]، وهي قصة واحدة، وقيل قصتان. والجن الذين أتوه بمكة جنّ نصيبين، والذين[٤]

---

(١) ق: الذي.

(٢) النفس: بمعنى عند.

(٣) انظر الآية ٢٩ وما بعدها.

(٤) ق: الذي، في الموضعين.

أتوه بنخلة جنّ نينوى[1]. والسورة التي استمعوها قال عكرمة: سورة اقرأ باسم ربك، وقيل سورة الرحمن. ولم تتعرض الآية لا هنا ولا في الأحقاف إلى أنه رآهم وكلّمهم عليه السلام. ويظهر من الحديث أن ذلك كان مرتين:

إحداهما في مبدأ مبعثه عليه السلام، وهو في الوقت الذي أخبر فيه عبدالله بن مسعود أنه لم يكن معهم ليلة الجن، وقد كانوا فقدوه عليه السلام، فالتمسوه في الأودية والشعاب، فلم يجدوه، فلما أصبح إذا هو [جاءٍ] من قِبَل حراء. وفيه[2] «أتاني داعي الجنّ، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، فانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نارهم».

والمرة الأخرى كان معه ابن مسعود[3] «وقد انتدب[4] الرسول عليه السلام من يقوم معه إلى أن يتلو القرآن على الجن، فلم يقم أحد غير عبدالله فذهب معه إلى الحجون عند الشِّعب، فخطّ عليه خطّاً، وقال: لا تُجاوزه. فانحدر[عليه] عليه السلام أمثال الحجل، يجرّون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفهن، حتى غَشُوه فلا أراه. فقمت فأومأ إليّ بيده أن اجْلِسْ. فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع، واختفوا بالأرض حتى ما أراهم» الحديث. ويدلّ على أنهما قصّتان اختلافهم في العدد فقيل سبعة وقيل [٥٥٨/ ب] تسعة وقيل غير ذلك.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا﴾ أي: قالوا لقومهم لمّا رجعوا إليهم. ووصفوا «قرآناً» بقولهم «عجباً» وصفاً بالمصدر على سبيل المبالغة، أي: هو عجب في

---

(١) انظر في نصيبين ونخلة ونينوى، الروض المعطار: ٥٧٧، ٥٧٦، ٥٨٥.

(٢) أخرجه مسلم ١: ٣٣٢. من حديث ابن مسعود.

(٣) انظر مسند أحمد ١: ٤٥٨.

(٤) ق: استندب.

نفسه، لفصاحة كلامه، وحسن مبانيه، ودقّة معانيه، وغرابة أسلوبه، وبلاغة مواعظه، وكونه مبايناً لسائر الكتب. والعَجَب: ما خرج عن حدّ أشكاله ونظائره.

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي: يدعو إلى الصواب. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بالقرآن. ولمّا كان الإيمان به متضمناً الإيمان بالله وبوحدانيّته وبراءته من الشرك، قالوا «ولن نشرك بربنا أحدا».

وقرى: وإنّه، بكسر الهمزة من قوله «وأنه تعالى» وما بعده، وهي اثنتا[1] عشرة آخرها: «وأنا منّا المسلمون»[2]. وباقي السبعة بالفتح. فأما الكسر فواضح لأنها معطوفات على قوله «إنّا سمعنا» فهي داخلة في معمول القول. وأما الفتح فقال أبو حاتم: هو [عطف] على «أوحي» فهو كلّه في موضع رفع على ما لم يُسمَّ فاعله انتهى.

وهذا لا يصح؛ لأن من المعطوف ما لا يصحّ دخوله تحت «أوحي» وهو كلّ ما كان فيه ضمير المتكلم كقوله «وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع»[3]. ألا ترى أنه لا يلائم: أوحي إليّ أنّا كنا نقعد منها مقاعد؟، وكذلك باقيها؟. وخُرّجت قراءة الفتح على أن تلك كلها معطوفة على الضمير المجرور في «به» من قوله «فآمنا به»، أي: وبأنه، وكذلك باقيها. وهذا جائز على مذهب الكوفيين وهو الصحيح.

وقد تقدّم احتجاجنا على صحة ذلك في قوله تعالى﴿وَكُفْرُۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ

---

(١) ق: اثنتي.
(٢) الآية ١٤.
(٣) الآية ٩.

﴿ٱلْحَرَامِ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة]. ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: عظمته.

﴿سَفِيهُنَا﴾ هو إبليس، وقيل هو اسم جنس لكل سفيه، وإبليس مقدّم السفهاء. والشّطط: التعدّي وتجاوز الحدّ.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: كنّا حسّنّا الظّن بالإنس والجن واعتقدنا أن أحداً لا يجترىء على أن يكذب على الله تعالى، فينسب[1] إليه الصاحبة والولد، فاعتقدنا صحة ما أغوانا به إبليس ومردته، حتى سمعنا القرآن، فتبيّنّا كذبهم.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾ روى الجمهور أن الرجل [كان] إذا أراد المبيت أو الحلول في وادٍ نادى بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي، إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك. فيعتقد بذلك أن الجني الذي بالوادي يمنعه ويحميه. فروي أن الجن كانت تقول عند ذلك: لا نملك[2] لكم ولا لأنفسنا من الله تعالى شيئاً.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: كفار الإنس. ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها الجن، يخاطب به بعضهم بعضاً. و«ظنّوا» و«ظننتم» كلّ منهما يطلب «أن لن يبعث» فالمسألة من باب الإعمال، و«أن» هي المخففة من الثقيلة. وقيل: الضمير في «وأنهم» يعود على الجنّ، والخطاب في «ظننتم» لقريش. وهذه والتي قبلها هما من الموحى به لا من كلام الجن.

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [٥٥٩/أ] الظاهر أنه بعثة الرسالة إلى الخلق، وهو أنسب لما تقدّم من الآي ولما تأخر.

---

(١) ق: فنسب.

(٢) ق: أدفع.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أصل اللمس المسّ، ثم استعير للتّطلب والمعنى: طلبنا بلوغ السماء، لاستماع كلام أهلها. ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ﴾ الظاهر أن وجد هنا بمعنى صادف وأصاب. وتعدّت إلى واحد، والجملة من «ملئت» في موضع الحال. وأجيز[1] أن يكون تعدّت إلى اثنين، «فملئت» في موضع المفعول الثاني.

والظاهر أن المراد بالحرس الملائكة، أي: حافظين من أن تقربها الشياطين. ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب وهو ما يُرجم به الشيطان إذ استمع. وقوله ﴿فَوَجَدْنَٰهَا﴾ يدلّ على أنها كانت قبل ذلك يطرقون السماء، ولا يجدونها قد ملئت.

و﴿مَقَٰعِدَ﴾ جمع مقعد. وقد فسّر الرسول عليه السلام صورة قعود الجن أنهم كانوا واحداً فوق واحد، فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهّان، ويزيدون معها، ثم تزيد الكهّان الكلمة مئة كذبة.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ﴾ ظرف زمان للحال، و«يستمع» مستقبل، فاتُّسع في الظرف واستعمل للاستقبال. ﴿رَّصَدًا﴾ أي: يرصده فيحرقه، هذا لمن استمع. وأما السمع فقد انقطع كما قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء].

ولمّا رأوا ما حدث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ وهو كفرهم بهذا النبي فينزل بهم الشّر ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ﴾ فيؤمنون به فيرشدون. وحين ذكروا الشّر، لم يسندوه إلى الله تعالى، وحين ذكروا

---

(١) ق: وأخبر.

الرَّشَد، أسندوه إليه تعالى.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أخبروا بما هم عليه من الصلاح وغيره. و﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون صالح. وتقع «دون» في مواضعَ موقعَ غير، فكأنه قال: ومنّا غير صالحين.

﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ أي: لن نعجزه هرباً من الأرض إلى السماء. و«في الأرض» و«هرباً» حالان أي: قارّين أو هاربين.

و﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ هو القرآن. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن. ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف. والبخس: قال ابن عباس: نقص الحسنات. والرَّهَق: زيادة في السيئات.

و﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ أي: الكافرون الحائدون عن الحق. والظاهر أن ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ - إلى آخر الشرطين - من كلام الجنّ. و«من أسلم»[1] مخاطبة من الله تعالى للرسول عليه السلام، ويؤيده ما بعده من الآيات.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ الآية، هذا من جملة الموحى المندرج تحت «أوحي إليّ»[2]. و«أن» مخففة من الثقيلة. والضمير في «استقاموا» عائد على القاسطين، والمعنى: على طريقة الإسلام والحق لأنعمنا عليهم. [وقيل: الضمير في «استقاموا» عائد على الخلق كلهم] و«أن» هي المخففة من الثقيلة. ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [٥٥٩/ ب] كناية عن توسعة الرزق لأنه أصل المعاش.

(١) هذه العبارة من كلام ابن عطية ملخصاً، انظر البحر ٨: ٣٥٠.
(٢) الآية ١.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم كيف يشكرون ما أنعم عليهم به. و«صَعَداً» مفعول «يسلكه». و«عذاباً» مفعول من أجله.

﴿ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ هي البيوت المعدّة للصلاة والعبادة في كل ملّة. قال ابن جبير: نزلت لأن الجن قالت: يا رسول الله، كيف نشهد الصلاة معك على نأينا عنك؟ فنزلت الآية[1] ليخاطبهم بها، على معنى أن عبادتكم حيث كنتم مقبولة.

و﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ هو محمد ﷺ. ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يدعو الله. ﴿كَادُوا۟﴾ أي: كاد الجن ينقضّون عليه لاستماع القرآن.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ أي: أعبده. قال للجن عند ازدحامهم متعجبين: «ليس ما ترون من عبادة الله تعالى بأمر يُتعجّب منه، إنما يُتعجّب، ممّن يعبد غيره»[2].

﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المزدحمين عليك، وهم إما الجن وإما المشركون، على اختلاف القولين في ضمير «كادوا». ثم أمره تعالى أن يقول لهم ما يدلّ على تبرُّئه من القدرة على إيصال خير أو شرّ إليهم. وجعل الضرّ مقابلاً للرشد تعبيراً به عن الغيّ إذ ألغى ثمرته الضرّ. ويمكن أن يكون المعنى: ضرّاً ولا نفعاً ولا غيّاً ولا رشداً، فحذف من كلٍّ ما يدلّ مقابله عليه.

نفى عليه السلام أن يجيره أحد مما يريد الله تعالى به[3]، ونفى أن يجد

---

(١) انظر لباب النقول ص٢٢٢.

(٢) انظر الكشاف ٤: ١٧١، ولم يخرّجه ابن حجر في الكافي الشّاف.

(٣) فوقها في ق: كذا.

ملتحداً أي: مرجعاً من دون الله.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء منقطع أي: لكن إن بلّغتُ رحمني بذلك. وجمع «خالدين» حملاً على معنى «مَن» وذلك بعد الحمل على اللفظ في قوله «يعص» و«فإن له».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ﴾ «حتى» هنا حرف ابتداء يصلح أن يجيء بعدها جملة الابتداء والخبر. ومع ذلك فيها معنى الغاية. ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من يوم بدر وإظهار الله له عليهم. و«ناصراً» و«عدداً» تمييزان.

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ قال مكحول: لم ينزل هذا إلاّ في الجن، أسلم منهم من وُفّق، وكفر من خُذل كالإنس. قال: وبلغ من بايع النبي ﷺ ليلة الجن سبعين ألفاً[1]، وفرغوا عند انشقاق الفجر. ثم أمره تعالى أن يقول لهم إنه لا يدري وقت حلول ما وُعدوا به، أهو قريب أم بعيد. و«إن» نافية. و«أدري» فعل قلبي معلّق عن جملة الاستفهام وما بعدها، فالجملة في موضع نصب. و﴿أَمۡ يَجۡعَلُ﴾ وما بعده مقابل لقوله «أقريب» لأنّ معناه: أم بعيد يجعل ربي له أمداً.

---

(١) انظر بالنسبة للعدد ما ورد في تفسير الآية الأولى وقارن مع ها هنا ومع ما ورد في البحر ٨: ٣٤٧، ٣٥٥.

﴿عَـٰلِمُ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو عالم. ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦ﴾ عام، و﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ استثناء منقطع كأنه قال: فلا يظهر على غيبه المخصوص أحداً إلا من ارتضى من رسول، فله حفظة يحفظونه من شرّ مردة الإنس والجنّ.

ولأبي عبد الله الرازي كلام في علم الغيب مذكور [٥٦٠/أ] هو والردّ عليه في البحر[١]. قال ما نصّه[٢]: واعلم أنه لا بدّ من القطع بأنه ليس المراد من هذه الآية أنه لا يُطلع أحداً على شيء من المغيّبات إلا الرّسل. والذي يدلّ عليه وجوه:

أحدها أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقّاً[٣] وسطيحاً كانا كاهنين، يخبران بظهور محمد ﷺ قبل زمان ظهوره. وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم، حتى رجع إليهما كسرى في تعرّف أخبار رسولنا عليه السلام.

وثانيها إطباق الأمم على صحّة علم التعبير فيخبر المعبّر عمّا يأتي في المستقبل ويكون صادقاً.

وثالثها أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه[٤] من بغداد إلى خراسان، سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها ووقعت على وفق كلامها. وقد رأيت أناساً محقّقين في علوم الكلام والحكمة، حكوا

---

(١) انظر ٨: ٣٥٦.

(٢) بل نقله وتصرّف فيه، انظر تفسير الرازي ٣٠: ١٦٩.

(٣) ق: شقيحاً.

(٤) ق: مالك شاه.

عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة على سبيل التفصيل وجاءت كذلك. وبالغ أبو البركات صاحب المعتبر في شرح حالها في كتاب التعبير وقال: فحصت عن حالها منذ ثلاثين سنة حتى تيقّنت أنها كانت تخبر عن المغيّبات أخبارا[١] مطابقة موافقة.

ورابعها أنّا نشاهد [ذلك في] أصحاب الإلهامات الصادقة، وليس هذا مختصاً بالأولياء فقد يوجد في السّحرة. وفي الأحكام النجومية ما يوافق الصدق وإن كان الكذب يقع فيه[٢] كثيراً. وإذا كان ذلك مشاهداً محسوساً فالقول بأن القرآن يدلّ على خلافه ممّا يجرّ الطعن إلى القرآن وذلك باطل، فعلمنا أن التأويل الصحيح ما ذكرناه انتهى وفيه بعض تلخيص.

وإنما أوردنا كلام هذا الرجل في هذة المسألة لننظر فيما ذكر من تلك الوجوه. أما قصّة شق[٣]وسطيح فليس فيها شيء من الإخبار بالغيب لأنه ممّا يخبر به رئيّ[٤] الكّهان من الشياطين مسترقة السمع كما جاء في الحديث[٥] أنهم يسمعون الكلمة، ويكذبون ويلقون إلى الكهنة، ويزيد الكهنة للكلمة مئة كذبة. وليس هذا من علم الغيب، إذ تكلّمت به الملائكة، وتلقّفها الجنّي، وتلقّفها منه الكاهن، فالكاهن لم يعلم الغيب.

وأما تعبير المنامات فالمعبّر غير المعصوم لا يعبّر بذلك على سبيل البتّ والقطع، بل على سبيل التحّزر والتخمين، فقد يقع ما يعبّر وقد لا يقع.

(١) ق: أخبار.
(٢) ق: منه.
(٣) فوقها في ق: كذا.
(٤) ق: رين.
(٥) انظر البخاري ٣: ١١٧٥، و٤: ١٨٠٤.

وأما الكاهنة البغدادية وما حكى عنها فحسبه عقلاً أن يستدلّ بأحوال امرأة لم يشاهدها. ولو شاهد ذلك لكان في عقله ما يجوز أنه لبّس عليه هذا وهو العالم المنصف الذي طبق ذكره الآفاق، وهو الذي شكّك في دلائل الفلاسفة وسامهم(١) الخسف. وأما نقل الملك سنجر الكاهنة إلى خراسان وإشهارها [٥٦٠/ب] أنها تعلم الغيب، وأنه سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها، فإن الملوك لهم أذهان لطيفة ومقاصد خفيّة وفِكَر دقيقة في تدبير المملكة، فاستصحب هذه المرأة ليوهم بذلك أهل مملكتِه وحاشيتَه(٢) أن عنده من يعلم الغيب، وأخبرهم بما رتّب معها. فَمَن عندَه من أهل مملكتة خائفون دائماً أن يظهر عنهم ما يشوش على الملك. ولذا استخدم عقلاء الملوك المنجّمين وضُرّاب الرمل، وإن كانوا يعتقدون أنهم ليس لهم اطّلاع على شيء من الغيب، ذلك إيهام منهم لأهل مملكتهم، فإنهم رعاع همج يصدّقون بالمستحيلات(٣) وتؤثر فيهم الأوهام. وأما حكايته عن صاحب المعتبر فهو يهودي أظهر الإسلام، وهو منتحل طريقة الفلاسفة.

وأما مشاهدته أصحاب الإلهامات الصادقة فلي من العمر نحو من ثمانين سنة أصحب العلماء، وأتردد إلى من ينتمي إلى الصلاح، فلم أرَ أحداً منهم صاحب إلهام صادق.

وأما الكرامات فإني لا أشكّ في صدور شيء منها، لكن ذلك على سبيل النّدرة، وذلك فيمن سلف من صلحاء هذه الأمة. وربما قد يكون في أعصارنا من تصدر منه الكرامة، ولله تعالى أن يخصّ من شاء بما شاء.

---

(١) ق: شكل.. وساقهم.

(٢) ق: حاشيتة ومملكته.

(٣) ق: فالمستحيلات.

﴿لِّيَعْلَمَ﴾ الضمير عائد على الرسول عليه السلام؛ إذ تقدّم ذكره في قوله ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ۝١٩﴾ [الجن] أن الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل عليه السلام وخلفه قد أبلغوا رسالات ربهم. ﴿وَأَحَاطَ﴾ فيه ضمير فاعل عائد على «ربهم»، وكذلك الضمير في «أحصى». و«عدداً» تمييز.

سورة المزمل(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وسبب نزولها أنه عليه السلام لمّا جاءه الملك وهو في غار حراء وحاوره بما حاوره، رجع إلى خديجة، وقال زمّلوني زمّلوني. فعلى هذا نزلت «يا أيها المزمل» قالت عائشة: نودي بذلك لأنه كان في وقت نزول الآية متزمّلاً بكساء(٢). ومناسبتها لآخر ما قبلها أنَّ في آخر ما قبلها ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ۝٢٦ ﴾ [الجن]

---

(١) مكية وآياتها عشرون.

(٢) انظر البخاري ٤: ١٨٧٦، واللباب ص٢٢٣.

الآيات، فأتبعه بقوله «يا أيها المزّمل» إعلامًا بأنه عليه السلام ممّن ارتضاه من الرسل وخصّه بخصائص وكفاه شرّ أعدائه.

قال الزمخشري(١): «نصفه» بدل من الليل. و«إلاّ قليلا» استثناء من النصف، كأنه قال: قم أقل من نصف الليل. [والضمير في «منه» و«عليه» عائد على النصف. والمعنى التخيير بين أمرين: بين أن يقوم أقلّ من نصف الليل] على البتّ، وبين أن يختار أحد الأمرين، وهما النقصان من النصف والزيادة عليه [٥٦١/أ] انتهى.

فلم ينتبه للتكرار الذي يلزمه في هذا القول، لأنه على تقديره: قم أقلّ من نصف الليل، كان قوله: أو انقص من نصف الليل، تكراراً. وإذا كان «نصفه» بدلاً من قوله «إلا قليلا» فالضمير في «نصفه» إما أن يعود على المبدل منه أو على المستثنى منه وهو الليل، لا جائز أن يعود على المبدل منه، لأنه يصير استثناء مجهول من مجهول؛ إذ التقدير: إلا قليلاً نصف القليل، وهذا لا يصحّ له معنى ألبتّة. وإن عاد الضمير على الليل، فلا فائدة في الاستثناء من الليل؛ إذ كان يكون أخصر وأوضح وأبعد عن الالتباس أن يكون التركيب: قم الليل نصفه. [وقد أبطلنا قول من قال: «إلا قليلا» استثناء من البدل وهو «نصفه» وأن التقدير: قم الليل نصفه] إلا قليلاً منه، أي: من النصف. وأيضاً ففي دعوى أن «نصفه» بدل من «إلا قليلا» والضمير في «نصفه» عائد على الليل، إطلاق القليل على النصف. ويلزم أيضاً أن يصير التقدير: إلا نصفه فلا تقمه، أو انقص من النصف الذي لا تقومه، أو زد على النصف الذي لا تقومه(٢). وهذا معنى لا يصحّ وليس المراد من الآية

---

(١) الكشاف ٤: ١٧٥.

(٢) ق: تقمه، في الموضعين.

قطعاً.

وقال الزمخشري[١]: وإن شئت جعلت «نصفه» بدلاً من «قليلا» فكان تخييراً بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه. وإنما وصف النصف [بالقلّة بالنسبة إلى الكلّ. فإن شئت قلت: لمّا كان معنى «قم الليل إلا قليلا نصفه» - إذا أبدلت النصف] من الليل -: قم[٢] أقل من نصف الليل، رجع الضمير في «منه» و«عليه» إلى الأقل من النصف. فكأنه قيل: قم أقل من نصف الليل، أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلاً، فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث. ويجوز إذا أبدلت «نصفه» من «قليلا» وفسّرته به أن تجعل «قليلا» الثاني بمعنى نصف النصف وهو الرّبع، كأنه قيل: انقص منه قليلا نصفه، وتجعل المزيد على هذا القليل - أعني الربع - نصف الربع، كأنه قيل: أو زد عليه قليلاً نصفه. ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث، فيكون تخييراً بين النصف والثلث والربع انتهى.

وما أوسع خيال هذا الرجل! فإنه يجوّز ما يقرب وما يبعد، والقرآن لا ينبغي بل [لا] يجوز أن يُحمل [إلّا] على أحسن الوجوه التي في كلام العرب. وممّن نصّ على جواز أن يكون «نصفه» بدلاً من «الليل» أو من «قليلا» الزمخشري كما ذكرنا، وابن عطية أورده مورد الاحتمال.

---

(١) الكشاف ٤ : ١٧٥.

(٢) فوقها في ق: كذا.

وأبوا البقاء قال[١]: أشبه بظاهر[٢] الآية أن يكون بدلاً من «قليلا» لأنه قال «أو انقص منه قليلا أو زد عليه» والهاء فيهما للنصف. فلو كان الاستثناء من النصف لصار التقدير: قم نصف الليل إلا قليلا أو انقص منه قليلا. والقليل المستثنى غير مقدر، فالنقصان [منه] لا يُعقل انتهى.

وأما الحوفي فأجاز [٥٦١/ب] أن يكون بدلاً من «الليل» ولم يذكر غيره.

وقال ابن عطية: ويحتمل عندي قوله «إلا قليلا» أن يكون استثناء من القيام، فيجعل الليل اسم جنس ثم قال «إلا قليلا» أي: الليالي التي تخلّ بقيامها عند العذر البيّن ونحوه. وهذا النظر يحسن مع القول بالنّدب انتهى.

وهذا خلاف الظاهر. وقيل: المعنى: أو نصفه، كما تقول: أعطه درهماً درهمين ثلاثة، تريد: أو درهمين أو ثلاثة انتهى. وفيه حذف حرف العطف من غير دليل عليه.

قال التبريزي: الأمر بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان وقع على الثلثين من آخر الليل؛ لأن الثلث الأول وقت العتمة والاستثناء وارد على المأمور به فكأنه قال: قم ثلثي الليل إلا قليلا. ثم جعل «نصفه» بدلاً من «قليلا» فصار القليل مفسّراً بالنصف من الثلثين وهو قليل من الكلّ. فقوله «أو انقص منه» أي: من المأمور به وهو قيام الثلثين إلا قليلا[٣]، أي: ما دون نصفه، «أو زد عليه» أي: على الثلثين. فكان التخيير في الزيادة والنقصان واقعاً على الثلثين.

(١) إملاء ٢: ٢٧١.

(٢) ق: بهذه.

(٣) ق: قيام الثلث قليلاً.

وقال أبو عبدالله الرازي[١]: قد أكثر الناس في تفسير هذه الآية، وعندي فيه وجهان ملخصان، وذكر كلاماً طويلا ملفّقاً يوقف عليه في كتابه.

والذي يظهر أنّ المأمور [به] أولاً قيام جميع الليل إلا ما ينطلق عليه «قليل» كساعة أو غيرها. ثم قوله «نصفه» على إضمار «قم» ثانياً. وجاء بعد ذلك التّخيير بين قليل من النصف أو زائد على النصف. فالمستثنى أولاً غير أحد المخيّر فيه وهو النقص من النصف، فقد اختلفت جهتا القليل الأول بالنسبة إلى جميع الليل، والثاني بالنسبة إلى النصف.

﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هو القرآن. وثقله بما اشتمل عليه من التكاليف الشاقّة كالجهاد ومداومة الأعمال الصالحة.

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته، لأنها تنشأ شيئاً بعد شيء.

وقال ابن عباس: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة، وما كان قبلها فليس بناشئة.

وقرىء: وَطاءً، والمعنى أنها أشدّ مواطأة أي: يواطىء القلب فيها اللسان.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أشد استقامة على الصواب، لأن الأصوات هادئة، فلا يضطرب على المصلّي ما يقرؤه.

﴿سَبْحًا﴾ أي: تصرّفاً وتقلّباً في المهمّات، كما يتردّد السّابح في الماء.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: دُمْ على ذكره. وهو يتناول كل ذكر من تسبيح

---

(١) انظر تفسيره ٣٠: ١٧٢ وما بعدها.

وتهليل[١] وغيرهما. وانتصب «تبتيلا» على أنه مصدر على غير المصدر[٢]، وحسّن ذلك كونه فاصلة.

وقرىء: ربُّ، بالرفع خبر مبتدأ محذوف. وبالجرّ على البدل. ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ لأنه من انفرد بالألوهية لم يُتّخذ وكيلاً إلاّ هو.

﴿وَٱصۡبِرۡ[٣] عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ﴾ [٥٦٢/أ] قيل: منسوخ بآية السيف[٤].

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ قيل: نزلت في صناديد قريش المستهزئين. ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ أي: غضارة العيش وكثرة المال والولد. والنّعمة بالفتح: التّنعم، وبالكسر: الإنعام وما يُنعم به، وبالضم: المسّرة[٥]. يقال: نُعْم ونُعْمة عين[٦]. ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ وعيد لهم بسرعة الانتقام منهم. والقليل موافاة آجالهم، وقيل وقعة بدر.

﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ﴾ أي: ما يضادّ نعمتهم. ﴿أَنكَالٗا﴾ قيوداً في أرجلهم. ﴿وَجَحِيمٗا﴾ ناراً شديدة الاتّقاد[٧].

﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ قال ابن عباس: شوك من نار يعترض في حلوقهم لا

---

(١) ق: وتهاليل، وفوقها: كذا.

(٢) سماه سيبويه المصدر الذي جاء على غير الفعل، ومثّل له بهذه الآية. انظر الكتاب ٤: ٨١.

(٣) ق: فاصبر.

(٤) الآية ٥ من التوبة.

(٥) ق: المبرة.

(٦) أي: قرّتها، وفوقها في ق: كذا. انظر الصحاح والقاموس: نعم.

(٧) ق: الإيقاد.

يخرج ولا ينزل.

﴿تَرْجُفُ﴾ تضطرب. ﴿كَثِيبًا﴾ أي: رملاً مجتمعاً. ﴿مَّهِيلًا﴾ أي: رخواً ليّناً.

ولمّا هدّد المكذبين بأهوال يوم القيامة ذكّر بحال فرعون وكيف أخذه الله إذ كذّب موسى عليه السلام، وأنه إن دام تكذيبهم أهلكهم الله تعالى فقال ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾. والخطاب عامّ للأسود والأحمر، وقيل لأهل مكة. ﴿رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ كما قال ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء].

والوبيل: الرديء العقبى، من قولهم: كلأ وبيل أي: وخم لا يُستمرأ لثقله، أي: لا ينزل في المريء.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ الآية، «يوماً» منصوب بـ«تتّقون» على المجاز، أي: كيف تستقبلون[١] هذا اليوم العظيم الذي من شأنه كذا وكذا. والضمير في «يجعل» لليوم، أسند إليه الجعل لمّا كان واقعاً فيه على سبيل المجاز. والجملة من قوله «يجعل» صفة ليوم. والشِّيب: مفعول ثانٍ[٢] لـ«يجعل» أي: يصيّر الصبيان شيوخاً، وهو كناية عن شدة هول ذلك اليوم. ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشيب[٣] نواصي الأطفال. والأصل فيه أن الهموم إذا تفاقمت أسرعت بالشيب.

والظاهر أن الضمير في «وعده» عائد على الله[٤]، فهو من إضافة المصدر

---

(١) ق: يستعملون.

(٢) ق: بأن.

(٣) ق: يصيب.

(٤) ق: اليوم.

إلى الفاعل، وإن لم يَجْرِ له ذكر قريب[(١)]، لأنه معلوم أن الذي هذه مواعيده هو الله تعالى.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ أي: السورة، أو[(٢)] الأنكال وما عطف عليه، والأخذ الوبيل، أو آيات القرآن المتضمّنة شدة يوم القيامة. ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: موعظة. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ﴾ بالتقرب إليه بالطاعة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿أَنَّكَ تَقُومُ﴾ أي: تصلي. وهذه الآية نزلت تخفيفاً لما كان [من] استمراره في أمر[(٣)] قيام الليل، إما على الوجوب وإما على النّدب، على الخلاف الذي سبق[(٤)]. ﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ﴾ أي: زماناً هو أقل من ثلثي الليل. واستعير الأدنى - وهو الأقرب - للأقلّ، لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قلّ ما بينهما من الأحياز، وإذا بَعُدت كثر ذلك. وقرىء: نصفه، بالنصب والجرّ، فأما قراءة الكسر فمعطوف[(٥)] على «ثلثي الليل». ومن قرأ بالنصب [٥٦٢/ب] فمعطوف

---

(١) قريباً.

(٢) ق: أي.

(٣) ق: لما كان استمرار استعماله في أمر.

(٤) انظر شرح الآيات ٢-٤ من السورة.

(٥) ق: فمغني.

على «أدنى». فأما الجرّ فالمعنى أنه قيام مختلف: مرة أدنى من الثلثين ومرة أدنى من النصف ومرة أدنى من الثلث، وذلك لتعذّر معرفة البشر بمقادير الزّمان، وتقدير الزّمان حقيقةً هو لله تعالى.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[1] أي: رجع بكم من الثقل إلى الخفّة وأمركم[2] بقيام ما تيسّر. «وطائفة» معطوف على الضمير المستكنّ في «تقوم» وحسّنه الفصل بينهما. ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ دليل على أنه لم يكن فرضاً على الجميع؛ إذ لو كان فرضاً عليهم لكان التركيب: والذين معك، إلا إن اعتقد أن منهم من كان يقوم في بيته ومنهم من يقوم معه، فتَمْكِنُ إذ ذاك الفرضيّة في حق الجميع. ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ﴾ أي: هو وحده تعالى العالم بمقادير الساعات. ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ﴾ عبّر بالقراءة عن الصلاة، لأنها بعض أركانها، أي: فَصلُّوا ما تيسّر عليكم من صلاة [الليل]. وإذا كان المراد: فاقرؤوا في الصلاة ما تيسّر، فالظاهر أنه لا يتعين ما يقرأ، بل إذا قرأ ما تيسّر له وسَهُل عليه أجزأه وقدّره أبو حنيفة بآية.

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ بيان لحكمة النسخ وهي تعذّر القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة، والمجاهدين في سبيل الله. ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كرّر ذلك على سبيل التوكيد. ثم أمر بعمودي الإسلام البدني والمالي. ثم قال «وأقرضوا الله» العطف يشعر بالتغاير؛ فقوله ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أمرٌ بأداء الواجب، ﴿وَأَقْرِضُواْ﴾ أمرٌ بالصدقات التي يُتطوع بها. واحتمل «هو» أن يكون فصلاً، وأن يكون توكيداً لضمير النصب في ﴿تَجِدُوهُ﴾. و﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ أمرٌ بالاستغفار.

---

(١) ق: عليهم.

(٢) ق: وأمرهم.

سورة المدثر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنّ في [ما] قبلها «وذرني والمكذبين»(٢) وفيه «إن هذه تذكرة»(٣)، فناسب «يا أيها المدثر قم فأنذر» وناسب ذكر يوم القيامة بعدُ وذِكر بعض المكذبين في قوله «ذرني ومن خلقت وحيدا»(٤).

﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ المعنى قم قيام تصميم وجدّ. ﴿ فَأَنذِرْ ﴾ أي: حذِّر عذاب الله تعالى ووقائعه. والإنذار عامّ لجميع الناس، وبَعْثُه إلى الخَلْق.

﴿ فَكَبِّرْ ﴾ أي: فعظّم كبرياءه.

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ الظاهر أنه أمرٌ بتطهير الثياب من النجاسات، لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة.

---

(١) مكية وهي ست وخمسون آية.

(٢) الآية ١١ من المزمّل.

(٣) الآية ١٩ منها.

(٤) الآية ١١.

﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾العذاب. ﴿فَٱهۡجُرۡ﴾ أي: اهجر ما يؤدي إليه. [٥٦٣/أ] وقرىء بضم الراء[1].

﴿وَلَا تَمۡنُن﴾ قال ابن عباس: لا تُعْطِ عطاء لتُعطى أكثر منه، من قولهم: منّ إذا أعطى. وقال الحسن: لا تمنن على الله بجدّك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب. والجملة حالية أي: مستكثراً.

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ أي: لوجه ربك. ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ أمره بالصبر، فيتناول الصبر على تكاليف النبوة، وعلى أداء طاعات الله تعالى، وعلى أذى الكفار.

قال الزمخشري[2]: والفاء في قوله «فإذا نقر» للتسبّب كأنه قيل: فاصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير، يلقون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى فيه عاقبة صبرك. [انتهى].

والنقر: الصوت. و﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ فاعول منه، كالجاسوس مأخوذ من التجسّس.

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۖ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ

(١) يعني في «الرّجز».

(٢) الكشاف ٤: ١٨١.

كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ لا خلاف أنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي(١). فروي أنه كان يلقب بالوحيد(٢)، أي: لا نظير له في ماله وشرفه في بيته. والظاهر انتصاب «وحيد» على الحال من الضمير المحذوف العائد على «مَن» أي: خلقته منفرداً ذليلاً قليلاً لا مال له ولا ولد، فآتاه الله تعالى المال والولد، فكفر نعمته، وأشرك به، واستهزأ بدينه.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ قال ابن عباس: كان له بين مكة والطائف إبل وحجور(٣) ونَعَم وجِنان وعبيد وجَوارٍ.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: حضوراً معه بمكة لا يظعنون عنه لغناهم، فهو مستأنس بهم، منهم خالد وهشام وعمارة، وقد أسلموا، والوليد والعاصي وقيس وعبد شمس.

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ أي: وطّأت له وهيّأت، وبسطت له بسطاً حتى أقام ببلده مطمئناً، يُرجع إلى رأيه. وقال ابن عباس: وسّعت له ما بين اليمن إلى الشام.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أي: على ما أعطيته من المال والولد.

---

(١) انظر القرطبي ١٩: ٧١.

(٢) ق: بالتوحيد.

(٣) الحجور: جمع حَجْرة وهي الأنثى من الخيل.

﴿كَلَّآ﴾ قطع لرجائه وردع، أي: ليس يكون ذلك[١] مع كفره بالنعم. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ تعليل للرّدع على وجه الاستئناف، كأنّ قائلاً قال: لِمَ لا يُزاد؟. فقال: إنه عاند آيات المنعم، وكفر بذلك نعمته، والكافر لا يستحق المزيد.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ أي: سأكلّفه وأعنته[٢] بمشقة وعسر ﴿صَعُودًا﴾ عقبة في جهنم كلما وُضع عليها شيء من الإنسان ذاب ثم يعود. والصَّعود في اللغة: العقبة الشاقة.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ روي أن الوليد حاجَّ أبا جهل وجماعة من قريش في أمر القرآن وقال: إن له لحلاوة، وإن أصله لعَذْق[٣]، وإن فرعه لَجَناة[٤]، وإنه ليَحْطِم ما تحته، وإنه ليعلو وما يُعلى. فخالفوه وقالوا: هو شعر. فقال: والله ما[٥] هو بشعر، قد عرفنا الشعر هَزَجَه [ورَجَزَه] وبسيطه. قالوا: فهو كاهن. قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكّهان. قالوا: هو مجنون. قال: والله ما هو بمجنون [٥٦٣/ب] لقد رأينا الجنون وخَنْقَه[٦]. قالوا: هو سحر. قال: أمّا هذا فيشبه أنه سحر[٧].

---

(١) ق: كذلك.

(٢) ق: وأغشيه.

(٣) ق: لمغدق. وتصح أيضاً: لَغَدق، والغَدَق: الماء الكثير. والعَذْق: النخلة.

(٤) يشبّهه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوي، وطاب فرعها إذا جُني.

(٥) ق: وما.

(٦) فوقها في ق: كذا.

(٧) انظر السيرة النبوية ١ : ٢٨٨.

﴿فَكَّرَ﴾ أي: في القرآن ومن أتى به. ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: في نفسه ما يقول.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ قيل: «قُتل» لُعن، وقيل: غُلب وقُهر وذلّ[١].

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ أي: قطب وكلح لمّا ضاقت عليه الحيل ولم يَدْرِ ما يقول. وناسب العطف بالواو. وكان العطف في «فقال» بالفاء دلالة على التعقيب[٢]، لأنه لما خطر بباله هذا القول بعد تطلّبه[٣]، لم يتمالك أن نطق به من غير تمهّل. ومعنى ﴿يُؤْثَرُ﴾ أي: يُروى ويُنقل. ومعنى ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ أي: يشبه السحر.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ تأكيد لما قبله، أي: ملتقط من أقوال الناس.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ قاله الزمخشري[٤]: بدل من «سأرهقه صعودا» انتهى. ويظهر أنهما جملتان، اعتقبت كل واحدة[٥] منهما - على سبيل التوعّد للعصيان[٦] - الذي قبل كل واحدة منهما. فتوعّد على كونه عنيداً لآيات الله بإرهاقه[٧] صعوداً، وعلى قوله بأن القرآن سحر يؤثر بإصلائه سقر.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ تعظيم لهولها وشدّتها. ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تبقي على من أُلقي فيها، ولا تَذَرُ غاية من العذاب إلا أَوْصَلَتْه إليها.

---

(١) ق: وذلك. وفوقها: كذا.

(٢) ق: التعقب.

(٣) ق: بطلبه.

(٤) الكشاف ٤: ١٨٣.

(٥) ق: واحد.

(٦) ق: العصيان.

(٧) ق: بإرهاق.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ قال ابن عباس: معناه مغيّرة للبشرات محرقة للجلود مسوّدة لها. والبشر: جمع بشرة. تقول العرب: لاحَتِ النارُ الشيءَ إذا أحرقَتْه وسوَّدَتْه.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ التمييز محذوف، والمتبادر إلى الذهن أنه مَلَك. ألا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه أن المراد مَلَك حين سمعواذلك؟ فقال أبو جهل لقريش(١): ثَكِلَتْكُم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة(٢) يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهْم(٣)، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟. فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفوني أنتم اثنين. فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: وما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون. وأنزل الله تعالى في أبي جهل ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [القيامة].

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: سبب فتنة. فـ«فتنة» مفعول ثانٍ لـ«جعلنا» أي: جعلنا تلك العدّة وهي تسعة عشر سبباً لفتنة الكفار، فليست «فتنة» مفعولاً من أجله. وفتنتهم هو كونهم أظهروا مقاومتهم والطماعية في مغالبتهم، وذلك على سبيل الاستهزاء، فإنهم مكذّبون بالبعث وبالنار وبخزنتها.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ هذا مفعول من أجله وهو متعلّق بـ«جعلنا» لا بـ«فتنة».

---

(١) انظر اللباب ص٢٢٤. والقرطبي ١٩: ٨٠.

(٢) انظر في هذه التسمية السيرة النبوية ٢: ١٢٢ (الحاشية٢).

(٣) الدَّهْم العدد الكثير.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم اليهود والنصارى، إذ هم عالمون أن القرآن هو من عند الله، إذ هم يجدون ذلك في كتبهم المنزلة، ويعلمون أن الرسول عليه السلام لم يقرأها [٥٦٤/أ] ولا قرأها عليه أحد. ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ توكيد لقوله «ليستيقن» إذ إثبات اليقين ونفي الارتياب أبلغ وآكد في الوصف، لسكون النفس السكون التام.

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ﴾ لمّا سمعوا هذا العدد، لم، يهتدوا، وحاروا فاستفهم بعضهم بعضاً عن ذلك استبعاداً أن يكون هذا من عند الله. وسمّوه ﴿مَثَلًا﴾ استعارة من المثل المضروب استغراباً منهم لهذا العدد. والمعنى: أيّ شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟. ومرادهم إنكار أصله وأنه ليس من عند الله تعالى.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الآية، الكاف في محل نصب. و«ذلك» إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى، أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضلّ الكافرين فيشكون، فيزيدهم كفراً وضلالاً، ويهدي المؤمنين فيزيدهم إيماناً. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ إعلام بأن الأمر فوق ما يُتوهّم، وأن الخبر إنما هو عن بعض القدرة لا عن كلها. والسماء عامرة بأنواع من الملائكة. وفي الحديث[(١)]: «أَطّتِ السماء وحُقَّ لها أن تَئِطّ، ما فيها موضع [شبر] إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهته لله تعالى ساجداً».

﴿وَمَا هِىَ﴾ أي: النار. ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ أي: الذين أُهّلوا للتذكر والاعتبار.

---

(١) رواه أنس بن مالك مرفوعاً وإسناده ضعيف. انظر النهاية ١: ٥٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٥٣٢.

﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ قال الزمخشري[1]: «كلا» إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون انتهى.

ولا يسوغ هذا في حق الله تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر، ثم ينكر أن تكون لهم ذكرى. وإنما قوله «للبشر» عام مخصوص.

﴿ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ أي: ولّى. ويقال: دبر وأدبر بمعنى واحد. أقسم تعالى بهذه الأشياء تشريفاً لها وتنبيهاً على ما بها وفيها من عجائب الله وقدرته وقوام الوجود بإيجادها.

﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ الظاهر أن الضمير في «إنها» عائد على النار. و«لإحدى الكبر» الدّواهي الكبر، أي: لا نظير لها، كما تقول: هو أحد الرجال وهي إحدى النساء. و«الكبر» العظائم من العقوبات.

(١) الكشاف ٤: ١٨٦.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ هو محمد ﷺ. فهو منصوب بفعل مضمر أي: نادِ أو بلِّغْ أو أعلنْ.

والظاهر أن ﴿لِمَن﴾ بدل من «البشر» بإعادة الجارّ و«أن يتقدم» منصوب بـ«شاء» والفاعل بـ«شاء» ضمير يعود على «مَن»، وقيل: الفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: لمن شاء هو - أي الله تعالى - أن يتقدّم عن طاعة الله تعالى أو يتأخر عنها.

الظاهر العموم في «كل نفس». و﴿رَهِينَةٌ﴾ بمعنى مرهونة، كالنّطيحة بمعنى المنطوحة، أنّث مراعاة لقوله «كل نفس» كما ذكّر في قوله ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١﴾ [الطور] مراعاة لـ«امرىء» وهو ذكر.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾[1] استثناء منقطع. ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ خبر. «يتساءلون» حال.

﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ خطاب للمجرمين. أطلع الله المؤمنين على أحوال [٥٦٤/ب] المجرمين، فسألوهم سؤال توبيخ وتحسير، وإلّا فهم عالمون ما الذي أدخلهم النار. والجواب أنهم لم يكونوا متّصفين بخصائل الإسلام من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ثم ارتقوا من ذلك إلى الأعظم وهو الكفر والتكذيب بيوم الجزاء و﴿الْيَقِينُ﴾ الموت.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أي: لا شفاعة شافعين لهم فتنفعهم، من باب[2]:

---

(١) إذا كان الاستثناء منقطعاً فالتقدير: لكن أصحاب اليمين في جنات. وإذا كان متصلاً فالتقدير: هم في جنات. انظر البحر ٨: ٣٧٩-٣٨٠.

(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٦٦.

على لا حبٍ لا يُهتدى بمناره [إذا سافَهُ العَوْد النَّباطيُّ جَرْجَرا

أي: لا منار له فيُهتدى به.

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ ﴾ وهي مواعظ القرآن التي تذكر الآخرة. ﴿ مُعْرِضِينَ ﴾ أي: والحال المنتظرة هذه الموصوفة.

ثم شبّههم بالحمر المستنفرة في شدة إعراضهم ونفارهم عن الإيمان وآيات الله تعالى. وقرىء بكسر الفاء، اسم فاعل. وبفتحها، اسم مفعول.

وقال ابن الأعرابي: القسورة: أول الليل. والمعنى: فرّت من ظلمة الليل. ولا شيء أشدّ نفاراً من حمر الوحش، ولذلك شبّهت بها العرب الإبل في سرعة سيرها وخفّتها. وقيل: القسورة: الرّماة والصيادون. وقيل: الأسد[1]، قاله جماعة من اللغويين.

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ ﴾ أي: من المعرضين عن عظات الله تعالى وآياته. ﴿ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ أي: منشورة غير مطوية تُقرأ كالكتب التي يُكاتَب بها، أو كتبت في السماء، نزلت بها الملائكة ساعة كُتبت رطبة لم تُطْوَ بعدُ. وذلك أنهم قالوا للرسول عليه السلام: لن نتبعك حتى يؤتى كل واحد منّا بكتب من السماء عنوانها: من رب العالمين إلى فلان بن فلان، يؤمر[2] فيها باتّباعك. فنزلت هذه الآية[3].

﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن إعراضهم عن التذكرة. ﴿ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾

---

(١) ق: أو الأسد.

(٢) ق: نؤمن.

(٣) انظر اللباب ص ٢٢٤.

ذكّر في «إنه»[1] وفي «ذَكَره» لأن التذكرة ذِكرٌ.

﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ أي: أهل أن يُتقى ويُخاف، وأهل أن يغفر.

(١) ق: آية. وفوقها وفوق «ذكره»: كذا.

سورة القيامة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۢ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ .

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنّ في آخر ما قبلها ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٥٣﴾ [المدثر]، وفيها كثير من أحوال القيامة، فذكر هنا يوم القيامة وجملاً من أحوالها. أقسم تعالى بيوم القيامة لعظمه وهوله. و﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ قيل: «لا» نافية، نفى أن يقسم بالنفس اللّوامة وأقسم بيوم القيامة(٢). ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾ هي التي تلوم صاحبها في ترك الطاعة ونحوه. وجواب القسم ما دلّ عليه قوله «أيحسب الإنسان» تقديره: ليبعثنّ. و﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ هنا الكافر المكذّب بالبعث. قيل: نزلت(٣) في أبي جهل كان يقول: أيزعم [٥٦٥/أ] محمد أن يجمع الله هذه العظام بعد

---

(١) مكية وآياتها أربعون.

(٢) انظر تفصيل ذلك في البحر ٨: ٣٨٤.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٩٦.

بلاها وتفرّقها، ويعيدها خلقاً جديداً؟. و«أن» هي المخففة من الثقيلة سدّت مسدّ مفعولي «أيحسب».

لمّا ذكر الإخبار بقوله «بلى قادرين» - أي[1]: نجمعها قادرين - انتقل من هذا الإخبار إلى الإخبار عن الإنسان من غير إبطال لمضمون الجملة السابقة وهي: نجمعها قادرين، ليبيّن ما هو عليه[2] الإنسان من عدم الفكر في الأخرة وأنه معنيّ بشهواته. ومفعول «يريد» محذوف يدل عليه التعليل في «ليفجر» تقديره: بلوغ شهواته.

﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ﴾ أي: متى يوم القيامة؟ سؤال استهزاء وتكذيب وتعنيت. و«يوم» مبتدأ، و«أيان» اسم استفهام في موضع الخبر، والجملة في موضع نصب بـ«يسأل».

وقرىء: فإذا بَرَق. وبَرَق معناه شقّ[3]. ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ «خسف» يكون لازماً ومتعدّياً، تقول: خسف القمر: ذهب نوره، وخسفه[4] الله أذهب نوره.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ لم تلحق التاء في «جُمع» لأنّ تأنيث الشمس مجاز، أو لتغليب القمر وهو مذكّر. وجَمْعهما: إلقاؤهما في النار وقيل غير ذلك.

﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ مبتدأ. و«أين» ظرف في موضع الخبر. والجملة في موضع نصب محكيّة بـ«يقول».

---

(١) ق: أن.

(٢) ق: ما عليه هو.

(٣) في الصحاح «برق»: إذا قلت: بَرَق البصر بالفتح فإنما تعني بريقه إذا شَخَصَ.

(٤) ق: وأخسفه.

والظاهر أن قوله ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ هو من كلام الله تعالى لا حكاية عن الإنسان. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: إلى حُكْمه.

﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال ابن عباس: «بما قدّم» في حياته، «وأخّر» من سنّة يُعمل بها بعده.

﴿بَصِيرَةٌ﴾ خبر[١] عن «الإنسان» أي: شاهد. والهاء للمبالغة. و«على نفسه» متعلّق به.

والمعاذير عند الجمهور الأعذار، فالمعنى: ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه، فإنه هو الشاهد عليها والحجة البيّنة عليها.

وقال الزمخشري[٢]: قياس معذرة معاذر، فالمعاذير ليس بجمع معذرة إنما هو اسم جمع لها، ونحوه المناكير في المنكر انتهى.

وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع، وإنما هو من أبنية جمع التكسير، فهو كمذاكير وملاميح[٣]، والمفرد منها لمحة وذكر. ولم يذهب أحد إلى أنهما من أسماء الجموع، بل قيل إنهما جمع للمحة وذكر على غير قياس، أو هما جمع لمفرد لم يُنطق به، وهو مذكار وملمحة. وأجاز النحويون فيما كان على حركات مَفاعل أن تلحقها الياء[٤]، فقالوا في جمع صيرف: صياريف، وفي سابغة: سوابيغ.

---

(١) ق: خبره.

(٢) الكشاف ٤: ١٩١.

(٣) ق: وملامح.

(٤) ق: التاء.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ في صحيح البخاري[١] أنه عليه السلام كان يعالج من التنزيل شدّة، وكان ربما[٢] يحرك شفتيه مخافة أن يذهب عنه ما يوحى إليه لحينه فنزلت. والضمير في «به» للقرآن دلّ عليه مساق الآية.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أي: في صدرك. ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي: قراءته، أي: قراءتك إياه.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: الملك المبلّغ عنا. ﴿فَٱتَّبِعْ﴾ [٥٦٥/ب] أي: بذهنك وفكرك، أي:[٣] فاستمع قراءته، قاله ابن عباس. ويظهر أن المناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنه تعالى[٤] لما ذكر منكر البعث والقيامة معرضاً عن آيات الله تعالى ومعجزاته، وأنه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه، ذكر حال من يثابر على تعلّم آيات الله تعالى وحفظها وتلقّفها، والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها. فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله ومن يرغب عنها. [من الكامل]

[ونَذيمُهم وبهم عرفنا فضله ... وبضدِّها تتبيّن الأشياء][٥]

ولما كان عليه السلام لمثابرته على ذلك كان يبادر للتحفظ بتحريك[٦] لسانه، أخبره تعالى أنه[٧] يجمعه له ويوضّحه.

---

(١) انظر ٤: ١٨٧٦.

(٢) ق: مما.

(٣) ق: لي.

(٤) ق: يقال.

(٥) البيت للمتنبي في ديوانه ١: ٢٢.

(٦) ق: تحريك.

(٧) ق: أن.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠)﴾.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ لمّا فرغ من خطابه عليه السلام رجع إلى حال الإنسان السابق ذكره، المنكر البعث، وأن همّه إنما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة، إذ هو منكر لذلك. وقرىء: تحبون، وتذرون، بتاء الخطاب لكفار قريش. و«كلا» ردٌّ عليهم وعلى أقوالهم، أي: ليس كما زعمتم، وإنما أنتم قوم غلبت عليكم محبّة شهوات الدنيا حبّاً تتركون معه الآخرة والنظر في أمرها.

ولمّا وبخّهم بحبّ العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة، تخلّص إلى شيء من أحوال الآخرة فقال «وجوه يومئذ ناضرة». وعبّر بالوجه عن الجملة.

وقوله «إلى ربها» جملة هي في موضع خبر بعد خبر. ومسألة النظر ورؤية الله تعالى مذكورة في علم أصول الدين.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ يجوز أن [يكون] «وجوه» مبتدأ خبره «باسرة»، و«تظن» خبر بعد خبر. وأن تكون «باسرة» صفة، و«تظن» الخبر. والفاقرة: قال ابن المسيب: قاصمة الظهر. و«تظن» بمعنى توقن.

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن إيثار الدنيا على الآخرة وتذكير بما يؤولون إليه من

الموت الذي تنقطع العاجلة عنده وينتقل منها إلى الآجلة. والضمير في «بلغت» عائد على النفس الدالّ عليها سياق الكلام. ذكّرهم تعالى بصعوبة الموت وهو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي. و﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾ جمع ترقوة وهي عظام الصدر. ولكل إنسان ترقوتان وهو موضع الحشرجة. وهو استفهام استبعاد وإنكار، أي: قد بلغ مبلغاً لا أحد يرقيه، كما تقول عند اليأس: من الذي يقدر أن يَرْقي هذا المشرف على الموت؟. ويحتمل أن يكون القائل الملائكة، أي: من يرقى بروحه إلى السماء أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ قاله ابن عباس.

﴿وَظَنَّ﴾ أي: المريض. ﴿أَنَّهُ﴾ أي: ما نزل به. ﴿ٱلْفِرَاقُ﴾ فراق الدنيا التي هي محبوبته. والظّن هنا على بابه. وقيل: فراق الروح الجسد.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ قال ابن عباس: استعارة لشدّة كرب الدنيا في آخر يوم منها، وشدّة [٥٦٦/أ] كرب[1] الآخرة في أول يوم منها، لأنه بين الحالين[2] قد اختلطا به. وجواب «إذا» محذوف تقديره: وجد ما عمله في الدنيا من خير وشر.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ إلى موعد ربك. ﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ المرجع والمصير. و«المساق» مَفْعَل من السَّوق، فهو اسم مصدر، إما إلى جنة وإما إلى نار.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ الجمهور أنها نزلت في أبي جهل وكادت تصرّح في قوله «يتمطى» فإنها كانت مشيته ومشية قومه بني مخزوم، وكان يكثر منها. «فلا صدق» بالرسول والقرآن ولا صلّى. نفى عنه الزكاة والصلاة وأثبت له

(١) ق: وفي شدة كذب.

(٢) ق: في أول الحالين.

التكذيب. وحَمْل «فلا صدق» على نفي التصديق بالرسالة يقتضي أن يكون «ولكن كذب» تكراراً، ولزم أن يكون «لكن» استدراكاً بعد «ولا صلّى» لا بعد «فلاصدّق»، لأنه كان يتساوى الحكم في «فلا [صدق] وفي «كذّب» ولا يجوز ذلك إذ لا تقع لكنْ بين متوافقَيْن. «وتولّى» عن رسول الله ﷺ وكذّب بما جاء به.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي: إلى قومه. ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختر في مشيته.

روي أن رسول الله ﷺ لقي[1] أبا جهلٍ يوماً في البطحاء وقال له[2]: «إن الله يقول لك: أولى لك فأولى» فنزل القرآن على نحوها. وتقدّم الكلام على «أولى» في القتال[3]. وتكراره هنا مراراً مبالغة في التهديد والوعيد.

ولمّا ذكر حاله في الموت وما كان من حاله في الدنيا قرّر له أحواله في بدايته، ليتأمّلها، فلا ينكر معها البعث من القبور. ﴿يُمْنَىٰ﴾ أي: النّطفة يمنيها الرجل.

﴿فَخَلَقَ﴾ أي: الله منه بشراً مركّباً من أشياء مختلفة ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي: سوّاه شخصاً مستقلاً.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ أي: النوعين أو المزدوجين من البشر: الذكر والأنثى.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الخالق المسوّي بقادر. وفيه توقيف وتوبيخ لمنكر البعث. بلى قادر على أن يحيي الموتى.

---

(١) ق: ليت. وفوقها: كذا.

(٢) رواه ابن جرير ٢٩: ١٢٤ عن قتادة، وانظر القرطبي ١٩: ١١٤.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٠ من القتال.

سورة الإنسان(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۟ ۝١٥ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾ .

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ هذه السورة مكية وقيل غير

---

(١) مدنية وهي إحدى وثلاثون آية .

مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة. و﴿هَلْ﴾ حرف استفهام فإن دخلت على الجملة الإسمية لم يمكن[١] تأويله بقد، لأنّ قد من خواصّ الفعل. وإن دخلت على الفعل فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض. و«الإنسان» هنا جنس بني آدم. والحين الذي مّر عليه إما حين عدمه، أو حين كونه نطفة، وانتقاله من رتبة إلى رتبة، حتى حين إمكان خطابه، فإنه في تلك المدة لا ذكر له. وسمّي إنساناً باعتبار من صار [٥٦٦/ب] إليه.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو جنس بني آدم، لأن آدم لم يُخلق من نطفة. ﴿أَمْشَاجٍ﴾ وهو وصف للنطفة. قال ابن عباس: هو ماء الرجل وماء المرأة اختلطا في الرحم فخلق الإنسان منهما. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره في الدنيا بالتكليف. وامتنّ تعالى عليه بهاتين الصفتين، وهما كناية عن التمييز والفهم.

ولمّا جعله بهذه المثابة، أخبر تعالى أنه هداه السبيل. أي: أرشده إلى الطريق، وعرّفه مآل طريق النجاة ومآل [طريق] الهلاك.

وانتصب ﴿شَاكِرًا﴾ و﴿كَفُورًا﴾ على الحال من ضمير المنصب في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾.

ولمّا ذكر الفريقين، أتبعهما الوعيد والوعد. ﴿مِن كَأْسٍ﴾ «من» لابتداء الغاية. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك.

و﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿كَافُورًا﴾. و﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ هنا هم المؤمنون. ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ أي: يثقبونها بعود قصب ونحوه حيث شاؤوا، فهو يجري[٢] عند

(١) ق: دخل.. لم يكن.

(٢) أي: الماء.

كل واحد منهم، هكذا ورد في الأثر[١].

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الظاهر أن المراد بالنذر ما هو المعهود في الشريعة أنه نذر.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أي: على حب الطعام إذ هو محبوب للفاقة والحاجة، قاله ابن عباس. ﴿مِسْكِينًا﴾ وهو الطّواف المنكسر[٢] في السؤال. ﴿وَيَتِيمًا﴾ وهو الصبي الذي لا أب له. ﴿وَأَسِيرًا﴾ الاسير معروف وهو من الكفار.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ هو على إضمار القول. ﴿جَزَآءً﴾ أي: بالأفعال. ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ أي ثناءً بالأقوال.

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ نسبة العُبوس إلى اليوم مجاز. قال ابن عباس: يعبس[٣] الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عزق كالقطران ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ أي: شديداً. يقال: يوم قمطريراً أي: شديد العبوسة. واقمطرّ فهو مقمطرّ إذا كان صعباً شديداً.

﴿وَلَقَّنٰهُمْ نَضْرَةً﴾ بدل عبوس الكافر. ﴿وَسُرُورًا﴾ فرحاً بدل حزنه.

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: بستاناً فيه كل مأكل هنيء. ﴿وَحَرِيرًا﴾ فيه ملبس بهيّ. وناسب ذكر الحرير مع الجنّة، لأنهم أوثروا على صبرهم على الجوع والعري.

﴿لَا يَرَوْنَ﴾ أي: في الجنة. ﴿شَمْسًا﴾ أي: حرّ شمسٍ ولا شدة برد، أي:

---

(١) انظر القرطبي ١٩: ١٢٦.
(٢) ق: المنكشف.
(٣) ق: يعيش.

لا شمس فيها فترى فيؤذي حرُّها، ولا زمهريراً يُرى فيؤذي[١] بشدّته، أي: هي معتدلة الهواء. وفي الحديث[٢] «هواء الجنة سجسج لا حرٌّ ولا قُرٌّ».

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ منصوب على الحال، والعامل فيه ﴿وَجَزَىٰهُم﴾. و﴿لَا يَرَوْنَ[٣]﴾ حال ثانية.

﴿وَدَانِيَةً﴾ حال ثالثة. و﴿ظِلَـٰلُهَا﴾ فاعل «بدانية». ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ قال مجاهد: إن كان الإنسان قائماً تناول الثمر دون كلفة، وإن كان قاعداً أو مضجعاً فكذلك، فهذا تذليلها لا يَردُّ اليد عنها بُعدٌ ولا شوك.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۟ قَوَارِيرَا۟﴾ الآية، لما وصف تعالى طعامهم وسكناهم وهيئة جلوسهم ذكر شرابهم.

وقدّم ذكر الآنية التي يسقون منها. والآنية: جمع إناء. القارورة [٥٦٧/أ] إناء رقيق صافٍ توضع فيه الأشربة ويكون من زجاج. وقرىء: قواريراً، بتنوينهما، ويمنع صرفهما[٤]، وصَرْف[٥] الأول ومَنْع الصرف في الثاني. وكذلك الخلاف في ﴿سَلَـٰسِلَا۟ ۝٤﴾ [الإنسان]. والأصل ألّا يُصرف، لأنه جمع منتهاه، وصُرف للمناسبة إذ بعد «سلاسل» قوله «أغلالاً»، وقبل هذين وبعدهما مصروفات.

﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿زَنجَبِيلًا﴾. وسلسبيل اسمها. والسلسبيل والسَّلسل

---

(١) ق: فيأتي.

(٢) النهاية ٢: ٣٤٣.

(٣) ق: يخافون.

(٤) ويمنع صرفهما: مكررة في ق.

(٥) ق: ويمنع صرف.

والسَّلسال: ما كان من الشراب غاية في السلاسلة.

وتقدّم شرح ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾[١] وتشبيه الولدان باللؤلؤ المنثور في بياضهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في المساكن في خدمة أهل الجنة يجيئون ويذهبون.

وجواب ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾: ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾. ومفعول فعل الشرط محذوف حُذف اختصاراً، والمعنى: وإذا رميت ببصرك هناك. و﴿ثَمَّ﴾ ظرفٌ العامل فيه[٢] [«رأيت»]. وقيل: التقدير: وإذا رأيت ماثَمَّ، فحذف كما حذف في قوله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام] أي: ما بينكم.

وقرىء: خضر واستبرق، [برفعهما. «فخضر» صفة لقوله «ثياب»، و«استبرق»] معطوف على «ثياب». وقرىء بجرّهما، «فخضر» صفة «لسندس». و«سندس» اسم جنس وصف بالجمع، و«استبرق» معطوف على «خضر» على حذف مضاف تقديره: وثيابُ إستبرق، والهمزة فيه للقطع. والاستبرق تقدم شرحه[٣].

﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي موضع آخر ﴿مِن ذَهَبٍ ﴿٣١﴾﴾ [الكهف] أي: يُحلَّون منهما على التعاقب أو على الجمع بينهما كما يقع للنساء في الدنيا. ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ «طهوراً» صفة مبالغة في الطهارة، وهي من فعل لازم. وطهارتها لكونها لم يؤمر باجتنابها، وليست كخمر[٤] الدنيا التي هي في الشرع رجس.

---

(١) انظر شرح الآية ١٧ من الواقعة.

(٢) ق: فيه فيه، وفوقها: كذا.

(٣) انظر شرح الآيه ٣١ من الكهف.

(٤) ق: بخمر.

﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي لأعمالكم الصالحة ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي مقبولاً مُثاباً. [قال قتادة]: لقد شكر الله سعياً قليلاً.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾.

ولمّا ذكر أولاً حال الإنسان وقسمه[1] إلى العاصي والطائع [وأمعن] فيما أعدّه للطائع، ذكر ما شرّف به نبيه وحبيبه محمداً عليه السلام فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ الآية، وأمره بالصبر لحكمه. وجاء التوكيد «بنحن» بعد التوكيد «بإن» لمضمون الخبر ومدلول المخبر عنه، وأكّد الفعل بالمصدر.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ قال قتادة: نزلت في أبي جهل، قال: إن رأيت محمداً يصلّي لأطأن على عنقه. فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

والنهي عن طاعة كل واحد منهما أبلغ من النّهي عن طاعتهما، لأنه يستلزم النّهي عن طاعة أحدهما النهي عن طاعتهما، لأنّ في طاعتهما طاعة أحدهما.

ولو قال[3]: لا تضرب زيداً وعمراً، لجاز أن يكون نهياً عن ضربهما

(١) ق: وقسمته.

(٢) انظر اللباب ص٢٢٥. وانظر أيضاً البخاري ٤: ١٨٩٦.

(٣) ق: وقال.

جميعاً لا عن ضرب أحدهما والكفور وإن كان آثماً فإن فيه مبالغة في الكفر. ولما كان [من] يوصف بالكفور(١) مبايناً للموصوف بمجرد الإثم صلح التغاير فحسن العطف. وقيل: الآثم عُتبة والكفور الوليد، لأنّ عُتبة كان [٥٦٧/ب] ركّاباً للإثم متعاطياً لأنواع الفسوق، وكان الوليد غالباً في الكفر شديد الشكيمة في العتوّ.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً﴾ يعني صلاة الصبح. ﴿وَأَصِيلًا﴾ الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى الكفرة. ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يؤثرونها على الآخرة. ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ أي: أمامهم وهو ما يستقبلون من الزمان. ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استعير الثقل لليوم لشدّته وهوله من ثقل الجرم الذي يتعب به حامله.

﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أي: تبديل أمثالهم بإهلاكهم. ﴿بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ﴾ ممن يطيع.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾ أي: السورة، أو آيات القرآن، أو جملة الشريعة، ليس على جهة التخيير، بل على جهة التّحذير من اتّخاذ غير سبيل الله.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ مذهب أهل السنّة أنه نفي لقدرتهم على الاختراع وإيجاد المعاني في أنفسهم.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ وهم المؤمنون. ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ منصوب بإضمار فعل يفسّره معنى ما بعده، تقديره: ويعذّب الظالمين.

---

(١) ق: الكفور.

سورة المرسلات(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ ﴾.

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا وَٱلنَّٰشِرَٰتِ(٢) نَشْرًا ﴾ الآية هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جداً، وهو أنه ذكر أنه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين، فهذا وعد منه صادق فأقسم على وقوعه في هذه فقال ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾ [المرسلات].

ولمّا كان للمقسَم به موصوفات قد حُذفت، وأقيمت صفاتها مقامها، وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات فقال ابن مسعود: «والمرسلات» الملائكة، أُرسلت بالعُرف ضد النُّكر. ﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ ﴾ قال ابن مسعود: الشديدات الهبوب. ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ ﴾ قال السّدي: الملائكة تنشر صحف العباد بالأعمال. ﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ ﴾ قال ابن مسعود: الملائكة تفرّق بين الحق والباطل والحلال والحرام. ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ﴾ قال ابن عباس: الملائكة تلقي ما حملت من

---

(١) مكية وهي خمسون آية.

(٢) ق: فالناشرات.

الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام.

والذي يظهر أن المقسَم به شيئان، ولذلك جاء العطف بالواو في ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ والعطف بالواو يشعر بالتغاير، بل هو موضوعه في لسان العرب. وأما العطف بالفاء إذا كان في الصفات، فيدل على أنها راجعة لموصوف واحد كقوله «والعاديات» «فالموريات» «فالمغيرات»[1] فإنها راجعة إلى العاديات وهي الخيل. وإذا تقرّر هذا فالظاهر أنه أقسم أولاً بالرياح، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف] فهي مرسلاته، ويدلّ عليه عطف الصفة بالفاء كما قلنا. وإن العصف[2] من صفات الريح في عدة [٥٦٨/أ] مواضع من القرآن. والقَسَم الثاني فيه ترقٍّ إلى أشرف من المقسم به الأول، وهم الملائكة. ويكون «فالفارقات» «فالملقيات» من صفاتهم كما قلنا في عطف الصفات. وإلقاؤهم للذكر - وهو ما أنزل الله تعالى - يصح إسناده إليهم.

وما ذُكر من اختلاف المفسرين في المراد بهذه الأوصاف ينبغي أن يُحمل على التمثيل لا على التعيين. وجواب القسم وما عُطف عليه: «إنما توعدون». و«ما» موصولة بمعنى الذي.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: أُذهب نورها فاستوت مع جرم السماء.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ صار فيها فروج بانفطارها.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ فرّقتها [الرياح] وذلك بعد التسيير. وقيل: كونها هباء.

---

(١) العاديات ١-٣.

(٢) ق: العطف.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ[1]﴾ أي: بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ تعظيم لذلك اليوم وتعجيب ممّا يقع فيه من الهول والشدّة. والتأجيل، أي: ليوم عظيم أُخرت.

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: بين الخلائق، وهو بدل من «لأي يوم».

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ مبالغة في عظم ذلك اليوم على الخلائق. وجواب إذا محذوف لدلالة[2] ما قبله عليه، تقديره: إذا كان كذا وكذا وقع ما توعدون.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ

---

(١) ق: وقت.

(٢) ق: لجواب.

لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الأمم التي تقدمت قريشاً أجمعها. ويكون «الآخرين» من تأخّر من قريش وغيرهم. وعلى التشريك يكون «الأولين» قوم نوح وإبراهيم عليهما السلام ومن كان معهم، و«الآخرين» قوم فرعون ومن تأخّر وَقَرُبَ من مدّة الرسول عليه السلام. والإهلاك هنا إهلاك عذاب ونكال، ولذلك جاء «كذلك نفعل بالمجرمين» فأتى بالصفة المقتضية لإهلاك العذاب وهي الأجرام.

ولمّا ذكر إفناء الأولين والآخرين ذكر ووقف على أصل الخلقة التي يقتضي النظر فيها تجويز البعث. ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: ضعيف وهو ماء الرجل والمرأة.

﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرّحم. ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: عند الله وهو وقت الولادة. وقرىء: فقدرنا، بالتشديد والتخفيف.

قال أبو عبيدة: الكفات: الوعاء، أي: تكفت [الخلق] أحياءً على ظهرها وأمواتاً في بطنها.

وانتصب ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ بفعل يدلّ عليه ما قبله.

﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثابتات. ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ مرتفعات. ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾ جعلناه سقياً لمزارعكم ومنافعكم.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ الآية، يقال للمكذبين: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ أي: من العذاب.

﴿انطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ أمرٌ، تكراراً أو بياناً للمنطلَق إليه. [وبفتح اللام][1] كأنهم لمّا أُمروا امتثلوا، فانطلقوا إذ لا يمكنهم التأخير، إذ صاروا مضطرين إلى الانطلاق. ﴿ذِى ثَلَـٰثِ شُعَبٍ﴾ قال عطاء: هو دخان جهنم، روي أنه يعلو من ثلاثة مواضع [٥٦٨/ب] يظن الكافر أنّه مُغْنٍ من النار فيهرعون إليه، فيجدونه على أسوأ وصف.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ نفي لمحاسن الظلّ. ﴿وَلَا يُغْنِى﴾ أي: ولا مغنٍ عنهم من حرّ اللهب شيئاً.

﴿إِنَّهَا تَرْمِى﴾ الضمير في «إنها» لجهنم. ﴿بِشَرَرٍ﴾ جمع شرارة[2]. ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ كالدار العظيمة المشيدة.

وقرىء: جمالات، بضم الجيم وكسرها. والجمالات: قال ابن عباس: هو قُلوس السفن وهي حبالها[3] العظام إذا جُمعت. والصفر تشبيه بلون الشرر.

وقرىء: يوم، بالرفع مبتدأ وخبر. وبالنصب فيكون «هذا» إشارة إلى الرّمي بالشرر، و«يوم» منصوب باسم الإشارة.

﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطف على «ولا يؤذن» داخل في حيّز نفي الإذن [أي]: فلا إذن فاعتذار. ولم يجعل الاعتذار متسبباً عن الإذن فينصب.

وقال ابن عطية: ولم ينصب في جواب النّفي لتشابه رؤوس الآي،

---

(١) انظر البحر ٨: ٤٠٦.

(٢) ق: شررة.

(٣) ق: قلوص السفن وهي جباله.

والوجهان جائزان انتهى.

فجعل سبب امتناع النصب هو تشابه رؤوس الآي وقال: الوجهان جائزان. فيظهر من كلامه استواء الرفع والنصب، وأن معناهما واحد. وليس كذلك؛ لأن الرفع كما ذكرنا لا يكون متسبباً بل صريح عطف. والنصب يكون فيه متسبباً فافترقا.

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ خطاب للكفار. ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ قوم نوح وغيرهم من الكفار الذين تقدم زمانهم على زمان المخاطبين، أي: جمعناكم للفصل بين السعداء والاشقياء.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ [كَيْدٌ﴾ أي: في هذا اليوم كما كان لكم] في الدنيا ما تكيدون به دين الله وأولياءه. ﴿فَكِيدُونِ﴾ اليوم. وهذا تعجيز [لهم] وتوبيخ.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ خطاب للمؤمنين في الآخرة على إضمار القول. ويدلّ عليه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب للكفار في الدنيا. ﴿قَلِيلًا﴾ أي: زماناً قليلاً، إذ قصارى أكلكم وتمتّعكم الموت. وهو خطاب تهديد لمن أجرم من قريش وغيرهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ من قال إنها مكية قال: هي في قريش. ومن قال إنها مدنية هي في المنافقين.

وجاء في هذه السورة بعد كل جملة قوله ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ لأن كل جملة منها فيها إخبار الله تعالى عن أشياء وبأشياء من أحوال الآخرة، وبتقريرات من أحوال الدنيا. فناسب أن يذكر الوعيد عقيب كل جملة منها للمكذب بالويل في يوم الآخرة.

والضمير في «بعده» عائد على القرآن. والمعنى أنه تضمّن من الإعجاز والبلاغة والإخبار بالمغيّبات وغير ذلك ممّا احتوى عليه، ما لم يتضمّنه كتاب إلهيّ. فإذا كانوا مكذّبين به، فبأيّ حديث بعده يصدقون به، أي: لا يمكن تصديقهم بحديث بعد أن كذبوا بهذا الحديث الذي هو القرآن.

سورة النبأ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾.

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وروي أنه عليه السلام لما بُعث، جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون: ما الذي أتى به؟ ويتجادلون فيما بُعث به فنزلت[2]. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة: لما ذكر «فبأي حديث»[3] أي: بعد هذا الحديث وهو القرآن، وكانوا يتجادلون فيه ويسائلون عنه، قال «عم يتساءلون». والاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب، كما تقول: أيّ رجل زيد؟ وزيدٌ ما زيد؟. والضمير في «يتساءلون» لأهل مكة. ثم أخبر تعالى أنهم يتساءلون عن النبأ العظيم، وهو أمر رسول الله ﷺ وما جاء به من القرآن العظيم. و«عمّ» متعلق بـ«يتساءلون». ومن قرأ: عمّه، بالهاء في الوصل، أجرى الوصل مجرى

(١) مكية وآياتها أربعون.

(٢) انظر اللباب ص٢٢٦.

(٣) الآية الأخيرة من المرسلات.

الوقف. و«عن النبأ» متعلّق بمحذوف أي: يتساءلون عن النبأ.

﴿كَلَّا﴾ ردع للمتسائلين. وهذا التكرار توكيد في الوعيد وحذف ما يتعلّق به العلم على سبيل التهويل، أي: سيعلمون ما يحلّ بهم.

ثم قرّرهم تعالى على النظر في آياته الباهرة وغرائب مخلوقاته التي أبدعها من العدم الصّرف، وأن النظر في ذلك يفضي إلى الإيمان بما جاءت به الرسل من البعث والجزاء فقال «ألم نجعل الأرض مهادا» فبدأ بما هم دائماً يباشرونه. والمهاد: الفراش الموطّأ.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي: ثبّتنا الأرض بالجبال كما يُثبَّت البيت بالأوتاد، قال الأفوه الأودي[1]: [من البسيط]

والبيت لايُبْتَنى إلّا له عَمَدٌ ... ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي: أنواعاً في اللون والصورة واللسان.

﴿سُبَاتًا﴾ سكوناً[2] وراحة. سبت الرجل: استراح وترك الشغل.

﴿لِبَاسًا﴾ أي: تستترون به عن العيون فيما لا تحبون أن يُظهر عليه.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ﴾ قابل النوم بالنّهار إذ فيه اليقظة. «معاشا» وقت عيش تتصرّفون فيه في حوائجكم.

﴿سَبْعًا﴾ سماوات. ﴿شِدَادًا﴾ محكمة الخلق لا تتأثر بمرور الإعصار إلا إذا أراد الله تعالى.

---

(١) ديوانه ص١٠.

(٢) ق: سكوتاً.

﴿سِرَاجًا﴾ هو الشمس. ﴿وَهَّاجًا﴾ حارّاً مضطرم الاتّقاد[1].

﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ قال ابن عباس: الرياح لأنّها تعصر السحاب. جعل الإنزال منها لمّا كانت سبباً فيه. ﴿ثَجَّاجًا﴾ منصباً بكثرة ومنه[2] «أفضل الحجّ العجّ والثّج» أي: رفع الصوت بالتلبية وصبّ دماء الهدي.

﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ بدأ بالحب لأنه الذي يتقوّت به كالحنطة والشعير، وثنّى بالنّبات فشمل كل ما ينبت من شجر وحشيش، ودخل فيه الحب.

﴿أَلْفَافًا﴾ [٥٦٩/ب] أي: ملتفّة.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ هو يوم القيامة يفصل فيه بين الحق والباطل. ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ أي: في تقدير الله تعالى وحكمه حدّاً توقّت به الدنيا، وتنتهي عنده.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ بدل من «يوم الفصل». ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من القبور إلى الموقف. ﴿أَفْوَاجًا﴾ أمماً كل أمة بإمامها.

﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي: تنشقّ حتى يكون فيها فتوح كالأبواب في الجدران[3].

---

(١) ق: الإيقاد.

(٢) ق: الفجّ. أخرجه الترمذي ٣: ١٧٥ من حديث أبي بكر.

(٣) ق: الجدرات.

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: فكانت شيئاً كلا شيء.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ الآية، «مرصاداً» مفعال من الرصد يرصد من حقّت عليه كلمة العذاب.

﴿مَآبًا﴾مرجعاً لهم ويجوز أن يتعلق «للطاغين» بـ«مرصاداً»، ويجوز أن يتعلق بـ«مآباً». و﴿لَّٰبِثِينَ﴾ حال من «الطاغين». و«أحقاباً» نصب على الظرف.

وقال الزمخشري[١]: وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حَقِبَ عامُنا: إذا قلّ مطره وخيره، وحَقِب فلان: إذا أخطأه[٢] الرزق، فهو حَقِبٌ، وجَمْعه أحقاب، فينتصب حالاً عنهم، يعني لا بثين فيها حَقِبين جَحِدين[٣]. وقوله «لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً» تفسير له، والاستثناء منقطع، يعني لا يذوقون فيها برداً وروحاً ينفس عنهم حرّ النار، ولا شراباً فيسكن من عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميماً وغساقاً انتهى.

وكان قد قدّم قبل هذا الوجه ما نصّه[٤]: ويجوز أن يراد: لابثين فيها أحقاباً غير ذائقين برداً ولا شراباً [إلا حميماً وغساقاً، ثم يبدلّون بعد الأحقاب غير الحميم والغسّاق من جنس آخر من العذاب انتهى. وهذا الذي قاله هو قول للمتقدمين.

(١) الكشاف ٤ : ٢٠٩.

(٢) ق: أخطأ.

(٣) جحدين: جمع جَحِد وهو الضيّق القليل الخير.

(٤) الكشاف ٤ : ٢٠٩.

قال ابن عطية وقال آخرون: إنما المعنى: لا بثين فيها احقاباً غير ذائقين برداً ولا شراباً]، فبهذه الحال يلبثون ثم يبقى العذاب سرمداً وهم يشربون أشربة جهنم.

والذي يظهر أن قوله «لا يذوقون» كلام مستأنف وليس في موضع الحال، و«إلا حميماً» استثناء متّصل من قوله «ولا شراباً» وأن «أحقاباً» منصوب على الظرف حملاً على المشهور من لغة العرب، لا منصوب على الحال على تلك اللغة التي ليست مشهورة. وقول من قال إن الموصوفين باللبث أحقاباً هم عصاة المؤمنين أواخر الآي يدفعه.

وقول مقاتل إنّ ذلك منسوخ بقوله «فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً» فاسد.

والظاهر أن البرد هو مسّ الهواء القرّ، أي: لا يمسّهم منه ما يستلذّ ويكسر شدة الحرّ.

﴿وِفَاقًا﴾ أي: لأعمالهم وكفرهم. وصف الجزاء بالمصدر لوافَقَ، أو على حذف مضاف أي: ذا وفاق.

﴿لَا يَرْجُونَ﴾ لا يخافون، والمعنى هنا: لا يصدقون بيوم الحساب.

وانتصب ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ على الاشتغال، أي: أحصينا كلّ شيء أحصيناه. «وكل شيء» عام مخصوص، أي: وكل شيء مما يقع عليه الثواب والعقاب، وهي جملة معترضة.

و﴿فَذُوقُوا﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات. وفي خطابهم بذلك عن طريق الالتفات توبيخ لهم وشدة غضب عليهم.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا

يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

ولمّا ذكر شيئاً من حال أهل النار ذكر ما لأهل الجنة [٥٧٠/أ] فقال ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ أي: موضع فوز وظفر حيث زُحزحوا عن النار، وأُدخلوا الجنة.

﴿حَدَآئِقَ﴾ بدل من «مفازاً» أو فوز، فيكون أبدل الجرم من المعنى على حذف، أي: فوز حدائق أي: بها.

﴿دِهَاقًا﴾ قال الجمهور: مترعة[1].

قال الزمخشري[2]: «جزاءً» مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله «إن للمتقين مفازاً»، كأنه قال: جازى المتقين بمفاز. و«عطاء» [نُصب بـ«جزاءً»] نَصْب المفعول به أي: جزاهم عطاء انتهى.

وهذا لا يجوز لأنه جعله مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة التي هي «إن للمتقين مفازاً». والمصدر المؤكد لا يعمل، لأنه ليس ينحلّ بحرف مصدري والفعل، ولا نعلم في ذلك خلافاً.

وقرىء: ربّ، بالرفع على إضمار هو. وبالجرّ بدلاً من «ربك». وقرىء:

---

(١) فوقها في ق: كذا.

(٢) الكشاف ٤: ٢١٠.

الرحمن، بالجر والرفع. والضمير في «منه» عائد عليه، والمعنى أنهم لا يملكون من الله أن يخاطبوه في شيء من الثواب والعقاب. و﴿ خِطَابًا ﴾عام لأنه في سياق النفي.

والعامل في «يوم» إما «لا يملكون» وإما «لايتكلمون». والظاهر عود الضمير في «لا يتكلمون» على «الروح والملائكة» فلا يتكلمون إلا بإذن الله تعالى.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: كيانه ووجوده ﴿ فَمَن شَآءَ ﴾ وعيد وتهديد.

والخطاب في ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ ﴾ لمن حضر النبي ﷺ، واندرج فيه من يأتي بعدهم. ﴿ عَذَابًا ﴾ هو عذاب الآخرة. ﴿ قَرِيبًا ﴾ لتحقّق وقوعه، وكلّ آتٍ قريب.

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ ﴾ عام في المؤمن والكافر. ﴿ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ من خيرٍ أو شرٍ لقيام الحجّة له وعليه.

وقال ابو هريرة وعبد الله بن عمر[1]: إن الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتصّ من بعضها لبعض، ثم يقول لها بعد ذلك: كوني تراباً. فيعود جميعها تراباً. فإذا رأى الكافر ذلك تمنّى مِثْله له.

---

(١) انظر القرطبي ١٩: ١٨٩.

سورة النازعات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ الآية، هذه السورة مكّية. ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر فيما قبلها الإنذار بالعذاب يوم القيامة، أقسم في هذه[2] على البعث يوم القيامة. ولمّا كانت الموصوفات المقسَم بها محذوفات، وأقيمت صفاتها مقامها، وكان لهذه الصفات متعلقات مختلفة - اختلفوا في المراد بها، فقال علي وابن عباس «النازعات» الملائكة تنزع نفوس بني آدم. و«غرقاً» إغراقاً وهو المبالغة في الفعل، أو غرقاً في جهنم، يعني نفوس الكفار.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: الملائكة تنشط النفوس عند الموت، أي: تحلّها وتنشط بأمر الله إلى حيث كان، وقيل غير ذلك.

---

(١) مكية وهي ست وأربعون آية.

(٢) ق: هذا.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾ [٥٧٠/ب] قال علي ومجاهد: الملائكة تتصرّف في الآفاق بأمر الله تعالى تجيء وتذهب.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾ قال ابن مسعود: أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها، وقد عايَنَتِ السّرور، شوقاً إلى لقاء الله تعالى.

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ﴾ قال معاذ: هي الكواكب السبعة، وأضاف التدبير إليها مجازاً أي: يظهر تقلّب الأحوال عند قرانها وتربيعها وتسديسها وغير ذلك.

والذي يظهر أنّ ما عطف بالفاء هو من وصف المقسَم به قبل الفاء، وأن المعطوف بالواو هو مغاير لما قبله كما قررناه في «والمرسلات»[1]. والمختار في جواب القسم أن يكون محذوفاً وتقديره: لتبعثنّ، لدلالة ما بعده عليه.

﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ قال ابن عباس وغيره: هما [الصيحتان أي: النفختان؛ الأولى تميت كل شيء، والثانية تحيي كل شيء.

﴿وَاجِفَةٌ﴾ مضطربة. ووجيف] القلب يكون من الفزع ويكون من الإشفاق.

﴿أَبْصَٰرُهَا﴾ أي: أبصار أصحاب القلوب. ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ أي: ذليلة.

﴿يَقُولُونَ﴾ حكاية حالهم في الدنيا، والمعنى: هم الذين يقولون. و﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ قال مجاهد: فاعلة بمعنى مفعولة. وقيل على النسب أي: ذات حفر والمراد القبور، أي: لمردودون أحياء في قبورنا[2].

(١) انظر تفسير الآية الأولى من المرسلات.

(٢) ق: قبورها.

وقرىء: نخرة، وناخرة، مثل طَمِعٍ وطامع. والناخرة: المصوّتة بالريح المجوّفة. والنّخرة بمعناها.

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ﴾ أي: الردّة إلى الحافرة. ﴿إِذًا﴾ أي: إن رُددنا. ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: قالوا ذلك لتكذيبهم بالبعث، أي: لو كان هذا حقاً لكانت ردّتنا خاسرة إذ هي إلى النّار.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ لما تقدّم «يقولون أإنا لمردودون» تضمّن قولهم استبعاد النشأة الثانية واستصعاب أمرها، فجاء قوله «فإنما» مراعاة لما دلّ عليه استبعادهم، فكأنه قيل: ليس بصعب ما تقولون[1]، فإنما هي نفخة واحدة فإذا هم منشورون أحياء على وجه الأرض.

والساهرة: قال ابن عباس: أرض من فضة يخلقها الله تعالى.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ توقيف للرسول عليه السلام على جمع النفس لما يلقيه إليه. وتقدّم إنكارهم البعث وتمرّدهم على الرسول عليه السلام، فقصّ عليه تعالى قصة موسى، وتمرّد فرعون على الله تعالى حتى ادّعى الإلهية.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ لطف في الاستدعاء لأن كل عاقل يجيب مثل هذا

(١) ق: نقول.

السؤال بنعم. و﴿تَزَكَّىٰ﴾ تتحلّى بالفضائل وتتطهرّ[1] من الرذائل. والزكاة هنا يندرج فيها الإسلام وتوحيد الله تعالى. وقرىء: تزكى، بالتشديد والتخفيف. وتقول العرب: هل لك في كذا؟ وهل لك إلى كذا؟ فيحذفون المبتدأ الذي يتعلق به إلى، أي: هل لك رغبة أو حاجة إلى كذا، أو سبيل إلى كذا.

﴿فَحَشَرَ﴾ أي: جمع السحرة[2] وأرباب دولته. ﴿فَنَادَىٰ﴾ أي: قام فيهم خطيباً.

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [٥٧١/أ] قال ابن عطية: نهاية في المَخْرَقة[3]، ونحوها باقٍ في ملوك مصر وأتباعهم انتهى.

إنما قال ذلك ابن عطية لأن مُلْك مصر في زمانه كان إسماعيلياً، وهو مذهب يعتقدون فيه إلهيّة ملوكهم. وكان أول من ملكها منهم المعزّ بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله، وآخرهم[4] العاضد. وطهّر الله مصر من هذا المذهب بظهور الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً.

وانتصب ﴿نَكَالَ﴾ على المصدر بمعنى التنكيل، والناصب له قوله «فأخذه». و«الآخرة والأولى» قال ابن عباس: «الآخرة» قولته ﴿مَا عَلِمْتُ[5] لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۝٣٨﴾ [القصص]، ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ قولته ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

(١) ق: ونظهر.

(٢) ق: السحر.

(٣) المخرقة: الاختلاق والكذب، مولّدة.

(٤) ق: ولاهم.

(٥) ق: عملت.

وكان بين قولتيه أربعون سنة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما جرى لفرعون وأَخْذه تلك الأخذة. ﴿لَعِبْرَةً﴾ لعظة.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ الآية، الخطاب ظاهره أنه عام والمقصود الكفّار منكرو البعث، وقفهم على قدرة الله تعالى. ﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي: أصعب إنشاء أم السماء. فالمسؤول عن هذا يجيب ولا بدّ بقوله: السماء، لما يرى من ديمومة بقائها وعدم تأثّرها.

ثمّ بيّن تعالى كيفية خلقها: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي: جعل مقدار ذهابها في العلوّ مديداً رفيعاً مسيرة خمس مئه عام. والسَّمك: الارتفاع الذي[1] بين سطح السماء التي تلينا وسطحها الذي يلي ما فوقها. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: جعلها ملساء مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض، أو تمّمها وأتقن[2] إنشاءها بحيث إنها محكمة الصنعة.

﴿وَأَغْطَشَ﴾ أي: أظلم ليلها. ﴿وَأَخْرَجَ﴾ أي: أبرز ضوء شمسها[3]. والضحى: هو [نور] سراجها.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد خلق السماء وما فعل فيها. ﴿دَحَىٰهَآ﴾ أي:

(١) ق: التي.

(٢) ق: وأيقن.

(٣) ق: ضوءها أي: شمسها. وفوقها: كذا.

بسطها، فخلق الأرض ثم السماء ثم دحا الأرض.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ أي: من الأرض. وأضيف الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يظهران منها. «أخرج منها» لم يدخل حرف العطف عليه، لأن معنى «دحاها» بسطها ومهّدها للسكنى. ثم فسّر التمهيد بما لا بدّ منه في تأتّي سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وإمكان القرار عليها.

وقرىء: متاعاً، بالنصب أي: فعل ذلك تمتيعاً لكم. وبالرفع، أي: ذلك متاع.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ قال ابن عباس: القيامة.

وقوله ﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾ مذهب البصريين أن الضمير العائد على «مَن» محذوف تقديره: المأوى له. ومذهب الكوفيين أن الألف واللام نابت عن الضمير كأنه قال: مأواه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي: مقاماً بين يدي ربّه يوم القيامة للجزاء. وفي إضافة المقام إلى الربّ تفخيم للمقام وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعاً عظيماً.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: قريش. [٥٧١/ب] وكانوا يلحّون في البحث عن وقت

الساعة؛ إذ كان يتوعّدهم بها، ويكثر ذلك، فنزلت هذه الآية[١]. ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أي: متى يقيمها الله ويثبتها[٢] ويكوّنها.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَآ﴾ هي ما الاستفهامية، وحذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها كقوله ﴿عَمَّ ۝١﴾ [النبأ] و﴿بِمَ يَرْجِعُ ۝٣٥﴾ [النمل]، كأنه قال: في أي شيء أنت من تذكّرها؟.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى علم ربك. ﴿مُنتَهَاهَآ﴾ أي: انتهاؤها.

﴿مَن يَخْشَاهَا﴾ أي: يخشى الساعة. ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ أي: كأن السؤال عنها.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا﴾ لم يقيموا في الحياة الدنيا. ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أعاد الضمير في قوله «أو ضحاها» على العشية لأنهما طرفان للنهار، والإضافة تكون بأدنى ملابسة.

---

(١) انظر اللباب ص٢٢٦.

(٢) فوقها في ق: كذا.

سورة الأعمى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وسبب نزولها[2] مجيء ابن أم مكتوم عليه السلام. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ [النازعات] ذكر[3] في هذه الآية من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه الإنذار.

﴿أَن جَآءَهُ﴾ مفعول من أجله، أي: لِأَنْ جاءه، ويتعلق بـ«تولّى» على مختار البصريين في الإعمال، وبـ«عبس» على مختار أهل الكوفة.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ الكاف للخطاب، انتقل من ضمير الغيبة في «عبس وتولى» إلى ضمير الخطاب. وقرىء: يزكّى، بتشديد الزاي أصله يتزكّى، أدْغم التاء في الزاي.

---

(١) مكية وهي اثنتان وأربعون آية. واسمها في القرآن الكريم «عبس».

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٩٧، واللباب ص٢٢٧.

(٣) ق: فذكر.

وقرأ عاصم: فتنفعَه، بنصب العين. وتقدم الكلام في نظيره في قوله «فَأَطَّلِعَ»[١] في قراءة حفص.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ ظاهره من كان ذا ثروة وغنى، وهم الذين كان الرسول عليه السلام يناجيهم في شأن الإسلام، عتبة وربيعة وأبو جهل وأبيّ وأميّة، ويدعوهم إليه.

وقرىء: تصدّى، بتخفيف الصاد. وقرىء بشدّها.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ «ما» مبتدأة استفهامية، تقديره: أيُّ شيء عليك؟. وهذا تحقير لأمر الكافر وحضٌّ على الإعراض عنه وترك الاهتمام به في كونه لا يفلح ولا يتطهّر من دنس الكفر.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ أي: يمشي بسرعة في أمر دينه.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أي: يخاف الله ويخاف الكفار وأذاهم والعثار والسقوط لكونه أعمى، وقد جاء بلا قائد يقوده. وهي جملة حالية.

﴿تَلَهَّىٰ﴾ تشتغل، يقال: لَهِيَ عن الشيء يلهى، إذا اشتغل عنه. وقرأ البزي[٢]: عنهو تَّلَهّى، بإدغام تاء المضارعة في تاء تفعّل وصلة الضمير بواوٍ.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: سور القرآن أو الآيات. ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة ينتفع بها .

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي: فمن شاء أن يذكر هذه الموعظة ذكره. أتى بالضمير مذكّراً [٥٧٢/ أ] لأن التذكرة هي الذكر.

---

(١) انظر شرح الآية ٣٧ من غافر.

(٢) كتب «البزي» في ق بلا نقط وفوقها: كذا.

﴿فِي صُحُفٍ﴾ قيل: اللوح المحفوظ. وقيل: صحف الأنبياء المنزلة. ﴿مُكَرَّمَةٍ﴾ عند الله تعالى. ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ في السماء، أو مرفوعة المقدار.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ قال ابن عباس: هم الملائكة لانهم كتبة [عمل الإنسان].

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قيل: نزلت[١] في عتبة بن أبي لهب،غاضب أباه فأسلم، ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالاً وجهّزه إلى الشام. فبعث إلى رسول الله ﷺ أنه كافر بربّ النجم إذا هوى. فروي أنه عليه السلام قال[٢] «اللهم ابعث عليه كلبك حتى يأكله». فلما انتهى إلى الغاضرة ذكر الدعاء فجعل لمن معه ألف دينار إن أصبح حيّاً، فجعلوه في وسط الرفقة والمتاع حوله، فأقبل الأسد إلى الرّحال ووثب فإذا هو فوقه فمزّقه. فكان[٣] يندبه ويبكي عليه ويقول[٤]: ما قال محمد شيئاً قط إلا كان. والآية وإن نزلت في مخصوص فـ«الإنسان» يراد به الكافر.

﴿قُتِلَ﴾ دعاء عليه. والقتل أعظم شدائد الدنيا.

﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ الظاهر أنه تعجب من إفراط كفره. والتعجّب بالنسبة للمخلوقين؛ إذ هو مستحيل في حق الله تعالى، أي: هو ممّن يقال فيه: ما

(١) انظر اللباب ص٢٢٧، والقرطبي ١٩: ٢١٧.

(٢) رواه الأصبهاني في الدلائل ٢: ٤٥٤. وصحّح الاسم فيه من عتبة إلى عتيبة، انظر حاشية المحققين في الصفحة المذكورة.

(٣) ق: فإذا أبوه.

(٤) ق: وقال.

أكفره.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ استفهام على معنى التقرير على حقارة ما خُلق منه.

ثم بيّن ذلك الشيء الذي خُلق منه فقال ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي: فهيّأه لما يصلح له.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ أي: ثم يسّر السبيل، أي سهّله. وهذا من باب الاشتغال.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي: جعل له قبراً صيانة لجسده أن تأكله الطير والسباع.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ﴾ أي: أراد إنشاره أنشره. والمعنى: إذا بلغ[1] الوقت الذي شاءه الله تعالى وهو يوم القيامة.

﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان. ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ يفي من أول مدّة تكليفه إلى حين إقباره ما أمره به الله تعالى. فالضمير في «يقض» عائد على الإنسان.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لمّا عدّد تعالى نعمه في نفس الإنسان، ذكر النعم فيما به

(١) ق: أراد.

قوام حياته، وأمره بالنظر إلى طعامه وكيفيات الأحوال التي اعتورت على طعامه حتى صار بصدد أن يُطعَم - والظاهر أن الطعام هو المطعوم - وكيف يسّره الله تعالى بهذه الوسائط المذكورة.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾ أسند تعالى الصبّ والشّق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب. وصبّ الماء هو المطر.

﴿حَبًّا﴾ يشمل كل ما يسمّى حبّاً من حنطة وشعير وذرة وسُلْت وعَلَس[1] وغير ذلك.

﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: العلف، وقيل غير ذلك.

﴿غُلْبًا﴾ قال ابن عباس: غلاظاً. وعنه: طوالاً.

﴿وَفَٰكِهَةً﴾ ما يأكله الناس من ثمر الشجر كالخوخ والتين. ﴿وَأَبًّا﴾ ما تأكله البهائم من العشب.

﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ اسم من أسماء القيامة يُصِمُّ نَبَؤُها الآذان[2]. تقول العرب: صخَّتْهم [٥٧٢/ب] الصاخّة.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ﴾ بدل من إذا. وجواب إذا محذوف تقديره: اشتغل كل إنسان بنفسه، يدلّ عليه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس]. وفراره من شدة هول يوم القيامة. ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ بدأ أولاً بالأخ ثم بالأبوين ثم بالصاحبة ثم بالبنين.

---

(١) سلت وعلس: فوقهما في ق: كذا. والسُّلت: ضرب من الشعير. والعَلَس: ضرب من الحنطة.

(٢) ويجوز أن نقرأ: تصمُّ نبأتها الآذان، أي: صوتها.

﴿يُغۡنِيهِ﴾ أي: عن النظر في شأن الآخر، من الإغناء.

﴿مُّسۡفِرَةٞ﴾ نيّرة مضيئة، من أسفر الصبح: أضاء.

﴿تَرۡهَقُهَا﴾ تغشاها. ﴿قَتَرَةٌ﴾ أي: غبار. والأولى يغشاها من العبوس عند الهمّ، والثانية من غبار الأرض. والقترة: ما ارتفع إلى السماء.

سورة التكوير(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾ .

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها في غاية الظهور. «كورت» قال ابن عباس: أدخلت في العرش.

و﴿ ٱنكَدَرَتْ ﴾ قال ابن عباس: تساقطت.

و﴿ سُيِّرَتْ ﴾ أي: في الجو تسيير السحاب.

﴿ ٱلْعِشَارُ ﴾ أنفس ما عند العرب من المال وتعطيلها: تركها مسيّبة مهملة.

﴿ حُشِرَتْ ﴾ أي: جمعت من كل ناحية. قال ابن عباس: جمعت بالموت فلا تبعث ولا تحضر يوم القيامة.

---

(1) مكية وآياتها تسع وعشرون.

و﴿سُجِّرَتْ﴾ تقدم الكلام عليه في الطور[١].

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي: المؤمن مع المؤمن والكافر مع الكافر كقوله ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧﴾ [الواقعة].

و﴿الْمَوْءُودَةُ﴾ البنت. ووَأْدُها: دفنها في التراب كقوله ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۝٥٩﴾ [النحل]. ﴿سُئِلَتْ﴾ هذا السؤال لتوبيخ الفاعلين للوأد، لأن سؤالها يؤدي إلى سؤال الفاعلين. وجاء ﴿قُتِلَتْ﴾ بناء على أن الكلام إخبار عنها، ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل: قُتِلْتِ.

والصحف المنشورة: صحف الأعمال، كانت مطوية على الأعمال، فنشرت يوم القيامة ليقرأ كل إنسان كتابه.

وكَشْطُ السماء: طيُّها كطيّ السجل. ﴿سُعِّرَتْ﴾ أُضرمت. ﴿أُزْلِفَتْ﴾ قُرِّبت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ من خير تدخل به الجنة، أو شرّ تدخل به النار.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٩﴾.

﴿بِالْخُنَّسِ﴾ قال الجمهور: الدراري السبعة: الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري، تجري الخمسة مع الشمس والقمر، وترجع

---

(١) انظر تفسير الآية ٦ من الطور.

حتى تخفى مع ضوء الشمس. فخنوسها رجوعها، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس.

﴿عَسْعَسَ﴾ أقسم بإقباله وإدباره وتنفّسه، كونه يجيء معه روح ونسيم، فكأنه نَفَس له على المجاز.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن. ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الجمهور على أنه جبريل عليه السلام. ووصفه بـ[الكريم] يقتضي(١) نفي المذامّ كلّها وإثبات صفة المدح اللائقة به.

﴿ثَمَّ﴾ إشارة إلى «قوة عند ذي العرش» أي: أنه مطاع في ملائكته [٥٧٣/أ] المقرّبين، يصدرون عن أمره. «أمين» مقبول القول يُصدَّق فيما يقوله، مؤتمن على ما يُرسَل به من [وحي وامتثال أمر.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ نفى عنه ما كانوا ينسبون إليه ويبهتونه به من] الجنون.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: رأى الرسول جبريل. والأفق: الناحية من السماء القريبة(٢).

﴿بِضَنِينٍ﴾ من قرأ بالظاء، أي: بمتّهم. ومن قرأ بالضاد معناه: ببخيل.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: الذي يتراءى له إنما هو ملَك لا مثل الذي يتراءى للكهّان.

---

(١) ق: وصفه تقتضي.

(٢) ق: العربية.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ استضلال لهم حيث نسبوه مرة إلى الجنون، ومرة إلى الكهانة، ومرة إلى غير ذلك ممّا هو بريء منه.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿ذِكْرٌ﴾ تذكرة وعظة. ﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدل من «للعالمين».

ثم عذق[1] مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى.

(١) أي: ربطها بها.

سورة الانفطار[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾ .

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. الانفطار: تقدم الكلام عليه[2].

﴿ ٱنتَثَرَتْ ﴾ تساقطت من موضعها كالنظام[3].

﴿ فُجِّرَتْ ﴾ من امتلائها، فتفجّر من أعلاها وتفيض على ما يليها، أو من أسفلها فيُذهب الله ماءها حيث أراد.

﴿ بُعْثِرَتْ ﴾ قال ابن عباس: بُحثت. ﴿ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ تقدّم الكلام على

---

(١) مكية وهي تسعة عشرة آية.

(٢) انظر شرح الآية ٩٠ من مريم.

(٣) النظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ.

شبهه في القيامة[١].

﴿مَا غَرَّكَ﴾ استفهام على سبيل الإنكار عليه. و«غرّك» بمعنى أدخلك في الغرّة. وروي[٢] أنه عليه السلام قرأ «ما غرك بربك الكريم» فقال: [غرّه] جَهْلُه. وقاله عمر وقرأ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب].

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ جعلك سوياً في أعضائك. ﴿فَعَدَلَكَ﴾ صيّرك معتدلاً متناسب الخَلْق من غير تفاوت.

والظاهر أن قوله ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ﴾ يتعلق بـ«ركّبك»[٣] أي: وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وطول وذكورة وشبه ببعض الأقارب أو مقابل ذلك. و«ما» زائدة. و«شاء» في موضع الصفة لـ«صورة». ولم يعطف «ركّبك» بالفاء كالذي قبله لأنه بيان لـ«عدلك». والتركيب: التأليف وجمع شيء.

﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لما دلّ عليه ما قبله من اغترارهم بالله تعالى. ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ خطاب للكفار.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ﴾ استئناف إخبار أن عليهم من يحفظ أعمالهم ويضبطها. ويظهر أنها جملة حالية والواو واو الحال، أي: تكذّبون بيوم الجزاء والكاتبون الحفظة يضبطون أعمالكم لأن تُجازَوْا عليها. وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء.

---

(١) انظر شرح الآية ١٣ من القيامة.

(٢) انظر القرطبي ١٩: ٢٤٤.

(٣) ق: بربك.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيكتبون ما تعلّق به الجزاء.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا﴾ أي: عن الجحيم، أي: لا يمكنهم الغيبة. لمّا أخبر عن صَلْيهم يوم القيامة أخبر بانتفاء غيبتهم عنها قبل الصّلي، أي: يرون مقاعدهم من النار.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ تعظيم لهول ذلك اليوم. ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾ عامّ في كل نفس. ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ[٥٧٣/ب]لِّلَّهِ﴾ أي: لا يدّعي أحد منازعته.

سورة المطففين(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكية، وقيل مدنية. وسبب نزولها أنه كان بالمدينة رجل يكنى أبا جهينة له مكيالان: يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص فنزلت(٢). والمناسبة بين السورتين ظاهرة: لمّا ذكر السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظّم من شأن يومه، ذكر ما أعدّ لبعض العصاة، وذكرهم بأخسّ ما يقع من المعصية، وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئاً في تثمير المال(٣) وتنميته.

---

(١) مكية وآياتها ست وثلاثون.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٩٨.

(٣) ق: تمييز.

﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قبضوا منهم[(١)]. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أقبضوهم. وكال ووزن ممّا يتعدى بحرف الجر فتقول: كِلْتُ لك ووزنت لك.

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ توقيف على أمر القيامة وإنكار عليهم في فعلهم ذلك.

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة. و«يوم» ظرف، العامل فيه مقدر، أي: يبعثون يوم يقوم الناس. ويجوز أن يعمل فيه «مبعوثون» ويكون معنى «ليوم» أي: لحساب يوم. ووصفه برب العالمين دليل على عظم هذا الذنب وهو التطفيف.

﴿كَلَّآ﴾ ردع لما كانوا فيه من التطفيف. وهذا القيام يختلف الناس فيه بحسب أحوالهم. وفي هذا القيام إلجام الناس بالعرق، وأحوالهم فيه مختلفة كما ورد في الحديث[(٢)]. و﴿ٱلْفُجَّارِ﴾ الكفّار. وكتابهم: هو الذي فيه تحصيل أعمالهم. و﴿سِجِّينٍ﴾ قال الجمهور: فِعّيل من السجن كسكّير، أو[(٣)] في موضع ساجن، فجاء بناء مبالغة، فسجّين على هذا صفة لموضعٍ المحذوف. والظاهر أن سجّيناً كتاب، ولذلك أبدل منه «كتاب مرقوم».

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أي: ليس ذلك مما كنت تعلم.

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: مثبت كالرقم لا يبلى ولا يمحى.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ﴾ صفة ذمّ. ﴿كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز الحدّ ﴿أَثِيمٍ﴾ صفة مبالغة.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث.

---

(١) ق: لهم. ويصح إذا عاد الضمير للقابض لا للناس.

(٢) انظر مثلاً صحيح مسلم ٤: ٢١٩٦، حديث المقداد بن الأسود.

(٣) ق: أي.

﴿بَلْ رَانَ﴾ أي: غطّى وغشّى كالصدأ يغطي السيف وقال[1]: [من الطويل]

وكم ران من ذنبٍ على قلبِ فاجرٍ فتاب من الذنب الذي ران فانجَلَى

والضمير في قوله ﴿إِنَّهُمْ﴾ للكفّار. فمن قال بالرؤية - وهو قول أهل السّنة - قال إنّ هؤلاء لا يرون ربهم فهم محجوبون عنه. واحتجّ بهذه الآية مالك على مسألة الرؤية.

﴿ثُمَّ يُقَالُ[2]﴾ أي: يقول لهم خزنة النار. ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب وَصَلْيُ النار، أو هذا اليوم الذي كنتم به تكذّبون.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ الآية، [٥٧٤/أ] لمّا ذكر تعالى أمر كتاب الفجّار، عقبه بذكر كتاب ضدّهم، ليبين الفرق. ﴿عِلِّيُّونَ﴾ جمعٌ واحده عِلّيّ، مشتق من العلوّ وهو للمبالغة. و﴿عِلِّيُّونَ﴾ الملائكة. وإعراب «لفي عليين» و«كتاب مرقوم» كإعراب «لفي سجين».

و﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ هنا، قال ابن عباس وغيره: هم الملائكة أهل كل سماء، ينظرون إلى ما أعدّ لهم من الكرامات.

وقرىء: تعرف، بتاء الخطاب للرسول عليه السلام. والنّضرة: تقدم

---

(١) ق: لم أجده.

(٢) ق: يقال لهم.

شرحها في قوله «نضرة وسرورا»[١].

﴿مَّخْتُومٍ﴾ الظاهر أن الرحيق ختم عليه تهمّماً[٢] وتنظّفاً بالرائحة المسكية كما فسّره ما بعده. ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ أي: خلطه ومزاجه، قاله ابن عباس.

﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ قال ابن عباس: هو أشرف شراب الجنّة، وهو اسم مذكّر لماءِ عينٍ في الجنة. ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي: يشربها أو منها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

روي أن علياً وجمعاً معه من المؤمنين مرّوا بجمع من كفار مكة، فضحكوا منهم، واستخفّوا بهم عبثاً، فنزلت «إن الذين أجرموا» قبل أن يصل عليّ إلى رسول الله ﷺ. وكفار مكة هؤلاء قيل: أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل، والمؤمنون عمّار وصهيب وخبّاب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين[٣].

والضمير في ﴿رَأَوْهُمْ﴾ عائد على المجرمين، أي: إذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضّلال.

﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟﴾ على المؤمنين حفظة يحفظون عليهم أحوالهم.

---

(١) انظر تفسير الآية ١١ من الإنسان، ولم يتقدّم شرحها ثَمَّ.

(٢) تهمم الشيء: طلبه.

(٣) انظر القرطبي ١٩: ٢٦٧.

ولمّا تقدم ذكر يوم القيامة قيل ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. و«اليوم» منصوب بـ«يضحكون»، أي: إن كان قد ضحك الكفار من المؤمنين في وقت ما في الدنيا، فالمؤمنون يضحكون منهم في الآخرة.

و﴿يَنظُرُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿يَضْحَكُونَ﴾ أي: يضحكون ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والعذاب بعد العزّة والنعيم. وقال كعب: لأهل الجنة كوى ينظرون منها إلى أهل النار.

﴿ثُوِّبَ﴾ أي: جوزي، يقال: ثوّبه وأثابه إذا جازاه. وقال الشاعر[1]:

سَأَجْزِيكِ أو يَجْزِيكِ عني مُثَوِّبٌ وَحَسْبُكِ أن يُثنى عليكِ وتُحمدي

وهو استفهام بمعنى التقرير للمؤمنين، أي: هل جُوزوا بأفعالهم السيئة، أي: قد جوزوا بها. وفي قوله ﴿مَا كَانُوا۟﴾ حذف تقديره: جزاء أو عقاب ما كانوا يفعلون.

---

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص٢٧.

سورة الانشقاق(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥ ﴾.

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ الآية هذه السورة مكية. واتصالها بما قبلها ظاهر. قال ابن عباس: انشقت لنزول الملائكة.

﴿ وَأَذِنَتْ ﴾ أي: استمعت وسمعت أمره ونهيه. ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ قال ابن عباس: وحقّ لها [٥٧٤/ب] أن تسمع. وهذا الفعل مبني للمفعول والفاعل هو الله تعالى، أي: وحَقَّ اللهُ عليها الاستماع.

﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ سُوِّيت، وقيل: بُسطت. ومنه الحديث(2) «تُمدّ الأرض مدّ الأديم العكاظي حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه». وذلك أن الأديم إذا مُدّ زال ما فيه من تثنٍّ وانبسط، فتصير الأرض إذ ذاك كما قال

---

(1) مكية وهي خمس وعشرون آية.

(2) جاء بعضه في المسند ١: ٣٧٥ من حديث ابن مسعود.

تعالى ﴿ فَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠﴾﴾ [طه].

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ ما في بطنها من الأموات. ﴿ وَتَخَلَّتْ﴾ ممّن على ظهرها من الأحياء. ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: في إلقاء ما في بطنها وتخلّيها.

و﴿ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يراد به الجنس، والتقسيم بعد ذلك يدل عليه. وقال مقاتل: المراد به الأسود بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، جادل أخاه أبا سلمة في أمر البعث فقال أبو سلمة: إي والذي خلقك لتركبنّ الطبقة ولتوافين العقبة. فقال الأسود: فأين الأرض والسماء وما حال الناس في ذلك اليوم؟. ﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ أي: جاهد في عملك من خير وشرّ. ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: طول حياتك إلى لقاء ربك وهو أجل موتك. ﴿ فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: ملاقي كدحك، أي: جزاءه من ثواب وعقاب.

﴿ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: تُقرّر ذنوبه ثم يُتجاوز عنه.

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ أي: إلى من أعدّ الله تعالى له في الجنّة من نساء المؤمنين ومن الحور العين أو إلى عشيرته المؤمنين، ليخبرهم بخلاصه وسلامته.

﴿ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ روي أن شماله يدخل من صدره حتى يخرج من وراء ظهره فيأخذ كتابه بها. والظاهر من الآية أن الإنسان انقسم إلى هذين القسمين.

﴿ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴾ يقول: واثبوراه. والثّبور: الهلاك وهو جامع لأنواع المكاره.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ أي: في الدنيا فرحاً بطراً مترفاً، لا يعرف الله، ولا يفكر في عاقبة الأمور.

﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ أي: لن يرجع إلى الله تعالى. وهذا تكذيب بالبعث.

﴿ بَلَىٰٓ ﴾ إيجاب بعد النفي، أي: بلى ليحورنّ. ﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ أي: لا تخفى عليه أفعاله، فلا بدّ من حوره ومجازاته.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾ ﴾.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾ أقسم تعالى بمخلوقاته تشريفاً لها وتعريضاً للاعتبار بها. والشفق: بياض يتلو الحمرة.

﴿ وَمَا وَسَقَ ﴾ أي: وما ضَمَّ [من] الحيوان وغيره، إذ جميع ذلك ينضمّ ويسكن في ظلمة الليل. وقال ابن عباس: وما غطّى عليه من الظلمة.

وقرىء: لتركبنّ، بضم الباء معناه: أيها الناس. وبفتحها: أيها الإنسان[1]. ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ أي: حالاً بعد حال.

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ تعجّب من انتفاء إيمانهم وقد وضحت الدلائل.

﴿ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ لا يتواضعون ويخضعون.

﴿ بِمَا يُوعُونَ ﴾ بما يجمعون من الكفر والتكذيب، كأنهم يجعلونه في أوعية، يقال وعيت العلم [٥٧٥/أ] وأوعيت المتاع.

---

(١) ق: الناس.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: سبق لهم في علمه أنهم يؤمنون. ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ غير مقطوع. وقال ابن عباس: «ممنون» معدَّد عليهم محسوب منغَّص بالمَنّ.

سورة البروج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ الآية هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها [أنه] لمّا ذكر أنه تعالى أعلم بما يجمعون للرسول والمؤمنين من المكر والخداع وإذاية من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والصّلب والحرق، بإحماء الصخر بالشمس[2]، ووضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه - ذكر أن هذه الشِّنْشِنة[3] كانت فيمن تقدّم من الأمم، يعذّبون بالنار، وأن أولئك الذين عُرضوا على النار كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم، أو يُحرقوا، وأن أولئك الذين عذّبوا

---

(١) مكية وآياتها اثنتان وعشرون.

(٢) ق: بالشمس وإحماء الصخر.

(٣) الشِّنشنة: الخُلق والطبيعة.

عباد الله ملعونون، فكذلك[1] الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش ملعونون. فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذَّب.

﴿ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ قال ابن عباس: هي المنازل التي عرفتها العرب وهي اثنا عشر على ما قسّمَتْه، وهي التي تقطعها الشمس في سنة والقمر في ثمانية وعشرين يوماً.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة، أي: الموعود به.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ هذان منكّران وينبغي حملهما على العموم كقوله تعالى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير]. وجواب القسم قيل محذوف، وقيل: لتبعثُنّ ونحوه. وقيل «قتل» وهذا الذي نختاره. وحذفت اللام أي: لَقُتِلَ، وحَسُن حذفها كما حسن في قوله ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾ ثم قال ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس] أي: لقد أفلح. ويكون الجواب دليلاً على لعنة من فعل ذلك وطرده من رحمة الله تعالى، وتنبيهاً لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين، ليفتنوهم عن دينهم على أنهم ملعونون، بجامع ما اشتركا فيه من تعذيب المؤمنين. وذكر المفسرون في أصحاب الأخدود أقوالاً كثيرة ومضمنها أن ناساً من الكفار خَدُّوا أخدوداً في الأرض، وسجّروه ناراً، وعرضوا المؤمنين عليها. فمن رجع عن دينه تركوه، ومن أصر على الإيمان أحرقوه. و«أصحاب الأخدود» هم المحرقون للمؤمنين.

وقال الربيع وأبو العالية: بعث الله على المؤمنين ريحاً فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الأخدود.

---

(١) ق: فلذلك.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ وعيد لهم، أي: أنه علم ما فعلوا، فهو مجازيهم.

والظاهر أن ﴿ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ﴾ عامّ في كل من [٥٧٥/ب] ابتلى المؤمنين والمؤمنات بتعذيب أو أذى، وأنّ لهم عذابين: عذاباً لكفرهم وعذاباً لفتنتهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ المراد به العموم لا المطرحون في النار. والبطش: الأخذ بقوة.

﴿ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ قال ابن عباس: عامّ في جميع الأشياء، أي: كل ما يُبدأ وكل ما يعاد.

ولمّا ذكر شدة بطشه ذكر كونه غفوراً ساتراً لذنوب عباده، ودوداً لطيفاً بهم محسناً إليهم. وهاتان صفتا فعل. و«الودود» مبالغة في الوادّ.

﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ خصّص العرش بإضافته إلى نفسه تشريفاً للعرش، وتنبيهاً على أنه أعظم المخلوقات. وقرىء: المجيد، بالضمّ صفة لـ«ذو». وبالخفض صفة لـ«العرش».

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴾ تقرير لحال الكفرة، أي: قد أتاك حديثهم وما جرى لهم مع أنبيائهم، وما حلّ بهم من العقوبات بسبب تكذيبهم، فكذلك يحلّ بقريش من العذاب مثل ما حلّ بهم. و«الجنود» الجموع المعدّة للقتال.

﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ بدل من «الجنود» وكأنه على حذف مضاف، أي: جنود

فرعون.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: من قومك. ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ حسداً[١] لك، لم يعتبروا بما جرى لمن قبلهم حين كذبوا أنبياءهم.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ أي: هو قادر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون وثمود. ومن كان محاطاً به، فهو محصور في غاية لا يستطيع دفعاً[٢]. والمعنى دنوّ هلاكهم.

ولمّا ذكر أنهم في تكذيب، وأن التكذيب عمّهم حتى صار كالوعاء، وقد كان عليه السلام كذبوه وكذبوا ما جاء به وهو القرآن - أخبر تعالى عن الذي جاء به وكذّبوا به فقال ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: بل الذي كذبوا به قرآن مجيد، ومَجادَتُه شرفُه على سائر الكتب بإعجازه في نظمه وصحة معانيه، وإخباره بالمغيبات وغير ذلك من محاسنه. وقرىء: مجيدٌ، صفة لقرآن.

و﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾ صفة لـ«لوحٍ». [وقرىء بالرفع صفة لـ«قرآن»] كما قال تعالى ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر] أي: هو محفوظ في القلوب، لا يلحقه خطأ ولا تبديل.

(١) ق: جَسَد.

(٢) ق: هلاكاً.

سورة الطارق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾.

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن، نبّه هنا على حقارة الإنسان، ثم استطرد[2] منه إلى أنّ هذا القرآن قولٌ فصلٌ جدٌّ لا هزل فيه، ولا باطل يأتيه. ثم أمر نبيّه عليه السلام بإمهال أولئك الكفرة المكذبين، وهي آية موادعة منسوخة بآية السيف[3]. ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ هي السماء المعروفة. ﴿وَالطَّارِقِ﴾ هو الآتي ليلاً [٥٧٦/أ] أي: يظهر بالليل، أتى بالطارق مقسماً به، وهي صفة مشتركة بين النجم الثاقب وغيره، ثم فسّره بقوله ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ إظهاراً لفخامة ما أقسم به. و﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ قال ابن عباس: هو الجدي.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ﴾ [«إنْ»] هي المخففة من الثقيلة، و«ما» زائدة، [و«حافظ» خبر «كل»، و«عليها» متعلق به. وعند الكوفيين «إنْ» نافية، واللام بمعنى

(١) مكية وآياتها سبع عشرة.

(٢) ق: استطرده.

(٣) الآية ٥ من التوبة.

إلّا، و«ما» زائدة»]، و«كل» و«حافظ» مبتدأ وخبر. والظاهر عموم «كل نفس».

ولمّا ذكر أنّ[1] كل نفس عليها حافظ، أتبع ذلك بوصيّة الإنسان بالنظر في أول نشأته الأولى، حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل لذلك، ولا يملي على حافظه إلا ما يسّره في عاقبته. و«مم خلق» استفهام. و«مِن» متعلقة بـ«خُلق» والجملة في موضع نصب بـ«فلينظر» وهي معلّقة. وجواب الاستفهام ما بعده وهو ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ وهو منيّ الرجل والمرأة لما امتزجا في الرحم واتّحدا، عبّر عنهما، وهو مفرد. و﴿دَافِقٍ﴾ بمعنى مدفوق.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أي: تُختبر. و«السرائر» ما أكنّته من العقائد والنّيات، وما أخفته الجوارح [من الأعمال]. والظاهر عموم «السرائر».

ولمّا كان الامتناع في الدنيا إمّا بقوة في الإنسان، وإمّا بناصر خارج نفسه، نفى عنه تعالى ما يمتنع به، وأتى بـ«مِن» الدّالة على العموم في نفي القوة والناصر.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ أقسم ثانياً بالسماء وهي المظلّة. ﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ قال ابن عباس: «الرّجع» السحاب فيه المطر. و﴿ٱلصَّدْعِ﴾ ما تنصدع عنه الأرض من النبات.

والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الكلام الذي أخبر فيه ببعث الإنسان يوم

(١) ق: والظاهر.

القيامة وابتلاء سرائره. أي: إنّ ذلك لقول جزم مطابق للواقع لا هزل فيه. ويكون الضمير قد عاد على مذكور، وهو الكلام الذي تضمّن الإخبار عن البعث، وليس من الأخبار التي فيها هزل بل جدٌّ كلّه.

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكافرين. ﴿يَكِيدُونَ﴾ أي: في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق.

﴿وَأَكِيدُ﴾ أي: أجازيهم على كيدهم، فسمّى الجزاء كيداً على سبيل المقابلة، نحو قوله ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران].

ثم أمر رسوله عليه السلام فقال ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: انتظر عقوبتهم ولا تستعجل ذلك. ثم أكّد أمره فقال ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ مصدر أَرْوَد يرود، مصغر تصغير الترخيم إذ أصله إرواداً. وقيل[1] هو تصغير رَوْدٍ، من قول الشاعر[2]:

[من البسيط]

يكاد لا تَثْلِمُ[3] البطحاءَ وطأتُه ... كأنه ثَمِلٌ يمشي على رُوْدِ

أي: على مهل. وتستعمل مصدراً نحو: رويد عمرٍو، بالإضافة أي: إمهال عمرو. ونعتاً لمصدر نحو: ساروا سيراً رويداً. وحال نحو سار القوم رويداً. ويكون اسم فعل بمعنى أمهل، قال الشاعر[4]: [من الطويل]

رُويدَ بني شيبانَ بعضَ وعيدكم ... تُلاقُوا غداً خيلي على سَفَوانِ

(١) ق: أو قيل.

(٢) البيت في القصائد السبع الطوال ص٤٠٣ غير منسوب، وهو في اللسان «رود» منسوب للجموح الظّفري.

(٣) ق: تلثم.

(٤) البيت لودّاك بن سنان في شرح الحماسة١ : ١٢٧ وشرح المفصل ٤ : ٤١.

[٥٧٦/ب] سفوان: موضع. ونصب «بعض» برويد اسم الفعل. فسيحيط بهم العذاب كما كان في يوم بدر وغيره. لما كرّر الأمر توكيداً خالف بين اللفظين، على أن الأول مطلق والثاني مقيّد بقوله «رويدا».

سورة الأعلى(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾.

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ الآية، هذا السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [االطارق] كأن قائلاً قال: مَن خلقه على هذا المثال؟ فقيل: «سبح اسم ربك الأعلى» وأيضاً لما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ [الطارق] قيل: هو «سنقرئك» أي: ذلك(٢) القول الفصل. و﴿سَبِّحِ﴾ نزّه عن النقائص. ﴿ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم، أي: نزِّهْه عن أن يُسمّى به صنم أو وثن، فيقال له ربٌّ أو إله. وإذا كان قد أمر بتنزيه اللفظ أن يطلق على غيره، فهو أبلغ، وتنزيه الذات أحرى. وقيل: الاسم هنا بمعنى المسمّى. قيل: لما نزل «سبح اسم ربك الأعلى» قال

---

(١) مكية وهي تسع عشرة آية.

(٢) ق: ذا.

رسول الله ﷺ[١] «اجعلوها في سجودكم». وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعت. وفي السجود: اللهم لك سجدت. والأظهر أن «الأعلى» صفة لـ«ربك».

﴿ٱلَّذِى﴾ صفة أيضاً. ﴿خَلَقَ﴾ أي: كل شيء. ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي: لم يأت متفاوتاً بل متناسباً على إحكام وإتقان، على أنه صادر عن عالم حكيم.

و﴿فَهَدَىٰ﴾ عام لجميع الهدايات. و﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾ النبات الذي يُرعى.

والغثاء: ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات وغير ذلك. والأحوى: السواد المائل إلى الخضرة. ولما تغايرت الصفات، وتباينت، أتى لكل صلة بموصول، وعطف على كل صلة ما يترتب عليها فجاء الموصول الأول «الذي خلق فسوى» والثاني «الذي قدّر فهدى» والثالث: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء. فـ«أحوى» حال من «المرعى» وأخّر لكونه فاصلة.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ هذا في معنى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة] وعده الله أن يقرئه، وأخبره أنه لا ينسى نسياناً لا يكون بعده ذكر، إذ كان يحرك شفتيه مبادرة، خوفاً من أن ينسى. وهذه آية للرسول عليه السلام في أنه أمّي وحفظ الله عليه الوحي وآمنه من نسيانه.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الظاهر أنه استثناء مقصود معناه: ممّا قضى الله بنسخه، وأن ترتفع تلاوته وحكمه. ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ أي: جهرك بالقرآن. ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي: في نفسك من خوف التفلّت، وقد كفاك ذلك لكونه تكفّل بإقرائك إياه،

(١) أخرجه ابن ماجة ١: ٢٨٧ من حديث عقبة بن عامر الجهني.

وإخباره أنك لا تنسى إلا [٥٧٧/أ] ما استثناه. وتضمّن ذلك إحاطة علمه بالأشياء.

﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾ معطوف على «سنقرئك» وما بينهما من الجملة المؤكدة اعتراض، أي: نوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل، يعني في حفظ الوحي.

ولما أخبر أنه يقرئه وييسّره، أمره بالتذكير إذ ثمرة الإقراء هي انتفاعه في ذاته وانتفاع من أُرسل إليهم. والظاهر أن الأمر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى. وهذا الشرط إنما جيء به توبيخاً لقريش، أي: إن نفعت الذكرى في هؤلاء الطغاة العتاة. ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ أي: يتذكر بذكراك من يخاف، فإن الخوف حامل على النظر في الذي ينجيه مما يخافه.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: الذكرى. ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ أي: البالغ في الشقاوة لأن الكافر بالرسول عليه السلام هو أشقى الكفار، كما أن المؤمن به وبما جاء به هو أفضل ممّن آمن برسول قبله.

ثم وصفه(١) بما يؤول إليه حاله في الآخرة وهو صلي النّار. ووصفها بـ«الكبرى» وهي(٢) نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة هنيّة. وجيء بـ«ثمّ» المقتضية للتراخي إيذاناً بتفاوت مراتب الشّدة، لأن التردد بين الحياة والموت أشد

---

(١) ق: وصف.

(٢) ق: هي.

وأقطع من الصّلي.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ أي: فاز وظفر بالبغية. ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ من تطّهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾ أي: وحده لم يقرنه بشيء من الأنداد. ﴿فَصَلَّىٰ﴾ أي: الصلاة المفروضة وما أمكنه من النوافل. والمعنى أنه لمّا تذكر آمن بالله. ثم أخبر تعالى عنه أنه أفلح من أتى بهاتين العبادتين الصلاة والزكاة.

وقرىء: يؤثرون، بياء الغيبة، وبالتاء خطاباً للكفار.

[﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي قوله]: «والآخرة خير وأبقى». ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ لم ينسخ إفلاح من تزكّى والآخرة خير وأبقى في شرع من الشرائع، فهو في الأولى وفي آخر الشرائع. وتقدم الكلام على صحف إبراهيم وموسى في سورة النجم[1].

(١) انظر تفسير الآيتين ٣٦، ٣٧ من النجم.

سورة الغاشية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ﴿٣﴾ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ﴿٤﴾ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ﴿٥﴾ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ﴿٦﴾ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ﴿٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴿٨﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها ﴿فَذَكِّرۡ ﴿٩﴾﴾ [الأعلى] وذكر النار والآخرة قال «هل أتاك حديث الغاشية». و«الغاشية» الدّاهية التي تغشى الناس بشدائدها، يعني القيامة. وهذا استفهام توقيف فائدته[2] تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر.

﴿خَٰشِعَةٌ﴾ [٥٧٧/ب] ذليلة.

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ عاملة في النار، ناصبة: تَعِبَة فيها، لأنها تكبّرت عن العمل في الدنيا. وعملها في النار جرّها السلاسل والأغلال وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل.

---

(١) مكية وهي ست وعشرون آية.

(٢) ق: فائدة.

﴿حَامِيَةً﴾ مستعرة. ﴿ءَانِيَةٍ﴾ قد انتهى حرّها، كقوله ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن].

والضّريع في اللغة: يبس العرفج[1] إذا تحطّم. وقال ابن عباس: شجر من نار.

قال الزمخشري[2]: «لا يسمن» مرفوع المحلّ أو مجروره على وصف «طعام» أو «ضريع»، يعني أن طعامهم من شيء ليس من طعام الإنس، وإنما هو شوك، والشوك ممّا ترعاه الإبل وتتولع [به]. وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه، ومنفعتا الغذاء[3] منتفيتان عنه، وهما إماطة الجوع، وإفادة القوة والسّمن في البدن انتهى.

فقوله: مرفوع المحل أو مجروره على وصف «طعام» أو «ضريع»: - أما جرّه على وصفه لـ«ضريع» فيصحّ لأنه مثبت منفي عنه السمن والإغناء من الجوع. وأما رفعه على وصفه لـ«طعام» فلا يصح؛ لأن الطعام منفي و«لا يسمن» منفيّ، فلا يصح تركيبه إذ يصير التقدير: ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع إلا من ضريع. فيصير المعنى أن لهم طعاماً يسمن ويغني من جوع من غير الضريع، كما تقول: ليس لزيد مال لا ينتفع به إلا من مال عمرو. فمعناه أن له مالاً ينتفع به من غير مال عمرو.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ صحّ الابتداء في هذا وفي قوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ [الغاشية] بالنكرة لوجود مسوّغ ذلك وهو التفصيل. «ناعمة»

---

(١) العرفج: شجر ينبت في السهل.

(٢) الكشاف ٤: ٢٤٦.

(٣) ق: الغثان.

لحسنها ونضارتها، أو متنعّمة.

﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي: لعملها[١] في الدنيا بالطاعة راضية، إذا كان ذلك العمل جزاؤه الجنّة.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: مكاناً ومكانة.

وقرىء: لا تُسمَع، بتاء التأنيث بالبناء للمفعول، لاغيةٌ، رفعٌ أي: كلمة لاغية. وقرىء لا تسمع، بتاء الخطاب عموماً، لاغيةً، بالنصب.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ «عين» اسم جنس أي: عيون، أو مخصوصة ذكرت تشريفاً لها.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ من رفعة المنزلة أو رفعة المكان ليرى ما خوّله ربه من الملك والنعيم. ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ أي: بأشربتها معدّة لا تحتاج إلى مالىء[٢].

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أي: وسائد صفّ بعضها إلى جنب بعض للاستناد إليها والاتكاء عليها.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ أي: متفرقة هنا وهنا في المجالس. والزرابي: بسط عراض فاخرة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ

---

(١) ق: بعملها.

(٢) فوقها في ق: كذا.

ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾.

ولمّا ذكر تعالى أمر القيامة وانقسام أهلها إلى أشقياء وسعداء، وعُلم أنه لا سبيل إلى اثبات ذلك إلا بواسطة الصانع الحكيم، أتبع ذلك بذكر هذه الدلائل، وذكر ما العرب مشاهدوه وملابسوه دائماً فقال ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ وهي الجمال، فإنه اجتمع فيها ما تفرّق من المنافع في غيرها من أكل لحمها، وشرب [٥٧٨/أ] لبنها، والحمل عليها، والتنقّل عليها إلى البلاد الشاسعة، وعيشها بأي نبات أكلته، وصبرها على العطش حتى أن فيها ما يرد الماء لعشر، وطواعيتها لمن يقودها، ونهضها وهي باركة بالأحمال الثقال، وكثرة حنينها، وتأثّرها بالصوت الحسن، على غلظ أكبادها. ولا شيء من الحيوان جمع هذه الخصال غيرها، ولكونها أفضل ما عند العرب حتى جعلوها ديةً. وناسب التنبيه بالنظر إليها وإلى ما حوت من عجائب الصفات، ما ذكر معها من السماء والجبال والأرض، لانتظام هذه الأسماء في نظر العرب في أوديتهم وبواديهم، وليدلّ على [أنّ] الاستدلال على إثبات الصانع ليس مختصاً بنوع دون نوع، بل هو عام في كل موجوداته، كما قال[1]:

وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلُّ على أنّه واحدُ

و﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ جملة استفهامية في موضع البدل من «الإبل». و«ينظرون» تعدى إلى «الإبل» بوساطة «إلى» أي: إلى كيف خلقت، على سبيل التعليق.

وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام، من الاسم الذي قبلها كقولهم: عرفت

---

(١) البيت لأبي العتاهية في ديوانه ص١٠٤.

زيداً أبو من هو، على أصح الأقوال. على أن العرب قد أدخلت إلى على كيف، فحكي أنهم قالوا: انظر إلى كيف يصنع. و«كيف» سؤال عن حال والعامل فيها «خلقت». وإذا عُلّق الفعل عمّا فيه الاستفهام، لم يبق الاستفهام على حقيقته.

﴿سُطِحَتْ﴾ أي: صارت كالمهاد للمتقلّب عليها.

ولمّا حضّهم على النظر، أمر رسوله عليه السلام بتذكيرهم فقال ﴿فَذَكِّرْ﴾ ولا يهمّنك كونهم لا ينظرون. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ كقوله ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۝٤٨﴾ [الشورى].

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: بمسلّط، كقوله ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۝٤٥﴾ [ق].

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ «إلا» حرف استثناء، فقيل متصل، أي: فأنت مسيطر[1] عليه. وقيل منقطع من «فذكّر» أي: فذكّر إلا من انقطع طمعك من إيمانه، وتولّى فاستحقّ العذاب الأكبر، وما بينهما اعتراض. وقرأ ابن عباس: ألا، حرف تنبيه واستفتاح، ومَن: مبتدأ. و﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ هو عذاب جهنم.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ أي: إلى جزائنا رجوعهم.

وأتى بلفظ ﴿عَلَيْنَا﴾ دليلاً على تحتّم الحساب منه تعالى عليهم.

---

(١) ق: متصل.

سورة الفجر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾ الآية، هذا السورة مكية في قول الجمهور. ولمّا ذكر فيما قبلها ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الغاشية] أتبعه بذكر الطوائف المكذبين، وأشار إلى الصنف الآخر الذين [٥٧٨/ب] وجوههم ناعمة بقوله ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفجر]. والظاهر أن «الفجر» هو المشهور أقسم به كما أقسم بالصبح. ويراد به الجنس لا فجر يوم مخصوص.

﴿ عَشْرٍ ﴾ العشر الأواخر من رمضان، قاله ابن عباس، للحديث المتفق على صحته[2] «قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شدّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله».

---

(١) مكية وآياتها ثلاثون.

(٢) البخاري ٢: ٧١١، ومسلم ٢: ٨٣٢.

﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾ روى أبو أيوب عنه عليه السلام[١]: «الشّفع يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر ليلة النّحر».

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ قَسَمٌ بجنس الليل. و«يسري» يذهب وينقرض كقوله[٢] ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المدثر]. وجواب القسم محذوف.

قال الزمخشري[٣]: وهو ليعذّبن، يدلّ عليه قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴿٦﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [الفجر]. وقال ابن الأنباري: الجواب قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر]. والذي يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة الغاشية وهو قوله ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ وتقديره: لإِيابُهم إلينا وحسابهم علينا.

﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ ﴾ تقرير على عظم هذه الأقسام، أي: هل فيها مقتنع في القسم لذي عقل فيزدجر، ويفكر في آيات الله تعالى.

ثم وقف المخاطب على مصارع الأمم الكافرة الماضية، مقصوداً بذلك توعُّد قريش ونَصْب المَثَل لها. وعاد: هم قوم هود. و«إرم» تسمية لهم باسم جدّهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة. وذكر المفسّرون أنّ «ذات العماد» مدينة ابتناها شدّاد بن عاد لمّا سمع بذكر الجنّة، على أوصافٍ بعيدٌ أو مستحيل عادة أن يُبنى في الأرض مثلها، وأنه تعالى بعث عليه وعلى أهله صيحة قبل أن يدخلوها فهلكوا[٤] جميعاً. والضمير في «مثلها» عائد على المدينة التي

---

(١) أخرجه أحمد ٣: ٣٢٧ من حديث جابر، بألفاظ مختلفة.

(٢) ق: لقوله.

(٣) الكشاف ٤: ٢٥٠.

(٤) ق: هلكوا.

هي «ذات العماد». ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ أي: في بلاد الدنيا.

﴿جَابُوا الصَّخْرَ﴾ خرقوه ونحتوه فاتخذوا في الحجارة منها بيوتاً. قيل: أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود، وبنوا ألفاً وسبع مئة مدينة كلها بالحجارة ﴿بِالْوَادِ﴾ وادي القرى. وقيل: جابوا[١] واديهم وجلبوا ماءهم في صخر وشقّوه فِعْل ذوي القوة والآمال.

﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ تقدّم الكلام عليه في صّ[٢]. «الذين» صفة لعاد وثمود وفرعون، أو منصوب على الذّم، أو مرفوع على إضمار: هم.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ﴾ أبهم هنا وأوضح في الحاقّة وفي غيرها[٣] يقال: صبَّ عليه السّوط وغشّاه وقنّعه. واستعمل الصبّ في السوط لاقتضائه السرعة في النزول على المضروب. وخصّ السوط، فاستعبر العذاب، لأنه يقتضي من التكرار والتّرداد ما لا يقتضيه السيف و لاغيره.

والمرصاد والمرصد: المكان الذي يترتّب فيه الرّصد، مفعال مِن: رَصَده. وهذا مَثَل لإرصاده العصاة بالعقاب، وأنّهم لا يفوتونه.

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ

---

(١) ق: صابوا، وفوقها: كذا.

(٢) انظر تفسير الآية ١٢ من ص.

(٣) انظر شرح الآيات ٤-١٠ من الحاقة، وانظر مثلاً الأعراف: ٦٥-٧٩، ١٠٣-١٣٧.

ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾.

[٥٧٩/أ] ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ ذكر تعالى ما كانت قريش تقوله وتستدلّ به على إكرام الله تعالى وإهانته لعبده؛ فيرون المكرَم مَن عنده الثروة والأولاد، والمهان ضدّه. ولمّا كان هذا غالباً عليهم وبّخوا بذلك. و«الإنسان» اسم جنس. ويوجد هذا في كثير من [أهل] الإسلام.

و﴿فَيَقُولُ﴾ في الموضعين خبر مبتدأ محذوف تقديره: فهو يقول، وهو جواب «إذا». وقرىء: أكرمني، وأهانني، بياء الإضافة وحذفها.

وقرىء: تكرمون، بالتاء والياء، والمعاطيف عليه. وقرىء: تُحاضّون.

﴿ٱلتُّرَاثَ﴾ التاء بدل من الواو. وكانوا لا يورثون النساء ولا صغار الأولاد، فياكلون نصيبهم، ويقولون: لا يأخذ الميراث إلا من يقاتل ويحمي الحوزة. واللّم: الجمع واللّف. والجمّ: الكثير.

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك، وإنكار لفعلهم. ثم أتى بالوعيد، وذكر تحسّرهم على ما فرطوا في دار الدنيا. ﴿دَكّٗا دَكّٗا﴾ حال كقوله[1]: باباً باباً، أي: مكرراً عليها الدّك.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قدرته وسلطانه[2]. ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ اسم جنس يشمل الملائكة. روي أنهم ملائكة كل سماء [يكونون

(١) مثاله: علمته الحساب باباً باباً.

(٢) هذه العبارة من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٤: ٢٥٣.

صفاً حول الأرض في يوم القيامة. ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ تنزل ملائكة كل سماء] فيصطفّون صفاً بعد صف محدقين[١] بالجن والإنس[٢].

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ كقوله ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات]. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ﴾ «يومئذ» بدل من «إذا»[٣] [الفجر] أي: يتذكر ما فرّط فيه. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: منفعة الذكرى، لأنه لا ينفع فيه التذكير، لو اتّعظ في الدنيا نفعه ذلك في الأخرى.

﴿لِحَيَاتِى﴾ الهنيّة وهي حياة الآخرة.

وقرىء: لا يعذِّب، ولا يُوثِق، مبنيّين للفاعل، فـ«أحد» فاعل، والمعنى أنه لا يعذِّب احدٌ مثل عذاب الله في الآخرة للكافر. وقرىء بفتح الذّال والثّاء[٤]، فـ«أحد» مفعول لم يُسمَّ فاعله.

ولمّا ذكر تعالى شيئاً من أحوال من يعذّب، ذكر شيئاً من حال المؤمن فقال ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾. وهذا النداء، الظاهر أنه على لسان ملك مخبراً عن الله تعالى. ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة التي لا يلحقها خوف ولا حزن.

﴿ٱرْجِعِىٓ﴾ أي: ردّي. ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إلى موعد ربك، ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أُوتِيتِهْ ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عند الله تعالى.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أي: في جملة الصالحين. ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ معهم.

---

(١) فوقها في ق: كذا.

(٢) وهذه العبارة ايضاً للزمخشري في الكشاف ٤: ٢٥٣.

(٣) الآية ٢١ السابقة.

(٤) يعني في قوله «ولا يوثق»

سورة البلد(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (1) وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (2) وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ (3) لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ (4) أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ (5) يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا (6) أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ (7) أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ (8) وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ (9) وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ (10) فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ (11) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ (14) يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ (15) أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ (17) أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ (18) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ (19) عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ (20)﴾.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ الآية، هذه السورة مكية في قول الجمهور. ولما ذكر تعالى ابتلاءه للإنسان بحالة التنعيم وحالة التقدير، وذكر من صفاته الذّميمة ما ذكر وما آل إليه [579/ب] حاله وحال المؤمن - أتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيئ وما آل إليه في الآخرة. والإشارة بـ«هذا البلد» إلى مكة.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ﴾ جملة حالية تفيد تعظيم المقسَم به، أي: وأنت مقيم به، وهذا هو الظاهر.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ لا يراد به معيّن، بل ينطلق على كل والد وولد، وقيل:

---

(1) مكية وهي عشرون آية.

على آدم وجميع ولده.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا﴾ هذه الجملة المقسَم عليها. والجمهور على [أنّ] «الإنسان» اسم جنس. ﴿فِي كَبَدٍ﴾ يكابد مشاقّ الدنيا والآخرة، ومشاقّه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرّته إلى أن يستقر [في] قراره، إما إلى جنة فتزول عنه المشقات جميعها، وإما إلى نار فتتضاعف مشقاته وشدائده.

والظاهر أن الضمير في ﴿أَيَحْسَبُ﴾ عائد على الإنسان، أي: هو لشدّة شكيمته وعزّته وقوّته، يحسب أنه لا يقاومه أحد، ولا يقدر عليه لاستعصامه بعدده وعُدده.

﴿يَقُولُ﴾ على سبيل الفخر ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: كثيراً في المكارم وما يحصل به الثناء.

﴿أَيَحْسَبُ﴾ أن أعماله تخفى، وأنه لا يراه أحد، ولا يطّلع عليه في إنفاقه ومقصده مما يبتغيه، مما ليس لوجه الله تعالى منه شيء. بل عليه حَفَظَةٌ يكتبون ما يصدر عنه من عمل في حياته، ويحصونه إلى يوم الجزاء.

ثم عدّد تعالى نعمه على الإنسان فقال ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ أي: يبصر بهما.

﴿وَلِسَانًا﴾ يفصح عمّا في باطنه. ولم يتعرّض للسمع لأنه يلزم من الكلام السمع. ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يطبقهما على فيه، ويستعين بهما على الأكل والشرب والنفخ وغير ذلك.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال ابن عباس: الخير والشر، وقيل: الثّديان.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي: لم يشكر تلك النعم السابقة. و«لا» نافية،

والمعنى: لم يقتحم. و«العقبة» استعارة لهذا العمل الشّاق على النفس من حيث [هو] بذل مال، تشبيه بعقبة الجبل[١]، وهو ما صعب منه وكان صعوداً، فإنه يلحقه مشقة في سلوكها. واقتحمها: دخلها بسرعة وضغط وشدّة. والقحمة: الشدّة والسّنة الشديدة، يقال: قحم في الأمر قحوماً: رمى نفسه فيه من غير رويّة.

وقرىء: فَكَّ، فعلاً ماضياً. رقبةً، نصباً. أو أطعَمَ، فعلاً ماضياً. وقرىء: فكُّ، مرفوعاً خبر مبتدأ محذوف أي: هي فكّ رقبةٍ، مجروراً بالإضافة.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾ مصدر منوّن معطوف على «فكُّ». وفيه دليل على إعمال المصدر منوّناً، إذ نصب به «يتيماً» ونظيره قول الشاعر[٢]: [من الوافر]

بضربٍ بالسيوف رؤوسَ قومٍ أَزَلْنا هامَهُنَّ عن المَقيلِ

ووصف «يوم» بـ«ذي مسغبة» على الاتّساع. والمسغبة: المجاعة. ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ لتجتمع صدقة وصلة.

﴿أَوْ مِسْكِينًا﴾ «أو» للتنويع. ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [٥٨٠/أ] هم المطروحون على ظهر الطريق قعوداً على التراب، لا بيوت لهم.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هذا معطوف على قوله «فلا اقتحم العقبة» ودخلت «ثم» لتراخي الإيمان في الرتبة والفضيلة لا للتراخي في الزمان، لأنه لا بدّ أن يسبق تلك الأعمال الحسنة الإيمان؛ إذ هو شرط في صحة وقوعها من الطائع. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان

---

(١) ق: الجمل.

(٢) البيت للمرار الأسدي، من شواهد سيبوية ١: ١١٦، ١٩٠.

والطاعات وعن المعاصي.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي: بالتعاطف[١] والتراحم، أو بما يؤدي إلى رحمة الله تعالى.

﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ و﴿الْمَشْأَمَةِ﴾ تقدّم الكلام عليهما في الواقعة[٢].

﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ قرىء بالهمز وبالواو. يقال: أوصدت الباب وآصدته إذا أغلقته وأطبقته، وقال الشاعر[٣]: [من الطويل]

تحنُّ إلى أجبالِ مكّةَ ناقتي ومن دونها أبوابُ صنعاءَ مُؤْصَدَهْ

(١) ق: بالمعاطيف.

(٢) انظر تفسير الآيتين ٨، ٩ من الواقعة.

(٣) البيت في شرح شواهد الكشاف ص٣٩١ غير منسوب.

سورة الشمس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ الآية، هذه السوره مكية. ولما قدّم القَسَم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها، أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي، وبما هو آلة[2] التفكر في ذلك وهو النفس. وكان آخر ما قبلها مختتماً بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، فاختتم آخر هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا، وفي ذلك مآلهم في الآخرة إلى النار وفي الدنيا إلى الهلاك المستأصل. وتقدم الكلام على ضحى في طه[3].

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ معناه تبعها دأباً في كل وقت لأنه يستضيء منها فهو

---

(١) مكية وآياتها خمس عشرة.

(٢) ق: له.

(٣) انظر تفسير الآية ٥٩ من طه.

يتلوها لذلك.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ الظاهر أن مفعول «جلّاها» وهو الضمير، عائد على «الشمس»، لأنه عند انبساط النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام الانجلاء.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ أي: يغشى الشمس، فبدخوله تغيب وتظلم الآفاق. ونسبة ذلك إلى الليل مجاز. وأتى بالمضارع في «يغشاها» لأنه الذي ترتّب فيه، ولو أتى بالماضي كالذي قبله وبعده[1]، كان يكون التركيب: إذا غشيها، فتفوت الفاصلة وهي مقصودة.

و«ما» في «وما بناها» و«وما طحاها» و«وما سواها» بمعنى الذي، وقيل مصدرية.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: لم نُكّرت النفس؟ قلت فيه وجهان: أحدهما أن يريد نفساً خاصة من النفوس، وهي نفس آدم، كأنه قال: وواحدة من النفوس انتهى.

وهذا فيه بُعد، للأوصاف المذكورة بعدها فلا تكون إلا للجنس. ألا ترى إلى قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ كيف يقتضي التغاير في المزكّى والمدسّى؟.

﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ قال ابن عباس: عرّفها.

[٥٨٠/ب] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ جواب القسم وحذفت اللام لطول المعاطيف على

---

(١) ق: وبعدها.

(٢) الكشاف ٤: ٢٥٨.

القسم. و﴿ زَكَّىٰهَا﴾ طهّرها ونمّاها بالعمل الصالح.

و﴿ دَسَّىٰهَا ﴾ أخفاها وحقّرها بالمعاصي. والتدسية: الإخفاء، أصله دسس، فأبدل من ثالث المضاعف حرف علّة[1]. والظاهر أن فاعل زكّى ودسّى ضمير يعود على «مَن».

ولمّا ذكر تعالى خيبة من دسّى[2] نفسه، ذكر فرقة فعلت ذلك وهي ثمود صالح، فعلت ذلك ليُعتبر بهم، لأنهم أقرب البلاد إلى الحجاز.

﴿ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾ الباء سببيّة، أي: كذبت ثمود نبيّها بسبب طغيانها. قال ابن عباس: الطغوى هنا: العذاب، كذبوا به حتى نزل بهم. وهو من الطغيان، قلبت فيه الياء واواً فصلاً بين الاسم وبين الصفة.

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ ﴾ أي: خرج لعقر الناقة بنشاط وحرص. والناصب لـ«إذ»: «كذبت». و﴿ أَشْقَىٰهَا﴾ هو قدار بن سالف.

والضمير في «لهم» عائد على «ثمود». ﴿ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ هو صالح عليه السلام. وقرىء: ناقة الله، بنصب التاء وهو منصوب على التحذير مما يجب إضمار عامله، لأنه قد عُطف عليه، فصار حكمه بالعطف حكم المكرّر [كقولك]: الأسد الأسد. أي: احذروا ناقة الله، أي: عَقرها وعاقبة أمرها، أو ذروا عَقْرها وسقياها فلا تمنعوها من السّقيا.

﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أسند العقر للجميع لكونهم راضين به ومتمالئين عليه.

---

(١) ق: ثالث المضارع حرف علّته.

(٢) ق: دسّ.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ يقال: دمدم عليه القبر: أطبقه. وقال مؤرج: الدّمدمة: الهلاك باستئصال. وفي الصحاح[1]: دمدمتُ الشيء: ألزقْته بالأرض وطَحْطَحْتَه.

﴿فَسَوَّنٰهَا﴾ أي: سوّى القبيلة في الهلاك، عاد عليها بالتأنيث كما عاد في «بطغواها». وقيل: سوّى الدمدمة أي سوّاها بينهم فلم يُفلت منهم صغيراً ولا كبيراً.

والضمير في «يخاف» عائد على «أشقاها» أي: انبعث بعقرها، وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه. والعقبى: خاتمة الشيء وما يجيء من الأمور بعقبه.

---

(١) مادة دمم.

سورة الليل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١ ﴾ .

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولما ذكر فيما قبلها ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس] ذكر هنا من الأوصاف ما يحصل به الفلاح وما يحصل به الخيبة. ومفعول «يغشى» محذوف، فاحتمل أن يكون النهار لقوله ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ۝٥٤ ﴾ [الأعراف]. وأن يكون الشمس لقوله ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ ﴾ [الشمس].

و﴿ تَجَلَّىٰ ﴾ انكشف وظهر إما بزوال ظلمة الليل وإما بنور الشمس. أقسم بالليل الذي فيه كل حيوان [٥٨١/أ] يأوي إلى مأواه، وبالنهار الذي ينتشر[2] فيه.

---

(١) مكية وهي إحدى وعشرون آية.

(٢) ق: يتيسر.

﴿وَمَا خَلَقَ﴾ «ما» مصدرية أو بمعنى الذي. والظاهر عموم الذكر والأنثى.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ أي: مساعيكم. ﴿لَشَتَّىٰ﴾ أي متفرقة.

ثم فصّل هذا السعي [فقال]: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ الآية، روي أنها نزلت[1] في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. كان يعتق ضَعَفة العبيد الذين أسلموا، وينفق في رضا رسول الله ﷺ ماله، وكان الكفار بضدّه. ﴿أَعْطَىٰ﴾ أي: حقّ الله، ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ الله. ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ هي الجنّة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: نهيّئه للحالة التي هي أيسر عليه وأهون، وذلك في الدنيا والآخرة. وهذا من التجنيس المغاير: «فسنيسره» فعل و«اليسرى» اسم.

وقابل «أعطى» بـ«بخل» و«اتّقى» بـ«استغنى» لأنه زهد فيما عند الله تعالى بقوله «واستغنى».

﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ وهي الحالة السيئة في الدنيا والآخرة. وجاء: نيسّره للعسرى، على سبيل المقابلة لقوله: نيسّره لليسرى. والعسرى لا تيسير فيها. وقد يراد بالتيسير التّهيئة، وذلك يكون في اليسرى والعسرى.

﴿وَمَا يُغْنِي﴾ يجوز أن تكون «ما» نافية، واستفهامية أي: وأيّ شيء يغني عنه ماله؟. ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ تفعّل، من الرّدى أي: هلك.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ التعريف بالسّبل ومَنْحهم الإدراك كما قال ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴿٩﴾﴾ [النحل].

---

(١) انظر أسباب النزول ص٣٠٠.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: ثواب الدّارين.

﴿الْأَشْقَى﴾ جعل مختصاً بالصّلي كأن النار لم تُخلق إلاّ له. و﴿الْأَتْقَى﴾ جعل مختصاً بالنجاة كأن الجنة لم تُخلق إلا له. ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ أي: يكون عند الله زاكياً.

﴿مِن نِّعْمَةٍ﴾ «مِن» زائدة. و«نعمة» مبتدأ. و﴿تُجْزَىٰ﴾ صفة لـ«نعمة». خبره «لأحد».

﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ﴾ مفعول له، لأن معنى ما قبله: ما آتى المال إلا ابتغاء وجه ربه.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وعدٌ بالثواب له.

سورة الضحى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾ .

﴿ وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وسبب نزولها قال ابن عباس: أبطأ الوحي مرة على رسول الله ﷺ وهو بمكة حتى شقّ ذلك عليه. فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: يا محمد ما أرى[2] شيطانك إلّا قد تركك فنزلت الآية[3]. ولما ذكر فيما قبلها ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ﴾ [الليل] وكان سيد الأتقياء رسول الله ﷺ، ذكر هنا نعمه تعالى عليه.

﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾ أي: ما تركك. وقرأ أبو بحريّة[4] وابن أبي عبلة بالتخفيف: ما وَدَعَك. ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ ما أبغضك. واللغة الشهيرة في مضارع قلى: يَقلى.

﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ [٥٨١/ ب] رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ ذلك في الآخرة. وقال ابن

---

(١) مكية وهي إحدى عشرة آية.

(٢) ق: أدري.

(٣) انظر البخاري ٤ : ١٨٩٢، وأسباب النزول ص٣٠١.

(٤) فوقها في ق: كذا.

عباس: رضاه أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار واللام في ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ لام الابتداء أكّدت مضمون الجملة.

ولمّا وعده هذا الموعد الجليل، ذكّره بنعمه عليه في حال نشأته. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ يَعْلَمْكَ[1]. ﴿يَتِيمًا﴾ توفّي أبوه عليه السلام وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر، وماتت أمه عليه السلام وهو ابن ثماني سنين، فكفله عمّه أبو طالب وأحسن تربيته. وقيل لجعفر الصادق رضي الله عنه: لِمَ يُتِّمَ النبي ﷺ من أبويه؟. فقال لئلا يكون عليه حقّ لمخلوق.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ قال ابن عباس: هو ضلاله وهو صغير في شعاب مكة، ثم ردّه الله إلى جدّه عبد المطّلب. ورأيت في النوم أني أفكّر في هذه الجملة، فأقول على الفور: ﴿وَوَجَدَكَ﴾ أي: وجد رهطك ضالاً فهداه بك!.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ أي: فقيراً، عال الرجل: افتقر، وأعال: كثر عياله. ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ رضّاك بما أعطاك من الرزق.

ولمّا عدّد عليه هذا النّعم الثلاث، وصّاه بثلاث كأنها مقابلة لها. ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي: لا تحقره.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ ظاهره المستعطي. «فلا تنهر» أي: تزجره لكن أعطه أو رُدَّه ردّاً جميلا.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ معناه بُثَّ القرآن وبَلِّغْ ما أُرسلتَ به.

والظاهر أنه لما تقدّم ذكر الامتنان عليه بذكر الثلاثة، أمره بثلاثة، فذكر اليتيم أوّلاً وهي البداية، ثم ثانياً [السائل] وهو العائل، وكان أشرف ما امتنّ

---

(١) فوقها في ق: كذا.

به عليه هي الهداية، فترقّى من هذين إلى الأشرف وجعله مقطع السورة. وإنما وسّط ذلك عند ذكر الثلاثة، لأنه بعد اليُتم هو زمان التكليف، وهو عليه السلام معصوم من اقتراف ما لا يُرضي الله تعالى في القول والفعل والعقيدة، فكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الواقع بعد اليُتم وحالة التكليف، وفي الآخر ترقّى إلى الأشرف، فهما مقصدان في الخطاب.

سورة الانشراح[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨ ﴾.

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة. وشرح الصدر[2]: تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقّي ما يوحى إليه. وقيل: إشارة إلى شقّ جبريل صدره في وقت صغره.

وقرأ أبو جعفر المنصور: ألم نشرحَ، بنصب الحاء. وخرّجه ابن عطية على أنه: ألم نشرحن، فأبدل من النون ألفاً ثم حذفها تخفيفاً. وأحسنُ من هذا التخريج ما ذكره اللحياني في نوادره عن بعض العرب[3] أنهم يجزمون [٥٨٢/ أ] بلن وينصبون بلم.

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأدناس، عبّر عن ذلك بالحطّ على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك كما يقول القائل: رفعت عنك مشقّة الزيارة، لمن لم تصدر منه زيارة، على طريق

---

(١) مكية وهي ثمان آيات.

(٢) ق: والشرح تنويره.

(٣) ق: العجم.

المبالغة في انتقاء زيادته.

وقال أهل اللغة: أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمعت له صريراً من شدّة الحمل.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ هو أنْ قرنه بذكره تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهّد والخُطب وفي غير موضع من القرآن وفي تسمية رسول الله ﷺ ونبيّ الله، وذكره في كتب الأوّلين والأخذ على الأنبياء وأمّتهم أن يؤمنوا به. وقال حسان فيه عليه السلام[1]: [من الطويل]

أغـــرُّ عليـــه للنبـــوّة خـــاتَـــمٌ ... مـن الله مشهـودٌ يلـوح ويُشْهَـدُ
وضمّ الإلهُ اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن: أشهد

وتعديد هذه النّعم عليه ﷺ يقتضي أنه تعالى كما أحسن إليك[2] بهذه المراتب، فإنه يحسن إليك[3] بظفرك بأعدائك وبنصرك عليهم. وكان الكفار يعيّرون المؤمنين بالفقر، فذكره هذه النّعم وقوّى رجاءه بقوله ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي: إن مع الضيق فرجاً. ثم كرّر ذلك مبالغة في حصول اليسر.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ أي: من فرضك. ﴿فَانْصَبْ﴾ من التنفّل عبادة لربك.

﴿فَارْغَبْ﴾ أمرٌ مِن رَغِبَ ثلاثياً، أي: اصرف وجه الرغبات إليه لا إلى سواه.

---

(١) ديوانه ص١٣٤.

(٢) ق: إليه.

(٣) فوقها في ق: كذا.

سورة التين(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها مَن كمّله الله تعالى خَلْقاً وخُلُقاً وفضّله على سائر العالم، ذكر(٢) هنا حالة من يعاديه، وأنه يردّه إلى أسفل السافلين في الدنيا والآخرة. وأقسم تعالى بما أقسم به أنه خلقه مهيّأً لقبول الحق، ثم نقله كما أراد إلى الحالة السافلة. والظاهر أن «التين والزيتون» هما المشهوران بهذا الاسم. وفي الحديث(٣) مدح التّين وأنه يقطع البواسير وينفع في النقرس. قال تعالى ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المؤمنون] أقسم تعالى بمنابتهما، والتين ينبت كثيراً بدمشق والزيتون بإيلياء، فأقسم بالأرضَيْن. وقيل هما جبلان بالشام على أحدهما دمشق وعلى الآخر بيت المقدس. ومعنى «سينين» ذو الشجر.

---

(١) مكية وهي ثماني آيات.

(٢) ثم ذكر، وفوقها: كذا.

(٣) أورد القرطبي في ذلك ٢٠: ١١٠ حديثاً عن أبي ذرّ.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ هو مكة. وأمين للمبالغة أي: أَمِنَ مَنْ فيه [٥٨٢/ب] ومن دخله وما فيه من طير وحيوان. ومعنى القسم بهذه الأشياء إبانة شرفها وما ظهر فيها من الخير بسكنى الأنبياء والصالحين، فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم عليه السلام ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذي نودي عليه موسى عليه السلام. ومكة: مكان مولد الرسول ﷺ ومبعثه، ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين.

﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في حسن صورته[١] وحواسّه، و«الإنسان» هنا اسم جنس. و«أحسن» صفة لمحذوف تقديره: في تقويمٍ أحسنِ تقويم.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ﴾ أي: بالهرم وذهول العقل وتغلّب الكِبَرِ[٢] حتى يصير لا يعلم شيئا. أما المؤمن فمرفوع عنه القلم، والاستثناء على هذا منقطع. وليس المعنى أن كل إنسان يعتريه هذا، بل في الجنس من يعتريه ذلك ومن لا يعتريه. وفي الحديث[٣] «إذا بلغ الرجل مئة ولم يعمل شيئاً كُتب له مثلُ ما كان يعمل في صحته ولم يُكتب عليه سيئة». وفيه أيضاً[٤] «إن المؤمن إذا رُدَّ إلى أرذل العمر كُتب له خير ما كان يعمل في قوّته» وذلك أجر غير ممنون، أي: غير ممنوع ولا مقطوع أي: محسوب[٥] يمنّ به عليهم.

والخطاب في ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ للإنسان الكافر، أي: ما الذي يجعلك مكذّباً

(١) ق: أحسن. وفوق «صورته»: كذا.

(٢) ق: وتقلب الكثرة. وفوقها: كذا.

(٣) روى ابن جرير ٣٠: ١٥٦ عن ابن عباس حديثاً بمعناه.

(٤) رواه ابن جرير ٣٠: ١٥٨ عن حماد عن إبراهيم بألفاظ مقاربة.

(٥) ق: غير ممنون وممنوع مقطوع أو محسوب. وفوقها: كذا.

بالدين تجعل لله أنداداً وتزعم أنْ لا بعث بعد هذه الدلائل.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ وعيد للكفار وإخبار بعدله تعالى.

سورة العلق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾.

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وصدرها أول ما نزل من القرآن وذلك في غار حراء على [ما] ثبت في صحيح البخاري[2] وغيره. ولما ذكر تعالى فيما قبلها خَلْق الإنسان في أحسن تقويم، ثم ذكر ما عرض له بعد ذلك، ذكره هنا منبّهاً على شيء من اطواره وذكر نعمته عليه، ثم ذكر طغيانه بعد ذلك، وما يؤول إليه حاله في الآخرة. والظاهر تعلّق الباء بـ«اقرأ» وتكون للاستعانة. ومفعول «اقرأ» محذوف تقديره: اقرأ ما يوحى إليك.

و﴿ الْإِنْسَانَ ﴾ هنا اسم جنس. والعلق: جمع علقة، فلذلك جاء ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾. وإنما ذَكَر من خلق من علق لأنهم مقرّون به[3].

ثم جاء الأمر ثانياً تأنيساً له كأنه قيل: امض لما أُمرت به، وربك ليس كهذه الأرباب، بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص. و﴿ الْأَكْرَمُ ﴾ صفة تدل

---

(1) مكية وآياتها تسع عشرة.

(2) انظر صحيح البخاري ٤: ١٨٩٤، وانظر مثلاً صحيح مسلم ١: ١٣٩.

(3) ق: بهم.

على المبالغة في الكرم.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ دليل على كمال كرمه بأنه علّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم. ونبّه على فضل[١] علم الكتابة لما فيه من المنافع [٥٨٣/أ] العظيمة التي لا يحيط بها إلاّ هو. ولا دُوّنت العلوم ولا قُيّدت الحِكَم إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدنيا والدين.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ نزلت[٢] بعد مدة في أبي جهل، ناصب رسول الله ﷺ العداوة، ونهاه عن الصلاة في المسجد. فروي[٣] أنه قال: لئن رأيت محمداً يسجد عند الكعبة، لأطأنّ عنقه. فروي أن رسول الله ﷺ ردّ عليه وانتهره وتوعّده. فقال أبو جهل: أيتوعّدني محمد؟ والله ما بالوادي أعظم ندياً منّي، أي: مجلساً. وقيل إنه همّ أن يمنعه من الصلاة فكُسِع[٤] عنه.

﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ أي: يجاوز الحدّ.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ الفاعل ضمير «الإنسان»، وضمير المفعول عائد عليه

---

(١) ق: أفضل.

(٢) انظر اللباب ص٢٣٢، والقرطبي ٢٠: ١٢٢.

(٣) انظر ما رواه الترمذي ٩: ٧٨ من حديث ابن عباس.

(٤) الكسع: أن تضرب دبر الإنسان بيدك أو بصدر قدمك.

أيضاً. ورأى هنا من رؤية القلب، ويجوز أن يتّحد[١] فيها الضميران متّصلين فتقول: رأيتني صديقك، وكذلك فقد وعدم بخلاف غيرها، فلا يجوز: زيد ضَرَبَه، وهما ضميرا زيد.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ أي: الرجوع، مصدر على وزن فُعلى، الألف فيه للتأنيث. وفيه وعيد للطاغي المستغني وتحقير لما هو فيه حيث مآله إلى البعث والحساب[٢] والجزاء على طغيانه.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ تقدّم [أنه] أبو جهل. والخطاب في «أرأيت» الظاهر أنه للرسول عليه السلام، وكذا «أرأيت» الثاني والثالث. والتناسق في الضمائر هو الذي يقتضيه النظم. وقيل: «أرأيت» الثاني خطاب للكافر، التفت إلى الكافر فقال: أرأيت يا كافر إن كانت صلاته هدى ودعاءً إلى الله وأمراً[٣] بالتقوى، أتنهاه مع ذلك؟. والضمير في «إن كان» وفي «إن كذّب» عائد على النّاهي.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ويطّلع على أحواله من هداه وضلاله، فيجازيه على حسب ذلك؟ وهذا وعيد.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لأبي جهل ومن في طبقته عن نهي عباد الله عن عبادة الله. ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي: عمّا هو فيه، وعيد شديد. ﴿لَنَسْفَعًۢا﴾ أي: لنأخذن بالناصية. وعبّر بها عن جميع الشخص، أي: سحباً إلى النار، كقوله ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن]. واكتفى بتعريف العهد عن الإضافة إذ عُلم أنها

---

(١) ق: يتخذ.

(٢) ق: ويحاسب.

(٣) ق: وأمر.

ناصية الناهي.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ إشارة إلى قول أبي جهل: وما بالوادي أكثر نادياً مني. والمراد أهل النادي. وقرىء: سيُدعى، مبنياً للمفعول. الزّبانيةُ، رفع.

﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل وردّ عليه. ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ أي: لا تلتفت إلى نهيه وكلامه. ﴿وَٱسْجُدْ﴾ أمرٌ له بالسجود، والمعنى: دُمْ على صلاتك. وعبّر عن الصلاة بأفضل الأوصاف التي يكون العبد فيها [أقرب] إلى الله تعالى ﴿وَٱقْتَرِب۩﴾ وتقرّب إلى ربك.

وثبت في الصحيحين[1] سجود رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ[٥٨٣/ب] ٱنشَقَّتْ ۝١﴾[2] [الانشقاق] وفي هذه السورة. وهي من العزائم عند علي بن أبي طالب. وكان مالك يسجد فيها في خاصة نفسه.

(١) انظر البخاري ١: ٣٦٥، ٣٦٦، ومسلم ١: ٤٠٧، وسنن أبي داود ٢: ٥٩.

(٢) آية السجود هي الآية ٢١.

سورة القدر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾ .

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ الآية ، هذه السورة مدنية في قول الأكثر. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة: لمّا قال ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ۝١ ﴾ [العلق] فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا: إنا أنزلناه في ليلة القدر. والضمير عائد على ما دلّ عليه المعنى وهو ضمير القرآن. قال ابن عباس: أنزله الله تعالى ليلة القدر إلى سماء الدنيا جملة، ثم نجّمه على محمد ﷺ في عشرين سنة.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ تفخيم لشأنها، أي: لم تبلغ درايتك غاية فضلها، ثم بيّن له ذلك. قيل: ما كان في القرآن «وما أدراك»، فقد أُعْلِمَهُ، وما كان(٢) «وما يدريك» فإنه لم يُعْلَمْهُ.

والظاهر أن ﴿ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ يراد به حقيقة العدد وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام وثلث عام. والعمل في ليلة القدر أفضل من العمل في هذه الشهور.

---

(١) مكية وهي خمس آيات.

(٢) ق: قال.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ تقدّم الكلام عليه[1]. ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ متعلّق بـ«تنزّل». ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ متعلق بـ«تنزّل». و«مِن» للسبب أي: تنزّل من [أجل] كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل.

﴿ سَلَـٰمٌ هِىَ ﴾ أي: هي سلام، جعلها سلاماً لكثرة السلام فيها. قيل: لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه في تلك الليلة. وقرىء: مطلع، بفتح اللام وكسرها.

(١) انظر شرح الآية ٢ من النّحل.

سورة البيّنة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾.

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولما ذكر إنزال القرآن في ليلة القدر وفي السورة التي قبلها ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴿١﴾﴾ [العلق]، ذكر هنا أن الكفار لم يكونوا منفكّين عمّا هم عليه حتى جاءهم الرسول عليه السلام يتلو عليهم ما أُنزل عليه من الصحف المطهرة التي أُمر بقراءتها. وقسم الكافرين هنا إلى أهل كتاب وأهل إشراك. وأهل الكتاب اليهود والنصارى، والمشركون عبدة الأوثان من العرب.

﴿مُنفَكِّينَ﴾ اسم فاعل من انفكّ وهي التامة، وليست الداخلة، على المبتدأ

---

(١) مدنية وهي ثماني آيات.

والخبر.

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: من المشركين وانفصل بعضهم من بعض فقال كلٌّ ما يدلّ عنده على صحة [٥٨٤/ أ] قوله.

﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ وكان يقتضي مجيء البيّنة أن يُجمعوا على اتّباعها.

﴿ حُنَفَآءَ ﴾ أي: مستقيمي الطريقة مائلين عن طرق الضلال إلى طريق الهداية.

﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ أي: الأمة المستقيمة.

وذكر تعالى مقر الأشقياء وجزاء السعداء. و﴿ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ جميع الخلق. وحكم على الكفار من الفريقين بأمرين: بالخلود في النار وبكونهم شر البرية، وبدأ بأهل الكتاب، لأنهم كانوا يطعنون في نبوّته، وجنايتهم أعظم لأنهم أنكروه مع العلم به.

و﴿ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ ظاهره العموم.

سورة الزلزلة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾.

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ الآية هذه السورة مكية. ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار، وجزاء المؤمنين، فكأن قائلاً قال: متى ذلك؟ فقال ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾. قيل: والعامل فيها مضمر تدلّ عليه الجمل الآتية، تقديره: تحشرون. وأضيف الزلزال إلى الأرض؛ إذ المعنى: زلزالها الذي يستحقه ويقتضيه جِرْمها وعظمها.

﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ جعل ما في بطنها أثقالاً.

﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ على معنى التعجّب لما يرى من الهول. والظاهر عموم «الإنسان».

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم إذ زلزلت وأخرجَتْ تُحدّث. والظاهر أنه حديث حقيقة، وقيل، مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال ما يقوم مقام

---

(١) مدنية وهي ثماني آيات.

التحديث باللسان. وفي سنن ابن ماجة[١] حديث في آخره «تقول الأرض يوم القيامة: يارِبّ هذا ما استودعتَني». وعن ابن مسعود: تحدّث بقيام الساعة إذا قال الإنسان: مالها، فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك جواباً لهم عن[٢] سؤالهم.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: بسبب إيحاء الله تعالى لها. فالباء متعلقة بـ «تحدّث».

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ انتصب «يومئذ» بـ«يصدر»، والصَّدَر يكون عن وِرْد، فقال الجمهور: هو كونهم في الأرض مدفونين، والصدر قيامهم للبعث. و﴿أَشْتَاتًا﴾ جمع شتّ، أي: فِرَقاً مؤمن وكافر ومؤمن عاصٍ سائرون إلى العرض ليُروا أعمالهم.

والظاهر تخصيص العامل، أي: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من السعداء، لأن الكافر لا يرى خيراً في الآخرة - وتعميم «[من يعمل] مثقال ذرة شراً» من الفريقين، لأنه تقسيم جاء بعد قوله «يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم». وقرىء: ليروا، بضم الياء وفتحها. ونبّه بقوله «مثقال ذرة» على أن ما فوق الذرة يراه، قليلاً كان أو كثيراً. وهذا يسمّى مفهوم الخطاب؛ وهو أن يكون المذكور والمسكوت عنه في حكم [٥٨٤/ب] واحد، بل يكون المسكوت عنه بالأولى في ذلك الحكم.

والظاهر انتصاب «خيراً» و«شراً» على التمييز لأن «مثقال ذرة» مقدار. وقيل: بدل من «مثقال». وقرىء: يره، بالفتح في الياء فيهما أي: يرى جزاءه من ثواب وعقاب.

---

(١) انظر ٢: ٤٢٠ (ط الألباني).

(٢) ق: عند.

سورة العاديات(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١ ﴾.

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا فَٱلْمُغِيرَٰتِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. لمّا ذكر فيما قبلها ما يقتضي تهديداً ووعيداً بيوم القيامة، أتبع ذلك بتعنيف لمن لا يستعدّ لذلك اليوم ومن آثر أمر دنياه على أمر آخرته. و«العاديات» الجاريات بسرعة. والضَّبح: تصويت جهير عند العَدْو الشديد، ليس بصهيل ولا رُغاء.

﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ الإيراء: إخراج النار، أي: تقدح بحوافرها الحجارة، فيتطاير منها النار لصكّ بعض الحجارة ببعض.

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ أي: تغير على العدوّ في الصبح. وفي هذا دليل على أن هذه الأوصاف لذاتٍ واحدة، لعطفها بالفاء التي تقتضي التعقيب.

والضمير في «به» عائد في الأول على الصبح، أي: هيجن في ذلك الوقت غباراً. وفي «به» الثاني على الضَّبْحِ. قيل: أو النقع، أي: وسطن

---

(1) مكية وهي إحدى عشرة آية.

النقع الجمع، فتكون الباء للتعدية. وقيل الضمير في «به»[1] يعود على المكان الذي يقتضيه المعنى، وإن لم يَجْرِ له ذكر، لدلالة «والعاديات» وما بعدها عليه.

والظاهر أن المقسم به هو جنس العاديات وليست أل فيه للعهد، والمقسم عليه ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾. وفي الحديث[2] «الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رِفْدَه ويضرب عبده».

والظاهر عود الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: لشهيد على كنوده ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإن الإنسان. ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال. ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: قوي في حبّه، وقيل: لبخيل بالمال ضابط [له].

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ توقيف على ما يؤول إليه الإنسان. ومفعول لـ«يعلم» محذوف وهو العامل في الظرف أي: فلا يعلم مآله إذا بُعثر. ويجوز أن يكون «يعلم» معلّقة، والجملة المعلّقة قوله «إن ربهم»، كما تقول: علمت أنّ زيداً لقائم. فالجملة في موضع نصب ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: جُمع.

---

(١) ق: به معاً. وفوقها: كذا.

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أُمامة، انظر ضعيف الجامع الصغير ٤: ١٦٧.

سورة القارعة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾.

﴿ ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها [٥٨٥/أ] لما قبلها ظاهرة، لأنه ذكر وقت بعثرة القبور، وذلك هو وقت الساعة. وقال الجمهور: «القارعة» القيامة نفسها لأنها تقرع القلوب بهولها. «ما» استفهام فيه معنى الاستعظام والتعجّب، وهو مبتدأ. و«القارعة» [خبره.] وتقدّم تقرير ذلك في الحاقة(٢).

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ﴾ هو الطير الذي يتساقط في النار.

والعهن: الصوف. وقرن بين الناس والجبال تنبيهاً على تأثير تلك القارعة في الجبال حتّى صارت كالعهن المنفوش، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها؟.

---

(١) مكية وهي إحدى عشرة آية.

(٢) انظر تفسير الآيتين الأوليين من الحاقة.

وتقدم الكلام في الموازين وثقلها في الأعراف[١]، و﴿ عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [في الحاقّة[٢]].

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ قيل: دركة من دركات النار. و«أمّه» معناه مأواه، كما قيل للأرض أم الناس لأنها تؤويهم.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ «هي» ضمير يعود على «هاوية». والهاء في «ماهيه» هاء السكّت، وحذفت في الوصل.

﴿ نَارٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي نار.

(١) انظر تفسير الآية ٨ من الأعراف.

(٢) انظر تفسير الآية ٢١ من الحاقة.

سورة التكاثر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ الآية. هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة. وسبب نزولها(٢) فيما روي أنه كان بين بني سهم وبني عبد مناف لِحاء(٣)، فتعادّوا الأشراف الأحياء أيّهم أكثر، فكثرهم بنو عبد مناف. ثم تعادّوا بالأموات فكثرهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية و«ألهاكم» شغلكم. المعنى أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى استوعبتم عددهم.

وسمع بعض الأعراب ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فقال بُعث القوم للقيامة ورب الكعبة، فإن الزائر منصرف لا مقيم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في القبور، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في البعث. غاير بينهما بحسب التعلّق. وتبقى «ثم» على بابها من المهلة في الزمان.

---

(١) مكية وهي ثماني آيات.

(٢) انظر أسباب النزول ص٣٠٥.

(٣) لاحاه لِحاءً: نازعه.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: ما بين أيديكم مما تُقْدمون عليه. وجواب «لو» محذوف تقديره: ما ألهاكم التكاثر.

واللام في ﴿ لَتَرَوُنَّ ﴾ جواب قسم محذوف، والجملة بعدها تأكيد لها. ونصّ على قوله ﴿ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ دفعاً للمجاز الذي قبله.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الظاهر العموم في «النعيم» وهو كل ما يُتلذّذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب. فالمؤمن يُسأل سؤال إكرام وتشريف، والكافر يُسأل سؤال توبيخ وتقريع.

سورة العصر[1]

[٥٨٥/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾.

﴿ وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. لمّا قال فيما قبلها ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ﴾ ووقع التهديد بتكرار ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾ [التكاثر] بيّن حال المؤمن والكافر. ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ قال ابن عباس: هو الدهر، يقال فيه عَصْر وعُصْر وعُصُر. أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب.

و«الإنسان» اسم جنس والظاهر العموم، ولذلك صحّ الاستثناء منه. والخُسْر: الخسران، كالكفر والكفران. وأي: خسران أعظم ممّن خسر الدنيا والآخرة.

﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالأمر الثابت من الذين عملوا به وتواصوا به. ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ على طاعة الله تعالى، وعن المعاصي.

---

(١) مكية وآياتها ثلاث.

سورة الهمزة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا قال فيما قبلها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر] بيّن حال الخاسر فقال «ويل لكل». ونزلت[2] في الأخنس بن شريق أو العاصي بن وائل أو جميل بن معمر، ويمكن[3] أن [تكون] نزلت في الجميع. وهي مع ذلك عامة فيمن اتّصف بهذه الأوصاف. وتقدّم الكلام في الهَمْز في ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ ۝١﴾[4]، وفي اللّمْز في براءة[5]. وفُعَلَةٌ من أبنية المبالغه كنُوَمة وعُيَبَة وسُخرة وضُحَكة.

﴿ٱلَّذِى﴾ بدل معرفة من نكرة. ﴿جَمَعَ﴾ المال وضبط عدده.

---

(١) مكية وهي تسع آيات.

(٢) انظر اللباب ص٢٣٤.

(٣) فوقها في ق: كذا.

(٤) انظر تفسير الآية ١١ من القلم.

(٥) انظر تفسير الآية ٥٨ من براءة.

﴿أَخْلَدَهُۥ﴾ أي: أبقاه حياً. يحسب أن المال تركه خالداً في الدنيا لا يموت.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن حسبانه. ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي: ليُرمينّ. ﴿ٱلْحُطَمَةِ﴾ أصله الوصف، من[1] قولهم: رجل حُطَمة أي: أكول. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ وهي النار التي من شأنها أن تحطم كلّ ما يلقى إليها. ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ أي: هي الحطمة.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ ذكرت «الأفئدة» لأنها ألطف ما في البدن وأشدّه تألّماً بأدنى شيء من الأذى. واطّلاع النار عليها هو أنها تعلوها وتشتمل عليها. وهي تعلو الكفار في جميع أبدانهم، لكن نبّه على الأشرف لأنه مقر العقائد.

﴿إِنَّهَا﴾ أي: نار الآخرة، أُوْيِسُوا من الخروج بإطباق الأبواب عليهم وتمدّد العمد، كل ذلك إيذاناً بالخلود إلى غير نهاية.

---

(١) ق: في من.

سورة الفيل(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها عذاب الكفار في الآخرة، أخبر هنا بعذاب ناسٍ منهم [٥٨٦/أ] في الدنيا. والظاهر أن الخطاب للرسول عليه السلام، يذكر نعمته عليه إذ كان صَرْفُ ذلك العدد العظيم عام مولده السعيد عليه السلام، وإرهاصاً بنبوّته إذ مجيء تلك الطيور المنقول، من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أيدي الأنبياء عليهم السلام. ومعنى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم، قرّره على وجود علمه بذلك، إذ هو أمر منقول نقل التواتر فكأنه قيل: قد علمتَ فِعْلَ الله ربك بهؤلاء الذين قصدوا حرمه، ضلّل كيدهم،وأهلكهم بأضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عادتها أن تقتل.

وقصة الفيل ذكرها أهل التفسير مطولة. وأصحاب الفيل أبرهة بن الصباح الحبشي ومن كان معه من جنوده. والظاهر أنه فيل واحد، وكان العسكر

---

(١) مكية وآياتها خمس.

ستين ألفاً لم يرجع منهم أحد إلا أميرهم في شرذمة قليلة، فلما أخبروا بما رأوا هلكوا. وكان الفيل يوجّهونه نحو مكة لما كان قريباً منها فيبرك، ويوجّه نحو الشام واليمن فيسرع. و«ترَ» معلّقة، والجملة التي فيها الاستفهام في موضع نصب بـ«ترَ». و«كيف» معمولة لـ«فعل».

وفي خطابه تعالى لنبيه ﷺ بقوله ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ تشريف له عليه السلام وإشادة[1] من ذكره، كأنه قال: ربك معبودك هو الذي فعل ذلك لا أصنام قريش أساف ونائلة وغيرهما.

﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ في تضييع وإبطال، يقال: ضلل: كيده إذا جعله ضالاً ضائعاً. وتضييع كيدهم هو بأن أحرق الله البيت الذي بنوه قاصدين أن يرجع حجّ العرب إليه، وبأن أهلكهم لما قصدوا هدم بيت الله الكعبة، بأن أرسل عليهم طيراً جاءت من جهة البحر ليست نجديّة ولا تهامية ولا حجازية، سوداء وقيل خضراء، على قدر الخطاف.

والطير: اسم جمع يذكر ويؤنث. وقيل: الضمير عائد على «ربك».

﴿بِحِجَارَةٍ﴾ كان كل طائر في منقاره حجر وفي رجليه حجران، كل حجر فوق حبة العدس ودون حبّة الحمّص، مكتوب في كل حجر اسم مرميّه، ينزل على رأسه، ويخرج من دبره. ومرض أبرهة فتقطّع أنملة أنملة، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت أبو يكسوم[2] وزيره، وطائر يتبعه حتى وصل إلى النجاشي، وأخبره بما جرى للقوم. فرماه الطائر بحجر، فمات بين يدي الملك.

---

(١) ق: وإشارة.

(٢) ق: مكسور. وأبو يكسوم كنية أبرهة، انظر السيرة النبويّة ١: ٦١.

﴿أَبَابِيلَ﴾ أي: جماعات، قال الفرّاء[١]: لا واحد له من لفظه. وذكر الرقاشي أنه سمع في واحده: أبالة. وحكى الفراء[٢]: إبالة بالتخفيف.

﴿سِجِّيلٍ﴾ تقدم شرحه في هود[٣]، والعصف: في الرحمن[٤]. شُبّهوا بالعصف الذي أُكل أي: وقع فيه الأكال، والتبن الذي أكلته الدواب [٥٨٦/ب] وراثته.

وقال ابن إسحاق[٥]: لما ردّ الله الحبشة عن مكة، عظّمت العرب قريشاً وقالوا: أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة[٦] عدوّهم، فكان ذلك من الله نعمة عليهم. وقيل هو إجابة لدعاء الخليل عليه السلام.

(١) معاني القرآن ٣: ٢٩٢.

(٢) نفسه. وفيه: إبّالة لا ياء فيها.

(٣) انظر شرح الآية ٨٢ من هود.

(٤) انظر تفسير الآية ١٢ من الرحمن.

(٥) انظر السيرة النبوية ١: ٥٩.

(٦) ق: مؤنة.

سورة قريش(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾.

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة ولا سيما إن جعلت اللام(٢) متعلقة بنفس ﴿ فَجَعَلَهُمْ ۝٥ ﴾ [الفيل] أو بإضمار: فعلنا ذلك لإيلاف قريش حتى تطمئن في بلدها، فذكر ذلك للامتنان(٣) عليهم؛ إذ لو سلّط عليهم أصحاب الفيل، لتشتّتوا في الأقاليم، ولم تجتمع لهم كلمة.

وقال الخليل: اللام تتعلق بقوله «فليعبدوا» والمعنى: لِأَنْ فعل الله بقريش هذا ومكّنهم من إِلْفِهم هذه النعمة فَلْيَعْبُدوا، أَمَرَهُمْ أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلة. وإيلاف(٤) الرحلة كانوا أربعة إخوة وهم بنو عبد مناف: هاشم، كان يؤلف(٥) ملك الشام، أخذ منه حبلاً(٦) فأمن به في تجارته إلى الشام. وعبد

---

(١) مكية وهي أربع آيات.

(٢) يعني لام «الإيلاف».

(٣) ق: الامتنان.

(٤) الإيلاف والإلاف: مصدر آلفه إياها: جعله يألفها.

(٥) يؤلف: يجير.

(٦) ق: خيلاً. والحبل: العهد والأمان.

شمس [كان] يؤلف إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس. فكان هؤلاء يسمّون المجيرين، فتختلف تَجْر قريش إلى الأمصار بحبل[١] هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم أحد. ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ هو الكعبة. وتمكّن[٢] هنا هذا اللفظ لتقدّم حمايته في السورة التي قبلها.

و﴿مِّن﴾ هنا للتعليل، أي: لأجل الجوع. كانوا قطّاناً ببلدٍ غير ذي زرع، عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله تعالى بهم، وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ۝٥٧﴾ [القصص]. ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ فضلهم على العرب بكونهم يأمنون حيثما حلّوا، يقال: هؤلاء قُطّان بيت الله. فلا يتعرض إليهم أحد، وغيرهم خائفون. وقال ابن عباس: «وآمنهم من خوف» معناه: من الجذام. فلا ترى بمكة مجذوماً.

---

(١) ق: بخيل.

(٢) ق: ويمكن.

سورة الماعون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ الآية، هذه السورة مكية في قول الجمهور، مدنية في قول ابن عباس. وقال هبة [الله] الضرير: نزل نصفها بمكة في العاصي، ونصفها بالمدينة في عبدالله بن أبيّ المنافق. ولما عدّد تعالى نعمه على قريش وكانوا [٥٨٧/أ] لا يؤمنون بالبعث والجزاء، أتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه.

والظاهر أن ﴿أَرَءَيْتَ﴾ هي التي بمعنى أخبِرْني، فيتعدى إلى اثنين أحدهما «الذي» والآخر محذوف تقديره: أليس مستحقاً عذاب الله.

﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ يدفعه عن حقه. كان [أبو] سفيان بن حرب ينحر في كل أسبوع جزوراً، فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعة بعصا[2].

﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ إشارة إلى أنه هو لا يطعم إذا قدر. وهذا من باب الأولى،

---

(١) مكية وآياتها سبع.

(٢) انظر أسباب النزول ص٣٠٦.

لأنه إذا لم يحضّ غيره بخلاً فَلأَنْ يترك هو ذلك فعلاً [أولى]. وفي إضافة «طعام» إلى «المسكين» دليل على أنه مستحقّه.

ولما ذكر أولاً عمود الكفر وهو التكذيب بالدين، ذكر ما يترتب على التكذيب من الإيذاء والمنع من النفع، وذلك مما يتعلق بالمخلوق. ثم ذكر ما يترتب عليه ممّا يتعلّق بالخالق وهو عبادته بالصلاة فقال ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ والظاهر أن المصلّين هم غير المذكور قبلُ وهو داعُّ اليتيم غير الحاضّ، وإن كان كلّ من الأوصاف الذميمة ناشئاً عن التكذيب بالدين. فالمصلّون هنا - والله أعلم - هم المنافقون، أثبت لهم الصلاة وهي التي يفعلونها، ثم قال ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ نظراً إلى أنهم لا يوقعونها كما يوقعها المسلم من اعتقاد وجوبها والتقرب بها إلى الله تعالى. وفي الحديث[1] «عن صلاتهم ساهون» يؤخرونها عن وقتها تهاوناً بها. وتقدم الكلام في الرياء في البقرة[2].

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ قال ابن عباس وجماعة: ما يتعاطاه الناس بينهم كالفأس والدّلو والآنية والمقصّ. وفي الحديث[3] «سئل[4] عليه السلام عن الشيء الذي لا يحلّ منعه، فقال: الماء والملح والنار». وفي بعض الطرق «الإبرة والخميرة».

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢: ٢١٤ من حديث سعد بن أبي وقاص.
(٢) انظر تفسير الآية ٢٦٤ من البقرة.
(٣) أخرجه أحمد ٣: ٤٨١، وأبو داود ٢: ١٢٧ عن امرأة يقال لها بهيسة عن أبيها.
(٤) ق: يسأل.

سورة الكوثر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾. هذه السورة مكية. ولما ذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، قابل في هذه السورة البخل بـ«إنا أعطيناك الكوثر»، والسهو عن الصلاة بقوله «فصل»، والرياء بقوله «لربك»، ومنع الزكاة بقوله «وانحر» أراد به التصدق بلحم الأضاحي. فقابل أربعاً بأربعٍ.

ونزلت[2] في العاصي بن وائل، كان يسمي الرسول عليه السلام بالأبتر، وكان يقول: دعوه إنما هو رجل أبتر لا عَقِب له، لو هلك انقطع ذكره [٥٨٧/ب] واسترحتم منه. وذكر [الفخر][3] في «الكوثر» أقوالاً كثيرة. والصحيح هو ما فسّره به رسول الله ﷺ فقال[4] «هو نهر في الجنة حافتاه من الذهب ومجراه على الدّر والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من

---

(١) مكية وهي ثلاث آيات.

(٢) انظر أسباب النزول ص٣٠٦.

(٣) انظر تفسير الرازي ٣٢: ١٢٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٩: ٨٤ من حديث عبد الله بن عمر. وانظر أيضاً البخاري ٤:١٩٠٠.

العسل وأبيض من الثلج». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وفي صحيح مسلم - واقتطعناه[١] منه - فقال «أتدرون ما الكوثر؟. قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: نهر وَعَدَنِيهِ ربي عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم». قال ذلك عليه السلام عندما نزلت هذه السورة وقرأها.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك. تقدم أنه العاصي بن وائل، وقيل أبو جهل. قال ابن عباس: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال: بُتر محمد. فأنزل الله «إن شانئك هو الأبتر».

(١) ق: وأقطعناه، وفوقها: كذا.

سورة الكافرون(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وذكروا من أسباب نزولها(2) أنهم قالوا له عليه السلام: دع ما أنت فيه، ونحن نموّلك ونزوّجك من شئت من كرائمنا ونملّكك علينا. وإن لم تفعل هذا فلتعبد آلهتنا، ونعبد إلهك حتى نشترك فحيث كان الخير نلناه جميعاً. ولما [كان] أكبر(3) شانئيه قريشاً، وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، أنزل الله تعالى هذه السورة تبرُّؤاً منهم وإخباراً لا شكّ فيه أنّ ذلك لا يكون أبداً. وفي قوله «قل» دليل على أنه مأمور بذلك من عند الله تعالى. وخطابه لهم بـ«يا أيّها الكافرون» في ناديهم ومكان بسطة أيديهم - مع ما في الوصف من الإرذال بهم - دليل على أنه محروس من عند الله تعالى لا يبالي بهم.

---

(1) مكية وآياتها ست.

(2) انظر أسباب النزول ص٣٠٧، واللباب ص٢٣٦.

(3) ق: أكثر.

و﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ناس مخصوصون وهم الذين قالوا له تلك المقالة: الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأميّة وأبيّ ابنا خلف وأبو جهل وابنا الحجاج ونظراؤهم ممّن لم يسلم، ووافى على الكفر تصديقاً للإخبار في قوله «ولا أنتم عابدون ما أعبد».

وللمفسرين في هذه الجمل أقوال: أحدها[1] أنها للتوكيد؛ فقوله «ولا أنا عابد ما عبدتم» توكيد لقوله «لا أعبد ما تعبدون». وقوله «ولا أنتم عابدون ما أعبد» ثانياً توكيد لقوله «ولا أنتم عابدون ما أعبد» أولاً. والتوكيد في لسان العرب كثير جداً. وفائدة هذا التوكيد قطع أطماع الكفار، وتحقيق الإخبار بموافاتهم على الكفر، وأنهم لا يسلمون أبداً. والثاني أنه ليس للتوكيد، واختلفوا [٥٨٨/أ] فقال الأخفش: المعنى: لا أعبد الساعة ما تعبدون، ولا أنتم عابدون الساعة[2] ما أعبد، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد. فزال التوكيد إذ قد تقيّدت كلّ جملة بزمان مغاير.

وقال [أبو] مسلم: «ما» في الأولين بمعنى الذي، والمقصود المعبود، و«ما» في الأخريين[3] مصدرية، أي: لا أعبد عبادتكم المبنيّة على الشك وترك النظر، ولا أنتم تعبدون مثل عبادتي المبنيّة على اليقين.

وقال ابن عطية: لما كان قوله «لا أعبد» محتملاً أن يراد به «الآن» ويبقى المستأنف منتظراً ما يكون فيه، جاء البيان بقوله «ولا أنا عابد ما عبدتم» أي:

---

(١) ق: أحدهما.

(٢) ق: السنة. وفي الهامش: يظهر أن تكون الساعة فتأمل!.

(٣) ق: في الأولين.. وفي الاخرين.

أبداً وما حييت، ثم جاء قوله «ولا أنتم عابدون ما أعبد» الثاني حتماً عليهم أنهم لا يؤمنون به أبداً، كالذي كشف الغيب، فهذا كما قيل لنوح عليه السلام ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود]. إلاّ أن هذا في معيّنين[1]، وقوم نوح عُمّوا بذلك. فهذا معنى الترديد الذي في السورة، وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته انتهى.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي: لكم شِرْككم ولي توحيدي، وهذا غاية في التبرّؤ. ولما كان الأهمّ انتفاؤه عليه السلام من دينهم بدأ بالنفي في الجمل السابقة بالمنسوب إليه. ولما تحقّق النّفي رجع إلى خطابهم في قوله «لكم دينكم» على سبيل المهادنة، وهي منسوخة بآية السيف[2].

---

(١) ق: أما أن هذا في معنيين.

(٢) الآية ٥ من التوبة.

سورة النصر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾.

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ الآية، هذه السورة مدنية، نزلت منصرَفَه عليه السلام من غزوة خيبر، وعاش بعد نزولها سنتين. وقيل: نزلت في أيام التشريق بمنى في حجّة الوداع، وعاش بعدها ثمانين[2] يوماً. ولما كان في قوله ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ ٦ ﴾ [الكافرون] موادعة، جاء في هذه بما يدلّ على تخويفهم وتهديدهم [وأنه] آن مجيء نصر الله وفتح مكة واضمحلال ملّة الأصنام وإظهار دين الله تعالى. «والفتح» فتح البلاد.

﴿ أَفۡوَاجٗا ﴾ أي: جماعات كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين.

﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ أي: ملتبساً بحمده على هذه النعم التي خوّلكها من نصرك على الأعداء، وفتحك البلاد، وإسلام الناس. وأي نعمة أعظم من هذه؟ إذ كل حسنة يعملها المسلمون فهي في ميزانه.

---

(١) مدنية وهي ثلاث آيات.

(٢) ق: وثمانين.

وعن عائشة[١] «كان عليه السلام يكثر قبل موته أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك [٥٨٨/ب] أستغفرك وأتوب إليك».

وقد علم عليه السلام من هذه السورة دنوّ أجله. وحين قرأها عليه السلام استبشر الصحابة وبكى العباس فقال[٢]: «وما يبكيك يا عمّ؟ قال: نُعِيَتْ إليك نفسُك[٣]. فقال: إنها لَكَما تقول». فعاش بعدها سنتين.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ فيه ترجية عظيمة للمستغفرين.

---

(١) أخرجه البخاري ٤: ١٩٠١ بألفاظ مقاربة.

(٢) انظر قريباً منه في البخاري ٤: ١٩٠١ من حديث ابن عباس.

(٣) فقال وما يبكيك.. إليك نفسك، مكررة في ق.

سورة تبّت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها دخول الناس في دين الله أتبع بذكر من لم يدخل في الدين وخسر، ولم يدخل فيما دخل فيه أهل مكة من الإيمان. والتّب: الخسران. وأسند الهلاك إلى اليدين لأن العمل أكثر ما يكون بهما، وهو في الحقيقة للنفس.

والظاهر أن «تبت» دعاء، و«وتب» إخبار بحصول ذلك. روي[2] أنه لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء] قال عليه السلام «يا صفية بنت عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنكما[3] من الله شيئاً، سلاني من مالي ما شئتما». ثم صعد الصّفا فنادى بطون قريش: يا بني فلان يا بني فلان. وروي أنه صاح بأعلى صوته: يا صباحاه. فاجتمعوا إليه من

---

(١) مكية وآياتها خمس. وهي في القرآن الكريم باسم «المسدّ»

(٢) انظر البخاري ٤: ١٩٠٢.

(٣) ق: لكما. وفوقها: كذا.

كل وجه فقال لهم: أرأيتم لو قلت لكم إني أنذركم خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيّ؟. قالوا نعم. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟. فافترقوا عنه ونزلت هذه السورة. وأبو لهب اسمه عبد العزّى بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ.

والظاهر أن «ما» في ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾ نفي، أي: لم يغن عنه ماله الموروث عن آبائه وما كسب هو بنفسه أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها. ويجوز أن تكون «ما» استفهاماً في موضع نصب، أي: أيَّ شيء يغني عنه ماله، على وجه التقرير والإنكار. والمعنى: أين [الغنى] الذي لماله ولكَسبه.

والظاهر أن «ما» في قوله ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ موصولة، وأجيز أن تكون مصدرية. وإذا كانت «ما» في «ما أغنى» استفهاماً فيجوز أن يكون «ما» في قوله «وما كسب» استفهاماً أيضاً.

﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ وعدٌ له بأنه يصلى النار في الآخرة.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ يجوز أن تكون مبتدأ، و﴿حَمَّالَةَ﴾ خبره.

ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير المستكنّ في «سيصلى» وحسّن ذلك الفصل بينهما. وعلى هذا التأويل تكون «حمّالة» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي حمّالة. وقرأ عاصم: حمالةَ، نصباً على [٥٨٩/أ] الذم، فيتعيّن أن يكون «وامرأته» [عطفاً على الضمير المستكنّ في «سيصلى». وامرأته] اسمها أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت عوراء.

والظاهر أنها كانت تحمل الحطب الذي فيه شوك لتؤدي بإلقائه في

طريق[١] رسول الله ﷺ وأصحابه لتعقرهم[٢]، فذُمّت بذلك وسميت حمّالة الحطب. وقيل: «حمّالة الحطب» [كناية عن] المشي بالنميمة.

الجيد: العنق. والظاهر أن الحبل من مسد. والمسد: الليف. ولمّا سمعت أم جميل هذه السورة أتت أبا بكر وهو مع رسول الله ﷺ في المسجد وبيدها فِهْر[٣] فقالت: بلغني أن صاحبك هجاني ولأفعلنّ وأفعلنّ. وأعمى الله بصرها عن رسول الله ﷺ، فروي أن أبا بكر قال لها: هل ترينِ معي أحداً؟. فقالت: أتهزأ بي؟ لا أرى غيرك. وإن كان شاعراً فأنا مثله أقول:

مُـذَمَّـمـاً أَبَيْـنـا ودِيـنَـهُ قَلَيْـنـا
وأَمْرَه عصَيْنا [من م. الرجز]

فسكت أبو بكر ومضت هي. فقال رسول الله ﷺ: «لقد حجبني عنها ملائكة فما رأتني وكفى الله شرَّها»[٤]. وذُكر أنها ماتت مخنوقة بحبلها، وأبو لهب رماه الله بالعدسة[٥] بعد وقعة بدر بسبع ليال.

---

(١) بإلقائه إلى رسول.

(٢) أي: تجرحهم.

(٣) الفهر: الحجر ملء الكفّ.

(٤) رواه ابن كثير ٧: ٤٠٢ بألفاظ أخر، وانظر ذلك كله فيه ٧: ٤٠١، وفي دلائل الأصفهاني ١: ١٩٣.

(٥) العدسة: بثرة تخرج بالبدن فتقتل.

سورة الصّمد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولما تقدّم فيما قبلها عداوة أقرب الناس إليه وهو عمّه أبو لهب، وما كان يقاسي من عُبّاد الأصنام الذين اتّخذوا مع الله آلهةً، جاءت هذه السورة مصرّحة بالتوحيد، رادّةً على عبّاد الأوثان والقائلين بالثّنوية والتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد. وعن ابن عباس أن اليهود قالوا: يا محمد، صف لنا ربّك وانسبه، فنزلت[2] «قل هو الله أحد».

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر. و«الصمد» فَعَل بمعنى مفعول، كالقَنَص بمعنى المقنوص، مِن: صَمَد إليه، إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج، [قال الشاعر][3]:

أَلا خَبَّر الناعي بِخَيْرَيْ بني[4] أَسَدْ بِعَمْرِو بنِ مسعودٍ وبالسيّدِ الصَّمَدْ

(١) مكية وهي أربع آيات. وهي في القرآن الكريم باسم «الإخلاص».

(٢) انظر أسباب النزول ص٣٠٩.

(٣) البيت في الطبري ٣٠: ٢٢٤ غير منسوب.

(٤) ق: بخير.

قال الزمخشري[١]: «لم يلد» لم يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا[٢]. وقد دلّ على هذا [المعنى] بقوله ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام]. «ولم يولد» لأن كل مولود[٣] مُحْدَث وجسم، [والله تعالى] قديم[٤] لا أول لوجوده وليس بجسم. ولم يكافئه أحد أي: لم يماثله ولم يشاكله. ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح، نفياً للصاحبة[٥] انتهى.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ يقال: كفو، بضم الكاف وفتحها وكسرها مع سكون الفاء.

وقال [٥٨٩/ب] الزمخشري[٦]: فإن قلت: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدّم، وقد نصّ سيبويه على ذلك في كتابه[٧]، فما باله مقدّماً في أفصح الكلام وأعربه؟. قلت: هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وتعالى، وهذا المعنى مصبّه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقديم وأحراه انتهى.

وهذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك أن قوله «ولم يكن له كفوا أحـد» ليس الجار والمجرور فيه تامّاً إنما هو ناقص، لا يصلح أن يكون

---

(١) الكشاف ٤: ٢٩٨.

(٢) ق: فيتوالد.

(٣) ق: مولد.

(٤) ق: وقديم.

(٥) ق: نعتاً للمصاحبة.

(٦) الكشاف ٤: ٢٩٩.

(٧) انظر الكتاب ٢: ٥٢.

خبراً لكان، بل هو متعلق بـ«كفواً» وقُدّم عليه، فالتقدير: ولم يكن أحد كفواً له، أي: مكافئه فهو في معنى المفعول متعلق بـ«كفواً». وتقدم على «كفواً» للاهتمام به إذ فيه ضمير الباري تعالى. وتوسّط الخبر وإن كان الأصل التأخير؛ لأن تأخير الاسم هو فاصلة فحَسُن ذلك. وعلى هذا الذي قررناه يبطل إعراب مكّي[1] وغيره أن «له» الخبر، و«كفواً» حال من «أحد» لأنه ظرف ناقص لا يصلح أن يكون خبراً. وبذلك يبطل سؤال الزمخشري وجوابه.

وسيبويه إنما تكلّم في الظرف الذي يصلح أن يكون خبراً، ويصلح أن يكون غير خبر. قال سيبويه[2]: «[وتقول]: ما كان فيها أحد خير منك، وما كان أحدٌ مثلُك فيها، وليس أحد فيها خيرٌ منك، إذا جعلت «فيها» مستقَرّاً ولم تجعله على قولك: فيها زيد قائم، أجريتَ الصفة على الاسم فإن جعلتَه على: فيها زيد قائم، نصبتَ فتقول: ما كان فيها أحدٌ خيراً منك، وما كان أحدٌ خيراً منك فيها. إلا أنك إذا أردت الإلغاء فكلما أخّرت الملغى[3] كان أحسن، وإذا أردت أن يكون مستقراً فكلما قدّمته كان أحسن. والتقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار[4] عربي جيد كثير، قال تعالى «ولم يكن له كفوا أحد».

---

(١) انظر الإملاء ٢: ٢٩٧.

(٢) الكتاب ١: ٥٥.

(٣) ق: المعنى.

(٤) ق: والاستقرا، وفوقها: كذا.

سورة الفلق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وسبب نزول[2] المعوّذتين قصّة لبيد وما حُكي عنه. ولما شرح أمر الإلهيّة[3] في السورة قبلها، شرح ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم، ومراتب مخلوقاته. و﴿الْفَلَقِ﴾ الصبح، قاله ابن عباس.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشّر من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد، كالإحراق بالنار والإغراق بالبحر والقتل بالسم.

[٥٩٠/أ] والغاسق: الليل. و﴿وَقَبَ﴾ أظلم ودخل على الناس، قاله ابن عباس.

و﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ النساء السواحر يعقدن عقداً في خيوط، وينفثن عليها، ويرقين عليها. والاستعاذة من شرّهن هو ما يصيب الله به من الشر

---

(١) مدنية وهي خمس آيات.

(٢) انظر أسباب النزول ص٣١٠، واللباب ص٢٣٨.

(٣) ق: إلاهية.

عند[1] فعلهنّ ذلك. وقيّد الغاسق والحاسد بالظرف، لأنه إذا لم يدخل الليل لا يكون شرّ منسوب إليه، والحاسد لا يؤثّر حسده إلا إذا أظهره بأن يحتال للمحسود فيما يؤذيه. أما إذا لم يُظهر الحسد فما يتأذّى به إلا الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره.

(١) ق: عن.

سورة الناس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ﴾ الآية، تقدم أنها نزلت مع ما قبلها[2]. وأضيف الربّ إلى «الناس» لأن الاستعاذة من شرّ الموسوِس في صدورهم، فهم استعاذوا[3] بربّهم مالكهم وإلههم، كما يستعيذ العبد بمولاه إذا دهمه أمر.

والظاهر أن ﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ صفتان.

و﴿الْخَنَّاسِ﴾ الراجع على عقبه المستتر أحياناً، وذلك في الشيطان متمكن: إذا ذكر العبدُ اللهَ تأخّر.

و«مِن» في ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ للتبعيض، أي: كائناً من الجنة والناس، فهو في موضع الحال، أي: ذلك الموسوس هو بعض الجنّة وبعض الناس. «وكان عليه السلام إذا أوى إلى فراشه جمع كفّيه ونفث فيهما وقرأ

---

(١) مدنية وهي ستّ آيات.

(٢) انظر شرح الآية الأولى من الفلق.

(٣) ق: استعانوا.

«قل هو الله أحد» والمعوذتين، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاثاً»[١]. تمت[٢].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ناشَدْتُكَ اللهَ إنْ عايَنْتَ لي خطأً فَاسْتُرْ فإنّ خيارَ الناسِ مَن سَتَرا

[من البسيط]

(١) أخرجه أبو داود ٤ : ٣١٣ من حديث عائشة.

(٢) ما بعده يبدو أنه من إضافة الناسخ.

فهرس المجلد الخامس

اسم السورة	الرقم
ص	٥
الزمر	٣١
غافر	٥٧
فصلت	٨٥
الشورى	١٠٥
الزخرف	١٢٣
الدخان	١٤٧
الجاثية	١٥٥
الأحقاف	١٦٧
القتال (محمد ﷺ)	١٨٣
الفتح	١٩٩
الحجرات	٢١١
ق	٢١٩
الذاريات	٢٣٥
الطور	٢٤٧
النجم	٢٥٧
القمر	٢٧١
الرحمن	٢٨١
الواقعة	٢٩٣

اسم السورة	الرقم

الحديد ٣٠٧
المجادلة ٣٢١
الحشر ٣٣٣
الممتحنة ٣٤٣
الصف ٣٥١
الجمعة ٣٥٧
المنافقون ٣٦٣
التغابن ٣٦٩
الطلاق ٣٧٥
التحريم ٣٨٣
الملك ٣٩١
القلم ٣٩٩
الحاقة ٤١١
المعارج ٤٢١
نوح ٤٢٧
الجن ٤٣٣
المزمل ٤٤٧
المدثر ٤٥٧
القيامة ٤٦٩
الإنسان ٤٧٧

اسم السورة	الرقم
المرسلات	٤٨٥
النبأ	٤٩٣
النازعات	٥٠١
الأعمى (عبس)	٥٠٩
التكوير	٥١٥
الانفطار	٥١٩
المطففين	٥٢٣
الانشقاق	٥٢٩
البروج	٥٣٣
الطارق	٥٣٧
الأعلى	٥٤١
الغاشية	٥٤٥
الفجر	٥٥١
البلد	٥٥٧
الشمس	٥٦١
الليل	٥٦٥
الضحى	٥٦٩
الانشراح	٥٧٣
التين	٥٧٥
العلق	٥٧٩

اسم السورة	الرقم
القدر	٥٨٣
البينة	٥٨٥
الزلزلة	٥٨٧
العاديات	٥٨٩
القارعة	٥٩١
التكاثر	٥٩٣
العصر	٥٩٥
الهمزة	٥٩٧
الفيل	٥٩٩
قريش	٦٠٣
الماعون	٦٠٥
الكوثر	٦٠٧
الكافرون	٦٠٩
النصر	٦١٣
تبت (المسدّ)	٦١٥
الصمد (الإخلاص)	٦١٩
الفلق	٦٢٣
الناس	٦٢٥

النَّهرُ المادّ

مِنَ البَحْرِ المُحيط

تصنيف

الإمام أبي حيّان الأندلسي

٦٥٤-٧٤٥هـ

تحقيق

الدكتور عمر الأسعد

المجلّد السادس

الفهارس

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

فهرست الآيات

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	(١) الفاتحة	
٤	إياك نعبد	١/ ١١٢
		٣/ ٤٦٦
		٣/ ٤٩٠
٦	اهدنا الصراط	١/ ٤٢
٧	غير المغضوب عليهم	٣/ ٥٦٤
٧	المغضوب عليهم	٣/ ٥٦٥
	(٢) البقرة	
١-٢	آلم، ذلك الكتاب	٣/ ٢٠٩
٢	ذلك الكتاب	٢/ ٥٨٩
٢	ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين	١٢٥
٢	هدى للمتقين	٣/ ٣٥٤
١٠	في قلوبهم مرض	٣/ ٣٨
١٤	وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم	١/ ٥٥١
١٥	الله يستهزىء بهم	٣/ ٣٩٤
١٦	اشتروا الضلالة بالهدى	٢/ ٧٤
١٧	مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً	١/ ٤٩٣
١٧	كمثل الذي استوقد	١/ ٣٨٧
		١/ ٤٩٣
١٨	صمٌّ بكمٌ عميٌ	٢/ ٣٩١
		٥/ ١٣٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢٠	لذهب بسمعهم	١/ ٣٦٧
		٤/ ٢١٧
٢٣	وإن كنتم في ريب	١/ ٤٢
٢٣	☆[1] فائتوا بسورة من مثله	٣/ ٢١٦
٢٤	فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا	١/ ١٧٠
٢٥	ولهم فيها أزواج مطهّرة	٥/ ٢٥٠
٢٥	أزواج مطهرة	٤/ ٣٨٨
٣٣	ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض	١/ ٩٨
٣٤	☆ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر	٣/ ٤٤٢
٣٥	وقلنا يا آدم اسكن	١/ ١٠٢
٣٥	اسكن أنت وزوجك الجنة	٢/ ٢٢٣
٣٦	فأزلّهما الشيطان عنها	٣/ ٣٤٥
٣٨	فإمّا يأتينّكم	١/ ٥٣٩
٣٨	فإمّا يأتينّكم منّي هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون	١/ ٥٣٦
٣٩	والذين كفروا وكذّبوا	١/ ١١٠
٤١	☆ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتّقون	١/ ٥٠٧

(١) تشير النجمة إلى أن الآية في الهامش.

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤٩	☆ وإذ نجيّناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم	٣/ ٤٠١
٥٤	فتاب عليكم	١/ ١٣٢
٥٥	لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة	١/ ١٨٤
		٢/ ٦١٢
٥٨-٥٩	☆ وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حطّة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين، فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون	٢/ ٦٣٤
٦١	☆ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النّبيين بغير الحق	١/ ٤٥٦
٦٣	ورفعنا فوقهم الطور	٢/ ٦٤٢
٦٦	فجعلناها نكالاً	٢/ ٢٤٢
٦٨	عوان بين ذلك	٢/ ١٥٣
٧٠	وإنّا إن شاء الله لمهتدون	٣/ ١٨٠
٧١	فذبحوها وما كادوا يفعلون	٣/ ٤٠٨
٧٢	فادّارأتم	١/ ٥٩٦
٧٩	فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم	١/ ١١٤
٨٠	☆ وقالوا لن تمسّنا النار إلاّ أيّاماً معدودة	١/ ٤٥٧

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٨٣	وبالوالدين إحساناً	٣/ ٣٤٤
٨٩	فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به	١/ ١١٢
٩٠	بئس ما اشتروا	١/ ٣٩٤
٩٠	بئس ما اشتروا به أنفسهم	١/ ٦١٢
٩١	وهو الحق مصدّقاً	١/ ٤٤٣
٩٦	يودّ أحدهم لو يُعمّر	١/ ١٨٥
		٢/ ١٢٥
٩٨	ورسله وجبريل وميكال	٥/ ٢٩١
٩٨	وجبريل وميكائل	١/ ٣٥٤
		١/ ٤٩٨
		٢/ ٣٨٩
١٠٢	واتّبعوا ما تتلوا الشياطين	١/ ٤٩٢
١٠٤	راعنا	٢/ ٧٥
١٠٦	ما ننسخ من آية	٣/ ٦٢٠
١٠٦	ما ننسخ من آية أو نُنْسها	٢/ ٦٠٧
١٠٦	أو نُنْسها	٣/ ٨٢
١٠٨	ومن يتبدّل الكفر بالإيمان	٣/ ٤١٧
١١٣	وقالت اليهود ليست النصارى على شيء	
	وقالت النصارى ليست اليهود على شيء	٢/ ٢١٨
١٢٠	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى	٢/ ١٧٥
١٢٣	☆ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يُقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة	

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	وهم لا يُنصرون	١/ ١٢١
١٢٤	وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه	١/ ٢٠٠
		٢/ ٥٠٥
١٢٨	ربّنا واجعلنا مسلمَيْن لك ومن ذرّيتنا أمّة مسلمة لك	٤/ ٢١١
١٢٩	ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم	١/ ٥٨٩
١٣٠	ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلّا من سفه نفسه	١/ ٥٦٢
١٣٠	وإنّه في الآخرة لمن الصالحين	٥/ ٣٨٨
١٣٠	لمن الصالحين	١/ ٤٧٥
١٣٢	فلا تموتُنّ	١/ ٥٣١
١٣٣	وإله آبائك	٣/ ٢٧٦
١٣٥	كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا	١/ ١٨٦
		١/ ٢٠٧
١٣٥	بل ملّة إبراهيم حنيفاً	١/ ٥٢٤
١٣٥	ملّة إبراهيم حنيفاً	٣/ ٥٣٢
١٣٧	فإنما هم في شقاق	٣/ ١٤
١٣٧	فسيكفيكهم الله	٥/ ٤٤
١٣٨	صبغة الله	٣/ ١٤٩
١٤٣	لتكونوا شهداء على الناس	٢/ ٢٩٨
١٤٣	☆ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتّبع الرسول ممّن ينقلب	

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	على عقبيه	١/ ٥٦٦
١٤٣	لنعلم من يتّبع الرسول	١/ ٥٩٥
١٤٣	وإن كانت لكبيرة	١/ ٥٩١
		٢/ ٥٩٠
		٣/ ١٦٨
		٣/ ٤٠٥
١٤٣	وما كان الله ليضيع إيمانكم	٢/ ١٧٢
١٦٣	وإلٰهكم إله واحد	٣/ ٤٩٠
١٦٤	☆ إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون	٥/ ١٥٥
١٦٤	والسحاب المسخّر	٢/ ٥٥٤
١٦٨	يا أيها الناس كلوا ممّا في الأرض	١/ ٢٣٨
١٦٨	كلوا ممّا في الأرض	١/ ٢٤٠
		٢/ ٣٠٢
١٧٢	يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله	٣/ ٥٢٩
١٧٥	فما أصبرهم على النار	٣/ ٦٣٠

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
		٤/ ٢٥
١٧٧	ولكنّ البرّ من آمن بالله	١/ ٢٦٧
١٨٤	فعدّة من أيام أخر	٢/ ٦٤٨
١٨٤	فمن شهد منكم الشهر فليصمه	١/ ٢٥٦
١٨٥	يريد الله بكم اليسر	٢/ ٣٦٩
١٨٦	فليستجيبوا لي	١/ ٦١٥
		٢/ ٣٨٨
		٣/ ٢٠
١٩٣	☆ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلّا على الظالمين	٣/ ٣٠
١٩٥	ولا تُلقوا بأيديكم	٤/ ٣٩٣
١٩٨	ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم	١/ ٦٠٠
١٩٨	واذكروه كما هداكم	١/ ٢٢٣
		٣/ ٨
٢٠١	ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة	٢/ ٨٤
٢٠٢	والله سريع الحساب	٢/ ٤١٣
٢٠٧	والله رؤوف بالعباد	١/ ٥١١
٢٠٨	ادخلوا في السلم كافّة	٣/ ٨١
٢١١	سل بني إسرائيل	١/ ٢٩٧
٢١٦	وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم	٢/ ٤٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢١٧	يسألونك عن الشهر الحرام	٥/ ٤٠٧
٢١٧	وكفرٌ به والمسجد الحرام	٢/ ٩
		٢/ ١٠
		٢/ ١٣٨
		٥/ ٤٣٦
٢٢٠	والله يعلم المفسد من المصلح	١/ ٢١٥
٢٢٠	ولو شاء الله لأعنتكم	٢/ ٥٥
٢٢١	ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ	٢/ ٢٠٣
٢٢١	ولعبد مؤمن خير من مشرك	٢/ ٣٥٦
٢٢٣	فائتوا حرثكم	١/ ٢٦٢
٢٢٨	والمطلّقات يتربصن بأنفسهن	٥/ ٣٧٩
٢٢٨	ثلاثة قروء	١/ ٧٣
		١/ ٣٨٤
٢٣٠	فلا جناح عليهما أن يتراجعا	١/ ٢٢٧
٢٣١	فأمسكوهنّ بمعروف	٢/ ٤٣
٢٤٦	ابعث لنا ملكاً نقاتل	٢/ ٤٣٤
٢٤٦	فلما كُتب عليهم القتال تولّوا إلا قليلاً منهم	١/ ١٣٥
٢٤٨	فيه سكينة من ربكم	٣/ ٨٥
٢٤٩	كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة	١/ ٤٤٠
٢٥٥	وسع كرسيّه السماوات	٢/ ٤٢٩
٢٥٧	يخرجونهم من النّور	١/ ٣٧٣

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢٥٨	أنا أحيي وأميت	٥/ ٢٦٩
٢٦٠	ولكن ليطمئن قلبي	٤/ ٩
٢٦١	كمثل حبّة	١/ ٣٨٨
٢٦١	والله يضاعف لمن يشاء	٥/ ٢٦٧
٢٦٤	لا يقدرون على شيء مما كسبوا	٣/ ٤١٠
٢٧١	فنعمّا هي	٢/ ٨٤
٢٧٥	☆ الذين يأكلون الرّبا	١/ ٥٦١
		٢/ ٣٦٧
٢٧٦	☆ فنعما هي	٢/ ٨٤
٢٧٦	يمحق الله الرّبا ويُربي الصدقات	٤/ ٤٦٧
٢٨٢	وأشهدوا إذا تبايعتم	٥/ ٣٧٨
٢٨٤	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه	
	يحاسبكم به الله فيغفرَ	٣/ ٣٥٣
٢٨٤	فيغفر لمن يشاء	٥/ ١١٧
٢٨٥	لا نفرّق بين أحدٍ من رسله	٣/ ٢٣٧

(٣) آل عمران

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٧	☆هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات	
	محكمات هنّ أمّ الكتاب	٢/ ٤٩٦
١٣	قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل	
	في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل	٢/ ٣٢٨
		٣/ ٦٤٤

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٣	إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار	٣/ ٥٠١
١٥	ورضوان من الله	١/ ٤٢٩
٢١	فبشّرهم بعذاب أليم	٤/ ٤٩٤
٢٧	تولج الليل في النهار	٢/ ٤٤٣
٢٨	ويحذّركم الله نفسه	٢/ ٣٤٢
٣٧	وكفّلها زكريا	٥/ ١٤
٣٧	أنّى لك هذا	١/ ٣١٧
		١/ ٥٩٤
٣٧	من عند الله	١/ ٥٩٤
٣٩	فنادته الملائكة	٤/ ٨
٤٠	قال ربّ أنّى يكون لي غلام	٤/ ٨
٤٠	☆ قال كذلك الله يفعل ما يشاء	١/ ٤٨٤
٤١	☆ قال آيتك ألّا تكلّم الناس ثلاثة أيام	
	إلا رمزاً	٤/ ٩
٤١	إلّا رمزاً	٤/ ١٠
٤٥	بكلمة منه	٢/ ١٧٣
٥١	إن الله ربي وربكم فاعبدوه	٢/ ٣٤٥
٥٤	ومكروا ومكر الله	٢/ ٣٤٢
		٥/ ٥٣٩
٥٩	إنّ مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم	٥/ ١٤٠
٥٩	خلقه من تراب	٢/ ٥٢٠
٥٩	من تراب	٥/ ٢٨

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٦٤	تعالوا إلى كلمة	٢/ ٤٩٥
٦٦	ها أنتم هؤلاء حاججتم	١/ ٥٥٠
٧٢	وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي	
	أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار	١/ ٥٥٢
٧٩	كونوا ربّانيين	٢/ ٢٤٦
٨١	لتؤمننّ به	٣/ ٢٦٨
٨٥	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه	١/ ٤٥٠
		١/ ٤٥٢
٩٦	إنّ أول بيت وُضع للناس	٤/ ١٨٩
٩٧	☆ فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم	٤/ ٥٦٩
٩٧	مقام إبراهيم	٥/ ٢٣
٩٧	ومن كفر فإن الله غني عن العالمين	٢/ ٣٧
٩٩	قل يا أهل الكتاب لِمَ تصدّون عن سبيل	
	الله من آمن	٢/ ٥٧٧
١٠٢	حقّ تُقاته	١/ ٤٦٢
١٠٣	واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء	٣/ ٤٠١
١٠٦	يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه فأمّا الذين	
	اسودّت وجوههم	٢/ ٨٢
		٣/ ٣٧٧
		٣/ ٥٢٩
١٠٦	وتسودّ وجوه	٣/ ١٦٥
١٠٧	وأما الذين ابيضّت وجوههم	٢/ ٨٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١١٨	لا يألونكم خبالاً	٤/ ٢٥٤
١٣٤	والكاظمين الغيظ	٣/ ٣٣٤
١٣٥	ولم يصرّوا على ما فعلوا	٢/ ٣٦
١٤٠	وليعلم الله الذين آمنوا	٣/ ٤٨٢
١٤٤	وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل	٣/ ١١٨
١٥٢	ولقد صدقكم الله وعده	١/ ٥٩٢
١٥٤	لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا	٣/ ٣٨
١٥٦	كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم	١/ ٥٩٦
١٥٩	فبما رحمة	٢/ ١٦٤
١٦١	وما كان لنبيّ أن يغلّ	٣/ ٤٧
١٦٣	هم درجات عند الله	٢/ ١٢٠
١٦٧	يقولون بأفواههم	٤/ ٢٠١
١٦٧	يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم	٤/ ٢٥٣
١٧٢	ولا الملائكة المقربون	٢/ ٤٠٠
١٧٤	فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء	٢/ ٤٣١
١٧٨	ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم	٢/ ٣٩٦
١٧٨	إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً	٢/ ٣٩٦

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٨١	إنّ الله فقير ونحن أغنياء	٢/ ٢٧٣
١٨٧	فنبذوه وراء ظهورهم	٣/ ٤١
١٨٨	لا يحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا	٤/ ٢٧٦
١٩٢	ربّنا إنك من تُدخل النار فقد أخزيته	٣/ ٤٧٦
١٩٥	فاستجاب لهم	٢/ ٣٨٨
١٩٥	إني لا أضيع عمل عامل منكم	٢/ ٥
١٩٦	تقلّب الذين كفروا في البلاد	١/ ٢١٧
١٩٧	وبئس المهاد	٣/ ٢٥٦
١٩٨	ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم	١/ ٦٠٠

(٤) النساء

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً	٢/ ٢١
١	تساءلون به والأرحام	٢/ ١٣٩
٢	ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم	٢/ ١٤٢
		٣/ ٦٣٢
٣	وإن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى	٢/ ١٣٨
٣	فانكحوا ما طاب لكم	٣/ ٤٩٦
٣	فانكحوا ما طاب لكم من النساء	٤/ ٢١٤
٣	ما طاب لكم	٢/ ٤٣

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤	فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه	
	هنيئاً مريئاً	٢/ ٥٣
٦	ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف	٢/ ١٢
		٤/ ٢٨٠
٧	نصيب مما ترك الوالدن والأقربون	٢/ ٢٣
١٠	إنما يأكلون في بطونهم ناراً	١/ ٢٤٣
١١	للذكر مثل حظ الأنثيين	٢/ ٦٠
٢٠	وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً	١/ ٣٣١
٢٦	يريد الله ليبيّن لكم	٢/ ٢٠٩
		٢/ ٤٢٢
		٤/ ٥٢٠
٢٩	لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل	٤/ ٢٧٩
٣٧	الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل	٢/ ٧٣
٤١	وجئنا بك على هؤلاء شهيداً	٥/ ٤٥٣
٤٢	ولا يكتمون الله حديثاً	٥/ ٦٥
٤٣	ولا جنباً إلا عابري سبيل	٢/ ٢٠٨
٤٦	واسمع غير مُسْمَع وراعنا	١/ ٥٠٨
٤٦	راعنا	٥/ ١٩٦
٤٦	ولكن لعنهم الله	٢/ ٧٨
		٢/ ١٠٥
٤٨	إن الله لا يغفر أن يُشركَ به	٢/ ٢٨
٤٨	فقد افترى إثماً عظيماً	٢/ ١٣٣

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤٩	ألم تر إلى الذين يزكّون أنفسهم	٢/ ١٣٣
٤٩	ولا يُظلمون فتيلاً	٢/ ٨١
٥٠	انظر كيف يفترون على الله الكذب	٢/ ١٣٣
٥٣	فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً	٣/ ٥٩٠
٥٦	كلما نضجت جلودهم بدّلناهم	٢/ ٢٨٢
٥٦	كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها	١/ ١٩١
		٣/ ٣٨٩
٥٦	بدّلناهم جلوداً غيرها	٣/ ٤٢٧
٦٠	وقد أمروا أن يكفروا به	١/ ٣٧٣
٦٤	واستغفر لهم الرسول	١/ ٤١٧
٦٦	ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم	٢/ ٥٩٦
٦٦	أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم	٤/ ٨٥
٦٩	فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّن	١/ ٣٦
٦٩	فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين	٣/ ١٣٧
٧٦	الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت	١/ ٤٣٩
٧٨	في بروج مشيّدة	٤/ ١٩٩
٧٩	وأرسلناك للناس رسولاً	٤/ ٥٦٠

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٨٠	من يطع الرسول فقد أطاع الله	١/ ٤٦٧
		٣/ ١٠١
		٥/ ٢٠٢
٨٧	ومن أصدق من الله حديثاً	٢/ ٢٦٩
٨٩	ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء	٢/ ٧٤
٩٣	فجزاؤه جهنم	١/ ١٦٠
٩٦	وكان الله غفورا	١/ ٥٤١
١٠٠	وكان الله غفورا رحيما	٤/ ٢١
١٠٤	فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون	١/ ٥٥١
١١٥	ويتّبع غير سبيل المؤمنين	٣/ ٥١٥
١١٦	ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء	٢/ ١١٧
١١٧	وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً	٤/ ١٧٤
١١٧	مريداً	٤/ ٦١٨
١٢٢	وعد الله	١/ ٦١٧
١٢٨	فلا جناح عليهما أن يصلحا	٢/ ٢١١
١٢٩	ولن تستطيعوا أن تعدلوا	٢/ ٢١١
١٣٣	إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين	٢/ ٤٧٦
١٣٥	ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين	٢/ ٥٠٠
١٤٠	فلا تقعدوا معهم	٢/ ٤١٧
		٢/ ٤١٨

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٤٢	وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى	٢/ ٢٦٤
١٥٢	والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحدٍ منهم	٤/ ٥١٩
١٥٣	أرنا الله جهرة	٢/ ٣١٩
		٢/ ٣٤١
		٣/ ٦٠٢
١٥٤	وقلنا لهم ادخلوا	١/ ١٠٢
١٥٤	وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً	٢/ ٦٤٣
١٥٧	إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله	٢/ ٦٠٧
١٥٧	☆ ما لهم به من علم إلا اتّباع الظن	١/ ٣٤٦
		٢/ ٤٨٨
١٥٧-١٥٨	وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه	٢/ ٣٤٥
١٥٩	وإنْ من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به	١/ ١٤٨
		١/ ٥٩٠
		٢/ ٣٤٥
١٥٩	وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمنَنّ به قبل موته	٢/ ٣٤٥
١٧١	وروح منه	١/ ٤٣٤
١٧٢	ولا الملائكة المقرّبون	٢/ ٤٠٠
١٧٦	فإن كانتا اثنتين	١/ ٤٧٠
١٧٦	أن تضلّوا	٢/ ٣٧٨

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	(٥) المائدة	
٣	وما ذُبح على النصب	٢/ ٣٠٥
٣	وأن تستقسموا بالأزلام	٢/ ٣٠٥
٣	ورضيت لكم الإسلام ديناً	١/ ٣٢
٣	غير متجانف لإثم	١/ ٢٤٢
٥	وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم	٢/ ٤٦٥
٦	وامسحوا برؤوسكم	٥/ ١٧
٧	وميثاقه الذي واثقكم به	٢/ ٢١٣
١٣	فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم	٢/ ١٦٢
١٤	إنّا نصارى	١/ ١٣٧
١٥	قل يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب	١/ ٥٠٩
١٨	نحن أبناء الله وأحبّاؤه	١/ ٤٥٧
		٥/ ٣٥٩
١٩	أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير	٢/ ١٧١
٢٠	إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً	٢/ ٨٢
٢١	التي كتب الله لكم	٢/ ٢٢٢
٢٤	فاذهب أنت وربك فقاتلا	١/ ١٣٥
		٢/ ٢٢٦
		٤/ ٧٧
٣٨	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم	١/ ٤٥٣

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤٤	إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور	١/ ١٢٥
٤٦	وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور	١/ ١٢٥
٤٨	لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً	٣/ ٥٣٣
٤٩	وأن احكم بينهم بما أنزل الله	٢/ ٢٥٦
٥٤	من يرتدّ منكم عن دينه	٢/ ١٣١
٥٩	قل يا أهل الكتاب	٢/ ٢٧٤
٥٩	هل تنقمون منّا إلاّ أن آمنّا بالله	٤/ ١٩٥
٦٨	فلا تأس على القوم الكافرين	٣/ ٥٣٥
٧٢	وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله	
	ربي وربكم	٢/ ٣٤٥
٧٣	وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّنّ	٢/ ٤٦٦
		٢/ ٥٢٧
		٥/ ٣٣٩
٨٩	عشرة مساكين	١/ ٣٨٤
٩٠	رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه	٣/ ١٢٠
٩١	فهل أنتم منتهون	٤/ ١٥٦
٩٥	يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد	
	وأنتم حرم	٢/ ٣١٥
٩٥	ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما	
	قتل من النَّعم	٣/ ٣٢٦
٩٥	فينتقم الله منه	٢/ ٦٠٣
١٠٩	يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتم	٢/ ٥١٧

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١١٤	تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا	٥/ ٧٥
١١٦	☆ وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلٰهين من دون الله قال سبحانك	٤/ ٥٦٦
١١٦	أأنت قلت للناس اتّخذوني	٤/ ٢٩٤
١٦٦	أأنت قلت للناس اتّخذوني وأمّي إلٰهين من دون الله	٢/ ٢٨٦
١١٦	إن كنت قلتُه فقدْ علمتَه	١/ ١٦٨
١١٧	وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم	٢/ ٦٨

(٦) الأنعام

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	وجعل الظلمات والنّور	٢/ ٥٥١
٣	وهو الله في السماوات وفي الأرض	٢/ ١٦٠
٣	يعلم سرّكم وجهركم	٤/ ٥٩
٨	لولا أُنزل عليه ملك	٢/ ٤٥٩
١٨	وهو القاهر فوق عباده	٣/ ٤٨٩
٢٣	والله ربّنا ما كنّا مشركين	٢/ ٦٩
		٣/ ٥١٣
		٤/ ٤٨
٢٥	أساطير الأولين	٣/ ٦٥٢
		٥/ ٥٨
٢٧	يا ليتنا نُردّ	٢/ ٦٩

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢٧	☆ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين	٢/ ٧٠
٣٠	قالوا بلى	٢/ ٤٧٥
٣١	وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم	٤/ ٥٨٢
٣١	ألا ساء ما يزرون	٣/ ٤٧٥
٣٥	فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلّماً في السماء فتأتيهم بآية	٥/ ١٤٤
٣٥	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى	٥/ ٩١
٣٨	يطير بجناحيه	١/ ٥٩٦
		٤/ ٢٤٢
٤٤	بغتة	٣/ ١٨٠
٤٥	فقُطع دابر القوم الذين ظلموا	٢/ ٥٦٥
٥٢	ولا تطرد الذين يدعون ربّهم	٤/ ٣٤٢
٦٠	وهو الذي يتوفّاكم بالليل	٥/ ٤٦
٦٠	ويعلم ما جرحتم بالنّهار	٢/ ٢٠٠
٦١	توفّته رسلنا	٢/ ١٢١
٦٦	وكذّب به قومك	٢/ ٣٥٩
٧١	وأُمرنا لنُسْلم	٢/ ٢٠٩
٧٤	إني أراك وقومك في ضلال مبين	٤/ ٣٣٥
٨٠	أتحاجونّي	١/ ٤٦٧
٨٣	نرفع درجاتٍ من نشاء	١/ ٥٨٨
٨٨	ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون	٤/ ١٣٣

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٩١	قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً	١/ ٥٠٩
٩٢	وهذا كتاب أنزلناهُ مبارك	٢/ ٢٦٣
		٣/ ١٦٥
٩٤	لقد تقطّع بينكم	٥/ ٤٨١
٩٩	والزيتون والرمان	٢/ ٤٨٥
٩٩	انظروا إلى ثمره إذا أثمر ويَنْعه	٢/ ٤٨٥
١٠١	أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة	٢/ ٢٨٦
		٥/ ٦٢٠
١٠٤	قد جاءكم بصائر من ربكم	٣/ ٣٥٠
١٠٩	وأقسموا بالله	٣/ ١٢١
١١٢	ولو شاء ربك ما فعلوه	٥/ ٩١
١١٩	إلاّ ما اضطررتم إليه	١/ ٢٤٢
١٢٠	وذروا ظاهر الإثم وباطنه	٢/ ٤٩٩
١٢١	ولا تأكلوا ممّا لم يُذكر اسم الله عليه وإنه لفسق	٢/ ٤٩٠
١٢٢	أوَ من كان ميتاً فأحييناه	٣/ ٤٩٩
١٢٣	أكابر مجرِميها	١/ ١٧٠
١٢٤	وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نُؤتى مثل ما أوتي رسل الله، الله أعلم حيث يجعل رسالته	٣/ ٥٢٣

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٢٤	الله أعلم حيث يجعل رسالته	٤/ ١٤٤
١٣٤	إنّ ما توعدون لآت	٢/ ٥٣٧
١٣٥	قل يا قوم اعملوا على مكانتكم	٣/ ٢٥٤
١٤٦	وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر	٢/ ١٦٧
١٤٨	لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا	٢/ ٣٧٤
١٥٠	قل هلمّ شهداءكم	٤/ ٥١٠
١٥١	☆ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم	٣/ ٥٦٠
١٥١	ولا تقربوا الفواحش	٢/ ٧٠
١٥٢	ولا تقربوا مال اليتيم	٢/ ٧٠
١٥٣	وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله	٢/ ٥٠٧
		٢/ ٥٧٦
١٥٨	لا ينفع نفساً إيمانُها	٤/ ٦٠٥
١٦٣	وبذلك أُمرتُ وأنا أول المسلمين	٢/ ٣٦٨
١٦٤	ولا تزر وازرة وزر أخرى	٢/ ٤٠٣
		٢/ ٤٠٤
١٦٤	وزر أخرى	٢/ ٥٣٨

(٧) الأعراف

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٣	قليلاً ما تذكّرون	٢/ ٥١٩
١٢	ما منعك ألاّ تسجد	٤/ ١٦٣

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٢	خلقتني من نار وخلقته من طين	٣/ ٥٨١
١٢	وخلقته من طين	٣/ ٥٨١
١٢-١٣	☆ قال ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، قال فاهبط منها	٣/ ٤٤٢
١٦	لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم	٢/ ٥٧٦
		٣/ ٥٧
١٨	لأملأنّ جهنم	٥/ ٥٥
١٩	ويا آدم اسكن	١/ ١٠٦
		٢/ ٥٢٦
٢٠	☆ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووريَ عنهما من سوآتهما	٤/ ١١٤
٢٠	ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة	٤/ ١١٤
٢١	إني لكما لمن الناصحين	٣/ ٢٨٦
٢٣	قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين	١/ ١٠٧
٢٣	وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن	٢/ ٢٨٧
٣٤	ولكلّ أمّة أجل	٣/ ٤٠٥
٣٧	أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا	٣/ ٣٧١
٥٠	ونادى أصحاب النار	١/ ٢٣٤
٥٣	فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا	٢/ ٤٩٤

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٥٤	يُغشي الليل النهار	٥/ ٥٦٥
٥٧	وهو الذي يرسل الرياح	٥/ ٤٨٦
٥٧	حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً	١/ ٢٣٣
٥٧	فأخرجنا به من كل الثمرات	٤/ ٥٣٣
٦٨	ناصح أمين	٣/ ٢٨١
٧٣	ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم	٢/ ٥٧٠
		٤/ ٣٨٣
٧٥	قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا	
	لمن آمن منهم	٤/ ٣٨٢
٧٥	للذين استُضعفوا لمن آمن منهم	٤/ ٥١٣
٧٦	إنّا بالذي آمنتم به كافرون	٤/ ٣٨٢
٧٧	فعقروا الناقة	٥/ ٢٧٧
٧٧	☆ ائتنا بما تعدنا	٤/ ٣٨٣
		٤/ ٤٥٠
٧٨	فأصبحوا في دارهم جاثمين	٥/ ٢٤٣
٨٨	لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك	٢/ ٥٧٩
٩٦	لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض	٢/ ٢٧٦
١٠٠	أن لو نشاء أصبناهم	٤/ ٦٠٨
١٠٤	إني رسول من رب العالمين	٢/ ٦٠١
		٤/ ٣١١
١٠٥	قد جئتكم ببيّنة من ربكم	٤/ ٧٩

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٠٨	ونزع يده	٤/ ٤٠
١٢١-١٢٢	☆ قالوا آمنا بربّ العالمين، رب موسى وهارون	٤/ ٩٢
١٢٣	آمنتم به قبل أن آذن لكم	٤/ ٩٢
١٢٨	والعاقبة للمتقين	٣/ ٤٠٧
١٣١	وإن تصبهم سيئة يطّيروا بموسى ومن معه	٢/ ١٠٢
١٣٨	يعكفون على أصنام لهم	٤/ ١٤٥
١٣٨	اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة	١/ ١٨٤
		٢/ ٢٢٣
		٢/ ٣٤١
١٤١	☆ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم	٣/ ٤٠١
١٤٢	اخلفني في قومي	٤/ ١٠٢
١٤٣	ربّ أرني أنظر إليك	٢/ ٤٥٢
١٤٣	سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين	٢/ ٣٦٨
١٤٥	وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء	٣/ ٥٦٧
١٤٨	ألم يروا أنه لا يكلّمهم	٤/ ١٠٢
١٥٠	وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه	٤/ ١٠٣
١٥٥	واختار موسى قومه	٤/ ٢٨٨

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٥٧	الذين يتّبعون الرسول النبي الأميّ الـذي يجـدونـه مكتوبـاً عندهـم فـي التـوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغـلال التي كانت عليهم	١/ ٥٠٩
١٥٧	يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل	١/ ٤٩٩
		٢/ ٢١٥
١٦١	☆وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطّة وادخلوا الباب سجّداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين	١/ ١٣٠
١٦٢	☆ فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء	١/ ١٣٠
١٦٧	وإذا تأذّن ربك ليبعثنّ عليهم	٣/ ٤٠١
١٦٧	إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم	١/ ٤٦٦
١٧٢	ألست بربّكم قالوا بلى	١/ ٥٣٩
١٧٦	ولو شئنا لرفعناه بها	٢/ ٥٨٨
١٧٧	ساء مثلاً	٢/ ٢٧٨
١٧٧	ساء مثلاً القوم	٢/ ٤٤
		٢/ ٤٧٩
١٨٠	الأسماء الحسنى	٤/ ٦٨
١٨٦	من يضلل الله فلا هادي لهم ويذرهم	٥/ ٣٦٨

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٨٨	ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء	٢/ ٤٠١
١٨٩	فلمّا تغشّاها	١/ ٢٦٢
٢٠٠	وإما ينزغنّك	١/ ١٠٨
		٢/ ٤١٧
٢٠١	إذا مسّهم طائف من الشيطان	٥/ ٤٠٣

(٨) الأنفال

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١١	إذ يغشّيكم النعاس أمنة منه	١/ ٥٧٧
١٢	فاضربوا فوق الأعناق	٢/ ٢٤
١٩	إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح	٣/ ٤٠٧
٢٥	واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة	٢/ ٦٢٧
		٣/ ٢٦٧
٣٠	وإذ يمكر بك الذين كفروا	٣/ ٤٢٦
٣٠	☆ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك	٤/ ٥٧٩
٣٠	ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين	٤/ ٥٨٠
٣١	لو نشاء لقلنا مثل هذا	٣/ ٦٥٢
٣٢	اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك	٥/ ٤٢١
٣٢	فأمطر علينا حجارة	٣/ ٣٦٣
٣٢	فأمطر علينا حجارة من السماء	٢/ ٥٧٤

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
		٣/ ٥٤٦
٤١	وما أنزلنا على عبدنا	٥/ ٢٧٣
٥٠	يضربون وجوههم وأدبارهم	٢/ ٤٤٠
٥٤	وكلٌّ كانوا ظالمين	٤/ ١٣٥
٥٥	إنّ شرّ الدوابّ عند الله الذين كفروا	١/ ٢٣٩
٥٨	وإمّا تخافنّ	٢/ ٦٦٥
٦٨	لمسّكم	٣/ ٤٨

(٩) التوبة (براءة)

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٥	☆ فإذا انسلخ الأشهر الحرم	٢/ ١١٠
٥	فاقتلوا المشركين	٢/ ١١٠
		٥/ ١٨٤
٥	فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم	٥/ ١٨٦
٥	☆ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد	٢/ ١١٢
٢٠	أعظم درجة عند الله	١/ ٥٨٨
٢٨	إنما المشركون نجس	٢/ ٣٠٦
٣٠	قاتلهم الله	١/ ٥٣
٣٦	فلا تظلموا فيهن أنفسكم	٤/ ١٤٦
٣٨	أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة	١/ ٤٣٧
		٥/ ١٤٠

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤١	انفروا خفافاً وثقالاً	٣/ ١١٤
٥٢	ونحن نتربّص بكم أن يصيبكم	١/ ٣٢٢
٥٦	ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم	٣/ ١٠٥
٥٨	وإن لم يُعطَوْا منها إذا هم يسخطون	٤/ ٤٦٦
٦٧	المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض	٢/ ٤٧
٦٧	إن المنافقين هم الفاسقون	٣/ ١٠٦
٧١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	٣/ ٤٩
٧٢	☆ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات	٢/ ٢١٢
٧٢	ورضوان من الله أكبر	٣/ ٢٥٩
٧٥	ومنهم من عاهد الله	٥/ ٣٧٣
٩٠	وجاء المعذّرون	٣/ ٣٦٦
١٠٣	وصلّ عليهم	٣/ ١٢٣
١٠٥	فسيرى الله عملكم ورسوله	٣/ ٤٨٢
١١٤	إلّا عن موعدة	١/ ١٠٦
١٢١	ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة	١/ ٣٩٣
١٢٥	وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون	٢/ ٤٥٩
١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز	١/ ٢٠٤

(١٠) يونس

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	آلر	٤/ ٥٦

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٥	ائت بقرآن غير هذا أو بدّله	٣/ ١٧٣
١٥	ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلا ما يوحىٰ إليَّ	٣/ ٤٣٧
١٦	ولا أدراكم به	٥/ ١٧٠
١٨	هؤلاء شفعاؤنا عند الله	٢/ ٣٧٤
		٤/ ٥٩٠
١٩	وما كان الناس إلاّ أمّة واحدة فاختلفوا	١/ ٣٠١
٢٢	وجرين بهم	٢/ ٥٦١
٢٤	وازّيّنت	٢/ ٥٣٢
٢٤	فجعلناها حصيداً كأنْ لم تَغْنَ بالأمس	٢/ ٥٨٣
٣٨	☆ قل فائتوا بسورة مثله	٣/ ٢١٦
٤٦	وإما نُرينّك	٢/ ٦٦٥
٥١	أثُمَّ إذا ما وقع	١/ ١١٧
		٢/ ٤٦٢
٥٨	فبذلك فلتفرحوا	٤/ ٤٣٨
٥٩	آلله أذن لكم	٢/ ٣٦٧
٦١	ولا أصغر من ذلك ولا أكبر	٣/ ١٣٩
٦٧	والنهار مبصراً	٣/ ٣٠٩
٧٨	وتكون لكما الكبرياء في الأرض	٤/ ٢١٩
٨١	قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله	٢/ ٥٩٩
٨٣	فما آمن لموسى	٤/ ٩٢

رقم الآية	الآيــة	رقم الصفحة
١٠٧	وإن يُردك بخير فلا رادّ لفضله	٢/ ٣٧٠

(١١) هود

رقم الآية	الآيــة	رقم الصفحة
١	من لدن حكيم خبير	١/ ٤٥٢
١٥	من كان يريد الحياة الدنيا	٥/ ١١٠
١٧	ولكن أكثر الناس لا يؤمنون	٣/ ٣٤٨
١٨	ألا لعنة الله على الظالمين	١/ ٢٢٩
		٣/ ٥٨٠
٣٦	أنه لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن	٥/ ٤٣٢
٣٦	لن يؤمن من قومك	٥/ ٦١١
٣٨	إن تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون	٢/ ٣٦٣
٤٦	إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غير صالح	٥/ ٣٨٨
٤٦	فلا تسألن ما ليس لك به علم	٢/ ٦١٧
٤٨	قيل يا نوح اهبط	١/ ١٠٢
٥٤	إن نقول إلّا اعتراك بعض آلهتنا بسوء	٢/ ٤٢٨
٧٠	وأوجس منهم خيفة	٣/ ٤٤٧
٧٠	إنا أرسلنا إلى قوم لوط	٣/ ٤٤٨
		٥/ ٢٤١
٧٢	وهذا بعلي شيخاً	٤/ ٦٤
		٥/ ١٥٧
٧٨	☆ فاتّقوا الله ولا تخزون في ضيفي	٣/ ٤٥٠

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٨٢	وأمطرنا عليهم حجارة من سجّيل	٥/ ٢٧٨
٩٧	وما أمر فرعون برشيد	٣/ ٥٩٦
١٠٥	فمنهم شقي وسعيد	١/ ٥٣٥
١٠٥-١٠٦	فمنهم شقي وسعيد، فأما الذين شَقُوا	٣/ ٣٧٧
١٠٦	فأما الذين شَقُوا	١/ ٥٣٥
١٠٦	لهم فيها زفير وشهيق	٥/ ٣٩٤
١٠٨	وأما الذين سُعِدوا	١/ ٥٣٥
١١١	وإنْ كلًّا لما	٢/ ٩٧
		٢/ ٦٦٢
١٢٠	وكلاًّ نقصّ عليك	٣/ ٢٧١

(١٢) يوسف

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٣	نحن نقص عليك أحسن القصص	٢/ ٤٠٩
١٧	وما أنت بمؤمن لنا	٤/ ٩٢
١٨	بدمٍ كذب	٣/ ٥٣٠
٢١	من مصر لامرأته	١/ ٤١٨
٢١	مكّنا ليوسف في الأرض	٢/ ٣٦٠
٢٣	هيت لك	٤/ ١٠٧
٢٤	ولقد همّت به	٢/ ١٣٠
٢٤	ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه	٢/ ٥٤١
٣١	فلما رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهن وقلن	

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	حاش لله ما هذا بشراً إنْ هذا إلا ملك كريم	٢/ ١٧٥
٣١	ما هذا بشراً	٥/ ٣٢٢
٣١	ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم	٢/ ١٧٧
٣٣	ربّ السّجن أحبّ إليّ	٤/ ٢٩٢
٤٠	ما تعبدون من دونه إلا أسماء	٣/ ٣٨٩
٤٣	سبع بقرات	١/ ٣٨٤
٤٣	سبع سنبلات خضر	١/ ٣٨٤
٤٣	إن كنتم للرؤيا تعبرون	٢/ ٦٢٦
٥٣	وما أبرّىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء	١/ ١٠٨
٦٥	رُدّت إلينا	٢/ ٤١٣
٦٦	لتأتُنّني به إلا أن يُحاط بكم	١/ ٣٥٠
٧٦	وفوق كل ذي علم عليم	٢/ ٣٧٠
٨٢	واسأل القرية	١/ ٨٣
٨٣	فصبر جميل	١/ ١٢٩
٨٩	قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون	٣/ ٢٨٢
٩٦	فارتدّ بصيراً	٣/ ٣٣٤
١٠٢	وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم	١/ ٤٨١
١٠٨	أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني	٢/ ٦٦٧
١٠٩	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً	١/ ٤٠٢
١٠٩	أفلم يسيروا	١/ ١٥٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
		٣/ ١٨١
١٠٩	أفلم يسيروا في الأرض	١/ ٥٣٧
١٠٩	ولدار الآخرة خير	٣/ ٣٧٠
١١١	☆ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب	٣/ ٥٠١

(١٣) الرّعد

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٧	إنما أنت منذر	١/ ٥٧
١٢	وينشىء السحاب الثقال	٥/ ٢٢٢
١٩	كمن هو أعمى	٣/ ٣٨٨
٢٣	والملائكة يدخلون عليهم من كل باب	٣/ ١٥١
٢٣-٢٤	والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم	١/ ٥٣٥
٢٧	لولا أنزل عليه آيةٌ من ربه	٣/ ٣٩٨
٢٧	إن الله يضلّ من يشاء ويهدي إليه من أناب	٣/ ٣٩٨
٢٨	الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله	٤٠/ ١٨٦
٣١	ولو أن قرآناً	٣/ ٣٩٧
٣١	أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً	٤/ ٤٩٣
٣٣	أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت	٣/ ٤٠٧
٣٥	أُكلها دائم وظلّها	٤/ ٣٧
٣٧	وكذلك أنزلناهُ حكماً عربيّاً	٣/ ٣٩٧

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤١	أولم يروا	١/ ١٥٣
		٢/ ٤٦٢
٤٣	كفى بالله	٤/ ١٤٢
٤٣	ومن عنده علم الكتاب	٣/ ٣٩٧

(١٤) إبراهيم

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	لتُخرج الناس	٣/ ٤٠٠
٦	☆ إذْ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم	١/ ١٢٢
٢١	سواء عيلنا أجزعنا أم صبرنا	٢/ ٦٣٥
٣١	قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة	٤/ ٢٥٨
٥٠-٥١	النار، لِيجزي	١/ ٤١٨

(١٥) الحجر

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤	وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم	٣/ ٦٢٨
		٤/ ٣٥٣
٥	ما تسبق من أمة أجلها	٥/ ٣١٥
٦	يا أيها الذي نُزّل عليه الذكر إنك لمجنون	٤/ ١٠٤
٩	وإنّا له لحافظون	٥/ ٥٣٦
٢١	وما ننزّله إلا بقدر معلوم	١/ ١٦٦
٢٦	من صلصال	٥/ ٢٨

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢٩	فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي	٤/ ١٦١
٣٠	فسجد الملائكة كلهم أجمعون	٢/ ٦٧٠
٣١	أبى أن يكون مع الساجدين	٤/ ١١٣
٤٠	إلاّ عبادك منهم المخلَصين	٣/ ٥٨٢
٤٢	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان	٣/ ٥٣٩
		٥/ ٣٣
٤٧	ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً	٣/ ٥٣٢
٤٧	إخواناً على سرر متقابلين	٢/ ٥٤١
		٥/ ٢٥٠
٥٤	فبم تبشّرون	٣/ ٣١٦
٥٧	قال فما خطبكم أيها المرسلون	٤/ ١٠٣
٧٣	مشرقين	٥/ ٢٧٨
٩٢	فوربك لنسألنّهم أجمعين	٣/ ٤٥٩
٩٧	ولقد نعلم	١/ ٢١٧

(١٦) النحل

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤	فإذا هو خصيم مبين	٣/ ٦٥١
٦	ولكم فيها جمال	٢/ ٥٢٨
٨	والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة	٥/ ٨٠
٨	والحمير لتركبوها	١/ ٤١٨
٨	لتركبوها وزينة	٢/ ٥٢٨
٩	وعلى الله قصد السبيل	٥/ ٥٦٦

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٤	لتأكلوا منه لحماً طرياً	١/ ٢٣٩
١٤	حلية تلبسونها	٢/ ٥٢٨
١٥	وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً	٣/ ٣٥٩
١٧	أفمن يخلق كمن لا يخلق	٣/ ٣٧٤
		٣/ ٣٨٧
١٨	وإن تعدّوا نعمة الله	٣/ ٤٢٠
٢٦	فأتى الله بنيانهم	٣/ ٣٩٣
٣١	الأنهار لهم	١/ ٤١٧
٣٣	أو يأتي أمر ربك	١/ ٢٩٧
٣٥	لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء	٥/ ٩١
٣٨	وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت	٣/ ٤٢٥
٤٣	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً	١/ ٤٠٢
٤٨	أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله	٣/ ٣٧١
٥٩	أم يدسّه في التراب	٥/ ٥١٦
٦١	☆ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم	٤/ ٥٩٣
٦٤	لنبيّن لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة	٣/ ٥٢٣
٦٨	وأوحى ربك إلى النّحل	٤/ ٧٣
٧٤	إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون	٣/ ٥٠٩

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٧٩	ألم يروا إلى الطير مسخّرات	٢/ ٣٩٠
٨١	سرابيل تقيكم الحر	٢/ ١٧٧
١٠١	وإذا بدّلنا آية مكان آية	٣/ ٦٣١
١٠٣	إنما يعلّمه بشر	٥/ ٥٨
١٢٥	وجادلهم بالتي هي أحسن	٣/ ٦٢٩
	(١٧) الإسراء	
٧	وإن أسأتم فلها	٤/ ١٤٥
١٢	وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم	٤/ ٣٩٧
١٣	وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه	٢/ ٣٩٠
١٥	وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولاً	٤/ ٣٥٣
٢٨	قولاً ميسوراً	٣/ ٦٧١
٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط	٢/ ٢٧٢
٢٩	فتقعد ملوماً	١/ ٥٥٤
٣١	خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم	٢/ ٤٩٨
٣٢	ولا تقربوا الزّنى	٢/ ٧٠
٣٢	ولا تقربوا الزّنى إنه كان فاحشة	٢/ ٥٧٢
٧٠	ولقد كرّمنا بني آدم	٢/ ١٧٧
٧١	يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم	١/ ٦١١
٨٣	ونأى بجانبه	٥/ ٢٤٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٨٤	قل كلٌّ يعمل على شاكلته	٣/ ٤٠
		٤/ ١١٩
		٤/ ١٣٥
٨٤	كلٌّ يعمل على شاكلته	١/ ٤١٩
٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ	٣/ ٦٠٤
٨٨	على أن يأتوا بمثل هذا القرآن	١/ ٧٦
٩٠	لن نؤمن لك	٤/ ٩٢
٩٢	أو تُسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً	٣/ ٣٦٣
		٥/ ٢٥٦
٩٧	ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً	٤/ ١١٥
		٤/ ١٦٥
١٠٢	لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلاّ رب السماوات والأرض بصائر	٤/ ٣٢٧
١٠٢	ما أنزل هؤلاء	٤/ ٣١٢
١٠٣	☆ فأراد أن يستفزّهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً	١/ ١٢٣
١٠٤	وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا	١/ ١٠٢
١٠٦	وقرآناً فرقناه	١/ ٤٣٣

(١٨) الكهف

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢	لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر	٢/ ٣٧٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٩	لبثنا يوماً أو بعض يوم	٣/ ٥٧٤
٢٢	سبعة وثامنهم كلبهم	٤/ ٣٥٤
٢٢	وثامنهم كلبهم	٤/ ٣٥٤
٣١	مِن ذهبٍ	٥/ ٤٨١
٣٦	ولئن رُددت إلى ربي	٥/ ٨٢
٤٢	وأحيط بثمره	٣/ ٢٥٠
٤٩	ووضع الكتاب	٥/ ١٦٤
٤٩	لا يغادر صغيرة ولا كبيرة	٣/ ١٣٩
٥٠	اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربّه	٢/ ٢٥١
٥٠	بئس للظالمين بدلاً	٢/ ٦٧
٥٧	إنّا جعلنا على قلوبهم أكنّة	٥/ ٨٧
٦٣	قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة	٥/ ١٦٩
٧٩	فأردت أن أعيبها	٢/ ٦٤٦
٨٢	فأراد ربك	٢/ ٦٤٦
٩٥	ما مكنّي فيه ربي	٢/ ٣٦٠
١٠٨	لا يبغون عنها حِولاً	٤/ ٢٠٥
١٠٩	قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي	٤/ ٤٨٣
١١٠	قل إنما أنا بشر	١/ ٥٧

(١٩) مريم

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤	واشتعل الرأس شيباً	١/ ٨٣

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
		١/ ٩٩
٨	وقد بلغت من الكبر عتياً	١/ ٤٧٦
١٠	ثلاث ليالٍ سوّياً	١/ ٤٧٧
١٥	ويوم يُبعث حيّاً	١/ ٤٤٣
١٧	فاتخذت من دونهم حجاباً	١/ ٤٧٩
١٧	فأرسلنا إليها روحنا	١/ ٤٧٥
٢٠	☆ قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً	١/ ٤٧٦
٢١	ولنجعله آية للناس	٥/ ١١٦
٢٦	وقرّي عيناً	٤/ ٧٥
٢٧	فأتت به قومها تحمله	١/ ٢٩٤
٢٨	وما كانت أمّك	١/ ٤٧٠
٣٤	ذلك عيسى ابن مريم	٢/ ٢٩٦
٣٥	ما كان لله أن يتّخذ من ولد	٥/ ٨٢
٣٥	إذا قضى أمراً	٤/ ٢٣
٣٨	أسمع بهم وأبصر	١/ ٢٤٣
٤٤	يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيّاً	٣/ ١٠٦
٤٦	واهجرني مليّاً	٢/ ٦٥٠
٤٧	سلام عليك	٤/ ٣١٤
٤٧	سأستغفر لك ربي	٣/ ١٣٢
٥٠	ووهبنا لهم من رحمتنا	٤/ ٤١

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٥٩	فخلف من بعدهم خَلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات	٢/ ٥٧
٦٠	☆ فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئاً	٢/ ١٣٦
٦١	جنات عدنٍ التي وعد الرحمن	٥/ ٢٢
٦٩	عتيّاً	٤/ ٢٩٧
٧١	وإن منكم إلا واردها	٢/ ١٦٦
٩٢	وما ينبغي للرحمن أن يتّخذ ولداً	٥/ ٣٢

(٢٠) طه

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٩	وهل أتاك حديث موسى	٢/ ٢٩٦
		٥/ ١٢
١١-١٢	نودي يا موسى، إني أنا ربك	٤/ ٤١٥
١٧	وما تلك بيمينك	١/ ١٣٢
١٨	ولي فيها مآرب أخرى	٢/ ٦٤٨
١٨	مآرب أخرى	٢/ ٣٧٣
		٤/ ٦٨
٣٩	ولتصنع على عيني	٥/ ٢٥٦
٤٢	اذهب أنت وأخوك	٤/ ٣٢٤
٤٧	إنّا رسولا ربّك	٤/ ٣٢٤
٤٩	فمن ربكما يا موسى	٤/ ٣٢٧
٥٠	قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه	

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	ثم هدى	٣/ ١٧١
٥٦	ولقد أريناه آياتنا كلها	٥/ ٢٧٨
٦١	لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب	٢/ ٤٠٥
		٢/ ٤٥٦
		٣/ ٢٦٣
٦٦	يُخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى	٢/ ٥٩٩
٦٧	☆ فأوجس في نفسه خيفة	٣/ ٤٤٧
٨٠	جانب الطور الأيمن	٤/ ٣٢
٨١	ولا تطغوا فيه فيحلّ	٤/ ٦٣
٨٥	فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلّهم	
	السامريّ	٢/ ٦٢٣
٩٣	أفعصيت أمري	٥/ ٣٨٦
١٠٣	إن لبثتم إلّا عشراً	١/ ٣٤٠
		١/ ٣٤١
		١/ ٣٤٢
١٠٤	إن لبثتم إلا يوماً	١/ ٣٤٠
		١/ ٣٤٢
١٠٧	قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً	٥/ ٥٣٠
١٠٧	لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً	٣/ ٤٢٧
١١٥	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي	١/ ٢٨٣
١١٧	فقلنا يا آدم إنّ هذا عدوّ لك ولزوجك	٢/ ٥٢٦
١٢٠	فوسوس إليه	٢/ ٥٢٤

رقم الآية	الآيــة	رقم الصفحة
١٢١	فأكلا منها	٢/ ٥٢٥
١٢١	وعصى آدم ربّه فغوى	١/ ١٠٧
١٢٣	قال اهبطا	١/ ١٠٦
١٢٨	☆ أفلم يَهْدِ لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات لأولي النّهى	٤/ ٤٩٦
١٣٢	واصطبر عليها	٤/ ٣٨

(٢١) الأنبياء

رقم الآية	الآيــة	رقم الصفحة
٣	وأسرّوا النجوى الذين ظلموا	٤/ ١٦٤
		٥/ ٢٦٧
٢٢	لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا	٥/ ١٢٩
٢٣	لا يُسأل عما يفعل	٣/ ١٧٦
٢٦	عباد مكرمون	١/ ٥١١
٢٩	ومن يقل منهم إني إله	١/ ٢١٨
٣٣	كلٌّ في فلك يسبحون	١/ ٤١٩
٣٧	خُلق الإنسان من عَجَل	٤/ ٤٧٣
		٥/ ٤٢٤
٣٧	من عجل	٥/ ٢٨
٦٠	قالوا سمعنا فتى يذكرهم	٤/ ١٣٧
٦٢	أأنت فعلت هذه بآلهتنا	٤/ ٢٩٤
٦٨	قالوا حرّقوه	٤/ ٤٤٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٦٩	قلنا يا نار كوني	١/ ١٠٢
٧٢	ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة	١/ ٤٤٩
		٢/ ٣١٤
٧٩	وسخرنا مع داود الجبال	٤/ ١٥٧
٨١	ولسليمان الريح عاصفة	٣/ ١٦٠
٨٢	ومن الشياطين من يغوصون له	٣/ ١٧٥
٩١	والتي أحصنت فرجها	٤/ ٢٤٦
٩٣	☆ وتقطّعوا أمرهم بينهم	٤/ ٢٢٧
٩٨	إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم	١/ ٧٩
٩٨	حصب جهنم	٥/ ٣٩٣
١٠٥	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون	٣/ ٥٧٦
١٠٩	وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون	٥/ ١٧٠

(٢٢) الحجّ

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٥	العمر لكيلا	١/ ٤١٧
١٢	يدعو من دون الله ما لا يضرّه وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد	٢/ ١٣٣
١٥	ثم ليقطع فلينظر	٤/ ٤٣٨
٢٢	منها من غمٍّ	٥/ ١٥١
٢٥	ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلم	٢/ ٢٠٧

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٣٠	فاجتنبوا الرجس من الأوثان	١/ ٣٩٨
٤٢	وإن يكذّبوك	٢/ ٣٥٩
٦١	يولج الليل في النهار	٢/ ٥٥١
٧٨	هو سمّاكم المسلمين من قبل	٢/ ٢٤٦

(٢٣) المؤمنون

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	قد أفلح	١/ ٤٢٨
١٧	سبع طرائق	١/ ٣٨٤
٢٠	وشجرة تخرج من طور سيناء	٥/ ٥٧٥
٢٤	ما هذا إلاّ بشر مثلكم	٢/ ٣٦٣
٢٥	به جِنّة	٥/ ٢٤٥
٤٠	عمّا قليل ليصبحنّ نادمين	١/ ٥١٦
٥٣	كل حزب بما لديهم فرحون	٥/ ١٥٨
٦٣	ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون	٤/ ٢٤٣
٨٣	☆ لقد وُعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل	٤/ ٣٩٢
٩١	ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله	٤/ ٢٣٤

(٢٤) النور

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	سورة أنزلناها	٤/ ٢٨١
٢	ولا تأخذكم بهما رأفة	٤/ ٢٦٤
٢	ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله	١/ ٣٢
٨	ويدرأ عنها العذاب	١/ ٥٩٦

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٩	والخامسة أن غضب الله عليها	٢/ ٦٥١
		٤/ ٣٦٤
١٢	لولا إذ سمعتموه	٤/ ٢٦٤
١٣	فأولئك عند الله	١/ ٥٨٨
١٣	فأولئك عند الله هم الكاذبون	١/ ١٦٩
١٧	يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدًا	٤/ ٢٦٤
٢١	ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا	٢/ ٥٤١
٣٢	وأنكحوا الأيامى	٢/ ١٤٤
٣٥	شجرة مباركة	٣/ ٤٠٨
٣٦	أذن الله أن تُرفع وُيذكر فيها اسمه	١/ ١٩٠
٣٦-٣٧	يُسبِّح له فيها بالغدوّ والآصال، رجال	٢/ ٣٢٦
		٢/ ٤٧٩
٤٠	أو كظلمات في بحر لجّي يغشاه موج	٢/ ٤٨٥
٤٠	لم يكد يراها	٣/ ٤٠٨
٦٤	قد يعلم ما أنتم عليه	١/ ٢١٦

(٢٥) الفرقان

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٧	ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق	٢/ ٤٠٠
٧	لولا أُنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً	٣/ ٤٣٥
١٣	دَعَوْا هنالك ثبوراً	٣/ ٣٩٨
٣٢	وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن	

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	جملة واحدة	١/ ٧٥
٤١	وإذا رأوك إن يتّخذونك إلاّ هزواً	٤/ ١٣٧
٤١	أهذا الذي بعث الله رسولاً	٢/ ٤٠٥
٦٠	وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن	٥/ ٢٨١
	(٢٦) الشعراء	
٢٣	وما رب العالمين	٣/ ٦٠٣
		٤/ ٣١١
٢٤	رب السماوات والأرض	٣/ ٦٠٣
٢٧	إن رسولكم الذي أُرسل إليكم لمجنون	٢/ ١٦٤
		٣/ ٤٣٥
٣٠	أولو جئتك بشيء مبين	٤/ ٧٩
٣٤	قال للملأ حوله	٢/ ٥٩٦
٦٣	أن اضرب بعصاك البحر فانفلق	٤/ ٩٧
٨٤	واجعل لي لسان صدق في الآخِرين	٣/ ٥٣٣
١٠٠-١٠١	فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم	٤/ ٢٨٠
١١١	واتّبعك الأرذلون	٢/ ٥٦٣
١١٩	في الفلك المشحون	٢/ ٥٦١
		٣/ ١٥٩
١٥٤	فائت بآية إن كنت من الصادقين	٤/ ٧٩
١٦٧	لتكوننّ من المخرَجين	٣/ ٥٩٠
١٩٣	نزل به الروح الأمين	٤/ ٣٥٥

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
		٤/ ٣٦٣
٢٠٨	وما أهلكنا من قرية إلاّ لها منذرون	٣/ ٤٣٣
٢١٢	إنهم عن السّمع لمعزولون	٥/ ٤٣٨
٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربين	٤/ ٣٢
		٤/ ١٤٥
		٥/ ٦١٥
٢١٦	فإن عصوك فقل إني بريء	٣/ ١٧٤

(٢٧) النّمل

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٦	من لدن حكيم عليم	١/ ٤٥٢
٨	نودي أن بورك من في النار	١٩١٤
١٠	فلمّا رآها تهتز كأنها جانّ	٤/ ٦٦
١٢	وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء	٢/ ٥٩٥
	☆	٤/ ٦٧
١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم	١/ ١٦٥
		٥/ ١٦٣
١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً	٣/ ٦٠٣
١٨	ادخلوا	٣/ ٢١
١٨	لا يحطمنكم	٣/ ٢١
٣٥	بم يرجع	٥/ ٥٠٧
٣٩	قال عفريت من الجن	٤/ ١٥٧

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤٧	قالوا اطّيرنا بك وبمن معك	٢/ ١٠٢
٤٧	بل أنتم قوم تُفتنون	٢/ ٥٥٩
٤٨	تسعة رهط	١/ ٣٨٢
٥٢	فتلك بيوتهم خاوية	٣/ ٦٥٣
٥٢	فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا	٢/ ٥٨٩
٥٥	تجهلون	٢/ ٥٧٣
٥٦	فما كان جواب قومه إلا أن قالوا	٢/ ٣٧٥
٥٦	أخرجوا آل لوط	٣/ ٥٩٠
٥٦	أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون	٢/ ٥٧٤
٥٩	وسلام على عباده الذين اصطفى	٥/ ٣٢٧
٦٠	ما كان لكم أن تنبتوا شجرها	١/ ٥١١
٦٥	قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله	٢/ ١٥٨
		٢/ ٤١٠
٨١	سرابيل تقيكم	٢/ ١٧٧
٨٨	صنع الله	١/ ٦١٧
٩٠	فكُبّتْ وجوههم في النار	٥/ ٣٩٧

(٢٨) القصص

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٧	إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسليـن	٤/ ٧٣
٨	فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحَزَناً	١/ ٥٨٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
		٣/ ١٩٩
١٠	إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها	٢/ ٥٤١
١٠	إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين	٣/ ٢٩٠
١١	قالت لأخته قصّيه	٤/ ٧٣
١٥	فاستغاثه الذي من شيعته	٣/ ١١
١٥	فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان	٢/ ٣٠٦
١٦	ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي	٤/ ٧٥
٢٧	ثماني حجج	١/ ٣٨٤
٢٩	فلما قضى موسى الأجل	٣/ ٥٤١
٣٢	واضمم إليك جناحك	٤/ ١٧
٣٥	أنتما ومن اتّبعكما الغالبون	٤/ ٩٤
٣٨	ما علمت لكم من إله غيري	٥/ ٥٠٤
٤٣	ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى	٤/ ٢٢٦
٤٤	وما كنت بجانب الغربي	١/ ٤٨١
٤٤	وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر	٣/ ٣٤٧
٤٦	وما كنت بجانب الطور	١/ ٤٨١
٤٨	قالوا ساحران تظّاهرا	١/ ٥٠٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٥٤	أولئك يُؤتَون أجرهم مرتين	٥/ ٣١٩
٥٥	وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه	٤/ ٣١٦
٥٦	إنك لا تهدي من أحببت	٣/ ١٣٢
٥٧	يُجبى إليه ثمرات كل شيء	٥/ ٦٠٤
٦٣	تَبرّأنا إليك	١/ ٢٣٥
٦٥	ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين	٢/ ٥١٧
٧٦	فبغى عليهم	٣/ ١٦١
٧٦	لا تفرح إن الله لا يحبّ الفرحين	٥/ ٣١٦
٧٧	وأحسِنْ كما أحسن الله إليك	٣/ ٣٤٤
٨١	فخسفنا به وبداره الأرض	٢/ ٤١٥

(٢٩) العنكبوت

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٤	ألف سنة إلا خمسين عاماً	٥/ ٤٣٠
٢٢	وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء	٥/ ٢٨٨
٢٦	فآمن له لوط	٤/ ٩٢
٢٩	ائتنا بعذاب الله	٤/ ٣٨٣
٣٨	وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم	٢/ ٥٧٤
٤٠	فكلاًّ أخذنا بذَنْبه	٣/ ٤٠
		٣/ ٤٨٦
٤١	كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً	٢/ ٥٦٨
		٢/ ٦٢١

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤١	اتخذت بيتاً	٣/ ١٢٧
٤٥	إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر	٣/ ٢٥٠
٥٥	يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن	
	تحت أرجلهم	٣/ ٣٤٨
		٥/ ٣٦
٥٨	لنبوّئنهم من الجنة غرفاً	٣/ ٢٠٢
٦٧	أولم يروا أنّا جعلنا حرماً آمناً	١/ ٣٨١
٦٧	أولم يروا أنّا جعلنا حرماً آمناً ويُتخطّف	
	الناس من حولهم	١/ ٥٢٧
	(٣٠) الروم	
٧	يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا	٥/ ٢٦٤
٩	أولم يسيروا	١/ ١١٧
		٣/ ١٨١
٩	أولم يسيروا في الأرض	٢/ ٣٢٢
٢٥	ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره	٣/ ٤٨٢
٢٧	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو	
	أهون عليه	٣/ ٣٦٢
٢٧	وله المثل الأعلى	٣/ ٣٩٠
٣٥	أم أنزلنا عليهم سلطاناً	٤/ ٥٩٠
٣٦	إذا هم يقنطوْن	٣/ ٩٧
٤٦	الرياح مبشّرات	١/ ٥٤٨

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤٨	فيبسطه في السماء كيف يشاء	٢/ ٢٧٤
٥٠	يحيي الأرض بعد موتها	٢/ ٤٤٢
٥١	لظلّوا	١/ ٢١٨
٥١	☆ ولئـن أرسلنـا ريحـاً فـرأوه مصفرّاً	١/ ٢١٨

(٣١) لقمان

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢٥	ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولُنّ الله	٣/ ١٧٠
		٣/ ٣٧٤
٣٢	فلمّـا نجّـاهم إلـى البرّ فمنهـم مقتصد	١/ ٥٧٣
٣٣	لا يجزي والد عن ولده	١/ ٣٣٨

(٣٢) السجدة

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١١	قل يتوفّاكم ملك الموت	٢/ ٤١٣
١٦	يدعون ربهم خوفاً وطمعاً	٢/ ٧

(٣٣) الأحزاب

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٥	ادعوهم لآبائهم	٢/ ٤٩
١٨	هلمّ إلينا	٢/ ٤٩٤
١٩	أشحّة على الخير	٢/ ٢٦٤
٢٥	وكفى الله المؤمنين القتال	٢/ ١٤٦

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢٧	وكان الله على كل شيء قديراً	٣/ ٤٨٣
٣٤	واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة	١/ ٢٠٤
٣٥	أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً	١/ ٨٠
٣٧	أمسك عليك زوجك	٢/ ٥٢٦
		٤/ ١٧
٦٠	لئن لم ينته المنافقون	٢/ ٥٢٧
٦٠	لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم	٢/ ٢٨٧
		٢/ ٥٢٧
٦٣	وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً	٢/ ٥٥٤
٦٧	أطعنا سادتنا وكبراءنا	٤/ ٣٤٠
٧٢	إنّا عرضنا الأمانة	٥/ ٣٤٢
٧٢	إنه كان ظلوماً جهولاً	٥/ ٥٢٠

(٣٤) سبأ

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٣	☆ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض	٣/ ١٨٧
٩	إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء	٣/ ٥٩٨
١٠	يا جبال أوّبي معه	٤/ ١٥٧

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٢	غدوّها شهر ورواحها شهر	٤/ ١٥٧
١٣	يعملون له ما يشاء	٤/ ١٥٨
١٣	يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل	٥/ ١٨
١٦	وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين	٣/ ٤٢٧
		٤/ ٣١٦
٢٤	وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين	١/ ٤٩٤
٣٣	بل مكر الليل والنهار	٢/ ١٣٩
٣٧	وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى	١/ ٤٣٧
٣٧	وهم في الغرفات آمنون	٤/ ٣١٨
٤٠	ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون	٤/ ٢٩٤

(٣٥) فاطر

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع	٢/ ١٥
٢	ما يفتح الله للناس من رحمة	٣/ ٦٠
		٣/ ٦٢٠
٦	إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير	٣/ ٥٥٨
٨	أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسناً	٣/ ٢١٨
٩	فسقناه إلى بلد ميّت	٤/ ٣٠٩

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٠	إليه يصعد الكلم الطيب	٣/ ٤١٦
١١	وما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره	٢/ ١٧٩
١٩	وما يستوي الأعمى والبصير	٣/ ٣٣٤
٢١	ولا الظلّ ولا الحرور	٥/ ٩٧
٢٤	وإنْ من أمّة إلا خلا فيها نذير	٤/ ٤٨٨
٢٩-٣٠	لن تبور، ليوفيهم	١/ ٤١٨
٤١	ولئن زالتا إن أمسكهما	١/ ٢١٨
		٣/ ١٢٧
٤١	من أحدٍ من بعده	٣/ ١٢٧
٤٢	وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لئن جاءهم نذير	٥/ ١٠٩

(٣٦) يس

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	يس	٢/ ٢٩٧
		٤/ ٥٥
١-٣	يس، والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين	٥/ ٦
٦	لتنذر قوماً	٥/ ٦
٩	وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً	٢/ ٨٤
١١	إنما تنذر من اتّبع الذكر	١/ ٥٧
١٤	إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا	

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	بثالث	٢/ ٢١٩
٣٧	وآية لهم الليل نسلخ منه النهار	٢/ ١٢٢
٤٠	ولا الليل سابق النهار	٢/ ٥٥١
٤٠	وكلّ في فلك يسبحون	٣/ ٥٩٤
٥٣	فإذا هم جميع لدينا محضرون	٤/ ٤٤
٧٨	من يحيي العظام وهي رميم	٣/ ٣٦٩
٨٠	الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً	
	فإذا أنتم منه توقدون	٥/ ٣٠٣
٨٣	فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء	٥/ ٣٩١

(٣٧) الصافّات

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٠	فأتبعه شهاب ثاقب	٢/ ٦٤٥
١٩	صافات ويقبضن	٣/ ٦٦١
٢٤	وقفوهم إنهم مسؤولون	٥/ ٢٨٩
٣٦	لشاعرٍ مجنون	٢/ ٦٥٠
٤٧	لا فيها غول	١/ ٤٣
٥٠	فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون	٤/ ٢٣٩
١١٨	وهديناهما الصراط المستقيم	٢/ ٥٠٧
١٦٤	وما منّا إلاّ له مقام	١/ ١٤٨
		و٣٨٩
١٦٤	وما منّا إلاّ له مقام معلوم	١/ ٥٩٠
		٢/ ١٦٦

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٦٨	لو أنّ عندنا ذكراً من الأولين	٥/ ٥
١٧١	ولقد سبقت كلمتنا	٢/ ٣٨٥

(٣٨) ص

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	ص	٥/ ٣٩٩
٨	أأنزل عليه الذكر من بيننا	٤/ ٢١٠
٢٧	وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً	٤/ ١٢٨
٣٠	نعم العبد	٣/ ٥٣٩
٣٦	فسخّرنا له الريح تجري بأمره	٤/ ١٥٧
٤٥	واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب	٣/ ٥٣٩
٧٥	أن تسجد	٢/ ٥٢٠
٨٢	فبعزّتك	٣/ ٤٤٣
		٣/ ٥٨٢
٨٢	لأغوينّهم	٤/ ٢٠٣

(٣٩) الزّمر

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٥	☆ وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجلٍ مسمّى	٤/ ٤٨٤
١٦	لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل	٢/ ٥٤٠
١٦	يخوّف الله به عباده	١/ ٦٠٠

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢١	إنّ في ذلك لذكرى	٢/ ٣٨٨
٢٢	أفمن شرح الله صدره للإسلام	٣/ ٣٨٧
٢٣	الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً	٣/ ٦١٣
٢٨	قرآناً عربياً غير ذي عوج	٣/ ٤٢٢
٣٨	أو أرادني برحمة	٢/ ٣٦٩
٣٩-٤٠	فسوف تعلمون، من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم	٣/ ٢٥٤
٤٢	يتوفّى الأنفس حين موتها	٢/ ٤١٣
٤٧	ولو أنّ الذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه	١/ ٥٢١
٥٣	يا عبادي الذين أسرفوا	١/ ٥١١
٥٦	على ما فرّطت في جنب الله	٢/ ٣٩٠
٦٤	أفغير الله تأمرونّي أعبد	٢/ ٣٦٧
٦٥	لئن أشركت ليحبطنّ عملك	٢/ ٤٣٥
		٤/ ١٣٣
٧١	حقّت كلمة العذاب	٤/ ٣٩٤
٧٤	الحمد لله الذي صدقنا وعده	٤/ ١٨٥
٧٤	وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة	٤/ ١٦٧

(٤٠) غافر

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٨	ربّنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم	٤/ ٢٩٢
١٠	إذ تُدعون إلى الإيمان	٣/ ٤٠٥

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٥	يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده	٣/ ٤٦٤
١٦	لمن الملك اليوم	٢/ ٤٢٣
		٣/ ٦٤٤
٣٦	ابنِ لي صرحاً	٤/ ٣٨٠
٣٦-٣٧	لعلّي أبلغ الأسباب، أسباب السماوات فأطّلع	١/ ٧٣
٥١	إنّا لننصر رسلنا	٣/ ٤٢٧
٦٦	وأُمرت أن أسلم	٢/ ٢٠٩
٧١	إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسبحون	٣/ ٣٦٢
٧٥	ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون	٤/ ٣٧٠
٨٥	فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا	٢/ ٣٧
		٤/ ١٢٧
٨٥	فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّة الله التي قد خلت في عباده	٣/ ٢٠١

(٤١) فصّلت

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٥	ومن بيننا وبينك حجاب	٢/ ٤٤١
١٤	لو شاء ربّنا لأنزل ملائكة	٢/ ٣٦٣
١٦	ريحاً صرصراً	١/ ٥٤٨

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٧	فاستحبّوا العمى على الهدى	٢/ ٦٢٠
٢٦	لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه	٢/ ٦٦٨
٣٣	ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله	٢/ ٢٦٩
٤٠	اعملوا ما شئتم	٣/ ٥٨٣
٤٦	وما ربك بظلّام للعبيد	١/ ٥١٢
٥٠	إن لي عنده للحسنى	٣/ ٦٣٩

(٤٢) الشورى

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٣	شرع لكم من الدين	٤/ ٥٠٣
١٣	كبر على المشركين ما تدعوهم إليه	١/ ١١٨
١٧	وما يدريك لعلّ الساعة قريب	٤/ ١٦٩
٢٢	وهو واقع بهم	٥/ ٢٨٤
٤٠	وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها	١/ ٢٦٩
		١/ ٤٨٩
		٥/ ٤٧
٤٣	لمن عزم الأمور	٥/ ١٩٣
٤٨	إنْ عليك إلا البلاغ	٢/ ٥٥٩
		٥/ ٥٤٩
٥٢	وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم	٤/ ٤٢٢

(٤٣) الزخرف

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٩	وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن	

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	إناثاً	٢/ ٣٥٢
٢١	أم آتيناهم كتاباً من قبله	٤/ ٥٩٠
٣١	لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم	٤/ ٤٢٦
٣٣	لجعلنا لمن يكفر بالرحمن	٤/ ٦٠٠
٣٦	نقيّض له شيطاناً فهو له قرين	٥/ ٢٢٦
٤١	فإما نذهبنّ	١/ ١٠٨
٤١	فإما نذهبنّ بك	٢/ ٤١٧
٤٩	أيُّهُ السّاحر	٤/ ٢٦١
٥٩	إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه	١/ ٤٩٥
٦٠	لجعلنا منكم ملائكة	١/ ٤٣٧
		٣/ ٨٣
٨١	قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين	٣/ ٢٠٣
٨٤	وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله	٢/ ١٦٠

(٤٤) الدخان

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢٥	كم تركوا من جنّات	١/ ٧٣
٣٦	فائتوا بآبائنا	٢/ ٤٥٩
٥٤	وزوّجناهم بحورٍ عين	٤/ ٥٢٤

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	(٤٥) الجاثية	
٢٢	وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتُجزى	٥/ ١١٦
٢٤	ما هي إلا حياتنا الدنيا	٢/ ٣٨١
٢٥	وإذا تُتلى عليهم آياتنا بيّنات ما كان حجّتهم	٤/ ١٣٧
٢٥	وإذا تُتلى عليهم آياتنا بيّنات ما كان حجّتهم إلا أن قالوا	٢/ ٢٢٨
٢٥	ما كان حجّتَهم إلاّ أن قالوا	٢/ ٣٧٥
٣١	وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تُتلى عليكم	١/ ٥٣٦
	(٤٦) الأحقاف	
٢٩	يستمعون القرآن	٢/ ٣٧٧
٢٩	ولّوا إلى قومهم منذرين	٢/ ٤٧٤
٣٣	ولم يَعْيَ بخلقهنّ	٥/ ٢٢٣
٣٥	لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار	٣/ ٦١٧
	(٤٧) محمّد	
١٣	التي أخرجتك	٣/ ٨٤
١٣	أهلكناهم فلا ناصر لهم	١/ ٥٨٧
١٧	والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم	

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	تقواهم	٤/ ٤٥٤
٢١	فإذا عزم الأمر	٤/ ٤٨٠
٣٨	وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم	١/ ٥٤٤

(٤٨) الفتح

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٩	وتسبّحوه	٥/ ٣٠٦
١٠	يد الله فوق أيديهم	٢/ ٣٧٠
١٤	يغفر لمن يشاء	١/ ٤١٧
٢٦	حميّة الجاهليّة	١/ ٥٧٨
٢٩	أشداء على الكفار رحماء بينهم	٢/ ٢٦٢
٢٩	ذلك مثلهم في التوراة	١/ ٥٠٩

(٤٩) الحجرات

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٦	☆ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة	٢/ ١١٨
٧	ولكن الله حبّب إليكم الإيمان	٢/ ٢٦١
١٧	يمنّون عليك أن أسلموا	٥/ ١٩٦

(٥٠) ق

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	ق	٥/ ٣٩٩
١١	وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج	٢/ ٣٣٦
٢٩	ما يبدّل القول لديّ	٣/ ١٨٩

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤١	يوم ينادي المناد من مكان قريب	٣/ ٥٧٤
٤٥	وما أنت عليهم بجبّار	٥/ ٥٤٩
	(٥١) الذاريات	
٣٢	إنّا أُرسلنا إلى قوم مجرمين	٢/ ١٨٧
٤٧	والسماء بنيناها بأيدٍ	١/ ٧٢
٥٥	وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين	٣/ ٢٦٩
		٥/ ٢٣٣
٥٧	ما أريد منهم من رزق	٢/ ٣٦٧
	(٥٢) الطور	
٢١	كلّ امرىءٍ بما كسب رهين	١/ ٦١١
		٥/ ٤٦٥
٣٠	ريب المنون	٤/ ٤٨٨
٣٩	أم له البنات ولكم البنون	٣/ ٥٦٨
	(٥٣) النجم	
٣	وما ينطق عن الهوى	٣/ ٥١٥
٣-٤	وما ينطق عن الهوى، إن هو إلّا وحي يُوحى	٢/ ٥١٥
٢١	ألكم الذكر وله الأنثى	٣/ ٥٦٨
٢٨	وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً	١/ ٤٣٧
٥٠	وأنه أهلك عاداً الأولى	٣/ ٢٣٨

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٥٤	فغشّاها ما غشّى	٤/ ٩٧

(٥٤) القمر

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	اقتربت الساعة	٥/ ٢٧١
٨	مهطعين إلى الدّاع	٤/ ١٠٩
١٠	أنّي مغلوب فانتصر	٤/ ١٥٤
١٥	ولقد تركناها آية فهل من مدّكر	٤/ ٢٢٠
٢٠	نخل منقعر	٥/ ٢٢١
٢٥	أألقي الذكر عليه من بيننا	٢/ ٤٠٥
٤٤	نحن جميع منتصر	٤/ ٤٤
		٤/ ٦٢٠
٤٤-٤٥	أم يقولون نحن جميع منتصر، سيهزم الجمع ويولّون الدّبر	١/ ٥٦٩
٤٦	بل الساعة موعدهم	٤/ ١١٧

(٥٥) الرحمن

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢٠	لا يبغيان	٤/ ٣١٠
٣١	أيُّهُ الثقلان	٤/ ٢٦١
٣٥	يرسَل عليكما شواظ من نار	٢/ ٤١٢
٤١	فيؤخذ بالنواصي والأقدام	٥/ ٥٨١
٤٤	حميم آنٍ	٥/ ٥٤٦
٤٨	ذواتا أفنان	٤/ ٥٥٣

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٧٠	فيهن خيرات حسان	٣/ ١١٦
	(٥٦) الواقعة	
١	إذا وقعت الواقعة	٥/ ٢٤٨
٢	ليس لوقعتها كاذبة	٤/ ٥٣٠
٧	وكنتم أزواجاً ثلاثة	٥/ ٥١٦
٣٣	لا مقطوعة ولا ممنوعة	٣/ ٣٩٠
٣٧	عُرباً أتراباً	٤/ ٦٢٦
٦٥	لو نشاء لجعلناه حطاماً	٢/ ٥٨٨
		٥/ ٩١
٧٠	لو نشاء جعلناه أجاجاً	٢/ ٥٨٨
		٤/ ٦٠٨
		٥/ ٩١
٧٥	فلا أقسم بمواقع النجوم	١/ ٤٧١
٧٦	وإنه لقسم لو تعلمون عظيم	١/ ٤٧١
٧٧	إنه لقرآن كريم	١/ ٤٧٢
	(٥٧) الحديد	
١٣	انظرونا نقتبس من نوركم	١/ ١٨١
١٣	فضُرب بينهم بسور	٢/ ٥٤٤
٢١	كعرض السماء	١/ ٥٦١
٢٥	وأنزلنا معهم الكتاب والميزان	٥/ ٢٨٣

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢٨	يؤتكم كفلين من رحمته	٢/ ١٠٦
٢٩	لئلا يعلم أهل الكتاب	٥/ ٣٠٤

(٥٨) المجادلة

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢	☆ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هنّ أمهاتهم	٤/ ٥٠٠
٢	ما هنّ أمهاتهم	٣/ ٢٩٧
٢١	لأغلبن أنا ورسلي	٢/ ٣٦٦

(٥٩) الحشر

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤	ومن يشاقّ الله	٢/ ١٣١
٦	وما أفاء الله على رسوله منهم	١/ ٥٩٥
٧	ما أفاء الله على رسوله	٣/ ٤٨٧
١٢	لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم	٢/ ٤٦٦
		٣/ ٥٩٧
١٩	نسوا الله فأنساهم أنفسهم	٥/ ٣٥٣
٢٠	أصحاب النار وأصحاب الجنة	٣/ ٣٠٤
٢١	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل	٣/ ٣٨٦

(٦٠) الممتحنة

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	يُخرجون الرسول وإياكم	٢/ ١٤٥
٢	إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء	٢/ ١١٢
٤	لأستغفرنّ لك	٣/ ١٣٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٠	فإن علمتموهنّ مؤمنات	١/ ٣٣٣
١٠	واسألوا ما أنفقتم	٢/ ٦١
	(٦١) الصف	
٥	فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم	٣/ ١٤٢
	(٦٢) الجمعة	
١	يسبّح	٥/ ٣٠٧
٢	هو الذي بعث في الأمّيين رسولاً منهم	١/ ٥٩٨
	(٦٣) المنافقون	
٦	سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم	٣/ ١١١
٨	لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنّ	٢/ ٢٨٧
	(٦٤) التغابن	
٧	بلى وربي لتُبعثنّ	٤/ ٥٤٢
	(٦٥) الطلاق	
٤	وأولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ	١/ ٣٤٢
١٢	سبع سماوات ومن الأرض مثلهن	٢/ ٨٤

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	(٦٦) التحريم	
٤	فقد صغت قلوبكما	١/ ٢٧٧
		٢/ ٢٤١
		٢/ ٢٩١
٦	☆ يا أيهـا الذيـن آمنـوا قـوا أنفسكـم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة	١/ ٧٩
١٢	ومريم ابنة عمران	٢/ ٣٣٤
١٢	وصدّقت بكلمات ربها	٢/ ٢٨٨
	(٦٧) الملك	
٣	وإنّ لك لأجراً	١/ ٦١٩
٤	ثم ارجع البصر كرّتين	١/ ٣٢٧
		٣/ ١٢٤
٨	كلما أُلقي فيها فوج سألهم	٢/ ٢٨٢
١٥	هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً	٣/ ٥٠٢
١٩	صافّات ويقبضن	١/ ٤٨٣
		٣/ ٦٦١
	(٦٨) القلم	
١	ن والقلم	٤/ ١٥٩
٣	إنّ لك لأجراً	١/ ٦١٩
١٧	إذ أقسموا ليصرمُنّها	٣/ ١٢١

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤٠	سلهم أيّهم بذلك زعيم	٢/ ٢٠٠
٤٨	إذ نادى وهو مكظوم	٣/ ٣٣٤
٤٨	وهو مكظوم	٣/ ٤٩٤

(٦٩) الحاقة

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٧	سبع ليالٍ	١/ ٣٨٤
٧	نخلٍ خاوية	٥/ ٢٢١
٤٤	ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل	٥/ ٢٥٤
٤٧	فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين	١/ ١٢٠
		١/ ٤٢٠
		٣/ ٢٩٧
		٥/ ٣٢٢

(٧٠) المعارج

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٥	صبراً جميلاً	١/ ١٢٩

(٧١) نوح

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٤	يغفر لكم	١/ ٤١٨
١٧	والله أنبتكم من الأرض نباتاً	٣/ ٢٦٠
٢٠	لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً	٤/ ١٣٤
٢٦	ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً	٤/ ١٥٤

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	(٧٢) الجنّ	
٣	ما اتَّخذ صاحبة ولا ولداً	٢/ ٢٨٦
١١	ومنّا دون ذلك	١/ ٥٩٠
	(٧٣) المزّمل	
١٥-١٦	كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً، فعصى فرعون الرسول	١/ ٢٥٨
		١/ ٣٥٥
		١/ ٣٨٦
		٣/ ١٩٧
		٣/ ٣١١
		٣/ ٣٦٦
١٨	السماء منفطر به	٣/ ٥٤٤
	(٧٤) المدثر	
٣١	وما هي إلا ذكرى للبشر	٢/ ٥١٥
٣٣	والليل إذا أدبر	٥/ ٥٥٢
	(٧٥) القيامة	
٣	أيحسب الإنسان أن لن نجمع	٣/ ٦٤٧
٩	وجُمعَ الشمس والقمر	٣/ ٣٥٧
١٦	لا تحرّك به لسانك	٥/ ٥٤٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١٦	لا تحرّك به لسانك لتعجل به	١/ ٩٩
		٤/ ١١٢
٣٤	أولى لك فأولى	٥/ ٤٦٢
٣٩	فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى	٥/ ٣٣
٤٠	أليس ذلك بقادر	١/ ٥٦

(٧٦) الدّهر (الإنسان)

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٦	عيناً يشرب بها عباد الله	٥/ ٣٤
١٢	وجزاهم بما صبروا جنة	١/ ١٦٠
١٩	ويطوف عليهم ولدان مخلّدون	١/ ٨٦

(٧٧) المرسلات

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
٢٧	وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتاً	٣/ ٣٥٩
٣٩	فكيدون	٣/ ٢٧٥

(٧٨) النبأ

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
١	عمّ	٥/ ٥٠٧
٧	والجبال أوتاداً	٣/ ٣٥٨
٤٠	ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً	٢/ ٣٩١
٤٠	يا ليتني كنت تراباً	٢/ ٦٩

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	(٧٩) النازعات	
١٨	هل لك إلى أن تزكّى	٤/ ١١٤
١٨-١٩	هل لك إلى أن تزكّى، وأهديك إلى ربك فتخشى	٤/ ٧٧
٢٤	أنا ربكم الأعلى	٢/ ٦٠١
٣٦	وبُرّزت الجحيم لمن يرى	٥/ ٥٥٥
٤٥	إنما أنت منذر من يخشاها	١/ ٥٧
	(٨٠) عبس	
١٧	قُتل الإنسان ما أكفره	١/ ٢٤٣
	(٨١) التكوير	
١	إذا الشمس كُوّرت	٣/ ٣٥٧
١٤	علمت نفس ما أحضرت	٥/ ٥٣٤
	(٨٢) الانفطار	
١٣	الأبرار لفي	١/ ٤١٨
	(٨٣) المطففون	
٣	وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون	٥/ ٢٨٤
	(٨٤) الانشقاق	
١	إذا السماء انشقت	٥/ ٥٨٢

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	(٨٥) البروج	
١٦	فعّال لما يريد	٣/ ٩١
	(٨٦) الطارق	
٤	إنْ كل نفس لمّا عليها حافظ	١/ ١٤٨
	(٨٧) الأعلى	
١	سبح اسم ربك الأعلى	٥/ ٣٠٦
	(٨٨) الغاشية	
١٧	أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت	١/ ٣٧٩
	(٨٩) الفجر	
١٥	فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه	٢/ ٩٧
١٦	أهانن	٥/ ٨
٢٧	يا أيتها النفس المطمئنة	٥/ ٨١
		٥/ ٥٥١
	(٩١) الشمس	
١	والشمس وضحاها	٥/ ٥٣٤
٤	والليل إذا يغشاها	٥/ ٥٦٥
٩	قد أفلح من زكّاها	٥/ ٥٣٤

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	(٩٢) الليل	
١٣	وإنّ لنا للآخرة والأولى	٥/ ٢٦٣
	(٩٥) التين	
٤	لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم	٥/ ٣٦٩
	(٩٦) العلق	
١	اقرأ باسم ربك	٥/ ١٧٩
١٨	سندع الزبّانية	٢/ ١٩٢
	(٩٨) البيّنة	
٥	وذلك دين القيّمة	٣/ ٥٤٥
	(٩٩) الزلزال	
١	إذا زلزلت الأرض زلزالها	٤/ ١٧٢
	(١٠٠) العاديات	
١	والعاديات	٥/ ٤٨٦
٢	فالموريات	٥/ ٤٨٦
٣	فالمغيرات	٥/ ٤٨٦
٤	فأثرن به نقعاً	١/ ٤٨١

رقم الآية	الآيـة	رقم الصفحة
	(١٠٣) العصر	
٢-٣	إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا	١/ ٤٢٠
	(١٠٦) قريش	
١	لإيلاف	٢/ ٥٠١
٣	فليعبدوا	٢/ ٥٠١
	(١٠٧) الماعون	
١	يكذّب بالدين	٢/ ٣٥٩
	(١٠٨) الكوثر	
٢	فصلّ لربك وانحر	٢/ ٥٠٨
	(١٠٩) الكافرون	
١	قل يا أيها الكافرون	٢/ ٧٠
	(١١٠) النصر	
٢	ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً	٤/ ٢٠٣
	(١١٣) الفلق	
٤	ومن شرّ النفاثات في العقد	٣/ ٢٩٣

فهرست القراءات[1]

(١) رمزت بهذا الرمز ☆ لما ورد من القراءات في الحواشي.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		(١) الفاتحة	
٢	الحمد لله ربِّ العالمين	الحمدَ	١/ ٣٠
		الحمدِ	١/ ٣٠ و٣١
		الحمدُ لُله	١/ ٣١
		ربَّ العالمين	١/ ٣١
٣	الرحمنِ الرحيمِ	الرحمنُ الرحيمُ	١/ ٣١
		الرحمنَ الرحيمَ	١/ ٣١
٤	مالكِ يومِ الدين	مَلِكِ	١/ ٣١
		مَلْكِ	١/ ٣١
		مَلْكي	١/ ٣١
		مَلِكُ	١/ ٣١
		مالِكَ	١/ ٣١
		مالكاً يومَ	١/ ٣٢
		مالكٌ يومَ	١/ ٣٢
		مَلَكَ يومَ	١/ ٣٢
		ملاك ومالك ومليك[١]	١/ ٣٢
٥	إياك نعبد	أَيّاك	١/ ٣٣
		إِيَاك	١/ ٣٣١

(١) بالإمالة المحضة.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		هَيَّاك	١/ ٣٣
		نِعْبُدُ	١/ ٣٣
		يُعْبَدُ	١/ ٣٣
	وإياك نستعين	نِسْتَعين	١/ ٣٣
			١/ ٥٠٦
٦	إهدنا الصراط		
	المستقيم	السِّراط	١/ ٣٥
		الصّراط[1]	١/ ٣٥
		الزِّراط	١/ ٣٥
٧	الذين أنعمت عليهم	عليهُمْ	١/ ٣٥
	غير المغضوب عليهم	عليهِم	١/ ٣٥
		عليهِمي	١/ ٣٥
		عليهِمُو	١/ ٣٥
		عليهُمُو	١/ ٣٥
		عليهُمُ	١/ ٣٥
		عليهِمُ	١/ ٣٥
		عليهُمِي	١/ ٣٦
		عليهُمِ	١/ ٣٦
		غيرَ	١/ ٣٧

(١) بين الزاي والصاد.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة

(٢) البقرة

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١	آلم	ألم[١]	٤١/١
٢	لا ريبَ فيه	لا ريبٌ	٤١/١
٤	بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك	أَنْزَلَ إليك وما أَنْزَلَ	٤٥/١
		أُنزِلَّيْكَ	٤٥/١
٥	على هدى من ربهم	رِبّهُمْ	٤٦/١
٦	ءأنذرتهم	ءأنذرتهم[٢]	٤٨/١
٧	وعلى سمعهم وعلى أبصارهم	وعلى أسماعهم	٤٩/١
	غشاوةٌ	غِشاوةً	٤٩/١
		غُشاوةٌ	٤٩/١
		غَشَاوَةً	٤٩/١
		غَشْوَةً	٤٩/١

(١) بالوقف على كل حرف من حروف التهجّي.

(٢) بتسهيل الثانية.

بإدخال الألف بينهما حُقّقت الثانية أو سُهّلت.

بإبدال الثانية ألفاً.

بحذف الهمزة الأولى.

بحذفها ونقل حركتها إلى الميم الساكنة قبلها.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		عُشْوَةٌ	١/ ٤٩
		عَشِيَّةٌ	١/ ٤٩
		عَشَاوةٌ	١/ ٤٩
٩	يخادعون الله	يَخْدَعُون	١/ ٥٤
		يُخْدَعون	١/ ٥٢
		يُخَدِّعون	١/ ٥٢
		يَخَدِّعون	١/ ٥٢
		يُخادَعون	١/ ٥٢
١٠	في قلوبهم مَرَضٌ	مَرْضٌ	١/ ٥٣
	بما كانوا يَكْذِبون	يُكَذِّبون	١/ ٥٤
١١	وإذا قيل	قيل[1]	١/ ٥٤
١٣	كما آمن السفهاء ألا	السفهاء ولا	١/ ٥٨
		السفها و ألا	١/ ٥٨
		السفها و ولا	١/ ٥٨
١٤	وإذا لَقُوا الذين	لاقوا	١/ ٥٩
	إنّا مَعَكم	مَعْكم	١/ ٥٩
	إنما نحن مستهزئون	مستهزيون	١/ ٥٩
		مستهزون	١/ ٥٩
١٥	ويمدّهم في طُغيانهم	طِغيانهم	١/ ٦٠
١٦	فما ربحت تجارتهم	تجاراتهم	١/ ٦١

(١) بالإشمام.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٧	مَثَلهم كمَثَل الذي	الذين	١/ ٦٢
١٨	صمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ	صمّاً بُكْماً عُمْياً	١/ ٦٥
١٩	أو كصيّبٍ	كصائبٍ	١/ ٦٦
	من الصواعق	الصواقع	١/ ٦٧
	حَذَرَ الموت	حَذارَ	١/ ٦٧
٢٠	يَخْطَفُ أبصارهم	يَتَخَطَّفُ	١/ ٦٨
		يَخْطِفُ	١/ ٦٨
		يَخَطِّفُ	١/ ٦٨
		يُخَطِّفُ	١/ ٦٨
		يَخَطِّفُ	١/ ٦٨
	وإذا أَظْلَمَ عليهم	أُظْلِمَ	١/ ٦٨
	لذهب بسمعهم	بأسماعهم	١/ ٦٩
٢١	والذين مِن قبلكم	مَن	١/ ٧٠
٢٢	فأخرج به من الثمرات	من الثّمرة	١/ ٧٣
٢٣	مما نزّلنا على عبدنا	أنزلنا	١/ ٧٥
		عبادنا	١/ ٧٦
٢٤	وَقودُها الناس	وُقودها	١/ ٧٩
		وَقيدها	١/ ٧٩
٢٥	وبَشِّرِ الذين	وبُشِّرَ	١/ ٨٢
	وأُتُوا به متشابهاً	وأَتَوْا	١/ ٨٦
	أزواجٌ مطهّرةٌ	مُطَهَّراتٌ	١/ ٨٧
		مُطَّهِّرَةٌ	١/ ٨٨

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٦	مثلاً ما بعوضةً	بعوضةٌ	١/ ٨٩
	يُضِلُّ به كثيراً ويَهْدي به كثيراً	يُضَلُّ به كثيرٌ ويُهدَى به كثيرٌ/ وما يُضَلُّ به إلا الفاسقون	١/ ٩٠
	وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين	يَضِلُّ به كثيرٌ ويَهْدي به كثيرٌ/ وما يَضِلّ به إلا الفاسقون	١/ ٩٠
		يُضِلُّ به كثيراً ويَهْدي به كثيراً وما يَضِلُّ به إلا الفاسقون	١/ ٩٠
٢٨	ثم إليه تُرْجَعون	تَرْجِعون	١/ ٩٤
٣٠	إني جاعل في الأرض خليفةً	خليقةً	١/ ٩٦
	ويَسْفِكُ الدّماء	ويُسْفِكُ	١/ ٩٧
		ويُسَفِّكُ	١/ ٩٧
		ويَسْفِكَ	١/ ٩٧
٣١	وعَلَّمَ آدمَ	وعُلِّمَ آدمُ	١/ ٩٩
	ثم عَرَضَهم	فَعَرَّضَها	١/ ٩٩
		فَعَرَّضَهنّ	١/ ٩٩
	فقال أَنبِئوني	أَنْبُوني	١/ ١٠٠

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	هؤلاء إنْ	هولاء ان[1]	١/ ١٠٠
٣٣	أَنبِئْهم بأسمائهم	أَنبِئْهِمْ	١/ ١٠١
		أَنبِيْهِمْ	١/ ١٠١
٣٤	للملائكةِ اسجدوا	للملائكةُ اسجدوا	١/ ١٠٢
٣٥	وكلا منها رَغَداً	رَغْداً	١/ ١٠٤
	ولا تقربا هذِهِ الشَّجَرة	تِقْربا هذي	١/ ١٠٥
		الشِّيَرَةَ	١/ ١٠٥
٣٦	فأزلّهما الشيطان	فأزالهما	١/ ١٠٦
	وقلنا اهبِطُوا	اهْبُطوا	١/ ١٠٦
٣٧	فتلقّى آدمُ من ربّه		
	كلماتٍ	آدمَ من ربّه كلماتٌ	١/ ١٠٧
٣٨	فمن تَبِعَ هُدايَ	هُدَايْ	١/ ١١٠
		هُدَيَّ	١/ ١١٠
	فلا خوفٌ عليهم	فلا خوفَ[2]	١/ ١١٠
		فلا خوفُ	١/ ١١٠
٤٠	أُوْفِ بعهدكم	أُوَفِّ	١/ ١١٢

---

(١) بتليين الأولى وتحقيق الثانية.
بتحقيق الأولى وإبدال الثانية ياءً.
بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية.

(٢) بالفتح في جميع القرآن.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	وإياي فارهبون	فارهبوني	١/ ١١٣
٤٢	وتكتموا الحقّ	وتكتمون	١/ ١١٥
٤٨	لا تَجْزِي نَفْسٌ	لا يُجْزِىءُ	١/ ١١٩
	ولا يُقبَلُ منها شفاعةٌ	تُقْبَلُ	١/ ١٢٠
		يَقْبَلُ منها شفاعةً	١/ ١٢٠
٤٩	وإذ نجّيناكم من آل		
	فرعون	أنجيناكم	١/ ١٢١
		نجّيتُكم	١/ ١٢١
	يُذَبِّحون أبناءكم	يَذْبَحُون	١/ ١٢٢
٥٠	وإذ فَرَقْنا بكم البحر	فرَّقْنا	١/ ١٢٣
٥١	وإذا واعدنا موسى		
	أربعين	وَعَدْنا	١/ ١٢٤
		أَرْبِعين	١/ ١٢٤
	ثم اتّخذتم العجل	اتَّخَتُّم	١/ ١٢٤
٥٤	فتوبوا إلى بارِئِكُمْ	بارِئْكُمْ	١/ ١٢٤
		بارِئكم(١)	١/ ١٢٤
		بارِيكُمْ	١/ ١٢٦
٥٥	حتى نرى الله جهرةً	جَهَرَةً	١/ ١٢٨
٥٨	وقولوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لكم		
	خطاياكم	حِطّةً	١/ ١٢٩

---

(١) باختلاس الهمزة.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		يُغْفَرْ	١/ ١٣٠
		تُغْفَرْ	١/ ١٣٠
		يَغْفِرْ	١/ ١٣٠
		تَغْفِرْ	١/ ١٣٠
		نَغْفِلَّكم[١]	١/ ١٣٠
		خطيئتكم	١/ ١٣٠
		خطايَأُكم	١/ ١٣٠
		خطَأْياكم	١/ ١٣٠
٥٩	رِجْزاً من السماء	رُجْزاً	١/ ١٣١
	كانوا يَفْسُقون	يَفْسِقون	١/ ١٣١
٦٠	اثنتا عَشْرَةَ عيناً	اثنتا عَشَرَةَ	١/ ١٣٣
		اثنتا عَشِرَةَ	١/ ١٣٣
٦١	من بقلها وقِثّائها		
	وفومها	وقُثّائها	١/ ١٣٤
		وثومها	١/ ١٣٤
	الذي هو أدنى	أدنأُ	١/ ١٣٥
	اهبطوا مصراً	مصرَ	١/ ١٣٥
	فإنّ لكم ما سَألْتم	سِألْتم	١/ ١٣٥
	ويَقْتلون النّبيين	وتَقْتُلون	١/ ١٣٦
		ويُقَتِّلون	١/ ١٣٦

(١) بإدغام الراء في اللام.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٦٢	والذين هادُوْا		
	والصابئين	هادَوْا	١/ ١٣٧
		والصابين	١/ ١٣٧
	ولا خوفٌ عليهم	ولا خوفَ	١/ ١٣٧
٦٣	خذوا ما آتيناكم	آتيتُكم	١/ ١٣٨
	واذكروا ما فيه	واذّكروا	١/ ١٣٨
٦٧	إن الله يأمُرُكم	يأمرُكم[1]	١/ ١٤٠
		يأمرْكم	١/ ١٤٠
	أتتَّخِذُنا هزواً	أيتّخذنا	١/ ١٤٠
٧٠	إن البقر تشابَهَ علينا	تشابَهُ	١/ ١٤٣
		تَشّابَهُ	١/ ١٤٣
		تشبَّهُ	١/ ١٤٣
		تشبَّهَ	١/ ١٤٣
		يَتَشابَهُ	١/ ١٤٣
		تشابهت	١/ ١٤٣
		شابهت	١/ ١٤٣
		مشتبهة	١/ ١٤٣
		متشابهة	١/ ١٤٣
٧١	إنها بقرة لا ذلولٌ	لا ذلولَ	١/ ١٤٤

(١) باختلاس ضمّة الراء.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	قالوا الآن	قالُ لأنَ(١)	١/ ١٤٤
		قالُوا لأنَ	١/ ١٤٥
٧٢	فادّارأتم فيها	تدارأتم	١/ ١٤٦
٧٤	أو أشدُّ قسوة	أشدَّ	١/ ١٤٧
		قساوة(٢)	١/ ١٤٧
	وإنّ من الحجارة لَمَا	وإنْ من الحجارة لَمَا	١/ ١٤٨
	يتفجّر	وإنْ من الحجارة لمّا	١/ ١٤٨
	وإنَّ منها لَمَا يشّقّق	وإنّ منها لمّا	١/ ١٤٩
	وإنّ منها لَمَا يهبط	وإنّ منها لمّا	١/ ١٤٩
	لما يتفجّر منه الأنهار	ينفجر منها الأنهار	١/ ٤٩
	لَمَا يشّقّق	يتشقّق	١/ ١٤٩
		ينشقق	١/ ١٤٩
	لَمَا يهبِطُ	يهبُط	١/ ١٤٩
	بغافلٍ عما تعملون	يعملون	١/ ١٥٠
٧٧	أولا يعلمون	تعلمون	١/ ١٥٢
٧٨	إلا أمانيَّ	أمانِيَ	١/ ١٥٣
٨٠	قلْ أتّخذتم عند الله	قلَ اتّخذتم	١/ ١٥٤
٨١	وأحاطت به خطيئته	خطيئاته	١/ ١٥٥

(١) بنقل حركة الهمزة للاّم وحذفها مع حذف واو: قالوا.

(٢) في العبارات الثلاث.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		خطاياه	١/ ١٥٥
٨٣	لا تعبدون إلا الله	لا يعبدون	١/ ١٥٦
		لا تعبدوا	١/ ١٥٦
	وقولوا للناس حُسْناً	حُسُناً	١/ ١٥٦
		حَسَناً	١/ ١٥٦
		حُسْنى	١/ ١٥٦
		إحساناً	١/ ١٥٦
	إلا قليلاً منكم	إلا قليلٌ	١/ ١٥٧
٨٤	لا تَسْفِكون دماءكم	لا تَسْفُكون	١/ ١٥٨
		لا تُسَفِّكون	١/ ١٥٨
٨٥	تَقْتُلون أنفسكم	تقتّلون	١/ ١٥٩
	تَظَاهَرون عليهم	تظّاهرون	١/ ١٥٩
		تتظاهرون	١/ ١٥٩
		تظّهّرون	١/ ١٥٩
		تُظاهرون	١/ ١٥٩
	وإن يأتوكم أُسارى		
	تفادوهم	أسرى	١/ ١٦٠
		تفدوهم	١/ ١٦٠
	ويوم القيامة يُرَدُّون	تُرَدُّون	١/ ١٦١
	بغافلٍ عما تعملون	يعملون	١/ ١٦١
٨٧	من بعده بالرُّسُل	بالرُّسْل	١/ ١٦٢
	وأيّدناه بروح القُدُس	وآيدناه	١/ ١٦٢

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		القُدْس	١/ ١٦٢
		القُدوس	١/ ١٦٢
٨٨	قلوبنا غُلْفٌ	غُلُف	١/ ١٦٤
٨٩	مصدقٌ لما معهم	مصدّقاً	١/ ١٦٤
٩٠	أن يُنَزِّل الله	يُنْزِل	١/ ١٦٦
		نُنَزِّل	١/ ١٦٦
٩٤	فتمنَّوُا الموت	فتَمنَّوَا الموت	١/ ١٦٩
		فتَمَنَّوِا الموت	١/ ١٧٠
٩٦	أحرص الناس على		
	حياة	على الحياة	١/ ١٧١
	بصير بما يعملون	تعملون	١/ ١٧٢
٩٨	وجِبْرِيل وميكال	جَبْريل	١/ ١٧٤
		جَبْرَئِل	١/ ١٧٤
		جَبْرَئيل	١/ ١٧٤
		جَبَرَئيل	١/ ١٧٤
		جَبْرائِل	١/ ١٧٤
		جَبْرال	١/ ١٧٤
		جِبْرين	١/ ١٧٤
		جَبْرين	١/ ١٧٤
		جَبْرائين	١/ ١٧٤
		وميكائيل	١/ ١٧٤
		وميكاييل	١/ ١٧٤

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		وميكايِل	١/ ١٧٤
		وميكئيل	١/ ١٧٤
١٠٠	أوَكلما عاهدوا	أوْكلما	١/ ١٧٩
١٠١	مصدّقٌ لما معهم	مصدّقاً	١/ ١٧٦
١٠٢	ما تتلو الشياطين	الشياطون	١/ ١٧٧
	ولكنّ الشياطين كفروا	ولكنِ الشياطينُ	١/ ١٧٧
	وما أُنزل على المَلَكَيْن	المَلِكَيْن	١/ ١٧٨
	وما يُعَلِّمان من أحد	وما يُعْلِمان	١/ ١٧٨
	يفرّقون به بين المرء		
	وزوجه	المُرء[1]	١/ ١٧٩
		المَرِ	١/ ١٧٩
		المرِّ	١/ ١٧٩
	وما هم بضارّين	بضارّي	١/ ١٧٩
١٠٤	لا تقولوا راعِنَا	راعناً	١/ ١٨١
	وقولوا انْظُرْنا	أَنْظِرْنا	١/ ١٨٢
١٠٦	ما نَنْسَخْ من آية	نُنْسِخ	١/ ١٨٣
	أو نُنْسِها	نَنْسَأها	١/ ١٨٤
١٠٨	كما سُئِلَ موسى	سُئل[2]	١/ ١٨٤
		سُيِلَ	١/ ١٨٥

(١) مثلث الميم بالهمز.

(٢) بإشمام السين.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		سُيِل[١]	١/ ١٨٥
		سِيْلَ	١/ ١٨٥
١١٧	بديعُ السماوات	بديعَ	١/ ١٩٢
	كن فيكونُ	فيكونَ	١/ ١٩٣
١١٨	تشابَهَت قلوبهم	تشّابهت	١/ ١٩٣
١١٩	ولا تُسأل عن أصحاب	تَسْأل	١/ ١٩٤
١٢٤	وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ	إبراهيمُ ربَّه	١/ ١٩٦
	ومن ذُرّيتي	ذِرّيتي	١/ ١٩٧
١٢٥	واتَّخِذوا من مقام إبراهيم	واتَّخَذوا	١/ ١٩٨
١٢٦	فأُمتِّعُه قليلاً ثم أَضْطَرُّه	فأُمْتِعُه	١/ ٢٠٠
		إِضْطَرُّهُ	١/ ٢٠٠
		أُطُّرُّه (بالإدغام والضم)	١/ ٢٠٠
		فنمتّعه قليلا ثم نضطرّه	١/ ٢٠٠
		فَأَمْتِعْهُ قليلاً ثم اضطَرَّه/ (بالأمر فيهما)	١/ ٢٠١
		أَضْطُرُّهُ	١/ ٢٠١
١٢٨	وأرنا مناسكنا	وأرِنا (باختلاس حركة الراء)	١/ ٢٠٢
		وأَرْنا	١/ ٢٠٢

(١) بتسهيل الهمزة بين بين.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٣٢	ووصّى بها إبراهيمُ بنيه		
	ويعقوبُ	وأوصى	١/ ٢٠٥
		ويعقوبَ	١/ ٢٠٦
١٣٥	قل بل ملّة إبراهيم	بل ملّةُ	١/ ٢١٠
١٣٩	قل أتحاجّوننا في الله	أتحاجّونّا	١/ ٢١٢
١٤٠	أم تقولون إنّ إبراهيم	يقولون	١/ ٢١٢
١٤٣	إلا لِنَعْلَم من يتبع	لِيُعْلَم	١/ ٢١٥
	ينقلب على عَقِبَيْه	عَقْبَيْه	١/ ٢١٥
	وإن كانت لكبيرةً	لكبيرةٌ	١/ ٢١٦
	ليُضيعَ أعمالكم	ليُضَيِّعَ	١/ ٢١٦
	لرؤوفٌ رحيم	لَرَؤُوفٌ	١/ ٢١٦
		لَرَوُوفٌ	١/ ٢١٦
١٤٤	بغافل عما يعملون	تعملون	١/ ٢١٨
١٤٧	الحقُّ من ربّك	الحقَّ	١/ ٢٢٠
١٤٨	ولكلٍّ وِجْهَةٌ هو		
	مولِّيها	ولكلِّ وجهةٍ	١/ ٢٢٠
		مُوَلّاهَا	١/ ٢٢٠
١٥٠	إلّا الذين ظَلَموا	إلّا على الذين ظَلَموا	١/ ٢٢٢
		ألَا الذين ظَلَموا	١/ ٢٢٢
١٥٨	أن يطّوّف بهما	أن لا يَطُوفَ	١/ ٢٢٦
	ومن تطوّع خيراً	يَطَّوَّعْ	١/ ٢٢٧
		يَتَطَوَّعْ	١/ ٢٢٧

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		بخيرٍ	١/ ٢٢٧
١٥٩	بيّنّاه للناس	بيَّنَه	١/ ٢٢٨
١٦١	عليهم لعنةُ اللهِ		
	والملائكةِ والناسِ		
	أجمعين	والملائكةُ والناسُ	
		أجمعون	١/ ٢٢٩
١٦٣	وتصريف الرياحِ	الريح	١/ ٢٣٢
١٦٥	يُحِبُّونهم كحبّ الله	يَحِبُّونَهم	١/ ٢٣٤
	ولو يرى الذين	ترى	١/ ٢٣٤
	إذ يَرَوْن العذاب	يُرَوْن	١/ ٢٣٤
	أنَّ القوة لله	إنّ	١/ ٢٣٤
١٦٦	إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من		
	الذين اتَّبعوا	اتَّبَعوا من الذين اتُّبعوا	١/ ٢٣٤
١٦٨	ولا تَتبعوا خُطُوات		
	الشيطان	خُطْوات	١/ ٢٣٦
		خُطَوات	١/ ٢٣٦
		خَطَوات	
		خُطُؤات	١/ ٢٣٦
١٧٣	إنما حَرَّم عليكم		
	المَيْتَةَ	حُرِّمَ	١/ ٢٣٩
		حَرُمَ	١/ ٢٣٩
		المَيِّتَةَ	١/ ٢٣٩

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	فَمَنِ اضْطُرَّ غير باغٍ	فَمَنُ اضطر	١/ ٢٤٢
		اضْطِرَّ	١/ ٢٤٢
		اطُّرَّ	١/ ٢٤٢
١٧٧	ليس البرَّ أن تُوَلُّوا	ليس البرُّ	١/ ٢٤٤
	ولكنّ البِرَّ	ولكنِ البِرُّ	١/ ٢٤٤
	والموفون بعهدهم	والموفين	١/ ٢٤٥
	والصابرين في البأساء	والصابرون	١/ ٢٤٥
١٨٤	فعِدَّةٌ من أيام	فعِدَّةَ	١/ ٢٥٥
	وعلى الذين يطيقونه	يَطُوقونه	١/ ٢٥٦
		يُطَوَّقونه	١/ ٢٥٦
		يُطَوَّقُونه	١/ ٢٥٦
		يُطَيَّقُونه	١/ ٢٥٦
	طعام مسكين	مساكين	١/ ٢٥٦
	ومن تطوّع خيراً	يَطَّوَّعْ	١/ ٢٥٧
١٨٥	شهرُ رَمضان	شهْرَ	١/ ٢٥٨
		شهرْ رَمضان (بإدغام الرائين)	١/ ٢٥٨
	الذي أنزل فيه القرآنُ	القُرَانُ	١/ ٢٥٨
	فمن شهد منكم الشهر فَلْيَصُمْه	فَلِيَصُمْه	١/ ٢٦٠
		فَلَيَصُمْه	١/ ٢٦٠

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	يريد الله بكم اليُسْر ولا		
	يريد بكم العُسْر	اليُسُر ولا يريد بكم	
		العُسُر	١/ ٢٦٠
	وَلِتُكْمِلوا العِدَّةَ	ولِتُكَمِّلوا	١/ ٢٦٠
١٨٦	لعلهم يَرْشُدون	يَرْشَدون	١/ ٢٦١
		يَرْشِدون	١/ ٢٦١
		يُرْشَدون	١/ ٢٦١
١٨٧	أُحِلَّ لكم ليلة الصيام	أَحَلَّ	١/ ٢٦٢
	وأنتم عاكفون في		
	المساجد	في المسجد	١/ ٢٦٤
١٨٩	مواقيت للناس		
	والحَجِّ	والحِجِّ	١/ ٦٦٢
	بأن تأتوا البُيوت...		
	وأتوا البُيوت	البِيوت[1]	١/ ٢٦٧
١٩١	ولا تقاتلوهم عند		
	المسجد	تقتلوهم	١/ ٢٦٨
	حتى يقاتلوكم فيه	يقتلوكم	١/ ٢٦٨
	فإن قاتلوكم	قتلوكم	١/ ٢٦٨
١٩٤	والحُرُمات قصاص	والحُرْمات	١/ ٢٧٠
١٩٦	وأتمّوا الحج والعمرةَ	والعمرةُ	١/ ٢٧٢

(١) بكسر باء البيوت كيفما وقع.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	فما استيسر من		
	الهَدْي	الهَدِيّ	١/ ٢٧٣
	ففديةٌ من صيام	ففديةً	١/ ٢٧٤
١٩٧	فلا رفثَ ولا فسوقَ		
	ولا جدالَ	فلا رفثٌ ولا فسوقٌ	
		ولا جدالٌ	١/ ٢٧٩
		فلا رفثٌ ولا فسوقٌ	
		ولا جدالَ	١/ ٢٧٩
١٩٩	أفاض الناسُ	الناسي	١/ ٢٨٣
		الناس	١/ ٢٨٤
٢٠٠	فإذا قضيتم مناسِكَكُم	مناسِكُّم	١/ ٢٨٥
٢٠٤	ويُشْهِد اللهَ على ما في		
	قلبه	ويَشْهَدُ اللهُ	١/ ٢٨٩
٢٠٥	ليُفْسِدَ فيها ويُهْلِكَ		
	الحرثَ والنّسلَ	ويُهْلِكُ	١/ ٢٩٠
		ويَهْلِكُ الحرثُ والنَّسلُ	١/ ٢٩٠
		ويَهْلَكُ الحرثُ والنَّسلُ	١/ ٢٩٠
٢٠٨	ادخلوا في السِّلم	في السَّلم	١/ ٢٩٣
٢٠٩	فإن زَلَلْتم	زَلِلْتُم	١/ ٢٩٦
٢١٠	في ظُلَلٍ من الغمام	ظلالٍ	١/ ٢٩٧
	مِن الغمام والملائكةُ	والملائكةِ	١/ ٢٩٧
	وقُضي الأمرُ	وقضاءُ	١/ ٢٩٧

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		وقضاءِ	١/ ٢٩٧
		وقُضي الأمور	١/ ٢٩٧
	وإلى الله تُرجَع الأمور	يَرْجِعُ	١/ ٢٩٧
		يُرْجَع	١/ ٢٩٧
٢١١	سل بني إسرائيل	اسأَلْ	١/ ٢٩٨
		اِسَلْ	١/ ٢٩٨
٢١٢	زُيّنَ للذين كفروا	زُيّنَتْ	١/ ٣٠٠
		زَيَّنَ	١/ ٣٠٠
٢١٣	أمةً واحدةً فبعث	واحدةً فاختلفوا فبعث	١/ ٣٠١
	ليَحْكم بين الناس	لنَحْكم	١/ ٣٠١
		ليُحْكَم	١/ ٣٠١
٢١٤	حتى يقولَ الرسول	يقولُ	١/ ٣٠٣
٢١٦	كُتب عليكم القتالُ	كَتَبَ عليكم القتالَ	١/ ٣٠٤
٢١٧	عن الشهر الحرام		
	قتالٍ فيه	قتالٌ	١/ ٣٠٦
٢١٩	فيهما إثم كبيرٌ	كثيرٌ	١/ ٣١١
	قل العفوَ	العفوُ	١/ ٣١١
٢٢٠	وإن تخالطوهم		
	فإخوانُكم	فإخوانكم	١/ ٣١٢
	ولو شاء الله لأعنتكم	لاعنتكم[١]	١/ ٣١٣

(١) بتخفيف الهمزة وتليينها وطرحها.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٢١	ولا تَنكحوا المشركات	تُنكحوا	١/ ٣١٤
	يدعو إلى الجنة		
	والمغفرة بإذنه	والمغفرةُ	١/ ٣١٥
٢٢٢	ولا تقربوهنَّ حتى		
	يطْهُرنَ	يَطَّهَّرْنَ	١/ ٣١٦
٢٢٨	ثلاثة قُروءٍ	قُرُوٍ	١/ ٣٢٣
		قُرُوٍّ	١/ ٣٢٣
		قَرْوٍ	١/ ٣٢٣
	في أرحامِهِنَّ. . .		
	بردِّهِنَّ	أرحامهُنَّ. . . بردِّهُنَّ	١/ ٣٢٣
	وبعولتُهنّ أحقّ	وبعولَتَهن	١/ ٣٢٣
٢٢٩	إلا أن يَخافا	أن يُخافا	١/ ٣٢٩
		أن يخافوا	١/ ٣٣٠
٢٣٣	أن يُتِمَّ الرَّضاعة	يُتمُّ	١/ ٣٣٧
		الرِّضاعة	١/ ٣٣٧
	وكِسْوتهنّ بالمعروف	وكُسْوتهن	١/ ٣٣٨
	لا تُكلَّف نفس	لا تَكَلَّفُ	١/ ٣٣٨
		لا نُكَلِّفُ نفساً	١/ ٣٣٨
	لا تضارَّ والدةٌ	تُضارُّ	١/ ٣٣٨
		تُضارِّ	١/ ٣٣٨
		تضارْ	١/ ٣٣٨
		تُضارْ	١/ ٣٣٨

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		تضارِرْ	١/ ٣٣٨
		تضارَرْ	١/ ٣٣٨
	ما آتيتُم بالمعروف	أَتَيْتُم	١/ ٣٣٩
		أُوتيتمُ	١/ ٣٤٠
٢٣٤	والذين يُتَوَفَّون	يَتَوَفَّون	١/ ٣٤٠
٢٣٦	ما لم تَمَسُّوهنّ	تَماسُّوهنّ	١/ ٣٤٨
	على المُوْسِعِ	الموسَّع	١/ ٣٤٨
	قَدَرُه وعلى المقتر		
	قَدَرُه	قَدْرُه وعلى المقتر	
		قَدْرُه	١/ ٣٤٨
		قَدْرَه وعلى المقتر	
		قَدْرَه	١/ ٣٤٨
٢٣٧	فنِصْفُ ما فرضتمُ	فَنِصْفَ	١/ ٣٤٩
		فنُصْفُ	١/ ٣٥٠
	إلا أن يعفون	تعفون	١/ ٣٥٠
	أو يعفوَ الذي	يعفوْ	١/ ٣٥٠
	وأن تعفوا أقرب	يعفو	١/ ٣٥٢
	ولا تَنسَوُا الفضل	تَنسَوِا الفضل	١/ ٣٥٢
		تَناسَوا	١/ ٣٥٢
٢٣٨	والصلاةِ الوسطى	والصلاةَ	١/ ٣٥٤
		الوصطى	١/ ٣٥٤
٢٣٩	فرِجَالاً أو ركبانا	فَرُجَّالاً	١/ ٣٥٤

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		فَرُجالاً	١/ ٣٥٤
٢٤٠	وصيّةً لأزواجهم	وصيّةٌ	١/ ٣٥٥
٢٤٣	ألم تَرَ إلى الذين	تَرْ	١/ ٣٥٦
٢٤٥	فيضاعِفَه له	فيُضَعِّفَه	١/ ٣٥٧
		فيضاعِفُه	١/ ٣٥٧
٢٤٦	ابعث لنا ملكاً نُقاتِلْ	يقاتلُ	١/ ٣٦٠
		نقاتلُ	١/ ٣٦٠
		يقاتِلْ	١/ ٣٦٠
	قال هل عَسَيْتم	عَسِيْتم	١/ ٣٦٠
	وقد أُخْرِجْنا من ديارنا	أَخْرَجَنا	١/ ٣٦٠
٢٤٧	وزاده بسطةً	بصطةً	١/ ٣٦٢
٢٤٨	أن يأتيكم التابوت	التّابوه	١/ ٣٦٢
٢٤٩	مبتليكم بنَهَر	بنَهْرٍ	١/ ٣٦٣
	اغترف غُرْفَةً	غَرْفَةً	١/ ٣٦٤
	فشربوا منه إلا قليلاً		
	منهم	قليلٌ	١/ ٣٦٤
	كم من فئةٍ قليلةٍ	فِيَةٍ	١/ ٣٦٦
٢٥١	ولولا دَفْعُ الله الناس	دفاعُ	١/ ٣٦٧
٢٥٣	منهم من كلّم اللهُ	اللهَ	١/ ٣٦٩
		كالَم اللهُ	١/ ٣٦٩
		كالَم اللهَ	١/ ٣٦٩
٢٥٤	يومٌ لا بيعٌ فيه ولا		

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	خُلَّةٌ ولا شفاعةٌ	لا بيعَ فيه ولا خُلَّةَ ولا شفاعةَ	١/ ٣٧٠
٢٥٥	لا إله إلا هو الحيُّ القيّومُ	القيّام	١/ ٣٧٠
		القيِّم	١/ ٣٧٠
		الحيَّ القيّومَ	١/ ٣٧١
	وَسِعَ كرسيُّه السماواتِ والأرضَ	وَسْعَ	١/ ٣٧١
		السماواتُ والأرضُ	١/ ٣٧٢
٢٥٦	قد تبيّن الرُّشْدُ من الغَيّ	قَدْ تَبيّن[1]	١/ ٣٧٣
		قدْ تَّبيّن[2]	١/ ٣٧٣
		الرُّشُد	١/ ٣٧٣
		الرَّشَد	١/ ٣٧٣
		الرشاد	١/ ٣٧٣
٢٥٧	أولياؤهم الطاغوت	الطواغيت	١/ ٣٧٤
٢٥٨	فَبُهت الذي كفر	فبَهَت	١/ ٣٧٦
		فَبَهُت	١/ ٣٧٦
		فَبَهِت	١/ ٣٧٦

(١) بإظهار الدال شاذاً.

(٢) بالإدغام.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٥٩	أوْ كالذي مرّ	أوَ كالذي	١/ ٣٧٧
	بل لبثتَ مئةَ عام	لَبِتَّ[١]	١/ ٣٧٨
	كيف نُنْشِزُها	نَنْشُرها	١/ ٣٧٩
		نُنْشِرُها	١/ ٣٧٩
	فلما تبيّن له	تُبُيِّنَ	١/ ٣٧٩
	قال أَعْلَمُ أنّ الله	اِعْلَمْ	١/ ٣٨٠
		أَعْلِمْ	١/ ٣٨٠
٢٦٠	فصُرْهُنَّ إليك	فصِرْهُنَّ	١/ ٣٨٢
		فَصُرَّهُنَّ	١/ ٣٨٢
	على كل جبل منهن		
	جزءاً	جُزُءاً	١/ ٣٨٢
		جُزّاً	١/ ٣٨٢
٢٦١	في كل سنبلةٍ مئةُ حبةٍ	مئةَ	١/ ٣٨٥
	كَمَثل صَفْوانٍ	صَفَوان	١/ ٣٨٦
٢٦٥	كمثل جنةٍ بِرَبْوةٍ	حبّةٍ	١/ ٣٨٧
		بِرُبْوَةٍ	١/ ٣٨٧
		بِرَباوةٍ	١/ ٣٨٧
		بِرِباوةٍ	١/ ٣٨٧
	فآتت أُكُلها	أُكْلها	١/ ٣٨٨
	والله بما تعملون بصير	يعملون	١/ ٣٨٨

(١) بالإدغام.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٦٦	أن تكون له جنّةٌ	جنّاتٌ	١/ ٣٨٩
٢٦٧	ولا تَيَمَّموا الخبيث	تّيمّموا	١/ ٣٩١
	إلا أن تُغْمِضُوا فيه	تُغَمِّضوا	١/ ٣٩١
		تَغَمَّضوا	١/ ٣٩١
		تَغْمِضوا	١/ ٣٩١
		تَغْمُضوا	١/ ٣٩١
		تُغْمَضوا	١/ ٣٩١
٢٦٨	يعدكم الفَقْرَ	الفَقَرَ	١/ ٣٩٢
		الفُقْرَ	١/ ٣٩٢
٢٦٩	يؤتي الحكمة من يشاء	تؤتي الحكمة من تشاء	١/ ٣٩٢
	ومن يُؤْتَ الحكمة	يُؤْتِ	١/ ٣٩٢
		يُؤْتِهِ	١/ ٣٩٢
٢٧١	فنِعِمّا هي	فنَعْما	١/ ٣٩٤
		فنِعْما	١/ ٣٩٤
	ويكفِّرُ عنكم	يُكَفِّرْ	١/ ٣٩٤
		وتُكَفِّرُ	١/ ٣٩٤
		وَنُكَفِّرُ	١/ ٣٩٤
		ويُكَفَّرُ	١/ ٣٩٤
		ويُكَفِّرْ	١/ ٣٩٤
		ويُكفِّرَ	١/ ٣٩٤
		نُكَفِّرْ	١/ ٣٩٤

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٧٣	يحسَبُهم الجاهل أغنياء	يحسِبُهم	١/ ٣٩٧
٢٧٥	الذين يأكلون الرّبا	الرِّبْوَ	١/ ٤٠١
٢٧٥	فمن جاءه موعظةٌ	جاءته	١/ ٤٠٣
٢٧٦	يَمْحَقُ الله الرّبا	يُمَحِّقُ	١/ ٤٠٣
	ويُرْبي الصدقات	ويربّي	١/ ٤٠٣
٢٧٨	وذروا ما بَقِيَ من الربّا	بَقِيْ	١/ ٤٠٤
		بَقَا	١/ ٤٠٤
		الرِّبُوْ	١/ ٤٠٤
٢٧٩	فَأْذَنوا بحربٍ	فآذِنوا	١/ ٤٠٤
	لا تَظْلِمون ولا تظلَمون	لا تُظْلَمون ولا تَظْلمون	١/ ٤٠٤
٢٨٠	وإن كان ذو عُسْرةٍ	ذا	١/ ٤٠٥
	فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ	فَنَظْرَةٌ	١/ ٤٠٥
		فناظِرَةٌ	١/ ٤٠٥
		فناظِروه	١/ ٤٠٥
		مَيْسُرةٍ	١/ ٤٠٥
		ميسورِهِ	١/ ٤٠٥
		مَيْسَرِهِ	١/ ٤٠٥
		مَيْسُرِهِ	١/ ٤٠٥

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	وأن تَصَدَّقوا	تتصدّقوا	١/ ٤٠٥
		تصّدّقوا	١/ ٤٠٥
٢٨١	تُرْجَعُون فيه إلى الله	تَرْجعون	١/ ٤٠٥
		يَرْجعون	١/ ٤٠٥
٢٨٢	وَلْيَكْتب بينكم	وَلِيَكْتب	١/ ٤٠٧
	فرجلٌ وامرَأتان	وامرأْتان	١/ ٤٠٨
	أنْ تَضِلَّ إحداهما	إنْ	١/ ٤٠٨
		تُضَلَّ	١/ ٤٠٨
		تُضِلَّ	١/ ٤٠٨
	فَتُذَكِّرَ إحداهما الأخرى	فَتُذْكِرَ	١/ ٤٠٨
		فَتُذَكِّرُ	١/ ٤٠٨
		فتُذاكِرَ	١/ ٤٠٨
	تكون تجارةً حاضرةً	حاضرةٌ	١/ ٤١١
	ولا يُضَارَّ كاتب	يُضارِرْ	١/ ٤١٢
٢٨٣	فرهان مقبوضة	فَرُهُنٌ	١/ ٤١٢
		فَرُهْنٌ	١/ ٤١٢
	فليؤدّ الذي اؤْتُمِنَ أمانته	ايتُمِنَ	١/ ٤١٣
		الذِتُّمِنَ[١]	١/ ٤١٣

(١) بإدغام الياء بالتاء.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	فإنه آثمٌ قَلْبُه	آثمٌ قَلْبَه	١/ ٤١٤
		آثِمَ قَلْبَه	١/ ٤١٤
٢٨٤	فيغفرُ لمن يشاء	فيغفِرْ	١/ ٤١٦
		فيغفرَ	١/ ٤١٦
			٣/ ٣٥٣
			٥/ ١١٧
		يغفرْ	١/ ٤١٦
	ويعذبُ من يشاء	ويعذبْ من	١/ ٤١٧
٢٨٥	وكتبه ورسله	وكتابه	١/ ٤٢٠
	لا نفرّق بين أحد	يفرّق	٢/ ٤٢٠
٢٨٦	إلا وُسْعَها	وَسِعَها	١/ ٤٢١

(٣) آل عمران

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١، ٢	ألمْ، الله	ألمَ ألله	١/ ٤٢٧
		ألمِ ألله	١/ ٤٢٧
٢	لا إله إلا هو الحيّ		
	القيوم	القيّام	١/ ٤٣١
		القيِّم	١/ ٤٣١
٨	لا تُزِغْ قُلوبَنا	تَزِغْ قلوبُنا	١/ ٤٣٦
		يَزِغْ قلوبُنا	١/ ٤٣٦
١٠	لن تُغْنِيَ عنهم	تُغنيْ	١/ ٤٣٨
		يُغنيَ	١/ ٤٣٨

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	وأولئك هم وقود النار	وُقود	١/ ٤٣٨
١٢	ستُغلَبون وتُحشَرون	سيُغلبون ويُحشرون	١/ ٤٣٩
١٣	فئةٌ تقاتل في سبيل الله	فئةٍ	١/ ٤٣٩
		فئةً	١/ ٤٣٩
		يُقاتِل	١/ ٤٤٠
	يَرَوْنَهم مثلَيْهم	تَرَوْنَهم	١/ ٤٤٠
		يُرَوْنهم، تُرَوْنهم	١/ ٤٤٠
١٤	زُيِّن للناس	زَيَّن	١/ ٤٤١
١٥	للذين اتّقوا عند ربّهم		
	جنّاتٌ	جناتٍ	١/ ٤٤١
١٨	شَهِدَ الله أنّه لا إله		
	إلا هو	شُهِدَ الله	١/ ٤٤٤
		شُهداءَ اللهِ	١/ ٤٤٥
		شهداءُ اللهِ	١/ ٤٤٥
		شُهُداً اللهَ	١/ ٤٤٥
		شُهُدُ اللهِ	١/ ٤٤٥
		شُهُدَ اللهِ	١/ ٤٤٥
		شُهُدٌ للهِ	١/ ٤٤٥
		شُهُداً للهِ	١/ ٤٤٥
		إنّه لا إله	١/ ٤٤٥
		أنْ لا إله	١/ ٤٤٥
	قائماً بالقسط	القائم بالقسط	١/ ٤٤٨

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٩	إنّ الدين عند الله	أنّ الدين	١/ ٤٥٠
٢٢	حَبِطت أعمالهم	حَبَطت	١/ ٤٥٦
٢٣	لِيَحْكُم بينهم	لِيُحْكَم	١/ ٤٥٧
٢٨	لا يَتّخذِ المؤمنون	لا يَتّخذُ	١/ ٤٦١
	تتّقوا منهم تقاةً	تُقْيَةً	١/ ٤٦٢
٣٠	تودّ لو أنّ	ودّت	١/ ٤٦٥
٣١	إن كنتم تُحِبُّون الله		
	فاتّبعوني يحببكم الله	تَحِبُّون	١/ ٤٦٦
		يَحْبِبْكم	١/ ٤٦٦
		يَحِبّكُم	١/ ٤٦٧
		فاتَّبِعُونّي	١/ ٤٦٧
٣٤	ذُرّيةً بعضها	ذِرّيةً	١/ ٤٦٨
٣٦	والله أعلم بما وَضَعَتْ	وَضَعْتُ	١/ ٤٧٠
		وَضَعْتِ	١/ ٤٧١
٣٧	فتقبَّلها ربُّها بقبولٍ حسنٍ وأنْبَتَها نباتاً حسناً وكفَّلَها	وتقبَّلْها ربَّها..	
		وأنبِتْها.. وكفِّلْها	١/ ٤٧٢
	وكفَّلَها زكريا	وكَفِلها	١/ ٤٧٢
		زكريّاء	١/ ٤٧٢
٣٩	فنادته الملائكة	فناداه	١/ ٤٧٥
	أنّ الله يُبَشِّرُك	إنّ	١/ ٤٧٥

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		يَبْشُرُك	١/ ٤٧٥
		يُبْشِرُك	١/ ٤٧٥
	بِكَلِمَةٍ من الله	بكِلْمةٍ	١/ ٤٧٥
٤١	ثلاثة أيام إلا رَمْزاً	رُمُزاً	١/ ٤٧٧
		رَمَزاً	١/ ٤٧٧
	بالعشي والإبكار	والأبكار	١/ ٤٧٨
٤٨	ويعلّمه الكتاب	ونعلّمه	١/ ٤٨٤
٤٩	ورسولاً إلى بني	ورسولٍ	١/ ٤٨٥
	إني قد جئتكم	إنّي	١/ ٤٨٥
	كهيئة الطّير	كَهِيَّةِ	١/ ٤٨٦
	وما تدّخرون	تَذْدَخِرون	١/ ٤٨٧
٥٠	بعض الذي حُرِّم		
	عليكم	حَرَّم	١/ ٤٨٧
٥٧	فيوفّيهم أجورهم	فنوفّيهم	١/ ٤٩١
٦١	فقل تعالَوْا	تعالُوا	١/ ٤٩٤
٦٤	تعالوا إلى كلمةٍ		
	سواءٍ	سواءً	١/ ٤٩٦
٦٨	وهذا النبيُّ	النبيَّ	١/ ٤٩٨
		النبيِّ	١/ ٤٩٨
٧١	لم تلبسون الحق		
	بالباطل وتكتمون		
	الحق	لم تلبسوا ..	

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		وتكتموا	١/ ٥٠٢
٧٣	أن يؤتى	أن يؤتى[١]	١/ ٥٠٤
٧٥	من إن تأمَنْهُ	تِيمَنْهُ[٢]	١/ ٥٠٦
	يؤدّه إليك	يُوَدِّهِ	١/ ٥٠٦
		يُوَدِّهي	١/ ٥٠٦
		يؤدِّهِ[٣]	١/ ٥٠٦
		يُؤَدِّهْ	١/ ٥٠٦
٧٨	يَلْوُون ألسنتهم	يُلَوُّون	١/ ٥١٠
		يَلُون	١/ ٥١٠
	لتَحْسَبوه من الكتاب	ليحسبوه	١/ ٥١٠
٧٩	ثم يقولَ للناس	يقولُ	١/ ٥١٢
	بما كنتم تعلِّمون		
	الكتاب	تَعْلَمون	١/ ٥١٢
٨٠	ولا يأمُرَكم	يأمرُكم	١/ ٥١٢
٨١	لَمَا آتيتُكم من كتابٍ	لِمَا	١/ ٥١٥
		لمّا	١/ ٥١٦

---

(١) قرىء على الاستفهام.

(٢) في الموضعين.

(٣) باختلاس الحركة.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		آتيناكم	١/٥١٦
	على ذلكم إصري	أُصري	١/٥١٧
٨٣	أفغير دين الله يبغون	تبغون	١/٥١٧
٨٥	ومن يبتغِ غير الإسلام	يَبْتَغَّيْرَ	١/٥١٩
٩١	فلن يُقْبَل من أحدهم مِلْءُ	نَقْبَل.. مِلْءَ	١/٥٢٠
	ملْءُ الأرض	مِلُ	١/٥٢٠
		مِلَ	١/٥٢٠
٩٧	حِجُّ البيت	حَجُّ	١/٥٢٨
٩٩	لِمَ تَصُدُّون	تُصِدُّون	١/٥٢٩
١٠٦	فأما الذين اسودّت	اسوادّت	١/٥٤٠
١٠٧	وأما الذين ابيضّت	ابياضّت	١/٥٤٠
١٠٨	نتلوها عليك	يتلوها	١/٥٤٠
١١٥	وما يفعلوا من خير فلن يُكْفَروه	تفعلوا.. تُكْفَروه	١/٥٤٦

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٢٠	لا يَضُرُّكم كيدهم	يَضِرْكم	١/ ٥٥٣
		يَضُرْكم	١/ ٥٥٣
١٢٢	والله وليُّهما	وليُّهم	١/ ٥٥٥
١٢٤	بثلاثةِ آلافٍ	بثلاثهْ[1] آلاف	١/ ٥٥٧
١٢٥	بخمسةِ آلافٍ	بخمسهْ[2] آلاف	١/ ٥٥٧
	من الملائكة مسوِّمين	مسوَّمين	١/ ٥٥٩
١٢٧	أو يكبتَهم	يكبدَهم	١/ ٥٥٩
١٣٣	وسارِعوا إلى مغفرة	سارعوا	١/ ٥٦١
١٤٠	إن يمسَسْكم قَرْحٌ	تمسسكم	١/ ٥٦٣
		قُرْح	١/ ٥٦٣
		قَرَحٌ	١/ ٥٦٣
١٤٢	ولمّا يَعْلَمِ اللهُ	يَعْلَمُ	١/ ٥٦٤
	ويَعْلَمَ الصابرين	ويَعْلَم	١/ ٥٦٤
		ويَعْلَمُ	١/ ٥٦٤
١٤٣	كنتم تَمَنَّوْنَ الموت	تَّمَنَّوْنَ[3]	١/ ٥٦٥
١٤٤	قد خَلَتْ من قبله		
	الرُّسُل	رُسُلٌ	١/ ٥٦٦
١٤٥	نؤته منها.. نؤته		

(١) بالوقف على الهاء.

(٢) بالوقف على الهاء.

(٣) بتشديد التاء.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	منها	يؤته.. يؤته	١/ ٥٦٧
١٤٦	وكأيّن من نبيّ	كأيْ[1]	١/ ٥٦٧
		وكائِنْ	١/ ٥٦٧
		وكإنْ	١/ ٥٦٧
		وكأْيِنْ	١/ ٥٦٧
	قاتل معه	قُتِلَ معه	١/ ٥٦٨
	فما وَهَنوا	وَهِنوا	١/ ٥٦٨
		وَهْنوا	١/ ٥٦٨
١٥١	سنلقي في قلوب	سيلقي	١/ ٥٧٠
	الرُّعْبَ بما أشركوا	الرُّعُبَ	١/ ٥٧٠
١٥٢	إذ تَحُسُّونهم	تُحِسُّونهم	١/ ٥٧٢
١٥٣	إذ تُصْعِدون ولا		
	تلْوُون	تَصْعَدون	١/ ٥٧٤
		تَصَّعَّدُون	١/ ٥٧٤
		تَلُون	١/ ٥٧٤
١٥٤	أَمَنَةً نعاساً	أمْنَةً	١/ ٥٧٧
	إنّ الأمر كلَّه لله	كلُّه	١/ ٥٧٨
١٥٦	أو كانوا غُزّىً	غُزاً	١/ ٥٨٠
	بما تعملون بصير	يعملون	١/ ٥٨٢
١٥٧	أو مُتُّم	مِتُّم	١/ ٥٨٢

(١) بالوقف على الياء.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٦١	لنبيٍّ أن يَغُلَّ	يُغَلَّ	١/ ٥٨٨
١٦٣	هم دَرَجاتٌ	دَرَجَةٌ	١/ ٥٨٩
١٦٤	لقد مَنّ الله	لَمِن مَنِّ اللهِ	١/ ٥٩٠
	رسولاً مِن أنفُسِهم	أَنْفَسِهم	١/ ٥٩١
١٦٨	لو أطاعونا ما قُتِلوا	قُتِّلوا	١/ ٥٩٦
١٦٩	ولا تحسبنّ الذين	يحسبنّ	١/ ٥٩٧
	بل أحياءٌ	أحياءً	١/ ٥٩٨
١٧١	وأنّ الله لا يُضيع	وإنّ	١/ ٥٩٩
١٧٦	ولا يَحْزُنْك الذين		
	يسارعون	يُحْزِنْك	١/ ٦٠٢
		يُسْرِعون	١/ ٦٠٢
١٧٨	ولا يَحْسَبنّ الذين		
	كفروا أنما	تَحْسَبنّ	١/ ٦٠٣
		إنّما	١/ ٦٠٣
	خيرٌ لأنفسهم	خيراً	١/ ٦٠٣
١٨٠	ولا يحسبنّ الذين		
	يبخلون	تحسبنّ	١/ ٦٠٥
١٨١	سنكتب ما قالوا	سيُكْتَبُ	١/ ٦٠٧
	وقَتْلَهم الأنبياء	وقَتْلُهم	١/ ٦٠٧
	ونقول ذوقوا	ويقول	١/ ٦٠٧
١٨٣	حتى يأتينا بقُرْبان	بقُرُبانٍ	١/ ٦٠٨
١٨٤	بالبيّنات والزُّبُر		

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	والكتاب	وبالزُّبر وبالكتاب	١/ ٦٠٩
١٨٥	كل نفسٍ ذائقةُ الموتِ	ذائقةٌ الموتَ	١/ ٦١٠
		ذائقةُ الموتَ	١/ ٦١٠
			و١/ ٦٠
	لا تَحْسَبَنَّ	لا يَحْسَبَنَّ	١/ ٦١٢
	فلا تَحْسَبَنَّهُمْ	فلا يَحْسَبُنَّهُمْ	١/ ٦١٢
			و٤/ ٢٧٦
١٩٥	أني لا أُضِيعُ	بأنّي	١/ ٦١٦
		إنّي	١/ ٦١٦
		أُضَيِّعُ	١/ ٦١٦
	وقاتَلُوا وقُتِلوا	وقُتِلوا وقاتَلُوا	١/ ٦١٧
١٩٦	لا يَغُرَّنَّك	يَغُرَّنْكَ	١/ ٦١٨
١٩٨	نُزُلاً من عند الله	نُزْلاً	١/ ٦١٨

(٤) النساء

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١	خلقكم من نفس		
	واحدة	واحدٍ	٢/ ٦
	وخلق منها زوجها		
	وبثّ منهما	وخالق.. وباثّ	٢/ ٧
	الذي تَسَاءَلُون به		
	والأرحامَ	تسألون	٢/ ٨
		تَسَّاءَلون	٢/ ٧

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		تَسَلُون	٢/ ٩
		والأرحامِ	٢/ ٩
		وبالأرحامِ	٢/ ٩
		والأرحامُ	٢/ ١١
٣	مثنى وثُلاث ورُباع	ثُنَى وثُلَثَ ورُبَعَ	٢/ ١٤
٥	أموالكم التي جعل	اللاتي	٢/ ١٨
١٠	وسَيَصْلون سعيراً	وسيُصْلَون	٢/ ٢٢
١١	وإن كانت واحدةً	واحدةٌ	٢/ ٢٥
	فلها النِّصْف	النُّصْف	٢/ ٢٥
	وصيةٍ يوصي بها	يُوصىٰ	٢/ ٢٩
١٢	يُورَثُ كلالةً	يورِثُ	٢/ ٣١
	وله أخ أو أخت		
	فلكل واحد	أخ أو أخت من الأمّ	
		فلكلّ	٢/ ٣٢
	غير مضارٍّ وصيَّةً		
	من الله	غيرَ مضارٌ وصيّةٍ	٢/ ٣٢
١٦	واللّذانِ يأتيانها	واللذانٌ	٢/ ٣٦
			٢/ ٣٦
١٩	ولا تعضلوهنّ	ولا أن تعضلوهنّ	٢/ ٤٠
	من الرَّضاعة	الرِّضاعة	٢/ ٤٦
٢٣	وربائبكم اللاتي	التي	٢/ ٤٦
٢٤	والمُحصَنات من		

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	النساء	والمحصِنات	٢/ ٤٩
	كتابَ اللهِ عليكم	كتَبَ اللهُ عليكم	٢/ ٤٩
	وأُحِلَّ لكم ما وراء	وأحلَّ	٢/ ٥٠
٢٥	فإذا أُحْصِنَّ	أَحْصَنَّ	٢/ ٥٥
٢٩	إلا أن تكون تجارةً	تجارةٌ	٢/ ٥٨
٣١	مُدْخلاً كريماً	مَدْخلاً	٢/ ٦٠
٣٢	واسألوا الله	وَسَالوا	٢/ ٦١
٤٠	وإن تك حسنةً	حسنةٌ	١/ ٦٨
٤٢	لو تُسَوَّى بهم الأرضُ	تَسَّوَّى	١/ ٦٩
		سوَّى	١/ ٦٩
٤٣	أو لامستم النساء	لمستم	١/ ٧٢
٤٤	أن تَضِلُّوا السبيل	تُضِلُّوا	١/ ٧٤
٤٧	أن نَطْمِسَ وجوهاً	نطمُس	١/ ٧٨
٥٦	سوف نُصْليهِم ناراً	نَصْليهِم	١/ ٨٢
		نُصليهُم	١/ ٨٢
٦٦	إلا قليلٌ منهم	قليلاً	٢/ ٨٩
٦٩	وحَسُن أولئك رفيقا	وحُسْنَ	٢/ ٩٢
٧١	فانفِروا ثُباتٍ أو		
	انفِروا	فانفُروا . . أو انفُروا	٢/ ٩٤
		ثباتاً	٢/ ٩٤

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٨١	بيَّتَ طائفة	بيَطَّائفة[1]	٢/ ١٠٣
٨٢	أفلا يتدبّرون القرآن	يدّبّرون	٢/ ١٠٣
٨٤	لا تُكَلَّفُ إلا نفسَك	نُكَلِّفُ	٢/ ١٠٦
		تُكَلِّفْ	٢/ ١٠٦
٨٧	ومن أصدق	أصدق[2]	٢/ ١٠٧
٩٠	حصِرَت صدورُهم	حَصِرةً	٢/ ١١٠
		حاصراتٍ	٢/ ١١٠
٩٤	فتبيّنوا ولا تقولوا	فتثبّتوا	٢/ ١١٨
	فتبينوا إن الله	فتثبتوا	٢/ ١١٨
٩٥	غيرُ أولي الضّرر	غيرِ	٢/ ١١٩
		غيرَ	٢/ ١١٩
٩٧	توفّاهم الملائكة	توفّتْهم	٢/ ١٢٠
		تُوفّاهم	٢/ ١٢٠
١٠٠	مراغماً كثيراً	مَرْغماً	٢/ ١٢٣
١٠١	جُناح أن تَقْصُروا	تُقْصِروا	٢/ ١٢٣
		تُقَصِّروا	٢/ ١٢٣
١٠٤	ولا تَهِنوا في ابتغاء	تَهَنُوا	٢/ ١٢٦
١١٤	فسوف نؤتيه	يؤتيه	٢/ ١٣١
١١٥	نُوَلِّهِ ما تولّى ونُصْلِه	يولِّهِ ما تولّى ويُصْلِه	٢/ ١٣٢

---

(١) بالإدغام.

(٢) بإشمام الصاد الزاي.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		نُولْهِ ما تولّى ونُصْلِهِ[1]	٢/ ١٣٢
		نولْهْ ما تولّى ونُصْلِهْ	٢/ ١٣٢
		نَصْلِهِ	٢/ ١٣٢
١٢٣	ليس بأمانيّكم ولا		
	أمانيِّ أهل	بأمانِيْكم ولا أمانيْ	٢/ ١٣٦
	ولا يَجِدْ له	يجدُ	٢/ ١٣٦
١٢٤	يَدخلون الجنة	يُدخلون	٢/ ١٣٦
١٢٧	في يتامى النّساء	ييامى	٢/ ١٤١
١٢٨	أن يُصْلِحا بينهما	يصّالحا	٢/ ١٤٢
		إنِ اصَّالَحا	٢/ ١٤٢
١٣٠	وإن يتفرّقا	يتفارقا	٢/ ١٤٤
١٣٥	فالله أولى بهما	بهم	٢/ ١٤٨
	وإن تَلْوُوا	تَلُوْا	٢/ ١٤٩
١٤٢	وهو خادِعُهم	خادِعْهم	٢/ ١٥٢
١٤٣	مُذَبْذَبين بين ذلك	مُذَبْذِبين	٢/ ١٥٣
		مَذَبْذَبين	٢/ ١٥٣
		مُتَذَبْذِبين	٢/ ١٥٣
١٥٣	سألوا موسى أكبر من		
	ذلك	أكثر	٢/ ١٦٢
١٦٢	والمقيمين الصلاةَ	والمقيمون	٢/ ١٦٨

(١) باختلاس الحركة في الهاءين.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٦٣	وآتينا دواد زَبوراً	زُبُراً	٢/ ١٧٠
١٦٤	ورسلاً قد قصصناهم		
	عليك من قبلُ ورسلاً	ورُسُلٌ. . ورُسُلٌ	٢/ ١٧٠
	وكلم اللهُ موسى	اللهَ	٢/ ١٧١
١٦٦	لكنِ اللهُ يشهدُ	لكنّ اللهَ	٢/ ١٧٢
١٧٢	أن يكون عبداً لله	عُبَيْداً	٢/ ١٧٦

(٥) المائدة

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١	غيرَ مُحلّي الصيدِ	غيرُ	٢/ ١٩٣
٢	ولا آمّينَ البيتَ		
	الحرامَ	آمّي البيتِ	٢/ ١٩٤
	وإذا حللتم فَاصطادوا	فِاصطادوا	٢/ ١٩٥
	ولا يجرمنكم شَنَآنُ		
	قوم	شَنْآن	٢/ ١٩٥
	أنْ صدّوكم عن		
	المسجد	إنْ	٢/ ١٩٦
٦	وامسحوا برؤوسكم		
	وأرجلَكم	وأرجلِكم	٢/ ٢٠٧
٣٠	فطوّعت له نفسه	فطاوعت	٢/ ٢٢٨
٣١	قال يا ويلنا	يا ويلتي	٢/ ٢٣٠
	أعجَزْتُ أن أكون	أعجِزتُ	٢/ ٢٣٠
	فأواريَ سوأة أخي	فأواريْ	٢/ ٢٣٠

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣٨	والسارقُ والسارقةُ	والسارقَ والسارقةَ	٢/ ٢٤١
	والسارق والسارقة		
	فاقطعوا أيديهما	والسارقون والسارقاتُ	
		فاقطعوا أيمانهم	٢/ ٢٤١
٤٥	والعينَ بالعين	والعينُ	٢/ ٢٤٨
	والأنفَ بالأنف	والأنفُ	٢/ ٢٤٨
	والأذنَ بالأذن	والأذنُ	٢/ ٢٤٨
	والسنَّ بالسّن	والسّنُّ	٢/ ٢٤٨
	والجروحَ قصاص	والجروحُ	٢/ ٢٤٨
٤٧	وَلْيحكُمْ أهل الإنجيل	ولِيحكُمَ	٢/ ٢٥١
٥٠	أفحُكْمَ الجاهلية		
	يبغون	أفحكمُ	٢/ ٢٥٥
٥٢	فترى الذين	فيرى	٢/ ٢٥٧
٥٣	ويقولُ الذين آمنوا	يقولُ	٢/ ٢٥٨
		ويقولَ	٢/ ٢٥٩
٥٤	من يرتدَّ منكم عن		
	دينه	من يرتددْ	٢/ ٢٦١
	أذلّةٍ على المؤمنين	أذلّةً	٢/ ٢٦٣
	أعزّةٍ على الكافرين	أعزّةً	٢/ ٢٦٣
٥٧	والكفّار أولياءَ	والكفّارِ	٢/ ٢٦٦
٥٩	وأنّ أكثركم فاسقون	وإنّ	٢/ ٢٦٧
٦٠	وعَبَدَ الطاغوتَ	وعَبُدَ الطاغوتِ	٢/ ٢٦٩

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		وعَبْدَ الطاغوتَ	٢/ ٢٧٠
٦٩	والصابئون والنصارى	والصابئين	٢/ ٢٨١
٧١	وحسبوا أن لا تكون		
	فتنة	أن لا تكونُ	٢/ ٢٨٤
٧٣	وما من إلهٍ إلا إلهٌ		
	واحد	إلّا إلهٍ	٢/ ٢٨٧
٨٩	بما عقّدتم الأيمان	عاقدتم	٢/ ٣٠٢
		عَقَدْتم	٢/ ٣٠٢
٩٥	فجزاءٌ مثلُ	فجزاءُ مثلِ	٢/ ٣١٠
		فجزاءٌ مثلَ	٢/ ٣١٠
	أو كفّارةٌ طعامُ		
	مساكين	أو كفّارةُ طعامِ مساكينَ	٢/ ٣١٢
		طعامُ مسكينَ	٢/ ٣١٢
٩٦	صيدُ البحر وطعامُه	وطُعْمه	٢/ ٣١٤
	وحُرِّم عليكم صيدُ		
	البرّ	وحَرَّم عليكم صيدَ	٢/ ٣١٦
	ما دمتم حُرُماً	حَرَماً	٢/ ٣١٦
١٠٦	شهادةُ بينِكم	شهادةً بينكم	٢/ ٣٢٦
	لمن الآثمين	لَمِلَّاثمين[1]	٢/ ٣٣١
١٠٧	استَحقّ عليهم		

(١) بالإدغام.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	الأَوْليان	استُحقّ	٢/ ٣٣١
		الأَوّلَيْن	٢/ ٣٣١
١٠٩	أنت علاّم الغيوب	علاَّمَ	٢/ ٣٣٣
١١٠	إذ أيّدتُك بروح		
	القدس	آيدتك	٢/ ٣٣٤
	إنْ هذا إلا سحرٌ مبين	ساحر	٢/ ٣٣٦
١١٢	هل يستطيع ربُّك	هل تستطيع ربَّك	٢/ ٣٣٨
١١٩	هذا يومُ ينفعُ	يومَ	٢/ ٣٤٦

(٦) الأنعام

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٤	فاطِرِ السماوات	فاطرُ	٢/ ٣٦٧
		فاطرَ	٢/ ٣٦٧
١٦	من يُصْرَفْ	من يَصْرِفْ	٢/ ٣٦٨
١٩	أئنكم لتشهدون	إنكم	٢/ ٣٧٢
٢٣	لم تكن فتنتُهم	فتنتَهم	٢/ ٣٧٥
		لم يكن فتنتُهم	٢/ ٣٧٥
	واللهِ ربِّنا	ربَّنا	٢/ ٣٧٥
٢٧	نُرَدُّ ولا نكذِّبَ بآيات		
	ربّنا ونكونَ	ولا نكذِّبُ بآيات	
		ربنا	٢/ ٣٨٠
		ونكونُ	٢/ ٣٨٠
		ولا نكذبُ.. ونكونَ	٢/ ٣٨٠

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣٢	ولَلدّار الآخرة خير	ولدارُ الآخرةِ	٢/ ٣٨٤
٣٣	فإنهم لا يكذّبونك	لا يُكْذِبونك	٢/ ٣٨٥
٣٥	أن تبتغي نَفَقاً	نافقاً	٢/ ٣٨٦
٥٢	يدعون ربهم بالغداة		
	والعشيّ	بالغدوة	٢/ ٤٠٣
٥٤	أنّه من عمل منكم..	إنه.. فإنّه	٢/ ٤٠٦
	فأنّه غفور رحيم	أنه.. فإنه	٢/ ٤٠٦
٥٥	ولتستبينَ سبيلُ		
	المجرمين	وليستبين سبيلُ	٢/ ٤٠٧
		ولتستبين سبيلَ	٢/ ٤٠٧
٥٧	يقصّ الحق	يقضي الحق	٢/ ٤٠٨
٦٢	ثم رُدُّوا إلى الله	رِدُّوا	٢/ ٤١٣
٧٤	لأبيه آزرَ	آزرُ	٢/ ٤٢٤
٨٣	نرفع درجاتٍ مَن		
	نشاء	درجاتِ مَن	٢/ ٤٣٢
٨٦	والْيَسَع	وأَلْيَسَع	٢/ ٤٣٤
		واللَّيْسَع	٢/ ٤٣٤
٩٠	فبهداهم اقتدِهْ	اقتد[١]	

(١) بخلاف الهاء وصلاً وإثباتها وقفاً.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		اقتلهِ[1]	٢/ ٤٣٦
		اقتدهي[2]	٢/ ٤٣٦
٩٢	ولتنذر أم القرى	ولينذر	٢/ ٤٣٨
٩٤	لقد تقطّع بيتكم	بينُكم	٢/ ٤٤١
٩٦	وجعل الليلَ سكناً	وجاعلُ الليلِ	٢/ ٤٤٤
٩٨	فمستَقَرٌّ ومستودَعٌ	فمستقِرٌّ	٢/ ٤٤٥
٩٩	قنوانٌ دانيةٌ	قنواناً دانيةً	٢/ ٤٤٧
١٠٠	وجعلوا لله شركاءَ		
	الجنَّ	الجنُّ	٢/ ٤٥٠
	وخرقوا له بنين	وخرّقوا	٢/ ٤٥١
١٠٥	وَلِيقولوا درستَ	وَلْيقولوا	٢/ ٤٥٤
		دارستَ	٢/ ٤٥٣
		دَرَسَتْ	٢/ ٤٥٣
١٠٩	أنها إذا جاءت	إنها	٢/ ٤٥٨
	لا يؤمنون	لا تؤمنون	٢/ ٤٥٨
١١٥	✩ وتمت كلمة ربك	كلمات	٢/ ٤٦٢
١١٩	وقد فَصَّل لكم ما		

(١) باختلاس الكسرة في الهاء وصلاً وسكونها وقفاً.

(٢) بكسرها ووصلها بياء وصلاً وسكونها وقفاً.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	حَرَّم عليكم	فُصِّل لكم ما حُرِّم	٢/ ٤٦٤
١٢٤	☆ والله أعلم حيث		
	يجعل رسالته	رسالاته	٢/ ٤٧٠
١٢٥	يجعلْ صدره ضيّقاً		
	حرَجاً	ضَيْقاً	٢/ ٤٧١
		حَرِجاً	٢/ ٤٧١
	كأنّما يصَّعَّدُ في		
	السماء	يَصَّاعَدُ	٢/ ٤٧١
		يُصَعِّدُ	٢/ ٤٧١
		يَصْعَدُ	٢/ ٤٧١
١٢٨	☆ ويوم يحشرهم		
	جميعاً	نحشرهم	٢/ ٤٧٣
١٣٥	اعملوا على مكانتِكم	مكاناتِكم	٢/ ٤٧٧
١٣٧	وكـذلك زَيَّن لكثيرٍ		
	من المشركين قتْلَ	زُيِّنَ . . قتلُ أولادِهم	
	أولادِهم شركاؤُهم	شركاؤهم	٢/ ٤٧٩
		زُيِّنَ . . قتلُ أولادَهم	
		شركائِهم	٢/ ٤٨٠
١٣٩	خالصةٌ لذكورنا	خالصةً	٢/ ٤٨٢
		خالصاً	٢/ ٤٨٢
		خالصٌ	٢/ ٤٨٢
	وإن يكن ميتةً	وإن تكن ميتةً	٢/ ٤٨٢

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		وإن يكن ميتةٌ	٢/ ٤٨٢
		وإن تكن ميتةٌ	٢/ ٤٨٢
١٤١	يوم حَصاده	حِصاده	٢/ ٤٨٥
١٤٥	إلا أن يكون ميتةً	ميتةٌ	٢/ ٤٨٩
١٥٣	وأنّ هذا صراطي	وإنّ	٢/ ٥٠١
		وأنْ	٢/ ٥٠١
	فتفرّق بكم عن سبيله	فتَّفَرق	١/ ٥٠١
١٥٤	تماماً على الذي		
	أحسن	على الذين أحسنوا	٢/ ٥٠٣
		تماماً للمحسنين	٢/ ٥٠٣
١٥٨	لا يَنْفع نفساً إيمانُها	لا تنفع	٢/ ٥٠٥
١٥٩	فرّقوا دينهم	فارقوا	٢/ ٥٠٦
١٦٠	فله عَشْرُ أمثالِها	عَشْرٌ أمثالُها	٢/ ٥٠٧
١٦١	ديناً قِيَماً	قيّماً	٢/ ٥٠٧

(٧) الأعراف

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٠	وجعلنا لكم فيها		
	معايش	معائش	٢/ ٥١٩
١٨	لَمَن تبعك منهم	لِمَن تبعك	٢/ ٥٢٣
٢٠	ما ووريَ عنهما من		
	سوءاتهما	أُوْريَ	٢/ ٥٢٤
		وُري من سوأتهما	٢/ ٥٢٤

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		سَوْآتِهما	٢/ ٥٢٤
٢٦	وريشاً ولباسُ التقوى	ولباسَ	٢/ ٥٢٨
٣٢	خالصةً يوم القيامة	خالصةٌ	٢/ ٥٣٣
٣٤	فإذا جاء أجلهم	جاءَ اجَلُهم[1]	٢/ ٥٣٥
		جاءَ جَلُهم[2]	٢/ ٥٣٥
٤٠	لا تفتّح لهم أبواب		
	السماء	لا تُفْتَحَ	٢/ ٥٣٩
		لا يُفتح	٢/ ٥٣٩
	حتى يلج الجملُ	الجُمَّل	٢/ ٥٣٩
٤٣	وما كنّا لنهتدي	ما كنّا	٢/ ٥٤١
٤٨	وما كنتم تستكبرون	تستكثرون	٢/ ٥٤٦
٥٢	هدىً ورحمةً	هدىً ورحمةٌ	٢/ ٥٤٨
٥٤	يُغشي الليلَ النهارَ	يُغَشّي	٢/ ٥٥٠
		يَغْشَى الليلُ النهارَ	٢/ ٥٥٠
		يَغْشَى الليلَ النهارُ	٢/ ٥٥٠
	والشمسَ والقمرَ		
	والنجومَ مسخراتٍ		
	بأمره	والشمسُ والقمرُ	
		والنجومُ مسخراتٌ	٢/ ٥٥١

(١) بإبدال همزة أجلهم ألفاً.

(٢) بحذف الهمزة.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		والشمسَ والقمرَ	
		والنجومُ مسخراتٌ	٢/ ٥٥١
٥٧	يرسل الرياح بُشرىً	نُشُراً	٢/ ٥٥٤
		نُشْراً	٢/ ٥٥٤
		نَشْراً	٢/ ٥٥٤
٥٩	ما لكم من إلهٍ غيرُه	غيرِهِ	٢/ ٥٥٨
٦٢	أبلّغكم رسالات ربي		
	وأنصح لكم وأعلم من		
	الله	يبلّغكم. . وينصح. .	
		ويعلم	٢/ ٥٥٩
٧٥	قال الملأ	وقال	٢/ ٥٦٨
١٠٠	أوَلم يَهْدِ للذين	أوَلم نَهْدِ	٢/ ٥٨٧
١٠٥	حقيق على أن لا		
	أقول	حقيق عليّ	٢/ ٥٩٣
١١٠	فما ذا تأمرون	تأمرونِ	٢/ ٥٩٧
١١١	قالوا أَرْجِهْ وأخاه	أرْجئْهُ	٢/ ٥٩٧
		أَرجيه	٢/ ٥٩٧
		أَرْجِئْهِ	٢/ ٥٩٧
١١٣	إنّ لنا لأجراً	أئنّ لنا	٢/ ٥٩٨
	تَلْقَفُ ما يأفكون	تَلَقّفُ	٢/ ٦٠٠

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		تَّلَقَفْ[1]	٢/ ٦٠٠
١٢٣	آمنتم به	ءَآمنتم	٢/ ٦٠١
١٤٢	وأتممناه بعشرٍ	وتمّمناها	٢/ ٦١٥
	وقال موسى لأخيه		
	هارونَ	هارونُ	٢/ ٦١٥
١٤٥	سأريكم دار الفاسقين	سأُوْريكم	٢/ ٦١٩
		سأورثكم	٢/ ٦١٩
١٤٨	من حُلِيِّهم عِجْلاً	من حَلْيِهم	٢/ ٦٢١
		☆ من حِلِيّهم	٢/ ٦٢٢
١٥٠	قال ابن أمَّ	ابنَ أمِّ	٢/ ٦٢٤
		يابن أمِّ	٢/ ٦٢٤
١٥٤	ولما سكت عن		
	موسى	سكن	٢/ ٦٢٦
١٥٦	إنّا هُدْنا إليك	هِدْنا	٢/ ٦٢٩
	أصيب به من أشاءُ	من أساءَ	٢/ ٦٢٩
١٥٧	وعَزَّروه ونصروه	وعَزَرَوه	٢/ ٦٣٠
		وعَزّزوه	٢/ ٦٣٠
١٦١	وقولوا حِطّةٌ	حطّةً	٢/ ٦٣٥
١٦٣	يَعْدون في السبت	يُعِدُّون	٢/ ٦٣٦
١٦٤	قالوا معذرةً إلى ربكم	معذرةٌ	٢/ ٦٣٨

(١) بإدغام التاء في التاء.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٦٥	بعذابٍ بئيسٍ	بِيْسٍ	٢/ ٦٣٩
		بِئْسٍ	٢/ ٦٣٩
		بَيْأَس	٢/ ٦٣٩
١٧٠	والذين يُمَسِّكون		
	بالكتاب	يُمْسِكون	٢/ ٦٤٢
١٧٢	من ظهورهم ذرّيتَهم	ذرّياتهم	٢/ ٦٤٣
١٧٣	أو تقولوا إنما	أو يقولوا	٢/ ٦٤٤
١٨٦	ويَذَرُهم في طغيانهم	ونَذَرُهم	٢/ ٦٥٢
		ونَذَرْهم	٢/ ٦٥٣
		ويَذَرْهم	٥/ ٣٦٨
١٩٠	جعلا له شركاء	شِرْكاً	٢/ ٦٥٨
	عمّا يشركون	تشركون	٢/ ٦٥٨
١٩٤	إنّ الذين تدعون من		
	دون الله عبادٌ أمثالكم	إن الذين.. عباداً	
		أمثالَكم	٢/ ٦٦٠
		إنِ الذين.. عباداً	
		أمثالُكم	٢/ ٦٦٣
١٩٦	إنّ ولِيّيَ اللهُ	إن وَلِيِّ اللهُ	٢/ ٦٦٤
٢٠١	إذا مسّهم طائف	طَيْفٌ	٢/ ٦٦٥
٢٠٢	وإخوانهم يَمُدّونهم	يُمدّونهم	٢/ ٦٦٧

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة

(٨) الأنفال

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢	وَجِلت قلوبهم	وَجَلت	٣/ ٦
٩	من الملائكة مُرْدِفين	مردَفين	٣/ ١١
١١	إذ يُغَشّيكم النعاسَ	يُغْشيكم	٣/ ١٢
١٤	وأنّ للكافرين	وإنّ	٣/ ١٥
١٨	موهنُ كيدِ الكافرين	مُوَهِّنُ كيدِ	٣/ ١٨
		موهنٌ كيدَ	٣/ ١٨
٣٢	إن كان هذا هو		
	الحقَّ	هو الحقُّ	٣/ ٢٦
٤٢	وهم بالعُدوة القصوى	بالعِدوة	٣/ ٣٢
	والركبُ أسفلَ منكم	أسفلُ	٣/ ٣٢
	ويحيا من حيَّ	من حَيِيَ	٣/ ٣٣
٤٦	وتذهبَ ريحُكم	ويذهبْ	٣/ ٣٥
٥٠	إذ يَتَوفَّى الذين كفروا		
	الملائكةُ	تتوفّى	٣/ ٣٩
٥٧	فشرّدْ بهم من خَلْفَهم	فشرِّذْ	٣/ ٤١
٥٩	ولا يحسبنّ الذين	ولا تحسبنّ	٣/ ٤٢
	إنّهم لا يُعجزون	أنّهم	٣/ ٤٢
٦٠	تُرْهبون به عدوّ الله	تُرَهِّبون	٣/ ٤٣
٦٧	ما كان لنبيّ أن		
	يكون له أسرى	للنبيّ	٣/ ٤٧
٧٣	وفسادٌ كبير	كثير	٣/ ٥٠

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة

(٩) التوبة

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١	براءةٌ من الله	براءةً	٣/ ٥٣
٣	وأذانٌ منَ اللهِ	وإذْنٌ	٣/ ٥٤
		منِ اللهِ	٣/ ٥٤
	أنّ اللهَ بريءٌ	إنّ	٣/ ٥٤
١٥	ويُذْهِبْ غيظَ قلوبِهم	ويَذْهَبْ غيظُ	٣/ ٦٤
		ويَذْهَبُ غيظُ	٣/ ٦٤
	ويتوبُ اللهُ	ويتوبَ	٣/ ٦٤
٢٤	أحبَّ إليكم	أحبُّ	٣/ ٦٩
٢٨	وإن خفتم عَيْلَةً	عائلةً	٣/ ٧٤
٣٠	عُزَيْرٌ ابن الله	عزيرُ	٣/ ٧٧
	يضاهئون قول الذين	يضاهون	٣/ ٧٧
٣٧	إنما النسيءُ	النسيُّ	٣/ ٨٢
٥٣	طوعاً أو كَرْهاً	كُرْهاً	٣/ ٩٤
٦٠	فريضةً من الله	فريضةٌ	٣/ ٩٩
٦١	ورحمةٌ للذين آمنوا	ورحمةٍ	٣/ ١٠٠
٦٣	ألم يعلموا	ألم تعلموا	٣/ ١٠٢
٦٦	إنْ نَعْفُ عن طائفةٍ		
	منكم نُعذِّبْ طائفةً	إن يُعْفَ. . تُعَذَّبْ	٣/ ١٠٥
		إن تُعْفَ. . تُعَذَّبْ	٣/ ١٠٥
٧٨	ألم يعلموا	ألم تعلموا	٣/ ١١٠
٩٠	وجاء المعذّرون	المُعْذِرون	٣/ ١١٦

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٩١	إذا نصحوا للهِ		
	ورسولِه	نصحوا اللهَ ورسولَه	٣/ ١١٨
١٠٦	وآخرون مُرْجَون	مُرْجَؤون	٣/ ١٢٥
		مُرْجَوُون	٣/ ١٢٥
١٠٧	والذين اتّخذوا	الذين	٣/ ١٢٦
١٠٩	أفمن أَسَّسَ بُنْيانَه	أُسِّسَ بنيانُه	٣/ ١٢٨
	أم من أَسَّسَ بنيانَه	أُسِّسَ بنيانُه	٣/ ١٢٨
١١٠	إلّا أن تَقَطَّعَ قلوبُهم	تُقَطَّعَ	٣/ ١٢٩
١١٤	وعدها إيّاه	وعدها أباه	٣/ ١٢٣
١١٧	كاد يَزِيغُ قلوبُ	تَزيغُ	٣/ ١٣٥
١٢٦	أو لا يرون أنهم	أو لا ترون	٣/ ١٤٢

(١٠) يونس

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢	أكان للناس عجباً	عجبٌ	٣/ ١٤٦
٢	☆ لساحر مبين	لسِحْرٌ مبين	٣/ ١٤٨
١١	لقُضِيَ إليهم أجلُهم	لقَضَى إليهم أجَلَهم	٣/ ١٥٢
٢٢	هو الذي يسيّركم	ينشركم	٣/ ١٥٩
٢٣	متاعَ الحياة الدنيا	متاعُ	٣/ ١٦١
٢٧	أُغْشِيَتْ وجوههم		
	قطَعاً	قِطْعاً	٣/ ١٦٥
٢٨	مكانكم أنتم		
	وشركاؤُكم	وشركاءَكم	٣/ ١٦٧

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣٠	هنالك تبلو كلُّ نفسٍ	تتلو	٣/ ١٦٨
٣٥	أم من لا يَهِدِّي	لا يَهْدي	٣/ ١٧١
		لا يَهَدِّي	٣/ ١٧١
		لا يِهِدِّي	٣/ ١٧١
٥١	آلآنَ وقد كنتم؟	ألآن؟(١)	٣/ ١٨٢
٥٨	فبذلك فليفرحوا	فلتفرحوا	٣/ ١٨٢
٦١	وما يَعْزُب عن ربك	وما يَعْزِب	٣/ ١٨٧
	ولا أصغرَ من ذلك		
	ولا أكبرَ	ولا أصغرُ من ذلك	
		ولا أكبرُ	٣/ ١٨٧
٧١	كَبُر عليكم مَقامي	مُقامي	٣/ ١٩٢
	فأجمِعوا أمركم	فاْجْمَعُوا	٣/ ١٩٣
٧٩	بكل ساحرٍ عليم	سحّارٍ	٣/ ١٩٦
٨١	ما جئتم به السحر	آلسّحر (بالاستفهام)	٣/ ١٩٦
٩١	آلآنَ وقد عصيتَ	ألآن؟(٢)	٣/ ٢٠١
١٠٠	ويجعل الرجس	ونجعل	٣/ ٢٠٥

(١١) هود

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٧	إنْ هذا إلا سحرٌ مبين	إلاّ ساحر	٧٧٦

(١) بهمزة الاستفهام بغير مدّ.

(٢) بهمزة الاستفهام بغير مدّ.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٥	إنّي لكم نذير	أنّي	٣/ ٢٢٢
٢٧	باديَ الرأي	بادئَ الرأي	٣/ ٢٢٣
٢٨	فَعُمِّيَتْ عليكم	فعَمِيَتْ	٣/ ٢٢٣
٤٠	من كلِّ زوجين	من كلٍّ زوجين	٣/ ٢٢٨
٤٢	يا بنيّ اركب معنا	اركم مّعنا (بالإدغام)	٣/ ٢٣٠
٤٦	إنه عملٌ غيرُ صالح	إنه عَمِلَ غيرَ صالح	٣/ ٢٣٣
٦٦	ومن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ	ومن خِزْيِ يومَئِذٍ	٣/ ٢٤١
		ومن خزيٍ يومَئذٍ	٣/ ٢٤١
٧٨	هنّ أطهرُ لكم	أطهرَ	٣/ ٢٤٦
٨١	فَأَسْرِ بأهلك	فَاسْرِ	٣/ ٢٤٧
	إلّا امرأتَكَ	امرأتُك	٣/ ٢٤٧
١١١	وإنّ كلًّا لمّا ليُوفِّينّهم	وإنْ كلًّا لَمَا	٥٨٠
			١٠٤٩
			٣/ ٢٦٢
		وإنْ كلًّا لَمّا	٣/ ٢٦٢
		وإنَّ كلًّا لَمَا	٣/ ٢٦٢

(١٢) يوسف

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٤	يا أبتِ إني رأيت	يا أبتَ	٣/ ٢٧٣
١١	مالك لا تَأْمَنَّا	تامَنّا[١]	٣/ ٢٨١

(١) باختلاس الحركة والإدغام.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٢	يرتعْ ويلعبْ	نرتعْ ونلعبْ	٣/ ٢٨١
		يرتعِ	٣/ ٢٨١
١٩	قال يا بشرى	يا بشراي	٣/ ٢٨٥
٣١	ما هذا بَشَراً	بَشَرٌ	٣/ ٢٩٧
٣٣	السِّجنُ أحبّ إلي	السَّجْنُ	٣/ ٢٩٨
٤٧	سبعَ سنين دَأَباً	دَأْباً	٣/ ٣١٠
٤٩	وفيه يَعْصِرون	تَعْصِرون	٣/ ٣١٠
٥١	الآن حَصْحَصَ الحقُّ	حُصْحِصَ	٣/ ٣١١
٦٢	وقال لفتيانه	لِفتيَتِه	٣/ ٣١٦
٦٣	فأرسِلْ معنا أخانا		
	نكْتَلْ	يكْتَلْ	٣/ ٣١٧
٦٤	فاللهُ خيرٌ حافظاً	خيرٌ حفظاً	٣/ ٣١٨
٦٥	بضاعتُنا رُدَّتْ إلينا	رِدَّتْ	٢/ ٤١٣
٨٧	فتحسّسوا من يوسف	فتجسّسوا	٣/ ٣٣٥
٩٠	إنه من يتّقِ ويصبرْ	يتّقي	٣/ ٣٣٧
٩٢	قال لا تثريب عليكم		
	اليوم يغفر الله لكم[١]		٣/ ٣٣٨
٩٤	ولمّا فصلت العير	ولمّا انفصلت	٣/ ٣٤٠

(١) أكثر القراء وقف على «اليوم» وابتدؤوا بـ«يغفر الله لكم» على جهة الدّعاء. ووقف بعضهم على «عليكم» وابتدأ بـ«اليوم يغفر الله لكم».

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١١٠	وظنّوا أنهم قد كُذِبوا	كُذِّبوا	٣/ ٣٥٢
	فنُجِّيَ من نشاء	فننْجي	٣/ ٣٥٢
		فنُنْجِيَ	٣/ ٣٥٢
١١١	لقد كان في قَصَصِهم	قِصَصِهم	٣/ ٣٥٣
	ولكن تصديقَ الذي بين يديه وتفصيلَ كل شيء وهدىً ورحمةً	تصديقُ.. وتفصيلُ	
		وهدىً ورحمةٌ	٣/ ٣٥٤

(١٣) الرعد

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٤	وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ	وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٍ وغير صنوانٍ	٣/ ٣٦٠
٤٣	ومَن عندَه علم الكتاب	ومِن عندِه	٣/ ٣٩٥

(١٤) إبراهيم

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢	اللهِ الذي له	اللهُ	٣/ ٣٩٧
٢٢	وما أنتم بمصرخيَّ	بمصرخيِّ	٣/ ٤١٣
٢٣	وأُدخلَ الذين آمنوا	وأُدخلُ	٣/ ٤١٤
٤٦	لِتَزولَ منه الجبالُ	لَتزولُ	٣/ ٤٢٧

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	(١٥) الحجر		
٨	ما ننزّلُ الملائكةَ	ما تَنَزّلُ الملائكةُ	٣/ ٤٣٥
٤١	هذا صراطٌ عليَّ مستقيم	صراطٌ عليٌّ	٣/ ٤٤٣
	(١٦) النّحل		
١٢	والشمسَ والقمرَ والنجومُ مسخّراتٌ	والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ	٣/ ٤٧٠
		والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ	٣/ ٤٧٠
٣٧	لا يَهْدي من يُضِلُّ	لا يُهدىٰ من يُضلّ	٣/ ٤٨٠
		لا يُهْدي	٣/ ٤٨٠
	(١٧) الإسراء		
٢	ألّا تتّخذوا من دوني	ألّا يتّخذوا	٣/ ٥٤٠
٣	ذريّةَ من حملنا	ذريّةُ	٣/ ٥٤٠
٧	ليسوؤوا وجوهكم	لنسوءَ	٣/ ٥٤٣
١٣	ونُخرج له يوم القيامة كتاباً	ويُخْرَج له يوم القيامة كتاباً	٣/ ٥٤٧
		ويُخرج له يوم القيامة	

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		كتابٌ	٣/ ٥٤٧
١٦	أَمَرْنا مترفيها	آمرنا	٣/ ٥٤٩
		أمّرنا	٣/ ٥٥٠
٢٣	إمّا يَبْلُغَنَّ عندك الكبر	إمّا يَبْلُغانِّ	٣/ ٥٥٥
		يَبْلُغانِ	٣/ ٥٥٥
			٣/ ٥٥٥
٣٨	كان سيّئُهُ عند ربّك	كان سيّئةً	٣/ ٥٦٦
٤١	في هذا القرآن ليذَّكَّروا	ليذْكروا	٣/ ٥٦٨
٤٢	لو كان معه آلهة كما يقولون	كما تقولون	٣/ ٥٦٩
٥٩	وآتينا ثمودَ الناقةَ مُبْصِرَةً	مُبْصِرَةٌ	٣/ ٥٧٩
		مُبْصَرَةً	٣/ ٥٧٩
٦٤	وأَجْلِبْ عليهم بخيلك	واْجْلُبْ	٣/ ٥٨٣
	ورَجِلِكَ	ورَجْلك	٣/ ٥٨٤
٨٣	أعرض ونأى بجانبه	وناء	١٥٢٤
١٠٢	قال لقد علمتَ	علمتُ	٣/ ٦٠٣

(١٨) الكهف

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٢	لِنَعْلَمَ أيُّ الحزبين	ليُعْلَمَ أيُّ	٣/ ٦١٧
١٧	تَزَاوَرُوا عن كهفهم	تَزّاوَرُ	٣/ ٦٢٢
		تَزْوَرُّ	٣/ ٦٢٢

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		ازّاوَرُ(١)	٣/ ٦٢٢
٣١	من أساور من ذهب	من أَسْوِرَةٍ	٣/ ٦٣٤
٣٤	وكان له ثَمَرٌ	ثُمُرٌ	٣/ ٦٣٨
٣٨	لكنّا هو الله	لكنّ	٣/ ٦٤٠
٣٩	إن تَرَنِ أنا أقلَّ منك	أقلُّ	٣/ ٦٤٢
٤٤	هنالك الوَلايةُ لله	الوِلاية	٣/ ٦٤٤
	لله الحقِّ	الحقُّ	٣/ ٦٤٤
٤٧	ويوم نُسيّر الجبالَ	تُسَيَّر الجبالُ	٣/ ٦٤٥
	وتَرى الأرضَ بارزة	وتُرى الأرضُ	٣/ ٦٤٥
٥١	وما كنت متّخذَ		
	المضلّين	متّخذاً المضلّين	٣/ ٦٤٩
٥٥	يأتيهم العذاب قُبُلاً	قِبَلاً	٣/ ٦٥١
٦٦	ممّا عُلّمت رُشْداً	رَشَداً	٣/ ٦٦٠
٧١	أخرقتها لتُغرِقَ أهلها	ليَغْرَقَ أهلُها	٣/ ٦٦٢
٧٤	أقتلتَ نفساً زكيّةً	زاكيةً	٣/ ٦٦٣
٧٧	لو شئت لاتّخذتَ عليه		
	أجراً	لَتَخِذْتَ	٣/ ٦٦٥
٧٩	يأخذ كل سفينة غصباً	كلّ سفينة صالحة	٣/ ٦٦٥
٨٦	تغرب في عينٍ حَمِئَةٍ	حاميةٍ	٣/ ٦٦٩
٩٣	بلغ بين السَّدّين	السُّدّين	٣/ ٦٧٣

(١) بإدغام التاء في الزاي.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٩٤	إنّ يأجوج ومأجوج		
	مفسدون	ياجوج وماجوج	٣/ ٦٧٣
	فهل نجعل لك خَرْجاً	خراجاً	٣/ ٦٧٣
	تجعل بيننا وبينهم		
	سدّاً	سُدّاً	٣/ ٦٧٣
٩٥	ما مكّنّي فيه ربي	ما مكّنني	٣/ ٦٧٣
٩٦	آتوني زبر الحديد	ائتوني	٣/ ٦٧٤
	ساوى بين الصَّدَفَيْن	الصُّدُفَيْن	٣/ ٦٧٤
		الصُّدْفَيْن	٣/ ٦٧٤
	آتوني أُفرِغ	ائتوني	٣/ ٦٧٤
٩٧	فما اسطاعوا	اسطّاعوا[1]	٣/ ٦٧٥
١٠٢	أفَحَسِبَ الذين كفروا	أَفَحَسْبُ	٣/ ٦٧٦
١١٠	ولا يشرك بعبادة ربّه	ولا تُشرِكْ	٣/ ٦٨٠

(١٩) مريم

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢	ذِكْرُ رحمةِ ربّك	ذَكَرَ رحمةَ	٤/ ٦
		ذَكِّرْ رحمةَ	٤/ ٦
٤	وَهَنَ العظم منّي	وَهِنَ	٤/ ٧
٦	يَرِثُني ويَرِثُ من آل		
	يعقوب	يَرِثْني ويَرِثْ	٤/ ٨

---

(١) بإدغام التاء في الطاء على غير حدّ الإدغام.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٠	ألَاّ تُكَلِّمَ الناسَ	ألاّ تُكلِّمُ	٤/ ٩
١٩	لأهبَ لكِ غلاماً	ليهبَ لكِ	٤/ ١٣
٢٤	فناداها مِن تحتِها	مَنْ تَحْتَها	٤/ ١٧
٢٥	تُساقِطْ عليكِ رُطباً	تَسَّاقَطْ	٤/ ١٨
		تَسَاقطْ	٤/ ١٨
٣٤	ذلك عيسى بن مريم		
	قولَ الحقّ	قولُ الحقّ	٤/ ٢٢
	فيه يمترون	تمترون	٤/ ٢٣
٣٦	وإنّ الله ربي	وأنّ	٤/ ٢٣
٤٧	قال سلامٌ عليك	سلاماً	٤/ ٣٠
٥١	إنه كان مُخْلَصاً	مخلِصاً	٤/ ٣١
٥٨	إذا تُتلى عليهم	يُتْلى	٣/ ٣٤
٦٠	فأولئك يَدخلون		
	الجنة	يُدْخَلون	٦١١
			٤/ ٣٥
٦١	جناتِ عدنٍ التي وعد		
	الرحمن	جناتُ عدن	٤/ ٣٥
٦٦	أئذا ما متّ	إذا ما	٤/ ٣٨
٦٩	أيُّهم أشدّ	أيَّهم	٤/ ٤١
٧٤	هم أحسن أثاثاً ورِئياً	ورِيّاً	٤/ ٤٤
		وزِيّاً	٤/ ٤٤
٩٠	تكاد السماوات		

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	يتفطّرن منه	يكاد	٤/ ٥٠
		يَنْفَطِرْنَ	٤/ ٥٠
		تَتَفَطَّرْنَ	٤/ ٥٠

(٢٠) طه

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٥	الرحمنُ على العرش	الرحمنِ	٤/ ٥٨
١٢	بالواد المقدّس طوىً	طوىْ	٤/ ٦١
١٣	وأنا اخترتك	وأنّا اخترناك	٤/ ٦٢
١٨	قال هي عصاي	عَصَيَّ	٤/ ٦٤
٣١	اَشْدُدْ به أزري	أَشْدُدْ	٤/ ٧١
٤٠	كي تَقَرَّ عينُها	تَقِرَّ	٤/ ٧٥
		تُقَرَّ	٤/ ٧٥
٥٣	جعل لكم الأرض مهداً	مهاداً	٤/ ٨١
٥٨	مكاناً سُوىً	سِوىً	٤/ ٨٦
٥٩	موعدكم يومُ الزينة	يومَ	٤/ ٨٦
٦١	فيُسحِتكم بعذاب	فَيَسْحَتكم	٤/ ٨٨
٦٣	إنْ هذان لساحران	إنّ هذين لساحران	٤/ ٨٨
		إنّ هذان لساحران	٤/ ٨٨
٦٤	فأجْمِعوا كيدكم	فاجمعوا	٤/ ٨٩
٦٩	تلقَفْ ما صنعوا إنّ ما صنعوا كيد	تَلَقَّفْ	٤/ ٩١

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	ساحر	كيدُ سحرٍ	٤/ ٩٢
٧١	قال آمنتم له	أآمنتم	٤/ ٩٢
٧٧	لا تخاف دَرَكاً	لا تخف	٤/ ٩٧
٨٠	وواعدناكم جانبَ		
	الطّورِ الأيمنَ	الأيمنِ	٤/ ٩٨
٨٧	ما أخلفنا موعدَك		
	بِمَلْكِنا	بِمِلْكنا	٤/ ١٠٠
		بِمِلْكنا	٤/ ١٠٠
٩٦	فقبضتُ قبضةً	فقبصتُ قبصةً	٤/ ١٠٤
١٠٠	فإنه يَحْمِلُ يوم القيامة	يُحَمَّلُ	٤/ ١٠٧
١٠٢	☆ يوم يُنفخ في		
	الصور	ننفخ	٤/ ١٠٧
١١٢	فلا يخاف ظلماً	فلا يَخَفْ	٤/ ١١١
١١٩	وأنّك لا تظمأ	وإنّك	٤/ ١١٣
١٢٨	أفلم يَهْدِ لهم	أفلم نَهْدِ	٤/ ١١٦
١٣٠	لعلّك تَرْضى	تُرْضى	٤/ ١١٨
١٣١	زَهْرَةَ الحياة الدنيا	زَهَرَةَ الحياة	٤/ ١١٨
١٣٣	أوَلم تأتهم بيّنَةُ	يأتهم	٤/ ١١٩

(٢١) الأنبياء

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٤٧	وإن كان مثقالَ حبّةٍ	مثقالُ	٤/ ١٤٢
٤٨	وضياءً وذكراً	ضياءً	٤/ ١٤٣

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٥١	آتينا إبراهيم رُشْدَه	رَشَدَه	٤/ ١٤٤
٥٨	فجعلهم جُذاذاً	جِذاذاً	٤/ ١٤٧
٧٣	وجعلناهم أئمةً	ييمّةً[1]	٤/ ١٥٢
		أيِمَّةً	٤/ ١٥٢
٨٠	لتُحصنكم من بأسكم	لنُحصنكم	٤/ ١٥٦
		ليُحصنكم	٤/ ١٥٦
١١٢	قال ربِّ أحكمْ بالحقّ	قل	٤/ ١٧٠
		ربي أَحْكَمُ	٤/ ١١٢
		ربي أَحْكَمَ	٤/ ١١٢
	على ما تصفون	يصفون	٤/ ١١٢

(٢٢) الحجّ

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢	وترى الناس سكارى	سَكْرى	٤/ ١٧٣
٢٥	سواءً العاكفُ فيه	سواءٌ	٤/ ١٨٦
٣٦	والبُدْنَ جعلناها لكم	والبُدُنُ	٤/ ١٩٢
٣٩	أُذن للذين	أذن	٤/ ١٩٥
٣٩	يقاتَلون	يقاتِلون	٤/ ١٩٥
٤٥	وبئرٍ معطّلةٍ	وبيرٍ	٤/ ١٩٩
٤٧	ممّا تعدّون	يعدّون	٤/ ٢٠١
٥١	سَعَوْا في آياتنا		

(١) بتخفيف الهمزتين.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	معاجزين	معجّزين	٤/ ٢٠٢

(٢٣) المؤمنون

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٤	فخلقنا المضغة عظاماً	عظماً	٤/ ٢١٦
	فكسونا العظام لحماً	العظم	٤/ ٢١٦
٢٠	من طور سَيْناء	سِيْناء	٤/ ٢١٧
	تَنْبُت بالدهن	تُنْبت	٤/ ٢١٨
٤٤	أرسلنا رسلنا تترى	تترىً	٤/ ٢٢٥
٦٧	سامراً تَهْجُرون	تُهْجِرون	٤/ ٢٣٠
		يَهْجُرون	٤/ ٢٣١
		يُهْجِرون	٤/ ٢٣١
٨٧	سيقولون لله	اللهُ	٤/ ٢٣٤
٨٩	سيقولون لله	اللهُ	٤/ ٢٣٤
١١١	أنهم هم الفائزون	إنهم	٤/ ٢٤١

(٢٤) النور

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١	سورةٌ أنزلناها		
	وفرضناها	سورةً	٤/ ٢٤٣
		وفرّضناها	٤/ ٢٤٤
٢	ولا تأخذكم بهما		
	رأفةٌ	يأخذكم	٤/ ٢٤٥
		رَأَفة	٤/ ٢٤٥

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٤	لم يأتوا بأربعةِ شهداءَ	بأربعةٍ	٢٤٦/٤
٦	فشهادة احدهم أربعُ		
	شهادات	أربعَ شهاداتٍ	٢٤٩/٤
٧	والخامسةُ أنّ لعنةَ اللهِ		
	عليه	والخامسةَ	٢٤٩/٤
		أنْ لعنةُ اللهِ	٢٤٩/٤
٩	والخامسةُ أنّ غَضَبَ		
	اللهِ عليها	والخامسةَ	٢٤٩/٤
		أنْ غَضَبُ اللهِ	٢٤٩/٤
		أن غَضبَ اللهُ	٢٤٩/٤
١١	والذي تولّى كبْره	كُبْرَهُ	٢٥١/٤
٣١	أيّهَ المؤمنون	أيُّهُ المؤمنون	٢٦١/٤
٣٥	كأنها كوكبٌ درّيٌّ	دُرِّيْء	٢٦٥/٤
		دِرِّيْء	٢٦٥/٤
	يُوقَد من شجرة	تُوقَد	٢٦٥/٤
			٣٢٦/٢
٣٦	يسبّحُ له فيها	يُسبَّح	٤٧٩/٢
			٢٦٧/٤
٤٠	من فوقه سحابٌ		
	ظلماتٌ	سحابُ ظلماتٍ	٢٧٠/٤
		سحابٌ ظلماتٍ	٢٧٠/٤
٤٣	يكاد سنا بَرْقِهِ	سناءُ بُرَقه	٢٧٢/٤

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٥٨	ثلاثُ عَوْرات لكم	ثلاثَ عَوْرات	٤/ ٢٧٨
		عَوَرات	٤/ ٢٧٨

(٢٥) الفرقان

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٥	أساطير الأولين اكتتبها	اكتُتِبَها	٤/ ٢٨٨
١٠	ويجعلْ لك قصورا	ويجعلُ	٤/ ٢٩٠
١٧	ويوم يحشرهم	نحشُرهم	٤/ ٢٩٣
		نحشِرهم	٤/ ٢٩٣
	فيقول أأنتم	فنقول	٤/ ٢٩٣
٦٠	أنسجد لما تأمرنا	يأمرنا	٤/ ٣١٢
٦٧	لم يسرفوا ولم يَقْتُروا	يقْتِروا	٤/ ٣١٥
		يُقْتِروا	٤/ ٣١٥
٦٩	يضاعَفْ له العذاب يومَ القيامة ويَخْلُدْ فيه	يضاعفُ . . ويخلدُ	٤/ ٣١٥
٧٤	من أزواجنا وذرّياتنا	وذرّيتنا	٤/ ٣١٧

(٢٦) الشعراء

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١١	ألا يتّقون	تتّقون	٤/ ٣٢٢
١٣	ويضيقُ صدري ولا ينطلقُ لساني	ويضيقَ صدري ولا ينطلقَ	٤/ ٣٢٣

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٩	وفعلت فَعْلتك	فِعْلتك	٤/ ٣٢٦
١١١	واتّبعك الأرذلون	وأتباعُكَ	٤/ ٣٤١
١٩٧	أولم يكن لهم آيةً	تكن لهم آيةٌ	٤/ ٣٥١
٢١٧	وتوكّل على العزيز	فتوكّل	٤/ ٣٥٦
٢٢٧	أي منقلب ينقلبون	أيّ منفلت ينفلتون	٤/ ٣٦٠

(٢٧) النّمل

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٧	أو آتيكم بشهابٍ		
	قبس	بشهابِ قبسٍ	٤/ ٣٦٣
٢٢	فمَكُثَ غيرَ بعيدٍ	فمَكَثَ	٤/ ٣٧٠
٢٥	ألّا يسجدوا لله	وألا يا اسجدوا	٤/ ٣٧١
٤٧	أنتم قوم تُفتنون	يُفتنون	٤/ ٣٨٣
٤٩	تقاسموا بالله لَنُبيتنّه	لتُبيِّتُنّه	٤/ ٣٨٤
	ثم لنقولَنّ	ثم لتقولُنّ	٤/ ٣٨٤
٥١	أنّا دمّرناهم	إنّا	٤/ ٣٨٤
٦٠	حدائق ذات بَهْجة	ذوات بَهَجة	٤/ ٣٨٨
٦٣	تعالى الله عمّا		
	يشركون	تشركون	٤/ ٣٩٠
٦٦	بل ادّارك علمُهم	أدرك	٤/ ٣٩١
٧٢	عسى أن يكون رَدِفَ		
	لكم	رَدَفَ	٤/ ٣٩٣
٨١	وما أنت بهادي العُمْيِ	بهادِ العُمْيَ	٤/ ٣٩٤

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		تهدي العُمْيَ	٤/ ٣٩٤
٨٧	وكلٌّ أتوه داخرين	آتُوه	٤/ ٣٩٨
٨٩	وهم من فزعٍ يومَئذٍ		
	آمنون	من فزعِ يومِئذٍ	٤/ ٣٩٩
		من فزعِ يومَئذٍ	٤/ ٣٩٩
٩٣	بغافلٍ عما تعملون	يعملون	٤/ ٤٠٠

(٢٨) القصص

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٦	ونُريَ فرعونَ وهامانَ	ويرى فرعونُ وهامانُ	٤/ ٤٠٢
٢٣	حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ	يَصْدُرَ	٤/ ٤١٠
		الرُّعاء	٤/ ٢١٠
٣٢	جناحك من الرَّهْب	الرَّهَب	٤/ ٤١٥
		الرُّهْب	٤/ ٤١٥
٣٤	فأرسله معي ردءاً		
	يصدِّقُني	رداً	٤/ ٤١٦
		يصدِّقْني	٤/ ٤١٦
٤٨	قالوا سِحْران تَظَاهرا	ساحران تَظَاهرا	٤/ ٤٢١
		ساحران تَظَّاهرا	
٦١	ثمَّ هُوَ يوم القيامة	ثمَّ هْوَ	٤/ ٤٢٤

(٢٩) العنكبوت

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٥	مودَّةَ بينِكم في الحياة	مودّةُ بينكم	٤/ ٤٤٢

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		مودةً بينكم	٤/ ٤٤٢
٥٨	لنبوّئنهم من الجنة	لنُثْوِيَنَّهم	٤/ ٤٥١
		لنُثَوِّيَنَّهم	٤/ ٤٥١

(٣٠) الرّوم

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢	غُلِبَتْ الروم	غَلَبَت	٤/ ٤٥٥
٣	من بعد غلبهم سيَغْلِبون	سيُغْلَبون	٤/ ٤٥٥
٩	كيف كان عاقبةُ الذين	عاقبةَ	٤/ ٤٥٨
٣٦	إذا هم يَقْنَطون	يَقْنِطون	٤/ ٤٦٦
٣٩	وما آتيتم من زكاة	أتيتم	٤/ ٤٦٧
٤١	ليذيقهم بعض الذي	لنذيقهم	٤/ ٤٦٨
٥٤	خلقكم من ضَعْفٍ ثم جعل من بعد ضَعْفٍ قوة	من ضُعْفٍ ثم جعل من بعد ضُعْفٍ	٤/ ٤٧٣
	ثم جعل من بعد قوةٍ ضَعْفاً	ضُعْفاً	٤/ ٤٧٣

(٣١) لقمان

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٨	ولا تصعّر خدّك	تصاعر	٤/ ٤٨٠
٢٧	والبحرُ يمدّه من بعده	والبحرَ	٤/ ٤٨٣

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	(٣٢) السجدة		
٧	أحسن كل شيءٍ خَلَقَه	خَلْقَه	٤/ ٤٨٩
١٧	ما أُخْفِيَ لهم	أُخْفِيْ	٤/ ٤٩٣
٢٤	يهدون بأمرنا لمّا		
	صبروا	لِمَا صبروا	٤/ ٤٩٦
	(٣٣) الأحزاب		
٤	وما جعل أزواجكم		
	اللائي تُظاهِرون	اللاّيِ	٤/ ٥٠٠
		اللاّءِ	٤/ ٥٠٠
		اللاتي	٤/ ٥٠٠
		تَظَّهَّرون	٤/ ٥٠٠
		تَظَّاهرون	٤/ ٥٠٠
١٣	لا مُقام لكم	مَقام	٤/ ٥٠٨
١٤	ثم سُئلوا الفتنة لآتوها	لأتوها	٤/ ٥٠٨
٢١	في رسول الله أُسوة		
	حسنة	إسْوة	٤/ ٥١٢
٣٠	يُضاعَفْ لها العذابُ	نضعِّفْ لها العذابَ	٤/ ٥١٨
		يُضَعَّفْ لها العذابُ	٤/ ٥١٨
٣١	ومن يقنتْ منكن لله		
	ورسوله وتعملْ		
	صالحاً	ويعملْ	٤/ ٥١٨

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣٣	وقَرْنَ في بيوتكنّ	وقِرْنَ	٤/ ٥٢٠
٤٠	ولكنْ رسولَ الله	ولكنّ رسولَ الله	٤/ ٥٢٦
٤٩	من عدّةٍ تعتدّونها	تَعْتَدُونها	٤/ ٥٢٨
٥٣	إلى طعامٍ غيرَ ناظرين إناه	غيرِ ناظرين	٤/ ٥٣٣
٦٤	أطعنا سادَتَنا وكبراءنا	ساداتِنا	٤/ ٥٣٨

(٣٤) سبأ

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣	لا يَعْزُبُ عنه	لا يَعْزِب	١٢٠٩
١٠	يا جبالُ أوّبي معه والطّيرَ	والطّيرُ	٤/ ٥٤٥
١٢	ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا	يُزِغْ	٤/ ٥٤٦
١٤	دابّة الأرض تأكل مِنْسَأته	مِنساته	٤/ ٥٤٩
		مِنْسَأْتَه	٤/ ٥٤٩
	تَبَيَّنَت الجنّ	تُبُيِّنَت	٤/ ٥٥٠
١٥	في مَسْكَنِهِم آية	مساكنهم	٤/ ٥٥١
		مَسْكِنِهم	٤/ ٥٥١
١٦	جنّتين ذواتي أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشيءٍ من سِدْرٍ	أُكُلِ خمطٍ	٤/ ٥٥٣

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		خمطاً وأثلاً وشيئاً	٤/ ٥٥٣
١٩	فقالوا ربَّنا باعِدْ بين		
	أسفارنا	ربُّنا باعَدَ	٤/ ٥٥٥
		ربَّنا بَعِّدْ	٤/ ٥٥٥
٣٧	لهم جزاءُ الضِّعفِ	جزاءٌ الضِّعْفُ	٤/ ٥٦٥
٥٢	وأنّى لهم التناوش	التناؤُش	٤/ ٥٧٢
٥٣	ويَقْذِفون بالغيب	ويُقْذَفون	١/ ٥٧٢

(٣٥) فاطر

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢	فلا مرسل له من بَعده	فلا مرسل لها	٤/ ٥٧٦
٣	هل من خالقٍ غيرُ اللهِ	غيرِ الله	٤/ ٥٧٧
٤٣	ومَكْرَ السّيّىءِ ولا	ومَكْرَ السّيّىءْ[1] ولا	٤/ ٥٩٣

(٣٦) يس

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٥	تنزيلَ العزيز	تنزيلُ	٤/ ٥٩٥
٩	من بين أيديهم سَدّاً		
	ومن خلفهم سَدّاً	سُدّاً ومن خلفهم	
		سُدّاً	٤/ ٥٩٦
٣٢	وإنْ كلٌّ لمّا	لَمَا	٤/ ٦٠٢
٣٥	وما عملته أيديهم	عملتْ	٤/ ٦٠٤

(١) من إجراء الوصل مجرى الوقف.

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣٩	والقمرَ قدّرناه	والقمرُ	٤/ ٦٠٥
٤٩	وهم يَخِصّمون	يِخِصّمون	٤/ ٦٠٨
		يَخَصّمون	٤/ ٦٠٨
		يَخْصِمون	٤/ ٦٠٩
٦٢	أضلّ منكم جِبِلاًّ	جِبِلاً	٤/ ٦١١
		جُبْلاً	٤/ ٦١١
		جِبَلاً	٤/ ٦١١
٦٦	فاستبَقوا الصراط	فاستَبِقوا	٤/ ٦١١

(٣٧) الصّافات

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٦	بزينةٍ الكواكبِ	بزينةٍ الكواكبِ	٤/ ٦١٨
		بزينةٍ الكواكبَ	٤/ ٦١٨
٨	لا يسّمّعون	لا يَسْمعون	٤/ ٦١٨
١٢	بل عجبتَ ويسخرون	عجبتُ	٤/ ٦٢٠
٤٧	ولا هم عنها يُنزَفون	يُنزِفون	٤/ ٦٢٦
٩٤	فأقبلوا إليه يَزِفّون	يُزفّون	٤/ ٦٣٤
١٢٦	اللهَ ربّكم	اللهُ ربُّكم	٤/ ٦٣٩
١٣٠	سلام على إلْ ياسين	آل ياسين	٤/ ٦٣٩
١٦٣	هو صالِ الجحيم	صالو	٤/ ٦٤٤

(٣٨) ص

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٩	أنزلناه إليك مباركٌ	مباركاً	٥/ ١٥

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣٣	فطفق مسحاً بالسّوق	بالسؤوق	٥/ ١٧
٤٥	واذكر عبادنا	عبدنا	٥/ ٢١
٤٦	أخلصناهم بخالصةٍ		
	ذكرى الدار	بخالصةِ ذكرى	٥/ ٢٢
٥٧	حميم وغسّاق	وغَسَاق	٥/ ٢٥
٥٨	وآخرُ	وأُخر	٥/ ٢٥
٦٣	أتّخذناهم سِخْرياً	أتخذناهم	٥/ ٢٦
٨٤	قال فالحقُّ	فالحقَّ	٥/ ٢٩

(٣٩) الزّمر

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٧	وإن تشكروا يرضَهُ		
	لكم	يرضهو	٥/ ٣٤
		يرضَهْ	٥/ ٣٤
٣٦	أليس الله بكافٍ عبدَه	بكافي عبدِه	٥/ ٤٤
		يكافي عباده	٥/ ٤٤
٣٨	هل هنّ كاشفاتُ		
	ضرِّه	كاشفاتٌ ضُرَّه	٥/ ٤٥
	هل هن ممسكاتُ		
	رحمتِه	ممسكاتٌ رحمتَه	٥/ ٤٥
٦٠	وجوهُهم مسودّةٌ	وجوهَهم مسودّةً	٥/ ٥١
٦١	الذين اتّقوا بمفازتهم	بمفازاتهم	٥/ ٥١
٦٤	أفغيرَ الله تأمرونّي	تأمروني	٥/ ٥٢

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٦٩	وأشرقت الأرض	وأُشرقت	٥/ ٥٤

(٤٠) غافر

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٦	أو أن يُظهر	وأن	٥/ ٦٥
	يُظهر في الأرض		
	الفسادَ	يَظهر في الأرض	
		الفسادُ	٥/ ٦٥
٣٥	على كلِّ قلبِ متكبّرٍ	قلبٍ متكبّر	٥/ ٧٠
٣٧	فأطّلعَ إلىٰ إله موسى	فأطّلعُ	٥/ ٧١
	وصُدَّ عن السبيل	وصَدَّ	٥/ ٧١
٤٨	إنّا كلٌّ فيها	إنّا كلًّا فيها	٥/ ٧٣
٦٠	سيَدخلون جهنم	سيُدخلون	٥/ ٧٧

(٤١) فصّلت

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٠	سواءً للسائلين	سواءٍ	٥/ ٨٨
		سواءٌ	٥/ ٨٨
٤٤	ءَاعجمي وعربي	آعجمي	٥/ ١٠٠
		أعجمي	٥/ ١٠٠
٥٤	إنهم في مِريةٍ	مُرية	٥/ ١٠٣

(٤٢) الشورى

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣	يوحي إليك	يُوحىٰ	٥/ ١٠٦
٣٠	فبما كسبت أيديكم	بما كسبت	٥/ ١١٤

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣٥	ويعلمَ الذين يجادلون	ويعلمُ	٥/ ١١٥

(٤٣) الزّخرف

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٤	وإنه في أُمّ الكتاب	إمّ الكتاب	٥/ ١٢٤
١٩	الذين هم عبادُ		
	الرحمن	عند الرحمن	١/ ١٢٧
٢٦	إنني بَراءٌ مما تعبدون	بُراء	٥/ ١٢٩
		بريء	٥/ ١٢٩
٣٣	لبيوتهم سُقُفاً من فضة	سَقْفاً	٥/ ١٣٢
٣٨	حتى إذا جاءنا	جاءانا	٥/ ١٣٣
٤٩	يا أيها الساحر	أيُّهُ الساحر	١٧٩٤
٥٣	أَسْوِرةٌ من ذهب	أساورة	٥/ ١٣٩
٦١	وإنه لَعِلْمٌ للسّاعة	لَعَلَمٌ	٥/ ١٤١
٨٨	وقِيْلِه يارَبِّ	وقيلَه	٥/ ١٤٤
		وقيلُه	٥/ ١٤٤

(٤٥) الجاثية

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٥	واختلاف الليل		
	والنهار	وفي اختلاف	٥/ ١٥٦
١٤	ليَجْزِيَ قوماً	لنجزيَ	٥/ ١٥٩
		ليُجزىٰ قوماً	٥/ ١٥٩
٢٠	هذا بصائر للناس	هذه	٥/ ١٦٠

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٨	وترى كلَّ أمّة جاثية	جاذية	٥/ ١٦٣
	كلُّ أمّة تُدعى	كلَّ أمّة	٥/ ١٦٣
٣٢	والساعةُ لا ريب فيها	والساعةَ	٥/ ١٦٤

(٤٦) الأحقاف

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٦	نَتقبّل عنهم أحسنَ ما عملوا ونتجاوز	يُتَقَبّل عنهم أحسن ما عملوا ويُتجاوز	٥/ ١٧٤
٢٠	أذهبتم طيّباتكم	أَأَذهبتم	٥/ ١٧٥
٢٥	لا يُرى إلا مساكنهم	لا تُرى	٥/ ١٧٧

(٤٧) محمد

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٥	من خمرٍ لذةٍ للشاربين	لذّةٌ	٥/ ١٨٩
		لذّةً	٥/ ١٨٩

(٤٨) الفتح

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٩	لتؤمنوا وتعزروه وتوقّروه وتسبّحوه	ليؤمنوا.. ويعزّروه ويوقّروه ويسبّحوه	٥/ ٢٠٠

(٤٩) الحجرات

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١	لا تُقدّموا بين يدي الله	لا تَقَدّموا	٥/ ٢١١

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٦	فتبيّنوا أن تصيبوا	فتثبّتوا	٥/ ٢١٣
١٠	فأصلحوا بين أخويكم	إخوتكم	٥/ ٢١٣
١٤	لا يَلِتكم من أعمالكم	يألتكم	٥/ ٢١٧

(٥٠) ق

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣٦	فنقّبوا في البلاد	فنقُبوا	٥/ ٢٣٠

(٥١) الذاريات

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢٣	إنه لحقٌّ مثلَ	مثلُ	٥/ ٢٣٨
٤٦	وقومَ نوحٍ من قبل	وقومِ نوحٍ	٥/ ٢٤٣

(٥٢) الطّور

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢١	واتّبعتهم ذرّيتهم بإيمان	وأتبعناهم ذرّياتهم	٥/ ٢٥١

(٥٣) النجم

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
١٩	أفرأيتم اللاّت والعزّى	اللاّتّ	٥/ ٢٦٠
٢٢	قسمة ضيزى	ضئزى	٥/ ٢٦٢
٥٥	فبأي آلاء ربك تتمارى	ربك تّمارى	٥/ ٢٧٠

(٥٤) القمر

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٧	خشّعاً أبصارهم	خاشعةً	٥/ ٢٧٢

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
		خاشعاً	
٥٤	في جّنات وَنَهر	ونَهْر	٥/ ٢٨٠
٥٥	في مقعدِ صدقٍ	في مقاعدِ	٥/ ٢٨٠

(٥٥) الرحمن

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣١	أيّها الثقلان	أيُّهُ الثّقلان	٥/ ٢٨٨
٧٨	تبارك اسم ربك		
	ذي الجلال	ذو الجلال	٥/ ٢٩٢

(٥٦) الواقعة

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٣	خافضةٌ رافعةٌ	خافضةً رافعةً	٥/ ٢٩٥
٢٢	وحورٌ عينٌ	وحورٍ عينٍ	٥/ ٢٩٨

(٥٧) الحديد

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٨	وقد أخذ ميثاقكم	أُخذ ميثاقكم	٥/ ٣٠٩
١٠	وكلاًّ وَعَد الله	وكلٌّ	٥/ ٣٠٩
١٣	للذين آمنوا ٱنظُرونا	أنْظِرونا	٥/ ٣١١
٢٠	فتراه مصفّراً	مصفارّاً	٥/ ٣١٤

(٥٨) المجادلة

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٢	ما هنّ أمّهاتِهم	أمّهاتُهم	٥/ ٣٢٢
		بأمّهاتهم	

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	(٥٩) الحشر		
٥	أو تركتموها قائمةً	قائماً	٥/ ٣٣٥
٧	كيلا يكون دُولةً بين الأغنياء	تكون	٥/ ٣٣٦
	(٦٠) الممتحنة		
١٠	واسألوا ما أنفقتم	وسَالُوْا	٥/ ٣٤٧
	(٦١) الصف		
٦	هذا سحرٌ مبين	ساحرٌ	٥/ ٣٥٤
١١	تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون	آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا	٥/ ٣٥٤
		تؤمنوا بالله ورسوله وتجاهدوا	٥/ ٥٣٤
١٣	نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ	نصراً من الله وفتحاً قريباً	٥/ ٣٥٥
	(٦٣) المنافقون		
١١	خبير بما تعملون	يعملون	٥/ ٣٦٢

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	(٦٥) الطلاق		
٣	إن الله بالغُ أمرِه	بالغٌ أمرَه	٥/ ٣٧٨
	(٦٦) التحريم		
٣	عرّف بعضه	عَرَف	٥/ ٣٨٤
٤	وإن تَظَاهرا	تظّاهرا	٥/ ٣٨٥
٨	توبوا إلى الله توبةً نَصوحاً	نُصوحاً	٥/ ٣٨٧
١٢	بكلمات ربّها وكتبه	وكتابه	٥/ ٣٨٩
	(٦٧) الملك		
٣	في خلق الرحمن من تفاوت	من تفوُّت	٥/ ٣٩٢
٦	عذابُ جهنم	عذابَ	٥/ ٣٩٣
	(٧١) نوح		
٢٥	ممّا خطيئاتهم أغرقوا	خطاياهم خطيّاتهم	٥/ ٤٣٢
	(٧٢) الجنّ		
٣	وأنه تعالى جدّ ربنا	وإنه	٥/ ٤٣٦
٤	وأنه كان يقول	وإنه	٥/ ٤٣٦
٥	وأنا ظننّا أن لن تقول	وإنّا	٥/ ٤٣٧

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٦	وأنّه كان رجال	وإنه	٥/ ٤٣٧
٧	وأنهم ظنّوا	وإنهم	٥/ ٤٣٧
٨	وأنّا لمسنا السماء	وإنّا	٥/ ٤٣٨
٩	وأنّا كنّا نقعد	وإنّا	٥/ ٤٣٨
١٠	وأنّا لا ندري	وإنّا	٥/ ٤٣٨
١١	وأنّا منّا الصالحون	وإنّا	٥/ ٤٣٩
١٢	وأنّا ظننّا أن لن نعجز الله	وإنّا	٥/ ٤٣٩
١٣	وأنّا لمّا سمعنا	وإنّا	٥/ ٤٣٩
١٤	وأنّا منّا المسلمون	وإنّا	٥/ ٤٣٩

(٧٣) المزمّل

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٦	هي أشدّ وطئاً	وَطاءً	٥/ ٤٥١
٩	ربُّ المشرق والمغرب	ربِّ المشرق	٥/ ٤٥٢
٢٠	أدنى من ثلثي الليل ونصفَه وثلثه	ونصفِه وثلثِه	٥/ ٤٥٤

(٧٤) المدّثر

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٥٠	كأنهم حمرٌ مستنفِرة	مستنفَرة	٥/ ٤٦٦

(٧٥) القيامة

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
٧	فإذا بَرِق البصر	بَرَق	٥/ ٤٧٠

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	(٧٦) الدّهر		
٤	أعتدنا للكافرين		
	سلاسلَ	سلاسلاً	٥/ ٤٨٠
١٥-١٦	كانت قواريرَ		
	قواريرَ من فضة	قواريراً قواريراً	٥/ ٤٨٠
		قواريراً قواريرَ	
٢١	ثيابُ سندسٍ خضرٌ		
	وإستبرقٌ	خضرٍ وإستبرقٍ	٥/ ٤٨١
	(٧٧) المرسلات		
٢٣	فَقَدَرْنا	فقدَّرْنا	٥/ ٤٨٨
٣٣	كأنه جِمالةٌ صفر	جِمالاتٌ	٥/ ٤٨٩
		جُمالاتٌ	
٣٥	هذا يومُ لا ينطقون	يومَ	٥/ ٤٨٩
	(٧٨) النّبأ		
١	عمّ يتساءلون	عمَّه	٥/ ٤٩٣
٣٧	ربِّ السماوات		
	والأرض وما بينهما		
	الرحمنِ	ربُّ السموات والأرض	
		وما بينهما الرحمنُ	٥/ ٤٩٨

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	(٧٩) النازعات		
١١	عظاماً نخرة	ناخرة	٥/ ٥٠٣
١٨	إلى أن تَزَكّى	تَزَّكّى	٥/ ٥٠٤
٣٣	متاعاً لكم ولأنعامكم	متاعٌ	٥/ ٥٠٦
	(٨٠) عبس		
٦	فأنت له تَصَدّى	تصّدّى	٥/ ٥١٠
١٠	فأنت عنه تلهّى	عنهو تَّلَهّى	٥/ ٥١٠
	(٨١) التكوير		
٢٤	على الغيب بضنين	بظنين	٥/ ٥١٧
	(٨٤) الانشقاق		
١٩	لتركبُنَّ طبقاً	لتركبَنَّ	٥/ ٥٣١
	(٨٥) البروج		
١٥	ذو العرش المجيدُ	المجيدِ	٥/ ٥٣٥
٢٢	في لوحٍ محفوظٍ	محفوظٌ	٥/ ٥٣٦
	(٨٦) الطارق		
٤	لمّا عليها حافظ	لَمَا عليها	

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	(٨٧) الأعلى		
١٦	بل تؤثرون الحياة	يؤثرون	٥/ ٥٤٤
	(٨٨) الغاشية		
١١	لا تَسمع فيها لاغيةً	لا تُسمع فيها لاغيةٌ	٥/ ٥٧٤
٢٣	إلّا من تولّى	ألَا من	٥/ ٥٤٩
	(٨٩) الفجر		
١٥	ربي أكرمنِ	أكرمني	٥/ ٥٥٤
١٦	ربي أهاننِ	أهانني	٥/ ٥٥٤
١٧	بل لا تكرمون اليتيم	لا يكرمون	٥/ ٥٥٤
١٨	ولا تَحاضّون	ولا يَحاضّون	٥/ ٥٥٤
		ولا تُحاضّون	٥/ ٥٥٤
١٩	وتأكلون التراث	ويأكلون	٥/ ٥٥٤
٢٠	وتحبون المال	ويحبّون	٥/ ٥٥٤
٢٥	لا يعذِّب عذابَه أحدٌ	لا يُعذَّب	٥/ ٥٥٥
٢٦	ولا يوثِق وثاقَه أحدٌ	ولا يُوثَق	٥/ ٥٥٥
	(٩٠) البلد		
١٣	فَكُّ رقبةٍ	فكَّ رقبةٍ	٥/ ٥٥٩
٢٠	عليهم نار مؤصدة	موصدة	٥/ ٥٦٠

رقم الآية	قراءة المصحف	قراءات أخرى	رقم الصفحة
	(٩٣) الضحى		
٣	ما ودّعك ربك	ما وَدَعك	٥/ ٥٦٩
	(٩٤) الانشراح		
١	ألم نشرحْ	ألم نشرحَ	٥/ ٥٧٣
	(٩٦) العلق		
١٨	سندعُ الزّبانيةَ	سيُدعى الزّبانيةُ	٥/ ٥٨٨
	(٩٧) القدر		
٥	حتى مَطْلَع الفجر	مطلِـعِ الفجر	٥/ ٥٨٤
	(٩٩) الزلزلة		
٦	ليُرَوْا أعمالهم	ليَرَوْا	٥/ ٥٨٨

فهرست أسباب النزول[1]

(١) أثبتّ ما كان نزوله مرتبطاً بحادثة أو واقعة. أمّا ما كان وصفاً لحقيقة عامة فلم أسجل منه إلا ما اتّصل بسبب من أسباب النزول. وقد يكون سبب نزول آيةٍ شاملاً لها ولما بعدها من آية أو آيات. وما ذكره المصنّف من أسباب نزول بعض السّور في مبتدآت تفسيرها أشرت إليه بعبارة «سبب نزول السورة» دون أن يكون شاملاً سبب نزول السورة كلها ضرورةً.

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة

(٢) البقرة

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٨٠	وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة	١/ ١٥٤
٨٥	ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم	١/ ١٥٩
٨٩	ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم	١/ ١٦٤
٩٤	قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة	١/ ١٦٩
١٠٠	أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم	١/ ١٧٥
١٠٦	ما ننسخ من آية أو نُنْسِها نأت بخير منها	١/ ١٨٣
١١١	وقالوا لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً أو نصارى	١/ ١٨٦
١١٣	وقالت اليهود ليست النصارى على شيء	١/ ١٨٩
١١٤	ومن أظلم ممّن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه	١/ ١٨٩
١١٨	وقال الذين لا يعلمون لولا يكلّمنا الله	١/ ١٩٣
١٢٠	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملّتهم	١/ ١٩٤
١٢١	الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته	١/ ١٩٥
١٣٠	ومن يرغبُ عن ملّة إبراهيم إلا من سفه نفسه	١/ ٢٠٤
١٣٩	قال أتحاجّوننا في الله وهو ربّنا وربّكم	١/ ٢١٢

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٤٣	وما كان الله ليُضيع إيمانكم	١/ ٢١٦
١٥٨	إن الصّفا والمروة من شعائر الله	١/ ٢٢٦
١٦٣	وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم	١/ ٢٣٠
١٧٤	إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب	١/ ٢٤٢
١٧٧	ليس البرَّ أن تُولّوا وجوهكم قِبلَ المشرق والمغرب	١/ ٢٤٤
١٧٨	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى	١/ ٢٤٦
١٨٦	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب	١/ ٢٦١
١٨٧	أُحلّ لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نسائكم	١/ ٢٦٢
١٨٨	ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل	١/ ٢٦٤
١٨٩	يسألونك عن الأهلّة	١/ ٢٦٦
١٩٠	وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم	١/ ٢٦٧
١٩٤	الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص	١/ ٢٧٠
١٩٦	فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه	١/ ٢٧٣
١٩٧	وتزوّدوا فإنّ خير الزّاد التقوى	١/ ٢٨٠
١٩٩	ثم أفيضوا من حيثُ أفاض الناس	١/ ٢٨٢
٢٠٠	فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله	١/ ٢٨٥
٢٠٤	ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا	١/ ٢٨٨

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٢١٢	زُيّن للذين كفروا الحياة الدنيا	١/ ٣٠٠
٢١٤	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة	١/ ٣٠٢
٢١٥	يسألونك ماذا ينفقون قال ما أنفقتم من خير فللوالدين	١/ ٣٠٤
٢١٧	يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه	١/ ٣٠٥
٢١٨	إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله	١/ ٣٠٨
٢١٩	يسألونك عن الخمر والميسر	١/ ٣٠٩
٢٢٠	ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح	١/ ٣١٢
٢٢١	ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ	١/ ٣١٣
٢٢٢	ويسألونك عن المحيض قل هو أذى	١/ ٣١٥
٢٢٣	نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم	١/ ٣١٦
٢٢٩	ولا يحلُّ لكم أن تأخذوا ممّا آتيتموهنَّ شَيْئاً	١/ ٣٢٨
٢٣١	وإذا طلّقتم النساء فبلغن أجلهنّ	١/ ٣٣٤
٢٣٦	لا جناح عليكم إن طلّقتم النساء ما لم تمسوهنّ	١/ ٣٤٨
٢٥٦	لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ	١/ ٣٧٣
٢٦٧	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم	١/ ٣٩٠
٢٧٢	ليس عليك هداهم ولكنّ الله يهدي من يشاء	١/ ٣٩٦

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٢٧٤	الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار	١/ ٣٩٩
٢٧٨	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الرّبا	١/ ٤٠٤
٢٨٠	وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة	١/ ٤٠٥

(٣) آل عمران

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(سبب نزول نيف وثمانين آية من أول السورة)	١/ ٤٢٧
٧	هو الذي أنزل عليك الكتاب	١/ ٤٣٤
١٢	قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنم	١/ ٤٣٨
١٨	شهد الله أنه لا إله إلاّ هو	١/ ٤٤٣
٢٦	قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء	١/ ٤٥٨
٥٩	إنّ مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم	١/ ٤٩٣
٦٤	قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم	١/ ٤٩٦
٦٥	قل يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم	١/ ٤٩٧
٦٨	إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتّبعوه	١/ ٤٩٨
٦٩	ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّونكم	١/ ٤٩٩
٧٢	وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنزل	١/ ٣٠٥

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٧٥	ومن أهل الكتاب من إن تأمَنْه بقنطار	١/ ٥٠٥
٧٩	ما كان لبشرٍ أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنّبوة	١/ ٥١٠
٩٠	إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً	١/ ٥٢٠
٩٣	كل الطعام كان حلاًّ لبني إسرائيل	١/ ٥٢٣
٩٨-٩٩	قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله	١/ ٥٢٨
١١٣	ليسوا سواءً من أهل الكتاب	١/ ٥٤٥
١١٨	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم	١/ ٥٤٩
١٢١-١٢٩	وإذا غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال	١/ ٥٥٤
١٢٢	إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا	١/ ٥٥٥
١٣٥	والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم	١/ ٥٦٢
١٣٩	ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون	١/ ٥٦٣
١٤٣	ولقد كنتم تَمَنَّوْن الموت من قبل أن تلقوه	١/ ٥٦٥
١٤٤	وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل	١/ ٥٦٦
١٤٦	وكأيّن من نبيّ قاتل معه ربّيون كثير	١/ ٥٦٧
١٤٩	يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا	١/ ٥٧٠
١٥٢	ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسّونهم بإذنه	١/ ٥٧١

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٥٣	إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد	١/ ٥٧٤
١٥٤	ثم أنزل عليكم من بعد الغمِّ أمنةً نعاساً	١/ ٥٧٧
١٥٥	إن الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان	١/ ٥٧٩
١٦١	وما كان لنبيّ أن يغلّ	١/ ٥٨٧
١٦٥	أو لمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلَيْها	١/ ٦١٨
١٦٧	وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا	١/ ٥٩٥
١٧٢	الذين استجابوا لله والرسول	١/ ٥٩٩
١٧٣	الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم	١/ ٥٩٩
١٧٤	فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء	١/ ٦٠٠
١٨١	لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء	١/ ٦٠٦
١٨٣	الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألاّ نؤمن لرسول	١/ ٦٠٨
١٨٦	لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم	١/ ٦١١
١٨٨	لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا	١/ ٦١٢
١٩٠	إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار	١/ ٦١٣
١٩٥	فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم	١/ ٦١٦
١٩٩	وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله	١/ ٦١٩

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة

(٤) النساء

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٢	وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيب	٢/ ١١
٣	وإن خفتم ألّا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم	٢/ ١٢
٦	وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح	٢/ ١٩
٣٢	ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض	٢/ ٦٠
٤٣	يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى	٢/ ٧٠
٤٧	يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا	٢/ ٧٧
٤٨	إن الله لا يغفر أن يُشرك به	٢/ ٧٨
٥١	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب	٢/ ٨٠
٥٨	إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها	٢/ ٨٣
٥٩	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	٢/ ٨٥
٦٠	ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك	٢/ ٨٦
٧٧	ألم تر إلى الذين قيل لهم كُفّوا أيديكم	٢/ ٩٩
٨٣	وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به	٢/ ١٠٤

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٨٤	فقاتل في سبيل الله لا تُكلّف إلا نفسك	٢/ ١٠٥
٩٢	وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلّا خطأً	٢/ ١١٣
	فإن كان من قومٍ عدوٍّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة	٢/ ١١٦
٩٣	ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم	٢/ ١١٧
٩٤	يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا	٢/ ١١٨
٩٥	لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر	٢/ ١١٨
٩٧	إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم	٢/ ١٢٠
١٠٠	ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة	٢/ ١٢٢
١٠١	وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح	٢/ ١٢٣
١٠٥	إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق	٢/ ١٢٧
١١٢	ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً	٢/ ١٣٠
١١٣	ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلّوك	٢/ ١٣٠
١١٥	ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى	٢/ ١٣١
١٢٧	ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن	٢/ ١٣٧

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٢٨	وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً	٢/ ١٤٢
١٣٥	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط	٢/ ١٤٧
١٦٦	لكن الله يشهد بما أُنزل إليك	٢/ ١٧٢
	(٥) المائدة	
٤	يسألونك ماذا أحلّ لهم	٢/ ١٩٩
٦	يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة	٢/ ٢٠٤
٣٣	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله	٢/ ٢٣٣
٣٨	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما	٢/ ٢٣٩
٤١	يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر	٢/ ٢٤٤
٤٩	وأن احكم بينهم بما أنزل الله	٢/ ٢٥٤
٥١	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء	٢/ ٢٥٦
٥٢	فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم	٢/ ٢٥٧
٥٤	يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه	٢/ ٢٦٠
٥٧	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً	٢/ ٢٦٥
٥٨	وإذا ناديتم إلى الصلاة اتّخذوها هزواً ولعباً	٢/ ٢٦٦

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٦٤	وقالت اليهود يدُ الله مغلولة	٢/ ٢٧٢
٦٧	والله يعصمك من الناس	٢/ ٢٧٩
٦٨	قل يا أهل الكتاب لستم على شيء	٢/ ٢٨٠
٧١	وحسبوا ألاّ تكون فتنة	٢/ ٢٨٣
٨٢	لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا	٢/ ٢٩٤
٨٣	وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول	٢/ ٢٩٦
٨٧	يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم	٢/ ٣٠١
٩٠	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر	٢/ ٣٠٥
٩٣	ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح	٢/ ٣٠٨
٩٤	يا أيها الذين آمنوا ليبلونّكم الله بشيء من الصيد	٢/ ٣٠٩
٩٦	أُحلّ لكم صيد البحر وطعامه	٢/ ٣١٣
١٠٠	قل لا يستوي الخبيث والطّيب	٢/ ٣١٨
١٠١	يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء	٢/ ٣١٨
١٠٦-١٠٨	يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم	٢/ ٣٢٥

(٦) الأنعام

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٧	ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس	٢/ ٣٦١
٨	وقالوا لولا أُنزل عليه ملك	٢/ ٣٦٢
١٩	قل أيّ شيء أكبر شهادة	٢/ ٣٧١

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٢٥	ومنهم من يستمع إليك	٢/ ٣٧٧
٢٩	وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا	٢/ ٣٨١
٣٣	قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون	٢/ ٣٨٤
٣٧	وقالوا لولا نُزّل عليه آية من ربّه	٢/ ٣٨٩
٣٩	والذين كذّبوا بآياتنا صمٌّ وبكم في الظلمات	٢/ ٣٩١
٥٢	ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي	٢/ ٤٠٢
		٤/ ٣٤٢
٥٤	وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا	٢/ ٤٠٥
٦٩	وما على الذين يتّقون من حسابهم من شيء	٢/ ٤١٨
٩١	وما قدروا الله حق قدره	٢/ ٤٣٦
٩٣	ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً	٢/ ٤٣٩
٩٤	ولقد جئتمونا فرادى	٢/ ٤٤٠
١٠٨	ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله	٢/ ٤٥٥
١٠٩	وأقسموا بالله جهد أيمانهم	٢/ ٤٥٧
١١١	ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة	٢/ ٤٥٩
١١٤	أفغير الله أبتغي حكماً	٢/ ٤٦٢
١١٨	فكلوا ممّا ذُكر اسم الله عليه	٢/ ٤٦٤
١٢٢	أوَ من كان مَيْتاً فأحييناه	٢/ ٤٦٧
١٢٤	وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن	٢/ ٤٦٩

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٢٥	فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام	٢/ ٤٧١
١٤٠	قد خسر الذين قتلوا أولادهم	٢/ ٤٨٣
١٤١	ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين	٢/ ٤٨٥
١٤٣	ثمانية أزواج من الضأن اثنين	٢/ ٤٨٦
١٦٠	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها	٢/ ٥٠٧
١٦٤	قل أغير الله أبغي رباً	٢/ ٥٠٨

(٧) الأعراف

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٣١	يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد	٢/ ٥٣٢
١٦٣	واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر	٤/ ٦٣٦
١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها	٢/ ٦٤٧
١٨٤	أو لم يتفكّروا ما بصاحبهم من جنّة	٢/ ٦٥٠
١٨٧	يسألونك عن الساعة أيان مُرساها	٢/ ٦٥٣
١٨٨	قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً	٢/ ٦٥٥
٢٠٠	وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ	٢/ ٦٦٥
٢٠٣	وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها	٢/ ٦٦٧
٢٠٤	وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له	٢/ ٦٨٨

(٨) الأنفال

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(سبب نزول السورة)	٣/ ٥

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٧	فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم	٣/ ١٦
٢٢	إن شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم	٣/ ١٩
٢٦	واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون	٣/ ٢٢
٢٧	يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول	٣/ ٢٢
٣١	وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا	٣/ ٢٤
٣٣	وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم	٣/ ٢٧
٣٦	إن الذين كفروا ينفقون أموالهم	٣/ ٢٨
٤٧	ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً	٣/ ٣٦
٤٩	إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض	٣/ ٣٧
٥٥	إن شرّ الدوابّ عند الله الذين كفروا	٣/ ٤٠
٥٩	ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا	٣/ ٤١
٦٣	لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم	٣/ ٤٤
٦٤	يا أيها النبي حسبك الله ومن اتّبعك من المؤمنين	٣/ ٤٥
٦٧	ما كان لنبي أن يكون له أسرى	٣/ ٤٧
٧٠	يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى	٣/ ٤٨
٧٢	وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر	٣/ ٤٩

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة

(٩) التوبة

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٣	ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمُّوا بإخراج الرسول	٣/ ٦٣
١٧	ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله	٣/ ٦٥
١٩	أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام	٣/ ٦٧
٢٨	يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس	٣/ ٧٣
٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله	٣/ ٧٥
٣٨	يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله	٣/ ٨٢
٤٢	لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً	٣/ ٨٦
٤٥	إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله	٣/ ٨٩
٤٧-٤٨	لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً	٣/ ٩٠
٤٩	ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي	٣/ ٩٢
٥٨	ومنهم من يلمزك في الصدقات	٣/ ٩٦
٦١	ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن	٣/ ١٠٠
٦٤	يحذر المنافقون أن تُنَزَّل عليهم سورة	٣/ ١٠٣
٦٥	ولئن سألتهم ليقولُنّ إنما كنا نخوض ونلعب	٣/ ١٠٣
٧٤	يحلفون بالله ما قالوا	٣/ ١٠٩
٧٥	ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله	٣/ ١١٠

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
		٥/ ٣٧٣
٧٩	الذين يلمزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات	٣/ ١١٠
٨٠	استغفر لهم أو لا تستغفر لهم	٣/ ١١١
٨١	فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله	٣/ ١١٣
٨٤	ولا تصلّ على أحدٍ منهم مات أبداً	٣/ ١١٤
٩٠	وجاء المعذّرون من الأعراب	٣/ ١١٦
٩٦	يحلفون لكم لترضوا عنهم	٣/ ١٢٠
٩٧	الأعراب أشد كفراً ونفاقاً	٣/ ١٢٢
٩٨	ومن الأعراب من يتّخذ ما ينفق مغرماً	٣/ ١٢٢
٩٩	ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر	٣/ ١٢٢
١٠٢	وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً	٣/ ١٢٤
١٠٣	خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها	٣/ ١٢٥
١٠٤	ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده	٣/ ١٢٥
١٠٦	وآخرون مُرجَوْن لأمر الله	٣/ ١٢٥
١٠٧	والذين اتخذوا مسجداً ضراراً	٣/ ١٢٦
١٠٨	لا تقم فيه أبداً	٣/ ١٢٧
		١١٦٠
١١١	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم	

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	وأموالهم	٣/ ١٢٩
١١٢	التائبون العابدون الحامدون	٣/ ١٣٠
١١٣	ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين	٣/ ١٣١
١١٥	وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم	٣/ ١٣٣
١٢٠	ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب	٣/ ١٣٧
١٢٢	وما كان المؤمنون لينفروا كافّة	٣/ ١٤٠
١٢٤	وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض	٣/ ١٤١

(١٠) يونس

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(سبب نزول السورة)	٣/ ١٤٥
١١	ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير	٣/ ١٥٢
١٥	وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات	٣/ ١٥٥
٢١	وإذا أذقنا الناس رحمة	٣/ ١٥٨
٤٢-٤٣	ومنهم من يستمعون إليك	٣/ ١٧٤
٩٩	ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً	٣/ ٢٠٥

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(١١) هود	
٥	ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه	٣/ ٢١١
١١٤	وأقم الصلاة طرفي النهار	٣/ ٢٦٣
	(١٢) يوسف	
	(سبب نزول السورة)	٣/ ٢٧١
١٠٢	ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك	٣/ ٣٤٦
	(١٣) الرعد	
٥	وإن تعجب فعجبٌ قولهم	٣/ ٣٦١
١٩	أفمن يعلم أنّ ما أُنزل إليك من ربك الحق	٣/ ٣٧٩
٢٧	ويقول الذين كفروا لولا أُنزل عليه آية من ربّه	٣/ ٣٨٣
٣١	ولو أنّ قرآناً سُيّرت به الجبال	٣/ ٣٨٥
٣٦	والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنزل إليك	٣/ ٣٩٠
٣٨	ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك	٣/ ٣٩١
	(١٤) إبراهيم	
٤	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه	٣/ ٣٩٩

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة

(١٥) الحجر

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٦	وقالوا يا أيها الذي نُزّل عليه الذكر	٣/ ٤٣٥
٩٠-٩١	كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين	٣/ ٤٥٥

(١٦) النحل

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٢٤	وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم	٣/ ٤٧٣
٤٣	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً	٣/ ٤٨٤
٩٢	ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها	٣/ ٥١٨
١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون إنّما يعلّمه بشر	٣/ ٥٢٣
١٢٦	وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به	٣/ ٥٣٤

(١٧) الإسراء

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١	سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً	٣/ ٥٣٨
١٥	من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه	٣/ ٥٤٨
١٨	من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء	٣/ ٥٥٠
٢٨	وإمّا تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك	٣/ ٥٥٩
٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك	٣/ ٥٦٠
٤٥	وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون	٣/ ٥٧٠
٤٦	وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه	٣/ ٥٧١

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٤٧	ونحن أعلم بما يستمعون به	٣/ ٥٧٢
٥٦	قل ادعوا الذين زعمتم من دونه	٣/ ٥٧٦
٥٩	وما مَنَعنا أن نرسل بالآيات	٣/ ٥٧٨
٦٠	وإذ قلنا لك إنّ ربك أحاط بالناس	٣/ ٥٧٩
٧٣	وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك	٣/ ٥٨٨
٧٦	وإن كادوا ليستفزّونك من الأرض	٣/ ٥٨٩
٨٥	ويسألونك عن الرّوح قل الروح من أمر ربّي	٣/ ٥٩٥
٩٠-٩٣	وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُر لنا من الأرض ينبوعا	٣/ ٥٩٨
١٠٠	قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي	٣/ ٦٠١
١١٠	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن	٣/ ٦٠٦

(١٨) الكهف

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(سبب نزول السورة)	٣/ ٦٠٩
٢٣-٢٤	ولا تقولنّ لشيء إني فاعلٌ ذلك غدا	٣/ ٦٢٩
٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم	٣/ ٦٣١
٣٢	واضرب لهم مثلاً رجلين	٣/ ٦٣٦
٥٤	وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً	٣/ ٦٥١
٦٠-٧٠	وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح	٣/ ٦٥٤
٨٣	ويسألونك عن ذي القرنين	٣/ ٦٦٨

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١١٠	فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً	٣/ ٦٨٠

(١٩) مريم

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٥٩	فخلف من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة	٤/ ٣٥
٦٤	وما نتنزّل إلا بأمر ربك	٤/ ٣٧
٦٦	ويقول الإنسان أئذا ما متّ	٤/ ٣٨
٧٣	وإذا تُتلى عليهم آياتنا بيّنات	٤/ ٤٣
٧٧	أفرأيت الذي كفر بآياتنا	٤/ ٤٦

(٢٠) طه

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(سبب نزول السورة)	٤/ ٥٥

(٢١) الأنبياء

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١	اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون	٤/ ١٢٢
٣٤	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد	٤/ ١٣٥
٣٦	وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً	٤/ ١٣٧
١٠١	إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى	٤/ ١٦٦

(٢٢) الحجّ

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١-٢	يا أيها الناس اتقوا ربكم	٤/ ١٧١

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٣	ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتّبع كل شيطان مريد	٤/ ١٧٤
٨	ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير	٤/ ١٧٨
١١	ومن الناس من يعبد الله على حرف	٤/ ١٨٠
١٩	هذان خصمان اختصموا في ربهم	٤/ ١٨٤
٢٥	إن الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله	٤/ ١٨٥
٣٧	لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤها	٤/ ١٩٣
٣٨	إن الله يدافع عن الذين آمنوا	٤/ ١٩٤
٥٢	وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ	٤/ ٢٠٣
٥٨	والذين هاجروا في سبيل الله	٤/ ٢٠٤
٦٠	ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به	٤/ ٢٠٥
٦٧	لكلّ أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه	٤/ ٢٠٧
٧٢	قل أفأنبّئكم بشرٍّ من ذلكم النار	٤/ ٢٠٨
٧٥	الله يصطفي من الملائكة رسلاً	٤/ ٢١٠

(٢٣) المؤمنون

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٧٧	حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد	٤/ ٢٣١
١٠٩	إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا	٤/ ٢٤١

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(٢٤) النّور	
	(سبب نزول أول السورة)	٤/ ٢٤٣
٦	والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء	٤/ ٢٤٨
١١ وما بعدها	إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم	٤/ ٢٥٠
١٩	إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في في الذين آمنوا	٤/ ٢٥٣
٢٢	ولا يأتل أولو الفضل منكم والسّعة	٤/ ٢٥٥
٢٣	إن الذين يرمون المحصنات الغافلات	٤/ ٢٥٥
٢٧	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم	٤/ ٢٥٦
٢٩	ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة	٤/ ٢٥٧
٣١	ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن	٤/ ٢٦٠
٣٣	ولا تُكرهوا فتياتكم على البغاء	٤/ ٢٦٣
٤٧	ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا	٤/ ٢٧٣
٥٣	وأقسموا بالله جَهْد أيمانهم	٤/ ٢٧٤
٥٨	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم	٤/ ٢٧٧
٦١	ليس على الأعمى حرج	٤/ ٢٧٩
٦٣	لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء	

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	بعضكم بعضاً	٤/ ٢٨٢

(٢٥) الفرقان

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٤	وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه	٤/ ٢٨٧
٧	وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام	٤/ ٢٨٩
٢٧	ويوم يعضّ الظالم على يديه	٤/ ٣٠٠
٣٢	وقال الذين كفروا لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة	٤/ ٣٠١
٥٥	وكان الكافر على ربه ظهيرا	٤/ ٣١٠
٦١	تبارك الذي جعل في السماء بروجاً	٤/ ٣١٢
٦٨	والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر	٤/ ٣١٥

(٢٦) الشعراء

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٩٧	أو لم يكن لهم آيةً أن يعلمه علماء بني إسرائيل	٤/ ٣٥١
٢١٠	وما تنزّلت به الشياطين	٤/ ٣٥٥
٢٢٤	والشعراء يتّبعهم الغاوون	٤/ ٣٥٨

(٢٧) النمل

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٦٥	قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله	٤/ ٣٩١

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(٢٨) القصص	
٥١	ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون	٤/ ٤٢٢
٥٦	إنك لا تهدي من أحببت	٣/ ١٣٢
		٤/ ٤٢٢
٥٧	وقالوا إن نتّبع الهدى معك نُتَخَطَّفْ من أرضنا	٤/ ٤٢٢
٦٨	وربّك يخلق ما يشاء ويختار	٤/ ٤٢٦
	(٢٩) العنكبوت	
	(سبب نزول أوائل السورة)	٤/ ٤٣٤
٤	أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا	٤/ ٤٣٧
٨	ووصّينا الإنسان بوالديه حُسْناً	٤/ ٤٣٧
١٠	ومن الناس من يقول آمنّا بالله	٤/ ٤٣٨
٤٣	وتلك الأمثال نضربها للناس	٤/ ٤٤٧
٥٢	قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً	٤/ ٤٤٩
٥٦	يا عباديَ الذين آمنوا إنّ أرضي واسعة	٤/ ٤٥٠
٦٠	وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها	٤/ ٤٥٢
	(٣٠) الرّوم	
	(سبب نزول السورة)	٤/ ٤٥٥

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(٣١) لقمان	
	(سبب نزول السورة)	٤/ ٤٧٥
٦	ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله	٤/ ٤٧٦
٢٧	ولو أنّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلام	٤/ ٤٨٢
٣٤	إن الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث	٤/ ٤٨٥
	(٣٢) السجدة	
١٨	أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً	٤/ ٤٩٤
	(٣٣) الأحزاب	
١	يا أيها النبي اتّق الله ولا تطع الكافرين	٤/ ٤٩٩
٤	ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه	٤/ ٥٠٠
١٣	ويستأذن فريق منهم النبيّ يقولون إن بيوتنا عورة	٤/ ٥٠٨
١٨	قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا	٤/ ٥٠٩
٢٨	يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا	٤/ ٥١٧
٣٥	إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات	٤/ ٥٢١
٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله	

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	ورسوله أمراً	٤/ ٥٢٢
٣٧	وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه	٤/ ٥٢٣
٥٠	يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك	٤/ ٥٢٩
٥٢	لا يحلّ لك النساء من بعدُ	٤/ ٥٣١
٥٣	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيّ إلاّ أن يُؤذن لكم	٤/ ٥٣٢
٥٥	لا جناح عليهن في آبائهنّ ولا أبنائهن	٤/ ٥٣٤
٥٩	يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك	٤/ ٥٣٥
٦٣	يسألك الناس عن الساعة	٤/ ٥٣٧
٦٩	يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى	٤/ ٥٣٩

(٣٤) سبأ

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٣	وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة	٤/ ٥٤٢
٧	وقال الذين كفروا هل ندلّكم على رجل	٤/ ٥٤٣
٢٢	قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله	٤/ ٥٥٦

(٣٦) يس

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٧٧-٧٨	أولم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة	٤/ ٦١٤

(٣٧) الصافّات

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١١	فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً	٤/ ٦٢٠

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٢-١٤	بل عجبت ويسخرون	٤/ ٦٢٠

(٣٨) ص

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١-٧	صّ والقرآن ذي الذكر	٤/ ٦١٧ ٥/ ٥

(٣٩) الزّمر

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٠	قل يا عبادِ الذين آمنوا	٥/ ٣٦
١٧	والذين اجتنبوا الطاغوت	٥/ ٣٧
١٩	أفمن حقّ عليه كلمة العذاب	٥/ ٣٨
٢٢	أفمن شرح الله صدره للإسلام	٥/ ٣٩
٢٣	الله نزّل أحسن الحديث	٥/ ٤٠
٣٦	أليس الله بكافٍ عبده	٥/ ٤٣
٥٣	قل يا عباديَ الذين أسرفوا	٥/ ٤٨

(٤٠) غافر

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٧٨	وما كان لرسولٍ أن يأتي بآية	٥/ ٨٠

(٤١) فصّلت

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٥	وقالوا قلوبنا في أكنّةٍ مما تدعونا إليه	٥/ ٨٧
٨	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون	٥/ ٨٨
٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن	٥/ ٩٤

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٣٠	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا	٥/ ٩٥
٤٤	ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته	٥/ ٩٩
٤٩	لا يسأم الإنسان من دعاء الخير	٥/ ١٠١

(٤٢) الشورى

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٦	والذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب له	٥/ ١١٠
٢٣	قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى	٥/ ١١٢
٢٧	ولو بسط الله الرزق لعباده	٥/ ١١٣
٣٦	فما أُوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا	٥/ ١١٨

(٤٣) الزخرف

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٣١	وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن	٥/ ١٣٠
٦٧	الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ	٥/ ١٤١
٨٠	أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم	٥/ ١٤٤

(٤٤) الدخان

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٦	يوم نبطش البطشة الكبرى	٥/ ١٤٩

(٤٥) الجاثية

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٧	ويل لكلّ أفّاك أثيم	٥/ ١٥٨

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٢١	أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم	٥/ ١٦٠
٢٣	أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه	٥/ ١٦٢

(٤٦) الأحقاف

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٠	وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله	٥/ ١٧٠
٢٩	وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن	٥/ ١٧٨

(٤٧) محمد

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٣	وكأيّن من قرية هي أشدّ قوة	٥/ ١٨٧
١٦	ومنهم من يستمع إليك	٥/ ١٩٠
٢٥	إن الذين ارتدّوا على أدبارهم	٥/ ١٩٤
٢٦	ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله	٥/ ١٩٥
٣٣	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	٥/ ١٩٦
٣٤	إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله	٥/ ١٩٧

(٤٨) الفتح

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٠	إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله	٥/ ٢٠١
١١	سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا	٥/ ٢٠٢
١٥	سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم	٥/ ٢٠٣
٢٤	وهو الذي كفّ أيديهم عنكم ببطن مكّة	٥/ ٢٠٦

رقم الآية	الآيــة	الجزء والصفحة
٢٦	إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة	٥/ ٢٠٧
٢٧	لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق	٥/ ٢٠٨

(٤٩) الحجرات

رقم الآية	الآيــة	الجزء والصفحة
٣	إن الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله	٥/ ٢١٢
٤	إن الذين ينادونك من وراء الحجرات	٥/ ٢١٢
٦	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ	٥/ ٢١٢
٩	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	٥/ ٢١٣
١١	يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم	٥/ ٢١٤
١٣	يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى	٥/ ٢١٦
١٤	قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا	٥/ ٢١٧
١٧	يمنون عليك أن أسلموا	٥/ ٢١٧

(٥٠) ق

رقم الآية	الآيــة	الجزء والصفحة
٣٨	ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما	٥/ ٢٣١

(٥١) الذاريات

رقم الآية	الآيــة	الجزء والصفحة
٥٥	وذكّر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين	٥/ ٢٤٥

(٥٢) الطور

رقم الآية	الآيــة	الجزء والصفحة
٣٠	أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون	٥/ ٢٥٣

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(٥٣) النجم	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٢٥٧
٣٣	أفرأيت الذي تولى	٥/ ٢٦٥
	(٥٤) القمر	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٢٧١
	(٥٥) الرحمن	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٢٨١
	(٥٧) الحديد	
٧	آمِنوا بالله ورسوله وأنفقوا	٥/ ٣٠٨
١٦	ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم	٥/ ٣١٢
	(٥٨) المجادلة	
١	قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها	٥/ ٣٢١
٥	إن الذين يحادّون الله ورسوله كُبتوا	٥/ ٣٢٥
٨	ألم تر إلى الذين نُهوا عن النجوى	٥/ ٣٢٦
١٢	يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول	٥/ ٣٢٩
١٤	ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم	٥/ ٣٢٩
٢٢	لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله	٥/ ٣٣١

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(٥٩) الحشر	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٣٣٣
٦	وما أفاء الله على رسوله منهم	٥/ ٣٣٥
٧	وما آتاكم الرسول فخذوه	٥/ ٣٣٧
١١	ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم	٥/ ٣٣٨
	(٦٠) الممتحنة	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٣٤٣
٧	عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم	٥/ ٣٤٩
٨	لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين	٥/ ٣٤٦
١١	وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار	٥/ ٣٤٨
١٣	يا أيها الذين آمنوا لا تتولّوا قوما غضب الله عليهم	٥/ ٣٤٩
	(٦١) الصّف	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٣٥١
	(٦٢) الجمعة	
٦	قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله	٥/ ٣٥٩

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١١	وإذا رأو تجارة أو لهواً انفضّوا إليها	٥/ ٣٦٠

(٦٣) المنافقون

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١-٨	إذا جاءك المنافقون	٥/ ٣٦٣
٥	وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله	٥/ ٣٦٥
٦	سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم	٥/ ٣٦٦

(٦٤) التغابن

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٤	يا أيها الذين آمنوا إنّ من أزواجكم	٥/ ٣٧٢

(٦٥) الطلاق

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٣٧٥
٤	واللائي يئسن من المحيض	٥/ ٣٧٩

(٦٦) التحريم

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١	يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك	٥/ ٣٨٣
٣	وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً	٥/ ٣٨٤

(٦٧) الملك

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
١٣	وأسِرّوا قولكم أو اجهروا به	٥/ ٣٩٤

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(٦٨) القلم	
	(سبب نزول معظم السورة)	٣٩٩/٥
٣٤	إن للمتقين عند ربهم جناتِ النعيم	٤٠٦/٥
٤٨	فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت	٤٠٨/٥
	(٧٠) المعارج	
	(سبب نزول السورة)	٤٢١/٥
٣٦	فما للذين كفروا قبلك مهطعين	٤٢٤/٥
	(٧٢) الجنّ	
١٨	وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً	٤٤٠/٥
٢٥	قل إن أدري أقريب ما توعدون	٤٤٠/٥
	(٧٣) المزّمّل	
	(سبب نزول السورة)	٤٤٧/٥
١١	وذرني والمكذّبين أولي النَّعمة	٤٥٢/٥
٢٠	إنّ ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل	٤٥٤/٥
	(٧٤) المدثّر	
١١	ذرني ومن خلقت وحيداً	٤٥٩/٥
٣١	وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة	٤٦٢/٥

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٥٢	بل يريد كل امرىءٍ منهم أن يُؤتى صحفاً منشّرة	٥/ ٤٦٦

(٧٥) القيامة

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٣	أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه	٥/ ٤٦٩
١٦	لا تحرك به لسانك لتعجل به	٥/ ٤٧٢
٣١	فلا صدّق ولا صلّى	٥/ ٤٧٤
٣٤	أولى لك فأولى	٥/ ٤٧٥

(٧٦) الدّهر

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٢٣	إنّا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلا	٥/ ٤٨٢

(٧٨) النّبأ

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٤٩٣

(٧٩) النازعات

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٤٢	يسألونك عن الساعة أيان مرساها	٥/ ٥٠٦

(٨٠) عبس

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٥٠٩
١٧	قُتل الإنسان ما أكفره	٥/ ٥١١

(٨٣) المطففون

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٥٢٣

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
٢٩	إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون	٥/ ٥٢٦
	(٨٤) الانشقاق	
٦	يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربّك	٥/ ٥٣٠
	(٩٢) الليل	
٥-٧	فأما من أعطى واتّقى	٥/ ٥٦٦
	(٩٣) الضحى	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٥٦٩
	(٩٦) العلق	
٦	كلا إنّ الإنسان ليطغى	٥/ ٥٨٠
	(١٠٢) التكاثر	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٥٩٣
	(١٠٤) الهمزة	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٥٩٧
	(١٠٧) الماعون	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٦٠٥
٢	فذلك الذي يدعّ اليتيم	٥/ ٦٠٥

رقم الآية	الآيـة	الجزء والصفحة
	(١٠٨) الكوثر	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٦٠٧
٣	إن شانئك هو الأبتر	٥/ ٦٠٨
	(١٠٩) الكافرون	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٦٠٩
	(١١١) تبّت	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٦١٥
٤	وامرأته حمّالة الحطب	٥/ ٦١٧
	(١١٢) الصّمد	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٦١٩
	(١١٣) الفلق	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٦٢٣
	(١١٤) الناس	
	(سبب نزول السورة)	٥/ ٦٢٥

فهرست الأحاديث[1]

(١) قسّمت الأحاديث إلى أحاديث قولية وفعلية، وأحاديث مفسّرة ذيّلتُها بما يشبه أن يُعدّ منها. وأخّرت المحلّى بالألف واللام. ورمزت بهذا الرمز ☆ لما ورد من الأحاديث في الحواشي.

طرف الحديث	الجزء الصفحة

(أ) الأحاديث القولية والفعليّة

طرف الحديث	الجزء/الصفحة
ابتغوا في أموال اليتامى التجارة	٢/ ١٨
أبشروا لقد نظرت إلى مصارع القوم	٣/ ٣٣
أبوك فلان	٢/ ٣١٩
أبي وأبوك وأبو إبراهيم خليل الرحمن في النار	٥/ ١٩٧
أتاني داعي الجن فذهبت معه	٥/ ٤٣٥
أتدري أين تغرب يا أبا ذرّ	٣/ ٦٧٠
أتدرون ما الكوثر	٥/ ٦٠٨
اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة	٢/ ٣٢٣
اجعلوها في سجودكم	٥/ ٥٤٢
أحلّت لنا ميتتان ودمان	١/ ٢٤٠
إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل	٢/ ٢٠٢
إذا بلغ الرجل مئة ولم يعمل شيئاً	٥/ ٥٧٦
إذا جاء أحدكم المسجد	٢/ ١٢٤
إذا دخل النور القلب انشرح	٥/ ٣٩
إذا رأيت الله تعالى يعطي العباد	٢/ ٣٩٦
إذا زنت أمة أحدكم	٣/ ٣٣٨
إذا عاين المؤمن الموت	٤/ ٢٣٨
إذا وزنتم فأرجحوا	٢/ ٥٠٠
اذكروا الفاسق بما فيه	٢/ ١٥٦
أرسلني رسول الله إلى رجل تزوجَ امرأة	

طرف الحديث	الجزء الصفحة
أبيه	٢/ ٤٤
أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم	٣/ ٥١٥
أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ	٢/ ٦٦٩
	٥/ ٤٦٣
اطلعي من حيث طلعت	٤/ ٦٠٥
أفضل الحج العجّ والثّج	٥/ ٤٩٥
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	٢/ ٦٠١
	٣/ ٤٦٠
☆ أكْل كلّ ذي ناب من السباع حرام	١/ ٢٤٠
☆ ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر	٢/ ٥٩
	٥/ ١٧٣
ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام	١/ ٦١٥
	٥/ ٢٩٢
☆ ألم تري أن مجززاً المدلجيّ دخل عليّ	١/ ٣٥٦
اللهم ابعث عليه كلبك حتى يأكله	٥/ ٥١١
اللهم اشدد وطأتك على مضر	٥/ ١٤٨
	٥/ ٤٠٢
اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى	٢/ ٩٠
اللهم إنّ قريشاً أقبلت بفخرها	٣/ ٣٧
اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك	٢/ ٢٠١
اللهم صلّ على آل أبي أوفى	٣/ ١٢٣
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد	٤/ ٥٣٥

طرف الحديث	الجزء الصفحة
اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين	٣/ ٥٨٩
اللهم هؤلاء أهلي	١/ ٤٩٤
أمّا أنا فأقوم وأنام	٢/ ٣٠١
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون	٣/ ١٣٥
أَمَر ببرّ الأم ثلاث مرّات	٤/ ٤٧٩
أن تؤمن بالله وملائكته	١/ ٢٤٤
أن تؤمن بالقدر خيره وشرّه	٥/ ٢٨٠
أن تجعل لله نداً وهو خلقك	١/ ٩٣
	٢/ ٤٩٨
	٤/ ٣١٥
أن تذكر من المرء ما يكره	٥/ ٢١٥
أن تعبد الله كأنك تراه	٢/ ٣٠٠
إنْ رأيت محمداً يصلّي	٥/ ٤٨٢
إن كان بعيراً جاء له رغاء	١/ ٥٨٨
أنا آخذ بحُجَزكم عن النار	٤/ ٥٠٢
أنا ابن الذّبيحين	٤/ ٦٣٧
أنا أنفسكم نسباً وحسباً	١/ ٥٩١
أنا دعوة أبي إبراهيم	١/ ٥٨٩
أنا محمد بن عبد الله	
أنا من أشراط الساعة	٥/ ١٩١
أنا المنذر، أنت الهادي	٣/ ٣٦٤
أنا النبي لا كذب	٣/ ٧٢

طرف الحديث	الجزء الصفحة
أنا وكافل اليتيم كهاتين	١/ ١٥٦
	١/ ٢٤٥
انتدب من يقوم معه	٥/ ٤٣٥
إنّ الأحزاب سائرون إليكم	٤/ ٥١٣
إنّ الأمم إذا تناكرت رسلها	١/ ٢١٤
إنّ الحواميم ديباج القرآن	٥/ ٥٧
إنّ خير القول أصدقه	٣/ ٧٣
إنّ الدابّة وطلوع الشمس	٤/ ٣٩٤
إنّ الدنيا حلوة خضرة	٢/ ٦٠٤
إن رحمتي سبقت غضبي	٢/ ٤٠٦
إنّ الزمان قد استدار	٣/ ٨١
إنّ السماء سقف مرفوع	٤/ ١٣٤
إنّ شعيباً أخا مدين أرسل	٤/ ٣٤٨
إنّ عيسى في السماء حيّ	٢/ ٣٤٥
إنّ العبد لو علم قدر عفو الله	٣/ ٣٦٤
إنّ العين لتُدخل الرجل القبر	٣/ ٣٢٠
إنّ قوماً يُخسف بهم	٢/ ٦٢٨
إنّ الذي أمشاهم على أرجلهم	٤/ ٣٠٢
	٥/ ٣٩٧
إنّ الله عَذَرك	٣/ ١١٧
إن الله كتب كتاباً فهو عنده	٢/ ٤٠٦
إنّ الله لا يستجيب لمن مطعمه حرام	١/ ٥٦٠

طرف الحديث	الجزء الصفحة
إن الله لا يقبل إلا الطيّب	٢/ ٣١٨
إنّ الله يبغض المرحين	٥/ ٧٨
إنّ الله يحفظ الرجل الصالح	٣/ ٦٦٧
إن الله يقول لك: أوْلى لك فأولى	٥/ ٤٧٥
إنّ المؤمن إذا رُدّ إلى أرذل العمر	٥/ ٥٧٦
إنّ ملكاً ينادي من السماء	٥/ ٢٣٢
إنّ الملك له في الصور ثلاث نفخات	٤/ ٣٩٧
إنّ المنّان أحد الثلاثة	١/ ٣٨٥
إنّ هوازن كانوا رماة	٣/ ٧٢
إنّ اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم	١/ ٣١٥
إنّا معشر الأنبياء لا نُورَث	١/ ٤٤٦
إنك لهند بنت عتبة	٢٣٦٨
إنكم ستجدون بعدي أثرة	٣/ ٢٠٨
إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً	٢/ ٥٥٢
	٢/ ٦٦٨
إنما بعثني الله مبلغاً	٣/ ٥١٨
☆ إنّما كان يكفيكِ أن تضرب	٢/ ٧٣
إنّما مَثَل أصحابي كالنجوم	٣/ ٥١٥
إنّما الناس رجلان	٥/ ٢١٧
إنه وفّى أطول الأجلين	٤/ ٤١٤
إنهم تدارؤوا في قتيلٍ لهم فحكمت بالحق	٥/ ١٧٩
إنهم يتعاقبون ويجتمعون	٣/ ٥٩١

طرف الحديث	الجزء الصفحة
إنّي أمرت أن أقرأ على الجن	٥/ ١٧٨
إني ذاكر لك أمراً	٤/ ٥١٨
إني على جناح سفر وحال شغل	٣/ ١٢٧
إني لا أصافح النساء	٥/ ٣٤٨
اهجُ وروح القدس معك	١/ ١٦٢
اهجُهم فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النّبل	٤/ ٣٥٩
أولئك أصحاب الأعراف	٢/ ٥٤٥
أولئك الملأ من قريش	٢/ ٥٩٠
أي عمّ قل لا إله إلا الله	٣/ ١٣١
أين الله؟	٢/ ١٦٠
إياكم والحمرة فإنها من أحبّ الزينة	٥/ ١٣٢
الاستئذان ثلاث	٤/ ٢٧٧
بارك تعالى فيما بين العريش إلى الفرات	٣/ ٥٣٨
بعثت أنا والساعة كفرسي رهان	٥/ ١٩١
بقي أيوب في محنته ثماني عشرة سنة	٥/ ٢٠
بل تستأني بهم يارب	٣/ ٥٧٨
بل حتى يتوب تائبهم	٢/ ٨٧٥
بل هو خير منك ومنها	٣/ ١١١
تتقلص شفته العليا	٤/ ٢٤٠
تُرفع الستور عن أهل الجنة	٤/ ٦٢٥
تضرّع في أمر أمّته	٥/ ٣٨٧

طرف الحديث	الجزء الصفحة
تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس	٣/ ٥٣٩
تلك العزى ولن تعبد أبداً	٥/ ٢٦١
تُمدّ الأرض مدّ الأديم	٥/ ٥٢٩
التقوى هاهنا	٤/ ١٩١
التوراة وما فيها من الأنباء	٤/ ٤٨٢
ثلاثة يؤتيهم الله أجرهم مرتين	٤/ ٤٢٢
ثم اتبعه بستٍ من شوّال	٤/ ١٠٨
جنّات الفردوس أربع	٣/ ٦٧٩
☆ حتى تذوقي عُسيلته	١/ ٣٣١
حسبنا الله ونعم الوكيل	١/ ٦٠٠
حفاة عراة غرلاً	٣/ ٦٤٧
الحمد لله الذي جعل في أمتي	٢/ ٤٠٥
☆ خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا	٢/ ٣٥
خذوا في أوعيتكم	٣/ ١٣٥
خلق الله عز وجل التربة يوم السبت	٢/ ٥٤٩
خمس لا يعلمهن إلا الله	٤/ ٤٨٦
دخلت امرأة النار في هرّة	١/ ٢٤٦
دخلوا الباب يزحفون على أستاههم	١/ ١٢٩
الدعاء هو العبادة	٥/ ٧٧
☆ ذكر لي أنّ أمّة من بني إسرائيل مسخت	١/ ١٣٩

طرف الحديث	الجزء الصفحة
ذلك جبريل عليه السلام بُعث إلى بني قريظة	٤/ ٥١٥
ذلك خطيب الأنبياء	٣/ ٢٥١
رأيت قوماً لهم مشافر	٢/ ٢٢
ربّ متخوّض في مال الله	٣/ ١٠٧
رباط يوم في سبيل الله	١/ ٦١٩
رباط يوم وليلة خير من صيام شهر	١/ ٦١٩
رحم الله أخي موسى	٤/ ٥٣٩
رُدّوا السائل ولو بظلف مُحْرَق	٢/ ٥٨٠
زمّلوني زمّلوني	٥/ ٤٤٧
زوجي العشنّق	٢/ ١٤٤
سابقنا سابق ومقتصدنا ناجٍ	٤/ ٥٨٧
سبعة يُظلهم الله في ظلّه	١/ ٣٩٤
سبقت رحمتي غضبي	٤/ ٥٨٣
سبقك بها عُكّاشة	٢/ ٥٧٢
سجد رسول الله في الانشقاق والعلق	٥/ ٥٨٢
سيد الشهداء مهجع	٤/ ٤٣٤
شاهت الوجوه	٣/ ١٧
	٣/ ٧١
☆ شغلونا عن الصلاة الوسطى	١/ ٣٥٤
الشفع يوم عرفة	٥/ ٥٥٢
صفاؤهن كصفاء الدّر	٥/ ٢٩٨

طرف الحديث	الجزء الصفحة
صلاة الليل مثنى مثنى	٢/ ١٥
الصدّيقون ثلاثة	٥/ ٦٦
الصلاة على ميقاتها	٥/ ١٧٢
ضيّعه قومه	٢/ ٢١٩
☆ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة	٢/ ٣٧
فانطلقا يمشيان على ساحل البحر	٣/ ٦٦٢
فأين درعك الحطميّة	٤/ ٥٢٩
فدين الله أحق أن يُقضى	١/ ٣٥٣
فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً	٢/ ٣٧
الفردوس أعلاها	٣/ ٦٧٩
الفرقتان في أمتي	٥/ ٢٩٧
قالوا: حبّة في شَعَرة	١/ ١٣١
قرأ رسول الله «حم» ومرّ في صدرها	٥/ ٨٦
قل ربّي الله ثم استقم	٥/ ٩٦
قل وروح القدس معك	٤/ ٣٥٩
قولوا اللهم صلّ على محمد	٤/ ٥٣٥
قوموا فلأصلّ لكم	٤/ ٤٣٨
قيّدها وتوكّل	١/ ٥٨٧
القرآن حبل الله المتين	١/ ٥٣٢
كان إذا أوى إلى فراشه	٥/ ٦٢٥
كان إذا دخل العشر	٥/ ٥٥١
كان إذا وضع رجله في الركاب	٥/ ١٢٥

طرف الحديث	الجزء الصفحة
كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة	٤/ ٤٤٨
كان عثمان بن مظعون جليس النبي	٣/ ٥١٧
كان على موسى يوم كلّمه ربّه	٤/ ٦١
كان لا يتغدّى إلا مع ضيف	٣/ ٥٣٣
كان نائماً في بيت أم هانىء	٣/ ٥٣٩
كان يعالج من التنزيل شدّة	٥/ ٤٧٢
كان يكثر قبل موته أن يقول: سبحانك اللهم	٥/ ٦١٤
كانت الأولى من موسى نسياناً	٣/ ٦٦٢
	٣/ ٦٦٣
كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم	٣/ ٦٦٤
كرم الكتاب ختمه	٤/ ٣٧٤
كشف الله له عن السماوات والأرض	٢/ ٤٢٤
كل ميّت يُختم على عمله إلا المرابط	١/ ٦١٩
كيف رأيته	٣/ ٦٧٤
كيف والغضب	٢/ ٦٦٥
لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك	٣/ ١٣٢
لأن يهدي الله بك رجلاً	٣/ ٣٠٣
لئن رأيت محمداً يسجد عند الكعبة	٥/ ٥٨٠
لست كأحدكم	٤/ ٥١٩
لقد أنزلت عليّ عشر آيات	٤/ ٢١٣
لقد تركتم بعدكم قوماً	٣/ ١١٨

طرف الحديث	الجزء الصفحة
لقد حجبني عنها ملائكة	٥/ ٦١٧
لقد حكمت فيهم بحكم الله	٤/ ٥١٥
لمّا تزوج زينب بنت جحش دعا القوم	٤/ ٥٣٢
لو تمنّوا الموت لغصّ كل إنسان	١/ ١٧٠
لولا دعوة أخي سليمان	٢/ ٥٢٩
لولا عفو الله ومغفرته	٣/ ٣٦٣
ليس أحد أحبّ إليه العذر من الله تعالى	٢/ ٤٧٥
ليس ذلك إليّ	٥/ ٨٠
لا أجد ما أحملكم عليه	٣/ ٥٥٩
لا أشكّ ولا أسأل	٣/ ٢٠٤
لا أعلم ما وراء هذا الجدار	٢/ ٤٠١
	٢/ ٦٥٥
لا ألقاك خارجاً من مكة	٤/ ٣٠٠
لا تتمنّوا لقاء العدوّ	٣/ ٣٥
لا تحلّ الصدقة لغنيّ	٥/ ٢٥٨
لا تزول قدما عبدٍ	٤/ ٦٢٢
لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	٢/ ٢٢١
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم	٤/ ٤٤٨
لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك	٥/ ٢٤٤
لا نبيّ بعدي	٢/ ٩١
لا هجرة بعد الفتح	٢/ ١٠٩
لا يُتم بعد البلوغ	٣/ ٦٦٧

طرف الحديث	الجزء الصفحة
لا يدخل أحد الجنة بعمله	٥/ ٢٩٨
لا يصلينّ أحد الظهر إلاّ في بني قريظة	٤/ ٥١٥
لا يصيب ابن آدم خدش عود	٥/ ١١٤
لا يقل أحدكم عبدي وأمتي	٣/ ٢٩٤
ما أُمرت أن آخذ من أموالكم	٣/ ١٢٥
ما أنا من ددٍ ولا الدّد منّي	٢/ ٤٨
ما خلا يهوديّان بمسلم	٢/ ٢٩٥
ما السماوات السبع في الكرسي	١/ ٣٧٢
☆ ما السماوات السبع في الكرسي	١/ ٣٧٢
ما صام من أكل لحوم الناس	٥/ ٢١٥
ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٣/ ٨٥
ما على عثمان ما عمل بعد هذا	٣/ ١٣٤
ما الكرسي في العرش إلا كحلقة	١/ ٣٧٢
ما مسّت يده يد امرأة قطّ	٥/ ٣٤٨
ما من عبد يدخل الجنة إلا أُري مقعده	٥/ ٣٧١
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء	٤/ ١٦٠
ما نهاني ولكنّه خيّرني	٣/ ١١٢
مَثَل الحواميم في القرآن	٥/ ٥٧
مَثَل ما بُعثت به من الهدى والعلم	٣/ ٣٧٥
مَثَل المنافق مَثَل الشاة العائرة	٥/ ٣٣٠
مُثّل لي النبيّون فصلّيت بهم	٣/ ٥٣٩
☆ محمد من أشراط الساعة	٥/ ١٩١

طرف الحديث	الجزء الصفحة
مفاتح الغيب خمس لا يعلمهنّ إلا الله	٢/ ٤١٠
ملك الأرض أربعة	٣/ ٦٦٩
من ابتُلي بشيء من هذه البنات	٥/ ١١٩
من ابتُلي منكم بشيء من هذه القاذورات	٢/ ٢٩٢
من أراد أن يرتع في رياض مونقة	٥/ ٥٧
من أراد أن يلقى الله طاهراً	٢/ ٥٥
من اقشعرّ جلده من خشية الله	٥/ ٤١١
من أهان لي وليّاً فقد آذنني بالمحاربة	١/ ٤٠٤
من ترك الصلاة متعمّداً فقد كفر	٢/ ٣٧
من جهّز جيش العسرة فله الجنة	٣/ ١٣٤
من سنّ سنّة حسنة فله أجرها	١/ ٥٤٢
	٣/ ٤٩
☆ من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال	١/ ٣٤٠
ثم أتبعه بستٍ من شوال	٤/ ١٠٨
☆ من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب	١/ ٤٠٤
من غشّنا فليس منّا	١/ ٤٦١
من كان حالفاً فليحلف بالله	٢/ ٩
من مات له ثلاثة من الولد	٤/ ٤١
من يخرج معي	٣/ ٨٤
من يدعوني فأستجيب له	١/ ٤٤٢
من يُرد الله به خيراً	٣/ ٣٤٤

طرف الحديث	الجزء الصفحة
من غير أن ينقص من أوزارهم	٣/ ٤٧٤
مِن كلّ عينٍ لامّة	٣/ ٣٢٠
مَنَّ على ثمامة وعلى أبي عزّة الجمحي	٥/ ١٨٦
المؤمن يأكل في معىً واحد	٤/ ٤٨٣
نادِ أصحاب السّمرة	٣/ ٧١
نعم، أتحبّ أن تراها عريانة	٤/ ٢٥٧
نعم إذا كثر الخَبَث	٢/ ٦٢٧
	٣/ ٢٦٦
الناس من ولد آدم	٢/ ٣٥٥
☆ النبي لا يُورَث	١/ ٤٤٦
هذه أهون أو أيسر	٢/ ١٥٤
هذه قسمتي فيما أملك	٢/ ١٤٣
هل أنت مؤمن إن أخبرتك بذلك	٣/ ٢٧٤
هل لك العام في جلاد بني الأصفر	٣/ ٩٢
هل مررت بوادي أهلك مَحْلاً	٤/ ٥٧٩
هم الذين يذكّرون الله برؤيتهم	٣/ ١٨٩
هواء الجنة سجسج	٥/ ٤٨٠
والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله	٥/ ١٨
☆ والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل	١/ ٤٩٠
وإليك نسعى ونحفد	٣/ ٥٠٥
☆ وأنا خاتم النبيّين	٢/ ٩١
وكانت الأولى من موسى نسياناً	٣/ ٦٦٢

طرف الحديث	الجزء الصفحة
ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ	١/ ٤٣٧
وما يبكيك يا عمّ	٥/ ٦١٤
ومن زعم أن محمداً يخبر بما يكون في غد	٢/ ٤١٠
يا جبريل قد اشتقت إليك	٤/ ٣٧
يا خيل الله اركبي	٣/ ٣٢٣
يا ركانة أرأيت إن صرعتك	٤/ ٦٢٠
يا عمّ إنما أريد منهم كلمة	٥/ ٦
يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك	٥/ ٥٦٩
يا معاذ اسمع ما أقول لك	٥/ ٢٣١
يا معشر الأنصار رأيت الله أثنى عليكم بالطهور	٣/ ١٢٨
يا معشر قريش قولوا لا إله إلا الله	٣/ ٥٧١
يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد	٣/ ٦٤٦
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	٢/ ٤٦
يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة	٢/ ٣٩١
يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر	٣/ ٦٦٤
يرزقنا الله وإياكم من فضله	٤/ ٥٥٩
يسّروا ولا تعسّروا	٢/ ٦٦٥
يسمعون الكلمة ويكذبون	٥/ ٤٤٣
يطلع الله على أهل الجنّة	٢/ ٣٤٦

طرف الحديث	الجزء الصفحة
يقول ابن آدم: مالي مالي	٥/ ٣٠٨
يقول العبد يوم القيامة: إني لا أجيز عليّ	٤/ ٦١١
يهون حتى يكون على المؤمن	٤/ ٢٩٩

	طرف الحديث	الجزء الصفحة

(ب) الأحاديث المفسَّرة[1]

البقرة ٢ : ١٩٦	ففدية من صيام أو صدقة أو نسك:	
	الصيام ثلاثة أيام	١/ ٢٧٤
البقرة ٢ : ١٩٩	ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس	
	كان الحمس يقفون بالمزدلفة	١/ ٢٨٢
البقرة ٢ : ٢٣٦	لا جناح عليكم إن طلقتم النساء:	
	متّعها ولو بقلنسوتك	١/ ٣٤٧
آل عمران ٣ : ١٨	شهد الله أنه لا إله إلا هو:	
	قدم المدينة من الشام حَبْران	١/ ٤٤٣
آل عمران ٣ : ٢٦	قل اللهم مالك الملك:	
	أخبر بظهور مُلْك أمته على قصور العجم	١/ ٤٥٨
آل عمران ٣ : ٥٩	إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم:	
	جادل وفد نجران النبي في أمر عيسى	١/ ٤٩٣
آل عمران ٣ : ٧٩	ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب:	
	قال أبو رافع القرظي للنبي حين اجتمعت الأحبار من يهود	١/ ٥١٠
آل عمران ٣ : ٩٣	كل الطعام كان حلاًّ لبني إسرائيل:	
	أنا على ملّة إبراهيم	١/ ٥٢٣
آل عمران ٣ : ٩٨	قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله:	

(١) حسب ترتيب الآيات.

	طرف الحديث	الجزء الصفحة
	أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم	١/ ٥٢٨
آل عمران ٣ : ١٣٩	ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون	
	لا يَعْلُنَّ علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك	١/ ٥٦٣
آل عمران ٣ : ١٥٣	والرسول يدعوكم في أخراكم:	
	يقول: إليَّ عباد الله	١/ ٥٧٥
آل عمران ٣ : ١٧٢	الذين استجابوا لله والرسول:	
	نادى رسول الله في الناس باتّباع المشركين	١/ ٥٩٩
النساء ٤ : ٦	وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح:	
	توفي أوس بن ثابت عن زوجته	٢/ ١٩
النساء ٤ : ٤٧	يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا:	
	إنكم لتعلمون أن الذي جئت به حق	٢/ ٧٧
النساء ٤ : ٤٨	إن الله لا يغفر أن يُشْرَك به:	
	غيّب وجهك عنّي	٢/ ٧٨
النساء ٤ : ٥٨	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها:	
	خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة	٢/ ٨٣
النساء ٤ : ٧٧	ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم	
	إني أُمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم	٢/ ٩٩
النساء ٤ : ٩٣	ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم	
	لا أؤمّنه في حلٍّ ولا حرم	٢/ ١١٧
النساء ٤ : ١٢٣	من يعمل سوءاً يُجْزَ به	
	إنما هي المصيبات في الدنيا	٢/ ١٣٦
المائدة ٥ : ٥٤	فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه:	

	طرف الحديث	الجزء الصفحة
	هم قوم هذا	٢/ ٢٦١
المائدة ٥: ٦٧	يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك:	
	أوحى الله إليّ إن لم تبلّغ رسالتي عذّبتك والله يعصمك من الناس:	٢/ ٢٧٩
	انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله	٢/ ٢٧٩
المائدة ٥: ١٠٥	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم:	
	ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر	٢/ ٣٢٥
المائدة ٥: ١١٥	قال الله إني منزّلها عليكم:	
	أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً	٢/ ٣٤٠
المائدة ٥: ١١٧	فلما توفيتني	
	حديث نزول عيسى وقتله الدجال	٢/ ٣٤٥
الأنعام ٦: ٦٥	قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً:	
	هذه أهون أو أيسر	٢/ ٤١٥
الأنعام ٦: ١٥٣	وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه:	
	خطّ لنا رسول الله يوماً خطّاً	٢/ ٥٠١
الأعراف ٧: ٥٤	خلق السماوات والأرض في ستة أيام:	
	خلق الله عزّ وجلّ التربة يوم السبت	٢/ ٥٤٩
الأنفال ٨: ٦٠	وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة:	
	ألا وإن القوة الرمي	٣/ ٤٣
التوبة ٩: ٣	وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر:	
	هو يوم عرفة	٣/ ٥٤

	طرف الحديث	الجزء الصفحة
التوبة ٩ : ٨٤	ولا تصلّ على أحدٍ منهم مات أبداً:	
	لما تقدّم ليصلّي على عبد الله بن أبيّ	٣/ ١١٤
الإسراء ١٧ : ٧٩	عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً:	
	المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه	٣/ ٥٩٢
الكهف ١٨ : ٥٤	وكان الإنسان أكثر شيء جدلا:	
	عاتب علياً على النوم عن صلاة الليل	٣/ ٦٥١
الكهف ١٨ : ٦٠	وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح:	
	موسى بن عمران موسى بني إسرائيل	٣/ ٦٥٤
الكهف ١٨ : ٦٦	قال له موسى هل أتّبعك:	
	فلما التقيا وتراجعا الكلام قال له موسى	٣/ ٦٦٠
مريم ١٩ : ١٢	وآتيناه الحكم صبياً:	
	ابن سبع سنين	٤/ ١٠
مريم ١٩ : ٥٧	ورفعناه مكاناً عليّاً:	
	في السّماء الرابعة	٤/ ٨٤
الحج ٢٢ : ٢٩	ثم ليقضوا تفثهم:	
	إقامة الخمس من الفطرة	٤/ ١٨٨
النّمل ٢٧ : ٨٧	ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله:	
	الشهداء متقلدو السيوف حول العرش	٤/ ٣٩٨
سبأ ٣٤ : ٢٣	حتى إذا فُزّع عن قلوبهم:	
	الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل	٤/ ٥٥٧
غافر ٤٠ : ٢٨	أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله:	

	طرف الحديث	الجزء الصفحة
	طاف بالبيت فحين فرغ أخذوا بمجامع ردائه	٥/ ٦٦
غافر ٤٠ : ٣٣	يوم تولون مدبرين	
	إن للناس جولة يوم القيامة	٥/ ٦٨
الفتح ٤٨ : ٢٦	وألزمهم كلمة التقوى:	
	كلمة التقوى لا إله إلا الله	٥/ ٢٠٧
الطور ٥٢ : ٤	والبيت المعمور:	
	قال جبريل عليه السلام: هذا البيت المعمور	٥/ ٢٤٨
الممتحنة ٦٠ : ١٢	يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات	
	إني لا أصافح النساء	٥/ ٣٤٨
التحريم ٦٦ : ٦	قوا أنفسكم وأهليكم ناراً:	
	تنهونهنّ عما نهاكم الله	٥/ ٣٨٦
التحريم ٦٦ : ٨	توبوا إلى الله توبة نصوحاً:	
	التوبة التي لا عودة بعدها	٥/ ٣٨٧
الملك ٦٧ : ٢	أيكم أحسن عملاً	
	أيكم أحسن عقلاً وأشدّكم لله خوفاً	٥/ ٣٩٢
الجن ٧٢ : ٢٠	قل إنما أدعو ربي	
	ليس ما ترون من عبادة الله تعالى	٥/ ٤٤٠
الدهر ٧٦ : ٦	يفجّرونها تفجيراً:	
	تجري عند كل واحد منهم	٥/ ٤٧٨

	طرف الحديث	الجزء الصفحة
النبأ ٧٨ : ٤٠	ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً:	
	إن الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة	٥/ ٤٩٩
الانفطار ٨٢ : ٦	ما غرّك بربك الكريم:	
	غرّه جهله	٥/ ٥٢٠
الزلزال ٩٩ : ٤	يومئذ تحدّث أخبارها:	
	تقول الأرض يوم القيامة: يارب	٥/ ٥٨٨
العاديات ١٠٠ : ٦	إن الإنسان لربه لكنود	
	الكنود الذي يأكل وحده	٥/ ٥٩٠
الماعون ١٠٧ : ٥	عن صلاتهم ساهون:	
	يؤخّرونها عن وقتها تهاوناً بها	٥/ ٦٠٦
الماعون ١٠٧ : ٧	ويمنعون الماعون:	
	الماء والملح والنار	٥/ ٦٦
الكوثر ١٠٨ : ١	إنا أعطيناك الكوثر:	
	نهر في الجنة حافتاه من الذهب	٥/ ٦٠٧
	حديث إلجام الناس بالعرق	٥/ ٥٢٤
	حديث انشقاق القمر	٥/ ٢٧١
	حديث أول ما نزل من القرآن	٥/ ٥٧٩
	حديث بيعة العقبة	٣/ ١٢٩
	حديث حاطب بن أبي بلتعة	٥/ ٣٤٣
	حديث سواد بن قارب وخنافر	٥/ ١٧٩
	حديث شرب العسل	٥/ ٣٨٤
	حديث عدم صلاته على المنافقين	٣/ ١١٤

طرف الحديث	الجزء الصفحة
حديث مدح التين	٥/ ٥٧٥
حديث نزول سورة «المنافقون»	٥/ ٣٦٣

فهرست الأمثال[1]

(۱) رمزت بهذا الرمز☆ لما ورد من الأمثال في الحواشي.

☆ أدنى من حبل الوريد	٥/ ٢٢٤
☆ أذلّ من بعير سانية	٥/ ٢٢٤
استمجد المرخ والعَفار	١/ ٥٩٨
	٤/ ٦١٥
أعدى من الجرب	٣/ ٦١٨
أفلس من ابن المذلّق	٣/ ٦١٨
أقل من الهباء	٤/ ٢٩٨
أوفى من السموأل	١/ ٥٠٦
تفرقوا أيادي سبأ	٤/ ٥٥٣
جعل الأمر وراء ظهره ودَبَر أذنه	١/ ١٧٧
حبّك الشيء يعمي ويصمّ	٢/ ٣٨
شحذ شفرته حتى قعدت كأنها حربة	١/ ٥٥٤
في كل شجر نار	٤/ ٦١٥
لا أفعله ما سمر ابنا سمير	٤/ ٢٣٠
لو ذات سوار لطمتني	٣/ ٦٠٢
ما عليه في هذا الأمر نكف ولا وكف	
مبيضة	٧٧٧
المرأة تسمن من أذنها	٢/ ٤٢
من عزّ بزّ	٥/ ٣٣٦
هو مني معقد الإزار	٥/ ٢٢٤
هو مني مقعد القابلة	٥/ ٢٢٤

فهرست الأشعار[1]

(١) رتبت الأشعار وفاق حركات قوافيها: السكون فالفتح فالضم فالكسر. وأخّرت ما اتصل منها بهاء المذكر والمؤنث. ووضعت بين معقفين [ ] ما استكملت من الشعر وأسماء الشعراء. ورمزت بهذا الرمز ☆ لما ورد من الأشعار في الحواشي.

(الألف اللينة)

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها	فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا	
[صالح بن عبد القدوس]	طويل	٢٣٤/٢
وكم ران من ذنب على قلب فاجرٍ	فتاب من الذنب الذي ران فانجلى	
	طويل	٥٢٥/٥
واشتعل المبيضّ في مسودّه	مثل اشتعال النار في جزل الغضى	
ابن دريد	رجز	٧/٤

(ء)

[لعلك والموعود حق لقاؤه]	بدا لك من تلك القلوص بداءُ	
الشماخ	طويل	٢٩٩/٣
عصت عاد رسولهم فأضحوا	عطاشاً ما تبلّهم السّماءُ	
مرثد بن سعد	وافر	٥٦٥/٢
لهم صنم يقال له صمود	يقابله صداء والهباءُ	
مرثد بن سعد	وافر	٥٦٥/٢
فبصّرنا الرسول سبيل رشد	فأبصرنا الهدى وجلا العماءُ	
مرثد بن سعد	وافر	٥٦٥/٢
وإنّ إلٰه هودٍ هُوَ إلٰهي	على الله التوكّل والرّجاءُ	
مرثد بن سعد	وافر	٥٦٥/٢
[كأنّ سبيئة من بيت رأس]	يكون مزاجها عسلٌ وماءُ	
[حسّان]	وافر	١٤٧/٣
		٣٥٢/٤

الصدر	العجز
فلا وأبيك لا يُلفى لما بي	ولا للما بهم أبداً دواءُ
[مسلم بن معبد الوالبي]	وافر ٨٨/٢
فمن يهجو رسول الله منكم	ويمدحه وينصره سواءُ
[حسان]	وافر ٣١٣/٥
وقد أغدو على ثبةٍ كرام	نشاوى واجدين لما نشاءُ
[زهير]	وافر ٤٠٤/٥
[أتهجوه ولست له بكفءٍ	فشرّكما لخيركما الفداءُ
[حسان]	وافر ٢٩١/٤
[ونديمهم وبهم عرفنا فضله]	وبضدّها تتبيّن الأشياءُ
[المتنبي]	كامل ٤٧٢/٥
أجمعوا أمرهم بليلٍ فلمّا	أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ
[الحارث بن حلّزة]	خفيف ١٩٣/٣
ظاهرات الجمال والحسن ينظر	ن كما ينظر الأراك الظّباءُ
	خفيف ١٨٢/١
شهد العوالم إنها لنجيبة	بدليل ما ولدت من النجباءِ
	كامل ٣٣٦/٢
[فلرحمة المتوجّعين مرارة]	والموت دون شماتة الأعداء
[ابن أبي الشبل]	كامل ٦٢٥/٢
لا تَدْعني إلا بيا عبدها	لأنه أشرف أسمائي
	سريع ٧٦/١
غافلاً تعرض المنيّة للمر	ء فيُدعى ولات حين إباءِ
	خفيف ٥٦٠/٤

متى يأت هذا الموت لا يُلْفِ حاجة	لنفسي إلاّ قد قضيت قضاءها
[قيس بن الخطم]	طويل ٢/٣٥٨
	٥٨٥

(ب)

فلا ذا نعيم يُتركنْ لنعيمه	وإن قال قرّظْني وخذ رشوةً أبى
[حسان السعدي]	طويل ٣/ ٢١
ويصعر في عيني تلادي إذا انثنت	يميني بإدراك الذي كنت طالبا
[سعد بن ناشب]	طويل ٤/ ٩٤
قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم	[شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا]
الحطيئة	بسيط ٢/٢٠٣
[كذاك أُدّيت حتى صار من خلقي]	أني وجدت ملاك الشمة الأدبا
[أحد الفزارين	بسيط ١/٦٠٤
يا أوسط الناس طرّاً في مفاخرهم	وأكرم الناس أمّاً برّةً وأبا
[أعرابي]	بسيط ١/٣٥٣
إذا نزل السماء بأرض قوم	[رعيناه وإن كانوا غضابا]
[معاوية بن مالك]	وافر ٢/٣٦٠
لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه	يوماً بذمّ الدهر أجمع واصبا
أبو الأسود الدؤلي	كامل ٣/٤٩١
ولست بذي رثيةٍ أمّرٍ	إذا قِيد مستكرهاً أصحبا
[امرؤ القيس]	متقارب ٤/١٤٠

حميت حمى الإسلام في أرض غربة | وقد نشبت للروم فيها المخالبُ
طويل ٣/٦١٦

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه | لقد هان من بالت عليه الثعالبُ
[العباس بن مرادس] طويل ٣/١٧٢

فهذي سيوف يا هديّ بن مالك | كثير ولكن كيف بالسيف ضاربُ
طويل ٣/ ٦٠

إذا الخيل جاءت من فجاج عميقة | يمدّ بها في السير أشعث شاحبُ
طويل ٤/١٨٨

بأي كتاب أم بأية سنّة | ترى حبّهم عاراً عليّ وتحسبُ
[الكميت] طويل ٥/ ٨١

طربت وما [شوقاً] إلى البيض أطرب | [ولا لعباً مني وذو الشوق يلعبُ]
[الكميت] طويل ٢/٤٨٩

خذي العفو مني تستديمي مودّتي | ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ
حاتم الطائي طويل ٢/٦٦٥

إذا غاب عنها البعل لم تُفْشِ سرّه | وترضي إياب البعل حين يؤوبُ
[علقمة بن عبدة] طويل ٢/ ٦٣

ومعتصم بالحيّ من خشية الرّدى | سيردى وغازٍ مشفقٍ سيؤوبُ
سليم القشيري طويل ٣/٤٣٢

فلست لإنسيٍّ ولكن لملاكٍ | تنزّل من جوّ السماء يصوبُ
[علقمة الفحل] طويل ٢/١٧٥
٣/ ٢٩٧

وفي كل حيٍّ قد خبطت بنعمةٍ	فحقّ لشأسٍ من نَداك ذَنوبُ
[علقمة بن عبدة]	طويل ٥/٢٤٦
أحقّاً عباد الله أن لست خارجاً	ولا والجاً إلاّ عليّ رقيبُ
[ابن الدمينة]	طويل ٣/١٤٩
فقلت لها فيئي إليك فإنني	حرام وإني بعد ذاك لبيبُ
[المخبل السعدي]	طويل ٢/١٩٣
وداعٍ دعا يا من يجيب إلى النّدا	فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ
[كعب بن سعد]	طويل ٢/٣٨٨
فإن تسألوني بالنساء فإنني	بصير بأدواء النساء طبيبُ
[علقمة بن عبدة]	طويل ٤/٣١١
وخبّرتماني أنما الموت بالقُرى	فكيف وهاتا هَضْبةٌ وكثيبُ
[كعب بن سعد]	طويل ٣/٦١
رغا فوقهم سقب السماء فداحض	بشكّته لم يستلب وسليبُ
[علقمة]	طويل ٢/٥٧٠
أمّت سجاح ووالاها مسيلمة	كذّابة في بني الدنيا وكذّابُ
المعري	بسيط ٢/٢٦١
هذا سراقة للقرآن يدرسه	[والمرء عند الرشا إنْ يلقها ذيبُ]
	بسيط ١/٢٢٠
سموت ولم تكن أهلاً لتسمو	[ولكنّ المضيّع قد يصابُ]
	وافر ٢/٤٦٠
لمّا اتّقى بيد عظيم جرمها	فتركت ضاحي جلدها يتذبذبُ
	كامل ١/٥٣٧

[لـدن بهـزّ الكـفّ يعسـل متنـه	فيه] كما عسـل الطريـقَ الثعلبُ
[ساعدة بن جؤيّة]	كـامـل ٥٧/٣
أولئك أولى من يهود بمدحةٍ	إذا أنت يوماً قلتها لم تؤنّب
[رجل من الأنصار]	طـويـل ١٨٣/٤
وإنكما إن تنظـراني ساعـة	من الدهر تنفعني لدى أمّ جندبِ
امرؤ القيس	طـويـل ٣١١/٥
ألم تـرياني كلما جئت طارقاً	وجدت بها طيباً وإن لم تَطَيّبِ
امرؤ القيس	طـويـل ٣٥٦/١
[فما سوّدتني عامر عن قرابة]	أبى الله أن أسمو بأمٍّ ولا أبِ
[عامر بن الطفيل]	طـويـل ٣٥١/١
هما أظلما حاليّ ثُمّتَ أجليا	ظلاميهما عن وجه أمرد أشيبِ
أبو تمام	طـويـل ٦٨/١
إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة	[سهيل أذاعت غزلها في القرائبِ]
	طـويـل ١٠٣٩/٢
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	بهنّ فلول من قراع الكتائبِ
[النابغة]	طـويـل ٢٦٧/٢
أمرتك الخير فافعل ما أُمرت به	فقد تركتك ذا مالٍ وذا نشب
[عمرو بن معد يكرب]	بسيـط ٤٥٩/٣
كلاهما حين جدّ الجري بينهما	قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي
	بسيـط ٦٣٧/٣
إلى عرق الثرى وشجت عروقي	وهذا الموت يسلبني شبابي
[امرؤ القيس]	وافـر ٣٥٥/٢

٦/٢

[رانا موضعين لأمر غيبٍ] ونسحر بالطعام وبالشرابِ
[امرؤ القيس] وافر ٣/ ٩١
١٤٨/٣

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خلفٍ كجلد الأجربِ
[لبيد] كامل ٦٤١/٢

فلئن لقيتك خالياً فلتعلمنّ أيي وأيّك فارس الأحزابِ
كامل ٤٣٠/٢

ولم يكن المغترّ بالله إذ سرى ليُعجز والمعتزّ بالله طالبُهْ
البحتري طويل ٦٧٨/٣

والله ما زيدٌ بنام صاحبُهْ [ولا مخالط اللّيان جانبُهْ]
رجز ٤/ ٤٢

[دعاني إليها القلب إني لأمره سميع] فما أدري أرشدٌ طِلابُها
[أبو ذؤيب] طويل ٢٠٨/١
٣٥/٥

وكأسٍ شربت على لذّةٍ وأخرى تداويت منها بها
[الأعشى] متقارب ٦٢٥/٤

(ت)

تركٌ إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتا
أبو إسحاق الغزّي بسيط ٢٩٧/٣

ربّما أوفيتُ في علم ترفعنْ ثوبي شمالاتُ

[جذيمة الأبرص]	مديد	٤٣٢/٣
[يا أيها الراكب المزجي مطيّته]	سائل بني أسد ما هذه الصوتُ	
[رويشد بن كثير الطائي]	بسيط	٢٩٩/١
فأمّا عيون العاشقين فأسخنت	وأما عيون الشامتين فقرّتِ	
	طويل	٣١٧/٤
وكنت كذي رجلين رجلٍ صحيحة	ورجلٍ [رمى فيها الزّمان فشلّتِ]	
[كثيّر عزّة]	طويل	٦١٦/١
		٥٣٤/٢
		٥٥٦/٣
هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ	لعزّة من أعراضنا ما استحلّتِ	
كثير عزّة	طويل	١٧/٢
[لا تعدلنّ أتاويّين تضربهم]	نكباء صرّ بأصحاب المحلّاتِ	
	بسيط	٥٤٨/١
[من نزلٍ إذا الأمور غبّتِ]	في سعي دنيا طال ما قد مُدّتِ	
[العجاج]	رجز	٣٨٤/٣
أنعتها أني من نعّاتها	مدارة الأخفاف مجمّراتها	
[عمرو بن لجأ التيمي]	رجز	٤١٤/١
غلب الذّفارى وعفر نيّاتها	كوم الذّرا وادقة سرّاتِها	
[عمرو بن لجأ التيمي]	رجز	٤١٤/١

(ج)

متى تأتنا تُلممْ بنا في ديارنا	تجد حطباً جزلاً وناراً تأجّجا

[عبيد الله الحر]	طويل	٣١٦/٤
أما النهار ففي قيد وسلسلة	والليل في بطن منحوتٍ من الساجِ	
	بسيط	٩٦٨

(ح)

أتَوا ناري فقلت مَنُون أنتم	فقالوا الجنّ قلت عِمُوا صباحا	
[سمير بن الحارث أو غيره]	وافر	١٥/٤
[سأترك منزلي لبني تميم]	وألحق بالحجاز فأستريحا	
[المغيرة بن حبناء]	وافر	٥٠٠/١
[فحسبكم هذا التفاوت بيننا	و] كلّ إناءٍ بالذي فيه يرشحُ	
[حيص بيص]	طويل	٢٠٦٥
إذا مات فوق الرّحل أحييت روحه	بذكراك والعيس المراحيل جُنّحُ	
ذو الرّمة	طويل	٤٤/٣
وإني لأستشفي بكلّ غمامةٍ	يهبّ بها من نحو أرضك ريحُ	
	طويل	٣٤١/٣
فأنت من الغوائل حين تُرمى	ومن ذمّ الرّجال بمنتزاحِ	
[ابن هرمة]	وافر	٥٥٧/١
ونحن على جوانبها قعود	نغضّ الطرف كالإبل القماحِ	
بشر بن أبي خازم	وافر	٥٩٦/٤
وقولي كلما جشأت وجاشت	مكانك تحمدي أو تستريحي	
[عمرو بن الإطنابة]	وافر	١٦٦/٣

(د)

ألا خبّر الناعي بخيرَيْ بني أسد — بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمدْ
طويل ٥/٦١٩

أريني جواداً مات هزلاً لأنني — أرى ما ترين أو بخيلاً مخلّدا
حطائط بن يعفر — طويل ١/٢٠٣

أجدّك لم تسمع وصاة محمد — نبيّ الإله حين أوصى وأشهدا
الأعشى — طويل ٢/٤٩٩

له نافلات ما يغبّ نوالها — وليس عطاء اليوم مانعه غدا
الأعشى — طويل ٣/٤٣٧

[إذا اسودّ جنح الليل فلتأت ولتكن — خطاك خفافاً] إن حرّاسنا أُسْدا
عمر بن أبي ربيعة — طويل ٢/٦٦٢

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة — [ولم تجدي من أن تقرّي بها بدّا]
[زائد بن صعصعة] — طويل ٥/١٣٤

فردّ شعورهنّ السود بيضاً — وردّ وجوههنّ البيض سودا
[فضالة بن شريك] — وافر ١/٥٣٠

طلبت ربيع ربيعة المُمْهي لها — وتفيأت ظلاً له ممدودا
أبو تمام — كامل ٣/٤٨٧

أعددتُ للحدثان سا — بغةً وعدّاءً علندا
[عمرو بن معد يكرب] — كامل مجزوء ١/٨٠

بالزنج حرٌّ غيّر الأجسادا — حتى كسا جلودها السّوادا
رجز ٣/٦٧٢

أغرّ عليه للنبوّة خاتم — من الله مشهود يلوح ويُشهدُ

حسان	طويل	٥/٥٧٤
وضمّ الإله اسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن: أشهدُ	
حسان	طويل	٥/٥٧٤
[ولكنما أهلي بوادٍ أنيسه]	ذئاب تَبَغّى الناس مثنى وموحدُ	
[ساعدة بن جؤية]	طويل	٢/١٥ و١٦
مليك على عرش السماء مهيمن	لعزّته تعنو الجباه وتسجدُ	
[أمية بن أبي الصلت]	طويل	٢/٢٥٣
[إذا كانت الهيجاء وانشقّت العصا]	فحسبك والضّحاك سيف مهنّدُ	
[منسوب لجرير]	طويل	٣/٤٦
عشية لا عفراء منك قريبة	فتدنو ولا عفراء منك بعيدُ	
[عروة بن حزام]	طويل	٢/٥٥٣
إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً	فمطلبها كهلاً عليه شديدُ	
[المعلوط السعدي]	طويل	٤/٥٥٩
نرضى عن الناس إن الناس قد علموا	أن لا يدانينا من خلقه أحدُ	
جرير	بسيط	١/٣٣٤
فينا معاشر لم يبنوا لقومهمُ	وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا	
الأفوه الأودي	بسيط	٢/٥٦٩
والبيت لا يبتنى إلا له عمد	ولا عماد إذا لم تُرْسَ أوتادُ	
الأفوه الأودي	بسيط	٥/١٠
		٥/٤٩٤
أبني لبينى إنّ أمّكمُ	أمة وإنّ أباكم عبدُ	
[أوس بن حجر]	كامل	٢/٢٦٩

ولقد سئمت من الحياة [وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيدُ]
[لبيد] ... كامل ... ٣٤٠

[قد شمّرت عن ساقها فشدّوا ... وجدّت الحرب [بينكم] فجدّوا]
[حنظلة بن ثعلبة] ... رجز ... ١٩٣/٥

قد علمت سلمى وجاراتها ... أني من الله لها هائدُ
[عمرو بن معد يكرب] ... سريع ... ٦٢٩/٢

وفي كل شيء له آية ... تدلّ على أنه واحدُ
[أبو العتاهية] ... متقارب ... ٦٥١/٢
٥٤٨/٥

[عدوليّة أو من سفين ابن يامن] ... يجور بها الملّاح طوراً ويهتدي
طرفة ... طويل ... ١٤٢٤

[ولست بحلّال التّلاع مخافةً] ... ولكن متى يسترفد القوم أرفدِ
[طرفة] ... طويل ... ٥٢٦/٣

وإن أُدعَ للجلّى أكن من حماتها ... [وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهدِ]
[طرفة] ... طويل ... ٢٠/٣

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربّي كنت عمرو بن مرثدِ
[طرفة] ... طويل ... ٩١/٥

[ولم تدر وشك البين حتى رأتهمُ] ... وقد قعدوا أرماقها كل مقعدِ
[زهير] ... طويل ... ٥٨/٣

فلو كان حمدٌ يُخلد الناس لم تمت ... ولكنّ حمد الناس ليس بمُخلِدِ
زهير ... طويل ... ٨٨/١

فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى ... تأهّب لأخرى مثلها فكأنْ قدِ

الصدر	العجز	البحر	الموضع	الشاعر
		طويل	١١٣/٣	
فقلت لهم ظنّوا بألفي مدجّج	[سراتهم في الفارسيّ المسرّدِ]	طويل	٥٧٨/١	
وأبلج محمود الثناء خصصتُه	بأفضل أقوالي وأفضل أحمدي	طويل	٣٠/١	
تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً	فقلت أعبد الله ذلكم الردي	طويل	٦٨/٥	[دريد بن الصمّة]
سأجزيكِ أو يجزيك عني مثوّب	وحسبك أن يُثنى عليك وتُحمدي	طويل	٥٢٧/٥	[أوس بن حجر]
كمرضعةٍ أولاد أخرى وضيّعت	بني بطنها هذا الضلال عن القصدِ	طويل	١٧٣/٤	[العديل بن الفرخ]
جرى بفراق العامريّة غدوة	شواحج سود ما تعيد وما تبدي	طويل	٢٢٩/٢	[العديل بن الفرخ]
تسلّيت طرّاً عنكمُ بعد بينكم	بذكراكُم حتى كأنكمُ عندي	طويل	٥٥٩/٤	
إلا سليمان إذ قال الإله له	قم في البريّة فاحددها عن الفندِ	بسيط	١٩/٥	النابغة
وخيّس الجنّ إني قد أذنت لهم	يبنون تدمر بالصّفاح والعمدِ	بسيط	١٩/٥	النابغة
فمن أطاعك فانفعه بطاعته	كما أطاعك وادلله على الرّشدِ	بسيط	١٩/٥	النابغة
ومَنْ عَصَاكَ فعاقبهُ معاقبة	تَنْهى الظّلومَ ولا تقعد على ضمدِ			

النابغة	بسيـــط	٣٦٥/٢
		١٩/٥
يحفّــه جــانبــا نيــقٍ ويُتبعــه	مثل الزجاجة لم تُكحل من الرّمدِ	
[النـابغـة]	بسيـــط	٦٣٧/٣
فمـا الفـرات إذا هـبّ الـريـاح لـه	تـرمـي غـواربـه العبريـن بـالـزّبـدِ	
[النـابغـة]	بسيـــط	٣٧٥/٣
قـد أتـرك القـرن مصغّـراً أنـاملـه	[كـأنّ أثـوابـه مجّـت بفـرصـادِ]	
[عبيد بن الأبرص]	بسيـــط	٢١٧/١
أتنظــران قليــلاً ريــث غفلتهــم	أم تغـدوان فـإن الـرّيـح للغـادي	
[السليك بن السلكة]	بسيـــط	٣٦/٣
يكـاد لا تلثـم البطحـاء وطـأتـه	كـأنـه ثمـل يمشـي علـى رودِ	
[منسوب للجموع الظفري]	بسيـــط	٥٣٩/٥
وأعلــم علــم حــقٌ غيــر ظــنٌ	وتقــوى الله مــن خيــر العتــادِ	
[الملتمــس]	وافـــر	٣٣٣/١
علــى مــا قــام يشتمنــي لئيــم	[كخنــزيــر تمــرّغ فــي رمــادِ]	
	وافـــر	٥٥٥/١
سقط النصيف ولم ترد إسقاطه	فتنــاولتــه واتّقتنــا بــاليــدِ	
النابغة	كــامــل	٥٢٠/٤
لـو شهـد عـاد فـي زمـان عـاد	لابتــزّهــا مبــارك الجــلادِ	
	رجــز	٥٦٢/٢
يــابـن أمّـي ويـا شقيّـق نفسـي	أنـت خلّفتنـي لـدهـرٍ شـديـدِ	

[أبو زبيد الطائي]	خفيف	٢/ ٢٦٤
☆ [تطاول ليلك بالإثمد	ونام الخليّ ولم ترقدِ]	
[امرؤ القيس]	متقارب	١/ ٣٤
☆ [وبات وباتت له ليلة	كليلة ذي العائر الأرمدِ]	
[امرؤ القيس]	متقارب	١/ ٣٤
☆ [وذلك من نبإٍ جاءني	وخبّرته عن أبي الأسودِ]	
[امرؤ القيس]	متقارب	١/ ٣٤
[ولو عن نثا غيره جاءني]	وجرح اللسان كجرحِ اليدِ	
[امرؤ القيس]	متقارب	٤/ ٢٤٦
تحنّ إلى أجبال مكّة ناقتي	ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدَهْ	
	طويل	٥/ ٥٦٠
فزجَجْتها بمزجّةٍ	زجّ القلوص أبي مزادَهْ	
	كامل مجزوء	٢/ ٤٨٠
إن الشباب والفراغ والجَدهْ	مفسدة للمرء أيّ مفسدهْ	
[أبو العتاهية]	رجز	١/ ١٣٣

(ر)

أغادي الصّبوح عند هرٍّ وفرتنى	وليداً وهل أفنى شبابي غير هرّْ	
[امرؤ القيس]	طويل	٥/ ١٣
هما نعجتان من نعاج تبالة	لدى جؤذرين أو كبعض دُمى هَكِرْ	
[امرؤ القيس]	طويل	٥/ ١٣
إذا ذقت فاها قلت طعم مدامة	معتّقة مما تجيء به التُّجُرْ	

[امرؤ القيس] طويل ٤/١٨٩

[يفاكهنا سعد ويغدو لجمعنا] بمثنى الزقاق المترعات وبالجُزُرْ

[امرؤ القيس] طويل ٢/١٦

[جادت] بكفَّيْ كان من أرمى البشرْ

رجز ٣/١٢٤

٤/٦٤٥

يا سارق الليلة أهل الدارْ

رجز ٢/٣٣

وترى الشجراء في ريّقه كرؤوس قطّعت فيها الخُمُرْ

[امرؤ القيس] رمل ٤/٢٥٨

وهرٌّ تَصيدُ قلوبَ الرجال وأفلتَ منها ابن عمروٍ حُجُرْ

[امرؤ القيس] متقارب ٢/١٩٠

[فلما دنوت تسدّيتها] فثوب لبست وثوب أجرّْ

[امرؤ القيس] متقارب ٢/١٧٠

غرائر في كنٍّ وصونٍ ونعمةٍ يحلّين ياقوتاً وشذراً مفقّرا

طويل ٣/٦٣٥

من القاصرات الطّرف لو دبّ محول من الذّر فوق الإتب منها لأثّرا

[امرؤ القيس] طويل ٤/٦٢٦

على لا حب لا يُهتدى بمناره [إذا سافه العَوْد النباطي جرجرا]

[امرؤ القيس] طويل ١/٦١

١٢٠

٥٧١

٢٦٨/٤

٤٦٦/٥

له العويل إن أمسى ولاأم هاشم — قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا

[امرؤ القيس] — طويل — ٥٤٥/٢

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا — وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

النابغة [الجعدي] — طويل — ٨٠١

ويخبرني عن غائب المرء هديه — كفى الهدي عمّا غيّب المرءُ مُخبرا

[زياد بن زيد العدوي] — طويل — ٥٤٨/٣

كتمتك ليلاً بالجمومين ساهرا — [وهمّين همّاً مستكنّاً وظاهرا]

[النابغة] — طويل — ٦٥/٥

[فإن خفت يوماً أن يلجّ بك الهوى] — فإن الهوى يكفيكه مثله صبرا

طويل — ٦٨٠/٣

ناشدتك الله إن عاينت لي خطأً — فاستر فإن خيار الناس من سَتَرا

بسيط — ٦٢٦/٥

أحار ترى بريقاً هبّ وهناً — كنار مجوس تستعر استعارا

[امرؤ القيس] — وافر — ١٨٣/٤

وصبغت درعك من دماء كماتهم — لمّا رأيت الحسن يُلبس أحمرا

كامل — ١٣٢/٥

ألف الصفون فلا يزال كأنه — ممّا يقوم على الثلاث كسيرا

كامل — ١٦/٥

واللذِ لو شاء لكنت صخرا — أو جبلاً أشمّ مشمخرّا

رجز — ٩١/٥

أصبحت لا أملك السلاح ولا	أملك رأس البعير إن نفرا		
الربيع بن ضبيع		منسرح	٥٣٢/١
أحل به الشيب أثقاله	وما اعترّه الشيب إلاّ اعترارا		
الأعشى		متقارب	١٦٤/٥
يدوام من صلوات المليـ	ـك طوراً سجوداً وطوراً جُؤارا		
الأعشى		متقارب	٤٩٢/٣
أكلّ امرىءٍ تحسبين أمرأً	ونارٍ توقّد بالليل نارا		
[أبو دؤاد الإيادي]		متقارب	٤٥/٣
وأعددت للحرب أوزارها	رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا		
عمرو بن معد يكرب		متقارب	١٨٥/٥
يموت أناس أو يشيب فتاهم	ويحدث ناس والصغير فيكبرُ		
		طويل	٥٣٧/١
أيادي سبا يا عزّ ما كنت بعدكم	فلم يَحْلُ للعينين بعدك منظرُ		
كثيّر عزّة		طويل	٥٥٥/٤
قلت وفي الأحشاء قول مخامر	ألا حبّذا يا عزّ ذاك التشايرُ		
كثيّر عزّة		طويل	٢٠/٤
لو كان منفلت كانت قساوسة	يحييهم الله في أيديهم الزّبرُ		
أمية بن أبي الصلت		بسيط	٢٩٦/٢
فاستؤصلوا بعذاب خصّ دابرهم	فما استطاعوا له صرفاً ولا انتصروا		
أمية بن أبي الصلت		بسيط	٣٩٧/٢
☆[نرضى عن الله إن الناس قدعلموا	أن لا يفاخرنا من خلقه بشرُ]		
جرير		بسيط	٣٣٤/١

يا تيم تيم عديّ [لا أبالكمُ	لا يوقعنكم في سوأةٍ عمرُ]	
[جرير]	بسيط	٧١/١
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ	[فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ]	
[الحطيئة]	بسيط	٤٤٤/٢
بئس الصّحاة وبئس الشّرب شربهمُ	إذا جرى منهم المزّاء والسَّكَرُ	
	بسيط	٥٠١/٣
[وإنني حيثما يثني الهوى بصري	من حيثما سلكوا] أدنو فأنظورُ	
[ابن هرمة]	بسيط	٦١٩/٢
وإنّ صخراً لتأتمّ الهداة به	كأنه علم في رأسه نارُ	
الخنساء	بسيط	١١٤/٥
كحلفةٍ من أبي رياحٍ	يسمعها اللهمَ الكبارُ	
[الأعشى]	بسيط مخلّع	٤٥٨/١
		٤٥٩/١
ترى الرجل النحيف فتزدريه	وفي أثوابه أسد هصورُ	
[العباس بن مرداس]	وافر	٢٢٤/٣
لقد عظم البعير بغير لبٍّ	فلم يستغن بالعظم البعيرُ	
[العباس بن مرداس]	وافر	٥٣٩/٢
لهفي عليك للهفةٍ من خائفٍ	يبغي جوارك حين ليس مجيرُ	
	كامل	٦٥٥/٣
[ونركب خيلاً لا هوادة بينها]	وتشقى الرماح بالضياطرة الحمرِ	
[خداش بن زهير]	طويل	٥٩٣/٢
إلى السّدرة العليا تسامى حقيقة	فكان به المجد المؤثّل للسّدرِ	

طويل ٥/٢٥٩

[فلو كنت ضبّياً عرفت قرابتي] ولكنّ زنجيّ عظيم المشافرِ
[الفرزدق] طويل ١/١٤٩
٣/٦٤١
٤/٥٢٦

توقّ ذباب السيف عنّي فإنني غلام إذا هوجيت لست بشاعرِ
[صفوان] طويل ٤/٢٥١

ولكنني أحمي حماي وأتّقي من الباهت الرّامي البريء الظواهرِ
[صفوان] طويل ٤/٢٥١

سواء عليك النّفر أم بتّ ليلة بأهل القباب من نمير بن عامرِ
طويل ٢/٦٥٩

والمرء ما دام ذا عين يقلّبها في أعين العِين موقوف على الخطرِ
بسيط ٤/٥٣٤

يسرّ مقلته ما ساء مهجته لا مرحباً بانتفاع جاء بالضررِ
بسيط ٤/٥٣٤

دسّت رسولاً بأن القوم أن قدروا عليك يشفوا صدوراً ذات توغيرِ
الفرزدق بسيط ٥/١١١

قال النبي ولم يجزع يوقّرني ونحن في سدفٍ من ظلمة الغارِ
أبو بكر بسيط ٣/ ٨٥

لا تخشَ شيئاً فإن الله ثالثنا وقد تكفّل لي منه بإظهارِ
أبو بكر بسيط ٣/ ٨٥

وإنما كيد من يُخشى بوادره كيد الشياطين قد كادت لكفّارِ

أبو بكر — بسيط — ٣/ ٨٥

والله مهلكهم طرّاً بما صنعوا — وعاجل المنتهى منهم إلى النّارِ

أبو بكر — بسيط — ٣/ ٨٥

إذا تغنّى حمام الأيك هيّجني — ولو تسلّيتُ عنها أمَّ عمّارِ

[النابغة] — بسيط — ٢/ ٥٩٤

أرعى النجوم وما كُلّفت رعيتها — وتارة أتغشّى فضل أطماري

الخنساء — بسيط — ٣/ ٢١٢

قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم — دون النساء ولو باتت بأطهارِ

[الأخطل] — بسيط — ٢/ ٣٢٣

دحرت بني الحصيب إلى قديد — وقد كانوا ذوي أشرٍ وفخرِ

وافر — ٢/ ٥٢٢

فلو نُبش المقابر عن كليبٍ — فتخبر بالذّنائب أيّ زيرِ

[مهلهل بن ربيعة] — وافر — ٤/ ٤٩٢

بيوم الشَّعْثَمَيْنِ لقرَّ عيناً — وكيف لقاءُ من تحت القبورِ

[مهلهل بن ربيعة] — وافر — ٤/ ٤٩٢

النّازلون بكل معتركٍ — والطّيبون معاقد الأُزرِ

الخرنق بنت بدر — كامل — ٢/ ١٦٩

وصغيركم عبد العزيز فإنني — أطوي لفرقته جوىً لم يصغرِ

عبد الملك بن إدريس — كامل — ٣/ ٢٧٨

ذاك المقدّم في الفؤاد وإن غدا — كفئاً لكم في المنتمى والعنصرِ

عبد الملك بن إدريس — كامل — ٣/ ٢٧٨

إن البنان الخمس أكفاء معاً — والحَلْيُ دون جميعها للخنصرِ

عبد الملك بن إدريس	كامل	٣/٢٧٨
وإذا الفتى فقد الشباب سما له	حبّ البنين ولا كحبّ الأصغر	
عبد الملك بن إدريس	كامل	٣/٢٧٨
لم يُخْرَمُوا حُسْنَ العزاء وأمُّهم	طفحتْ عليك بناتقٍ مذكارِ	
النابغة	كامل	٢/٦٤٢
بات يغشّيها بعضبٍ باتر	يقصد في أسوقها وجائرِ	
	رجز	٢/٤٤٣
وي كأنْ من يكن له نَشَبٌ يُحْـ	ـبَبْ ومن يفتقر يَعِشْ عَيْشَ ضُرُّ	
[زيد بن عمرو بن نفيل]	خفيف	٤/٤٣٠
دعوت لما نابني مسوراً	[فلبّى فلبّي يدي مسورِ]	
	متقارب	٣/ ٢٠
وما مثله ممّن يجاود حاتم	ولا البحر ذو الأمواج يلتج زاخرُهْ	
	طويل	٢/١٧٤
وقاسمها بالله جهداً لأنتمُ	ألذّ من السلوى إذا ما نَشورُها	
[خالد بن زهير]	طويل	٢/٥٢٥
هوّن عليك فإنّ الأمور	بكفّ الإله مقاديرُها	
[الأعور الشنّي]	متقارب	٢/٥٢٦
		٤/٥٢٤

(ز)

فظلّت بأعراف تعالى كأنها	رماح نحاها وجهة الريح راكزُ	
الشماخ	طويل	٢/٥٤٤

(س)

[أكرّ وأحمى للحقيقة منهمُ]	وأضرب منا بالسيوف القوانسا	
[العباس بن مرداس]	طويل	٢/ ٤٦٣
		٣/ ٦١٩
		٣/ ٦٢٠
يا منزل الرّحم على إدريسا	ومنزل اللعن على إبليسا	
رؤبة بن العجاج	رجز	٣/ ٦٦٦
[نُبِّئت أن النار بعدك أوقدت]	واستبّ بعدك يا كليب المجلسُ	
[المهلهل]	كامل	١/ ٨٣
ولولا كثرة الباكين حولي	على إخوانهم لقتلت نفسي	
الخنساء	وافر	٢/ ٣٦٣
وما يكون مثل أخي ولكن	أسلّي النفس عنه بالتأسّي	
الخنساء	وافر	٢/ ٣٦٣
إقدام عمروٍ في سماحة حاتم	في حلم أحنف في ذكاء إياسِ	
أبو تمام	كامل	٢٦٦
لا تنكروا ضربي له مَن دونه	مثلاً شروداً في النّدى والباسِ	
أبو تمام	كامل	٤/ ٢٦٧
فالله قد ضرب الأقل لنوره	مثلاً من المشكاة والنّبراسِ	
أبو تمام	كامل	٤/ ٢٦٧
بقّيت وفري وانحرفت عن العلا	ولقيت أضيافي بوجه عبوسِ	
الأشتر النخعي	كامل	٢/ ٥٨١
إن لم أشنّ على ابن هندٍ غارة	لم تَخْلُ يوماً من نهاب نفوسِ	

الأشتر النخعي | كامل | ٥٨١/٢

☆ [لو عرضت لأيبليٍّ قسٍّ | أشعث في هيكله مندسٍّ]

حنّ إليها كحنين الطسِّ

العجاج | رجز | ٧/٢

(ص)

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم | وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

الأعشى | طويل | ١٩٩/٢

جاء الشتاء ولمّا اتّخذ سكناً | يا ويح قلبيَ من حفر القراميصِ

بسيط | ٥١٢/٣

(ض)

أبا منذر أفنيت فاستبقِ بعضنا | حنانيك بعض الشرّ أهون من بعضِ

[طرفة] | طويل | ١١/٤

(ع)

من أناس ليس في أخلاقهم | عاجل الفحش ولا سوء جَزَعْ

[سويد بن أبي كاهل] | رمل | ١١٣/١

ربّ من أنضجت غيظاً صدره | [قد تمنّى لي مَوتاً لم يُطَعْ]

[سويد بن أبي كاهل] | رمل | ٥٢/٤

[لقد علمت أولى المغيرة أنني] | لحقت فلم أُنكل عن الضرب مسمعا

[مرّار الأسدي] | طويل | ٥٠٦/٣

فقلت ويحك ماذا في صحيفتكم | قالوا الخليفة أمسى مثبتاً وجعا

بسيط ٣/ ٢٤

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصّلعا
[الأعشى] بسيط ٣/ ٢٤٣

ألم يحزنك أن حبال قومي وقومك قد تباينتا انقطاعا
[القطامي] وافر ٥/ ٨٩

رأينا ما رأى البصراء منّا فآلينا عليها أن تُباعا
القطامي وافر ٢/ ١٨٢

☆ [يا ليت أيام الصبا رواجعا]
[العجاج] رجز ٢/ ٦٦٢

إذا حارب الحجاج أيّ منافق علاه بسيفٍ كلّما هزّ يقطعُ
[الفرزدق] طويل ١/ ٣٩٣
١/ ٤٧٣

نصرنا رسولَ الله في الحرب تسعة وقد فرَّ مَنْ قد فرّ منهم وأقشعوا
العباس طويل ٣/ ٧١

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه بما مسّه في الله لا يتوجّعُ
العباس طويل ٣/ ٧١

ويستخرج اليربوع من نافقائه ومن جحره بالشيحة اليتقصّعُ
[ذو الخرق الطهوي] طويل ٢/ ٣٨٦

فما الناس إلا عاملان فعامل يتبرّ ما يبني وآخر رافعُ
[لبيد] طويل ٣/ ٥٤٤

ومنّا الذي اختير الرجال سماحة وجوداً إذا هبّ الرياح الزعازعُ
الفرزدق طويل ٤/ ٢٨٨

فيا عجبا حتى كليبٌ تسبّني … كأنّ أباها نهشلٌ أو مجاشعُ

[الفرزدق] طويل ٤/٢٣٧

وقد حال همٌّ دون ذلك شاغل … مكان الشغاف تبتغيه الأصابعُ

[النابغة] طويل ٤/٥٧٢

أقارع عوف لا أحاول غيرها … وجوه قرود تبتغي من تجادعُ

النابغة طويل ١/٤٤٧

أبى الله إلاّ عدله ووفاءه … فلا النكر معروف ولا العرف ضائعُ

[النابغة] طويل ٣/ ٧٩

السلم تأخذ منها ما رضيت به … والحرب يكفيك من أنفاسها جرعُ

بسيط ١/٢٩٣

أمن ريحانة الداعي السميعُ … [يؤرقني وأصحابي هجوعُ]

[عمرو بن معد يكرب] وافر ١/٤٥٣

[وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ] … تحيّة بينهم ضربٌ وجيعُ

[عمرو بن معد يكرب] وافر ١/٥٧٥

٣/٢٥٦

٤/٥٩٥

أودى بنيّ وأودعوني حسرة … عند الرقاد وعَبرة ما تُقلعُ

أبو ذؤيب كامل ٣/٤٣٧

وعليهما مسرودتان قضاهما … داود [أو صنع السوابغ تُبّعُ]

[أبو ذؤيب] كامل ٢/٤٠٩

٥/ ٩٠

فصبرتُ عارفة لذلك حرّة … ترسو إذا نفس الجبان تطلّعُ

عنترة — كامل — ٣/٦٣١

قتلت به فهراً وحملت عقله … سراة بني النجار أرباب فارعِ

مقيس بن صبابة — طويل — ٢/١١٧

حللت به وتري وأدركت ثؤرتي … وكنت إلى الأوثان أول راجعِ

مقيس بن صبابة — طويل — ٢/١١٧

وكوني بالمكارم ذكّريني … [ودَلّي دلّ ماجدة صَناعِ]

[بعض بني نهشل] — وافر — ٤/٤٤

وإذا همُ طعموا فألأم طاعم … وإذا همُ جاعوا فشرّ جياع

[جاهلي] — كامل — ١/١١٣

يا بنة عمّا لا تلومي واهجعي … [ألم يكن يبيضُّ لو لم يصلع]

[أبو النجم] — رجز — ٢/٦٢٤

(ف)

[وعضّ زمان يابن مروان] لم يدع … من المال إلا مسحت أو مجلّفُ

الفرزدق — طويل — ١/٣٦٤

وبيتان بيت الله نحن نزوره … وبيت بأعلى إيلياء مشرّفُ

الفرزدق — طويل — ٢/٢٢١

بكى الخزّ من رَوْح وأنكر جلده … وعجّت عجيجاً من جذامَ المطارفُ

هند بنت النعمان — طويل — ٢/١٧١

عمرو الذي هَشَم الثّريدَ لقومه … ورجالُ مكّةَ مُسْنِتون عجافُ

[عبد الله بن الزبعرى] — كامل — ٢/٦٠٦

إذا نُهي السفيه جرى إليه … [وخالف والسفيه إلى خلافِ]

وافـــر ٢٦٧/٣

لَلُبـــسُ عبـــاءة وتقـــرّ عينـــي [أحـبّ إلـيّ مـن لبس الشفـوف]
[ميسون بنت بحدل] وافـــر ١٠٩/٢
٥٣٠/٢

(ق)

هـــل هـــي إلّا خطّـــة أو تطليـــق أو صلـــف أو بيـــن ذاك تعليـــقْ
رجـــز ١٤٤/٢

حـــذار فقـــد نبّئـــتُ إنـــك لَلّـــذي ستُجزى بما تسعى فتسعد أو تشقى
طـويـل ٥٤٣/٤

لطائف معنى في العيان ولم تكن لتـــدرك إلا بـــالتّـــزوار واللّقـــا
طـويـل ٣٦٤/٢

ويشتـــم أعـــلام الائمـــة ضلّـــة ولا سيمـا أن أولجـوه المضـايقـا
أبو حيان طـويـل ٣٤/٥

إن الخليـط أجـدّ البيـن فـافتـرقـا وعُلّق القلب من أسماء ما علقا
[زهيـــر] بسيـــط ١٤/٥

ليـث بعثّـر يصطـاد الـرجـال إذا ما كذّب الليث عن أقرانه صدقا
[زهيـــر] بسيـــط ١٩٠/٢

وتُصبح من غـبّ السُّرى وكـأنهـا ألـمّ بهـا من طـائف الجنّ أولـقُ
الأعشـــى طـويـل ٦٦٦/٢

يـداك يـدا مجـدٍ فكـفٌّ مفيـدة وكـفّ إذا مـا ضُـنّ بـالمـال تُنفـقُ
[الأعشى] طـويـل ٢٧٣/٢

نفى الذّم عن آل المحلّق جفنة	كجابية السَّيْح العراقي تفهقُ
الأعشى	طويل ٥٤٧/٤
فلما ردفنا من عمير وصحبه	تولّوا سراعاً والمنيّة تعنقُ
	طويل ٣٩٣/٤
ألا هل أتى أم الحويرث مرسل	بلى خالد إن لم تعقْه العوائقُ
[أبو ذؤيب]	طويل ٣٢٦/٢
أريد لأنسى ذكرها فكأنما	تمثّل لي ليلى بكلّ طريقِ
[كثيّر عزّة]	طويل ٢٠٩/٢
ومن الدليل على القضاء وكونه	بؤسُ الفقير وطيب عيش الأحمقِ
الشافعي	كامل ١٣١/٥
نحن بناتِ طارق	نمشي على النّمارقِ
[هند بنت بياضة]	رجز مجزوء ٥٢١/٤
أين تضرب بنا العداة تجدنا	[نصرف العيس نحوها للتلاقي]
[ابن همام السلولي]	خفيف ١٠٠/٢
لن يَخِبِ الآن من رجائك من	حرّك [من] دون بابك الحلقهْ
[أعرابي]	منسرح ٥٦٤/١

(ك)

[أتتك عنس تقطع الأراكا]	إليك حتى بلغت إيّاكا
[حميد الأرقط]	رجز ٤٩١/٣
حتى إذا ما هوت كفّ الوليد لها	طارت وفي كفّه من ريشها بِتَكُ
[زهير]	بسيط ١٣٤/٢

حتى استغاثت بماءٍ لا رشاء له — من الأباطح في حافاته البركُ
[زهير] — بسيط — ١١/٣

مصابيح ليست باللواتي يقودها — نجوم ولا بالأفلات الدّوالكِ
ذو الرّمة — طويل — ٤٢٦/٢

قليل التشكّي للهموم تصيبه — [كثير النّوى شتّ الهوى والمسالكِ]
[تأبط شرّاً] — طويل — ٧٦/٢

أبيت أسري وتبيتي تدلكي — [وجهك بالعنبر والمسك الذّكي]
رجز — ٥٠٣/١

يا عُزَّ كفرانك لا سبحانكِ — إني رأيت الله قد أهانكِ
[منسوب لخالد بن الوليد] — رجز — ٢٦١/٥

(ل)

إنّ للخير وللشرّ مدى — وكلا ذلك وجه وقِبَلْ
[ابن الزبعرى] — رمل — ٦١٢/١، ١٥٣/٢

ضعيف النكاية أعداءه — [يخال الفرار يراخي الأجلْ]
متقارب — ٢٥٢/٣، ٥٠٦/٣

دعوت امرأً أيّ امرىءٍ فأجابني — وكنت وإيّاه ملاذاً وموئلا
طويل — ٣٩٣/١

كأنّ الفتى لم يَعْرَ يوماً إذا اكتسى — ولم يك صعلوكاً إذا ما تموّلا
[جابر بن ثعلبة] — طويل — ٦١٧/٣

بكم قريشٍ كُفينا كلّ معضلة — وأمّ نهج الهدى من كان ضلّيلا
بسيط ٥١٣/٤

محمد تَفْدِ نفسك كلّ نفس — إذا ما خفتَ من شيءٍ تبالا
[منسوب لحسّان وغيره] وافر ٣٥٤/٥

وما انتسبوا إلى الإسلام إلّا — لصون دمائهم أن لا تُسالا
وافر ١٥٢/٢

فيأتون المناكر في نشاط — ويأتون الصلاة وهم كسالى
وافر ١٥٢/٢

أخذ المخاض من الفصيل غلبّة — ظلماً ويكتب للأمير أفيلا
[الراعي] كامل ٤٣٧/١
١٤٠/٥

تحنّن عليّ هداك المليك — فإنّ لكلّ مقامٍ مقالا
[منسوب للحطيئة] متقارب ١١/٤

[فألفيته غير مستعتب] — ولا ذاكر الله إلّا قليلا
[أبو الأسود الدؤلي] متقارب ٦١٠/١
٢٧٠/٢

عليها أسود ضاريات لبوسهم — سوابغ بيض لا تحرّقها النّبلُ
[زهير] طويل ١٥٦/٤

ويوماً يوافين الهوى غير ماضي — ويوماً ترى فيهن غولاً تغوّلُ
[جرير] طويل ١٢٦/١

فما كان بين الخير [لو جاء سالماً — أبو حُجُرٍ إلا ليالٍ قلائلُ]
[النابغة] طويل ١٤١/١

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفرّ منها الأناملُ
[لبيد] ... طويل ... ١/٦١١

وقد صرت أذناً للوشاة سميعة ... ينالون من عرضي ولو شئت ما نالوا
طويل ... ٣/١٠٠

وكم من خليل أو حميم رُزئته ... فلم أبتئس والرّزء فيه جليلُ
طويل ... ٣/٢٢٦

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها ... [فليس إلى حسن الثناء سبيلُ]
[السموأل] ... طويل ... ٣/٦٠١

تعيّرنا أنّا قليلٌ عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليلُ
[السموأل] ... طويل ... ٢/٥٧٩

وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليلُ
[السموأل] ... طويل ... ٢/٥٧٩

ولا تقولنّ لي فضل على أحدٍ ... الفضل لله ما للناس أفضالُ
بسيط ... ٣/٥٠٤

اخترتك الناس إذ رثّت خلائقهم ... واعتلّ من كان يُرجى عندهُ السّولُ
[الراعي النميري] ... بسيط ... ٢/٦٢٧

من لا يعدّله القرآن كان له ... من الجهاد وبيض البُتْر تعديلُ
بسيط ... ٣/١٤١

ولكن للعيان لطيف معنى ... [له سأل المعاينة الخليلُ]
وافر ... ٢/٤٢٥

مشغوفة بك قد شغفت وإنما ... حمّ الفراق فما إليك سبيلُ
كامل ... ٤/٥٦٠

[لمـــن زخلـــوقـــة زلّ] بهـــا العينـــان تنهـــلُّ
[امـرؤ القيـس] هـــزج ١٠٢/٣

وترمينني بالطّرف أي أنت مذنب وتقلينني لكـنّ إيـاك لا أقلـي
طـويـل ٦٤٠/٣

إذا هـي لـم تستـك بعـود أراكـةٍ تنخل فاستاكت به عود إسحلِ
[طفيل الغنوي] طـويـل ٤١٩/٢

[وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم] يقـولـون لا تهلـك أسىً وتجمّلِ
[امـرؤ القيـس] طـويـل ٤٩٧/٢
٥٠٠/٢
٢١٠/٣
٥٥٤/٣
٥١/٤

كـدينـك مـن أم الحـويـرث [قبلهـا وجـارتهـا أمّ الـربـاب بمـأسـل]
[امـرؤ القيـس] طـويـل ٣٢/١

ففاضت دموع العين مني صبابة [على النّحر حتّى بلّ دمعي محملي]
[امـرؤ القيـس] طـويـل ٢٩٧/٢

[إذا ما بكى من خلفها انحرفت له] بشـقٍّ وشـقٌّ عنـدنـا لـم يُحـوَّلِ
[امـرؤ القيـس] طـويـل ١٧١/٢
٣٥٦/٢

وبيضـة خـدر لا يـرام خبـاؤهـا تمتّعت من لهوٍ بها غير مُعْجَلِ
امـرؤ القيـس طـويـل ٦٢٧/٤

كبكـر مقـانـاة البيـاض بصفـرةٍ غـذاهـا نمير المـاء غيـر المحلّلِ

امرؤ القيس طويل ٤/٦٢٧

خرجت بها تمشي تجرّ وراءنا [على أثرينا ذيل مرطٍ مرحّلِ]
[امرؤ القيس] طويل ١/٢٩٥

وفرع يغشّي المتن أسود فاحم [أثيث كقنو النخلة المتعثكلِ]
[امرؤ القيس] طويل ٢/٢٦٢

[ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ بصبح] وما الإصباح فيك بأمثلِ
[امرؤ القيس طويل ٢/٤٤٣

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطماً إلا مشيداً بجندل
[امرؤ القيس] طويل ٤/١٩٩

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه [ثمال اليتامىٰ عصمة للأراملِ]
[أبو طالب] طويل ١/١٣١

نصحت بني عوفٍ فلم يتقبّلوا وصاتي ولم تنجح لديهم وسائلي
[النابغة] طويل ٢/٥٥٩

[همُ جمعوا بؤسى ونعمى عليكمُ] فهلاّ شكرت القوم إذ لم تقاتلِ
[عمرو بن لجأ] طويل ١/٢٢٤

فإن يك قوم سرّهم ما صنعتُم سيحتلبوها لاقحاً غير ناهلِ
طويل ١/٥٠٣

حصان رزان ما تُزنّ بريبةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافلِ
حسان طويل ٤/٢٥١

حليلة خير الناس ديناً ومنصباً نبيّ الهدى والمكرمات الفواضلِ
حسان طويل ٤/٢٥١

عقيلة حيٍّ من لؤيّ بن غالب كرام المساعي مجدها غير زائلِ

حسان	طويل ٢٥١/٤
مهذّبة قد طيّب الله خيمها	وطهّرها من كلّ شينٍ وباطلِ
حسان	طويل ٢٥١/٤
فإن كان ما بلّغت عني قلته	فلا رفعت سوطي إليّ أناملي
حسان	طويل ٢٥١/٤
وكيف وودّي ما حييت ونصرتي	لآل رسول الله زين المحافلِ
حسان	طويل ٢٥١/٤
له رتب عالٍ على الناس فضلها	تقاصر عنها سورة المتطاولِ
حسان	طويل ٢٥١/٤
[وهل يعمن من كان أحدثُ عهده]	ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوالِ
امرؤ القيس	طويل ٢٧٨/١
ويارب يوم قد لهوت وليلة	بآنسةٍ كأنها خطّ تمثالِ
امرؤ القيس	طويل ١٤٥/٤
حلفت لها بالله حلفة فاجر	لناموا [فما إن من حديث ولا صالِ]
[امرؤ القيس]	طويل ٥٥٧/٢
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت	هصرت بغصن ذي شماريخ ميّالِ
[امرؤ القيس]	طويل ٨٨/٤
أتقتلني وقد شغفت فؤادها	كما شغف المهنوءة الرجل الطالي
[امرؤ القيس]	طويل ٢٩٤/٣
وماذا عليه أن ذكرت أوانساً	كغزلان رملٍ في محاريب أقيالِ
[امرؤ القيس]	طويل ٦٧/٢
[صرفت الهوى عنهن من خشية الردى	و] لست بمقليّ الخلال ولا قالِ

[امرؤ القيس]	طويل	٧٤٧/٤
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه	بمدرك أطراف الخطوب ولا آلِ	
[امرؤ القيس]	طويل	٢٥٥/٤
لولا الأمير ولولا فضل طاعته	لقد شربت دماً أحلى من العسلِ	
	بسيط	٥٨٩/٣
بضربٍ بالسيوف رؤوس قوم	أزلنا هامهنّ عن المقيلِ	
[المرار الأسدي]	وافر	٥٥٩/٥
حيّ الحمول بجانب العزل	[إذْ لا يلائم شكلها شكلي]	
[امرؤ القيس]	كامل	٤٨٦/٢
نصروا نبيّهم وشدّوا أزره	بحُنين يوم تواكُلِ الأبطالِ	
[حسان]	كامل	٧٠/٣
حفد الولائد حولهنّ وأسلمت	بأكفهنّ أزمة الأجمالِ	
	كامل	٥٠٥/٣
أقول إذ خرّت على الكلكالِ	يا ناقتا ما جُلْتِ من مجالِ	
	رجز	٥٥٧/١
قولا لدودان عبيد العصا	[ما غرّكم بالأسد الباسلِ]	
امرؤ القيس	سريع	٥١١/١
		٥١٢/١
وخالد يحمد ساداتنا	بالحق لا يحمد بالباطلِ	
[الأسود بن يعفر]	سريع	٢٥٦/٢
		٣٠٩/٥
ربما تكره النفوس من الأمـ	ـر له فرجة كحلّ العقالِ	

[أمية بن أبي الصلت]	خفيف	٤٣٢/٣
ويأوي إلى نسوة عطّلٍ	وشعثاً مراضيع مثل السعالي	
[أمية بن أبي عائذ]	متقارب	٤٤٦/١
		١٦٩/٢
تعوّد بسط الكفّ حتى لو أنّه	ثناها لقبضٍ لم تُجِبْهُ أناملُهْ	
أبو تمام	طويل	٥٦٠/٣
فهيهات هيهات العقيق وأهله	وهيهات خلّ بالعقيق نواصلُهْ	
جرير	طويل	٢٢٢/٤
بكرت عليه غدوة فرأيته	قعوداً لديه بالصريم عواذله	
[زهير]	طويل	٤٠٤/٥
فوجدي بسلمى مثل وجد مرقّشٍ	بأسماء إذ لا تستفيق عواذلُهْ	
[طرفة]	طويل	٥١٤/٤
قضى نحبه وجداً عليها مرقّشٌ	وعُلّقت من سلمى خبالاً أماطلُهْ	
[طرفة]	طويل	٥١٤/٤
وقد ذهبت سلمى بعقلك كله	فهل غير صيد أحرزته حبائلُهْ	
[طرفة]	طويل	١٩٠/٢

(م)

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد	عراراً لعمري بالهوان فقد ظلمْ	
[عمرو بن شأس]	طويل	٣٦٩/٢
وإلاّ فسيري مثلما سار راكب	تجشّم خمساً ليس في سيره أَمَمْ	
[عمرو بن شأس]	طويل	٣٤١/١

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى	مضيّاً لنابـاه الشجـاع لصمّمـا
[الملتمس الضبعي]	طويل ٨٩/٤
ولسنا على الأعقاب تجري كلومنا	ولكن على أقدامنا تقدم الدّما
[الحصين بن الحمام]	طويل ١٦/٣
إذا اجتمعوا جاؤوا بكل غزيبة	فيزداد بعض القوم من بعضهم علما
	طويل ٥٧٠/٤
هما أخوا في الحرب من لا أخا له	[إذا خاف يوماً نبوة فدعاهما]
[عمرة الخثعمية]	طويل ١٧٩/١
تحيد من أستن سودٍ أسافله	مشي الإماء الغوادي تحمل الحزما
النابغة	بسيط ٦٣٠/٤
أنا سيف العشيرة فاعرفوني	حُميداً قد تذّريت السناما
[حميد بن ثور]	وافر ٦٤٠/٣
ضربت خماس ضربة عبشمي	أدار سداس أن لا يستقيما
	وافر ١٦/٢
ردي ردي ورد قطاة صمّا	كدريّة أعجبها ورد المـا
	رجز ٥٠/٤
فيأبى فما يزداد إلّا لجاجة	وكنت أبيّاً في الخنا لست أُقدمُ
	طويل ٢١٥/٣
قوارض تأتيني وتحتقرونها	وقد يملأ الماء الإناء فيفعمُ
[الفرزدق]	طويل ٢٩٧/٢
وأقسم أن لو اتقينا وأنتم	لكان لكم يومٌ من الشرّ مظلمُ
[المسيب بن علس]	طويل ٣٨٦/٣

عشية لا تغني الرماح مكانها	ولا النبل إلا المشرفيّ المصمّم
[الحصين بن الحمام]	طويل ١٥٩/٢
على حالة لو أنّ في الركب حاتماً	على جوده لضنّ بالماء حاتم
[الفرزدق]	طويل ٥١/٤
وعلّقت سلمى وهي ذات موصّد	ولم يَبْدُ للأتراب من ثديها حجمُ
[المجنون]	طويل ٦٩٥/١
صغيرين نرعى البهم يا ليت أنّنا	إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهمُ
[المجنون]	طويل ٢٩٥/١
كفى حَزَناً كرّي عليه كأنه	لقىً بين أيدي الطائفين حريمُ
	طويل ٥٣٢/٢
وإن أتاه خليل يوم مسألة	يقول لا غائب مالي ولا حرمُ
[زهير]	بسيط ٢١٨/٣
	٢٩٠/٤
كانوا فريقين يصغون الزجاج على	قعس الكواهل في أكتافها شممُ
زهير	بسيط ٣٢٨/٢
وآخرين ترى الماذيّ عدّتهم	من نسج داود أو ما أورثت إرمُ
زهير	بسيط ٣٢٨/٢
أم هل كبير بكى لم يقض عبرته	[إثر الأحبّة يوم البين مشكومُ]
علقمة بن عبدة	بسيط ٣٧٣/٣
تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبها	ولا يخالطها في الرأس تدويمُ
[علقمة بن عبدة]	بسيط ٢٢٦/٤
[فطلّقها فلست لها بكفءٍ]	وإلّا يعلُ [مفرقك الحسامُ]

[الأحـــوص]	وافـــــر	١٢٧/١
فـإن النـار بـالعـوديـن تُـذكـى	وإن الحـــرب أوّلهـــا الكـــلامُ	
[نصر بن سيّار]	وافـــــر	٤٩٠/٣
ولكـــنّ البـــلاد إذا اقشعـــرّت	وصـــوّح نبتهـــا رُعـــي الهشيـــمُ	
[أبو علي البصير]	وافـــــر	٦٤٥/٣
ولكـــنّ الفتـــى حمـــل بـــن بـــدر	بغـــى والبغـــي مـــرتعـــه وخيـــمُ	
[قيـس بـن زهيـر]	وافـــــر	١٣/٥
ومقـامـةٍ غلـب الـرجـال كـأنهـم	جـنٌّ لـدى بـاب الحصيـر قيـامُ	
لبيـــد	كـــامـــل	٥٤٤/٣
كـــل امـــرىءٍ ستئيـــم منـ	ـــه العِـــرس أو منهـــا يئيـــمُ	
[يزيد بن الحكم الثقفي]	كامل مجزوء	٢٦٢/٤
[وشخصـت أبصـارهـم وأجـذمـوا]	لا تشتـم النـاس كمـا لا تشتـمُ	
[رؤبة بن العجاج]	رجـــــز	٢٢٣/١
		٨/٣
ومـــاءٍ وردت قبيـــل الكـــرى	وقـــد جنّـــه السّـــدف الأدهـــمُ	
[البـريـق الهـذلـي]	متقـارب	٤٢٥/٢
يمينـاً لنعـم السيـدان وجـدتمـا	[على كل حال من سحيلٍ ومبرمِ]	
[زهيـــر]	طـــويـــل	٦٣١/٤
سئمت تكاليف الحياة [ومن يعش	ثمـانيـن حـولاً لا أبـالـك يسـأمِ]	
[زهيـــر]	طـــويـــل	٤٠٩/١
[وأعلم ما في اليوم والأمس قبله]	ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي	
[زهيـــر]	طـــويـــل	٥٦١/٢

ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه يَفِرْهُ ومن لا يتّق الشتم يُشتمِ
[زهيـــر] ٣/ ٥٨٣

أقول لهم بالشعب إذ يشترونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدمِ
[سحيم بن وثيل الرياحي] طـويـل ٣/ ٣٨٦

أماويّ مهما يستمع في صديقه أقـاويـلَ هـذا النـاس مـاويّ ينـدمِ
طـويـل ٢/ ٦٠٧

فلو كنت في جبٍّ ثمانين قامةً ورقّيـت أسبـاب السمـاء بسلّـم
الأعشـــى طـويـل ٢/ ٦٤٩

ليستـدرجنّـك القـول حتـى تهـرّه وتعلـم أنـي عنكـمُ غيـر مفخـمِ
الأعشـــى طـويـل ٢/ ٦٥٠

[وتشرق بالقول الذي قد أذعته] كما شرقت صدر القناة من الدّمِ
[الأعشـــى] طـويـل ١/ ٥٣٣

وما كان عندي من تراث ورثته ولا ديـةٍ كـلّا ولا كسـب مـأثـمِ
ذو الـرّمـة طـويـل ٣/ ٣٥٤

ولكـن عطـاء الله مـن كـلّ رحلـة إلى كلّ محجوب السّرادق خضرمِ
ذو الـرّمـة طـويـل ٣/ ٣٥٤

[أيا ظبية الوعساء بين جلاجلٍ وبيـن النّقـا] آأنـت أم أمُّ سـالـمِ
[ذو الـرمـة] طـويـل ١/ ٤٩٤

أناس أصدّوا الناس بالسيف عنهمُ [صدود السواقي من أنوف المخارمِ]
ذو الـرمـة طـويـل ١/ ٥٢٩

[لقد لمتنا يا أم غيلان في السّرى] ونمـت ومـا ليـل المطـيّ بنـائـمِ
[جـريـر] طـويـل ٣/ ١٩١

[على قسمٍ لا أشتم الدهر مسلماً]	ولا خارجاً من فيّ زور كلامِ
الفرزدق	طويل ٤/٥٣٠
إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت	عيدان نجدٍ ولا يعبأن بالرّتمِ
أبو تمام	بسيط ٣/٥٨٦
[سائل فوارس يربوع بشدّتنا]	أهل رأونا بوادي القفّ ذي الأكمِ
[زيد الخيل]	بسيط ٣/٣٧٣
فبتن كأنهنّ مصرّعات	وبتّ أفضّ أغلاق الختامِ
الفرزدق	وافر ٤/٣٥٩
وما بقيت من اللّذات إلاّ	أحاديث الكرام على المدامِ
	وافر ٤/٦٢٧
فتركته جزر السباع يَنُشْنَه	[ما بين قلّة رأسه والمعصمِ]
[عنترة]	كامل ٤/٤٣٤
ولقد شفى نفسي وأبر أسقمها	قيل الفوارس ويك عنتر أقدمِ
عنترة	كامل ٤/٤٣١
لولا تسلّي الهمّ عنك بجسرةٍ	عيرانه مثل الفنيق المكرمِ
[بشر بن أبي خازم]	كامل ١/٥٥٧
حاشا أبا ثوبان إنّ به	ضنّاً عن الملحاة والشّتمِ
[الجميح الأسدي]	كامل[1] ٣/٢٩٦
حاشا أبي ثوبان إنّ أبا	ثوبان ليس ببكمةٍ فَدْمِ

(١) يتفق وزن البيت - بما لحق تفاعيله جميعاً من الإضمار - مع السريع، إلا أنّا عددناه من الكامل بالنظر إلى البيتين التاليين اللذين لُفّق منهما.

[الجميح الأسدي] — كامل — ٢٩٧/٣
عمرو بن عبد الله إنّ به — ضنّاً عن الملحاة والشتمِ
[الجميح الأسدي] — كامل — ٢٩٧/٣
[طروقاً وجلب الرحل مشدودة به] — سفينة برٍّ تحت خدّي زمامُها
ذو الرمة — طويل — ٦١٨/٤

(ن)

أنا أبو المنهال بعض الأحيان — [ليس عليّ حسبي بضؤلانْ]
[أبو المنهال] — رجز — ٣٥٧/٢
تضحك مني أخت ذات النحيين — أبدلها الله بلونٍ لونينْ
سواد وجهٍ وبياض عينينْ
رجز — ٣١٦/٤
وإن دعوت إلى جلّى ومكرمة — يوماً إليك كرام الناس فادعينا
[بشامة النهشلي] — بسيط — ٣٨٤/٣
إنّا بني نهشلٍ لا ندّعي لأبٍ — [عنه ولا هو بالأبناء يشرينا]
[بشامة النهشلي] — بسيط — ٤٤٦/١
ولا تراهم وإن جلّت مصيبتهم — مع البُكاة على من مات يبكونا
[بشامة النهشلي] — بسيط — ٣٤/٤
مهلاً بني عمّنا مهلاً موالينا — لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا
[اللهبي] — بسيط — ٧/٤
أضحت نبيّتنا أنثى نطيف بها — وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا
[قيس بن عاصم] — بسيط — ٢٦٠/٢

وللمنـايـا تـربّـي كـلّ مـرضعـة   وللخـراب يجـدّ النـاس عمـرانـا
بسيــط ٣/٢٠٠

إذا هبّـت ريـاحـك فـاغتنمهـا   فـإنّ لكـلّ خـافقـة سكـونـا
وافــر ٣/٣٦

إذا الجـوزاء أردفـت الثّـريـا   ظننـت بـآل فـاطمـة الظنـونـا
[حزيمة بن نهد]   وافــر ٤/٥٠٦

تـرى الأبـدان فيهـا مسبغـات   علـى الأبطـال واليلـب الحصينـا
[كعب بن مالك]   وافــر ٣/٢٠٢

فـلا أرمـي البـريء بغيـر ذنـب   ولا أقفـو الحـواصـن إن قُفينـا
الكميـت   وافــر ٣/٥٦٤

فلمّـا [أن] تـواقفنـا قليـلا   أنخنـا للكـلاكـل فـارتَميْنـا
وافــر ٣/٣٠٨

أعـرف منهـا الأنـف والعينـانـا   [ومنخـريـن أشبهـا ظبيـانـا]
[رؤبـة]   رجــز ٤/٨٨

مـذمّمـا أَبَيْنـا   ودينـه قلَيْنـا
وأمره عصَيْنا

أم جميـل   رجـز مجـزوء ٥/٦١٧

☆ [قـد علمـت سلمـى وجـاراتهـا   مـا قطّـر الفـارس إلاّ أنـا]
[عمرو بن معد يكرب]   سـريـع ٢/٦٢٩

وكيف أرجّي الخلد والموت طالبي   ومـالـي مـن كـأس المنيـة فـرقـانُ
طـويـل ٣/٢٣

عـدتنـي عـن زيـارتهـا العـوادي   وحـالـت دونهـا حـربٌ زبـونُ
[النـابغـة]   وافــر ٣/٣٢

أنا أبو المنهال بعضَ الأحيان — [ليس عليّ حَسَبي بضُؤلان]
[أبو المنهال] — رجز — ٣٥٧/٢

يهزّ سلاحاً لم يرثها كلالةً — يشكّ بها منها غموض المغابنِ
الطرمّاح — طويل — ١٢٥/٢

تحنّ فتبدي ما بها من صبابةٍ — وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني
[أعرابي من بني كلاب] — طويل — ٥٨/٣

رويد بني شيبان بعض وعيدكم — تُلاقوا غداً خيلي على سفوانِ
[ودّاك بن سنان] — طويل — ٥٣٩/٥

ألا ربّ مولودٍ وليس له أبٌ — وذي ولدٍ لم يَلْدَهُ أبوانِ
[عمرو الجنبي] — طويل — ٢٣/٤
١٦٢/٤

فليت لنا من ماء زمزم شربة — مبرّدة باتت على طهيانِ
[الأحول الكندي] — طويل — ٨٣/٣

من يفعل الحسنات الله يشكرها — والشّر بالشّر عند الله مثلانِ
[منسوب لحسّان] — بسيط — ٢٥٠/١
٢٥١/١

لو أنّ بالعلم تُعطى ما تعيش به — لما ظفرت من الدنيا بنقرونِ
بسيط — ٢٩٤/٢

كأنك من جمال بني أقيش — [يقعقع خلف رجليه بشنٍّ]
[النابغة] — وافر — ٣٨٩/١

إذا حاولت في أسد فجوراً — فإني لست منك ولست منّي
[النابغة] — وافر — ٤٦١/١
٤٧/٢

٥٠٦/٢

وكـــل أخٍ مفـــارقـــه أخـــوه — لعمـــر أبيـــك إلا الفـــرقـــدانِ
[عمرو بن معد يكرب] — وافـــر — ٣٦٥/١
١٣٠/٤

فـــأيّـــي مـــا وأيّـــك كـــان شـــرّاً — فسيـــق إلـــى المقـــادة فـــي هـــوانِ
وافـــر — ٥٥٨/٤

أنـــا ابـــن جـــلا [وطـــلّاع الثّـــنـــايـــا — متـــى أضـــع العمـــامـــة تعـــرفـــونـــي]
[سحيم بن وثيل الرياحي] — وافـــر — ١٢٤/٣
٦٤٥/٤

ولقـــد أمـــرّ علـــى اللئيـــم يسبّنـــي — [فمضيـــت ثمّـــت قلـــت لا يعنينـــي]
[رجل من بني سلول] — كـــامـــل — ١٢٢/٢
٦٠٣/٤

[ووجـــهٍ مشـــرق النحـــر] — كـــأنّ ثـــديـــيـــه حقّـــانِ
هـــزج — ٩٧/٢

أنـــت نعـــم المتـــاع لـــو كنـــت تبقـــى — غيـــر أن لا بقـــاء لـــلإنســـان
خفيـــف — ٣٨٣/٣

إذا ما انتضوها في الوعى من أكنّةٍ — حسبت بروق الغيث هاجت عيونُها
طـــويـــل — ٣٧٨/٢

وهـــل أفســـد الـــديـــن إلا الملـــوك — وأحبـــار ســـوء ورهبـــانُهـــا
ابـــن المبـــارك — متقـــارب — ٢٧٢/٢

(هـ)

ترفّعت عن ندى الأعماق وانخفضت	عن المعاطش واستغنت بسقياها		
الخليل بن أحمد	بسيط	٣٨٧/١	
فمال بالخوخ والرّمان أسفلها	واعتمّ بالنخل والزيتون أعلاها		
الخليل بن أحمد	بسيط	٣٨٧/١	
أوردتموه حياض الموت ضاحية	فالنار موعدها والموت لاقيها		
حسان	بسيط	٢١٩/٣	

(ي)

[عميرة ودّع إن تجهزّت غازيا]	كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا	
[سحيم]	طويل	١٤٦/٢
		٥١٤/٤
أراني إذا ما بتُّ على هوى	فثمّ إذا أصبحت أصبحت غاديا	
زهير	طويل	٥٣٧/١
بدا لي أني لست مدرك ما مضى	ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائيا	
زهير	طويل	٥٣٥/٢
يطوّف بي عكبّ في معدٍّ	ويضرب بالصملّة في قفيّا	
[المنخل اليشكري]	وافر	٦٥ /٤
ألا أبلغ بني عَصَمٍ رسولاً	فإني عن فُتَاحتكم غنيُّ	
[الأسعر الجعفي]	وافر	٥٨٢/٢
قال لها هل لك يا تافيٌّ	قالت له ما أنت بالمرضيِّ	
الأغلب العجلي	رجز	٤١٤/٣
هوّن عليك فإن الأمور	بكفّ الإله مقاديرها	
ابن أبي حازم	الوافر	٥٢٤/٤

أنصاف الأبيات

حرام على عينيّ أن تطعما الكرى	٢/ ٥٤٨
فأيقظ من كان منكم نياما	١/ ١٨٧
فعن أيٍّ نفسٍ بعد نفسي أقاتل	٢/ ٦٥٢
لا هيثم الليلَة للمطيّ	١/ ٥٢١
من يكدني بشيء كنت منه	٣/ ٢٥
وكأن لمّا يكون قطّ لم حماد الكلبي	٢/ ٥٨٣
ولا الحجاج عيني بنت ماء	٢/ ١٥٤
يا ربّة البيت قومي غير صاغرة	٣/ ٢٨٩
مَن يكدني بشيء كنت منه	٣/٢٥

فهرست مسائل النحو والصرف[1]

(١) أثبت في هذا الفهرست أبرز المسائل النحوية والصرفية لكثرتها. وإذا اتّصلت المسألة بأكثر من موضوع ذُكرت في غير موضع لتسهيل الرجوع إليها. وإذا تعذّر الوصول إلى البغية فلتُلْتَمس المادة المطلوبة في «متفرقات».

المسألـة	الجزء والصفحة

الابتداء

المسألة	الجزء والصفحة
الابتداء بالنكرة إذا كان خبره ظرفاً	٢/ ٣٥٥
جواز الابتداء بالنكرة للتفصيل	٢/ ١٧١
تقدم النكرة والإخبار عنها بالمعرفة	٢/ ٢٠٥
	٢/ ٢٠٦
حذف المبتدأ الموصوف بالفعل	٣/ ١٢٣
الفصل بالمبتدأ بين الموصوف وصفته	٣/ ٣٩٨- ٣٩٩
زيادة الفاء في الخبر	٣/ ٤٧٦
تتالي مبتدأين معطوفين والإخبار عن كلٍّ منهما	١/ ٥٣٢- ٥٣٥

الاختصاص

المسألة	الجزء والصفحة
شروط الاسم المنصوب على الاختصاص	١/ ٢٠٨
	١/ ٤٣٩
	١/ ٤٣٩
التقديم لا يؤذن بالاختصاص	١/ ٥٨٣
مجيء المنصوب على المدح نكرة والخلاف فيه	١/ ٤٤٧

المسألـة	الجزء والصفحة

الإدغام

القول في إدغام الضاد في الطاء	١/ ٢٠٠
جواز إدغام الياء المبدلة من همزة مع التاء	١/ ٤١٣
جواز إدغام الراء في اللام	١/ ٤١٨
امتناع إدغام التاء في القاف والقاف في التاء	٣/ ٣٦٦

إذ

إذ ظرف غير متصرف	٢/ ٥٦٤
	٢/ ٦٣٧
	٣/ ٢٥-٢٦
العامل في إذ	١/ ٩٥
	٣/ ١٣
عمل الفعل الناقص «كان» في إذْ	١/ ٤٨١
بم يتعلق الظرف إذ في قوله «إذ جاء ربّه بقلب سليم»	٤/ ٦٣٢
استعمالات إذ	١/ ٥٩٠
اختصاص إذ بإضافة ألفاظ الزمان إليها	٢/ ٢٢٦

إذا (لشرطيه)

كون إذا لما مضى من الزمان	١/ ٥٧٩

المسألـة	الجزء والصفحة

العامل في إذا	١/ ٢٤٩
	٢/ ٨٤
جواز وقوع شرط إذا مضارعاً وجوابها ماضياً	٢/ ٢٥
الفصل بين حرف العطف والمعطوف بإذا	٢/ ٨٤

(الفجائية)

مذاهب العلماء في إذا الفجائية	٥/ ١٣٦
مجيء إذا الفجائية جواباً لإذا الشرطية	٣/ ٤٩٢
	٤/ ٤٦٦
وقوع إذا الفجائية جواباً للمّا	٣/ ١٦١
مجيء إذا الفجائية في جواب شرط إنْ	٣/ ٩٦

إذن

مجيء إذن جواباً فقط	٢/ ٨٩

الاستثناء

عدم تقدير «قليلاً» صفة لمحذوف بعد إلاّ	٢/ ٨٩
	٢/ ١٠٤
الاستثناء المنقطع والمتصل	٢/ ٢٠٤
العامل في الاستثناء المنقطع	١/ ٣٤٤
شرط الاستثناء المفرغ	١/ ٢١٦
جواز الإبدال على اللفظ من مجرور «مِنْ»	

المسألـة	الجزء والصفحة

في الاستثناء المنفي	٢/ ٢٨٦
تعدّد المستثنى والأداة	٢/ ١٨٦
الاستثناء من الاستثناء	٣/ ٤٤٨
متى يقع البدل في أسلوب الاستثناء	٤/ ١٩٥
الاستثناء الذي يعقب جملاً هل يرجع إلى الجملة الأخيرة؟	٤/ ٢٤٨
الاستثناء من العدد	٤/ ٤٤٠
البدل في الاستثناء	٥/ ١٢٩
إعراب المستثنى من كلام موجب حسب موقعه	١/ ٣٦٤
ما يقع بعد إلاّ في الاستثناء	٤/ ٥٣٣
وجوب أن يكون لما بعد إلا المستثنى بها موضع من الإعراب	٢/ ٣٤٤
مجيء الفعل الماضي بعد إلا في الاستثناء المنفي	٢/ ٥٨٤
عدم تعلّق ما بعد «إلاّ» إلاّ إذا كان في حيّز الاستثناء	١/ ٤٠٢
معنى الاستثناء في قوله «خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك»	٣/ ٢٥٩
التعبير بالقلة من العدم في قوله «فلا يؤمنون إلا قليلا»	٢/ ٧٦

المسألـة	الجزء والصفحة

الاستفهام

وقوع الفاء في جواب الاستفهام	٢/ ٢٣١
شروط الإبدال من أسماء الاستفهام	١/ ٥٨٤
الاختلاف في إجابة السؤال المنفي	١/ ٢٧٦
عدم جواز إضافة أسماء الاستفهام إلى	
الأسماء باستثناء أيّ	١/ ٥٨٤
امتناع أن يكون ما بعد همزة الاستفهام	
معمولاً لما قبلها	٤/ ٣٢٣
تقدّم همزة الاستفهام على حرف العطف	١/ ١١٧
	٢/ ٥٦٠
	٤/ ٣٩
«أم» تتقدر ببل والهمزة	٣/ ٣٧٣
اجتماع الهمزة وهل	٣/ ٣٧٣
اجتمال أم وهل	٣/ ٣٧٣

اسم الإشارة

الإشارة بالمفرد المذكر إلى المؤنث	
والمثنى والجمع	٢/ ٢٦٨
	٢/ ٦٤٠
مجيء اسم الإشارة اسماً موصولاً	١/ ٤٩٢
	٤/ ٦٤
الإشارة بكاف «ذلك» مفردةً للمفرد	

المسألـة	الجزء والصفحة

والمثنى والمجموع من المذكر والمؤنث	١/ ١٤١

اسم التفضيل

استعمالات أفعل وفُعلى للتفضيل	١/ ١٥٧
مذاهب بناء أفعل للتفضيل وللتعجب	١/ ٣٥٣
	٣/ ٦١٨
مجيء أفعل التفضيل في حالتي الجمع	٨٨٥
الإفراد والمطابقة في أفعل التفضيل إذا	
جاء حالاً أو صفة	١/ ١٧٠
إضافة أفعل التفضيل لغير ما هو بعض له	١/ ٢٩٠
امتناع أفعل التفضيل من نصب المفعول به	٢/ ٨٨٠
جمع ما كان على زنة أفعل	٤/ ٣٦٢
بناء أفعل التفضيل من المفعول وتعديته	
وإفراده	٣/ ٢٧٧
بناء أفعل التفضيل من الثلاثي المزيد أفعل	١/ ٤١٠

اسم الفاعل

اسم الفاعل المراد به الحدوث أو الوصف	
اللازم	٣/ ٢١٥
عمل اسم الفاعل في حالة الماضي	٣/ ٦٢٣
جواز حذف الياء من اسم الفاعل المنقوص	
إذا كان معرّفاً	١/ ٢٨٣

المسألـة	الجزء والصفحة

إعمال اسم الفاعل الرفع دون سبقه بنفي أو استفهام ١/ ٤١٤

جواز حذف النون من اسم الفاعل المجموع جمعاً مذكراً سالماً بدون أل ١/ ١٧٩

العطف على موضع المضاف إلى اسم الفاعل ٢/ ٤٤٤

اسم الفعل

لزومه وتعدّيه ٣/ ١٦٦

امتناع إضمار أسماء الأفعال ٣/ ١٤

حذف اسم الفاعل ٤/ ٦٨

الاسم الموصول

شروط تضمنت الاسم الموصول معنى الشرط ١/ ٣٩٩

مجيء الذي مصدرية ٥/ ١١٢

الإضافة

جواز حذف المضاف ٣/ ٤٥

إضافة الشيء إلى نفسه ٢/ ١٤١

إجراء العرب المضاف في الوصل مجرى الوقف ١/ ٥٥٨

الفصل بين المتضايقين وكونه ضرورة

المسألـة	الجزء والصفحة

شعرية ١/ ١٧٩
الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير
الظرف ٢/ ٤٨٠

الاعتراض

مجيء جملة الاعتراض مقوّية بين شيئين ١/ ٢٠٨
الاعتراض بجملتي اعتراض ١/ ٤٧١
الاعتراض بين القول ومقوله ٢/ ٩٥

الإغراء

عدم جواز ذكر فعل الإغراء ٢/ ٤٩

أل

معنى أل الجنسية ١/ ١٦٥
الخلاف في نيابة أل مناب الإضافة ١/ ٨٣
١/ ٩٩

ألا

القول في ألا ١/ ٥٨

إلاّ

عمل ما قبل إلا في ما بعدها ٣/ ٤٨٤
٤/ ٣٥٥

المسألـة	الجزء والصفحة
مجيء الحال بعد إلا بلفظ الماضي	٣٥٨/٢
هل يأتي ما بعد إلا صفة لما قبلها؟	٣٥٤/٤

اللهم

تخفيف ميم اللهم	٤٥٨/١
اجتماع يا النداء وميم اللهم	٤٥٨/١

أم

معنى أم	٤٣٦/٤
مجيء أم معادلة للألف مع اختلاف الفعلين	٢٨/٥
القول في أم بعد همزة الاستفهام	١٥٤/١
الاستفهام بأم	٢٠٧/١
حذف أم مع المعطوف المعادل للهمزة	٢٠٧/١

أنْ (المصدرية)

الفرق بين أن المصدرية وبين المخففة من الثقيلة	٦٥١/٢
حذف أن المصدرية إيجازاً	٢٥٧/٢
أن التفسيرية والمصدرية	١٤٧/٣
أن المصدرية وصلت بالأمر	٤٦٤/٣
أن المصدرية لا تكون في معنى الظرف	٥٣٣/٤
عدم جواز مجيء أن مصدرية إذا كان	

المسألـة	الجزء والصفحة

بعدها فعل أمر ١/ ١٩٨

عدم جواز جعل أن وما بعدها ظرفاً ولا حالاً ٢/ ١١٥

أن الناصبة لا يعمل فيها فعل تحقيق ١/ ٣٣٣

(المخففة)

وقوع الجملة غير الخبرية خبراً لأن المخففة ٢/ ٦٥١

إنْ (الشرطية)

مجيء إذا الفجائية في جواب شرط إن ٣/ ٩٦

مجيء إن الشرطية لتعليق شيء على شيء ٣/ ٢٠٣

دخول همزة الاستفهام على إن الشرطية ٤/ ١٣٥

(العاملة عمل ليس)

إعمال إن عمل ما الحجازية ٢/ ٦٦٠

(المخففة)

إعمال إن المخففة وإهمالها ٢/ ٥٠٤

حذف اسمها وتقديره بضمير شأن ١/ ٥٩٢

٢/ ٥٩١

٣/ ٢٦٢

اجتماع إن المخففة واللام ١/ ٢١٥

المسألة	الجزء والصفحة
	٢/ ٥٩١
إنّ	
أحوال همزة إنّ	١/ ٤٥٣
مجيء إنّ ومتعلّقاتها خبراً لإنّ	٢/ ٢٢
	٤/ ١٨٦
دخول الفاء في خبر إنّ لتضمّنها معنى الشرط	١/ ١٣٧
إنما	
القول في إنما	١/ ٥٦
أنّى	
معاني أنّى ومجيئها للسؤال عن الكيفية	١/ ٥٩٣
	١/ ٥٩٤
مجيء أنّى شرطية	١/ ٣١٧
أو	
مجيء أو بمعنى بل وبمعنى الواو	١/ ١٧٦
أي	
القول في أي	٣/ ٦١٣
	٤/ ٤١

المسألة	الجزء والصفحة

تذكير أي وتأنيثها ٥/ ٨١

بثسما

القول في إعراب بثسما ١/ ١٦٥

البدل

العامل في البدل ٤/ ٣٣٩
ظهور العامل في البدل في حالتي الرفع والنصب ٤/ ٦٠٢
قسما الإبدال المنقطع والإبدال من كل منهما ٢/ ١٥٧
إبدال الجمل من الجمل غير المشتركة في العامل ٢/ ٦٣١
اجتماع النعت والبدل ٤/ ٣٦
شروط بدل التقسيم ٣/ ٥٥٦
وقوع بدل الكل والبعض في الأفعال ١/ ٤١٦
اقتصار العطف في البدل التفصيلي على الواو ١/ ٦١٦
البدل هو الذي يكون الخبر له دون المبدل منه ٢/ ٢٦
جواز إبدال النكرة من المعرفة ٤/ ٣٦
الإبدال من ضمير المخاطب ٣/ ٥٤٠

المسألـة	الجزء والصفحة
إبدال اسم ظاهر من ضمير المتكلم والمخاطب	٤/ ٥١٣
	٤/ ٥٦٤
	٥/ ٧٥
عدم جواز إبدال جملة فعلية من جملة اسمية	١/ ٦٤
جواز الإبدال على اللفظ من مجرور مِن في الاستثناء المنفي	٢/ ٢٨٦

بل

معاني بل في القرآن	٢/ ١٦٣
عدم عمل ما بعد بل فيما قبلها	٢/ ١٦٦

بلى

استعمال بلى	٥/ ٥٠

التثنية

معاملة المثنى معاملة المفرد	٢/ ٢٣٦
وضع الجمع موضع التثنية	٢/ ٢٤١
إعراب المثنى بالألف رفعاً ونصباً وجرّاً	٤/ ٨٨

التعدية

معنى الثلاثي المعدّى بالتضعيف	١/ ٧٥

المسألة	الجزء والصفحة

الفرق بين التعدية والمبالغة في تضعيف الثلاثي المجرد	١/ ٤٨٣
الخلاف في تعدّي «أظلم»	١/ ٦٨
عدم تعدّي «خاف» إلى مفعولين بغير الحرف	١/ ٣٢٩
تعدّي الفعل باللام لتأخره	٣/ ٣٠٧

التعليق

تعليق الفعل عن العمل مع حذف اللام	١/ ٦٠٣
عدم جواز حذف الكون المقيّد في المتعلق	٢/ ١٤٨
جواز تعليق حرفي جر بمعنى واحد بفعل واحد	٢/ ١٤٠
تعليق الجار والمجرور بمتأخر عنهما	١/ ٢٧
القول في متعلق الجار والمجرور	٢/ ١٦٢

التمييز

أقسام التمييز	١/ ٥٦٦
التمييز المنقول عن المبتدأ	١/ ٢١١
مجيء التمييز مجروراً بمِن	٣/ ١١٩
جواز حذف «مِن» من تمييز «كم»	١/ ٥٦٧

المسألة	الجزء والصفحة

التنازع

تنازع عاملين وإعمال الثاني	٣/ ١٧٩
	٣/ ٢٧٣
التنازع بين اسم الفعل والفعل	
عدم جواز الوقف على أول جملة من جملتي الإعمال في باب التنازع	٢/ ١٧٨

التوكيد

التأكيد بالمصدر	٢/ ١٧١
ورود الزيادة للتأكيد في القرآن	١/ ٥٨٤
الحمل على التأسيس أولى من الحمل على التوكيد	٢/ ١٤٠
اشتراط اتحاد متعلّق الفعلين ليكون الثاني توكيداً للأول	١/ ٥٩٨
كون النون لازمة لفعل الشرط إذا وصلت إنْ بـ«ما»	١/ ١٠٩
	٣/ ٥٥٤
دخول نون التوكيد على المنفي بلا	٣/ ٢٠

ثم

الخلاف في مجيء ثم للترتيب ومجيئها للتفاوت	١/ ٢٨٣

المسألة	الجزء والصفحة

الجار والمجرور

تعليق الجار والمجرور بمتأخر عنهما	١/ ٢٧
عدم جواز جعل حرف جر جزءاً من المجرور	١/ ١٧٩
تعليق الجار بالمصدر يخرجه عن التوكيد	١/ ٢٥٢
جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجارّ	١/ ٣٠٦
القول في متعلق الجار والمجرور	٢/ ١٦٢
جواز تعلّق حرفي جر بمعنى واحد بفعل واحد	٢/ ١٤٠
الفصل بين الجار والمجرور وبين متعلّقهما بالصفة	٢/ ٥٩٤
تقديم الحال على المجرور بحرف غير زائد	٣/ ٢٨٤
مجيء الجار والمجرور في موضع الحال	١/ ٢٥٨
مجيء مِن الزائدة والمجرور بها صفة لمبتدأ محذوف	٢/ ١٦٦
متى يتعلق الجار بعد إلّا بالفعل قبلها	٤/ ١٦٨
علّة حذف متعلق الجار والمجرور في «باسم الله»	١/ ٢٨

المسألـة	الجزء والصفحة

الجمع

جمع القلة الذي يجري مجرى جمع الكثرة	٣/ ٥١٠
إطلاق لفظ الجمع على أقل من ثلاثة	١/ ٢٧٧
جمع ما كان على زنة أفعل	٤/ ٣٦٢
جمع فعيل على فُعَلة شاذ	١/ ٤٦٢

حاشا

إفادة حاشا معنى التنزيه في باب الاستثناء	٣/ ٢٩٦

الحال

الحال وشروطها	١/ ٤٤٣
	١/ ٤٤٤
شروط الحال المؤكدة	١/ ٤٤٤
مجيء الحال حالاً من شيئين وشروط ذلك	١/ ٢٩٤
مجيء الحال من المضاف إليه	٣/ ٥٣٢
	٥/ ٢١٦
مجيء الحال من نكرة موصوفة وغير موصوفة	١/ ١٤٤
تقدم الصفة على الموصوف يجعلها حالاً	١/ ٢٨٥
مجيء الجار والمجرور في موضع الحال	١/ ٢٥٨
امتناع تقدّم حال المجرور، عليه	٤/ ٥٥٩
عمل الظرف في الحال متقدمة	٥/ ٧٤

المسألة	الجزء والصفحة
جواز تقدم الحال على الفعل المتصرف	٥/ ٢٧٣
تقديم الحال على المجرور بحرف غير زائد	٣/ ٢٨٤
حذف واو الحال من الجملة الحالية المعطوفة على حال	٢/ ٥١٣
مجيء الحال جملة اسمية بغير واو	١/ ١٠٦
	٣/ ٥٢٤
	٥/ ٥١
العامل في الحال	٣/ ١٦٥
امتناع تقديم الحال على الجملة إذا كان العامل فيها معنوياً	٣/ ٤٦٥
امتناع الفصل بين الحال وعاملها بأجنبي منهما	٤/ ٣٢٣
عدم جواز مجيء الحال والصفة مثبتة وعاملها منفي	١/ ٥١
تأنيث صاحب الحال لتأنيث الحال لا يخرجها عن كونها مؤكدة	١/ ٤٦٩
الخلاف في إبراز ضمير صاحب الحال إذا لم يؤمن اللبس	٢/ ٣٤
المطابقة بين الحال وصاحبها إفراداً وتثنية وجمعاً	١/ ٢٣٦
حكم اجتماع العطف والبدل والحال من	

المسألـة	الجزء والصفحة

أيهما ١/ ٤٤٨

١/ ٤٥٠

الخلاف في مجيء الفعل الماضي حالاً
بدون قد ١/ ٩٢

امتناع مجيء حرف الجر الناقص حالاً ٢/ ٢٥٣

مجيء الحال بعد إلا بلفظ الماضي ٢/ ٣٥٨

إعراب الاسم المنصوب بعد نعم وبئس
حالاً ٢/ ٦٧

الفصل بين الحال وصاحبها بجملة
الاعتراض ٣/ ٦١١

الفصل بين الحال وذي الحال ٣/ ٢٤٦

امتناع مجيء صاحب الحال ضميراً
مجروراً بالإضافة ٢/ ٢٩٨

الخبر

الإخبار عن المفرد بالمثنى ١/ ٣٢٥

الإخبار بالظرف ١/ ٢٧٦

جملة القسم لا تكون خبراً للمبتدأ ١/ ٦١٦

تتالي معطوفين والاختلاف في الترتيب في
الإخبار عن كلّ منهما ١/ ٥٣٥

عدم جواز تقدم الخبر إذا كان المبتدأ
مشبّهاً به ١/ ١١٣

المسألـة	الجزء والصفحة

استقلال الخبر بفائدة الإسناد	٢/ ٢٤
عدم جواز حذف الكون المقيّد في المتعلّق	٢/ ١٤٨
شرط الجملة الواقعة خبراً	١/ ٦٠١

دون

القول في معناها وعدم مجيئها خبراً	١/ ١٦٩

سواء

القول فيها وفيما بعدها	١/ ٤٨
	٢/ ٦٥٩

الشرط

حذف جواب الشرط	١/ ١٠٩
	٢/ ١٠١
جواز حذف فعل الشرط دون الأداة	١/ ١٢٧
عدم جواز حذف فعل الشرط والأداة والإبقاء على الجواب فقط	١/ ١٢٧
مجيء فاء العطف جواباً لشرط محذوف	١/ ١٣٢
مجيء جواب واحد لشرطين	١/ ٢٥٠
	١/ ٥٣٩
مجيء جواب واحد للشرط والمعطوف عليه	٣/ ١٧٧

المسألـة	الجزء والصفحة
مجيء ماذا جواباً للشرط	٣/ ١٨٠
تقدم جواب الشرط على الأداة	١/ ١٠٠
	١/ ١٦٨
	٢/ ٥٨١
	٣/ ٦
مجيء إذا الفجائية في جواب شرط إن	٣/ ٩٧
امتناع عمل ما بعد فاء الجواب فيما قبلها	٣/ ٥٥٩
جواز جزم المعطوف على جواب الشرط بثمّ	١/ ٥٤٤
اشتراط وجود ضمير في جملة الجواب يعود على اسم الشرط	١/ ١٧٣
وجوب اقتران الجواب بالفاء	١/ ٢٥١
العطف على جملة الجواب	١/ ٢٧٤
الإتباع على جواب الشرط المجزوم بالبدلية	١/ ٤١٦
وجود ضمير في جملة الجزاء والجملة المعطوفة عليها يعود على الأداة	٤/ ٤٥
اجتماع الشرط والقسم	١/ ٥١٣
	٢/ ٢١٤
	٢/ ٢٢٧
	٢/ ٥٨٢
	٣/ ٨٧

المسألـة	الجزء والصفحة
	٤/ ٢٢٢
نسخ الجملة الشرطية	٣/ ٤٦
التوسط بين الشرط والجزاء	٣/ ١١٨
تعاقب الشرطين	٣/ ٢٢٥
إذا كان في الأمر معنى الشرط كان الجواب كجواب الشرط جزم الجواب ورفعه إذا كان الشرط ماضياً	٣/ ٢١٨
	٤/ ٢٩٠
	٥/ ١١٠
عدم تقدّم عامل اسم الشرط عليه	٢/ ١٠١
التمنّي بالفعل ووجود جواب له	٢/ ١٠٨
امتناع مجيء جملة الاستفهام جواباً للشرط إلا بالفاء	٥/ ١٧١
تأكيد شرط إنْ بالنون	٣/ ١٧٧
مجيء إنْ الشرطية لتعليق شيء على شيء	٣/ ٢٠٣
الاجتزاء بالنكرة المفردة عن الجمع المعرّف المطابق في العموم لاسم الشرط	٤/ ٥٧٦

الصفة = النعت

الضمير

جمع الضمير العائد على مثنى	٤/ ٥٢٤
المواضع التي يفسّر فيها الضمير بما بعده	١/ ٩٥

المسألـة	الجزء والصفحة

جواز عودة الضمير إلى متأخر لفظاً ورتبة ١/ ١٩٦

تأخير الضمير المنفصل المعطوف على
المفعول به ٢/ ١٤٥

عدم جواز تقدّم المضمر على الظاهر ١/ ٤٦٤

عودة الضمير إلى أحد جزأي الإسناد
(الإضافة) ١/ ٥٣٣

عدم جواز تفسير ضمير الشأن إلا بجملة
مصرّح بجزأيها ١/ ١٧٢

تقدّم ضمير الفصل (العماد) مع الخبر
على المبتدأ ١/ ١٧٢

الضمير

حذف العامل في الظرف ٣/ ٢١٢

الظرف الذي يصلح أن يكون خبراً ٥/ ٦٢١

عمل الظرف في الحال متقدمة ٥/ ٧٤

نَصْبُ الاسم المنكور نَصْبَ الظروف
المبهمة ٣/ ٢٧٩

عدم التوسع في الظروف التي لا تتصرّف ٢/ ٤٧٠

بناء الظرف المضاف إلى الجملة الفعلية
المصدّرة بالمضارع ٢/ ٣٤٦

إضافة الظرف المستقبل إلى الجملة
الاسمية ٥/ ٦٣

المسألـة	الجزء والصفحة
عودة الضمير مذكّراً على اسم الجنس المجموع مراعاة للجنس	٣/ ٤٩٩
تعليق الظرف بالمصدر إذا فصل بين المصدر وبين معموله بفاصل	٣/ ٣٣٨
مجيء «كل» ظرفاً	٣/ ٥٧

ظنّ وأخواتها

المسألـة	الجزء والصفحة
القول بأنّ «أنّ» ومعموليها تسدّ مسدّ مفعولي ظن	١/ ١١٨
القول في «رأى» البصرية والذهنية (القلبية)	١/ ٢٠٢
رأي لأبي حيّان في مفعولي حسب	١/ ٦٠٥
حذف المفعول الثاني لحسب	١/ ٥٩٧
تضمين أرأيت معنى أخبرني وتعدّيها لمفعولين	٢/ ٣٩٢
	٣/ ١٧٩
	٣/ ٢٥١

العامل

المسألـة	الجزء والصفحة
الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي	٣/ ٥٩٢
	٤/ ٢٩
لا يكون العامل مركباً من مجموع وصفين	١/ ٥٥٥
	٤/ ٢٧

المسألـة	الجزء والصفحة
تقدّم المعمول على العامل ليس	
للتخصيص	١/ ٢٧
	١/ ٣٣
	١/ ١١٢
الخلاف في عمل العامل في حالين	١/ ٦٠
العامل لا يتعدى إلى ضمير معموله	
المجرور باللام	١/ ٢٢١
اتساع حذف العامل في الظرف والجار	
والمجرور إن كان خاصاً	٥/ ٣٧٦
العامل في «هنيئاً» النصب	٢/ ١٧
العامل في الاسم المنصوب بعد «ساء»	٢/ ٤٣
العامل في البدل	٤/ ٣٣٩
ظهور العامل في البدل في حالتي الرفع	
والنصب	٤/ ٦٠٠

العدد

إضافة العدد إلى الصفة	٤/ ٢٤٦
حالة العدد إذا حذف معدوده المذكر	١/ ٣٤٠
عدم دخول أل التعريف على العدد	
المعدول	٢/ ١٦

المسألـة	الجزء والصفحة
العطف	
عطف الفعل على الاسم	٥/ ١٩٠
	٥/ ٣٩٦
عطف الفعل على ما ينحلّ إليه المصدر	٢/ ٥٣٠
عطف الجملة الاسمية على الفعلية	٢/ ٦٥٩
العطف على التوهم	٢/ ٢٥٩
	٣/ ٣٣٧
العطف على موضع اسم أنّ	٣/ ٥٥
العطف على موضع اسم إنّ	٢/ ٢٨١
	٤/ ٦٢١
العطف على موضع المضاف إلى اسم الفاعل	٢/ ٤٤٢
عطف الجملة المنفية بما على الجملة المنفية بلم	٣/ ١٧
عطف الفعل المضارع على الموجب المقرر وقبحه	١/ ٥٠٠
العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجارّ	١/ ٣٠٦
	٢/ ٩
	٢/ ١٣٨
العطف على موضع الشرط	٥/ ٣٦٨
الفصل بين المتعاطفين	١/ ٧٦

المسألـة	الجزء والصفحة
	١/ ٤٨٤
	٢/ ٨٤
الفصل بالضمير في العطف	٣/ ١٨
	٢/ ٤٩٣
الفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم	٥/ ٣٦٨
جواز العطف على محذوف	١/ ٥٩٣
عدم جواز عطف التعليل على الحال	١/ ٤٨٧
عدم جواز العطف على الضمير المجرور إلا بعائد	١/ ١٩٧
جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجارّ	١/ ٣٠٦
أحوال عطف البيان	٤/ ٥٦٩
	٥/ ٢٣
مجيء عطف البيان في النكرات	٣/ ٤٠٨
جواز عطف الجملة الخبرية على الإنشائية	٤/ ٣٠
	٤/ ٢٧٦
واو الصرف	٥/ ١١٥
اقتصار العطف في البدل التفصيلي على الواو	١/ ٦١٦
العطف بالواو لا يجوّز إفراد ضمير المتعاطفين	٢/ ٤٨٤

المسألـة	الجزء والصفحة
حذف واو الحال من الجملة الحالية المعطوفة على حال	٥١٧/٢
مجيء جواب واحد للشرط والمعطوف على الشرط	١٧٧/٣
عدم اشتراط المناسبة في العطف في الجمل	٤٠/٢
حكم عطف البيان حكم النعت في التعريف والتنكير	٥٢٦/١
امتناع حروف العطف من أن تعمل عمل حروف الجر	١٥٦/٥
عطف فعل منفي بلا على فعل مثبت وكلاهما منصوب	٤٠/٢
إذا كان المعطوف «آخر»	١٤٦/٢

الفاء

المسألـة	الجزء والصفحة
دخول الفاء على خبر المبتدأ	٢٤٠/٢
دخول الفاء في خبر إنّ لتضمّنها معنى الشرط	١١٧/١
مجيء الفاء تفسيرية	٥٣٧/١
عدم عمل ما قبل فاء الجزاء فيما بعدها	٩١/٢

المسألـة	الجزء والصفحة

الفاعل

اقتران فاعل «كفى» بالباء ٢/ ١٤٦

إجراء ما يقوم مقام الفاعل مجرى الفاعل
من حيث تقديمه ٣/ ٥٦٥

تقديم الفاعل المتصل بضمير يعود على
المفعول به ١/ ٤٦٥

الفعل (الماضي)

الخلاف في مجيء الفعل الماضي حالاً
بدون قد ١/ ٩٢

(المضارع)

كسر حرف المضارعة ١/ ٢٠١

وجوب تأخير الفعل إذا كان المفعول
ضميراً منفصلاً ٣/ ٤٩٠

عطف الفعل المضارع على الموجب المقرر
وقبحه ١/ ٥٠٠

تسكين آخر الفعل المنقوص في حالة
النصب ٢/ ٢٣٠

متى يجوز حذف الفعل والفاعل ٢/ ٣٢٦

جزم المضارع بحذف الحرف أو بحذف
الحركة ٣/ ٣٣٧

المسألـة	الجزء والصفحة
مجيء المضارع بعد الشرط والجزاء	
منصوباً بعد الفاء	٣/ ٣٥٢
حذف علامة نصب المضارع بعد أنْ	١/ ٣٥١
انتصاب المضارع بعد فاء السببية	
المسبوقة بترجٍّ	١/ ٧٤
عدم دخول الواو على المضارع المثبت إذا	
كان حالاً	١/ ٥٥١
	١/ ٥٦٤
حذف نون المضارع من الأفعال الخمسة	
لغير ناصب أو جازم	١/ ٥٠٢
دخول «ما» على المضارع لإرادة الحال	
أو الاستقبال	٣/ ٤٣٦
تركيب «قد» مع المضارع لا يفيد الكثرة	١/ ٢١٧
توكيد خبر كان بلام الجحود	٣/ ٢٧
الجزم بلن والنصب بلم	٥/ ٥٧٣
التعبير بالمضارع عن الماضي	٢/ ٥٨٨

(الأمر)

فعل الأمر الذي على نسق الأفعال الخمسة	
يجزم بلام الأمر	١/ ١٠٥
إذا كان في الأمر معنى الشرط كان	
الجواب كجواب الشرط	٣/ ٩٤

المسألـة	الجزء والصفحة

فوق

لا تأتي «فوق» زائدة	٢/ ٢٤

القسم

اجتماع الشرط والقسم	١/ ٥١٣
	١/ ٥١٥
	٢/ ٢١٤
	٢/ ٢٢٧
	٢/ ٥٨٢
	٣/ ٨٧
	٤/ ٢٢٢
اقتران لام القسم بقد	٢/ ٥٥٧
الاستغناء عن القسم بالجواب لدلالة المعنى	٤/ ٤٢
هل تكون جملة القسم خبراً للمبتدأ؟	١/ ٦١٦
جواز كون القسم وجوابه صلة لموصول	٢/ ٩٥
امتناع عمل ما بعد اللام المتلقَّى بها القسم بما قبلها	١/ ٥١٦

كافّة

معناها وإعرابها	١/ ٢٩٣
«كافة» لا تكون إلا حالاً	٤/ ٥٥٨

المسألـة	الجزء والصفحة

كان واخواتها

مجيء كان بمعنى صار ودلالتها على الانقطاع الطارىء	١/ ٥٤١
حذف خبر كان وأخواتها	٣/ ٦٥٥
تقديم خبر كان عليها إذا كان جملة	٤/ ٥٦٦
توكيد خبر كان بلام الجحود	٣/ ٢٧
ضمير الفصل بين اسم كان وخبرها	٣/ ٢٦
هل تعمل كان الناقصة وأخواتها في الظروف؟	٤/ ٢٧
عمل كان الناقصة في «إذ»	١/ ٤٨١
عدم جواز تفسير فاعل كان التامة بشيء بعدها	٢/ ٢٤
جواز تقديم خبر ليس عليها	٣/ ٢١٤
امتناع عمل ليس في الظرف المتقدم عليها	٥/ ٢٩٤
الخلاف في مجيء أصبح على معنى الاستمرار وبعض معانيها	١/ ٥٣٢
عدم إجراء قام مجرى صار	١/ ٥٥٤
شذوذ إجراء قعد مجرى صار	١/ ٥٥٤

كأنْ

إعمال كأنْ المخففة	٢/ ٩٧
أحوال الاسم بعدها	٢/ ٩٧

المسألـة	الجزء والصفحة

كل

مجيء كلّ ظرفاً	٣/ ٥٧

كلّما

القول في كلما	١/ ٦٨
جواز تقديم منصوب الفعل العامل في «كلّما» عليه	٢/ ٢٨٣

كم

كم الخبرية والاستفهامية لا توصف ولا يوصف بها	٤/ ٤٣
الخلاف في جواز حذف تمييز «كم»	١/ ٢٩٨
جواز حذف «مِن» من تمييزها	١/ ٥٦٨
الخلاف في إعرابها	١/ ٢٩٨

كما

القول في كما	١/ ٥٧
كما للتعليل أو للتشبيه	٣/ ٨

كيف

عدم جواز إعراب كيف مبتدأ	١/ ٨٠
إعراب كيف	٣/ ١٧٣

المسألـة	الجزء والصفحة
لا (النافية)	
عدم جواز الوصف بلا غير المكررة	١/ ١٤٣
كون لا النافية مرجّحة للحمل على الفعل	١/ ١٢٠
عمل ما بعد لا النافية فيما قبلها	٢/ ٦٣٧
مجيء لا زائدة	١/ ٥٧٦
عطف فعل منفي بلا على فعل مثبت وكلاهما منصوب	١/ ٤٠
(العاملة عمل ليس)	
الخلاف في إعمال لا عمل ليس	١/ ١١٠
(النافية للجنس)	
الخلاف في خبرها إذا تكررت	١/ ٢٧٩
دخولها على الأعلام والخلاف فيه	١/ ٥٢٢
تقديم خبر لا النافية للوحدة على اسمها	١/ ٤٣
عدم جواز مجيء خبرها «إلاّ وما بعدها»	١/ ٢٣٠
القول في «لا عدوان إلا على الظالمين»	١/ ٢٦٩
لكنْ	
وقوع لكنْ بين متفقين	٣/ ٩٠
اللام (الموطئة للقسم)	
امتناع عمل ما بعدها بما قبلها	١/ ٥١٦

المسألـة	الجزء والصفحة

(لام الجواب)

تسمية اللام المعطوفة عليها بلام المحاذاة ٢/ ١١٠

(لام الأمر)

كون فتح لام الأمر لغة ١/ ٢٦٠

الجزم بلام الأمر المحذوفة ١/ ٥٠٤

(لام التعليل)

من معانيها: العاقبة ١/ ٥٨١

(لام الجحود)

انتصاب الفعل بعدها ١/ ٦٠٤

٢/ ١٥٤

لعلّ

إجراء لعلّ مجرى هل ٤/ ١٦٩

اللفظ والمعنى

جواز البدء بالحمل على المعنى ثم على اللفظ ١/ ٥١

إذا حمل على اللفظ ثم على المعنى فهل يجوز العودة إلى اللفظ؟ ١/ ٣٣٧

مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى في التقدير ١/ ٥٦٩

المسألـة	الجزء والصفحة

لمْ

العلّة في عمل لم الجزم	١/ ٧٨
إلحاق لِمَ بلمْ في عمل الجزم	١/ ٥٠٢

لمّا

القول في حرفيّة لمّا والخلاف فيه	١/ ٥١٦
الخلاف في أنّ معنى لمّا توقّع الفعل المنفي بها	١/ ٥٦٣
النفي بلمّا	٢/ ٥٨٣
لمّا حرف وجوب لوجوب بمعنى حين	٣/ ٣٢١
استعمالها لمعنى إلاّ الاستثنائية	٤/ ٦٠٢
وقوع إذا الفجائية جواباً للمّا	٣/ ١٦١
الخلاف في إعرابها بعد إنْ	١/ ١٤٨
الخلاف في جوابها في قوله «فلما أضاءت ما حوله»	١/ ٦٢

لن

الخلاف في معنى لن: التأكيد أو التأبيد	١/ ٧٨

لو

من معاني لو الشرط والتّمني	١/ ١٨٠
معاني لو إذا سبقت بالواو	١/ ٢٣٧

المسألـة	الجزء والصفحة
	٢/ ٥٨٥
مجيء لو للتّمني	٤/ ٤٩٢
الخلاف في مجيء جواب لو جملة اسمية	١/ ٨١
مجيء ما بعد لو الشرطية على سبيل الفرض	١/ ٥٢١
عدّ الكوفيين لو مصدرية	١/ ١٧١
عدم وقوع الاستفهام جواباً للو	١/ ٦٧
مجيء الضمير أو الاسم بعد لو	٣/ ٦٠١
دخول اللام على ما الواقعة جواباً للو	٢/ ٤٥٩
حكم أنّ وجملتها بعد لو	٢/ ٧٥
	٢/ ٧٥
	٢/ ٢٣٧

لولا

تقدم جواب لولا عليها	٢/ ٤١
	٣/ ٢٩١

ما (المصدرية، الظرفية)

مجيء ما مصدرية أو شرطية	٣/ ٦٠
الخلاف في كونها كافّة للكاف عن العمل في «كما»	١/ ٢٨٢
مجيء ما الظرفية قبل المضارع	٢/ ٣٩٣

المسألة	الجزء والصفحة

مجيء ما مصدرية ظرفية على جهة التأبيد ٣/ ٢٥٩

(الموصولة)

ما الموصولة شاملة ما يعقل وما لا يعقل ١/ ١٩٢
العرف والعادة في معنى ما ١/ ٢٤٠
اشتراط عودة ضمير من صلة «ما» عليها ١/ ٥٤

(النافية التميمية)

الخلاف في دخول الباء على خبرها ١/ ١٥٠

ماذا

القول في إعرابها ١/ ٨٩
مجيئها جواباً للشرط ٣/ ١٨٠

المبتدأ = الابتداء

متفرقات (إعراب)

إعراب «غير» في قوله «غير المغضوب عليهم» ١/ ٣٦
إعراب «جميعاً» في قوله «قلنا اهبطوا منها جميعاً» ١/ ١٠٨
إعراب «فليس من الله في شيء» ١/ ٤٦١
إعراب «حقّ» في قوله «اتقوا الله حقّ تقاته» ١/ ٥٣١

المسألة	الجزء والصفحة
إعراب «وأحل لكم ما وراء ذلك أن تبتغوا بأموالكم»	٢/ ٥٠
الخلاف في إعراب: يريد ليفعل كذا	٢/ ٥٥
إعراب الاسم المنصوب بعد: حَسُن	٢/ ٩٢
إعراب «والمقيمين» في قوله «والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة»	٢/ ١٦٩
إعراب «خيراً» في مجيئها في جواب الطلب	٢/ ١٧٣
إعراب الجمل في قوله «إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت»	٢/ ١٧٨
إعراب «فإن كانتا اثنتين»	٢/ ١٨٠
إعراب «حسبك»	٣/ ٤٥
	٣/ ٤٥
إعراب «استعجالهم» في قوله «ولو يعجّل الله للناس الشرّ استعجالهم بالخير»	٣/ ١٥٢
إعراب «أنتم» في قوله «ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم»	٣/ ١٦٦
إعراب الجملة التشبيهية «كأن لم يلبثوا» في قوله «ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة»	٣/ ١٧٦
إعراب «فبذلك فليفرحوا» في قوله «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا»	٣/ ١٨٤

المسألـة	الجزء والصفحة
إعراب قوله «وبئس الورد المورود»	٣/ ٢٥٥
إعراب «ما» في قوله «واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه»	٣/ ٢٦٥
إعراب فاعل «بدا» في قوله «ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننّه»	٣/ ٢٩٩
وضع الظاهر موضع المضمر في قوله «وقالوا جزاؤه من وُجد في رحله فهو جزاؤه»	٣/ ٣٢٦
إعراب «ما» في قوله «ومن قبلُ ما فرطتم في يوسف»	٣/ ٣٠٩
تعليق «لهم» في قوله «ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون»	٣/ ٤٩٤
وجوه إعراب «تنزيلاً» في قوله «إلاّ تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممّن خلق الأرض»	٤/ ٥٦
إعراب قوله «كتب عليه أنه من تولاّه فأنه يضلّه»	٤/ ١٧٤
إعراب قوله «أو لم يكن لهم آية أن يعلمهُ»	٤/ ٣٥١
إعراب «ولات حين مناص»	٥/ ٧
إعراب قوله «قليلاً ما تؤمنون»	٥/ ٤١٧

(أوزان صرفية وصيغ)

تاه تتفاعل	٢/ ٧

المسألـة	الجزء والصفحة
جواز مجيء فُعْلى نكرة دون إزالة معنى التفضيل عنها	١/ ١٥٦
وزن عيسى	١/ ١٦٢
وزن مريم	١/ ١٦١
الفرق بين طاب واستطاب	١/ ٢٣٦
وزن تهلكة	١/ ٢٧١
وزن جهنم	١/ ٢٩١
وزن تابوت	١/ ٣٦٢
الخلاف في مجيء فعيل على مُفْعِل	١/ ٤٥٣
مطاوعة استفعل لأفعل	١/ ٥٩٨
ندرة صيغة فُعُلان في اللغة	١/ ٦٠٨
وزن تنّور	٣/ ٢٢٨
مثنى وثلاث ورباع وأحوالها	٢/ ١٤
هنأني ومرأني	٢/ ١٧
مجيء فاعَلَ بمعنى فعَّلَ	٢/ ٢٢٨
لام: اليسع	٢/ ٤٣٤
القول في همزة أناس	٢/ ٦٣٤
هل ورد: شرُذْ في لسان العرب؟	٣/ ٤١
لغات العرب في: أستطيع	٣/ ٦٦٧
أصل ألف: أشار	٤/ ٢٠
مجيء فَعَل المتعدّي الصحيح على يَفْعُل ويَفْعِل	٤/ ٢٩٣

المسألـة	الجزء والصفحة
وزن قيّوم	١/ ٣٧٠
وزن طاغوت	١/ ٣٧٣
وزن التوراة والإنجيل	١/ ٤٣٢
أصل عيسى	١/ ٤٨٣

(معانٍ واشتقاقات)

المسألـة	الجزء والصفحة
اشتقاق «اسم»	١/ ٢٨
اشتقاق لفظ الجلالة	١/ ٢٨
اشتقاق الرحمن	١/ ٢٩
تقارب معنى غير ولا	١/ ٣٧
اشتقاق ناس	١/ ٥٠
اشتقاق شيطان	١/ ٥٩
اشتقاق سورة	١/ ٧٦
معنى: مِثْل	١/ ٧٦
القول في معنى البشارة	١/ ٨٠
اشتقاق ملائكة	١/ ٩٦
اشتقاق إسرائيل	١/ ١١١
المواضع التي تستعمل فيها القلّة بمعنى العدم	١/ ١٦٤
اشتقاق هاروت وماروت	١/ ١٧٨
اشتقاق هات	١/ ١٨٨

المسألـة	الجزء والصفحة
معنى الفُلْك واستعمالها	١/ ٢٣١
معنى الفور	١/ ٥٥٩
الخلاف في اشتقاق أبو وبنو	١/ ٥٨٠
كون جعل بمعنى خلق واقتصارها على مفعول واحد وعدم وقوع العكس	١/ ٦١٤
لفظ الأب والولد ومعناهما الحقيقي والمجازي	٢/ ٢٦
«الإخوة» لا تفيد معنى الجمعية المطلقة	٢/ ٢٨
مجيء «قلما» و«قليلًا» على الانتفاء وليس الأقلية	٢/ ٧٦
	٢/ ١٠٥
	٢/ ١٥٣
اشتقاق ثُبة	٢/ ٩٤
متى يكون معنى «آخر» من جنس المتقدم عليها؟	٢/ ٣٢٧
أصل مهما	٢/ ٦٠٧
اشتقاق لفظ: «القصوى» ومعناه	٣/ ٣٢
اشتقاق لفظ: رباط	٣/ ٤٣
اشتقاق لفظ: هارٍ	٣/ ١٢٨
اشتقاق: أوّاه	٣/ ١٣٢
اشتقاق لفظة: زيّلنا	٣/ ١٦٨
«لا جرم» تركيبها ومعناها وإعرابها	٣/ ٢٢١

المسألـة	الجزء والصفحة
اشتقاق لفظة: يُغاث ومعناها	٣/ ٣١٠
اشتقاق: صنوان ومعناها	٣/ ٣٦٠
اشتقاق: جُفاء ومعناها	٣/ ٣٧٧
«طوبى» معناها واشتقاقها	٣/ ٣٨٣
مجيء: ييأس بمعنى يعلم	٣/ ٣٨٦
اشتقاق: أناسيّ	٤/ ٣١٠
القول في: ويكأنّ	٤/ ٤٣٠
أصل: هلمّ	٤/ ٥١٠
القول في: أحد أصلاً واستعمالاً	٤/ ٥١٩
لغات العرب في: هاؤم	٥/ ٤١٥
اشتقاق: رويد واستعمالها	٥/ ٥٣٩
أبابيل: هل هي مفرد أو جمع؟	٥/ ٦٠١

(تزاكيب)

المسألـة	الجزء والصفحة
لا تأكل السمك وتشرب اللبن	١/ ٢٦٤
أكلوني البراغيث	٤/ ٤٩
أنا زيداً غير ضارب، وفاق: أنا زيداً لا ضارب	١/ ٣٧
عدم جواز: أودّ لو أني أكرمه أيّاً ضربت هند	١/ ٤٦٥
اختصاص التركيب: خذ حِذْرك، بكسر	

المسألـة	الجزء والصفحة

الحاء ٢/ ٩٤

(قراءات)

إبدال التاء دالاً ٤/ ٣٣٦
الإشمام وإخلاص الكسر في: قيل ١/ ٥٤
توجيه القراءة في قوله «إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد» ١/ ٥٧٤
عدم جواز الطعن على القراء ١/ ٤١٧
حركة الساكن الأول عند التقائه ساكناً آخر ١/ ٤٢٧
إتباع حركة الميم حركة الذال في قراءة «مَذَبْذَبين بين ذلك» ٢/ ١٥٣

(مسائل أخر)

الفرق بين علم الضرورة وعلم الاستدلال ١/ ٣٨١
معنى العلم والظن ٢/ ١٦٥
القول بأن الإسناد المعنوي أولى من الإسناد اللفظي ١/ ٥٥
المبالغة في وصف اللون عند الترك وكيفيتها في لغتهم ١/ ١٤٢
إطلاق لفظ اللحم يراد منه أيضاً الشحم وغيره ١/ ٢٤١
القول في إنّنا ٣/ ٢٣٩

المسألـة	الجزء والصفحة
القول في إنما وأنما	٤/ ١٦٨
اجتماع نون الرفع ونون الوقاية	٥/ ٥٢
اجتماع حرفين يحتاج كل منهما إلى	
جواب والاكتفاء بجواب واحد	١/ ٥٣٦
إثبات ألف «أنا» في الفصل والوصل	٣/ ٦٤٠
مطل الحركة وإشباعها	١/ ٥٥٨
الجزم بلِمَ	١/ ٥٠٢
حذف الجملة الأولى لدلالة الجملة	
الثانية عليها	٣/ ١٠١
عدد الالتفاتات في «تطاول ليلك بالإثمد»	١/ ٣٣
تاء «نملة وقملة» هل تدلّ على التأنيث؟	٤/ ٣٦٦
الإفراد والمطابقة في قوله «ولا تكونوا	
أول كافر به»	١/ ١٠٣
الخلاف في جواز تقدير: مثل	١/ ٥٢١
الفرق بين اسم الجمع واسم الجنس المفرد	١/ ٤٢٣
«عسى» بين الخبر والإنشاء	١/ ٣٦٠

المستثنى = الاستثناء

المصدر

عمل المصدر	٣/ ٥٠٦
إعمال المصدر معرَّفاً بالألف واللام	٢/ ١٥٧
	٣/ ٢٥٢

المسألـة	الجزء والصفحة
جواز إعمال المصدر منوّناً	٥/ ٥٥٩
عمل المصدر التوكيدي	٤/ ٥١
تقديم معمول المصدر عليه	٣/ ٤٠٧
امتناع عمل المصدر إذا وُصف قبل العمل	٤/ ٨٧
امتناع نعت المصدر المنسبك من أن المصدرية والفعل	٣/ ٥٣٠
تعليق الظرف بالمصدر إذا فصل بين المصدر وبين معموله بفاصل	٣/ ٣٣٨
عدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله لأنه من صلته	١/ ٢٥٤
مجيء تَفْعُلة مصدراً لفعَلَ ووجود نظائر له في كلامهم	١/ ٢٧١
الخلاف في مجيء صيغة مفعال مصدراً	١/ ٩١
ثبوت الواو في المصدر من الثلاثي المثال الواوي مع وجود التاء	١/ ٢٢٠

المضاف = الإضافة

مع

فتح عين مع وتسكينها	٤/ ٣٨١

المعرفة

حكم المعرفة إذا كرّرت منكّرة

المسألـة | الجزء والصفحة

المفعول به

تقديم المفعول به على العامل فيه ٢/ ٢٨٣
حذف المفعول الثاني ليكلّف ١/ ٤٢١
الخلاف في جواز كون مفعول القول كلمة
واحدة مفردة إلا إذا كانت مصدراً ١/ ١٣٠

المفعول له

تقديم المفعول له على العامل فيه ٢/ ٤٨٩
اشتراط اتحاد الفاعل في العامل والمفعول
له ٢/ ٥١

المفعول معه

الاشتراط في المفعول معه أن يكون
مشاركاً للفاعل ١/ ٤٥١
عمل اسم الإشارة وحرف الجر في
المفعول معه ٢/ ٢٣٨
واو المعيّة والمفعول معه ٢/ ٢٣٦

مِن

مجيء مِن بمعنى بدل ١/ ٤٣٥
٣/ ٨٣
الخلاف في مجيء مِن بياناً ١/ ٨٤

المسألـة	الجزء والصفحة

ليس من معاني مِن الجارّة الاتصال ٢/ ٤٨

جواز حذف مِن من تمييز كم ١/ ٥٦٩

معنى مِن في قوله «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف» ١/ ٣٩٨

زيادة مِن في الإثبات ٥/ ٤٢٨

امتناع تقدّم مِن البيانية على المبهم الذي بيّنته ٣/ ٥٩٣

مَن (الشرطية)

إذا وليت مَن «لكنْ» هل تكون شرطاً أو موصولة؟ ٣/ ٥٢٦

(الموصولة)

جواز حذف مَن الموصولة بدليل ٢/ ٧٤

توجيه مَن الموصولة إذا تلت «الذين» مباشرة ١/ ٧٠

إعادة الضمير على مَن بالمفرد المذكر والعطف عليه بالمفرد وغيره ٣/ ١٧٥

جعل مَن موصولة في لسان العرب أكثر من كونها موصوفة ١/ ٥٤

«مَن» إذا كانت موصولة (أو استفهاماً أو شرطاً) يجوز مراعاة اللفظ والمعنى فيها،

المسألة	الجزء والصفحة

أي إفراد صلتها وجمعها وتذكيرها
وتأنيثها ١/ ١٨٦
١/ ١٩٠
الاشتراط في مَن وأل الجنسية بعدها أن
تكون مَن موصولة ١/ ٣٩٧

نائب الفاعل

عدم جواز مجيء نائب الفاعل جملة دون
تأويل بمصدر ١/ ٥٥

النعت

تقدّم معمول الصفة على الموصوف ٢/ ٨٧
جواز تقديم الوصف بالفعل على الوصف
بالاسم ٢/ ٢٦٢
امتناع وصف ضمير المتكلم والمخاطب ٢/ ٣٣٣
إضافة الموصوف إلى صفته ٣/ ٣٥١
٣/ ٣٧٠
حذف الموصوف وإقامة صفته مقامه ٣/ ٣٥١
٤/ ٦٤٤
الفصل بالمبتدأ بين الموصوف وصفته ٣/ ٤٠٥
امتناع الفصل بإلاّ بين الصفة والموصوف ٣/ ٤٣٤
جواز الفصل بالجملة المفسّرة بين الصفة

المسألة	الجزء والصفحة

والموصوف ٢/ ١٧٨
امتناع الوصف بالعلم ٤/ ٥٨٠
اجتماع النعت والبدل ٤/ ٣٦
النكرة لاتنعت إلا بمثلها والمعرفة كذلك ٢/ ١٥٢
نعت اسم الجنس بالجملة الفعلية ٤/ ٦٠٣
عدم جواز نعت الأسماء النواقص نحو
مَن وما ٤/ ٥٨
عدم جواز مجيء الصفة (والحال) مثبتة
وعاملها منفي ١/ ٥١
مجيء الواو متوسطة بين الصفات لا يدلّ
على كمال الصفات ١/ ٤٤٢
الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة ٣/ ٦٢٨

نعم وبئس

إعراب الاسم المنصوب بعدهما حالاً ٢/ ٦٧
حذف التمييز الذي يفسّر الضمير المستكنّ
في نعم وبئس ٥/ ٣٥٨
إلحاق حَسُن في باب نعم وبئس من حيث
الفاعل ٢/ ٩٢

النفي

متى نُفي شيء عن اثنين فلا يدلّ ذلك على

المسألة	الجزء والصفحة
أن الثاني أرفع من الأول	٢/ ١٧٥
النكرة	
مجيء النكرة مراداً بها التعيين	٣/ ٤٤٨
وجود تنكير التعظيم في لسان العرب	١/ ٣٩٢
جواز الابتداء بالنكرة للتفصيل	٢/ ١٧٠
الواو	
أحوال الواو مفتوحة حسب حركة ما قبلها	١/ ٣٥٠
مجيء الواو للعطف والحال بعد همزة التوبيخ	٢/ ٣٢٢
التجريد: وهو اختصاص الواو بعطفها الخاص على العام	١/ ١١٩
الوصل	
إجراء الوصل مجرى الوقف	١/ ٥٥٨

فهرست ثبت النقول عن ابن عطية

لدى الشروع في تحقيق النهر بحثت عن «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» بحثاً مضنياً، فوجدت أن الطبعة المصرية للكتاب (طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) توقفت عند نهاية الجزء الثاني منه، عند الآية ٩٤ من سورة آل عمران. وبعد لأيٍ وجهد استطعت الحصول على الطبعة المغربية (طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الرباط) فإذا هي تسعة أجزاء انتهى التاسع منها عند آخر سورة يوسف. وإذ تمّ الحصول على هذه الطبعة بعد الفراغ من تحقيق السور التي تتضمّنها، لجأت إلى صنعة هذا الثّبت في تخريج ما نقله أبو حيان من تفسير ابن عطية، قارناً صفحات الطبعتين إلى حيث توقفت الطبعة المصرية، ثم مثبتاً مواضع النقل في الطبعة المغربية.

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
البقرة	٢٢	١٩٣:١	١٤٣:١	٧٤/١
	٢٤	١٩٥:١	١٤٥:١	٧٨/١
	٢٤	١٩٧:١	١٤٦:١	٨٠/١
	٢٥	١٩٩:١	١٤٧:١-١٤٨	٨٣/١
	٢٥	٢٠٠:١	١٤٨:١	٨٥/١
	٢٨	٢١١:١	١٥٨:١	٩٤/١
	٣٨	٢٤٦:١	١٩٣:١	١٠٨/١
	٣٨	٢٤٧:١	١٩٣:١	١٠٨/١
	٣٨	٢٤٧:١	١٩٣:١	١٠٩/١
	٣٨	٢٤٨:١	١٩٤:١	١١٠/١
	٤٢	٢٥٦:١	٢٠٢:١	١١٦/١
	٧١	٣١٦:١	٢٥٩:١	١٤٤/١
	٧٤	٣٢٥:١	٢٦٧:١	١٥٠/١
	٨٠	٣٣٤:١	٢٧٤:١	١٥٤/١
	٨٣	٣٣٧:١	٢٧٨:١	١٥٦/١
	٨٣	٣٣٩:١	٢٧٩:١	١٥٨/١
	٩٤	٣٥٦:١	٢٩٥:١	١٦٩/١
	١٠٦	٣٨١:١	٣١٩:١	١٨٣/١
	١٢٦	٤١٩:١	٣٥٦:١	٢٠١/١
	١٣٦	٤٣٠:١	٣٦٨:١	٢١٠/١
	١٤٨	٤٥٠:١	١٥:٢	٢٢١/١
	١٦٨	٤٧٧:١	٤٣:٢	٢٣٦/١

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
	١٧٢	١:٤٨٤	١:٤٨	١/ ٢٣٩
	١٧٣	١:٤٨٥	٢:٤٩	١/ ٢٤١
	١٨٠	١:٥٠١	٢:٦٦	١/ ٢٤٨
	١٨٠	١:٥٠١	٢/٦٧	١/ ٢٥٠
	١٨٠	١:٥٠٤	٢:٧٠	١/ ٢٥٢
	١٨٥	١:٥١٥	٢:٨٢	١/ ٢٥٨
	١٨٥	١:٥١٦	٢:٨٣	١/ ٢٥٨
	١٩٧	١:٥٥٢	٢:١٢٠	١/ ٢٧٦
	١٩٩	١::٥٦٢	١:١٣٠	١/ ٢٨٣
	٢٠٨	٢:٢٤	٢:١٤٤	١/ ٢٩٤
	٢٠٨	٢:٢٥	٢:١٤٥	١/ ٢٩٤
	٢١١	٢:٢٩	٢:١٤٨	١/ ٢٩٩
	٢١٩	٢:٦٥	٢:١٧٣	١/ ٣١١
	٢١٩	٢:٦٥	٢:١٧٣	١/ ٣١١
	٢٢٩	٢:١٠١	٢:١٩٩	١/ ٣٢٩
	٢٣٧	٢:١٣٧	٢:٢٣٠	١/ ٣٥٠
	٢٣٧	٢:١٤٠	٢:٢٣٢	١/ ٣٥١
	٢٦٠	٢:٢٢٣	٢:٣٠٤	١/ ٣٨٠
	٢٧١	٢:٢٥٨	٢:٣٣٥	١/ ٣٩٥
	٢٧٣	٢:٢٦٥	٢:٣٤١	١/ ٣٩٧
	٢٧٤	٢:٢٦٩	٢:٣٤٤	١/ ٣٩٩
	٢٨٣	٢:٣٠٨	٢:٣٨٠	١/ ٤١٣

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
	٢٨٣	٢:٣٠٨	٢:٣٨٠	١/٤١٤
	٢٨٣	٢:٣٠٨	٢:٣٨٠	١/٤١٤
	٢٨٦	٢:٣١٨	٢:٣٩٠	١/٤٢١
آل عمران	٢٠	٢:٣٦٨	٣:٤٣	١/٤٥٥
	٢٦	٢:٣٧٤	٣:٤٩	١/٤٥٨
	٢٨	٢:٣٨٠	٣:٥٤	١/٤٦١
	٣٠	٢:٣٨٤	٣:٥٨	١/٤٦٤
	٣٦	٢:٣٩٣	٣:٦٥	١/٤٧٠
	٤٣	٢:٤١٧	٣:٨٤	١/٤٧٩
	٧١	٢:٤٦٣	٣:١٢٢	١/٥٠٠
	٧٣	٢:٤٧١	٣:١٢٩	١/٥٠٤
	٧٥	٢:٤٧٣	٣:١٣٠	١/٥٠٦
	٧٨	٢:٤٧٩	٣:١٣٦	١/٥٠٨
	٧٩	٢:٤٨١	٣:١٣٧	١/٥١١
	٧٩	٢:٤٨١	٣:١٣٧	١/٥١١
	١٠٢		٣:١٨٠	١/٥٣١
	١٠٣		٣:١٨٤	١/٥٣٢
	١٠٣		٣:١٨٦	١/٥٣٣
	١١٢		٣:١٩٧	١/٥٤٤
	١١٧		٣:٢٠٤	١/٥٤٧
	١١٧		٣:٢٠٥	١/٥٤٧
	١٢٠		٣:٢١٣	١/٥٥٣

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
	١٢٤		٣:٢٢١	١/٥٥٧
	١٢٥		٣:٢٢٣	١/٥٥٩
	١٤٥		٣:٢٥٠	١/٥٦٦
	١٤٥		٣:٢٥٠	١/٥٦٧
	١٤٦		٣:٢٥٥	١/٥٦٨
	١٥٢		٣:٢٦٣	١/٥٧٣
	١٥٣		٣:٢٦٦	١/٥٧٤
	١٥٣		٣:٢٦٨	١/٥٧٧
	١٥٦		٣:٢٧٥	١/٥٨٠
	١٥٩		٣:٢٨٠	١/٥٨٥
	١٥٩		٣:٢٨٠	١/٥٨٦
	١٦٧		٣:٢٩١	١/٥٩٦
	١٧٠		٣:٢٩٥	١/٥٩٨
	١٧١		٣:٢٩٥	١/٥٩٩
	١٧٤		٣:٢٩٨	١/٦٠٠
	١٧٥		٣:٢٩٩	١/٦٠١
	١٨٣		٣:٣٠٩	١/٦٠٨
	١٨٨		٣:٣١٧	١/٦١٢
النساء	١		٤:٨	٢/٧
	١		٤:٩	٢/٩
	١١		٤:٣٤	٢/٢٤
	١٣		٤:٤٥	٢/٣٤

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
	١٩		٤: ٦١	٢/ ٤٠
	٢٧		٤: ٨٩	٢/ ٥٦
	٣٢		٤: ١٠٠	٢/ ٦١
	٣٨		٤: ١١٦	٢/ ٦٧
	٣٩		٤: ١١٧	٢/ ٦٧
	٤٦		٤: ١٤٠	٢/ ٧٦
	٥٠		٤: ١٤٧	٢/ ٨٠
	٦٤		٤: ١٦٥	٢/ ٨٨
	٧٣		٤: ١٧٤	٢/ ٩٥
	٧٣		٤: ١٧٤	٢/ ٩٧
	٨٣		٤: ١٩٢	٢/ ١٠٤
	٨٣		٤: ١٩٢	١/ ١٠٥
	٩٠		٤: ٢٠١	٢/ ١٠٩
	٩٠		٤: ٢٠٣	٢/ ١١٠
	١٠٢		٤: ٢٤٢	٢/ ١٢٥
	١٣٣		٤: ٢٧٧	٢/ ١٤٦
	١٣٥		٤: ٢٧٩	٢/ ١٤٧
	١٤٣		٤: ٢٩٠	٢/ ١٥٣
	١٤٨		٤: ٢٩٥	٢/ ١٥٧
	١٥٥		٤: ٣٠١	٢/ ١٦٢
	١٥٧		٤: ٣٠٤	٢/ ١٦٥

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
	١٦٢		٤: ٣٠٨	٢/ ١٦٨
المائدة	١		٥: ٩	٢/ ١٨٦
	١		٥: ١٠	٢/ ١٨٧
	١		٥: ٩	٢/ ١٩٣
	٢		٥: ١٦	٢/ ١٩٥
	٦		٥: ٤٥	٢/ ٢٠٦
	٢٥		٥: ٧٣	٢/ ٢٢٣
	٢٦		٥: ٧٤	٢/ ٢٢٤
	٣١		٥: ٨٢	٢/ ٢٣١
	٤٣		٥: ١١٠	٢/ ٢٤٦
	٥٢		٥: ١٣٠	٢/ ٢٥٨
	٦٠		٥: ١٤٢	٢/ ٢٦٩
	٦٠		٥: ١٤٣	٢/ ٢٧٠
	٦٦		٥: ١٥٤	٢/ ٢٧٨
	٦٧		٥: ١٥٤	٢/ ٢٧٩
	٧٠		٥: ١٥٨	٢/ ٢٨٣
	٧٤		٥: ١٦٢	٢/ ٢٨٨
	٧٧		٥: ١٦٤	٢/ ٢٩٠
	٨٠		٥: ١٦٧	٢/ ٢٩٣
	٨٣		٥: ١٧٢	٢/ ٢٩٨
	٨٩		٥: ١٧٧	٢/ ٣٠٣

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
	٩٦		٥:١٩٩	٢/ ٣١٤
	١٠٣		٥:٢١٠	٢/ ٣٢١
	١٠٤		٥:٢١٤	٢/ ٣٢٢
	١٠٦		٥:٢١٧	٢/ ٣٢٧
	١١٠		٥:٢٣٠	٢/ ٣٣٤
	١١٧		٥:٢٤٠	٢/ ٣٤٢
الأنعام	١		٦:٣	٢/ ٣٥٢
	٢		٦:٤	٢/ ٣٥٤
	٣		٦:٥	٢/ ٣٥٧
	١٤		٦:١٥	٢/ ٣٦٧
	١٩		٦:٢٠	٢/ ٣٧١
	٢٥		٦:٢٨	٢/ ٣٧٧
	٣٥		٦:٤٣	٢/ ٣٨٧
	٤١		٦:٥٠	٢/ ٣٩٤
	٦٤		٦:٦٩	٢/ ٤١٥
	٧٠		٦:٧٧	٢/ ٤١٩
	٧١		٦:٨١	٢/ ٤٢١
	٧٦		٦:٨٩	٢/ ٤٢٥
	٨٤		٦:٩٧	٢/ ٤٣٢
	٩٧		٦:١١٦	٢/ ٤٤٥
	٩٩		٦:١١٨	٢/ ٤٤٧
	١٠٠		٦:١٢٠	٢/ ٤٥٠

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
	١١٤		٦:١٣٤	٢/ ٤٦٢
	١٢٣		٦:١٤٣	٢/ ٤٦٨
	١٢٤		٦:١٤٤	٢/ ٤٧٠
	١٣٦		٦:١٥٦	٢/ ٤٧٩
الأعراف	٢		٧:٦	٢/ ٥١٤
	١٣		٧:١٩	٢/ ٥٢١
	١٨		٧:٢٥	٢/ ٥٢٣
	٤٦		٧:٦٥	٢/ ٥٤٤
	٥٤		٧:٧٦	٢/ ٥٥٠
	٨٠		٧:١٠٥	٢/ ٥٧١
	٨٦		٧:١٠٩	٢/ ٥٧٧
	٨٩		٧:١١٢	٢/ ٥٨١
	٨٩		٧:١١٣	٢/ ٥٨١
	١١٠		٧:١٢٨	٢/ ٥٩٧
	١١١		٧:١٢٩	٢/ ٥٩٧
	١١٦		٧:١٣٢	٢/ ٥٩٩
	١٤٠		٧:١٥١	٢/ ٦١٣
	١٤٢		٧:١٥٣	٢/ ٦١٤
	١٤٢		٧:١٥٣	٢/ ٦١٥
	١٤٣		٧:١٥٤	٢/ ٦١٦
	١٤٣		٧:١٥٤	٢/ ٦١٧
	١٦٨		٧:١٩٤	٢/ ٦٤٠

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
	١٨٠		٢١٢:٧	٦٤٨/٢
	١٨٧		٢٢٠:٧	٦٥٤/٢
	١٩٣		٢٢٨:٧	٦٥٩/٢
	٢٠١		٢٣٥:٧	٦٦٥/٢
الأنفال	١		١٢:٨	٦/٣
	١٤		٣٠:٨	١٥/٣
	١٨		٣٥:٨	١٨/٣
	٢٣		٣٨:٨	١٩/٣
	٢٥		٤٢:٨	٢٢/٣
	٣٢		٥٢:٨	٢٦/٣
	٦٠		١٠١:٨	٤٣/٣
	٦٤		١٠٧:٨	٤٥/٣
	٦٤		١٠٧:٨	٤٥/٣
التوبة	١٣		١٤٣:٨	٦٣/٣
	١٥		١٤٤:٨	٦٤/٣
	٤٠		١٨٦:٨	٨٤/٣
	٤٠		١٨٧:٨	٨٥/٣
	٥٣		٢٠٢:٨	٩٤/٣
	٦٢		٢٢١:٨	١٠١/٣
	١١٧		٢٩٢:٨	١٣٣/٣
يونس	٢		٥:٩	١٤٧/٣
	٢٧		٣٥:٩	١٦٥/٣

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
	٢٨		٩: ٣٧	٣/ ١٦٧
	٣٩		٩: ٤٧	٣/ ١٧٣
	٤٣		٩: ٤٨	٣/ ١٧٥
	٤٥		٩: ٤٩	٣/ ١٧٦
	٤٦		٩: ٥١	٣/ ١٧٧
	٥٣		٩: ٥٤	٣/ ١٨٢
	٧١		٩: ٦٧	٣/ ١٩٢
	٧٤		٩: ٧٢	٣/ ١٩٤
	٨١		٩: ٧٦	٣/ ١٩٦
	١٠١		٩: ٩٧	٣/ ٢٠٦
هود	٣٩		٩: ١٤٧	٣/ ٢٢٧
	٨٨		٩: ٢١١	٣/ ٢٥٢
	٩٨		٩: ٢١٩	٣/ ٢٥٦
	١٠٣		٩: ٢٢٢	٣/ ٢٥٨
	١٠٨		٩: ٢٢٦	٣/ ٢٦٠
	١١٧		٩: ٢٣٩	٣/ ٢٦٦
	١١٩		٩: ٢٤٢	٣/ ٢٦٨
يوسف	٤		٩: ٢٤٧	٣/ ٢٧٣
	٩		٩: ٢٥٣	٣/ ٢٧٩
	٢٤		٩: ٢٨١	٣/ ٢٩٠
	٣١		٩: ٢٩٢	٣/ ٢٩٦

السورة	الآية	ط. المصرية	ط. المغربية	الجزء والصفحة
	٣١		٩ : ٢٩٣	٣/ ٢٩٧
	٦٩		٩ : ٣٣٩	٣/ ٣٢٢
	٧٣		٩ : ٣٤٣	٣/ ٣٢٤
	٧٥		٩ : ٣٤٣	٣/ ٣٢٥
	٨٠		٩ : ٣٥٣	٣/ ٣٣٠
	٨٠		٩ : ٣٥٣	٣/ ٣٣١
	٩٣		٩ : ٣٧١	٣/ ٣٣٩
	١١٠		٩ : ٣٩٢	٣/ ٣٥١
	١١٠		٩ : ٣٩٥	٣/ ٣٥٢

فهرست المصادر والمراجع[1]

(١) ألجأت الضرورة في بعض الحالات إلى الاستعانة بغير طبعة للمصدر الواحد؛ لعدم توافر الطبعة الواحدة دائماً، أو لظهور طبعة جديدة لبعض المصادر. والمصادر التي لم يذكر لها تاريخ للطباعة في هذا الفهرست، أُغفل فيها ذكر التواريخ.

- أبو العتاهية: أشعاره وأخباره. تحقيق الدكتور شكري فيصل. دمشق ١٩٦٥.
- الأدب المفرد للإمام البخاري. تحقيق محمد هشام البرهاني. الإمارات العربية المتحدة ١٩٨١.
- أساس البلاغة للزمخشري. بيروت ١٩٦٥.
- أسباب النزول للواحدي. القاهرة ١٩٦٨.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير. القاهرة ١٩٧٠.
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى لعلي بن سلطان محمد الملاّ علي القاري. تحقيق محمد السعيد زغلول (نسخة مصورة) بيروت ١٩٨٥.
- الأصمعيات. تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. القاهرة ١٩٦٤.
- الأصنام لابن الكلبي. تحقيق أحمد زكي. (نسخة مصورة) القاهرة ١٩٦٤.
- الأعلام للزركلي. بيروت ١٩٧٩.
- الأغاني للأصفهاني. بيروت ١٩٧١ (طبعة دار الثقافة).
- الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب لابن السيد البطليوسي.
  - بعناية عبد الله بستاني. بيروت ١٩٠١.
  - تحقيق مصطفى السّقا والدكتور حامد عبد المجيد. القاهرة ١٩٨٣.
- الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي. تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب. بيروت ١٩٨١.
- أمالي ابن الشجري. حيدر أباد ١٣٤٩هـ.

- أمالي القالي، ومعه ذيل الأمالي والنوادر. (نسخة مصورة) بيروت.
- أمالي المرتضى. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٦٧.
- أمثال العرب للمفضل الضبّي. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت ١٩٨١.
- إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٧٩. (وهو كتاب التبيان في إعراب القرآن).
- أميّة بن أبي الصلت: حياته وشعره. بهجة عبد الغفور الحديثي. بغداد ١٩٧٥.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة ١٩٥٢.
- الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. (نسخة مصورة) بيروت.
- أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء. اعتنى بتصحيحه الأب لويس شيخو اليسوعي. بيروت ١٨٩٥.
- الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي. تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود. القاهرة ١٩٦٦.
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. القاهرة ١٣٢٨هـ.
- البداية والنهاية لابن كثير. القاهرة ١٩٣٢.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي. القاهرة ١٣٢٦هـ.
- البيان والتبيين للجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة ١٩٦٨.

- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول. تأليف الشيخ منصور علي ناصف. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٧٥ .
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي. القاهرة ١٣٠٦هـ.
- تاريخ الأمم والملوك للطبري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (نسخة مصورة) بيروت.
- تاريخ الخلفاء للسيوطي. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٩٥٢ .
- تاريخ الطبري = تاريخ الأمم والملوك.
- التبصرة في القراءات لمكي بن أبي طالب. تحقيق الدكتور محي الدين رمضان. الكويت ١٩٨٥ .
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري. تحقيق على محمد البجّاوي. القاهرة ١٩٧٦ . (وانظر: إملاء ما منّ به الرحمن).
- تذكرة النحاة لأبي حيان - د. عفيف عبد الرحمن - عمّان ١٩٨٦ .
- التذييل والتكميل في شرح التسهيل لأبي حيان الأندلسي. القاهرة ١٣٢٨هـ.
- الترتيب والبيان عن تفصيل آي القرآن. ترتيب وتفسير محمد زكي صالح. القاهرة ١٩٥٧.
- الترغيب والترهيب للحافظ المنذري. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٩٦٢ .
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك. تحقيق محمد كامل بركات القاهرة ١٩٦٨ .
- تعريف القدماء بأبي العلاء. تحقيق مصطفى السّقا ورفاقه. القاهرة

١٩٤٤ .
- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم.
- تفسير الطبري = جامع البيان.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير. بيروت ١٩٦٦ .
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن.
- التفسير الكبير للرازي.
  - بيروت ١٩٧٨ .
  - (نسخة مصورة) بيروت ١٩٨١ .
- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات لمحب الدين أفندي، طبع في آخر الكشاف (نسخة مصورة) بيروت ١٩٧٧ .
- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري. تحقيق مجموعة من الأساتذة. القاهرة ١٩٦٤ .
- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٨٤ .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة ١٩٦٥ .
- جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري. أشرف على طبعه عبد المجيد سليم وصحّحه محمد حامد الفقي. القاهرة ١٩٤٩ .
- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري. القاهرة ١٣٢٣هـ.
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي. تحقيق أحمد شاكر ورفيقيه. القاهرة ١٩٥٨ . (وانظر: سنن الترمذي).
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (نسخة مصورة) بيروت.

- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي. تحقيق على محمد البجاوي. القاهرة.
- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش. القاهرة ١٩٦٤.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة. تأليف أحمد زكي صفوت. القاهرة ١٩٣٣.
- حاشية يس على التصريح (طبعت بهامش التصريح). القاهرة ١٣٤٤هـ.
- الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري. تحقيق مختار الدين أحمد. (نسخة مصورة) بيروت.
- الحيوان للجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. (نسخة مصورة) بيروت.
- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي.
  - القاهرة (طبغة بولاق).
  - تحقيق وشرح عبد السلام هارون. القاهرة ١٩٧٩.
- الخصائص لابن جني. تحقيق محمد علي النجار. (نسخة مصورة) بيروت.
- الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني. حيدر أباد ١٩٥٠.
- الدّر اللقيط من البحر المحيط لأحمد عبد القادر القيسي (طبع بهامش البحر). القاهرة ١٣٢٨هـ.
- الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي. (نسخة مصورة) بيروت.
- الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة لحمزة الأصفهاني. تحقيق عبد المجيد قطامش. القاهرة ١٩٨٢.

- دلائل النبوّة لأبي نعيم الاصفهاني. تحقيق الدكتور محمد روّاس قلعجي وعبد البرّ عباس. بيروت ١٩٨٦.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر البيهقي. تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي. بيروت ١٩٨٥.
- ديوان ابن الدمينة - صنعة ثعلب ومحمد بن حبيب. تحقيق أحمد راتب النفاخ. القاهرة ١٣٧٩هـ.
- ديوان ابن هرمة. جمع وتحقيق حسين عطوان وأحمد نفاع. دمشق ١٩٦٩.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي. تحقيق محمد حسن آل ياسين. بغداد ١٩٦٤.
- ديوان أبي تمام - بشرح الخطيب التبريزي. تحقيق محمد عبده عزام. القاهرة ١٩٦٤.
- ديوان أبي حيان الأندلسي. تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي. بغداد ١٩٦٩.
- ديوان أبي الطيب المتنبي - بشرح أبي البقاء العكبري. تحقيق مصطفى السّقا ورفيقيه. القاهرة ١٩٥٦.
- ديوان أبي العتاهية = أبو العتاهية.
- ديوان الأخطل = شعر الأخطل.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس. شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين. بيروت ١٩٦٨.
- ديوان الأفوه الأودي = الطرائف الأدبية.
- ديوان امرىء القيس. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة ١٩٦٤.
- ديوان أمية بن أبي الصلت. تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي. دمشق

١٩٧٧.
- ديوان أوس بن حجر. تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم. بيروت ١٩٦٧، ١٩٧٩.
- ديوان البحتري. تحقيق حسن كامل الصيرفي. القاهرة ١٩٦٣.
- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي. تحقيق الدكتور عزة حسن. دمشق ١٩٦٠.
- ديوان جرير - بشرح محمد بن حبيب. تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه. القاهرة ١٩٦٩.
- ديوان حاتم الطائي. بيروت ١٩٦٣.
- ديوان حسان = شرح ديوان حسان.
- ديوان الحطيئة - بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني. تحقيق نعمان أمين طه. القاهرة ١٩٥٨.
- ديوان الحماسة، شرح التبريزي. بيروت.
- ديوان الحماسة للمرزوقي = شرح ديوان الحماسة.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي. صنعة عبد العزيز الميمني. القاهرة ١٩٥١.
- ديوان الخرنق. تحقيق الدكتور حسين نصار. القاهرة ١٩٦٩.
- ديوان الخنساء. بيروت ١٩٦٣. (وانظر أنيس الجلساء).
- ديوان رؤبة = مجموع أشعار العرب.
- ديوان الراعي النميري = شعر الراعي.
- ديوان زهير = شرح ديوان زهير.
- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس. تحقيق عبد العزيز الميمني. القاهرة ١٩٥٠.

- ديوان شعر ذي الرّمة. تحقيق كارليل مكارتني. كمبريدج ١٩١٩.
- ديوان شعر المتلمس الضُّبَعي. تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٩٦٨. (نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الرابع عشر).
- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني. تحقيق صلاح الدين الهادي. القاهرة ١٩٦٨.
- ديوان طرفة بن العبد.
  - بيروت ١٩٦١.
  - شرح الأعلم الشنتمري. تحقيق دريّة الخطيب ولطفي الصقال. دمشق ١٩٧٥.
- ديوان الطّرماح. تحقيق الدكتور عزة حسن. دمشق ١٩٦٨.
- ديوان الطفيل الغنوي. تحقيق محمد عبد القادر أحمد. بيروت ١٩٦٨.
- ديوان عامر بن الطفيل. بيروت ١٩٦٣.
- ديوان العباس بن مرداس السلمي - تحقيق الدكتور يحيى الجبوري. بغداد ١٩٦٨.
- ديوان عبيد بن الأبرص. تحقيق شارل ليال. لندن ١٩١٣.
- ديوان العجاج - رواية الأصمعي وشرحه. تحقيق الدكتور عزة حسن. بيروت ١٩٧١.
- ديوان علقمة الفحل (من مجموع خمسة دواوين). القاهرة ١٢٩٣هـ.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة = شرح ديوان عمر.
- ديوان عنترة - تحقيق ودراسة. محمد سعيد مولوي. بيروت ١٩٧٠.
- ديوان الفرزدق
  - بيروت ١٩٦٦.

- بعناية أحمد إسماعيل الصاوي. القاهرة ١٣٥٤ هـ.
- ديوان القطامي. تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور أحمد مطلوب. بيروت ١٩٦٠.
- ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد. القاهرة ١٩٦٢.
- ديوان كثير عزّة. جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس. بيروت ١٩٧١.
- ديوان لبيد = شرح ديوان لبيد.
- ديوان مجنون ليلى. تحقيق عبد الستار فراج. القاهرة.
- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري. القاهرة ١٣٥٢هـ.
- ديوان النابغة الذبياني
  - صنعة ابن السكيت. تحقيق الدكتور شكري فيصل. بيروت. ١٩٦٨.
  - تحقيق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. تونس ١٩٧٦.
- ديوان الهذليين. القاهرة ١٩٦٥.
- ذيل الأمالي = الأمالي.
- الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت ١٩٨٤.
- رياض الصالحين للإمام النووي. تحقيق الدكتور صبحي الصالح. بيروت ١٩٧٠.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي. بيروت ١٩٦٥.
- سرّ صناعة الإعراب لابن جني. تحقيق مصطفى السّقا ورفاقه. القاهرة ١٩٥٤.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. بيروت

١٩٧٩.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. تخريج محمد ناصر الدين الألباني. بيروت ١٣٩٩هـ.
- سمط اللآلي، شرح الأمالي. تحقيق عبد العزيز الميمني. القاهرة ١٩٣٦.
- سنن ابن ماجه - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (نسخة مصورة). بيروت ١٩٧٥.
  - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. بيروت ١٩٨٦.
- سنن أبي داود. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة.
- سنن الترمذي. تحقيق عزة عبيد الدعّاس. حمص ١٩٦٥ (وانظر الجامع الصحيح).
- سنن الدارمي. تحقيق محمد أحمد دهمان. دار إحياء السنة النبوية (؟).
- السنن الكبرى للبيهقي. (نسخة مصورة) بيروت.
- سنن النسائي - بشرح الحافظ السيوطي. (نسخة مصورة). بيروت. (أعاد طبعها وصنع لها فهارس الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، بيروت ١٩٨٦).
- السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه (نسخة مصورة) بيروت ١٩٧١.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب للعماد الحنبلي. القاهرة ١٣٥١هـ.
- شرح ابن عقيل. تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد. (نسخة مصورة) بيروت.
- شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر البغدادي. تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق. دمشق ١٩٧٣.
- شرح التسهيل = التذييل والتكميل.

- شرح التصريح للشيخ خالد الأزهري. القاهرة ١٣٢٥هـ.
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. تحقيق عبد الرحمن البرقوقي. بيروت ١٩٦٦.
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي. نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون. القاهرة ١٩٦٧.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى - صنعة الإمام ثعلب. القاهرة ١٩٦٤.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي. تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة. ١٩٦٠.
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري. تحقيق الدكتور إحسان عباس. الكويت ١٩٦٢.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصاري. تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٩٥٧.
- شرح شواهد الكشاف = تنزيل الآيات.
- شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ لمحمد بن مالك. تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري. بغداد ١٩٧٧.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة ١٩٦٣.
- شرح المفصل لابن يعيش. (نسخة مصورة) بيروت.
- شرح الهاشميات للكميت بن زيد الأسدي. بقلم محمد محمودِ الرافعي. القاهرة ١٩٢٨.
- شرح سقط الزند. تحقيق مصطفى السقا ورفاقه. القاهرة ١٩٤٥.
- شعر الأحوص الأنصاري. جمعه وحققه عادل سليمان جمال. القاهرة

.١٩٧٠
- شعر الأخطل
  - رواية ابن الأعرابي (نسخة مصورة) بيروت.
  - صنعة السكري. تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة. بيروت. ١٩٧٩ .
- شعر الراعي النميري وأخباره. جمعه ناصر الحاني. دمشق ١٩٦٤ .
- شعر عمرو بن لجأ التميمي. تحقيق الدكتور يحيى الجبوري. بغداد ١٩٧٦ .
- شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي. تحقيق مطاع طرابيشي. دمشق ١٩٧٤ .
- شعر الكميت بن زيد. جمعه الدكتور داود سلوم. بغداد ١٩٦٩ .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة. تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة ١٩٦٦ .
- الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. بيروت ١٩٨٤ .
- صحيح البخاري
  - القاهرة ١٣٧٨هـ.
  - تحقيق الدكتور مصطفى ديب البُغا. دمشق ١٩٨١ .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. بيروت ١٩٦٩ .
- صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٧٨ .
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. بيروت ١٩٧٩ .

- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي. القاهرة ١٣٢٤هـ.
- الطبقات الكبرى لابن سعد. بيروت.
- الطرائف الأدبية (تشتمل على ديوان الأفوه الأودي والشنفرى والصولي ومختارات شعرية أخرى). تحقيق عبد العزيز الميمني. (نسخة مصورة) بيروت.
-العشرات في اللغة لمحمد بن جعفر التميمي. تحقيق الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر. عمّان ١٩٨٤.
- العقد الفريد لابن عبد ربه. تحقيق محمد سعيد العريان. (نسخة مصورة) بيروت.
- عيون الأخبار لابن قتيبة. (نسخة مصورة) القاهرة ١٩٦٣.
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري. تحقيق برجشتراسر. القاهرة ١٩٣٢.
- غريب الحديث لابن قتيبة. تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري. بغداد ١٩٧٧.
- غريب الحديث لأبي عبيد الهروي. تحقيق محمد عبد المعيد خان. حيدر أباد ١٩٦٤.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب. (نسخة مصورة) بيروت.
- الفتح الربّاني - ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. ترتيب وتأليف أحمد عبد الرحمن البنّا. (نسخة مصورة) القاهرة ١٤٠٤هـ.
- فتح القدير للشوكاني. (نسخة مصورة) بيروت.
- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي. تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت

.١٩٧٤

- القاموس المحيط للفيروزابادي. بيروت ١٩٨٦.
- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني. (نسخة مصورة) بيروت.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد
  - (نسخة مصورة) بيروت.
  - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (نسخة مصورة) القاهرة.
- كتاب سيبويه. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. (نسخة مصورة) بيروت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٧٧.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب. تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٨١.
- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي. بيروت ١٩٧٨.
- لسان العرب لابن منظور. بيروت ١٩٥٥.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة. تحقيق فؤاد سزكين. بيروت ١٩٨١.
- مجمع الأمثال للميداني. القاهرة ١٣٥٢هـ.
- مجموع أشعار العرب (وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج). اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٨٠.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنّي. تحقيق علي النجدي ناصف ورفيقيه. القاهرة ١٣٨٦هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية
  - تحقيق أحمد صادق الملاّح. القاهرة ١٩٧٤.

- تحقيق المجمع العلمي بفاس. المغرب ١٩٨٢.
- مختار الأحاديث النبوية لأحمد الهاشمي. بيروت.
- مختصر في شواذ القرآن (من كتاب البديع لابن خالويه). عني بنشره برجشتراسر. القاهرة ١٩٣٤.
- مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة. تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة ١٩٧٢.
- مختصر المقاصد الحسنة.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري. بيروت.
- المستقصى في أمثال العرب للزمخشري. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٧٧.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٧٨.
- مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله التبريزي. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني بيروت ١٩٧٩.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب. تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن. بيروت ١٩٨٤.
- المعارف لابن قتيبة. صححه محمد إسماعيل الصاوي. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٧٠.
- معاني القرآن للأخفش الأوسط. تحقيق الدكتور فايز فارس. الكويت ١٩٨١.
- معاني القرآن للفرّاء تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٨٠.
- كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٨٤.
- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف لمحمد عليان المرزوقي. (نسخة

مصورة) بيروت.
- معجم الأدباء لياقوت. تحقيق الدكتور أحمد فريد رفاعي. القاهرة.
- معجم البلدان لياقوت. بيروت ١٩٥٥.
- معجم شواهد العربية. تأليف عبد السلام هارون. القاهرة ١٩٧٢.
- معجم شواهد النحو الشعرية. للدكتور حنا جميل حداد. الرياض ١٩٨٤.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لعبد الله بن عبد العزيز البكري. حققه وضبطه مصطفى السقا. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٨٣.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. نشره الدكتور ڤنسنك. ليدن ١٩٣٦.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وضعه محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة ١٩٤٥.
- معجم القراءات القرآنية. الدكتور عبد العال سالم مكرم والدكتور أحمد مختار عمر. الكويت ١٩٨٢.
- مغني اللبيب لابن هشام. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة.
- مفتاح كنوز السنّة. وضعه بالإنكليزية الدكتور ڤنسنك، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٨٣.
- المفصل في علم العربية للزمخشري. (نسخة مصورة) بيروت.
- المفضليات. تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون. القاهرة ١٩٦٤.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني (بهامش خزانة الأدب). القاهرة.

- المقتضب للمبرد. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. (نسخة مصورة) بيروت.
- المقرّب لابن عصفور. تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري. بغداد ١٩٧١.
- المنصف (شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني). تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. القاهرة ١٩٥٤.
- المهذّب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيّبة النشر. تأليف محمد محمد محمد سالم محيسن. القاهرة ١٩٦٩.
- الموطأ للإمام مالك
  - تحقيق فاروق سعد. بيروت ١٩٧٩.
  - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (نسخة مصورة) بيروت.
- نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لإسماعيل بن يوسف بن الأحمر - تحقيق محمد رضوان الداية. بيروت ١٩٦٧[1].
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي. القاهرة ١٣٧٥هـ.
- نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء لابن الأنباري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة ١٩٦٧.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرّي. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت ١٩٦٨.

(١) أعيد طبع النثير في بيروت ١٩٨٦ بعنوان: مشاهير الشعراء والكتّاب في المشرق والأندلس والمغرب.

- نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين الصفدي. القاهرة ١٩١١.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير. تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي. (نسخة مصورة) بيروت.
- النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان (طبع بهامش البحر). القاهرة ١٣٢٨هـ.
- النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري
  - علّق عليه سعيد الشرتوني. بيروت ١٨٩٤.
  - تحقيق الدكتور محمد عبد القادر أحمد. بيروت ١٩٨١.
- النوادر للقالي = الأمالي.
- نوادر المخطوطات. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة ١٩٥٤.
- همع الهوامع للسيوطي
  - القاهرة ١٣٢٧هـ.
  - تحقيق عبد السلام هارون والدكتور عبد العال سالم مكرم. الكويت ١٩٧٥.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت ١٩٦٨.
- الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي. تحقيق مجموعة من الاساتذة. استنبول ١٩٤٩.
- يتيمة الدهر للثعالبي. (نسخة مصورة) بيروت ١٩٧٩.

فهرست الفهارس

المجلد الأول:	مقدمة المحقق	٥
	مقدمة المصنف	٢١
	من الفاتحة إلى آل عمران	٢٧ - ٦١٩
المجلد الثاني:	من النساء إلى الأعراف	٥ - ٦٧٠
المجلد الثالث:	من الأنفال إلى الكهف	٥ - ٦٨١
المجلد الرابع:	من مريم إلى الصافات	٥ - ٦٤٧
المجلد الخامس:	من ص إلى الناس	٥ - ٦٢٦

الفهارس العامة

فهرست الآيات	٥
فهرست القراءات	٨٧
فهرست أسباب النزول	١٨٣
فهرست الأحاديث	٢٢٣
فهرست الأمثال	٢٤٩
فهرست الأشعار	٢٥٣
فهرست مسائل النحو والصرف	٣٠٣
فهرست ثبت النقول عن ابن عطية	٣٥٧
فهرست المصادر والمراجع	٣٧١
فهرست الفهارس	٣٩١

تم بعون الله تعالى ومنّه ولطيف صنعه تحقيق كتاب النهر الماد من البحر المحيط وفهرسته. وأسأله تعالى أن ينفع به وأن يجعل عملي فيه خالصاً لوجهه.

والحمد لله رب العالمين

عمر الأسعد